التفسير البسيط
لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
المقدمة الفاتحة ١
البقرة ١ البقرة ٩٦ ٢
البقرة ٩٧ البقرة ١٩٥ ٣
البقرة ١٩٦ آخر البقرة ٤
آل عمران آل عمران ١٣٨ ٥
آل عمران ١٣٩ النساء ٨٣ ٦
النساء ٨٤ آخر المائدة ٧
الأنعام ٨
الأعراف ٩
الأنفال التوبة ٩٢ ١٠
التوبة ٩٣ هود ١١
يوسف الحجر ١٢
النحل الكهف ٣١ ١٣
الكهف ٣٢ طه ١٤
الأنبياء المؤمنون ٥٦ ١٥
المؤمنون ٥٧ الفرقان ١٦
الشعراء العنكبوت ١٧
الروم يس ١٨
الصافات الشورى ١٩
الزخرف الطور ٢٠
النجم الطلاق ٢١
التحريم القيامة ٢٢
الإنسان الفجر ٢٣
البلد الناس ٢٤
الفهارس ٢٥

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتماداً على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الأول

المقدمة - الفاتحة

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة صاحب السمو الملكي

الأمير الدكتور عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز آل سعود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام وعلى من لا نبيَّ بعده، أما بعد:

فمن نعم الله الكثيرة أن هيَّأ سبل السعي إلى طلب العلم و تحصيله، وذلَّل طرقه، وفتح آفاقاً من المعرفة كثيرة، ينهل منها أهل العلم وطلابه في مجال من مجالاته المختلفة.

ومن خير الأعمال التي تبذل فيها الأوقات نشر الكتب ولاسيما كتب العلوم الشرعية في مختلف تخصصاتها، وجميع ما يتصل بنشرها وتوزيعها، ودون شكٍّ أن من أشرف العلوم ما كان متَّصلاً بكتاب الله سبحانه وتعالى، تفسيراً وقراءات وإعراباً وتوجيهاً، ومنها هذا المشروع الكبير المتصل بتفسير كتاب الله وإعرابه، فقد سجَّل خمسة عشر طالباً من قسم القرآن وعلومه رسائلهم لنيل درجة الدكتوراه في كتاب التفسير البسيط للواحدي، وهو يستحقُّ كل هذا العدد الكبير من الرسائل لكونه من كتب التفسير والإعراب الواسعة، وكما نصَّ على هذا مؤلفه فوافقت حقيقته واقع الكتاب، وجاءت هذه الرسائل لتلبي الحاجة الملحة للعمل في هذا السفر الكبير، وقد بذل المحققون جهوداً كبيرة في إخراج رسائلهم التي أمضوا في إعدادها سنوات مهمة من أعمارهم لينالوا الدرجات العلمية التي سجلوا الكتاب من أجل الحصول عليها، وقد حصلوا عليها بفضل الله سبحانه وتعالى، وبقي هذا العمل حبيس الأدراج حتى قيَّض له الأخ الزميل الدكتور تركي بن سهو العتيبي عميد البحث العلمي السابق ليبذل جهده لإخراج الكتاب مع إدراكه أن هناك عقبات كثيرة تحول دون نشره، ومن أصعبها تعدد الرسائل في هذا الكتاب، وتباعد الباحثين، وضخامة العمل، ولزوم إخراجه كاملاً في وقت واحدٍ.

وبدأ العمل في الكتاب منذ ست سنوات، وكان عملاً متواصلاً لا ينفك البتة، مما جعل اللجنة المشكلة تبذل جهوداً متواصلة لإخراجه وطباعته، ومحاولة توحيد عمل المحققين، والسعي لتوحيد الإخراج، ليكون الكتاب كله على نسق متقارب .

وقد أخذت اللجنة العلمية على عاتقها تطبيق ملحوظات الفاحصين على جميع الرسائل، من خلال المراجعين الذين كلفوا بالمراجعة والتصحيح والتدقيق، كما قررت اللجنة أن تدوِّن أسماء الباحثين على الأجزاء التي حقّقوها، وبذلت خطوات علمية وعملية حيث قامت اللجان بمقابلة النص كاملاً على إحدى النسخ الخطية للتأكد من خلوه من الأسقاط، والالتزام برسم المصحف، والضبط بالشكل للمشكل من الكلمات، أو ما يستدعي السياق ضبطه، ورفع الإبهام عن النصِّ، والتخلص من تراجم المشهورين، ومحاولة عدم تكرار التخريج للنصوص، وعدم تكرار توثيق الشواهد ما أمكن، إلا ما دعت الحاجة إلى تكراره، وبعد هذا كلِّه الإشراف على الفهرسة العلمية الكاملة لهذا الكتاب .

هذا جهد استمر من منتصف عام ١٤٢٥هـ، حتى الآن، وبعد جهود متواصلة، ومتابعة متلاحقة خرج هذا العمل الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون عملاً صالحاً مقبولاً، وأن يجزي الباحثين أصحاب الرسائل كل خير.

وأخيراً أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أعان ويسر وتمَّم، وأثني بالشكر والعرفان لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية على ما أولوه للعلم والمعرفة من عناية ورعاية واهتمام، وما قدموه وما يقدمونه للجامعات السعودية من جهود مباركة .

وأشكر معالي مدير الجامعة الأخ الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل اهتمامه بهذا الكتاب، ومباركته هذا التوجه وتأييده له، وحرصه الشديد على الإسراع بنشره، وتأكيده الدائم بأن الجامعة ستدعم هذا المشروع بكلّ ما تستطيع .

وأسجِّل عرفاني وتقديري لأعضاء اللجنة جميعاً على صبرهم وتحملهم هذا العمل، مع مشاغلهم الكثيرة، وبذلهم جهوداً متواصلة من غير كللٍ ولا مللٍ، كان العمل متواصلاً طيلة هذه السنوات، وقد ظنَّ الكثيرون بأن العمل توقَّف، لكنه لم يتوقف بحمد الله، لكن رغبة في الإنجاز حرص أعضاء اللجنة على العمل الدائم بصمتٍ تامٍّ حتى يتحقَّق إنجازه وقد تمَّ بفضل الله سبحانه وتعالى.

وأشكر كذلك لجان المتابعة والمراجعين، وجميع من ضرب مع اللجنة بسهم في العمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز بن سطام بن عبد العزيز آل سعود

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نَحْمده، ونَستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسنا، وسيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وآله وسلم تسليمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أجل ما صرفت فيه الأعمار، وقضيت فيه الأيام، الاْشتغال بكتاب الله جل وعلا، قراءة وتعلُّمًا وتعليمًا وتفسيرًا، فهو الحجة البالغة والصراط المستقيم، وهو «كتابه الدالُّ عليه لمن أراد معرفته، وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات، ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا اْنقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق إذا أغلقت الأبواب، وهو الصراط المستقيم الذي لا تميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنُزُل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء، ولا تفنىٰ عجائبه، ولا تُقْلِع سحائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته، كلما اْزدادت البصائر

فيه تأملًا وتفكيرًا زادتْ هداية وتبصيرًا، وكلما بَجَسَتْ[١] مَعينه فجّر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها وجواها[٢]، وحياة القلوب، ولذة النفوس»[٣].

ولذلك عكف العلماء علىٰ مائدة القرآن منذ نزوله، تلاوةً وحفظًا، وتدبرًا واستنباطًا، وتفسيرًا وبيانًا، وتأليفًا وبحثًا عن أسراره وعجائبه التي لا تنفد ولا تنقضي، لذلك تعددت الدراسات حول القرآن؛ فمنهم من عُني بقراءاته وعللها، ومنهم من عُني بغريبه ومعانيه، ومنهم من عني بإعرابه وبلاغته، ومنهم من عني بأحكامه وتشريعاته، ومنهم من عني بمشكله ومتشابهه، ومنهم من عُني بأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه، وقد ٱستأثر التفسير بالنصيب الأوفىٰ من هٰذِه الدراسات، حيث أُلفت في هٰذا الباب كتبٌ عديدة ومصنفاتٌ عجيبة، ما بين مطيل متوسع، ومختصر موجز، ومتوسط مقتصد.

وممن وفقهم الله لذلك العلامة المفسّر اللغوي: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، حيث ألف في التفسير فأكثر ولوّن، وبسط وأوجز، وجمع وحقق، وزيَّن ونمَّق، واشتهر بين الناس بمصنفاته في التفسير، وسارت بها الركبان، وتداولها شُداة العلم، وأفادوا منها، وأثنوا عليها غاية الثناء، وذلك أنه كما قال عن نفسه: «وأظنني لم آلُ جهدًا في إحكام أصول هٰذا العلم، علىٰ حسب ما يليق بزماننا هٰذا، ويسعه سنو عمري، علىٰ قلة

---

(١) بجست: فجرت. ينظر: «اللسان» ١/ ٢١٢.

(٢) جواها: الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن، والجوى السل وتطاول المرض. انظر: «اللسان» ٢/ ٧٣٤.

(٣) «مدارج السالكين» ١/ ٣.

أعدادها، فقد وفق الله تعالىٰ، وله الحمد، حتى ٱقتبست كل ما ٱحتجت إليه في هٰذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه». فجاءت مؤلفاته مليئة بالفوائد، جامعة للعلوم والمعاني، حسنة في الألفاظ والمباني. ومع قناعة أبي الحسن الواحدي بأن الأول لم يترك للآخر شيئًا، إلا أنه ٱعتذر لنفسه بقوله: «إن المتأخر بلطيف حيلته، ودقيق فطنته، يلتقط الدرر، ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد علىٰ صدر الكعاب[١]، يروق[٢] المتأملين، ويؤنق[٣] الناظرين، فيستحق به في الأولىٰ حمد الحامدين، وفي العقبىٰ ثواب رب العالمين».

وكان- رحمه الله- تحدثه نفسه أن يعلق في تفسير القرآن فِقَرًا[٤] في الكشف عن غوامض معانيه، ونكتًا في الإشارة إلىٰ علل القراءات فيه، في ورقات يصغر حجمها، ويكثر غُنْمها، والأيام تَمْطله بصروفها، على ٱختلاف صنوفها، إلىٰ أن شدد عليه خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة، وفي التحقيق همم صادقة، فسمحت قَرُوْنَتُه بعد الإباء، وذلت صعوبته بعد النفرة والالتواء.

قال: «وقد ٱستخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره، حتىٰ أبرزه كالقمر انجاب سحابه، والزلال صفا متنه واطرد حُبابه، يؤدي إلى المتأمل نُضرة الكلم العِذاب، ورونق الذهب

---

(١) الكعاب: الجارية التي نهد ثديها. ينظر «اللسان» ٧/ ٣٨٨٨.

(٢) يروق: يعجب. ينظر: «اللسان» ٣/ ١٧٧٩.

(٣) يؤنق: يعجب. ينظر: «اللسان» ١/ ١٥٣.

(٤) الفِقَر: خرزات الظهر، الواحدة: فِقْرة. والفِقْرة: جملة من كلام، أو جزء من موضوع. ينظر: «تهذيب اللغة» ٩/ ١١٧، «والمعجم الوسيط» ٢/ ٦٩٧.

المذاب، سالكٌ نهج الإعجاز في الإيجاز، مشتمل علىٰ ما نقمت علىٰ غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، خالٍ عما يكسب المستفيد مَلالة، ويتصور عند المتصفح إطالة، لا يدع لمن تأمله حازة في صدره، حتىٰ يخرجه من ظلمة الريب والتخمين إلىٰ نور العلم وثَلَج اليقين».

ولما كان الكتاب بهٰذِه المثابة، ومؤلفه بهٰذِه المنزلة، فقد ظل الكتاب مغمورًا محبوسًا بين المخطوطات في خزائن كتب التراث في الخافقين، حتىٰ قيض الله له من ينفض عنه الغبار، وهم مجموعة من الأساتذة الأفاضل، نالوا بها درجة الدكتوراه وهم:

١- الدكتور/ **محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان**.

من أول الكتاب إلى آخر الآية رقم ٧٤ من سورة البقرة.

٢- الدكتور/ **محمد بن عبد العزيز الخضيري**.

من آية ٧٥ حتى آية من سورة البقرة إلى آخر السورة.

٣- الدكتور/ **أحمد بن محمد بن صالح الحمادي**.

سورة آل عمران كلها.

٤- الدكتور/ **محمد بن حمد بن عبد الله المحيميد**.

من أول سورة النساء إلى آخر سورة المائدة.

٥- الدكتور/ **محمد بن منصور الفايز**.

من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الأعراف.

٦- الدكتور/ **إبراهيم بن علي الحسن**.

من أول سورة الأنفال إلى آخر سورة يونس.

٧- الدكتور/ **عبيد الله بن إبراهيم الريس**.

من أول سورة هود إلى آخر سورة الرعد.

٨- الدكتور/ **عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي**.

من أول سورة إبراهيم إلى آخر سورة الإسراء.

٩- الدكتور/ **عبد العزيز بن محمد اليحيى**.

من أول سورة الكهف إلى آخر سورة طه.

١٠- الدكتور/ **عبد الله بن عبد العزيز بن محمد المديميغ**.

من أول سورة الأنبياء إلى آخر سورة النور.

١١- الدكتور/ **سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين**.

من أول سورة الفرقان إلى آخر سورة الروم.

١٢- الدكتور/ **محمد بن عبد الله بن سايح الطيار**.

من أول سورة لقمان إلى آخر سورة (ص).

١٣- الدكتور/ **علي بن عمر السحيباني**.

من أول سورة الزمر إلى آخر سورة الحجرات.

١٤- الدكتور/ **فاضل بن صالح بن عبد الله الشهري**.

من أول سورة (ق) إلى آخر سورة القلم.

١٥- الدكتورة/ **نورة بنت عبد الله بن عبد العزيز الورثان**.

من أول سورة الحاقة إلى آخر الكتاب.

فجزاهم الله خير الجزاء

أهمية هذا الكتاب وسبب اختياره:

يُبيِّن أهمية هٰذا الكتاب ما للمؤلف من مكانة علمية عالية وما لكتابه «البسيط» من قيمة علمية كبيرة، فقد برز الواحدي في علوم كثيرة كالتفسير والعربية وتصدر للتدريس في زمانه، يقول الحافظ الذهبي عنه: «الإمام، العلامة، الأستاذ... صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل... كان طويل الباع في العربية.. تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه»(١). وقد أثنىٰ عليه وأشاد بمؤلفاته كثيرٌ من العلماء(٢).

فالواحدي قد بلغ مرتبة الإمامة في كثير من العلوم الشرعية.

أما كتابه «البسيط» فإن له قيمة علمية كبيرة في مجال التفسير التحليلي للآيات بذكر معاني المفردات وما يتعلق بها من حيث اللغة والنحو، والعناية بالقراءات وبيان أوجهها وعللها، وسياق الأقوال والأوجه في التفسير مع الموازنة بينها أو الترجيح في كثير من الأحيان، وذكر أسباب النزول واستنباط ما تدل عليه الآيات من أحكام، فهٰذا الكتاب يعتبر من التفاسير الجامعة.

من جهة أخرىٰ فإن «البسيط» قد ٱمتاز بمراجعه الأصيلة في التفسير والعربية، كما أنه يعتبر مصدرًا مهمًا لنصوص كثيرة من كتب مفقودة كـ«المصادر» للفراء و«نظم القرآن» للجرجاني وبعض كتب ابن الأنباري،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٣٩- ٣٤١.

(٢) انظر: «المنتخب من السياق» ص ٣٨٧، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣، «ومعجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٨، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣، و«إشارة التعيين» ص ٢٠٩، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٣/ ٢٨٩، ٢٩٠، و«البداية والنهاية» ١٢/ ١٢١، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٩٤.

وغيرها، حيث اعتمد الواحدي كثيرًا علىٰ هؤلاء في تفسيره، وكان حسن الانتقاء للنقول، وإجادة الربط بين الكلام ولو كان من مصادر متعددة.

ومن أهمية هٰذا التفسير أن الواحدي تصدىٰ فيه للرد على الفرق الضالة- خاصة القدرية- كلما سنحت له فرصة، فيبين بُعد منهجهم عن الصواب، ومجانبتهم لما دلت عليه الآيات القرآنية والسنة المطهرة.

كما يعتبر «البسيط» مصدرًا أصيلًا قديمًا من تفاسير القرن الخامس الهجري نقل منه كثير ممن جاء بعده من المفسرين، وكذلك غزارة مادة «البسيط» العلمية وتنوعها، ففيه مادة لغوية ونحوية، وفيه كثير من الأقوال والآثار التي لم يعثر عليها في كتب التفسير الأخرىٰ.

كما أن الواحدي يتصف بدقة البحث للمسائل وتحريرها وحسن ترجيحها مما جعل كثيرًا من المفسرين يتبنىٰ آراءه ويستشهد بها في مواطن الخلاف.

كما يعتبر «البسيط» من كتب التفسير الكبيرة الجامعة لمختلف العلوم، وكذلك المكانة العلمية البارزة لمؤلف هٰذا الكتاب وهو الإمام الواحدي فهو من كبار العلماء بالتفسير والعربية.

صحيح أن المؤلف- رحمه الله- وقع فيما أُخذ عليه، وانتُقِد بسببه، لكن تلك المآخذ لا تقلل كثيرًا من شأن الكتاب، ولا تطمس محاسنه ومزاياه؛ ولهٰذا فإن المكتبة القرآنية بحاجة إلىٰ نشر هٰذا الكتاب محققًا، لتعم به الفائدة، ويكثر به النفع، وأسأل الله أن يوفقنا إلىٰ إبراز هٰذا وإخراجه بالصورة التي تليق به.

خطة العمل:

يتكون هٰذا الكتاب من: مقدمة، وقسمين، وفهارس.

المقدمة: أشرنا فيها إلىٰ أهمية الكتاب المحقق، وسبب ٱختياره.

القسم الأول: الدراسة:

وتنقسم إلىٰ فصلين:

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: ٱسمه، ونسبه، وكنيته، وأسرته.

المطلب الثاني: ولادته ووفاته.

المطلب الثالث: موطنه.

المطلب الرابع: طلبه للعلم، ورحلاته في طلب العلم، والعلوم التي برز فيها.

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه.

المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه مع تعريف لكل واحد منهم.

المطلب السابع: مؤلفاته.

المطلب الثامن: مكانته.

المطلب التاسع: أقوال العلماء فيه، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقدًا له، والصواب من ذلك.

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في عصر الواحدي، وأثرها على

الناحية العلمية.

الفصل الثاني: دراسة عن كتاب «البسيط».

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب.

المبحث الثاني: ثبوت نسبة الكتاب للوحدي.

المبحث الثالث: الباعث علىٰ إنشائه.

المبحث الرابع: تاريخ البدء فيه والانتهاء منه.

المبحث الخامس: مصادر الواحدي في «البسيط»، ثم التعريف بهٰذِه المصادر وطريقته في الأخذ منها، وما هي المادة التي أخذها.

المبحث السادس: منهج الواحدي في البسيط.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه إجمالًا كما وصفه في مقدمة كتابه.

المطلب الثاني: منهجه تفصيلًا.

وفيه تسع مسائل:

المسألة الأولىٰ: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.

المسألة الثانية: منهجه في تفسير القرآن بالسنة.

المسألة الثالثة: منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المسألة الرابعة: منهجه في ذكر الإسرائيليات.

المسألة الخامسة: منهجه في القراءات.

المسألة السادسة: منهجه في علوم القرآن.

١- أسباب النزول.

٢- الوقف والابتداء.

٣- الناسخ والمنسوخ.

٤- الربط بين الآيات.

المسألة السابعة: منهجه في مسائل العقيدة، والرد على الفرق.

المسألة الثامنة: منهجه في المسائل الفقهية والأصولية.

المسألة التاسعة: منهجه في اللغة وفنونها.

المطلب الثالث: مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة.

المبحث السابع: قيمة البسيط العلمية.

المبحث الثامن: أثر الواحدي فيمن بعده من خلال كتابه «البسيط» وفيه ذكرت أهم الذين تأثروا بتفسير «البسيط» وأفادوا منه، فمن المفسرين:

١- الفخر الرازي في تفسيره: «مفاتيح الغيب».

٢- أبو حيان في تفسيره: «البحر المحيط».

٣- السمين الحلبي في تفسيره: «الدر المصون».

٤- الجمل في تفسيره: «الفتوحات الإلهية».

٥- الألوسي في تفسيره: «روح المعاني».

ومن المؤلفين في علوم القرآن:

١- الزركشي في «البرهان».

٢- السيوطي في «الإتقان».

ومن الفقهاء:

الطحطاوي في «حاشية على المراقي»، والنووي في «المجموع شرح المهذب»، والخطيب في «مغني المحتاج»، والشوكاني في «نيل الأوطار»، والصنعاني في «سبل السلام».

ومن شراح الحديث: النووي في «شرح مسلم»، والحافظ في

«الفتح»، وبدر العيني في «عمدة القاري»، والسيوطي في «تنوير الحوالك»، وشرح «سنن النسائي»، والمناوي في «فيض القدير».

المبحث التاسع: منهج تحقيق الكتاب

المبحث العاشر: النسخ الخطية لتفسير البسيط.

القسم الثاني: تحقيق نص الكتاب.

الفهارس: تم عمل فهارس متنوعة، تذليلًا للبحث في الكتاب، وتيسيرًا على الباحثين وهي كالتالي:

١- فهرس الآيات التي ورد بها أسباب نزول.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس الأبيات الشعرية.

٦- فهرس الكلمات اللغوية.

٧- فهرس الكلمات النحوية.

٨- فهرس البلدان والمواضع.

٩- فهرس الطوائف والفرق والقبائل.

١٠- فهرس المصادر والمراجع.

١١- فهرس المحتويات.

المبحث الأول

التعريف بالواحدي

حياته وآثاره

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، وأسرته.

المطلب الثاني: ولادته ووفاته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، ورحلاته في طلب العلم، والعلوم التي برز فيها.

المطلب الرابع: موطنه.

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه.

المطلب السادس: شيوخه وتلاميذه مع تعريف لكل واحد منهم.

المطلب السابع: مؤلفاته.

المطلب الثامن: مكانته.

المطلب التاسع: أقوال أهل العلم فيه، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقدًا له، والصواب من ذلك.

المطلب الأول

اسمه ونسبه، وكنيته، وأسرته

أولًا: ٱسمه ونسبه:

هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي. هٰذا نسبه في أكثر المصادر التي وردت فيها ترجمته[١].

وزاد بعضهم في نسبه فذكر «متويه» أحد أجداده ونسبه له، فقال ابن خلكان[٢]: «المتُّوي» وقال ابن الأثير[٣]: «المتويي».

أما ابن كثير فقال في نسبه: «علي بن حسن بن أحمد بن بويه الواحدي»[٤].

ولم يذكر أحد غيره أن ٱسم أبيه «حسن» بل أجمعت المصادر علىٰ أنه «أحمد» فلعله تصحيف. وقعت كنيته «أبو الحسن» مكان ٱسم أبيه.

أما قوله: «ابن بويه» فلعلها كذلك تصحيف «متويه»[٥].

و«الواحدي» بفتح الواو، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة، وهٰذِه

---

(١) انظر: «دمية القصر وعصرة أهل العصر» للباخرزي ٢/ ١٠١٧، و«معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٧، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٣٩، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٣/ ٢٨٩، والأسنوي ٢/ ٥٣٨، و«غاية النهاية في طبقات القراء» ١/ ٥٢٣، و«النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤، و«بغية الوعاة» ١٢/ ١٤٥، و«طبقات المفسرين» للسيوطي ص ٦٦، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٩٤، و«إشارة التعيين» ص ٢٠٩.

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٣) انظر: «اللباب» ٣/ ١٦٣.

(٤) «البداية والنهاية» ١٢/ ١١٤.

(٥) انظر: الواحدي ومنهجه في التفسير، د/ جودة محمد، ص ٥٦.

النسبة إلى الواحد بن الدين[١] بن مهرة، ذكره ابن خلكان عن أبي أحمد العسكري.

وقال أبو الفداء: «الواحدي»، نسبة إلى الواحد بن ميسرة[٢].

و«بنو مهرة» قبيلة عربية مشهورة ترجع إلىٰ قضاعة[٣].

وشهرته بالواحدي هي المعروفة المذكورة في المصادر.

أما «المتوي» فنسبة إلىٰ «مَتُّويه» بفتح الميم والتاء المشددة المضمومة، أحد أجداده المنسوب له، قاله ابن خلكان[٤]، وذكر هٰذا النسب السمعاني[٥] فقال: «المتويي»، ولم يذكر الواحدي ضمن من ذكر فيمن نسب لهٰذا الجد، وتعقبه ابن الأثير[٦] فذكر الواحدي ونسبه إلىٰ هٰذا الجد، فقال: «المتويي». و«النيسابوري» نسبة إلىٰ موطنه «نيسابور» كما سبق.

ثانيًا: كنيته:

يكنىٰ «أبا الحسن» علىٰ هٰذا أكثر المصادر، سوى القفطي في «إنباه الرواة» فإنه قال: «الحسين»[٧]. ولعله تصحيف عن «الحسن» وهٰذا يحصل كثيرًا في كتب التراجم بين آسم «الحسن» و«الحسين».

---

(١) كذا في «وفيات الأعيان» بتحقيق د/إحسان عباس حيث قال في الحاشية: كذا في المسودة، وفي التصحيف ص ٥٠٦ «الدثن»، «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٤ . وفي الأعلام «الديل» ٤/ ٢٥٥، واختاره مؤلف «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص ٥٨.

(٢) «المختصر في أخبار البشر» ٢/ ١٩٢.

(٣) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٤٤٠، ٤٨٥.

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٤.

(٥) انظر: «الأنساب» ١٢/ ٨٢.

(٦) انظر: «اللباب» ٣/ ١٦٣.

(٧) انظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

ثالثًا: أسرته:

لم تذكر المصادر شيئًا كثيرًا عن أسرة الواحدي، وكل ما قيل عنها: أن أباه يعد من التجار[(١)]، فالواحدي نشأ في أسرة ذات يسار، وهٰذا يهيئ لطالب العلم التفرغ له، فلا ينشغل بطلب قوته غالبًا.

ومما ذكر عن أسرته أن له أخوين:

أحدهما: عبد الرحمن، ذكره في «المنتخب من السياق» فقال: عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن متُّويه الواحدي، أبو القاسم، مستور صالح، أخو الإمام علي الواحدي، الأكبر منه، وأصلهم من ساوة من أولاد التجار سمع من الزيادي وابن يوسف ومن بعدهم من أصحاب الأصم، وعقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي.. وتوفي يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وأربعمائة، روىٰ عنه أبو الحسن[(٢)].

والثاني: سعيد، قال في المنتخب: «سعيد بن أحمد بن محمد السمسار، أبو بكر الواحدي، أخو الإمام المفسر علي الواحدي، شيخ ثقة مستور عفيف كان يحترف السمسرة سمع من أصحاب الأصم»[(٣)].

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٨٩، و«طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٥٣٩، و«النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤، وغيرها من الكتب التي ترجمت له.

(٢) «المنتخب من السياق» لتاريخ نيسابور ل ٩١ب، وترجم له في «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٢، وانظر «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٨، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ١٨٩، و«النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤.

(٣) «المنتخب من السياق» ل ٦٨أ، و«أسباب النزول» للواحدي، مقدمة السيد أحمد صقر ص ٥ وذكر أسمه «سعد».

المطلب الثاني

ولادته

لم يذكر أحد ممن ترجم للواحدي تاريخ ميلاده، وهٰذا واقع في تراجم أغلب العلماء، ذلك أن العالم حين ولادته لم يظهر له نبوغ يذكر، ولا أثر يستحق التسجيل، وربما كان لبعض الأسر دور في تسجيل تاريخ ميلاد أبنائهم.

والواحدي لم ينص أحد علىٰ تاريخ ميلاده، وإنما ذكر تاريخ وفاته.

وفاته:

توفي أبو الحسن الواحدي سنة ٤٦٨ في جمادى الآخرة بنيسابور(١)، بعد مرض ألم به طويل(٢)، خلافًا لما ذكره بعضهم(٣) من أن مرضه لم يدم طويلًا.

وذكر بعضهم(٤) قولًا: إنه توفي سنة ٤٦٩ ثم رجح الأول وقد ذكروا أنه شاخ(٥) وكان عند وفاته من أبناء السبعين(٦).

---

(١) ينظر مثلاً: «المنتخب من السياق» ص ٣٨٧، و«معجم الأدباء» ١١/ ٢٥٨ و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٤، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٤.

(٢) ينظر: المراجع السابقة، و«المختصر في أخبار البشر» ٢/ ١٩٢، و«تاريخ ابن الوردي» ١/ ٣٨٧، و«طبقات الشافعية» للإسنوي ٢/ ٥٣٩.

(٣) وهو القفطي في «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٤ وقد تكون كلمة (غير) مقحمة في قوله: ومرض مرضة غير طويلة، واكتفى ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١١٤ بقوله: وقد مرض مدة.

(٤) هو ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤.

(٥) ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٢.

(٦) تقدم ذكر ذلك.

المطلب الثالث

موطنه

أصل الواحدي من «ساوة» كما قال ذلك ياقوت وغيره[١]، ولكن أسرته ٱنتقلت منها واستقرت في «نيسابور» حيث ولد الواحدي وتوفي فيها[٢]، و«نيسابور» إحدىٰ مدن «خراسان» الهامة. فهو خراساني نيسابوري. أما «ساوة» فقد قال عنها ياقوت: «مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط.. وبقربها مدينة يقال لها «آوة» ف «ساوة» سنية شافعية، و«آوة» أهلها شيعة إمامية وبينهما نحو فرسخين، ولا يزال يقع بينهما عصبية..»[٣] ولا نقف عندها كثيرًا حيث تركتها أسرة الواحدي قبل ولادته[٤]، فأثرها علىٰ حياته قليل.

أما «خراسان» وهو الإقليم الذي عاش الواحدي في إحدىٰ مدنه، فهو منطقة واسعة قال ياقوت في بيان حدودها: «خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق «أزاذوار» قصبة جوين «وبيهق»، وآخر حدودها مما يلي الهند «طخارستان» و«غزنة» و«سجستان» و«كرمان»، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها»[٥]. وفي خراسان أمهات البلاد منها: بلخ

---

(١) انظر: «معجم البلدان» ١٢/٢٥٧، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٨٩، و«شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠.

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) «معجم البلدان» ٣/ ١٧٩.

(٤) انظر: «شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠.

(٥) «معجم البلدان» ٢/ ٣٥٠.

ونيسابور وبوشنج ومرو وهراة وطالقان وغيرها[١]، فتحت خراسان في أيام عثمان- ﷺ- بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز[٢].

وقد وصف المقدسي إقليم خراسان فقال: «اعلم أن لهٰذا الإقليم فضائل تنسب إلىٰ هٰذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل»[٣]، إلا أن هٰذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام، وأقرب إلىٰ أقاليم العرب خص بالذكر وعرف عند النسبة، يحكىٰ عن ابن قتيبة أنه قال: «أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة..» قال: «ويقال: إن محمد بن[٤] عبد الله قال لدعاته: أما الكوفة وسوادها فشيعة علي، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية صادقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارىٰ، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية، وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر

---

(١) انظر: «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ص ٣٩٥، و«معجم البلدان» ٢/ ٣٥٠.

(٢) انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٣٥٠.

(٣) بلاد ما وراء نهر جيحون، يقال نزلها هيطل بن عالم بن سام بن نوح فسميت به. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٣٥٠.

(٤) كذا ورد اسمه عند المقدسي، ولعله تصحيف من النساخ، وإنما هو محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، داعية العباسيين، انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٣٥٢، و«تاريخ الإسلام السياسي» ٢/ ١٢، وقد وقع د/ جودة محمد مهدي صاحب كتاب «الواحدي ومنهجه في التفسير» في وهم فاحش، حيث نقل مقاطع من كلام المقدسي وأضاف الصلاة على النبي ﷺ وقال في الحاشية: «لم يذكر المقدسي لفظ السيادة، ولم يصل على النبي ﷺ مع ذكر اسمه الشريف فأضفت ذلك بين الأقوال وفاء بحق ذكر اسمه الشريف». انظر: «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص٤٩، فجعل كلام محمد بن علي داعية العباسيين لرسول الله ﷺ.

وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحىٰ وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة، وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق وإلىٰ مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق».

وقال المقدسي(١): «.. واعلم أن هٰذا الجانب في الحقيقة خراسان وهو أجل الجانبين لأن به المصر الأعظم وأهله أظرف وأحلم وبالخير والشر أعلم وإلىٰ أقاليم العرب ورسومهم أقرب..»(٢).

وكانت خراسان موطن العلم والعلماء قال ياقوت(٣): «.. فأما العلم فهم فرسانه وساداته وأعيانه، ومن أين لغيرهم مثل محمد بن إسماعيل البخاري(٤)،

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، المقدسي، ويقال له: البشاري، رحالة جغرافي، ولد في القدس عام ٣٣٦، تعاطى التجارة وتجشم أسفارًا تعرف من خلالها علىٰ أحوال البلاد، وصنف كتابه: «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم». توفي نحو سنة ٣٨٠هـ. ينظر: «أحسن التقاسيم» ص ٤٣، «الأعلام» ٥/ ٣١٢.

(٢) «أحسن التقاسيم» ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) هو شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد، الحموي المولى، البغدادي الدار، ولد سنة ٥٧٤هـ، له تآليف كثيرة، منها: «معجم البلدان»، و«معجم الأدباء» وغيرها، توفي سنة ٦٢٦. ينظر: «وفيات الأعيان» ٦/ ١٢٧-١٣٩، و«سير أعلام النبلاء» ٢٢/ ٣١٢.

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، الإمام الكبير، صاحب «الصحيح»، ولد سنة ١٩٤ وله تآليف غير «الصحيح»، منها «التاريخ الكبير» و«الأدب المفرد» و«الضعفاء» وغيرها، مات سنة ٢٥٦. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٩١، و«تهذيب التهذيب» ٩/ ٤٧.

ومثل مسلم بن الحجاج(١)، وأبي عيسى الترمذي(٢)، وإسحاق بن راهويه(٣)، وأحمد بن حنبل وأبي حامد الغزالي(٤)، والجويني إمام الحرمين(٥) والحاكم

---

(١) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين: الإمام الحافظ صاحب «الصحيح»، ولد بنيسابور عام ٢٠٤ ورحل في طلب الحديث، وألف الصحيح، وبه أشتهر، ومن كتبه: «المسند الكبير»، و«الجامع»، و«التمييز»، وغيرها، توفي سنة ٢٦١ ينظر: «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٠٠ و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٥٥٧.

(٢) محمد بن عيسىٰ بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أبو عيسىٰ، أحد أئمة الحديث وحفاظه، صاحب «السنن» المشهورة، ولد سنة ٢٠٩ وهو تلميذ البخاري، وقد رحل في طلب الحديث من كتبه: «الشمائل» و«التاريخ» و«العلل»، مات سنة ٢٧٩. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٢٧٠، و«تهذيب التهذيب» ٩/ ٣٨٧.

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم التميمي المروزي أبو يعقوب، عالم خراسان في عصره، قال فيه الخطيب: «اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد» روىٰ عنه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم توفي سنة ٢٣٨. ينظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٢٠٩، و«السير» ١١/ ٣٥٨.

(٤) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد فيلسوف متصوف فقيه أصولي ولد سنة ٤٥٠ بخراسان، رحل إلىٰ نيسابور وغيرها في طلب العلم، من كتبه: «إحياء علوم الدين»، و«المستصفىٰ»، و«تهافت الفلاسفة»، توفي سنة ٥٠٥. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٤٦٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٣٢٢.

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي، إمام الحرمين، من فقهاء الشافعية ولد في جوين من نواحي نيسابور عام ٤١٩، ورحل وجاور بمكة سنين وذهب إلى المدينة فأفتىٰ ودرس ثم عاد إلىٰ نيسابور نبنىٰ له نظام الملك المدرسة النظامية فيها من كتبه: «غياث الأمم» و«الإرشاد» و«الورقات»، توفي عام ٤٧٨. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٢٨٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٤٦٨.

أبي عبد الله النيسابوري[(١)] وغيرهم من أهل الحديث والفقه، ومثل الأزهري[(٢)] والجوهري[(٣)] وعبد الله بن المبارك..»[(٤)] هٰذا عن خراسان.

أما «نيسابور» موطن الواحدي وبلده، فهي كما وصفها ياقوت حين قال: «نيسابور» بفتح أوله والعامة يسمونه: «نشاوور» وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها..»[(٥)].

واختلف في سبب تسميتها بذلك، فقيل: إنها سميت بذلك لأن سابور

---

(١) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الشهير بالحاكم ويعرف بابن البَيِّع أبو عبد الله من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ولد سنة ٣٢١ في نيسابور، رحل في طلب العلم، وبرع، وولي قضاء نيسابور، من كتبه: «المستدرك على الصحيحين» و«المدخل» و«معرفة علوم الحديث». توفي سنة ٤٠٥. ينظر: «تاريخ بغداد» ٥/ ٤٧٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٦٢.

(٢) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأظهر بن طلحة الأزهري الهروي، العلامة اللغوي الشافعي، صاحب: «تهذيب اللغة» المشهور، توفي سنة ٣٧٠هـ.
ينظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٦٣، و«بغية الوعاة» ١/ ١٩، و«السير» ١٦/ ٣١٥.

(٣) إمام اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد التركي الأُتراري، صاحب «الصحاح» وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، وفي الخط المنسوب، توفي بنيسابور سنة ٣٩٣.
ينظر: «السير» ١٧/ ٨٠، و«إنباه الرواة» ١/ ٢٢٩.

(٤) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التميمي، المروزي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام المجاهد التاجر، محدث فقيه زاهد، ولد سنة ١١٨ من مصنفاته: «الجهاد» وهو أول من صنف فيه، وله «الزهد»، ومات سنة ١٨١. ينظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٥٣، و«حلية الأولياء» ٨/ ١٦٢.

(٥) «معجم البلدان» ٥/ ٣٣١.

مر بها، وفيها قصب كثير، فقال: يصلح أن يكون هٰهنا مدينة، فسميت نيسابور وقيل: إن سابور خرج من مملكته لقول المنجمين فخرجوا يطلبونه فبلغوا «نيسابور» فقالوا: نيست سابور، أي ليس سابور[١].

قال ياقوت: «.. وأكثر شرب أهل نيسابور من قنى تجري تحت الأرض ينزل إليها في سراديب مهيأة لذلك، فيوجد الماء تحت الأرض، وليس صادق الحلاوة، وعهدي بها كثيرة الفواكه والخيرات..»[٢].

وذكر ياقوت أنها فتحت أيام عثمان ﷺ وقد فتحها الأمير عبد الله بن كريز في سنة ٣٠ هـ صلحا وبنىٰ بها جامعا. وقيل: فتحت أيام عمر ﷺ علىٰ يد الأحنف بن قيس، وانتقضت أيام عثمان فأرسل إليها عبد الله بن كريز ففتحها ثانية[٣].

ومما يجدر ذكره أن نيسابور أصابها ما أصاب الدولة الإسلامية في العهد الثاني للعباسيين فتقلبت بين السامانيين والغزنويين والسلاجقة فكانت تحت ولاية السامانيين، فحاول محمود الغزنوي أخذها سنة (٣٨٨ هـ) فاحتلها ولكن لما علم بمسير الأمير منصور بن نوح إليه سار عنها وتركها، ثم عاد إليها سنة (٣٨٩ هـ) واحتلها[٤]، وبقيت تحت الدولة الغزنوية إلىٰ سنة (٤٣٢ هـ) حيث ٱحتلها السلاجقة.

قال ابن الأثير عن حادثة ٱحتلال السلاجقة لها: «.. وسار طغرلبك إلىٰ نيسابور وملكها ودخل إليها آخر سنة إحدىٰ وثلاثين وأول سنة ٱثنتين

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) ٱنظر: «الكامل في التاريخ» ٧/ ١٩٠، ١٩٦.

وثلاثين ونهب أصحابه الناس.. وكان العيارون قد عظم ضررهم واشتد أمرهم وزادت البلية بهم علىٰ أهل نيسابور فهم ينهبون الأموال ويقتلون النفوس ويرتكبون الفروج الحرام.. فلما دخل طغرلبك البلد خافه العيارون وكفوا عما كانوا يفعلون وسكن الناس واطمأنوا..»[١] وحصلت لها بلية أخرىٰ علىٰ يد الغز سنة (٥٤٨هـ)، ثم خربت مرة أخرىٰ علىٰ يد التتر سنة (٦١٨ هـ)[٢].

أما العلم بها فهو كما قال عنها ياقوت في كلامه السابق: «معدن الفضلاء ومنبع العلماء..» وقد ٱشتهرت بمدارسها العامرة، وذكر السبكي بعض مدارسها، وذلك لما تحدث عن المدارس في عهد «نظام الملك» فذكر منها المدرسة «البيهقية» و«السعدية» بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود، ومدرسة بناها أبو إسماعيل بن علي الأَستراباذي الواعظ، ومدرسة «أبي إسحاق الإسفراييني» ثم بنىٰ «نظام الملك» المدرسة «النظامية» بها[٣]، هٰذا شيء عن المدارس وبيوت العلم التي قامت بنيسابور، فتخرج فيها فحول العلماء.

وقد ألف في أسماء علماء نيسابور ومشايخها كتب، وأول من كتب في هٰذا «الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم» المتوفىٰ سنة (٤٠٥هـ)، قال السمعاني: «والمنتسب إليها جماعة لا يحصون وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ البيع، تاريخ علمائها في ثمان

---

(١) «الكامل في التاريخ» ٨/ ٢٦.

(٢) انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٣٣٢.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ١٣٧.

مجلدات..»[١] وذيّله عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، المتوفىٰ سنة (٥٢٩ هـ) في كتاب أسمه «السباق في ذيل تاريخ نيسابور»[٢]، وذكر الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) في «يتيمة الدهر» بابًا في ذكر النيسابوريين، وبابًا آخر في ذكر الطارئين علىٰ نيسابور من بلاد شتىٰ[٣].

ومن مشاهير العلماء المنسوبين لنيسابور، الإمام مسلم بن الحجاج، مؤلف «الصحيح»، ومنهم: «أبو بكر عبد الله بن محمد النيسابوري الشافعي، مولىٰ أبان بن عثمان» توفي سنة (٣٢٤ هـ)[٤]، وسيأتي ذكر عدد منهم في شيوخ الواحدي وتلامذته.

ومما ينبغي ذكره عن نيسابور وبلاد خراسان عامة أوضاع الفرق والطوائف والتعصب فيها، وقد وصف المقدسي ذلك فقال عن خراسان عامة: «وبه يهود كثيرة ونصارىٰ قليلة، وأصناف المجوس، وليس فيه مجذومون، ولا يعرفون الجذام، وأولاد علي ﷺ فيه علىٰ غاية الرفعة، ولا ترىٰ به هاشميا إلا غريبا ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج «بسجستان» ونواحي «هراة» و«كروخ» و«استربيان» كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم أصحاب أبي حنيفة، إلا في كورة «الشاش» و«إيلاق» و«طوس» و«نسا» و«أبيورد» و«طراز» و«ضنغاج» وسواد «بخارىٰ» و«سنج» و«الدَّنْدَانَقَان» و«أسفراين» و«جويان» فإنهم شفعوية كلهم والعمل في هٰذِه المواضع علىٰ مذهبهم.. و«نيسابور»-

---

(١) «الأنساب» ١٣/ ٢٣٥.

(٢) انظر: «كشف الظنون» ٢/ ١٠١١.

(٣) انظر: «يتيمة الدهر» الباب التاسع والعاشر ٤/ ٤٤١ - ٥٢٠.

(٤) انظر: «اللباب» ٣/ ٣٤١.

أيضًا- شفعوية.. وأهل ترمذ جهمية، وأهل «الرقة» شيعة، وأهل «كندر» قدرية..»[١].

هٰذا الوصف من المقدسي يصور لنا حالة تلك البلاد التي عاش بها الواحدي فهي معدن العلم والعلماء وهي مع ذلك موطن ٱضطراب وتقلبات سياسية، ومواطن الفرق والصراع بينها، وما حصلت تلك المحن علىٰ تلك البلاد وعلى الأمة جميعها إلا بسبب ظهور المعاصي والتفرق في الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ص ٣٢٣.

المطلب الرابع

طلبه للعلم، ورحلاته في طلب العلم، والعلوم التي برز فيها

لقد نشأ الواحدي في تلك المدينة العامرة بالعلم والعلماء نيسابورَ، مع سعة الرزق التي هيأت له أسباب التحصيل والطلب، وكان الكُتَّاب[١] هو المدرسة الابتدائية التي تلقىٰ فيها أبو الحسن الواحديُّ تعليمه، حيث دخل كتاب الشيخ أبي عمرو سعيد بن هبة الله البسطامي[٢].

ثم شرع في السماع من العلماء، والأخذ عنهم، حيث سمع من شيخه أبي طاهر محمد بن محمد بن مَحْمِش الزيادي[٣] محدث نيسابور وفقيهها، وكان ذلك عام (٤٠٩)[٤] فيكون سماعه منه، وهو في الثانية عشرة من عمره تقريبًا، أو فوق ذلك بقليل.

ثم انضم الواحدي إلىٰ دار السُّنة- وهي مدرسة يدرِّس فيها كبار العلماء والمحدثين- ليتلقى العلم عن أجلَّة علمائها، وكان منهم: القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري في سنة (٤١٠) وهذا وما قبله يدلان علىٰ شغف الواحدي بالعلم ولزوم حلق العلماء منذ نعومة أظفاره، ومَيْعة[٥] صباه[٦].

ولعل الواحدي رحمه الله أحب أن يتقن علوم الآلة التي يتوصل بها إلىٰ فهم القرآن والسنة، قبل أن يخوض في علوم المقاصد، ليكون علىٰ

---

(١) الكتاب- كرمان-: موضع تعليم الكتاب، وجمعه كتاتيب، «الصحاح» للجوهري ٢٠٨/١.

(٢) ينظر: «دمية القصر» للباخرزي ١٠١٨/٢ وتأتي ترجمته لاحقًا في مبحث شيوخه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٣٨٧ و«الوجيز» ٨٦/١.

(٥) ميعة الصبا: أوله.

(٦) ينظر: «أسباب النزول» ص ٢٤٤.

فهم تام بها، ومعرفة بحقائقها، يحدث عن ذلك فيقول: «وأما النحو فإني لما كنت في مَيعة صباي، وشرخ شبيبتي، وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد الضرير رحمه الله. . . ولعله تفرَّس فيّ وتوسم أثر الخير لديّ فتجرد لتخريجي وصرف وَكْده[١] إلىٰ تأديبي، . . . وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبا من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل..»[٢].

ولم يقض نهمته من علم اللغة والأدب اللذين لا يستغنىٰ عنهما في فهم النصوص، يقول الواحدي: «ولئن ٱستغنىٰ علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن: الأدب ومعرفة اللغة العربية»[٣]، فانقطع لتعلم اللغة علىٰ شيخ اللغة في وقته: أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي، حيث لازمه ملازمة الظل لصاحبه، يدخل عليه عند طلوع الشمس، ويخرج من عنده غروبها، يسمع ويعلق ويبحث، ويذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأ عليه كثيرًا من دواوين الشعر وكتب اللغة، قال: ولم أغب عن زيارته يومًا من الأيام إلىٰ أن حال بيننا الحمام[٤].

ثم لما توفي الشيخ أبو الفضل العروضي عام (٤١٦) تنقل الواحدي في مساجد البلد ومدارسه، بين العلماء والعلوم[٥]، يحدثنا أبو الحسن الواحدي عن تلقيه للقرآن ولعلم القراءات، فيقول: «وأما القرآن وقراءات

---

(١) الوكد: القصد.

(٢) مقدمة «البسيط» ص ٤٢٠-٤٢١.

(٣) مقدمة «البسيط» ص ٤١٠ .

(٤) مقدمة «البسيط» ص ٤١٧-٤١٩ .

(٥) ينظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٠١، ٢/ ٣٢، ٢٢٣، ٣/ ٧١.

أهل الأمصار، واختيارات الأئمة، فإني ٱختلفت أولًا إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي- رحمه الله(١)- وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصىٰ، حتىٰ قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ: أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران- رحمه الله(٢)- ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد ابن محمد الحيري، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي- رحمهما الله(٣)- فقرأت عليهما وأخذت من كل منهما حظًّا وافرًا بعون الله وحسن توفيقه. وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروىٰ لنا كتب أبي علي الفسوي(٤) عنه، وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج(٥) في «المعاني»(٦).

---

(١) تأتي ترجمته لاحقًا في مبحث شيوخه.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن مهران أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري، إمام عصره في القراءات، كان ثقة محققًا عابدًا صنف في القراءات مصنفات منها: «الغاية»، و«الشامل»، و«المبسوط» وغيرها توفي سنة ٣٨١، ينظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٤٧، و«غاية النهاية» ١/ ٤٩.

(٣) تأتي ترجمتهما لاحقًا في مبحث شيوخه.

(٤) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، ويعرف بالفسوي نسبة إلىٰ فسا، واحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج وابن السراج، وطوف بلاد الشام، كان أعلم من المبرد، كان معتزليًا، وقد ذكر الدكتور حسن فرهود في مقدمة «الإيضاح» أكثر من ٣٠ كتابًا للفارسي، توفي سنة ٣٧٧هـ.
ينظر: «بغية الوعاة» ١/ ٤٩٦- ٤٩٧، و«إنباه الرواة» ١/ ٣٠٨- ٣١٠، و«معجم الأدباء» ٧/ ٢٣٢- ٢٦١.

(٥) هو: إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج النحوي، صاحب كتاب «معاني القرآن» كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد، وله مؤلفات حسان في الأدب، توفي سنة ٣١١هـ، أو نحوها.
ينظر: «السير» ١٤/ ٣٦٠، و«إنباه الرواة» ١/ ١٩٤.

(٦) «مقدمة البسيط» ص (٤٣٢).

لقد كانت كل تلك الدراسات تهيئة من الواحدي لنفسه، وتدرجًا للوصول إلىٰ علوم المقاصد، وهٰذا يظهر من حديثه عن نفسه في آخر تفسيره «البسيط»، حين قال: «وقد كنت تعبت دهرًا طويلًا، من عنفوان صباي إلىٰ تناهي أيام شبيبتي في إحكام مقدمات هٰذا العلم»(١).

كما يظهر لنا من خلال حديث الواحدي مع شيخه أبي الفضل العروضي حين قال: «وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة حتىٰ عاتبني شيخي- رحمه الله- يومًا من الأيام، وقال: إنك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز، تقرأه علىٰ هٰذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت علىٰ قرب ما بيننا من الجوار؟ يعني: الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي- رحمه الله(٢)- فقلت يا أبت إنما أتدرج بهٰذا إلىٰ ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أَرْمِ في غرض التفسير عن كثب..»(٣).

ولقد رضي عن جهده في هٰذا الباب حين قال: «وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هٰذا العلم علىٰ حسب ما يليق بزماننا هٰذا، ويسعه سِنُو عمري علىٰ قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالىٰ وله الحمد، حتى ٱقتبست كل ما ٱحتجت إليه في هٰذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه»(٤).

ثم تفرغ من بعد ذلك- تبعًا لخطته، ومنهجيته التي ٱرتضاها لنفسه، وإنفاذًا لوصية شيخه- للقراءة على الإمام: أبي إسحاق أحمد بن حمد بن

---

(١) «تفسير البسيط» ٥/ ٣٣٧ب من نسخة عاطف أفندي.

(٢) ستأتي ترجمته لاحقًا في مبحث شيوخه.

(٣) مقدمة «البسيط» ص ٤١٩.

(٤) مقدمة «البسيط» ص ٤١٧ .

إبراهيم **الثعلبي**، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، وتفسيره الكبير «**الكشف** والبيان» وكتابه «الكامل في علم القرآن» وغيرها، ولشدة ملازمته إياه عرف في الأوساط العلمية آنذاك بتلميذ الثعلبي.

رحلاته:

ولقد رحل الواحدي بعد ذلك في طلب العلم، يبحث عن أساطينه فيتلقىٰ عنهم، وقد عبر عن تلك الرحلات بقوله: «..ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هٰذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال الخطب ومل الناظر..»[١].

ولم تذكر المصادر البلاد التي رحل إليها الواحدي، ولكن صرح هو في بعض رواياته بمكان التلقي، فمثلا قال في «أسباب النزول»: «قال الشيخ: أشهد بالله لقد أخبرنا أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم الحافظ بجرجان قال: أشهد بالله لقد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزاز..»[٢].

فهٰذا يدل علىٰ أنه رحل إلىٰ جرجان[٣] وأخذ عن شيوخها.

العلوم التي برز فيها:

لقد تنوعت مشارب الواحدي العلمية، وتعددت، وأخذ من كل فن بطرف، ذلك لأن من خصائص العلوم الشرعية أنها مترابطة، فبعضها غايات وبعضها وسائل كاللغة والأصول ونحوهما، ولابد لمن أراد تعلم الغايات أن يدرس الوسائل، فالمفسر مثلًا: يلزمه معرفة السنة حتىٰ يميز بها بين ما صح

---

(١) مقدمة «البسيط» ص ٤٢٥ .

(٢) «أسباب النزول» ص ٤٢٥.

(٣) جرجان: مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان. أنظر: «معجم البلدان» ٢/ ١١٩.

وما ليس كذلك، كما أن فهم اللفظ القرآني متوقف علىٰ معرفة اللغة والنحو وأصول كلام العرب، ولا بد أن يعرف القراءات وعلوم القرآن وهكذا.

ولقد كان ذلك دافعًا قويًا للواحدي ليحكم الأصول كما قال في مقدمة كتابه «البسيط»: «... وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هٰذا العلم علىٰ حسب ما يليق بزماننا هٰذا ويسعه سنو عمري علىٰ قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالىٰ، وله الحمد، حتى ٱقتبست كل ما ٱحتجت إليه في هٰذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي، رحمه الله..»[١].

وتحدث بعد ذلك عن أخذه النحو والقراءات والتفسير.

ويؤكد كلامه بقوله: «..ولئن ٱستغنىٰ علم عن الأدب فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن: الأدب، ومعرفة اللغة العربية..»[٢].

وكان للواحدي مشاركة في سائر العلوم. ففي السنة أخذ عن كبار المحدثين وأدرك الإسناد العالي[٣]، وقال عنه ابن تغري بردي: «كان إمامًا عالمًا بارعًا محدثًا»[٤]، وكتابه «أسباب النزول» يشهد بمكانته في هٰذا الفن. علىٰ أنه لم يصل فيها إلى المستوى الذي وصل إليه في اللغة والتفسير، ولهٰذا روىٰ بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وسيأتي تفصيل هٰذِه المسألة عند الحديث عن منهجه في التفسير في كتابه «البسيط».

أما الفقه فيعتبر أحد أعلام مذهب الإمام الشافعي وتوجد ترجمته في

---

(١) مقدمة «البسيط» ص ٤١٧ .

(٢) مقدمة «البسيط» ص ٤١٠ .

(٣) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ، و«إنباه الرواة» ٢/ ١٢٣.

(٤) انظر: «النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤.

جميع كتب تراجم طبقات علماء الشافعية[١]، وله آراء فقهية ذكرها في «البسيط» معتمدة في مذهبهم، نقل منها النووي في «المجموع شرح المهذب»[٢].

ومع هٰذِه المشاركات من الواحدي في السنة والفقه فقد برز في علوم «التفسير» و«النحو»، «واللغة» وشهر بها وصار من أعلامها. وصفه بعض المترجمين له بإمامته فيها، قال في «المنتخب من السياق»: «الإمام المصنف المفسر النحوي»[٣]، وقال ابن خلكان: «كان أستاذ عصره في النحو والتفسير»[٤]، وقال القفطي: «الإمام المصنف المفسر النحوي..»[٥]، وقال أبو الفداء: «وكان أستاذ عصره في النحو والتفسير»[٦].

وقال الأسنوي: «كان فقيها إماما في النحو واللغة وغيرهما شاعرًا، وأستاذ عصره في التفسير..»[٧]، وقال الفيروزابادي: «الإمام المفسر النحوي اللغوي..»[٨].

أما عن إمامته في علم التفسير فيشهد بذلك كتبه الثلاثة في التفسير «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» ويأتي الحديث عنها في مؤلفاته، وأكبرها «البسيط»، كذلك كتابه «أسباب النزول»، وقد ترجم له السيوطي والداودي

(١) ترجم له السبكي ٣/ ٢٨٩، والأسنوي ٢/ ٥٣٨، وابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٦.
(٢) انظر: «المجموع شرح المهذب» ٣/ ٣٧١ - ٣٧٣.
(٣) «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ، وانظر «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٨ .
(٤) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣.
(٥) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.
(٦) «تاريخ أبي الفداء» ٢/ ١٩٢.
(٧) «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٥٣٩.
(٨) «البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» ص ١٤٦ .

في «طبقات المفسرين»[١].

أما عن إمامته في النحو واللغة فإن الواحدي قد تحدث عن ذلك في مقدمة «البسيط» وبين سبب اتجاهه للنحو واللغة حيث إن معرفة ذلك هو طريق لمعرفة كلام الله وتفسيره فيقول: «فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالىٰ تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه..»[٢]. ويعتبر النحو واللغة من علم الوسائل الواجبة فيقول: «.. فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلىٰ معرفة ضروب خطاب الكتاب..»[٣]، ثم يقول «فإن من جهل لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها جهل جمل علم الكتاب..»[٤].

لقد أدرك الواحدي منذ صغره أهمية اللغة والنحو والأدب لفهم كتاب الله والتصدي لتفسيره، لأن هٰذا الكتاب منزل بلسان عربي مبين، فلا بد لمن رام فهم معانيه أو تصدىٰ لتفسيره أن يكون متضلعًا من هٰذِه اللغة التي نزل بها.

فكان ذلك دافعًا قويًا له أن يتجه إلىٰ بحار اللغة ليغرف منها. يقول الباخرزي عنه: «وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبط عصا الراعي فروع الغَرَب[٥]، وألقى الدلاء في بحارهم حتىٰ نزفها، ومد البنان إلىٰ ثمارهم إلىٰ أن قطفها»[٦].

وقد تحدث الواحدي عن مقدار ما بذل في هٰذا المجال فيذكر تتلمذه

---

(١) انظر: «طبقات المفسرين» للسيوطي ص٦٦، وللداودي ١/ ٣٩٤.

(٢) مقدمة «البسيط» ص٣٩٥ .

(٣) مقدمة «البسيط» ص ٣٩٨ .

(٤) مقدمة «البسيط» ص٣٩٨ .

(٥) نوع من الشجر.

(٦) «دمية القصر» ٢/ ١٠١٨.

في اللغة على العروضي[١] فيقول: «وكنت لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها أسمع، وأقرأ، وأعلق، وأحفظ، وأبحث، وأذاكر أصحابه مابين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة»[٢]، ويذكر تتلمذه في النحو علىٰ «أبي الحسن الضرير»[٣]، فيقول: «وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبا من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل..»[٤]، كذلك تتلمذ علىٰ «أبي الحسن عمران بن موسى المغربي»[٥] يقول: «ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى آستنزفت غرر ما عنده..»[٦].

ولقد تضلع الواحدي في علم اللغة والنحو ومما يشهد لذلك كتابه الذي بين أيدينا «البسيط» فلقد بسط فيه من المسائل النحوية ما عُدّ خروجًا عن منهج التفسير، من كثرة ما حواه الكتاب من المسائل النحوية، قال السيوطي وهو يتكلم عن طبقات المفسرين: «فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في «البسيط» وأبي حيان في «البحر» و«النهر»[٧].

وقال القفطي: «وصنف التفسير الكبير وسماه «البسيط» وأكثر فيه من

---

(١) هو أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي أحد شيوخ الواحدي، تأتي ترجمته.
(٢) مقدنة «البسيط» ص٤١٩ .
(٣) مقدمة «البسيط» ص٤٢٠ .
(٤) مقدمة «البسيط» ص٤٢٠-٤٢١ .
(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد الضرير أحد شيوخ الواحدي، تأتي ترجمته .
(٦) أحد شيوخ الواحدي، يأتي ذكره في شيوخه.
(٧) «الإتقان» ٢/ ٢٤٣.

الإعراب والشواهد واللغة ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية..»[١] ويأتي مزيد بسط لهٰذِه المسألة- إن شاء الله- عند دراسة الكتاب.

كما تشهد مؤلفاته الأخرىٰ بتضلعه في علم اللغة والنحو فله في هٰذِه الميادين عدة كتب منها «شرح ديوان المتنبي» و«الإغراب في الإعراب» «شرح أسماء الله الحسنىٰ» و«تفسير أسماء النبي ﷺ» و«شرح قصيدة للنابغة الذبياني» ويأتي الحديث عنها- إن شاء الله - مع مؤلفاته.

الواحدي والشعر:

ليس غريبًا على الواحدي الذي تضلع في علم اللغة والأدب والنحو، وقرأ دواوين الشعر وأكثر منها حتىٰ عاتبه شيخه العروضي كما حكىٰ عنه فقال: «حتىٰ عاتبني شيخي-رحمه الله- يومًا من الأيام وقال: إنك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه»[٢]، ليس غريبًا عليه أن تتفتح قريحته بالقريض، خصوصًا وأن الموهبة والملكة كان يتمتع بهما منذ الصغر، فلقد بدأت محاولة نظم القريض وهو في الكتاب حيث أنشد للباخرزي وهو في الكتاب قوله:

إنَّ الربيعَ بحسنِه وبهائِه ... يحكيهما خطُّ الرئيسِ أبي عُمرْ
فكأنَّه في الدَّرج[٣] يرقُم كاتبًا ... أَولى[٤] لِطاف بنانِه فتْقَ الزهرْ
خطٌّ غدا ملءَ العيونِ ملاحةٌ ... متنزَّهًا لِلَّحظِ قيدًا للبصرْ

---

(١) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٢) مقدمة «البسيط» ص٤١٩ .

(٣) ما يكتب فيه. القاموس «درج» ص٢٤٠ .

(٤) الولي: المطر بعد المطر. القاموس «ولىٰ» ص١٧٣٢ .

أخزَتْ نقوشَ الصِّينِ بدعَةُ صُنعهِ   فتَعطَّلت ورقومَ مَوشِيِّ الحِبَرْ[١]

قال الذهبي: «له شعر رائق»[٢]، وقال الأسنوي: «كان فقيهًا إماما في النحو واللغة وغيرهما شاعرًا..»[٣].

وقد أنشد ياقوت شيئا من شعره ومنه قوله:

أيا قَادِمًا مِنْ طُوسَ أَهْلًا وَمَرْحَبًا   بَقِيتَ عَلَى الأَيَّامِ مَا هَبَّتِ الصَّبا
لَعَمْرِي لَئِنْ أَحْيَا قُدُومُك مُدْنَفًا   بِحُبِّكَ صَبًّا فِي هَوَاكَ مُعَذَّبَا

الأبيات.

وقوله:

تَشَوَّهت الدُّنْيَا وَأَبْدَت عَوَارَهَا   وَضَاقَتْ عَليَّ الأَرْضُ بِالرُّحْبِ وَالسَّعَهْ
وَأَظْلَمَ فِي عَيْنِي ضِيَاءُ نَهَارِهَا   لِتَوْدِيع مَنْ قَدْ بَانَ عَنِّي بِأَرْبَعَهْ
فُؤَادِي وَعَيْشِي وَالمَسرّة والكرىٰ   فَإِنْ عَادَ عَادَ الكُلُّ والأُنْسُ والدَّعَهْ[٤]

(١) انظر: «دمية القصر» ٢/ ٢٥٩ (طبعة دار العروبة بالكويت ١٤٠٥هـ)، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٤.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١.

(٣) «طبقات الشافعية» ٢/ ٥٣٩.

(٤) «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٦١- ٢٦٢.

المطلب الخامس

مذهبه وعقيدته:

مذهبه: لقد كان سائدًا في موطن الواحدي نيسابور مذهب الشافعي في الفقه، ومذهب الأشعرية[١] في العقيدة، وكانت هناك علاقة وثيقة بين المذهبين في نهاية القرن الرابع وأول الخامس، وهو العصر الذي عاش فيه الواحدي، وسبب تلك العلاقة والارتباط أن حاملي عقيدة الأشعرية معظمهم من الشافعية، خصوصًا في المشرق الإسلامي، خلافًا لما كان

(١) الأشعرية نسبة لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ولد سنة ٢٦٠، وكان في أول أمره علىٰ مذهب المعتزلة، ثم تركه وتحول إلىٰ هٰذا المذهب الذي ينسب إليه، ووقع الخلاف بين العلماء في رجوعه إلىٰ مذهب السلف بعد ذلك، ومن كتبه: «اللمع»، و«مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة عن أصول الديانة»، توفي عام ٣٢٤.

والمنتسبون إليه يُسمون: الأشعرية والأشاعرة، أو أن الأشعرية تطلق على المذهب، والأشاعرة على المنتسبين إليه، ومن أهم أصولهم: أن التوحيد عندهم هو توحيد الربوبية، ولافرق بينه وبين توحيد الألوهية، والإيمان عندهم هو التصديق، وكلام الله تعالىٰ معنى واحد أزلي، ويفرقون بين اللفظ والمعنىٰ، ويقولون بالكسب في القدر، ويجمعون علىٰ إثبات سبع صفات، ويؤولون ما عداها، والسبع هي: الحياة والقدرة والعلم والإرادة والكلام والسمع والبصر، ومنهم من يضيف إلى السبع: اليد فقط، ويزيد بعضهم :البقاء، ومنهم من يتوقف في نفي ما سوى السبع، وغلاتهم يقطعون بنفي ما سواها .ينظر: «الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ٩٤- ٩٧ و«مجموع الفتاوىٰ» ٦/ ٣٥٨ و«معتقد الإمام الأشعري» للأشقر ص ١٧ و«الرسالة التدمرية» ص ٣١، ١٧٩، ١٨٥، و«الأشاعرة» لمحمود صبحي. وينظر في ترجمة أبي الحسن الأشعري : «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٤٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٨٥، و«طبقات الفقهاء الشافعية» لابن كثير ١/ ٢١٠، والمراجع السابقة.

عليه الحنفية في تلك البلاد إذ أغلبهم ماتريدية[١]، بينما غلب على الحنابلة في بغداد التمسك بمذهب السلف[٢].

تلك هي البيئة التي عاشها الواحدي، والغالب أن الإنسان لا يكاد ينفك عما عهد الناس عليه، وما كان سائدًا في بيئته، ومن ثم فإن الواحدي- رحمه الله- كان شافعيًا أشعريًا بغير خلاف بين كافة مترجميه، فكونه شافعيًا أظهر من أن يُشهر، ويدل له أمور:

منها: تلقيب بعض مترجميه له بالشافعي، كالذهبي وابن العماد[٣].

ومنها: أن كتب طبقات الشافعية قد عدته ضمن علمائهم[٤].

ومنها: أن كتب الفقه الشافعي كانت تنقل أقواله مبينة أنه من أصحابهم[٥].

---

(١) نسبة للماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي السمرقندي، والماتريدي نسبة إلىٰ (ماتريد) محلة قرب سمرقند، يلقب بإمام الهدىٰ وإمام المتكلمين، وهو معاصر للأشعري، ومذهبه قريب من مذهبه، وهو في الفقه علىٰ مذهب أبي حنيفة، من كتبه: «تأويلات أهل السنة»، وكتاب «التوحيد»، وكتاب «المقالات»، توفي سنة ٣٣٣ على الأرجح .ينظر في ترجمته: «الجواهر المضية» للقرشي ٣/ ٣٦٠ ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/ ٩٦، ١٥١ وكتاب «الماتريدية» للحربي ص ٩٣ وما بعدها . وينظر في الفرق بين الأشعرية والماتريدية: «تاريخ المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة ١/ ١٩٥ -٢١٠ وكتاب «نشأة الأشعرية وتطورها» لجلال موسىٰ: ٣٠٧ وكتاب «الماتريدية دراسة وتقويماً» لأحمد الحربي ص ١٣٣.

(٢) ينظر: «التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي» ص ١٢٨.

(٣) ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٣٩ و«شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠ .

(٤) ينظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٥/ ٢٤٠، و«طبقات الشافعية» للإسنوي ٢/ ٥٣٨ و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٧ وغيرهم.

(٥) ينظر: «روضة الطالبين» للنووي ١٠/ ٢٢٧ و«المجموع» له ٣/ ٣٧١ وقال في «الأذكار» ص ٢٣٩: قال الإمام أبو الحسن الواحدي من أصحابنا.

ومنها: أنه يقول في كثير من المواضع في تفسيره هٰذا: وقال أصحابنا، يعني بهم الشافعية[١].

ومنها: أنه يقتصر في الغالب علىٰ قول الشافعي، ويُعْنىٰ بذكره، من بين المذاهب[٢].

عقيدته:

وأما أشعريته: فهي واضحة من خلال كتبه، فالمتتبع لمواضع الأختلاف بين أهل السنة والأشاعرة، أو بين المعتزلة والأشاعرة، يجده يقرر بكل وضوح عقيدة الأشاعرة، ولا غرو فهي العقيدة الغالبة علىٰ أهل بلده، وفي أشياخه أعلام كبار من حملة لواء العقيدة الأشعرية، ممن قرروا قواعده وأصّلوا أصوله، كأبي إسحاق الإسفراييني[٣] الذي أخذ عنه عامة شيوخ نيسابور الأصول وعلم الكلام[٤]، وعبد القاهر البغدادي[٥] الذي يعَدّ- كذلك- من أئمة الشافعية الأشاعرة والمبرزين فيهم[٦].

ولعلي أضرب أمثلة من خلال تفسيريه «البسيط» و«الوسيط» تدل علىٰ ذلك وتؤكده:

١- فعند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] قال: «قال أصحابنا: حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه

---

(١) ينظر: مبحث منهجه في آيات الأحكام.

(٢) ينظر: مبحث منهجه في آيات الأحكام.

(٣) ينظر ترجمته في مبحث شيوخه.

(٤) ينظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٢٥٧. وينظر ترجمة أبي إسحاق في مبحث شيوخه.

(٥) ستأتي ترجمته لاحقاً في مبحث شيوخه.

(٦) انظر ترجمته في مبحث شيوخه.

أنه واحد لا قسيم له في ذاته ولا بعض له في وجوده بخلاف الجملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازًا كقوله: دار واحدة، وشخص واحد، وعبَّر بعض أصحابنا عن التوحيد فقال: هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها..»[١].

ويقول أيضًا: وعند متكلمي أصحابنا: أن الإله من له الإلهية، والإلهية القدرة على ٱختراع الأعيان..»[٢] وهٰذا الذي قرره الواحدي هنا هو قول متكلمي الأشاعرة[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتحدث عن التوحيد عند المتكلمين: «.. حتىٰ يجعلون معنى الإلهية القدرة على الأختراع»[٤]، ثم قال بعد ذلك: «وليس المراد بـ «الإله» هو القادر على الأختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن «الإلهية» هي القدرة على الأختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الأختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إلٰه إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهٰذا وهم مشركون كما تقدم بيانه، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إلٰه بمعنىٰ: مألوه، لا إلٰه بمعنىٰ آله..»[٥].

ثم قال في موضع آخر[٦]: وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له

---

(١) انظر: «البسيط» (٣/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «البسيط» عند تفسير البسملة ١/ ٤٦٣.

(٣) ينظر: «الاقتصاد في الأعتقاد» للغزالي ص ٤٥، «نهاية الإقدام» للشهرستاني ص٩٠.

(٤) «الرسالة التدمرية» ص ١٨٠.

(٥) «الرسالة التدمرية» ص ١٨٥، ١٨٦.

(٦) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله النميري الحراني الدمشقي أبو العباس، شيخ الإسلام ولد بحران سنة ٦٦١ طلب العلم وتبحر وفاق أهل عصره=

ثلاث معان- ثم ذكر ما قرره الواحدي- ثم قال: وهٰذا المعنى الذي تتناوله هٰذِه العبارة، فيها ما يوافق ما جاء به الرسول ﷺ وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الذي فيها هو الغاية التي جاء بها الرسول ﷺ، بل التوحيد الذي أمَرَ به أمْرٌ يتضمن الحق الذي في هٰذا الكلام وزيادة أخرىٰ، فهٰذا من الكلام الذي لبس فيه الحق بالباطل، وكتم الحق، وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالىٰ من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدًا بل ولا مؤمنًا، حتىٰ يشهد أن لا إلٰه إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإله بمعنى: المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى: القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى: القادر على الاختراع، واعتقد أن هٰذا هو أخص وصف الإله، وجَعَل إثبات هٰذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله. فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كلِّ شيء، وكانوا مع هٰذا مشركين»[1].

كما أنه سار علىٰ مذهب الأشعرية في باب: صفات الله وذلك عند

= وألف فأكثر وأبدع، ومن كتبه: «منهاج السنة»، و«تلبيس الجهمية»، وجمعت فتاواه ورسائله مراراً. مات في سجن القلعة بدمشق فخرجت دمشق كلها في جنازته سنة ٧٢٨، وألفت في سيرته كتب. ينظر: «البداية والنهاية» ١٤/ ١٣٥ و«الدرر الكامنة» ١/ ١٤٤.

(١) «درء تعارض العقل والنقل» ١/ ٢٢٥، وينظر: أيضًا ٣/ ٩٨ - ١٠٢ و«الرسالة التدمرية» ص ١٨٥ -١٨٦.

تعرضه لها من خلال الآيات التي وردت فيها، فيؤوِّلها، ومذهب السلف في ذلك أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله دون تأويل أو تحريف أو تعطيل، ولا يلزم من إثباتهم للصفات أي لازم باطل: من تشبيه الله بخلقه أو غير ذلك، فكما أنه سبحانه ليس كمثله شيء فكذلك صفاته.

٢- فمن الآيات التي تعرض لها قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ذكر الواحدي في تفسيرها وجهين:

أحدهما: أن هٰذا من باب حذف المضاف، أن يأتيهم عذاب الله، أو أمر الله، أو آيات الله، فجعل مجيء الآيات والعذاب مجيئًا له، تفخيمًا لشأن العذاب، وتعظيمًا له.

والثاني: المعنىٰ: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب، فحذف ما يأتي به تهويلًا عليهم..(١).

وهٰذا منه- رحمه الله- تأويل وصرف للفظ عن ظاهره، مخالف لما كان عليه السلف الصالح من إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات، من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف، وذلك جريًا علىٰ مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات الخبرية.

٣- وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فمعنى العلو في صفة الله تعالى: اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح(٢). وهٰذا مخالف لمذهب السلف الذين يثبتون العلو لله بكل أنواعه.

(١) انظر: «البسيط» ٤/ ١٠٠، ١٠١.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٧١.

علو الذات وعلو القدر، وعلو القهر. وعلو ذاته ثابت بالكتاب والسنة وإجماع السلف وبالفطرة والعقل[١]، وليس هٰذا موضع بسط الأدلة في ذلك.

٤- وقال أيضًا في «تفسير البسيط»: قال النحويون: وذكر اليد في قوله: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] تحقيق للإضافة، وإن كانت الكتابة لا تقع إلا باليد، وقد أُكدّت الإضافة بذكر اليد فيما لا يُرادُ باليد فيه الجارحة، كقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. ومعناه: مما تولينا عمله، ولما توليت خلقه.

والأصل في هٰذا: أنه قد يضاف الفعل إلى الفاعل وغير الفاعل له، كقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]والمراد بذلك: أنه يأمر بالذبح فيُمتثل أمره.

فلما كان الفعلُ قد يُضاف إلىٰ غير الفاعل أُكِّدَت الإضافة بذكر اليد؛ ليتحقق وينتفي الٱحتمال، ثم ٱستعمل هٰذا التأكيد أيضا في فعل الله تعالىٰ وإن لم يجز في وصفه يد الجارحة؛ لأن المراد بذكر اليد تحقيق الإضافة علىٰ ما بيّنا[٢]. اهـ.

٥- وقال أيضًا عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. نقل أقوال بعض العلماء في ذلك ثم قال: «.. والأصل في الٱستواء الٱستقامة وإنما قيل للقصد إلى الشيء ٱستواء؛ لأن الٱستواء يسمىٰ قصدا..»، ثم قال: «وأما ٱستوىٰ بمعنى

---

(١) ينظر: «الفتاوىٰ» ١٦/ ١١٩، ١٢٣، ٣٥٨ و«مختصر الصواعق المرسلة» للموصلي ١/ ٧٥ و«شرح الواسطية» ص ٣٤.

(٢) انظر: «البسيط» ٣/ ٩٢، ٩٣.

ٱستولىٰ فقد يكون، وكأنه يقول: ٱستوت له الأمور فاستولىٰ ثم وضع «استوىٰ» موضع «استولىٰ»...». ويظهر رأيه وهو يتحدث عن آخر الآية ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيقول: «وقيل إنه لما ذكر ما يدل على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بوصفه بالعلم..»(١).

ومذهب السلف في هٰذا إثبات الاستواء لله علىٰ وجه يليق بجلاله فهو مستو علىٰ عرشه بائن من خلقه، عال عليهم بذاته علوا يليق بجلاله، ولا يلزم من هٰذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء البشر ليس كمثله شيء(٢).

والحاصل أن هٰذا منهجه في تفسيره، كلما مر بآية من آيات العقائد تبع عقيدةَ الأشاعرة، ولينظر زيادة علىٰ ذلك ما قرره في الآيات التالية:

١- ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] حيث أوَّل صفة الرحمة(٣).

٢- وقوله تعالىٰ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] حيث أوَّل صفة الغضب لله(٤).

٣- وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] حيث فسر الإيمان بالتصديق علىٰ طريقة الأشاعرة(٥).

٤- وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:

---

(١) انظر: «البسيط» ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية ٥/ ١٤٤، ٢٠٨، و«شرح الطحاوية» ص ٢١٨، و«التدمرية» ص ٨١.

(٣) «تفسير الوسيط» ١/ ٦٥.

(٤) «تفسير الوسيط» ١/ ٧٠.

(٥) «تفسير الوسيط» ١/ ٧٩ و ٢/ ٥٣٥

١٧] حيث فسر الآية علىٰ طريقة الأشاعرة القائلين بالكسب في باب القدر[١].

٥- وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] حيث أوّل الأستواء بالاستيلاء والاقتدار ونفوذ السلطان[٢].

٦- وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] حيث أوّل اليد بالقدرة[٣].

٧- وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] حيث أوّل المجيء، بمجيء أمره وقضائه[٤].

---

(١) «تفسير البسيط» تفسير سورة الأنفال.

(٢) «تفسير الوسيط» ٣/ ٣.

(٣) «تفسير الوسيط» ٣/ ٥٩٣

(٤) «تفسير الوسيط» ٤/ ٤٨٤

المطلب السادس

شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

عاش الواحدي في نيسابور معدن الفضلاء ومنبع العلماء، كما قال عنها ياقوت[١]. وتنقل في أرجاء العالم الإسلامي يتبع معين العلم، ويلقي الدلاء في بحار علماء اللغة والنحو والأدب والتفسير وقد أدرك الإسناد[٢]، وقرأ الحديث على المشايخ، لهٰذا كثر شيوخه وعز حصرهم، قال الواحدي متحدثًا عن ذلك: «ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هٰذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال الخطب ومل الناظر..»[٣].

وأذكر- إن شاء الله- بعض شيوخه، وأقرب مصدر لذلك الواحدي نفسه حيث ذكر في مقدمة كتابه «البسيط» بعض شيوخه الذين أخذ عنهم فأتحدث عنهم أولا، ثم أعقبهم بذكر بعض الشيوخ الذين وردت تراجمهم في بعض المصادر التي ترجمت له، أو ثبت أخذه عنهم بأي طريق.

أولا: شيوخه الذين ذكرهم في مقدمة كتابه «البسيط»:

١- الشيخ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي المعروف بـ «الصَّفَّار» الشافعي (٣٣٤- ٤١٦ هـ)[٤]، قال الثعالبي: «إمام في

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» ١/ ٥.

(٢) انظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٣) مقدمة «البسيط» ص٤٩٥.

(٤) انظر: «معجم الأدباء» ٤/ ٢٦١، و«إنباه الرواة» ١/ ١٥٤.

الأدب خنق التسعين في خدمة الكتب وأنفق عمره علىٰ مطالعة العلوم وتدريس متأدبي نيسابور..»[١]، وقد أخذ عنه الواحدي اللغة حيث قال: «أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي- رحمه الله -، وكان قد خَنَّق[٢] التسعين في خدمة الأدب وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروىٰ عنهم كأبي منصور الأزهري، روىٰ عنه كتاب «التهذيب»..»[٣]، ثم قال: «وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة..»[٤].

وقد ورد ذكر أبي الفضل العروضي في «البسيط»، حيث روىٰ عنه في مواضع عن الأزهري من كتاب «تهذيب اللغة» و«التهذيب» أحد مصادره الهامة، ويأتي ذكر ذلك عند الكلام علىٰ مصادره.

٢- علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القُهُنْدزي[٥] الضرير، أبو الحسن، نحوي أديب، قرأ عليه الأئمة وتخرجوا به[٦]، أخذ عنه الواحدي

---

(١) «تتمة يتيمة الدهر» ٥/ ٢٠٥.

(٢) أي كاد يبلغها، انظر القاموس المحيط «خنق» ص١١٣٨.

(٣) انظر: مقدمة «البسيط» للمؤلف.

(٤) انظر: مقدمة «البسيط» للمؤلف.

(٥) قال السمعاني: «القهندزي» بضم القاف والهاء وسكون النون والدال المهملة وفي آخرها الزاي، وهٰذِه النسبة إلىٰ قُهندز بلاد شتىٰ، وهي المدينة الداخلة المسورة. «الأنساب» ١٠/ ٥٢٣. والمقصود هنا قهندز نيسابور.

(٦) انظر: «معجم الأدباء» ١٥/ ٥٧، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣١٠، و«نكْت الهِمْيان في نكت العُميان» للصفدي ص ٢١٥، و«بغية الوعاة» ٢/ ١٨٦.

النحو حيث قال: «وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير -رحمه الله- وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها، ولعله تفرَّس فيّ وتوسم أثر الخير لديّ فتجرد لتخريجي وصرف وَكْده[1] إلىٰ تأديبي..»[2]، ثم قال: «... وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء في المسائل المشكلة..»[3].

٣- أبو الحسن عمران بن موسى المغربي، ذكره الواحدي مع شيوخه فقال: «ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي وكان واحد عصره وباقعة دهره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى اُستنزفت غرر ما عنده»[4]، ذكره السيوطي ناقلًا عن السياق فقال: «شيخ فاضل نحوي كبير كثير الحفظ قدم نيسابور وأفاد واستفاد، وطاف البلاد، ولقي الكبار وله النظم الفائق، وكان من أفاضل العصر، مات قريبًا من الخمسائة»[5]، وذكر السيد أحمد صقر في مقدمة «أسباب النزول» أن وفاته سنة ٤٣٠ هـ[6] ولم أصل إلىٰ ما اُعتمد عليه في ذلك.

---

(١) أي: مراده وقصده. «اللسان» «وكد» ٣/ ٤٦٧.

(٢) مقدمة «البسيط» ص٤٢٠.

(٣) المصدر السابق ص٤٢١.

(٤) المصدر السابق ص٤٢١.

(٥) «بغية الوعاة» ٢/ ٢٣٣.

(٦) مقدمة «أسباب النزول» ص ١٠، ونقل صاحب «الواحدي ومنهجه في التفسير» عن=

٤- أبو القاسم علي بن أحمد البستي وهو أحد شيوخه في القراءات كما ذكر ذلك فقال: «وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني ٱختلفت أولًا إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي -رحمه الله- وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصىٰ، حتىٰ قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران[(١)] ...»[(٢)].

ذكره الذهبي فيمن أخذ عن ابن مهران فقال: «.. وأبو القاسم علي بن أحمد البستي شيخ الواحدي..»[(٣)] ونحوه قال ابن الجزري، وذكره في ترجمة الواحدي ضمن شيوخه في القراءات[(٤)].

٥- أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ الزعفراني الحيري قال في المنتخب من السياق: «شيخ كبير ثقة صالح كثير السماع كثير الحديث والشيوخ عالم بالقرآن مقصود في علم القراءات سمع بنيسابور والعراق والحجاز.. قال أبو الحسن: قرأت من خط أبي صالح الحافظ أنه تغير بعض التغير في آخر أمره، وحكىٰ عن بعض الثقات أنه خلط في بعض

= «النجوم الزاهرة» أنه أثبت وفاته سنة ٤٣٠ هـ وعاد فأثبتها في وفيات سنة ٤٥٨هـ. ظنا منه أنه المترجم له، والذي في «النجوم الزاهرة» : «موسىٰ بن عيسىٰ بن أبي حاج الفاسي المقرئ الإمام أبو عمران الفاسي الدار الغَفَجُوميّ البربري المالكي» ويظهر أنه شخص غيره لاختلاف الٱسم. ٱنظر: «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص ٦٧، و«النجوم الزاهرة» ٥/ ٣٠، ٧٧.

(١) هو أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ، صاحب كتاب «الغاية في القراءات العشر» ويأتي ذكره في «حاشية البسيط» ص ٢٣١.

(٢) انظر: مقدمة «البسيط» ص٤٢١-٤٢٢.

(٣) «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٨٠.

(٤) انظر: «غاية النهاية» ١/ ٥٠، ٥٢٣.

مسموعاته، والله أعلم به توفي في جماد الأولىٰ سنة سبع وعشرين وأربعمائة..»[١].

وذكره الذهبي في «المشتبه»[٢] وقال: «أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري عن أبي عمرو بن مطر، وعنه الواحدي» وذكره الذهبي فيمن أخذ عن ابن مهران[٣]، وكذا ابن الجزري[٤]، وقد أخذ عنه الواحدي القراءات فقال: «وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فاني ٱختلفت أولا إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي..».

ثم قال بعد ذلك: «.. ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي -رحمهما الله- وكانا قد ٱنتهت إليهما الرئاسة في هٰذا العلم وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم، وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما وأخذت من كل منهما حظًّا وافرًا بعون الله وحسن توفيقه». وخص أبا عثمان سعيد بن محمد، فقال: «وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروىٰ لنا كتب أبي علي الفسوي[٥] عنه، وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج في «المعاني»[٦] روايته عن ابن مقسم

---

(١) «المنتخب من السياق» ل ٦٧ب.

(٢) «المتشبه» ١/١٨٦.

(٣) انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٨٠.

(٤) انظر: «غاية النهاية» ١/ ٥٠.

(٥) هو أبو علي الفارسي. ٱنظر ترجمته في مصادر الواحدي وأسماء كتبه في حاشية مقدمة «البسيط».

(٦) المراد كتاب الزجاج المشهور «معاني القرآن» والتعريف بالزجاج وكتابه يأتي في مصادر الواحدي.

عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير»(١). وبهذا يتضح مكانة أبي عثمان سعيد ابن محمد الحيري في شيوخ الواحدي، ومقدار ما أخذ عنه من العلم، ولقد صرح بروايته عنه في مواضع من «البسيط»، قال في مقدمة «البسيط»: «.. وقرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ فقلت: حدثكم طلحة بن محمد الشاهد ببغداد..»(٢).

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: «وأقرأني سعيد بن محمد الحيري رحمه الله عن أبي الحسن بن مقسم..».

٦- أبو الحسن علي بن محمد الفارسي، ذكره الواحدي مع سعيد بن محمد الحيري كما سبق وذكر أخذه عنه، تكلم عنه ابن الجزري فقال: «إمام مقرئ حاذق أخذ القراءات عرضًا وسماعًا عن أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران روى القراءات عنه عرضًا وسماعًا أحمد بن أبي عمر صاحب كتاب «الإيضاح»(٣)، توفي سنة إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة(٤).

٧- أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر صاحب التفسير المشهور بـ «الكشف والبيان» توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ذكره ياقوت في «معجم الأدباء» فيما نقله عن «السياق لتاريخ نيسابور» وقال: سمع منه الواحدي التفسير(٥).

---

(١) مقدمة «البسيط» ص٤٢٢-٤٢٤.

(٢) «مقدمة البسيط» ص٤٠٩.

(٣) «غاية النهاية» ١/ ٥٧٢.

(٤) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٢أ، وستأتي ترجمته في مصادر الواحدي.

(٥) «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦ - ٣٨، وانظر «وفيات الأعيان» ١/ ٧٩، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٩٤، و«طبقات المفسرين» للسيوطي ص ٦٦.

قال ابن الأثير يقال له: «الثعلبي والثعالبي»[١]. وكانت له منزلة خاصة لدى **الواحدي** تحدث عنه فقال: «.. ثم فرغت للأستاذ الإمام أبي إسحاق **أحمد بن محمد** بن إبراهيم الثعلبي -رحمه الله- وكان حبر العلماء بل بحرهم، **ونجم** الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم..»، ثم ذكر كتابه في التفسير وبالغ في مدحه، ويأتي التعريف به في مصادر الواحدي في تفسيره، حيث إنه أحد مصادره الهامة.

قرأ عليه من مصنفاته كثيرًا فقال: «.. وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من **خمسمائة** جزء وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بـ (الكامل في علم القرآن)[٢]. وقد أكثر الواحدي النقل من «الكشف والبيان»، ويلاحظ أنه لم يذكر اسمه ولم يعز له إلا عندما يروي عنه بالسند ومن أمثلة ذلك، قال في مقدمة «البسيط»: «ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم -رحمه الله- قال أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن..»[٣]، وقال في موضع آخر: «ولقد سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم **يقول**: سمعت الحسن بن محمد يقول..»[٤].

هؤلاء هم الشيوخ الذين ذكرهم الواحدي في مقدمة تفسيره «البسيط» وللواحدي **شيوخ** غيرهم كثر. قال: «.. ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم **هذا** العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال

---

(١) «اللباب» ١/٢٣٨.

(٢) انظر: مقدمة «البسيط» ص٤٩٥.

(٣) انظر: «البسيط» ص٣٩٨.

(٤) انظر: «البسيط» ص٤١٠.

الخطب ومل الناظر»[١].

وقد ذكر بعض من ترجم للواحدي عددًا من شيوخه ومنهم:

٨- الشيخ الإمام أبو عمر سعيد بن هبة الله الموفق البسطامي، قال في «المنتخب من السياق»: «من سلالة الإمامة والذي ٱنتهىٰ إليه أمر الزعامة لأصحاب الشافعي، رُبّي في حجر الرئاسة، وغذي بلبان الإمامة... توفي عصر يوم عرفة سنة ٱثنين وخمسمائة»[٢]. وقد تلقىٰ عنه الواحدي في الكُتَّاب حيث ٱجتمع هو والباخرزي في كُتَّابه كما ذكر ذلك الباخرزي في «دمية القصر»[٣] ويظهر أن الإمام أبا عمر قد عُمِّر طويلًا.

٩- الإمام محمد بن محمد بن مَحْمِش بن علي بن أيوب أبو طاهر، المعروف بالزيادي، سمي بذلك لأنه كان يسكن ميدان زياد بن عبد الرحمن. إمام أصحاب الحديث بخراسان وفقيههم ومفتيهم توفي سنة عشر وأربعمائة أخذ عن كبار المشايخ كأبي بكر بن القطان وغيره[٤]، وأخذ الواحدي عنه، ذكر ذلك صاحب «السياق»[٥]، والسبكي[٦]، والذهبي[٧].

---

(١) مقدمة «البسيط» ص ٤٢٥.

(٢) «المنتخب من السياق» ل ٧٠أ.

(٣) انظر: «دمية القصر» ٢/ ١٠١٨.

(٤) انظر: «المنتخب من السياق» ل ٢ب، وانظر «الأنساب» ٦/ ٣٦٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٧٦.

(٥) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٨٩.

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠، و«العبر» ٢/ ٣٢٤.

والسيوطي[١]، والداودي[٢]، وغيرهم.

١٠- الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جعفر الكَنْجَرُوذِي[٣] أبو سعد، مسند خراسان، له معرفة بالطب والفروسية وأدب السلاح، أستجمع فنون العلم وأدرك المشايخ الكبار كأبي بكر بن مهران وغيره، توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة[٤]، ذكر أخذ الواحدي عنه عبد الغافر في «السياق»[٥].

١١- الإمام محمد بن أحمد بن جعفر المُولْقَابَاذِي أبو حسان المُزَكِّي مسند نيسابور وأحد الثقات، كان إليه التزكية بنيسابور، حدث عن جماعة منهم الصِّبْغِي، توفي سنة ٱثنتين وثلاثين وأربعمائة[٦]، ذكر أخذ الواحدي عنه عبد الغافر في «السياق»[٧]، والذهبي[٨].

١٢- الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحَرَشِيُّ الحيريُّ النيسابوري مسند خراسان، قلد قضاء نيسابور مدة، حدَّث عن أبي العباس

(١) انظر: «طبقات المفسرين» ص ٦٦.

(٢) انظر: «طبقات المفسرين» ١/ ٣٩٤.

(٣) قال السمعاني: «الكنجروذي» بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء بعدها واو وفي آخرها الذال المعجمة، هٰذِه النسبة إلىٰ كَنْجَرُوذ، وهي قرية علىٰ باب نيسابور. «الأنساب» ١١/ ١٥٥.

(٤) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١٠أ، و«الأنساب» ١١/ ١٥٥، و«إنباه الرواة» ٣/ ١٦٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٠١.

(٥) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٦) انظر: «المنتخب من السياق» ل ٧أ، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٩٦، و«العبر» ٢/ ٢٦٧.

(٧) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٨) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠، وفيه محمد بن إبراهيم المُزَكِّي.

الأصم وغيره (٣٢٥ - ٤٢١ هـ) مات وله ست وتسعون سنة[١]، ذكر أخذ الواحدي عنه، الذهبي[٢]، والسبكي[٣]، والسيوطي[٤]، والداودي[٥]، وابن العماد[٦].

١٣- الشيخ الجليل المحدث عبد الرحمن بن حمدان بن محمد بن نصرويه النَّصْرُويي[٧] النيسابوري، رحل إلىٰ بلاد كثيرة فسمع في الحجاز والعراق، وأخذ عن كبار المشايخ كأبي بكر القطيعي وغيره، مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة[٨]. ذكر في المنتخب من السياق أخذ الواحدي عنه[٩]، وكذا الذهبي[١٠]، والسبكي[١١].

١٤- الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمد، النَّصْرَابَاذِي[١٢] الواعظ

---

(١) انظر: «المنتخب من السياق» ل ٢٢/، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٣٥٦، و«الأنساب» ٤/ ١٢٢، ٣٢٧.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠، و«العبر» ٢/ ٣٢٤.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٨٩. (٤) أنظر: «طبقات المفسرين» ص ٦٦.

(٥) انظر: «طبقات المفسرين» ١/ ٣٩٤.

(٦) انظر: «شذرات الذهب» ٣/ ٣٢٩.

(٧) بفتح النون وسكون الصاد وضم الراء في آخرها ياء تحتها نقطتان، نسبة إلىٰ نَصْرُوَيه، جد المنتسب إليه. «اللباب» ٣/ ٣١١.

(٨) أنظر: «المنتخب من السياق» ل ٨٩ب، والأنساب ١٣/ ١٠٩، و«اللباب» ٣/ ٣١١، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٥٣، و«العبر» ٢/ ٢٦٨.

(٩) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(١٠) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠.

(١١) انظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٩٠.

(١٢) «النصراباذي» بفتح النون وسكون الصاد وفتح الراء المهملتين وسكون الألفين وبينهما الباء الموحدة وفي آخرها الذال المعجمة، هٰذِه النسبة إلىٰ محلة بنيسابور، من أعالي البلد. أنظر: «الأنساب» ١٣/ ١٠٧.

أبو إبراهيم، أبوه شيخ خراسان وخلف أبيه في ذلك، سمع الكثير في خراسان ونيسابور والجبل والعراق والحجاز وروىٰ عن أبي بكر القطيعي وغيره، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[1]، ذكر أخذ الواحدي عنه، صاحب «المنتخب من السياق»[2]، والذهبي[3]، والسبكي[4].

١٥- الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن مسرور النيسابوري، أبو حفص مسند خراسان سمع من جماعة منهم الحافظ أبو أحمد الحاكم وغيره، كان كثير العبادة، عاش تسعين سنة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة[5]. ذُكر في «المنتخب» ممن أخذ عنه الواحدي[6].

١٦- عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد الفارسي ثم النيسابوري، سمع من الخطابي وغيره، وكان من المعمرين، ولد سنة نيف وخمسين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وأربعين وأربعمائة بنيسابور وهو جد عبد الغافر بن إسماعيل، صاحب «السياق»[7]، وذُكر في «المنتخب من السياق» أنه من مشايخ الواحدي[8].

١٧- الإمام المحدث الواعظ إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد

---

(١) انظر: «المنتخب من السياق» ل ٣٨أ، و«الأنساب» ١٣/ ١٠٧.

(٢) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٨٠.

(٤) «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٨٩.

(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٠، و«العبر» ٢/ ٢٩٢.

(٦) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٧) انظر: «المنتخب من السياق» ١٠٦أ، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٩، و«العبر» ٢/ ٣٢٤.

(٨) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

الصابوني أبو عثمان كان أبوه من كبار الواعظين بنيسابور فَفُتِك به من أجل التعصب، فتولىٰ مهمة الوعظ بعد أبيه وعمره عشر سنوات، وكان يحضر مجلسه كبار الأئمة مثل أبي إسحاق الإسفراييني وأبو بكر بن فورك، وكان صاحب عبادة وعفة، وكان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف (٣٧٣ - ٤٤٩ هـ)[١]. ذُكر في «المنتخب» من مشايخ الواحدي[٢].

١٨- أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الحيري الخفاف، أخذ عن أبي عمرو بن مطر وأخذ عنه الواحدي. ذكر ذلك الذهبي[٣].

١٩- أبو عثمان سعيد بن العباس بن محمد بن على القرشي الهروي، الإمام المسند العدل، كان من سروات الرجال بهراة[٤]، وتخرج به أئمة، ت ٤٣٣هـ[٥].

٢٠- إبراهيم من محمد أبو إسحاق الإسفراييني، أحد أئمة الشافعية، يمانع حد الاجتهاد؛ لتبحره في العلوم، واستجماعه شروط الإمامة في العلوم، عقد له مجلس الإملاء بعد أبي طاهر الزيادي سنة ٤١٠ هـ، وحضر دروسه الحفاظ والمشايخ وأهل العلم، وأملىٰ سنين، ت ٤١٨[٦].

---

(١) أنظر: «المنتخب من السياق» ل ٣٨ب، و«تتمة يتيمة الدهر» ٥/ ٣١٦، و«الأنساب» ٨/ ٢٤٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٤٠.

(٢) أنظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤أ.

(٣) أنظر: «المشتبه» ١/ ١٨٦.

(٤) هراه: مدينة عظيمة من أمهات مدن خُراسان، وكان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات، وكانت مليئة بالعلماء وأهل الفضل. أنظر: «معجم البلدان» ٥/ ٣٩٦.

(٥) أنظر: «الأنساب» ٤/ ٤٧٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٥٢، «شذرات الذهب» ٣/ ٢٥٠، وقد أخذ عنه الواحدي في تفسير الآية (٣) من سورة النساء.

(٦) أنظر: «المنتخب من السياق» ١٢٠- ١٢١، «طبقات الشافعية» لابن الصلاح =

وقد تتلمذ عليه الواحدي وقال في «الوسيط»[١]: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاء في مسجد عقيل سنة سبع عشرة وأربعمائة.

٢١- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحارث التميمي أبو بكر الأصبهاني النيسابوري، إمام ثقة مقرئ نحوي محدث زاهد ت ٤٣٠هـ، وله ٨١ سنة[٢] أخذ عنه الواحدي[٣].

٢٢- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، أبو منصور البغدادي، من كبار أئمة الشافعية، عظيم القدر، متقن في علوم كثيرة، درَّس في سبعة عشر نوعًا من العلوم، ورد نيسابور مع أبيه، وأنفق أمواله علىٰ طلبه العلم حتى ٱفتقر، من تصانيفه المشهورة: «الفرق بين الفرق» ت٤٢٩ هـ[٤].

٢٣- المفضل بن إسماعيل بن شيخ الإسلام أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، عالم جرجان ومفتيها، كان مضرب المثل في الذكاء؛ فقد حفظ القرآن وجملة من الفقه وهو ابن سبع سنين، ثم رحل به أبوه فأكثر من سماع

= ١/ ٣١٢، «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي ٢/ ١٦٩، «طبقات الشافعية» ٤/ ٢٥٦، «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٣٥٣.

(١) «الوسيط» ٢/ ٢٢٣ تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه.

(٢) ٱنظر: «المنتخب من السياق» ص ٨٩، «إنباه الرواة» ١/ ١٦٥، و«اللباب» ١/ ٣٣٠، وسير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٣٨، و«شذرات الذهب» ٣/ ٢٤٥.

(٣) روىٰ عن الواحدي في «البسيط»، «الوسيط» ١/ ٧٠، ٣٨٦، ٤١٠، ٤٤٣، «أسباب النزول» ص ٧، ٢٤، ٢٧، ٤٥.

(٤) ٱنظر: «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن كثير ١/ ٣٩٧، «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٥/ ١٣٦، والأسنوي ١/ ٩٦.

الحفاظ ت ٤٣١ هـ[١].

وقد رحل إليه الواحدي، وسمع منه في بلده كما قال في «الوسيط»: حدثنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل إملاء بجرجان سنة إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة[٢].

وقال في «أسباب النزول»: حدثنا أبو معمر بن إسماعيل إملاء بجرجان سنة إحدىٰ وثلاثين وأربعمائة[٣].

هٰؤلاء أبرز شيوخ الواحدي الذين ذُكر أنه أخذ عنهم، أو ورد ذكرهم في المصادر التي ترجمت له، ولو أردنا تتبع أسماء الشيوخ الذين أخذ الرواية عنهم في كتبه، كـ «أسباب النزول» أو «الوسيط» لطال الأمر ومل الناظر، كما قال ذلك الواحدي[٤].

تلاميذه:

إن هٰذا العلم ميراث النبوة، يأخذه كل جيل عمن سبقه ويسلمه لمن بعده، والواحدي أحد العلماء المشاهير جلس إلىٰ كبار الشيوخ وأخذ عنهم حتىٰ صار إماما، وقعد للإفادة والتدريس، فقصده الطلاب، وصار له تلامذة كثيرون.

قال في «معجم الأدباء» ناقلا عن «السياق»: «.. وقعد للإفادة والتدريس سنين وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرؤوا عليه، وبلغوا

---

(١) أنظر: «العبر» ٢/ ٢٦٦، «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥١٨، «طبقات السبكي» ٥/ ٣٣١.

(٢) «الوسيط» ١/ ٢٩٠.

(٣) «أسباب النزول» ص ٤٥٤، «الوسيط» ١/ ٢٧٩، ٢/ ٥١.

(٤) أنظر مقدمة «البسيط» للمؤلف.

محل الإفادة..»[١].

وقال القفطي: «.. وسار الناس إلىٰ علمه واستفادوا من فوائده..»[٢].

وقال الذهبي: «تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه..»[٣] ولقد مدحه الباخرزي[٤] قائلًا: يشتغل بما يَعْنيه، وإن كان ٱستهدافه للمختلفة إليه يُعنّيه.

وهٰذا يدل علىٰ عناية الواحدي بقاصديه، والناهلين من علمه، تعليمًا وتربية وإفادة وتخرجًا[٥].

وأذكر بعض تلاميذه الذين ورد ذكرهم في ترجمة الواحدي أو ذُكر في تراجمهم أنهم أخذوا عنه فمنهم:

١- عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخُواري[٦]، أبو محمد، كان إمامًا مفتيًا متواضعًا، سمع جماعة منهم أبو بكر البيهقي وغيره، توفي سنة ثلاث أو أربع وثلاثين وخمسمائة[٧]، وذكر أخذه عن الواحدي السمعاني

---

(١) «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٩، وانظر «روضات الجنات» ٥/ ٢٤٤.

(٢) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٣) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١.

(٤) علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي أبو الحسن: أديب من الشعراء الكتاب من أهل باخرز من نواحي نيسابور، وتعلم بها وبنيسابور وقام برحلة واسعة في بلاد فارس والعراق ٱشتهر بكتابه «دمية القصر» وعصره أهل العصر، مات مقتول سنة ٤٦٧هـ. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٣٦٠، «شذرات الذهب» ٣/ ٣٢٧.

(٥) ٱنظر: «دمية القصر» ٢/ ١٠١٧.

(٦) «الخواري» بضم الخاء المنقوطة والراء بعد الواو والألف. هٰذِه النسبة إلىٰ خوار الري، وقرية ببيهق، والمذكور من الأخيرة. ٱنظر: «الأنساب» ٥/ ٢١٥.

(٧) ٱنظر: «المنتخب من السياق» ل ١٠٨أ، و«الأنساب» ٥/ ٢١٥، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٢٤٣.

في «الأنساب»[١]، والسبكي[٢]، والسيوطي[٣]، والداودي[٤]. وقال الذهبي: إنه أكبر تلاميذه[٥].

٢- أبو نصر محمد بن عبد الله الأَرْغياني[٦] الرَّاوَنِيرِي[٧] الفقيه الشافعي، مفتي نيسابور، تفقه علىٰ أبي المعالي الجويني، وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة[٨]، وقد ورد أخذه عن الواحدي عند السمعاني في «الأنساب» وابن خلكان والسبكي[٩].

٣- أبو العباس عمر بن عبد الله الأَرْغيَاني الراونيري، أخو أبي نصر السابق وكان أكبر منه بعشر سنين ونيف، كان شيخًا صالحًا سمع من جماعة منهم الواحدي وهو من رواة «أسباب النزول» للواحدي، قال السمعاني: سمعت منه «أسباب النزول»، توفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة[١٠].

---

(١) أنظر: «الأنساب» ٥/ ٢١٥.

(٢) أنظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٩٠، ٤/ ٢٤٣.

(٣) أنظر: «طبقات المفسرين» ص ٦٧.

(٤) أنظر: «طبقات المفسرين» ١/ ٣٩٤.

(٥) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠.

(٦) الأرغياني: بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغين المعجمة وفتح الياء المنقوطة من تحتها، نسبة إلىٰ «أرغيان» ناحية من نواحي نيسابور بها عدة قرى. أنظر: «الأنساب» ١/ ١٦٧.

(٧) «الراونيري» بفتح الراء والنون المكسورة بعد الألف والواو، والياء المنقوطة من تحتها، وفي آخرها الراء الأخرىٰ، نسبة إلىٰ إحدىٰ قرىٰ «أرغيان». الأنساب ٦/ ٥٢.

(٨) أنظر: «الأنساب» ٦/ ٥٢، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٢٢١، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٧٠.

(٩) أنظر المراجع السابقة.

(١٠) أنظر: «الأنساب» ٦/ ٥٣، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٢٨٧، ومقدمة «أسباب النزول»، إعداد السيد أحمد صقر ص ٣٤.

٤- أبو بكر يحيىٰ بن عبد الرحيم بن محمد المقرئ المقبري الليبكي من أهل نيسابور (٤٣٨ - ٥٢٢ هـ)، سمع من أبي حفص بن مسرور والصابوني، والبيهقي وغيرهم، قال السمعاني: «وسمعت منه حضورا سنة تسع وخمسمائة وأجاز لي جميع مسموعاته ومن جملتها التفاسير الثلاثة عن الإمام علي بن أحمد الواحدي «الوسيط بين المقبوض والبسيط»، و«الوجيز» و«تفسير النبي ﷺ»، قال: بروايتي عنه»[١].

٥- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني[٢] النيسابوري، أديب فاضل، عالم باللغة والأمثال، صنف كتاب «مجمع الأمثال» وغيره، وتوفي سنة ثماني عشرة وخمسمائة بنيسابور، تخصص بصحبة أبي الحسن الواحدي وقرأ عليه[٣].

٦- أبو الحسن علي بن سهل بن العباس المفسر النيسابوري، نشأ في طلب العلم، سمع من أبي عثمان الصابوني، وأبي القاسم القشيري، وتوفي سنة إحدىٰ وتسعين وأربعمائة[٤]. قال في «المنتخب»: من تلامذة الواحدي[٥].

وقال في «روضات الجنات» في ترجمة الواحدي: «ومن جملة أهل

---

(١) «التحبير في المعجم الكبير» للسمعاني ٢/ ٣٧٧.

(٢) سمي الميداني لأنه سكن بأعلىٰ ميدان زياد بن عبد الرحمن بنيسابور. أنظر: «الأنساب» ١٢/ ٥٢٠.

(٣) أنظر: «إنباه الرواة» ١/ ١٥٦، و«معجم الأدباء» ٥/ ٤٥، و«وفيات الأعيان» ١/ ١٤٨.

(٤) أنظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٦أ، و«طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٢٩٩.

(٥) «المنتخب» ل ١١٦أ.

نيسابور سمي هٰذا الرجل وتلميذه الفاضل أبو الحسن علي بن سهل بن العباس المفسر النيسابوري»[(١)].

٧- يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، أبو القاسم، الإمام المقرئ من وجوه القراء، وصفه عبد الغافر بقوله: الضرير، قال ابن الجزري يحتمل أنه عمي في آخر عمره. كثير الرحلة في طلب القراءات، قال: «وجملة من لقيت في هٰذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخًا من آخر المغرب إلىٰ باب «فرغانة» يمينًا وشمالًا وجبلًا وبحرًا ولو علمت أحدًا تقدم علي في هٰذِه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته..». ألف كتاب «الكامل» وذكر فيه شيوخه، مات سنة خمس وستين وأربعمائة، عدَّ ابن الجزري جميع شيوخه وذكر منهم الواحدي[(٢)].

٨- محمد بن الفضل بن أحمد الفُراوي، أبو العباس الصاعدي، أحد العلماء الكبار، ٱجتمع فيه علو الإسناد، وموفور العلم وحسن الخلق، وقد وصفه الذهبي بقوله: الشيخ الإمام، الفقيه المفتي، مسند خراسان، فقيه الحرم[(٣)].

وهو معدود في تلاميذ الواحدي وممن روىٰ كتابه «الوجيز»[(٤)].

---

(١) «روضات الجنات» ٥/ ٢٤٥.

(٢) ٱنظر: «المنتخب من السياق» ل ١٤٤ب، و«غاية النهاية» ١/ ٥٢٣، ٢/ ٣٩٧ - ٤٠١.

(٣) ٱنظر: «سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٦١٥، «تبيين كذب المفتري» ص ٣٢٤، «العبر» ٢/ ٤٣٨، «طبقات السبكي» ٦/ ١٦٦.

(٤) ٱنظر: «الوجيز» ١/ ٢٠، ٨٥.

٩- عبد الكريم بن علي بن أحمد بن محمد الخشنامي[(١)]، أبو نصر الأديب، إمام سليم الجانب من المختلفة إلى الإمام الواحدي كتب تصانيفه وقرأ عليه، ت ٤٩٢ هـ[(٢)].

١٠- الحسين بن محمد بن محمود بن سورة أبو سعيد سبط شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، فاضل عالم، سمع الكثير من مشايخ عصره وسمع من الواحدي التفسير وغيره توفي كهلًا ت ٥٠٦ هـ[(٣)].

١١- محمد بن أحمد الماهياني أبو الفضل المروزي، إمام فاضل زاهد ورع حسن السيرة جميل الأخلاق فقيه شافعي، مبرز عارف بالمذهب رحال أدرك الأئمة الكبار وتفقه عليهم وسمع الحديث من الواحدي وغيره توفي سنة ٥٢٥ هـ من نحو ٩٠ سنة.

قال السمعاني: سمع الحديث من الواحدي وسمعت منه جميع التفسير المعروف بـ «الوسيط» للواحدي[(٤)].

١٢- عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي أبو الحسن، كان إمامًا في الحديث والعربية، سمع من جدّه لأمه أبي القاسم القشيري، وتفقه علىٰ أبي المعالي الجويني، ورحل في طلب العلم، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها، وأملىٰ في مسجد عقيل، وصنف كتبًا

---

(١) الخشنامي، بضم الخاء وسكون الشين وفتح النون نسبة إلىٰ جده خشنام، ٱنظر: «أنساب» ٢/ ٣٧٢، «اللباب» ١/ ٤٤٧.

(٢) «المنتخب من السياق» ص ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٤.

(٤) ٱنظر: «الأنساب» ٥/ ١٨٣، «المنتخب من السياق» ص ٧٣، «طبقات الشافعية» لابن الصلاح / ٨٠، و«اللباب» لابن الأثير ٣/ ١٥٧، «طبقات الشافعية» للأسنوي ٢/ ٤٢٤.

عدة، منها: «المفهم بشرح غريب صحيح مسلم»، و«السياق لتاريخ نيسابور» و«مجمع الغرائب في غريب الحديث». ت (٥٢٩) بنيسابور، وكانت ولادته سنة ٤٥١ هـ في شهر ربيع الآخر[١].

قال في «السياق»: قد أجازني بجميع مسموعاته ومصنفاته[٢].

١٣- أبو إسماعيل بن أبي صالح، المؤذن الشافعي، كان إمامًا في الأصول والفقه، وهو ممن تتلمذ علىٰ يد الإمام الواحدي، ت ٥٣٢[٣].

١٤- إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المروروذي، قرأ الوسيط على الإمام الواحدي، ولد في ذي القعدة سنة ٤٥٣، وكان أحد الأئمة المسلمين، ومن كبار العلماء، قتل في فتنة خوارزم شاه سنة ٥٣٣ هـ[٤].

١٥- أحمد بن طاهر بن سعيد الميهيي[٥] الخراساني الصوفي، شيخ صالح، رحل كثيرًا في طلب العلم، ت ٥٤٩ هـ.

قال الذهبي: له إجازة من المفسر أبي الحسن الواحدي روىٰ بها تفاسير[٦].

---

(١) أنظر: «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٢٧٥، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٢٢٥، «التحبير في معجم الكبير» ١/ ٥٠٧، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٣١٣.

(٢) «المنتخب من السياق» ص ٣٨٧.

(٣) أنظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ» ٧/ ٤٤، «العبر» ٢/ ٤٤١، «تذكرة الحفاظ» للذهبي ٤/ ١٢٧٧.

(٤) أنظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ١٩٩، «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» تحقيق صفوان داودي ١/ ٢٠.

(٥) نسبة إلىٰ قرية ميهنة وهي من قرىٰ خابران، بين أبيورد وسرخس. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٢٤٧.

(٦) أنظر: «سير أعلام النبلاء» ٢٠/ ١٩٦، ١٩٧.

المطلب السابع

مؤلفاته:

الناظر في حياة أبي الحسن الواحدي يجد أنه قد ٱنقطع للعلم منذ نشأته، وقد هيأ الله له أسباب التحصيل، فأدرك حظًّا وافرًا من العلم، واتجهت أنظار الطالبين إليه، وكثر المستفيدون حوله، القابسون من نور علمه، ولذا كان لزامًا أن تلبىٰ حاجة الناس بتصنيف المصنفات والتي يقرؤها الطلاب علىٰ شيخهم، ومن ثم ينقلونها إلىٰ طلابهم وبلادهم، ليعم النفع، وليبقى العلم قد ٱجتمعت له أسباب الدوام من التلقي والتدوين، والسماع والكتاب.

وقد ألّف الإمام أبو الحسن كتبًا، طار صيتها، واشتهر ذكرها، وتداولها الناس، وتلقاها أهل العلم بالقبول والاستحسان.

قال ابن خلكان[١]: ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس علىٰ حسنها، وذكرها المدرسون في دروسهم[٢].

وقد قال تلميذه عبد الغافر: أحسن كل الإحسان في البحث والتنقير[٣].

---

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي، أبو العباس، المؤرخ الأديب صاحب أشهر كتاب في التراجم وهو «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ولد في إربل سنة ٦٠٨، تولى القضاء بمصر ثم بالشام، وولي التدريس في دمشق، توفي سنة ٦٨١. ينظر: «مقدمة وفيات الأعيان»، و«النجوم الزاهرة» ٧/ ٣٥٣.

(٢) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣.

(٣) نقله عن عبد الغافر ياقوت في «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٩.

وقال الفيروزابادي[١]: ومصنفاته كثيرة مشهورة.

وبما أن الواحدي برع في علمي التفسير واللغة فإن غالب تصانيفه تحوم حول هذين العلمين.

وفيما يلي ثبت بأسماء مؤلفاته المنسوبة إليه مع بيان المطبوع منها والمخطوط وقد قسمتها إلىٰ قسمين:

القسم الأول: ما يقطع بنسبته إليه.

القسم الثاني: ما لا يقطع بنسبته إليه، وإليك البيان.

القسم الأول:

المؤلفات التي يقطع بنسبتها للواحدي.

أولًا: كتبه المعروفة:

وهي التي وصلت إلينا منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطًا:

وهي المؤلفات التي ذكرها الواحدي في كتبه، أو ذكرها العلماء الأثبات سواء في تراجمهم له، أو كتبهم نقلًا عنها.

١- «**البسيط**»:

وهو أكبر كتبه في التفسير ويعدّ مع كتابيه الآخرين «الوسيط» و«الوجيز» -وكلها في التفسير- أشهر كتبه، بل أصبحت علمًا عليه،

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، أبو طاهر، مجد الدين، الشيرازي الفيروزابادي، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة ٧٢٩، رحل في طلب العلم حتى ٱستقر به المقام في زبيد وتولىٰ قضاءها، وأكرمه ملكها الأشرف، ومن أشهر كتبه: «القاموس المحيط»، وله «بصائر ذوي التمييز»، وغيرها. توفي سنة ٨١٧. ينظر: «البدر الطالع» ٢/ ٢٨٠، و«الضوء اللامع» ١٠/ ٧٩.

فيقال: الواحدي صاحب «البسيط» و«والوسيط» و«الوجيز» في التفسير، ولا يترجم له أحد إلا ويذكر كتبه الثلاثة فذكرها القفطي[١]، وياقوت[٢]، وابن خلكان[٣] وقال: منها أخذ أبو حامد الغزالي أسماء كتبه الثلاثة، ومثله قال الذهبي[٤]، وذكرها ابن كثير[٥] والسبكي[٦] وغيرهم[٧].

و«البسيط» أول هٰذِه الكتب وأكبرها، بل هو أصلها كما سيأتي، قال عنه القفطي: «وصنف التفسير الكبير وسماه «البسيط» وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية..»[٨]. وذكر ابن قاضي شهبة[٩] وابن العماد[١٠]: أنه يقع في ستة عشر مجلدًا.

٢- **«الوسيط»**:

وهو في التفسير، والكتاب يعتبر وسطًا بين «البسيط» و«الوجيز» ولهٰذا قال في مقدمته: «... وقديمًا كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط ينحط عن درجة «البسيط» الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة

---

(١) أنظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٢) أنظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ١٥٩.

(٣) أنظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣.

(٤) أنظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠.

(٥) أنظر: «البداية والنهاية» ١٢/ ١١٤.

(٦) أنظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ٢٩٠.

(٧) كابن الأثير في «الكامل» ٨/ ١٢٣، والأسنوي في «طبقات الشافعية» ٢/ ٥٣٩، وابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» ١/ ٢٥٧، وابن العماد في «الشذرات» ٣/ ٣٣٠، وطاش كبرى زاده في «مفتاح السعادة» ٢/ ٦٦.

(٨) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٩) أنظر: «طبقات الشافعية» ١/ ٢٥٧.

(١٠) أنظر: «شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠.

«الوجيز» الذي ٱقتصر فيه على الإقلال»[١].

قال القفطي: «وهو مختار من «البسيط»- أيضًا - غاية في بابه»[٢]، والحقيقة أن ما في الكتاب من مسائل لغوية ونحوية وتفسيرية مختصر من «البسيط» ويزيد عن «البسيط» في الإكثار من الرواية، وسيأتي مزيد من الإيضاح عن الفرق بين الكتابين عند الحديث عن «البسيط». ويظهر أن هٰذا الكتاب نال الشهرة أكثر من «البسيط» ولهٰذا كثرت مخطوطاته[٣]، وطبع الجزء الأول من الكتاب ويشمل من أول القرآن إلىٰ نهاية سورة «البقرة» بتحقيق: «محمد حسن أبو العزم الزفيتي»، طبعته «لجنة إحياء التراث» التابعة لوزارة الأوقاف المصرية، كما قام قسم القرآن بتحقيقه في رسائل علمية، وتم إنجاز أغلبه، نأمل أن تتبنى الجامعة طباعة هٰذا الجهد العلمي حتىٰ يخرج متكاملًا.

٣- «**الوجيز**»، وهٰذا الكتاب كاسمه وجيز في التفسير. قال القفطي: «وهو عجيب»[٤].

وقال الواحدي في مقدمته: «فإني كنت قد ٱبتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلىٰ مثله وطال علي الأمر في ذلك لشرائط تقلدتها

---

(١) مقدمة «الوسيط» ١/ ٦ تحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيتي.

(٢) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٣) ذكر الزفيتي أنه ٱعتمد علىٰ ثلاث نسخ في تحقيق الكتاب: نسخة دار الكتب المصرية (٨٨٧ تفسير)، ونسخة أخرىٰ بدار الكتب المصرية رقم (٢٧١)، ونسخة ثالثة بمعهد المخطوطات في القاهرة رقم (٢٩٢ تفسير) مصورة عن أحمد الثالث بإستانبول.

(٤) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

ومواجب لحق النصيحة لكتاب الله تحملتها، ثم ٱستعجلني قبل إتمامه والتفصي عما لزمني من عهدة إحكامه نفر متقاصرو الرغبات منخفضو الدرجات، أولو البضائع المزجاة إلىٰ إيجاز كتاب في التفسير يقرب علىٰ من يتناوله ويسهل علىٰ من يتأمله من أوجز ما عمل في بابه وأعظم عائدة علىٰ متحفظيه..»[١]، وقد وفىٰ بذلك فخرج الكتاب موجزًا، وقد طبع في مصر سنة ١٣٠٥هـ علىٰ هامش تفسير «مراح لبيد لكشف معنىٰ قرآن مجيد» للشيخ محمد نووي الجاوي، ويقع الكتاب في جزأين ولو طبع مستقلًا لم يتجاوز أربعمائة صفحة تقريبًا، والكتاب بحاجة إلىٰ طباعة محققة خصوصًا مع كثرة مخطوطاته، وقد ٱعتمده السيوطي[٢] في تكملته للتفسير المشهور بـ «تفسير الجلالين»[٣]، وقد طبع أكثر من مرة.

٣- «تفسير النبي ﷺ»:

ذكره ياقوت[٤]، والذهبي[٥]

(١) «مقدمة الوجيز» ١/ ٢ «علىٰ هامش تفسير مراح لبيد».

(٢) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي أبو بكر، صاحب التصانيف المشهورة، ولد عام ٨٤٩ وتوفي عام ٩١١: ينظر «حسن المحاضرة» ١/ ٣٣٥.

(٣) ينظر «بغية الوعاة» ١/ ٤٠١، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٠١.

(٤) سبقت ترجمته ص ٢٩.

(٥) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي، أبو عبد الله، المؤرخ، المحدث، الناقد، ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ، وكان من أسرة تركمانية الأصل، سمع من علماء دمشق وحلب ونابلس، ومكة، توفي بدمشق ليلة الأثنين ثالث من ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ، ودفن بمقبرة الباب الصغير. من أشهر مصنفاته رحمه الله: «تاريخ الإسلام الكبير»، و«سير أعلام النبلاء»،=

والسبكي[١] والداودي[٢] والسمعاني[٣]، و ذكره ابن القاضي شهبة[٤]، وابن العماد[٥]، بعنوان:

= «طبقات الحفاظ»، «ميزان الاعتدال» وغيرها من مصنفاته رحمه الله تعالىٰ.
ينظر ترجمته في «طبقات الشافعية» للأسنوي ١/ ٩٨، «طبقات الشافعية» للسبكي ٥/ ٢١٦- ٢٢٦.

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، القاضي المؤرخ الفقيه الشافعي، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧، وانتقل إلى الشام وتولىٰ قضاءها، ثم عزل، وجرت عليه محن لم تجر علىٰ قاض مثله.
من كتبه: «طبقات الشافعية الكبرىٰ»، و «ومعيد النعم ومبيد النقم»، و«جمع الجوامع». توفي بالطاعون سنة ٧٧١. ينظر: «الدرر الكامنة» ٢/ ٤٢٥ و«مقدمة طبقات الشافعية».

(٢) هو محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، محدث مصري، من تلاميذ السيوطي.
من كتبه: «طبقات المفسرين» و«ذيل طبقات الشافعية» للسبكي و«ترجمة الحافظ السيوطي»، توفي سنة ٩٤٥.
ينظر: «شذرات الذهب» ٨/ ٢٦٤، و«الأعلام» ٦/ ٢٩١.

(٣) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، مؤرخ رحالة، ولد بمرو سنة ٥٠٦، رحل في طلب العلم، من كتبه: «الأنساب»، و«أدب الإملاء الاستملاء» توفي بمرو سنة ٥٦٢. ينظر: «طبقات الشافعية» ٤/ ٢٥٩ و«وفيات الأعيان» ١/ ٣٠١.

(٤) هو أحمد بن محمد بن عمر بن محمد، تقي ابن قاضي شهبة الدمشقي، أبو بكر، عالمًا بالفرائض، جلس للتدريس بالجامع الأموي مدة، وكان كريم النفس كثير الإحسان، ولد في رجب سنة ٧٣٧هـ وتوفي سنة ٧٩٠هـ ومن مؤلفاته: «الفرائض» وغيرها من المؤلفات.
ينظر: «شذرات الذهب» ٦/ ٣١٢، ٣١٣.

(٥) هو عبد الحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد، العكري الدمشقي، أبو الفلاح، فقيه، أديب، أخباري، حنبلي المذهب، ولد في الصالحية بدمشق في=

تفسير أسماء النبي ﷺ(١).

٤- «أسباب النزول»:

وهو من أشهر ما صنف في هٰذا الفن(٢) ومن أول الكتب التي وردت إلينا فيه. وفيه يذكر سبب النزول من حديث أو أثر مسندًا، وقد يذكره بدون سند. ولتوسعه وشهرته بنى عليه الحافظ ابن حجر(٣) كتابه المشهور في أسباب النزول المسمىٰ: «العجاب في بيان الأسباب» واختصره أبو إسحاق الجعبري(٤) (ت

= ٨رجب (١٠٣٢هـ)، وأقام في القاهرة مدة طويلة، وتوفي بمكة في ١٦ من ذي القعدة (١٠٨٩هـ) من تصانيفه رحمه الله:- «شذرات الذهب»، و«بغية أولي النهىٰ في شرح المنتهىٰ» وغيرها من تصانيفه رحمه الله.
ينظر ترجمته: «معجم المؤلفين» ٢/ ٦٧.

(١) ينظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١، و«طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤١، و«طبقات المفسرين» للداوودي ١/ ٣٩٥، و«التحبير في المعجم الكبير» ٢/ ٣٧٧ . وذكره ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» ١/ ٢٧٨، باسم تفسير أسماء النبي ﷺ، وتبعه ابن العماد في «شذرات الذهب» ٣/ ٣٣٠، ورجح ذلك جودة المهدي في كتابه الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٩٦، بحجة أنه لم يرد في ثبت تفاسير الواحدي هٰذا الأسم، ولم تنوه به التراجم في سياق إنتاجه التفسيري. وهٰذا غير صحيح كما تبيّن عند مراجعة المصادر التي ترجمته.

(٢) أنظر: «البرهان» ١/ ٢٢، و«الإتقان» ١/ ٣٨، و«كشف الظنون» ١/ ٧٦.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة الحديث والفقه والرجال والتاريخ، وإذا أطلق الحافظ لم يرد به غيره، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣، رحل في طلب العلم، وتولى القضاء في مصر مرات، وكتبه كثيرة أشتهرت في حياته، منها «فتح الباري» وهو أجلها و«تهذيب التهذيب» و«تقريب التهذيب» وغيرها. توفي سنة ٨٥٢.
ينظر: «الضوء اللامع» ٢/ ٣٦، و«البدر الطالع» ١/ ٨٧.

(٤) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، عالم بالقراءات،=

٧٣٢هـ) فحذف أسانيده، وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة[١].

٤- «قتلى القرآن»:

ذكره الحافظ ابن رجب[٢] في لطائف المعارف ناقلًا عنه[٣].

٥- «فضائل القرآن»:

ذكره حاجي خليفة[٤] عند ذكره للمصنفات في علم فضائل القرآن

= من فقهاء الشافعية، ولد بقلعة جعبر علىٰ نهر الفرات سنة ٦٤٠، وتلقى العلم ببغداد، واستقر بالخليل إلىٰ أن مات، من كتبه: شرح الشاطبية «كنز المعاني شرح حرز الأماني». توفي سنة ٧٣٢. ينظر: «الدرر الكامنة» ١/ ٥٠، و«غاية النهاية» ١/ ٢١.

(١) طبع كتاب «أسباب النزول» عدة طبعات أولها سنة ١٣١٦هـ بالقاهرة، علىٰ هامشه «الناسخ والمنسوخ» لأبي القاسم بن هبة الله بن سلامة. ثم أعيد طبعه سنة ١٣٧٩هـ في مطبعة الحلبي، ثم طبع سنة ١٣٩٥هـ في بيروت دار الكتب العلمية، ثم طبع بتحقيق «السيد أحمد صقر» سنة ١٣٨٩هـ صدر عن دار الجديد، ثم خرجت طبعة أخرىٰ بتحقيق السيد أحمد صقر عن دار القبلة سنة ١٤٠٤هـ، وطبعة بتحقيق عصام الحميدان من إصدار دار الإصلاح.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي أبو الفرج زين الدين، محدث فقيه إمام، ولد ببغداد ونشأ وتوفي في دمشق، من كتبه: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«جامع العلوم والحكم»، توفي سنة ٧٩٥. ينظر: «شذرات الذهب» ٦/ ٣٣٩، و«الدرر الكامنة» ٢/ ٣٢١.

(٣) «لطائف المعارف» ص ٣٥٨، وذكر باسم (مقاتل القرآن) في مقدمة «أسباب النزول» للسيد أحمد صقر ص ٢١ وفي كتاب «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص ٩٤.

(٤) هو مصطفىٰ بن عبد الله كاتب حلبي، المعروف بالحاج خليفة: مؤرخ بحاثة، تركي الأصل مستعرب، ولد سنة ١٠١٧ في القسطنطينية، تولىٰ أعمالاً كتابية في الجيش العثماني، انقطع للتدريس آخر عمره من كتبه: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» وهو أفضل ما كتب في فنه توفي سنة ١٠٦٧ ينظر: مقدمة كشف الظنون و«الإعلام» ٧/ ٢٣٦.

قائلًا: ولأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ مختصر فيه، أخذ شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي[١] أربعين حديثا منه[٢].

٦- «مسند التفسير»:

أشار إليه الواحدي في «الوسيط» حيث قال: وحديث انشقاق القمر رواه جماعة من الصحابة... روينا عن جميعهم ذلك في مسند التفسير[٣]، وقال في مقدمة «الوسيط» أيضًا: وقد سبق لي قبل هٰذا الكتاب- بتوفيق الله وحسن تيسيره- مجموعات ثلاث في هٰذا العلم: معاني التفسير، ومسند التفسير، ومختصر التفسير[٤].

وعلىٰ صراحة هاتين الإحالتين من الواحدي لم يشر أحد ممن ترجم له إلىٰ هٰذا الكتاب ضمن ثبت كتبه، ويحتمل أن يكون المقصود به كتاب تفسير النبي ﷺ المتقدم ذكره.

٧- «نفي التحريف عن القرآن الشريف»:

ذكره أكثر من ترجم له[٥].

---

(١) هو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الحنفي، مؤرخ عالم بالتراجم والفقه ولد سنة ٨٨٠، له مشاركة في فنون متعددة وكتبه كثيرة منها: «ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر» و«الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية». توفي سنة ٩٥٣. ينظر «الكواكب السائرة» ٢/ ٥٢، و«شذرات الذهب» ٨/ ٢٩٨.

(٢) «كشف الظنون» ٢/ ١٢٧٧، ولعله الموجود في مكتبة كوبرلي بتركيا مجموعة رقم (١٦٣١) باسم فضائل السور، ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي ٢/ ٣٩٥.

(٣) «الوسيط» ٤/ ٢٠٧.

(٤) «الوسيط» ١/ ٥٠.

(٥) ينظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١، و«طبقات=

٨- «شرح ديوان المتنبي»[(١)]:

ذكره أكثر من ترجم له، قد أثنىٰ عليه العلماء قال فيه ابن خلكان: «وليس في شروحه مع كثرتها مثله»[(٢)] وقال القفطي: وهو غاية في بابه[(٣)]، وقال حاجي خليفة بعد أن ذكر أربعين شرحًا لديوان المتنبي: فأجلها نفعًا وأكثرها فائدة: شرح الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي[(٤)]. والكتاب مطبوع متداول[(٥)].

٩- «الإغراب في الإعراب»:

ذكره بهٰذا الأسم أكثر من ترجم له[(٦)]، بينما سماه السبكي: الإعراب في علم الإعراب[(٧)]، وسماه السيوطي: الإغراب في علم

= الشافعية» ٥/ ٢٤١، و«الفلاكة والمفلوكون» للدلجي ص١٥٣، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٨، و«طبقات المفسرين» للسيوطي ص ٧٩ وغيرهم.

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم، علم في باب الشعر والأدب، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ونشأ بالشام، تنقل في البادية يطلب العربية وقال الشعر صبيًا، ثم تنبأ فتبعه خلق فسجن فتاب، أشهر أعماله: «ديوانه»، قتل سنة ٣٥٤ وقد كُتب في سيرته كتب كثيرة. ينظر: «معاهد التنصيص» ١/ ٢٧ و«وفيات الأعيان» ١/ ٣٦.

(٢) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣.

(٣) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٣٢.

(٤) «كشف الظنون» ١/ ٨٠٩.

(٥) طبع عام ١٢٧١ في الهند طبعة حجرية ثم طبع بعناية فريدرخ ديتريصي في برلين عام ١٢٧٦ ثم صورته دار المثنىٰ ببغداد. ينظر: «معجم المطبوعات» ٢/ ١٦١٦ .

(٦) ينظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١ و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٨ و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٩٥ و«شذرات الذهب» ٣/ ٣٠٣.

(٧) «طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤١.

الإعراب[١]، وسماه في موطن آخر: الإعراب عن الإعراب[٢].

١٠- «**التحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنىٰ**»:

ذكره أكثر من ترجم له[٣] مع ٱختلافات يسيرة في الٱسم[٤].

١١- «**الدعوات**»:

ذكره أكثر من ترجم له[٥].

١٢- «**المغازي**»:

ذكره أكثر من ترجم له[٦].

القسم الثاني: المؤلفات التي لا يقطع بنسبتها للواحدي

ثمة مؤلفات لا يقطع بنسبتها للواحدي:

إما لأنها وردت علىٰ طرة بعض المخطوطات، أو في فهارس خزائن الكتب، لكن لم يذكرها أحد ممن ترجموا للواحدي ضمن ثبت كتبه،

---

(١) «بغية الوعاة» ٢/ ١٤٥.

(٢) «طبقات المفسرين» ص ٧٩.

(٣) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣، و«تاريخ الإسلام» للذهبي ٢٥٩/٣١، و«طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤١، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٢٤١، و«طبقات المفسرين» للسيوطي ص ٧٩، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٨.

(٤) بعضهم قال: «التحبير في شرح الأسماء الحسنىٰ» وبعضهم قال: «التحبير في الأسماء الحسنىٰ»، وبعضهم سماه: «شرح الأسماء الحسنىٰ»، وأما ابن قاضي شهبة فقال: «التنجيز بدلاً من التحبير» وهو تصحيف.

(٥) ينظر: «معجم الأدباء» ٢٥٩/١٢، و«سير أعلام النبلاء» ٣٤١/١٨ و«طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤١، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ٢٧٨ و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٩٥ و«شذرات الذهب» ٣/ ٣٠٣.

(٦) ينظر: المراجع السابقة. وسماه السمعاني في «الأنساب» ٣/ ٤٧٩ «طراز المغازي».

فضلًا عن الواحدي نفسه، إذ لا يعرف عنه أنه نسبها إلىٰ نفسه، أو عدها ضمن كتبه.

وإما لتوهم أن تكون له، وليست كذلك،

وإما أن يذكر واحد من كتبه باسم مغاير للمشهور فيظن أنهما كتابان، والحقيقة أنهما ٱسمان لكتاب واحد. وهٰذا بيان لجميع ذلك.

١ و٢- «معاني التفسير»، و«مختصر التفسير»:

ذكر الواحدي في مقدمة تفسيره الوسيط هذين الاسمين، ووقع الخلاف بين الباحثين هل مراده بهما كتابان آخران غير البسيط والوجيز، أو أنهما ٱسمان لذينك الكتابين علىٰ عادة بعض المؤلفين في تعديد أسماء الكتاب الواحد، ولإيضاح الأمر أسوق عبارته في مقدمة الوسيط، حيث يقول: «وقد سبق لي قبل هٰذا الكتاب- بتوفيق الله وحسن تيسيره- مجموعات ثلاث في هٰذا العلم: «فمعاني التفسير» و«مسند التفسير» و«مختصر التفسير»، وقديمًا كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط، ينحط عن درجة البسيط، الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة الوجيز الذي ٱقتصر فيه على الإقلال»[1] فأخذ بعض الباحثين من هٰذا النص الصريح أن هذين ٱسمان لكتابين غير البسيط والوجيز، و عدهما ضمن كتبه[2]، والظاهر- أنهما ٱسمان للكتابين نفسيهما ويدل لذلك:

أ- أنهما لو كانا كتابين مستقلين لقال: وقد سبق لي مجموعات خمس، خاصة وأنه صرح في آخر كلامه الآنف الذكر باسم: البسيط والوجيز.

---

(١) «الوسيط» ١/ ٥٠.

(٢) ذكر ذلك د/ جودة المهدي في كتابه الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٩٢.

ب- جاء في نهاية الجزء الثالث من النسخة الأزهرية مانصه: آخر الجزء الثالث من كتاب معاني التفسير المسمىٰ بالبسيط للإمام أبي الحسن علي الواحدي- رحمه الله- ومثله جاء في نهاية الجزء الثاني من نسخة جستربتي.

ج- لم يذكرهما أحد ممن ترجم للواحدي علىٰ أنهما كتابان مستقلّان، غير ذينك الكتابين.

٣- «الحاوي لجميع المعاني»:

ورد هٰذا الكتاب منسوبًا إلى الواحدي في فهارس بعض خزائن الكتب[١] بيد أن حاجي خليفة بين أن هٰذا الأسم يراد به كتبه الثلاثة في التفسير، فقال: تفسير الواحدي ثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، وتسمىٰ هٰذه الثلاثة: الحاوي لجميع المعاني[٢].

وقال أيضًا: الحاوي لجميع المعاني، وهو اسم البسيط والوسيط والوجيز للواحدي[٣]. وما ذكره حاجي أظهر؛ لأنه لو كان كتابًا مستقلًا لذكره المترجمون للواحدي، خصوصًا وأنه كتاب كبير يصعب تجاهله ونسيانه، لكن الجزم بذلك يتوقف على الأطلاع علىٰ تلك النسخ في خزائن الكتب، ودراستها، والتحقق منها.

٤- «جامع البيان في تفسير القرآن»:

(١) كالمكتبة الآصفية بحيدر اباد بالهند برقم (١٢٤) ومكتبة أصفهان العامة بإيران برقم (٢٦٩٣) وخزانة قاسم الرجب ببغداد برقم (٣٤٠) وعنوانها الحاوي في تفسير القرآن، والخزانه الحسينية بالقصر الملكي بالرباط، برقم (٥٥٥١). ينظر: «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي» ١/ ١١٣، ١١٤.

(٢) «كشف الظنون» ١/ ٦٢٩.

(٣) «كشف الظنون» ١/ ٦٢٩.

ورد هٰذا الكتاب منسوبًا للواحدي في إحدىٰ خزائن الكتب[١]، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للواحدي.

٥ و٦- «رسالة في البسملة»، و«حاشية علىٰ شرح البسملة»:

ورد هذان العنوانان في فهرس المكتبة الخالدية بالقدس[٢]، ولم يذكرهما أحد ممن ترجم للواحدي.

٧- «رسالة في شرف علم التفسير»:

ذكرها الدكتور جودة المهدي[٣]، وأشار إلىٰ وجودها مخطوطة في دار الكتب المصرية[٤] ولم يذكرها أحد ممن ترجم للواحدي.

٨- «شرح معلقة النابغة الذبياني»[٥]، أو «شرح قصيدة النابغة»:

ورد في فهارس بعض خزائن الكتب[٦]، ولم يذكره أحد ممن ترجموا للواحدي.

---

(١) وهي مكتبة مراد ملا الوطنية تحت رقم (١٩١). ينظر: «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي» ١/ ١٣١.

(٢) برقم (٤٨)و (٤٩)، ينظر: الفهرس الشامل ١/ ١١٤.

(٣) الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٩٥.

(٤) برقم ٢٢٠ مجاميع.

(٥) هو : الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب ، من الطبقة الأولىٰ ، من فحول شعراء الجاهلية، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ويفاضل بينهم . ينظر : «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٦، و«جمهرة أشعار العرب» ١/ ٣٠٣

(٦) منه نسخة في مكتبة الأكاديمية العلمية بجامعة ليدن بهولندا برقم (١٠٦/ ٢)، ونسخة أخرىٰ في مكتبة حسين علي محفوظ بالكاظمية، ونسخة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم (١٨٩٤/ ٢) ونسخة في مكتبة جامعة الملك سعود ضمن مجموع (٢١٤ - ٢٢٣) برقم (٢/٨٣٨) ينظر: تاريخ التراث العربي (مج٢، ج٢/ ٩) ومجلة المخطوطات ٦/ ٤٧ و«مخطوطات الأدب في المتحف العراقي» ص ٣٨٦.

٩- «الوسيط في الأمثال»:

حققه الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن[١]، ونسبه إلى الواحدي معتمدًا علىٰ نسخة وحيدة، وجدها في الخزانة العامة في الرباط بالمغرب[٢]، وقد بذل المحقق جهدًا في إثبات نسبة الكتاب إلى الواحدي، واستدل علىٰ ذلك بورود أسماء من كتبه في ثنايا الكتاب ثم ذكرها[٣]، ولا يعرف منها شيء تصح نسبته إليه، والذي يظهر أن الكتاب لا تصح نسبته إلى الواحدي، لعدم وجود دليل صحيح صريح، يدل علىٰ صحة نسبة الكتاب إليه، ولا ذكر أحد ممن ترجموا له هٰذا الآسم في ثبت كتبه، ولا أحال هو عليه في ثنايا مؤلفاته، ولم يجد المحقق إلا نسخة واحدة أعتمد عليها.

ويزاد علىٰ ذلك أنه في الكتاب آستشهد ببيت للأخطل[٤] ثم قال: «هكذا رواه الشيخ أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي[٥]، وقرأت ديوانه على الفصيحي[٦] في سنة إحدىٰ وتسعين...» والفصيحي هٰذا توفي سنة ٥١٠ أو

---

(١) نشرته مؤسسة دار الكتب الثقافية بالكويت ١٣٩٥هـ.

(٢) برقم (١٠٢ت) كتبت في القرن السادس الهجري.

(٣) منها: «البسيط في الأمثال»، و«الوجيز في الأمثال»، و«المترجم المنيح في شرح الكتاب الفصيح»، و«نزهة الأنفس» وغيرها.

(٤) هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي النصراني، أحد شعراء زمانه، كان معاصراً لجرير والفرزدق، مهاجياً لهما، مدح خلفاء بني أمية فأكثر. قيل: إنه توفي سنة ٩٠هـ. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٩٨ و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٩.

(٥) هو أبو زكريا، يحيي بن علي بن محمد الشيباني، المعروف بالخطيب التبريزي، أحد أئمة اللغة والنحو والأدب، توفي عام ٥٠٢هـ. ينظر: «معجم الأدباء» ٢٠/ ٢٥ و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٢٦٩.

(٦) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الفصيحي لقب بذلك لكثرة دراسته كتاب الفصيح لثعلب، درس في النظامية ببغداد، وكان يظهر التشيع فعزل عن التدريس.=

(٥١٦)، وكانت القراءة سنة (٤٩١)، والواحدي توفي سنة (٤٦٨) بلا خلاف فكيف يكون هذا؟

١٠- «الناسخ والمنسوخ»:

نسبه إليه محقق الوجيز[١]، وذكر أن الزركشي نقل منه في كتاب البرهان[٢]، والحقيقة أن النقل كان عن الواحدي من تفسيره البسيط، عند قوله تعالىٰ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٦] ولا تشير عبارة الزركشي إلىٰ كتاب بهٰذا الأسم، ولم ينسبه إليه أحد ممن ترجم له.

١١- «بانت سعاد»:

ذكره: الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن في مقدمته على الوسيط في الأمثال، وقال: منها نسخة في جستربتي كتب في القرن التاسع الهجري[٣]، ولم يذكر مترجمو الواحدي شيئًا عنه، ولم أجده في فهرس الكتب المختارة من جستربتي المترجم.

١٢- «منظومة في الوعظ»:

ورد هٰذا الكتاب منسوبًا للواحدي في إحدىٰ خزائن الكتب[٤]، ولم يذكره له من ترجموه.

= ينظر: «معجم الأدباء» ١٥/٦٦ و «إنباه الرواة» ٢/٣٠٦.

(١) «مقدمة الوجيز» لصفوان داودي ١/٣٦.

(٢) «البرهان» ٢/٤١ ونص كلامه: «وقسمه- أي النسخ- الواحدي أيضاً إلىٰ نسخ ما ليس بثابت التلاوة كعشر رضعات، وإلىٰ نسخ ما هو ثابت....».

(٣) «الوسيط في الأمثال»، مقدمة المحقق ص ١٤.

(٤) ضمن مخطوطات جامعة الملك سعود برقم (٢٤٢٩/٦/م)

١٣- «إيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن.»

١٤- «البيان لأسباب نزول القرآن».

١٥- «البسيط في الأمثال».

١٦- «الوجيز في الأمثال».

١٧- «المترجم المنيح في شرح كتاب الفصيح».

١٨- «نزهة الأنفس»، أو «زينة الأنفس».

١٩- «الحاوي في شرح المقصورة الدريدية».

هٰذِه الكتب السبعة عدها الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن في تحقيقه لكتاب الوسيط في الأمثال- من كتب الواحدي، واستدل بورودها في ثنايا الوسيط علىٰ صحة نسبة الوسيط إلى الواحدي، وقال : «إنها حقًّا له»[1].

ولكن الصحيح أن شيئًا منها لاتثبت نسبته إلى الواحدي، ولا ذكره أحد ممن ترجموا له، فكيف تكون ثابتة له حقًّا. وبما أن الوسيط على الصحيح لا يثبت، ولم يقم دليل علىٰ نسبته للواحدي، فما ٱستنبط منه من كتب، وما أحال إليه كاتب الوسيط من مؤلفاته ليست من مصنفات الواحدي.

---

(١) مقدمة «الوسيط في الأمثال» ص ٢٠ وينظر : ص ٢٤٠ أيضًا.

المطلب الثامن: مكانته

الواحدي كغيره من العلماء المشهورين، الذين لهم مصنفات، ولهم آراء وأقوال ٱجتهدوا فيها، أصابوا في بعضها وجانبهم الصواب في البعض الآخر. وهٰذِه طبيعة الإنسان فهو عرضة للخطأ، والكمال لله وحده، لذا فإن المكانة التي وصل إليها المؤلف في العلم والأدب تتجلىٰ من خلال الأمور الآتية:

١- كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، وتلقىٰ منهم الحكمة والأدب، وطول باعهم، وعلو إسنادهم، وشهرتهم، وتلقي الأمة لهم بالقبول، وقد تقدم ذكر طرف منهم.

٢- كثرة تلاميذه والآخذين عنه، وما ذاك إلا لما كان عليه أبو الحسن الواحدي من علو الكعب في العلم، وتقدم المنزلة، وتنوع المعارف، وقد سبق التعريف ببعضهم.

٣- كتبه التي تشهد له بالتمكن والبسطة في العلم، وسعة المعرفة، حيث تداولها العلماء، وسارت بين الناس مسير الشمس، وشرَّقت بها الركبان وغرَّبت، وتنافس الطلاب علىٰ نسخها واقتنائها.

٤- ثناء أهل العلم المعاصرين واللاحقين، وتتابعهم علىٰ تزكيته ومدحه، والإشادة بجهوده، والتعريف بفضله وبيان تميزه، حتىٰ قال فيه أحد معاصريه:

قد جمع العالَمَ في واحد ... عالمنا المعروف بالواحدي(١)

---

(١) نقل ذلك الحسن بن المظفر النيسابوري المتوفىٰ سنة ٤٤٢هـ، - وهو معاصر للواحدي- كما في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ١١/ ٢٦٠.

المطلب التاسع

أقوال العلماء فيه، وما كتبه العلماء عن الواحدي ثناءً أو نقدًا له، والصواب من ذلك.

ولقد تناول العلماء الواحدي بالمدح والثناء لما له من المكانة العلمية ولما تركه من أثر لمن بعده، من مصنفات قيمة، ولم يسلم الواحدي من بعض الأخطاء التي تناولها العلماء من بعده بالبيان والنقد. وأذكر بعضا من أقوال العلماء في الجانبين:

أما في جانب المدح والثناء عليه فقد أثنى عليه أكثر الذين ترجموا له بعبارات تدل علىٰ إمامته، وعلىٰ مقدار ما وصل إليه من مكانة علمية عالية.

١- قال عبد الغافر صاحب السياق وهو من أقدم من كتب عن الواحدي: «الإمام المصنف المفسر النحوي، أستاذ عصره وواحد دهره وكان حقيقًا بكل احترام وإعظام»[١].

٢- أما الذهبي إمام علماء التاريخ والرجال والتراجم والسير فقد مدحه بقوله: الإمام، العلامة الأستاذ، إمام علماء التأويل، المفسر أحد من برع في العلم، وأنه كان رأسًا في العربية واللغات، طويل الباع في علم اللغة، وأنه واحد عصره في التفسير.

وقال عنه- أيضًا-: «تصدر للتدريس مدة وعظم شأنه..»[٢].

---

(١) «المنتخب من السياق» (٣٨٧)، «معجم الأدباء» ١٢ / ٢٥٨- ٢٦٠ .

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٨ / ٣٣٩- ٣٤١، و«تاريخ الإسلام» ٣١/ ٢٥٨- ٢٥٩، و«العبر» ٢/ ٣٢٤.

٣- وأثنىٰ عليه ابن الأثير بأنه: إمام مفسر مشهور(١).

٤- وقال فيه الباخرزي صاحبه: مشتغل بما يعنيه، وإن كان ٱستهدافه للمختلفة إليه يُعَنِّيه، وقد خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبْطَ عصا الراعي فروع الغَرَب، وألقَى الدلاء في بحارهم حتىٰ نزفها، ومد البنان إلىٰ ثمارهم إلىٰ أن قطفها، وله في علم القرآن، وشرح غوامض الأشعار تصنيفات، بيديه لأَعِنَّتِها تصريفات(٢).

٥- ومدحه كل من: الوزير القفطي وابن خلكان والسبكي والإسنوي(٣) وابن الجزري(٤) بأنه واحد عصره في التفسير، بعد أن وصفوه بأنه الإمام العلامة الكبير البارع في العلم، المصنف المفسر النحوي اللغوي، الأصولى الفقيه، صاحب الإسناد العالي، الشاعر، لذا تجد هٰذِه العبارات تتردد في كتب الذين ترجموا له(٥).

---

(١) «الكامل» ٨/ ١٢٣، و«اللباب» ٣/ ١٦٣.

(٢) «دمية القصر» ٢/ ١٠١٧.

(٣) عبد الرحيم بن الحسين بن علي جمال الدين ، الإسنوي ، إمام مبرز في الفقه والأصول والعربية ، ٱنتهت إليه رياسة الشافعية بمصر ، من مؤلفاته: «التمهيد في تخريج الفروع على الأصول»، و«نهاية السول في شرح منهاج الوصول». توفي سنة ٧٧٢ . ينظر: «الدرر الكامنة» ٢/ ٤٦٣ و«البدر الطالع» ١/ ٣٥٢ .

(٤) هو أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري إمام القراء في عصره ، ولد بدمشق سنة ٧٥١ ثم ٱشتغل بجمع القراءات وإقرائها ودرس وأفتىٰ وتولى القضاء ومن كتبه النشر في القراءات العشر ، وغاية النهاية ، وغيرها توفي سنة ٨٣٣ . ينظر : «مقدمة النشر»، و«الضوء اللامع» ٩/ ٢٥٥ طبعة دار مكتبة الحياة .

(٥) ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣ و«طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤٠ و«طبقات الشافعية» للإسنوي ٢/ ٥٣٩، و«غاية النهاية» ١/ ٥٢٣.

المآخذ عليه:

تلك هي عبارات الأئمة في الثناء على الإمام الواحدي لكن الكمال في البشر عزيز،

ومن ذا الذي ترضىٰ سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه

وقد قيل:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنىٰ فقط

ومن هنا فإن الواحدي لم يسلم من انتقاداتٍ وجهت إليه من بعض العلماء في ثلاث قضايا، إليك خلاصتها:

الأولىٰ: عدم السلامة من البدع، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية.

الثانية: ضعف البضاعة في علم الحديث، ذكرها ابن الجوزي وشيخ الإسلام ابن تيمية والكتاني[1]، وأشار إليها ابن الصلاح[2].

الثالثة: غمز الأئمة المتقدمين، ذكرها تلميذه عبد الغافر الفارسي، وأبو سعد السمعاني[3].

وسيتبين بعد البحث والمناقشة صحة النقد في الأوليين دون الثالثة:

---

(١) أحمد بن جعفر بن إدريس أبو العباس الكتاني، من علماء القرويين، ولد بفاس سنة ١٢٩٣، كان واسع المعرفة بالحديث له ٧٠ كتاباً ورسالة، توفي بفاس سنة ١٣٤٠. ينظر: «الأعلام» للزركلي ١ / ١٠٨ .

(٢) عثمان بن عبد الرحمن صلاح الدين بن عثمان بن موسى الشهرزوري الكردي، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح حدث فقيه شافعي ولد سنة ٥٧٧ ومن كتبه: معرفة أنواع علم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، ولاه الملك الأشرف التدريس بدار الحديث في دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٣١٢ و«طبقات الشافعية» ٥/ ١٣٧ .

(٣) سبقت ترجمته ص٨١ .

وإليك البيان.

القضية الأولىٰ: عدم السلامة من البدع، والبعد عن اتباع منهج السلف في الاعتقاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطبَ ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية، لكن هو أبعد عن السلامة واتباع السلف»[١].

وفي موضع آخر قال: وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدًا لغيره[٢].

وقال في منهاج السنة النبوية: والبغوي[٣] اختصر تفسيره من تفسير الثعلبي والواحدي، لكنهما أخبر بأقوال المفسرين منه، والواحدي أعلم بالعربية من هٰذا وهٰذا، والبغوي أتبع للسنة منهما[٤].

والناظر في كتب الواحدي يجد أنه علىٰ مذهب الأشاعرة في الاعتقاد وقد تقدم بيان ذلك وتفصيله في مبحث عقيدته.

القضية الثانية: ضعف البضاعة في علم الحديث

معرفة الحديث وسماعه وروايته شيء، والدراية به وتمييز صحيحه من

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤.

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٨٦.

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي، فقيه شافعي محدث مفسر، نسبته إلىٰ بغا من قرىٰ خراسان، من كتبه: تفسيره «معالم التنزيل» و«شرح السنة»، و«مصباح السنة»، توفي سنة ٥١٠ وقيل ٥١٦. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ١٤٥، ومقدمة تفسيره.

(٤) «منهاج السنة» ٧/ ٣١٢.

سقيمه شيء آخر، وقد كان أبو الحسن الواحدي راويًا كثيرَ السماع، من أصحاب الأسانيد العالية[1]، بيد أنه كان ضعيف العناية في علم الحديث، ينقل الضعيف والموضوع منها في كتبه دون بيان أو تنبيه؛ ولذا قال ابن الجوزي: وقد فرَّق هٰذا الحديث- يعني الحديث الموضوع في فضائل سور القرآن سورة سورة- أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما، لأنهما ليسا من أهل الحديث[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وهٰؤلاء- يعني الثعلبي والواحدي وأمثالهما- من عادتهم يروون ما رواه غيرهم، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف؟، ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر، لأن وظيفتهم النقل لما نقل، أو حكاية أقوال الناس، وإن كان كثير من هٰذا وهٰذا باطلًا، وربما تكلموا علىٰ صحة بعض المنقولات وضعفها، ولٰكن لا يطردون هٰذا ولا يلتزمونه[3].

ويقول الكتاني: ولم يكن له- أي الواحدي- ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما- وخصوصًا الثعلبي- أحاديث موضوعة وقصص باطلة[4].

وعندما ناقش كثير من العلماء بطلان حديث فضائل القرآن سورةً

---

(١) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٣٨٧ و«النجوم الزاهرة» ٥/ ١٠٤، و«إشارة التعيين» ص ٢٠٩.

(٢) «الموضوعات» ١/ ٢٣٩.

(٣) «منهاج السنة» ٧/ ١٧٧.

(٤) «الرسالة المستطرفة» ص ٥٩.

سورةً أشاروا إلىٰ من رووه في كتبهم من المفسرين، وبينوا خطأهم في ذكره وعدم بيان أمره[١]، قال ابن الصلاح: «ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم»[٢].

القضية الثالثة: غمزه الأئمة المتقدمين

ليس في كتب الواحدي التي بين أيدينا، ولا في كلامه ما يدل على ٱتصافه بهٰذِه التهمة، كما أني لم أر من أهل العلم من ٱنتقد الواحدي بذلك عدا ٱثنين:

أولهما: تلميذه عبد الغافر الفارسي.

والثاني: أبو سعد السمعاني فيما نقله عنه الذهبي.

أما الأول فأبهم ولم يبين حيث قال: «.... وكان حقيقًا بكل ٱحترام وإعظام، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين، وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بما فيهم، عفا الله عنا وعنه»[٣].

وأما الثاني: ففي كلامه ما يدل علىٰ نوع الغمز والمعني به، حيث نقل عنه الذهبي أنه قال: وكان- أي الواحدي- حقيقًا بكل ٱحترام وإعظام، لٰكن كان فيه بسط اللسان في الأئمة المتقدمين، حتىٰ سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن بشار بنيسابور مذاكرة يقول: «كان علي بن أحمد الواحدي يقول: صنف أبو عبد الرحمن السلمي[٤] كتاب «حقائق التفسير»

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤ و«منهاج السنة النبوية» ٧/ ١٢، ٣١١، ٤٣٤، و«تدريب الراوي» للسيوطي ١/ ٢٨٩.

(٢) «مقدمة علوم الحديث» لابن الصلاح ص ٤٨.

(٣) نقله عنه ياقوت في «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٦٠.

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي، شيخ الصوفية في زمنه،=

ولو قال : إن ذلك تفسير للقرآن لكفر به»[١].

قال الذهبي بعد هذا : صدق والله[٢]. وقال في موضع آخر : الواحدي معذور مأجور[٣].

إن هذه التهمة الموجهة لأبي الحسن الواحدي إن كانت بسبب كلمته تلك فما أصاب من اتهمه، ولقد عاد نقده عليه، وحارت التهمة إليه، فهذا الذهبي يعد تلك الكلمة منقبة للواحدي فيقول: «وقد قال الواحدي كلمة تدل على حسن نقيته».

وذلك أن جماعة من الأئمة انتقدوا أبا عبد الرحمن السلمي في كتابه هذا، وبينوا غلطه فيما فعل، وحذروا من كتابه ومنهجه.

فهذا ابن الجوزي يقول: وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم- أي الصوفية- الذي أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها: حقائق التفسير..، ثم ذكر ابن الجوزي أمثلة مما جاء في الكتاب منها: «.. قالوا: إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا، فإن تأدبت بذلك وإلا حُرمت لطائف ما بعد...»، «وقال في قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ٨٥]. «قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب،

= له تصانيف كثيرة بلغت المائة أو أكثر، كتب الحديث بنيسابور وغيرها من البلاد، وهو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة في الرواية، توفي سنة ٤١٢، ينظر: «المنتخب من السياق» ص ١٩ و«لسان الميزان» ٥/ ١٤٠.

(١) «تاريخ الإسلام» ٣١/ ٢٦٠. وينظر «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٢، و«طبقات الشافعية» ٥/ ٢٤١.

(٢) «تاريخ الإسلام» ٣١/ ٢٦٠.

(٣) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٢.

وقال الواسطي: غرقىٰ في رؤية أفعالهم، وقال الجنيد: أسارىٰ في أسباب الدنيا تغدوهم إلىٰ قطع العلائق..» .﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]: «النفس..». «وقال في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٤٢]: قال الحسين: لا مكر أبين من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلا إليه بحال....»، قال ابن الجوزي: «ومن تأمل معنىٰ هٰذا علم أنه كفر محض، لأنه يشير إلىٰ أنه كالهزء واللعب، ولٰكن الحسين هٰذا هو الحلاج وهٰذا يليق بذاك...»، ثم قال- بعد أن ذكر مثالا آخر: «وجميع الكتاب من هٰذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيرا فرأيت أن الزمان يضيع في كتابه شيء بين الكفر والخطأ والهذيان..»(١).

هٰذا كلام ابن الجوزي عن «حقائق التفسير» فماذا قال غيره، قال ابن تيمية في «منهاج السنة»: «وكذلك جعفر الصادق قد كُذِب عليه من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله...وحتىٰ نسب إليه أنواع من تفسير القرآن علىٰ طريقة الباطنية، كما ذكر ذلك عنه أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب «حقائق التفسير» فذكر قطعة من التفاسير التي هي من تفاسيره وهي من باب تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل مراد الله تعالىٰ من الآيات بغير مراده، وكل ذي علم بحاله يعلم أنه كان بريئًا من هٰذِه الأقوال والكذب علىٰ الله في تفسير كتابه العزيز»(٢).

وتكلم عنه كذلك في الفتاوىٰ حين سئل عن كلام الواحدي في «حقائق التفسير» فأجاب بالتفصيل والشرح، وتكلم عن كتاب السلمي بنحو

---

(١) «تلبيس إبليس» ١/ ٤٠٣ وما بعدها.

(٢) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» ٤/ ١٤٦.

ما ذكر في «منهاج السنة» تركت نقله خشية الإطالة[١].

وقال الذهبي في ذلك: «ألف حقائق التفسير فأتىٰ فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية»[٢]. وقال: «وفي «حقائق تفسيره» أشياء لا تسوغ أصلا، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوىٰ..»[٣]، وقال: «وحقائقه قرمطة وما أظنه يتعمد الكذب، بلىٰ يروي عن محمد بن عبد الله الرازي الصوفي أباطيل وعن غيره..»[٤].

بل نجد السبكي -وهو ممن نافح عن السلمي وحاول أن يدفع أقوال الذهبي[٥]- يقول: وكتاب «حقائق التفسير» المشار إليه قد كثر الكلام فيه من قبل أنه اُقتصر فيه علىٰ ذكر تأويلات ومحال للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ»[٦].

وبعد: فماذا سيقول الواحدي غير هٰذا في مثل هٰذا الكلام، وقد وافقه في ذلك أئمة وأعلام، ولقد أصاب الذهبي فإنه لما ذكر كلام الواحدي في السلمي قال: «فهو معذور»[٧]، وقال في موضع آخر: «قلت: الواحدي معذور مأجور..»[٨]، ويتضح بهٰذا أن المقولة على الواحدي: أن فيه بسط اللسان في الأئمة لا تقوم لها حجة ولا مستند.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٢٣١، ٢٤٠، ٢٤٢.
(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي ٣ / ١٠٤٦.
(٣) «سير أعلام النبلاء» ١٧ / ٢٥٢.
(٤) «سير أعلام النبلاء» ١٧ / ٢٥٥.
(٥) انظر كلامه في «طبقات الشافعية» ٣/ ٦٢.
(٦) «طبقات الشافعية» ٣/ ٦٢.
(٧) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤١.
(٨) «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٢.

ولقد حاول مؤلف «الواحدي ومنهجه في التفسير» أن يدافع عن أبي عبد الرحمن السلمي، بل يدافع عن منهج الصوفية في التفسير، وأصدر حكمه على الواحدي بقوله: «والواحدي متجن في حكمه- أيضًا- لأن أبا عبد الرحمن لم يدع أن الظاهر غير مراد. ومن ثم كان موقف الواحدي من التفسير الصوفي من المآخذ التي تؤخذ عليه...»[1]. أقول بل هي من المآثر التي تحتسب له، كيف وقد وافقه جهابذة من العلماء ممن يتحرون في منهجهم مسلك السلف الصالح من هٰذِه الأمة.

وإذا تبينت حقيقة كتاب السلمي بذلك فما على الواحدي في كلامه من معتب، وكلامه فيه إنما هو بحق وعدل، وهو عين النصح لكتاب الله ﷻ، لا يسع الواحدي ولا غيره أن يكتم ما علمه من ذلك الكتاب، إبراءً للذمة ونصحًا للأمة، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

---

(١) الواحدي ومنهجه في التفسير ص٤٠٠ .

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية في عصر المؤلف وأثرها على الناحية العلمية

إن للأوضاع السياسية التي تحيط بالعالم أكبر الأثر علىٰ حياته، وعلىٰ نوع التربية التي تشكل أنماط حياته، وعلى الأفكار والعقائد السائدة في عصره، ومن ثم علىٰ حصيلته وإنتاجه العلمي، لهٰذا لا بد قبل دراسة منهج أي عالم من العلماء من التعرف على الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في عصره.

لقد عاش المؤلف في القرن الخامس الهجري (٣٩٥ هـ تقريباً - ٤٦٨ هـ) ولهذه الفترة سمة خاصة في تاريخ الخلافة العباسية.. لذلك نجد كثيراً من الدارسين لها يقسمونها إلىٰ قسمين(١):

العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني.

فإذا كانت أبرز سمات العصر العباسي الأول: القوة والاستقرار والتقدم الحضاري بشتىٰ أنواعه كما تظهر ذلك الدراسات عنه، فما هي سمات العصر العباسي الثاني؟ لا أستطيع أن ألم بذلك في هٰذا المختصر، وإنما أبرز أهم السمات وخصوصا ما يمس البيئة القريبة من المؤلف.

إن السمة الرئيسية للعصر العباسي الثاني هي: ضعف الدولة العباسية وتفككها الذي ترتب عليه تفرق وحدة الأمة، وقد أدرك المؤلف ثلاثة من خلفاء بنى العباس وهم:

١- **القادر بالله**: أبو العباس، أحمد بن إسحاق بن جعفر المقتدي بالله

---

(١) كما فعل الدكتور حسن إبراهيم حسن في «تاريخ الإسلام السياسي» الجزء الثاني والثالث.

العباسي[(١)] وكانت ولايته من عام ٣٨١ إلىٰ عام ٤٢٢ وقد أدرك المؤلف من خلافته قرابة الثلاثين عاماً.

٢- **القائم بأمر الله**: عبد الله بن الخليفة القادر بالله[(٢)] وكانت ولايته من وفاة أبيه ٤٢٢ إلىٰ سنة ٤٦٧ .وقد أدرك المؤلف من خلافته قرابة الأربعين عاماً.

٣- **المقتدي بأمر الله**: أبو القاسم عبد الله بن محمد، حفيد القائم بأمر الله[(٣)]، وكانت ولايته من عام ٤٦٧ إلىٰ عام ٤٨٧ ولم يدرك المؤلف من خلافته إلا عاماً واحداً.

وفي عصر هٰؤلاء ضعف أمر الخليفة، ولم يكن له إلا ذكر ٱسمه في الخطبة، ونقش ٱسمه على السكة، وإنما الدولة وتصريف الأمور بيد الدويلات الحاكمة المستحوذة التي تملك القوة والنفوذ، وكانت تلك أهم سمات ذلك العصر، فالتفرق سائد، والتناحر قائم[(٤)].

---

(١) ولد رحمه الله سنة ٣٣٦، كان ديناً عالماً وقوراً، يحب الخير وأهله، ويأمر به، ويبغض الشر وأهله، وكان حسن الاعتقاد، وصنف كتاباً فيه، وكان من أحسن الخلفاء سيرة، وأطولهم مدة في الخلافة. توفي سنة ٤٢٢. ينظر: «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٧ و«المنتظم» ٧/ ١٦٠ و«الكامل» ٧/ ٣٥٤ و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ١٢٧.

(٢) ولد- رحمه الله- سنة ٣٩١، وكان ديناً ورعاً متصدقاً، له يد في الكتابة والأدب، وفيه عدل وسماحة، وإحسان إلى الناس، وهو من خير بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة. توفي سنة ٤٦٧. ينظر: «تاريخ بعداد» ٩/ ٣٩٩، و«المنتظم» ٨/ ٢٩٥ و«الكامل» ٨/ ١٢٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ١٣٨.

(٣) ولد- رحمه الله- سنة ٤٤٨، وتولى الخلافة بعهد من جده، وكان حسن السيرة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أمر بنفي الخواطىء والمغنيات من بغداد، وكان فيه ديانة وقوة وعلو همة، وهو من نجباء بني العباس. توفي سنة ٤٨٧. ينظر: «المنتظم» ٨/ ٢٩١، و«الكامل» ٨/ ١٧٠، و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ٣١٨.

(٤) تعدّ هٰذِه الفترة جزءاً من العصر العباسي الثاني، والذي يمتد من عام ٢٤٧ إلىٰ=

أهم مظاهر هذا العصر

أولاً: تعدد الخلافة:

لقد ظلت عاصمة الدولة في القرون الثلاثة الأولىٰ واحدة هي: المدينة أو دمشق أو بغداد، وهي المركز الذي تصدر منه التوجيهات والأوامر ولا يستطيع أحد من الولاة مخالفتها، ولا شك أن هٰذا مصدر قوة الأمة إذ إن قوتها في وحدتها، لٰكن في هٰذِه الفترة ٱختلفت الأمور عما سبقها فأصبح هناك عدد من الخلفاء، فبالإضافة للخليفة العباسي في بغداد وجد خليفة في الأندلس حيث تلقب عبد الرحمن الناصر الأموي (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) بأمير المؤمنين[١] لما رأىٰ ضعف الخليفة العباسي في بغداد.

= سقوط الدولة ٦٥٦. ومن أهم ما يميز هٰذِه المرحلة:

١- ضعف الخلفاء، وسيطرة العسكريين علىٰ مركز الخلافة.

٢- نشوء دويلات كثيرة، نتيجة بروز قادة ٱستقلوا عن مناطقهم، واعترف بهم الخليفة.

٣- ظهور نتائج الحضارة الإسلامية السابقة لهٰذا العصر، علىٰ شكل علوم وعمران ورفاهية وترف.

٤- قيام حركات ٱدعاء النسب الهاشمي والحركات الباطنية.

٥- الغزو الصليبي لبلاد المسلمين.

٦- الغزو المغولي، والقضاء على الخلافة العباسية عام ٦٥٦. ينظر: «الدولة العباسية» لمحمود شاكر ٧/ ٤٢ وما بعدها

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، أبو المطرف الأموي المرواني وُلد سنة سبع وسبعين ومائتين، قتل أبوه وهو ابن عشرين يومًا، وولي الخلافة بعد جده بحضرة جماعة من أعمامه فلم يعترض عليه معترض واستمر له الأمر وقام ببناء مدينة الزهراء في أول سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وافتتح سبعين حصنًا ثم توفي سنة خمسين وثلاثمائة. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٣٦٥ (٦٢)، «البداية والنهاية» ١١/ ٢٣٨.

وكذلك لقب عبيد الله المهدي الفاطمي بأمير المؤمنين (٢٩٦ - ٣٢٢ هـ) وكانت دولة الفاطميين في مصر والمغرب[١].

ثانياً: ظهور دول إقليمية:

على الرغم من أن الخليفة العباسي في بغداد كانت رقعة خلافته أوسع الرقع، إلا أنه ليس له من الخلافة إلا الاسم، وإنما تدار أمور الدولة بيد أمراء إقليميين، وقد وصل الأمر ببعض هٰؤلاء الأمراء إلىٰ إنشاء دولة داخل الخلافة وإخضاع الخليفة العباسي لنفوذهم[٢] كما فعل البويهيون والسلاجقة، وهٰذِه لمحة موجزة عن ثلاث من تلك الدول؛ لأنها من أكبر الدول الإقليمية التي ظهرت في هٰذِه المرحلة من العهد العباسي؛ ولقربها من بيئة المؤلف التي نتحدث عنها:

١ - البويهيون[٣]:

وهم من الروافض الغالين، وقد اختلف في أصلهم ونسبهم كما ذكر

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ١٧٩، و«تاريخ الإسلام السياسي» للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣/ ١٦١.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٢١٢، و«تاريخ الإسلام السياسي» للدكتور حسن إبراهيم حسن ٣/ ٢٨، و«التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي» للدكتور عبد المجيد أبو الفتوح ص ١٨، ١٩.

(٣) تنسب هٰذِه الدولة إلىٰ أبناء بويه بن فناخسرو الديلمي الثلاثة: عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد، وقد التحق هٰؤلاء الإخوة في جيش الديلم، وترقَّوا حتىٰ أصبحوا من قواد الجيش، وعظم شأنهم، حتىٰ تملكوا بلاد فارس وهمدان والري وأصبهان وغيرها، بدأ نفوذهم عام ٣٢٠، وأسسوا دولة منفصلة عن الدولة العباسية، واكتمل سلطانهم علىٰ مساحة شاسعة من أملاك الدولة العباسية، وطلبوا من الخليفة العباسي الاعتراف بهم، فتم لهم ذلك، ثم كاتب قواد بغداد معز الدولة، وطلبوا منه =

ذلك ابن الأثير[١]، وابن كثير[٢]. وقد بدأ أمرهم يظهر في سنة (٣٢١ هـ) واشتهر منهم ثلاثة إخوة: عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسن أحمد أولاد أبي شجاع بن بويه، وكان بداية قيام دولتهم بدخول معز الدولة أحمد بن الحسن بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

كان البويهيون من الشيعة المتعصبة فلما دخل معز الدولة بغداد قبض على الخليفة المستكفي وسمل عينيه وعيَّن المطيع لله بدلا منه، قال ابن كثير: وضعف أمر الخلافة جداً حتىٰ لم يبق للخليفة أمر ولا نهي ولا وزير- أيضاً- إنما يكون له كاتب علىٰ إقطاعه، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلىٰ معز الدولة؛ لأن بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد..[٣].

= المسير إليهم، فدخل بغداد عام ٣٣٤، وقابله الخليفة المستكفي، وخلع عليه، ولقبه، ولقب أخويه، وأصبح لبني بويه بعد ذلك مطلق التصرف في العراق. وفي عهد عضد الدولة بن ركن الدولة بلغوا أقصىٰ درجات السلطان، وبعد وفاته دبت الحروب بين أبنائه الثلاثة، واستمرت بين أخلافهم، حتىٰ دمرتهم جميعًا، وكانت نهايتهم علىٰ يد السلاجقة سنة ٤٤٧. وبنو بويه شيعة حاقدون متعصبون، أتوا بأفعال منكرة، وطامات عجيبة. ينظر: «الكامل» لابن الأثير ٦/ ٢٣٠، و«العبر» ٢/ ١٣، ٤٦، ٢٨٩، و«البداية والنهاية» ١١/ ١٧٧، و«تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٣٦- ٣٧.

(١) «الكامل في التاريخ» ٦/ ٢٣٠.

(٢) «البداية والنهاية» ١١/ ١٧٣، وانظر «تاريخ الإسلام السياسي» للدكتور حسن إبراهيم ٣/ ٣٩.

(٣) «البداية والنهاية» ١١/ ٢١٢.

وبقيت دولتهم إلىٰ أن سقطت علىٰ أيدي السلاجقة سنة (٤٤٧ هـ) وهم من أهل السنة فقضوا علىٰ دولة بني بويه[١] الرافضية، وخلص الله بهم الأمة من شر البويهيين.

وكان للرافضة في عهدهم صولة وقوة. ذكر ابن كثير أنه في سنة إحدىٰ وخمسين وثلاثمائة كتبت الروافض علىٰ أبواب المساجد لعن بعض الصحابة. قال: وبلغ ذلك معز الدولة ولم ينكره،.. قبحه الله وقبح شيعته..[٢].

وهٰذا في المشرق، فأما المغرب فبرز فيه حدثان:

الأول: قيام دولة العبيديين[٣] التي ادعت الخلافة وناوأت الخلافة

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي» للدكتور حسن إبراهيم ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٢) «البداية والنهاية» ١١/ ٢٤٠.

(٣) مؤسس الدولة عبيد الله بن محمد المهدي وإليه تنسب الدولة، وكان أبوه قد نشر الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن ومصر والمغرب وغيرهما، وواصل الابن طريق والده، ووسع نفوذه حتىٰ قبض عليه اليسع بن مدرار أمير سلجماسة وسجنه، ثم واصل قائده أبو عبد الله الشيعي طريقه، حتىٰ أزال دولة الأغالبة سنة (٢٩٦)، ثم سار إلىٰ سلجماسة، فهرب حاكمها، فأطلق عبيد الله المهدي، وبايعوه، وتلقب بخليفة المسلمين، وهكذا استطاع القضاء علىٰ ملك الأغالبة، وآل رستم، والأدارسة، ودان له الشمال الإفريقي، واتخذ القيروان عاصمة ملكه، وفي سنة (٣٥٨) تمكن القائد الفاطمي جوهر الصقلي من الاستيلاء علىٰ مصر سلماً، وبنى القاهرة والجامع الأزهر، ثم اتخذ المعز لدين الله الفاطمي القاهرة عاصمة لبلاده، سنة ٣٦٢، وامتدت بلادهم في فترة ازدهارهم، من نهر العاصي بالشام إلىٰ حدود مراكش، ومن السودان إلىٰ آسيا الصغرىٰ، وقضىٰ عليهم صلاح الدين الأيوبي، ومات العاضد آخر حكامهم سنة ٥٦٧، وقد ادعىٰ عبيد الله المهدي أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق، والمحققون علىٰ أنه دعي، بل كان جده مجوسياً، وكان هو=

العباسية، وكادت تقضي عليها بعد أن زاحمتها في مواقع نفوذها، وانتسبت ظلماً وزوراً لآل البيت، ونسل فاطمة الزهراء، وتسمت بالدولة الفاطمية، وانبث دعاتها في أطراف البلاد، واستمالوا أمراء البلدان، حتىٰ خطب لهم بالإضافة إلىٰ مصر والمغرب في بلاد كثيرة، كاليمن والشام والحجاز وفي أجزاء من العراق، بل خطب لهم في دار الخلافة (بغداد)، سنة (٤٥٠) عاماً كاملاً[١].

الثاني: زوال دولة الأمويين في الأندلس عام (٤٢٢)[٢] وظهور ما

= باطنياً خبيثاً حريصاً علىٰ إزالة دولة الإسلام، أعدم العلماء ليغوي الخلق، وجاء أولاده علىٰ أسلوبه، فأباحوا الخمور والفروج، وأشاعوا الرفض، كما ذكر الباقلاني. وقال القاضي عياض: أجمع العلماء بالقيروان أن حالَ بني عبيد حال المرتدين والزنادقة، وقال الذهبي: كان العبيديون علىٰ ملة الإسلام شرًّا من التتر. ولم يعدَّهم السيوطي في تاريخ الخلفاء لعدم صحة إمامتهم. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ١٤١ (٦٥)، و«البداية والنهاية» لابن كثير ١١/ ٢٦٦.

(١) وكان ذلك في فتنة البساسيري عام ٤٥٠، ينظر في تفاصيل ذلك: «تاريخ بغداد» ٩/ ٤٩٩ و«المنتظم» ٨/ ١٩٠ و«الكامل» ٨/ ٨٢ و«البداية والنهاية» ١٢/ ٧٦.

(٢) هي أول دولة تنفصل عن جسم العالم الإسلامي، أسسها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي، فر من العباسيين، ودخل الأندلس فلقب بالداخل، استتب له الأمر عام ١٣٨، بعد معارك حامية مع يوسف الفهري، وأرسل له أبو جعفر المنصور عدة جيوش للقضاء عليه، فلم يتمكن، ولقبه: صقر قريش إعجاباً به، ثم حاول المهدي قتاله فلم يفلح، فتركوه وشأنه، ومات سنة ١٧٢، ومن أبرز حكامها: عبد الرحمن الناصر (الثالث)، حكم من ٣٠٠- ٣٥٠، وكانت له أنتصارات عظيمة علىٰ ممالك النصارىٰ، وفي عام ٣٦٦ آل الأمر إلى الحاجب المنصور العامري، لضعف بني أمية، وكان قوياً، غزا خمسين مرة، ولم يهزم قط، وهابه ملوك أوروبا، ثم توفي عام ٣٩٢، فتولى ابنه عبد الملك، وكان كأبيه، ثم أخوه عبد الرحمن، وكان ضعيفاً، فقتل عام ٣٩٩، ثم عادت السلطة لبني أمية، =

يسمىٰ بـ (دول الطوائف)[١]، فمنهم من انحاز إلى العباسيين، ومنهم من بقي علىٰ ولاء الأمويين، مع زوال ملكهم وذهاب دولتهم.

قال الذهبي[٢]: «وفي الأربع مائة وبعدها كانت الأندلس تغلي

= وكانوا ضعفاء متناحرين ،فسقطوا عام ٤٢٢، وتفككت دولهم إلىٰ إمارات الطوائف. ينظر: «في الأدب الأندلسي» لجودت الركابي ص ٢١ و«موجز التاريخ الإسلامي» للعسيري ص ١٨٤ .

(١) بعد ضعف الأمويين واستبداد العامريين بالسلطة، بدأ أمراء الطوائف يستقلون بالإمارات التي يحكمونها، فعُرفوا بملوك الطوائف، وانقسموا أكثر من (٢٠ دويلة) ،وقد امتلأ عهد ملوك الطوائف بالفوضىٰ والفتن، وأهم تلك الدويلات: الدولة الزيرية في (غرناطة) (٤٠٣-٤٨٣)، والدولة الحمودية في (قرطبة ومالقة) (٤٠٥- ٤٠٧)، وهم شيعة، والدولة الهودية في (سرقسطة) (٤١٠-٥٣٦)، والدولة العبادية في (إشبيلية) (٤١٤- ٤٨٤)، وهي أشهر تلك الدول وأقواها، وكانت تلك الدول متناحرة، حتىٰ بلغ الأمر ببعضهم أن استنجد بالنصارىٰ علىٰ إخوانه، ودامت مائة سنة، وقد استطاع ملوك الأسبان أن يجمعوا كلمتهم، فأخذوا يبتلعون تلك الإمارات واحدة واحدة، حتىٰ بلغوا أعظمها وهي إشبيلية، فطلب حاكمها المعتمد بن عباد النجدة من يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين في المغرب، الذي قدم فهزم النصارىٰ في موقعة الزلاقة، عام ٤٧٩، ووحد الأندلس تحت حكم المرابطين. ينظر: «في الأدب الأندلسي» لجودت الركابي ٢٣- ٢٥ و«موجز التاريخ الإسلامي» ص ٢٢٨.

(٢) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الحافظ الكبير، مؤرخ الإسلام، وشيخ المحدثين، ولد سنة ٦٧٣ من أسرة تركمانية الأصل، وولاؤها لبني تميم، تلميذ الحافظ المزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، له مؤلفات كثيرة في الحديث والتاريخ والرجال، مثل: «تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء» و«تذكرة الحفاظ»، وغيرها، توفي سنة ٧٤٨. ينظر: «طبقات الشافعية» ٩/ ١٠٠ و«مقدمة سير أعلام النبلاء».

بالحروب والقتال على الملك»[١] وتظاهر ملوك تلك الدول بمظاهر الخلفاء، وتلقبوا بألقابهم، وفيهم قال الشاعر[٢]:

مما يزهدني في أرض أندلس   تلقيب معتضد فيها و معتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي ٱنتفاخاً صولة الأسد

وكان تفرقهم وتقاتلهم وبغي بعضهم علىٰ بعض مطمعاً للنصارى المجاورين لهم، الذين رأوا الفرصة سانحة في ظل غياب الخلافة، وتفرق الدولة، خصوصاً بعد أن ٱستعان بهم بعض أولئك الملوك علىٰ إخوانهم، فانقض النصارىٰ علىٰ تلك الدول، وأسقطوها واحدة تلو الأخرىٰ، وجرىٰ للإسلام والمسلمين علىٰ أيديهم ما يجل عن الوصف، ويندىٰ له جبين الحر.

١- الدولة الغزنوية:

كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر تحت حكم الدولة السامانية[٣]

(١) «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ١٧٧.

(٢) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ينظر: ديوانه ص ٥٩، وقيل: هما لشاعر الأندلس: محمد بن عمار. ينظر: «نفح الطيب» ١/ ٢١٣.

(٣) تنسب لـ«سامان خداه» وهو فارسي، أسلم علىٰ يد أسد بن عبد الله القسري، والي خراسان في أواخر عهد الأمويين، واشتهر من السامانيين: نصر بن أحمد، الذي ولاه الخليفة المعتمد سائر بلاد ما وراء النهر، ومن ثم تأسست الدولة السامانية، ثم توفي سنة ٢٧٩، خلفه أخوه إسماعيل الذي ٱستطاع أن يضم إلىٰ سلطانه بلاد خراسان وغيرها، وقد بقي الملك في أبناء إسماعيل، حتىٰ زالت دولتهم سنة ٣٨٩، علىٰ يد الغزنويين في خراسان، وعلىٰ يد أيلك خان ملك الترك في بلاد ما وراء النهر. ينظر: «تاريخ بخاري» للنرشخي ص ١٠٥، و«المنتظم» ٧/ ٢٠٢، و«الكامل» ٦/ ٣ و«العبر» ٢/ ١٧٣، و«تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٧١-٨٢.

التي قال فيها ابن الأثير[1]: وكانت دولتهم قد ٱنتشرت، وطبقت كثيراً من الأرض، من حدود حلوان إلىٰ بلاد الترك بما وراء النهر، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً، وكانت نهايتها عام (٣٨٩) علىٰ يد الدولة الغزنوية، التي بدأ ظهورها عام (٣٥١)، علىٰ يد (ألْبتِكِين)، أحد موالي الدولة السامانية الآنفة الذكر، حيث ٱستولىٰ هٰذا المولىٰ علىٰ غزنة وبعض أعمالها، وأقام إمارة مستقلة عن الدولة السامانية، وقد حاربه السامانيون ليردوا ما معه إلىٰ ملكهم، لكنه تغلب علىٰ جيشهم، بيد أنه لم يُمَكن، حيث توفي عام (٣٥٢) ولم يوطد ملكه، فخلفه ابنه الذي ثار عليه أهل غزنة، فاستعان بالسامانيين الذين أمدوه بجيش تمكن به من ٱسترداد غزنة، وحكمها باسم السامانيين، ثم لم يلبث أن توفي، فورثه أحد موالي أبيه[2] إلىٰ أن آل الأمر عام (٣٦٦) إلىٰ رجل يقال له: «سُبُكْتِكين» مولىٰ تركي لـ«ألبتكين» الآنف الذكر، وكان تابعاً للسامانيين بالاسم، قال ابن الأثير: «وكان عادلاً خيراً كثير الجهاد، ذا مروءة تامة وحسن عهد[3]».

وقال الذهبي: وكان فيه عدل وشجاعة، ونبل مع عسف، وكونه كَرَّاميًّا[4].

---

(١) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن، عز الدين بن الأثير، المؤرخ الإمام الأريب، ولد عام (٥٥٥)، من كتبه: «الكامل في التاريخ» و«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، و«اللباب» توفي سنة (٦٣٠). ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٣٤٧، و«طبقات الشافعية» ٥/ ١٢٧.

(٢) ينظر: «الكامل» ٧/ ٥ و«تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٨٥ و«تاريخ الإسلام في جنوب آسيا في العصر التركي» ص٣٧-٣٩ .

(٣) «الكامل» ٧/ ١٨٨.

(٤) «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٠٠. والكرامية: هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرَّام=

ثم جرت بين سُبُكْتكين وملوك الهند حروب عظيمة، ٱستولىٰ علىٰ إثرها علىٰ أجزاء من بلادهم، وفرض عليهم الجزية، ولنفوذه وقوة سلطانه ٱستعان به السامانيون عام (٣٨٤) للقضاء علىٰ بعض القواد الذين ثاروا عليهم بنيسابور وغيرها، فتمكن من إعادتها إليهم، ولأجل ذلك ولَّوه خراسان، وسموه: ناصر الدولة[١].

وفي عام (٣٨٧) توفي سُبُكْتكين، وخلفه ابن ضعيف التدبير، يقال له إسماعيل، وفي عام (٣٨٨) خرج عليه أخوه محمود[٢]، وهو أكبر منه، فدار بينهما قتال، حتىٰ آل الأمر إليه. واستقر ملك الغزنويين لـ«محمود»، الذي تمكن أيضاً من سحق جيش السامانيين، واستولىٰ علىٰ خراسان، واستقر ملكه بها، وأزال عنها ٱسم السامانية، وخطب للخليفة القادر بالله، ولقبه الخليفةُ «يمين الدولة وأمين الملة»، وخلع عليه خِلَع السلطنة[٣].

= أصله من سجستان، جاور خمس سنين ثم ورد نيسابور، أحدث مذهباً تبعه عليه عالم لا يحصون بنيسابور وهراة ونواحيها، ومذهبه هٰذا مشهور في التشبيه والتجسيم. ينظر: «الملل والنحل» ١/ ١٠٨ و«الفرق بين الفرق» ص ١٣١.

(١) ينظر: «تاريخ العتبي» ١/ ٥٨-٨٩، و«الكامل» ٧/ ٨٥-٨٧.

(٢) هو السلطان المجاهد فاتح الهند، أبو القاسم محمود بن سبكتكين، ولد سنة ٣٦١، وتملك سنة ٣٨٨، وكان ديناً كثير الغزو، وفتوحه مشهورة، وكان مائلاً إلى السنة، إلا أنه كان كراميًّا، كما كان إلبًّا على الرافضة والإسماعيلية والجهمية والمعتزلة والمشبهة وعامة المبتدعة، وقتل منهم جماعة، ونفىٰ آخرين، وأمر بلعنهم على المنابر. توفي سنة ٤٢١، بعد مرض. ينظر: «المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور» ص ٤٤٦، و«المنتظم» ٨/ ٥٢، و«الكامل» ٧/ ٢٤٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٤٨٣- ٤٩٥.

(٣) ينظر: «تاريخ العتبي» ١/ ٣١٧ و«الكامل» ٧/ ١٩٦ و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٤٨٥.

وقد ٱتسعت الدولة الغزنوية في عهد محمود، ووفقه الله في فتح بلاد واسعة، وفرض علىٰ نفسه غزو الهند كل سنة، وأقام فيها بدلاً عن بيوت الأصنام مساجدَ الإسلام، وعن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والإيمان[١].

ولم يزل كذلك- رحمه الله- حتىٰ توفي سنة (٤٢١)، وتولىٰ بعده الملكَ ابنه محمد الذي لم يدم ملكه إلا أشهراً[٢]، إذ قبض عليه أخوه «مسعود»[٣]، وتمكَّن من الملك، وتابع غزوَ الهند، ودانت له ممالك كثيرة، وجرت له مع السلاجقة حروب حتىٰ هزموه بعد ٱضطراب جنده، وأخذوا منه خراسان سنة (٤٣١)، فأقام بغزنة، وقتل في طريقه إلى الهند عام (٤٣٢)[٤].

وقد بقيت الدولة الغزنوية في غزنة وأعمالها والهند إلىٰ أن زالت دولتهم عام (٥٤٣) كما ذكر ابن الأثير- رحمه الله-[٥].

٢- الدولة السلجوقية:

تُنسب هٰذِه الدولة إلىٰ سَلجوق بن دقاق، أحد رؤساء الأتراك، وكان قائداً لجيش ملك الترك، فأُغري بقتل سلجوق، فلجأ مع من أطاعه إلىٰ دار

---

(١) ينظر: «تاريخ العتبي» ١/ ٣١٧ و«المنتظم» ٨/ ٥٣.

(٢) ينظر: «الكامل» ٧/ ٣٤٦.

(٣) هو السلطان الناصر لدين الله ظهير خليفة الله مسعود، كان كريماً شجاعاً، كثير البر والإحسان، وكان ملكه عظيماً فسيحاً، وعمر كثيراً من المساجد، وصنف في دولته ومناقبه: «تاريخ أبي الفضل البيهقي»، وهو مطبوع، وقد مات مقتولاً عام ٤٣٢. ينظر: «الكامل» ٨/ ٢٧ و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٤٩٥ و«البداية والنهاية» ١٢/ ٥٠.

(٤) ينظر: «المنتظم» ٨/ ١٠٧ و«الكامل» ٨/ ٢٦.

(٥) ينظر: «الكامل» ٩/ ٣٥ وقد قيل: إن زوالها عام (٥٨٢).

الإسلام، وازداد حاله علواً، وأقام بنواحي «جَنْد»، وأدام غزو الكفار، ثم خلفه ابنه ميكائيل، الذي ٱستشهد في بعض بلاد الكفار، وخلف ثلاثة من الولد، فأطاعهم عشائرهم، وهم الذين قامت علىٰ أيديهم الدولة[١]، أشهرهم: «طغرلبك محمد»[٢]، وهو الذي هزم جيش الدولة الغزنوية سنة (٤٣١)، وسار طغرلبك إلىٰ نيسابور فدخلها، واستولى السلاجقة حينئذٍ علىٰ بلاد خراسان، وأخذوها من الغزنويين، ثم واصلوا زحفهم حتى ٱستولوا علىٰ أكثر بلاد فارس، وطردوا عنها بني بويه، وعندما ٱستنجد الخليفة القائم بأمر الله بطغرلبك- كما تقدم- سار إليه ودخل بغداد سنة (٤٤٧)، وأزال دولة بني بويه، وحوىٰ نفوذ السلاجقة بغداد والعراق أيضاً[٣].

وفي سنة (٤٥٥) توفي طغرلبك، وخلفه ابن أخيه: ألب أرسلان[٤]،

---

(١) ينظر: «الكامل» لابن الأثير ٨/ ٢١، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٤٨، و«تاريخ الإسلام السياسي» ٤/ ١-٢.

(٢) هو السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق التركماني السلجوقي، وطغْرُلْبك: ٱسم علم تركي مركب من: (طغرل) وهو ٱسم بلغة الترك لطائر معروف عندهم و(بك) معناه الأمير، أول الملوك السلجوقية، وكان كريماً محافظاً على الصلوات، وفيه عدل مشوب بقسوة توفي سنة ٤٥٥.ينظر: «المنتظم» ٨/ ٢٣٣ و«فيات الأعيان» ٥/ ٦٣ و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٠٧.

(٣) ينظر: «الكامل» ٨/ ٢١-٢٦ و«البداية والنهاية» ١٢/ ٤٨ و«السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي ١/ ٣٠-٤١.

(٤) هو عضد الدولة، الملقب بسلطان العالم، أبو شجاع محمد بن جغريبك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ملك بعد عمه، كان في آخر دولته من أعدل الناس، وأحسنهم سيرة، وأرغبهم في الجهاد ونصر الدين، وكان كريماً رحيماً توفي مقتولاً سنة ٤٦٥.ينظر: «المنتظم» ٨/ ٢٧٦، «الكامل» ٨/ ١١٢ و«العبر» ٢/ ٣١٨.

الذي عظمت مماكته، ومكن له، واتسعت رقعة بلاده، وأكثر الغزو والحروب، حتىٰ خافت منه الدول، ورهب جانبه الملوك[١]، وكان من أعظم ما حصل في عهده وقعة «ملاذكرد» عام (٤٦٣)، حين سار ملك النصارىٰ في نحو مائتي ألف مقاتل، وعدةٍ عظيمة، عازماً علىٰ أن يبيد الإسلام وأهله، فالتقاه ألب أرسلان في جيش، وهم قريب من عشرين ألفاً، فصبروا، ونصر الله جنده، وأعز عباده المؤمنين، ومكنهم من رقاب النصارىٰ، وأسر ملكهم[٢].

قال ابن الجوزي[٣]: وهٰذا الفتح في الإسلام كان عجباً لا نظير له، فإن القوم اجتمعوا ليزيلوا الإسلام وأهله، وكان ملك الروم قد حدثته نفسه بالمسير إلى السلطان ولو إلى الري، وأقطع البطارقة البلاد الإسلامية، وقال لمن أقطعه بغداد: لا تتعرض لذلك الشيخ الصالح فإنه صديقنا- يعني الخليفة- وكانت البطارقة تقول: لابد أن نشتوَ بالري ونصيف بالعراق، ونأخذ في عودنا بلاد الشام[٤].

وقد وفِّق بالوزير الصالح: نظام الملك أبي علي الحسن بن علي

---

(١) ينظر: «وفيات الأعيان» ٤/ ١٦١، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٤١٦.

(٢) ينظر: «المنتظم» ٨/ ٢٦٠ و«الكامل» ٨/ ١٠٩ و«العبر» ٢/ ٣١٣، و«البداية والنهاية» ١٢/ ١٠٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، إمام محدث فقيه حنبلي واعظ الإسلام، مشهور بكثرة التصنيف، ولد ببغداد سنة ٥٠٨، ومن تصانيفه: «زاد المسير»، و«المنتظم»، و«تلبيس إبليس»، توفي سنة ٥٩٧. ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٢٧٩، و«مفتاح السعادة» ١/ ٢٠٧

(٤) «المنتظم» ٨/ ٢٦٤.

الطوسي[١] الذي وزر لألب أرسلان وابنه من بعده.

وفي عام (٤٦٥) قُتل ألب أرسلان، وخلفه ابنه مَلكشاه[٢] الذي ٱتسع ملكه ٱتساعاً عظيماً، ودام ملكه عشرين عاماً، وخطب له من حدود الصين إلىٰ آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلىٰ آخر بلاد اليمن، وحمل إليه الروم الجزية.... وانقضت أيامه علىٰ أمن عام وسكون شامل.

وفي عام (٤٨٥) مات ملكشاه، ووهن بموته أمر السلاجقة، «وانحلت الدولة، ووقع السيف»[٣].

وقفة تأمل:

عند التأمل في هٰذِه الصراعات السياسية والتقلبات الواضحة سواء على المحيط العام، أو محيط نيسابور، بشكل خاص، لا نرىٰ أثراً واضحاً علىٰ حياة الناس الخاصة، ولذا نجد أن المؤلف عاش غالب أيام شبابه في عهد محمود الغزنوي، السلطان الذي ٱشتهر بعدله وفضله وقوته وحبه للعلم

---

(١) ولد بطوس عام ٤٠٨ حفظ القرآن وله إحدىٰ عشرة سنة، واشتغل بالعلوم حتىٰ حصل طرفاً صالحاً، وكان شافعياً أشعرياً، تنقلت به الأحوال في الكتابة والدواوين، حتىٰ وزر لألب أرسلان، ثم لابنه ٢٩ سنة، وكان سائساً خبيراً متديناً، عامر المجلس بالعلماء، خفف المظالم، ورفق بالرعية، وبنىٰ كثيراً من المدارس والوقوف، وكانت تسمى المدارس النظامية، قتل سنة ٤٨٥ علىٰ يد أحد الباطنية.ينظر: «المنتظم» ٩/ ٦٤-٦٨ و«الكامل» ٨/ ١٦٢ و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٩٤.

(٢) هو أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان ألب أرسلان، كان حسن السيرة محسناً إلى الرعية، وكان يلقب بالسلطان العادل توفي سنة ٤٨٥، وقيل: إنه مات مسموماً. ينظر: «المنتظم» ٩/ ٦٩-٧٤ و«الكامل» ٨/ ١٦٣ و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٥٤ و«البداية والنهاية» ١٢/ ١٤٢.

(٣) ينظر: «الكامل» ٨/ ١٦٢.

والعلماء ومذهبه الشافعي ومعتقده الكرّامي، كما أنه أدرك في كهولته ونضجه عهد طغرلبك وألب أرسلان وابنه ملكشاه السلجوقيين، خصوصاً أنه لقي من وزيري الأخيرين: نظام الملك- والذي كان شافعي المذهب، أشعري العقيدة- وأخيه[١] كل إعزاز وإكرام[٢]، ولاشك أن هٰذا له أثره الواضح علىٰ شخصيته المؤلف، تعلماً واستفادة وإفادة.

أثر هٰذِه السياسة على الناحية العلمية:

تبين مما سبق ذكره أن العصر الذي نشأ فيه الواحدي غير مستقر من الناحية السياسية ففيه ظهر ضعف الخلافة العباسية وكان عهد قيام دول وسقوط أخرىٰ، فهل كان لهٰذا الأضطراب السياسي أثر على الناحية العلمية؟

على العكس من ذلك فقد نشطت الحركة العلمية، حيث اندفعت هٰذِه الدول في تشجيع العلم وأهله، إما بدافع المنافسة، أو بدافع حب الحاكم للعلم والعلماء كما هي حالة محمود بن سبكتكين الغزنوي[٣]، ونظام الملك[٤] وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه.

كما كان لوجود الفرق ونشاطها من شيعة ومعتزلة وأشعرية وصوفية

---

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي أخو الوزير نظام الملك، سمع الحديث، وكان عفيفاً نزيهاً، كثير فعل الخير توفي سنة (٤٩٩).

(٢) ينظر: «معجم الأدباء» لياقوت ١٢/ ٢٦٠ نقلاً عن كتاب «السياق لتاريخ نيسابور» لعبد الغافر الفارسي تلميذ المؤلف.

(٣) انظر: «البداية والنهاية» ١٢/ ٣٠.

(٤) انظر: «البداية والنهاية» ١٢/ ١٤٠.

وغيرهم دور كبير في تنشيط الناحية العلمية. إذ ذهبت كل فرقة تكتب وتؤصل وتدافع عن مبادئها وترد على الفرق الأخرى[١].

أولاً: ٱزدهار المساجد:

لاشك أن المسجد هو المدرسة الأولى التي علم فيها النبي ﷺ أصحابه، وتخرج فيها الرعيل الأول، ففيه تعقد حلق العلم، ويلتقي العلماء وطلاب العلم، وإذا ٱعتني بالمسجد فإنه لا يخلو من مكتبة عامرة، ورباط لطلاب العلم المغتربين، وهٰذا ما كان موجوداً في عصر المؤلف، ففي غزنة بنى السلطان محمود بن سبكتكين جامعاً مشهوراً، وأضاف إليه مدرسة عامرة وخزانة كتب نفيسة[٢].

وفي نيسابور ٱشتهر مسجد عقيل[٣]، «وكان مجمعاً لأهل العلم وفيه خزائن الكتب الموقوفة»[٤]، وكان من أعظم منافع نيسابور وكذلك مسجد المطرز، والجامع المنيعي[٥].

واجتماع مثل هٰذِه المراكز في بلد يضفي على الحركة العلمية قوة ونشاطاً، ويزيد من فرص الٱستفادة لطالب العلم، حيث يتعدد الشيوخ والعلماء القائمون علىٰ هٰذِه المدارس، وتتنوع الطرائق والأساليب التي تقدم للطلبة، فيكون ٱنتفاعهم كبيراً، واستفادتهم واضحة.

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام السياسي» ٣/ ٣٧٥، ٤/ ٤٢٠.

(٢) ينظر: «تاريخ العتبي» ٢/ ٢٩٩.

(٣) ينظر: «المنتخب من السياق» ٣٩، ١٢٠، ٣٦٠، ٤٩٣.

(٤) «الكامل» ٩/ ٧٤.

(٥) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٥٦ و ٧٣.

ثانياً: بناء المدارس والعناية بها:

تعد المدارس المعاقلَ الكبرىٰ للتعليم، وتخريج العلماء، وحفظ الدين، وكانت عناية الناس بها في القرنين الرابع والخامس عظيمة، بل كانت إحدى الميزات الكبرىٰ لهذين القرنين.

وتقدم أن السلطان محموداً لما بنىٰ جامع غزنة ألحق به مدرسة عظيمة، كانت موئلاً للعلماء وطلاب العلم، مع إجراء الأموال على المنقطعين والغرباء من طلاب العلم[١].

وبنى السلطان: ألب أرسلان ببغداد مدارس أنفق عليها أموالاً عظيمة[٢]، واشتهر في تلك الفترة التي مر بها المؤلف المدارس النظامية، المنسوبة للوزير نظام الملك وقد بنىٰ مدرسة ببغداد، ومدرسة ببلخ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو، ومدرسة بآمل طبرستان، ومدرسة بالموصل، ويقال: إن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة[٣].

وأما نيسابور فقد كان لها قصب السبق في هٰذا الميدان وحظيت

---

(١) ينظر: «تاريخ العتبي» ٢/ ٢٩٩.

(٢) ينظر: «شذرات الذهب» ٣/ ٣١٩.

(٣) ينظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٣١٣ وآثار البلاد للقزويني ص ٤١٢. وحكىٰ سبب بناء هٰذِه المدارس: أن السلطان ألب أرسلان دخل نيسابور فمر علىٰ باب مسجد فرأىٰ جماعة من الفقهاء علىٰ حال رثة، فسأل وزيره نظام الملك عنهم، فأخبره بحالهم وفقرهم، فلان قلب السلطان لهم، فاقترح علبه الوزير أن يبني لهم داراً، ويجري عليهم أرزاقاً، فأذن له السلطان، فأمر نظام الملك ببناء المدارس في جميع مملكة السلطان، وأن يصرف عشر مال السلطان في بناء المدارس.

بنصيب وافر من المدارس المشهورة، قال المقريزي[١]: «وأول من حُفظ عنه أنه بنىٰ مدرسة في الإسلام أهلُ نيسابور»[٢]. ومن مدارسها المشهورة:

١- مدرسة أبي إسحاق الإسفرايني[٣]، وهي مدرسة لم يبن قبلها بنيسابور مثلها[٤].

٢- مدرسة الصبغي المعروفة باسم دار السنة[٥].

٣- المدرسة السعيدية، بناها الأمير نَصْر بن سبكتكين[٦]، ووقف عليها الأوقاف[٧].

٤- المدرسة البَيْهقِية[٨].

---

(١) هو أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية ولد سنة ٧٦٦ وولي الحسبة والإمامة والخطابة في القاهرة مرات، من كتبه: «المواعظ والآثار بذكر الخطط والآثار»، والمشهور «بخطط المقريزي»، وله أكثر من مائتي مجلد كبار، توفي سنة ٨٤٥. ينظر: «البدر الطالع» ١/ ٧٩، و«الإعلام» ١/ ١٧٧.

(٢) «الخطط» ٢/ ٣٦٣.

(٣) سبقت ترجمته في مبحث شيوخ الواحدي.

(٤) «طبقات الشافعية» ٤/ ٣١٤ نقلاً عن «تاريخ نيسابور» للحاكم وهو تاريخ مفقود.

(٥) «المنتخب من السياق» ص ١٦.

(٦) هو الأمير العالم نصر بن ناصر الدين سبكتكين، ولي نيسابور عام ٣٩٠، وسمع المشايخ، وصحب الأئمة، واستفاد منهم، وأحسن الولاية وعاد إلىٰ غزنة، وتوفي بها سنة ٤١٢ ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٤٦٣.

(٧) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٤٦٤ و«طبقات الشافعية» للسبكي ٤/ ٣١٤ و«الخطط» للمقريزي ٢/ ٣٦٣.

(٨) ينظر: المراجع السابقة.

٥- مدرسة أبي بكر البسْتي الفقيه(١).
٦- مدرسة أبي سعد الإستراباذي(٢).
٧- مدرسة إسماعيل الصابوني(٣).

وغير ذلك من المدارس التي ذكرها عبد الغافر الفارسي مثل: مدرسة الثعالبي، ومدرسة السيوري، ومدرسة المشطبي، ومدرسة الصعلوكي، ومدرسة الخفاف، ومدرسة ابن صاعد، ومدرسة الشحامي، ومدرسة القشيريين، ومدرسة سرهنك وغيرها(٤).

ثالثاً: ٱنتشار المكتبات وخزائن الكتب:

المكتبات وخزائن الكتب هي جنات طلاب العلم، ورياض أفكارهم، ومحل ٱستمتاعهم، ففيها يحققون المسائل ويفتقونها، ويطّلعون على الدلائل ويحررونها، ويوثقون الفوائد، ويتوسعون في البحث، ولذا حرص الكبار علىٰ إنشائها، وتزويد المساجد والمدارس ودور العلم ومعاهد التعليم بها، إذ تصبح تلك المعاهد بلا مكتبات

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبيد الله من كبار أئمة نيسابور، ومن كبار فقهاء أصحاب الشافعية والمناظرين نبيسابور، توفي سنة ٤٢٩. ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٩٣ و«طبقات الشافعية» ٤/ ٨٠.

(٢) هو إسماعيل بن علي بن المثنىٰ، أبو سعد، الصوفي العنبري، روىٰ عنه الخطيب وغيره، مات سنة ٤٤٨، ينظر: «المنتخب من السياق» ص ١٣٠ و«تاريخ بغداد» ٦/ ٣١٥.

(٣) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٥٩ و ٢٧٥، وترجمة الصابوني سبقت في مبحث شيوخ المؤلف.

(٤) ينظر: «المنتخب من السياق» ص٥١، ٥٨، ٦٣، ٦٦، ١٠٦، ١٠٧، ٣٤٧، سبقت ترجمة عبد الغافر في مبحث تلاميذه.

مشلولة، قليلة الطلاب والرواد.

ففي بغداد أنشأ الوزير: سابور بن أردشير[١] سنة (٣٨٣) دار الكتب، سماها: دار العلم، وشملت أكثر من عشرة آلاف مجلد[٢] وفي البصرة داران للكتب[٣].

وفي فيروزاباد بنى الوزير أبو منصور بن منافيه[٤] داراً للكتب، وقفها علىٰ طلاب العلم، جمع فيها تسعة عشر ألف مجلد.

وفي غزنة ألحق السلطان محمود بن سبكتكين بجامعه الذي بناه مدرسة: ملأ بيوتها بالكتب[٥].

وأما في نيسابور فقد أُلحق بمسجد عقيل- المتقدم ذكره- خزائنُ كتب وقفها العلماء[٦]، وكذا كانت المدرسة البيهقية[٧].

---

(١) هو أبو نصر، سابور بن أردشير، وزر لبهاء الدولة بن بويه، وكان كاتباً سديداً، مهيباً، عفيفاً عن الأموال مات سنة ٤١٦. ينظر: «المنتظم» ٨/ ٢٢ و«الكامل» ٧/ ٣٢٤ و«السير» ١٧/ ٣٨٧.

(٢) ينظر: «المنتظم» ٧/ ١٧٢.

(٣) إحداهما: وقفت قبل عضد الدولة بن بويه، فقال: هٰذِه مكرمة سبقنا إليها، وهي أول دار وقفت في الإسلام، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ١٣٨، عنها: لم ير في الإسلام مثلها. وقد نهبت الأعراب كلتا الدارين في فتنة البصرة سنة (٤٨٣) ينظر: «الكامل» ٨/ ١٥٣.

(٤) هو أبو منصور بهرام بن منافيه، وهو الملقب بالعادل، وزير الملك أبي كاليجار البويهي، ولد بكازرون سنة ٣٦٦، وكان حسن السيرة، فضلاً، نزيهاً توفي سنة (٤٣٣)، ينظر: «الكامل» ٨/ ٣٢، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٤٩.

(٥) ينظر: «تاريخ العتبي» ٢/ ٣٠٠.

(٦) ينظر: «الكامل ٩/ ٧٤.

(٧) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ١٨.

ومدرسة الصابوني[١] وغيرهما.

ولما أنشأ الوزير نظام الملك المدارس النظامية ألحق بكل واحدة خزانةَ كتب[٢].

رابعاً: تقدير السلاطين ووزرائهم للعلم والعلماء:

لا يخفىٰ أن أعظم عوامل رواج سوق العلم: هو تشجيع السلاطين وتحفيز الدول، وقيامها بإكرام العلماء وتقديرهم، وقضاء حوائجهم، وتبويئهم المكان اللائق، والمكانة المرموقة، مما يرغب الناس إلىٰ دفع أولادهم إلىٰ معاهد العلم، وتفريغهم لطلبه، والحرص عليه وقد حظي ذلك العصر بخلفاء ووزراء كانوا إما: من العلماء، أو من المحبين للعلم المشاركين فيه،

فالخليفة القادر بالله يعد من فقهاء الشافعية، وله تصانيف[٣]، والقائم بأمر الله يعد من العلماء الأدباء الكتاب البلغاء[٤].

والسلطان محمود بن سبكتكين كان عنده علم ومعرفة، وحب للعلم وأهله، وتقريب لهم، ومجلسه على الدوام عامر بهم على ٱختلاف فنونهم، وصنفت له التصانيف[٥].

---

(١) ينظر : «المنتخب من السياق» ص ١٤٦.

(٢) ينظر: «مختصر زبدة النصر ونخبة العصر» للبنداوي ص ٥٧ و«الكامل» ٨/ ١٤٣.

(٣) ينظر: «طبقات الشافعية» لابن الصلاح ١/ ٣٢٤، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص ٤١٧.

(٤) ينظر: «الكامل» ٨/ ١٢٠ و«البداية والنهاية» ١٢/ ١١٠.

(٥) ينظر: «المنتخب من السياق» ص ٤٤٦.

وسار ابنه السلطان مسعود سيرته[١].

وكانت الدولة السلجوقية مشهورة بتكريم العلماء ومحبتهم، حتىٰ «أصبح كل واحد من العلماء بفضل تشجيع سلطان من سلاطين السلاجقة محطّاً لأنظار العالمين»[٢].

وأما الوزير نظام الملك، فقد كان عالماً مغرماً بالعلم وأهله، وقد بقيت جهوده وآثاره في ذلك شامة في جبين التاريخ الإسلامي، يقول أبو الوفاء بن عقيل[٣] في الثناء عليه: «بنى المدارس، ووقَّف الوقوف، ونَعَش من العلم وأهله ما كان خاملاً مهملاً في أيام من قبله»[٤] ويصفه العماد الأصفهاني[٥] قائلاً: «ولم يزل بابه مجمعَ الفضلاء وملجأ العلماء، وكان نافذاً بصيراً ينقب عن أحوال كل منهم، ويسأل عن تصرفاته وخبرته ومعرفته، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاّه، ومن رآه مستحقاً لرفع قدره رفعه وأعلاه، ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له من جدواه حتىٰ

---

(١) ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي ١٧/ ٤٩٥، و«البداية والنهاية» ١٢/ ٢٨.

(٢) «راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية» للراوندي ص ٧٢.

(٣) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي أبو الوفاء، شيخ الحنابلة في زمانه ببغداد عالم متقن ولد سنة ٤٣١، وله مصنفات أكبرها كتاب «الفنون»، قال الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، وله كتاب الجدل علىٰ طريقة الفقهاء، توفي سنة (٥١٣). ينظر: «شذرات الذهب» ٤/ ٣٥ و«الذيل علىٰ طبقات الحنابلة» ١/ ١٧١.

(٤) «المنتخب» ص ١٤٦.

(٥) محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أُلُه، أبو عبد الله عماد الدين الكاتب الأصبهاني، عالم بالأدب من كبار الكتاب ولد في أصبهان سنة ٥١٩، له كتب كثير، وله ديوان رسائل وديوان شعر، توفي سنة ٥٩٧. ينظر: «وفيات الأعيان» ٢/ ٧٤، «مرآة الزمان» ٨/ ٥٠٤.

ينقطع إلىٰ إفادة العلم ونشره، وتدريس الفضل وذكره، وربما سيَّره إلىٰ إقليم خال من العلم، ليُحْلِيَ به عاطله، ويحيي به حقه، ويميت باطله»(١).

ومن أشهر أعماله: تلك المدارس التي بناها، وأدرَّ عليها الأرزاق، وأثثها بما تحتاج إليه، كما تقدم.

ولأجل ذلك أطبق المؤرخون وأصحاب التراجم على الإشادة بما قام به هٰذا الوزير في هٰذا الباب(٢).

خامساً: نشاط بعض الفرق:

كثير من الفرق نشأت في أخريات القرن الأول والقرنين الثاني والثالث، وحظُّها من الشيوع والانتشار بقدر حظها من دعم الدول، واقتناع المتنفذين، ودعم السلاطين، ولذا بمجرد زوال تلك القوة الداعمة يحصل للفرقة الذبول أو الآنحصار في بلد معين، أو طائفة أو جماعة محددة.

وقد كان لوجود دولة العبيديين الباطنية، ودولة البويهيين الرافضية أثر كبير علىٰ نشاط كثير من الفرق المناوئة للسنة، إذ ضَعْفُ أهلِ السنة في الجملة فسحةٌ واضحة للفرق الضالة، كي تنفذ إلىٰ عقول الناس، وتسيرهم على النحو الذي تريد.

وقد بين المقريزي أن التشيع قوي بدولة بني بويه، وكذا فشا الآعتزال بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وذهب إليه جماعة من الفقهاء، وقوي مع ذلك أمر الخلفاء الفاطميين بأفريقية وبلاد المغرب، وجهروا بمذهب

---

(١) «زبدة النضرة» للعماد الأصفهاني، «اختصار البُنْداري» ص ٥٧.

(٢) ينظر: «الكامل» ٨/ ١٦٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٩/ ٩٤ و«طبقات الشافعية» ٤/ ٣٠٩.

الإسماعيلية، وبثوا دعاتهم بأرض مصر، فاستجاب لهم خلق كثير من أهلها، ثم ملكوها عام (٣٥٨)، وانتشرت مذاهب الرافضة في عامة الأقطار، قال المقريزي: «واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرَّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتىٰ ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة، وسلك من طرقها ما وقع عليه اْختياره، فلم يبق مصرٌ من الأمصار ولا قطر من الأقطار إلا وفيه طوائف كثيرة مما ذكرنا»[1].

هٰذا الواقع دعا أهل السنة وعلماء الملة- جرياً علىٰ سنة التدافع- للوقوف بقوة في وجه هٰذا المد البدعي الطاغي، ببيان الحق ورد الباطل ودفع الشبه، وفضح الفرق، وكشف عوارها[2]، وهٰذا كما لا يخفىٰ له أثره الواضح في إثراء الحياة العلمية تأليفاً وتدريساً، وكشفاً للحال، وتتبعاً للحقائق.

سادساً: المناظرات العلمية بين أرباب المذاهب:

مما كان سائداً في ذلك العصر: المناظراتُ التي كانت تعقد بين العلماء، يبين كل واحد منهم قوله، ويذكر دليله، ويفنِّد حجة خصمه، وقد

---

(١) ينظر: «الخطط» للمقريزي ٢/ ٣٥٧.

(٢) من العلماء الذين صنفوا في ذلك: معمر بن زياد الأصبهاني (ت ٤١٨)، وأبو عمر الطلمنكي (ت٤٢٩)، وأبو نصر السجزي (ت٤٤٤) وأبو عمرو الداني (ت٤٤٤) وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي (ت٤٤٧) وأبو عثمان الصابوني (ت٤٤٩) وأبو عمر بن عبد البر (ت٤٦٣) وأبو القاسم سعد بن علي الزنجاني (ت٤٧١) وغيرهم. ومن الأشاعرة: أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣) وأبو إسحاق الإسفراييني (ت٤١٨) وأبو منصور البغدادي (ت٤٢٩).

تكون بين أتباع الفرق المختلفة، وكانت هٰذِه المناظرات تعقد عند السلاطين أحياناً، أو في المساجد ودور العلم في أكثر الأحيان، وفي نيسابور كانت هناك مجالس للنظر تعقد فيها المناظرات، وخاصة العلماء القادمين عليها[١]. ومن العادة الجارية: أن طلاب العلم يحرصون علىٰ حضور تلك المجالس، لمعرفة الحق عند ٱختلاف الأقوال، والعلم بأقدار الرجال، والموازنة بين المختلفين، وقد يكون للانتصار لأحد القولين، حيث يجتهد المتناظران في إظهار صحة قولهم، وقوة دليله، وضعف ما يقابله[٢].

وقفة:

لاشك أن هٰذِه الأسباب وغيرها كان لها أثر واضح في ثراء الحالة العلمية التي تنطبع تبعاً علىٰ شخصيات الأفراد من طلاب العلم والعلماء، حيث تهيئ بمجموعها جواً علمياً يدفع الطالب للاستزادة، ويعينه على الفهم، وينوع معارفه، ويشبع رغباته وميوله.

وما من شك، أن أثر ذلك كله قد ٱنطبع علىٰ مترجمنا الإمام الواحدي، ومن يطالع مؤلفاته، ويقرأ ترجمته، يدرك ظهور ذلك التنوع المعرفي، والتعدد الثقافي والعلمي الذي ٱصطبغ بهِ الواحدي.

---

(١) ينظر : «المنتخب من السياق» ل ٥١، ٨٦، ٩٠، ٩٦، ٤٤٢، ٤٦١.

(٢) ذكر السبكي في طبقات الشافعية جملة من هٰذِه المناظرات في تراجم عدد من العلماء. ينظر علىٰ سبيل المثال ٤/ ٢٤٦، ٢٣٧ و ٥/ ٣٦، ٢٠٩.

الفصل الثاني

دراسة عن كتاب البسيط

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: ٱسم الكتاب.

المبحث الثاني: ثبوت نسبة الكتاب للمؤلف.

المبحث الثالث: الباعث علىٰ إنشائه.

المبحث الرابع: تاريخ البدء فيه والانتهاء منه.

المبحث الخامس: مصادر المؤلف في البسيط، ثم التعريف بهٰذِه المصادر وطريقته في الأخذ منها، وما هي المادة التي أخذها.

المبحث السادس: منهج المؤلف في البسيط.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه إجمالاً كما وصفه في مقدمة كتابه.

المطلب الثاني: منهجه تفصيلاً.

وفيه تسع مسائل:

المسألة الأولىٰ: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.

المسألة الثانية: منهجه في تفسير القرآن بالسنة.

المسألة الثالثة: منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المسألة الرابعة: منهجه في ذكر الإسرائيليات.

المسألة الخامسة: منهجه في القراءات وعللها.

المسألة السادسة: منهجه في علوم القرآن.

وفيها أربعة مطالب:

١ - أسباب النزول.

٢ - الوقف والابتداء.

٣ - الناسخ والمنسوخ.

٤ - الربط بين الآيات.

المسألة السابعة: منهجه في مسائل العقيدة، والرد على الفرق.

المسألة الثامنة: منهجه في المسائل الفقهية والأصولية.

المسألة التاسعة: منهجه في اللغة وفنونها.

وفيها خمسة مطالب:

١- الجانب اللغوي.

٢- الجانب النحوي.

٣- الجانب البلاغي.

٤- الشواهد الشعرية.

٥- الجانب الفقهي.

المطلب الثالث: مقارنة بين تفاسير المؤلف الثلاثة.

المبحث السابع: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الثامن: أثر الواحدي فيمن بعده من العلماء من خلال كتابه البسيط.

المبحث التاسع: النسخ المخطوطة الموجودة للبسيط.

المبحث العاشر: منهج العمل في تحقيق البسيط.

المبحث الأول

اسم الكتاب

اسم الكتاب «البسيط» ذكر ذلك المؤلف نفسه في مقدمة كتابه «الوسيط» حيث قال: «وقديمًا كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط، ينحط عن درجة «البسيط» الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة «الوجيز» الذي ٱقتصر فيه على الإقلال ....»(١).

كما ورد ٱسم الكتاب «البسيط» في جميع المصادر التي ذكرته(٢)، ووصفه القفطي بـ «الكبير» قال: صنف التفسير الكبير وسماه «البسيط»..(٣)، وقد وردت كلمة «الكبير» علىٰ عناوين بعض مخطوطات البسيط ففي الجزء الثالث والخامس من النسخة الأزهرية كتب «البسيط وهو التفسير الكبير»(٤)، فلعل هٰذِه الصفة التي ذكرها القفطي ومن جاء بعده، قصد بها بيان أنه أكبر كتبه في التفسير.

كذلك نجد على الجزء الثاني والثالث من مخطوطة «جستربتي»(٥) كتب عليها: هٰذا كتاب معاني التفسير المسمىٰ بالبسيط للإمام الواحدي

---

(١) «الوسيط» ١/ ٦.

(٢) انظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ١٥٩، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠، و «البداية والنهاية» ١٢/ ١١٤، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي ٣/ ٢٩٠، وغيرها من المصادر التي ترجمت للواحدي.

(٣) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

(٤) هٰذِه النسخة محفوظة في رواق المغاربة في الأزهرية رقم (٣٠٣) ومنها ميكروفيلم في جامعة الإمام رقم (٨٠٤٩)، (٨٠٥١) .

(٥) يوجد ميكروفيلم لها في جامعة الإمام رقم (٣٧٣١) ورقم (٣٧٣٢) .

وفي آخر الجزء الثاني كتب: آخر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير المسمىٰ بالبسيط، تصنيف الشيخ الإمام الواحدي، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ووافق الفراغ منه يوم الخميس في آخر شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة، كتبه الضعيف الراجي المحتاج إلىٰ رحمة الله تعالىٰ أحمد بن محمد بن الحسن القروني.

وقد سبق الكلام على هٰذا عند الحديث عن مؤلفاته بما يغني عن إعادته هنا.

المبحث الثاني

ثبوت نسبة الكتاب للواحدي

أما عن قضية ثبوت نسبة الكتاب للمؤلف، فهي من القضايا التي تصل إلىٰ حد التواتر، لم يحصل فيها شك أو لبس يحتاج إلى بحث واستدلال، فالمؤلف يذكر كتابه «البسيط» في مقدمة «الوسيط» فيقول: «وقديما كنت أطالب بإملاء كتاب وسيط ينحط عن درجة «البسيط» الذي تجر فيه أذيال الأقوال وارتفع عن مرتبة الوجيز الذي ٱقتصر فيه على الإقلال لمؤلف»[١]، والمترجمون له بعده ينسبون الكتاب له بإجماع، ولم يرد قول بخلاف ذلك، وقد ٱرتبط ٱسم المؤلف بكتبه الثلاثة في التفسير «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» فيقال: الواحدي صاحب التفاسير الثلاثة «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز»[٢].

ويضاف إليها أيضاً: أن العلماء الذين أفادوا من البسيط بالنقل والإحالة[٣] تتطابق نقولاتهم مع ما هو موجود في البسيط، كما سيأتي في مبحث قيمة الكتاب العلمية، وقد نقل ياقوت في ترجمته للمؤلف بعض مقدمة البسيط وهي بنصها في هٰذا الكتاب[٤]، هٰذا كله، بالإضافة إلى أنه لم يقل أحد من أهل العلم بخلاف ذلك، بل إن من المسلّمات ٱرتباط

---

(١) مقدمة «الوسيط» ١/ ٦.

(٢) انظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٤، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٤، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ٣٤٠، و«طبقات الشافعية» الكبرىٰ ٣/ ٢٩٠.

(٣) كالنووي والرازي وابن القيم والزركشي- رحم الله الجميع-.

(٤) «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٦٢-٢٧٠.

المؤلف بتفاسيره الثلاثة وعلىٰ رأسها كتابه هٰذا. وقد تقدم ذكر ذلك[١].

---

(١) انظر: مبحث مؤلفاته.

المبحث الثالث

الباعث على إنشاء البسيط

صرح المؤلف بالباعث له علىٰ تأليف هٰذا الكتاب وهو تلبية طلب قوم ألحوا عليه من أهل العلم، وافق رغبة قديمة حاضرة عنده، حيث قال في مقدمة هٰذا التفسير: فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أُعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فِقَراً[(١)] في الكشف عن غوامض معانيه، ونُكَتاً في الإشارة إلىٰ علل القراءات فيه، في ورقات يصغُر حجمها ويكثر غُنمها، والأيام تمطلني بصروفها على ٱختلاف صنوفها، إلىٰ أن شدد عليّ خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة، وفي التحقيق همم صادقة، فسمحت قرونتي[(٢)] بعد الإباء، وذلت صعوبتي بعد النفرة والالتواء[(٣)].

(١) الفِقَر: خرزات الظهر ،جمع فِقْرة، ويراد بها: جملة من كلام، أو جزء من موضوع، أو شطر من بيت شعر. ينظر: «المعجم الوسيط» ٢/ ٦٩٧.

(٢) قال في «الصحاح»: يقال: أَسْمَحت قَرِيْنُه، وقَرُونُه، وقَرُونَتُه وقرينَتُه أي : ذلت نفسه، وتابعته على الأمر. «الصحاح»، (قرن)، ٦/ ٢١٨٢.

(٣) مقدمة «البسيط» ص٣٩٣-٣٩٤.

المبحث الرابع

تاريخ البدء في البسيط والانتهاء منه

يظهر من مقدمته التي ساقها في الوسيط: أن البسيط هو أول كتبه الثلاثة تأليفاً[١]، وهو أكبرها بلا شك، لكنه لم يبين لنا تاريخ الأبتداء بكتابته، وأما الأنتهاء منه فقد صرح به في ختام كتابه البسيط، حيث قال: وقد يسر الله- وله الحمد لحسن توفيقه- تحرير هٰذا الكتاب الذي لم يسبق إلىٰ مثله في هٰذا الباب ... بعد تراخي المهلة، وتطاول المدة، من يوم ٱفتتاحه إلىٰ يوم ٱختتامه ... وذلك عصر يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة[٢].

(١) «الوسيط» ١/ ٥٠ وقد سقت العبارة في مبحث مؤلفاته.

(٢) «البسيط» مجلدة لوحة ٢٠٩ ب من النسخة الأزهرية.

المبحث الخامس

مصادر المؤلف في كتابه «البسيط»

تلقى المؤلف عن فحول أئمة اللغة والنحو والتفسير ومعاني القرآن، والقراءات، لذلك كثرت مصادره في تفسيره، وقد أفاد من تلك المصادر كثيراً ونقل منها بالمعنىٰ حيناً وبالنص أحياناً: بالعزو حينا وبدون عزو أحيانا، أخذ عن بعض تلك المصادر فأكثر، وهناك مصادر أخذ منها بإقلال، وسيكون الحديث في هٰذا المبحث عن تلك المصادر، وعن طريقته في الأخذ منها.

وقد ذكر المؤلف بعض تلك المصادر في مقدمة كتابه، وهناك مصادر أفاد منها ولم يرد ذكرها في مقدمته.

ولقد تنوعت المادة التي أخذها من كل مصدر، فمثلا نجده قد أخذ من «الحجة» لأبي علي الفارسي مسائل لغوية ونحوية بجانب القراءات وتوجيهها، وأفاد من الثعلبي في التفسير واللغة والنحو وهكذا بقية المصادر.

وفيما يلي بيان لتلك المصادر ومعرفة مدى ٱستفادة الواحدي منها:

وهي قسمان:

القسم الأول: **المصادر الرئيسة.**

القسم الثاني: **المصادر الثانوية.**

القسم الأول

المصادر الرئيسة

أولاً: التفسير:

وهي مرتبة تاريخيًا:

أولاً: تفسير ابن عباس[1]- ﷺ- (ت ٦٨)هـ

مكانة ابن عباس في تفسير القرآن:

تتبين مكانة ابن عباسَ في التفسير، من قول تلميذه مجاهد إنه إذا فسر الشيء رأيت عليه النور، ومن قول علي ﷺ يثني عليه في تفسيره: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، ومن قول ابن عمر: ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل علىٰ محمد، ومن رجوع بعض الصحابة وكثير من التابعين إليه في فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله، فكثيرًا ما توجه إليه معاصروه ليزيل شكوكهم، ويكشف لهم عما عز عليهم فهمه من كتاب الله تعالىٰ. ففي قصة موسىٰ مع شعيب أشكل علىٰ بعض أهل العلم، أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ أقضى ثماني سنين أو أتم عشرًا؟ ولما لم يقف علىٰ رأي يمم شطر ابن عباس، الذي هو بحق ترجمان القرآن، ليسأله عما أشكل عليه وفي هٰذا يروي الطبري في تفسيره، عن سعيد بن جبير قال: قال يهودي بالكوفة- وأنا أتجهز للحج: إني

---

(١) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، أبو العباس، العالم الرباني، الفقيه، حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان يسمى الحبر والبحر لسعة علمه، وقد دعا له النبي ﷺ أن بفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل والحكمة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين في شعب أبي طالب، وهو أحد العبادلة الأربعة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، توفي بالطائف سنة (٦٨)هـ. ينظر: «الإصابة» ٤/ ١٤١، و«تقريب التهذيب» ص٢٥١.

أراك رجلاً تتبع العلم، فأخبرني أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قلت: لا أعلم، وأنا الآن قادم علىٰ حبر العرب- يعني ابن عباس- فسائله عن ذلك، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضىٰ أكثرهما وأطيبهما؛ إن النبي إذا وعد لم يخلف، وقال سعيد: فقدمت العراق فلقيت اليهودي فأخبرته فقال: صدق وما أنزل علىٰ موسىٰ، هٰذا والله العالم. اهـ(١).

وهٰذا عمر ﷺ يسأل الصحابة عن معنىٰ آية من كتاب الله، فلما لم يجد عندهم جوابًا مرضيًا رجع إلى ابن عباس فسأله عنها، وكان يثق بتفسيره، وفي هٰذا يروي الطبري أن عمر سأل الناس عن هٰذِه الآية يعني ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] الآية. فما وجد أحدًا يشفيه، حتىٰ قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين إني أجد في نفسي منها شيئًا، فتلفت إليه فقال: تحول هٰهنا، لم تحقر نفسك؟!

قال: هٰذا مثل ضربه الله ﷻ، فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتىٰ إذا كان أحوج ما يكون إلىٰ أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله، فحرقه أحوج ما كان إليه(٢).

وسؤال عمر له مع الصحابة عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وجوابه بالجواب المشهور عنه يدل علىٰ أن ابن عباس كان يستخرج خفي المعاني التي يشير إليها القرآن، ولا يدركها إلا

---

(١) «تفسير ابن جرير» ٢٠/ ٤٣.

(٢) «تفسير ابن جرير» ٣/ ٤٧.

من نفحه الله بنفحة من روحه، وكثيرًا ما ظهر ابن عباس في المسائل المعقدة في التفسير بمظهر الرجل الملهم الذي ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، كما وصفه علي ﷺ، الأمر الذي جعل الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون بتفسيره، ولقد وجد هٰذا التقدير صداه في عصر التابعين، فكانت هناك مدرسة يتلقىٰ تلاميذها التفسير عن ابن عباس. ٱستقرت هٰذِه المدرسة بمكة، ثم غذت بعلمها الأمصار المختلفة، وما زال تفسير ابن عباس يلقىٰ من المسلمين إعجابًا وتقديرًا، إلىٰ درجة أنه إذا صح النقل عن ابن عباس لا يكادون يعدلون عن قوله إلىٰ قول آخر.

وقد صرح الزركشي بأن قول ابن عباس مقدم علىٰ قول غيره من الصحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التفسير[1].

منهج ابن عباس في التفسير:

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين ٱشتهروا بالتفسير، يرجعون في فهم معاني القرآن إلىٰ ما سمعوه من رسول الله ﷺ، وإلىٰ ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر والاجتهاد، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول والظروف والملابسات التي نزل فيها القرآن.

وكان ﷺ يرجع إلىٰ أهل الكتاب ويأخذ عنهم، بحكم ٱتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع التي أُجملت في القرآن وفُصلت في التوراة أو الإنجيل، ولكن كما قلنا فيما سبق إن الرجوع إلىٰ أهل الكتاب كان في دائرة محدودة ضيقة، تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافىٰ مع القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية، فكان ابن عباس لا

---

(١) «الإتقان» ٢/ ١٨٣.

يقبله ولا يأخذ به.

رجوع ابن عباس إلى الشعر القديم:

كان ابن عباس ﷺ يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وكان غيره من الصحابة يسلك هٰذا الطريق في فهم غريب القرآن ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم؛ ليستعان به علىٰ فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فهٰذا عمر بن الخطاب ﷺ يسأل أصحابه عن معنىٰ قوله تعالىٰ في الآية (٤٧) من سورة النحل ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هٰذِه لغتنا، التخوف: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعاره؟ فيقول له: نعم، ويروىٰ قول الشاعر:

تخوف الرحل منها تامكًا قردًا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فيقول عمر ﷺ لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم(١).

غير أن ابن عباس، ٱمتاز بهٰذِه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثيرًا ما كان يسأل عن القرآن فينشد فيه الشعر، وقد روي عنه الشيء الكثير من ذلك، وأوعب ما روي عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء»، وأخرج الطبراني بعضها الآخر في «معجمه الكبير»، وقد ذكر

---

(١) القصة في «الموافقات» ٢/ ٨٨ وليس فيها ما يعارض ما جاء عن عمر من أنه لما سأل عن الأب رجع إلىٰ نفسه وقال: إن هٰذا لهو التكلف يا عمر؛ لأن الآية التي معنا يتوقف فهم معناها علىٰ معرفة معنى التخوف؛ بخلاف الآية الأخرىٰ، فإن المعنى الذي يراد منها لا يتوقف علىٰ معرفة معنى الأب.

السيوطي في «الإتقان» بسنده مبدأ هٰذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس، وسرد مسائل ابن الأزرق وأجوبة ابن عباس عنها، فقال: بينا عبدالله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: بنا إلىٰ هٰذا الذي يجترئ علىٰ تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب؛ فإن الله تعالىٰ إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧] قال: العزون: حلق الرفاق، قال: هل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتىٰ يكونوا حول منبره عزينا؟

قال أخبرني عن قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. قال: الوسيلة: الحاجة، قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

إلىٰ آخر المسائل وأجوبتها(١)، وهي تدل علىٰ قوة ابن عباس في معرفته بلغة العرب، وإلمامه بغريبها، إلىٰ حد لم يصل إليه غيره، مما جعله- بحق إمام التفسير في عهد الصحابة، ومرجع المفسرين في الأعصر التالية للعصر الذي وجد فيه، وزعيم هٰذِه الناحية من التفسير على الخصوص، حتىٰ لقد قيل في شأنه: إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغوية

---

(١) «الإتقان» ١/ ١٢٠.

لتفسير القرآن[١].

هٰذا وقد بين لنا ابن عباس ﷺ، مبلغ الحاجة إلىٰ هٰذِه الناحية في التفسير، وحض عليها من أراد أن يتعرف غريب القرآن، فقد روىٰ أبو بكر ابن الأنباري عنه أنه قال: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلىٰ ديوانها فالتمسنا ذلك منه[٢].

وروى ابن الأنباري عنه أيضًا أنه قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٣].

فابن عباس ﷺ كان يرىٰ رأي عمر في ضرورة الرجوع إلى الشعر الجاهلي، للاستعانة به علىٰ فهم غريب القرآن، بل وكان أكثر الصحابة إلمامًا بهٰذِه الناحية وتطبيقًا لها.

وقد ٱستمرت هٰذِه الطريقة إلىٰ عهد التابعين ومن يليهم، إلىٰ أن حدثت خصومة بين متورعي الفقهاء وأهل اللغة، فأنكروا عليهم هٰذِه الطريقة، وقالوا: إن فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن[٤]، وقالوا: كيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث.

والحق أن هٰذِه الخصومة التي جدّت في الأجيال المتأخرة لم تقم علىٰ أساس، فالأمر ليس كما يزعمه أصحاب هٰذا الرأي، من جعل الشعر أصلاً للقرآن، بل هو في الواقع، بيان للحرف الغريب من القرآن بالشعر؛

(١) «المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن» ص (٦٩).

(٢) «الإتقان» ١/ ١١٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ومن هٰؤلاء الإمام النيسابوري صاحب التفسير المشهور، فقد صرح بذلك في مقدمة «تفسيره» ١/ ٦.

لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. وقال ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ولهٰذا لم يتحرج المفسرون إلىٰ يومنا هٰذا من الرجوع إلى الشعر الجاهلي للاستشهاد به على المعنى الذي يذهبون إليه في فهم كلام الله تعالىٰ(١).

لقد صرح المؤلف في مقدمة البسيط باعتماده علىٰ تفسير ابن عباس، حيث قال: وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصًا. وقد التزم المؤلف هٰذا الشرط في كتابه، فنجده يصدر كل آية حين تفسيرها بقول ابن عباس بغض النظر عن صحة تلك الرواية أو ضعفها، إذ لم يكن من شأن الواحدي العناية بهٰذا الجانب، كما بينت في المآخذ عليه، وهٰذا يؤكد ما ذكر عنه في هٰذا الباب، ففي مواطن قليلة يعتمد رواية علي بن أبي طلحة، الذي يميزه الواحدي بقوله: (الوالبي).

١- الرواية المنسوبة إلىٰ عطاء بن أبي رباح(٢):

وقد ٱستوعبت هٰذِه الرواية تفسير القرآن كما يبدو من البسيط وهي رواية مكذوبة يرويها موسىٰ بن عبد الرحمن الصنعاني(٣)، عن عطاء، عن

---

(١) نقلاً عن كتاب «التفسير والمفسرون» ١/ ٦٩.

(٢) هو: عطاء بن أبي رباح بن أسلم المكي القرشي مولاهم، أبو محمد، كان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، روىٰ عن أبي هريرة وابن عباس وجابر، وغيرهم، ٱنتهت إليه فتوىٰ أهل مكة، وكان أعلم الناس بالمناسك ومن أجل تلاميذ ابن عباس. توفي سنة (١١٤) هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري ٦/ ٤٦٣، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٧٨، و«تهذيب التهذيب» ٧/ ١٧٤.

(٣) هو: موسىٰ بن عبد الرحمن الثقفي الصنعاني قال ابن حبان: دجال، وضع على ابن=

ابن عباس.

قال ابن حبان[1]: وضع على ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس كتابًا في التفسير جمعه من كلام الكلبي ومقاتل بن سليمان وألزقه بابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، ولم يحدث عن ابن عباس، ولم يحدث به ابن عباس، ولا عطاء سمعه، ولا ابن جريج سمع من عطاء، وإنما سمع ابن جريج من عطاء الخراساني عن ابن عباس في التفسير أحرفًا شبيهًا بجزء، وعطاء لم يسمع من ابن عباس شيئًا ولا رواه ولا تحل الرواية عن هٰذا الشيخ ولا النظر في كتابه إلا علىٰ سبيل الاعتبار[2].

قال الحافظ ابن حجر[3]:

ومن التفاسير الواهية لوهاء رواتها، التفسير الذي جمعه موسىٰ بن

= جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير. وقال الذهبي: دجال. اهـ. وقال ابن عدي منكر الحديث يروي أباطيل، يعرف بأبي محمد المفسر قال ابن حجر: معروف ليس بثقة.

انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٢١١، و«ديوان الضعفاء والمتروكين» ص ٣١١، و«لسان الميزان» ٦/ ١٢٤، «الكشف الحثيث» ١/ ٢٦٣.

(١) هو: الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي التميمي. كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ عاقلاً ثقة نبيلاً ذا تصانيف عجيبة، توفي سنة ٣٥٤هـ.

انظر: «البداية والنهاية» ١١/ ٢٩٥، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي ٣/ ٩٢٠، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي ص ٣٧٥.

(٢) «المجروحين» لابن حبان ٢/ ٢٤٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨٢ .

عبد الرحمن الثقفي الصنعاني، وهو قدر مجلدين يسنده إلى ابن جريج[(١)] عن عطاء عن ابن عباس، وقد نسب أبو حاتم[(٢)] موسىٰ هٰذا إلىٰ وضع الحديث، ورواه عن موسىٰ: عبد الغني بن سعيد الثقفي[(٣)] وهو ضعيف[(٤)].

وقد صرح المؤلف في أول كتابه «أسباب النزول»[(٥)] بإسناده إلىٰ هٰذِه الرواية وهي من طريق الطبراني[(٦)]، والطبراني روىٰ قطعة من هٰذا التفسير

---

(١) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد، فقيه الحرم المكي، إمام أهل الحجاز في عصره، ثقة جليل القدر كثير الحديث جدًا، ولد بمكة سنة ٨٠هـ، قال الذهبي: ثقة لكنه يدلس. توفي رحمه الله سنة ١٥٠هـ. ينظر ترجمته: «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٢٥، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٥٩.

(٢) هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، الغطفاني، الرازي، أبو حاتم، محدث حافظ، أحد أئمة الجرح والتعديل، ولد في الري، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وبرع في المتن والإسناد وجمع وصنف وجرح وعدل وصحح وعلل، من أقران البخاري ومسلم، توفي ببغداد في شعبان سنة ٢٧٧، ومن مصنفاته «طبقات التابعين» و«تفسير القرآن».
انظر ترجمته: «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٥٥-٥٩، «التقريب» (٤٦٥)، «الأعلام» ٦/ ٢٧.

(٣) عبد الغني بن سعيد الثقفي، ضعفه ابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مصري يروي عن موسىٰ بن عبد الرحمن الصنعاني، عن هشام بن عروة، قال ابن حجر: ابن يونس أعلم به. توفي سنة (٢٢٩). ينظر: «الثقات» لابن حبان ٨/ ٤٢٤، و«لسان الميزان» ٤/ ٤٥.

(٤) «العجاب في بيان الأسباب» ١/ ٢٢٠. وينظر: «الدر المنثور» ٨/ ٧٠٠.

(٥) «أسباب النزول» ص ٣٣.

(٦) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة الإمام المحدث الحافظ الرحالة ولد سنة ٢٦٠ وله تصانيف كثيرة، ومات سنة ٣٦٠.
ينظر: «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩١٢ و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١١٩.

في معجمه الكبير، في تفسير الآيات في شأن الإفك[(١)]، عن شيخه: بكر بن سهل الدمياطي[(٢)]، عن عبد الغني بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا موسىٰ بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعند مقارنته بما نقله المؤلف في البسيط من رواية عطاء، عن ابن عباس نجدها مطابقة لرواية الطبراني، مما يدل علىٰ أن طريق رواية الواحدي عن عطاء هو ذاك الطريق الواهي الضعيف.

وهٰذِه الرواية لا توجد الآن، ولا تكاد تذكر عند أهل الرواية ولا يذكرها إلا الثعلبي أو المؤلف، أو من ينقل عنهما، كالبغوي وابن الجوزي والرازي[(٣)] وغيرهم.

والأمثلة علىٰ نقل المؤلف من هٰذِه الرواية أكثر من أن تحصىٰ، بل يندر أن نجد آية لا يذكر فيها شيئًا منها.

٢- رواية الكلبي[(٤)]:

وهي رواية الكلبي عن ابن عباس، وهي مكذوبة، وقد أخرج عن ابن

---

(١) «المعجم الكبير» ٢٣/ ١٣٠- ١٦١.

(٢) بكر بن سهل بن إسماعيل بن نافع، أبو محمد الهاشمي مولاهم الدمياطي، المفسر المقرئ ولد سنة ١٩٦، ضعفه النسائي مات بدمياط سنة ٢٨٩. ينظر: «ميزان الأعتدال» ١/ ٣٤٥ و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٢٥.

(٣) هو أبو عبد الله. محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي البكري الرازي، فخر الدين والمعروف بابن الخطيب، المولود سنة ٥٤٤، مفسر متكلم واعظ علىٰ مذهب الأشعري، وقيل: إنه رجع في آخر عمره عن مذهب الأشعري. ومن أهم مصنفاته: «التفسير الكبير» المسمىٰ، «مفاتيح الغيب». توفي سنة ٦٠٦. ينظر: «وفيات الأعيان» ٢/ ٢٦٥ و«شذارت الذهب» ٥/ ٢٠١ .

(٤) هو: أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض، قال: يحيىٰ ابن معين ضعيف. توفي سنة ١٤٦هـ. =

عباس تفسيرًا كثيرًا عن أبي صالح[١] عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، روى البخاري بسنده عن سفيان الثوري[٢] قال: قال لي الكلبي: كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب.

وقال البخاري[٣]: أبو النضر الكلبي تركه يحيىٰ بن سعيد[٤] وابن

= ينظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» ١/ ١٠١، و«الضعفاء الصغير» ص ١٠١ تحقيق محمود زايد ط١ دار الوعي كلاهما للبخاري، «تهذيب الكمال» ٢٥/ ٢٥٠، «التقريب» ١/ ٤٧٩.

(١) هو: باذان، ويقال باذام، ويقال: ذكوان، أبو صالح مولىٰ أم هانئ، مفسر ومن رواة الأخبار، روىٰ عن مولاته وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم إلا أنه ضعيف. وقال ابن حبان: يحدث عن ابن عباس ولم يسمع، وروىٰ عن الكلبي، قال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسمي أبا صالح باذام دروغزن، وكان الشعبي يمر به فيأخذ بأذنه ويقول: ويحك كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ، وتركه يحيىٰ بن سعيد القطان، وابن مهدي. توفي سنة ١٢٠هـ تقريبا .
ينظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٣٠٢، «التاريخ الكبير» ٢/ ١٤٤، «الجرح والتعديل» ٣/ ٤٤١، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٧-٣٨، و«تقريب التهذيب» ص ١٢٠ .

(٢) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي الفقيه، الإمام الحافظ المجتهد سيد أهل زمانه علمًا وعملاً، ولد سنة ٩٧هـ روىٰ له الجماعة توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة.
ينظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٧١، و«حلية الأولياء» ٦/ ٣٥٦ .

(٣) «التاريخ الكبير» ١/ ١٠١ و«الضعفاء الصغير» ص ١٠١ تحقيق محمود زايد ط١ دار الوعي كلاهما للبخاري.

(٤) هو يحيىٰ بن سعيد بن فروخ التميمي مولاهم البصري القطان أبو سعيد، الإمام الحافظ المحدث، الثقة المتقن، أمير المؤمنين في الحديث، أخرج حديثه الجماعة، روىٰ عنه أحمد وعلي بن المديني ويحيىٰ بن معين وغيرهم من الأئمة وكان من سادات أهل البصرة وقرائهم، ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٨. ينظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٩٣ و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٧٥.

مهدي[١].

وقال أبو حاتم: الناس مجمعون علىٰ ترك حديثه، وهو ذاهب الحديث لا يشتغل به.

قال ابن حجر: ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس: التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي، فإنه يرويه عن أبي صالح، وهو مولىٰ أم هانئ، عن ابن عباس. والكلبي ٱتهموه بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب[٢].

وقال السيوطي: وأوهىٰ طرقه- يعني تفسير ابن عباس- طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن ٱنضم إلىٰ ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير[٣]، فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي[٤].

٣- تفسير تنوير المقباس:

وقد نسب هٰذا التفسير إلى ابن عباس وقد طبع في مصر مرارًا باسم

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري الإمام المحدث الكبير ولد سنة ١٣٥ وخرج الجماعة حديثه توفي سنة ١٩٨ بالبصرة. ينظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٩٧، و«حلية الأولياء» ٩/ ٣.

(٢) «العجاب في بيان الأسباب» ١/ ٢٠٩ .

(٣) محمد بن مروان السدي الكوفي، وهو السدي الصغير أحد المتروكين، قال الذهبي: تركوه واتهمه بعضهم بالكذب، وهو صاحب الكلبي. قال البخاري: سكتوا عنه وهو مولى الخطابيين ولا يكتب حديثه البتة، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال أحمد: أدركته وقد كبر فتركته. ينظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٢، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٦٥.

(٤) «الإتقان» ٢/ ١٨٩.

«تنوير المقباس في تفسير ابن عباس».

جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشافعي[(١)]، صاحب «القاموس المحيط»، وقال الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه الماتع «التفسير والمفسرون»: وقد أطلعت علىٰ هٰذا التفسير، فوجدت جامعه يسوق عند الكلام عن البسملة الرواية عن ابن عباس بهٰذا السند أخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وعند تفسير أول البقرة، وجدته يسوق الكلام بإسناده إلىٰ عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا علي بن إسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وفي مبدأ كل سورة يقول: وبإسناده عن ابن عباس.

.. وهكذا يظهر لنا جليًا، أن جميع ما روي عن ابن عباس في هٰذا الكتاب يدور علىٰ محمد بن مروان السدي الصغير، عن محمد بن السائب

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، الفيروزآبادي الشافعي، أبو طاهر، ولد في كازورن من أعمال شيراز سنة ٧٢٩هـ، ونشأ بها، وانتقل إلىٰ شيراز وأخذ الأدب واللغة عن والده وغيره من علماء شيراز، ورحل إلى العراق ومصر والشام واليمن وغيرها من البلاد وأخذ عن علمائها، وتولىٰ قضاء اليمن كله، وجاور مكة والمدينة وتوفي سنة ٨١٧هـ

من تصانيفه: «القاموس المحيط»، «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، «فتح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري» وغيرها من التصانيف.

ينظر: «الضوء اللامع» للسخاوي ١٠/٧٦ - ٧٩، «بغية الوعاة» ص ١١٧- ١١٨، «شذرات الذهب» لابن عماد ١٠/١٢٦- ١٣١.

الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وقد عرفنا مبلغ رواية السدي الصغير عن الكلبي فيما تقدم.

وحسبنا في التعقيب علىٰ هٰذا ما روي من طريق ابن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث[١].

وهٰذا الخبر إن صح عن الشافعي يدلنا علىٰ مقدار ما كان عليه الوضّاعون من الجرأة على ٱختلاق هٰذِه الكثرة من التفسير المنسوبة إلى ابن عباس، وليس أدل علىٰ ذلك، من أنك تلمس التناقض ظاهرًا بين أقوال في التفسير نسبت إلى ابن عباس ورويت عنه. إن هٰذا التفسير المنسوب إلى ابن عباس لم يفقد شيئًا من قيمته العلمية في الغالب، وإنما الشيء الذي لا قيمة له فيه، هو نسبته إلى ابن عباس[٢].

٤- رواية الضحاك:

أمّا طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي[٣] عن ابن عباس فهي غير

---

(١) «الإتقان» ٢/ ١٨٩.

(٢) «التفسير والمفسرون» ١/ ٨٢.

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، أبو القاسم أو أبو محمد الخُراساني، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة سعيد بن جبير، الضحاك بن مزاحم، مجاهد بن جبر، وعكرمة.

قال ابن حبان: من زعم أنه رأى ابن عباس فقد وهم. وقال ابن عدي: عُرِف بالتفسير، وأما روايته عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روىٰ عنهم ففي ذلك كله نظر وإنما ٱشتهر بالتفسير. وثقه أحمد، وابن معين وأبو زرعة، وضعفه يحيىٰ بن سعيد، ٱختلف في سنة وفاته فقيل ١٠٥هـ أو ١٠٦هـ

ينظر: «التاريخ الكبير» ٤/ ٣٣٢، «الثقات» لابن حبان ٦/ ٤٨٠، «الكامل في الضعفاء» ٤/ ٩٥، «التقريب» ١/ ٢٨٠.

مرضية؛ لأنه وإن وثقه نفر فطريقه إلى ابن عباس منقطعة؛ لأنه روىٰ عنه ولم يلقه، فإن ٱنضم إلىٰ ذلك رواية بشر بن عمارة(١)، عن أبي روق(٢)، عن الضحاك، فضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هٰذِه النسخة كثيرًا ابن جرير وابن أبي حاتم.

وإن كان من رواية جويبر(٣) عن الضحاك فأشد ضعفًا؛ لأن جويبر شديد الضعف متروك. ولم يخرج ابن جرير ولا ابن أبي حاتم من هٰذِه الطريق شيئًا، إنما خرجها ابن مردويه(٤)، وأبو الشيخ أبو محمد عبد الله

---

(١) هو: بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي، روىٰ عن: الأحوص بن حكيم، وإدريس بن سنان ابن بنت وهب بن منبه، وأبي روق عطية بن الحارث الهمداني، وروىٰ عنه: أحمد بن موسىٰ، وجبارة بن مغلس الحماني، والحسن بن عبد الرحمن، وزكريا بن عدي، وغيرهم.
قال أبو حاتم: ليس بالقوي في الحديث، قال عنه البخاري: تعرف وتنكر، وذكره النسائي في «الضعفاء» قال ابن حبان: يخطئ حتىٰ يخرج عن حد الٱحتجاج.
ينظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٨٠ و«الضعفاء» للنسائي ص ٦، «المجروحين» لابن حبان ١/ ١٨٨.

(٢) أبو روق عطية بن الحارث الهمذاني، صاحب التفسير، صدوق من الطبقة الخامسة.
ينظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٨٢ رقم (٢١٢٢)، «التقريب» ٢/ ٢٤ رقم (٢١٥).

(٣) جويبر بن سعيد الأزدي، يقال له جابر، وجويبر لقب، أبو القاسم البلخي، صاحب الضحاك، راوي التفسير، ضعيف جداً، ضعفه علي ويحيىٰ بن سعيد.
وقال أحمد: لا يشتغل بحديثه. وقال ابن معين: ليس بشيء.
وقال النسائي وعلي بن الجنيد والدارقطني: متروك.
ينظر: «التهذيب» ١/ ٣١ رقم (٨٣)، و«الكاشف» ١/ ٥ رقم (٨٠١).

(٤) أبو بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه بن فُورك الأصبهاني صاحب التفسير الكبير، محدث أصبهان ولد سنة ٣٢٣هـ من مصنفاته: «التاريخ»، و«المستخرج علىٰ صحيح البخاري» توفي سنة ٤١٠هـ
ينظر: «تاريخ أصبهان» ١/ ١٦٨، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٠٨.

ابن حيان[١]، كما أفاده السيوطي[٢].

٥- رواية العوفي[٣]: فضعيفة، فقد كان يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، قال الإمام أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد، قال الذهبي: يعني يوهم أنه الخدري، وهٰذِه الطريقة أخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم كثيرًا.

٦- رواية السدي الكبير:

يروي إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير[٤]، تارة عن أبي

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، الإمام الحافظ محدث أصبهان، صاحب التصانيف ولد سنة ٢٧٤هـ، من مؤلفاته: «كتاب السنة»، و«العظمة»، وكتاب «السنن»، توفي سنة ٣٦٩هـ.
ينظر: «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩٤٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٧٦.

(٢) «الإتقان» ٢/ ١٨٩.

(٣) عطية بن سعد بن جنادة الجدلي العوفي الكوفي، أبو الحسن، كان من غلاة الشيعة.
قال أحمد: ضعيف. وقال أبو زرعة: لين.
وقال أبو حاتم: ضعيف وأبو نضرة أحب إلي منه توفي سنة ١١١هـ.
ينظر: «الميزان» ٣/ ٧٩ و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٩٤، ٧/ ٢٢٤، و«تاريخ بغداد» ٥/ ٣٣٢ و«الجرح والتعديل» ٣/ ٤٨ رقم (٢١٥)، و«لسان الميزان» ٥/ ١٧٤، «تقريب التهذيب» ١/ ٦٧٨.

(٤) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة المعروف بالسدي الكبير، أبو محمد الكوفي، صاحب التفسير والمغازي، كان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، وتفسيره أثني عليه، قال ابن معين: ضعيف، ولينه أبو زرعة، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. قال عنه ابن حجر: صدوق يهم، رمي بالتشيع، توفي سنة ١٢٧هـ.
ينظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ١٨٤، و«تقريب التهذيب» ص ١٠٨، و«طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٢٣.

مالك[١]، وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس. وإسماعيل السدي مختلف فيه، وحديثه عند مسلم وأهل السنن الأربعة، وهو تابعي شيعي.

وقال السيوطي: روىٰ عن السدي الأئمة مثل الثوري وشعبة، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر[٢]، وأسباط لم يتفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي[٣].

وابن جرير يورد في تفسيره كثيرًا من تفسير السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، ولم يخرج منه ابن أبي حاتم شيئًا؛ لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد[٤].

٧- رواية الوالبي[٥]:

وهي من أحسن الطرق عن ابن عباس، وهو صدوق، ولكنه لم يلق

---

(١) غزوان الغفاري أبو مالك الكوفي مشهور بكنيته ثقة من الثالثة روىٰ عنه أصحاب السنن. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٤٤٢ .

(٢) أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، ويقال أبو نصر الكوفي، روىٰ عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، وجابر بن يزيد الجعفي، والحكم بن عبد الملك، وسماك بن حرب وغيرهم. وروىٰ عنه: أحمد بن المفضل الحفري، وإسحاق بن منصور السلولي، والحسن بن بشر البجلي وغيرهم.

قال أبو حاتم: سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد. وقال النسائي: ليس بالقوي.

روىٰ له الجماعة إلا البخاري معلقًا.

ينظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٦١، «التاريخ الكبير» ٢/ ٥٣ (١٦٥٦)، «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٣٢ (١٢٦١)، «الميزان» ١/ ٣٥.

(٣) «الإتقان» ٢/ ١٨٨.

(٤) «التفسير والمفسرون» ١/ ٧٩، «تفسير ابن عباس» للدكتور الحميدي ١/ ٢٧- ٢٨.

(٥) هو: علي بن أبي طلحة مولىٰ بني العباس، واسم أبيه سالم بن مخارق الهاشمي،=

ابن عباس، وإنما أخذ تفسيره من مجاهد[(١)]، وله صحيفة في هٰذا التفسير أخرج منها البخاري كثيراً في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس، وأكثر منها ابن جرير في تفسيره.

وقال الإمام أحمد: «بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل فيها رجل إلىٰ مصر قاصداً ما كان كثيراً»[(٢)].

وقد طعن بعض العلماء في تفسير علي بن أبي طلحة بأنه منقطع، حيث لم يسمع من ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر- راداً علىٰ ذلك-: «بعد أن عُرِفت الواسطة وهو ثقة، فلا ضير في ذلك»[(٣)].

وكثيرًا ما اعتمد علىٰ هٰذِه الطريقة ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبي صالح. ومسلم وأصحاب السنن يحتجون بعلي بن أبي طلحة.

= أبو الحسن ويقال أبو محمد، وأصله من الجزيرة، وانتقل إلىٰ حمص، وهو صدوق كثير الإرسال. مات سنة ١٤٣هـ.

ينظر: «التاريخ الكبير» ٦/ ٢٨١، «تهذيب الكمال» ٢٠/ ٤٩٠، «الكاشف» ٢/ ٤١، «تهذيب التهذيب» ٧/ ٣٣٩.

(١) هو: أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المكي، تابعي جليل، مقرئ مفسر، حافظ ثقة، سمع من عدد من الصحابة، ولازم ابن عباس وقرأ عليه القرآن، وتلقىٰ عنه التفسير، وكان أحد أوعية العلم، توفي سنة ١٠٣هـ.

ينظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٦٦، و«التاريخ الكبير» ٧/ ٤١١، «الحلية» لأبي نعيم ٣/ ٢٧٩، و«معرفة القراء الكبار» للذهبي ١/ ٦٦، «تهذيب التهذيب» ٧/ ٣٣٩.

(٢) «الإتقان» ٢/ ١٨٨ وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، للدكتور عبد العزيز الحميدي ١/ ٢٥.

(٣) المصدر السابق.

٨- **طريق قيس بن مسلم الكوفي**[(١)]، عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس. وهٰذِه الطريق صحيحة علىٰ شرط الشيخين، وكثيرًا ما يخرج منها الفريابي والحاكم في «مستدركه».

٩- **طريق بن إسحاق**[(٢)] صاحب السير، عن محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد ابن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهي طريق جيدة وإسنادها حسن، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرًا، وأخرج الطبراني منها في «معجمه الكبير».

١٠- **طريق عبد الملك بن جريج**[(٣)]، عن ابن عباس، وهي تحتاج إلىٰ

---

(١) لعله قيس بن مسلم الجدلي الكوفي، أبو عمرو، الإمام المحدث الثقة، وثقه أحمد وقال مرة: متقن للحديث لا تبالي إذا أخذت عنه حديثه. قال أبو داود: كان مرجئًا. وقال ابن عيينة: كانوا يقولون: ما رفع قيس رأسه إلى السماء منذ كذا وكذا تعظيمًا لله توفي سنة ١٢٠ هـ.
ينظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣١٧، «طبقات خليفة» ص ١٦٠ «التاريخ الكبير» ٥/ ١٥٤، «تهذيب الكمال» ٢٤/ ٨١.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار، العلامة الحافظ الأخباري، وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة النبوية، ولد سنة ٨٠هـ، وثقه يحيى ابن معين. وقال أحمد: حسن الحديث.
وقال الذهبي: وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء، منها: تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه.
ينظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٢١، «الكامل» لابن عدي ٣/ ٢٥، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٣.

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الأمام العلامة، الحافظ شيخ الحرم، أبو الوليد القرشي الأموي، المكي صاحب التصانيف أول من دون العلم بمكة. توفي رحمه الله سنة ١٥٠هـ. =

دقة في البحث، ليعرف الصحيح منها والسقيم، فإن ابن جريج لم يقصد الصحة فيما جمع، وإنما روىٰ ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم، فلم يتميز في روايته الصحيح من غيره، وقد روىٰ عن ابن جريج هٰذا جماعة كثيرة، منهم بكر بن سهل الدمياطي، عن عبد الغني بن سعيد، عن موسىٰ بن محمد، عن ابن جريج عن ابن عباس، ورواية بكر بن سهل أطول الروايات عن ابن جريج وفيها نظر.

ومنهم محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن ابن عباس، روىٰ ثلاثة أجزاء كبار ومنهم الحجاج بن محمد عن ابن جريج، روىٰ جزءًا وهو صحيح متفق عليه.

ولأجل هٰذا الٱختلاف بين الطرق المأثورة عن ابن عباس فقد ٱفترق المفسرون تجاه تفسيره إلىٰ ثلاث فرق[1]:

الأولىٰ: أخذت بكل ما روي عنه، فوقعوا في كثير من المرويات الضعيفة والموضوعة، وعلىٰ رأس القائمة في هٰذا الٱتجاه: الثعلبي والمؤلف، وتبعهم علىٰ ذلك من ٱعتمد علىٰ تفاسيرهم وأكثر النقل عنهم.

والثانية: ٱقتصروا علىٰ رواية الصحيح دون غيره، لكنهم لم يرووا عنه إلا القليل، ومن أبرز هٰؤلاء: الشيخان: البخاري ومسلم في صحيحهما.

والثالثة: تجنبوا الأحاديث الموضوعة؛ لشهرة رواتها من الكذابين، ولكنهم خلطوا بين الروايات الصحيحة والضعيفة، وهٰؤلاء هم أكثر المفسرين الذين ٱهتموا بنقل تفسير الصحابة والتابعين، كالإمام ابن جرير

= ينظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٩١، «تاريخ الإسلام» ٦/ ٩٦، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٢٥.

(١) ينظر هٰذا التفصيل في كتاب تفسير ابن عباس للدكتور الحميدي ١/ ٢٧ - ٢٨ .

وابن أبي حاتم(١)، وكذلك الذين رووا بعض تفسير ابن عباس من علماء السنة: كعبد الرزاق الصنعاني(٢)، والإمام أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي(٣).

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، أبو محمد، اشتهر بابن أبي حاتم، الأمام المحدث الأصولي الفقيه، المفسر الناقد، ولد سنة ٢٤٠هـ، تلقى العلم عن أبيه وغيره من علماء الري ثم انتقل إلىٰ مكة المكرمة وسمع من مشايخها ثم رحل السواحل والشام ومصر وأصبهان، ثم رجع إلى الري يدرس ويصنف ويؤلف إلىٰ أن وافته المنية سنة (٣٢٧) عن عمر ٨٧ عامًا.
من تصانيفه: «تفسير القرآن الكريم»، «الجرح والتعديل»، «الرد على الجهمية»، «مناقب الشافعي»، «المسند»، «كتاب الضعفاء».
ينظر: «الأنساب» للسمعاني ٤/ ٢٨٧، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٢٤٦، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨٣٩.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الحميري، مولاهم الحميري، أحد الحفاظ الثقات المشهورين المتفق علىٰ تخريج حديثه، ولد سنة ١٢٦هـ روىٰ له الجماعة، قدم الشام تاجرًا، وسمع الأوزاعي وسعيد بن جبير ومحمد بن راشد المكحولي وإسماعيل بن عياش، وغيرهم، توفي سنة ٢١١هـ عن خمس وثمانين عامًا، وكان فيه تشيع. من أهم تصانيفه: «المصنف» «تفسير عبد الرزاق».
ينظر ترجمته: «التاريخ الكبير» ٦/ ٢٣٠، «التاريخ الصغير» ٢/ ٣٢٠، «الثقات» لابن حبان ٨/ ٤١٢، «تهذيب الكمال» ١٨/ ٥٢، «طبقات المدلسين» ١/ ٣٤.

(٣) الفقيه الأصولي، الحافظ الورع واحد زمانه في الحفظ والإتقان: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن يونس، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، ولد سنة ٣٨٤هـ في شعبان، وتلقى العلم عن علماء خُراسان ونيسابور، وانتقل إلىٰ بغداد والكوفة، والحجاز وغيرها من البلاد، توفي رحمه الله في عاشر جمادى الأولىٰ من سنة (٤٥٨هـ) في نيسابور ونقل في تابوت إلىٰ بيهق ودفن بها.
ومن تصانيفه: «السنن الكبرىٰ» و«معرفة السنن والآثار»، و«شعب الأيمان».
ينظر: «الأنساب» للسمعاني ٢/ ٣٨١، «الكامل» لابن الأثير ٨/ ١٠٤، «طبقات الشافعية» ٤/ ٩، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١١٣٢.

قال الدكتور الحميدي: وقد نقل كثير من المفسرين المتأخرين هٰذِه الروايات من غير تمييز بينها، وأحياناً ينقلونها بغير إسناد، إلا أن بعضهم يبين ضعف الروايات أحياناً، إذا كان الموضوع مهماً، كآيات العقائد والأحكام، كالحافظ ابن كثير[(١)](٢).

١١- ثانيًا: تفسير مقاتل بن سليمان (ت١٥٠)هـ:

أعتمد المؤلف طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني[(٣)]، وهو المفسر الذي ينسب إلى الشافعي أنه قال فيه: «إن الناس عيال عليه في

---

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، الإمام المحدث المفسر المؤرخ، صاحب التفسير المشهور، أخذ العلم عن ابن تيمية والمزي وهو من أقران الذهبي وابن القيم، . توفي رحمه الله سنة ٧٧٤هـ.
من مصنفاته: «البداية والنهاية»، «تفسير القرآن العظيم»، «الباعث الحثيث»، وغيرها من العلوم النافعة أسكنه الله فسيح جناته.
ينظر: «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٥٠٨، «الدرر الكامنة» ١/ ٣٩٩.

(٢) «تفسير ابن عباس في الكتب الستة» للدكتور الحميدي ١/ ٢٨ .

(٣) أبو الحسن، كبير المفسرين مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخُراساني، البلخي، مفسر، متكلم، مشارك فلي القراءات واللغة.
قال ابن عيينة: قلت لمقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك. قال كان يغلق عليّ وعليه باب. فقلت في نفسي: أجل باب المدينة.
وقال وكيع: كان كذابًا. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة.
وقال الذهبي: أجمعوا علىٰ تركه. مات سنة ١٥٠هـ.
من مصنفاته: «التفسير الكبير»، «الرد على القدرية»، «الوجوه والنظائر في القراءات»، «الأقسام واللغات»، و«الآيات المتشابهات».
ينظر: «طبقات بن سعد» ٧/ ٣٧٣، «التاريخ الصغير» ٢/ ٢٢٧، «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٥٤- ٣٥٥، «تهذيب الكمال» ٢٨/ ٤٣٤- ٤٥١، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٠١- ٢٠٢، «معجم المؤلفين» ٣/ ٩٠٥- ٩٠٦.

التفسير»[١] ومع ذلك فقد ضعفوه، وقالوا: إنه يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما.

وقد كذبه غير واحد، ولم يوثقه أحد، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه[٢]، وتكلم عنه السيوطي فقال: «إن الكلبي يفضل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة»[٣]. وقد سئل وكيع عن تفسير مقاتل؟ فقال: «لا تنظروا فيه»، فقال السائل: ما أصنع به؟ قال: ادفنه- يعني التفسير[٤]-، وقال أحمد بن حنبل: لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئًا[٥]. وبالجملة فإن من ٱستحسن تفسير مقاتل كان يضعفه ويقول «ما أحسن تفسيره لو كان ثقة»[٦].

ولاعتماد المؤلف هٰذا الطريق تردد ٱسم مقاتل كثيرًا في البسيط مما يدل علىٰ أنه من مصادره الرئيسة التي أفاد منها، وأغلب نقولاته عنه كانت مع العزو؛ تارة بنصه وتارة بالمعنىٰ والتصرف في العبارة، ويبدو أن الواحدي نقل عن مقاتل بواسطة شيخه الثعلبي؛ تبيَّن ذلك بأمرين:

١- ٱختلاف عبارة الواحدي المنسوبة لمقاتل عن تفسير مقاتل وتطابقها مع عبارة الثعلبي.

٢- عدم وجود القول أحيانًا في تفسير مقاتل ووروده بنصه في تفسير

---

(١) «وفيات الأعيان» ٢/ ٧٦٧.

(٢) «إيثار الحق» ص ١٥٩.

(٣) «الإتقان» ٣/ ١٨٩.

(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ١١١.

(٥) المصدر السابق.

(٦) «التفسير معالم حياته- منهجه اليوم» ص ٩.

الثعلبي منسوبًا لمقاتل.

وقد يصعب ضرب الأمثلة؛ لكثرة ٱستشهاده بآراء مقاتل.

وهناك مشكلة يجدر الإشارة إليها، وهي الألتباس بين مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان في التفسير، وذلك عند إطلاق الواحدي اسم مقاتل دون تحديد من هو؟ ومع أنه من خلال الأستقراء ظهر أنه يقصد عند الإطلاق مقاتل بن سليمان، إلا أنه يقصد به أحيانًا ابن حيان، وما أدري لعل بعض النصوص التي ذكرت أنها وردت في تفسير مقاتل بمعناه أن تكون قد وردت في تفسير مقاتل بن حيان بنصه، ولم أستطع التحقق من ذلك؛ لأن تفسيره مفقود- حسب علمي- وكذلك ما يرد في تفسير الثعلبي ولا يكون في تفسير مقاتل بن سليمان فلعله يكون من تفسير مقاتل بن حيان وأبهمه الثعلبي، خاصة وأن تفسيره من مصادر الثعلبي- كما ذكر في مقدمته- ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] أطلق اسم مقاتل وهو ابن حيان، فقال: وقال مقاتل: ومن عصاني فيما دون الشرك فإنك غفور رحيم. فمقاتل هنا هو ابن حيان، حيث وردت هٰذِه العبارة بنصها منسوبة إليه في: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٥٦ب)، و«البغوي» ٣/ ٣٧، و«ابن الجوزي» ٤/ ٣٦٥ أما في تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ١٩٤أ) فعبارته، قال: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم.

ومثله عند قوله تعالىٰ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢] قال: وقال مقاتل: يعني الصلوات عليه مقرونًا بالصلاة علىٰ محمد ﷺ؛ وهو قول المتشهد: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم، فهٰذا الخبر نسب إلىٰ مقاتل بن حيان في تفسير البغوي وابن

الجوزي، ولم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الإسراء: ٧٠] قال: وقال مقاتل: السمن والزُّبد والحلاوي، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفىٰ عليكم، وهٰذا القول بنصه في تفسير الثعلبي (٧/ ١٤٤أ) ولم يرد في تفسير مقاتل بن سليمان، فلعله من تفسير مقاتل بن حبان.

ثانيًا: **تفسير الطبري**(١) أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبىٰ جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤)(٢).

التعريف بهٰذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

يعد تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع

---

(١) طبع هٰذا التفسير طبعات عدة، أشهرها طبعة البابي الحلبي بمصر، وأفضلها التي حققها العلامة أحمد شاكر وأخوه محمود لكنها لم تكتمل.

(٢) هو الإمام العلم الفرد القدوة الحافظ صاحب التصانيف المشهورة، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب من أهل آمل طبرستان أكثر التطواف وسمع كبار المشايخ، ولد سنة ٢٢٤هـ وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً، وقل أن ترى العيون مثله. قال الخطيب: كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلىٰ رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله عارفًا بالقراءات بصيرًا بالمعاني فقيهًا بالأحكام عالمًا بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها عارفًا بأقاويل الصحابة والتابعين الحلال والحرام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم وله تصانيف حسان كثيرة وتفرد بمسائل حفظت عنه. توفي رحمه الله سنة ٣١٠هـ. ومن تصانيفه: «تاريخ الأمم والملوك»، و«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، و«تهذيب الآثار»، و«اختلاف الفقهاء». ينظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ١٦٢، «تاريخ دمشق» ١٨٨/٥٢، «معجم الأدباء» ١٨/ ٩٠، «وفيات الأعيان» ٤/ ١٩١، «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٧١٠.

الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي؛ وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعًا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي؛ نظرًا لما فيه من الأستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها علىٰ بعض ترجيحًا يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءًا من الحجم الكبير، وقد كان هٰذا الكتاب من عهد قريب يعد مفقودًا لا وجود له، ثم قدر الله له الظهور والتداول، فكانت مفاجأة سارة للأوساط العلمية في الشرق والغرب أن وجدت في حيازة أمير (حائل) الأمير حمود ابن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد نسخة مخطوطة كاملة من هٰذا الكتاب، طبع عليها الكتاب من زمن قريب، فأصبحت في يدنا دائرة معارف غنية في التفسير المأثور[(١)].

ولو أننا تتبعنا ما قاله العلماء في «تفسير ابن جرير»، لوجدنا أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم علىٰ عظيم قيمته، واتفقوا علىٰ أنه مرجع لا غني عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطي ﷺ: وكتابه- يعني تفسير محمد بن جرير- أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها علىٰ بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك علىٰ تفاسير الأقدمين[(٢)].

وقال النووي: أجمعت الأمة علىٰ أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري[(٣)] وقال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتىٰ يحصل علىٰ كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا[(٤)].

---

(١) «المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن» ص ٨٦.

(٢) «الإتقان» ٢/ ١٩٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) «معجم الأدباء» ١٨/ ٤٢.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبري؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير[١] والكلبي»[٢].

ويذكر صاحب «لسان الميزان»: أن ابن خزيمة ٱستعار تفسير ابن جرير من ابن خالويه فرده بعد سنين ثم قال: «نظرت فيه من أوله إلىٰ آخره فما أعلم علىٰ أديم الأرض أعلم من ابن جرير» فابن خزيمة ما شهد هٰذِه الشهادة إلا بعد أن اطلع علىٰ ما في هٰذا التفسير من علم واسع غزير.

هٰذا وقد كتب (نولدكه) في سنة ١٨٦٠م بعد اطلاعه علىٰ بعض فقرات من هٰذا الكتاب: «لو كان بيدنا هٰذا الكتاب لاستغنينا به عن كل التفاسير المتأخرة، ومع الأسف فقد كان يظهر أنه مفقود تمامًا، وكان مثل «تاريخه الكبير» مرجعًا لا يغيض معينه أخذ عنه المتأخرون معارفهم»[٣].

ويظهر مما بأيدينا من المراجع، أن هٰذا التفسير كان أوسع مما هو عليه اليوم، ثم ٱختصره مؤلفه إلىٰ هٰذا القدر الذي هو عليه الآن، كما أن كتابه في التاريخ ظفر بمثل هٰذا البسط والاختصار، فابن السبكي يذكر في «طبقاته الكبرىٰ»[٤] «أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: هٰذا ربما تفنى

---

(١) هكذا بالأصل؛ ولعله ابن سليمان، وهو مقاتل بن سليمان بن بشير، وهو متهم بالكذب.

(٢) «فتاوى ابن تيمية» ٢/ ١٩٢.

(٣) «المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن» ص ٨٥.

(٤) ٢/ ١٣٧.

الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ثم قال: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلىٰ وقتنا هٰذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال إنا لله، ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما ٱختصر التفسير» اهـ.

هٰذا ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولية بين كتب التفسير، أولية زمنية، وأولية من ناحية الفن والصناعة.

أما أوليته الزمنية، فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، اللهم إلا ما وصل إلينا منها في ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذي نحن بصدده.

وأما أوليته من ناحية الفن والصناعة؛ فذلك أمر يرجع إلىٰ ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه، حتىٰ أخرجه للناس كتابًا له قيمته ومكانته.

ونريد أن نعرض هنا لطريقة ابن جرير في «تفسيره» بعد أن أخذنا فكرة عامة عن الكتاب، حتىٰ يتبين للقارئ أن الكتاب واحد في بابه، سبق به مؤلفه غيره من المفسرين، فكان عمدة المتأخرين، ومرجعًا مهمًّا من مراجع المفسرين، على ٱختلاف مذاهبهم، وتعدد طرائقهم، فنقول:

طريقة ابن جرير في «تفسيره»:

تتجلىٰ طريقة ابن جرير في «تفسيره» بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه وقطعنا في القراءة شوطًا بعيدًا، فأول ما نشاهده، أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: «القول في تأويل قوله تعالىٰ كذا وكذا» ثم يفسر الآية ويستشهد علىٰ ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هٰذِه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض

لكل ما قيل فيها، ويستشهد علىٰ كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين.

ثم هو لا يقتصر علىٰ مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها علىٰ بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلىٰ ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.

إنكاره علىٰ من يفسر بمجرد الرأي:

ثم هو يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير، ولا يزال يشدد في ضرورة الرجوع إلى العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين، والمنقول عنهم نقلاً صحيحًا مستفيضًا، ويرىٰ أن ذلك وحده هو علامة التفسير الصحيح، فمثلاً عند ما تكلم عن قوله تعالىٰ في الآية (٤٩) من سورة يوسف: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف مع توجيهه للأقوال وتعرضه للقراءات بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم يعرج بعد ذلك علىٰ من يفسر القرآن برأيه، وبدون ٱعتماد منه علىٰ شيء إلا علىٰ مجرد اللغة، فيفند قوله، ويبطل رأيه، فيقول ما نصه «... وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه علىٰ مذهب كلام العرب، يوجه معنىٰ قوله ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ إلىٰ: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر، والعصر التي بمعنى المنجاة، من قول أبي زبيد الطائي:

صاديًا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أي: المقهور، ومن قول لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافًا بغير معصر

وذلك تأويل يكفي من الشهادة علىٰ خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين(١).

وكثيرًا ما يقف ابن جرير مثل هٰذا الموقف حيال ما يروي عن مجاهد أو الضحاك أو غيرهما ممن يروون عن ابن عباس.

فمثلاً عند قوله تعالىٰ في الآية (٦٥) من سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ يقول ما نصه: حدثني المثنىٰ، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ قال: «مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفارًا» اهـ، ثم يعقب ابن جرير بعد ذلك علىٰ قول مجاهد فيقول ما نصه: «وهٰذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف...» إلخ(٢).

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٢٢٩) من سورة البقرة أيضًا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تجده يروي عن الضحاك في معنىٰ هٰذِه الآية: أن من طلق لغير العدة فقد ٱعتدىٰ وظلم نفسه، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون، ثم يقول: وهٰذا الذي ذكر عن الضحاك لا معنىٰ له في هٰذا الموضع؛ لأنه لم يجر للطلاق في العدة ذكر فيقال تلك حدود الله، وإنما جرىٰ ذكر العدد الذي يكون للمطلق فيه الرجعة والذي لا يكون له فيه الرجعة، دون ذكر البيان عن الطلاق للعدة. اهـ(٣).

---

(١) «تفسير ابن جرير» ٢٢/ ١٣٨.
(٢) «تفسير ابن جرير» ٢٢/ ١٣٨.
(٣) «تفسير ابن جرير» ٢٢/ ١٣٨.

.. وهكذا نجد ابن جرير في غير موضع من تفسيره، ينبري للرد علىٰ مثل هٰذِه الآراء التي لا تستند إلا علىٰ مجرد الرأي أو محض اللغة.

موقفه من الأسانيد:

ثم إن ابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأعم الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح ولا تضعيف؛ لأنه كان يرىٰ كما هو مقرر في أصول الحديث أن من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، فهو بعمله هٰذا قد خرج من العهدة ومع ذلك فابن جرير يقف من السند أحيانًا موقف الناقد البصير، فيعدل من يعدل من رجال الإسناد، ويجرح من يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها، ويصرح برأيه فيها بما يناسبها، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٩٤) من سورة الكهف: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤] يقول ما نصه: «روىٰ عن عكرمة في ذلك- يعني في ضم سين سدًا وفتحها- ما حدثنا به أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن أيوب، عن عكرمة قال: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّد، وما كان من صنع الله فهو السُّد. ثم يعقب علىٰ هٰذا السند فيقول: «وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك، فإن الذي نقل ذلك عن أيوب هارون، وفي نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه». اهـ[(١)].

---

(١) «تفسير ابن جرير» جـ ١٦ ص ١٣.

تقديره للإجماع:

كذلك نجد ابن جرير في تفسيره يقدر إجماع الأمة، ويعطيه سلطانًا كبيرًا في ٱختيار ما يذهب إليه من التفسير، فمثلاً عند قوله تعالىٰ في الآية (٢٣٠) من سورة البقرة ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ يقول ما نصه: «فإن قال قائل: فأي النكاحين عنىٰ الله بقوله: (فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجًا غيره)؟ النكاح الذي هو جماع؟ أم النكاح الذي هو عقد تزويج؟

قيل كلاهما: «وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجًا نكاح تزويج ثم لم يطأها في ذلك النكاح ناكحها ولم يجامعها حتىٰ يطلقها لم تحل للأول، وكذلك إن وطئها واطئ بغير نكاح لم تحل للأول؛ لإجماع الأمة جميعًا، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن تأويل قوله: فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجًا غيره، نكاحًا صحيحًا، ثم يجامعها فيه، ثم يطلقها، فإن قال: فإن ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله تعالىٰ ذكره، فما الدلالة علىٰ أن معناه ما قلت؟ قيل: الدلالة علىٰ ذلك إجماع الأمة جميعًا علىٰ أن ذلك معناه»(١).

موقفه من القراءات:

كذلك نجد ابن جرير يعنى بذكر القراءات وينزلها على المعاني المختلفة، وكثيرًا ما يرد القراءات التي لا تعتمد على الأئمة الذين يعتبرون عنده وعند علماء القراءات حجة، والتي تقوم علىٰ أصول مضطربة مما يكون فيه تغيير وتبديل لكتاب الله، ثم يتبع ذلك برأيه في آخر الأمر مع

---

(١) «تفسير ابن جرير» جـ ٢، ص ٢٩٠- ٢٩١.

توجيه رأيه بالأسباب، فمثلاً عند قوله تعالىٰ في الآية (٨١) من سورة الأنبياء ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ يذكر أن عامة قراء الأمصار قرؤوا (الريح) بالنصب علىٰ أنها مفعول لسخرنا المحذوف، وأن عبد الرحمن الأعرج قرأ (الريح) بالرفع علىٰ أنها مبتدأ ثم يقول: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه.

ولقد يرجع السبب في عناية ابن جرير بالقراءات وتوجيهها إلىٰ أنه كان من علماء القراءات المشهورين، حتىٰ إنهم ليقولون عنه: إنه ألف فيها مؤلفًا خاصًا في ثمانية عشر مجلدًا، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور[1]، وإن كان هٰذا الكتاب قد ضاع بمرور الزمن ولم يصل إلىٰ أيدينا، شأن الكثير من مؤلفاته.

موقفه من الإسرائيليات:

ثم إننا نجد ابن جرير يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي، يرويها بإسناده إلىٰ كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن جريج والسدي، وغيرهم، ونراه ينقل عن محمد بن إسحاق كثيرًا مما رواه عن مسلمة النصارىٰ. ومن الأسانيد التي تسترعي النظر هٰذا الإسناد: حدثني ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أبي عتاب... رجل من تغلب كان نصرانيًا عمرًا من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه في الدين، وكان فيما ذكر، أنه كان نصرانيًا أربعين سنة ثم عمِّر في الإسلام أربعين سنة.

يذكر ابن جرير هٰذا الإسناد، ويروي لهٰذا الرجل النصراني الأصل

---

(١) «معجم الأدباء» جـ ١٨، ص ٤٥.

خبرًا عن آخر أنبياء بنىٰ إسرائيل، عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٧) من سورة الإسراء ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧][١].

كما نراه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٩٤) من سورة الكهف ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية يسوق هٰذا الإسناد: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم، مما توارثوا من علم ذي القرنين أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر، أسمه مرزبا بن مردبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح... إلخ[٢].

وهكذا يكثر ابن جرير من رواية الإسرائيليات، ولعل هٰذا راجع إلىٰ ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة.

وإذا كان ابن جرير يتعقب كثيرًا من هٰذِه الروايات بالنقد، فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل، ٱحتياج كثير من كتب التفسير التي ٱشتملت على الموضوع والقصص الإسرائيلي، علىٰ أن ابن جرير- كما قدمنا- قد ذكر لنا السند بتمامه في كل رواية يرويها، وبذلك يكون قد خرج من العهدة، وعلينا نحن أن ننظر في السند ونتفقد الروايات.

انصرافه عما لا فائدة فيه:

ومما يلفت النظر في تفسير ابن جرير أن مؤلفه لا يهتم فيه- كما يهتم

(١) «تفسير ابن جرير» ١٥/ ٣٣- ٣٤.

(٢) «تفسير ابن جرير» ١٦/ ١٤.

غيره من المفسرين- بالأمور التي لا تعني ولا تقيد، فنراه مثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيات [المائدة: ١١٢، ١١٣، ١١٤] إلىٰ قوله: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يعرض لذكر ما ورد من الروايات في نوع الطعام الذي نزلت به مائدة السماء .. ثم يعقب علىٰ هٰذا بقوله «وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة فأن يقال: كان عليها مأكول، وجائز أن يكون سمكًا وخبزًا، وجائز أن يكون ثمرًا من الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به وإذا أقرّ تالي الآية بظاهر ما ٱحتمله التنزيل» اهـ[1].

كما نراه عند تفسير قوله تعالىٰ في الآية (٢٠) من سورة يوسف ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾، يعرض لمحاولات قدماء المفسرين في تحديد عدد الدراهم، هل هي عشرون؟ أو ٱثنان وعشرون؟ أو أربعون؟ ... إلىٰ آخر ما ذكره من الروايات ... ثم يعقب علىٰ ذلك كله بقوله: «والصواب من القول أن يقال: إن الله- تعالىٰ ذكره- أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول ﷺ، وقد يحتمل أن يكون كان ٱثنين وعشرين، وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر وأي ذلك كان فإنها كانت معدودة غير موزونة، وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضُرّ فيه، والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه»[2] اهـ.

---

(١) «تفسير ابن جرير» ٧/ ٨٨.

احتكامه إلى المعروف من كلام العرب:

وثمة أمر آخر سلكه ابن جرير في كتابه، ذلك أنه أعتبر الأستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة وجعلها مرجعًا موثوقًا به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها، وترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٤٠) من سورة هود ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الآية نراه يعرض لذكر الروايات عن السلف في معنىٰ لفظ التنور، فيروي لنا قول من قال: إن التنور عبارة عن وجه الأرض، وقول من قال: إنه عبارة عن تنوير الصبح، وقول من قال إنه عبارة عن أعلى الأرض وأشرفها، وقول من قال: إنه عبارة عما يختبز فيه ... ثم يقول بعد أن يفرغ من هٰذا كله «وأولىٰ هٰذِه الأقوال عندنا بتأويل قوله ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ قول من قال: التنور: الذي يختبز فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة علىٰ شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها، وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به لإفهامهم معنىٰ ما خاطبهم به..» اهـ[١].

رجوعه إلى الشعر القديم:

كذلك نجد ابن جرير يرجع إلىٰ شواهد من الشعر القديم بشكل واسع، متبعًا في هٰذا ما أثاره ابن عباس في ذلك، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٢٢) من سورة البقرة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يقول ما

---

(١) «تفسير ابن جرير» ١٢/ ١٣.

(٢) «تفسير ابن جرير» ١٢/ ٢٥.

نصه: قال أبو جعفر: والأنداد جمع ند، والند: العدل والمثل، كما قال حسان ابن ثابت:

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء

يعني بقوله: (ولست له بند) لست له بمثل ولا عدل، وكل شيء كان نظيرًا لشيء وشبيهًا فهو له ند»[١] ثم يسوق الروايات عمن قال ذلك من السلف...

اهتمامه بالمذاهب النحوية:

كذلك نجد ابن جرير يتعرض كثيرًا لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف، ويوجه الأقوال، تارة على المذهب البصري وأخرىٰ على المذهب الكوفي، فمثلاً عند قوله تعالىٰ في الآية (١٨) من سورة إبراهيم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ يقول ما نصه «اختلف أهل العربية في رافع (مَّثَلُ) فقال بعض نحويي البصرة: إنما هو كأنه قال: ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا، ثم أقبل يفسره كما قال: مثل الجنة .. وهٰذا كثير.

وقال بعض نحويي الكوفيين: إنما المثل للأعمال، ولكن العرب تقدم الأسماء لأنها أعرف، ثم تأتي بالخبر الذي تخبر عنه مع صاحبه، ومعنى الكلام: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ... إلخ[٢].

وهكذا يكثر ابن جرير في مناسبات متعددة من الاحتكام إلىٰ ما هو معروف من لغة العرب، ومن الرجوع إلى الشعر القديم ليستشهد به علىٰ ما

---

(١) «تفسير ابن جرير» ١/ ١٢٥.

(٢) المصدر السابق.

يقول، ومن التعرض للمذاهب النحوية عندما تمس الحاجة، مما جعل الكتاب يحتوي علىٰ جملة كبيرة من المعالجات اللغوية والنحوية التي أكسبت الكتاب شهرة عظيمة.

والحق أن ما قدمه لنا ابن جرير في تفسيره من البحوث اللغوية المتعددة والتي تعتبر كنزًا ثمينًا ومرجعًا مهمًا في بابها، أمر يرجع إلىٰ ما كان عليه صاحبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ. ونرىٰ أن ننبه هنا إلىٰ أن هٰذِه البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمرًا مقصودًا لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، علىٰ معنىٰ أنه يتوصل بذلك إلىٰ ترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض، كما يحاول بذلك- أحيانًا- أن يوفق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينهما.

معالجته للأحكام الفقهية:

كذلك نجد في هٰذا التفسير آثارًا للأحكام الفقهية، يعالج فيها ابن جرير أقوال العلماء ومذاهبهم، ويخلص من ذلك كله برأي يختاره لنفسه، ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة، فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٨) من سورة النحل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ نجده يعرض لأقوال العلماء في حكم أكل لحوم الخيل والبغال والحمير، ويذكر قول كل قائل بسنده.. وأخيرًا يختار قول من قال: إن الآية لا تدل علىٰ حرمة شيء من ذلك، ووجه ٱختياره هٰذا فقال ما نصه: «والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني- وهو أن الآية لا تدل على الحرمة- وذلك أنه لو كان في قوله تعالىٰ ذكره: (لِتَرْكَبُوهَا) دلالة علىٰ أنها لا تصلح -إذ كانت للركوب- للأكل. لكان في قوله: ﴿فِيهَا

دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] دلالة علىٰ أنها لا تصلح- إذ كانت للأكل والدفء- للركوب. وفي إجماع الجميع علىٰ أن ركوب ما قال تعالىٰ ذكره ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ جائز حلال غير حرام، دليل واضح علىٰ أن أكل ما قال (لِتَرْكَبُوهَا) جائز حلال غير حرام. إلا بما نص علىٰ تحريمه، أو وضع علىٰ تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلىٰ رسول الله ﷺ، فأما بهٰذِه الآية فلا يحرم أكل شيء، وقد وضع الدلالة علىٰ تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلىٰ رسول ﷺ، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا كتاب «الأطعمة» بما أغنىٰ عن إعادته في هٰذا الموضع؛ إذ لم يكن هٰذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدل علىٰ أن لا وجه لقول من ٱستدل بهٰذِه الآية علىٰ تحريم لحم الفرس» اهـ(١).

خوضه في مسائل الكلام:

ولا يفوتنا أن ننبه علىٰ ما نلحظه في هٰذا التفسير الكبير، من تعرض صاحبه لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن، مما يشهد له بأنه كان عالمًا ممتازًا في أمور العقيدة، فهو إذا ما طبق أصول العقائد علىٰ ما يتفق مع الآية أفاد في تطبيقه. وإذا ناقش بعض الآراء الكلامية أجاد في مناقشته.

وهو في جدله الكلامي وتطبيقه ومناقشته موافق لأهل السنة في آرائهم، ويظهر ذلك جليًا في رده على القدرية في مسألة الٱختيار.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالىٰ في آخر سورة الفاتحة آية (٧) ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ نراه يقول ما نصه: «وقد ظن بعض أهل

---

(١) «تفسير ابن جرير» ١٤/ ٥٨- ٦٧.

الغباء من القدرية أن في وصف الله جل ثناؤه النصارىٰ بالضلال بقوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وإضافة الضلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلىٰ نفسه، وتركه وصفهم بأنهم المضللون كالذي وصف به اليهود أنهم مغضوب عليهم، دلالة علىٰ صحة ما قاله إخوانه من جهلة القدرية، جهلاً منه بسعة كلام العرب وتصاريف وجوهه. ولو كان الأمر علىٰ ما ظنه الغبي الذي وصفنا شأنه، لوجب أن يكون كل موصوف بصفة أو مضاف إليه فعل لا يجوز أن يكون فيه سبب لغيره، وأن يكون كل ما كان فيه من ذلك لغيره سبب فالحق فيه أن يكون مضافًا إلى مسبّبه. ولو وجب ذلك بإضافة الجري إلى الفلك، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل: تحركت الشجرة إذا حركتها الرياح، واضطربت الأرض إذا حركتها الزلزلة، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يطول بإحصائه الكتاب. وفي قوله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢] وإن كان جريها بإجراء غيرها إياها، ما يدل علىٰ خطأ التأويل الذي تأوله من وصفنا قوله في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وادعائه أن في نسبة الله جل ثناؤه الضلالة إلىٰ من نسبها إليه من النصارىٰ تصحيحًا لما ادعى المنكرون أن يكون لله جل ثناؤه في أفعال خلقه سبب من أجلها وجدت أفعالهم، مع إبانة الله عز ذكره نصًا في آي كثيرة من تنزيله: أنه المضل الهادي، فمن ذلك قوله جل ثناؤه ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] فأنبأ جل ذكره أنه المضل الهادي دون غيره، ولكن القرآن نزل بلسان العرب علىٰ ما قدمنا البيان عنه في أول الكتاب، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلىٰ من وجد منه وإن كان مسبّبه غير الذي وجد منه أحيانًا وأحيانًا إلى مسببه، وإن كان الذي وجد منه الفعل غيره، فكيف بالفعل الذي يكتسبه العبد كسبًا، ويوجده الله جل ثناؤه عينًا منشأة، بل ذلك أحرىٰ أن

يضاف إلىٰ مكتسبه كسبًا له بالقوة منه عليه، والاختيار منه له، وإلىٰ الله جل ثناؤه بإيجاد عينه وإنشائها تدبيرًا»[١].

وكثيرًا ما نجد ابن جرير يتصدىٰ للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية، فنراه مثلاً يجادلهم مجادلة حادة في تفسيرهم العقلي التنزيهي للآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنة، كما نراه يذهب إلىٰ ما ذهب إليه السلف من عدم صرف آيات الصفات عن ظاهرها مع المعارضة لفكرة التجسيم والتشبيه، والرد علىٰ أولئك الذين يشبهون الله بالإنسان[٢].

وهكذا نجد ابن جرير لم يقف موقفًا بعيدًا عن مسائل النزاع التي تدور حول العقيدة في عصره، بل نراه يشارك في هٰذا المجال من الجدل الكلامي بنصيب لا يستهان به، مع حرصه كل الحرص علىٰ أن يحتفظ بسنيته ضد وجوه النظر التي لا تتفق وتعاليم أهل السنة.

وبعد.. فإن ما جمعه ابن جرير في كتابه من أقوال المفسرين الذي تقدموا عليه وما نقله لنا عن مدرسة ابن عباس، ومدرسة ابن مسعود ومدرسة علي بن أبي طالب ومدرسة أبي بن كعب، وما استفاده مما جمعه ابن جريج والسدي وابن إسحاق وغيرهم من التفاسير جعلت هٰذا الكتاب أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، كما أن ما جاء في الكتاب من إعراب وتوجيهات لغوية واستنباطات في نواح متعددة وترجيح لبعض

---

(١) «تفسير ابن جرير» ١/ ٦٤.

(٢) انظر ما كتبه علىٰ قوله تعالىٰ في الآية (٦٤) من سورة المائدة ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية جـ ٦ ص ١٩٣ وما بعدها، وما كتبه علىٰ قوله تعالىٰ في الآية (٦٧) من سورة الزمر ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ ٢٤/ ١٦ وما بعدها.

الأقوال علىٰ بعض، كان نقطة التحول في التفسير، ونواة لما وجد بعد من التفسير بالرأي كما كان مظهرًا من مظاهر الروح العلمية السائدة في هٰذا العصر الذي يعيش فيه ابن جرير.

والحق أن شخصية ابن جرير الأدبية والعلمية جعلت تفسيره مرجعًا مهمًا من مراجع التفسير بالرواية، فترجيحاته المختلفة تقوم علىٰ نظرات أدبية ولغوية وعلمية قيمة فوق ما جمع فيه من الروايات الأثرية المتكاثرة.

وعلى الإجمال فخير ما وصف به هٰذا الكتاب ما نقله الداودي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني في «تاريخه» حيث قال: «فتم من كتبه- يعني محمد بن جرير- كتاب تفسير القرآن، وجوده، وبين فيه أحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومشكله وغريبه، ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه، والقصص، وأخبار الأمة والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة، وآية آية، من الأستعاذة، وإلىٰ أبي جاد، فلو ٱدعىٰ عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي علىٰ علم مفرد وعجيب مستفيض لفعل اهـ[١]».

هٰذا وقد جاء في «معجم الأدباء» جـ ١٨ ص ٦٤- ٦٥ وصف مسهب لتفسير ابن جرير، جاء في آخره ما نصه «... وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق وعن الضحاك بن مزاحم طريقين، وعن عبد الله بن مسعود

---

(١) «طبقات المفسرين» للداودي ص ٢٣.

طريقًا، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان، سوىٰ ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم، وفيه من المسند حسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يدخل في كتابه شيئًا عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي؛ لأنهم عنده أظناء والله أعلم.

وكان إذا ر جع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكىٰ عن محمد بن السائب الكلبي، وعن ابنه هشام، وعن محمد بن عمر الواقدي، وغيرهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يحيىٰ بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، كتاب أبي علي قطرب؛ وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه، إذ كان هٰؤلاء هم المتكلمون في المعاني، وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئًا من كلامهم، وهٰذا كتاب يشتمل علىٰ عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقه.اهـ.

كما نجد في «معجم الأدباء» أيضًا قبل ذلك بقليل، ما يدل علىٰ أن الطبري أتم تفسيره هٰذا في سبع سنوات، إملاء علىٰ أصحابه، فقد جاء في الجزء ١٨ ص٤٢ عن أبي بكر بن بالويه أنه قال «قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق- يعني بن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت: نعم، كتبنا التفسير عنه إملاءً، قال: كله؟ قلت: نعم، قال: في أي سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلىٰ سنة تسعين ... إلخ».

وبعد فأحسب أني قد أفضت في الكلام عن هٰذا التفسير، وتوسعت في الحديث عنه، وأقول: إن السرَّ في ذلك هو أن الكتاب يعتبر المرجع الأول والأهم للتفسير بالمأثور، وتلك ميزة لا نعرفها لغيره من كتب التفسير

بالرواية[١].

لذلك ذاعت شهرة تفسير ابن جرير في الآفاق وأصبح مضرب المثل في غزارة المادة واستقامة المنهج قال السيوطي في «الإتقان» بعد أن ساق أسماء جماعة من المفسرين بالمأثور قبل الطبري:

وبعدهم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها .... إلخ.

ثم قال: فإن قلت: فأي التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعول عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء المعتبرون علىٰ أنه لم يؤلف مثله.

قال النووي في «تهذيبه»: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله[٢].

ولا يزال العلماء ينهلون من هٰذا التفسير العظيم، وقلما تجد كتاب تفسير يخلو من أقوال ابن جرير الطبري.

ولقد ٱستفاد الواحدي في كتابه «البسيط» من ابن جرير ويظهر ذلك من كثرة النقول والآثار عن السلف في التفسير، كما نقل عنه في المسائل اللغوية، والقراءات وغير ذلك، ومما يلحظ أن الواحدي كثيرًا ما يورد أقوال الطبري ويناقشها، ولعل من أسباب ذلك ٱختلاف المنهج الذي يسلكه الطبري في التفسير عن منهج الواحدي، فبينما يعتمد ابن جرير منهج السلف والاعتماد على الآثار في التفسير، ولا يأخذ بأقوال المتكلمين في باب العقائد، نجد الواحدي بخلاف ذلك، حيث يعتمد التفسير بالرأي

(١) ٱنظر: «التفسير والمفسرون» ١/ ٢٠٥- ٢٢٤.

(٢) كتاب «الإتقان في علوم القرآن» ٢/ ١٦٠ طبعة الميمنية سنة ١٣١٧هـ.

أكثر، ويأخذ بأقوال المتكلمين في باب العقائد.

ومن الأمثلة علىٰ إفادة الواحدي من الطبري ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] ذكر القراءات في ﴿مَٰلِكِ﴾ وقال: واحتج محمد بن جرير لهٰذِه القراءة فقال: إن الله نبه علىٰ أنه مالكهم بقوله: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فَحَمل قوله: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) علىٰ وصف زائد أحسن»[١]، ثم قال في موضع آخر: «... ومن نصر هٰذِه القراءة- يريد القراءة بمالك- أجاب ابن جرير بأن قال: ما ذكرت لا يرجع قراءة (ملك) لأن في التنزيل أشياء علىٰ هٰذِه الصورة قد تقدمها العام، وذكر بعده الخاص كقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ثم قال: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] في أمثال كثيرة لهٰذا».

ومثال آخر للواحدي الناقد الفاحص للأقوال المميز لها، نقل عن ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

قال: وقال ابن جرير: معناه: في ٱعتقاداتهم مرض، أي: شك وشبه، فاستغنىٰ بذكر القلوب عن ذكر الاعتقادات؛ لأن محلها القلوب كقولهم: «يا خيل الله ٱركبي».

ثم قال الواحدي: «وليس الأمر علىٰ ما قال؛ لأن الشك في القلب على الحقيقة فأي فائدة لتقدير الاعتقاد هاهنا، ولأن الشك ينافي الاعتقاد وهم ليسوا معتقدين إذا كانوا شاكين»[٢].

وما نقلناه علىٰ سبيل المثال لا على الحصر؛ لأن البسيط مليء

---

(١) ٱنظر: «البسيط» تفسير الفاتحة الآية: ٣، الطبري ١/ ١٥٠، نقله الواحدي بمعناه.

(٢) ٱنظر: «البسيط» تفسير البقرة، آية: ١٠، الطبري ١/ ٢٧٨ نقل المؤلف كلامه بتصرف.

بأقوال الطبري سواء كان النقل مباشرة أو عن طريق شيخه.

ثالثًا: «الكشف والبيان»[١] للثعلبي[٢]:

يعتبر «الكشف والبيان» أو «تفسير الثعلبي» من المصادر الرئيسة عند الواحدي، كيف وأن الثعلبي شيخ الواحدي وأخذ عنه التفسير، وذكر الواحدي في مقدمة البسيط في أثناء حديثه عن شيخه العروضي الذي قال له: «... أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه علىٰ هٰذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد وتتركه أنت علىٰ قرب ما بيننا من الجوار يعنى الأستاذ الإمام «أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله..»[٣] ثم يقول: «... ثم فرغت للأستاذ الإمام أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي- رحمه الله-، وكان حبر العلماء بل بحرهم ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بـ «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» الذي رفعت به

(١) كان الكتاب لا يزال مخطوطًا وقت إعداد معظم رسائل هذا الكتاب، وقد طبع بعدها طبعة تجارية رديئة، وحُقق في نحو عشرين رسالة جامعية في جامعة أم القرى، وهو قيد التنسيق والإخراج في دار الفلاح بالفيوم علىٰ غرار هذا الكتاب.

(٢) هو الإمام الحافظ العلامة، شيخ المفسرين أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ويقال: الثعالبي لقب لا نسب، كان أوحد زمانه في علم التفسير الكبير، قال الذهبي: وكان حافظًا رأسًا في التفسير والعربية متين الديانة من أهل نيسابور له اْشتغال بالتاريخ توفىٰ رحمه الله سنة ٤٢٧ هـ من مصنفاته: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، و«العرائس في قصص الأنبياء» و«ربيع المذكرين».
ينظر ترجمته في: «معجم الأدباء» ٥/ ٣٦، ٣٧، و«وفيات الأعيان» ١/ ٧٩، ٨٠، «العبر» ٣/ ١٦، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٩، «طبقات» للسبكي ٤/ ٥٨، ٥٩، «طبقات المفسرين» ص ٥.

(٣) «مقدمة البسيط» ص٤١٩.

المطايا في السهل والأوعار وسارت به الفلك في البحار وهب هبوب الرياح في الأقطار:

وسار مسير الشمس في كل بلدة   وهب هبوب الريح في البر والبحر

وأصفقت عليه كافة الأمة على ٱختلاف نحلهم...» إلىٰ أن قال: «... وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء و «تفسيره الكبير» وكتابه المعنون بـ «الكامل في علم القرآن» وغيرهما[1].

التعريف بهٰذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

ألقىٰ مؤلف هٰذا التفسير ضوءًا عليه في مقدمته، وأوضح فيها عن منهجه وطريقته التي سلكها فيه، فذكر أولاً ٱختلافه منذ الصغر إلى العلماء، واجتهاده في الاَقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين ورأس العلوم الشرعية، ومواصلته ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد جهيد، حتىٰ رزقه الله ما عرف به الحق من الباطل، والمفضول من الفاضل، والحديث من القديم، والبدعة من السنة، والحجة من الشبهة، وظهر له أن المصنفين في تفسير القرآن فرق علىٰ طرق مختلفة: فرقة أهل البدع والأهواء، وعد منهم الجبائي والرماني.

وفرقة من ألفوا فأحسنوا، إلا أنهم خلطوا أباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، وعد منهم أبا بكر القفال.

وفرقة ٱقتصر أصحابها على الرواية والنقل دون الدراية والنقد، وعد منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

وفرقة حذفت الإسناد الذي هو الركن والعماد، ونقلت من الصحف

---

(١) «مقدمة البسيط» ص٤٢٥.

والدفاتر، وحررت علىٰ هوى الخواطر، وذكرت الغث والسمين؛ والواهي والمتين، قال: وليسوا في عداد العلماء، فصنت الكتاب عن ذكرهم.

وفرقة حازوا قصب السبق، في جودة التصنيف والحذق، غير أنهم طولوا في كتبهم بالمعادات؛ وكثرة الطرق والروايات، وعد منهم ابن جرير الطبري.

وفرقة جردت التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد علىٰ أهل الزيغ والشبهات، كمشايخ السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي.

ثم بين أنه لم يعثر في كتب من تقدمه علىٰ كتاب جامع مهذب يعتمد... ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وإجابته لمطلوبهم، رعاية منه لحقوقهم، وتقربًا به إلىٰ الله... ثم قال: فاستخرت الله تعالىٰ في تصنيف كتاب، شامل، مهذب، ملخص، مفهوم، منظوم، مستخرج من زهاء مائة كتاب مجموعات مسموعات. سوىٰ ما التقطته من التعليقات والأجزاء المتفرقات، وتلقفته عن أقوام من المشايخ الأثبات، وهم قريب من ثلاثمائة شيخ، نسقته بأبلغ ما قدرت عليه من الإيجاز والترتيب.

ثم قال: وخرجت فيه الكلام علىٰ أربعة عشر نحوًا: البسائط والمقدمات، والعدد والتنزلات، والقصص والنزولات، والوجوه والقراءات، والعلل والاحتجاجات، والعربية واللغات، والإعراب والموازنات، والتفسير والتأويلات، والمعاني والجهات، والغوامض والمشكلات، والأحكام والفقهيات، والحكم والإشارات، والفضائل والكرامات، والأخبار والمتعلقات، أدرجتها في أثناء الكتاب بحذف

الأبواب، وسميته: كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن».. ثم ذكر في أول الكتاب أسانيده إلىٰ من يروي عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفىٰ بذلك عن ذكرها أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلىٰ مصنفات أهل عصره- وهي كثيرة- وكتب الغريب والمشكل والقراءات، ثم ذكر بابًا في فضل القرآن وأهله، وبابًا في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير.

عثرت علىٰ هٰذا التفسير بمكتبة الأزهر فوجدته مخطوطًا غير كامل، وجدت منه أربع مجلدات ضخام (الأول والثاني والثالث والرابع). والرابع ينتهي عند أواخر سورة الفرقان، وباقي الكتاب مفقود لم أعثر عليه بحال.

قرأت في هٰذا التفسير فوجدته يفسر القرآن بما جاء عن السلف، مع ٱختصاره للأسانيد، ٱكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، ولاحظت عليه أنه يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٩٠) من سورة البقرة: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية نجده يتوسع في الكلام علىٰ نعم وبئس ويفيض في ذلك[(١)].

كما أنه يعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد علىٰ ما يقول بالشعر العربي، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (١٧١) من سورة البقرة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً﴾ الآية نجده يحلل كلمة ﴿يَنْعِقُ﴾ تحليلاً دقيقًا ويصرفها علىٰ وجوهها كلها[(٢)].

---

(١) ١/ ٨٣-٨٤.

(٢) ١/ ١٢٣.

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (١٧٣) من السورة نفسها ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ الآية نجده يحلل لفظ البغي ويتكلم عن أصل المادة بتوسع[(١)]:

ومما لاحظته علىٰ هٰذا التفسير أنه يتوسع في الكلام عن الأحكام الفقهية عندما يتناول آية من آيات الأحكام، فتراه يذكر الأقوال والخلافات والأدلة ويعرض للمسألة من جميع نواحيها، إلىٰ درجة أنه يخرج عما يراد من الآية، ٱنظر إليه عندما يعرض لقوله تعالىٰ في الآية (١١) من سورة النساء ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآية تجده يفيض في الكلام عما يفعل بتركة الميت بعد موته، ثم يذكر جملة الورثة والسهام المحددة، ومن فرضه الربع، ومن فرضه الثمن، والثلثان، والثلث، والسدس... وهكذا، ثم يعرض لنصيب الجد والجدة والجدات، ثم يقول بعد هٰذا: فصل في بساط الآية، وفيه يتكلم عن نظام الميراث عند الجاهلية وقبل مبعث الرسول[(٢)].

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٢٤) من سورة النساء ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ تجده قد توسع في نكاح المتعة وتعرض لأقوال العلماء، وذكر أدلتهم بتوسع ظاهر[(٣)].

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٣١) من سورة النساء ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الآية تجده يقول: «(فصل) في أقاويل أهل التأويل في عدد الكبائر، مجموعة من الكتاب والسنة، مقرونة بالدليل والحجة» .. ثم يسردها جميعًا ويذكر أدلتها

---

(١) ٢/ ١٢٥.

(٢) ١/ ٩١.

(٣) ٢/ ١٠٢-١٠٤.

علىٰ وجه التفصيل[(١)].

وارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٤٣) من سورة النساء ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الآية تجده يعرض لأقوال السلف في معنى اللمس والملامسة... ثم يقول: واختلف الفقهاء في حكم الآية علىٰ خمسة مذاهب، ويتوسع على الخصوص في بيان مذهب الشافعي ويسرد أدلته، ويذكر تفصيل كيفية الملامسة عنده، كما يعرض لأقوال العلماء في التيمم ومذاهبهم وأدلتهم بتوسع ظاهر عندما يتكلم عن قوله تعالىٰ: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[(٢)].

وهكذا يتطرق الكتاب إلىٰ نواح علمية متعددة، في إكثار وتطويل يكاد يخرج به عن دائرة التفسير بالمأثور.

ثم إن هناك ناحية أخرىٰ يمتاز بها هٰذا التفسير، هي التوسع إلىٰ حد كبير في ذكر الإسرائيليات بدون أن يتعقب شيئًا من ذلك أو ينبه علىٰ ما فيه رغم ٱستبعاده وغرابته، وقد قرأت فيه قصصًا إسرائيليًا نهاية في الغرابة.

ويظهر لنا أن الثعلبي كان مولعًا بالأخبار والقصص إلىٰ درجة كبيرة؛ بدليل أنه ألف كتابًا يشتمل علىٰ قصص الأنبياء، ولو أنك رجعت إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية [١٠] من سورة الكهف: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ الآية. لوجدته يروي عن السدي ووهب وغيرهما كلامًا طويلًا في أسماء أصحاب الكهف، وعددهم، وسبب خروجهم إليه، ولوجدته يروي

(١) ٢/ ١١٠-١١٢.

(٢) ٢/ ١٢٥-١٣٦.

عن كعب الأحبار، ما جرىٰ لهم مع الكلب حين تبعهم إلى الغار، ولعجبت حين تراه يروي أن النبي ﷺ طلب من ربه رؤية أصحاب الكهف فأجابه الله بأنه لن يراهم في دار الدنيا، وأمره بأن يبعث لهم أربعة من خيار أصحابه ليبلغوهم رسالته ... إلىٰ آخر القصة التي لا يكاد العقل يصدقها[١].

ثم ٱرجع إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ في الآية (٩٤) من سورة الكهف أيضًا و﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية تجده قد أطال وذكر كلامًا لا يمكن أن يقبل بحال؛ لأنه أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة[٢].

ثم ٱرجع إليه عند تفسيره لقوله تعالىٰ: في الآية (٢٧) من سورة مريم ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ الآية تجده يروي عن السدي ووهب وغيرهما قصصًا كثيرًا، وأخبارًا في نهاية الغرابة والبعد[٣].

ثم إن الثعلبي لم يتحر الصحة في كل ما ينقل من تفاسير السلف، بل نجده- كما لاحظنا عليه وكما قال السيوطي في «الإتقان»[٤]- يكثر من الرواية عن السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

كذلك نجده قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار بالأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن سورة سورة، فروىٰ في نهاية كل سورة حديثًا في فضلها منسوبًا إلىٰ أبي بن كعب، كما اغتر بكثير من الأحاديث الموضوعة علىٰ ألسنة الشيعة فسود بها كتابه دون أن يشير إلىٰ

---

(١) ٤/ ١٢١- ١٢٥.

(٢) ٤/ ١٤٠- ١٤٣.

(٣) ٤/ ١٤٧- ١٤٩.

(٤) ٢/ ١٨٩.

وضعها واختلاقها.

وفي هٰذا ما يدل علىٰ أن الثعلبي لم يكن له باع في معرفة صحيح الأخبار من سقيمها.

هٰذا.. وإن الثعلبي قد جر علىٰ نفسه وعلىٰ تفسيره بسبب هٰذِه الكثرة من الإسرائيليات، وعدم الدقة في ٱختيار الأحاديث، اللوم المرير والنقد اللاذع من بعض العلماء الذين لاحظوا هٰذا العيب علىٰ تفسيره، فقال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير:[١] والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع، وقال أيضًا في مجموع الفتاوىٰ[٢]: وقد سئل عن بعض كتب التفسير وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي، وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليدًا لغيره وتفسيره وتفسير الواحدي البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليلة، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها. اهـ.

ومن يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن ابن تيمية لم يتقول عليه، ولم يصفه إلا بما هو فيه.

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة[٣] عند الكلام عن الواحدي المفسر ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث، بل في تفسيرهما- وخصوصًا الثعلبي- أحاديث موضوعة وقصص باطلة اهـ.

والحق أن الثعلبي رجل قليل البضاعة في الحديث؛ بل ولا أكون

---

(١) ص ١٩.
(٢) ٢/ ١٩٣.
(٣) ص ٥٩.

قاسيًا عليه إذا قلت إنه لا يستطيع أن يميز الحديث الموضوع من غير الموضوع وإلا لما روىٰ في تفسيره أحاديث الشيعة الموضوعة علىٰ علي، وأهل البيت، وغيرها من الأحاديث التي ٱشتهر وضعها، وحذر العلماء من روايتها.

والعجب أن الثعلبي بعد هٰذا كله يعيب كل كتب التفسير أو معظمها، حتىٰ كتاب محمد بن جرير الطبري الذي شهد له خلق كثير. وليته إذ ٱدعىٰ في مقدمة تفسيره أنه لم يعثر في كتب من تقدمه من المفسرين علىٰ كتاب جامع مهذب يعتمد، أخرج لنا كتابه خاليًا مما عاب عليه المفسرين... ليته فعل ذلك... إذًا لكان قد أراحنا وأراح الناس من هٰذا الخلط والخبط الذي لا يخلو منه موضع من كتابه(١).

أخذ الواحدي عن الثعلبي كثيرًا من الآثار المروية عن السلف في التفسير خصوصًا أقوال ابن عباس، وغيره كمجاهد وعبد الرحمن بن زيد، كما أخذ عنه أقوال الكلبي ومقاتل، والحسين بن الفضل وغيرهم، كما أخذ عنه بعض الإسرائيليات.

كما أنه ينقل قول الثعلبي في تفسير الآية وغالبا ما يذكره بعد قوله قال المفسرون.

ومما يثير العجب أنه مع عظم تقدير الواحدي لشيخه الثعلبي وإعجابه به، كما يظهر في كلامه السابق على الرغم من ذلك وعلى الرغم من كثرة ما نقل عنه فإنه لا يذكره إلا نادرًا.

من أمثلة نقله عن الثعلبي من كلام السلف قوله في تفسير قوله تعالىٰ:

---

(١) ٱنظر: «التفسير والمفسرون» ٣/ ٢٣٢- ٢٣٤.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: ٢] وروىٰ عن ابن عباس أنه قال: معناه ذلك الكتاب الذي أخبرتك أني أوحيه إليك.

وقال يمان بن رباب: ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل...[١].

ومثال للإسرائيليات التي ٱنتقلت للبسيط من تفسير الثعلبي ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية [البقرة: ٣٠] قال: قال المفسرون: وذلك أن الله تعالىٰ خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض، فغبروا دهرًا طويلًا في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث إليهم جندًا من الملائكة يقال لهم الجن رأسهم إبليس، وهم خُزَّان الجنان ٱشتق لهم ٱسم من الجنة، فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن عن وجوهها إلىٰ شعوب الجبال وجزائر البحور، وسكنوا الأرض، وكانوا أخف الملائكة عبادة، لأن أهل السماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم... الخ. ونقل مثل هٰذا طويلا بنصه عن الثعلبي[٢].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] روىٰ عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: يريد أن عن يمين العرش نهرًا من نور؛ مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل فيه كل سحر فيغتسل فيزداد نورًا إلىٰ نوره وجمالًا إلىٰ جماله، وعظمًا إلىٰ عظمه، ثم ينتفض، فيخلق الله من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفًا البيت المعمور، وفي

(١) ٱنظر: «البسيط» [البقرة: ٢]، الثعلبي ١/ ٣٩ ب.

(٢) ٱنظر: «البسيط» [البقرة: ٣٠].

الكعبة سبعون ألفًا، لا يعودون إليه إلىٰ أن تقوم الساعة. وقد ورد بنصه في تفسير الثعلبي وكما ينقل الواحدي عن الثعلبي آثار السلف والإسرائيليات والقضايا التفسيرية، فإنه ينقل عنه مسائل لغوية أو نحوية، مثال ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] قال: «ومعنى الإنفاق في اللغة إخراج المال من اليد، ومن هٰذا يقال: نفق المبيع إذا كثر مشتروه فخرج عن يد البائع، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها، والنفق سرب له مخلص إلىٰ مكان آخر يخرج منه، والنافقاء من جحرة اليربوع: هو الذي يخرج منه إذا أخذ من جهة أخرىٰ.... فيظهر أن الواحدي ٱعتمد في هٰذا التحليل للفظ «الإنفاق» على الثعلبي لتطابق عبارته مع الثعلبي[(١)].

ومثال آخر في جانب النحو واللغة: ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال الواحدي: ﴿وَعَشْرًا﴾ بلفظ التأنيث، وأراد الأيام، وإنما كان كذلك تغليب الليالي على الأيام إذا ٱجتمعن في التاريخ وغيره، وذلك أن ٱبتداء الشهر يكون بالليل، فلما كانت الليالي الأوائل؛ غلبت لأن الأوائل أقوىٰ من الثواني[(٢)]. فهٰذا منقول من تفسير الثعلبي دون عزو.

ومن أمثلة ذلك في جانب الأحكام الفقهية: قول الواحدي في تفسير آيات الصيام: «والمرض الذي يبيح الإفطار هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادةَ في علته زيادةً لا يحتمله، والأصل فيه: أنه إذا أجهده الصوم أفطر».

---

(١) ٱنظر: الثعلبي ١ /٤٧ أ، ب.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/١٥٩أ.

وحدُّ السَّفَرِ الذي يبيح الإفطار: ستة عشر فرسخا[1] فصاعدًا. والإفطار رخصة من الله للمسافر، فمَنْ أَفْطَرَ فبرخصة الله أخذ، ومن صام ففرضه أدىٰ، علىٰ هٰذا عامة الفقهاء. فهٰذا النص منقول من تفسير الثعلبي دون عزو إليه، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة ولا تحصىٰ؛ لأن تفسير الثعلبي كالعموم الفقري وعمود الخيمة بالنسبة لتفسير البسيط.

ويمكن أن نسجل هنا مقارنة بين «الكشف والبيان» للثعلبي و«البسيط» للواحدي في النقاط الآتية:

١- يعتبر تفسير الثعلبي من تفاسير الرواية المسندة، حيث يروي كثيرًا من الأحاديث والآثار والأخبار والأشعار بسنده، بينما لا نجد هٰذا في البسيط إلا قليلًا. وغالب ما فيه من المرويات مأخوذ من تفسير شيخه.

٢- بسط الواحدي البحث في مجال اللغة والقراءات تدقيقًا وتحقيقًا ومناقشة وتوجيهًا، بينما نجد هذين الجانبين في تفسير الثعلبي علىٰ نحو مختصر، وكأن كتاب الواحدي ٱستدراك علىٰ كتاب شيخه في هذين الجانبين.

٣- أكثر الثعلبي في كتابه من الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد تقدم أنه ذكر الحديث الموضوع في فضائل السور، وهٰذا مما أخذ عليه، قال ابن الجوزي عن تفسير «الكشف والبيان»: «ليس فيه ما يعاب به، إلا ما ضمنه من الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية،

---

(١) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية، والميل: ستة آلاف ذراع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعا معتدلة، أي: أن طول الفرسخ حوالي ٦ ك. ينظر: «المجموع شرح المهذب» ٤/ ١٩٠، و«القاموس» ص٣٢٩، و«المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري» ص ٩٤.

خصوصًا أوائل السور»[١].

ويقول شيخ الإسلام- رحمه الله-: لقد أجمع أهل العلم بالحديث أنه روىٰ طائفة من الأحاديث الموضوعة، كالحديث الذي يرويه في أول كل سورة، وأمثال ذلك، ولهٰذا يقال: «هو كحاطب ليل»[٢].

ويقول أيضًا «والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير و دين، وكان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع»[٣].

ويقول في موضع آخر: الثعلبي والواحدي وأمثالهما، هٰؤلاء من عادتهم يروون ما رواه غيرهم، وكثير من ذلك لا يعرفون هل هو صحيح أم ضعيف؟ ويروون من الأحاديث الإسرائيليات ما يعلم غيرهم أنه باطل في نفس الأمر، لأن وظيفتهم النقل لما نُقل، أو حكاية أقوال الناس، وإن كان كثير من هٰذا وهٰذا باطلًا، وربما تكلموا علىٰ صحة بعض المنقولات وضعفها، ولكن لا يطردون هٰذا ولا يلتزمون[٤].

بينما نجد أن الواحدي لقلة الرواية في تفسيره هٰذا نسبة إلىٰ تفسير شيخه قد تجاوز كثيرًا من المرويات السقيمة والإسرائيليات، ولم يعرج عليها، وإن كان لم يسلم منها، ومما يحمد له أنه لم يذكر حديث فضائل السور الموضوع في البسيط، لكنه ذكره في الوسيط.

---

(١) نقله عنه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» ٤/ ٢٨٣، وينظر: «مقدمة التحقيق» لتفسير الثعلبي «الكشف والبيان» ١/ ٢٠٠.

(٢) «منهاج السنة النبوية» ٤/ ٤، وينظر أيضًا ٤/ ٨٢.

(٣) «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤

(٤) «منهاج السنة» ٤/ ٨٤.

٤- بين الثعلبي رحمه الله في مقدمة تفسيره أسانيده إلىٰ أئمة التفسير، الذين شهروا بالتفسير كابن عباس وابن مسعود ومجاهد[١].

بينما لم يذكر الواحدي هٰذِه الأسانيد في مقدمة كتابه وإنما ذكر بعضًا منها مفرقًا في ثنايا كتابه.

٥- ذكر الثعلبي في مقدمته أنه بنىٰ كتابه علىٰ أربعة عشر أساسًا وعد منها: الحِكم والإشارات، يعني: التفسير الإشاري[٢]، وقد نقل شيئًا من ذلك في كتابه من كتاب شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، الذي قال عنه الثعلبي: قرأته كله علىٰ مصنفه أبي عبد الرحمن السلمي، فأمر لي به[٣] كما أفاد من كتب أخرىٰ في هٰذا الباب: كتفسير القرآن العظيم لسهل التستري[٤]، لكن الثعلبي لم يتابع شيخه السلمي فيما أخطأ فيه، وانتُقد بسببه، وصان تفسيره من التأويلات الرمزية التي تخالف اللغة العربية[٥].

بينما لم يلتفت الواحدي إلىٰ شيء من ذلك، وعرفنا موقفه من تفسير السلمي فيما تقدم.

---

(١) ينظر: مقدمة تفسير الثعلبي ١/ ٢٤٥ - ٣٢٧ تحقيق د.خالد العنزي.

(٢) وهو تأويل آيات القرآن الكريم علىٰ خلاف ما يظهر منها بمقتضىٰ إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. ٱنظر «التفسير والمفسرون» ٢/ ٣٥٢.

(٣) مقدمة «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٣١ تحقيق: د. العنزي.

(٤) هو سهل بن عبد الله التستري، الصوفي الزاهد، صحب ذا النون المصري، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق كما قال الذهبي. توفي سنة ٢٨٣. ينظر: «حلية الأولياء» ١٠/ ١٨٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٣٣٠ .

(٥) ينظر: الثعلبي ودراسة كتابه: «الكشف والبيان» ٢/ ٦١٦ ومقدمة التحقيق لتفسير الثعلبي ١/ ١٤٠ للدكتور العنزي.

ثانيًا: علم القراءات:

«الحجة للقراء السبعة»(١) لأبي علي الفارسي(٢):

وما ألف أبو علي كتاب الحجة للقراء السبعة، إلاَّ ليستدل ويحتج للقراءات وتوثيقها وتوجيهها، والتماس الدليل لقراءة كل قارئ من القراء السبعة الذين ٱختارهم ابن مجاهد، إما بالاستناد إلىٰ قاعدة مشهورة في العربية، أو بالتماس علة خفية بعيدة الإدراك يحاول ٱقتناصها، أو توليدها أو الاعتماد على القياس وحشد النظائر ومقارنة المثيل بالمثيل وهو ممَّا برع فيه أبو على الفارسي.

وكان أبو على الفارسي يسوق لكل أسلوب من أساليب ٱحتجاجه الآيات القرآنية، والشعر الصالح للاحتجاج، والحديث النبوي، والأمثال

---

(١) ٱسم الكتاب «الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد» طبع الكتاب بتحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، ومراجعة: عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، في دار المأمون بدمشق.

(٢) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي الفسوي، أبو علي، نحوي، صرفي، عالم بارع بالعربية والقراءات، ولد ببلدة فسا، وقدم بغداد، سمع الحديث، وبرع في علم النحو وانفرد به، وقصده الناس من الأقطار، وعلت منزلته في العربية، وقدم حلب سنة ٣٤١، فأقام عند سيف الدولة فأكرمه وأحسن نزله ثم رجع إلىٰ فارس وصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده فعلمه النحو، وروى القراءة عرضًا عن أبي بكر بن مجاهد، وعرضًا عن الملك بن بكران، وانتهت إليه رئاسة النحو.
قال الذهبي: كان فيه ٱعتزال، توفىٰ سنة ٣٧٧ في ربيع الأول.
من مصنفاته: «الحجة للقراء السبعة»، «التذكرة»، «التكملة والإيضاح».
ينظر: «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٧٥- ٢٧٦، «وفيات الأعيان» ١/ ١٦٣- ١٦٤، «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٣٧٩.

العربية، ولغات العرب ولهجاتها، وأقوال أئمة العربية وعلىٰ رأسهم سيبويه الذي ٱنتثرت عبارات كتابه في حجته.

وطريقته في ذلك طريقة المتن والشرح، فهو يعرض أولًا نص ابن مجاهد في عرضه لاختلاف القراء في كل حرف من الحروف، مصرحًا باسمه أو مغفلًا له مكتفيًا بقوله: ٱختلفوا ... ثم يعقبه بقول شيخه ابن السراج وذلك في القسم الذي شرع في تفسيره من الفاتحة وسورة البقرة. أو بكلامه هو بقوله: قال أبو علي.

ولعل أبرز ما يتميز به أسلوب أبي علي هو ظاهرة الاستطراد والانطلاق بعيدًا عن أصل الموضوع المطروق حتىٰ يكاد ينسي أخره أوله، فهو ينتقل بالقارئ من الكلام على الحرف والخلاف فيه والاحتجاج له إلىٰ تفسير الآية، فيغوص في الأعماق فيستخرج من كنوز المعاني ودرر الحقائق ما ينتزع إعجاب العلماء بسعة عقله ونفاذ فكره، أو يتناول الكلمة وما يتفرع عنها من معان وما تدل عليه من دلالات فيتناولها معنًى معنًى مبينًا له مع شواهده ثم يتجاوزه إلى الحديث عن الوجوه الإعرابية أو العلل الصرفية، ويناقش جميع ذلك ويحشد له الشواهد والأدلة، فيشبعه ولا يترك بعده زيادة لمستزيد، وهو أشبه ما يكون بالنبع الغزير المتدفق في الأرض المستوية، ينبثق فيشق دروبًا لنفسه في كل مكان قبل أن يأخذ مجراه.

ثم ذكر الواحدي صلته بكتب أبي علي الفارسي عمومًا في مقدمته حينما قال: ... وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروىٰ لنا كتب أبي علي الفسوي عنه ..(١).

---

(١) مقدمة «البسيط» للمؤلف.

وذكر صلته بكتاب الحجة بصفة خاصة حينما قال: وذكرت وجوه القراءات السبع التي ٱجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء، واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه..(١).

ولقد ٱعتمد الواحدي ٱعتمادًا كبيرًا علىٰ كتاب «الحجة» في توجيه القراءات، ونقل عنه وأطال، ولعله ٱكتفىٰ بتلك الإحالة التي ذكرها في المقدمة حين قال: .. واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي على الحسن بن أحمد الفارسي... ولهٰذا لم يعز له إلاَّ قليلًا مع أنه في أكثر المواضع ينقل كلام أبي علي بنصه، وقد يتصرف فيه تصرفًا يسيرًا.

علىٰ أنه مما ينبغي ذكره أن أبا علي لمَّا أطال في كتابه علىٰ هٰذا النسق جعل الكتاب صعب العبارة، لا يستطيع الإفادة منه إلا القليل. ذكر هٰذا تلميذه ابن جني حينما قال: «وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب «الحجة في قراءة السبعة» فأغمضه وأطال حتىٰ منع كثيرًا- ممن يدعي العربية فضلا عن القَرَأة - منه، وأجفاهم عنه»(٢).

وبنقل الواحدي عن الحجة وإطالته في ذلك، وقع في كتابه شيء من الغموض وصعوبة العبارة، تلاحظ ذلك وأنت تقرأ في حجج القراءات عند الواحدي أو في بعض المباحث اللغوية والنحوية.

وأمثلة ما نقله عن «الحجة» كثيرة ففي كل موضع تكلم فيه عن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «المحتسب» ١ / ٢٣٦، وانظر مقدمة المحققين علىٰ كتاب «الحجة» ص ٢٦، طبعة دار المأمون.

القراءات نقل فيه عن أبي علي. من ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ذكر القراءات فيها، ثم ذكر الاحتجاج لها، ونقل في ذلك عن الحجة بدون عزو قال: «قال محمد بن السري: الملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس بالحكم عليه في ملكه...»(١) وأخذ بعد ذلك عن أبي علي بتصرف.

ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ٦] نقل في الاحتجاج للقراءات في «أأنذرتهم» قريبًا من «عشر صفحات»(٢).

علىٰ أن أخذ الواحدي من «الحجة» لم يقتصر على الاحتجاج للقراءات، حيث إن أبا علي في «الحجة» يستقصي ويتتبع المسائل ويخرج عن مجال الاحتجاج للقراءات إلىٰ بيان أصول بعض الكلمات، أو الوجه التفسيري للآية فنقل عنه الواحدي في ذلك كثيرًا.

ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] قال: «وقال أناس من النحويين: إنه قد تُجْرى الأسماء التي ليست بمصادر مُجْرى المصادر، فيقولون: جلس جلسة، وركب ركبة، ويقولون: عجبت من دهنك لحيتك وينشدون:

وبعد عطائك المائةَ الرَّتاعا

فَيُجرىٰ مُجْرى الإعطاء..... إلخ(٣).

فهٰذا- مع كلام بعده - نقله عن الحجة بتصرف يسير في العبارة. ونص

---

(١) انظر: «البسيط» تفسير الفاتحة [الآية: ٤]

(٢) انظر: «البسيط»تفسير سورة البقرة [الآية: ٦].

(٣) «البسيط» عند تفسير الآية: [٢].

كلام أبي علي في «الحجة»: «.. ويقويه أن ناسا من النحويين يزعمون أنه قد يجري الأسماء التي ليست بمصادر مجرى المصادر فيقولون: «عجبت من دهنك لحيتك.. الخ»(١).

ونقل عنه في موضع آخر مع عزو الكلام إليه فقال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال: «قال أبو علي الفارسي: معنىٰ نقدس لك: ننزهك عن السوء، فلا ننسبه إليك، و«اللام» فيه علىٰ حدها في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] لأن المعنىٰ تنزيهه، وليس المعنىٰ أنه ينزه شيء من أجله...الخ»(٢).

ثالثًا: معاني القرآن:

١- «معاني القرآن»(٣) للفراء أبي زكريا يحيىٰ بن زياد(٤):

---

(١) «الحجة» ١ / ١٨٢.

(٢) «البسيط» عند تفسير الآية: [٣٠].

(٣) ذكر ثعلب: كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني أن عُمَر بن بُكير كان من أصحابه، وكان منقطعًا إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: إن الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولًا أو تجعل في ذلك كتابًا أرجع إليه فعلت.
فقال الفراء لأصحابه: ٱجتمعوا حتىٰ أمل عليكم كتابًا في القرآن. هٰذا وقد أملى الفراء كتابه من حفظه في سنتين من رمضان ٢٠٢ إلىٰ ٢٠٤ .
وقد طبع بتحقيق الأستاذان محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي.

(٤) هو: يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي أبو زكريا، مولاهم الكوفي صاحب التصانيف سكن بغداد وأملىٰ بها كتاب «معاني القرآن» وغير ذلك. ولد سنة (١٤٤)هـ.
قال ابن الأنباري: كان يقال للفراء أمير المؤمنين في النحو.
وقال ثعلب: لولا الفراء لما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء=

لقد ألف الفراء كتابه «معاني القرآن» وحشد فيه من المسائل النحوية والصرفية واللغوية، ومذاهب العرب وتوجيه القراءات وتفسير القرآن من وجهة عربية لإبراز مذهبه الكوفي في علوم العربية.

وقد أفاد الواحدي من كتاب «معاني القرآن» ونقل عنه كثيرًا إما بالعزو إليه فيقول: قال الفراء، ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] عن معنىٰ «ذلك» قال: قال الفراء:

وإنما يجوز «ذلك» بمعنىٰ «هٰذا» لما مضىٰ وقرب وقت تقضيه، أو تقضي ذكره، فأما الموجود الحاضر فلا يقال فيه «ذلك».... إلخ»[(١)].

وربما نقل عنه بالسند كما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: «أخبرني أبو سعيد بن أبي عمرو النيسابوري- رحمه الله- ثنا محمد بن يعقوب المعقلي ابنا محمد بن الجهم[(٢)(٣)]، عن الفراء قال: الاستواء في كلام العرب علىٰ جهتين، إحداهما: أن يستوي

= لسقطت العربية لأنه كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها علىٰ مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب. توفي رحمه الله سنة ٢٠٧هـ بطريق مكة عن عمر ثلاث وستين سنة.

من مصنفاته: «الحدود»، «معاني القرآن»، الوقف والابتداء»، «المصادر».

ينظر ترجمته: «وفيات الأعيان» ٢/ ٣٠١- ٣٠٤، «معجم الأدباء» ٢٠/ ٩- ١٤، «أخبار النحويين البصريين» ص ٥١، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٣٨.

(١) انظر: «البسيط» عند تفسير الآية [٢]، «معاني القرآن» ١/ ١٠ .

(٢) هو: محمد بن الجهم السِّمرِّي، أبو عبد الله راوي كتاب «معاني القرآن» للفراء. ينظر ترجمته: «تاريخ بغداد» ٢/ ١٦١، «الإكمال» ٤/ ٥٢٩، «غاية النهاية في طبقات» ١/ ٣٢٧، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٦٣، «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٣١٤.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٤، «البسيط» عند الآية [٢٩].

الرجل وينتهي شبابه وقوته، ويستوي من ٱعوجاج... الخ»[١].

وقد ينقل عنه بدون عزو كما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ الآية [البقرة: ٧٢] قال: «وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ ينعطف علىٰ قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَىٰ﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: ٥٠] والذكر مضمر فيها كأنه قال: «واذكروا إذ قتلتم»، ولهٰذا لم يأت لـ«إذ» بجواب. ومثله قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ [هود: ٦١] وليس شيء قبله تراه ناصبا لصالح، فعلم بذكر النبي، وبالرسل إليه أن فيه إضمار «أرسلنا». ومثله قوله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾[الأنبياء: ٧٦]، ﴿وَذَا النُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهٰذا يجرىٰ علىٰ مثال ما قال في سورة «ص» ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: ٤٥] ثم ذكر الذين من بعدهم بغير «واذكر» لأن معناه متفق، فجاز ذلك.....»[٢].

ويتضح من هٰذِه النصوص أنه ينقل عن الفراء في المسائل النحوية واللغوية والقضايا التفسيرية وغيرها.

٢- «معاني القرآن»[٣] للزجاج[٤]:

ذكر المؤلف صلته بـ«معاني القرآن» للزجاج في مقدمة البسيط في أثناء

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٢٥، «البسيط» الموضع السابق.

(٢) «البسيط» ص ١٠٧٧، والكلام في «معاني القرآن» للفراء مع ٱختلاف يسير في العبارة ١ / ٣٥.

(٣) طبع الكتاب بتحقيق د / عبد الجليل شلبي، المطابع الأميرية، القاهرة، خرج منه مجلدان، ثم طبع كاملا في «عالم الكتب» بلبنان في خمسة أجزاء .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل. كان في أول حياته يحترف خراطة الزجاج فسمي الزجاج، عالم بالنحو واللغة ذو دين وفضل وحسن ٱعتقاد، أخذ العلم عن المبرد وثعلب وغيرهم، ومن أشهر تلامذته: أبو علي الفارسي =
والجوهري وغيرهم.

كلامه عن شيخه سعيد بن محمد الحيري قال: «... وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج في «المعاني» روايته عن ابن مقسم[(١)] عنه وسمع بقراءتي الخلق الكثير....»[(٢)].

منهج الزجاج في «معاني القرآن»:

وطريقته أنه يحلل بعض ألفاظ الآية من الناحية الاْشتقاقية ثم يذكر إعراب الآية ويناقش النحويين، ويورد قراءات اللغويين وهي قراءات شاذة غالبا، كما يورد القراءات المشهورة ويبين المعنىٰ علىٰ كل، وقد يقف عند الحروف فيشرحها[(٣)].

وقد اْعتمد الواحدي علىٰ كتاب «معاني القرآن» اْعتمادًا كبيرًا، وأفاد منه كثيرًا، ولا يفسر آية إلا وينقل غالبا عن الزجاج فيها قائلًا: قال أبو إسحاق، أو قال الزجاج.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾

= ومن مصنفاته: «معاني القرآن»، «الاشتقاق»، «العروض»، «مختصر النحو»، «ما تكلمت به العرب علىٰ لفظ فعلت وأفعلت»، وغيرهما من المصنفات النافعة. ينظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ٨٩- ٩٣، «معجم الأدباء» ١/ ١٣٠- ١٥١، و«الأنساب» ٦/ ٢٧٣، و«إنباه الرواة» ١/ ١٩٤-٢٠٠.

(١) ابن مقسم: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العَطار أبو بكر البغدادي، إمام نحوي مقرئ له مؤلفات جليلة في التفسير ومعاني القرآن وله اْختيار في القراءة تكلم فيها بعض العلماء توفي سنة ٣٥٤هـ وله ٨٩ سنة، اْنظر: «إنباه الرواة» ٣/ ١٠٠، و«معجم الأدباء» ١٨/ ١٥٠، و«غاية النهاية» ٣/ ١٢٣، و«لسان الميزان» ٥/ ١٣٠، و«طبقات المفسرين» للداوودي ٢/ ١٣١.

(٢) انظر: مقدمة «البسيط» ص٤٢٤.

(٣) انظر مقدمة د/ شلبي علىٰ معاني القرآن.

[الفاتحة: ١] قال: «قال أبو إسحاق: وإنما لم يستعمل الواحد من لفظه، لأن «العالم» ٱسم لأشياء مختلفة، فإن جعل لواحد منها ٱسم من لفظه صار جمعا لأشياء متفقة»(١).

وفي سورة يونس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾الآية [يونس: ٢٣] قال: «قال أبو إسحاق متاع الحياة الدنيا يقرأ بالرفع والنصب فالرفع من جهتين.. الخ»(٢).

وربما نقل عنه بالسند كما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [البقرة: ٢٩] فقال: «أقرأني سعيد بن محمد الحيري- رحمه الله- عن أبي الحسن بن مقسم وأبي علي الفارسي عن الزجاج قال: قال قوم في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عمد وقصد إلى السماء، كما تقول فرغ الأمير من بلد كذا ثم ٱستوىٰ إلىٰ بلد كذا، معناه: قصد بالاستواء إليه، قال: وقول ابن عباس: «ثم ٱستوىٰ إلى السماء» أي صعد، معناه: صعد أمره إلى السماء ٱنتهىٰ كلامه(٣).

وقد ينقل عنه ولا يعزو له، وهٰذا كثير، مثال ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢] قال: «.. فإن قيل: فما أنكرت أن يكون جواب هل رجل في الدار؟

قيل: معنىٰ «لا رجل في الدار» عمهم النفي، لا يجوز أن يكون في الدار رجل ولا أكثر منه وكذلك: «هل من رجل في الدار»؟ ٱستفهام عن

---

(١) انظر: «البسيط» تفسير الفاتحة الآية [٢].

(٢) «البسيط» ٣/ل ١١ب «النسخة الأزهرية».

(٣) ٱنظر: «البسيط» [البقرة: ٢٩]، وانظر كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٧٤، ٧٥، والنص أقرب إلىٰ ما في «تهذيب اللغة» ١٣/ ١٢٥ .

الواحد وأكثر منه... الخ»[١]. فهٰذا التساؤل وجوابه والكلام بعده وقبله أخذه عن «معاني القرآن» للزجاج[٢]، وهو يتصرف في كلام الزجاج حين ينقل عنه سواء كان بعزو أو بدون عزو.

ومما يلحظ من النصوص السابقة وغيرها بالتتبع نجده لا ينقل عن الزجاج القضايا النحوية واللغوية فقط بل ينقل عنه في القضايا التفسيرية وغيرها أيضًا.

رابعًا: اللغة:

١- «تهذيب اللغة»[٣] لأبي منصور الأزهري[٤]:

يعتبر «تهذيب اللغة» من أهم وأضخم المعاجم اللغوية، وقد تميز عما

(١) ٱنظر: «البسيط» عند تفسير سورة البقرة الآية [٢].

(٢) ٱنظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، ٣٢.

(٣) طبع الكتاب محققًا أول مرة، من قبل جماعة مختارة من المحققين والمراجعين بالتعاون مع العلامة عبد السلام هارون، وصنع له فهرسًا يسر الٱنتفاع به، وصدر عن: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٤- ١٩٦٧ في ستة عشر مجلدًا. ثم قام الأستاذ رياض زكي قاسم بترتيبه ألفبائيًا. وصدر عن دار المعرفة ٢٠٠١ في أربعة مجلدات.

(٤) هو: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الهروي، العلامة، الشافعي، وشهرته الأزهري وهي نسبة إلىٰ أزهر أحد أجداده، ولد سنة ٢٨٢هـ، وكان رأسًا في اللغة والفقه، ثقة ثبتًا دينًا، وقع في الأسر عند عودته من الحج، وذلك في فتنة القرامطة، وأقام في الأسر حوالي عشرين عامًا، ثم تخلص ودخل بغداد، وقد ٱستفاد من القوم الذين وقع في سهمهم، وكانوا في عامتهم أعرابًا بداة، وقد ألف كتابه التهذيب بعد بلوغه السبعين، ثم دخل بغداد وأخذ عن كبار شيوخها ثم عاد إلىٰ هراة ليأخذ عن شيوخها.
توفي الأزهري سنة ٣٧٠ وعن عمر تسعين عامًا. =

سبقه بوفرة مادته اللغوية، وكثرة المصادر التي أفاد منها، فهو موثق المادة نصيحها؛ وقد صرح في مقدمته بأنه لم يودع كتابه إلا ما صح له سماعًا من العرب أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفته.

و«التهذيبُ» عُمدة لما ظهر بعده من المعجمات، فصاحب «لسان العرب» يقول: «لم أجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة» لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري...»، ويضيف في مكان آخر، في مقدمته: «وأنا مع ذلك لا أدّعي فيه دعوىٰ فأقول شافهت أو سمعت، أو فعلت وصنعت، أو شددت أو رحلت، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت؛ فكل هٰذِه الدعاوىٰ لم يترك فيها الأزهريّ وابن سِيدَه لقائل مقالًا، ولم يخليا فيه لأحد مجالًا، فإنّهما عيَّنا في كتابيهما عمّن رويا، وبرهنا عمّا حويا، ونشرا في خطيهما ما طويا. ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفيا».

مصادر التهذيب:

استنفد الأزهريّ في «معجمه» علم من كتبوا قبله، ورحل إلى البادية سعيًا وراء المشافهة والسماع من أفواه العرب الخلّص، واستقصىٰ في تتبّع ما حصّل من علوم العربية والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة

= من مصنفاته: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي»، «علل القراءات»، «الرد على الليث»، «تفسير إصلاح المنطق».

انظر: «معجم الأدباء» ١٧/ ١٦٤- ١٦٧، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٣٣٤، و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» ص (٢٣٧) و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٣١٥ .

بفصاحتها، التي ٱحتجّ بها أهل المعرفة. كما ٱستفاد من إقامته سنوات طويلة في الأسر؛ فقد ٱختلط بأقوام عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرامٌ من تميم وأسد، ممّن نشؤوا في البادية «يتتبّعون مساقط الغيث أيام النُّجَع، ويرجعون إلىٰ أعداد المياه، ويرعَون النَّعَم، ويعيشون بألبانها، ويتكلّمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي ٱعتادوها، ولا يكاد يقع في منطقهم لحنٌ أو خطأ فاحش...، وكنّا نتشتّى الدَّهْناء[١]، ونتربَّع الصّمّان[٢]، ونتقيّظ السِّتارَين[٣]. واستفدتُ من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضًا ألفاظًا جمّة ونوادر كثيرة..».

وفي مقدمة الأزهري ذكرٌ وافٍ لطبقات أئمة اللغة الذين ٱعتمد عليهم في تصنيف تهذيبه، وهم خمس طبقات، من أبرزهم: أبو عمرو بن العلاء[٤]،

---

(١) الدَّهْناء: الأرض واسعة في بادية العرب، في ديار بني تميم، وقيل هي سبعة أجبل من الرمل، وقيل هي في بادية البصرة في ديار بني سعد. «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٣٦.

(٢) الصّمّان: جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال، وليس له ٱرتفاع، يجاور الدهناء، وقيل إنه قرب رمال عالج، وبينه وبين البصرة تسعة أيام. «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٣٦.

(٣) السِّتاران: تثنية ستار. وهما واديان في ديار بني سعد، يقال لهما: سورة. «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٣٦، وقال ياقوت في «معجم البلدان (ستار): «والستارات في ديار بني ربيعة: واديان يقال لهما السَّوْدَة، يقال لأحدهما الستار الأغبر وللآخر الستار الجابريّ، وفيهما عيون فَوَّارة تسقي نخيلًا كثيرة...، وهي من الأحساء علىٰ ثلاثة أميال..».

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء، بن عمار بن عبد الله المازني، النحوي المقرئ. ٱختُلف في ٱسمه علىٰ أحد وعشرين قولًا. مات سنة أربع- وقيل تسع- وخمسين ومئة. انظر: «إنباه الرواة» ٤/ ١٢٥، و«معجم الأدباء» ٣/ ٣٤٥، و«بغية الوعاة» ٢/ ٢٣١.

وخلف الأحمر(١)، والمفضّل الضَّبِّيّ(٢)، وأبو زيد الأنصاري(٣)، وأبو عمرو الشيباني(٤)، وأبو عبيدة معمر بن المثنىٰ(٥)، والأصمعي(٦)، والكسائي(٧)، والنضر بن شميل(٨)، والفرّاء(٩)، وسيبويه(١٠)، وأبو عبيد القاسم بن سلام(١١)، واللّحياني(١٢)، وعمرو بن أبي عمرو الشيباني(١٣)، وأبو حاتم

---

(١) هو أبو محرز خلَف بن حيّان المعروف بخلف الأحمر. «مات في حدود الثمانية ومائة» «بغية الوعاة» ١/ ٥٥٤.

(٢) هو أبو عبد الرحمن، المفضّل بن محمد الضَبَي. توفي نحو ١٧٨هـ.

(٣) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري. توفي سنة ٢١٤هـ.

(٤) هو أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني. توفي سنة ٢٠٦ من خلافة المأمون، وقيل سنة ٢١٠هـ «نزهة الألباء» ص٩٦.

(٥) في سنة وفاته خلاف؛ فقد قال الصولي: توفي سنة ٢٠٧هـ وقال مظفّر بن يحيىٰ: توفي سنة ٢٠٩هـ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة، وقيل: توفي بالبصرة سنة ٢١٣هـ وله ثمان وتسعون سنة في خلافة المأمون «نزهة الألباء» ص١١١.

(٦) هو أبو بكر عبد الملك بن قُرَيْب. توفي سنة ٢١٣هـ وقيل سنة ٢١٧هـ في خلافة المأمون. «نزهة الألباء» ص١٢٣.

(٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة. ستأتي ترجمته.

(٨) توفي النّضر سنة ثلاث- أو أربع- ومائتين في خلافة المأمون. «نزهة الألباء» ص٨٨.

(٩) سبق ترجمته.

(١٠) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ستأتي ترجمته، توفي سنة ١٨٨هـ، وقيل ١٩٤هـ، والأول أشبه؛ لأنه مات قبل الكسائي. «نزهة الألباء» ص٦٦ .

(١١) ستأتي ترجمته.

(١٢) هو أبو الحسن علي بن المبارك، وقيل: ابن حازم. توفي سنة ٢٢٠هـ. «نزهة الألباء» ص١٧٦، «بغية الوعاة» ٢/ ١٨٥، «نشأة النحو». محمد الطنطاوي ص١٠٢.

(١٣) راية أبيه (أبي عمرو الشيباني). توفي عمرو سنة ٢٣١هـ.

السجستانيّ(١)، وابن السِّكّيت(٢)، وثعلب(٣)، والمبرّد(٤)، والزّجّاج(٥).

وهو حين ينقل عمّن سبقه قد يصرّح باسم المرجع الذي نقل عنه وقد لا يصرّح لكن المادة الموثقة بأسانيدها، المعزوّة إلى القائل تغلب علىٰ مواده.

وينبغي، هنا، أن نشير إلىٰ أن الأزهري حين ينقل عن كتاب «العين» فإنّما ينقل عنه بعبارة «قال الليث» لأنه كان يرىٰ أن كتاب «العين» من صنيع الليث(٦)، فقد أملاه الخليل بن أحمد على الليث بعد تلقفه إيّاه عن فِيهِ، وهو منهج صدر عن شكّ سيطر على الأزهري، مفاده التجريح بالمعجمات التي سبقته وعاصرته، ولما لم يستطع مهاجمة الخليل نفسه تبنّىٰ فكرة نسبة «العين» إلى الليث ليستطيع تجريحه.

وهو على الرغم من موقفه الملتبس من الخليل، كثير الانتفاع من «العين»، فأثر منهج الخليل بادٍ في «تهذيب اللغة»، وكذلك الإفادة الكثيرة من

---

(١) هو أبو حاتم سهل بن محمد. توفي سنة ٢٥٠هـ، وقيل سنة ٢٥٥هـ «نزهة الألباء» (١٩١).

(٢) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت. توفي سنة ٢٤٣هـ، وقيل: ٢٤٤، وقيل: ٢٤٦هـ. «نزهة الألباء» ١٧٩.

(٣) هو: أحمد بن يحيىٰ بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس ثعلب، شيخ اللغة العربية، إمام الكوفيين، حفظ كتب الفراء، ولازم ابن الأعرابي توفي سنة ٢٩١هـ

(٤) هو: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ستأتي ترجمته.

(٥) سبق ترجمته في نفس هٰذِه المقدمة.

(٦) هو الليث بن المظفّر، هكذا أسماء الأزهري. وقال في «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧٠: الليث بن نصر بن يسار الخراسانيّ.

وقال غيره: الليث بن رافع بن نصر بن يَسار. ولم تؤرخ وفاته.

مادة «العين» المروية أو المدوّنة، مباشرة، أو عن طريق «الجمهرة» لابن دريد.

منهج الأزهري في «تهذيب اللغة»:

رتّب الأزهري مواد تهذيبه علىٰ مخارج الحروف، متبعًا منهج كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد حاكاه في تقاليب الكلمة والأبنية.

ويصرّح في مقدمته بهٰذا المنهج وتلك المحاكاة بقوله: «ولم أرَ خلافًا بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب «العين»، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقّفه إيّاه عن فيه. وعلمت أنه لا يتقدّم أحدٌ الخليل فيما أسسّه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينة لتتأمّله وتردّد فكرك فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجةُ إليه، ثمّ أتبعه بما قاله بعض النحويين، ممّا يزيد في بيانه وإيضاحه».

والمنهج المذكور يتّضح في النظام الآتي:

١- ترتيب الأبجدية العربية ترتيبًا صوتيًا، يبدأ بأقصىٰ مخارج الحروف في الحلق وأدخلها، وهو العين، ثم ما قرب مخرجه منها الأرفع فالأرفع، حتىٰ يأتي علىٰ آخر الحروف، وهو الياء، وهٰذا ٱنتظامها: ع ح هـ خ غ / ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و أ ي.

٢- ترتيب الأبنية ترتيبًا تصاعديًا يبدأ بالثنائي فالثلاثي فالرباعي فالخماسي.

أ- أمّا الثنائي فتبدأ أبوابه من الحرف الأول وهو العين وما يليها، وهو الحاء، ثمّ العين مع الهاء، فالعين مع الخاء، حتىٰ يأتي علىٰ آخر الحروف.

ب- يقلّب الثنائي، إن أمكنه قلبه؛ نحو: عق= قع.

ج- أبواب الثلاثي الصحيح. يبدأ بالعين مع الحاء وما يثلّثهما بترتيب الحروف، ثمّ العين مع الهاء، ثم مع الخاء والغين، حتىٰ يأتي علىٰ آخر الحروف.

د- يقلِّب كلّ مادة ثلاثية بذكر الصور الست الممكنة في مكان واحد؛ نحو: هقم- همق- قهم- قمه- مهق- مقه.

ويشير إلى المستعمل منها والمهمل؛ فيقول في تقاليب هقم: «مستعملات»، ويقول في تقاليب هكد: هكد- كهد- كده- دهك: مستعملة. أهمل الليث هكد.

ويقول في هكس: ٱستُعمل من وجوهه: سَهَك. ويقول في: هكز «أهمله الليث».

هـ- ثم أبواب الثلاثي المعتلّ، وهو ما فيه حرفان صحيحان وحرف علّة واحد. وهي تجري على النظام السابق، مع إلحاق المهموز بالمعتل بالألف.

و- اللفيف، فمن لفيف حرف الهاء: هاه- أوه- هيه- إيه- هيأ- هوأ- هأي- وهوه- يهيأ- وهي- أيه- هوىٰ- هوي.

ز- الرباعي، فالخماسي. يشار هنا إلىٰ أن الأزهري رتّب الرباعي علىٰ أبوابه، ولم يفعل ذلك في الخماسي.

ح- أدرج المعتل في آخر الكتاب(١).

ولقد ذكر الواحدي صلته بكتاب تهذيب اللغة، حيث كان الأزهري من شيوخ العروضي أحد شيوخ الواحدي.

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» طبعة دار المعرفة، بتحقيق د. رياض زكي قاسم.

يقول الواحدي في مقدمة كتابه «البسيط» عن شيخه العروضي: «... وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروىٰ عنهم، كأبي منصور الأزهري روىٰ عنه كتاب «التهذيب» وغيره من الكتب...»(١). ثم يقول: «... وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة...»(٢) ولا بد أن يكون كتاب «التهذيب» في طليعة تلك الكتب.

لقد أفاد الواحدي من كتاب «تهذيب اللغة» كثيرًا، ويعتبر مصدرًا هامًا له في مجال اللغة واشتقاق الكلمات، حيث إن شرح الكلمات القرآنية وبيان أصولها واشتقاقها وما فيها من غريب يأخذ حيزًا كبيرًا في تفسير الواحدي يبدأ به كل آية، وقد ٱعتمد في أكثر ذلك علىٰ كتاب «تهذيب اللغة» وله ثلاث طرق في إفادته من الكتاب:

الطريقة الأولىٰ: أن ينقل بالسند عن طريق أبي الفضل العروضي مثال ذلك أنه قال- أثناء تفسير لفظ الجلالة «الله» -: «أخبرني أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي- رحمه الله- قال: أبنا أبو منصور أحمد بن محمد الأزهري، أبنا أبو الفضل المنذري قال: سألت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي عن ٱشتقاق ٱسم «الله» في اللغة، فقال «الله» أصله «إلاه» قال جل ذكره: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]... الخ(٣)).

وكلام أبي الهيثم قد ورد في «التهذيب» ضمن كلام طويل مع ٱختلاف

---

(١) انظر: مقدمة «البسيط» ص٤١٨.

(٢) انظر مقدمة «البسيط» ص٤١٩.

(٣) انظر: «البسيط» للمؤلف في تفسير الفاتحة.

يسير في العبارة. قال الأزهري: «وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن ٱشتقاق ٱسم الله في اللغة فقال: «...»[(١)].

وقد أخذ الواحدي عن الأزهري من هٰذا الطريق في مواضع من كتابه فعند تفسير لفظ «الناس» وبيان أصلها في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٨]، قال: «فقد أقرأني العروضي قال: أقرأني الأزهري، قال أخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأل عن «الناس» ما أصله، قال أصله «أناس».. الخ»[(٢)].

الطريقة الثانية: أن ينقل عن الأزهري بدون سند ويعزو إليه، وهٰذا أكثر من الطريقة الأولىٰ، قال عند تفسير «المرض» في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية [البقرة: ١٠]، قال: «وقال الأزهري: أخبرني المنذري عن بعض أصحابه قال: المرض: إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها، قال: والمرض الظلمة وأنشد.. الخ».

ومثال آخر عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣] قال- ناقلًا كلام الأزهري دفاعا عن الشافعي-: «قال الأزهري وهٰذا يدل علىٰ أن الشافعي لم يخطئ من جهة اللغة، لأن الكسائي ثقة مأمون، قال: والمعروف من كلام العرب عال الرجل يعول إذا جار ومال، وأعال إذا كثر عياله»[(٣)].

وبالطريقة الثالثة: أن يفيد منه بدون عزو، وهٰذِه أكثر الطرق، وقل أن تجد في تفسير «البسيط» كلامًا في اللغة إلا وقد أفاد الواحدي من

---

(١) «تهذيب اللغة» ٦/ ٤٢٣.

(٢) انظر: «البسيط»٣/ ١٩٤ [البقرة: ٨]، و«التهذيب» مادة: (أنس) ١٣/ ٨٨.

(٣) «البسيط» ل ٢٢٨ من المخطوطة الأزهرية، و«التهذيب» مادة: (عال) ٣/ ١٩٤.

«التهذيب» إما بنصه أو بمعناه، ولو تتبعت هٰذا الجزء المحقق لأدركت ذلك، وأوضح مثال علىٰ ذلك مقدمة الكتاب فقد نقل الواحدي فيها كلامًا بنصه عن مقدمة «تهذيب اللغة» بدون عزو قال في المقدمة: «والله تعالىٰ ذكره أنزل كتابه علىٰ قوم عرب أولي بيان فاضل وفهم بارع، أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشئوا عليه وجبلوا على النطق به، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه... إلخ»[١]، وهٰذا الكلام بنصه في مقدمة «تهذيب اللغة»[٢]. ومثال آخر عند تفسيره «مالك» في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قال: «ويقال: ما تمالك فلان أن فعل كذا، أي: لم يستطع أن يضبط نفسه وقال:

فلا تَمالُكَ عن أرض لها عَمَدُوا

وملاك الأمر ما يضبط به الأمر، يقال: «القلب ملاك الجسد...»[٣]

فهٰذا الكلام نقله عن «التهذيب» مع التصرف اليسير في العبارة. وربما نقل عن الأزهري ذاكرًا شيوخ الأزهري ولم يذكره هو، قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] «الحراني عن ابن السكيت يقال: ٱتقاه بحقه يتقيه، وتقاه يتقيه وأنشد عن الأصمعي..»[٤]، ونص الكلام في التهذيب: «وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت قال.. ثم ذكره..»[٥].

---

(١) انظر: مقدمة البسيط، وفروق النص بعد المقارنة مع «التهذيب».

(٢) انظر: مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤.

(٣) «البسيط» ١/ ٥٠٩، وانظر «التهذيب» (ملك) ١٠/ ٢٧١.

(٤) «البسيط» عند تفسير الآية ﴿هدى للمتقين﴾.

(٥) «تهذيب اللغة» «تقىٰ» ٩/ ٢٥٧.

وبهذه الأمثلة يتضح مدىٰ إفادة الواحدي من كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري.

القسم الثاني من المصادر: المصادر الثانوية.

وهي أقل من الأولىٰ في ٱعتماد المؤلف عليها.

١- «الكتاب»[١] لسيبويه[٢]:

لقد ألف سيبويه كتابه في علم النحو ومسائله ومقاييسه وعلله، وهو لا نظير له في بابه، وقد ٱعتمد المؤلف عليه ونقل منه مسائل في النحو أو الصرف، وتارة ينقل بواسطته مثل «تفسير الثعلبي»، و«معاني القرآن وإعرابه»، أو كتاب «الحجة» لأبي على الفارسي، أو «تهذيب اللغة».

---

(١) علم على ٱسم كتاب سيبويه في النحو، قال السيرافي: وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علمًا عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، ولأهميته في بابه كان أحد النحاة يختمه كل خمسة عشر يومًا. وطبع الكتاب عدة طبعات أشهرها طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة الكتاب في أربعة مجلدات والخامس فهارس، بتحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون.

(٢) أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري إمام النحو وحجة العرب، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش وعيسىٰ بن عمر، وورد بغداد وناظر بها الكسائي بحضور سعيد الأخفش والفراء، وتعصبوا عليه، ثم وصله يحيىٰ بعشرة ألف، فسار إلىٰ بلاد فارس، فاتفق موته بشيراز فيما قيل قيل: عاش ٱثنتين وثلاثين سنة، وقيل أربعين سنة توفي رحمه الله سنة ١٨٠هـ على الأصح.

ينظر: «المعارف» لابن قتيبة ص ٢٣٧، «مراتب النحويين» لأبي الطيب ص ٦٥، «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٩٥، «نزهة الألباء» لابن الأنباري ص ٨١- ٨٢، «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٣٥١.

وعند عرضه لأقوال سيبويه تارة يذكر قوله وتارة يحكي مذهبه، ومن أمثلة ذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠] بيّن مذهب سيبويه في زيادة (من) فقال: قال أبو عبيدة: (من) زائدة، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب.

وعند قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [إبراهيم: ١٨] ذكر مذهب سيبويه في رفع (مثلُ) فقال: ٱختلفوا في الرفع للمثل، فقال الزجاج: هو مرفوع علىٰ معنىٰ: وفيما يتلىٰ عليكم، وهٰذا مذهب سيبويه.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] قال: وقال سيبويه: المسنون المصوَّر علىٰ صورة ومثال، من سُنّة الوَجْه، وهي صورته. فهٰذا القول لم أجده في الكتاب، وورد بنصه في تفسير الثعلبي (٢/ ١٤٨أ).

وعند قوله تعالىٰ: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] قال: قال الخليل وسيبويه: أجمعون توكيد بعد توكيد. وقد ورد هٰذا الكلام بنصه في «معاني القرآن وإعرابه».

وعند قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] قال: قال سيبويه: معنىٰ سبحان الله: براءة الله من السوء. وقد ورد كلامه هٰذا بنصه في «الكتاب» وفي «تهذيب اللغة»، فيحتمل أنه نقله من «التهذيب»؛ لأنه من مصادره الرئيسية.

ومن أمثلة نقله بواسطة:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨، ١٩٩] قال الواحدي: «قال أبو علي الفارسي: أعجم صفة، كأحمر؛ لأنه قد وُصف به في النكرة.. والذي قلنا

من أن الأعجمين جمع أعجمي هو قول سيبويه؛ وقد نص عليه... قال سيبويه في الباب المترجم: هٰذا بابٌ من الجمع بالواو والنون، وتكسير الآسم. سألت الخليل عن قولهم: الأشْعَرُون؛ فقال: إنما أَلحقوا الواو والنون وحذفوا ياء الإضافة كما كَسَّروا فقالوا: الأشاعِر، والأشاعث، والمَسَامِعة، فلما كَسَّروا مِسْمَعًا والأشعث حين أرادوا معنىٰ بني مِسْمَع وبني الأشعث، أَلحقوا الواو والنون، فكذلك الأعجمون... آنتهت الحكاية عن أبي علي. «الإغفال فيما أغفله الزجاج» ٢/ ٢١٣.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] قال الواحدي: «وقال النحاس: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ ليس بوقف؛ لأنه لم يأت بجواب (إذا) وجواب (إذا) علىٰ قول الخليل وسيبويه: ﴿أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي: خرجتم. ومثله قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] تقديره عنده: قنطوا. والقول ما قال النحاس». قول سيبويه ذكره النحاس، «القطع والائتناف» ٢/ ٥٣٢.

٣- قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢] قال الواحدي: «قال سيبويه في هٰذه الكلمة: سألت عنها الخليل فزعم أنها: وَيْ، مفصولة من كأن، وأن القوم تنبهوا، فقالوا: وَيْ، متندمين علىٰ ما سلف منهم، وكل من تندّم أو ندم فإظهار ندامته أن يقول: وَيْ». «الكتاب» ٢/ ١٥٤، بمعناه. وذكره بنصه الزجاج ٤/ ١٥٦.

٢- كتب الكسائي[١]:

نقل الواحدي عن الكسائي جملة من الآراء والاختيارات اللغوية والنحوية، وغالبها نقلت- فيما يبدو- بواسطة بعض ما تقدم من المصادر، كتهذيب اللغة، وتفسير الثعلبي، وبعض النصوص ليست فيها، ولعلها من كتاب «معاني القرآن» للكسائي[٢]، وهو من المفقودات، وهو من روايات شيخه الثعلبي كما صرح به في تفسيره[٣].

٣- «المصادر» للفراء[٤]:

«المصادر» للفراء من الكتب المفقودة، وقد صرح الواحدي- رحمه الله- عدة مرات بالنقل عنه، ويلاحظ أن معظم النقولات عن هٰذا الكتاب هي في أبنية الكلمات وأصولها واشتقاقها، وقد وردت إحالات كثيرة إلى الفراء لم أقف عليها في المعاني، وأغلب الظن أنها من هٰذا الكتاب لِمَا بين هٰذِه النصوص من التشابه، ومن أمثلة ما نقله: قول الواحدي: والقِصَاص مصدر؛ لأنه فعال من المفاعلة.

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن أحمد بن حمزة بن بهمن بن فيروز الأسدي الكوفي أحد القراء السبعة وكان إمامًا في النحو واللغة والقراءات. روىٰ عن أبي بكر بن عباس وحمزة الزيات وغيرهم، أخذ عنه القراء أبي عبيد والفراء وغيرهما له مصنفات منها «معاني القرآن»، و«مختصر النحو»، و«كتاب القراءات» توفي سنة ١٨٩ بالري.
ينظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٢٩٥، «الفهرست» ص ٩٧، «تاريخ بغداد» ١١/ ٤٠٣.

(٢) ذكر هٰذا الكتاب: القفطي في «إنباه الرواة» ٢/ ٢٥٧ والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٣.

(٣) تفسير الثعلبي ١/ ٣٣٨-٣٣٩ .

(٤) سبق ترجمته.

قال الفراء في كتاب المصادر: قاصَصْته قَصَصًا، وأَقْصَصْتُه: إذا أقدته من أخيه إِقْصَاصًا، ويقال: قَصَصْتُ أثره قُصًّا وقَصًّا، وقَصَصْتُ عليه الحديثَ قُصًّا، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وعند قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥] قال: وقال الفراء في المصادر: يقال للرجل دَفَيْت فأنت تدفأ دَفْأ ساكنة الفاء مفتوحة الدال، ودِفاءً بالكسر والمد، وزاد غيرُه دَفاءَة ودَفاءً.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤] قال: وقال الفراء في المصادر: ما كان طريّا ولقد طري يطرأ طراءً ممدود وطراوةً، كما يقال: شقي يشقىٰ شقاءً وشقاوةً.

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] قال: وقال الفراء في المصادر: أغسق الليل إغساقًا وغسق غسوقًا.

٤- «مجاز القرآن»(١) لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ(٢):

---

(١) طبع هٰذا الكتاب بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين في مجلدين، تحت إشراف مؤسسة الرسالة.

(٢) هو العلامة البحر، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مولاهم، البصري، النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة ١١٠ هـ، في الليلة التي توفي فيها الحسن البصري.
روىٰ عن: هشام بن عروة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم، وروىٰ عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو عثمان المازني، وغيرهم. وتذكر كتب التراجم أنه من الخوارج توفي سنة ٢٠٩هـ.
من مصنفاته: «معاني القرآن»، «نقائص جرير والفرزدق»، «مقاتل الفرسان»، «أخبار قضاة البصرة».

ألف أبو عبيدة هٰذا الكتاب في تفسير القرآن، ويعد أول كتاب مطبوع من كتب غريب القرآن[١]، وله أسماء متعددة[٢]، ويعد أكثر كتب الغريب أستشهادًا بالشعر[٣]، وقد فسر غريبَ القرآن باللغة مقتصرًا عليها في الغالب[٤] ولم يخضع أبو عبيدة في مجازه لأي من المدرستين البصرية والكوفية ولم يتقيد بتلك القيود التي كانت تضعها تلك المدرستان لفهم النصوص العربية.

ويجدر الإشارة هنا أن معنى المجاز عند أبي عبيدة يختلف كل الأختلاف عن المعنى الذي حدده علماء البلاغة، فالمجاز عند أبي عبيدة عبارة عن الطريق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهٰذا المعنىٰ أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة[٥].

وقد نقل الواحدي- رحمه الله- عن أبي عبيدة من مجازه دون الإشارة إلى الكتاب، واكتفىٰ بقوله: قال أبو عبيدة، أما المجالات التي نقل عنها

---

(١) يقول الدكتور: مساعد الطيار في «التفسير اللغوي» ص ٣٣٤: بل لا يبعد أن يكون أول كتاب للغويين يتعلق بتفسير القرآن نظرًا للحملة الأستنكارية التي قامت عليه، مما يدل علىٰ أنه بدع في التأليف في هٰذا المجال.

(٢) منها: «غريب القرآن»، و«معاني القرآن»، و«إعراب القرآن»، وقد عدت هٰذِه الأسماء كتبًا مختلفة والظاهر أنها أوصاف لهٰذا الكتاب، وأشهر أسمائه: «مجاز القرآن»، ولم يسمه أبو عبيدة بذلك لكنه اللفظ الذي يكثر دورانه في كتابه. ينظر: «التفسير اللغوي» ص ٣٣٥.

(٣) بلغت شواهده ٩٥٢ ينظر: ترقيم المحقق للشواهد.

(٤) وهٰذا أحد أهم أسباب أنتقاد العلماء له، ووقوعه في الخطأ. ينظر: «التفسير اللغوي» ص ٣٤٧.

(٥) انظر: مقدمة «مجاز القرآن»، لفؤاد سزكين ١/ ٩ وما بعدها.

فمتنوعة؛ إذ لم يقتصر على اللغة، بل شملت- كذلك- التفسير والصرف والشواهد الشعرية وغيرها، ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] نقل عنه تفسير الآية، فقال: وقال أبو عبيدة: مجاز هٰذا مجاز المَثَل، ومعناه: كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به، قال: ويقال ردّ يده في فمه، أي: أمسك ولم يجب.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] نقل عنه شاهدًا شعريًّا علىٰ أن جَنَّبْتُه وجَنَبْتُه واحد، فقال: وأنشد أبو عبيدة لأُميَة بن الأَسْكَر:

وتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عليه وتَجْنُبُه قلائِصُنا الصِّعابا

وعند قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣] نقل عنه معنى الغريب، فقال: وأما تفسير الإهطاع فقال أبو عبيدة: هو الإسراع.

وعند قوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤] نقل عنه معنًى بلاغيًّا، فقال: قال أبو عبيدة: وزليل القدم مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطَة بعد سلامة.

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] نقل عنه قضية صرفية، فقال: وقال أبو عبيدة: ضَيْق تخفيف ضَيِّق: مثل مَيِّت، يقال: أمر ضَيْق وضَيِّق.

وقد ينقل عن أبي عبيدة بواسطة ومثاله.

قول الله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢] قال الواحدي: «قال أبو علي: قال

أبو عبيدة: جناحا الرجل: يداه». «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤١٤، بنصه، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢/ ١٠٤: ﴿جَنَاحَكَ﴾ أي: يدك.

وقد ينسب الواحدي القول لأبي عبيدة، وهو غير موجود في المجاز، مثاله:

قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال الواحدي: «قال أبو عبيدة: الأوثان: كل ما كان منحوتًا من خشب أو حجر، والصنم ما كان من ذهب أو فضة أو نحاس».

٥- «معاني القرآن»[(١)] للأخفش[(٢)]:

يعتبر كتاب «معاني القرآن» من أوائل الكتب المؤلفة في بيان معاني

---

(١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور/ فائز فارس في مجلدين، وبتحقيق عبد الأمير الورد في مجلدين. وبتحقيق هدىٰ قراعة في مجلدين.

(٢) هو: أبو الحسن، سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، المعروف بالأخفش، نحوي، لغوي، عروضي، روىٰ عن هشام بن عروة، والكلبي، وعمرو بن عبيد، وأخذ عن الخليل، ولزم سيبويه حتىٰ برع وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر.
قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدريًّا رجل سوء، وكتابه في معاني القرآن صويلح، وفيه أشياء في القدر. توفي سنة ٢١٥هـ.
من مصنفاته: كتاب «الأوسط في النحو»، «معاني القرآن»، «الاشتقاق»، «العروض»، «المقاييس في النحو».
ينظر: «مراتب النحويين» ص ١٠٦، «أخبار النحويين البصريين» ص ٥٠-٥١، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٦، «وفيات الأعيان» ٢/ ٣٨٠، «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٢٠٦، «معجم الأدباء» ١/ ٨٦٨.

القرآن[١]، لكنه قصره في الغالب على النحو مبرزًا مذهبه البصري، وليس فيه من المعاني إلا النزر اليسير[٢]، ولعل السر في ذلك أنه أفرد المعاني في كتاب آخر في «غريب القرآن»[٣]، ويعتبر الأخفش من العلماء الذين ٱهتموا بالنحو دون اللغة[٤]، ولذلك أخذ عنه الواحدي كثيرًا من مسائل النحو، أحيانًا يكون النقل مباشرة وتارة يكون بواسطة.

مثال النقل مباشرة:

تفسير قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] قال: وقال الأخفش: الخِطْء: الإثم وهو ما أصابه متعمدًا والخطأ غير المتعمد. ويقال من هٰذا: أخطأ يُخْطِئُ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] واسم الفاعل من هٰذا: مخطئ، فأمّا خطيئة فاسم الفاعل منه: خاطئٌ، وهو المأخوذ به فاعله، وفي التنزيل ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧][٥].

(١) يدل لذلك: ما ورد عنه أنه ألف كتابه تلبية لطلب الكسائي ثم جعله الكسائي إمامًا وعمل عليه كتابًا في المعاني، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما. ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٣٧ و«إشارة التعيين» ص ١٣٢.

(٢) يؤكد ذلك ذكره لبعض الأبواب النحوية عند بعض الآيات كباب الإضافة ١/ ٣٩ و«باب ٱسم الفاعل» ١/ ٤٤ و«باب إضافة أسماء الزمان إلى الفعل» ١/ ٤٥.

(٣) ٱعتمد الثعلبي علىٰ هٰذا الكتاب وذكر ذلك في مقدمة «تفسيره».

(٤) ينظر: «طبقات النحويين واللغويين» ص ٧٣.

(٥) قال أبو حاتم كما في «تهذيب اللغة» ٩/ ٢٠: ولم يكن عالمًا بكلام العرب، وكان عالمًا بقياس النحو. وقد ورد ما يدل علىٰ علمه باللغة كما في «طبقات النحويين» ص ٧٤ لكنه في باب النحو أبصر.

نقل عنه في النحو: عند قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] فقال: واختلفوا في وجه انتصاب الكذب؛ فقال الأخفش: جعل (ما تصف) اسمًا للفعل؛ كأنه قال: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب. ورد بنصه في معانيه.

ونقل عنه في «الغريب»: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] قال: قال الأخفش: المُبْصِرةُ: البَيِّنة؛ كما تقول الموضِحَة والمُبَيِّنَة. ورد بنصه في معانيه.

ومن أمثلة النقل بواسطة:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] قال الواحدي: «وحكىٰ أبو علي الفارسي، عن الأخفش قال: الإمام هاهنا جمع: آمّ فاعل من: أمَّ، يُجمع علىٰ: فِعَال، نحو: صَاحب، وصِحَاب».

قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨] قال الواحدي: «قال الأخفش: قرأ الأعمش: ﴿لَنُثوِيَنَّهم مِنَ الجَنَّةِ غُرَفًا﴾ قال: ولا يعجبني ذلك؛ لأنك لا تقول: أثويته الدار» لم أجده عند الأخفش في «المعاني»، لكن ذكر أبو علي أن أبا الحسن قال: قرأ الأعمش. «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ٤٤٠.

قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] قال الواحدي: «وقال أبو إسحاق: المعنىٰ: فاسأل عنه خبيرًا. وهو مذهب الأخفش، وجماعة جعلوا الباء، بمعنىٰ عن، كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

[المعارج: ١]. لم أجده في كتابه «المعاني» ٢/ ٦٤٢، عند هٰذِه الآية. ونسبه له النحاس، «القطع والائتناف» ٢/ ٤٨٦.

٦- كتب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤)[١]:

لأبي عبيد كتب كثيرة في اللغة والقراءات وفي فنون أخرىٰ من العلم، وقد أفاد الواحدي من كتبه، فمن ذلك: كتاب «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله العزيز»[٢]، حيث نقل منه الواحدي في مواضع من تفسيره، يعزو أحيانًا، ويغفل أخرىٰ.

وأما في اللغة فالغالب أنه ينقل أقواله عن طريق تهذيب اللغة للأزهري، وأما توجيه القراءة فقد يكون من كتابه الذي ألفه في القراءات، وهو مفقود[٣].

٧- «تأويل مشكل القرآن»[٤] لعبد الله بن مسلم بن قتيبة[٥]:

---

(١) هو الإمام الحافظ المجتهد، ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله، ولد سنة ١٥٠هـ، أخذ العلم عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، والأصمعي وغيرهم، وقرأ القرآن على الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشجاع بن أبي نصر، صنف التصانيف المؤنقة التي سارت بها الركبان. توفي رحمه الله سنة ٢٢٢ هـ بمكة.

من مصنفاته: «غريب المصنف»، «الأمثال السائرة»، «الناسخ والمنسوخ»، «القراءات»، و«الأيمان والنذور».

ينظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٤٩٠، «معجم المؤلفين» ٢/ ٦٤٢.

(٢) طبع بتحقيق محمد المديفر في مجلد.

(٣) ذكر هٰذا الكتاب الداودي في «طبقات المفسرين» ٢/ ٣٦.

(٤) قامت دار التراث بطبعه، وحققه السيد أحمد صقر.

(٥) العلامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، نزل بغداد وجمع وبعد صيته، وولي قضاء=

تكلم ابن قتيبة علىٰ السبب الذي دفعه إلىٰ تأليف هٰذا الكتاب، فقال ص (١٧): وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا: ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عمران: ٧] بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله؛ ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر؛ والحدَثَ الغِرَّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور...

فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفتُ هٰذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن؛ مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملًا ما أعلم فيه مقالًا لإمام مطلع علىٰ لغات العرب؛ لأري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلىٰ من له أصل التفسير؛ إذ كنت لم أقتصر علىٰ وحي القوم حتىٰ كشفته، وعلىٰ إيمائهم حتىٰ أوضحته، وزدت في الألفاظ ونقصت، وقدمت وأخرت،

= دينور، ولد سنة ٢١٣هـ في أواخر خلافة المأمون.

قال الخطيب البغدادي: كان ثقة دينًا فاضلًا. توفي رحمه الله سنة ٢٧٦هـ.

من مصنفاته: «غريب القرآن»، «أدب الكاتب»، «عيون الأخبار»، «طبقات الشعراء»، «المعارف»، «جامع الفقه».

ينظر ترجمته: «طبقات النحويين» ص (١١٦)، «تاريخ بغداد» ١٠/ ١٧٠، «إنباه الرواة» ٢/ ١٤٣، «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٢، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٢٩٦.

وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتىٰ يستوي في فهمه السامعون.

ثم فسر معنى المتشابه والمشكل.

وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان... ومنه يقال: ٱشتبه عليّ الأمر؛ إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما. وشبهت علي إذ لبَّست الحق بالباطل.

ثم يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره[١].

وكتاب «تأويل مشكل القرآن» كتاب فريد تحدث فيه عن موقف علماء الكلام من أهل الحديث وما تحدثوا عنهم به من شتى التهم والمثالب؛ وعرض بالنقد لما ذهب إليه النظام من ٱعتراضه علىٰ أبي بكر وعمر وعلي، وطعنه علىٰ ابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة. ونقد كذلك ثمامة بن الأشرس، ومحمد بن الجهم البرمكي، والجاحظ، وأبا الهذيل العلاف، وغيرهم؛ وعرض لأهل الرأي، وأبان عن منابذتهم للكتاب والسنة، وأدار الجزء الأكبر من كتابه على الأحاديث التي ٱدعي عليها التناقض والاختلاف ومخالفة القرآن؛ والأحاديث التي زعموا أن النظر يدفعها، وحجة العقل تدمغها؛ فكشف عن معانيها التي صرفهم عن فقهها الهوى الجموح، ولفتهم عن وجه الحق فيها إلحاد الضمائر والقلوب والعقول[٢].

٨- «تفسير غريب القرآن»[٣]. وهو أيضًا لابن قتيبة:

قال ابن قتيبة في مقدمة «الغريب»: نفتتح كتابنا هٰذا بذكر أسمائه

(١) ٱنظر: مقدمة «تأويل مشكل القرآن» ص ٧٧- ٧٨.

(٢) ٱنظر: مقدمة «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٤- ٢٥.

(٣) طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر.

الحسنىٰ وصفاته العلىٰ؛ فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما، ونتبع ذلك ألفاظًا كثر ترددها في الكتاب لم نر بعض السور أولىٰ بها من بعض، ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله؛ إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتابًا جامعًا كافيًا بحمد الله.

وغرضنا الذي ٱمتثلناه في كتابنا هٰذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل؛ وألا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وألا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد.

فإنا لو فعلنا ذلك في نقل الحديث لاحتجنا أن نأتي بتفسير السلف، رحمة الله عليهم، ولو أتينا بتلك الألفاظ لكان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقلة الحديث..»[(١)].

ولقد ٱعتمد الواحدي في كتابه على ابن قتيبة دون أن يصرح بكتبه التي نقل عنها.

وقد ظهر أن أغلب النقولات كانت من كتابيه: «تفسير غريب القرآن»، و«تأويل مشكل القرآن»، وكان النقل من الأول أكثر، ويتميز النقل من المشكل بالإطالة مع التصرف والاختصار وأحيانًا بنصه، في حين ينقل عن الغريب كلمات يسيرة معظمها في «الغريب»- علىٰ ٱسمه- وقد ينقل عنه بعض الردود والتعليلات. ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦] قال: وقال ابن قتيبة: المسنون المتغير الرائحة. نقله عن الغريب بنصه.

وعند قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ [الحجر: ٦٦] قال: وقال ابن

(١) ٱنظر: مقدمة «غريب القرآن» ص ٣.

قتيبة: أي أخبرناه. نقله عن الغريب بلفظه.

وعند قوله تعالى: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] نقل عنه تعليل تسمية الطريق إمامًا، فقال: وقال ابن قتيبة: لأن المسافر يأتم به حتىٰ يصير إلى الموضع الذي يريد. نقله عن الغريب بنصه.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] نقل عنه رده علىٰ أبي عبيدة في قوله: «يريد بشرًا ذا رِئَةٍ» فقال: قال ابن قتيبة: «ولست أدري ما الذي ٱضطره إلىٰ هٰذا التفسير المُسْتَكْرَه، وقد سبق التفسير من السلف بما لا ٱستكراه فيه، قال مجاهد في قوله: ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي: مخدوعًا؛ لأن السحر حيلة وخديعة». نقله عن الغريب.

وعند قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] نقل في معنى السجود نقلًا طويلًا عن «المشكل» مع التصرف والاختصار، فقال: وشرح ابن قتيبة هٰذا شرحًا شافيًا فقال: أصل السجود التّطَأْطُؤ والميل، يقال: سجد البعير واسجد إذا طأطأ رأسَه لِيُرْكَب، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الٱستسلام والطاعة والذل، ومن الأمثال المبتذلة: ٱسْجُدْ للقرد في زمانه، يراد ٱخضع للئيم في دولته، ولا يُراد معنىٰ سجود الصلاة، والشمس والظل خَلقان مُسخَّران لأَنْ يعَاقِبَ كلُّ واحِدٍ منهما صاحِبَه بغير فصْلٍ، فالظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ، كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل، ثم تطلُع الشمسُ فتَعُمُّ الأرضَ إلا بما سترته الشُّخُوصُ، فإذا سَتَرَ الشخصُ شيئًا عاد الظلُ، فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمسًا ودورانُه من جانب إلىٰ جانب هو سُجُودُه؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتَّسخير، وهو في ذلك يميل، والميل سجود، وكذلك قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] أي: يستسلِمَان لله بالتسخير.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] قال: وقال ابن قتيبة: «أي إمامًا يَقْتَدِي به الناس؛ لأنه ومن ٱتبعه أُمَّة، فَسُمِّي أُمَّة؛ لأنه سبب الٱجتماع»، هٰذا وجه قول من قال: أُمَّةً: معلمًا للخير، ومن قال: أُمَّة: أي مؤمنًا وحده؛ «فلأنه ٱجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مِثْلُه في أُمَّة، ومن هٰذا يقال: فلان أُمَّةٌ وحْدَه، أي: هو يقوم مقام أمة». فهذان نقلان ٱقتبسهما عن المشكل بنصه.

٩- كتب المبرد (ت ٢٨٥هـ)[١]:

للمبرد مؤلفات كثيرة تربو على الخمسين[٢]، معظمها في الأدب واللغة والنحو والقرآن، وقد نسب الواحدي إلى المبرد أقوالًا في اللغة خاصة لم أقف عليها في كتبه المطبوعة[٣].

وتعتبر أقوال المبرد وآراؤه أحد المصادر الهامة لتفسير الواحدي وهي في ٱغلب المواضع يتم نقلها عن طريق مصادره السابقة كـ «الحجة» و «سر صناعة الإعراب» ، وفي القليل ينقل عن كتب المبرد مباشرة خصوصًا «المقتضب» ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]

---

(١) هو: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد كان علىٰ قدر كبير من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ، له كتب من أشهرها «المقتضب» في النحو، و «الكامل» في الأدب، مات سنة ٢٨٦هـ . ٱنظر ترجمته في «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ص ١٠١، و«تاريخ بغداد» ٣/ ٣٨٠، و«نزهة الألباء» ص ١٦٤ و«إنباه الرواة» ٣/ ٢٤١.

(٢) ٱنظر: مقدمة كتاب: «الكامل» للمبرد ١/ ١٤.

(٣) منها: «الكامل، و«المقتضب»، و«ما ٱتفق لفظه واختلف معناه»، و«التعازي والمراثي».

عن «أول» قال: «.. وقال المبرد في كتاب «المقتضب» أول: يكون علىٰ ضربين: يكون ٱسما، ويكون نعتا موصولا به «من كذا».. الخ».

وكتاب «معاني القرآن»[١]، وهو كتاب لم يصل إلينا، وقد وقفنا علىٰ نص واحد طويل نقله بواسطة التهذيب، ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨] قال: وقال المبرد: دلوك الشمس من لدن زوالها إلىٰ غروبها عند العرب.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] قال: قال المبرد: المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد، فإن كان قد روي في اللغة معنى الإعدام فهو كما قال أبو عبيدة، وإلا فمعنى الكلام في الآية: خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويجحف بكم، فيكون الكلام من باب حذف المضاف علىٰ تقدير: خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه.

وعند قوله تعالىٰ: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] قال: وقال المبرد: الأكثر عند العرب أن اللفيف إنما يقال للمختلطين من كل شكل، وكل شيء خلطته بشيء فقد لففته، ومنه قيل لففتَ الجيوشَ إذا ضربت بعضها ببعض، والتفت الزحوف.

وقد يكون النقل من كتابي «المقتضب» و «الكامل»، مثاله:

قوله الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨] قال الواحدي: «قال المبرد: قولهم: يا فل أقبل، ليس بترخيم فلان؛ ولو كان

---

(١) ذكر المترجمون له هٰذا الكتاب في «مؤلفاته». ٱنظر: «إنباه الرواة» ٣/ ٢٥١، «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٢٧١.

كذلك قيل: يا فلا أقبل. ومما يزيده وضوحًا قولهم للأنثىٰ: يا فلة أقبلي. قال: ولكنها كلمة علىٰ حدة. قال: وقد تستعمل في غير النداء، كقوله:

في لَجَّةٍ أمْسكْ فلانًا عن فُلِ

«المقتضب» ٤/ ٢٣٧، ولم أجد قول المبرد عند الأزهري.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] قال الواحدي: «قال المبرد: وهٰذا قول أبي زيد في هٰذِه الآية قال: أعناقهم: جماعاتهم». «المقتضب» ٤/ ١٩٩، ونسبه لأبي زيد الأنصاري. ولم أجده في «تهذيب اللغة».

٣- قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١] قال الواحدي: «قال المبرد: فلان يقص أثر الجيش أي: يتبعه متعرفًا». «الكامل» للمبرد ٢/ ١٠١٨.

١٠- «نظم القرآن»(١) لأبي علي الجرجاني(٢):

أفاد الواحدي من كتاب «نظم القرآن» ونقل عنه كثيرًا، خصوصًا عند

(١) كتاب: «نظم القرآن» مفقود، وهو يقع في مجلدين- كما ذكر السهمي- والظاهر أنه كان معروفًا لدى العلماء كالعلم، وقد قام مكي بتأليف كتاب للرد عليه- في أربعة أجزاء- سماه: «انتخاب نظم القرآن للجرجاني وإصلاح غلطه»، وقد ذكر خبر كتاب مكي هٰذا القفطي في ترجمة مكي، وذكره الزركشي في «البرهان» ونقل عنه بعض النصوص. ٱنظر: «تاريخ جرجان» للسهمي ص ١٨٧، «إنباه الرواة» ٣/ ٣١٦، «البرهان» ٢/ ٩٢.

(٢) الجرجانيون الذين كُنُّوا بأبي علي، وذكر أنهم ألفوا في «نظم القرآن» ٱثنان:

الأول: هو أبو علي، الحسن بن علي بن نصر الطوسي الجرجاني، الإمام الحافظ المجوِّد، سمع محمد بن يحيىٰ وأحمد بن الأزهر، وروىٰ عنه إسحاق بن محمد=

الدراسة

الحديث عن نظم الآيات ونقل عنه مسائل في اللغة والنحو، ومن أمثلة ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا

= الكيساني، وابن سلمة القطان، له تصانيف حسان، ذكر الداودي أن له كتاب «نظم القرآن»، توفي سنة ٣٠٨هـ، وقيل: ٣١٢هـ أنظر: «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٢٨٧، «طبقات الحفاظ» ٣/ ٧٨٧، «لسان الميزان» ٢/ ٢٣٢، «طبقات المفسرين» للداوودي ١/ ١٤١.

والثاني: هو أبو علي، الحسن بن يحيىٰ بن نصر الجرجاني، قال السهمي: «كان مسكنه بجرجان بباب الخندق...، له من التصانيف عدة؛ منها في «نظم القرآن» مجلدان، وكان رحمه الله من أهل السنة، روىٰ عن العباس بن يحيى العقيلي، وروىٰ عنه أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف الطوسي».

انظر: «تاريخ جرجان» للسهمي ص (١٨٧)، «الأنساب» ٢/ ٤٠، «مقدمة تفسير الثعلبي» ١/ ١٠ب.

والراجح أن الذي كان ينقل عنه الواحدي هو الثاني؛ لأن الثعلبي ذكر في مقدمة تفسيره أن من مصادره: كتاب «النظم»، لنفس الرجل، قال: قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه، قال: قرأت علىٰ أبي النصر محمد بن محمد بن يوسف بـ «طوس»، قال: قرأت علىٰ أبي علي الحسن بن يحيىٰ بن نصر الجرجاني، وأغلب الظن أن الواحدي ٱستفاد من هٰذا المصدر عن طريق شيخه الثعلبي.

ومما يؤكد أنه هو صاحب النظم الوارد في «البسيط»، أن ابن القيم أورد بعض النقولات في كتابه: «الروح» ٢/ ٥٤٧- ٥٦٠ ونسبها للجرجاني، وقد صرح في ص ٥٥٩ أنه الحسن بن يحيى الجرجاني، وأسلوب هٰذِه النقولات يتفق مع ما ينقله الواحدي عن صاحب «النظم»، بل إن الكلام الذي نقله ابن القيم عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ورد بنصه في «البسيط». انظر: «الروح» ٢/ ٥٤٧، «البسيط»، تح: الفايز ٣/ ٩١٠.

بِسُورَةٍ ..﴾ [البقرة: ٢٣] قال: «.. وقال أبو علي الجرجاني: نظم الآية: «فأتوا بسورة من مثله» من دون الله «وادعوا شهداءكم» أي من مثل القرآن من غير الله... قال: ومثل هٰذا قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. ونظمه: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات من دون الله وادعوا من ٱستطعتم من الناس».

وقال في سورة «يونس» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠] «قال صاحب النظم: وأن هاهنا زائدة».

وفي تفسير سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الدخان: ١، ٢] «وقال صاحب النظم: لولا أن قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ صفة للقرآن الذي أقسم به وأخبر عنه، لاحتمل أن يكون جوابا للقسم، ولكن ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشيء إذا أخبروا عنه».

التوفيق بين الآيات المتشابهات وإزالة الإشكال: عند قوله تعالىٰ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وفق بين هٰذه الآية وآية الشعراء: ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، قال: قال صاحب النظم: والفرق بينهما أن دخول الواو يقلب حال ما بعدها إلى الٱبتداء، وخروجها منه يدل علىٰ أن ما بعدها في موضع حال، ٱعتبارًا بقولك: ما أهلكنا من قرية إلا ظالمًا أهلها، فيكون نصبًا على الحال، فإذا دخلت الواو قلت: إلا وأهلها ظالمون، فقلبت الواو الحالَ إلىٰ أن جعلتها مبتدأة، فانقلبت رفعًا عن النصب، وهٰذا فرق من حيث اللفظ، والمعنىٰ واحد أثبتَّ الواو أو حذفتَها.

إيراد المسائل النحوية: عند قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١٢] قال: واختلفوا في المُكنّىٰ في قوله: ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾،

فذكر أقوالًا مأثورة ثم قال: قال صاحب النظم: الهاء كناية عن الٱستهزاء ودلَّ عليه الفعل؛ كقولهم: من كذب كان شرًّا له، والفعل يدل على المصدر؛ كقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: الشكر، فأضمره لدلالة الفعل عليه.

نقل معنى «الغريب»: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [الحجر: ٦٦] قال: وقال صاحب النظم: أي: فرغنا منه؛ كقوله: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ [يونس: ٧١] وقد مرّ.

إزالة الإشكال النحوي عن الآية وبيان معناها: عند قوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] قال: قال صاحب «النظم» المعنىٰ: إني أنذرتكم ما أنزلناه على المقتسمين، وتكون الكاف زائدة.

اختيار الوقف وتوجيهه: عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] بين أن الوقف إما علىٰ ﴿خَلَقَهَا﴾، وإما علىٰ ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾، ثم ذكر ٱختيار صاحب «النظم»، فقال: قال صاحب النظم: أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله: ﴿خَلَقَهَا﴾؛ لقوله في النسق علىٰ ما قبلها: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦].

نقل اللطائف البلاغية: عند قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٣٣] قال: قال صاحب النظم: إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله، كيف ينتظرون أمره؟! ولكن لمّا كان ٱمتناعهم من الدخول في الإيمان موجبًا عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قدّر عليهم من العذاب، وكان عاقبة أمرهم إلىٰ ذلك، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة، وجعل مجيء ذلك ٱنتظارًا منهم له؛ فكأنه ﷻ قال: هل يكون مدة إقامتهم علىٰ كفرهم إلا مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب

عليهم؟ وهٰذا كما قلنا في لام العاقبة في مواضع، لمّا كانت العاقبة تؤدي إلىٰ ذلك جُعل سببًا له وإن لم يكن في الحقيقة كذلك؛ كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ الآية [القصص: ٨] وقد مرّ. ثم عقب الواحدي بقوله: وهٰذا الذي ذكره صاحب النظم وجه جيد في هٰذِه الآية لم يذكره في نظيرها في سورة البقرة والأنعام.

توجيه حروف المعاني: عند قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل: ٧١] قال: وقال صاحب النظم: معنى الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حتىٰ؛ لأن التأويل: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم حتىٰ يكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملك، فقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ صفة لما تَقَدَّمه من الخبر لا جوابٌ له؛ ولو كان جوابًا له لكان قد أوجب أن يكون المولىٰ والعبيد في ذلك سواء، وهو ﷻ إنما أراد أنهم لا يستوون في الملك. وهٰذا قول جيد أنفرد به صاحب النظم، وانظر الأقوال الأخرى التي ذكرتها في التعليق على الآية في التحقيق.

ذكر المناسبات وتوجيه المعنىٰ: عند قوله تعالىٰ: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [النحل: ٥٩] قال: وقال صاحب النظم: قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ متصل في النظم بقوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] والكظيم بمعنى الكاظم، ومعنى الكظم: ستر الشيء في القلب وترك إظهاره، ومنه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] والتأويل: وهو كاظم ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ أي: أن هٰذا المعنىٰ في قلبه من شدة الغمّ وهو يكظمه ولا يظهره.

١١- كتب أبي بكر ابن الأنباري:

تعدّ كتب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري[١] من المصادر الرئيسة، وقد أفاد الواحدي منه كثيرا فكانت أقوال ابن الأنباري في «معاني القرآن» واللغة والنحو مصدرًا رئيسا من أهم مصادره في تفسيره، وكلامه ينال إعجاب الواحدي فيشيد به، أخذ عنه في المسائل النحوية واللغوية والقضايا التفسيرية وخصوصًا فيما يتعلق بمشكل القرآن أو النكات والفوائد. نقل عنه كثيرا ولم أجد مما نسبه إليه في كتب ابن الأنباري التي وصلت إلينا سوىٰ نتف يسيرة في كتاب «الزاهر»[٢]. ولابن الأنباري كتاب في «المشكل في معاني القرآن» وصل فيه إلىٰ ﴿طه﴾ أملاه في سنين كثيرة، و«رسالة المشكل» رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، ولم يصلا إلينا[٣]، ولعل السبب في عدم وصول مثل هٰذِه الكتب ما ذكره الخطيب البغدادي: من أنه كان يملي، ولم يكن يكتب[٤].

ويترجح عندي أن الواحدي اعتمد علىٰ هذين الكتابين فيما أفاده عن ابن الأنباري، لأن أغلب ما نقل عنه يتعلق بمشكل القرآن، ولتصريحه بالرد

---

(١) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري، أبو بكر البغدادي إمام ثقة لغوي نحوي مفسر أديب حافظ برز في فنون من العلم وهو من أعلم الناس باللغة والأدب، ومن أحفظ نحاة الكوفة، توفىٰ سنة ٣٢٧هـ.
انظر: «إشارة التعيين» ص ٣٣٥، و«البلغة» ص ٢١٢، و«بغية الوعاة» ١/ ٢١٢، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٢٢٧.

(٢) كتاب «الزاهر» يذكر فيه الأقوال المأثورة والأمثال ويشرحها. طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق د/ حاتم صالح الضامن.

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» ٣ / ١٨٤، و«معجم الأدباء» ١٨ / ٣١٢.

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» ٣ / ١٨٤.

على ابن قتيبة أحيانًا نقلًا عن ابن الأنباري.

والكلام الذي نستطيع أن نرجعه إلى ابن الأنباري، هو ما صرح الواحدي فيه بنقله عنه. ويغلب علىٰ ظني أن هناك مواضع كثيرة نقل فيها عنه بدون عزو، لشبه العبارة بكلام ابن الأنباري، ولأنه اتضح لي أن الواحدي ينقل عن مصادره بعزو، وأحيانا بدون عزو.

وأذكر بعض الأمثلة لأخذ الواحدي عن ابن الأنباري ففي تفسير «البسملة» قال: «قال أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار سألت أبا العباس، لِمَ جمع بين الرحمن الرحيم(١)؟.

فقال: لأن الرحمن عبراني، فأتىٰ معه الرحيم العربي واحتج بقول جرير.... الخ». وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧] قال: «وقال ابن الأنباري: «الذي» في هٰذِه الآية واحد في معنى الجمع، وليس علىٰ ما ذكره ابن قتيبة، لأن «الذي» في البيت الذي أحتج به جمع واحده «اللذ»، و«الذي» في الآية واحد في اللفظ لا واحد له، ولكن المراد منه الجمع».

ومثال آخر يوضح مدىٰ إفادة الواحدي من ابن الأنباري ما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية [يونس: ٤] قال: «فإن قيل: لم أفرد المؤمنين بالقسط دون غيرهم وهو يجزي الكافر- أيضا- بالقسط؟

قال ابن الأنباري: «لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم، ففصلهم عن المؤمنين، ليبين ما يجزيهم به

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعل الأولىٰ «الرحمن والرحيم» كما في «الزاهر» ١ / ٥٣.

مما هو عدل غير جور؛ فلهذا خص المؤمنين بالقسط وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلىٰ تأويله بزيادة الإبانة..»[(١)].

١٢- أبو القاسم الزجاجي[(٢)]:

أخذ الواحدي عن أبي القاسم الزجاجي خصوصًا في المسائل اللغوية والنحوية ونقل عنه مقاطع طويلة، ولم أستطع أن أهتدي إلى الكتاب الذي نقل عنه بعد أن اطلعت علىٰ جميع كتبه المطبوعة، فلعل الواحدي أخذ عن مصدر مفقود أو عن كتاب غير كتب الزجاجي يعتني بذكر أقواله، أو عن طريق أحد شيوخه مشافهة.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عن معنى الإيمان في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣] قال: «... علىٰ أن أبا القاسم الزجاجي شرح معنى الإيمان بما هو أظهر مما ذكره الأزهري، وهو أنه قال: معنى التصديق في الإيمان لا يعرف من طريق اللغة إلا بالاعتبار والنظر، لأن حقيقته ليست للتصديق، ألا ترىٰ أنك إذا صدقت إنسانًا فيما يخبرك به، لا تقول آمنت به؟ لكنك إذا نظرت في موضوع هٰذِه الكلمة وصرفته حق التصريف ظهر لك من باطنها معنًى يرجع إلى التصديق... إلخ».

---

(١) «البسيط» ٣ /٣أ «النسخة الأزهرية».

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، النهاوندي، لقب الزجاجي، نسبة إلىٰ شيخه إبراهيم بن السري أبي إسحاق لملازمته له، نحوي، لغوي أصله من نهاوند، وولد بها، وسكن بغداد، أخذ عن الزجاج وابن دريد ونفطويه وأبي الحسن الأخفش، سكن طبرية ودمشق وتوفي بها سنة ٣٣٧هـ.

ومن تصانيفه: «الجمل الكبرىٰ في النحو»، «اللامات في اللغة»، «شرح مقدمة أدب الكاتب»، وكتاب «اشتقاق أسماء الله»، وغيرها.

ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ١٦٠، و«وفيات الأعيان» ٣/ ١٣٦، «بغية الوعاة» ٢/ ٧٧.

ومثال آخر في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٦] قال: «وذكر أبو القاسم الزجاجي حقيقة الظن في اللغة، فقال: هو ٱعتقاد الشيء علىٰ طريقة التقدير والحدس فإن أصاب فيما ظن صار يقينا، وإن لم يصب كان مخطئا في تقديره، ولهٰذا ذكر أهل اللغة هٰذِه اللفظة في باب الأضداد.. الخ»(١).

١٣- كتب أبي جعفر النحاس(٢):

أفاد الواحدي في «البسيط» من كتب أبي جعفر النحاس في مواضع متعددة خصوصًا من كتاب «القطع والائتناف»(٣)، وهو «الوقف والابتداء»، ومن أمثلة ذلك.

١- قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] قال الواحدي: «وقال النحاس: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ ليس بوقف؛ لأنه لم يأت بجواب «إذا» وجواب «إذا» علىٰ قول الخليل وسيبويه: ﴿أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي: خرجتم.

---

(١) انظر: «البسيط» عند تفسير الآية: [٤٦].

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، النحاس، النحوي، المصري، وعرف بابن النحاس، وعرف بالصفار، نحوي، لغوي، مفسر، أديب، فقيه، رحل إلىٰ بغداد وأخذ عن المبرد والأخفش ونفطويه والزجاج وغيرهم، ثم رجع إلىٰ مصر وأقام بها إلىٰ أن توفىٰ سنة ٣٣٨هـ.
من مصنفاته: «إعراب القرآن»، «معاني القرآن»، «الناسخ والمنسوخ»، و«الكافي في النحو».
ينظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٣٥، «معجم الأدباء» ٤/ ٢٢٤، «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٩٩.

(٣) انظر: «البسيط» تفسير سورة الدخان.

وكذا قال سيبويه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] تقديره عنده: قنطوا. والقول ما قال النحاس. «القطع والائتناف» ٢/ ٥٣٢.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] قال الواحدي: «وكان علي بن سليمان يذهب إلىٰ أن الكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى السؤال. وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ﴾ يدل على السؤال. والمعنىٰ: فاسأل عالمًا بسؤالك. «القطع والائتناف» ٢/ ٤٨٦.

٣- في سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الدخان:١-٢] قال: «قال النحاس: يجوز أن يجعل جواب القسم: «إنا أنزلناه حم» فيكون تمام الكلام عند قوله «المبين» وان جعلت جواب القسم «إنا أنزلناه» ٱتصل بالكلام الأول»[(١)].

١٤- **«الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني»**[(٢)] لأبي علي الفارسي، وفي هٰذا الكتاب تعقب أبو علي الفارسي[(٣)] كتاب أبي إسحاق الزجاج «معاني القرآن وإعرابه» في مسائل ذكرها الزجاج. وقد أطال أبو علي في كثير منها وتوسع طويلًا وسلك منهجًا قريبًا من منهجه في «الحجة» في إيراد المسائل اللغوية والنحوية والصرفية، وقد أفاد الواحدي من «الإغفال» في مسائل كثيرة، بعضها بالعزو، وبعضها بدون عزو.

---

(١) «البسيط» ٥/ ١٣أ «النسخة الأزهرية». ٱنظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص ٦٥٤.

(٢) حقق محمد حسن محمد إسماعيل الكتاب في رسالة علمية لنيل الماجستير في كلية الآداب جامعة عين شمس بالقاهرة، ولم تطبع بعد.

(٣) سبق ترجمته.

ومن أمثلة ذلك في لفظ الجلالة «الله» نقل عن الإغفال طويلا بدون عزو حيث قال: «وقوله «الله» أما أصل هٰذِه الكلمة فقد حكىٰ أصحاب سيبويه عنه فيه قولين: أحدهما قال: كان أصل هٰذا الاسم «إلاها» ففاؤها «همزة»، وعينها «لام» و«الألف» ألف فِعَال الزائدة، واللام «هاء»... إلخ[١]، وأخذ عنه في ذلك صفحات عديدة، أكثره بنصه وقد يتصرف بالعبارة أحيانا ويقدم بعض الكلام علىٰ بعض.

ونص كلام أبي علي في «الإغفال»: «فأما قولنا: «الله» فقد حمله سيبويه علىٰ ضربين:

أحدهما: أن يكون أصل الاسم «إلاه» ففاء الكلمة علىٰ هٰذا «همزة» وعينها «لام» والألف «ألف» فِعَال الزائدة و«اللام» هاء.. الخ[٢]. وفي آخر الموضوع نقل عنه كلامًا طويلًا حول الإمالة في لفظ الجلالة «الله» ولم أجده عند أحد غير أبي علي[٣] سوىٰ ما نقله عنه ابن سيده في المخصص والواحدي في «البسيط».

ومثال آخر في قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨] نقل عنه كلامًا طويلًا مع عزوه له. فقال: «أبو علي: والظرف نوع من أنواع المفعولات المنتصبة عن تمام الكلام، وهو زمان أو مكان..»[٤].

---

(١) «البسيط» تفسير البسملة.

(٢) «الإغفال» ص ١١. ونقل ابن سيده كلام أبي علي بنصه مع عزوه له في «المخصص» ١٧/١٣٦-١٥١.

(٣) انظر: الإغفال ص ٤٧.

(٤) أنظر: «البسيط» عند تفسير سورة البقرة الآية [٤٨]، و«الإغفال» ص ١٧٤ «رسالة ماجستير».

واستمر ينقل عنه في الظروف كلامًا لا علاقة له بالتفسير، وبمثل هٰذا النهج نقل عنه كلامًا طويلا حول «الآن»[(١)].

ومثال آخر في قوله تعالىٰ: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ... ﴾ الآية [النساء: ٣] ذكر كلام أبي إسحاق الزجاج ثم قال: «هٰذا كلام أبي إسحاق وقد أخطأ في موضعين من هٰذا الفصل أصلحهما[(٢)] أبو علي وذكر معنى العدل فقال: ٱعلم أن العدل ضرب من الاْشتقاق فكل معدول مشتق، وليس كل مشتق معدولًا.... الخ»[(٣)].

١٥- المسائل الحلبيات[(٤)] لأبي علي الفارسي:

وقد أفاد منه الواحدي ونقل عنه قليلا وذكرته هنا لمناسبة ذكر كتب أبي علي الفارسي، أخذ عنه في تفسير «الناس» في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] قال: «وذكر أبو علي في المسائل الحلبيات أن الكسائي قال: إن «الأناس» لغة و«الناس» لغة أخرىٰ، وكأنه يذهب إلىٰ أن «الفاء» محذوف من الناس كما يذهب إليه سيبويه والدلالة علىٰ أنهما من لفظ واحد، وليسا من كلمتين مختلفتين أنهم قالوا: «الأناس» في المعنى الذي قالوا فيه «الناس».. إلخ[(٥)]. وبالرجوع

---

(١) ٱنظر: «البسيط» تفسير سورة البقرة [٧١]، و«الإغفال» ص ١.

(٢) كتاب أبي علي «الإغفال» يسمىٰ «المسائل المصلحة» حيث ورد هٰذا الاْسم في أول الكتاب. ٱنظر «الإغفال» ص ١.

(٣) «البسيط» تفسير سورة النساء [٣].

(٤) طبع كتاب «المسائل الحلبيات» بتحقيق د/ حسن هنداوي في مجلد.

(٥) «البسيط» تفسير سورة البقرة [٨].

للمسائل الحلبيات، نجد الواحدي نقل كلام أبي علي بالمعنى[(١)].

١٦- الإيضاح العضدي:

ذكر أبو علي في هٰذا الكتاب مباحث في النحو والصرف، والعضدي: نسبة للسلطان عضد الدولة، أبي شجاع، فَنَّاخُسْرُو، صاحب العراق وفارس، قال الذهبي في ترجمة عضد الدولة: وله صنف أبو علي كتابي: «الإيضاح»، «والتكملة»[(٢)].

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] قال الواحدي: «قال أبو علي: إذا ٱجتمع في باب: كان، معرفة ونكرة فالذي يُجعل ٱسم كان منهما: المعرفة، كما كان المبتدأ: المعرفة، والنكرة: الخبر... ذكر هٰذا في كتاب «الإيضاح» ونحو هٰذا ذكر في كتاب «الحجة».

١٧- كتاب «سر صناعة الإعراب»[(٣)] لأبي الفتح عثمان بن جني[(٤)]:

تكلم ابن جني في هٰذا الكتاب عن أحكام «حروف المعجم» وأحوالها ومواقعها في كلام العرب.

---

(١) ٱنظر: «المسائل الحلبيات» ص ١٦٦-١٧٠.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٤٩.

(٣) طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق د/ حسن هنداوي.

(٤) هو: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، صاحب التصانيف البديعة في الأدب والنحو، صحب أبا علي الفارسي طويلاً واستوطن بغداد، وتوفي سنة ٣٧٢هـ. من مصنفاته: «الخصائص»، «سر صناعة الإعراب»، «المصنف في شرح تصريف المازني»، و«الفسر في شرح ديوان المتنبي».
ينظر: «تاريخ بغداد» ١١/ ٣١١، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٣٥، و«معجم الأدباء» ١٢/ ٨١، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٢٤٦.

منهج ابن جني في كتابه:

«كان بين أيدي الناس ترتيبان للحروف: أحدهما ترتيبها بحسب المخارج، وهو الترتيب الذي بنىٰ عليه أصحاب المعجمات مصنفاتهم في اللغة، كالخليل في كتاب العين، والأزهري في «تهذيب اللغة»، والثاني ترتيبها على النحو التالي: (أ. ب. ت. ث. ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ع. غ. ف. ق. ك. ل. م. ن. هـ. و. لا. ي) وهو الذي كان مشهورًا بأيدي الناس في حياة ابن جني، وهو الترتيب الذي آثره، فبوّب كتابه بحسبه.

وقد عقد أبو الفتح لكل حرف من هٰذِه الحروف بابًا تناول فيه الحرف على النحو التالي: فهو يبدأ أولًا بذكر صفة الحرف من حيث الجهر أو الهمس، ويبين ٱستعماله في الكلام من حيث الأصالة، والبدل، والزيادة، ويتلوه بالتمثيل لأصالته من حيث وقوعه فاء الكلمة، وعينها، ولامها، فيذكر لكل موقع مثالين أحدهما ٱسم والآخر فعل. ما عدا باب الهمزة فقد زاد فيه عن المثالين، ويعقبه بذكر الحروف التي أبدل هٰذا الحرف منها، ويفصل القول في كل منها، وبعد ذلك يعرض مواضع زيادته. وفي مطلع باب الهمزة شرح معنى الأصالة والبدل والزيادة، فقال: «ٱعلم أن الهمزة حرف مجهور، وهو في الكلام علىٰ ثلاثة أضرب: أصل، وبدل، وزائد. ومعنىٰ قولنا أصل: أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه. والبدل: أن يقام حرف مقام حرف، إما ضرورة، وإما ٱستحسانًا وصنعة. فإذا كانت أصلًا وقعت فاء وعينًا ولامًا. فالفاء نحو أَنْف وأُذُن وإبرة وأَخَذ وأَمرَ. والعين نحو فأس ورأس وجُؤْنة وذئب وسأل وجأَرَ. واللام نحو قُرْء وخَطَأ

ونَبَأ وهدأ واستبرأ واستدفأ»[١].

وقال في باب التاء: «التاء حرف مهموس، يستعمل في الكلام علىٰ ثلاثة أضرب: أصلًا وبدلًا وزائدًا. فإذا كانت أصلًا وقعت فاء وعينًا ولامًا، فالفاء نحو تَمْر وتَنَأ، والعين نحو فِتْر وقتلَ، واللام نحو فَخْت ونَحَتَ.

وأما إبدالها فقد أبدلت من ستة أحرف هن: الواو، والياء، والسين والصاد والطاء، والدال.

إبدالها من الواو: قد أبدلت التاء من الواو فاء إبدالًا صالحًا...»[٢].

وأما زيادة الحرف فتارة يكتفي بذكر الأماكن التي يكون فيها زائدًا مع التمثيل، كقوله في زيادة التاء: «وأما الزيادة فقد زيدت التاء أولًا في نحو تأْلَب وتِجْفاف.. وزيدت ثانية في نحو ٱفتقار وافتقر... وزيدت أيضًا رابعة في سَنْبَتة.. وزيدت أيضًا خامسة في نحو ملكوت وجبروت... وسادسة في نحو عنكبوت وتَرْنَموت... وقد زيدت في أوائل الأفعال الماضية للمطاوعة، كقولك كسّرته فتكسّر.. وتزاد في أوائل المضارعة لخطاب المذكر نحو أنت تقوم وتقعد..»[٣].

وتارة يبدأ بوضع المقاييس التي يستدل بها علىٰ زيادة الحرف، كقوله في زيادة الهمزة: «اعلم أن موضع زيادة الهمزة أن تقع في أول بنات الثلاثة، فمتىٰ رأيت ثلاثة أحرف أصولًا وفي أولها همزة، فاقض بزيادة الهمزة عرفت الاشتقاق في تلك اللفظة أو جهلته، حتىٰ تقوم الدلالة علىٰ

(١) «سر صناعة الإعراب» ص ٦٩.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ص ١٤٥.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ص ١٥٧-١٥٩.

كون الهمزة أصلًا، وذلك نحو أحمر وأصفر...»[١].

فإذا جُهل الاشتقاق لجأ أبو الفتح إلى القياس للحكم علىٰ أصالة الحرف أو زيادته، من ذلك قوله في التاء والنون: «واعلم أن للتاء ميزانًا وقانونًا يعرف به من طريق القياس كونها أصلًا أو زائدة، فإذا عدمت الاشتقاق في كلمة فيها تاء أو نون، فإن حالهما فيما أذكره لك سواء: فانظر إلى التاء أو النون، فإن كان المثال الذي هما فيه أو إحداهما علىٰ زنة الأصول بهما فاقض بأنهما أصلان، وإن لم يكن المثال الذي هما فيه بهما أو بإحداهما علىٰ زنة الأصول فاقض بأنهما زائدتان..»[٢].

وبعد أن يفرغ من الحديث عن زيادة الحرف يشير إلىٰ حذفه إن كان الحذف قد وقع فيه، كقوله في الهمزة: «وقد حذفت الهمزة فاء نحو ويلِمِّه، وناس، والله في أحد قولي سيبويه. ولامًا في جا يجي، وسا يسو. وحذفت عينًا في أريت وتصرفه»[٣].

هٰذا إذا كان الحرف يستعمل في الكلام أصلًا وبدلًا وزائدًا، فإذا كان لا يقع إلا أصلًا كالخاء، اكتفىٰ بذكر ذلك فيه، وعرض ما اختلف فيه مما قد يظن أنه يدخل في باب الإبدال[٤]. وكذا إذا كان الحرف لا يستعمل إلا أصلًا وبدلًا كالجيم[٥]، ومثله الحرف الذي يستعمل أصلًا وزائدًا ليس غير كالسين[٦].

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ص ١٠٧.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ص ١٦٧.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ص ١١٨.

(٤) «سر صناعة الإعراب» ص ١٨٣-١٨٤.

(٥) «سر صناعة الإعراب» ص ١٧٥-١٧٨.

(٦) «سر صناعة الإعراب» ص ١٩٧.

هٰذِه هي القضايا الأساسية التي كررها المؤلف في كل حرف، فهي العمود الفقري لكل باب من أبواب الكتاب، وأمّا ما عداها من المسائل فإنما ٱستطرد إليها ٱستطرادًا، أو ذكرها إيضاحًا لمشكل، أو لأن لها علاقة وإن كانت بعيدة ببعض المباحث الأساسية.

نخلص من هٰذا إلى القول: إن مادة الكتاب الأصلية هي الإعلال والإبدال والزيادة والحذف، وهٰذِه أهم مباحث علم التصريف[(١)].

ولقد استفاد الواحدي من كتاب «سر صناعة الإعراب» كثيرًا في المسائل النحوية خصوصًا عن الحروف ومعانيها، والغالب أنه ينقل عنه بدون عزو، وقد يعزو له أحيانًا قائلًا: قال أبو الفتح الموصلي، بدون ذكر ٱسم كتابه الذي أخذ عنه.

ومن أمثلة نقله عنه بدون عزو ما ٱفتتح به كتابه عند الكلام عن «الباء» في تفسير: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال: «اختلفت عبارة النحويين في تسمية هٰذِه «الباء» الجارة، فسموها مرة: حرف إلصاق، ومرة حرف ٱستعانة، ومرة حرف إضافة، وكل هٰذا صحيح من قولهم.

أما الإلصاق: فنحو قولك تمسكت بزيد، وذلك أنك ألصقت محل قدوتك به، وبما ٱتصل به، فقد صح إذن معنى الإلصاق...»[(٢)] نقل عنه مع التصرف في كلام ابن جني بالتقديم والتأخير والحذف، وأذكر بعض كلام ابن جني لمقارنته مع نقل الواحدي قال ابن جني:

---

(١) وانظر: مقدمة «سر صناعة الإعراب» ص ٣٣-٤١.

(٢) ٱنظر: تفسير الفاتحة من «البسيط».

«واعلم أنهم قد سموا هٰذِه «الباء» في نحو قولهم: «مررت بزيد» و «ظفرت ببكر» مما تتصل فيه الأسماء بالأفعال، مرة حرف إلصاق، ومرة حرف ٱستعانة، ومرة حرف إضافة، وكل ذلك صحيح من قولهم.. الخ[(١)].

وقال الواحدي: وأما قول النحويين «الباء والكاف واللام» الزوائد، فإنما قالوا فيهن إنهن زوائد، لأنهن لما كن علىٰ حرف واحد، وقللن غاية القلة واختلطن بما بعدهن، خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهن بعضه وأحد أجزائه، فوسموهن بالزيادة، ليعلموا من حالهن أنهن لسن من أنفس ما وصلن به..[(٢)].

وقال ابن جني: «فأما قول النحويين: الباء والكاف واللام الزوائد يعنون نحو بزيد ولزيد، فإنما قالوا فيهن إنهن زوائد لما أذكره لك، وذلك أنهن لما كن علىٰ حرف واحد، وقللن غاية القلة، واختلطن بما بعدهن خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهن بعضه أو أحد أجزائه فوسموهن بالزيادة لذلك، ليعلموا من حالهن أنهن لسن من أنفس ما وصلن به..»[(٣)].

وبمثل ذلك تعامل الواحدي مع كتاب أبي الفتح بن جني في مواضع كثيرة من كتابه ينقل عنه بتصرف ولا يعزو له. ٱنظر الكلام علىٰ «ال» في تفسير ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] نقل عنه صفحات كثيرة

(١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٢.
(٢) «البسيط» تفسير الفاتحة.
(٣) «سر صناعة الأعراب» ١ / ١٢٠.

بتصرف[(١)].

وفي تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] عند الكلام علىٰ «إيا» قال: «اختلفت مذاهب النحويين في هٰذا الحرف، وأنا ذاكر لك منها ما يحتمله هٰذا الكتاب، ذهب الخليل إلىٰ أن «إيا» ٱسم مضمر مضاف إلىٰ «الكاف»، وهٰذا مذهب أبي عثمان. وحكىٰ أبو بكر عن أبي العباس عن أبي الحسن: أنه ٱسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمرين، وأن «الكاف» في «إياك» كالكاف في «ذلك» في أنه دلالة على الخطاب فقط مجردة من كونها علامة للضمير، ولا يجيز أبو الحسن فيما يحكىٰ عنه: «إياك وإيا زيد» و«إياي وإيا الباطل». وقال سيبويه: حدثني من لا أتهم .. إلخ[(٢)].

ونص كلام أبي الفتح: «فهٰذِه مسألة لطيفة عنت لنا في أثناء هٰذا الفصل، نحن نشرحها ونذكر خلاف العلماء فيها، ونخبر بالصواب عندنا من أمرها إن شاء الله وهي قوله عز ٱسمه ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وما كان مثله. أخبرني أبو علي عن أبي بكر محمد بن السري عن أبي العباس محمد بن يزيد: أن الخليل يذهب إلىٰ أن «إيا» ٱسم مضمر مضاف إلى الكاف، وحكىٰ عن المازني مثل هٰذا القول المحكي عن الخليل في أنه مضمر مضاف.

قال: وحكىٰ أبو بكر عن أبي العباس عن أبي الحسن الأخفش، وأبو إسحاق عن أبي العباس غير منسوب إلى الأخفش: أنه ٱسم مفرد مضمر

(١) «البسيط» تفسير الفاتحة الآية: [٢].

(٢) «البسيط» تفسير الفاتحة الآية: [٥].

بتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمرين... إلىٰ أن قال: ولا يجيز أبو الحسن فيما حكي عنه: «إياك وإيا زيد، وإياي وإيا الباطل» آنتهت الحكاية عن أبي علي.

وقال سيبويه: «حدثني من لا أتهم عن الخليل.. الخ[١].

وبعد أن نقل الواحدي عن أبي الفتح ابن جني كلامًا طويلًا في هٰذا قال: «.. وهٰذا الذي ذكرنا كلام أبي علي وأبي الفتح»[٢].

ومن أمثلة أخذه عنه بدون عزو- وهي كثيرة- ما ذكره في حروف التهجي عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١][٣] وكذلك عن «الفاء» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤][٤].

هٰذِه أهم مصادر الواحدي التي تم التعرف عليها. وفي تفسيره «البسيط» حشد كبير من أقوال الصحابة ومن بعدهم من التابعين في مجال التفسير وكذا أقوال أئمة اللغة والنحو، ونجد الواحدي في الغالب ينقل هٰذِه الأقوال عن طريق هٰذِه المصادر.

ففي مجال التفسير ذكر أقوال ابن عباس كثيرًا، بل إن منهجه يقوم علىٰ ذكر قول ابن عباس في الآية ما وجد له قولًا فيها، كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه[٥]، كما ذكر أقوال ابن مسعود، وأبيّ بن كعب. ومن التابعين ومن بعدهم ذكر أقوال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح،

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٢.

(٢) تفسير الفاتحة الآية [٥].

(٣) «البسيط» [البقرة: ١].

(٤) «البسيط» [البقرة: ٢٤].

(٥) انظر: «البسيط» ذكر ذلك في المقدمة.

وعكرمة، وأبي الحسن البصري، وقتادة، والسدي ،وغيرهم. وفي الغالب أنه يأخذ أقوال هٰؤلاء عن طريق تفسير الثعلبي أو الطبري.

وممن ذكر قوله في مجال التفسير «الحسين بن الفضل»(١)، ينقل أقواله في الغالب من طريق الثعلبي. من أمثلة ذلك عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥] قال: «.. وقال الحسين بن الفضل: رد الكناية إلى الاستعانة؛ لأن «استعينوا» يدل على المصدر..»(٢).

وقول الحسين ذكره الثعلبي في تفسيره.

كذا الحال بالنسبة لأئمة النحو، نجد اسم «سيبويه» يتردد كثيرًا في «البسيط» وفي جميع المواضع التي اطلعت عليها لم أجده نقل عن الكتاب مباشرة، وإنما عن طريق أحد المصادر السابقة، من أمثلة ذلك: أنه ذكر قوله سيبويه في «الباء» من طريق «سر صناعة الإعراب»، وذكر قوله في «أراب» عن طريق «الحجة» لأبي علي الفارسي، وهكذا.

ومثل هٰذا يقال عن بقية أئمة النحو الذين نقل عنهم كثيرًا كالخليل، وابن كيسان وأبي الحسن الأخفش، وأبي العباس ثعلب وغيرهم.

وكما ذكر أقوال أئمة اللغة عن طريق «تهذيب اللغة» للأزهري مثل أبي عبيد القاسم بن سلام، وابن السكيت، والأصمعي، وأبي حاتم، واللحياني

---

(١) هو: الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، المفسر، الأديب، إمام عصره في «معاني القران»، صاحب فنون وتعبد، توفي وهو ابن مائة وأربع سنين في سنة ٢٨٢هـ.
انظر: «العبر في خبر من غبر» ١/ ٩٩، «الوافي بالوفيات» ٤/ ٢٨١، «طبقات المفسرين»١/ ٧، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤١٤.

(٢) انظر: «البسيط» [البقرة: ٤٥].

ابن الأعرابي وغيرهم.

مثال واحد يوضح ذلك، نقل قول أبي عبيد في معنىٰ «الصلاة» لغة، وكذا معنىٰ «الفلاح» وكلام أبي عبيد موجود في كتابه «غريب الحديث» لكن النص أقرب إلىٰ ما ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة»، كما نقل كلامًا قبله وبعده من «التهذيب» يؤكد أن النقل منه.

منهج الواحدي في النقول من مصادره:

لقد استفاد الواحدي من تلك المصادر كثيرًا، وكانت النقول سمة بارزة في تفسيره. لكن ما طريقة الواحدي في النقل هل هو مجرد ناقل، أو له جهد فيما ينقله؟

الحقيقة أن هٰذِه النقول تبرز ما يتمتع به الواحدي من مهارة فائقة في حسن ٱنتقاء وجودة الربط بين الكلام، كما أن نقاشه للأقوال والترجيح بينهما، يظهر قوة عقلية وملكة علمية تدل علىٰ أصالته في ذلك، وقد عبر الواحدي عن هٰذا النهج في مقدمة كتابه حين قال: «... ولم يترك الأول للآخر شيئا غير أن المتأخر بلطيف حيلته ودقيق فطنته، يلتقط الدرر ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد علىٰ صدور الكعاب، يروق المتأملين ويؤنق الناظرين....»[(١)].

وأذكر بعض الأمثلة توضح ذلك:

في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ...﴾ [البقرة: ٦] نقل كلامًا بنصه لأبي علي الفارسي من الحجة عن الهمزة في «أأنذرتهم». فقال: «لفظه لفظ الٱستفهام ومعناه الخبر...» إلىٰ أن قال: «فكل ٱستفهام تسوية

---

(١) انظر مقدمة المؤلف.

وإن لم يكن كل تسوية ٱستفهامًا»[١]. وانتقل من كلام أبي علي مباشرة إلىٰ كلام لأبي إسحاق الزجاج رابطًا الكلام ببعضه فقال: «وحرر أبو إسحاق هٰذا الفصل فقال: إنما دخلت ألف الٱستفهام، وأم التي هي للاستفهام، والكلام خبر لمعنى التسوية.. الخ»[٢].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: ٢٨] نقل كلامًا للفراء عن «كان» ومنه: «.. قال: وكان الخليل يقول: كَيْنُونَة «فَيْعُولَة» وهي في الأصل «كَيْوَنُونَة» التقت «ياء» و «واو» والأولىٰ منها ساكنة فصيرتا «ياء» مشدّدة مثل ما قالوا: «الْهَيِّن» ثم خففوها فقالوا: «كَيْنُونة» كما قالوا: هَين لَيْن، قال الفراء: فقد ذهب مذهبًا ، إلا أن القول عندي هو الأول. قال: ويضمر هاهنا «قد»، والتقدير: «وقد كنتم أمواتًا»[٣]... فربط بين كلام الفراء عن «كان» وهو منقول عن «تهذيب اللغة» ولم يرد هٰذا الكلام في تفسير الآية، ثم ربط به مباشرة في قوله «.. قال: يضمر هاهنا «قد»..» وهٰذا الكلام ذكره الفراء في «معاني القرآن»[٤] فجمع بين النصين من «التهذيب» و«معاني القرآن»، وأحسن الربط بينهما، وكأنه من موضع واحد.

ومع حسن سبك الكلام يناقش الأقوال ويوجهها، ويرجع ما يراه صوابًا ويرد ما كان بخلاف ذلك. ففي تفسير «البسملة» في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ نقل كلام أبي العباس ثعلب من طريق ابن الأنباري حيث يرىٰ ثعلب أن «الرحمن» ٱسم عبراني، ويستدل علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَمَا

---

(١) «البسيط» سورة البقرة: ٦.
(٢) انظر: «البسيط» [البقرة: ٦].
(٣) «البسيط» ٱنظر هٰذا الكلام عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: ٢٨].
(٤) انظر: «معاني القران» للفراء ١/ ٢٤.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠][١] فيرد عليه الواحدي مبينًا أن الآية لا تقوم دليلًا علىٰ مطلوبه فيقول: «وأما ما ٱحتج به أبو العباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فهو سؤال عن الصفة، ولذلك قالوا: «وما الرحمن» ولم يقولوا: ومن، والقوم جهلوا صفته، والاسم كان معلوما لهم في الجملة»[٢].

مثال آخر يدل علىٰ ما يتمتع به من ملكة علمية تُمَكِّنه من نقاش كلام فطاحل العلماء، ما مر بنا قريبا من مناقشته لكلام الطبري[٣] قائلًا: «وليس الأمر علىٰ ما قال، لأن الشك في القلب على الحقيقة، فأي فائدة لتقدير الاعتقاد هاهنا، ولأن الشك ينافي الاعتقاد، وهم ليسوا معتقدين إذا كانوا شاكين»[٤].

ومثال ثالث في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾ [البقرة: ٢٧] ذكر وجهين للزجاج في المراد بالعهد[٥]، ثم قال: «والوجه الأول أصحهما، من قبل أن الله لا يحتج عليهم بما لا يعرفون؛ لأنه بمنزلة ما لم يكن إذا كانوا لا يشعرون به ولا لهم دلالة عليه، والثاني مع هٰذا صحيح، لأنهم عرفوا ذلك العهد بخبر الصادق فكان كما لو كانوا يشعرون به، وهٰذا الوجه هو قول ابن عباس..»[٦].

---

(١) انظر: «البسيط» عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة الآية ٣].

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: كلام الطبري من هٰذِه الدراسة.

(٤) انظر: «البسيط» عند قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩].

(٥) الوجهان: الأول: ما أخذه على النبيين ألا يكفروا بالنبي ﷺ. والثاني: الذي أخذه من بني آدم من ظهورهم يوم الميثاق. ٱنظر: «البسيط» عند قوله تعالىٰ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

(٦) انظر: المصدر السابق.

وقد ينقل كلام غيره في النقاش والترجيح، مثال ذلك أنه في أثناء الكلام عن «الواو والياء والألف» التي تلحق التثنية والجمع، نقل كلامًا طويلًا عن أبي الفتح ابن جني و مما نقله قول أبي علي الفارسي ثم قال بعده: «وهٰذا ٱستدلال من أبي علي في نهاية الحسن وصحة المذهب و سداد الطريقة»[1]. وهٰذا التوجيه من كلام أبي الفتح بنصه[2].

ومثال آخر حينما تحدث عن «إياك» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ذكر أقوال العلماء في ذلك ومنه كلام الخليل والزجاج ناقلًا عن أبي الفتح ابن جني، ومما نقله مناقشة أبي الفتح لكلام الخليل، وكلام الزجاج وفيه يقول: «... أما قول الخليل: أن «إيا» أسم مضمر مضاف فظاهر الفساد، وذلك أنه إذا ثبت أنه مضمر فلا سبيل إلىٰ إضافته..»[3]. ثم يقول: «.. وأما قول من قال: «إياك» بكماله الأسم فليس بقوي.. الخ»[4]. ثم يقول: «.. وأما قول أبي إسحاق: إن «إيا» أسم مظهر خص بالإضافة إلى المضمر ففاسد- أيضا- و ليست «إيا» بمظهر كما زعم الخ»[5]. وكل هٰذِه المناقشات من كلام أبي الفتح بن جني من «سر صناعة الإعراب»[6].

---

(١) «البسيط» ص (٦٥٩).

(٢) «البسيط» ص (٣٠٣).

(٣) انظر: «البسيط» عند قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ٱنظر: حاشية «البسيط» في المواضع السابقة.

بعض الملحوظات على نقل الواحدي:

مع كثرة النقول في تفسير «البسيط» وقع الواحدي في بعض الملحوظات، ويحصل ذلك عندما يختصر النص أو ينقل بعضه ويترك بعضًا، فيكون لما ذكر ارتباط بما ترك، أو يستبدل كلمة أو جملة بأخرى تغير المعنى. وهذه بعض الأمثلة توضح ذلك:

في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] نقل نصًا عن «تهذيب اللغة» ولم يعزه له فقال: «وقال الأخفش: الحمد لله الشكر لله، قال: والحمد- أيضا- الثناء، وكأن الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليته... الخ»(١).

وفي «التهذيب» كلام الأخفش ينتهي عند «الحمد- أيضا- الثناء» وبدل قوله: «وكأن الشكر لا يكون... الخ»، «قلت: الشكر...» فهو من كلام الأزهري كما صرح بذلك صاحب «اللسان» فقال: قال الأزهري: «والشكر لا يكون... الخ» ولما أبدل الواحدي «قلت» بـ«كان» صار الكلام جزءًا من كلام الأخفش، أو من كلام الواحدي(٢).

مثال آخر في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] قال: «وزعم الأخفش أن من العرب من يؤنث الهدى»(٣) وكلام الأخفش في «الحجة»: «وقال أبو الحسن: زعموا أن من العرب من يؤنث الهدى»(٤) فالأخفش

(١) «البسيط» عند قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

(٢) انظر التعليق على النص في حاشية «البسيط» عند قوله تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾.

(٣) «البسيط» [البقرة: ٢]

(٤) «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ١٧٩، وانظر حاشية (البسيط» [البقرة: ٢].

ناقل للزعم وجعله هو الزاعم.

ومثال آخر: نقل كلام أبي الفتح في «أل» ومنه قوله: «ومذهب الخليل في هٰذا أن «أل» حرف التعريف بمنزلة «قد» في الأفعال... واحتج لهٰذا المذهب بفصلين، أحدهما: أن العرب قطعت «أل» في أنصاف الأبيات نحو قول عبيد:

يا خليلي اربعا واستخبرا الـ   منزل الدراس من أهل الحلال
مثل سحق البرد عفىٰ بعدك الـ   قطر مغناه وتأويب الشمال

قال: فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها...»[(١)] فتصرف الواحدي في كلام أبي الفتح وصيَّر الكلام كأنه بنصه للخليل خصوصًا عند قوله: «واحتج لهٰذا المذهب بفصلين» وقوله: «قال: فلو كانت اللام...» وأذكر نص كلام أبي الفتح ليظهر الفرق بين النصين. «وذهب الخليل إلىٰ أن «أل» حرف تعريف بمنزلة «قد» في الأفعال وأن الهمزة واللام جميعًا للتعريف... ويقوي هٰذا المذهب قطع «أل» في أنصاف الأبيات نحو قول عبيد:

يا خليلي ....

وهٰذِه قطعة لعبيد مشهورة عددها بضعة عشر بيتًا يطرد جميعها علىٰ هٰذا القطع الذي تراه إلا بيتًا واحدًا من جملتها، ولو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها...»[(٢)].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:

---

(١) «البسيط» [البقرة: ٢].

(٢) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٣.

٤٨] قال: «قال أصحاب المعاني: ليس معنىٰ: «لا يقبل الشفاعة» أن هناك شفاعة لا تقبل، وإنما المعنىٰ لا يكون شفاعة فيكون لها قبول.. الخ»[1].

فالواحدي نقل هٰذا عن أبي علي الفارسي من الحجة[2]، ونسبه لأهل المعاني ولم يذكره أحد من أهل المعاني الذين اشتهر أخذه عنهم كالفراء والأخفش والزجاج. ثم إن في هٰذا الكلام محذورًا حيث ظاهره نفي الشفاعة، وهٰذا قول المعتزلة، ولم ينقده في هٰذا الموضع كدأبه في نقد آراء المعتزلة، وان كان قد ذكر القول الصحيح في معنى الآية في موضع آخر فقال في آخر تفسيرها: «... والآية وإن عمت في نفي الشفاعة فمعناها الخصوص فيمن مات على الكفر بدلالة الأخبار الصحيحة في الشفاعة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]..»[3].

---

(١) «البسيط» [البقرة: ٤٨].

(٢) «الحجة» ٢/ ٤٦، ٤٧.

(٣) «البسيط» [البقرة: ٤٨].

المبحث السادس:

منهج الواحدي في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منهجه إجمالًا كما وصفه في مقدمة كتابه

المطلب الثاني: منهجه تفصيلًا وفيه تسع مسائل.

المطلب الثالث: مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة.

المبحث السادس

منهج الواحدي في كتابه «البسيط»

المطلب الأول: مقدمة الكتاب ومنهجه إجمالًا:

أفتتح الواحدي كتابه بمقدمة طويلة أشتملت علىٰ مسائل هامة، حيث بين فيها سبب تأليفه الكتاب، ثم تحدث بإفاضة عن أهمية علم اللغة والنحو والأدب لتفسير القرآن الكريم، وذكر أنه لابد للمفسر أن يتمكن فيها، قبل تعرضه لتفسير كتاب الله، ثم تحدث عن شيوخه الذين تلقىٰ عنهم العلوم في شتى المجالات، ثم تحدث بعد ذلك عن منهجه في كتابه إجمالًا.

ولما حوته تلك المقدمة من قضايا هامة تنم عن شيء من شخصية الواحدي العلمية كانت مرجعًا لكل من أراد التعرف على الواحدي أو التعريف به، فنقل منها بعض العلماء عند تعريفهم بالواحدي، كما فعل «ياقوت» في معجم الأدباء[1]، ومن المعاصرين «أحمد صقر» في مقدمته علىٰ «أسباب النزول»[2].

وقد سبق ذكر مقاطع منها عند الحديث عن العلوم التي برز فيها، وعند الحديث عن شيوخ الواحدي، وكذا عند الحديث عن مصادره في كتابه، والآن أستعرض جوانب أخرىٰ في المقدمة لم يسبق الحديث عنها.

ذكر في أولها الموضوعات الأساسية للكتاب فقال: «وبعد، فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فِقَرًا في الكشف عن غوامض معانيه، ونُكَتًا في الإشارة إلىٰ علل القراءات فيه في ورقات يصغر

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٦٢-٢٧٠.

(٢) انظر: «أسباب النزول» ص ١١ وما بعدها.

حجمها ويكثر غُنْمها..».

وقد كان الواحدي موفقًا في تحديد الموضوعات الرئيسة التي ركز عليها في تفسيره، لكن عبارته توحي بالاختصار والإيجاز، والواقع بخلاف ذلك، فقد تعدىٰ في بعض المواضع حدود الإطالة إلى الإملال بذكر مسائل لا علاقة لها بالتفسير.

وإذا كان السبب الرئيس للتأليف- كما أفصح عنه- رغبته في الكشف عن غوامض معاني القرآن الكريم، فهناك سبب آخر دعاه للتأليف ذكره قائلا: «.. والأيام تمطلني بصروفها على ٱختلاف صنوفها إلىٰ أن شدد علي خناق التقاضي قومٌ لهم في العلم سابقة، وفي التحقيق همم صادقة، فسمحت قرونتي بعد الإباء ..»،ثم يقول: «.. هٰؤلاء شكوا إليّ غلظ حجم المصنفات في التفسير، وأن الواحدة منها تستغرق العمر كتابتها ويستنزف الروح سماعها وقراءتها، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر علىٰ تحصيلها، ليس يحظىٰ منها بطائل تعظم عائدته، وتعود عليه فائدته».

أبرز الواحدي أن من أسباب تأليفه الكتاب ما شكوا إليه من غلظ حجم المصنفات في التفسير أقول: لقد جاء كتابه «البسيط» غليظ الحجم فوقع فيما نقده علىٰ غيره.

ثم تحدث الواحدي بعد ذلك عن أصول هامة لابد لمن رام تفسير كتاب الله أن يلم بها، فذكر النحو والأدب والبلاغة وأهميتها للمفسر فقال: «فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالىٰ تعلم النحو والأدب، فإنهما عمدتاه وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاْستعارات الباهرة، والأمثال النادرة، والتشبيهات البديعة، والملاحن الغريبة..» ويستطرد طويلًا في بيان أهمية ذلك لتفسير القرآن، خصوصًا في

عصره، وذلك لأن الصحابة الذين نزل القرآن فيهم، كانوا عربًا أولي بيان فاضل، وقد بين لهم النبي ﷺ ما يحتاجون من مجمل الكتاب فيقول: «فاستغنوا بذلك عما نحن إليه محتاجون من معرفة لغات العرب..»، ثم يبين أن المفسر يحتاج مع تعلم اللغة، إلى السنن المبينة لمجمل الكتاب فيقول- ناقلًا عن مقدمة «تهذيب اللغة»-: «فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلىٰ معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل الموضحة للتأويل، لتنتفي عنا الشبه التي دخلت علىٰ كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم علىٰ رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطأوا، وتكلموا في كتاب الله- ﷻ- بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا..»[1] فبين بهٰذا أهمية اللغة والسنة لبيان القرآن، وخطر التصدي لتفسيره دون المعرفة الثاقبة بهما. ثم ذكر حث السلف علىٰ تعلم اللغة وترغيبهم في ذلك فقال: «وقد كان الأكابر من السلف يحثون علىٰ تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضائلها وفرط الحاجة إليها..»، ثم أورد بعض الأحاديث والآثار في بيان قيمة الأدب والحث علىٰ تعلمه وتعلم اللغة، وختم حديثه عن أهمية اللغة والأدب للتفسير فقال: «وكيف يتأتىٰ لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة- في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه- لخاتم النبيين وسيد المرسلين- صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الطيبين- في زمان أهلُه يتحلون بالفصاحة ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح».

---

(١) وقد نقله الواحدي عن مقدمة «تهذيب اللغة» بدون عزو.

ثم يقرر قضية هامة وهي أن من جهل لسان العرب وأصول كلامهم ليس مرشحًا للتعرض لتفسير كتاب الله، حتىٰ وإن قرأ كتب التفسير، لأنه مقلد لهم في ذلك غير مدرك لمعاني كتاب الله فيقول: «... ثم وإن طال تأمله مصنفات المفسرين وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين فوقف علىٰ معاني ما أودعوه كتبهم وعرف ألفاظهم التي عبروا بها عن معاني القرآن لم يكن إلا مقلدًا لهم فيما حكوه وعارفًا معاني قول مجاهد، ومقاتل، وقتادة، والسدي وغيرهم، دون معنىٰ قول الله ﷻ. ألا ترىٰ أن واحدًا ممن لم يتدرب بلغة العرب لو سمع قول ٱمرئ القيس:

دِيـمَـةٌ هَـطْـلاَءُ فـيـهـا وَطَـفٌ طَـبَـقُ الأَرْضِ تَـحَـرَّىٰ وَتَـدُرّ

فسأل عن معناه: فقيل له: إنه يصف مطرًا سحابه هاطل، كان عارفًا معنىٰ هٰذا البيت من طريق التقليد، ولا يكون عارفا معنىٰ قول ٱمرئ القيس ما لم يعرف تفسير كل حرف علىٰ حدته...».

ويستمر يعرض الأمثلة والشواهد حول هٰذِه القضية لينتهي إلى القول: «وإنما ذكرت هٰذِه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين ووقف علىٰ معاني أقوالهم لم يقف علىٰ معاني كلام الله دون الوقوف علىٰ أصول اللغة والنحو».

ثم يذكر طبقات المصنفين في تفسيره، ولكنه آثر الاختصار فيها، لأنه كما قال: «الاشتغال بما يعنينا أولىٰ من بيان درجتهم والكشف عن نقصهم ومزيتهم». وينتهي إلى القول: «ولم يترك الأول للآخر شيئًا، غير أن المتأخر بلطيف حيلته ودقيق فطنته يلتقط الدرر ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد علىٰ صدر الكعاب..».

ولقد كان الواحدي صادقًا في مقالته، وكان كتابه تعبيرًا عن ذلك

فعمل فيه علىٰ لقط الدرر وجمع الغرر ونظمها كالعقد، وقد سبق إيضاح هٰذِه المسألة عند ذكر مصادره في كتابه.

بعد ذلك يذكر الواحدي شيوخه ومصادره التي ٱستقىٰ منها فيقول: «وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هٰذا العلم علىٰ حسب ما يليق بزماننا هٰذا، ويسعه سِنُو عمري علىٰ قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالىٰ وله الحمد، حتىٰ أقتبست كل ما ٱحتجت إليه في هٰذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه..»، ثم أخذ في سرد شيوخه وتحدث عن الكتب التي قرأها وأطال وقد سبق نقل مقاطع طويلة منه عند الحديث عن شيوخه وكذا عند ذكر مصادره فلا أطيل بذكرها هنا.

وصف الكتاب ومنهجه فيه كما عرضه في المقدمة:

وفي نهاية المقدمة يصف الواحدي كتابه الذي عزم علىٰ جمعه، ومنهجه فيه فيقول: «وقد ٱستخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره... سالك نهج الإعجاز في الإيجاز، مشتمل علىٰ ما نقمت علىٰ غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، خال عما يكسب المستفيد ملالة ويتصور عند المتصفح إطالة، ولا يدع لمن تأمله حازَّة في صدره حتىٰ يخرجه من ظلمة الريب والتخمين إلىٰ نور العلم وثَلَج اليقين...».

فهل كتاب الواحدي كما وصفه هنا؟

لقد درج الكثير من المؤلفين علىٰ وصف كتابهم في مقدماتهم التي يكتبونها أولًا وربما بالغ بعضهم في ذلك، وقد يكون المؤلف صادقًا مع نفسه فيما قال؛ لأنه لو علم خللا في كتابه لأصلحه، ونعود إلىٰ كتاب الواحدي فأقول: إن كتابه بحق كما وصفه، سوىٰ ما ٱدعاه من سلوكه نهج

الإيجاز، فواقع الكتاب لا يطابق ما شرطه علىٰ نفسه في المقدمة، فإنه ٱستطرد في كتابه إلىٰ مباحث لغوية ونحوية خارجة عن إطار التفسير، ويأتي مزيد من الإيضاح لذلك، عندما نعرض لتفصيل منهجه في الجوانب اللغوية والنحوية.

ثم يقول الواحدي عن كتابه: «... هٰذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضا في صنعة الأدب والنحو مهتديًا بطرق الحِجَاج، قَارِحًا في سلوك المنهاج فأما الجَذَع المُزْجَىٰ من المُقْتَبِسِين والرَّيِّض الكَزُّ من المبتدئين فإنه مع هٰذا الكتاب كمزاولٍ غَلَقًا ضاع عنه المفتاح ومتخبط في ظلماء ليل خانه المصباح...».

لقد كان الواحدي صادقا في وصف كتابه، حيث يوجد فيه مسائل لغوية ونحوية يعسر على القارئ فهمها إلا بعد تأمل طويل، وأكثر تلك المواضع ٱستطرادات لا علاقة لها بالتفسير.

منهج الواحدي في كتابه إجمالا:

ذكر الواحدي منهجه في كتابه إجمالًا قائلًا: «وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصًّا، ثم بقول من هٰذا العلم من الصحابة وأتباعهم مع التوفيق بين قولهم ولفظ الاية. فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أضيع الوقت بذكره. وذكرت وجوه القراءات السبع التي ٱجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء، واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه». فذكر أن منهجه أنه يبتدئ كل آية بقول ابن عباس ما وجد له نصًّا. وهنا لابد من إيضاح أمرين:

الأمر الأول: أنه يبدأ الآية غالبًا بتحليل ألفاظها وبيان أصولها اللغوية واشتقاقها، وما فيها من قضايا نحوية ويطيل في ذلك، فقد أخذت هٰذِه المباحث حيزًا كبيرًا في الكتاب، ثم يذكر ما قيل في تفسير الآية ويبدأ ذلك بقوله: «أما التفسير» هٰذا في الغالب، وقد يذكر قول ابن عباس أولًا ثم يذكر تحليل ألفاظ الآية.

الأمر الثاني: أنه في الغالب يبدأ بقول ابن عباس، وقد يذكر قول غيره ثم يذكر قوله بعد ذلك. مثال ذلك قي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قال: «قال الضحاك وقتادة: الدين: الجزاء يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم.. وقال ابن عباس والسدي ومقاتل في معنىٰ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قاضي يوم الحساب..»(١).

ومثال آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] ذكر قول مجاهد ثم ذكر بعده قول ابن عباس(٢).

وذكر أن من منهجه التوفيق بين قول السلف ولفظ الآية، وهٰذِه سمة بارزة في تفسير «البسيط»، حيث نجده دائمًا يحرص علىٰ بيان مدلول لفظ الآية علىٰ كل قول يذكره لأحد من الصحابة، أو من بعدهم، وَيُظْهَر بذلك ٱحتمال ألفاظ الآية لهٰذِه الأقوال وقد يحاول أن يجمع بينها ويبين أنها تلتقي في النهاية حول معنىً واحد.

ثم ذكر أن من منهجه أنه لا يذكر الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول، ولقد كان عند شرطه في الجملة، سوىٰ بعض الإسرائيليات التي دخلت عليه من طريق شيخه «الثعلبي» ويأتي الحديث عن ذلك قريبًا إن شاء الله.

---

(١) «البسيط» [الفاتحة: ٤].

(٢) ٱنظر «البسيط» [الفاتحة: ٤].

وذكر أن من منهجه أنه يذكر القراءات السبع دون تسمية القراء، وفي هٰذا الجانب يركز علىٰ توجيه القراءات ويتوسع في ذلك، ويذكر ذلك في الغالب بعد تحليل ألفاظ الآية. وذكر ما فيها من مسائل نحوية، وقبل دخوله في ذكر أقوال السلف والمفسرين في الآية.

وفي أثناء تفسير الآية قد يتعرض لما فيها من أحكام، وقد يذكر مسائل في الوقف والابتداء، والربط بين الآيات، كما يذكر فيها سبب النزول، ولا يكثر في كل ذلك، ويأتي إيضاح هٰذِه الأمور بالأمثلة عند ذكر منهجه مفصلًا إن شاء الله.

المطلب الثاني: منهجه في كتابه مفصلًا:

أولًا: تفسير القرآن بالقرآن:

يعتبر القران الكريم هو المصدر الأول للتفسير، فما أجمل في موضع قد يرد مفصلًا في موضع آخر، وما أبهم في مكان قد يرد مبينًا في مكان آخر وهكذا.

وقد يعتمد الواحدي علىٰ هٰذا المصدر في تفسيره فكثيرًا ما يورد آية لتفسير آية وقد يورد الآيات الكثيرة للاستشهاد، خصوصًا في المسائل النحوية واللغوية.

ومن أمثلة إيراد الآية لتفسير آية أخرىٰ ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] أورد الأقوال في «العالمين» فذكر قول الحسن وقتادة في تفسير العالم: إنه جميع المخلوقات قال: «يدل علىٰ هٰذا القول من التنزيل قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤]. فسر العالمين بجميع

المخلوقات»[١]. ثم قال: «وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هم الجن والأنس، ٱختاره أبو الهيثم والأزهري، واحتجوا بقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].. وقال الحسين بن فضل وأبو معاذ النحوي: هم بنو آدم لقوله ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]..»[٢].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ذكر الأقوال فيها ومنها: «وقيل: هم الذين ذكرهم الله في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] الآية..»[٣].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] قال: «والكناية في مثله تعود إلىٰ «ما» في قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ ودليل هٰذا التأويل قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] كذلك يريد به مثل القرآن...»[٤] والأمثلة علىٰ هٰذا كثيرة.

ويكثر من الاستشهاد بالآيات في المسائل النحوية واللغوية التي يتعرض لها أو ينقلها غيره.

مثال ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥١] قال[٥]:

---

(١) «البسيط» [الفاتحة: ٢].

(٢) «البسيط» [الفاتحة: ٢].

(٣) «البسيط» [الفاتحة: ٧].

(٤) «البسيط» [البقرة: ٢٣].

(٥) ناقلًا عن الحجة بدون عزو. ٱنظر حاشية «البسيط» عند قوله ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

وأما «اتخذ» فإنه علىٰ ضربين، أحدهما: أن يتعدىٰ إلىٰ مفعول واحد.

والثاني: أن يتعدىٰ إلىٰ مفعولين. فأما تعديه إلىٰ واحد فكقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] و ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان: ٣]، ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧]، وأما تعديه إلىٰ مفعولين، فإن الثاني منهما هو الأول في المعنىٰ كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة: ١٦، المنافقون: ٢]، وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠]....»[١].

ب- تفسير القرآن بالسنة و الأثر:

يعتبر كتاب «البسيط» للواحدي أقرب إلىٰ كتب التفسير بالدراية منه إلى التفسير بالرواية، حيث أكثر فيه من المباحث اللغوية والنحوية وتوجيه القراءات والنكات التفسيرية والفوائد حول الآيات، وأقلّ من الرواية خصوصًا الحديث، أما الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فهي أكثر من الحديث، بخلاف كتاب «البسيط» الذي أكثر فيه من الرواية.

وقد أدرك الواحدي الإسناد، كما قال صاحب «المنتخب من السياق» في أثناء ترجمة الواحدي: «أدرك الإسناد العالي»[٢].

وكانت له بعض المشاركة في خدمة السنة تظهر من خلال كتابيه «أسباب النزول» و «الوسيط» في التفسير.

ولكن مع ذلك فبضاعة الواحدي في السنة ليست مرضية عند بعض

---

(١) «البسيط» [البقرة: ٥١].

(٢) «المنتخب من السياق» ل ١١٤/أ.

العلماء، فوجهت إليه الانتقادات في هٰذا الجانب، ذكرت طرفًا منها فيما سبق عند الحديث عن «أقوال العلماء فيه». ومن تلك الأقوال ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قال: «.. وفي التفسير من هٰذِه الموضوعات قطعة كبيرة مثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل سور القرآن سورة سورة، فإنه موضوع باتفاق أهل العلم...»[١]، وقال في موضع آخر: «وأما «الواحدي» فإنه تلميذ الثعلبي وهو أخبر منه بالعربية لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليدًا لغيره، وتفسيره وتفسير الواحدي «البسيط» و «الوسيط» و «الوجيز» فيها فوائد جليلة وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها»[٢].

وأخذ بهٰذا القول الكتاني فقال: «... ولم يكن له ولا لشيخه الثعلبي كبير بضاعة في الحديث بل في تفسيريهما وخصوصًا الثعلبي أحاديث موضوعة وقصص باطلة...»[٣].

كما نقل الزركشي في «البرهان» عن ابن الصلاح اعتراضه على الواحدي في إيراده حديث فضائل السور فيقول: «قال ابن الصلاح: ولقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره[٤] من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم» ثم يعتذر الزركشي عن الواحدي قائلًا: «قلت: وكذلك الثعلبي، لكنهم ذكروه بإسناد فاللوم عليهم يقل بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزمخشري

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٣/ ٣٥٤.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ١٣/ ٣٨٦.

(٣) «الرسالة المستطرفة» ص (٥٩).

(٤) أي حديث فضائل السور.

فإن خطأه أشد»[١].

والأحاديث في «الوسيط» قليلة في الجملة وذكر الواحدي بعضها بسنده مثال ذلك ما أخرجه في مقدمة البسيط قال: «ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم رحمه الله قال: أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن، ثنا أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أبان، ثنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف، ثنا نصر بن على الجهضمي، ثنا عامر بن أبي عامر، ثنا أيوب بن موسى القرشي عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن**»[٢].

وقد حكم الأئمة علىٰ هٰذا الحديث بالضعف والإرسال.

ومثال آخر ما ذكره في تفسير الفاتحة في معنىٰ «الحمد» قال: «وقد أخبرنا الحسين بن أبي عبد الله الفسوي- رضي الله عنه - أبنا أحمد بن محمد الفقيه، أبنا محمد بن هاشم، عن الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**الحمد رأس الشكر، وما شكر الله عبد لا يحمده**»[٣].

والحديث ضعيف كما قال ذلك بعض العلماء[٤].

والبعض الآخر من الأحاديث ذكرها بدون سند ولم يحكم عليها بشيء وأكثرها وردت للاستدلال بها في المسائل اللغوية، أوردها اللغويون في كتبهم ونقلها الواحدي عنهم.

---

(١) «البرهان» ١/ ٤٣٢.

(٢) «مقدمة البسيط» للمؤلف.

(٣) «البسيط» عند تفسيره قوله تعالىٰ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢].

(٤) انظر: «حاشية البسيط» عند التعليق علىٰ قوله تعالىٰ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢].

من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ذكر معاني الدين: الحساب فقال: «وقيل: في قوله: «الكيس من دان نفسه»، أي: حاسبها»[١] فاستشهد بالحديث علىٰ أن الدين يأتي بمعنى الحساب، والكلام مع الاستشهاد بالحديث نقله عن «تهذيب اللغة» للأزهري[٢].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩] تكلم عن أصل معنى الخدع والخداع، ثم قال: «ومنه الحديث «**يكون قبل خروج الدجال سنون خداعة**»..»[٣] والحديث مع ما قبله وما بعده مما ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة»[٤].

ومثال آخر في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] تكلم عن لفظ «النبي» وعن أصله، وقال: ... وأما ما روي في الحديث من أن بعضهم قال: يا نبيء الله فقال: لست بنبيء الله ولكن نبي الله» فإن أهل النقل ضعفوا إسناد الحديث...، و الحديث مع التعليق عليه منقول عن «الحجة» لأبي على الفارسي[٥].

وقد استشهد صاحب كتاب «الواحدي ومنهجه في التفسير» بالكلام السابق عن السند علىٰ أن الواحدي قد يتعرض لنقد الحديث[٦]، ولم ينتبه إلىٰ أن كلام الواحدي مع قبله وما بعده منقول عن أبي علي الفارسي.

---

(١) «البسيط» [الفاتحة: ٤].

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» «دان» ١٤/ ١٨٢.

(٣) «البسيط» [البقرة: ٩].

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» «خدْع» ١/ ١٥٩.

(٥) انظر: «الحجة» لابن علي ٢/ ٩٢.

(٦) انظر: «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص ٣٢٥- ٣٢٦.

المسألة الثالثة: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

أعلم الناس بالتفسير بعد رسول الله ﷺ هم أصحابه رضوان الله عليهم، ثم التابعون، وذلك لأنهم شاهدوا أحوال التنزيل أو عاصروا من شاهدها؛ ولأنهم أعلم باللغة التي نزل بها القرآن؛ ولأنهم أعرف بأحوال من نزل فيهم القرآن؛ ولأنهم أبعد عن البدع وأسلم القرون من الضلالات.

وقد ظهر في «تفسير البسيط» جليًا الاعتماد علىٰ أقوال الصحابة والتابعين في التفسير والاعتناء بها، وتقديمها علىٰ غيرها، بل صرح بذلك في مقدمة «تفسيره» قائلًا: «وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصًا، ثم بقول من هو قدوة في هٰذا العلم من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية».

ويمكن إجمال منهجه في هٰذا الباب في النقاط التالية:

أولًا: يفصل في ذكر أسماء المفسرين من الصحابة والتابعين، وأحيانًا يجملهم تحت قوله: قال المفسرون، أو أهل التفسير.

ومن أمثلة التفصيل: ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] قال الواحدي: واختلف المفسرون في معنى الخطيئة ها هنا، فقال ابن عباس والضحاك وأبو وائل وأبو العالية والربيع وابن زيد: هي الشرك يموت عليه الإنسان.

ومن أمثلة الإجمال: ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ [البقرة: ٩٠] قال: قال المفسرون: البَغْيُ هاهُنا بمعنى: الحَسَد.

ثانيًا: لا يذكر السند في غالب الأحيان إليهم، وقد أسند قليلًا من الآثار، وذكر طرفًا من الإسناد في مواضع، ويقتصر في الغالب على الراوي

عن الصحابي أو التابعي، خصوصًا إذا رُوي عنه أكثر من قول في الآية.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] فقال: وأما التفسير: فقال ابن عباس في رواية الكلبي: قالت كفار قريش: يا محمد صف وانسب لنا ربك. فأنزل الله تعالىٰ سورة الإخلاص، وهٰذِه الآية.

وقال جويبر(١)، عن الضحاك، عن ابن عباس: كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنمًا، يعبدونها من دون الله، فبين الله سبحانه لهم أنه واحد، فأنزل هٰذِه.

ثالثًا: تنوّع طريقته في عرض الأقوال وذكر القائلين بها، فتارة يذكر كل قول علىٰ حدة، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فقال: وأما التفسير: فقال مجاهد: (ومن تطوع خيرًا) بالطواف بهما، وهٰذا علىٰ قول من لا يرى الطواف بهما فرضًا.

وقال مقاتل والكلبي: ومن تطوع خيرًا فزاد في الطواف بعد الواجب.

ومنهم: من حمل هٰذا النوع على العمرة، وهو قول ابن زيد، وكان يرى العمرة غير واجبة.

وقال الحسن: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ يعني به: الدين كله، أي: فعل غير المفترض عليه، من طواف وصلاة وزكاة وكل نوع من أنواع الطاعات.

وهٰذا أحسن هٰذِه الأقاويل؛ لأن قوله (ومن تطوع خيرًا) صيغته تدل على العموم.

---

(١) سبق ترجمته.

وتارة يذكر القول، ثم يذكر القائلين به، دون أن يذكر ألفاظهم، أو يذكر ألفاظهم بعد ذلك. ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فقال: قال قتادةُ والربيع ومقاتل: عنىٰ الله بهٰذِه الآية: اليهود والنصارىٰ،.. وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وعطاء: المراد به المؤمنون.

رابعًا: يرجح بين الأقوال في بعض الأحيان كما في المثال قبل السابق عند قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وقد يجمع بينها، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال: أكثر المفسرين علىٰ أن المراد بهٰذا: الولد، أي: أطلبوا بالمباشرة ما قضىٰ الله لكم من الولد. وقال قتادة: يعنى الرخصةَ التي كتبتُ لكم، وقال معاذ بن جبل وابن عباس في رواية أبي الجوزاء: يعني: ليلةَ القدر، وكل هٰذا مما تحتمله الآية.

المسألة الرابعة: منهجه في ذكر الإسرائيليات:

الإسرائيليات: هي الأخبار المروية عن أهل الكتاب من يهود أو نصارىٰ، وسميت (إسرائيليات) تغليبًا، لأن أكثرها من أخبار بني إسرائيل أو من كتبهم(١).

وقد بين الحافظ ابن كثير في مقدمة «تفسيره» الموقف الصحيح منها، بعد ذكره لحديث: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج،**

---

(١) ينظر في الإسرائيليات: «التفسير والمفسرون» للذهبي ١/ ١٦٥ و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للدكتور محمد أبو شهبة ص٢١، و«الإسرائيليات» للدكتور: رمزي نعناعة ص ٧١.

ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1] فقال- رحمه الله-: ولكن هٰذِه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هٰذا القبيل ولا من هٰذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلىٰ أمر ديني، ولهٰذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هٰذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك[2].

وقال في موطن آخر- بعد ذكره لبعض أخبارهم-: وعندي أن هٰذا وأمثاله وأشباهه من ٱختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما ٱفتُري في هٰذِه الأمة- مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديثُ عن النبي ﷺ- وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل، مع طول المدىٰ، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**» فيما قد يجوزه العقل، فأما ما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان، ويغلب على الظنون كذبه فليس من هٰذا القبيل[3].

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١).

(٢) «تفسير ابن كثير» ص ١٢.

(٣) «تفسير ابن كثير» ص ١٦٠٩.

ويقول الشيخ أحمد محمد شاكر[١] معلقًا علىٰ كلام ابن كثير: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل علىٰ صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هٰذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنىٰ قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل، وحاشا لله ولكتابه من ذلك[٢].

لقد وعد الواحدي رحمه الله في مقدمة كتابه باجتناب مثل ذلك فقال: فأما الأقوال الفاسدة، والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ، ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به، ولم أضيع الوقت بذكره[٣].

ولكنه رحمه الله وقع فيما وعد بتركه، وضيّع الوقت- رحمه الله- بذكره، وتابع بعض من سبقه وفي مقدمتهم شيخه الثعلبي، الذي ملأ كتابه من تلك المرويات والقصص التي لا زمام لها ولا خطام، ولا ينتفع بها في فهم القرآن، ولا فائدة فيها تعود إلىٰ أمر ديني، كما أسلف ابن كثير، دون تنبيه من الواحدي أو تعليق.

ومن أمثلة ذلك:

١- ما ذكره من الإسرائيليات في كيفية وسوسة إبليس لآدم وهو في

---

(١) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، أزهري محدث مفسر قاض، ولد سنة ١٣٠٩هـ بالقاهرة، من أكبر محققي التراث، حقق «مسند الإمام أحمد» و«سنن الترمذي» و«تفسير الطبري» ولم يتم شيئًا منها، وحقق «الرسالة» للشافعي واختصر «تفسير ابن كثير» ولم يتمه، قال الزركلي: ولم يخلف مثله في علم الحديث بمصر. ينظر: «الأعلام» ١/ ٢٥٣ و«معجم المؤلفين» ١٣/ ٣٦٨ .

(٢) «عمدة التفسير» ١/ ١٥.

(٣) انظر: مقدمة المؤلف.

الجنة.

٢- القصة الطويلة التي ذكرها عند قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]

قال رحمه الله: **(وقال لهم نبيهم إنَّ آيةَ ملكه أن يأتيكم التابوت)** الآية: قال أصحاب الأخبار: إن الله تعالىٰ أنزل علىٰ آدم تابوتًا فيه صور الأنبياء من أولاده، فتوارثه أولاد آدم إلىٰ أن وصل إلىٰ يعقوب، فكان في بني إسرائيل، وكانوا إذا ٱختلفوا في شيء تكَلَّم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به علىٰ عدوهم، وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو، فإذا سمعوا من التابوت صيحة ٱستيقنوا النصرة، فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العَمَالقة، فغلبوهم على التابوت، وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة علىٰ ملك طالوت دعا النبي ربه، فنزل بالقوم الذين غلبوا بني إسرائيل على التابوت داء بسببه، وذلك أنهم كانوا قد أخذوا التابوت فجعلوه في موضع غائطهم وبولهم، وكل من بال عنده أو تغوط ٱبتلاه الله بالبواسير، حتىٰ تنبهوا أن ذلك لاستخفافهم بالتابوت، فأخرجوه ووضعوه علىٰ ثورين، فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما، حتىٰ أتوا به منزل طالوت، فلما رأوا التابوتَ عند طالوت، علموا أن ذلك أمارة ملكه عليهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الآية[1].. إلىٰ آخر ما ذكره.

---

(١) تنظر القصة بطولها في: «تفسير الطبري» ٥/٣١٨، و«تاريخ الأمم والملوك» ١/٤٦٩، و«تفسير الثعلبي» ٢/١٣٥٨- ١٣٦٢، و«تفسير البغوي» ١/٢٩٨-٢٩٩، و«البحر المحيط» ٢/٢٦١.

وقد وجدت بالتتبع أنه ينقل ذلك كله من تفسير شيخه مع الٱختصار والتصرف. بيد أنه-رحمه الله- لا يعلق علىٰ ذلك بما يدل على الإنكار أو المخالفة.

المسألة الخامسة منهجه في عرض القراءات:

ذِكْرُ القراءات والاحتجاج لها البواعث الرئيسة للواحدي لتأليف هٰذا التفسير حيث يقول في مقدمته: «فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فِقَرًا في الكشف عن غوامض معانيه، ونكتًا في الإشارة إلىٰ علل القراءات فيه في ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها...».

فجعل الإشارة إلىٰ علل القراءات هدفًا هامًا يقابل الكشف عن غوامض التنزيل. فلا غرو أن نرى الواحدي يتوسع في بحث القراءات في تفسيره حتىٰ تأخذ حيزًا كبيرًا وخصوصًا في مجال الٱحتجاج لها.

وقد ذكر الواحدي منهجه في عرض القراءات وتوجيهها في المقدمة فقال: «وذكرت وجوه القراءات السبع التي ٱجتمع عليها أهل الأمصار، دون تسمية القراء واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه». فهٰذا المنهج الذي ذكره يقوم علىٰ:

١- أنه ٱعتمد ذكر علل القراءات، وليس الهدف ذكر القراءات نفسها.

٢- أنه يذكر القراءات السبع دون غيرها.

٣- أنه لا يسمي القراء.

٤- ٱعتمد في أكثر ما ذكر علىٰ كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي.

هٰذا منهجه في القراءات حسب ما ذكره في مقدمة كتابه. فلندرس هٰذا المنهج لنرىٰ مدى التزامه به.

فأقول: بالنسبة للأمر الأول، وهو أنه اْعتمد ذكر علل القراءات، فإنه التزم ذلك غالبًا، والقارئ لكتاب «البسيط» يلحظ في كلامه على القراءات أنه يعتمد كثيرًا ذكر علل القراءات وتوجيهها أكثر مما يعتمد ذكر القراءات نفسها، بل قد أطال في هٰذا الجانب إلىٰ حد يعتبر خروجًا عن القدر اللازم في كتاب «التفسير».

لقد ألف أبو علي الفارسي كتابًا مستقلًا للاحتجاج للقراءات وذكر فيه من وجوه اللغة والنحو والتصريف ما عده المتخصصون خروجًا عن القدر اللازم، ومما أضفىٰ على الكتاب شيئًا من صعوبة العبارة والغموض، قال أبو الفتح بن جني- تلميذ أبي علي الفارسي-: وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب «الحجة في قراءة السبعة» فأغمضه وأطال حتىٰ منع كثيرًا- ممن يدعي العربية فضلًا عن القَرَاءة- منه وأجفاهم عنه[1].

هٰذا مع أن كتاب أبي علي مؤلَّف أصلًا للاحتجاج للقراءات. فما الظن بكتاب تفسير ينقل فيه تلك المباحث الطويلة. ليت الواحدي- مع قدرته البارعة على اْنتقاء النصوص وحسن سبكها- اْختصر تلك المباحث بعبارة أكثر إيجازًا حتىٰ يفيد القارئ، ويخرج به عن الملالة كما شرط ذلك علىٰ نفسه في مقدمة كتابه.

إذًا فجانب توجيه القراءات في كتاب «البسيط» قد توسع فيه الواحدي وأطال كثيرًا واعتمد في أغلبها، إن لم يكن في كلها علىٰ كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، فما يقال عن كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي يسري علىٰ كتاب «البسيط» في مجال توجيه القراءات.

---

(١) «المحتسب» ١/ ٢٣٦.

وقد تعرض د/جودة محمد محمد المهدي في كتابه «الواحدي ومنهجه في التفسير» لتوجيه القراءات عند الواحدي، ووصفه بأنه من فرسان حلبة توجيه القراءات، ونعىٰ على العلماء الذين كتبوا في هٰذا أنهم لم يعدوا الواحدي مع الجهابذة كالفارسي ومكي[١].

وقد ٱختار نصًا طويلًا من «البسيط» حول توجيهه القراءات، واستنتج منه منهج الواحدي في توجيه القراءات وبنىٰ عليه مقالته السابقة. ولم يرجع ذلك النص لمصدره وهو الحجة ليعرف أن الواحدي نقله بنصه، والواحدي صرح في مقدمة كتابه أنه أعتمد في مجال القراءات علىٰ «الحجة»، ولو أجرىٰ د/جودة دراسة توثيقية للنصوص التي بنىٰ عليها دراسته لمنهج الواحدي في القراءات أو في غيرها لكان له رأي آخر.

إن المشكلة أن بعض الدارسين لمناهج العلماء يقوم بنقل نص العالم الذي يقوم بدراسة منهجه، ويجري الدراسة علىٰ ذلك النص قبل أن يسبق ذلك بدراسة توثيقية، ليعرف أن تلك الأفكار لذلك العالم بالأصالة أم هو ناقل بالمعنىٰ أو ناقل بالنص كما هو الحال مع الواحدي؟

إن غالب كلام الواحدي في مجال الٱحتجاج للقراءات منقول بنصه من «الحجة» لأبي علي. فهل تصح بعد ذلك تلك الصفة التي أطلقها د/جودة علي الواحدي؟.

أعود فأذكر أمثلة توضح أن الواحدي ٱعتمد ذكر توجيه القراءات أكثر مما ٱعتمد ذكر القراءات نفسها كما توضح الأمثلة مدىٰ إطالته في هٰذا[٢].

---

(١) ٱنظر كتاب «الواحدي، ومنهجه في التفسير» ص ٢٩٦.

(٢) أكتفي هنا بالإشارة إلى الآية لطول الكلام، ويمكن للقارئ أن يرجع إلى النص ويرى المقارنة بين كلام أبي علي والواحدي ،كما هو مثبت في الحواشي.

منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ذكر القراءات في «مالك» ثم دخل في ذكر الٱحتجاج لكل قراءة بما يطول ذكره.

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] ذكر إن في «يؤمنون» قراءتين ، ثم دخل في ٱحتجاج طويل لكل قراءة.

كذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ [البقرة: ٦] ذكر أن في «أأنذرتهم» وجهين في القراءة ثم دخل في ذكر الٱحتجاج لكل وجه بما يطول ذكره هنا.

الأمر الثاني: الذي ذكره الواحدي في منهجه في القراءات هو أنه يعتمد ذكر القراءات السبع دون غيرها.

اعتمد هٰذا الأمر في الغالب، حيث إنه عول كثيرًا علىٰ كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، وأبو علي الفارسي ٱعتمد في كتابه ذكر القراءات السبع التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه «السبعة» لذلك كان ما أخذه الواحدي عن «الحجة» مقتصرًا على القراءات السبع، وهو أغلب ما ذكره في مجال القراءات في «البسيط»، علىٰ أنه ذكر قراءات غير سبعية أيضًا، وهي في أغلبها قراءات شاذة مما يذكره اللغويون في كتبهم ، وربما كان فيها قراءة عشرية، ومصدره فيها- غالبًا- «معاني القرآن» للفراء، و«معاني القرآن» للزجاج، وربما أخذ من غيرهما.

فمن المواضع التي ٱعتمد علىٰ غير «الحجة» في ذكر القراءات، ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] قال: والأجود في نعمتي فتح الياء، وكل «ياء» كانت من

المتكلم ففيها لغتان الإرسال والفتح. فإذا لقيها ألف ولام ٱختارت العرب اللغة التي حركت فيها الياء وكرهوا الأخرىٰ..

وقال: وقال الزجاج: ٱختير فتح الياء مع اللام لالتقاء الساكنين ويجوز أن تحذف الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين والاختيار الفتح....

ففي النص الأول ينقل عن الفراء بدون عزو، ثم ينقل عن الزجاج والكلام عن القراءات في «ياءات الإضافة» وهٰذِه الطريقة في عرض القراءات ليست طريقة أئمة القراء في كتبهم، و إنما هي طريقة اللغويين ومن سار علىٰ نهجهم فهم يذكرون القراءات المتواترة وغيرها ويتكلمون عنها من الناحية اللغوية والنحوية، ولا ينظرون للسند. فانظر إلىٰ قوله: الأجود في نعمتي فتح الياء.. بينما أجمع القراء العشرة علىٰ فتح «الياء» في قوله: ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ﴾ في مواضعها الثلاثة في البقرة، وقرأ بتسكينها الحسن[1] وابن محيصن فهي قراءة شاذة عند علماء أهل الفن.

ومثال آخر لقراءة شاذة نقلها الفراء في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة: ٦٩] قال: اللون: مرفوع لأنك لم ترد أن تجعل «ما» صلة فتقول: يبين لنا لونها، وقد قرئ بها شاذًا وهو صواب..

فالقراءة الثابتة بالرفع، والقراءة بالنصب شاذة من ناحية سندها، ونجد الفراء ذهب إلىٰ تصويبها من ناحية قواعد اللغة، وتبعه الواحدي علىٰ ذلك، ولعل مرادهم لو ثبتت القراءة بها.

---

(١) ٱنظر: «النشر» ٢/ ١٦٢، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص٢٣، وانظر: «حاشية البسيط» في الموضع المذكور.

الأمر الثالث: الذي ذكره الواحدي في منهجه في القراءات هو عدم تسمية القراء فهل التزم الواحدي هٰذا المنهج؟ الواقع أن الواحدي لم يلتزم ذلك، فانه يسمي القراء أحيانًا وأحيانًا لا يسميهم. ولإيضاح هٰذا الأمر نعود إلىٰ كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، الذي ٱعتمد عليه الواحدي كثيرًا في ذكر القراءات والاحتجاج لها، حيث ذكر أبو علي منهجه في مقدمة كتابه، وقال: إنه يذكر أولًا ما ذكره ابن مجاهد في كتابه «السبعة» ثم يتبعه بالاحتجاج[1] لها، وابن مجاهد قد سمىٰ صاحب القراء عند ذكر قراءتهم، وأبو علي تبعه علىٰ ذلك، وعند الٱحتجاج قد يسمي صاحب القراءة، وقد لا يسميه ٱكتفاء بما ذكره أولًا، والواحدي نقل عن أبي علي في مجال الٱحتجاج دون ذكر القراءات التي أخذها أبو علي من كلام ابن مجاهد، ولهٰذا تبعه الواحدي في تسمية القراء وعدم تسميتهم.

وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣] ذكر القراءات في «يؤمنون» فقال: وفي قوله ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ قراءتان تحقيق الهمزة وتليينها فمن حقق فحجته.. فلم يسم القراء، كذلك أبو علي في الحجة قال: فأما حجة من قرأ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ بتحقيق الهمزة.. الخ[2] فلم يسم ٱكتفاء بما ذكره أولًا[3].

ومن الأمثلة علىٰ تسميته للقراء: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

(١) انظر: مقدمة «الحجة» ١/ ٦.

(٢) «الحجة» ١/ ٢٣٨.

(٣) انظر: «الحجة» ١/ ٢١٤.

﴿كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] ذكر القراءات في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ومنه قوله: وأما أبو عمرو فكان يلين الثانية ويجعل بينهما مدة..، وتبع في ذلك أبا علي حيث قال: وحجة من فصل بين الهمزتين بألف وخفف الهمزة الثانية مع الفصل بينهما بألف، وهو الثبت عن أبي عمرو عندنا..[١].

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] ذكر القراءات في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ﴾ ومما قاله: كان أبو عمرو والكسائي يخففان ﴿وَهُوَ﴾ «فهو» ويسكنان الهاء مع الواو والفاء واللام..»[٢].

ومثال آخر عند تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ذكر القراءات في إني ومنه قوله: «وفتح أبو عمرو وابن كثير «الياء» في قوله ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠] و ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٨، يوسف: ٤٣، الصافات: ١٠٢] عند الهمزة المفتوحة، وزاد أبو عمرو عند الهمزة المكسورة مثل: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢، هود: ٢٩، سبأ: ٤٧] وزاد نافع عند المضمومة مثل: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ [المائدة: ١١٥]، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾ [المائدة: ٢٩، القصص: ٢٧]..»[٣].

الأمر الرابع: في منهج الواحدي في القراءات قوله: «واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه» هٰذا أمر واضح في كتابه، حيث ٱعتمد علىٰ كتاب

---

(١) «الحجة» ١/ ٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) «البسيط» ص ٦٧٧.

(٣) «البسيط» ص ٧٠٩.

أبي علي في أغلب ما ذكر في مجال القراءات سوىٰ نزر يسير أخذه عن طريق الفراء أو الزجاج أو غيرهما.

والواحدي يأخذ من كتاب أبي علي بالنص، وربما تصرف في عبارته وقد يعزو له، والغالب أنه ينقل عنه بدون عزو، ولعله ٱكتفىٰ بهٰذِه الإحالة في المقدمة. وسبق ذكر ذلك عند الحديث عن مصادره.

وخلاصة القول في منهج الواحدي في القراءات: أنه ٱعتمد ذكر القراءات السبع في الغالب، وربما ذكر غيرها علىٰ طريقة اللغويين والنحويين، وبذل جهده في الاحتجاج للقراءات أكثر من تقرير القراءات، وأنه قد يسمي القراء وقد لا يسميهم فلم يلتزم ما ذكره في مقدمته، وكان كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي المصدر الرئيس في هٰذا المجال.

المسألة السادسة: منهجه في علوم القرآن:

كان الواحدي أستاذ عصره في التفسير، كذا قال عنه العلماء الذين ترجموا له[1]، ولم يصل إلىٰ تلك المكانة إلا لأنه كان متأهلًا لذلك، بمعرفة العلوم التي تعينه علىٰ كشف غوامض التنزيل، ومن أهمها علوم القرآن الكريم، وأنواع علوم القرآن كثيرة واسعة، وكان للواحدي مشاركة قوية في هٰذا المجال، حيث صنف في ذلك كتبًا كثيرة منها ما وصل إلينا «أسباب النزول» ومنها كتب لم تصل إلينا مثل: «مختصر فضائل القرآن» و«نفي التحريف عن القرآن الشريف». وبجانب هٰذِه الكتب كانت له آراء في علوم القرآن ضمنها كتابه «البسيط» وهي كثيرة منها:

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٥٨، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣ ، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

١- في أسباب النزول:

هٰذا أكثر ميادين علوم القرآن التي شارك فيها الإمام الواحدي، حيث أخرج فيه مؤلفا مستقلا يعتبر من أول ما كتب في ذلك، وقد نال الشهرة حتىٰ عد أبرز ما كتب في هٰذا الفن، وكان لهٰذا أثره الواضح علىٰ مؤلفاته في التفسير، ومنها «تفسير البسيط» حيث أعطىٰ هٰذا الجانب عناية جيدة، فنراه يذكر سبب نزول الآية- عند تعرضه لتفسيرها- إن وجد لها سببا للنزول.

مثال ذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] قال: قال ابن عباس نزلت هٰذِه الآية في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة علىٰ عهد رسول الله ﷺ... وقال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، وقال الربيع: نزلت في قادة الأحزاب يوم بدر....

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: «نزلت في سؤال عمرو بن الجموح..»(١).

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] قال: قال أهل التفسير: أتت ٱمرأة عائشة فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك، وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك، وإن طلقها ألف مرة فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ فنزلت..(٢).

---

(١) «البسيط» ١/ل ١٣٣، من النسخة الأزهرية.

(٢) «البسيط» ١/ل ١٣٩ ، من النسخة الأزهرية.

٢- الوقف والابتداء:

أحد علوم القرآن الهامة وبه يعرف كيف أداء القرآن، وبه تتضح معاني الآيات[١]. قال الزركشي: «وهٰذا الفن معرفته تحتاج إلىٰ علوم كثيرة، قال أبو بكر ابن مجاهد: لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي عالم بالقراءات، عالم بالتفسير والقصص، وتلخيص بعضها من بعض، عالم باللغة التي نزل بها القرآن..»[٢]. كان للواحدي عناية بهٰذا العلم يظهر ذلك من خلال تفسيره «البسيط» حيث يذكر الوقف في مواضع من كتابه، من ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾ [البقرة: ٧] فبعد أن فسر قوله (وعلىٰ سمعهم) قال: وتم الكلام هاهنا، ثم قال: «وعلىٰ أبصارهم غشاوة»..[٣].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ الآية [البقرة: ٧١] قال ناقلًا عن ابن الأنباري: قال ابن الأنباري: غلط أبو حاتم في هٰذا؛ لأنه قال: الوقف جيد علىٰ قوله ﴿ذَلُولٌ﴾ ثم يبتدأ بـ ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ وقال: إن الله وصف هٰذِه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفا لغيرها من البقر، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث علىٰ خلاف ما نشاهده من بقرنا. وقد أبطل الفراء وغيره من كبار النحويين هٰذا الوقف..

وفي سورة «يونس» عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] قال: .. تم الكلام عند قوله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ٱبتدأ فقال: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ

---

(١) أنظر: «البرهان» ١/ ٣٤٢.

(٢) «البرهان» ١/ ٣٤٣.

(٣) «البسيط» ص ٤٨٥.

﴿هَٰذَا﴾...[١].

٣- الناسخ والمنسوخ:

وهو من العلوم الهامة للمفسر، «قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ»[٢]. وقد أعطى الواحدي هٰذا الفن عناية خاصة في تفسيره «البسيط» تكلم عنه بإفاضة فذكر تعريفه وأنواعه والخلاف في بعضها، وكأنه يتكلم في كتاب خاص بعلوم القرآن. وذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] عرض أولًا لتعريف النسخ في اللغة والاصطلاح ناقلًا عن الأئمة فقال: «قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، والعرب تقول نسخت الشمس الظل. والمعنىٰ: أذهبت الظل وحلت محله، وقال غيره: تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن هو مضي الأول ومجيء الثاني بعده يخلفه في محله... ثم قال ويجوز النسخ إلىٰ بدل وإلىٰ غير بدل...» وفصَّل في ذلك، ثم ذكر أنواع النسخ في القرآن فقال: .. ثم النسخ في القرآن علىٰ ضروب: منها ما يكون حكمه مرفوعًا وخطه مثبت..[٣]، وذكر الأنواع وضرب الأمثال لها، ثم ذكر حكم الفرق بين النسخ والترك، ثم ذكر الخلاف في نسخ القرآن بالسنة[٤].

ولا يكتفي بهٰذا البسط لمباحث النسخ، بل يأخذ في التطبيق العملي، فلا يمر بتفسير آية ناسخة أو منسوخة ألا يقف عندها ويذكر ما قيل فيها، مثال

---

(١) «البسيط» ٣/ل٢، من النسخة الأزهرية.

(٢) «البرهان» ٢/ ٢٩.

(٣) «البسيط» ١/ ل ٧٨.

(٤) أنظر: «البسيط» ١/ل ٧٨.

ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٠] تكلم عن سبب نزول الآية، ثم ذكر عدة المتوفىٰ عنها في أول الإسلام، وهو ما ذكر في هٰذِه الآية، وقال: .. ثم ورد النسخ علىٰ هٰذِه الآية من وجهين: أحدهما: أن العدة صارت مقدرة بأربعة أشهر وعشر، وقد تقدمت الآية[١] الناسخة، والوجه الثاني: أن الميراث ثبت لها وسقطت نفقة العدة..[٢].

٤- الربط بين الآيات:

وهو أحد أنواع علوم القران، قال الزركشي: «وهٰذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة»[٣]، ثم نقل عن عز الدين بن عبد السلام قوله: .. ولكن يشترط في حسن ٱرتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع علىٰ أسباب مختلفة لم يشترط فيه ٱرتباط أحدهما بالآخر. قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك..[٤].

وقد أورد الواحدي هٰذا النوع في تفسيره حيث يذكر الأرتباط بين الآيات ولا يتكلف ذلك بل يذكره بين الآيات التي يوجد بينها تناسب من وجهه.

مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية [البقرة: ٢٣٤].

(٢) «البسيط» ١/ل ١٤٧، النسخة الأزهرية.

(٣) «البرهان» ١/ ٣٦.

(٤) «البرهان» ١/ ٣٧.

ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] ربط الآية بما بعدها فقال: .. ثم ذكر الله تعالىٰ سبب تركهم الإيمان فقال: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ...﴾ الآية..

ومثال آخر: ذكر فيه الارتباط بين قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الآية [البقرة: ٢٣] وبين ما قبلها من الآيات وهي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وكذا الآية بعدها. فقال: «قال المفسرون: ومعنى الآية أن الله تعالىٰ لما احتج عليهم في إثبات توحيده احتج عليهم- أيضًا- في إثبات نبوة محمد ﷺ بما قطع عذرهم فقال: وإن كنتم في شك من صدق هٰذا الكتاب الذي أنزلناه علىٰ محمد عليه الصلاة والسلام وقلتم لا ندري هل هو من عند الله أم لا فأتوا بسورة من مثله....

من هٰذِه الأمثلة نلحظ كيف يورد الربط في ثنايا التفسير بدون تكلف ولا يعنون له بقوله: ارتباط الآية أو نحو ذلك، فيأتي سلسًا لا تمحل فيه.

هٰذِه بعض علوم القرآن التي وردت في تفسير «البسيط».

المسألة السابعة: منهجه في تقرير مسائل العقيدة، والرد على الفرق:

درس الواحدي العقيدة علىٰ أصول الأشعرية، حيث نشأ في بيئة نيسابور التي يسود فيها معتقد الأشعري[1]، لذا فهو أشعري المعتقد، وعلىٰ هٰذا النهج سار في تقرير مسائل العقيدة في تفسيره «البسيط» بل كان من المنافحين عن أصول الأشعرية. ومن المعلوم أن منهجهم كسائر المتكلمين يقوم علىٰ تقرير العقيدة علىٰ أسس عقلية. وهٰذا النهج غير مرضي عند علماء

---

(١) انظر: مبحث عقيدته من هٰذِه الدراسة.

السلف، الذين رأوا أن الطريقة الصحيحة في تقرير العقيدة الأخذ بما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده، والتابعون لهم بإحسان، وذلك باتباع النص وعدم الدخول في طرق كلامية، وإن ٱضطر بعض المتأخرين منهم لاستعمال الجدل العقلي للرد على المخالفين، لا في تقرير أصول العقيدة[١].

وقد سبق أن ذكرت بعض الأمثلة من تفسير الواحدي «البسيط» للتدليل علىٰ مذهبه العقائدي[٢]، وأذكر هنا أمثلة أخرىٰ تؤكد هٰذِه الحقيقة وتوضح بجلاء كيف ٱستعمل الطرق الكلامية في تقرير العقيدة في تفسيره.

من ذلك أنه عندما تعرض في تفسير البسملة للاسم هل هو المسمىٰ أو غيره، فذكر الأقوال في ذلك ثم قال: ... والثاني- وهو الصحيح -: أن الأسم هو المسمىٰ، كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فلو كان الأسم غير المسمىٰ وجب أن يكون المأمور بطاعته غير الله وغير الرسول..

وما قرره ورجحه في هٰذِه المسألة هو قول الأشاعرة فيها، والصواب ما قرره علماء السلف من أنه لا يقال: الأسم هو المسمىٰ ولا غيره على الإطلاق، وإنما يكون الأسم هو المسمىٰ تارة، وقد يراد به اللفظ الدال عليه تارة أخرىٰ.

ومثال آخر في مسألة «الإيمان» قرر أن معنى الإيمان: هو التصديق فقال: .. والقول في معنى الإيمان ما قاله الأزهري...[٣]، إذا عدنا إلىٰ ما

---

(١) ٱنظر: ما كتبه ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٢٢٢- ٢٢٣.

(٢) ٱنظر: مبحث عقيدته من هٰذِه الدراسة.

(٣) «البسيط» ص ٤٢٩.

نقله الواحدي عن الأزهري وجدناه يقول: قال الأزهري: اتفق العلماء أن «الإيمان» معناه: التصديق كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق...»[١] والقول: إن الإيمان مجرد التصديق هو المشهور عند الأشاعرة، ولهم قول آخر كقول السلف وهو: أن الإيمان قول وعمل[٢]. فأخذ الواحدي في هٰذِه المسألة بمشهور قول الأشاعرة فيها.

ومثال آخر في حقيقة التوحيد ومعنى الوحدانية لله، قرر هٰذِه المسألة علىٰ طريقة المتكلمين من الأشاعرة فيقول: «وقال أصحابنا حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه أنه واحد لا قسيم له في ذاته، ولا بعض له في وجوده بخلاف الجملة الحاملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازًا كقولهم: دار واحدة وشخص واحد، ولهٰذا قال أصحابنا: التوحيد هو نفي الشرك والقسيم والشريك والشبيه فالله ﷻ واحد في أفعاله لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات وواحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا يشبه الخلق فيها...»[٣].

فهٰذِه الأنواع التي أثبتوها في معنى التوحيد فيها ألفاظ مبهمة محتملة، ولو كان كل ذلك حقًا، فالإقرار به لم يخرج المشركين من دائرة الشرك التي وصفهم الله بها، ولابد من الإقرار بتوحيد الإلهية[٤].

في باب صفات الله سلك فيها كذلك مسلك الأشعرية؛ حيث يؤول

---

(١) «البسيط» ص ٤٢٧.

(٢) ذكره ابن تيمية في «الإيمان الأوسط» ص ٥١.

(٣) «البسيط» ١/ ١٠٠، من «النسخة الأزهرية».

(٤) انظر: «رد ابن تيمية في الرسالة التدمرية» ص ١٧٩- ١٨٥. وانظر: ص ٥٤- ٥٥ من هٰذِه الدراسة حيث سبق ذكر للواحدي ونقل بعض كلام ابن تيمية في الرد عليه.

جميع الصفات التي وردت في القران الكريم، عدا الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة؛ لأن العقل دل عليها كما يقولون[١]. وسبق ذكر أمثلة لهٰذا عند ذكر عقيدته، فلا داعي للإطالة بذكر أمثلة أخرىٰ، وهي مسألة واضحة. هٰذا في جانب تقرير العقيدة.

الرد على الفرق:

أما بالنسبة للرد على الفرق، فكان للواحدي في ذلك اليد الطولي، خصوصًا المعتزلة والقدرية الذين كانت لهم صولة وجولة في تلك الحقب التي عاشها الواحدي.

وقف الواحدي في وجوههم يقابل الحجة بالحجة، ويقوم بالرد عليهم في كل موضع يكون محل شبهة لهم؛ حيث يستدلون بالنص القرآني علىٰ تقرير عقائدهم ومبادئهم.

من أمثلة عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ذكر المعنى المراد بختم الله علىٰ قلوب الكفار، ثم قال: ... فأما قول من قال معنىٰ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حكم الله بكفرهم فغير صحيح؛ لأن أحدنا يحكم بكفر الكافر، ولا يقال ختم علىٰ قلبه، والقول الذي رده هنا هو قول المعتزلة.

ثم يسمي القدرية ويذكر قولهم ويرد عليهم فيقول: وذهب بعض المتأولين من القدرية إلىٰ أن معنىٰ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وسمها سمة تدل علىٰ أن فيها الكفر لتعرفهم الملائكة بتلك السمة وتفرق بينهم وبين المؤمنين الذين في قلوبهم الشرع. قال: والختم والطبع واحد، وهما سمة وعلامة في

---

(١) أنظر: «الرسالة التدمرية» ص ٣٣.

قلب المطبوع علىٰ قلبه.

ثم ينقض عليهم ناقضًا حجتهم معتمدًا على اللغة التي نزل بها القرآن؛ ليبين بطلان مأخذهم من اللغة فيقول: وهٰذا باطل؛ لأن الختم في اللغة ليس هو الإعلام، ولا يقال ختمت على الشيء بمعنىٰ أعلمت عليه، ومن حمل الختم على الإعلام فقد تشهىٰ علىٰ أهل اللغة، وجر كلامهم إلىٰ موافقة عقيدته.

وفي موضع آخر يرد على المعتزلة والقدرية دون تسميتهم، وذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦] يقول: ولا يجوز أن يكون معنى الإضلال الحكم والتسمية؛ لأن أحدنا إذا حكم بضلالة إنسان لا يقال: أضله، وهٰذا لا يعرفه أهل اللغة[1].

ومثال آخر يرد فيه المعتزلة دون تسميتهم عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] يقول: «والمراد بقوله: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ جنة الخلد من قبل أن التعريف فيها بالألف واللام يجعلها كالعلم علىٰ جنة الخلد، فلا يجوز العدول عنها بغير دلالة، ألا ترىٰ أنك لو قلت: نسأل الله الجنة، لم يكن ذلك إلا جنة الخلد.

فيقرر أنها جنة الخلد، ويرد علىٰ من قال غير ذلك بدون تصريح بالقائل ولا بمقالته. ومشهور مذهب المعتزلة أنها جنة في الدنيا[2]، فهو يرد عليهم تلك المقالة.

---

(١) وإلىٰ نحو هٰذا ذهب الزمخشري ورد عليه صاحب «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال». انظر: «الكشاف» ومعه «الإنصاف» ١/ ٢٦٧.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ٦٠ أ ، وابن عطية ١/ ١٢٨، والقرطبي ١/ ٣٠٢.

ومن خلال ٱستقراء تلك الردود، يتضح الأسلوب الجدلي العقلي الذي يستعمله فيقابل الحجة بالحجة، كما يعتمد على اللغة في بيان ضعف مستمسك الخصم من الٱستدلال بالآية علىٰ مذهبه. وكان علماء المعتزلة من كبار أئمة اللغة فحاولوا تطويع النصوص القرآنية من الناحية اللغوية لتقرير أصولهم، فأتاهم الواحدي من الباب الذي ولجوا منه، وبيَّن في كل مسألة تعرض لها أن اللغة لا تدل علىٰ ما أرادوا.

ومن خلال تلك النصوص نجد ردود الواحدي متجهة إلى المعتزلة والقدرية، ولم نر له ردًّا علىٰ أحد سواهم؛ ذلك لأن المعركة الكلامية كانت قائمة علىٰ أشدها في تلك الفترة بين الأشاعرة من جانب، وبين المعتزلة والقدرية(١) من جانب آخر.

علىٰ أن الشيعة كانت لهم صولات في تلك الفترة خصوصًا في عهد البويهيين ، وقد عاصر الواحدي تلك الحقبة، ومع ذلك لم نجد له أي كلام عن الشيعة ولا مجرد ذكر لهم.

المسألة الثامنة: منهجه في المسائل الفقهية والأصولية:

قد قدمت في ترجمة أبي الحسن الواحدي رحمه الله أنه كان من علماء الشافعية، وأدلة ذلك أظهر من أن تذكر، والناظر في تفسيره يدرك ذلك بأدنىٰ تأمل، حيث إنه- رحمه الله- يقدم أقوال الشافعية، ويستدل لها، ويرجحها، ويقتصر علىٰ مذهب الشافعي في كثير من المواطن، فلا يكاد يذكر معه غيره إلا لمامًا.

---

(١) انظر ما كتبه د/ عبد المجيد أبو الفتوح بدوي في كتابه: «التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي» ص ٢٩- ٣٢.

ويمكن أن أسجل الملاحظات التالية في منهجه هنا:

١- يعرض الواحدي للأحكام بصورة مختصرة، دون توغل في ذكر الفروع والمسائل التي لا صلة للآية بها إلا نادرًا، في الوقت الذي يطيل فيه إطالة بالغة عند توجيه القراءات، وذكر مسائل اللغة والنحو، ونحو ذلك، كما أسلفت.

٢- يقتصر الواحدي في عرض الأحكام علىٰ مذهب الشافعي، ويحتج لمذهبهم، وقلما يذكر معه غيره، وقد يورد خلاف الحنفية، ولعل سبب ذلك: كون مذهبهم مشهورًا في المشرق الإسلامي، أما مذهب مالك فنادرًا ما يتعرض له، وأندر منه مذهب الإمام أحمد، ولعله لعدم ٱشتهارهما في المشرق حينذاك.

ومن أمثلة ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] قال:.. قال ابن عباس في هٰذِه الآية: جعلهن الله للحج، وسائر الشهور للعمرة، فلا يصح أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج. وهٰذا مذهب الشافعي رحمه الله.. وعند أبي حنيفة: إذا أحرم بالحج في غير أشهر الحج كره ذلك، ويُجزيه.

٣- قد يورد الحكم المستنبط من الآية مجردًا دون قائل، أو مخالف، وعند التحقيق يكون علىٰ مذهب الشافعية.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال الواحدي: في قوله: (شيء) دليل علىٰ أن بعض الأولياء إذا عفا سَقَطَ القود؛ لأن شيئًا من الدمِ قد بطل بعفو البعض، والله تعالى قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾.

٤- قد يفرد المسألة أو الحكم بفصل مستقل، وذلك قليل. ومن

أمثلته: إفراد أحكام التأمين بفصل بعد تفسير الفاتحة.

٥- قد يذكر مذاهب الصحابة والتابعين ويسميهم تفصيلًا، وهو قليل في جملة الكتاب.

ومثال ذلك: ذكره لأقوال الصحابة في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: وقوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾: قال ابن عباس وأكثر أهل التأويل: معناه: فليصم ما شهد منه؛ لأنه إن سافر في حال الشهر كان له الإفطار، وذهب طائفة علىٰ أنه إذا شهد أول الشهر مقيمًا ثم سافر لم يحل له الإفطار، وهو قول النخعي والسدي وابن سيرين ومذهب جماعة.

قد يتوسع في ذكر الأحكام، ويفصل في ذلك تفصيلًا بينًا، وهو قليل أيضًا في جملة الكتاب

ومن أمثلة ذلك: قوله: ولأهل التأويل في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] طريقان:

أحدهما: وهو قول ابن عباس في رواية عطاء: غير باغ على المسلمين، ولا عاد عليهم، وهٰذا قول مجاهد وسعيد بن جُبَير والضحاك والكلبي، قالوا: غير قاطع للطريق، ولا مفارق للأئمة، مشاق للأمة.

وعلىٰ هٰذا التأويل كل من عصىٰ بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة؛ لأنه باغ عاد، وهو مذهب الشافعي رحمه الله، قال: إن الإباحة إعانة له علىٰ فساده وظلمه، ولٰكن يتوب ويستبيح.

والثاني: إن هٰذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل، ومعناه: غير آكلها تلذُّذًا من غير ٱضطرار، (ولا عاد) ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع، وهٰذا قول السدي.

وقال الحسن وقتادة والربيع وابن زيد: غير باغ بأكله من غير ٱضطرار، ولا عاد يتعدى الحلال إلى الحرام، فيأكلها وهو غني عنها.

وعلىٰ طريقة هٰؤلاء يُباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة، وهو مذهب أهل العراق.

والتأويل الأول أولىٰ من حيث اللفظ والمعنىٰ.

أما اللفظ: فرجوع البغي والعدوان إلىٰ حال المضطر أولىٰ من رجوعهما إلىٰ أكله، وهو المفهوم من اللفظ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتىٰ يكون البغي والعدوان صفة له، راجعًا إليه، ومثله من الكلام أن يقال: قد حرم الأمير ركوب الخيل، ولبس السلاح، فمن أحوج غير فارٍّ ولا ذاهبٍ فلا حرج عليه، فالذي يسبق إلى الوهم من هٰذا، ويليق باللفظ، أن معناه: غير فار بنفسه ولا ذاهب، وأن الفرار والذهاب يعود إلىٰ نفس المضطر، لا إلىٰ شيء سواه.

وَوِزان التأويل الثاني من هٰذا الكلام: أن يكون المعنىٰ: غير فار بسلاحه، ولا ذاهب به.

وأما من حيث المعنىٰ: فإن نفس المؤمن يعاف الميتة والدم، ويستقذرهما ٱستقذارًا يمنعه من أكلهما؛ ولهٰذا لا يقام الحد علىٰ آكلهما؛ لأنه لم يحتج في الزجر عنهما إلى الحد، لا كالخمر فإن لها دواعي من النفس، وإذا كان كذلك فليس يتجاوز أحدٌ في أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة، ولا يتعدى الحلال الذي معه، فيأكلها تلذذًا من غير أن يَرِدَ بهٰذا نهي، وإن جاز ورود النهي تأكيدًا، فلهذين الوجهين قلنا إن التأويل الأول أولىٰ.

٧- وجدت بالتتبع أنه ينقل غالب الأحكام من تفسير شيخه الثعلبي،

ويتابعه في الإطالة والاختصار والتفصيل والإجمال وذكر الخلاف والمخالفين ولكن علىٰ عادته- رحمه الله- بالتصرف والاختصار والتقديم والتأخير.

٨- أما المسائل الأصولية فقليلة جدًّا في هٰذا التفسير، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره من معنى النسخ وأقسامه عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال رحمه الله: النسخ له معنيان:

أحدهما: تحويلُ الكتاب من حيث هو إلىٰ نسخة أخرىٰ، يقال: نسخت الكتاب، أي: كتبت منه نسخة أخرىٰ، ثم يقال: نَسَخْتُ منه نسخة، وإن لم تحوله من مكتوب إلىٰ غيره، كأنك كتبته عن حفظك، ومن هٰذا قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] يجوز أن يكون معناه: نسخ، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤] أي: يسخرون، ويجوز أن يكون معناه: نستدعي ذلك، وهو أمر الملائكة بكتابته. وعلى الوجهين جميعًا هو كتابة لا من نسخة، فعلىٰ هٰذا المعنى: القرآن كله منسوخ؛ لأنه نُسِخَ للنبي ﷺ من أمِّ الكتاب فأنزل عليه.

والثاني: هو رفعُ الحكم وإبطالهُ، ثم يجوز النسخ إلىٰ بدل وإلىٰ غير بدل.

فالذي إلىٰ بدل قولهم: نَسَختِ الشمسُ الظلَّ، فالظلُّ يزول ويبطل، والشمس تكون بدلًا عنه.

والذي إلىٰ غير بدل قولهم: نَسَختِ الريحُ الأثرَ، أي: أبطلتها وأزالتها.

وهٰذا المعنىٰ هو المراد بالآية.

ثم النسخ في القرآن علىٰ ضروب: . . إلىٰ آخر ما ذكر.

وقد عني رحمه الله بذكر الإجماع لكنه متساهل في حكايته ونقله.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] قال: وإجماع أهل التفسير أن السيئةَ ها هُنا الشرك(١)، وأنّ الآية وردت في اليهود(٢)، وقد قيل: إنها عامة في جميع الكفار. اهـ والصحيح: أن هٰذا قول أكثر السلف، والقول الآخر: أن السيئة هي كبائر الذنوب التي توعد الله عليها بالنار، والخطيئة هي الكفر، وممن قال به الحسن والسدي

ومن أمثلته أيضًا: ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] قال: «وقد اجتمعت العلماء علىٰ نسخ هٰذِه الآية»(٣).

---

(١) هٰذا الإجماع ذكره الواحدي- أيضا- في «الوسيط» ١/ ١٦٤، وينظر: كتاب «الإجماع في التفسير» ص ١٧٧.

(٢) ذكر الإجماع علىٰ أنها في اليهود الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٦٢ قال: «والإجماع أن هٰذا لليهود خاصة؛ لأنه ﷻ في ذكرهم»، والطبري لم يذكر سوىٰ ذلك، وكأن المؤلف نقض الإجماع بقوله وقد قيل.

(٣) تابع المؤلف- رحمه الله- الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٩ في هٰذا الإجماع، وسيأتي في كلامه ما يدل علىٰ نقض هٰذا الإجماع، وممن ذكر الخلاف في الآية فأطنب: الإمام الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٨٧، ولو قال- رحمه الله-: أجمع العلماء علىٰ نسخ حكم هٰذِه الآية في القريب الوارث لكان مقاربا، وهٰذا ما ذكره بعد عدة أسطر.

ومن أمثلته أيضًا: ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] قال: وإجماعُ المفسرين علىٰ أن المراد بهٰذا الصيام صيام شهر رمضان(١).

المسألة التاسعة: منهجه في اللغة وفنونها:

يعد هٰذا الجانب أبرز الجوانب في تفسير الواحدي، وأوضحها للقارئ، حتىٰ إنه ليعد أحد المراجع في هٰذا الفن، وسوف نتحدث في هٰذا الموضوع من خلال أربعة جوانب وهي:

١- الجانب اللغوي:

للجانب اللغوي أهمية خاصة بالنسبة لتفسير «البسيط» ذلك لما حواه هٰذا الكتاب من مادة لغوية كثيرة، أثار ذلك ٱنتباه بعض العلماء منهم الزركشي الذي ٱعتبر كتاب «البسيط» من كتب التفسير التي غلب عليها الطابع اللغوي، حيث كثر فيها الغريب، فيقول وهو يتحدث عن التفسير: وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات، ما بين مختصر ومبسوط وكلهم يقتصر

---

(١) حكى الواحدي هٰذا الإجماع في «تفسيره الوسيط» ١/ ٢٧٢، ولا يسلم له؛ لورود الخلاف؛ حيث يرىٰ جماعة أن المراد صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيامها وصيام عاشوراء، علىٰ خلاف بين القائلين بذلك، وبه قال قتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس. وقد بيَّن الحافظ في «فتح الباري» ٨/ ١٧٨ أن الناس ٱختلفوا في التشبيه الذي دلت عليه الكاف، هل هو على الحقيقة، فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا ؟ أو المراد : مطلق الصيام دون وقته وقدره؟ قولان، والثاني قول الجمهور. وينظر في ذكر الخلاف: «تفسير الطبري» ٣/ ٤١٤، و«المحرر الوجيز» ١/ ٢٥٠، و«النكت والعيون» ١/ ٢٧٣، و«الإجماع في التفسير» ص ١٩٩-٢٠٠.

على الفن الذي يغلب عليه، فالزجاج والواحدي في «البسيط» يغلب عليهما الغريب..»[(١)].

وذلك البعد اللغوي في الكتاب «البسيط» ليس غريبًا علىٰ شخصية الواحدي العلمية والتي ٱستجليناها فيما سبق[(٢)]، حيث أدرك منذ نشأته الأولىٰ أهمية اللغة لتفسير كتاب الله، فصرف همته لذلك، حتىٰ إذا نضجت فيه تلك الملكة، أبرزها في كتابه «البسيط».

يقول في مقدمة كتابه «البسيط» مبينًا أهمية اللغة لفهم القرآن وتفسيره: «والله تعالىٰ ذكره، أنزل كتابه علىٰ قوم عرب، أولي بيان فاضل، وفهم بارع، أنزله- جل ذكره- بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه.. يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلىٰ تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتىٰ يعلمه.. وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه ﵃ ما عسىٰ بهم الحاجة من معرفة بيان مجمل الكتاب، وغامضه ومتشابهه، وجميع وجوهه التي لا غنىٰ بهم وبالأمة عنه.

فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، الٱجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان»[(٣)].

ويقول: «وقد كان الأكابر من السلف يحثون علىٰ تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من فضلها وفرط الحاجة إليها، في معرفة ما في

---

(١) «البرهان» ١/ ١٣.

(٢) ٱنظر ما سبق من الحديث عن العلوم التي برز فيها.

(٣) مقدمة «البسيط» للمؤلف، والنص نقله الواحدي عن مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤.

الكتاب، ثم في السنن والآثار وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية، فإن من جهل لسان العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها جهل جمل علم الكتاب»[١].

ويقول: «وكيف يتأتىٰ لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه- لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلىٰ آله الطيبين- في زمان أهله يتحلون بالفصاحة، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح»[٢].

ومن هٰذِه النصوص وغيرها مما قال في مقدمة كتابه التي تركتها- خشية الإطالة- ندرك مدى ٱهتمام الواحدي باللغة، ومن ثم ٱنصرفت همته لها تعلمًا وتأليفًا فجاء كتابه «البسيط» أحد كتب التفسير التي غلب عليها الطابع اللغوي كما قال الزركشي.

لقد أصاب الزركشي فيما قال، فإن الواحدي إن كان قد أجاد في شرح اللفظة القرآنية بيان أصلها في اللغة، وربط ذلك بتفسير الآية، فإنه قد توسع في بعض المباحث اللغوية حتىٰ عد ذلك خروجًا عن نهج التفسير، بل وعن النهج الذي شرطه علىٰ نفسه في مقدمة كتابه.

والمنهج اللغوي الذي سلكه الواحدي في تفسيره «البسيط» يقوم علىٰ بيان أصول الألفاظ القرآنية واشتقاقها وتصاريفها وما فيها من فروق لغوية مع الٱعتناء بالألفاظ الغريبة وبيان مدلولاتها، ومن ثم ربط ذلك بتفسير

---

(١) مقدمة «البسيط» للمؤلف، وهو منقول عن مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٥، ٱنظر التعليق علىٰ «حاشية البسيط».

(٢) مقدمة «البسيط».

الآية فيطوع المباحث اللغوية لخدمة التفسير، ويوجه الأقوال ويرجح بعضها علىٰ بعض بما يملك من ملكه لغوية مصقولة.

ويبدأ تفسيره- في الغالب- بتحليل ألفاظ الآية وبيان أصولها واشتقاقها وشرح غريبها.

ولقد اعتمد الواحدي كثيرًا علىٰ كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري في جانب اللغة كما أفاد كذلك من كتاب «الحجة» و«الإغفال» لأبي علي الفارسي و«معاني القرآن» للفراء وللزجاج، وأقوال ابن الأنباري، وهٰذِه أهم مصادره في اللغة.

ومن الأمثلة علىٰ مدىٰ عنايته في الجانب اللغوي، ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. تكلم عن أصل «مالك» في اللغة وعن تصريفها فقال: المالك في اللغة الفاعل من الملك، يقال: مَلَك فلان الشيء يَمْلِكه مُلْكًا ومِلْكًا ومَلْكًا ومَلَكة ومَمْلَكة ومَمْلُكة، ويقال: إنه لحسن المَلْكة والمِلْك، وأصل: المُلْك والمِلْك راجع إلىٰ معنىً واحد، وهو الربط والشد فمالك الشيء من ربطه لنفسه، ومُلْكُه ما يختص به وَشُدَّ بعقد يخرج به عن أن يكون مباحًا لغيره..، ويستمر في شرح طويل لهٰذِه اللفظة.

ثم يأتي إلي لفظ «الدين» في الآية رابطًا بين شرح اللفظة وبين الاستدلال بالقرآن والنقل عن السلف في معناها فيقول: «الدين» قال الضحاك وقتادة: الدين: الجزاء، يعني يوم يدين الله العباد بأعمالهم، تقول العرب دنته بما فعل أي جازيته، ومنه قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]، أي مجزيون، وقال:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل ... واعلم بأن كما تدين تدان

أي: تجزىٰ بما تفعل. ويقوي هٰذا التفسير قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [غافر: ١٧] وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]. قال ابن عباس والسدي ومقاتل: معنىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قاضي يوم الحساب، واختار أبو عبيد هٰذا القول.. ثم قال: وللدين معان كثيرة في اللغة، وكل موضع ٱنتهينا إليه من القرآن ذكرنا ما فيه.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠] قال عن «العذاب»: أصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع يقال: عَذَبْتُه عَذْبًا أي: منعته منعًا، فعَذَبَ عُذُوبًا أي: ٱمتنع، ومنه يقال: للفرس إذا قام في المعلف ولم يتناول العلف وامتنع عنه: عَذُوب وعَاذِب، ومنه الماء العَذْب؛ لأنه يمنع العطش، فسمِّي العذاب عذابًا؛ لأنه يعذبُ المعاقب عن معاودة ما عوقب عليه، ويَعْذُب غيره من ٱرتكاب مثله.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية [البقرة: ٤٩] يتكلم عن لفظ «آل» عن أصله وعن ٱشتقاقه في اللغة فيقول: ٱختلف أهل العربية في الآل، واشتقاقه من اللغة، وأصله. فقال جماعة: أصله من الأول، بمعنى الرجوع، فآل الرجل كأنه شيعته الذين يؤولون إليه ويؤول إليهم.. ثم يذكر أشياء تشبه بآل الرجل فيقول: .. هٰذا معنى الآل في اللغة، ثم شُبِّه بآل الرجل أشياء تسمىٰ بهٰذا الٱسم وإن لم يوجد فيه معنى الأول، كعضد الخيمة تسمىٰ: «آلًا» تشبيهًا بآل الإنسان، وآل البعير ألواحه..».

ثم ينقل كلامًا طويلًا عن أبي الفتح الموصلي عن أصل «آل» وما حصل عليها من إبدال وتغيير في بنية الكلمة.

واهتمام الواحدي بالاشتقاق اللغوي بارز في جميع المباحث اللغوية التي طرقها، ومن الأمثلة التي توضح ذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ الآية [البقرة: ٥٨] ذكر اللغات في القرية ثم قال: وقال أصحاب الاشتقاق: اشتقاق القرية من قريت أي: جمعت، والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء، والْقَرِيُّ: مسيل يجتمع الماء إليه، ويقال لبيت النمل: قرية؛ لأنه يجمع النمل..

٢- الجانب النحوي:

أدرك الواحدي منذ اتجاهه إلى التحصيل أهمية النحو والأدب في تفسير القرآن وأنهما عمدتاه فيقول: «فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالىٰ تعلم النحو و الأدب فإنهما عمدتاه . . .»

ويقول: «وقل من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب ومقاييس العربية والنحو» لذلك اتجه إلى النحو فجلس إلى الشيوخ يقرأ جوامع النحو والتصريف. يقول: «وأما النحو فاني لما كنت في ميعة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير- رحمه الله- ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضايق طرق العربية ودقائقها، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء في المسائل المشكلة، ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي، وكان واحد عصره وباقعة دهره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده».

لقد استوعب من مسائل النحو ما جعله يعد في مصاف أئمة هذا

الشأن، والمستحق لقب «النحوي» الذي أطلقه عليه أكثر الذين ترجموا[١] له، وفي مقدمتهم صاحب السياق الذي قال: الإمام المصنف المفسر النحوي.[٢]، ويقول ابن خلكان: كان أستاذ عصره في النحو والتفسير[٣].

وقد أفرغ في كتابه «البسيط» كثيرًا مما جمعه ووعاه من مسائل النحو ودقائقه وفروعه حتىٰ أصبح الكتاب أقرب إلىٰ موسوعة نحوية منه إلىٰ كتاب تفسير. يقول السيوطي وهو يتحدث عن أنواع الذين صنفوا في التفسير: فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في «البسيط» وأبي حيان في «البحر» و «النهر»...[٤].

وأقول: إن السيوطي مصيب فيما قال، حيث أثقل الواحدي كتابه «البسيط» بمسائل نحوية لا علاقة لها بالتفسير إطلاقًا، وإنما يقوده إليها الأستطراد وشغفه بذلك العلم. وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

المثال الأول هو: ما ٱفتتح الواحدي به كتابه فعند تفسير «البسملة» أول عبارة بدأ بها قوله: ٱختلفت عبارة النحويين في تسمية هٰذِه الباء الجارة.. الخ، ثم ٱستطرد في صفحات يذكر أقوال النحويين وخلافاتهم عن «الباء» وعن بعض حروف الجر كـ «اللام» و «الكاف» وقد نقل هٰذا الموضوع من كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح بن جني ولم يعزه له.

---

(١) ٱنظر: «معجم الأدباء»، و«إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣، و«البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة» ص ١٤٦.

(٢) ٱنظر: «المنتخب من السياق» ل ١١٤.

(٣) «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٠٣.

(٤) «الإتقان» ٢/ ٢٤٣.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] ذكر الأقوال في: «من» في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ وهٰذا متعلق بتفسير الآية. ثم ذكر أوجه «من» عمومًا ، فقال: قال النحويون: «من» يكون علىٰ أربعة أوجه..

وأخذ يذكرها ويمثل لها.

ثم قال بعده مباشرة: وهاهنا فصل يحتاج إليه في كثير من المواقع ذكرته هاهنا وهو: أن الحروف عند النحويين لا يليق بها الزيادة ولا الحذف.. الخ، ثم أخذ في شرح طويل في شرح هٰذِه المسألة، فما مناسبة هٰذا الفصل لتفسير الآية؟ إن مكانه كتب النحو لا كتب التفسير، وهٰذا الفصل بكامله وبنصه قد نقله عن كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح بن جني[١] بدون عزو.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨] تحدث عن «بين» وأخذ عن أبي علي الفارسي من كتاب «الإغفال» كلاما طويلًا عن «بين» ومنه: «قال أبو علي: ٱعلم أن «بين» ٱسم يستعمل علىٰ ضربين: مصدر وظرف.. الخ، واستمر في سرد طويل في صفحات. ومثله ما كتبه عن «الآن» ناقلا عن الفراء وأبي علي الفارسي.

إن حشو كتب التفسير بمثل هٰذِه المباحث الطويلة يبعد القارئ عن تفسير القران ويطيل الكتاب، ويجلب الملل للقارئ. رحم الله الواحدي.

مذهبه النحوي:

هناك مدرستان نحويتان شهرتا وهما «مدرسة البصرة» و «مدرسة

---

(١) ٱنظر: «البسيط» [البقرة: ٢٣]، والتعليق على النص.

الكوفة» ولكل من المدرستين قواعد وأصول تخالف المدرسة الأخرىٰ، كما أن لكل واحدة منهما علماء عرفوا بذلك فمن أشهر رجال مدرسة البصرة الخليل بن أحمد، وسيبويه، والمازني، وقطرب، والمبرد، والزجاج، والزجاجي، وأبو علي الفارسي، وغيرهم[(١)].

ومن أشهر رجال مدرسة الكوفة: الفراء، الكسائي، وثعلب، وأبو بكر بن الأنباري[(٢)].

ونشأت بعد ذلك مدرسة ثالثة من جراء الخلط بين أصول المدرستين وهي ما عرفت بالمدرسة «البغدادية» ومن رجالها ابن كيسان وابن السراج[(٣)] وعد بعضهم منها «أبا الفتح بن جني» وعده بعضهم بصريًّا[(٤)].

فمن أي المدارس الثلاث يمكن أن يعتبر الواحدي؟

للإجابة عن هٰذا السؤال نعود إلى المادة النحوية التي ذكرها الواحدي في كتابه «البسيط» فنراه قد نقل عن أئمة المدارس الثلاث فأخذ عن الزجاج والفارسي والمبرد والزجاجي وغيرهم من مدرسة البصرة.

وأخذ عن الفراء وابن الأنباري وثعلب من مدرسة الكوفة. كما نقل آراء ابن كيسان وابن السراج وأخذ عن أبي الفتح بن جني، ومن ثم نراه قد نقل من قواعد المدارس الثلاث في كتابه.

---

(١) انظر طبقاتهم كما ذكرها الزبيدي في كتابه «طبقات النحويين واللغويين» ص ٢١-١٢١، أنظر: «تاريخ النحو» ص ٣٤.

(٢) أنظر طبقاتهم كما ذكرها الزبيدي في كتابه «طبقات النحويين واللغويين» ص ١٢٥-١٥٤، وانظر: «تاريخ النحو» ص ٤١.

(٣) أنظر: «تاريخ النحو» ص ٩٣، ٩٤.

(٤) وبه أخذ محمد النجار في مقدمته علىٰ «الخصائص» لابن جني ١/ ٤٥.

كما نلاحظ أنه يذكر قول الكوفيين والبصريين في المسألة الواحدة وربما رجح قول أهل البصرة أو قول أهل الكوفة.

مثال علىٰ ذلك: لما تعرض لتفسير «الاسم» في تفسير «البسملة» ذكر أقوال الطرفيين ثم قال: قالوا: ولا يصح مذهب الكوفيين في هٰذا الحرف، لأنه لا يعرف شيء حذفت منه فاء الفعل فدخلت عليه ألف الوصل كالعدة والزنة....

بينما نراه في موضع آخر يأخذ بقول الكوفيين، ولا يذكر قول البصريين أصلًا فعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢] قال: أصل «لكن» لا، ك، إن، «لا» للنفي و «الكاف» للخطاب و «إن» للإثبات، فحذفت الهمزة ٱستخفافًا. فما قرره في «لكن» هو رأى الكوفيين أما أهل البصرة فيرون أنها بسيطة غير مركبة[(١)]. ولعل هٰذا مما أفاده من ابن الأنباري وهو كوفي كما سبق.

نصل من هٰذا إلىٰ أن الواحدي أفاد في كتابه عن أئمة النحو من بصريين وكوفيين، يختار من أقوالهم ما يراه إلى الصواب أقرب ولا يلتزم مدرسة بعينها، لكن نقوله عن البصريين أكثر، لأن أغلب الأئمة الذين أخذ عنهم من مشايخ البصرة كالفارسي والزجاج والزجاجي، وابن جني عند بعضهم، والله أعلم بالصواب.

المسائل النحوية التي يُعْنَىٰ بها في «البسيط»:

لقد طرق الواحدي في كتابه أغلب مسائل النحو، ولا تأتي مناسبة في تفسيره لمسألة نحوية إلا وتعرض لها سواء كانت تتعلق بالتصريف أو

---

(١) أنظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين» ١/ ٢٠٩.

بإعراب الكلمة أو غير ذلك، وسبق ذكر نماذج لعنايته بتصريف الكلمة وأصولها في منهجه اللغوي، ونلحظ من مجموع المسائل النحوية التي تعرض لها عنايته بأمرين هامين وهما: إعراب القرآن، والأدوات والحروف. أما بالنسبة للأمر الأول وهو إعراب القرآن، فإن له أهمية كبرىٰ فبالإعراب يتبين المعنىٰ ويتضح، وبه يوقف علىٰ أغراض المتكلم، وقد ألفت في إعراب القرآن كتب كثيرة منها كتاب «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب و «إملاء ما من به الرحمن» لأبي البقاء العكبري وغيرها[(١)].

وقد أولى الواحدي هٰذا الجانب عناية كبيرة لما له من أثر في وضوح معاني الآيات، ومن الأمثلة علىٰ ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] قال: وموضع «لا ريب» رفع بالابتداء عند سيبويه لأنه بمنزلة «خمسة عشر» إذا ٱبتدأت به، ولهٰذا جاز العطف عليه بالرفع في قوله:

لا أُمَّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلا أَبُ

ومن نصب المعطوف فهو عطف على اللفظ..

وقوله «فيه» يجوز أن تجعله خبرًا للابتداء الذي هو «لا ريب» ويجوز أن تجعله صفة لقوله: «لا ريب»، وإذا جعلته صفة أضمرت الخبر، كأنه قيل: لا ريب فيه واقع أو كائن... الخ.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] قال: و«سواء» في الآية رفع بالابتداء ويقوم «أأنذرتهم

(١) انظر: «البرهان» ١/ ٣٠١.

أم لم تنذرهم» مقام الخبر في المعنىٰ، كأنه بمنزلة قولك: «سواء عليهم الإنذار وتركه» لا في الإعراب، لأنك إذا قدرت هٰذا التقدير في الإعراب صار «سواء عليهم» خبرًا مقدمًا، والجملة في موضع رفع بأنها خبر «إن» ويجوز أن يكون خبر «إن» قوله: «لا يؤمنون» كأنه قيل: إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم... إلخ».

ونلحظ ربط الإعراب بمحاولة إيضاح المعنىٰ علىٰ جميع الوجوه. والاستفادة من إعراب القرآن للكشف عن معاني الآية ظاهرة في تفسير الواحدي، يتضح ذلك من الأمثلة السابقة، وأذكر مثالا آخر يوضح هٰذا الأمر أكثر، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ﴾ [البقرة: ٢٦] قال: «وفي نصب قوله: «مثلًا» وجوه، أحدها: الحال، لأنه جاء بعد تمام الكلام، كأنه قيل: ماذا أراد الله بهٰذا مبينا.

والثاني: التميز والتفسير للمبهم وهو «هٰذا» كأنه قيل: ماذا أراد الله بهٰذا من الأمثال.

والثالث: القطع كأنه قيل: ماذا أراد الله بهٰذا المثل، إلا أنه لما جاء نكرة نصب على القطع عن إتباع المعرفة، وهٰذا مذهب الفراء وأحمد بن يحيى.

الأمر الثاني: عناية بالأدوات والحروف. ودراسة الحروف من مسائل النحو الهامة حيث ألفت فيها كتب مستقلة[1]، لأن معانيها تختلف بحسب

---

(١) منها كتاب «الأزهية في علم الحروف» لعلي بن محمد الهروي، و «حروف المعاني» للزجاجي، و «رصف المباني في شرح حروف المعاني» للمالقي، و«مغني اللبيب» لابن هشام.

موقعها من الكلام، ولذلك لابد للمفسر من معرفة ذلك[1]، وعناية الواحدي بها بارزة في تفسير «البسيط» فلا يمر شيء من الحروف والأدوات إلا ويبسط القول فيها عن تركيبها، وعن ٱستعمالها، واختلاف مدلولاتها بحسب الٱستعمال. ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما سبق قريبا عن «الباء» و «من» و «بين» و «الآن»، ومن الأمثلة الأخرىٰ ما ذكره عن «لم» و «لن» عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ الآية [البقرة: ٢٤] قال: «لم» حرف يجزم الفعل المضارع، ويقع بعدها بمعنى الماضي كما يقع الماضي بعد حرف الجزاء بمعنى الٱستقبال، ولهذه المشابهة بينها وبين حروف الجزاء ٱختير الجزم بـ «لم».. ثم قال: وأما «لن» فهي حرف قائم بنفسه، وضع لنفي الفعل المستقبل، ونصبه للفعل كنصب «أن» وليس ما بعد «لن» بصلة لها، لأن «لن يفعل» نفي سيفعل، وتعمل ما بعدها فيما قبلها كقولك زيدًا لن أضرب... واستمر في بيان أقوال النحويين في أصل «لن».

وقد ٱعتمد الواحدي في المسائل النحوية كثيرًا علىٰ كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح بن جني، و «معاني القرآن» للفراء وللزجاج، وكتاب «الإغفال» و «الحجة» لأبي علي الفارسي، وعلىٰ أقوال ابن الأنباري.

وكان ٱعتماده علىٰ كتاب «سر صناعة الإعراب» كبيرًا نقل منه مسائل طويلة بنصها، وعندما قام صاحب كتاب «الواحدي ومنهجه في التفسير» بدراسة الجانب النحوي في التفسير عند الواحدي ٱختار نصين من «البسيط» أحدهما عن «الباء»، والثاني عن «أل» وبنىٰ عليهما دراسته لمنهجه النحوي، وكأن الكلام للواحدي، مع أن هذين النصين منقولان بطولهما من

---

(١) ٱنظر: «البرهان» ١/ ١٧٥.

كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح بن جني، ودور الواحدي هو حسن الاْنتقاء والعرض،(١) وسبق الإشارة لمثل هٰذا قريبًا عند الحديث عن منهج الواحدي في عرض القراءات.

٣- الجوانب البلاغية:

علم البلاغة من أجل علوم العربية قدرًا، إذ به تعرف دقائق اللغة وسر الفصاحة فيها، وبه يعرف بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم، فلا غنىٰ للمفسر عنه، يقول الزركشي: «وهٰذا العلم أعظم أركان المفسر فإنه لابد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم وأن يؤاخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتىٰ لا يتنافر وغير ذلك.. وقال الزمخشري: من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم علىٰ حسنه والبلاغة علىٰ كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة علىٰ مراحل..»(٢).

ولقد كان الواحدي سباقًا في ذلك حيث جعل «البلاغة» أحد القواعد الهامة لتفسير كتاب الله، فيقول: فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالىٰ تعلم النحو والأدب- فإنهما عمدتاه - وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاْستعارات الباهرة والأمثال النادرة والتشبيهات البديعية، والملاحن الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير مما لا يوجد مثله في سائر اللغات.

---

(١) اْنظر: «الواحدي ومنهجه في التفسير» ص ٢٣٧- ٢٤١.

(٢) «البرهان» ١/ ٣١١.

فجعل البلاغة مع النحو والأدب طريقًا إلىٰ معرفة تفسير كلام الله، وذكر بعض أنواع البلاغة كالاستعارة والتشبيه والإيجاز وغير ذلك مما يدخل تحت قوله «والملاحن الغريبة».

وقد دأب في كتابه «البسيط» علىٰ محاولة إظهار إعجاز القرآن بما حوىٰ من فصاحة في الأسلوب وبلاغة في التركيب، وكان هٰذا النهج واضحًا في تناوله لمفردات الآيات وتركيبها، وما اعتماده كتاب «نظم القرآن» لأبي علي الجرجاني مصدرًا مهًما في تفسيره إلا دلالة قوية علىٰ ذلك. كما أفاد من كتب ابن الأنباري حول تفسير مشكل القرآن شيئًا من الصور البلاغية.

ونأخذ أمثلة من كتابه لننظر مدىٰ إثرائه في هٰذا الجانب. من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال: - ناقلًا عن ابن الأنباري-: «قال أبو بكر: وقوله ﴿إِيَّاكَ﴾ بعد قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] رجوع من الغيبة إلى الخطاب، والعرب تفعل ذلك كثيرًا، وهو نوع من البلاغة والتصرف في الكلام، ومثل قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسان: ٢٢].. فذكر أحد أنواع علم المعاني التي يسميها البلاغيون «الالتفات».

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٧] ذكر نوعًا آخر من أنواع البلاغة- ناقلًا كذلك عن ابن الأنباري- قال: وقال ابن الأنباري: أراد وعلىٰ مواضع سمعهم، فحذف المضاف، كما تقول العرب: تكلم المجلس، وهم يريدون أهله، وحذف المضاف كثير في التنزيل والكلام.. وهٰذا النوع يسميه علماء البلاغة: «مجازًا عقليًا»

ويذكر هٰذا النوع كذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦] قال: ومعنىٰ قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾، أي: ما ربحوا في تجارتهم، وأضاف الربح إلى التجارة؛ لأن الربح يكون فيها، وهٰذا كلام العرب يقولون: ربح بيعك، وخسر بيعك، ونام ليلك، وخاب سعيك . . . إلخ).

ويتحدث عن التشبيه وهو أحد أنواع علم البيان، فيعرفه ويذكر أهميته لما فيه من حسن البيان وقرب الاستدلال، لذلك كثر في القرآن، فيقول عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] قال المبرد:... والمثل من الكلام: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فمعنىٰ قولهم: مثل بين يديه إذا انتصب، معناه: أشبه الصورة المنتصبة بين يديه... والأمثال أصل كبير في بيان الأشياء؛ لأن الشيء يعرف بشبهه ونظيره، والأمثال تخرج ما يخفىٰ تصوره إلىٰ ما يظهر تصوره، والمثل بيان ظاهر علىٰ أن الثاني مثل الأول، والأمثال متداولة سائرة في البلاد، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة، وقد ذكر الله تعالى الأمثال في غير موضع من كتابه لما فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال، والمقصود بالمثل البيان عن الحال الممثل، وحقيقته ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول...

ثم يدخل في بيان تطبيقي على الآية، موضحًا التشبيه فيها بذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه مع قرن ذلك بتفسير الآية، فيقول: فأما التفسير فقال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي: يقول: مثل هٰؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارًا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء بها واستدفأ ورأىٰ ما حوله فاتقىٰ ما يحذر ويخاف وأمن، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، فبقي

مظلمًا خائفًا متحيرًا، كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها، و ٱعتزوا بعزها وأمنوا، فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم، وأمنوا علىٰ أموالهم وأولادهم، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب والنقمة، وهٰذا القول ٱختيار الزجاج... وعلىٰ ما قاله أبو إسحاق: التمثيل وقع بين تجملهم بالإسلام وبين النار التي يستضاء بها... واستمر في ذكر الأقوال في الآية مبرزًا أركان التشبيه فيها.

٤- الشواهد الشعرية:

لقد تضلع الواحدي من علوم اللغة والأدب، ذلك لأنه أدرك أنها طريق تفسير كتاب الله تعالىٰ، الذي نزل بلغة عربية فصيحة، وكان الواحدي حريصًا في تفسيره علىٰ توثيق جميع الأقوال والآراء والمعاني التي يذكرها بالأدلة، ٱتباعًا للمنهج العلمي الأصيل، فلا يترك قولا في التفسير أو اللغة أو النحو أو البلاغة إلا ويحاول الٱستدلال له إما بآية من القرآن أو حديث من السنة، أو أثر عن السلف أو بيت من أشعار العرب، وسبق الحديث عن منهجه في الٱستدلال بالقرآن والسنة ولأثر، وكان مما عرف عن المنهج الواحدي هناك أنه لا يستدل بالقرآن والسنة والأثر علىٰ مسائل التفسير فقط، بل وعلىٰ مسائل اللغة والنحو.

وأما ٱستشهاده بالشعر، فهو مجال الحديث الآن، ومما ينبغي ٱستحضاره الآن تلك الهمة التي بذلها الواحدي لدراسة الأدب، والشعر بالدرجة الأولىٰ. وقد ذكرت هٰذا في أكثر من موضع، ويكفي هنا أن نستعيد ما قاله الواحدي عن معاتبة شيخه العروضي له: .. حتىٰ عاتبني شيخي- رحمه الله- يومًا من الأيام وقال: إنك لم تبق ديوانًا من الشعر إلا قضيت حقه أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز... فقلت يا أبت إنما أتدرج

بهٰذا إلىٰ ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أرم في غرض التفسير عن كثب..»[١]. فيدل هٰذا النص من كلام الواحدي علىٰ مقدار ما بذل في سبيل تحصيل الأدب وكم من دواوين الشعر قرأها واستوعب ما فيها، وأنه يرىٰ أن ذلك طريق لتفسير كتاب الله. وقبل كلامه هٰذا ساق الآثار عن السلف في بيان مكانة الشعر العربي في تفسير القرآن فيروي عن سعيد بن المسيب قصة عمر ﷺ وهو على المنبر وفيها يقول عمر: يا أيها الناس: عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.

ويروي بسنده عن ابن عباس قال: إذا قرأ أحدكم شيئًا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب.

وبسنده عن ابن عباس: أنه كان يسأل عن الشيء من عربية القرآن فينشد الشعر.

ألا يدل سياق الواحدي لتلك الآثار في مقدمة كتابه «البسيط» علىٰ ما كان يراه من مكانة هامة للشعر العربي في تفسير القرآن؟

ثم إن الواحدي قد حاول قول الشعر من صغره حتىٰ تكونت لديه ملكة شعرية وقد عده بعضهم شاعرًا[٢]، تلك الملكة مكنته من ٱختيار أجزل الشعر وأرصنه للاستشهاد به علىٰ مسائل اللغة والنحو وغيرهما.

وقد حوىٰ كتاب «البسيط» المئات من الشواهد الشعرية مما يقل مثله في كتب التفسير الأخرىٰ.

وأكثر الشواهد الشعرية جاءت في المسائل اللغوية، أو النحوية، أو

---

(١) مقدمة «البسيط».

(٢) قال ذلك الأسنوي، ٱنظر ما سبق.

البلاغية وقد يؤيد بها رأيًا في التفسير.

فمن أمثلة الشواهد الشعرية في المسائل اللغوية: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] ذكر معنىٰ «الحكيم» وتصريفها وما تأتي عليه من المعاني فقال: ومعنى الحكيم هو المحكم للأشياء صرف من مفعل إلىٰ فعيل كسميع في قوله:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيع(١)

قال ابن المظفر: ... والحكم القضاء بالعدل- أيضًا- قال النابغة:

واحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ ... إلىٰ حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

... قال الأصمعي: أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، ومنه سميت حَكَمَةُ اللجام، لأنها ترد الدابة قال: ومنه قول لبيد:

أحْكَمَ الجِنْثِيُّ مِنْ عَوْراتِها ... كُلَّ حِرْبَاءٍ إذا أُكْرِهَ صَلّ

قال الأزهري: والعرب تقول حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بمعنى: رَدَدْت ومنعت.. ومنه قول لبيد:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُو سُفَهَاءَكُم

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] تكلم عن معنى الظلم، وعن أصله ومنه قوله: ... قال أبو عبيد: ويقال لذلك: اللبن المظلوم والظليم وأنشد شمر:

وَقَائِلَةٍ ظَلَمْتُ لَكُمْ سِقَائِي ... وَهَلْ يَخْفَىٰ عَلى العَكِدِ الظَّلِيمُ

وقال الفراء: ظَلَم الوادي إذا بلغ الماء منه موضعًا لم يكن ناله فيما

---

(١) تخريج الأبيات ونسبتها لقائليها وشرح غريبها موجود في حواشي «البسيط».

خلا وأنشد:

يَكَادُ يَطْلُعُ ظُلْمًا ثُمَّ يَمْنَعُهُ   عَنِ الشَّواهِقِ فَالْوَادِي بِهِ شَرِقُ

وقال ابن السكيت في قول النابغة:

والنُّؤيُ كَالحَوْضِ بالْمِظْلُومَةِ الجَلَدِ

يعني: بالمظلومة أرضا في برية حوَّضوا فيها حوضًا سقوا فيه إبلهم، وليست بموضع تحويض، قال: وأصل: الظُّلْم وضع الشيء غير(١) موضعه، قال: ومنه قول ابن المقبل:

هُرْتُ الشَّقَاشِقِ ظَلَّامُونَ للجُزُرِ

وظلم الجزور أنهم نحروها من غير مرض فوضعوا النحر في غير موضعه. وقول زهير:

وَيُظْلمُ أَحْيَانًا فَيَنْظَلِمُ

فهٰذا الحشد الكبير من الأبيات الشعرية عند شرح مفردة واحدة من مفردات القرآن وهي «الظلم» يدل علىٰ مقدار ما حوى البسيط من الشواهد الشعرية.

ومن الأمثلة على الشواهد الشعرية على المسائل النحوية ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] وتكلم عن (لا) فقال: .. والذين يجوزون زيادة لا يقولون: إنما تجوز إذا تقدمه نفي كقوله:

مَا كَانَ يَرْضَىٰ رَسُولُ الله دينَهُمُ   والطَّيِّبانِ أبوُ بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

وليس كذلك فقد جاء زيادتها في الإيجاب كما جاء في النفي، قال

---

(١) في «تهذيب اللغة»: «في غير موضعه» «تهذيب اللغة» «ظلم» ١٤/ ٣٨٤.

ساعدة الهذلي:

أَفَعَنْكِ لاَ بَرْقٌ كَأَنَّ وَمِيضَه غَـابٌ تَـشَـيَّـمَـه ضِـرَامٌ مُـشْـقَـبُ

وأنشد أبو عبيدة:

وَيَلْحَيْنَنِي في اللَّهْو أَلَّا أُحِبَّهُ وَلِـلَّـهْـو دَاعٍ دَائِـبٌ غـيـر غـافـل

ومن الشواهد الشعرية في مسائل بلاغية ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فذكر من البلاغة فيها: الألتفات وذلك بالرجوع من الغيبة إلى الخطاب حيث جاءت الآية بعد قوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وقال: إن هٰذا نوع من البلاغة، وهو كثير في كلام العرب وذكر أبياتًا شواهد علىٰ ذلك فقال:

وقال الأعشىٰ:

عِنْدَهُ البِرُّ والتُّقَىٰ وَأَسَا الصَّدْ عِ وَحَـمْـلٌ لِـمُـضْـلِـع الأَثْـقَـالِ

وَوَفَـاءٌ إِذَا أَجَـرْتَ فَـمَـا غَـرَّ تْ حِـبَـالٌ وَصَـلْـتَـهـا بِـحِـبَـالِ

وأنشد أبو عبيدة:

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِد وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الأَعْفَرِ

وقال كثير:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَةٌ لَـدَيْـنَـا وَلَا مَـقْـلِـيَّـةٌ إِنْ تَـقَـلَّـتِ»

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] ذكر المجاز فيها وقال: إن هٰذا كثير في كلام العرب ثم قال: «.. وقال جرير:

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُهُ فَـأَعْـمَـىٰ وَأَمَّـا لَـيْـلُـهُ فَـبَـصِـيـرُ

فأضاف العمىٰ والإبصار إلى الليل والنهار ومراده بهما الموصوف من نبهان».

المطلب الثالث

مقارنة بين تفاسير الواحدي الثلاثة

إن المتأمل لعناوين هٰذِه التفاسير (البسيط، الوسيط، الوجيز) ليدرك الفرق الجوهري بينها، ويعلم أنها درجات متفاوتة في الطول والقصر، والبسط والإيجاز.

ويمكن أن أستعرض أهم الفروق بين هٰذِه التفاسير في النقاط التالية:

١- أن البسيط أوسعها بحثًا، وأكثرها مسائل، وفيه من التدقيق والتحقيق والإطناب ما ليس في الآخرين، ثم يأتي من بعده الوسيط، ثم من بعدهما الوجيز.

يوضح ذلك قول المؤلف في مقدمة «الوسيط»: وقديمًا كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط، ينحط عن درجة «البسيط» الذي تنجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة «الوجيز» الذي ٱقتصر فيه على الإقلال، بتصنيف ما رُسِم من تفسير، أعفيه من التطويل والإكثار، وأسلمه من خلل الوجازة والاختصار، وآتي به على النمط الأوسط، والقصد الأقوم، حسنة بين السيئتين، ومنزلة بين المنزلتين، لا إقلال، ولا إملال[(١)].

ويقول في مقدمة «الوجيز»: ... فإني كنت قد ٱبتدأت بإبداع كتاب لم أسبق إلىٰ مثله، وطال عليَّ الأمر في ذلك... ثم ٱستعجلني قبل إتمامه والتقصي عما لزمني من عهدة إحكامه نفر متقاصرو الرغبات، منخفضو الدرجات، أولو البضاعة المزجاة، علىٰ إيجاز كتاب في التفسير، يقرب علىٰ من تناوله، ويسهل علىٰ من تأمله، من أوجز ما عمل في بابه، وأعظمه فائدة علىٰ متحفظيه

---

(١) «الوسيط» ١/ ٥٠.

وأصحابه، وهٰذا كتاب أنا نازل فيه إلىٰ درجة أهل زماننا، تعجيلًا لمنفعتهم، وتحصيلًا للمثوبة في إفادتهم، بما تمنوه طويلًا، فلم يغن عنهم أحد فتيلًا، وتارك ما سوىٰ قول واحد معتمد لابن عباس- رحمه الله- أو من هو في مثل درجته، كما يترجم عن اللفظ العويص بأسهل منه[1].

٢- أن الأقوال في البسيط مذكورة بتمامها، واختلاف وجوهها مع الاستدلال والترجيح أحيانًا، بينما اختصر ذلك في الوسيط، واقتصر في الوجيز علىٰ قول واحد معتمد لابن عباس- ﷺ- أو من هو في مثل درجته.

٣- يظهر من النصوص السابقة أن المادة العلمية في الوسيط إجمالًا منتقاة من البسيط، ولذا قال القفطي: وهو مختار من البسيط[2].

٤- استطرد الواحدي بوضوح في البحوث اللغوية والنحوية، في الوقت الذي جاءت علىٰ نحو مختصر كاف في الوسيط، أما في الوجيز فلم يعرِّج عليها.

٥- يلاحظ أن الوسيط تميز عن الآخرين في جانب الرواية، فهو يذكر فيه أحاديث وآثارًا، ويسوق أسانيد كثير منها، لا يذكرها ألبتة في الوجيز، ويُقل منها في البسيط.

٦- كما أنه في الوسيط أيضًا يفتتح كل سورة بما ورد في فضلها ولا يشير إلىٰ ذلك في تفسيريه الآخرين، وحديث فضائل السور المشهور إنما ذكره في الوسيط فقط، وهو حديث موضوع كما لا يخفىٰ، وقد تقدم ذكر ذلك.

---

(١) «الوجيز» ١/ ٨٧.

(٢) «إنباه الرواة» ٢/ ٢٢٣.

٧- اعتنى الواحدي في البسيط بتوجيه القراءات وتعليلها، واستطرد في ذلك إلى الغاية القصوىٰ، وضمن كتابه خلاصة الحجة لأبي علي الفارسي، بينما نجده مقلا في الوسيط بشكل واضح، وأما الوجيز فلا يكاد يذكر شيئًا من ذلك إلا نادرًا.

٨- أما من حيث ترتيب تأليف هٰذِه التفاسير، فإنه قد يفهم من النصين السابقين أنه بدأ بالبسيط، وقبل إتمامه ألف الوجيز ليحقق رغبة من قصرت همتهم، ثم ألف الوسيط الذي صرح بأنه ألفه بعد البسيط.

ومن الأمثلة التي تبين الفرق بين هٰذِه التفاسير الثلاثة:

ما ذكره في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

فقد فسره في البسيط بقوله:

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، الصفا: جمع صفاة، وهي الحجارة، قال أبو العباس: الصفا: كل حجر لا يخلطه غيره، من طين أو تراب يتصل به، واشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص.

والمروة: واحدة المرو، وهي حجارة بيض براقة، يكون فيها النار. قال الأعشىٰ:

وتُوَلِي الأرضَ خُفًّا ذابلًا ... فإذا ما صادف المَروَ رَضَحْ

وهما اسمان لجبلين معروفين بمكة.

وشعائر الله: واحدتها شعيرة، قال المفسرون وأهل اللغة جميعًا: شعائر الله: متعبداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، وهي كل ما كان من مشعر أو موقف أو مسعىٰ أو منحر، وهي من قولهم: شعرت،

أي: علمت، وهي كلها معلومات، وهٰذا قول الزجاج، واختياره.

ويحتمل أن تكون «الشعائر» مشتقة من الإشعار، الذي هو الإعلام على الشيء، ومنه: الشعائر: بمعنى العلامة؛ ولهٰذا تسمى الهدايا شعائر؛ لأنها تشعر بحديدة في سنامها من جانبها الأيمن حتىٰ يخرج الدم، قال الكميت:

شَعَائرَ قُربانٍ بهم يُتَقَرَّبُ

ويحتمل أن يكون من الإعلام بالشيء، وبه قال مجاهد في قوله (من شعائر الله)، قال: يعني: من الخبر الذي أخبركم عنه، كأنه إعلام من الله عباده أمر الصفا والمروة.

وقوله تعالىٰ ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ قال الليث: أصل الحج في اللغة: زيارة شيء تعظمه. وقال يعقوب والزجاج: أصل الحج: القصد، وكل من قصد شيئًا فقد حجه.

وقال كثير من أهل اللغة: أصل الحج: إطالة الاْختلاف إلى الشيء. واختار ابن جرير هٰذا القول، قال: لأن الحاج يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه للطواف يوم النحر، ثم ينصرف عنه إلىٰ منىٰ، ثم يعود إليه لطواف الصَّدَر، فلتكرارِهِ العودَ إليه مرةً بعد أخرىٰ قيل له: حاج، وكلهم اْحتجوا بقول المخبل القريعي:

يحجُّون سِبَّ الزِّبرِقان المُزَعْفَرا

وقال سيبويه: ويقال: حَجَّ حِجًا، كقولهم: ذكر ذِكرًا. وقال الفراء: الحَج والحِج لغتان، يقال: حَجَجْتُ حِجّة للمرة الواحدة، لم يأت عن العرب غيره. ولو قيل: «حَجَّة» بالفتح كما قالوا: مَرَرتُ به مَرة، كان صوابًا، مثل: مددته مدةً، وقددته قدةً، هٰذا كلامه. فأما قولهم: حُجٌّ، وهم

يريدون: جمع الحاج، فقد يمكن أن يكونوا سموا بالمصدر، وتقديره: ذوو حج، قاله أبو علي، قال: وأنشد أبو زيد:

وكأن عافية النسور عليهم   حُجٌّ بأسفلِ ذي المَجَاز نُزُولُ

وقوله تعالىٰ: ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ قال الزجاج: قصد، وقال غيره: زار، قال أعشىٰ باهلة:

وراكبٌ جاء من تثليث معتمرُ

قال الأزهري: وقد يقال: الاعتمار: القصد، وأنشد للعجاج:

لقد سما ابن مَعْمَرٍ حينَ ٱعْتَمَر   مَغْزىٰ بعيدًا من بعيدٍ وضَبَر

يعنىٰ: حين قصد مغزى بعيدًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ الجناح: الإثم، وأصله: من الجنوح، الذي هو الميل، يقال: جَنَحَ: مال، ومنه قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] وقيل للأضلاع: جوانح؛ لاعوجاجها، قال ابن دريد: معنىٰ (لا جناح عليكم) أي: لا ميل إلىٰ مأثم. وجناح الطائر من هٰذا؛ لأنه يميل في أحد شقيه، ليس علىٰ مستوىٰ خلقته، فمعنى الجناح: الميل عن الحق.

وقال أبو علي الجرجاني: معنىٰ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أينما ذكر في القرآن: لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء، هٰذا هو الأصل، ثم صار معناه: لا حرج عليه، ولا ذنب عليه.

قال ابن عباس: كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل الصنمين؛ فأنزل الله ﷻ هٰذِه الآية، منبها لهم علىٰ أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم، وأنه

طاعة لله تعالىٰ، وغير تعظيم للصنمين.

فالآية تدل بظاهرها علىٰ إباحة ما كرهوه، ولٰكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي، وهو قوله ﷺ: «**يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا**» وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه.

والواجب أن يبدأ بالصفا، ويختم بالمروة، ويسعىٰ بينهما سعيًا، فيكون مصيره من الصفا إلى المروة شوطا من السبع، وعوده من المروة إلى الصفا شوطًا ثانيًا، فإن بدأ بالمروة إلى الصفا لم يحسب هٰذا الشوط؛ لأن النبي ﷺ لما دنا من الصفا في حجته قال: «**إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأوا بما بدأ الله به**»، فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتىٰ رأى البيت، ثم مشىٰ حتىٰ إذا تصوبت قدماه في الوادي سعىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه وجهان من القراءة:

أحدهما: (تَطَوَّع) علىٰ «تَفَعَّل» ماضيًا، وهٰذِه القراءة تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون موضع (تطوع) جزما، وتجعل «من» للجزاء، وتكون الفاء مع ما بعدها من قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم، والفعل الذي هو (تطوع) علىٰ لفظ المثال الماضي، والمراد به المستقبل، كقولك: إن أتيتني أتيتك.

الثاني: أن لا تجعل «من» للجزاء، ولٰكن تكون بمنزلة «الذي» وتكون مبتدأ به، ولا موضع حينئذ للفعل الذي هو «تطوع»، والفاء مع ما بعدها في موضع رفع، من حيث كان خبر المبتدأ الموصول، والمعنىٰ فيه معنى الجزاء؛ لأن هٰذِه الفاء إذا دخلت في خبر الموصول أو النكرة الموصوفة آذنت أن الثاني إنما وجب لوجوب الأول، كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] «وما»: مبتدأ موصول، والفاء مع ما بعدها

جواب له، وفيه معنىٰ للجزاء؛ لأن تقديره: ما ثبت بكم من نعمة، أو مادام بكم من نعمة فمن ٱبتداء الله إياكم بها، فسبب ثبات النعمة ٱبتداؤه [ذلك] كما أن ٱستحقاق الأجر إنما هو من أجل الإنفاق في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] وعلىٰ هٰذا كل ما في القرآن من هٰذا الضرب، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [البروج: ١٠] وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥] ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦] و ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] و﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ونذكر هٰذِه المسألة مشروحة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الوجه الثاني من القراءة: (يَطَّوَّعْ) بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوع إلا أن التاء أدغم في الطاء لتقاربهما، وهٰذا حسن؛ لأن المعنىٰ على الٱستقبال، والشرط والجزاء الأحسن فيهما الٱستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء، إلا أن اللفظ إذا كان وافق المعنىٰ كان أحسن.

وأما التفسير: فقال مجاهد: (ومن تطوع خيرًا) بالطواف بهما، وهٰذا علىٰ قول من لا يرى الطواف بهما فرضًا.

وقال مقاتل والكلبي: ومن تطوع خيرًا فزاد في الطواف بعد الواجب.

ومنهم: من حمل هٰذا النوع على العمرة، وهو قول ابن زيد، وكان يرى العمرة غير واجبة.

وقال الحسن: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ يعني به: الدين كله، أي: فعل غير المفترض عليه، من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات. وهٰذا

أحسن هٰذِه الأقاويل؛ لأن قوله (ومن تطوع خيرًا) صيغته تدل على العموم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: مجازٍ بعمله، ﴿عَلِيمٌ﴾بنيته. قال أهل المعاني: وحقيقة الشاكر في اللغة: هو المظهر للإنعام عليه، والله تعالىٰ لا تلحقه المنافع والمضار، فالشاكر في وصفه مجاز، ومعناه: المجازي على الطاعة بالثواب، إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد، مظاهرة في الإحسان إليهم، كما قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وهو تعالىٰ لا يستقرض من عوز؛ ولكنه تلطفٌ في الاستدعاء. كأنه قيل: من الذي يعمل عمل المقرض، بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته.

وقال في «تفسير الوسيط»:

قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: هما جبلان معروفان بمكة. و ﴿شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: متعبداته، التي أشعرها الله، أي جعلها أعلامًا لنا، وهي كل ما كان من موقف أو مسعىٰ أو منحر.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ أصل الحج في اللغة: زيارة شيء تعظمه. قال الزجاج: أهل الحج: القصد، وكل من قصد شيئًا فقد حجه.

وقوله: ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ قال الزجاج: أي: قصد، وقال غيره: زاره.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أي: لا إثم عليه ولا حرج ولا ذنب ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾.

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزار، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان، أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن عاصم عن أنس بن مالك. قال: كانوا يمسكون عن الطواف بين الصفا والمروة، وكانا من شعائر الجاهلية، وكنا نتقي الطواف

بهما، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾ الآية.

رواه البخاري عن أحمد بن محمد، عن عبد الله، عن عاصم.

أخبرني سعيد بن العباس القرشي، أخبرنا العباس بن المفضل النضروي، أخبرنا أحمد بن نجدة، حدثني سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، عن داود، عن الشعبي، قال: كان لأهل الجاهلية صنمان يقال لأحدهما يساف والآخر نائلة، وكان يساف على الصفا، وكان نائلة على المروة، وكانوا إذا طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الإسلام، قالوا: غنما كان أهل الجاهلية يطوفون بينهما لمكان هذين الصنمين وليسا من شعائر الحج، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ فجعلهما الله من شعائر الحج.

والآية بظاهرها تدل علىٰ إباحة ما كرهوه، ولكن السنة أوجبت الطواف بينهما والسعي، وهو قوله ﷺ: «**يا أيها الناس كتب عليكم السعي فاسعوا**»، وهو مذهب الشافعي رحمه الله.

وقوله: (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا) قال الحسن: يعني به الدين كله، والمعنىٰ فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة ونوع من الطاعة.

وقرأ حمزة (ومن يطَّوَّعْ) بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوع إلا أن التاء أدغمت في الطاء لمقاربتهما، وهٰذا حسن لأن المعنىٰ على الاستقبال، والشرط والجزاء الأحسن فيهما الاستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتوقع الماضي موقع المستقبل في الجزاء، إلا أن اللفظ إذا كان وفق المعنىٰ كان أحسن.

وقوله: (فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ) أي: مجاز له بعمله، ومعنى الشاكر في

وصف الله: المجازي عل الطاعة بالثواب[١]، (عَلِيمٌ) بنية المتطوع[٢].

وقال في الوجيز:

(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) وهم جبلان معروفان بمكة (مِنْ شَعَائِرِ اللهِ) أي: متعبداته (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ) زاره معظمًا له (أَوِ ٱعْتَمَرَ) قصد البيت للزيارة (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ) فلا إثم عليه (أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) بالجبلين، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان يمسحونهما، فكره المسلمون الطواف بينهما، فأنزل الله تعالىٰ هٰذِه الآية.

(وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا) فعل غير المفترض عليه من طواف وصلاة وزكاة وطاعة (فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ) مجاز له بعمله (عَلِيمٌ) بنيته[٣].

---

(١) بينّا في التعليق على البسيط التفسير الصحيح لمعنى ٱسم الله (الشاكر).

(٢) «التفسير الوسيط» ١/ ٢٤١- ٢٤٣.

(٣) «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ص ١٤٠- ١٤١.

المبحث السابع

قيمة الكتاب العلمية

بعد هٰذِه الدراسة حول كتاب «البسيط» ومعرفة منهج الواحدي فيه أقف وقفة سريعة لاستجماع أطراف الحديث، ومحاولة تحديد المكانة العلمية لكتاب «البسيط» في المكتبة التفسيرية، وأين موقعه فيها، من خلال ما أضافه من معاني جديدة كما أذكر بعض الملاحظات التي توصلت إليها أثناء دراستي لهٰذا الكتاب فأقول:

يحتل تفسير «البسيط» مكانة علمية عالية في المكتبة القرآنية، ويعتبر مرجعًا هامًّا للمتخصصين في التفسير. ومع ما له من أهمية بقي هٰذا الكتاب إلىٰ هٰذا الوقت حبيسًا لم يخرج إلى المكتبة، مما منع الدارسين أو الباحثين من الإفادة منه.

علىٰ أنني أرىٰ أن الكتاب لا يستطيع الإفادة منه إلا العلماء وطلبة العلم الذين تكونت لديهم الملكة التي تعينهم علىٰ فهم بحوثه اللغوية والنحوية العميقة، أما عامة القراء فهم مع هٰذا الكتاب كما وصفهم الواحدي «كمحاول غلقًا ضاع منه المفتاح».

تلك المكانة التي أرىٰ أن الكتاب حَرِيٌّ بها تعود إلى الأمور الآتية:

أولًا: ما حواه الكتاب من ثراء علمي خصوصًا في مجال اللغة والنحو، حيث ٱنطلق الواحدي في كتابه واضعًا نصب عينيه أن اللغة والنحو والأدب ركائز أساسية لتفسير كتاب الله، فبعد أن تضلع من تلك الركائز راح يسخرها لخدمة التفسير، وذلك بإيضاح اللفظة القرآنية وبيان أصلها، وذكر الشواهد علىٰ ذلك كما ربط الوجه التفسيري بالإعراب وذكر الأوجه

البلاغية في النظم القرآني، فخرج الكتاب موسوعة جمعت التفسير مع فروع اللغة وسخرت الثاني لخدمة الأول، صحيح أن الواحدي انساق وراء بعض تلك المسائل إلىٰ حد يعتبر خروجًا عن مجال التفسير، ومع ذلك يبقى الكتاب ذا عطاء سيال في مجال التفسير بالدراية الذي يعتمد اللغة والنحو من الأسس لفهم النص القرآني.

ثانيًا: عنايته بالفوائد والنكات التفسيرية، وهٰذا من الجوانب الهامة، خصوصًا إذا ٱرتبط ذلك بحسن العرض وجمال الأسلوب، كما هو الحال في تفسير الواحدي، فكثيرًا ما يتصيد تلك الفوائد فيوردها، وربما ذكرها علىٰ صيغة سؤال أو إشكال، فيجيب عنه بما يشفي ويقنع.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] قال: وقوله في وصف الكافرين «لا يشعرون» أبلغ في الذم من وصفهم بأنهم لا يعلمون، لأن البهيمة قد تشعر من حيث تحس[١] فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم...

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣] قال: فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم: ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هٰذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين، لأن الله تعالى قد قال: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]. أو أنهم لم يفصحوا بهٰذا القول وإنما أتوا بما يفهم عنهم بالمعنىٰ، ولا يقوم به حجة توجب الحكم من جهة المشاهدة...

---

(١) في نسخة (ب): «لا تحس».

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] قال: وقد يبقىٰ في هٰذِه الآية سؤال لم نجد أحدًا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرض له، وهو من مهم ما يسأل عنه. وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما خبرها آدم - عليه السلام - بتلك الأسماء صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات؟ وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل، إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء، ولم تعترف بفقد العلم. والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات، ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣] معنى. ثم أجاب عن هٰذا السؤال بما يطول ذكره هنا.

وفي سورة «يونس» عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: ٤] قال: «فإن قيل لم أفرد المؤمنين بالقسط دون غيرهم وهو يجزي الكافر أيضًا بالقسط؟

قال ابن الأنباري: لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم، ففصلهم عن المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور، فلهذا خص المؤمنين بالقسط ، وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلي تأويله بزيادة الإبانة»[1].

ثالثًا: يعتبر تفسير «البسيط» مرجعًا هامًّا لنصوص كثيرة من كتب مفقودة حيث اعتمد الواحدي علىٰ مصادر عدة، ونقل عنها كثيرًا ، ومنها كتاب «نظم القرآن» لأبي علي الجرجاني، وإلى اليوم يعد هٰذا الكتاب مفقودًا، وقد نقل عنه الواحدي كثيرًا ، فأصبح مرجعًا لكثير من أقواله،

(١) «البسيط» ٣/ل٣، النسخة الأزهرية.

وكذا الحال لأقوال ابن الأنباري، حيث نقل عنه كثيرًا، وترجح لي أن أغلب تلك النقول من كتابين هما «المشكل في معاني القران» و «رسالة المشكل» التي رد فيها على ابن قتيبة، وهذان الكتابان مفقودان كذلك، فيكون تفسير «البسيط» مرجعًا لهٰذِه النصوص المنقولة منهما.

المآخذ علىٰ تفسير البسيط:

ومع هٰذِه المكانة التي رأيناها لتفسير الواحدي «البسيط» فإنه لا يخلو من بعض الملحوظات، سنة الله في خلقه، فالكمال المطلق لله سبحانه أما البشر فهم عرضة للخطأ والنسيان وكما قيل:

ومن ذا الذي ترضىٰ سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

وقد تعرفت علىٰ بعض الملحوظات أثناء مصاحبتي لهٰذا الكتاب قراءة وتحقيقًا.

فإن أصبت فذلك بتوفيق الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أني مجتهد في طلب الحق.

وقد نبهت إلي بعض تلك الملحوظات في أماكنها، وسأجملها هاهنا مع ذكر ملحوظات لم ترد فيما سبق وهي:

أولًا: آراؤه في قضايا العقيدة التي سلك فيها نهج المتكلمين من الأشاعرة وخالف فيها طريقة السلف وقد سار علىٰ هٰذا النهج في جميع مباحث العقيدة التي تكلم عنها في مسائل التوحيد والإيمان والصفات[1] وغيرها.

وهٰذا المأخذ قد سجله عليه شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: ...

---

(١) انظر: «مبحث عقيدته»، و«منهجه في تقرير مسائل العقيدة» ص من هٰذِه الدراسة.

والواحدي صاحبه[١] كان أبصر منه بالعربية، ولكن أبعد عن السلامة واتباع السلف[٢].

ثانيًا: وجود بعض الإسرائيليات، التي هي داء أكثر كتب التفسير، وقع فيها الواحدي متأثرًا بشيخه الثعلبي، على الرغم من قوله في مقدمة كتابه: «فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به، ولم أضيع الوقت بذكره» وروايته لها كانت سببًا في توجيه النقد له من بعض العلماء كما سبق[٣].

ثالثًا: الإطالة والاستطراد في بعض المباحث اللغوية والنحوية التي لا علاقة لها بالتفسير، وهٰذا يحمل الكتاب مسائل تبعده عن موضوعه الأصلي وهو تفسير كتاب الله، وتجلب الملل للقارئ، وقد وجه بعض العلماء هٰذِه الملحوظة إلىٰ كتاب «البسيط»، فالزركشي يعده مما غلب عليه الغريب حيث يقول: «.. وقد أكثر الناس فيه- أي التفسير- من الموضوعات، ما بين مختصر ومبسوط، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه، فالزجاج والواحدي في «البسيط» يغلب عليهما الغريب..»[٤].

والسيوطي يعده ممن غلب عليه النحو فيقول: «.. فالنحوي ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في «البسيط»..»[٥].

---

(١) أي الثعلبي لأن الكلام عنه.

(٢) مقدمة في التفسير ضمن «مجموع الفتاوىٰ» ١٣/ ٣٥٤.

(٣) في نسخة (ب): (لا تحس). نُظر مبحث «أقوال العلماء فيه»، «مبحث تفسير القران بالسنة» من هٰذِه الدراسة.

(٤) «البرهان» ١/ ١٣.

(٥) «الإتقان» ٢/ ٢٤٣.

وذكر هٰذا المأخذ مر في أكثر من موضوع مع ذكر أمثلة له، كما في منهجه في عرض القراءات، والجانب اللغوي، والنحوي في تفسيره.

رابعًا: كثرة النقول من الجوانب الواضحة في كتاب «البسيط» ومنها نقول كثيرة لم يعزها، سبق ذكر أمثلة لها عند الحديث عن مصادره. وقد يجاب عن ذلك بأن هٰذا نهج متبع عند العلماء الأوائل ولا ينكر بعضهم علىٰ بعض فيه. وفي نظري أن هٰذِه المسألة بحاجة إلىٰ دراسة أكثر قبل إصدار حكم فيها، وبالنسبة لهٰذا الموضوع عند الواحدي نلحظ أمرين:

الأول: أن جميع مصادره الرئيسة التي نقل عنها موثقة بالعزو، فمثلًا الأزهري في مقدمة كتابه «تهذيب اللغة» ذكر مصادره وسنده إليها وطريقته بالعزو واصطلاحاته في ذلك. وهٰذا أبو علي الفارسي في كتابه «الحجة» و «الإغفال» من خلال تتبعي لهما أجده يعزو كل الأقوال التي نقلها، والواحدي نقل عنهما بدون عزو.

الأمر الثاني: نرى الواحدي ينقل عن الأزهري، أو عن أبي علي، أو عن غيرهما، فيعزو أحيانًا ولا يعزو أحيانًا، بل نجده في الموضع الواحد ينقل كلامًا عن الأزهري، أو عن أبي علي، أو عن غيرهما، بدون عزو في أول النقل، وفي أثنائه يعزو الكلام قائلًا: قال الأزهري أو قال أبو علي، ثم يذكر بقية كلام من نقل عنه، وهٰذا يوهم القارئ أن أول الكلام ليس من قول من ذكر بعد، وفي كتابه أمثلة كثيرة علىٰ هٰذا، منها ما ذكر عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] نقل عن «الحجة» كلام ابن السراج ولم يعز له أول الكلام وعزا آخره فأوهم القارئ

بأن ما سبق ليس لابن السراج[(١)].

خامسًا: وردت في كتاب «البسيط» ألفاظ لا تتناسب مع مكانة القرآن الكريم، الذي شهد الله له بأنه أعلىٰ درجات الفصاحة، وتحدى المشركين بذلك، ومن تلك الألفاظ التي قالها الواحدي أو نقلها عن غيره، ما ذكره عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ١٧] قال: وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ: فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره؛ ليشاكل جواب «لما» معنىٰ هٰذِه القصة. ولكن لما كان إطفاء النار مثلًا لإذهاب نورهم أقيم ذهاب النور مقام الإطفاء وجعل جواب «لما» ٱختصارًا وإيجازًا، وهٰذا طريق حسن في الآية.

فأي نظم نضعه أصلًا ونقيس كلام الله عليه ونقرر أنه يجب أن يكون علىٰ كذا، ثم قال: وهٰذا طريق حسن في الآية. وقد يلمح منه أن هناك ما هو أحسن منه. ربما يكون الواحدي ناقلًا عن صاحب «نظم القرآن» وعلىٰ كلا الأمرين فهٰذا الكلام لا يليق أن يقال وصفًا لكلام رب العالمين.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] قال: .. وكان حقه أن يقول: فقال: أعوذ بالله، لأنه عطف علىٰ ما قبله. قال الفراء: وهٰذا في القرآن كثير بغير «الفاء» وذلك أنه جواب يستغنىٰ أوله عن آخره بالوقفة عليه، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء.

سادسًا: يذكر الواحدي أسماء شيوخه أو من ينقل عنهم بغير الأسماء

---

(١) ٱنظر: المقابلة بين النصين في «البسيط» و«الحجة» عند قوله تعالىٰ ﴿غير المغضوب عليهم..﴾.

المشهورة لهم، وربما ذكر الشيخ بأكثر من ٱسم، وهٰذا ما يسميه علماء الحديث بتدليس الشيوخ، وهو أقل أنواع التدليس[١] خطورة، مثال ذلك: سعيد بن محمد الحيري، ذكره مرة بهٰذا الأسم فقال: سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيري.. الخ، ومرة قال: وقرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ..، وأبو علي الفارسي ذكره مرة فقال: ورویٰ لنا کتب أبي علي الفسوي..، ثم يقول في موضع آخر: «.. واعتمدت في أكثرها علىٰ كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه..

ويقول: «وقد أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي- ﷺ - أبنا أحمد بن محمد الفقيه..»[٢]، وأبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي هو شيخه عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، فذكره بكنيته، وذكر أباه بكنيته ونسبه إلىٰ قريته «فسا» فأغمض ٱسمه وأما أحمد بن محمد الفقيه فهو أحمد بن محمد الخطابي البستي ولم أجد من لقبه بـ «الفقيه» غيره.

هٰذا مع أن كتاب «البسيط» لا يكثر فيه الرواية ، وربما يكون هٰذا الأمر أوضح في كتبه التي أكثر فيها من ذكر الأسانيد مثل «أسباب النزول» و «الوسيط» ولا شك أن هٰذا كان سببًا في عدم معرفة بعض شيوخه حيث يذكرهم بأسماء لا يعرفون بها.

---

(١) ٱنظر: «تدريب الراوي» ١/ ٢٢٨.

(٢) «البسيط» ص ٢٧٦.

المبحث الثامن

أثر الواحدي فيمن بعده من العلماء

من خلال كتابه «البسيط»

إن مقدار الأثر الذي يكون للعالم أو لكتبه فيمن يأتي بعده من المؤلفين يدل علىٰ مدى الأصالة والقوة العلمية له ، وأنه أصبح إمامًا في الفن الذي ترك فيه ذلك الأثر.

إن للواحدي أثرًا لا ينكر في مدرسة التفسير ، ونجد ٱسمه يتردد في بعض كتب التفسير بعده.

وأكثر كتب الواحدي شهرة هو «أسباب النزول» هٰذا الكتاب طار ذكره في الآفاق ، وأفاد منه أكثر المفسرين بعد الواحدي ، ونجد أغلب المفسرين الذين ورد ذكر الواحدي في كتبهم إنما نقلوا عنه أسباب النزول، وكان هٰذا الكتاب أسرع كتبه طباعة وأوسعها ٱنتشارًا ، يليه في المنزلة كتبه الثلاثة في التفسير «البسيط» و «الوسيط» و «الوجيز».

إن كتب الواحدي في التفسير لا تقل أهمية عن كتب التفسير المشهورة كـ «الكشاف» للزمخشري، و «تفسير الرازي» و «القرطبي» و «البحر المحيط» ومع ذلك تأخرت طباعتها سوىٰ «الوجيز» الذي طبع قبل مدّة.

وقد ترددت أسماء كتب الواحدي في التفسير في مؤلفات العلماء بعده، خصوصًا كتاب «البسيط» فنرصد ذلك الأثر الذي تركه هٰذا الكتاب، وإليك بيانًا بأسماء عدد الأئمة الذين ٱستفادوا من البسيط سواء في التفسير وعلوم القرآن أم في غيرهما من علوم الشريعة.

أ- في مجال التفسير:

١- الفخر الرازي[١] وتفسيره مفاتيح الغيب:

إن أكثر المفسرين تأثرًا واستفادة من كتاب «البسيط» للواحدي هو «الفخر الرازي» في تفسيره «مفاتيح الغيب» حيث نقل عن الواحدي كثيرًا من أقواله مؤيدًا ومعجبًا بها، وربما نقل عنه وناقشه ورد عليه قوله، وكثيرًا ما ينص على ٱسم «البسيط»، وقد ينقل عنه ولا يسمي كتابه، بل ربما نقل عنه بدون عزو.

وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال الرازي: قال الواحدي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ معناه أن رسول الله دعاه إلىٰ ترك هٰذِه الأفعال فدعاه الكبر والأنفة إلى الظلم[٢]، ثم يرد الرازي قول الواحدي ويبين ضعفه كما يرىٰ فيقول: واعلم أن هٰذا التفسير ضعيف، لأن قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ ليس فيه دلالة إلا علىٰ أنه متىٰ قيل له هٰذا القول أخذته العزة، فأما أن هٰذا القول قيل أو ما قيل، فليس في الآية دلالة عليه، فان ثبت ذلك برواية وجب المصير إليه...[٣].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عمر بن حسين الرازي، المفسر الأصولي، شافعي المذهب، له تصانيف كثيرة، مات سنة ٦٠٦هـ. ٱنظر ترجمته في «النجوم الزاهرة» ٦/ ١٩٧، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٢١٥.

(٢) «تفسير الرازي» ٥/ ٢٠٢، ٱنظر كلام الواحدي في «البسيط» ١/ل١٢٥، من النسخة الأزهرية.

(٣) الرازي ٥/ ٢٠٢.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ...﴾ [الإسراء: ٧٨] قال الرازي: «اختلف أهل اللغة والمفسرون في معنىٰ: دلوك الشمس علىٰ قولين: أحدهما: أن دلوكها غروبها، وهٰذا القول مروي عن جماعة من الصحابة، فنقل الواحدي في «البسيط» عن علي أنه قال: دلوك الشمس: غروبها... والقول الثاني: أن دلوك الشمس هو زوالها عن كبد السماء وهو ٱختيار الأكثرين من الصحابة والتابعين واحتج القائلون بهٰذا القول علىٰ صحته بوجوه. الحجة الأولىٰ: روى الواحدي في «البسيط» عن جابر أنه قال: طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس، فقال النبي ﷺ: «**هٰذا حين دلكت الشمس..**»[(١)].

وقال الرازي في موضع آخر من تفسير الآية: «المسألة الثالثة: قال الواحدي اللام في قوله ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ لام الأجل والسبب..»[(٢)]. فانظر إلىٰ تردد ٱسم الواحدي في تفسير «الرازي» في تفسير آية واحدة ثلاث مرات.

قال د/ علي محمد العماري في كتابه «الإمام فخر الدين الرازي، حياته وآثاره»: والرازي كثير النقل عن الواحدي بصورة واضحة وربما نص علىٰ بعض كتبه عند النقل عنه.. والرازي قد يناقش ما ينقله هٰذا العالم الكبير عن رواة اللغة..[(٣)].

بل إن تأثر الرازي بالواحدي أبعد من ذلك، فلا ينحصر في المواضع

---

(١) «تفسيرالرازي» ٢١/ ٢٥. ٱنظر كلام الواحدي في «البسيط» ٣/ ل١٦٨ من نسخة «جستربتي».

(٢) الرازي ٢١/ ٢٦.

(٣) الإمام فخر الدين الرازي للدكتور علي محمد حسن العماري ص ١٤١.

التي ذكر فيها ٱسم الواحدي، بل نجد روح التفسير «البسيط» سارية في مواضع كثيرة من «تفسير الرازي»: فينقل عنه بتصرف ولا يذكر ٱسمه، ولقد لمست هٰذا من خلال مصاحبتي لجزء من «البسيط» ومقارنته مع تفسير «الرازي» وأذكر مثالًا يدل علىٰ هٰذا.

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] «وقد يبقىٰ في هٰذِه الآية سؤال لم نجد أحدًا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرض له، وهو من مهم ما يسأل عنه، وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما أخبرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحة قوله، ومطابقة الأسماء للمسميات، وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل، إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء، ولم تعترف بفقد العلم. والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات، ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ معنىٰ؟».

ثم يجيب الواحدي عن هٰذا السؤال، بما يطول ذكره هنا.

ويأتي الرازي بعد ذلك ويذكر هٰذا السؤال مع تصرف في العبارة فيقول: .. وأيضًا فأما أن يقال: الملائكة علموا كون تلك الأسماء موضوعة لتلك المسميات فحينئذ تحصل المعارضة ولا تظهر المزية والفضيلة، وإن لم يعلموا ذلك، فكيف عرفوا أن آدم عليه السلام أصاب فيما ذكر من كون كل واحد من تلك الألفاظ ٱسمًا لكل واحد من تلك المسميات، واعلم أنه يمكن دفع هٰذا السؤال من وجهين..[1]، ويجيب عنه بنحو إجابة الواحدي،

---

(١) «تفسير الرازي» ٢/ ١٧٧.

ولم أر من المفسرين فيما ٱطلعت عليه من تعرض له سوىٰ «الواحدي» و«الرازي» مما يرجح أن الرازي أخذ ذلك السؤال من الواحدي، والأمثلة علىٰ هٰذا كثيرة توضح مدىٰ تأثر الرازي بكتاب «البسيط» للواحدي.

٢- أبو حيان من خلال تفسيره «البحر المحيط»:

وقد ٱستفاد أبو حيان[١] في تفسيره «البحر المحيط» من «البسيط» للواحدي، ولم يذكر «البسيط» باسمه ولٰكن الكلام الذي ذكره موجود فيه، وإفادته منه تأتي بدرجة أقل بكثير من الرازي، ويبدو أن «الرازي» كان واسطة بين أبي حيان وبين «الوسيط»؛ حيث نجد أغلب النصوص التي نسبها للواحدي موجودة في تفسير الرازي وإلىٰ عبارته أقرب، بل ربما صرح باسم الرازي كطريق له إلىٰ «الواحدي».

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] قال أبو حيان في «البحر»: .. وقال الواحدي: هٰذِه الآية من الأدلة الظاهرة على المعتزلة علىٰ فساد قولهم، وذلك أنه تعالىٰ أخبر عن قوم جرىٰ عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك ثم بين أنهم لو شاهدوا النار والعذاب ثم سألوا الرجعة وردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الشرك، وذلك للقضاء السابق فيهم، وإلا فالعاقل لا يرتاب فيما شاهد ..[٢] نجد الرازي ذكر القول بنصه فقال: قال الواحدي: هٰذِه الآية من الأدلة الظاهرة علىٰ فساد قول المعتزلة...

---

(١) هو الإمام أبو حيان النحوي محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، من كبار العلماء بالعربية والتفسير، توفي سنة ٧٤٥هـ.

ٱنظر: «نكت الهميان» ص ٢٨، و«غاية النهاية» ٢/ ٢٨٥.

(٢) «البحر المحيط» ٤/ ١٠٤.

إلخ[١]، أما الواحدي فيقول في «البسيط»: وهٰذِه الآية من الأدلة الظاهرة علىٰ تكذيب القدرية وذلك أن الله تعالىٰ أخبر عن قول جرىٰ عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك...[٢]، فيظهر من هٰذا أن أبا حيان نقل كلام الواحدي عن الرازي، حيث تابعه في ذكر «المعتزلة» بدل «القدرية» والمعنىٰ واحد.

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ الآية [يونس: ٢٨] قال أبو حيان: ... وقال الواحدي: التزييل والتزيل والمزايلة: التمييز والتفريق...[٣]، وكلام الواحدي ذكره الرازي[٤] قبل أبي حيان. ويظهر أنه أخذه عنه لتشابه عبارتيهما. ولأبي حيان كتاب في النحو هو «ارتشاف الضرب في لسان العرب» ٱعتمد فيه كثيرًا على البسيط للواحدي[٥].

٣- السمين الحلبي[٦] في تفسيره «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»:

واستفاد السمين في تفسيره من الواحدي، وتكرر ذكر ٱسمه ولم

---

(١) «الرازي» ١٢/ ١٩٤.

(٢) «البسيط» ٢/ل ٩٥، من نسخة «جستربتي».

(٣) «البحر المحيط» ٥/ ١٥٢.

(٤) «الرازي» ١٧/ ٨٣. ٱنظر: «البسيط» ٣/ل٦، من نسخة «جستربتي».

(٥) ٱنظر: «كشف الظنون» ١/ ٦١، و «أبو حيان النحوي» للدكتورة خديجة الحديثي ص (١٣٥).

(٦) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، نشأ في حلب ورحل إلىٰ مصر وبها توفىٰ ست وخمسين وسبعمائة، ٱنظر: «طبقات المفسرين» للداودي١/ ١٠١، «حسن المحاضرة» ١/ ٥٣٦، و«بغية الوعاة» ١/ ٤٠٢.

يصرح بكتابه الذي أخذ عنه ، لكن نجد جميع الأقوال التي نقلها عنه موجودة في «البسيط» مما يدل علىٰ أنه أخذها عنه.

من أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣] ذكر السمين الأقوال في وزن «لمثوبة» ومنه قوله: ... وقد جاءت مصادر علىٰ مفعول كالمعقول فهي مصدر ، نقل ذلك الواحدي(١).

وفي سورة المائدة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] تكلم السمين عن موقع جملة ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وذكر أوجه الإعراب المحتملة فيها... ومما قاله: ونقل الواحدي عن بعضهم أن ذلك من باب المقابلة والازدواج، يعني أنه لما نقم اليهود عليهم الإيمان بجميع الرسل وهو مما لا ينقم، ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما ينقم...، وذكر أقوالا كثيرة ثم قال: «وهٰذا هو مجموع ما أجاب به الزمخشري والواحدي»(٢)، وفي موضع آخر قال: ... ويدل علىٰ ذلك ما نقله الواحدي عن صاحب «النظم»...(٣).

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٦٧] قال السمين: .. وقال الواحدي: أي: إن يترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ، لأن تركه البعض

(١) «الدر المصون» ٢/ ٥٠ وانظر كلام الواحدي في «البسيط» ١/ ل٧٧ «الأزهرية».
(٢) «الدر المصون» ٤/ ٣٢٠، أنظر «البسيط» ٢/ ل٦٣ «نسخة جستربتي».
(٣) «الدر المصون» ٤/ ٣٢١، أنظر «البسيط» ٢/ ل٦٣ «نسخة جستربتي».

محبط لإبلاغ ما بلغ، وجرمه في كتمان البعض كجرمه في كتمان الكل في أنه يستحق العقوبة من ربه ، وحاشا الرسول ﷺ أن يكتم شيئًا مما أوحي إليه...»[١].

وفي سورة الأعراف في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ذكر السمين الأقوال في ﴿بَيَٰتًا﴾ ومنه قوله: وقال الواحدي قوله: بياتا: أي ليلًا. وظاهر هٰذِه العبارة أن يكون ظرفًا لولا أن يقال: أراد تفسير المعنىٰ[٢].

٤- المفسر سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل[٣] في تفسيره «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية»:

لقد كان كتاب «الدر المصون» للسمين الحلبي مصدرًا رئيسًا للجمل في تفسيره، نقل عنه كثيرًا، وصدر عنه، وقد وردت عنده المصادر التي أخذ منها السمين، ومنها تفسير الواحدي، فنراه يتكرر في «الفتوحات الإلهية» في المواضع التي ورد فيها في «الدر المصون» للسمين. وأذكر بعض الأمثلة التي توضح ذلك ، في آية البقرة وهي قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٣] قال الجمل وهو يتكلم عن «المثوبة»، ... وقد جاءت مصادر علىٰ مفعول كالمعقول فهي مصدر، نقل ذلك الواحدي[٤]،

(١) «الدار المصون» ٤/ ٣٥٢. أنظر «البسيط» ٢/ل ٦٦ «نسخة جستربتي» .
(٢) «الدار المصون» ٥/ ٢٥٠. أنظر «البسيط» ٢/ل ١٣٩ «نسخة جستربتي».
(٣) هو سليمان بن عمر العجيلي المصري، الأزهري، الشافعي، فقيه مفسر ولد وتوفي في مصر سنة ١٢٠٤هـ أنظر: «هدية العارفين» ١/ ٤٠٦، و«معجم المؤلفين» ٤/ ٢٧١، و«الأعلام» ٣/ ١٣١.
(٤) «الفتوحات الإلهية» ١/ ٨٩، ٩٠.

راجع كلام السمين السابق تجده بنصه.

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ الآية [الأعراف: ٤] قال الجمل: وقال الواحدي: قوله (بياتًا) أي: ليلًا، وظاهر هٰذِه العبارة أن يكون ظرفًا لولا أن يقال أراد تفسير المعنى. اهـ سمين..[١]، فنجد الجمل يصرح بنقله قول الواحدي من طريق السمين الحلبي.

٥- الألوسي[٢] في تفسير «روح المعاني»:

وأفاد الألوسي في تفسيره «روح المعاني» من كتاب «البسيط» للواحدي وقد ٱكتفىٰ بذكر «الواحدي» دون ذكر الكتاب الذي أخذ منه، وبمقارنة النصوص وجدت أكثرها في «البسيط».

من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٤] قال الألوسي في تفسير «اليقين»: ... وذهب الواحدي وجماعة إلىٰ أنه ما يكون عن نظر واستدلال، فلا يوصف به البديهي، ولا علم الله تعالىٰ[٣].

يقول الواحدي في «البسيط»: واليقين هو العلم الذي يحصل بعد الٱستدلال ونظر لغموض المنظور فيه أو إشكاله على الناظر... ولذلك لم يجز أن يوصف القديم سبحانه به، ولأن علمه لم يحصل عن نظر واستدلال[٤].

---

(١) «الفتوحات الإلهية» ٢/ ١٢١.

(٢) هو شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، مفسر محدث، أديب، ولد وتوفي في بغداد. توفي سنة (١٢٧٠هـ) ٱنظر: «الأعلام» ٧/ ١٧٦.

(٣) «روح المعاني» ١ / ١٢٢.

(٤) انظر: «البسيط» عند قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

عند تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨] قال الألوسي: ... وذكر الواحدي أن «عدل» الشيء بالفتح والكسر مثله، وأنشد قول كعب بن مالك:

صَبَرْنَا لا نَرىٰ للهِ عَدْلًا عَلىٰ مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا»[(١)]

قال الواحدي في «البسيط»: عدل الشيء وعدله: مثله، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ [المائدة: ٩٥] أي ما يمثله من الصيام، وقال كعب بن مالك:

صَبَرْنَا لا نَرىٰ للهِ عَدْلًا عَلىٰ مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا»[(٢)]

وعند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ الآية [المائدة: ١٠٧] قال الألوسي: «وقال الواحدي: روي عن عمر ﷺ أنه قال: هٰذِه الآية ما في السورة من الأحكام»[(٣)]، والرواية عن عمر عند الواحدي في «البسيط»[(٤)].

وبهذه الأمثلة نرى الألوسي قد أخذ في تفسيره عن الواحدي في مجال اللغة والعقيدة والأثر.

هٰؤلاء من أشهر المفسرين الذين أفادوا من الواحدي وتأثروا بكتابه «البسيط»، وبهذا نرى المدى الذي تركه كتاب البسيط في المفسرين بعده.

ب- في علوم القران:

لم يقتصر أثر الواحدي على المفسرين بعده فقط، بل نجد كتاب

---

(١) «روح المعاني» ١/ ٢٥١.

(٢) أنظر: «البسيط» عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿واتقوا يومًا...﴾ [البقرة: ٤٣].

(٣) «روح المعاني» ٧/ ٥٣.

(٤) انظر: «البسيط» ٢/ ل ٨٤، «نسخة جستربتي».

«البسيط» مصدرًا هامًا للمؤلفين في علوم القران الكريم ومنهم:

١- **بدر الدين الزركشي[١] في كتابه «البرهان في علوم القرآن»:**

أفاد الزركشي في كتابه من الواحدي كثيرًا، ونص علىٰ كتاب «البسيط» في مواضع، وربما نقل عنه ولم يذكر «البسيط»، وهٰذِه النقول بالتتبع نجدها في «البسيط». من أمثلة ذلك في النوع السابع: في «أسرار الفواتح والسور» قال الزركشي: ... وقال الواحدي في «البسيط» في أول سورة يوسف: لا يعد شيء منها آية إلا في «طه»، وسره أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رؤوس الآي، فلهذا لم يعد آية بخلاف طه فإنها تشاكل ما بعدها[٢]. ذكر قول الواحدي بمعناه[٣].

وفي موضوع بيان معنى الآية يقول الزركشي: «قال الواحدي: وبعض أصحابنا يجوز علىٰ هٰذا القول تسمية أقل من الآية آية، لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن»[٤]، وقول الواحدي في معنى الآية بنصه في «البسيط»[٥].

وفي النوع السابع والأربعين «الكلام على المفردات من الأدوات» قال الزركشي: - أثناء كلامه عن «لٰكن»-: وقال صاحب «البسيط» إذا وقع

---

(١) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، من أعلام الفقه والحديث والتفسير و أصول الدين، وتوفي بمصر سنة أربع وتسعين وسبعمائة. انظر «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» للسيوطي ١/ ٤٣٧.

(٢) «البرهان في علوم القرآن» ١/ ١٧١.

(٣) انظر: «البسيط» ٣/ ل٥٦، نسخة «جستربتي».

(٤) «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٦٧.

(٥) «البسيط» ص ٧٩٦.

بعدها جملة فهي للعطف ، أو حرف ٱبتداء ، قولان ، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦]. قال: وتظهر فائدة الخلاف في جواز الوقف علىٰ ما قبلها، فعلى العطف لا يجوز وعلىٰ كونها حرف ٱبتداء يجوز.

قال: وإذا دخل عليها الواو ٱنتقل العطف إليها، وتجردت للاستدراك»[١].

وهكذا نجد ٱسم الواحدي يتردد كثيرًا في «البرهان»[٢] مما يدل علىٰ مدىٰ إفادته من كتاب «البسيط».

٢- جلال الدين السيوطي[٣] في كتابه «الإتقان في علوم القرآن».

أفاد السيوطي في كتابه «الإتقان» من «البسيط» للواحدي، ونقل عنه في مواضع متعددة. قد يذكر الواحدي باسمه فيقول: قال الواحدي، أو يقول: قال صاحب «البسيط». وربما يكون في أكثر المواضع ناقلًا عن الزركشي.

ومن أمثلة ذلك عند الكلام معنى الآية قال: قال الواحدي وبعض أصحابنا قال: يجوز علىٰ هٰذا القول تسمية أقل من الآية آية لولا أن التوقيف ورد بما هي الآن»[٤].

---

(١) «البرهان في علوم القران» ٤/ ٣٩٠.

(٢) ٱنظر: «البرهان» ١/ ٢٩١، ٢/ ٣٩، ١٤، ١٤٧، ٢٧٨، ٢٨٨، ٤٠٩، ٤٣٥، ٣/ ١٦١، ١٨٧، ٢٧٩، ٣٧٠، ٤٧٤، ٤/ ٣٣٨.

(٣) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن كمال السيوطي، أبو بكر، صاحب التصانيف المشهورة ، ولادته ووفاته في مصر سنة (٨٤٩-٩١١هـ) ٱنظر: «حسن المحاضرة» ١/ ٣٣٥.

(٤) «الإتقان» ١/ ٨٨.

مثال آخر في «النوع الأربعين» في معرفة «الأدوات» قال السيوطي: لكن مشددة النون، حرف ينصب الأسم ويرفع الخبر ومعناه الأستدراك، وفسر بأن تنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لحكم ما قبله، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مخالف لما بعدها أو مناقض له نحو: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد ترد للتوكيد مجردًا عن الأستدراك، قاله صاحب «البسيط»[١].

جـ- في كتب الفقه:

لم يقتصر أثر الواحدي فيمن بعده من خلال كتابه «البسيط» على المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن، بل نجد بعض فقهاء الشافعية ينقلون من «البسيط» ويعتبرونه مصدرًا لهم، فهٰذا الإمام النووي[٢] رحمه الله، في كتابه «المجموع شرح المهذب»- وهو من أكبر كتب الفقه الشافعي- ينقل كلام الواحدي وينص علىٰ «البسيط».

يقول في مقدمة الكتاب وهو يشرح لفظ الذكر: قال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي المفسر الأديب الشافعي: أصل الذكر في اللغة: التنبه على الشيء، وإذا ذكرته فقد تنبهت عليه، ومن ذكرك شيئًا فقد نبهك عليه، وليس من لازمه أن يكون بعد نسيان. قال: ومعنى الذكر حضور المعنىٰ في النفس، ويكون تارة بالقلب، وتارة باللسان، وتارة بهما، وهو أفضل الذكر، ويليه ذكر القلب، والله أعلم[٣].

---

(١) «الإتقان» ١/ ٢٢٤، «البسيط» ١/ل ٧٥، من النسخة الأزهرية

(٢) هو الإمام يحيىٰ بن شرف النووي الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين، علامة بالفقه والحديث. ولادته ووفاته (٦٣١- ٦٧٦هـ) أنظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٥/ ١٦٥، و«النجوم الزاهرة» ٧/ ٢٧٨.

(٣) «المجموع شرح المهذب» ١/ ٧٤.

ذكر الواحدي هٰذا في «البسيط» عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] قال: أصل الذكر في اللغة التنبه على الشيء ومن ذكرك شيئا فقد نبهك عليه... الخ[١].

وفي موضع آخر ذكر النووي حكم التأمين بعد الفاتحة وقال: «قال أصحابنا: ويسن التأمين لكل من فرغ من الفاتحة، سواء كان في الصلاة أو خارجها، قال الواحدي: لكنه في الصلاة أشد ٱستحبابًا[٢].

وفي موضع آخر قال: ذكر أصحابنا أو جماعة منهم: أن لا يصل لفظة آمين بقوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ بل بسكتة لطيفة جدًا...

وممن نص على ٱستحباب هٰذِه السكتة القاضي حسين في تعليقه، وأبو الحسن الواحدي في «البسيط»[٣]. وقد قرر هٰذِه الأحكام الواحدي في «البسيط» في آخر تفسير الفاتحة.

بهٰذا ندرك تلك المكانة العالية التي تبوأها الواحدي ومؤلفاته خصوصًا كتاب «البسيط» حتىٰ أصبح مرجعًا لبعض علماء التفسير وعلوم القرآن، ينقلون أقواله في مجال التفسير، أو اللغة، أو علوم القرآن، أو الأحكام.

---

(١) «البسيط» ١/ل٩٧، من النسخة الأزهرية.

(٢) «المجموع شرح المهذب» ٣/ ٣٧١.

(٣) «المجموع شرح المهذب» ٣/ ٣٧٣.

- الطحطاوي[(١)] في «حاشية المراقي» ٢/ ٢٥٦:

بعد ما حكى الأقوال في آمين، قال: وحكى الواحدي عن حمزة والكسائي الإمالة فيها، ولو مد مع التشديد كان مخطئا في المذاهب الأربعة، وهو من لحن العوام. ولا تفسد به الصلاة عند الثاني لوجوده في القرآن وعليه الفتوىٰ... إلخ.

وذكر صاحب «مغنى المحتاج» ١/ ١٥٥: قول الواحدي في آمين مع المد لغة ثالثة وهي الإمالة، وحكى التشديد مع القصر، أي قاصدين إليك وأنت أكرم أن لا تجيب من قصدك..

- نقل الشوكاني[(٢)] في «نيل الأوطار» ١/ ٣٩٣.

اختلاف العلماء في تحديد الصلاة الوسطىٰ، قال: القول الثاني: أنها الظهر، نقله الواحدي عن زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد وعائشة.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، الفقيه الحنفي، توفي ١٢٣١هـ، من تصانيفه: «الحواشي على الدر»، «شرح مراقي الفلاح».
ينظر: ترجمته في «أعيان القرن الثالث عشر» ص ٧٣، ٧٤، «معجم الأدباء» ١/ ٢٠، «الأعلام» ١/ ٢٤٥.

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني، الإمام المحدث، الفقيه، الأصولي، المفسر، المؤرخ ولد سنة ١١٧٣هـ، وولي القضاء، توفي سنة ١٢٥٠هـ من مصنفاته: «إرشاد الفحول»، «فتح القدير» «السيل الجرار»، «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع».

قال الصنعاني[١] في «سبل السلام» ١/ ١٩٣:

قال الواحدي: إن كان الانتصار لأجل الدين فهو محمود وإن كان لأجل النفس فهو مباح لا يحمد عليه.

د- ومن شراح الحديث:

١- ابن حجر[٢] في «فتح الباري»:

نقل العلامة ابن حجر عن الواحدي في مواضع من «فتح الباري» أحيانًا بالنص علىٰ أنه من تفسيره، وأحيانًا من غير نص.

أ- قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله «لو كنت متخذًا خليلًا» زاد في حديث أبي سعيد: غير ربي، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم: وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا، وقد تواردت هٰذِه الأحاديث علىٰ نفي الخلة من النبي ﷺ لأحد من الناس، وأما ما روي عن أبي بن كعب قال: إن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس، دخلت عليه وهو يقول: «**إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلًا، وإن خليلي أبو بكر، ألا وإن الله**

---

(١) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني، يعرف بالأمير، محدث، فقيه، أصولي، مجتهد من أئمة اليمن، ولد سنة ١٠٥٩ بكحلان ثم انتقل إلىٰ صنعاء، وأخذ عن علمائها ثم رحل إلىٰ مكة وأخذ عن علمائها ثم المدينة وبرع في العلوم حتىٰ بلغ مرتبة الاجتهاد، توفي سنة ١١٨٢هـ.
من مصنفاته: «سبل السلام»، «تطهير الاعتقاد»، «إرشاد النقاد إلىٰ تيسير الاجتهاد».
ينظر: «البدر الطالع» ٢/ ١٣٣- ١٣٩، «فهرس الفهارس» ١/ ٢٨٧.

(٢) هو أحمد بن علي العسقلاني، الإمام الحافظ المحدث، له مصنفات عظيمة من أشهرها «فتح الباري» توفي سنة ٨٥٢. ينظر: «شذرات الذهب» ٧/ ٢٧، «النجوم الزاهرة» ١٥/ ٩٠٢.

أتخذني خليلًا» أخرجه أبو الحسن الحربي في فوائده[١]، وهٰذا يعارضه ما في رواية جندب عند مسلم كما قدمته أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس: «إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل» فإن ثبت حديث أبي أمكن أن يجمع بينهما، بأنه لما برئ من ذلك تواضعًا لربه وإعظامًا له، أذن الله تعالىٰ له فيه من ذلك اليوم لما رأىٰ من تشوفه إليه، وإكرامًا لأبي بكر بذلك، فلا يتنافى الخبران، أشار إلىٰ ذلك المحب الطبري، وقد روي من حديث أبي أمامة نحو حديث أبي بن كعب دون التقييد بالخمس، أخرجه الواحدي في «تفسيره»، والخبران واهيان والله أعلم[٢].

٢- العيني[٣] في «عمدة القاري» ١/ ٦٦- ٦٧.

نقل في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] عن الواحدي أنه قال: (أخبرنا محمد بن الحسن الحافظ، قال حدثنا محمد بن يحيىٰ، قال: حدثنا محمد بن صالح، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمد بن عباد بن

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» ٤/ ١٨٥٥ كتاب «فضائل الصحابة».

(٢) «الفتح» ٧/ ٢٣، وانظر أيضًا «الفتح» ٣/ ٤٠٩، ٥/ ٣٥، ٨/ ١٩٧.

(٣) هو العلامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني، قاضي القضاة ولد في رمضان سنة (٧٦٢) هـ. وتفقه بها ثم قدم حلب، وأخذ بها عن الجمال يوسف الملطي، ثم قدم القاهرة فأخذ عن مشايخها وبرع في الفنون، وول] حسبة القاهرة، ونظر الأحباس، وقضاء الحنفية، وله عدة مصنفات منها: «شرح البخاري»، «معاني الأخبار في أسامي رجال شرح معاني الآثار للطحاوي»، «شرح الشواهد الكبرىٰ» ومختصره. وتوفي في ذي الحجة ٨٥٥ هـ.
ينظر: «نظم العقيان في أعيان الأعيان» للسيوطي ١/ ٦٠، «إكمال الكمال» ٦/ ٣٧١.

جعفر المخزومي أنه سمع بعض العلماء يقول: كان أول ما أنزل الله ﷻ علىٰ رسوله ﷺ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١: ٥] قال هٰذا صدر ما أنزل علىٰ رسول الله يوم حراء ثم أنزل آخرها..).

٣- السيوطي[1] في «تنوير الحوالك» ١/ ٥٩:

قال: وأورد الواحدي في «أسباب النزول» هٰذا الحديث عند ذكر آية النساء...

٤- المناوي[2] في «فيض القدير» ٢/ ٩٠:

عندما تكلم على ٱستقبال القبلة ونقل رأي النووي قال: قال الواحدي القبلة الوجهة وهي الفعلة من المقابلة وأصل القبلة لغة: الحالة التي يقابل الشخص غيره عليها لكنها الآن صارت كالعلم للجهة التي تستقبل في الصلاة، وقال الهروي: سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله.

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هو: محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون. ٱنزوىٰ للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي من تأليفه، ولد سنة ٩٥٢ هـ وتوفي ١٠٣١ هـ من تصانيفه: «فيض القدير».
ينظر: «الأعلام» ٦/ ٢٠٤، «معجم المؤلفين» ٣/ ٤١٠.

المبحث التاسع

النسخ المخطوطة الموجودة للبسيط

التي تم التعرف عليها

يوجد للبسيط عدد من النسخ المخطوطة في مكتبات العالم علىٰ أن أنتشار نسخ البسيط لم تصل إلىٰ كثرة أنتشار «الوسيط» و «الوجيز» ولعل ذلك يرجع إلىٰ طول الكتاب، وصعوبة مادته، ومن ثم صعوبة نسخه وتداوله ، وهٰذِه الإشارة إلى النسخ التي تم التعرف عليها وهي:

١- نسخة محفوظة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة «رواق المغاربة» رقم (٣٠٣) «تفسير». الموجود منها: الجزء الأول والثالث والرابع والخامس، والثاني مفقود. كتبت هٰذِه النسخة سنة ٦٣٦هـ، خطها: جيد، مسطراتها: ٢٩ سطرًا تقريبًا، وقفت هٰذِه النسخة علىٰ طلبة العلم المجاورين برواق المغاربة، ونص الوصية بذلك مثبت علىٰ وجه كل جزء، ونصه: «وقف وحبس ، وتصدق لوجه الله تعالىٰ بجميع هٰذا الجزء من تفسير الإمام الواحدي، المكرم الأمير عبد الرحمن كتخدا علىٰ طلبة العلم المجاورين برواق المغاربة، تقبل الله صنيعه وشكر مسعاه ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، تحريرًا في الرابع والعشرين من رجب الفرد في شهور سنة ١١٧٦هـ الفقير إلىٰ الله أبو الحسن ابن عمر خادم العلم بالأزهر» وعلىٰ هوامشها تعليقات من الكاتب، يصدر كل تعليق بـ قوله: «ش ك» أي شرح من الكتاب، وبالتتبع وجدت هٰذِه التعليقات منقولة بنصها من «الكشاف» وقد أثبت أمثلة منها في هوامش الجزء المحقق.

الجزء الأول: أول الكتاب إلىٰ منتصف سورة «النساء» ويقع في

(٢٤٨) لوحة في بعض أوراقه تآكل. لهٰذا الجزء صورة «ميكروفيلم» في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (٤٠٤٨) أولها غير واضح والمقروء يبدأ من لوحة (١٩).

الجزء الثاني: مفقود.

الجزء الثالث: يبدأ من أول سورة «يونس» إلىٰ آخر سورة «الأنبياء» يقع في (٢٥٤) لوحة ، به خرم من أثناء سورة «يونس»، بأوراقه تآكل من السوس، وبعض ترقيع أضاع قليلًا من الكلمات، له نسخة «ميكروفيلم» في جامعة الإمام تحت رقم (٨٠٤٩).

الجزء الرابع: يبدأ من أول سورة «الحج» إلىٰ آخر «الشورىٰ» عدد أوراقه (٢٥٢) لوحة بينما كتب علىٰ ظاهره (٢٤٥) ورقة، سليم من التلف والسوس، سوىٰ ما أصاب كعب التجليد، له صورة «ميكروفيلم» في جامعة الإمام رقم (٨٠٥٠).

الجزء الخامس: من أول سورة «الزخرف» إلىٰ آخر القرآن الكريم يقع (٢٠٩) لوحة في آخره: «والله أعلم بالصواب هٰذا آخر الكتاب. ثم قال الشيخ المفسر- رحمه الله- في نسخته الأصل: وقد يسر الله تعالىٰ وله الحمد لحسن توفيقه تحرير هٰذا الكتاب الذي لم يسبق إلىٰ مثله في هٰذا الباب... والحمد لله فوق حمد العارفين، وفوق شكر الواصفين وصلواته وتحياته على المبعوث بالبيان الساطع والبرهان اللامع والقرآن الكريم والكتاب الحكيم ، محمد النبي وعلىٰ أصحابه أجمعين آمين ، يا رب العالمين ، وذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة والحمد لله». ونظرًا لكون هٰذِه النسخة من أتم النسخ وأوثقها وأوضحها وأقدمها تاريخًا ٱعتمدت عليها وجعلتها أصلًا ورمزت لها بالرمز (أ).

٢- نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم[1] (٥٣) تفسير، موجود منها ستة أجزاء تحتوي علىٰ أكثر القرآن، جميعها بخط عادي كتبها «محمد الشيمي» كتبت سنة (١٢٧٠هـ).

الجزء الأول: من أول الكتاب إلىٰ آخره سورة البقرة يقع في (٣٠٤) لوحات.

الجزء الثاني: من أول سورة «آل عمران» إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩] يقع في (١٣٣) لوحة.

الجزء الثالث: مفقود.

الجزء الرابع: من سورة «يونس» إلىٰ آخر سورة «النحل» يقع في (٢٨٠) لوحة.

الجزء الخامس: من سورة «الإسراء» وينتهي إلىٰ آخر «الأنبياء» يقع في (٢٤٣) لوحة.

الجزء السادس: من أول سورة «الحج» إلىٰ آخر سورة «السجدة» ويقع في (٢٣٩) لوحة.

الجزء السابع: من أول «الأحزاب» إلىٰ آخر سورة «الشورىٰ» ويقع في (١٥٩) لوحة. وبهذا الجزء ينتهي الموجود من هٰذِه النسخة، ويوجد لها نسخة مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية في القاهرة تحت رقم (٥٦-٦١)[2]. وقد ٱعتمدنا علىٰ هٰذِه النسخة ورمزنا لها بالرمز (ج).

٣- الجزء الأول من نسخة محفوظة في الأوقاف بالأستانة رقم

---

(١) انظر: «فهرس الكبخانة الخديوية» ١/ ١٣٣، ١٣٤، و«فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب» إلىٰ سنة (١٩٢١هـ) ١/ ٣٥.

(٢) ٱنظر: «فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد» ١/ ٢٤، ٢٥.

(١٥٧١) له صورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم(٦٢)[١]. يقع هٰذا الجزء في (٢٤٨) لوحة مسطرته (١٩) سطرًا تقريبًا ، خطه جيد واضح ، يقدر أنها كتبت في القرن الثامن. يبدأ من أول الكتاب ، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ الآية [البقرة: ١١٧] أعتمدنا علىٰ هٰذِه النسخة ورمزنا لها بالحرف (ب)[٢].

٤- جزء من نسخة مخروم الأول ، وأول ما فيه من سورة «مريم» قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم: ٣] وينتهي إلىٰ آخر سورة «الحج» مكتوب بقلم عادىٰ يقع في (٢٦٢) ورقة محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢١)[٣].

٥- الجزء الأول والثاني من نسخة محفوظة بالجامع الكبير بصنعاء.

الجزء الأول: يقع في (٤١٣) ورقة مسطرته (٢٤-١٦) تقريبًا، خطه قديم ، مبتور أوله ، سقط منه مقدمة الكتاب وسورة «الفاتحة» وأول البقرة.

---

(١) انظر: «فهرس المخطوطات المصورة بالمعهد» ١/ ٢٥.

(٢) في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية يوجد نسخة كتب عليها: «الجزء الأول من «البسيط» كتب سنة ٥٦٥ رقم (١٢٨٢) وتحت هٰذا العنوان مصورة في معهد المخطوطات برقم (٦٣) أنظر فهرس التيمورية ١/ ١٣، فهرس معهد المخطوطات بالقاهرة ١/ ٢٥، تصفحت هٰذِه النسخة فتبين لي أنها ليست من «البسيط» وإنما هي «الجزء الأول من تفسير الثعلبي» أطلع علىٰ هٰذِه النسخة صاحب كتاب «الواحدي ومنهجه في التفسير» وقال: «اطلعت عليها فوجدت فيها أضطرابا في النسخ...إلخ» ص ٨٧.

(٣) انظر: «فهرس الكتبخانة الخديوية» ١/ ١٣٤، و«فهرس دار الكتب المصرية فهرس الكتب» إلىٰ سنة ١٩٢١م ١/ ٣٥.

الموجود من وسط «البقرة» إلىٰ أثناء سورة «النساء». محفوظ تحت رقم (٥١).

الجزء الثاني: يقع في (٤٤٨) ورقة ، يبدأ من أول سورة «براءة» إلىٰ سورة «الرعد» خطه قديم محفوظ تحت رقم (٥٤)[١].

٦- الجزء الثاني والثالث من نسخة محفوظة في مكتبة «جستربتي» كتب عليهما: هٰذا كتاب «معاني التفسير» المسمىٰ «البسيط»، خطهما جيد مشكول بعض كلماته.

الجزء الثاني: يقع في (٢٤٣) ورقة ، يبدأ من أثناء سورة «النساء» وينتهي بأول سورة «يونس» كتب في آخره: «آخر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير المسمىٰ بالبسيط تصنيف الإمام الواحدي والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ووافق الفراغ منه في يوم الخميس في آخر شوال سنة ثمان وثلاثين وستمائة، كتبه الضعيف الراجي المحتاج إلىٰ رحمة الله تعالىٰ أحمد بن محمد بن الحسن القروني» مصور ميكروفيلم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تحت رقم (٣٧٣١) وفي الفليم عدم وضوح في بعض الصفحات.

الجزء الثالث: يقع في (٢٣٧) ورقة ، يبدأ من سورة «يونس» قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية [يونس: ٤] أول تفسير الآية في الجزء الثاني وآخرها في الجزء الثالث، له «ميكروفيلم» في جامعة الإمام محمد

---

(١) انظر: «فهرس كتب الخزانة المتوكلية العامرة بالجامع الكبير في صنعاء» ص ١٣.

بن سعود الإسلامية تحت رقم (٣٧٣٦) وكتب عليه «الجزء الثاني».

٧- الجزء الثالث: من نسخة مصورة في جامعة الإمام تحت رقم (٥١٠٥) تقع في (٢٩٣) ورقة [٣١س] كتب على الوجه الأول «الجزء الثالث من البسيط» تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. سورة المائدة والأنعام والأعراف. سبعة أحزاب، وعليه عدة تملكات أكثرها غير واضح ، وفي آخره: «تمت المجلدة الثالثة بحمد الله وجميل صنعه يتلوها في الرابعة إن شاء الله سورة «الأنفال» ذي الحجة لشهور سنة ست وستمائة هجرية، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.. بقلم الفقير إلىٰ الله عثمان بصليق الشافعي».

٨- الجزء السابع من نسخة قديمة، ويبدأ من أول سورة «الحج» إلىٰ آخر سورة «القصص» فيه خرم وتلف كثير أضر بالكتاب ضررًا بالغًا ، خطه نسخ معتاد ، كتبه محمد بن عبد المحسن الأنصاري سنة (٦٢٧هـ) عدد أوراقه (٢٣٧) ورقة، ١٩س، محفوظ في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (٧٠٢٣)(١).

٩- في فهرس نوادر المخطوطات العربية في تركيا ذكر الجزء الثاني من كتاب معاني التفسير، قال: لعله البسيط، في مكتبة أسكيليب رقم (١٠٣٠) يبدأ من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية [البقرة: ١٢٧] إلىٰ آخر البقرة. نسخ سنة (٦١٦هـ) يقع في (٢٢٦) ورقة، عليه قيد سماع سنة (٦١٧هـ)(٢).

---

(١) انظر: «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» «علوم القران» ص ١٦٦.

(٢) «فهرس نوادر المخطوطات العربية في تركيا» ٣/ ٥٧.

المبحث العاشر

منهج العمل في تحقيق «البسيط»

سار الباحثون في التحقيق حسب المنهج التالي:

١- طريقة النص المختار من بين النسخ؛ لكون النسخ الموجودة لا ترقىٰ واحدة منهن أن تكون أصلًا يعتمد عليه.

٢- ذكر الباحثون الفروق بين النسخ الخطية، عدا الألفاظ التي لا أثر للخلاف فيها، مثل: «تعالىٰ» و«عَزَّ وَجَلَّ».

٣- قابل الباحثون بين الكتاب ومصادره المهمة كتفسير الثعلبي و«معاني القرآن» للزجاج، و«الحجة للقراء السبعة» للفارسي.

٤- عزا الباحثون الآيات المستشهد بها إلىٰ مواضعها من القرآن الكريم عقب ذكرها مباشرة، وجعلنا ذلك في الأصل بين معقوفتين للتسهيل والتقليل من حواشي الكتاب.

٥- وثق الباحثون القراءات من المصدر الأساسي للمؤلف وهو كتاب «السبعة» لابن مجاهد، وذكروا من قرأ بها إذا لم يكن المؤلف ذكر ذلك.

٦- لما كانت النسخ الخطية التي بين يدي الباحثين قد ذكر فيها التفسير سردًا دون أن تذكر الآية أو الآيات قبل تفسيرها على العادة الجارية في كتب التفسير، فإننا قد قمنا بكتابة الآيات قبل تفسيرها؛ وذلك لكونه أوضح في قراءة التفسير، وأجمع للآيات المفرقة لمن أراد مراجعتها.

٧- لقد أكثر الواحدي من النقل، بعزو وبغير عزو في الغالب، الأمر الذي حمل الباحثين علىٰ تتبع هٰذِه النقول في مصادرها التي تعرفوا عليها، وأشاروا إلىٰ الفروق الهامة في الهوامش، لما لذلك من الأهمية في توثيق

النص من مصدره، وبيان ما ٱستغلق من الجمل والكلمات، والتعرف علىٰ طريقة الواحدي ومنهجه في التصرف في النص المنقول، وقد ترتب علىٰ ذلك تكرار أسماء بعض الكتب في الصفحة الواحدة، ولعل ما قصد الباحثون إليه من فائدة يساعد علىٰ تجاوز ما يلاحظ من تكرار.

٨- خرج الباحثون الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان في الصحيحين ٱكتفوا غالبًا بالإحالة عليهما، وإن كان في غيرهما ذكروا من خرجه، وأتبعوا بحكم الأئمة عليه صحة وضعفًا.

٩- خرج الباحثون آثار الصحابة والتابعين من أهم مصادر التفسير المسند، وإذا لم يجدوها في التفاسير المسندة عزوها إلىٰ كتب التفسير الأخرىٰ.

١٠- شرحوا ألفاظ الواحدي الغريبة من أمهات كتب اللغة، وضبطوا من ألفاظه ما يحتاج إلىٰ ضبط، حتىٰ يسهل قراءتها.

١١- عرّفوا بالأعلام من العلماء والشعراء وغيرهم، ولم يستثنوا إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والخلفاء الراشدين- ﷺ- والأئمة الأربعة.

١٢- علقوا على المسائل العقائدية، والتفسيرية، والنحوية، واللغوية بما يلزم لإيضاح قول، أو بيان قوته، أو ضعفه، وحاولوا الإقلال من ذلك في مجال النحو واللغة- إلا ما لابد منه- حتىٰ لا يثقل الكتاب بمسائل نحوية ولغوية زيادة علىٰ ما فيه.

١٣- حرص الباحثون كثيرًا علىٰ ذكر المصادر في الهوامش حسب ترتيبها التاريخي سوى المصدر الذي يغلب على الظن أن الواحدي نقل عنه فيقدمونه، ولو كان ما بعده أسبق منه.

وبعد، فإننا نشكر المولى ﷻ أن وفقنا لإتمام هذا العمل ونحن لا ندعي لهٰذا العمل الكمال، وإن كنا نسعى إليه، فهٰذا متعذر في واقع البشر كما قال المزني: لو عُورض كتابٌ سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتابًا صحيحًا غير كتابه- على هٰذا الوجه، فله الحمد كله، وله الشكر كله، لا نحصي ثناء عليه إنه كما أثنىٰ علىٰ نفسه، والحمد لله رب العالمين.

* * *

نماذج من النسخ الخطية للكتاب

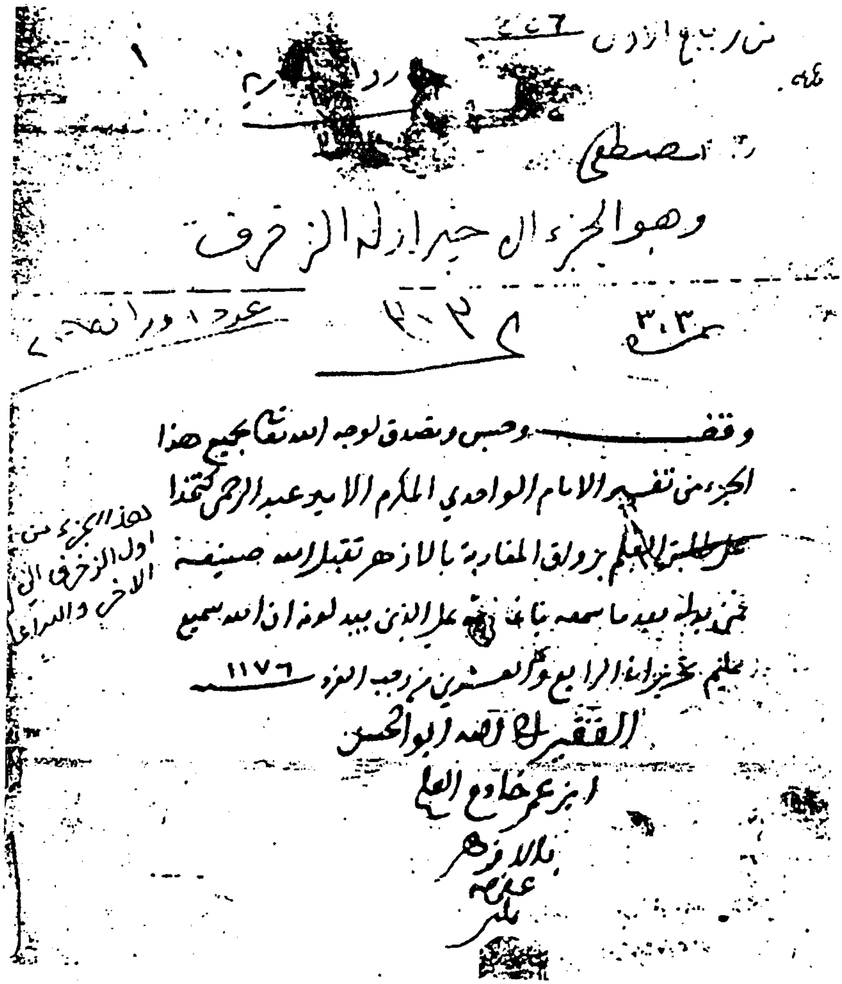

الصفحة الأولى من المجلد الخامس من النسخة الأزهرية

الى الامم المكذبة الكافرة والمصدقة المؤمنة قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم تهديد ووعيد يقول ما انتم عاملون انا عاملون وستعلمون عاقبة امركم وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج وقال ابن اسحق وانتظروا ما حل بكم من العذاب انا منتظرون لذلك قوله تعالى ولله غيب السموات والارض قال ابو علي الغيب مصدر مضاف الى المفعول على الاتساع وحذف حرف الجر لانك تقول غبت في الارض وغبت ببلد كذا فتعديه بحرف الجر فحذف الحرف واضيف المصدر الى المفعول به في المعنى نحو من دعاء الخير وسؤال نعجتك وعمل وجهد احدهما ذو وغيب السموات والارض اي ما غاب فيهما عن اولي العلم والاخر ان يكون المعنى ولله غيب السموات والارض ويدل على هذا قوله عالم الغيب قال ابن عباس في رواية الوالبي يعني خزائن السموات والارض وقال الضحاك يعني جميع ما غاب عن العباد وقوله تعالى واليه يرجع الامر كله في المعاد حتى لا يكون للخلق امر كما يكون في الدنيا للقضاة والامراء وقرئ يُرجع وذكرنا هذا مستقصى في المعنى والتوجيه عند قوله والى الله تُرجع الامور في سورة البقرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون اي انه يجزي المحسنين باحسانه والمسيء باساءته والمعنى في قوله تعملون صرف الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم وقرئ تعملون بالتاء على معنى قل لهم وما ربك بغافل عما تعملون

تفسير سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر قال ابن عباس يريد انا الله الرحمن والكلام في الحروف المعجمة قد ذكرنا في مواضع وهذه الحروف لا تعد آية كما تعد طه لان آخرها لا يشاكل رؤوس الآي وقوله تعالى تلك آيات الكتاب قال صاحب النظم وابو بكر بن الانباري تلك بمعنى هذه كما كان ذلك بمعنى هذا في قوله الم ذلك الكتاب وقد فسرناه مستقصى في موضعه الا ان ذلك مذكر لانه يومئ به الى الكتاب وتلك تأنيث ذلك لانه يومئ بها الى الآيات وقال ابو بكر يجوز ان تكون تلك اشارة الى ما ذكره عز وجل في التورية والانجيل وخبيئة هذه الاقاصيص التي تسمعونها تلك الآيات التي وصفت في التورية والكتاب المبين على هذا هو التورية وهذا معنى قول ابي اسحق قال ابو بكر ويجوز ان تكون تلك اشارة الى الر واخواتها من حروف المعجم اي تلك الحروف المفتتح بها السور هي آيات الكتاب المبين لان الكتاب بها يتلى عليكم والفاظه اليها ترجع والكتاب المبين القرآن المبين في قول ابن عباس قال والمبين الذي يبين فيه الحلال والحرام وقال قتادة يبين فيه الهدى والرشد وكان الكتاب مبينا لهذه الاشياء قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا قال ابو اسحق وابو بكر هذه الهاء يصلح لشيئين احدهما ان تكون للكتاب ويجوز ان يكون انزلناه خبر يوسف وقصته قال ابو بكر وذلك ان اليهود قالوا للمشركين سلوا محمدا لم انتقل ولد يعقوب من الشام الى مصر وسلوه عن خبر يوسف واخوته فانزل الله انا انزلناه قرآنا عربيا يعني انزلنا خبر يوسف واخوته الذي طالب اليهود بشرحه قرآنا عربيا قال ولا يجوز رجوع الهاء على القرآن انما خبر لان الكناية لا تصح الا بتقدم ظاهر مرتفع تأويلها وقوله تعالى قرآنا عربيا ذكرنا معنى العرب والعرب والاعراب في قوله الاعراب

أول سورة يوسف من النسخة الأزهرية

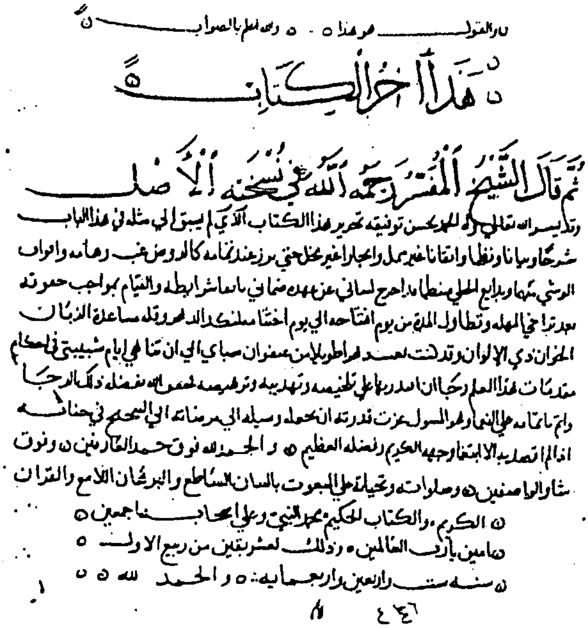

والقول ... هو هذا ... والله اعلم بالصواب

هذا آخر الكتاب

ثم قال الشيخ المفسر رحمه الله في نسخة الأصل

وقد يسر الله تعالى وله الحمد حسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا الباب شرحًا وبيانًا ونقلًا وإتقانًا غير ممل والاختصار غير مخل حتى برز عند تمامه كالعروس عند زفافها وأثواب الوشي بهاؤها وبدائع الحلي منطقًا ... لساني عن بهاء ضمائر ما يعاشر ابطه والقيام بواجب حقوقه بعد تراخي المهلة وتطاول المدة من يوم افتتاحه إلى يوم اختتامه لملك الدهر وقله مساعدة الزمان الخوان ذي الألوان وتدافعت ... طويلًا من عنفوان صباي إلى أن تناهى إلى أيام شيبتي في إحكام مقدمات هذا العلم رجاء أن امد ... على تلخيصه وتهذيبه وترصيصه بعون الله وفضله ذلك الرجا وإتمام تمامه على الغنى وهو المسؤول عز قدرته أن يجعله وسيلة إلى مرضاته إلى التجنيح في جنانه إذا لم ... الابتغاء وجهه الكريم بفضله العظيم والحمد لله فوق حمد الحامدين وفوق ثناء الواصفين وصلواته وتحياته على المبعوث باللسان الساطع والبرهان اللامع والقرآن الكريم والكتاب الحكيم محمد النبي وعلى أصحابه أجمعين آمين يا رب العالمين وذلك لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة والحمد لله

٤٤٦ هـ

الصفحة الأخيرة من الكتاب من النسخة الأزهرية

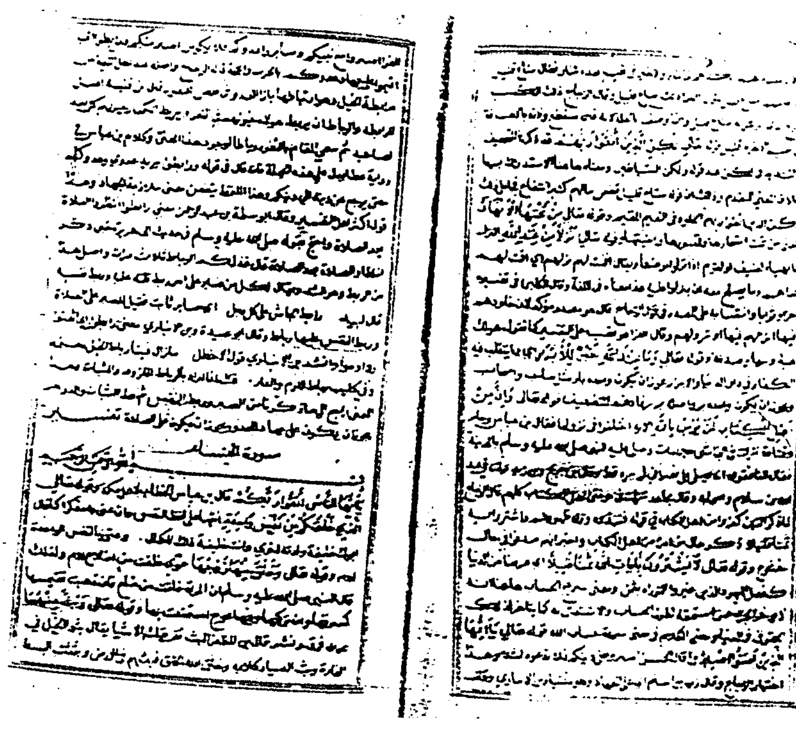

أول تفسير سورة النساء من نسخة دار الكتب المصرية

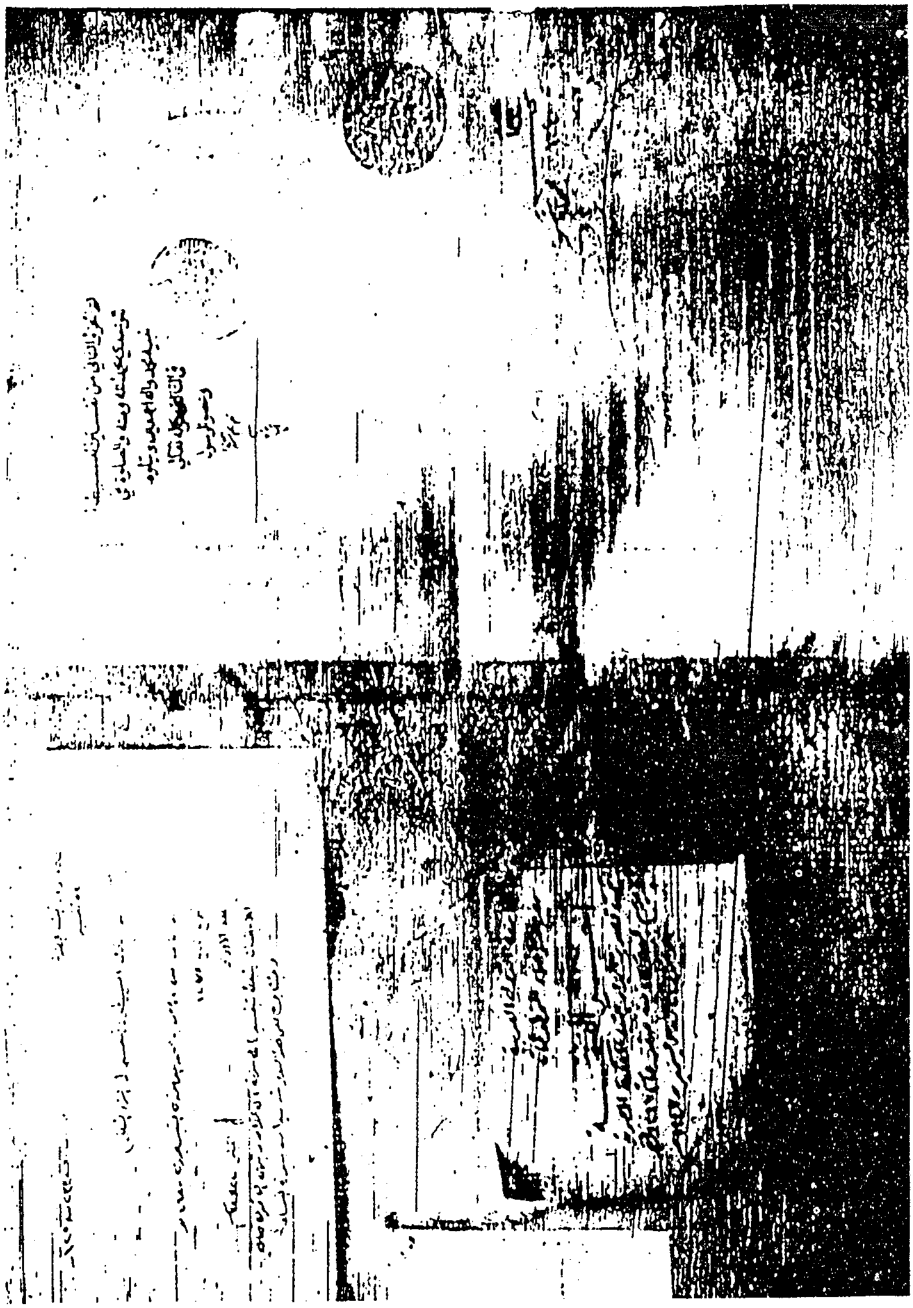

نهاية نسخة دار الكتب المصرية

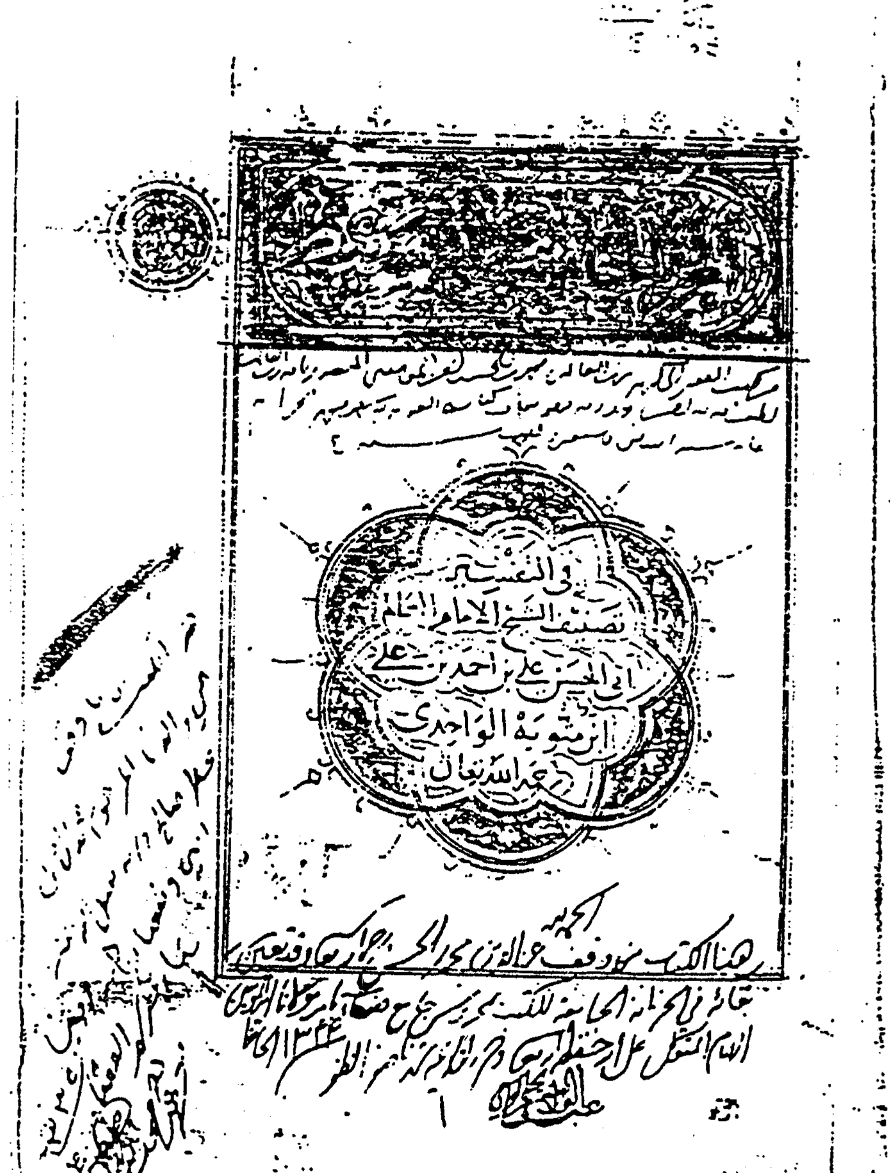

عنوان النسخة اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة براءة

اختلفوا في سبب ترك التسمية في أولها وروي بطرق مختلفة عن ابن عباس أنه قال
قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم إلى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من
المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله
الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول فقال كانت الأنفال مما نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت براءة آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة
بقصتها بعضها وقبض رسول الله ولم يتقدم إلينا فيها بشيء فلذلك قرنا بينهما ولم نكتب
بينهما بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين فوضعناهما في السبع
الطول وروي أيضا عن ابن عباس أنه قال سألت علي بن أبي طالب لم لم تكتب في براءة
بسم الله الرحمن الرحيم قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف
ليس فيها أمان وبعدا قال سفيان بن عيينة التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة
نزلت في المشركين والمنافقين بالسيف ولا أمان لهم ونحو من نحو هذا قال المبرد
وهو أنه قال يفتح بهذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح
للخير وأول براءة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب
عن هذا فقال إنها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمر في كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في سورة براءة بذلك فضمت إلى
سورة الأنفال لشبهها بها قال الزجاج يعني أن أمر العهود مذكور في الأنفال وهذه
نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال بالشبه وكان قتادة يقول إنهما سورة
واحدة ونحو هذا روى الزهري عن سعيد بن المسيب **قوله عز وجل**
براءة من الله الآية ومعنى البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان
أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة ومن هذا يقال برئت من الدين
وليس فيها إلا لغة واحدة كسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل ويقال برئ

بداية سورة التوبة من النسخة اليمنية

نهاية نسخة جستربتي

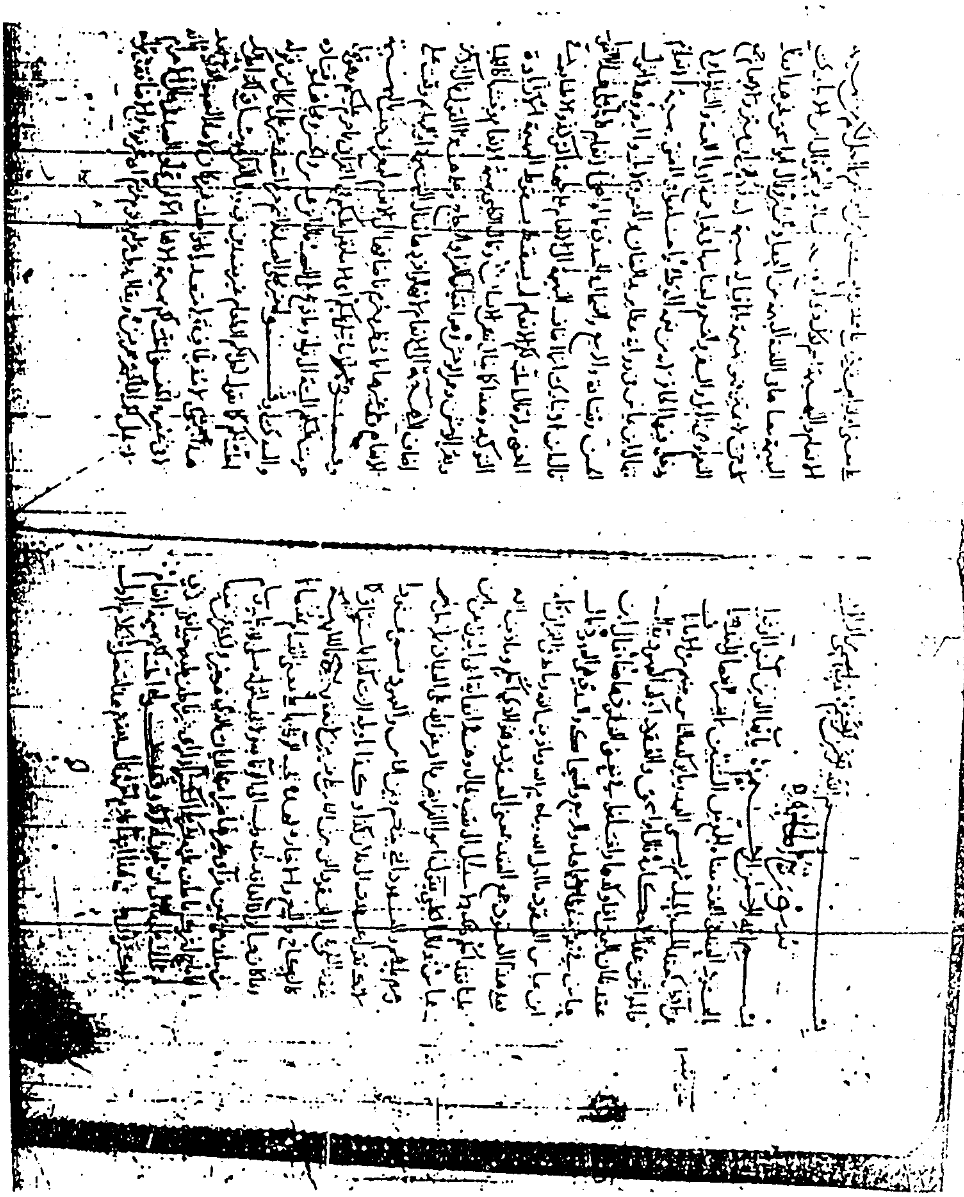

بداية تفسير سورة المائدة من نسخة جامعة الإمام

190 ظ

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحجر

قوله تعالى: الر تلك آيات الكتاب ذكرنا الكلام
في هذا مستقصى في أول سورة يوسف ويونس وكذلك
في سورة الرعد وذكرنا في سورة الرعد أن الكتاب هناك
يجوز أن يراد به التوراة ويجوز أن يراد به القرآن وها هنا
أيضاً يجوز فيه الوجهان أحدهما أن يراد بالكتاب الذي
كان قبل القرآن من التوراة والإنجيل ثم عطف عليه
القرآن قال صاحب النظم تقدير الآية في الكلام زيد هذا
صاحب الفرس وحمار زيد ثاني وهذا قول مجاهد وقتادة وقال
آخرون الكتاب هو القرآن وجمع بين الوصفين لما فيهما من
الفائدتين وإن كان بالموصوف واحد وذلك أن الكتاب
يفيد أنه مما يكتب ويدون والقرآن يفيد أنه مما يؤلف ويجمع بعض
حروفه إلى بعض ويكون كقوله إلى الملك القرم البيت
وقد مر ذكرنا معنى المبين في فاتحة سورة يوسف قوله
تعالى: ربما يود الذين كفروا وقرئ ربما بالتخفيف قال
السكري ربما وربتما وربتما حرف جر عند سيبويه ويلحقها
ما على وجهين أحدهما أن تكون نكرة بمعنى شيء وذلك كقوله وربما
تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال فما في هذا
البيت اسم لما يقدر من عود الذكر إليه من الصفة المعنى
رب شيء تكره النفوس وإذا عاد إليها الهاء كانت اسماً ولم
يجز أن تكون الحرف كما أن قوله سبحانه أيحسبون أنما نمدهم
به لما عاد الذكر إليه علمت بذلك أنه اسم ويدل على أن

صفحة من نسخة عاطف أفندي بتركيا

رب شيء تكره النفوس وإذا عاد إليها الهاء كانت اسماً ولم

به ولم ينفصل عنه وعلى هذا قوله الله معنا اي ناصرنا وعلى هذا المعنى قوله
صحبك الله والولي والمولى واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه
فعلي مولاه قال يونس اي من كنت وليه وقوله ايضاً مزينة وجهينة واسلم
وغفار موالي الله ونصيره اي اولياء الله وقال العجاج الحمد لله الذي اعطى النظره
موالي الحق ان المولى شكره اي اولياء الحق وكل ما انضم اليك فعز بعزك وامتنع
بمنعتك فهو مولاك ولهذا تسمى العصبة وبنو العم موالي قال الله تعالى
واني خفت الموالي من وراي اي العصبة وعلى هذا ينشد
موالي حلف لا موالي قرابة ولكن قطينا يسالون الاتاوتا يقول هم حلفاء لا
ابناء عم والولي الذي يلي عليك امرك فمعنى قوله انت مولانا اي انت ولينا بنصرك
ايانا وانت الذي تلي علينا امورنا وذلك لانه يلي امور المومنين بالنصرة والمعونة
يقال منه ولي يلي ولاية فهو ولي ومولى قال مقاتل بن سليمان لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة امن الرسول
فقالت له الملائكة ان الله عز وجل قد احسن عليك الثنا بقوله امن الرسول
فسله وارغب اليه وعلمه جبريل كيف يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا الى اخر السورة وجبريل عليه
السلام يقول في كل فصل قد فعل الله تبارك وتعالى ذلك اخبرنا
احمد بن ابي منصور الحافظ رحمه الله اخبرنا عبد الله بن حامد الاصبهاني اخبرنا
محمد بن جعفر المطيري حدثنا علي بن حرب حدثنا ابن فضيل حدثنا عطا عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم
لا يكلف الله نفساً الا وسعها الى قوله لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال
لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصراً قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
قال لا احملكم واعف عنا الى اخر السورة قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم
ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وقال ابو اسحق هذا الدعا اخبر
الله عز وجل به عن النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وجعله في كتابه
ليكون دعا من ياتي بعد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه فهو من الدعاء
الذي ينبغي ان يحفظ وان يدعا به كثيراً وقال في قوله فانصرنا على القوم
الكافرين اي انصرنا عليهم في اقامة الحجة وفي غلبتنا اياهم في حربهم وساير
امورهم حتى يظهر ديننا على الدين كله كما وعدنا ٤٤٤ .
اخر المجلدة الاولى من تفسير القران ومعانيه تصنيف الامام ابي الحسن

صفحة من نسخة شهيد علي

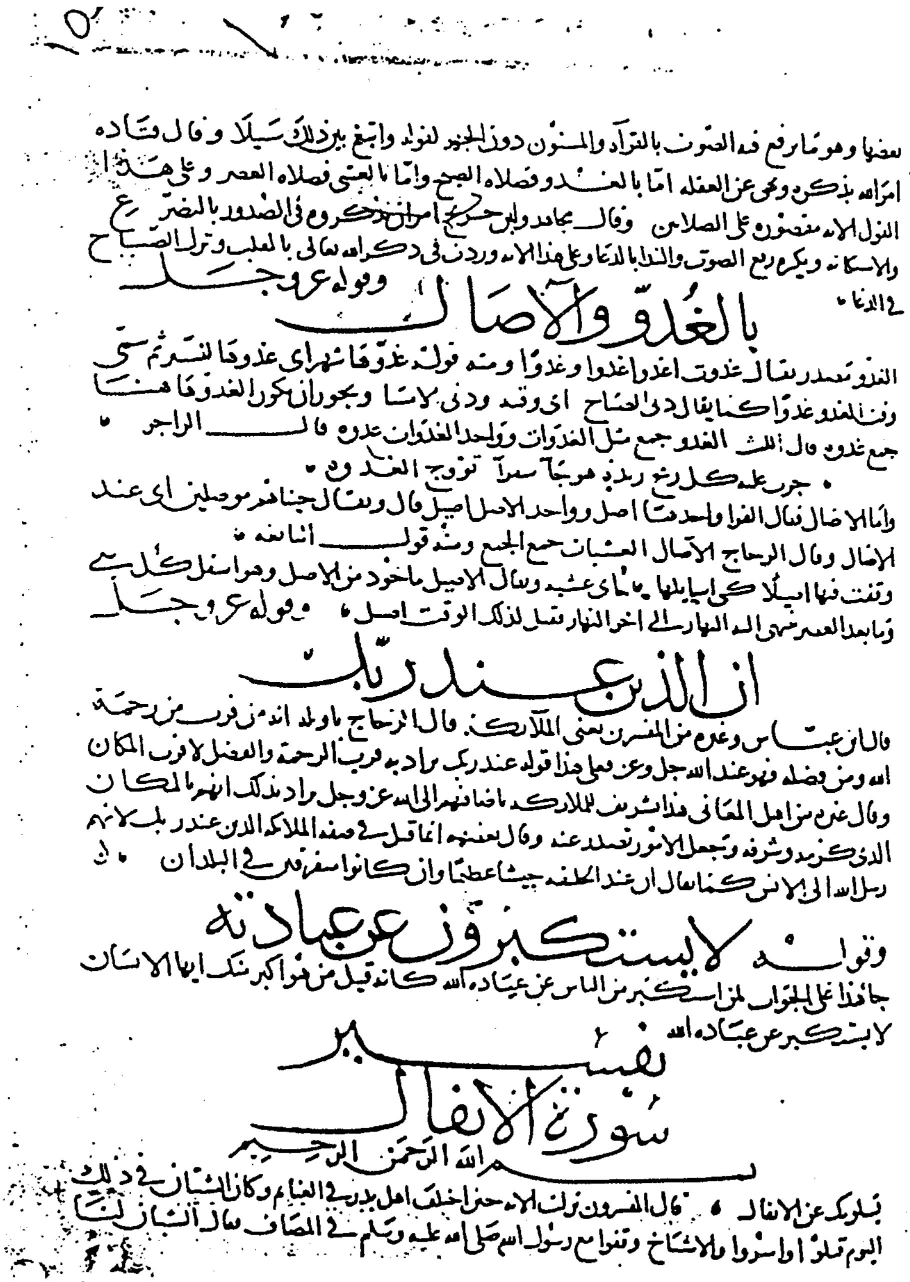

بعضها وهو ما يرفع فيه الصوت بالقراءة والمسنون دون الجهر لقوله وابتغ بين ذلك سبيلا وقال قتادة
أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة أما بالغدو فصلاة الصبح وأما بالعشي فصلاة العصر وعلى هذا
القول الأئمة مقتصرون على الصلاتين وقال مجاهد وابن جريج أمروا أن يذكروه في الصدور بالتضرع
والاستكانة ويكره رفع الصوت والنداء بالدعاء وعلى هذا الأمة وردت في ذكر الله تعالى بالقلب وترك الصياح
في الدعاء • وقوله عز وجل

بالغدو والآصال

الغدو مصدر يقال غدوت أغدو غدوا وغدوا ومنه قوله غدوها شهر أي غدوها للسير ثم سمي
وقت الغدو غدوا كما يقال دنا الصباح أي وقت ودنى لامسا ويجوز أن يكون الغدو ها هنا
جمع غدوة قال الليث الغدو جمع مثل الغدوات وواحد الغدوات غدوة قال الراجز •
• جرت عليه كل ريح ريدة هوجا سفرا تروح الغدوة •
وأما الآصال فقال الفراء واحدها أصل وواحد الأصل أصيل قال ويقال جئناهم موصلين أي عند
الأصال وقال الزجاج الآصال العشيات جمع الجمع ومنه قول أتانيه •
وتقف فيها أصيلا كي أسائلها • أي عشية وقال الأصيل مأخوذ من الأصل وهو أسفل كل شيء
وما بعد العصر فهي إلى النهار إلى آخر النهار فقيل لذلك الوقت أصل • وقوله عز وجل

إن الذين عند ربك

قال ابن عباس وغيره من المفسرين يعني الملائكة. قال الزجاج يا ولد أنه من قرب من رحمة
الله ومن فضله فهو عند الله جل وعز ومعنى هذا قوله عند ربك يراد به قرب الرحمة والفضل لا قرب المكان
وقال غيره من أهل المعاني هذا تشريف للملائكة بإضافتهم إلى الله عز وجل يراد بذلك أنهم بالمكان
الذي كرمه وشرفه وجعل الأمور تصدر عنه وقال بعضهم إنما قيل في صفة الملائكة الذين عند ربك لأنهم
رسل الله إلى الإنس كما يقال إن عند الخليفة جيشا عظيما وإن كانوا متفرقين في البلدان •

وقوله لا يستكبرون عن عبادته

جاء هذا على الجواب لمن استكبر من الناس عن عبادة الله كأنه قيل من هو أكبر منك أيها الإنسان
لا يستكبر عن عبادة الله

تفسير سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال • قال المفسرون نزلت الآية حين اختلف أهل بدر في الغنائم وكان الشبان في ذلك
اليوم قتلوا وأسروا والأشياخ وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المصاف فقال الشبان لنا

صفحة أخرى من نسخة شهيد علي

اي عشيه ويقال الاصيل ماخوذ من الاصل وهو اسفل كل شي وما بعد العصر
حتى اليه النهار الى اخر النهار فقيل لذلك الوقت اصيل **قوله** ان الذين عند
ربك قال ابن عباس وغيره من المفسرين يعني الملايكة قال الزجاج
تاويله انه من قرب رحمة الله ومن فضله فهو عند الله جل وعز فعلى هذا قوله
عند ربك يراد به قرب الرحمة والفضل لا قرب المكان وقال غيره من اهل
المعاني هذا تشريف للملايكة باضافتهم الى الله عز وجل يراد بذلك انهم بالمكان الذي
كرمهم وشرفه وجعل لهم الامور تصدر عنه وقال بعضهم يا كما يقال ان عند الخليفة
جيشا عظيما وان كانوا متفرقين في البلدان وقوله لا يستكبرون جا هذا على
الجواب لمن استكبر من الناس عن عبادة الله لانه قيل من هو اكرم منك ايها الانسان
لا يستكبر عن عبادة الله

تفسير سورة الانفال

بسم الله الرحمن الرحيم

يسلونك عن الانفال قال المفسرون نزلت هذه الاية حين اختلف اهل بدر في الغنايم وكان
الشبان يومئذ قتلوا واسروا والاشياخ وقفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المصاف فقال الشبان لنا الغنايم لانا ابلينا وقال الاشياخ كنا ردا لكم
ولو انهزمتم لانحزتم الينا فلا تذهبوا بالمغانم دوننا وقال عبادة بن الصامت
يا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله
من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم فقسمه بيننا على السوا
والنفل الغنيمة وجمعه الانفال ونفلت فلانا نفلا اعطيته والامام ينفل الجند اذا
جعل لهم ما غنموا قال الزهري وجماع معنى النفل والنافلة ما كان
زيادة على الاصل وسميت الغنايم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على ساير الامم
الذين لم تحل الغنايم لهم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة اجر للمؤمنين على ما
لهم من الثواب ما فرض عليه ومن ذكر اشتقاق النافلة عند قوله تعالى نافلة لك

صفحة من نسخة جامعة استانبول

زيادة على الاصل وسميت الغنايم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على ساير الامم
الذين لم تحل الغنايم لهم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة اجر

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

المتوفى سنة ٤٦٨هـ

النص المحقق

مقدمة المُصنِّف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم[(١)]

الحمد الله القادر، العليم الفاطر، الحكيم المتصف[(٢)] بالعلم الشامل والطول الكامل، الذي أحصى كل شيء عددا، وأحاط بكل شيء علما، فلا يخفى عليه الشاهد والغيب، ولا يشوب[(٣)] علمه الشك والريب، يعلم العلن والإسرار والجهر والإضمار، والمشكل والجلي، والبادي والخفي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

ويعلم قول الحكل[(٤)]، (لو أن ذرة

تساود[(٥)] أخرى لم يفته سوادها).

فسبحانه من عالم لا بفكرة واجتهاد، وضمير فؤاد[(٦)]، و[(٧)] بصير لا بحدقة وسواد، وعزيز لا بعدة وعتاد، وقائل لا بلسان ولهاة، وصانع لا بآلة

---

(١) في (ب): كلمة غير مقروءة بعد البسملة لعلها (هو حسبي).

(٢) (المتصف): مكانها بياض في (ج).

(٣) في (ب): (ولا يسري عليه).

(٤) في (ب): (الخطر). (الحكل): العجم من الطيور والبهائم، وقيل: ما لا نطق له كالنمل وغيره، انظر: «الصحاح» ٤/ ١٦٧٢، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٤٦ مادة (حكل).

(٥) في (ب): (مساود). والسواد: السرار، تقول: ساودته مساودة وسواداً، أي: ساررته وأصله إدناء سوادك من سواده وهو الشخص. انظر: «الصحاح» (سود): ٢/ ٤٩٢، «مجمل اللغة» ٢/ ٤٧٧، «اللسان» (حكل): ٤/ ٢١٤٢.

(٦) في (ج): (وارد).

(٧) (الواو): ساقطة من (ب).

وأداة، ومريد[١] لا بتوطين نفس، ومتكلم لا بنغمة وجرس، ومدبر لا بمشاورة، ومقدر لا بمداورة، تعالى عن الأنداد والأشكال والأشباه والأمثال، واستحق[٢] أوصاف الكمال، واستأثر[٣] بنعوت الجلال[٤].

بعث في الأميين رسولاً من أوسطهم نسباً، وأشرفهم حسباً، وأحسنهم أدباً، وأشهرهم أمّاً وأباً، يتلو عليهم آياته، ويعارض أباطيلهم ببيناته، حتى انكشطت غشاوة الشك عن وجه اليقين، وتفرَّت دياجي الكفر عن عمود الدين، أنزل عليه نورًا مبيناً، ووحياً مستبيناً، أنقذ به من الضلالة، وهدى به من حيرة الجهالة، والناس على شرف بوار[٥]، والخلق على شفا نار[٦]، وجعله قرآناً عربياً فرفع به من شأن لغتهم، وأزرى[٧] نظمه[٨] بنظومهم وبلاغتهم، ولما تحداهم عجزوا عن معارضته[٩]، وهم لُدّ[١٠] بلغاء، وقصروا

---

(١) في (ب): (موتد).

(٢) (استحق): بياض في (ج). (٣) (استأثر): غير واضح في (ب).

(٤) ما ذكره عن نفي مشابهة الله لخلقه صحيح، لكن ليس من منهج السلف تكلف مثل هذه العبارات في النفي. قال ابن تيمية: (الله ﷻ بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل.. إلخ). «التدمرية» ص ٨.

(٥) البوار: الهلاك. انظر: «تهذيب اللغة»: (بار): ١/ ٢٥٤، «الصحاح» ٢/ ٥٨٩.

(٦) (نار): غير واضحة في (ب).

(٧) أزرى بالشيء: حقّره وهوّنه واستخفَّ به. انظر: اللسان (زرى): ١٤/ ٣٥٦ (ط دار صادر).

(٨) قوله (أزرى نظمه): غير واضح في (ب).

(٩) قوله (معارضته): عليها طمس في (ب).

(١٠) في «تهذيب اللغة»: الألد: الشديد الخصومة، واشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه، يقال: رجل ألدّ، وامرأة لدّاء، وقوم لُدّ. «التهذيب» (لَدّ) ٤/ ٣٢٥٤، وانظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٢٠.

عن الإتيان بمثله وهم لسن[١] فصحاء، فبهرت معجزته، وظهرت دلالته صلى الله عليه وعلى آله صلاة تنمو أبداً، وتتصل مدداً ما تناوب[٢] الصباح والمساء، وانطبق على الأرض السماء.

وبعد: فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أعلق لمعاني[٣] إعراب القرآن وتفسيره: فِقَراً[٤] في الكشف عن غوامض معانيه، ونُكتًا[٥] في الإشارة إلى علل القراءات فيه، في ورقات يصغر حجمها ويكثر غنمها، والأيام تمطلني بصروفها على اختلاف صنوفها، إلى أن شدد علي خناق التقاضي قوم لهم في العلم سابقة، وفي التحقيق همم صادقة، فسمحت قرونتي[٦] بعد الإباء، وذلت

---

(١) في (ب): (ليس).

(٢) في (أ)،(ج): (وتتناوب)، وأثبت ما في (ب): لأنه أصح في السياق.

(٣) في (ب): (معاني)، وفي (أ): مطموسة.

(٤) في (ب): (وفِقْراً): بزيادة واو مع سكون القاف. في «تهذيب اللغة» (الفقر: خرزات الظهر، الواحدة فقرة ٣/ ٣ فقر)، وفي «الصحاح» (أجود بيت في القصيدة يسمى فقرة تشبيها بفقرة الظهر)، ٢/ ٧٨٢، وفي «اللسان»: الفقرة: العلم من جبل أو هدف ونحوه، ٦/ ٣٤٤٧، وفي «المعجم الوسيط»: الفقرة: جملة من كلام، أو جزء من موضوع، أو شطر من بيت شعر، ٢/ ٦٩٧.

(٥) النكتة: كالنقطة، وهي شبه وقرة في العين وشبه وسخ في المرآة، ونكتة سوداء في شيء صاف، انظر: «تهذيب اللغة» (نكت): ٤/ ٣٦٥٨، «الصحاح» ١/ ٢٦٩، «اللسان» ٢/ ١٠٠، قال في «المعجم الوسيط»: النكتة: المسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر، ٢/ ٩٥٩.

(٦) في (ب): (عروسى) بدون نقط.

(القرونة) النفس، في «الصحاح» يقال: أسمحت قرينه وقرونه وقرونته وقرينته، أي: ذلت نفسه وتابعته على الأمر. «الصحاح» (قرن) ٦/ ٢١٨٢، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦١٢.

صعوبتي بعد النفرة[(١)] والالتواء[(٢)]، وذلك لتوفر دواعي أهل زماننا على الجهل، وظهور رغباتهم عن العلم، الذي فيه شرف الدين والدنيا، وعز الآخرة والأولى، فقل من ترى[(٣)] من المتحلين بعقوده وقلائده، ومنتحلي غرره وفوائده (إلا متشبعاً[(٤)]، كلابس ثوبي زور)[(٥)]، يبرق، وبروقه غير صادقة، ويرعد وسماؤه غير وادقة، اللهم إلا نفراً يقل عددهم عند الإحصاء، وتكثر فضائلهم على الحصر والاستقصاء، غير أنهم الأكثرون وإن قلوا، ومواضع الأنس[(٦)] حيث حلوا؛ لأن العلم وإن أصبح في الناس مجفوًّا[(٧)]، وأظهروا عنه نفرة ونُبوًّا[(٨)]،

---

(١) (النفرة): فيها طمس في (أ).

(٢) في (ج): (والأرتاء).

(٣) في (ب): (نرى): بالنون.

(٤) المتشبع: المتزين بأكثر مما عنده بالباطل، كالذي يظهر أنه شبعان وليس كذلك. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٣٤٦، «الصحاح» (شبع) ٣/ ١٢٣٤، «اللسان» ٤/ ٢١٨٧.

(٥) ورد نحوه في حديث، أخرج البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» (٥٢١٩) كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل. وأخرجه مسلم (٢١٢٩) كتاب اللباس عن عائشة، و(٢١٣٠) عن أسماء بنحوه. وأخرجه أحمد في «المسند» عن عائشة وعن أسماء ٦/ ١٦٧، ٣٤٥، ٣٥٣. وأبو داود عن أسماء (٤٩٩٧) كتاب الأدب، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعط. والترمذي عن جابر بلفظ آخر. (٢٠٣٤) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه.

(٦) في (ب): (الالبنن).

(٧) (مجفوا): فيها طمس في (أ)، ومكانها بياض في (ج).

(٨) في (ج): (بتوا)، وفي (ب): غير منقوطة. يقال: نبا بصره نبوا: كلَّ، ونبا السهم عن الهدف: قصر. «القاموس» (نبا) ص١٣٣٦.

فحرمته لا تضاع[١]، وسوامه[٢] لا تراع، ولن يخلو[٣] الشيء الفاضل[٤] في جنسه عن[٥] عزته في نفسه، وإن قل من يعتامه[٦] وعز من يطلبه ويستامه.

هؤلاء شكوا إليَّ: غلظ حجم المصنفات في التفسير، وإن الواحدة منها تستغرق[٧] العمر كتابتها، ويستنزف الروح سماعها وقراءتها، ثم صاحبها بعد أن أنفق العمر على تحصيلها، ليس يحظى منها بطائل تعظم عائدته، وتعود عليه فائدته. فقلت: إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه، وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب[٨] فيما تحويه[٩] من الاستعارات الباهرة، والأمثال النادرة، والتشبيهات[١٠] البديعة، والملاحن[١١] الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير، مما لا يوجد مثله في سائر اللغات.

---

(١) لا تضاع. الضياع: الإهمال، ضاع الشيء يضيع ضيعة وضياعا: هلك. انظر: «الصحاح» (ضيع): ٣/ ١٢٥٢، «اللسان» ٥/ ٢٦٢٥.

(٢) السوام: كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلي يرعى حيث شاء. «اللسان» (سوم): ١٢/ ٣١١، «القاموس» ص١١٢٤.

(٣) في (ج): (يحسو).

(٤) (الفاضل): ساقط من (ج).

(٥) في (ج): (من).

(٦) في (ب): (يقبانه). (اعتام يعتام)إذا اختار وأخذ. انظر: «اللسان» (عيم): ٥/ ٣١٩٥، «القاموس» ص١١٤٢.

(٧) في (ب): (يستغرق).

(٨) في (ب): (العزب).

(٩) في (أ): (يحويه)، في (ب)، (ج): غير منقوطة.

(١٠) في (ب): (التشبهات).

(١١) يدخل تحت قوله (الملاحن) بعض أنواع البلاغة كالكناية والتعريض، واللحن: صرف الكلام عن التصريح إلى التعريض لغرض صحيح، يقول الراغب الأصفهاني: =

وقد أعفى أهل زماننا أنفسهم عن كد التعب في طلب الأدب، فقد هوت[١] دولته إلى الحضيض، وصار يرنو[٢] بالطرف الغضيض، وها هو قد خوى[٣] نجمه وصَوَّح[٤] نبته، وذوى[٥] عوده، وخرَّ عموده[٦].

وإذا ضاع الأدب ضاع ما يحتاج في تفسيره إليه، ويعول في معرفته عليه، وهو علم[٧] القرآن العربي، المنزل بلسان العرب ولغتهم، المنظوم بألفاظهم في مخاطبتهم.

والله تعالى ذكره أنزل كتابه[٨] (على قوم عرب أولي[٩] بيان فاضل، وفهم بارع.

= (اللحن: صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب، أو التصحيف وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالا. وإما بإزالته عن التصريح، وصرفه بمعناه إلى التعريض، ونحوه، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة... وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]). «مفردات الراغب» ص ٤٤٩، انظر: «اللسان» (لحن) ٧/ ٤٠١٣.

(١) في (ج): (موت).

(٢) في (ج): (يرانق). رنا يرنو رنوا: إذا أدام النظر. انظر: «الصحاح» (رنا) ٦/ ٢٣٦٣، وانظر: «مجمل اللغة» ٢/ ٤٠٠، «اللسان» ٣/ ١٧٤٧.

(٣) في (ب): (جوى).

(٤) رسمت في (أ): (تصوح) ثم صوبت في الهامش بـ (صوح)، وفي (ب): (صوح)، وفي (ج): (تصوح). قال في «اللسان» تصوح البقل وصوح: تم ينبسه. «اللسان» (صوح) ٤/ ٢٥٢١، وانظر: «القاموس» ص٢٣٠.

(٥) في (ب): (دوى).

(٦) (وخر عموده): ساقط من (ج).

(٧) في (ب): (وهو في علم القرآن).

(٨) الكلام من هنا منقول من مقدمة «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٢٧-٢٨.

(٩) في (ب)، (ج): (أولى)، وفي (أ): فيها طمس وكأنها (أولو).

أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة(١) كلامهم الذي نشؤوا(٢) عليه، وجبلوا على النطق به فتدربوا(٣) به، يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين مع من لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله وأساسه(٤) وطرقه حتى يفهمها.

وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم(٥) - ما عسى(٦) بهم الحاجة [إليه](٧) من معرفة(٨) بيان مجمل الكتاب وغامضه ومتشابهه وجميع وجوهه، التي لا غنى بهم وبالأمة عنه. فاستغنوا بذلك عما نحن إليه اليوم(٩) محتاجون من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، والاجتهاد في تعلم وجوه العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب وورد البيان.

فعلينا أن نجتهد في تعلم ما يتوصل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن المبينة لمجمل التنزيل، الموضحة للتأويل؛ لتنتفي عنا الشبه

---

(١) في (ب): (وضعة).

(٢) في «تهذيب اللغة» (نشئوا) ١/ ٢٧.

(٣) في (ب): (فتدر توابه).

(٤) في «التهذيب» (وأساليبه) ١/ ٢٨.

(٥) (عنهم): ساقط من (ج).

(٦) في (أ): (أما عسر بهم الحاجة)، وفي (ب): (ما عسر)، وفي (ج): (أما عسى بهم) وفي «تهذيب اللغة» (وبين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه رضي الله عنهم ما عسى الحاجة إليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وغامضه.. وفي «حاشية التهذيب» في (م) (ما عسى الحاجة به إليه) ١/ ٤.

(٧) (إليه): إضافة من «تهذيب اللغة» لضرورتها لصحة السياق.

(٨) (معرفة): غير واضح في (ب).

(٩) (اليوم): غير موجود في مقدمة «التهذيب» ١/ ٢٨.

التي دخلت على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤوس ذوي الأهواء والبدع، الذين تأولوا بآرائهم المدخولة فأخطؤوا[١]، وتكلموا في كتاب الله ﷻ بلكنتهم العجمية دون معرفة ثاقبة، فضلوا وأضلوا، نعوذ بالله[٢] من الخذلان، وإياه نسأل التوفيق والصواب[٣][٤].

وقد كان الأكابر من السلف يحثون على تعلم لغة العرب، ويرغبون فيها لما يعلمون من[٥] فضلها وفرط الحاجة إليها (في معرفة ما في الكتاب، ثم في[٦] السنن والآثار، وأقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية[٧]، فإن من جهل لسان[٨] العرب وكثرة ألفاظها وافتنانها في مذاهبها، وجهل جمل[٩] علم الكتاب)[١٠].

ولقد أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم[١١] رحمه الله قال: أخبرني أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن[١٢]،

---

(١) (فأخطأوا): ساقط من (ب).

(٢) (نعوذ بالله): ساقط من (ج).

(٣) في (ج): (التوفيق للصواب).

(٤) انتهى من مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٢٧-٢٨.

(٥) (من): ساقط من (ج).

(٦) (في): ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (العربية).

(٨) في «تهذيب اللغة» (جهل سعة لسان العرب) ١/ ٢٩.

(٩) في (ب): (حمل).

(١٠) بنصه من مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩.

(١١) هو الثعلبي، سبقت ترجمته مع شيوخه.

(١٢) هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب بن أيوب النيسابوري، المفسر إمام في معاني القرآن، وكان أديباً، عارفا بالمغازي، سمع عن جماعة منهم =

ثنا[1] أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أبان[2]، ثنا أبو عمرو أحمد بن نصر الخفاف[3] ثنا نصر بن علي الجهضمي[4]، ثنا عامر بن أبي عامر[5]، ثنا أيوب

= الأصم، صنف القراءات والتفسير والآداب، قال الذهبي: تكلم فيه الحاكم، مات سنة ست وأربعمائة.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٣٧، «العبر» ٢/ ٢١٢، «طبقات المفسرين» للداوادي ١/ ١٤٤، و«تفسير السيوطي» ص٣٥.

(١) (ثنا): ساقط من (ج): في جميع السند.

(٢) هو الحافظ أبو الحسن أحمد بن الخضر بن أحمد النيسابوري الشافعي، مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.
انظر: «طبقات الشافعية» ٣/ ١٤، «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٠١.

(٣) الإمام الحافظ أبو عمرو أحمد بن نصر بن نصر بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالخفاف، سمع عن جماعة منهم إسحاق بن راهويه وعمرو بن زرارة، وحدث عن جماعة، اشتهر بالحفظ، كانت وفاته في شعبان سنة تسع وتسعين ومائتين من أبناء الثمانين.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٥٦٠ - ٥٦٣، «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٥٤ - ٦٥٦، «البداية والنهاية» ١١/ ١١٧.

(٤) نصر بن علي بن نصر بن علي بن صبهان الأزدي الجهضمي. أبو عمرو البصري، قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عنه فقال: ما به بأس، ورضيه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن نصر، فقال: ثقة. مات سنة خمسين ومائتين في ربيع الآخر، وعليه الأكثر، وقيل سنة إحدى وخمسين.
انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٤٦٦، «تاريخ بغداد» ١٣/ ٢٨٧، «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ١٣٣، «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٥١٩، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٢١٩.

(٥) عامر بن أبي عامر: هو عامر بن صالح بن رستم المزني، مولاهم ابن أبي عامر الخزاز، قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقال ابن عدي: في حديثه بعض النكرة، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو داود: ضعيف، وقال مرة: ليس به بأس. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه عن أيوب بن موسى.
انظر: «الميزان» ٣/ ٧٤ (٤٠٨٢)، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٦٦.

ابن موسى القرشي[١]، عن أبيه[٢]، عن جده[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نحل والد ولده نحلة[٤] أفضل من أدب حسن»[٥].

---

(١) أيوب بن موسى: هو أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي الأموي، روى عن جماعة، منهم جده سعيد بن العاص ولم يدركه، وعن أبيه موسى بن عمرو ابن سعيد، ثقة.
انظر: «تهذيب الكمال» ٣/ ٤٩٤، «معرفة الثقات» للعجلي ١/ ٢٤١، «تاريخ أسماء الثقات» لابن شاهين ص٣١، «ذكر أسماء التابعين» للذهبي ١/ ٦٨.

(٢) أبوه: موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي المكي، روى عن أبيه، وروى عنه ابنه أيوب.
انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ١٥٥، «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٨٥.

(٣) عن جده: قال ابن حجر: يحتمل أن يعود ضمير الجد على أيوب، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يعود على موسى، فيكون من مسند سعيد بن العاص، والحديث مع ذلك مرسل. انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٧.
- عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية المدني المعروف بـ (الأشدق): وهو الأصغر و(عمرو بن سعيد بن العاص) الأكبر صحابي وزعم بعضهم أن له رؤية، والصحيح أنه ليس له رؤية، قتله عبد الملك بن مروان، بعد أن طلب الخلافة سنة تسع وستين، وقيل: سبعين.
انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٥/ ٢٣٧، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٧٢.
- وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، قتل أبوه يوم بدر كافرا قال ابن سعد: قبض النبي ﷺ، وسعيد ابن تسع سنين، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن عمر وعثمان وعائشة وعنه ابناه عمرو ويحيى وغيرهم، مات بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة (٥٨هـ) وقيل: (٥٧هـ)، وقيل: (٥٩هـ).
انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٥/ ٣٠ - ٣٥، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٧.

(٤) نحل: أعطى والنحلة: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. انظر: «اللسان» (نحل) ٧/ ٤٣٦٩.

(٥) أخرجه الترمذي بنحوه (١٩٥٢) كتاب البر، باب ما جاء في أدب الولد من طريق نصر بن علي، عن عامر بن أبي عامر الخزاز، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا =

وروي عن سعيد بن المسيب[١] أنه قال: بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر، فقال: يا أيها الناس: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]؟ فسكت الناس، فقام شيخ فقال: يا أمير المؤمنين: هذِه لغتنا بني هذيل، التخوف: التنقص، قال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي[٢] يصف ناقة:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تَامِكًا صُلْبًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[٣]

= من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز، وأيوب بن موسى: هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص، وهذا عندي حديث مرسل. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» في كتاب الأدب وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي وقال: بل مرسل ضعيف، ففي إسناده عامر بن صالح الخزاز: واهٍ. «المستدرك» ٤/ ٢٦٣، وسبق كلام ابن حجر حيث قال: إنه مرسل. انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٧.

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، القرشي المخزومي، تابعي مشهور، اشتهر بالعلم والزهد والورع، روى عن جمع من الصحابة، وروى عنه جمع منهم الزهري وقتادة، وثقه الأئمة كأحمد وابن أبي حاتم، وتكلموا في سماعه من عمر، توفي سنة أربع وتسعين، وقيل: غير ذلك.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ١١٩ - ١٤٣، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٤٣-٤٥.

(٢) هو عامر بن الحليس، من بني سهل بن هذيل، شاعر جاهلي، وقيل: أدرك الإسلام امتاز شعره بالحكم وقوة السبك.
انظر: «الشعر والشعراء» ٤٤٦-٤٤٨، «الإصابة» ٤/ ١٦٥، «الخزانة» ٨/ ٢٠٩.

(٣) (التخوف) التنقص شيئاً فشيئاً، و(التامك) السنام المرتفع، و(النبعة) واحدة النبع وهو شجر تتخذ منه القسي، و(السفن) مبرد الحديد الذي ينحت به الخشب. يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع، كما تنقص المبرد عود النبع. واختلف في نسبة البيت، فنسبه بعضهم لأبي كبير كما عند الواحدي هنا، ونسبه الأزهري لابن مقبل، ونسبه الجوهري لذي الرمة، ونسبه بعضهم لزهير، وقيل: لعبد الله بن عجلان، وقيل: لابن مزاحم الثمالي.

فقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[(١)].

وفيما كتب إلي محمد بن عبد العزيز المروزي[(٢)] بخط يده، أن محمد بن الحسين الحدادي[(٣)] أخبرهم عن محمد بن[(٤)] يحيى[(٥)]، قال:

= ورد البيت في «تفسير الطبري» ١٤/ ١١٣، «تهذيب اللغة» (خاف) ١/ ٩٦٦، (سفن) ٢/ ١٧٠٨، «الصحاح» (خوف) ٤/ ١٣٥٩، «أمالي القالي» ٢/ ١١٢، «الكشاف» ٢/ ٤١١، «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠، «تفسير الرازي» ٢٠/ ٣٩، «اللسان» (خوف) ٣/ ١٢٩٢، (سفن) ٤/ ٢٠٣٢، «مشاهد الإنصاف شرح شواهد الكشاف» ص ١٣٠.

(١) في حاشية نسخة (أ): قال الكاتب: أخذ الواحدي الحكاية من تفسير شيخه الثعلبي من سورة النحل. وقد ذكر هذِه الحكاية عدد من المفسرين.
انظر: «الكشاف» ٢/ ٤١١، «تفسير الرازي» ٢٠/ ٣٩، «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠.

(٢) لم أصل إلى شيخ الواحدي محمد بن عبد العزيز المروزي.

(٣) في جميع النسخ محمد بن الحسن، والصحيح: محمد بن الحسين كما جاء في «أسباب النزول» للواحدي ص ٢٣ وهو محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي، أبو الفضل و(الحدادي) نسبة إلى عمل الحديد، قال عنه الحاكم: كان شيخ أهل مرو في الحديث والفقه والتصوف والفتيا، مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.
انظر: «الأنساب» ٤/ ٨٠، «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٤٧٠، «المشتبه» ١/ ١٤٤، «اللباب» ١/ ٣٤٦.

(٤) (بن): ساقط من (ج).

(٥) لم أعرف من المراد، فهناك محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري الذهلي شيخ البخاري، فإنه روى عن إسحاق بن راهويه، توفي سنة سبع وخمسين ومائتين.
انظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ٤١٥، «تهذيب الكمال» ٢٦/ ٦١٧ (٥٦٨٦)، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٧٢٨.
ومحمد بن يحيى بن خالد، أبو يحيى، المروزي، المعروف بالشعراني، قدم نيسابور وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه، ذكره في «تهذيب الكمال» للتمييز، وليس من=

أبنا[(١)] إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي[(٢)]، أبنا[(٣)] وكيع[(٤)]، عن أسامة ابن

= رجال الستة، ولم يذكر أحد تاريخ وفاته .
انظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ٤٢٤، «تهذيب الكمال» ٢٦/ ٦٣٣، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٧٣٠ .
وقد ورد هذا السند في «أسباب النزول» ص ١٤٣ قال: أخبرنا محمد بن عبد العزيز، أن محمد بن الحسين أخبرهم، عن محمد بن يحيى بن يزيد، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم. ولم أجد محمد بن يحيى بن يزيد، ولم يذكر ممن روى عن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه.

(١) (أبنا) ساقط من (ج)، وفي (ب): (أنا) وهذا الصواب في رمز (أخبرنا): وبعضهم استعمل (أبنا): ولم يستحسنه المحدثون. انظر: «تدريب الراوي» ٢/ ٨٧.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي، المعروف بابن راهويه المروزي، أحد الأئمة، روى عن ابن المبارك وابن عيينة وابن علية، وجرير وعبد الرزاق وغيرهم، روى عنه بقية بن الوليد، ويحيى بن آدم، وعنه الجماعة سوى ابن ماجه، وثقه الأئمة، قال أبو حاتم: مثل إسحاق يسأل عنه! إسحاق عندنا من أئمة المسلمين، ولد سنة ١٦١ هـ، وقيل ١٦٦ هـ، ومات سنة ٢٣٨ هـ وقيل: ٢٣٧ هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ٣٤٥، «الجرح والتعديل» ٢/ ٢٠٩، «ميزان الاعتدال» ١/ ١٨٢-١٨٣، «تهذيب التهذيب» ١/ ١١٢، «حلية الأولياء» ٩/ ٢٣٤.

(٣) في (ج): (ثنا)، وفي (ب): (أنا).

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، الكوفي الحافظ، أحد الأئمة الأعلام روى عن أبيه، هشام بن عروة، والأعمش، وابن جريج، والأوزاعي، ومالك، وأسامة بن زيد الليثي، وسفيان الثوري، وحماد بن سلمة، وخلق كثير، روى عنه أبناؤه، وشيخه سفيان، وأحمد، وعلي، ويحيى، وإسحاق، وغيرهم، قال أحمد: ما رأيت أحداً أوعى للعلم منه، ولا أشبه بأهل النسك منه، قال ابن المديني: كان وكيع يلحن، وقال: كان فيه تشيع قليل، مات سنة ست وتسعين ومائة .
انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٣٧- ٣٩، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٣١١، «ميزان الاعتدال» ٦/ ٩-١٠.

زيد[١]، عن عكرمة[٢]، عن ابن عباس قال: إذا قرأ[٣] أحدكم شيئاً من القرآن فلم يدر ما تفسيره، فليلتمسه في الشعر، فإنه ديوان العرب[٤].

وبهذا الإسناد[٥]، وعن إسحاق[٦]، أبنا[٧] وهب بن جرير[٨]،

---

(١) أسامة بن زيد الليثي مولاهم، المدني، روى عن أبان بن صالح، وأبيه، وسعيد المقبري، وسعيد بن المسيب، وابن كيسان، وجماعة كثير، وروى عنه الثوري، وعبد الله بن المبارك، ووكيع، وغيرهم، عن أحمد: ليس بشيء، وعن يحيى بن معين: ثقة صالح، وضعفه يحيى بن سعيد، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي.
انظر: «تهذيب الكمال» ٢/ ٣٤٧ - ٣٥٠، «تهذيب التهذيب» ١/ ١٠٨، «الجرح والتعديل» ٢/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢) أبو عبد الله، عِكْرِمة بن عبد الله البربري، ثم المدني، الهاشمي بالولاء، مولى ابن عباس. أحد أوعية العلم، تكلم فيه لرأيه لا لحفظه، فاتهم برأي الخوارج، وقد وثقه جماعة، واعتمده البخاري، وأما مسلم فتجنبه، وروى له مقروناً بغيره، روى عن مولاه وعائشة وأبي هريرة، وغيرهم، وأفتى في حياة ابن عباس، قال عنه ابن حجر: (ثقة ثبت عالم بالتفسير): توفي بالمدينة سنة خمس ومائة، وقيل: ست، وقيل: سبع.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ١٣-١٧، «تهذيب التهذيب» ٣/ ١٣٤-١٣٨. انظر: «صفة الصفوة» ٢/ ٧٣، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٩٥.

(٣) في (ب): (قرئ).

(٤) ذكره ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٦٢، والزركشي في «البرهان» ١/ ٢٩٣، والسيوطي في «الإتقان» ٢/ ٦٧، «المزهر» ٢/ ٣٠٢.

(٥) أي: الإسناد السابق محمد بن عبد العزيز المروزي أن محمد بن الحسين الحدادي أخبرهم عن محمد بن يحيى، عن إسحاق.

(٦) ابن إبراهيم الحنظلي ابن راهويه.

(٧) في (ب): (أنا)، وفي (ج): (ابن).

(٨) في (ب): (حرند). وهب بن جرير بن حازم بن زيد، أو ابن يزيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي بصري، حافظ، روى عن أبيه، وعكرمة، وشعبة، وغيرهم وعنه أحمد بن=

ثنا[1] أبي[2] قال: سمعت الزبير بن خريت[3]، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يسأل عن الشيء من عربية القرآن فينشد الشعر[4].

سمعت أبا عثمان سعيد بن محمد الحيري[5]، سمعت القاضي أبا

= حنبل، وابن المديني، وابن معين، وغيرهم، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال العجلي: بصري ثقة، كان عفان يتكلم فيه، وقال النسائي: ليس به بأس. مات سنة ست ومائتين. انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٥٠، «الجرح والتعديل» ٩/ ٢٨، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٢٩.

(١) في (ج): (ابن).

(٢) أبوه جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع الأزدي البصري، عده بعضهم من صغار التابعين، روى عن الحسن، وابن سيرين، وأبي الطفيل ورجاء العطاردي، وقتادة، وغيرهم. وعنه ابنه وهب، وابن المبارك، وغيرهم، عن ابن معين: ثقة. وعنه: ليس به بأس، وقال العجلي: ثقة، النسائي: ليس به بأس، أبو حاتم: صدوق صالح، ابن عدي: مستقيم الحديث صالح إلا روايته عن قتادة، أحمد: كثير الغلط، البخاري: ربما يهم في الشيء. مات سنة (١٧٥ هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥، «تهذيب التهذيب» ١/ ٢٩٤-٢٩٦، «ميزان الاعتدال» ١/ ٣٩٢-٣٩٣.

(٣) في (ب): (خزنت). الزبير بن الخريت البصري، روى عن نعيم بن أبي هند، وعكرمة، وغيرهم، وعنه جرير بن حازم، وغيره، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي: ثقة، وله في مسلم حديث واحد.
انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ٦٢٤، «الجرح والتعديل» ٣/ ٥٨١.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه»: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد شعراً من أشعارهم. كتاب الأدب، الرخصة في الشعر ٥/ ٢٧٨ (٢٦٠٤٠)، وكتاب فضائل القرآن، وما فسر بالشعر من القرآن ٦/ ١٢٣ (٢٩٩٧٤)، وذكره الرازي في «الزينة» ١/ ١٢٧ عن أبي عبيدة، عن ابن عباس، والسيوطي في «الإتقان» ٢/ ٦٧ من طريق أبي عبيد. وأخرج نحوه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٦٢.

(٥) في جميع النسخ (الجيري): بالمعجمة والصحيح الحيري بالحاء المهملة، سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

الحسن علي بن القاسم(١)، وأبا إسحاق إبراهيم بن الحسن بن بشر(٢)، وأبا القاسم جعفر بن عبد الله الفناكي(٣)، الرازيين بالري، قالوا: سمعنا عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي(٤) قال: أخبرني أبي(٥)، ثنا(٦) حرملة بن

---

(١) هو القاضي علي بن القاسم بن العباس بن الفضل بن شاذان، أبو الحسن، القاضي، الرازي، سمع عبد الرحمن بن أبي حاتم، وغيره، توفي بالري في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. نقل الخطيب عن العتيقي: توثيقه. «تاريخ بغداد» ١٢/ ٥٣.

(٢) لم أصل إليه.

(٣) في (ب): (العتاكي). هو أبو القاسم جعفر بن عبد الله بن يعقوب بن الفناكي الرازي، سمع من عبد الرحمن بن أبي حاتم، موصوف بالعدالة وحسن الديانة، روى عنه هبة الله اللالكائي، وغيره، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٤٣٠، ٤٣١، «العبر» ٢/ ١٦٣.

(٤) هو الإمام الحافظ ابن الإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، يكنى أبا محمد، ولد سنة أربعين ومائتين، أو إحدى وأربعين، سمع من أبيه، وأبي سعيد الأشج، وأبي زرعة، وجماعة كثيرين، روى عنه ابن عدي، وأبو الشيخ ابن حيان، وأبو أحمد الحاكم، له كتاب «الجرح والتعديل» أثنى عليه العلماء، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالري.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٢٦٣- ٢٦٩، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨٢٩ - ٨٣٢، «الميزان» ٣/ ٣٠١-٣٠٢، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٢٨٥- ٢٨٧.

(٥) الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين، أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني، كان من بحور العلم، برع في المتن والإسناد، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وهو من طبقة البخاري، سمع عبيد الله بن موسى، والأصمعي، وأبا نعيم، وخلقاً كثيراً، روى عنه ابنه عبد الرحمن، وإبراهيم الحربي، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم، مات في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين.
انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ٧٣ - ٧٧، «الجرح والتعديل» ١/ ٣٤٩ - ٣٦٨، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٢٤٧-٢٦٢.

(٦) (ثنا): ساقط من (ج).

يحيى[١]، قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: أصحاب العربية جن الإنس.

وسمعته[٢] يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب[٣]، يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى النحوي[٤] قال: قال عبد الملك بن مروان[٥]: تعلموا العربية فإنها المروءة الظاهرة[٦].

---

(١) هو حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قراد التجيبي، أبو حفص المصري، صاحب الإمام الشافعي، روى عن الشافعي وابن وهب وغيرهم، وروى عنه مسلم، وابن ماجه، وأبو حاتم، وغيرهم. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال محمد بن عبد الله الفرهاداني: هو ضعيف، قال ابن عدي: وقد تبحرت حديث حرملة وفتشته الكثير، فلم أجد فيه ما يوجب التضعيف من أجله، وثقه ابن معين وأحمد، وذكره ابن حبان في «الثقات». توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين.
انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٢٧٣، «تهذيب الكمال» ٥/ ٥٤٨ - ٥٥٢، «تهذيب التهذيب» ١/ ٣٧٢، «الميزان» ١/ ٤٧٢.

(٢) أي: سمعت أبا عثمان الحيري.

(٣) محمد بن أحمد بن يعقوب، أبو عبد الله الوزيري، حدث عن ثعلب وغيره، مات سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. انظر: «تاريخ بغداد» ١/ ٣٧٥. ومما يظهر أن الحيري قد عمَّر حيث توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ومحمد بن أحمد توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، أو كان بينهما واسطة.

(٤) هو أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بـ (ثعلب): تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أمية، توفي سنة ست وثمانين. انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٢٣ - ٢٣٥، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٤٦ - ٢٤٩.

(٦) لم أجده عن عبد الملك بن مروان، وذكره ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» بسنده عن الكسائي عن ابن أبي الدنيا. «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٤٥، وبمعناه عن سلمة بن عبد الملك ١/ ٤٧، والزجاجي في «الإيضاح في علل النحو» ص٩٥ عن الزجاج، عن المبرد، عن بعض السلف: عليكم بالعربية فإنها المروءة الظاهرة، وهي كلام الله ﷻ وأنبيائه وملائكته.

وقل من تقدم في علم من العلوم إلا بمعرفة الأدب، ومقاييس العربية، والنحو، وما حدثت البدع والأهواء المضلة إلا من الجهل بلغة العرب. سمعت الشيخ أحمد بن أبي منصور المقرئ(١) رحمه الله يقول: سمعت الحسن بن محمد المكتب(٢) يقول: سمعت أبا علي الحسن بن أحمد الخياط(٣) يقول: سمعت أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي(٤) يقول: سمعت الربيع بن سليمان(٥) يقول(٦): سمعت الشافعي يقول: عامة من تزندق(٧) بالعراق لجهلهم بالعربية

---

(١) لم أعرفه.

(٢) لم أعرفه.

(٣) لم أعرفه.

(٤) الحافظ الحجة، أبو نعيم الجرجاني، الاستراباذي، سمع من جماعة منهم الربيع بن سليمان. قال الحاكم: كان من أئمة المسلمين، وقال الخطيب: كان أحد الأئمة ومن الحفاظ لشرائع الدين مع صدق وتيقظ وورع. توفي في آخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. انظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٤٢٨، «طبقات الشافعية الكبرى» ٣/ ٣٣٥، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨١٦.

(٥) الربيع بن سليمان المرادي، مولاهم، المصري المؤذن، صاحب الشافعي، وراوية كتبه عنه، روى عن جماعة منهم ابن وهب، وعنه جماعة منهم أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبو نعيم عبد الملك الجرجاني، قال النسائي: لا بأس به، وقال ابن يونس: كان ثقة، وقال ابن أبي حاتم: صدوق ثقة، وسئل عنه أبو حاتم فقال: صدوق، مات سنة سبع ومائتين.
انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» ٢/ ١٣٢، «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٩٣.

(٦) (يقول): ساقط من (أ)، (ج).

(٧) الزنديق: يطلقه أكثر العلماء على من بدل دينه أو أحدث فيه، وقد سمى الإمام أحمد القائلين بتناقض القرآن (زنادقة): وألف رسالة أسماها: «الرد على الزنادقة والجهمية». وقالوا: إنها ليست من كلام العرب، وإنما هي فارسي معرب.
انظر: «تهذيب اللغة» (زندق) ٢/ ١٥٦٣، «اللسان» (زندق) ٣/ ١٨٧١.

ولغات العرب[١].

وقرأت على الأستاذ سعيد بن محمد المقرئ[٢] فقلت: حدثكم طلحة بن محمد الشاهد[٣] ببغداد[٤]، قال: سمعت أبا بكر بن دريد[٥]، قال: قال ابن أخي الأصمعي[٦]: عن الأصمعي[٧]: تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفرت

---

(١) ذكر الرازي في «الزينة» ١/ ١٧ عن أبي عبيد، سمعت الأصمعي، سمعت الخليل، سمعت أيوب السختياني، يقول: عامة من تزندق بالعراق لقلة علمهم بالعربية.

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري المقرئ، أحد شيوخ الواحدي.

(٣) طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، أبو القاسم، حدث عن جماعة، منهم محمد بن العباس اليزيدي، وأبو القاسم البغوي، وأبو بكر بن مجاهد، وغيرهم، حدث عنه الأزهري، وأبو محمد الخلال وغيرهما، كان سيئ الحال في الحديث، وكان يذهب إلى الاعتزال ويدعو إليه، قال الأزهري: ضعيف في روايته ومذهبه، مات سنة ثمانين وثلاثمائة.

انظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ٣٥١، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٤٤.

(٤) في (ج): (بغداد).

(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، صاحب كتاب «الجمهرة»، كان من أكابر علماء العربية، وكان شاعراً، من ذلك مقصورته المشهورة، أخذ عن أبي حاتم، والرياشي، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي، قال الدارقطني: تكلموا فيه. توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ١٩٥، «نزهة الألباء» ص١٩١ - ١٩٤، «وفيات الأعيان» ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٩.

(٦) هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي، يكنى: أبا محمد، وقيل: يكنى أبا الحسن، روى عن عمه، وكان إذا أكثر أنكر عليه، وربما كذبه.

انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي ص١٨٠، «إنباه الرواة» ٢/ ١٦١.

(٧) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، صاحب النحو واللغة والغريب والأخبار، وكان عالما بالشعر، صدوقا في الحديث، أخذ عن عبد الله بن عوف، وشعبة، وحماد بن سلمة، والخليل. أخذ عنه ابن أخيه عبد الرحمن، وأبو عبيد بن=

بكلمة، قال الله لعيسى: (أنت نبيِّي وأنا ولَّدتك) فخففوها[١].

ولئن استغنى علم عن الأدب، [فمن ضرورة التفسير وعلم القرآن الأدب][٢] ومعرفة اللغة العربية، ولا تكاد تجد ذلك متأتيا لمن لم يمرن عليها، ولم يتدرب[٣] بها.

ولقد سمعت أحمد بن محمد بن إبراهيم[٤]، يقول: سمعت الحسن بن محمد[٥]، يقول: سمعت أبا عبد الله[٦] الميداني[٧] الخطيب بزوزن[٨] يقول: سمعت محمد بن جمعة الحافظ[٩] يقول: سمعت يحيى بن سليمان بن نضلة

= القاسم، وأبو حاتم، وغيرهم، وثقه ابن معين والشافعي، توفي سنة ست عشرة ومائتين، وعمره إحدى وتسعين. انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي ص ١٦٧- ١٧٤، «نزهة الألباء» ص٩٠ - ١٠٠، «وفيات الأعيان» ٣/ ١٧٠ - ١٧٦.

(١) ذكره الحافظ ابن حبان البستي، ولفظه قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم القاضي يقول: سمعت ابن أخي الأصمعي يقول: سمعت عمي يقول: تعلموا النحو فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة واحدة كانت مشددة فخففوها قال: (يا عيسى إني ولَّدْتك): فقرأوا (يا عيسى إني وَلَدْتُك): مخففاً فكفروا. «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص ٢٦٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) (يتدرب): غير واضحة في (ب).

(٤) هو شيخه (الثعلبي) انظر ترجمته في شيوخ المصنف.

(٥) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، سبقت ترجمته.

(٦) في (ج): (عبد الرحمن).

(٧) لم أعرفه.

(٨) (زوزن): بضم أوله وقد يفتح، كورة واسعة بين نيسابور وهراة، ويحسبونها في أعمال نيسابور، كانت تعرف بالبصرة الصغرى، لكثرة من أخرجت من الفضلاء وأهل العلم. «معجم البلدان» ٣/ ١٥٨. و(كورة): كل صقع يشمل عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها. «معجم البلدان» لياقوت ١/ ٣٦.

(٩) لم أعرفه.

المديني[١] يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتىٰ برجل غير عالم[٢] بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا[٣].

وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه، وبعد أغراضه لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ وعلى آله الطيبين في زمان أهله يتحلون بالفصاحة، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء[٤] بلا جناح. ثم وإن طال تأمله مصنفات المفسرين، وتتبعه أقوال أهل التفسير من المتقدمين والمتأخرين، فوقف على معاني ما أودعوه كتبهم، وعرف ألفاظهم التي عبروا بها عن معاني القرآن، لم يكن إلا مقلدا[٥] لهم فيما حكوه، وعارفًا معاني قول مجاهد، ومقاتل، وقتادة[٦]، والسدي[٧]، وغيرهم

---

(١) يحيى بن سليمان بن نضلة الخزاعي المدني، روى عن مالك، وسليمان بن بلال وغيرهما، قال ابن خراش: لا يسوى شيئاً، وقال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي وسألته عنه، فقال: شيخ حدث أياما ثم توفي. انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ١٥٤، «الميزان» ٦/ ٥٧.

(٢) (عالم): مكرر في (ب).

(٣) ذكره الزركشي في «البرهان» عن يحيى بن سليمان بن نضلة عن مالك، ١/ ٢٩٢.

(٤) في (ب): (السماء).

(٥) في (أ)، (ج): (مخلدا)، وأثبت ما في (ب): لأنه الصحيح.

(٦) قتادة بن دعامة السدوسي البصري، كان ضريرا، اشتهر بالحفظ، أثنى عليه الأئمة كأحمد بن حنبل، ومعمر، والزهري وغيرهم، مات بواسط بالطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل: سنة سبع عشرة.
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» ٧/ ١٣٣، «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٢٢، «الميزان» ٤/ ٣٠٥، «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٤٧ - ٤٨.

(٧) إسماعيل بن أبي كريمة السدي، وهو المعروف بالسدي الكبير، قرشي بالولاء، (السدي): بضم السين، نسبة إلى السدة، وهي الباب، لأنه كان يجلس إلى سدة =

دون معنى قول الله ﷻ.

ألا ترى أن واحدا ممن لم يتدرب بلغة العرب لو سمع قول امرئ القيس[(١)]:

دِيمةٌ هَطْلاَءُ فِيهَا وَطَفٌ   طَبَقُ الأَرْضِ تَحَرَّى وَتَدُرّ[(٢)]

فسأل عن معناه، فقيل له: إنه يصف مطرا سحابه[(٣)] هاطل، كان عارفا معنى هذا البيت من طريق التقليد، ولا يكون عارفاً معنى قول امرئ القيس ما

= الجامع بالكوفة، وهو تابعي سمع أنسا، وثقه أحمد وضعفه بعضهم كابن معين، ومال أحمد شاكر في «حاشية الطبري»: إلى توثيقه، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة تسع وعشرين.
انظر: «تهذيب الكمال» ٣/ ١٣٢ - ١٣٨، «الجرح والتعديل» ٢/ ١٨٤، «طبقات المفسرين» ١/ ١١٠، «حاشية الطبري» ١/ ١٥٧ (ط. شاكر). هذا هو السدي الكبير، أما السدي الصغير فهو محمد بن مروان، متروك الحديث، ضعفه كثير من الأئمة، انظر ترجمته في: «الميزان» ٥/ ١٥٧، «طبقات المفسرين» ٢/ ٢٥٥، ٢٦٥.

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، الشاعر الجاهلي المشهور، يقال له: (ذو القُرُوح)، و(المَلِك الضِّلِّيل)، يُعَدُّ شيخ الشعراء وأميرهم في الجاهلية، ومن الطبقة الأولى من شعرائهم الفحول.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥١، «الشعر والشعراء» ص٤٩، «الخزانة» ١/ ٣٢٩، «شرح شواهد المغني» ١/ ٢١.

(٢) (الديمة) المطر الدائم، (هطلاء) كثيرة المطر، (الوطف) الدنو من الأرض. (طبق الأرض): أي تطبق الأرض وتعمها، (تحرى): تتعمد المكان وتثبت فيه، (تدر) يكثر مطرها. ورد البيت في «تهذيب اللغة» في مواضع (هطل) ٤/ ٣٧٦٩، و(طبق) ٣/ ٢١٦٤، «وطف» ٤/ ٣٩١١، و(دام) ٢/ ١١٣٥، «الصحاح» (طبق) ٤/ ١٥١٢، و(هطل) ٥/ ١٨٥٠، «اللسان» (وطف) ٨/ ٤٨٦٨، و(طبق) ٥/ ٢٦٣٧، و(هطل) ٨/ ٤٦٧٥، (دوم) ٣/ ١٤٥٧، و«ديوان امرئ القيس» ص٧٨.

(٣) في (ب): (سحابة).

لم يعرف تفسير كل حرف على حدته، وما وضع له ذلك اللفظ .

وكذلك قوله :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[١]

معنى هذا البيت أنه يقول لامرأة : ما بكيت إلا لتأخذي بمجامع قلبي، فمن[٢] عرف هذا فقد عرف معنى البيت، لكنه إنما عرفه من قول من عبر عن مراد الشاعر بهذا لا من قول الشاعر. ودون أن تعرف وضع ألفاظه، والمراد بكل حرف منه : خرط القتاد[٣].

وعلى هذا النحو جميع كلام العرب، مثل قولهم : (أبى الحقين العذرة)[٤] يضرب لمن يعتذر، وظاهر حاله يكذبه، ومعرفة هذا المعنى لا

---

(١) (ذرفت) دمعت، (الأعشار): القطع والكسور، يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلبا مكسرا، ولم تبكي لأنك مظلومة، واختار الأزهري في معنى البيت ما ذكره أحمد بن يحيى، وهو: أن المراد (بسهميك) سهمي قداح الميسر، ويكون المعنى: أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان المعلى والرقيب، إذا فاز الرجل بهما غلب على الجزور كلها، فهي غلبته على قلبه كله .
ورد البيت في «التهذيب» (عشر) ٣/ ٢٤٤٧، و(قتل) ٣/ ٢٨٨٤، «معجم مقاييس اللغة» (عشر) ٤/ ٣٢٦، و(قتل) ٥/ ٥٧، «المخصص» ٥/ ٥٣، «مجمل اللغة» (عشر) ٣/ ٦٧٠، و(قتل) ٣/ ٧٤٣، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص ١٦، «اللسان» (قتل) ٦/ ٣٥٣٠، «ديوان امرئ القيس» ص١١٤.

(٢) في (ب): (لمن).

(٣) في المثل (دونه خرط القتاد): والقتاد شجر له شوك، والخرط: أن تمر يدك على القتادة من أعلاها إلى أسفلها حتى ينثر شوكها، والمثل يضرب للأمر الشاق .
انظر: «المستقصى في أمثال العرب» ٢/ ٨٢، و ٣/ ٣٤٢ (قتد).

(٤) الحقين: اللبن المحقون، العذرة: العذر. المثل في قوم اعتذروا إلى ضيف ولهم لبن، فقال: لا يسوغ اللبن معذرتكم. وقيل: المثل في رجل حقن إهالة (الودك المذاب) وزعم لضيف أنها سمن، فلما صبها جعل يعتذر فقال الضيف: أبي الحقين العذرة.=

تفيدك معرفة هذِه[١] الألفاظ. وكقولهم[٢]: (فلان لا يقعقع[٣] له بالشنان[٤] ولا تقرع[٥] له العصا[٦]) و(أنا جذيلها المحكك)[٧] في أمثال لهذا كثيرة.

وكذلك آيات القرآن التي[٨] فسرها الصحابة والتابعون، إنما فسروها بذكر معناها المقصود، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ

= والمثل يضرب لمن يعتذر وليس له عذر .
انظر: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال رقم المثل (١٢)، ١/ ٢٨، «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري ١/ ٣١ رقم (٩٢)، «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٦٩ رقم (١٦٠).

(١) في (ب): (بهذِه). (٢) في (ب): (لقولهم).

(٣) في (ج): (قعقع).

(٤) في (ب): (باللسان).

(٥) في جميع النسخ (تقزع): وهو تصحيف.

(٦) قوله: (لا يقعقع له بالشنان): يضرب للرجل الشهم الصعب، أي لا يهدد ولا يفزع، وقد تمثل به الحجاج على منبر الكوفة، و(الشنان): جمع شن وهي القربة اليابسة، و(القعقعة): صوت الشيء الصلب على مثله .
انظر: «جمهرة الأمثال» ٢/ ٤١٢، «المستقصى» ٢/ ٢٧٤، «الصحاح» (شنن) ٥/ ٢١٤٦، «اللسان» (شنن) ٤/ ٢٣٤٤ .
وقوله: (ولا تقرع له العصا): قال في «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٤١: (لا تقرع له العصا، ولا تقلقل له الحصا): يضرب للمحنك المجرب، وانظر: «تهذيب اللغة» (قرع) ٣/ ٢٩٣٨، «اللسان» (قرع) ٦/ ٣٥٩٥ .

(٧) ورد نص المثل في كتب الأمثال: (أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب).
الجذيل: تصغير (الجذل)، وهو خشبة تحتك بها الإبل الجربى، والعذيق: تصغير (العذق): بفتح العين وهو النخلة، والمرجب: الذي جعل له ما يعتمد عليه، وهذا تصغير لتفخيم وتلطيف المحل. والمثل يضرب للمستشفى برأيه. وقد قاله الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر رضي الله عنه .
انظر: «مجمع الأمثال» ١/ ٥٢ رقم (١٢٥)، «المستقصى» ١/ ٣٧٧ رقم (١٦١٨).

(٨) في (ج): (الذي).

﴿بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [البقرة: ٢٠٦] قال قتادة: إذا قيل له: مهلاً مهلاً[(١)]، ازداد إقداماً على المعصية[(٢)].

فمن أين لك أن تعرف هذا[(٣)] المعنى من لفظ الآية؟ إلا بعد الجهد وطول التفكر.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. قال السدي: يعظم أولياءه في صدوركم[(٤)]. فانظر، هل يمكنك أن تفرغ هذا المعنى في قالب[(٥)] هذِه الألفاظ إلا بعد التعب في معرفة ما ذكره أرباب النحو؟ وكذلك قوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١﴾ [الفرقان: ٧١] تدبر هل تعرف صحة هذِه الألفاظ واستواء نظمها مما ذكره المفسرون؟ وهل يحسن أن يقال: من قام فإنه يقوم، ومن ركب فإنه يركب[(٦)]؟ وعلى هذا

---

(١) (مهلا): ساقطة من (ب).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٣٠٣، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١٩، ولم أجده في غيرهما عن قتادة فيما اطلعت عليه، والله أعلم.

(٣) في (ب): (بهذا).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٨٤، والبغوي ٢/ ١٣٩، ونحوه في «تفسير القرطبي» عن ابن عباس وذكر عن السدي قولا آخر ٤/ ٢٨٢.

(٥) في (ج): (قال).

(٦) لا يحسن أن يقال: من قام فإنه يقوم، لأنه تكرار لا معنى له. انظر: «تفسير القرطبي» ١٣/ ٧٩. أما الآية فقد ذكر المفسرون في معنى التوبة في الآية الثانية أقوالا منها: قال ابن عباس: من آمن من أهل مكة ولم يكن قتل وزنى.. فهي توبة عن غير الذنوب المذكورة في الآية، من القتل والزنى، وقيل: الأولى فيمن تاب من المشركين، والثانية فيمن تاب من المسلمين، وقيل: المراد تأكيد أن التوبة لا تنفع إلا بالعمل الصالح، فيتوب متابا، أي: حق التوبة، وقيل: من صدقت توبته يوفقه الله للاستمرار عليها، وفي الآية أقوال أخرى.

انظر: «تفسير البغوي» ١٩/ ٩٧-٩٨، «زاد المسير» ٦/ ١٠٨، «تفسير القرطبي» ١٣/ ٧٩.

أكثر آيات القرآن وكلام العرب. وإنما ذكرت هذِه الأمثلة لتعرف أن من تأمل مصنفات المفسرين، ووقف على معاني أقوالهم، لم يقف على معاني كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة والنحو.

والمعنيون[١] بالتصنيف في هذا العلم طبقات: فالصحابة الذين نزل فيهم القرآن شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل؛ لأنهم أهل اللغة الذين نشأوا عليها كما وصفناهم قبل.

وأما التابعون والسلف الصالحون فإنهم لم يتصنعوا في جمع ما جمعوا، ولم يتكلفوا في تتبع الخفايا من الزوايا.

وأرباب المعاني[٢] اقتصروا على الإعراب، وبيان نهج الخطاب.

وللمتأخرين مراتب ودرجات، وأغراض في التصنيف متفاوتات، والاشتغال بما يعنينا أولى من بيان درجتهم، والكشف عن نقصهم ومزيتهم[٣]، وقل من تراه يعنى بسوق اللفظ على التفسير، وإفراغه في قوالب المعاني، حتى يأتي به متسقا من غير ترجح، ومطردا من غير تخاذل[٤].

وعلى هذا فلم يبقوا في القوس منزعاً[٥]، ولم يترك الأول للآخر شيئاً،

---

(١) في (ب): (المعتنون).

(٢) يريد المتكلمين على المعاني من جهة اللغة والنحو، كالفراء والزجاج والأخفش في كتبهم في معاني القرآن وغيرهم، قال في «البرهان»: (قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله.. وفي بعض كلام الواحدي: أكثر أهل المعاني: الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا). «البرهان» ٢/ ١٤٦-١٤٧، «الإتقان» ٤/ ٢٤٣، وانظر: «الوسيط» و«حاشيته» ١/ ٦٥.

(٣) في (ب): (ومرتبتهم).

(٤) في (ب): (تجادل).

(٥) لعله يقصد بهذا السابقين دون المتأخرين، وبه يزول ما قد يوحي به ظاهر سياق العبارة من تناقض.

غير أن المتأخر بلطيف حيلته[١]، ودقيق[٢] فطنته، يلتقط الدرر ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد على صدر الكعاب[٣]، يروق المتأملين[٤]، ويؤنق الناظرين[٥]، فيستحق به في الأولى حمد الحامدين، وفي العقبى ثواب رب العالمين.

وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من[٦] معادنه.

أما (اللغة): فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العروضي[٧][٨] رحمه الله، وكان قد خنق التسعين[٩] في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار، وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهري[١٠]، روى عنه كتاب «التهذيب»[١١] وغيره من الكتب، وأدرك أبا

---

(١) في (ب): (جبلته). (٢) في (ج): (رقيق).

(٣) الكاعب: الجارية إذا نهد ثديها، وجمعها كواعب، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] وعن ثعلب: كعاب. انظر: «اللسان» (كعب) ٧/ ٣٨٨٨.

(٤) الروق: الإعجاب، أي: يعجب المتأملين. انظر: «تهذيب اللغة» (راق) ٢/ ١٣٢٩، «اللسان» (روق): ٣/ ١٧٨٠.

(٥) الأنق: الإعجاب بالشيء، قد آنقني الشيء ويؤنقني إيناقاً، وإنه لأنيق مؤنق، لكل شيء أعجبك حسنه. «تهذيب اللغة» (أنق) ١/ ٢١٩، «اللسان» (أنق) ١/ ١٥٣.

(٦) في (ب): (في). (٧) في (ج): (المعروضي).

(٨) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٩) (خنق التسعين): كاد يبلغها، انظر: «القاموس المحيط» (خنق): ص٨٨١.

(١٠) سبقت ترجمته عند الحديث عن مصادر الواحدي في «البسيط».

(١١) هو كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري، سبق ذكره في مصادر الواحدي في «البسيط».

العباس العامري، وأبا القاسم الأسدي[١]، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيري، وأبا الحسين[٢] الرخجي[٣]، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة.

وسمع أبا العباس الأصم[٤]، وروى عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكر

---

(١) هو عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن عبيد، أبو القاسم الأسدي، من أهل همذان، تكلموا فيه، قال الخطيب البغدادي: قال صالح: سمعت القاسم بن أبي صالح: نص عليه بالكذب مع دخوله في أعمال الظلمة، توفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.
انظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٢٩٢، «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١٥، «ميزان الاعتدال» ٣/ ٢٧٠.

(٢) في (أ): (الحسن)، وفي (ب)، (ج): محتملة والتصحيح حسب ما في «يتيمة الدهر» ٤/ ٤٧٩، «الأنساب» ٦/ ٩٨.

(٣) في (ب): (الراحمي).
وهو أبو الحسين عيسى بن حامد بن بشر بن عيسى الرخجي، القاضي، يعرف بابن بنت القنبيطي، سمع من جماعة، منهم: محمد بن جرير الطبري، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمائة، و(الرخجي): بضم الراء وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها الجيم نسبة إلى (الرخجية): قرية قريبة من بغداد، وقيل: إن المذكور ينسب لقبيلة يقال لها: (الرخج): والأول أقرب.
انظر: «يتيمة الدهر» ٤/ ٤٧٩، «تاريخ بغداد» ١١/ ١٧٨، «الأنساب» ٦/ ٩٨.

(٤) هو الإمام المحدث محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الأموي مولاهم، أبو العباس، النيسابوري، الأصم، أصابه الصمم بعد رحلته ثم استحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار، رحل مع أبيه إلى الآفاق، سمع العدد الكبير من العلماء، طال عمره، وبعد صيته، وتزاحم عليه الطلبة، لم يختلف في صدقه وصحة سماعاته، توفي في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة.
انظر: «الأنساب» ١/ ٢٩٤، «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٤٥٢-٤٦٠، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨٦٠-٨٦٤، «العبر» ٢/ ٧٤-٧٥.

الخوارزمي[١] على درسه عند[٢] غيبته.

وله المصنفات الكبار، والاستدراكات على الفحول من علماء اللغة والنحو. وكنت قد لازمته سنين، أدخل عليه عند طلوع الشمس، وأخرج لغروبها، أسمع، وأقرأ، وأعلق، وأحفظ، وأبحث، وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين، وكتب اللغة، حتى عاتبني شيخي رحمه الله يوما من الأيام وقال: إنك لم تبق ديوانا من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز؟! يقرؤه علي هذا الرجل الذي يأتيه البعداء من أقاصي البلاد، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني: الأستاذ الإمام (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي) رحمه الله.

فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب، لم أرم في غرض التفسير عن كثب، ثم لم أغبَّ[٣] زيارته يوماً من الأيام إلى أن حال بيننا قدر الحمام.

وأما (**النحو**) فإني لما كنت في مَيْعَةِ[٤] صباي، وشَرْخِ شبيبتي[٥]، وقعت

---

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، شاعر أديب، كان أوحد عصره في حفظ اللغة والشعر، رحل إلى عدة بلاد واستوطن نيسابور، توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.
انظر: «يتيمة الدهر» ٤/ ٢٢٣ - ٢٧٦، «الأنساب» ٥/ ١٩٤، «بغية الوعاة» ١/ ١٢٥.

(٢) (عند): ساقط من (ب).

(٣) الغب: من ورد الماء، أن تشرب يوما، وتدع يوما، ومن الحمى أن تأخذ يوما وتدع يوما، والمراد: لم أترك زيارته يوما من الأيام.
انظر: «اللسان» (غبب) ٦/ ٣٢٠٤.

(٤) ميعة الشباب أوله وأنشطه.
انظر: «تهذيب اللغة» (ماع) ٤/ ٣٣٢٧، «اللسان» (ميع) ٧/ ٤٣٠٩.

(٥) شرخ الشباب قوته ونضارته.
انظر: «الصحاح» (شرخ) ١/ ٤٢٤، «اللسان» (شرخ) ٤/ ٢٢٢٩.

إلى الشيخ: (أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير[١]) رحمه الله، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضايق[٢] طرق العربية ودقائقها، ولعله تفرس فيَّ، وتوسم[٣] أثر الخير لدي، فتجرد[٤] لتخريجي، وصرف وكده[٥] إلى تأديبي، ولم يذخر[٦] عني شيئا من مكنون ما عنده، حتى استأثرني بأفلاذه[٧]، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه.

وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريبًا من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه[٨] أكثر مصنفاته، في النحو والعروض والعلل، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءات المرتبة في كتاب «الغاية» لابن[٩] مهران.

---

(١) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي. (٢) في (ب): (بمضاق).

(٣) (وتوسم): ساقط من (ب). (٤) في (ب): (متجرد).

(٥) في (ب): (فكره). (وكده)، أي قصده. قال في «تهذيب اللغة» وكد فلان أمره يكده وكدا إذا مارسه وقصده. «التهذيب» (وكد) ٤/ ٣٩٤٣ .
وانظر: «الصحاح» (وكد) ٢/ ٥٥٣، «اللسان» (وكد): ٣/ ٤٦٧.

(٦) ذخر الشيء يذخره ذخرا: اختاره لنفسه وأبقاه لوقت الحاجة، انظر: «اللسان» (ذخر) ٣/ ١٤٩٠، «المعجم الوسيط» (ذخر): ١/ ٣٠٩.

(٧) في (ب): (بأولاده). الأفلاذ جمع، مفرده: فلذة، والمراد: لب الشيء وخالصه، كما في الحديث في أشراط الساعة: «**تلقي الأرض بأفلاذها**» المراد: كنوزها، وفي قصة بدر: هذِه قريش قد رمتكم بأفلاذ كبدها أي صميم قريش ولبها وأشرافها.
انظر: «تهذيب اللغة» (فلذ) ٣/ ٢٨٢٧، «اللسان» (فلذ) ٦/ ٣٤٦٠.

(٨) في (ب): (عنه).

(٩) كتاب «الغاية في القراءات العشر» لأبي بكر الحسين بن مهران النيسابوري ت ٣٨١هـ جمع فيه القراءات العشر، مع ذكر قراءة اختيارية انفرد بها عن سهل بن محمد أبي حاتم السجستاني، وذكر في مقدمة كتابه أسانيده لكل قراءة، طبع الكتاب بتحقيق=

ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي[١]، وكان واحد عصره، وباقعة[٢] دهره[٣] في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا، حتى استنزفت غرر[٤] ما عنده.

وأما (القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة)، فإني اختلفت[٥] أولا إلى الأستاذ (أبي القاسم علي بن أحمد البستي[٦]) رحمه الله، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ (أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران[٧]) رحمه الله.

ثم ذهبت إلى الإمامين (أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري) و(أبي

= (محمد غياث الجنباز). وله شروح منها: شرح لأبي الحسين علي بن محمد بن إبراهيم القهندزي، له نسخة مخطوطة بالتيمورية (١/ ٢٨٢) الموجود نصف الكتاب، ولعل هذا الشرح هو المراد بقوله: كتابه الكبير في علل القراءات، ولم يذكر أحد ممن ترجم للقهندزي أن له كتابا باسم «علل القراءات».

(١) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٢) الباقعة: الرجل الداهية. انظر: «تهذيب اللغة» (بقع) ١/ ٢٨٥.

(٣) في (ب): (واحد دهره وباقعة عصره).

(٤) من (ب): وفي غيرها: (غزر).

(٥) يقال: اختلف إلى المكان إذا تردد. «المعجم الوسيط» (خلف) ١/ ٢٥١.

(٦) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٧) هو أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ، له عدة كتب في القراءات، وفي بعض علوم القرآن، من أشهرها كتاب «الغاية» الذي سبق ذكره، توفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. انظر ترجمته في «معجم الأدباء» ١/ ٣٤٤-٣٤٦، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٤٧، «غاية النهاية» ١/ ٤٩، «العبر» ٢/ ١٥٧.

الحسن علي بن محمد الفارسي)[1] -رحمهما الله-، وكانا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن، ورؤية المشايخ، وكثرة التلامذة، وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد، والوثوق فيها، فقرأت عليهما، وأخذت من كل واحد منهما حظا وافرا بعون الله وحسن توفيقه.

وقرأت على الأستاذ (سعيد) مصنفات ابن مهران[2]، وروى لنا كتب أبي

---

(١) سبقت ترجمته مع شيوخ الواحدي.

(٢) لابن مهران مصنفات كثيرة أغلبها في القراءات وعلوم القرآن منها:
١- «الغاية في القراءات العشر».
٢- «المبسوط في القراءات العشر».
٣- «القراءات السبع».
٤- «قراءة أبي عمرو».
٥- «غرائب القرآن».
٦- «وقوف القرآن».
٧- «الانفراد».
٨- «شرح المعجم».
٩- «شرح التحقيق».
١٠- «اختلاف عدد السور».
١١- «رءوس الآيات».
١٢- «الوقف والابتداء».
١٣- «قراءة عبد الله بن عمر».
١٤- «علل كتاب المبسوط».
١٥- «آيات القرآن».
١٦- «الاتفاق والانفراد».
١٧- «المقطع والمبادئ».

علي[1] الفسوي[2] عنه.

١٨- «الشامل في القراءات».
١٩- «سجود القرآن».
٢٠- «طبقات القراء».
انظر: «معجم الأدباء» ١/ ٣٤٥، «تاريخ التراث» لسزكين ١/ ٤٦، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٣٤٧-٣٤٨، «كشف الظنون» ٢/ ١٠٢٥، «الأعلام» للزركلي ١/ ١١٥، «معجم المؤلفين» ١/ ١٣٠.

(١) (علي): ساقط من (ب).

(٢) هو أبو علي الفارسي سبقت ترجمته، أما كتبه فذكر له ياقوت في «معجم الأدباء» ستة وعشرين كتابا منها:
١- «كتاب الإيضاح».
٢- «التكملة».
٣- «الحجة».
٤- «المسائل الحلبيات».
٥- «المسائل البغدادية».
٦- «المسائل الشيرازنة».
٧- «المسائل القصرية».
٨- «المسائل المنثورة».
٩- «المسائل الدمشقية».
١٠- «المسائل البصريات».
١١- «المسائل المشكلة».
١٢- «المسائل الكرمانية».
١٣- «الإيضاح الشعري».
١٤- «الإيضاح النحوي». وغيرها.
وقد ذكر الدكتور (حسن شاذلي فرهود): أن لأبي علي ثلاثة وثلاثين مصنفا، انظر مقدمة تحقيق كتاب «التكملة» ص٣.

وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج في المعاني[١] روايته عن ابن مقسم[٢] عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير.

ثم فرغت للأستاذ الإمام «أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي» رحمه الله، وكان حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء[٣] بل[٤] بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بـ «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»[٥]، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار:

وسار مسير الشمس في كل بلدة
وهب هبوب الريح في البر والبحر[٦]

وأصفقت[٧] عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله، فمن أدركه وصحبه علم أنه كان منقطع

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، سبق ذكره عند الحديث عن مصادر الواحدي في «البسيط»، وكتابه في (المعاني): وهو «معاني القرآن وإعرابه» وهو أشهر كتب الزجاج، اعتمد عليه الواحدي في كتابه «البسيط»، انظر مصادر الواحدي.

(٢) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم البغدادي العطار، تقدمت ترجمته.

(٣) في (ب): (الفضائل).

(٤) (بل): سقط من (ب).

(٥) وهو «تفسير الثعلبي» المشهور، أحد مصادر الواحدي الهامة كما سبق، ولم يكن قد طُبع بعد عند إعداد عدد من الرسائل المشاركة في تحقيق هذا التفسير.

(٦) لم أجده.

(٧) اجتمعت على الاعتراف بفضله، يقال: أصفق القوم على كذا: أطبقوا عليه واجتمعوا. انظر: «تهذيب اللغة» (صفق) ٢/ ٢٠٢٩، «اللسان» (صفق) ٤/ ٢٤٦٣.

القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته؛ ليستدل بها على أنه كان بحراً[(١)] لا ينزف، وغمراً[(٢)] لا يسبر[(٣)].

وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، وتفسيره الكبير، وكتابه المعنون بـ «الكامل في علم القرآن»[(٤)] وغيرهما.

ولو أثبت[(٥)] المشايخ الذين أدركتهم، واقتبست عنهم هذا العلم، من مشايخ (نيسابور) وسائر البلاد التي[(٦)] وطئتها، طال الخطب ومل الناظر.

وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه وحسن تيسيره، حتى أبرزه كالقمر انجاب سحابه، والزلال صفا[(٧)] متنه[(٨)] واطرد[(٩)] حبابه[(١٠)]، يؤدي إلى المتأمل[(١١)] نضرة الكلم[(١٢)] العذاب، ورونق

(١) في (ب): (بحر).

(٢) في (ب): (غمر). في «تهذيب اللغة» (الغمر) الماء الكثير، ويقال: رجل غمر الخلق، أي: واسع الخلق، وهو غمر الرداء: إذا كان كثير المعروف واسعه. «تهذيب اللغة» (غمر) ٣/ ٢٦٩٣، «اللسان» (غمر) ٦/ ٣٢٩٣.

(٣) في (ب): (يسير). كان الواحدي شديد الإعجاب بشيخه فبالغ في وصفه. انظر ما سبق عند الحديث عن شيوخه، وكذا في مصادره في «البسيط».

(٤) لم أجد أحدصا ممن ترجم للثعلبي ذكر هذا الكتاب، ولعله فيما ضاع من التراث.

(٥) في (ب): (أتيت). (٦) في (ج): (الذي).

(٧) في (ب): (والزلال صفائه واطراد..).

(٨) متن كل شيء ما ظهر منه. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٣٨، «اللسان» (من) ٧/ ٤١٣٠.

(٩) اطرد: تتابع. انظر: «التهذيب» (طرد) ٣/ ٢١٧٥، «اللسان» (طرد) ٥/ ٢٦٥١.

(١٠) حبابه: نفاخاته وفقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير، أو الطرائق التي في الماء، كأنها الوشي، وهو الموج يتبع بعضه بعضا. انظر: «تهذيب اللغة» (حب) ١/ ٧١٦، «اللسان» (حبب) ٢/ ٧٤٢.

(١١) في (ب): (التأمل).

(١٢) (الكلم): جمع كلمة. انظر: «اللسان» (كلم) ٧/ ٣٩٢١.

الذهب المذاب، سالك نهج الإعجاز في الإيجاز، مشتمل على ما نقمت[١] على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، خال عما يكسب المستفيد ملالة، ويتصور[٢] عند المتصفح إطالة، لا يدع لمن تأمله حازة[٣] في صدره حتى يخرجه من ظلمة الريب والتخمين[٤]، إلى نور العلم وثلج[٥] اليقين، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو، مهتديا بطرق الحجاج، قارحا[٦] في سلوك المنهاج.

فأما الجذع[٧] المزجى[٨] من المقتبسين، والريض[٩]

---

(١) قال الجوهري: نقمت على الرجل أنقم بالكسر: إذا عتبت عليه، وقال الكسائي: ونقمت: بالكسر، لغة. ونقمت الأمر ونقمته: إذا كرهته.
انظر: «الصحاح» (نقم) ٥/ ٢٠٤٥، «اللسان» (نقم) ٨/ ٤٥٣١.

(٢) في (ب): (ويتصفح).

(٣) في (ب): (حارة)، وكذا ورد في «معجم الأدباء» ١٢/ ٢٦٨ فيما نقله من مقدمة «البسيط» للواحدي، و(الحزازة) وجع في القلب من غيظ ونحوه، ويقال: (حزاز) بالتشديد والمراد كل ما حز في القلب وحك. انظر: «التهذيب» (حز) ١/ ٨٠٢، «اللسان» (حزز) ٢/ ٨٥٦، وحارة الصدر ما يحصل فيه من الحرارة من العطش والحزن والهم. انظر: «اللسان» (حرر) ٢/ ٨٢٧، فاللفظان متقاربان في المعنى.

(٤) في (ب): (التحمير).

(٥) ثلج النفس: اطمئنانها. انظر: «التهذيب» (ثلج) ١/ ٥٠٠.

(٦) القرح: هو الذي نبت نابه، والمراد قوي واشتد.
انظر: «تهذيب اللغة» (قرح) ٣/ ٢٩١٨، «اللسان» (قرح) ٦/ ٣٥٧١.

(٧) الجذع من الدواب والأنعام: قبل أن يثني بسنة، ويختلف في أسنان الإبل والخيل والبقر والشاء. والمراد: حدث السن الذي في أول إدراكه. «تهذيب اللغة» (جذع) ١/ ٥٦٦.

(٨) (المزجى) القليل غير التام، انظر: «اللسان» (زجى) ٢/ ١٥١١، والمراد الناشئ المبتدئ قليل البضاعة في العلم. وقد جاءت الكلمة في «معجم الأدباء» (المرخى) ١٢/ ٢٦٩، والمراد ليس به قوة.

(٩) (الريض): من الدواب الذي لم يقبل الرياضة ولم يمهر السير، ولم يذل لراكبه فهي لم تذلل بعد، وكذا غلام ريض، والمراد المبتدئ، الذي لم يتمرن بعد.
انظر: «التهذيب» (راض): ٢/ ١٣١٩، «اللسان» (روض) ٣٢/ ١٧٧٥.

الكز[١] من المبتدئين فإنه مع هذا الكتاب كمزاول[٢] غلقا ضاع عنه المفتاح، ومتخبط في ظلماء ليل خانه المصباح:

يحاول فتق غيم وهو يأبى[٣] كعنين يريد نكاح بكر[٤]

وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصًا[٥]، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية. فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به، ولم أضيع الوقت بذكره.

وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل[٦] الأمصار، دون تسمية القراء[٧]، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي[٨] الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري[٩] عنه.

---

(١) من الكزازة وهي اليبس والصلابة، والمراد أنه لم يتدرب ولم يلن بعد. انظر: «التهذيب» (كز) ٤/ ٣١٣٨، «اللسان» (كزز) ٧/ ٣٨٦٩.

(٢) في (ج): (كمزوال).

(٣) في (ب): (يأتي).

(٤) لم أجده.

(٥) سبق بيان منهجه في «البسيط» ص ١١٦. وفيه أنه يبدأ أولا بشرح الكلمات وبيان أصولها واشتقاقها في اللغة، ويذكر الأوجه النحوية، ثم يدخل في تفسير الآية قائلا: أما التفسير، فيبدأ بذكر قول ابن عباس في الغالب، وقد يذكر قول غيره قبله.

(٦) (أهل): ساقط من (ب).

(٧) وقد يسمي القراء. انظر منهجه في «ذكر القراءات».

(٨) هو كتاب «الحجة» لأبي علي الفارسي، وقد اعتمد عليه كثيرا، فهو أحد مصادره الهامة. انظر ما سبق في مصادر الواحدي.

(٩) في (ج) (الجيري): بالجيم. والصحيح بالحاء أحد شيوخه كما سبق.

وكل ينفق مما رزقه الله، ويعمل على مقدار ما وفقه الله، ومتى يبلغ ضعف[(١)] سعينا وقاصر جهدنا نهاية ما لا[(٢)] يتناهى؟ وهذا سهل بن عبد الله[(٣)] يقول: لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أن ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله على قلبه.

وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة. ثم إن هذا الكتاب عجالة الوقت وقبسة العجلان، وتذكرة يستصحبها المرء حيثما حل وارتحل، وإن أُنسئ الأجل وأُرخي الطِّوَل[(٤)]، وأنظرني الليل والنهار، حتى يتلفع بالمشيب العذار[(٥)]، أردفته بكتاب (أنضجه)[(٦)] بنار الروية، وأردده

---

(١) في (ج): (ومتى يبلغ سعى ضعف سعينا..).

(٢) في (ب): (ما لم).

(٣) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد أئمة الصوفية، لقي ذا النون المصري، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين ومائتين.
انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي ص٢٠٦، «حلية الأولياء» ١٠/ ١٨٩، «وفيات الأعيان» ٢/ ٤٢٩، «البداية والنهاية» ١١/ ٧٤.

(٤) الطول: هو الحبل الطويل جدا، ويطلق على الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه.
قال طرفة:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطول المرخي وثنياه باليد

والمراد: أخر العمر ومد فيه.
انظر: «تهذيب اللغة» (طال) ٣/ ٢١٥٦، «اللسان» (طول) ٥/ ٢٧٢٥.

(٥) قال الأزهري: يقال: تلفع الرجل بالمشيب إذا شمله الشيب. «تهذيب اللغة» (لفع): ٤/ ٣٢٨٠، وانظر: «المخصص» لابن سيده ١٥/ ٧٧.
و(العذار) عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار، والعذاران: جانبا اللحية؛ لأن ذلك موضع العذار من الدابة. انظر: «اللسان» (عذر) ٥/ ٢٨٥٤.

(٦) في (ب): (أفصحه).

على راووق[١] الفكرة، وأضمنه عجائب ما كتبته ولطائف ما جمعته[٢].

وعلى الله[٣] المعول في تيسير ما رمت، وله الحمد كلما قعدت أو قمت. [والله الموفق للصواب][٤].

---

(١) في «التهذيب» عن أبي عبيد: الراووق: المصفاة، وعن الليث: ناجود الشراب الذي يروق به فيصفى «التهذيب» ٢/ ١٣٢٨، انظر: «اللسان» (روق) ٣/ ١٧٧٩، وفي «معجم الأدباء»: (رواق الفكرة).

(٢) هل ألف هذا الكتاب؟ وما هو؟. لقد انتهى الواحدي من تأليف «البسيط» سنة ست وأربعين وأربعمائة، ثم ألف بعده «الوسيط» فهل هو المراد؟ أو كتاب غيره ألفه ولم يصل إلينا، وأنه كان يرغب ذلك ولم يتحقق له. الله أعلم.

(٣) (الله): لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

سورة الفاتحة

فاتحة الكتاب

قوله عز وجل(١): ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اختلفت عبارة النحويين في تسمية هذه الباء الجارة، فسموها مرة: حرف إلصاق، ومرة: حرف استعانة، ومرة: حرف إضافة، وكل هذا صحيح من قولهم(٢).

أما الإلصاق: فنحو قولك: تمسكت بزيد، وذلك أنك ألصقت محل قدرتك به، وبما اتصل به، فقد صح إذن معنى الإلصاق(٣).

وأما الاستعانة: فقولك: ضربت بالسيف، وكتبت بالقلم، وبريت بالمدية، أي: استعنت بهذه الأدوات على هذه الأفعال.

وأما الإضافة: فقولك: مررت بزيد، أضفت مرورك إلى زيد بالباء(٤).

وأما قول النحويين(٥): (الباء والكاف واللام الزوائد) فإنما قالوا فيهن:

---

(١) قوله (عز وجل) ساقط من (ج).

(٢) نقل الواحدي الكلام عن (الباء) من كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح ابن جني ١/ ١٢٢ بالنص في الغالب، وقد يتصرف بالعبارة أحيانا. وللباء معان كثيرة أوصلها المزني إلى واحد وعشرين معنى. انظر: «الحروف» للمزني ص٥٤، «حروف المعاني» للزجاجي ص٤٧، ٨٦، ٨٧، «مغني اللبيب» ١/ ١٠١، «البحر المحيط» ١/ ١٤.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٣، وفيه (ألصقت محل قدرتك أو ما اتصل بمحل قدرتك به أو بما اتصل به..). وسمى سيبويه هذا المعنى: إلزاقا واختلاطا «الكتاب» ٤/ ٢١٧، قال ابن هشام: وهو معنى لا يفارقها، ولهذا لم يذكر سيبويه غيره. «مغني اللبيب» ١/ ١٠١، ولكن نجد سيبويه ذكر معنى الإضافة في «الكتاب» ١/ ٤٢١.

(٤) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٣، انظر: «الكتاب» ١/ ١٢١، «المقتضب» ١/ ١٧٧، «مغني اللبيب» ١/ ١٠١، «البحر المحيط» ١/ ١٤.

(٥) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٠.

إنهن زوائد، لأنهن لما كن على حرف واحد، وقللن غاية القلة، واختلطن بما بعدهن خشي عليهن لقلتهن وامتزاجهن بما يدخلن عليه أن يظن بهن أنهن بعضه وأحد أجزائه، فوسموهن بالزيادة، ليعلموا[١] من حالهن أنهن لسن من أنفس ما وصلن به.

ألا ترى أن (اليوم تنساه) لا باء فيه، ولا كاف[٢].

وحذاق النحويين لا يسمونها زوائد، بل يقولون في الباء واللام: إنهما حرفا إضافة[٣]، وفي الكاف يقولون: حرف جر[٤].

وهذِه حروف أدوات عاملة[٥]، تجر ما تدخل عليه من الأسماء نحو: من وعن وفي[٦].

---

(١) في (ب): (لتعلموا).

(٢) (اليوم تنساه) جملة يستعملها النحويون تجمع الحروف الزوائد وهي عشرة حروف، والمراد أن (الباء) و(الكاف) ليستا من الحروف الزوائد. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٠، «التبصرة والتذكرة» للصيمري ٢/ ٧٨٨.

(٣) عند أبي الفتح: (فأما حذاق أصحابنا فلا يسمونها بذلك، يقولون في الباء واللام أنهما حرفا إضافة). «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢١، وهذا قول سيبويه. انظر: «الكتاب» ١/ ٤٢١، وانظر: «المقتضب» ١/ ١٨٣، ٤/ ١٣٦ - ١٤٣، ووسمها ابن هشام في «مغني اللبيب» بالزيادة ١/ ١٠٦.

(٤) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢١٧، «المقتضب» ٤/ ١٤٠، «مغني اللبيب» ١/ ١٧٦- ١٧٩.

(٥) في (ب): (عاملات).

(٦) قوله: (وهذِه حروف أدوات..) ليس من كلام أبي الفتح والنص في «سر صناعة الإعراب»: (وهذا موضع لابد فيه من ذكر العلة التي لها صارت حروف الإضافة هذِه جارة.. إلى أن قال: إنما جرت الأسماء..) ١/ ١٢٣.وعن عمل حروف الجر، وهل هي حروف أو أسماء؟. انظر: «الكتاب» ١/ ٤١٩- ٤٢٠، «المقتضب» ٤/ ١٣٦، «الأصول في النحو» لابن السراج ١/ ٤٠٨. قال الصيمري في «التبصرة والتذكرة»: الحروف تنقسم قسمين: أحدهما يستعمل حرفا وغير حرف، والآخر يكون حرفا لا غير. فأما=

وإنما جرت[١] الأسماء من قبل أن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها نحو قولك: (عجبت، ومررت، وذهبت) لو قلت: عجبت زيداً، ومررت جعفراً، وذهبت محمداً، لم يجز كما يجوز ضربت زيداً؛ لضعف هذِه الأفعال في العرف[٢] والعادة[٣] والاستعمال، فلما قصرت هذِه الأفعال عن الوصول إلى الأسماء رفدت بحرف الإضافة، فجعلت موصلة[٤] لها إليها، فقالوا: عجبت من زيد، ونظرت إلى محمد[٥]، فلما احتاجت هذِه الأفعال إلى هذِه الحروف لتوصلها إلى بعض الأسماء جعلت تلك الحروف جارة، وأعملت هي في الأسماء[٦]. ولم يفض إلى الأسماء النصب الذي يأتي من الأفعال؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا بين الفعل الواصل بنفسه وبين الفعل الواصل بغيره فرقاً، ولما هجروا لفظ النصب لما ذكرنا، لم يبق إلا الرفع والجر. فأما الرفع فقد استولى عليه

= ما يستعمل حرفا وغير حرف فنحو (على) و(عن) و(كاف التشبيه) و(منذ) و(مذ) فهذِه تكون حروفا في حال، وأسماء في أخرى.. وأما ما لا يستعمل إلا حرفا في هذا الباب: فالباء الزائدة.. واللام الزائدة.. و(من) و(إلى) و(في) و(رب) و(حتى) إذا كانت غاية. «التبصرة والتذكرة» ١/ ٢٨٢- ٢٨٥.

(١) في (ج): (وإنما تدخل جرت).

(٢) في (ج): (القرن).

(٣) في (أ)، (ج): (في الاستعمال) وفي «سر صناعة الإعراب» (لضعف هذِه الأفعال في العرف والعادة والاستعمال عن إفضائها إلى هذِه الأسماء..) ١/ ١٢٤.

(٤) في (ج): (موصولة).

(٥) في «سر صناعة الإعراب»: (نظرت إلى عمرو) ١/ ١٢٤.

(٦) هذا مذهب البصريين في سبب تسميتها حروف جر، أما الكوفيون فيسمونها حروف خفض، قالوا: لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، انظر: «الإيضاح في علل النحو» ص٩٣.

الناعل، فلم يبق إذا غير الجر، فعدلوا إليه ضرورة[١] [و][٢] الجار والمجرور جميعا في موضع نصب[٣]، ألا ترى أنهم عطفوا عليه بالنصب[٤] فقالوا: مررت بزيد ومحمدا، ونظرت إلى عمرو وخالدا، وعلى هذا[٥] ما أنشده سيبويه:

مُعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بِالجِبَالِ ولَا الحَدِيدَا[٦]

---

(١) من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٤، ١٢٥، مع اختصار بعض الجمل.

(٢) الواو ساقطة من (ب).

(٣) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣٠، وانظر: «المقتضب» ٤/ ٣٣، قال النحاس عند قوله ﴿بسم الله﴾: (موضع الباء وما بعدها عند الفراء نصب، وعند البصريين رفع، وقال الكسائي: الباء لا موضع لها من الإعراب). «إعراب القرآن» ١/ ١١٦، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٦، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٤.

(٤) هذا أحد وجهين ذكرهما أبو الفتح للدلالة على صحة دعوى أن الفعل إذا أوصله حرف جر إلى الاسم، فإن الجار والمجرور في موضع نصب بالفعل الذي قبلهما. «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣٠.

(٥) (على هذا) مكرر في (ب).

(٦) البيت لـ (عقيبة الأسدي) ونسبه بعضهم لعبد الله بن الزبير، ومعنى (أسجح) سهل علينا حتى نصبر، فلسنا بجبال ولا حديد.
والبيت من شواهد سيبويه، استشهد به في مواضع من كتابه ١/ ٦٧، ٢/ ٢٩١، ٢/ ٣٤٤، ٣/ ٩١، وورد في «المقتضب» ٢/ ٣٣٧، ٤/ ١١٢، ٤/ ٣٧١، «جمل الزجاجي» ص ٥٤، «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٢٢، ٣٠٠، «مغني اللبيب» ٢/ ٤٧٧، «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٤٤٠، «الإنصاف» ص٢٨٤، «شرح المفصل» ٢/ ١٠٩، ٤/ ٩. والشاهد فيه: نصب الحديد، وعطفه على موضع الباء، وقد أنكر بعضهم على سيبويه استشهاده بالبيت، ورووه مجروراً، ورد ذلك السيرافي وقال: إن البيت جاء بروايتين.
انظر: «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٢٢، ٣٠٠، «الخزانة» ٢/ ٢٦٠ - ٢٦٤.

عطف الحديد على موضع بالجبال[١]، ولهذا قال سيبويه: (إنك إذا قلت: مررت بزيد [فكأنك قلت: مررت زيدا)[٢]، تريد[٣] بذلك أنه لولا الباء الجارة لانتصب زيد، وعلى ذلك أجازوا مررت بزيد][٤] الظريفَ، تنصبه على موضع (بزيد)[٥].

(وجميع[٦] الحروف المفردة التي تقع في أوائل الكلم حكمها الفتح أبداً. نحو (واو) العطف و(فائه) و(همزة) الاستفهام و(لام) الابتداء.

فأما (الباء) في (بزيد) فإنما كسرت لمضارعتها (اللام) الجارة[٧] في قولك: (المال لزيد) وسنذكر العلة في كسر اللام في قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] إن شاء الله[٨] ووجه المضارعة بينهما اجتماعهما في الجر ولزوم كل واحد منهما الحرفية[٩]، وليست كذلك (كاف التشبيه)؛ لأنها قد تكون

---

(١) في (ب): (الجبال).

(٢) انظر: «الكتاب» ١/ ٩٢، والنص من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣١.

(٣) في «سر صناعة الإعراب» (يريد) وهذا أقرب، فأبو الفتح يقول: يريد سيبويه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) بنصه من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٤.

(٦) بنصه عن أبي الفتح من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٤.

(٧) قال الثعلبي العلة في كسرها أن (الباء) حرف ناقص ممال، والإمالة من دلائل الكسرة. «تفسير الثعلبي» ١/ ١٥.

(٨) في «سر صناعة الإعراب» وسنذكر العلة في كسر (اللام) في موضعها...، ١/ ١٤٤، وقد تكلم الواحدي عن العلة في كسر (اللام) عند الكلام عن اللام الجارة في لفظ الجلالة في قوله ﴿الحمد لله﴾ ونقل في ذلك عن أبي الفتح ابن جني.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١١٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٥/ ب، «المشكل» لمكي ١/ ٥، «الكشاف» ١/ ٢٣.

اسما في بعض المواضع).

فأما المتعلق به (الباء) في قوله ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ فإنه محذوف، ويستغنى عن إظهارها لدلالة الحال عليه، وهو معنى الابتداء، كأنه قيل (بدأت بسم الله)[١] (وأبدأ بسم الله) والحال تبين أنك مبتدئ فاستغنيت عن ذكره[٢].

وحذفت الألف من بسم الله؛ لأنها وقعت[٣] في موضع معروف، لا يجهل القارئ معناها، فاستخف طرحها؛ لأن من شأن العرب الإيجاز إذا عرف المعنى، وأثبتت في قوله ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦، الحاقة: ٥٢] لأن هذا لا يكثر كثرة (بسم الله) ألا ترى أنك تقول: (بسم الله) عند ابتداء كل شيء[٤].

ولا تحذف الألف إذا أضيف (الاسم) إلى غير[٥] الله، ولا مع غير الباء من الحروف، فتقول: لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله، فتثبت الألف مع اللام والكاف[٦]. هذا في سقوطها في الكتابة، وأما سقوطها

---

(١) في (ب): (إعراب باسم بالله).

(٢) قال الطبري: أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: (بسم الله)، على ما بطن من مراده الذي هو محذوف. ومفهوم أنه مريد بذلك: (أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم). «تفسير الطبري» ١/ ٥٠، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١، «الوسيط» للواحدي ١/ ١٤، «الكشاف» ١/ ٢٦، «لباب التفسير» للكرماني ١/ ٢٦ (رسالة دكتوراه).

(٣) في (ب): (وقفت).

(٤) أخذه عن «معاني القرآن» للفراء، مع اختلاف يسير في اللفظ ص٣٦، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١١٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣.

(٥) في (ج): (لغير).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣، «المشكل» لمكي ١/ ٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٨٤، «الكشاف» ١/ ٣٥.

في اللفظ، فلأنها[١] للوصل، وقد استغنى عنها بالباء[٢].

فأما معنى: (الاسم) واشتقاقه ومأخذه من اللغة، فقد كثر فيها الاختلاف، فقال[٣] نحويو[٤] الكوفة: (الاسم) مشتق من السمة، وهي العلامة، كالعدة والزنة من (الوزن) و(الوعد)، كذلك (السمة) من (الوسم)[٥]، ومن هذا قال أبو العباس (ثعلب): الاسم وسم وسمة توضع على الشيء يعرف به[٦].

وقال مشيخة البصرة: (الاسم) مشتق من السمو، لأنه يعلو المسمى، فالاسم: ما علا وظهر[٧]، فصار علما للدلالة على ما تحته من المعنى[٨]. وقال بعضهم: العلة في اشتقاقه من السمو أن الكلام ثلاثة: اسم

---

(١) في (ب): (ولا منها).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١١٧.

(٣) في (ب): (فقالوا).

(٤) (نحويو) مكانها بياض في (ب).

(٥) حذفت فاؤه اعتلالا على غير قياس، والأصل في اسم (وسم) فحذفت الفاء التي هي (الواو) من (وسم). انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٨٤، «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٤، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٣٢، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٦.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة»، وفيه (الاسم رسم وسمة..)، (سما) ٢/ ١٧٤٨، «اللسان» (سما) ٤/ ٢١٠٩، «الإنصاف» ص٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢، «تهذيب اللغة» للأزهري (سما) ٢/ ١٧٤٨، «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص ٢٥٥، «الإنصاف» ص٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٨٤، «الكشاف» ١/ ٣٤، ٣٥، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٦.

(٨) هذا قول الزجاج، وفيه إشارة إلى أن الاسم هو المسمى، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢، «الإنصاف» ص٥.

وفعل وحرف، فالاسم يصح أن يكون خبرا ويخبر عنه، والفعل يكون خبرا ولا يخبر عنه، والحرف لا يكون خبرا ولا يخبر عنه، فلما كان للاسم مزية على النوعين الآخرين وجب أن يشتق مما[1] ينبئ عن هذِه المزية، فاشتق من السمو ليدل على علوه وارتفاعه[2].

وعند المتكلمين أنه اشتق من السمو؛ لأنه سما عن حد العدم إلى الوجود[3]. وقالوا: أصله سِمْو[4]، وجمعه (أسماء) مثل قنو وأقناء[5] وحنو وأحناء فحذفت الواو استثقالاً[6] [7]، ولم تحذف من نظائره؛ لأنها لم تكثر[8] كثرته، ثم سكنوا السين استخفافاً لكثرة ما تجري على لسانهم، واجتلبت ألف الوصل ليمكن الابتداء به، وكان هذا أخف عليهم من ترك الحرف متحركا، لأن الألف تسقط في الإدراج، وكان إثبات الحرف الذي يسقط كثيرا أخف من حركة السين التي[9] تلزم أبدا[10].

---

(١) في (ب): (عما).

(٢) انظر: «الإيضاح في علل النحو» ص ٤٩، «الإنصاف» ص٦.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٦/ب.

(٤) أو (سمو) بالضم. انظر: «المقتضب» ١/ ٢٢٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٦.

(٥) في (ب): (فتو أفتاء).

(٦) في (ب): (استقلالا).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢، «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٥٥، «المنصف» ١/ ٦٠.

(٨) في (ب): (تكن).

(٩) في (ب): (الذي).

(١٠) انظر: «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٥٦، ٢٥٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١١٧، «الكشاف» ١/ ٣٤، قال الزمخشري: (ومنهم من لم يزدها، أي: الألف، واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال: (سم) و(سم).

قالوا: و[1] لا يصح مذهب الكوفيين في هذا الحرف، لأنه لا يعرف شيء حذفت منه فاء الفعل، فدخلت عليه ألف الوصل كالعدة والزنة.

وأيضا فلو كان من الوسم لكان تصغيره (وسيما)، كما يقول: (وعيدة) و(وصيلة) في تصغير: صلة وعدة[2].

وأما معنى (الاسم) ففيه مذهبان[3]:

---

(١) (الواو) ساقطة من (ج).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢، «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٥٥ - ٢٥٧، «المخصص» ١٧/ ١٣٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٨٤، «الإنصاف» لابن الأنباري وقد ذكر خمسة وجوه في (بيان فساد مذهب الكوفيين) ص٤، «تهذيب اللغة» (سما) ٢/ ١٧٤٧.

(٣) ذكر الرازي وابن كثير فيه ثلاثة مذاهب وهي:

١- الاسم نفس المسمى وغير التسمية.

٢- الاسم غير المسمى ونفس التسمية.

٣- الاسم غير المسمى وغير التسمية. «التفسير الكبير» للرازي ١/ ١٠٨، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٠، وقد كثر الخوض في هذِه المسألة، وجعل بعضهم كثرة الحديث فيها من باب العبث الذي لا طائل تحته. انظر: «تفسير الرازي» ١/ ١٠٩ .

قال الطبري: (وليس هذا هو الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم: أهو المسمى أم غيره، أم هو صفة له؟ فنطيل الكتابة، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله، أهو اسم أم مصدر بمعنى التسمية؟..) ثم أخذ ابن جرير يرد على أبي عبيدة قوله: إن الاسم هو المسمى بتقريع مرير. وقد علق الأستاذ (محمود شاكر) على كلام الطبري بكلام جيد. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٨٨ - ١٢٢. (تحقيق محمود شاكر) كما تكلم عن هذا ابن عطية في تفسير «المحرر الوجيز» ١/ ٨٥. وقد أوضح العلامة ابن أبي العز في شرح «العقيدة الطحاوية» المنهج الصحيح في هذا حيث قال: قولهم: الاسم عين المسمى أو غيره؟ وطالما غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك. فهذا المراد به المسمى=

أحدهما: أنه بمعنى التسمية[(١)]، وعلى هذا قول القائل: بسم الله: أي: بتسمية الله أفتتح تيمنا وتبركا.

والثاني وهو الصحيح: أن الاسم هو المسمى[(٢)] كقوله[(٣)] تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون المأمور بطاعته غير الله وغير الرسول، وإذا قال القائل: رأيت زيدا، وجب أن يكون لم ير شخص زيد.

وسئل أحمد بن يحيى[(٤)] عن الاسم أهو المسمى أو غيره؟ فقال: قال أبو عبيدة: الاسم هو المسمى[(٥)]، وقال سيبويه: الاسم غير المسمى. قيل

= نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال..)، «شرح الطحاوية» ص٨٢. وقد ذكر ابن عطية في «تفسيره» أن مالكا رحمه الله سئل عن الاسم أهو المسمى؟ فقال: ليس به ولا غيره، قال ابن عطية: يريد دائما في كل موضع ١/ ٨٩.

(١) قال الرازي: قالت المعتزلة: الاسم غير المسمى ونفس التسمية، ١/١٠٨، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٠.

(٢) وبه أخذ شيخه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» ١/١٦/أ، وقرره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٦، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢. وقد رد الطبري هذا القول كما سبق، كما رد عليه ابن جني في كتابه «الخصائص» حيث أبان في (باب في إضافة الاسم إلى المسمى، والمسمى إلى الاسم) قال: (فيه دليل نحوي غير مدفوع يدل على فساد قول من ذهب إلى أن الاسم هو المسمى). «الخصائص» ٣/ ٢٤، والصحيح هنا أنه لا يقال: الاسم هو المسمى ولا غيره، بل قد يكون هو المسمى في موضع وغيره في موضع آخر، كما سبق في بيان كلام ابن أبي العز في «شرح الطحاوية».

(٣) في (ب): (لقوله).

(٤) المعروف بـ (ثعلب).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦.

له: فما قولك؟ فقال: ليس لي فيه قول[١].

وإذا كان الاسم هو المسمى فمعنى قول القائل: (بسم الله) أي بالله، ومعناه بالله أفعل، أي بتوفيقه، أو بالله تكونت الموجودات، أو ما أشبه هذا من الإضمار[٢].

وأدخل الاسم ليكون فرقا بين اليمين والتيمن[٣].

وأكثر ما يستعمل الاسم يستعمل بمعنى التسمية[٤]، وإذا استعمل بمعنى التسمية فهو كلمة تدل على المعنى دلالة الإشارة دون دلالة الإفادة[٥]، وذلك أنك إذا قلت: زيد[٦]، فكأنك قلت: هذا، وإذا قلت: الرجل، فكأنك قلت: ذاك.

ودلالة الإفادة هو ما أفاد السامع معنى، كقولك: قام وذهب[٧]، ووزن (الاسم) يصلح أن يكون (فِعْل)، ويصلح فيه (فُعْل)[٨] لأنهم أنشدوا:

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (سما) ٢/ ١٧٤٧، «اللسان» ٤/ ٢١٠٧.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ١/ ١٦/ أ.

(٣) ذلك أن قولك (بالله) يمين، وقولك: (باسم الله) تيمن. انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٦/ أ.

(٤) سبق قريباً اختيار الواحدي أن الاسم هو المسمى وليس بمعنى التسمية.

(٥) قال ابن سيده في «المخصص»: (والاسم كلمة تدل على المسمى دلالة الإشارة دون الإفادة.. الخ بنصه) ١٧/ ١٣٤. والإشارة عند الأصوليين: دلالة اللفظ على المعنى من غير سياق الكلام له مثل قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٣] ففي قوله ﴿له﴾ إشارة إلى أن النسب للأب. انظر: «التعريفات» للجرجاني ص٢٧، «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي ١/ ٧٥٠.

(٦) في (ب): (زيداً).

(٧) في «المخصص» بعد هذا الكلام: (.. فأما الأول - يريد دلالة الإشارة - فإنما الغرض فيه أن تشير إليه ليتنبه عليه..) ١٧/ ١٣٤.

(٨) انظر: «المقتضب» ١/ ٢٢٩، «المخصص» ١٧/ ١٣٥.

باسم الذي في كل سورة سمه[١]

بالكسر والضم

وقوله[٢]: أما أصل هذِه الكلمة[٣]، فقد حكى أصحاب سيبويه عنه فيه[٤] قولين:

أحدهما: قال: كان أصل هذا الاسم إلاها[٥]، ففاؤها (همزة)، وعينها (لام)، و(الألف) ألف فعال الزائدة، واللام (هاء)، ثم حذف (الفاء) حذفا

---

(١) أنشده أبو زيد. قال: قال رجل زعموا أنه من كلب:

أَرْسَلَ فِيهَا بَازِلا يُقرِّمه * وَهْو بِهَا يَنْحو طَرِيقًا يَعْلَمْه

باسم الذي في كل سورة سِمُهْ

«نوادر أبي زيد» ص٤٦١، ٤٦٢ .

ومعنى الرجز: يقول أرسل الراعي في الإبل للضراب بعيرا في التاسعة من عمره محجوزاً عن العمل ليقوى على الضِرَاب، أرسله باسم الله الذي يُذكر اسمه في كل سورة. ورد البيت في «المقتضب» ٢٢٩/٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/١، «تهذيب اللغة» (سما) ١٧٤٧/٢، «المنصف» ١٦/١، «المخصص» ١٣٥/١٧، «الإنصاف» ١٢/١، «اللسان» (سما) ٢١٠٧/٤.

(٢) أي: قول الله ﷻ.

(٣) تكلم أبو علي الفارسي عن أصل لفظ الجلالة (الله) وأطال في كتابه «الإغفال» متعقبا الزجاج فيما ذكره في «معاني القرآن» ونقل عنه الواحدي ذلك مع تصرف يسير في العبارة، ولم يعزه له، ونقل كلام أبي علي ابن سيده في «المخصص» وعزاه له. «الإغفال» ص٤-٤٩ (محقق رسالة ماجستير)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٥/١، «المخصص» ١٣٦/١٧ - ١٥١.

(٤) في «الإغفال» ص ١١: فقد حمله سيبويه على ضربين، «المخصص» ١٣٨/١٧، وذكر الزجاج فيه أربعة أقوال، أحدها: أنه غير مشتق، وعن الخليل: أن أصله (ولاه) من الوله والتحير، وقولان مثل قولي سيبويه. «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٣.

(٥) «الكتاب» ١٩٥/٢.

لا على التخفيف القياسي في مثل قولك: (الخب)[١] في (الخبء)، و(ضو) في (ضَوْء)، لأنه لو كان كذلك[٢] لما لزم أن يكون منها عوض؛ لأنها إذا حذفت على حد التخفيف كانت ملقاةً في اللفظ مبقاةً في النية، ومعاملةً معاملة المثبتة غير المحذوفة، يدلك على ذلك تركهم (الياء) مصححة في قولهم (جَيْأَل)[٣] إذا خففوا قالوا: جَيَل، ولو كانت محذوفة في التقدير كما أنها محذوفة في اللفظ للزم قلب (الياء) (ألفا) ولما كانت (الياء) في نية السكون[٤] لم تقلب.

ويدل عليه[٥] أيضاً تثبيتهم[٦] (للواو) في (نُوْي) إذا خفف (نُؤي)[٧]، ولولا نية الهمزة لقلبت (ياء) وأدغمت[٨] كما فعل في (مَرْمِيٍّ) وبابه[٩].

وفي تعويضهم من همزة (إلاه) ما يدل على أن حذفها ليس على حد

---

(١) في (ب)، (ج): (بالحاء) المهملة في الموضعين. و(الخبء) ما خُبِّئ، سمي بالمصدر، انظر: «اللسان» (خبأ) ٢/ ١٠٨٥.

(٢) أي: على التخفيف القياسي، اختصر الواحدي كلام الفارسي، حيث افترض أن سائلا يسأل لماذا كان على هذا التقدير؟ ولم يكن على التخفيف، فأجاب عنه بما محصله ما ذكر. انظر: «الإغفال» ص١١.

(٣) (الجَيْأَل) الضبع. انظر: «معجم مقاييس اللغة» (جيل) ١/ ٤٩٩.

(٤) أي على نية بقائها ساكنة كما كانت قبل التخفيف (جَيْأَل).

(٥) ترك بعض حجج الفارسي. انظر: «الإغفال» ص ١٢.

(٦) في «المخصص» (تبينهم) ١٧/ ١٣٨.

(٧) في (ج): (بدون همز).

(٨) في (ب): (أودعت).

(٩) في (ب): (ربابه) وباب مَرْمِي هو كل كلمة التقت فيها الواو والياء والأولى منهما ساكنة، تقلب فيها (الواو) (ياء) وتدغم في (الياء). انظر: «أوضح المسالك» ص٣١٠.

القياس[١]، وذلك العوض هو (الألف واللام)، والدلالة على أنها عوض استجازتهم قطع الهمزة الموصولة الداخلة على (لام التعريف) في (القسم[٢] و(النداء) مثل: أَفَأَللهِ لَتَفْعَلَنَّ، ويا أَللهُ اغفر لي[٣].

فلو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت في غير هذا الاسم، ولما اختص هذا الاسم بقطع الهمزة فيه عَلِمنا أن ذلك لمعنى ليس في غيره، وهو كونها عوضا من المحذوف الذي هو(الفاء).

ألا ترى أنك إذا أثبت الهمزة في (الإله) لم تكن (الألف واللام) فيه على حدهما في قولنا: (الله) لأن قطع همزة الوصل لا يجوز في (الإله)، كما جاز في قولنا: (الله) لأنهما ليسا بعوض من شيء[٤].

القول الثاني: في أصل هذِه الكلمة: أن أصله (لَاهٌ) ووزنه على هذا (فَعْلٌ)[٥] (اللام) فاء الفعل، و(الألف) منقلبة عن الحرف الذي هو العين، و(الهاء) لام، والذي دلّه[٦] على ذلك قول بعضهم: (لَهْيَ أبوك) بمعنى: لله أبوك، قال سيبويه: فقلب العين وجعل اللام ساكنة، وهو(الهاء)[٧] إذا صارت

---

(١) أورد كلام أبي علي مختصرا. انظر: «الإغفال» ص١٢، ١٣.

(٢) في (ج): (القيم).

(٣) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٩٥.

(٤) قوله: (ألا ترى.. إلى شيء) ورد في «الإغفال» في موضع آخر بعيدا عما قبله. وانظر: «الإغفال» ص ٣٥، «المخصص» ١٧/ ١٤٦.

(٥) «الإغفال» ص ٢٦، «المخصص» ١٧/ ١٤٣، «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٧.

(٦) أي سيبويه فهذا قوله الثاني، قال في «الإغفال»: (فأما القول الآخر الذي قاله سيبويه في اسم الله تعالى فهو أن الاسم أصله (لاه).. والذي دله على ذلك أن بعضهم يقول: (لَهْيَ أبوك)،... «الإغفال» ص٢٦، وانظر: «الكتاب» ٣/ ٤٩٨.

(٧) في (ج): (الاها).

مكان العين، كما كانت العين ساكنة في (لاه)[١]، وترك آخر الاسم مفتوحاً كما تركوا آخر (أين) مفتوحاً[٢]، وإنما فعلوا ذلك به حيث غيروه لكثرته في كلامهم، فغيروا إعرابه كما غيروه[٣].

فالألف -على هذا القول- في الاسم منقلبة عن (الياء) لظهورها في موضع (اللام) المقلوبة إلى موضع (العين) وهي في[٤] القول الأول زائدة لفعال غير منقلبة عن شيء. واللفظتان على هذا مختلفتان، وإن كان في كل واحدة منهما بعض حروف الأخرى[٥].

وحكى أبو بكر محمد بن السري[٦] أن أبا العباس محمد بن يزيد، اختار القول الثاني[٧] من القولين اللذين ذكرهما سيبويه.

وأما اشتقاق هذا الاسم من اللغة فذهبت طائفة منهم الخليل[٨]، وابن

---

(١) قوله (لاه) زيادة ليست في «الإغفال» ولا في «الكتاب».

(٢) مبنية على الفتح، انظر: «المسائل الحلبيات» ص ١٠٣.

(٣) انتهى كلام سيبويه، «الكتاب» ٣/ ٤٩٨، «الإغفال» ص ٢٦، «المخصص» ١٧/ ١٤٣، «المسائل الحلبيات» للفارسي ص١٠١، «المسائل البصريات» للفارسي ٢/ ٩٠٩

(٤) في (ب): (من).

(٥) انظر بقية كلام أبي علي الفارسي في «الإغفال» ص٢٦ وما بعدها.

(٦) في «الإغفال» (أبو بكر بن السراج) ص٣٤، وفي «المخصص» (أبو بكر) ١٧/ ١٤٥.
وابن السراج: هو أبو بكر محمد بن السري بن السراج النحوي.

(٧) في (ب): (الأول) ولم يرد لفظ (الأول) أو (الثاني) في «الإغفال» وإنما فيه (اختار في هذا الاسم أن يكون أصله لاها....) وهذا هو القول الثاني لسيبويه. «الإغفال» ص٣٤، «المخصص» ١٧/ ١٤٥، وقد أورد المبرد في «المقتضب» القول الأول لسيبويه ٤/ ٢٤٠، وانظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٢٥، «الخزانة» ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧.

(٨) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، صاحب العربية والعروض (١٠٠- ١٧٥هـ). انظر ترجمته في: «معجم الأدباء» ٣/ ٣٠٠، «طبقات النحويين =

كيسان[١] وأبو بكر القفال[٢]، والحسين[٣] بن الفضل[٤] إلى أنه ليس بمشتق، وأنه اسم تفرد به الباري ﷻ، يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام، لا يشركه فيه أحد، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥][٥] وأما الذين قالوا: إنه مشتق فاختلفوا، فذهب عُظْمُ أهل اللغة إلى أن معناه المستحق للعبادة، وذو العبادة الذي إليه تُوَجَّه، وبها يُقْصَد[٦].

ورُويَ عن ابن عباس أنه كان يقرأ (ويذرك وإلاهَتَك) [الأعراف: ١٢٧]

= واللغويين» للزبيدي ص٤٧، «إنباه الرواة» ١/ ٣٧٦، «وفيات الأعيان» ٢/ ٢٤٤، ومقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢، «إشارة التعيين» ص١١٤.

(١) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن كيسان، النحوي، كان يجمع بين المذهبين البصري والكوفي، وإلى مذهب البصريين أميل، توفي سنة تسع وتسعين ومائتين .
انظر ترجمته في «طبقات النحويين» للزبيدي ص ١٣٩، «تاريخ بغداد» ١/ ٣٣٥، «إنباه الرواة» ٣/ ٥٧.

(٢) هو محمد بن علي بن إسماعيل، أبو بكر الشاشي القفال، أحد أعلام المذهب الشافعي، يتكرر ذكره في التفسير والحديث والأصول والكلام، توفي سنة خمس وستين وثلاثمائة على الصحيح.
انظر ترجمته في «الأنساب» ٧/ ٢٤٤، «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٠٠، «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة ١/ ١٤٨.

(٣) في (ب): (الحسن).

(٤) الحسين بن الفضل، هو أبو علي الحسين بن الفضل بن عمير البَجَلِي الكوفي ثم النيسابوري، المفسر، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين .
انظر ترجمته في: «العبر» ١/ ٤٠٦، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٥٩.

(٥) انظر: «تفسير أسماء الله» للزجاجي، وانظر: «اشتقاق اسماء الله» للزجاجي: ص٢٨ «تفسير الثعلبي» ١/ ١٨أ «الزينة» ٢/ ١٢.

(٦) انظر: «الإغفال» ص٥، «المخصص» ١٧/ ١٣٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٨/أ، «تفسير أسماء الله» ص٢٦، «اشتقاق أسماء الله» ص٢٣.٣٠، «تهذيب اللغة» (الله) ١/ ١٨٩.

قال معناه: عبادتك[١]. وقال أبو زيد[٢]: تَأله الرجل إذا نسك[٣]، وأنشد:

سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ[٤] مِنْ تَأَلُّهِي[٥]

وقد سَمَّت[٦] العرب الشمس لما عبدت (إلاهَةَ)، و(الإلاهة) قال عتيبة بن الحارث اليربوعي[٧]:

---

(١) أخرجه الطبري عن ابن عباس ومجاهد، من طرق، ١/ ٨٤، ٩/ ٢٥-٢٦، وذكره ابن خالويه في «الشواذ» ص٥٠، وابن جني في «المحتسب» وعزاه كذلك إلى علي وابن مسعود وأنس بن مالك وعلقمة الجحدري والتيمي وأبي طالوت وأبي رجاء، ١/ ٢٥٦، والفارسي في «الإغفال» ص٥، وانظر: «المخصص» ١٧/ ١٣٦، «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٤٨، «تهذيب اللغة» (الله) ١/ ١٩٠، «البحر» ٤/ ٣٦٧.

(٢) هو سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري، صاحب النحو واللغة، مات سنة خمس عشرة ومائتين .
انظر ترجمته في مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٣٤-٣٥، «تاريخ بغداد» ٩/ ٧٧، «طبقات النحويين واللغويين» ص١٦٥، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٠.

(٣) «الإغفال» ص٦، «المخصص» ١٧/ ١٣٦.

(٤) في (ج): (استرحبن).

(٥) البيت لرؤبة وقبله: لله دَرُّ الغَانِيَاتِ المُدَّهِ.
(المُدَّه) جمع مَادِه، بمعنى المادح، يقول: إن هؤلاء سبحن: وقلن إنا لله وإنا إليه راجعون، يقلنها حسرة كيف تنسك وهجر الدنيا .
ورد البيت في «الطبري» ١/ ٥٤، «الإغفال» ص٦، «المخصص» ١٧/ ١٣٦، «المحتسب» ١/ ٢٥٦، «تفسير أسماء الله» للزجاج ص٢٦، «اشتقاق أسماء الله» ص٢٤، «التهذيب» (الله) ١/ ١٨٩، «شرح المفصل» ١/ ٣، «زاد المسير» ١/ ٩، وابن عطية ١/ ٥٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٨/ أ، «ديوان رؤبة» ص١٦٥.

(٦) في (ج): (سمعت).

(٧) نسبه الطبري لبنت عتيبة ٩/ ٢٦، ونسبه بعضهم لـ (مية) وهو اسمها وكذا (أم البنين) وقيل: لنائحة عتيبة، والأقرب أنه لبنت عتيبة ترثي أباها حين قتله (بنو أسد) يوم (خَوّ) مع أبيات أخرى ذكرها في «معجم البلدان» ٥/ ١٨.

تَـرَوَّحْـنَـا مِـنَ الـلـعْـبَـاءِ أَرْضـاً وأَعْـجَـلْـنَـا الإلاَهَـةَ أَنْ تَـؤُوبَـا[١]

وإنما سموها الإلاَهَة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم إياها كفرا.

وعلى ذلك نهاهم الله وأمرهم بالتوجه في العبادة إليه في قوله جل وعلا: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ [فصلت: ٣٧] الآية[٢]، وكذلك أيضاً كانوا يدعون معبوداتهم من الأصنام والأوثان (آلهة)، وهي جمع (إلاه)[٣] كإزار وآزرة، وإناء وآنية.

قال الله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وهي أصنام كان يعبدها[٤] قوم فرعون معه[٥]، وعلى هذا قال قائلهم:

كَـحَـلْـفَـةٍ مِـنْ أَبِـي رِيَـاحٍ يَـسْـمَـعُـهَـا لاَهُـهُ[٦] الـكُـبَـارُ[٧]

---

(١) (اللعباء) مكان بين الربذة وأرض بني سليم، وقيل: غير ذلك، وقوله: (أرضا) يروى (عصرا) ويروى (قصرا) أي: عشيا. ورد البيت في الطبري ٩/ ٢٦، «الإغفال» ص٨، ٩، «المخصص» ١٧/ ١٣٧، «تهذيب اللغة» (الله) ١/ ١٩٠، «معجم ما استعجم» ٤/ ١١٥٦، «معجم البلدان» ٥/ ١٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٨ب، «المحتسب» ٢/ ١٢٣، «اللسان» (لعب) ٧/ ٤٠٤١.

(٢) انظر: «الإغفال» ص ٩.

(٣) في (ب): (الإله).

(٤) في (ب): (كانوا يعبدوها).

(٥) انظر: «الإغفال» ص١٠، ١١، «تهذيب اللغة» ١/ ١٩٠.

(٦) في (ب): (لأهه)

(٧) من قصيدة للأعشى، قالها فيما كان بينه وبين بني جحدر، و(أبو رياح) رجل من بني ضبيعة، قتل جارا لبني سعد بن ثعلبة، فسألوه الدية، فحلف لا يفعل، ثم قُتِل بعد حلفته، و(لاهه): الهه، (الكبار): العظيم، ويروى (بحلفة) ويروى (كدعوة).
انظر: «ديوان الأعشى» ص٧٢، «الجمهرة» ١/ ٣٢٧، «اشتقاق أسماء الله» ص٢٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٧ ب، «الزينة» ٢/ ١٨، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٠٧، والقرطبي ٤/ ٥٣، «اللسان» (أله) ١/ ١١٦، و(لوه) ٧/ ٤١٠٧، «شرح المفصل» ١/ ٣، «الخزانة» ٧/ ١٧٦.

يريد: الصنم، وهذا البيت حجة للقول الثاني[١] من قول سيبويه.

قالوا: وهو[٢] اسم حدث، ثم جرى صفة للقديم سبحانه، ونظير هذا قولنا: (السلام)، والسلام من سَلَّم كالكلامِ من كَلَّم، والمعنى ذو السلام، أي: يُسَلم من عذابه من يشاء من عباده، كما أن المعنى في الأول أن العبادة تجب له[٣]، فهذا وجه، وهو طريقة أهل اللغة[٤].

وأخبرني أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله العروضي -رحمه الله- قال: أبنا[٥] أبو منصور أحمد بن محمد الأزهري[٦]، أبنا[٧] أبو الفضل المنذري[٨]، قال: سألت أبا الهيثم خالد بن يزيد الرازي، عن اشتقاق اسم (الله) في اللغة، فقال (الله) أصله (إلاه)، قال الله جل ذكره: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] ولا يكون إلهًا حتى يكون معبودًا، وحتى يكون لعابده[٩] خالقًا، ورازقًا، ومدبرًا، وعليه مقتدرًا، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عَبِدَ ظلما، بل هو مخلوق[١٠] ومتعبد،

---

(١) وهو أن أصل (الله): (لاه). (٢) في (ب): (وهم).

(٣) بنصه في «الإغفال» ص٦، «المخصص» عن «الإغفال» ١٧/ ١٣٦.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٩، «معجم مقاييس اللغة» (أله) ١/ ١٢٧، «الصحاح» (أله) ٦/ ٢٢٢٣، «اللسان» (أله) ١/ ١١٤..

(٥) (أبنا) ساقط من (ج).

(٦) صاحب «تهذيب اللغة» سبقت ترجمته.

(٧) في (ج): (أن).

(٨) هو محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي (أبو الفضل) يروي عن أبي العباس ثعلب، وأبي الهيثم الرازي، روى عنه الأزهري كثيرًا .
انظر مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٣٠، ٤١، «اللباب» ٣/ ٢٦٢.

(٩) في (ب): (لعباده).

(١٠) في (ب): (وهو مخلوق).

قال: وأصل (إلاه) (ولاه) فقلبت الواو همزة، كما قالوا: للوشاح: إشاح، ولِلْوِجَاح: إِجَاح[١]، ومعنى وِلاه: أن الخلق يَوْلَهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما ينوبهم، ويفزعون إليه في كل ما يصيبهم كما يَوْلَه كل طفل إلى أمه[٢].

وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه مشتق من أَلِهْت في الشيء آلَهُ إلها إذا تحيرت فيه[٣].

وتسمى المفازة ميلها.

وقال الأعشى[٤]:

وَبَهْمَاءَ تِيهٍ تَأْلَهَ العَيْنُ وَسْطَهَا
وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَام تَرَائِكَا[٥]

---

(١) يقال ليس دونه وِجاح، ووَجاح، ووُجاح، وأجاح، إجاح: أي: ستر «اللسان» (وجح) ٨/ ٤٧٦٩.

(٢) كلام أبي الهيثم ورد في «التهذيب» ضمن كلام طويل له قال الأزهري: (وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله في اللغة فقال..) ثم ذكره، «التهذيب» (الله والإله) ١/ ١٨٩، وانظر: «اللسان» (أله) ١/ ١١٤.

(٣) ذكره الثعلبي ١/ ١٨أ.

(٤) هو أبو بَصِير، ميمون بن قيس، من فحول شعراء الجاهلية، ويدعى (الأعشى الكبير) تمييزًا له عن غيره ممن سمي (الأعشى)، أدرك الإسلام آخر عمره، وعزم على الدخول فيه، فصدته قريش في قصة مشهورة. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص١٥٤، «معاهد التنصيص» ١/ ١٩٦، «خزانة الأدب» ١/ ١٧٥.

(٥) في (ج): (برائكا). البيت في وصف صحراء مطموسة المعالم، (ترائكا) متروكة، ورواية الشطر الأول في الديوان: وَبَهْمَاءَ قَفْرٍ تَخْرُجُ العَيْنَ وَسْطَهَا. وعليه فلا شاهد في البيت هنا. (الديوان) ص١٣٠، والثعلبي بعد أن ذكر قول أبي عمرو ابن العلاء استشهد بقول زهير: =

ومعناه: أن العقول تتحير في كنه صفته وعظمته[١].

وعند متكلمي أصحابنا[٢]: أن الإله من الإلَهية، والإلَهِية القدرة على اختراع الأعيان[٣].

وقد أشار أبو الهيثم إلى هذا فيما ذكر، قالوا: وإنما سَمَّت العرب معبوداتهم آلهة[٤]؛ لأنهم اعتقدوا فيها صفة التعظيم، واستحقاق هذا الاسم فأصابوا في الجملة، وأخطؤوا في التعيين.

والإمالة في اسم الله تعالى جائزة في قياس العرب[٥]، والدليل على

وَبَيْدَاء تِيهٍ تَأْلَهُ العَيْنُ وَسْطَهَا مُخَفَّقَةٍ غَبْرَاءَ صَرْمَاءَ سَمْلَقِ

الثعلبي ١/ ١٨أ، وكذا في «الزينة» ٢/ ١٩.

(١) الثعلبي ١/ ١٨ب، وانظر: «الزينة» ٢/ ١٩.

(٢) هم المتكلمون من الأشاعرة، الذين تكلموا في العقائد بالطرق العقلية. انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ١/ ٢٨، ٣٨، «الرسالة التدمرية» لابن تيمية ص١٤٧.

(٣) هذا التفسير لمعنى الإلَهية هو منهج المتكلمين، وعند أهل السنة هو المستحق للعبادة. قال ابن تيمية: (وليس المراد ب) بالإله (هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين.. بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبده فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله ..)، «الرسالة التدمرية» ص١٨٦.

(٤) مرَّ كلام أبي الهيثم قريبا، وليس فيه دليل على أن الإلهية: القدرة على الاختراع، بل يدل على المعنى الثاني وهو أن الإلهية ؛ استحقاق العبادة، وقوله: (لأنهم اعتقدوا فيها صفة التعظيم..). ليس من كلام أبي الهيثم، انظر: «تهذيب اللغة» أله ١/ ١٨٩.

(٥) الكلام عن إمالة (الألف) من لفظ الجلالة نقله عن أبي علي الفارسي من «الإغفال» ص ٤٦، قال الفارسي: (فأما الإمالة في الألف من اسم الله تعالى فجائزة في قياس العربية، والدليل على جوازها..). ونقل ابن سيده كلام الفارسي. «المخصص» ١٧/ ١٥٠. ومعنى الإمالة: هو تقريب الألف نحو الياء والفتحة التي قبلها نحو الكسرة وهناك ثلاث علل للإمالة: هي الكسرة، وما أميل ليدل بالإمالة على أصله، والإمالة لإمالة بعده .

انظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ١٦٨، ١٧٠.

جوازها أن هذِه (الألف) لا تخلو من أن تكون زائدة لِفِعَال كالتي[(١)] في (إزار) و(عِمَاد)، أو تكون عين الفعل.

فإن كانت زائدة جازت فيها الإمالة من وجهين:

أحدهما: أن الهمزة المحذوفة كانت مكسورة، وكسرها يوجب الإمالة في الألف، كما أن الكسرة في (عماد) توجب إمالة ألفه.

فإن قلت: كيف تمال الألف من أجل الكسرة في الهمزة وهي محذوفة؟ فالقول فيها إنها وإن كانت محذوفة، موجبة للإمالة[(٢)]، كما كانت توجبها قبل الحذف؛ لأنها -وإن كانت محذوفة- فهي من الكلمة، ونظير ذلك ما حكاه سيبويه من أن بعضهم يميل الألف في: مَادٍّ[(٣)] وَشَاذٍّ، للكسرة المنوية[(٤)] في عين الفعل عند ترك الإدغام، وإن لم يكن في لفظ الكلمة كسرة[(٥)]، كذلك الألف في اسم الله، تجوز إمالتها وإن لم تكن الكسرة ملفوظا بها.

والوجه الثاني: (لام)[(٦)] الفعل منجرة، فتجوز الإمالة لانجرارها. وإن كانت الألف عينا ليست[(٧)] بزائدة جازت إمالتها، وحسنت فيها إذ كان

---

(١) في (ج): (كالذي).

(٢) في(أ)، (ج): (الإمالة) وما في (ب) موافق لـ «الإغفال» ص٤٧.

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): (صاد) بالصاد، وصححت الكلمة على ما ورد في «الإغفال» ص ٤٨، «المخصص» ١٧/ ١٥٠، ووردت كذلك عند سيبويه (جاد وماد) ٧/ ١٣٢، ولا تصح بالصاد؛ لأن الإمالة تمنع بعد (الصاد) لأنه حرف مستعمل. انظر: «الكتاب» ٤/ ١٢٨.

(٤) في (ب): (المنونة).

(٥) حكى كلام الفارسي بالمعنى، انظر: «الإغفال» ص ٤٨، «الكتاب» ٤/ ١٢٢، ١٣٢، «المخصص» ١٧/ ١٥٠.

(٦) في «الإغفال» (وتجوز إمالتها من جهة أخرى، وهي أن لام الفعل منجرة..) ص٤٨.

(٧) في (ب): (ليس).

انقلابها عن الياء[١] بدلالة قولهم: (لَهْيَ أبوك[٢]) وظهور الياء لما قلبت إلى موضع السلام[٣].

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. معنى الرحمة في صفة الله تعالى: إرادته الخير والنعمة بأهله، وهي صفة ذات، وفي صفة أحدنا تكون رقة قلب وشفقة[٤].

قال أبو بكر محمد بن القاسم بن[٥] بشار: سألت أبا العباس[٦] لم جمع بين الرحمن والرحيم؟ فقال: لأن الرحمن عبراني فأتى معه الرحيم العربي، واحتج بقول جرير[٧]:

---

(١) في (ب): (الباء) وكذا قوله: (وظهور الباء).

(٢) مرت هذِه الصيغة قريبا وهي بمعنى (لله أبوك) انظر ص ٢٥٢.

(٣) انتهى عن «الإغفال» لأبي علي الفارسي، وقال بعده: (فإن ثبتت بها قراءة فهذِه جهة جوازها) ص ٤٩، وانظر: «المخصص» ١٧/ ١٥١.

(٤) الرحمة صفة من صفات الله تعالى، نثبتها له تعالى، كما أثبتها لنفسه، ولا يلزم من إثباتها مشابهة صفة المخلوقين، ولا نؤولها بإرادة الخير كما فعل الواحدي هنا. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٨-٥٩، (الرسالة التدمرية) لابن تيمية ص٢٣، ٣٠.

(٥) هو أبو بكر بن الأنباري، سبقت ترجمته عند الحديث عن مصادر الواحدي.

(٦) هو أبو العباس ثعلب كما صرح بذلك الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص ٤٢، وانظر: «الزاهر» ١/ ١٥٣، «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣، «الزينة» ٢/ ٢٥، «الاشتقاق» لابن دريد ص ٥٨، ووهم القرطبي فقال: زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب «الزاهر» ١/ ١٠٤، وإنما هو ثعلب كما سبق وليس أبا العباس المبرد.

(٧) هو أبو حَرْزَة، جرير بن عطية بن حذيفة من بني كليب بن يربوع، أحد فحول الشعراء في صدر الإسلام، توفي سنة عشر ومائة. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٣٠٤، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٢٩٧، «الخزانة» ١/ ٧٥.

أو تَتْرُكُونَ إِلَى القَسَّيْنِ[١] هِجْرَتَكُم
وَمَسْحَهُمْ صُلْبَهُمْ رَحَمَانَ قُرْبَانَا[٢]

فأنكر عليه بعض الناس[٣]، وقال: لم تزل العرب تعرف الرحمن وتذكره في أشعارها، واحتج بقول الشاعر:

أَلاَ ضَرَبَت تِلْكَ الفَتَاةُ[٤] هَجِينَهَا أَلاَ قَضَبَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا[٥]

فقال[٦]: إن جمهور العرب كانوا لا يعرفون «الرحمن» في الجاهلية،

---

(١) في (ج): (القيز).

(٢) البيت من قصيدة له يهجو فيها الأخطل وهو نصراني، فحكى في البيت قول النصارى، ولهذا نصب (رحمن): (قربانا) أي قائلين ذلك، ويروى البيت (هل تتركن)، (مسحكم) وفي «الزينة» (رخمن) بالمعجمة وهو بمعنى: الحاء. انظر: «الزينة» ٢/ ٢٥، «الزاهر» ١/ ١٥٣، «اشتقاق أسماء الله» ص٤٣، «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٥٢ «تفسير القرطبي» ١/ ٩١، «اللسان» (رحم) ٣/ ١٦١٢.

(٣) ممن أنكر ذلك الطبري في «تفسيره» حيث قال: (وقد زعم بعض أهل الغباء أن العرب كانت لا تعرف (الرحمن) ولم يكن ذلك في لغتها...) ١/ ٥٧، والزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص٤٢، وابن سيده في «المخصص» ١٧/ ١٥١ وغيرهم.

(٤) في (ب): (الفتاو).

(٥) لم يعرف له قائل وقد ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٨، وابن سيده في «المخصص» ١٧/ ١٥٢، وقال محمد محمود التركزي الشنقيطي في تعليقه على «المخصص»: إن البيت من صنع بعض الرجال الذين يحبون إيجاد الشواهد المعدومة لدعاويهم. ورد عليه ذلك محمود شاكر في حاشيته على الطبري ١/ ١٣١، وذكره ابن دريد في «الاشتقاق»، وقال: (وقد روي بيت في الجاهلية، ولم ينقله الثقات وهو للشنفرى:

لَقَدْ لَطَمَتْ تَلِكَ الفَتَاةُ هَجِينَهَا أَلاَ بَتَرَ الرَّحْمَنُ رَبِّي يَمِينَهَا

«الاشتقاق» ص٥٨، ورواية هذا البيت تختلف قليلا عن البيت المستشهد به، وانظر (اشتقاق أسماء الله) ص ٨٢، (تفسير الماوردي) ١/ ٥٢.

(٦) أي ثعلب، ولم أجده، ولعله في كتب ابن الأنباري المفقودة، وأورد نحوه الطبري في=

الدليل على هذا أنهم لما سمعوا النبي ﷺ يذكره قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رجلًا باليمامة[(١)]، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] وإنما يذكر بعض الشعراء الرحمن في الجاهلية، إذ[(٢)] لقنه[(٣)] من أهل الكتاب، أو أخذه عن بعض من قرأ الكتب كأمية بن أبي الصلت[(٤)] وزيد بن[(٥)] عمرو، وورقة بن نوفل[(٦)]، ولا تجعل هذا حجة على ما عليه أكثرهم.

ومراد أبي العباس أن الرحمن يتكلم به بالعبرانية[(٧)]، وتتكلم به العرب، فلما لم يخلص في كلامهم، ولم ينفردوا به دون غيرهم، أتى[(٨)] بعده بالرحيم

= «تفسيره» ١/ ٥٨، وانظر: «الاشتقاق» ص ٥٨، والماوردي في «تفسيره» ١/ ٥٢، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤.

(١) انظر الطبري في «تفسيره» ١٩/ ٢٩، والقرطبي في «تفسيره» ١٣/ ٦٤.

(٢) في (ج): (إذا).

(٣) في (ب): (لقيته).

(٤) واسمه عبد الله بن ربيعة بن عوف الثقفي، سمع النبي ﷺ شعره فقال: «آمن شعره وكفر قلبه» وكان يخبر أن نبيا يخرج قد أظل زمانه، فلما خرج النبي ﷺ كفر به حسدا، ومات كافرا سنة ثمان أو تسع.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٠٠، «طبقات فحول الشعراء» ص١٠١، «الاشتقاق» ص١٤٣، «الخزانة» ١/ ٢٤٧.

(٥) زيد بن عمرو بن نفيل، والد سعيد بن زيد أحد العشرة، مات قبل المبعث. انظر: «الإصابة» ١/ ٥٦٩، «تجريد أسماء الصحابة» ١/ ٢٠٠.

(٦) هو ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عم خديجة رضي الله عنها، قال ابن منده: اختلف في إسلامه، والأظهر أنه مات قبل الرسالة، وبعد النبوة وكذا قال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» ٢/ ١٢٨، وانظر: «الإصابة» ٣/ ٦٣٣، «الخزانة» ٣/ ٣٩١.

(٧) في (ج): (بالعبراني).

(٨) في (ب): (أوتى).

الذي لا يكون إلا عربيا، ولا يلتبس بلغة غيرهم[١].

والصحيح أنه مشتق من الرحمة، وأنه اسم عربي لوجود هذا البناء في كلامهم، كاللهفان والندمان والغضبان[٢]. قال الليث: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان، اشتقاقهما[٣] من الرحمة[٤].

وقال أبو عبيدة: هما صفتان لله تعالى، معناهما ذو الرحمة[٥]. وأما ما احتج به أبو العباس من قوله: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] فهو سؤال عن الصفة، ولذلك قالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، ولم يقولوا: ومن، والقوم جهلوا

---

(١) لعل هذا من قول ابن الأنباري، لأن كلام الواحدي بعد هذا يدل على ذلك، لأنه رجح أن أصله عربي، وأنه مشتق، وأورد بعض الردود على أبي العباس كما سيأتي. قال الزجاجي رادا على من قال: إن أصله غير عربي... الرحمن معروف (الاشتقاق) والتصريف في كلام العرب، والأعجمي لا معنى له في كلام العرب ولا تصريف «اشتقاق أسماء الله» ص٤٢.

وقول أبي العباس: إنه أورد (الرحيم) لأنها تعرفه العرب، مع (الرحمن) الذي يلتبس بكلام غيرهم. فكأنه جعلهما بمعنى واحد. وجمهور العلماء على أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر، وأن (الرحمن) عربي، وإنما الكلام لم قدم (الرحمن) على (الرحيم)؟ وأجاب عنه الطبري في «تفسيره» ١/٥٨-٥٩، ويرد قريبا في كلام الواحدي.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٥، «اشتقاق أسماء الله» ص٣٨، «المخصص» ١/ ١٥١.

(٣) في (ب): (اشتقاقهم).

(٤) «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢١، «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣، والنص من «التهذيب»، وقد رد الطبري على أبي عبيدة قوله وأغلظ له حيث قال: (وقد زعم بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل، وقلت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن (الرحمن) مجازه: ذو الرحمة..) الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٨.

صفته، والاسم كان معلوما لهم في الجملة[(١)]. وقيل: هذا على جهة ترك التعظيم منهم. واختلفوا في أن أي الاسمين من هذين أشد مبالغة، فقال قوم: الرحمن أشد مبالغة من الرحيم، كالعلام من العليم، ولهذا قيل: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، لأن رحمته في الدنيا عمت المؤمن والكافر والبر والفاجر، ورحمته في الآخرة اختصت بالمؤمنين[(٢)].

فإن قيل: على هذا كان الرحمن أشد مبالغة، فلم بدئ بذكره[(٣)]؟ وإنما يبدأ في نحو هذا بالأقل ثم يتبع[(٤)] الأكثر كقولهم: (فلان جواد يعطي العشرات والمئين[(٥)] والألوف).

والجواب: أنه بدئ[(٦)] بذكر الرحمن، لأنه صار كالعلم، إذ كان لا يوصف به[(٧)] إلا الله ﷻ، وحكم الأعلام وما كان من الأسماء أعرف أن يبدأ به، ثم يتبع[(٨)] الأنكر، وما كان في التعريف أنقص. هذا مذهب سيبويه وغيره من النحويين، فجاء هذا على منهاج كلام العرب[(٩)].

---

(١) وجعله الطبري من إنكار العناد والمكابرة، وإن كانوا عالمين بصحته، وليس ذلك منهم إنكارا لهذا الاسم، الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧-٥٨، وقال ابن عطية: وإنما وقفت العرب على تعيين الإله الذي أمروا بالسجود له، لا على نفس اللفظة ١/ ٩٣، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٣، والقرطبي في «تفسيره» ١٣ / ٦٧.

(٢) انظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٥، «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣، «المخصص» ١٧/ ١٥١، «معاني القرآن» للزجاج ٥٨، «اشتقاق أسماء الله» ص٤٠.

(٣) هذا التساؤل والإجابة عنه بنصه في «المخصص» ١٧ ١٥١.

(٤) في (ج): (تتبع).

(٥) في (أ)، (ج): (الماتين) وفي (ب): (المايتين) وما أثبت من «المخصص».

(٦) في (ب): (بدأ).

(٧) (به) ساقط من (ج). (٨) في (ج): (تتبع).

(٩) إلى هنا بنصه في «المخصص» ١٧/ ١٥١، وإلى نحوه ذهب الطبري في «تفسيره» =

وقال وكيع: الرحيم أشد مبالغة؛ لأنه ينبئ عن رحمته في الدنيا والآخرة ورحمة الرحمانية في الدنيا دون الآخرة(١).

وقال آخرون: إنهما بمعنى واحد كندمان ونديم، ولهفان ولهيف، وجيء بهما للتأكيد والإشباع، كقولهم: جادٌّ ومُجِدٌّ(٢)، وقول طَرْفَه(٣):

مَتَى أَدْنُ مِنْه يَنْأَ مِنِّي(٤) وَيَبْعُدِ(٥)

= ١/ ٥٨، وانظر: «اشتقاق أسماء الله» ص ٤٠، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٩٢.

(١) لم أجده، عن وكيع فيما اطلعت عليه، والله أعلم.
قال ابن كثير: وقد زعم بعضهم أن (الرحيم) أشد مبالغة من (الرحمن)، ثم رد هذا القول ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٣، وعند جمهور العلماء أن (الرحمن) أشد مبالغة من (الرحيم) وأن (الرحمن) أعم فهو في الدنيا والآخرة ولجميع الخلق، و(الرحيم) خاص بالمؤمنين. انظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٥، «تفسير أسماء الله» للزجاج ص ٢٩، «المخصص» ١٧/ ١٥١، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٩ أ، والماوردي في «تفسيره» ١/ ٥٢-٥٣، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٩١، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥،١٠٦، «الدر» ١/ ٢٩، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٢-٢٣.

(٢) هذا قول أبي عبيدة، ونسبه ابن الأنباري كذلك لقطرب، وبهذا النص مع الشواهد ذكره الثعلبي، أما أبو عبيدة فذكر شواهد غيرها، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٩ أ، «الزاهر» ١/ ١٥٣، «تفسير أسماء الله» ص ٢٩، «اشتقاق أسماء الله» ص ٣٨،٣٩، وقد رد الطبري على أبي عبيدة، وأغلظ له الرد، وسبق ذكر بعض كلامه. انظر: «تفسيره» ١/ ٥٨.

(٣) هو الشاعر الجاهلي المشهور، عُدَّ بعد امرئ القيس في الشعر، واسمه (عمرو) ولقب بـ(طَرْفَه) وأحد الطرفاء لبيت قاله، قتل وهو ابن ست وعشرين سنة، وقيل: ابن عشرين. ترجمته في «الشعر والشعراء» ص١٠٣، «الخزانة» ٢/ ٤١٩.

(٤) في (ب): (عنى).

(٥) صدره: مَالِي أَرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكاً

والبيت من معلقة طرفة المشهورة. يتحدث عما كان بينه وبين ابن عمه (مالك) من =

وقول عدي[(١)]:

وأَلْفى قولَهَا كَذِباً وَمَيْنَا[(٢)]

في أمثال لهذا، وروي عن ابن عباس أنه قال: الرحمن الرحيم، اسمان رفيقان أحدهما أرق من الآخر[(٣)].

= جفوة وخصام، (ينأ عني) و(يبعد) معناهما واحد، وإنما جاء بهما لأن اللفظين مختلفان، والمعنى يبعد ثم يبعد بعد ذلك، وقيل: ينأ: بالفعل، ويبعد: بالنفس لشدة بغضه لي. أورد البيت الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٩أ، وانظر: «ديوان طرفة» ص٣٤ تحقيق وتحليل د. علي الجندي.

(١) عدي بن زيد بن حماد، من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة بن تميم شاعر فصيح، من شعراء الجاهلية، وكان نصرانيا، قتله النعمان بن المنذر ملك الحيرة. ترجمته في «الشعر والشعراء» ص١٣٠، «معاهد التنصيص» ١/ ٣٢٥، «الخزانة» ١/ ٣٨١.

(٢) من قصيدة قالها عدي بن زيد، في قصة طويلة مشهورة بين الزَّباء وجذيمة وردت في كتب التاريخ والأدب وصدر البيت:

وَقَدَّدَت الأَدِيَم لِرَاهِشَيْه .. ..

ويروي (قدمت) و(الراهش) عرق في باطن الذراع و(المين) بمعنى: الكذب، ورد البيت في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٧، «الشعر والشعراء» ص١٣٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٩ أ، ٧٣ أ، «أمالي المرتضى» ٢/ ٢٥٨، «المستقصى» ١/ ٢٤٣، «مغني اللبيب» ٢/ ٣٥٧، «الهمع» ٥/ ٢٢٦، «معاهد التنصيص» ١/ ٣١٠، «اللسان» (مين) ٧/ ٤٣١١، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٩٩، «الدر المصون» ١/ ٣٥٨.

والشاهد (كذبا ومَيْنا) فأكد الكذب بالمين وهو بمعناه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٩ ب، وابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ١٥٢، والأزهري في «تهذيب اللغة» (رحم) ٢/ ١٣٨٣، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٩٢، وابن كثير عن القرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٢، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسنديهما عن ابن عباس، قال: (الرحمن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف=

قال الحسين[(١)] بن الفضل: غلط الراوي؛ لأن الرقة في صفة الباري لا تصح. وإنما هما اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر[(٢)]. يدل على هذا ما روي في الخبر: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي[(٣)] على الرفق مالا يعطي على العنف**»[(٤)]، وسمعت من يقول[(٥)]: معنى قول ابن عباس (اسمان رقيقان) أي يدلان فينا على الرقة.

وقال بعضهم: الرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى[(٦)].

= عليه) في سنده ضعف. انظر الطبري ١/ ٥٧، «تفسير ابن أبي حاتم» (رسالة دكتوراه) ١٤٨/١، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٣، «المفسر عبد الله بن عباس والمروي عنه» (رسالة ماجستير) ١/ ١٣٠.

(١) في (ب): (الحسن).

(٢) ذكره القرطبي، وذكر نحوه عن الخطابي ١/ ٩٢، وذكره ابن كثير في «تفسيره» عن القرطبي ١/ ٢٢.

(٣) (الواو) ساقطة من (ب).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر، باب: فضل الرفق، وأبو داود (٤٨٠٧) كتاب الأدب، باب: في الرفق، وأحمد في «مسنده» عن علي ١/ ١١٢، وعن عبد الله بن مغفل ٤/ ٨٧، وأخرج البخاري عن عائشة وفيه: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ.

(٥) في (ج): (تقول).

(٦) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٩/أ. ومعنى أن (الرحمن) خاص اللفظ لأنه لا يطلق إلا على الله، عام المعنى؛ لأنه لجميع الخلق في الدنيا والآخرة، و(الرحيم) عام اللفظ لأنه يطلق على الله بما يليق به، ويطلق على غيره بما يليق به، وخاص المعنى: لأنه خاص بالمؤمنين، أو بالآخرة. انظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦-٥٨، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٢-٢٣.

تفسير الفاتحة

٢- قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. قال ابن عباس: يعني الشكر لله، وهو أن صنع إلى خلقه فحمدوه[١].

وقال الأخفش: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الشكر لله[٢]، قال: والحمد[٣] -أيضاً- الثناء، [وكأن[٤] الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أوليتها[٥]، والحمد قد يكون شكرا للصنيعة، ويكون ابتداء الثناء[٦] على الرجل، فحمد الله الثناء][٧]

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢٤ ب، وأخرج الطبري عن ابن عباس بمعناه، دون قوله (وهو أن صنع إلى خلقه فحمدوه) قال شاكر: إسناده ضعيف. الطبري في «تفسيره» ١/ ١٣٥ وبمثل رواية الطبري أخرجه ابن أبي حاتم، قال المحقق: سنده ضعيف ١/ ١٥٠، وانظر: «الدر» ١/ ٣٤-٣٥، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٤-٢٥.

(٢) في (ج): (والحمد لله) ومثله في «اللسان».

(٣) نص كلام الأخفش في «تهذيب اللغة» (حمد) ١/ ٩١٣، وفيه (قال الأخفش ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله، قال والحمد أيضاً: الثناء)، وانظر: «اللسان» (حمد) ٢/ ٩٨٧، وفي «معاني القرآن» للأخفش ذكر اللغات فيها ولم يذكر المعنى ١/ ١٥٥، والنص في «اللسان».

(٤) في (ب): (فكأن)، وفي «التهذيب» مكانها (قلت...) فهو من كلام الأزهري، ونص عليه في «اللسان» قال: قال الأزهري: الشكر لا يكون...«اللسان» (حمد) ٢/ ٩٨٧، فكيف تصحف عند الواحدي، فصار كأنه من كلامه، أو من كلام الأخفش.

(٥) في (ب): (أولاها).

(٦) في «التهذيب» «اللسان» (للثناء).

(٧) مابين المعقوفتين ساقط من (ج).

عليه والشكر لنعمه[١].

وقال أبو بكر[٢]: قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا إخبارًا أخبر الله تعالى به، والفائدة فيه أنه يبين[٣] أن حقيقة الحمد له، وتحصيل كل الحمد له[٤] لا لغيره، وذلك أنا[٥] نرى بني الدنيا ينعم[٦] بعضهم على بعض، فيحمده على إنعامه، فيكون حقيقة الحمد في ذلك لله، إذ هو الذي أنعم على الذي أنعم بما أنعم به، ورزقه إياه، وهو الذي وفق المعطي للعطية، وأجراها على يديه، فكان حقيقة الإنعام من الله تعالى، ومكافأة المنعَم عليه بالشكر[٧] والحمد راجعة إليه جل اسمه[٨].

وعلى هذا فقد حُكِي أن ابن التوءم[٩] كان يقول: إنما يجب أن يشكر

---

(١) انتهى من «التهذيب» (حمد) ١/ ٩١٣، مع اختلاف يسير في العبارة، وانظر: «اللسان» (حمد) ٢/ ٩٨٧.

(٢) هو ابن الأنباري، وقد نقل عنه الواحدي في هذا الموضع كثيرا، ولم أجده في كتبه الموجودة، ولعله ضمن كتبه المفقودة كـ «المشكل في معاني القرآن»، انظر الدراسة.

(٣) في (ب): (أن بين) وفي (ج): (أنه بين).

(٤) في (ب): (لله).

(٥) في (ب): (أنه).

(٦) في (ب): (يُنَعِّم) بالتشديد.

(٧) في (ب): (الشكر).

(٨) انظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ١٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٤/ب، ٢٥/أ، «الزاهر» ٢/ ٨٤، «تفسير الطبري» ١/ ٥٩، «تفسير ابن عطية» ١/ ٩٩- ١٠٠، «تفسير الماوردي» ١/ ٥٣، «تفسير البغوي» ١/ ٥٢، «القرطبي» ١/ ١١٤-١١٥، «الكشاف» ١/ ٤٦، ٤٧.

(٩) ابن التوءم لم أجد له ترجمة، وكلامه أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار أوسع مما ذكره الواحدي هنا. «عيون الأخبار» ٣/ ١٩١، قال ابن قتيبة: (قال ابن التوءم: كل من كان جوده يرجع إليه ولولا رجوعه إليه لما جاد عليك.. وإنما يوصف بالجود في الحقيقة، ويشكر على النفع في حجة العقل، الذي إن جاد عليك فلك جاد..).

من إن جاد عليك فلك جاد، وإن[١] نفعك فنفعك أراد، من غير أن يرجع إليه من جوده بشيء[٢] من المنافع على جهة من الجهات، وهو الله[٣] وحده لا شريك له. ألا[٤] ترى أن عطية الرجل لصاحبه لا تخلو من أن تكون لله أو لغيره فإن كانت[٥] لله فثوابها على الله، فلا[٦] معنى للشكر، وإن كانت[٧] لغير الله فلا تخلو من أن تكون لطلب المجازاة، أو حب المكافأة، وهذِه تجارة معروفة، والتاجر لا يشكر على تجارته، وجر المنفعة إلى نفسه، وإما أن تكون لخوف يده أو لسانه، أو رجاء نصرته أو[٨] معونته، ولا معنى لشكر من هذِه إحدى أحواله، وإما أن تكون[٩] للرقة والرحمة، ولما يجد في قلبه من الألم، ومن جاد على هذا[١٠] السبيل، فإنما داوى نفسه من دائها، وخفف عنها ثقل برحائها[١١].

فأما من مدحه بشار[١٢] بن برد بقوله:

---

(١) (إن نفعك) ليس في «عيون الأخبار» ٣/ ١٩١.

(٢) في (ب): (شيء) بسقوط الباء وما في (أ)، (ج) موافق لما في «عيون الأخبار».

(٣) في (ب): (اله).

(٤) بعد قوله: (وحده لا شريك له) كلام لابن التوءم تركه هنا، انظر: «عيون الأخبار» ٣/ ١٩١.

(٥) في (ب): (كان).

(٦) في (ب): (ولا معنى).

(٧) في (ب): (كان).

(٨) في (ب): (ومعونته).

(٩) في (ب): (يكون).

(١٠) في (ب): (ومن حاد عن هذا).

(١١) إلى هنا ما ذكره ابن قتيبة عن ابن التوءم مع اختلاف في بعض العبارات، انظر: «عيون الأخبار» ٣/ ١٩١.

(١٢) هو بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء، وأصله من (طخارستان)، أشعر الشعراء المولدين، نشأ بالبصرة، ومات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة. انظر ترجمته في: =

لَيْسَ[(١)] يُعْطِيكَ لِلرَّجَاء ولِلْخَوْ فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ[(٢)]

فأي معنى لشكر[(٣)] من يعطي لاجتلاب لذته، ويجيب[(٤)] داعي رأفته.

قال أبو بكر: ويحتمل أن يكون هذا ثناء أثنى به على نفسه، علم عباده في أول كتابه ثناء[(٥)] عليه، وشكرا[(٦)] له، يكتسبون بقوله وتلاوته أكمل الثواب وأعظم الأجر، لطفا بهم، وحسن نظر لهم، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي قولوا: يا معشر الناس ما إذا قلتموه علت منزلتكم [وارتفعت درجتكم بقوله][(٧)] عند ربكم، فيضمر القول هاهنا كما أضمر في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] معناه يقولون: ما نعبدهم[(٨)].

ثم إذا قال القائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد[(٩)] أثنى على الله تعالى، فيكون

= «الشعر والشعراء» ص٥١١، «طبقات الشعراء» لابن المعتز ص٢١، «البيان والتبين» ١/ ٦٥، «خزانة الأدب» ٣/ ٢٣٠.

(١) في (ج): (لئن).

(٢) من قصيدة قالها بشار يمدح عقبة بن سلم، ويروى (ولا الخوف) بدل (وللخوف) انظر: «ديوانه» ص ١٤، «طبقات الشعراء» لابن المعتز ص ٣٠، «عيون الأخبار» لابن قتيبة ١/ ١٦٤، «شرح ديوان المتنبي» للعكبري ٤/ ٢٧٩.

(٣) في (ب): (فإن معنى الشكر).

(٤) في (ب): (ويحبب).

(٥) في (ب): (الثناء).

(٦) في (ب): (والشكرا).

(٧) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) انظر: «الوسيط» ١/ ١٧، ونحوه في «تفسير الطبري» ١/ ٦٠، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٣ ب، «تفسير أبي الليث» ١/ ٧٩، «ابن عطية» ١/ ١٠٠، «القرطبي» ١/ ١١٨.

(٩) في (ب): (قد).

بذلك متعرضاً لثواب الله، ومن أثنى على واحد فقد تعرض لإحسانه وثوابه.

يدل على صحة هذا أن بعض العلماء، سئل عن تفسير الحديث المروي: «**أفضل الدعاء سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[١] فقيل له: ما في هذا من[٢] الدعاء؟ وإنما الدعاء: (اللهم اغفر لنا، وافعل بنا). فقال للسائل: أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن[٣] جدعان:

كَرِيمٌ لاَ يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ
عَنِ الخُلُقِ الجَمِيلِ وَلاَ مَسَاءُ
إذَا أَثْنَى عَلَيْهِ المَرْءُ يَوْماً
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ[٤]

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وقد أخرج ابن ماجه عن سمرة بلفظ: «**أربع أفضل الكلام لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» «سنن ابن ماجه» (٣٨١١) كتاب الأدب، باب: فضل التسبيح، ونحوه عند أحمد في «المسند» ٥/ ٢٠، وذكره البخاري معلقا (الفتح) ١١/ ٥٦٦، وأخرج ابن ماجه عن جابر: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**» «سنن ابن ماجه» كتاب الأدب، باب: فضل الحامدين، قال العجلوني في «كشف الخفاء»: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وصححاه ١/ ١٥٢، وانظر: «فيض القدير» ١/ ٦٠١.

(٢) (من) ساقطة من (ب).

(٣) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، لهذا مدحه أمية بن أبي الصلت، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. انظر ترجمته وبعض أخباره في «المحبر» ص ١٣٨، «السيرة» لابن هشام ١/ ١٤٤، «الخزانة» ٨/ ٣٦٦، «الأعلام» ٤/ ٧٦.

(٤) تروى الأبيات بروايات أخرى منها: (خليل) بدل (كريم)، و(السنى) بدل (الجميل) و(عليك) بدل (عليه). انظر: «ديوان أمية بن أبي الصلت» ص٢٥٤، «المحبر» ص١٣٨، «طبقات فحول الشعراء» للجمحي ١/ ٢٦٥، «ديوان الحماسة» ٢/ ٣٧٢، «العمدة» لابن رشيق ٢/ ١٥٨.

فهذا مخلوق اجتزأ من مسألة مخلوق مثله بالثناء عليه، فكيف يحتاج العبد مع ثنائه على ربه أن يسمي له حوائجه؟ .

قال[١]: وإنما اختير (الحمد) على الشكر للمبالغة والعموم، وذلك أن الشكر لا يكون إلا مكافأة لنعمة سبقت إليك وأيضًا، فإنه لا يشكر أحد على ما فيه من الأوصاف الجميلة، وليس كذلك الحمد، فإنه يقع ابتداء قبل الصنيعة، ويقع على الأوصاف المحمودة فهو أبلغ وأعم وأجمع[٢] .

قال الشاعر:

يَـا أَيُّـهَـا الـمَـائِـحُ دَلْـوِى دُونـكـا إِنِّـي رَأَيْـتُ الـنَّـاسَ يَـحْـمَـدُونـكـا[٣]

---

(١) أبو بكر ابن الأنباري.

(٢) انظر: «الزاهر» ٢/ ٨٤، ٨٥، وفيه تكلم ابن الأنباري عن الفرق بين الحمد والشكر بنحو هذا، وإلى هذا ذهب أكثر المفسرين، انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٣، «تفسير أبي الليث» ١/ ٧٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٤/ب، «تفسير الماوردي» ١٥٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (حمد) ١/ ٩١٣، «اشتقاق أسماء الله» ص٩٠، وذهب الطبري إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد، واستدل على هذا بصحة قول القائل: (الحمد لله شكرا). «تفسير الطبري» ١/ ٦٠، وهذا قول المبرد، كما قال القرطبي في «تفسيره» ١/ ١١٦!، ونسبة في «اللسان» للحياني. «اللسان» (حمد) ٢/ ٩٨٧، وقد تكلم العلماء في نقض ما قاله الطبري ورده، منهم ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٩٩، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ١١٦، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٠١. قال محمود شاكر في حاشية «تفسير الطبري»: والذي قاله الطبري أقوى حجة وأعرق عربية من الذين ناقضوه.

(٣) نسبه الأكثر لراجز جاهلي من بني أسد بن عمرو بن تميم، ونسبه بعضهم لجارية من مازن، وقيل: روته وليس لها، ونسبه بعضهم لرؤبة. و(المائح) الرجل في جوف البئر يملأ الدلاء. ورد الرجز في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٦٠، «الزاهر» ٢/ ٨٥، «أمالي الزجاجي» ص٢٣٧، «أمالي القالي» ٢/ ٢٤٤، «الإنصاف» ص١٨٧، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٠٩، ٦١٨، «شرح شذور الذهب» ص٤٨٥، «شرح المفصل» ١/ ١١٧، «الخزانة» ٦/ ٢٠٠.

فترجم بالثناء[١] والتمجيد[٢] عن الحمد، فدل هذا على عموم الحمد.

وقد أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي[٣] ﷺ، أنبا[٤] أحمد بن محمد الفقيه[٥]، أبنا محمد بن هاشم[٦]، عن الدَّبَرِي[٧]، عن عبد الرزاق[٨]،

---

(١) ورد الثناء والتمجيد في بيت آخر لم يورده الواحدي هنا وهو قوله:

يُثْنُون خَيْراً ويُمَجِّدُوَنَكاَ

أورد ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ٨٥، وانظر المصادر السابقة.

(٢) في (أ)، (ج): التحميد، وما في (ب) أصح؛ لأنه أراد: الثناء والتمجيد الذين وردا في البيت الثالث الذي لم يذكره.

(٣) أحد شيوخ الواحدي: عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي أبو الحسين، حدث عن أبي سليمان الخطابي بغريب الحديث سبق ذكره في، وانظر المنتخب من السياق ١٠٦، «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٩.

(٤) في (ب): (أنا) وفي (ج): (أن) في الموضعين.

(٥) هو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي الشافعي، وقيل: اسمه: حمد، له مصنفات منها «غريب الحديث» «ت ٣٨٨ هـ»، انظر ترجمته في «الأنساب» ٥/ ١٥٨، ١٥٩، «إنباه الرواة» ١/ ١٢٥، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠١٨.

(٦) محمد بن هاشم أحد شيوخ الخطابي، روى عنه في «غريب الحديث» كثيرا، ولم أجد له ترجمة، حتى إن محقق «غريب الحديث» ترجم لجميع شيوخ الخطابي، ولم يذكر محمد بن هاشم مع كثرة روايته عنه، ولعله لم يجد له ذكرا. والله أعلم.

(٧) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدَّبَرِي و(الدَّبَرِي) بفتح الدال والباء نسبة إلى (الدَّبَر) قرية من قرى صنعاء، راوية عبد الرزاق، (ت٢٨٥هـ). انظر ترجمته في «اللباب» ١/ ٤٨٩، «ميزان الاعتدال» ١/ ١٨١، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤١٦.

(٨) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ، عالم اليمن، أبو بكر الحصيري بالولاء. حدث عن جماعة منهم الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وحدث عنه أحمد بن حنبل، وابن راهويه، وابن معين، وابن المديني وجماعة (ت ٢١١ هـ) وانظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٤٨، «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٥٦٨، «ميزان الاعتدال» ٣/ ٣٢٣.

عن مَعْمر[١]، عن قتادة، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: (الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لا يحمده)[٢].

قال أحمد[٣] على إثر هذا الحديث: الحمد نوع والشكر جنس[٤]، وكل حمد شكر[٥]، وليس كل شكر حمدا.

وهو على ثلاث منازل: شكر القلب، وهو الاعتقاد بأن الله ولي النعم، قال الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وشكر اللسان وهو إظهار النعمة بالذكر لها، والثناء على مسديها، قال الله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وهو رأس الشكر المذكور في الحديث. وشكر العمل، وهو[٦] إدآب النفس بالطاعة.

---

(١) هو الإمام الحافظ مَعْمَر بن راشد، أبو عروة، الأزدي بالولاء البصري، نزيل اليمن، حدث عن قتادة، والزهري وعمرو بن دينار، وهمام بن منبه وجماعة، وعنه السفيانان، وابن المبارك، وعبد الرزاق بن همام (ت١٥٣ هـ)، انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٤٦، «الجرح والتعديل» ٨/ ٢٥٥، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١٠/ ٤٢٤ (١٩٥٧٤) كتاب الجامع، باب: شكر الطعام، وذكره الخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٣٤٥، ٣٤٦، وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» ورمز له بالحسن، انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ٣/ ٤١٨، وقال الألباني: في «ضعيف الجامع» ٣/ ٤١١ (٢٧٩٠): ضعيف.

(٣) هو أحمد بن محمد الخطابي البستي، سبقت ترجمته. قال في «غريب الحديث» بعد أن ذكر الحديث. وقال أبو سليمان: الحمد نوع.. ١/ ٣٤٦.

(٤) الجنس: كلي دال على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب (ماهو). والنوع: كلي دال على كثيرين متفقين في الحقيقة واقع في جواب (ما هو). انظر: «التعريفات» للجرجاني ص ٧٨، ٢٤٧، «المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين» للآمدي ص٧٣.

(٥) في (ج): (شكرا).

(٦) في (ب): (وهو شكر اداب).

قال الله سبحانه[1]: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾[2] [سبأ: ١٣].

وقام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه، فقيل: يا رسول الله أليس قد غفر الله[3] لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدا شكورا**»[4].

وقد جمع الشاعر أنواعه الثلاثة فقال:

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلاَثَةً
يَدِي وَلِسَانِي والضَّمِيرَ المُحَجَّبَا[5][6]

وبين الحمد والشكر فرق واضح[7]، يظهر بالنقيض؛ لأن نقيض الشكر الكفر، ونقيض الحمد الذم[8]، فهذا ما في معنى الحمد والشكر.

---

(١) في (ج): (تعالى).

(٢) في (ب): (الى) تصحيف.

(٣) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٤) متفق عليه من حديث المغيرة وعائشة، حديث المغيرة رواه البخاري (١١٣٠) كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ الليل، ومسلم (٢٨١٩) كتاب: صفة الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة، وحديث عائشة رواه البخاري (٤٨٣٧) كتاب التفسير، باب: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾، ومسلم (٢٨٢٠) كتاب صفة الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٥) يقول: إن نعمتكم علي أفادتكم مني يدي ولساني وجناني فهي وأعمالها لكم. ورد البيت بدون عزو في «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٣٤٦، «الكشاف» ١/ ٤٧، «الفائق» ١/ ٣١٤، «الدر المصون» ١/ ٣٦، وانظر: «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف» ص٧.

(٦) انتهى من «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٣٤٦، وانظر: «الكشاف» ١/ ٤٧.

(٧) سبق بيان خلاف العلماء في ذلك، وأن قول الأكثر على أن بينهما فرقا وقال الطبري ومعه طائفة: إنهما بمعنى واحد، انظر ص ٢٧٥.

(٨) انظر: «الزينة» ٢/ ١١٢، «تهذيب اللغة» (حمد) ١/ ٩١٣، «اللسان» (حمد) ٢/ ٩٨٧.

ولا بد من ذكر طرف من مذهب النحويين في (الألف واللام) اللتين للتعريف وحكمهما. ومذهب[١] الخليل في هذا أن (ال) حرف التعريف، بمنزلة (قد[٢]) في الأفعال، فإن الهمزة واللام جميعا[٣] للتعريف، وحكي عنه أنه كان يسميها (أل) كقولنا: (قد)، وأنه لم يكن يقول: (الألف[٤] واللام) كما لا يقول في (قد) القاف والدال.

واحتج لهذا المذهب بفصلين[٥][٦]:

أحدهما: أن العرب قد قطعت (أل) في أنصاف الأبيات، نحو قول عبيد[٧]:

يَا خَلِيلَيَّ ارْبَعَا واسْتَخْبِرَا الـ مَنْزِلَ الدَّارِس مِنْ أَهْلِ الحِلَالْ
مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكَ الـ قَطْرُ مَغْنَاهُ وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ[٨]

---

(١) الكلام عن (أل) نقله الواحدي عن أبي الفتح بن جني من كتاب «سر صناعة الإعراب» وأذكر الفروق الهامة بين عبارة الواحدي وعبارة ابن جني في موضعه إن شاء الله. قال ابن جني: (وذهب الخليل إلى أن (أل) حرف التعريف بمنزلة (قد)..) ١/ ٣٣٣.

(٢) انظر مذهب الخليل في «الكتاب» ٣/ ٣٢٤.

(٣) عند أبي الفتح: (وإن الهمزة واللام جميعهما..) ١/ ٣٣٣.

(٤) انظر: «الكتاب» ٣/ ٣٢٥. (٥) في (ج): (بفضلين).

(٦) عند أبي الفتح: (ويقول هذا المذهب قطع (أل) في أنصاف الأبيات، نحو قول عبيد..) ١/ ٣٣٣.

(٧) هو عبيد بن الأبرص بن جُشَم، من بني أسد، يعد من فحول شعراء الجاهلية، قيل: إنه عمر طويلا. ترجمته في «الشعر والشعراء» ص١٦١، «طبقات فحول الشعراء» ص٥٨، «خزانة الأدب» ٢/ ٢١٥.

(٨) قوله: (اربعا) أقيما، (الحلاّل): جمع حال أي نازل، أو جمع حِلّة وهو جماعة البيوت، (سحق البرد) الثوب البالي، (عفى) غطى، (القَطر): المطر، (مغناه) المغنى: المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا، (التأويب) الرجوع وتردد هبوبها. وردت الأبيات في «ديوان عبيد» ص ١١٥، «المنصف» ١/ ٣٣٣، «شرح المفصل» ٩/ ١٧، «الخزانة»=

قال[١]: فلو كانت اللام وحدها حرف التعريف؛ لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها، لاسيما واللام ساكنة، والساكن لا ينوي به الانفصال[٢].

فصار قطعهم وهم يريدون الاسم بعدها كقطع النابغة[٣] (قد) في قوله:

أَفِدَ[٤] التَّرحُّلُ[٥] غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لـمَّا تَزُلْ بِرِحَالِهَا[٦] وَكَأَنْ قَدِ[٧]

= ٧/ ١٩٨. والشاهد فيه فصل (أل) في البيتين، استدل به الخليل على أن (أل) جميعها حرف التعريف، ولو كانت اللام وحدها للتعريف لما جاز فصلها.

(١) من القائل؟ ظاهر كلام الواحدي أن القائل الخليل، لأنه هو المذكور قبله، والواقع أن الكلام لأبي الفتح ابن جني، حيث قال بعد الأبيات: (وهذِه قطعة لعبيد مشهورة عددها بضعة عشر بيتا يطرد جميعها على هذا القطع الذي تراه إلا بيتا واحدا من جملتها، ولو كانت اللام وحدها حرف التعريف لما جاز فصلها من الكلمة التي عرفتها..«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٣.

(٢) بعده كلام لأبي الفتح تركه الواحدي. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٣.

(٣) في (ب): (لقطع التابعه). والنابغة: هو زياد بن معاوية الذبياني، أحد شعراء الجاهلية المشهورين، توفي في زمن النبي ﷺ قبل أن يبعث. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٨٣، «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥١، «جمهرة أنساب العرب» ص٢٥٣، «الخزانة» ٢/ ١٣٥.

(٤) في (ب): (أرف) وفي (ج): (أفر) وفي نسخة من «سر صناعة الإعراب» (أزف) ١/ ٣٣٤.

(٥) في (ب): (الترجيل).

(٦) في (ب): (برجالها) وعند أبي الفتح (برحالنا) وفي الحاشية: في (ش): (برحالها)، والأكثر في رواية البيت (برحالنا).

(٧) من قصيدة قالها النابغة في (المتجردة) امرأة النعمان بن المنذر (أفد الترحل): أي دنا الرحيل وقرب. و(الركاب): الإبل. و(كأن قد): (أي: زالت لقرب وقت زوالها ودنوه. انظر: «ديوان النابغة الذبياني» ص٨٩، «الخصائص» ٢/ ٣٦١، ٣/ ١٣١، «مغنى اللبيب» ١/ ١٧١، ٢/ ٣٤٢، «شرح المفصل» ٨/ ٥، ١١٠، ١٤٨، ٩/ ١٨، ٥٢، «الأزهية» ص٢١١، «شرح ابن عقيل» ١/ ١٩، «الهمع» ٢/ ١٨٨، ٤/ ٣١٥، «الخزانة» ١/ ٧٠، ٧/ ١٩٧.

ألا ترى أن التقدير: (كأن قد زالت)، فقطع (قد) من الفعل كقطع (ال) من الاسم.

وإذا[١] كان (ال) عند الخليل حرفا واحدا، فقد ينبغي أن تكون همزته مقطوعة ثابتة، كقاف (قد) وباء (بل)، إلا أنه لما كثر استعمالهم لهذا الحرف عرف موضعه، فحذفت همزته، كما حذفوا: (لم يَكُ) و(ولا أَدْرِ)[٢].

والفصل[٣] الثاني[٤]: أنهم قد أثبتوا هذِه الهمزة بحيث تحذف همزات الوصل، نحو قوله ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾[٥] [يونس: ٥٩] و﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ولم[٦] تر همزة وصل تثبت في نحو هذا، فهذا يؤكد أن همزة (أل) ليست بهمزة وصل وأنها مع اللام كقد.

ومذهب الجمهور[٧] في هذا أن اللام وحدها هي حرف التعريف، وأن

---

(١) ترك بعض كلام أبي الفتح. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٤.

(٢) والقياس فيهما: لم يكن (و) لا أدري (لكن لما كثر في الاستعمال حذفت النون من الأول والياء من الثاني، قال أبو الفتح: وحذفها شاذ انظر: «المنصف» ٢/ ٢٢٧.

(٣) في (ج): (الفضل).

(٤) نص كلام أبي الفتح: (ويؤكد هذا القول عندك أيضا: أنهم قد أثبتوا... الخ)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٤.

(٥) في (ب) تصحيف في الآية، حيث حذف (أذن) وكرر (لكم).

(٦) عند أبي الفتح: (... ونحو قولهم في القسم (أفأَلله) و (لا ها أَلله ذا) ولم نر همزة الوصل تثبت في نحو هذا.... الخ)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٥.

(٧) عند أبي الفتح: (وأما ما يدل على أن اللام وحدها هي حرف التعريف، وأن الهمزة إنما دخلت عليها لسكونها، فهو إيصالهم جر الجار إلى ما بعد حرف التعريف....) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٥.

قال في «شرح المفصل»: (واللام هي حرف التعريف وحدها، والهمزة وصلة إلى النطق بها ساكنة، هذا مذهب سيبويه، وعليه أكثر البصريين والكوفيين ما عدا الخليل....)، ٩/ ١٧، وانظر: «الخزانة» ٧/ ١٩٨ - ١٩٩.

الهمزة إنما دخلت عليها لسكونها، والدليل على هذا[١] إيصالهم حرف الجار إلى ما بعد حرف التعريف نحو قولهم: (عجبت من الرجل) و(مررت بالغلام) فنفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف يدل على أن حرف التعريف غير فاصل عندهم بين الجار والمجرور، وإنما كان كذلك لأنه في نهاية اللطافة والاتصال بما عرفه؛ لأنه على حرف واحد، ولاسيما ساكن، ولو كان حرف التعريف في نية الانفصال كـ[٢] (قد) لما جاز نفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف.

وأيضا فإن[٣] حرف التعريف نقيض التنوين، لأن التنوين دليل التنكير، كما أن هذا[٤] دليل التعريف، فكما[٥] أن التنوين في [آخر الاسم حرف واحد، كذلك حرف التعريف في][٦] أوله ينبغي أن يكون حرفا واحدا.

فأما ما احتج به الخليل من قطع (أل) عن الحرف الذي بعده في الشعر فقد يقطعون[٧] في المصراع الأول بعض الكلمة وما هو منها أصل، ويأتون بالبقية في أول المصراع الثاني، كما قال:

---

(١) أي على مذهب الجمهور وهو أن حرف التعريف (اللام) وحدها.

(٢) عند أبي الفتح: (... ولو كان حرف التعريف عندهم حرفين كـ (قد) و (هل) لما جاز الفصل به بين الجار والمجرور به....) ثم أخذ يشرح ويفصل في هذا في كلام طويل تركه الواحدي، ثم قال: (... وكذلك لو كان حرف التعريف في نية الانفصال لما جاز نفوذ الجر إلى ما بعد حرف التعريف، وهذا يدل على شدة امتزاج حرف التعريف بما عرفه...) ١/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) قال أبو الفتح: (.. ويزيدك تأنيسا بهذا أن حرف التعريف نقيض التنوين..) ١/ ٣٣٧.

(٤) أي حرف التعريف.

(٥) في (ج): (وكما).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ج).

(٧) في (ب): (يقطعونه).

يَـا نَـفْـسِ أَكْـلاً واضْـطِـجَـا عــاً نَـفْـسِ لَـسْــتِ بِـخَـالِـدَه[١]

وهو كثير، وإذا جاز ذلك في أَنْفُسِ الكَلِم، ولم يدل على انفصال بعض الكلمة من بعض، فغير منكر أيضاً أن تفصل (لام المعرفة) في الأول[٢].

وأما ما احتج به من قطع الهمزة في نحو: ﴿ءَآللَّهُ﴾[٣] فإنما جاز ذلك لمخافة التباس الاستفهام بالخبر[٤].

وإنما جعل حرف التعريف حرفا واحدا؛ لأنهم أرادوا خلطه[٥] بما بعده، فجعلوه على حرف واحد؛ ليضعف عن[٦] انفصاله مما بعده، فيعلم بذلك أنهم قد[٧] اعتزموا[٨] على خلطه به، ولهذا سكنوه، لأنه أبلغ فيما قصدوا، لأن الساكن أضعف من المتحرك، وأشد حاجة وافتقارا إلى ما يتصل به[٩].

---

(١) نسب البيت لكثير عزة، وليس في «ديوانه». انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٠، «شرح المفصل» ٩/ ١٩، «الخزانة» ٧/ ٢٠٢، وانظر: «معجم الشواهد العربية» لعبد السلام هارون ١/ ٩٩. والشاهد فيه: أنه فصل الكلمة بين مصراعي البيت، وأورده ردا على ما ذهب إليه الخليل من أن قطع (أل) في المصراع الأول دليل على أن (الألف واللام) أداة تعريف، وليس اللام وحدها.

(٢) أي: المصراع الأول من البيت، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٠.

(٣) أي قوله تعالى: ﴿آلله أذن لكم﴾ [يونس: ٥٩].

(٤) يلحظ أن الكلام من قوله: (فأما ما احتج به الخليل....) إلى قوله: (بالخبر) ليس بهذا السياق والترتيب عند أبي الفتح، وإنما تصرف فيه الواحدي. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٣٧ . ٣٤٠، انظر: «الخزانة» ٧/ ٢٠١، ٢٠٢.

(٥) في (ب): (خالطه).

(٦) في (أ)، (ج): (على)، وما في (ب) موافق لـ «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٦.

(٧) (قد) ساقط من (ج).

(٨) في (أ)، (ج): (اعترفوا)، وما في (ب) موافق لـ «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٦.

(٩) من قوله (وإنما جعل حرف التعريف) ملخص من «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٦.

وإنما اختاروا[١] (اللام) دون سائر حروف المعجم؛ لأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف فيما بعده ؛ لأن الحرف المدغم أضعف من الحرف الساكن غير المدغم ؛ ليكون إدغامه دليلا على شدة اتصاله، فلما آثروا إدغامه فيما بعده اعتبروا حروف المعجم، فلم يجدوا فيها حرفا أشد مشاركة لأكثر الحروف من (اللام) فعدلوا إليها؛ لأنها تجاور أكثر حروف الفم[٢] التي هي معظم الحروف، وليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما عزموه[٣] من شدة وصل التعريف بما عرفه[٤][٥]، ولو جاؤوا بغير (اللام) للتعريف لما أمكنهم أن يكثر[٦] إدغامها، كما أمكنهم ذلك مع (اللام)، فإدغامهم إياها مع ثلاثة[٧] عشر حرفا، وهي: (التاء، والثاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والنون) وذلك قولهم التمر، والثَّرِيد، والدِّبْس، والذَّوْق[٨]، والرُّطَب، والزُّبْد، والسَّفَرْجَل، والشَّعِير، والصَّيْر، والصَّنَاب[٩]،

---

(١) عند أبي الفتح (وأما لم اختاروا له اللام دون سائر حروف المعجم؟ فالجواب عنه أنهم إنما أرادوا....) ١/ ٣٤٦، قوله (له) أي: للتعريف.

(٢) في (ب): (المعجم) والمراد بحروف الفم التي مخارجها في الفم.

(٣) في (ج): (عرضوه) وعند أبي الفتح (اعتزموه) ١/ ٣٤٧.

(٤) في (ب): (عرقوه).

(٥) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٤٧، وفي كلام أبي الفتح زيادة عما هنا.

(٦) في (ب): (يكثروا).

(٧) في (ب): (ثلاث). والرابع عشر اللام نفسها. ومثلها الليل

(٨) عند أبي الفتح: (الذرق)، وفي حاشيته: (ب): (الذوق). الذرق: نبات كالفسفسة، تُسميه الحاضرة: الحندقوقى. انظر: «تهذيب اللغة» (ذرق) ٢/ ١٢٨٠.

(٩) في (ج): (الضباب) وفي (ب): (الضناب) وعند أبي الفتح: (والصَّناب والضَّرْو) ١/ ٣٤٧، وهو الصواب؛ لأنه تمثيل للصاد ثم للضاد. الصِّير: هو الشق، كما في الحديث: «من اطلع من صير باب»، والصير: الماء يحضره الناس، والصِّير: السمكات=

والطَّبِيخ، والظُّلْم[١]، والنَّبِق، يدلك على[٢] ما ذكرنا أنك[٣] تجد (اللام) ساكنة وهي لغير التعريف مظهرة غير مدغمة مع أكثر هذِه الحروف، وذلك نحو: (التقت)[٤]، و(هل ثم أحد)[٥]، و(الْزَمْ[٦] بِه) و(أَلْسِنَة) هذا هو الكلام في (اللام)[٧].

فأما الكلام في (الهمزة) الداخلة على هذِه (اللام): فاعلم أن (الهمزة)[٨] (إنما جيء بها توصلا إلى النطق بالساكن الذي بعدها، إذ لم

= المملوحة التي تعمل منها الصحناة. انظر: «تهذيب اللغة» (صير) ٢/ ٢٠٧٥، «اللسان» (صير) ٤/ ٢٥٣٥، الصَّنَاب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب. انظر: «تهذيب اللغة» (صنب) ٢/ ٢٠٦٢، «اللسان» (صنب) ٤/ ٢٥٠٤.
الضِّرو والضَّرو: (شجر طيب الريح يستاك به، ويجعل ورقه في العطر. «اللسان» ضرا ١٤/ ٤٨٣.

(١) عند أبي الفتح (الظبي)، وفي الحاشية: (ل): (الظئر) ١/ ٣٤٧.

(٢) اختصر الواحدي كلام أبي الفتح ونص كلامه: (.. ويدلك على إيثارهم الإدغام للام التعريف لما قصدوا من الإبانة عن غرضهم، أنك لا تجد لام التعريف مع واحد من هذِه الأحرف الثلاثة عشر إلا مدغماً في جميع اللغات، ولا يجوز إظهارها ولا إخفاؤها معهن ما دامت للتعريف البتة، وأنك قد تجد اللام إذا كانت ساكنة وهي لغير التعريف مظهرة.. الخ)، ١/ ٣٤٧.

(٣) في (ب): (أنا).

(٤) في (ب): (السقب) وعند أبي الفتح (التفت).

(٥) في (ب): (أخذ).

(٦) في (ج): (ولزم به): (وعند أبي الفتح (أُلْزِمَ به) وفي الحاشية ل (إِلْزَمْ به)، ١/ ٣٤٨.

(٧) إلى هنا ما أخذ الواحدي من كتاب أبي الفتح «سر صناعة الإعراب» حرف اللام ١/ ٣٣٣ - ٣٤٨.

(٨) انتقل الواحدي إلى موضع آخر من نفس كتاب «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٢ قال=

يمكن[1] الابتداء به، وكان حكم هذِه (الهمزة) أن تكون ساكنة، لأنها حرف جاء لمعنى، ولا حظ له في الإعراب. وهي في أول الحرف كالهاء التي لبيان الحركة[2] في آخر الحرف. نحو (وازيداه) و(واعمراه) فكما أن تلك ساكنة فكذلك كان ينبغي في الألف[3] أن تكون ساكنة[4]، إلا أنها[5] حركت لأجل الساكن الذي بعدها، ولم يجز أن يحرك ما بعدها لأجلها من قبل أنك لو فعلت ذلك لبقيت هي عليك[6] أيضاً في أول الكلمة ساكنة، وكان يحتاج لسكونها إلى حرف قبلها محرك يقع به[7] الابتداء.

وإنما اختاروا الهمزة لوقوع الابتداء[8] بها[9]؛ لأنهم أرادوا حرفا يتبلغ به في الابتداء، ويحذف في الوصل للاستغناء عنه بما قبله، فجعلوه الهمزة؛ لأن العادة فيها في أكثر الأحوال حذفها للتخفيف، وهي مع ذلك أصل،

= أبو الفتح: (واعلم أن هذِه الهمزة إنما جيء بها توصلا إلى النطق بالساكن....)، وسأذكر الفروق الهامة بين كلام أبي الفتح وكلام الواحدي في مواضعها.

(١) في (ب): (يكن) وعند أبي الفتح (لما لم يمكن) ١/ ١١٢.

(٢) عند أبي الفتح (.. الحركة بعد الألف في آخر الحرف..) ١/ ١١٢.

(٣) أي: الهمزة التي جيء بها للتوصل إلى النطق بالساكن.

(٤) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٣، اختصر الواحدي بعض الكلام، وتصرف في بعض العبارات.

(٥) في (ب): (إنها) بكسر الهمزة.

(٦) (عليك): ليست في كلام أبي الفتح.

(٧) في (أ)، (ج): (يقع به الابتداء به) وعند أبي الفتح (يقع الابتداء به)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٣.

(٨) هذا جواب تساؤل افترضه أبو الفتح، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٣.

(٩) في (أ)، (ب)، (ج): (به) وصححتها على حسب ما عند أبي الفتح في «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٣.

فكيف بها إذا كانت زائدة، ألا تراهم حذفوها في نحو: (خذ) و(مر)[(١)] و(وَيْلُمِّه)[(٢)] وفي قول الشاعر:

وَكَـانَ حَـامِـلُـكُـمْ مِـنَّـا وَرَافِـدُكُـمْ وَحَامِلُ المِينَ بَعْد المِينَ والْأَلَفِ[(٣)]

أراد المئين، فحذف الهمزة، وأراد (الألف) فحرك اللام ضرورة[(٤)].

وقالوا: (ذن[(٥)] لا أفعل) فحذفوا همزة (إذن)[(٦)] ولو أنهم جعلوا مكان الهمزة غيرها لم يمكن حذفه؛ لأنه لم يحذف غيرها من الحروف كما حذفت هي، وكانت (الهمزة) بالزيادة في الابتداء أولى من سائر الحروف؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم حرفا يحذف عند الغنى[(٧)] عنه، وذلك في أكثر أحواله؛ لأن الوصل أكثر من الابتداء والقطع، ولم يجدوا حرفا يطرد فيه الحذف

---

(١) أصلها: (أُؤخُذْ) و(أُؤْمُر) فلما اجتمعت همزتان وكثر استعمال الكلمة حذفت الهمزة الأصلية فزال الساكن، فاستغني عن الهمزة الزائدة. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٢.

(٢) الأصل فيها: (وَيْلٌ لِأُمِّه) فحذف التنوين فالتقت لام ويل ولام الخفض فأسكنت الأولى وأدغمت الثانية ثم حذفت الهمزة، ثم خفف بحذف أحد اللامين، فمنهم من جعل المحذوفة (لام) الخفض وأبقى (لام) ويل وأبقى لام الخفض مكسورة، ومنهم من جعل المحذوفة (لام) ويل على أصلها مضمومة، ففيها الوجهان. انظر: «المسائل الحلبيات» للفارسي ص٤٣، «الكتاب» ٣/ ٥، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٣، ٢٣٥، «الخزانة» ٣/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) ورد البيت غير منسوب في «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٤، «الخصائص» ٢/ ٣٣٤، «اللسان» (ألف) ١/ ١٠٧، و(مأى) ٧/ ٤١٢٤.

(٤) وقيل: أراد: (الآلاف) فحذف للضرورة، قاله في «اللسان» ٩/ ٩.

(٥) في (ب): (اذن).

(٦) «سر صناعة الإعراب» بتصرف ١/ ١١٣، ١١٤.

(٧) في حاشية «سر صناعة الإعراب»: (ب) و(ش): (الغناء).

اطراده في الهمزة، فأتوا بها دون غيرها من سائر حروف المعجم.

والأصل في جميع (ألفات الوصل) أن تبدأ بالكسر؛ لأنها إنما دخلت وصلة إلى النطق بالساكن[١]، وقد ذكرنا أن حقها كان في الأصل السكون، فلما كان حقها السكون ودخلت على الساكن حركت بالكسرة تشبيها بحركة الساكن إذا لقيه ساكن، لأن تحريك أحد الساكنين في سائر المواضع إنما هو أيضاً ليتصل به إلى النطق بالساكن الآخر[٢]. وإنما فتحت مع (لام التعريف) لأن (اللام) حرف، فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة؛ لتخالف حركتها في الأسماء والأفعال[٣][٤].

و(لام التعريف) تقع[٥] في الكلام في أربعة مواضع[٦] وهي:

١- تعريف الواحد بعهد، نحو قولك لمن كنت معه في ذكر رجل: (قد وافى الرجل) أي: الرجل الذي كنا في حديثه وذكره.

٢- وتعريف الواحد بغير عهد نحو قولك لمن لم تره قط ولا ذكرته: (يا أيها الرجل أقبل) فهذا تعريف لم يتقدمه ذكر ولا عهد.

---

(١) في (ج) كلام مقدم في غير موضعه ونص العبارة (بالساكن الآخر وإنما فتحت مع لام التعريف لأن اللام حرف فجعلوا حركة الهمزة معها فتحة لتخالف، وقد ذكرنا...). وشطب الناسخ كلمة (والآخر) و(لتخالف) وهما أول ونهاية الكلام المكرر فلعله تنبه له بعد كتابته.

(٢) أخذه بمعناه من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٢، ١١٣.

(٣) حيث تكون مكسورة أو مضمومة مع الأسماء والأفعال.

(٤) بنصه من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١١٧.

(٥) في (ب): (تقطع).

(٦) مواضع لام التعريف، أخذه كذلك عن أبي الفتح بن جني من «سر صناعة الإعراب» (حرف اللام) ١/ ٣٥٠، مع إعادة ترتيب الكلام والتصرف اليسير في العبارة.

٣- الثالث: تعريف الجنس، نحو قولك: (العسل حلو والخل حامض) فهذا التعريف لا يجوز أن يكون عن إحاطة بجميع الجنس ولا مشاهدة له؛ لأن ذلك متعذر، وإنما معناه: أن كل واحد من هذا الجنس المعروف بالعقول دون حاسة المشاهدة[(١)].

٤- الرابع: أن تكون زائدة، نحو قوله: (الآن، ولام الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما، ولام اللات والعزى) وسنذكر كل واحد من هذِه الحروف إذا انتهينا إليه إن شاء[(٢)] الله.

فأما قوله: (الحمد) ف (اللام) فيه تحتمل[(٣)]: أن تكون للجنس، أي جميع المحامد له؛ لأنه الموصوف بصفات الكمال في نعوته وأفعاله الحميدة[(٤)]، وتحتمل: أن تكون للعهد، أي: الحمد الذي حمد به نفسه

---

(١) في الكلام عدم وضوح، حيث إن قوله: (وإنما معناه أن كل واحد من هذا الجنس...الخ) يعود على مثال لم يذكره الواحدي، ونص عبارة أبي الفتح: (الثالث: نحو قولك الملك أفضل من الإنسان، والعسل حلو، والخل حامض، وأهلك الناس الدينار والدرهم، فهذا التعريف لا يجوز أن يكون عن إحاطة بجميع الجنس...الخ). ثم يقول: (... وإنما معناه أن كل واحد من هذا الجنس المعروف بالعقول دون حاسة المشاهدة أفضل من كل واحد من هذا الجنس الآخر، وأن كل جزء من العسل الشائع في الدنيا حلو، وكل جزء من الخل الذي لا تمكن مشاهدة جميعه حامض). «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠.

(٢) قوله: (وسنذكر كل واحد من هذِه الحروف إذا انتهينا إليه...) من كلام الواحدي، أما أبو الفتح فتكلم عنها في نفس الموضع، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠ وما بعدها، ليت الواحدي لم يثقل الكتاب بهذِه النقول التي مكانها كتب النحو المطولة.

(٣) في (ج): (يحتمل).

(٤) وعليه أكثر المفسرين، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٦٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٩٩، «الكشاف» ١/ ٤٩، «تفسير القرطبي» ١/ ١١٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٥، «البحر» ١/ ١٨.

وحمده به أولياؤه[١].

ورفعه على معنى قولوا: (الحمد لله) على ما حكينا عن ابن الأنباري[٢]، ويجوز أن يكون ابتداء، وخبره فيما بعده[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾: هذِه (اللام) تسمى لام الإضافة[٤]، ولها في الإضافة معنيان[٥]:

أحدهما: الملك نحو: (المال لزيد).

والآخر: الاستحقاق[٦] نحو: (الجُلُّ[٧] للدابة) أي: استحقته ولابسته، وكذلك (الباب للدار). وهذِه الجارة مكسورة مع المظهر، ومفتوحة مع المضمر، وإنما كسرت مع المظهر وكان من حقها الفتح؛ لأنا ذكرنا أن هذِه الحروف التي تستعمل على واحدة حقها الفتح[٨]، وكسرت مع المظهر للفرق

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١/ ٢٢٠، وأبو حيان في «البحر» ١/ ١٨.

(٢) سبق كلام ابن الأنباري ص ٢٧١، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٦١.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١١٩، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٣٤، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ٨، «الكشاف» ١/ ٤٧، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٥.

(٤) الكلام عن (اللام) نقله عن كتاب «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٥، قال أبو الفتح: (فأما العاملة فلام الجر، وذلك قولك: المال لزيد، والغلام لعمرو. وموضعها في الكلام الإضافة، ولها في الإضافة معنيان: أحدهما الملك..).

(٥) ذكر الرازي لها ثلاثة معان في «تفسيره» ١/ ٢٢، وانظر: «البحر» ١/ ١٨.

(٦) عند أبي الفتح (الاستحقاق والملابسة) ١/ ٣٢٥.

(٧) (الجُلُّ): واحد جِلاَل الدواب، الذي تلبسه لتصان به. انظر: «الصحاح» (جلل) ٤/ ١٦٥٨، «اللسان» (جلل) ٢/ ٦٦٤.

(٨) ذكره الواحدي عند الحديث عن (الباء) في تفسير (بسم الله) ناقلا عن أبي الفتح من هذا الموضع. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٥.

بينها[١] وبين (لام الابتداء) وذلك قولك في الملك: (إن زيدا لهذا) أي: في ملكه، و(إن زيدا لهذا) أي: هو[٢] هو، فلو فتحت في الموضعين لالتبس[٣] معنى[٤] الملك بمعنى الابتداء.

وإنما كسرت الجارة وتركت (لام الابتداء) بحالها مفتوحة[٥]؛ لأن أول أحوال[٦] الاسم هو الابتداء، وإنما يدخل الناصب والجار والرافع على المبتدأ[٧] فلما كان المبتدأ متقدما في المرتبة، وكان فتح هذِه اللام هو الأول المتقدم من حالتها[٨]، جعل الفتح الذي هو أول مع الابتداء الذي هو أول، ولما كان الكسر فيها إنما هو ثان غير أول، جعل مع الذي هو تبع للابتداء، هذا هو القياس[٩].

---

(١) في (ب): (بينهما).

(٢) عند أبي الفتح (أي هو هذا) ١/ ٣٢٦.

(٣) في (ج): (للا لا لتبس).

(٤) في (ج): (بمعنى).

(٥) هذا مضمون سؤال أثاره أبو الفتح حيث قال: (وهنا زيادة ما علمتها لأحد من أصحابنا، وهي أن يقال: إذا كان الفرق بين (اللام) الجارة و(لام) الابتداء واجبا لما ذكرته من المعنيين، فلم كسرت الجارة وتركت لام الابتداء بحالها مفتوحة؟. فالجواب عن هذا أن يقال: إن أول أحوال الاسم هو الابتداء....) الخ ١/ ٣٢٨.

(٦) في (ب): (الأحوال).

(٧) في (ب): (الابتداء).

نص كلام أبي الفتح: (وإنما يدخل الرافع أو الناصب سوى الابتداء والجار على المبتدأ وفي حاشيته: في ب (الناصب والرافع)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٨ تأمل الفرق بينهما.

(٨) عند أبي الفتح (حاليها) ١/ ٣٢٨.

(٩) انتهى من «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٨.

وقوله تعالى ﴿رَب العالمين﴾: (الرب) في اللغة له معنيان[١]:
أحدهما: أن يكون معناه من الرب بمعنى التربية.

قال الأصمعي: (رب فلان الصنيعة يَرُبُّها رَبّاً إذا أتمها وأصلحها) قال: ويقال: فلان رَبَّ نِحْيَهُ يَرُبُّه رَبًّا[٢] إذا جعل فيه الرُّبَّ ومتَّنَهُ به، وهي[٣] نِحْيٌ مَرْبُوب[٤] وهذا -أيضاً- عائد إلى معنى التربية والإصلاح. قال الشاعر:

فَإِنْ كُنْتِ مِنِّي أَوْ تُرِيدِين صُحْبَتِي[٥]
فَكُونِي لَهُ كَالسَّمْنِ[٦] رُبَّتْ لَهُ الأَدَم[٧]

---

(١) ذكر ابن الأنباري أن الرب ثلاثة أقسام: السيد المطاع، والمالك، والمصلح. «الزاهر» ١/ ٥٧٥. ونحوه عند ابن جرير ثم قال: (وقد يتصرف معنى (الرب) في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذِه الوجوه الثلاثة...) «تفسير الطبري» ١/ ٦٢، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥/ ب، «المخصص» ١٧/ ١٥٤، «معجم مقاييس اللغة» (رب) ٢/ ٣٨١، «الزينة» ٢/ ٢٧، «اللسان» (ربب) ١/ ٤٠٤.

(٢) (ربا) ساقط من (ب).

(٣) في «تهذيب اللغة» (وهو نحى مربوب).

(٤) انظر قولي الأصمعي في «تهذيب اللغة» (رب) ٢/ ١٣٣٦.

(٥) في (ب): (تريدن نصيحتي).

(٦) في (ب)، (ج): (كالشمس).

(٧) البيت لعمرو بن شأس، كان له ابن يقال له (عرار) من أمة سوداء، وكانت امرأته تؤذيه وتستخف به، فقال قصيدة يخاطبها، ومنها هذا البيت، يقول: إن كنت تريدين مودتي، فأحسني إليه كما تستصلحين وعاء السمن حتى لا يفسد عليك، و(الأَدَم) جمع أَدِيم: الجلد المدبوغ، و(الرُّبُّ): خلاصة التمر بعد طبخه وعصره. ورد البيت في «شعر عمرو» ص٧١، «الشعر والشعراء» ص٢٧٤، «طبقات الشعراء» للجمحي ص٨٠، «أمالي القالي» ٢/ ١٨٩، «اشتقاق أسماء الله» ص٣٣، «الصحاح» (ربب) ١/ ١٣١، «اللسان» (ربب) ٣/ ١٥٥٠.

وتقول: رَبَّ الشيء يَرُبُّه ربوبًا فهو رَبٌّ، مثل: (بَرّ وَطَبّ[١])[٢]، إذا تممه وأصلحه، قال الشاعر:

يَرُبُّ الذِّي يَأْتِي مِنَ الخَيْرِ أَنَّهُ إذَا فَعَلَ المَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا[٣]

فالمعنى[٤] على هذا أنه يربي الخلق ويغذوهم[٥] بما ينعم عليهم[٦].

الثاني: أن يكون الرب بمعنى المالك، يقال: رب الشيء إذا ملكه، ورببت[٧] فلانا، أي: كنت فوقه[٨].

ومنه قول صفوان بن أمية[٩]: لأن يَرُبَّنِي رجل من قريش أحب إلي من أن يَرُبَّنِي رجل من هوازن[١٠] يعني: أن يكون ربًا فوقي، وسيدًا يملكني. وكل

---

(١) يقال: (رجل طب) أي: عالم. انظر: «الصحاح» (طبب) ١/ ١٧١.

(٢) ذكر الثعلبي نحوه قال: (تقول العرب: رَبَّ يَرُبُّ رَبَابَةً ورُبُوباً فهو رَبٌّ مثل بَرٌّ وَطبٌّ) «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥/ ب، وانظر: «الزاهر» ١/ ٥٧٦، «الصحاح» (ربب) ١/ ١٣٠، «الوسيط» للواحدي ١/ ١٧.

(٣) ورد البيت بدون عزو في «الزاهر» ١/ ٥٧٦، «تهذيب اللغة» (رب) ٢/ ١٣٣٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥/ ب، «الوسيط» للواحدي ١/ ١٧، «اللسان» (ربب) ٣/ ١٥٤٧، ورواية البيت في غير الثعلبي (من العرف) بدل (من الخير)، (سئل) بدل (فعل).

(٤) في (ب): (والمعنى).

(٥) في (ب): (ويعددهم).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١١٩.

(٧) في (ب): (بيت).

(٨) انظر: «الزينة» ٢/ ٢٧، «تهذيب اللغة» (رب) ٢/ ١٣٣٦، «اللسان» (ربب) ٣/ ١٥٤٦.

(٩) صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي، أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث وشهد اليرموك، توفي سنة إحدى وأربعين. انظر ترجمته في «الإصابة» ٢/ ١٨٧، «تجريد أسماء الصحابة» ١/ ٢٦٦، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٦٢، «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٤٩.

(١٠) ذكره الأزهري في التهذيب»، وفيه: أن صفوان كان يرد بذلك على أبي سفيان.=

من ملك شيئا فهو ربّه[(١)]، يقال: هو ربّ الدار وربّ الضيعة[(٢)]، وقال النبي ﷺ لرجل[(٣)]: «أَرَبُّ إبلٍ أنت أم رَبُّ غنم؟»[(٤)]، وقال النابغة:

فَـإِنْ تَـكُ رَبَّ أَذْوَادٍ بِـحُـزْوى أَصَابُوا مِنْ لِقَاحِكَ مَا أَصَابُوا[(٥)]

ثم (السيد) يسمى ربًّا وإن لم يكن مالكا على الحقيقة[(٦)]، قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقال الأعشى[(٧)]:

وَأَهْلَكْنَ يَوْماً رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَه[(٨)].

= «التهذيب» (رب) ٢/ ١٣٣٦، وذكره ابن هشام في «السيرة»، وذكر عن ابن إسحاق أنه كان يرد به على (جبلة بن الحنبل) وقال ابن هشام (كلدة بن الحنبل) «السيرة» لابن هشام ٤/ ٧٢-٧٣.

(١) في (ب): (رب).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (رب) ٢/ ١٣٣٦، «الزينة» ٢/ ٢٧، «اشتقاق أسماء الله» ص٣٢.

(٣) (لرجل) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه أحمد في (مسنده) عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ فصعد في النظر وصوَّب وقال: «أَرَبُّ إبلٍ....» الحديث ٤/ ١٣٦، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٥/ ب، والرازي في «الزينة» ٢/ ٢٩.

(٥) رواية البيت في «الديوان»:

فَإِنْ تَكُنِ الفَوَارِسُ يَوْمَ حِسْي أَصَابُوا مِنْ لِقَائِكَ مَا أَصَابُوا

«الديوان» ص٨٤، ونحو رواية الديوان في «مجاز القرآن» ١/ ٣١١، «الزاهر» ١/ ٥٧٥، «الزينة» ٢/ ٢٧، وبمثل رواية الواحدي ورد في «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥/ ب، ولعله أخذه عنه، و(حُزْوى) بضم الحاء موضع بنجد، انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٥٥.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥ / ب، «مجاز القرآن» ١/ ٣١١، «الزينة» ٢/ ٢٧.

(٧) تبع الواحدي شيخه الثعلبي فنسب البيت للأعشى، والبيت للبيد كما نسبه الطبري وغيره في «ديوانه» كما سيأتي.

(٨) شطره الثاني: وَرَبَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرْعَرِ.

(رب كندة): ملكهم حجر أبو امرئ القيس، و(رب معد): ملكهم حذيفة بن بدر، (خبت): الأصل فيه المطمئن من الأرض ويطلق على عدة أماكن، و(عرعر) اسم=

أي: سيدها.

والله تعالى ربُّ كل شيء أي: مالكه، وهو السيد على الحقيقة.

وقال بعض أهل اللغة: المعنى الثاني راجع إلى الأول الذي هو بمعنى التربية[١] وقيل للمالك: (رب) لأنه يرب مملوكه، ويملك تربيته وتنشئته، والسيد رب لأنه مالك.

فأما ما يذهب إليه المتكلمون أنه لم يزل ربًّا[٢]، وأن هذا من صفة الذات، وقولهم: إن معناه الثابت الدائم، من قولهم: (ربُّ بالمكان) إذا أقام به[٣]. فهذا لا يعرفه أهل اللغة، وليس يصح ربَّ[٤] بمعنى: أقام[٥]، وأربَّ بمعنى: أقام صحيح[٦]، فان أمكن بناء[٧] هذا الاسم من الإرباب صح قولهم.

= مكان. انظر البيت في «شرح ديوان لبيد» ص٥٥، «تفسير الطبري» ١/ ٦٢، «الزينة» ٢/ ٢٧، «الزاهر» ١/ ٥٧٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٥/ ب.

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (رب) ٢/ ٣٨١، ٣٨٢.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦ / أ.

(٣) ذكره الثعلبي عن الحسين بن الفضل في «تفسيره» ١/ ٢٥/ ب.

(٤) في (ب): (في رب).

(٥) بل ورد عند بعض أهل اللغة (رب) بمعنى: أقام، قال ابن دريد في «الجمهرة» (... رب بالمكان وأرب به إذا أقام به) ١/ ٢٨، وانظر: «الاشتقاق» له ص٥٣٦، وفي «اللسان»: رب بالمكان وأرب: لزمه. «اللسان» (ربب) ٣/ ١٥٤٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٥/ ب.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (رب) ٢/ ١٣٣٩، «الصحاح» (ربب) ١/ ١٣٢، «اللسان» (ربب) ٣/ ١٥٤٨.

(٧) في (ب): (بنى).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هو جمع (عالم) على وزن (فَاعَل)[١]، كما قالوا: خَاتَم[٢]، وطَابَع، ودَانَق[٣]، وقَالَب[٤]، واختلفوا في اشتقاقه على وجهين: فمنهم من قال: اشتقاقه من (العَلَم) و(العلامة)، وذلك أن كل مخلوق دلالة وعلامة على وجود صانعه[٥]، فالعالم اسم عام لجميع المخلوقات، يدل على هذا قول الناس: (العالم محدث) يريدون به جميع المخلوقات، وهذا قول الحسن[٦] ومجاهد وقتادة[٧] في تفسير العالم: إنه جميع المخلوقات. ويدل على هذا القول من التنزيل قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤] فسر[٨] العالمين بجميع المخلوقات. ومنهم من قال: إنه مشتق من العِلْم[٩].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (علم) ٣/ ٢٥٥٤.

(٢) الخاتم: ما يوضع على الطينة التي على الكتاب، وتكون علامة على أنه لم يفتح، والطابع بمعناه، انظر: «تهذيب اللغة» (ختم) ١/ ٩٨٣، و(طبع) ٣/ ٢١٦١.

(٣) (الدانق) بفتح النون وكسرها: سدس الدرهم، انظر: «اللسان» (دنق) ٣/ ١٤٣٣.

(٤) (القالب) بفتح اللام وكسرها، الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر، ليكون مثالا لما يصاغ منها، «اللسان» (قلب) ٦/ ٣٧١٥.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦/ب، وانظر: «معجم مقاييس اللغة» (علم) ٤/ ١١٠.

(٦) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى الأنصار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة عشر ومائة من الهجرة، كان غزير العلم بكتاب الله تعالى. ورعًا زاهدًا فصيحا. انظر ترجمته في «حلية الأولياء» ٢/ ١٣١، «طبقات القراء» لابن الجزري ١/ ٢٣٥، «تذكرة الحفاظ» ١/ ٧١، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٥٠.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦/ب وذكره الطبري عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. «تفسير الطبري» ١/ ٦٣، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٧.

(٨) في (ب): (فيفسر).

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦/ب.

فالعالمون على هذا هم من يعقل، قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هم الجن والإنس(١).

واختاره أبو الهيثم(٢) والأزهري(٣)، واحتجوا بقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وإنما بعث محمد نذيرا للجن والإنس(٤). وقال الحسين بن الفضل وأبو معاذ(٥) النحوي: هم بنو آدم(٦)، لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

وقال الفراء(٧) وأبو عبيدة: هو عبارة عما يعقل، وهو أربع أمم:

---

(١) أخرجه الطبري بسنده. قال شاكر: إسناده حسن. «تفسير الطبري» ١/ ١٤٤ (ط. شاكر)، وابن أبي حاتم. وقال المحقق: (إسناده ضعيف)، «تفسير ابن أبي حاتم» رسالة دكتوراه ١/ ١٥٤، والحاكم في «المستدرك»، وقال بعده: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند. ووافقه الذهبي، «المستدرك»، كتاب التفسير تفسير سورة الفاتحة ٢/ ٢٥٨، وانظر: «الدر المنثور» ١/ ٣٦.

(٢) انظر: الثعلبي ١/ ٢٦/أ.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (علم) ٣/ ٢٥٥٤.

(٤) «التهذيب» (علم) ٣/ ٢٥٥٤.

(٥) أبو معاذ النحوي المقرئ اللغوي، له عناية باللغة والقراءات. انظر مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤٤، «إنباه الرواة» ١٧٩.

(٦) قال الثعلبي في «تفسيره» (قال أبو معاذ النحوي: هم بنو آدم.. وقال الحسين بن الفضل: (العالمون): الناس واحتج بقوله تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٦/أ.

(٧) أبو زكرياء يحي بن زياد الديلمي الفراء، كان أبرع أهل الكوفة في النحو، له كتب من أشهرها معاني القرآن، توفي سنة سبع ومائتين. انظر ترجمته في «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ص١٣١، «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٤٩، «اللباب» ٢/ ٤١٤، «إنباه الرواة» ٤/ ١.

الملائكة والإنس والجن والشياطين، ولا يقال للبهائم: عالم(١).

وقد ذكر الله تعالى ﴿ٱلْعَالَمِينَ﴾ وأراد به أهل عصر واحد، وهو قوله لبني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] يعني عالمي زمانهم(٢).

وهذِه الأقوال صحيحة على أصل من يجعله مشتقًّا من العِلْم، والذين صححوا هذِه الطريقة قالوا في جواب موسى لفرعون: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾(٣): إنه لم يشتغل بتفسير العالمين، وإنما أراد تعريفه على وجه أظهر من الأول(٤)، ليصير الخصم مبهوتاً.

وأبو إسحاق(٥) اختار الطريقة الأولى، وقال: معنى العالمين: كل ما خلق الله. قال: وقوله: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾ كقوله ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤](٦).

والعالم على كلا(٧) الأصلين: اسم للجمع(٨)، ولا واحد له من لفظه،

---

(١) بنصه في «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٦/ب.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٤، «التصاريف» المنسوب ليحيى بن سلام ص ٢٦٦، «إصلاح الوجوه والنظائر» للدامغاني ص٣٣١.

(٣) يشير بهذا إلى ما سبق في قوله تعالى: ﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤] حيث استدل بالآيتين من قال: إن العالمين: جميع المخلوقات.

(٤) هو ما ورد في الآيات قبلها حين توجه موسى إلى فرعون بقوله تعالى: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦].

(٥) الزجاج.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨.

(٧) في (ج): (كل).

(٨) في (ج): (جمع).

كالأنام والرهط والجيش[(١)].

قال أبو إسحاق: وإنما لم يستعمل الواحد من لفظه؛ لأن (العالم) اسم لأشياء مختلفة، فإن جعل لواحد منها اسم من لفظه صار جمعا لأشياء متفقة[(٢)].

وهذا النوع من الجمع[(٣)] يسمى (السالم) لسلامة لفظ الواحد فيه، ويجمع على الواو والياء[(٤)].

واختلف النحويون في (الواو والياء والألف) اللواتي تلحق التثنية والجمع[(٥)]، فمذهب سيبويه فيها أنها حروف إعراب بمنزلة (الدال) من زيد[(٦)].

والدليل على ذلك[(٧)]: أن الذي أوجب للواحد المتمكن نحو: (زيد ورجل) حرف الإعراب، هو[(٨)] موجود في التثنية والجمع[(٩)]، وهو التمكن،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٦٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٦/أ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨، ذكر كلامه بتصرف.

(٣) أي: (العالمين) جمع (عالم)، انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨ .

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٢، «شرح ابن عقيل» ١/ ٦٣.

(٥) نقل الواحدي في هذا الموضوع عن أبي الفتح ابن جني من «سر صناعة الإعراب» بعضه بنصه، وبعضه بمعناه. ٢/ ٦٩٥، ومثل هذا المبحث مكانه كتب النحو لا كتب التفسير.

(٦) انظر: «الكتاب» ١/ ١٧، ١٨.

(٧) أي ما ذهب إليه سيبويه، انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٦.

(٨) في(أ)، (ج): (فهو) وما في (ب) موافق لما في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٦.

(٩) لم يرد في كلام أبي الفتح ذكر للجمع، وإنما الحديث عن المثنى، وأضاف الواحدي كلمة (الجمع) لكلامه في جميع المواضع؛ لأن حكمهما واحد. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٦.

فكما أن الواحد المعرب المتمكن يحتاج إلى حرف إعراب، فكذلك الاسم المثنى والمجموع إذا كان معربا متمكنا احتاج إلى حرف إعراب، وإذا كان كذلك فقولنا: (الزيدان والزيدون)[١] لا يخلو حرف الإعراب، إما أن يكون ما قبل الألف والواو، أو هما، أو ما بعدهما.

ويفسد أن تكون (الدال) من زيد هي حرف الإعراب في التثنية؛ لأنها قد كانت في الواحد حرف الإعراب، وقد انقلبت عن الواحد الذي هو الأصل إلى التثنية التي هي فرع، كما تقول في (قائمة) لما انقلبت عن المذكر[٢] الذي هو الأصل إلى المؤنث الذي هو الفرع، بطل أن تكون (الميم) التي كانت[٣] في المذكر حرف إعراب أن تكون[٤] في المؤنث حرف إعراب، وصار حرف الإعراب علم التأنيث وهو(الهاء)[٥] فكذلك ينبغي أن يكون علم التثنية والجمع[٦] هو حرف الإعراب[٧]. ولا يجوز أن يكون ما بعد الألف والواو حرف إعراب، وهو(النون) لأنها حرف صحيح يتحمل[٨] الحركة، فلو كانت

---

(١) عند أبي الفتح: (الزيدان والعمران، والرجلان والغلامان) ٢/ ٦٩٧، فهي أمثلة على المثنى وليس للجمع ذكر.

(٢) وهو (قائم)، انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٧.

(٣) في (ب): (الذي كان).

(٤) في (ب): (يكون).

(٥) في كلمة (قائمة)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٧.

(٦) (الجمع) زيادة من الواحدي على كلام أبي الفتح، ٢/ ٦٩٧.

(٧) تكلم أبو الفتح بعد هذا عن المقارنة بين المثنى وجمع التكسير، ولماذا لا تكون (الدال) من (الزيدان) حرف إعراب كما في المفرد؟ مثل (فرس) فالسين حرف إعراب و(أفراس) السين حرف إعراب وهو جمع تكسير. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٧ - ٦٩٨.

(٨) في (ب): (محمل).

حرف إعراب لوجب أن تعربه[١] في الرفع والنصب والخفض[٢]، كما تعرب (الدال) من زيد، وكما تقول: هؤلاء غلمان، ورأيت غلمانا، ومررت بغلمان[٣].

وهذا الذي ذكرنا من مذهب سيبويه، مذهب أبي إسحاق وابن كيسان، وأبي بكر، وأبي علي[٤].

وإذا ثبت أن هذِه الحروف حروف إعراب[٥] فلا إعراب في لفظها استثقالا للحركات فيها، ولا تقدير إعراب فيها -أيضاً- كما يقدر في الأسماء المقصورة المعربة نية الإعراب، ألا ترى أنك إذا قلت: هذا فتى، ففي الألف تقدير ضمة، وإذا قلت: رأيت فتى، ففي الألف تقدير فتحة، وإذا قلت: مررت بفتى، ففي الألف تقدير كسرة، وهو لا يرى[٦] أنك إذا قلت: هذان الزيدان، أن في الألف تقدير ضمة، ولا إذا قلت: مررت بالزيدين، وضربت

---

(١) في (ب): (تعرفه).

(٢) قال أبو الفتح: تقول: (قام الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٩.

(٣) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٩ وما بعدها من الصفحات فقد أطال أبو الفتح بن جني الشرح حول هذِه المسألة.

(٤) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٥، قال أبو الفتح: (.. وهو قول أبي إسحاق، وابن كيسان، وأبي بكر، وأبي علي..).

(٥) قال أبو الفتح: (واعلم أن سيبويه يرى أن (الألف) في التثنية كما أنه ليس في لفظها إعراب، فكذلك لا تقدير إعراب فيها كما يقدر في الأسماء المقصورة المعربة نية الإعراب، ألا ترى أنك..الخ) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠٦.

(٦) في (ب): (لا ترى). والمراد (سيبويه) كما هو في النص السابق الذي نقلناه عن أبي الفتح ٢/ ٧٠٦.

الزيدين، ففي الياء تقدير كسرة ولا فتحة[١].

قال أبو علي:[٢] يدلك على أنه ليس في حرف الإعراب من التثنية والجمع تقدير حركة في المعنى، صحة (الياء) في الجر والنصب في قولك: (مررت برجلين) و(ضربت رجلين)، ولو كان في (الياء) منهما[٣] تقدير حركة، لوجب أن تقلب ألفا كرحى وفتى، ألا ترى أن (الياء) إذا انفتح ما قبلها وكانت في تقدير حركة وجب أن تقلب ألفا[٤].

وهذا استدلال من أبي علي في نهاية الحسن، وصحة المذهب وسداد الطريقة[٥]. ودخلت النون فيهما عوضا من الحركة والتنوين، وذلك أن من شرط التثنية، والجمع -الذي على حد التثنية- أن يكون[٦] له علامة مزيدة على لفظ الواحد، والواحد فيه حركة وتنوين، فكان حق العلامة أن تدخل على لفظ الواحد، ثم تلحقها الحركة والتنوين، فلما وجب أن يدخل التنوين

---

(١) في «سر صناعة الإعراب» (أن في الياء...) وفي حاشيته: في (ش): (ففي) ويظهر أن الواحدي أخذ عن هذِه النسخة، والصحيح ما أثبت في أصل «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠٦.

(٢) عند أبي الفتح: (قال أبو علي: ويدل على صحة ما قال سيبويه من أنه ليس في حرف الإعراب من التثنية تقدير حركة في المعنى - كما أن ذلك ليس موجودا في اللفظ - صحة (الياء) في الجر والنصب...) فلم يرد في كلامه لفظ الجمع، انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠٦.

(٣) في (ب): (منها).

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من كتب أبي علي الفارسي، ولعل أبا الفتح أخذه من أبي علي مشافهة حيث قال: (وهذا أيضاً من لطيف ما حصلته عنه فافهمه). «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠٧.

(٥) بنصه من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠٦.

(٦) في (ب): (تكون).

والحركة في التثنية والجمع، ثم عرض ما يمنع من دخولهما، وجب أن يعوض[١] منهما، وقد بينا أن الحركة إنما أسقطت استثقالا، والتنوين وجب إسقاطه لأنه ساكن، وهذِه الحروف سواكن ولم يمكن إسقاط هذِه الحروف لأنها علامات، ولا تحريكها للثقل، ولا تحريك التنوين؛ لأنه يخرج عن حكم العلامة ويصير نونا لازمة، فلم يبق إلا إسقاطه، فلما دخلت النون دخلت ساكنة؛ لأنه لا حظ لها من الإعراب فاجتمع ساكنان، فحركت نون التثنية بالكسرة ونون الجمع بالفتحة فرقا بينهما[٢]. وكانت نون التثنية أولى بالكسرة لأن قبلها (ألفا) وهي خفيفة والكسرة ثقيلة[٣]، فاعتدلا، وقبل نون الجمع (واو[٤]) وهي ثقيلة ففتحوا النون ليعتدل الأمر.

فإن قلت: إنك تكسر النون مع (الياء) في النصب والجر، فهلا هربت إلى الفتحة لمكان (الياء) كما هربت إلى الفتحة لمكانها في (أين وكيف)؟. والجواب: أن (الياء) في التثنية ليست بلازمة كلزومها في (أين) لأن الأصل هو الرفع، والنصب والجر فرعان عليه، فأجروا الباب على حكم الرفع الذي هو الأصل[٥]، وصارت النون أولى بالزيادة من بين سائر الحروف، لشبهها بحروف المد. وسترى وجه الشبه بينهما فيما يمر بك من الكتاب إن شاء الله.

---

(١) في (ج): (يعرض).

(٢) أخذه بمعناه من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٤٩ - ٤٤٨.

(٣) في (ب): (ثقيلا).

(٤) عند أبي الفتح: (وقبل نون الجمع (واو) أو (ياء)) ٢/ ٤٨٨.

(٥) انتهى ما نقله عن أبي الفتح ابن جني من كتاب «سر صناعة الإعراب» ملخصا قال أبو الفتح (فهذِه حال نون التثنية والجمع الذي على حد التثنية ولم يتقص أحد من أصحابنا القول عليها هذا التقصي، ولا علمته أشبعه هذا الإشباع) ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٩.

٤- قوله تعالى: ﴿مَالِكِ[١] يَوْمِ الدِّينِ﴾. المالك في اللغة: (الفاعل) من الملك، يقال: ملك فلان الشيء يملِكُه مُلكا ومِلكا ومَلْكا ومَلَكة[٢] ومَمْلَكة ومَمْلَكة[٣]، ويقال: إنه لحسن المُلْكَة[٤] والمِلْك. وأصل المُلك والمِلك راجع إلى معنى واحد، وهو الربط والشد، فمالك الشيء من ربطه لنفسه وملكه ما يختص به، وشد بعقد يخرج به عن أن يكون مباحا لغيره، وملك القوم من غلبهم وربط أمرهم[٥].

ومن هذا يقال: ملكت العجين أي شددت عجنه، وقول أوس بن حجر[٦]:

فملك باللِيط الذي تحت قشرها كغِرْقيء بَيضٍ كنه القَيضُ من عَلِ[٧]

---

(١) في (ج): (ملك).

(٢) في (ب): (وملكا).

(٣) ذكره الأزهري عن اللحياني: «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، وانظر: «المحكم» (ملك) ٧/ ٤٥.

(٤) (المَلكة) بفتح الميم كذا ضبط في «التهذيب»، وفي حاشيته: وضبط في (ل) بكسر وتسكين اللام. «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، وفي «المحكم» بالكسر ٧/ ٤٥.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ١٣، ١٧، «المخصص» لابن سيده ١٧/ ١٥٧، «تفسير أسماء الله» للزجاج ص ٣٠، «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٤٣، ٤٤.

(٦) أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها، وأحد شعراء تميم، انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص١١٤، «الخزانة» ٤/ ٣٧٩، «معاهد التنصيص» ١/ ١٣٢.

(٧) قوله (ملك): شدد، و(الليط): القشر، و(القيض): القشر الغليظ فوق البيضة، و(الغرقىء): القشر الرقيق للبيضة، وهو يصف قوسا يقول: إنه قواه وذلك حين قشره فترك القشر الرقيق ليقويه به. ورد البيت في «ديوان أوس» ص٩٧، «الحجة» للفارسي ١/ ١٧، «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٥٠، «الخصائص» ٢/ ٣٦٣، ٣/ ١٧٢، «اشتقاق أسماء الله» ص٤٦، «الصحاح» (ملك) ٤/ ١٦١٠، «المحكم» (ملك) ٧/ ٤٦، «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٨، «الخزانة» ٢/ ٣٩٦.

ملك: شدد. وقول قيس بن الخطيم[١]:

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها[٢]

أي: شددت بالطعنة كفي[٣].

ويقال: ما تمالك فلان أن فعل كذا، أي لم يستطع أن يضبط نفسه[٤].

وقال[٥]:

فلا تمالك[٦] عن أرض لها عمدوا[٧]

وملاك[٨] الأمر: ما يضبط به الأمر، يقال: القلب[٩] ملاك الجسد[١٠].

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن الخزرج، شاعر فارس، لقي النبي ﷺ ومات كافرا، ترجمته في «طبقات فحول الشعراء» ٩١/ ٩٢، «الإصابة» ٣/ ٢٨١، «الخزانة» ٧/ ٣٤.

(٢) من قصيدة لقيس قالها حين أصاب بثأره من قاتلي أبيه وجده، والشطر الثاني:

يرى قائم من خلفها ما وراءها

يقول: شددت بهذِه الطعنة كفى ووسعت خرقها، حتى يرى القائم من دونها الشيء وراءها. انظر: «ديوان قيس» ص٨، «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٥٠، «الصحاح» ٤/ ١٦٠٩، «المحكم» ٧/ ٤٦، «تاج العروس» ١٣/ ٦٥٣، «اللسان» ٧/ ٤٢٦٨، (المعاني الكبير) ٢/ ٩٧٨، ٩٨٣، «الحجة» للفارسي ١/ ١٣، ١٧، «الخزانة» ٧/ ٣٥.

(٣) في (ب): (لفى).

(٤) «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٥٠، «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٨.

(٥) في (ج): (ويقال).

(٦) (تمالُك) بضم اللام في «تهذيب اللغة» وفي الحاشية: (ج)، (ل) بفتح اللام، «تهذيب اللغة» ١٠/ ٢٧١، وبالفتح في «اللسان» ١٠/ ٤٩٤.

(٧) ورد في «التهذيب» (ملك) ١٠/ ٢٧١، غير منسوب، وكذا في «اللسان» (ملك) ١٠/ ٤٩٤.

(٨) في (ب): (ملال).

(٩) في (ج): (الا القلب).

(١٠) في (ج): (الجساد). ذكر الأزهري عن الليث نحوه. «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٥٠، وانظر: «المحكم» ٧/ ٤٦، «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٨.

وأبو مالك: كنية الكبر والسن، كني به لأنه يغلب الإنسان ويشده عما يريد، فلا ينبسط انبساط الشاب[١]. قال:

أبا مالك إن الغواني هجرنني أبا مالك إني أظنك دائبا[٢]

ويقال للرجل إذا تزوج: ملك فلان، يملك ملكا؛ لأنه شد عقد النكاح. وأملك إملاكا إذا زوج[٣].

وفي هذا الحرف قراءتان (مالك) و(ملك)[٤]. فمن قرأ (ملك) قال: الملك أشمل وأتم؛ لأنه قد[٥] يكون مالك[٦] ولا ملك له، ولا يكون مَلِك إلا وله مُلك، ولأنه لا يقال: مالك على الإطلاق، حتى يضاف إلى شيء، ويقال: ملك على الإطلاق[٧].

واحتج محمد بن جرير[٨] لهذِه القراءة فقال: إن الله نبه على أنه مالكهم بقوله: ﴿رَبِّ العَالَمِينَ﴾ فحمل قوله ﴿مَلِك يوم الدين﴾ على وصف زائد

---

(١) نحوه في «التهذيب» عن ابن الأعرابي ٤/ ٣٤٥١، وانظر: «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٩.

(٢) أورده الأزهري بدون نسبه في «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٥١ و(أبا) ١/ ١٠٤، «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٩، وكذا الزمخشري في «أساس البلاغة» (ملك) ٢/ ٤٠١.

(٣) «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، وانظر: «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٨.

(٤) قراءة عاصم والكسائي (مالك) وبقية السبعة (ملك)، انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٠٤، «الحجة» للفارسي ١/ ٧، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٧٧، «الكشف» لمكي ١/ ٢٥.

(٥) (قد) غير واضحة في(أ)، وفي (ب): (لا يكون).

(٦) في (ج): (مالكا) وعليه تعتبر (يكون) ناقصة.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٦٥، «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ٩، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٧٧ - ٧٩، «الكشف» ١/ ٢٦.

(٨) هو الإمام المفسر محمد بن جرير الطبري، سبقت ترجمته في الدراسة.

أحسن[١].

وقال محمد بن السري: الملك[٢] الذي يملك الكثير من الأشياء، ويشارك غيره من الناس بالحكم عليه في ملكه[٣]، وأنه لا يتصرف فيه إلا بما يطلقه له الملك ومع ذلك أن الملك يملك على الناس أمورهم، فلا يستحق اسم الملك حتى يجتمع له ملك هذا كله، فكل ملك مالك، وليس كل مالك ملكا.

ويقوي هذه القراءة من التنزيل قوله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ﴾[٤]، وقوله ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، و﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، و﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦]، ولم يقل: (لمن المِلْك)[٥].

وأكثر أهل اللغة اختاروا (مالك) أبو عبيدة، وأبو حاتم[٦]،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٥٠، نقل كلامه بمعناه، وابن جرير يرجح قراءة (ملك).

(٢) كلام ابن السري ورد في «الحجة» لأبي علي الفارسي ضمن كلام طويل له في ترجيح قراءة (ملك) حيث قال الفارسي: (قال أبو بكر محمد بن السري الاختيار عندي (ملك يوم الدين) والحجة في ذلك .. فالملك الذي يملك الكثير من الأشياء.. الخ)، «الحجة» ١/ ١٣، ١٤.

(٣) في «الحجة» (.. ويشارك غيره من الناس، بأنه يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه...).

(٤) طه: ١١٤، والمؤمنون: ١١٦.

(٥) قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي: كان أبو عبيد يختار (ملك يوم الدين) على (مالك) وذلك أن الله ﷻ قال: ﴿لمن الملك﴾ ولم يقل: (لمن المِلك). وذلك أن الملك مصدر الملك، والملك مصدر المالك. وخطأه أبو حاتم السجستاني في ذلك، فقال: أظنه احتج على نفسه ولم يشعر، لأن معنى (لمن الملك) يعني من يملك الملك...) كتاب «الزينة» ٢/ ١٠٠، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٢٦، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٧٨.

(٦) أبو حاتم هو: سهل بن محمد الجشمي السجستاني. نزيل البصرة وعالمها، من أئمة=

والأصمعي، والأخفش، وأبو العباس[1]، وقالوا: إنه أجمع وأوسع، لأنه يقال: مالك الطير والدواب والوحوش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، إنما يقال: ملك الناس[2]، قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء وهو لا يملكه كقولهم: (ملك العرب والعجم)، ولأنه يجمع الفعل والاسم[3]، ولأن معنى الآية أنه يملك الحكم يوم الدين بين خلقه دون غيره، فالوصف يكون مالكا[4].

واحتج أبو العباس لهذِه القراءة فقال: (مالك يوم الدين) معناه يملك إقامة يوم الدين، على معنى يملك أن يأتي به، وإذا كان المعنى على هذا فالوجه (مالك) لا (ملك)[5].

ومما يقوي هذِه القراءة من التنزيل قوله ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] فقولك: الأمر له، وهو مالك الأمر بمعنى، ألا ترى أن لام الجر

= اللغة والشعر، والنحو إلا أنه لم يكن فيه حاذقاً، تلقى على أبي زيد، وأبي عبيدة والأصمعي، توفي سنة (٢٥٥هـ).
انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٣، «أخبار النحويين» للسيرافي ١٠٢، «إنباه الرواة» ٢/ ٥٨.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٨/أ، «الزينة» ١/ ١٠٠، ١٠١، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٠، «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩.

(٢) ف (مالك) أعم وأشمل. انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٧٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٨/أ.

(٣) ذلك أن (مالكا) يجمع لفظ الاسم ومعنى الفعل فلذلك يعمل (فاعل) فينصب كما ينصب الفعل. انظر: «الكشف» لمكي ١/ ٢٦.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ١٢، ١٥، ١٦، «الكشف» ١/ ٢٥، ٢٦.

(٥) ذكر الأزهري نحوه عن المنذري عن أبي العباس. «التهذيب» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، وانظر: «الحجة» ١/ ١٥.

معناها[١] الملك[٢].

ومن نصر هذه القراءة أجاب[٣] ابن جرير بأن قال: ما ذكرت لا يرجح قراءة ملك؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العام وذكر بعده الخاص، كقوله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾ [العلق: ١، ٢].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣]، ثم قال: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]. في أمثال كثيرة لهذا[٤].

فمن قرأ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فقد أضاف اسم الفاعل إلى الظرف وحذف المفعول من الكلام للدلالة[٥] عليه، تقديره: مالك يوم الدين الأحكام، لأن القديم سبحانه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم. فأما الدنيا فإنه يحكم فيها -أيضاً- الولاة والقضاة[٦].

---

(١) في (ب): (معناه).

(٢) بنصه في «الحجة» ١/ ١٩.

(٣) أي من نصر قراءة (مالك) أجاب على دعوى ابن جرير السابقة - وهي قوله: (إن الله نبه على أنه مالكهم بقوله: ﴿رب العالمين﴾ فحمل قوله: ﴿ملك يوم الدين﴾ على وصف زائد أحسن). والكلام في «الحجة» ليس فيه ذكر لابن جرير حيث قال: (قال أبو علي: وأما ما حكاه أبو بكر ابن السري عن بعض من اختار القراءة بملك.. فإنه لا يرجع قراءة ملك على مالك، لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة..) ١/ ١٨.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ١٨، ١٩.

(٥) في (ب): (الدلالة).

(٦) في «الحجة» لأبي علي: (فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه، وإن هذا المحذوف قد جاء مثبتا في قوله ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾ [الانفطار:١٩] فتقديره: (مالك يوم الدين الأحكام). وحسن هذا الاختصاص لتفرد القديم سبحانه في ذلك اليوم بالحكم..)، «الحجة» ١/ ٣٤.

وعلى ما ذكره أبو العباس، الآية تكون من باب حذف المضاف[١]، وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو كثير في الكلام، وسترى منه مالا يحصى كثرة.

وأما إعراب ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فالجر في القراءتين[٢]. وهو صفة الاسم، مجرور[٣]، والصفات تجري على موصوفاتها إذا لم تقطع عنها[٤] بمدح أو ذم. وأما العامل فيها، فزعم الأخفش أبو الحسن أن الوصف يجري على ما قبله، وليس معه لفظ يعمل فيه[٥]، إنما يعمل فيه كونه نعتا[٦]، وذلك الذي يرفعه وينصبه ويجره، كما أن المبتدأ[٧] إنما يرفعه الابتداء[٨]، وإنما الابتداء معنى عمل[٩] فيه، وليس لفظا، فكذلك هذا[١٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱلدِّينَ﴾ قال الضحاك[١١] وقتادة: (الدين) الجزاء، يعني

---

(١) يعني بقوله فيما سبق (يملك إقامة يوم الدين...) فحذف المضاف وهو (إقامة) وأقام المضاف إليه وهو (يوم الدين) مقامة. انظر: «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، ورد ابن جرير هذا القول، انظر: «تفسيره» ١/ ٦٧.

(٢) «الحجة» لأبي علي ١/ ٤٠.

(٣) وهو لفظ الجلالة في قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

(٤) في «الحجة»: (والصفات تجري على موصوفيها إذا لم تقطع عنهم لذم أو مدح...)، «الحجة» ١٠/ ٤٠.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٠.

(٦) في «الحجة»: (وليس معه لفظ عمل فيه، إنما فيه أنه نعت..)، ١/ ٤٠.

(٧) في (ب): (المبتدى).

(٨) في «الحجة» لأبي علي: (كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء ..) ١/ ٤٠.

(٩) (عمل) ساقط من (ب).

(١٠) انتهى من «الحجة»، ١/ ٤٠.

(١١) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، من أوعية العلم، وكان مفسرا حدث عن=

يوم يدين الله العباد بأعمالهم(١). تقول العرب: دنته بما فعل أي جازيته(٢). ومنه قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾(٣) [الصافات: ٥٣] أي مجزيون. وقال:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان(٤)

أي تجزى بما تفعل. ويقوي هذا التفسير قوله ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ [غافر: ١٧].

وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]. وقال ابن عباس، والسدي، ومقاتل(٥)، في معنى قوله ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: قاضي يوم الحساب(٦)،

= عدد من الصحابة، قال بعضهم: لم يلق ابن عباس، في وفاته أقوال قيل: (١٠٢هـ) وقيل (١٠٥هـ)، وقيل: (١٠٦هـ). انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٠٠، «طبقات خليفة» ص٥٦٨، ٣٢٢، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٩٨.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٨/ ب، وأخرجه الطبري في «تفسيره» عن قتادة، وأخرج نحوه عن ابن عباس وابن جريج ١/ ٦٨، وقول قتادة ذكره السيوطي في «الدر» وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. «الدر» ١/ ٣٩.

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٨.

(٣) وقد وردت الآية في جميع النسخ ﴿إنا لمدينون﴾ وكذا عند الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٨/ ب.

(٤) نسبه بعضهم إلى يزيد بن الصعق الكلابي، وبعضهم: إلى خويلد بن نوفل الكلابي، وقال في (الخزانة): قال بعض الكلابين، والبيت مع بيتين قبله، قالهما يخاطب الحارث بن أبي شمر الغساني حين اغتصب ابنته. ورد البيت في «تفسير الطبري» ١/ ٦٨، «الكامل» ١/ ٣٢٨، «المخصص» ١٧/ ١٥٥، «اللسان» (دين) ٣/ ١٤٦٨، «التاج» ١٨/ ٢١٥، «الخزانة» ١٠/ ٩١.

(٥) (مقاتل) ساقط من ب.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٨/ ب، وقد أخرج الطبري عن ابن عباس: يوم الدين: يوم حساب الخلائق. «تفسير الطبري» ١/ ٦٨، وكذا أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»=

واختار أبو عبيد هذا القول[١]. ومن الدين بمعنى الحساب قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] أي: ذلك الحساب[٢] الصحيح، والعدد المستوي[٣].

وقيل في قوله: «**الكيس من دان نفسه**[٤]»: أي حاسبها. وخص هذا اليوم بأنه مالكه، تعظيما لشأنه وتهويلا لأمره، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١] وهو خبير سائر الأيام. وللدين معان كثيرة في اللغة[٥]، وكل موضع انتهينا إليه من القرآن ذكرنا ما فيه.

٥ - قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٦]. اختلفت[٧] مذاهب النحويين في هذا الحرف، وأنا ذاكر لك هنا منها ما يحتمله هذا الكتاب[٨]. ذهب الخليل

= ١/ ١٥٧ (رسالة دكتوراه)، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص٤٥٣، «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي ص٢٩٥.

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٣٩.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٢٨/ب، وفسر الطبري (الدين) في آية التوبة ويوسف بأنه الدين القويم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وفي آية الروم فسره: بالمستقيم، ثم قال: وقد وجه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب، (تفسير الطبري) ١٠/ ١٢٦، ١٢/ ٢٢٠، ٢٠/ ٤٢، انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٤٥٤.

(٣) «تهذيب اللغة» (دان) ٢/ ١١٣٦.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس، وقال: حديث حسن. الترمذي (٢٤٥٩)، أبواب صفة القيامة، وابن ماجه (٤٢٦٠) كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت، والإمام أحمد في «مسنده» ٤/ ١٢٢، وهو بنصه في «تهذيب اللغة» (دان) ٢/ ١١٣٦.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (دان) ٢/ ١١٣٦، «معجم مقاييس اللغة» (دين) ٢/ ٣١٩، «إصلاح الوجوه والنواظر» للدامغاني ص١٧٨، «نزهة الأعين النوظر في علم الوجوه والنظائر» ص٢٩٥.

(٦) في (ج): (نحبد) تصحيف.

(٧) في (ب): (اختلف).

(٨) ما ذكره الواحدي عن (إياك) نقله عن أبي الفتح ابن جني من كتاب «سر صناعة الإعراب»=

إلى أن (إيا) اسم مضمر، مضاف إلى (الكاف) وهذا -أيضاً- مذهب أبي عثمان[1]. وحكى أبو بكر[2] عن أبي العباس[3] عن أبي الحسن[4] أنه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير[5] أواخر المضمرات، لاختلاف أعداد المضمرين، وأن الكاف في (إياك) كالكاف التي في (ذلك) في أنه دلالة على الخطاب فقط، مجردة من كونها علامة للضمير، ولا يجيز أبو الحسن فيما يحكى عنه: (إياك وإيا زيد) و(إياي وإيا الباطل)[6].

وقال سيبويه: حدثني من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول: إذا

= مع تصرف يسير في العبارة، وأبو الفتح اعتمد على أبي علي الفارسي، وصرح بنقله عنه، وكلام الفارسي موجود في «الإغفال» قال أبو الفتح: (وهذِه مسألة لطيفة عنت لنا في أثناء هذا الفصل، نحن نشرحها ونذكر خلاف العلماء فيها، ونخبر بالصواب عندنا من أمرها إن شاء الله وهي قوله عز اسمه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وما كان مثله. أخبرني أبو علي، عن أبي بكر محمد بن السري، عن أبي العباس محمد بن يزيد: أن الخليل يذهب إلى أن (إيا) اسم مضمر مضاف إلى الكاف...)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٢، وانظر: «الإغفال» ص٥٢ (رسالة ماجستير).

(١) هو أبو عثمان بكر بن محمد المازني الشيباني، النحوي المشهور، أستاذ أبى العباس المبرد، اختلف في سنة وفاته فقيل: (٢٣٦هـ)، وقيل: (٢٤٨هـ)، وقيل: غير ذلك. انظر ترجمته في «طبقات النحويين واللغويين» ص٨٧، «تاريخ بغداد» ٧/ ٩٣، «إنباه الرواة» ١/ ٢٤٦، «معجم الأدباء» ٢/ ٣٤٥، «نزهة الألباء» ص١٤٠.

(٢) هو محمد بن السري كما في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٢.

(٣) المبرد، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٢.

(٤) في (ب): (الخير).

(٥) في (ب): (يتغير).

(٦) في (ج): (الباصل).

بلغ الرجل ستين فإياه وإيا الشواب[١].

وحكى ابن كيسان عن بعض النحويين أنه قال: (إياك) بكمالها: اسم. قال: وقال بعضهم: (الياء والكاف والهاء) هي الأسماء، و(إيا) عماد لها؛ لأنها لا تقوم بأنفسها[٢].

وقال أبو إسحاق: (الكاف) في (إياك) في موضع جر بإضافة[٣] (إيا) إليها، إلا أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات.[٤] وليس يصح من هذه الأقوال إلا قول أبي الحسن[٥].

أما قول الخليل: إن (إيا) اسم مضمر مضاف فظاهر الفساد؛ وذلك أنه إذا ثبت أنه مضمر فلا سبيل إلى إضافة؛ لأن الغرض في الإضافة التعريف والتخصيص، والمضمر على نهاية الاختصاص فلا حاجة به إلى الإضافة، فهذا يفسد قول الخليل والمازني جميعا[٦].

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٣ .
وانظر قول سيبويه في «الكتاب» ١/ ٢٧٩ (تحقيق عبد السلام هارون)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١، «اللسان» (إيا) ١/ ١٨٧.

(٢) انظر بقية كلام ابن كيسان في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٣.

(٣) في (ب): (اضافة).

(٤) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٣، وانظر نص قول الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٠، ١١. قال الزجاج: (.. و(أيا) اسم للمضمر المنصوب إلا أنه يضاف إلى سائر المضمرات..).

(٥) قال أبو الفتح: (وتأملنا هذه الأقوال على اختلافها والاعتدال لكل قول منها، فلم نجد فيها ما يصح مع الفحص والتنقيب غير قول أبي الحسن الأخفش..)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٤.

(٦) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٥.

وحكاية سيبويه في إضافة[(١)] (إيا[(٢)]) ليس سبيل مثله -مع قلته- أن يعترض به على السماع والقياس جميعا، ألا ترى أنه لم يسمع منهم: (إياك وإيا الباطل).

وأما قول من قال: (إياك) بكماله اسم، فليس[(٣)] بقوي، وذلك أن (إياك) في أن فتحة الكاف تفيد خطاب المذكر، وكسرتها تفيد خطاب المؤنث، بمنزلة (أنت) في أن الاسم هو الهمزة والنون، والتاء[(٤)] المفتوحة تفيد خطاب المذكر، والمكسورة خطاب[(٥)] المؤنث، فكما أن ما قبل التاء في (أنت) هو الاسم، والتاء حرف خطاب، كذلك (إيا) هو الاسم، والكاف حرف خطاب[(٦)].

وأما من قال: إن (الكاف والهاء والياء)[(٧)] هي الأسماء و(إيا) عماد لها لقلتها، فغير مرضي أيضا وذلك أن (إيا) في أنه[(٨)] ضمير منفصل بمنزلة (أنت وأنا ونحن، وهو وهي) في أن هذِه مضمرات منفصلة، كما أن (أنا وأنت) ونحوهما مخالف للفظ المرفوع المتصل نحو(التاء) في قمت، و(النون) في

---

(١) عند أبي الفتح: (فأما ما حكاه سيبويه عنه (أي عن الخليل) من قولهم: فإياه وإيا الشواب، فليس سبيل مثله - مع قلته - أن يعترض به على السماع... الخ)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٥.

(٢) في (ب): (إيا إليها) زيادة (إليها).

(٣) في (ب): (فليست).

(٤) في (ب): (الياء) تصحيف.

(٥) عند أبي الفتح: (تفيد خطاب..)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٥.

(٦) فلا يكون (إياك) بكماله اسم.

(٧) عند أبي الفتح: (وأما من قال: إن (الكاف والهاء والياء) في إياك وإياه وإياي هي الأسماء وأن (إيا) إنما عمدت بها هذِه الأسماء لقلتها فغير مرضي أيضا) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٥.

(٨) في (ب): (ايه).

قمنا، و(الألف) في قاما، و(الواو) في قاموا، بل هي ألفاظ أخر[١] غير ألفاظ الضمير المتصل، وليس شيء منها معموداً به شيء من الضمير المتصل بل هو قائم بنفسه، فكذلك (إيا) مضمر[٢] منفصل، ليس معموداً به غيره، كما أن (التاء) في (أنت) وإن كانت بلفظة (التاء) في (قمت)، فليست اسما مثلها[٣]، بل الاسم قبلها وهو(أن)، وهي بعده للخطاب، وليست[٤] (أن) عمادا للتاء[٥]، فكذلك (إيا) هي الاسم، وما بعدها يفيد الخطاب تارة، والغيبة تارة، والتكلم[٦] أخرى، وهذا محض القياس.

وأما قول أبي إسحاق: وإن (إيا) اسم مظهر، خص بالإضافة إلى المضمر[٧] ففاسد أيضاً وليست (إيا) بمظهر كما زعم، والدليل على أن (إيا) ليست باسم مظهر اقتصارهم به على ضرب واحد من الإعراب، وهو النصب، كما اقتصروا بـ (أنا وأنت) على ضرب واحد من الإعراب، وهو الرفع[٨]،

---

(١) في (أ): (أخرى) وما في (ب)، (ج)موافق لما عند أبي الفتح، ١/ ٣١٦.

(٢) عند أبي الفتح: (اسم مضمر منفصل) وفي الحاشية: (اسم) سقط من (ش)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٦.

(٣) فالتاء في (قمت) ضمير، وفي (أنت) التاء للخطاب و(الاسم) أن.

(٤) في (ب): (ليس).

(٥) في (ب): (التاء).

(٦) في ب، (ج): (والمتكلم) وعند أبي الفتح (التكلم) وفي الحاشية (ل)، (ب): (المتكلم) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٦.

(٧) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٦، وانظر رأي أبي إسحاق في «معاني القرآن» ١/ ١٠، ١١.

(٨) عند أبي الفتح: (... وهو الرفع، فكما أن (أنا وأنت وهو ونحن) وما أشبه ذلك أسماء مضمرة، فكذلك (إيا) اسم مضمر لاقتصارهم به على ضرب واحد من الإعراب، وهو النصب، ولم نعلم اسما مظهرا... الخ) ١/ ٣١٦.

ولم نعلم اسماً مظهراً اقتصر به على النصب ألبتة، إلا ما كان ظرفا[١]، وليس (إيا) بظرف، فقد صح بما أوردناه سقوط هذِه الأقوال، ولم يبق قول يجب اعتقاده، ويلزم الدخول تحته غير قول أبي الحسن: إن (إيا) مضمر، وإن (الكاف) بعده ليست اسمًا، وإنما هي للخطاب، بمنزلة (كاف) ذلك، وأرأيتك[٢] وأبصرك زيدا، وليسك عمرا[٣]، والنجاءك[٤]. فإن قيل: إذا كانت (الكاف) في إياك ليست اسمًا فكيف تقولون في (الهاء) و(الياء) في (إياه وإياي)؟[٥]. قلنا: هما مثل الكاف، وإنما اختلف ما بعد (إيا) لاختلاف أعداد المضمرين وأحوالهم من الحضور والمغيب، ولسنا[٦] نجد حالا سوغت هذا المعنى للكاف، وانكفت غير[٧] (الهاء و الياء)[٨]. وقد وجدنا غير (الكاف)

---

(١) قال أبو الفتح: (ولم نعلم اسما مظهرا اقتصر به على النصب البتة إلا ما اقتصر به من الأسماء على الظرفية وذلك نحو: ذات مرة، وبعيدات بين، وذا صباح وما جرى مجراهن، شيئا من المصادر نحو: سبحان الله... الخ)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٦.

(٢) في (ج): (ولرايتك).

(٣) في (ب): (عمروا). وقوله (ليسك عمرا) أي: (ليس عمرا) والكاف لتوكيد الخطاب، وكذا أبصرك زيدا، أي أبصر زيدا. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٩.

(٤) (النجاءك): إذا أردت: انج، انظر: «تهذيب اللغة» (نجا) ٤/ ٣٥٠٩، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٨.

(٥) في «سر صناعة الإعراب» (... فكيف يصنع أبو الحسن بقولهم: إياه وإياي....) ١/ ٣١٧.

(٦) في (ج): (ولنا).

(٧) (غير) كذا في جميع النسخ، وعند أبي الفتح (عن) وهو الصحيح. «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٧.

(٨) فكما كانت (الكاف) حرف خطاب في (إياك) تكون (الهاء) في (إياه) و(الياء) في (إياي) حرفين، ولا مسوغ لاختلافهما عن (الكاف).

لحقه من سلب الاسمية وإخلاصه للحرفية[١] ما لحق (الكاف)، وهي (التاء) في أنت و(الألف) في قول من قال: قاما أخواك[٢]، و(الواو) في: قاموا إخوتك، و(النون) في: قمن الهندات، ألا ترى أن من قال: (أخواك قاما) كانت الألف عنده علامة الضمير والتثنية، وإذا قال: (قاما أخواكا) كانت الألف مخلصة للدلالة على التثنية مجردة من مذهب الاسمية، لامتناع تقدم المضمر[٣]، وخلو[٤] الفعل من علم الضمير بارتفاع الاسم الظاهر بعده، وكذلك الجمع والتأنيث على هذا القياس[٥]، فلا ينكر أيضا أن تكون (الهاء) و(الياء) في ضربه وضربني على معنى الاسمية، فإذا قلت: (إياه) و(إياي) تجردتا من معنى الاسمية، وخلصتا[٦] لدلالة الحرفية، فاعرف هذا، فإنه من لطيف ما تضمنه هذا الفصل[٧]، وهذا الذي ذكرنا كلام أبي علي وأبي الفتح[٨].

واعلم: أن الضمير ينقسم إلى ثلاثة أقسام[٩]: ظاهر منفصل، وظاهر

---

(١) في (ب): (ولا خلاصة للحرفة).

(٢) في (ج): (أخوك).

(٣) في (ب): (الضمير).

(٤) في (ج): (خلق).

(٥) فصل أبو الفتح هذا بالأمثلة، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٨.

(٦) في (ب): (واخلصا).

(٧) قال أبو الفتح: (... فاعرف هذا، فإنه من لطيف ما تضمنه هذا الفصل وبه كان أبو علي رحمه الله ينتصر لمذهب أبي الحسن ويذب عنه، ولا غاية في جودة الحجاج بعده)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٨.

(٨) انتهى ما نقله عن أبي الفتح من «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٢ - ٣١٨، وانظر: «الإغفال» ص٥٠ - ٥٧.

(٩) هذا البحث لا علاقة له بتفسير الآية، ومكانه كتب النحو واللغة، وجرى الواحدي في=

متصل، ومستكن، وهو على ثلاثة[١] أوجه: ضمير المرفوع، وضمير المنصوب، وضمير المجرور، وكل واحد منها على وجهين: متصل ومنفصل، إلا ضمير المجرور، فإنه متصل، ولا منفصل له.

أما ضمير المرفوع المتصل فنحو(تاء) فعلت وفعلت، وتثنيتهما، وجمعهما وتأنيثهما.

وأما ضمير المرفوع المنفصل فنحو(أنا و أنت و هو) وتثنيتها وجمعها، وتأنيثها[٢].

وأما ضمير المنصوب المتصل فنحو(ياء) ضربني، و(كاف) ضربك و(هاء) ضربه[٣]، وتثنيتها وجمعها وتأنيثها[٤]. وأما ضمير المجرور المتصل فنحو(ياء) بي، و(كاف) بك و(هاء) به، ولا منفصل له.

وأما المستكن فهو ما كان مستكنا في الفعل كقولك: قعد، وقام، فالضمير[٥] مستفاد من الفعل وإن لم يصرح به، لأن الفعل لا يقوم إلا بفاعل.

واعلم: أن (إيا) مبنية على السكون؛ لأن فيها شبه الحرف، فهي مثل (أنت، وأنا، وهو) وهذِه كلها مبنية لشبه الحرف، والألف في آخرها غير

= هذا على منهج شيخه الثعلبي حيث ذكر أقسام الضمير في هذا الموضع ١/٢٩/أ، وانظر أقسام الضمير في باب: الكنايات في (أصول النحو) لابن السرج ٢/١١٤، (التبصرة والتذكرة) للصيمري ١/٤٩٣ - ٥١١.

(١) في (ب): (ثلاثة أنواع أوجه) وكلمة (أنواع) جاءت في الجانب فلعلها شر من الكاتب.

(٢) في (ج): (وتثنيتهما وجمعهما وتأنيثهما).

(٣) في (ب): (ضربته).

(٤) (تأنيثها) سقط من (ب).

(٥) في (ب): (والضمير).

منقلبة مثل ألف (لا) و(ما) و(حتى) و(كلا)[(١)].

قال أبو الفتح: وحكى لي حاك عن أبي إسحاق قال[(٢)]: سمعته يقول وقد سئل عن معنى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ما تأويله؟ فقال: حقيقتك نعبد، قال: واشتقاقه من الآية، وهي العلامة، قال[(٣)]: وهذا القول عندي من أبي إسحاق غير مرضي، وذلك أن جميع[(٤)] الأسماء المضمرة مبني غير مشتق نحو: (أنا وأنت وهو وهي) وقد قامت الدلالة على كون (إيا) اسما مضمراً[(٥)]، فيجب أن لا يكون مشتقا[(٦)]. فإن قلت: فما مثال (إيا) من الفعل؟ فإن المضمر لا ينبغي أن يمثل؛ لأنه غير مشتق ولا متصرف[(٧)].

وقال صاحب «النظم»[(٨)]: معنى (إيا) الاختصاص، وقول القائل: (إياك ضربت) يعني: أن الضرب اختص بك وأردتك به، ولهذا وضعت العرب

---

(١) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥٥، ٦٥٦.

(٢) في «سر صناعة الإعراب»: (أراه قال لي: سمعته....) ٢/ ٦٥٦.

(٣) قال: المراد أبو الفتح. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥٦.

(٤) في (ب): (جمع).

(٥) وهو ما تقدم مما قرره الواحدي نقلا عن أبي الفتح ابن جني.

(٦) انظر بقية كلام أبي الفتح في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥٦، وانظر (المحتسب) ١/ ٤٠.

(٧) ترك الواحدي بقية كلام أبي الفتح، فلم يرد جواب السؤال واضحا، قال أبو الفتح بعد هذا: (ولكنك إن تكلفت ذلك على تبيين حاله لو كان مما يصح تمثيله، لاحتمل أن يكون من ألفاظ مختلفة، وعلى أمثلة مختلفة فالألفاظ ثلاثة: أحدها: أن يكون من لفظ (أويت)، والآخر: من لفظ الآية، والآخر: من تركيب (أوو...)، ثم أخذ في تفصيل ذلك في كلام طويل. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥٦ - ٦٦٤.

(٨) هو أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني، وكتابه هو «نظم القرآن» سبق الحديث عنه وعن كتابه في مصادر الواحدي في «البسيط»، وذكرت هناك: أن كتاب «نظم القرآن» مفقود، وقد نقل عنه الواحدي كثيرا.

(إياك) في موضع التحذير لما فيه من تأويل الاختصاص، فقالوا: إياك والأسد، أي: احفظ نفسك واحذر الأسد، ومنه قول الشاعر:

فإياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر[١]

وربما قالوا: إياك الأسد، بلا (واو)، قال[٢] الشاعر:

عليك القصد فاقصده برفق وإياك المحاين أن تحينا[٣]

فمن حذف (الواو)، فمعناه احذر على نفسك الأسد، وصن[٤] نفسك منه. وهذا الضمير[٥] يستعمل مقدما ولا يستعمل مؤخرا، إلا أن يفصل بينه وبين الفعل، فيقال: ما عنيت إلا إياك.

قال أبو بكر[٦]: وقوله: ﴿إِيَّاكَ﴾ بعد[٧] قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٨]

---

(١) ينسب البيت للطفيل الغنوي، وهو في (ديوانه) ص ١٠٢، قال المحقق: وهو قريب من شعر الطفيل، وينسب لمضرس بن ربعي الفقعسي، وكل المصادر روت البيت (فهياك) بدل (فإياك) وهو الشاهد عندهم حيث أبدل الهمزة هاء. ورد البيت في «المحتسب» ١/ ٤٠، «(الإنصاف») ١/ ٢١٥، «ديوان الطفيل الغنوي» ص١٠٢، «اللسان» (هيا) ٨/ ٤٧٤٣، «الكشاف» ١/ ٦٢، والقرطبي ١/ ١٢٧.

(٢) في (ب): (وقال).

(٣) أنشد الفراء شطره الثاني ولم ينسبه «معاني القرآن» ١/ ١٦٦، وكذا المزني في «معاني الحروف» ص١٠٢، وابن قتيبة في (أدب الكاتب) ص٣٢٢ وشطره الأول عنده:

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا

وقوله: المحاين: المهالك، تحين: تهلك أو يأتي حينها ووقتها.

(٤) في (ج): (أوصن).

(٥) أي ضمير (إيا).

(٦) ابن الأنباري، انظر: «زاد المسير» ١/ ١٤.

(٧) في (ب): (إياك نعبد قوله) وفي (ج) سقطت (بعد).

(٨) في (ب): (مالك).

[الفاتحة: ٤] رجوع من الغيبة إلى الخطاب، والعرب تفعل ذلك كثيراً، وهو نوع من البلاغة والتصرف في الكلام[١]، ومثله قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسان: ٢٢] وقال الأعشى:

عنده البر والتقى وأسا الصدع وحمل لمضلع الأثقال
ووفاء[٢] إذا أجرت فما غرت حبال وصلتها بحبال[٣]

وأنشد أبو عبيدة[٤]:

يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر[٥]

وقال كثير[٦]:

---

(١) انظر: «زاد المسير» ١/ ١٤، «مجاز القرآن» ١/ ٢٣، والطبري ١/ ٦٧، وابن عطية ١/ ١٠٤، «الكشاف» ١/ ٦٢، والرازي ١/ ٢٥٢.

(٢) في (ج): (ووحاء).

(٣) البيتان من قصيدة للأعشى يمدح الأسود بن المنذر، وليس البيتان متواليين في القصيدة، وإنما بينهما أبيات، وفي «الديوان» ورد (الحزم) بدل (البر) و(الصرع) بدل (الصدع). قوله: (التقي) أي: الحذر، (أسا): دواء. انظر: «الديوان» ص١٦٦-١٦٧، ولم أجدهما في غيره.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٤.

(٥) البيت لأبي كبير الهذلي، يرثي صديقا له اسمه خالد (جدة) يعني: شبابه، (الأعفر) يقول: دفن في أرض ترابها أعفر: أي: أبيض. ورد البيت في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤، «شرح أشعار الهذليين» للسكري ٣/ ١٠٨١، والطبري ١/ ٦٧، «أمالي ابن الشجري» ١/ ١١٧، وابن عطية ١/ ١٠٤.

(٦) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة، كان أحد العشاق المشهورين، وصاحبته (عزة) وهي من ضمرة، وإليها ينسب، كان كثير رافضيا توفي في اليوم الذي توفي فيه عكرمة مولى ابن عباس. انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٣٣٤، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٣٤، «الخزانة» ٥/ ٢٢١.

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت[١]

وقوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ﴾ معنى العبادة: الطاعة مع الخضوع والتذلل، وهو جنس من الخضوع، لا يستحقه إلا الله ﷻ، وهو خضوع ليس فوقه خضوع، وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه، ويقال: طريق معبد، إذا كان مذللا موطوءا[٢] بالأقدام[٣]، وهو في شعر طرفة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال أبو بكر: وإنما كرر (إياك) للتوكيد، كما تقول: بين زيد وبين عمرو خصومة، فتعيد (بين)[٥]. قال: ولأن كل واحد من الفعلين يطلب مفعولا على حدته، ولو أخر المكنيان[٦] إلى

---

(١) من قصيدة لكثير في ذكر (عزة) قوله (مقلية) من القلي وهو البغض، (تقلت) تبغضت، ورد البيت في «الشعر والشعراء» ص٣٤٣، «ديوان كثير» ص١٠١، نشر دار الثقافة بيروت، «أمالي ابن الشجري» ١/ ٤٩، ١١٨، «المحكم» ٣/ ١٤٤، «الخزانة» ٥/ ٢١٩.

(٢) في (ب): (بوطوا).

(٣) ذكر هذه المعاني الثعلبي في «تفسيره الكشاف» ١/ ٢٩/ ب، وانظر الطبري ١/ ٦٩.

(٤) أراد أبيات طرفة التي ذكرها الثعلبي بعد الكلام السابق وهي:

قال طرفة:

تباري عتاقا ناجيات وأتبعت … وظيفا وظيفا فوق مور معبد

وقوله:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها … وأفردت إفراد البعير المعبد

انظر الثعلبي ١/ ٢٩/ب، والطبري ١/ ٦٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٥.

(٥) ذكر نحوه الثعلبي ١/ ٢٩/ ب وذكره ابن جرير ثم رده قال: (وقد ظن من لم ينعم النظر أن إعادة (إياك) مع (نستعين) بعد تقدمها في قوله: ﴿إياك نعبد﴾، بمعنى قول عدي بن زيد:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به … بين النهار وبين الليل قد فصلا

وذكر بيتا آخر.. ثم قال: وذلك من قائله جهل، من أجل أن حظ إياك أن تكون مكررة مع كل فعل.. الخ). الطبري ١/ ٧١.

(٦) يعني: الضميرين.

موضعهما بعد الفعل لقيل: (نعبدك ونستعينك) فلما كان كل واحد من الفعلين يقع على (الكاف)[١] في تأخرها وقع على (إياك) في تقدمه[٢]. والقول هو الأول[٣]؛ لأن العرب إذا جمعت فعلين واقعين اكتفت بوقوع أحدهما من وقوع الآخر، فيقولون: قد أكرمتك وألطفت[٤]. قال الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] أراد (وما قلاك) فاكتفى بوقوع الأول من وقوع الثاني[٥].

ويقال: لم قدم ذكر العبادة على المعونة، وإنما المعونة بها تكون العبادة؟

والجواب: أن الواو عند النحويين لا توجب ترتيبا[٦]، وإنما هي للجمع[٧]، يدل على ذلك أنه لو اتفقت الأسماء لم

---

(١) في (ج): (الكائن).

(٢) ذكر نحوه ابن جرير ١/ ٧١. قال أبو حيان: كرر (إياك) ليكون كل من العبادة والاستعانة سيقا في جملتين، وكل منهما مقصودة، وللتنصيص على طلب العون منه...)، «البحر المحيط» ١/ ٢٥. وقال أبو السعود: (تكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة)، أبو السعود ١/ ١٧، وانظر ابن كثير ١/ ٢٨.

(٣) أي كرر للتوكيد، واختار ابن جرير الثاني ١/ ٧١.

(٤) قال ابن جرير: إن الأفصح إعادة الضمير مع كل فعل اتصل به، فيقال: (اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك).. وإن كان ترك الإعادة جائزا. انظر الطبري ١/ ٧١.

(٥) قال أبو حيان: حذف المفعول اختصارا في (قلى) إذ يعلم أنه ضمير المخاطب وهو الرسول ﷺ. «البحر المحيط» ٨/ ٤٨٥، وقال الرازي في حذف الكاف وجوه:
١- اكتفاء بالكاف في (ودعك)، ولأن رؤوس الآيات بالياء، فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف.
٢- الإطلاق، أنه ما قلاك، ولا أحدا من أصحابك، ولا أحدا ممن أحبك. الرازي ٣١/ ٢٠٩، وانظر القرطبي ٢٠/ ٩٤.

(٦) انظر: «الكتاب» ٣/ ٤٢، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٢.

(٧) وعليه فتقديم الخبر عن العبادة وتأخير مسألة طلب المعونة، ليس من باب الترتيب، واختار الطبري هذا قال: (.. كان سواء تقديم ما قدم منهما على صاحبه... ثم قال: =

نحتج[١] إليها، لا تقول: قام زيد وزيد، ولكن قام الزيدان. فكما لا يوجب (قام الزيدان) ترتيبا، كذلك لا يوجب قام زيد وعمرو ترتيبا، وسنقضي حق الواو، والكلام فيها في موضع آخر إن شاء الله.

٦- قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

قال الأصمعي: هداه في الدين يهديه هدى[٢]، وهداه يهديه هداية، إذا دله على الطريق[٣].

وأصل الهداية في اللغة: الدلالة. وهوادي الخيل والوحش التي تتقدم للدلالة[٤].

قال عبيد[٥] يذكر الخيل[٦]:

وغداة صبحن الجفار عوابسا[٧] تهدى أوائلهن شُعثٌ شُزَّبُ[٨]

= وقد ظن بعض أهل الغفلة أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير....). الطبري ١/ ٧٠. وقال ابن كثير ١/ ٢٨: (قدم ﴿إياك نعبد﴾ على ﴿إياك نستعين﴾ لأن العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلة إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم). وللرازي في هذا التقديم تعليلات يطول ذكرها. انظر (تفسيره) ١/ ٢٥٤.

(١) في (ج): (يحتج). (٢) في (ج): (هدي).

(٣) «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٧، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٣، «اللسان» (هدى) ٨/ ٤٦٣٩.

(٤) ذكر نحوه الأزهري عن الأصمعي. «التهذيب» (هدى) ٤/ ٣٧٣٨، وانظر: «الصحاح» (هدى) ٦/ ٢٥٣٤، «معجم مقاييس اللغة» (هدى) ٦/ ٤٢.

(٥) كذا في «تهذيب اللغة»، وفي الهامش، في المنسوخة: أبو عبيد ٦/ ٣٨٣، والصحيح (عبيد) فالبيت لعبيد بن الأبرص.

(٦) في (ج): (الخليل).

(٧) في (ج): (عواسا).

(٨) يذكر الخيل: صبحن الجفار: أتينه صبحا و(الجفار): موضع، (شعث): المغبرة=

هذا هو الأصل، ثم سمي كل متقدم هاديا وإن لم يتقدم للدلالة[١].

ومنه:

كأن دماء الهاديات بنحره[٢]

يريد أوائل الوحش ومتقدماتها. وتسمى العنق هادية لتقدمها على البدن، ويقال: أقبلت هوادي الخيل إذا بدت أعناقها؛ لأنها أول شيء من أجسادها[٣]. وقول طرفة:

للفتى عقل يعيش به   حيث تهدي ساقه[٤] قدمه[٥]

أي: حيث تقودها قود الدليل. وسمى الأعشى العصا هاديا[٦] في قوله:

إذا كان هادي الفتى في البلاد   صدر القناة أطاع الأميرا[٧]

= المتلبدة الشعر، (شزب): ضمر، انظر: «ديوان عبيد» ص٧، «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٩، «اللسان» (هدى) ٨/ ٤٦٤١، «التاج» (هدى) ٢٠/ ٣٣٣.

(١) انظر: «التهذيب» (هدى) ٤/ ٣٧٣٩، «اللسان» (هدى) ٨/ ٤٦٤١.

(٢) في (ب): (منجره) وفي (ج): (ينحر).
والبيت لامرئ القيس وعجزه:

....   عصارة حناء بشيب مرجل

شبه دم الوحش بنحر هذا الفرس بعصارة الحناء على الشيب، ورد البيت في «ديوانه» ص١٢١، «الصحاح» (هدى) ٦/ ٢٥٣٤، «اللسان» (هدى) ٨/ ٤٦٤١، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص٣٩.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٨، «اللسان» (هدى) ٨/ ٤٦٤٠.

(٤) في (ب): (فما ساقه).

(٥) في (ج): (قدميه). ورد البيت في الطبري ١/ ٧٣، «الصحاح» (هدى) ٦/ ٢٥٣٤، «اللسان» ٨/ ٤٦٤١، «التاج» ٢٠/ ٣٣٣، «العقد الفريد» ٥/ ٤٧٩، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٦٢، «الهمع» ٣/ ٢٠٧، «الدرر اللوامع» ١/ ١٨١، «الخزانة» ٧/ ١٩.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٩.

(٧) في (ج): (الأمير). قوله (صدر القناة): أعلى العصا التي يقبض عليها، لأنه أعمى، =

إما لأنها تتقدمه، وإما لأنها تدله على الطريق، والتقدم في هذا راجع إلى[(١)] الهداية، لأن من دلك[(٢)] على الطريق تقدمك، ثم سمي المتقدم هاديا وإن لم يدل[(٣)]. والفعل من (الهدى)[(٤)] يتعدى إلى مفعولين، ويتعدى إلى الثاني بأحد حرفي جر (إلى) و(اللام[(٥)]) كقوله: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾[(٦)] [الصافات: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: ٢٢]، وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥]. ومثل هذا في التعدي[(٧)] (الإيحاء)[(٨)] قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]. وقد يحذف حرف الجر من المفعول الثاني في (الهدى) فيصل الفعل إليه بغير حرف جر[(٩)]. كقوله: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. ومعناه: دلنا عليه، واسلك بنا فيه[(١٠)].

= (الأمير) الذي يأمره ويقوده، ورد البيت في «ديوان الأعشى» ص٨٧، «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٤١، «التاج» ٢٠/ ٣٣١، «المحتسب» ١/ ١٢٦، ٢٩٠.

(١) في (ب): (إلى المعونة الهداية).

(٢) في (ج): (ذلل).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (هدى) ٤/ ٣٧٣٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٤١ .

(٤) في (ب): (الهادي).

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٣، «الكشاف» ١/ ٦٦ - ٦٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٥، (تفسير أبي السعود) ١/ ١٧.

(٦) في (ج): (فاهدهم) تصحيف.

(٧) أي: التعدي بأحد حرفي الجر (إلى) و(اللام).

(٨) في (ب): (بالإيحا).

(٩) انظر: ابن كثير، ١/ ٢٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٥.

(١٠) قال ابن جرير: معنى قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ في هذا الموضع، وفقنا=

ويقال: ما معنى سؤال المسلمين الهداية في قولهم: (اهدنا) وهم مهتدون؟ والجواب عنه من وجوه: **أحدها**: أنه قد تعرض للعارف شبه ينتقل بها إلى الجهل، فيحسن أن يسأل اللطيفة التي يتمسك معها بالمعرفة[(١)]، ولا ينتقل إلى الجهالة.

والثاني: أنهم لما كانوا لا يعلمون ما يكون منهم في المستأنف، حسن أن يسألوا الهداية على[(٢)] وجه التثبت لما هم عليه من الحق، وقد تستعمل الهداية لا من الضلالة كما قال الحطيئة لعمر رضي الله عنه:

فلا تُعْجِلَنِّي هداك المليكُ فإنَّ لكلِّ مَقَامٍ مَقَالا[(٣)]

لم يرد من ضلالتك؛ لأنه لو أراد ذلك قد هجاه، ولكنه على معنى التوفيق و[(٤)] التثبيت[(٥)].

وقال بعض أصحابنا: يجوز أن يحمل على سؤال الهداية ابتداء فيما

= للثبات عليه. وضعف أن يكون المعنى: زدنا هدى، أو: أسلكنا طريق الجنة والمعاد. الطبري ١/ ٧١-٧٢، وانظر: ابن كثير ١/ ٢٩.

(١) انظر: «الكشاف» ١/ ٦٧.

(٢) في (ب): (جهة).

(٣) ورد البيت في الطبري ١/ ٧٢، «الكامل» ٢/ ١٩٩، «المقتضب» ٣/ ٢٢٤، (الهمع) ٣/ ١١٠، «اللسان» (حنن) ٢/ ١٠٣٠، ورواية الطبري (ولا تعجلني) وبقية المصادر (تحنن علي).

(٤) في (ب)، (ج): (أو).

(٥) وهذا هو المعنى الذي ارتضاه الطبري ١/ ٧٢، وذكره الزجاج في «المعاني» ص١٢، والماوردي ١/ ٥٨، والبغوي ١/ ٥٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥، والرازي ١/ ٣٥٧، وقد ذكر الماوردي وابن الجوزي والرازي معاني أخرى.

يستقبل؛ لأن الهداية عرض لا يبقى، فهو يسأل أن[1] يخلق له أمثالها[2].

وقال بعضهم: هذا سؤال، واستنجاز لما وعدوا به في قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿الصِّرَاطَ﴾[3]، فيه لغات قد قرئ بها: السين، والصاد، والزاي، وإشمام[4] الصاد الزاي[5].

فمن قرأ بالسين فإنه يقول: هو أصل الكلمة؛ لأنه من الاستراط بمعنى: الابتلاع[6]، فالسراط يسترط السابلة[7]. ولو لزم لغة من يجمعها صادا مع (الطاء[8]) لم يعلم[9] ما أصل الكلمة[10]. ويقول من يقرأ بالصاد: إنها أخف

---

(١) في (ب): (فهم يسألون أن يخلق لهم).

(٢) في (ج): (مثلها). ما ذكره مبني على مذهب أصحابه الأشاعرة: أن العرض لا يبقى زمانين، والهداية عرض فهي عندهم لا تبقى في الزمان الثاني، فهو يسأل أن تجدد له الهداية، وهذا مذهب رده جماهير العلماء. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٥/ ٢١٦، ٦/ ٤١، ١٦/ ٢٧٥.

(٣) في (ج): (صراط).

(٤) الإشمام: هو إطباق الشفتين عقب تسكين الحرف المرفوع، والمراد هنا بإشمام الصاد الزاي هو خلط لفظ الصاد بالزاي. انظر: «الكشف» ١/ ١٢٢، (البدور الزاهرة) ص١٥.

(٥) روي عن ابن كثير: بالسين والصاد، وروي عن أبي عمرو: السين والصاد، والزاي والمضارعة بين الزاي والصاد.

وحمزة: يشم بين الصاد والزاي. وبقية السبعة بالصاد. انظر (السبعة) لابن مجاهد ص ١٠٥، ١٠٦، «الحجة» لأبي علي ١/ ٤٩، (الكشف) لمكي ١/ ٣٤.

(٦) يقال: استراط الطعام: إذا ابتلعه. انظر: «تهذيب اللغة» (سرط) ٤/ ١٩٩٣.

(٧) السراط: الطريق، و(السابلة) المارة يسترطهم لكثرة مرورهم به. انظر: «اللسان» (سرط) ٤/ ١٩٩٣.

(٨) في (ج): (الظاء).

(٩) في (ب): (ما يعلم).

(١٠) ذكره أبو علي في «الحجة» عن أبي بكر محمد بن السري ١/ ٤٩، وانظر: «حجة=

على اللسان، لأن (الصاد) حرف مطبق كـ (الطاء) فيتقاربان ويحسنان في السمع، والسين حرف مهموس فهو أبعد من الطاء[(١)].

ويقول من قرأ بالزاي: أبدلت منها حرفاً مجهوراً[(٢)] حتى يشبه (الطاء) في الجهر، ورمت الخفة، ويحتج بقول العرب: (زقر) في (صقر)[(٣)].

ويقول من قرأ بالمضارعة[(٤)]: رمت الخفة، ولم أجعلها (زايا) خالصة، ولا (صادا) خالصة، فيلتبس أصل الكلمة بأحدهما[(٥)].

قال ابن السراج[(٦)]: الاختيار (الصاد) للخفة والحسن في السمع، وهو غير ملتبس، لأن (السين) كأنها مهملة في الاستعمال مع[(٧)] (الطاء) عند من (الصاد) لغته، ومع ذلك فهي قراءة الأكثر. وأما (الزاي) الخالصة فليست[(٨)] بمعروفة[(٩)]، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذِه اللغة.

وأما المضارعة[(١٠)] فهو تكلف حرف بين حرفين، وذلك أصعب على

= القراءات» لابن زنجلة ص ٨٠، «الحجة» لابن خالويه ص ٦٢، «الكشف» ١/ ٣٤.

(١) بنصه في «الحجة» ١/ ٤٩، ٥٠، وانظر المراجع السابقة.

(٢) أي: أبدلت من (الصاد) حرفا مجهورا وهو (الزاي).

(٣) في (ب): (زفر في صفر) وفي «الحجة»: (صقر) و(سقر) و(زقر)، ١/ ٥٠.

(٤) بين الزاي والصاد.

(٥) بنصه من «الحجة» ١/ ٥٠، وانظر: «الكشف» ١/ ٣٤، ٣٥.

(٦) هو أبو بكر محمد السري، المعروف بابن السراج، وكلامه في «الحجة» ١/ ٥٠.

(٧) (مع) غير واضحة في (ب).

(٨) في (ج): (فليت).

(٩) كلام ابن السراج في «الحجة»: (وأما الزاي فأحسب الأصمعي لم يضبط عن أبي عمرو؛ لأن الأصمعي كان غير نحوي، ولست أحب أن تحمل القراءة على هذِه اللغة، وأحسب أنه سمع أبا عمرو يقرأ بالمضارعة للزاي فتوهمها زايا)، «الحجة» ١/ ٥١.

(١٠) كلام ابن السراج في «الحجة»: (وأما القراءة بالمضارعة التي بين (الزاي) و(الصاد)=

اللسان؛ لأنه إنما استعمل في هذِه الحال فقط، وليس هو حرفا تبنى عليه الكلمة، ولا هو من حروف المعجم. وقال صاحب «الحجة»[(١)]: الحجة لمن قرأ بالصاد: أن[(٢)] السين مضارعة لما أجمعوا على رفضه من كلامهم، ألا ترى أنهم تركوا إمالة (واقد) ونحوه كراهة أن يصعدوا بالمستعلي بعد التسفل[(٣)] بالإمالة. فكذلك يكره[(٤)] أن يتسفل[(٥)] بالسين[(٦)] ثم يتصعد[(٧)] بالطاء في (سراط)، وإذا كانوا قد أبدلوا من (السين) (الصاد) مع القاف في: (صقت وصويق)[(٨)] ليجعلوها في استعلاء (القاف)[(٩)]، فلأن يبدلوا منها (الصاد) مع (الطاء)

= فعدلت عن القراءة بها؛ لأنه تكلف حرف بين حرفين). «الحجة» ١/ ٥١.

(١) هو أبو علي الفارسي. وكتابه «الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد» وهو مصدر رئيس للواحدي خصوصا في القراءات. انظر: مصادر الواحدي ص٧٨، انظر كلام الفارسي في «الحجة» ١/ ٥١.

(٢) في «الحجة»: (أن القراءة بالسين مضارعة...)، ١/ ٥١.

(٣) في (ب): (السفل).

(٤) في «الحجة»: (يكره على هذا أن يستفل..)، «الحجة» ١/ ٥١.

(٥) في (ب): (يستقل).

(٦) (بالسين) غير موجود في «الحجة» ١/ ٥١.

(٧) لأن (السين) حرف منخفض، و(الطاء) من حروف الاستعلاء والتصعد. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦٢.

(٨) في (ب): (صفه وصديق).

أصل صقت: (سقت) و(صويق): (سويق). انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢١٢.

(السويق) ما يتخذ من الحنطة والشعير.

ويقال: السويق: المقل الحتى، والسويق: السبق الفتي، والسويق: الخمر. «اللسان» (سوق) ٤/ ٢١٥٦.

(٩) في «الحجة» (.. في استعلاء (القاف) مع بعد (القاف) من (السين) وقرب (الطاء) منها، فإن يبدلوا منها الصاد...)، «الحجة» ١/ ٥٢.

أجدر[١] من حيث كانت (الصاد) إلى (الطاء) أقرب منه إلى (القاف)[٢].

ألا ترى أنهما جميعا من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا[٣]. وأن[٤] من يقول: (صويق) و(صقت)، إذا قال: (قست وقست)[٥] لم يبدل (الصاد) من[٦] (السين)، لأنه الآن ينحدر بعد الإصعاد، وهذا يستخف ولا يستثقل كما استثقل عكسه.

واحتجاجهم بأن (السين) هو الأصل، قلنا: قد يترك ما هو الأصل في كلامهم إلى ما ليس بأصل؛ طلبا لاتفاق الصوتين[٧]. ألا تراهم قالوا: (شنباء)، و(من بكر)[٨] فلم يبينوا[٩] (النون) التي هي الأصل في

---

(١) في (ب): (فصدر).

(٢) (منه إلى القاف) ليست في «الحجة» ١/ ٥٢.

(٣) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ٥٢.

(٤) قال أبو علي: (ويدلك على أن حسن إبدال (الصاد) من (السين) في (سراط) لما ذكرت لك: من كراهة التصعد بعد التسفل، أن من يقول: صويق وصقت... الخ). «الحجة» ١/ ٥٢.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة»: (قست وقسوت) ١/ ٥٢. وهذا هو الصواب.

(٦) في «الحجة» (منها) بدل (من السين).

(٧) من قوله: (واحتجاجهم إلى قوله (الصوتين) ملخص كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ١/ ٥٢، ٥٣.

(٨) في (ب): (شبنا) و(من نكر) وفي «الحجة»: (شمباء) و(مم بك) وفي الحاشية: في ط (شنباء ومن بك).

قال سيبويه: (... فجعلوا ما هو من موضع ما وافقها في الصوت بمنزلة ما قرب من أقرب الحروف منها في الموضع، ولم يجعلوا (النون): (باء) لبعدها في المخرج، وأنها ليست فيها غنة. ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولهم: (ممبك)، يريدون: (من بك). و(شمباء) و(عمبر) يريدون: (شنباء) و(عنبرا). انظر: «الكتاب» ٤/ ٤٥٣ تحقيق: عبد السلام هارون. «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٢١.

(٩) في (ب): (يثبتوا).

(الشنب)[(١)]، و(من عامر)[(٢)]؟ لما أرادوا أن يوفقوا بين الصوتين[(٣)]. فكما تركوا الأصل ههنا طلباً للمشاكلة، كذلك يترك الأصل في (صراط)[(٤)] فتترك السين[(٥)] ويختار إبدال الصاد من السين.

وأما القراءة (بالزاي) فليس بالوجه، وذلك أن من قال في: (أصدرت): (أزدرت) وفي (القصد): (القزد)[(٦)] فأبدل[(٧)] من (الصاد الزاي)، فإنه إذا تحركت (الصاد) في نحو[(٨)] (صدرت) و(قصدت[(٩)]) لم يبدل، فإذا لم يبدلوا (الصاد) (زايا) إذا تحركت مع (الدال)، وكانت (الطاء) في (الصراط) مثل الدال في (القصد)[(١٠)] في الجهر[(١١)]، فكذلك ينبغي ألا يبدل من (السين) (الزاي) في (سراط)، من أجل (الطاء)، لأنها قد تحركت

---

(١) الشنب (البرد والعذوبة في الفم). «اللسان» (شنب) ٤/ ٢٣٣٦.

(٢) في (ب): (غامر). يريد أن النون أصل في (الشنب) و(ومن عامر) ومع ذلك أبدلوها ميما في (شنباء) و(من بكر). أما (من عامر) فإن النون فيه يجب إظهارها.

(٣) ترك المؤلف بعض كلام أبي علي. انظر: «الحجة» ١/ ٥٣.

(٤) في «الحجة» (سراط) بالسين، ١/ ٥٣، وهو الأقرب.

(٥) (فتترك السين) ليس في «الحجة»، ١/ ٥٣.

(٦) في(أ)، (ج): (الفصد، الفرد) وفي (ب): (القصد، الفرد) وما أثبت من «الحجة» ١/ ٥٣. وعند سيبويه: (الفصد: الفزد)، «الكتاب» ٤/ ٤٧٨.

(٧) في (ب): (وأبدل).

(٨) في (ب): (نحمد).

(٩) في (أ): (فصدت) وفي «الحجة» (صدقت) ١/ ٥٣، وفي «الكتاب» (صدقت) ٤/ ٤٧٨.

(١٠) في (أ)، (ج): (الفصد) وما في (ب) موافق لما في «الحجة»، ١/ ٥٣.

(١١) في «الحجة» (في حكم الجهر)، ١/ ٥٣.

كما تحركت في (قصدت)[١] مع أن بينهما في (سراط) حاجزين[٢].

ومما يحتج[٣] من أخلص (الصاد[٤]) على من ضارع بها (الزاي[٥]) أن يقول: إن الحرف قد أعل مرة بالقلب، فلا تستقيم المضارعة ؛ لأنها إعلال آخر، وقد رأيتهم كرهوا الإعلال في الحرفين إذا تواليا، فإذا لم يوالوا بين إعلالين في حرفين مفترقين[٦]، فألا[٧] يوالوا بين إعلالين في حرف واحد أجدر[٨]. مثاله[٩] أنهم حذفوا النون من نحو(بلعنبر) و(بلحرث[١٠])، ولم

---

(١) في (أ)، (ج): (فصدت) ومافي (ب) هو الموافق لما في «الحجة»، ١/ ٥٤. وانظر: «الكتاب» ٤/ ٤٧٨.

(٢) وهما (الراء والألف)، انظر: «الكتاب» ٤/ ٤٧٨. وانظر بقية كلام أبي علي في «الحجة»، ١/ ٥٤، ٥٥.

(٣) كذا في جميع النسخ وفي «الحجة» (ومما يحتج به من أخلص الصاد...)، ١/ ٥٦.

(٤) في (ج): (الضاد).

(٥) تكلم أبو علي قبل هذا على الحجة من (ضارع الصاد بالزاي) ولم ينقل الواحدي كلامه في ذلك. انظر: «الحجة» ١/ ٥٥.

(٦) في (ب): (متفرقين).

(٧) في (ب): (بأن).

(٨) الإعلالان هنا: إبدال السين صادا، ثم مضارعة الصاد بالزاي.

(٩) في «الحجة»: (ويقوي ذلك أنهم....)، ١/ ٥٦.

(١٠) قال سيبويه: (ومن الشاذ قولهم: في (بني العنبر) و(بني الحارث): بلعنبر وبلحارث، بحذف النون)، «الكتاب» ٤/ ٤٨٤. بنو العنبر: قبيلة تنسب إلى العنبر بن عمرو بن تميم. وانظر: «اللباب» لابن الأثير ٢/ ٣٦٠، «اللسان» (عنبر)، ٥/ ٣١٢٠. و(بلحرث) لبني الحرث بن كعب. قال في «اللسان»: وهذا من شواذ الإدغام؛ لأن النون واللام قريبا المخرج.. وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة. «اللسان» (حرث)، ٢/ ٨٢١.

يحذفوا من (بني النجار)[١] مع توالي النونات حيث كانت (اللام) قد أعلت بالقلب (لئلا يتوالى إعلالان: [الحذف والقلب][٢]، وإن كانا من كلمتين مفترقتين[٣]، فإذا كره في هذا النحو، كان توالي إعلالين في حرف واحد أبعد[٤].

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: (الاستقامة) في اللغة: الاستواء، يقال: قام إذا استوى منتصبا، وأقامه: إذا سواه، وقاومه إذا ساواه في القوة. وقيمة الشيء ما يساويه من ثمنه، ومعنى الاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة[٥].

وأما تفسير ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فروى علي وابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصراط المستقيم: كتاب الله ﷻ**»[٦].

---

(١) بنو النجار قبيلة من (الخزرج) تنسب إلى النجار واسمه (تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. انظر (اللباب) ٣/ ٢٩٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في ب، (ج): (متفرقتين).

(٤) في (ج): (بعد).

(٥) «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٥، وانظر: «اللسان» (قوم)، ٦/ ٣٧٨٢.

(٦) حديث علي رضي الله عنه بهذا اللفظ: أخرجه الثعلبي بسنده ١/ ٣٠/ب، وبنحوه أخرجه الطبري، وقال شاكر: إسناده ضعيف جدا ١/ ١٧١ (ط.شاكر)، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره»، قال المحقق: ضعيف جدا ١/ ١٥٩، وهو جزء من حديث فضائل القرآن الطويل الذي أخرجه الترمذي في: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن، قال الترمذي بعده: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. الترمذي (٢٩٠٦)، وأخرجه الدارمي في (سننه) كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن ٤/ ٢٠٩٨ (٣٣٧٤)، وذكره ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» ص٤٤-٤٦، ونقل كلام الترمذي عليه، ثم قال: (وقصارى هذا=

وقال جابر ومقاتل: (هو الإسلام)[١].

وعن أبي العالية الرياحي[٢]، قال: هو طريق رسول الله ﷺ وصاحبيه من بعده أبي بكر وعمر)[٣].

= الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ) وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٤٠-٤١.

أما حديث عبد الله بن مسعود: فأخرجه الطبري موقوفاً على ابن مسعود وكذا الثعلبي ١/ ٣٠/ب، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٥٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى وكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والأنباري، والحاكم، والبيهقي في «شعب الإيمان». «الدر» ١/ ٤٠، وذكره الشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٣٧. ولم يذكروا رفعه، وكلام ابن كثير السابق حول حديث علي يدل على أنه مرفوع، انظر: «فضائل القرآن» ص٤٤/ ٤٦.

(١) قول جابر ذكره الثعلبي بسنده ١/ ٣٠/أ، والطبري: قال شاكر: موقوف على جابر وإسناده صحيح، ١/ ١٧٣، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. «المستدرك» ٢/ ٢٥٩، وذكره السيوطي في «الدر» ونسبه لوكيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والمحاملي في «أماليه»، والحاكم. «الدر» ١/ ١٤، ١٥. وقول مقاتل ذكره الثعلبي بدون سند ١/ ٣٠/أ، والبغوي ١/ ٤١.

(٢) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، بصري مقرئ فقيه، سمع من عداد من الصحابة، مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٨٤، «غاية النهاية» ١/ ٢٨٤، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٧٨، «معرفة القراء» ١/ ٤٩.

(٣) ذكره الثعلبي ١/ ٣١/أ، والأثر أخرجه الطبري بسنده، قال شاكر: شيخ الطبري لا أعرف من هو، ولعل فيه تحريفا، ووثق بقية رجاله الطبري ١/ ١٧٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، قال المحقق: إسناده حسن. (رسالة دكتوراه) ١/ ١٦٠. وذكره السيوطي في «الدر» ونسبه لعبد بن حميد، وابن جريج، وابن أبي حاتم، وابن عدي، =

وقال بكر بن عبد الله المزني[(١)]: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فسألته عن الصراط المستقيم، فقال: «**سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**»[(٢)].

قال أهل المعاني: إنما وصف الدين الحق[(٣)] بأنه الصراط المستقيم؛ لأنه يؤدي إلى الغرض المطلوب من رضاء الله تعالى والخلود في النعيم المقيم، كما أن الصراط المستقيم يؤديك إلى مقصودك[(٤)].

٧- قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾: (صراط) بدل من (الصراط)

= وابن عساكر. «الدر» ١/ ١٥. وذكره ابن كثير في «التفسير» ١/ ٥٦. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» بسنده عن أبي العالية عن ابن عباس. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، «المستدرك» ١/ ٢٥٩.

(١) هو بكر بن عبد الله المزني، بصري تابعي ثقة، كثير الحديث، حجة، توفي سنة ست ومائة، وقيل: سنة ثمان ومائة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٠٩، «ذكر أسماء التابعين» ١/ ٨١، «تاريخ الثقات» ١/ ٢٥١، «تهذيب التهذيب» ١/ ٢٤٤.

(٢) (بعدي) ساقط من (ج). والأثر ذكره الثعلبي في (تفسيره) ١/ ٣١/أ، والبغوي ١/ ٥٤. وهذِه الأقوال يصدق بعضها بعضا وتجتمع، قال الطبري: والذي هو أولى بتأويل هذِه الآية: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن من وفق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيين والصديقين والشهداء فقد وفق للإسلام واتباع منهج النبي ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم) ١/ ٧٤، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٢٢، «فتح القدير» ١/ ٣٨.

(٣) في(أ)، (ج): (والحق) زيادة (واو) وأثبت ما في (ب)، لأنه أصح.

(٤) في (ب): (مقصدك). انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٢١، قال الطبري: (وإنما وصفه الله بالاستقامة؛ لأنه صواب لا خطأ فيه، وقد زعم بعض أهل الغباء، أنه سماه مستقيما لاستقامته بأهله إلى الجنة. وذلك تأويل لتأويل جميع أهل التفسير خلاف، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلا على خطئه)، ١/ ٧٥.

الأول[١]، وهو بدل الشيء من نفسه في المعنى[٢]؛ لأن ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ هو ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بعينه، وهو كقولك: جاءني أبوك زيد، فزيد هو الأب بعينه، وهو من بدل (المعرفة من المعرفة)، وللبدل باب معروف يذكر فيه وجوهه[٣].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ النحويون يسمون (الذي والتي) وتثنيتهما، وجمعهما: الأسماء الموصولة، والأسماء النواقص، والأسماء المبهمة، وذلك لأنها[٤] أسماء لا تتم إلا بصلاتها، إما من مبتدأ وخبر[٥]، أو فعل وفاعل، أو ظرف، أو شرط وجزاء[٦] كقولك: جاءني الذي أبوه منطلق، والذي قام أبوه، والذي عندك، والذي إن تأته يأتك. ولا بد أن يكون في صلة (الذي) ضمير يرجع[٧] إليه، وإلا فسد الكلام[٨]. و(الذين) لا يظهر فيه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٢١، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٣٩، «الكشاف» ١/ ٦٨، وقال الزجاج: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ صفة لقوله ﴿الصراط المستقيم﴾، «معاني القرآن» ١/ ١٢.

(٢) «البيان» ١/ ٣٩، «الكشاف» ١/ ٦٨.

(٣) مكانه كتب (النحو).

(٤) في (ب): (أنها).

(٥) في (ب): (مبتداء لخير).

(٦) انظر: «الأصول في النحو» لابن السراج ٢/ ٢٦٦، «شرح جمل الزجاجي» لابن عصفور ١/ ١٧٩، «التبصرة والتذكرة» للصيمري ١/ ٥١٧.

(٧) في (ب): (ترجع).

(٨) ويسمى (العائد) انظر: «الأصول في النحو» ٢/ ٢٦٦، «شرح جمل الزجاجي» ١/ ١٨١، ١٨٢، «أوضح المسالك» ص٣١، «شرح ابن عقيل» ١/ ١٥٣، ومحل مثل هذه المباحث كتب النحو.

الإعراب[١]، تقول[٢] في الرفع والنصب والجر: (الذين) وكذلك (الذي) وإنما منع الإعراب؛ لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء، و(الذين) من المبهمات لا تتم إلا بصلاتها، فلذلك منعت الإعراب[٣].

فإن قيل فلم أعربته في التثنية؟. قيل: إن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى، فإذا ثنيته بطل شبه الحرف؛ لأن حروف المعاني لا تثنى[٤].

فإن قيل: فلم منعته الإعراب في الجمع؟ قيل: الجمع الذي ليس على حد[٥] التثنية كالواحد، ألا ترى أنك تقول في جمع[٦] هذا: هؤلاء، فتجعله اسما واحدا للجمع[٧]. فكذلك قوله[٨]: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ إنما هو اسم لجمع، فبنيته كما بنيت[٩] الواحد، ونظير (الذي) (هذا)، فإنك لا تعربه ثم تعرب (هذين) ثم تترك الإعراب في (هؤلاء)[١٠].

---

(١) في (ج): (إعراب).

(٢) من قوله (تقول...) اختلف الخط في نسخة (ب) وفي هامشها تنبيه على ذلك.

(٣) من قوله (والذين لا يظهر فيه الإعراب....) وكذا الكلام الآتي بعده أخذه عن الزجاج بتصرف يسير في العبارة. «معاني القرآن» ١/ ٣٤.

(٤) أخذ الزجاج بقول الكوفيين أن تثنية (اللذين) تثنية حقيقية وأنه معرب، وعند البصريين أن تثنيته ليست على حد تثنية (زيد) و(عمرو) فهي صيغة مرتجلة على حد التثنية فهي تثنية لفظية لا معنوية. انظر: «(الإنصاف») ص٥٣٩، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٣٩.

(٥) في (ب): (جمع).

(٦) في (ب): (الجمع).

(٧) في (ب): (للجميع).

(٨) في (ب): (قول).

(٩) في (ب): (فثنيته كما ثنيت).

(١٠) عن «معاني القرآن» للزجاج، ١/ ٣٤.

قال أبو إسحاق: وأصل (الذي)، (لذ) على وزن (عم)، كذلك قال سيبويه والخليل والأخفش[(١)].

وأما الألف واللام فيه[(٢)]، فقال أبو الفتح الموصلي[(٣)]: (الألف واللام) في (الذي) و(التي) وبابهما[(٤)] زيادة، ويدل على زيادتهما وجود أسماء موصولة مثلها معراة من (الألف واللام)، وهي مع ذلك معرفة، وتلك: (من) و(ما) و(أي)[(٥)]. ويدل على ما قلنا: أن (الذي) إنما تعرفه[(٦)] بصلته دون (اللام) التي فيه، فبان أن[(٧)] (اللام) زائدة، إلا أنها[(٨)] زيادة لازمة لا يجوز[(٩)] حذفها[(١٠)].

فإن قيل: وما كانت الحاجة إلى زيادة (اللام)[(١١)] حتى إنها لما زيدت

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج، ١/ ٣٤، وهذا قول جمهور البصريين، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٢١، «(الإنصاف») ص٥٣٥.

(٢) أي: في (الذي).

(٣) هو أبو الفتح عثمان بن جني سبقت ترجمته في الدراسة. نقل الواحدي عنه من كتاب «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٤) في (ج): (وبائهما).

(٥) مثل أبو الفتح لـ (من وما وأي) ثم قال: (فتعرف هذِه الأسماء التي هي أخوات الذي والتي بغير اللام، وحصول ذلك لها بما تبعها من صلاتها دون اللام يدل على أن (الذي) إنما تعرفه...)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٦) في (ب): (يعرفه).

(٧) عند أبي الفتح (وأن اللام..)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٨) في (ب): (أن زيادتها).

(٩) في(أ)، (ج): (تجوز) وأثبت ما في (ب)، لمناسبته للسياق.

(١٠) (لا يجوز حذفها) ليست عند أبي الفتح، ١/ ٣٥٣.

(١١) عند أبي الفتح (في الذي والتي ونحوها)، ١/ ٣٥٣.

لزمت؟ قيل: إن (الذي)[(١)] إنما وقع في الكلام توصلا إلى وصف المعارف بالجمل، وذلك أن الجمل نكرات. ألا ترى أنها تجري أوصافا على النكرات، نحو[(٢)]: مررت برجل أبوه زيد، ونظرت إلى غلام قامت أخته. فلما أريد مثل هذا في المعرفة لم يمكن أن يقول[(٣)]: مررت بزيد أبوه كريم، على أن تكون الجملة وصفا لزيد[(٤)]، ولم يمكن[(٥)] إذا أرادوا وصف المعرفة بالجمل أن يدخلوا اللام على الجملة، لأن اللام من خواص الأسماء، فجاؤوا بـ (الذي) متوصلين به إلى وصف المعارف بالجمل، وجعلوا[(٦)] الجملة التي كانت صفة للنكرة صلة لـ (الذي) فقالوا: مررت بزيد الذي أبوه منطلق، فألزموا (اللام) هذا الموضع لما أرادوا التعريف للوصف، ليعلموا أن الجملة قد صارت وصفا لمعرفة[(٧)]).[(٨)]

---

(١) في(أ)، (ج): (الذين) واخترت ما في (ب) لأنه موافق لما عند أبي الفتح، وعبارته: (والجواب: أن (الذي) إنما وقع... الخ)، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٢) عند أبي الفتح: (في نحو قولك...)، ١/ ٣٥٣.

(٣) (يقول) في جميع النسخ، وعند أبي الفتح (تقول) ١/ ٣٥٣. وهذا أصوب.

(٤) حذف الواحدي بعض كلام أبي الفتح ونصه: (... وصفا لزيد، لأنه قد ثبت أن الجملة نكرة، ومحال أن توصف المعرفة بالنكرة، فجرى هذا في الامتناع مجرى امتناعهم أن يقولوا: مررت بزيد كريم، على الوصف، فإذا كان الوصف جملة نحو: مررت برجل أبوه كريم، لم يمكن إذا أرادوا وصف المعرفة بنحو ذلك أن يدخلوا اللام على الجملة....)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣ - ٣٥٤.

(٥) في (ب): (يكن).

(٦) في (ب): (فجعلوا).

(٧) في (ب): (للمعرفه).

(٨) إلى هنا ما نقله عن أبي الفتح. «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٤ .

وبيان ما ذكرنا[١] من الآية أن معنى قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ صراط القوم الذين أنعمت عليهم، ولو أريد وصف القوم (بأنعمت عليهم) لم يسهل، لأنه يصلح وصفا للنكرة[٢]، فيصح في الكلام أن يقول[٣]: (صراط قوم أنعمت عليهم) فلا يصلح أن يكون وصفا للمعرفة، فلما أريد ذلك[٤] توصلوا إلى ذلك بـ (الذي).

جاءوا[٥] بالحرف الذي وضع للتعريف[٦]، فأولوه (الذي)[٧] ليحصل لهم بذلك لفظ التعريف الذي قصدوه، ويطابق اللفظ المعنى الذي حاولوه[٨].

وقوله تعالى: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، إنعام الله تعالى: مَنُّه[٩] وعطاؤه، و(النعمة) بالكسر اسم من أنعم الله عليه إنعاما ونعمة، أقيم الاسم مقام الإنعام، كما يقال: أنفق إنفاقا ونفقة[١٠].

---

(١) هذا من كلام أبي الحسن الواحدي يبين فيه ما سبق ذكره عن (الألف واللام) في الاسم الموصول على لفظ الآية وهي قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فيربط إيراد هذه المسألة النحوية بتفسير الآية.

(٢) و(القوم) معرفة.

(٣) في (ج): (تقول).

(٤) أي: وصف المعرفة.

(٥) الكلام من هنا لأبي الفتح، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٤.

(٦) وهو (اللام) كما في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٤.

(٧) (فأولوه الذي) ساقط من (ب).

(٨) انظر بقية كلام أبي الفتح في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٤، وانظر: «أصول النحو» لابن السراج ١/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٩) في (ب): (منته).

(١٠) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» مادة (نعم) ٤/ ٣٦١٥.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ يجوز كسر (الهاء) فيه وضمه[١]. فمن كسر فلأن الياء أخت الكسرة وبعضها، على معنى أنها تتولد من الكسرة، ألا ترى أن (الياء) كسرة مشبعة، كما أن (الواو) ضمة مشبعة، والألف فتحة مشبعة، وإذا كان كذلك فلو انكسر ما قبل (الهاء) وجب كسرها نحو: (بهم) و(من دونهم) وكذلك (عليهم وفيهم) وذلك أن إتباع (الياء) التي هي أخت الكسرة بالكسرة أولى من إتباعه بالضمة، لثقل الانتقال من الكسرة إلى الضمة. ألا ترى أنه ليس في كلامهم (فِعُل)، ولأن هذِه (الهاء) في (عليهم) هي التي في (عليه) وفي (عليه) كسر، لأن الأصل كان (عليهو[٢]) كقولك[٣] ضربته[٤].

زعم[٥] سيبويه أن[٦] (الواو) زيدت على (الهاء) في المذكر، كما زيدت (الألف) في[٧] المؤنث ليستويا في باب الزيادة.

---

(١) قرأ حمزة ويعقوب من العشرة (عليهم) بضم الهاء وقرأ الباقون (عليهم) بكسر الهاء مع اختلافهم في الميم، والأكثر بسكونها. انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٠٨، ١٠٩، «الغاية» لابن مهران ص٧٧، «الحجة» للفارسي ١/ ٥٧، «التيسير» ص٤٠، ٤١، «الإقناع» ٢/ ٥٩٥، «النشر» ١/ ٢٧٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص١٢٣.

(٢) في (ب): (علهو) وفي (ج): (عليه وكقولك).

(٣) في (ب): (كقوله).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ٥٩، ٦٠، ٦١، «حجة القراءات» لابن زنجله ص ٨٢.

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٣، وانظر: «الكتاب» ٤/ ١٨٩ .

(٦) في (ب): (إلى أن) بزيادة (إلى).

(٧) في (ب): (على). وفي «معاني القرآن» ١/ ١٣ للزجاج: (... كما زيدت الألف في المؤنث في قولك: ضربتها ومررت بها...).

قال الزجاج: و[1] القول في هذِه (الواو[2]) أنها زيدت لخفاء (الهاء)، وذلك أن (الهاء) تخرج من أقصى الحلق[3]، و(الواو) حرف مد ولين، تخرج[4] من طرف الشفتين[5]، فإذا زيدت (الواو) بعد (الهاء) أخرجتها من الخفاء، وتسقط في[6] الوقف، كما تسقط الضمة والكسرة، ولأنها (واو[7] وصل) فلو ثبتت لالتبس[8] بالأصل. فإذا قلت: مررت به، قلبت[9] الواو(ياء) لانكسار ما قبلها[10] أعني (الباء)[11]، و(الهاء) لا يعتد به حاجزا حصينا

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) في «معاني القرآن» ١/ ١٣ للزجاج: (والقول في هذِه (الواو) عند أصحاب سيبويه والخليل أنها إنما زيدت لخفاء (الهاء)...) ١/ ١٣.

(٣) انظر: «الكتاب» ٤/ ٤٣٣، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٦.

(٤) في (ب): (يخرج).

(٥) في «معاني القرآن»: (.. و(الواو) بعد (الهاء) أخرجتها من الخفاء إلى الإبانة، فلهذا زيدت، وتسقط في الوقف...) ١/ ١٣. وانظر: «الكتاب» ٤/ ٤٣٣، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٨.

(٦) في (ب): (من).

(٧) في «معاني القرآن»: (كما تسقط الضمة والكسرة في قولك: أتاني زيد، ومررت بزيد، إلا أنها (واو وصل)، فلا تثبت؛ لئلا يلتبس الوصل بالأصل...)، وفي الهامش: عبارة ك: (.... ولأنها واو (وصل)...) كما عند المؤلف ولعله أصوب.

(٨) في (ب): (لالتبست). وهذا أحسن للسياق.

(٩) في «المعاني»: (فإذا قلت: مررت بهو يا فتى، فإن شئت قلت: مررت بهي، فقلبت الواو ياء...)، ١/ ١٣.

(١٠) في (ج): (بما قبلها).

(١١) (الباء) كذا في جميع النسخ. وفي «معاني القرآن»: (أعني (الياء) المنكسرة. فإن قال قائل: بين الكسرة والواو (الهاء)، قيل: (الهاء) ليست بحاجز حصين، فكأن... الخ ١/ ١٣ و ولعل ما في «المعاني» خطأ مطبعي.

لخفائه، فكأن[١] الكسرة تلي (الواو)، ولو كانت (الهاء) حاجزا حصينا ما زيدت (الواو) عليها.

وبهذه[٢] العلة كسرت الهاء في (عليه) وكان الأصل (عليهو)[٣] فقلبت[٤] الواو(ياء)[٥] للياء التي قبلها ثم حذفت[٦] لسكونها، وسكون الياء قبل الهاء، والهاء ليس بحاجز، فإذا كسر في (عليه) أقر على الكسر في (عليهم) إذ[٧] كانت العلة واحدة[٨]. ومن ضم (الهاء) فقال: كان الأصل (عليهو) فحذفت الواو لسكونها وسكون (الياء) وبقيت الضمة لتدل على الواو[٩].

وأما حمزة[١٠] فإنه يقرأ: (عليهم) و(إليهم) و(لديهم) بالضم في هذِه الثلاثة[١١] وحجته[١٢]: أن هذِه الحروف إن وليهن ظاهر صارت (ياءاتهن)

---

(١) في (ج): (وكان).

(٢) في (ب): (وهذِه).

(٣) في (ب): (علهو).

(٤) في (ج): (فقلبت الواو بالياء).

(٥) فتكون (عليهى) انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٤.

(٦) في (ب): (حذف).

(٧) في (ج): (اذا).

(٨) انتهى ما نقله من الزجاج، وآخر كلامه نقله بمعناه. انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٣، ١٤.

(٩) ذكره الزجاج، انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٤، «الحجة» لأبي علي ١/ ٦٠، «حجة القراءات» ص ٨١، «الحجة» لابن خالويه ص ٦٣، «الكشف» لمكي ١/ ٣٥.

(١٠) هو حمزة بن حبيب بن عمارة، الكوفي، التيمي بالولاء، وقيل: من صميمهم، الزيات أحد القراء السبعة (٨٠ - ١٥٦هـ)، انظر ترجمته في «معرفة القراء الكبار» ١/ ١١١، «غاية النهاية» ١/ ٢٦١.

(١١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص ١٠٨، «الحجة» لأبي علي الفارسي ١/ ٥٧.

(١٢) ما سبق إنما هو حجة لحمزة في قراءته بالضم نقله الواحدي عن الزجاج، ثم نقل من

ألفات، نحو: على زيد، وإلى عمرو، ولدى بكر[١]، ولا يجوز كسر (الهاء) إذا كان قبلها ألف[٢]، فلما كان الأصل في هذِه (الياءات) الألف اعتبره حمزة فيها الأصل[٣] دون الرسم والخط[٤].

فإن قيل: ينقض هذا بالواحد والتثنية[٥]؟ قلنا: لا ينقض، لأنه أراد أن يخالف بين بناء الواحد والتثنية، وبين بناء الجمع، وذلك أن الجمع يخالفهما في البناء في أكثر الأمر، ألا ترى أنك تقول: رجل ورجلان، وحمار وحماران، ثم تقول في الجمع: رجال وحمر، فاتفق بناء الواحد والتثنية، وخالف بناء الجمع بناءها، فلهذا ضم الهاء في (عليهم ولديهم وإليهم[٦]) ولم يضم في (عليه و عليهما).

وأما من[٧] ضم من القراء كل هاء قبلها (ياء) ساكنة نحو: فيهم

= من الاحتجاج لقراءته بالضم من «الحجة» لأبي علي، حيث قال: (وحجة من قرأ (عليهم) - وهو قول حمزة - أنهم قالوا: ضم الهاء هو الأصل، وذلك أنها إذا انفردت من حروف تتصل بها قيل: (هم فعلوا). والواو هي القراءة القديمة، ولغة قريش، وأهل الحجاز، ومن حولهم من فصحاء اليمن. قالوا: وأما خص حمزة هذِه الحروف الثلاثة بالضم -، وهي: (عليهم) و(إليهم) و(لديهم) - لأنهن إن أولاهن ظاهرا صارت... الخ ما ذكره المؤلف عنه. «الحجة» ١/ ٦٠، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٣٥.

(١) في (ب): (آل زيد وآل عمر وكذا بكر) تصحيف.

(٢) انظر: «الحجة»، ١/ ٦٠.

(٣) فضم الهاء، ولم يكسرها.

(٤) انظر: «الحجة»، ١/ ٨٣.

(٥) فلم يحصل الضم في الواحد والتثنية فيقال: عليه وعليهما بالكسر، كما سيأتي.

(٦) في (ب): (عليهم وإليهم ولديهم).

(٧) في (ب): (في).

ويأتيهم[(١)]، فحجته إجماعهم على ضمها إذا كان قبلها حرف ساكن سوى الياء، نحو(عنهم ومنهم) فكذلك الياء. هذا هو الكلام في (الهاء).

فأما (الميم) فأهل[(٢)] الحجاز يضمون (ميم) كل جمع حتى يلحقوا بها (واوا)[(٣)] في اللفظ[(٤)]، وحجتهم: أن أصلها أن تكون مقرونة (بواو) في اللفظ والخط، لأن أكثر جموع المذكورين بالواو في الفعل[(٥)] والاسم، نحو: فعلوا[(٦)(٧)] ويفعلون ومسلمون وصالحون، فعاملوا المكني معاملة الأسماء الظاهرة المجموعة و[(٨)] الأفعال من إلحاق الواو بها[(٩)].

والدليل على أن الأصل فيه ما ذكرنا، إجماعهم على إثبات الواو في اللفظ بعد الميم عند اتصاله بالمكني[(١٠)]، كقوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨] و﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ [هود: ٩٢].

---

(١) وهي قراءة يعقوب من العشرة، انظر: «الغاية» ص٧٧، «النشر» ١/ ٢٧٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص١٢٣، وهذا مخالف لنهج المؤلف في القراءات حيث ذكر قراءة عشرية، وعادته أن يذكر السبع فقط.

(٢) في (ج): (فإن أهل).

(٣) في (ب): (واو) بدون تنوين.

(٤) قراءة ابن كثير: يصل الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت. انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص ١٠٨، «الحجة» ١/ ٥٧، «الكشف» ١/ ٣٩.

(٥) في (ج): (في الاسم والفعل).

(٦) في (ب): (يفعلوا).

(٧) (الواو) ساقطة من (ج).

(٨) (الواو) ساقطة من (ب).

(٩) انظر: «الحجة» ١/ ١٠٤، ١٣٣، «الكشف» ١/ ٣٩، «حجة القراءات» ص٨١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣، ١٤، «المحتسب» ١/ ٤٤، «البيان» ١/ ٣٩.

(١٠) انظر: «الحجة» ١/ ١٠٦، «حجة القراءات» ص٨١.

وأما من أسكن الميم[١]، فحجته: خط المصاحف، وذلك أن هذِه الواوات حذفت من الخط اقتصاراً على الميم، واكتفاءً بها من علامة الجمع كما حذفت ياء الإضافة من الأسماء والأفعال اقتصارا على الكسرة والنون التي قبلها[٢].

وقال ابن السراج[٣]: إنما أسكنوا لأنه قد أمن اللبس، إذ كانت (الألف) في التثنية قد دلت على الاثنين، ولا (ميم) في الواحد، فلما لزمت (الميم) الجمع حذفوا (الواو) وأسكنوا (الميم) طلبا للتخفيف، إذ كان لا يشكل[٤].

وروى ورش[٥] عن نافع[٦] ضم الميم ووصلها بواو إذا[٧] استقبلها

---

(١) وعليه أكثر القراء كما سبق، وانظر: «الكشف» ١/ ٤٠.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٤، «الحجة» ١/ ٨٠، ٨٢، «الحجة» لابن خالويه ص ٦٣، «الكشف» ١/ ٤٠.
(٣) هو أبو بكر محمد بن السري سبقت ترجمته في الدراسة، وقد نقل عنه أبو علي في «الحجة» كثيرا، لأنه أول من بدأ في بيان حجج القراءات السبع التي جاءت في كتاب ابن مجاهد. ولم يتم الكتاب، وألف أبو علي كتاب «الحجة» وأتم ما شرع به ابن السراج وضمن أبو علي كتابه كلام ابن السراج. انظر مقدمة «الحجة» ص٧.
(٤) «الحجة» ١/ ٥٩، ٦٠.
(٥) هو عثمان بن سعيد القبطي، مولى آل الزبير بن العوام، كنيته: أبو سعيد، وقيل غير ذلك. أحد القراء المشهورين، وأشهر رواة نافع، أحد السبعة ولادته ووفاته (١١٠ - ١٩٧هـ). انظر ترجمته في «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٢، «غاية النهاية» ١/ ٥٠٢.
(٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، كنيته أبو رويم، وقيل غير ذلك. أحد القراء السبعة الذين اعتمدهم ابن مجاهد في كتابه، مات سنة تسع وستين ومائة، وقيل غير ذلك، وانظر ترجمته في «معرفة القراء» ١/ ١٠٧، «غاية النهاية» ٢/ ٣٣٠.
(٧) في (ب): (وإذا).

همزة[١]، ومذهبه حذف الهمزة ونقل حركتها [إلى الساكن قبلها، فلما احتاج إلى تحريك الميم حركها[٢]][٣] بالحركة التي كانت لها في الأصل وهي (الضمة)، فلما أشبع ضمتها تولدت منها (واو)، فاحتاج إلى مدها لاستقبال الهمزة إياها[٤].

وأيضا فإنه لو نقل فتحة الهمزة إلى ميم الجمع عند استقبال الهمزة المفتوحة نحو: ﴿عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ﴾[٥] [البقرة: ٦] وما أشبهه، لأشبه التثنية، فلما مدها عند الهمزة المفتوحة ولم ينقل حركتها إليها مخافة الالتباس فعل ذلك به عند الهمزة المضمومة والمكسورة؛ لئلا يختلف الطريق عليه[٦].

وكان حمزة والكسائي يضمان[٧] (الهاء) و(الميم) عند ألف الوصل[٨] نحو: ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١] و﴿إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤] و﴿مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٣] وحجتهما أنه لما احتيج إلى تحريك (الميم) لالتقاء الساكنين كان تحريكها بحركة الأصل، وهي الضم أولى[٩]، ثم أتبعت الهاء

---

(١) قراءة نافع كسر الهاء، وأما الميم فالمشهور عنه الإسكان، وروى عنه الضم وروى ورش عن نافع أن الميم إذا لقيها همزة ألحق بها واوا. انظر: «السبعة» ص١٠٨، ١٠٩، «الحجة» للفارسي ١/ ٥٨، «الكشف» ١/ ٣٩.

(٢) في (ج): (حركتها).

(٣) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) انظر: «الحجة» للفارسي ١/ ١٠٧، «الكشف» ١/ ٣٩.

(٥) ووردت الآية في (ب) ﴿عليهم أنذرتهم أم لم﴾ وهو تصحيف.

(٦) في (ب): (إليه).

(٧) في (ج): (يضمون).

(٨) في (ج): (لوصل).

(٩) في (ب): (أولا).

ضمة الميم استثقالاً للخروج من الكسر إلى الضم[١].

وكان أبو عمرو[٢] يكسرها عند ألف الوصل؛ لأنه يكسر الميم على أصل تحريك الساكن بالكسر إذا لقيه ساكن آخر، ويكسر الهاء بتبع الكسر لثقل الضم بعد الكسر[٣].

وأما من كسر (الهاء) وضم (الميم) عند ألف الوصل[٤]، فإنه يقول: لما احتجت إلى حركة الميم رددته إلى أصله، فضممت وتركت الهاء على كسرها، لأنه لم تأت ضرورة تحوج[٥] إلى ردها إلى الأصل[٦].

فأما التفسير: فقال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: هم قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا نعم الله ﷻ[٧].

وقال عكرمة: أنعمت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة[٨].

---

(١) انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٨٢، «الكشف» ١/ ٣٧، قال أبو علي الفارسي في «الحجة» (تحريك حمزة الميم في (عليهم ولديهم وإليهم) خاصة بالضم مستقيم حسن، وذلك أنه يضم (الهاء) في هذه الأحرف ولا يكسرها فإذا ضمها لم يكن في تحريك الميم إلا الضم ولم يجز الكسر..)، ثم أخذ يحتج لموافقة الكسائي له في ذلك، «الحجة» ١/ ١١٧، ١١٨.

(٢) زبان بن العلاء، أحد السبعة سبقت ترجمته.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ١١٠، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٨٢.

(٤) وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر. انظر: «السبعة» ص ١٠٨، ١٠٩، «الحجة» لأبي علي ١/ ٥٨.

(٥) في (ج): (تخرج).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ١٠٨، «حجة القراءات» ص٨٢.

(٧) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١/ ٣١/ ب، وذكره ابن عطية في «تفسيره» وقال: حكاه مكي وغيره عن فرقة من المفسرين، وقال ابن عباس: أصحاب موسى قبل أن يبدلوا. «تفسير ابن عطية» ١/ ١٢٢، وانظر: «لباب التفاسير» للكرماني ١/ ٩٨ (رسالة دكتوراه).

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٣١/ ب.

وقيل: هم الذين ذكرهم الله في قوله[(١)] سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩].

وقال ابن جرير: في الآية اختصار، معناه: صراط الذين أنعمت عليهم بالهداية إلى الصراط. والعرب تحذف من الكلام إذا كان في الباقي دليل عليه[(٢)]. وستمر بك أشباه لهذا كثيرة.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ (غير)[(٣)] ينخفض على ضربين[(٤)]: على البدل من (الذين)، ويستقيم أن يكون صفة (الذين). و(غير) نكرة، وجاز[(٥)] أن يقع هاهنا صفة لـ(الذين)، لأن الذين هاهنا ليس بمقصود قصدهم[(٦)]، فهو بمنزلة قولك: إني لأمرُّ بالرجل مثلك فأكرمه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ولم يعزه لأحد ١/ ٣١/ب، وذكر الطبري بسنده عن ابن عباس: يقول: (طريق من أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، الذين أطاعوك وعبدوك). «تفسير الطبري» ١/ ٧٦، (قال شاكر: الخبر ضعيف الإسناد) «تفسير الطبري» ١/ ١٧٨، أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٤٢، قال ابن عطية في «تفسيره»: هو قول ابن عباس وجمهور المفسرين ١/ ١٢١، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ١٢٩.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٦. وذكر الواحدي كلام ابن جرير بالمعنى.

(٣) قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (غير) بخفض (الراء). وروي عن ابن كثير النصب والرفع. انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١١١، «الحجة» للفارسي ١/ ١٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٩.

(٤) ذكره أبو علي في «الحجة» عن أبي بكر بن السراج، حيث قال: (قال أبو بكر في «الحجة» في الجر: إنهم قالوا: ينخفض على ضربين..)، والكلام كله بنصه في «الحجة» ١/ ١٤٢، وانظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١١٢ .

(٥) في (ج): (ويجوز).

(٦) أي: لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم، لأن (الذين) مع كونه معرفة فهو قريب من النكرة=

ويجوز (النصب) على ضربين: على الحال، والاستثناء[(١)]، أما الاستثناء: فكأنك قلت: إلا المغضوب عليهم، وهو[(٢)] استثناء الشيء من غير جنسه، وحق (غير) في الاستثناء النصب إذا كان ما بعد (إلا) منصوبا[(٣)].

وأما الحال: فكأنك قلت: (صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم).

قال ابن السراج[(٤)]: ويجوز عندي النصب على[(٥)] (أعنى). وقد حكي عن الخليل نحو هذا، أنه أجازه على وجه[(٦)] القطع من الأول، كما يجيء المدح. ولمن نصب أن يقول[(٧)]: (غير) نكرة وكرهت أن أصف بها المعرفة.

= لأنه عام. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦، «البحر» ١/ ٢٩.

(١) نسب ابن مجاهد (القول بالنصب على الاستثناء) إلى الأخفش، وقال: هذا غلط. ابن مجاهد ص ١١٢، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٥، «البحر» ١/ ٢٩.

(٢) قوله: (وهو استثناء الشيء... إلى قوله إذا كان ما بعد (إلا) منصوبا) ليس من كلام ابن السراج وما قبله وما بعده كله لابن السراج، انظر: «الحجة» ١/ ١٤٢.

(٣) انظر: «الأصول» لابن السراج ١/ ٢٨٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٥، «البحر» ١/ ٢٩.

(٤) هذا وما قبله بنصه مما نسبه أبو علي الفارسي في «الحجة»، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، فالكلام كله لابن السراج، نقل الواحدي أوله بدون عزو ثم عزا آخره له، وهذا يلاحظ على منهج الواحدي في العزو. انظر: «الحجة» ١/ ١٤٢، ١٤٣.

(٥) في «الحجة»: (قال: ويجوز عندي النصب أيضا على (أعني)....) فذكر: (أيضا) لأنه عطفه على كلام قبله، ذكر فيه وجوها أخرى للنصب. انظر ١/ ١٤٣.

(٦) في «الحجة»: (.. على وجه الصفة والقطع من الأول...) ١/ ١٤٣ .

(٧) في «الحجة»: (.. ومما يحتج به لمن يفتح أن يقال: (غير) تكره، فكره أن يوصف به المعرفة) ١/ ١٤٣.

والاختيار الكسر[١]. ولا يلزم وصف المعرفة بالنكرة؛ لأن حكم كل مضاف إلى معرفة[٢] أن يكون معرفة، وإنما تنكرت (غير) و(مثل) مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما، وذلك أنك إذا قلت: رأيت غيرك، فكل شيء يرى سوى المخاطب هو غيره[٣]، وكذلك إذا قال: رأيت مثلك، فما هو مثله لا يحصى، يجوز أن يكون مثله في خلقه، وخلقه، وفي جاهه، وفي نسبه، وفي علمه، فإنما صارا[٤] نكرتين من أجل المعنى. فأما إذا كان شيء معرفة له ضد واحد، وأردت إثباته ونفي ضده، وعلم السامع[٥] ذلك الضد فوصفته بـ (غير) وأضفت (غير[٦]) إلى ضده، فهو معرفة، وذلك نحو قولك: عليك بالحركة غير السكون، فغير السكون معرفة، وهو[٧] الحركة، فكأنك كررت الحركة تأكيدا.

وكذلك قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فغير المغضوب عليهم، هم الذين أنعم عليهم، لأن من أنعم عليه بالإيمان، فهو غير مغضوب عليه، فهو مساو له في معرفته، ومتى كانت (غير) بهذه الصفة، وقصد هذا

---

(١) هذا من كلام أبي بكر بن السراج واختياره حيث قال: (والاختيار الذي لا خفاء به الكسر، ألا ترى أن ابن كثير قد اختلف عنه...) وقد اختصر الواحدي كلام ابن السراج. انظر: «الحجة» ١/ ١٤٣.

(٢) في (ب): (معرفته).

(٣) في «الحجة»: (فكل شيء ترى سوى المخاطب فهو غيره) وفي الهامش: ط: (تراه)، انظر: «الحجة» ١/ ١٤٣.

(٤) أي: (غير) و(مثل).

(٥) في «الحجة»: (... وعلم ذلك السامع فوصفته بغير....)، ١/ ١٤٤.

(٦) في (أ): (غيرا).

(٧) في «الحجة» (وهي) ١/ ١٤٤.

قصد فهي معرفة[١]. وكذلك لو عرف إنسان بأنه مثلك في ضرب من الضروب قيل فيه[٢]: قد جاء مثلك، لكان معرفة، إذا أردت المعروف بشبهك[٣]، المعرفة والنكرة بمعانيهما[٤]. ومن جعل (غير) بدلا استغنى عن هذا لاحتجاج[٥]، لأن النكرة قد تبدل من المعرفة)، انتهى كلام ابن السراج[٦].

قال صاحب[٧] «الحجة»: أما الخفض في[٨] (غير) فعلى البدل أو لصفة، والفصل بين البدل والصفة في قول سيبويه[٩] إن البدل في تقدير تكرير لعامل، بدلالة[١٠] حرف الجر في قوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

---

١) في «الحجة»: (.. فالذين أنعم عليهم لا عقيب لهم إلا المغضوب عليهم، فكل من أنعم عليه بالإيمان فهو غير مغضوب عليه، وكل من لم يغضب عليه فقد أنعم عليه. فغير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم، فهو مساو له في معرفته. هذا الذي يسبق إلى أفئدة الناس وعليه كرمهم. فمتى كانت (غير) بهذِه الصفة وقصد بها هذا القصد، فهي معرفة...) فالواحدي نقل كلام ابن السراج بتصرف واختصار. انظر: «الحجة» ١/ ١٤٤.

٢) في(أ)، (ج): (منه) وما في (ب) موافق لما في «الحجة» ١/ ١٤٤.

٣) في (ج): (يشبهك).

٤) جاء في «الحجة» بعده: (فكل شيء خلص لك بعينه من سائر أمته فهو معرفة...)، ١/ ١٤٤.

٥) في ب: (الاحتياج).

٦) في (ب): (ابن الشهاب السراج) تصحيف. وفي «الحجة»: (انتهت الحكاية عن أبي بكر) ١/ ١٤٤.

٧) أبو علي الفارسي، «الحجة» ١/ ١٤٥.

٨) في (ب): (من غير).

٩) نص كلام أبي علي (.. والفصل بين البدل في تقدير تكرير العامل، وليس كالصفة ولكن كأنه في التقدير من جملتين بدلالة تكرير حرف الجر... الخ)، فلم يرد ذكر قوله: (في قول سيبويه) وقد ورد ذكر سيبويه في كلام أبي علي بعد هذا الموضع. انظر: «الحجة» ١/ ١٤٥، «الكتاب» ٢/ ١٤، ٣٨٦.

١٠) في (ج): (بدلال).

مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[١] فهو يفارق الصفة من هذا الوجه[٢].

وأيضاً[٣] فإن النكرة تبدل من المعرفة، والمظهر من المضمر[٤]، وهذا مما لا يجوز في الصفة، لا يجوز وصف المعرفة بالنكرة، ولا وصف المضمر بالظاهر[٥].

وكما أعيدت اللام الجارة في البدل[٦]، فكذلك يكون العامل الناصب[٧] والرافع في تقدير التكرير. ويشترك البدل مع الصفة في أن كل واحد منهما تبيين[٨] للأول[٩].

---

(١) الشاهد من الآية: قوله (لمن آمن) فهو بدل من (الذين استضعفوا) بإعادة حرف الجر وهي (اللام) بدل البعض من الكل، لأن في المستضعفين من ليس بمؤمن، هذا على عود الضمير في (منهم) إلى (الذين استضعفوا) فإن عاد الضمير إلى (قومه) كان بدل كل من المستضعفين، انظر: «فتح القدير» ٢/ ٣٢١.

(٢) قوله: (فهو يفارق الصفة من هذا الوجه) ليس في «الحجة» ١/ ١٤٥، والوجه المراد هو ما ذكره: من أن البدل في تقدير تكرير العامل.

(٣) نص كلام أبي علي في «الحجة» قال بعد أن ذكر الآية (.... وبدلالة بدل النكرة من المعرفة)، ١/ ١٤٥.

(٤) في (ب): (المظهر).

(٥) قوله: (لا يجوز وصف المعرفة بالنكرة، ولا وصف المضمر بالمظهر) ليس في «الحجة» ١/ ١٤٥.

(٦) في «الحجة» (في الاسم) ١/ ١٤٥.

(٧) في «الحجة» (الرافع أو الناصب) ١/ ١٤٥.

(٨) في (ب): (يبين).

(٩) ذكر كلام أبي علي بمعناه. انظر: «الحجة» ١/ ١٤٥.

فمن جعل[١] (غير) في الآية[٢] بدلا، كان تأويله بيِّنًا، وذلك أنه لا يخلو من أن يجعل (غير[٣]) معرفة[٤] أو نكرة. فإن جعله معرفة فبدل المعرفة من المعرفة سائغ[٥]، وإن جعله نكرة فبدل النكرة من المعرفة مشهور[٦].

وأما من قدر (غير) صفة لـ(الذين[٧]) فإنما جاز أن يصف (الذين) بـ(غير)[٨] من حيث لم يكن (الذين) مقصودا قصدهم[٩]. فصار مشابها للنكرة، من حيث اجتمع معه في أنه لم يرد به شيء معين.

ونظير ذلك مما دخله (الألف واللام)، فلم يختص بدخولهما عليه[١٠]،

---

(١) انتقل إلى موضع آخر في «الحجة» ١/ ١٤٩.

(٢) أي: قوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم﴾.

(٣) في «الحجة» (غيرا).

(٤) في (ب): (معرفة في الآية بدل أو نكره).

(٥) في (ب): (شائع)، وفي «الحجة» (سائغ مستقيم كقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ [آل عمران: ٩٧] ١/ ١٤٩.

(٦) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ١٤٩.

(٧) أي: في قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٧].

(٨) كلام أبي علي: (وأما من قدر (غير) صفة لـ(الذين)، وقدره معرفة لما ذكره أبو بكر - يريد ابن السراج كما نقل كلامه فيما سبق - فإن وصفه لـ (الذين) بـ(غير) كوصفه له بالصفات المخصوصة، وقد حمله سيبويه على أنه وصف. ومن لم يذهب بـ(غير) هذا المذهب، ولم يجعله مخصوصا استجاز أن يصف (الذين) بـ(غير) من حيث لم يكن الذين مقصودا قصدهم..)، ١/ ١٥٣، فاختصر الواحدي كلام أبي علي فقارن بينهما.

(٩) أي: لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم.

(١٠) أي: لم يختص بواحد بعينه وإنما عرفته (ال) تعريف جنس. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠.

لما لم يكن مقصودا قصده(١)، قولهم: قد أمر(٢) بالرجل مثلك فيكرمني(٣)، فوصف الرجل بمثلك لما لم يكن معينا(٤).

ومما(٥) جاء (غير) فيه صفة(٦) قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] فمن رفع (غير)(٧) كان وصفا للقاعدين، والقاعدون غير مقصود قصدهم(٨)، كما كان قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كذلك. والتقدير: لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء، والمجاهدون(٩).

وأما من نصب (غير) على الاستثناء، فإن الفراء ينكر جواز(١٠) ذلك،

---

(١) أي: ما دخله (الألف واللام) لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم، فلم يختص بدخول (الألف واللام) عليه.

(٢) في (ج): (أصر).

(٣) في «الحجة» (.. فيكرمني، عند سيبويه، فوصف الرجل..)، «الحجة» ١/ ١٥٤. وانظر: «الكتاب» ٢/ ١٣، وتعليق عبد السلام هارون عليه.

(٤) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ١٥٤ وما بعدها.

(٥) في (ب): (وما غير).

أورد أبو علي الآية، بعد أن تكلم عن نصب (غير) بالاستثناء. وخرج الآية على الوجهين الرفع والنصب. انظر: «الحجة» ١/ ١٦٠.

(٦) في (ج): (لا يستوي المؤمنون القاعدون من المؤمنين) تصحيف في الآية .

(٧) كذا وردت بالنصب في جميع النسخ «الحجة» ١/ ١٦٠.

(٨) أي: لم يقصد به قصد قوم بأعيانهم، وإنما المراد من اتصف بهذِه الصفة وهي القعود عن الجهاد وهو غير ذي ضرر.

(٩) في (ب): (المجاهدين).

(١٠) أنكر الفراء ذلك رادا على أبي عبيدة فيما ادعاه: أن (غير) في قوله: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ بمعنى (سوى) وأن (لا) في قوله: ﴿ولا الضالين﴾ صلة. انظر كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٨، وكذلك رد عليه الطبري ناقلا عن الفراء، انظر: «تفسير الطبري»=

وقال: لو كان (غير) هاهنا منصوبا على الاستثناء كان بمعنى (سوى) فلم يجز أن يعطف عليه بقوله: (ولا[١]) لأن (لا) نفي وجحد، ولا يعطف بجحد إلا على جحد، ولا يجوز في الكلام استثناء يعطف عليه بجحد، كما تقول: [رأيت القوم إلا زيدا ولا عمرا، وإنما يعطف الجحد على الجحد، كما تقول:][٢] ما قام أبوك ولا أخوك[٣].

ومن أجاز[٤] الاستثناء فإنه يقول: لا يمتنع دخول (لا)[٥] بعد الحرف العاطف[٦] لأن الاستثناء يشبه النفي، ألا ترى أن قولك: جاءني القوم إلا زيدا، بمنزلة قولك: جاءني القوم لا زيد. فيجوز أن تعطف[٧] بـ (لا) حملا على المعنى، ويجوز أن تجعلها زيادة في هذا الوجه[٨]، كما تجعلها زيادة في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾[٩] [فاطر: ٢٢].

= ١/ ٨١، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥.
وأما أبو علي فيأخذ بقول أبي عبيدة كما سيأتي كلامه، ومنه قوله: (ومن جعل (غير) استثناء لم يمتنع على قوله دخول لا بعد الحرف العاطف...) «الحجة» ١/ ١٦٣.

(١) يريد قوله ﴿ولا الضالين﴾. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨، والطبري ١/ ٧٩، ١٩٠.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٩.

(٤) هذا من كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ١٦٣.

(٥) في (ب): (إلا) تصحيف.

(٦) كما في قوله: ﴿ولا الضالين﴾.

(٧) في (ب): (يعطف) وفي «الحجة»: (أن تدخل «لا») ١/ ١٦٣.

(٨) هذا رأي أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥، دافع عنه أبو علي في وجه المنكرين له كالفراء. انظر: «الحجة» ١/ ١٦٣.

(٩) استدل أبو علي بالآية على أن (لا) زائدة، وهذا ليس بالاتفاق فهناك من يقول ليست زائدة. انظر: «تفسير الطبري» ٢٢/ ١٢٩.

وإذا جاز دخول (لا)[١] مع الاستثناء لهذين الوجهين[٢] فلا وجه لقول من أنكره[٣].

وكذلك[٤] يجوز زيادة (لا) في قول من جعل (غير) حالا أو صفة أو بدلا. وقد دخلت (لا) زائدة في مواضع كثيرة في التنزيل وغيره، من ذلك قوله[٥]: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ﴾ الآية [الحديد: ٢٩]. والذين يجوزون زيادة (لا) يقولون: إنما تجوز إذا تقدمه نفي[٦] كقوله:

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيبان أبو بكر ولا عمر[٧]

وليس الأمر كذلك[٨] فقد جاء زيادتهما في الإيجاب كما في النفي، قال

---

(١) في (ب): (الا) تصحيف.

(٢) والوجهان هما:

١- أن الاستثناء يشبه النفي، فتدخل (لا) حملا على المعنى.

٢- جعلها زيادة، انظر: «الحجة» ١/ ١٦٣.

(٣) ممن أنكره الفراء.

(٤) في (ب): (ولذلك).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٣/ ١٣٧، «الكتاب» ١/ ٣٩٠.

(٦) هذا قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٨، وكذا الطبري انظر: «تفسيره» ١/ ٨١. وقوله: (الذين يجوزون زيادة (لا)... مع البيت بعده) لم يرد في كلام أبي علي الفارسي. انظر: «الحجة» ١/ ١٦٣، ١٦٤.

(٧) البيت لجرير يهجو الأخطل، وقد استشهد الفراء بالبيت على جواز زيادة (لا) إذا تقدمها نفي. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨، وورد البيت في «تفسير الطبري» ١/ ٨٢، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢١٥، «نقائض جرير والأخطل» ص١٧٤، «ديوان جرير» ص٢٠١.

(٨) هذا رأي الواحدي كما هو رأي أبي عبيدة وأبي علي الفارسي حيث اتفقوا على جواز زيادة (لا) في الإيجاب. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥ - ٢٧، «الحجة» ١/ ١٦٤، والكلام منقول منها.

ساعدة الهذلي[١]:

أفعنك لا برق كأن وميضه غابٌ تشيَّمَه[٢] ضِرامٌ مثقَبُ[٣]

وأنشد أبو عبيدة:

ويلحينني في اللهو ألا أحبه وللهو داع دائب غير غافل[٤]

وقال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[٥] [الأعراف: ١٢]، وفي الأخرى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وهذا الحرف[٦] -أعني: (لا)- يدخل[٧] في النكرة على وجهين:

أحدهما: أن يكون[٨] زائداً كما ذكرنا في بيت الهذلي[٩].

---

(١) هو ساعدة بن جؤية الهذلي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم، وليست له صحبة. انظر ترجمته في «شرح أشعار الهذليين» للسكري ٣/ ١٠٩٧، «الإصابة» ٢/ ٤، «الخزانة» ٣/ ٨٦.

(٢) في (ب): (تسنمه) بالسين والنون، وفي (أ): (تشنيمه) على الروايتين، وقد وردت في «الحجة» (تسنمه) كما في (ب)، وأكثر المصادر (تشيمه).

(٣) قوله (أفعنك): عن ناحيتك، و(لا) زائدة، (تشيمه) أي: دخل في، و(الضرام): النار في الحطب الدقيق. ورد البيت في «شرح أشعار الهذليين» للسكري ٣/ ١١٠٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢١٣، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٦٤، «المخصص» ١٤/ ٦٥، «اللسان» (شيم) ٤/ ٢٣٨٠، «البحر المحيط» ٤/ ٢٧٣.

(٤) البيت للأحوص، ومعنى قوله: (ويلحينني): يعذلنني، ورد البيت في «شعر الأحوص» ص١٧٩، «مجاز القرآن» ١/ ٢٦، و«تفسير الطبري» ١/ ٨١، «الكامل» ١/ ٨٠، «الأضداد» لابن الأنباري ص ٢١٤، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٦٤.

(٥) في (ب): (أن تسجد).

(٦) من «الحجة» ١/ ١٦٦.

(٧) في (أ)، (ج): (تدخل) وفي «الحجة» (يدخل) ١/ ١٦٦.

(٨) في (ب): (تكون) بالتاء، وفي «الحجة» (يكون) ١/ ١٦٦.

(٩) بيت الهذلي قوله: ويلحينني في اللهو ألا أحبه. البيت. وفي «الحجة»: (كما مر في بيت=

والآخر: أن يكون[(١)] غير زائد، فإذا لم يكن زائدا كان على ضربين:

أحدهما: أن يكون (لا) مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو: خمسة عشر[(٢)]، وذلك نحو قولهم: (غضب من لا شيء، وجئت بلا مال) ف (لا) مع الاسم المنكور في موضع جر بمنزلة خمسة عشر[(٣)].

والآخر: ألا تعمل[(٤)] (لا) في اللفظ، ويراد بها معنى النفي، فيكون صورتها صورة الزيادة، ومعنى النفي فيه مع ذلك صحيح، وذلك كقول النابغة:

أمسى ببلدة لا عمٍّ ولا خالِ[(٥)]

وقال الشماخ[(٦)]:

= جرير) وبيت جرير الذي يعنيه هو قوله:

ما بال جهلك بعد الحلم والدين ... وقد علاك مشيب حين لا حين

انظر: «الحجة» ١/ ١٦٤، ١٦٦.

(١) في (ب): (بالتاء) في كل المواضع، وكذا في «الحجة»: (أن تكون غير زائده، فإذا لم تكن زائدة..) ١/ ١٦٦.

(٢) انظر: «الكتاب» ٢/ ٢٧٦.

(٣) (عشر) ساقط من (ب)، (ج).

(٤) في (ب): (يعمل).

(٥) البيت للنابغة الذبياني يرثي أخاه وصدره:

بعد ابن عاتكة الثاوي لدى أبوى ... .

و(عاتكة): أمه، و(أبوى): اسم موضع، انظر: «ديوان النابغة» ص١٥١، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٦٧، «الخزانة» ٤/ ٥٠، «معجم البلدان» ١/ ٨٠.

(٦) اسمه معقل بن ضرار الغطفاني، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وله صحبة، شهد وقعة القادسية، وتوفي في زمن عثمان رضي الله عنهما. انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص١٩٥، «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٣٢، «الخزانة» ٣/ ١٩٦.

إذا ما أدلجت وصفت يداها لها إدلاج ليلة لا هجوع[(١)]

وقال صاحب «النظم»[(٢)]: دخلت (لا) في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ لمعنى من المعاني، وهو أنها منعت من ميل الوهم إلى غير ما نظم عليه الكلام، وذلك أن قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ معطوف على قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وفي (غير) تأويل جحد، فدخلت (لا) على الضالين، ليعلم أنها معطوفة على (غير)، ولو لم تدخل (لا) لاحتمل أن يكون قوله: (والضالين) منسوقا[(٣)] على قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم والضالين﴾، فلما احتمل ذلك أدخل فيه (لا) ليحسم هذا الوهم[(٤)]، وهو كما قال:

ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر[(٥)]

أدخل (لا)[(٦)] في قوله: (ولا عمر)؛ لأنه لو لم يدخل لاحتمل أن يكون انقطاع القصة عند تمام قوله: (ما كان يرضى رسول الله فعلهم)، ثم ابتدأ كلاما آخر على معنى المبتدأ وخبره، فيكون معناه حينئذ: (و[(٧)] الطيبان أبو

---

(١) (الإدلاج): السير من الليل، (وصفت يداها): أي أجادت السير. وصف الناقة في سيرها وجدها في السير، (ليلة لا هجوع): لا نوم فيها. ورد البيت في «ديوان الشماخ» ص٢٢٦، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٦٨، وفي مادة (وصف) في «الصحاح» ٤/ ١٤٣٩، «أساس البلاغة» ٢/ ٥١١، «اللسان» ٨/ ٤٨٥٠، «التاج» ١٢/ ٥٢٣، وفي «الخزانة» ٤/ ٥٠. وبهذا البيت انتهى ما نقله عن «الحجة» ١/ ١٦٨.

(٢) هو أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني، سبق الحديث عنه في مصادر الواحدي.

(٣) في (ب): (مسبوقا).

(٤) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٩.

(٥) البيت لجرير يهجو الأخطل، وسبق تخريجه قريبا، والرواية هناك (دينهم) بدل (فعلهم).

(٦) (لا) ساقط من (ب).

(٧) (الواو) مكررة في (ج).

بكر وعمر) أي: أنهما هما الطيبان دون غيرهما. فلما دخلت (لا) علم أن عمر داخل في المعنى الذي أضيف إلى[١] رسول الله من أنه لا يرضى فعلهم على تأويل، ولا يرضى -أيضا- فعلهم الطيبان أبو بكر وعمر[٢].

وأما معنى (الغضب) من الله تعالى فهو إرادة العقوبة، وتسمى العقوبة غضبا على التوسع[٣]. وإنما لم يقل (المغضوبين) كما قال: (ولا الضالين) لأن كل فعل تعدى إلى المفعول بحرف الجر فإن جمعه وتثنيته وتأنيثه في المكنى المتصل بحرف الجر[٤]، كقولك[٥]: المأخوذ منه، والمأخوذ منهما، والمأخوذ منهم، والمأخوذ منهن. وكذلك تقول في: الممرور[٦] به، والمقعود[٧] عليه، والمتوجه[٨] إليه وما أشبهها[٩].

---

(١) في (ب): (ان).

(٢) قوله: (وعمر) ساقط من (ب).

(٣) بل نثبت الغضب لله كما أثبته لنفسه، ولا نؤوله بإرادة العقوبة، ومنهج السلف إثبات الصفات لله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه، ولا يلزم من ثبوتها مشابهة الخلق. انظر: «الرسالة التدمرية» ص٣١- ٣٣، «تفسير الطبري» ١/ ١٨٩.

(٤) فلم يجمع فيقال (المغضوبين) لأنه لا يتعدى إلا بحرف الجر، فتعدى إلى الضمير بحرف الجر، وظهر جمعه في الضمير في قوله (عليهم). انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٥، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٣، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٤١.

(٥) في (ب): (كقوله).

(٦) في (ب): (المروية) وفي (ج): (الممسدوريه).

(٧) في ب (المفعور).

(٨) في (ج): (التوجه).

(٩) في (ب): (وما أشبههما). ما أشبهها مما فعله لازم يتعدى لمفعوله بحرف الجر، فإن جمعه وتثنيته في الضمير بعده المتصل بحرف الجر.

والعلة فيه أن تمام الاسم عند ذكر المكنى، علامة التثنية والجمع والتأنيث تلحق[(١)] آخر الأسماء عند تمامها. وقال النحويون: هذا وأمثاله بمنزلة الفعل المقدم، نحو قولك: (ضرب أخواك، وضرب إخوتك)[(٢)].

و(عليهم) في الموضع رفع، لأنه بمنزلة اسم ما لم يسم فاعله[(٣)].

وقوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أصل الضلال في اللغة الغيبوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا غاب، وضل الكافر: غاب عن المحجة[(٤)]. ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أي: غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا وعظاما فضللنا في الأرض، ولم يتبين[(٥)] شيء من خلقنا، ويقال: أضللت الشيء إذا غيبته، [وأضللت الميت إذا غيبته][(٦)] في التراب ودفنته[(٧)]. وقال المخبل[(٨)]:

---

(١) في (ب): (بجلق).

(٢) فتلحق علامة التثنية والجمع آخر الفاعل عند تقدم الفعل عليه.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٥، «المشكل» لمكي ١/ ١٣، «البيان» ١/ ٤١.

(٤) ذكره الأزهري عن أبي عمرو. «تهذيب اللغة» (ضل) ٣/ ٢١٣٠، وانظر: «اللسان» (ضلل) ٥/ ٤٦٠٤، وفي «اللسان» ضل الكافر إذا غاب عن الحجة، وكذا في «التهذيب».

(٥) في (ب): (نبين).

(٦) ما بين المعكوفين ساقط من (ب).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (ضل) ٣/ ٢١٣٠، «تأويل مشكل القرآن» ص٤٥٧، «معجم مقاييس اللغة» (ضل) ٣/ ٣٥٦، «اللسان» (ضلل) ٥/ ٤٦٠٢.

(٨) المخبل: المجنون، وبه لقب الشاعر، واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، توفي في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٢٦٩، «طبقات فحول الشعراء» ص٦١، «الإصابة» ١/ ٤٩١، «الخزانة» ٦/ ٩٣.

أضلت بنو قيس بن سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم[١]

فالضال هو الغائب عن الحق الزائغ عن الرشد، ويقال: ضَل يضِل، وضَل يضَل لغتان، وضلِلنا وضلَلنا[٢].

فأما التفسير فروى عدي بن حاتم[٣] عن النبي ﷺ في تفسير ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: النصارى[٤].

وروي أن رسول الله ﷺ كان بوادي القرى[٥] على فرسه[٦]، [فسأله

(١) ورد البيت في «تهذيب اللغة» (ضل) ١١/ ٤٦٥، «اللسان» (ضلل) ٤٦٠٤، وقيس بن عاصم: هو قيس بن عاصم بن سنان بن خال بن منقر، سيد قومه ورد على النبي ﷺ فقال: «هذا سيد أهل الوبر». انظر: «الخزانة» ٨/ ١٠٢.

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (ضل) ٣/ ٣٥٦، «اللسان» (ضلل) ٥/ ٢٦٠١، «القاموس» ص١٠٢٤.

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، الأمير الشريف، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالجود، وفد على النبي ﷺ في وسط سنة تسع فأكرمه، له أحاديث، في وفاته أقوال، أشهرها سنة سبع وستين. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ١/ ١٨٩، «جمهرة أنساب العرب» ص٤٠٢، «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٢، «الإصابة» ٢/ ٤٦٨، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٦٢.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٨٢ بسنده من طرق، قال أحمد شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري»: إسناده صحيح، الطبري ١/ ١٨٥، ١٨٦، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده في «تفسيره» ١/ ٣١، وقال: لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافا. «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٦٣، وأخرجه الثعلبي بسنده في «تفسيره» ١/ ٣٢/ ب، وهو جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٩٥٣) أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الفاتحة، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٧٨.

(٥) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، فتحها النبي ﷺ سنة سبع عنوة، ثم صولحوا على الجزية. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٣٤٥.

(٦) في (ب): (قرينه).

رجل[(١)] من بلقين[(٢)] فقال: يا رسول[(٣)] الله، من هؤلاء الذين يقاتلونك؟ قال: «**المغضوب عليهم**» وأشار إلى اليهود، فقال: من هؤلاء الطائفة الأخرى؟ قال: «**الضالون**» وأشار إلى النصارى[(٤)].

قال المفسرون: وتصديق هذا حكم الله ﷻ بالغضب على اليهود[(٥)] في قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وحكمه على النصارى بالضلال في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٧٧] الآية، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وغيرهم[(٦)].

وهذا التفسير يوافق في ظاهر اللفظ قراءة من قرأ (غير) بالنصب على

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من (ب).

(٢) كذا جاءت في «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٣/أ، و«تفسير الطبري» (من بني القين) قال في «الصحاح»: يقال لبني القين من بني أسد: (بلقين). «الصحاح» (قين) ٦/ ٢١٨٥.

(٣) في (ب): (لرسول الله ﷺ).

(٤) ذكره الثعلبي بسنده في «تفسيره» ١/ ٣٣/أ، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٨٠ بروايات مختلفة بعضها مرسلة وبعضها متصلة بإسناد صحيح. وانظر: «تفسير الطبري» مع تحقيق محمود شاكر ١/ ١٨٦، ١٨٧ .
وأخرجه أحمد في «مسنده» ٥/ ٧٧، وذكره ابن كثير موصولا في «تفسيره» ١/ ٣٢، وانظر: «الدر» ١/ ٤٢.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٩، ٨١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٣٣/أ، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٢٦، و«تفسير البغوي» ١/ ٥٥، و«الكشاف» ١/ ٧١، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٣٠، و«تفسير وابن كثير» ١/ ٣٢.

(٦) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» ١/ ٨٠، ٨٣، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٢٦، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٣٢، «الدر» ١/ ٤٢-٤٣. قال ابن أبي حاتم بعد أن ذكر قول ابن عباس: لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافا. «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣١، وللرازي أقوال في تفسير المغضوب عليهم والضالين، تخالف ما ورد بالنص، وما عليه جمهور المفسرين، انظر: «تفسيره» ١/ ٢٦١.

معنى الاستثناء[١]، [كأنه استثنى][٢] اليهود والنصارى من الذين أنعم عليهم، وكأن المسلمين[٣] سألوا أن يهديهم طريق المنعم عليهم لا طريق اليهود والنصارى. وهذِه قراءة شاذة[٤].

وتصحيح هذا التفسير على القراءة المعروفة هو أن[٥] المعنى: اهدنا صراط المنعم عليهم، الذين لم تغضب[٦] عليهم ولم يضلوا[٧]. فلما وصفوا

---

(١) قراءة (غير) بالنصب مروية عن ابن كثير، انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١١٢، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٤٢، قال في «البحر»: وهي قراءة عمر وابن مسعود وعلي وعبد الله بن الزبير. «البحر» ١/ ٢٩، واختلف في تخريجها، فيرى الزجاج والأخفش وبعض البصريين: أنه منصوب على الاستثناء، ونصره أبو علي الفارسي في «الحجة»، ومنعه الفراء، والأرجح: أنها حال من الضمير في (عليهم).
انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٨، «الحجة» ١/ ١٤٢، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٦، والفراء ١/ ٨، والزجاج ١/ ١٦، «البحر» ١/ ٢٩.

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من (ب).

(٣) في (أ)، (ج): (المسلمون).

(٤) ممن قال بشذوذها الطبري حيث قال: (وقد يجوز نصب (غير) في ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وإن كنت للقراءة بها كارها لشذوذها عن قراءة القراء..) «تفسير الطبري» ١/ ٧٨، وكذلك عدها عبد الفتاح القاضي من الشواذ، حيث ذكرها في كتابه «القراءات الشاذة» ص١٩. وقراءة النصب مروية عن ابن كثير. انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١١٢، «الحجة» لأبي علي ١٤٢، وقال في «الكشاف»: (وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، «الكشاف» ١/ ٧١، وانظر: «البحر» ١/ ٢٩. وأنكر بعضهم أن تكون منصوبة على الاستثناء، ورجحوا نصبها على الحال وعلى هذا حملها الطبري، انظر: «تفسيره» ١/ ٧٨، وانظر: «الكشاف» ١/ ٧١، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٣١.

(٥) (أن) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (يغضب).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٧٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٣١.

بنفي الغضب عليهم والضلال كان في ضمن ذلك[١] إثباتهما لغيرهم، كما تقول في الكلام: أنا غير كاذب، يجوز أن تريد بنفي الكذب عنك إثباته لغيرك ممن تخاطبه، وفي هذا حجة للقائلين بالمفهوم وفحوى الخطاب[٢]. ثم من المغضوب عليهم؟ ومن الضالون؟[٣] قد بينه النبي ﷺ وذكره المفسرون[٤].

---

(١) (ذلك) ساقط من (ب).

(٢) في (ج): (فحو).

والخطاب عند الأصوليين منطوق ومفهوم، والمفهوم قسمان: مفهوم موافقة، وهو ما كان المسكوت عنه موافقا للمنطوق في الحكم ويسمى: فحوى الخطاب ولحن الخطاب، وهو حجة عند الأكثر.

ومفهوم مخالفة: وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق في الحكم ويسمى دليل الخطاب، وهو أقسام، وفيه خلاف.

انظر: «المختصر في أصول الفقه» لابن اللحام ص١٣٢.

(٣) في (ب): (فقد).

(٤) سبق بيان ذلك.

فهرس موضوعات المجلد الأول

* * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة معالي مدير الجامعة

الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين أما بعد:

فقد دأبت حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - على دعم الجامعات السعودية، لتقوم بدورها الرائد في خدمة هذا البلد على أفضل صورة وأرقاها، ولتنافس الجامعات العالمية بجهودها وأعمالها المتميزة، ودعمه - رعاه الله - لجامعة الإمام محمد بن سعود يذكر بأسطر من نور، ويسجل بمداد من ذهب.

والجامعة تسعى بكل طاقاتها وإمكاناتها لتحقق هذه الأهداف السامية، ومنها خدمة البحث العلمي، ونشر العلم والمعرفة على أوسع مجال، وأكثره نفعاً، في مختلف مناحي الحياة.

وقد زخرت الجامعة بأعمال علمية كبيرة، في مجالات كثيرة من تخصصاتها العلمية المختلفة، ومن هذه الأعمال تحقيق كتاب (البسيط في التفسير للإمام الواحدي) وقد حقِّق في الجامعة في خمس عشرة رسالة، وهو من الأعمال الكبيرة، فبعد الطباعة وصلت أجزاؤه إلى خمسة وعشرين جزءاً مع الفهارس، وتجاوزت صفحاته أربعة عشر ألفاً، مما دل على ضخامة العمل وصعوبة نشره.

وقد كوِّنت لجنة لمتابعة ما بدئ به من هذا العمل برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور عبدالعزيز بن سطَّام بن عبدالعزيز آل سعود لما أعرفه عن سموِّه من جدٍّ ونشاط وعلميَّةٍ متميِّزةٍ، وحرصٍ على العلمِ، مع اهتمامه البالغ بنشر هذا الكتاب، وقد قام بهذه المسؤولية خير قيامٍ، وبذل من جهده ووقته وفكره وخبرته، بل وماله ما سدَّد العمل، وأنجزه بوقتٍ قياسيٍّ، وجعل هذا الكتاب يخرج بهذه الصورة الرائعة والثوب

القشيب، والحلة الجميلة، شكلاً ومضموناً، فجزاه الله خيراً على جهوده المتواصلة، وأعماله الخيرة، فمثله في علمه وخلقه أهل لكل خير .

كما أنني كلّفت الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي صاحب الخبرة الطويلة والعمق العلمي والمعرفي والإتقان المعروف - عميد البحث العلمي السابق – بأن يكون نائباً للرئيس، لمعرفتي أنه هو الذي قد بدأ هذا المشروع قبل ثلاث سنوات من نهاية مدّته الأخيرة التي انتهت في نهاية شهر ربيع الآخر من عام ١٤٢٧هـ، ولأنه من أعرف الناس بالكتاب ومراحل طباعته، وبالشروط التي اشترطت لإخراجه، ولخبرته في هذا المجال، وقد قبل مشكوراً بالأمر وأسهم إسهاماً كبيراً في متابعته ليرى النور .

أما هذا الكتاب فهو التفسير البسيط للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٤هـ، فهو من علماء القرن الخامس، وكتابه هذا من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وهو واحد من كتبه الثلاثة في التفسير ؛ البسيط وهو هذا الكتاب الذي أقدِّم له وهو أكبر تفاسيره وأقدمها تأليفاً، واسمه دليل على مراد مصنفه منه، وكتابه الثاني الوسيط، واسمه دل على أنه بين البسيط والمختصر، والثالث كتاب الوجيز .

هذا العمل العلمي الكبير يعدُّ بحقٍّ مفخرة من مفاخر الجامعة التي سعت إلى تحقيقه أولاً، ثم وفّق الله سبحانه وتعالى إلى إخراجه، فهو عملٌ علميٌّ ضخم أفنى فيه الباحثون سنين مهمة من أعمارهم لو قيست برأس المال المعرفي لوجدت أن متوسط سنوات إعداد كل رسالة ثلاث سنوات علماً بأن إعداد بعض هذه الرسائل قد تجاوز ثلاث سنوات من تاريخ التسجيل حتى المناقشة، ومنها ما أنجز في حدود السنتين، وليست هناك رسالة تتم في أقل من هذا، فهذا الكتاب بذل فيه ما يزيد على ثلاثين سنة عملٍ، واستغرقت الطباعة والإخراج ما زاد على خمس سنوات، إن الجهود الكبيرة التي بذلت وتبذل لهي عنوان كبير على قيمة هذا العمل، وهذا فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء .

وفي الختام أشكر رئيس اللجنة التي قامت على إخراج هذا العمل العلمي الكبير صاحب السمو الملكي الأمير الدكتور / عبدالعزيز بن سطام بن عبدالعزيز، وسعادة نائبه الأستاذ الدكتور / تركي بن سهو العتيبي والعاملين معهم في اللجنة على ما قدموه من خدمة عظيمة لكتاب الله، ولهذا الكتاب الأصيل، ولطلاب العلم والباحثين في كل مكان.

وأخيراً أسجِّل شكري وتقديري للأخوة الباحثين أصحاب الرسائل الجامعية الذين قاموا بالتحقيق، ونالوا به درجاتهم العلمية، وأشكر المراجعين والمصححين الذين قاموا على أعمال الطباعة والإخراج، ولكلٍّ من قدَّم جهداً في نشر هذا العمل الموسوعي .

وفي الختام أحمد الله أن قيَّض لهذا البلد الطاهر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الذين يحرصون على العلم النافع والعمل الصالح، فلم يدخروا وسعاً في دعم البحث العلمي وتشجيعه ونشره، وخدمة الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أ.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

طبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز سطام آل سعود — أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثاني

البقرة ١ - البقرة ٦٦

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

تفسير[١] سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- قوله ﷻ ﴿الٓمٓ﴾: إجماع النحويين أن[٢] هذه الحروف ما دامت حروف هجاء غير معطوفة، ولا موقعة موقع الأسماء، أنها سواكن الأواخر في الإدراج والوقف، وذلك قولك[٣]: (ألف[٤]، با تا ثا) إلى آخرها، وذلك أنها أسماء الحروف الملفوظة بها في صيغ الكلم، بمنزلة أسماء الأعداد، نحو: ثلاثة، أربعة، خمسة. ولا تجد لها رافعاً، ولا ناصباً، ولا جاراً، وإذا[٥] جرت مجرى الحروف لم يجز تصريفها، ولا اشتقاقها[٦]،

---

(١) (تفسير) ساقط من (ب).

(٢) من هذا الموضع نقل المؤلف هذا الكلام من كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح عثمان بن جني، فصل: في تصريف حروف المعجم واشتقاقها وجمعها. قال: اعلم أن هذِه الحروف مادامت حروف هجاء غير معطوفة ولا . . . الخ. ٢/ ٧٨١- ٧٨٤.

(٣) في (ب): (قوله).

(٤) في(أ)، (ج): (أ) وما في (ب) موافق لـ «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨١.

(٥) في (ب): فإذا.

(٦) في (ج): (اشقاقها).

ولا تثنيتها، ولا جمعها، كما أن الحروف كذلك. ويدلك[١] على كونها بمنزلة (هل، وبل، وقد، وحتى، وسوف) أنك[٢] تجد فيها ما هو على حرفين الثاني منهما ألف نحو: (با، تا، طا) ولا تجد[٣] في الأسماء المعربة ما هو على حرفين الثاني منهما حرف لين، إنما ذلك في الحروف نحو: (ما، ولا، ويا[٤]، وأو، ولو، وكي، وأي) فلا تزال[٥] هذِه الحروف هكذا مبنية غير معربة؛ لأنها أصوات بمنزلة: (صه)[٦]، و(مه)[٧]، و(غاق)[٨]، و(إيه)[٩]. حتى توقعها مواقع الأسماء فتعربها حينئذٍ كما تفعل بالأسماء، وذلك قولك[١٠]: أول الجيم (جيم) وآخر الصاد (دال) وأوسط الكاف (ألف) وكتبتُ جيمًا حسنةً[١١].

---

(١) في (ب): (وبذلك).

(٢) في (ب): (أنها).

(٣) في (ب): (ولا يجوز).

(٤) (ويا) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (فلا يزال)، وفي (ج): (فلا تنال).

(٦) اسم فعل بمعنى: اسكت. انظر «المقتضب» ٣/ ٢٠٢، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٩٤، ٦٠٠.

(٧) اسم فعل بمعنى. اكفف. انظر المصدرين السابقين.

(٨) في (ب): (عاقه). و(غاق) حكاية لصوت الغراب.
انظر «الكتاب» ٣/ ٣٠٢، «المقتضب» ٣/ ١٨٠، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٩٤.

(٩) اسم فعل. تقول: إيه يا فتى: إذا أردت أن يزيدك من الحديث.
انظر «المقتضب» ٣/ ٢٥، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٩٤.

(١٠) في (ب): (قول).

(١١) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨٢، وانظر: «المقتضب» ١/ ٣٧١.

وكذلك العطف[1]، لأنه نظير التثنية، فتقول: ما هجاء بكر؟ فيقول المجيب: (باء، وكاف، وراء) فيعرب، لأنه قد عطف، فإن لم يعطف بنى، فقال: (باء، كاف، را). ونظير هذِه الحروف في أنها موقوفة غير موصولة، أسماء العدد نحو ثلاثة وأربعة[2].

وإذا أخبرت عن حروف الهجاء، أو أسماء الأعداد فقد أخرجتها بذلك عن حيز الأصوات، وأدخلتها في جملة الأسماء المتمكنة[3]، فاستحقت أن تعرب للإخبار عنها، فإنه لا معنى [للحرفية فيها إذا][4] زال إدارة الحكاية بها، فدخل بذلك في حد [المتمكنات، وخرج][5] من باب الأصوات.

وكذلك العدد إذا أردت به معدودًا، ولم ترد به العدد وحده دون المعدود أعربت كقولك[6]: ثمانية ضعف أربعة، وسبعة أكثر من أربعة بثلاثة، فأعربت هذه الأسماء ولم تصرفها لاجتماع التأنيث والتعريف فيها، ألا ترى أن[7] (ثلاثة) عدد معروف القدر، وأنه أكثر من اثنين بواحد، وكذلك سائر الأعداد[8].

---

(١) عند أبي الفتح (العاطف) ٢/ ٧٨٢.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨٢، وانظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١، (الأصول في النحو) لابن السراج ٢/ ١٣٩.

(٣) غير واضح في (ب). (المتمكن) هو الاسم الذي يتغير آخره بتغير العوامل، ولم يشبه الحرف، انظر «معجم المصطلحات النحوية» ص٢١٣.

(٤) ما بين المعقوفين غير واضح في (ب).

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح في (ب).

(٦) في (ب): (كقوله).

(٧) في (ج): (أنك).

(٨) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨٣، وانظر: «الكتاب» ٣/ ٢٦٤ - ٢٦٦، «الأصول في النحو» ٢/ ١٣٩.

وأنشدوا قول أبي النجم[١]:

أقبلت من عند زياد كالخرف تخطّ رجلاي بخط مختلف

تكتبان في الطريق لامَ ألف[٢]

كأنه قال[٣]: (لام ألف) إلا أنه ألقى حركة (الهمزة) على (الميم) للوزن ولم يعرب[٤].

قال أبو إسحاق[٥]: وهذه الحروف ليست كالحروف[٦] المتمكنة، والأفعال المضارعة التي يجب لها الإعراب، وإنما هي تقطيع الاسم

---

(١) هو الفضل بن قدامة بن عجل، كان ينزل الكوفة، أحد رجاز الإسلام المتقدمين من الطبقة التاسعة. انظر «الشعر والشعراء» ص٤٠٠، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٧٣٧، «الخزانة» ١/ ١٠٣.

(٢) معنى الأبيات: كان لأبي النجم صديق يسقيه الخمر، فينصرف من عنده ثملًا. لا يملك نفسه، مثل الخرف وهو الذي فسد عقله من الكبر، وكان يتمايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه: لام ألف، أو أنه تارة يمشي معوجًا فتخط رجلاه ما يشبه: اللام، وتارة يمشي مستقيمًا فتخط رجلاه خطا مستقيما يشبه: الألف. والأبيات في «ديوان أبي النجم» ص١٤١، وهي عند أبي عبيدة في «المجاز» ١/ ٢٨ والمبرد في «المقتضب» ١/ ٢٣٧، ٣/ ٣٥٧، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٢، و«المخصص» ١٤/ ٩٥، ١٧/ ٥٣، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥١، و«الخزانة» ١/ ٩٩- ١٠٢، والبيت الثالث عند سيبويه ٣/ ٢٦٦.

(٣) (قال) ساقط من (ج).

(٤) في (ب) (يعرف). أي أنها ساكنة، لم يجر عليها الإعراب، وعلى هذا استشهد بها سيبويه، ومكان إيراد هذِه الأبيات بعد ذكر وجه البناء، كما هو عند سيبويه والزجاج وغيرهما. ولابن جني توجيه آخر للأبيات غير ما ذكر، رده البغدادي في (الخزانة). انظر «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٥٢، (الخزانة) ١/ ٩٩.

(٥) هو الزجاج. انظر «معاني القرآن» ١/ ٢٢، نقل عنه بتصرف.

(٦) في «معاني القرآن»: (.. ليست تجري مجرى الأسماء المتمكنة، والأفعال المضارعة..) ١/ ٢٢، فقوله هنا (ليست كالحروف المتمكنة) لعله تصحيف.

المؤلف الذي لا يجب الإعراب إلا مع كماله[١]، فقولك: (جعفر) لا يعرب منه حرف دون تكميل الاسم.

فأما قول الشاعر:

كافاً وميمَين وسينًا طاسما[٢]

فإنما أعرب لأنه أجرى الحروف مجرى الأسماء. وقال يزيد بن الحكم[٣]:

إذا اجتمعوا على ألف وياء[٤] وواو هاج بينهم جدال[٥]

---

(١) في (ب): (كمالها) وفي (ج): (طاسما).

(٢) (ب): (كاسما). الرجز استشهد به سيبويه ٣/ ٢٦٠، وابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» ص ٤٥٠، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٣، والأزهري في «التهذيب» ١/ ٩١، وابن سيده في «المخصص» ١٧/ ٤٩، «اللسان» ١/ ١٦. والشاهد عندهم أنه ذكر (طاسما) وهي صفة (للسين) فذكره، ولو أنثه لجاز ذلك. واستشهد به ابن جني في «سر صناعة الإعراب» على أنه أعرب الحروف وأجراها مجرى الأسماء، كما عند المؤلف هنا ٢/ ٧٨٢. ولم ينسب البيت أحد. ومعنى البيت: أنه يشبه آثار الديار بحروف الكتاب. والطاسم: الدارس. وقد روى (طامسا) انظر: «الكتاب» ٣/ ٢٦٠ (مع هامش عبد السلام هارون).

(٣) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري، من فصحاء الشعراء، وفد على سليمان بن عبد الملك فوصله وأكرمه. وكان قد عُيِّن لإمرة فارس. انظر ترجمته في «الجرح والتعديل» ٤/ ٢/ ٢٥٧، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥١٩، «الخزانة» ١/ ١١٣.

(٤) في (ب): (ووباء).

(٥) أورده المبرد في «المقتضب» ١/ ٢٣٦، قال: قال رجل من الأعراب يذم النحويين إذ سمع خصومتهم فيه:

إذا اجتمعوا على ألف وباء وتاء هاج بينهم قتال

وأورده في ٤/ ٤٣، وقافيته (جدال) وأورده الزجاج في «المعاني» ١/ ٢٣، ونصه:

إذا اجتمعوا على ألف وواو وياء لاح بينهمُ جدال

ونسبه لزيد بن الحكم، وأورده ابن سيده في «المخصص» ١٤/ ٩٥، وابن جني في=

فأعرب لأنه أدخل حرف العطف، وجعلها في حكم الأسماء.

ويجوز[(١)] تأنيث هذه الحروف وتذكيرها، فمن أنث فلمعنى [الكلمة. ومن ذكر فلمعنى][(٢)] الحرف[(٣)]. ولا محل لها من الإعراب لأنها حكايات وضعت على هذه الحروف، ولم تجر مجرى الأسماء المتمكنة، ولا الأفعال المضارعة، وإنما هي كقولهم: (غاق يا فتى) إذا حكوا صوت الغراب، فهذه الحروف وإن كانت إشارات إلى معان فلا موضع لها من الإعراب[(٤)].

ومن قال: إنها أسماء للسور[(٥)] والقرآن، قال: محلها رفع[(٦)]، كأنه

= «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨٢، والبغدادي في «الخزانة» ١/ ١١٠، ١١٣. والبيت آخر ما نقله عن الزجاج بتصرف. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٢، ٢٣.

(١) في (ب): (ويجو).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص٤٤٩، ٤٥٠، «المخصص» ١٧/ ٤٩.

(٤) انظر: «الكتاب» ٣/ ٢٦٦، «المقتضب» ١/ ٢٣٦- ٢٣٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٨١، ٧٨٢. قال السمين الحلبي: في إعراب الحروف المتقطعة في أوائل السور ثلاثة أقوال: إحداها: أنها أسماء حروف التهجي لا محل لها من الإعراب، وهو أصحها، والثاني: أنها معربة بمعنى أنها صالحة للإعراب، وإنما فات شرط وهو التركيب، وإليه مال الزمخشري، والثالث: أنها موقوفة لا معربة و لا مبنية. «الدر المصون» ١/ ٧٩.

(٥) في (ب): (اسما للسورة)، و(ج): (لسور).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٩٠، و«ابن عطية» ١/ ٩٦، «البحر المحيط» ١/ ١٤١، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٤٣، و«القرطبي» ١/ ١٥٧، «الدر المصون» ١/ ٨١. قال الزمخشري: ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن تكون لها محل في مذهبه، كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة. «الكشاف» ١/ ١٠٧، ١٠٨، ونحوه قال الرازي ٢/ ١٢.

قيل: هذه ألم، كما تقول: هذا زيد، أو يكون رفعًا على الابتداء، وخبره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كما تقول[١]: زيد ذلك الرجل، ويحتمل أن يكون رفعًا على أنه خبر مقدم، كأنه قال: ذلك الكتاب الذي وعدتك[٢] أن أنزله إليك[٣] ﴿الٓمٓ﴾[٤].

فأما التفسير: فقد كثر اختلاف الناس في هذه الحروف المقطعة وأشباهها في القرآن. فذهب قوم إلى أن الله لم يجعل لأحد سبيلا إلى إدراك معانيها، وأنها مما استأثر الله بعلمها، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل[٥] علمها إلى الله تعالى[٦].

وعن الشعبي[٧] أنه قال: لله في كل كتاب سر، وسره في القرآن

---

(١) في (أ): (يقول) وأثبت ما في (ب، ج) لأنه أنسب للسياق.

(٢) في (ب): (وعد بك).

(٣) في (ج): (عليك).

(٤) ذكر الواحدي بعض الأوجه في إعراب الحروف المقطعة في أوائل السور وهناك أوجه أخرى، فقيل: إنها في محل نصب بتقدير: أقرأ (ألم)، وقيل: في موضع خفض بالقسم، لقول ابن عباس: إنها قسم أقسم الله بها. انظر ابن عطية ١/ ١٤١، «البحر المحيط» ١/ ٣٥، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٤٣، والقرطبي ١/ ١٣٦، «الدر المصون» ١/ ٨١.

(٥) في (ب): (وبكل).

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١/ ٣٧/أ. انظر الطبري ١/ ٨٨، «تفسير أبي الليث» ١/ ٨٧، وذكره ابن عطية ونسبه للشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين ١/ ١٣٨، وذكره في «البحر المحيط»، ومال إليه. ١/ ٣٥، والقرطبي ١/ ١٥٤، وقال: روي عن أبي بكر وعلي، وابن كثير ١/ ٣٨.

(٧) هو عامر بن شراحيل بن عبد، تابعي شهر بالرواية والحفظ، ولد ونشأ بالكوفة. والشعبي نسبة إلى (شعب) بطن من همدان، مات سنة خمس ومائة، وقيل: غير ذلك، انظر: «تاريخ بغداد» ١٢/ ٢٢٧، «حلية الأولياء» ٤/ ٣١٠ .

حروف التهجي[(١)].

ومثل هذا روي عن أبي بكر الصديق وعلي[(٢)] رضي الله عنهما.

والأكثرون من أهل التفسير تكلموا في معاني هذه الحروف واستنبطوا لها وجوها من التأويل[(٣)]، وقالوا: لا يجوز أن يلغى شيء من كتاب الله تعالى، لأنه قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

فيروى عن ابن عباس في ﴿ألم﴾ ثلاثة أوجه[(٤)]:

أحدها: أن الله تعالى أقسم بهذه الحروف، أن هذا الكتاب الذي أنزل على محمد الكتاب الذي عند الله، لا شك فيه[(٥)].

---

(١) قال الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥، قال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود: إن لكل كتاب سرا وإن سر القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما سوى ذلك. وبهذا اللفظ ذكره السيوطي في (الدر) وعزاه لابن المنذر، وأبي الشيخ، ابن حبان في «التفسير». «الدر» ١/ ٥٦، وذكره الطبري ولم يعزه لأحد ١/ ٨٨، وذكره أبو الليث عن الشعبي ١/ ٨٧، والزجاج في «المعاني» ١/ ١٩، وانظر: القرطبي ١/ ١٣٣، ١٣٤. وقد روي عن الشعبي أنه فسرها: بأنها من أسماء الله. كما في الطبري ١/ ٨٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣، وذكره الأزهري في «التهذيب» ١/ ٩٠.

(٢) انظر أقوالهم في «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٠/أ، و«القرطبي» ١/ ١٣٤، و«ابن كثير» ١/ ٣٨. روي عن علي: أنها اسم الله الأعظم. انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٨٧، و«ابن عطية» ١/ ١٣٨، و«ابن كثير» ١/ ٣٩.

(٣) انظر: الطبري ١/ ٨٦-٩٣، و«ابن عطية» ١/ ١٤٠، و«البحر المحيط» ١/ ٣٥، و«القرطبي» ١/ ١٥٥.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩، ٢٠، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨.

(٥) بهذا اللفظ ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٩، والأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨، وأبو الليث ونسبه للكلبي ١/ ٨٧. وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله، وذكره السيوطي في «الدر»=

وهذا الوجه من تفسير ابن عباس اختيار[١] الأخفش، لأنه قال: أقسم الله تعالى بهذه الحروف لشرفها[٢] وفضلها[٣]، لأنها[٤] مباني كتبه المنزلة بالألسنة[٥] المختلفة، ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأصول كلام الأمم، بها يتعارفون ويذكرون الله ﷻ ويوحدونه، فكأنه[٦] أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه وكلامه لا ريب فيه[٧].

الوجه الثاني: أن هذه الحروف وإن كانت متفرقة في النزول، فإذا ألّفت ضربًا من التأليف كانت[٨] اسمًا لله، وإن كنا لا نقف على تأويلها، فـ(ألف، لام، را)، و(حم)، و(ن)[٩] اسمه: الرحمن[١٠]. إلا أنا لا نقف

= وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات». «الدر» ١/ ٥٤، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٣٨، وابن كثير ١/ ٣٩، وروي عن عكرمة أنها قسم. انظر: الطبري ١/ ٢٠٧ وابن أبي حاتم ١/ ١٧٠.

(١) في (ب): (اختاره).

(٢) في (ب): (وشرفها).

(٣) في (ب): (وفضّلها).

(٤) في (ب): (أنها).

(٥) في (ب): (بالألسن).

(٦) في (ب): (وكأنه).

(٧) كلام الأخفش ذكره الثعلبي ١/ ٤٠ب، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

(٨) في (ب): (كان).

(٩) في (ب): (كألف لام حاميم نون).

(١٠) في «معاني القرآن» للزجاج (الر)، و(حم)، و(نون) اسم للرحمن، مقطع في اللفظ موصول في المعنى ١/ ٢٠، ونحوه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨، وقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله: (ألم) و(حم) و(ن) قال اسم مقطع. وفي سنده (الباهلي) قال شاكر: لم أقف له على ترجمة. انظر الطبري مع تحقيق شاكر ١/ ٢٠٧، وأخرجه ابن أبي حاتم، وفي سنده الباهلي قال محققه: لم أقف له على=

على كيفية نظمها.

قال سعيد بن جبير[١]: لو أحسن الناس تأليفها لعلموا[٢] اسم الله الأعظم[٣].

الوجه الثالث عنه[٤]: ﴿الم﴾: أنا الله أعلم، و﴿الر﴾[٥]: أنا الله أرى، و﴿المص﴾ [الأعراف:١]: أنا الله أعلم وأفصل[٦]، و﴿المر﴾ [الرعد:١]: أنا الله أعلم وأرى[٧]. وهذا الوجه اختيار الزجاج.

= ترجمة. «تفسير ابن أبي حاتم» مع الهامش ١/ ١٦٨ رسالة دكتوراه. وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم وابن مردويه. «الدر» ١/ ٥٤. انظر ابن عطية ١/ ١٣٨.

(١) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، كان من سادات التابعين علمًا وفضلًا وورعًا وفقهًا، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين. انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٧٦، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٨٨.

(٢) في (ب): (تعلموا).

(٣) ذكره الثعلبي بدون سند. ١/ ٤٠أ، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٤.

(٤) أي عن ابن عباس.

(٥) في (ب): (الرا).

(٦) في (ب): (وأفضل).

(٧) ذكره الزجاج بنصه حيث قال: والثالث عنه: ثم ذكره ١/ ٢٠، وفي تهذيب القول الثالث: (الم) معناه: أنا الله أعلم وأرى ١٥/ ٦٧٧، وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس: (الم) قال: أنا الله أعلم. الطبري ١/ ٨٨، وأخرجه ابن أبي حاتم بنحو رواية ابن جرير. قال المحقق: في سنده عطاء وشريك، اختلطا وساء حفظهما. (تفسير ابن أبي حاتم) ١/ ٣٢، وأخرجه أبو جعفر النحاس في «القطع والائتناف» قال: (الم) أنا الله أعلم. و(المر) قال أنا الله أرى، و(المص) قال أنا الله أفصل. ص١١١، وذكره السيوطي في «الدر» بمثل رواية ابن جرير وعزاه إلى وكيع وعبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس ١/ ٥٤ .

قال: المختار: ما روي عن ابن عباس وهو أن معنى: (الم) أنا الله أعلم، وأن كل حرف منها له تفسير[١]. قال: والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو[٢] فيها، وأنشد:

قلت لها قفي فقالت قاف[٣] ....

فنطق[٤] -بقاف- فقط، يريد قالت: أقف[٥]. وقال الفراء: معنى هذه الحروف [المقطعة في أوائل السور: أن هذه الحروف][٦] ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك؛ لأن قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] وعد من الله تعالى أن ينزل عليه كتابا، فلما أنزل عليه القرآن قال: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي وعدتك أن أقرئكه فلا تنسى، فاكتفى من حروف (أ، ب، ت، ث) بـ ﴿الم﴾، و﴿المص﴾، وأشباه ذلك؛ لأن هذه الحروف لما

---

(١) في (المعاني): (تفسيره) ١/ ٢٤.

(٢) (هو) ساقط من (ب).

(٣) البيت بتمامه في (المعاني):

قلنا لها قفي قالت: قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

«معاني القرآن» ١/ ٢٤ ومثله عند الطبري ١/ ٩٠، وكذا في «الخصائص» ١/ ٣٠، ٨٠، ٤٢٦، ٢/ ٣٦١، وهو في (تأويل مشكل القرآن) وفيه (... قالت لي: قاف...) ص ٣٠٨، وورد في «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٧٥، «اللسان» (وقف) ٨/ ٤٨٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٥. والرجز للوليد بن عقبة خرج يريد عثمان بن عفان ﷺ لما طلبه حين شهد عليه عنده أنه يشرب الخمر، فخرج الوليد مع بعض رفقته ونزل يسوق الإبل بهم ويرتجز بأبيات منها المذكورة هنا.

(٤) في (ج): (تنطق).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

كانت موضوعة للكتاب معروفة، كان الحرفان[(١)] والثلاثة منها يدل على الجمع، والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] أي: صلوا لا يصلون، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وقال الشاعر:

لما رأيت أنها في حُطِّي أخذتُ منها بقرونٍ شُمْطِ[(٢)]

فعبر بفظة (حطى) عن جميع حروف (أبجد)[(٣)].

وهذا القول اختيار الحسن[(٤)] بن محمد بن نصر الجرجاني[(٥)]، فإنه

---

(١) في (ج): (الجرفان) بالجيم.

(٢) الأبيات لبعض بني أسد، وسماه بعضهم بأبي القماقم الأسدي، يتحدث عن امرأة لا يرضى خلقها، حاول إصلاحها فلم تنقد له، كأنها تستمر في أول تعلمها كالصبي الذي لا يعدو في تعلمه حروف الهجاء. و(القرون الشمط). خصل الشعر المختلط فيه السواد والبياض. والأبيات عند الفراء:

لما رأيت أمرها في حُطِّي وفَنَكَتْ في كذب ولَطِّ

أخذتُ منها بقرون شمط ولم يزل ضربي لها ومَعْطِي

حتى علا الرأس دم يغُطِّي

«معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٦٩، وذكر منها في «تأويل مشكل القرآن» البيتين اللذين ذكرهما الواحدي ص٣٠، وكذا الثعلبي ١/ ٤١، وذكر الطبري الأبيات مثل ما عند الفراء مع اختلاف يسير ١/ ٨٩، ووردت في «كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ» ص٤٤٧، «أمالي القالي» ٢/ ٢٠٠، «تفسير السجاوندي» ص٢٤.

(٣) الكلام الذي نسبه للفراء لم أجده بهذا النص في «معاني القرآن»، وللفراء كلام بمعناه ١/ ٣٦٨، ٢/ ٣، وذكر الثعلبي قريبا مما ذكر الواحدي هنا، قال بعده: هذا قول المبرد وجماعة من أهل (المعاني). الثعلبي ١/ ٤٠/ب، ٤١/أ وذكر الواحدي في «الوسيط» نحو الكلام الذي نسبه للفراء، وعزاه لابن الأنباري. انظر «الوسيط» ١/ ٢٦.

(٤) في (ب): (الحسين).

(٥) هو الحسن بن محمد أو ابن يحيى بن نصر الجرجاني، أبو علي، صاحب «نظم القرآن» نقل عنه الواحدي كثيرا، انظر ما تقدم في مصادر الواحدي في تفسيره.

قال: ﴿الم﴾ مبتدأ مرصد لخبر[١]، أو لأن يبنى عليه خبر، أي: أن هذه الحروف التي منها (الم) الكتاب الذي[٢] وعدتك إنزاله عليك، فتكون هذه الحروف الثلاثة اسما لجميع الحروف المعجمة، كما يستدل ببعض الشيء على كله، يقول الرجل: قرأت (نون) و(صاد) و(حم)[٣] وهو لا يريد[٤] هذه الحروف بعينها، وإنما يريد كلّ ما اتصل به مما[٥] بعده.

ومنه قول النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[٦] وقد كان ﷺ يقاتل اليهود والنصارى، وهم يقولون: لا إله إلا الله، [وهو أراد (لا إله إلا الله)][٧] وما اتصل بها من أسبابها، فجعل (لا إله إلا

---

(١) في (ب): (بخير).

(٢) في (ب): (التي).

(٣) في (ب): (ص) و(حم) و(نون).

(٤) في (ب): (لا يريد به).

(٥) (مما) ساقط من (ب).

(٦) الحديث بلفظ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**... الحديث). عن أبي هريرة: قال السيوطي: متواتر: «فيض القدير» ٢/ ٢٣٨، وكذا قال الألباني. انظر «الأحاديث الصحيحة» ١/ ٦٩١ (٤٠٧). والحديث أخرجه البخاري (١٣٩٩) كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، «الفتح» ٣/ ٢٦٢، و«كتاب استتابة المرتدين» باب (قتل من أبى قبول الفرائض) ١٢/ ٢٧٥، وكتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» باب «الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ» ١٣/ ٢٥٠، ومسلم ٢٠، ٢١ كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأبو داود (١٥٥٦) كتاب الزكاة، والترمذي (٢٦٠٧) كتاب الإيمان، باب: أمرت أن أقاتل الناس . . ، والنسائي ٥/ ١٤ كتاب الزكاة، باب: مانع الزكاة. وأحمد في «المسند» ١/ ١٩، ٣٥، ٤٨، ٢/ ٤٢٣، ٥٢٨. والأحاديث بنحو لفظه كثيرة عن ابن عمر وأنس وغيرهم.

(٧) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

الله) اسماً لجميع الإيمان.

وعلى هذا قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ ثان و﴿الكتاب﴾[(١)] خبره، وهما جميعا خبر للمبتدأ الأول[(٢)]، لأنهما صارا قصة وشأنا. مثل قولك: (زيد أبوه قائم) و(عمرو وجهه حسن).

وزعم قطرب[(٣)]: أن هذه الحروف المقطعة ذكرت في القرآن لتدل على أن هذا القرآن المؤلف من هذه الحروف المقطعة التي هي مقدورة للمشركين في تخاطبهم، فلولا أنه من عند الله نزل وأنه معجز في نفسه، وإلا وهلا جئتم بمثله لأنكم[(٤)] متمكنون من المخاطبة بهذه الحروف.[(٥)]

وحكي عنه -أيضا- قول آخر، وهو أنه قال[(٦)]: يجوز أن يكون لما لغا القوم في القرآن فلم يتفهموه[(٧)] حين قالوا: ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن[(٨)] والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] أنزل الله سبحانه هذه الحروف المقطعة، ولم

---

(١) في (ج): (بالكتاب).

(٢) انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٢/ب، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦، وابن عطية ١/ ١٤٣، «البحر» ١/ ٣٦.

(٣) هو محمد بن المستنير المعروف بـ (قطرب) أحد العلماء المشهورين بالنحو واللغة، أخذ عن سيبويه، مات سنة ست ومائتين. انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» ص٩٩، «تاريخ بغداد» ٣/ ٢٩٨، «معجم الأدباء» ١٩/ ٥٢، «إنباه الرواة» ٣/ ٢١٩، «المزهر» ٢/ ٤٠٥.

(٤) في (ب): (وأنتم).

(٥) ذكر المؤلف قول قطرب بمعناه، وتصرفه في اللفظ أخل به، انظر نص قوله في «معاني القرآن» للزَجاج ١/ ١٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٩، «اللسان» ١/ ١٥.

(٦) (قال) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (يتفهموا).

(٨) في (ب): (القول) تصحيف في الآية.

تجر لهم عادة بسماع مثلها حتى إذا سكتوا واستمعوا إلى ذلك، هجم القرآن أسماعهم وقرع[١] المعاني آذانهم، فيكون في إنزال هذه الحروف[٢] المقطعة نوع من المبالغة في الدعوة وتأكيد[٣] للحجة عليهم[٤].

ويروى عن الحسن أنه قال: ﴿الم﴾ وسائر حروف التهجي في القرآن أسماء للسور[٥].

فعلى هذا إذا قال القائل[٦]: قرأت (المص) عرف السامع أنه قرأ السورة المخصوصة التي افتتحت بـ(المص) كما أنه إذا قال: لقيت عمْرا، علم السامع أنه يريد شخصاً معلومًا عنده.

ويجوز أن يكون ﴿ألم﴾ اسما للسورة المفتتحة بها، ثم لا تعرف تلك السورة بعينها ما لم يقرن بـ ﴿الم﴾ لفظ آخر، فيقال: سورة ﴿الم ذلك﴾،

---

(١) في (ب): (وقرعت).

(٢) هذا آخر وجه (أ) من لوحة (٣٩) في نسخة(ب) و في أسفل الصفحة في الهامش كتب بخط مختلف: (هذا آخر الاختلاف وليس في هذِه النسخة غيره).

(٣) في (ب) (وتأكيدًا).

(٤) انظر نص كلام قطرب في: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٩، «اللسان» ١/ ١١، «تفسير أبي الليث» ١/ ٨٧، وذكره الطبري ولم يعزه ١/ ٨٩، وذكره الرازي ونسبه لابن روق وقطرب ٢/ ٦، ومال إليه ٢/ ١١.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣٤، وأورد الطبري هذا القول ونسبه لزيد بن أسلم ١/ ٢٠٦، وكذا الثعلبي ١/ ٤٠/أ، وابن عطية ١/ ١٣٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢١، وأبو حيان في (البحر) ١/ ٣٤، والسيوطي في «الدر» ١/ ٥٥.

(٦) نقل عن الطبري بتصرف. انظر الطبري ١/ ٩٠.

وسورة (الم الله)[١]، لأنه وقع الاشتراك، ولا يمنع احتياجهم[٢] إلى ذكر القرينة أن يكون ذلك اسما له في الأصل. ألا ترى أنه إذا قال: رأيت زيدا، والسامع عرف[٣] رجلين اسمهما زيد، فيقول: أيما[٤] زيد؟ فيقول: الأزدي أو[٥] التميمي[٦]. فلا يمنع هذا أن يكون (زيد) اسما[٧] في الأصل لذلك الشخص، وإن[٨] لم يحصل به التمييز حتى ذكر معه النسبة[٩] عند وقوع الاشتراك، ويجوز تسمية الشيء ببعضه، أو بما هو من جملة معناه، كالقصائد التي تسمى بما افتتحت به كقولهم: (لخولة أطلال)، و(قفا نبك)، و(أما صحا)[١٠].

وقول الحسن[١١] هذا مختار عند النحويين، من قبل أن الأسماء

---

(١) عند الطبري (.. قرأت (الم البقرة). وفي آل عمران: قرأت (الم آل عمران) و(الم ذلك الكتاب) و(الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) الطبري ١/ ٩٠.

(٢) في (ب): (احتاجهم).

(٣) (عرف) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (أبا).

(٥) في (ب): (و).

(٦) انظر الطبري ١/ ٩٠، وانظر «تأويل المشكل» لابن قتيبة ص٣٠٠.

(٧) في (ب): (زيدا في الأصل).

(٨) في (ب): (فإن).

(٩) في (ب): (التشبه).

(١٠) قوله: (لخولة أطلال) مطلع معلقة طرفة بن العبد. انظر «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص٥٣. و(قفا نبك) مطلع معلقة امرئ القيس. انظر «شرح القصائد» ص٣. وقوله «أما صحا» لم أعثر عليها فيما قرأت.

(١١) وهو أن الحروف المقطعة أسماء للسور، وهذا القول نسبه أكثر المفسرين لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه. انظر ما سبق ص٣٨٩.

الأعلام منقولة عن معانيها للتفرقة بين المسميات[١]، ونقلت هاهنا حروف المعجم إلى التسمية. وقد جاء نظير ذلك[٢] في أسماء العرب، قالوا: (أوس بن حارثة بن لأم الطائي)[٣].

ولا خلاف بينهم أن لك أن تسمي بحروف المعجم كما أن لك أن تسمي بالجمل[٤] كقولهم[٥]: (تأبط شرًّا[٦])، و(ذرّى حبًّا[٧])، قال الشاعر:

إن لـهـا لَـرَكَـبًـا[٨] إرزَبَّـا[٩] كـأنـه جـبـهـةُ ذرّى حَـبَّـا[١٠]

---

(١) انظر «شرح المفصل» ١/ ٢٩.

(٢) في (ب): (ذاك).

(٣) ذكره ابن دريد قال: أوس بن حارثة بن لأم، رأس طيء، عاش مائتي سنة. وفسر (لأم) فقال: (اللأم) السهم المريش إذا استوت قذذه. (الاشتقاق) ص ٣٨٢، ٣٨٣. وانظر مادة (لأم) في «اللسان» ٧/ ٣٩٧٦، «القاموس» ص١١٥٦. وقد أورد الواحدى الاسم على أن المراد (لام) الحرف، نقل فأصبح علمًا على اسم معين، وعلى ما ذكر ابن دريد لا شاهد فيه للواحدي.

(٤) تحكى الجملة على حالها فتصبح علمًا للمسمى انظر «الكتاب» ٣/ ٣٢٦ «المقتضب» ٤/ ٩، «شرح المفصل» ١/ ٢٨.

(٥) في (ب): (كقولك).

(٦) في (ب): (سابط).

قيل: سمي بذلك لأنه تأبط حية. انظر (شرح المفصل) ١/ ٢٨.

(٧) في (ب): (وروا حبا). وذرى حبا: اسم رجل. انظر: «الكتاب» ٣/ ٣٢٦، «المقتضب» ٤/ ٩، «شرح المفصل» ١/ ٢٨، و«اللسان» (حبب) ١/ ٢٩٦.

(٨) في (ب): (الركبا).

(٩) في (ج): (اردبا).

(١٠) نسبه سيبويه لرجل من بني طهية. يروى (مركبا) و(مركنا) وهو منبت المعانة=

فكل[١] كلمة لم تكن على معنى الأصل فهي منقولة إلى التسمية للفرق، فمن ذلك (زيد[٢]) لما لم يرد به معنى الزيادة، لم يكن إلا منقولا[٣]. وكذلك جميع الأسماء الأعلام ولو سميت رجلا: (ب ت ث)، [لقلت (هذا ب ت ث)][٤]، ورأيت: (ب ت ث) فحكيت هذا القول كان جائزا.

وقال أبو العالية: ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله ﷻ، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة قوم وآجال آخرين[٥].

= و(الإرزب) الضخم شبهه بجبهة ذلك الرجل المسمى (ذرى حبا). ورد البيت في «الكتاب» ٣/ ٣٢٦، «المقتضب» ٤/ ٩، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٣٩١، «اللسان» (حبب) ٢/ ٧٤٦، و(رزب) ٣/ ١٦٣٤، و«شرح المفصل» ١/ ٢٨.

(١) في (ب): (كل).

(٢) (زيد) ساقط من (ب).

(٣) انظر: «شرح المفصل» ١/ ٣٠.

(٤) مابين المعقوفتين ساقط من (ب).

(٥) بهذا النص ذكره الثعلبي في «تفسيره» بدون نسبه ١/ ٤٠أ، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسنده عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: في قوله (الم) قال: (هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا، دارت فيها الألسن كلها. ليس منها حرف...) الخ الأثر كما عند المؤلف هنا. قال المحقق: رجال هذا الإسناد يحتج برواياتهم، لكن أبا العالية يرسل كثيرًا، ورواية أبي جعفر الرازي عن أنس مضطربة والمتن في بعض ألفاظه نكارة. «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٦٨ (رسالة دكتوراه). وأخرجه ابن جرير بسنده عن الربيع بن أنس، بنفس اللفظ ١/ ٨٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» عن أبي العالية، وتكلم فيه من جهة معناه. ابن كثير ١/ ٤١، وذكره=

فالاختلاف في هذه الحروف كما ترى، وقد ذكرت عيون أقاويل أهل[(١)] التأويل. وليس يبعد أن يقال: إن جميع ما ذكر من هذه التأويلات كلها مرادة بهذه الحروف مودعة فيها، ولا تنافي في هذه الأقوال، لأنه ليس كون هذه الحروف مفاتح أسماء الله تعالى بمانع أن تكون[(٢)] مما[(٣)] أقسم الله بها، ولا أن يشير بها إلى مدة قوم وآجال أناس عرف الله نبيه ﷺ ذلك على الخصوص[(٤)].

= السيوطي في «الدر» وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. «الدر» ١/ ٥٦، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٤.

(١) في (ب): (هذا).

(٢) في (ب): (يكون).

(٣) في (ب): (ما).

(٤) وإلى نحو هذا مال ابن جرير حيث قال: (والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور، التي هي حروف المعجم: أن الله جل ثناؤه جعلها حروفا مقطعة، ولم يصل بعضها ببعض -فيجعلها كسائر الكلام المتصل الحروف- لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة، لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس. وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة، دون ما زاد عليها. والصواب في تأويل ذلك عندي: أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه.... الخ. واستثنى بعض الأقوال لضعفها. انظر الطبري ١/ ٩٣، وانظر «تأويل المشكل» لابن قتيبة ص٢٩٩، ٣٠٠، وقد ذكر ابن كثير كلام الطبري، ولم يرضه، ثم ذكر أقوالًا أخرى وبين ضعفها ثم قال: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذِه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذِه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية، =

فإن قيل: كيف كتبوا في المصحف هذه الحروف موصولة، والهجاء منقطع لا يتصل بعضه ببعض؟

قلنا: لأنه لم يقصد به الهجاء، إنما هي حروف اجتمعت يراد بكل حرف منها معنى، فهي وإن كانت في صورة الهجاء فإن تحتها معاني، فكانت من هذا الوجه في معنى الكلمات الموصولة(١).

فإن قيل: فلم قطعت ﴿حم عسق﴾ ولم تقطع ﴿كهيعص﴾.

قلنا: لأن (حم) قد ذكرت في أوائل سور أخرى، فقطعت مما(٢) بعدها، لأن هذه السور كغيرها(٣) مما افتتح بـ(حم)(٤).

هذا هو الكلام في الحروف المقطعة في هذه السورة.(٥) فأما في سائر السور فسنأتي على بيانها إن شاء الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾. قال أبو الهيثم(٦): (ذا) اسم كل

= وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي، وحكاه لي عن ابن تيمية. ابن كثير ١/ ٤٠.

(١) هذا السؤال والإجابة عليه ذكره ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ص٤٧٩، وانظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص١٠٩، «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٤٣١.

(٢) في (ب): (ما).

(٣) في (ب): (لغيرها).

(٤) ذكره ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ص ٤٧٩، والنحاس في «القطع والائتناف» ص١٠٩، والزركشي في «البرهان» ١/ ٤٣١.

(٥) أي في سورة (البقرة) (الم).

(٦) قول أبي الهيثم ذكره الأزهري في (التهذيب) في مواضع متعددة أخذ الواحدي منه بالاختصار وجمعه مع بعضه. قال الأزهري: أخبرني المنذرى عن أبي الهيثم أنه قال: ذا اسم كل مشار إليه..) «التهذيب» (ذا) ٢/ ١٢٥٨ .

مشار إليه يراه المتكلم والمخاطب كقولك: ذا الرجل، وذا الفرس، فإذا[١] بعد المشار إليه زادوا (كافا) فقالوا: ذاك[٢] الرجل، وهذه (الكاف) ليست في موضع نصب ولا خفض[٣] ولا رفع، إنما أشبهت كاف (أخاك) و(عصاك) فتوهم السامع أنها في موضع خفض[٤]، فلما دخل فيها هذا اللبس زادوا (لاما) فقالوا: ذلك أخوك[٥]، فإن اللام إذا دخلت ذهبت بمعنى الإضافة. و(ذا) مبني[٦]، نصبه وخفضه ورفعه سواء، لأن فيه معنى الإشارة إلى معرفة فكأنه قد تضمن معنى من الحروف[٧]. وهذا الذي ذكره

---

(١) قال الأزهري: قال أبو الهيثم فيما أخبرني عنه المنذري: (إذا بعد المشار إليه من المخاطب، وكان المخاطب بعيدا ممن يشار إليه، (زادوا) (كافا) فقالوا: ذاك أخوك..) «التهذيب» تفسير (ذاك وذلك) ٢/ ١٢٥٨.

(٢) في (ج): (ذلك).

(٣) في «التهذيب»: (ليست في موضع خفض ولا نصبٍ، إنما أشبهت..) ٢/ ١٢٥٨

(٤) في «التهذيب»: (فتوهم السامعون أن قول القائل: ذاك أخوك كأنها في موضع خفض لاشباهها (كاف)، (أخاك). وليس ذلك كذلك، إنما تلك (كاف) ضمت إلى (ذا) لبعد (ذا) من المخاطب، فلما دخل...) «التهذيب» ٢/ ١٢٥٨ .

(٥) في «التهذيب»: (وفي الجماعة: أولئك اخوتك). مراتب المشار اليه عند بعضهم اثنتان:

الأولى: القربى ويشار لها بذا.

الثانية: البعدى سواء كان البعد قليلًا أو كثيرًا ويشار لها بذاك. وعلى هذا الرأي زيدت اللام لرفع اللبس، كما ذكر الواحدي، أو لتأكيد بعد المشار إليه. أما عند الجمهور فمراتب المشار إليه ثلاث: قريب يشار له بذا، ومتوسط يشار له بذاك، وبعيد ويشار له بذلك، وعلى هذا: اللام لبعد المشار اليه، وليست لرفع اللبس. انظر «حاشية الصبان» ١/ ١٣٩، ١٤٢.

(٦) في (ب): (مبين).

(٧) هذا الكلام عن أبي الهيثم بمعناه، «التهذيب» ٢/ ١٢٥٨.

أبو الهيثم في ذلك، إجماع من النحويين[١].

وقال الزجاج[٢]: كسرت (اللام) في (ذلك) لالتقاء الساكنين[٣]، قال: ولم يذكر الكوفيون كسرة هذه (اللام).

قال أبو الفتح الموصلي[٤]:

(اللام) قد تزاد في الكلمة مبنية[٥] معها، غير مفارقة لها، كقولهم: (ذلك) و(ألالك)[٦]، و(هنالك) و(عبدل)[٧]، و(زيدل)[٨]، و(فيشله)[٩]. والذي يدل على زيادة (اللام) في هذه الحروف قولهم: (ذاك)[١٠] بمعنى:

---

(١) انظر «التهذيب» حيث نقل الأزهري عن بعض الأئمة ٢/ ١٢٥٨-١٢٥٩، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠.

(٢) قول الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣١، إلا قوله: (قال: ولمْ يذكر الكوفيون... إلخ)، ونقله الأزهري في «التهذيب»، ١٥/ ٣٤، ٣٥.

(٣) المراد بالساكنين: (الألف) من (ذا) واللام التي بعدها. انظر «المعاني» للزجاج ١/ ٣١.

(٤) كلام أبي الفتح في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢١، وقد تصرف المؤلف فيه، ونقله بالمعنى مع الاختصار. قال أبو الفتح: (وإذا كانت اللام زائدة فهي على ضربين: أحدهما: أن تزاد في الكلمة مبنية معها غير مفارقة لها، والآخر أن تزاد فيها لمعنى، ولا تكون من صيغة الكلمة....).

(٥) في (ب): (مبينة).

(٦) كذا في(أ)، وفي (ب)، (ج): (إلا لك) وفي «سر صناعة الإعراب» (أولا لك) ١/ ٣٢١. وهذا هو الصواب، ولعل ما أثبت في النسخ اختلاف في الرسم.

(٧) في (ب): (عندك).

(٨) في (ب): (زيدك).

(٩) في (ج): (فشيله). في «اللسان»: (الفيشلة) كالفيشه، واللام فيها عند بعضهم زائدة، وقيل اللام أصل. والفيشة: أعلى الهامة، أو الكمرة، أو الذكر المنتفخ. «اللسان» (فيش) ٦/ ٣٤٩٩.

(١٠) في (ب): (ذلك).

(ذلك)، و(أولئك) بمعنى: (ألالك)[١]، و(هناك) بمعنى: (هنالك)، ومعنى (عبدل) كمعنى (عبد)[٢]، ومعنى: (زيدل) كمعنى: (زيد)[٣]، ومعنى: (فيشلة) كمعنى[٤]: (فيشة)[٥].

وأما[٦] (الكاف) فهي في (ذاك)، و(ذلك)، و(تلك)، و(تانك)[٧]، و(ذانك)، و(أولئك) حرف يفيد الخطاب، وليست باسم[٨].

والدليل[٩] على ذلك ثبوت النون [في (ذانك، وتانك) ولو كانت اسما لوجب حذف النون][١٠] قبلها، وجرها بالإضافة، كما تقول: غلاماك وصاحباك.

والعرب قد تزيد (الكاف) للخطاب كقولهم: (النجاءك) أي: انج، ولو كانت[١١] (الكاف) اسما لما جازت إضافة ما فيه (الألف واللام)

---

(١) كذا في (أ) وفي (ب)، (ج) (بدون تشكيل)، وفي «سر صناعة الإعراب» (أولالك) وهو الصواب، وانظر التعليق في الصفحة قبلها.

(٢) في (ب): (ومعنى عندك كمعنى عند).

(٣) في (ب): (ومعنى زيد كمعنى زيدك).

(٤) في (ب): (بمعنى).

(٥) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٢، (معنى الفيشة) مر قريبا.

(٦) الكلام عن (الكاف) أخذه المؤلف عن أبي الفتح من موضع آخر ١/ ٣٠٩، بتصرف واختصار.

(٧) في (ب): (تاتك).

(٨) انظر: «الأصول في النحو» ٢/ ١٢٧.

(٩) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٠.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٩ - ٣١٠ .

إليهما[١]، وكذلك قولهم: أبصرك زيدا. ولا يجوز أن تكون (الكاف) اسما لأن هذا الفعل لا يتعدى إلى ضمير المأمور[٢]، ألا ترى أنك لا تقول: أضربك، ولا أقتلك، إذا أمرته بضرب نفسه وقتله إياها[٣].

وزاد غيره بيانا فقال: (الكاف) في (ذلك) حرف، وفي (غلامك) وأشباهه اسم، الدليل على هذا أنك تؤكد (الكاف) في غلامك، كما تؤكد الاسم، فتقول: جاءني غلامك نفسك، ولا تؤكد (الكاف) في ذلك، فلا يجوز أن تقول: ذلك نفسك، على معنى تأكيد (الكاف) بالنفس[٤].

قوله تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ يقال: كتب يكتب كتابًا وكَتْبًا وكتابةً. و(الكتاب) أيضا اسم لما كتب، وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر، وهو كثير[٥]. وأصل (الكتب) في اللغة جمعك بين الشيئين، يقال: اكتب بغلتك، وهو أن يضم بين شفريها بحلقة[٦]، ومن ذلك سميت (الكتيبة) لأنها تكتبت واجتمعت[٧].

ويقال: كتبت السقاء أكتبه كَتْبًا إذا خرزته[٨]. وهي الكُتْبة وجمعها

---

(١) انظر «الكتاب» ١/ ٢٤٥.

(٢) عند أبي الفتح: (لا يجوز أن تكون (الكاف) اسما لأن هذا الفعل لا يتعدى إلى ضمير المأمور به...) ١/ ٣١١.

(٣) انظر كلام أبي الفتح ١/ ٣١٠، ٣١١.

(٤) ذكره سيبويه. انظر: «الكتاب» ١/ ٢٤٥، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠، «تهذيب اللغة» (ذاك) ٢/ ١٢٥٩.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (كتب) ٤/ ٣٠٩٧، «معجم مقاييس اللغة» (كتب) ٥/ ١٥٨، «الكشف» للثعلبي ١/ ٤٢/ ب.

(٦) في (ب): (لحلقة).

(٧) في (ب): (فاجتمعت). ذكره الأزهري عن شمر، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٩٧.

(٨) في (ب): (جررته). ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن أبي زيد. «التهذيب» (كتب) ٢/ ٢٠٧٩.

كُتَب للخروز[١]. ومنه قيل: كتبت الكتاب، لأنه يجمع حرفا إلى حرف[٢].

فأما التفسير فقوله[٣]: ﴿ذلك﴾ يجوز أن يكون بمعنى: (هذا) عند كثير من المفسرين وأهل المعاني[٤].

قال الفراء: وإنما يجوز (ذلك) بمعنى: (هذا) لما مضى، وقرب وقت تقضيه، أو تقضي ذكره، فأما الموجود الحاضر[٥] فلا يقال فيه (ذلك)[٦] مثاله أنك تقول[٧]: قد قدم فلان، فيقول السامع: قد بلغنا ذلك، وبلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه (هذا)، لأنه قرب من جوابه[٨]، فصار كالحاضر الذي تشير[٩] إليه، وصلحت (ذلك) لانقضائه، والمنقضي

---

(١) في (ب): (للحزور). الأزهري عن الليث، «التهذيب» ٢/ ٢٠٧٩.

(٢) الأزهري عن شمر ٢/ ٢٠٧٩.

(٣) في (ب): (وقوله).

(٤) انظر: الطبري ١/ ٩٦، «معاني القرآن» للفراء١/ ١٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩، ونسب القول فيه للأخفش وأبي عبيدة، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٨، وابن عطية ١/ ١٤١.

(٥) الموجود الحاضر لا يقال فيه (ذلك) لأنك تراه بعينه، بل تشير له بهذا، الدالة على الحاضر في الذهن. انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١.

(٦) في (ج): (ذاك).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء: (يصلح (ذلك) من جهتين، وتصلح فيه (هذا) من جهة، فأما أحد الوجهين من (ذاك) فعلى معنى: هذِه الحروف يا أحمد، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك. والآخر أن يكون (ذلك) على معنى يصلح فيه (هذا) لأن قوله: (هذا) و(ذلك) يصلحان في كل كلام، إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالإخبار عنه. ألا ترى أنك تقول: قد قدم فلان. . . الخ.) ١/ ١٠.

(٨) في (ب): (حركه).

(٩) في (ب): (يشير).

كالغائب(١).

وتقول: أنفقت ثلاثة وثلاثة، فذلك ستة، وإن شئت قلت: فهذا ستة، وقد قال الله ﷻ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣] ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦] وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾(٢) [الأنبياء: ١٠٥] ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾ [الأنبياء: ١٠٦] (٣).

وقال محمد بن جرير: أشار بقوله: ﴿ذلك﴾ إلى ما تقدم ومضى من قوله: ﴿ألم﴾؛ لأن كل ما تقضى(٤) وقرب تقضيه من الأخبار فهو في حكم الحاضر، كالرجل يحدث الرجل الحديث، فيقول السامع: (إن ذلك لكما(٥) قلت)، و(هذا والله كما قلت)، فيخبر مرة عنه بمعنى الغائب(٦)، إذا كان قد تقضى، ومرة بالحاضر لقرب جوابه من كلامه، كأنه غير متقض(٧)، فكذلك لما ذكر الله سبحانه ﴿ألم﴾ التي ذكرنا تصرفها في وجوهها من المعاني، قال: يا محمد هذا الذي ذكرته وبينته لك: الكتاب، [فحسن وضع (ذلك) في موضع (هذا)(٨) وروى عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) وقال الفراء (.. ولو كان شيئًا قائمًا يُرى لم يجز مكان (ذلك)، (هذا) ولا مكان (هذا)، (ذلك)..) «معاني القرآن» ١/ ١٠، وقد نقل الواحدي كلامه بتصرف.

(٢) في (ج) تصحيف في الآية (من بعد ما الذكر).

(٣) الكلام بنصه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠. وانظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١.

(٤) في (ب): (ما يقضى). في الطبري: (لأن كل ما تقضى بقرب تقضيه..) وفي الحاشية في المطبوعة (وقرب تقضيه) يريد: أن ذكر ما نقضى، وانقضاؤه قريب من إخبارك عنه. (تفسير الطبري) ١/ ٩٦.

(٥) في (ب): (كما).

(٦) أي إذا أشار إليه بـ (ذلك) وبمعنى الحاضر إذا أشار إليه بـ (هذا).

(٧) في (ب): (مقتض) وفي الطبري: (منقض).

(٨) «تفسير الطبري» ١/ ٩٦، وذكر المؤلف كلام الطبري بتصرف واختصار، واختار=

معنا ذلك الكتاب][1] الذي أخبرتك أني أوحيه[2] إليك[3].

وقال يمان بن رباب[4]: ذلك[5] الكتاب الذي-ذكرته في التوراة[6] والإنجيل[7].

وهذان القولان[8] متقاربان، والأول[9] اختيار ابن الانباري،

= الطبري هذا القول وهو: أن (ذلك) بمعنى (هذا) ١/ ٩٦، ورجحه ابن كثير، وقال: ذكره ابن جريج عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم، وابن جريج ١/ ٤٢.

(١) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (أوجه).

(٣) ذكره الثعلبي عن أبي الضحى عن ابن عباس ١/ ٤٣/أ، وذكره أبو الليث في «تفسيره» ولم يسنده لأحد ١/ ٨٩، وانظر «البحر المحيط» ١/ ٣٦، والقرطبي ١/ ١٣٧، «زاد المسير» ١/ ٢٣.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: هذا الكتاب. الطبري ١/ ٩٦.

(٤) (يمان بن رباب) مكانه بياض في (ب)، وفي (أ): (رياب) بالياء و(رباب) بالباء في (ج) وهو عند الثعلبي ١/ ٤٣أ، ولم أجد (يمان بن رباب) ولا (رياب) سوى ما ذكره البغدادي في «هدية العارفين» قال: (اليمان بن رباب البصري من رءوساء الخوارج، له: «إثبات إمامة أبي بكر الصديق». و«أحكام المؤمنين».) ولم يذكر سنة وفاته. «هدية العارفين» ١/ ٧٣٥، فلا أدرى هل هو المذكور، أو شخص غيره؟ والله أعلم.

(٥) في (ب): (كل).

(٦) في (ج): (التوريه).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» بعد قول ابن عباس السابق، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٣أ، وذكر الزجاج بمعناه ولم ينسبه ١/ ٣٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٣، القرطبي ١/ ١٣٧، وأبو حيان في «البحر» ونسبه لابن رئاب ١/ ٣٦.

(٨) أي: قول ابن عباس وقول يمان بن رباب.

(٩) أي قول ابن عباس: ذلك الكتاب الذي أخبرتك أني أوحيه إليك.

والثاني[١] اختيار الزجاج[٢].

أما ابن الانباري فقال: إنما قال عز[٣] ذكره: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، فأشار إلى غائب، لأنه[٤] أراد هذه الكلمات يا محمد: ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أوحيه إليك، لأن الله تعالى لما أنزل على نبيه ﷺ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] كان ﷺ واثقا بوعد الله إياه، فلما أنزل عليه ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]. دله على[٥] الوعد المتقدم[٦].

وقال الزجاج: القرآن، ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى[٧].

فجعل ﴿الٓمٓ﴾ بمعنى القرآن، لأنه من القرآن فهو قرآن.

والمراد بالكتاب هاهنا: القرآن في[٨] قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد والضحاك، ومقاتل[٩].

---

(١) وهو قول يمان: ذلك الكتاب الذي ذكرته في التوراة والإنجيل.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩.
(٣) في (ب): (عن).
(٤) في (ب): (كأنه).
(٥) في (ب): (ذله الوعد).
(٦) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٣، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ١٣٧-١٣٨.
(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩.
(٨) في (ب): (فهو في).
(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٤٣ب، وذكر ابن أبي حاتم قول الحسن، وابن عباس ١/ ٣٤، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٩٦، و«ابن كثير» ١/ ٤٢.

والمراد به المفعول[١]، كقولهم: الخلق، يريدون: المخلوق[٢]، لا الحدث الذي هو اختراع وإبداع.

وهذا[٣] أرجح عندي من قول من قال: إنه سمي به لما فرض فيه[٤]، وأوجب العمل به[٥]، ألا ترى أن جميع التنزيل مكتوب، وليس كله فروضًا، وإذا كان كذلك كان العام[٦] الشامل [بجميع المسمى أولى مما كان بخلاف ذلك. فإن جعلت ﴿الم﴾ متعلقا بما بعده، فهو ابتداء، وخبره][٧] ﴿ذلك﴾، والكتاب تفسير وبيان[٨] للمشار إليه[٩]. ويصح أن

---

(١) أي: المكتوب. انظر الثعلبي ١/ ٤٢/ب.

(٢) في ج (الخلوق)، وهذا المعنى ذكره الثعلبي ١/ ٤٢ب.

(٣) في (أ)، (ج): (قال: وهذا أرجح.. إلخ) واخترت ما في (ب) لأني لم أجد لوجود (قال) معنى. فكلام الزجاج قد انتهى، وما بعده أخذه عن الثعلبي بمعناه ولم يصرح باسمه، وليس الكلام بعد (قال) في «تفسيره»، ولم يكن من نهج الواحدي أن يفتتح قوله هو بـ (قال) لذلك اعتبرتها زيادة في (أ)، (ج).

(٤) في (ب): (به).

(٥) أي أن المراد بالكتاب: المكتوب، بمعنى المفعول، أرجح ممن قال: إنه سمي كتابا لما فرض فيه، وأوجب العمل به، فإن الكتاب يطلق على معان كثيرة منها: الفرض، والأمر، والجعل. انظر «مشكل القرآن» لابن قتيبة ص١١، «معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني ١/ ٤٦١ رسالة ماجستير، «تهذيب اللغة» (كتب) ٤/ ٣٠٩٧، «تفسير الرازي» ٢/ ١٤، والقرطبي ١/ ١٣٨.

(٦) أي أن الكتاب بمعنى المكتوب.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) أي: عطف بيان، أو بدل. انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٤٣.

(٩) (إليه) ساقط من (ج).

يقال: ﴿الم﴾ ابتداء، ﴿وذلك﴾ ابتداء آخر، و﴿الكتاب﴾ خبره، وجملة الكلام خبر الابتداء الأول. وإن[١] جعلت ﴿الم﴾ منقطعًا مما بعده، فـ ﴿ذلك﴾ ابتداء، وخبره ﴿هدى﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. الريب: الشك يقال: رابني فلن يريبني أي: علمت من الريبة، وأرابني[٣] أوهمنيها ولم يحققها[٤]، وقال:

أَخُوكَ الذي إنْ رِبْتَهُ قَالَ إنَّمَا ... أَرَابَ وإنْ عَاتَبْتَهُ[٥] لَانَ جَانِبُه[٦]

أراد أنه[٧] مع اليقين بالريبة يتوهمها[٨] منك، جريا على حكم

---

(١) في (ب): (فإن).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٢ب، وانظر «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ١/ ٤٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠-٣٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٥،١٧، وقد ذكر الو احدي بعض الوجوه في إعراب (الم. ذلك الكتاب).

(٣) في (ب): (فأرابني).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣١، والأزهري، وقال: وأنشد أبو زيد ثم ذكر البيت. «تهذيب اللغة» (راب) ٢/ ١٣٠٦-١٣٠٧.

(٥) في (ب): (عاينته).

(٦) نسب البيت للفرزدق، ولم أجده في «ديوانه»، ونسب للمتلمس، ولبشار، وهو الصحيح، حيث ورد في «ديوانه» من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة قوله: (أراب) كذا ورد في جميع النسخ، وفي «الديوان» وغيره من المصادر (اربت) ومعناه: أخوك الذي إن ربته بريبة قال: أنا الذي أربت، أي: أنا صاحب الريبة، وروي (أربت) بفتح التاء، أي: أوجبت له الريبة. وقوله: (عاتبته) كذا وردت عند الزجاج، وفي المصادر الأخرى (لاينته) بمعنى: عاتبته، انظر «ديوان بشار» ص٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، «تهذيب اللغة» (راب) ٢/ ١٣٠٦-١٣٠٧، «اللسان» (ريب) ٣/ ١٧٨٨-١٧٨٩.

(٧) في (ب): (به).

(٨) في (ب): (سموهمها).

المودة، هذا قول جمهور أهل اللغة[١].

وقال سيبويه: (أراب) الرجل أي: صار صاحب ريبة. كما قالوا: ألام أي: استحق أن يلام[٢]. وأما (رابني) فمعناه: جعل في ريبة[٣]، كما تقول: قطعت النخل، أي: أوصلت إليه القطع، واستعملته فيه[٤].

وقال أبو زيد[٥]: قد رابني من فلان أمر رأيته منه رَيْبًا، إذا كنت مستيقنا منه بالريبة، فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت: قد أرابني من فلان أمر هو فيه، إذا ظننته من غير أن تستيقنه[٦]. وقوم على أن: (راب) و(أراب) بمعنى واحد[٧]، وينشدون قول الهذلي[٨]:

---

(١) انظر: «التهذيب» (راب) ٢/١٣٠٦-١٣٠٧، «معجم مقاييس اللغة» (ريب) ٢/ ٤٦٣، «الصحاح» (ريب) ١/ ١٤١، «اللسان» (ريب) ٣/ ١٧٨٨-١٧٨٩.

(٢) في (ب) (تلام).

(٣) في «الكتاب» (وأما رابني فإنه يقول: جعل لي ريبة..) ٤/ ٦٠.

(٤) «الكتاب» ٤/ ٦٠، والنص في «الحجة» لأبي علي ١/ ١٧٩.

(٥) في (ب) (يزيد). وأبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، صاحب النحو واللغة، توفي سنة خمس عشرة ومائتين. انظر «طبقات النحويين واللغويين» ص١٥٦، «تاريخ بغداد» ٩/ ٧٧، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٠.

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ١٧٩، ونحوه عند الأزهري قال: هذا قول أبي زيد (راب) ١٥/ ٢٥٢، ولم أجده في «نوادر أبي زيد».

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (راب) ٢/ ١٣٠٦-١٣٠٧، «الصحاح» (ريب) ١/ ١٤١، «اللسان» (ريب) ٣/ ١٧٨٨-١٧٨٩.

(٨) في ج (الهزلي). و(الهذلي) هو خالد بن زهير الهذلي أحد شعراء الهذليين المشهورين عشق امرأة كان يأتيها أبو ذؤيب الهذلي خاله، وجرت بينهما أشعار في ذلك منها، «بيت الشاهد» وقتل خالد بسبب تلك المرأة في قصة طويلة. انظر «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٢٠٧، «الخزانة» للبغدادي ٥/ ٧٦-٨٦.

كأنما أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ[١]

والحذاق[٢] على الفرق بينهما، كما أخبرتك، قال الأزهري: والقول في (راب وأراب) قول أبي زيد[٣].

وموضع (ريب) نصب[٤]، قال سيبويه: (لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) إلا أنها تنصب بغير تنوين[٥]. وإنما شبه (لا) بـ (إن)، لأن (إن) للتحقيق في الإثبات، و(لا) في النفي، فلما كان (لا) تقتضي[٦] تحقيق النفي، كما تقتضي (إن) تحقيق الإثبات أجري مجراه. وزعم سيبويه أنها مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد[٧]؛ لأنها جواب لما يكون بمنزلة شيء واحد، ولذلك لم ينون وبني على الفتحة، كأنها جواب قول

---

(١) البيت من رجز لخالد بن زهير، يخاطب أبا ذؤيب، ويروى (كأنني) والأبيات في أشعار الهذليين:

يا قوم ما بال أبي ذؤيب … يمس رأسي ويشم ثوبي

كأنني أتوته بريب

انظر «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٢٠٧، «الحجة» لأبي على ١/ ١٨٠، «تهذيب اللغة» (أتى) ١/ ١١٦-١١٧، «المخصص» ١٢/ ٣٠٣، ١٤/ ٢٤، ٢٨، «الصحاح» ١/ ١٤١، «اللسان» (ريب) ٣/ ١٧٨٨-١٧٨٩، «الخزانة» ٥/ ٨٤.

(٢) في (ب): (فالحلاف).

(٣) في «التهذيب» (قول أبي زيد أحسن) ٢/ ١٣٠٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، وانظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦.

(٥) أي مبنى على الفتح لأن (لا) نافية للجنس، «الكتاب» ٢/ ٢٧٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، والعبارة للزجاج، وانظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦.

(٦) في (ب): (يقتضي).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، «الكتاب» ٢/ ٢٧٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٨.

القائل: هل من رجل في الدار؟، فـ (من) مع رجل كشيء واحد. فإن قيل: فما[1] أنكرت أن يكون جواب هل رجل في الدار؟ قيل: معنى (لا رجل في الدار)، عمهم[2] النفي، لا يجوز أن يكون في الدار رجل، ولا أكثر منه، وكذلك (هل من رجل في الدار) استفهام عن الواحد وأكثر منه.

فإن قلت: (هل رجل في الدار) أو(لا رجلٌ في الدار)، جاز أن يكون في الدار رجلان، لأنك إنما أخبرت أنه ليس فيها واحد، فيجوز أن يكون فيها أكثر منه، فإذا قلت: (لا رجلَ في الدار)، فهو نفي عام، وكذلك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3] وموضع ﴿لا ريب﴾ رفع بالابتداء عند سيبويه، لأنه بمنزلة خمسة[4] عشر[5]، إذا ابتدأت به، ولهذا جاز العطف عليه بالرفع في قوله:

لا أُمَّ لي إنْ[6] كان ذَاكَ ولا أَبُ[7]

---

(١) في (ب): (مما).

(٢) في «المعاني» للزجاج (عموم) ١/ ٣٢، ولعله أصوب.

(٣) الكلام للزجاج، انظر «المعاني» ١/ ٣٢، وانظر «الكتاب» ٢/ ٢٧٤ - ٢٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٩.

(٤) في (ب): (خمس).

(٥) قال سيبويه: (لا وما عملت فيه في موضع ابتداء) «الكتاب» ٢/ ٢٧٥، ٢٨٤، وانظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦.

(٦) في (ب): (وان).

(٧) اختلف في نسبة البيت، فقيل: لضمرة بن ضمرة، وقيل: لهمام بن مرة، وقيل: لبعض مذحج، وقيل: لزرافة الباهلي، وقيل: لهني بن أحمر، وفيه أقوال أخرى. قيل: إن هذا الشاعر كان بارًا بأمه، وكان له أخ تؤثره عليه، فقال هذِه الأبيات، والشطر الأول:

هذا وجدكم الصغار بعينه

والشاهد فيه: رفع الاسم الثاني مع فتح الأول، إما بإلغاء الثانية ورفع ما بعدها بالعطف=

ومن نصب المعطوف[1] فهو عاطف على اللفظ[2]. وسنستقصي الكلام في هذا عند قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [البقرة: ١٩٧] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾. يجوز[3]: أن تجعله خبرا للابتداء الذي هو﴿لا ريب﴾ ويجوز: أن تجعله صفة لقوله ﴿لا ريب﴾، و إذا جعلته صفة أضمرت الخبر، كأنه قيل: لا ريب فيه واقع أو كائن، فإن جعلته خبرا كان موضعه رفعا من وجهين:

أحدهما: بكونه خبرًا[4] للمبتدأ[5]. والثاني: من حيث كان خبر إن رفعا[6]، وقد ذكرنا أن (لا) بمنزلة (إن).

= على محل الأولى مع اسمها، فخبرهما واحد، وعلى هذا استشهد به الواحدي. وهناك تقدير آخر: وهو أن تكون الثانية عاملة عمل ليس، فيكون لكل واحدة خبر يخصها. انظر «الخزانة» ٢/ ٣٨-٤١، وقد ورد البيت عند سيبويه ٢/ ٢٩٢، وفي «المقتضب» ٤/ ٣٧١، «شرح المفضل» ٢/ ١١٠، «شرح أبيات سيبويه» للنحاس ص٥٤، «الحجة» لأبي علي ١/ ١٩٠، «الهمع» ٥/ ٢٨٨، «اللسان» (حيس) ٢/ ١٠٦٩.

(١) في (ب): (العطوف).

(٢) انظر «الكتاب» ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١، ٢٦٠، «المشكل» لمكي ١/ ١٦، «الدر المصون» للسمين ١/ ٨٠، «شرح المفصل» لابن يعيش ٢/ ١٠٩.

(٣) أخذه عن أبي علي الفارسي، «الحجة» ١/ ١٨٩.

(٤) في (ب): (خبر).

(٥) في «الحجة» (وإن جعلته خبرا كان موضعه رفعا في قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر المبتدأ....) ١/ ١٨٩، فيكون خبر لـ (لا) مع اسمها، حيث أنهما في محل رفع مبتدأ.

(٦) في «الحجة»: (.. وعلى قول أبي الحسن موضعه رفع من حيث كان خبر (إن)=

وإن جعلت (فيه) صفة، ولم تجعله خبرا، كان موضعه نصبا في قول من وصف على اللفظ[١]، [كما عطف[٢] على اللفظ][٣] في قوله:

فلا أبَ وابْنًا مِثْلُ مَرْوانَ[٤]

ومن وصفه على الموضع[٥]، كما عطف على الموضع في قوله:

لا أمَّ لي إنْ كان ذَاكَ ولا أَبُ[٦]

كان موضعه على هذا رفعا[٧]. وفي قوله: ﴿فِيهِ﴾: قراءتان، إشباع (الهاء) حتى تلحق به (ياء) وكذلك في (الهاء) المضمومة[٨] مثل (منهو) و(عنهو)، وهو مذهب ابن كثير[٩].

= رفعا..) ١/ ١٨٩، فجعل (لا) بمنزلة (إن) وجعل خبرها مرفوعا مثل خبر (إن).

(١) يقول: إن جعلت (فيه) صفة جاز فيها النصب على الوصف للفظ اسم (لا) وهو(ريب) كما عطف عليه بالنصب في قول الشاعر: (فلا أب وابنا...) وجاز رفع الصفة على موضع (لا ريب) كما عطف عليه بالرفع كما سبق.

(٢) في (ج) (ثم أعطف).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في(أ)، ج (مثل مر) والجملة ساقطة من ب. والبيت من شواهد سيبويه، وهو:

لا أب وابنا مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا

يقول لا أب وابنا مثل مروان ابن الحكم وابنه عبد الملك، لشهرتهما صارا كاللابسين لرداء المجد، والشاهد عطف (ابن) مع تنوينه على لفظ اسم (لا). انظر «الكتاب» ٢/ ٢٨٥، «الحجة» ١/ ١٨٩، «شرح المفصل» ٢/ ١١٠، «المقتضب» ٤/ ٣٧٢، «الهمع» ٥/ ٢٨٧.

(٥) في (ج) (ومن وصف على اللفظ الموضع).

(٦) مر تخريج البيت قريبًا. انظر ص٣٩.

(٧) في ج (رفع).

(٨) في(أ)، (ج) (المضموم).

(٩) انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٣٢، «الحجة» ١/ ١٧٧. وابن كثير هو عبد الله =

والباقون يقتصرون على الضمة والكسرة[١].

وأصل (الهاء) في ﴿فيه﴾ الضم، لأن الأصل (فيهو) كما ذكرنا في (عليهو) ثم كسرت (الهاء) للعلة التي ذكرنا في (عليهم)[٢] فمن اقتصر على الضمة والكسرة قال: إن (الهاء) حرف خفي[٣]، فإذا اكتنفها[٤] ساكنان من حروف اللين صار كأن الساكنين قد التقيا[٥]؛ لخفاء (الهاء)، وأنهم لم يعتدّوا بها حاجزًا[٦] للخفاء في مواضع.

ألا ترى أن من قال: (رُدُّ)، فأتبع الضمة الضمة، فإذا وصل الفعل بضمير[٧] المؤنث قال: (ردَّها)، فلم يتبع الضم الضم، كما كان يتبع قبل، لأنه جعله بمنزلة (رُدَّا) وفي (رُدَّا) لا يمكن إتباع الضم الضم، وفي (رُدَّها)[٨]

= أبو معبد العطار الداري الفارسي الأصل، إمام أهل مكة في القراءة، من التابعين، أحد السبعة الذين أثبت ابن مجاهد قراءتهم في كتابه. (٤٥-١٢٠)، انظر ترجمته في «معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٦، «غاية النهاية» ١/ ٤٤٣.

(١) انظر: «السبعة» ص١٣٠، ١٣١، «الحجة» ١/ ١٧٥-١٧٧، «الكشف» لمكي ١/ ٤٢.

(٢) إشارة إلى ما سبق في الفاتحة في القراءات في قوله (عليهم) وانظر العلة التي ذكرها أبو علي في «الحجة» ١/ ٢٠٧.

(٣) نقل المؤلف من «الحجة»، قال أبو علي: (ومما يحسن الحذف هاهنا -مع ما ذكرنا من اجتماع المتشابهة- أن (الهاء) حرف خفي.....إلخ) «الحجة» ١/ ٢٠٩.

(٤) في (ج): (فإذا كثفها).

(٥) في (ب): (التقتا).

(٦) كلمة (حاجزا) ليست عند أبي علي ١/ ٢٠٩.

(٧) في (ب): (لضمير).

(٨) عبارة أبي علي: (.. بمنزلة (ردَّا)، فكما لم يعتد بها هاهنا، وجعلت الدال في حكم الملازقة للألف، كذلك إذا لم يعتد بها في نحو: فيهي..) «الحجة» ١/ ٢٠٩.

جعلت الدال[١] في حكم الملازمة للألف، إذ[٢] لم يعتد بها حاجزا، كذلك إذا لم يعتد بها في نحو (فيهي)، و(عصاهو)، و(خذوهو) صار كأن الساكنين قد التقيا. ولهذه العلة -أيضًا- حذف حرف اللين بعد (الهاء) من حذف، وإن كان الساكن الذي قبلها ليس من حروف اللين نحو: (منه) و(عنه)[٣].

ومثل (الهاء)[٤] في أنه[٥] لما كان حرفا خفيًّا لم يعتدوا به حاجزًا (النون)، وذلك في قولهم: (هو[٦] ابن عمي دِنْيا)[٧] و(قِنْيَة)[٨]، لما كانت (النون) خفية صارت (الواو) كأنها وليت الكسرة، فقلبتها كما قلبتها في

---

(١) في (ب): (الدار).

(٢) في (ب): (إذا).

(٣) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ٢٠٩.

(٤) «الحجة» ١/ ٢١٠، والمعنى: مثل الهاء النون في كونه حرفًا خفيًّا لا يعتد به حاجزا.

(٥) في (ب): (إيه).

(٦) في (ب): (هط).

(٧) يقال: هو ابن عمه دُنْيَا مقصور، ودِنْيَةً ودِنْياً منون وغير منون، إذا كان ابن عمه لَحًا أي أقرب من غيره ويقال ذلك في ابن العمة وابن الخال والخالة. انقلبت فيها (الواو)، (ياء) لمجاورة الكسرة، ولأن (النون) حاجز ضعيف. انظر «تهذيب اللغة» (دنا) ٢/ ١٢٣٣، و«اللسان» (دنا) ٣/ ١٤٣٦.

(٨) في «الحجة»: (وفي قولهم: «هو ابن عمي دنيا» وفي «غنية») ١/ ٢١٠، والقنية والقنوة بكسر القاف وضمها بالياء وبالواو: الكسبة، وهي كل ما اكتسبه الإنسان لنفسه ولم يعده للتجارة، وإذا كانت واوية الأصل فقد جرى فيها القلب، وعلى هذا سار أبو علي وتبعه الواحدي، ومنهم من قال أصلها يائية فلا تغيير فيها. انظر: «الحجة» ا/ ٢١٠، «تهذيب اللغة» (قنا) ٣/ ٣٠٥٠، «مقاييس اللغة» ٥/ ٢٩، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٣٦، «اللسان» (قنا) ٦/ ٢٧٥٩.

(غازية)، و(محنية)[١]، ولو كان مكان (النون)[٢] حرف غيره لم يكن فيما بعده القلب، نحو: (جرو) و(عدوة)[٣]. فهذا[٤] مثل (الهاء) في أنه للخفاء لم يعتد به حاجزا[٥].

وأما ابن كثير: فإنه يتبع هذه (الهاء) في الوصل (الواو) و(الياء)[٦] ويسوى بين حروف اللين وبين[٧] غيرها من الحروف، إذا[٨] وقعت قبل (الهاء) وحجته: أن (الهاء) وإن كانت خفية[٩] فليس يخرجها[١٠] ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لاخفاء فيها، نحو: (الدال) و(الصاد) و(الهاء).

و(النون) عند الجميع في وزن الشعر بمنزلة الدال والصاد[١١]، وإذا

---

(١) الحنو: الاعوجاج، و(المحنية). منحنى الوادي. انظر «اللسان» (حنا) ٢/ ١٠٣٤-١٠٣٥. وأصل (غازية): (غازوة) و(محنية): (محنوة) قلبت الواو فيهما ياء للكسرة قبلها. انظر «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) (النون) ساقط من (ب).

(٣) (العدوة): صلابة من شاطئ الوادي. انظر «معجم مقاييس اللغة» (عدو) ٤/ ٢٥٢.

(٤) أي (النون) في مثل (دنيا) و(قنية).

(٥) «الحجة» ١/ ٢١٠.

(٦) قال أبو علي في «الحجة»: (الحجة لابن كثير في إتباعه هذِه (الهاء) في الوصل (الواو) أو (الياء) وتسويته بين حروف اللين وبين غيرها من الحروف إذا وقعت قبل (الهاء) من حجته أن (الهاء) وإن كانت خفية... إلخ) ١/ ٢١١.

(٧) (بين) ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (وإذا).

(٩) في (ب): (خفيفة).

(١٠) في (ب): (مخرجها).

(١١) عبارة أبي علي في «الحجة»: (.. من حروف المعجم التي لا خفاء فيها- نحو:=

كان كذلك كان حجزها [بين الساكنين كحجز][1] غيرها[2].

وقوله تعالى ﴿هُدًى﴾:

قال سيبويه: قلّما[3] يكون ما ضم أوله من المصدر إلا منقوصًا، لأن (فُعَل) لا تكاد[4] تراه مصدرًا من غير بنات[5] (الياء) و(الواو)[6] كالهُدى والسُّرى، والنُّهى[7]، والتُّقى، والقِرى، والقِلَى[8]، وقالوا: كِسْوَة، ورِشْوَة، وجِذْوَة، وصُوَّة[9]، وإذا[10] جمعوا جمعوها على (فِعَل)

= الراء والضاد -وإن كان في الراء تكرير وفي الضاد استطالة- وإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها.. إلخ). «الحجة» ١/ ٢١١.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٢) «الحجة» ١/ ٢١١، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٤٢، ٤٣.

(٣) (قل) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (لا يكاد).

(٥) في (ب): (من غير أن تران).

(٦) (غير بنات الواو والياء، أي: الصحيح اللام، فـ(فُعَل) لا يكون مصدرا في الصحيح اللام إلا قليلا، والمعتل يجري مجرى الصحيح.
انظر «الحجة» ١/ ١٨٠، وانظر كلام سيبويه في «الكتاب» ٤/ ٤٦.

(٧) (النهى) ساقط من (ب).

(٨) في «الحجة»: (قالوا: هَدَيْته هُدى ولم يكن هذا في غير (هدى)، وذلك لأن (الفِعَل) لا يكون مصدراً في هديته، فصار (هُدى) عوضا منه، قالوا: قريته قِرى وقليته قِلَى فأشركوا بينهما في هذا..) ١/ ١٨١ فأشركوا بين (فُعَل) و(فِعَل) انظر «الكتاب» ٤/ ٤٦.

(٩) (الصوة) جماعة السباع، والحجر يكون علامة في الطريق، ومختلف الريح وصوت الصدى، وما غلظ وارتفع من الأرض. انظر «اللسان» (صوى) ١٤/ ٤٧١، «القاموس» ص١٣٠٤.

(١٠) في (ب): (فإذا).

و(فُعَل)، ومنهم من يضم في الواحد ويكسر في الجمع[١]، ويجوز[٢] الكسر في واحده، والضم في الجمع[٣]، وهذا مما يدلك على اشتراكهما.

وقال أناس من النحويين[٤]: إنه قد تجرى الأسماء التي ليست بمصادر مجرى المصادر فيقولون: جلس جلسة، وركب ركبة، ويقولون: عجبت من دهنك لحيتك[٥]، وينشدون:

وبعد عطائك المائة الرتاعا[٦]

فيجري[٧] مجرى الإعطاء، وقال لبيد[٨]:

---

(١) فيقولون: رشوة ورشا. انظر: «الكتاب» ٤/ ٤٦.

(٢) في (ب): (ونحوه).

(٣) في أ (الجميع). مثال المكسور في الواحد والمضموم في الجمع: (رشوة ورشا) «الكتاب» ٤/ ٤٦.

(٤) في «الحجة»: (ويقويه -أيضًا- أن ناسًا من النحويين يزعمون أنه قد يجري الأسماء التي ليست بمصادر... إلخ) ١/ ١٨٢.

(٥) قوله: (جلسة) و(ركبة) و(دهن) ليست مصادر وأجريت مجرى المصادر.

(٦) البيت من قصيدة للقطامي يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي، وصدر البيت:

أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ المَوْتِ عَنِّي

يقول: لا أكفر معروفك بعد أن أطلقتني من الأسر، وأعطيتني مائة من الإبل الرتاع أي الراعية، ورد البيت في «الشعر والشعراء» ص٤٨٣، «الحجة» ١/ ١٨٢، «الخصائص» ٢/ ٢٢١، «شرح المفصل» ١/ ٢٠، «شرح شذور الذهب» ص٤٩١، «الهمع» ٣/ ١٠٣، «الخزانة» ٨/ ١٣٦، والشاهد: إعمال العطاء على أنه بمعنى الإعطاء.

(٧) في (ب): (فتجرى) وفي «الحجة»: (فيجرونه مجرى الإعطاء) ١/ ١٨٢.

(٨) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن كلاب العامري، كان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كلاب، مات بالكوفة في خلافة معاوية، وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٦٧، «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣، «الإصابة» ٣/ ٣٢٦، «الخزانة» ٢/ ٢٤٦.

بَادَرْتُ حَاجَتَها[١] الدَّجَاجَ[٢]

وفسروه على حاجتي[٣] إليها[٤]، فأضيف إلى المفعول كما يضاف المصدر إليه، فعند هؤلاء (الهُدى والسُّرى والتُّقى) أسماء أجريت مجرى المصادر[٥]، وليست مصادر[٦] حقيقة.

وزعم الأخفش: أن من العرب[٧] من يؤنث الهدى[٨].

ومعنى الهدى: البيان، لأنه قد قوبل به الضلال في قوله ﷻ ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] [أي من قبل هداه][٩].

---

(١) في (ب): (باكرت حنامها).

(٢) البيت من معلقة لبيد وتمامه:

بادرتُ حاجَتها الدجاجَ بسحرة ... لِأُعَلَّ منها حين هبّ نيامُها

ويروى (باكرت) يذكر الخمر يقول: سابقت صياح الدجاج لحاجتي إليها، لِأُعَلَّ منها: أي أسقي منها مرة بعد مرة، حين هب نيامها، انظر «شرح ديوان لبيد» ص٣١٥، «الحجة» ١/ ١٨٢، «المعاني الكبير» ١/ ٤٥٣، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ١/ ١٦٣، «اللسان» (بكر) ١/ ٣٣٢، «الخزانة» ٣/ ١٠٤.

(٣) (حاجتي) ساقط من (ب).

(٤) في «الحجة»: (وفسروه على باكرت حاجتي إليها..) وروايته للبيت (باكرت) ١/ ١٨٣.

(٥) فتضاف للمفعول كما يضاف المصدر إليه. انظر «الحجة» ١/ ١٨٣.

(٦) في (ج): (مصاد).

(٧) هم بنو أسد. انظر (المذكر والمؤنث) للفراء ص٨٧.

(٨) في «الحجة»: وقال أبو الحسن: زعموا أن من العرب من يؤنث الهدى. «الحجة» ١/ ١٨٣، وانظر: «معاني القرآن» للاخفش ١/ ١٧٩.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) والكلام أخذه عن أبي علي في «الحجة» ١/ ١٨٦، وانظر: «الطبري» ١/ ٩٨، «معاني الزجاج» ١/ ٣٣، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾. الاتقاء في اللغة: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقاه بترسه، أي: جعل الترس حاجزا بينه وبينه، واتقاه بحقه، إذا وفاه[١]، فجعل الإعطاء وقاية بينه وبين خصمه عن نيله إياه بيده أو لسانه، ومنه (التقية في الدين) بجعل ما يظهره حاجزا بينه وبين ما يخشاه من المكروه[٢]، ومنه الحديث: كنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ، وكان أقربنا إلى العدو[٣]. فالمتقي هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة، ويجعل اجتنابه عما نهى، وفعله ما[٤] أمر، حاجزًا بينه وبين العقوبة التي توعد[٥] بها العصاة.

وكان (اتقى)[٦] في الأصل (اوْتقى)[٧] لأنه (افتعل)[٨] من الوقاية، وأصل هذا الباب بالواو[٩]، كالاتزان[١٠] من الوزن، والاتضاح من

---

(١) في (ب): (وقاه).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (تقي)، (وقى) ١/ ٤٤، «الصحاح» (وقى) ٦/ ٢٥٢٧، «اللسان» (وقى) ٨/ ٤٩٠٢، (لباب التفاسير) للكرماني ١/ ١١١، (رسالة دكتوراه).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» في قصة غزوة حنين وفيه: (... قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به، يعني رسول الله ﷺ) مسلم ٧٩/١٧٧٦، كتاب الجهاد، غزوة حنين، وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ١٣٥.

(٤) في (ب): (عما أمر) تصحيف.

(٥) في (ب): (يدعو).

(٦) في (ب): (من في).

(٧) بكسر الهمزة وسكون الواو.

(٨) في (ج): (لا افتعل).

(٩) في (ج): (من الواو).

(١٠) في (ب): (كالا يزان).

الوضوح، إلا أن الواو صارت (ياء) لانكسار ما قبلها وهي ساكنة، ثم اندغمت (الياء) في (تاء)[١] الافتعال بعدما صارت (تاء)، فتولدت التشديدة لذلك[٢].

وقال أبو الفتح الموصلي[٣]: إن (افْتَعَل) إذا كانت فاؤه (واوا)، فإن (واوه) تقلب[٤] (تاء)، وتدغم في (تاء) (افْتَعَل) مثل (اتَّعد)[٥] و(اتَّلج) (اتَّصف).

والعلة في قلب هذه الواو(تاء)، أنهم لو لم يقلبوها (تاء) لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها (ياء)، فيقولوا:[٦] (ايتقى)[٧] وإذا[٨] انضم ما قبلها ردت إلى (الواو) فقالوا: (مُوتَق)[٩]، وإذا انفتح ما قبلها قلبت (ألفا)، فقالوا: (ياتقي)[١٠]، فلما[١١] كانوا لو لم يقلبوها (تاء) صائرين من قلبها[١٢] مرة (ياء) ومرة (ألفا)، ومرة (واوا)، أرادوا أن يقلبوها حرفا جلدا

---

(١) في (ب): (مما).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (تقى) ١/ ٤٤٤، «الصحاح» (وقى) ٦/ ٢٥٢٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٧.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٧.

(٤) في (ج): (تقلب الفاتا).

(٥) في (ب): (ما اتعد).

(٦) في جميع النسخ (فيقولون). وفي «سر صناعة الإعراب» (فيقولوا) وفي الحاشية قال: في ل (فيقولون) ١/ ١٤٧.

(٧) عند أبي الفتح فيقولوا: (أيتزن، ايتعد، ايتلج) ١/ ١٤٧، فلم يرد لفظ (أيتقى).

(٨) في (ج): (إذا) مكررة.

(٩) عند أبي الفتح (مُوتَعِد) و(مُوتَزِن) و(مُوتَلج) ١/ ١٤٧.

(١٠) عند أبي الفتح: يَا تَعِدُ، ويَا تَزِنُ، ويَا تَلِجُ ١/ ١٤٨.

(١١) في (ج): (فكانوا).

(١٢) في جميع النسخ (قبلها): والتصحيح من «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٨.

تغير أحوال ما قبله، وهو باق بحاله، وكانت (التاء)[١] قريبة المخرج من (الواو)، لأنها من أصول الثنايا، والواو من الشفة، فأبدلوها (تاء) وأدغموها في لفظ ما بعدها وهو(التاء) وقالوا: اتقى[٢]، وقد فعلوا هذا أيضًا في (الياء) وأجروها مجرى (الواو) فقالوا في (افتعل) من اليسر: اتسر[٣]، ومن اليبس: اتبس[٤]، لهذه العلة[٥].

وإدغام (الياء) في (التاء) على هذه الجهة، إنما يجوز إذا كانت[٦] في كلمة واحدة، فإذا التقتا من كلمتين لم يجز الإدغام، نحو قولك: (في تبيانه)، و(في تمثاله)، وذلك أنه[٧] لو أجرى[٨] الكلام هاهنا على الإدغام، أشبه الألف واللام. هذا هو الأصل، ثم صارت التاء لازمة حتى صارت كالأصلية[٩]، لأنه لا يجوز إظهار[١٠] هذا الإدغام في حال[١١].

---

(١) في (ب): (الباء).
(٢) في (ب): (اتقا) وعند أبي الفتح (أتعد، واتزن) ١/ ١٤٨.
(٣) في (ب): (السر).
(٤) في (ج): (التبس).
(٥) عند أبي الفتح: (.. وذلك لأنهم كرهوا انقلابها (واوا) متى انضم ما قبلها في نحو: (موتبس) وألفا في (يا تبس)، فأجروها مجرى الواو فقالوا: اتَّبَس وأتَّسَر. ومن العرب من لا يبدلهما (تاء) ويجري عليهما من القلب ماتنكبه الآخرون فيقول: إيتَعد أيتَزن ايتبس... واللغة الأولى أكثر وأقيس...)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٨، وانظر «المنصف» ١/ ٢٢٢، ٢٢٨.
(٦) كذا ورد في جميع النسخ ولعل الأولى (إذا كانتا).
(٧) (أنه) ساقط من (ج).
(٨) في (ب): (أجرا).
(٩) في (ب): (كالا مطيه).
(١٠) في (ب): (إظهارها).
(١١) انظر «تهذيب اللغة» (تقى) ١/ ٤٤٤.

وقد بني على هذا الإدغام أسماء كثيرة، وهي: التُّخَمَة والتُّجَاه[١]، والتُّرَاث، والتّقوى، والتُّكْلَان، والتُّكَلَة، والتُّؤَدَة، والتُّهمَة[٢].

الحراني[٣] عن ابن السكيت[٤] يقال: اتَّقَاه بِحَقِّه يَتَّقِيه، وتَقَاهُ يَتَّقِيه، وأنشد عن الأصمعي[٥] قال:

أنشدني عيسى بن عمر[٦]:

جَلَاهَا الصَّيْقَلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِفَافاً كُلُّهَا يَتَّقِي بِأَثْرِ[٧]

---

(١) في (ب): (التحافه).

(٢) انظر: «الكتاب» ٤/ ٣٣٢.

(٣) أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني اللغوي، لغوي صدوق، أخذ عن ابن السكيت، ونقل عنه الأزهري في «التهذيب» من طريق المنذري، توفي سنة خمس وتسعين ومائتين. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ١٣/ ٥٣٦، «إنباه الرواة» ٢/ ١١٥، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٥٣٦.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، النحوي اللغوي، كان موثقا بروايته، مات سنة أربع وأربعين ومائتين. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٧٣، «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٩٥، «إنباه الرواة» ٤/ ٥٠، «معجم الأدباء» ٢٠/ ٥٠.

(٥) في «التهذيب»: (وأخبرني المنذري، عن الحراني، عن ابن السكيت، قال: يقال: اتقاه... الخ. وأنشد ثم ذكر بيتين غير ما ذكر المؤلف، ثم قال: وقال الأصمعي: أنشدني عيسى بن عمر). (التهذيب) (تقى) ١/ ٤٤٤، وانظر كلام ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ص٢٤.

(٦) ورد اسمه في «التهذيب»: (عيسى بن عمرو) وهو تصحيف، والصحيح (ابن عمر) وهو عيسى بن عمر البصري الثقفي المقرئ النحوي، كان في طبقة أبي عمرو بن العلاء، وعنه أخذ الخليل، توفي سنة تسع وأربعين ومائة. انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» ص٤٠، «نزهة الألباء» ص٢٨، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٧٤، «معجم الأدباء» ٤/ ٥١٩، «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٨٦.

(٧) البيت لخفاف بن ندبة، يذكر السيف. والصيقلون: جمع صيقل وهو شحاذ السيوف=

أي: كلها يستقبلك بفرنده[١].

وقال أوس بن حجر:

تَـقَـاكَ بِـكَـعْـبٍ وَاحِـدٍ وَتَـلَـذُّهُ   يَدَاكَ إذَا مَا هُزَّ بالكَفِّ يَعْسِلُ[٢]

أي اتقاك، ومعناه: جعل بينك وبينه كعبا واحدا[٣]، يصف رمحا، يقول[٤]: كأنه كعب واحد، إذا هززته اهتز[٥] كله. وقال أبو سعيد السكري[٦]: تقاك: وليك منه كعب.

قال: ويقال: إبلك[٧] اتقت كبارها بصغارها، أي جعلت الصغار مما

= وجلاؤها، يقول: جلوا تلك السيوف حتى إذا انظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه فلم يتمكن من النظر إليها، فكلها يستقبلك بفرنده، و(يتقى) مخفف (يتقى) وهذا مكان الشاهد من البيت. ورد البيت في (إصلاح المنطق) ص٢٣، «تهذيب اللغة» (تقى) ١/ ٤٤٤، «الصحاح» (وقى) ٦/ ٢٥٢٧، «معجم مقاييس اللغة» (أثر) ١/ ٥٦، «الخصائص» ٢/ ٢٨٦، «اللسان» (أثر) ١/ ٢٦، (وقى) ٨/ ٤٩٠٢.

(١) في (ج): (بفيرنده). (إصلاح المنطق) ص٤، «التهذيب» (تقى) ١/ ٤٤٤.

(٢) يصف رمحاً يقول: اتقاك برمح تلذه يداك: أي لا يثقلهما، إذا هز بالكف يعسل أي: يضطرب ويهتز. ورد البيت في «إصلاح المنطق» ص٢٤، «الخصائص» ٢/ ٢٨٦، «الصحاح» (عسل) ٥/ ١٧٦٥، (وقى) ٥/ ٢٥٢٧، «المحكم» ١/ ١٧٠، «اللسان» (عسل) ٥/ ٢٩٤٦، (وقى) ١٥/ ٤٠٣، (أساس البلاغة) (كعب) ٢/ ٣١٢، «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٨.

(٣) (واحدا) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (يقال).

(٥) في (ب): (يهتر) في (ج): (كأنه يقول كأنه كعب).

(٦) هو الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة بن المهلب بن أبي صفرة السكري النحوي، كان ثقة دينا صادقا، انتشر عنه من كتب الأدب شيء كثير (٢١٢-٢٧٥هـ). انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ٧/ ٢٩٦، «معجم الأدباء» ٢/ ٤٧٨، «إنباه الرواة» ١/ ٢٩١، «نزهة الألباء» ص١٦٠.

(٧) في (ب): (ابنك).

يليك[١]، ووقت أنفسها بها.

وقوله: (تقاك) تقديره[٢] (تَعَلَكَ)[٣] والأصل: (اتَّقَاك)، فحذف (فاء) الفعل المدغمة، فسقطت همزة الوصل المجتلبة لسكونها[٤]. وقولهم في المضارع (يتقى) تقديره (يَتَعِل)[٥].

قال الأزهري: اتَّقَى كان في الأصل (اوْتَقَى) فأدغمت الواو في التاء وشددت فقيل (اتَّقَى) ثم حذفوا ألف الوصل، والواو التي انقلبت تاء، فقيل: تَقَى يَتَقِي، بمعنى[٦]: استقبل الشيء بالشيء وتوقاه.

قال السكري: وتَقَى يَتَقِي بفتح (التاء) شاذ جدا، لأنه لا يقال: تَضَح بمعنى اتَّضح[٧]، ولا تَزَن بمعنى اتَّزَن[٨].

قال[٩] الأزهري: وإذا قالوا: تَقِيَ يَتْقَى[١٠] فالمعنى: أنه صار تقيا[١١].

---

(١) في (ب): (للصفار ما يليك).

(٢) في (ج): (تقريره).

(٣) في (ب): (تعلل).

(٤) في «الحجة» لأبي علي: (... وأعللتها بالحذف كما أعللتها بالقلب، وليس ذلك بالمطرد وقولهم في المضارع... إلخ) ٣/ ٢٩.

(٥) انظر قول السكري في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٩.

(٦) في «التهذيب» (بمعنى: توقي). «التهذيب» (تقى) ١/ ٤٤٤.

(٧) في (ب): (بفتح معنى الفتح).

(٨) انظر «اللسان» (وقى) ٨/ ٤٩٠٢.

(٩) (قال) ساقط من (أ) و(ج).

(١٠) في (ب): (تقى يقي).

(١١) «تهذيب اللغة» (تقى) ١/ ٤٤٤.

والمراد بالمتقين في هذه الآية: المؤمنون، كذلك قال أهل التفسير في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للمؤمنين[(١)]، كأنه قال: القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك، فخص المؤمنين بأن الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب، فأما من آمن ولم يجتنب الكبائر، فهو داخل في جملة المتقين[(٢)] أيضًا لأنه آمن بموجب الكتاب، واتقى الشرك.

وقيل: إن الكتاب بيان بنفسه ودلالة على الحق، ولكنه أضافه إلى المؤمنين خصوصا، لانتفاعهم به، والكافر لو تأمل القرآن لوجده بيانا، فهو في كونه بيانا في نفسه لا يتخصص بقوم دون قوم، ولكنه أضيف إلى المؤمنين على الخصوص لانتفاعهم به دون الكفار[(٣)] كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وكان ﷺ منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش.

وقال ابن الأنباري: معناه: هدى للمتقين والكافرين، فاكتفى بأحد[(٤)] الفريقين من[(٥)] الآخر، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل:

---

(١) ذكر ابن جرير بسنده عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (للمتقين): هم المؤمنون، ١/ ١٠٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٤٢/ أ.

(٢) رجح ابن جرير: أن المراد عموم التقوى، ولا تخص معنى دون معنى، ثم قال: فقد تبين إذًا فساد قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو. الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق، لأنه قد يكون كذلك، وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين... الخ. «تفسير الطبري» ١/ ١٠١، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٠، وابن عطية ١/ ١٤٤.

(٣) ذكره أبو الليث في «تفسيره» ١/ ٩٠، ونحوه في القرطبي ١/ ١٤٠-١٤١، «زاد المسير» ١/ ٢٤.

(٤) في (ب): (بإحدى).

(٥) في (ب): (عن).

٨١] وقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أراد وأخرى غير قائمة(١).

وقال أبو ذؤيب(٢):

فَمَا أَدْرى أَرُشْدٌ طِلابُهَا(٣)

(وأراد: أم غيّ).

والدليل على هذا: أنه قال في موضع آخر: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾(٤) فجعله هدى للناس عاما، على أنه ليس في الإخبار أنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ما يدل على أنه ليس هدى لغيرهم.

فأما إعراب ﴿هدى﴾ فقال أبو إسحاق(٥): موضعه نصب من وجهين:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ولم ينسبه لابن الأنباري ١/ ٢٤.

(٢) هو خويلد بن خالد الهذلي، شاعر مجيد مخضرم، أدرك الإسلام وقدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ وأسلم، توفي في غزوة افريقية مع ابن الزبير، انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٤٣٥، «الاستيعاب» ٤/ ٦٥، «معجم الأدباء» ٣/ ٣٠٦، «الخزانة» ١/ ٤٢٢.

(٣) جزء من بيت لأبي ذؤيب الهذلي، من الطويل. وتمامه:

عصاني إليها القلب إني لأمره ... سميع فما أدرى أرشد طلابها

يقول: إن قلبه عصاه فلا يقبل منه، فيذهب إليها قلبه سفها، فأنا اتبع ما يأمرني به، فما أدرى أرشد أم غي. ويروى البيت (عصيت إليها القلب...). ورد البيت عند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٠، وابن قتيبة في «المشكل» ص ٢١٥، والسكري في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٤٣، وابن هشام في «مغني اللبيب» ١/ ١٤ ٤٣، ٢/ ٦٢٨، والبغدادي في «خزانة الأدب» ١١/ ٢٥١

(٤) سورة آل عمران: ٤، كما ورد هذا في ذكر الكتاب الذي أنزل على موسى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٣٣.

أحدهما: أن يكون منصوبا على الحال من قولك: القرآن ذلك الكتاب هدى، فيكون حالا من الكتاب، كأنك قلت: هاديا؛ لأن (هدى) جاء بعد تمام الكلام، والعامل فيه يكون معنى الإشارة في ذلك[(١)].

والثاني: أن يكون منصوبا على الحال من (الهاء) في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كأنك قلت: لا شك فيه هاديا، والعامل فيه معنى ريب[(٢)].

والفراء يسمي الحال هاهنا: قطعا[(٣)]، لأنه قال[(٤)]: تجعل ﴿الكتاب﴾ خبرا لـ ﴿ذلك﴾ وتنصب ﴿هدى﴾[(٥)] على القطع، لأن ﴿هدى﴾ نكرة اتصلت بمعرفة، والنكرة لا تكون دليلا على معرفة.

قال: وإن شئت قطعته[(٦)] من الهاء التي[(٧)] في ﴿فيه﴾، كأنك قلت: لا شك فيه هاديا.

قال أبو إسحاق[(٨)]: ويجوز أن يكون موضعه رفعا من جهات:

إحداها: أن يكون[(٩)] خبرا بعد خبر، كأنه قال: (ذلك الكتاب هدى)، أي قد جمع أنه الكتاب الموعود، وأنه هدى، كما تقول: هذا حلو

---

(١) من قوله: فيكون حالا من الكتاب... إلى (في ذلك) ليس في «المعاني» ١/ ٣٣.

(٢) ذكر قول الزجاج بمعناه ١/ ٣٣، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٠، «إملاء ما من به الرحمن» للعكبري ١/ ١٦، «مشكل إعراب القرآن» المكي ١/ ١٧.

(٣) وبهذا أخذ الكوفيون. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٠.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٩٩، وقد رد الطبري على الفراء قوله.

(٥) (هدى) ساقط من (أ) و(ج) وثابت في (ب)، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢.

(٦) عبارة الفراء: (وإن شئت نصبت (هدى) على القطع من الهاء التي في (فيه)...) ١/ ١٢.

(٧) في (ب): (إلى).

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣٣.

(٩) في (ب): (تكون).

حامض، أي قد جمع الطعمين[١].

ويجوز: أن يكون رفعا على إضمار (هو) كأنه لما تم الكلام قيل: هو هدى[٢].

ويجوز: أن يكون الوقف على قولك[٣]: ﴿لَا رَيْبَ﴾، [أي: ذلك الكتاب لا ريب][٤] ولا شك[٥]، كأنك قلت: ذلك الكتاب حقا، لأن (لا شك) بمعنى: حق، ثم قيل[٦] بعد (فيه هدى)[٧].

فإن قيل: كيف قال: ﴿لا ريب فيه﴾[٨]، وقد ارتاب فيه المرتابون؟

قيل: معناه أنه حق في نفسه وصدق، وإن ارتاب المبطلون[٩]، كما[١٠] قال الشاعر:

---

(١) تعقب أبو علي الفارسي الزجاج في هذا وقال: فالقول في هذا على هذا الوجه مشكل... ثم شرح وجه إشكاله. انظر: «الحجة» ١/ ١٩٨.

(٢) عبارة الزجاج: (.. كأنه لما تم الكلام فقيل: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قيل: هو هدى) ١/ ٣٣.

(٣) في (ج): (قوله).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) عبارة الزجاج كما في المطبوع: (ويجوز أن يكون رفعه على قولك: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) كأنك قلت: ذلك الكتاب حقا... إلخ) فلعل وجود (فيه) في المطبوع تصحيف. والله أعلم. انظر «المعاني» ١/ ٣٣.

(٦) (قيل) ساقط من (ب).

(٧) انتهى كلام الزجاج. انظر «المعاني» ١/ ٣٣، وانظر «معاني القرآن» للفراء ص٤٤، «تفسير الطبري» ١/ ٩٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٢٩-١٣٠، «المشكل» لمكي ١/ ١٧، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ١١.

(٨) (فيه) ساقط من (ب).

(٩) ذكره بمعناه أبو الليث ١/ ٩٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» واستشهد بالبيت ١/ ٢٤.

(١٠) (كما) ساقط من (ب).

ليس في الحق يا أُمَيمةَ[١] رَيْبٌ إنَّما الرَّيْبُ ما يَقُول الكَذُوبُ[٢]

فنفى الريب عن الحق، وإن كان المتقاصر في العلم يرتاب[٣].

ويجوز: أن يكون خبرا في معنى النهي[٤]، ومعناه: لا ترتابوا[٥]، كقوله: ﴿لا رفث ولا فسوق[٦] ولا جدال في الحج﴾[٧] [البقرة: ١٩٧].

٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال الزجاج[٨]: موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جر، تبعا ﴿للمتقين﴾، ويجوز أن يكون موضعه[٩] رفعا على المدح، كأنه لما قيل: ﴿هدى للمتقين﴾، قيل: من هم؟ فقيل: هم ﴿الذين﴾، ويجوز أن يكون موضعه نصبا على المدح، كأنه قيل: أذكر[١٠] الذين[١١].

---

(١) في (ب): (أمية).

(٢) البيت لعبدالله بن الزبعرى ورد في الماوردي ١/ ٦٧، رسالة دكتوراة «زاد المسير» ١/ ٢٤، والقرطبي ١/ ١٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٣، «الدر المصون» ١/ ٨٦.

(٣) أي فالاعتبار لمن كان معه من الأدلة ما لو تأمله المنصف المحق لم يرتب فيه، ولا اعتبار لمن وجد منه الريب، لأنه لم ينظر حق النظر. «الفتوحات الإلهية» ١/ ١١.

(٤) في (ب): (الأمر).

(٥) في (ب): (لا يرتابوا).

(٦) في (ب) لفظ (ولا فسوق) مكرر.

(٧) ذكر هذا الكلام ابن الجوزي في «زاد المسير»، ونسبه للخليل، وابن الأنباري ١٠/ ٢٣، وقد أجاب الواحدي عن السؤال بجوابين، وهناك جواب ثالث: وهو أنه مخصوص والمعنى (لا ريب فيه عند المؤمنين)، والجواب الأول أحسنها. ذكر ذلك الجمل في «الفتوحات الإلهية» ١/ ١١.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣٣.

(٩) في «معاني القرآن» (موضعهم) قال المحقق: وهو ناظر فيه إلى معنى الكلمة ١/ ٣٣.

(١٠) في (ب): (اذكروا) مكررة.

(١١) انتهى من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣، ٣٤، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣١، «الإملاء» للعكبري ١/ ١١.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ قال الأزهري: اتفق العلماء أن (الإيمان) معناه: التصديق، كقوله[1]: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]. أي: بمصدق.

ومعنى التصديق: هو اعتقاد السامع صدق[2] المخبر فيما يخبر، وأصله في اللغة: الطمأنينة إلى الشيء، من قولهم: أمن يأمن أمنا، إذا اطمأن وزال[3] الخوف عنه.

وآمنت فلانا، إذا جعلته يطمئن وتسكن نفسه. وآمن بالله ورسوله إذا صدقهما واثقا[4] بذلك مطمئنا إليه.

---

(١) في «تهذيب اللغة»: (اتفق العلماء من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه: التصديق، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ «تهذيب اللغة» (أمن) ١/ ٢١٠. وقد اعترض بعض العلماء على دعوى الإجماع على أن الإيمان معناه في اللغة التصديق. قال ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية»: (وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أنه يصح في موضع فلم قلتم إنه يوجب الترادف مطلقا؟) «شرح الطحاوية» ص٣٢١. وقال ابن تيمية في معرض رده على من ادعى إجماع أهل اللغة على أن الإيمان معناه التصديق، قال: (... قوله إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق، فيقال له: من نقل هذا الإجماع ومن أين يعلم هذا الإجماع؟ وفي أي كتاب ذكر هذا الإجماع؟...) ثم ذكر وجوها كثيرة في رد هذِه الدعوى. انظر كتاب الإيمان ضمن «مجموع الفتاوى» ٧/ ١٢٣-١٣٠. وعلى فرض أن معنى الإيمان في اللغة (التصديق) فإن الشارع استعمله في معنى اصطلاحي خاص، كما استعمل الصلاة والزكاة في معان شرعية خاصة زائدة على المعنى اللغوي. انظر: «مجموع الفتاوى» ٧/ ٢٩٨.

(٢) في (ب): (مع صدق).

(٣) في (ب): (وزوال).

(٤) في (ب): (واقي).

قال الأزهري: وإنما قلت: إن المؤمن معناه: المصدق، لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة، والله يتولى علم السرائر ونية العقد[(١)]، وجعل تصديقه أمانة ائتمن كل من أسلم على[(٢)] تلك الأمانة، فمن[(٣)] صدق بقلبه فقد أدى الأمانة، ومن كان قلبه على خلاف ما يظهره بلسانه فقد خان، والله حسيبه.

وإنما قيل للمصدق: مؤمن، وقد آمن؛ لأنه دخل في أداء الأمانة التي ائتمنه الله عليها[(٤)].

وأنشد ابن الأنباري على أن (آمن) معناه: صدّق[(٥)] قول الشاعر:

وَمِنْ قَبْلُ آمَنَّا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّون للأَوْثَانِ قَبْلُ مُحَمَّدَا[(٦)]

معناه: من قبل آمنا محمدا، [أي صدقنا محمدا][(٧)] فمحمدا منصوب بمعنى التصديق[(٨)].

قال أبو علي الفارسي[(٩)]: ويجوز من حيث قياس اللغة، أن يكون (آمن) [صار ذا أمن][(١٠)]، مثل: أجدب، وأعاه[(١١)]، أي: صار ذا عاهة في

(١) في (ب): (العبد).
(٢) في (ب): (عن).
(٣) في (ب): (فقد).
(٤) نقل كلام الأزهري بمعناه، انظر «التهذيب» (أمن) ١/ ٢١١.
(٥) «تهذيب اللغة» (أمن) ١/ ٢١١، وانظر «الزاهر» ١/ ٢٠٣.
(٦) البيت أنشده ابن الأنباري في «الزاهر» بدون عزو ١/ ٢٠٣، وكذلك الأزهري في «التهذيب»، (أمن) ١/ ٢١٢، «اللسان» (أمن) ١/ ١٤٢.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من(ب) و (ج).
(٨) انظر كلام ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٢٠٢، ٢٠٣.
(٩) «الحجة» ١/ ٢٢٠.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) وفي (ج) (ذا أمر).
(١١) في «الحجة»: (أجرب، وأقطف، وأعاه) ١/ ٢٢٠.

ماله، فكذلك (آمن) صار ذا (أمن) في نفسه وماله بإظهار الشهادتين، كقولهم: أسلم، أي: صار ذا سلم، وخرج عن أن يكون حربا مستحل المال والدم[(١)].

والقول في معنى الإيمان: ما قاله الأزهري[(٢)].

على أن أبا القاسم الزجاجي شرح معنى الإيمان بما هو أظهر مما ذكره الأزهري، وهو أنه قال[(٣)]: معنى التصديق في الإيمان لا يعرف من طريق اللغة إلا بالاعتبار والنظر، لأن حقيقته ليست للتصديق، ألا ترى أنك إذا صدقت إنسانا فيما يخبرك به، لا تقول: آمنت به، لكنك إذا نظرت في موضوع[(٤)] هذه الكلمة وصرَّفته حق التصريف، ظهر لك من باطنها معنى يرجع إلى التصديق[(٥)].

---

(١) انتهى ما نقله عن «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٢٠، وانظر بقية كلام أبي علي ص٢٢٦ حيث أفاد أن الإيمان بمعنى التصديق ليس على إطلاقه في كل موضع.

(٢) أي بمعنى التصديق، فإن أراد المعنى اللغوي، فقد سبق ذكر اعتراض بعض العلماء عليه، وإن أراد المعنى اللغوي والشرعي فهذا مردود، فإن معنى الإيمان عند السلف: تصديق القلب ونطق (اللسان)، وعمل الجوارح. ولو قلنا: إن الإيمان في اللغة التصديق، فإن الشارع استعمله في معنى أوسع من ذلك، كما استعمل الصلاة والزكاة وغيرها من المصطلحات الشرعية التي نقلت من معناها اللغوي إلى معنى شرعي خاص، أو أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها، ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة.

انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣١٤-٣٣٢، «مجموع الفتاوى» ٧/ ١٧٠، ٢٨٧، ٢٩٨.

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من كتب الزجاجي والله أعلم.

(٤) في (ب): (موضع).

(٥) إذاً حقيقة الإيمان في أصلها ليست للتصديق فقط، وإن كان التصديق أحد معانيها، =

وذلك أن (آمن) أَفْعَل، من (أَمِنَ)، والواحد إذا قال: آمنت بالله. [فإن (آمنت) فعل متعد، ومعناه: آمنت نفسي، أي: جعلتها في أمان الله بتصديقي[١] إياه، لأن الأمن من عذاب الله لا يحصل إلا بتصديقه، فإذا صدقه فقد آمن نفسه[٢]، فصار التصديق إيمانا للعبد، وجاز أن يعبر عن الإيمان بالتصديق، لأن أحدهما سبب للآخر[٣].

و(الباء) في قولك: (آمنت بالله)][٤] ليست (باء) التعدية، إنما هي (باء) الإلصاق التي يسميها[٥] النحويون (باء) الاستعانة[٦]، كما تقول: قطعت القلم بالسكين.

= كما ذكر: أنك إذا صدقت إنسانا فيما يخبرك به لا تقول: آمنت، وبهذا استدل من قال: إن الإيمان والتصديق ليسا مترادفين على الإطلاق.

قال شارح الطحاوية: (ومما يدل على عدم الترادف، أنه يقال للمُخْبَر إذا صدَّق: صدقه، ولا يقال: آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ [العنكبوت:٢٦] .﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ﴾ [يونس:٨٣]. وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١] ففرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمُخْبَر به، والثاني للمُخْبِر..) «شرح الطحاوية» ص٣٢١، وانظر: «مجموع الفتاوى» ٧/ ٢٩٠.

(١) في (ب): (تصديقي).

(٢) في (ب): (آمن من نفسه).

(٣) في (ب): (الآخر).

(٤) ما بين المعقوفين مكرر في (ب).

(٥) في (ب): (يسموها).

(٦) سماها شارح الطحاوية باء التعدية، لكن هناك فرق بين المعدى بالباء والمعدى باللام، فالمعدى بالباء للمخبر به، وباللام للمخبر. انظر: «شرح الطحاوية» ص٣٢١، «مجموع الفتاوى» ٧/ ٢٨٨.

كذلك وقع إيمان النفس من العذاب بتصديق الله، وحذف المفعول من قولهم: (آمنت بالله) لدلالة المعنى عليه، كقولهم: حمل فلان على العدو، أي: سلاحه أو نفسه، هذا هو الأصل في الإيمان، ثم جعل الإيمان بمعنى التصديق في قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: بمصدق[١]، ولم يقل: (بنا) لأنه أريد ها هنا التصديق الخالص، لا إيمان بالنفس من العذاب، كما أريد ذلك في قولهم: (آمنت بالله).

وأما الفرق بين الإيمان والإسلام فسنذكره عند قوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٢] [الحجرات: ١٤] إن شاء الله.

وسمي أحدهما[٣] باسم الآخر[٤] مجازا وتوسعا، كقوله تعالى:

---

(١) قال الفارسي: (وأما قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ فليس المعنى على: ما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين عندك ؛ لأن الأنبياء لا تكذب الصادقين، ولكن المعنى: ما أنت واثقا، ولا غير خائف الكذب في قولنا... فمؤمن هنا من آمن، أي صار ذا أمن أو صار ذا ثقة...). «الحجة» ١/ ٢٢٦، ٢٢٧، ونحو هذا قال ابن تيمية في الآية، إنها بمعنى: أي بمقر لنا ومصدق لنا، لأنهم أخبروه عن غائب...). «الإيمان الأوسط» ص٧١.

(٢) في (ب): ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾.

(٣) أي: الإيمان والإسلام.

(٤) ذكره أبو علي الفارسي، انظر: «الحجة» ١/ ٢٢٠. قال ابن كثير -رادا على من قال ذلك- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا﴾ الآية قال: (احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف، لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم، ولا ينعكس، فاتفق الإسمان هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال)، «ابن كثير» ٤/ ٢٤٩٨. ط. دار الفكر.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا﴾ الآية [الذاريات: ٣٥، ٣٦].

وفي بعض القراءات ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ [المنافقون: ٢] بكسر الألف(١)، بمعنى الشهادة باللسان(٢).

وفي قوله ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ قراءتان، تحقيق الهمزة وتليينها(٣).

فمن حقق، فحجته(٤): أن الألف في (آمن) لا تخلو إما أن تكون زائدة، أو منقلبة، فلا(٥) يجوز أن تكون زائدة، لأنها لو كانت كذلك لكان (فَاعَل) [ولو كان (فاعَل)،](٦) كان مضارعه (يُفَاعِل) فلما كان مضارعه (يؤمن) دل على أنها غير زائدة، فإذا لم تكن زائدة كانت منقلبة، ولا يخلو انقلابها من أن يكون عن: (الواو) أو عن (الياء) أو عن (الهمزة)، ولا يجوز أن تكون منقلبة عن (الواو)، لأنها في موضع سكون، [وإذا كانت في موضع سكون](٧) وجب تصحيحها، وبمثل هذه الدلالة لا يجوز انقلابها

---

(١) قراءة الجمهور بالفتح، وبالكسر قراءة الحسن. انظر: «المحتسب» ٢/ ٣١٥، ٣٢٢، «البحر» ٨/ ٢٧١، «القراءات الشاذة» للقاضي ص٧٢.

(٢) في (ب): (اللسان). انظر: «الحجة» ١/ ٢٢٢.

(٣) قرأ ورش عن نافع، وأبو عمرو (يومنون) بغير همز، وبقية السبعة يهمزون. انظر «الحجة» لأبي علي ١/ ٢١٤، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٨٤.

(٤) نقله عن «الحجة» لأبي علي، قال في «الحجة»: (الإعراب: لا تخلو الألف في (آمن) من أن تكون زائدة، أو منقلبة، وليس في القسمة أن تكون أصلا. فلا يجوز أن تكون زائدة لأنها...) ١/ ٢٣٥.

(٥) في (ب): (ولا يجوز).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

عن (الياء)، فإذا[١] لم يجز انقلابها عن (الواو) ولا عن (الياء) ثبت أنها منقلبة عن (الهمزة)، وإنما انقلبت عنها ألفا لوقوعها ساكنة بعد حرف مفتوح، كما أنها إذا خففت في: (بأس) و(رأس)[٢] و(فأس) انقلبت عنها ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها[٣]، كذلك قلبت في نحو: (آمن) و(آتى)[٤]، وفي الأسماء: نحو(آدر)[٥] و(آدم)، و(آخر) إلا أن الانقلاب هاهنا لزمها لاجتماع الهمزتين، والهمزتان إذا اجتمعتا في كلمة لزم الثانية منهما القلب بحسب الحركة التي قبلها إذا كانت ساكنة، نحو: (آمن) و(اوتمن) و(ايذن)[٦]، و(ايتنا)[٧].

فمن حقق[٨] (الهمز) في ﴿يؤمنون﴾ فلأنه إنما ترك (الهمز) من (أومن) لاجتماع الهمزتين، كما أن تركها في (آمن) كذلك[٩]، فلما زال اجتماعها مع سائر الحروف المضارعة سوى[١٠] الهمزة، رد[١١] الكلمة إلى

---

(١) في (ب): (وإذا).

(٢) في (ج): (ووأس).

(٣) بنصه في «الحجة» ١/ ٢٣٥، وانظر «الكتاب» ٣/ ٥٤٣.

(٤) في جميع النسخ (اتى) ورسمتها حسب ما في «الحجة» ١/ ٢٣٥.

(٥) الآدر: وهو المنتفخ الخصية. انظر: «اللسان» (أدر) ١/ ٤٤.

(٦) (ائذن) مكانها بياض في (ب).

(٧) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ٢٣٦، وما بعده نقله من موضع آخر ١/ ٢٣٨ حيث قال أبو علي: (أما حجة من قرأ (يؤمنون) بتحقيق الهمز، فلأنه إنما ترك الهمز في (أومن) لاجتماع الهمزتين...)، ١/ ٢٣٨، ٢٣٩.

(٨) في (ج): (خفف).

(٩) في (أ)، (ج): (لذلك) واخترت ما في ب، لأنه أصح وموافق ما في «الحجة» ١/ ٢٣٨.

(١٠) في (ب): (سرى).

(١١) في (ب): (ورد).

الأصل فهمز ؛ لأن الهمز من (الأمن) و(الأمنة) فاء الفعل.

ومما[١] يقوي الهمزة[٢] أن من تركها إنما يقلبها (واوا)[٣] ساكنة وما قبلها متحرك بالضم، و(الواو) الساكنة إذا انضم ما قبلها فقد استجازوا قلبها[٤] همزة.

يدل[٥] على هذا، ما ذكره المازني عن الأخفش، قال[٦]: كان أبو حية النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة نحو: (مؤسى)[٧] وأشباهه.

وتقدير ذلك: أن الحركة لما كانت تلي الواو من (مؤسى)[٨] صارت كأنها عليها، والواو إذا تحركت بالضمة أبدل منها الهمزة.

وإذا جاز إبدال (الهمزة) من (الواو الساكنة) التي قبلها ضمة، واجتلابها وإن لم تكن من الكلمة، فالهمزة التي هي أصل في الكلمة أولى بالتحقيق، وأن لا يبدل منها الواو.

وحجة من لم يهمز[٩]: أن هذه الهمزة قد لزمها البدل في مثالين من

---

(١) في (ب): (وما).

(٢) في (ج): (أن الهمزة أن من تركها).

(٣) في (ب): (واو).

(٤) في (ب): (قبلها).

(٥) في (ب): (نيل).

(٦) في «الحجة»: (قال محمد بن يزيد: أخبرني أبو عثمان، قال: أخبرني الأخفش قال: كان أبو حية النميري يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وينشد:

لَحُبَّ المُؤقِدَانِ إلى مُؤْسَى

وتقدير ذلك أن الحركة... إلخ) ١/ ٢٣٩.

(٧) (موسى) غير مهموزة في جميع النسخ، وهمزتها كما في «الحجة» ١/ ١٣٩.

(٨) انظر التعليق السابق.

(٩) «الحجة» ١/ ٢٤٠.

الفعل المضارع والماضي، نحو[١]: (آمن) و(أُومِنَ)، والمضار ع نحو: (أُومِنُ) ولم يجز تحقيقها في هذه المواضع، وهذا القلب الذي يلزمنا[٢] في المثالين إعلال لها، والإعلال إذا لزم مثالا أتبع سائر الأمثلة العارية من موجب الإعلال كإعلالهم: (يقوم)، و(لقام)، و(يُكْرِم)[٣] من أجل (أُكْرِمُ)[٤] و(أَعِدُ) (لِيَعِد)[٥]، فوجب على هذا أن يختار[٦] ترك الهمزة في ﴿يؤمنون﴾، ليتبع قولهم ﴿يؤمنون﴾ في الإعلال المثالين الآخرين[٧]، لا على التخفيف القياسي[٨] نحو: (جونة) في (جؤنة)[٩]، و(بوس) في (بؤس)[١٠].

---

(١) في «الحجة» (فالماضي نحو:..) ١/ ٢٤٠.

(٢) في «الحجة» (يلزمها) ١/ ٢٤٠.

(٣) في (ب): (يلزم).

(٤) أصل (أُكْرِم) (أُؤكْرِمُ) مضارع (أَكْرَمَ)، ثم حذفت الهمزة في (أُؤَكْرِم) لاجتماع الهمزتين، ثم حملت الياء في (يُكرم) على الهمزة في (أكرم) فحذفت الهمزة معه مثل حذفها مع (أُكْرِم) ليتفق الباب. انظر «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٨٥.

(٥) لأن الواو في (يَعِد) حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة، وحملت الهمزة في (أعد) على ذلك، وحذفت الواو معها حتى لا يختلف الباب. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٨٥.

(٦) في (ج): (تختاريتك).

(٧) أي الإعلال في الماضي نحو (آمن)، والمضارع (أُومِنُ).

(٨) أي أن حذف الهمزة في (يؤمنون) إعلال لا تخفيف قياسي. والتخفيف القياسي ما ذكره سيبويه بقوله: (وإن كان ما قبلها مضموماً -أي الهمزة- فأردت أن تخفف، أبدلت مكانها واوا، وذلك قولك في (الجؤنة) و(البؤس) و(المؤمن): الجونة والبوس والمومن) «الكتاب» ٣/ ٥٤٣.

(٩) في (ب): (جونة). و(الجؤنة): سليلة مستديرة مغشاة بجلد، يستعملها العطار ظرفا للطيب. انظر: «تهذيب اللغة» (جون) ١/ ٦٨٩٣.

(١٠) إلى هنا انتهى ما نقله الواحدي عن «الحجة» ١/ ٢٤٠.

وأيضًا فإن[١] حرف المضارعة المضموم صادف حرفا منقلبا ألفا قبل أن يلحقه حرف المضارعة، فلما ولي المضموم من حرف المضارعة، انقلب ذلك الألف واوا، وأي[٢] موضع للهمزة[٣] هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾[٤] الغيب: مصدر غاب يغيب غيبا، وكل[٥] ما غاب عنك فلم تشهده فهو غيب[٦]، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٧] والعرب تسمي[٨] المطمئن من الأرض: الغيب[٩]، لأنه غاب عن الأبصار.

ومنه قول لبيد:

وَتَسَمَّعَت رِزَّ الأَنِيسِ فَرَاعَها
عَنْ ظَهْرِ[١٠] غَيْبٍ والأنيسُ سَقَامُها[١١]

---

(١) في (ب) سقط وتصحيف فالنص فيها: (وأيضًا، قال في حرف المضارعة انقلب ذلك الألف صادق حرفًا).
(٢) (الواو) ساقطة من (ب).
(٣) في (ب): (للهمز).
(٤) في (ب): (الغيب) تصحيف.
(٥) في (ب): (وكلما).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٢، و«ابن عطية» ١/ ١٤٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٤٢.
(٧) هذا جزء من آية وردت في مواضع وهي: ٧٣ من الأنعام، و٩٤ و١٠٥ من التوبة، و٩ من الرعد، و٩٢ من المؤمنون، و٦من السجدة، و٤٦ من الزمر، و٢٢من الحشر، و٨ من الجمعة، و١٨ من التغابن.
(٨) (تسمى) ساقط من (ج).
(٩) «تهذيب اللغة» (غاب) ٣/ ٢٦١٦.
(١٠) في (ج): (صهر).
(١١) البيت في «ديوان لبيد»، وروايته: (وتوجست رز ..) ويروى: (..ركز الأنيس)

قال شمر[١]: وكل مكان لا يدرى ما فيه فهو غيب، وكذلك الموضع الذي لا يدرى ما وراءه وجمعه غيوب[٢]، ومنه قوله:

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم[٣] الغلام وراء الغيب بالحجر[٤]

وقال أبو زيد: يقال: بدا غَيَّبَان العود، إذا بدت عروقه التي تغيبت في الأرض لحفر السيل[٥].

والمراد بالغيب المذكور هاهنا: ما غاب علمه[٦] وعن الحس

= وهو يصف بقر الوحش، والرز والركز: الصوت الخفي، عن ظهر غيب: من وراء حجاب، وقوله: والأنيس سقامها: لأنهم يصيدونها فهم داؤها. انظر «شرح ديوان لبيد» ص٣١١، وهو في «المخصص» لابن سيده ٢/ ١٣٧. بمثل رواية الديوان، وبدل (راعها) (رابها). وفي «البحر المحيط» ٦/ ١٩٨.

(١) هو شمر بن حمدويه الهروي، اللغوي الأديب، لقي أبا عبيدة، وابن الأعرابي، والأصمعي والفراء وغيرهم، ألف كتابا كبيرا في اللغة على حروف المعجم، وفقد بعده، توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.

انظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٧٧، «معجم الأدباء» ٣/ ٤١٠، «إشارة التعيين» ص١٤١.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (غاب) ٣/ ٢٦٢١.

(٣) في (ب): (دم).

(٤) البيت لابن مقبل. (الوجيب): تحرك القلب تحت الأبهر، و(اللدم): الضرب، و(الغيب): ما كان بينك وبينه حجاب، يقول: إن للقلب صوتا يسمعه ولا يراه، كما يسمع صوت الحجر الذي يرمى به الصبي ولا يراه. ورد البيت في «تهذيب اللغة» (بهر) ١/ ٤٠١، «الصحاح» (بهر) ٢/ ٥٩٨، «معجم مقاييس اللغة» (لدم) ٥/ ٢٤٣، «الزاهر» ١/ ٣٩٨، ٥٥٢، «أساس البلاغة» (لدم) ٢/ ٣٣٨، و«اللسان» (بهر) ١/ ٣٧٠، (لدم) ٤/ ٣٢٥٥.

(٥) لم أجده في «نوادر أبي زيد»، وذكره الأزهري نحوه ولم ينسبه لأبي زيد. «تهذيب اللغة» (غاب) ٣/ ٢٦١٦.

(٦) في (ب): (محله).

والضرورة[١] مما يدرك بالدليل[٢]،

ولذلك[٣] استوجبوا حسن الثناء بالإيمان بالغيب، لأنه تصديق بما أخبروا به مما لا يعلم حسا وضرورة، ويكون العلم به مكتسبا، فيدخل[٤] في جملة هذا ما أخبر عنه الرسول ﷺ من أمر الجنة والنار والوعد وغير ذلك[٥].

قال أبو العالية في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: يؤمنون بالله[٦]، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره، ولقائه[٧]، وبالبعث بعد[٨] الموت[٩].

وكأن هذا إجمال ما فصل في قوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

---

(١) قال البيضاوي: والمراد به: الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا يقتضيه بديهة العقل ١/ ٧.

(٢) الغيب قسمان: قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقسم نص عليه دليل كوجود الخالق سبحانه، واليوم الآخر، وغير ذلك من أمور الغيب، وهو المراد هنا، أي: يستدلون عليه فيؤمنوا به. انظر البيضاوي ١/ ٧، والرازي ٢/ ٢٣.

(٣) في (ب): (وكذلك).

(٤) في (ج): (يدخل).

(٥) انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥.

(٦) في (ب): (به).

(٧) (الواو) ساقطة من (ب).

(٨) في (ب): (هذا).

(٩) ذكره الثعلبي بسنده عن الربيع عن أبي العالية ١/ ٤٦أ، وأخرجه ابن جرير عن الربيع بن أنس. قال شاكر: لعل ذكر: عن أبي العالية سقط من الإسناد من نسخ الطبري، لثبوته عند الناقلين عنه. الطبري ١/ ٢٣٧ (ط. شاكر)، وأخرجه ابن أبي حاتم في (تفسيره) ١/ ٣٦، وذكره ابن كثير ١/ ٤٤، «الدر» ١/ ٦٠.

وقال عطاء[١]: من آمن بالله آمن بالغيب[٢].

وكذلك روى أبو العباس عن ابن الأعرابي[٣] في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال[٤]: يؤمنون بالله. قال[٥]: والغيب -أيضًا- ما غاب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب[٦].

قال أبو إسحاق: وكل ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ فهو غيب[٧]. هذا طريق المفسرين في معنى (الغيب).

ولأهل المعاني فيه طريق آخر[٨]، وهو أن معنى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح، المكي، القرشي مولاهم، روى عن عدد من الصحابة، كان ثقة فقيهًا عالمًا، توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة. انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٦٧، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٧٨، «تهذيب التهذيب» ٣/ ١٠١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح، قال المحقق: رجال إسناده ثقات ابن أبي حاتم ١/ ١٧٨ (رسالة دكتوراه). وأخرجه الثعلبي بسنده عن عطاء قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: هو الله ﷻ من آمن بالله فقد آمن بالغيب. الثعلبي في ١/ ٤٦ب، وذكره ابن كثير ١/ ١٨١.

(٣) هو محمد بن زياد الأعرابي، مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، كان راوية للأشعار نحويا، كثير الحفظ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» ص١٩٥، «إنباه الرواة» ٣/ ١٢٨، «نزهة الألباء» ص١١٩.

(٤) في (ب): (ملا).

(٥) (قال) ساقط من (ب).

(٦) «تهذيب اللغة» (غاب) ٣/ ٢٦١٦.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥.

(٨) ما ذكره قال به عدد من المفسرين، ولم أجد أحدا من أهل المعاني فيما اطلعت عليه قال به، بل كلام الزجاج السابق بخلافه وهو أحد أهل المعاني، فلا وجه لتخصيص أهل المعاني بالذكر.

بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يؤمنون إذا غابوا عنكم، ولم يكونوا كالمنافقين[١] الذين يقولون إذا خلوا إلى شياطينهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ويقوي هذا الوجه قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الملك: ١٢]، وقوله: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، والجار والمجرور هاهنا في موضع (الحال)، أي: يؤمنون غائبين عن مراءاة الناس، لا يريدون بإيمانهم تصنعا لأحد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

أي: يديمونها[٢]، ويحافظون عليها، ويقال: قام الشيء إذا دام وثبت، وأقامه إذا أدامه[٣]، والذي يدل على أن قيام الشيء إنما يعنى به دوامه وثباته[٤] ما أنشده أبو زيد:

إنِّـي إذَا لـم يُـنْـدِ حَـلْـقـاً رِيـقُـه ... وَرَكَـدَ الـسَّـبُّ فَـقَـامَـتْ سُـوقُـهْ[٥]

والراكد: الدائم الثابت[٦]، ومن ثم قيل: ماء راكد، وماء دائم.

---

(١) ذكره ابن عطية ١/ ١٤٥، والزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٢٨، والرازي ٢/ ٢٧، وابن كثير ١/ ٤٤، والبيضاوي ١/ ٧.

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» قال: يقيمون الصلاة يحافظون على الصلوات، وقد قيل: معنى يقيمون أي: يديمون الصلاة، ١/ ٩٨٠. وذكره ابن الجوزي وعزاه لابن كيسان، «زاد المسير» ١/ ٢٥.

(٣) في (ب): (دام).

(٤) انظر: «التهذيب» (قام) ٣/ ٢٨٦٤، «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٢.

(٥) أبيات من الرجز أنشدها أبو زيد في «النوادر» مع أبيات أخرى ولم يعزها، «النوادر» ص١٦٩، وذكر ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» البيت الثاني (وركد السب.. إلخ) مع بيت آخر ص٣٥٥، وكذا ورد البيت الثاني في «المخصص» ١٧/ ٢١.

(٦) في «غريب الحديث» لأبي عبيد: الدائم الراكد الساكن، ١/ ١٣٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (دام) ٢/ ١١٣٤، (الزاهر) ٢/ ٣٧٢.

ومن هذا يقال: أقام القوم سوقهم إذا أداموها وواظبوا[١] عليها[٢].

قال أبو علي الفارسي: وهذا التفسير أشبه من أن يفسر ب (يتمونها)[٣]. وأما (الصلاة) فمعناها في اللغة: الدعاء[٤]، ومنه الحديث: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائما فليصل**»[٥] قال أبو عبيد: قوله: «**فليصل**» أي: فليدع له بالبركة والخير، وكل داع فهو مصل[٦].

قال الأعشى:

---

(١) في (ب): (ووضبوا).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٤.

(٣) وبهذا أخذ الزجاج حيث قال: معناه يتمون الصلاة، كما قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. «المعاني» ١/ ٣٥. وقال ابن جرير: إقامتها. أداؤها بحدودها وفروضها والواجب فيها، على ما فرضت عليهم ١/ ١٠٤، وانظر ابن كثير ١/ ٤٥.

(٤) انظر: الطبري ١/ ١٠٤، «تهذيب اللغة» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩.

(٥) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة (١٤٣١٢) في كتاب النكاح، باب: الأمر بإجابة الدعوة دون قوله (إلى طعام)، وأبو داود بمثل رواية مسلم (٢٤٦٠) في كتاب الصوم، باب: في الصائم يدعى إلى وليمة، وأخرج (٣٧٣٦) في كتاب الأطعمة، باب: ما جاء في إجابة الدعوة، نحوه عن ابن عمر.

وأخرجه الترمذي (٧٩٨٠) في كتاب الصيام، باب: ما جاء في إجابة الدعوة دون قوله: (فإن كان مفطرا فليطعم) في لفظه (إلى طعام)، وأحمد في «مسنده» ٢/ ٥٠٧، ٢/ ٤٨٩ دون قوله (فإن كان مفطرا فليطعم).

(٦) في «غريب الحديث»: (قال: قوله: فليصل... قال أبو عبيد: كل داع فهو مصل) في الهامش: قالا: أي ابن علية ويزيد. انظر «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١١٠. فالكلام الأول نقله أبو عبيد، والمؤلف هنا نقل من الأزهري وتابعه في نسبة النص لأبي عبيد، «التهذيب» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩.

عَلَيْكِ مثل الذي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضي

نَومًا[١] فإنَّ لِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجعا[٢]

وقال أبو العباس في قوله:

وصَلَّى عَلى دَنِّهَا وارْتَسَمْ[٣]

قال: دعا لها أن لا تحمض ولا تفسد[٤].

هذا معنى الصلاة في اللغة، ثم ضمت إليها هيئات وأركان سميت بمجموعها صلاة، هذا مذهب الأكثرين.

وقال الزجاج[٥]: الأصل في الصلاة اللزوم، يقال: قد صلى

---

(١) في (ب): (يوما) وهي رواية للبيت.

(٢) البيت في «ديوان الأعشى» ص١٠٦، وهو من قصيدة يمدح بها (هوذة بن علي الحنفي) ويروى: (يوما) بدل (نوما) ذكره أبو عبيدة في «المجاز»، وقال: فمن رفع (مثل) جعله: عليك مثل الذي قلت لي ودعوت لي به، ومن نصبه جعله: أمرا، يقول: عليك بالترحم والدعاء لي، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢١٤، وابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ١٣٩، وأبو بكر بن عزيز في «معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» ٢/ ٥٣٩ رسالة ماجستير، وأبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ١١١، والأزهري في «التهذيب» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩، وورد في «الدر المصون» ١/ ٩٢ و«القرطبي» ١/ ١٤٦، و«ابن كثير» ١/ ٤٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٨.

(٣) البيت للأعشى من قصيدة يمدح به قيس بن معد يكرب، وصدره:

قابلها الريح في دنها

يصف الخمر، صلى: دعا، ارتسم: كبّر ودعا وتعوّذ مخافة أن يجدها فسدت، فتبور تجارته. انظر: «ديوان الأعشى» ص١٩٦، «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١١١، والطبري ١/ ١٠٤، «تهذيب اللغة» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩، وابن كثير ١/ ٤٦.

(٤) «تهذيب اللغة» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢١٥.

واصطلى[١]: إذا لزم، ومن هذا من يصلى في النار أي: يلزم، قال: والقول عندي هذا ؛ لأن الصلاة من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه، وألزم ما أمر به من العبادات[٢].

ومن اختار هذه الطريقة[٣] قال: معنى قولهم للداعي إذا دعا: (صلى) معناه: أنه لزم الدعاء لشدة حاجته إلى الإجابة.

و(الصَّلَوَان) من الفرس، العظمان اللذان في العجز[٤]، والواحد: (صلا)، سميا للزوم كل واحد منهما الآخر[٥]، والمُصَلِّي: الذي يأتي في أثر السابق من هذا، لأنه يأتي ورأسه مع ذلك المكان من السابق[٦]، ومنه حديث علي ﷺ: (سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر)[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾. يقال: رَزَق الله الخلق رَزْقا ورِزْقا،

---

(١) في (أ) و (ج): (واصطلا) وفي (المعاني) (يقال: صلى وأصلى واصطلى...) ١/ ٢١٥، ونص المؤلف في «التهذيب» فلعله نقل منه، ٢/ ٢٠٤٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج، دون قوله: (وألزم ما أمرت به من العبادات) ١/ ٢١٥، وذكره في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٤٩.

(٣) أي: أن الصلاة بمعنى اللزوم.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٥، «تهذيب اللغة» (صلى) ٢/ ٢٠٤٩، «مجمل اللغة» (صلى) ٢/ ٥٣٨.

(٥) في (ب): : (للآخر).

(٦) المراجع السابقة.

(٧) أخرجه أحمد في «المسند»: (عن علي ﷺ قال: سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر وثلث عمر، ثم خبطتنا فتنة بعدهم يصنع الله فيها ما يشاء) «المسند» ١/ ١١٢، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٧. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٦/ ١٣٠، وذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ١٤٢، والأزهري في «تهذيب اللغة» (صلى) ٢/ ٢٠٥٠.

فالرَّزْقُ بالفتح: هو المصدر الحقيقي، والرِّزْق: الاسم، ويجوز أن يوضع موضع المصدر[١]، وكل ما انتفع به العبد هو رزقه، من مال وولد وغيره.

وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُونَ﴾ معنى الإنفاق في اللغة: إخراج المال من اليد. ومن هذا يقال: نفق المبيع إذا كثر مشتروه، فخرج عن يد البائع، ونفقت الدابة إذا خرجت روحها[٢]، والنفق[٣] سرب له مخلص إلى مكان آخر يخرج منه[٤]، والنافقاء من جحرة اليربوع: وهو الذي يخرج منه إذا أخذ من جهة أخرى، ومنه المنافق، لخروجه عن الإيمان بما ينطوي عليه من الكفر[٥].

والمراد بالإنفاق هاهنا: إنفاق فيما يكون طاعة فرضا أو نفلا ؛ لأن الله تعالى مدحهم بهذا الإنفاق[٦].

٤- قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾. قال مجاهد: الآيات الأربع من أول هذه السورة نزلت في جميع المؤمنين[٧] سواء كانوا من العرب، أو من أهل الكتاب.

---

(١) «تهذيب اللغة» (رزق) ٢/ ١٤٠١.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ٤٧أ، ب. وانظر: «تهذيب اللغة» (نفق) ٤/ ٣٦٣٤.

(٣) في (ب): (النعفق).

(٤) في (ب): (منه إذا)، وعند الثعلبي (يخرج إليه) ١/ ٤٧ب، وهو في «التهذيب» دون قوله: (يخرج منه نفق) ٤/ ٣٦٣٥.

(٥) انظر: «التهذيب» (نفق) ٤/ ٣٦٣٥.

(٦) ذكر الطبري نحوه، ١/ ١٠٥.

(٧) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١/ ١٠٣، وذكره الثعلبي ١/ ٤٧ب، وابن كثير، وقال: قاله مجاهد، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة ١/ ٤٦.

فعلى هذا القول (الواو) في قوله ﴿والذين﴾ لتعديد صفاتهم، فهو عطف صفة على صفة، والموصوف واحد[١]، كما قال:

إلى الملكِ القَرْم وابنِ[٢] الهُمام.

وليثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ[٣]

ولم يرد إلا شخصا واحدا.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح، وابن مسعود في رواية مرة[٤]: (إن آيتين من أول السورة نزلتا في مؤمني العرب، والآيتان بعدهما نزلتا في مؤمني أهل الكتاب)، لأنه لم يكن للعرب كتاب كانوا مؤمنين به قبل محمد

---

(١) انظر: «الطبري» ١/ ١٠٧، و«ابن كثير» ١/ ٤٦، «الكشاف» ١/ ١٣٣، ١٣٥.

(٢) في (ج): (بن).

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٥، و«الثعلبي» ١/ ٤٧أ، «الكشاف» ١/ ١٣٣، و«القرطبي» ١/ ٣٢٨، وابن كثير ١/ ٤٦، «خزانة الأدب» ١/ ٤٥١، ٥/ ١٠٧، ٦/ ٩١، «البحر» ١/ ٢٠٢، «الدر المصون» ١/ ٩٧.

القرم: الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه، ويسمى السيد من الناس قرما، والهُمام: من أسماء الملوك، لعظم همتهم، أو لأنه إذا هم بأمر فعله، والكتيبة: الجيش، المزدحم: المعركة؛ لأنها موضع المزاحمة والمدافعة.

(٤) ذكره ابن جرير بسنده من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ١/ ١٠٥-١٠٦، وانظر ابن كثير ١/ ٤٦. وأبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب، اسمه (باذان) تابعي وثقه أكثرهم. انظر ترجمته في «الجرح والتعديل» ٢/ ٤٣١، «تهذيب التهذيب» ١/ ٢١١. ومُرَّة هو مُرَّة بن شرا حيل الهمداني الكوفي، من كبار التابعين ثقة. انظر ترجمته في «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٦٦، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٨. وقد تكلم أحمد شاكر كلامًا جيدًا وأطال حول هذا الإسناد في حاشية الطبري ١/ ١٥٦-١٥٩ (ط. شاكر). أفاد فيه أن للسدي كتابا في التفسير جمع فيه مفرق=

صلَّىٰ الله عَلَيهِ وسلَّم[١].

فعلى هذا (الواو)[٢] لعطف مؤمني أهل الكتاب على مؤمني العرب[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْكَ﴾ الأصل في (إليك) و(عليك): (إلاك) و(علاك)، كما تقول: إلى زيد، وعلى زيد، إلا أن (الألف) غيرت مع الضمير[٤]، وأبدلت (ياء) ليفصل بين (الألف) التي في آخر المتمكنة مثل: القفا والعصا، وبين الألف في أواخر غير المتمكنة [التي][٥] الإضافة لازمة لها، ألا ترى أن (إلى) و(على) و(لدى)[٦] لا تنفرد من الإضافة[٧].

وقوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾. دخلت (هم) توكيدًا، يسميه الكوفيون: عمادًا، والبصريون: فصلًا[٨].

= هذِه التفاسير عن الصحابة الذين ذكرهم، ذكر في أوله هذِه الأسانيد، «تفسيره» من أوائل الكتب التي ألفت في هذا وهو من طبقة عالية من طبقة شيوخ مالك.

(١) ذكره ابن جرير واستدل على هذا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾. وذكر قولا ثالثا: أن الآيات الأربع في مؤمني أهل الكتاب خاصة. وقد رجح أن الآيتين من أول السورة في مؤمني العرب، والآيتين بعدهما في مؤمني أهل الكتاب. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧ .

ورجَّح ابن كثير في «تفسيره» قول مجاهد ١/ ٤٧.

(٢) (الواو) ساقطة من (ب).

(٣) انظر: «الكشاف» ١/ ١٣٥.

(٤) في (ب): (المضمر) ومثله عند الزجاج في «المعاني» ١/ ٣٧.

(٥) في جميع النسخ (إلى) وفي «معاني القرآن» للزجاج (التي) والكلام بنصه منقول منه ١/ ٣٧.

(٦) في (ب): (لدن).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٤٧ب، ويجوز: في (هم) أن تكون ابتداءً ثانيًا=

و﴿يوقنون﴾ أصله (يُيْقِنون)، لأنه (يُفْعِلون) من اليَقين، فلما سكنت (الياء) وانضم ما قبلها صارت (واوا)[١]، كما صارت (الواو) (ياء) لكسرة ما قبلها[٢] في قولك: إيثاق وإيشال[٣] وميثاق وميعاد.

واليقين: هو العلم الذي يحصل بعد[٤] استدلال ونظر، لغموض المنظور[٥] فيه أو لإشكاله على الناظر[٦]، يقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] ولذلك[٧] لم يجز أن يوصف القديم سبحانه به، لأن علمه لم يحصل عن نظر واستدلال[٨].

= للتوكيد و(المفلحون) خبره، والجملة خبر (أولئك) ويجوز: أن يكون (هم) عمادًا، أو فصلًا. انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٣.

(١) انظر: «الكتاب» ٤/ ٣٣٨، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٨٤، وقال العكبري: (أصله (يؤيقنون) لأن ماضيه (أيقن) والأصل أن يؤتى في المضارع بحروف الماضي، إلا أن الهمزة حذفت لما ذكرنا في (يؤمنون) وأبدلت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها) (الإملاء) ١/ ١٣.

(٢) مع سكون (الياء) انظر «الكتاب» ٤/ ٣٣٥، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٣٢.

(٣) في (ب): (اسياق) ولم أجدها فيما اطلعت عليه من كتب اللغة.

(٤) في (ب): (به).

(٥) في (ب): (المقصود).

(٦) قال ابن عطية: (اليقين أعلى درجات العلم وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجه) ١/ ١٤٩، وعرفه الراغب فقال: (هو سكون الفهم مع ثبات الحكم) مفردات الراغب ص ٥٥٢. وانظر كتاب «معرفة أسماء نطق بها القرآن» ٢/ ٦١٨ (رسالة ماجستير)، «تفسير الرازي» ٢/ ٣٢، ٣٥.

(٧) في (ب): (وكذلك).

(٨) انظر: «تفسير الرازي» ٢/ ٣٢. ومذهب السلف: أن الله لا يوصف بذلك لعدم ورود النص به.

ويقال: أَيْقَن بالأمر واسْتَيْقَن وتَيَقَّن كله واحد. ويقال في الثلاثي: يَقِنَ يَيْقَن يَقَناً فهو يَقِنٌ، واليَقَنُ: اليَقِين[١].

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾. تخصيص بعد التعميم على قول مجاهد[٢]، لأن الإيقان بالآخرة داخل في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ على التفسير الأول في[٣] (الغيب)[٤] ومثل هذا قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١،٢] عمَّ بقوله: ﴿خلق﴾ جميع المخلوقات، ثم خص بعد.

٥- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ الآية. (أولاء) كلمة معناها الكناية عن جماعة، وهي لا تعرب لأنها اسم الإشارة، وكسرت الهمزة فيها لالتقاء الساكنين[٥]، قال الله تعالى: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ [طه: ٨٤] ودخلت الكاف للمخاطبة كما ذكرنا في قوله (ذلك)، وفيه ثلاث لغات: (أولئك) و(أولاك) و(أولالك)[٦].

قال الشاعر:

---

(١) انظر: «العين» ٥/ ٢٢٠، «تهذيب اللغة» (يقن) ٤/ ٣٩٩٨٣، «اللسان» (يقن) ٩٨/ ٤٩٦٤.

(٢) هو ما سبق من قوله: إن الآيات الأربع في جميع المؤمنين. انظر ص٤٤٥.

(٣) التفسير الأول للغيب هو ما ذكره عن أبي العالية: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وبالبعث بعد الموت.

(٤) في (أ)، (ب): (للغيب).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧.

(٦) انظر: «الأصول في النحو» ٢/ ١٢٨، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤، «المنصف» ١/ ١٦٥، ١٦٦، ٣/ ٢٦، «تفسير القرطبي» ١/ ١٥٧، «الدر المصون» ١/ ١٠٢.

أولئك قومي لم يكونوا أُشابةً وهل يَعِظُ الضِّلِّيلَ إلا أولالكا[١]

وقال آخر:

أولاكَ بنو[٢] خير وشرٍّ كليهما[٣] جميعًا ومعروفٍ ألَمَّ ومُنكرِ[٤]

فمن قال: (أولاك) قال: (هؤلا) مقصورًا[٥]، قال أوس بن حجر:

لعمرك إنّا والأحاليف هؤلا لَفي فتنةٍ أظفارُها لم تُقَلَّمِ[٦]

---

(١) نسب أبو زيد البيت في «النوادر» لأخي الكلحبة وروايته له:

ألم تك قد جربت ما الفقر والغنى ولا يعظ الضليل إلا ألالكا

«نوادر أبي زيد» ص٤٣٨، ومثل ذلك في «الخزانة» ١/ ٣٩٤، بينما نسبه في «شرح المفصل» للأعشى وروايته له مثل ما ورد عند الواحدي «شرح المفصل»، ١٠/ ٦ ويروى البيت عند أكثر النحاة (أولالك قومي...) بدل (أولئك)، و(الأشابة) بضم الهمزة: الجمع المختلط من هنا وهناك، والضليل: الضال، يصف قومه بالصفاء والنصح، ورد البيت كذلك في «المنصف» ١/ ١٦٦، ٣/ ٢٦، «الهمع» ١/ ٢١٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٥٨ «الدر المصون» ١/ ١٠٢.

(٢) في جميع النسخ (بني) والتصحيح حسب المصادر التي ورد فيها البيت.

(٣) في (ب): (كلاهما) وفي (ج): (كله هما).

(٤) في (ج): (وينكر).

البيت لمسافع بن حذيفة العبسي، شاعر جاهلي، قوله (أولاك) مبتدأ و(بنو) خبر المبتدأ، أراد أنهم ملازمون لفعل الخير والشر مع الأصدقاء والأعداء، و(معروف) و(منكر) معطوف على خير، وهما أخص من الخير والشر، و(ألم): نزل.

انظر: «الخزانة» ١/ ١٧١ وانظر: «حاشية يس على التصريح» ٢/ ١٢٤، (مطبوع في هامش التصريح)، «الحماسة بشرح المرزوقي» ٢/ ٩٩٠.

(٥) انظر: «الأصول في النحو» ٢/ ١٢٧.

(٦) رواية البيت (حقبة) بدل (فتنة) يقول: نحن في حرب، والأظفار: كناية عن السلاح. انظر: «ديوان أوس» ص١٢٠، «المعاني الكبير» ٢/ ٨٩٨، «الخزانة» ٣/ ١٧، ٧/ ١٨.

وكتبت[١] الواو في ﴿أولئك﴾ لئلا يشتبه في الكتابة بـ (إليك) وأشار بقوله: (أولئك) إلى الموصوفين بالصفات المتقدمة[٢]. ومحله رفع بالاستئناف[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ معنى: (على) كمعنى: (فوق)[٤]. وهي[٥] تكون: اسما وحرفا[٦]، يقول: عليه مال[٧]، فهذا حرف، وكأنه شيء اعتلاه. وقول الشاعر:

غَدَتْ مِنْ عليه تنفُضُ الطَّلَّ بعدما

رأتْ حاجبَ الشمسِ استوى فترفَّعا[٨]

---

(١) في (ب): (يشبه في الكناية إليك). انظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٦، وابن «تفسير كثير» ١/ ٤٧.

(٣) في محل ﴿أولئك﴾ من الإعراب أقوال وهي: أنها مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده، والجملة إما مستأنفة، أو خبر عن قوله: ﴿الذين يؤمنون﴾ الأولى أو الثانية، ويجوز: أن تكون ﴿أولئك﴾ وحدها خبراً عن ﴿الذين يؤمنون﴾ الأولى أو الثانية، ويجوز: أن يكون ﴿الذين يؤمنون﴾ مبتدأ، و﴿أولئك﴾ بدل أو بيان. انظر «الدر المصون» ١/ ١٠٢.

(٤) تكون بمعنى (فوق) إذا كانت اسما. انظر: «الكتاب» ١/ ٢٦٨، «مغني اللبيب» ١/ ١٤٥.

(٥) في (ب): (وهو).

(٦) وإذا كانت حرفا فلها عدة معان. انظر: «مغني اللبيب» ١/ ١٤٣.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة»: (على) ٣/ ٢٥٥٩.

(٨) نسبه أبو زيد في «النوادر» لبعض القشيريين، ونسب في «اللسان» ليزيد ابن الطثرية، يقول: غدت الظبية من فوقه. والشاهد فيه (من عليه) استعمل (على) اسما بمعنى: فوق لما دخل عليها حرف الجر (من). ورد البيت في «نوادر أبي زيد» ص٤٥٣، «المقتضب» ٢/ ٣٢٠، ٣/ ٥٣، «الأزهية» ص١٩٤، «اللسان» (علا) ٥/ ٣٠٩٢، «شرح المفصل» ٨/ ٣٨.

فهذا اسم لدخول (من) عليها[١]، كأنه قال: غدت تنفض الطل من فوقه.

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. (هم) دخلت فصلا[٢]، وإن شئت كان تكريرا للاسم، كما تقول: زيد هو العالم، ترفع[٣] (زيدا[٤]) بالابتداء، و(هو) ابتداء ثان، و(العالم) خبر له[٥]، وهما جميعا خبر لزيد، وكذلك قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. وإن شئت جعلت (هو) فصلا، وترفع (زيدا)، و(العالم) على الابتداء والخبر، والفصل هو الذي يسميه[٦] الكوفيون عماداً.

قال سيبويه[٧]: دخل الفصل في قوله: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وفي قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾[٨] [آل عمران: ١٨٠].

وفي قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ

---

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٦٨، «مغني اللبيب» ١/ ١٤٥، «شرح المفصل» ٨/ ٣٨.

(٢) نقله الواحدي عن الزجاج بتصرف يسير. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٧ .

(٣) مكانها بياض في (ب).

(٤) في (ب): (زيد).

(٥) أي خبر هو. انظر: «معاني القرآن» ١ / ٣٧.

(٦) في (أ): (تسمية) وما في (ب، ج) أصح في السياق.

(٧) في «معاني القرآن»: (وسيبويه يقول: إن الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم، نحو: كان زيد هو العالم، وظننت زيدا هو العالم. وقال سيبويه: دخل الفصل في قوله ﷻ.. إلخ)، وقوله: (وسيبويه يقول... إلى: وظننت زيدا هو العالم (ليس موجودا في بعض مخطوطات المعاني .
انظر: حاشية «معاني القرآن» ١/ ٣٨، وانظر كلام سيبويه في «الكتاب» ٢/ ٣٨٩- ٣٩٥.

(٨) سقط (لهم) من(أ)، (ب)، والآية (١٨٠) من آل عمران.

﴿ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وفي قوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] .وذكر أن [هذا][1] بمنزلة (ما)[2] اللغو[3] في قوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ قال أبو عبيد[4]: أصل الفلاح: البقاء[5]، وأنشد للأضبط[6] بن قريع[7] السعدي:

لِكُلِّ هَمٍّ من الهموم سَعَةْ ... والمُسْيُ والصبحُ لا فلاحَ مَعَهْ[8]

يقول: ليس مع كر الليل والنهار بقاء. ومنه قول عَبِيد[9]:

---

(١) قوله: ذكر، أي: سيبويه، وقوله: (هذا) كذا وردت في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن» للزجاج (هو) وهو الصواب.

(٢) في (ج): (وذان هذا بمنزلة ها).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٨، كلام سيبويه في «الكتاب» ٢/ ٣٩١، ولم يذكر سيبويه الآية.

(٤) في (ب) (أبو عبيدة) وهو خطأ. وكلام أبي عبيد في «غريب الحديث» ٤/ ٣٨، وانظر «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦.

(٥) في (ب) (التقى).

(٦) في (ب)، (ج): (وأنضد الأضبط) وما في (أ) موافق لـ «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، وعبارة «غريب الحديث»: قال الأضبط...، ٢/ ١٨٣.

(٧) في (ب): (فيع). وهو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد، السعدي شاعر جاهلي قديم. انظر ترجمنه في «الشعر والشعراء» ص٢٤٢، «الخزانة» ١١/ ٤٥٥.

(٨) البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ١٨٣، «الزاهر» ١/ ٣١، «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩/أ، «اللسان» ٦/ ٣٤٥٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٥٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٥٨، «الدر المصون» ١/ ١٠٤ «الخزانة» ١١/ ٤٥٢، وقد ذكره في «الشعر والشعراء» ونصه:

يا قوم من عاذرى من الخدعة ... والمسى.........إلخ ١/ ٣٩٠

(٩) هو عبيد بن الأبرص كما في «غريب الحديث» ٤/ ١٨٣.

أفلِحْ بما شئتَ فقد يُبلَغ بالـ ـضَّعف[١] وقد يُخْدَعُ الأريبُ[٢]

يقول: عش بما[٣] شئت من عقل أو حمق، فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل.

قال: وإنما قيل لأهل الجنة: مفلحون، لفوزهم ببقاء الأبد، ومن هذا يقال للسحور[٤]: الفلح والفلاح، أي: أن[٥] به بقاء الصوم[٦].

الحراني عن ابن السكيت[٧] الفلح والفلاح: البقاء، وأنشد لعدي بن زيد:

ثم بعد الفلاح والرشد والإ مَّة وارَتْهمُ هناك القبورُ[٨]

وقال الأعشى:

---

(١) في (ب): (بالضغت).

(٢) البيت يروى (يدرك) بدل (يبلغ) و(يخدع) بالتشديد، وهو في «غريب الحديث» ٢/ ١٨٣، ٢٠٠، «ديوان عبيد» ص١٤، و«تفسير الطبري» ١/ ١٠٨، (مجاز القرآن) ١/ ٣٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٩، «الزاهر» ١/ ١٣٢، وفيه (يفلح) بدل يبلغ، «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، «اللسان» (فلح) ٦/ ٣٤٥٨، وفيه (بالنوك) بدل (بالضعف)، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٥٨، «الدر المصون» ١/ ١٠٤.

(٣) في (ب): (ما).

(٤) في (ب): (السحور).

(٥) في (ب): (اذ به).

(٦) انتهى كلام أبي عبيد، «غريب الحديث» ٢/ ١٨٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦.

(٧) «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، وفيه بيت الأعشى مقدم على بيت عدي.

(٨) من قصيدة لعدي بن زيد، ذكرها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»، وتعتبر من غرر شعره، ويروى (الملك) بدل (الرشد) و(الإمه) بكسر الهمزة: غضارة العيش والنعمة. انظر «الشعر والشعراء» ص١٣٠، «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، «اللسان» (فلح) ٦/ ٣٤٥٨.

وَلَئِن كُنَّا كَقومٍ[١] هلكوا ما لِحَيٍّ يا لَقومٍ مِنْ فَلَحْ[٢]

وقال لبيد:

نَحُلّ بلاداً كلُّها[٣] حُلَّ قبلنا ونرجو الفلاحَ بعد عادٍ وحِمْيَرِ[٤]

هذا معنى الفلاح في اللغة.

ثم يقال لكل من ظفر ببغيته وأصاب خيرا: أفلح[٥]، وقال[٦] لبيد:

اِعْقِلي إن كنتِ لمّا تَعْقِلي ولقد أفلحَ مَنْ كان عَقَلْ[٧]

يعني: ظفر بحاجته ووصل إلى بغيته[٨]، وهو راجع إلى معنى البقاء، لأن البقاء هو سبب إدراك البغية ونيل المطلوب.

فمعنى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: هم الذين أدركوا البغية، ووجدوا

---

(١) في (ب): (القوم).

(٢) البيت في (غريب الحديث) للخطابي ١/ ٥٢٣، «تهذيب اللغة» (فلح) ٣/ ٢٨٢٦، «اللسان» (فلح) ٦/ ٣٤٥٨، (الصحاح) (فلح) ١/ ٣٩٢، «ديوان الأعشى» ص٣٨، وفيه (أو لئن)، (يا لقومي) وهو من قصيدة يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي، ومعنى (فلح): بقاء.

(٣) في (ب): (حلها).

(٤) البيت في ديوان لبيد (مع شرحه) ص٥٧، «مجاز القرآن» ١/ ٣٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٩، والطبري ١/ ١٠٨، والثعلبي ١/ ٤٧/ب، والقرطبي ١/ ١٥٨، وابن عطية ١/ ١٥٠، (زاد المسير) ١/ ٢٧، «الدر المصون» ١/ ١٠٤.

(٥) انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٠٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٩.

(٦) في (ب): (وقال).

(٧) «ديوان لبيد مع شرحه» ص١٧٧، «مجاز القرآن» ١/ ٣١، و«تفسير الطبري» ١/ ١٨٠، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٠٤، «الزاهر» ١/ ١٣١، وقوله: (أعقلي) يخاطب عاذلته، أو نفسه.

(٨) في (ب): (ببغيته).

انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٨، «مجاز القرآن» ١/ ٣١.

البقاء في الدار الآخرة في النعيم المقيم[١]. وحكم لهم بالفلاح ولم يصلوا بعد إلى الجنة، لأن المعنى أنهم يصلون إلى البغية والبقاء بكونهم على الهدى، أو كأنهم قد وصلوا للثقة بالموعود لهم. وقيل: هم على هدى في الحال، وهم المفلحون في المآل.

٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية .﴿إِنَّ﴾ الثقيلة تكون منصوبة الألف وتكون مكسورة الألف. فإذا[٢] كانت مبتدأة ليس قبلها شيء تعتمد[٣] عليه، أو جاءت بعدها (لام) مؤكدة يعتمد عليه[٤] أو جاءت بعد القول وما تصرف[٥] منه، وكانت حكاية: كسرت الألف، وفيما سوى ذلك تنصب[٦]. ومعناها في الكلام: التوكيد، وهي التي تنصب الأسماء وترفع الأخبار، وإنما نصبت ورفعت، لأنها تشبه بالفعل، وشبهها أنها لا تلي الأفعال ولا تعمل فيها، وأنها يذكر بعدها الاسم والخبر، كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول، إلا أنه قدم المفعول فيها ليفصل بين ما يشبه بالفعل وليس لفظه لفظ الفعل[٧]، وبين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظ الفعل،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٠٨، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩١، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٥٩، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٥٠.

(٢) في (ب): (وإذا).

(٣) في (ب)، (ج): (يعتمد) وهو موافق ل«تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٢، والكلام منقول منه.

(٤) (عليه) في جميع النسخ. وفي «تهذيب اللغة» (عليها) ١/ ٢٢٢.

(٥) في (ب): (يصرف).

(٦) في (ب): (ينصب) وفي «تهذيب اللغة» (تنصب الألف).

والكلام بنصه ذكره الأزهري عن الليث عن الخليل، سوى قوله: أو جاءت بعد القول فذكره عن الفراء. «تهذيب اللغة» (أن) ١/ ٢٢٢، وانظر مواضع فتح وكسر همزة (إن) في «الكتاب» ٣/ ١٣٤ وما بعدها، «الأصول في النحو» ١/ ٢٦٢ وما بعدها.

(٧) من هنا بدأ سقط لوحة كاملة من (ب).

نحو (كان) وبابه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿كَفَرُواْ﴾ معنى الكفر في اللغة: التغطية.

أقرأني أحمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف العروضي[(٢)] -رحمه الله- قال: أخبرني الأزهري، عن المنذري، عن الحراني، عن ابن السكيت قال: إذا لبس الرجل فوق درعه ثوباً فهو كافر، وقد كفر فوق درعه، وكل ما غطى شيئاً فقد كفره. ومنه قيل لليل: كافر، لأنه ستر بظلمته وغطى، وأنشد لثعلبة بن صُعَير المازني[(٣)]:

فتذكّرا ثَقَلًا رثيداً بعدما ألقت ذكاءُ يمينَها في كافرِ[(٤)]

أي: الليل.

ومنه يسمى الكافر كافراً، لأنه ستر نعم الله.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٤٠، وانظر: «الأصول في النحو» ١/ ٢٣، «الإيضاح في علل النحو» ص١٣٥، «الإنصاف» ص١٥٣-١٥٥.

(٢) شيخ الواحدي، تقدمت ترجمته مع شيوخه.

(٣) هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي المازني، شاعر جاهلي قديم، قال الأصمعي: لو قال ثعلبة بن صعير مثل قصيدته خمساً كان فحلاً، انظر «فحولة الشعراء» الأصمعي ص١٢، «الأعلام» للزركلي ٢/ ٩٩.

(٤) البيت من قصيدة له، ذكرها المفضل الضبي في «المفضليات» ص١٢٨-١٣١، والبيت في «إصلاح المنطق» ص٤٩، ٣٣٩، وفي «تهذيب اللغة» (كفر) ٤/ ٣١٦٢، «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح» ١/ ٣٣٢، ٢/ ٦٧٩، «أمالي القالي» ٢/ ١٤٥، «الصحاح» (كفر) ٢/ ٨٠٨، «مقاييس اللغة» (كفر) ٥/ ١٩١، «المخصص» ٦/ ٧٨، ٩/ ١٩، ١٧/ ٧، «اللسان» (رثد) ٣/ ١٥٩٨١، و(كفر) ٧/ ٣٨٩٩، و(ذكا) ٣/ ١٥١٠، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٥١، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٥٩، و«تفسير الطبري» ١/ ١١٠، «الدر المصون» ١/ ١٠٧.

وفي هذا البيت يذكر الظليم والنعامة، والثقل: بيضهما، والرثد: المتاع المرثود، وذكاء: الشمس، أي بدأت في المغيب، والكافر: الليل.

ويقال: رماد مكفور، أي: سَفَت عليه الريح التراب حتى وارته، قال الراجز:

قد درسَتْ[١] غيرُ رمادٍ مكفورْ مكتئبِ اللون مَريحٍ ممطورْ[٢]

وقال آخر[٣]:

فوردَتْ قبلَ انبلاجِ[٤] الفَجْرِ وابنُ ذُكاءٍ كامنٌ في كَفْرِ[٥]

أي: فيما يواريه من سواد الليل، وقد كفر الرجل متاعه [أي:][٦] أوعاه في وعاء[٧].

---

(١) في (ج): (رزشت).

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي، وقيل: لأبي مهدي. وقبله:

هل تعرف الدار بأعلى ذى القور؟

يقول: درست معالم الدار إلا رمادًا مكفورًا، أي: سفت عليه الريح، والأبيات في «إصلاح المنطق» ص٣٤٠، وفي «التهذيب» (كفر) ٤/ ٣١٦٢، «الصحاح» (كفر) ٢/ ٨٠٧، «المخصص» ٦/ ٧٨، «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح» ٢/ ٦٧٩، «مقاييس اللغة» (كفر) ١٠/ ١٩٨، «اللسان» (كفر) ٧/ ٣٩٠٠. وكلهم رووه (مروح ممطور) سوى (المخصص) فنصه مثل رواية المؤلف هنا.

(٣) هو حميد الأرقط.

(٤) في (ج): (ابلاج).

(٥) قال ابن السكيت: ويروى: (في كفر) وهما لغتان. وابن ذكاء: يعني الصبح، «إصلاح المنطق» ص ٣٤٠، وانظر: «تهذيب اللغة» (كفر) ٤/ ٣١٦٢، ورد البيت كذلك في «الصحاح» (كفر) ٧/ ٣٩٠٠، «المخصص» ٦/ ٧٨، «المشوف المعلم» ٢/ ٦٧٩، «اللسان» (كفر) ٧/ ٣٩٠٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٦٠، «الدر المصون» ١/ ١٠٦.

(٦) في (أ)، (ج): (إلى)، وفي «إصلاح المنطق»، «التهذيب»: (أي) وهو الصحيح. «الإصلاح» ص٣٤٠، «التهذيب» (كفر) ٤/ ٣١٦٢.

(٧) انتهى كلام ابن السكيت وهو في «الإصلاح» ص٣٣٩، ٣٤٠، «تهذيب اللغة» (كفر) ٤/ ٣١٦٢، ونص الواحدي من «التهذيب».

وقال ابن المظفر[١]: سمي الكافر: كافراً، لأن الكفر غطى قلبه كله. قال الأزهري: وهذا يحتاج إلى إيضاح. وهو: أن (الكفر) في اللغة: التغطية، فالكافر معناه: ذو الكفر، ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح: كافر، وهو الذي غطاه السلاح. ومثله: رجل كاس أي: ذو كسوة، وناعل: ذو نعل[٢].

وقول ابن[٣] السكيت في معنى الكافر أبين وأصح[٤]. والنعمة التي أنعم الله على العبد فكفرها[٥] الكافر، أي: سترها، هي الهدى والآيات التي أبانت لذوي التمييز أن الله واحد لا شريك له، فمن لم يصدق بها وردّها فقد كفر النعمة، أي: سترها وغطاها.

ويجوز أن يقال: إن الكافر لما دعاه الله إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة أوجبها له إذا أجابه إلى ما دعاه إليه، فإذا لم[٦] يجب كان كافرا لتلك النعمة، أي: مغطيا لها، مكذبًا بها، حاجبا لها عنه[٧].

قال شمر: قال بعض أهل العربية[٨]: الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، من لقي ربه بشيء من ذلك

(١) هو الليث. انظر: «التهذيب» (كفر) ٤/ ٣١٦١، ومقدمة «التهذيب» ١/ ٤٧.

(٢) في (التهذيب) بدل (فاعل: ذو نعل)، وماء دافق: ذو دفق ٤/ ٣١٦١.

(٣) في (ج): (بن).

(٤) قال الأزهري: قلت: وما قاله ابن السكيت بيِّن صحيح، ٤/ ٣١٦١.

(٥) في «التهذيب»: (والنعم التي سترها الكافر هي الآيات التي أبانت لذي التمييز .. إلخ) ٤/ ٣١٦٢.

(٦) في «التهذيب»: (.. فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها، فلما رد ما دعاه إليه من توحيده كان كافرا نعمة الله . .)، ٤/ ٣١٦١.

(٧) «التهذيب» (كفر) ٤/ ٣١٦٠، وقد تصرف الواحدي في نقل كلام الأزهري.

(٨) في «التهذيب» (قال شمر: قال بعض أهل العلم)، ٤/ ٣١٦٠.

لم يغفر له.

فأما كفر الإنكار: فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد.

وكذلك روي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٦] أي: الذين كفروا بتوحيد الله.

وأما كفر الجحود: فأن يعرف بقلبه ولا يقر بلسانه، فهذا كافر جاحد ككفر إبليس، وكفر أمية بن أبي الصلت[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] يعني: كفر الجحود. وأما كفر المعاندة: فهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل، ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمتُ بأنّ[٢] دين محمد　　من خير أديان البرية دينا[٣]
لولا الملامةُ أو حِذارُ مَسَبّةٍ　　لوجدتَني سمحاً[٤] بذاك متينا[٥]

---

(١) شاعر جاهلي أدرك النبي ﷺ وكفر به حسدًا، كان له شعر جيد، وكان يخبر أن نبيًّا قد أظل زمانه، وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي ﷺ كفر به حسداً، ولما أنشد النبي ﷺ شعره قال: «**آمن لسانه وكفر قلبه**».

وسبقت ترجمته، وانظر: «الخزانة» ١/ ٢٤٩.

(٢) في (ج): (أن).

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من (ب).

(٤) في (ب): (سحا).

(٥) كذا جاءت الأبيات في «التهذيب» ٤/ ٣١٦٠، «اللسان» (كفر) ٧/ ٣٨٩٨، و«تفسير البغوي» ١/ ٦٤، وفي «(تفسير النسفي» ١/ ٥٠، (ضمن مجموعة من التفاسير) وفيها (سمحا بذلك مبينا) وفي «تفسير القرطبي» (بقينا) ٦/ ٤٠٦. وذكرها المؤلف في «أسباب النزول» بمثل روايته لها هنا. ص٢١٠.

وأما كفر النفاق: فأن يقر بلسانه ويكفر بقلبه.

قال[١]: والكفر -أيضا- يكون بمعنى: البراءة، كقول الله ﷻ خبرًا عن الشيطان ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ [إبراهيم: ٢٢] أي تبرأت[٢]. ويقال: كفر كفراً وكفوراً، كما يقال: شكر شكراً وشكوراً[٣] قال الله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾. السواء[٤]، والعدل، والوسط، والقصد، والنصف: ألفاظ متقاربة في المعنى. يقال للعدل: السواء، قال زهير[٥]:

أرُونـي[٦] خُطَّـةً لا خَسْـفَ فيـهـا يُسَـوِّي[٧] بيننـا فيـهـا السَّـوَاءُ[٨]

---

(١) أي: شمر. «التهذيب» ٤/ ٣١٦٠.

(٢) كلام شمر جميعه في «تهذيب اللغة» (كفر) ٤/ ٣١٦٠، «اللسان» (كفر) ٧/ ٣٨٩٨، وانظر أنواع الكفر في «التصاريف» المنسوب ليحيى بن سلام ص١٠٤، ١٠٥، و«النسفي» ١/ ٥٠ (ضمن مجموعة من التفاسير).

(٣) «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٤٥، وانظر «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٠.

(٤) الكلام في «الحجة» بنصه ١/ ٢٤٥. وانظر «التصاريف» ص١١١، ١١٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٥، «الصحاح» (سوا) ٦/ ٢٣٨٤.

(٥) هو زهير بن أبي سلمى، أحد فحول شعراء الجاهلية، توفي قبل المبعث بسنة. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٦٩، «الخزانة» ٢/ ٣٣٢.

(٦) في «الحجة» (أرونا) وفي الهامش في ط (أرني) ١/ ٢٤٦.

(٧) في (ب): (يسوا).

(٨) رواية البيت في الديوان: أرونا سنة لا عيب فيها.
يقول: أرونا سنة لا عيب فيها ولا ظلم، تسوى بيننا بالحق، «ديوان زهير» ص٨٤، «الحجة» ١/ ٢٤٦، «تهذيب اللغة» «لفيف السين» ٢/ ١٧٩٥، «البحر» ١/ ٣٤٧، «الدر المصون» ١/ ١٠٨.

وأنشد أبو زيد لعنترة[١]:

أَبَينا فلا نُعطي السَّواءَ عدوَّنا ... قياماً بأعضاد السَّراءِ المُعَطَّفِ[٢]

و(السواء): وسط الشيء، ومنه قوله: ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٣] [الصافات: ٥٥].

و(سواء) مأخوذ من الاستواء والتساوي، وهو الاعتدال[٤]، قال الشاعر:

وليلٍ يقولُ المرءُ من ظلماته ... سواءٌ صحيحاتُ العيونِ وعُورُها[٥]

أي: معتدلة في البصر والإدراك.

وقالوا: سِيٌّ بمعنى: سواء، كما قالوا: قِيّ وقَواء[٦]، ولا يثنى (سواء) كما ثني (سيان) وإن كانوا قد جمعوه جمع التكسير في قولهم:

---

(١) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، كان شاعرًا، وكان أشجع أهل زمانه وأجودهم. انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص١٤٩، «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٥٢، «الخزانة» ١/ ١٢٨.

(٢) البيت من قصيدة قالها عنترة يوم (عرار) يخاطب فيها بني حنيفة، قوله: السواء: الصلح، أعضاد: جمع عضد، وهو القوس، والسراء: شجر يتخذ منه القسي، المعطف: المعوج، انظر: «ديوان عنترة» ص٥٢، «نوادر أبي زيد» ص٣٧٧، «الحجة» ١/ ٢٤٦.

(٣) كلمة (في) في الآية ساقط من (أ).

(٤) «الأضداد» لابن الأنباري ص٤٣.

(٥) البيت للأعشى كما في «ديوانه» ص٦٨، وفيه: «يقول القوم» سواء بصيرات..» وهو في «الأضداد» لابن الأنباري ص٤٣، وفيه «يقول القوم»، «الطبري» ١/ ١١١، «البحر المحيط» ١/ ٤٧، «القرطبي» ١/ ١٦٠، «الدر المصون» ١/ ١٠٧.

(٦) (القي) بالكسر والتشديد (فعل) من القوا (وهي الأرض القفر) «اللسان» (قوا) ٦/ ٣٧٨٩، انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٤٧٠، «مقاييس اللغة» (قوي) ٥/ ٣٧.

(سواسية)[١].

قال أبو الهيثم[٢]: يقال فلان وفلان سواء[٣]، أي: متساويان، وقوم سواء، لأنه مصدر، لا يثنى ولا يجمع. قال الله ﷻ: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: ليسوا مستوين[٤]، وإذا قلت: سواء عليّ، احتجت أن تترجم عنه بشيئين، كقولك: سواء حرمتني أو أعطيتني.

وحكى السكري عن أبي حاتم إجازة تثنية (سواء)[٥].

قال أبو علي الفارسي: لم يصب ابن[٦] السجستاني في ذلك، لأن الأخفش وأبا عمر الجرمي[٧] زعما[٨] أن ذلك لا يثنى، كأنهم استغنوا بتثنية (سي)[٩] عن تثنية (سواء)، كما استغنوا عن (ودع)، بـ (ترك)[١٠].

وأنشد أبو زيد:

---

(١) في (ج): (سواء سييه).
الكلام في «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٣.

(٣) في «التهذيب»: (فلان وفلان سواعد، أي: متساويان) وهو تصحيف ٢/ ١٧٩٥.

(٤) في (ب): (مستويين).

(٥) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ٢٦٨.

(٦) في (ب): (لم يصف ممن).

(٧) هو صالح بن إسحاق، أبو عمر الجرمي، النحوي، بصري، قدم بغداد، لقي الفراء، وأخذ عن الأخفش وأبي عبيدة والأصمعي، وكان ذا دين وورع، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ٩/ ٣١٣، «طبقات النحويين واللغويين» ص١٧٤، (إنباه الرواة) ٢/ ٨٠، «وفيات الأعيان» ٢/ ٤٨٥.

(٨) في (ب): (زعموا).

(٩) في (ب): (بتثنيته شي).

(١٠) في (ب) (بكرا). «الحجة» ١/ ٢٦٨، وما بعده في «الحجة» في موضع آخر.

هلّا[١] كوصل ابن عمّارٍ تُواصلني

ليس الرجالُ وإن سُوُّوا بأسواءِ[٢]

فـ (أسواء): ليس يخلو من[٣] أن يكون جمع (سي) [أو(سواء) فإن كان جمع (سي)][٤] فهو كـ (مثل) و(أمثال) و(نقض) و(أنقاض)، وإن كان جمع (سواء) فهو كقولهم في النعت[٥]: جواد وأجواد، وفي الاسم: حياء الناقة وأحياء، ولا يمتنع جمعه، وإن كانوا لم يثنوه كما لم يمتنعوا من جمعه على سواسية[٦].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[٧]. الإنذار: إعلام مع تخويف، فكل منذر معلم، وليس كل معلم منذراً[٨]. وأنذرت يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] ويقال: أنذرتُه فنَذِرَ، أي: علم بموضع الخوف[٩].

---

(١) في (ب): (مهلا).

(٢) أنشده أبو زيد في (النوادر) قال: (وقال رافع بن هريم، وأدرك الإسلام، ثم ذكر البيت وبيتين قبله، «النوادر» ص٢٨٢، وانظر: «الحجة» ١/ ٢٤٧، «اللسان» (سوا) ٤/ ٢١٦٠.

(٣) (من) ساقطة من (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في «الحجة»: (وإن كان جمع سواء فهو مثل ما حكاه أبو زيد من قولهم: جواد وأجواد..)، ١/ ٢٤٧.

(٦) انتهى من «الحجة» ١/ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٧) في (أ) رسمت: (آنذرتهم).

(٨) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ٢٥٣، وانظر (تفسير أبي الليث) ١/ ٩٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨/أ.

(٩) «الحجة» ١/ ٢٥٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨أ.

و(النذر) ما يجعله الإنسان على نفسه إن سلم مما يخافه[١].

وقد جاء: النذير والنذر مصدرين كالإنذار[٢]، فجاء المصدر على: (فعيل) و(فعل). وفي القرآن ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٣] وفيه ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦] .وقيل في قوله: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٦]: إنه مصدر في موضع الحال من قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدثر: ٣٥]، كما تقول[٤]: جاء[٥] ركضاً. فتجعل المصدر حالاً[٦].

وجعل (نذير) أيضًا مصدراً في قوله: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] إذا فسر بأنه الشيب[٧].

---

(١) تعريف النذر اصطلاحًا: التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع، بلفظ يشعر بذلك، انظر: «الروض المربع مع حاشية ابن قاسم» ٧/ ٤٩٦، «التعريفات» للجرجاني ص٢٤٠، و«فقه السنة» ٢/ ٢٢.

(٢) في «الحجة»: (وقالوا: النذير والنذر، كما قالوا: النكير والنكر، فجاء المصدر على فعيل وعلى فعل..) ١/ ٢٥٤.

(٣) جزء من آية في الحج: ٤٤، وسبأ: ٤٥، وفاطر:٢٦، والملك: ١٨.

(٤) (تقول) ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (أجاء).

(٦) في «الحجة»: (فأما قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ فقد قيل فيه قولان: أحدهما: أن يكون حالا من (قم) المذكورة في أول السورة. والآخر: أن يكون حالا من قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ فإذا جعل (نذيرا) حالا مما في (قم) فإن (النذير) اسم فاعل بمعنى المنذر.. وإن جعلته حالا من قوله: ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ فليس يخلو الحال أن يكون من المضاف أومن المضاف إليه.. وفي كلا الوجهين ينبغي أن يكون (نذيرا) مصدرا، والمصدر يكون حالا من الجميع كما يكون حالا من المفرد. تقول: جاؤوا ركضًا، كما تقول: جاء ركضًا..) ١/ ٢٥٥.

(٧) في «الحجة»: (.. فمن قال: إن النذير النبي ﷺ كان اسم فاعل كالمنذر، ومن قال: إنه الشيب كان الأولى أن يكون مصدرًا كالإنذار)، «الحجة» ١/ ٢٥٥.

وفي قوله: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ وجهان من القراءة[١] تحقيق الهمزتين، وتليين الثانية[٢].

فمن حققهما[٣] فحجته[٤]: أن الهمزة حرف من حروف الحلق، فجاز أن يجتمع مع مثله كسائر الحروف الحلقية، نحو: فَهَّ[٥] وفَهِهْتُ، وكَعَّ[٦] وكَعَعْتُ، كذلك حكم الهمزة.

ومما يقوّي ذلك قولهم: (رَأْس)[٧] وسأَّل، (تذأَّبت الريح)[٨]، و(رأيت[٩] الرجل). وكما جمع الجميع بينهما إذا كانتا عينين، كذلك يجوز الجمع بينهما في غير هذا الموضع[١٠].

---

(١) (من القراءة) ساقط من (ب).

(٢) بالتحقيق قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر. «السبعة» لابن مجاهد ص١٣٧، «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٧٣. وبتليين الثانية قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو. «السبعة» لابن مجاهد ص١٣٧، «الكشف» ١/ ٧٣ قال في (السبعة): من قول أبي عمرو أنه يدخل بين الهمزتين ألفا.

(٣) في (ب): (حققها) وفي (ج): (حقق).

(٤) «الحجة» ١/ ٢٧٤.

(٥) الفة: الكليل اللسان العيي، وفه عن الشيء: نسيه، وقد فهه كفرح: عيي. انظر: «اللسان» (فهه) ٦/ ٣٤٨١، «القاموس» (فهه) ص١٢٥١.

(٦) الكع: الضعيف العاجز، وكع الوجه: رقيقه، وكع يكع: جبن وضعف. انظر: «اللسان» (كعع) ٨/ ٣١٢، «القاموس» (كع) ص٧٥٩.

(٧) وهو الذي يبيع الرؤوس. إصلاح المنطق ص١٤٨.

(٨) (تذأبت الريح) إذا جاءت مرة من هاهنا، ومرة من هاهنا. «إصلاح المنطق» ص١٤٤، «اللسان» (ذأب) ٣/ ١٤٧٩.

(٩) رأيته: إذا أريته على خلاف ما أنا عليه. انظر: «القاموس» ص١٢٨٥.

(١٠) «الحجة» ١/ ٢٧٥، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٧٣.

وحجة من خفف[١] الثانية: أن القرب قد رفضت جمعهما[٢] في مواضع من كلامهم، من ذلك أنهما[٣] لما اجتمعتا في (آدم) و(آدر) و(آخر) ألزموا جميعا الثانية البدل[٤] ولم يحققوها.

ولما كسروا وحقروا جعلوا هذه المبدلة بمنزلة مالا أصل له في الهمزة فقالوا: أواخر وأويخر[٥]، فأبدلوا منها (الواو)، كما أبدلوها مما هو ألف لا يناسب[٦] الهمزة، نحو: ضوارب و ضويرب، وفي هذا دلالة بينة على رفضهم اجتماعهما.

ألا تراهم لم يرجعوها[٧] في التحقير والتكسير، كما رجعوا (الواو) في: ميقات وميعاد[٨]، و(الياء) في: موسر[٩]، في قولهم: مواقيت ومياسير، وفي ذلك دلالة بينة على رفضهم لجمعها[١٠].

ومن ذلك أيضا أنا لم نجد كلمة عينها همزة ولامها كذلك، كما

---

(١) في (ب): (حقق).

(٢) في (ب): (جمعها).

(٣) في «الحجة» (أنهم لما اجتمعتا...)، ١/ ٢٧٥.

(٤) أبدلوا مكانها الألف، انظر «الكتاب» ٣/ ٥٥٢.

(٥) وقالوا في آدم: أوادم في الجمع، وفي التصغير: أويدم. انظر «الكتاب» ٣/ ٥٥٢.

(٦) في (أ): (تناسب) وما في (ب)، (ج) موافق لما في «الحجة» ١/ ٢٧٦.

(٧) في (ب): (يرجعوا لها).

(٨) (وميعاد) ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (مولس)

(١٠) (لجمعها) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة» (لجمعهما) ١/ ٢٧٦، وهذا هو الصحيح أي: جمع الهمزتين.

وجدنا في سائر أخوات الهمزة من الحلقية كقولهم: مهاه[١]، فهّ[٢]، و﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، و(محّ)[٣] و(ألحّ) و(مخّ)[٤]. فإذا لم يجمعوا بين الهمزتين في المواضع[٥] التي جمع فيها بين أخواتها[٦]، دل ذلك على رفضهم[٧] لجمعها[٨].

ومن ذلك[٩] أنهم ألزموا باب (رزيئة) و(خطيئة)[١٠] القلب[١١] في الجمع، لما يؤدي اجتماع الهمزتين، فقالوا: (خطايا) و(رزايا)[١٢]، فلو

---

(١) المهه والمهاه: النضارة والحسن، وقيل: الشيء الحقير اليسير، والهاء فيها لا تصير تاء، إلا إذا أردت بالمهاة: البقرة. انظر: «اللسان» (مهه) ٧/ ٤٢٩٠.

(٢) في (أ): (فة) وفي «الحجة» (فه) بدون نقط وهو الصحيح ١/ ٢٧٦، فه عن الشيء: إذا نسيه، والفه: اللسان العيي. «اللسان» (فهه) ٦/ ٣٤٨١.

(٣) (مح): المح: الثوب الخلق، مح: أخلق. «اللسان» (محح) ٧/ ٤١٤٣.

(٤) في (أ): (مح) وفي (ب)، (ج) بدون نقط أو تشكيل. وفي «الحجة» (مخ) ١/ ٢٧٦.

(٥) في «الحجة»: (الموضع) ١/ ٢٧٦.

(٦) في «الحجة»: (وكررت) ١/ ٢٧٦، أي جمع بين حروف الحلق وكررت

(٧) في (ب): (بعصهم).

(٨) في «الحجة»: (لجمعهما) ١/ ٢٧٦ أي الهمزتين.

(٩) انظر بقية كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ٢٧٧.

(١٠) في (ج): (ذربه) و(خطئه).

(١١) في «الحجة»: (.. عما يؤدي إلى اجتماع همزتين فيه، فقالوا...) ١/ ٢٧٧.

(١٢) قال المازني: (اعلم أنك إذا جمعت (خطيئة) و(رزيئة) على (فعائل) قلت: (خطايا) و(رزايا) وما أشبه هذا مما لامه همزة في الأصل، لأنك همزت ياء (خطيئة) و(رزيئة) في الجمع كما همزت ياء (قبيلة) و(سفينة) حين قلت: (قبائل) و(سفائن) وموضع اللام من (خطيئة) مهموز فاجتمع همزتان، فقلبت الثانية ياء، لاجتماع الهمزتين فصارت (خطائى) ثم أبدلت مكان الياء ألفاء... فصارت (خطاءا) وتقديرها: (خطاعا) والهمزة قريبة المخرج من الألف فكأنك جمعت=

كان لاجتماعهما عندهم مساغ ما رفضوا ذلك الأصل، كما أنه لو كان لتحرك العينات في نحو: (قال) و(باع) مجاز، ما ألزموها القلب[١]. فإن قيل: فقد حكى عن بعضهم: (خطائئ) بتحقيق الهمزتين[٢]؟

قيل: هذا يجري مجرى الأصول المرفوضة[٣] نحو:

.... ضننوا[٤]

.... والأظلل[٥]

ولا يعتد بذلك[٦].

= بين ثلاث ألفات فلما كان كذلك أبدلوا من الهمزة (ياء) فصار (خطايا)، «المنصف» ٢/ ٥٤، ٥٥.

(١) (القلب) ساقط من (ب).

(٢) انظر «المقتضب» ١/ ١٥٩، «المنصف» ٢/ ٥٧، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٧١، قال ابن جني: حكاه أبو زيد.

(٣) قال أبو الفتح ابن جني: شاذ لا يقاس عليه. «سر صناعة الإعراب» ١/ ٧٢.

(٤) جزء من بيت كما في «الحجة» ١/ ٢٧٧ وتمامه:

مهلا أعاذل قد جربت من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضننوا

أراد: ضنوا، فأظهر التضعيف لضرورة الشعر. انظر «الكتاب» ١/ ٢٩، ٣/ ٥٣٥، «النوادر» لأبي زيد ص٢٣٠، «المقتضب» ١/ ١٤٢، ٢٥٣، «المنصف» ١/ ٣٣٩، «اللسان» (ضنن) ٥/ ٢٦١٤، «ظلل» ٥/ ٢٧٥٦.

(٥) المراد بالأظلل ما ورد في قول الراجز: تشكو الوجى من أظلل وأظلل فقك الإدغام في (أظلل) ضرورة، والبيت للعجاج، وبعضهم نسبه لأبي النجم. وهو في «ديوان العجاج» ص١٥٥، «الكتاب» ٣/ ٥٣٥، «النوادر» ص٢٣٠، «المقتضب» ١/ ٢٥٢، ٣/ ٣٥٤، «الخصائص» ١/ ١٦١، ٣/ ٨٧، «المنصف» ١/ ٣٣٩، «اللسان» (ظلل) ٤/ ٢٧٥٦، و(ملل) ٧/ ٤٢٧١، وقوله (تشكو): أي: الإبل، و(الوجى): الحفى، الأظلل: باطن الخف.

(٦) «الحجة» ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

ومن ذلك أيضا أنهم إذا بنوا اسم فاعل من[1] (ناء) و(شاء) [و(جاء)[2] قالوا: (شاءٍ)[3]] و(ناءٍ)[4]، فرفضوا الجمع بينهما ورفضوه في هذا الطرف كما رفضوه أولا في: (آدم) و(آ خر)[5].

ومن ذلك أيضًا أن من قال: هذا فرجّ، وهو يجعلّ، فضاعف[6] في الوقف حرصاً على البيان، في يضاعف نحو: (البناء)[7]، و(الرشاء)، لكنه رفض[8] هذا الضرب[9] من الوقف، وما كان يحرص عليه من البيان لما كان يلزمه الأخذ بما تركوه، والاستعمال لما رفضوه من اجتماع الهمزتين[10].

وإذا كان الأمر على هذا[11]، فالجمع في: ﴿أأنذرتهم﴾[12] أقبح من الجمع في كلمتين منفصلتين، نحو: قرأ أبوك، ورشاء أخيك، لأن الهمزة

---

(١) في (ب): (على من) زيادة (على).

(٢) في «الحجة» (ناء وساء وشاء).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (تا). وترك التمثيل لاسم الفاعل من (جاء) وهو: (جاء) والأصل فيها (شائئ) و(جائئ) و(نائئ) فلما التقت همزتان أبدلت الثانية (ياء) ثم عوملت مثل (قاض). انظر: «المنصف» ٢/ ٥٢.

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في: «الحجة» ١/ ٢٧٨.

(٦) في (ب): (تضاعف).

(٧) في «الحجة» (النبأ).

(٨) في (ب): (نفض).

(٩) في (ب): (الصوت).

(١٠) «الحجة»١/ ٢٧٩.

(١١) أي: رفض اجتماع الهمزتين. قال أبو علي بعد سياق تلك الحجج، (فهذِه الأشياء تدل على رفض اجتماع الهمزتين في كلامهم. فأما جمعهما وتحقيقهما في (أأنذرتهم) فهو أقبح....) ١/ ٢٨٠.

(١٢) في(أ)،(ب): (أنذرتهم) بهمزة واحدة، وما في (ج) موافق لما في «الحجة».

الأولى من ﴿أأنذرتهم﴾ تنزل منزلة ما هو من الكلمة نفسها، لكونها على حرف مفرد[١]، ألا ترى أنهم قالوا[٢]: لهو ولهي، فخففوا كما خففوا: عضدا[٣]، فكذلك الهمزة الأولى، لما لم تنفصل من الكلمة صارت بمنزلة التي في آخر[٤].

فأما إذا كانتا[٥] من كلمتين، فاجتماعهما في القياس أحسن من هذا[٦]، ألا ترى أن المثلين إذا كانا في كلمة نحو: يرد ويعض، لا يكون فيها[٧] إلا الإدغام.

ولو كانا منفصلين نحو: (يد داود)، لكنت[٨] في الإدغام والبيان بالخيار. فعلى هذا تحقيق الهمزتين في: ﴿أأنذرتهم﴾[٩] -وما أشبهه- أبعد منه في الكلمتين المنفصلتين.

ومما يقوي ترك الجمع بين الهمزتين: أنهم قالوا في جمع (ذؤابة): ذوائب، فأبدلوا[١٠] من الهمزة التي هي عين[١١] (واوا) في التكسير كراهة

---

(١) في (ب): (منفرد).

(٢) في (ب): (إذا قالوا).

(٣) أصلها: (عضد).

(٤) في (ب): (آخرها).

(٥) أي: (الهمزتان)

(٦) قال سيبويه: (واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما...)، «الكتاب» ٣/ ٥٤٨.

(٧) في «الحجة» (فيهما) ١/ ٢٨٠.

(٨) في (ب): (الكنت).

(٩) في جميع النسخ (أنذرتهم) بهمزة واحدة والتصحيح من «الحجة» ١/ ٢٨١.

(١٠) في (ب): (وأبدلوا).

(١١) في (ب): (غير).

للهمزتين مع فصل حرف بينهما. فإذا كرهوهما مع فصل حرف بينهما حتى أبدلوا الأولى منهما، فأن[١] يكرهوهما غير مفصول بينهما بشيء أجدر[٢].

وأيضاً فإنهم كرهوا[٣] الهمزة المفردة حتى قلبوها أو حذفوها، وذلك إجماعهم[٤] في[٥] (يرى)[٦] على حذف الهمزة[٧]، فلما كرهوا ذلك في الإفراد وجب أن لا يجوز في المتكرر[٨] إلا التغيير.

وإذا كان الجمع بينهما في [البعد على هذا، فالجمع بينهما في][٩]: (أئمة)[١٠] أبعد، لأن الهمزتين لا تفارقان الكلمة[١١]، وهمزة الاستفهام قد تسقط في الإخبار وغيره، فلما كانت أشد لزومًا للكلمة كان التحقيق

---

(١) في (ب): (وإن).

(٢) في (ب): (واحد). «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٨١.

(٣) الضمير يعود على من يقول بتخفيف الهمزة. قال في «الحجة»: (من ذلك أن الهمزة إذا كانت مفردة غير متكررة، كرهها أهل التخفيف، حتى قلبوها أو حذفوها، لئلا يلزمهم تحقيقها، وقد وافقهم في بعض ذلك أهل التحقيق، كموافقتهم لهم في: (يرى)..)، ١/ ٢٧٩.

(٤) أي: أهل التخفيف والتحقيق. انظر كلام أبي علي السابق.

(٥) (في) ساقطة من (ج).

(٦) في (ب): (ترى).

(٧) (يرى) مضارع (رأى) اتفق أهل تحقيق الهمزة، وتخفيفها، على حذفها على التخفيف. انظر «الكتاب» ٣/ ٥٤٦، «المسائل الحلبيات» لأبي علي ص٨٣، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٧٦.

(٨) أي: الهمزة المكررة. «الحجة» ١/ ٢٧٩.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(١٠) في (أ): (أأيمة) وفي (ب)، (ج): (أئمة) ومثله في «الحجة» ١/ ٢٨١.

(١١) في (ب): (الضمة).

فيها أبعد[١] .

وأما أبو عمرو فكان يلين الثانية ويجعل بينهما مدة[٢]. وحجته: أنه وإن خفف الثانية بأن جعلها بين الألف والهمز، فذلك لا يخرجها عن أن تكون همزة متحركة، وإن كان الصوت بها أضعف؛ ألا ترى أنها إذا كانت مخففة في الوزن مثلها إذا كانت محققة[٣]، فلولا ذلك لم يتزن[٤] قوله[٥]:

... آأنْتَ[٦] زيد الأراقم[٧]

---

(١) يشير إلى أن التحقيق في (أئمة) أبعد؛ لأن الهمزتين لا تفارقان الكلمة، بينما الهمزة الأولى في (أأنذرتهم) همزة استفهام قد تسقط، فهي كالمنفصلة، ومع ذلك كرهوا تحقيقها. وبعد هذا الاحتجاج الطويل لمن يرى تخفيف الهمزة الثانية الذي نقله الواحدي عن أبي علي من كتاب «الحجة»، والذي هو مذهب أكثر النحويين وعليه أكثر العرب، كما قال سيبويه: (فليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا...) انظر «الكتاب» ٣/ ٥٤٨، ٥٤٩، وانظر «المقتضب» ١/ ١٥٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١ -٤٥، مع ذلك فقراءة التحقيق قراءة سبعية متواترة من حيث السند، ولها حجتها من اللغة. انظر «الكشف» لمكي ١/ ٧٣، ولا يقال فيها ما قال أبو الفتح عثمان بن جني: قراءة أهل الكوفة أئمة شاذة عندنا. «سر صناعة الإعراب» ١/ ٧٢ وإن كان يريد من الناحية اللغوية.

(٢) انظر «السبعة» ص١٣٦، «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٨٥، «الكتاب» ٣/ ٥٥١، قال في «الكشف»: وهو مذهب أبي عمرو، وقالون عن نافع، وهشام عن عامر ١/ ٧٤.

(٣) في (ب)، (ج): (مخففة).

(٤) في (ب): (تبرز).

(٥) أي: لو لم تكن الهمزة المخففة بزنة المحققة لا نكسر وزن الشعر. انظر «الكتاب» ٣/ ٥٥٠، «الحجة» ١/ ٣٨٥.

(٦) في (ب) (أنت).

(٧) الكلام بنصه في «الحجة»، قال: (.. ولولا ذلك لم يتزن قوله: أأن رأت رجلاً=

لأنه يجتمع[١] ثلاث سواكن، وإذا كان كذلك فتجعل[٢] بينهما (مدة)، لئلا تكون جامعاً بين الهمزتين.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: لفظه لفظ الاستفهام[٣]، ومعناه الخبر، ومثل ذلك قولك: ما أبالي[٤] أشهدت أم غبت، وما أدري أأقبلت[٥] أم أدبرت.

وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام وإن كان خبرا، لأن فيه التسوية التي في الاستفهام، ألا ترى أنك إذا استفهمت فقلت: أخرج زيد أم أقام؟ فقد استوى الأمران عندك في الاستفهام، وعدم علم أحدهما بعينه، كما أنك[٦] إذا أخبرت[٧] فقلت: سواء عليّ أقعدت أم قمت، فقد سويت الأمرين

= أعشى «الحجة» ١/ ٢٨٥، ٢٨٦. فاستشهد أبو علي ببيت الأعشى، وهو شاهد سيبويه على هذه المسألة انظر «الكتاب» ٣/ ٥٥٠. أما الواحدي فاستشهد ببيت ذي الرمة، الذي استشهد به الثعلبي في (تفسيره) ونصه:

تطاللت فاستشرفته فعرفته فقلت له: آ أنت زيد الأراقم

وروايته في «ديوان ذي الرمة»، وفي «الحجة» وغيرهما (زيد الأرانب). انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨/ أ، «الحجة» ١/ ٢٧٩، «تهذيب اللغة» (اجتماع الهمزتين) ١/ ٧٣، «اللسان» (حرف الهمزة) ١/ ١٨، «ديوان ذى الرمة» ٣/ ١٨٤٩.

(١) في (ب): (لأنه كان تجتمع) مثله في «الحجة»: (لأنه كان يجتمع فيه ساكنان) ١/ ٢٨٦، وقصد الواحدي بثلاثة سواكن هي: السكون الذي في مدة الهمزة الأولى وسكون الثانية على الاحتمال الممنوع، وسكون النون.

(٢) في (ب): (يجعل)، (ويكون) بالياء في الموضعين.

(٣) من قوله: وقوله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾.. نقله من «الحجة» بنصه، ١/ ٢٦٤.

(٤) في (ب): (لا أبالي).

(٥) في (ب): (أقبلت).

(٦) في (ب): (أنت).

(٧) في (ب): (اختبرت).

عليك، فلما عمتهما التسوية، جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام، لمشاركته له في الإبهام، فكل استفهام تسوية، وإن لم يكن كل تسوية استفهاما[١] .

وحرر أبو إسحاق هذا الفصل فقال[٢] : إنما[٣] دخلت ألف الاستفهام وأم التي هي للاستفهام[٤]، والكلام خبر، لمعنى التسوية، والتسوية آلتها[٥] الاستفهام وأم. تقول من ذلك[٦] : أزيد في الدار أم عمرو؟ فإنما دخلت الألف وأم، لأن علمك[٧] قد استوى في زيد وعمرو، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة، ولكنك استدعيت[٨] أن يبين[٩] لك الذي علمت ويلخص[١٠] لك علمه من غيره، ولهذا تقول[١١] : قد علمت أزيد في الدار أم عمرو، وإنما تريد أن تسوي عند من تخبره العام الذي قد خلص

---

(١) انتهى ما نقله عن أبي علي من «الحجة» ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، ونحوه قال أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٣١ وانظر: الطبري ١/ ١١١، وابن عطية ١/ ١٥٤-١٥٥.

(٢) في «معاني القرآن» ١/ ٤١.

(٣) في (ب): (إذا).

(٤) في (ب): (الاستفهام).

(٥) في «معاني القرآن»: (والكلام خبر فإنما وقع ذلك لمعنى التسوية، والتسوية آلتها (ألف) الاستفهام و(أم)، تقول: أزيد في الدار أم عمر.). ١/ ٤١.

(٦) في (ب): (في ذلك) وفي (ج) (يقول).

(٧) في (ب): (عليك).

(٨) في «المعاني»: (أردت) ١/ ٤١.

(٩) في (ب): (تبين).

(١٠) كذا رسمت في (أ)، (ج)، وفي (ب) (ويلحظ) وفي «المعاني» (ويخلص) وهو الأصوب.

(١١) في (ج): (يقول).

عندك[١].

ولا يجوز هاهنا (أو) مكان (أم) لأن (أم) للتسوية بين الشيئين، و(أو) إنما هي لأحد شيئين[٢]، يدلك[٣] على هذا أن (أم)[٤] تكون مع الألف بتأويل (أي) فإذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ فكأنك قلت: أيهما[٥] عندك، [وإذا قلت: أزيد عندك أو عمرو؟ لم يكن على معنى: أيهما عندك[٦]]، هذا اختلاف الجواب، لأنك إذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ فجوابه: زيد أو عمرو[٧]، وكذلك في (أي) جوابه أن يذكر أحد الاسمين بعينه، فأما إذا قلت: أزيد عندك أو عمرو؟ فجوابه: نعم أو لا، فهذا فرق بينهما واضح[٨].

ومثل هذه الآية قوله[٩]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]، وقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١].

و﴿سواء﴾ في الآية رفع بالابتداء، ويقوم ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ مقام الخبر في المعنى، كأنه بمنزلة قولك: (سواء عليهم الإنذار وتركه) لا

---

(١) انتهى كلام الزجاج ١/ ٤١، وانظر الطبري ١/ ١١١.

(٢) انظر: «الحجة» ١/ ٢٦٥، ٢٦٦، «مغني اللبيب» ١/ ٤٣.

(٣) في (ب): (فذلك).

(٤) في (ب): (لم).

(٥) في (ب): (أنهما).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (ونحوا به زيدا وعمرا).

(٨) انظر: «الكتاب» ٣/ ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، «مغني اللبيب» ١/ ٤٢.

(٩) انظر: «الحجة» ١/ ٢٧١.

في الإعراب، لأنك إذا قدرت هذا التقدير في الإعراب صار ﴿سواء عليهم﴾ خبراً مقدَّمًا[١].

والجملة في موضع رفع، بأنها[٢] خبر ﴿إن﴾[٣].

ويجوز أن يكون خبر ﴿إن﴾ قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كأنه قيل: (إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم). فيكون قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ جملة معترضة بين الاسم والخبر، وجاز ذلك، لأنه تأكيد لامتناعهم عن الإيمان[٤]، ولو كان كلاماً أجنبياً لم يجز اعتراضه بينهما، وسترى لهذا[٥] نظائر.

ومعنى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: معتدل متساو، و﴿سواء﴾ اسم مشتق من التساوي. يقول: هما عندي سواء، ومنه قوله ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] يعني: أعلمهم[٦] حتى يستوي علمك وعلمهم[٧]. و﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] وسطه، لاستواء مقادير نواحيه إليه.

---

(١) قال أبو علي: (.. فإن رفعته بأنه خبر لم يجز، لأنه ليس في الكلام مخبر عنه، فإذا لم يكن مخبر عنه بطل أن يكون خبرا.. وأيضا فإنه لا يجوز أن يكون خبرا لأنه قبل الاستفهام، وما قبل الاستفهام لا يكون داخلا في حيز الاستفهام، فلا يجوز إذن أن يكون الخبر عما في الاستفهام متقدما على الاستفهام ..)، «الحجة» ١/ ٢٦٩.

(٢) في (ب): (بأن).

(٣) «الحجة»، ١/ ٢٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١.

(٤) «الحجة» ١/ ٢٦٨، ٢٦٩، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٤، «المشكل» لمكي ١/ ٢٠، «الدر المصون» للسمين الحلبي ١/ ١٠٥.

(٥) في (ب): (لها).

(٦) في (أ)، (ج): (علمهم). وأثبت ما في (ب)، لأنه المناسب للسياق.

(٧) ذكره الطبري ١٠/ ٢٧، وانظر: «الثعلبي» ١/ ٤٨أ

وقول القائل: (سواك وسواءك)[١] أي[٢]: من هو في مكانك بدلا منك لاستوائه[٣] في مكانك.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة[٤] على عهد رسول الله ﷺ. وهذا القول اختيار ابن جرير، قال: لأن الله تعالى إنما ذكر هؤلاء عقيب مؤمني أهل الكتاب، فذكر بعد مؤمنيهم كافريهم، والكلام بعضه لبعض تبع[٥].

وقال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة[٦] من أهل بيته[٧].

وقال الربيع: نزلت في قادة الأحزاب يوم بدر[٨]، وكذلك الآية التي بعدها.

---

(١) في (أ): (سواؤك) و(ب): (سواك) و(ج): (سوائك)، والتصحيح من «الحجة» ١/ ٢٥٠، ٢٥١، وانظر «الأضداد» لابن الأنباري ص ٤٠، وقد سبق كلام الواحدي عن (سواء) في أول تفسير الآية.

(٢) (أي) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): (لاستوائك).

(٤) ذكره الطبري ١/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٨٦- ١٨٧ وذكره الثعلبي عن الكلبي ١/ ٤٧ب، ومثله أبو الليث ١/ ٩٢، والبغوي ١/ ٦٤، وانظر ابن كثير ١/ ٤٨.

(٥) «تفسير الطبري» ١/ ١٠٩.

(٦) في (ب): (وحمته).

(٧) ذكره الثعلبي ١/ ٤٧ب.

(٨) أخرجه الطبري بسند ه عن الربيع ١/ ١٠٩، وأخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية ١/ ٤٠، وفي حاشيته: قال المحقق: في سنده اضطراب وذكره ابن كثير، قال: قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ثم ذكره، ١/ ٤٨. وذكره السيوطي في «الدر» عن أبي العالية ونسبه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، ١/ ٦٥، وهو عند ابن جرير عن الربيع بن أنس ولم يوصله لأبي العالية كما سبق.

قال أبو العالية: لم يسلم منهم إلا رجلان، وكانا مغموصاً عليهما في دينهما[١]، أحدهما: أبو سفيان[٢]، والأخر: الحكم بن أبي العاص[٣].

ثم ذكر الله تعالى سبب تركهم الإيمان فقال:

٧ - ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية. (الختم) في اللغة بمعنى: الطبع، والخاتم: الفاعل. وأصله من آخر الشيء[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦] قال ابن مسعود: عاقبته[٥] طعم المسك[٦] وروي

---

(١) هذه الزيادة عن أبي العالية، ذكرها النحاس في «القطع والائتناف» ص١١٦، والسيوطي في «الدر» ولفظه: (ولم يدخل من القادة أحد في الإسلام إلا رجلان أبو سفيان، والحكم بن أبي العاص)، ولم ترد عند ابن جرير ولا ابن أبي حاتم، كما أن قوله (وكان مغموصاً عليهما في دينهما) لم يذكرها السيوطي. «الدر» ١/ ٦٥.

(٢) أبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، رأس قريش وقائدهم في يوم الأحزاب، أسلم يوم الفتح، كان من دهاة العرب، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين. انظر ترجمته في «الإصابة» ٢/ ١٧٨-١٧٩، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ١٠٥-١٠٧.

(٣) الحكم بن أبي العاص بن أمية، ابن عم أبي سفيان، من مسلمة الفتح، وله نصيب من الصحبة، نفاه النبي ﷺ إلى الطائف، وأقدمه للمدينة عثمان ﷺ مات سنة إحدى وثلاثين. انظر ترجمته في: «الإصابة» ١/ ٣٤٥، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ١٠٧، «الجرح والتعديل» ٣/ ١٢٠.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (ختم) ١/ ٩٨٣-٩٨٤، وفيه: خاتم كل شيء: آخره.

(٥) في (ج): (عاقبه).

(٦) ذكره الأزهري في «التهذيب» (ختم) ١/ ٩٨٤، وأخرج الطبري عن ابن مسعود في تفسير الآية: قال: (خلطه مسك) وعنه: (طعمه وريحه) وأخرج عن إبراهيم، والحسن: عاقبته مسك. الطبري ٣٠/ ١٠٦، ١٠٧، وفي «الدر»: أخرج سعيد بن منصور، وهناد، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث»، عن ابن مسعود، وفيه: (يجدون عاقبتها طعم المسك)، ٦/ ٥٤٤.

عن الحسن: مقطعه مسك[١]. و﴿رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥]: له ختام، أي عاقبه، قاله أبو عبيد[٢]، ومنه: خاتم النبيين، أي آخرهم[٣].

قال الليث: وخاتمة السورة: آخرها، وخاتم كل شيء: آخره[٤]. ومنه ختم القرآن، لأنه حال الفراغ من قراءته، وختم الكتاب عند طيه والفراغ منه[٥]. وقيل في قول ابن مقبل[٦] يصف الخمر:

بالفُلْفُلِ الجَوْنِ والرُّمَّانِ مَخْتومُ[٧]

---

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ١/ ٢٩٢.

(٢) لعل المراد أبو عبيدة كما في «الحجة» حيث قال: (وأظن أبا عبيدة اعتبر ما روي عن الحسن في تفسير الآية، لأنه قال في قوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝﴾: له ختام، أي: عاقبة ختامه مسك، أي: عاقبته، وأنشد لابن مقبل... فتأول الختام على العاقبة، ليس على الختم الذي هو الطبع، وهذا قول الحسن، مقطعه مسك)، «الحجة» ١/ ٢٩٢، وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٩٠.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٤، «التهذيب» (ختم) ١/ ٩٨٤.

(٤) ذكره الأزهري عن الليث، «تهذيب اللغة» (ختم) ١/ ٩٨٤.

(٥) انظر: «العين» ٤/ ٢٤٢، «الصحاح» (ختم) ٥/ ١٩٠٨، «معجم مقاييس اللغة» (ختم) ٢/ ٢٤٥.

(٦) هو: الشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وبلغ مائة وعشرين سنة. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٢٩٧، «الإصابة» ١/ ١٨٧، «الخزانة» ١/ ٢٣١.

(٧) صدره في «الحجة»:

مما يفتق في الحانوت ناطفها

وورد صدره في «ديوانه»:

صرف ترقرق في الناجود ناطلها

يفتق: يشق، الحانوت: دكان الخمار، ناطفها: النطف سيلان الماء، الجون: يطلق على الأبيض والأسود، وقوله (ترقرق): تترقرق أي: تتلألأ، الناجون: =

أي لآخرها طعم الفلفل والرمان. قال الأزهري: أصل الختم: التغطية، وختم البذر[1] في الأرض إذا غطاه[2].

وقال أبو إسحاق: معنى: ختم وطبع[3] في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق منه بأن لا يدخله شيء، كما قال: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وكذلك قوله: ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4] هذا كلام أبي إسحاق.

واعلم أن الختم على الوعاء يمنع[5] الدخول فيه والخروج منه، كذلك الختم على قلوب الكفار يمنع دخول الإيمان فيها وخروج الكفر منها، وإنما يكون ذلك بأن يخلق الله الكفر فيها[6]، ويصدهم عن الهدى،

= راووق الخمر الذي يصفي به، الناطل: مكيال الخمر. انظر: «الحجة» ١/ ٢٩٢، ٢٩٤، «ديوان ابن مقبل» ص٢٦٨، «المخصص» ٢/ ١٤٩.

(١) في (ب): (النذر).

(٢) «التهذيب» (ختم) ١/ ٩٨٥، وفيه: (ختم البذر: تغطيته).

(٣) في (ب): (تطبع).

(٤) جاءت في عدة آيات في التوبة ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٩٣]، وفي النحل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨]، وفي محمد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد: ١٦]. والآية وردت في «تهذيب اللغة» ضمن كلام أبي إسحاق، «التهذيب» (ختم) ١/ ٩٨٤، ويظهر أن الواحدي نقل كلام الزجاج عنه، وفي «معاني القرآن» للزجاج ورد مكانها: (طبع عليها بكفرهم) ووضع المحقق لها رقم (النساء: ١٥٥)، وسياق آية النساء: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦.

(٥) في (ب): (ممنع).

(٦) قال ابن كثير: (.. ختم على قلوبهم، وحال بينهم وبين الهدى، جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل، وتركهم الحق، وهذا عدل منه تعالى حسن، وليس بقبيح...)،=

ولا[١] يدخل الإيمان في قلوبهم كما قال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فأما قول من قال: معنى ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: حكم الله بكفرهم[٢]، فغير صحيح، لأن أحدنا يحكم بكفر الكافر، ولا يقال[٣]: ختم على قلبه.

وذهب بعض المتأولين من القدرية إلى أن معنى ﴿ختم الله على قلوبهم﴾: وسمها سمة[٤] تدل[٥] على أن فيها الكفر، لتعرفهم الملائكة بتلك السمة، وتفرق[٦] بينهم وبين المؤمنين الذين في قلوبهم الشرع[٧].

قال: والختم والطبع واحد، وهما سمة وعلامة في قلب المطبوع

= ١/ ٤٩، وأما ما عبر به الواحدي من قوله: (بأن يخلق الله الكفر فيها..) المعنى صحيح، فإن الله خالق كل شيء من الطاعات والكفر والمعاصي، لكن السلف لم يستعملوا هذا اللفظ تأدبا مع الله تعالى كما قال: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] فلم ينسب الشر إليه، مع أنه خالقه ونسب إليه الخير.

(١) في (ب): (فلا يدخل). ولعله أولى.

(٢) ذكره الفارسي في «الحجة»١/ ٣٠٩، والثعلبي ١/ ٤٨ب، وهذا قول المعتزلة ذكره القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، أحد علمائهم في كتابه «متشابه القرآن» ١/ ٥١، ٥٢ تحقيق عدنان زرزور. وانظر «الكشاف» للزمخشري ١/ ١٥٧ - ١٦٢، وانظر رد الأسكندري عليه في «الحاشية»، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(٣) في (ب): (ولان يقال).

(٤) في (ج): (وسمة).

(٥) في (ب): (يدل).

(٦) في (ب): (يفرق)

(٧) في (ب): (السرح) وفي (ج): (الشرح).

=

على قلبه[١]. وهذا باطل؛ لأن الختم في اللغة ليس هو الإعلام، ولا يقال: ختمت على الشيء بمعنى: أعلمت عليه ومن حمل الختم على الإعلام فقد تشهى على أهل اللغة، وجر كلامهم إلى موافقة عقيدته.

وقوله تعالى ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. قال الليث: القلب مضغة من الفؤاد، معلقة بالنياط[٢]. وكأنه أخص من الفؤاد، ولذلك[٣] قالوا: أصبت حبة قلبه، وسويداء قلبه.

وقيل: القلوب والأفئدة: قريبان من السواء[٤]. وقال بعضهم: سمي القلب قلبا لتقلبه[٥]، وأنشد:

ما سمي القلب[٦] إلا من تقلبه
والرأي[٧] يصرف بالإنسان أطوارا[٨]

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾. وحد السمع، لأنه مصدر، والمصادر

= وهذا قول ثانٍ للمعتزلة. انظر: «متشابه القرآن» للهمذاني ١/ ٥١،٥٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(١) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» عن قوم من المتأولين، ١/ ٣٠١.

(٢) «تهذيب اللغة» (قلب) ٣/ ٣٠٢٦.

(٣) في (ب): (وكذلك).

(٤) في (ب): (العوا).

(٥) «تهذيب اللغة» (قلب) ٣/ ٣٠٢٦.

(٦) في (ج): (ما سمي القلب قلبا إلا من..).

(٧) في (ب): (الذي).

(٨) البيت في «التهذيب» (قلب) ٣/ ٣٠٢٦، وكذا «اللسان» (قلب) ٦/ ٣٧١٤، بهذا النص، وورد في القرطبي ١/ ١٦٣، و«الدر المصون» ١/ ١١٤، «روح المعاني» ١/ ١٣٥، شطره الثاني: =

لا تثنى ولا تجمع، [لأن المصدر ينبئ عن الفعل، فهو بمنزلة الفعل، والفعل لا يثنى ولا يجمع[1]][2].

وقال ابن الأنباري: أراد[3]: وعلى مواضع سمعهم، فحذف المضاف، كما تقول العرب: تكلم المجلس، وهم يريدون أهله، وحذف المضاف كثير في التنزيل والكلام[4].

وقيل: اكتفى من الجمع بالواحد[5]، كما قال الراعي[6]:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب[7]

فاحذر على القلب من قلب وتحويل

غير منسوب في جميع المصادر.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧، «تهذيب اللغة» (سمع) ٢/ ١٧٥٦، والثعلبي ١/ ٤٨/ ب، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٣، «زاد المسير» ١/ ٢٨، والقرطبي ١/ ١٦٥. وقيل: وحد السمع، لأن المسموع واحد وهو الصوت، وقرئ شاذا ﴿وعلى أسماعهم﴾. انظر: «الفتوحات الإلهية» ١/ ١٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في جميع النسخ (أرادوا على) زيادة ألف بعد الواو والصحيح حذفها.

(٤) لم أجده منسوبا لابن الأنباري. وورد بمَعناه في «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٣، والقرطبي ١/ ١٦٦، «تهذيب اللغة» (سمع) ٢/ ١٧٥٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧، والثعلبي ١/ ٤٨ب، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٩٣، و«تهذيب اللغة» (سمع) ص١٧٥٧.

(٦) كذا نسبه الثعلبي ١/ ٤٨ ب، والبيت لعلقمة بن عبدة الفحل كما في «الكتاب» وغيره.

(٧) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل، قاله يصف طريقاً شاقًّا، قطعه لممدوحه. الحسرى: جمع حسير، والحسير: البعير المعيب يتركه أصحابه فيموت، وابيضت عظامه لما أكلت السباع والطير ما عليه من لحم، صليب: يابس لم يدبغ. الشاهد (جلدها) مفرد أريد به الجمع، أي: جلودها. =

وقال الله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] وهو كثير جدًّا.

وقال سيبويه[١]: توحيد السمع يدل على الجمع، لأنه توسط جمعين، كقوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨].

وتم الكلام[٢] ههنا[٣].

ثم قال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ الأبصار جمع البصر، والبصر العين، إلا أنه مذكر، ويقال: تبصرت الشيء بمعنى رمقته[٤]، ومنه قول زهير:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن .... البيت[٥]

= انظر: «الكتاب» ١/ ٢٠٩، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨ب، والقرطبي ١/ ١٦٥، «الخزانة» ٧/ ٥٥٩، وفيها: (به جيف الحسرى..)، «الدر المصون» ١/ ١١٤، والرازي ٢/ ٥٣، وفيه: (الحيدى) بدل (الحسرى).

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٠٩، والنص من الثعلبي ١/ ٤٨/ ب.

(٢) في (ج): (السلام).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣، «مجاز القرآن» ١/ ١٣ «تفسير الطبري» ١١٣-١١٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨/ ب، وذكر النحاس عن الأخفش سعيد، ويعقوب: أن وقف على (قلوبهم) كان أيضا تاما، وتعقبه النحاس فقال: (إذا وقف على (قلوبهم) وقدره بمعنى: وختم على سمعهم لم يكن الوقف على قلوبهم تماماً، لأن الثاني معطوف على الأول، وإن قدر الختم على القلوب خاصة فهو (تام)..). «القطع والائتناف» ص١١٦ .

(٤) «تهذيب اللغة» (بصر) ١/ ٣٤٠.

(٥) وتمامه كما في الديوان:

تحملن بالعليا من فوق جرثم

«ديوان زهير» ص٩ .

=

والغشاوة الغطاء[١]، ويقال للجلدة التي على الولد: غشاوة، ومنه غشي على المريض إذا دير به، لأنه لبسةٌ من حال المرض، ومنه غاشية السرج[٢].

وفيه ثلاث لغات: ضم الغين وفتحها وكسرها[٣]. والأفصح الكسر؛ لأن كل ما كان مشتملاً على شيء فهو مبني على (فعالة) كالعمامة والقلادة والعصابة. وكذلك أسماء الصناعات، لأن معنى الصناعة الاشتمال على[٤] كل ما فيها، نحو: الخياطة والقصارة، وكذلك كل من استولى، فاسم ما استولى عليه الفعالة نحو: الخلافة والإمارة[٥].

قال أبو علي الفارسي: ولم أسمع منه فعلاً متصرفا بالواو، ولامه (ياء) لأنك تقول: غشي يغشى، والغشيان وغشيته أي: ألبسته وسترته، والغشاوة من الغشيان كالجباوة من جبيت، في أن (الواو) كأنها بدل من (الياء) إذ[٦] لم يصرف منه فعل بالواو كما لم يصرف من الجباوة[٧].

= الظعائن: جمع ظعينة، وهي المرأة في الهودج تحمل على الإبل، بالعلياء: الأرض المرتفعة، جرثم: ماء معين.

(١) في (ب): (والعطاء).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (غشى) ٣/ ٢٦٦٨، «اللسان» (غشى) ٦/ ٣٢٦١.

(٣) ذكره في «الحجة»، قال: روى لنا عن الكسائي وعن غيره ١/ ٣١، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٦١.

(٤) (على) ساقطة من (ب).

(٥) في (ج): (الامارمه). والكلام بنصه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨، وانظر «تهذيب اللغة» (غشى) ٣/ ٢٦٦٨، و«اللسان» (غشى) ٦/ ٣٢٦١..

(٦) في (أ)، (ج): (إذا) وفي (ب) و«الحجة»: (إذ). وهو الأولى لصحة السياق.

(٧) في (ب): (الجباره). انظر كلام أبي علي في «الحجة» ١/ ٣٠٠، نقله الواحدي بتصرف، قال ابن فارس (غشى): الغين والشين والحرف المعتل، أصل صحيح=

والأشهر في القراءة رفع الغشاوة[(١)]، لأنها لم تحمل على (ختم)، ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] فلما[(٢)] لم تحمل في هذه على (ختم) كذلك لا تحمل هاهنا[(٣)]، وبقطعها عن ختم فتكون مرفوعة[(٤)] بعلى[(٥)].

وقرأ المفضل[(٦)] ﴿غشاوة﴾ بالنصب[(٧)]. وله وجهان:

= يدل على تغطية شيء بشيء. «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٤٢٥.

قال السمين الحلبي بعد أن ذكر كلام أبي علي: وظاهر عبارته أن الواو بدل من الياء، فالياء أصل؛ بدليل تصرف الفعل منها دون مادة الواو، والذي يظهر أن لهذا المعنى مادتين: غ ش و، غ ش ى، ثم تصرفوا في إحدى المادتين واستغنوا بذلك عن التصرف في المادة الأخرى، وهذا أقرب من ادعاء قلب الواو ياء من غير سبب..)، «الدر المصون» ١/ ١١٦.

(١) قرأ السبعة كلهم برفع الغشاوة، إلا ما روى المفضل الضبي، عن عاصم أنه قرأ بالنصب. انظر «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٩١، ٣١٢، وقال الطبري: إن قراءة الرفع هي الصحيحة، والنصب شاذة، ١/ ٢٦٢، ونحوه قال أبو الليث في «تفسيره» ١/ ٩٣.

(٢) في «الحجة»: (فكما) ١/ ٣٠٩.

(٣) في «الحجة» (كذلك لا تحمل في هذِه التي في مسألتنا) ١/ ٣٠٩.

(٤) في (ب): (فتكون من موسه بعلى).

(٥) في «الحجة»: (ملها على (ختم) قطعها عنه وإذا قطعها عن (ختم) كانت مرفوعة إما بالظرف، وإما بالابتداء، «الحجة» ١/ ٣٠٩. قال مكي: (غشاوة: رفع بالابتداء، والخبر: وعلى أبصارهم)، (المشكل) ١/ ٢٠، وقال العكبري: (وعلى قول الأخفش (غشاوة) مرفوع بالجار كارتفاع الفاعل بالفعل)، «الإملاء» ١/ ١٥.

(٦) هو المفضل بن محمد الضبي الكوفي، إمام مقرئ، نحوي، إخباري، أخذ القراءة عن عاصم، ومات سنة ثمان وستين ومائة.

انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٢١، «الأنساب» ٨/ ٣٨٥، «إنباه الرواة» ٣/ ٢٩٨، «غاية النهاية» ٢/ ٣٠٧.

(٧) قال ابن مجاهد: "قرأوا كلهم (غشاوة) في (البقرة) رفعا وبالألف، إلا أن المفضل=

أحدهما[١]: أن تحمل على الفعل، كأنه قال: وختم على قلبه غشاوة، أي: بغشاوة فلما حذف الحرف وصل الفعل، ومعنى ختم عليه بغشاوة: مثل جعل على بصره غشاوة. ألا ترى أنه إذا ختمها بالغشاوة فقد جعلها فيها، والدليل على جواز حمل غشاوة على ختم هذا الظاهر قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨] وطبع في المعنى كختم، وقد حملت الأبصار على (طبع)، فكذلك[٢] تحمل[٣] على (ختم)[٤].

والوجه الثاني: ما قاله الفراء[٥]، وهو أنه نصبها بإضمار (وجعل)، كقوله في الجاثية: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

والكلام إذا اجتمع ودل أوله على آخره حسن الإضمار، كقولك: أصاب فلان المال، فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس، فـ (بنى) لا يقع على العبيد[٦] والإماء، واللباس فبنى لا يقع على العبيد والإماء ولكنه[٧]، صفات اليسار، فحسن الإضمار لما عرف، ومثله كثير. والذي لا يحسن من الإضمار[٨] ما يشتبه ولا يعرف المعنى، كقولك: ضربت فلانًا وفلانًا،

= ابن محمد الضبي روى عن عاصم (وعلى أبصارهم غشاوة) نصبا"، «السبعة» ص١٤١، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣، «الحجة» ١/ ٢٩١ «زاد المسير» ١/ ٢٨.

(١) في (ج): (أحدها).

(٢) (فكذلك) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): (حمل).

(٤) بنصه في «الحجة»، ١/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ١٣، ١٤، ونقله بتصرف يسير.

(٦) في (ب) (العبد).

(٧) في (ب): (لكن).

(٨) في (ب): (لا يشتبه).

وأنت تريد بالثاني: قتلت، لأنه ليس هاهنا دليل، وكذلك قولك: قد أعتقت يساراً أمس وآخر اليوم، وأنت تريد: واشتريت آخر اليوم، فهذا لا يجوز، لأنه مختلف[١].

قال الزجاج في هذه الآية: إنهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون، ولكن لم يستعملوا[٢] هذه الحواس استعمالاً يجدي عليهم، فصاروا كمن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (العذاب): كل ما يُعَنِّي الإنسان ويشق عليه، وذكرت اشتقاقه عند قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

و(العظيم) فعيل من العظم، ومعنى العظم: هو كثرة المقدار في الجثة[٤]، ثم استعير ذلك في الصفات، فقيل: كلام عظيم، [وأمر عظيم، أي: عظيم[٥]] القدر، يريدون به المبالغة في وصفه، ومن هذا الباب العظام، لأنها من[٦] أكبر ما ركب منه البدن، فالعظم في الأصل الزيادة على المقدار[٧]، ثم ينقسم إلى عظم الأجسام، وعظم الشأن[٨]، وهو

(١) انتهى ما نقله عن الفراء، انظر «المعاني» ١/ ١٤.
(٢) في (ب): (لا يسمعوا).
(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧.
(٤) في (ب): (الجنة).
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٦) (من) ساقطة من (ب).
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (عظم) ٣/ ٢٤٨٨، «معجم المقاييس» (عظم) ٤/ ٣٥٥، «اللسان» (عظم) ٥/ ٣٠٠٤.
(٨) في (ب): «اللسان».

منقول إلى عظم الشأن[١] من عظم الجثة، وكثر استعماله حتى صار حقيقة في الموضعين[٢].

ومعنى وصف العذاب بالعظم، هو المواصلة بين أجزاء الآلام بحيث لا تتخللها[٣] فرجة، أو إحداث ألم في كل جزء، أو[٤] يخلق ألما أشد من ألم.

٨- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية. روى ثعلب عن سلمة[٥] عن الفراء[٦] قال: يكون[٧] (من) ابتداء غاية، ويكون بعضاً، ويكون صلة، قال الله: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [يونس: ٦١]. المعنى: مثقال ذرة[٨].

قال أبو عبيد[٩]: والعرب تضع (من) مواضع (مذ) يقال: ما رأيته من [سنة، أي:][١٠] مذ سنة. قال زهير:

---

(١) في (ب): «اللسان».

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ٢/ ٥٤.

(٣) في (ب): (لا محللها).

(٤) في (ب): (جزوو أو يحلو).

(٥) هو سلمة بن عاصم النحوي، روى عن الفراء، كان أديبا فاضلا، سمع منه ثعلب كتاب «المعاني» للفراء، توفي بعد السبعين ومائتين. انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» ص١٣٧، «معجم الأدباء» ٣/ ٣٩١، «إنباه الرواة» ٢/ ٥٦، «غاية النهاية» ١/ ٣١١.

(٦) في «تهذيب اللغة» (سلمه عن الفراء ثم ذكره بنصه). «التهذيب» (من) ٤/ ٣٤٥٣.

(٧) في «التهذيب»: (تكون) في المواضع الثلاثة.

(٨) في «التهذيب»: (أي: ما يعزب عن علمه من مثقال ذرة) ٤/ ٣٤٥٣.

(٩) «تهذيب اللغة» (من) ٤/ ٣٤٥٤.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

أقوين من حجج ومن شهر[١]

أي: مذ حجج[٢]. ويكون[٣] (من) بمعنى البدل، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف: ٦٠]. معناه: بدلكم[٤]، وسنذكره في موضعه[٥]. وأما الأصل [في (الناس)[٦]] فقد أقرأني العروضي قال: أقرأني الأزهري قال[٧]: (أخبرني المنذري عن أبي الهيثم[٨] أنه سأله[٩] عن (الناس)[١٠] ما أصله؟

---

(١) مطلع قصيدة لزهير يمدح هرم بن سنان وصدره:

لمن الديار بقنة الحجر

القنة: أعلى الجبل، الحجر: بكسر الحاء منازل ثمود، ويروى بالفتح موضع باليمامة، أقوين: أقفرت، الحجج: بكسر الحاء جمع حجة وهي السنة، ومن شهر: واحد الشهور، ويروى ومن دهر. ورد البيت في «تهذيب اللغة» (من) ٤/ ٣٤٥٤، «الجمل المنسوب» للخليل ص١٦١، «الجمل» للزجاجي ص١٣٩، «مغني اللبيب» ١/ ٣٣٥، «الهمع» ٣/ ٢٢٦، «شرح المفصل» ٤/ ٢٩٣، ٨/ ١١، «الإنصاف» ص٣١٥، «الخزانة» ٩/ ٤٣٩، «شرح ديوان زهير» ص٨٦.

(٢) أي: مذ حجج ومذ شهر.

(٣) في «التهذيب»: (من) ٤/ ٣٤٥٤.

(٤) في (ب): : (بدله).

(٥) عند أبي عبيد وتكون (من) بمعنى: اللام الزائدة. انظر بقية كلامه في «التهذيب» (من) ٤/ ٣٤٥٤، وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب»: أن (من) تأتي على خمسة عشر وجها، ١/ ٣١٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) (التهذيب) (أنس) ١/ ٢١٦.

(٨) في (ب) (أبي القاسم).

(٩) في (ج) (سأل).

(١٠) (عن الناس) ساقط من (ب).

قال: أصله أناس[١]، والألف فيه أصلية، ثم زيدت عليه اللام التي تزاد مع الألف للتعريف[٢]، وأصل تلك اللام سكون أبدا[٣]، فصار (الأناس) ثم كثر في الكلام، وكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها[٤] فتركوها[٥]،ثم أدغموا اللام في النون فقالوا: الناس، فلما طرحوا الألف واللام قالوا: (ناس)[٦]. وقد استعمله الشاعر على الأصل فقال:

إن المنايا يَطّلعْـ ـنَ على الأناس الآمنينا[٧]

قال الأزهري: وهذا قول حذاق[٨] النحويين[٩]. و(الناس) لفظ وضع

---

(١) في (التهذيب): (فقال أصله (الأناس)، لأن أصله (أناس) فالألف فيه أصلية.....) ١/ ٢١٧.

(٢) في (ب): (التعريف).

(٣) في «التهذيب» (وأصل تلك اللام سكون أبدا إلا في أحرف قليلة، مثل: الاسم والابن، وما أشبهها من الألفات الوصلية، فلما زادوهما على أناس صار الاسم: الأناس....) ١/ ٢١٧.

(٤) في (ب): (فاستقلوها).

(٥) في «التهذيب»: (..... فتركوها وصار باقي الاسم (ألناس) بتحريك اللام في الضمة، فلما تحركت اللام والنون أدغموا اللام في النون...) ١/ ٢١٧ .

(٦) في «التهذيب»: (فلما طرحوا الألف واللام ابتداء والاسم فقالوا: قال ناس من الناس. انتهى كلام أبي الهيثم في «التهذيب»، وقول الواحدي: وقد استعمله الشاعر... الخ مع البيت ليس في «التهذيب» ١/ ٢١٧ .

(٧) البيت لذي جدن الحميري، ورد في «مجالس العلماء» للزجاجي ص٧٠، «الخزانة» ٢/ ٢٨٠، «الخصائص» ٣/ ١٥١، «تفسير البيضاوي» ١/ ٩٩، «الدر المصون» ١/ ١١٩، «اللسان» (نوس) ٨/ ٤٥٧٥.

(٨) في (ب): (خلاف).

(٩) في «التهذيب»: (قلت: وهذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين) وفي الهامش في (ج) (قول حذاق النحويين)، «التهذيب» ١/ ٢١٧.

للجمع، ولا واحد له من لفظه[١]، كالقوم والرهط والجيش، واختلفوا في تصغيره، فقيل: (أنيس) و(نويس).

فمن قال: (أنيس) وهو قول أكثر النحويين[٢]، دل على[٣] أن أصله (أناس) لثبوت الهمزة في التصغير. ومن قال: نويس، جعل اشتقاق الناس من (النوس) وهو الاضطراب والحركة[٤] يقال ناس ينوس إذا تذبذب وتحرك، وأناس إذا حرك[٥]. ومنه قول المرأة في حديث أم زرع: (أناس من حلي أذني)[٦].

---

(١) قال الطبري: (في الناس وجهان: أحدهما: أن يكون جمعا لا واحد له من لفظه، وإنما واحدهم (إنسان) وواحدتهم (إنسانة). والوجه الأخر: أن يكون أصله (أناس) أسقطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها، ثم دخلتها الألف واللام المعرفتان...) ١/ ١١٦، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٥٨-١٥٩، (البحر) ١/ ٥٢، (الدر المصون) ١/ ١١٨.

(٢) قال سيبويه: (ليس من العرب أحد إلا ويقول: نويس)، انظر «الكتاب» ٣/ ٤٥٧، وانظر «المسائل الحلبيات» لأبي علي الفارسي ص١٧١، ١٧٢.

(٣) (دل على) مطموس في (ب).

(٤) (الحركة) ساقطة من (ب).

(٥) في (ب): (إذ بريدت).

(٦) في (ب): (أرلى). قطعة من حديث طويل، فقد أخرج البخاري بسنده عن عائشة، قالت: (جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً...)، وفيه: (قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع، أناس من حلي أذني.....). أخرجه البخاري (٥١٨٩) كتاب النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل، ومسلم (٢٤٤٨) كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل عائشة، قال ابن حجر اختلف في رفعه ووقفه، ثم ذكر الخلاف في ذلك، وقال: (قلت: المرفوع منه في الصحيحين: (كنت لك كأبي زرع لأم زرع) وباقيه من قول عائشة، وجاء خارج الصحيحين مرفوعا كله...). (الفتح) ٩/ ٢٥٥ - ٢٥٧. وقد=

قال[١]: وسمي الناس ناسًا، لأن من[٢] شأنهم الحركة على الاختيار العقلي، والواو في التصغير يدل على هذا الاشتقاق، وواحد الناس: إنسان، لا من لفظه. وكان في الأصل (إنسيان)، وهو فعليان، والألف فيه (فاء) الفعل، ومثله في الكلام (حرصيان) وهو الجلد الذي يلي الجلد الأعلى من[٣] الحيوان، ورجل حذريان، إذا كان حذرا، وإنما قلنا: إن أصله إنسيان، لأن العرب لم تختلف في تصغيره على أنيسيان[٤].

قال الأزهري[٥]: وأصل الإنس، والإنسان، والناس، من آنس يؤنس[٦] إذا أبصر، لأنهم يؤنسون، أي: يبصرون، كما قيل للجن: جن، لأنهم مجتنّون، لا يؤنسون أي: لا يبصرون[٧]. وقد روي عن ابن عباس أنه

= ذكر علماء اللغة وغريب الحديث أجزاءً من الحديث، لما فيه من الألفاظ، فذكره أبو عبيد في «غريب الحديث»، ١/ ٣٦٤-٣٧٦، وورد في «الفائق» ٣/ ٤٨، ٤٩، وذكر قطعة منه الأزهري في «التهذيب» ٣/ ٢٤٥١، وذكره السيوطي من طرق كثيرة في «المزهر» ٢/ ٤٤٩.

(١) المراد الأزهري فبعد كلامه السابق الذي ذكره الواحدي وهو قوله: (قلت: وهذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين... قال: وإنسان في الأصل: إنسيان وهو فعليان من الإنس... إلخ) وما بينهما ليس في «التهذيب». انظر «التهذيب» ١/ ٢١٦.

(٢) في (ب): (معنى).

(٣) في (ج): (بين).

(٤) انظر «تهذيب اللغة» (أنس) ١/ ٢١٦، وانظر «الكتاب» ٣/ ٤٨٦ .

(٥) «تهذيب اللغة» (أنس).

(٦) في «التهذيب» (قلت: واصل الإنس والأنس والإنسان من الإيناس وهو الإبصار)، وفي الهامش في (ج) (وأصل الإنسان والناس من أنس يؤنس إذا أبصر)، ٢١٦-٢١٧.

(٧) انتهى كلام الأزهري. انظر: «التهذيب» ١/ ٢١٦-٢١٧.

قال: عهد الله سبحانه إلى آدم فنسي فسمي إنساناً[١] وإن صح هذا فالهمزة تكون زائدة[٢].

وذكر أبو علي في «المسائل الحلبية»[٣]: أن الكسائي قال: إن الأناس[٤] لغة، والناس لغة أخرى[٥]، كأنه يذهب إلى أن (الفاء) محذوف من الناس، كما يذهب إليه سيبويه[٦]، والدلالة على أنهما من لفظ واحد، وليسا من كلمتين مختلفتين أنهم قالوا: (الأناس) في المعنى الذي قالوا فيه (الناس) وقالوا: الإنس والأنس والإنسي والأناسي[٧]، وإذا كان كذلك ثبت أن الهمزة (فاء) الفعل، وأن الألف من (أناس) زائدة[٨]، وأن (فاء) الفعل من الناس هي الهمزة المحذوفة، وهذا من مبادئ التصريف وأوائله[٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٤٩أ، والقرطبي ١/ ١٦٨.

(٢) انظر: «المسائل الحلبيات» ص١٧١، والقرطبي ١/ ١٦٨، «الدر المصون» ١/ ١١٩، ١٢٠.

(٣) في (ب): (الجلسه).
«المسائل الحلبيات» أحد كتب أبي علي المشهورة، طبع بتحقيق د/ حسن هنداوي، وقد نقل الواحدي كلام أبي علي بمعناه. انظر: «المسائل الحلبيات» ص١٦٨ -١٧٣.

(٤) في (ب): (الإنسان).

(٥) لم أجد هذا القول للكسائي في «المسائل الحلبيات». انظر: «المسائل الحلبيات» ص١٦٨ - ١٧٣، وانظر «تهذيب اللغة» (أنس) ١/ ٢١٦-٢١٧.

(٦) انظر «الكتاب» ٢/ ١٩٦.

(٧) قوله: (وقالوا: الإنس والأنس والأنسي والأناسي) ليس في «الحلبيات»، انظر ص١٦٨- ١٧٣.

(٨) في (ب): (فائده).

(٩) في (ج): (وأوئله). انظر: «المسائل الحلبيات» ص١٦٨.

ولو جاز لقائل أن[١] يقول: إن (ناسا) لسقوط الهمزة منه ليس من لفظ أناس، للزمه أن يقول: [قولهم (ويل أمه[٢]) إذا حذفت الهمزة منه: ليست التي في (أمه) وأن يقول[٣]]: (عدة) ليس من الوعد، لسقوط الواو منه التي هي (فاء)[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَقُولُ﴾. روى سلمة، عن الفراء، عن الكسائي[٥] قال: ﴿من﴾ يكون اسماً، ويكون شرطاً ويكون معرفة، ويكون نكرة، ويكون للواحد والاثنين[٦] وللجميع، ويكون[٧] للإنس[٨] والملائكة والجن[٩]، وهذه الوجوه كلها موجودة في التنزيل[١٠]، ستمر بك مشروحة

---

(١) (أن) ساقطة من (ب).

(٢) إذا حذفت الهمزة منه يصير (ويلمه) الأصل فيها (ويل لأمه) أدغمت (لام) ويل في الجارة في (لأمه) ثم حذفت (لام) ويل لكثرة الاستعمال ثم حذفت الهمزة. انظر «المسائل الحلبيات» ص٤٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في (ج): (فاء العمل).

(٥) في «التهذيب» سلمة عن الفراء عن الكسائي قال: (من) تكون اسما، وتكون جحدا، وتكون استفهاما، وتكون شرطا، وتكون معرفة، وتكون نكرة، وتكون للواحد، وتكون للأثنين، وتكون خصوصًا، وتكون للأناس، والملائكة والجن وتكون للبهائم إذا خلطت بغيرها. «التهذيب» (من) ٤/ ٣٤٥٣، وذكر في «مغني اللبيب» أن (من) تأتي على خمسة أوجه ١/ ٣٢٧.

(٦) في (ب): وللأثنين.

(٧) في (ب): (تكون).

(٨) في (أ)، (ج): (الأنس).

(٩) في (ب): (للملائكة وللجن).

(١٠) في «التهذيب» (قلت: هذِه الوجوه التي ذكرها الكسائي موجودة في الكتاب...)، ثم ذكر الأزهري أمثلة لها من القرآن. «التهذيب» ٤/ ٣٤٥٣ .

إن شاء الله. وإعرابها: الوقف[١]، لأنها لا تتم إلا بصلة، فلا يكون الإعراب في[٢] بعض الاسم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾. (اليوم) مقداره من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، وجمعه: أيام، وكان الأصل (أيوام) واجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما الأخرى بالسكون، فأدغمت[٤]. والآخر: نقيض المتقدم[٥]، يعني باليوم الآخر: يوم القيامة، ويسمى[٦] آخراً، لأنه[٧] بعد أيام الدنيا، وقيل: لأنه[٨] آخر يوم ليس بعده ليلة، والأيام إنما تتميز بالليالي[٩]، فإذا لم يكن بعده ليل لم يكن بعده يوم على الحقيقة[١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾. دخلت (الباء) مؤكدة لمعنى النفي، لأنك إذا قلت: (ما زيد أخوك) فلم يسمع السامع (ما) ظن أنك موجب،

---

(١) أي: السكون.

(٢) في (ب): (من).

(٣) قال الزجاج في (المعاني): (لأنها لا تكون اسما تاما في الخبر إلا بصلة، فلا يكون الإعراب في بعض الاسم)، ١/ ٤٩.

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» وفيه: (وجعلوا الياء هي الغالبة) أي: غلبوا (الياء) فقلبوا (الواو) (ياء) وأدغموها في (الياء). انظر «تهذيب اللغة» (يوم)، ٤/ ٣٩٩٠.

(٥) ذكره الأزهري عن الليث. «التهذيب» (أخر) ١/ ١٣١.

(٦) في (ب): (وسمى).

(٧) في (ب): (إلا أنه).

(٨) في (ب): (أنه).

(٩) قال الطبري: فإن قال قائل: وكيف لا يكون بعده يوم، ولا انقطاع للآخرة، ولا فناء ولا زوال؟ قيل: إن اليوم عند العرب، إنما سمي يوما بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم، فيوم القيامة يوم لا ليل بعده.... ١/ ١١٧.

(١٠) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٥٩.

فإذا قلت: (ما زيد بأخيك)[١]، علم السامع أنك تنفي، وإن لم يسمع (ما)[٢]. وجمع في قوله: ﴿وما هم﴾ بعد التوحيد في ﴿من يقول﴾ لأن لفظ[٣] (من) يصلح للواحد وللجميع[٤].

قال المفسرون: نزلت هذه الآيات في المنافقين[٥] حين أظهروا كلمة الإيمان وأسرّوا الكفر[٦]. فأخبر الله سبحانه أنهم يقولون: إنا مؤمنون، ويظهرون كلمة الإيمان، ثم نفى عنهم الإيمان فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدل أن حقيقة الإيمان ليس الإقرار فقط[٧].

٩- قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية. ﴿يخادعون﴾: يفاعلون من الخدع والخداع.

واختلف أهل اللغة في أصل الخداع، فقال قوم:[٨] أصله من إخفاء

---

(١) في (ب): (أخيك).

(٢) ذكره الزجاج بنصه، دون قوله: وإن لم يسمع (ما)، «معاني القرآن» ١/ ٥٠.

(٣) (لفظ) ساقط من (ب).

(٤) (من) لها لفظ ومعنى، فلفظها مفرد مذكر، ومعناها يصلح للجمع وغيره، فيجوز مراعاة اللفظ فيعود الضمير مفردا، ويجوز مراعاة المعنى فيعود الضمير جمعا. انظر«الدر المصون» ا/ ١٢١.

(٥) في (ب): (للمنافقين).

(٦) قال الطبري: أجمع جميع أهل التأويل على أن الآية نزلت في قوم من أهل النفاق. الطبري ١/ ٢٦٨، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٩، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٤، وابن عطية ١/ ١٥٩، وابن كثير ١/ ٥٠.

(٧) قال الطبري: (وفي هذِه الآية دلالة واضحة على بطول ما زعمته الجهمية من أن الإيمان هو التصديق بالقول دون سائر المعاني غيره...)، ١/ ١١٧، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٤، وابن عطية ١/ ١٥٩.

(٨) فيه طمس في (ب).

الشيء[١]، قال الليث[٢]: أخدعت الشيء، أي أخفيته، قال:[٣] ومن أمثال العرب (أخدَعُ من ضبِّ حرشتَه)[٤]، وهو من قولك: خدع مني[٥] فلان، إذا توارى ولم يظهر[٦]. والضبّ[٧] إذا أروَحَ ريحَ الإنسان خَدَعَ[٨] في جحره[٩] فلم يخرج. وقال أبو العميثل[١٠]: خدع[١١] الضب إذا[١٢] دخل في

---

(١) انظر «العين» ١/ ١٣٣، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ١٦١، «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٣.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٩ ب، «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٣.

(٣) (قال ومن) فيه طمس في (ب).

(٤) في (أ)، (ج) (جرشته). الخدع: التواري، وخَدْعُ الضب إنما يكون من شدة حذره، وصفة خدعه أنه يعمد بذنبه باب جحره ليضرب به من يعتدى عليه، فيجئ المحترش: أي المعتدى فيخرج الضب ذنبه إلى نصف الجحر، فإن دخل عليه شيء ضربه، وإلا بقى في جحره. وقد ورد المثل (أخدع من ضب)، انظر «المستقصى في أمثال العرب» ١/ ٩٢، ٩٥، «مجمع الأمثال» ١/ ٢٦٠، «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤.

(٥) (منى) غير واضح في (ب).

(٦) انتهى كلام الليث. «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤.

(٧) في (ب) (والضب).

(٨) (خدع) غير واضح في (ب).

(٩) في (ب) (حجر) وفي (ج) (حجره).

(١٠) في (ج) (العميثك). وأبو العميثل أعرابي، اسمه: عبدالله بن خالد، مولى جعفر ابن سليمان، كان يؤدب ولد عبدالله بن طاهر بخراسان، وكان يفخم كلامه ويعربه. توفي سنة أربعين ومائتين. انظر ترجمته في «إنباه الرواة» ٤/ ١٤٣، «وفيات الأعيان» ٣/ ٨٩.

(١١) في (ب) (أجدع).

(١٢) (أذا دخل) غير واضح في (ب).

وجاره[١]. ومنه قول الأعرابي لعمر ﷺ يصف قحوط المطر: خدعت الضباب وجاءت الأعراب[٢].

ويقال: خدع خير[٣] الرجل، أي: قل وخفي. وخدعت الضبع في وجارها، وخدع الثعلب إذا أخذ في الروغان[٤]. قال[٥] الليث: والأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا[٦].

وطريق خدوع وخادع، إذا كان يبين[٧] مرة ويخفى أخرى[٨]، ومنه قول الطرماح[٩]:

---

(١) «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤، وفيه: (إذا دخل في وجاره ملتويا)، والوجار بكسر الواو وفتحها: جحر الضب وغيره.

(٢) ذكره الأزهري. «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤، وهو في «الفائق» ١/ ٢٥٦، وفي «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ١٤.

(٣) في (أ)، (ج): (خبر) وفي (ب) بدون نقط، وفي «التهذيب» (خدع خير الرجل أي: قل) ١/ ١٥٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤.

(٥) (قال) ساقط من(أ)، (ج).

(٦) «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤، وانظر (العين) ١/ ١٣٣.

(٧) في (أ)، (ج): (يتبين) وما في (ب) موافق لما في «تهذيب اللغة» .

(٨) ذكره الأزهري في «التهذيب»، وأنشد بعده بيتا غير بيت الطرماح الذي ذكره المؤلف هنا .

انظر: «التهذيب» (خدع) ١/ ٩٩٤، (العين) (خدع) ١/ ١٣٢.

(٩) الطرماح بن حكيم الطائي، والطرماح بكسر الطاء والراء المهملتين، شاعر إسلامي في الدولة المروانية، ولد ونشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة، واعتنق مذهب الشراة من الخوارج .

انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٣٨٨، «الخزانة» ٨/ ٧٤.

خَادِعَةُ المسلَكِ أرْصَادُهَا   تُمسي[١] وُكُونًا فَوْقَ آرَامِهَا[٢]

قال أبو عبيد: قال أبو زيد: خدعته خِدْعا بكسر الخاء وخديعة، وأنشد قول رؤبة[٣]:

فَقَدْ أُدَاهى[٤] خِدْعَ من تَخَدَّعَا[٥]

وأجاز غيره (خَدْعا) بالفتح[٦].

وعلى هذا الأصل[٧] معنى قوله: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يظهرون غير ما في نفوسهم؛ ليدرؤوا عنهم أحكام الكفار في ظاهر الشريعة من القتل والجزية وغيرهما.

ولما كان القوم عملوا[٨] عمل المخادع [قال الله تعالى: ﴿يُخَـٰدِعُونَ

---

(١) في (ب): (بمسى).

(٢) البيت من قصيدة للطرماح، يمدح المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وقوله: (خادعة المسلك): تخدع سالكها فلا يهتدي، و(الأرصاد): القوم يرصدون الطرق من المرتفعات، وكون: جالسون، من الوكن وهو موقع الطائر، (الآرام): (الأعلام)، وورد البيت في «العين» (خدع) ١/ ١٣٢، «اللسان» (خدع) ٢/ ١١٣، «ديوان الطرماح» ص٤٥٣.

(٣) هو الراجز المشهور ابن الراجز، رؤبة بن العجاج من بني مالك بن سعد بن مناة بن تميم، كان أكثر شعرا من أبيه وأفصح، كان مقيما بالبصرة، ولحق الدولة العباسية كبيرا، ومات بالبادية سنة خمس وأربعين ومائة. انظر «الشعر والشعراء» ص٣٩٢، «تهذيب التهذيب» ١/ ٩٩٣، «الخزانة» ١/ ٨٩.

(٤) في (ب): (أوداهى).

(٥) ورد الرجز في (ديوان رؤبة) ص٨٨، «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٣، «اللسان» (خدع) ٢/ ١١١٢.

(٦) «التهذيب» (خدع) ١/ ٩٩٣، «اللسان» (خدع) ٢/ ١١٢.

(٧) وهو أن الخداع من إخفاء الشيء.

(٨) (عملوا) ساقطة من (ب).

ﷲَ﴾ أي: يعملون عمل المخادع، ليس أن خداعهم يخفى على الله[١].

وقال آخرون: أصل الخداع والخدع من الفساد[٢] روى ثعلب عن ابن الأعرابي[٣] قال: الخادع[٤]:] الفاسد من الطعام وغيره، وأنشد قوله:

. . . . إذا الـرِّيـقُ خَـدَعْ[٥]

قال ابن الأعرابي: خدع الريق أي: فسد[٦]

ومنه الحديث: «**يكون قبل خروج الدجال سنون خداعة**»[٧].

---

(١) انظر (تفسير الطبري) ١/ ١١٩، وابن كثير ١/ ٥١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٩أ، وانظر: «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤، «الحجة» ١/ ٣١٣، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ١٧٠.

(٣) «الحجة» ١/ ٣١٣، وفي «التهذيب» روى ابن الأنباري عن ثعلب عن ابن الأعرابي ثم ذكره، ١/ ٩٩٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري، يصف ثغر امرأة وتمامه:

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ طَيِّبُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعْ

البيت ورد في «الحجة» ١/ ٣١٣، «التهذيب» (خدع) ١/ ٩٩٤، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٤٩ أ، (معجم مقاييس اللغة) (خدع) ٢/ ١٦١، «الصحاح» (خدع) ٣/ ١٢٠٢، «اللسان» (خدع) ٢/ ١١١٣، «زاد المسير» ١/ ٣٠، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ١٧٠، «الدر المصون» ١/ ١٢٥.

(٦) قال في (الصحاح): خدع الريق، أي: يبس، ثم ذكر البيت وقال: لأنه يغلظ وقت السحر فييبس وينتن. «الصحاح» (خدع) ٣/ ١٢٠٢.

(٧) بهذا اللفظ ذكره الخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٣٠، والازهري في «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤، وابن الجوزي في «غريب الحديث» ١/ ٢٦٧، وابن الأثير في «النهاية» ٢/ ١٤. وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات...**»، ابن ماجه (٤٠٣٦) كتاب الفتن، باب: شدة الزمان، وأخرجه أحمد في «المسند» ولفظه: «**ستأتي على الناس سنون خداعة**. . .» الحديث، ٢/ ٢٩١، =

قال شمر: هي الفواسد، قال: ويقال: السوق خادعة، إذا لم يقدر على الشيء إلا بغلاء فهي فاسدة[١]. وعلى هذا الأصل[٢]، قال [ابن][٣] الأنباري: معنى قوله ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وتأويله[٤]: يفسدون[٥] ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. فإن قيل: المفاعلة تكون بين اثنين، والله تعالى يجل عن أن يشاركهم في الخدع، فما وجه قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾؟ والجواب عن هذا من وجوه: قال محمد بن القاسم[٦]: إن الخداع منهم يقع بالاختيال[٧] والمكر، ومن الله تعالى بأن يظهر ويعجل لهم من الأموال والأولاد ما يدخر[٨]، ويؤخر[٩] خلافه، فأشبه هذا فعلهم[١٠]،

= ٣٣٨، وأخرجه عن أنس بلفظ «**إن أمام الدجال سنين خداعة..** » الحديث، ٣/ ٢٢٠، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن عوف بن مالك: (**يكون أمام الدجال سنون خوادع...**)، قال: رواه الطبراني بأسانيد، وفي أحسنها ابن اسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» ٧/ ٣٣٠، وانظر: «المطالب العالية» ١٨/ ٤٢٦.

(١) «تهذيب اللغة» (خدع) ١/ ٩٩٤.

(٢) أي: أن أصل الخداع من الفساد.

(٣) في (أ)،(ب): قال لي الأنباري، وفي (ج): (قال لي ابن الأنباري) وصححت العبارة على ما في «التهذيب» حيث قال: (قال أبو بكر) ١/ ٩٩٤.

(٤) في (أ): (معنى تأويله)، وفي (ج) (معنى قوله) وأثبت ما في (ب) لأنه الأنسب.

(٥) في (أ)، (ج): (تفسدون)، وما في (ب) موافق لما في «تهذيب اللغة» وفيه: (قال أبو بكر: فتأويل قوله: (يخادعون الله) يفسدون.. الخ. (خدع) ١/ ٩٩٤.

(٦) هو أبو بكر بن الأنباري.

(٧) في (ب): (بالاحتيال) ولعلها أولى.

(٨) في (أ)، (ج): (ما يذخر).

(٩) (ويؤخر) ساقط من (ب).

(١٠) في (ب): (فعله).

إذ[1] كانوا يظهرون الإيمان بالله[2] ورسوله، ويضمرون خلاف[3] ما يظهرون، والله ﷻ يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر من عذاب الآخرة، فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة[4].

وهذا الذي قاله محمد بن القاسم مطرد[5] على الأصلين[6]، أما الإخفاء فقد ذكره[7]، وأما الفساد، فكما أنهم يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون، كذلك الله تعالى أفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما

---

(١) في (ب): (إذا).

(٢) (بالله) مكرر في (ج).

(٣) في (ج): (خلافه).

(٤) وإلى هذا المعنى مال الطبري حيث قال رادًّا على أبي عبيدة في دعواه: أن (يخادع) بمعنى يخدع (قال: (قد قال بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب: إن ذلك الحرف جاء بهذِه الصورة أعني (يخادع) بصورة (يفاعل)، وهو بمعنى (يفعل) في حروف أمثالها شاذة من منطق العرب نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى قتلك الله)، ثم ذكر رأيه: وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من (التفاعل) الذي لا يكون إلا من اثنين، كسائر ما يعرف من معنى (يفاعل ومفاعل) في كل كلام العرب. وذلك أن المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه - على ما تقدم وصفه- والله تبارك اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في آجل معاده، كالذي أخبر في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، «تفسير الطبري» ١/ ١١٩، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٦٥.

(٥) في (ب): (مطردا).

(٦) المراد بالأصلين في الخداع، هل هو من الفساد أو من الإخفاء؟

(٧) حيث قال: ويضمرون خلاف ما يظهرون والله ﷻ يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر من عذاب الآخرة.

أصارهم إليه من عذاب الآخرة[(١)]. وقيل: يخادعون الله، أي: (يخدعون)، قال اللحياني[(٢)] وأبو عبيدة: خادعت الرجل بمعنى خدعته، والمفاعلة كثيرًا ما تقع من الواحد، كالمعافاة والمعاقبة وطارقت النعل، ومعناه على هذا: يقدرون في أنفسهم أنهم يخدعون الله[(٣)].

وقال الحسن: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: نبيه؛ لأن الله بعث نبيه[(٤)] بدينه، فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] فعلى هذا من خادعه فقد خادع الله، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] أي أولياءه، وعلى[(٥)] هذا التأويل (المخادعة) أيضًا من الواحد[(٦)].

---

(١) هذا من قول أبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري كذلك، وقد سبق أن نقل المؤلف جزءًا منه، وانظر بقيته في «التهذيب» (خدع) ٢/ ١١١٢.

(٢) هو علي بن حازم اللحياني، لغوي معروف، عاصر الفراء وتصدر في أيامه. انظر ترجمته في «طبقات النحويين واللغويين» ص١٩٥، «إنباه الرواة» ٢/ ٢٥٥، «معجم الأدباء» ١٤/ ١٠٦.

(٣) انظر كلام اللحياني في: «التهذيب» (خدع) ١/ ٩٩٤، وكلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ص٣١ ونحو هذا المعنى ذكر الزجاج في «المعاني» ١/ ٥٠، وسبق ذكر رد الطبري على أبي عبيدة، انظر «تفسير الطبري» ١/ ١١٩، «تفسير البغوي» ١/ ٦٥.

(٤) (نبيه) ساقط من (ب).

(٥) (الواو) ساقطة من (ب).

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة»، حيث قال: قال بعض المتأولين أظنه الحسن، ثم ذكره، ووجه هذا القول، كما نقل المؤلف هنا، ١/ ٣١٤، ٣١٥، ونسب القول للحسن ابن عطية ١/ ١٦٣، والبغوي ١/ ٦٥، والقرطبي ١/ ١٧٠، وذكره ابن الجوزي ونسبه للزجاج. «زاد المسير» ١/ ٢٩.

وقيل: إن ذكر الله ههنا تحسين وتزيين لافتتاح الكلام، والقصد[١] بالمخادعة الذين آمنوا[٢]، فصار كقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾. قرئ بوجهين[٣]. فمن قرأ بالألف قال: هو من المفاعلة التي تقع[٤] من الواحد كقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ فلما وقع الاتفاق عل الألف في قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أجري الثاني

---

(١) في (ب): (الفصل).

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ٤٩ب، وفي الأقوال الثلاثة الأخيرة، محاولة تأويل الآية، لنفي الخداع عن الله، وقد انتصر لبعضها أبو علي الفارسي في «الحجة» ١/ ٣١٤ - ٣١٦. كما انتصر لها الزمخشري في «الكشاف» وذكر في تفسير الآية وجوها أخرى قريبة منها في المعنى، وقد رد عليه صاحب «الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال». ومما قاله في رده: (.. ومع ذلك يمنع أن ينسب الخداع إلى الله تعالى لما يوهم ظاهره من أنه يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم هذا هو الموهم منه في الاطلاق، ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم، علمنا أن المراد منه أنه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة... هذا معتقد أهل السنة في هذِه الآية وأمثالها، لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق. «الكشاف» ١/ ١٧١. و«الإنصاف» بهامشه.

وقد ذكرت فيما سبق قريبا رد الطبري على أبي عبيدة، وذكرت القول الذي ارتضاه في معنى الآية.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (يخادعون)، (وما يخادعون) بالألف والياء المضمومة. وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (يخادعون) (وما يخدعون) بفتح الياء من غير ألف. انظر «السبعة» ص١٤١، «الحجة» لأبي علي ١/ ٣١٢، ٣١٣، «الكشف» ١/ ٢٢٤.

(٤) في (ب): (تضع).

على[١] الأول طلبا للتشاكل، وقد أجري على التشاكل ما لا يصح[٢] في المعنى كقوله:

فَنَجْهَلَ فوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[٣]

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[٤] [البقرة: ١٩٤] فلأن يجرى للتشاكل ما يصح في المعنى أولى[٥]. وأيضا فإنهم كانوا يخادعون أنفسهم بالتسويف والتشكيك إذ[٦] نازعتهم دواعي الإيمان، ودعتهم خواطر الحق، كانوا يقابلون[٧] ذلك بالجحد والتكذيب وترك النظر، والخاطران في قلب واحد إذا كانا يتعارضان جعلا بمنزلة نفسين[٨]

---

(١) في (ب): (أجزى الثاني عن الأول).

(٢) عبارة أبي علي في «الحجة»: (وإذا كانوا قد استجازوا لتشاكل الألفاظ وتشابهها أن يجروا على الثاني طلبا للتشاكل ما لا يصح في المعنى على الحقيقة، فأن يلزم ذلك ويحافظ عليه فيما يصح في المعنى أجدر وأولى، وذلك نحو: ألا لا يجهلن....) ١/ ٣١٥، ٣١٦.

(٣) عجز بيت من معلقة عمرو بن كلثوم وصدره:

ألا لا يجهلن أحد علينا

والشاهد فيه: أنه جعل انتصاره جهلا طلبا للمشاكلة، وتسمية للفعل الثاني بالفعل الأول المسبب له.

انظر: «الحجة» ١/ ٣١٦، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ٢/ ١٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٥٧.

(٤) والشاهد فيها: أنه سمى القصاص عدوانا، من باب التشاكل اللفظي.

(٥) في (ب) (أولا) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ٣١٥، ٣١٦، وانظر «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٢٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٥٧.

(٦) في (ب): (إذا) ولعله أصوب.

(٧) في (أ)، (ج): (يقاتلون).

(٨) في (ب): (تفسير). انظر: «الحجة» ١/ ٣١٧، «البحر المحيط» ١/ ٥٧.

ألا ترى الكميت[١] قال[٢] في ذكر حمار أراد الورود[٣]:

تذكر من أنّى ومن أين شربه يؤامر نفسَيه كذي الهَجْمة الأَبِلْ[٤]

فجعل ما يكون من ورود الماء[٥] أو ترك الورود والتمييل[٦] بينهما بمنزلة نفسين، وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ: ﴿قَالَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بالجزم[٧]، فنزل نفسه عند الخاطر الذي يخطر له عند نظره منزلة مناظر له[٨].

---

(١) في «الحجة»: (ألا ترى الكميت أو غيره..)، ١/ ٣١٧، وفي «اللسان» نسبه للكميت (أبل) ١/ ١٠. والكميت: هو الكميت بن زيد بن الأخنس من بني أسد، كوفي شاعر، مقدم، عالم بلغات العرب، كان متشيعا (٦٠-١٢٦هـ). انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٣٨٥، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣١٨، «الخزانة» ١/ ١٤٤.

(٢) في (ب) (ألا ترى الكميت في ذلك ذكر حمار).

(٣) في (أ)، (ج) (في ذكر حمار أباد الورود).

(٤) يؤامر: يشاور الهجمة: القطعة من الإبل، والأبل: على وزن (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين من صيغ المبالغة، وهو من حذق مصلحة الإبل، ورد البيت في «الحجة» ١/ ٣١٧ «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦١، «اللسان» (أبل) ١/ ١٠، «البحر المحيط» ١/ ٥٧، فيه (البهجة) والبيت نسبه بعضهم للكميت كما فعل الواحدي، أما أبو علي في «الحجة» فقال: للكميت أو غيره، وهو في «شعر الكميت» جمع داود سلوم ص٣٩٦.

(٥) في (ب): (للماء).

(٦) في (ب): (التمثيل) ومثله في «الحجة» ١/ ٣١٨.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي: (اعلم) ألف وصل وسكون الميم (فعل أمر)، وقراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر: (أعلم) بقطع الألف وضم الميم، (فعل مضارع). انظر «السبعة» لابن مجاهد ص١٨٩، «الكشف» ١/ ٣١٢.

(٨) الكلام في «الحجة» ١/ ٣١٨، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٣١٢.

ومن قرأ ﴿يخدعون﴾ قال: إن فَعَلَ [أولى بفعل][(١)] الواحد من (فاعَلَ) من حيث كان أخص به، وكان أليق من (فاعَل) الذي هو لأكثر الأمر[(٢)] أن يكون لفاعلين[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾[(٤)]. معناه أنهم راموا الخداع فلم يخدعوا الله ولا المؤمنين، وما خدعوا إلا أنفسهم؛ لأن وبال خداعهم عاد عليهم، وهذا كقولك: قاتل فلان فلانا فما قتل إلا نفسه، أي: رام قتل صاحبه فلم يتمكن وعاد وبال فعله إليه، كذلك المنافقون في الحقيقة إنما يخدعون أنفسهم[(٥)]، لأن الله سبحانه يطلع نبيه -عليه الصلاة والسلام- على أسرارهم ونفاقهم[(٦)]، فيفتضحون في الدنيا، ويستوجبون العقاب[(٧)] في العقبى[(٨)].

---

(١) في جميع النسخ جاءت الجملة: (أن فعل أو لن يفعل الواحد ..) فصححتها على عبارة «الحجة»؛ لأن المؤلف نقل الكلام منه. انظر: «الحجة» ١/ ٣١٧.

(٢) في (أ)، (ج): (لأكثر إلا من أن يكون ..)، وعبارة «الحجة» (الذي في أكثر الأمر أن يكون لفاعلين) وهي أوضح ١/ ٣١٧. وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٢٢٤.

(٣) رجح ابن جرير قراءة ﴿وما يخدعون﴾ بدون ألف، وقال: هي أولى بالصحة من قراءة من قرأ ﴿وما يخادعون﴾، ١/ ١٢٠، وكذا مكي حيث قال: وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي.ثم ذكر حججه على ذلك، وقال: والقراءة الأخرى حسنة..) وقال: وحمل القراءتين على معنى واحد أحسن وهو أن (خادع) و(خدع) بمعنى واحد في اللغة. «الكشف» ١/ ٢٢٥، ٢٢٧.

(٤) على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) «تفسير الطبري» ١/ ١١٩، وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ١٧١، «زاد المسير» ١/ ٣٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥١.

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٥.

(٧) في (ب): (العذاب).

(٨) انظر: «زاد المسير» ١/ ٣٠، «تفسير البغوي» ١/ ٦٦.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾. النفس: تستعمل[١] في اللغة على معان: النفس: عين الشيء وذاته[٢]. والنفس: بمعنى الروح، يقولون: خرجت نفسه، إذا فارقه الروح[٣]. والنفس: بمعنى الدم، يقال: هذا ليس له نفس سائلة، وذلك أنه لما كان قوام البدن بالدم سمي الدم باسم الروح الذي هو النفس[٤]، ومنه يقال: نفست المرأة[٥]: إذا حاضت[٦].

وقال ابن الأنباري: سميت النفس نفسا لتولد النفس منها، كما سموا الروح روحا؛ لأن الروح موجود به[٧]. وسنذكر[٨] معاني النفس بأبلغ من هذا عند قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٩] [الزمر: ٤٢]. إن شاء الله.

وفي قوله: ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾[١٠] تحقيق أن المخادعة وقعت بهم لا بغيرهم، كما تقول: رأيت نفس الشيء، أخبرت أن الرؤية وقعت عليه لا على مثاله[١١].

---

(١) في (ج): (مستعمل).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (نفس) ٤/ ٣٦٣٠، «الصحاح» (نفس) ٣/ ٩٨٤ .
(٣) انظر المراجع السابقة.
(٤) في (ب) (اليقين).
(٥) في أ (للمرأة) وما في (ب، ج) موافق لما في «تهذيب اللغة».
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (نفس) ٤/ ٣٦٣١، «الصحاح» (نفس) ٣/ ٩٨٤، وللنفس معان أخرى منها: الجسد، والعين وغير ذلك. انظر: «الصحاح» (نفس) ٣/ ٩٨٤، «مقاييس اللغة» (نفس) ٥/ ٤٦٠.
(٧) «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٣٨٦، وانظر «تهذيب اللغة» (نفس) ٤/ ٣٦٢٩.
(٨) في (ب): (وسنذكره).
(٩) لفظ الجلالة، ليس في (ج).
(١٠) على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
(١١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١١٩-١٢٠، «البحر المحيط» ١/ ٥٨، «الدر المصون» ١/ ١٢٧، ١٢٨.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي ما يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم، وأن وبال خداعهم يعود إليهم، وفي هذا دليل على أنهم كانوا جهالاً بالله سبحانه وبدينه. و(الشِّعْر): العلم، وهو في الأصل (شِعْرَة)[١] كالفطنة والدِّرية[٢]، وقالوا: ليت شعري، فحذفوا (التاء) مع الإضافة للكثرة، وقد قالوا: ذهب بعذرتها، [وهو أبو عذرها[٣]][٤] وكأن شعرت من الشعار، وهو ما يلي الجسد، وكأن شعرت به، علمت علم حسّ[٥].

قال الفرزدق[٦]:

---

(١) وقوله: (وهو في الأصل شعرة... إلخ) من كلام أبي علي الفارسي أورده ابن سيده في «المخصص» قال (قال أبو علي:.. فأما شعرت فمصدره: شعرة، بكسر الأول كالفطنة والدرية. وقالوا: ليت شعري... إلخ) «المخصص» ٣/ ٣٢، وانظر: «الصحاح» (شعر) ٢/ ٦٩٩، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٩٤، «اللسان» ٤/ ٢٢٧٣، «القاموس» ص٤١٦.

(٢) في (ب): (الدربة) بالباء الموحدة ن وكذا ورد عند ابن فارس في «المقاييس» ٣/ ١٩٤ . وعند سيبويه ٤/ ٤٤، وابن سيده في «المخصص» ٣ / ٣٢، (الدرية) كما هنا.

(٣) قال سيبويه: (هذا باب ما تجيء فيه الفعلة تريد بها ضربا من الفعل)، ثم قال: (.. وقد تجيء الفعلة لا يراد بها هذا المعنى وذلك نحو: الشدة، والشعرة، والدرية.. وقالوا: ليت شعري في هذا الموضع، استخفافا، لأنه كثر في كلامهم، كما قالوا: ذهب بعذرتها، وقالوا: هو أبو عذرها لأن هذا أكثر...)، «الكتاب» ٤/ ٤٤، وانظر «الصحاح» (شعره) ٢/ ٦٩٩، «اللسان» ٤/ ٤٠٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (حسن).

(٦) هو الشاعر المشهور همام بن غالب بن صعصعة بن تميم البصري، مات سنة عشر ومائة. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٣١٠، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٢٩٨، «الخزانة» ١/ ٢١٧.

لَبِسْنَ[١] الفِرِنْدَ الخُسْرُوَانِيَّ فَوْقَهُ
مَشَاعِرَ مِنْ خَزِّ العِرَاقِ المُفَوَّفُ[٢]

أراد: لبسن الفرند الخسرواني مشاعر فوقه المفوف من خز العراق، أي جعلنها الشعار. فالشعر ضرب من العلم مخصوص، وكل مشعور به معلوم، وليس كل معلوم مشعورا[٣] به، ولهذا لم يجز في وصف الله تعالى[٤].

وقوله في وصف الكافرين ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ أبلغ في الذم من وصفهم بأنهم لا يعلمون؛ لأن البهيمة قد تشعر من حيث تحس[٥]، فكأنهم وصفوا بنهاية الذهاب عن الفهم، وعلى هذا قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] ولم يقل: (ولكن لا تعلمون) لأن المؤمنين إذا أخبرهم الله تعالى بأنهم أحياء علموا أنهم أحياء،

---

(١) في (ب): (لبيس).

(٢) البيت في «ديوان الفرزدق» وفيه (دونه) بدل (فوقه) ٢/ ٢٤، «المخصص» ٣/ ٣٢، «شرح الأبيات المشكلة الإعراب» للفارسي ص٢٩٩، «جمهرة أشعار العرب» ص٣١٤، وفيه (الفريد) بدل (الفراند)، و(خزي) بدل (من خز)، و(الفراند): يطلق على وشى السيف، وعلى السيف نفسه، وعلى الورد الأحمر، وقال في «اللسان» (فرند): دخيل معرب اسم ثوب، «اللسان» (فرند) ٦/ ٣٤٠٥، و(الفريد): قلائد اللؤلؤ، و(الخسرواني): الذي يشتري بالمال الكثير، ولا تحسب فيه خسارة، و(المشاعر): الثياب التي يلي البدن، و(المفوف): المُوَشَّى.

(٣) فبينهما عموم وخصوص مطلق.

(٤) في «المخصص»: (... ولهذا لم يجز في وصف الله تعالى كما لم يجز في وصفه (دوى)، وكان قوله تعالى في وصف الكافرين...)، ٣/ ٣٢.

(٥) في (ب): (لا تحس). وفي «المخصص»: (.. من حيث كانت تحس..)، ٣/ ٣٢.

فلا يجوز أن ينفي الله العلم عنهم بحياتهم، إذ[١] كانوا [قد علموا ذلك بإخباره إياهم. ولكن يجوز أنْ يقال: [(ولكن لا)][٢] تشعرون[٣]؛ لأنه ليس كل ما علموه يشعرونه، كما أنه ليس كل ما علموه يحسونه بحواسهم، فلما كانوا لا يعلمون بحواسهم حياته[٤]، وإن كانوا قد علموه بإخبار الله إياهم وجب أن يقال: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥].

١٠ - قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾:

قال أبو بكر بن الأنباري[٦]: أصل المرض في اللغة: الفساد، ومرض فلان، فسد جسمه، وتغيرت حالته، وكذلك مرضت الأرض معناه[٧] تغيرت وفسدت[٨].

---

(١) في (ب): (إذا).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (أ)، (ب) يشعرون (بالياء) وما في (ج) موافق لـ «المخصص» ٣/ ٣٢. وهو الوارد في الآية، وهو ما أثبته.

(٤) في «المخصص» (حياتهم) ٣/ ٣٢، والمراد الشهداء.

(٥) في (المخصص) (لا تشعرون). انتهى ما نقله الواحدي من كلام أبي علي. انظر «المخصص» ٣/ ٣٢.

(٦) انظر: «الزاهر» ١/ ٥٨٥، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ١٧١، «تفسير النسفي» ١/ ١٨، «البحر المحيط» ١/ ٥٣. قال ابن فارس: (الميم والراء والضاد) أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان،..)، «مقاييس اللغة» (مرض) ٥/ ٣١١، «تهذيب اللغة» (مرض) ٤/ ٣٣٧٨.

(٧) (معناه) مكرر في (ب).

(٨) في «التهذيب» (أرض مريضة، إذا ضاقت بأهلها، وأرض مريضة: إذا كثر بها الهرج والفتن والقتل «تهذيب اللغة» مرض) ١٢/ ٣٥.

قالت ليلى الأخيلية[١]:

إذا هبط الحَجَّاج أرضًا مريضةً تتبَّع أقصى[٢] دائها فشفاها[٣]

أرادت: أرضا فاسدة. وقال آخر:

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد الحسين والبلاد اقشعرت[٤]

وقال غيره: أصل المرض الضعف، يقال[٥]: مرَّض الرجل في الأمر إذا ضعف فيه، ولم يبالغ، و[عين][٦] مريضة النظر أي[٧]: فاترة ضعيفة، وريح مريضة إذا ضعف هبوبها، وعلى هذا تفسير[٨] قول المحدث:

رَاحَتْ لأربعك الرياح مريضة[٩]

---

(١) هي ليلى بنت الأخيل من عقيل بن كعب، أشعر النساء، لا يقدم عليها غير الخنساء، رثت عثمان ﷺ ودخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت. انظر ترجمتها في: «الشعر والشعراء» ص٢٩١، «الأعلام» ٥/ ٢٤٩.

(٢) في (ب): (دهاء).

(٣) ورد البيت في «الزاهر» ١/ ٥٦٠، ٥٨٦، «أساس البلاغة» (مرض) ٢/ ٣٧٩، «جواهر البلاغة» للهاشمي ص ٣١٥.

(٤) البيت من قصيدة لسليمان بن قَتَّة يرثي الحسين بن علي ﷺ وردت في «الاستيعاب» ١/ ٤٤٤، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣١٩، «والبداية والنهاية» ٨/ ٢١١، والقصيدة في حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي، دون البيت المستشهد به هنا ٢/ ٩٦١.

(٥) في (ب): (فقال يقال).

(٦) في (أ)، (ج): (غير) وفي (ب) (عن) والصواب (عين) قال الثعلبي: (المرض في العين: فتورالنظر) «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٠أ، وانظر «الصحاح» (مرض) ٣/ ١١٠٦ «البحر المحيط» ١/ ٥٣.

(٧) (أي) ساقطة من (ب).

(٨) في (ب): (يفسر).

(٩) لم أعثر عليه ولم أعرف قائله فيما اطلعت عليه والله أعلم.

أي: لينة ضعيفة حتى لا تعفوها.

ثعلب عن ابن الأعرابي[١]: أصل المرض: النقصان. بدن مريض: ناقص القوة. و[٢] قلب مريض: ناقص الدين، ومَرَّض[٣] في حاجتي إذا نقصت حركته فيها.

وقال الأزهري: أخبرني المنذري، عن بعض أصحابه قال: المرض إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها، قال: والمرض: الظلمة، وأنشد[٤]:

وَلَيْلَةٍ مَرِضَتْ مِنْ كُلِّ ناحيةٍ   فما يُضيءُ لها شَمْسٌ ولا قَمَرُ[٥]

هذا[٦] هو الكلام في أصل المرض ومعناه في اللغة، ثم الشك والجهل[٧] والحيرة في القلب كلها تعود إلى هذه الأصول.

---

(١) في «التهذيب» ثعلب عن ابن الأعرابي.. ثم ذكره، «تهذيب اللغة» (مرض) ٤/ ٣٣٧٨.

(٢) (الواو) ساقطة من (ب).

(٣) في «التهذيب»: (مرض فلان في حاجتي) ٤/ ٣٣٧٨.

(٤) في «التهذيب»: (وأنشد أبو العباس)، ٤/ ٣٣٧٨، وذكره ابن الأنباري في «الزاهر» قال: أنشدنا أبو العباس ١ / ٥٨٥.

(٥) البيت لأبي حية النميري ولفظه في «التهذيب» (فلا يضيء) ٤/ ٣٧٧٨، وذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٥٨٥ والكرماني في «لباب التفسير» ١/ ١٢٦ (رسالة دكتوراه)، وورد في «اللسان» (مرض) ٧/ ٤١٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٥، «الدر المصون» ١/ ١٢٩.

(٦) (هذا) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (والجهل هذا والحيرة) وفي ج (والحيرة والجهل).

قال ابن عباس في قلوبهم مرض: أي شك ونفاق[١]، وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة[٢] وجميع أهل التأويل.

وقال ابن جرير[٣]: معناه في اعتقاداتهم مرض، أي: شك وشبه، فاستغنى بذكر القلوب عن ذكر الاعتقادات؛ لأن محلها القلوب كقولهم: (يا خيل الله اركبي)[٤].

وليس الأمر على ما قال؛ لأن الشك في القلب على الحقيقة، فأي فائدة لتقدير الاعتقاد ههنا؛ ولأن الشك ينافي الاعتقاد، وهم ليسوا

---

(١) أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (في قلوبهم مرض) أي شك وأخرج بسنده عن الضحاك عن ابن عباس قال: المرض: النفاق، «تفسير الطبري» ١/ ٢٨٠، وأخرجهما ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٣، وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٢، «الدر» ١/ ٦٧-٦٨.

(٢) انظر أقوالهم والآثار عنهم في: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٣-٤٤، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٢، «الدر» ١/ ٦٧-٦٨.

(٣) «تفسير الطبري» ١/ ١٢٢، نقل الواحدي كلامه بتصرف.

(٤) قوله: (كقولهم: يا خيل الله اركبي) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر»، قال ومعناه: فرسان خيل الله اركبوا وابشروا بالجنة. «الزاهر» ٢/ ١٠٠، ومنه الحديث (يا خيل الله اركبي) ذكره ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٩٤، وذكره السيوطي في «الدرر المنتثرة»، وعزاه للعسكري في «الأمثال»، «الدرر المنتثرة» ص١٤٤ (٤٦٣)، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» وعزاه لأبي الشيخ في «الناسخ والمنسوخ»، وللعسكري ولابن عائذ في «المغازي» وغيرهم. انظر «كشف الخفاء» ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠، وقد رجعت إلى «جمهرة الأمثال» للعسكري ولم أجده، وترجم أبو داود في «سننه» (باب في النداء عند النفير: يا خيل الله اركبي) كتاب (الجهاد) وساق حديث سمرة بن جندب: أما بعد: فإن النبي ﷺ سمى خيلنا خيل الله (٢٥٦٠)، «سنن أبي داوود» ٣/ ٥٥ معه «معالم السنن».

معتقدين[١] إذا كانوا شاكّين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾. يقال: زاد يزيد زيادة وزيدا[٣]، أنشد أبو زيد:

كذلك زَيْدُ المَرْءِ بعدَ انتِقَاصِه[٤]

وقال ذو الإصبع[٥]:

وأنتمُ معشرٌ زَيْدٌ على مائة   فأجمِعُوا أمركم طُرًّا فكيدوني[٦]

كأنه[٧] قال: معشر زيادة على مائة[٨]. وهو[٩] فعل يتعدى إلى

---

(١) في (ب): (بمعتقدين).

(٢) وفيما قاله الواحدي وجاهة وقوة.

(٣) «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٢٢.

(٤) أنشده أبو زيد مع ثلاثة أبيات قبله ونسبها لحسان السعدي ورواية أبي زيد له مع عجزه:

كذلك زيد المرء ثم انتقاصه   وتكراره في إثره بعد ما مضى

«النوادر» ص٣٥٨ وأنشد الأبيات المرتضى في «أماليه» ونسبها لبعض شعراء طيئ والشطر الأخير عنده: (يعود إلى مثل الذي كان قد بدا) ١/ ٤١٦. وهو في «الحجة» وفيه (ثم) بدل (بعد) وفي الحاشية في ط (بعد) مكان (ثم) ١/ ٣٢٢، ويظهر أن نسخة (ط) هي التي اعتمد المؤلف عليها.

(٥) هو حرثان بن محرث ذو الإصبع العدواني شاعر جاهلي معمر عاش ثلاثمائة سنة انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٤٧٣، «الخزانة» ٥/ ٢٨٤.

(٦) البيت ضمن قصيدة لذى الإصبع العدواني في «المفضليات» ص١٦١، وفيه بدل (طرا)، (كلا) ووردت في ص١٦٣، وفيه (شتى)، وهي في «الأمالي» لأبي علي القالي ١/ ٢٥٦، وفي «شرح المفصل» لابن يعيش ١/ ٣٠.

(٧) في (ب): (كان).

(٨) في (ب): (على مائة فأجمعوا).

(٩) أي: (زاد).

مفعولين كما قال: ﴿وزدناهم هدى﴾[1] [الكهف: ١٣] وقال: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾[2] [النحل: ٨٨].

وكان حمزة يميل (زاد) في جميع القرآن[3] كأنه أراد أن يدل بالإمالة على أن العين[4] (ياء) [ليحافظ][5] على الحرف الذي هو أصل، كما أنهم قالوا في جمع أبيض وأعين: بيض وعين، فأبدلوا[6] من الضمة كسرة؛ لأن جمع (أَفْعَل)[7] (فُعْل) لتصح[8] (الياء) ولا تنقلب إلى (الواو)[9] فكما حوفظ على تصحيح[10] (الياء) في هذه الحروف كذلك حوفظ على (الياء)

---

(١) في (ب): (تعدى) تصحيف والآية من سورة الكهف: ١٣.

(٢) الكلام نقله عن «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٢٢.

(٣) قال ابن مجاهد: (قرأ حمزة [وحده] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بكسر الزاي [المراد الإمالة] وكذلك (شاء) و(جاء) و(خاب) و(طاب) و(ضاق) و(خاف) و(حاق)... ثم قال: وكان ابن عامر يكسر من ذلك كله ثلاثة أحرف: (فزادهم) و(شاء) و(جاء)، «السبعة» لابن مجاهد ص١٤١، ١٤٢، وذكر نحوه مكي، وقال: ووافقه ابن ذكوان في (جاء) و(شاء) حيث وقعا وعلى إمالة (زاد) في أول سورة البقرة خاصة. «الكشف» ١/ ١٧٤، وانظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٢٠.

(٤) في (ب): (المعين).

(٥) في جميع النسخ (لتحافظ) بالتاء، وكتبتها بالياء حسب ما ورد في «الحجة» والكلام منقول منه وهو الصحيح، انظر «الحجة» ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٦) في (أ)، جـ، (فأبدوا) وأثبت ما في (ب).

(٧) في (ب): (أفضل).

(٨) في (ب): (النصح).

(٩) جمع (أبيض) على القياس (بوض) فأبدلوا ضمة (الباء) كسرة حتى لا تقلب الياء واوا.

(١٠) في (ب): (الصحيح).

في (زاد) بإمالة الألف نحوها[١] يدلك على ذلك: أن الذين أمالوا نحو: (زاد)[٢] و(زاغ) و(خاب) و(طاب)[٣] لم يميلوا نحو(عاذ، وعاد) ولا (بابا) ولا (مالا) ولا ما أشبه ذلك مما العين منه (واو) حيث لم تكن في الكلمة[٤] (ياء) ولا (كسرة) فتنحى الألف بالإمالة نحوهما.

ومما يقوي الإمالة في (زاد) ونحوه: أنه اجتمع فيه أمران كل واحد يوجب الإمالة:

أحدهما: ما ذكرنا[٥] والثاني: لحَاقُ الكسرة أول فَعَلْتَ[٦]، وكل واحدة من هاتين الحالتين توجب الإمالة بانفرادها[٧].

ومعنى قوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: شكًّا على شكٍّ وفسادًا على فساد[٨]. وهذا يدل على أن كفرهم كان مخلوقًا لله تعالى[٩]؛ لأنه لو لم

---

(١) نحو (الياء).

(٢) أي ما كان أصل العين فيه ياء.

(٣) في «الحجة»: (زاد وباع وناب وعاب) ١/ ٣٢٧.

(٤) (في الكلمة) ساقط من (ب).

(٥) وهو أن تمال الألف ليعلم أنها من الياء،. «الحجة» ١/ ٣٢٨.

(٦) كذا ورد في «الحجة» ١/ ٣٢٨ والمراد أن الحرف الأول من فعل زاد يكون مكسورا إذ أسند هذا الفعل إلى تاء المتكلم أو المخاطب أو المخاطبة فتقول: زدتُ، زدتَ، زِدتِ انظر «الكشف» ١/ ١٧٤.

(٧) الكلام بتصرف يسير من «الحجة» ١/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٢-١٢٣، و«تفسير البغوي» ١/ ٦٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٢.

(٩) المعنى صحيح فإن الله خالق كل شيء من الطاعات والكفر لكن السلف لم يستعملوا هذا اللفظ تأدبا مع الله تعالى انظر التعليق السابق عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧].

يخلق مرض(١) قلوبهم ما زادهم المرض ثانياً، وهو كقوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

قال أبو إسحاق(٢): المرض(٣) في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾(٥) أي بما أنزل من القرآن، فشكّوا فيه كما شكّوا في الذي قبله كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ الآية [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾. أصل العذاب في كلام العرب: من العذب، وهو المنع؛ يقال: عَذَبته عَذْبًا أي منعته مَنْعًا، فعَذَبَ عُذوبًا أي امتنع(٦)، ومنه يقال للفرس إذا قام في المِعْلَف ولم يتناول العلف وامتنع عنه: عَذُوبٌ وعَاذِبٌ، ومنه الماء العَذْب؛ لأنه يمنع العطش(٧). فسمي العذاب عذابًا؛ لأنه يَعْذُبُ المعاقب عن معاودة ما عوقب عليه، ويعذب

---

(١) في (ب): (سمرص).

(٢) هو الزجاج.

(٣) (المرض) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (على).

(٥) كلام الزجاج: (وقوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ فيه جوابان قال بعضهم زادهم الله بكفرهم كما قال ﷻ: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وقال بعض أهل اللغة: فزادهم الله بما أنزل عليهم من القرآن...)، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥١.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (عذب) ٣/ ٢٣٦٥، «تفسير الدر المصون» ١/ ١٧٨ «تفسير البيضاوي» ١/ ١٠.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (عذب) ٣/ ٢٣٦٤، «الصحاح» (عذب) ١/ ١٧٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨ب، «الكشاف» ١/ ١٦٤.

غيره[١] من ارتكاب مثله[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلِيمٌ﴾ الأليم بمعنى المؤلم[٣] كالسميع: بمعنى المسمع[٤]، وقال ذو الرمة[٥]:

وترفع[٦] من صدور شَمَرْدَلاتٍ يصُكُّ وجوهَها وَهَجٌ[٧] أليمُ[٨]

وقال عمرو[٩]:

---

(١) في (ب): (في).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» (عذب) ٤/ ٢٦٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨ب، «الكشاف» ١/ ١٦٥، «تفسير البيضاوي» ١/ ١٠، «تفسير القرطبي» ١/ ١٧٢.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥١، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٥.

(٤) في (أ)، (ج) (السمع) وأثبت ما في (ب).

(٥) هو غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عدي بن عبد مناة، و(الرُّمَّة) بضم الراء وتشديد الميم: قطعة من الحبل الخلق، قيل إن مية لقبته بذلك، شاعر إسلامي عاصر جرير والفرزدق. انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٣٥٠، «وفيات الأعيان» ٤/ ١١، «الخزانة» ١/ ١٠٦.

(٦) كذا في (أ)، (ج)وفي (ب) محتملة ونحوه في «تفسير الطبري» وما عداه من المصادر فيها: (نرفع).

(٧) في (ب) (هجم).

(٨) قوله: الشمردلات الإبل الحسان الجميلة الخلق، يصك: يضرب، وهج أليم: شدة الحرارة، البيت في «ديوانه» ٢/ ٦٧٧، «مجاز القرآن» ١/ ٣٢ و«تفسير الطبري» ١/ ١٢٣، وفيه (يصد) بدل (يصك)، «تفسير القرطبي» ١/ ١٩٨، و«الدر المصون» ١/ ١٣٠.

(٩) هو عمرو بن معد يكرب، وفد على النبي ﷺ سنة تسع أو عشر، فأسلم، فارس مشهور، له وقائع في الجاهلية والإسلام، انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٢٣٥، «الإصابة» ٣/ ١٨، «الخزانة» ٢/ ٤٤٤.

أَمِنْ ريحانة الدَّاعي السَّميع[١]

أي: المسمع. ومعنى العذاب الأليم[٢]: الذي يخلص وجعه إلى قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾. (ما) في تأويل المصدر[٣] كأنه قيل: بكونهم مكذبين وبتكذيبهم. وسنذكر القول في ذلك عند قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨] إن شاء الله.

وحقيقة الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به، وقد يستعار لفظ الكذب فيما ليس بكذب في الحقيقة[٤]، كقول الأخطل[٥]:

---

(١) تمامه:

يؤرقني وأصحابي هجوع

وريحانة: أخت عمرو، وكان الصمة أبو دريد قد غزا بني زبيد وسباها، وغزاهم عمرو مرارًا ولم يقدر عليها، وقيل: ريحانة امرأة أراد أن يتزوجها فهو يشبب بها. البيت في «الشعر والشعراء» ص٢٣٥، و«تفسير الطبري» ١/ ١٢٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٥٠أ، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٥، «الأصمعيات» ص١٧٢، «البحر المحيط» ١/ ٥٩.

(٢) في (ب): (هو العذاب الذي...).

(٣) هذا على قول من يجعل لـ (كان) مصدرًا ومن لا يجيز ذلك يجعل ما بمعنى الذي وسيأتي للمسألة مزيد إيضاح عند قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ [البقرة: ٢٨]، وقد ذكر المذهبين الطبري في «تفسيره» ١/ ١٢٣، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٦٠ والسمين الحلبي في «الدر المصون» ١/ ١٣٠.

(٤) قال أبو حيان: والكذب له محامل في لسان العرب، أحدها: الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه. والثاني: الإخبار بالذي يشبه الكذب ولا يقصد به إلا الحق. والثالث: الخطأ. الرابع: البطول. الخامس: الإغراء بلزوم المخاطب الشيء المذكور. «البحر المحيط» ١/ ٦٠، وانظر: «الكشاف» ١/ ١٧٨، «الدر المصون» ١/ ١٣٢.

(٥) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة التغلبي، الشاعر المشهور كان نصرانيًّا=

كَذَبتكَ عينُك أَمْ رَأَيتَ بواسطٍ[(١)]

كأنها لما أوهمته خلاف الحقيقة كانت بمنزلة ما كذبته[(٢)].

وقرأ أهل الكوفة[(٣)] ﴿يكذبون﴾ بالتخفيف من الكذب، وهو أشبه بما قبله وبما بعده؛ لأن قبله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٨] وهذا كذب منهم، وبعده قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤] وهذا يدل على كذبهم في دعوى الإيمان.

وأيضا فإن قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ لا يخلو إما أن يراد به المنافقون، أو المشركون، أو الفريقان جميعاً. فإن أراد المنافقين فقد[(٤)] قال فيهم: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وإن كانوا المشركين فقد قال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩٠-٩١]. وإن كانوا الفريقين فقد أخبر عنهم جميعا بالكذب الذي يلزم[(٥)] أن يكون فعله (يكذبون) بالتخفيف .

= ومات على ذلك، مدح بني أمية وكان مقدما عندهم. انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٣١٩، «الخزانة» ١/ ٤٥٩.

(١) البيت مطلع قصيدة للأخطل يهجو بها جريرا وقوله (كذبتك عينك): أي خيل إليك، وواسط: مكان بين البصرة والكوفة. البيت من شواهد سيبويه ٣/ ١٧٤. وورد في «المقتضب» ٣/ ٢٩٥، «تهذيب اللغة» (الكذب) ٤/ ٣١١٤، «مغنى اللبيب» ١/ ٤٥.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (كذب) ٤/ ٣١١٤.

(٣) عاصم وحمزة والكسائي انظر «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٣، «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٢٩، «الكشف» لمكي ١/ ٢٢٧، و«تفسير الطبري» ١/ ١٢١-١٢٣.

(٤) في (أ)، (ج): (وقد) وأثبت ما في (ب) ومثله في «الحجة» ١/ ٣٣٨.

(٥) في (ب): (يلتزم).

ومن شدد[١] فلكثرة ما في القرآن مما يدل على التثقيل[٢] كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ [الأنعام: ٣٤] وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي﴾ [يونس: ٤١] ونحوها من الآيات[٣].

١١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. موضع (إذا) من الإعراب نصب لأنه اسم للوقت كأنك قلت: (وحين قيل لهم) أو(ويوم قيل لهم) إلا أنها تشبه حرف الجزاء[٤] وسيأتي الكلام في (إذ) و(إذا) بعد هذا إن شاء الله.

وكان الكسائي يُشِمّ ﴿قيل﴾[٥] وأخواتها[٦] (الضم)، ليدل بذلك على أنه كان في الأصل (فُعِل)[٧]، كما أنهم قالوا: أنت تغزُين، فألزموا الزاي إشمام الضمة، و(زين) من (تغزين) بمنزلة: (قيل). ومن قال (قُيل) بإشمام

---

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٣.

(٢) في (أ)، (ج): (الثقيل) وأثبت ما في (ب) ومثله في «الحجة» ١/ ٣٣٨.

(٣) أخذه عن «الحجة» لأبي علي، بتصرف ١/ ٣٣٧. وانظر «الكشف» لمكي ١/ ٢٢٨، وقد رجح مكي قراءة (التشديد) ورجح الطبري قراءة (التخفيف) ١/ ١٢٣.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٧، «البيان» ١/ ٥٥، ٥٦، «الدر المصون» ١/ ١٣٢.

(٥) وروي عن هشام مثل الكسائي، وعن نافع وابن عامر الإشمام في بعض أخوات (قيل) دونها. انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٣، «الحجة» ١/ ٣٤٠، «الكشف» لمكي ١/ ٢٢٩.

(٦) في (أ)، (ج): وأخواته. وأثبت ما في (ب).

والمراد بأخواتها: سيء وسيق وحيل وجيء وغيض والسادس قيل فهي ستة أفعال معتلة العين. انظر: «الكشف» لمكي ١/ ٢٢٩ والإشمام سبق تعريفه.

(٧) فعل: مبني للمجهول.

الضم قال: (بُيع) أو(اختُير) و(انقُيد)[١] بالإشمام؛ لأنها بمنزلة واحدة.

وأما من[٢] حرك الفاء بالكسر ولم يشم الضمة، قال[٣]: هذا كان في الأصل (قُوِلَ) فنقلت كسرة الواو إلى القاف، فسكنت الواو وانكسر ما قبلها، فصارت (ياء) فلزم كسر القاف وصار الأصل هذا[٤].

قال المفسرون: ومعنى الآية: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ[٥]. ويقال: أفسد الشيء يفسده إفساداً، ومفعول الإفساد محذوف[٦] على معنى: (لا تفسدوا أنفسكم بالكفر، أو[٧] الناس بالتعويق عن الإيمان)، على ما ذكره المفسرون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.[٨] (نحن) تدل على جماعة.

---

(١) في (أ)، (ج) رسمت أن قيد وفي (ب) إن قيل والصحيح ما أثبت كما في «الحجة» قال: (... ألا ترى من قال: قيل وبيع، قال: اختير وانقيد فأشم ما بعد الخاء والنون لما كان بمنزلة: قيل وبيع...) ١/ ٣٤٦، وانظر: «الكشف» ١/ ٢٣٠.

(٢) وهم ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة هؤلاء كسروا أوائل (قيل) وأخواتها ونافع وابن عامر وافقاهم في بعضها ومنها (قيل)، انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٣، ١٤٤، «الحجة» ١/ ٣٤٠-٣٤١، «الكشف» ١/ ٢٢٩.

(٣) في (ب): (كان).

(٤) انظر: «الحجة» ١/ ٣٤٩-٣٥٠ «الكشف» ١/ ٢٣٠.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٥، «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٠ب، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٣، و«تفسير البغوي» ١/ ٦٦، «تفسير الخازن» ١/ ٥٨.

(٦) في (ب): (محذوف).

(٧) في (ب): (بالواو).

(٨) في (ج): (قالوا إنما نحن مصلحون).

وجماعة المضمرين تدل عليهم (الميم أو[١] الواو)، نحو[٢]: فعلوا وأنتم، [ف (الواو)][٣] من جنس الضمة. وحركت نحن (بالضم)؛ لأن الضم من الواو[٤]. وهو جمع (أنا)[٥] من غير لفظها[٦].

وقال بعضهم: ضم آخرها تشبيهاً بالغاية، نحو: قبلُ وبعدُ[٧]، ووجه الشبه بينهما[٨] ذكرنا في قوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال قوم: كان أصلها (نَحُنْ)[٩] ثم فعل بها ما فعل بـ (قط) لتشبه أخواتها[١٠]، وأصل (قط): (قطط)، والقياس عند الإدغام يوجب نقل ضمة العين إلى اللام، دلالة على حركة العين في الأصل.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج (الميم والواو) ١/ ٥٤.

(٢) في (ب): (ونحن).

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): (قالوا ومن) والتصحيح من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٥.

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٥٤. وانظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ٢٤.

(٥) في (ب): (أناس).

(٦) «الأضداد» لابن الأنباري ص١٨٤، «تهذيب اللغة» (أنا) ١/ ٢١٣.

(٧) ذكره النحاس ونسبه لمحمد بن يزيد، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٨-١٣٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٤.

(٨) (بينهما) ساقط من(ب) وفي ج (بينهم).

(٩) في (أ): (نَحْنُ) وفي ب، ج غير مشكولة والصحيح (نَحُنْ) كما في «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٨-١٣٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٥، وفي (نحن) نقلت الضمة إلى (النون) وسكنت (الحاء).

(١٠) أخوات (قط): (قبل) و(بعد) و(حسب) لأنها غاية مثلهن: انظر «تهذيب اللغة» (قط) ٣/ ٢٩٩١، «الكتاب» ٣/ ٢٧٦.

ومعنى الآية: يظهرون أنهم مصلحون، كما أنهم يقولون: آمنا، وهم كاذبون. ويحتمل أنهم قالوا: إنما نحن مصلحون، أي: الذي نحن عليه هو صلاح عند أنفسنا[١].

والتأويل: إنما نحن مصلحون أنفسنا أو الناس، على ما ذكرنا في قوله: ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ لأن الإصلاح واقع، ولا بد له من مفعول، وقولهم: فلان مصلح، يراد أنه مصلح لأعماله وأموره.

١٢- وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾. رد الله عليهم قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ و(ألا) كلمة يستفتح[٢] بها الخطاب[٣].

قال الكسائي: وهي تنبيه، ويكون بعدها أمر أو نهي أو إخبار، نحو قولك: ألا قم، ألا لا تقم، ألا إن زيدا قد قام[٤]. وقال النحاة: أصلها (لا) دخلت عليها ألف[٥] الاستفهام[٦] والألف إذا دخلت على الجحد[٧]

---

(١) ذكر القولين الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٥٢، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ١٢٦-١٢٧، «زاد المسير» ١/ ٣٢، «تفسير البغوي» ١/ ٦٧.

(٢) في (أ) (تستفتح).

(٣) انظر «معاني الحروف» للرماني ص١١٣، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٦٢، «الدر المصون» ١/ ١٣٩.

(٤) ذكره الأزهري عن سلمة عن الفراء عن الكسائي «تهذيب اللغة» (ألا) ١٥/ ٤٢٢.

(٥) في ج (همزة).

(٦) انظر: «الكتاب» ٢/ ٣٠٧، «الجمل في النحو» للزجاجي ص٢٤٠، «الكشاف» ١/ ١٨٠، واختار أبو حيان: أنه حرف بسيط غير مركب ورد على الزمخشري في ذلك، «البحر» ١/ ٦١، وأخذ بقول أبي حيان السمين الحلبي في «الدر المصون» ١/ ١٣٩.

(٧) أي النفي.

أخرجته إلى معنى التقرير[1] والتحقيق[2] نحو: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: ٤٠]، ثم كثر (ألا) في الكلام فصار تنبيها ليتحقق السامع ما بعده، فمعنى الأصل فيه موجود وهو التحقيق كما بينا. وقد يكون للعرض والتحضيض[3]، كقولهم: ألا تنزل عندنا.

وقال الزجاج: (ألا) كلمة يبتدأ بها، ينبه بها المخاطب توكيدا، يدل على صحة ما بعدها.

ذكر هذا في آخر سورة: (حم السجدة)[4].

وقوله تعالى: ﴿هُمُ﴾ إن شئت جعلته تأكيدا[5]، وإن شئت جعلته ابتداء، و(المفسدون) خبره، وجعلتهما خبر (إن)[6]. ودخلت الألف واللام في (المفسدين) للجنس، كأنه جعلهم جنس المفسدين تعظيماً لفسادهم، كأنه لا يعتد بفساد غيرهم مع فسادهم، وكل فساد يصغر في جنب فسادهم،

---

(١) في (ج): (التقدير).

(٢) انظر: «الكشاف» ١/ ١٨٠.

(٣) العرض: هو الطلب بلين ورفق، والتحضيض: هو الطلب بحث وإزعاج، والمثال المذكور للعرض. و(ألا) تأتي على أوجه أخرى، انظر «حروف المعاني» للرماني ص١١٣، «الأزهية» ص١٦٣، «تهذيب اللغة» (ألا) ١/ ١٧٨، «مغني اللبيب» ١/ ٦٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٣٩٢ (ط: عالم الكتب).

(٥) في (ج) (توكيد). وهو توكيد للضمير في أنهم فيكون في محل نصب. انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٣٩، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٨، «الدر المصون» ١/ ١٣٩.

(٦) ويجوز وجه ثالث: وهو أن يكون (هم) فصلا ويسميه الكوفيون (عمادا) فلا موضع له من الإعراب انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٧-١٦٨، «الدر المصون» ١/ ١٣٩.

حتى كان المفسد في الحقيقة هم دون غيرهم، وإن كان غيرهم قد يفسد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾. أصل ﴿لكن﴾، (لا، ك، إن)، (لا) للنفي و(الكاف) للخطاب و(إن) للإثبات. فحذفت الهمزة استخفافا[٢].

ومعناها: استدراك[٣] بإيجاب بعد نفي[٤]، أو نفي بعد إيجاب[٥]، فإذا قيل: ﴿ألا إنهم هم[٦] المفسدون﴾ سبق إلى الوهم أنهم يفعلون[٧] ذلك من حيث يشعرون. فقال: ﴿ولكن لا يشعرون﴾[٨].

وكذلك[٩] إذا قال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] أوهم ذلك استبهام صفاته، فقال: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾، [والمعنى:

---

(١) ولهذا جاء في هذِه الجملة عدة مؤكدات منها: الاستفتاح، والتنبيه والتأكيد بإنّ وبضمير الفصل، وتعريف الخبر. انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٨، «الكشاف» ١/ ١٨١ «الدر المصون» ١/ ١٣٩.

(٢) في (ب): (استحقاقا). والقول الذي حكاه الواحدي هو رأي الكوفيين أما البصريون فيرون أنها بسيطة غير مركبة. انظر «الإنصاف» ص١٧١-١٧٨، «مغني اللبيب» ١/ ٢٩١.

(٣) في (ب): (استدرك).

(٤) في (ب): (بعد بعد).

(٥) قال النحويون: (لكن) لا يتدارك بها بعد إياب إلا إذا وقع بعدها جملة، كما سيأتي في كلام المبرد الذي نقله المؤلف. انظر «الكتاب» ١/ ٤٣٥، ٤/ ٢٣٢، «المقتضب» ١/ ١٢، «معاني الحروف» للرماني ص١٣٣، «حروف المعاني» للزجاج ص١٥، ٣٣.

(٦) (هم) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (يضلون).

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٨، «الدر المصون» ١/ ١٤٠.

(٩) في (ب): (لذلك).

ولكن كان[1] رسول الله][2]، فهذا استدراك[3] لا يجاب بعد نفي.

وقال المبرد: (لكن) من حروف العطف، وهي للاستدراك[4] بعد النفي، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب[5]، إلا لترك قصة إلى قصة تامة [نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت، وما جاءني زيد لكن عمرو[6].

وفي الآية أتت بعد الإيجاب لترك قصة إلى قصة[7] تامة][8]، وهو قوله: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾. فأما التشديد والتخفيف في ﴿لكن﴾ استعماله[9] بالواو وبغير الواو، فقد ذكرناها عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومعنى قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون، بل يحسبون أنهم مصلحون.

وقيل: ولكن لا يعلمون ما عقوبة فعلهم وما يحل بهم، وذلك أن مفعول العلم محذوف فيحتمل القولين[10].

---

(١) قال في «تهذيب اللغة»: (.. فإنك أضمرت كان بعد: (ولكن) فنصب بها..) «تهذيب اللغة» (لكن) ٤/ ٣٢٩٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (اشتراك).

(٤) في (ب): (استدراك).

(٥) أي موجب والمراد غير منفي.

(٦) «المقتضب» ١/ ١٢.

(٧) أي جملة تامة إلى جملة تامة.

(٨) ما بين المعقوقين ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (استعمال).

(١٠) وهناك قول ثالث: أنهم يعلمون الفساد سرا ويظهرون الصلاح، وهم لا يشعرون أن أمرهم يظهر عند النبي ﷺ. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٨، «تفسير البغوي» ١/ ٦٦، «زاد المسير» ١/ ٣٣، «تفسير القرطبي» ١/ ١٧٧-١٧٨.

١٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾. المراد بالناس في هذه الآية أصحاب محمد ﷺ والذين آمنوا به، في قول الجميع(١).

و(الألف واللام) فيه للمعرفة(٢)؛ لأن أولئك كانوا معروفين عند المخاطبين بهذا(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾. (الألف) في أنؤمن استفهام [معناه: الجحد والإنكار(٤)، لانفعل كما فعلوا، وسيأتي وقوع الاستفهام](٥) موقع الجحد مشروحاً بعد هذا. والسفهاء: الجهال(٦) الذين قلت عقولهم، جمع (السفيه) ومصدره: (السَّفَه والسَّفَاه والسَّفَاهَةُ)(٧).

(١) ذكر أبو الليث من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. أن المراد بالآية اليهود، والناس: عبدالله بن سلام وأصحابه. «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٦. والمشهور: أن الآية خطاب للمنافقين، والمراد بالناس، أصحاب محمد كما ذكر المؤلف. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٧-١٢٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٦، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٨-١٦٩، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٤.

(٢) أي العهد الخارجي العلمي، أو (الألف و اللام) للجنس، والمراد الكاملون في الإنسانية، انظر «الفتوحات الإلهية» ١/ ١٨، ١٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٧-١٢٨.

(٤) انظر: «الوسيط» للمؤلف ١/ ٤٢، «الكشاف» ١/ ١٨٢، «تفسير البيضاوي» ١/ ٩، «الدر المصون» ١/ ١٣٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٦) في (أ)، (ج): (الحجال الحهال) معناها غير واضح فلعل أحد النساخ كتب الجهال وطمسها فنقلت وما في (ب) يوافق عبارة المؤلف في «الوسيط»: (السفهاء: الجهال الذين قلت عقولهم)، ١/ ٤٢.

(٧) انظر: «اللسان» (سفه) ٤/ ٢٠٣٢.

قال أهل اللغة[١]: معنى السفه: الخفة، والسفيه: الخفيف العقل، ومن هذا قيل: تسفهت[٢] الرياح الشيء، إذا حركته واستخفته. وقال:

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيهَا[٣] مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ[٤]

ويقال: ناقة سفيهة الزمام، إذا كانت خفيفة السير، ومنه قول ذي الرمة:

.... سفيهٍ جديلُها[٥]

ولهذا المعنى سمى الله تعالى الصبيان والنساء: السفهاء في قوله ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥] لجهلهم وخفة عقلهم[٦].

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (سفه) ٢/ ١٧٠٩.

(٢) في (ب): (سفهت).

(٣) في (ب): (من).

(٤) البيت لذي الرمة يصف نسوة، جعل النساء في اهتزازهن في المشي بمنزلة الرماح، تستخفها الرياح فتزعزعها، والنواسم: الرياح الضعيفة في أول هبوبها. البيت في «الديوان» ٢/ ٧٥٤، وفيه (رويدا) بدل (مشين)، «الكتاب» ١/ ٥٢، ٦٥، «المقتضب» ٤/ ١٩٧، «تهذيب اللغة» (سفه) ٢/ ١٧١٠، «معجم مقاييس اللغة» (سفه) ٣/ ٧٩، «اللسان» (سفه) ٤/ ٢٠٣٤، (الخصائص) لابن جني ٢/ ٤١٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ١/ ١٧٨.

(٥) جزء من بيت وتمامه:

وأبيض موشيَّ القميص نصبته على خصر مِقْلاتٍ سَفِيهٍ جَدِيلُهَا

أبيض: يعني السيف، نصبته على خصر مقلات: ناقة لا يعيش لها ولد، فهو أصلب لها، والجديل: الزمام، والمراد أن الناقة نشيطة، انظر: «ديوان ذي الرمة» ٢/ ٩٢٢، «تهذيب اللغة» (سفه) ٢/ ١٧١٠، وفيها (سفيهة) بدل (سفيه)، «معجم مقاييس اللغة» (سفه) ٣/ ٧٩، «اللسان» ٤/ ٢٠٣٤.

وبهذا انتهى ما نقله من «تهذيب اللغة» (سفه) ٢/ ١١٧١.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (سفه) ٢/ ١١٧١.

وعنوا بالسفهاء أصحاب محمد[١] ﷺ و(الألف واللام) فيها[٢] مثلهما في (الناس)[٣]. فإن قيل: كيف يصح النفاق مع المجاهرة[٤] بقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ قيل: إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم، لا عند المؤمنين؛ لأن الله تعالى قد قال: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]. أو[٥] أنهم لم يفصحوا بهذا القول، وإنما أتوا بما يفهم عنهم به هذا المعنى، ولا يقوم به حجة توجب الحكم من جهة المشاهدة، كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠] وهو خلاف الإفصاح[٦].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. قال المفسرون: يعني: أبا بكر ﷺ وأصحابه[٧]. و(لقوا) في الأصل (لقيوا) فاستثقلت الضمة على

---

(١) ذكرها ابن جرير عن ابن عباس، وابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٢٨، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٤.

(٢) (فيها) غير واضحة في (ب).

(٣) يريد ما سبق في قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ حيث قال: الألف واللام للمعرفة لأن أولئك كانوا معروفين عند المخاطبين بهذا.

(٤) في (أ)، (ج): (المجاهدة) وما في (ب) موافق لما في «الوسيط» ١/ ٤٣ وهو ما أثبته.

(٥) في (ب): (وأنهم).

(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٧٨.

(٧) لعل المؤلف هنا يشير إلى الأثر الطويل الذي أخرجه في (أسباب النزول) بسنده عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والذي ورد فيه قصة لقاء عبدالله بن أبي ومعه طائفة من أصحابه بأبي بكر ومعه نفر من الصحابة.. الأثر. «أسباب النزول» للواحدي ص٢٥. وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥١أ، وأورده=

(الياء)، فحذفت ونقلت ضمتها إلى القاف[1]. الحراني عن ابن السكيت: لَقِيتُه لِقَاءً ولِقْيَاناً ولُقِيًّا[2] ولُقًى[3].

الليث: وكل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه من الأشياء كلها[4].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾. يقال: خَلاَ المكان يَخْلُو[5] خَلَاءً وهو خَلاَء[6] وخَالٍ[7]، وخَلَوْتُ بفلان، أَخْلُو به خَلْوَةً وَخَلاَءً[8]،

= السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٦٩، وذكره في «لباب النقول» وقال: هذا الإسناد واهٍ جداً فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف ص١٧. وفي «تفسير الطبري»، عن ابن عباس المراد: أصحاب محمد، ١/ ١٢٩-١٣٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٤.

(١) في «الكشف» للثعلبي (فاشتقلت الضمة على (الياء) فنقلت إلى القاف، وسكنت، و(الواو) ساكنة فحذفت لاجتماعها) ١/ ٥١أ، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ١/ ١٧٩.

(٢) (ولقيا) ساقط من (ب).

(٣) «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩٠، وانظر كلام ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ص٣١١. قال أبو حيان: (سمع لـ(لقى) أربعة عشر مصدرًا)، «البحر»١/ ٦٢، «الدر المصون» ١/ ١٤٤.

(٤) «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩٠.

(٥) في (أ)، (ج): (مخلو) وأثبت ما في (ب).

(٦) في (ب): (يخلو خلاوة وخلاء).

(٧) في «التهذيب» قال الليث: خلا المكان والشيء يَخْلُو خُلُوًّا وخَلاَءً وأَخْلَى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه، وهو خال. «التهذيب» (خلا) ١/ ١٠٧٣، وانظر «اللسان» (خلا) ٢/ ١٢٥٤، «القاموس» (خلا) ص١٢٨٠.

(٨) ذكره الأزهري عن اللحياني. «التهذيب» (خلا) ١/ ١٠٧٣.

ويقال: خَلَا به وخَلَا معه وخَلَا إليه بمعنى واحد[١]. وقال النضر[٢]: (إلى) هٰهنا بمعنى: (مع)[٣] كقوله: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٤] [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢][٥].

وقال النحويون: معنى الآية: إذا انصرفوا من لقاء المؤمنين إلى شياطينهم، فدخلت (إلى) لدلالة[٦] الكلام على معنى الابتداء[٧] والانتهاء؛ لأن أول لقائهم للمؤمنين ثم للشياطين، فكأنه[٨] قال: وإذا خلوا من المؤمنين وانصرفوا[٩] إلى شياطينهم. وهذا أحسن من إخراج

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥١أ، «تهذيب اللغة» (خلا) ١/ ١٠٧٣، «اللسان» (خلا) ٢/ ١٢٥٤، «القاموس» ص١٢٨٠.

(٢) هو النضر بن شميل بن خَرَشة بن يزيد التميمي، من أهل مرو، كان صاحب غريب وشعر، ورواية للحديث، من أصحاب الخليل بن أحمد، توفي سنة ثلاث ومائتين. انظر ترجمته في: «إنباه الرواة» ٣/ ٣٤٨، «نزهة الألباء» ص٧٣، «وفيات الأعيان» ٥/ ٣٩٧، «إشارة إلى التعيين» ص٣٦٤.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥١أ، وذكره الجوهري ولم ينسبه للنضر. «الصحاح» (خلا) ٦/ ٢٣٣٠، «اللسان» (خلا) ٢/ ١٢٥٤، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣١.

(٤) وردت في سورة آل عمران: ٥٢ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية. وفي سورة الصف: ١٤ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية.

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٥٧١.

(٦) في (أ)، (ج) (الدلالة) وأثبت ما في (ب).

(٧) في (ب): : (الابتدار الانتهاء).

(٨) في (ب): (فكانوا).

(٩) في (ب): (فانصرفوا).

(إلى) عن حدها[١].

والشيطان كل متمرد عات من الجن والإنس[٢]، قال الله تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. واختلفوا في اشتقاقه: فقال الليث: الشيطان فَيْعَال من شَطَن أي: بعد، يقال: نَوى شَطُون[٣] وشَطَنَت[٤] الدار، أي: بعدت، ويقال: شَيْطَن[٥] الرجل وتَشَيْطَن[٦] إذا صار[٧] كالشيطان وفعل فعله.

وقال رؤبة:

---

(١) (خلا) تتعدى بـ (إلى) وبـ (الباء) فإذا عديت بـ (إلى) كان معناها الانفراد في حاجة خاصة، وإذا عديت بـ (الباء) كان لها معنيان: أحدهما: ما سبق، والآخر: بمعنى السخرية به، فتعديتها بـ (إلى) أفصح، لأنه يخلو من الالتباس. وبعضهم يجعل (إلى) في الآية بمعنى (مع)، وبعضهم يجعلها بمعنى (الباء)، وهذان ضعيفان عند بعض العلماء؛ لأن الحروف لا يجوز تحويلها عن معانيها إلا بحجة، وبعضهم قال: ضُمِّن (خلا) معنى (ذهبوا) و(انصرفوا) وهذا قول الكوفيين، وقد رجحه الواحدي والطبري وكثير من المفسرين؛ لأنه يُبقي (إلى) على معناها. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣١، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٤، «الدر المصون» ١/ ١٤٥، «مغني اللبيب» ١/ ٧٥.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٢، «تفسير الطبري» ١/ ٤٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٥ب.

(٣) النوى: الدار، ويطلق على التحول من مكان إلى آخر. «اللسان» (نوى) ١٥/ ٣٤٧. والكلام لأبي عبيد أدخله المؤلف في كلام الليث، قال في «التهذيب» (أبو عبيد: نوى شطون: أي بعيدة شَاطَّة، وقال الليث: غزوة شطون: أي بعيدة، وشَطَنَت الدار شُطُونا، إذا بعدت...). «التهذيب» (شطن) ٢/ ١٨٧٧.

(٤) في (ب): (وشطين الداري) ولفظ الداري بخط مخالف كبير.

(٥) في (ب): (شيطان).

(٦) في (ب): (شيطن).

(٧) في (ب): (صاب).

شَافٍ لِبَغْي الكَلْبِ المُشَيْطِنِ[(١)]

فمعنى الشيطان: البعيد من الجنة. وقال قوم: الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق، بوزن: هَيْمَان وعَيْمَان[(٢)]، من هام وعام[(٣)] وقال الأعشى:

وقد يشيط على أرماحنا البطل[(٤)]

قال أبو علي: هو(فَيْعَال) من شَطَن[(٥)] مثل: البَيْطَار والغَيْدَاق[(٦)]. وليس بفَعْلَان من قوله: وقد يَشِيُط البيت.

---

(١) ورد الرجز في «ديوان رؤبة» ص١٦٥، «تهذيب اللغة» (شطن) ٢/ ١٨٧٧، «اللسان» (شطن) ٤/ ٢٢٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٦٢.وبهذا انتهى كلام الليث. «تهذيب اللغة» (شطن) ٢/ ١٨٧٧، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٤٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٣، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٧٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥١ب، وقال أبو حيان: وهو قول البصريين. «البحر المحيط» ١/ ٦٢، «الدر المصون» ١/ ١٠.

(٢) في (ب) (عثمان) وفي «التهذيب» (غيمان) ٢/ ١٨٧٧.

(٣) الكلام بنصه في «التهذيب» (شطن) ٢/ ١٨٧٨، ونسب أبو حيان القول للكوفيين. «البحر» ١/ ٦٢، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٤٩، «الحجة» ٢/ ٢٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٧٦.

(٤) صدره:

قد نخضب العير من مكنون فائله

العير: حمار الوحش، الفائل: عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ، ومكنون الفائل: الدم، يشيط: يهلك. انظر (ديوان الأعشى) ص١٤٩، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢، «شرح المفصل» ٥/ ٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٦٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٧٩.

(٥) في (ب): (شيطن).

(٦) (الغيداق) الكريم، وولد الضب، والطويل من الخيل. «القاموس» ص٩١٤. و(البيطار): الخياط. «القاموس» ص٣٥٢.

لأن سيبويه قد حكى: (شيطن)[١] وهو(فَيْعَل) لا (فَعْلَن)، لأنا لا نعلم أن[٢] هذا الوزن جاء في كلامهم[٣]. ومثل (فَيْعَل) بَيْطَر وَهَيْنَم[٤]، والحجة القاطعة قول أمية:

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ والأَكْبَالِ[٥]

فكما أن (شاطناً) فاعل، والنون لام، كذلك (شَيْطان) فَيْعَال، ولا يكون (فَعْلَان) من يَشِيط[٦].

---

(١) في (ب) (شيطان).

(٢) في (ب) (لأن).

(٣) نص كلام أبي علي في «الحجة»: (ألا ترى أن سيبويه حكى: شَيْطَنتُه فَتَشَيْطَن، فلو كان من يَشِيطُ لكان شَيْطَنْتُه (فَعْلَنْتُه)، وفي أنا لا نعلم هذا الوزن جاء في كلامهم ما يدلك أنه: (فَيْعَلْتُه)، مثل: بَيْطَرتُه ومثل: هَيْنَم. وفي قول أمية أيضا دلالة عليه، وهو قوله:...) ٢/ ٢٢. وانظر كلام سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٢١٧، ٢١٨.

(٤) الهينمة: (الصوت الخفي) «القاموس» ص١١٧٢.

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت يذكر سليمان -عليه السلام- يقول: أيما شيطان عصى سليمان، عكاه: شده بالأكبال، وهي القيود ثم يلقى في السجن. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٤٩، «الحجة» ٢/ ٢٢، «التهذيب» (شطن) ٢/ ١٨٧٨، (إعراب ثلاثين سورة) لابن خالويه ص٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٧٦، «زاد المسير» ١/ ٣٤، و«تفسير القرطبي» ١/ ٧٩، «البحر المحيط» ١/ ٦٢، «اللسان» (شطن) ٤/ ٢٢٦٥، «الدر المصون» ١/ ١٠.

(٦) انتهى ما نقله عن أبي علي من «الحجة» ١/ ٢٢، وقد نصر جمهور العلماء هذا الرأي وأن شيطان (فَيْعَال) من شَطن، منهم ابن جرير في «تفسيره» ١/ ٤٩، والأزهري في «تهذيب اللغة» (شطن) ٢/ ١٨٧٨، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٧٦.
قال السمين الحلبي: قال جمهورهم: هو مشتق من شَطَن يَشْطُن، أي بعد. «الدر المصون» ١/ ١٠.

قال أبو إسحاق: ومعنى الشيطان: الغالي في الكفر المتبعد فيه من الجن والإنس(١).

قال ابن عباس: أراد بشياطينهم كبراءهم وقادتهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾. (مع) كلمة تضم الشيء إلى الشيء، ونصبها كنصب الظروف؛ لأن تأويل قولك: (أنا معك): أنا مستقر معك، كما تقول: أنا خلفك(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾. (الهُزْءُ): السخرية، يقول: هَزِئَ به يَهْزَأُ(٤) وتَهَزَّأ به واسْتَهْزَأَ به(٥)، وهو أن يظهر غير ما يضمر استصغارا وعبثا(٦).

١٥- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. قال ابن عباس: (هو(٧) أنهم

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٨٣.

(٢) أخرج ابن جرير بسنده عن السدي خبرا ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس. وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: أما شياطينهم: فهم رؤوسهم في الكفر. وأخرج نحوه عن قتادة ومجاهد وغيرهم.
انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٠، وأخرج هذِه الآثار ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٧-٤٨، وانظر «الدر» ١/ ٦٩-٧٠.

(٣) في (ب): (جعلك). انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٤، «تهذيب اللغة» (مع) ٤/ ٣٤١٧، «مغني اللبيب» ١/ ٣٣٣.

(٤) في (ب): (هزاته يهزئ).

(٥) ذكره الأزهري عن الليث. «التهذيب» (هزأ) ٤/ ٣٧٥٥، «الصحاح» (هزأ) ١/ ٨٤.

(٦) انظر: «الكشاف» ١/ ١٨٦، و«تفسير الرازي» ٢/ ٦٩، «لباب التفاسير» للكرماني ١/ ١٣٤ (رسالة دكتوراه).

(٧) (هو أنهم) ساقط من (ب).

كلما أحدثوا خطيئة جدد الله لهم نعمة)[١]. فشبه هذا من الله بالاستهزاء والمكر؛ لأنه غيب عنهم غير ما أظهر لهم، كالمستهزئ منا يظهر أمرا يضمر غيره[٢].

وقال ابن الأنباري: الاستهزاء من الله جل وعز مخالف الاستهزاء من المخلوقين؛ لأن استهزاءه أن يستدرجهم من حيث لا يعلمون[٣].

وقال جماعة أهل المعاني: معنى الله يستهزئ بهم: يجازيهم[٤] جزاء استهزائهم، فسمى الجزاء باسم المجازى عليه، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۚ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] ومنه قول عمرو:

فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٥]

وهذا هو الاختيار[٦]؛

---

(١) لم أجده بهذا النص منسوبا إلى ابن عباس، وذكره القرطبي في «تفسيره» ولم ينسبه ١/ ١٨١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٥، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٥٢أ، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٧، «زاد المسير» ١/ ٣٦، و«تفسير الرازي» ٢/ ٧٠، وقد ضعف الرازي هذا وقال: لأن الله أظهر الأدلة الواضحة بما يعاملون به في الدار الآخرة.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٦.

(٤) (يجازيهم) ساقط من(أ)، (ج).

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم وصدره:

ألا لا يجهلن أحد علينا

وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

(٦) هذا القول ذكره الطبري ورده كما سيأتي، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٥٦، وأبو الليث في «تفسيره» ١/ ٩٧، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٧، و«تفسير=

لأنه[١] حمل الكلام على المزاوجة، ولأنه أظهر وأشكل بما جاء من نظائره في القرآن، وكل ذلك على المجاز الذي يحسن في الاستعمال للمبالغة في البيان والتصرف في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. أصل (المد) في اللغة: الزيادة، والمد: الجذب[٢]؛ لأنه سبب الزيادة في الطول.

= ابن الجوزي» ١/ ٣٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٤٧ب، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٨٠، وغيرهم من المفسرين. وصرح الواحدي باختياره له، وفي هذا القول تفسير للسخرية بالمجاز، وتأويل لها، ورده ابن جرير، ورجح أن المراد: أن الله يستهزئ بهم حقيقة، ولا يلزم لها اللوازم الباطلة، حيث قال: (وإذا كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم، أو عليه فيها غير عادل،... ثم قال: وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكر ولا خديعة، فنافون عن الله ﷻ ما قد أثبته الله ﷻ لنفسه، وأوجبه لها...) «تفسير الطبري» ١/ ١٣٣. وإلى هذا المعنى أشار ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال: (وكذلك ما ادعوه أنه مجاز في القرآن، كلفظ (المكر) و(الاستهزاء) و(السخرية) المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له، وأما إذا فعلت بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلًا... إلى أن قال: ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم، كما روي عن ابن عباس: أنه يُفْتح لهم باب إلى الجنة وهم في النار فيسرعون إليه فيغلق... ثم ذكر قولًا عن الحسن البصري بمعناه... وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة، وقيل: هو تجهيلهم وتخطيئهم فيما فعلوه، وهذا كله حق، وهو استهزاء بهم حقيقة)، «مجموع الفتاوى» ٧/ ١١١، ١١٢. وما يقال في هذا يقال عند قوله ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ وما قيل هناك يقال هنا.

(١) في (ب): (لأن).

(٢) انظر: «اللسان» (مدد) ٧/ ٤١٥٦، «القاموس» ص٣١٨.

قال الفراء: والشيء إذا مَدَّ الشَّيءَ كان زيادة فيه. تقول: دجلة تَمُدُّ بثارنا[١] وأنهارنا، أي: يزيد فيها[٢].

(والمادة) كل شيء يكون مددا[٣] لغيره[٤]. و(المُدَّةُ)[٥] الأوقات المتزايدة إلى غاية، ومنه مد الله في عمرك[٦].

الأصمعي: امتد النهر ومد إذا امتلأ بالزيادة، ومده نهر آخر[٧].

ابن المظفر[٨]: وادي كذا يمد في نهر كذا. أي: يزيد فيه[٩] وأنشد[١٠]:

سَيْلٌ أَتِيٌّ مَدَّهُ أَتيُّ[١١]

---

(١) في (أ)، (ج) (بيارنا) وما في (ب) موافق لـ «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٩.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٩، وانظر «التهذيب» (مد) ٤/ ٣٣٦١. وقد نقل المؤلف كلام الفراء بتصرف.

(٣) في «التهذيب»: (مدادا).

(٤) ذكره الأزهري عن الليث. «التهذيب» (مد) ٤/ ٣٣٦١.

(٥) في (أ)، (ج): (المد)، وأثبت ما في (ب).

(٦) انظر «تهذيب اللغة» (مد) ٤/ ٣٣٦١، «الصحاح» (مدد) ٢/ ٥٣٧.

(٧) «تهذيب اللغة» (مد) ٤/ ٣٣٦١.

(٨) هو الليث بن المظفر، ويقال له: الليث بن نصر، صاحب الخليل، ينقل الواحدي كلامه كثيرًا من طريق «تهذيب اللغة». انظر مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤٧، «إنباه الرواة» ٣/ ٤٢.

(٩) في (أ)، (ج): (يزيده)، وما في (ب) موافق لما في «تهذيب اللغة» وهو ما أثبته.

(١٠) الكلام في «التهذيب» ويظهر أنه من كلام الأصمعي حيث عطفه عليه، ولم يرد ذكر الليث في هذا الموضع. «التهذيب» (مد) ٤/ ٣٣٦١، وانظر: «اللسان» (مدد) ٣٩٧/٣.

(١١) البيت منسوب للعجاج، وهو في «التهذيب» (مد) ٤/ ٣٣٦١، «الصحاح» (مدد) ٢/ ٥٣٧، «اللسان» (مدد) ٧/ ٤١٥٧، وقد نسبه للعجاج وأنشد بعده: =

والمدّ: أن[١] يمُدّ الرجلُ الرجلَ[٢] في غيّه[٣].

قال أهل التفسير في قوله ﴿يمدهم﴾: أي يمهلهم[٤] ويطول في أعمارهم ومدتهم[٥].

و(الطغيان): مصدر كالرجحان والكفران والعدوان[٦]. قال الليث: [والطُّغْوَان لغة فيه][٧] والفعل: طَغَوْت وطَغَيْتُ، ومعناه مجاوزة القدر، وكل شيء جاوز القدر فقد طغى، كما طغى الماء على قوم نوح. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١٢] وطغت الصيحة على ثمود[٨]،

غِبَّ سَمَاءٍ فَهْوَ رَقَرَاقِيُّ

وفي «ديوان العجاج»:

مَاءٌ قَرِيٌّ مَدَّهُ قَرِيُّ غِبَّ سَمَاءٍ فَهْوَ رَقَرَاقِيُّ

القَرِيُّ: المسيل، الرقراقِي: المُتَرَقْرِق الذي يتكفأ. (الديوان) ص٣١٨.

(١) في (ب): (والمداد يمد).

(٢) في (ب): (للرجل).

(٣) ذكره في «التهذيب» عن ابن أبي حاتم عن الأصمعي (مد) ٤/ ٣٣٦١.

(٤) في (ب): (يهملهم) تصحيف.

(٥) اختلف العلماء في ﴿يمدهم﴾ هل هي من المد بمعنى الإمهال والتطويل في العمر. أو من المدد بمعنى: الزيادة. وقد رجح هذا الطبري حيث قال: وأولى الأقوال بالصواب أن يكون بمعنى: يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم. «تفسير الطبري» ١/ ١٣٥، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٧-١٧٨، «الكشاف» ١/ ١٨٨، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٨٢.

(٦) «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٦٦.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٨) انتهى كلام الليث وقد نقله المؤلف بتصرف، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦، «العين» ٤/ ٤٣٥.

فقيل فيهم: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[١]. وقيل لفرعون: ﴿إنه طغا﴾ [النازعات: ١٧][٢] أي أسرف حيث ادعى الربوبية[٣].

فأما الطغوى والطاغية والطاغوت فهي مذكورة في مواضعها مشروحة.

وكان الكسائي يميل ﴿طغيانهم﴾ في رواية أبي عمر[٤] ونصير[٥][٦].

وذلك لأن[٧] الألف قد اكتنفها شيئان كل واحد منهما يجلب الإمالة [وهما: الياء التي قبلها، والكسرة التي بعدها.

فإن قلت: إن أول الكلمة حرف [مستعل][٨] مضموم، وكل واحد من هذين يمنع الإمالة][٩]. قيل: إن المستعلي تراخى عن الألف بحرفين فلم يمنع الإمالة.

---

(١) كتبت في جميع النسخ (أهلكوا) وسياق الآية: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

(٢) (طغى) ساقط من (ب).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٢ب.

(٤) هو حفص بن عمر عبدالعزيز المقرئ النحوي البغدادي الضرير، قرأ عن الكسائي ويحيى اليزيدي، توفي سنة ست وأربعين ومائتين. انظر ترجمته في «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٩١، «غاية النهاية» ١/ ٢٥٥.

(٥) ونصير ساقط من (ب). ونصير هو: نصير بن أبي نصر الرازي ثم البغدادي النحوي، أبو المنذر، صاحب الكسائي، مات في حدود الأربعين ومائتين. انظر ترجمته في: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢١٣، «غاية النهاية» ١/ ٢٥٥.

(٦) انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٤، «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٦٥، «الكشف» لمكي ١/ ١٧١.

(٧) في (ب): (أن).

(٨) في (ب): (مستعمل) وصححت الكلمة من «الحجة» ١/ ٣٦٨.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج). الكلام في «الحجة» مع الاختصار ١/ ٣٦٧، ٣٦٨، وانظر: «الكشف» ١/ ١٧١.

وقوله تعالى: ﴿يَعْمَهُونَ﴾. قال أهل اللغة: (الْعَمِه والعَامِه) الذي يتردد متحيراً لا يهتدي لطريقه ومذهبه، ومعنى[١] ﴿يعمهون﴾: يتحيرون، وقد عَمِه يَعْمَه عَمَهاً فهو عَمِه إذا حار عن الحق[٢].

قال أهل المعاني: قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ كالتفسير لقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لأن معناه يطول أعمارهم ومدتهم ليتحيروا في طغيانهم وكفرهم، مكراً[٣] بهم، وهم يحسبون أن ذلك مسارعة لهم في الخيرات، ولا يشعرون أنه عقوبة لهم في الحقيقة[٤].

١٦- قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ الآية. حقيقة الاشتراء: الاستبدال، وكل اشتراء استبدال، وليس كل استبدال اشتراء، ووضع الاشتراء موضع الاستبدال هٰهنا، لأنه أدل على الرغبة[٥]، وذلك أن المشتري للشيء[٦] محتاج إليه راغب فيه، فهو أبلغ من لفظ الأصل مع ما فيه من حسن التصرف في الكلام، والعرب تجعل من آثر شيئاً على شيء مشترياً له وبائعاً للآخر، وإن لم يكن ثم شراء ولا بيع ظاهر[٧].

---

(١) في (ب): (معي).

(٢) «تهذيب اللغة» (عمه) ٣/ ٢٥٧٥، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٨ب.

(٣) في (ب): (ومكرا).

(٤) هذا على أن (يمدهم) من المد بمعنى الإمهال والتطويل، وقد سبق بيان ذلك عند قوله ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ١٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٦، «الكشاف» ١/ ١٨٨.

(٥) في (أ): (الرعية).

(٦) في (ب): (التي).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٧، «الأضداد» لابن الأنباري ص٧٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٨٣، =

قال ابن عباس في هذه الآية: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى[(١)].

قال أهل المعاني: هؤلاء المنافقون لم يكونوا على الهدى قط، لكنهم[(٢)] لما تركوا الواجب عليهم من الهدى، واستبدلوا به الضلالة قيل في صفتهم: اشتروا الضلالة بالهدى[(٣)].

وأصل ﴿اشتروا﴾ اشتريوا، فلما تحركت (الياء) وانفتح ما قبلها صارت (ألفا)، فاجتمع ساكنان، فحذفت (الألف)[(٤)] فصار (اشتروا) ساكنة

= و«تفسير البيضاوي» ١/ ١١، «تفسير الخازن» ١/ ٦٣، (ضمن مجموعة من التفاسير)، «الدر المصون» ١/ ١٣٥.

(١) أخرج ابن جرير بسنده عن السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى. «تفسير الطبري» ١/ ١٣٧، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن السدي ١/ ٥٠، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٦.

(٢) في (ب): (ولكنهم).

(٣) للعلماء في معنى الآية أقوال ذكرها ابن جرير في «تفسيره» وهي: منهم من قال إن معنى اشتروا استحبوا كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، فالمعنى اختاروا الضلالة على الهدى. ومنهم من قال: إنهم كانوا مؤمنين وكفروا، ولو كان الأمر على ذلك لكان هؤلاء تركوا الإيمان واستبدلوا به الكفر، وهو المفهوم من معاني الشراء والبيع، ولكن دلائل الآيات في نعوتهم دالة على أنهم لم يكونوا مؤمنين قط، إنما أظهروا الإيمان كذباً. ومنهم من قال: المراد أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، فكل كافر مستبدل بالإيمان كفرا، وهذا ما اختاره ابن جرير وهو اختيار أكثر المفسرين. انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٣٧-١٣٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٨٢-١٨٣، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٥٦.

(٤) لأن حذفها أولى لأن الواو دخلت لمعنى والألف لم تدخل لمعنى «البيان» لابن الأنباري ١/ ٥٨.

(الواو)[١]. وسقطت همزة الوصل من الضلالة للدرج، فالتقت الواو الساكنة مع الساكن المبدل من لام المعرفة، فحركت الأولى بالضم[٢]. واختلفوا في العلة الموجبة لضم الواو[٣] في ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ فقال أكثر النحويين: إن واوات الجمع كلها[٤] تحرك بالضم نحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران: ١٨٦] و﴿لَتَرَوُنَّ﴾ [التكاثر: ٦].

وقالوا: مُصْطَفَوُ الله؛ لأن الضم أدل على الجمع وأشكل به، وهذه الواو للجمع فحرك بما هو أدل على الجمع[٥]. ألا ترى أن[٦] الواو في (أو) أو(لو) لما لم تكن للجمع لم تحرك بالضم، بل حركت بالكسر، فقرئ[٧] ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦][٨].

---

(١) قيل في إعلالها: استثقلت الضمة على الياء فحذفت تخفيفا، فاجتمع ساكنان: الياء والواو. فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. وما ذكره المؤلف أولى.
انظر: «البيان» لابن الأنباري ١/ ٥٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٩، «الدر المصون» ١/ ١٥٢.

(٢) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ٣٦٩.

(٣) اتفقوا على أن (الواو) في (اشتروا) تحرك لالتقاء الساكنين، ثم اختلفوا لماذا اختير الضم على الكسر؟ انظر: «الحجة» ١/ ٣٦٩.

(٤) في (ب): (كأنها).

(٥) «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٦٩، وانظر: «الكتاب» ٤/ ١٥٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٥، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٠٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٩أ، «البيان» لابن الأنباري ١/ ٥٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٩.

(٦) (أن) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (فقرا).

(٨) قراءة الجمهور بالكسر، وقرئ في الشاذ بضم الواو، روى عن الأعمش وابن وثاب. انظر: «البحر المحيط» ٨/ ٣٥٢.

وقد أجازوا الكسر[١] في ﴿اشتروا الضلالة﴾ تشبيهاً بمثل: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٢] و﴿ألو استقاموا﴾. وأجازوا[٢] الضم[٣] في ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ تشبيها بواو الجمع[٤].

وقال ناس: إن[٥] (الواو) ضمت هٰهنا لأنه فاعل في المعنى[٦] فجعلت حركة التقاء الساكنين فيه كحركة الإعراب. وهذا لا يستقيم، لأنهم كسروا (الياء) في قولهم: (أَخْشَيِ الله يا امرأة) والياء فاعلة في المعنى[٧].

وقوم كسروا الواو في مسألتنا[٨] وفي قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] [٩] فلو كان كما ذكروا[١٠]، لم يجز الاختلاف[١١]

(١) قراءة الجمهور بالضم، وبالكسر قراءة شاذة، قرأ بها يحيى بن يعمر، وابن أبي إسحاق.
انظر: «الحجة» ١/ ٣٧٠، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٠٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ١٨٢، «الدر المصون» ١/ ١٥١.

(٢) في (أ)، (ج): (وجازوا) وأثبت ما في (ب).

(٣) وهي قراءة شاذة حيث قرأ بالضم الأعمش وزيد بن علي، انظر «البحر» ٥/ ٤٦.

(٤) انتهى من «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٦٩.

(٥) (إن) ساقطة من (ب).

(٦) في (ب): (بالمعنى).

(٧) (المعنى) ساقط من (ب). أي: وسع كونها فاعلا في المعنى لم تحرك بالضم، انظر «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٧١، «الكتاب» ٤/ ١٥٥، «الدر المصون» ١/ ١٥١.

(٨) المراد قوله: (اشتروا) وقد سبق بيان أن قراءة الكسر شاذة.

(٩) قال أبو حيان: قرأ يحيى بن يعمر: (ولا تَنْسَوِ الفضل) بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين تشبيها للواو التي هي (ضمير) بواو (لو) في قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾، كما شبهوا واو (لو) بـ (واو) الضمير فضموها. «البحر» ٢/ ٢٣٨.

(١٠) ما ذكروه: هو أن (الواو) ضمت لأنها فاعل في المعنى.

(١١) أي لم يجز الاختلاف في حركة الواو هل هي بالضم أو بالكسر.

فيه كما لم يجز[١] في حركة الإعراب[٢].

وقال الفراء: إنهم إنما حركوا (الواو) هٰهنا بالحركة التي كانت تجب للام الفعل من الضمة[٣].

قال أبو علي[٤]: الذي ذهب إليه الفراء هو أن الحركة في (الواو) ليست لالتقاء الساكنين كما يذهب إليه سيبويه وأصحابه[٥]. ولا يستقيم ما ذهب إليه؛ لأنا رأينا الحركات إنما تلقى على الحروف التي تكون قبل الحرف الذي ينقل منه، ولا ينقل إلى ما بعد الحروف المنقولة منها الحركة، كما تقول في: (بِعت)، و(قُلت)، و(خِفت)، و(مِست)[٦]، و(ظِلْت)، و(أَحَسْت)[٧]، و(أَصَمّ)[٨]، و(أَعَدّ)، و(أَخِلَّة). وكذلك نقل

---

(١) (يجز) ساقط من (ج).

(٢) ذكره أبو علي في «الحجة» ١/ ٣٧٢.

(٣) ذكره أبو علي قال: حكاه أحمد بن يحيى عن الفراء. «الحجة» ١/ ٣٧٢.

(٤) «الحجة» ١/ ٣٧٢، وما قبله كله من كلام أبي علي وقد اعتمد الواحدي في هذا المبحث على «الحجة».

(٥) انظر: «الكتاب» ٤/ ١٥٥.

(٦) الميس: التبختر، ماس يَمِيس مَيْسا ومَيَسَانا: تبختر واختال.
انظر: «اللسان» (مَيَس) ٦/ ٢٢٤، «القاموس» (مَيَس) ص٥٧٦.

(٧) أصلها: أحسست، حذفت السين الثانية، وهي بمعنى: علمت.
انظر: «تهذيب اللغة» (حس) ١/ ٨١٧، «اللسان» (حسس) ٢/ ٨٧١.
في هذِه الكلمات نقلت حركة العين إلى الفاء، ولم تنقل إلى ما بعدها.
انظر: «الحجة» ١/ ٣٧٢، ٣٧٣.
ولكن نلحظ فيما سبق عند الكلام على (نحن) أنه ورد في أحد الأقوال: إن حركة الضمة نقلت من الحاء إلى النون.

(٨) في (أ): (أضم) وكذا في (ج) بدون شكل، وما في (ب) موافق لما في «الحجة».

حركات الهمز في التخفيف نحو: (جَيَل)[١] و(المرَة)[٢]. وكذلك قولهم: (قَاضُون)، و(غَازُون)، و(مُشْتَرُون)، ونحو ذلك، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، ولم نجد في هذه الأصول شيئا على ما[٣] ادعاه، ثبت[٤] فساد ما ذهب إليه لدفع[٥] الأصول ذلك، وقوله[٦] يوجب أن ضمة الياء في (اشتريوا) نقل إلى الواو[٧] بعد الياء، وإنما ينقل حيث ينقل إلى ما قبل المنقول منه لا إلى ما بعده كما بينا[٨]. وأيضا فإنه لو كان كما ذكر، لوجب أن يتحرك الحرف الذي نقلت إليه[٩]، التقى مع الساكن أو لم يلتق[١٠]، ألا ترى أن سائر ما نقلت إليه الحركة مما ذكرنا، يتحرك[١١] بالحركة

(١) في (ج): (جل). و(جيل) أصلها جَيْأَل، ولكن خففت بحذف الهمزة في اللفظ، مبقاة في النية، ونقلوا حركة الهمزة إلى الياء. والجيأل: الضبع، والضخم من كل شيء. انظر: «اللسان» (جأل) ١/ ٢٥٩، «القاموس» (جأل) ص٩٧٤.

(٢) (المَرَة) أصلها (المرأة) خففت الكلمة بحذف الهمزة، ونقلت حركتها إلى الراء، بعضهم قال: تخفيف قياسي مطرد، وبعضهم قال: غير مطرد. «اللسان» (مرأ) ٧/ ٤١٦٦.

(٣) (ما) ساقطة من (ب).

(٤) في (أ)، (ج) (وثبت) زيادة واو.

(٥) في (ب) (لرفع).

(٦) في (أ)، (ج) (وقوله تعالى)، وفي (أ) كتبت بخط كبير.

(٧) في (ب) (الياء).

(٨) قوله (ذلك وقوله يوجب.... إلى قوله: لا إلى ما بعده كما بينا) ليس في «الحجة». انظر: «الحجة» ١/ ٣٧٣.

(٩) عبارة أبي علي: (فلو كانت حركة نقل كما قال، لوجب أن يتحرك الحرف الذي نقلت إليه بها، التقى مع ساكن، أو لم يلتق...) «الحجة» ١/ ٣٧٤.

(١٠) في (ب): (يليق).

(١١) في (ب): (لتحرك).

المنقولة إليه، فلما لم تتحرك الواو في ﴿اشتروا﴾ إلا عند التقاء ساكن، ثبت أن حركتها حركة الحروف الساكنة الملتقية[1] مع سواكن أخر[2].

قال أبو أسحاق: من أبدل واو[3] ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ همزة، غالط؛ لأن الواو المضمومة إنما تبدل همزة إذا لزمت ضمتها، نحو: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾[4] [المرسلات: ١١] وكذلك: (أَدْؤُرٌ)[5] فيمن همزها، والضمة هٰهنا إنما هي لالتقاء الساكنين فلا يلزم[6].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾. (الربح) الزيادة على أصل المال[7]. و(التجارة) تقليب الأموال وتصريفها لطلب النماء[8]. يقال: تَجَرَ الرجل يَتْجُر تِجَارَة فهو تَاجِر[9].

---

(١) في (ب): (المتلقية).

(٢) في (أ): (آخر) وفي (ب)، (ج)، بدون همز، وما أثبت موافق لما في «الحجة». بهذا انتهى رد أبي علي على الفراء، وقد اختصر الواحدي بعض كلامه. انظر «الحجة» ١/ ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٣) نص كلام الزجاج: (فأما من يبدل من الضمة همزة فيقول: (اشترؤ الضلالة) فغالط...)، «معاني القرآن» ١/ ٥٧.

(٤) قال الزجاج: الأصل وقتت ١/ ٥٧.

(٥) قال الزجاج: وكذلك (أَدْؤر) إنما أصلها (أَدْوُر) ١/ ٥٧.

(٦) انتهى كلام الزجاج. انظر «معاني القرآن» ١/ ٥٧، وقوله: (فلا يلزم) ليس من كلام الزجاج، والمعنى: أن ضمة (اشتروا) إنما هي لالتقاء الساكنين فليست ضمة لازمة، فلا تقلب الواو المضمومة همزة، لعدم لزوم الضمة فيها.

(٧) انظر: «لباب التفسير» ١/ ١٤٢، «البحر» ١/ ٦٣، «الدر المصون» ١/ ١٥٤، «تفسير أبي السعود» ١/ ٤٩.

(٨) انظر: «مفردات الراغب» ص٧٣، وانظر المصادر السابقة.

(٩) انظر: «مجمل اللغة» (تجر) ١/ ٤٩، «مقاييس اللغة» ١/ ٣٤١، «مفردات الراغب» ص٧٣، وقالوا: ليس في كلام العرب تاء بعدها جيم إلا هذا اللفظ.

قال الشاعر:

قَدْ تَجَرَتْ في سُوقِنَا عَقْرَبٌ
لا مَرْحَبًا بالعَقْرَبِ التَّاجِرَه[(١)]

ومعنى قوله ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم، وأضاف الربح إلى التجارة، لأن الربح يكون فيها، وهذا كلام العرب يقولون: ربح بيعك وخسر بيعك[(٢)]، ونام ليلك، وخاب سعيك، قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي مكرهم فيهما. وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وإنما العزيمة للرجال في الأمر[(٣)].

وقال جرير:

وأعْوَر مِنْ نَبْهَان أمَّا نَهارُهُ فَأعْمَى وأمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ[(٤)]

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار، ومراده بهما الموصوف

---

(١) البيت للفضل بن عباس بن أبي لهب، وكان (عقرب بن أبي عقرب) رجل من تجار المدينة، مشهور بالمطل حتى قيل: (هو أمطل من عقرب) فعامله الفضل، فمطله فقال قصيدة يهجوه بها مطلعها هذا البيت المذكور، وردت القصيدة في «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» ١/ ٩٨، «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ٢٨١، «المستقصى في أمثال العرب» ١/ ٣٣، «مجمع الأمثال» ١/ ٢٦٠، «اللسان» (عقرب) ٥/ ٣٠٣٩.

(٢) (خسر بيعك) ساقط من (ب).

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٣٩، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٠٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٨، «تأويل مشكل القرآن» ص١٣٨، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٢، «زاد المسير» ١/ ٣٨.

(٤) من قصيدة له هجا فيها النبهاني، وكان قد هجا جريرا، وورد البيت في «الطبرى» ١/ ١٤٠، «ديوان جرير» ص٢٠٣.

من نبهان[١].

قال الفراء: وهذا إنما يجوز إذا عرف الكلام ولم يشكل، فإذا أشكل لم يجز، كما لو قال: خسر عبدك، وأراد أن يجعل العبد تجارة يربح فيه، أو يوضع[٢]، لأنه قد يكون العبد تاجرا فيربح، فلا يعرف معناه إذا ربح[٣] من معناه إذا كان مَتْجُورًا[٤] فيه[٥].

١٧- قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآية. قال أبو عبيد عن الفراء: يقال[٦]: مَثَل ومِثْل وشَبَه وشِبْه بمعنى واحد[٧].

وقال الليث: المثل: الشيء الذي يضرب[٨] مثلا لشيء، فيجعل مثله[٩].

وقال المبرد[١٠]: (المثل): مأخوذ من المثال، والمثل من الكلام: قول سائر نشبه[١١] به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فمعنى قولهم: (مثل بين يديه) إذا انتصب، معناه: أشبه الصورة المنتصبة بين يديه،

---

(١) ذكره «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٠.
(٢) أي: يخسر فيه.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء: (إذا ربح هو) ١/ ١٥.
(٤) في (ب): (متجوزا).
(٥) نقل كلام الفراء بمعناه. انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥.
(٦) في (ب): (ويقال).
(٧) «تهذيب اللغة» (مثل) ٤/ ٣٣٤١.
(٨) في (ب): (لا يضرب) و (ج) (ضرب).
(٩) «تهذيب اللغة» (مثل) ٤/ ٣٣٤١.
(١٠) أورد الميداني كلام المبرد في «مجمع الأمثال» ١/ ٧.
(١١) في «مجمع الأمثال» (يشبه به).

والأماثل: الأفاضل. و(هذا أمثل من ذاك)[١]، أي: أشبه بما له[٢] الفضل.

والمِثَال: القصاص لتسوية[٣] الحالتين، وتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، والامتثال: الاقتصاص من هذا.

و(الأمثال)[٤]: أصل كبير في بيان الأشياء، لأن الشيء يعرف بشبهه ونظيره. [و(الأمثال): يخرج ما يخفى تصوره إلى ما يظهر تصوره، و(المثل): بيان ظاهر على أن الثاني مثل الأول][٥].

و(الأمثال): متداولة سائرة في البلاد، وفيها حكم عجيبة وفوائد كثيرة، وقد ذكر الله تعالى الأمثال في غير موضع من كتابه، لما[٦] فيها من حسن البيان وقرب الاستدلال.

والمقصود بالمثل: البيان عن حال الممثل[٧]. وحقيقته: ما جعل من القول كالعلم للتشبيه بحال الأول، مثال ذلك قول كعب بن زهير[٨]:

---

(١) في (ب): (ذلك). وفي «مجمع الأمثال»: (فلان أمثل من فلان) ١/ ٧.

(٢) في «مجمع الأمثال» (أشبه بما له [من] الفضل) ١/ ٧، ويظهر أن (من) مضافة من المحقق لاستقامة المعنى.

(٣) في (أ) (لتشويه). وقوله: (المثال القصاص لتسوية الحالتين) ليس في «مجمع الأمثال» ١/ ٧.

(٤) في (ب): (الامتثال).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (التي فيها).

(٧) في (ب): (الممتثل).

(٨) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر مشهور، وصحابي معروف، قدم على رسول الله صلى الله عيه وسلم وأسلم وأنشده قصيدته المشهورة (بانت سعاد). انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٨٩٠، «الإصابة» ٣/ ٢٩٥.

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَنا[١] مَثَلاً وَمَا مَـوَاعِيـدُهُ إلاَّ الأَبَـاطِـيـلُ[٢]

فمواعيد عرقوب علم[٣] في كل ما لا يصح من المواعيد[٤]. وورد المثل في معان كثيرة في التنزيل، فَذِكْرُ كل واحد في موضعه، إن شاء الله.

وذُكِر لفظ (المثل) لأن المراد تشبيه الحالة بالحالة، وذكرنا أن لفظ المثل[٥] قد صار كالعلم للتشبيه بحال الأول، ولو قيل: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ لم يُعرف ما الغرض من التشبيه، فإذا ذكر لفظ المثل عُلم أن المراد تشبيه الحال بالحال[٦].

و﴿استوقد﴾ بمعنى: أوقد[٧] في قول أكثر أهل اللغة[٨].

وقال بعضهم: استوقد، معناه: استدعى بالنار الضياء[٩]، والأول

---

(١) في (ب): (لها) وهي رواية للبيت.

(٢) بيت من قصيدة كعب (بانت سعاد) المشهورة التي قالها أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فأعطاه بردته، و(عرقوب): اسم رجل مشهور بخلف الوعد فيضرب به المثل، فيقال: (مواعيد عرقوب)، أورد القصيدة ابن هشام في «السيرة» ٤/ ١٥٢، وأورد بعضها ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ص٨٠، وورد البيت المستشهد به في «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» ١/ ١٧٧، «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٧.

(٣) في (ج): (مثلا).

(٤) انتهى كلام المبرد، وقد ذكره الميداني في مقدمة «مجمع الأمثال» واختصر بعضه، ١/ ٧.

(٥) في (ب): (الملك).

(٦) انظر: «الطبري» ١/ ١٤٠، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥، «الكشاف» ١/ ١٩٧.

(٧) (أوقد) ساقط من (ب).

(٨) فعلى هذا (السين) و(التاء) زائدتان: انظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٠٨، «تأويل مشكل القرآن» ص٣٦٢، «تفسير الطبري» ١/ ١٤٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٣، «زاد المسير» ١/ ٣٩، «القرطبي» ١/ ١٨٣، «البحر» ١/ ٧٥.

(٩) وقيل: المراد طلب من غيره أن يوقد له. انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٤، «زاد=

الصحيح[١]. و(النار) من النور[٢]، وجمعها نيران[٣]، والنار تستعار لكل شدة، فيقال: أوقد نار الفتنة، وألقى بينهم نارا: إذا ألقى عداوة. و(أضاء) يكون واقعا ومطاوعا[٤]، يقال: أَضَاءَ الشيء بنفسه، وأضاءه غيره[٥].

وقال أبو عبيد: أَضَاءَت النار، وأَضَاءَها غيرها[٦]. والنار تضيء في نفسها، وتضيء غيرها من الأشياء، قال الشاعر:

أَضَاءتْ لهم أَحَسابُهُم وَوُجُوههم دُجَى اللَّيْلِ حتَّى نَظَّم الجَزْعَ ثَاقِبُهْ[٧]

= المسير» ١/ ٣٩. وقيل: طلب الوقود وسعى في تحصيله، وهو سطوع النار وارتفاع لهبها. انظر: «تفسير البيضاوي» ١/ ١١، «تفسير أبي السعود» ١/ ٥٠، وانظر: «البحر» ١/ ٧٨.

(١) وهو اختيار الأخفش وابن جرير وغيرهم كما سبق.

(٢) وبعضهم جعلها مشتقة من نار ينور إذا نفر، لأن فيها حركة واضطرابا، والنور مشتق منها. ذكره الزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٩٧، انظر: «معجم مقاييس اللغة» (نور) ٥/ ٣٦٨.

(٣) انظر «تهذيب اللغة» (نار) ٤/ ٣٤٧٩، وفي «القرطبي» جمعها (نور وأنوار ونيران)، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٤.

(٤) الفعل الواقع هو المتعدي إلى مفعول به أو أكثر.
والمطاوعة: هي قبول فاعل فعل أثر فاعل فعل آخر يلتقيان في الاشتقاق، مثل: أدبته فتأدب، فالتأدب أثر التأديب. انظر (معجم المصطلحات النحوية والصرفية) ص١٤١، ٢٤٥.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٥أ، ب، «الصحاح» (ضوأ) ١/ ٦٠، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٨٤، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٥، «زاد المسير» ١/ ٣٩، «الكشاف» ١/ ١٩٨.

(٦) «تهذيب اللغة» (ضاء) ٣/ ٢٠٧٧.

(٧) في (أ)، (ج) (ناقبه) بالنون وما في (ب) موافق لجميع المصادر. والبيت نسبه بعضهم لأبي الطمحان القيني، وبعضهم للقيط بن زرارة، يقول: إن أحسابهم=

ويقال: ضَاءَت النار، وأضاءت، لغتان[١]، وأضاء السبيل إذا وضح، وكل ما وضح فقد أضاء، وأضاءت الشمس وأضاء القمر[٢]. والذي في الآية واقع[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾. محل (ما) منصوب بوقوع الإضاءة عليه، و(حوله) نصب على الظرف[٤]. والعرب تقول: رأيت الناس حَوْلَه، وحَوْلَيْه، وحَوَالَهُ، وحَوَالَيْهِ. فَحَوَالَهُ وُحْدَان حَوَالَيْه، وَحَوْلَيْه تَثْنِيةُ حَوْله وينشد: مَاءٌ رَوَاهٌ ونَصِيٌّ حَوْلَيَه[٥] ومما ينشد على لسان البهائم أن الضب

= طاهرة زكية، فدجى الليل تنكشف من نور أحسابهم، حتى إن ثاقب الضوء يسهل نظم الجزع لناظمه، ورد البيت في «الكامل» ٣/ ١٢٩، «الحماسة بشرح المرزوقي» ٤/ ١٥٩٨، «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٧، «الشعر والشعراء» ص٤٧٥، «الصناعتين» ص٣٦٠، «خزانة الأدب» ٨/ ٩٥، «اللسان» (خضض) ٢/ ١١٨٦، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٥.

(١) انظر «الصحاح» (ضوأ) ١/ ٦٠، «تهذيب اللغة» (ضاء) ٣/ ٢٠٧٧، «اللسان» (ضوأ) ٥/ ٢٦١٨.

(٢) انظر: «القرطبي» في: «تفسيره» ١/ ١٨٥، «زاد المسير» ١/ ٣٩.

(٣) أي متعد، وقيل: لازم، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٤، «الكشاف» ١/ ١٩٨، «زاد المسير» ١/ ٣٩، «البحر المحيط» ١/ ٧٨، «الدر المصون» ١/ ١٦٠.

(٤) هذا على أن (أضاء) متعد، فإن كان لازمًا، فالفاعل ضمير النار، و(ما) زائدة، وأجاز الزمخشري: أن تكون موصولة فاعله، وحوله منصوب على الظرفية. انظر (إعراب القرآن) للنحاس ١/ ١٤٣، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢١، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٤، «الكشاف» ١/ ١٩٨، «البحر المحيط» ١/ ١٧٨، «الدر المصون» ١/ ١٦٠.

(٥) الرجز للزَّفَيَان السعدي، يروى البيت (حَوْلَيَه) و(حَوْلِيه) و(حَوْلَيْهْ) ورد البيت عند أبي زيد ص٣٣١، وفي «التهذيب» (حال) ١/ ٧١٠، «الخصائص» ١/ ٣٣٢، وليس في «كلام العرب» لابن خالويه ص٤١، «اللسان» (روى) ٢/ ١٠٥٥. قال محقق «نوادر أبي زيد»: المثبت هنا رواية أبي زيد والبصريين على أنه من الرجز وهي=

قال لِلْحِسْل[١]:

أهَـدَمُـوا بَـيْـتَـكَ لا أبَـالَـكـا وأنـا أمْـشِي[٢] الدَّألَـى حَـوَالَـكَـا[٣]

و(النور) ضد الظلمة، ويقال: نار الشيء وأنار واستنار بمعنى واحد، وأنار الشيء[٤] أي أوضحه[٥] ومنه الحديث: (فرض عمر بن الخطاب[٦] ﷺ فريضة فأنارها زيد بن ثابت)[٧].

فأما التفسير: فقال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والسدي: يقول: مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة[٨] مظلمة في مفازة فاستضاء بها واستدفأ، ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن، فبينما

= (حَوْلَيْهْ) وأما رواية الكوفيين للأبيات فعلى أنها من السريع (حَوْلَيْهْ...)، ص٣٣١.

(١) في (ب): (للحسك) والحِسْل: ولد الضب. «تهذيب اللغة» (حسل) ٤/ ٣٠٣.

(٢) في (ب): (استي).

(٣) الرجز من «شواهد سيبويه» ١/ ٣٥١، وهو في «الكامل» ٢/ ١٩٨، «المخصص» ١٣/ ٢٢٦، «أمالي الزجاجي» ص١٣٠، «همع الهوامع» ١/ ١٣٥، «اللسان» (حول) ٢/ ١٠٥٥. الدألي: مشية فيها تثاقل، وهو من تكاذيب الأعراب يزعمون أنه من قول الضب لولده أيام كانت الأشياء تتكلم.

(٤) في (ب): (للشيء).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (نار) ٤/ ٣٤٨٢.

(٦) (بن الخطاب) سقط من (ب).

(٧) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ولفظه: (فرض عمر بن الخطاب للجد ثم أنارها زيد بن ثابت)، أي: نورها وأوضحها) «تهذيب اللغة» (نار) ٤/ ٣٤٧٩، ونحوه عند ابن الجوزي في «غريب الحديث» ٢/ ٤٤٠، وعند ابن الأثير في «النهاية» ٥/ ١٢٥. وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» بسنده عن الزهري نحوه ولفظه: (إنما هذِه فرائض عمر، ولكن زيدا أثارها بعده وفشت عنه)، «المصنف» ١٠/ ٢٦٦، ٢٦٧ رقم (١٩٠٦٠) و(١٩٠٦١)، ونحوه في «كنز العمال» عن عبد الرزاق ١١/ ٦٢.

(٨) في (ب): (الليل).

هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا، كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان استناروا بنورها، واعتزوا بعزها، وأمنوا، فناكحوا المسلمين ووارثوهم[١] وقاسموهم الغنائم وأمنوا على أموالهم وأولادهم، فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف، وبقوا في العذاب والنقمة[٢].

وهذا القول اختيار الزجاج، لأنه قال: هذا المثل ضربه الله للمنافقين في تجملهم بظاهر الإسلام، فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النار التي يستضيء[٣] بها المستوقد[٤].

وعلى ما قاله أبو إسحاق: التمثيل وقع بين تجملهم[٥] بالإسلام، وبين النار التي[٦] يستضاء بها.

وقال غيره: معنى الآية: مثل استضاءتهم[٧] بكلمة الإيمان كمثل استضاءة الموقد بالنار. فالتمثيل وقع بين الاستضاءتين، وحذف الاستضاءة، لأنه مضاف فأقيم المضاف إليه مقامه[٨].

وهذا قول الفراء، لأنه قال: شبههم وهم جماعة بالذي استوقد نارًا

---

(١) في (ب): (واورثوهم).

(٢) ذكره «الطبري» ١/ ١٤٣-١٤٤، من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس، وعن قتادة والضحاك ورجحه. وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٥٠ عن ابن عباس. وذكره ابن كثير عن قتادة. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٨، «الدر المصون» ١/ ٣٢.

(٣) في (أ)، (ج): (تستضيء)، وأثبت ما في (ب) لمناسبته للسياق.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٨.

(٥) في (ب): (تحكمهم).

(٦) في (ب): (الذي).

(٧) في (ب) (استضابهم).

(٨) ذكره «الطبري» ١/ ١٤١.

وهو واحد؛ لأنه تشبيه[١] للفعل بالفعل، لا للذوات[٢] بالذوات، ومثل هذا قوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] يعني كدوران عين الذي يغشى عليه، وكقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] يعني إلا كخلق وكبعث نفس واحدة.

قال: ولو أراد تشبيه الذوات لقال: (كالذين)، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] وعلى هذا ﴿الذي﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ واحد[٣].

وقوله تعالى بعد هذا: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. قال الزجاج: معناه والله أعلم إطلاع الله المؤمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله ﷻ من كفرهم، ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم في الآخرة، لأن الله ﷻ قد جعل للمؤمنين في الآخرة نورا، وسلب الكافرين ذلك النور، وهو قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[٤] [الحديد: ١٣].

ومثل هذا قال الفراء، فقال: إنما قال: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ لأن المعنى ذهب إلى المنافقين[٥].

---

(١) في (ب) (وهو لا تشبيه).
(٢) في (ب) (للذات).
(٣) انظر كلام الفراء في: «معاني القرآن» ١/ ١٥، نقله الواحدي بمعناه، وانظر «الطبري» في تفسيره ١/ ١٤١.
(٤) كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٥٩.
(٥) قال الفراء بعد هذا: (... فجمع لذلك، ولو وحد لكان صوابًا...) «معاني القرآن» ١/ ١٥. ومعنى كلام الفراء: أن المعنى انصرف إلى المنافقين، وليس للذي استوقد نارًا، ولو كان المعنى له لقال: بنوره. وقول الفراء (لو وحد لكان صوابًا)=

فعلى قول هذين[١] النور كان للمنافقين فأذهبه الله، والكناية راجعة إليهم[٢].

وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ[٣]: (فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره) ليشاكل جواب (لما) معنى هذه القصة[٤]. ولكن لما كان إطفاء النار مثلا لإذهاب نورهم، أقيم ذهاب النور مقام الإطفاء، وجعل جواب (لما)[٥] اختصارا وإيجازا، وهذا طريق حسن في الآية.

وفيها طريق آخر: وهو أن ﴿الذي﴾ في قوله: ﴿الذي استوقد نارا﴾

= أسلوب لا يتناسب مع كلام الله، لأن ما قال الله هو الصواب لا غيره.

(١) أي: قول الزجاج والفراء.

(٢) وإلى هذا ذهب «الطبري» وغيره. والمعنى عند «الطبري»: فلما أضاءت ما حوله: ذلك أن المنافق لم يزل مستضيئا بضوء القول الذي قاله منافقا في حياته، ثم في يوم القيامة انطفأ ذلك النور، وقال: الهاء والميم في (بنورهم) عائد على (الهاء والميم) في قوله: (مثلهم). «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٥، وبعضهم قال: (الهاء والميم) تعود على (الذي). انظر «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٣.

(٣) (أن يكون اللفظ) ساقط من (ب).

(٤) هذا التعبير لا يناسب مقام كتاب الله، وإن كان للعبارة وجه من الاحتمال، لكن الأولى استعمال الألفاظ والأساليب التي تليق بكلام الله الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، والله سبحانه قال ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ وهذا أبلغ مما ذكر الواحدي في قوله: (أطفأ الله ناره) فالنار إذا انطفأت يمكن إيقادها، ولكن إذا ذهب نورها وسلب فلا فائدة فيها. وكذا قوله: (وهذا طريق حسن في الآية) وهل هناك أحسن مما تكلم الله به ؟!.

(٥) للعلماء في جواب (لما) قولان: أحدهما: أنه محذوف تقديره (خمدت وانطفأت) وهذا رأي «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٥، والزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٩٨، وقد انتصرا لهذا الوجه ورجحاه. ورد أبو حيان قول الزمخشري، وقال: لا ينبغي أن يفسر كلام الله بغير ما يحتمله ولا أن يزاد فيه، بل يكون الشرح طبق المشروح=

المراد به الجماعة. وهو مذهب ابن قتيبة[(١)] وابن الأنباري. أما ابن قتيبة فقال: ﴿الذي﴾ قد يأتي مؤديا عن الجمع[(٢)]، واحتج بقول الشاعر:

وإنَّ الذي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُم
هُـمُ القَـوْمُ كُلُّ القَـوْمِ يا أُمَّ خَـالِدِ[(٣)]

ويقال في الواحد: (اللذ) وفي التثنية: (اللذا) وهو لغة لبعض العرب قد وردت في الأشعار[(٤)].

= من غير زيادة عليه ولا نقص منه...)، انظر «البحر المحيط» ١/ ٧٩، وانظر «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٢٩، و«الدر المصون» ١/ ١٦٢.

(١) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، النحوي اللغوي، سكن بغداد، له المصنفات المشهورة (٢٢٣ - ٢٧٦ هـ). انظر «طبقات النحويين واللغويين» ص١٨٣، «إنباه الرواة» ٢/ ١٤٣، «تاريخ بغداد» ١٠/ ١٧٠، «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٢.

(٢) انظر «تأويل مشكل القرآن» ص٣٦١، وانظر «الكشاف» ١/ ١٩٦، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٠.

(٣) البيت للأشهب بن رميلة، وهو من «شواهد سيبويه»، استشهد به على حذف النون من (الذين) عند طول الصلة. «الكتاب» ١/ ١٨٧، وكذا في «المقتضب» ٤/ ١٤٦، وفي «تأويل مشكل القرآن» ص٣٦١، «تفسير الطبري» ١/ ١٤١، «المنصف» ١/ ٦٧، «زاد المسير» ١/ ٤٠، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٢٩، (الخزانة) ٦/ ٢٥، (شرح المفصل) ٣/ ١٥٤ - ١٥٥، (همع الهوامع) ١/ ٦٨، ٤/ ٣٨٠، «الدر المصون» ١/ ١٥٧، «مغني اللبيب» ١/ ١٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٧٦، «معجم البلدان» ٤/ ٢٧٢، قال ياقوت: فَلْج: واد بين البصرة وحمى ضرية، وقيل: طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة. وقعت فيه الوقعة التي يصفها الشاعر، هم القوم كل القوم: أي الكاملون في قوميتهم. فاعلمي ذلك وابكي عليهم يا أم خالد.

(٤) في (الذي) لغات منها: إثبات الياء، وحذفها مع بقاء الكسرة، وحذف الياء مع إسكان الذال، وتشديد الياء مكسورة، ومضمومة. انظر «البحر المحيط» ١/ ٧٤، =

وقال ابن الأنباري: (الذي) في هذه الآية، واحد في معنى الجمع[(١)]، وليس على ما ذكره ابن قتيبة، لأن (الذي) في البيت الذي احتج به جمع واحد (اللذ)، والذي في الآية واحد في اللفظ لا[(٢)] واحد له، ولكن المراد منه الجمع[(٣)]. وجاز أن يوضع (الذي) موضع (الذين) لأنه مبهم يحتمل الوجوه في مثل[(٤)] قول الناس: (أوصي بمالي للذي[(٥)] غزا وحج) معناه: للغازين والحاجين. [ومثله: (من) و(ما)[(٦)]. ووحد الفعل في (استوقد) لأن (الذي) وإن أريد به الجمع فهو موضوع للواحد[(٧)]. فهذا

= «الدر المصون» ١/ ١٥٩، وقال: (قال بعضهم: وقولهم: هذِه لغات ليس جيدًا؛ لأن هذِه لم ترد إلا ضرورة، فلا ينبغي أن تسمى لغات) ١/ ١٥٩، وانظر (شرح المفصل) ٣/ ١٥٤.

(١) ذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٩، وانظر «زاد المسير» ١/ ٣٩، «الدر المصون» ١/ ١٥٦.

(٢) في (ج) (في اللفظ واحد له) وفي (أ)، صححت في الهامش بإضافة (لا).

(٣) وقد رد على ابن قتيبة «الطبري» حيث قال: (وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة: أن (الذي) في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ بمعنى (الذين) كما قال جل ثناؤه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]. وكما قال الشاعر: فإن الذي... البيت (ثم قال: (وقد أغفل قائل ذلك فرق ما بين (الذي) في الآيتين والبيت.... وغير جائز لأحد نقل الكلمة التي هي الأغلب في استعمال العرب على معنى، إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها). «تفسير الطبري» ١/ ١٤١، وانظر «(البحر») ١/ ٧٧، «الدر المصون» ١/ ١٥٧.

(٤) (مثل) ساقط من (ب).

(٥) في (ب) الذي.

(٦) انظر «البحر» ١/ ٧٤.

(٧) فأعاد الضمير في استوقد إلى لفظ الذي انظر «الدر المصون» ١/ ١٥٧.

الاختلاف بينهما[١] في لفظ (الذي) واتفقا أن المراد به الجمع][٢].

وعلى هذا القول، الكناية في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ راجعة إلى المستوقدين[٣]، وهو جواب (فلما) في الظاهر والمعنى جميعا[٤].

وإنما قال: بنورهم والمذكور في أول الآية النار، لأن النار شيئان، النور والحرارة، والنور هٰهنا كان أجدى[٥] المنفعتين[٦].

وذكر صاحب النظم في الآية طريقة ثالثة، وهو أنه قال: العلة في توحيد ﴿الذي﴾[٧] وجمع الكناية في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ أن المستوقد كان واحدًا من جماعة تولى الاستيقاد لهم، وكانت الكناية في الاستيقاد عنه خصوصا دون أصحابه لتوليه ذلك دونهم، فلما ذهب الضوء، رجع ذهابه عليهم جميعا، فرجع الخبر إلى جماعتهم لما عموا به.

١٨- قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ . (الصم): جمع الأصم، وهو الذي به صمم، وهو انسداد الأذن، ويقال: رمح أصم: إذا لم يكن

---

(١) بين أبي قتيبة وابن الأنباري.

(٢) ما بين المعقوفين فيه سقط وتقديم وتأخير في (ب).

(٣) وقيل يعود على معنى الذي انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٢، «الدر المصون» ١/ ١٦٣.

(٤) وهذا بخلاف قول الفراء والزجاج فإنه جواب فلما حسب الظاهر فقط لأن المعنى على قوليهما راجع إلى المنافقين لا إلى المستوقدين ولهذا ادعى البعض أن جواب لما محذوف وهو طفئت أو خمدت كما مر قريبا وهو قول «الطبري» والزمخشري انظر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٣، «الكشاف» ١/ ١٩٨.

(٥) في (ج) أحدى.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٣ب، وانظر «تفسير البيضاوي» ١/ ١١، وأبي السعود في «تفسيره» ١/ ٥٠، والقاسمي في «تفسيره» ٢/ ٦٢.

(٧) الذي ساقطة من (ب).

أجوف، وصخرة صماء: إذا كانت صلبة، والصمام ما يسد[(١)] به رأس القارورة، هذا أصله في اللغة[(٢)]. ولما كان الانسداد يؤدي إلى الشدة والصلابة قيل للصخرة الشديدة: صماء. وارتفع (صم) على الاستئناف، كأنه لما تم الكلام الأول استأنف فقال: صم، أي: هم صم[(٣)].

وقال أبو إسحاق[(٤)]: كأنه قال: هؤلاء الذين قصتهم ما مضى (صم)[(٥)]. ويجوز الاستئناف قبل تمام القصة، كقوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، ثم قال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [(٦)] وقال أيضا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[(٧)] [التوبة: ١١٢] ثم قال:

---

(١) في (أ)، (ج) (يشد) بالشين، وما في (ب) موافق لما في كتب اللغة وهو ما أثبته.

(٢) انظر «تهذيب اللغة» (صم) ٢/ ٢٠٥٨، «الصحاح» (صمم) ٥/ ١٩٦٧، «مقاييس اللغة» (صمم) ٣/ ٢٧٨، «مفردات الراغب» ص٢٨٦، (تفسير «القرطبي» ١/ ١٨٥.

(٣) قال ابن جرير: (... يأتيه الرفع من وجهين، والنصب من وجهين. فأما أحد وجهي الرفع: فعلى الاستئناف لما فيه من الذم... والوجه الآخر: على نية التكرار من (أولئك)... فأما على تاويل ما روينا عن ابن عباس من غير وجه رواية علي بن أبي طلحة عنه، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد، وهو الاستئناف... والقراءة التي هي القراءة، الرفع دون النصب...) «تفسير الطبري» ١/ ١٤٦.

(٤) الزجاج.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٩، نقل كلام الزجاج بمعناه.

(٦) قال الفراء: (ولو تم الكلام ولم تكن آية، لجاز أيضا الاستئناف، قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ (الرحمن) يرفع ويخفض في الإعراب وليس الذي قبله بآخر آية). «معاني القرآن» ١/ ١٦. وما ذكره الواحدي يتم على قراءة الرفع في (رب) وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر «السبعة» ص٦٦٩، «القطع والاستئناف» للنحاس ص٧٥٩، «الغاية» ص٢٨٦.

(٧) (وأموالهم) ساقط من (أ)، (ج).

﴿التَّٰئِبُونَ﴾ [التوبة: ١١٣][1]. وقال النابغة:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فَعَرَفْتُها
لستَّةِ أعوامٍ وَذَا العَامُ سَابِعُ[2]

ثم قال: (رماد)[3] فاستأنف، ولم يبدل[4].

قال أهل المعاني: وإنما وصفهم الله تعالى بالصم[5] لتركهم قبول ما يسمعون، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل على ما يسمعه: أصم. قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ[6]

و(بكم) عن الخير، فلا[7] يقولونه، و(عمي)، لأنهم في تركهم ما

---

(١) ذكره الفراء حيث قال: فأما ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفا فكثير، من ذلك - ثم ذكره «معاني القرآن» ١/ ١٦.

(٢) البيت للنابغة الذبياني يمدح النعمان، ومعنى توهمت: أي لم يعرفها إلا توهما لخفاء معالمها، آيات: علامات للدار وما بقى من آثارها، لستة أعوام: أي بعد ستة أعوام ثم قال بعده:

رَمَادٌ كَكُحْل العَيْنِ لأْيًا أُبِينُهُ ونؤى كجذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ

ومعنى لأيا أبينه: أي أتبينه بصعوبة لخفائه. البيت من «شواهد سيبويه» ٢/ ٨٦، «المقتضب» ٤/ ٣٢٢، وهو في «ديوان النابغة» ص٥٣، «مجاز القرآن» ص٣٣.

(٣) أي: في البيت الذي بعد سبق ذكره.

(٤) ذكره أبو عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» ص٣٣.

(٥) في (ب): (بالصم).

(٦) ورد هذا الرجز في «تهذيب اللغة» (صمم) ٢/ ٢٠٥٨، «اللسان» (صمم) ٤/ ٢٥٠٠، «شرح الحماسة» للمرزوقي ٣/ ١٤٥٠، «الكشاف» ١/ ٢٠٤، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٦. جميعها بدون نسبة، ومعناه: هو أصم عما لا يليق به، معرض عما ساءه مع أنه يملك السمع.

(٧) في (أ)، (ج) (ولا) وما في (ب) أولى لصحة المعنى.

يبصرون من الهداية بمنزلة العمى(١).

وقوله تعالى: ﴿لا يَرْجِعونَ﴾ أي إلى الإسلام، أو عن الجهل والعمى(٢). قال محمد بن جرير: هذه الآية معناها التقديم والتأخير، والتقدير (وما كانوا مهتدين صم بكم...) الآية، ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾ [البقرة: ١٧]، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩]، مثل آخر عطف على الأول.

قال: لأن قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] في الآخرة، إذا قلنا: إنه وصف المنافقين(٣)، والخبر بأنهم صم بكم في الدنيا، فلهذا قلنا: إن هذا على التقديم والتأخير(٤). وقال غيره: يجوز أن يعترض ذكر حالهم في الدنيا بعد وصف حالهم في الآخرة.

١٩- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾. ﴿أو﴾ دخلت هٰهنا للإباحة(٥)، لا للشك(٦)، ومعناه أن التمثيل مباح لكم، إن مثلتموهم بالذي استوقد نارا، فهو مثلهم، [أو بأصحاب الصيب فهو مثلهم](٧)، أو بهما جميعا فهما مثلاهم(٨)، كما تقول: جالس الحسن أو ابن سيرين، إن(٩) جالست

---

(١) انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٤٦، (تفسير أبي الليث) ١/ ٩٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٦٩، (تفسير أبي الليث) ١/ ٥٤أ، «البحر» ١/ ٨١، ٨٢.

(٢) انظر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٦، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٤أ.

(٣) في (ج) (للمنافقين).

(٤) ذكر كلام ابن جرير بمعناه. انظر (تفسيره) ١/ ١٤٦.

(٥) وقيل: للتخيير، انظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٩٩، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٨٩، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٦، «الدر المصون» ١/ ١٦٧، «الكشاف» ١/ ٢١٣.

(٦) ذكر السمين الحلبي أحد الأقوال فيها: أنها للشك. «الدر المصون» ١/ ١٦٧.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) في (ج) (مثالهم).

(٩) في (ب) (إذا).

أحدهما فأنت مطيع، [وإن جمعتهما فأنت مطيع][١].

ومثله قوله: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] هذا قول جميع أصحاب المعاني[٢].

وقال ابن الأنباري: ﴿أو﴾ دخلت للتمييز والتفصيل[٣]، المعنى بعضهم يشبهون الذي استوقد نارا، وبعضهم يشبهون أصحاب الصيب. ومثله قوله: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥] [معناه: قال بعضهم: كونوا هودا، وهم اليهود، وقال بعضهم: كونوا نصارى][٤]، وهم النصارى، فدخلت (أو) لمعنى التفصيل، ومثله قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] معناه[٥]: فجاء[٦] بعض أهلها بأسنا بياتًا، وجاء بعض أهلها في وقت القيلولة[٧].

وقيل: إن (أو) هٰهنا بمعنى الواو[٨]، كقول جرير:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) بل قول بعضهم، وما ذكره الواحدي هو كلام الزجاج. انظر «معاني القرآن» ١/ ٦٢، ١٢٩، وانظر «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦٠، ونسب الثعلبي لأهل (المعاني) أنها بمعنى (الواو) ١/ ٥٤أ.

(٣) في (ب) (فالتفضيل).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) قوله: (﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: معناه...) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (وجاء).

(٧) ذكره المرتضى في «أماليه» ٢/ ٥٤، ٥٥، ولم ينسب لأبن الأنباري، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٢، وذكره السمين الحلبي، وقال: وهو الأظهر، «الدر المصون» ١/ ١٦٧.

(٨) في (ب) (بمعنى الواحد). وهو قول «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٩، وذكره أبو الليث في «تفسيره» ١/ ٩٩، والفراء في «تفسيره» ١/ ١٧، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٤أ، =

نَالَ الخِلاَفَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أتى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ[١]

وقال توبة[٢]:

وقَدْ زَعَمَتْ سَلْمَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا[٣]

قال النحويون: المعنى أو كأصحاب صيب[٤]، فحذف المضاف

= «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٦، والسمين في «الدر المصون» ١/ ١٦٧. وقد رد ابن عطية على «الطبري» قوله (إنها بمعنى: الواو) وقال: (وهذه عجمة). انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٩. قلت: كيف تكون عجمة وقد قال به جمهور من المفسرين، وهو أحد (المعاني) التي تأتي (أو) عليها. انظر «تأويل مشكل القرآن» ص٥٤٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٧٩، «زاد المسير» ١/ ٤٢، «مغنى اللبيب» ١/ ٦١. والقول إن (أو) تأتي بمعنى (الواو) هو مذهب الكوفيين، أما البصريون فيمنعون ذلك. انظر «الإنصاف» ص٣٨٣. وخلاصة الأقوال في (أو) في الآية هي:

١- أنها للشك بمعنى أن الناظر يشك في تشبيههم.

٢- أو للتخيير. ٣- أنها للتفصيل.

٤- بمعنى الواو. ٥- بمعنى بل.

(١) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز، انظر (الديوان) ص٢١١، وفيه: (إذا كانت له قدرا) فلا شاهد فيه هنا، وورد البيت في «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٩، (الأضداد) لابن الأنباري ص٢٧٩، «أمالي المرتضى» ٢/ ٥٧، «تفسير السجاوندي» ١/ ٣٢ (مخطوط)، «همع الهوامع» ١/ ١٦٧، «مغني اللبيب» ١/ ٦٢، «الدر المصون» ١/ ١٦٧.

(٢) هو توبة بن الحُمَيِّر من بني عقيل بن كعب، وكان شاعرا لصا، أحد العشاق، صاحب ليلى. انظر: «الشعر والشعراء» ص٢٨٩.

(٣) رواية البيت المشهورة (وقد زعمت ليلى...) فهو يذكر محبوبته ليلى الأخيلية. انظر «أمالي المرتضى» ٢/ ٥٧، و«الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٧٩، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٤أ، «أمالي القالي» ١/ ٨٨، ١٣١، «همع الهوامع» ٥/ ٢٤٨، «مغني اللبيب» ١/ ٦١.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٠، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦٠،=

لدلالة باقي الكلام عليه[١] وهو قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾.

و(الصيب) من المطر: الشديد، من قولهم: صاب يصوب، إذا نزل من علو إلى أسفل[٢].

قال:

تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاء يَصُوبُ[٣]

وأصله (صَيْوِب)[٤] فسبقت الياء الواو [بالسكون، فصيرتا (ياء مشددة) كما قالوا: سيِّد وميِّت وهيِّن، وهو أصل مطرد في الياء والواو][٥] إذا[٦]

= وقال الفراء: (أو كمثل صيب) «معاني القرآن» ١/ ١٧، ونحوه ذكر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٩.

(١) لأن الواو في (يجعلون) تدل على المضاف المقدر وهو (أصحاب) فهو وإن حذف فمعناه باق فيجوز أن يعود عليه الضمير.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٠، و«الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٨، (غريب القرآن) لابن قتيبة ١/ ٢٥، «غريب القرآن» لليزيدي ص٦٥.

(٣) عجز بيت وشطره الأول:

فَلَسْتَ لإِنْسِيٍّ ولكِنْ لمَلأكٍ

نسبه بعضهم لعلقمة بن الفحل، يمدح الحارث بن جبلة، وقيل: لرجل من عبد القيس جاهلي، يمدح بعض الملوك، قاله أبو عبيدة، وقيل: لأبي وجزة السعدي يمدح عبدالله بن الزبير. ورد البيت في «الكتاب» ٤/ ٣٨٠، و«الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٨، «المفضليات» ص٣٩٤، «مجاز القرآن» ص٣٣، «المنصف» ٢/ ١٠٢، «الجمل» للزجاجي ص٤٧، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٨٩، «الاشتقاق» لابن دريد ص٢٦، «اللسان» (صوب) ١/ ٢٥١٩، و(ألك) ١/ ١١١، «الدر المصون» ١/ ١٦٨.

(٤) في (ب): (صيبوب).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (وإذا).

اجتمعتا وإحداهما[١] ساكنة، تقدمت الواو وتأخرت[٢]، فالمتأخرة كما ذكرنا، والمتقدمة كقولهم: (لويت يده[٣] ليّا). هذا مذهب البصريين[٤]. وعند الكوفيين: أن أصله (صييب)[٥] على وزن (فَعِيل)، فاستثقلت[٦] الكسرة على الياء فسكنت، وأدغمت إحداهما في الأخرى، وحركت إلى الكسرة.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. قال [الزجاج][٧]: السماء في اللغة: يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو، وكل سقف فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب: سماء، لأنها عالية[٨].

---

(١) في (ب): (وأحديهما).

(٢) هكذا في جميع النسخ ولعل الصواب (أو تأخرت) والله أعلم.

(٣) في (أ)، (ب): (مده ليا). أصل (ليّا) (لويا) فقلبت الواو ياء وإدغمت في الياء، انظر «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٨٥.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٤ب، و«الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٤٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٤٣-١٤٤، «الإملاء» ١/ ٢٢، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٨٩، «الإنصاف» ص٦٣٩.

(٥) في (أ)، (ب): (صيب) وما في (ج) موافق لما عند الثعلبي، وهو ما أثبته. وقيل: أصله عندهم (صَوِيب) وردَّ بأنه لو كان كذلك لصحت (الواو) كما تصح في (طويل). انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٤٣-١٤٤، «الإملاء» ١/ ٢٢، «الإنصاف» ص٦٣٩، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٨٩، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٦.

(٦) في (ب): (فاستقلت).

(٧) في جميع النسخ (الرجال) والصحيح (الزجاج) كما في «تهذيب اللغة» (سما) ٢/ ١٧٤٧.

(٨) انظر كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٧٥، «التهذيب» (سما) ٢/ ١٧٤٨، والنص من «التهذيب».

الأزهري: و(السماء) عند العرب مؤنثة، لأنها جمع (سماءة)[١]، و(السماءة) أصلها سَمَاوَة فاعلم. وإذا ذكرت العرب السماء عنوا بها السقف[٢].

وأما (الرعد)، فقال ابن عباس: الرعد ملك يسوق السحاب، كما يسوق الحادي الإبل بحدائه[٣].

وكذلك قال مجاهد وطاووس[٤] وعكرمة وأصحاب ابن عباس: إن الرعد ملك يسوق السحاب، والرعد الذي هو الصوت سمي باسمه[٥].

---

(١) في «التهذيب» (وسبق الجمع الوحدان فيها) ٢/ ١٧٤٧.

(٢) «تهذيب اللغة» (سما) ٢/ ١٧٤٨.

(٣) في (ج): (بحاديه). ذكره «الطبري» بسنده عن الضحاك، وعن السدي عن أبي مالك، وعن مجاهد، وعن شهر بن حوشب، وكلهم عن ابن عباس. انظر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٠-١٥١، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس مرفوعا في سؤال اليهود للرسول صلى الله عيه وسلم وفيه: (ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب) قال المحقق: إسناده حسن. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٢١ (رسالة دكتوراه)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، قال أحمد شاكر: (إسناده صحيح). انظر: «مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر» ٤/ ١٦١ح (٣٤٨٣)، وذكر الحديث الشوكاني في «فتح القدير» وقال: في إسناده مقال. «فتح القدير» ١/ ٧٧.

(٤) هو أبو عبدالرحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني، من أبناء الفرس، أحد أعلام التابعين، ومن كبار أصحاب ابن عباس، توفي سنة خمس ومائة، وقيل: ست. انظر ترجمته في: (وفيات الأعيان) ٢/ ٥٠٩، «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٨، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٣٥، «غاية النهاية» ١/ ٣٤١.

(٥) انظر الروايات عنهم في «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٠-١٥١، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٥أ، «زاد المسير» ١/ ٤٣، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٨٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٦٩، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢١٧، (فتح القدير) ١/ ٧٧.

وكتب ابن عباس إلى أبي[١] الجَلْد يسأله عن الرعد، فقال: هو ريح يختنق تحت السماء وفوق السحاب[٢].

وسئل علي ﷺ عن الرعد، فقال: ملك، وعن البرق، فقال: مخاريق بأيدي الملائكة من حديد[٣].

وسئل وهب بن منبه[٤] عن الرعد، فقال: الله أعلم[٥].

ويقال: برقت السماء ورعدت، ومنه يقال: برق الرجل ورعد، إذا تهدد وأوعد[٦]. وأبرق وأرعد -أيضا في قول أبي عبيدة، وأنكره الأصمعي.

---

(١) في (ب): (أبي الخلد) هو أبو الجَلْد بفتح الجيم وسكون اللام، جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري، وجِيلان بكسر الجيم، وثقه أحمد. انظر «الجرح والتعديل» ٢/ ٥٤٧، «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه «الطبري» من طرق في «تفسيره» ١/ ١٥٢، وأبن أبي حاتم، وقال المحقق إسناده حسن «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٢٢.

(٣) أخرجه «الطبري» بروايتين، إحداهما عن الرعد، والأخرى عن البرق، «الطبري» ١/ ١٥١-١٥٢، وأخرج ابن أبي حاتم عنه في (البرق) في «تفسيره» ١/ ٥٥، ونحوه في الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٥أ، وانظر «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٨٧-١٨٨.

(٤) أبو عبدالله، وهب بن منبه اليماني، صاحب القصص والأخبار، كانت له معرفة بأخبار الأوائل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وثقه أكثرهم، وضعفه عمرو بن علي الفلاس. توفي سنة عشر ومائة. وقيل: ست عشرة، وبينهما أقوال. انظر «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٤٣، «حلية الأولياء» ٤/ ٢٣، «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٥، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٢.

(٥) مما أحسن هذا الجواب!، والله لم يكلف الأمة بعلمه، لاسيما أن مثل هذا لا يثبت إلا بنص صحيح صريح، أو بدلالة حسية جازمة، والعلم به لا يتعلق به حكم من الأحكام، والله أخبر أن الرعد يسبح بحمده، وهو دلالة على عظمة الخالق سبحانه.

(٦) ذكره الأزهري عن الأصمعي. «التهذيب» (برق) ١/ ٣١٥، وانظر «مقاييس اللغة» (برق) ١/ ٢٢٣.

وكلهم يقول: أبرقنا وأرعدنا بمكان كذا، أي رأينا البرق والرعد[١].
والبارق السحاب ذو البرق، وكذلك البارقة[٢].

وأما (الصواعق)، فهي جمع صاعقة، والصاعقة والصعقة: الصيحة يغشى منها على من يسمعها أو يموت[٣]. قال الله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣] يعني أصوات الرعد، ويقال لها: الصواقع[٤] أيضا ومنه قول الأخطل:

كَأَنَّمَا كَانُوا غُرَاباً وَاقِعا فَطَارَ لَمَّا أَبْصَرَ الصَّوَاقِعا[٥]

ويقال: أصعقته الصيحة، أي: قتلته. وأنشد الفراء:

أُحادَ وَمثنى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُه[٦]

---

(١) «التهذيب» (برق) ١/ ٣١٥، «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٣.

(٢) «تهذيب اللغة» (برق) ٩/ ١٣٢، «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٢.

(٣) وقيل: الصاعقة قطعة من نار تسقط بأثر الرعد، لا تأتي على شيء إلا أحرقته. انظر «اللسان» (صعق) ٤/ ٢٤٥٠.

(٤) بتقديم القاف على العين.

(٥) أنشده الأزهري في «تهذيب اللغة» (صعق) ٢/ ١٠١٨، وورد في «اللسان» (صقع) ٤/ ٢٤٧١، وفي شعر الأخطل ورد شطره الأول ص٣١٠. نقله من «تهذيب اللغة» (صعق) ٢/ ١٠١٨.

(٦) البيت لابن مقبل، يصف فرساً بشدة الصهيل، وأن صهيله يقتل الذباب، وهي النعرات: ذباب يسقط على الدواب، واللبان: الصدر. وشطر البيت الأول:

تَرى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِه

انظر: «أمالي المرتضى» ٢/ ١٩١، «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح» ٢/ ٧٧٨، «تهذيب اللغة» (صعق) ٢/ ٢٠١٨، «الصحاح» (صعق) ٤/ ١٥٠٧، «اللسان» (صعق) ٤/ ٢٤٥٠، «همع الهوامع» ١/ ٨٣، «القرطبي» ١/ ١٩٠، «ديوان ابن مقبل» ص٢٥٢.

أي قتلها صوته.

ويقال للرعد والبرق إذا [قتلا][(١)] إنسانا: أصابته صاعقة، وقال لبيد يرثي أخاه أَرْبَد[(٢)]:

فَجَّعَنِي الرَّعْدُ والصَّوَاعِقُ بالْـ ـفَارِس يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ[(٣)]

أراد بالصواعق صوت الرعد، يدل على هذا قوله[(٤)] ﷻ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ ولا يسدّون الآذان إلا من شدة صوت الرعد[(٥)].

وقال آخرون: الصاعقة: كل عذاب مهلك[(٦)].

وقيل: الصاعقة: الصوت الشديد من الرعد، يسقط معها قطعة نار[(٧)].

فأما معنى الآية، فقال المفسرون: إن الله تعالى ضرب للمنافقين مثلًا آخر، وشبههم بأصحاب مطر. وأراد بالمطر: القرآن[(٨)]،

---

(١) في جميع النسخ (قتل) وأثبت ما في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٨.

(٢) (أَرْبَد) أخوه لأمه، وهو ابن عمه، وكانت قد أصابته صاعقة، لما دعا عليه الرسول صلى الله عيه وسلم انظر «الشعر والشعراء» ص١٦٩، «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٣٦، «الخزانة» ٢/ ٢٥٠، ٣/ ٨١.

(٣) البيت للبيد يرثي أخاه وقد أصابته صاعقة، انظر «التهذيب» (صعق) ٢/ ٢٠١٨، «اللسان» (صعق) ٤/ ٢٤٥٠، «شرح ديوان لبيد» ص١٥٨.

(٤) في (ب): (قول الله).

(٥) «تهذيب اللغة» (صعق) ٢/ ٢٠١٨.

(٦) «اللسان» (صعق) ٤/ ٢٤٥٠ .

(٧) «الصحاح» (صعق) ٤/ ١٥٠٦، «اللسان» ٤/ ٢٤٥٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩١-١٩٢.

(٨) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٠، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٩٢، وبعضهم قال: الإسلام، انظر «الكشاف» ١/ ٢٠٩، وأما ابن جرير فقال: (فالصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق، والظلمات التي هي فيه=

وشبهه[١] بالمطر لما فيه من حياة القلوب، وعنى بالظلمات: ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والأهوال، فشبهها بما في المطر من الظلمات، وشبه ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار بما في المطر من الرعد، وشبه حجج القرآن وما فيه من البيان والنور والشفاء والهدى بما في المطر من البرق. وشبه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكيلا يسمعوا[٢] القرآن مخافة ميل القلب إلى القرآن فيؤدي ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عندهم كفر، والكفر موت[٣]، أو لكيلا يسمعوا ما ينزل من القرآن بما فيه افتضاحهم بجعل[٤] الذي في هذا المطر أصابعه في أذنه. وتلخيص معناه: أن أصحاب الصيب إذا اشتد[٥] عليهم وقع الصاعقة وصوت الرعد خافوا على أنفسهم الهلاك، فسدّوا آذانهم بأصابعهم، كذلك هؤلاء المنافقين يسدّون آذانهم للمعنيين اللذين ذكرنا.

= لظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلب. وأما الرعد والصواعق، فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عيه وسلم في آي كتابه...) «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٦.

(١) في (ب): (وشبه).

(٢) في (أ)، (ج): (يسمعون).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٦أ.

(٤) قوله: (بجعل الذي في هذا المطر... إلخ) متعلق بقوله: (وشبه جعل المنافقين... إلخ) وقد ضعف هذا المعنى ابن جرير ورجح أن المراد بجعل أصابعهم في آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله صلى الله عيه وسلم والمؤمنين، بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عيه وسلم مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات فيتقون بما يبدون بألسنتهم من ظاهر الإقرار، كما يتقي الخائف أصوات الرعد بتصيير أصابعه في أذنيه. «الطبري» ١/ ١٥٧.

(٥) في (ب): (استدعاهم).

وأمال الكسائي: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾[١]. قال أبو علي: (وهي حسنة لمكان كسرة[٢] الإعراب[٣] في النون[٤]، كما جازت في مررت ببابه[٥]. ونصب ﴿حذر الموت﴾ لأنه مفعول له[٦].

قال الزجاج: وليس نصبه لسقوط اللام، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر، كأنه[٧] قال: يحذرون حذرا[٨]، لأن جعل الأصابع في الآذان يدل على الحذر، كما قال:

وَأَغْفِرِ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ[٩]

---

(١) رواية أبي عمر الدوري ونصير بن يوسف النحوي عن الكسائي، وقال أبو الحارث الليث بن خالد وغيره: كان الكسائي لا يميل هذا وأشباهه، وبقية (السبعة) على الفتح. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص١٤٤، «الحجة» ١/ ٣٦٥، «الكشف» ١/ ١٧١.

(٢) في (الحجة) (كثرة) ولعله خطأ مطبعي.

(٣) في (ب): (الأعراف).

(٤) فهو يميل الألف نحو الياء لمكان الكسرة بعدها التي على النون. انظر «الكشف» ١/ ١٧١.

(٥) في (ب): (سانه)، «الحجة» ١/ ٣٦٨.

(٦) (له) ساقطة من (ج).
انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٤٤، «البيان في غريب إعراب القرآن) ١/ ٦١.

(٧) في (أ)، (ج) (لأنه) وما في (ب) أصح في السياق، وموافق لما في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٣.

(٨) الزجاج يرى أنه منصوب على أنه مفعول لأجله، حيث قال: (وإنما نصبت (حذر الموت) لأنه مفعول له، والمعنى يفعلون ذلك لحذر الموت...)، ثم قال: (... كأنه قال يحذرون حذرا...). وهذا التقدير لا يتناسب مع الكلام الأول، لأنه في الأخير مفعول مطلق. انظر «معاني القرآن» ١/ ٦٣.

(٩) صدر بيت لحاتم الطائي وعجزه: =

المعنى لادخاره. قوله: أغفر عوراء الكريم، معناه: أدخر الكريم(١).

وقال الفراء: نصبه على التفسير كقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] وكقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. يقال: أُحِيط بفلان، إذا دنا هلاكه، وهو(٢) محاط به، قال الله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: أصابه ما أهلكه وأفسده(٣).

والإحاطة تستعمل بمعنى العلم(٤) كقوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] أي: لم يشذ عن علمه شيء. ويستعمل بمعنى القدرة، كأن قدرته أحاطت بهم(٥)، فلا محيص(٦) لهم عنه.

وجاء في التفسير أن معناه: والله مهلكهم وجامعهم في النار(٧). دليله

وأُغرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيم تَكَرُّمَا

ومعنى قوله عوراء: الكلمة القبيحة أو الفعلة، ادخاره: إبقاء عليه. ورد البيت في «نوادر أبي زيد» ص٣٥٥، وسيبويه ١/ ٣٦٨، «المقتضب» ٢/ ٣٤٧، «الكامل» ١/ ٢٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٣، «الجمل» للزجاجي ص٣١٩، «شرح المفصل» ٢/ ٥٤، «الخزانة» ٣/ ١٢٢، «ديوانه» ص٨١، وفيه (اصطناعه) بدل (ادخاره) وهي رواية عند أبي زيد، «الكشاف» ١/ ٢١٨.

(١) انتهى من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٣.

(٢) في «التهذيب» (فهو محاط به).

(٣) «تهذيب اللغة» (حاط) ١/ ٧٠٧.

(٤) انظر «الصحاح» (حوط) ٣/ ١١٢١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٠.

(٥) انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٥أ، و«الطبري» في تفسيره ١/ ١٥٨.

(٦) في (ب) (له).

(٧) ذكره «الطبري» عن مجاهد انظر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٨، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٥أ، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ١٩٣، في تفسيره والبغوي ١/ ٧٠، (أضواء البيان) ١/ ١١٤.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: ٦٦] أي تهلكوا[١] جميعاً.

وأمال أبو عمرو والكسائي (الكافرين)[٢] في جميع القرآن: لأن الكسرة لزمت الراء بعد الفاء المكسورة، والراء بما فيها من التكرير يجرى مجرى الحرفين المكسورين، وكلما كثرت الكسرات حسنت الإمالة، ولا يميلان نحو[٣]: ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٤١] وذلك لأن كسرة الراء غير لازمة[٤] لزومها في (الكافرين)[٥].

٢٠- قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ﴾ [البقرة: ٢٠]. (كاد) موضوع عند العرب لمقاربة[٦] الفعل[٧]، فإذا نفيت[٨] في اللفظ كان في المعنى إثباتا، وإذا أثبت كان نفيًا[٩]، بيانه أنك تقول: كاد يضربني، فهذا إثبات في اللفظ نفي للضرب[١٠]، لأن معناه قرب من الضرب ولم يضرب، وإذا قلت: ما

---

(١) في (أ)، (ج) (يهلكوا)، وفي (ب) (تهلكوا) وكذا في الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٥أ.

(٢) وذلك إذا كان جمعا في موضع نصب أو خفض، أما إذا كان مفردا أو جمعا في موضع رفع لم يمل، وبهذا قرأ أبو عمرو، والكسائي في رواية أبي عمر الدوري ونصير بن يوسف. انظر «السبعة» ص١٤٧، «الحجة» ١/ ٣٧٩، «الكشف» ١/ ١٧٣. وبهذا قرأ قتيبة ورويس، وورش بين بين، والبقية على الفتح للكاف. انظر «الغاية» ص٩١، «وتحبير التيسير» للجزري ص٧٠، ٧١.

(٣) وهو المفرد المجرور. انظر «الحجة» ١/ ٣٨٩، «الكشف» ١/ ١٩٧.

(٤) لأنها كسرة إعراب فتتغير.

(٥) «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٨٩، وانظر «الحجة» لابن خالويه ص٧٣، «الكشف» ١/ ١٩٧.

(٦) في (ب): (لمفارقه).

(٧) انظر «تهذيب اللغة» (كاد) ٤/ ٣٠٧٦، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٩، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦١، «حروف المعاني» للزجاجي ص٦٧.

(٨) في (ب): (بقيت).

(٩) في (ب): (بقى).

(١٠) في (ب): (في الضرب).

كاد يفعل كذا، فهذا نفي في اللفظ، إثبات في المعنى، لأنه قرب من ترك الفعل، وقد فعله بعد بطء[(١)].

قال ابن الأنباري: (قال اللغويون: كدت أفعل، معناه عند العرب: قاربت الفعل ولم أفعل، وما كدت أفعل، معناه: فعلت بعد إبطاء[(٢)] هذا معنى (كاد)، وقد تستعمل[(٣)] بغير هذا المعنى[(٤)]، وسنذكر ذلك عند قوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ [النور: ٤٠].

وذكر أبو بكر بإسناده أن ذا الرمة الشاعر قدم الكوفة فأنشد [بالكُناسة][(٥)] وهو على راحلته قصيدته (الحائية)، فلما انتهى إلى قوله:

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ
رَسِيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[(٦)]

---

(١) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٩، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦١، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٢، وذكر السمين الحلبي: أنها إذا كانت منفية انتفى خبرها بطريق الأولى. انظر «الدر المصون» ١/ ١٧٦.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (كاد) ١٠/ ٣٢٩.

(٣) في (أ)، (ب) (يستعمل) وأثبت ما في (ج).

(٤) (المعنى) ساقط من (ب). قال ابن الأنباري: (وقد يكون ما كدت أفعل بمعنى: ما فعلت ولا قاربت إذا أكد الكلام ب (أكاد)، انظر «التهذيب» ٤/ ٣٠٧٧، وهو بقية كلامه الذي نقل الواحدي بعضه. وفي «الخزانة»: (قال صاحب اللباب: وإذا دخل النفي على (كاد) فهو كسائر الأفعال على الصحيح، وقيل: يكون للإثبات، وقيل: يكون في الماضي دون المستقبل...)، «الخزانة» ٩/ ٣٠٩.

(٥) في (أ)، (ج): (ما الكناسة) وهي ساقطة من (ب) والصحيح (بالكناسة) كما في «أمالي المرتضى» «الخزانة» كما سيأتي. و(الكناسة) بضم أوله محلة معروفة بالكوفة، كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناستهم. انظر «معجم ما استعجم» ٤/ ١١٣٦، «معجم البلدان» ٤/ ٤٨١.

(٦) قوله (النأي): البعد، (رسيس الهوى): مسه، ورد البيت في (ديوان ذي الرمة)=

قال له عبد الله بن شبرمة[١]: فقد برح يا ذا الرمة! ففكر ساعة ثم قال:

.... لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الـهَـوى مِـنْ حُـبِّ مَـيَّـةَ يَـبْـرَحُ[٢]

ومعنى الآية: يكاد ما في القرآن من الحجج تخطف[٣] قلوبهم من شدة إزعاجها[٤] إلى النظر في أمر دينهم[٥].

وقال ابن عباس في رواية مقاتل والضحاك: معناه: يكاد الإيمان يدخل في قلوبهم[٦].

= وفيه (لم أجد) وفي (أمالي المرتضى) ١/ ٣٣٢، «زاد المسير» ١/ ٤٥، «الدر المصون» ١/ ١٧٦، «الخزانة» ٩/ ٣٠٩، «شرح المفصل» لابن يعيش ٧/ ١٢٤.

(١) هو عبدالله بن شبرمة بن حسان الضبي الكوفي، أبو شبرمة، كان شاعراً فقيهاً ثقة (٧٢-١٤٤هـ). انظر (طبقات ابن خياط) ص٢٨٣، (الجرح والتعديل) ٥/ ٨٢، (تهذيب التهذيب) ٢/ ٣٥١.

(٢) وردت القصة مسندة في «أمالي المرتضى» ١/ ٣٣٢، «الخزانة» ١/ ٣١١، ويستشهد العلماء بهذا البيت على أن النفي إذ دخل على (كاد) تكون في الماضي للإثبات، وفي المستقبل كالأفعال، وبعضهم قال: كالأفعال في الماضي والمستقبل، وقيل: تكون للإثبات في الماضي والمستقبل. انظر: «الخزانة» ٩/ ٣٩، «شرح المفصل» ٧/ ١٢٥.

(٣) في (ج): (بخطف).

(٤) في (ب) (ازعاجها لهم).

(٥) ذكر هذا المعنى في «الوسيط» وقال: من تمام التمثيل ١/ ٥٢، وفي «الوجيز» ١/ ٦. قال ابن عطية: تكاد حجج القرآن وبراهينه وآياته الساطعة تبهرهم، ومن جعل (البرق) في المثل: الزجر والوعيد، قال: يكاد ذلك يصيبهم. «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٤، ونحوه في تفسير القرطبي» ١/ ١٩٢.

(٦) لم أجد هذه الرواية عن ابن عباس، وفي «الطبري» عن الضحاك عن ابن عباس. قال: يلتمع أبصارهم ولما يفعل ١/ ١٥٨، «وتفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٥٧، =

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾. ﴿أضاء﴾ هٰهنا إن كان متعديا فالمفعول محذوف، وكأنه قيل: كلما أضاء لهم الطريق، ويجوز أن يكون لازما بمعنى (ضاء)[١].

قال ابن عباس: يقول: إذا قرئ عليهم شيء من القرآن مما يحبون صدقوا، وإذا سمعوا شيئاً من شرائع النبي صلى الله عيه وسلم مما يكرهون وقفوا عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾[٢].

وقال قتادة: هو المنافق إذا كثر ماله وأصاب رخاء وعافية قال للمسلمين: أنا معكم وعلى دينكم، وإذا أصابته النوائب قام متحيرا؛ لأنه لا يحتسب أجرها[٣]. كأصحاب الصيب إذا أضاء لهم البرق فأبصروا الطريق مشوا، فإذا عادت الظلمة وقفوا متحيرين. ومثله قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج: ١١]. وقيل: شبه الغنيمة بالبرق، يقول[٤]: الطمع في الغنيمة يزعج قلوبهم، ﴿كلما أضاء لهم﴾: أي كثرت الغنائم

= «الدر» ١/ ٧٣، وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٥٧.

(١) انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٤، «وتفسير القرطبي» ١/ ١٩٣.

(٢) ذكره ابن الجوزي عن ابن عباس والسدي، «زاد المسير» ١/ ٤٦، وأبو حيان في «(البحر)» ١/ ٩١، وذكر ابن عطية عن ابن عباس نحوه ١/ ١٩٥، وكذا «القرطبي» ١/ ١٩٣.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٦أ، وأخرجه «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٥، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير ١/ ٧٢، وقد ورد نحوه عن ابن عباس. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٥٤، و «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٥٩، «الدر» ١/ ٧٢.

(٤) في (ب): (القول).

وأصابوا الخير، ﴿مشوا فيه﴾: أي رضوا به، ﴿وإذا[1] أظلم عليهم﴾: قلت[2] الغنيمة وكانت بدلها الهزيمة، (قاموا): اعتلوا وقعدوا عن نصرة الرسول[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾. خص هاتين الجارحتين لما تقدم ذكرهما في قوله: ﴿ءَاذَانِهِم﴾ و﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ فيقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ عقوبة لهم على نفاقهم، فليحذروا عاجل عقوبة الله وآجله، فإن الله على كل شيء قدير من ذلك[4].

وقيل: ولو شاء الله لذهب بأسماعهم الظاهرة، وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، حتى صاروا صُمًّا عُمْيًا[5].

وكان حمزة يسكت على الياء في ﴿شيء﴾[6] قبل الهمزة سكتة خفيفة، ثم يهمز[7]. وذلك[8] أنه أراد بتلك الوقيفة [في صورة لا يجوز فيها

---

(١) في (ب): (فإذا).

(٢) في (ب): (فله).

(٣) ذكر نحوه «الطبري»، إلا أنه قال: (جعل البرق لإيمانهم مثلا، وإنما أراد بذلك أنهم كلما أضاء لهم الإيمان، وإضاءته لهم: أن يروا ما يعجبهم في عاجل الدنيا....). «تفسير الطبري» ١/ ١٥٨، وانظر: «تفسير الخازن» ١/ ٧١، ٧٢، «البحر» ١/ ٩١.

(٤) ذكره «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٥٩، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٥.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٦ب، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠١، و«تفسير البغوي» ١/ ٧١.

(٦) من قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وكذلك يفعل بكل حرف سكن قبل الهمزة.

(٧) انظر: «السبعة» ص١٤٨، «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٩١، «الحجة» لابن خالويه ص٧٢، «الكشف» ١/ ٢٣٤، «التيسير» ص٦٢.

(٨) في (ب): (من ذلك).

معها إلا التحقيق لأن][1] الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها والمبتدأ بها لا يجوز تخفيفها[2].

٢١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ الآية. (يا) حرف ينادي به[3]، ولا تكاد تجد في كلام العرب حرفاً تألف مع اسم فكانا جملة كاملة سوى حرف النداء.

و(أي)[4] اسم مبهم مبني على الضم، لأنه منادى مفرد، و﴿الناس﴾ صفة لأي لازمة، تقول: يا أيها الرجل أقبل، ولا يجوز[5]: يا الرجل، لأن (يا) تنبيه بمنزلة التعريف في الرجل، فلا يجمع بين (يا) وبين الألف واللام[6]. و(ها) لازمة لأي[7]، وهي عوض من الإضافة في (أي) لأن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ج)، وفي (أ) أراد بتلك الوقيفة تحقيق الهمزة، قد صارت...، والعبارة غير واضحة، ونص كلام أبي علي في (الحجة) (أنه أراد بهذِه الوقيفة التي وقفها تحقيق الهمزة وتبيينها، فجعل الهمزة بهذِه الوقيفة التي وقفها قبلها على صورة لا يجوز فيها معها إلا التحقيق، لأن الهمزة قد صارت بالوقيفة مضارعة للمبتدأ بها....)، «الحجة» ١/ ٣٩١.

(٢) في (ب): (تحقيقها). الكلام لأبي علي كما في «الحجة» ١/ ٣٩١، ويريد حمزة بهذا أن يحقق الهمزة وينطق بها صحيحة، وبقية السبعة على عدم الوقف، لأنه لا يوقف على بعض الاسم دون الإتيان على آخره، ولذلك فالإعراب في آخر الاسم. انظر «الحجة» لابن خالويه ص٧٢.

(٣) قال أبو حيان: زعم بعضهم: أنها اسم فعل معناها (أنادي). «البحر» ١/ ٩٢، وانظر «الدر المصون» ١/ ١٨٤.

(٤) نقله من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٤.

(٥) في (أ)، (ج): (لا يجوز) بسقوط الواو.

(٦) انظر: «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٣.

(٧) في «المعاني» (للتنبيه) ١/ ٦٤.

الأصل في (أي) أن تكون[(١)] مضافة في الاستفهام والخبر. والمازني يجيز[(٢)] في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ولا يوافقه على هذا غيره[(٣)].

قال أبو إسحاق: وقوله قياس؛ لأن موضوع المنادى المفرد نصب، فحمل[(٤)] صفته على موضعه، وهذا في غير[(٥)] (يا أيها الرجل) جائز عند جميع النحويين، نحو قولك: (يا زيد الظريفُ والظريفَ)[(٦)] والنحويون غيره[(٧)] لا يقولون في هذا إلا الرفع، والعرب لغتها في هذا الرفع، لأن المنادي في الحقيقة (الرجل) و(أي) وصلة له[(٨)]. وذلك أنهم لما أرادوا نداء

---

(١) في (أ)، (ج): (يكون) وما في (ب) أصح للسياق.

(٢) في (أ)، (ج): (تخير) واخترت ما في (ب) لأنه أصح وموافق لما في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٤.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٤، وحذف الواحدي بعض كلام الزجاج ونص عبارة الزجاج: (وزعم سيبويه عن الخليل أن المنادي المفرد مبني، وصفته مرفوعة رفعاً صحيحاً لأن النداء يطرد في كل اسم مفرد، فلما كانت البنية مطردة في المفرد خاصة، شبه المرفوع فرفعت صفته، والمازني يجيز في (يا أيها الرجل) النصب في (الرجل) ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره). وانظر «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦٢ «الإملاء» ١/ ٢٣، قال العكبري -بعد أن ذكر قول المازني-: وهو ضعيف. وقد رد الزجاج نفسه هذا القول في موضوع آخر فقال: (فهذا مطروح مرذول). انظر «معاني القرآن»١/ ٢١١.

(٤) في «المعاني» (فحملت) وفي الهامش: (في الأصل) (فحمل) أي: المازني) «معاني القرآن» ١/ ٦٤.

(٥) في (ب): (غيره).

(٦) (الظريف) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (في غيره). والمعنى: النحويون غير المازني.

(٨) انتهى كلام الزجاج. «معاني القرآن» ١/ ٦٤، ٦٥، نقله بتصرف.

ما فيه لام التعريف، ولم يمكنهم أن يباشروه بـ (يا) لما فيها من التعريف والإشارة توصلوا إلى ذلك بإدخال (أي) بينهما فقالوا: يا أيها الرجل، والمقصود بالنداء هو الرجل، و(أي) وصلة له[1]. ولأن (أيا) وإن كان اسما منادى مفردا فهو ناقص، والنصب بالحمل على الموضوع إنما يجوز بعد تمام الاسم[2]. و﴿يا أيها الناس﴾ عموم في كل مكلف من مؤمن وكافر[3]. ويروى عن الحسن وعلقمة[4]. أن ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب أهل المدينة[5].

---

(١) (له) ساقطة من (ب).

(٢) وعليه فلا يجوز النصب (للناس) حملا على الموضع كما سبق، انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٤٧، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦٢، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٣، «البحر المحيط» ١/ ٩٤، «الدر المصون» ١/ ١٨٥.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٦٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٥ب، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠١.

(٤) الإمام الحافظ، أبو شبل، علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، لازم ابن مسعود حتى رأس في العلم، وحدث عن عدد من الصحابة، اختلف في سنة وفاته. فقيل سنة إحدى وستين وقيل: خمس وستين، وقيل: غير ذلك. انظر «تاريخ بغداد» ١٣/ ٢٩٦، «حلية الأولياء» ٢/ ٦٨، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٣.

(٥) أخرجه الواحدي بسنده في كتابه «أسباب نزول القرآن» عن علقمة، ص٢٦، وذكره في (الوسيط) ١/ ٥٣، وذكره السيوطي في «الدر» وغزاه لأبي عبيد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن الضريس وابن المنذر، وأبي الشيخ ابن حيان في «التفسير». وورد في «الدر» نحوه عن ابن مسعود، والضحاك، وميمون بن مهران، وعروة وعكرمة. «الدر» ١/ ٧٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» عن ابن عباس ١/ ٥٦، وابن عطية عن مجاهد، وقال: وقد يجيء في المدني ﴿يا أيها الناس﴾ وأما ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فصحيح. «تفسير ابن عطية» ١/ ١٧٩، ونحوه قال «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٩٤، وانظر «البرهان» ١/ ١٨٩-١٩٠.

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي اخضعوا له بالطاعة، ولا يجوز ذلك إلا لمالك الأعيان[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾. (الخلق): ابتداع شيء لم يسبق إليه[٢]. وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه[٣]. والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدرته[٤]. لتقطع منه مزادة أو قِرْبةً أو خُفًّا[٥]. قال زهير:

وَلأَنْتَ تَفْرِي[٦] ما خَلَقْتَ وَبَعْـ ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْري[٧]

وقيل للمقدر: خالق على الاستعارة لا على استحقاق اسم الخلق، وذلك أن المقدر إنما يقدر ليفعل، فسمى الفعل باسم التقدير، كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان معه أو من سببه، فالخلق الحقيقي هو خلق الله الذي ابتدع ما خلق وأنشأ ما أراد على غير مثال، وخلق غيره [قياس وتشبيه وافتراء ومحاكاة وتقدير على قدر قدرة غيره، فخلق الله ذاتي وخلق

---

(١) انظر: «الطبري» ١/ ١٦٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٧، «تفسير القرطبي» ١/ ١٩٤.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (خلق) ١/ ١٠٩٣.

(٣) انظر: كتاب «الزينة» ٢/ ٥٢، «معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» ١/ ١٠١، ١٠٢، (رسالة ماجستير).

(٤) في (ب): (قدته).

(٥) «تهذيب اللغة» (خلق)، ١/ ١٠٩٣.

(٦) في (ب): (تقوى).

(٧) في (ب): (لا يقوى). ورد البيت في «الكتاب» ٤/ ١٨٥، «الزاهر» ١/ ١٨٤، «الجمهرة» ٢/ ٢٤٠، «تفسير أسماء الله» للزجاج ص٣٦، «اشتقاق أسماء الله» ص١٦٦، «إعراب ثلاثين سورة» ص٤٥، «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٢٩٢، «تأويل مشكل القرآن» ص٥٠٧، «تهذيب اللغة» (خلق) ١/ ١٠٩٣، «معجم مقاييس اللغة» (خلق) ٢/ ٢١٤، (فرى) ٤/ ٤٩٧، «البحر» ١/ ٩٣، «القرطبي» ١/ ١٩٥، «ديوان زهير» ص٩٤. ومعناه: أنت مضاء العزيمة، وغيرك ليس بماضي العزم.

غيره][1] على سبيل الاستعارة والتقدير[2].

ومعنى الآية: أن الله تعالى احتج على العرب بأنه خالقهم وخالق من قبلهم، لأنهم كانوا مُقِرّين بأنه خالقهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فقيل لهم: إذ[3] كنتم معترفين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام، فإن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوقين من الأصنام[4].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. قال ابن الأنباري: (لعل) يكون[5]: ترجياً، ويكون بمعنى: (كي)، ويكون: ظناً كقولك: لعلي أحج العام، معناه: أظنني سأحج[6].

وقال يونس[7]: (لعل) يأتي في كلام العرب بمعنى: (كي)، من

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٢) انظر: كتاب «الزينة» ٢/ ٥٢، ٥٣، «معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» ١/ ١٠١، ١٠٢، «تفسير أسماء الله» للزجاج ص٣٥، «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٦٦، «معجم مقاييس اللغة» (خلق) ٢/ ٢١٤، «الجمهرة» (خ ق ل) ١/ ٦١٩، «تهذيب اللغة»، خلق ١/ ١٠٩٣، «مفردات الراغب» ص١٥٧.

(٣) كذا وردت في جميع النسخ، ولعلها (إذا).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٠، «القرطبي» ١/ ١٩٥.

(٥) في (ب): (تكون) في المواضع الثلاثة.

(٦) ذكره الأزهري حيث قال: (وأثبت عن ابن الأنباري...) ثم ذكر لها خمسة وجوه، ذكر الواحدي منها ثلاثة، والرابع: بمعنى: (عسى)، والخامس: بمعنى: (الاستفهام)، «تهذيب اللغة» (عل) ٣/ ٢٥٥٣.

(٧) ذكره الأزهري بسنده قال: (أخبرني المنذري عن الحسين بن فهم أن محمد بن سلام أخبره عن يونس..)، «تهذيب اللغة» (عل) ٣/ ٢٥٥٣. ويونس: هو يونس بن حبيب أو عبد الرحمن الضبي بالولاء، كان النحو يغلب عليه، أخذ عن أبي عمرو بن=

ذلك[١] قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢] و﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٣] ويقول[٤]: (أعرني دابتك لعلي أركبها) بمعنى (كي).

قال[٥]: وتقول[٦]: انطلق بنا لعلنا نتحدث، أي: كي نتحدث[٧]. ومثل هذا قال قطرب في (لعل)[٨].

وقال سيبويه: (لعل) كلمة ترجية وتطميع للمخاطبين[٩]. أي كونوا على رجاء وطمع أن تتقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تحل بكم[١٠]، كما قال

= العلاء وحماد بن سلمة، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ص٥١، «إنباه الرواة» ٤/ ٦٨، «وفيات الأعيان» ٧/ ٢٤٤، «معجم الأدباء» ٢/ ٦٤.

(١) في (ب): (من قولك).

(٢) الآية: ٢١، ٦٣، ١٧٩، ١٨٣ من سورة البقرة، و ١٧١ من سورة الأعراف. وفي «تهذيب اللغة» (لعلهم يتقون).

(٣) (لعلهم يذكرون) جزء من آية في الأعراف: ٢٦، ١٣٠، وفي الأنفال: ٥٧. وفي (ب): (لعلكم تذكرون) وكذا في «تهذيب اللغة»، وهي جزء من آية في الأنعام: ١٥٢، والأعراف: ٥٧ والنحل: ٩٠، والنور: ١، ٢٧، والذاريات ٤٩.

(٤) كذا وردت في (أ)، (ج)، وفي (ب) بدون نقط، وفي «تهذيب اللغة» (كقولك) والأولى (تقول).

(٥) (قال) ساقط من (ب).

(٦) في (أ)، (ج): (ويقول) وأثبت ما في (ب).

(٧) آخر ما نقله الواحدي من كلام يونس، وانظر بقية كلامه في «تهذيب اللغة» (عل) ٣/ ٢٥٥٣، وانظر معاني (لعل) في «الأزهية في علم الحروف» للهوري ص٢١٧، «مغني اللبيب» ١/ ٢٨٧.

(٨) قال أبو حيان لا تكون بمعنى (كي) خلافا لقطرب وابن كيسان. «(البحر») ١/ ٩٣.

(٩) في «الكتاب»: فإذا قلت: (لعل) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهابه ٢/ ١٤٨، وقال: (لعل وعسى طمع واشفاق) ٤/ ٢٣٣. وانظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٦ب.

(١٠) فتكون لعل على بابها للترجي، كما هو رأي سيبويه، وبعض المفسرين يقول: إذا=

في قصة فرعون ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] كأنه قال: اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما[١]، والله ﷻ من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمره.

٢٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: (الأرض): التي عليها الناس، وجمعها: (أَرَضُون)[٢] و(أَرَضَات)[٣]، وحكي: (أُرُوض)[٤]. فإن قيل: الجمع بالواو والنون [إنما هو لأسماء الأعلام، فما بالهم جمعوا الأرض بالواو والنون؟][٥]. قيل: إن الأرض اسم مؤنث،

= جاءت من الله فهي واجبة. انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٦ب، «وتفسير ابن عطية» ١/ ١٧٩، قال السمين الحلبي: إذا وردت في كلام الله فللناس فيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها على بابها من الترجي والطمع، قاله سيبويه، الثاني: للتعليل، قاله قطرب و«الطبري» وغيرهما، والثالث: أنها للتعرض للشيء، وإليه مال المهدوي وأبو البقاء. «الدر المصون» ١/ ١٨٩، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ١٦١، (الإملاء) ١/ ٢٣.

(١) ذكره «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ١٩٥، وذكر ابن هشام في «مغني اللبيب»: أن بعضهم جعل من معاني " لعل" التعليل كالأخفش والكسائي، وحملوا عليه قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ومن لم يثبت لها معنى " التعليل " يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين، أي: اذهبا على رجائكما، ١/ ٢٨٨.

(٢) كذا ورد عند سيبويه، انظر «الكتاب» ٣/ ٥٩٩، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص١٨٨، «تهذيب اللغة» (أرض) ١/ ١٤٨، وقال ابن سيده في «المخصص»: عن أبي حنيفة: (أرض) و(أَرْضُون) بالتخفيف و(أَرَضُون) بالتثقيل، (المخصص) ١٠/ ٦٧.

(٣) ذكره سيبويه وغيره، انظر «الكتاب» ٣/ ٥٩٩، قال ابن الأنباري (يجوز في القياس: أرضات ولم يسمع) «المذكر والمؤنث» ص١٨٨.

(٤) جمع تكسير، انظر «المخصص» ١٠/ ٦٧، «تهذيب اللغة» (أرض) ١/ ١٤٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وقد نقل الواحدي هذا السؤال والإجابة عنه من كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح ابن جني ٢/ ٦١٣.

وقد كان القياس في كل اسم مؤنث أن يقع فيه الفرق بينه وبين المذكر نحو: قائم وقائمة، وطريف وطريفة، وغير ذلك. فأما ما تركت[1] فيه العلامة من المؤنث، فإنما ذلك اختصار لحقه، لاعتمادهم في الدلالة على تأنيثه على ما يليه من الكلام قبله وبعده، نحو: (هذه مِلْحٌ[2] طيبة)، و(كانت لهم عرس مباركة)، فلما كان الأمر في المذكر والمؤنث على ما ذكرنا، وكانت (الأرض) مؤنثة، وكأنّ فيها (هاء) مرادة، وكأنّ تقديرها: (أَرْضَة) فلما حذفت (الهاء) التي كان القياس يوجبها، عوضوا منها الجمع بالواو والنون. فقالوا: (أَرَضُون)[3]. وإذا أدخل شيء مما[4] ليس مذكراً عاقلًا في هذا النوع من الجمع، فهو حظ ناله، وفضيلة خص بها[5]، ولهذا نظائر كالسنين وعضين، ونذكرها في مواضعها إن شاء الله.

وفتحوا (الراء)[6] في (أَرَضِين) ليدخل الكلمة ضرب من التكسير، استيحاشا من أن يوفوه لفظ التصحيح من جميع الوجوه، ومعنى التصحيح هو أنهم إنما جمعوا بالواو و النون الأسماء التي هم بها معنيون، ولتصحيح ألفاظها لفرط اهتمامهم بها مؤثرون، كيلا يقع في واحده إشكال، ألا ترى

---

(١) في (ب): (تركب).

(٢) في (أ)، (ج): (صلح) وفي «سر صناعة الإعراب» (ريح) وفي الحاشية قال: في (ل) و(ش): (ملح)، ٢/ ٦١٤. وهذا يوافق ما في (ب).

(٣) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦١٤، وانظر: «الكتاب» ٣/ ٥٩٩ «المخصص»١٠/ ٦٧، ٦٨ و١٧/ ٤ «اللسان» (أرض) ١/ ٦١.

(٤) في (ب): (ما).

(٥) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣.

(٦) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦١٤، وقال بعضهم: ربما سكنت فقيل: (أرضون)، انظر «الصحاح» (أرض) ٣/ ١٠٦٣، «المخصص»١٠/ ٦٧.

أن[1] مثال جمع التصحيح لا يعترض الشك في واحده[2]. فإن قيل: إنما يعوض من المحذوف إذا كان أصلا، فكيف جاز التعويض من الزائد، و(هاء التأنيث) زائدة؟ قيل: إن العرب قد [أجرت][3] (هاء التأنيث) مجرى[4] لام الفعل في أماكن[5]، منها أنّهم قالوا: (عَرْقُوة)[6]، و(تَرْقُوَة)[7]، فصححوا الواو، فلولا أن (الهاء) في هذه الحال في تقدير الاتصال والحرف الأصلي لوجب أن تقلب[8] (الواو)، لأنها كانت تقدر

---

(١) في (ب): (أن من مثال).

(٢) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٩٨-٦٠٠، «المخصص» ١٠/ ٦٨، ١٧/ ٤، «الصحاح» (أرض) ٣/ ١٠٦٣، «اللسان» (أرض) ١/ ٦١.

(٣) في (أ)، (ج): (أحرها) وفي (ب): (أخرت) والصحيح ما أثبت كما في «سر صناعة الإعراب»، ٢/ ٦١٤.

(٤) في (ب): (لا مجرى).

(٥) اختصر الواحدي كلام أبي الفتح وترك بعض الوجوه، قال أبو الفتح: (فالجواب: أن العرب قد أجرت (هاء التأنيث) مجرى لام الفعل في أماكن: منها: أنهم حقروا ما كان من المؤنث على أربعة أحرف، نحو: (عقرب) و(عناق)... وذلك قولهم: (عقيرب).... ومنها: أنهم قد عاقبوا بين هاء التأنيث وبين اللام، وذلك نحو قولهم: (بُرَّة وبُراً) و(لُفَة ولُفَى)...). ومنها: أن الهاء وإن كانت أبدا في تقدير الانفصال فإن العرب قد أحلتها -أيضا- محل (اللام) وما هو الأصل أو جار مجرى الأصل وذلك نحو قولهم: (ترقوة)، و(عرقوة)...، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦١٤-٦١٦، وذكر الواحدي في جوابة على السؤال الوجه الأخير فقط.

(٦) (الْعَرْقُوة) خشبة معروضة على الدلو. انظر «اللسان» (عرق) ٥/ ٢٩٠٨.

(٧) (ترقوة) ساقط من (ب). والترقوة واحدة الترقوتان، وهما العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق، تكون للناس وغيرهم، ولا يقال (ترقوة) بالضم. انظر «اللسان» (ترق) ١٠/ ٣٢.

(٨) في (أ)، (ج): (يقلب) وما في (ب) موافق لـ «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦١٦.

طرفا[١]، وتقلب[٢] (ياء) كما تقلب في نحو: (أَحْقٍ) جمع (حَقْو)[٣] و(أَدْلٍ)[٤] و[(أَجْرٍ)[٥]]. فـ (الهاء) هٰهنا كالراء[٦] في (منصور)، والطاء في (عَضْرَفُوطْ)[٧] لتصحيح[٨] الواو قبلها.

وقوله تعالى: ﴿فِرَٰشًا﴾ الأرض فراش الأنام على معنى أنها فرشت لهم، أي[٩]: بسطت، وهذا كقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩﴾ [نوح: ١٩] والمعنى أنه لم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن[١٠] الاستقرار

---

(١) في (ج): (حرفا).

(٢) (وتقلب) ساقط من (ج).

(٣) (الحَقْوُ) بفتح الحاء وكسرها: الكشح، ومعقد الأزار، والخصر والجمع (أَحْقٍ) و(أَحْقَاء) و(حِقِيٌّ) و(حقا). انظر: «اللسان» (حقا) ص٩٤٨.

(٤) جمع (دلو)، انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/٦١٦.

(٥) في جميع النسخ (أحر) بالحاء، والتصحيح من «سر صناعة الإعراب» ٢/٦١٦، و(أَجْرٍ): جمع جرو وهو الصغير من كل شيء. انظر «اللسان» (جراً) ١/٦٠٩.

(٦) أي كما صحت (الواو) قبل (الهاء) في (تَرْقُوة) و(عَرْقُوة) لأنها في تقدير الاتصال، وأجروها مجرى (الراء) و(الطاء) في (منصور) و(عضرفوط) فصحت الواو قبل الراء والطاء، فكما جاز أن تشبه (هاء التأنيث) في هذا باللام الأصلية، جاز أن تجرى الهاء المقدرة في أرض مجرى اللام الأصلية، فيعوض من حذفها في (أرض) أن يجمع بالواو والنون في (أرضون). «سر صناعة الإعراب» ٢/٦١٦.

(٧) (الْعَضْرَفُوط) دويبة بيضاء ناعمة، أو ذكر العظاء. انظر «اللسان» (عضرط) ٥/ ٢٩٨٦.

(٨) في (أ)، (ج): (التصحيح) وعبارة أبي الفتح: (... وقد أجروا (الهاء) في (ترقوة)... مجرى (الراء) في (منصور) و(الطاء) في (عضرفوط) فصحت (الواو) قبلها كما صحت قبل الراء والطاء...)، «سر صناعة الإعراب» ٢/٦١٦.

(٩) في (ب): (لهم أنبسطت).

(١٠) في (أ): (لم يكن) وفي (ب): (ولا يمكن).

عليها[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾. الأزهري: أصل الماء (مَاهَ) بوزن (قَاه)[٢]، [فثقلت][٣] (الهاء) مع الساكن قبلها، فقلبوا الهاء مدة فقالوا: ماء[٤].

قال الليث: والمدة في (الماء) خَلَفٌ[٥] من (هاء) محذوفة، ويدل على أن الأصل في الماء (الهاء): التصغير، والتصريف، والجمع، فالتصغير (مُوَيْه)[٦] ويقال: هذه مُوَيْهَة عذبة[٧].

وقال[٨] الأصمعي: مَاهَت البئر، وهي تَمَاه [وتَمُوه مَوْهاً إذا كثر ماؤها[٩].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/١٦١- ١٦٢، «تفسير ابن عطية» ١/١٩٨، «تفسير القرطبي» ١/١٩٧.

(٢) في (أ)، (ج) (فاة)، وفي «تهذيب اللغة» (تاه) ١/٤٢٣، وفي «اللسان» (قاه) «اللسان» (موه) ٧/٤٣٠٢. وهو موافق لما في (ب) وهو ما أثبته.

(٣) في (أ)، (ب)، (ج) (فنقلت) وصححت العبارة على ما في «تهذيب اللغة» (الماء) ١٥/٦٤٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (الماء) ٤/ ٣٣٢٠، وانظر «الصحاح» (موه) ٤/ ٢٢٥٠، «اللسان» (موه) ٧/ ٤٣٠٢ (المنصف) ٤/ ٣٣٢٠.

(٥) في (ب) (خلف خلف هاء).

(٦) انتهى كلام الليث نقله الواحدي بمعناه. انظر «تهذيب اللغة» ١٥/٦٤٨، وانظر «الصحاح» ٦/ ٢٢٥٠، «اللسان» ١٣/ ٥٤٣.

(٧) من كلام الأزهري، انظر «تهذيب اللغة» ١٥/٦٤٨.

(٨) في (ب): (قال) سقطت الواو.

(٩) في «تهذيب اللغة»: (قال الأصمعي: ماهت البئر تَمُوه وتَمَاه موها إذا كثر ماؤها)، «تهذيب اللغة» (ماه) ٤/ ٣٣٣١، وانظر «الصحاح» (موه) ٦/ ٢٢٥٠، «اللسان» (موه) ٧/ ٤٣٠٢.

ابن بزرج[١]: مَوَّهَت السماء، أي: سالت[٢] ماءً كثيرًا. ومَاهَت البئر][٣]، وأماهت في كثرة مائها، وهي تَمَاه وتَمُوه. ويقولون في حفر البئر: أَمْهَى وأَمَاه[٤].

قال الليث: وأماهت الأرض إذا ظهر فيها النَّزُّ[٥]. والنسبة إلى الماء (ماهِيٌّ)[٦]، وغيره[٧] يقول: مَائِيٌّ[٨]. وجمع الماء: (مياه) و(أمواه)[٩]، قال الشاعر:

سَقَى اللهُ أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانها جُرَاباً ومَلْكُوماً وبَذَّرَ والْغَمْرَا[١٠]

---

(١) هو عبد الرحمن بن بزرج اللغوي، كان حافظا للغريب والنوادر، نقل عنه الأزهري في «تهذيب اللغة». انظر مقدمة «تهذيب اللغة»، «إنباه الرواة» ٢/ ١٦١.

(٢) في «التهذيب» و «اللسان»: (أسالت).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ج).

(٤) «تهذيب اللغة» (ماه) ٤/ ٣٣٣١، «اللسان» (موه) ٧/ ٤٣٠٢.

(٥) «تهذيب اللغة» (ماه)، ٤/ ٣٣٣١ وانظر «الصحاح» (موه) ٦/ ٢٢٥٠، «اللسان» (موه) ٧/ ٤٣٠٢.

(٦) نسب الواحدي الكلام لليث، وهو في «التهذيب» إما من كلام ابن الأعرابي أو من كلام الأزهري. انظر: «تهذيب اللغة» (ماه) ص٣٣٣، «اللسان» (موه) ٧/ ٤٣٠٢.

(٧) أي: عند غير الليث.

(٨) في (ب) (ما هي). قال الجوهري: والنسبة للماء: (مَائِيٌّ) وإن شئت (مَاوِيٌّ) عند قول من يقول (عَطَاوِيٌّ)، «الصحاح» ٦/ ٢٢٥١، «اللسان» ٧/ ٤٣٠٢.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» (ماه) ٤/ ٣٣٣١، قال الجوهري: بجمع على (أمواه) في القلة، و(مياه) في الكثرة. «الصحاح» ٦/ ٢٢٥٠، وذكره في «اللسان» وقال: وحكى ابن جني في جمعه (أمواء) ٧/ ٤٣٠٢.

(١٠) البيت لكثير عزة ورد في (ديوانه) مع أبيات مفردة ص٥٠٣، وأورده عبد السلام هارون في حاشية «الكتاب»، لأنه ورد في بعض نسخ «الكتاب»، ولم يرد في الأصل. انظر «الكتاب» ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨، «المنصف» ٣/ ١٥٠، ٣/ ١٢١، «شرح=

فإن قيل: كيف قال: ﴿وأنزل من السماء﴾، والماء ينزل من السحاب؟ قيل: هذا من باب حذف المضاف، والتقدير: من نحو السماء[١]، كقول الشاعر:

أَمِنْكِ بَرْقٌ أَبِيتُ[٢] اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ كَأَنَّه في عِرَاضِ الشَّأْمِ مِصْباحُ[٣]

أي: من نَاحِيَتِك، ومثله كثير. وإن جعلت السماء بمعنى (السحاب)[٤] لم يكن من باب حذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾. الثمرات: جمع (الثمرة) وهي حمل الشجرة[٥] في الأصل، ثم صارت اسمًا لكل[٦] ما ينتفع به، مما هو زيادة على أصل المال[٧].

= المفصل» ١/ ٦١، «الخزانة» ٢/ ٣٥٥، «السيرة» لابن هشام ١/ ١٥٩. جراباً وما بعده: أسماء أماكن، ذكر ياقوت جرابا وقال: اسم ماء وقيل: بئر قديمة بمكة، وأورد بيت كثير. (معجم البلدان) ٢/ ١١٦، وذكر (مَلْكُوما) وقال: اسم ماء بمكة، وأورد البيت ٥/ ١٩٤، وذكر (بَذَّر) وقال: اسم بئر بمكة لبني عبد الدار، وأورد البيت ١/ ٣٦١، و(الغمر) بئر قديمة بمكة. «معجم البلدان» ٤/ ٢١١.

(١) ذكره في «الوسيط»، ١/ ٥٥، وانظر: «تفسير أبي السعود» ١/ ٦١.

(٢) في (ب): (أريك).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، قوله: (أمنك برق) أي: من نحو منزلك، من الشق الذي أنت به، (عراض الشأم) نواحيها. انظر «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ١٦٧، «شرح الأبيات المشكلة الإعراب» الفارسي ص٣٦٤.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٦ب، «تفسير ابن عطية» ١٩٩، «تفسير البيضاوي» ١/ ١٤، والخازن ١/ ٧٦، «تفسير أبي السعود» ١/ ٦١، «الفتوحات الإلهية» ١/ ٢٦.

(٥) ذكره الأزهري عن الليث وغيره، «تهذيب اللغة» (ثمر) ١/ ٤٩٧.

(٦) في (ج): (اسما لما ينتفع به).

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط»، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٩.

يقال: لبن مُثْمِر[١] إذا ظهر زبده[٢]، وقال النضر[٣]: هو [الثَّمِير][٤]، وذلك إذا [مُخِض][٥] اللبن فرئي عليه أمثال الحَصَف في الجلد ثم يجتمع فيصير زبداً. وقد ثَمَّر السقاء وأَثْمَر. وإن لبنك لحسن الثَّمَر[٦]. ويقال: ثمر الله مالك، وعقل مثمر، إذا كان يهدي صاحبه إلى الرشد[٧]. فالثمرة تستعمل فيما ينتفع به ويستمتع مما هو فرع لأصل[٨].

قال المفسرون في معنى الثمرات في هذه الآية: أراد جميع ما ينتفع به مما يخرج من الأرض[٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾. روى شمر عن الأخفش قال: (الند) الضد والشبه. أي: لا تجعلوا[١٠] لله أضدادا وأشباها، وفلان نِدُّ فلان ونَدِيدُه ونَدِيدَتُه أي: مثله وشبهه[١١].

---

(١) في (ب): (مثمراً).

(٢) ذكر الأزهري نحوه عن الأصمعي «تهذيب اللغة» (ثمر) ١/ ٤٩٧، وانظر: «اللسان» (ثمر) ١/ ٥٠٣.

(٣) في (أ)، (ج): (النصر) والمراد النضر بن شميل.

(٤) في (أ)، (ج): (التميز)، وفي (ب): (التمييز) والصحيح (الثمير) كما في «تهذيب اللغة» (ثمر) ١/ ٤٩٧.

(٥) في (أ)، (ج): (محص) وفي (ب): (محض)، و(مخض) في «التهذيب».

(٦) انظر كلام النضر في «تهذيب اللغة» (ثمر) ١/ ٤٩٧. وانظر: «الصحاح» (ثمر) ٢/ ٦٠٦، «اللسان» (ثمر) ٤/ ١٠٨.

(٧) «تهذيب اللغة» (ثمر) ١/ ٤٩٧.

(٨) قال ابن فارس: (الثاء والميم والراء أصل واحد)، وهو شيء يتولد عن شيء متجمعا، ثم يحمل عليه غيره استعارة، «مقاييس اللغة» (ثمر) ١/ ٣٨٨.

(٩) انظر «الطبري» ١/ ١٦٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٩، «تفسير القرطبي» ١/ ١٩٨.

(١٠) في (ب): (جعلوا).

(١١) في (ب): (شبهه).

وأنشد للبيد[١]:

لِكَيْمَا[٢] يكُون السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
فَأَشْتمَ[٣] أقْوَاماً عُمُوماً[٤] عَمَاعِمَا[٥]

وقال أبو الهيثم: يقال للرجل إذا خالفك فأردت وجها تذهب فيه ونازعك في ضده، فأراد بخلاف الوجه الذي تريد، وهو مستقل من ذلك مثل ما [تستقل][٦] به: فلان نِدِّي ونَدِيدِي. قال حسان:

أتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ[٧]

---

(١) في (ب): (وقال لبيد).

(٢) في (ب): (لكي لا يكون) وهي رواية في البيت.

(٣) في (ب): (فاستمر)، وفي «تهذيب اللغة» (واجعل) وفي حاشيته: في (د)، (ج) (أشتم) ٤/ ٣٥٤٠.

(٤) في (ب): (عمواما).

(٥) البيت من قصيدة قالها لما دعاه عامر بن الطفيل لينافر علقمة بن علاثة، و(السندري): شاعر معروف وهو ابن عيساء، ينسب لأمه، (العموم): جمع العم، و(العماعم): الجماعات. انظر «شرح ديوان لبيد» ص٢٨٦ «تهذيب اللغة» (ند) ٤/ ٣٥٤٠، «الصحاح» (ندد) ٢/ ٥٤٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٤، «الأضداد» أبي حاتم ص٧٤ «اللسان» (ندد) ٣/ ٤٢٠ «مقاييس اللغة» (ند) ٥/ ٣٥٥، «تفسير القرطبي» ١/ ١٩٩. وكلام الأخفش في «تهذيب اللغة» (ند) ٤/ ٣٥٤٠ نقله الواحدي بتصرف، وانظر «اللسان» (ندد) ٧/ ٣٤٨٢.

(٦) في جميع النسخ (يستقل) وفي «تهذيب اللغة» (تستقل) وهو الصواب، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٠.

(٧) البيت من قصيدة يهجو بها سفيان بن الحارث قبل فتح مكة، انظر «ديوانه» ص٧٦، «تهذيب اللغة» (ند) ٤/ ٣٥٤٠ «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٤، «الأضداد» لأبي حاتم ص٧٤، «مجاز القرآن» ص٣٤، «تفسير الطبري» ١/ ١٠٦٣ «تفسير القرطبي» ١/ ١٩٨، «اللسان» (ندد) ٧/ ٣٤٨٢.

أي لست له بمثل في شيء من معانيه[(١)]. فحقيقة (النِّد) المثل المناوئ، وأصله من قولهم: (ندّ) إذا نفر، ولهذا يقال للضد: ند، ثم استعمل في المثل وإن لم يكن هناك مخالفة[(٢)]. قال جرير:

أَتَيْماً يَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدّاً   وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدُ[(٣)]

أي مثل. قال ابن عباس، والسدي فيما ذكره عن ابن مسعود: معناه لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال [تطيعونهم][(٤)] في معصية الله[(٥)].

وقال ابن زيد: الأنداد الآلهة[(٦)] التي جعلوها معه[(٧)].

وقال أبو إسحاق: هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأن الله خالقهم، فقيل

---

(١) انتهى ما نقله عن أبي الهيثم. انظر: «تهذيب اللغة» (ندد) ٤/ ٣٥٤٠، «اللسان» ٧/ ٣٤٨٢.

(٢) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٤، «مجاز القرآن» ص٣٤، «الأضداد» للصاغاني ص٢٤٦، قال أبو حاتم: (زعم قوم أن بعض العرب يجعل (الضد) مثل (الند) ويقول: هو يضادني، ولا أعرف أنا ذلك..) (الأضداد) لأبي حاتم السجستاني ص٧٥.

(٣) قاله يهجو تيما.
انظر: «ديوان جرير» ص١٢٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٤، «الأضداد» لأبي حاتم ص٧٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٦، «ومجالس العلماء» للزجاجي ص١١٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٦ب

(٤) في (أ)، (ج): (يطيعونهم)، وفي (ب): (تضيعونهم).

(٥) أخرجه «الطبري» بسنده عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، «تفسير الطبري» ١/ ١٦٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٥ب، وانظر: «الدر المنثور» ١/ ٧٦.

(٦) في (ب): (الآله).

(٧) أخرجه «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٦٣، «زاد المسير» ١/ ٤٩، والمراد عموم الأنداد والشركاء مع الله من الرجال أو الحجارة أو غير ذلك.

لهم: لا تجعلوا لله[١] أمثالًا وأنتم تعلمون [أنهم لا يخلقون والله الخالق[٢].

قال ابن[٣] الأنباري: قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾][٤] لا تتنافى مع قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] لأن هذا العلم الذي وصفهم به في هذه الآية لا يزيل عنهم الجهل؛ لأنه أراد: وأنتم تعلمون أن الأنداد التي تعبدونها لم ترفع لكم السماء ولم تمهد تحتكم[٥] الأرض، ولم ترزقكم رزقا. فعبدة الأصنام وغيرهم يتساوى علمهم في هذا المعنى، وإنما وصفهم الله جل ذكره بهذا العلم لتتأكد الحجة عليهم إذا اشتغلوا[٦] بشيء[٧] يعلمون[٨] أن الحق في سواه[٩].

٢٣- وقوله[١٠] تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ الآية. قال النحويون: (إن) دخلت هاهنا لغير شك، لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا عادة العرب في خطابهم، كقولك: (إن كنت إنساناً فافعل كذا)، وأنت تعلم أنه إنسان، و(إن كنت ابني فاعطف علي) فالله تعالى خاطبهم على عادة

(١) (لله) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٥.

(٣) (ابن) ساقط من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (لكم).

(٦) في (ب): (اشغلوا).

(٧) في (ج): (في شيء).

(٨) في (ب): (يعلموا).

(٩) نحو هذا المعنى ذكر «الطبري» عن ابن عباس وقتادة، ورجحه. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٣.
وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٩، «زاد المسير» ١/ ٤٩.

(١٠) في (ج): (قوله) بسقوط الواو.

خطابهم فيما بينهم[(١)].

وقيل: هو بمعنى (إذ)[(٢)] قال أبو زيد: وتجيء[(٣)] (إن) بمعنى (إذ) نحو قوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٧٨]، وقوله ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ونحوهما[(٤)].

قال الأعشى:

وسمعتَ حَلْفَتَها التي حلفتْ   إن كان سمعُك غيرَ ذي وَقْرِ[(٥)]

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾. زعم أبو عبيدة أن (السورة)[(٦)] مشتقة

---

(١) ذكر ابن الجوزي نحوه، فربما نقله عن الواحدي، وربما نقله عن ابن الأنباري وهو الأقرب، حيث إنه كثيراً ما ينقل عنه، فيكون من كلام ابن الأنباري، انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٩.

(٢) ذكره الثعلبي مع الأدلة من الآيات وبيت الأعشى. «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٧أ، وانظر: «تهذيب اللغة» (إن) ١/ ٢٢٤.

(٣) في (أ)، (ج) (يجيء)، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق وموافق لما في «تهذيب اللغة».

(٤) قول أبي زيد في «تهذيب اللغة»، (إن) ١/ ٢٢٤، وانظر: «زاد المسير» ١/ ٤٩، «الدر المصون» ١/ ١٩٧.
والقول: إنَّ (إنْ) تأتي بمعنى (إذ) قول الكوفيين، أما البصريون فمنعوا مجيئها بمعنى (إذ). انظر: «الإنصاف» ص٥٠.

(٥) البيت عند الثعلبي ١/ ٥٧أ، «الوسيط» للواحدي ١/ ٥٧ منسوب للأعشى، ولم أجده في (ديوانه)، وهو في «الإنصاف» ص٥٠٢. غير منسوب، وذكره عبد السلام هارون في «معجم الشواهد العربية» ص ١٨٧، ولم ينسبه.
(الحلفة): واحدة الحلف وهو القسم.
(الوقر): ثقل السمع.
والشاهد فيه عند الواحدي، وعند الكوفيين ورود (إنْ) بمعنى (إذ).

(٦) في (ج): (للسورة).

من سورة البناء، وأن السورة عرق من عروق[١] الحائط، ويجمع سُوَراً وكذلك (الصورة)[٢] تجمع (صوراً). واحتج بقوله:

سِرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّور[٣]

وأقرأني العروضي، قال: أقرأني الأزهري، قال[٤]: أخبرني المنذري، عن أبي الهيثم أنه رد على أبي عبيدة قوله، وقال: إنما يجمع[٥] (فُعْلَة) على (فُعْل)؛ بسكون العين، إذا سبق الجمعَ الواحدُ، مثل: صوفة وصوف، وسورة البناء وسورٌ[٦]، والسور جمع سبق وحدانه[٧]، قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد:١٣].

والسُّور عند العرب حائط المدينة، وهو أشرف الحيطان، وشبه الله

---

(١) في «تهذيب اللغة» (أعراق) ٢/ ١٥٩٣. وكذا «اللسان» ٤/ ٢١٤٧.

(٢) في (ج): (وكذلك قوله الصورة).

(٣) الرجز للعجاج، ورد في «المجاز» لأبي عبيدة ١/ ٥، وقبله:

فرب ذي سرادق محور

«ديوان العجاج»: ص٢٢٤. رقم القصيدة (١٩)، وفي «الكتاب» ٤/ ٥١، «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦، «تفسير الطبري» ١/ ٤٦، «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٢، «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٧، «الزاهر» ١/ ٥٢٦. والسرادق: ما أحاط بالشيء من بناء أو خباء أو غيره، وسرت: من سار الحائط يسوره وتسوره، أي: تسلق. وكلام أبي عبيدة بنصه في «التهذيب» «سار» ٢/ ١٥٩٣. وانظر «مجاز القرآن» ١/ ٣، ٤، ٤٣، «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٧. (الزاهر) ١/ ١٧٠. «تفسير ابن عطية» ١/ ٧٠.

(٤) في «تهذيب اللغة»: وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم: أنه رد على أبي عبيدة قوله...الخ كلام أبي الهيثم.

«التهذيب» (سار) ٢/ ١٥٩٣. وفي «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٧.

(٥) في «التهذيب»: (تجمع) وكذا في «اللسان».

(٦) في «اللسان» (وسُوْرُهُ).

(٧) في (التهذيب) (فالسورة جمع سبق وُحْدَانَه في هذا الموضع جمعه) ٢/ ١٥٩٣.

تعالى الحائط الذي حجز بين أهل النار وأهل الجنة بأشرف حائط عرفناه في الدنيا، وهو اسم واحد لشيء[(١)] واحد، إلا أنا إذا أردنا أن نعرف[(٢)] العِرْقَ[(٣)] منه قلنا: سورة، كما تقول: التمر، وهو اسم جامع للجنس، فإذا أردنا أن نعرف الواحدة من التمر قلنا: تمرة، وكل منزلة رفيعة فهي سورة، مأخوذة من سورة البناء ومنه قول النابغة:

ألم تر أنَّ الله أعطاك سورةً ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذبُ[(٤)]

وجمعها (سُوْرٌ)[(٥)] أي: رِفَعٌ.

أما سورة القرآن، فإن الله تعالى جمعها على: (سُوَر) مثل: غُرْفَة وغُرَفُ، ورُتْبَة ورُتَب، وزُلْفَة وزُلَف، فدل على أنه لم يجمعها كما قال[(٦)]، ولم يجعلها من سُورِ[(٧)] البناء، لأنها لو كانت منه لقال: (بعشرِ سُوْر) ولم

---

(١) في (ب): (كشيء).

(٢) في (أ)، (ج): (يعرف) واخترت ما في(ب)، لأنه أصح، وموافق لما في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٣.

(٣) كذا في جميع النسخ، «اللسان» ٤/ ٢١٤٨. وفي «تهذيب اللغة» (الفرق) ٢/ ١٥٩٣.

(٤) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح النعمان، ويعتذر إليه.
وقوله (السورة): المنزلة الرفيعة، (والملك بتذبذب): يتعلق ويضطرب، يريد أن منازل الملوك دون منزلته. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٤. «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦. «تفسير الطبري» ١/ ٤٦. «المصون في الأدب» للعسكري: ص١٥٠، ١٥١. «التهذيب» (سار) ٢/ ١٥٩٣. «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٨. «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠١. «ديوان النابغة»: ص٢٨. «الزاهر» ١/ ١٧١.

(٥) في (أ): (سِوَر) وفي (ب): (سواري رفع).

(٦) قوله: (فدل على أنه لم يجمعها كما قال) ليس في «تهذيب اللغة» ولا «اللسان»، والمعنى لم يجمعها (سُوْرٌ) بالسكون كما قال أبو عبيدة.

(٧) في (ب): (سورة).

يقل: ﴿سُوَرٍ﴾ [هود: ١٣][1] والقراء مجمعون على ﴿سُوَرٍ﴾. وكذلك أجمعوا على قراءة (سُورٍ)[2] في قوله ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]. فدل هذا على تمييز (سُورَةٍ) من سُوَرِ[3] القرآن عن (سُؤْرَة) من سُؤْرِ البناء.

وكأن أبا عبيدة أراد أن [يؤيد][4] قوله في (الصور) أنه جمع (صورة)[5]، وكان ينكر أن (الصور) قرن خلقه الله للنفخ فيه، ونذكر[6] قوله ذلك والرد عليه إذا أتينا على ذكر (الصور) إن شاء الله.

قال أبو الهيثم: والسورة[7] من سور [القرآن][8] عندنا: قطعة من القرآن، سبق وُحْدانُها جَمْعَها، كما أن الغرفة[9] سابقة للغرف. وأنزل الله القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم شيئاً بعد شيء، وجعله مفصلاً، وبيّن كل سورة بخاتمتها وبادئتها، وميزها من التي تليها[10].

---

(١) في (أ)، (ج): (بسُوَر) وأثبت ما في (ب)، وفي «تهذيب اللغة» (بعشر سُوَرٍ) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٣.

(٢) في (ب): (بسوره).

(٣) في (ب): (سوره).

(٤) في جميع النسخ (يريد) والتصحيح من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٣. «اللسان» ٤/ ٢١٤٨.

(٥) في «تهذيب اللغة» (فأخطأ في الصور والسور، وحرَّف (كلام العرب) عن صيغته...إلخ). انظر «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٣. «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٨.

(٦) في (ب) (ويذكر).

(٧) في (ب) (السور).

(٨) (القرآن) غير موجود في جميع النسخ، والتصحيح من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٣، «اللسان» ٤/ ٢١٤٨.

(٩) في (ب) (المعرفة).

(١٠) انتهى كلام أبي الهيثم، «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٤، «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٨.

قال الأزهري: وكأن أبا الهيثم جعل السورة من سور القرآن من سؤرة الشراب، وهي بقيته، إلا أنها لما كثرت في الكلام ترك فيها الهمز[١].

قال[٢]: وأخبرني المنذري، عن أبي العباس، عن ابن الأعرابي قال: (السورة) الرفعة وبها سميت السورة من القرآن، أي رفعة وخير[٣]، فأرى ابن الأعرابي وافق قوله قول أبي عبيدة[٤].

قال:[٥] والبصريون يجمعون (الصورة) و(السورة) وما أشبههما[٦] على (صُوَر وصُوْر)، و(سُوَر وسُوْر) ولا يميزون بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه، والذي حكاه أبو الهيثم هو قول[٧] الفراء.

---

(١) في «التهذيب»: (..جعل السورة من سور القرآن من أسأرت سؤرا، أي: أفضلت فضلا، إلا أنها لما كثرت في الكلام وفي كتاب الله ترك فيها الهمز أي السورة كما ترك في (الملك) وأصله (ملأك) وفي (النبي) وأصله الهمز، وكان أبو الهيثم طَوَّل الكلام فيهما ردًا على أبي عبيدة، فاختصرت منه مجامع مقاصده، وربما غيرت بعض ألفاظه، والمعنى معناه). «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٤. «اللسان» ٤/ ٢١٤٨. وانظر: «الزاهر» ١/ ١٧١.

(٢) أي: الأزهري.

(٣) ونحوه عند «الطبري» فإنه قال: (والسورة بغير همز: المنزلة من منازل الارتفاع). انظر: «تفسيره» ١/ ٤٦. وقد ذكر هذين المعنيين للسورة ابن قتيبة في «غريب القرآن»: ١/ ٢٦. وانظر: «الزاهر» ١/ ١٧١. «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٦٣، ٢٦٤. «الإتقان» ١/ ١٨٦. «تفسير ابن كثير» ١/ ٦٤.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٤. «اللسان» ٤/ ٢١٤٨.

(٥) أي الأزهري. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٤، وربما أوهم صنيع الواحدي أن الكلام لابن الأعرابي.

(٦) في (أ) و(ج): (وما أشبهها).

(٧) في «التهذيب»: (والذي حكاه أبو الهيثم هو قول الكوفيين، وهو يقول به إن شاء الله) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٤. «اللسان» ٤/ ٢١٤٨.

وخص هذا القدر من القرآن بتسمية (سورة)، لأنه أقل قطعة وقع به التحدي [على قول أبي الهيثم، وعلى قول أبي عبيدة، لأنه أقل ما وقع به التحدي][١]، فهي شرف للنبي صلى الله عليه وسلم من حيث إنها معجزة له. وقيل: سميت سورة، لأن من حفظها وعلمها حصل له شرف[٢]. وقيل: لأن كل سورة بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال، يرتفع القارئ منها إلى منزلة أخرى إلى أن يستكمل القرآن[٣].

فإن قيل: فما[٤] الفائدة في تفصيل القرآن على السور؟ قيل: فيه فوائد كثيرة، منها: أن القارئ إذا خرج من سورة إلى سورة كان أنشط لقراءته وأحلى في نفسه.

ومنها: أن تخصيص كل سورة بقدر مخصوص كاختصاص القصائد.

ومنها: أن الإنسان قد يضعف أو يكسل عن حفظ الجميع فيحفظ سورة تامة فربما كان ذلك سبباً يدعوه إلى حفظ غيرها[٥].

قال المفسرون: ومعنى الآية: أن الله تعالى لما احتج عليهم [في إثبات توحيده احتج عليهم][٦] -أيضا- في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه

---

(١) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) انظر: «الزاهر» ١/ ١٧١. «الدر المصون» ١/ ٢٠١.

(٣) وهذا القول كأنه يرجع إلى قول أبي عبيدة وابن الأعرابي، وفي معنى السورة أقوال أخرى. انظر: «الزاهر» ١/ ١٧١، «جمهرة اللغة» ٢/ ٧٢٢، «تفسير الطبري» ١/ ٤٦، وابن عطية ١/ ٧٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ٦٤، «البرهان» ١/ ٢٦٣، ٢٦٤، «الكشاف» ١/ ٢٣٩.

(٤) في (ب): (ما).

(٥) وذكر بعض العلماء حكماً أخرى لتفصيل القرآن إلى سور، وكلها حكم وفوائد مستنبطة، والله أعلم بحكمة ذلك. انظر: «الكشاف» ١/ ٢٤٠-٢٤١، «البرهان» ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وسلم بما قطع عذرهم، فقال: وإن كنتم في شك من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمد عليه الصلاة[١] والسلام، وقلتم: لا ندري هل هو من عند الله أم لا، ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾، أي من مثل القرآن[٢]. والكناية[٣] في (مثله) تعود إلى (ما) قوله: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾[٤].

ودليل هذا التأويل قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾[٥]، وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨] كل ذلك يريد به مثل القرآن، ومعناه: فأتوا بسورة مثل ما أتى به محمد في الإعجاز وحسن النظم والإخبار عما كان وما يكون، على جهة الابتداء دون الاحتذاء، وتعلم الكتب ودراسة الأخبار.

و(من) يكون للتبعيض[٦] على هذا القول، لأن التحدي في هذه الآية وقع ببعض القرآن، وهو السورة. ويحتمل أن تكون للتجنيس[٧]، أي: من

---

(١) (الصلاة) ساقطة من (ب).

(٢) ذكر نحوه «الطبري» عن قتادة ومجاهد، وذكر قولاً آخر، وهو: (من مثله) من مثل محمد من البشر، لأن محمداً بشراً مثلكم، ورجح القول الأول «الطبري» ١/ ١٦٥. وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٦، والثعلبي ١/ ٥٧أ، وذكر أبو الليث أن الخطاب في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ لليهود، و(من مثله): من التوراة. (تفسير أبي الليث) ١/ ١٠٢، انظر: «القرطبي» ١/ ٢٠٠.

(٣) في (ب): (فالكناية).

(٤) وعلى القول الثاني: تعود على (عبدنا) ذكره ابن الأنباري في (البيان في غريب إعراب القرآن) ١/ ٦٤. وقال «القرطبي»: (وقيل: يعود على التوراة والإنجيل). انظر «القرطبي» ١/ ٢٠٠.

(٥) في (أ) و(ج): ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ تصحيف في الآية. والآية: ٣٨، من سورة يونس.

(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٢.

(٧) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٢، «زاد المسير» ١/ ٥٠، «الدر المصون» ١/ ٢٠٠.

جنس هذا الكتاب كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقيل: (من) هنا صلة(١)، معناه(٢): فأتوا بسورة مثل القرآن، كقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] أي: أبصارهم، وقال النابغة:

وَمَا أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ(٣)

أي: أحداً.

قال النحويون: (مِنْ)، يكون على أربعة أوجه: أحدها: ابتداء الغاية، وهو أصلها(٤)، كقولك: سرت(٥) من الكوفة إلى البصرة.

والثاني: التبعيض، كقولك: خذ من الثياب ثوباً.

---

(١) في (ج): (من ههنا زائدة صلة). القول إنها صلة ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٥٧أ، وبعضهم يسميها (زائدة) قاله ابن الأنباري ونسبه للأخفش، انظر «البيان» ١/ ٦٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٢، «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٤. وفيه وجه آخر: أن تكون لابتداء الغاية، إذا كان الضمير يعود على النبي صلى الله عيه وسلم، انظر «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٤، «الدر المصون» ١/ ٢٠٠.

(٢) في (ب): (معناها).

(٣) البيت للنابغة من المعلقة التي يمدح بها النعمان، ويعتذر إليه، وصدره:

ولا أرى فَاعِلاً في النَّاس يُشْبِهُهُ

يقول: لا أرى فاعلاً يفعل الخير يشبهه، والضمير للنعمان، وما أحاشي من أحد أي: لا أستثني أحدًا. و(من) زائدة، وهذا وجه الاستشهاد عند الواحدي. وقد ورد في بعض المصادر (ولا أحاشي) ورد البيت في «الديوان»: ص١٢، و«جمل الزجاجي»: ص٢٣٣، «الإنصاف» ١/ ٢٤١، «مغني اللبيب» ١/ ١٢١، «شرح المفصل» ٢/ ٨٥،٨/ ٤٨-٤٩، «الخزانة» ٣/ ٤٠٣، «همع الهوامع» ٣/ ٢٨٨، شاهد رقم (٩١٨).

(٤) قال ابن هشام: (هو أصلها، حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه)، «مغني اللبيب» ١/ ٣١٨.

(٥) في (ب): (سرق).

والثالث: التجنيس، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

والرابع: الزيادة، كقولك: ما أتاني من أحد[١].

وهاهنا فصل يحاج إليه في كثير من المواضع، وذكرته هاهنا[٢]، وهو(أن الحروف عند النحويين لا يليق بها الزيادة ولا الحذف، وأن أعدل أحوالها[٣] أن تستعمل غير مزيدة ولا محذوفة، فأما[٤] امتناع حذفها، فمن قبل أن الغرض في هذه الحروف إنما هو الاختصار، ألا ترى أنك إذا قلت: (ما قام زيد) فقد نابت (ما) عن (أنفي)، وإذا قلت: (هل قام زيد)؟ نابت (هل) عن (أستفهم)[٥]، فوقوع الحرف مقام الفعل وفاعله غاية الاختصار، فلو ذهب[٦] بحذف الحرف تخفيفا، لأفرطت في الإيجاز، لأن اختصار المختصر إجحاف[٧] به. وأما وجه ضعف زيادتها، فلأن الغرض[٨]

---

(١) سبق أن ذكر الواحدي لـ (من) خمسة معان نقلها عن «تهذيب اللغة»، وانظر «التهذيب» (من) ٤/ ٣٤٥٣، وقد ذكر الهروي المعاني الأربعة التي ذكرها الواحدي. انظر «الأزهية في علم الحروف»: ص٢٢٤-٢٢٥، وذكر بعض هذه المعاني ابن الأنباري في (الأضداد): ص١٥٢، أما ابن هشام في «مغني اللبيب» فذكر لـ (من) خمسة عشر وجها ١/ ٣١٨.

(٢) هذا الفصل منقول بنصه من «سر صناعة الإعراب» لابن جني. قال: (اعلم أن الحروف لا يليق بها الزيادة ولا الحذف.. إلخ) ١/ ٢٦٩.

(٣) في (ب): (أحولها).

(٤) عند أبي الفتح بن جني (فأما وجه القياس في امتناع حذفها...)١/ ٢٦٩.

(٥) في (ج): (استفهام).

(٦) عند أبي الفتح بن جني (فلو ذهبت تحذف..) ١/ ٢٦٩. وهو الأنسب للسياق.

(٧) في (ج): (حجازيه).

(٨) عند أبي الفتح (فمن قبل أن الغرض في الحروف الاختصار...) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٩.

في الحروف الاختصار كما ذكرنا[١]، فلو ذهبت تزيدها لنقضت الغرض الذي قصدته، لأنك كنت تصير من الزيادة إلى ضد ما قصدته من الاختصار[٢]، ولولا[٣] أن في الحرف إذا زيد ضرباً من التوكيد لما جازت زيادته البتة، كما أنه لولا قوة العلم بمكانه لما جاز حذفه البتة[٤]، وإذا كان الأمر كذلك فقد علمنا من هذا أنا[٥] متى رأيناهم قد[٦] زادوا فقد أرادوا غاية التوكيد[٧]، كما أنا إذا رأيناهم قد حذفوا حرفاً فقد أرادوا غاية الاختصار، ولولا ذلك الذي أجمعوا عليه واعتزموه[٨]، لما استجازوا زيادة ما الغرض فيه الإيجاز، وحذف[٩] ما وضعه على نهاية الاختصار)[١٠].

---

(١) قال أبو الفتح (كما قد منا) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٩.

(٢) قال أبو الفتح بعده: (فاعرف هذا، فأن أبا علي حكاه عن الشيخ أبي بكر - يريد ابن سراج - رحمهما الله -، وهو نهاية في معناه، ولولا أن الحرف إذا زيد... إلخ) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٠.

(٣) في (ب): (ولو).

(٤) عند أبي الفتح: (لما جاز حذفه البتة، فإنما جاز فيه الحذف والزيادة من حيث أريتك، على ما به من ضعف القياس، وإذا كان الأمر كذلك..) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٠.

(٥) عند أبي الفتح (أننا)، ١/ ٢٧٠.

(٦) في (ب): (فقد).

(٧) في (ب): (للتوكيد).

(٨) في (ب): (واعترفوه).

(٩) عند أبي الفتح (ولا حذف) وفي الحاشية (لا) سقطت من (ب، ل، ش) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٠. لعل الواحدي اعتمد على إحدى هذِه النسخ.

(١٠) انتهى ما نقله من «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٩-٢٧٠.

فإن قيل على هذا، فهل للقرآن مثل حتى يقال: ائت بمثله؟. قيل: أما في مقدور الله فنعم، وأما في مقدور البشر فلا، ولذلك[١] صح أنه معجز والذي وقع به التحدي هو هذا النظم المخصوص والقراءة المعهودة، وهي مخلوقة[٢]، وما كان منظوماً مؤلفاً، فمن الواجب أن يكون له في قدرة الله

---

(١) في (ب): (وكذلك).

(٢) هذا الكلام فيه إيهام و إشكال، حيث إن قوله: (والقراءة المعهودة، وهي مخلوقة) في احتمالان:
أحدهما: أن يكون قوله: (والقراءة المعهودة مخلوقة)مستأنف- وهي كالجملة المعترضة - وعلى هذا الاحتمال: إن قصد بالقراءة: المقروء فهو باطل، لأن معناه القول بخلق القرآن، وإن قصد بالقراءة صوت القارئ فقوله: (وهي مخلوقة) صحيح، لكن إطلاق هذِه العبارة بدعة لم يستعملها السلف. وكان يمكن حمل كلام الواحدي على هذا، لولا قوله فيما بعد: (وما كان منظوما مؤلفا فمن الواجب أن يكون له في قدرة الله أمثال (فكأنه أراد الخلق،بينما الكلام صفة لله تعالى،والله يتكلم إذا شاء متى شاء.
ثانيهما:أن يكون قوله:(والقراءة المعهودة) معطوف على قوله: (النظم المخصوص) فيكون قوله:(وهي مخلوقة) راجع إلى النظم والقراءة، وهذا على رأي الأشاعرة الذين يقولون بقدم الكلام النفسي، أما القرآن المتلو فهو عندهم حادث مخلوق، ولذلك صرح الإيجي في (المواقف) بأنهم يوافقون المعتزلة في أنه مخلوق قال: (قالت المعتزلة:أصوات وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ، أو جبريل أو النبي، وهو حادث..) ثم قال: (ونحن لا ننكره) وقال: (فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك...) «المواقف»: ص٢٩٣-٢٩٤.
وجمهور المفسرين وفي مقدمتهم ابن جرير على أن المراد:من مثله في (البيان)،لأنه نزل بلسان عربي مبين، فكلام العرب له مثل في معنى العربية،وأما المعنى الذي باين به القرآن سائر كلام المخلوقين فلا مثل له من ذلك الوجه،ولا=

أمثال، ولو لم يكن له مثل مقدور، لم يصح التحدي به، ألا ترى أن [التحدي لأن يأتوا بمثل القديم محال. لأنه لا مثل له.

ويجوز أن][(١)] يكون[(٢)] الكناية في مثله يعود إلى قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه: فأتوا بسورة من رجل أميّ، لا يحسن الخط والكتابة ولم يدرس الكتب[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾. (الشهداء): جمع شهيد والشهيد يجوز أن يكون بمعنى: مشاهد كالجليس والشريب[(٤)] والأكيل والشريك، ويجوز أن يكون بمعنى: شاهد كالعليم[(٥)] والعالم، والقدير القادر، ويجوز أن يكون بمعنى: مشهود فعيل بمعنى مفعول، والشهود: الحضور، ومنه قوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي حضر، والمشاهد للشيء: الحاضر عنده، وسمي الشاهد شاهداً: لأنه يخبر عما شاهد[(٦)]

= نظير ولا شبيه. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠١-٢٠٢، والنسفي في «تفسيره» ١/ ٢٨، والبيضاوي في «تفسيره» ١/ ١٥، والخازن «تفسيره» ١/ ٨٩ ضمن مجموعة من التفاسير.

(١) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (تكون).

(٣) سبق ذكر هذا القول انظر الهامش: ٢/ ٢٤١. والقول الأول هو قول جمهور المفسرين.انظر «الطبري» ١/ ١٦٥. وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٦٣.

(٤) في (أ) و (ج): (السريب)، وفي «الوسيط» للواحدي (الشريب) ١/ ٥٩.

(٥) في (ب): (كالعلم).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٧. «تهذيب اللغة» (شهد) ٢/ ١٩٤٢. «معجم مقاييس اللغة» (شهد) ٣/ ٢٢١. «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي: ص١٣٢. «مفردات الراغب» ص٢٦٨ . «اللسان» (شهد) ٤/ ٢٣٤٨.

وسيأتي بيان معنى: الشهيد الذي قتل في سبيل الله، والشهادة على الشيء فيما بعد(١).

فأما التفسير، فقال ابن عباس: (شهداءكم) يعني: أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم(٢). فعل هذا القول (الشهيد) بمعنى: المشاهد(٣)، وسمى أعوانهم شهداء، لأنهم يشاهدونهم عند المعاونة(٤)، وهذا القول اختيار أبي إسحاق(٥)، لأنه قال في تفسيره: ادعوا من رجوتم معونته(٦). و(الدعاء) على هذا القول بمعنى: الاستعانة، والعرب كثيراً ما تستعمل (الدعاء) في معنى الاستعانة، وذلك أن الإنسان إذا استعان بغيره دعاه(٧)، فلما كان في الاستعانة يحتاج إلى الدعاء، سمى الاستعانة دعاء(٨).

من ذلك قول الشاعر:

---

(١) ذكر معنى الشهيد عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، «البسيط» ١/ل٢٠٩ من «النسخة الأزهرية».

(٢) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس في «تفسيره» ١/ ١٦٦.وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦٤.وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٧٧.وانظر «زاد المسير» ١/ ٥١.«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) في (ب): (الشاهد).

(٤) انظر «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٦٦، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٣، (غريب القرآن) لابن قتيبة: ١/ ٢٦، «زاد المسير»١/ ٥١.

(٥) أي: الزجاج.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٦.

(٧) في (ب): (وعاه).

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٧أ، وأبي الليث في «تفسيره» ١/ ١٠٢. «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٠٠. «زاد المسير»١/ ٥٠.

دَعَـوْتُ بـنـي قَـيْـسٍ إلـيَّ فَـشَـمَّـرَتْ
خَنَـاذِيـذُ مِـنْ سَـعْـدٍ طِـوَالُ الـسَّـواعِـدِ[١]

أي استعنت بهم. ألا تراه يقول: فَشَمَّرَتْ.

وقالت امرأة من طيء:

دَعَـا دَعْـوَةً يَـوْمَ الـشَّـرى يَـالَ مَـالِـكٍ
ومَنْ لا يُجِبْ عِنْدَ الحَفِيظَة يُكْلَمِ[٢]

أي استعان بهم فلم ينصروه.

وقال الفراء: يريد (آلهتهم)، يقول: استغيثوا بهم، وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خاليا فادع المسلمين، معناه استغث[٣] بالمسلمين[٤].

---

(١) ورد البيت في «ديوان الحماسة» بشرح المرزوقي، وعزاه لبعض بنى فقعس ٢/ ٤٩٨، وورد في «البيان والتبيين»، وقال: قال القيسي، ٢/ ١١، وفي «الحيوان» وقال: قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة ١/ ١٣٤، ومعنى البيت: يقول استغثت بهؤلاء القوم، فهب رجال لنصرتي كأنهم فحول، و(الخناذيذ): الكرام من الخيل، استعارها للكرام من الرجال.

(٢) ورد البيت في «ديوان الحماسة» بشرح المرزوقي ١/ ٢١١، «معجم ما استعجم من البلدان» ٣/ ٧٨٥، «معجم البلدان» ٣/ ٣٣٠، وكلهم نسبوه لامرأة من طيئ. قيل: هي بنت بهدل بن قرفة الطائي، أحد لصوص العرب في زمن عبد الملك بن مروان. و(الشرى): مكان وقعت فيه الوقعة المذكورة، و(الحفيظة) الخصلة التي يحفظ الإنسان عندها أي يغضب. و(يكلم): يقتل أو يغلب.

(٣) في (أ) و (ج): (استغيث) وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب، ومثله ورد في «معاني القرآن» للفراء.

(٤) في (ب): (بالمسلمين فمعناه).

وبهذا انتهى كلام الفراء. انظر: «معاني القرآن»١/ ١٩.

فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة[١] والاستعانة قريب من السواء، وعلى هذا (شهيد) بمعنى مشهود، وآلهتهم كانت مشهودة لهم، لأنهم كانوا يشهدونها ويحضرونها.

وروى عن مجاهد والقرظي[٢] في قوله: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أي: ناسا يشهدون لكم على صدق[٣] ما قلتم وما تأتون به من معارضة للقرآن[٤].

فإن قيل: كان يمكنهم أن يعارضوه بما هو دونه في الفصاحة ثم يأتوا بقوم يشهدون لهم بالباطل أنه مثل القرآن.

قيل: إن الله سبحانه أعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن، وصرفهم أيضًا عن[٥] الشهادة على ما هو باطل وفاسد بأنه مثل القرآن، ألا ترى أنه لم يوجد منهم هذا[٦]،

---

(١) وممن قال الدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة: ابن قتيبة في «غريب القرآن» :ص٢٦، وانظر: «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٦٧، «زاد المسير»١/ ٤٩.

(٢) هو محمد بن كعب القرظي، تابعي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالتفسير، سقط عليه سقف المسجد فمات سنة مائة وثمان، وقيل: سنة سبع عشرة، وقيل: سنة عشرين ومائة. انظر «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٨٤، «غاية النهاية في طبقات القراء» ٢/ ٢٣٣.

(٣) (صدق) ساقط من (ج).

(٤) ذكره الثعلبي في (تفسيره) ١/ ٥٧أ، والرواية عن مجاهد أخرجها «الطبري» من عدة طرق ١/ ١٦٧، وابن أبي حاتم ١/ ٦٤، وذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٥١، وابن كثير ١/ ٦٣.

(٥) في (ب): (على).

(٦) عبارة الواحدي فيها إيهام حيث قال: (أعجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن...) ثم عطف عليه وقال: (وصرفهم - أيضاً - عن الشهادة على ما هو باطل)، فقوله (أعجز) إن كان بمعنى: (تحدي) فصحيح، وإن كان بمعنى (منع) فباطل، إذ حقيقة=

ولو أمكنهم ذلك[١] لفعلوا، ولا ترى للقرآن معارضة بوجه سواء كان فصيحاً أو ركيكاً، إلا شهد المخالف والموافق[٢] بركاكته. وعلى هذا القول[٣] (شهيد) بمعنى: شاهد.

وقوله تعالى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. (دون) يرد في الكلام على معان كثيرة[٤]، يكون بمعنى: (قبل) كقولك: دون النهر قتال. ودون قتل الأسد أهوال، وقمت دون فلان، إذا نضحت عنه[٥]، ومنه قول

= ذلك القول بالصرفة، وهو قول النظام من المعتزلة حيث قال: إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم، ولكن عاقهم أمر خارجي، وهذا القول مردود عند جماهير العلماء، انظر: «البرهان» ٢/ ٩٣-٩٤، «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن» :ص٥٣.

(١) (ذلك) ساقط من (ج).

(٢) (الموافق) ساقط من (ب).

(٣) أي قول المجاهد: ادعوا ناسا يشهدون لكم. وقد ضعف ابن جرير هذا القول، وقال: لا وجه له، وقال: إن القوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أصناف، أهل إيمان صحيح، وأهل كفر صحيح، وأهل نفاق، فأهل الإيمان من المحال أن يدعي الكفار أنهم لهم شهداء، فمن أي الفريقين يكون شهداؤهم؟ انظر: «تفسير الطبري»١/ ١٦٧.

(٤) ذكر هذه (المعاني) مفصلة الأزهري حيث قال: لـ (دون) تسعة معان، ثم أخذ في شرحها كما نقل المؤلف هنا، انظر: «التهذيب» ٢/ ١٢٤٩، وانظر: «البرهان» ٤/ ٢٧٥، «الإتقان» ٢/ ٢٣٠، «اللسان» (دون) ٣/ ١٤٦٠. قال السمين الحلبيّ: (دون) من ظروف الأمكنة، ولا تتصرف على المشهور إلا بالجر بـ (من)، وزعم الأخفش أنها متصرفة.. وهو من الأسماء اللازمة للإضافة... وأما (دون) التي بمعنى رديء فتلك صفة كسائر الصفات .. وليست مما نحن فيه. «الدر المصون» ١/ ٢٠٢.

(٥) «تهذيب اللغة» (دون) ٢/ ١٢٤٩.

الحارثي[١]:

.... وأنَّى تَخَلَّصَتْ إليَّ وبابُ السَّجْنِ دُونِيَ مُغْلَقُ[٢]

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «**المقتول دون ماله شهيد**»[٣].

ويكون (دون) بمعنى: (وراء)، كقولك: (هو أمير على ما دون جَيْحُون)[٤]، أي على ما وراءه[٥]. ويكون بمعنى: (تحت)، يقال: هو

---

(١) في (ج): (الحاوي). والحارثي هو جعفر بن علبة، بضم العين، ينتهي نسبه إلى كعب ابن الحارث، شاعر غزل مقل، عاش في الدولة الأموية وأدرك العباسية. انظر: «الخزانة» ١٠/ ٣١٠.

(٢) البيت من قصيدة لجعفر بن علبة وصدره:

عَجِبْتُ لمسْرَاها وأنَّى تَخَلَّصَتْ

يقول: عجبت من سير هذا الخيال إلي مع أن باب السجن موثق بيني وبينها. أورد القصيدة أبو تمام في «ديوان الحماسة» ١/ ٥١-٥٢، بشرح المرزوقي، والبغدادي في «الخزانة» ١٠/ ٣٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو «**من قتل دون ماله فهو شهيد**» البخاري في كتاب المظالم، باب من قتل دون ماله، حديث رقم (٢٤٨٠). ومسلم (١٤١) كتاب الإيمان، باب: هدر دم من قصد أخذ مال غيره بغير حق. وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ٢٢١-٢٢٣. مع بعض الاختلاف في لفظه، وأبو داود عن سعيد بن زيد بنحو لفظ البخاري ومسلم، (٤٧٧٢) كتاب السنة، باب قتال اللصوص، والترمذي عن سعيد بن زيد وعبد الله بن عمرو (١٤١٩) (أبواب الديات)، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، والنسائي عن عبد الله بن عمرو في كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله ٧/ ١١٤، وابن ماجه عن سعيد بن زيد وعن عبد الله بن عمرو، وأبي هريرة بلفظ آخر، في (٢٥٨٠) كتاب الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد).

(٤) (جيحون) نهر عظيم في خراسان. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ١٩٦.

(٥) «التهذيب» ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

دونه، أي تحته[١]. ويكون بمعنى: (غير)، يقال: هذا دون ما ذكرت، أي غيره، قال الله تعالى ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] يريد غير الغوص من البناء وغيره، والذي في هذه الآية بمعنى: غير[٢].

ويكون (دون) بمعنى: (خذ) وهو بمعنى الإغراء، يقال: دونك زيدا، أي خذه[٣]، قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا[٤]

ويكون بمعنى: (الوعيد)، كقولك: دونك فتمرس بي[٥].

قال الشاعر:

فَدُونَكُما فَمَا قَيْسٌ بِشَحْمٍ لِمُخْتَلِسٍ وَلاَ فقعٍ بِقَاعِ[٦]

ويكون (دون) بمعنى: (القريب)، يقال: أُدن دونك، أي اقترب[٧]، قال زهير بن جناب[٨]:

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٤٩. «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٢) في «تهذيب اللغة»: عن الفراء: (.... ودون ذلك الغوص يريد سوى الغوص، من البناء..)، (التهذيب) ٢/ ١٢٤٩، انظر «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٣) «تهذيب اللغة» تكون بمعنى الأمر دونك الدرهم أن خذه وفي الإغراء دونك زيداً أي الزم زيدًا في حفظه .

(٤) سبق البيت وتخريجه: الفاتحة: ٢، والشاهد فيه هنا: أنه استعمل (دون) بمعنى خذ، أي خذ دلوي، انظر: «مغني اللبيب» ٢/ ٦٠٩،٦١٨، «الخزانة» ٦/ ٢٠٠.

(٥) في «التهذيب»: (الوعيد كقولك: دونك صراعي، ودونك فتمرس بي)، ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» دون ٣/ ١٤٦٠.

(٦) لم أعثر عليه، ولم أعرف قائله.

(٧) ذكره الأزهري عن شمر عن ابن الأعرابي، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٤٩، وانظر «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٨) في (ب): (حباب)، وفي «تهذيب اللغة» (خباب) ٢/ ١٢٤٩، ومثله في «اللسان»=

وَإِنْ عِـفْـتَ هـذا فَـادْنُ دُوَنَـكَ إِنَّـنـي
قَـلِـيـلُ الـغِـرَارِ والـشَّـرِيـجُ شِـعَـارِي[١]

(الشريج) القوس، وقول الأعشى:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي...[٢]

قال أبو الهيثم: أي: فيما بيني وبينه من المكان، يقال: أُدن دونك، أي: اقترب مني فيما بيني وبينك[٣].

ويكون (دون) بمعنى: (الخسيس) من قولهم: رجل دون، أي خسيس، ولم يصرّف فعله[٤].

ويكون بمعنى: (أقل من ذا)[٥]، كقولك: يكفيني[٦] دون هذا.

فأما قوله في هذه الآية: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غير الله[٧]، كما يقال: ما دون الله مخلوق، يريد: وادعوا من اتخذتموه معاونين من غير الله على

= ٣/ ١٤٦٠. وهو زهير بن جناب الكلبي شاعر جاهلي قديم، من المعمرين، انظر ترجمته في: «الشعراء والشعراء» ١٧/ ٢٤٠. «طبقات الشعراء» للجمحي: ص٣٧.

(١) ورد البيت في «تهذيب اللغة» (دون) ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» (دون) ٣/ ١٤٦٠، وقوله: (الغرار): النوم، و(الشريج): القوس.

(٢) البيت من قصيدة للأعشى يهجو يزيد بن مسهر الشيباني، والبيت:

يزيد يغض الطرف دوني كأنما زوى بين عينيه عليّ المحاجم

انظر: «ديوانه»: ص١٧٨، «تهذيب اللغة» (دون) ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» (دون) ٣/ ١٤٦٠.

(٣) «تهذيب اللغة» (دون) ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٤) ذكر الأزهري نحوه عن الفراء وعن الأصمعي، «تهذيب اللغة» (دون) ٢/ ١٢٤٩، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٥) ذكره الأزهري عن سلمة عن الفراء، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٤٩، «اللسان» ٣/ ١٤٦٠.

(٦) في (ب): (يلقني).

(٧) انظر: «الطبري» ١/ ١٦٧، «القرطبي»١/ ٢٠٠، «الدر المصون» ١/ ٢٠١.

تفسير ابن عباس[١].

وعلى قول الفراء[٢] يقول: ادعوا من اتخذتم إلها من دونه.

وعلى[٣] قول القرظي ومجاهد، يقول: ادعوا من يشهد لكم دون الله، فإن الله تعالى لا يشهد[٤] لكم بالصدق، كما يشهد لمحمد، فاطلبوا غيره شهداء إن كنتم صادقين في أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه، وأنه ليس من عند الله، وفي قولكم: لو أردنا لأتينا بمثله[٥].

وقال أبو علي الجرجاني[٦]: نظم الآية: فأتوا بسورة من مثله من دون الله وادعوا شهداءكم، أي من مثل القرآن من غير الله، يريد أن محمدا يأتي بالقرآن من عند الله، فأتوا أنتم إن استطعتم بمثل القرآن من غير الله. قال: ومثل هذا قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٧] [هود: ١٣] ونظمه: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات من دون الله، وادعوا من استطعتم من الناس، معنى (ادعوا): استعينوا.

---

(١) وهو أن المراد بـ (شهدائكم) أنصاركم وأعوانكم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم كما سبق: ٢/ ٢٤٧.

(٢) قول الفراء: (شهدائكم) آلهتكم سبق في ٢/ ٢٤٨، و انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٩، «الدر المصون» ١/ ٢٠١.

(٣) الواو ساقطة من (أ) و (ج)، وانظر قول القرظي ومجاهد: ٢/ ٢٤٩.

(٤) في (ج): (لا شهد).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٧أ، و«تفسير الطبري» ١/ ١٦٧، «الدر المصون» ١/ ٢٠١.

(٦) هو أبو علي الجرجاني صاحب «نظم القرآن»، وكتابه مفقود.

(٧) قوله: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ ساقط من (ب).

٢٤ - قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ الآية.

(لم) حرف يجزم الفعل المضارع، ويقع بعدها بمعنى الماضي، كما يقع الماضي بعد حرف[١] الجزاء بمعنى الاستقبال، ولهذه المشابهة بينها وبين حروف الجزاء اختير الجزم بـ (لم)[٢] وإنما جزمت حروف الشرط والجزاء، لأنها تقتضي جملتين كقولك: (إن تضرب أضرب) فلطول ما يقتضيه الشرط والجزاء[٣] اختير الجزم، لأنه حذف وتخفيف.

وأما (لن)[٤] فهي حرف قائم بنفسه، وضع لنفس الفعل المستقبل، ونصبه للفعل كنصب (أن). وليس ما بعد (لن) بصلة لها[٥]، لأن (لن يفعل)[٦] نفي سيفعل، وتُعْمِل ما بعدها فيما[٧] قبلها، كقولك: (زيدا لن أضرب)[٨].

---

(١) في (ج): (حروف).

(٢) ذهب الزجاج إلى أنها جزمت الفعل بعدها، لأنها نقلته من المستقبل إلى الماضي، ولأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم. انظر «معاني القرآن» ١/ ٦٦-٦٧، ونحوه قال الليث فيما نقل عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (لم) ٤/ ٣٢٩٤، وكذا الرماني في «معاني الحروف»: ص١٠٠. وقد رد أبو علي الفارسي قول الزجاج وأطال في بيان عدم صحته. انظر: «الإغفال»: ص٩٥-١٠١.

(٣) (الجزاء) ساقط (ب).

(٤) في (ب): (لم).

(٥) فلا تؤول معه بمصدر كما تؤول (أن) وما بعدها بمصدر.

(٦) (لن) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (فما).

(٨) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٣٤-١٣٥، وانظر: «تهذيب اللغة» (لن) ٤/ ٣٣٠٣، «معاني الحروف» للرماني: ص١٠٠، «البحر المحيط» ١/ ١٠٢، «الدر المصون» ١/ ٢٠٣.

وروى سيبويه عن بعض أصحاب الخليل عنه أنه[١] قال: الأصل في (لن)[٢]، (لا أن) ولكنها حذفت تخفيفا[٣].

وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد، ولو كان كذلك لم يجز (زيدا لن أضرب) لأن ما بعد (أن) لا يعمل فيما قبلها، لأن ذلك يؤدي إلى تقديم الصلة على الموصول[٤].

وللخليل أن ينفصل من هذا بأن يقول: الحروف إذا ركبت خرجت عما كانت عليه، ألا ترى أن (هل) أصلها الاستفهام، ولا يجوز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها، لو قلت[٥]: (زيدا هل ضربت) لم يجز، فإذا زِيدَ[٦] على (هل) (لا)، ودخلها[٧] معنى التحضيض، جاز أن يتقدم ما بعدها عليها، كقولك: (زيدا هلا ضربت)[٨] إلا أن قول الخليل ضعيف في الجملة من

---

(١) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٣٤، وفي «الكتاب» (أما الخليل فزعم أنها (لا أن)..)، ٣/ ٥، وانظر: «المسائل الحلبيات»: ص٤٥، «معاني الحروف» للرماني: ص١٠٠، «تهذيب اللغة» (لن) ٤/ ٣٣٠٣.

(٢) في (ب): (أن).

(٣) حذفت الهمزة استخفافا، ثم حذفت الألف من (لا) لالتقاء الساكنين فصارت الكلمة على حرفين، «المسائل الحلبيات»: ص٤٥.

(٤) انظر رد سيبويه على الخليل في «الكتاب» ٣/ ٥، وانظر «معاني القرآن» الزجاج ١/ ١٣٤-١٣٥، «المسائل الحلبيات»: ص٤٥، «معاني الحروف» للرماني: ص١٠٠، والرأي المشهور فيها كما عند سيبويه وغيره أنها حرف بسيط ثنائي غير مركب، انظر: «البحر» ١/ ١٠٢، «الدر المصون» ١/ ٢٠٤.

(٥) (قلت) ساقطة من (ب).

(٦) (فإذا زيد) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (ولا دخلها).

(٨) ذكر هذا الدفاع عن قول الخليل الرماني في «معاني الحروف»: ص١٠٠، ونحوه قال أبو علي في «المسائل الحلبيات»: ص٤٦.

وجه آخر، وهو أن اللفظ متى جاء على صيغة[(١)] ما، وأمكن استعمال معناه لم يجز أن يعدل عن ظاهره[(٢)] إلى غيره من غير ضرورة تدعو إلى ذلك، فلما وجدنا (لن)[(٣)] معناها مفهوم بنفس لفظها، لم يجز أن يدعى أن[(٤)] أصلها شيء آخر من غير حجة قاطعة، ولا ضرورة[(٥)]. ومعنى الآية: فإن لم تفعلوا فيما مضى، ولن تفعلوا فيما يستقبل أبدا[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ كلام[(٧)] معترض بين الشرط والجواب[(٨)]. وقد يقع الاعتراض بين الشرط والجواب كهذا، وبين المبتدأ والخبر كقولك: (زيد فافهم ما أقول رجل صدق) وبين اسم (إن) وخبرها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ الآية [الكهف: ٣٠]. فقوله: (إنا لا نضيع) اعتراض، والخبر: (أولئك).

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾. أي: فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم، وإنما قيل لهم هذا بعد أن ثبتت الحجة عليهم في التوحيد

---

(١) في (ب): (صفة).

(٢) في (ب): (ظاهر).

(٣) في (ب): (إن).

(٤) (أن) ساقطة من (ج).

(٥) فتكون (لن) حرف نفي بسيط ثنائي غير مركب، ولا يعدل بها عن هذا الأصل إلا بدليل، انظر: «البحر» ١/ ١٠٢.

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ٥٧ب، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٧، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٣، «زاد المسير» ١/ ٥١، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٠١.

(٧) في (ب): (الكلام).

(٨) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٤٧، «البحر» ١/ ١٠٧، «الدر المصون» ١/ ٢٠٣.

وصدق محمد صلى الله عيه وسلم[١].

و(الفاء) في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ﴾ للعطف، وفي قوله: ﴿فَاتَّقُواْ﴾ للإتباع دون العطف[٢].

وإنما[٣] اختاروا (الفاء) من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط، وليس في جميع حروف العطف حرف يوجد هذا المعنى فيه سوى (الفاء). فدخلت (الفاء) في جواب الشرط توصلا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، والكلام[٤] الذي يجوز أن يبتدأ به نحو: الأمر والنهي[٥]، فالجملة[٦] نحو قولك: (إن تحسن إليّ فالله يكافئك) لولا

---

(١) انظر: «الطبري»١/ ١٦٨.

(٢) ذكر أبو الفتح بن جني أن الفاء إذا وقعت في أوائل الكلم، وهي ليست من أصل الكلمة، فإنها على ثلاثة أضرب: ضرب تكون للعطف والإتباع جميعًا، وضرب تكون فيه للإتباع مجردًا من العطف، وضرب تكون فيه زائدة، انظر «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٢٥١. وتكون للإتباع دون العطف إذا وقعت في جواب الشرط، كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ﴾، انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٤٩، «الدر المصون» ١/ ٢٠٣.

(٣) الكلام عن الفاء إذا وقعت في جواب الشرط، نقله الواحدي عن كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح بن جني، قال أبو الفتح: (... وإنما اختاروا الفاء هنا من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط... فإن قيل: وما كانت الحاجة إلى الفاء في جواب الشرط؟ فالجواب: أنه إنما دخلت الفاء في جواب الشرط توصلا إلى (المجازاة..)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٥٢ .

(٤) في «سر صناعة الإعراب»: (.. أو الكلام..) وفي هامشه في (ل) و (ش): (والكلام) ١/ ٢٥٣.

(٥) قوله: (نحو: الأمر والنهي)، ليست عند أبي الفتح ١/ ٢٥٣.

(٦) في (ب): الجملة.

(الفاء) لم يرتبط أول الكلام بآخره[١].

ومن ذلك قولك[٢]: (إن يقم فاضربه) فالجملة التي هي: (اضربه) جملة أمرية، وكذلك: (إن[٣] يقعد فلا تضربه) جملة[٤] نهيية، وكل واحدة[٥] من الجملتين يجوز أن يبتدأ بهما[٦]، فلما كان الابتداء بها يصح وقوعه في الكلام، احتاجوا إلى (الفاء) ليدلوا على أن مثالي الأمر والنهي ليسا على ما يعتد[٧] في الكلام[٨] من وجودهما مبتدأين غير معقودين بما قبلهما[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾. قال ابن السكيت: (الوقود) بالضم، المصدر يقال: وَقَدت النار، تَقِدُ[١٠] وُقُوداً[١١]. ويقال: ما أجود هذا الوَقُود للحطب[١٢].

---

(١) اختصار كلام أبي الفتح، انظر «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٥٣.
(٢) (قولك) ساقط من (ب).
(٣) في (ب): (إن تفعل).
(٤) عند أبي الفتح (فقولك لا تضربه جملة نهيية) ١/ ٢٥٣.
(٥) في (ب): (واحد).
(٦) في (ب): (بها) ومثله عند أبي الفتح ١/ ٢٥٣.
(٧) عند أبي الفتح: (يعهد).
(٨) في (ب): (ليسا على ما بعد بما قبلهما في الكلام).
(٩) انتهى نقل الواحدي من أبي الفتح من كتاب «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٥٢- ٢٥٣.
(١٠) في (ج): (يقد) وفي (أ) غير منقوط. وأثبت ما في (ب).
(١١) في (ب): (وقود).
(١٢) في (ب): (الحطب). «إصلاح المنطق»: ص٣٣٢، والنص من «تهذيب اللغة» (وقد) ٤/ ٣٩٢٩.

وقال غيره[١]: وَقَدَت النار، تَقد وَقُوداً[٢] وَوُقُوداً، وكأن الوقود اسم وضع موضع المصدر. [فالضم: المصدر][٣]، والفتح[٤]: الاسم، ويجوز أن يكون مصدراً[٥].

و(الحجارة) جمع حجر، وليس بقياس، ولكنهم قالوه كما قالوا: جمل وجِمَالة، وذكر وذِكَارة، والقياس أحجار[٦]. وجاء في التفسير أن[٧] الحجارة هاهنا: حجارة الكبريت، عن ابن عباس وغيره[٨].

---

(١) في (التهذيب) (ويقال: وقدت..)، «التهذيب» ٤/ ٣٩٢٩.

(٢) من قوله: (و يقال: ما أجود هذا الوقود... إلى قوله: تقد وقودا) مكرر في (أ) و(ج).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في (ب) (وانفتح).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ص٦٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٩، و«الطبري» ١/ ١٦٩، والثعلبي ١/ ٥٧ب.

(٦) ذكر الأزهري نحوه عن الليث. «تهذيب اللغة» (حجر) ١/ ٧٤٦، «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨١.

(٧) (أن) ساقط من (ب).

(٨) أخرجه «الطبري» بسنده عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج ١/ ١٦٨-١٦٩، وذكره ابن أبي حاتم عن مجاهد والسدي وعمرو بن دينار، ١/ ٦٤/ ٦٥، وانظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٠، «معاني القرآن» للزجاج١/ ٦٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٧ب. ذكر الثعلبي في الحجارة قولا آخر، وهو أن المراد بها: الأصنام، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء:٩٨]، وذكره بعض المفسرين، انظر «الكشاف» ١/ ٢٥٢، «القرطبي» ١/ ٢٠٢، «الدر» ١/ ٧٨. قال الزمخشري راداً على من قال: إنها حجارة الكبريت: (وهو تخصيص بغير دليل، وذهاب عما هو المعنى=

فهي[١] أشد لاتقاد النار.

وقيل: ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار، لأنها لا تأكل الحجارة إلا كانت فظيعة[٢].

وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ لا يدل[٣] على أنها غير مخلوقة بأن الناس لم[٤] يدخلوها بعد، لأنها متقدة[٥] بغير الناس، فإذا دخلها الناس صاروا وقودها، وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ أوضح دلالة على وجودها، لأن المعدوم لا يسمى مُعَدًّا[٦].

وإنما قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وإن[٧] كان العصاة من المسلمين

= الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل...) «الكشاف» ١/ ٢٥٢، وإليه مال الشنقيطي في «أضواء البيان» ١/ ١١٧. أما ابن كثير فمال للقول الأول، وقال في معرض رده على الرازي: (وهذا الذي قاله ليس بقوي، وذلك أن النار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشد لحرها وأقوى لسعيرها، ولاسيما على ما ذكره السلف من أنها حجارة من كبريت معدة لذلك..) «تفسير ابن كثير» ١/ ٦٤.

(١) في (ب) و(ج): (وهي).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي»١/ ٥٧ب، «الكشاف» ١/ ٢٥٢، والرازي ١/ ١٢٢.

(٣) في (ج): (لا تدل).

(٤) في (ج): (لا).

(٥) في (أ) و (ج) (متقد)، وأثبت ما في (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ٥٧ب،وهذا منهج أهل السنة وهو:أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وذهب بعض المبتدعة من المعتزلة والجهمية إلى أنهما لم تخلقا بعد، وأنهما ستخلقان، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٤-٢٠٥. «القرطبي» ١/ ٢٠٣. وابن كثير ١/ ٦٦. والبيضاوي ١/ ١٦.«البحر» ١/ ١٠٨.

(٧) في (ب): (فإن).

يدخلونها، لأن الكافرين يخلدون فيها دون المؤمنين، وكأن النار ليست للمؤمنين لقلة كونهم فيها إذا قيس بالخلود[١]. وإنما لم يقل: (أعدت لكم) وإن كان المخاطبون كفارا، لأنه علم أن فيهم من يؤمن.

ولما ذكر جزاء الكافرين لتكذيبهم[٢] ذكر جزاء المؤمنين لتصديقهم فقال عز من قائل:

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية. و(التبشير) إيراد الخبر السارّ الذي يظهر[٣] السرور في بشرة المخبر، ثم كثر استعماله حتى صار بمنزلة الإخبار، واستعمل في نقيضه كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] إلا أنه[٥] فيما يسرّ أكثر[٦]، ونظيره قول الشاعر:

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ في النَّدى
بَسْلٌ عَلَيْكِ مَلاَمَتِي وعِتَابِي[٧]

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٤-٢٠٥. «القرطبي» ١/ ٢٠٣. «البحر» ١/ ١٠٩.

(٢) قوله: (ذكر جزاء الكافرين لتكذيبهم) مكرر في (أ).

(٣) في (ب) (يظهر أثر السرور).

(٤) طرف من آية في آل عمران: ٢١، والتوبة: ٣٤، والانشقاق: ٢٤.

(٥) (إلا أنه) ساقط من (ب).

(٦) انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٦٩، «الزاهر» ٢/ ١٣٥، «تهذيب اللغة» (بشر) ١/ ٣٣٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٦، «زاد المسير» ١/ ٥٢، «القرطبي» ١/ ٢٠٤، «مفردات الراغب»: ص٤٧-٤٨.

(٧) البيت لضَمْرة بن ضَمْرة مع أبيات أخرى قالها يخاطب امرأته لما لامته على البذل، بكرت: عجلت، بعد وهن: بعد النوم، الندى: السخاء، بسل عليك: حرام عليك. ورد البيت في «النوادر» لأبي زيد: ص١٤٣، «أمالي القالي» ٢/ ٢٧٩، «الزاهر»=

بكر: أصله من البكور بالصباح، ثم كثر حتى قيل لكل من عجل (بكر) فكذلك صح أن يقول: بعد وهن. وقال قوم: أصله فيما يسر ويغم سواء، إذا[١] كان قد[٢] يظهر في بشرة الوجه أثر الغم كما يظهر أثر السرور[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: الفعلات أو الأعمال، فالموصوف بها محذوف. قال ابن عباس: عملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ موضع (أن) نصب، معناه: بشرهم بأن لهم فلما سقطت (الباء) وصل الفعل إلى (أن) فنصب[٥].

= ١/ ٤٥٢، «أضداد ابن الأنباري» :ص٦٣، «أضداد السجستاني»: ص١٠٤، والشاهد فيه هنا: (بكر) أصله من البكور بالصباح ثم استعمل في كل من عجل،كذلك (البشارة)، توسع فيه واستعمل في نقيض الخبر السار.

(١) (إذا) كذا ورد في جميع النسخ، ولعل الأولى (إذ).

(٢) (قد) ساقطة من (ب).

(٣) انظر «الزاهر» ٢/ ١٣٥. وقال ابن فارس: وربما حمل عليه غيره من الشر،وأظن ذلك جنسا من التبكيت، فأما إذا أطلق الكلام إطلاقا فالبشارة بالخير و النذارة بغيره،«مقاييس اللغة» (بشر)١/ ٢٥١. وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٦. وانظر «الكشاف» ١/ ٢٥٤، وقال أبو حيان: (وظاهر كلام الزمخشري أنه لا يكون إلا في الخير... وهو محجوج بالنقل)، «البحر»١/ ١٠٩.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» وذكر أقوالا أخرى عن عثمان وعلي ومعاذ بن جبل وسهل ابن عبد الله ١/ ٥٧ب،٥٨أ، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٣.

(٥) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٦٨.وفيه (فنصبت) وذكر قولا آخر وهو أنه يجوز أن، تكون (أن) في موضع خفض،إن سقطت الباء.انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٧.، «القرطبي» ١/ ٢٠٥، «البحر» ١/ ١١٢.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. (جنات)[١] جمع جنة، وهي الحديقة ذات الشجر، سميت جنة لكثرة شجرها ونباتها[٢]. يقال: جنت الرياض جنوناً، إذا اعتمّ نبتها حتى غطى الأرض[٣]، قال[٤]:

وَجَـنَّ الـخَـازِبـازِ بِـه جُـنُـونَـا[٥]

جعل بعضهم (الخَازِبَازِ) نبتاً، وجنونه التفافه[٦]. ويقال لكل ما ستر: قد جنّ وأجنّ، ومنه جنون الليل، والجَنَانُ والجَنِينُ والْجَنَنُ[٧].

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: من تحت أشجارها ومساكنها[٨]،

---

(١) (جنات) ساقطة من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٠٧، «القرطبي» ١/ ٢٠٥.

(٣) «تهذيب اللغة» (جن) ١/ ٦٧٣، وانظر «الصحاح» (جنن) ٥/ ٢٠٩٣، «اللسان» (جنن) ٢/ ٧٠١.

(٤) (وقال) مكانها بياض في (أ) وساقط من (ج).

(٥) البيت لابن أحمر وصدره:

تَـفَـقَّـأ فَـوْقَـه الـقَـلَـعُ الـسَّـوَارِي

ويروى (تَفَقَّع) و(تكسر فوقها) وهو يصف روضة، و(القلع): السحاب، ورد البيت في «تهذيب اللغة» (خزب) ١/ ١٠٢٠، و(فقأ) ٣/ ٢٨١١، و(جن) ١/ ٦٧٣، (الآن) ١/ ٩٨، وفي «الصحاح» (جن) ٥/ ٢٠٩٣، وفي «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٤٣٨، وفي «اللسان» (جنن) ٢/ ٧٠٥، و(قلع) ٦/ ٣٧٢٤.

(٦) وقال بعضهم: هو (ذباب) وجنونه كثرة ترنمه في طيرانه. انظر: «تهذيب اللغة» (جن) ١/ ٦٧٣، «الصحاح» (جنن) ٥/ ٢٠٩٣.

(٧) (الجَنَان): روعُ القلب، و(الجنين): الولد في الرحم، و(الجنَنُ): القبر، انظر «تهذيب اللغة» (جن) ١/ ٦٧٣.

(٨) انظر: «الطبري» ١/ ١٧٠، والثعلبي ١/ ٥٨أ، وابن عطية ١/ ٢٠٧، «زاد المسير» ١/ ٥٢.

والنهر لا يجري[١]، وإنما يجري الماء فيه، ويستعمل الجري فيه توسعاً، لأنه موضع الجري[٢].

وجاء في الحديث: «**أنهار الجنة تجري في غير أخدود**»[٣] وعلى هذا فالجري في النهر على ظاهره.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا﴾. (كل)[٤]: حرف جملة، ضم إلى (ما) الجزاء، فصار أداة للتكرار، وهي منصوبة على الظرف[٥]. ﴿رُزِقُوا﴾ أي: أطعموا[٦]. ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ (من) صلة[٧] أي: ثمرة[٨].

---

(١) في (أ)، (ب): (تجري).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ، وابن عطية ١/ ٢٠٧-٢٠٨، «القرطبي» ١/ ٢٠٥.

(٣) بهذا اللفظ ذكره الثعلبي قال: جاء في الحديث: «**أنهار الجنة تجري في غير أخدود**» «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ. وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» موقوفاً على مسروق و لفظه: «**أنهار الجنة في غير أخدود**..»، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب «الجنة» ٧/ ٥٣-٥٤، وكذا أخرجه «الطبري» موقوفاً على مسروق و لفظه: (... وماؤها يجري في غير أخدود)١/ ١٧٠، وذكره «القرطبي» قال: (روي أن أنهار الجنة ليست في أخاديد) «تفسير القرطبي» ١/ ٢٠٦. وقال ابن كثير ١/ ٦٧: جاء في الحديث أن أنهارها تجري في غير أخدود. وذكره السيوطي في «الدر» عن مسروق، وعزاه لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في «البعث»، «الدر» ١/ ٨٢.

(٤) (كل) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٥١، «إملاء ما من به الرحمن»: ص٢٣، «البيان في غريب إعراب القرآن»: ص٦٢، «الدر المصون» ١/ ١٧٩.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ.

(٧) في (ب): (طلة).

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ.

ويجوز أن يكون للتبعيض، لأنهم إنما يرزقون بعض ثمار الجنة[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾.[٢] لتشابه ما يؤتون به، ولم يريدوا بقولهم: (هذا الذي رزقنا من قبل) نفس ما أكلوه، ولكن أرادوا: هذا من نوع ما رزقنا من قبل[٣]، كما يقول الرجل: فلان قد أعد لك الطبيخ والشواء، فيقول: هذا طعامي في منزلي كل يوم، يريد هذا الجنس[٤].

و(قبل) يبنى على الضم في مثل هذا الموضع، لأنها تضمنت معنيين، أحدهما: معناها في ذاتها، وهو السبق[٥].

والآخر: معنى ما بعدها، لأن التأويل: هذا الذي رزقنا من قبله، فهو وإن لم يضف ففيه معنى الإضافة[٦]، فلما أدت عن معنيين قويت فحملت

---

(١) المشهور أن (من) في هذا، وفي قوله: (من قبل) لابتداء الغاية، وقيل: للبيان. انظر: «الكشاف» ١/ ٢٦٠، «البحر» ١/ ١١٤، «الدر المصون» ١/ ٢١٥.

(٢) (قالوا) ساقط (ب).

(٣) ذكر ابن جرير في قوله: (هذا الذي رزقنا من قبل) قولين: أحدهما: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. ورجح هذا القول، لأن أول رزق في الجنة لم يسبقه شيء. الثاني: هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا. انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٧١-١٧٢، وانظر «القرطبي» ١/ ٢٠٦، «البحر» ١/ ١١٤.

(٤) ذكره «الطبري» في جواب سؤال أورده وهو قوله: فإن سألنا سائل، فقال: وكيف قال القوم: هذا الذي رزقنا من قبل، والذي رزقوه من قبل قد عدم بأكلهم إياه؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولا لا حقيقة له؟ ثم أجاب عنه بنحو ما ذكر الواحدي هنا، «الطبري» ١/ ١٧٢.

(٥) بنيت على الضم لأنها غاية، انظر «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٢٠، والزجاج ٤/ ١٧٦، «تهذيب اللغة» (قبل) ٣/ ٢٨٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨أ، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٥١، «البحر» ١/ ١١٤.

(٦) انظر المراجع السابقة.

أثقل الحركات[١]، وكذلك قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] تأويله: من قبل كل شيء وبعده[٢].

وهذا مذهب الفراء[٣] والمبرد[٤]، واختيار ابن الأنباري، لأنه قال: العرب إذا وجدت الحرف مؤدياً عن معنيين ألزموه الضم، كقولهم[٥]: (نحن)، ألزموه الضم[٦]، لأنه يؤدي معنى التثنية والجمع، وكذلك (قط) يؤدي عن زمانين كقوله: ما رأيته قط، معناه من أول أوقاتي[٧] إلى الساعة، وسمعت أبا الحسن[٨] الضرير النحوي - رحمه الله - يقول: إنما بني على الضم دون غيره من الحركات، لأنه لما أعرب[٩] عند الإضافة نحو: (قبلك ومن قبلك) بالنصب والخفض لم يبق عند الإفراد والبناء إلا الضم فبني عليه[١٠]، وهذا معنى قول الزجاج، لأنه يقول: ضم (قبل) لأنها غاية كان

---

(١) وهي الضمة، وقال الزجاج: وإنما بنيتا على الضم - أي قبل وبعد - لأن إعرابهما في الإضافة النصب والخفض... فلما عدلا عن بابهما حركا بغير الحركتين اللتين كانتا تدخلان عليهما بحق الإعراب، «معاني القرآن» ٤/ ١٧٦.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣١٩، والزجاج ٤/ ١٧٦، «القرطبي» ١/ ٢٠٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٤) انظر: «المقتضب» ٣/ ١٧٤، ١٧٥.

(٥) في (ب): (كقوله).

(٦) انظر ما سبق عن (نحن) في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]: ٢/ ١٥٨ - ١٥٩.

(٧) في (أ) و(ج): (أوتاتي).

(٨) أحد شيوخ الواحدي في النحو، وقد تقدمت ترجمته في الكلام عن شيوخه.

(٩) في (ب): (أعرف).

(١٠) وهو قول الزجاج في «معاني القرآن» ٤/ ١٧٦، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ١٥١.

يدخلها بحق الإعراب الفتح والكسر، فلما عدلت عن بابها بنيت على ما لم يكن[1] يدخلها بحق الإعراب، وإنما عدلت لأن أصلها الإضافة فجعلت مفردة تنبئ[2] عن الإضافة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾. أي بعضها يشبه بعضاً في اللون والصورة مختلفاً في الطعم، وذلك أبلغ في باب الإعجاب وأدل على الحكمة، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة[4].

وقال الحسن وقتادة وابن جريج: متشابها في الفضل، خيار كله لا رذال[5] فيه[6].

كما يؤتى الرجل بأثواب ليختار منها، فإذا قلبها[7] قال: لا أدري أيها

---

(١) (يكن) سقط من (ب).

(٢) في (ب) و(ج): (تبنى).

(٣) انظر كلام الزجاج في «معاني القرآن» ٤/ ١٧٦، نقله الواحدي بمعناه.

(٤) أخرجه «الطبري» بسنده عن طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ وعن الثوري، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ١/ ١٧٣، وذكر ابن أبي حاتم نحوه عن أبي العالية ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي ١/ ٦٧، وذكره الثعلبي عن ابن عباس ومجاهد والسدي ١/ ٥٨ب، وانظر: «الدر» ١/ ٨٣، ابن كثير ١/ ٦٧، «زاد المسير» ١/ ٥٣، وأخرج ابن جرير عن مجاهد: (متشابهاً) في اللون والطعم ١/ ١٧٣.

(٥) عند «الطبري» (لا رذل) ١/ ١٧٢.

(٦) أخرجه «الطبري» بسنده عن الحسن وقتادة وابن جريج، ١/ ١٧٢-١٧٣. وابن أبي حاتم عن قتادة ١/ ٦٧، والثعلبي عن الحسن وقتادة ١/ ٥٨ب، وانظر (الدر) ١/ ٨٣، «زاد المسير» ١/ ٥٣، والبغوي ١/ ٧٤.

(٧) في (ب): (قبلها).

آخذ لأن كلها حسن مختار[١]، كما قال الشاعر:

مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تقل[٢] لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري[٣]

أي هم متشابهون في الفضل[٤]. قال ابن الأنباري: وقول ابن عباس أدل على حكمة الله ﷻ ونفاذ قدرته، لأنا إذا وجدنا رُمَّاناً يؤدي عن[٥] طعم الكمثرى والتفاح والسفرجل كان أبدع وأغرب من أن لا يؤدي إلا عن طعمه المعروف له[٦]. وقال بعض أهل المعاني: في الآية تقديم وتأخير في المعنى أي: وأتوا به متشابها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾. (الأزواج) جمع زوج وزوجة، وشكل كل شيء: زوجه[٨]. وقوله تعالى: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي: من

---

(١) ذكره ابن الأنباري مع البيت في «الأضداد»: ص٣٨٧.

(٢) في (ب) (تقول).

(٣) ذكره المبرد في «الكامل» مع أبيات أخرى، ونسبه لعبيد بن العرندس يصف قوما نزل بهم ضيفاً، «الكامل» ١/ ٧٨، ٧٩. وأنشده ابن الأنباري في «الأضداد»: ص٣٨٧، وهو في شواهد «الكشاف»، ونسبه لعبيد بن الأبرص قال: وقيل: العرندس: ص٥٧، والصحيح: العرندس كما قال المبرد، وليس في ديوان عبيد بن الأبرص.

(٤) «الأضداد» لابن الأنباري: ص ٣٨٧.

(٥) في (ب): (من).

(٦) (الأضداد) لابن الأنباري: ص٣٨٦، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٨، «زاد المسير» ١/ ٥٣.

(٧) لم أجد من قال به فيما اطلعت عليه.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٩، (الأضداد) لابن الأنباري: ص٣٧٤، «تهذيب اللغة» (زاج) ٢/ ١٥٧٤.

كل أذى وقذر ممّا(١) في نساء الدنيا(٢).

وقيل: عن مساوئ الأخلاق(٣)، لما فيهمنّ من حسن التبعل، ودل على هذا قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٦، ٣٧].

وقيل: من آفات الشيب والهرم(٤).

ويقال: إنه أراد زوجاتهم من الآدميات، ويقال: أراد من الحور العين(٥).

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لأن تمام النعمة بالخلود والبقاء فيها، كما أن التنغيص(٦) بالزوال والفناء(٧).

٢٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ الآية. قال ابن عباس في رواية أبي صالح: لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين قالوا: الله أجل وأعلى من(٨) أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية(٩).

---

(١) من (ب)، وفي غيرها: (مما).

(٢) ذكر ابن جرير عن عدد من الصحابة ومن بعدهم ١/ ١٧٥-١٧٦. وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٩، (تفسير أبي الليث) ١/ ١٠٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨ب، وابن عطية ١/ ٢١٠.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٩، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٤، والثعلبي ١/ ٥٨ب، «الكشاف» ١/ ٢٦٢.

(٤) والأولى أن يراد بها ما يعم كل طهارة، كما قال الزجاج: إن (مطهرة) أبلغ من (طاهرة) لأن (مطهرة) للتكثير ١/ ٦٩. وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢١٠.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٨ب.

(٦) في (ب): (التبعيض).

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٦٨.

(٨) (من) ساقط من (ب).

(٩) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٢٦، وأخرجه «الطبري» بسنده عن ابن عباس=

وقال[١] الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله هذه الآية[٢].

قال أهل المعاني: قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ خرج على لفظهم[٣]، حيث قالوا: إن الله يستحي[٤] أن يضرب المثل بالذباب والعنكبوت[٥]، كقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] لما قالوا: إنه سحر مفترى[٦].

= وابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ١/ ١٧٧، وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ١/ ٦٨، وذكره ابن كثير ١/ ٦٨، وذكره السيوطي في «الدر» عن ابن مسعود وناس من الصحابة ١/ ٨٨.

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ص٢٦-٢٧، وذكره ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن»: ص٤٤ ولم ينسبه، وكذا الثعلبي بنحوه ١/ ٥٩أ. وأخرج ابن جرير عن قتادة وفيه: قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران...إلخ، ١/ ١٧٧-١٧٨، ونحوه عند ابن أبي حاتم، وقال: روي نحوه عن الحسن ١/ ٦٩. قال السيوطي في «لباب النقول» بعد أن ذكر قول قتادة: (وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية، وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ: (قالت اليهود) وهو أنسب، «لباب النقول»: ص١٣، وانظر: ابن كثير ١/ ٦٨، «زاد المسير» ١/ ٥٤، «الكشاف» ١/ ٢٣٦، «البحر» ١/ ١٢٠.

(٣) أي: لفظ اليهود أو المشركين الذين قالوا ذلك.

(٤) في (ب): (لا يستحيي).

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف»، وجعله من باب (القابلة) «الكشاف» ١/ ٢٣٦، «البحر» ١/ ١٢١، ١٢٢.

(٦) ورد هذا فيما حكاه الله من رد قوم موسى في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [القصص: ٣٦].

وقال بعضهم: معنى[١] قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ هو أن الذي يستحيا منه ما يكون قبيحا في نفسه، ويكون لفعله عيب في فعله فأخبر الله سبحانه أن ضرب المثل منه ببعوضة فما فوقها ليس بقبيح ولا نقص ولا عيب، حتى يستحيا منه، فوضع: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ موضع ذلك، كأنه قيل: إن ما يضربه الله من المثل بالبعوض[٢] لا يستحيا منه[٣]، لأن حقيقة الاستحياء في وصفه لا يجوز، لأنه يخاف عيبا، ويستحيل في وصفه أن يحذر نقصًا[٤].

وقيل: معنى: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾: لا يترك، لأن أحدنا إذا استحيا من شيء تركه[٥]، ومعنا ه أن الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها إذا علم أن فيه عبرة لمن اعتبر، وحجة على من جحد[٦]. وقيل: معناه (لا

---

(١) (معنى) ساقط من (ب).

(٢) في (أ) و(ج): (بالتعرض) وما في (ب) هو الصحيح.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩أ.

(٤) ومن أجل هذا أول معنى الآية، وجميع الوجوه التي أوردها في تفسير الآية تأويل، وهذا وافق نهج المتكلمين في باب الصفات، الذين يستعملون تلك المقدمات العقلية لنفي بعض الصفات. أما السلف فإنهم يعتصمون بالنص في الإثبات والنفي، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله أثبتوه وما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله نفوه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية»: ص١٧٨، «الرسالة التدمرية»: ص٧٠، والأولى في معنى الآية ما ذكره «الطبري» قال: (.. معنى الكلام: إن الله لا يستحيي أن يصف شبها لما شبه به الذي هو ما بين البعوضة إلى ما فوق البعوضة). «الطبري» ١/ ١٧٨-١٧٩، وقد نقل الواحدي عن «الطبري» قولاً آخر وادعى أنه اختاره والأمر بخلاف ذلك كما سيأتي.

(٥) ذكره ابن عطية ١/ ٢١٢، «القرطبي» ١/ ٢٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٥٤، والزمخشري (الكشاف)١/ ٢٦٣.

(٦) في (ب) (حجه).

يخشى) والخشية والاستحياء يقوم أحدهما مقام الآخر كقوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي تستحي[١] الناس][٢] والله أحق أن تستحيي[٣] منه، وهذا اختيار محمد بن جرير[٤].

قال أهل اللغة: أصل الاستحياء من الحياة[٥]، واستحيا الرجل لقوة الحياة فيه[٦]، لشدة علمه بمواقع العيب[٧]، فالحياء من قوة الحس ولطفه[٨]

---

(١) (تستحي) يتعدى بنفسه وبالجار وعداه الواحدي بنفسه، وهي عبارة «الطبري»: (وتستحي الناس، والله أحق أن تستحيه..) ١/ ١٧٩، انظر «البحر»١/ ١٢١.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (يستحيا منه).

(٤) لقد وهم الواحدي في زعمه أن هذا اختيار «الطبري»، وتبعه على هذا الوهم أبو حيان في «البحر»١/ ١٢١.قال «الطبري»: (وأما تأويل قوله: (إن الله لا يستحي) فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى (إن الله لا يستحي): أن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً... فيقول: الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء...). قال محمود شاكر: (... إن لفظ «الطبري» دال على أنه لم يحقق معناه ولم يرضه، ولم ينصره...) ١/ ٤٠٢، ٤٠٣ (ط. شاكر). ثم قال محمود شاكر في موضع آخر: (هذا بقية تفسير الكلمة على مذهب من قال: إن الاستحياء بمعنى الخشية، لا ما أخذ به «الطبري»، «تفسير الطبري» صريح، بيّن في آخر الآية) ١/ ٤٠٤ . ونجد «الطبري» يقول في آخر الآية: (فقد تبين إذا بما وصفنا، أن معنى الكلام: إن الله لا يستحي أن يصف شبها لما شبه به الذي هو ما بين بعوضة إلى ما فوق البعوضة) ١/ ١٧٩.

فلم نر «الطبري» يؤول (الاستحياء) بـ (الخشية) والله أعلم.

(٥) في (أ)، (ب): (الحيوة).

(٦) في (ب): (واستحيا الرجل لقلة الحياة، واستحيا الرجل لقوة الحياة فيه...).

(٧) في (ب): (الغيب).

(٨) في (ب): (ولفظه).

وقوة الحياة[١][٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الضرب في المثل مستعار، ومعناه[٣] التسيير للمثل، والجعل لها[٤] يسير في البلاد[٥]، وذكرنا معنى المثل مستقصى فيما[٦] تقدم[٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾. النصب في بعوضة من جهتين[٨]، أحدهما: أن تكون (ما) زائدة، كأنه قال: إن الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلا، ومثلا بعوضة، و(ما) زائدة مؤكدة كقوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ف (ما) في التوكيد بمنزلة (حق) إلا أنه لا إعراب لها.

---

(١) في (أ): (الحيوة).

(٢) قال ابن فارس: (الحاء والياء و الحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة) «مقاييس اللغة» (حي) ٢/ ١٢٢، وانظر «تهذيب اللغة» (حي) ١/ ٩٥٤، «الصحاح» (حيا) ٦/ ٢٣٢٤، «اللسان» ٢/ ١٠٨٠، «مفردات الراغب»: ص١٤٠، «التاج» (حي) ١٩/ ٣٥٩، «الكشاف» ١/ ٢٦٣.

(٣) في (ب): (ومعناه السير للمثل).

(٤) كذا ورد في جميع النسخ ولعل الصواب (له).

(٥) قال «الطبري»: (يبين ويصف)، ١/ ١٧٩، وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس: أن يذكر شبها. «زاد المسير» ١/ ٥٤، وقيل ومعنى يضرب: يذكر، أو يصير. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢١٢-٢١٣، «القرطبي» ١/ ٢٠٨، «البحر» ١/ ١٢٢.

(٦) في (ب): (مما).

(٧) عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ الآية [البقرة: ١٧]، انظر: ص١٨٦-١٨٨.

(٨) ذكره الزجاج قال: (فأما إعراب (بعوضة) فالنصب من جهتين في قولنا وذكر بعض النحويين جهة ثالثة، فأما أجود هذه الجهات فأن تكون (ما) زائدة مؤكدة...) «معاني القرآن» ١/ ٧٠.

والخافض والناصب يتعداها إلى ما بعدها، ومعناها التوكيد فقط[١].

فإذا جعلت (ما) زائدة نصبت بعوضة على أنها المفعول الثاني (ليضرب)[٢]، لأن (يضرب) [هاهنا معناه: يجعل. هذا هو الاختيار عند البصريين[٣].

الوجه الثاني: أن تكون (ما)][٤] نكرة[٥] بمنزلة شيء، فيكون المعنى: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء، ثم أبدل بعوضة من شيء[٦]، فقال: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ وهذا[٧] قول الفراء[٨].

وقال الكسائي: معناه: أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٠، وقد ذكره الفراء و«الطبري» واختارا غيره كما سيأتي، انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١، و«الطبري» ١/ ١٧٩-١٨٠، وانظر الثعلبي ١/ ٥٩أ، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٦٥، «الإملاء» ١/ ١٦، «الكشاف» ١/ ٢٦٤.

(٢) في (ب): (كيضرب).

(٣) انظر: «الطبري» ١/ ١٨٠، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١ .

وفيه وجه آخر: وهو أن (بعوضة) بدل من (المثل)، انظر الثعلبي ١/ ٥٩أ، «الإملاء» ١/ ٢٦، «البيان» ١/ ٦٥، «الكشاف» ١/ ٢٦٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٥٢، قاله الزجاج١/ ٧١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (ذكره).

(٦) في (أ)، (ج): (شيئاً).

(٧) في (ب): (فهذا).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٢، والقول الذي اختاره الفراء القول الآتي الذي نسبه الواحدي للكسائي، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٠، و«الطبري» ١/ ١٨٠، والثعلبي ١/ ٥٩أ.

ثم حذف (بين) و(إلى) ونصب بعوضة بإسقاط الخافض. وفي[١] كلام العرب: (مطرنا ما زُبَالَة فالثعلبية) بمعنى ما بين زُبَالَة إلى الثعلبية[٢]، ويقولون: (له عشرون ما ناقة فجملا) أي ما بين ناقة وجمل، وهو[٣] أحسن الناس ما قَرْناً فقَدَماً[٤].

وأنكر المبرد هذين القولين فقال: أما قول الفراء: إنه يجعل (ما) اسما تاما، وينصب بعوضة بدلا منه[٥]، فإن القول في ذاك ما قال الخليل وسيبويه، قالا جميعاً: إن (من) و(ما) يكونان[٦] نكرتين، فيلزمهما الصفة كلزوم الصلة[٧] إذا كانا معرفتين، تقول[٨]: مررت بمن صالحٍ، أي: بإنسان

---

(١) (والواو) ساقطة من (ب).

(٢) (زبالة) و(الثعلبية) موضوعان معروفان من المنازل في الطريق بين الكوفة ومكة. انظر: «معجم ما استعجم» ١/ ٣٤١، ٢/ ٦٩٣، «معجم البلدان» ٢/ ٧٨، ٣/ ١٢٩.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (وهي) ١/ ٢٢، وكذا في «الطبري» ١/ ١٨٠.

(٤) المعنى: ما بين القرن والقدم. ورد الكلام في «معاني القرآن» للفراء ولم ينسبه للكسائي ١/ ٢٢، وذكره «الطبري» ولم يعزه، وعزاه محمود شاكر في حاشية «الطبري» للفراء ١/ ٤٠٥ ، وفي الآية وجه آخر ذكره بعض المفسرين: وهو أن تكون (ما) بمعنى (الذي) و(بعوضة) مرفوع، لأنه خبر مبتدأ مقدر، أي: الذي هو بعوضة، وأنكر الزجاج هذا الوجه، لأنه لم يثبت قراءة، وإن كان صحيحاً في الإعراب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧١.
أما «الطبري» فاختار هذا الوجه، ولكن على نصب (بعوضة) وذكر لنصبها وجهين... انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٧٩، وانظر: «البيان» ١/ ٦٦، وابن عطية ١/ ٢١٣.

(٥) الفراء لم يرجح هذا القول، وإنما رجح القول الذي نسبه الواحدي للكسائي حيث قال: (الوجه الثالث: -وهو أحبها إليَّ - فأن تجعل المعنى على: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بين البعوضة إلى ما فوقها..)، «معاني القرآن» ١/ ٢٢.

(٦) (يكونان) ساقطة من (ج). (٧) في (ب): (الصفة).

(٨) في (أ)، (ج): (يقول).

صالح. ومررت بما حسنٍ، أي بشيء حسن. فلا يكونان نكرتين إلا بوصفهما. كما لا يكونان[١] معرفتين إلا بصلتهما[٢]. والفراء جعل (ما) وحدها اسما[٣]، لأن البعوضة ليست بصفة. وقال سيبويه[٤] في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] يجوز أن يكون (ما) نكرة، أي هذا شيء لدي عتيد، ويجوز أن يكون في معنى (الذي)[٥].

وأما قول الكسائي: (ما بين كذا إلى كذا)[٦] فإنما يحكى هذا الكلام عن أعرابي وحده، وإن صح فوجهه غير ما ذكر، وهو أن يكون (ما) صلة، فيكون الكلام: (مطرنا[٧] زبالة فالثعلبية) كما تقول: أتيت الكوفة فالبصرة. ولو كان معناه (ما بين)، لم يكن المطر بزبالة ولا الثعلبية، لأن ما بينهما غيرهما، وإضمار (بين) فبعيد جداً.

و(البعوض) صغار البق، الواحدة بعوضة، وذلك لأنها كبعض البق في الصغر[٨].

---

(١) في (أ)، (ج): (يكونان) بسقوط (لا).

(٢) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٠٥-١٠٧.

(٣) الفراء اختار غير هذا القول كما سبق، وانظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٢.

(٤) (سيبويه) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٠٦.

(٦) هذا الكلام في «معاني القرآن» ولم يعزه للكسائي، عزا إليه كلاما بمعناه قال: (قال الكسائي سمعت أعرابيًا ورأى الهلال فقال: الحمد لله ما إهلالك إلى سَرارِك، يريد ما بين إهلالك إلى سرارك... وحكا الكسائي عن بعض العرب: الشَّنَقُ ما خمسا إلى خمس وعشرين، يريد ما بين خمس إلى خمس وعشرين. والشَّنَقُ: ما لم تجب فيه الفريضة من الإبل..)، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٢، ٢٣.

(٧) في (ب) (فيكون) (الكلام مثل ما زبالة).

(٨) انظر: «الصحاح» (بعض) ٣/ ١٠٦٦، «زاد المسير» ١/ ٥٥، «القرطبي» ١/ ٢٠٩، ورجح الدميري: أن البعوض غير البق، انظر: «حياة الحيوان» ١/ ١٧٩.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ يعني ما هو أكبر منها، لأن البعوض نهاية في الصغر[١].

قال ابن عباس: يعني الذباب والعنكبوت[٢]، وهما فوق البعوض. [وقيل: أراد بما فوق البعوض][٣] الفيل، وذلك أن الله تعالى خلق للبعوضة من الأعضاء مثل ما خلق للفيل[٤] على عظمه، وزاد للبعوض جناحين، ففي ضربه المثل به أعظم عبرة وأتم دلالة على كمال قدرته وتمام حكمته.

وقال بعضهم: فما فوقها، يعني في الصغر، يريد فما هو أصغر منها[٥]، لأنه يقال: فلان فوق فلان في الحقارة والدناءة. واختار قوم هذا[٦]، لأن الغرض المطلوب هاهنا الصغر.

فإن قيل: إذا كانت البعوضة هي النهاية في الصغر، فلا معنى في[٧] (فما فوقها) في الصغر، قيل: ليس الأمر على ما قلتم، لأن ما دون

---

(١) ذكره الفراء ورجحه، انظر «معاني القرآن» ١/ ٢٠. «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧١، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٥، «تفسير الطبري» ١/ ١٨٠، أبي الليث ١/ ١٠٤، والثعلبي ١/ ٥٩أ، «الكاشف» ١/ ٢٦٥.

(٢) ذكر الثعلبي ١/ ٥٩أ، وأبو الليث ١/ ١٠٤، وابن قتيبة في «غريب القرآن» ولم يعزه لابن عباس: ص٢٧.

(٣) ما بين المعقوفين مكرر في (ب). (٤) في (ب): (الفيل).

(٥) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٠، والزجاج في «المعاني» ١/ ٧١، والأخفش في «المعاني» ١/ ٢١٥، و«الطبري» ١/ ١٨٠، وضعفه، وذكره أبو الليث ١/ ١٠٤، وأبو عبيده في «المجاز» ١/ ٣٥، وابن قتيبة في «المشكل»: ص٢٧، وابن الأنباري في «الأضداد»: ص٢٥٠، والزمخشري في «الكشاف» ١/ ٢٦٥.

(٦) كأبي عبيدة في «المجاز» ١/ ٣٥، وابن قتيبة في «المشكل»: ص٢٧.

(٧) في (ب): (فلا معنى فيما).

البعوضة في الصغر متوهم معقول، وإن لم ير، كما قال: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٥] فالمشبه به معقول وإن لم ير، وكما قال الشاعر:

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أغْوَالِ[١]

ولم ير ناب الغول. ويؤكد هذا التأويل قول أبي عبيدة في هذه الآية وهو أنه[٢] قال: (فما فوقها) يعني: فما دونها[٣]. و(فوق) من الأضداد، لأنه لا فوق[٤] إلا ويصلح أن يكون دون، لأن من فوقك[٥] يصلح أن يكون دون غيرك فذلك فوق[٦] من وجه ودون من وجه[٧]. وإذا كان (فوق) بمعنى

---

(١) عجز بيت لامرئ القيس وصدره:

أيقْتُلُنِي والمشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي

المشرفي: السيف، (مسنونة زرق): سهام محددة الأزجه صافية، شبهها بأنياب الأغوال، تشنيعا ومبالغة في الوصف، والأغوال: الشياطين، وقيل: الحيات. انظر «ديوان امرئ القيس»: ص١٢٥، «تهذيب اللغة» (غال) ٨/ ١٩٣، «المخصص» ٨/ ١١، «اللسان» (غول) ٦/ ٣٣١٨، «البحر المحيط» ٢/ ٣٠٤.

(٢) في (ب): (أن).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٣٥.

(٤) في (ب): (لا فرق).

(٥) في (ب): (فوق الصلح).

(٦) (فوق) ساقط من (ب).

(٧) انظر: «الأضداد» لأبي حاتم: ص١٠١، ولابن الأنباري: ص٢٥٠، وقد ذكر عن قطرب: (أن فوق تكن بمعنى: (دون) مع الوصف، كقول العرب: إنه لقليل وفوق القليل، ولا تكون بمعنى: (دون) مع الأسماء، كقول العرب: هذِه نملة وفوق النملة...) ورد أقوال المفسرين الذين قالوا: إن (فوقا) في الآية بمعنى (دون)، وغلّطه ابن الأنباري في هذا وردَّ عليه. والأقرب أن (فوق) في الآية تكون بمعنى: أعظم، وبمعنى: دون، وهذا هو اختيار ابن الأنباري، وانظر: «المشكل» لابن قتيبة: ص٢٧، «البحر» ١/ ١٢٣، وابن كثير ١/ ٦٩.

(دون) كان المعنى (فما دونها) أي: ما هو أصغر منها.

وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالحقير [في][1] كلام العرب بقول الفرزدق:

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا
وَقَضَى[2] عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ[3]

وبقوله أيضاً:

وَهَل شَيءٌ يَكُونُ أذَلَّ بَيْتاً[4]
مِنَ اليَرْبُوعِ يَحْتَفِرُ التُّرَابَا[5]

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ﴾. مدحهم الله بعلمهم أن المثل وقع في[6] حقه[7] وذم الكافرين بإعراضهم عن طريق الاستدلال وإنكارهم ما هو صواب وحكمة.

وقوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾. قال أبو إسحاق: (ماذا) يجوز أن يكون (ما) و(ذا) اسماً واحداً، ويكون موضعها نصباً، المعنى:

---

(١) (في) إضافة من «الوسيط» للواحدي ١/ ٦٦، لاستقامة السياق.

(٢) في (ب): (ومعن).

(٣) استشهد الواحدي بالبيت في «الوسيط» ١/ ٦٦، وهو في «ديوان الفرزدق» ٢/ ١٥٥، من قصيدة طويلة ضمن نقائضه مع جرير.

(٤) (بيتا) ساقط من (ب).

(٥) استشهد الواحدي بالبيت في «الوسيط» ١/ ٦٦، وهو في «ديوان الفرزدق» ١/ ١٠٣.

(٦) (في) ساقط من (ب).

(٧) قال «الطبري»: يعرفون أن المثل الذي ضربه الله، لما ضربه له مثل، ثم ذكر عن الربيع وقتادة أن هذا المثل الحق من ربهم، وأنه كلام الله ١/ ١٨١، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧١ / «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩أ.

أي شيء أراد الله بهذا مثلًا؟ ويجوز أن يكون (ذا) مع (ما) بمنزلة (الذي) فيكون المعنى: ما الذي أراده[١] الله بهذا مثلا ؟ فيكون (ما) رفعاً بالابتداء و(ذا) في معنى الذي وهو خبر الابتداء، انتهى كلامه[٢].

وفائدة الوجهين يتبين في الجواب، فإنك إن جعلته اسمًا واحداً كان جوابه منصوبًا، وإن جعلت (ما) ابتداء و(ذا) خبره كان الجواب مرفوعا، مثاله أنَّ قائلا لو[٣] قال لك: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ قلت: البيانَ لحال[٤] الذي ضرب له المثل، لأنك أبدلته من (ماذا) وهو نصب. وفي الوجه الثاني قلت: البيانُ بالرفع؛ لأن (ذا) محله رفع بخبر الابتداء[٥]. وجاء في القرآن بالتقديرين[٦] جميعًا في قوله: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠]، و﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤] فعلى النصب كأنه قيل: أي شيء أنزل ربكم[٧]؟، وعلى الرفع[٨]: أي شيء الذي[٩] أنزله[١٠]

---

(١) في (ب): (أراد).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٢، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ٣٢، «البيان» ١/ ٦٦، «الإملاء» ١/ ٢٦، وقد ذكر النحويون أن (ماذا) تأتي في ستة أوجه، لكن يجوز في الآية وجهان ذكرهما المؤلف، انظر مغنى اللبيب ١/ ٣٠٠، «البحر» ١/ ١٢٤، و«الدر المصون» ١/ ٢٢٣.

(٣) (لو) ساقطة من (ب).

(٤) في (أ)، (ج): (الحال) أثنبت ما في (ب) لمناسبته للسياق.

(٥) انظر: «الكتاب» ٢/ ٤١٧، ٤١٨، «الكشاف» ١/ ٢٦٦، «البحر» ١/ ١٢٤،.

(٦) في (ب): (التقدير).

(٧) وعليه جاءت الآية الأولى: (قالوا خيرا).

(٨) وعليه جاءت الآية الثانية: (قالوا أساطير الأولين)، انظر «الكتاب» ٢/ ٤١٧.

(٩) (الذي) ساقط من (ب).

(١٠) في (ج): (أنزل).

ربكم؟ واستشهد سيبويه[١] في الرفع بقول الشاعر:

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يُحاوِلُ
أَنَحْبٌ فَيُقْضَى أمْ ضَلالٌ وَبَاطِلُ[٢]

وبقولهم: (عَمَّاذَا تَسْأَل) على أنهما بمنزلة اسم واحد ولو لم يكن كذلك لقالوا: (عم ذا تسأل)[٣] وذكرنا هذه المسألة بأبلغ من هذا في الشرح، عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وفي نصب قوله: ﴿مَثَلًا﴾ وجوه، أحدها: الحال[٤]، لأنه جاء بعد تمام الكلام كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا مبينا. والثاني: التمييز والتفسير للمبهم[٥]، وهو(هذا) كأنه قيل ماذا أراد الله بهذا من

---

(١) «الكتاب» ١/ ٤١٧.

(٢) البيت مطلع قصيدة للبيد بن ربيعة، يرثي بها النعمان بن المنذر.
النحب: النذر، يقول: ألا تسألان رجلًا مجتهدًا في أمر الدنيا والسعي خلفها، كأنه أوجب على نفسه نذرا في ذلك، فهو يجري لقضاء ذلك النذر، أم هو ضلال و باطل من أمره. ورد البيت عند سيبويه ٢/ ٤١٧، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٩، (المعاني الكبير) ٣/ ١٢٠١، «جمل الزجاجي» ص٣٤٩، «المخصص» ١٤/ ١٠٣، «مغني اللبيب» ١/ ٣٠٠، «شرح المفصل» ٣/ ١٤٩، ٤/ ٢٣، «الخزانة» ٢/ ٢٥٢،٦/ ١٤٥، «الدر المصون» ١/ ٢٢٩ (ديوان لبيد) ص٢٥٤، والشاهد (أنحب) حيث جاء مرفوعًا فدل على أن (ذا) في معني (الذي).

(٣) (عم ذا تسأل) بحذف ألف (ما) لأن (ما) إذا كانت استفهاما ودخل عليها حرف الجر حذفت ألفها، فلما ثبتت الألف دل على أنها مركبة مع (ذا)، انظر: «الكتاب» ٢/ ٤١٨، «شرح المفصل» ٣/ ١٥٠.

(٤) اختلف في صاحب الحال، فقيل: اسم الإشارة، وقيل لفظ الجلالة (الله)، انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٤١٨، «المشكل» لمكي ١/ ٢٣١، وبن عطية ١/ ٢١٣، «البيان» ١/ ٦٧، «البحر» ١/ ١٢٥، «الدر المصون» ١/ ٢٣١.

(٥) في (ب) (للمتهم).

الأمثال[١]. والثالث: القطع، كأنه قيل: ماذا أراد الله بهذا المثل[٢]؟ إلا أنه لما جاء نكرة[٣] نصب على القطع عن إتباع المعرفة، وهذا مذهب الفراء وأحمد بن يحيى[٤]، ومعناه: إن الذين كفروا يقولون: أي فائدة في ضرب المثل بهذا؟ فأضلهم الله سبحانه فقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[٥] أي: أراد الله بهذا المثل أن يضل به كثيرًا من الكافرين، وذلك[٦] أنهم ينكرونه ويكذبونه. ويهدي به كثيرًا من المؤمنين، لأنهم يعرفونه ويصدقون به[٧].

قال[٨] الأزهري: (والإضلال) في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد، يقال[٩]: أضللت فلانا، إذا وجهته للضلال عن الطريق فلم[١٠] ترشده، وإياه أراد لبيد بقوله:

---

(١) انظر: «المشكل» لمكي ١/ ٣٣، وابن عطية ١/ ٢١٣، «البيان» ١/ ٦٧، «الإملاء» ١/ ٢٦، «البحر»١/ ١٢٥، «الدر المصون» ١/ ٢٣١.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٥٤، والثعلبي ١/ ٩٥أ، «البحر»١/ ١٢٥، وقال أبو حيان: إن هذا مذهب الكوفيين، والمراد بالقطع: أنه يجوز أن يعرب بإعراب الاسم الذي قبله، فإذا لم تتبعه في الإعراب وقطعته عنه نصب على القطع، وقال: وهذا كله عند البصريين منصوب على الحال، ولم يثبت البصريون النصب على القطع، انظر: «الدر المصون»١/ ٢٣١.

(٣) في (ب): (ذكره).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٥٤، «البحر» ١/ ١٢٥.

(٥) قوله: (يهدي به كثيرا) ساقط من(أ)، (ج).

(٦) في (ب): (وكذلك).

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب.

(٨) في (ب): (كذلك قال الأزهري).

(٩) في (ب): (يقول).

(١٠) قوله: (فلم ترشده) ليس في «تهذيب اللغة».

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى   نَاعِمَ البَالِ ومَنْ شَاءَ أَضَل[(١)]

قال لبيد هذا في الجاهلية، فوافق قوله التنزيل: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[(٢)(٣)(٤)]. ولا يجوز أن يكون معنى الإضلال: الحكم والتسمية، لأن أحدنا إذا حكم بضلالة[(٥)] إنسان لا يقال: أضله، وهذا لا يعرفه أهل اللغة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. قال الليث: (الفسق) الترك لأمر الله، ومثله (الفسوق)[(٧)]. قال أبو عبيدة: وأصله في اللغة الجور

---

(١) البيت ورد في «تهذيب اللغة» (ضل) ٣/ ٢١٣٠، «اللسان» (ضلل) ٥/ ٢٦٠١، «ديوان لبيد مع شرحه» ص١٧٤، «الوسيط» للواحدي ١/ ٦٧.

(٢) في (ب): (تضل وتهدي).

(٣) جزء من آية في النحل: ٩٣، وسورة فاطر آية: ٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (ضل) ٣/ ٢١٣٠، وانظر: «اللسان» (ضلل) ٥/ ٢٦٠١.

(٥) في (ب): (بضلال).

(٦) يرد بهذا على المعتزلة الذين قالوا: إن الله لا يخلق الضلال، ومعناه الإضلال عندهم هنا: الحكم أو التسمية، أو أنه من إسناد الفعل إلى السبب كما قال الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٢٦٧.
وعند أهل السنة: أن الله خالق العباد وخالق أفعالهم، انظر «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٥، وابن عطية ١/ ٢١٦-٢١٧، «الإنصاف» فيما تضمنه «الكشاف» من الاعتزال حاشية على «الكشاف» ١/ ٢٦٧، «القرطبي» ١/ ٢٠٩-٢١٠. قال ابن كثير: قال السدي في «تفسيره»: عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: (يضل به كثيرًا) يعني به المنافقين (ويهدي به كثيرا) يعني به المؤمنين فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم لتكذيبهم .. ويهدي به بمعنى: المثل كثيرا من أهل الإيمان والتصديق فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانا إلى إيمانهم لتصديقهم ..) ابن كثير ١/ ٦٩-٧٠.

(٧) «تهذيب اللغة» (فسق) ٣/ ٢٧٨٨.

والميل عن الطاعة، يقال: (فسق) إذا جار. وأنشد[١]:

فواسِقًا عَنْ قَصْدِهِ[٢] جَوَائِرا[٣]

وقال الفراء (الفسق)[٤] الخروج عن الطاعة، قال: والعرب تقول: فسقت الرطبة من قشرها، لخروجها منه، وكأن الفأرة إنما سميت (فويسقة) لخروجها من جحرها على الناس[٥]. وقال أبو العباس: (الفسوق) الخروج[٦]. وقال أبو الهيثم: وقد يكون الفسوق شركًا، ويكون إثمًا[٧]. والذي أريد به هاهنا الكفر[٨] لقوله[٩] تعالى:

٢٧- ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾. (والذين) من صفة الفاسقين. و(النقض) في

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٤٠٦، «تهذيب اللغة» (فسق) ٣/ ٢٧٨٨، والنص من «التهذيب».

(٢) في (ب): (أمره) وهي رواية وردت في «اللسان» (فسق) ٦/ ٣٤١٤.

(٣) البيت لرؤبة كما في «مجاز القرآن» وقبله:

يهوين في نَجد وغورًا غائرا

يصف إبلا منعدلة عن قصد نجد ورد البيت في «مجاز القرآن» ١/ ٤٠٦، وفيه (قصدها) بدل (قصده) ومثله عند «الطبري» ١٥/ ٢٦١، وبمثل رواية الواحدي ورد في «الزاهر» ١/ ٢١٨، «تهذيب اللغة» (فسق) ٣/ ٢٧٨٨، «اللسان» ٦/ ٣٤١٤، «القرطبي» ١/ ٢١٠.

(٤) (الفسق) ساقط من(ب)

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٧، وفيه قوله: (ففسق عن أمر ربه) أي: خرج عن طاعة ربه، والعرب تقول:.. ونحوه في «التهذيب» (فسق).

(٦) «تهذيب اللغة» (فسق) ٣/ ٢٧٧٨.

(٧) في «التهذيب» وقال أبو الهيثم: الفسوق يكون الشرك ويكون الإثم (فسق) ٣/ ٢٧٨٩، وانظر: «اللسان» (فسق) ٦/ ٣٤١٤.

(٨) انظر: «الطبري» ١/ ١٨٢، و«ابن كثير» ١/ ٧٠، «زاد المسير» ١/ ٥٦، و «القرطبي» ١/ ٢١٠.

(٩) في (ب): (كقوله).

اللغة: الهدم، وإفساد ما أبرمته من حبل أو بناء[١]، و(نقيض الشيء)[٢]: ما ينقضه[٣] أي: يهدمه ويرفع حكمه[٤].

والمناقضة في الشعر أن[٥] يقول الشاعر قصيدة، فينقض عليه شاعر آخر حتى يجيء بغير ما قال، والاسم النقيضة[٦] ويجمع على النقائض، ولهذا المعنى قالوا: نقائض[٧] جرير والفرزدق[٨].

وقوله تعالى: ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾. (العهد) في اللغة يكون لأشياء مختلفة[٩]، والذي أريد به هاهنا الوصية[١٠] والأمر من قولهم: عهد الخليفة إلى فلان كذا وكذا، أي[١١]: أمره. ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [يس:

---

(١) ذكر نحوه الأزهري عن الليث، «تهذيب اللغة» (نقض) ٤/ ٣٦٤٨، وانظر «اللسان» (نقض) ٨/ ٤٥٢٤.

(٢) في (أ): (نقيض).

(٣) في (أ) و (ج): (ما تنقضه) وما في (ب) أصح، وموافق لما في «الوسيط» ١/ ٦٨.

(٤) النقض: لغة: هو الكسر، وفي الاصطلاح: بيان تخلف الحكم المدعي عليه ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض الصور. انظر «التعريفات» للجرجاني ص٢٤٥. والتناقض: (اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته أن يكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة) انظر: «تيسير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية» ١/ ١٦٩.

(٥) في (ب): (الشعر أو يقول...).

(٦) في (ب): (النقضة).

(٧) في (ب): (أنقاض).

(٨) ذكره الأزهري في «التهذيب» عن الليث (نقض) ٨/ ٣٦٤، انظر «اللسان» (نقض) ٨/ ٤٥٢٤.

(٩) ذكر الأزهري عن أبي عبيد أن العهد يكون في أشياء مختلفة ثم ذكرها، انظر: «التهذيب» (عهد) ٣/ ٣٢٦٠٧.

(١٠) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢١٧.

(١١) في (ب): (أدا).

٦٠] أي ألم آمركم[١]. والعهد أيضًا[٢] العقد الذي يتوثق به لما بعد[٣].

وذكر أبو إسحاق للعهد[٤] المذكور في هذه الآية وجهين[٥] أحدهما: ما أخذه على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

وقال[٦]: يجوز أن يكون عهد الله الذي أخذه من بين آدم من ظهورهم يوم الميثاق حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم جحدوا ونقضوا ذلك العهد في حال كمال عقولهم.

والوجه الأول أصحهما، من قبل أن الله لا يحتج عليهم بما لا يعرفون، لأنه بمنزلة ما لم يكن إذا كانوا لا يشعرون به، ولا لهم دلالة عليه. والثاني مع هذه صحيح، لأنهم[٧] عرفوا ذلك العهد بخبر الصادق، فكان كما لو كانوا يشعرون به[٨].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عهد) ٣/ ٢٦٠٧.

(٢) في (ج): (أيضم).

(٣) انظر: «التهذيب» (عهد) ٣/ ٢٦٠٧، «مفردات الراغب» ص٣٥٠.

(٤) في (ب): (العهد).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٢،٧٣، وقد ذكر ثلاثة أوجه، وجهان ذكرهما المؤلف هنا، والثالث حين قال: وقال قوم: إن عهد الله: هو الاستدلال على توحيده، وأن كل مميز يعلم أن الله خالق، فعليه الإيمان به، ثم قال: والقولان الأولان في القرآن ما يصدق تفسيرهما. وذكر «الطبري» هذه الوجوه وغيرها.

(٦) هذا هو الوجه الثاني.

(٧) في (أ)، (ج): (لأنه) وأثبت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.

(٨) وبهذا يستدرك الواحدي على كلامه السابق عن العهد الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرج ذرية آدم من ظهره، فهذا العهد ثابت بالخبر الصحيح، أخرجه «الطبري» في (تفسيره)، وجمع محمود شاكر طرقه وانتهى إلى الأخذ بما قرره=

وهذا[1] الوجه هو قول ابن عباس ذكره في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الرعد: ٢٥] في سورة الرعد، قال: يريد الذي[2] عهد إليهم في صلب آدم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾. (من) صلة لأجل التأكيد[4].

والميثاق: ما وقع التوثيق[5] به، كما أن الميقات ما وقع التوقيت به، ومواقيت الحج من ذلك، لأنه وقع توقيت الإحرام ببلوغها. والكتاب أو

= أحمد شاكر من تصحيح الحديث انظر: «الطبري» ١٣/ ٢٢٢،٢٢٣ . قال ابن الجوزي: (ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق فيجب الإيمان به) «زاد المسير» ١/ ٥٦. ويبقى السؤال هل الميثاق المأخوذ عليهم هو العهد المراد بهذِه الآية أم لا؟ رجح ابن جرير: أن المراد بالعهد في هذِه الآية العهد الذي أخذه الله على بني إسرائيل في التوراة من الإقرار بمحمد ﷺ بما جاء به وتبيين نبوته. انظر: «الطبري» ١/ ١٨٢-١٨٣. ورجح القرطبي وغيره: أنها عامة والعهد هو وصية الله تعالى إلى خلقه وأمره إياهم بطاعته وطاعة رسله، ونقضهم للعهد ترك ذلك. انظر: «القرطبي» ١/ ٢١٠، ابن كثير ١/ ٧٠.

(١) في (أ)، (ج): (هذِه) وأثبت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.

(٢) في (ب): (الذين).

(٣) سورة الأعراف: ١٧٢. الأثر عن ابن عباس ذكره الواحدي في «الوسيط» قال (وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء) «الوسيط» ١/ ٦٨. ولم أجد الأثر عن ابن عباس في هذا المعنى في آية (البقرة) ولا في آية (الرعد) وقد وردت آثار عن ابن عباس من طريق عطاء في الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم أوردها «الطبري» في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف: ١٧٢. وليس في الآثار ذكر أنه هو العهد المراد بآية البقرة أو الرعد. انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١١٠-١١٨.

(٤) وقيل: لابتداء الغاية، انظر: «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٢٧، «زاد المسير» ١/ ٥٦، «البحر» ١/ ١٢٧، قال أبو حيان: إن القول إنها زائدة بعيد.

(٥) في (ب): (للتوثيق).

الكلام الذي يستوثق به: ميثاق، الوقت الذي يعقد به الوعد: ميعاد[١]، وكذلك المصداق[٢] ما انعقد الصدق به[٣].

و(الياء) في الميثاق منقلبة عن الواو[٤].

وقال الفراء: يقال في جمع الميثاق: مياثق ومواثق، قال[٥]:

حِمىً لاَ يُحَلُّ الدَّهْرَ إلَّا بِإذْنِنَا وَلَا نَسْأَلُ الأَقْوَامَ عَقْدَ المَيَاثِقِ[٦]

والكناية في الميثاق يجوز أن تكون[٧] عائدة على الله، [أي: من بعد ميثاق الله ذلك العهد، بما أكد من إيجابه عليهم. ويجوز أن تعود على العهد][٨]، أي: من بعد ميثاق العهد وتوكده[٩].

---

(١) في (ج): (من معاد).

(٢) في (ب): (الصداق).

(٣) انظر: «الوسيط» ١/ ٦٩، و«الطبري» ١/ ١٨٤، «تهذيب اللغة» (وثق) ٤/ ٣٨٣٤، «الكشاف» ٢/ ٢٦٨، «البحر» ١/ ١٢٧، «القرطبي» ١/ ٢١١.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب، «القرطبي» ١/ ٢١١.

(٥) قول الفراء أورده الأزهري في «تهذيب اللغة»، قال: وأنشد في لغة (الياء)، أي (مياثق) «التهذيب» (وثق) ٤/ ٣٨٣٤، وانظر «اللسان» (وثق) ٨/ ٤٧٦٤.

(٦) البيت لعياض بن درة الطائي، وقيل: عياض بن أم درة، يصف قومه بالمنعة والقوة يقول: لنا حمى لا يحله احد إلا بإذننا، ولا نسأل أحدا عقد ميثاق حماية. ورد البيت في «تهذيب اللغة» (وثق) ٤/ ٣٨٣٤، «إصلاح المنطق» ص١٣٨، «الخصائص» ٣/ ١٧٥، «اللسان» (وثق) ٨/ ٤٧٦٤، «شرح المفصل» ٥/ ٢٢١، وأورد أبو زيد البيت على رواية (المواثق) وقال عن راوية المياثق: إنها شاذة. انظر «النوادر» ص٢٧١.

(٧) في (أ)، (ج): (يكون) واخترت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ج) والزيادة في (ب) يقتضيها السياق وقد وردت في «الوسيط» ١/ ٦٩.

(٩) انظر «الطبري» ١/ ١٨٤، وابن عطية ١/ ٢١٨، «زاد المسير» ١/ ٥٦، «الإملاء» ١/ ٢٧، «الكشاف» ١/ ٢٦٨.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥] يعني الأرحام[(١)]، وذلك أنّ قريشاً قطعوا رحم النبي ﷺ بالمعاداة معه[(٢)].

وقيل: هو الإيمان بجميع الرسل والكتب، وهو نوع من الصلة، لأنهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠] فقطعوا. وهذا الوجه هو قول ابن عباس ذكره في الآية التي في (الرعد)[(٣)]، وقال: المؤمن لا يفرق [بين أحد من رسله فوصلوا[(٤)].

قال الزجاج: وموضع ﴿أَن يُوصَلَ﴾ خفض على][(٥)] البدل من (الهاء) المعنى: ما أمر الله أن يوصل[(٦)].

﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. أصل الخسران في التجارة

---

(١) رجح «الطبري» هذا القول ١/ ١٨٥، وانظر الثعلبي ١/ ٥٥٥ب، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٥، «زاد المسير» ١/ ٥٧، وابن كثير ١/ ٧٠.

(٢) وهي عامة لكل قاطع لما أمر الله بوصله، انظر: «الطبري» ١/ ١٨٥.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

(٤) وصلوا بينهم الإيمان بجميع الرسل. انظر: «الوسيط» ١/ ٦٩. والرواية عن ابن عباس ذكرها أبو الليث من طريق الضحاك وعطاء، في آية (البقرة) ولم أجد أحدًا - فيما اطلعت عليه - ذكرها في الرعد، انظر: «الطبري» ١٣/ ١٣٩-١٤٠، وقد ذكر الثعلبي ١/ ٥٩ب، والبغوي ١/ ٧٧، كلام ابن عباس بمعناه ولم ينسباه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) انتهى كلام الزجاج، «معاني القرآن» ١/ ٧٣، وفيه (بأن يوصل).

(٧) انظر: «الطبري» ١/ ١٨٥، والثعلبي ١/ ٥٩ب.

أن يبتاع الرجل شيئًا فيوضع من رأس ماله[١]، وهي الوضيعة فيه، والمصدر: الخسارة والخسر، وصفقة[٢] خاسرة غير مربحة، هذا هو الأصل[٣]، ثم قيل لكل صائر إلى مكروه: خاسر، لنقصان حظه من الخير، والقوم نقصوا[٤] بكفرهم راحة أنفسهم التي كانت لهم لو آمنوا، فاستحقوا العقوبة وفاتتهم المثوبة[٥].

٢٨- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية. قال النحويون: (كيف) في الأصل سؤال عن الحال، لأن جوابه يكون بالحال، وهي منتظمة جميع الأحوال[٦]. ونظيرها في الاستفهام (كم) لأنها تنتظم جميع الأعداد و(ما)[٧] وهي تنتظم جميع الأجناس، و(أين) وهي تنتظم جميع الأماكن، و(متى) [وهي تنظم جميع الأزمان، و(من)][٨] وهي تنتظم جميع ما يعقل[٩].

قال الزجاج: تأويل (كيف) هاهنا استفهام في معنى التعجب، وهذا

---

(١) في (ب): (المال). (٢) في (ب): (وصفقته).

(٣) انظر: «الطبري» ١/ ١٨٥، «التهذيب» (خسر) ١/ ١٠٢٨، «مفردات الراغب» ١٤٧.

(٤) في (ب): (نقضوا).

(٥) انظر: «الطبري» ١/ ١٨٥، والثعلبي ١/ ٥٩ب، «القرطبي» ١/ ٢١٢ .

(٦) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢٣٣، «المقتضب» ٣/ ٢٨٩، ٦٣، «حروف المعاني» للزجاجي ص٣٥، ٥٩، وقد ذكر الزجاجي أنها تقع في ثلاثة مواضع: تقع بمنزلة (كما)، واستفهاما عن حال، وبمعنى التعجب واستشهد على هذا المعنى بالآية ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾، وانظر: «البرهان» ٤/ ٣٣٠، «مغني اللبيب» ١/ ٢٠٤.

(٧) (و) ساقطة من (ب).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢٣٣، «المقتضب» ٣/ ٦٣، ٢٨٩.

التعجب إنما هو للخلق والمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف [يكفرون](١) وثبتت حجة الله عليهم(٢).

وقال الفراء: هذا على وجه التعجب والتوبيخ لا على الاستفهام المحض، أي: ويحكم كيف تكفرون؟ وهو كقوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾(٣) [التكوير: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. قال النحويون: (كان) تقع(٤) في الكلام على وجوه: تامة وناقصة وزائدة(٥). فالتامة: هي المكتفية باسمها دون خبرهما كقولك: كان القتال، أي وقع وحدث.

والناقصة: هي التي لا تتم دون خبرها كقولك: كان زيد أميرا.

والزائدة: هي التي تكون(٦) دخولها في الكلام كخروجها(٧). كقوله: ﴿مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩](٨).

---

(١) في (أ)، (ج): (تكفرون) وفي (ب) غير منقوطة، والتصحيح من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧.

(٢) في (ب): (عليكم). انتهى من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧، انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب، وابن عطية ١/ ٢٢٠، وبمعناه كلام الفراء الآتي بعده.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٣، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٩٠.

(٤) في (أ): (يقع) وما في (ب، ج) أنسب للسياق.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (كان) ٤/ ٣٠٨٣-٣٠٨٤. وذكر الهروي وجهاً رابعاً وهو: أن تكون (كان) مضمرا فيها اسمها (ضمير الشأن) وبعد كان جملة من مبتدأ وخبر مرفوعين. انظر: «الأزهية في علم الحروف» ص١٧٩.

(٦) كذا في جميع النسخ الأولى (يكون).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (كان) ١٠/ ٣٧٧، و«الأزهية في علم الحروف» ص١٨٣، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥٥٩.

(٨) وقد ذكر الأزهري عن ثعلب: أن للعلماء في الآية قولين: منهم من قال: (كان)=

و(كان) التي لها خبر تتصرف[١] تصرف الفعل، وليست بفعل على الحقيقة، إنما تدل[٢] على الزمان وتدخل على الابتداء والخبر كقولك: زيد مسرور، [فإذا قلت كان زيد مسرورا، فكأنك قلت: زيد مسرور][٣] فيما مضى من الزمان[٤]. ويقال في مصدره الكَوْن والكَيْنُونَة[٥].

قال الفراء: [تقول][٦] في ذوات (الياء): الطَّيْرُورَة والحَيْدودَة[٧] والزَّيْغُوغَة فيما لا يحصى من هذا الضرب. فأما ذوات (الواو) مثل: قلت ورضت، فإنهم لا يقولون ذلك فيه، وقد أتى عنهم في أربعة أحرف منها: الكَيْنونَة من (كُنْتُ) والدَّيْمُومَة من (دُمْتُ) والْهَيْعُوعَة من (الْهُوَاع)[٨]،

= صلة أي، زائدة، وهذا ما أخذ به المؤلف هنا، ومنهم من قال (كان) هنا غير زائدة، وهو قول الفراء. انظر: «تهذيب اللغة» (كان) ٤/ ٣٠٨٤ .

وجعلها المبرد زائدة مؤكدة. انظر: «المقتضب» ٤/ ٤١٧ .

وقد قال ابن هشام: إن وجه الزيادة في (كان) هو أضعف الوجوه. انظر: «مغني اللبيب» ٢/ ٥٥٩.

(١) في (أ)، (ج): (ينصرف) واخترت ما في (ب)، لمناسبته للسياق.

(٢) في (أ)، (ج): (يدل) واخترت ما في (ب)، لمناسبته للسياق.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) انظر: «الإيضاح العضدي» للفارسي ١/ ٩٥، «الأضداد» لابن الأنباري ص٦٠، «الأزهية في علم الحروف» ص١٨٣، «مغني اللبيب» ٢/ ٥٥٩. (٨٣٣).

(٥) ذكره الازهري وقال: و(الْكَيْنَونَة) أحسن. «التهذيب» ٤/ ٣٠٨٤.

(٦) في (أ)، (ج) (يقول) وفي (ب) بدون نقط والعبارة كما في «التهذيب»: قال الفراء: (العرب تقول ذوات الياء... إلخ)، «التهذيب»: ٤/ ٣٠٨٣.

(٧) في (ب) (الحيرورة)، وفي «التهذيب» (الحيدودة) وهذا الأقرب؛ لأنه قال: الطيرورة من طرت والحيدودة من حدت. «التهذيب» ٤/ ٣٠٨٣.

(٨) الهوع بالفتح والضم: سوء الحرص وشدته، والعداوة، وهاع: قاء من غير تكلف،=

والسَّيْدُودَة من (سُدْتُ) وكان ينبغي أن يكون (كونونة) ولكنها لما قلت في مصادر (الواو) وكثرت في مصادر (الياء) [ألحقوها بالذي هو أكثر مجيئًا منها، إذ كانت الواو و الياء][١] متقاربي المخرج.

قال: وكان الخليل يقول: كَيْنُونَة (فَيْعَلُولَة)، وهي الأصل (كَيْوَنُونَة)[٢] التقت (ياء) و(واو)، والأولى منهما ساكنة فصيرتا [ياء][٣] مشددة[٤]، مثل ما قالوا: الهَيِّن، ثم خففوها، فقالوا: (كَيْنُونَة)، كما قالوا: هَيْن لَيْن. قال الفراء: وقد ذهب مذهبا، إلا أن القول عندي هو الأول[٥].

قال: ويضمر[٦] هاهنا (قد) والتقدير[٧]: (وقد كنتم أمواتا) ولولا إضمار (قد) لم يجز مثله في الكلام. وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن

= والاسم (الهَوْع) و(الهُواع) و(الهَيْعُوعة)، انظر «القاموس» (الهوع) ص٧٧٧.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (في الاكونونه).

(٣) (ياء) ساقطة من جميع النسخ، والتصحيح من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٤.

(٤) فصارت (كَيِّنُونَة) انظر «اللسان» (كون) ٧/ ٣٩٥٩.

(٥) انتهى كلام الفراء كما في «التهذيب» بنصه، ٤/ ٣٠٨٤ (كان).
وانظر «اللسان» (كون) ٧/ ٣٩٥٩، وفيه عن ابن بري نحو كلام الخليل، وما بعد هذا من كلام الفراء لا ارتباط له بما سبق حيث الكلام السابق ورد بتهذيب اللغة ولعله أخذه عن كتاب المصادر للفراء وما بعده من كتاب «معاني القرآن» كما سيأتي.

(٦) في (ب): (ويضم).

(٧) في «معاني القرآن» (وقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ المعنى والله أعلم وقد كنتم، ولولا إضمار (قد) . . . إلخ) ١/ ٢٤.

دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾[١] [يوسف: ٢٧] المعنى: (فقد كذبت). وقولك للرجل: أصبحت كثر مالك، لا يجوز إلا وأنت تريد: قد كثر مالك، لأنهما جميعا قد كانا، فالثاني حال للأول، والحال لا يكون في الفعل إلا بإضمار (قد) أو بإظهارها[٢].

وحكى الكسائي: أصبحت [[٣] نظرت إلى (ذات التنانير) يريد: قد نظرت، وذات التنانير) موضع[٤]. وتقدير الآية: كيف تكفرون وحالكم أنكم كنتم أمواتا.

ومثل هذا قال الزجاج: فإنه قال: ومعنى(كنتم): وقد كنتم وهذه الواو، (واو الحال)[٥].

قال أبو الفتح: إنما احتيج إلى إضمار (قد) لأن (قد) تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: (قد قامت الصلاة) قبل حال قيامها، وعلى هذا قول الشاعر:

---

(١) الواو في قوله ﴿وإن كان قميصه﴾ ساقطة من (ب) وكذا وردت الآية في «معاني القرآن» ١/ ٢٤.

(٢) انتهى ما نقله عن الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٤، وما ذكره الفراء يقرر القاعدة التي عند الجمهور وهي أن الجملة الفعلية، إذا كان فعلها ماض ووقعت حالا لابد من (قد) ظاهرة أو مقدرة، وبهذا قال «الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٩٠، والزجاج في «المعاني» ١/ ٧٤، الثعلبي ١/ ٥٩ب، أبو حيان في «البحر» ١/ ١٣٠ وغيرهم.

(٣) من هنا يبدأ سقط لوحة كاملة في نسخة (ب).

(٤) (التنانير) جمع (تنور) وهو واد ذو شجر يقع بين الكوفة وبلاد غطفان، انظر «معجم ما استعجم» ١/ ٣٢٠، «معجم البلدان» ٢/ ٤٧.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٤.

أُمَّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا(١) أَوْ دَارِجِ(٢)

فكأنه قال: حابٍ(٣) أو دارج(٤). ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] على معنى: قد حصرت(٥).

فأما أحكام واو الحال فإنها مذكورة عند قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتًا﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك: أراد(٦): وكنتم تراباً ردّهم إلى أبيهم آدم(٧).

---

(١) في (ج): (جا).

(٢) الرجز لجندب بن عمرو يعرض بامرأة الشماخ في قصة أوردها البغدادي في «الخزانة» ٤/ ٢٣٨، وهي في «ديوان الشماخ» ص٣٥٣، و(أم صبي): هي امرأة الشماخ، وورد البيت في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١٤، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤١، «الخزانة» ٤/ ٢٣٨، «ديوان الشماخ» ص٣٦٣، «اللسان» (درج) ٣/ ١٣٥٣، «أوضح المسالك» ص١٩٣.

(٣) في (أ) و (ج): (حباب) وما في (ب) موافق لما في «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح.

(٤) قال في «اللسان»: وجاز له ذلك؛ لأن (قد) تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه أو تكاد. «اللسان» (درج) ٣/ ١٣٥١.

(٥) انتهى ما نقله المؤلف - بتصرف - من كتاب «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح ابن جني ٢/ ٦٤١.

(٦) في (أ): (أرادوا)، وما في (ب، ج) هو الصحيح.

(٧) الأثر عن ابن عباس أخرجه «الطبري» من طريق الضحاك عن ابن عباس، ١/ ١٨٧، وكذا ابن أبي حاتم ١/ ٧٣، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه، (الدر) ١/ ٨٩، وذكره ابن كثير عن الضحاك عن ابن عباس ثم قال: وهكذا روى السدي بسنده عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مُرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، وعن أبي العالية، والحسن، =

وقال في رواية عطاء والكلبي: وكنتم نطفا، وكل ما فارق الجسد من نطفة أو شعر فهو ميت[(١)] ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام بأن خلقكم بشرا، وجعل فيكم الحياة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون فيفعل بكم ما يشاء مما سبق علمه وحكمه[(٢)].

٢٩- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآية قال المفسرون لما استعظم المشركون أمر الإعادة عرفهم خلق السموات والأرض، ليدل بذلك على أن إعادة الحياة فيهم وقد خلقهم أولاً ليس بأكثر من خلقه السموات والأرض وما فيهما[(٣)].

= ومجاهد، وقتادة، وأبي صالح والضحاك وعطاء. ابن كثير ١/ ٧١-٧٢، انظر «الوسيط» ١/ ٧٠.

(١) وبهذا النص ذكره الفراء في «معاني القرآن» ولم ينسبه لأحد، ١/ ٢٥، والذي ورد عن ابن عباس من طريق عطاء: كنتم أمواتا فأحياكم في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئًا حتى خلقكم، ثم يميتكم موتة الحق، ثم يحييكم حين يبعثكم، أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٧٣، وأخرج نحوه ابن جرير ١/ ١٨٩، وذكره السيوطي في «الدر» ونسبه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم. «الدر» ١/ ٨٩، وذكره ابن كثير ١/ ٧١، وانظر: «تحقيق المروي عن ابن عباس» في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران ١/ ١٨٩ (رسالة ماجستير إعداد محمد العبدالقادر). قال «الطبري» - بعد أن ذكر نحو هذا التفسير -: (وهذا قول ووجه من التأويل، لو كان به قائل من أهل القدوة الذين يرتضى للقرآن تأويلهم، ثم قال: وأولى ما ذكرنا من الأقوال: القول الذي ذكرنا عن ابن عباس وابن مسعود: من أن معنى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ أموات الذكر خمولًا في أصلاب آبائكم نطفا، لا تعرفون و لا تذكرون: فأحياكم بإنشائكم بشرا سويا حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم...) ١/ ١٨٩.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب.

(٣) ذكره أبو الليث عن الكلبي ١/ ٣٠٩، والآية فيها دلائل نعمه عليهم مما يوجب عليهم شكره، ودلائل توحيده، انظر: «الطبري» ١/ ١٩٠، وابن كثير ١/ ٧٢.

وقوله تعالى: ﴿لَكُم﴾ أي: لأجلكم، فما في الأرض مخلوق لهم بعضها للانتفاع، وبعضها للاعتبار[١]، فإن السباع والعقارب والحيات، وكل ما يؤذي ويضر فيها منفعة للمكلفين وجهة ما فيها من العبرة والإرهاب؛ لأنه إذا رئي[٢] طرف من المتوعد به كان أبلغ في الزجر عن المعصية وأدعى إلى التمسك بالطاعة، كما أنه إذا قدم طرف من الموعود به كانت النفس إليه[٣] أشوق، وعليه[٤] أحرص، والأصل في ذلك أن الخبر لا يقوم مقام المشاهدة فيما يصل إلى القلب ويبلغ إلى النفس[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾. أخبرني أبو سعيد بن أبي عمرو النيسابوري[٦] رحمه الله ثنا محمد بن يعقوب المعقلي[٧] أبنا[٨] محمد ابن[٩] الجهم عن الفراء قال: (الاستواء) في كلام العرب على جهتين،

---

(١) في (أ): (الاعتبار)، وما في (ب)، (ج) أصح.

(٢) في (أ)، (ج): (أرى)، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق.

(٣) في (ج): (عليه).

(٤) في (ج): (إليه).

(٥) وفي خلق هذه الأشياء التي ذكر حكم كثيرة، منها ما علم للبشر، ومنها ما لم يعلم، وما ذكره بعض هذه الحكم. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٢٣، «الكشاف» ١/ ١٧٠، «زاد المسير» ١/ ٥٨، «القرطبي» ١/ ٢١٦.

(٦) هو أبو سعيد، محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي، بن أبي عمرو النيسابوري، سمع من الأصم وأكثر عنه، كان ثقةً مأمونًا، مات في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٣٥٠، «شذرات الذهب» ٣/ ٢٢٠.

(٧) هو الإمام المحدث محمد بن يعقوب المعقلي المعروف بالأصم، تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٨) في (ج): (ثنا).

(٩) هو محمد بن الجهم السمري، أبو عبد الله، الكاتب، تلميذ الفراء وراوية كتبه،=

إحداهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته،[١] ويستوي من اعوجاج، وهذان وجهان، ووجه ثالث أن يقول: كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ وإليّ [يشاتمني][٢] على معنى أقبل عليّ وإليّ، فهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣].

وأقرأني العروضي، عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري، قال: سئل أحمد بن يحيى عن (الاستواء) في صفة الله، فقال: الاستواء الإقبال على الشيء[٤].

وأقرأني سعيد بن محمد الحيري[٥] رحمه الله عن أبي الحسن بن مقسم وأبي علي الفارسي عن الزجاج قال: قال قوم في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: عمد وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه: قصد بالاستواء إليه. قال: وقول ابن عباس: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي صعد، معناه صعد أمره إلى السماء[٦]، انتهى

= كان من أئمة العربية العارفين بها، قال الدارقطني: ثقة، مات سنة سبع وسبعين ومائتين. انظر تاريخ بغداد ٢/ ١٦١، «معجم الأدباء» ١٨/ ١٠٩، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٦٣.

(١) في «معاني القرآن» للفراء (أو) وهو أصح ١/ ٢٥، وانظر «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤.

(٢) في (أ)، (ج): (يكلمين) غير واضحة المعنى، والتصحيح من «معاني القرآن»، ومن «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤.

(٣) انتهى ما نقله عن الفراء، وفي «معاني القرآن» قال: (وقال ابن عباس ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ صعد .. وكل كلام في كلام العرب جائزٌ، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٥، «تهذيب اللغة» (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

(٤) «تهذيب اللغة» (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

(٥) أحد شيوخ الواحدي مضت ترجمته.

(٦) هذا تأويل وصرف لكلام ابن عباس.

كلامه[١]][٢].

وحكى أهل اللغة أن العرب تقول: كان الأمير يدبر أهل الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز، أي: تحول فعله وتدبيره إليهم[٣].

والأصل في (الاستواء) الاستقامة[٤]، وإنما قيل للقصد إلى الشيء

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٥، ٧٥، «تهذيب اللغة» (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤، ونص عبارة الواحدي أقرب إلى عبارة «التهذيب».

(٢) نهاية السقط من نسخة (ب).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٨، «تفسير الطبري» ١/ ١٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٤.

وكل هذه «المعاني» التي ذكرها من باب التأويل، والمنهج السوي أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، فهو سبحانه مستو على عرشه عال على خلقه، ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين.

قال الأشعري في «الإبانة عن أصول الديانة»: (وإن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله ﷻ مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]..) ثم قال: (.. وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إنه استولى وملك وقهر، وإن الله ﷻ في كل مكان وجحدوا أن يكون الله ﷻ على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش و الأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم ..) «الإبانة عن أصول الديانة» ص٨١، انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣٤٣، «الرسالة التدمرية» ص٨١، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٥/ ٩٥، ١٣٦، ١٤٤.

(٤) الاستواء في (كلام العرب) يأتي على وجوه كما مر قريبا في كلام الفراء ومن تلك الوجوه ما ذكره عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: صعد، ثم قال: (وكل في (كلام العرب) جائز) انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥، «تفسير الطبري» ١/ ١٩١، «تهذيب اللغة» (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

استواء لأن الاستواء يسمى قصدًا، يقال: أمر قاصد وعلى قصد، إذا كان على استواء و استقامة، فلما سمي الاستواء قصدًا، سمي القصد استواء، وإن لم يكن المراد بالقصد الاستقامة، ظنّاً منهم أن كليهما سواء لما اجتمعا في التسمية في موضع، هذا تعليل ذكره بعض أصحاب المعاني(١) لتسميتهم القصد: استواءً وإن كانت اللغة لا تعلل.

وأما استوى بمعنى: استولى، فقد يكون، وكأنه يقول: (استوت له الأمور فاستولى)(٢)، ثم وضع (استوى) موضع (استولى)(٣).

وقال الأخفش: استوى(٤) أي: علا، تقول(٥): استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته(٦).

---

(١) في (ب): (أهل المعاني).

(٢) في (ب): (واستولى).

(٣) قال أبو الحسن الأشعري في (الإبانة): (... فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو ﷻ مستول على الأشياء كلها، لكان مستويا على العرش وعلى الأرض وعلى السماء.... لأنه قادر على الأشياء مستول عليها.. لم يجز أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها...) «الإبانة عن أصول الديانة» ص٤٩. وذكر ابن تيمية اثني عشر وجهًا في الرد على من فسر ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ معنى (استولى) ومن تلك الوجوه: أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم، بل تفسير حدث من المبتدعة بعدهم. ثم هو ضعيف لغة. انظر: «مجموع الفتاوى» ٥/ ١٤٤-١٤٩.

(٤) في (ب): (يقول: أي علا).

(٥) في (ب): (يقول) وفي «تهذيب اللغة» (وتقول) ٢/ ١٧٩٤.

(٦) انظر كلام الأخفش في «تهذيب اللغة» (لفيف السين) ٢/ ١٧٩٤.

وهذا القول اختيار محمد بن جرير قال: ومعناه[١] ارتفع ارتفاع ملك وسطان، لا ارتفاع انتقال وزوال[٢]، وإنما هو ارتفاع تدبيره وحكمه وسلطانه، وهذا قريب من قول ابن عباس وتوجيه الزجاج لقوله[٣].

وقوله تعالى ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾. حقيقة (التسوية) الجعل على الاستواء، يقال سويت الشيئين فاستويا، والفرق بينه وبين التقويم أن التسوية قد تكون بالحكم أن الشيئين يستويان، والتقويم لا يكون بالحكم، وإنما يكون

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) رجح ابن جرير: أن الاستواء بمعنى العلو، فقال - بعد أن ذكر الأقوال في الاستواء-: (وأولى المعاني) بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه!، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: (استوى) أقبل، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له فكذلك، فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا، لقول أهل الحق فيه مخالفا.. ..) «الطبري» ١/ ١٩٢. ونرى في سياق كلام الطبري أنه رجح في معنى (الاستواء) ما قال به السلف ثم أخذ يحاور المؤوّلين، ومن باب إلزام الحجة لهم قال: (قل: علا عليها علو ملك وسلطان.. .) ولاشك أن هذه العبارة ليس من نهج السلف في الإثبات والله أعلم.

(٣) قول ابن عباس: إنه بمعنى صعد، كما ذكر الفراء ١/ ٢٥، وإنما أوله الزجاج بمعنى: يصعد أمره. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٥.

بالفعل[١].

وجمع الكناية[٢] في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ لأنه أراد بلفظ (السماء) جميع السموات كقولهم: كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، يراد الجمع[٣]، وكثيراً ما يذكر الواحد والمراد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧] وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. وكما أنشده[٤] قطرب:

أَلاَ إِنَّ جِيـرَانِـي الـعَـشِـيَّـةَ رَائِـحُ   دَعَـتْـهُـمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوى وَمَنَادِحُ[٥]

ويجوز أن يراد بالسماء جمع سماة أو سماوة، على ما ذكرنا قبل[٦].

وجائز أن تعود الكناية على أجزاء السماء ونواحيها[٧].

وقوله تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾. (السبع) عدد المؤنث، والسبعة

---

(١) قال ابن جرير: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ يعني هيأهن وخلقهن ودبرهن وقومهن، والتسوية في (كلام العرب): التقويم والإصلاح والتوطئة ففسر (التسوية) بالاستقامة، انظر «الطبري» ١/ ١٩٢، وانظر: «الكشاف» ١/ ٢٧١.

(٢) الكناية: الضمير.

(٣) ذكره الزجاج عن الأخفش، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٥، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٧، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥، وذكر هذا الرأي «الطبري»، واختار غيره كما يأتي ١/ ١٩٣.

(٤) في (ب): (أنشد).

(٥) البيت لحيان بن جُلْبَة المحاربي، جاهلي ذكره أبو زيد في «نوادره» مع بيت بعده ص٤٤٤، وكذا البكري في «معجم ما استعجم» ١/ ١٣٧، والسيوطي في «همع الهوامع» ٦/ ١١٩.

(٦) ذكره عند قوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء﴾ البقرة: ١٩، ص٥٤٧، وقد ذكر هذا الرأي «الطبري» واختاره ١/ ١٩٢، والزجاج ١/ ٧٥.

(٧) فجمع باعتبار تعدد أجزائها ونواحيها، انظر «الطبري» ١/ ١٩٣.

للمذكر، وجاء التذكير والتأنيث في هذا على خلاف الأصل، لأنهم لما[(١)] وضعوا العدد في أول أمره قبل أن يعلق على معنى تحته وأكثر من العدد، قالوا: أربعة خمسة، ثم أرادوا بعد ذلك[(٢)] تعليقه على المعدود، وكان المذكر هو الأول جعلوا الأول للأول، والثاني للثاني[(٣)].

ولهذا علل كثيرة يذكر[(٤)] في غير هذا الكتاب[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. أي من كفرهم ونفاقهم وكتمهم وصفك يا محمد.

وقيل: إنه لما ذكر ما يدل على القدرة والاستيلاء[(٦)] وصل[(٧)] ذلك بوصفه بالعلم، إذ به يصح الفعل المحكم المتقن. وقيل: هو[(٨)] بكل شي عليم من الخلق والتسوية[(٩)].

والآية لا تدل على أنه خلق السماء بعد الأرض، إنما تدل على أنه

---

(١) (لما) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (تعليقه بعد ذلك).

(٣) الأول في العدد (ثلاثة) وفي المعدود المذكر، والثاني في العدد (ثلاثة) وفي المعدود المؤنث.

(٤) (يذكر) ساقط من (ب)، والأولى للسياق تذكر.

(٥) اختلف النحويون في علة ذلك على أقوال كثيرة، انظر بعض هذِه العلل في «جمل الزجاجي» ص١٢٥، «وشرح جمل الزجاجي» لابن عصفور ٢/ ٣٠.

(٦) هذا من التأويل، بل (الاستواء العلو).

(٧) في (ب): (وصف).

(٨) في (ب): (وهو).

(٩) والأولى عموم ذلك، فالذي خلقكم وخلق لكم ما في الأرض، وسوى السموات السبع فأحكمهن واستوى على عرشه، لا يخفى عليه منكم شيء، انظر: «الطبري» ١/ ١٩٥، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٧، «الكشاف» ١/ ٢٧١، «القرطبي» ١/ ٢٢٣.

جعلها سبعًا بعد ما خلق الأرض، وقد كانت السماء قبل ذلك مخلوقة، كما قال أهل التفسير: إنها كانت قبل دخانًا[١].

وكان أبو عمرو والكسائي يخففان (وهو)، (فهو) ويسكنان (الهاء) مع الواو والفاء واللام[٢].

وذلك أنهما يجعلان هذه الحروف كأنها من نفس الكلمة، لما[٣] لم يكن لها إذا[٤] أفردت معنى، فأشبهت في حال دخولها الكلمة ما كان من نفسها[٥].

وإذ كان كذلك خففت (الهاء) كما خففت (العينات)[٦] في (سَبُع)

---

(١) في هذِه المسألة نزاع بين المفسرين، وقول الجمهور على أن الله خلق الأرض أولا، ثم خلق السماء، لكن دحو الأرض كان بعد خلق السماء. وجمع «القرطبي» بين الأقوال بأن الدخان الذي خلقت منه السماء خلق أولا، ثم الأرض ثم سويت السماء من ذلك الدخان ثم دحيت الأرض بعد ذلك، وعلى هذا يدل كلام الواحدي، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٩٣-١٩٥، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٧، «زاد المسير» ١/ ٥٨، «الكشاف» ١/ ٢٧١، «القرطبي» ١/ ٢١٩-٢٢١، و«ابن كثير» ١/ ٧٢-٧٣.

(٢) الهاء إذا سبقت بالواو أو الفاء أو اللام أو ثم (وهو، فهو، ولهو، وثم، هو) فابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة يقرؤون بتحريك الهاء في ذلك كله، والكسائي بتخفيف ذلك وإسكان الهاء، وأبو عمرو يسكنها في القرآن ماعدا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القصص: ٦١]، فيضم الهاء، وعن نافع روايتان التثقيل والتخفيف، انظر «السبعة» لابن مجاهد ص١٥١، «الحجة» لأبي علي ١/ ٤٠٦، «الكشف» ١/ ٢٣٤، «التيسير» ص٧٢، «النشر» ٢/ ٢٠٩.

(٣) في (ب): (مما لم).

(٤) في (ب): (إذ).

(٥) في (ب): (تقسيمها).

(٦) في (ب): (العينان).

و(عَضُد)[١] ونحوهما، ولا يخففان[٢] ﴿ثُمَّ هُوَ﴾ [القصص: ٦١] لأنه لا يستقيم أن يجعل (ثم) بمنزلة (الفاء) وما كان على حرف. والحرف الواحد قد يجعل كأنه من نفس الكلمة[٣]، وذلك قولهم: (لعمري وَرَعَمْلِي) فقلبوه مع اللام، واللام زائدة[٤].

ومثل تخفيفهم[٥] (لَهْو) قولهم: (أَرَاكَ مُنْتَفْخاً)[٦] لما كان (تَفِخًا)[٧]، مثل [كَتِف][٨] خفف، وكذلك قراءة من قرأ[٩] ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢]، لما كان (تَقِه)[١٠]، مثل (كتف) خفف.

ومثل ذلك ما أنشده الخليل:

أَلاَ رُبَّ مَـوْلُـودٍ وَلَـيْـسَ لَـهُ أَبٌ وَذِي وَلَـدٍ لَـمْ يَـلْـدهُ أَبَـوَانِ[١١]

---

(١) فيقال: (سَبْع) و(عَضْد) بتسكين العين. انظر: «الحجة» ١/ ٤٠٧، «الكشف» لمكي ١/ ٢٣٤.

(٢) قوله: (ولا يخففان) يعود على الكسائي وأبي عمرو، والصحيح (ولا يخفف أبو عمرو، أما الكسائي فإنه يخفف (ثم هو) انظر: «الحجة» ١/ ٤٠٧ - ٤٠٩، فلعل العبارة تصحيف، أو وهم من المؤلف.

(٣) إذا اتصل بالكلمة بخلاف (ثم)، انظر: «الحجة» ١/ ٤٠٨.

(٤) فجعلوا اللام كأنها من بنية الكلمة، وأبدلوها مكان (الراء).

(٥) في (ب): (تحقيقهم).

(٦) في (ب): (مستحقا).

(٧) الأصل في (تفخا) كسر الفاء، وخففت في (مُنْتَفْخاً) بالإسكان.

(٨) في جميع النسخ (كيف) والتصحيح من «الحجة» ١/ ٤٠٨، و(كتف) يخفف في لغة بإسكان الوسط فيقال: (كَتْف).

(٩) وهي قراءة حفص عن عاصم (ويَتَّقْه)، انظر «السبعة» ص٤٠٨، «الكشف» ٢/ ١٤٠.

(١٠) أي أنه شبه (تقه) (كتف) حيث خفف الثاني بالإسكان.

(١١) البيت لعمرو الجنبي، ونسبه سيبويه لرجل من أزد السراة، والمولود الذي ليس له=

لما كان (يلد)، مثل (كتف)[١] خفف، ثم حرك الدال لالتقاء الساكنين، لأنه[٢] كان يجب أن يسكن علامة للجزم، فهذه الأشياء متصلة، وقوله: (فهو وهو ولهو) في حكمها، وليس كذلك (ثم هو)[٣] ألا ترى أن (ثم) منفصل من (هو)[٤] لإمكان الوقف عليها وإفرادها مما بعدها، وليست الكلم التي على حرف واحد كذلك. ولمن[٥] خفف (ثم هو) أن يقول[٦]: إن (ثم) مثل الفاء والواو واللام في أنهن لسن[٧] من الكلمة، كما أن (ثم) ليس منها، وقد جعلوا المنفصل بمنزلة المتصل في أشياء، ألا ترى أنهم أدغموا[٨] نحو(يدْ دّاود) و(وجَعَلْ[٩] لَّك) كما أدغموا (رَدَّ)[١٠] و(عَدَّ)،

= أب هو عيسى عليه السلام، والذي لم يلده أبوان هو آدم. والشاهد في البيت (يَلْدَه) أراد لم يلده بسكون الدال، فلما التقى ساكنان اللام والدال حرك الدال بحركة أقرب متحرك منها وهو الياء ففتحها. ورد البيت في «الكتاب» ٢/ ٢٦٦، «الكامل» ٣/ ١٧٧، «الحجة» ١/ ٦٦، ٤٠٩، «التكملة» ص٧، «المخصص» ١٤/ ٢٢١، ١٧/ ٦٣، «الخصائص» ٢/ ٣٣٣، «شرح المفصل» ٤/ ٤٨، ٩/ ١٢٣، ١٢٦، «مغنى اللبيب» ١/ ١٣٥، «الهمع» ١/ ١٨٦، «الخزانة» ٢/ ٣٨١.

(١) في (أ)، (ج): (كيف) وأثبت ما في (ب) لأنه الصواب وموافق لما في «الحجة».

(٢) في (ب): (لا كان).

(٣) في (ب): (هوى).

(٤) في (أ)، (ج): (من ها ولا مكان) وأثبت ما في (ب) لأنه هو الصحيح وموافق لما في «الحجة» ١/ ٤٠٩.

(٥) في (ج): (ولم). ومن خفف هو الكسائي: انظر: «الحجة» ١/ ٤٠٩.

(٦) في (ج): (تقول).

(٧) في (ب): (ليس).

(٨) في (ب): (أقدموا).

(٩) فأدغموا الدال من (يد) في دال (داود) وهما في كلمتين منفصلتين وكذا (جعل لك).

(١٠) وهما في كلمة واحدة.

ومثل هذا قول امرئ القيس:

فَالْيَومَ أَشْرَبْ غَيْرَ[1] مُسْتَحْقِبِ[2]

ف (رَبْ غَيْ)[3] مثل: (سبع)، وقد أسكن. وأنشد أبو زيد على هذا:

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا دَقِيقًا[4]

---

(١) (غير) ساقطة من (ج)

(٢) البيت لامرئ القيس وتمامه:

إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلاَ واغِلِ

قاله بعد أن أدرك ثأره في أبيه، وكان قد نذر لا يشرب الخمر، فلما أدرك ثأره رأى أنه تحلل من نذره، والمستحقب: المتكسب، وأصل الاستحقاب حمل الشيء في الحقيبة، والواغل: الداخل على القوم يشربون ولم يدع. والبيت من «شواهد سيبويه» ٤/ ٢٠٤، «الحجة» ١/ ١١٧، ٤١٠، ٢/ ٨٠، «نوادر أبي زيد» ص١٨٧، «الخصائص» ١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧، ٣٤٠، ٣/ ٩٦، «شرح المفصل» ١/ ٤٨، «الهمع» ١/ ١٨٧، «الخزانة» ١/ ١٥٢، ٣/ ٤٦٣، ٤/ ١٠٦، ٤٨٤، ٨/ ٣٣٩، وفي «ديوان امرئ القيس» ص١٢٢، برواية (أسقى) بدل أشرب، وعليه فلا شاهد فيه، وبهذا أخذ المبرد، ولكنه في «الديوان» ص١٣٤، برواية (أَشربْ) والشاهد فيه عند النحويين، تسكين الحرف في أشرب، وحذف الضمة.

(٣) في (ب): (على)، و في «الحجة» ف (رب غ) أي أنه جعل آخر كلمة (أشرب) مع أول كلمة (غير) مثل كلمة واحد ك (سبع) فأسكن.

(٤) الرجز لرجل من كندة يقال له: (العُذَافِر الكندي) وبعده:

وهَات بُرَّ البَخْسِ أَوْ دَقِيقَا

وفي جميع المصادر (سويقًا) بدل (دقيقًا)، أورده أبو زيد في «النوادر» ص١٧٠، وفي «الحجة» لأبي على ١/ ٦٧، ٤١٠، «التكملة» ص٨، «الخصائص» ٢/ ٣٤٠، ٣/ ٩٦، «المنصف» ٢/ ٢٣٧، «اللسان» (بخس) ٦/ ٢٥. وبهذا البيت ينتهي ما نقله الواحدي في هذا الموضع من (الحجة) أبي علي الفارس بتصرف ١/ ٤٠٧، ٤١٠، وانظر: «الحجة في القراءات» لابن خالويه ص٧٣، «الكشف» لمكي ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

٣٠- قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ . قال النحاة: (إذ) و(إذا) [حرفا توقيت، (إذ) للماضي و(إذا)][1] لما يستقبل[2].

قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه المضي نحو قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] يريد: وإذ مكر، وإذ قلت. وإذا جاء (إذا)[3] مع الماضي كان معناه الاستقبال[4] كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤] و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١] أي يجيء[5].

فإن قيل: إذا كانت (إذ) لما مضى[6]، فكيف جاز[7] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) قال الثعلبي (إذ و إذا حرفا توقيت، إلا أن (إذ) للماضي و(إذا) للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ، وذكر نحوه ابن الأنباري في (الأضداد) ص١١٨، وكذا الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٧، وقال سيبويه: (إذا لما يستقبل من الدهر... وهي ظرف... وتكون إذ مثلها، «الكتاب» ٤/ ٢٣٢، وانظر: «مغني اللبيب» ١/ ٨٠، ٨٧.

(٣) في (ب): (إذ).

(٤)في (ب) كان معناه الاستقبال في (المعنى وفي اللفظ)، وهذِه الزيادة غير موجودة في (أ)، (ج). ولا في «تفسير الثعلبي» الذي نقل الواحدي عنه.

(٥) في (أ)، (ج): (تجئ) وفي (ب) بدون إعجام، والتصحيح من «تفسير الثعلبي»، انظر كلام المبرد في «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٢٣، ولم أجده بهذا النص فيما اطلعت عليه من كتب المبرد، انظر: «المقتضب» ٢/ ٥٢-٥٧، ٧٦، ٧٧، ١٧٦، ١٧٨، «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٧، «الأضداد» لابن الأنباري ص١١٨.

(٦) سبق قريبًا أن (إذ)، قد تأتي للمستقبل إذا شهر المعنى، ذكر هذا ابن الأنباري واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠] انظر «الأضداد» ص١١٨.

(٧) في (ب): (جاد).

﴿يَعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]؟.

والجواب أن هذا خرج على تقدير الاستقبال في المعنى، وفي اللفظ على صورة المضي[١]، لأن ما تحقق كونه فهو بمنزلة ما قد كان، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠] وأشباهه[٢].

وقال أبو عبيدة: (إذ) هاهنا[٣] زائدة، معناه: وقال ربك للملائكة[٤].

وأنكر الزجاج وغيره هذا القول[٥]، وقالوا[٦]: إن الحرف إذا أفاد

---

(١) من قوله: (على صورة المضي..) . وما بعده إلى نهاية تفسير لفظ (الملائكة) ورد مكررا في جميع النسخ الثلاث التي اعتمدت عليها، وقد علق الناسخ في نسخة (أ) على أول الكلام المكرر كلمة (مكرر) بينما الناسخ في (ج) أدخل كلمة (مكرر) وسط الكلام، وكأنه ظن أنها جزء من السياق. وبعد التمحيص للكلام المكرر وجدت في أوله بعض الفروقات اليسيرة أما في تفسير لفظ: (الملائكة) ففيه اختلاف كبير، وهو ملخص مما قبله بإتقان، ويظهر لي أن المؤلف أضرب عن كلامه السابق وأعاده مرة أخرى، ونقله النساخ على وضعه، وقد أثبت الكلام على حسب ما ورد في المخطوطات بدون تصرف في الأصل وعلقت على الفروق في مواضعها.

(٢) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص١١٩، «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٧.

(٣) في المكرر (في هذا الموضع).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب، و«الطبري» في «تفسيره» ١/ ١٩٥، وبنحو قول أبي عبيدة قال ابن قتيبة، انظر: «غريب القرآن» ص٤٥.

(٥) قال الزجاج في رده على أبي عبيدة (هذا إقدام من أبي عبيدة، لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و(إذ) معناها الوقت، وهي اسم، فكيف يكون لغوا...)، «معاني القرآن» ١/ ٧٥، وممن أنكر على أبي عبيدة النحاس في «إعراب القرآن»، ١/ ١٥٦، و«الطبري» في «تفسيره» ا/ ١٩٥.

(٦) في المكرر (وهو أن الحرف إذا كان مفيدًا معنى...)، وفي (ب) (مقيد).

معنى صحيحا لم يجز إلغاؤه، قالوا: وفي الآية محذوف معناه: واذكر يا محمد إذ قال ربك[(١)].

وقال أبو إسحاق[(٢)]: إن الله جل ذكره ذكر خلق الناس في هذه الآية فكأنه قال: ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة[(٣)].

وأكثر المفسرين[(٤)] على أن كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فالذكر فيه مضمر[(٥)].

وأما[(٦)] (الملائكة) فقال سيبويه[(٧)]: واحدها ملك، وأصله مَلْأَك، مهموز، حذف همزه لكثرة الاستعمال، وأنشد:

فَلَسْتَ لإنْسِيٍّ ولكن لمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[(٨)]

وتابعه على هذا القول أكثر أهل العلم[(٩)].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ٥٩ب، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ١٩٦.

(٢) في المكرر (الزجاج).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٦.

(٤) في (ب): (المفسرون) وفي المكرر (وعند غيره من المفسرين...).

(٥) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٧، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٤٠، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٢٤.

(٦) (الواو) ساقطة من (ب).

(٧) انظر كلام سيبويه في (الكتاب) ٤/ ٣٧٩.

(٨) البيت لعلقمة الفحل، وقيل: لرجل من عبد القيس جاهلي، وقيل لأبي وجزة السعدي، وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] ص٥٧٢.

(٩) أصلها (ملْأك)، يحذفون الهمزة منه، وينقلون حركتها إلى اللام وكانت مسكنة في حال همز الاسم. فإذا جمع الاسم ردوا الهمزة على الأصل فقالوا: (ملائكة)، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٩٧، والثعلبي في «تفسيره»١/ ٦٠أ، «مجاز القرآن» ١/ ٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٠، «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩،=

إلا أن المحدثين من البصريين ذكروا أن هذا من باب القلب[١] فقالوا: نقل همزة (الأَلُوك)، وهو(فاء) إلى عينه، وقدموا العين، فقالوا: (لؤُوك)[٢] وبنوا (الْمَلأَك) منه، وإنما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا لـ (مَلْأَك)[٣] أصلاً يردّونه إليه. وكان ادعاء القلب في الكلمة أولى عندهم من إهمال أصل (الْمَلْأَك) إذ علموا أن (المَفْعَل)[٤] وما يجري مجراه مما زيد في أوله ميم لابد له[٥] من أصل ثلاثي يرد إليه، ولم يمكن رد (الْمَلأَك) إلى (لَأَكَ) لأنه مهمل لم ينطق به[٦] فردوه إلى (أَلَك) لما[٧] وجدوا في الكلام: (الْمأْلَك)[٨]، و(الْمَأْلُك) و(الْمَأْلُكة) في معنى

= و(ألك) ١/ ١٨٤، «الكشاف» ١/ ٣٧١. وذكر أبو البركات ابن الأنباري الأقوال في أصل (ملك) وهي:

١- الملائكة جمع (ملك) على أصله في الهمز بعد القلب وهو(مَلْأَك) وأصل (مَلْأَك): (مَألَك) لأنه من أَلَكَ إذا أرسل، ووزنه على الأصل (مَفْعَل)فنقلت العين إلى موضع الفاء فصار (مَلْأَكًا).

٢- أنه مشتق من (لَأَك) إذا أرسل، فاللام (فاء) والهمز (عين) ولا قلب فيه.

٣- أنه مشتق من (مَلَكْت)، الميم أصلية ووزنه (فَعَلٌ) انظر «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٠.

(١) أي قلب المكان. (٢) في (ب): (لؤك).

(٣) في (ب): (الملاك).

(٤) في (ج): (الفعل).

(٥) (له) ساقط من (ب).

(٦) قال مكي: قال أبو عبيد: هو مشتق - أي: ملك - من (لأك) إذا أرسل، فالهمزة عين ولا قلب فيه، انظر (مشكل إعراب القرآن) ١/ ٣٦، وقد أورد صاحب «اللسان» مادة (لأك) وتكلم عنها، ولم يذكر أنها مهملة، انظر «اللسان» (لأك) ٧/ ٣٩٧٥.

(٧) (لما) ساقطة من (أ)، (ج)، والسياق يقتضيها.

(٨) في (ب): (المألكه).

الرسالة[١].

ومعنى (أَلكَ) في اللغة: علك، يقال الخيل تَأْلُك اللجم، بمعنى: تعلُك، والرسالة سميت (أَلُوكا) لأن الإنسان يَأْلُكها، ويدير الكلام في فيه، كما يَأْلُك الفرس اللجام[٢].

فعلى هذا (ملك) وزنه (مَفَل)[٣]، وكان في الأصل[٤] (مَعْفَل)، لأنه مَلْأَك، هو مقلوب من[٥] (مأْلَك)، وأوردوا أن يكون مفعلًا من (الألوك)، إلا أنهم قلبوا كما ذكرنا[٦]. هذا قول عامة أهل اللغة والنحو في هذا الحرف[٧].

وذهب بعض[٨] المتأخرين من أصحاب أبي علي الفارسي وهو أبو القاسم الزجاجي إلى خلاف ما ذهب إليه هؤلاء فقال: قول من يقول: إن تركيب ملك من (م، ل، ك) أولى من قول من يقول: إنه (مَفْعَل)[٩] من

---

(١) انظر «غريب القرآن»، لابن قتيبة ١/ ٣٧، «الزينة» لأبي حاتم الرازي ٢/ ١٦٠، ١٦١، «الزاهر» ٢/ ٢٦٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦، «مفردات الراغب» ص٢١، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٠، «اللسان» (ألك) ١/ ١١٠.

(٢) ذكره الأزهري عن الليث، انظر: «تهذيب اللغة» (ألك) ١/ ١٨٤، وانظر «اللسان» (ألك) ١/ ١١٠.

(٣) بل الصواب وزنه (مَعَل) لأن المحذوف فاء الكلمة وهي الهمزة، انظر «البيان» ١/ ٧٠.

(٤) (في الأصل) ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (عن).

(٦) انظر: «المحكم» (ل أ ك) ٧/ ٦٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦، «البيان في غريب إعراب القرآن»، ١/ ٧٠.

(٧) في (ب): (الحروف).

(٨) في (ب): (ذهب المتأخرون).

(٩) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦، «البيان» ١/ ٧٠، وقد رد ابن سيده القول=

(الأَلُوك) مقلوبًا، لأن (المَفْعَل) لا يكون حامل الرسالة، وهم يقولون: إنما قيل: (ملك) لحمله الرسالة، والذي يصلح من الأبنية له (فَاعِل) أو(فَعُول)[(١)] أو(فَعِيل) أو(مُفْعَل) فأما (مَفْعَل) فإنه يصلح أن يكون موضعًا أو مصدرًا.

وما يتركب من (م، ل، ك) هو في كلامهم الاستيلاء على الشيء وإجادته وإنعامه كملك الشيء وملك العجين، وإملاكه هو إنعام عجنه، ولا يصل إلى ذلك إلا بالاستيلاء عليه، وإملاك الرجل أن يجعله مالكًا لعقد النكاح، وكل شيء مكنت غيرك منه وجعلته له فقد أملكته[(٢)] إياه وملكته، وجميع ما يتركب من هذه الحروف راجع إلى ما ذكرنا، وهذا قد مر ذكره في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

ف (الْمَلَكَ)[(٣)] اسم الجنس يقع على الواحد والجمع[(٤)]، ويدل على

= بأن الميم أصلية في (ملك)، انظر «المحكم» ٧/ ٤٧، ٦٩، وانظر «اللسان» (لأَك) ٧/ ٣٩٧٥. والرد على هذا القول يرد في الكلام المكرر فيقول: (وقال بعض المتأخرين أصله (مَلَك) كما هو الآن، وهو بمعنى المملوك... فخالف بهذا القول جميع أهل اللغة، واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره) فلعل الواحدي أضرب عن كلامه الأول واعتمد الأخير. وهذا ولأبي القاسم الزجاجي قول يخالف هذا، قال في كتاب «اشتقاق أسماء الله»: (وأما (الملك) واحد الملائكة، فليس من هذا؛ لأن ذاك أصله الهمز؛ لأن أصله (مَلْأَك) مَفْعَل من الأَلُوك وهي الرسالة... فكان سبيله أن يقال: مَأْلَك، ثم قلب فقيل: (مَلْأَك) ثم استعمل بطرح الهمزة....)، «اشتقاق أسماء الله» ص٤٥ وقول الزجاجي هذا يوافق الجمهور ويخالف ما نقل الواحدي عنه.

(١) في (ب): (مَفْعُول).

(٢) في (ب): (أمكنته).

(٣) في (ب): (والملك).

(٤) من جعل (مَلَك) هو الأصل فهو مفرد جمعه (فعائلة) وهو جمع شاذ كما قال العكبري في (الإملاء) ١/ ٢٨، وقال أبو البركات ابن الأنباري: (مجيء هذا=

ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] وهو(فَعَل) في معنى مَفْعول، كالنشر والنقض والخبط.

والله تعالى ذكره وإن كان قد ملك كل الخلق، فإنه أجرى هذه اللفظة على الجنس؛ لأنه[١] وصفهم فقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وبهذه الصفة يجب أن يكون[٢] كُلٌّ مملوكاً[٣]، فلما وجد فيهم[٤] المعنى الذي يجب أن يكون عليه المملوك من الطاعة سماهم (الملك)، ومثل هذا الاختصاص كثير نحو: (ناقة الله) و(بيت الله).

قال[٥]: وذكر ابن دريد في الجمهرة فقال: (ويجمع (الْملَكُ) أمْلاكًا وَمَلائِك)[٦]، وهذا قد أزال[٧] الخلاف لأن (أَفْعَالاً)، لا يجوز أن يكون جمع ما في أوله ميم زائدة.

وحكى أبو القاسم الآمدي[٨] عن علي بن سليمان الأخفش[٩] أنه

= الوزن في الجمع يدل على فساد قول من جعل (ملكاً) على وزن (فَعَل) لأن فَعَلاً لايجوز أن يجمع فعائلة...)، «البيان» ١/ ٧١.

(١) في (ب): (لأنهم).

(٢) (يكون) ساقطة من (ج).

(٣) في الأصل (مملوك) والتصحيح من المحقق.

(٤) في (ب): (منهم).

(٥) أي الزجاجي.

(٦) «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٨١.

(٧) في (ب): (ارال).

(٨) هو الحسن بن بشر الآمدي البصري المنشأ، إمام في الأدب، قدم بغداد وأخذ عن الحسن بن علي بن سليمان الأخفش، و الزجاج، وابن دريد، وفاتهم سنة سبعين وثلاثمائة، انظر ترجمته في: «إنباه الرواة» ١/ ٢٨٥، «معجم الأدباء» ٢/ ٤٦٩، «بغية الوعاة» ١/ ٥٠٠.

(٩) هو علي بن سليمان بن الفضل، أبو الحسن، المعروف (د) (الأخفش الصغير)=

قال: جمع الملك: أَمْلَاك(١).

وحكي عن العرب (مالك الموت) في (ملك الموت) فلولا أنهم عرفوا أن الأصل فيه (م ل ك) ما عبروا عن (ملَك) بمالك.

قال رويشد بن حنظلة(٢):

غَـدَا مـالِـكٌ يَـبْـغِـي نِـسَـائِـي كَـأَنَّـمَـا
نِـسَـائِـي لِـسَـهْـمَـيْ مَـالِـكٍ غَـرَضَـانِ
فَـيَـارَبِّ فَـاتْـرُكْ لِـي جُـهَـيْـمَـةَ(٣) أَعْـصُـراً
فَـمَـالِـكُ مَـوْتٍ بِـالْـفِـرَاقِ دَهَـانِـي(٤)

= سمع من ثعلب والمبرد، كان ثقة، توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» ١١/ ٤٣٣، «إنباه الرواة» ٢/ ٢٧٦، «معجم الأدباء» ٤/ ١٢٦.

(١) انظر كلام الأخفش في «الزينة» ٢/ ١٦٢.

(٢) خطأ الأكثرون هذا الشاعر، قال ابن سيده: (ورأيت في بعض الأشعار: مالك الموت في ملك الموت...) ثم ذكر البيت، ثم قال: (وهذا عندي خطأ، وقد يجوز أن يكون من جفاء الأعراب وجهلهم، لأن ملك الموت مخفف عن (مَلْأَك)...) «المحكم» ٧/ ٤٧. وقال في موضع آخر: (فإنه ظن ملك الموت من (م ل ك) فصاغ (مالكا) من ذلك، وهو غلط منه، وقد غلط بذلك في غير موضع من شعره... وذلك أنه رآهم يقولون: (ملك) بغير همز، وهم يريدون: (مَلْأَك) فتوهم أن الميم أصل، وأن مثال ملك (فَعَل): كَفَلَك، وسَمَك، وإنما مثال (ملك): (مَفَل) والعين محذوفة ألزمت التخفيف إلا الشاذ.. ومثل غلط رويشد كثير في شعر الأعراب الجفاة) «المحكم» ٧/ ٦٩. وعقد ابن جني في «الخصائص» بابا في أغلاط العرب، وذكر أبيات رويشد، ثم قال: (وحقيقة لفظه غلط وفساد..)، «الخصائص» ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤، انظر: «اللسان» (لأك) ٧/ ٣٩٧٥. ورويشد بن حنظلة لم أجد له ترجمة.

(٣) في (ب): (جهينة) وهي رواية في البيت.

(٤) ورد البيتان في «المحكم» ٧/ ٤٧، ٧/ ٦٩، «الخصائص» ٢/ ٧٢، ٣/ ٢٧٣، «اللسان» (لأك) ٧/ ٣٩٧٥.

وهذا الشاعر ماتت نساؤه[١] وأطال التزوج فلم تلبث[٢] عنده واحدة، فهذا كما ترى سمى المَلَك: (مَالِكاً)، وأما البيت الذي أُنشد في (الْمَلْأَك)[٣] فليس فيه حجة قاطعة فإنه شاعر[٤] واحد، ولم يسمع (الْمَلْأَك) إلا في ذلك البيت الواحد، ولعله همز ما ليس أصله الهمز كما قالوا: (رمح يَزْأَنِيّ)[٥] فزادوا الهمز، وقالوا: (حَلَّأْتُ[٦] السَّويق) وليس أصله الهمز، ومثله كثير.

وأما الجمع فالملائك (فعائل) كالجمائل في جمع الجمل[٧].

ويجوز أن يكون الملائك (مفاعلا)، وإن كان الواحد (فَعَلاً)، لأن باب الجمع ليس بمطرد ولا مقيس، ألا ترى أنهم قالوا في جمع القبح[٨]:

---

(١) في (أ)، (ج): (نساه) وأثبت ما في (ب) لأنه الأولى.

(٢) في (ج): (يلبث).

(٣) في (ب): (الملك) والبيت هو ما احتج به سيبويه وغيره من أهل اللغة والنحو وهو قول علقمة الفحل أو غيره: فَلَسْتَ لِإنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ
وقد سبق آنفاً.

(٤) في (أ)، (ج): (لا شاعر) واخترت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.

(٥) (يَزْأَنِيّ) نسبة إلى ذي يزن من ملوك حمير نسبت الرماح له لأنه أول من عملت له، والأصل (يَزَنِيُّ) و(أَزَنِي) وبعضهم زاد الهمزة فقال: (يَزْأَنِي) انظر «اللسان» (يزن) ٨/ ٤٩٥٦.

(٦) الأصل (حَلَّيْت السويق) أي جعلته حلوا وهمزه شاذ، انظر «سر صناعة الإعراب» ١/ ٩٠، ٤٢٠، «اللسان» (حلا) ٢/ ٩٨٣.

(٧) قوله (في جمع الجمل) ساقط من (ب). وقوله: (فعائل) هذا عند من يرى أن (الميم) في (ملك) أصلية، أما على قول الجمهور فجمعه (معافله) أو(مفاعلة)، انظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦، ٣٧.

(٨) في (ب): (الفتح: مفاتح).

مقابح، وفي جمع الحسن: محاسن، وفي جمع الشبه: مشابه، وفي جمع العزف وهو اللهو معازف، وقالوا: أطعمني مطايب الجزور، لجمع[1] طيب، وهذا باب واسع[2].

والأمر فيه عند المحققين أن كل لفظة من هذه الألفاظ التي وردت في الجمع مخالفة للقياس هي موضوعة للجمع من غير أن كُسِّر[3] عليها الواحد، فالمحاسن لفظة نابت[4] عن جمع الحسن، وكذلك[5] أشباهها، هذا كلامه وهو طويل وقد[6] اختصرته[7].

وحكي عن النضر بن شميل، أنه قال في الملك: إن العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه وهو مما فات[8] علمه، فهذا الذي ذكرنا طرف من الكلام في أصل هذا الحرف[9] على مقدار ما يليق بهذا الكتاب (على[10] صورة

---

(١) في (أ)، (ج): (لجميع) واخترت ما في (ب) لأنه أصح في السياق.

(٢) في (ب): (وهذا جمع واجب يتبع).

(٣) أي: جمع تكسير.

(٤) في (ب): (ثابت).

(٥) في (ب): (وذلك).

(٦) في (ب): (وهو).

(٧) يريد كلام أبي القاسم الزجاجي وسيأتي في المكرر إشارة له بقوله: (وقال بعض المتأخرين أصله (ملك) كما هو الآن... فخالف بهذا القول جميع أهل اللغة،واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره) ولعل الواحدي ترك ذكر كلام الزجاجي مفصلا واكتفى عن ذلك بالإشارة إليه.

(٨) في (أ)، (ج): (مات) وما في (ب) موافق لما عند الثعلبي فقد نقل عنه الواحدي كلام النضر والتعليق عليه. «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ.

(٩) في (ب): (هذِه الحروف).

(١٠) قوله: (على صورة الماضي).. من هنا إلى قوله: (واحتج على ما ذهب إليه بما=

المضي، لأن ما تحقق كونه، فهو بمنزلة ما قد كان، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَـٰبَ ٱلنَّارِ﴾[١] وأشباهه.

وقال أبو عبيدة (إذ) في هذا الموضع[٢] زائدة. معناه: وقال ربك للملائكة. وأنكر الزجاج وغيره هذا القول، وهو[٣] أن الحرف إذا كان مفيداً[٤] معنى صحيحاً لم يجز إلغاؤه، قالوا: وفي الآية محذوف معناه: واذكر يا محمد إذ قال لربك.

وقال الزجاج[٥]: إن الله جل ذكره ذكر خلق الناس[٦] في هذه الآية فكأنه قال: ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة. وعند غيره من المفسرين[٧]: أن كل ما ورد في القرآن من هذا النحو فالذكر فيه مضمر.

و(الملائكة)[٨]: الرسل واحدها مَلَك وأصله (مَأْلَك) وجمعها

= يطول ذكره) مكرر مع ما سبق، ولعل الواحدي لم يرض عن كلامه الأول فأعرض عنه ثم أعاد الكتاب فيه، غير أن النساخ أثبتوا كل ما كتبه، انظر التنبيه السابق ص ٣١٢.

(١) سورة الأعراف: ٤٤. وفي كلامه المكرر السابق أورد آيتين قال: (كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾...).

(٢) هناك في المكرر قال: (هاهنا).

(٣) كذا ورد في جميع النسخ وفي الموضع السابق: (وقالوا: إن الحرف...).

(٤) في (ب): (مقيدًا).

(٥) في كلامه المكرر السابق (أبو إسحاق).

(٦) في (ب): (السموات).

(٧) في الكلام المكرر: (وأكثر المفسرين).

وتخريج الأقوال والتعليق عليها ذكر في الكلام السابق فلا أطيل بإعادته.

(٨) تفسير لفظ (الملائكة) هنا مختلف عما سبق وأكثر اختصار منه.

(مآلِك)[١] ووزنه من الفعل (مَفْعَل) والهمزة فاء الفعل، واللام عينه ثم أخرت الهمزة بالقلب[٢]، تأخيرهم للعين من (القوس) في جمعها حيث قالوا: (قُسِيّ)[٣] وقالوا: (شَمْأَل وشَأْمَل)[٤] كذلك هاهنا قلبت الهمزة.

ثم خفف[٥] بالحذف فقيل: ملك وأصله من المألُكة والمَألَكَة[٦] والألوك وهي: الرسالة، ويقال: أَلِكْني[٧] إليه، أي: كن رسولي، وبلغ إليه رسالتي. قال لبيد:

وغُلَامٍ أَرْسَلَتْهُ أُمُّهُ ... بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنَا مَا سَأَلْ[٨]

---

(١) (مآلك) جمع (مألك) على أصله قبل التغيير. قال الطبري: ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا، ولكنهم يجمعون: (ملائك وملائكة) «تفسير الطبري» ١/ ١٩٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦.

(٢) ويسمى قلبًا مكانيًا، انظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٦.

(٣) قال في «اللسان»: (قُسي) و(قِسي) كلاهما على القلب عن (قُووس) وإن كان (قُووس) لم يستعمل استغنوا بقسيٍّ عنه، فلم يأت إلا مقلوبا...) «اللسان» (قوس) ٦/ ٣٧٧٣.

(٤) في (أ) (شئمال وشأمل)، والصحيح ما أثبت كما في (ب) و (ج)، ومثله عند «الطبري»، وهو على القلب المكاني. انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٩٨.

(٥) في (ج): (خففت).

(٦) (والمألكة) ساقطة من (ب).

(٧) في (ب): (اللي).

(٨) ورد البيت في (ديوان لبيد) مع شرحه: ص١٧٨، «تفسير الطبري» ١/ ١٩٨، «المعاني الكبير» ١/ ٤١٠، ٣/ ١٢٣٨، «الزاهر» ٢/ ٢٦٧، «المحكم» (ألك) ٧/ ٦٨، «الخصائص» ٣/ ٢٧٥، «المنصف» ٢/ ١٠٤،«تفسير «القرطبي» ١/ ٢٢٤، «الدر المصون» ١/ ٢٥٠، «إملاء ما مَنَّ به الرحمن» ١/ ٢٧، «اللسان» (ألك) ١/ ١١٠. يقول (أرسلت هذا الغلام أمُّه برسالة فأعطيناه ما طلب).

وسميت الرسالة أَلُوكا، لأنه يؤلك في الفم، مشتقاً[١] من قول العرب: الفرس يألك[٢] اللجام ويعضه بمعنى يمضغ الحديدة[٣]. ذكره الليث، قال:

والمعروف: يَلُوك[٤]. وقال عبد بني الحسحاس[٥]:

أَلِكني إلَيْهَا عَمْرَكَ اللهُ يَا فَتَى   بِآيَةِ[٦] مَا جَاءَتْ إلَيْنَا تَهَادِيَا[٧]

وقال آخر، فردّ الملك إلى الأصل[٨]:

فَلَسْتَ لإنسيٍّ ولكن لِمَلأكٍ[٩]   تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[١٠]

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعل الأولى (مشتق).

(٢) في (ب): (تألك، وتعضه، وتمضع) بالتأنيث في المواضع الثلاثة.

(٣) في (ب)، (ج): (الحديد).

(٤) «تهذيب اللغة» (ألك) ١/ ١٨٤.

(٥) هو سحيم عبد بني الحسحاس، أدرك الجاهلية والإسلام، ولا يعرف له صحبة، كان أسود شديد السواد وبنو الحسحاس: من بني أسد بن خزيمة.انظر ترجمته في: «الشعر والشعراء» ص٢٥٨، «الخزانة» ٢/ ١٠٢.

(٦) في (أ)، (ج): (كآية) وما في (ب) تفسير موافق لجميع المصادر التي ورد فيها البيت.

(٧) ورد البيت في (ديوان سحيم): ص١٩، و«الطبري»١/ ١٩٨، «الخصائص» ٣/ ٢٧٤، «معجم مقاييس اللغة» ١/ ١٣٣، «مجمل اللغة» (ألك)١/ ١٠٢، أساس البلاغة (ألك): ص٨، «الخزانة» ٢/ ١٠٤. قوله: ألكني إليها: بلغها عني رسالة، والآية: العلامة، والتهادي: التمايل في المشي.

(٨) قوله: (فرد الملك إلى الأصل) ورد في (ب) بعد البيت وهذا أولى، والمعنى رد الملك إلى أصله وهو (ملأك).

(٩) في (أ) و (ج): (لها لا ك) وهو تصحيف يخالف رواية البيت المشهورة.

(١٠) سبق تخريج البيت.

وأصله مألك[١] فقلب الهمزة كما قالوا: شاك في شائك، ولاث في لائث[٢].

ويقال في الجمع الملائكة والملائك، قال كثير:

كَمَا قَدْ عَمَمْتَ المؤْمِنِينَ بِنَائِلٍ
أَبَا[٣] خَالِدٍ صَلَّتْ عَلَيْكَ المَلاَئِكُ[٤]

هذا قول الجمهور من أهل اللغة[٥].

وقال النضر بن شميل في الملك: إن العرب لا تشتق فعله ولا تصرفه، وهو مما فات[٦] علمه.

وقال بعض المتأخرين[٧]: أصله ملك كما[٨] هو الآن وهو بمعنى

---

(١) (مألك) قلبت الهمزة قلبًا مكانيًا، فوضعت مكان العين، ونقلت العين إلى الفاء وهي (اللام) فصار (ملأك) ثم خفف بحذف الهمزة، انظر (البيان في غريب إعراب القرآن) ١/ ٧٠.

(٢) انظر: «الكتاب» ٣/ ٤٦٦، ٤/ ٣٧٨، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٧.

(٣) في (ب): (اخالد).

(٤) ورد البيت في «المنصف» ٢/ ١٠٣، «البحر» ١/ ١٢٧، «الدر المصون» ١/ ٢٥١، غير منسوب فيها كلها.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (ملك) ٤/ ٣٤٤٩، (ألك) ١/ ١٨٤، «تفسير الطبري» ١/ ١٩٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٠، «مجاز القرآن» ١/ ٣٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ، «الكشاف» ١/ ٣٧١.

(٦) في (ج): (من مات عليه) وكلام النضر ورد في «تفسير الثعلبي» قال: وهو مما فات عليه ١/ ٦٠أ. وقد سبق كلام النضر. وانظر التعليق عليه.

(٧) هو أبو القاسم الزجاجي ذكره فيما سبق قال: (وذهب بعض المتأخرين من أصحاب أبي علي الفارسي، وهو أبو القاسم الزجاجي...). والتعليق عليه هناك، حيث إن للزجاجي قولًا آخر يوافق الجمهور.

(٨) (كما) ساقطة من (أ) و (ج) والسياق يقتضيها.

المملوك يذهب[١] فيه إلى أنه لله بمنزلة العبد لغيره، فهو(فَعَل) بمعنى مفعول كالنقض[٢] والخبط، فخالف بهذا القول جميع أهل اللغة واحتج على ما ذهب إليه بما يطول ذكره[٣].

و(الخليفة) الذي يخلف الذاهب أي يجيء بعده، ويقال للسلطان: خليفة لأنه يخلف من قبله، يقال: خلف فلان مكان فلان، يخلف [إذا كان في مكانه[٤].

اللحياني: خلف فلان فلانا في أهله وفي مكانه يخلفه][٥] خلافة حسنة، وكذلك[٦] قيل: أوصى له بالخلافة، ويقال: خلفني ربي في أهلي وولدي أحسن الخلافة[٧].

وأصل الخليفة خليف بغير هاء، لأنه (فَعِيل) بمعنى: (فاعل)، كالعليم والسميع، فدخلت (الهاء) للمبالغة بهذا الوصف، كما قالوا: راوية[٨] وعلاَّمة[٩]. وقال ابن السكيت: أما الخليفة فإنه وقع للرجال خاصة، وإن كان[١٠] فيه (الهاء)، ألا ترى أنهم قد جمعوه (خلفاء) كما

---

(١) (يذهب) ساقطة من (ب).

(٢) في (ب): (بالنقض).

(٣) وقد سبق ذكر احتجاجه مفصلًا في الكلام السابق.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٩٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في «تهذيب اللغة» (ولذلك) ١/ ١٠٨٩.

(٧) «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٨٩.

(٨) وفي (ج): (رواية).

(٩) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٢٤١، «الصحاح» (خلف) ٤/ ١٣٥٦، «اللسان» (خلف) ٢/ ١٢٣٥.

(١٠) (كان) ساقط من (ب).

يجمع فعيل. هذا فيمن ذَكَّر واستعمل المعنى، ومن أنث لتأنيث اللفظ قال في الجمع: (خلائف)[١]. وقد ورد التنزيل بها، قال الله تعالى: ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقال: ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] ويجوز تأنيث الخليفة على اللفظ كما قال:

أَبُوك خَلِيفَةٌ وَلَدَتْه أُخْرى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ذَاكَ الكَمَالُ[٣]

قال ابن عباس وابن مسعود وابن زيد[٤]: أراد بالخليفة آدم عليه السلام جعله خليفة لنفسه، يحكم بالحق في أرضه[٥]. وروي عن ابن عباس أنه قال:

---

(١) انظر كلام ابن السكيت في «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٩٠، وانظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري: ص٥٦٥، «الزاهر» ٢/ ٢٤٢.

(٢) سورة يونس: ١٤، وفي فاطر: ٣٩.

(٣) البيت استشهد به الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٨، ولم ينسبه، وورد في «الزاهر» ٢/ ٢٤٢، «والمذكر والمؤنث» لابن الأنباري: ص٥٦٥، ونسبه لـ (نُصيب) قال المحقق: ليس في شعره، وورد في «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٩٠، «الصحاح» ٤/ ١٣٥٦، «اللسان» ٢/ ١٢٣٥، كلهم قالوا: أنشد الفراء.
والشاهد فيه: قوله: (أخرى) فأنث لتأنيث اسم الخليفة، والوجه أن تقول: ولده آخر. قاله الفراء.

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، بالولاء، مدني روى عن أبيه زيد بن أسلم، ضعيف. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» ٥/ ٢٣٣، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٠٧، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٢٧١.

(٥) ورد ضمن آثار رويت عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد ذكرها الطبري في «تفسيره» بسنده، وقد علق الأستاذ محمود شاكر على هذه الآثار بكلام طويل، محصلته أن الطبري استدل بهذه الآثار لبيان معنى لفظ (خليفة) وتحقيق معناه، ولم يبال بما في الإسناد من وهن لا يرتضيه، وقد رجح الطبري: أن المراد بالخلافة خلافة قرن منهم قرنًا غيرهم، وأن الذي يفسد ويسفك الدماء غير آدم.
وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥١-٤٥٣، وذكر نحوه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٧٥ وساق الآثار على هذا.

جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن[١].

قال المفسرون: وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن[٢] الأرض، فغبروا دهراً طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي، فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث إليهم جندا من الملائكة يقال لهم: الجن ورأسهم إبليس، وهم خزان الجنان، اشتق لهم اسم من الجنة، فهبطوا إلى الأرض، وطردوا الجن عن وجوهها إلى شعوب الجبال، وجزائر البحور، وسكنوا الأرض، وكانوا أخف الملائكة عبادة، لأن أهل السماء الدنيا أخف عبادة من الذين فوقهم، وكذلك أهل كل سماء، وهؤلاء الملائكة لما صاروا سكان الأرض خفف الله عليهم العبادة، وخلقت الملائكة كلها من نور غير هذا الحي[٣] الذين يقال لهم: الجن[٤]، فأحبوا[٥] البقاء في الأرض.

---

(١) أخرج «الطبري» نحوه من طريق الضحاك عن ابن عباس، وقال شاكر: في إسناده ضعف. «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٠، وذكره ابن كثير من طريق ابن جرير «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٥، وأخرج الحاكم في مستدركه نحوه عن مجاهد عن ابن عباس، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. «المستدرك» ٢/ ٢٦١.

(٢) (الجن) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (الجن).

(٤) في «تفسير الطبري»: (الحن) بالمهملة. قال شاكر في هامش «الطبري»: في المطبوعة في موضعين (الجن) بالجيم وهو خطأ، يدل عليه سياق الأثر، فقد ميز ما بين إبليس، وبين الجن الذين ذكروا في القرآن .. والجن (بالجيم) أول من سكن الأرض، وإبليس جاء لقتالهم في جند من الملائكة..) «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٥ (ط. شاكر).

(٥) في (ب): (واحبوا).

كان الله تعالى قد أعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنان، وكان يعبد الله ﷻ تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة، فأعجب بنفسه، وتداخله الكبر، فاطلع الله على ما انطوى عليه من الكبر، فقال له ولجنده: إني جاعل في الأرض خليفة[١].

وإخبار[٢] الله تعالى الملائكة بهذا يكون على جهة البشارة لهم بمكان آدم كما جرت به سنته بالبشارة بالأنبياء قبل خلقهم وقبل إرسالهم[٣]. ولا يكون ذلك[٤] على جهة المشاورة معهم[٥]، لامتناع

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» قال: (وقال المفسرون...ثم ذكره)، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ، ب، ولعل الواحدي نقل عنه. وإن مما أخذ على الثعلبي في «تفسيره» أنه حاطبُ ليل جمع فيه الضعاف والإسرائيليات، ولقد تأثر الواحدي به ونقل عنه في بعض المواضع. وحول ما أورده الواحدي هنا ورد أثر عن ابن عباس، أخرجه الطبري، قال شاكر في تعليقه عليه: (.. لم يروه لاعتماد صحته، بل رواه لبيان أن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إنما هو خطاب فيه لفظ العموم للملائكة..) «تفسير الطبري» ١/ ٢٠١. وأورد الأثر ابن كثير وقال: (هذا سياق غريب، وفيه أشياء فيها نظر، يطول مناقشتها، وهذا الإسناد إلى ابن عباس يُرْوى به تفسير مشهور)، «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٦. ومثل هذِه القضايا يجب الاعتماد فيها على النص من الكتاب، أو من السنة الصحيحة، وهي من المواطن التي كثر النقل فيها عن الإسرائيليات، وليت كتب التفسير صينت عن مثل هذِه القصص والروايات.

(٢) في (ب): (واختار).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٤.

(٤) في (أ)، (ج): (على ذلك جهة) وأثبت ما في (ب)، لأنه أصح لاستقامة السياق.

(٥) أورد ابن أبي حاتم في «تفسيره» أثرًا منكرا عن السدي، وفيه: (فاستشار الملائكة في خلق آدم) قال المحقق: هذا خبر منكر، انظر «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٧٦. وأورده ابن كثير في تفسير، وقال: وهذِه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار=

المشاورة في وصفه، لوجوب كونه عالماً لا يخفى عليه شيء.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. قال الفراء[١]: أراد: فقالوا فحذف فاء النسق كقول الشاعر:

لَـمَّـا رَأَيْـتُ نَـبَـطـاً أَنْـصَـارَا
شَـمَّـرْتُ عَـنْ رُكْـبَـتِـي الإِزَارَا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارى جَارَا[٢]

أي: فكنت لهم. واختلفوا[٣] في قول الملائكة: (أتجعل فيها) على أي وجه حصل منهم هذا: فروي أن الذين قالوا هذا عشرة آلاف من الملائكة، فأرسل الله[٤] عليهم نارا فأحرقتهم[٥].

وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار، معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها [ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد فيها][٦] ولا يسفك الدماء؟ كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩] يعني

= ففيها تساهل، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن. «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٥. عبارة الحسن وقتادة: إني فاعل، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٠٥.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠ب.

(٢) أنشد الفراء الرجز ونسبه لبعض الأعراب «معاني القرآن» ١/ ٤٤، وأورده «الطبري» في «تفسيره» ١/ ٣١٨، والثعلبي ١/ ٦٠ب، وهو في «الزاهر» ١/ ٢٢٥، «تفسير الماوردي» ١/ ١٣٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٧.

(٣) في (ب): (فاختلوا).

(٤) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٥) هذا الكلام ورد في رواية منكرة غريبة أخرجها ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه. قال المحقق: (منكر غريب)، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٧٨. وذكرها ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وقال: (إسرائيلي منكر)، «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٦.

(٦) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

كمن هو غير قانت[١]، وكقول أبي ذؤيب:

عَصَيْتُ إليْها القَلْبَ إنِّي لِأَمْرِهَا
مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلَابُهَا[٢]

أراد: أرشد[٣] أم غي، وعلى هذا فالملائكة أرادوا بالاستفهام أن يخبروا بما لا يعلمون، ولم يذهبوا إلى الإنكار والاعتراض[٤]، فقال الله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٥]، لم يطلعهم على صفة أولاد آدم. ولم يبين لهم أنه يريد أن يخلق من يفسد أو لا يفسد[٦].

وقيل: لما قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ أشكل على الملائكة أن الخليفة ممن يكون، قالوا: يا ربنا أتجعل في الأرض خليفة كما كان بنو الجان مفسدين؟ أم تجعل خليفة من الملائكة ؟ فإنا نسبح بحمدك، فلم يطلعهم الله على ذلك، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي[٧]: أن فيهم المطيع والعاصي جميعاً[٨].

---

(١) هذا المعنى ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٠ب.
(٢) سبق ذكر البيت وتخريجه وشرحه في: ٢/ ٥٥.
(٣) في (ب): (رشد). (٤) في (أ): (ولاعتراض).
(٥) ذكر نحوه الطبري ورجحه. انظر: «تفسير الطبرى» ١/ ٢٠٩، وهو قريب من قول الزجاج الآتي ذكره، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٧٦، وانظر: «زاد المسير»١/ ٦٠، «تفسير القرطبي» ١/ ١٣٥.
(٦) رجح الطبري أن الله أطلع الملائكة على ما يكون من ولد آدم، لأن ذلك يفهم من السياق، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢١٠.
(٧) في (ب): (إذ فيهم).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٠٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠ب، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٣٥.

وقال الزجاج حكاية عن غيره: المعنى في هذا هو[١]: أن الله أعلم الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة، أن الخليفة[٢] فرقة من بني آدم [تسفك][٣] الدماء، وأن الله أذن للملائكة أن يسألوه عن ذلك، وكان[٤] إعلامه إياهم هذا زيادة في التثبيت[٥] في نفوسهم أنه يعلم الغيب، وكأنهم قالوا: أتخلق[٦] فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك، وإنما ينبغي إذا عرفوا أنك خلقتهم أن يسبحوا بحمدك كما نسبح، ويقدسوا كما نقدس، ولم يقولوا هذا إلا وقد أذن لهم، لأن الله تعالى وصفهم بأنهم يفعلون ما يؤمرون[٧].

فإن قيل: فأين إخبار الله بذلك للملائكة فإنا لا نراه في القرآن؟

قيل: هو محذوف مكتفى بدلالة الكلام عليه، كأنه قال: (إني جاعل في الأرض خليفة) يكون من ولده إفساد[٨] في الأرض، وسفك للدماء[٩]، فحذف هذا اكتفاء[١٠] بما دل عليه من جواب الملائكة، كما

---

(١) (هو) ساقط من (ب). ولفظ الزجاج: (وقال قوم: المعنى فيه غير هذا وهو أن الله.. إلخ) والزجاج ذكر قبل هذا القول الذي يرتضيه، وسيورده الواحدي فيما بعد، كما سيأتي، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٧٦.

(٢) كذا في جميع النسخ وفي «معاني القرآن» (بالقاف) في الموضعين.

(٣) في (أ) و (ج): (يسفك)، و(ب) غير معجم، وفي «معاني القرآن» (تسفك) ١/ ٧٦.

(٤) (الواو) ساقطة من (ج).

(٥) في (أ) و (ج): (التثبت)، وما في (ب) موافق لما في «معاني القرآن» ١/ ٧٦.

(٦) في النسخ: (الخلق)، تحريف، والصواب ما أثبتنا من «معاني القرآن».

(٧) انتهى كلام الزجاج، انظر: «المعاني»: ص٧٧.

(٨) (إفساد) مكرر في (أ) و(ج).

(٩) في (ب): (الدماء).

(١٠) في (أ) و (ج): (اكتفى) وأثبت ما في (ب)، لأنه هو الأصوب.

قال الشنفرى(١):

فَلَا تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ولكن خَامِري أُمَّ عَامِرِ(٢)

أراد: ولكن دعوني للتي يقال لها إذا أريد صيدها: خامري أم عامر، فحذف(٣).

قال الزجاج: ويجوز أن يكون هذا القول من الملائكة على وجه استعلام وجه الحكمة، لا على الإنكار. معناه: كيف تجعل في الأرض من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبحك الآن إذ أجليناهم(٤) وصرنا سكانها، فأخبِرْنا(٥) وجه الحكمة فيه(٦).

---

(١) الشنفرى: شاعر جاهلي من الأزد، والشنفرى اسمه، وقيل: لقبه ومعناه: العظيم الشفة، انظر: «الخزانة» ٣/ ٣٤٣، «الأعلام» ٥/ ٨٥.

(٢) البيت قاله الشنفرى الأزدي في قصة طويلة انظر تفاصيلها في «الخزانة» ٣/ ٣٤٤-٣٤٨، ويروى البيت (لا تقتلوني)، (إن قبري)، (ولكن أبشري) وفي «ذيل الأمالي» (لا تقتلوني)، (إن قتلي). وأم عامر: كنية الضبع و(خامري) أي استتري، يريد دنو الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تخالط القتيل فتصيب منه. والمعنى: يقول لا تدفنوني بعد قتلي واتركوني للتي يقال لها (أم عامر).

ورد البيت في «تفسير الطبري» ١/ ٢١٠، «الحماسة بشرح المرزوقي» ٢/ ٤٨٧، «الشعر والشعراء» ص٣١، «ذيل الأمالي» للقالي ٣/ ٣٦، «الخزانة» ٣/ ٣٢٧.

(٣) السؤال الذي ذكره الواحدي والإجابة عنه، ورد عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٢١٠.

(٤) في (ب): (اخليناهم).

(٥) في (ب): (فأضرها).

(٦) نقل الواحدي كلام الزجاج بمعناه، ومنه قوله: (روي أن خلقًا يقال لهم: (الجان) كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدماء. فبعث الله ملائكته فأجلتهم من الأرض، وقيل: إن هؤلاء الملائكة صاروا سكان الأرض بعد الجان.. إلخ) وهذا يوضح قول الواحدي: (ونحن نسبحك الآن إذ أجليناهم وصرنا سكانها). «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٦.

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الله تعالى لما اطلع على كبر إبليس قال للملائكة الذين كانوا معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت[(١)] الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيهما كما فعل[(٢)] بنو الجان، قاسوا بالشاهد على الغائب[(٣)]، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من كبر إبليس واغتراره بفعله، ثم لما ظهر من أمر إبليس ما ظهر وعجزت هؤلاء الملائكة عن[(٤)] الإخبار عن أسماء الأشياء اعترفوا بالعجز، وقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[(٥)] ومع وضوح هذه الأقوال فإن ظاهر الخطاب يدل على أنه شق على الملائكة خلق الخليفة لأنهم لما سكنوا[(٦)] الأرض خفت عنهم العبادة كما ذكرنا، فخافوا أن يردوا إلى السماء فتثقل عليهم العبادة فلهذا شق عليهم خلق الخليقة[(٧)].

---

(١) في (ب): (فقال).
(٢) في (ب): (فعلوا).
(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٠ب.
(٤) في (ب): (من).
(٥) ورد نحوه في رواية طويلة عن ابن عباس ساقها «الطبري» في «تفسيره»، وعلق عليها بأن الرواية أفادت أن القائل ذلك خاص من الملائكة وليس كلهم. وقد أخذ محمود شاكر من تعليق الطبري: أن الطبري لم يروه لاعتماد سنده وإنما لبيان أن الخطاب لبعض الملائكة، وأن قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ لم يكن عن علم بالغيب عرفوه، بل كان ظنا ظنوه).
انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٥-٤٥٨، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٨، «الدر المصون» ١/ ٤٥.
(٦) في (ب): (اسكنوا).
(٧) اعتمد الواحدي في هذا على ما ذكره شيخه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٠ب. وورد نحوه عند أبي الليث في «تفسيره» ١/ ١٠٨. وهذا لا يتناسب مع منزلة الملائكة=

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. معنى التسبيح: تنزيه الله من كل سوء، وقد يكون بمعنى الصلاة، ويقال: سبح لله[1] أي صلى لله[2].

قال الحسن: معناه: يقول سبحان الله وبحمده[3].

قال الأزهري[4]: أجمع المفسرون وأهل المعاني: أن معنى[5] تسبيح الله، تنزيه الله وتبرئته عن السوء.

قال: وأصل التسبيح[6] في اللغة، التبعيد من قولك: سبحت في الأرض، إذا تباعدت فيها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] فكل من أثنى على الله وبعّده من السوء، فقد سبح له[7] ونزهه.

وقال بعض أهل المعاني: معنى قوله: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نتكلم بالحمد لك، والنطق بالحمد لله تسبيح له، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥] وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ٣] أي:

= وما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. والأرجح في معنى الآية: أن الملائكة قالت ذلك على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٢١.

(١) في (ب): (الله).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٢١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٧، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٣٦، «زاد المسير» ١/ ٦١.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٠ب.

(٤) «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦٠٩. نقل كلامه بتصرف.

(٥) في (ب): (على أن المعنى).
وقوله: (أجمع المفسرون وأهل (المعاني» ليس في «تهذيب اللغة».

(٦) (التسبيح) ساقط من (ج).

(٧) في (ب): (فقد سبح الله).

احمده، ويكون حمد الحامد لله تسبيحا له، لأن معنى الحمد لله: الثناء عليه والشكر له، وهذا تنزيه له واعتراف بأنه أهل لأن ينزه[(١)]، ويعظم، ويثنى عليه[(٢)]. ومعنى قول القائل (سبحان الله): براءة الله من السوء[(٣)] وتنزيهه، وكثر لفظ (سبحان الله) في كلامهم، سيما عند التعجب، حتى صار كلمة للتعجب، قال الأعشى:

أَقُولُ لَمّا[(٤)] جَاءَنِي فَخْرُهُ
سُبْحَانَ مِنْ[(٥)] عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[(٦)]

---

(١) في (ج): (ينزهه).

(٢) نحوه في «تفسير الطبري» ١/ ٢١١، «زاد المسير» ١/ ٦١، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٣٧.

(٣) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٢٤، «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦٠٩.

(٤) في (ج): (لمن).

(٥) (من) ساقطة من (ب).

(٦) البيت للأعشى ضمن قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة العامري، ويمدح عامر بن الطفيل، لما تنازعا في الجاهلية على الرياسة في بني كلاب. وقد مات عامر مشركًا، وأسلم علقمة، ولهذا ورد أن النبي صلى الله عيه وسلم نهى عن رواية القصيدة. يقول: أقول لما جاءني فخر علقمة على عامر: (سبحان من علقمة الفاخر)، أي أتعجب، سبحان الله منه، كذا خرجه بعضهم، وبهذا المعنى استشهد الواحدي به، وخرجه ابن فارس: بمعنى: ما أبعده، وبعضهم قال معنى (سبحان) في البيت: البراءة والتنزيه، وللراغب في «مفرداته» أقوال أخرى: ص٢٢١. ورد البيت في «الكتاب» ١/ ٣٢٤، «مجاز القرآن» ١/ ٣٦، «المقتضب» في «تفسيره» ٣/ ٢١٨، «مقاييس اللغة» (سبح) ٣/ ١٢٥، «الزاهر» ١/ ١٤٤، و«الطبري» ١/ ٢١١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٨، «مفردات الراغب»: ص٢٢١، «الخصائص» ٢/ ١٩٧، ٤٣٥، «شرح المفصل» لابن يعيش ١/ ٣٧، ١٢٠، «الديوان»: ص٩٣.

أي تعجب منه. ونحو هذا قال الزجاج في معنى: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قال: نبرئك من السوء[١].

ويأتي بقية القول في معنى (سبحان)[٢] عند قوله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٣]. أي: نطهرك وننزهك عما لا يليق بك من النقص. و(اللام)، فيه صلة[٤].

و(التقديس): التطهير، والقدس: الطهارة، والبيت المقدس: المطهر[٥]. قال الزجاج: ومن هذا قيل للسطل: قدس، لأنه يتقدس منه، أي يتطهر[٦].

قال غيره[٧]: والقُداس هو[٨] الجمان[٩] من فضة، لأنه أبيض نقي. قال الشاعر في وصف الدموع:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ص٧٧.

(٢) في (ج) (سبحانا).

(٣) (الواو) ساقطة من (ب).

(٤) ذكره الثعلبي ١/ ٦١أ، وأجاز العكبري في (اللام) أن تكون بمعنى: لأجلك، أو زائدة أو تكون معدية للفعل مثل الباء، «الإملاء» ١/ ٢٨.

(٥) انظر «معاني القرآن» للزجاج١/ ٧٨، «تهذيب اللغة» (قدس) ٣/ ٢٩٠٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦١أ.

(٦) «شرح أسماء الله الحسنى» للزجاج: ص٣٠، وانظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٠٠، «اللسان» (قدس)٦/ ٣٥٤٩.

(٧) هو الليث كما في «تهذيب اللغة» (قدس) ٣/ ٢٩٠٠.

(٨) (هو) ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (الجمال). والجمان: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ، وقيل: خرز يُبَيَّض بماء الفضة. «اللسان» (جمن) ٢/ ٦٨٩.

كَنَظْمِ قُدَاسٍ سَلْكُهُ مُتَقَطِّعُ[(١)]

قال أبو علي الفارسي: معنى نقدس لك: نُنزهك عن السوء، فلا[(٢)] ننسبه إليك، و(اللام) فيه على حدها في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] لأن المعنى تنزيهه، وليس المعنى أن ينزه شيء من أجله. فأما قولهم: (بيت المقدس) وقول الراجز:

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ القَادِسِ[(٣)]

يدل على أن الفعل قد استعمل من التقديس، بحذف الزيادة، فإذا كان كذلك، لم يخل (المَقْدِس) من أن يكون مصدرا أو مكانا، فإن كان مصدرا كان كقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾[(٤)] ونحوه من المصادر، والتي[(٥)] جاءت على هذا المثال.

وإن كان مكاناً، فالمعنى: بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره على إخلائه من الأصنام وإبعاده منها، كما جاء

---

(١) صدره كما في «اللسان»:

تَحَدَّرَ دَمْعُ العَيْنِ مِنْهَا فَخِلْتُه

يصف تحدر دمعة العين بنظم القُدَاس إذا انقطع سلكه، والبيت غير منسوب، ذكره الأزهري في «التهذيب» (قدس) ٣/ ٢٩٠٠، والجوهري في «الصحاح» (قدس) ٣/ ٩٦١، وابن فارس في «مجمل اللغة» (قدس) ١/ ٧٤٥، «مقاييس اللغة» (قدس) ٥/ ٦٤، وورد في «اللسان» (قدس) ٦/ ٣٥٥٠.

(٢) في (ب): (ولا).

(٣) ورد في «الحجة» لأبي علي بدون نسبة «الحجة» ٢/ ١٥٢. ولم أجده في غيرها.

(٤) سورة الأنعام: ٦٠، ويونس: ٤. وفي (الحجة): (كقوله: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾)، (الحجة) ٢/ ١٥٢. وهي جزء من آية في سورة آل عمران: ٥٥، والعنكبوت: ٨، ولقمان: ١٥.

(٥) (والتي) كذا وردت في جميع النسخ والأولى حذف الواو كما في «الحجة» ٢/ ١٥٢.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[1] [البقرة: ١٢٥]. انتهى كلامه[2].

فعلى قول أبي علي (اللام) في (لك) صلة[3].

وقال أبو إسحاق: معنى: (نقدس لك) أي نطهر أنفسنا لك.

قال: ومن هذا: البيت المقدس، أي: البيت المطهر، وبيت المقدس أي بيت المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب[4].

فعلى هذا (اللام) لام أجل[5]، أي نطهر لأجلك قلوبنا من الشرك، وأبداننا من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن عباس: يعني من إضمار إبليس العزم على المعصية، وما اطلع عليه من كبره[6].

وقال ابن مسعود: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مما يؤول إليه أمر إبليس[7].

---

(١) في الآيه تصحيف في (ب): (طهر) بدون (ألف)، وفي (ج): (طهري)

(٢) أي كلام أبي علي، نقله بتصرف، انظر: «الحجة» ٢/ ١٥١، ١٥٢.

(٣) وهو قول الثعلبي كما مر قريبًا وذكر العكبري فيها أقوالًا أخرى، انظر: «الإملاء» ص٧٠٦، تعليق رقم ٥.

(٤) انظر كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٧٨، ليس فيه قوله: (البيت المقدس) أي (البيت المطهر).

(٥) وبه أخذ العكبري، انظر :ص٧٠٦، تعليق ٥، وانظر «الإملاء» «تفسير الطبري» ١/ ٢١١، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٣١.

(٦) أخرجه «الطبري» بسنده من طريق الضحاك، «تفسير الطبري» ١/ ٢١٢، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٢، «الدر» ١/ ٩٥، «زاد المسير» ١/ ٦١.

(٧) أخرجه «الطبري» من طريق السدي عن مرة عن ابن مسعود، وعن أبي صالح عن ابن عباس ١/ ٢١٢، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه ١/ ٧٩، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٢.

وقال قتادة[١]: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه يكون في أولاد آدم من هو من أهل الطاعة.

وقال الزجاج: معناه أبتلي من تظنون أنه مطيع فيؤديه الابتلاء إلى المعصية، ومن تظنون أنه عاص فيؤديه إلى الطاعة[٢].

وقيل: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تفضيل آدم عليكم، وما أتعبدكم به من السجود له، وأفضله به عليكم من تعليمي الأسماء، وذلك أنهم قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما يشاء، فلن يخلق خلقاً أفضل ولا أكرم عليه منّا[٣].

وفتح أبو عمرو وابن كثير (الياء) في قوله: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿إِنِّيَ أَرَىٰ﴾[٤] عند الهمزة المفتوحة. وزاد أبو عمرو عند الهمزة المكسورة، مثل: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[٥].

وزاد نافع عند المضمومة، مثل: ﴿عَذَابِيَ أُصِيبُ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿فَإِنِّيَ أُعَذِّبُهُۥ﴾ [المائدة: ١١٥]، ﴿إِنِّيَ أُرِيدُ﴾[٦].

---

(١) أخرجه الطبري بسنده عن سعيد عن قتادة. «تفسير الطبري» ١/ ٢١٣، وأخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٧٩-٨٠، قال المحقق: ضعيف، ولكن أخرجه «الطبري» من طريق آخر ١/ ٢٨٤، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٧٤، وانظر ابن عطية ١/ ٢٣٣، «الدر» ١/ ٩٦، «زاد المسير» ١/ ٦٢.

(٢) ذكر كلام الزجاج بمعناه. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٧٧، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٦٢.

(٣) لم أجد هذا القول فيما اطلعت عليه من كتب التفسير، والله أعلم.

(٤) سورة الأنفال: ٤٨، وسورة يوسف: ٤٣، وسورة الصافات: ١٠٢.

(٥) سورة يونس: ٧٢، سورة هود: ٢٩، وسورة سبأ: ٤٧.

(٦) (إني) ساقط من (ب). سورة المائدة: ٢٩، والقصص: ٢٧. =

وحجتهم في ذلك[١] أن هذه (الياء) أصلها الحركة، لأنها بإزاء الكاف للمخاطب، فكما فتحت الكاف، كذلك تفتح (الياء).

فإن قيل: إن الحركة في حروف اللين مكروهة؟

قيل: الفتحة من بينها[٢] لا تكره، وإن كرهت الضمة والكسرة، ألا ترى أن (القاضي) ونحوه يحرك بالفتح[٣]، كما يحرك[٤] سائر الحروف التي لا لين لها[٥]، ألا ترى أن (غواشي)[٦] تجري في النصب مجرى

= اختلف القراء في حكم (ياء المتكلم)، فقرأ بعضهم بفتحها، وبعضهم بتسكينها، ولهم أصول في ذلك، ولكنها لا تطرد في كل موضع، لهذا نجد من ذكر أصولهم في (ياء المتكلم) يقول: ونذكر ما شذ عن هذا في موضعه. فعند أبي عمرو: كل ياء مكسور ما قبلها، إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة يفتحها. أما ابن كثير فيوافقه في بعضها، ويخالفه في بعضها فيسكنها. أما نافع فإنه يفتح هذِه الياء إذا كان بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، وقد اختلف في بعض هذِه الحروف عنه. أما بقية (السبعة): وهم حمزة، والكسائي، وعاصم، وابن عامر، فأصلهم فيها الإسكان، وروي عنهم مواضع بالفتح. والياء في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ قرأ بفتحها في الوصل أبو عمرو وابن كثير ونافع من (السبعة).
انظر: «السبعة» لابن مجاهد: ص١٥٢، «الحجة» لأبي علي ١/ ٤١١، «الكشف» لمكي ١/ ٣٢٤، «تحبير التيسير»: ص٧٩، «البدور الزاهرة»: ص٢٨.

(١) أي حجة من قرأ بالفتح، والكلام منقول من «الحجة» بتصرف ١/ ٤١٤.

(٢) (بينها) ساقطة من (ج).

(٣) أي أن الاسم الذي آخره (ياء) مكسور ما قبلها لا يدخله جر ولا رفع لثقل ذلك، يدخله الفتح، ولذلك بني على الفتح، انظر «المقتضب» ٤/ ٢٤٨.

(٤) في (ج): (تحرك).

(٥) في (ج): (فيها) وهذا موافق لما في «الحجة» ١/ ٤١٤.

(٦) كذا في جميع النسخ وفي «الحجة»: (.. أن الياء في (غواش)..) ١/ ٤١٤، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

مساجد ونحوه[١] من الصحيح.

وقد اتفقوا أيضًا على تحركها بالفتح، إذا سكن ما قبلها، نحو بشراي[٢] وغلامي وقاضيّ، ورأيت غلاميّ[٣]،

فاجتماعهم على تحريكها بالفتح[٤] في هذا النحو يدل على أن ذلك أصلها إذا تحرك ما قبلها[٥].

وأما[٦] من أسكن هذه (الياءات) فحجته أن الفتحة مع (الياء) قد كرهت في[٧] الكلام، كما كرهت الحركتان[٨] الأخريان فيها، ألا ترى أنهم قد أسكنوها في الكلام في حال السعة إذا لزم تحريكها بالفتحة، كما أسكنوها إذا لزم تحريكها بالحركتين الأخريين[٩]، وذلك قولهم: (قالي قلا)[١٠]،

---

(١) في (ج): (ونحوها). والمراد أن (الياء) تثبت في (غواش) في حالة النصب، انظر: «الحجة» ١/ ٤١٤.

(٢) في (ب): (براى).

(٣) الياء في (قاضي) ورأيت غلامي (مشددة) والأولى منهما ساكنة فتفتح (الياء) الثانية. انظر: «الكتاب» ٣/ ٤١٤، ٤/ ١٨٧.

(٤) في (ب): (نحو في هذا النحو).

(٥) انتهى من بيان حجة من قرأ بفتح الياء في قوله: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ والكلام من «الحجة» بتصرف ١/ ٤١٤. وانظر: «الحجة» لابن خالويه: ص٧٤، «الكشف» لمكي ١/ ٣٢٤، «البيان» لابن الأنباري ١/ ٧٢٠.

(٦) في (ب): (وإنما من). (٧) في (ب): (بالكلام).

(٨) في (ب): (الحركات). والحركات: هما الضمة والكسرة.

(٩) في (أ) و(ج): (الأخرين) وأثبت ما في (ب) لأنه أصح وموافق لما في «الحجة» ١/ ٤١٥.

(١٠) (قالي قلا) اسم مدينة بأرمينة، سميت باسم امرأة ملكتهم وبنت تلك المدينة وإليها ينسب بعض العلماء كالقالي، انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٢٩٩.

و(بادي بدا)[١]، و(معد يكرب)[٢] و(حيري[٣] دهر)[٤].

و(الياء) في هذه المواضع في موضع الفتحة التي في آخر أول الاسمين، نحو: (حضرموت) و(بعلبك) وقد أسكنت كما أسكنت في الجر[٥] والرفع[٦].

ومما يؤكد الإسكان فيها أنها مشابهة[٧] للألف، والألف تسكن[٨] في الأحوال الثلاث[٩]، كذلك (الياء) تسكن. والدليل على شبه (الياء) الألف قربها منها في المخرج، وإبدالهم إياها منها في نحو (طائيٍّ) و(حاريٍّ) في

---

(١) قال الجوهري: أفعل ذاك بادئ بدء، وبادي بديٍّ، أي أولا، وأصله الهمزة، وإنما ترك لكثرة الاستعمال...، وهما اسمان جعلا اسما واحدا مثل: معد يكرب، وقالي قلا. «الصحاح» (بدا) ٦/ ٢٢٧٩، وانظر: «اللسان» (بدا) ١/ ٢٣٤.

(٢) في (أ)، (ج): (معدي).

(٣) في (ب): (حرى).

(٤) ومنه قول العرب (لا أفعل ذلك حيري دهر). أي: أبداً. انظر «الكتاب» ٣/ ٣٠٧.

(٥) في (ب): (الخبر).

(٦) يقول: إن الأسماء المركبة مثل (قالي قلا) مما آخر الاسم الأول (ياء) فالياء تسكن، لأنها في وسط الاسم، ولأنها لو كانت معربة بالجر أو الرفع سكنت، كما تقول: (مررت بالقاضي). وكان ينبغي في هذِه الياء أن تفتح، كما فتح آخر الاسم الأول من المركب نحو (حضرموت) والذي جعل الاسمان فيه كاسم واحد، لأن الحركة تستثقل عليه، والفتح أخف الحركات، ولما ثقلت الفتحة على الياء لم يبق بعد الفتح إلا السكون. انظر: «الكتاب» ٣/ ٣٠٤، ٣٠٥، «المقتضب» ٤/ ٢١، «البيان» ١/ ٧٢.

(٧) في (ب): (متشابهه).

(٨) في (أ): (سكن) وفي (ب): (يسكن) وما في (ج) أصح في السياق وموافق لما في «الحجة» ١/ ٤١٦.

(٩) في (ب): (السبت).

النسب[١] إلى (طيئ)[٢] و(الحيرة) وقوله:

لَنَضْرِبَنْ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَا[٣]

كثر إسكان (الياء) في[٤] موضع النصب في الشعر لهذه المشابهة[٥]، حتى ذهب بعضهم إلى استجازته في الكلام[٦].

فأما حجة أبي عمرو حيث لم يفتح عند المضمومة، وفتح عند المفتوحة والمكسورة[٧]، هي: أن الهمزة قد فتحت لها[٨] ما لم يكن يفتح

---

(١) في (ب): (النسبة).

(٢) قال سيبويه: ولا أراهم قالوا: طائي إلا فرارا من (طيئي) وكان القياس (طيئي) ولكنهم جعلوا الألف مكان الياء. «الكتاب» ٣/ ٣٧١.

(٣) البيت لأعرابي، ونسبه أبو زيد لراجز من حمير، يخاطب به عبد الله بن الزبير ﷺ وقبله:

يَابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَا وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إِلَيْكَا

لَنَضْرِبَنْ بِسَيْفِنَا قَفَيْكَا

والشاهد (قفيكا) حيث أبدل الألف ياء مع الإضافة للضمير، والأصل قفاكا، وبعضهم يجعله من ضرورة الشعر. وردت الأبيات في «النوادر»: ص٣٤٧، «الحجة» ١/ ٤١٦، «المسائل العسكرية» لأبي علي ص١٥٨، «أمالي الزجاجي»: ص٢٣٦، «المحكم» ٦/ ٣٥٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٨٠، «الخزانة» ٤/ ٤٢٨.

(٤) (في) ساقطة من (ب).

(٥) أي مشابهة الياء للألف.

(٦) انتهى ما نقله المؤلف عن «الحجة» لأبي علي ١/ ٤١٥-٤١٧. في حجة من أسكن الياء في قوله: ﴿قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ وانظر «الحجة» لابن خالويه: ص٧٤.

(٧) مر بنا أن أبا عمرو يفتح (الياء) إذا وقع بعدها همزة مفتوحة أو مكسورة، ويسكنها إذا وقع بعدها همزة مضمومة.

(٨) في (ب): (قد فتحت لما لم تكن تفتح)، وفي «الحجة» (فتح لها ما لم يكن يفتح..) ١/ ٤١٧. وهو الصواب.

لو لم تجاور الهمزة، ألا ترى أنهم فتحوا نحو: (يقرأ و يبرأ) ولولا الهمزة لم يفتح شيء من ذلك. فإذا فتحت لها ما لم[١] يفتح إذا لم تجاور[٢] الهمزة، فأن يفتح لها ما قد يفتح مع غيرها أحرى.

والمفتوحة والمكسورة[٣] سيّان[٤] في إتباع (الياء) لها في التحريك بالفتح، ألا ترى أنهم قد غيروا للهمزة[٥] المكسورة الحرف[٦] الذي قبلها، فقالوا: (الضِّئين)[٧] في جمع [الضَّائِن][٨]، و(صأى صِئِيًّا)[٩] ولم يفعلوا ذلك في (رؤوف) وكذلك لم تفتح (الياء) قبل الهمزة المضمومة[١٠] كما

---

(١) في (ب): (ما لا يفتتح) ومثله في «الحجة» ١/ ٤١٧.

(٢) في (ب): (يجاوز)، وفي «الحجة»: (يجاور) ١/ ٤١٧.

(٣) في (ب): (من المكسورة).

(٤) في (أ): (شيان) وفي (ب): (سان) وأثبت ما في (ج)، لأنه أصوب وموافق للحجة ١/ ٤١٧.

(٥) في (ب): (الهمزة).

(٦) في (ب): (للحرف).

(٧) في (أ)، (ب) (الصيئن) وأثبت ما في (ج)، لأنه هو الصواب وموافق لما في (الحجة) ١/ ٤١٧.

(٨) في جميع النسخ (الضان) وفي (الحجة) (الضائن)، قال في «الصحاح»: (الضائن) خلاف الماعز والجمع (الضأن) وقد يجمع على (ضئين) «الصحاح» (ضائن) ٦/ ٢١٥٣.

(٩) في (أ): (صآ.صئيا) وفي (ب): (صاصا) وفي (ج): (صاصيا) وفي (الحجة): (صأي، صئيا)، «الحجة» ١/ ٤١٧. و(الصِّئي) مثلثة: صوت الفرخ، والفيل والخنزير والفأر كلها تَصْأى صِئِيّاً، انظر: «تهذيب اللغة» (صآ) ٢/ ١٩٥٥، «القاموس» (صأي): ص١٣٠١.

(١٠) كما في قوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فتحت قبل المفتوحة والمكسورة[(١)].

فإن قيل: إن ما ذكرته من التغيير للهمزة المفتوحة والمكسورة إنما جاز في المتصل نحو(يقرأ) و(يبرأ) و(الضَّئين) و(الضَّئِي)[(٢)]، وما فعله أبو عمرو من فتح (الياء) مع المفتوحة والمكسورة منفصل.

قيل: شبه[(٣)] المنفصل بالمتصل. وقد ذكرنا أشياء من هذا في الحجة لمن خفف: (وهو ولهو)[(٤)].

ومن قال: إنه فتح (الياء) مع الهمزة، لتتبين[(٥)] (الياء)معها، لأنها خفية، كما بينوا (النون) مع حرف الحلق، وأخفوها مع غيرها، فإن هذه العلة لا تستقيم[(٦)]، لأنه[(٧)] يلزمه تحريك (الياء) مع الهمزة المضمومة لأن [النون تُبَيَّن مع الهمزة المضمومة كما تُبَيَّن مع المفتوحة والمكسورة، وأيضا

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) (الضئي) كذا وردت في (أ، ج) وكذا في «الحجة» ١/ ٤١٨، وفي (ب): (الضبي) ولم أعرف المراد به، والمعروف (ضأي): دق جسمه. انظر «تهذيب اللغة» (ضأي) ٣/ ٢٠٨٣، «اللسان» (ضأي) ٤/ ٢٥٤٢، «القاموس»: ص١٣٠٤. ولعل المراد (الصئي) كما سبق أن مثل بها مع (الضئين).

(٣) في (أ)، (ج): (نشبه) وفي «الحجة»: (يشبه) ١/ ٤١٨، وأثبت ما في (ب)، لأنه أولى بالسياق.

(٤) في (أ)، (ج): (وهو وهو) وأثبت ما في (ب). وعبارة أبي علي في (الحجة): (قد ذكرنا منها أشياء في هذا «الكتاب» ١/ ٤١٨، وقد سبق هذا في: ٢/ ٣٠٦-٣٠٩.

(٥) في (أ)، (ج): (ليتبين) وما في (ب) أولى، وموافق لما في «الحجة» ١/ ٤١٨.

(٦) في (أ) (يستقيم). وعبارة أبي علي في (الحجة): (فإنا لا نرى أن أبا عمرو اعتبر هذا الذي سلكه هذا القائل، ولو كان كذلك لحرك (الياء)...إلخ) ١/ ٤١٨.

(٧) في (ب): (لا يلزمه).

فإن][1] النون تُبيَّن[2] مع سائر حروف الحلق [، ولسنا نعلم أبا عمرو يفتح (الياء) مع سائر حروف الحلق.][3]

فإن قلت: فإن الهمزة قد تفتح[4] لها ما قبلها وإن كانت مضمومة، نحو: (يقرأ) في موضع الرفع، فهلا فتح (الياء) في ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قلنا: الضمة إذا كانت للإعراب[5] لم يكن في حكم الضمة عندهم، ألا ترى أنهم قد[6] قالوا: نَمِرٌ وكَتِفٌ، ونحو ذلك في الرفع، ورفضوا الضمة مع الكسرة في كلامهم[7] فلم يجئ فيه (فُعِل)[8].

٣١ - وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾الآية. قال ابن عباس والحسن وقتادة: لما قال الله ﷻ للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا فيما بينهم: ليخلق ربنا ما شاء، فلن يخلق خلقًا أفضل ولا أكرم عليه منا، وإن كان خيرًا منا فنحن أعلم منه، لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (أ)، (ج): (يتبين) وما في (ب) موافق للحجة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وبهذا ينتهي الجزء الأول من «الحجة»، وقوله: (فإن قلت..) أول الجزء الثاني.

(٤) في (ب): (يفتح).

(٥) في (أ)، (ج): (الإعراب) وما في (ب) هو الصحيح وموافق للحجة ٢/ ٥.

(٦) (ق) ساقطة من (ب).

(٧) إذا لم تكن الضمة للإعراب، أما الضمة في (نمر وكتف) فهي للإعراب، فلم يمنعوا مجيء الكسرة قبلها.

(٨) هذا آخر ما نقله الواحدي عن كتاب «الحجة» لابن علي الفارسي في حجة أبي عمرو في فتح (ياء المتكلم) إذا لقيت همزة مفتوحة أو مكسورة، وتسكينها إذا لقيت همزة مضمومة. انظر: «الحجة» ١/ ٤١٧، ٢/ ٥.

فلما أعجبوا بعلمهم، فضل الله ﷻ آدم عليهم بالعلم فعلمه الأسماء كلها[١].

ووجه تعليمه آدم: أن خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء، وألهمه[٢] العلم بها[٣].

وأما (آدم) فقال ابن عباس: إنما سمي آدم، لأنه خلق من أديم الأرض[٤].

ومثل هذا قال أهل اللغة فيما حكا الزجاج عنهم، قال: يقول أهل اللغة في آدم: إن اشتقاقه من أديم الأرض، لأنه خلق من تراب، وأديم

---

(١) ذكره الثعلبي، وقال: وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦١ب. وأخرج الطبري في «تفسيره» نحوه عن قتادة والحسن ١/ ٢٠٦. وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن قتادة والحسن نحوه ١/ ٧٧. وانظر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٧٦، «الدر»)١/ ١٠١.

(٢) في (ب): (بالقاء).

(٣) (التعبير بـ (خلق) يوحي بما يذهب إليه الأشاعرة من القول بأزلية الصفات، ونفي ما يتعلق منها بمشيئة الله، ونفي أن الله متصف بالصفات الفعلية فيتكلم إذا شاء متى شاء، ويعلم عباده متى شاء. والله سبحانه أخبر أنه علم آدم الأسماء، فما المخول لتأويل ذلك بالخلق أو بالإلهام، قال ابن عطية: تعليم آدم عند قوم إلهام علمه ضرورة. وقال قوم: تعليم بقول، إما بواسطة ملك، أو بتكليم قبل هبوطه...) «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٣. قال أبو حيان - بعد أن ذكر الأقوال في هذا -: (أظهرها أن الباري تعالى هو المعلم لا بواسطة و لا إلهام) «البحر» ١/ ١٤٥. وهذا هو الموافق لنص الآية.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» قال شاكر: إسناده صحيح ١/ ٤٨٠ (ط. شاكر)، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسند صحيح، كذا قال المحقق ١/ ٢٩٧، وذكره السيوطي في «الدر»، وعزاه إلى الفريابي، وابن سعد، وابن جرير وابن حاتم، والحاكم، والبيهقي في «الأسماء والصفات». انظر: «الدر» ١/ ١٠٠.

الأرض: وجهها[١]. [قال الليث: أديم كل شيء ظاهر جلده، وأدمة الأرض وجهها][٢] والأُدمة لون مشبه بلون التراب[٣].

أبو عبيد عن الفراء قال: الأُدمة في الناس شُرْبة من سواد، وفي الإبل والظباء بياض، يقال: ظبية[٤] أدماء، ولم أسمع[٥] أحدا يقول للذكر من الظباء: آدم، ولو قيل، كان قياسا[٦]. وقال ذو الرمة:

مِنَ المؤْلِفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءُ حُرَّةٌ
شُعَاعُ الضُّحَى في مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ[٧]

وقال الأعشى في الناقة:

فَقُلْتُ لَهُ هذه هَاتِهَا
بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا[٨]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٠، وانظر «تهذيب اللغة» (أدم) ١/ ١٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) ونحوه قال الزجاج، انظر «تهذيب اللغة» (أدم) ١/ ١٣٤، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٠.

(٤) في (ب): (صبية). (٥) في (ب): (يسمع).

(٦) الكلام في «تهذيب اللغة» منسوب لليث، وكلام أبي عبيد عن الفراء قال: الأدمة: الوسيلة إلى الشيء، يقال: فلان أدمتي إليك أي: وسيلتي. «التهذيب» (أدم) ١/ ١٣٤.

(٧) المُؤْلِفَات: التي اتخذت الرمال إلفا، يتوضح: يبرق، والبيت في وصف الظباء. ورد في «الكامل» ٢/ ٣٠٣. «تهذيب اللغة» (أدم) ١/ ١٣٤، «مقاييس اللغة» (ألف) ١/ ١٣١، «اللسان» (أدم) ١/ ٤٦، «ديوان ذي الرمة» ٢/ ١١٩٧.

(٨) قاله يخاطب خمارًا، يقول: هات الخمر بناقة برمتها، والأدماء: الناقة صادقة البياض سوداء الأشفار. ورد البيت في «التهذيب» (رم) ٢/ ١٤٧٤، «مقاييس اللغة» (رم) ٢/ ٣٧٩، «اللسان» (رمم) ٣/ ١٧٣٦، «ديوان الأعشى»: ص٥٨، وفيه (فقلنا) بدل (فقلت).

وقال النضر بن شميل: سمي آدم، لأنه كان أبيض اللون(١).

واختلف في هذه الأسماء التي علمها الله آدم، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة(٢).

وظاهر اللفظ يدل على هذا، وعلى أنه علمه جميع اللغات، لأنه قال: الأسماء كلها، فيما وقع عليه الاسم بأي لغة كان داخل تحت هذا الإطلاق(٣)، على أنه قد قال جماعة من أهل التأويل: إن الله تعالى علم آدم

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٣أ، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٤٠، «زاد المسير» ١/ ٦٢، والراجح: أن آدم مشتق من (أديم الأرض) كما هو قول ابن عباس، وقول أئمة اللغة كما سبق. انظر: «الطبري» ١/ ٢١٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٠، «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٤، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٠.

(٢) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» ١/ ٢١٥-٢١٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٨٠، و الثعلبي ١/ ٦٢أ، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٣٤، «تفسير وابن كثير» ١/ ٧٨.

(٣) وهذا ما رجحه ابن كثير حيث قال: (والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها ذواتها وصفاتها وأفعالها كما قال ابن عباس: حتى الفسوة والفسية، يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر..) واستدل ابن كثير على هذا بالحديث الذي أخرجه البخاري وفيه: «فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء..» «تفسير ابن كثير» ١/ ٧٨. أما ابن جرير «الطبري» فرجح أن المراد: أسماء ذريته وأسماء الملائكة دون أساء سائر أجناس الخلق، واستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وبأن العرب لا تكاد تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة، أما إذا كنت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من ذكر فإنها تكنى عنها بالهاء والألف، أو بالهاء والنون فتقول: (عرضهن) أو(عرضها)، انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢١٦. وقد رد ابن كثير هذا الاحتجاج وقال: ليس بلازم، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٧٨، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ١٠٨-١٠٩، «البيان» ١/ ٧٢، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٤١-٢٤٢.

جميع اللغات، ثم إن أولاده تكلم كل واحد منهم بلغة [أخرى، فلما تفرقوا في البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة][1]، فاللغات كلها إنما سمعت من آدم وأخذت عنه[2].

وقال الزجاجي في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: الأسماء[3] على كثرتها عشرة أقسام[4]، فمنها: أسماء الأشخاص التي نسميها الأعيان نحو: الشجر والجبل والأرض والمدر.

ومنها: أسماء المعاني، وهي[5] أسماء الحوادث، ويسميها[6]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). حول هذا المعنى انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٤-٢٣٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٨٠، «القرطبي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٢-٢٤٣، «البحر» ١/ ١٤٥.

(٢) هذا على قول من يرى أن أصل اللغة وحي لا اصطلاح، وقد أطال ابن جني في كتاب «الخصائص» بحث هذه المسألة، ورجح أنها (وحي)، «الخصائص» ١/ ٤٠-٤٧.

(٣) (الأسماء) ساقط من (ب).

(٤) لم أجد هذا الكلام بهذا النص فيما اطلعت عليه من كتب الزجاجي، وهذا التقسيم اجتهادي، وللزجاجي تقسيم للأسماء غير هذا، قال في كتاب (اشتقاق أسماء الله)، (.... فالأسماء تنقسم أولا قسمين معرفة ونكرة... هذا أول انقسام الأسماء، ثم تتنوع بعد ذلك فتصير ستين نوعا...) ثم دخل في تفصيل هذه التقسيمات، وقال في موضع آخر (... وقد ذكرنا أنواع الأسماء الستين في شرح كتاب الجمل مفسرة...) قال المحقق: لم يرد كتاب شرح الجمل ضمن كتب الزجاجي المعروفة، ولعل المراد به (الجمل الكبرى)، انظر: «شرح أسماء الله»: ص٢٦٧-٢٧٤. وذكر الثعلبي في «تفسيره» أن أقسام الاسم ثمانية ثم ذكرها، «تفسير الثعلبي»١/ ٦٣أ.

(٥) في (ب): (وهو).

(٦) في (أ) و (ج): (وتسميتها).

النحويون المصادر، لأن الأفعال تصدر عنها، وذلك نحو: الضرب والقتل.

ومنها: أسماء الألقاب، نحو: زيد وعمرو فيمن يعقل، وفيما لا يعقل نحو: يحموم وسكاب وداحس[١]، أسماء أفراس الأعراب، أجريت عليها لقبا لا لمعنى، وهذا القسم[٢] غير الأول الذي هو من أسماء الأشخاص لأن أسماء الأشخاص لا يخلو من أن تكون جارية على مسمياتها لمعنى، لولا ذلك ما أجريت عليها، وزيد لم يسم زيدا لمعنى فيه[٣]، لأنه كان يجوز أن يسمى[٤] بكرا وخالدا.

ومنها: أسماء الأزمنة، كاليوم والليلة، والساعة وغد، وأمس.

ومنها: أسماء الأمكنة، وهي الجهات الست، نحو: قدام وخلف وفوق وتحت ويمنة ويسرة.

ومنها: أسماء الفاعلين نحو: الضارب والقاتل والآكل والشارب.

ومنها: أسماء المفعولين نحو: المضروب والمقتول.

ومنها: أسماء الحلي والشيات نحو: الأحمر والأصفر والأعرج والأحدب وما يجري مجراها.

ومنها: أسماء المكاني[٥] والمضمرات نحو: أنا ونحن[٦]، وأنت،

---

(١) في (ب): (وداحسن).

(٢) في (ب): (الأسمر).

(٣) (فيه) ساقط من (ب).

(٤) (أن يسمى) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (العاني).

(٦) (نحن) ساقطة من (ب).

وهو وهي وهم[١] وهن، وهذا وذاك وأولئك وهؤلاء.

والقسم العاشر خاص للعرب وهو أسماء الأفعال نحو قولهم: (صه) هو اسم موضوع لقولك[٢]: (اسكت)، و(هيهات) لقولك:[٣] (ما أبعد)، و(مهلا) موضوع لقولك: (أمهل) وهذا الجنس قليل.

وكل هذه الأسماء، [قصد واضع اللغة فيها إلى أن يجريها على مسمياتها لمعان يتضمنها، إلا[٤] أسماء][٥] الألقاب نحو: زيد وعمرو، فإن قولنا: (زيد) وإن كان مأخوذا من الزيادة فليس بحاو على مسماه لهذا المعنى، وليس فيه إلا تعريف شخص من شخص.

ولما صدقت العناية ببعض الأسماء دون بعض، أدرك معاني بعضها وموضوعه وحقيقته ومجازه وأصله وفرعه، وما لم يصدق[٦] العناية به أو قل التصرف فيه صار كالجامد الذي لا يعرف له أصل، ولا يخلو من أن يكون له معنى صحيح، لذلك المعنى ما سمي[٧] به، وإن لم يدركه الناس.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾. يقال[٨]: عرضت المتاع

---

(١) (هم) ساقطة من (ب).
(٢) في (ب): (كقولك سلت).
(٣) في (ب): (موضوع كقولك).
(٤) في (أ): (الأسماء).
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٦) في (ب): (تصدق).
(٧) العبارة فيها غموض، ولعل فيها سقط أو زيادة، ولو حذفنا (ما) لاستقام المعنى.
(٨) في (ب): (فقال).

على البيع عرضا، وكذلك عرض الجند والكتاب. ومعنى العرض في اللغة: الإظهار، ومنه عرض الجارية وعرض الجند(١).

الليث: ويقال: أعرض الشيء أي: بدا وظهر، وأنشد:

إِذَا أَعْرَضَت(٢) دَاوِيَّةٌ(٣) مُدْلَهِمَّةٌ(٤)

أي بدت(٥).

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٠] أي أبرزناها حتى رأوها. قالوا(٦): ولو جعلت الفعل لها زدت ألفا، فقلت: أعرضت، أي(٧): استبانت وظهرت(٨). فجاء من هذا

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عرض) ١/ ٢٣٩٦، ٢٣٩٨، ٢٤٠٢، «الصحاح» (عرض)٣/ ١٠٨٢.

(٢) في (ب)، (ج) (عرضت).

(٣) في (ب): (دويه).

(٤) تمامه:

وغَرَّدَ حَادِيها فَرَيْنَ بِهَا فِلْقَا

نسبه في «الصحاح» إلى (سويد بن كرُاع العكلي)، قال: و(كرع) اسم أمه، واسم أبيه عمير و(الداوية): الفلاة الواسعة، والفلق: بالكسر الداهية والأمر العجب، ورد في «تهذيب اللغة» (عرض) ١/ ٢٣٩٨، «الصحاح» (فلق) ٤/ ١٥٤٤، «اللسان» (غرد) ٦/ ٣٢٣٢، و(عرض) ٥/ ٢٨٨٦.

(٥) الكلام في «تهذيب اللغة» منسوب لشمر وليس لليث. «التهذيب» (عرض) ١/ ٢٣٩٨، وفي «اللسان» (عرض) ٥/ ٢٨٨٦، غير منسوب.

(٦) كذا في جميع النسخ (قالوا) والصحيح (قال) كما في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٩٨.

(٧) في (ب): (على أي).

(٨) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٦٠، و«تهذيب للغة» (عرض) ١/ ٢٣٩٨، والعبارة نقلها الواحدي عن (التهذيب)، انظر «الصحاح» (عرض) ٣/ ١٠٨٤.

أنه يقال: عرضت الشيء فأعرض، أي أظهرته فظهر، وأعرض بوجهه أي أزاله عن جهة الظهور، وعرض بالشيء، حرفه من جهة الظهور[١].

فإن قيل: فلم قال: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ فجمع الكناية وهي عائدة على[٢] الأسماء؟

فالجواب ما قال مقاتل: وهو أن الله تعالى خلق كل شيء، الحيوان والجماد ثم علم آدم أسماءها، ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة[٣]. وكنى عن الشخوص والمسميات [بقوله: ﴿هُمْ﴾ لأن فيها ما يعقل من الجن والإنس والملائكة، فالعرض يعود إلى المسميات][٤] لا إلى الأسماء[٥].

وقال ابن زيد: علمه أسماء ذريته[٦]، وعلى هذا العرض يعود إلى الذرية.

---

(١) انظر: «الصحاح» (عرض) ٣/ ١٠٨٢-١٠٨٤، «معجم مقاييس اللغة» (عرض) ٤/ ٢٧٢.

(٢) في (ب): (إلى)

(٣) ذكر قول مقاتل الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٢أ.

(٤) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ذكر نحوه الزجاج في «المعاني» ١/ ٧٨، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٢١٦-٢١٧، وابن كثير في «تفسيره ١/ ٧٨. وقد قيل: إن الضمير (هم) يعود على الأسماء لا على المسميات. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٥-٢٣٦، «القرطبي»١/ ٢٤١.

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢١٦، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٢أ، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٧٨، والسيوطي في «الدر» ١/ ١٠١، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ١٠٣.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾. أمر تعجيز[١]، كقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] أراد الله تعالى أن يبين عجزهم[٢]، وذلك أن الملائكة أخبروا عن شيء لم يخلق لهم العلم به، وقالوا شيئاً بظن[٣] منهم وحسبان، فخلق سبحانه لآدم[٤] العلم بالأسماء[٥] دونهم تفضيلاً له، ثم استخبرهم عن ذلك، أراد كيف تدَّعون علم ما لم يكن بعد، وأنتم لا تعلمون ما ترون وتعاينون[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. أي: إن صدقتم أن الخليفة الذي أجعله في الأرض يفسد فيها ويسفك الدماء قاله ابن عباس، [وناس من الصحابة][٧].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٢أ، والخازن ١/ ١٠٢، وأكثر المفسرين على أنه للتقرير والتوقيف، كما قال الطبري: إنه مثل عتاب الله لنبيه نوح. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢١٩، «ابن عطية» ١/ ٢٣٦، «القرطبي» ١/ ٢٤٣.

(٢) قال الطبري: (وقد زعم بعض نحويي أهل البصرة أن قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ لم يكن ذلك لأن الملائكة ادعوا شيئا، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب... كما يقول الرجل للرجل: (أنبئني بهذا إن كنت تعلم) وهو يعلم أنه لا يعلم...) ثم أخذ يرد عليه. «تفسير الطبري» ١/ ٢١٩.

(٣) في (أ): (يظن)، وفي (ب): (نظن) وأثبت ما في (ج)، لأنه أصح.

(٤) في (ج): (العد لادم).

(٥) انظر التعليق السابق على ما ذكر الواحدي في معنى تعليم الله آدم، وأنه بمعنى خلق به العلم بذلك: ص٣٤٨.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢١٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٧٩.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). والرواية عن ابن عباس، وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أخرجها الطبري بسنده، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢١٨، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٢أ، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٧٩، «الدر» ١/ ١٠١.

وقال الحسن: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم وأفضل منه، وكذلك قال قتادة[١].

٣٢- فقالت الملائكة إقراراً بالعجز واعتذاراً: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾[٢]. قال ابن عباس: تنزيهاً لك وتعظيماً عن أن يعلم الغيب أحد[٣] سواك[٤]. وقيل: تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك وتدبيرك[٥]. وهو منصوب على المصدر عند الخليل والفراء، إذا قلت: (سبحان الله)[٦] فكأنك قلت: سبّحتُ الله تسبيحاً، فجعل السبحان موضع التسبيح، كما تقول: كفَّرت عن يميني تكفيراً، ثم يجعل الكفران في موضع التكفير فتقول: كفَّرت عن يميني كُفراناً[٧]. وقد ينوب الاسم عن المصدر وتقول[٨]: كلمته كلاماً، وسلم سلاماً، قال الله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

وقال سيبويه: يقال: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً بمعنى واحد،

---

(١) ذكر قوليهما الطبري في «تفسيره» ١/ ٢١٨، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٢أ، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٧٩، «الدر» ١/ ١٠١.

(٢) في (ج): (قالوا سبحانك).

(٣) في (ب): (أحدا).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» من طريق الضحاك عن ابن عباس ١/ ٢٢١، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه لابن جرير ١/ ١٠١.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٢أ.

(٦) عبارة الفراء: (سبحانك) منصوب على المصدر، كأنك قلت: سبحت لله تسبيحا..) «الزاهر» ١/ ١٤٥.

(٧) كلام الفراء في «الزاهر» ١/ ١٤٥، وقول الخليل في «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٢أ، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٠، «البيان» ١/ ٧٢، «الإملاء» ١/ ٢٩.

(٨) في (ج): (ويقوله).

فالمصدر: تسبيح، وسبحان اسم يقوم مقام المصدر. قال: وقال أبو الخطاب الكبير[١]: سبحان الله، كقولك: براءةَ الله من السوء، ومنه قول الأعشى:

سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[٢]

أي براءةً منه[٣].

وقال النضر: رأيت في المنام كأن إنساناً فسر لي سبحان الله، قال: أما ترى الفرس يسبح، يريد السرعة، سبحان الله: السرعة إليه[٤]. وقد ذكرنا معنى التسبيح عند قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾. قال المفسرون وأهل المعاني: هذا اعتراف (عن)[٦] الملائكة بالعجز عن علم ما لم يعلموه فكأنهم قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا[٧]، وليس هذا مما علمتنا [في

(١) هو عبد الحميد بن عبد المجيد، أبو الخطاب، الأخفش الكبير النحوي، شيخ سيبويه في النحو، انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي: ص٤٠، «إنباه الرواة» ٢/ ١٥٧، «بغية الوعاة» ٢/ ٧٤.

(٢) البيت سبق تخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]: ٢/ ٣٣٦.

(٣) انظر كلام سيبويه في «الكتاب» ١/ ٣٢٢-١/ ٣٢٤، «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦٠٩، والنص من «التهذيب».

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ٢٦١٠.

(٥) سورة البقرة: ٣٠، انظر: ٢/ ٣٣٥- ٣٣٧.

(٦) (عن) في جميع النسخ ولو كانت (من) كان أولى.

(٧) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٠، «البحر المحيط» ١/ ١٤٧، «ابن كثير» ١/ ٧٩، «البيضاوي» ١/ ٢١.

الكلام مختصرًا][(١)].

ولو قالوا: (لا علم لنا بهذا) كان جواباً، ولكن لا يكون متضمناً تعظيم الله والاعتراف بأن جميع علمهم من عنده.

وقيل: إنه تلطُّف في طلب علم ما لم يعلموه، وتوبة عن قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ من غير علم لهم بذلك، نبههم الله تعالى بعجزهم عن أسماء الموجودات على أن من جهلها فهو أجهل بأحكام الغائبات، وفي هذا التنبيه إشارة إلى نهيهم عن الحكم لأنفسهم بالطاعة، فإنه لا علم لهم بالعواقب، فإن أمر العواقب[(٢)] مستور، ففيه تنبيه عن[(٣)] خطئهم في الأمرين جميعا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾. أي العالم غير المعلم[(٤)]. (الحكيم)[(٥)] في خلقك الخليقة، ومعنى: (الحكيم) هو المحكم للأشياء[(٦)] صرف من (مُفْعل) إلى (فَعِيل) كالسميع في قوله:

أَمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعي[(٧)] السَّمِيعُ[(٨)]

---

(١) قوله: (في الكلام مختصرًا) كذا وردت في النسخ الثلاث، وفيها تصحيف، والعبارة في «الوسيط» (فجاء الكلام مختصرًا) وفي الحاشية: في (ب): (فجاء في الكلام)، «الوسيط» ١/ ٧٩.

(٢) قوله (فإن أمر العواقب) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (على) وهو أولى.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٢١.

(٥) (الحكيم) مكرر في (ب).

(٦) في (ب): (الأشياء).

(٧) في (أ)، (ب) (الراعي) وهذا خلاف المشهور في البيت.

(٨) البيت لعمرو بن معد يكرب، وقد سبق تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠]: ٢/ ١٥٤.

و(الأليم) بمعنى: المؤلم[١].

قال ابن المظفر[٢]: والحُكم: العِلم[٣]، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]. أي: العلم، والحكم: القضاء بالعدل أيضا.

قال النابغة:

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَيِّ إذْ نَظَرَتْ
إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ[٤]

فالوصف لله تعالى بأنه (حكيم) يجوز أن يكون بمعنى: محكم كما ذكرنا، ويجوز أن يكون بمعنى: حاكم، كالقدير والقادر، والعليم والعالم، ويكون معناه العالم أو الذي يحكم بالعدل ويقضي به[٥].

---

(١) يريد أن (حكيم) بمعنى: محكم مثل (أليم) بمعنى مؤلم كذا قال الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٢أ. وانظر: «شرح أسماء الله» للزجاج: ص٥٢، «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي: ص٦٠.

(٢) هو الليث. انظر كلامه في «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٥.

(٣) في «تهذيب اللغة»: (العلم والفقه).

(٤) البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان، ويعتذر إليه مما بلغه عنه فيما وشي إليه به. وقد ألحقت بالمعلقات السبع لما فيها من الجودة. يقال: احكم، أي: كن حكيمًا في أمرك مصيبًا في الرأي وهذا هو المعنى المشهور في البيت ذكره الأزهري في «التهذيب» عن ابن السكيت، واستشهد الليث به على أن معنى (احكم) من القضاء بالعدل. كحكم فتاة الحي إذ أصابت ووضعت الأمر موضعه حينما نظرت إلى الحمام فأحصتها ولم تخطئ في عددها. ويروى (سراع) و(شراع) بالشين، وهي الواردة للماء. والثمد: الماء القليل، وورد البيت في «التهذيب» (حكم) ١/ ٨٨٥، «الصحاح» (حكم) ٥/ ١٩٠٢، «اللسان» (حكم) ٢/ ٩٥١، «ديوان النابغة» ص١٤.

(٥) (به) ساقط من (ب). بهذا المعنى أخذ الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢١، وانظر=

قال الأصمعي: أصل الحكومة: رَدُّ الرجل عن الظلم، ومنه سُمِّيت حَكَمَةُ اللجام، لأنها تَرَدُّ الدابة، قال[1] ومنه قول لبيد:

أَحْكَمَ الجِنْثِيَّ مِنْ عَوْرَاتِهَا[2] كُلُّ حِرْبَاءٍ إِذَا أُكْرِهَ[3] صَلّ[4]

والجِنْثِيُّ: السيف، أي: رد السيف عن عورات[5] الدرع، وهي: فُرَجها، كل حِرْبَاء: وهو المسمار الذي يُسَمَّر به حلقها. هذه رواية الأصمعي[6].

قال الأزهري: والعرب تقول: حَكَمْتُ وأَحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بمعنى: رَدَدْتُ ومَنَعْتُ، ومن هذا قيل للحاكم: حاكم، لأنه يمنع الظالم من الظلم[7].

= «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٥، «اشتقاق أسماء الله» ص٦٠.

(١) (قال) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (عوارتها).

(٣) في (ب): (احكم ضل).

(٤) للبيت روايتان: نصب (الجنثي) ورفع (كل) - وهي رواية الأصمعي التي ذكرها الأزهري - فيكون المراد بالجنثي السيف، وأَحْكَمَ بمعنى: منع ورد، فلم يصل السيف، ومنعه الحرباء، والعورات: الفتوق واحدها عورة، والحِرْبَاء: المسمار في حلق (الدرع)، إذا أكره ليدخل في الحلق سمعت له صليلا. والرواية الثانية: رفع (الجنثي) ونصب (كل) فيكون المراد بالجنثي: الحداد أو الزراد، ويكون أحكم من الإحكام للصنعة، كذا خرَّجه ابن قتيبة في «المعاني الكبير» ٢/ ١٠٣٠، وانظر «التهذيب» (حكم) ١/ ٨٨٥، «اللسان» (صلل) ٤/ ٢٤٨٦، و(حكم) ٢/ ٩٥١، «شرح ديوان لبيد»: ص١٩٢.

(٥) في (ب): (عوارت).

(٦) انظر كلام الأصمعي في «التهذيب» (حكم) ١/ ٨٨٥.

(٧) «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٥.

وقال جرير:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ[(١)]

يقول: امنعوهم من التعرض[(٢)]. وروي عن النخعي أنه قال: حَكِّم اليَتِيم كما تُحَكِّم ولدك[(٣)]. قال أبو عبيد: يقول: امنعه من الفساد، قال: وكل من منعته من شيء فقد حَكَّمْتَه وأَحْكَمْتَه[(٤)]، وأنشد بيت جرير[(٥)].

والحِكْمَة: هي العلم الذي يمنع [صاحبه][(٦)] من الجهل، والحاكم الذي يمنع من الجور، وكل عمل مُحَكَم[(٧)] فقد منع من الفساد[(٨)].

---

(١) تمامه:

إني أخاف عليكم أن أغضبا

ورد البيت في «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٥. وفيه (بني حنيفة) «الكامل» ٣/ ٢٦، وفيه (نهنهوا) بدل (أحكموا)، أي أزجروا، «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٤٢١، «الزاهر» ١/ ٥٠٣، «مجمل اللغة» (حكم) ١/ ٢٤٦، «اشتقاق أسماء الله»: ص٦١، «الصحاح» (حكم) ٥/ ١٩٠٢، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٢ب، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٤٦، «الدر المصون» ١/ ٢٦٨، «الخزانة» ٩/ ٢٣٦.

(٢) «التهذيب» (حكم) ١/ ٨٨٥.

(٣) ذكره أبو عبيد قال: حدثنيه ابن مهدي عن سفيان عن منصور عن إبراهيم. «غريب الحديث» ٢/ ٤٢١، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥.

(٤) المراجع السابقة.

(٥) أي: أبني حنيفة.. البيت.

(٦) (صاحبه) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (متحكم).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٥. «الصحاح» (حكم) ٥/ ١٩٠١. «المجمل» (حكم) ١/ ٢٤٦. «اللسان» (حكم) ٢/ ٩٥١.

٣٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾. قال المفسرون: لما ظهر عجز الملائكة، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ فسمى كل شيء باسمه، وألحق كل شيء بجنسه ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ أي: أخبرهم بتسمياتهم قال: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾[(١)].

وفي الآية اختصار، معناه: فلما أنبأهم بأسمائهم، تحقق عندهم أن الله يعلم من العواقب ما لا يعلمون، فلما علموا ذلك[(٢)]، قال الله: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾. و(لم) حرف نفي وصل بألف الاستفهام، فصار بمعنى الإيجاب والتقرير[(٣)]، كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا[(٤)]

وفيه أيضًا معنى التوبيخ[(٥)] لهم على ما سلف من خطاهم[(٦)].

---

(١) انظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٨٠، والخازن «في تفسيره» ١/ ١٠٣، وأبي السعود «في تفسيره» ١/ ٨٦.

(٢) وما ذكره مفهوم من السياق.

(٣) انظر: «الوسيط» للمؤلف ١/ ٨٠، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٩، «البحر» ١/ ١٥٠، «الدر المصون» ١/ ٢٧٠، «شرح المفصل» ٨/ ١٢٣، «مغني اللبيب» ١/ ١٧.

(٤) البيت من قصيدة لجرير يمدح عبد الملك بن مروان وعجزه:

وَأَنْدى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاح

أندى: أكثرهم جوداً، الراح: جمع راحة وهي الكف، وورد البيت في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٩، وفي (الخصائص) ٢/ ٦٤٣، ٣/ ٢٦٩، «المصون في الأدب»: ص٢١، «شرح المفصل» ٨/ ١٢٣، «مغني اللبيب» ١/ ١٧، و«شرح ديوان جرير» ص٧٤.

(٥) (التوبيخ) ساقط من (ب).

(٦) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (من خطئهم) أو (من أخطائهم). انظر معنى الآية في «تفسير الطبري» ١/ ٢٢١.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾. (الغيب) مصدر مضاف إلى المفعول[١] على الاتساع، وحذف حرف الجر، لأنك تقول: غبت في الأرض، وغبت ببلد كذا، فتعديه بحرف الجر، فحذف الحرف وأضيف المصدر إلى المفعول به في المعنى، نحو: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [فصلت: ٤٩] و﴿بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤] وكقولك: (أعجبني منك دخول الدار).

وفيه أيضا مضاف مقدر، والمعنى: إني أعلم ذوي غيب السموات والأرض ما غاب فيها [عنكم، ومثله على هذا التقدير قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] أي: له ما غاب فيها][٣] ملكاً وخلقاً.

ويجوز أن يكون له علم ما غاب[٤] فيها، فيكون المضاف محذوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾. أي: أعلم سرّكم وعلانيتكم، لا يخفى علي شيء من أموركم[٥].

وقال ابن عباس: ما تبدون من قولكم: (أتجعل فيها من يفسد فيها)، (وما كنتم تكتمون) من إضمار إبليس الكفر[٦].

وعلى هذا التأويل قال: (تكتمون) بلفظ الجمع، وإن كان المراد به

(١) في (ب): (المفعول به).

(٢) سورة هود: ١٣٢، وسورة النحل: ٧٧.

(٣) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج٣/ ٢١٤.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٢، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٠.

(٦) أخرجه ابن جرير بسنده من طريق السدي،عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة في «تفسيره» ١/ ٢٢٢، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٠، «الدر» ١/ ١٠١.

إبليس، لأن الخطاب للجماعة، وهو من جملتهم[1].

وقال الحسن وقتادة في قوله: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ كقول ابن عباس، (وما تكتمون) يعني قولهم: لن يخلق[2] خلقاً أفضل ولا أعلم منا[3].

وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم يجد[4] أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في معانيه تعرض [له][5]، وهو من مهم ما يسأل عنه[6]. وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما خبرها[7] آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحة قوله، ومطابقة الأسماء المسميات؟ وهي لم تكن[8] عالمة بذلك من قبل، إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء، ولم تعترف بفقد العلم. والكلام يقضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء، علموا صحتها ومطابقتها للمسميات[9]، ولولا ذلك لم يكن لقوله[10]: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ

---

(١) انظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٢، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٤١.

(٢) في (ب): (لن يخلق الله..).

(٣) ذكره الثعلبي ١/ ٦٢ب، وأخرجه الطبري عنهما ١/ ٢٢٢، وابن أبي حاتم ١/ ٨٢، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ١٠٢، و«ابن كثير» ١/ ٨٠.

(٤) كذا في جميع النسخ، والمعنى: لم يتعرض أحد لهذا السؤال.

(٥) (له) ساقطة من (ب).

(٦) بل إن في هذا السؤال شيئًا من التكلف، ولا فائدة كبيرة من معرفة جوابه، ولا ينبني عليه حكم، وقد ذكر الرازي هذا السؤال والإجابة عنه بنحو ما ذكر الواحدي هنا فلعله نقل عنه ٢/ ١٧٧.

(٧) في (ب): (حرها).

(٨) في (أ): (يكن) وما في (ب) و(ج) أصح في السياق.

(٩) يمكن أن يعلموا صحتها بمجرد إخبار آدم عليه السلام بالأسماء، وإقرار الله له على ذلك، وعلى هذا فلا داعي لتحمل الإجابة عن هذا السؤال.

(١٠) في (ب): (كقوله).

﴿غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ معنى.

والجواب: أنه[١] غير ممتنع أن تكون الملائكة في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها، خلق الله تعالى[٢] لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات، إما من طريق، أو ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك تمييزه[٣] واختصاصه[٤].

ووجه آخر: وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة، فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيرها، فلما أراد الله تعالى التنبيه على فضيلة آدم، علمه[٥] تلك الأسماء، فلما أخبرهم بها علم كل فريق[٦] مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل فريق وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم بذلك من لغة غيره ما علمه من لغته[٧]، وهذا الجواب يقتضي أن يكون معنى قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء.

---

(١) في (ب): (له).

(٢) انظر التعليق السابق على ما ذكر الواحدي عن معنى تعليم الله آدم، وأنه بمعنى: خلق له العلم بذلك: ٢/ ٣٤٨.

(٣) في (ب): (تميزه) وهو الأصوب.

(٤) قال الرازي: (.. ولا يمتنع أن يقال: إنه تعالى عرفهم قبل أن يسمعوا من آدم عليه السلام تلك الأسماء، ما استدلوا به على صدق آدم).

(٥) في (ب): (علمهم).

(٦) في (أ): (فريق منهم).

(٧) هذا من التكلف الذي لا دليل عليه.

٣٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ الآية. (إذ) في موضع نصب نسقاً على (إذ)[1] التي قبلها[2].

وقوله: ﴿قُلْنَا﴾ [هو من خطاب الأكابر والعظماء، يقول الواحد منهم: فعلنا وقلنا، لعلمه بأن أتباعه يفعلون][3] كفعله، ويجرون على مثل أمره، فأخبر الله تعالى عن نفسه على الجمع، لأنه ملك الملوك، وكل من في السموات والأرض له خلقاً[4] وملكاً[5]. وعلى هذا خوطب في الجواب في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩] معناه: يا رب ارجعني، فلما أخبر جل اسمه[6] عن نفسه [بالجمع خوطب بمثل ذلك[7].

وقوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ اختلفوا في][8] الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم من هم؟ فقال بعضهم: هم الذين كانوا مع إبليس في الأرض[9].

---

(١) في (ج): (إذا)وهو خطأ.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٠، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٢٤، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٣، وقال مكي: منصوب بفعل مقدر (اذكر) مثل (إذ) قلبها. انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٥ .
وقيل: زائدة، قاله أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٣٧، وضعفه أبو حيان. انظر: «البحر» ١/ ١٥٢، «الدر المصون» ١/ ٢٧١.

(٣) مابين المعقوفين مكرر في (أ).

(٤) في (أ): (خلفاء) وما في (ب)، (ج) أصح.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٨، والقرطبي ١/ ٢٤٨، (البحر) ١/ ١٥٢.

(٦) (جل اسمه) ساقط من (ب).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٢١.

(٨) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) ورد هذا ضمن الخبر الطويل عن ابن عباس، الذي أخرجه الطبري، وهو ضعيف=

وقال بعضهم: هم جميع الملائكة حتى جبريل وميكائيل، لأنه قال: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] وفي هذا[١] تأكيد للعموم، وتحقيق له[٢].

وقوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ أصل السجود في اللغة الخضوع والتذلل، وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد، ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨] أي: خُضَّعاً مسخرة[٣] لما سخرت له، وسجود كل موات في القرآن، طاعته لما سخر له[٤].

وقال أبو عبيدة: عين ساجدة إذا كانت فاترة، والسُّجَّد من النساء الفاترات الأعين، ونخلة ساجدة إذا مالت لكثرة حملها[٥]. ومنه قول الشاعر:

= الإسناد، كما ذكر ذلك شاكر في تعليقه، انظر: «الطبري» ١/ ٢٢٤. وذكره ابن أبي حاتم بسنده عن أبي العالية، قال محقق «الكتاب»: إسناده ضعيف، والخبر لم أقف عليه، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/٨٣، وانظر القرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٤٨، والرازي في «تفسيره» ٢/ ١٣٨، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٠.

(١) (هذا) ساقط من (ب).

(٢) وهذا هو الأرجح، انظر: في «تفسيرالطبري» ١/ ٢٢٤، وفي «تفسيرالرازي» ٢/ ٢٣٨، وقد ذكر وجوها كثيرة في ترجيح هذا القول وانظر: «تفسيرالقرطبي» ١/ ٢٤٨، ورجحه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٠.

(٣) في «تهذيب اللغة»: (مسخرة) ٢/ ١٦٥٠.

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (سجد) ٢/ ١٦٣٠، وانظر «اللسان» (سجد) ٤/ ١٩٤٠.

(٥) قال الأزهري: (روى ابن هاني لأبي عبيدة.. ثم ذكره دون قوله: (والسجد من النساء الفاترات الأعين) «تهذيب اللغة» (سجد) ٢/ ١٦٣٠.

تَرى الأُكْمَ(١) فِيهِ سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ(٢)

أي ذليلة خاضعة.

قال الأعشى:

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبِ(٣) إِذَا تَعَمَّمَ(٤) فَوْقَ الرَّأْسِ أَوْ وَضَعَا(٥)

أي يخضع له ويتذلل. وأنشد ابن الأنباري لابن مقبل:

ثُمَّ نَوَّمْنَ وَنِمْنَا سَاعَةً خُشَّعَ الطَّرْفِ سُجُوداً لِلْخُطَم(٦)

---

(١) في (ب): (الالم).

(٢) البيت لزيد الخيل وصدره:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِه

ويروى: بجيش، البلق: جمع أبلق، وهو الفرس المحجل، الحجرات: الناحية، الأكم: جمع أكمة، وهي تل أشد ارتفاعا مما حوله ودون الجبل. يصف كثرة هذا الجيش وأن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر. ورد البيت في الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٥، «المعاني الكبير» ٢/ ٨٩٠، و«الأضداد» لابن الأنباري: ص٢٩٥، و«الزاهر» ١/ ١٤١، «معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» ٢/ ٥٤٢، و«تأويل مشكل القرآن»: ص٤١٧، و«الصحاح» (سجد) ٢/ ٤٨٣، و«اللسان» ٤/ ١٩٤٠، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٤٨، والبيضاوي في «تفسيره» ١/ ٢١، «البحر المحيط» ١/ ٥١، «الدر المصون» ١/ ٢٧٤.

(٣) في (ب): (منيب).

(٤) في (أ)، (ج): (تعم) و ما في (ب) هو الصحيح، ومثله ورد في «المخصص» ١٣/ ١٠٧.

(٥) البيت من قصيدة طويلة للأعشى يمدح (هوذة بن علي الحنفي) ويروى البيت (من يلق) بدل (من ير) و(تعصب فوق التاج) بدل (تعمم فوق الرأس). وقوله: (غير متئب): أي لا يستحي أن يسجد لطلعته المهيبة وفد تعمم فوق الرأس، أو وضع الإكليل. ورد البيت في ديوان الأعشى: ص١٠٨، «المخصص» ١٣/ ١٠٧.

(٦) قوله: (نوَّمن) أي الإبل نومت.الخطم: جمع خطام، وهو الحبل الذي يقاد به=

يعني الإبل، فسجودها خضوعها. ويقال - أيضا -: (أسجد)بهذا[(١)] المعنى: أي طأطأ رأسه وانحنى[(٢)].

هذا أصل السجود في اللغة، ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض: سجد، لأنه غاية الخضوع[(٣)].

وإذا ابتدأت بقوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ ضممت الألف[(٤)]، والألف[(٥)] لا حظ لها من الإعراب، وإنما أدخلت ليتوصل بها إلى النطق بالساكن، فكان حظها الكسر، لأن[(٦)] بعدها ساكنا، ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة، وليس في كلامهم مثل (فِعُل)، ولا مثل (إفْعُل)[(٧)].

واختلفوا في كيفية سجود الملائكة لآدم فقال جماعة: كان سجود الملائكة لآدم على جهة التكريم، فكان ذلك تكريماً لآدم وطاعةً لله

= البعير. ورد البيت في (ذيل ديوان ابن مقبل) مع القصائد المنسوبة له، وليست في «الديوان»: ص٤٠٣. وورد في «أساس البلاغة» (نوّم): ٢/ ٤٨٣ .

(١) في (ب): (بها).

(٢) في «تهذيب اللغة»: أبو عبيد عن أبي عمرو: أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى. «تهذيب اللغة» (سجد) ٢/ ١٦٣٠، وانظر: «مقاييس اللغة» (سجد) ٣/ ١٣٣.

(٣) «تهذيب اللغة» (سجد) ٢/ ١٦٣٠، «الصحاح» (سجد) ٢/ ٤٨٣، «اللسان» (سجد) ٤/ ١٩٤٠.

(٤) إذا ابتدأت بهمزة الوصل أخذت حركة الحرف الثالث، انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١.

(٥) (والألف) ساقط من (ج).

(٦) في (ج): (لان ما بعدها).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٠أ، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٣.

سبحانه، ولم يكن عبادة لآدم[(١)].

وحكى[(٢)] ابن الأنباري عن الفراء وجماعة من الأئمة أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة، وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية، لا سجود صلاة وعبادة، وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضا[(٣)]، ولم يكن وضع الوجه على الأرض، إنما كان الانحناء والتكفير[(٤)]، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام[(٥)].

وقيل: كان سجود على الحقيقة[(٦)]، جعل آدم قبلة لهم، والسجود لله

---

(١) هذا قول جمهور المفسرين، قالوا: إنه سجود حقيقي ولكنه ليس سجود عبادة، فالتكريم لآدم، والعبادة والطاعة لله. ذكره الطبري في «تفسيره»، وروى في ذلك أثرا عن قتادة، ولم يذكر غير هذا القول. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٩، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ورجحه، ضعف ما عداه ١/ ٨١، وكذا الرازي في «تفسيره» ١/ ٢١٢، وانظر «زاد المسير» ١/ ٦٤، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٤٨.

(٢) (الواو) ساقطة من (ج).

(٣) قوله (وكان ذلك تحية الناس...) هل كان قبل آدم ناس؟ أم هو تجاوز في العبارة ؟

(٤) التكفير: هو أن يضع الرجل يده أو يديه على صدره وطأطأ برأسه، وهو كالتحية عند أهل «الكتاب»، انظر: «اللسان» (كفر) ٧/ ٣٨٩٧.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره»، ولم يعزه ١/ ٦٣أ. وذكره الرازي في «تفسيره» وضعفه، وقال: (السجود لاشك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض، فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك، لأن الأصل عدم التغيير، فإن قيل: السجود عبادة، والعبادة لغير الله لا تجوز، قلنا: لا نسلم أنه عبادة وبيانه أن الفعل قد يصير بالمواضعة مفيدا كالقول...). «تفسير الرازي» ٢/ ٢١٣، وضعفه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٣، وانظر القرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥٠، و«زاد المسير» ١/ ٦٤.

(٦) في (ب): (بالحقيقة).

ﷻ[١]، إلا أن هذا ضعيف، لأنه لو كان، لقيل: اسجدوا إلى آدم.

وقال أبي بن كعب: معناه: أقروا لآدم أنه خير وأكرم عليّ منكم، واخضعوا له وكونوا تحت أمره[٢]، وهذا المعنى موافق لأصل اللغة.

وقوله: ﴿لِآدَمَ﴾ حقه الكسر، إلا أنه لا يجري[٣] ما كان من هذا الباب نحو: الأحمر[٤] والأصفر في معرفة ولا نكرة، لاجتماع علتين فيه في حال نكرته، وهو وزن الفعل، وكونه صفة، فإن سميت به لم تصرفه في حال المعرفة أيضا للتعريف، ووزن الفعل، فإن نكرته لم تنصرف[٥] - أيضا - عند سيبويه[٦]، [وانصرف عند الأخفش[٧].

وحجة سيبويه][٨] أنه قبل أن يسمى به اسم وإن كان صفة، فقد كان في حال[٩] التنكير قبل التسمية به [غير منصرف، فإذا سميت به فحكم الصفة لم يرتفع عنه، ويصير التسمية به][١٠] كالعارية، فإذا نكِّر عاد إلى

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٣أ.والرازي وضعفه في «تفسيره» ٢/ ٢١٢، ٢١٣. وابن كثير وضعفه كذلك ١/ ٨٣. و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٠.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٥٩أ.

(٣) أي: يمنع من الصرف.

(٤) أي وزن (أفعل).

(٥) (تنصرف) كذا في (أ، ج)، وفي (ب): (بدون إعجام)، والأولى (ينصرف).

(٦) انظر «الكتاب» ٣/ ١٩٣، ١٩٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٨.

(٧) انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١، و«الكتاب» ٣/ ١٩٨ (الهامش)، «المقتضب» ٣/ ٣١٢، ٣٧٧، وقد نصر المبرد رأي الأخفش ورجحه.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (كل).

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

موضع قد[١] كان فيه لا ينصرف[٢].

والدليل على صحة ذلك، إجماع النحويين على قولهم: مررت بنسوة أربع، فيصرفون (أربعا)، لأنه اسم استعمل وصفا، ولو راعوا فيه حكم الصفة لم ينصرف في هذه الحال، لأنه على وزن الفعل وهو صفة، فلما نفوا حكم الاسم فيه وإن استعملوه صفة، كذلك أحمر وبابه وإن استعمل اسما[٣]، فحكم الصفة باق فيه، لأنه صفة لا اسم.

وأما الأخفش فإنه يقول: إذا سمي به زال حكم الصفة فلا ينصرف في المعرفة للتعريف ووزن الفعل، فإذا نكرته بقيت علة واحدة، وهو وزن الفعل فينصرف[٤]. وهذا فاسد، لأن حكم الصفة مراعى، وإن سمي به كما أن حكم الاسم مراعى في (أربع) وإن وصف به[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾. قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سمي إبليس بهذا الاسم، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي أيس، والمبلس المكتئب الحزين الآيس[٦]، وفي القرآن ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال يونس وأبو عبيدة: يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون عنده جواب: قد أبلس[٧].

---

(١) (قد) ساقطة من (ب).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١.

(٣) انظر: «المقتضب» ٣/ ٣١٢، «الكتاب» ٣/ ١٩٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١، «المقتضب» ٣/ ٣١٢.

(٥) انظر رد المبرد على ذلك في المسائل التي رد بها المبرد على سيبويه كما نقله عضيمة في هامش «المقتضب» ٣/ ٣١٢.

(٦) «تهذيب اللغة» (بلس) ١/ ٣٨٤، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٢٤.

(٧) «تهذيب اللغة» (بلس) ١/ ٣٨٤.

قال العجاج[١]:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا
قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وأبلسا[٢]

أي: لم يحر إليَّ جواباً لكآبته.

فقيل: إن إبليس سمي بهذا الاسم، لأنه لما أويس من رحمة الله أبلس يأسا[٣]. ومثل هذا الوزن من العربية (الإجْفِيل) اسم للظليم[٤]، يقال: أجفل الظليم فهو مجفل وإجفيل[٥]، وكذلك الإغريض[٦] والإضريج[٧]، في أشباه لهذا[٨].

---

(١) هو الراجز المشهور عبد الله بن رؤبة، لقي أبا هريرة وسمع منه أحاديث. انظر «الشعر والشعراء» ص٣٩٢، «طبقات فحول الشعراء» للجمحي ٢/ ٧٥٣.

(٢) المكرس: الذي صار فيه الكرس. وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار، أبلسا: أي سكت لكآبته. ورد الرجز في «ديوان العجاج»: ص١٣٢، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣٥، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«الزينة» ٢/ ١٩٢، والطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٤، و«الكامل» ٢/ ١٩١، و«تهذيب اللغة» (بلس) ١/ ٣٨٤، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٩، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٦٩، و«اللسان» ١/ ٣٤٣، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٤.

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٤، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٤، «غريب القرآن» لابن قتيبة: ١/ ٣٧، و«زاد المسير» ١/ ٦٥.

(٤) الظليم: الذكر من النعام، «القاموس» (ظلم): ص١٤٦٤.

(٥) «تهذيب اللغة» (جفل) ١/ ٦٢٢.

(٦) الإغريض: الطلع، ويقال لكل أبيض طري، انظر: «الصحاح» (غرض) ٣/ ١٠٩٤.

(٧) (الإضريج) بالجيم: صبغ أحمر، ونوع من الأكسية، ومن الخيل الجواد. انظر: «تهذيب اللغة» (ضرج) ٣/ ٢١٠٦، «الصحاح»١/ ٣٢٦، «اللسان» ٥/ ٢٥٧٠.

(٨) انظر: «إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٠، «الدر المصون» ١/ ٢٧٦.

وروى أبو روق[١] عن الضحاك عن ابن عباس قال: إنما سمي إبليس، لأن الله أبلسه من الخير، أي: أيأسه[٢].

وهذا متعد كما ترى، ورواه الليث - أيضا - متعديا فقال: لأنه أُبلِس من رحمة الله أي: أُويس[٣]، فحصل من هذا أنه عربي مشتق، وأن الإبلاس واقع ومطاوع[٤].

قال أبو بكر بن الأنباري: لا يجوز أن يكون مشتقا من (أبلس)، لأنه لو كان كذلك لجرى، [ألا ترى أن (إسحاق) إذا كان عربيا مأخوذا من أسحقه الله إسحاقا يجري، فيقال: قام إسحاق، ورأيت إسحاقاً[٥]. فلو كان إبليس من (أبلس) أو(أُبلس) لجرى][٦] كما يجرى إكليل وبابه، وترك تنوينه

---

(١) هو عطية بن الحارث الهمداني أبو روق، ورى عن الشعبي والضحاك، قال أبو حاتم: ليس به بأس، وقال ابن معين: صالح، انظر «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٨٢، «تهذيب التهذيب» ٣/ ١١٤، «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٣٨٦.

(٢) أخرجه الطبري بسنده، وفيه ضعف، انظر «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٩. (مع تحقيق محمود شاكر)، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، قال المحقق: ضعيف الإسناد ١/ ٢٩٤، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ١٠٢ . وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري.

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (بلس) ١/ ٣٨٤، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٣ب، وانظر «العين» ٧/ ٢٦٢، ولم أجده منسوبًا لليث.

(٤) (الواو) ساقطة من (ب).

اختلف الذين قالوا: إنه مشتق هل هو مشتق من (أبلس) إذا انقطع ولم تكن له حجة، أو من الإبلاس وهو اليأس، ذكر هذا الرازي في كتاب «الزينة» ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٥) انظر: «المقتضب» ٣/ ٣٢٦.

(٦) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

في القرآن يدل على أنه أعجمي معرفة، والأعجمي لا يعرف له اشتقاق[١].

وقال محمد بن جرير: إنما منع صرفه وإن[٢] كان عربيًّا استثقالًا، لأنه لما قل نظيره في كلام العرب شبهوه بالأسماء الأعجمية كإسحاق لم يصرف، وهو من أسحقه الله، و(أيوب) من: (آب يؤوب)[٣]، نظيره قيوم، من قام يقوم.

وهذا الذي قال[٤] ابن جرير: يبطل بباب (إفْعِيل) فإنه مصروف كله إلا إبليس[٥].

وأما[٦] أيوب وإسحاق، فمن لم يصرفهما لم[٧] يجعلهما مشتقين[٨].

(١) هذا الكلام بمعناه في «الأضداد» لابن الأنباري: ص٣٣٦، وبنحوه قال أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٣٨، والزجاج في «المعاني» ١/ ٨٢، والثعلبي ١/ ٦٣ب، وذكر هذا القول مكي في «المشكل» ١/ ٣٧، وابن عطية ١/ ٢٤٦، وابن الأنباري أبو البركات في «البيان» ورجحه ١/ ٧٤، على أن مكيا وغيره ذكروا عن أبي عبيدة أنه قال: إنه مشتق، وهذا خلاف قوله في «المجاز».
وقد أجاب الذين قالوا: إنه مشتق بأنه منع من الصرف لأنه أشبه الأسماء الأعجمية لعدم نظيره في الأسماء العربية كما سيأتي في كلام ابن جرير، انظر: «البحر» ١/ ١٥١، و«الدر المصون» ١/ ٢٧٦.

(٢) في (ب): (فان).

(٣) انتهى كلام ابن جرير بمعناه ١/ ٢٢٨، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٦.

(٤) في (ب): (قاله) وهو أصوب.

(٥) في (ج): (ابلس). انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٧، «البيان» ١/ ٧٤، «البحر المحيط» ١/ ١٥١، «الدر المصون» ١/ ٢٧٦.

(٦) في (ب): (فأما).

(٧) في (ب): (يصرفها لم يجعلها).

(٨) انظر: «المقتضب» ٣/ ٣٢٦، «أصول النحو» لابن السراج ٢/ ٩٤.

والاختيار في هذا الحرف أنه غير مشتق، لإجماع النحويين على أنه منع الصرف للعجمة والمعرفة، فلو جعلناه مشتقاً بطلت العجمة ووجب صرفه[(١)].

واختلفوا في أن إبليس هل هو مستثنى من الملائكة أو[(٢)] لا؟ فروى مجاهد وطاوس عن ابن عباس قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية ملكاً من الملائكة، اسمه (عزازيل)، وكان من سكان الأرض وعمارها، وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون: (الجن)، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادا ولا أكثر علمًا منه. فلما تكبر على الله ﷻ وأبى السجود لآدم وعصاه، لعنه وجعله شيطاناً مريداً، وسماه: إبليس[(٣)]. وعلى هذا القول أيضا ابن مسعود، وابن المسيب، وابن جريج، وقتادة، وابن جرير[(٤)]، وقالوا: إنه استثني من جنس المستثنى منه، وكان إبليس من جملة الملائكة

---

(١) بهذا أخذ أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٣٨، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٨٢، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٣ب، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٧٤، والعكبري في «الإملاء» ١/ ٣٠، والسمين في «الدر المصون» ١/ ٢٧٦. وعلى قول ابن جرير ومن معه لا يلزم صرفه، ولو كان مشتقًّا، لأنه لا سمي له فاستثقل. انظر «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ص٢٣، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٢٨، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥١.

(٢) في (ب): (أم لا).

(٣) أخرجه الطبري بسنده عن عطاء، عن طاوس، عن ابن عباس، وعن عطاء عن طاوس أو مجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس. «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٤، وكذلك أخرجه ابن الأنباري بسنده عن طاوس أو عن مجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس. «الأضداد»: ص٣٣٤.

وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٨٤، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨.

(٤) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٤.

الذين أمروا بالسجود. وهؤلاء أولوا قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] أي: كان من قبيل من الملائكة، يقال لهم: الجن(١)، سموا جناً لاستتارهم عن الناس. قال الأعشى يذكر سليمان ابن داود عليه السلام:

وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ المَلائِكِ تِسْعَةً ... قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ(٢)

فجعل الملائكة جناً(٣).

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» عن قتادة ١/ ٢٢٥. قال ابن كثير في «تفسيره» بعد أن نقل الآثار في هذا عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الآية [الكهف: ٥٠].
قال: وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل، لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة...إلخ) انظر «ابن كثير» ٣/ ١٠٠.

(٢) ورد البيت في «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٥، «الزاهر» ٢/ ٣٣٤، و«الأضداد» لابن الأنباري: ص٣٣٥، و«الغريب» لابن قتيبة: ص٢١، و«الزينة» ٢/ ١٧٦، و«معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن» ١/ ١٩٥، و«اللسان» (جنن) ١/ ٧٥١، وفي «تفسير القرطبي» ١/ ٢٥١، و«خزانة الأدب» ٦/ ١٧٦.

(٣) وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري في «تفسيره»، وابن عطية في «تفسيره» والبغوي في «تفسيره»، وغيرهم، وهو أن إبليس كان من الملائكة أو من طائفة منهم يقال لهم: الجن.
قال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر الأقوال في هذه المسألة: (وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها، ذلك أنه غير مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خلق أصناف ملائكته من أصناف من خلقه شتى. فخلق بعضا من نور، وبعضا من نار وبعضا مما شاء من غير ذلك. وليس في ترك الله جل ثناؤه الخبر عما خلق منه ملائكته، وإخباره عما خلق منه إبليس ما يوجب أن يكون إبليس خارجا عن معناهم... وقال: وأما خبر الله عنه أنه (من الجن) فغير مدفوع أن يسمى ما اجتن من الأشياء عن الأبصار كلها جناً كما قد ذكرنا في شعر الأعشى - فيكون إبليس والملائكة=

وقد روى عكرمة عن ابن عباس قال: إنما قيل لإبليس: الجني، لأنه كان من خزنة الجنة[1].

وقال الزجاج وابن الأنباري: معنى قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي كان[2] ضالاً كما أن الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل الملائكة كانوا ضُلّالاً، فلما فعل إبليس مثل فعلهم أدخل في جملتهم كما[3] قال الله سبحانه: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[4] [التوبة: ٦٧]. فعلى قول هؤلاء هو مستثنى من الملائكة، وهو استثناء الجنس من الجنس.

وقال عبد الرحمن بن زيد، وشهر بن حوشب[5]: ما كان إبليس من الملائكة قط[6].

= منهم، لاجتنانهم عن أبصار بني آدم، في «تفسيرالطبري» ١/ ٢٢٧، وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري: ص٣٣٤، وفي «تفسيرابن عطية» ١/ ٢٤٦، وفي «تفسيرالبغوي ١/ ٨٢، و«البحر» ١/ ١٥٣، وفي «تفسير القرطبي» ١/ ٢٥١، فعلى هذا القول: الاستثناء متصل.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» عن ابن جريج عن ابن عباس، وعن أبي صالح عنه، وعن الضحاك عنه. الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٥.

(٢) في (ب): (أي صار).

(٣) (كما) ساقطة من (ب).

(٤) قول ابن الأنباري في «الأضداد» صـ٣٣٧، وقد ذكر هذا توجيهًا لمعنى الآية على قول من قال: إن إبليس من الملائكة وكذا الزجاج في «المعاني» ١/ ٨٢ ويلحظ هنا أن الزجاج يرجح القول الآخر حيث قال لما ذكر القول الثاني: وهذا القول هو الذي نختاره، لأن إبليس كان من الجن كما قال الله ﷻ.

(٥) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن روى عن أبي هريرة وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وغيرهم، اختلف في سنة وفاته، فقيل: مائة، وقيل غير ذلك، انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ١٨٢، «غاية النهاية» ١/ ٣٢٩.

(٦) أقوالهم في الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٧، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٦،=

وروى عوف عن الحسن قال: ما كان إبليس من[1] الملائكة قط، طرفة عين[2]. وهؤلاء قالوا: إنه استثني من الملائكة، وليس منهم، لأنه أمر بالسجود كما أمروا، فخالف وأطاعوا، فاستثني من فعلهم[3]، ويجوز أن يكون استثناء منقطعا[4] كقول[5] العرب: ارتحل العسكر إلا الأثقال، وسار الناس إلَّا الخيام[6].

وقال سعيد بن المسيب: إن إبليس سبي من الجن حين اقتتلوا[7] الملائكة، وكان صغيرا فنشأ بين الملائكة[8]. وهذا اختيار الحسين بن

= والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥١، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨١، «البحر» ١/ ١٥٣.

(١) (من الملائكة) ساقط من (ج).

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٧، وابن الأنباري في «الأضداد»: ص٣٣٧، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٤٦، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥١، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨١، «البحر» ١/ ١٥٣.

(٣) «الأضداد» لابن الأنباري: ص٣٣٧، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٢، وقد مال إلى نحو هذا ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨١.

(٤) انظر «المشكل» لمكي ١/ ٣٧، «البيان» ١/ ٧٤، «البحر» ١/ ١٥٣.

(٥) في (أ)، (ج): (لقول)، وقوله (منقطعا) ساقط من (ب).

(٦) قال ابن الأنباري: (... ونصب على الاستثناء وهو من غير جنسهم.كما تقول العرب: سار الناس إلا الأثقال، وارتحل أهل العسكر إلا الأبنية والخيام)، «الأضداد» لابن الأنباري: ص٣٣٧.

(٧) هكذا في جميع النسخ وهذا على لغة (أكلوني البراغيث).

(٨) أخرج نحوه ابن جرير عن شهر بن حوشب وسعد بن مسعود ١/ ٢٢٧، وذكره ابن عطية والقرطبي، وقالا: حكاه الطبري عن ابن مسعود، وظاهر كلامهما أنه عبد الله ابن مسعود، ولم يرووه عنه، وإنما عن سعد بن مسعود ولعل القرطبي نقل ذلك عن ابن عطية. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥١، وذكره ابن كثير عن سعد بن مسعود، «تفسير ابن كثير» ١/ ٨١، ولم أجده عن سعيد فيما اطلعت عليه.

الفضل. وإليه ذهبت المعتزلة[(١)].

وقوله[(٢)] تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾. هما بمعنى واحد، وكرر للتأكيد[(٣)]، وحقيقة الاستكبار: الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. أي وصار[(٥)]، كقوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقال الأكثرون معناه: وكان في سابق علم الله من الكافرين[(٦)].

---

(١) أي: إلى أن إبليس ليس من الملائكة. انظر: «تفسير الرازي» ١/ ٢١٣. قال الزمخشري: إنه كان جنيا واحد بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم، فغلبوا عليه في قوله: «فسجدوا». «الكشاف» ١/ ٢٧٣.

(٢) في (ب): (وكان).

(٣) (أبى) امتنع عن السجود، و(استكبر) تكبر وتعاظم في نفسه فهو من أفعال القلوب، والإباء: الامتناع من السجود، والامتناع نابع من الكبر. انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٨، «البحر» ١/ ١٥٣، وأبي السعود في «تفسيره» ١/ ٨٥.

(٤) ذكر الأزهري عن ابن الأنباري: الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا. «التهذيب» (كبر) ٤/ ٣٠٩٠، «مفردات الراغب»: ص٤٢١.

(٥) في (ب): (وصار من الكافرين). هذا هو القول الأول أن (كان) بمعنى: صار، انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٠، و«تفسيرالثعلبي» ١/ ٦٤أ، و«تفسيرابن عطية» ١/ ٢٤٨، و«زاد المسير» ١/ ٦٥، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٢، و«البحر» ١/ ١٥٤، وفي «تفسير ابن كثير» ١/ ٨١، قال ابن عطية بعد أن ذكر هذا القول: قال ابن فورك: وهذا خطأ ترده الأصول، ونقل هذا القرطبي وابن كثير.

(٦) قول جمهور المفسرين على أن (كان) على بابها، انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٠، و«الثعلبي» ١/ ٦٤أ، و«ابن عطية» ١/ ٢٤٨، و«القرطبي» ١/ ٢٥٢، و«زاد المسير» ١/ ٦٥، و«ابن كثير» ١/ ٨١، «البحر» ١/ ٣٢١. قال ابن جرير: (ومعنى قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أنه كان حين أبى السجود من الكافرين حينئذ). «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٨.

وقيل: كان من الجن الذين كانوا قبله[١] على مذهب من جعله منهم[٢].

فإن قيل: كيف جمع، ولم يكن في ذلك الوقت كافر غير إبليس[٣]؟ فيقال: إن الله سبحانه علم أنه يكون[٤] بعد إبليس كافرون، كقول إبراهيم[٥] ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦] معناه: أنه علم[٦] أنه سيكون بعده من يشهد على قومه بمثل شهادته[٧]. وقيل: كان من القوم الذين إذا فعل واحد منهم مثل فعله كان مثله[٨]. وعلى ما قاله سعيد بن المسيب[٩]، لا يتوجه هذا السؤال.

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ الآية. (اسكن

---

(١) (قبله) ساقطة من (ب).

(٢) انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٤أ، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٤٨، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥٢، «البحر» ١/ ١٥٤.

(٣) يرد هذا السؤال على قول من قال: إن إبليس أول كافر. ولم يسبقه كفر، أما عند من قال: إنه سبقه كفار وهم الجن سكان الأرض. فلا يرد أصلا، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٨، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٥، و«تفسير الرازي» ٢/ ٢٣٧، و«البحر» ١/ ١٥٤.

(٤) في (ب): (سيكون).

(٥) في (ب): (إبراهيم عليه السلام).

(٦) في (ب): (عالم).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ٢/ ٢٣٨.

(٨) ذكره الرازي في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨.

(٩) قول سعيد الذي سبق: هو: أن إبليس سبي من الجن فنشأ بين الملائكة. فعلى هذا القول يتوجه أنه ليس أول كافر كما سبق.

الجنة)[١] أي: اتخذها مأوى ومنزلا[٢]، وليس معناه: استقر في مكانك ولا تتحرك، وهذا اللفظ مشترك، يقال: أسكنه، أي: أزال حركته، وأسكنه مكان كذا[٣]، أي جعله مأوى ومنزلا له، والأول الأصل، قالوا[٤]: ومنه السكين[٥]، لأنه الآلة التي تسكن حركة الحيوان[٦].

وقوله: (أنت) تأكيد للضمير الذي في الفعل[٧]، وإنما أكد به ليحسن العطف عليه، فإن العرب لا تكاد تعطف إلا على ظاهر، يقولون: اخرج أنت وزيد، ولا يكادون يقولون: اخرج وزيد، إلا في الضرورة[٨]، ومثله قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وقوله: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ لفظه مذكر، ومعناه مؤنث، وذلك أن الإضافة تلزم هذا الاسم في أكثر الكلام، وكانت مبينة[٩] له فكان[١٠] طرح الهاء أخف مع الاستغناء بدلالة الإضافة.

---

(١) في (ب): (معنى اسكن الجنة).

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٩، و«القرطبي» ١/ ٢٥٥، «البحر» ١/ ١٥٥.

(٣) في (أ): (وكذا) وفي (ج)، كتبت ثم شطبت والصحيح حذفها.

(٤) (قالوا) ساقط من (ج).

(٥) في (ب): (التسكين).

(٦) انظر: «التهذيب» (سكن) ٢/ ١٧٢٣، «مقاييس اللغة» (سكن)٣/ ٨٨، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥٥، «البحر» ١/ ١٥٥.

(٧) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٣، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٦، «البحر» ١/ ١٥٦.

(٨) مذهب البصريين أنه لا يجوز العطف إلا في الضرورة، وأجاز الكوفيون ذلك. انظر «الإنصاف» ص٣٨٠، «البحر» ١/ ١٥٦.

(٩) في (ج): (مبنية).

(١٠) في (ب): (وكان).

وكان الأصمعي يؤثر ترك(١) الهاء في الزوجة، ويرى أن أكثر كلام العرب عليه. والكسائي على خلاف ذلك(٢)، والاختيار ما قاله الأصمعي، لأن القرآن كله عليه(٣).

والمراد بقوله: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ جنة الخلد من قبل أن التعريف فيها بالألف واللام يجعلها كالعلم على جنة الخلد، فلا يجوز العدول عنها بغير دلالة، ألا ترى أنك لو قلت: نسأل الله الجنة، لم يكن ذلك إلا جنة الخلد(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾(٥). (الرّغَد) و(الرَّغْد): سعة المعيشة،

---

(١) (ترك) ساقطة من (ب).

(٢) في (أ)، (ج): (ذكر) وما في (ب) هو الصحيح. وانظر اختلافهم في «اللسان» (زوج) ٣/ ١٨٨٥، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٥٧.

(٣) قال الفراء (الزوج) يقع على المرأة والرجل. هذا قول أهل الحجاز. قال ﷻ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وأهل نجد يقولون: (زوجة) وهو أكثر من (زوج) والأول أفصح عند العلماء). (المذكر والمؤنث): ص٩٥، وانظر (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري: ص٥٠٣، «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٩. ومما جاء على (زوجة) قول عمار في شأن عائشة (إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا و الآخرة). وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٩، وقال القرطبي: (وقد جاء في صحيح مسلم لفظ (زوجة) في حديث أنس وفيه يا فلان هذِه زوجتي فلانة). «تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٦.

(٤) وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين، وفيه الرد على من قال: إنها جنة في الدنيا وهو قول المعتزلة والقدرية.
انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٤ب، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٤. قال ابن الجوزي وقيل: جنة عدن، «زاد المسير» ١/ ٦٦.

(٥) في (ج): (فكلا) تصحيف.

يقال: عيش رَغَدٌ ورَغْدٌ. ورَغِدَ عيشهم أي: اتسع[١]، قال[٢] امرؤ القيس:

بَيْنَما المَرْءُ تَراهُ ناعِماً يَأْمَنُ الأحْدَاثَ فِي عَيْشٍ رَغَدْ[٣]

وقال ابن دريد: عيش رَاغِد ورَغَد ورَغِيد، والرَّغِيدَة: الزبدة، ويقال: أرْغَد القوم إذا وقعوا في عيش رغد[٤].

الليث: (الرغد): أن يأكل ما شاء إذا شاء حيث شاء[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾. (حيث) بني على الضم تشبيها بالغاية، نحو: (قبل) و(بعد) وذلك أنه منع الإضافة إلى الاسم المفرد كما منعت الغاية الإضافية، فبني لأجل الشبه على الضم بالغاية[٦]، ونذكر الكلام في هذا بأبلغ من هذا الشرح عند قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

---

(١) انظر: «الصحاح» (رغد) ٢/ ٤٧٥، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٣، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤١٧، «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٠، «اللسان» ٣/ ١٦٨٠.

(٢) في (ب): (وقال).

(٣) ورد البيت منسوبًا لامرئ القيس في الطبري ١/ ٢٣٠، وفي «الوسيط» للمؤلف ١/ ٨٣، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥١، و«البحر» ١/ ١٥٥، و«الدر المصون» ١/ ٢٨١، قال محمود شاكر في حاشية الطبري: لم أجده فيما جمع من شعر امرئ القيس، وقد بحثت في (الديوان) فلم أجده.

(٤) «الجمهرة» ٢/ ٦٣٣.

(٥) لم أجده عن الليث، انظر: «العين» (رغد) ٤/ ٣٩٢، و«تهذيب اللغة» (رغد) ٢/ ١٤٣٣، و«الصحاح» (رغد) ٢/ ٤٧٥، و«اللسان» (رغد) ٣/ ١٦٨٠.

(٦) وقد ذكر سيبويه فيها وجهًا آخر وهو الفتح وقال الكسائي: الضم لغة قيس وكنانة، والفتح لغة بني تميم، وقال: وبنو أسد يخفضونها في موضع الخفض وينصبونها في موضع النصب، ويقال: حوث. انظر: «الكتاب» ٣/ ٢٨٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٣، و«تهذيب اللغة» (حيث) ١/ ٩٤٩، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥١، وقد ذكر الواحدي هذه الوجوه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] .كما وعد هنا .

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾. قيل معناه: لا تقرباها بالأكل، لأن آدم عصى بالأكل منها، لا بأن قربها[1].

وقيل: إن النهي عن الأكل داخل في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ فهو نهي بأبلغ لفظ يكون[2].

وقيل: قربَ فلانٌ أهلَه قربانًا، أي [غشيها][3] وما قرِبْتُ هذا الأمر ولا قَرَبتُه قُرْبَاناً وقُرْباً[4].

و(الشجرة) في اللغة: ما لها ساق يبقى في الشتاء، و(النجم) ما ليس على ساق، ومنه قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[5] [الرحمن: ٦]. وسميت شجرة لتشابك أغصانها[6]، وتداخل بعضها في بعض، والشجرة تعم النخلة والتينة والكرمة وغيرها[7]، واليقطين قد سمي شجراً في قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦].

---

(١) وبهذا قال الزجاج في «المعاني» ١/ ٨٣، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٥٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٦٦، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٥.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٥٢، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٥، وبه أخذ أبو حيان في «البحر» ١/ ١٥٨.

(٣) في (أ)، (ج): (عيشها)، وفي (ب): (ان عشيها)، والتصحيح من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٤.

(٤) ذكره الأزهري في الليث. «التهذيب» (قرب) ٣/ ٢٩١٤. «اللسان» (قرب) ٦/ ٣٥٦٦.

(٥) قيل إن المراد بالنجم في الآية نجم السماء، والأرجح أنه مالا ساق له من الشجر، انظر: «تفسير الطبري» ٢٧/ ١١٦، و«القرطبي» ١٧/ ١٥٤.

(٦) في (أ)، (ج): (أعضائها)، وما في (ب) هو الصحيح.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣١، «التهذيب» (شجر) ٢/ ١٨٣٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٢، «مفردات الراغب» ص٢٥٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٦٦، و«تفسير الرازي» ١/ ٦.

قال الحسين بن الفضل: إن آدم نهي عن أكل الشجرة فعصى بذوقها، وهو دون الأكل، فدل على أن الذي نهي عن شرب المسكر يعصي بشرب اليسير منه قدر ما يقع عليه اسم الذوق.

واختلفوا في الشجرة التي نهي آدم عنها، فقال ابن عباس، وعطية، ووهب، وقتادة: إنها السنبلة، قال وهب: وكانت الحبة منها ككلية البقر، ألين من الزبد، وأحلى من العسل[١].

وقال ابن مسعود والسدي: هي الكرم[٢]. وقال ابن جريج[٣]: إنها التين[٤].

وقال محمد بن[٥] جرير والحسين بن الفضل: إن الله سبحانه أخبر أنه نهى آدم عن أكل شجرة ما، ولم ينصب لنا دلالة عليها بعينها، فنحن نعلم

---

(١) أقوالهم في الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٣١-٢٣٢، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٨٦، و«الثعلبي» ١/ ٦٤ب.

(٢) وروى هذا عن ابن عباس وسعيد بن جرير والشعبي وغيرهم.
انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٨٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٤ب.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أحد العلماء المشهورين، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل. توفي سنة تسع وأربعين ومائة، انظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٤٠٠، «وفيات الأعيان» ٣/ ١٦٣.

(٤) «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٨٦ .
وفي اسم الشجرة أقوال كثيرة غير هذه. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٨٦-٨٧، والثعلبي ١/ ٦٠ب، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٢، «زاد المسير» ١/ ٦٦، «التعريف والإعلام» للسهيلي: ص١٩، «غرر التبيان في مبهمات القرآن»: ص٣٩، رسالة ماجستير، «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» للسيوطي ص١٢.

(٥) (محمد) ساقط من (ب).

أنه كان منهياً عن أكل شجرة ما، وليس علينا من الجهل بتفصيله شيء[١]. واختلفوا في كيفية أكل آدم من الشجرة. فقال بعضهم: [انهى][٢] نهي عن جنس من الشجرة، ونص له على واحد بعينه، فتأول أن التحريم في واحدة بعينها فأكل من جنسها[٣]. وقال بعضهم: إنه نسي الوجوب وحمل النهي فيه على التنزيه، وإن كان فيه ما يدل على أنه للتحريم، وهو اقترانه بذكر الوعيد في قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما يستثني ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها، فأكل[٥]. ورُدّ هذا على سعيد بأن قيل: لو كان الأمر على ما وصف لم يكن عاصياً، والله تعالى أخبر عنه بالعصيان[٦]،

(١) ومما قاله الطبري (.. وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به)، «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٢. وبهذا قال أكثر المفسرين، إن الإطالة في هذا من التكلف الذي لا فائدة فيه، ويكفينا ما ذكر الله في كتابه: أنه نهى آدم عن أكل الشجرة، وأن آدم عصى ربه وأكل منها، ثم تاب عليه. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٢، و«تفسير الرازي» ٣/ ٥. و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٤.

(٢) كذا في جميع النسخ ولعلها (إنه).

(٣) انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٤ب، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٨، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٠، «زاد المسير» ١/ ٦٨.

(٤) انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٨، و«زاد المسير» ١/ ٦٨، ورجع الرازي أن النهي للتنزيه، وقال: إن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء - عليهم السلام - كان أولى، وأجاب عن أدلة الذين قالوا: إنه للتحريم. انظر «تفسير الرازي» ٣/ ٥.

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٣٧، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٥أ، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١٨، والقرطبي ١/ ٢٦٠.

(٦) وقد رده ابن العربي ردًا قويًا حيث قال: (أما القول بأن آدم أكلها سكران ففاسد نقلا وعقلا: أما النقل: فلأن هذا لم يصح بحال، وقد نقل عن ابن عباس أن=

وفي الجملة كان ذلك الأكل معصية من آدم، ولكنه كان قبل النبوة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قال الفراء: إن شئت جعلت (فتكونا) جواباً نصباً، لأنه جواب النهي بالفاء. وإن شئت عطفته على أول الكلام، فكان جزماً مثل قول امرئ القيس[1]:

فَـقُـلْـتُ لَـهُ صَـوِّبْ ولا تُـجْـهِـدَنَّـه
فَـيُـذْرِكَ[2] مِنْ أُخْرى القَـطَـاةِ فَتَـزْلَـقِ[3]

= الشجرة التي نهي عنها الكرم، فكيف ينهى عنها ويوقعه الشيطان فيها، وقد وصف الله خمر الجنة بأنها لا غول فيها، فكيف توصف بغير صفتها التي أخبر الله تعالى عنها. وأما العقل: فلأن الأنبياء بعد النبوة منزهون عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم «أحكام القرآن» ١/ ١٩. وأقول: لا داعي لكل هذه التوجيهات لفعل آدم -عليه السلام- بل الأولى أن نجيب بما قال الله عنه: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢].

(١) كذا منسوبًا إلى امرئ القيس في أكثر المصادر، ونسبه سيبويه إلى (عمرو ابن عمار الطائي) قال عبدالسلام هارون معلقا على نسبته إلى امرئ القيس: ليس في «ديوانه». قلت: هو في «ديوانه» ص١٠٦.

(٢) في (أ)، (ج): (فيدرك) بالدال، وفي (ب): (فتدرك)، وكلاهما تصحيف.

(٣) يروى (فيدنك) كذا عند سيبويه. يقول مخاطبًا للغلام الذي سبق ذكره في الأبيات قبله: صوب الفرس ولا تجهده، لا تحمله على العدو فيصرعك، يقال: أذراه عن فرسه: إذا صرعه وألقاه، والقطاة من الفرس: موضع الردف. انظر: «ديوان امرئ القيس» ص١٧٤، «الكتاب» ٣/ ١٠١، «معاني القرآن» للفراء١/ ٢٦، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٣٤، «اللسان» (ذرا) ٣/ ١٤٩١، «الخزانة» ٨/ ٥٢٦، «الدر المصون» ١/ ٢٨٦، «البحر» ١/ ١٥٩. والشاهد عند سيبويه: جزم (فيدنك) حملا على النهي، ولو أمكنه النصب بالفاء على جواب النهي لجاز.

فجزم[١]، ومعناه: كأنه تكرير النهي.

ومعنى الفاء والنصب جزاء[٢]، أي لا تفعل هذا فيفعل بك، فلما عطف حرف على غير ما يشاكله، وكان في أوله حادث لا يصلح في الثاني نصب[٣].

وقال الزجاج: إنما نصب بإضمار (أن)[٤]. ومثله[٥] مما نصب بالفاء قوله: ﴿ولا تَطْغَوا فِيه فَيَحِلَّ﴾ [طه:٨١] ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه:٦١][٦]. وما كان من نهي[٧] ففيه الوجهان، ولا يجوز الرفع إلا أن تريد الاستئناف ولا تجعله جواباً، كقولك: لا تركبْ إلى فلان

---

(١) (جزم) ساقط من (ج).

(٢) في «المعاني» للفراء: (ومعنى الجواب والنصب لا تفعل هذا فيفعل بك مجازاة، فلما عطف حرف.. إلخ) ١/ ٢٧.

(٣) انتهى ما نقله عن الفراء، ويعود للنقل منه بعد كلام الزجاج. «معاني القرآن» ١/ ٢٦، ٢٧، وما ذكره هو مذهب الكوفيين في الفعل المضارع الواقع بعد الفاء في جواب: الأمر والنهي والنفي والاستفهام والتمني والعرض. ينصب بالخلاف، أي أن الجواب مخالف لما قبله. انظر: «الإنصاف» ٢/ ٥٥٧، «الدر المصون» ١/ ٢٨٦، ونصر هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٣٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٣. وقال: نصبه عند سيبويه والخليل بإضمار (أن). وما ذكر هو مذهب البصريين كما في «الإنصاف» ٢/ ٥٥٧، ٥٥٨، وبهذا قال الأخفش في «المعاني» ١/ ٢٢٢، وانظر: «الدر المصون» ١/ ٢٨٦، وقد رد هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٣٤.

(٥) هذا عود على كلام الفراء.

(٦) والآيتان وردتا ضمن كلام الفراء.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء: (وما كان من نفي ففيه ما في هذا (يريد ما في النهي) ولا يجوز الرفع في أحد الوجهين (النفي والنهي) إلا أن تريد الاستئناف.. إلخ) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧.

فيركبُ إليك، يريد[١] لا تركب إليه فإنه سيركب إليك.

قال الأعشى[٢]:

أَلَـمْ تَـسْـأَلِ الـرَّبْـعَ الـقَـدِيـم فَـيَـنْـطِـقُ
وهَلْ تُخْبِرَنْكَ اليَومَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ[٣]

أراد ألم تسأل الربع، فإنه يخبرك عن أهله[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. يقال: ظَلَمَه يَظْلِمُه ظُلمًا، فالظلم مصدر حقيقي، والظلم الاسم يقوم مقام المصدر. ومن أمثال[٥] العرب: (من أشبه أباه فما ظلم). قال الأصمعي: أي ما وضع الشبه غير موضعه[٦].

---

(١) في جميع النسخ (يريد) وبالتاء جاء في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧.

(٢) البيت لجميل بن معمر العذري، كما في «الخزانة» ٨/ ٥٢٦. وفي «ديوانه»: ص١٤٥. وكذا نسبه أكثرهم، ولم أجد من نسبه للأعشى، ولعله اشتبه عند الواحدي بقول الأعشى:

وإن أمـرا أسـرى ألـيـك ودونـه ... من الأرض موماة وبيـداء سـملـق

(٣) يروى البيت (القواء) مكان (القديم)، معنى الربع: الدار بعينها حيثما كانت. والقواء: القفر، وكذا البيداء، والسملق: الأرض المستوية، أو الجرداء لا شجر فيها، يقول: وقد تخيل القواء ناطقا، ألا تسأله، ثم نفى ذلك عنه وحقق أنه لا يجيب سائله لعدم القاطنين به. ورد البيت في «الكتاب» ٣/ ٣٧، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧، «الجمل» للزجاجي: ص١٩٤، «شرح المفصل» ٧/ ٣٦، «همع الهوامع» ٤/ ١٢٢، ٥/ ٢٣٥، وشرح «شذرات الذهب»: ص٣٦٧، «الخزانة» ٨/ ٥٢٤، «مغني اللبيب» ١/ ١٦٨، «ديوان جميل»: ص٧٠.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧.

(٥) ذكره الأزهري عن الليث. «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٨، وانظر: «لسان العرب» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧.

(٦) ويجوز أن يكون المعنى: فما ظلم الأب: أي لم يظلم حين وضع زرعه حيث أدى إليه الشبه، انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري ٢/ ٢٤٤، «الوسيط» في الأمثال=

وقال أحمد بن يحيى وأبو الهيثم: يقال: ظلمت السّقاء، وظلمت اللبن إذا شربته أو سقيته قبل إدراكه وإخراج زبدته[(١)]. وقال ابن السكيت: ظلمت وطبي[(٢)] للقوم بهذا المعنى[(٣)]. قال أبو عبيد: ويقال لذلك اللبن المظلوم والظليم[(٤)]، وأنشد شمر:

وقَـائِلـةٍ ظَـلَـمْـتُ لَـكُـمْ سِـقَـائِـي
وهَـلْ يَـخْفَـى عَـلَـى العَـكِـدِ الـظَّـلِـيمُ[(٥)]

وقال الفراء: ظلم الوادي إذا بلغ الماء منه موضعاً لم يكن ناله فيما خلا، وأنشد:

يَـكَـادُ يَـطْـلُـعُ ظُـلْـمـاً ثُـمَّ يَـمْـنَـعُـه
عَـنِ الـشَّـوَاهِـقِ فَـالـوَادِي بِـهِ شَـرِقُ[(٦)]

قال: ويقال: هو أظلم من حية، لأنها تأتي الجحر لم تحفره

= للمؤلف ص١٥٥، «المستقصي» ٢/ ٣٥٢، «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٠٠، «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٨، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧.

(١) في «تهذيب اللغة»: أخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى وعن أبي الهيثم أنهما قالا: ثم ذكره ٣/ ٢٢٤٩، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨.

(٢) الوطب: سقاء اللبن. انظر (القاموس) (وطب): ص١٤٢.

(٣) انظر «إصلاح المنطق»: ص٣٥٢، «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨.

(٤) في «التهذيب»: المظلوم والظليمة، ٣/ ٢٢٤٩، وكذا «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧.

(٥) البيت غير منسوب في «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩، وكذا في «الصحاح» ٥/ ١٩٧٨، «مقاييس اللغة» ٣/ ٤٦٩، «اللسان» ٥/ ٢٧٥٧، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٤، والعكد: أصل (اللسان).

(٦) البيت في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٩٧، «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩، «اللسان» ٥/ ٢٧٥٨، غير منسوب.

فتسكنه[١]. وقال ابن السكيت في قول النابغة:

والنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بِالمظْلُومَةِ الجَلَدِ[٢]

يعني بالمظلومة أرضاً في برية حوّضوا فيها حوضاً سقوا فيه إبلهم، وليست بموضوع تحويض. قال: وأصل الظلم، وضع الشيء غير[٣] موضعه، قال: ومنه قول ابن مقبل:

هُرْتُ الشَّقَاشِقِ ظَلَّامُونَ للجُزُرِ[٤]

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٩٧، «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩، وانظر «الصحاح» (ظلم) ٥/ ١٩٧٨، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٨.

(٢) عجز بيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر وصدره:

إلاَّ أَوَارِيُّ لَأْياً ما أُبَيِّنُهَا

الأواري: محابس الخيل، وتروى (الأواري) بالرفع على البدل، وبالنصب على الاستثناء، لأياً: بطئا، والمعنى أبينها بعد لأي لتغير معالمها، والنُّؤْي: حاجز حول الخباء يمنع عنه الماء، والمظلومة: أرض حفر فيها الحوض لغير إقامة، فظلمت لذلك، والجلد: الصلبة. ورد البيت في «الكتاب» ٢/ ٣٢١، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٨، ٤٨٠، «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٤، «المقتضب» ٤/ ٤١٤، «التهذيب» «ظلم» ٣/ ٢٢٤٩، «الجمل» للزجاجي ص٢٣٦، «الإنصاف» ص٢٣٤، «الأزهية في علم الحروف» ٨٠، «الهمع» ٣/ ٢٥٠، ٢٥٥، «شرح المفصل» ٢/ ٨٠، «الخزانة» ٤/ ١٢١، «الدر المصون» ١/ ٢٨٦، «ديوان النابغة»: ص٩.

(٣) في «تهذيب اللغة» (في غير) ٣/ ٢٢٤٩.

(٤) وصدره:

عَادَ الأذِلَّةُ في دَارٍ وَكَان بِهَا

قوله: هرت الشقاشق: أي: ماهرون في الخطابة والكلام، تقول العرب للخطيب الجهير الصوت الماهر بالكلام: هو أهرت الشِّقْشِقَة. والشِّقْشِقَة: لحمة كالرئة يخرجها البعير الفحل من فيه عند هياجه. =

وظلم الجزور أنهم نحروها من غير مرض، فوضعوا النحر في غير موضعه[١]. وقول زهير:

... وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَنْظَلِمُ[٢]

أي يطلب منه في غير موضع الطلب[٣].

ومعنى قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي من العاصين الذين وضعوا الأمر غير موضعه[٤].

والعاصي ظالم لوضعه أمر الله في غير موضعه، ووضعه المعصية حيث يجب أن يطيع.

وقال بعضهم: معنى[٥] قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي[٦]: الباخسين

= ورد البيت في «ديوان ابن مقبل»: ص٨١، «التهذيب» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩، «اللسان» (هرت) ٨/ ٤٦٤٧، «شقق» ٤/ ٢٣٠٠، (ظلم) ١/ ٢٧٥٨. «الصحاح» (ظلم) ٣/ ١٩٧٨، «جمهرة اللغة» ١/ ١٣٨، «مقاييس اللغة» (ظلم) ٣/ ٤٦٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٦٤، «أمالي القالي» ٢/ ١٠١.

(١) انتهى كلام ابن السكيت ملخصًا من «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٩. ولم أجده في «إصلاح المنطق».

(٢) جزء من بيت، وصدره:

هُوَ الجَوَادُ الذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْواً وَيُظْلَمُ ....

ويروى (هذا الجواد)، (فيطلم) و(فيظلم) والبيت قاله زهير في مدح هرم بن سنان. ورد في «الكتاب» ٤/ ٤٦٨، «تهذيب اللغة» (ظلم) ١/ ٢٢٥٠، «الصحاح» (ظلم) ٥/ ١٩٧٧، «مقاييس اللغة» (ظلم) ٣/ ٤٦٩، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٩، «شرح المفصل» ١٠/ ٤٧، «شرح ديوان زهير» ص١٥٢.

(٣) في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٥٠ (ظلم): (وقال الأصمعي في قول زهير..).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٤.

(٥) (معنى قوله) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (أي من).

حقوقكما[١]، والظلم قد يكون بمعنى بخس الحق[٢]، قال الله تعالى: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣] أي: لم تنقص. ومنه يقال: ظلمه حقه، أي: نقصه[٣].

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤] أي: ما نقصونا شيئاً بما فعلوا ولكن نقصوا حظ أنفسهم[٥].

٣٦- وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ الآية. قال أبو علي الفارسي[٦]: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يحتمل تأويلين:

أحدهما: كسبهما الزلة[٧] وحملهما عليها.

والآخر: أن يكون (أزل) من (زلّ) الذي يراد به عثر[٨].

فالدلالة[٩] على الوجه الأول ما جاء في التنزيل من تزيينه لهما[١٠] تناوُلَ ما حظر عليهما جنسه، بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١١، و«الثعلبي» ١/ ٦٤ب، و«البيضاوي» ١/ ٢٢، و«النسفي» ١/ ٣٨.

(٢) (الحق) ساقط من (ب).

(٣) انظر: «التهذيب» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٨، «معاني القرآن» للفراء١/ ٣٩٧، «اللسان» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧.

(٤) سورة البقرة: ٥٧، سورة الأعراف: ١٦٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٣٩٧، «تهذيب اللغة» (ظلم) ٣/ ٢٢٤٨.

(٦) «الحجة» ٢/ ١٧.

(٧) أي كان سببًا لهما لكسب الخطيئة التي عاقبهما الله عليها، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٤.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» (زل) ٢/ ١٥٥٠، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٣،

(٩) في (ب): (بالدلالة).

(١٠) في (ب): (إنما).

[الأعراف: ٢٠] الآية. وقد نسب كسب الإنسان الزلة إلى الشيطان[١]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، و(استزلّ) و(أزلَّ) واحد، كقولهم: استجاب و أجاب، واستخلف لأهله وأخلف، فكما[٢] أن استزلهم من الزلة، والمعنى فيه كسبهم الزلة، وكذلك قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَنْهَا﴾ على هذا التأويل يكون بمعنى (عليها) والكناية تعود إلى (الزلة)[٤] وإن لم يجر لها ذكر، لأن المصدر والاسم يدل عليهما الفعل، فقوله: (أزلهما) يدل على: (الزلة) فكان معناه حملهما[٥] على الزلة، ويجوز أن يقع[٦] (عن) موقع (على) و(على) موقع (عن)[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٤، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٧، «العمدة في الغريب» لمكي ص٧٣، فإبليس سبب ارتكابهما الخطيئة التي عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة، والله هو خالق الإنسان وخالق فعله.

(٢) في (ب): (وكما).

(٣) انتهى ما نقله المؤلف من «الحجة» عن الوجه الأول، ويعود مرة أخرى ينقل منه الوجه الثاني، «الحجة» ٢/ ١٨.

(٤) ذكر جمهور المفسرين أن الكناية تعود على واحد من أمور: (١) الشجرة، (٢) الجنة، (٣) الطاعة، (٤) الحالة التي هما عليها، (٥) السماء، وهو بعيد، واقربها: إما للشجرة فتكون (عن) للسبب، أو للجنة وهذا متعين على قراءة حمزة (أزالهما)، انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٦ب، و«ابن عطية» ١/ ٢٥٤، «الكشاف» ١/ ٢٧٣، «زاد المسير» ١/ ٦٧، «البحر» ١/ ١٦٢، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٥، «الدر المصون» ١/ ٢٨٨.

(٥) في (ب): (حملها).

(٦) في (ب): (تقع).

(٧) انظر: «الأزهية في علم الحروف» ص٢٧٦، ٢٧٩، «حروف المعاني» ص٧٩.

قال ذو الإصبع:

لَاهِ ابن عَمِّكَ[١] مَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي[٢]

(عني) معنى (عليّ). [وقال آخر، فجعل (علي) بمعنى: (عني)][٣]:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيّ بَنُو قُشَيْرٍ
لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا[٤]

والوجه الآخر[٥]: أن يكون (أزلهما) من زل عن المكان إذا عثر ولم يثبت عليه، يقال: زلت قدمه زَلَلاً وزَلِيلًا، إذا لم تثبت[٦] قال لبيد:

---

(١) في (أ)، (ج): (عمتك).

(٢) لاه: أراد لله فحذف لام الجر ولام التعريف، يقول: لم بفضل علي في الحسب، ولا انت دياني: مالك أمري، فتخزوني: تقهرني. ورد البيت في «المفضليات» ص١٦٠، ١٦٢، «الخصائص» ٢/ ٢٨٨. «الأزهية» ص٢٧٩ «حروف المعاني» ص٧٩ «مجالس العلماء» للزجاجي ص٧١، و«شرح جمل الزجاجي» لابن عصفور ١/ ٤٨٣، «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٢، «الإنصاف» ص٣٣٥، «مغني اللبيب» ١/ ١٤٧، «الخزانة» ٧/ ١٧٣، «اللسان» (دين) ٣/ ١٤٦٩، (عنن) ٥/ ٣١٤٣، (لوه) ٧/ ٤١٠٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). والمثبت في (أ)، (ج)، وغير مستقيم والأولى أن يؤخر قوله: (فجعل (عليّ) بمعنى (عني) بعد البيت.

(٤) البيت لقُحَيف العُقَيْلِي، ورد في «النوادر» ص٤٨١، «الكامل» ٢/ ١٩٠، ٣/ ٩٨، «الخصائص» ٢/ ٣١١، ٣٨٩، «المخصص» ١٤/ ٦٥، ١٧/ ١٦٤، «الأزهية» ص٢٧٧، «الهمع» ٤/ ١٧٦، «اللسان» (رضى) ٣/ ١٦٦٣، «الخزانة» ١٠/ ١٣٢.

(٥) (الحجة) ٢/ ١٨.

(٦) قوله: ويقال: زلت قدمه..) وبيت لبيد ليس في «الحجة»، انظر: «تهذيب اللغة» (زل) ٢/ ١٥٥٠.

لَوْ يَقُومُ الفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَاسِي وَزَحَل[١]

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ فكما أن خروجه عن الموضع الذي كان فيه انتقال منه إلى غيره، كذلك عثاره فيه وزليله[٢].

وقرأ حمزة: (فأزالهما)[٣]. وحجته أن قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] أمر لهما بالثبات، وتأويله: (اثبتا) فثبتا، فأزالهما الشيطان، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه. وفي الآية على هذا التقدير إضمار، كقوله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي: فضرب فانفلق، ومثله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي: فحلق ففدية. ونُسب الفعل إلى الشيطان، لأن زوالهما عنها إنما كان بتزيينه وتسويله فلما كان ذلك منه بسبب، أسند الفعل إليه، كقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] لما كان الرمي بتقوية الله وإرادته وخلقه نسبه إلى نفسه. ومما يقوي هذه القراءة قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ وأخرجهما في المعنى قريب من (فأزالهما)[٤].

---

(١) وقوله: (أو فياله): هو صاحب الفيل الذي يسوسه، زحل: زل، يقول: لو يقوم الفيل أو صاحبه زل عن مكاني، قيل: هذا البيت مما عيب على لبيد، لظنه القوة الهائلة في صاحب الفيل، انظر: «ديوان لبيد» مع شرحه ص١٩٤.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٨.

(٣) «السبعة» لابن مجاهد ص١٥٤، «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٤، «النشر» ٢/ ٢١١، «البدور الزاهرة» ص٣٠.

(٤) في (ب): (فأزلهما). «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٥، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٩٤، «الكشف عن وجوه القراءات» لمكي ١/ ٢٣٦، «الحجة» لابن خالويه ص٧٤.

فإن قيل: على هذه القراءة يكون قوله: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ تكريرا[١]؟ قيل: إنه[٢] لا يكون تكريراً لا فائدة فيه، ألا ترىٰ أنه يجوز أن يزيلهما عن مواضعهما ولا يخرجهما مما كانا فيه من الرغد والرفاهية، وإذا كان كذلك لم يكن تكريرا غير مفيد، على أن التكرير في مثل هذا الموضع لتفخيم القصة ليس بمكروه بل هو مستحب، كقول القائل: أزلت نعمته وأخرجته من ملكه، غلظت عقوبته[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾. أي: من الطاعة إلى المعصية. وقيل: من الرتبة والمنزلة[٤]. وقيل: من الرفاهية ولين العيش[٥].

واختلفوا في كيفية وسوسة إبليس ووصوله[٦] إلى آدم: فقال الأكثرون ومنهم ابن عباس ووهب: إن الحية أدخلت إبليس الجنة[٧] حتى قال لآدم ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] فأبى أن يقبل منه، فقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فاغترّا[٨] وما كانا يظنان أنّ أحداً

---

(١) أورد هذا السؤال والإجابة عنه أبوعلي في «الحجة»، ونقله الواحدي هنا بنصه، وممن قال إن فيها تكريرا الطبري في «تفسيره»، حيث احتج بذلك على ترجيح قراءة عامة القراء، «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٥.

(٢) في (ب): (لأنه).

(٣) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦.

(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٦، والقرطبي ١/ ٢٦٦.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٩، و«أبي الليث» ١/ ١١١، و«ابن عطية» ١/ ٢٥٦، «البغوي» ١/ ٨٣، «ابن كثير» ١/ ٨٥، ويمكن حمل الآية على القولين الأخيرين.

(٦) الواو ساقطة من (ب)

(٧) في (ب): (إلى الجنة).

(٨) في (ب)، (ج): (فاغتروا).

يحلف بالله كاذبًا، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها(١).

وقال الحسن: إنما رآهما على باب الجنة لأنها كان يخرجان من الجنة(٢).

---

(١) هذا لفظ رواية ابن عباس، وبمعناه رواية وهب وقد أخرجهما الطبري ١/ ٢٤٠، ذكر رواية ابن عباس: الليث في «تفسيره» ١/ ١١١، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٥أ، و«البغوي» ١/ ٨٣، و«ابن عطية» ١/ ٢٥٦، و«القرطبي» ١/ ٢٦٦.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٦٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٦٧. وهناك قول ثالث: أنه دخل الجنة في صورة حية، وهذا يرجع لأصول القول الأول، وقول رابع ذكره ابن جرير الطبري عن ابن إسحاق وهو: أنه وصل إليهما بطرق الوسوسة، وأنه يخلص إلى ابن آدم في حال نومه ويقظته، ويدعوه إلى المعصية، ويوقع في نفسه الشهوة، وأيد قوله بما ورد عن النبي صلى الله عيه وسلم: أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». كذا ذكر الطبري عن ابن إسحاق، ثم رد قوله ورجح أن الشيطان كلم آدم مشافهة لا وسوسة كما قال: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ثم قال: (فالقول في ذلك أنه وصل إلى خطابهما على ما أخبر الله جل ثناؤه، وممكن أن يكون وصل على ذلك بنحو الذي قاله المتأولون بل ذلك إن شاء الله كذلك، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك)، «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٠، قال ابن عطية ١/ ٢٥٦: القول: أنه أغواهما مشافهة قول جمهور العلماء، ومثله قال القرطبي ١/ ٢٦٦.

وإذا نظرنا إلى حال الروايات في كيفية دخول إبليس الجنة وقصة الحية مع إبليس وجدناها أخبارًا إسرائيلية كما قال ذلك ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٥، وقال «الرازي» بعد ذكره للقول الأول: واعلم أن هذا وأمثاله مما يجب أن لا يلتفت إليه. الرازي ٣/ ١٥، قلت: الله ﷻ أخبرنا أن إبليس أزل آدم وكان سببًا في إخراجه من الجنة كما قال ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾. وكيف حصل ذلك، هل بالمشافهة وما طريق المشافهة، أو بالوسوسة؟ كل هذا من علم الغيب الذي لا يثبت إلا بالخبر عن الله سبحانه، أو رسوله، ولا خبر في ذلك يعتمد عليه، ولا ينبني على العلم به كبير فائدة فلا داعي للانشغال بمثله.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. (الهبوط) النزول من علو إلى سفل، وهو ضد الصعود[١]، وهو خطاب لآدم، وحواء، والحية، وإبليس[٢] على قول من يقول: إن إبليس أدخلته الحية الجنة[٣].

وقال أبو إسحاق: كان إبليس أهبط أولاً، لأنه قال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤] وأهبط آدم وحواء بعد ذلك، فجمع الخبر للنبي- عليه [الصلاة][٤] والسلام لأنهم اجتمعوا في الهبوط وإن اختلف بهم الوقت[٥].

وقال ابن الأنباري: مذهب الفراء أن ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ خطاب لآدم وحواء وذريتهما لأن الأب يدل على الذرية إذ كانوا منه[٦].

وقيل: إنه خطاب لآم وحواء. والعرب تخاطب الاثنين بالجمع، لأن التثنية أول الجمع، ومثله من التنزيل قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يريد حكم داود وسليمان، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (هبط) ٤/ ٢٧٠٦، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٧، و«القرطبي» ١/ ٢٧٢، «زاد المسير» ١/ ٦٨.

(٢) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وأبي صالح، والسدي، ومجاهد، انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٠، «تفسير وابن أبي حاتم» من طريق السدي عن ابن عباس ١/ ٨٨-٨٩، وذكره أبو الليث في «تفسيره» ١/ ١١٢، و«الثعلبي» ١/ ٦١أ، و«ابن عطية» عن السدي ١/ ٢٥٧، وانظر: «التعريف والإعلام» للسهيلي ص١٩، «غرر التبيان» ص٢٠١، و«زاد المسير» ١/ ٦٨.

(٣) وهي روايات إسرائيلية كما قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٥، انظر ما سبق.

(٤) (الصلاة): ساقط من جميع النسخ.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ص٤٨.

(٦) «معاني القرآن» للفراء: (قوله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فإنه خاطب آدم وامرأته، ويقال أيضًا: آدم وإبليس، وقال (اهبطوا) يعنيه ويعني ذريته فكأنه خاطبهم)١/ ٣١.

[النساء: ١١] أراد أخوين[(١)].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. بعض الشيء طائفة منه[(٢)].

وأنكر الأصمعي وأبو حاتم إدخال (الألف واللام) في بعض وكل وقالا: إنهما معرفتان بغير الألف واللام، [والعرب لا تدخل فيهما الألف واللام][(٣)]، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧][(٤)].

والنحويون مجمعون على جواز إدخال الألف واللام عليهما[(٥)].

وسنذكر ما قيل في (بعض) عند قوله ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] إن شاء الله.

و(العدو) اسم جامع للواحد والجميع وللذكر والأنثى، إذا جعلته في مذهب الاسم والمصدر فإن جعلته نعتاً محضاً ثنيت وجمعت وأنثت[(٦)].

---

(١) ذكر قول ابن الأنباري ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٦٨.

(٢) انظر «تهذيب اللغة» (بعض) ١/ ٣٥٩، «اللسان» (بعض) ١/ ٣١٢.

(٣) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) انظر كلام الأصمعي وأبي حاتم في «تهذيب اللغة» وقال أبو حاتم: ولا تقول العرب (الكل ولا البعض) وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتبهما لقلة علمهما بهذا النحو فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب «التهذيب» (بعض) ١/ ٤٩١، و«اللسان» (بعض) ٧/ ١١٩.

(٥) ورد في «اللسان» بعد كلام أبي حاتم منسوباً للأزهري، ولم أجده في «تهذيب اللغة»، ولعله سقط من المطبوع، وفي «اللسان» عن ابن سيده: (استعمل الزجاجي بعضًا بالألف واللام)، «اللسان» (بعض) ١/ ٣١٢.

(٦) في «التهذيب»: (وقال أبو عمر: .. و(العداوة) اسم عام من (العدو) يقال: عدو بيِّن العداوة وهو عدو، وهما عدو، وهن عدو، وهذا إذا جعلته في مذهب الاسم والمصدر. فإذا جعلته نعتا محضا قلت: هو عدوك، وهي عدوتك، وهم أعداؤك، وهن عدواتك، «تهذيب اللغة» (عدا) ٣/ ٢٣٤٧.

ومنه قول عمر لنساء النبي صلى الله عيه وسلم: (أي عدوات أنفسهن)[١].

قال المفسرون: وأراد بهذه العداوة التي بين آدم وحواء والحية، وبين ذرية آدم من المؤمنين وبين إبليس، فإبليس عدو المؤمنين من ولد آدم، وعداوته لهم كفر، والمؤمنون[٢] أعداء إبليس، وعداوتهم له إيمان[٣].

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[٤] سئل عن قتل الحيات، فقال: «**خلقتهن[٥] والإنسان كل واحد منهما عدو لصاحبه، إن رآها أفزعته، وإن لدغته أوجعته فاقتلها حيث وجدتها**»[٦].

---

(١) قطعة من حديث طويل في قصة دخول عمر على رسول الله صلى الله عيه وسلم وعنده نساء من قريش، وفيه: (أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ أخرجه البخاري عن سعد بن أبي وقاص (٣٢٩٤) كتاب (بدء الخلق) باب (صفة إبليس وجنوده)، وفي (٣٦٨٣) كتاب (فضائل الصحابة) باب (مناقب عمر)، وفي (٦٠٨٥) كتاب (الأدب) باب (التبسم والضحك)، ومسلم (٢٣٨٩) كتاب (الفضائل) باب: (فضائل عمر) «شرح النووي»، وأحمد في «المسند» ١/ ١٨٢.

(٢) في (أ)، (ج): (المؤمنين) وأثبت ما في (ب) لأنه هو الصواب.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٤، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٣٥.

(٤) (أنه) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (خلقت هي والإنسان)، وهذا يوافق ما في الطبري، ومجمع الزوائد كما سيأتي. وهو الصواب.

(٦) أخرجه الطبري بسنده في «تفسيره» ١/ ٥٣٨، وهو في «مجمع الزوائد» ولفظه: (خلقت هي والإنسان سواء فإن رأته أفزعته..) الحديث بمثل رواية الطبري قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه (جابر) غير مسمى، والظاهر أنه الجعفي، وثقة الثوري وشعبة، وضعفه الأئمة أحمد وغيره، ٤/ ٤٥ و(جابر) من رجال الطبري كذلك، وذكر الحديث السيوطي في «الدر» وعزاه إلى الطبري في «تفسيره» ١/ ١٠٨.

وروى ابن عجلان عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ما سالمناهن**[١] **منذ حاربناهن، فمن ترك شيئا منهن خيفةً فليس منا**»[٢] وأراد النبي صلى الله عيه وسلم بالمحاربة قصة آدم وإدخالها إبليس الجنة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾. موضع قرار أحياءً وأمواتاً[٤].

---

(١) (هن) ساقطة من (ب).

(٢) أخرجه الطبري بسنده، قال شاكر: (إسناده جيد والحديث مروي بأسانيد أخر صحاح)، «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٧، وأخرجه أبو داود (٥٢٤٨) كتاب (الأدب) باب (في قتل الحيات) عن أبي هريرة، وأخرج نحوه عن ابن مسعود (٥٢٤٩) وابن عباس «سنن أبي داود» معه «معالم السنن» (٥٢٥٠)، وأخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ٢٤٧، ٤٣٢، ٥٢٠، وأخرجه نحوه عن ابن عباس ١/ ٣٢٠، وقد حكم شاكر على أسانيد أبي داود وأحمد بأنها صحيحة كما في تحقيقه على الطبري.

(٣) قال الطبري: (وأحسب أن الحرب التي بيننا، كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم، في إدخالها إبليس الجنة) ١/ ٢٤٠-٢٤١، قال العظيم آبادي شارح سنن أبي داود: (منذ حاربناهن) أي منذ وقع بيننا وبينهن الحرب، فإن المحاربة والمعاداة بين الحية والإنسان جبلية، لأن كلا منهما مجبول على طلب قتل الآخر، وقيل: أراد العداوة التي بينها وبين آدم ﷺ على ما يقال: إن إبليس قصد دخول الجنة فمنعت الخزنة فأدخلته الحية في فيها...) عون المعبود ١٤/ ١٠٩. وفي هامش سنن أبي داود قال يحيى بن أيوب: سئل أحمد بن صالح عن تفسير قوله: (ما سالمنا هن منذ حاربناهن) متى كانت العداوة؟ قال: حين أخرج آدم من الجنة، قال الله: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣]، قال هم قالوا: آدم وحواء، وإبليس والحية، قال: والذي صح: أنهم الثلاثة فقط، بإسقاط الحية، سنن أبي داود «معه معالم السنن» ٥/ ٤١٠.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤١، و«ابن عطية» ١/ ٢٥٨.

(ومتاع) المتاع: ما تمتعت به، أي شيء كان، فكل ما حصل التمتع به فهو متاع من زينة أو لذة أو عمر أو مال[(١)].

ومعنى التمتع: التلذذ[(٢)]، والمتعة أيضا من[(٣)] المتاع، وجمعها مُتَع[(٤)].

قال الأعشى:

حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحهَا   زَوَالُ نَبْهَانَ يَبْغِي أَهْلَهُ مُتَعَا[(٥)]

أي يبغيهم صيداً يتمتعون به، ويأتي الكلام في متعة المطلقة[(٦)] ومتعة الحج[(٧)] مستقصى إن شاء الله.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٢، و«ابن عطية» ١/ ٢٥٨.

(٢) قال ابن فارس (الميم والتاء والعين) أصل صحيح يدل على منفعة وامتداد مدة في خير.... وذهب من أهل التحقيق بعضهم إلى أن الأصل في الباب (التلذذ)... وذهب منهم آخر إلى أن الأصل الامتداد والارتفاع... (معجم مقاييس اللغة) (متع) ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) في (ب): (مثل).

(٤) قال الليث: ومنهم من يقول: متعة، وجمعها (متع)، «تهذيب اللغة» (متع) ٤/ ٣٣٣٧.

(٥) البيت للأعشى يصف صائدًا، ويروى (ذؤال) و(من آل) و(ذوآل) بدل (زوال) وفي جميع النسخ (زوال) ولعلها تصحيف، ويروى (صحبه) بدل (أهله) وهوله: ذر قرن الشمس: أول ما يشرق منها، وذؤال: ذأل: أسرع ومشى في خفة، والذؤال: الصائد، متعا: جمع متعة: يعني يطلب لهم زادا وطعاما، وورد البيت في «تهذيب اللغة» (متع) ٤/ ٣٣٣٧، «اللسان» (متع) ٧/ ٤١٢٩، (ديوان الأعشى) ص١٠٨.

(٦) عند قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٣٦].

(٧) عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ الآية [البقرة: ١٩٦].

قال المفسرون: قلنا[١] في الأرض متاع من حيث الاستقرار عليها، والاغتذاء بما تنبتها[٢] من الثمار والأقوات[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾. (الحين) وقت من الزمان، يصلح للأوقات كلها طالت أو قصرت[٤]، ويجمع على (الأحيان) ثم يجمع (الأحيان) أحايين[٥].

قال الليث: وَحَيَّنْتَ الشيء، جعلته له حِينًا[٦]. والمراد بالحين هاهنا فيما ذكره أهل التفسير: (حين الموت)[٧].وقيل: إلى قيام الساعة[٨].

وإنما قال[٩]: (إلى حين) إشارة إلى أن الدنيا دار زوال[١٠].

---

(١) كذا في جميع النسخ، وفي «الوسيط» (فلنا) بالفاء ١/ ٨٦، وهذا أولى.

(٢) في (ج): (ينبتها).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٢.

(٤) ذكره الأزهري عن الزجاج، «تهذيب اللغة» (حين) ١/ ٧١٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٤، «اللسان» (حين) ٢/ ١٠٧٣.

(٥) ذكره الازهري عن الليث، «تهذيب اللغة» ١/ ٧١٤، انظر: «اللسان» (حين) ٢/ ١٠٧٤.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) ذكره ابن جرير في «تفسيره» عن ابن عباس والسدي ١/ ٢٤٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٥أ، وأبو الليث في «تفسيره» ١/ ١١٢، والزجاج في «المعاني» ١/ ٨٤، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٥٩.

(٨) ذكره ابن جرير في «تفسيره» عن مجاهد ١/ ٢٤٢، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٨٤، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٥٩.

(٩) في (ب): (قيل).

(١٠) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٥٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٧٥.

٣٧- قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية. (التلقي) في اللغة معناه: الاستقبال، [منه الحديث: (أنه نهى عن تلقي الركبان[(١)] قالوا: معناه: الاستقبال[(٢)]].

والليث يقول: خرجنا نتلقى الحاج، أي نستقبلهم[(٣)]. وفي حديث آخر «لا تلقوا الركبان والأجلاب»[(٤)]. وهذا معنى التلقي في اللغة[(٥)]، وأصله

(١) حديث النهي عن تلقي الركبان، أخرجه البخاري عن أبي هريرة رقم (٢١٥٠) كتاب (البيوع) باب (النهي للبائع أن لا يحفل الإبل والبقر والغنم..). وأخرج البخاري عن ابن عباس رقم (٢١٥٨) باب (هل يبيع حاضر لباد)، وعن أبي هريرة رقم (٢١٦٢) باب (النهي عن تلقي الركبان، وعن ابن عباس (٢٢٧٤) كتاب (الإجارة) باب (أجر السمسرة)، وأخرجه مسلم عن ابن عباس (١٥٢١) كتاب (البيوع) باب: (تحريم بيع الحاضر للباد). وأخرجه أحمد في مسنده» ١/ ٣٦٨، ٢/ ٤٢. وأخرجه النسائي في كتاب (البيوع) ٧/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج) وأثبته من (ب).

(٣) في (أ): (يستقبلهم)، وما في (ب)، (ج) أصح. والكلام لم أجده منسوبًا لليث، انظر: «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩١، و(العين) (لقو) ٥/ ٢١٢و(لقى) ٥/ ٢١٥، «اللسان» (لقا) ٧/ ٤٠٦٧.

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» بسنده، «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩١، وسبق تخريج حديث النهي عن تلقي الركبان. وأخرج مسلم عن أبي هريرة: (أنه نهى أن يتلقى الجلب) رقم (١٥١٩) كتاب (البيوع) باب: (تحريم تلقي الجلب). وأخرجه النسائي في كتاب (البيوع) ٧/ ٢٥٧، واخرجه أبو داود رقم (٣٤٣٧) (البيوع) باب (التلقي). وأخرجه الدارمي (البيوع) ٣/ ١٦٧١ (٢٦٠٨). وأخرجه أحمد في «المسند» بلفظ (الأجلاب) ٢/ ٢٨٤، ٤١٠. وأخرجه ابن ماجه في (البيوع) رقم (٢١٧٨) باب: النهي عن تلقي الجلب.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩١، «الصحاح» (لقي) ٦/ ٢٤٨٤، «اللسان» (لقا) ٧/ ٤٠٦٦.

أنه (تَفَعُّل)(١) من اللقاء، فالتلقي معناه: التعرض للقاء الشيء، ولما كان الاستقبال للشيء تعرض للقائه قيل له: (تلقٍّ)(٢).

ويقال لَقَّيْتُه الشيء فَتَلَقَّى، أي عرضته لأن يراه فتعرض له، فَلَقَّيْتُه من (لقى) مثل: رَأَّيْتُه من (يري)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فصلت: ٣٥] ثم صار التلقي بمعنى الأخذ، لأن الإنسان إنما يستقبل ما يحرص عليه، فكل كلام استقبلته فأنت مريد أخذه، وإلا أعرضت عنه(٣). وجميع أهل اللغة والمعاني فسروا (التلقي) هاهنا بالأخذ والقبول(٤)، ومنه الحديث: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي من جبريل)(٥) أي يتقبله ويأخذه(٦).

---

(١) في (أ)، (ج): (يفعل).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٣) (عنه) ساقطة من (ب).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (لقي) ٤/ ٣٢٩١، والطبري في «تفسيره» ١/ ٢٤٢-٢٤٣، (تفسير أبي الليث) ١/ ١١٢، «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٣٨، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٦٠. ومنهم من فسر تلقي آدم للكلمات: بأنه تعلمها ودعا بها، انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٥، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٩١.

(٥) بهذا النص ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١/ ٣٨. وبهذا المعنى أخرج أحمد في «مسنده» بسنده عن ابن عباس: أن أبيا قال لعمر يا أمير المؤمنين إني تلقيت القرآن ممن تلقاه، وقال عفان: ممن يتلقاه من جبريل عليه السلام وهو رطب، «المسند» ٥/ ١١٧، وعفان أحد رواة الحديث والأحاديث بمعناه في البخاري رقم (٥٠٤٤) كتاب (فضائل القرآن) باب (الترتيل في القراءة)، ونحوه في مسلم رقم (٤٤٨) كتاب الصلاة، باب: الاستماع للقراءة.

(٦) «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٣٨.

الأصمعي: تلقت الرحم ماء الفحل، إذا قبلته وارْتَجَّت عليه[١].

فمعنى قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أي: أخذها عنه وتلقنها[٢]. والرجل يُلَقَّى الكلام فيتلقاه، أي يُلَقَّنه فيَتَلقَّنه[٣].

وبعض الناس يقولون: تلقى هاهنا: تلقن فجعل النون (ياء) كما قالوا تَظَنَّى من الظن[٤]، وذلك غلط لأن النون إنما يجوز إبدالها بالياء إذا اجتمع نونان، وكذلك هذا الباب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جاز إبدال الثاني بالياء. كقول العجاج:

تَقَضِّي البَازِي إِذَا[٥] البَازِي كَسَره[٦]

بمعنى تقضض، فأما إذا لم يجتمع[٧] حرفان، فلا يجوز الإبدال، لا يجوز أن تقول: تقبى بمعنى تقبل، وهذا ظاهر[٨]. وتفسير التلقي[٩] بالتلقن

---

(١) «تهذيب اللغة» (لقي) ٤/ ٣٢٩١، «اللسان» (لقا) ٧/ ٤٠٦٦.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٢-٢٤٣، «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٣٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٠، «تهذيب اللغة» (لقى) ٤/ ٣٢٩١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (لقي) ٤/ ٣٢٩١، «اللسان» (لقا) ٧/ ٤٠٦٦.

(٤) في «تفسير القرطبي»: (تظني من تطنن) ١/ ٢٧٦، وكذا في «البحر» ١/ ١٦٥.

(٥) (إذا البازى) ساقط من (ب).

(٦) من أرجوزة يمدح فيها عمر بن عبيد الله بن معمر، يقول: انقض انقاض البَازِي ضم جناحيه، فهو في سرعته سرعة انقاض البَازي إذا كسر، أي ضم جناحيه، وهذا أسرع ما يكون في انقضاضه، ورد البيت في «الخصائص» ٢/ ٩٠، «همع الهوامع» ٥/ ٣٤٠، «اللسان» (قضض) ٦/ ٣٦٦١، «المشوف المعلم» ٢ / ٦٤٦، «ديوان العجاج» ص٢٨.

(٧) في (أ)، (ج): (تجتمع) والصحيح بالياء.

(٨) انظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٢٧٦، «البحر» ١/ ١٦٥، «الدر المصون» ١/ ٢٩٥.

(٩) في (ب): (الثاني).

جائز صحيح[١] كما بينا، فأما أن يكون التلقي من لفظ التلقن فلا.
و(الكلمات): جمع الكلمة، والكلمة تقع على الكثير والقليل، وتقع على الحرف الواحد من الهجاء.

قال ابن الأعرابي: يقال: لفلان كلمة شاعرة، أي: قصيدة، وقالوا[٢]: قال امرؤ القيس في كلمته أي: قصيدته، وقال قس[٣] في قصدته، يعنون خطبته[٤].

وتجمع (الكلمة)، (كَلِمًا)[٥]، قال رؤبة[٦]:

لَا يَسْمَعُ[٧] الرَّكْبُ بها رَجْعَ الكِلَم[٨]

وتميم تقول: (كِلْمَة)، وفي الجمع (كِلَم).

وأما استعمال الكلمة في القليل فإن سيبويه [قد أوقعها على الاسم المفرد، والفعل المفرد، والحرف المفرد، فأما الكلام فإن سيبويه][٩]

---

(١) (صحيح) ساقط من (ب).

(٢) (قالوا) ساقط من (ب).

(٣) هو قس بن ساعدة بن جدامة بن زفر الإيادي، الخطيب البليغ، سمع النبي ﷺ حكمته، ومات قبل البعثة، انظر ترجمته في «الإصابة» ٣/ ٢٧٩، «الخزانة» ٢/ ٨٩.

(٤) عن «الحجة» لأبي علي بتصرف ٢/ ٣١، وانظر: «تهذيب اللغة» (كلم) ٤/ ٣١٨٠.

(٥) في (ب): (كما). قال الجوهري (الكلم لا يكون أقل من ثلاث من كلمات، لأنه جمع كلمة، «الصحاح» (كلم) ٥/ ٢٠٤٣.

(٦) مكان البيت بعد قوله: (تميم تقول: (كِلْمَة) وفي الجمع (كِلَمُ) لأنه شاهد على هذه اللغة. انظر: «تهذيب اللغة» (كلم) ٤/ ٣١٨٠، «اللسان» (كلم) ٧/ ٣٩٢٢.

(٧) في (أ)، (ج): (تسمع)، وفي (ب) غير منقوط وضبطته مثل «التهذيب» وغيره.

(٨) ورد البيت في ملحق ديوان رؤبة مع الأبيات المنسوبة له وليست في «ديوانه» ص١٨٢، وفي «تهذيب اللغة» (هنم) ٤/ ٣٨٠٧، و(كلم) ٤/ ٣١٨٠، وفي «اللسان» (كلم) ٧/ ٣٩٢٢.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

استعمله فيما كان مؤلفًا من هذه الكَلِم[١]، فالحرف الواحد لا يكون كلامًا، ولهذا لا يقطع[٢] الحرف الواحد الصلاة.

واختلف القراء في هذه الآية، فقرأ ابن كثير (آدم) بالنصب، (كلمات) بالرفع[٣]، وحجته في ذلك: أن الأفعال المتعدية إلى المفعول به على ثلاثة أضرب، منها: ما يجوز أن يكون الفاعل له مفعولا به، ويجوز أن يكون المفعول به فاعلا له[٤] نحو اكْرَمَ بِشْرٌ بكرا، وشتم زيد عمرًا، وضرب عبد الله زيدًا.

ومنها: ما لا يكون [فيه][٥] المفعول فاعلًا له، نحو: دققت الثوب، وأكلت الخبز.

ومنها: ما يكون إسناده إلى الفاعل في المعنى كإسناده إلى المفعول به، [وذلك][٦] نحو: أَصَبْتُ[٧] وَنِلْت و تَلَقَّيْتُ، تقول: نالني خير[٨] ونلت خيراً، وأصابني خير وأصبت خيراً. قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٢، وانظر «الصحاح» (كلم) ٥/ ٢٠٢٣.

(٢) (لا) ساقطة من (ب).

(٣) قرأ ابن كثير وحده بنصب (آدم) ورفع (كلمات) وبقية العشرة برفع (آدم) ونصب (كلمات)، انظر: «السبعة» لابن مجاهد ص١٥٤، «التبصرة» ص٢٥٠، «النشر» ٢/ ٢١١، «الإقناع» لابن الباذش ٢/ ٥٩٧، «البدور الزاهرة» ص٣٠.

(٤) في «الحجة»: (منها ما يجوز فيه أن يكون الفاعل له مفعولًا به، ومنها ما يجوز أن يكون المفعول به فاعلًا له)، ٢/ ٤٠، وما عند الواحدي هو صحيح.

(٥) (فيه) ساقطة من (ب)، (ج)، وثابت في (أ)، «الحجة» ١/ ٤٠.

(٦) (وذلك) ساقط من (ب)

(٧) في (ب): (أصب).

(٨) في (ب): (خيرًا) في كل المواضع الأربعة بالنصب.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وفي قراءة عبد الله[(١)] ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(٢)].

وتقول: لقيت زيدا، وتلقاني وتلقيته، قال:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الفُحْشِ والْخَنَا
أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ[(٣)]

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾[(٤)] [آل عمران: ٤٠] وقال: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] وإذا كانت معاني هذه الأفعال على ما ذكرنا[(٥)]، فنصب ابن كثير (آدم) ورفعه (الكلمات) في المعنى[(٦)] كقول من رفع (آدم) ونصب الكلمات[(٧)]، وحجة من رفع (آدم) ونصب

---

(١) ذكر قراءة ابن مسعود الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٢. والفراء في «المعاني» ١/ ٢٨. وانظر: «الكشاف» ١/ ٣٠٩. «البحر» ١/ ٣٧٧.

(٢) الاستشهاد بهذه القراءة ورد في «الحجة» في غير هذا الموضوع فنقله الواحدي بين هذه الأمثلة. انظر: «الحجة» ٢/ ٤١، ٤٢.

(٣) البيت ينسب لزهير، وينسب لابنه كعب كذا قال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ص٧٧. وورد البيت في «الحجة» ٢/ ٤١. «المخصص» ١٥/ ١٦١. وفي «ديوان زهير بن أبي سلمى» وراوية: (إذا أنت لم تقصر عن الجهل.) من قصيدة في سنان ابن أبي حارثة المُرِّي، «ديوان زهير» مع شرحه ص٣٠٠، وورد في «ديوان كعب بن زهير مع قصائد لكعب لم تذكر في ديوانه» ص٢٥٧ .

(٤) في (أ): (قد) سقطت الواو من الآية، وكذا من الآية التي تليها.

(٥) من أن بعض الأفعال المتعدية إسنادها إلى الفاعل في المعنى كإسنادها إلى المفعول به.

(٦) أي أن قراء ة ابن كثير في المعنى كقراءة الجمهور.

(٧) بنصه من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٠، ٤١، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٩٤، «الحجة» لابن خالويه ص٧٥. أما مكي فقال في توجيه قراءة ابن كثير: (علَّه من نصب (آدم) ورفع (الكلمات) أنه جعل (الكلمات) استنقذت (آدم) بتوفيق الله له لقوله إياها الدعاء بها فتاب الله عليه.. فهي الفاعلة وهو المُسْتَنْقَذ بها..)، «الكشف» ١/ ٢٣٧.

(الكلمات)[١] قوله[٢]: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] فأسند الفعل إلى المخاطبين، والمفعول به كلام يُتلَقّى[٣]، كما أن الذي تَلَقَّى آدم كلام يتلقىٰ، فكما أسند الفعل إلىٰ المخاطبين، فجعل التلقي لهم، كذلك يلزم أن يسند الفعل إلى آدم، فيجعل التلقي له[٤] دون الكلمات[٥].

ومعنى التلقي للكلمات هو أن الله تعالى ألهم[٦] آدم حتى اعترف بذنبه، وقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية [الأعراف: ٢٣]، فهذه الآية هي المعنية بالكلمات في قول الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد[٧]، وأخذ آدم

(١) وهي قراءة العشرة عدا ابن كثير كما سبق.

(٢) في «الحجة»: (ومن حجة من رفع أن عليه الأكثر، ومما يشهد للرفع قوله..) ٢/ ٤١.

(٣) في (ج): (تلقى).

(٤) (له) ساقط من (ج).

(٥) (الحجة) لأبي علي ٢/ ٤١، ٤٢، وقال مكي: وعلة من قرأ برفع (آدم) ونصب (الكلمات) أنه جعل (آدم) هو الذي تلقى الكلمات، لأنه هو قبلها ودعا بها، وعمل بها، فتاب الله عليه، فهو الفاعل لقبول الكلمات...) «الكشف» ١/ ٢٣٧، وانظر «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٩٥، «الحجة» لابن خالويه ص٧٥.

(٦) وكذا قال أبو الليث في «تفسيره» ١/ ١١٢، وقال ابن قتيبة: كأن الله أوحى إليه أن يستغفره ويستقبله بكلام من عنده، «غريب القرآن» ص٣٨، وقال ابن جرير: (... كأنه استقبله، فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه وأخبره..)، «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٢-٢٤٣، فهو وحي، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٠-٢٦١، و«زاد المسير» ١/ ٦٩.

(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» عن مجاهد وقتادة وابن زيد والحسن وأبي العالية ١/ ٢٤٣-٢٤٤، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخرساني، والربيع ١/ ٩٠-٩١، وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» بسنده عن ابن عباس قال: وكذلك قال مجاهد والحسن ١/ ٦٦ أ، وانظر: «زاد المسير» ١/ ٦٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٦-٨٧. ورجح ابن جرير هذا القول، قال: (والذي يدل عليه كتاب الله أن=

من الله إلهامه إياه، حتى أخذ بإلهامه.

وقال ابن عباس: الكلمات هي: أن آدم قال: يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك لي غضبك؟ قال: بلى، قال ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: فلم أخرجتني منها؟ قال: بشؤم معصيتك، قال يا رب أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم قال: فهو الكلمات(١).

قال أبو إسحاق: وفي الآية تعريف للمذنب، كيف السبيل إلى التنصل من الذنوب، وأنه لا ينفع إلا الاعتراف(٢).

= الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلا بقيلها إلى ربه، معترفا بذنبه، وهو قوله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وليس ما قاله من خالف قولنا هذا - من الأقوال التي حكيناها - بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم..) «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٤.

(١) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بنحوه من عدة طرق، وأخرج نحوه عن أبي العالية والسدي في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» عن ابن عباس نحوه، قال المحقق: في سنده ضعف وانقطاع ١/ ٣١١، وأخرج الحاكم في «مستدركه» عن ابن عباس نحوه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، «المستدرك» ٢/ ٥٤٥، وذكر الثعلبي ١/ ٦٥ب، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، وفي الهامش قال المحقق: (سنده حسن من أجل الحسن بن عطية.. وهذا الأثر كغيره من الآثار المتلقاة عن أهل الكتاب التي لا يجوز الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله) ١/ ١٤٩. ذكر الواحدي أشهر الأقوال في المراد بالكلمات، وفيها أقوال أخرى، انظر: «تفسير ابن جرير» ١/ ٢٤٣-٢٤٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٩٠-٩١، و«الثعلبي» ١/ ٦٥ب، و«ابن عطية» ١/ ٢٦١، «زاد المسير» ١/ ٦٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٧، و«الرازي» ٣/ ١٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٥.

وسئل بعض السلف عما يقوله المذنب، فقال: يقول ما قال أبوه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وما قاله[١] موسى: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦] وما قاله[٢] يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣] [الأنبياء: ٨٧] وما قالته الملكة: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٤٤][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. معنى التوبة في اللغة: الرجوع. وفي الشريعة: رجوع العبد من المعصية إلى الطاعة[٥]، فالعبد يتوب إلى الله والله يتوب عليه، أي يرجع عليه[٦] بالمغفرة، [والعبد تواب إلى الله أي راجع إليه بالندم، والله تواب يعود عليه بالكرم][٧] والعبد تواب إلى الله بالسؤال، والله تواب عليه بالنوال[٨].

فمعنى قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي عاد عليه بالمغفرة[٩]، ولا يحتاج إلى

---

(١) في (ب): (وما قال).

(٢) في (ج): (وما قال).

(٣) قوله (لا إله إلا أنت) ساقط من (ب).

(٤) الأثر أورده أبو حيان في البحر ١/ ١٦٥.

(٥) التوبة في الشرع: ترك الذنب، والندم على ما فات، والعزيمة على عدم العودة إليه، وتدارك ما أمكنه من عمل الصالحات، فهذه أركان التوبة وشرائطها، (مفردات الراغب) ص٧٦، وانظر: «شرح أسماء الله» للزجاج ص٦١، «تهذيب اللغة» (تاب) ١/ ٤١٦-٤١٧، «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٦، و«ابن عطية» ١/ ٢٦١-٢٦٢، و«القرطبي» ١/ ٢٧٧-٢٧٨، «زاد المسير» ١/ ٧٠، «البحر» ١/ ١٦٦.

(٦) في (ب): (إليه).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) ذكر الأزهري نحوه عن الليث، «تهذيب اللغة» (تاب) ١/ ٤١٦-٤١٧.

(٩) (تاب عليه) أي وفقه للتوبة وقبلها منه، وعاد عليه بالمغفرة، انظر: «تفسير الطبري»=

ذكر المغفرة، لأن هذا اللفظ وضع لرجوع العبد إلى الله بالطاعة والندم ورجوع الله عليه بالعفو والمغفرة، وكما لا يحتاج[(١)] إذا قلت: تاب الله عليه، أن تقول بالندم أو بالطاعة، فكذلك لا تحتاج في قولك: (تاب الله عليه) إلى شيء آخر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٣)]. أي يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه.

٣٨- وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الآية. إعادة الأمر بالهبوط يحتمل وجهين، أحدهما: أنه أراد بالأول هبوطاً من الجنة إلى السماء. وبالثاني هبوطًا من السماء إلى الأرض[(٤)]، والثاني: أنه كرر للتأكيد[(٥)].

= ١/ ٢٤٦، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٢، «زاد المسير» ١/ ٧٠، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٨٧.

(١) في (ب): (يحتاج) في الموضعين.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» ١/ ٢٢، و«النسفي» و«الرازي» ٣/ ٢٢.

(٣) (إنه) ساقط من (ب).

(٤) ذكره ابن عطية عن النقاش في «تفسيره» ١/ ٢٦٢-٢٦٣، و«القرطبي» ١/ ٢٧٩، «البحر» ١/ ١٦٧، وضعف أبو حيان هذا الوجه: لأن الله قال في الهبوط الأول: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ ولم يحصل الاستقرار على هذا القول إلا بالهبوط الثاني فكان ينبغي أن يذكر الاستقرار فيه، وقال في الهبوط الثاني: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾، وظاهر الضمير أنه يعود إلى الجنة.

(٥) المراجع السابقة، وذكر الماوردي وجهًا ثالثًا: وهو أنه كرر الهبوط، لأنه علق بكل واحد منهما حكما غير الحكم الآخر، فعلق بالأول العداوة، وعلق بالثاني إتيانه الهدى، «تفسير الماوردي» ١/ ٢٦٢.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾.

قال أبو إسحاق[١]: (إما) في [هذا][٢] الموضع بمعنى حرف الشرط والجزاء، إلا أن الجزاء إذا جاء معها[٣] (النون الثقيلة) لزمتها (ما)[٤] وإنما يلزمها لأجل التأكيد، وكذلك دخل (النون) في الشرط لأجل التأكيد. وجواب الجزاء في (الفاء) مع الشرط الثاني وجوابه، وهما جملة جواب للشرط في (إما)[٥]. فعلى هذا أصل (إما) (إن) التي للشرط، ألحق بها

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٨٦.

(٢) (هذا) ساقط من (ب). ولفظ الزجاج في «المعاني»: (إعراب (إما) في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاء...)١/ ٨٦.

(٣) في «معاني القرآن» (معه) ١/ ٨٦، وهو الأولى.

(٤) (ما) ساقطة من (ب). والزجاج بهذا يرى أن فعل الشرط الواقع بعد (إن) الشرطية المؤكدة بـ(ما) يجب تأكيده بالنون، وهذا ما يوضح معنى قوله: (إلا أن الجزاء إذا جاء معها النون الثقيلة لزمتها (ما)، أي أن (إن) الشرطية إذا اتصل فعل الشرط معها بـ(نون التوكيد) وجب زيادة (ما) معها، وبهذا قال المبرد، قال السمين: ليس في كلامهما ما يدل على لزوم (النون) غاية ما فيه أنهما شرطا في صحة تأكيده بالنون زيادة (ما) «الدر المصون» ١/ ٣٠٠، ٣٠١، وقال سيبويه والفارسي وطائفة: لا يلزم تأكيده، وسيأتي رد الفارسي على الزجاج، انظر: «المقتضب» ٣/ ١٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٢-٢٦٣، «البحر» ١/ ١٦٧.

(٥) في «معاني القرآن»: (وجواب الشرط في (الفاء) مع الشرط الثاني وجوابه وهو ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ وجواب ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٦. وما أخذ به الزجاج في جواب الشرط: هو قول سيبويه كما ذكر ابن عطية وقال: وحكي عن الكسائي أن قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جواب الشرطين جميعا..) قال ابن عطية: (حكي هذا وفيه نظر..) «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٤، وقيل جواب الشرط الأول محذوف تقديره: فإما يأتينكم مني هدى فاتبعوه وقوله: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ جملة مستقلة، قال السمين: وهو بعيد، انظر: «الدر المصون» ١/ ٣٠١.

(ما)[١] التأكيد[٢].

قال أبو بكر بن السراج: الشرط وجوابه نظير المبتدأ والخبر، إذ كان الشرط لا يتم إلا بجوابه، و لك أن تجعل خبر المبتدأ جملة، هي أيضا مبتدأ وخبر، نحو قولك: (زيد أبوه منطلق) كذلك في الشرط[٣] لك أن تجيبه بجملة[٤] هي جزاء وجواب، نحو قولك: (إن تأتني فمن يكرمني أكرمه) كذلك قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ الآية[٥].

وهذا الذي ذكره ابن السراج بيان ما أجمله أبو إسحاق.

قال أبو علي[٦]: قول أبي إسحاق: (الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون الثقيلة أو[٧] الخفيفة لزمه (ما)[٨] يوهم[٩] أن (ما) لزم لدخول (النون)، وأن سبب لحاق (ما) لحاق (النون).

والأمر بعكس ذلك وخلافه، لأن السبب الذي دخلت (النون) الشرط

---

(١) (ما) ساقطة من (أ)، (ج)، وأثبتها كما في (ب) لاقتضاء السياق لها.
(٢) قوله: (التأكيد) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (للتأكيد)، انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٩، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٦.
(٣) (لك) ساقطة من (ب).
(٤) (بجملة) ساقط من (ب).
(٥) كلمة (الآية) ساقطة من (ب) لم أقف على كلام ابن السراج بهذا النص، ولكن انظر معناه في كتابه «الأصول في النحو» ٢/ ١٥٨.
(٦) ورد كلام أبي علي في كتاب «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» متعقبا فيه الزجاج وقد نقل عنه الواحدي طويلا، انظر: «الإغفال» ص١٠٣- ١١٣.
(٧) في (ب): (والخفيفة) بالواو ومثله في «الإغفال» ص١٠٤.
(٨) في (ب): (أن).
(٩) في «الإغفال»: (نوهم) ص١٠٤.

في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ و ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ [الإسراء: ٢٨] ونحو ذلك عند النحويين إنما هو لحاق (ما) أول الفعل بعد (إن) فلذلك صار موضعا للنونين[١]، بعد أن لم يكن لهما موضعا.

وإنما كان كذلك عند سيبويه[٢] وأصحابه لمشابهة فعل الشرط، بلحاق (ما) به بعد (إن)، الفعل المقسم عليه.

وجهة المشابهة: أن (ما)[٣] حرف تأكيد كما أن (اللام)[٤] تكون تأكيداً، والفعل وقع بعد (ما) كما[٥] وقع في القسم بعد (اللام). فلما شابهت (اللام) في ذلك، لزم الفعل مع (ما)[٦] في الشرط (النون)، كما لزمته[٧] في (ليفعلن)، فسبب[٨] لحاق (النون) دخول (ما) على ما يذهب إليه النحويون[٩]. قال أبو إسحاق: وفتح ما قبل النون ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾

---

(١) أي: نون التوكيد الثقيلة، ونون التوكيد الخفيفة.

(٢) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥١٤، ٥١٥.

(٣) (ما) ساقطة من (ب).

(٤) أي لام القسم في مثل (لتفعلن). قال سيبويه: (... ومن مواضعها أي نون التوكيد حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل (ما) للتوكيد، وذلك لأنهم شبهوا (ما) ب (اللام) التي في (لتفعلن) لما وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا (النون) آخره كما ألزموا هذه (اللام)..) «الكتاب» ٣/ ٥١٤، ٥١٥.

(٥) في (ب): (كان).

(٦) في (ب): (لزم الفعل معها في الشرط).

(٧) في (ب): (لزمه).

(٨) في (ج): (بسبب).

(٩) «الإغفال» ص١٠٤، وانظر: «الكتاب» ٣/ ٥١٥.

لسكونه[١]، وسكون النون الأولى.

قال أبو علي: لا يخلو[٢] حركة (الياء) بالفتح من أن يكون لالتقاء الساكنين، كما ذكر أبو إسحاق، أو يكون حركة بنى الفعل عليها، لانضمام الحرف إليه.

فلو كانت الحركة بالفتح لالتقاء الساكنين في ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ونحوه لما حرك به في (هل تضربن)[٣] و(هل تذهبن)[٤] ونحوه من الصحيح.

ألا ترى أن الساكنين لا يلتقيان في هذا كما يلتقيان في المعتل، والتحرك بالفتح مع[٥] ذلك لازم له، ولو كانت الحركة لالتقاء الساكنين ما لزمت هنا.

وفي تحرك هذا الضرب بالفتح أعني: (الصحيح)[٦] ما يدل على أن المتحرك بالفتح في: ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ ونحوه للبناء، دون التقاء الساكنين، فثبت

---

(١) في «معاني القرآن»: (لسكون الياء وسكون النون الأولى) «معاني القرآن» ١/ ٨٦. يذكر الزجاج هنا أن الفعل المؤكد بنون التوكيد في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ يفتح ما قبل النون لتفادي التقاء ساكنين (الياء) التي هي آخر الفعل، والنون الأولى من نون التوكيد المشددة. وهذا التعليل غير كاف عند بعض النحويين، بل يرون أن الفعل المضارع الذي لم يتصل بضمير رفع ساكن إذا أكد بالنون اعتبر معها مركبا وبني على الفتح، وبهذا اعترض أبو علي على الزجاج كما في كلامه الآتي الذي نقله الواحدي عن «الإغفال» ص١١٤.

(٢) في (ب): (لا تخلوا) (أن تكون) (أو تكون) بالتاء في المواضع الثلاثة ومثله في «الإغفال» ص١١٤، وهذا أولى.

(٣) في (ج): (هل تضربين).

(٤) في (ج): (هل تكرهين).

(٥) في (ب): (من ذلك).

(٦) في «الإغفال»: (أعني: الذي لا ساكنين فيه. . .إلخ) ص١١٥.

بهذا فساد قوله.

ويدل أيضًا على فساد قولِه قولُهم: (قُولَنَّ) و(بيعنَّ) ولا تخلو[١] اللام في: (قولن) من أن تكون[٢] محركة لالتقاء الساكنين [أو لبناء الفعل مع الحرف بالفتح، فالذي يفسد القول بأنها محركة لالتقاء[٣] الساكنين][٤] ردك العين في: (قولن) و(بيعنَّ)، ألا ترى أن (اللام لو كانت حركتها[٥] للساكنين لم يلزم رد العين، كما أن حركتها لما كانت في: (قل الحق) و(بع الثوب) لالتقاء الساكنين لم يلزم رد العين فيه، فردنا للعين[٦] في: (قولن) ونحوه وحذفنا لها في: (قل الحق) دليل بَيِّن أن الحركة في (قولن) لبناء الفعل مع الحرف على الفتح، إذ لو كانت لالتقاء الساكنين ما رُدَّت العين كما لم ترد في (قل الحق)[٧]، وإنما لم ترد في (قل الحق)[٨] لأن النية بحركتها السكون، وما تحرك لها من الساكن الثاني غير لازم[٩].

---

(١) في (ج): (يخلو).

(٢) من (ب). وفي غيرها: (يكون).

(٣) في «الإغفال»: (محركة للساكنين) ص١١٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج) وأثبته من (ب) وهو ثابت في «الإغفال» ص١١٥ وصحة السياق تقتضيه.

(٥) في (ج): (لو كانت لالتقاء الساكنين).

(٦) في (ب): (العين).

(٧) في «الإغفال»: ..(كما لم ترد في (قل الحق) لما كانت الحركة فيه لالتقاء الساكنين، وإنما لم ترد (العين) المحذوفة للساكنين من (قل) ونحوه، وإن تحركت اللام، لأن النية بحركتها . . . إلخ) «الإغفال» ص١١٦.

(٨) قوله: (قل الحق) ساقط من (ب).

(٩) انتهى ما نقله عن «الإغفال»، بتصرف يسير في بعض الكلمات، وانظر بقية كلام أبي علي في «الإغفال» ص١١٦-١١٩.

ومعنى قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي: فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة[١].

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: قبل أمري واتبع ما آمر به، فلا خوف عليه في الآخرة ولا حزن[٢].

والخطاب لآدم وحواء وذريتهما[٣]، أعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة ويجازيهم بالجنة عليها، وبالنار على تركها، وأن هذا الابتلاء وقع عند الهبوط إلى الأرض[٤].

وقوله تعالى: ﴿هُدَايَ﴾ فتحت (الياء) فيه[٥]، لأنها أتت بعد ساكن، وأصلها الحركة التي هي الفتح، والأصل أن تقول: (غلامي) فتفتح[٦] (الياء)، لأنها حرف في موضع اسم مضمر[٧] منع الإعراب فألزم الحركة،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٦، «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٣-٢٦٤، «تفسير ابن كثير» ١/ ٨٧-٨٨ .

(٢) قوله: (ولا هم يحزنون) قال الطبري: (ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلفوا بعد وفاتهم في الدنيا) الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٤٧، وبهذا قال أكثر المفسرين، انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٣، و«تفسير ابن كثير» في ١/ ٨٨، وذكر ابن عطية في معنى الآية وجها آخر: أي لا خوف عليهم يوم القيامة،ولا هم يحزنون فيه ١/ ٢٦٥٨، والأولى عموم الآية. والله أعلم.

(٣) ذكره ابن جرير، وذكر وجها آخر: وهو أن الخطاب لمن أهبط من السماء وهم آدم وحواء وإبليس ورجح هذا الوجه، انظر: «الطبري» ١/ ٢٤٦، ورجحه ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٦٢، وبه قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٨٧.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٥.

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج بتصرف ١/ ٨٦،٨٧.

(٦) في (ج): (بفتح) ومثله في «معاني القرآن» ١/ ٨٧.

(٧) أي أن (الياء)ضمير جاء على حرف واحد فيأخذ حكم الحرف في أنه يفتح إذا جاء بعد ساكن، «معاني القرآن» ١/ ٨٧.

كما ذكرنا في قوله: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فيمن[1] فتح (الياء).

وحذف الحركة[2] جائز لأن (الياء) من حروف المد واللين، وفي ﴿هُدَاىَ﴾ سكن ما قبلها، ولم[3] يكن بد من تحريكها، فجعل حظها ما كان لها في الأصل من الحركة وهو الفتح[4].

وروى ابن الأنباري أن النبي صلى الله عيه وسلم قرأ ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَيَّ﴾ قال[5]: وهي لغة طيئ[6]، يقولون: هذه عصيَّ ورحَيَّ[7].

وقرأ ابن أبي إسحاق[8]: ﴿هِيَ عَصَيَّ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾[9] [طه: ١٨] وقال أبو ذؤيب:

---

(١) في (ج): (فمن).

(٢) في (ب): (الياء).

(٣) في (ب): (فلم).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٧.

(٥) في (ب): (وقال).

(٦) لغة هذيل، انظر: «المحتسب» ١/ ٧٦، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٤، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٠.

(٧) ذكر هذه القراءة ابن جني في «المحتسب» قال: (قراءة النبي صلى الله عيه وسلم وأبي الطفيل، وعبد الله بن أبي إسحاق، وعاصم الجحدري، وعيسى ابن عمر الثقفي (هُدَيَّ) . .) «المحتسب» ١/ ٧٦ ونحوه في «البحر المحيط» ١/ ١٦٩، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٧، «البيان» ١/ ٧٦، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٤، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٠.

(٨) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي البصري، أخذ القراءة عن يحيى بن يعمر ويعمر ونصر بن عاصم، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائة، انظر: «غاية النهاية» ١/ ٤١٠.

(٩) (هي) ساقطة من (ب).

تَرَكُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[١]

وقال آخر[٢]:

يُطَوِّفُ بِي عِكَبٌّ[٣] فِي مَعَدٍّ وَيَطْعَنُ بِالصُّمُلَّةِ فِي قَفَيَّا
فَإِنْ لَمْ تَثْأَرُوا لِي مِنْ عِكَبٍّ فَلَا أَرْوَيْتُمْ أَبَدًا صَدَيَّا[٤]

وقال أبو دواد[٥]:

---

(١) البيت من قصيدة قالها أبو ذؤيب يرثي بنيه، حيث ذهبوا للجهاد، وكان هواه أن يقيموا معه، وأن يموت قبلهم، قوله: فَتُخُرِّمُوا: أخذوا واحدًا واحدًا، تخرمتهم المنية، ولكل جنب مصرع: أي كل إنسان يموت، انظر: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٧، «المحتسب» ١/ ٧٦، «المفضليات» ص٤٢١، «شرح المفصل» ٣/ ٣٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٤، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٠، «البحر» ١/ ١٦٩. والراوية للبيت في المصادر كلها (سبقوا) بدل (تركوا).

(٢) البيتان للمُنَخَّل اليَشْكري، وقال في «الصحاح»: (المتَنخِّل اليَشْكُري)، وفي الهامش: اسم اليَشْكِري (المنخل) وأما (المنتخل) فهو الهذلي، «الصحاح» ١/ ١٨٨، وكان من قصة المُنخل (أنه كان بينه وبين المتجردة امرأة النعمان بن المنذر علاقة ولما علم النعمان دفعه إلى سجانه واسمه (عِكب) فقيده وعذبه.

(٣) في (ب): (كعب) في الموضعين.

(٤) يروي البيت: (تثأران) و(فلا رَوَّيْتُما) وقوله: (صَدَيًّا): الصدى في زعم الجاهلية طائر يصيح إذا لم يتأر بالمقتول، وقيل هو اسم ماد والصملة هي العصا. وشاهد (صديا) و(قفيا) حيث استعملهما على لغة هذيل، الأبيات في «المحتسب» ١/ ٧٦، «الخصائص» ١/ ١٧٧، «شرح المفصل» ٣/ ١٨٨، «ترتيب الإصلاح» ١/ ١٨٥، والبيت الأول في «الصحاح» (عكب) ١/ ١٨٨، «اللسان» (عكب) ٥/ ٣٠٥٤.

(٥) هو أبو دواد الإيادي، وكان قد جاور هلال بن كعب من تميم، فلعب غلام له مع غلمان الحي في غدير فغطسوه في الماء ومات، فعزم أبو دواد على مفارقتهم وذم جوارهم، وحاولوا إرضاءه فقال البيت وبيتًا قبله.

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُم[١] لَعَلِّي أُصالِحُكُم وأَسْتَدْرِجْ نَوَيَّا[٢]

قال الفراء: وإنما فعلت طيئ هذا لأن العرب اعتادت كسر ما قبل (ياء)[٣] الإضافة نحو قولهم: (غلامِيَ) و(دارِيَ) فلما قالوا: (رحاي)[٤] و(عصاي) طلبوا من الألف ذلك الكسر فقلبوها (ياء) وأدغموها في (ياء) الإضافة، فجعلوا بدل كسرة ما قبل (ياء) الإضافة قلب الألف (ياء)، إذ[٥] كانت الألف لا يكسر[٦] ما قبلها، ولا تكسر هي[٧].

٣٩- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الآية. الآيات جمع آية، ومعنى الآية في اللغة: العلامة[٨]، ومنه قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا

---

(١) في (ج): (بليكم).

(٢) قوله: فأبلوني: يقال: أبلاه إذا صنع به جميلا، والبلية: الاسم، وقيل: البلية: الناقة تربط على قبر صاحبها بدون طعام ولا شراب حتى تموت، ونَوَيَّا: يريد (نَوَاي) وهي النية، والمراد الوجه الذي يقصد، انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٨، «تأويل مشكل القرآن» ص٥٦، «الخصائص» ١/ ١٧٦، ٢/ ٣٤١، ٤٢٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٤٢٣، ٤٧٧، «اللسان» (علل) ٥٠/ ٣٠٨٢.

(٣) (ياء) ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (راحاي).

(٥) في (ب): (إذا).

(٦) في (أ)، (ج): (لا تكسر).

(٧) لم أجده للفراء، وذكر ابن جني عن أبي علي نحوه في تخريج لغة هذيل، انظر «المحتسب» ١/ ٧٦، وذكر النحاس هذه العلة عن الخليل وسيبويه، «إعراب القرآن» ١/ ١٦٦، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٣٦، والزجاج في «تفسيره» ١/ ٧٨.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧، «معجم مقاييس اللغة» (أبي) ١/ ١٦٨، «الزاهر» ١/ ١٧٢، «مفردات الراغب» ص٣٣، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥، و«فوائد في مشكل القرآن» ص٦٨، «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٦٦.

وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤] أي علامة منك لإجابتك دعاءنا، فكل آية من الكتاب علامة ودلالة على المضمون فيها. وقال أبو عبيدة: معنى الآية: أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، وانقطاعه من الذي بعدها[١]. ثعلب عن ابن الأعرابي: الآية العلامة[٢].

الليث: الآية العلامة، والآية من آيات القرآن، والجميع: الآي[٣]، ولم يزد على هذا. فالآية بمعنى العلامة في اللغة صحيحة[٤].

قال الأحوص[٥]:

أَمِنْ رَسْمِ آيَاتٍ عَفَوْنَ وَمَنْزِلٍ قَدِيمٍ تُعَفِّيهِ[٦] الأَعَاصِيرُ مُحْوِلِ[٧]

---

(١) في «المجاز» لأبي عبيدة: (إنما سميت آية لأنها كلام متصل إلى انقطاعه، انقطاع معناه قصة ثم قصة (١/ ٥) وانظر: «الزاهر» ١/ ١٧٢.

(٢) لم أجده عن ابن الأعرابي، ويظهر أن الواحدي نقل الكلام وما بعده من «تهذيب اللغة»، ولم أجد بحث (آية) في المطبوع من «تهذيب اللغة»، انظر: «الغريبين» للهروي ١/ ١١٦، ١١٧، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥.

(٣) في «الصحاح» جمع الآية: آي وآياي، آيات، «الصحاح» (أيا) ٦/ ٢٢٧٥، انظر: «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥، وقيل: آياي جمع الجمع.

(٤) انظر: «الصحاح» (أيا) ٦/ ٢٢٧٥، «مقاييس اللغة» (أيي) ١/ ١٦٨، «مفردات الراغب» ص٣٣، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥.

(٥) هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت، لشعره رونق وحلاوة أكثر في الغزل، وكان يشبب بنساء أشراف المدينة، فنفاه سليمان بن عبد الملك إلى (دهلك)، انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٤٥، «الخزانة» ٢/ ١٦.

(٦) في (ج): (يعفيه).

(٧) ورد البيت في «الزاهر» ١/ ١٧٢، ولم أجده في شعر الأحوص جمع (عادل سليمان جمال)، والمُحْوِل: المنزل الذي رحل عنه أهله وتغير حاله، انظر: «اللسان» (حول) ٢/ ١٠٦٠.

قال ابن السكيت[(١)] وحكاه لنا أبو عمرو[(٢)] يقال[(٣)]: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم، لم يدعوا وراءهم شيئا[(٤)]، وقال بُرْج بن مُسْهِر[(٥)]:

خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ لَا حَيَّ مِثْلُنَا   بِآيَتِنَا نُزْجِي اللِّقَاحَ المطَافِلاَ[(٦)]

معناه: خرجنا بجماعتنا. فعلى هذا القول معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالة على معنى مخصوص[(٧)].

وبعض أصحابنا[(٨)] يجوّز على هذا القول أن يسمَّى أقل من الآية آية،

---

(١) «إصلاح المنطق» ص٣٠٤، وانظر: «الزاهر» ١/ ١٧٣، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤، «زاد المسير» ١/ ٧١.

(٢) هو أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني، جاور بني شيبان في الكوفة ونسب أليهم، شهر بالغريب، أخذ عنه ابن السكيت، انظر ترجمته في: مقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣، «طبقات النحويين واللغويين» ص١٩٤.

(٣) في (ب): (فقال).

(٤) ذكر البغدادي في «الخزانة»: أن علي بن حمزة البصري رد قول ابن السكيت واستشهاده بكلام أبي عمرو الشيباني، ورجح أن الآية: العلامة، انظر: «الخزانة» ٦/ ٥١٥.

(٥) في (ج): (مرج بن شهر). وهو البرج بن مُسْهِر بن جلاس الطائي شاعر معمر. قال ابن دريد: وفد إلى النبي صلى الله عيه وسلم، انظر: «الاشتقاق» لابن دريد ص٣٨٢، «الأعلام» ٢/ ٤٧.

(٦) قوله: نزجي: نسوق، واللقاح: النوق ذوات اللبن، والمطافل: النوق معها أولادها. ورد البيت في «إصلاح المنطق» ص٣٠٤، «الزاهر» ١/ ١٧٢، «مقاييس اللغة» (أيي) ١/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٥٧، «زاد المسير» ١/ ٧١، (الخزانة) ٦/ ٥١٥، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥، «الدر المصون» ١/ ٣٠٨.

(٧) سبق ذكر رد علي بن حمزة البصري على هذا القول، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٤، «الزاهر» ١/ ١٧٢، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥.

(٨) أي من علماء الشافعية.

لولا أن التوقيف ورد بما هي الآن معدودة آيات[(١)].

قال ابن الأنباري: وفي الآية قول ثالث: وهو أن تكون[(٢)] سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها إذا قرأها يستدل على مباينتها[(٣)] كلام المخلوقين، ويعلم أن العالم يعجزون عن التكلم بمثلها، فتكون الآية العجب من قولهم: (فلان آية من الآيات) أي عجب من العجائب[(٤)] فهذا هو القول في معنى الآية.

فأما وزنها من[(٥)] الفعل، فقال الفراء[(٦)]: إنما تركت العرب همز (ياء) آية، كما يهمزون كل (ياء) بعد الألف ساكنة نحو: قائل وغائب[(٧)] وبابه،

---

(١) انظر: «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٦٧، «الإتقان» ١/ ٢٣٠. قال الزمخشري: (هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور) «الكشاف» ١/ ١٠٥.

(٢) في (أ)، (ج): (يكون) واخترت ما في (ب) لأنه هو الصواب موافق لكلام ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ١٧٣.

(٣) في (أ): (مبانيتها) وما في (ب)، (ج) هو الصواب وموافق لما في «الزاهر».

(٤) «الزاهر» ١/ ١٧٣، وانظر: «زاد المسير» ١/ ٧٢. وخلاصة القول في معنى الآية: أنها تطلق في اللغة على: ١- المعجزة، ٢- العلامة، ٣- العبرة، ٤- الأمر العجيب، ٥- الجماعة، ٦- البرهان والدليل.

(٥) (من) ساقطة من (ج).

(٦) كلام الفراء ورده على الكسائي ذكره ابن منظور في «لسان العرب» عن كتاب (المصادر) للفراء، ولعله نقله عن «تهذيب اللغة»، ولم أجد مبحث (آية) في المطبوع من «تهذيب اللغة»، انظر: «اللسان» (ايا) ١/ ١٨٥. (والآية) وزنها من الفعل - عند الفراء: (فَعْلَة) وعند الخليل (فَعَلَة) أصلها (أَيَيَة)، وعند الكسائي (فَاعِلَة)، انظر: «الزاهر» ١/ ٣٤٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٧١-٧٢، «المفردات في غريب القرآن» ص٣٣، «فوائد في تأويل المشكل» ص٦٨، «البرهان» ١/ ٢٦٦، «الدر المصون» ١/ ٣٠٨، «الخزانة» ٦/ ٥١٧، وقد ذكر في أصلها ستة وجوه.

(٧) (قائل وغائب) مكانها بياض في (ج).

لأنها كانت فيما يرى[١] (أَيَّة) على وزن (فَعْلَة) فثقل عليهم التشديد فأبدلوه ألفا، لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا: أَيْمَا [في (أَمَّا)، وكما فعلوا بدينار وقيراط لما استثقلوا التشديد أبدلوا من الحرف الأول (ياء) لانكسار ما قبله.[٢]

وقال][٣] الكسائي: آية [وزنها (فَاعِلَة)، أصلها آيِيَة، فنقصت[٤]].

الكسائي يقول: استثقلت الكسرة على الياء الأولى فسكنت، ثم حذفت لاجتماع الساكنين[٥]، هذا معنى قوله: (فنقصت).

قال الفراء: ولو كانت (آية) فَاعِلَة ما صغروها[٦] أيَيَّة، لأن (فاعلة) تصغّر (فُوَيْعِلَة).

فقال الكسائي: قد صغروا: عاتكة وفاطمة عُتَيكة وفُطَيْمة، فالآية مثلها.

فقال الفراء: العرب لا تصغر (فاعلة) (فُعَيلة) إلا أن يكون اسماً في مذهب(فلانة) فيقولون هذه فُطَيْمة قد جاءت، إذا كان[٧] اسمها[٨]، فلو

---

(١) في (ج): (ترى).

(٢) (دينار) و(قيراط) أصلهما (دَنَّار) و(قَرَّاط) فاستثقلوا التشديد فأبدلوا من الحرف الأول (ياء) لانكسار ما قبله فصار: دينار وقيراط. انظر «الزاهر» ١/ ١٧٣، «الصحاح» (أيا) ٦/ ٢٢٧٥.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) انظر (الزاهر) ١/ ٣٤٢.

(٦) في (أ): (ما صنعوها) وما في (ب)، (ج) هو الصحيح، وفي «اللسان» (ما صغرها).

(٧) في (ب): (كانت).

(٨) في «اللسان» (اسما) ١/ ١٨٥.

قلت: (هذه فَاطِمة ابنها) ثم صغرتها لم يجز الا فويطمة[١]، ومثل: (هذا صُلَيْح قد جاء)، لرجل اسمه صالح، ولو قال قائل: كيف بُنَيُّك[٢]؟ قلت: صويلح ولم يجز صليح لأنه ليس باسم له.

وكذلك رجل اسمه أسود يقول: هذا سويد [قد جاء، لأنه فلان، فإن كان نعتًا قلت: (أُسَيْد) و(أُسَيْوِيد) ولا يجوز هذا رجل سُوَيد][٣]. والفرق بين الحالين أن في الاسم العلم روعي التخفيف [فصغر تصغير الترخيم][٤]. وفي النعت صُغِّر على الأصل، فعلى قول الفراء آيات[٥] وزنها (فَعْلات)، وعلى قول الكسائي وزنها (فَاعِلات)[٦].

ومعنى آيات الله في هذه الآية: دلائله، ويدخل فيها كتبه التي أنزلها على أنبيائه[٧].

فإن قيل: لم دخلت الفاء في سورة الحج: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٨] [الحج: ٥٧] وسقطت هاهنا ؟

قيل: إنما دخل فيه «الفاء» من خبر الذي وأخواته مشبه[٩] بالجزاء،

---

(١) في «اللسان» (فإذا قلت هذه فُطَيْمَة ابنها، يعني فاطمته من الرضاع لم يجز)، «اللسان» (أيا) ١/ ١٨٥.
(٢) في «اللسان» (بنتك).
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ، ج)، وأثبته من (ب)، لأن صحة السياق تقتضيه.
(٤) في (ج): (الرخيم). وما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٥) (آيات) ساقطة من (ب).
(٦) في (ب): (علامات).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٣-٢٥٤، «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٤، «البحر المحيط» ١/ ١٧٠.
(٨) في (ب): (أولئك)، تصحيف.
(٩) في (ج): (شبه).

وما لم يكن[(١)] فيه (الفاء) فعلى أصل الخبر مثال ذلك من الكلام أن تقول: (مالي فهو لك) [على أن يكون (ما) بمعنى (الذي) ولو أردت واحد الأموال لم يجز دخول الفاء، كما لا تقول: غلامي فهو لك][(٢)]، وهذه المسألة[(٣)] يأتي بيانها في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله.

٤٠- قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. الكلام في (الابن) وأصله يذكر عند قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾[(٤)]. و(إسرائيل) هو يعقوب[(٥)] عليه السلام ولا يتصرف لاجتماع العجمة والمعرفة[(٦)]، وكل اسم اجتمعتا فيه وزاد على ثلاثة أحرف لم ينصرف عند أحد من النحويين[(٧)].

وذكر في التفسير وجوه في اشتقاق هذا الاسم[(٨)]، والأصح عند أهل

---

(١) في (ب): (تكن)

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) انظر شرح هذه المسألة في «سر صناعة الأعراب» ١/ ٢٥٨.

(٤) سورة البقرة: ٤٩، وقد تكلم عن (ابن) هناك وتوسع في البحث.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٤، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٧، «زاد المسير» ١/ ٧٢.

(٦) أي: العلمية.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٧، «المشكل» لمكي ١/ ٤١، «الإملاء» ١/ ٣٣، «الدر المصون» ١/ ٣١٠.

(٨) من هذه الوجوه: أنه مركب من (إسرا) وهو العبد، و(إيل) اسم من أسماء الله تعالى، فكأنه عبد الله، وقيل معنىٰ: «إسرا» صفوة، و«إيل» الله تعالى، ومعناه صفوة الله، وفيه وجوه أخرى ذكرها أبو حيان في «البحر» ١/ ١٧١، وقال بعدها: (وهذه أقاويل ضعاف)، وانظر: «تفسير الطبري ١/ ٢٤٨-٢٤٩، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٦ب، «التعريف والأعلام» للسهيلي ص٢٠ و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨١-٢٨٢.

اللغة: أنه أعجمي لا اشتقاق له.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾. أراد نعمي[1]، فأوقع الواحد موقع الجماعة[2]، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾[3]. وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر، وأنجاهم من فرعون، وظلل عليهم الغمام إلى سائر ما أنعم الله به عليهم[4]، وهو في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾ الآية [المائدة: ٢٠].

وأراد بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي على آبائكم وأسلافكم، وجعلها عليهم لأن النعمة على آبائهم نعمة عليهم، ومثله في الكلام كثير، يفاخر الرجل الرجل فيقول هزمناكم يوم ذي قار، بمعنى[5]: هزم آباؤنا آباءكم[6].

قال الفرزدق:

وَبَيْتَانِ: بَيْتُ اللهِ نَحْنُ وُلاَتُهُ وَبَيْتٌ بأعْلَى إِيلِيَاءَ مُشَرَّفُ[7]

---

(١) في (ج): (أراد بالنعمة: نعمي)

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٧أ، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٧، و«تفسير البغوي» ١/ ٦٦، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٢، «زاد المسير» ١/ ٧٢.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

(٤) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٩، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٧ أ، قال ابن عطية - بعد أن ذكر الأقوال في المراد بالنعمة: (وهذه الأقوال على جهة المثال، والعموم في اللفظة هو الحسن) ١/ ٢٦٧.

(٥) في (أ)، (ج): (معناه)

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٢، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٧ أ، و«تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٧، «زاد المسير» ١/ ٧٣.

(٧) البيت في «ديوان الفرزدق» ٢/ ٣٢، «معجم البلدان» ١/ ٢٩٣، وإيلياء: بيت المقدس.

يريد أن آباءه في القديم كانوا يلونهما، لا أنه كان يليه.

وقال آخر:

إذا افْتَخَرَتْ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا[١]
فَخَارًا عَلَى مَا أَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ
فَأَنْتُم بِذِي قَارٍ أَمَالَتْ سُيُوفُكُم
عُرُوشَ الذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ[٢]

أراد آباؤكم فعلوا ذلك، لأن المخاطبين بهذا البيت كانوا بعد ذي قار بدهر طويل.

فإن قيل: هذه النعم التي أنعم الله بها على اليهود هم[٣] أبداً يذكرونها ويفخرون بها، فلم ذُكِّروا ما لم ينسوه؟ قيل: المراد بقوله: (اذكروا) اشكروا، وذكر النعمة شكرها، وإذا لم يشكروها[٤] حق شكرها، فكأنهم نسوها وإن أكثروا ذكرها[٥].

وقال ابن الأنباري: أراد اذكروا ما أنعمت عليكم[٦] فيما استودعتكم

---

(١) في (ج): (نفوسها)

(٢) البيتان لأبي تمام، وقوله: «ذي قار» يوم من أيام العرب، كان لهم على الفرس، وحاجب: هو ابن زرارة بن عدس، كان أرهن سيفه لكسرى، انظر: «ديوان أبي تمام مع شرحه» ١/ ١٠٩، «معجم البلدن» ٤/ ٢٩٤.

(٣) (هم) ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (يشكرها).

(٥) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٧٥، «زاد المسير» ١/ ٧٣، «تفسير البيضاوي» ١/ ٢٣، «تفسير الخازن» ١/ ١١٢، «تفسير النسفي» ١/ ٤٠، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٢.

(٦) في (ب): (أنعمت به عليكم).

من علم التوراة وبينت لكم من صفة محمد، وألزمتكم من تصديقه واتباعه[١]، فلما بعث ﷺ ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة[٢].

والأجود في ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي﴾ فتح الياء[٣]، وكل (ياء) كانت من المتكلم ففيها[٤] لغتان: الإرسال[٥] والفتح، فإذا لقيها ألف[٦] ولام اختارت العرب اللغة التي حركت فيها الياء، وكرهوا الأخرى، لأن اللام ساكنة[٧] فلو لم يفتحوا لأشبه[٨] أن تكون النعمة مجرورة على غير الإضافة[٩]، فأخذوا بأوثق الوجهين وأبينهما[١٠]، لأنه أدل على الأصل وأشكل بما يلزم في

(١) ذكره ابن الجوزي وعزاه لابن عباس، «زاد المسير» ١/ ٧٣، وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٢.

(٢) في (ب): (النعم).

(٣) أجمع القراء العشرة على فتح (الياء) في قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي﴾ في مواضعها الثلاثة في البقرة، وقرأ بتسكينها الحسن وابن محيصن، انظر: «الإقناع» ١/ ٥٤٢، «النشر» ٢/ ١٦٢، «البدور الزاهرة» ص٣٠، «القراءات الشاذة» للقاضي ص٢٣، وقد سبق ذكر أصول القراء في ياءات الإضافة عند قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٠] ص٣٤١.

(٤) في (ب): (فيه).

(٥) قوله: (الإرسال) أي: تسكينها ثم حذفها لالتقاء الساكنين، وفي «معاني القرآن» للفراء: (وأما نصب الياء من (نعمتي) فإن كل ياء كانت من المتكلم ففيها لغتان: الإرسال و السكون والفتح، ١/ ٢٩.

(٦) (ألف) ساقط من (ب).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء: (لأن اللام ساكنة فتسقط الياء عندها لسكونها فاستقبحوا أن يقولوا: (نعمتي التي) فتكون كأنها مخفوضة على غير إضافة) ١/ ٢٩.

(٨) في (ب): (الا شبه).

(٩) المراد: أن الياء من (نعمتي) لو سكنت لحذفت لالتقاء الساكنين فتبقى النعمة مجرورة من دون إضافة للياء فيقال (نعمت).

(١٠) في (ب): (وأبينها).

الاستئناف من فتح ألف الوصل[١].

وقد يجوز إسكانها مع الألف واللام أيضا كقوله: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] قرئ بإرسال (الياء) وبنصبها[٢]، وإنما اختير الإرسال هاهنا لأن الاختيار ألا تثبت[٣] (ياء) الإضافة في النداء نحو قولك: (يا غلام أقبل) وإذا لم تثبت لم يكن سبيل إلى التحريك.

فأما قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨] الاختيار هاهنا الإرسال[٤]، لأن (الياء) لا تثبت في الفواصل، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ آخر الآية[٥].

قال الزجاج: اختير فتح الياء مع اللام لالتقاء الساكنين، ويجوز أن تحذف[٦] الياء في اللفظ لالتقاء الساكنين، والاختيار الفتح، فأما قوله: ﴿أَخِى * ٱشْدُدْ﴾ [طه: ٣٠، ٣١] فلم يكثر القراء فتح هذه الياء[٧]، وأكثرهم

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٩، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٣٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٧.

(٢) في (ب): (ونصها). قرأ بسكون الياء حمزة والكسائي وأبو عمرو، ويعقوب وخلف، والبقية بالفتح، انظر: «التيسير» ص٦٦، «الإقناع» ١/ ٥٤١، «النشر» ٢/ ١٧٠.

(٣) (أ)، (ج): (يثبت) في المواضع الثلاثة واثبت ما في (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٤) قال الداني: (تفرد أبو شعيب بفتح الياء وإثباتها في الوقف ساكنة وحذفها الباقون في الحالين) يريد بقية السبعة ورواتهم، «التيسير» ص٦٧، وانظر «النشر» ٢/ ١٨٩.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٩.

(٦) في (أ)، (ج): (يحذف) وأثبتها بالتاء كما في (ب) و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨١.

(٧) قوله تعالى: (أخي اشدد) قرأ بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير والبقية على إسكانها، انظر: «التيسير» ص٦٧، «النشر» ٢/ ١٧١، ٣٢٣.

يفتحها مع الألف واللام، ولعمري إن لام المعرفة أكثر استعمالا، ولكني أقول: فتح الياء هاهنا كفتحه[١] مع اللام، لأن اجتماع الساكنين مع اللام وغيرها واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾. أبو عبيد عن الكسائي وأبي عبيدة: وفيت بالعهد وأوفيت به سواء[٢].

وقال شمر: يقال: وَفَى وأَوفَى، فمن قال: (وَفَى) فإنه يقول تَمَّ، كقولك: وَفَى لنا فلان، أي: تَمَّ لنا قوله ولم يغدر، وَوَفَى هذا الطعامُ قفيزا[٣]، أي: تم.

قال: ومن قال: (أَوْفَى) فمعناه: أوفاني حقه، أي: أتمه ولم ينقص منه شيئا، وكذلك أَوْفَى الكيل أي أتمه ولم ينقص منه شيئا[٤]. وقال أبو الهيثم فيما رد على شمر: الذي قال شمر[٥] في (وَفَى) و(أَوْفَى): باطل، إنما يقال: أَوْفَيْت بالعهد ووفيت بالعهد، وكل شيء في كتاب الله من هذا

---

(١) في (ج): (الفتحة مع اللام) وفي (ب): (لفتحة اللام)، وقد نقل الواحدي كلام الزجاج بتصرف، يقول الزجاج: (ولعمري إن اللام المعرفة أكثر في الاستعمال، ولكني أقول: الاختيار (أخِيَ اشدد) بفتح الياء لالتقاء الساكنين، كما فتحوا مع اللام، لأن اجتماع ساكنين مع اللام وغيرها معنى واحد..) «معاني القرآن» ١/ ٨٩.

(٢) «تهذيب اللغة» (وفا) ٤/ ٣٩٢٣-٣٩٢٤، وانظر: «اللسان» (وفي) ٨/ ٥٨٨٥.

(٣) في (أ)، (ج): (قفيز)، (ب): (فقيرا)

(٤) «تهذيب اللغة» (وفا) ٤/ ٣٩٢٤، وانظر: «اللسان» (وفي) ٨/ ٥٨٨٥. وقوله: (وكذلك أوفى الكيل..) غير موجود في «التهذيب» ضمن كلام شمر ومثبت في «اللسان» مع كلامه.

(٥) قوله: (الذي قال شمر) ساقط من (ب).

فهو بالألف قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[1] [البقرة: ٤٠][2] وقال: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١][3].

وقال الشاعر[4] في الجمع بين اللغتين:

أَمَّا ابنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِه   كَمَا وَفَى بِقِلاَصِ النَّجْمِ حَادِيهَا[5]

قال ابن عباس: هذا العهد هو أن الله عز وجل[6] عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبيا يقال له: محمد، فمن تبعه كان له أجران اثنان، أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة، وأجر باتباعه محمدًا وإيمانه بالقرآن، ومن كفر به تكاملت أوزاره، وكانت النار جزاءه[7]، فقال الله جل وعز[8]: أوفوا بعهدي في محمد، أوف بعهدكم وأدخلكم الجنة[9].

---

(١) (الواو) ساقطة من (أ، ج).

(٢) في «التهذيب» مكان الآية قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وفي «اللسان» آية البقرة.

(٣) كلام أبي الهيثم في «تهذيب اللغة» (وفا) ١٥/ ٨٨٦، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩١، و«اللسان» (وفى) ٨/ ٤٨٨٤ .

(٤) هو طفيل الغنوي.

(٥) في «الكامل» (بيض) بدل (طوق) وعند الزجاج (عوف) وهو رجل شهر بالوفاء، وقلاص النجوم: هي كما تزعم العرب، أن الدبران جاء خاطبا للثريا وساق مهرها كواكبا صغارا تسمى القلاص، انظر (الكامل) ٢/ ١٨٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩١، «الخصائص» ١/ ٣٧٠، ٣/ ٣١٦، «شرح المفصل» ١/ ٤٢، «اللسان» (وفى) ٨/ ٤٨٨٤، «زاد المسير» ١/ ٧٣، «تفسير القرطبي» ٦/ ٣٢، «الدر المصون» ١/ ٣١٢.

(٦) في (ب): (جل وعلى).

(٧) في (ب): (جزاؤه).

(٨) في (ب)، (ج): (عز وجل).

(٩) ذكره الرازي في «تفسيره» عن ابن عباس ٣/ ٣٥، وابن كثير في «تفسيره» ولم يعزه=

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾. موضع (إياي) نصب بإضمار فعل[١] تفسيره[٢] المذكور بعده[٣] كأنه قيل: (إياي فارهبوا[٤] فارهبون) ولكنه يستغني عنه بما يفسره فلا يظهر، وإن صح أنه مقدر، ولا يجوز أن يعمل فيه المذكور، لأنه مشغول بضمير[٥].

وحذفت (الياء) من﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ لأنها فاصلة أي رأس آية، ليكون النظم على لفظ متسق، وسمى أهل اللغة أواخر الآي الفواصل، وأواخِر الأبيات[٦] القوافي[٧]. ومعناه: فخافوني في نقض العهد[٨].

= ١/ ٨٨، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» عن الكلبي ١/ ٦٧ب، وأخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ونحوه، وليس فيه قوله: فمن تبعه كان له أجران..، الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٥٠، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره» بنحو رواية الطبري ١/ ٩٦، انظر: «الدر» ١/ ١٢٤.

(١) قال مكي: هذا هو الاختيار لأنه أمر، ويجوز: أنا فارهبون على الابتداء والخبر، «المشكل» ١/ ٤٢، وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٧.

(٢) في (ب): (يفسره) وهو أولى.

(٣) في (ج): (بعهده).

(٤) في (ب): (فارهبون).

(٥) في (ب): (بضميره) وهو أصح. الضمير هو (الياء) التي حذفت لأنها رأس آية، انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٤٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٧، «المشكل» لمكي ١/ ٤٢، «الإملاء» ١/ ٩٠.

(٦) في (ب): (الآيات).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٠، وانظر «اللسان» (فصل) ٦/ ٣٤٢٤، وبعضهم فرق بين رأس الآية والفاصلة، فكل رأس آية فاصلة ولا عكس. انظر «المكتفي في الوقف والابتداء» ص١٤٠، «البرهان» ١/ ٥٣، «الإتقان» ٢/ ٢٨٤، «الفاصلة في القرآن» لمحمد الحسناوي ص٢٦.

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٧ب، وانظر: «الطبري» ١/ ٢٥١، «زاد المسير» ١/ ٧٣.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾. أي موافقًا للتوراة في التوحيد والنبوة[١]، وهو حال من الهاء المحذوفة من (أنزلت) كأنه قيل أنزلته مصدقا[٢].

و[٣] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾. قال الليث: الأول والأولى: بمنزلة (أَفْعَل) و (فُعْلَى)، وجمع الأول: أولون، وجمع أولى: أوليات.[٤].

قال الأزهري: وقد جمع (أَوَّل) على أُول، مثل أَكْبَر و كُبر، وكذلك الأُولَى، ومنهم من شدد الواو مجموعا من (أَوَّل)[٥].

واختلفوا في وزنه وتأليفه[٦].

فذكر الليث فيه وجهين: أحدهما: أن تأليفه من: (همزة) و(واو) و(لام)، وعلى هذا ينبغي أن يكون (أَفْعَل) منه (أَأْوَل) بهمزتين[٧]، لأنك لو

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥١، «تفسير والثعلبي» ١/ ٦٨أ.

(٢) ذكره الطبري وعبر عن الحال بقوله: قطع من الهاء المتروكة في (أنزلته) من ذكر (ما) ١/ ٢٥٢، وذكره مكي وقال: وإن شئت جعلته حالا من (ما) في (بما) «المشكل» ١/ ٤٢، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٩، «الإملاء» ١/ ٣٣، «البحر المحيط» ١/ ١٧٧.

(٣) (الواو) ساقطة من (ب).

(٤) «تهذيب اللغة» (أول) ١/ ٢٣٠، «اللسان» (وأل) ٨/ ٤٧٤٧، وقوله: (وجمع أول: أولون) سقط من «التهذيب»، وهو في «اللسان» ضمن كلام الليث.

(٥) «تهذيب اللغة» (أول) ١/ ٢٣٠، «اللسان» (وأل) ٨/ ٤٧٤٧، وفيه: (ومنهم من شدد الواو من (أوّل) مجموعًا.

(٦) (تأليفه) ساقط من (ب).

(٧) في ج: (همزتين).

بنيت[١] (أَفْعَل) من (آب يؤوب) قلت: (أأْوَب)، ثم قلبت إحدى[٢] الهمزتين واوا، ثم أدغمت في الواو الأخرى[٣]، وهذا الوجه اختيار الأزهري، قال: إنه (أَفْعَل) من: (آل يَؤول) و(أُولَى) فُعْلى منه، قال وأراه قول سيبويه[٤]، وكأنه من قولهم: (آل يؤول) إذا نجا وسبق، ومثله: (وَأَل يئل)[٥] بمعناه، فمعنى (الأول) السابق الذي هو الابتداء.

الوجه الثاني[٦]: أن أصل تأسيسه: واوان ولام، وأدغم إحدى الواوين في الأخرى وشدد، والهمزة فيه ألف (أفعل)[٧].

وقال ابن دريد: (أَوَّل) فَوْعَل، قال: وكان في الأصل: (وَوْوَل)[٨]

---

(١) في (ب): (ثنيت).

(٢) في (ج): (أحد).

(٣) قال مكي: (أَوَّل) اسم لم ينطق منه بفعل عند سيبويه ووزنه (أَفْعَل) فاؤه واو، وعينه واو، ولذلك لم يستعمل منه فعل لاجتماع الواوات. وقال الكوفيون: هو أفعل من (وَأَل) إذا لجأ فأصله (أَوْأَل)، ثم خففت الهمزة بأن أبدل منها واو وأدغمت الأولى فيها...وقيل: إن (أول) أَفْعَل من (آل يَؤُل) فأصله: أأول، ثم قلب فردت الفاء في موضع (العين)، فصار(أَوْأَل) فصنع به من التخفيف والبدل والإدغام ما صنع بالقول الأول، فوزنه بعد القلب (أعفل)، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٤٢، ٤٣، وانظر: البيان» ١/ ٧٨.

(٤) قال سيبويه: (وأما (أَوَّل) فهو أَفْعَل، يدل على ذلك قولهم: هو أول منه ومررت بأوَّلَ منك، والأولى) «الكتاب» ٣/ ١٩٥.

(٥) في (ب): (آل) بسقوط الواو.

(٦) عند الليث.

(٧) كلام الليث والأزهري في «تهذيب اللغة» (أول) ١/ ٢٣١، «اللسان» (وأل) ٨/ ٤٧٤٧، وعبارة المؤلف أقرب إلى «اللسان»، وهذا راجع إلى تقارب نسخة ابن منظور التي اعتمد عليها مع نسخة الواحدي، والله أعلم.

(٨) في (ب): (وَوَّل) وكذا في الجمهرة، وما في (أ، ج) ورد على الأصل بفك الإدغام.

فقلبت الواو الأولى همز وأدغمت إحدى الواوين في الأخرى، فقيل: أول[١].

وقال المبرد في كتاب «المقتضب»: أول يكون على ضربين: يكون اسماً، ويكون نعتاً [موصولاً به (من كذا). فأما كونه نعتاً][٢]، فكقولك: هذا رجل أَوَّلُ منك مجيئاً، كما تقول أحسن منك وجهاً، وجاءني زيد أَوَّلَ من مجيئك، كما تقول: أسبق من مجيئك، وجئتك أَوَّلَ من أمس.

وأما كونه اسماً فقولك: ما تركت أَوَّلاً ولا آخرًا كما تقول: ما تركت له قديماً ولا حديثاً، وعلى أي الوجهين سميت به رجلاً انصرف في النكرة، لأنه في باب الأسماء بمنزلة (أَفْكَل)، وفي باب النعوت بمنزلة (أَحْمَر)[٣].

قال الفراء: ووحد الكافر، وقبله جمع، وذلك من كلام العرب فصيح جائز، إذا جاء في الاسم المشتق من الفعل كالفاعل والمفعول به، يريدون[٤] به: ولا تكونوا أول من يكفر به، فيحذف[٥] (من) ويقوم الاسم المشتق من الفعل مقامها[٦]، فيؤدي عن مثل ما أدت (من) عنه من التأنيث والجمع، وهو

---

(١) «الجمهرة» ٢/ ١١٧٧، والنص من «تهذيب اللغة» (أول) ١/ ٢٣٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) «المقتضب» ٣/ ٣٤٠، «التهذيب» (أول) ١/ ٢٣٢، «اللسان» (وأل) ٨/ ٤٧٤٨. قال محمد عضيمة في حاشية «المقتضب»: (والخلاصة أن أول لها استعمالات ثلاثة:
- تكون أفعل تفضيل ذكرت معها (من) أو حذفت، على أن تقدرها في الكلام فتمنع من الصرف.
- وتكون اسمًا منصرفًا وذلك عند حذف (من) وعدم تقديرها.
- وتكون ظرفًا منصوبًا أو مبنيًّا على الضم كالغايات. «المقتضب» ٣/ ٣٤.

(٤) في «المعاني»: (يراد به) ١/ ٣٢.

(٥) في «المعاني»: (فتحذف).

(٦) في «المعاني»: (ويقوم الفعل مقامها).

في لفظ توحيد، ولا يجوز في مثله من الكلام: (أنتم أَفْضَلُ رجل)، ولا (أنتما خير رجل) ؛ لأن الرجل يثني ويجمع ويفرد، فيعرف واحده من جمعه، واسم الفاعل قد يكون لـ (من) فيؤدي عنه[١]، وهو موحد، ألا ترى أنك تقول: الجيش [مقبل، والجند منهزم، فتوحد الفعل لتوحيده، فإذا صرت إلى الأسماء قلت: الجيش][٢] رجال، والجند رجال.

وقد قال الشاعر:

وَإِذَا هُمُ[٣] طَعِمُوا فَأَلأَمُ طَاعِمٍ
وَإِذَا هُمُ[٤] جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعِ[٥]

فجمعه وتوحيده جائز حسن[٦].

وقال البصريون في هذا: معناه: ولا تكونوا أول فريق كافر، أو أول حزب، أو أول قبيل كافر، ثم حذف المنعوت، وأقيم نعته مقامه،[٧] وهذا قول المبرد.

---

(١) عبارة الفراء في «المعاني»: (و(القائم) قد يكون لشيء، ولـ (من) فيؤدي عنهما وهو موحد) ١/ ٣٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (وهو اطعموا).

(٤) في (ب): (هموا).

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣، وورد البيت مع بيتين قبله في (نوادر أبي زيد)، وقال: قال رجل جاهلي، ص٤٣٤، وذكره الطبري ١/ ٢٥٢، وابن عطية ١/ ٢٧٠، «الدر المصون» ١/ ٣١٨.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٦٧٠.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٨، «المشكل» لمكي ١/ ٤٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ١٩٩، «البحر المحيط» ١/ ١٧٧،=

وقوله (به)[١] الأظهر أن الكناية عائدة[٢] إلى (ما) في قوله: (بما أنزلت) وهو القرآن[٣].

ويجوز أن يعود إلى (ما) في قوله: ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ والمراد به التوراة، وذلك أنهم إذا[٤] كتموا أمر النبي صلى الله عيه وسلم من كتابهم، فقد كفروا بكتابهم، كما أن من كتم آية من القرآن فقد كفر به[٥].

وإذا قلنا: الكناية تعود إلى القرآن، كان المعنى: ولا تكونوا أول كافر بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشاً كفرت قبلهم بمكة[٦].

وحكي عن أبي العالية أنه قال: الكناية تعود إلى محمد -صلى الله

= وقال ابن عطية: (وسيبويه يرى أنها نكرة مختصرة من معرفة كأنه قال: (ولا تكونوا أول كافرين به) ١/ ١٩٩، ونحوه قال أبو حيان في «البحر» ١/ ١٧٧.

(١) في (ب): (والأظهر).

(٢) في (ج): (عائد).

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» ورجحه ١/ ٢٥١، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٩٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٧٤، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٣، وأبو حيان في «البحر» ١/ ١٧٨، ورجحه وضعف الأقوال الأخرى.

(٤) (إذا) ساقط من (ب).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٩٢، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٩، «زاد المسير» ١/ ٧٤، و«القرطبي» ١/ ٢٨٣، و«البحر» ١/ ١٧٨، وضعفه ابن جرير، وقال: لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في (به) على (ما) التي في قوله: (لما معكم) لأن ذلك، وإن كان محتملا ظاهر الكلام، فإنه بعيد، مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل . . . إلخ. «تفسير الطبري» ١/ ٢٥١.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٢، و«تفسير أبي الليث» ١/ ١١١٤، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٦٩، و«تفسير البغوي » ١/ ٨٧، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ١٧٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ٨٩.

عليه وسلم(١).

وإنما قيل لهم: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ لأن الخطاب لعلماء اليهود، فإذا كفروا كفر معهم الأتباع(٢).

فإن قيل: ما في(٣) (أن تكونوا أول كافر به) من العظم، على ثان كافر؟ قيل: إنهم إذا كانوا أئمة في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم(٤).

قال الزجاج: اللغة القُدمى فتح الكاف من (كافر) والإمالة في الكاف - أيضا - جيد(٥)، لأن (فاعلاً) إذا سلم من حروف الإطباق، والحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغة إلا في لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة تميم(٦)، وحروف الإطباق (الطاء والظاء والصاد الضاد) فلا تجوز الإمالة(٧) في ظالم وطالب وضابط وصابر، وحروف الاستعلاء (الخاء،

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٥٢، «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٤، و«تفسير ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٧١، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٨٣، وكذا أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ١٧٨.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٢، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٤، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨أ، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٧.

(٣) في (ج): (ما في قوله: وأن تكونوا) ولعله أولى.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨أ، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٧، «زاد المسير» ١/ ٤٧، و«تفسير الرازي» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ١٧٨.

(٥) قال ابن الجزري في «النشر»: (انفرد صاحب المبهج عن أبي عثمان الضرير عن الدوري بإمالة (أول كافر به) فخالف سائر الرواة..) «النشر» ٢/ ٦٦. وقال عبد الفتاح القاضي: (لا إمالة لأحد في ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» ص٣١.

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٦٨.

(٧) في (ب): (الا في).

والغين، والقاف)[١] لأنها من أعلى الحنك و اللهاة، فلا تجوز الإمالة في: غافل وخادم وقاهر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾. أي: ببيان صفة محمد ﷺ ونعته عرضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساء[٣] اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامهم، فخافوا إن هم بينوا صفة محمد - ﷺ، وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرئاسة، فاختاروا الدنيا على الآخرة[٤].

قال أبو علي: المعنى[٥] (ذا ثمن) فهو من باب حذف المضاف، لأنه إنما يشتري ما هو ذو ثمن لا الثمن[٦]. ويجوز أن يكون معنى الاشتراء

---

(١) ذكر سيبويه حروف الاستعلاء سبعة حروف هي المذكورة هنا، وأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، و(الخاء)، و(الغين)، والقاف) لا إطباق فيها مع استعلائها، «الكتاب» ٤/ ١٢٨، «سر صناعة الأعراب» ١/ ٦١، ٦٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٣، نقل الواحدي كلامه بتصرف.

(٣) في (ج): (راسا).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨أ، ونحوه ذكر الطبري ١/ ٢٥٣، وأبو الليث ١/ ١١٤ . قال ابن كثير ١/ ٨٩: (يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها فإنها قليلة فانية..)، وقد ذكر ابن عطية أقوالا في الثمن الذي نهوا أن يشتروه بالآيات، ١/ ١٧١-١٧٢، وكذا أبو حيان في «البحر» ١/ ١٧٨.

(٥) (المعنى) ساقط من (ب).

(٦) قال الفراء: (وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في المبيوع أو المشترى، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين ولا يكونان ثمنا معلوما مثل الدنانير والدراهم.. فإن جئت إلى (الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن..) «معاني القرآن» ١/ ٣٠، ومعنى كلامه: أنه إذا لم يكن دنانير ولا دراهم في البيع صح أن يكون كل واحد من المبذول ثمنا ومثمنا، انظر: «البحر» ١/ ١٧٨، «الدر المصون» ١/ ٣١٩.

الاستبدال، فيكون المعنى: ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا فيستغنى عن تقدير المضاف[(١)].

و(القليل) نقيض[(٢)] الكثير، قَلَّ الشيء يَقِلُّ قِلَّة[(٣)].

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ فاخشون في أمر محمد، لا ما يفوتكم من الرئاسة[(٤)].

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الآية. يقال: لَبَسْتُ الأمر أَلْبِسُه لَبْساً، إذا خلطته وشبهته[(٥)].

وقال ابن دريد: لَبَسْتُ الأمر ولَبَّستُه، إذا عميتُه، ومنه ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩] ويقال: في أمره لُبْسَة أي ليس بواضح[(٦)].

قال ابن السكيت يقال (في أمره لَبْسٌ، أي: اختلاط)[(٧)].

و(اللباس) ما واريت به جسدك. هذا هو الأصل في اللباس[(٨)]، ثم

---

(١) انظر: «البحر» ١/ ١٧٨، «الدر المصون» ١/ ٣١٩.

(٢) في «اللسان»: (القلة خلاف الكثرة) «اللسان» (قل) ٦/ ٣٧٢٦.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (قلل) ٣/ ٣٠٣٦، «اللسان» (قل) ٦/ ٣٧٢٦.

(٤) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٨أ، ونحوه عند أبي الليث في «تفسيره» ١/ ١١٤، وقال ابن جرير: (فاتقون) في بيعكم آياتي بالخسيس من الثمن و شرائكم بها القليل من العرض، وكفركم بما أنزلت على رسولي وجحودكم نبوة نبيّ أن أحل بكم ما أحللت بأسلافكم..) ١/ ٢٥٤، وانظر: «تفسيرابن كثير» ١/ ٨٩.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (لبس) ٤/ ٣٢٢٨، «اللسان» (لبس) ٧/ ٣٩٨٦.

(٦) (الجمهرة) ١/ ٢٨٩.

(٧) «إصلاح المنطق» ص١١، وانظر: «تهذيب اللغة» (لبس) ٤/ ٣٢٢٨، والنص من «التهذيب».

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» (لبس) ٤/ ٣٢٢٨، «مجمل اللغة» (لبس) ٣/ ٨٠١، «اللسان» (لبس) ٧/ ٣٩٨٦.

يقال: لَبِسْتُ فلاناً، أي استمتعت به[١]. قال:

وَحُقَّة مِسْكٍ مِنْ نَسَاءٍ لَبِسْتُهَا ... شَبَابِي وَكَأْسٍ بَاكَرَتْنِي شَمُولُهَا[٢]

وفي فلان مَلْبَس، إذا كان فيه مستمتع[٣].

قال امرؤ القيس:

أَلَا إن بَعْدَ الفَقْرِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةً ... وَبَعْدَ المشِيبِ طُولَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا[٤]

و(الباطل) الذاهب الزائل، يقال: بطل الشيء يبطل بُطُولًا وبُطْلَانًا، و(البُطْل) - أيضًا مثل الباطل، وأبطل الشيء جعله باطلا، وأبطل فلان جاء بالكذب وادعى باطلا[٥].

ومعنى الآية: لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم، من تغيير صفته وتبديل نعته[٦].

---

(١) في «التهذيب»: لَبِسْت امرأة: أي: تمتعت بها زمانا، ولَبِسْت قوما، أي: تمليت بهم دهرا. (لبس) ٤/ ٣٢٢٨.

(٢) البيت لعبد الله بن عجلان النهدي في «الحماسة بشرح المرزوقي» ٣/ ١٢٥٩، «الكامل» ٢/ ٢٩٢.

(٣) في (ب): (مستمع). انظر: «المجمل» «لبس» ٣/ ٨٠٨، «مقاييس اللغة» (لبس) ٥/ ٢٣٠، «اللسان» (لبس) ٧/ ٣٩٨٦.

(٤) يقول بعد الشدة رخاء، وبعد الشيب عمر ومستمتع، وهذا مثل ضربه لنفسه، و(الْقِنْية: ما اقتنيت من شيء فاتخذته أصل مال. والْمَلْبَس: المستمتع و المنتفع، وفي «الديوان» وأكثر المصادر (بعد العدم) بدل (الفقر)، انظر: «ديوان امرئ القيس» ص٨٧، «تهذيب اللغة» (لبس) ٤/ ٣٢٢٩، «مجمل اللغة» ٣/ ٨٠١، «مقاييس اللغة» ٥/ ٢٣٠، «اللسان» ٧/ ٣٩٨٧، و«القرطبي» ١/ ٢٩٠.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (بطل) ١/ ٣٥٠، «اللسان» ١/ ٣٠٢، و«القرطبي» ١/ ٣٤١.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨ب، انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٩٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٩، و«ابن عطية» ١/ ٢٧٢، و«القرطبي» ١/ ٢٩١.

قال مقاتل: إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا لِيُصَدَّقوا في ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ الذي تُقرّون به وتبينونه ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾، يعني بما[1] تكتمونه، فالحق بيانهم والباطل كتمانهم[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾.

قال الفراء[3]: إن شئت جعلت ﴿وَتَكْتُمُوا۟﴾ في موضع جزم بالعطف[4]، وإن شئت جعلتها في موضع نصب[5] على (الصرف)، ومثله[6]: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٢٧]، ومعنى (الصرف) أن تأتي[7] بالواو معطوفاً[8] على كلام في أوله حادث لا تستقيم[9] إعادتها في

---

(١) (بما) ساقط من (أ)، (ج)، وأثبها من (ب) لأن السياق يقتضيها، وهي ثابتة في (تفسير الثعلبي) ١/ ٦٨ أ.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨أ، وذكره أبو الليث ولم يعزه لمقاتل ١/ ٣٣٨. وفي الآية أقوال أخرى منها: قيل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ اليهودية والنصرانية بالإسلام، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٥، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٩٨، و«ابن عطية» ١/ ٢٧٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣.

(٤) قوله: (بالعطف)، أي على (تلبسوا).

(٥) قوله: في موضع نصب على (الصرف) وباضمار أن على رأى البصريين كما سيأتي.

(٦) في (ج): (ومثله قوله)

(٧) في (أ)، (ج): (يأتي). وما في (ب) أصح في السياق وموافق لما في «معاني القرآن» ١/ ٣٤.

(٨) في «المعاني»: (معطوفة).

(٩) في (ب)، (ج): (لا يستقيم).

المعطوف[١]، كقوله:

لَاتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَه[٢]

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) في و(تأتي)، ولذلك سمي صرفا إذ[٣] كان معطوفا[٤] ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذي فيما[٥] قبله. ومثله من الأسماء التي نصبتها العرب وهي معطوفة على مرفوع، قولهم: لو تُرِكْتَ والأسدَ لأكلك[٦]، ولو خُلِّيتَ ورَأْيَك لضللت، لما لم يحسن في

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٥٥، وقد عرف أبو البركات ابن الأنباري الصرف عند الكوفيين: بأنه ما كان الثاني مخالفا لأول، ولا يحسن معه تكرار العامل الذي ورد مع الأول، «الإنصاف» ١/ ٥٥٦.

(٢) صدر بيت وعجزه:

عَارٌ عَلَيْكَ إذا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وقد اختلف في نسبته، فنسبه سيبويه للأخطل، ونسبه بعضهم لأبي الأسود الدؤلي، ونسبه بعضهم إلى المتوكل الكناني، وبعضهم إلى حسان، وبعضهم إلى الطرماح بن حكيم، وإلى سابق البربري، والبيت ورد في أغلب كتب النحو. ورد في «الكتاب» ١/ ٤٢، و«المقتضب» ٢/ ٢٥، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٤، والطبري ١/ ٢٥٥، و«الإيضاح العضدي» ١/ ٣١٤، و«الجمل» للزجاجي ص١٨٧، و«الأزهية» ص٢٣٤، و«الرصف» ص٤٨٦، و«شرح المفصل» ٧/ ٢٤، و«الخزانة» ٨/ ٥٦٤، و«شرح شذور الذهب» ص٣٦٠، و«مغني اللبيب» ٢/ ٣١٦، و«أدب الدنيا والدين» ص٣٩، و«شرح ابن عقيل» ص٢٣٣، و«أوضح المسالك» ٤/ ١٨١، وغيرها كثير.

(٣) في (ب): (إذا).

(٤) في (ج): (مطوفا).

(٥) كذا في جميع النسخ وفي «معاني القرآن» للفراء (الحادث الذي قبله) ١/ ٣٤.

(٦) في (ج): (لا كان).

الثاني أن تقول[١]: لو تركت وترك[٢] رأيك، تهيبوا أن يعطفوا حرفا لا يستقيم فيه ما حدث في الذي قبله، على الذي قبله، فنصبوا[٣].

ومذهب البصريين أن جميع ما انتصب في هذا الباب فبإضمار (أن) كأنه قيل: لا يكن منكم لبس للحق وأن تكتموه[٤].

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. أكثر المفسرين على أن المعنى: وأنتم تعلمون أنه الحق، أنه نبي مرسل قد أنزل عليكم ذكره في كتابكم، فليس بمشتبه عليكم شيء من أمره ونسبه، وعلى هذا إنما كفروا لأنهم جحدوا نبوته فلم ينفعهم علمهم[٥].

والأمة اجتمعت[٦] على أن جاحد النبوة كافر، فإذا علموا بقلوبهم، ولم يكن لنا سبيل إلى أن نعلم أنهم علموا[٧]، وظهر منهم جحود، أجمعنا على أنهم كفار.

---

(١) في (أ)، (ج): (يقول وما في (ب) أولى وموافق لما في «المعاني» ١/ ٣٤.

(٢) في (ج): (ويترك).

(٣) انتهى من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣، ٣٤، بتصرف، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٤، وانظر تفاصيل الخلاف في هذه المسألة في «الإنصاف» ص٤٤٢، وقد ذكر قولاً ثالثاً لأبي عمر الجرمي، وهو أن (الواو) هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ١٧٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٦، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٠، و«القرطبي» ١/ ٢٩١، «البحر» ١/ ١٨٠.

(٦) في (ب): (اجتمعت).

(٧) حتى ولو علمنا أنهم علموا فكفرهم كفر عناد، انظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٢٩١.

وقال الزجاج في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تأتون لبسكم الحق وكتمانه على علم منكم وبصيرة أنكم تلبسون الحق[(١)].

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾. الزكاة[(٢)]: تطهير للمال وإصلاح له، وتثمير ونماء، كل ذلك قد قيل[(٣)].

والأظهر أن أصلها من الزيادة، يقال: زكا الزرع يزكو زكاء، ممدود وكل شيء يزداد فهو يزكو زكاء[(٤)].

قال النابغة[(٥)]:

وَمَا أَخَّرْتَ مِنْ دُنْيَاكَ نَقْصٌ ... وَإِن قَدَّمْتَ عَادَ[(٦)] لَكَ الزَّكَاءُ[(٧)]

أراد بالزكاء الزيادة، وهو حرف ممدود، فإذا قصر فقيل: (زكا) فمعناه الزوج[(٨)].

والعرب تقول للفرد: خسا، وللزوجين[(٩)] اثنين: زكا، قيل لهما:

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٤، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٥٥، «الكشاف» ١/ ٢٧٧، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٩٠، وقال: ويجوز أن يكون المعنى: (وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس، من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار).

(٢) (الزكاة) ساقط من (ب)، (ج).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٢، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٥٧، «اللسان» (زكا) ٣/ ١٨٤٩.

(٤) «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٢، وانظر: «الزاهر» ٢/ ١٨٧.

(٥) هو نابغة بني شيبان، انظر: «الزاهر» ٢/ ١٨٧.

(٦) في (ج): (كان اعاد).

(٧) ورد البيت في «الزاهر» ٢/ ١٨٧، «شمس العلوم» ٢/ ٢٢٣.

(٨) «الزاهر» ٢/ ١٨٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٣.

(٩) في (ب): (للزوج).

زكا، لأن الاثنين أكثر[١] من الواحد[٢]، قال الشاعر:

إذا نَحْنُ في تِعْدَادِ خَصْلِكَ لَمْ نَقُلْ
خَسًا وَزَكًا أَعْيَيْنَ مِنَّا المُعَدِّدَا[٣]

و(الزكاة): الصلاح[٤]، وأصله أيضا من زيادة الخير، يقال: رجل زَكِيٌّ أي زائد الخير[٥] من قوم أزكياء، وَزَكَّى القاضي الشهود إذا بين زيادتهم في الخير، وسمي ما يخرجه من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه وتوفره وتقيه الآفات[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾. أصل الركوع في اللغة الانحناء، وكل شيء ينكب لوجهه وتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يخفض[٧] رأسه فهو راكع، ويقال للشيخ إذا انحنى[٨] من الكبر: قد ركع[٩].

قال لبيد:

---

(١) في «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٢.

(٢) «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٢، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٧، «اللسان» (زكا) ٣/ ١٨٤٩.

(٣) في (ب): (المعواد). ورد البيت في «الزاهر» ٢/ ١٨٧، وفي شعر الكميت جمع دواد سلوم ١/ ١٦٢، وفيه: (إذا نحن في تكرار وصفك...).

(٤) «تهذيب اللغة» (زكا) ٢/ ١٥٤٢.

(٥) في (أ): (الخبر) وما في (ب)، (ج) هو الصواب.

(٦) (الآفات) ساقط من (ب). انظر (الزاهر) ٢/ ١٨٧، وانظر الطبري ١/ ٢٥٧.

(٧) في (ج): (ينخفض).

(٨) في (ب): (حنا).

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» (ركع) ١/ ١٤٦٢، «الزاهر» ١/ ١٤٠، «مقاييس اللغة» (ركع) ٢/ ٤٣٤، «اللسان» (ركع) ٣/ ١٧١٩.

أَدِبُ كَأَنِي كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ[(١)]

فالراكع: المنحني في قول لبيد.

وقال[(٢)] آخر:

وَلَكِنِّي أَنُصُّ العِيَسَ تَدمَى أَظلتها[(٣)] وَتَرْكَعُ بِالحُزُونِ[(٤)]

أي تنكب لوجوهها.

قال المفسرون: معناه[(٥)]، وصلوا مع المصلين محمد وأصحابه، فعبر بالركوع عن جميع الصلاة، ،إذ كان ركناً من أركانها، كما عبر باليد عن الجسد[(٦)] في قوله ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠].

---

(١) عجز بيت صدره:

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ التِي مَضَتْ

ورد في «الزاهر» ١/ ١٤٠، «تهذيب اللغة» (ركع) ١/ ١٤٦٢، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨ب، «المجمل» (ركع) ٢/ ٣٩٧، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٣٥، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٥، و«القرطبي» ١/ ٢٩٣، «ديوان لبيد» مع شرحه ص١٧١.

(٢) في (ج): (وقا).

(٣) في (ج): (اضلعها).

(٤) البيت للطرماح، ويروى:

وَلَكِنيِّ أَسِيرُ العَنْسَ يَدْمَى أَظَلاًّها ....

العيس: الإبل، الأَظَل: باطن مَنْسم الناقة والبعير، ويدمى أظلاها من شدة السير، الحزون: جمع حزن، ما غلظ من الأرض في ارتفاع وخشونة، فهي تعثر وتقع في الحزون: فقال: تركع على التشبيه، انظر: «العين» ١/ ٢٢٧، «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٩٦، «ديوان الطرماح» ص٥٣٢.

(٥) (معناه) سقط من (ب).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٨ب، انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٥، و«ابن عطية» ١/ ٢٧٤، و«البغوي » ١/ ٨٨، «زاد المسير» ١/ ٧٥، و«القرطبي» ١/ ٢٩٣.

وقيل: إنما عبر بالركوع عن الصلاة، لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الإنسان في صلاة، وإنما قال: (واركعوا) بعد قوله: (وأقيموا الصلاة) وكان الركوع داخلا في الصلاة، لأنه أراد الحث على إقامة الصلاة جماعة[(١)].

وقيل: لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع، فذكر ما اختص بشريعة الإسلام، والآية خطاب لليهود[(٢)].

٤٤- قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الآية. نزلت في علماء اليهود، لأنهم كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه، ولا يؤمنون[(٣)]. و(الألف) للاستفهام[(٤)]، ومعناه: التوبيخ والتهديد[(٥)]، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة[(٦)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٥، و«الكشاف» ١/ ٢٧٧، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٨.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٤-٢٧٥، «الكشاف» ١/ ٢٧٧، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٨، «زاد المسير» ١/ ٧٥، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٩٣. وفسر الطبري الركوع: بالخضوع لله بالطاعة فهو أمر لبني إسرائيل بالخضوع لله بالطاعة ١/ ٢٥٧، وذكر نحوه الزمخشري ١/ ٢٧٧.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٨ب، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ص٢٧، وذكره السيوطي في «لباب النقول» ص١٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٧٤. وأخرج الطبري بمعناه عن ابن عباس «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٨، وفي الآية النهي عن أمرهم الناس بطاعة الله وهم يعصونه، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٧-٢٥٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥.

(٤) في (ج): (الاستفهام).

(٥) في (ب): (التقرير).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٤، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٥، «الكشاف» ١/ ٢٧٧، و«القرطبي» ١/ ٣١١.

والمراد بالبر: الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم(١).

و(النسيان) هاهنا بمعنى الترك(٢) من قوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ويأتي بسط الكلام في النسيان ووجوهه عند قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة:٦٧](٣) إن شاء الله.

وقال أبو إسحاق: معنى الآية أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بكتابهم، ويتركون هم التمسك به، لأن جحدهم النبي -صلى الله عليه وسلم- هو تركهم التمسك(٤). فالبر على هذا القول: التمسك بالتوراة.

وقال بعضهم: إن اليهود كانوا يأمرون الناس بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، فلما ظهر كفروا به(٥)، فذلك قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾. أي: تقرؤون التوراة، وفيها صفة محمد -صلى الله عليه وسلم- ونعته(٦).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتتبعونه(٧).

---

(١) ذكره ابن جرير عن ابن عباس «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٧٥، وقيل: البر: أمرهم أتباعهم بالتمسك بالتوراة، وقيل: أمرهم ببذل الصدقة وهم لا يفعلون. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٥، «زاد المسير» ١/ ٧٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٩١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٩، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٥، «زاد المسير» ١/ ٧٥.

(٣) انظر: «البسيط» ١/ل ٢٣٧ (من نسخة إستانبول).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥، وفيه (التمسك به..).

(٥) ذكره الرازي، وقال هو اختيار أبي مسلم «تفسير الرازي» ٣/ ٤٦.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨ب، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٩، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٨.

(٧) في (ج): (فتتبيعونه).

وأصل التلاوة من قولهم: تلاه يتلوه، إذا تبعه، والتلاوة اتباع الحروف[١].

ويقال: عقَل الرجل يعقِل عقلاً، إذا كان عاقلًا[٢]، وعقل الإنسان هو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان، سمي عقلاً لأنه يعقله أي يمنعه عن التورط[٣] في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه. ومن هذا سميت الدية عقلاً لأنها إذا وصلت إلى ولي المقتول عقلته عن قتل[٤] الجاني، أي منعته[٥].

وقال الأصمعي: عقَل الظبي يعقِل عُقُولًا، إذا امتنع، ومنه سمى الوَعِل عاقلاً، والحصن مَعْقِلًا. وعَقَلَ الدواءُ بطنَه إذا أمسكه بعد استطلاقه[٦].

فأصل هذا الحرف من المنع، ثم لما كان الإنسان يعرف الشيء بعقله، سمي العلم عقلاً في[٧] بعض المواضع، فيقال عقلت كذا، أي علمته[٨].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (تلا) ١/ ٤٤٥-٤٤٦، «مفردات الراغب» ص٧٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣١٥.

(٢) ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن الأصمعي، «تهذيب اللغة» (عقل) ٣/ ٢٥٢٥.

(٣) في (ب): (التوريط).

(٤) في (ب): (عقل).

(٥) «تهذيب اللغة» (عقل) ١/ ٢٥٢٤، وانظر: «اللسان» (عقل) ٥/ ٣٠٤٧.

(٦) «تهذيب اللغة» (عقل) ١/ ٢٥٢٥، وانظر: «مقاييس اللغة» (عقل) ٤/ ٧٢، «اللسان» (عقل) ٥/ ٣٠٤٦.

(٧) في (ب): (وفي).

(٨) انظر: «مقاييس اللغة» ٤/ ٦٩.

٤٤- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية. قال أبو عبيد[١]: أصل الصبر الحبس، وكل من حبس شيئا فقد صبره، ومنه الحديث في رجل أمسك رجلا وقتله آخر، فقال: (**اقتلوا القاتل، واصبروا الصابر**)[٢] أي: احبسوا الذي حبسه حتى يموت، ومنه قيل للرجل يُقدَّم فتضرب[٣] عنقه: قُتل صبراً، يعني أنه أُمسِكَ على الموت، وكذلك لو حبسَ رجل[٤] نفسه على شيء يريده قال: صبرتُ نفسي. قال عنترة:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً   تَرْسُو إذَا نَفْسُ الجَبَانِ تَطَلَّعُ[٥]

ومن هذا (يمين الصبر) وهو أن يحبس على اليمين حتى حلف بها[٦].

---

(١) في (ب): (أبو عبيدة). والصحيح: أبو عبيد، انظر: «غريب الحديث» ١/ ١٥٥.

(٢) الحديث ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» بدون سند، وفي الهامش قال المحقق: زاد في (ر): قال سمعت عبد الله بن المبارك يحدثه عن إسماعيل بن أميه يرفعه. «غريب الحديث» ١/ ١٥٥، وذكره الثعلبي ١/ ٦٩أ، والأزهري في «تهذيب اللغة» عن أبي عبيد ٢/ ١٩٧٢، وهو في «الفائق» ٢/ ٢٧٦، «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٨، «غريب الحديث» لابن الجوزي ١/ ٥٧٨، وذكره في «كنز العمال» عن أبي عبيدة عن إسماعيل بن أمية مرسلا، ١٥/ ١٠.

(٣) في (ج): (فيضرب) وكذا في «الغريب» لأبي عبيد.

(٤) في (ب): (رجلا).

(٥) يقول: صبرت عارفة: أي حبست نفسًا عارفة لذلك، أي نفسه، والعارفة الصابرة، ترسو: أي تثبت وتستقر، تطلع: تطلع نفس الجبان إلى حلقه من الفزع والخوف، البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٥٥، «تهذيب اللغة» (صبر) ٢/ ١٩٧٢، «مقاييس اللغة» (صبر) ٣/ ٣٢٩، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩أ، «اللسان» (صبر) ٤/ ٢٣٩١، و(عرف) ٥/ ٢٨٩٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣١٧، «فتح القدير» ١/ ١٢٤، «ديوان عنترة» ص٢٦٤.

(٦) انتهى كلام أبي عبيد، «غريب الحديث» ١/ ١٥٥، «تهذيب اللغة» (صبر) ٢/ ١٩٧٢.

ومعنى الآية: استعينوا بالصبر على أداء الفرائض واجتناب المحارم واحتمال الأذى وجهاد العدو وعلى المصائب والصلاة[(١)]، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقال مجاهد: الصبر في هذه الآية الصوم، ويقال لشهر رمضان شهر الصبر، وللصائم صابر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾. قال الحسن والضحاك: ثقيلة[(٣)].

والأصل في ذلك أن ما يكبر[(٤)] يثقل على الإنسان حمله. فقيل لكل ما يصعب على النفس - وإن لم يكن من جهة الحمل -: يكبر عليها، كقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقوله: (وإنها) ولم يقل: (وإنهما) بعد ذكر الصبر والصلاة، لأنه كنى عن الأغلب والأفضل والأهم[(٥)]، وهو الصلاة، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) قال الثعلبي: واستعينوا على ما يستقبلكم من أنواع البلايا، وقيل: على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة على تحميص الذنوب «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٨ب، وعند الطبري الاستعانة تكون بالصبر والصلاة، ١/ ٢٥٩، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٦، و«البغوي» ١/ ٨٩، «زاد المسير» ١/ ٧٥، و«ابن كثير» ١/ ٩٢-٩٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٥٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩أ و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٧، و«تفسير البغوي» ١/ ٨٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٢.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٦١، عن الضحاك في «تفسيره» ١/ ٢٦١، وذكره ابن الجوزي عن الحسن والضحاك، «زاد المسير» ١/ ٧٦، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣١٨.

(٤) في (أ)، (ج): (ماما يكبر) وأثبت ما في (ب)، لأنه هو الصواب.

(٥) في (ج): (الأعم).

يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤][1]، وقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] هذا قول المُؤَرِّج[2].

وقال الأخفش[3]: الكناية راجعة إلى كل واحد منهما، أراد وإن كل خصلة منها لكبيرة، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] أراد كل واحد منهما قال الشاعر[4]:

والْمُسْيُ والصُّبْحُ[5] لاَ فَلَاحَ مَعَهْ[6]

وقيل: رد الهاء إلى الصلاة، لأن الصبر داخل في الصلاة، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] لأن رضى الرسول داخل في رضى الله تعالى[7]. وقال حسان:

إنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ والشَّعْرِ الأَسْـ ـوَدِ ما لم يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا[8]

---

(١) في الآية رد الكناية إلى الفضة، لأنها أعم وأغلب. «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩أ

(٢) كلام المؤرج أورده الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٦٩ / أ. المؤرج هو أبو فَيْد مؤرِّج بن عمرو بن الحارث بن ثور السدوسي النحوي البصري، أخذ عن الخليل، توفي سنة خمس وتسعين ومائة، انظر ترجمته في: «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي ص٧٥، «تاريخ بغداد» ١٣/ ٢٥٨، «وفيات الأعيان» ٥/ ٣٠٤، «إنباه الرواة» ٣/ ٣٢٧.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩أ.

(٤) هو الأضبط بن قريع السعدي.

(٥) في (ج): (الصباح).

(٦) سبق البيت وتخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥] ص٨٤، والشاهد قوله: (معه) والمراد: «معهما»

(٧) فلم يقل (يرضوهما) الثعلبي ١/ ٦٩أ.

(٨) قوله: شرخ الشباب: أوله، ما لم يعاص: أي ما لم يُعْصَ.
ورد البيت في «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، «تهذيب اللغة» (شرح) ٢/ ١٨٥١، «تأويل المشكل» ص٢٨٨، «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٨، «اللسان» (شرخ) ٤/ ٢٢٢٩،=

ولم يقل: يعاصيا، لأن الشَّعر الأسود داخل في الشباب[(١)].

وقال الحسين بن الفضل: رد الكناية إلى الاستعانة، لأن (استعينوا) يدل على المصدر[(٢)].

والأصل في هذا وأمثاله أن العرب تذكر شيئين، ثم تخبر عن أيهما شاءت، فتكتفي بالخبر عن أحدهما عن الثاني، لأن فيه دلالة على الثاني[(٣)] كقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢] وقول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا
عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأيُ مُخْتَلِفُ[(٤)]

= «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٦٩، «تفسير والقرطبي» ١/ ٣١٩، «فتح القدير» ١/ ١٢٤، «البحر» ١/ ١٨٥، «الدر المصون» ١/ ٣٣١، «ديوان حسان» ص٢٥٢.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ أ، ب، «تأويل مشكل القرآن» ص٢٨٨، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٩، و«القرطبي» ١/ ٣١٩، «البحر» ١/ ١٨٥، «الدر المصون» ١/ ٣٣٠.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، «تفسير البغوي» ١/ ٨٩، وانظر: «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣١٩.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٩، «تأويل مشكل القرآن» ص٢٨٨، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٧٩.

(٤) اختلف في نسبة هذا البيت، فنسب لقيس بن الخَطِيم، وهو في ملحقات «ديوانه» ص١٧٣، ونسبه في «الخزانة» ٤/ ٢٧٥، لعمرو بن امرئ القيس، وكذا في «جمهرة أشعار العرب» ص٢٣٧، ونسبه في «الإنصاف» ص٨٥ إلى درهم بن زيد الأنصاري، وورد البيت في «الكتاب» ١/ ٧٥، «مجاز القرآن» ١/ ٣٩، «شرح أبيات سيبويه» لابن السيرافي ١/ ٢٧٩، «المقتضب» ٣/ ١١٢، «تهذيب اللغة»=

٤٥- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾. أصل الخشوع في اللغة: السكون[١]، قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، أي سكنت، ويقال: جدار خاشع، إذا تداعى و استوى مع الأرض[٢].

قال النابغة:

وَنُؤْيٌ كَجِذْمِ الحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ[٣]

ومنه الحديث (**كانت الكعبة خُشعة على الماء**)[٤] أي: ساكنة، وهذا

= ٣/ ٣٠٠٣، «اللسان» (فجر) ٦/ ٣٣٥١، و(قعد) ٦/ ٣٦٨٦، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٢٢، «الهمع» ٥/ ١٤٠، (معاهد التنصيص)١/ ١٨٩، «تفسير القرطبي» ٨/ ١٢٧، «شرح ابن عقيل» ١/ ٢٤٤.

(١) انظر «تهذيب اللغة» (خشع)١/ ١٠٣٤، قال ابن فارس «الخاء والشين والعين» أصل واحد يدل على التطامن... وهو قريب من الخضوع) ٢/ ١٢٨. ونحوه قال الطبري: (أصل الخشوع: التواضع والتذلل والاستكانة) «تفسير الطبري» ١/ ٢٦١.

(٢) «تهذيب اللغة» (خشع) ١/ ١٠٣٤.

(٣) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح النعمان وصدره:

رَمَادٌ كَكُحِلِ العين لأياً أُبِينُه

يقول من الآيات التي عرف بها الدار (رماد ككحل العين، لَأياً أبينه (أي بصعوبة بطء أتبينه، و(النُّؤْيُ): حاجز حول البيت لئلا يدخله الماء، و(الْجِذْم): أصل الشيء (أثلم): تثلم: تهدم، و(الخاشع): المطمئن اللاصق بالأرض، ورد البيت في «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، «التهذيب» (خشع) ١/ ١٠٣٤، «اللسان» (خشع) ٢/ ١١٦٦، والقرطبي ١/ ٣٢٠، «ديوان النابغة» ص٥٣.

(٤) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» بسنده عن عطاء عن ابن عباس، في رواية طويلة عن خلق الأرض وفيها (..فبعث الله ريحًا هفافة فصفقت الماء فأبرز خشفة في موضع هذا البيت..) قال المحقق: (حشفة) في جميع الأصول «الأعلام»، ورواها ابن ظهيرة عن عمر بن شبة (خشعة) «أخبار مكة» ١/ ٣٢.

أخرجه الخطابي من طريق الأزرقي بنحوه، «غريب الحديث» ٢/ ٤٩٦، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣٤، وابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ٣٥.

أصله في اللغة. ثم استعمل في أشياء تعود[(١)] إلى هذا الأصل، فقيل: خشعت الأرض، إذا لم تمطر، فلم تهتز[(٢)] بالنبات، قال الله تعالى: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾[(٣)] [فصلت: ٣٩]. وخشع السنام، إذا ذهب شحمه وتطأطأ شرفه. وخشعت الأبصار، إذا سكنت ونظرت في الأرض من غير التفات. وقيل: للمطيع[(٤)] المخبت: خاشع، لسكونه إلى الطاعة[(٥)].

قال المفسرون وأصحاب المعاني: إن[(٦)] جميع العبادات داخلة تحت قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ لأنه أراد الصبر عليها[(٧)]، ولكن خصت الصلاة بالذكر تخصيصا وتفضيلا[(٨)]، كقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقوله ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

---

(١) في (ج): (يعود).
(٢) في (ب): (فتهتز).
(٣) وقد ورد سياق الآية في (أ)، (ج) (وترى) وهو تصحيف في الآية، وفي «تهذيب اللغة» وردت آية الحج: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الحج: ٥، انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣٤، والواحدي نقل كلام عنه.
(٤) في (ج): (للماصع).
(٥) «تهذيب اللغة» (خشع) ١/ ١٠٣٤، وانظر: «مقاييس اللغة» (خشع) ٢/ ١٨٢، «اللسان» (خشع) ٢/ ١١٦٦.
(٦) (إن) ساقطة من (ب).
(٧) أكثر المفسرين على أن المراد الاستعانة بالصلاة مع الصبر، لا الاستعانة بالصبر عليها، وقد تقدم الكلام على ذلك، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٨، «الكشاف» ١/ ٢٧٧، و«القرطبي» ١/ ٣١٧.
(٨) خصت الصلاة بالاستعانة بها من بين سائر العبادات لفضلها ولما يتلى فيها، انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥، و«القرطبي» ١/ ٣١٧.

وعلى قول من يقول: الصبر هو الصوم[١]، فإنما خص الصوم والصلاة، لأن القوم إنما كان يمنعهم عن الإسلام الشره وخوف ذهاب مأكلتهم[٢] وحب الرئاسة وخوف زوالها، فأمروا بالصوم الذي يذهب الشره[٣]، وبالصلاة التي تورث الخشوع وتنفي الكبر والشرف[٤]. وأريد بالصلاة الصلاة التي معها الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنها كانت تكبر[٥] على[٦] الكفار[٧]. وعند أكثر أهل العلم أن الآية خطاب لأهل الكتاب[٨]، وهو مع ذلك أدب لجميع العباد[٩]. وقال بعضهم: يرجع هذا القول إلى خطاب المسلمين فأمروا أن يستعينوا على ما يطلبونه من رضا الله وثوابه ونيل[١٠] جنته بالصبر على أداء فرائضه، والقول الأول أظهر[١١].

---

(١) هو قول مجاهد كما سبق.

(٢) في (ب): (مآكلهم) ولعله أولى.

(٣) في (ج): (الشر).

(٤) (الشرف) كذا جاءت في جميع النسخ ولعل المراد حب الرئاسة والشرف المذموم. انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٨، «زاد المسير» ١/ ٧٥، و«تفسير الرازي» ٣/ ٤٩.

(٥) في (أ): (تكفر) وما في (ب، ج) هو المثبت وهو الصواب.

(٦) في (ب): (عن).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥.

(٨) انظر: «الطبري» ١/ ٢٦١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٥، «زاد المسير» ١/ ٧٥، «تفسير الرازي» ٣/ ٤٨، «تفسير الخازن» ١/ ١١٨، و«ابن كثير» ١/ ٩٣.

(٩) قال ابن كثير: (الظاهر أن الآية وإن كانت خطابا في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص، وإنما هي عامة لهم ولغيرهم) ١/ ٩٣.

(١٠) في (ج): (قبل).

(١١) انظر: «تفسير الرازي» ٣/ ٤٨، و«تفسير الخازن» ١/ ١١٨، «البحر» ١/ ١٨٥.

٤٦- وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ الآية. أبو عبيد[١] عن أبي عبيدة قال: (الظن) يقين وشك[٢]، وأنشد:

ظَنِّي بِهِمْ كَعَسَى وَهُمْ بِتَنُوفَةٍ يَتَنَازَعُونَ جَوَانِبَ الأَمْيَالِ[٣]

البيت لابن مقبل، وفسر الظن فيه بالوجهين، فقال: أبو عبيدة يقول: اليقين فيهم كعسى، وعسى شك[٤]. وقال شمر عن أبي عمرو الشيباني: معناه ما يظن بهم من الخير فهو واجب، وعسى من الله واجب[٥].

والعرب تقول لليقين: ظن، وللشك: ظن[٦]، لأن في الظن طرفا[٧]

---

(١) في (ب): (أبو عبيدة).

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٩، «التهذيب» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص١٤، والأصمعي ص٣٤، والسجستاني ص٧٧، وابن السكيت ص١٨٨، والصغاني ص٢٣٨ (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد).

(٣) يروى البيت (ظن) و(ظنوا) بدل (ظني) وفي «الجمهرة»: (عهدي بهم) في موضع: (ظني بهم) وفي عدد من المصادر «جوائز الأمثال» وفي «الجمهرة» (جوائب) ويروى (سوائر). ولم أجد رواية (جوانب الأميال) والتنوفة: الفلاة، يتنازعون: يتجاذبون، جوائز الأمثال: (الأمثال السائرة) في البلاد، وبمعناه: (جوائب الأمثال) من جاب يجوب. ورد البيت في «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٣، «الأضداد» للأصمعي ص٣٥، والسجستاني ص٩٥، وابن السكيت ص١٨٨، «تهذيب اللغة» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، «اللسان» ٢/ ٧٢٤ (جوز)، و٥/ ٢٧٦٢ (ظن)، و٥/ ٢٩٥٠ (عسا)، «الجمهرة» ١/ ١٥٤، ٢/ ٩٣٥، «الخزانة» ٩/ ٣٣٣.

(٤) «تهذيب اللغة» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣.

(٥) «تهذيب اللغة» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، وانظر: «الأضداد» لابن السكيت ص١٨٨، «الخزانة» ٩/ ٣١٣.

(٦) قوله: (وللشك ظن) ساقط من (ب).

(٧) في (ج): (طرف).

من اليقين(١). قال الله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] وقال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال(٢): ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] كل هذا بمعنى اليقين(٣).

وقال دريد بن(٤) الصمة:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ فِي الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ(٥)

أي: أيقنوا.

وحكى الزجاج عن بعض أهل اللغة: أن الظن يقع في معنى العلم [الذي لم تشاهده، وإن كان قد قام في نفسك حقيقة(٦).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٢.

(٢) في (أ)، (ج): (وان ظنا) بسقوط (قال).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٢، «تهذيب اللغة» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص١٤.

(٤) (بن) ساقط من (ج). ودريد: مصغر: أدرد واسمه معاوية بن الحارث من هوازن، كان شجاعًا شاعرًا فحلًا، قتل في حنين مشركًا. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٥٠٤، «الخزانة» ١١/ ١١٨.

(٥) ظنوا: أيقنوا، و(المدجج): التام السلاح، سَرَاتُهم: خيارهم وأشرافهم، الفارسي المسرد: الدروع. ورد البيت في «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٢. «المجاز» ١/ ٤٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، «الأصمعيات» ص١٩٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص١٤، «الجمل» للزجاجي ص١٩٩، «جمهرة أشعار العرب» ص٢١١، «اللسان» (ظن) ٥/ ٢٧٦٢، «شرح المفصل» ٧/ ٨١، «الخزانة» ١١/ ٢٧٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١، «فتح القدير» ١/ ١٢٥، «ديوان دريد» ص٤٧.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٦. وقال: وهذا مذهب، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا. قال أبو إسحاق: وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي -رحمه الله- رواه عن زيد بن أسلم.

وقال أبو عباس: إذا كانت براهين العلم][1] أكثر من اعتراضات الشك، كان الظن يقينًا وعلمًا. وإذا كانت اعتراضات الشك أكثر من اعتراضات اليقين كان الظن كذباً. وإذا كانت اعتراضات اليقين واعتراضات الشك سواء كان ذلك ظنا، أي: كان الظن شكا[2].

وقال الليث: الظن يكون[3] اسما ومصدرا، تقول: ظننت ظنا، هذا مصدر، وتقول[4]: ظني به حسن، وما هذه الظنون، لما صيرته اسمًا جمعته، كقول النابغة[5]:

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنُونُ[6]

وحدُّ الظن: الشك الذي يرجح[7] فيه أحد النقيضين على الآخر، الظن: اليقين، لأنه يقوي أحد النقيضين بعد الشك حتى يصير إلى اليقين[8]، وقد أفصح عن ذلك أوس بن حجر في قوله:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج)، والعبارة في (أ): (أن الظن يقع في معنى العلم أكثر من..) وفي (ج): (يقع في معنى العلم اعتراضات العلم....(وعدم استقامة السياق يدل على المحذوف، وما في «معاني القرآن» للزجاج يدل على ما ذكر، ١/ ٩٦.

(٢) ذكره ابن الأنباري في (الأضداد) مع اختلاف العبارة ص١٦.

(٣) في (ج): (يكو).

(٤) في (أ)، (ج): (يقول) مع سقوط الواو.

(٥) هو الذبياني.

(٦) ورد البيت في «الشعر والشعراء» ص٨٤، وفي «تهذيب اللغة» (عرا) ٣/ ٢٣٧٣، وفيه (على عجل) بدل (خوف)، وورد الشطر الأول في «اللسان» (عرا) ٥/ ٢٩٨، وهو في «ديوان النابغة» ص٧٣، وفيه (فجئتك).

(٧) في (ب): (ترحح).

(٨) انظر: «الوجوه والنظائر» لابن الجوزي ص٤٢٤.

الأَلْـمَعِيُّ الـذِي يَظُنُّ لَـكَ الظَّـ ـنَّ كَـمَـنْ قَدْ رَأى وَقَـدْ سَـمِعَـا[(١)]

وذكر أبو القاسم الزجاجي حقيقة[(٢)] الظن في اللغة، فقال: هو اعتقاد الشيء على طريقة التقدير والحدس، فإن أصاب فيما ظن صار يقينا، وإن لم يصب كان مخطئا في تقديره، ولهذا ذكر أهل اللغة هذه اللفظة في باب الأضداد، فقالوا: الظن: يقين وشك[(٣)]، لأنه وضع لمعنى بالاعتبار يؤول[(٤)] إلى أحدهما، كما يقال: الظن يخطئ ويصيب، فإن أصاب الظان فيما اعتقد وقدر، عبر عن ذلك باليقين؛ وإن[(٥)] لم يصب كان ظنه شكًّا[(٦)].

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن الظن، فقال: النظر في المطلوب بضرب من الأمارة، بمعنى أن الأمارة لما كانت مترددة بين يقين وشك، فتقرب[(٧)]

---

(١) البيت من قصيدة لأوس بن حجر يرثي بها فضالة بن كلدة، ويروي البيت (كأن) بدل (كمن)، وقوله: (الألمعي): المتوقد ذكاء. ورد البيت في (الخصائص) ٢/ ١١٢، «المصون في الأدب» ص١٢٣، (عيون الأخبار) ١/ ٩١، «معاهد التنصيص» ١/ ١٢٨، «ديوان أوس» ص٥٣.

(٢) في (ج): (وحقيقة)

(٣) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص١٤، «الأضداد» لقطرب ص٧١، «الأضداد» للأصمعي ص٣٤، وللسجستاني ص٧٦، ولابن السكيت ص١٨٨، (والثلاثة الأخيرة ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) «تهذيب اللغة» (ظن) ٣/ ٢٢٥٣، «اللسان» (ظن) ٥/ ٢٧٦٢.

(٤) في (ج): (يوو).

(٥) في (أ)، (ج): (فإن)، وأثبت ما في (ب) لأنه أولى في السياق

(٦) انظر: «غريب الحديث» للخطابي ٣/ ٢٦، «اللسان» (ظن) ٥/ ٢٧٦٢.

(٧) في (أ): (فنفرت)، وفي (ج): (فيقرب) وأثبت ما في (ب).

تارة(١) من طرف الشك وتارة من طرف اليقين صار(٢) أهل اللغة يفسرونه بهما(٣).

وقال الأخفش في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: إنما استعمل الظن بمعنى العلم في هذا الموضع لأمرين: أحدهما: أنه تنبيه أن علم أكثر الناس بالله في الدنيا، بالإضافة إلى علمه به في الآخرة كالظن في جنب العلم.

والثاني: أن العلم الحقيقي في الدنيا بأمور الآخرة لا يكاد يحصل إلا للنبيين والصديقين.

(والملاقاة) و (اللقاء) يحتمل معاني العيان والاجتماع والمحاذاة، والمصير(٤).

كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧] أي المصير إلينا، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] أي مجتمع معكم وصائر إليكم.

قال ابن عباس: يريد الذين يستيقنون أنهم مبعوثون، وأنهم محاسبون، وأنهم راجعون إلى الله سبحانه(٥).

و(اللقاء) و(الملاقاة) حيث ذكر في القرآن يحمله المفسرون على

---

(١) (تارة) ساقط من (ب).

(٢) قوله: (اليقين صار) ساقط من (ب).

(٣) انظر: «مفردات الراغب» ص٣١٧.

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» (لقى) ٥/ ٢٦١، «الفائق» ٣/ ٣٢٥، «مفردات الراغب» ص٤٥٣، «اللسان» (لقا) ٧/ ٤٠٦٤.

(٥) أورده الواحدي في «الوسيط» عن ابن عباس، ولم أجده عند غيره فيما اطلعت عليه والله أعلم، وبمعناه عن السدي وابن جريج، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٠٣.

البعث والمصير إلى الله كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧] وقوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ١٠]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١].

ولا يمكن حمل الملاقاة في هذه الآية على المعاينة والرؤية(١)، لأن أحداً لا يستيقن(٢) أنه يرى ربه ويعاينه، بل كل واحد منا يرجو ذلك من فضل الله أن يرزقه. وقد فسر الظن هاهنا بمعنى اليقين(٣) فيحمل اللقاء على ما فسره ابن عباس(٤)، ورحمة الله(٥).

وقال أبو علي: معنى قوله: ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ ملاقو ثواب ربهم(٦)،

---

(١) قال بعض المفسرين: إن المراد بالملاقاة في الآية: الرؤية.انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٩، و«تفسير البغوي» ١/ ٩٠، «لباب التفسير» للكرماني ١/ ٢٢٧، «البحر» ١/ ١٨٦.

(٢) في (ج): (الاستيقان).

(٣) وعلى هذا أكثر المفسرين، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٠٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩/ ب، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٣.

(٤) أي: أن المراد به البعث والرجعة إلى الله والجزاء على ما عملوا. انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٦، و«ابن عطية» ١/ ٢٧٩، و«البغوي» ١/ ٦٩، و«ابن كثير» ١/ ٩٣، «البحر» ١/ ١٨٦.

(٥) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٦) ذكر هذا التقدير بعض المفسرين كابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٧٩، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١، وأبو حيان في «البحر» ١/ ١٨٦، وإن كانت الآية محتملة له، فالأولى عدم صرفها عن ظاهرها كما قال أبو حيان، وقد قالت المعتزلة بنفي رؤية الله تعالى في الآخرة. وقالوا: لفظ اللقاء لا يفيد الرؤية وأولوا الآية على أن المراد: ملاقو ثواب ربهم، كما قال الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٢٧٨، فإن قصد بتأويل الآية على هذا نفي الرؤية فهو مردود، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٧٩، «تفسير الرازي» ٣/ ٥١، «البحر» ١/ ١٨٦.

خلاف من وصف[(١)] بقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] ومثله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أي: ملاقو جزائه إن ثوابا، وإن عقابا.

وأراد (ملاقون ربهم) لأنه فيما يستقبل فتثبت[(٢)] النون[(٣)]، لأنك تقول: هو ضارب زيدا، إذا كان فيما يستقبل؛ وإذا كان قد مضى حذفت التنوين[(٤)] لا غير، ويجوز حذفه أيضا وإن كان لما يستقبل، كقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[(٥)] و﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥]، و﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] نصبت[(٦)] (وأهلك) على تقدير النون[(٧)].

---

(١) في (ب): (من وصفه). والمعنى: يقول: إن المذكورين في قوله: ﴿مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ لهم ثواب يلقونه، أما الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ فليس لهم ثواب يلقونه.

(٢) في (ب): (فيثبت).

(٣) اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي يضاف لما بعده وتحذف النون، وإذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال فعند البصريين لا يضاف، ولهذا قالوا هنا: إن النون حذفت تخفيفا، ثم تتمكن به الإضافة، وهي إضافة غير محضة. أما عند الكوفيين فيجوز إضافته ولو كان بمعنى الاستقبال، انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٤، و«تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٠.

(٤) في (ب): (النون).

(٥) آل عمران: ١٨٥، والأنبياء: ٣٥، والعنكبوت: ٥٧.

(٦) في (ب): (نصب).

(٧) أي على تقدير أن النون لم تحذف للإضافة، وأهلك منصوب بالعطف على الكاف في (منجوك)، وقيل: أهلك منصوب بفعل مقدر، أي وننجي أهلك، وهذا عند من جعل الكاف في موضع جرّ، انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٥، «البحر» ١/ ١٥١.

وإنما كان كذلك[١] لأن الفعل الماضي لم يشابه[٢] الاسم، ولذلك[٣] بني، فالاسم الذي[٤] بمعناه وجب أيضًا أن لا يزال عن أصله، وأصل الأسماء أن تعمل إلا جرّاً، فبقى اسم الفاعل إذا أريد به الماضي على أصله، وإذا أريد به الحال والاستقبال حمل على المضارع لما[٥] بينهما من الشبه، وجاز الجر به إذا أريد به الاستقبال وإن استقرت مشابهته للفعل، لأنه لم يخرج عن حكم الاسمية، لأجل[٦] كونه اسما جاز أن يجر ما بعده، ولأجل ما بينه وبين المضارع من الشبه جاز أن ينصب[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾. أي يصدقون بالبعث ولا يكذبون.

ومعنى (إليه): إلى أمره وإحيائه ومسألته[٨]، لأنهم لم يخرجوا عن قبضته قط، وملكته ومثله قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] أراد إلى أمر ربك[٩]، والمعنى في الجملة إنهم يقرون بالنشأة الثانية،

---

(١) قوله: وإنما كان كذلك.. الخ هذا تعليل لإضافة اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي، وعدم، إضافته إذا كان بمعنى الحال والاستقبال.

(٢) في (ب): (يشابهه).

(٣) في (ب): (كذلك).

(٤) أي اسم الفاعل الذي بمعنى الماضي.

(٥) في (أ)، (ج): (إلى) وأثبت ما في (ب)، لأنه الصواب.

(٦) في (ب): ولا جله.

(٧) هذا التعليل على مذهب الكوفيين، أما البصريون فيقولون: تحذف النون أو التنوين منه استثقالًا، وهو مراد، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٣، و«ابن عطية» ١/ ٢٨٠.

(٨) وقيل: الضمير يرجع إلى الله تعالى. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٤، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٠، «البيان» ١/ ٨٠، و«القرطبي» ١/ ٣٢١، «البحر» ١/ ١٨٧.

(٩) قال ابن جرير: (ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل) ١٩/ ١٨، وقال البغوي: (ألم تر إلى مد ربك الظل) ٦/ ٨٦.

فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعا إليه[١].

وقال بعض أهل العلم: معنى الرجوع هاهنا العود[٢] إلى الحال الأولى، فمعنى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أنهم يرجعون إلى أن لا يكون لهم مالك سواه، يملك نفعهم وضرهم كما كانوا في بدء[٣] الخلق، لأنهم في أيام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم[٤].

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. (التفضيل) نقيض التسوية، يقال: فضله إذ ا أعطاه الزيادة، وفضله إذا حكم له بالزيادة في الفضل. و(التفضل) لبس المفضل من الثوب، وهو ما يتخفف به الإنسان في بيته، ورجل فُضُل متفضل[٥]، ومنه:

...... إِلَّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ[٦]

---

(١) أخرج ابن جرير عن أبي العالية: قال: (يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة) قال ابن جرير: (وقال آخرون: أنهم إليه يرجعون بموتهم) ١/ ٢٦٤، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٠، و«القرطبي» ١/ ٣٢١.

(٢) في (ب): (إلى العود).

(٣) في (ب): (بدو) وقد وردت هكذا في «لباب التفسير» للكرماني ١/ ٢٢٨.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ٣/ ٥١، «لباب التفسير» للكرماني ١/ ٢٢٨، «البحر» ١/ ١٨٧.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (فضل) ٣/ ٢٨٠١، «الصحاح» (فضل) / ١٧٩١، «اللسان» (فضل) ٦/ ٣٤٢٩-٣٤٣٠، «مفردات الراغب» ٣١٨.

(٦) جزء من بيت لامرئ القيس يقول:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لَنَوْمٍ ثِيَابَهَا ... لَدى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

(نضت): نزعت، (المتفضل): اللابس ثوبًا واحدًا.

البيت في «تهذيب اللغة» (نضا) ٤/ ٣٥٨٩، «اللسان» (نضا) ٧/ ٤٤٥٧، «أوضح المسالك» ص١٠٥، «شرح شذور الذهب» ص٢٨٦، «الهمع» ٣/ ١٢٣، ٤/ ٩٤، «الخزانة» ١٠/ ١٣٠، «ديوان امرئ القيس» ص١١٤.

وذلك أن ذلك الثوب فضل على سائر الثياب التي تصان وتدخر. وهذا التفضيل[(١)] هو ما ذكر في قوله ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ﴾ الآية [المائدة: ٢٠] . وأراد بـ (العالمين) عالمي زمانهم[(٢)]، والخطاب للموجودين منهم في ذلك الوقت والمراد به سلفهم، ولكن في تفضيل الآباء شرفا للأبناء، ولذلك قال لهم: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾[(٣)].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ الآية. لا تجزي معناه: لا تقضي ولا يغني[(٤)]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بردة بن نِيَار[(٥)]: (ولا تجزي عن أحد بعدك)[(٦)]، معناه:

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ٣/ ٥٢، و«ابن كثير» ١/ ٩٤.

(٢) ذكره ابن جرير عن قتادة وأبي العالية ومجاهد وابن زيد، وقال ابن جرير: أخرج مخرج العموم ويراد به الخصوص١/ ٢٦٤-٢٦٥، وكذا قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص٣٨، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، وابن عطية ١/ ٢٨١، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١، «زاد المسير» ١/ ٧٦، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٤.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨١.

(٤) كذا في (أ)، (ج) وفي (ب) بدون إعجام، وفي «الوسيط»: (لا يقضي ولا يغني) وفي الحاشية قال: في (أ)، (ب): (لا تقضي ولا تعني) ١/ ٩٩، وفي «تفسير الطبري»: (لا تقضي ولا تغني)، ١/ ٢٦٦، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، «تهذيب اللغة» (جزى) ١/ ٦٠١.

(٥) هو أبو بُردة بن نِيَار بن عمرو الأنصاري، من حلفاء الأوس، صحابي جليل شهد العقبة وبدرا والمشاهد النبوية الأخرى، توفي سنة اثنتين وأربعين، انظر «طبقات ابن سعد» ٣/ ٤٥١، «الإصابة» ٤/ ١٨، ٣/ ٥٩٦، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥.

(٦) قطعة من حديث في قصة أبي بردة بن نِيَار، حينما ذبح قبل صلاة العيد، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يضحي بالجذعة المعزى. أخرجه البخاري في عدة=

ولا تقضي[١]، ومنه أيضا ما روي (أن رجلا كان يداين للناس، وكان له كاتب ومتجاز، وكان يقول له: إذا رأيت الرجل معسرا فأنظره، فغفر الله له[٢]، فالمتجازي: المتقاضي[٣].

ومنه الجزية، لأن معناها في كلام العرب: الخراج المجعول على الذمي، سمي جزية لأنها قضاء منه[٤].

قال أهل[٥] العربية: وأصل هذا الحرف من الجزاء الذي هو

= مواضع، فأورده (٩٥٥) كتاب (العيدين) باب (الأكل يوم النحر). و(٩٦٥) باب (الخطبة بعد العيد)، و(٩٦٨) باب: (التبكير إلى العيد)، و(٩٨٣) باب (كلام الإمام والناس في خطبة العيد). و(٥٥٤٥) كتاب (الأضاحي) باب (سنة الأضحية)، و(٥٥٥٦) باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بردة ضح بالجذع من المعز)، و(٥٥٦٠) باب (الذبح بعد الصلاة). و(٥٥٦٣) باب (من ذبح قبل صلاة وأعاد). أخرجه مسلم من عدة طرق (١٩٦١) كتاب الأضاحي، وأخرجه أبو داود (٢٨٠٠) كتاب: (الأضاحي) باب (ما يجوز من السن في الضحايا)، وأحمد في «مسنده» ٤/ ٢٨٢، ٢٩٨، ٣٠٣ كلهم عن البراء.

(١) ذكره أبو عبيد عن الأصمعي. «غريب الحديث» ١/ ٤٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (جزى) ١/ ٦٠١.

(٢) الحديث بهذا النص ذكره أبو عبيد في الغريب قال: (ومنه حديث يروى عن عبيد ابن عمير: (أن رجلا كان يداين الناس..) الحديث. «غريب الحديث» ١/ ٤٣. ولم أجده بهذا اللفظ، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه**» (٢٠٧٨) كتاب البيوع باب (من أنظر معسرًا)، وأخرج مسلم (١٥٦٢) كتاب (البيع)، باب (فضل إنظار المعسر). ذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير» «وزيادته» (٤٤٥٤).

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٣، «الصحاح» (جزى) ٦/ ٢٣٠٢.

(٤) «تهذيب اللغة» (جزى) ١/ ٦٠٢.

(٥) في (ب): (وقال) و(أهل) ساقط.

المكافأة، ومقابلة الشيء بالشيء، فيجزي بمعنى: يكفى، لأنه يقابل فيه الشيء بمقداره[١].

ومعنى (لا تجزي نفس عن نفس) أي لا يقابل مكروهها بشيء يدرؤه عنها[٢].

وموضع (لا تجزي) نصب، لأنه صفة ليوم[٣]. والعائد على اليوم محذوف من الآية، واختلف النحويون فيه، فقال الفراء[٤]: التأويل: (لا تجزي فيه نفس عن نفس) ثم حذفت الصفة[٥]، ومثله قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ

(١) قال الأزهري: (وبعض الفقهاء يقول: أجزى عنك بمعنى جزى، أي: قضى. وأهل اللغة يقولون: أجزأ بالهمز، وهو عندهم بمعنى: كفى «تهذيب اللغة» (جزى) ١/ ٦٠١، وانظر: «الصحاح» (جزى) ٦/ ٢٣٠٢، «اللسان» (جزى) ٢/ ٦٢١، قال الطبري في «تفسيره»: (وأصل (الجزاء) في (كلام العرب): القضاء والتعويض...، وقال قوم من أهل العلم بلغة العرب: (يقال: أجزيت عنه كذا): إذا أعنته عليه، وجزيت عنك فلانا: إذا كافأته. وقال آخرون منهم: بل(جزيت عنك): قضيت عنك، و(أجزيت): كفيت، وقال آخرون منهم: (بل هما بمعنى واحد..) وزعم آخرون أن (جزى) بلا همز: قضى. و(أجزأ) بالهمز: كافأ. «تفسير الطبري» ١/ ٢٢٦، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٣٨-٣٩.

(٢) قال ابن جرير في «تفسيره» : (واتقوا يومًا لا تقضي نفس عن نفس شيئًا ولا تغني عنها عنى) الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٦٦، و«تفسير أبي الليث» ١/ ١١٦، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٦٩ب، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٢، و«تفسير البغوي» ١/ ٩٠، و«تفسير الرازي» ٣/ ٥٤، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٥.

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٤٤، «البيان» ١/ ٨٠، «الإملاء» ١/ ٣٥، وقال النحاس: قوله: (لا تجزى) في موضع نصب عند البصريين على نعت لليوم، وعند الكوفيين صلة. «إعراب القرآن» ١/ ١٧١.

(٤) انظر «معاني القرآن» الفراء ١/ ٣١.

(٥) مراده بالصفة حرف الجر، كما هو في اصطلاح الكوفيين، وهو هنا (في) المتصل=

ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [غافر: ١٨] والمعنى: ما للظالمين فيه من حميم(١)، وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١] أي: فيه، وهذا أيضا مذهب سيبويه(٢).

وكان الكسائي لا يجيز إضمار الصفة، ويقول: إن المحذوف هاهنا(٣) (الهاء) وتقديره كأنك قلت: (**واتقوا يوما لا تجزيه نفس عن نفس**) فجعل اليوم مفعولا على السعة، ثم ألقيت الهاء، كما تقول: رأيت رجلا أحبّ، تريد (أحبه)(٤) وينشد على هذا(٥):

قَدْ صَبَّحَتْ صَبَّحَهَا السَّلَامُ بِكَبِدٍ خَالَطَهَا السَّنَامُ
في ساعة يُحَبُّهَا الطَّعَامُ(٦)

= بالضمير العائد على اليوم. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٤، ٤٥.

(١) انظر: «الحجة» ٢/ ٤٥.

(٢) وهو مذهب البصريين وجماعة من الكوفيين، انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧١، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٨، «المشكل» لمكي ١/ ٤٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٢، «البحر» ١/ ١٨٩، ١٩٠، قال أبو حيان: والوجهان يعني تقديره: لا تجزى فيه ولا تجزيه، جائزان عند سيبويه والأخفش والزجاج، انظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١-٣٢٢.

(٣) في (ج): (هنا).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢، والزجاج ١/ ٩٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧١، «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٥، و«البيان» ١/ ٨٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١، «البحر» ١/ ١٩٠.

(٥) في (ب): (على هذا قال).

(٦) الرجز لم ينسب، والرواية في جميع المصادر (سنام)، ومعنى: (صبحت): أتت بالصبوح، واستعمله في الطعام الذي أتته به مجازا، ويدعوا لها بالخير: (صبحها السلام)، لأنها أتته به على حاجة شديدة للطعام. ورد الزجر في «معاني القرآن»=

يعني يُحَبُّ فيها، فجعل الظرف مفعولا على السعة، وهذا أيضا مذهب الأخفش[(١)].

قال الكسائي: ولو أجزت إضمار الصفة هاهنا لأجزت: أنت الذي كلمت، وأنا أريد: كلمت فيه، وهذا رجل قصدت، وأنا أريد: إليه، وهذا رجل أرغب، وأنا أريد: فيه، ولم يجز إضمار حرف الصفة في هذه المواضع كذلك في الآية[(٢)].

قال الفراء والزجاج وجماعة النحويين: لا يلزم ما ذكره الكسائي، لأن الصفة مع الظروف جائزة الحذف، ألا ترى أنك تقول: أتيتك يوم الخميس [وفي يوم الخميس][(٣)] فيكون المعنى واحد، وإذا قلت: كلمتك، كان غير معنى كلمت فيك، فلما اختلف المعنى مع الأسماء التي لا تكون ظروفا لم يجز إضمار الصفة معها. و(اليوم) من أسماء الزمان، وأسماء الزمان يكون فيها ما لا يكون في غيرها[(٤)].

قال أبو علي[(٥)]: الظروف نوع من أنواع المفعولات المنتصبة عن

= للفراء ١/ ٣٢، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٦٥، «الكامل» ١/ ٣٤، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٥، «المخصص» ١٢/ ٢٤٣، ١٤/ ٧٥.

(١) مذهب الأخفش جواز الوجهين كما سبق، انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٥٨-٢٦٠.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٦٠، و«معاني الفراء» ١/ ٣٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧١، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢١، و«البحر» ١/ ١٩٠.

(٣) (وفي يوم الخميس) ساقط من (أ)، (ج) والواو من قوله: (وفي) ساقطة من (ب) وثوبتها يقتضيه السياق، الجملة بهذا النص في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢، و«معاني الأخفش» ١/ ٢٦٠، و«معاني الزجاج» ١/ ٩٩.

(٥) نقل الواحدي عن «الإغفال» ص١٧٤ (رسالة ماجستير).

تمام الكلام، وهو زمان أو مكان[١].

فأما أسماء الزمان: فالفعل يتعدى إلى مختصه ومبهمه ومعرفته ونكرته وكل نوع منه، كما يتعدى إلى المصدر، وكل ضرب منه. وإنما كان كذلك لاجتماعهما[٢] في دلالة الفعل عليهما.

ألا ترى أن في لفظ[٣] الفعل دلالة على الزمان كما أن في لفظه دلالة على الحدث.

وأما أسماء المكان فإن الفعل يتعدى إلى المبهم منها بغير حرف الجر دون[٤] المختص[٥].

ومعنى المبهم منها ما كان شائعاً ولم يكن له حدود معلومة نحو: خلف وقدام وسائر الجهات الست، وعند. ألا ترى أنه لا حدود لهذه المسميات تقف عندها، كما للمسجد والسوق[٦] والبيت وبغداد والبصرة، تقول: (قمت خلفك) فتعدي إليه الفعل، و(قمت في المسجد)، ولا تقول: (قمت المسجد)، وإنما كان كذلك لأن الفعل لا يدل على ظروف المكان

---

(١) في «الإغفال»: (أو مشبه بهما) ص١٧٤.

(٢) في (أ)، (ج): (لاجتماعها) وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب وموافق لما في «الإغفال» ص١٧٤.

(٣) في (ب) تكرار ونصها: (ألا ترى أن لفظ الفعل دلالة الفعل عليهما ألا ترى أن في لفظ الفعل دلالة على الزمان..).

(٤) (دون) ساقط من (ب).

(٥) ذكر كلام أبي علي بمعناه. «الإغفال» ص١٧٥، وانظر: «الكتاب» ١/ ٤١٢- ٤١٧.

(٦) نص كلام أبي علي: (..ألا ترى أنه لا حدود لهذه المسميات تقف عندها فتحصرها بها، كما تحصر بها المختصة منها نحو: المسجد والسوق..) «الإغفال» ص١٧٤، وكلامه أوضح من عبارة الواحدي.

بلفظه وإنما يدل عليها بالمعنى كما يدل على المفعول، والمفعول إذا تعدى الفعل إليه بحرف جر لا يجوز حذف حرف الجر منه إلا أن يسمع ذلك من العرب[(١)].

ألا ترى أنك تقول: مررت بزيد، ولا يجوز أن تقول: مررت زيداً[(٢)]، فكذلك كان القياس في جميع ظروف المكان أن يتعدى الفعل إليها[(٣)] بحرف الجر، إلا أن المبهمة جاز حذف الجر منها، لأنها قد أشبهت ظروف الزمان، وذلك أنه ليس لها خلق[(٤)] كما أن الزمان لا خلقة له، فباين ظروف المكان بعضها بعضا[(٥)].

فالخلف والقدام وهذه المبهمة يجوز أن تنقلب كلها فيصير الخلف قداما، والقدام خلفا، كما يجوز أن ينقلب ظرف[(٦)] الزمان فيصير اليوم أمس.

فلما شبهت المبهمة من ظروف المكان بظروف الزمان عَدَّوْا إليها الفعل من غير توسط حرف الجر. وأما المختصة كالدار والبيت والمسجد

---

(١) «الإغفال» ص١٧٤ - ١٧٥، نقل كلامه بالمعنى.

(٢) في (ب): (مزيدا).

(٣) (اليها) ساقط من (ب).

(٤) أي ليس لها مدلول محسوس وحيز وهيئة، إنما مدلولها معنوي، كالقدام والخلف، وهذه العبارة لم ترد في «الإغفال».

(٥) في (أ)، (ج): (بعضها بعضها) وأثبت ما في (ب)، لأنه أصوب، المراد أن ظروف المكان تختلف، فظروف المكان غير المختصة لها حكم ظروف الزمان، بخلاف ظروف المكان المختصة غير المبهمة فلا يتعدى الفعل إليها إلا بحرف الجر.

(٦) في (ب): (تنقلب ظروف).

فلها خلق[١] كزيد وعمرو، ألا ترى أنه لا يسمى كل بقعة مسجدا ولا دارا، فلما جرت هذه الظروف مجرى زيد وعمرو، وجب أن لا يعدى الفعل إليها إلا[٢] بحرف جر، فأما قولهم: (ذهبت الشام) يريدون إلى الشام، فهو شاذ عند سيبويه، وقولهم: (دخلت البيت) فهو- أيضا شاذ عنده[٣]. وهو عند أصحابه مفعول به، لأنه ظرف صير مفعولا، فهو عندهم بمنزلة: هدمت البيت[٤]. قال أبو علي[٥]: والجائز عندي من هذه الأقاويل التي قيلت في الآية قول من قال: إن (اليوم) جعل[٦] مفعول (تجزي) على السعة، كقول الشاعر:

وَيَوْمٍ شَهِدْنَاهُ[٧] سُلَيْماً وَعَامِرًا[٨]

---

(١) في (ج): (حلف).

(٢) في (ب): (اليها لا).

(٣) انظر: «الكتاب» ١/ ٤١٤.

(٤) انظر: «الإغفال» ص١٧٥ -١٧٦، نقل الكلام بمعناه.

(٥) «الإغفال» ص١٧٦.

(٦) (جعل) ساقط من (ب).

(٧) في (ج): (شهدنا).

(٨) البيت لم يرد ضمن كلام أبي علي في هذا الموضع، وإنما ورد في كلام أبي إسحاق الزجاج، الذي نقله أبو علي، واستدرك عليه، انظر: «الإغفال» ص١٧٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٨، والبيت من (شواهد سيبويه) ١/ ١٧٨، وورد في «المقتضب» ٣/ ١٠٥، «الكامل» ١/ ٣٣، «مغني اللبيب» ٢/ ٥٠٣، «شرح المفصل» ٢/ ٤٦، «همع الهوامع» ٣/ ١٦٦، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٢١، وقد نسبه سيبويه لرجل من بني عامر، وعجزه:

قَلِيلٍ سِوى الطَّعْنِ النِّهَال نَوَافِلُه

ثم حذفت (الهاء) من الصفة كما تحذف من الصلة، وحذف (الهاء) من الصفة كحذفها[1] من الصلة، وذلك أن الصفة تخصص الموصوف كما أن الصلة تخصص الموصول، ومرتبتها أن تكون بعد الموصوف، كما أن مرتبة الصلة[2] كذلك، وتتضمن الصفة ذكرا من موصوفها كما تتضمنه الصلة من موصولها، فشدة مشابهتهما على[3] ما تراه.

وقد كثر مجيء الصلة محذوفاً منها العائد، كقولك: (الذي رأيت زيد) والصفة كالصلة على ما ذكرنا من المشابهة، وإذا [قال][4] كذلك حسن الحذف منها حسنه من الصلة.

فإن قال قائل: إذا جاز حذف الضمير المتصل من الصفة في نحو قولك: (هذا رجل ضربت)، و(الناس رجلان: رجل أكرمت ورجل أهنت) فلم لا يجوز حذف الجار والمجرور من حيث جاز حذف الهاء؟ قيل: إنما

= ويروي البيت (يوما) و(يوم) مجرور برب المحذوفة، وسُلَيْم وعامر: قبيلتان من قيس عيلان، وقليل: مجرورة صفة ليوم، والنِّهال: المرتوية بالدم، والنوافل: الغنائم. والشاهد فيه نصب ضمير العائد على (يوم) بالفعل على التشبيه بالمفعول به اتساعًا ومجازًا.

(١) في (أ)، (ب): (لحذفها) وأثبت ما في (ب)، لأنه هو الصواب، وأقرب إلى عبارة أبي علي في «الإغفال» ونص كلامه: (والجائز عندي من هذه الأقاويل التي قيلت في الآية قول من قال: إن اليوم جعل مفعولًا على السعة ثم حذفت الهاء من الصفة، كما تحذف من الصلة، لأن حذفها منها في الكثرة و القياس كحذفها منها. أما القياس فلأن الصفة تخصص الموصوف..) ص١٧٦.

(٢) في (ج): (كما أن الصلة تكون كذلك).

(٣) في (ج): (مشابهتها كما تراه).

(٤) كذا وردت في جميع النسخ، وهو تصحيف والنص في «الإغفال» (فإذا كان كذلك) ص١٧٧، وهذا هو الصواب.

جاز حذف الضمير المتصل من الصفة[١] لمشابهتها الصلة، وقد كثر حذف ذلك في الصلة وحسن، فلما كثر ذلك في الصلة وشابهتها الصفة شبهت بها أيضًا في حذف الضمير منها. ولا اختلاف بين الجميع[٢] في أن الضمير إذا خرج عن الفعل إلى الحرف فلم يتصل به لم يحذف من الصلة، فمن قال: (الذي ضربت زيد) لم يقل: (الذي رغبت زيد)، ولا (الذي مررت زيد)[٣]، إذا أراد (فيه) و(به) وإذا لم يجز ذلك في الأصل الذي هو الصلة المشبه به الصفة، كان في الصفة أبعد من الجواز[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾. قبول الشيء: تلقيه، والأخذ به، وخلاف الإعراض عنه[٥].

اللحياني: يقال[٦]: قبلت الشيء أَقْبلَه قَبُولاً وقُبُولاً، وعلى فلان قَبُول، أي تقبله العين[٧]، ومثل ذلك قال ابن الأعرابي[٨].

وقوله: ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ قال المبرد وثعلب: الشفاعة: كلام الشفيع الملك[٩] في حاجة يسألها لغيره[١٠]. وهو من الشفع الذي هو خلاف

(١) في (ب): (الصلة).
(٢) في (ب): (الجمع). وفي «الإغفال»: (.. بين الجميع من البصريين..) ص١٧٨.
(٣) في (ج): (زيدا).
(٤) انتهى ما نقله عن أبي علي الفارسي من كتاب «الإغفال» ص١٧٤ - ١٧٨. (رسالة ماجستير) وقد نقل الواحدي كلام أبي علي بتصرف.
(٥) بنصه في «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٦.
(٦) في (ب): (يقول).
(٧) في (ج): (ليس).
(٨) «تهذيب اللغة» (قبل) ٣/ ٢٨٧٥.
(٩) هكذا في جميع النسخ، وفي «تهذيب اللغة»، و«اللسان»: (للملك).
(١٠) «تهذيب اللغة» (شفع) ٢/ ١٨٩٧، وانظر: «اللسان» (شفع) ٤/ ٢٢٨٩.

الوتر، وكأنه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له[١].

قال أحمد بن يحيى: الشفعة[٢] من هذا، ومعناها في اللغة كالزيادة، وهو أن يُشَفِّعَك فيما تطلب[٣] حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده[٤] وتشفعه بها، أي أنه كان وترا فضم إليه ما زاده وشفعه به[٥]. ومن هذا يقال: شاة[٦] شافع، إذا كان معها ولدها[٧].

قال أصحاب المعاني: ليس معنى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أن هناك[٨] شفاعة لا تقبل، وإنما المعنى لا يكون[٩] شفاعة فيكون لها قبول، كما أن قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ [البقرة:٢٧٣] معناه: لا يكون منهم سؤال فيكون إلحاف[١٠]، ويقول امرؤ القيس:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٧، «تهذيب اللغة» (شفع) ٢/ ١٨٩٨، «اللسان» (شفع) ٤/ ٢٢٨٩.

(٢) في (ج): (الشفاعة).

(٣) في (ج): (يطلب).

(٤) في (ج): (فتزيده بها).

(٥) «تهذيب اللغة» (شفع) ٢/ ١٨٩٨، وفيه: (قال المنذري وسمعت أبا العباس وسئل عن اشتقاق الشفعة في اللغة فقال: الشفعة: الزيادة..)، وانظر: «اللسان» (شفع) ٤/ ٢٢٩٠.

(٦) قوله: (يقال شاة) ساقط من (ب).

(٧) ذكره أبو عبيدة في «غريب الحديث» ١/ ٢٥٧، وذكره عنه الأزهري، «تهذيب اللغة» (شفع) ٢/ ١٨٩٨.

(٨) في (ب): (وأن هناك).

(٩) في (ب): (تكون) ومثله في «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٧.

(١٠) نقله عن أبي علي من «الحجة» ٢/ ٤٦، ٤٧، - ولم أجده عن أحد من أهل (المعاني) فيما اطلعت عليه وظاهر كلام أبي علي نفي أصل الشفاعة، حيث قال=

عَلَى لاَحِبٍ لاَ يُهْتَدى لِمَنَارِه ... إِذَا سَافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا(١)

أي ليس هناك (منار) فيكون اهتداء، وكقوله أيضًا -:

وَلاَ تَرى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ(٢)

أي ليس هناك (ضب) فيكون منه(٣) انجحار.

= بعده فأما قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٦] فالمعنى لا تغني شفاعتهم أن لو شفعوا، ليس أن هناك شفاعة مثبتة..) «الحجة» ٢/ ٤٨.
ونفى أصل الشفاعة هو مذهب المعتزلة، كما قرره الزمخشري في «الكشاف» في تفسير هذه الآية، ورد عليه أحمد بن محمد بن المنير في كتاب «الإنصاف» في «حاشية الكشاف» ١/ ٢٧٨.
ومعنى الآية عند الجمهور: أنه وإن كان ظاهرها العموم فهي مخصوصة بمن مات على كفره غير تائب. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٨، و«تفسير البغوي» ١/ ٩٠٠، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٩٥. ولم ينبه الواحدي على كلام أبي علي الموهم لنفي الشفاعة، مع أن الواحدي ذكر المعنى الصحيح في الآية في موضع آخر كما سيأتي.

(١) يروي البيت في جميع المصادر (بمناره) وفي «ديوان امرئ القيس» (النباطي) بدل (الديافي) قوله (على لاَحِبٍ): اللاحب الطريق البين الذي لحبته الحوافر، ثم يستعمل لكل طريق بين وخفي، و(لا يهتدي لمناره): ليس فيه علم ولا منار يهتدى به، (سافه العَوْد) أي شمه المسن النجائب، (جرجرا): صوت ورغاء الإبل. ورد البيت في «تهذيب اللغة» (لحف) ٢/ ١٥٩٨، (ساف) ٢/ ١١٣٢، (داف) «الحجة» ٢/ ٤٧، «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٦، «الخصائص» ٣/ ١٦٥، ٣٢١، «مقاييس اللغة» ٢/ ٣١٨، «اللسان» (ديف) ٣/ ١٤٦٦، (سوف) ٤/ ٢١٥٣، «الخزانة» ١٠/ ٢٥٨، «ديوان امرئ القيس» ص٦٤.

(٢) عجز بيت نسبه بعضهم لعمرو بن أحمر وصدره:

لاَ يُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا

يقول ليس ثم هول تفزع منه الأرنب، وليس هناك ضب فيكون منه انجحار. ورد البيت في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٦، «الخصائص» ٣/ ١٤٦، ٣٢١، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٧.

(٣) في (ب): (هناك).

وقرئ قوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ بالياء والتاء[(١)]، فمن قرأ بالتاء قال: الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند[(٢)] أيضا علامة التأنيث، ليؤذن لحاق العلامة[(٣)] بتأنيث الاسم. ومما يقوي هذا أن كثيرا من العرب إذا أسند الفعل إلى المثنى أو المجموع ألحقوه علامة التثنية والجمع[(٤)]، كقوله:

أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا[(٥)]

وقول آخر:

... يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهْ[(٦)]

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع بالياء، وروى الوجهان عن عاصم. انظر «السبعة» ص١٥٥، «الحجة» ٢/ ٤٣، «التيسير» ص٧٣.

(٢) في (ج): (بالمسند).

(٣) في (ب): (علامة لحاق).

(٤) هذا على اللغة المعروفة بلغة (أكلوني البراغيث) وهي لغة قليلة مشهورة. انظر: «الأشموني مع حاشية الصبان» ٢/ ٤٧ - ٤٨.

(٥) شطر البيت من قصيدة لعمرو بن ملقط، أوردها أبو زيد، وعجزه:

أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَةْ

وأورد صاحب «الخزانة» وشرحها. قوله: (اولى لك): كلمة وعيد وتهديد، و(الواقية): مصدرها بمعنى الوقاية، يصفه بالهروب، ويقول أنت ذو وقاية من عينك عند فرارك تحترس بهما، ولكثرة تلفتك حينئذٍ، صارت عيناك كأنهما في قفاك. انظر: «النوادر» ص٢٦٨، «الحجة» ٢/ ٥١، «مجمل اللغة» ١/ ٤٨٣، «الخزانة» ٩/ ٣١. والشاهد لحاق ألف التثنية في قوله: (الفيتا).

(٦) قطعة من بيت من قصيدة للفرزدق يهجو عمرو بن عفراء الضبي، وتمامه:

ولكن دِيَافِيٌّ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ... بِحَوْرَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهْ

يقول: هو قروي من (دياف) قرية بالشام يعتمل لإقامة عيشه، وليس كما عليه=

فكما ألحقوا هاتين العلامتين لتؤذنا بالتثنية والجمع، كذلك ألحقت علامة التأنيث الفعل لتؤذن بما في الاسم منه، وكان لحاق هذه العلامة أولى من لحاق علامتي التثنية والجمع، للزوم علامة التأنيث[١] الاسم، وانتقاء لزوم هاتين العلامتين الاسم، لأنه إذا وحد[٢] زالت علامة التثنية والجمع. ولا يتوهم سقوط الهاء من الشفاعة[٣]، وبحسب لزوم المعنى تلزم[٤] علامته[٥].

ومن قرأ بالياء، فلأن التأنيث في الاسم ليس بحقيقي، وإذا كان كذلك حمل على المعنى فذكّر، ألا ترى أن الشفاعة[٦] والتشفع بمنزلة[٧]، كما أن الموعظة والوعظ، والصيحة والصوت كذلك، وقد قال: ﴿فَمَن

= العرب من الانتجاع والحرب، و«السليط»: الزيت. ورد البيت في «الكتاب» ٢/ ٤٠، «وشرح أبياته للسيرافي» ١/ ٤٩١، «الخصائص» ٢/ ١٩٤، «الحجة» ١/ ١٣٢، ٢/ ٥٢، «الخزانة» ٥/ ١٦٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٧/ ٣٤٦، ٤٤٦، ١١/ ٣٧٣، «شرح المفصل» ٣/ ٨٩، ٧/ ٧، «الهمع» ٢/ ٢٥٧، «اللسان» (سلط) ٤/ ٢٠٦٥، (ديف) ٣/ ١٤٦٦، «ديوان الفرزدق» ١/ ٤٦. والشاهد: لحاق نون الجمع في قوله (يعصرن).

(١) في (ج): (الفعل الاسم).

(٢) في (ب): (وجدو).

(٣) فإذا لزمت علامة التأنيث في الاسم يحسن إلحاقه الفعل. «الحجة» ٢/ ٥٢.

(٤) (أ)، (ج): (يلزم)، وما في (ب) موافق للحجة.

(٥) من «الحجة» لأبي علي بنصه ٢/ ٥١، ٥٢، وانظر: «الحجة» لابن خالويه ص٧٦، «الحجة» لابن زنجلة ص٩٥، «الكشف» لمكي ١/ ٢٣٨.

(٦) في (ب): (الشفيع).

(٧) أي: أن تأنيث الشفاعة ليس حقيقيًا، فلفظ (الشفاعة) وهو مؤنث مثل لفظ (التشفع) وهو مذكر. انظر: «الحجة» لابن زنجلة ص٩٥.

﴿جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] فكما لم يُلحق[١] العلامة هاهنا كذلك يحسن أن لا تُلحق[٢] في هذه الآية.

ومما يقوي التذكير أنه فصل بين الفعل والاسم، والتذكير يحسن مع الفصل كما حكي من قولهم: (حضر القاضي اليوم[٣] امرأة)، فإذا جاء التذكير في[٤] الحقيقي مع الفصل فغيره أجدر بذلك[٥].

قال أبو علي[٦]: فأما ما قاله أحمد بن يحيى من أن التذكير أجود، لقول ابن مسعود (ذَكِّرُوا القرآن)[٧] لا يجوز حمله على تذكير التأنيث، لأنه

---

(١) في «الحجة»: (لم تلحق) ٢/ ٥٢. وهو الأولى.

(٢) في (أ)، (ب): (يلحق) وأثبت ما في (ج)، لأنه أصوب وموافق لما في «الحجة».

(٣) (اليوم) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (يحسن في الحقيقي).

(٥) كذا بنصه من «الحجة» ٢/ ٥٢، ٥٣، وذكر هذه الحجج ابن خالويه ص٧٦ وابن زنجلة ص٩٥، ومكي في «الكشف» ١/ ٢٣٨، وذكر مكي أربع علل وهي داخلة فيما ذكر أبو علي، والرابعة ما روي عن ابن مسعود: ذكروا القرآن. وهذه العلة ذكرها أبو علي، ثم ردها كما سيأتي.

(٦) (الحجة) لأبي علي ٢/ ٥٣.

(٧) ذكره مكي في «الكشف» قال: ذكر أبو عبيد عن ابن مسعود أنه قال (ذَكِّروا القرآن، وإذا اختلفتم . . . إلخ فاجعلوها ياء)، وذكر أن هذه اللفظة: وإذا اختلفتم.. إلخ رواية عن ابن عباس. «الكشف» ١/ ٢٣٨، وذكر ابن خالويه: وإذا اختلفتم.. إلخ عن ابن مسعود. «الحجة» ص٧٦.

وذكره في (الفائق) بلفظ في الحديث (القرآن ذكر فذكروه) ولم يعزه. «الفائق» ٢/ ١٣، وفي «النهاية في غريب الحديث» قال: وفيه: (القرآن ذكر فذكروه) أي أنه جليل خطير فأجلوه. «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ١٦٣.

لا يخلو إما أن أراد تذكير[١] التأنيث الحقيقي أو غير الحقيقي[٢].

ولا يجوز أن يريد تذكير الذي هو غير الحقيقي، لأن ذلك قد جاء في القرآن ما لا يحصى كثرة، كقوله: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾[٣] [الأنعام: ٣٢] و﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٧٢]، ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]، و﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠]، و﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، و﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] فإذا[٤] كان هذا النحو على الكثرة التي تراها، فلا يجوز أن يريد هذا. وإذا لم يجز أن يريد هذا كان إرادة تذكير التأنيث الحقيقي أبعد، كقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥] وقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ﴾ [القصص: ١١].

فإن قلت: إنما يريد: [إذا][٥] احتمل الشيء التذكير و التأنيث، فاستعملوا التذكير وغلبوه.

قيل هذا أيضا لا يستقيم، ألا ترى أن فيما تلونا ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ و ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ فأنث مع جواز التذكير فيه، يدل على ذلك في الأخرى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وقوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾

---

(١) في (ب): (أراد بتذكير).

(٢) نص كلام أبي علي في «الحجة»: (لا يخلو من أن يريد به التذكير الذي هو خلاف التأنيث، أو يريد معنى غير ذلك. فإن أراد به خلاف التأنيث فليس يخلو من أن يريد: ذكروا فيه التأنيث الذي هو غير حقيقي أو التأنيث الذي هو حقيقي.. ٢/ ٥٣.

(٣) في (ج): (والدار) وهي آية الأعراف: ١٦٩.

(٤) في (ب): (وإذا).

(٥) (إذا) ساقطة من كل النسخ وأثبتها كما في «الحجة» لاقتضاء السياق لها والنص في «الحجة»: (فإن قلت: إنما يريد: إذا احتمل) ٢/ ٥٤.

[يس: ٨٠] ولم يقل الخضر[١] أو الخضراء، فهذه المواضع يعلم منها أن ما ذكر ليس بمراد ولا مذهب، فإذا لم يصح أن يريد به تذكير التأنيث كان معنى غيره.فمما[٢] يجوز أن يصرف إليه، أنه يريد به الموعظة والدعاء إليه كما قال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ [ق: ٤٥] إلا أنه[٣] حذف الجار[٤].

أو[٥] أراد: ذكروا الناس القرآن، أي: ابعثوهم على حفظه كيلا ينسوه[٦]. ويمكن أن يكون المعنى قوله: (ذكروا القرآن) لا تجحدوه ولا تنكروه[٧]، كما أنكره من قال: ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٨] لإطلاقهم عليه لفظ التأنيث فهؤلاء لم يُذَكِّروه لكنهم أنثوه بإطلاقهم التأنيث، وما كان مؤنث[٩] اللفظ عليه، وهذا كقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧] فإناث جمع أنثى، وإنما يعني به ما اتخذوه آلهة، كقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ

---

(١) في (أ)، (ج): (والخضراء) وأثبت ما في (ب) لأنه أولى، وفي «الحجة»: (الخضر ولا الخضراء) ٢/ ٤٥.

(٢) في (ب): (فما لا يجوز).

(٣) في (ب): (أن).

(٤) وهذا قريب من المعنى الذي ذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» قال: وفيه القرآن ذَكَر فذكروه (أي: أنه جليل خطير فأجلّوه) ٢/ ١٦٣.

(٥) في (ب): (وأراد).

(٦) وهذا المعنى (ذكروا الناس القرآن، أي: ابعثوهم على حفظه) غير موجود في «الحجة»، ولعله سقط من المطبوع لأن الكلام يدل عليه، ٢/ ٥٥.

(٧) في (ب): (لا يجحدوه ولا ينكروه).

(٨) الأنعام: ٢٥، والأنفال: ٣١، والنحل: ٢٤، والمؤمنون: ٨٣، والفرقان: ٥، والنمل: ٦٨، الأحقاف: ١٧، والقلم: ١٥، والمطففين: ١٣.

(٩) في (أ)، (ج): (يؤنث) وأثبت ما في (ب)، لأنه أولى، والنص في «الحجة»: (.. لكنهم أنثوه بإطلاقهم التأنيث على ما كان مؤنث اللفظ كقوله..) ٢/ ٥٥.

ﭐللَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠].

وقال[(١)] العجاج:

وَكُلُّ أُنْثَى حَمَلَتْ أَحْجَارَا[(٢)]

فسماها أنثى لتأنيثهم لفظها. وكذلك قول الفرزدق:

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّه ... ضَرَبْنَاهُ دُونَ الأُنْثَيَيْنِ عَلَى الكَرْدِ[(٣)]

أراد بالأنثيين الأذنين[(٤)]. قلت: أطال أبو علي الكلام في تأويل قول

---

(١) في (ب): (قال) بسقوط الواو.

(٢) الرجز في (الحجة) وقبله: أَوْرَدَ حُذًّا تَسْبِقُ الأَبْصَاراَ
وليسا متتاليين في (الديوان)، بل بينهما أبيات وفيها يصف المنجنيق والْحُذ: السهام البُتْر، وكل أنثى: يعني المنجنيق، يقول: يُرْمي بالمنجنيق فيخرج الحجر من بطن الجلد، كما يبقر بطن الحامل عن الولد. ورد في «الحجة» ٢/ ٥٥، «المخصص» ١٣/ ١٨٩، «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨٥، «ديوان العجاج» ص٤١٦.

(٣) رواية البيت في «ديوان الفرزدق» وبعض المصادر:
وكُنَّا إذا القيسي نب عتوده ... ضربناه فوق ....
«ديوان الفرزق» ١/ ١٧٨، وله بيت آخر:
وَكُنَّا إِذَا القَيسِى صَعَّر خَدَّهُ ... ضَرَبْنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الأَخادِعُ
«الديوان» ١/ ٤٢٠، ويظهر أنه حصل خلط بين البيتين فكثرت الرواية فيهما. قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: ويروي لذي الرمة. وقوله: نب عَتُودُه: تكبر، والعَتُودُ: الجدي الذي بلغ السفاد، صعر خده: أماله كبرا. الأنثيان: شحمتا الأذن، والكَرْد: أصل العنق. انظر: «المعاني الكبير» ٢/ ٩٩٤، «الحجة» ٢/ ٥٦، «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣٢٢، «إعراب ثلاثين سورة» ص٢٧٧، «المخصص» ١/ ٨٢، ٥/ ١٩٠، ١٦/ ٢٠٣، «المجمل» (أنث) ١/ ١٠٤، «اللسان» ٧/ ٤٣١٧، (نبب)، ١/ ١٤٦ (أنث)، ٧/ ٣٨٤٩ (كرد)، ٧/ ٣٩٦١ (كون).

(٤) انتهى ما نقله عن أبي علي من «الحجة» ٢/ ٥٣-٥٦.

ابن مسعود، وهو ما ذهب إليه أحمد بن يحيى[١]، وأراد ابن مسعود أنه إذا احتمل اللفظ التأنيث والتذكير، ولا يحتاج في التذكير إلى تغيير الخط و مخالفة المصحف فَذَكِّر، كقوله: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ لست تحتاج إلى مخالفة الخط في التذكير، ويدل على أنه أراد هذا، وأن أصحاب عبدالله من قراء[٢] الكوفة كحمزة والكسائي ذهبوا إلى هذا، فقرؤوا ما كان من هذا القبيل بالتذكير، كقوله: (يوم يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم)[٣] [٤] [النور: ٢٤]، و﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾[٥][٦] [آل عمران: ١٥٤] وأشباههما بالتذكير هذا الذي ذكرنا كله في التأنيث غير الحقيقي.

وأما الحقيقي: فهو ما يكون منه النسل، ويقبح في مؤنثه لفظ التذكير[٧]، لو قلت: قام جاريتك ونحر ناقتك، كان قبيحا، وهو جائز على

---

(١) أي: أن المراد بكلام ابن مسعود، التذكير الذي هو خلاف التأنيث، وبهذا أخذ ابن خالويه في «الحجة» ص٧٦، ومكي في «الكشف» ١/ ٢٣٨، ومما يرجع هذا ما ورد في الرواية عن ابن مسعود: (فإذا اختلفتم في التاء والياء فاجعلوه بالياء).

(٢) في (ب): (قر).

(٣) قرأ حمزة والكسائي (بالياء)، وبقية السبعة (بالتاء). انظر: «السبعة» ٤٥٤، و«الكشف» على ٢/ ١٣٥، «والتسير» ص١٦١.

(٤) في (ج): (تشهد)، وفي (أ)، (ب): (يشهد) على قراءة حمزة والكسائي.

(٥) قرأ حمزة والكسائي (بالتاء) وبقية السبعة (بالياء). انظر: «السبعة» ص٢١٧، و«الكشف» ١/ ٦٣٠ و«التسير» ص٩١.

(٦) في (ج): (تغشى) بالتاء على قراءة حمزة والكسائي.

(٧) نقل الواحدي عن الزجاج من «معاني القرآن»، والنص في «المعاني»: (وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو امرأة ورجل، وناقة وجمل فيصح في مؤنثه لفظ التذكير، ولو قلت قام جارتك، ونحر ناقتك كان قبيحًا..) إلخ. والبقية بنصه. «المعاني» ١/ ٩٩. وقد تصرف الواحدي في عبارة الزجاج. وقوله: (ويقبح في مؤنثه لفظ التذكير) أي: فإنه يقبح في مؤنثه...

قبحه، لأن الناقة والجارية تدلان على معنى التأنيث، فاجتزئ بلفظهما عن تأنيث الفعل[١]. فأما الأسماء التي تقع للمذكرين[٢] لو سميت بها مؤنثا فلا بد فيها من علم التأنيث، لأن الكلام للفائدة والقصد[٣] به الإبانة[٤]، فلو سميت امرأة بقاسم لم يجز أن تقول: جاءني قاسم، فلا يعلم أمذكرا عنيت أم مؤنثا، وليس إلى حذف هذه التاء - إذا كانت فارقة[٥] بين معنيين - سبيل، كما أنه إذا جرى ذكر رجلين لم يجز أن تقول: قد قام، إلا أن تقول: قاما[٦]، فعلامة التأنيث فيما فيه اللبس كعلامة التثنية[٧] هاهنا[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾. عَدْلُ[٩] الشيء وعِدْله: مثله[١٠]، قال الله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] أي: ما

(١) المشهور عند النحويين أن المؤنث الحقيقي الذي لم يفصل عن فعله بفاصل يجب تأنيث الفعل له. انظر: (شرح ابن عقيل) ٢/ ٨٨.

(٢) في «المعاني» للزجاج: (للمذكرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من علم التأنيث..) ١/ ١٠٠، وعبارة الواحدي أوضح.

(٣) في (ب): (القصيدة).

(٤) في (ج): (الاباله).

(٥) في (ج): (ذار قعين).

(٦) في (ب): (قد قاما).

(٧) في (ج): (التثنية والجمع ههنا).

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٠.

(٩) (عدل) ساقط من (ب).

(١٠) (العَدْل)، و(العِدْل) بمعنى المثل ومعناهما سواء، وقال الفراء: (العِدْل): المثل، (والعَدْل): ما عادل الشيء من غير جنسه.
انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٠، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٦٩، «تهذيب اللغة» (عدل) ٣/ ٢٣٥٨، «ومعاني الزجاج» ٢/ ٢٢٩.

يماثله[١] من الصيام[٢]، قال كعب بن مالك[٣]:

صَبَرْنَا[٤] لاَنَرى لله عَدْلاً عَلَى مَانَابنَا مُتَوَكِّلِينَا[٥]

أي: لا نرى له مثلا .

وذكر[٦] في التفسير أن العدل هاهنا: (الفداء)[٧]، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠]، قال يونس: العدل الفداء[٨] [وسمي الفداء][٩] عدلا، أنه يعادل المفدي ويماثله، وأصل هذا الباب المساواة والمماثلة.

---

(١) في (ج): (ماماثله).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٢٩.

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب، الأنصاري الخزرجي، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليه، ومات سنة خمسين، وقيل: سنة أربعين، وقيل: غير ذلك، انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٢٨٦، حاشية على «الإصابة»، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٢٣، «الجرح والتعديل» ٧/ ١٦٠، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٧١.

(٤) في (ج): (الا ترى).

(٥) أورد الواحدي البيت في «الوسيط» ١/ ١٠٠، وهو من قصيدة لكعب يرد بها على ضرار بن الخطاب بن مرداس، يوم الخندق ؛ أورد ابن هشام القصيدتين في «السيرة» ٣/ ٢٧٧.

(٦) (وذكر) ساقط من (ب).

(٧) ذكره الطبري ١/ ٢٦٨-٢٦٩، وابن أبي حاتم ١/ ١٠٥، وابن قتيبة في «الغريب» ص٣٩، والثعلبي ١/ ٧٠أ، والبغوي ١/ ٩٠، وابن كثير ١/ ٩٥. وذكر ابن أبي حاتم عن علي وعمير بن هانئ: المراد: التطوع والفريضة، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٠٥، و«ابن كثير» ١/ ٩٥.

(٨) ذكره الأزهري، قال: أخبرني ابن فهم عن محمد بن سلام عن يونس. «تهذيب اللغة» (عدل) ٣/ ٢٣٥٨.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

يقال: فلان يعدل فلانا، أي يساويه، ويقال: ما يعدلك عندنا شيء، [أي ما يقع عندنا شيء][(١)] موقعك، ولا يساويك.

والعِدْل: اسم حِمْل معدول [يحصل][(٢)] أي: مسوى به[(٣)]. ونذكر ما قيل في العَدْل، والعِدْل عند قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾. قال المفسرون: أي ولا هم يمنعون من عذاب الله[(٤)].

ومعنى (النصر) في اللغة: المعونة[(٥)]، وبينهما فرق، وهو أن المعونة قد تكون على صناعة النصرة لا تكون إلا مع منازعة. وانتصر بمعنى: انتقم، معناه بلغ حال النصرة[(٦)].

قال المفسرون: نزلت[(٧)] الآية في اليهود، وذلك أنهم كانوا يقولون:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) كذا في جميع النسخ (يحصل) والصواب (يحمل) كما في «التهذيب» (عدل) ٣/ ٢٣٥٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (عدل) ٣/ ٢٣٥٨، وانظر: «الطبري» ١/ ٢٦٩، «اللسان» (عدل) ٥/ ٢٨٣٩.

(٤) ذكره الثعلبي ١/ ٧٠أ، والبغوي ١/ ٩٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٧٧، وقال الطبري: لا ينصرهم ناصر ولا يشفع لهم شافع، ولا يقبل منهم عدل ولا فدية، ١/ ٢٦٩، ونحوه ذكر ابن كثير ١/ ٩٥.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (نصر) ٤/ ٣٥٨٤، «الجمهرة» ٢/ ٧٤٤، «اللسان» (نصر) ٧/ ٤٤٣٩.

(٦) انظر: «اللسان» (نصر) ٧/ ٤٤٣٩.

(٧) في (ب): (هذه الآية).

يشفع لنا آباؤنا الأنبياء، فآيسهم الله عن ذلك[١]. والآية وإن عمت في نفي[٢] الشفاعة فمعناها الخصوص فيمن[٣] مات على الكفر، بدلالة الأخبار الصحيحة في الشفاعة[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقوله: ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ [النجم: ٢٦][٥].

٤٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية. (نجيناكم): أصله على النجوة، وهي ما ارتفع واتسع من الأرض، ثم يسمى[٦] كل فائز ناجيا، كأنه خرج من الضيق والشدة إلى الرخاء والراحة، ومنه قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] أي نلقيك على نجوة[٧].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[٨]. اختلف أهل العربية في (الآل)،

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٦٩، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٠أ، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٩٨.

(٢) (نفي) ساقط من (ب).

(٣) في (أ)، (ج): (فمن) وأثبت ما في (ب)، لأنه الصواب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٨، و«تفسير أبي الليث» ١/ ١١٦، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٣، و«تفسير البغوي» ١/ ٩٠، «زاد المسير» ١/ ٧٦، وهذا قول أهل السنة والجماعة في الشفاعة، بخلاف قول المعتزلة الذين ينفون الشفاعة، وقد نقل الواحدي قولهم فيما سبق وعزاه لأهل «المعاني».

(٥) وفي (ج): ﴿لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وهذه آية: ٢٣ من يس.

(٦) في (ب): (سمى).

(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٠أ، انظر: «تهذيب اللغة» (نجا) ٤/ ٣٥١٠، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٢٥.

(٨) في (ب): (وقوله: لال (اختلف..).

واشتقاقه من اللغة، وأصله. فقال جماعة: أصله[١] من[٢] الأَوْل بمعنى الرجوع، فآل الرجل كأنه شيعته الذين يؤولون إليه ويؤول إليهم، ومن هذا سمى السراب (آلا)، لأنه يتردد كأنه يرجع بعضه إلى بعض كالماء، وآل الرجل: شخصه، لأنه يتردد معه لا يفارقه، والآلة: الحالة[٣] في قول الخنساء[٤]:

سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ   فَإِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا[٥]

لأنها تنقلب فتعود تارة إلى إنسان وتذهب تارة، هذا معنى الآل في اللغة. ثم شبه بآل الرجل أشياء تسمى بهذا الاسم وإن لم فيه معنى الأول، كعمد الخيمة[٦] تسمى آلا، تشبيها بآل الإنسان. وآل البعير: ألواحه[٧]،

(١) في (أ)، (ج): (وأصله) بزيادة واو، وأثبت ما في (ب)، لأنه أصح في السياق.
(٢) (من) مكررة في (ج).
(٣) انظر: «التهذيب» (آل) ١/ ١٨٥، «مقاييس اللغة» (أَوَل) ١/ ١٥٩ -١٦١، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» ص١٢٢، «اللسان» ١/ ١٧٥.
(٤) في (ج): (الخنسى الخنسا). والخنساء هي: تُماضر: بضم التاء وكسر الضاد، بنت عمرو بن الشريد بن سليم، قدمت على الرسول صلى الله عيه وسلم مع قومها من بني سليم، وأسلمت معهم. شاعرة مشهور، استحسن النبي ﷺ شعرها، وانظر ترجمتها في «الشعر والشعراء» ص٢١٣، «الإصابة» ٤/ ٢٨٧.
(٥) من قصيدة من غرر مراثيها في أخيها معاوية، وقيل: في رثاء صخر، وقولها: على آلة: على حالة وعلى خطة، فإما ظفرت وإما هلكت، انظر: «شرح ديوان الخنساء» ص٨٤، «مقاييس اللغة» (أول) ١/ ١٦٢.
(٦) انظر: «مقاييس اللغة» (أول) ١/ ١٦١، «اللسان» (أول) ١/ ١٧٤-١٧٥.
(٧) في (أ)، (ج): (الوجه) وأثبت ما في (ب) لأنه موافق لما في كتب اللغة. قال ابن فارس: آل البعير ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه «مقاييس اللغة» (أول) ١/ ١٦١، وانظر: «اللسان» (أول) ١/ ١٧٣.

وقال[١] الشاعر:

تَعَلَّمْتُ بـا جـاد[٢] وآلَ مُـرَامِـرٍ وَسَوَّدْتُ أَثْوابِي وَلَسْتُ بِكَاتِبِ[٣]

ومرامر رجل وضع الهجاء، فسمى حروف الهجاء آل مرامر. ويقال للحواميم آل حم، ومنه قول الكميت:

وَجَدْنَـا لَـكُـمْ فِـي آلِ[٤] حـم آيـةً فَـأَوَّلَـهَـا[٥] مِـنَّـا تَـقِـيٌّ وَمُـعْـرِبُ[٦]

فعلى قول هؤلاء[٧] تصغير الآل (أُويَلْ)، حكاه الفراء عن الكسائي[٨]، وكان أصله همزتان، فعوضت من أحدهما مدة.

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) كذا في جميع النسخ، ومثله في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٦٩، وفي «اللسان» (باجادا) ٧/ ٤١٧٨.

(٣) مرامر بن مرة رجل من طيئ، قيل: إنه أول من وضع الهجاء، وآل: حروف الهجاء، لأنه شهر بها أو لأنه سمى أولاد الثمانية بأسماء جملها. ذكر البيت الفراء في «معاني القرآن»، وقال: أنشدني الحارثي ١/ ٣٦٩، وهو في «اللسان» (مرر) ٧/ ٤١٧٨.

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي بعض المصادر، (حميم).

(٥) في (ب): (بأولها) والرواية المشهورة للبيت (تأولها).

(٦) البيت في ذكر بني هاشم، وكان الكميت متشيعا، يقول: وجدنا في سور (آل حميم) وهي التي أولها (حم) والآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، يقول: من تأول هذه الآية لم يسعه إلا التشيع لآل البيت، على تقية، أو على غير تقية، والمعرب: المعلن لما في نفسه، انظر: «الكتاب» ٣/ ٢٥٧، «المقتضب» ١/ ٢٣٨، ٣/ ٣٥٦، «الحجة» لابن خالوية ص٣١٢، «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٧٩، (طسن) ٣/ ٢١٩٢، «المخصص» ١٧/ ٣٧، «اللسان»: (عرب) ٥/ ٢٨٦٥، (حمم) ٢/ ١٠٠٦، ولم أجده في شعر الكميت.

(٧) أي: على قول الذين قالوا: أصله (من آل يؤول أولًا) من الرجوع.

(٨) «تهذيب اللغة» (آل) ١٥/ ٤٣٨، «المشكل» لمكي ١/ ٤٦، و«الدر المصون» ١/ ٣٤١.

وقال أبو الفتح الموصلي (آل)[١] أصله: أهل، ثم أبدلت الهاء همزة، كما قيل: هَنَرْتُ الثوب[٢] وأنَرْتُه، وإياك وهِيَّاك. فصار: (أَ أْل) فلما توالت الهمزتان، أبدلت الثانية ألفا، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل: آمن ونحوه.

فالألف في (آل)[٣] بدل من بدل[٤] من الأصل[٥]، فجرت في ذلك مجرى التاء في القسم، فلذلك لا يستعمل (آل) في كل موضع يستعمل فيه (أهل) فلا يقال: انصرف إلى آلك، كما يقال: انصرف إلى أهلك، وكذلك لا يقال: آلك والليل، كما يقال أهلك والليل، وغير ذلك مما يطول ذكره. بل خصوا بالآل الأشرف والأخص دون الشائع الأعم، حتى لا يقال إلا في نحو قولهم القراء آل الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد[٦]، ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٢٨] وكذلك ما أنشده أبو العباس للفرزدق:

---

(١) في (ب): (ان). أخذ كلام أبي الفتح من «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠١.

(٢) في (ب): (هيرت الثوب وايرته).
قوله: (هنرت الثوب وأنرته وإياك وهياك) وردت في «سر صناعة الأعراب» ٢/ ٥٥١ عند كلامه عن إبدال الهاء من الهمزة ومعنى (هنرت الثوب): جعلت له علما، ثم قلبوا الهاء همزة فقالوا: أنرت الثوب. انظر: «تهذيب اللغة» (آل) ١٥/ ٤٣٨، «البيان» ١/ ٣٧.

(٣) في (ج): (الال).

(٤) (بدل من) ساقط من (ب).

(٥) الألف في (آل) بدل من الهمزة، والهمزة بدل من الهاء والهاء أصل. انظر «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠١. وذهب أبو جعفر النحاس إلى أن (الألف) في (آل) بدل من الهاء مباشرة، انظر: «إعراب القرآن» ١/ ١٧٢-١٧٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٦٥، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٧.

نَجَوْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ[١] طَلاَقَةً
سِوى رَبذِ[٢] التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا[٣]

لأن أعوج فيهم فرس[٤] مشهور، فلذلك قال: آل أعوج، ولا يقال: آل الخياط كما يقال: أهل الخياط، ولا آل الإسكاف[٥] كما يقال: أهل الإسكاف. كما أن التاء في القسم لما كانت بدلا من بدل[٦] وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها، وهو الله[٧] عز اسمه. ولا يجوز أن يكون، ألف (آل) بدلا من الهاء، لأن الهاء لم تقلب ألفا في غير هذا الموضع، فيقاس[٨] هذا عليه، وإنما تقلب الهاء همزة[٩] كما ذكرنا[١٠].

---

(١) في (ب): (ومن يمن على).
(٢) في (ب) (زبد).
(٣) في «الديوان»: (خرجت) بدل (نجوت) ومعنى (الرِّبذ): المشي الخفيف، (التقريب): ضرب من السير يقارب فيه الخطو، (أعوج): فرس مشهور. ورد البيت في «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠٢، «ديوان الفرزدق» ١/ ١١٧.
(٤) في (ب): (فرش).
(٥) (الإسكاف) نوع من الصناع، واسم لموضعين بنواحي النهروان من عمل بغداد. انظر: «القاموس» (سكف) ص٨٢٠، «معجم البلدان» ١/ ١٨١.
(٦) قال أبو الفتح (.. فجرت في ذلك مجرى التاء في القسم، لأنها بدل من الواو فيه، والواو بدل من الباء..) «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠٢.
(٧) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).
(٨) في (ب): (فقياس).
(٩) ذكر أبو الفتح قلب الهاء همزة في «سر صناعة الأعراب» ٢/ ٥٥١، ونقل الواحدي عنه بعض الجمل في هذا الموضع.
(١٠) هذا آخر ما نقله المؤلف عن أبي الفتح بتصرف، «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠٠ - ١٠٢ والخلاصة أن في (آل) ثلاثة أقوال:
١- أصله (أهل) أبدلت الهاء همزة، ثم أبدلت الهمزة ألفًا.
=

وهذا الذي ذكره أبو الفتح مذهب البصريين، ويقولون في التصغير: (أُهَيْل)[١] بالهاء.

فمعنى (آل فرعون) أتباعه وأهل دينه[٢].

(وفرعون) اسم لملوك العمالقة، كما يقال لملك الروم: (قيصر)، ولملك الفرس: (كسرى) ولملك الترك (خاقان)[٣].

وقال بعض أهل اللغة: فرعون بلغة القبط، وهو التمساح[٤]، ويقال: تفرعن الرجل إذا تشبه بفرعون في سوء أفعاله[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾. (السوم) أن تُجشّم[٦] إنساناً مشقةً وسوءاً أو ظلماً[٧].

وقال شمر: ساموهم سوء العذاب، أي: أرادوهم به.

٢- أصله: (أهل) ثم قلبت الهاء ألفا من دون قلبها همزة وهو قول النحاس كما سبق.

٣- وقيل: أصله: (أ أول) من (آل يؤل). انظر «البيان» ١/ ٨١، «الإملاء» ١/ ٣٥، «الدر المصون» ١/ ٣٤١.

(١) وقيل: يصغر على (أُوَيْل) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٠، «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٠٥، «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٣٨، «البيان» ١/ ٨١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٠.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٠، «الكشاف» ١/ ٢٧٩، «القرطبي» ١/ ٣٢٧.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧٧، (الرباعي من حرف العين)، قال السهيلي عن المسعودي ولا يعرف له تفسير بالعربية. «التعريف والأعلام» ص٢١، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٢٧.

(٥) انظر: «الصحاح» (فرعن) ٦/ ٢١٧٧، «الكشاف» ١/ ٢٧٩.

(٦) في (ج): (شجبتم).

(٧) ذكره الأزهري عن الليث، وفيه (.. أو سوءا..) «تهذيب اللغة» (سام) ٢/ ١٦٠٠، «اللسان» (سوم) ٤/ ٢١٥٨.

وقيل: عرضوا عليهم من السوم الذي هو عرض السلعة على البيع[(١)].

وقال أبو عبيدة: يسومونكم: يولونكم، يقال: سُمْته الذل، أي: أوليته إياه[(٢)].

و﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: ما ساءهم، والسوء اسم جامع للآفات والدواء[(٣)].

والزجاج وغيره: سوء العذاب: شديد العذاب[(٤)]، وقد فسره بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾. وأصل الذبح في اللغة: الشق[(٥)]، ومنه:

فَأْرَةَ مِسْكٍ ذُبِحتْ فِي سُكِّ[(٦)]

وقال الهذلي[(٧)]:

---

(١) «تهذيب اللغة» (سام) ٢/ ١٦٠٠، «اللسان» (سوم) ٤/ ٢١٥٧.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٤٠، «تفسير الغريب» لابن قتيبة ص٤٨.

(٣) ذكره الأزهري عن الليث. «التهذيب» (ساء) ٢/ ١٥٨٣، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٠، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٠ أ، و«تفسير أبي الليث» ١/ ١١٧، و«العمدة في غريب القرآن» لمكي ص٧٥ .

قال الطبري: وقد قال تعضهم: أشد العذاب، ولو كان ذلك معناه لقيل أسوأ العذاب. «الطبري» ١/ ٢٧١.

(٥) «تهذيب اللغة» (ذبح) ٢/ ١٢٦٧، «اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٨.

(٦) بيت من الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي، وقبله:

كَأَنَّ بَيْنَ فَكِّهَا وَالْفَكِّ

يصف طيب رائحة فم امرأة.

و(الفك): عظم الحنك. (فأرة المسك): الأناء الذي يكون به المسك شبه بالفأرة، (ذبحت): شقت. (في سك): نوع من الطيب. ورد في «التهذيب» (ذبح) ٢/ ١٢٦٨، «المخصص»١١/ ٢٠٠، ١٣/ ٣٩، «اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٦، «شرح المفصل» ٤/ ١٣٨، ٨/ ٩١، «الخزانة» ٧/ ٤٦٨.

(٧) هو أبو ذؤيب.

نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُشْتَجِراً[١]
كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ[٢]

أي: مشقوق.

والذُبَاح والذُّبَّاح بالتخفيف والتشديد تشقق[٣] في الرجل[٤].

ومن هذا سمى الكوكب: (سعدُ الذَّابح)، لأنه يطلع في وقت يحدث فيه الشقاق في الرجل لأجل البرد[٥]، ولهذا تقول العرب: إذا طلع الذابح انجحر النابح. وسمي فري الأوداج ذبحاً، لأنه نوع شقّ، والتفعيل على التكثير[٦].

و(الأبناء) جمع ابن. قال الزجاج: وأصله: بَنَا[٧] أو بِنْوٌ، فهو يصلح

---

(١) في جميع النسخ: (مستجراً) بالسين، و(فيه) والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) (الخلي): الذي ليس به هم. و(المشتجر): الذي قد شجر نفسه ووضع يده تحت خده ورأسه لا ينام من الهم، و(الشجر): ملتقى اللحيين، و(الصاب): شجر يخرج منه سائل مثل اللبن، إذا أصاب (العين) أحرقها، (مذبوح): مشقوق. انظر: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ١٢٠، «تهذيب اللغة» (ذبح) ٢/ ١٢٦٨، «اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٨، «شرح المفصل» ١٠/ ١٢٤، «الخزانة» ٣/ ١٤٣.

(٣) في (أ): (تشق) و (ج): (شق)، وأثبت ما في (ب)، لأنه أصوب، وموافق لما في «تهذيب اللغة».

(٤) انظر: «التهذيب» (ذبح) ٢/ ١٢٦٨، «اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٧.

(٥) في «التهذيب»: (سمي ذابحًا لأن بحذائه كوكبًا صغيرًا كأنه قد ذبحه) ٢/ ١٢٦٩، «الصحاح» (ذبح) ٢/ ٤٤.

(٦) انظر «اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٥.

(٧) في «معاني القرآن» للزجاج: (والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو..) ١/ ١٠١. وفي «القاموس»: أصله: (بَنَى أو بَنَوٌ) «القاموس» (بنى) ص١٢٦٤.

أن يكون (فِعْل)، وبَنَا أصله يكون بَنَوَ[1]، وإنما صارت ألفا، لأنها سكنت لتحرك ما قبلها ثم جرتها الفتحة التي قبلها فصيرتها ألفا، ومثله: قفا ورحا.

قال: فالذين قالوا: (بنون) كأنهم جمعوا (بَنا) والذين قالوا: (أبناء) كأنه جمع (بِنْوُ)، مثل: حِنْو وأحناء وقِنْو وأقناء[2].

قال أبو علي[3] لا يجوز في (ابن) أن يكون وزنه (فِعْلا) لأنه لا دلالة

---

(١) كذا ورد في (أ)، (ج)، وفي (ب): (وقال الزجاج: وأصله: بنا أو بنو فهو يصلح أن يكون فعل)، ويصلح أن يكون أصله بنو...). ونص كلام الزجاج في (المعاني): (و(أبناءكم) جمع ابن، والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو، ويقال: ابن بين البنوة، فهي تصلح أن تكون (فَعَل) و(فِعْل) كأن أصله بِناية، والذين قالوا: (بنون) كأنهم جمعوا (بنا) وبنون، فأبناء جمع (فَعَل) و(فِعْل)..) ١/ ١٠١. وقال الأزهري في «تهذيب اللغة»: (وقال الزجاج (ابن) كان في الأصل: (بِنوٌ) أو(بَنَوٌ).. ويحتمل أن يكون أصله: (بَنَيا)..) «تهذيب اللغة» (بنى) ١/ ٣٩٦، وانظر: «الإغفال» ص١٨٧، «المخصص» ١٣/ ١٩٢.

وفي «الأشموني مع الصبان»: أما ابن فأصله: بَنَوٌ، كقلم حذفت لامه تخفيفًا وسكن أوله وأتي بالهمز توصلًا وتعويضًا، ودليل فتح فائه قولهم في جمعه: بَنُون، وفي النسب: بَنَوِي بفتحها فيهما.. ودليل كون لامه (واوا) لا (ياء) ثلاثة أمور:

أحدها: أن الغالب على ما حذف لامه الواو لا الياء.

ثانيها: أنهم قالوا في مؤنثه: بنت فأبدلوها (التاء) من اللام، وإبدال التاء من الواو أكثر من إبدالها من الياء.

ثالثها: قولهم: البنوة. ونقل ابن الشجري في «أماليه» أن بعضهم ذهب إلى أن المحذوف (ياء) واشتقه من بنى بامرأته يبني، لأن الابن مسبب عن بناء الأب بالأم. وهذا يدل على أن (الابن) لامه (ياء).. وأجاز الزجاج الوجهين. انظر: «الأشموني مع حاشية الصبان» ٤/ ٢٧٥.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠١، نقل كلامه بتصرف، انظر التعليق السابق.

(٣) «الإغفال» ص١٨٩، نقل الواحدي عنه طويلا، وكلام أبي علي نقله ابن سيده في «المخصص» ١٣/ ١٩٢.

على أن الفاء منه مكسورة، بل الدليل قد قام على أن الفاء مفتوحة، وذلك قولهم: (بَنُون) فلو كان أصله: (بِنْوٌ) لأن (أَفْعال) لا تختص بجمع (فِعْل)[١] بل تكون[٢] - أيضا- جمعا لـ (فُعْل) و(فَعَل) و(فِعَل) و(فَعُل)[٣]، و(فَعِل) نحو: بُرْد[٤] وأَبْراد، وقَتَبٍ[٥]، وأَقْتَاب، وعِنَب وأَعْنَاب و عَضُد وأَعْضَاد، ونَمِر وأَنْمَار، فيلزمه أن يجيز في أصله هذه الأبنية، لأنها تجمع على (أَفْعَال) كما يجمع (فِعْل)، فليس (أَفْعَال) بدليل على أن (ابن) أصله فِعْل).

فأما العين فالدليل على أنها مفتوحة أيضا قولهم في جمعه (أبناء)[٦]، و(أَفْعَال) بابه أن يكون لـ (فَعَل)[٧] نحو: جَبَل.

وليس يجب أن يعدل بالشيء عن أصله وبابه حتى يقوم دليل يسوغ ذلك، ولم نعلم شيئا دل على أن العين ساكنة من (ابن) وعلمنا أنه ينبغي أن تكون متحركة لقولهم: (أَفْعَال)[٨].

---

(١) في (ب)، (ج): (تفتح)، وفي (الحاشية) في (ج): (يفتح) ص١٨٩.

(٢) (فعل) ساقط من (ج).

(٣) (فعل) ساقط من (أ)، (ج) وأثبتهما كما في (ب)، والأمثلة بعدها تدل على ثبوتها، ولم ترد هذه الأوزان في كلام أبي علي و إنما ذكر بعضها قال: (.. لزمه أن يجيز في بنائه: (فعلا) و(فعلا) وغير ذلك..) «الإغفال» ص١٨٩.

(٤) البرد، بالضم: ثوب مخطط، جمعه أَبْراد، وأَبْرُدُ. «القاموس المحيط» (برد) ص٢٦٧.

(٥) القَتَبَ، والقِتْبُ: إكاف البعير. «اللسان» (قتب) ٣/ ٢٨٨١.

(٦) على وزن (أَفْعَال).

(٧) في (ب): (الفعل).

(٨) اختصر بعض كلام أبي علي، انظر: «الإغفال» ص١٩١.

ولا دلالة في قولهم: (بنت) على أن (ابنا) وزنه (فِعْل) لأن (بنتا) من (ابن) ليست كصعبة من صعب، فيحكم بأن (الفاء) من ابن مكسورة كما كان[١] في بنت مكسورة، لأن هذا البناء أعني: بناء (بنت) صيغ للتأنيث على غير بناء التذكير، فهو كحمراء من أحمر، غُيِّر بناء التأنيث عما كان يجب أن يكون عليه في أصل التذكير، وأبدل من الواو تاء، وألحق الاسم بِنِكْس[٢] وجذْع وما أشبه ذلك.

فأما بنات في جمع بنت فهو مما يدل على ما قلنا من أصل الفاء من (ابن) الفتح، وَرُدَّ في الجمع إلى أصل بناء المذكر، كما رد (أخت) إلى أصل بناء المذكر، فقيل: أخوات، لأن أصل المذكر من كل واحد منهما (فَعَل)، فكما ردوا الحرف الأصلي في جمع (الأخت) وهو الواو فقالوا: (أخوات)، كذلك ردت الحركة التي كانت في أصل بناء المذكر في (ابن)، وقالوا: بنات[٣].

قال أبو علي: والمحذوف من (ابن) (الواو) دون (الياء)[٤]، الدليل على ذلك: أن المحذوف إذا أريد أن يعلم ما هو؟ نظر في التثنية أو

---

(١) في (ب): (أن).

(٢) النِّكْس: السهم الضعيف، الذي يَنْكَّس، أو ينكسر فُوقُه فيجعل أعلاه أسفله، والنِّكْسُ الرجل الضعيف، وأصله المنّكسْ من السهام. «اللسان» (نكس) ٨/ ٤٥٤١.

(٣) «الإغفال» ص١٩٣-١٩٥. (بتصرف واختصار)، وانظر: «المخصص»١٣/ ١٩٣.

(٤) في «الإغفال»: (فأما قوله - أي الزجاج - في اللام المحذوفة من (ابن) إنه يحتمل عنده أن يكون واوًا أو ياءً، وأنهما عنده متساويان في الحذف، فليس الأمر - عندي - كما قال، والمحذوف (الواو) دون (الياء)..) «الإغفال» ص١٩٥، وانظر «المخصص»١٣/ ١٩٥.

الجمع[١]، أو فعل مأخوذ من ذلك اللفظ، أو جمعه المكسر، فإن وُجد في أحد ذلك واو أو ياء، حكم أن المحذوف هو ما يظهر في أحد هذه الأشياء. كما حكمت بـ (إخوة) أن المحذوف من (أخ) واو[٢]، وبـ (غدوت) أن المحذوف من (غد) واو، وبـ (دَمَيَان) أن المحذوف من (دم) ياء، وبـ (يدين) أن المحذوف من (يد) ياء.

وليس في (الابن)[٣] شيء يستدل به على أن المحذوف (ياء) أو (واو)، فوجب أن يحمل على نظيره، ونظيره (أخت)، لأنه صفة ألحقت في التأنيث بـ (قُفْل)[٤]، كما ألحقت (بنت) بـ (عِدْل).

والمحذوف من (أخت) الواو لقولهم: (إخوة)[٥] كذلك ينبغي أن يكون المحذوف من (بنت) الواو.

وأيضًا فإن التاء في (بنت) ليست علامة للتأنيث[٦]، وإنما هي بدل من اللام، لأنها لو كانت علامة للتأنيث لانفتح ما قبلها، كما ينفتح ما قبلها في غير هذا الموضع، نحو: طلحة وحمزة وتمرة، فلما لم تنفتح[٧] علمنا أنه بدل، وإبدال التاء من الواو كثير، كالتاء في أخت، وكذلك في كلتا[٨]،

---

(١) في (ب): (والجمع).

(٢) (واو) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): (بن).

(٤) في «الإغفال» (فُعْل) ص١٩٦، وفي «المخصص» (قُفل) ١٣/ ١٩٥.

(٥) استدل بجمع التكسير على أن المحذوف من (أخت) واو.

(٦) في «الإغفال»: (وهذه التاء لا تخلو من أن تكون بدلا من لام الفعل، أو علامة للتأنيث، فلو كانت علامة للتأنيث لا نفتح ما قبلها..) ص١٩٧.

(٧) في (ب): (يفتح).

(٨) الأصل فيهما (كِلْوَا) انظر: «صناعة الإعراب» ١/ ١٤٩.

وكذلك مثّله سيبويه[١] بِشَرْوى.

ونذكر الكلام في (كلتا) إذا انتهينا إليه إن شاء الله.

فإن قيل: لو كان الأمر على ما قلتم، لقيل في جمع الأخت والبنت: أختات وبنتات، فلما حذفوا التاء في الجمع دل أنها للتأنيث، وكذلك حذفهم إياها عند النسبة إليها يدل على أنها للتأنيث، كما قالوا: طلحات وطلحي.

قلنا: هذا البناء الذي وقع [إلحاق][٢] التاء[٣] فيه، وإنما وقع في بناء المؤنث دون بناء المذكر، فصار البناء في الموضعين لذلك، لا لأنه للتأنيث، وغُيِّر البناء في هذين الموضعين وَرُدَّ إلى التذكير من حيث حذفت علامة[٤] التأنيث في هذين الموضعين، لأن الصيغة قامت مقام العلامة، فكما غُيِّرت[٥] ما فيه علامة بحذفها، كذلك غُيِّرت هذه الصيغة بردها إلى المذكر، وإذ[٦] كانت الصيغة قد قامت مقام العلامة، فمن حيث وجب أن يقال: طَلْحَات وطَلْحِيّ، وجب أن يقال: أَخَوَات وأَخَوَيّ.

---

(١) انظر: «الكتاب» ٣/ ٣٦٤، وانظر: «الإغفال» ص١٩٨، «المخصص» ١٣/ ١٩٥، ١٩٦.

(٢) في (أ): (الحاق) بدون إعجام، وفي ب، ج (الحاو) وفي «الإغفال» (والجواب أن هذه التاء للإلحاق كما قلنا، والدليل ما قدمنا، وإنما حذف في الإضافة وهذا الضرب من الجمع لأن هذا البناء الذي وقع الإلحاق فيه، وإنما وقع في بناء المؤنث دون المذكر..) ص١٩٩، «المخصص» ١٣/ ١٩٦.

(٣) في (ج): (التاء).

(٤) في «الإغفال»: (علامات) ص١٩٩، «المخصص» ١٣/ ١٩٦.

(٥) في «الإغفال»: (غير) ص١٩٩، ومثله في «المخصص»١٣/ ١٩٦

(٦) في (ب): (إذا).

وتعقب أبو الفتح هذه المسألة[١] وزاد بياناً فقال: قد أبدلت التاء من الواو (لاماً) في: أخت وبنت، وأصلهما أخوة وبِنْوَة، فنقلوا، ووزنهما[٢]: (فَعَل) إلى (فُعْل) و(فِعل) وألحقوهما بالتاء[٣] المبدلة من لامهما[٤] بوزن (قُفْل) و(حِلْس)، فقالوا: أخت وبنت، وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن، لسكون ما قبلها، هكذا مذهب سيبويه، وهو الصحيح، وقد نص عليه في باب مالا ينصرف، فقال: لو سميت بهما رجلا لصرفتهما معرفة، ولو كانت للتأنيث لما انصرف الاسم[٥].

وعلامة التأنيث في الأخت والبنت صيغتهما[٦] وهو بناؤهما على

---

(١) تكلم أبو الفتح ابن جني عن هذه المسألة في كتاب «سر صناعة الأعراب» أثناء كلامه عن إبدال التاء من الواو، وقد تصرف الواحدي في كلامه واستل منه ما يناسب هذا المبحث.
انظر: «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٤٩.

(٢) في (ب): (ووزنها). هكذا ورد في جميع النسخ، وفيه غموض، والنص في «سر صناعة الأعراب» (.. فنقلوا أخوة وبنوة، ووزنهما (فَعَلٌ) إلى (فُعْل) و(فِعْل)..) «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٤٩.

(٣) في (ب): (المبدلة).

(٤) في (ب): (لامها) وهو الثابت في صلب «سر صناعة الأعراب»، وفي الحاشية (ب) (لامهما) «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٤٩.

(٥) انظر: «الكتاب» ٣/ ٢٢١، ٣٦١-٣٦٤، «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٤٩.

(٦) هذا جواب سؤال أثاره أبو الفتح قال: (فإن قيل: فما علامة التأنيث في أخت وبنت؟) فأجاب عنه بما نقله الواحدي هنا .
انظر: «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٥٠.

(فُعْل) و(فِعْل) وأصلهما (فَعَل) وإبدال الواو فيهما لاما، وهذا عمل اختص به المؤنث، لأنه لم يوجد إلا في هذين وفي كلتا[1]، ويدل أيضا على إقامتهم (البنت)[2] مقام ما فيه[3] العلامة الصريحة، وتعاقبهما على الكلمة الواحدة، وذلك نحو: ابنة وبنت، فالصيغة في (بنت) قامت مقام (الهاء) في ابنة، فكما أن (الهاء) علم تأنيث لا محالة، وكذلك صيغة (بنت) علم تأنيث لا محالة، وليس (ابن) من (بنت)، كصعب من صعبة[4]، إنما نظير صعبة من صعب ابنة من ابن. ويدل على أن (ابن)[5] و(أخ) (فَعَل) مفتوحة، جمعهم إياهما على أَفْعَال نحو أبناء وآخاء، حكى سيبويه[6] (آخاء) عن يونس.

قال أبو إسحاق: والأخفش يختار أن يكون المحذوف من ابن (الواو). قال[7]: والبُنُوَّة[8] ليس بشاهد قاطع للواو، لأنهم يقولون: الفُتُوَّة،

---

(١) قوله: (لأنه لم يوجد في هذين وفي كلتا) ليس من كلام أبي الفتح في «سر صناعة الأعراب» ١/ ١٥٠.

(٢) في «سر صناعة الإعراب» (إقامتهم إياه مقام..) ١/ ١٥٠.

(٣) في (ب): (ما في).

(٤) في «سر صناعة الإعراب»: (وليس بنت من ابن كصعبة من صعب..) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٥٠.

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي «سر صناعة الإعراب» (أن أخا وابنا) وفي الحاشية: (في ش: أن أخ وابن) ١/ ١٥٠.

(٦) «الكتاب» ٣/ ٣٦٣، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٥٠.

(٧) أي أبو إسحاق.

(٨) في (أ)، (ج): (البنُو) وأثبت ما في (ب) لأنه موافق لما في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٢.

والتثنية[١]: فتيان، فابن يجوز أن يكون المحذوف منه (الواو)[٢] و(الياء)، وهما عندنا متساويان.

وأبو علي ينكر أن يكون المحذوف الياء دون الواو[٣]، وقد دل فيما ذكرنا من كلامه أن المحذوف هو الواو. فأما إدخال ألف الوصل في (ابن)، فإنما أدخلت كما أدخلت في الاسم، وقد فرغنا منه في أول الكتاب[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾. (يستحيون) يستفعلون من الحياة، ومعناه: يَسْتَبْقُونهن[٥]، ولا يقتلونهن[٦]، ومنه قوله ﷺ: «**اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم**»[٧].

واسم النساء يقع على الكبار والصغار، وذلك أنهم كانوا يستبقون البنات[٨] لا يقتلونهن.

---

(١) (والواو) ساقطة من (ب).

(٢) في «معاني للزجاج»: (الواو) أو (الياء) ١/ ١٠٢.

(٣) قال أبو علي: (ما أعلم الأخفش نص على هذه المسألة، أن الاختيار عنده أن يكون (الواو)، وأنه يجيز أن المحذوف الياء..) «الإغفال» ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) انظر ما سبق في أول تفسير الفاتحة.

(٥) في (ب): (يستبقوهن).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٢، و«الثعلبي» ١/ ٧٠ب، «زاد المسير» ١/ ٧٨، وذكر الطبري عن أبي العالية وضعفه: (يستحيون) يسترقون. «الطبري» ١/ ٣٧٢.

(٧) أخرجه أبو داود عن سمرة بن جندب، وفيه (استبقوا) بدل (استحيوا) انظر: «سنن أبي داود» ٢٦٧٠ كتاب (الجهاد)، باب (في قتل النساء)، والترمذي (١٥٨٣) أبواب (السير) باب (ما جاء في النزول عن الحكم) وفيه: الشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. عارضه الأحوزي وأخرجه أحمد في «مسنده» ٥/ ١٢، ٢٠. ورمز السيوطي له بالصحة في «الجامع الصغير». انظر: «فيض القدير شرح الجامع» ٢/ ٧٦.

(٨) في (ب): (جميع البنات).

وقيل: سمى البنات نساء على تقدير أنهن يكن نساء، وقيل: جمع الكبار والصغار بلفظ النساء، لأنهم كانوا يستبقون جميع[1] الإناث، فجرى اللفظ على التغليب كما يطلق الرجال على الذكور وإن كان فيهم صغار[2].

فإن قيل: فما في استحياء النساء من سوء العذاب؟

قيل: إن استحياء النساء على ما كانوا يعملون بهن أشد في المحنة من قتلهن، لأنهن يستعبدن وينكحن على الاسترقاق، والاستبقاء للإذلال استبقاء محنة[3].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَالِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. البلاء: اسم ممدود من البلو، وهو الاختبار والتجربة[4]. يقال: بَلاَه يَبْلُوه بَلْواً إذا جَرَّبَه، وَبَلاَه يَبْلُوهُ بَلْواً إذا ابتلاه الله ببلاء[5].

قال أبو الهيثم: البلاء يكون حسنا ويكون سيئا، وأصله: المحنة، والله ﷻ يبلو عباده بالصنيع الحسن، ليمتحن شكرهم عليه، ويبلوهم بالبلوى الذي يكرهون، ليمتحن صبرهم، فقيل للحسن: بلاء، وللسيئ: بلاء[6] لأن أصلهما: المحنة، ومنه قوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾

---

(١) (جميع) ساقط من (ب).

(٢) واختار هذا الوجه ابن جرير في «تفسيره» ١/ ٢٧٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٦، «القرطبي» ١/ ٣٣٠، «البحر» ١/ ١٦٤.

(٣) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٦، «زاد المسير» ١/ ٧٨، «الرازي» ١/ ٦٨، «البحر» ١/ ١٩.

(٤) انظر: «التهذيب» (بلا) ١/ ٣٧٩، «اللسان» (بلا) ١/ ٣٥٥.

(٥) ذكره الأزهري عن الأصمعي. «التهذيب» (بلا) ١/ ٣٧٩.

(٦) ذكره الهروي عن أبي الهيثم، ولفظه: (يبلو عبده) بلفظ المفرد «الغريبين» ١/ ٢٠٩، ٢١٠، وذكره القرطبي في «تفسيره» عن الهروي ١/ ٣٣٠.

[الأعراف: ١٦٨] وقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[1] [الأنبياء: ٣٥]، وقال في الخير: بلاه الله، و أبلاه[2].

قال زهير:[3]

جَـزى اللهُ بِـالْإِحْـسَـانِ مَـا فَـعَـلاَ بِـكُـمْ
وَأَبْـلاَهُـمَـا خَـيْـرَ الـبَـلاَءِ الـذي يَـبْـلُـو[4]

أي: صنع بهما خير الصنيع الذي يبلو به عباده[5].

قال الليث: ويقال من الشر أيضا يُبْلِيه إِبْلاَءً[6] .

والذي في هذه الآية يحتمل الوجهين، فإن حملته على الشدة، كان معناه: في استحياء البنات للخدمة وذبح البنين بلاء ومحنة[7]. وهو قول ابن

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٥،«الصحاح» (بلا) ٦/ ٢٢٨٥.

(٣) في (ج): (زهير بن جناب).

(٤) من قصيدة لزهير يمدح سنان بن أبي حارثة، ويروى بالديوان: (رأى الله) ورد البيت في: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٢، «التهذيب» (بلا) ١/ ٣٧٩، «الصحاح» (بلا) ٦/ ٢٢٨٥، «اللسان» (بلا) ١/ ٣٥٥، «الخصائص» ١/ ١٣٧، و«القرطبي» ١/ ٣٣٠، و«الرازي» ٣/ ٧٠، و«ابن كثير» ١/ ٩٦، «الدر المصون» ١/ ٣٤٨، «فتح القدير» ١/ ١٣١، «شرح ديوان زهير» ص١٠٩.

(٥) «تهذيب اللغة» (بلا) ١/ ٣٧٩.

(٦) في «تهذيب اللغة» عن الليث: (الله يبلي العبد بلاءً حسنًا، ويبليه بلاًء سيئًا، (بلا) ١/ ٣٧٩، قال الطبري: الأكثر في الشر أن يقال: (بلوته أبلوه بلاء) وفي الخير: (أَبْلَيْته أُبْلِيه إِبْلاَءً وبَلاَءً).

(٧) ذكره أبو الليث في «تفسيره» ١/ ١١٧، وابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٣٤٨، و«الثعلبي» ١/ ٧٠ب، و«الكشاف» ١/ ٢٧٩، و«البغوي» ١/ ٩١، «زاد المسير» ١/ ٧٨، و«الرازي» ٣/ ٧٠، و«القرطبي» ١/ ٣٣٠، ونسبه للجمهور، و«ابن كثير» ١/ ٩٧، و«البيضاوي» ١/ ٢٥، و«النسفي» ١/ ٤٣، و«الخازن» ١/ ١٢١ .

عباس من رواية عطاء والكلبي[(١)].

وإن حملته على النعمة، كان المعنى: وفي[(٢)] تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة، وهو قول مجاهد والسدي[(٣)]، ومثل هذا في احتمال الوجهين، قوله في قصة إبراهيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

٥٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾. وذلك[(٤)] أن الله تعالى فرق

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» بسنده عن عكرمة عن ابن عباس نحوه ١/ ٢٧٢، ولم أجده من طريق عطاء والكلبي.

(٢) (الواو) ساقطة من (ب).

(٣) ذكره ابن جرير بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وعن السدي، وعن مجاهد، وعن ابن جريج. «تفسير الطبري» ٢/ ٢٧٤، و«ابن أبي حاتم» ١/ ١٠٦، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٠٢، وابن قتيبة في «الغريب» ص٤٠، ورجح هذا القول الرازي في «تفسيره» ٣/ ٧٠. انظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٠، و«ابن كثير» ١/ ٩٦.

(٤) في هوامش نسخة (أ) زيادة من الكاتب صدرها بقوله (ش من ك) أي شرح من الكاتب، وهي في جميع المواضيع منقولة بنصها من «الكشاف» للزمخشري، وأثبت ما ذكره في هذا الموضع للاطلاع والفائدة:

(ش من ك. فرقنا: فصلنا بين بعضه وبعض، حتى صار فيه مسالك لكم، وقرئ (فرّقنا) بمعنى: فصلنا. يقال: فرق بين الشيئين، وفرق بين الأشياء، لأن المسالك كانت اثني عشر، على عدد الأسباط.

وأما (بكم) ففيه أوجه: أن يراد كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما. وأن يراد فرقناه بسببكم، وبسبب إنجائكم. وأن يكون في موضع الحال، بمعنى: فرقناه ملتبسا بكم كقوله:

تدوس بِنَا الجَمَاجِمَ والتَّرِيبَا

أي: تدرسها ونحن راكبوها.

انتهى تعليق الكاتب، والكلام بنصه في «الكشاف» ١/ ٢٨٠.

البحر اثني عشر طريقا، حتى خاض بنو إسرائيل، وكان[١] ذلك فرقا بهم، لأنهم كانوا حشو البحر، والماء منفصل بعضه عن بعض، وهم يمرون فيما بينه[٢].

وأما (البحر) فقال الليث: سمي بحراً لاستبحاره، وهو سعته وانبساطه، ويقال: استبحر فلان في العلم، إذا اتسع فيه، وتبحر الراعي في رعي كثير، وتبحر فلان في المال[٣].

وقال غيره: سمي البحر بحراً، لأنه شق في الأرض، والبحر: الشق[٤]، ومنه البَحِيرَة[٥].

= - قوله: وقرئ (فرَّقنا): بها قرأ الزهري، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٨٨، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٣٠، «البحر» ١/ ١٩٧.

- وقوله: (تدوس بِنَا الجَمَاجِمَ والتَّرِبَا): البيت للمتنبي، وصدره:

فَـمَـرَّتْ غَـيْـرَ نَـافِـرَةٍ عَـلَـيْـهِـم

و(التربيا): لغة في التراب. انظر: «ديوان المتنبي شرح العكبري» ١/ ١٣٨، «الكشاف» ١/ ٥٠٦، «البحر» ١/ ١٢٧، «الدر المصون» ١/ ٣٤٩.

(١) (كان) ساقط من (ج).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٥، و«أبي الليث» ١/ ١١٧، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٣، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٢٢٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (بحر) ١/ ٢٨٢.

(٤) ذكره الأزهري، «تهذيب اللغة» (بحر) ١/ ٢٨٢.

(٥) قال الأزهري: قال أبو إسحاق النحوي: وأثبت ما روينا عن أهل اللغة في البَحِيرَة: أنها الناقة، كانت إذا نتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا، بحروا أذنها، أي: شقوها، وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل، والذبح، ولا تُحَلَّأ عن ماء ترده، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المُعْيي المنقطع به لم يركبها. «تهذيب اللغة» (بحر) ١/ ٢٨٢، وانظر: «اللسان» (بحر) ١/ ٢١٥.

أبو عبيد، عن الأموي[1]: أن البحر: هو الملح[2]، ويقال: أبحر الماء، أي صار ملحا[3].

قال نُصَيْب[4]:

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الأَرْضِ بَحْراً فَرَدَّنِي
إِلَى مَرَضِي أَنْ أَبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ[5]

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾. ولم يذكر غرق فرعون نفسه، لأنه قد ذكره في مواضع كقوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]. و يجوز أن يريد بآل فرعون نفسه[6]، وبيان هذا[7] يذكر عند قوله: ﴿مِّمَّا

---

(١) هو عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص، القرشي، الأموي، كان متمكنا في علم النحو واللغة، وكان ثقة، حكى عنه أبو عبيد كثيرا، مات بعد سنة ثلاث ومائتين. انظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ٤٧٠، «الأنساب» ١/ ٣٥٠، «إنباه الرواة» ٢/ ١٢٠.

(٢) في (ب): (إن الماء البحر) وفي «تهذيب اللغة»: (والماء البحر هو الملح) ١/ ٢٨٢.

(٣) «تهذيب اللغة» (بحر) ١/ ٢٨٢، وانظر: «الغريبين» ١/ ١٣٤.

(٤) هو نُصَيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين، انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٢٦٠، «معجم الأدباء» ١٩/ ٢٢٨.

(٥) ورد البيت في «تهذيب اللغة» (بحر) ١/ ٢٨٢، «الصحاح» (بحر) ٢/ ٥٨٥، «مقاييس اللغة» (بحر) ١/ ٢٠١، «الغريبين» ١/ ١٣٤، «مفردات الراغب» ص٣٧، «اللسان» (بحر) ١/ ٢١٥، «فتح القدير» ١/ ١٣٢، وفي أكثر المصادر: (فزادني) بدل: (فردني).

(٦) في (ب): (عن نفسه). أو يدخل معهم، ووجوده معهم مستقر ومعلوم. انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٧، «زاد المسير» ١/ ٧٨، «البحر» ١/ ١٩٨.

(٧) أي أنه يطلق (آل فرعون) ويراد به نفسه كما في (آل موسى).

تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وأنتم تنظرون﴾. وذلك أنهم لما خرجوا من[(١)] البحر رأوا انطباق البحر على فرعون وقومه .

وقال محمد بن جرير: (وأنتم تنظرون) إلى فرق الله البحر وإنجائكم من عدوكم[(٢)].

٥١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الآية. يقال: وَعَدْتُه وَعْدًا وعِدَةً[(٣)] وَموْعِداً وَموْعِدةً[(٤)]، قال الله: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]. ويقال: وعدني الخير والشر[(٥)]، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] وقال: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحج: ٧٢].

فأما الإيعاد فهو في التهديد. قال الشاعر:

أَوْعَدَنِي بِالسِّجْنِ والأَداهِمِ[(٦)]

---

(١) في (ب): (عن).

(٢) وهذا على تفسير (النظر) هنا بالمشاهدة، وقد قال بعضهم: إنه بمعنى العلم، كالفراء ورد عليه ابن جرير هذا. انظر: «الطبري» ١/ ٢٧٨، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٦، «تفسير أبي الليث» ١/ ١١٨، «معاني القرآن» للزجاج.١/ ١٠٣.

(٣) في (أ): (وعدء) وأثبت ما في (ب)، (ج) لأنه الصواب.

(٤) الكلام عن لفظ (وعد) واشتقاقه واستعمالاته نقله عن «الحجة» لأبي علي ٢/ ٥٦، وانظر: «تهذيب اللغة» (وعد) ٤/ ٣٩١٥، «اللسان» ٨/ ٤٨٧١.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (وعد) ٤/ ٣٩١٥.

(٦) في (ب): (الاداهمى). البيت لعُذَيْل بن الفَرْخ، وبعده:

رِجْلِي وَرِجْلِي شثنة المَنَاسِم

الأداهم: جمع أدهم، وهو القيد، شثنة: غليظة، المناسم: طرف خف البعير استعارة للإنسان. ورد البيت في «الحجة» لأبي علي ٢/ ٥٧، وفي كتب اللغة مادة=

والوعيد كالإيعاد، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] وأكثر ما يستعمل الإيعاد بالباء[١]، فيقال: أوعدته بالشر، ويجوز أن تقول[٢] أوعدته، من غير ذكر الشر، ولا يكون إلا في الشر[٣].

والميعاد من: الوعد[٤] [لأنه لم يرد في الخير[٥]، ولذلك قلنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩][٦] ويجوز أن يخلف الوعيد فيكون ذلك منه كرما[٧].

و(الوعد)[٨] يتعدى إلى مفعولين، ويجوز أن يقتصر على أحدهما كأعطيت، وليس كظننت، قال الله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠] ف (جانب) مفعول ثان، ولا يكون ظرفا لاختصاصه[٩]، والتقدير:

= (وعد) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١٥، «الصحاح» ٢/ ٥٥١، «المحكم» ٢/ ١٣٧، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٤، «اللسان»، ٨/ ٤٨٧١، وفي «معاني القرآن» للفراء١/ ١٩٧، «الحروف» لابن السكيت ص٩٧، «الهمع» ٥/ ٢١٧، «شرح المفصل» ٣/ ٧٠، «شرح ابن عقيل» ٣/ ٢٥١، «الخزانة» ٥/ ١٨٨، «شرح شذور الذهب» ص٥٢٤.

(١) في (ب)، (ج): (بالياء).

(٢) في (أ)، (ج) (يقول) ما في (ب) أنسب للسياق.

(٣) ذكره أبو علي عن أحمد بن يحيى، «الحجة» ٢/ ٥٧، وانظر «تهذيب اللغة» (وعد) ٤/ ٣٩١٥.

(٤) في (ب): (الوعيد).

(٥) في (أ): (الخبر) وما في (ب)، (ج) هو الصواب.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) اختصر كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٢/ ٥٧، ٥٨، وسياق أبي علي أوضح.

(٨) في (ب): (الوعيد) وفي «الحجة»: (وعدت) فعل يتعدى إلى مفعولين...) ٢/ ٥٩.

(٩) ولا يسمى ظرفًا في اصطلاح النحويين، وإنما يسمى اسم مكان فقط، لأن=

وعدناكم إتيانه أو مكثًا[١] فيه.

[وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [المائدة: ٩]][٢] وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٣] [النور: ٥٥] فإن الفعل لم يعد منه[٤] إلى مفعول ثان، وقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ و ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ تفسير للوعد وتبيين له كقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] فقوله: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ تبيين للوصية، وليس بمفعول ثان، وقوله[٥]: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فإن هذا ونحوه يحتمل أمرين: يجوز أن يكون انتصاب الوعد بالمصدر. ويجوز أن يكون انتصابه بأنه المفعول الثاني. وسمي الموعود به وعدا[٦]، كما سمي المخلوق خلقاً.

= الظرف الاصطلاحي: هو الذي يتضمن معنى: لفظا أو تقريرا، فالوعد وقع على الجانب ولم يقع فيه، بمعنى الموعد به هو الجانب نفسه لا شيء آخر يكون فيه، وهذا يسمى مفعولا به ولا يسمى ظرفا على الراجح. انظر: «الأشموني مع حاشية الصبان» ٢/ ١٢٦. والظرف المختص من المكان ماله صورة وحدود محصورة نحو الدار والمسجد، والظرف غير المختص من المكان وهو المبهم، ما ليس كذلك نحو الجهات الست. انظر: «حاشية الصبان على الأشموني» ٢/ ١٢٩، «وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل» ١/ ١٩٨.

(١) في (ج): (سكنا).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) (منكم) سقط من (أ)، (ج).

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة» (فيه) ٢/ ٦٠.

(٥) في «الحجة»: و أما قوله: ﴿ألم يعدكم.﴾..) ٢/ ٦٠.

(٦) في «الحجة»: (الوعد) ٢/ ٦٠.

وقوله[١]: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] فـ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ في موضع نصب بأنه المفعول الثاني و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل منه، والتقدير: وإذ يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين أو ملكها[٢].

فأما قوله: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[٣] فتعلق (الأربعين) بالوعد على أنه المفعول الثاني لا بالظرف، لأن الوعد لم يكن في جميع الأربعين كلها، ولا في بعضها، وإنما الوعد تقضي الأربعين، والتقدير: وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أو تتمة أربعين ليلة، فحذفت المضاف، كما تقول: اليوم خمسة عشر من[٤] الشهر، أي تمامه[٥].

ويكون في الكلام محذوف به يتم[٦] المعنى، كأنه قال: وعدناه انقضاء أربعين ليلة للتكلم[٧] معه، أو لإيتائه التوراة أو ما أشبه هذا.

---

(١) في «الحجة»: (وأما قوله:..) ٢/ ٦١.

(٢) «الحجة» ٢/ ٦١.

(٣) في (ب): (وعدنا).

(٤) في (ج): (ض).

(٥) «الحجة» ٢/ ٦٤، ٦٥، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٦٤، «المشكل» لمكي ١/ ٤٧، «الإملاء» ١/ ٣٦، «البحر» ١/ ١٩٩، وقد ذكر الطبري هذا القول، ثم رده، ورجح: أن الأربعين كلها داخلة في الميعاد، قال: (وقد زعم بعض نحويي البصرة: أن معناه: وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة، أي رأس الأربعين....). ثم قال: (وذلك خلاف ما جاءت الرواية عن أهل التأويل، وخلاف ظاهر التلاوة..) الطبري ١/ ٢٨٠. ونحوه قال ابن عطية: (وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد) «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٢، وانظر: «القرطبي» ١/ ٣٣٧.

(٦) في (ب): (تم).

(٧) في (ب): (للمتكلم).

واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿وَٰعَدْنَا﴾ فقرأ أكثرهم[١] بالألف من المواعدة، لأن ما كان من موسى من قبول الوعد والتحري لإنجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد، وإذا كان كذلك حسن القراءة بـ (واعدنا) لثبات التواعد من الفاعلين، كما قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[٢] [البقرة: ٢٣٥] و -أيضا- فإن المفاعلة قد تقع من الواحد كسافر، وعافاه الله[٣]، وقد مر[٤].

وقرأ أبو عمرو[٥] (وعدنا) لكثرة ما جاء في القرآن من هذا القبيل بغير ألف، كقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾[٦]، ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [طه: ٨٦]، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ﴾ [الفتح: ٢٠] فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه[٧].

---

(١) قرأ أبو عمرو بغير ألف ووافقه من العشرة أبو جعفر ويعقوب، والباقون بالألف انظر: «السبعة» ص١٥٥، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٥٦، «التيسير» ص٧٣، «التبصرة» ص٢٥، «الغاية» ص١٠١، «النشر» ٢/ ٢١٢، «تحبير التيسير» ص٨٧.

(٢) (لكن) ساقط من (أ) و(ج) تصحيف في الآية.

(٣) قال أبو علي: (.. فإذا كان الوعد من الله سبحانه، ولم يكن من موسى، كان من هذا الباب) «الحجة» ٢/ ٦٧.

(٤) مر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، وانظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٦، «حجة القراءات» لابن زنجلة: ص٩٦، «الحجة» لابن خالويه: ص٧٧، «الكشف» لمكي ١/ ٢٤٠.

(٥) في (ب): (أبو عمر).

(٦) المائدة: ٩، والنور: ٥٥، والفتح: ٢٩.

(٧) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٧. وقال ابن زنجلة: وحجة أن المواعدة إنما تكون بين الآدميين. «حجة القراءات»: ص٩٦، انظر: «الحجة» لابن خالويه: ص٧٧،=

وأما (أربعين) فقال أبو الفتح الموصلي[١]: إن العقود من (عشرين) إلى (تسعين) كأن (عشرين) جمع (عِشْر)، و(ثلاثين) جمع (ثلاث)، و(أربعين) جمع (أربع). وليس الأمر كذلك ؛ لأن (العِشْر) غير معروف إلا في أظماء الإبل[٢]، ولو كان (ثلاثون) جمع (ثلاثة)[٣] لوجب أن يستعمل في (تسعة) وفي (اثني عشر) وفي كل عدد الواحد من تثليثها (ثلاث)[٤].

وكذلك القول في (أربعين) و(خمسين) إلى (التسعين) فقد ثبت بهذا أن (أربعين) ليس جمع (أربع) وكذلك سائر العقود، ولكنه جار مجرى (فلسطين) و(قِنَّسْرين)[٥] في أنه اسم واحد لهذا العدد المخصوص[٦]،

= «الكشف» لمكي ١/ ٢٣٩، قال الطبري: (..والصواب عندنا في ذلك من القول: أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القَرَأة، وليس في القراءة بأحدهما إبطال معنى الأخرى..) ثم رد على من قال: إنما تكون المواعدة بين البشر. «تفسير الطبري» ١/ ٢٧٩.

(١) «سر صناعة الأعراب» ٢/ ٦٢٦.

(٢) (العِشْر) بكسر العين خاص بورود الإبل اليوم العاشر أو التاسع. انظر: «القاموس» (عشر): ص٤٤٠.

(٣) في «سر صناعة الأعراب»: (ثلاث) ٢/ ٦٢٦.

(٤) في «سر صناعة الأعراب»: (.. لوجب أن يستعمل في (تسعة) وفي (اثني عشر) وفي (خمسة عشر) وكذلك إلى (سبعة) ولجاز أن يتجاوز به إلى ما فوق الثلاثين من الأعداد التي الواحد من تثليثها فوق العشرة..) ٢/ ٦٢٦.

(٥) (قِنَّسْرين) بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده، مدينة بالشام. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٤٠٣.

(٦) نص عبارة أبي الفتح: (فقد ثبت بهذا أن (ثلاثين) ليس جمع (ثلاث)و أن (أربعين) ليس جمع (أربع)، ولكنه جرى مجرى (فلسطين) في أن اعتقد له واحد مقدر وإن لم يجر به استعمال فكأن (ثلاثين) جمع (ثلاث) و(ثلاث) جماعة فكأنه قد كان ينبغي أن تكون فيه (الهاء)..) «سر صناعة الأعراب» ٢/ ٦٢٦.

ولكنه أشبه في الظاهر أنه جمع (أربع) ولو اعتقد له واحد مفرد وإن لم يجز به استعمال كان (أربعا)، (أربع) جماعة فكأنه قد كان ينبغي أن يكون فيه (الهاء) فعوض من ذلك[(١)] الجمع بالواو والنون، وعاد الأمر فيه إلى قصة (أرض) و[(٢)] (أرضون)[(٣)]، وقد ذكرنا الكلام فيه[(٤)].

وقال غيره: إنما جمعوا[(٥)] بالواو والنون، لأنه يقع على ما يعقل وعلى ما لا يعقل، وإذا اجتمعا فالذي يعقل أولى بالغلبة، فجمعوه جمع ما يعقل.

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةً﴾[(٦)] ولم يقل: (يوما) لأن عدد الشهور[(٧)] يحسب من لياليها، وشهور العرب وضعت على سير القمر، والهلال يهل بالليل[(٨)].

---

(١) في (ب): (هذا).

(٢) (الواو) ساقطة من (ب).

(٣) انتهى ما نقله عن أبي الفتح ابن جني الموصلي بتصرف. انظر: «سر صناعة الأعراب» ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧. ورأي أبي الفتح أن (أربعين) يجري مجرى جمع المذكر السالم فيعرب بالحروف، وهذا قول بعض النحويين، ومنهم من قال: يعرب بالحركات. انظر: «المقتضب» ٣/ ٣٣٢، «الخزانة» ٨/ ٦٧، «الدر المصون» ١/ ٣٥٣.

(٤) (فيه) ساقط من (ج). والكلام في: (أرض) و(أرضون) ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

(٥) في (ب): (واجمعوا).

(٦) (ليلة) ساقط من (ج).

(٧) في (ج): (الشهر).

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٠ب. وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩١، «تفسير البغوي» ١/ ٩٤، «زاد المسير» ١/ ٨٠، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٧.

وقوله[١] تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾. يقال: اتّخذ يتّخذ، وتَخِذَ يتخذ[٢]، قال الله تعالى: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾[الكهف: ٧٧][٣].

قال الشاعر[٤]:

وقد تخِذَتْ رجلي إلى جنب غَرزها
نسيفاً كأُفحوص[٥] القطاة المطرِّقِ[٦]

و(تخذ)[٧] من (اتخذ) مثل تقي من اتقى وقد مرّ[٨].

---

(١) في (ج): (له تعالى).

(٢) (يتخذ) بسكون التاء، وفتح الخاء، كذا في «تهذيب اللغة» (أخذ) ٧/ ٥٣٠، «مجالس العلماء» للزجاجي: ص٣٣٣، «اللسان» (أخذ) ٣/ ٣٧٤، وانظر «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٨.

(٣) الكهف: ٧٧، والاستشهاد بالآية ورد في «الحجة» على قراءة أبي عمرو وابن كثير (لتخذت) كما هنا. انظر «الحجة» ٢/ ٦٨، «السبعة» لابن مجاهد ص٣٩٦، «تهذيب اللغة» (أخذ) ١/ ١٢٩.

(٤) هو الممزق العبدي، واسمه شأس بن نهار.

(٥) في (ج): (كما نحوص).

(٦) قوله: غرزها: الغرز للناقة مثل الحزام للفرس، و(النسيف): أثر ركض الرجل بجنبي البعير، و(الأفحوص): المبيض، و(المطرِّق): وصف للقطاة، إذا حان خروج بيضها. ورد البيت في «الحجة» ٢/ ٦٨، «الأصمعيات» ص١٦٥، «تهذيب اللغة» (نسف) ٤/ ٣٥٦٢، «الخصائص» ٢/ ٢٨٧، «مجالس العلماء» للزجاجي ص٣٣٣، «المخصص»١/ ٢١، ٨/ ١٢٥، ١٢/ ٢٧٢، ١٦/ ٩٧، ١٣٤، ١٧/ ٢٢، «التكملة»: ص١١٧، «اللسان» (حدب) ٢/ ٧٩٦، و(فحص) ٦/ ٣٣٥٦، و(طرق) ٥/ ٢٦٦٦، و(نسف) ٧/ ٤٤١١.

(٧) قال أبو علي: (اتخذ): افتعل، فعلت منه: تخذت..) ولم أعلم (تخذت) تعدى إلا إلى مفعول واحد. «الحجة» ٢/ ٦٨. قال ابن عطية: (اتخذ وزنه: افتعل من الأخذ، وقال أبو علي: هو من تخذ لا من أخذ ١/ ٢١٦، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٨-٣٣٩، «الدر المصون» ١/ ٣٥٤.

(٨) مر في تفسير قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وأما (اتخذ) فإنه على ضربين[(١)]: أحدهما: أن يتعدى إلى مفعول واحد.

والثاني: أن يتعدى إلى مفعولين.

فأما تعديه إلى واحد فكقوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] و﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [الفرقان: ٣][(٢)]، ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧].

وأما تعديه إلى مفعولين، فإن الثاني منهما هو الأول في المعنى، كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾[(٣)] وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠]. ونظير (اتخذت) في تعديه إلى مفعول واحد مرة، وإلى مفعولين: (الجعل)[(٤)] قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي: خلقهما[(٥)]، فإذا تعدى إلى مفعولين كان الثاني الأول في المعنى، قال: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾

---

(١) نقله من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٨. وانظر: «البحر» ١/ ٢٠٠، «الدر المصون» ١/ ٣٥٤.

(٢) وفي «الحجة» ذكر قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [مريم: ٨١]، [يس: ٧٤].

(٣) المجادلة: ١٦، المنافقون: ٢.

(٤) في (ب): (أنجعل) وفي «الحجة»: (جعلت) ٢/ ٦٩.

(٥) في (ب): (خلقها). والمؤلف يشير بقوله (خلقها) إلى أن (جعل) التي تتعدى إلى مفعول واحد هي التي بمعنى: خلق، أو أوجب، أو وجب، وهي تتعدى إلى مفعول واحد بنفسها. وإلى الثاني بحرف الجر. وأما التي تتعدى إلى مفعولين فهي التي بمعنى: (اعتقد) و(صير). انظر: «الأشموني مع حاشية الصبان» ٢/ ٢٣.

[يونس: ٨٧]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: ٤١].

فأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥١] وقوله: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] فالتقدير في هذا كله: (اتخذوه إلها) فحذف المفعول الثاني[(١)]. الدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره، لكان من صاغ عجلا، أو نجره، أو عمله بضرب من الأعمال، استحق الغضب من الله[(٢)]، لقوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

و(الاتخاذ) أصله: (اأتخاذ)[(٣)]، فلما التقى الهمزة التي هي الفاء مع همزة الوصل لينت فصارت (ياء) لانكسار ما قبلها، فأدغمت في (تاء)[(٤)] الافتعال كقولهم: اتسروا الجزور[(٥)]، وإنما هو من الميسر واليسر[(٦)].

---

(١) في (ب): (لي الثاني).

(٢) تابع الواحدي أبا علي في قوله: (..أنه لو كان على ظاهره، لكان من صاغ عجلًا، أو نجره، أو عمله بضرب من الأعمال، استحق الغضب من الله)، وكأن فاعل ذلك لا يستحق العقوبة على تصوير المجسمات من ذوات الأرواح، الذي هو محرم عند جمهور العلماء، وإنما وقع الخلاف بينهم في الصور غير المجسمة. أما أبو علي فلا يرى تحريم ذلك كله، ويحمل الأحاديث الواردة في وعيد المصورين على المشبهة -حسب زعمه- قال في «الحجة» ٢/ ٧١: (..قيل: يعذب المصورون، يكون على من صور الله تصوير الأجسام، وأما الزيادة فمن أخبار الآحاد التي لا توجب العلم). وقد تعقبه ابن حجر ورد عليه قوله، انظر: «فتح الباري» ١٠/ ٣٨٤.

(٣) (اأتخاد) ساقط من (ب)، وفي (ج): (اتخاذ).

(٤) في (ب): (ياء).

(٥) اتسروا الجزور: إذا نحروها واقتسموها.(القاموس) (يسر): ص٥٠٠.

(٦) أورد أبو علي هذا القول ورده، لأن أصله عنده (تخذ) لا (اخذ). انظر: «الحجة» ٢/ ٧١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٩، «الدر المصون» ١/ ٣٥٤.

وباب (الاتخاذ) يجوز أنه يكون أصله الواو كالاتزان والاتقاء و[١] الاتضاح ؛ لأن الأخذ، قد جاء فيه لغتان[٢]، كما قالوا: أكدت ووكدت، وأوصدت وآصدت[٣]، وقد مر هذا مشروحاً في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢][٤].

واختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ بعضهم بالإظهار[٥]؛ لأن (الذال) ليس من مخرج (التاء)[٦] إنما هي من مخرج (الظاء)، و(الثاء) فتفاوت ما بينهما إذ كان لكل واحد من الذال والتاء مخرج غير مخرج الآخر[٧]. وأما من[٨] أدغم فحجته: أن هذين الحرفين لما تقاربا فاجتمعا في أنهما[٩] من طرف اللسان وأصول الثنايا، حسن الإدغام، لقرب حيز كل واحد منهما من الحيز[١٠] الآخر.

---

(١) (الواو) ساقطة من (ج).

(٢) ذكره أبو علي في «الحجة» حيث قال: (أخذ) قد جاء فيه لغتان في (الفاء): الواو والهمز، كما جاء: آكدت ووكدت..) «الحجة» ٢/ ٧٣، ٧٤.

(٣) في (ب): (ووصلت). (٤) البقرة: ٢.

(٥) قرأ بالإظهار ابن كثير وعاصم في رواية حفص، انظر «السبعة»: ص١٥٥، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٧، «التيسير»: ص٤٤.

(٦) في «الحجة» (ليس من مخرج التاء والطاء) ٢/ ٧٥.

(٧) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٧٥. وانظر: «الحجة» لابن خالويه: ص٧٧. «الكشف» لمكي ١/ ١٦٠.

(٨) قرأ بالإدغام بقية السبعة عدا ابن كثير وعاصم في رواية حفص، انظر: «السبعة» ص١٥٥، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٧، «التيسير»: ص٤٤، «الكشف» ١/ ١٦٠.

(٩) في (ب): (فاجتمع أنها).

(١٠) في (ب): (حيز). «الحجة» لأبي علي ٢/ ٧٥. وانظر: «الحجة» لابن خالويه: ص٧٧، «الكشف» ١/ ١٦٠، وقال مكي: إنهما (اعتدلا في القوة والضعف).

فأما معنى الآية: فإن الله تعالى نبههم بهذه الآية على أن كفرهم بمحمد ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل[١]، وأراد به كفر سلفهم، وخاطبهم بهذا على ما بينا قبل[٢]. قال المفسرون: إن الله تعالى لما أنجى موسى وبني إسرائيل وأغرق فرعون، وآمن بنو إسرائيل من عدوهم ودخلوا مصر، لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ممهدة، فواعد الله موسى أن يؤتيه الكتاب، فيه بيان ما يأتون[٣] وما يذرون، وأمره أن يصوم ثلاثين يوماً، فصامه وصالاً، ولم يطعم شيئاً، فتغيرت رائحة فمه، فعمد إلى لحاء شجرة فمضغها، فأوحى الله إليه: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، وأمره أن يصل بها عشراً، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، وخرج موسى من بين[٤] بني إسرائيل تلك الأيام، فاتخذ السامري عجلاً، وقال لبني إسرائيل: هذا إلهكم وإله موسى، فافتتن بالعجل ثمانية آلاف رجل منهم، وعكفوا عليه يعبدونه[٥]، وسنذكر طرفاً من هذه القصة في موضعها[٦]، إن شاء الله.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٨١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٤.

(٢) يريد ما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ البقرة: ٤٠، فجعل النعمة على آبائهم نعمة عليهم، وهذا يجري في (كلام العرب) كثيرًا. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٧، ١٠٤.

(٣) في (ج): (ما يؤتون).

(٤) (بين) ساقط من (ج).

(٥) بنحو هذا السياق ذكره الثعلبي في «تفسيره» دون قوله: (وأمره أن يصوم ثلاثين يومًا..) ١/ ٧١أ، وأخرج الطبري في «تفسيره» مقاطع منه في عدة آثار ١/ ٢٨٣، وانظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٤، «تفسير البغوي» ١/ ٩٥، «ابن كثير» ١/ ٩٨.

(٦) في (ب): (موضها).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: ضارون لأنفسكم، وواضعون العبادة في غير موضعها[(١)]. وقيل: وأنتم ظالمون اليوم بمخالفة محمد صلى الله عليه وسلم[(٢)].

٥٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال الليث: كل من استحق عقوبة فتركته[(٣)] فقد عفوت عنه[(٤)]. فكأن معنى العفو عنده: الترك، ومنه قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي ترك[(٥)].

وقال ابن الأنباري: أصل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] محا الله عنك، مأخوذ من قولهم: عفت الرياح الآثار، إذا درستها ومحتها، فعفت تعفو عفوا، لفظ[(٦)] اللازم والمتعدى سواء[(٧)] إلا في المصدر[(٨)]. فعفو الله

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ٧١ب، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٨٤. و«تفسير البغوي» ١/ ٩٥، و«لباب التفسير» ١/ ٢٣٩، و«تفسير الرازي» ٣/ ٧٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٠١، و«تفسير البيضاوي» ١/ ٢٥، و«تفسير النسفي» ١/ ٤٣، و«تفسير الخازن» ١/ ١٢٥.

(٢) لم أجد من ذكر هذا القول - فيما اطلعت عليه - ومعناه يرجع للقول الأول، والله أعلم.

(٣) في (ب): (فتركة عنه) وفي «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٤٨٩.

(٤) «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٤٨٩. وانظر: «تفسير أسماء الله» للزجاج ص٦٢، «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٣٤.

(٥) وقيل: إن معنى (فمن عفي): فمن فضل له فضل، انظر «تفسير الطبري» ١/ ١٠٧-١٠٩، وانظر كلام الأزهري على الآية في «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٢٦.

(٦) في (ب): (اللفظ).

(٧) «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٤٨٩، «اللسان» (عفا) ٥/ ٣٠١٨، وانظر «الأضداد» لابن الأنباري: ص ٨٦، «الزاهر» ١/ ٥٣٥.

(٨) قوله: (إلا في المصدر) لم يرد ضمن كلام ابن الأنباري في «تهذيب اللغة»، قال الأزهري وقرأت بخط شمر لأبي زيد: عفا الله عن العبد عفوا، وعفت الرياح الأثر عفاء، فعفا الأثر عفوا «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٤٨٩.

تعالى: محوه الذنوب عن العبيد[(١)].

وقال بعض أصحاب المعاني: العفو في اللغة: ما فضل عن الكفاية، وسهلت النفس ببذله[(٢)] ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[(٣)] [البقرة: ٢١٩] أي: ما فضل عن[(٤)] القوت، ثم كثر ذلك وطال ترداده حتى صار على التدريج والتراخي: الصفح[(٥)] عن الشيء والإعراض عن المؤاخذة به.

قال المفسرون: والمراد بالعفو في هذه الآية: قبوله التوبة من عبدة العجل، وأمره برفع السيف عنهم[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد عبادة العجل[(٧)]. وإنما وحد والخطاب[(٨)] للجميع، لاتصال الخطاب بذا وهو مبهم، فمرة يجمع على الأصل في مخاطبة الجميع، ومرة يوحد على مشاكلة اللفظ، إذا[(٩)] كان لفظ المبهم على الواحد، وإن كان معناه على الجمع[(١٠)].

---

(١) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٣٤، «تهذيب اللغة» (عفا)٣/ ٢٤٨٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (عفا) ٣/ ٢٤٩١.

(٣) الواو ساقطة من (أ)، (ج).

(٤) في (ب): (من).

(٥) في (ب): (والصفح).

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٣. و«تفسير الثعلبي» ١/ ٧٢أ، وقال ابن جرير: المراد بالعفو: ترك معاجلتهم بالعقوبة، «تفسير الطبري» ١/ ٢٨٤

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٨٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٢أ، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٨.

(٨) في (ب): (وجد الخطاب).

(٩) في (أ)، (ج): (إذ)، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق.

(١٠) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٦.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إنما ذكرت هاهنا وفي سائر المواضع من القرآن نحو ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] والله ﷻ يعلم أيشكرون أم لا، على ما يفعل(١) العباد ويتخاطبون به، أي: أن هذا يرجى به الشكر(٢)، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم(٣).

ومعنى الشكر في اللغة: عرفان الإحسان ونشره، وهو الشكور(٤) أيضًا(٥). وقال بعض أهل اللغة: معنى الشكر إظهار النعمة بالاعتراف بها، ومن هذا يقال: دابة شكور(٦)، إذا أظهرت السمن فوق(٧) ما يعلف(٨). وقد ذكرنا أقسام الشكر في ابتداء الفاتحة. وأما معنى الشكور في وصف الله تعالى فمذكور وفي موضعه.

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ الآية. الفرقان: مصدر فرَقت بين الشيئين أفرُق فَرْقًا وفُرْقانًا، كالرجحان والنقصان، هذا هو

---

(١) في (أ)، (ب): (يعقل)، وما في (ج) أولى، وموافق لما في «معاني القرآن» للزجاج، والكلام منقول منه.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٥، وأكثر المفسرين على أن (لعل) تفيد الإيجاب، وقيل: هي بمعنى (كي). انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٦١، ١/ ٢٨٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٣٦.

(٣) ذكر الوجوه التي تأتي عليها (لعل) في تفسير قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ٢١.

(٤) في (ب): (الشكر).

(٥) ذكره الأزهري عن الليث. «تهذيب اللغة» (شكر) ٢/ ١٩١١، وانظر: «اللسان» (شكر) ٤/ ٢٣٠٥.

(٦) في (ب): (شكورا).

(٧) في (ب): (من الثمن فوق ما علفت).

(٨) انظر: «التهذيب» (شكر) ٢/ ١٩١١، «اللسان» ٤/ ٢٣٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٢.

الأصل[١]. ثم يسمى كل فارق: فرقانًا، كتسميتهم الفاعل بالمصدر، كما سمى كتاب الله الفرقان لفصله بحججه وأدلته بين المحقّ والمبطل، وسمى الله تعالى يوم بدر: يوم الفرقان في قوله ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل، فكان ذلك اليوم يوم الفرقان[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي: يفرق بينكم وبين ذنوبكم، أوبينكم وبين ما تخافون[٣].

فأما[٤] معنى الفرقان في هذه الآية: فقال مجاهد: هو بمعنى الكتاب، وهما شيء واحد[٥]. وهواختيار الفراء[٦]. قال: العرب تكرر الشيء إذا اختلفت[٧] ألفاظه، قال عدي بن زيد:

---

(١) انظر: «الصحاح» (فرق) ٤/ ١٥٤٠، «اللسان» (فرق) ٦/ ٣٣٩٩.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٣، ٤٤ ١/ ٢٨٥«معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٦١، «تهذيب اللغة» (فرق) ٣/ ٢٧٧٩، «الصحاح» (فرق) ٤/ ١٥٤١، «اللسان» (فرق) ٦/ ٣٣٩٩.

(٣) ذكر الطبري في المراد بالفرقان ثلاثة أقوال: مخرجها، أو نجاة، أو فصلا، ١٣/ ٤٨٨.

(٤) في (ب): (وأما).

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» عن مجاهد وعن ابن عباس وأبي العالية ورجحه ٢/ ٧٠، ٧١، وكذا «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٥٠، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٢٢٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٣أ، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢١٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٨١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٩٧.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣أ، وذكر الفراء في المراد بالفرقان عدة أقوال، والقول المذكور هنا أحد الأقوال. انظر «معاني القرآن» ١/ ٣٧.

(٧) في (ب): (اختلف).

وأَلْـفَـى قَـوْلَـهَـا كَـذِبًـا وَمَـيـنَـا[(١)]

وقال عنترة:

أَقْـوَى وَأَقْـفَـرَ بَـعْـدَ أُمِّ الـهَـيْـثَـم[(٢)]

وارتضى الزجاج هذا القول، قال[(٣)]: لأن الله تعالى ذكر لموسى الفرقان في غير هذا الموضع وهوقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. فعلى هذا الفرقان هوالكتاب، والكتاب هو الفرقان، ولكن ذكر بلفظين مختلفين نحوما ذكرنا.

قال الزجاج: ويجوز أن يريد بالفرقان انفراق البحر[(٤)]، وهومن عظيم الآيات، كأنه قيل: آتيناه فرق البحر وهذا قول يمان بن رباب[(٥)]. وقال ابن عباس: أراد بالفرقان النصر على الأعداء[(٦)]، لأن الله ﷻ

(١) سبق البيت وتخريجه، والشاهد هنا قوله: (كذبًا ومينًا) فعطف المين على الكذب، وهو بمعناه.

(٢) البيت من معلقة عنترة المشهورة وصدره:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ

(الطلل): ما شخص من الدار من وتد وغيره، (تقادم): طال عهده بأهله فتغير، (أقوى): خلا من أهله، ورد البيت في «تهذيب اللغة» (شرع) ٢/ ١٨٥٧، «اللسان» (شرع) ٤/ ٢٢٣٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٣أ، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤١، «الدر المصون» ١/ ٣٥٨، «فتح القدير» ١/ ١٣٥، و«ديوان عنترة» ص ١٨٩.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٥.

(٤) لم أجد هذا القول في «معاني القرآن» للزجاج، وممن نسبه للزجاج ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٨١، وهذا القول ذكره الفراء في «المعاني» ١/ ٣٧، وأبو الليث في «تفسيره» ١/ ٣٥٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ونسبه لابن زيد ١/ ٢٩٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤١.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣أ، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» عن ابن=

نصر[١] موسى وقومه. وقال حسان يذكر ذلك، يخاطب[٢] النبي ﷺ:

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ[٣] مِنْ حَسَنٍ   تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا[٤]

فعلى هذا سمى نصره على فرعون وقومه فرقانًا؛ لأن في ذلك فرقًا بين الحق والباطل.

وقال الكسائي: الفرقان نعت للكتاب، يريد: وإذا آتينا موسى الكتاب الفرقان، أي[٥]: الفارق بين الحلال والحرام، ثم زيدت الواو كما تزاد في النعوت فيقال: فلان حسن وطويل وسخي[٦]، وأنشد:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ   وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَم[٧]

وقال قطرب: أراد بالفرقان: القرآن، وفي الآية إضمار معناه: وإذ آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان، لعلكم تهتدون بهذين الكتابين، فترك

= عباس وابن زيد ١/ ٨١، وذكر الطبري نحوه عن ابن زيد ١/ ٢٨٥، وذكره أبو الليث في «تفسيره» ولم يعزه ١/ ٣٥٤، وكذا ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٢٩٥.

(١) (نصر) ساقط من (ب).

(٢) في (ج): (مخاطب).

(٣) في (ب): (ما أتاك الله ما أتاك).

(٤) البيت ليس لحسان وإنما هو لعبد الله بن رواحة كما في ديوانه ص ١٥٩، وكذلك ورد في «طبقات ابن سعد» ٣/ ٥٢٨، «سيرة ابن هشام» ٣/ ٤٢٨، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣٤، و«الاستيعاب» ٣/ ٣٥، «الدر المصون» ١/ ٥٩١، «البحر المحيط» ٢/ ٣١١، ٢٢٧، ٦/ ٨٤.

(٥) في (أ): (أن) وفي (ج): (إذ).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣أ، وانظر «تفسير البغوي» ١/ ٧٣، «الكشاف» ١/ ٢٨١، وذكره أبو حيان في البحر، وقال: هو ضعيف ١/ ٢٠٢، وذكر الفراء نحوه ولم يعزه للكسائي، «معاني القرآن» ١/ ٣٧.

(٧) سبق البيت وتخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

أحد الاسمين[١]، كقوله:

تَـرَاهُ كَـأَنَّ اللهَ يَـجْـدَعُ أَنْـفَـهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ[٢]

أراد ويفقأ عينيه، فاكتفى بـ (يجدع) من يفقأ[٣].

قال ابن الأنباري: هذا البيت لا يشاكل ما احتج به؛ لأن الشاعر اكتفى بفعل من فعل، وعلى ما ذكر في الآية اكتفى من اسم باسم[٤]، ولكنه يصح قول قطرب عندي من وجه آخر، وهو[٥] أنه لما ذكر الفرقان وهواسم للقرآن، دل على محمد ﷺ فحذف اتكالًا على علم المخاطبين[٦].

٥٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ يعني[٧] الذين عبدوا العجل. (يا قوم) نداء مضاف حذفت منه الياء، لأن النداء باب حذف، ألا

---

(١) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣أ، وذكره الزجاج في «المعاني» ١/ ١٠٤، ١٠٥، وهو قول للفراء كما في المعاني ١/ ٣٧، وانظر: «أمالي المرتضى» ٢/ ٢٥٩، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٦، «زاد المسير» ١/ ٨١، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٢.

(٢) البيت ينسب إلى خالد بن الطيفان، ونسبه بعضهم إلى الزبرقان بن بدر، وورد البيت في «الزاهر» ١/ ١١٩، و«أمالي المرتضى» ٢/ ٢٥٩، ٣٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٣أ، «الخصائص» ٢/ ٤٣١، «الإنصاف» ١/ ٤٠٦، «اللسان» (جدع) ١/ ٥٦٧. والوفر: المال الكثير الوافر.

(٣) في (ج): (فاكتفى يجدع من تفقأ).

(٤) في (ب)، (ج): (باسم من اسم). وقول ابن الأنباري ذكره المرتضى في «أماليه» ٢/ ٢٦٠.

(٥) (وهو) ساقط من (ب).

(٦) ذكر المرتضى في أماليه نحوه ردا على قول ابن الأنباري السابق. «أمالي المرتضى» ٢/ ٢٦٠.

(٧) بعد سياق الآية كاملة في (ب) كما هو النهج في هذه النسخة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ يعني . . .

ترى أنه يحذف فيه[١] التنوين، ويحذف بعض الاسم للترخيم[٢] والمنادى إذا أضفته إلى نفسك[٣] جاز فيه ثلاث لغات[٤] حذف الياء، وإثباتها[٥] وفتحها[٦]، فحذف الياء كقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ والإثبات كقوله: ﴿يا عبادي[٧] فاتقون﴾[٨] [الزمر: ١٦] والفتح كقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣] على قراءة من فتح[٩] الياء. والأجود الحذف والاجتزاء بالكسرة[١٠]، والعرب تفعل ذلك كثيرًا في الموضع[١١] الذي يكون[١٢] الياء

---

(١) في (ج): (منه).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٢٦.

(٣) أي: إلى ياء المتكلم.

(٤) انظر: «الكتاب» ٢/ ٢٠٩، وذكر الزجاج في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم أربع لغات، انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٠٥، وذكر النحاس ست لغات، «إعراب القرآن» ١/ ٢٢٦، وكذا أبو حيان في البحر ١/ ١٠٦، «السمين في الدر» ١/ ٣٥٩، وهذا في غير القرآن.

(٥) يعني إثباتها ساكنة.

(٦) في (ب): (وحذفها).

(٧) قراءة جمهور القراء حذف الياء منها، وقرأ بالإثبات رويس وروح. انظر: «النشر» ٢/ ٣٦٤، «وتحبير التيسير» ص١٧٤.

(٨) في (ج): (عباد) وهي قراءة السبعة.

(٩) في (ب): (حذف). قرأ بالفتح نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وأبو جعفر من العشرة والبقية على الإسكان في الوقف، وحذفها في الوصل. انظر: «التيسير» ص ١٩٠، «تحبير التيسير» ص ١٧٤.

(١٠) قال الزجاج: فأما في القرآن فالكسر وحذف الياء لأنه أجود الأوجه، وهو إجماع القراء. ١/ ١٠٥، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٦.

(١١) في (ب): (المواضع).

(١٢) في (ب): (تكون).

فيه أصلًا، وكما أنشده[1] سيبويه:

وَطِرْتُ بِمُنْصُلِي[2] فِي يَعْمَلاَتٍ دَوَامِي الأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا[3]

يريد: الأيدي[4]. وأنشد أيضًا:

وَأَخُوالغَوَانِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ[5]

يريد: الغواني فاجتزأ بالكسرة من الياء، والنداء بهذا أولى لأنه باب حذف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ أي نقصتم حظ أنفسكم باتخاذكم العجل إلها[6]، فحذف أحد المفعولين، وقد مضى بيانه[7].

---

(١) في (ب): (أنشد).

(٢) في (أ)، (ج) (المنصلي) وما في (ب) موافق لرواية البيت في أكثر المصادر.

(٣) البيت غير منسوب في «الكتاب»، ونسبه في اللسان لمضرس بن ربعي. (المنصل): السيف، و(اليعملات): جمع يعملة، وهي الناقة القوية على العمل و(السريح): جلود أو خرق تشد على أخفاف الناقة إذا حفيت من شدة السير، ورد البيت في «الكتاب» ١/ ٢٧. ٤/ ١٩٠، «المنصف» ٢/ ٧٣، «الخصائص» ٢/ ٢٦٩. ٣/ ١٣٣، «الإنصاف» ٢/ ٤٢٩، «الخزانة» ١/ ٢٤٢، «اللسان» (جزز) ١/ ٦١٥، و(خبط) ١٠٩٣، و(ثمن) ١/ ٥٩ و(يدى) ٨/ ٤٩٥١.

(٤) فحذف (الياء) لضرورة الشعر وبقيت الكسرة تدل عليها. انظر: «الكتاب» ١/ ٢٧.

(٥) في (ب): (واداد). البيت للأعشى (قيس من ميمون) وفيه يصف النساء بالغدر وقلة الوفاء والصبر، يقول: من كان مشغوفًا بهن مواصلًا لهن، إذا تعرض لما يسبب صرمهن سارعن إليه لتغير أخلاقهن. البيت من شواهد سيبويه ١/ ٢٨، وورد في «المنصف» ٢/ ٧٣، «الإنصاف» ص٣٢٩، ص٤١٩، و«الهمع» ٥/ ٣٤٤، «الخزانة» ١/ ٢٤٢، «اللسان» (غنا) ٦/ ٣٣١٠، وديوان الأعشى ص ٥١.

(٦) انظر: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣.

(٧) مضى في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٥١].

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم، يقال: برأ الله الخلق، أي: خلقهم[(١)]، وكان أبو عمرو يختلس حركة الهمزة في بارئكم كأنه مخفف الحركة ويقربها من الجزم[(٢)]، وحجته في ذلك: أن الحركات على ضربين[(٣)]: حركة بناء، وحركة إعراب، فحركة البناء يجوز تخفيفه، وذلك نحو: سَبُع وإبِل وضُرِبَ وعَلِمَ. يقول[(٤)] في التخفيف: سَبْع وفَخْذٌ وعَلْم وضُرْب، وقد خفف من كلمتين على هذا المثال تشبيها للمنفصل[(٥)] بالمتصل، وذلك نحوما أنشده أبو زيد:

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا دَقِيقَا[(٦)]

[فَنُزِّل][(٧)] مثل كتف، ولا خلاف في تجويز إسكان حركة البناء عند

---

(١) انظر: «غريب القرآن» للزبيدي ١/ ٧٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٣ب.

(٢) هذا على رواية العراقيين عنه بالاختلاس، وروي عنه إسكان الهمزة، وبقية السبعة على كسر الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف، انظر «السبعة» ص ١٥٥، و«الحجة» لأبي على ٢/ ٧٦، «التيسير» ص ٧٣، «الكشف» ١/ ٢٤٠.

(٣) أخذه عن «الحجة» ٢/ ٧٨. قال أبو علي: (حروف المعجم على ضربين: ساكن ومتحرك، والساكن على ضربين: أحدهما: ما أصله في الاستعمال السكون..، والآخر: ما أصله الحركة في الاستعمال فيسكن عنها، وما كان أصله الحركة يسكن على ضربين: أحدهما أن تكون حركته حركة بناء، والآخر: أن تكون حركته حركة إعراب..) وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٩٧، «الحجة» لابن خالويه ص ٧٨، «الكشف» ١/ ٢٤١.

(٤) في «الحجة» (يقول من يخفف) ٢/ ٧٩.

(٥) أي: شبهوا المنفصل في كلمتين بالمتصل في كلمة.

(٦) الرجز لرجل من كندة يقال له: (العذافر الكندي) وسبق تخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

(٧) في جميع النسخ (فترك) وفي «الحجة» (فنزل) وهذا أقرب، والمعنى: أن (اشتر)=

النحويين.

وأما حركة الإعراب فمختلف في تجويز إسكانها، فمن النحويين من يقول: إن إسكانها لا يجوز، لأنها علم الإعراب، وسيبويه يجوز ذلك[(١)]، ولا يفصل بين القبيلين[(٢)] في الشعر.

وقد روي ذلك عن العرب، وإذا جاءت الرواية لم ترد بالقياس[(٣)]، فمما أنشده في ذلك قوله[(٤)]:

وَقَدْ بَدَا[(٥)] هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ[(٦)]

وقوله: فَالْيَوْمُ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ[(٧)] .. البيت.

= سكن آخره ونزل منزلة المتصل مثل (كتف) انظر «الحجة» ٢/ ٧٩، و«النوادر» لأبي زيد ص ١٧٠، «الخصائص» ١/ ٧٣-٧٥.

(١) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢٠٣، وانظر: «الخصائص» ١/ ٧٣-٧٥.

(٢) في (ب): (القبيلتين).

(٣) وكأنه يشير إلى رد أبي العباس المبرد لهذه المسألة، انظر: «الخصائص» ١/ ٧٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٧، «الخزانة» ٤/ ٤٨٤.

(٤) (قوله) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (زيد).

(٦) البيت للأقيشر الأسدي وصدره:

رُحْتِ وَفِي رِجْلَيْكِ مَا فِيهِمَا

قاله يخاطب زوجته حين لامته لما شرب الخمر وبدت عورته، وقوله: (ما فيهما): من الاضطراب، و(الهن) كناية عن كل ما يقبح ذكره، وهو هنا كناية عن (الفرج). البيت من شواهد سيبويه ٤/ ٢٠٣، وفي «الحجة» لأبي علي ٢/ ٨٠، «الخصائص» ١/ ٧٤، ٣/ ٩٥، و«الهمع» ١/ ١٨٧، «شرح المفصل» ١/ ٤٨، «الخزانة» ٤/ ٤٨٤، ٤٨٥، ٨/ ٣٥١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٨.

(٧) سبق تخريجه.

وقول جرير:

سِيرُوا بَنِي الْعَمِّ فَالْأَهْوَازُ[1] مَنْزِلُكُمْ
وَنَهْرُ تِيرَى وَلَا تَعْرِفْكُمُ[2] الْعَرَبُ[3]

وجاز إسكان حركة الإعراب كما جاز إسكان[4] حركة البناء في نحو ما ذكرنا. والذي ذهب إليه أبو عمرو هو إسكان حركة الإعراب[5].

فأما من زعم أن حذف هذه الحركة لا يجوز من حيث كانت عَلَمًا للإعراب، فليس قوله بمستقيم، وذلك أن حركات[6] الإعراب قد تحذف لأشياء[7]، ألا ترى أنها تحذف للوقف، وتحذف من الأسماء والأفعال

---

(١) في (ج): (فالهواني).

(٢) في (أ)، (ج): (لايعرفكم) وما في (ب) موافق للحجة، والمصادر الأخرى التي ورد فيها البيت.

(٣) (الأهواز): مكان معروف في بلاد الفرس، وهو اسم للكورة بأسرها، ثم غلب على سوقها الذي أصبح مدينة يعينها، وفي الأهواز (نهر تيرى) المذكور في البيت. انظر «معجم البلدان» ١/ ٢٨٤، ٥/ ٣١٩، ورد البيت في «الحجة» ٢/ ٨٠، «الخصائص» ١/ ٧٤.، ٢/ ٣١٧، «المخصص» ١٥/ ١٨٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٨، «معجم البلدان» ٥/ ٣١٩، «الخزانة» ٤/ ٤٨٤، «ديوان جرير» ص ٤٥. والشاهد (ولا تعرفكم) بالضم فأسكن الشاعر مضطرًّا. انظر «الخصائص» ١/ ٧٤، ٢/ ٣١٧.

(٤) (إسكان) ساقط من (ب). وعبارة أبي علي: (وجاز إسكان حركة الإعراب، كما جاز تحريك إسكان البناء...) «الحجة» ٢/ ٨١.

(٥) أو اختلاسها كما سبق، قال أبو علي: (ذهب سيبويه إلى أن أبا عمرو اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك، فمن روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو، فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت به والخفاء إسكانًا ٢/ ٨٤، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٧، «الحجة» لابن خالويه ص ٧٨.

(٦) في (ب) (حركة).

(٧) في (ب) (الأشياء).

المعتلة. فإذا جاز حذفها في هذه المواضع، جاز حذفها فيما ذهب إليه سيبويه، وهو التشبيه بحركة البناء، والجامع بينهما أنهما جميعا زائدتان، وأن حركة الإعراب قد تسقط في الوقف والاعتلال، كما تسقط التي للبناء للتخفيف.

واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمة والكسرة منهما على ضربين: أحدهما: الإشباع والتمطيط، والآخر: الاختلاس والتخفيف.

وهذا الاختلاس والتخفيف، إنما يكون في الضمة والكسرة، وأما الفتحة[١] فليس فيها إلا الإشباع ولم تخفف الفتحة بالاختلاس، كما لم تخفف بالحذف[٢] من نحو: جَمَل وجَبَل، كما حذف[٣] من نحو: سَبُع وكَتِف، وكما[٤] لم يحذفوا الألف في الفواصل من حيث حذفت الياء والواومنها، نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر: ٤]. وكما لم يبدل الأكثر من التنوين الياء والواوفي الجر والرفع كما أبدلوا[٥] منه في النصب، فهذا الاختلاس وإن كان الصوت فيه أضعف من التمطيط وأخفى، فإن الحرف المختلس حركته بزنة المتحرك، وعلى هذا حمل سيبويه قول أبي عمرو﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ فذهب إلى أنه اختلس الحركة ولم يشبعها، فهو بزنة حرف متحرك[٦].

(١) في (ب) (فأما الضمة).
(٢) في (أ)، (ج) (بالمحذوف) وما في (ب) أولى، وموافق لما في «الحجة» ٢/ ٨٣.
(٣) في «الحجة» (خفف) وهو أولى.
(٤) (الواو) ساقطة من (ب).
(٥) في «الحجة»: (كما أبدلوا الألف في النصب) ٢/ ٨٣.
(٦) انتهى من «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٧٨-٨٣. مع التصرف اليسير باختصار بعض المواضع.

وفي الآية إضمار واختصار، كأنه لما قال لهم: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ قالوا: كيف؟ فقال[١]: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٢]. قال أبو العباس: أصل القتل: إماتة الحركة[٣]. ومنه يقال: قتلت الخمر إذا[٤] مزجتها بالماء، لأنك كسرت شدتها، كأنك قتلت حركتها، قال حسان:

إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ ... قُتِلَتْ فَهَاتِهَا[٥] لَمْ تُقْتَلِ[٦]

وتقول[٧]: قتلته علما: إذا أتقنته وتحققته، وذلك أنك أزلت اضطرابه في نفسك.

وقلب مُقَتَّل: إذا ذلل بالعشق[٨]، ومنه قوله:

...... أَعْشَارِ[٩] قَلْبٍ مُقَتَّلِ[١٠]

---

(١) في (ب) (قال).

(٢) انظر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣.

(٣) نحوه في «التهذيب» عن الليث (قتل)٣/ ٢٨٨٤، انظر «الصحاح» (قتل) ٥/ ١٧٩٧، «اللسان» (قتل) ٦/ ٣٥٢٨.

(٤) في (ج) (اوا).

(٥) في (أ)، (ج) (نهاتها) وما في (ب) موافق لنا في ديوان حسان، والمصادر الأخرى التي ذكر فيها البيت.

(٦) ورد البيت في الصحاح (قتل) ٥/ ١٧٩٧، «اللسان» ٦/ ٣٥٣٠، «ديوان حسان» ص ١٨١، «الخزانة» ٤/ ٣٨٥، ٣٩٠.

(٧) في (ج): (ويقول).

(٨) انظر «التهذيب» (قتل) ٣/ ٢٨٨٤، «الصحاح» (قتل) ٥/ ١٧٩٧، ١٧٩٨، «المحكم» (قتل) ٦/ ٢٠٤، ٢٠٥.

(٩) في (ب): (في أعشار).

(١٠) البيت لامرئ القيس، وسبق تخريجه وشرحه في مقدمة المؤلف.

وكذلك المُقَتَّل من الدواب: المذلل بكثرة العمل[١].

قال زهير:

كَـأَنَّ عَـيْـنَـيَّ فِـي غَـرْبَـيْ مُـقَـتَّـلَـةٍ   مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً[٢] سُحُقَا[٣]

[قوله: جنة سُحُقا قال أبو علي[٤]: أراد نخيل جنة، لأن السحق يكون من صفة النخيل لا من صفة الجنة، وهي التي بسقت فطالت][٥].

ومعنى قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء المجرم[٦]، وجاز هذا؛ لأن من قتل أخاه وأباه[٧] وجاره وحليفه[٨] فكأنه قتل نفسه، ومنه

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (قتل) ١/ ٢٨٨٤. «المحكم» (قتل) ٦/ ٢٠٥.

(٢) في (ب): (جنها).

(٣) قوله: (غربي) الغرب: الدلو الكبير من جلد ثور وجمعه غروب، و(المقتلة): التي ذللت بكثرة العمل، لأنها ماهرة تخرج الدلو ملأى فتسيل من نواحيها، (الجنة) البستان، وأراد النخل. (السحق): الواحد (سحوق) النخلة التي ذهبت جريدتها، وطالت، ورد البيت في المجمل (جنن) ١/ ١٧٥، «مقاييس اللغة» ١/ ٤٢١، «المخصص» ١١/ ١١١، «اللسان» (سحق) ٤/ ١٩٥٦.، و(قتل) ٦/ ٣٥٣٠. و(جنن) ٢/ ٧٠٥.

(٤) انظر: «المخصص» ١١/ ١١١.

(٥) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣ب، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٥.والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣، الخازن في «تفسيره» ١/ ١٢٦، وقيل: ليقتل بعضكم بعضًا، انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٩. والطبري ٢/ ٧٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٨، «الكشاف» ١/ ٢٨١، «زاد المسير» ١/ ٨٢، «البحر» ١/ ٢٠٧. وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٩٨.

(٧) (وأباه) ساقط من (ب).

(٨) في (ج): (خليفه).

قوله: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾[(١)] [البقرة: ١٩١] أي: قتلوا منكم بعضكم الذين هم كأنفسكم[(٢)].

وقال بعض أهل المعاني: معنى (فاقتلوا أنفسكم) أي: استسلموا للقتل، فجعل استسلامهم للقتل قتلًا منهم لأنفسهم على التوسع[(٣)]، فعلى هذا لا تحتاج إلى تأويل الأنفس.

وقوله تعالي: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ أي: توبتكم خير لكم عند بارئكم من إقامتكم على عبادة العجل[(٤)]، والإشارة في ذلك تعود إلى القتل[(٥)]، وهوتوبتهم، وقيل[(٦)]: معناه: توبتكم خير لكم، أي فعل خير، لأنه يثيبكم عليه، وليس «خير» على طريق المبالغة والتفضيل[(٧)]، وذلك أن

---

(١) كذا في (أ) (قتلوكم) بغير ألف، وهي قراءة حمزة والكسائي، وفي (ب)، (ج) (قاتلوكم) بالألف على قراءة بقية السبعة. انظر «السبعة» لابن مجاهد ص ١٧٩.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص ١٥٢، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٥، «تفسير الرازي» ٣/ ٨١.

(٣) ذكره الماوردي عن أبي إسحاق ١/ ٣٢٧، وكذا الرازي في «تفسيره» ٣/ ٨٢، وأبو حيان في البحر ١/ ٢٠٧.

(٤) أو المعنى (توبتكم) خير لكم من إقامتكم على المعصية، ولو سلمتم من القتل. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٠٩، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٥، والنسفي في «تفسيره» ١/ ١٢٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٩، «الدر المصون» ١/ ٣٦٦.

(٥) وقيل: تعود إلى التوبة، وقيل: إلى القتل والتوبة، فأوقع المفرد موقع التثنية. انظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٣ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٣، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٨٣، «زاد المسير» ١/ ٨٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٩، «الدر المصون» ١/ ٣٦٦.

(٦) (وقيل) ساقط من (ب).

(٧) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٠٩.

خيرًا يستعمل بمعنيين: أحدهما: التفضيل، وقال: فلان خير من فلان، أي أفضل، وهذا يحتاج معه إلى من.

والثاني: بمعنى الفاضل، يقال أردت خيرا، أوفعلت خيرا[١].

قال ابن عباس: أبى الله ﷻ أن يقبل توبة عبدة العجل إلا بالحال التي كره من لم يعبد العجل، وذلك أنهم كرهوا أن يقاتلوا عبدة العجل على عبادة العجل فجعل الله توبتهم أن يقتلهم هؤلاء الذين كرهوا قتالهم[٢]، والقصة في ذلك معروفة مشهورة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ في الآية اختصار، تقديره: ففعلتم ما أمرتم به[٣]، فتاب عليكم[٤].

٥٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ قال ابن عباس: حتى نراه علانية[٥]، وقال قتادة: عيانا[٦]. وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم[٧]، وكرؤية القلب، فإذا قيل[٨]: رآه

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٠٩، «الدر المصون» ١/ ٣٦٦.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٣ب، وذكره الطبري في «تفسيره» عن السدي ١/ ٢٨٦، «تفسير الماوردي» عن جريج ١/ ٣٢٧.

(٣) في (ب): (فعلتم ذلك).

(٤) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٤أ، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٨٨، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٩٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٩.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٨١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٥٥، وذكره القرطبي في «تفسيره» ١/ ١٣٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٧٠، والسيوطي في الدر ١/ ٧٠.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٨٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٥٦.

(٧) بياض في (ب).

(٨) في (ب) (قال).

جهرة، لم يكن إلا على رؤية العين على التحقيق دون التخييل[١].

قال أهل اللغة: معنى قوله: جهرةً أي غير مستتر عنَّا بشيء، وأصل الجهر في اللغة: الكشف والإظهار، يقال: جهرت البئر، إذا كشفت الطين عن الماء ليظهر الماء[٢]، قال:

إذَا وَرَدْنَا آجِنًا جَهَرْنَاه أوخَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ عَمَرْنَاهْ[٣]

أبو زيد يقال: جهرت بالقول أجهر به، إذا أعلنته، وجاهرني فلان جِهَارًا أي[٤] عَالَنَنِي، والجهر: العلانية[٥].

والجَهَارَةُ: ظهور الجَمَال[٦] وانكشافه ببياض اللون[٧]، قال الأعشى:

وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسَّمَتْ بَيْنَ الأَرِيكَةِ والسِّتَارَهْ
بِقَوَامِهَا الحَسَنِ الَّذِي جَمَعَ المَدَادَةَ[٨] والجَهَارَةْ[٩]

---

(١) انظر «الغريب» لابن قتيبة ص ٤٩، «تفسير البغوي» ١/ ٧٤، «البحر المحيط» ١/ ٢١٠، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) انظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٦٧، «تهذيب اللغة» (جهر) ١/ ٦٧٦، «مقاييس اللغة» (جهر) ١/ ٤٨٧، «الصحاح» (جهر) ٢/ ٦١٨.

(٣) الرجز ذكره أبو زيد في «النوادر»، قال: أنشد تني شماء، وهي أعرابية فصيحة من بني كلاب. تقول: إنهم من كثرتهم نزفوا مياه الآبار الآجنة من كثرة المكث، وعمروا المكان الخالي. «نوادر أبي زيد» ص ٥٧٤)، والبيتان في «تهذيب اللغة» (جهر) ١/ ٦٧٦، «الصحاح» (جهر) ٢/ ٦١٨، «اللسان» (جهر) ٢/ ٧١١.

(٤) (أي) ساقط من (ب).

(٥) «تهذيب اللغة» (جهر) ١/ ٦٧٧.

(٦) في (ج): (الحال).

(٧) في (ب): (المال). انظر: «الصحاح» (جهر) ٢/ ٦١٩، «اللسان» ٢/ ٧١١.

(٨) في (ب)، (ج): (المدارة).

(٩) قوله: (الأريكة): سرير منجد مزين، و(المداد): طول القامة، والبيتان من قصيدة=

فالجهرة في هذه الآية: فعلة من الجهر، وهو مصدر يراد به المفعول[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعني ما تصعقون منه، أي: تموتون، لأنه قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

وقال مقاتل: الصاعقة: الموت[٢]، ومضى الكلام في الصاعقة[٣].

قال المفسرون: إن الله تعالى أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه[٤] من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلًا من خيارهم، وخرج بهم إلى طور سيناء، وسمعوا كلام الله، وكان موسى إذا

= للأعشى يهجو بها شيبان بن شهاب، انظر ديوانه ص ١٥٣، والبيت الأول في «الزاهر» ١/ ٥٦٢، «الخزانة» ٣/ ٣١١، وروايته في «الزاهر»: (وسبتك يوم تزينت).

(١) قوله: (يراد به المفعول) لم أجده فيما اطلعت عليه -، قال القرطبي: (جهرة: مصدر في موضع الحال) «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٥، وانظر «فتح القدير» ١/ ١٣٧، وفي «الفتوحات الإلهية» قال: (إنه مفعول مطلق، لأن الجهرة نوع من مطلق الرؤية فيلاقي عامله في المعنى) ١/ ٥٥. والجهرة: قد تكون من صفات الرؤية، فهو مصدر من جهر أي: عيانا، ويحتمل: أن تكون من صفة الرائين، أي ذوي جهرة، أو مجاهرين بالرؤية، ويحتمل: أن تكون راجعة إلى معنى القول أو القائلين، أي قولا جهرة أو جاهرين بذلك. انظر: «البحر المحيط» ١/ ٢١٠، ٢١١.

(٢) أخرج ابن جرير عن قتادة والربيع نحوه ٢/ ٨٢، وكذا «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٥٦، وانظر «الدر» ١/ ٧٠. بعضهم فسر الصاعقة: بالموت، وبعضهم قال: هي سبب الموت، ثم اختلفوا فيها: هل هي نار أو صيحة أو جنود من السماء. انظر «تفسير الرازي» ٣/ ٨٦.

(٣) عند تفسير آية ١٩ من سورة البقرة.

(٤) (إليه) ساقط من (ج).

كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم[١] أن ينظر إليه، ويغشاه عمود من غمام.

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام[٢]، قالوا له: لن نؤمن لك، أي: لن نصدقك، حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة، وهي نار جاءت[٣] من السماء فأحرقتهم[٤] جميعًا. ﴿وأنتم تنظرون﴾ يريد نظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصاعقة[٥]، قاله[٦] ابن زيد.

وإنما أخذتهم الصاعقة؛ لأنهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يريهم ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز لهم اقتراح المعجزات عليهم، فلهذا[٧] عاقبهم

---

(١) في (ب): (بني اسرائيل).

(٢) (الغمام) ساقط من (ب).

(٣) (جاءت) ساقط من (ب).

(٤) في (أ)، (ج): (فأحرقهم) وما في (ب) أولى للسياق، وموافق لما عند الثعلبي في «تفسيره» ، والكلام أخذه ملخصا عن الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٤أ، وأخرج الطبري نحوه عن محمد ابن إسحاق وعن السدي ١/ ٢٩١-٢٩٢.ثم قال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر بعض الآثار: (فهذا ما روي في السبب الذي من أجله قالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ ولا خبر عندنا بصحة شيء مما قاله من ذكرنا قوله في سبب قيلهم لموسى تقوم به حجة فيسلم له، وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه.) ١/ ٨٩، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٢٩٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٩٩.

(٥) ذكره الطبري ولم يعزه ١/ ٢٩٠، وانظر «تفسير البغوي» ١/ ٧٤، «زاد المسير» ١/ ٨٣، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٩٩.

(٦) في (ب) (قال).

(٧) في (ج) (فهكذا).

الله[١]، ولما كان سؤال موسى إيمانًا منه وتصديقًا واشتياقًا لم يعاقب عليه، وهؤلاء سألوه[٢] شاكّين منكرين متعنتين فعوقبوا عليه.

وقال بعضهم: إن أصحاب موسى اعتقدوا إحالة الرؤية[٣] على الله فعلقوا إيمانهم على الرؤية[٤]: ومرادهم: لن نؤمن لك قط، كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فلهذا عاقبهم الله عليه.وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم [موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة، والتحذير لهم أن ينزل بهم كما نزل بأسلافهم][٥].

٥٦- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية. البعث في كلام العرب على وجهين: أحدهما: الإرسال كقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾[٦] [الأعراف: ١٠٣، يونس: ٧٥].

---

(١) انظر «تفسير الرازي» ٣/ ٨٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٤، و«تفسير النسفي» ١/ ١٢٨، «البحر المحيط» ١/ ٢١١، ٢١٢.

(٢) في (ب): (يسألوه).

(٣) في (ج): (الرؤيا).

(٤) المعتزلة هي التي تقول بإحالة الرؤية وقد تمسكوا بمثل هذه الآية.قال الزمخشري: (وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال...) «الكشاف» ١/ ٢٨٢، ورد عليه صاحب «الإنصاف» في حاشية على «الكشاف» بما أبطل زعمه، كما رد عليه الرازي في «تفسيره» ٣/ ٨٥، وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٤-٣٤٥، «البحر المحيط» ١/ ٢١١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٩٠، «تفسير الرازي» ٣/ ٨٣.

(٦) في (ب) (من بعد) تصحيف في الآية.

والثاني: إثارة بارك أوقاعد، يقال: بعثت البعير عن مبركه، وبعثت النائم، ونشر الميت: بعث، لأنه كبعث النائم، وذلك إثارته عن مكانه[١].

قال قتادة: بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم[٢]، ولوماتوا بآجالهم لم يبعثوا، ولكنه كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا.

وقال ابن الأنباري: كل موت حصل البعث بعده في الدنيا كهذا، وكقوله: ﴿قال لهم الله[٣] موتوا ثم أحياهم﴾ [البقرة: ٢٤٣] يكون حكمه حكم النوم، ويجري مجرى موت النائم؛ لأن الله تعالى أثبت للخلق الإماتة في دار الدنيا مرة واحدة[٤]، وهوقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٥] [الجاثية: ٢٦].

قال الزجاج: والآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث، واحتج النبي ﷺ بإحياء من بعث بعد موته في الدنيا فيما يوافقه اليهود والنصارى[٦].

---

(١) «تهذيب اللغة» (بعث) ١/ ٣٥٤، وانظر «اللسان» (بعث) ١/ ٣٠٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٩٢، وابن أبي حاتم ١/٣٥٨، وانظر «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٤ب، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٢، والبغوي ١/ ٧٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٠، «الدر المنثور» ١/ ١٣٦.

(٣) لفظ الجلالة غير موجود في (ب) تصحيف.

(٤) قول جمهور المفسرين أنه موت حقيقي، لكنها غير الموتة التي كتبت عليهم في الدنيا، انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٩١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٤ب، قال ابن العربي: ميتة العقوبة بعدها حياة، وميتة الأجل لا حياة بعدها، انظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٢٢٨، «زاد المسير» ١/ ٨٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٥-٣٤٦، ٣/ ٢٣١، «تفسير الرازي» ٣/ ٨٦.

(٥) في (أ) (يبعثكم) تصحيف.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٩، نقله بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي نعمة البعث[١]، وقيل: تأويله: لعلكم تؤمنون؛ لأن الشكر من فعل المؤمنين وصفاتهم، وأظهر الآيات الموجبة للإيمان بعثهم بعد موتهم.

٥٧- قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ الآية. معناه: ستارناكم عن الشمس بالغمام[٢]. والظل[٣] في اللغة، معناه الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل[٤] فلان، أي: ستره، وظل الشجرة: سترها، ويقال لظلمة[٥] الليل: ظل[٦]؛ لأنها تستر الأشياء[٧]. ومنه قوله[٨]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]. قال ذوالرمة:

قَدْ أَعْسِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ[٩] مَعْسِفُهُ
فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ[١٠]

---

(١) أي: البعث بعد موتهم بالصاعقة. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٠٩، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٧، «الكشاف» ١/ ٢٨٣، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٥، و«تفسير البيضاوي» ١/ ٢٦، و«تفسير النسفي» ١/ ١٢٨، «البحر المحيط» ١/ ٢١٣.

(٢) انظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٤ب، و«تفسير البغوي» ١/ ٧٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٦.

(٣) في (ب): (الظلل).

(٤) في (ب): (ظلل).

(٥) في (ب): (الظلمة).

(٦) في (ج): (سترطل).

(٧) انظر «تهذيب اللغة» (ظل) ٣/ ٢٢٤٦، «الصحاح» (ظل) ٥/ ١٧٥٥، «مقاييس اللغة» (ظل) ١٣/ ٤٦١.

(٨) (قوله) ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (المعسوف).

(١٠) ورد في «مفردات الراغب»: (المجهود) بدل (المجهول)، وفي «الديوان» وبعض=

يريد بالأخضر[١]: الليل. قال الفراء: والظلة: ما سترك من فوق، ويقال: أظل يومنا، إذا كان ذا سحاب، لأنه يستر الشمس[٢]. الغمام جمع غمامة، وهي السحاب سمي غمامًا لأنه يغمّ السماء أي: يسترها، وكل ما ستر شيئًا فقد غمّه[٣]، قال الحطيئة:

إذَا غِبْتَ عَنَّا[٤] غَابَ عنَّا رَبِيعُنَا
ونُسْقَى[٥] الْغَمَامَ الْغُرَّ حِينَ تَؤُوبُ[٦]

قال شمر: يجوز أن يسمى غمامًا لتغمغمه[٧]، وهوصوته[٨]. وقيل:

= المصادر (في ظل أغضف)، وقوله: (أَغسِف): آخذ في غير هدى، و(النازح): الْخَرْقُ البعيدة، وهي الأرض القفر الواسعة، (في ظل أخضر) في ستر ليل أسود، (يدعو هامه البوم): يتجاوب هامه وبومه، والهام ذكر البوم. ورد البيت في «التهذيب» (خضر) ١/ ١٠٤٦، «الصحاح» (ظلل) ٥/ ١٧٥٥، و(هيم) ٥/ ٢٠٦٣، «مقاييس اللغة» (بوم) ١/ ٢٢٣، (ظلل) ٣/ ٤٦١، و(عسف) ٤/ ٣١١، و(غضف) ٤٢٦، «الأضداد» لابن الأنباري ص ٣٤٨، «مفردات الراغب» ص ١٥٠، و«شرح العكبري لديوان المتنبي» ٢/ ١٥٣، «الخزانة» ٧/ ١٠٠، «اللسان» (خضر) ٢/ ١١٨٥، و(عسف) ٥/ ٢٩٤٣، و(ظلل) ٥/ ٢٧٥٤، و(هوم) ٨/ ٢٧٢٤، و«ديوان ذي الرمة» ١/ ٤٠١ .

(١) في (ب)، (ج): (الأخضر) بسقوط الباء.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (ظل) ٣/ ٢٢٤٦ ن «اللسان» (ظلل) ٥/ ٢٧٥٤.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٩٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٤ب، «مفردات الراغب» ص ٣٦٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٦، «اللسان» (غمم) ٦/ ٣٣٠٣.

(٤) (عنا) ساقطة من (ب).

(٥) في (ب): (تسقى).

(٦) قاله الحطيئة يمدح سعيد بن العاص بن أمية، ورد في «اللسان» (غمم) ٦/ ٣٣٠٣، وفي «ديوان الحطيئة» ص ٢٤٨.

(٧) في (ب): (لتغممه).

(٨) في (ج): (صونه).

سمي غمامًا، لأنه يغمّ الماء في جوفه، أي: يستره.

قال المفسرون: هذا كان حين أبوا على موسى دخول بلقاء[(١)] مدينة الجبارين فتاهوا في الأرض ثم ندموا على ذلك[(٢)].

وكانت العزيمة[(٣)] من الله أن يحبسهم في التيه، فلما ندموا لطف الله لهم[(٤)] بالغمام والمن والسلوى كرامة لهم ومعجزة لنبيهم. والمن: الصحيح أنه التَّرَنْجَبِين[(٥)]، وكان كالعسل الجامس[(٦)] حلاوة، كان يقع على

---

(١) (البلقاء) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، وفيها قرى كثيرة ومزارع، قال ياقوت: ومن البلقاء قرية الجبارين. «معجم البلدان» ١/ ٤٨٩، وذكر ابن جرير في هذه الآية عن السدي أنها (أريحا). وفي القرية التي أمروا بدخولها خلاف يأتي في الآية بعدها.

(٢) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٩، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٥٧، «الثعلبي» ١/ ٧٤ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٤٠٦.

(٣) هكذا في جميع النسخ، وهذا اللفظ فيه تجوز، إذ لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه من الصفات الذاتية الفعلية، ثم نحن لا نعرف ما هي إرادة الله ببني إسرائيل. والله أعلم.

(٤) في (ب): (بهم).

(٥) ذكره الطبري ١/ ٢٩٣، والزجاج في المعاني ٢/ ١٠٩، والأزهري في «التهذيب» (منن) ٤/ ٣٤٥٩، وقال ابن قتيبة (الطرنجبين)، «غريب القرآن» ص ٤٩، وقال الجوهري: شيء حلو كالطَّرَنْجَبِين، الصحاح (منن) ٦/ ٢٢٠٧، وقد قيل في المن: أقوال كثيرة ذكر الطبري في «تفسيره» بعضها، منها: قيل: إنه شراب مثل العسل، وقيل: هو العسل وقيل: الخبز الرقائق، وقيل: الزنجبيل، وقيل: هو ما يسقط على الشجر، انظر الآثار في الطبري ١/ ٢٩٣-٢٩٥ وانظر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٤ ب، «زاد المسير» ١/ ٨٤، وقال ابن كثير بعد أن ذكر الأقوال: (والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن، فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والظاهر والله أعلم: أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد..) ابن كثير ١/ ١٠١/ ١٠٢.

(٦) الجامس: الجامد. «اللسان» (جمس) ٢/ ٦٧٧، وفي «تهذيب اللغة» (الحامس)=

أشجارهم[(١)] بالأسحار عفوًا بلا علاج منهم، ولا مقاساة مشقة[(٢)]، ومنه قوله ﷺ: «**الكمأة من المن**»[(٣)].

قال أبو عبيدة[(٤)]: إنما شبهها بالمن الذي كان يسقط على بني إسرائيل؛ لأنه كان ينزل عليهم عفوا بلا علاج، إنما يصبحون وهو بأفنيتهم فيتناولونه، وكذلك الكمأة لا مؤنة فيه ببذر ولا سقى.

قال أبو إسحاق: جملة المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب[(٥)]،

= بالحاء، (من) ٤/ ٣٤٥٩، وكذا في «اللسان» (منن) ٧/ ٤٢٧٩. وفي «الوسيط» (الجامس) ١/ ١١٢.

(١) في (أ)، (ج): (أسحارهم) وما في (ب) هو الصواب.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» عن الليث من ٤/ ٣٤٥٩، وانظر «اللسان» (منن) ٧/ ٤٢٧٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٤٤٧٨) كتاب (التفسير) تفسير سورة البقرة باب ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**» الفتح (٤٦٣٩)، وفي تفسير سورة الأعراف، باب ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ (٥٧٠٨) كتاب (الطب) باب (المن شفاء للعين) ، وأخرجه مسلم (٢٠٤٩) كتاب (الأشربة) (فضل الكمأة) عن سعيد بن زيد من عدة طرق ، والترمذي (٢٠٦٦)، (٢٠٦٧)، (٢٠٦٨) أبواب (الطب) باب (الكمأة والعجوة) عن أبي سعيد وجابر وسعيد بن زيد وأبي هريرة. عارضة الأحوذي بشرح الترمذي، وابن ماجة في كتاب الطب باب الكمأه والعجوة عن أبي سعيد توجابر وسعيد بن زيد وأبي هريرة وأحمد في مسندة عن سعيد بن زيد ١/ ١٨٧، ١٨٨، وعن أبي هريرة ٢/ ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١، وقد جمع طرقه ابن كثير في «تفسيره».

(٤) في (أ)، (ج): (أبو عبيد) والكلام لأبي عبيدة كما في «تهذيب اللغة» (من) ٤/ ٣٤٥٩.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٠، وانظر «تهذيب اللغة» (من) ٤/ ٣٤٥٩ .

وأما السلوى فقال المفسرون: إنه طائر كالسمانى[١]. قال الليث: الواحدة سلواة[٢] وأنشد:

كَمَا انْتَفَضَ السَّلْوَاةُ مِنْ بَلَلِ[٣] الْقَطْرِ[٤]

وهذا قول أكثرهم. وقال بعضهم: السلوى: العسل بلغة كنانة[٥]، ومثله قال أبو عبيدة[٦] وأنشد لخالد بن زهير الهذلي:

وَقَاسَمَهَا[٧] بِاللهِ جَهْدًا لَأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا[٨]

---

(١) في (أ) (السمان). ذكره ابن جرير عن ابن عباس، والسدي، وقتادة، ومجاهد، ووهب، وابن زيد، والربيع بن أنس، وعامر، والضحاك. الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٩٣-٢٩٥، نحوه في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٦٥، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٥ أ، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٥.

(٢) «تهذيب اللغة» (سلا) ٢/ ١٧٢٦، وانظر «اللسان» (سلا) ٤/ ٢٠٨٥، وقال الأخفش: لم يسمع له بواحد، وهو شبيه أن يكون واحده (سلوى) مثل جماعته. «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٦٨، وكذا قال الفراء انظر «معاني القرآن» ١/ ٣٨.

(٣) في (ج): (تلك).

(٤) صدره:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هِزَّةٌ.

وورد في «تهذيب اللغة» (سلا) ٢/ ١٧٢٦، «اللسان» (سلا) ٤/ ٢٠٨٥، والوسيط للمؤلف ١/ ١١٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٤٠٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٥، «الدر المصون» ١/ ٣٠٧، وهو غير منسوب في هذه المصادر.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن المؤرج السدوسي ١/ ٧٥ أ، وعن ابن الأعرابي: السلوى: طائر، وهو في غير القرآن: العسل، ونحوه عن ابن الأنباري «التهذيب» (سلا) ٢/ ١٧٢٦.

(٦) في (ب) (أبو عبيدة). وكلام أبي عبيد في «تهذيب اللغة» (سلا) ٢/ ١٧٢٦، وانظر «اللسان» (سلا) ٤/ ٢٠٨٥.

(٧) في (ب): (وقاسمهما).

(٨) البيت من قصيدة لخالد بن زهير يخاطب أبا ذؤيب الهذلي، في قصة حصلت بينهما=

قال أبو علي الفارسي: قرئ على أبي إسحاق في مصنف القاسم[(١)]: السلوى: العسل، مع بيت خالد بن زهير. فقال لنا أبو إسحاق: السلوى طائر، وغلط خالد بن زهير، وظن أنه العسل[(٢)]، قال أبو علي: والذي عندي في ذلك: أن السلوى كأنه ما يسلي عن غيره لفضيلة [فيه، من فرط طيبه، أوقلة علاج ومعاناة، العسل[(٣)] لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما يسمى الطائر][(٤)] الذي كان يسقط مع المن به. قلت: والسلوى بمعنى العسل صحيح في اللغة[(٥)]، وإن أنكره أبو إسحاق، ولكن الذي في

= حول امرأة كانا يترددان عليها، ذكرها السكري في «شرح أشعار الهذليين». و(السلوى) هاهنا: العسل، و(الشور): أخذ العسل من مكانه. ورد البيت في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٢١٥، «تهذيب اللغة» (سلا) ٢/ ١٧٢٦، «تفسير الطبري» ٨/ ١٤١، «الصحاح» (سلا) ٦/ ٢٣٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٥أ، «المخصص» ٥/ ١٥، ١٤ / ٢٤١، «اللسان» (سلا) ٤/ ٢٠٨٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٠٥، ٤/ ٢٧٩، «الدر المصون» ١/ ٣٧٠، «فتح القدير» ١/ ١٣٨، «الخزانة» ٥/ ٨٢، «زاد المسير» ١/ ٨٤.

(١) في (ب): (بالقسيم). والقاسم: هو أبو عبيد القاسم بن سلام، وكتابه هو (الغريب المصنف) من أجل كتب اللغة. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» ص ٢٠١، «إنباه الرواة» ٣/ ١٤.

(٢) وقد غلط كذلك ابن عطية في «تفسيره» ١/ ٣٠٦، وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٨.

(٣) كذا ورد في (ب)، ولعل الصواب (والعسل..).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٥) ونحوه قال القرطبي في «تفسيره» في معرض رده على ابن عطية في تخطئته للهذلي: (وما ادعاه من الإجماع لا يصح، وقد قال المؤرج أحد علماء اللغة والتفسير: إنه العسل... وقال الجوهري: السلوى: العسل، وذكر بيت الهذلي...) القرطبي ١/ ٣٤٧-٣٤٨، وقد مر قريبًا كلام المؤرج وأبي عبيد أنه بمعنى: العسل، انظر «الصحاح» (سلا) ٦/ ٢٣٨١.

الآية المراد به الطائر، لإجماع أهل التفسير عليه.

قال أبو العالية ومقاتل: بعث الله ﷻ سحابة فمطرت[١] السمانى في عرض ميل، وقدر طول رمح في السماء، بعضه على بعض[٢].

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ أي: وقلنا لهم[٣]: كلوا من طيبات، أي: حلالات[٤]، فالطيب: الحلال، لأنه طاب، والحرام يكون خبيثًا، وأصل الطيب: الطاهر، فسمى الحلال طيبًا؛ لأنه طاهر لم يتدنس بكونه حرامًا[٥].

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: بإبائهم على موسى دخول هذه القرية، ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التيه، فكانوا إذا أصبحوا وجدوا أنفسهم حيث ارتحلوا منذ أربعين سنة[٦].

---

(١) قوله: (سحابة فمطرت) ساقط من (ب).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٥ب، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٧٥، «البحر المحيط» ١/ ٢١٤.

(٣) انظر «تفسير الطبري» ، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٨.

(٤) في (ب): (حلالا).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٠، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٥، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٥، ورجح ابن جرير أن المعنى: كلوا من شهيات الذي رزقناكموه، قال: (لأنه وصف ما كان فيه القوم من هنئ العيش الذي أعطاهم، فوصف ذلك بـ (الطيب) الذي هو بمعنى اللذة أحرى من وصفه بأنه حلال مباح).

(٦) نحوه في «البحر المحيط» ١/ ٢١٥، وجمهور المفسرين على عموم المعنى، قالوا: وما ظلمونا بفعلهم المعصية وعدم شكرهم تلك النعم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. انظر «تفسير الطبري» ، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٦، «الكشاف» ١/ ٢٨٣، «زاد المسير» ١/ ٤٨، «تفسير القرطبي»١/ ٣٤٨، والبيضاوي ١/ ٢٦، والنسفي في «تفسيره» ١/ ١٢٩، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٤.

وقال جماعة من المفسرين: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: كلوا من الوجه الذي أمرتم وأحل لكم، وذلك أنهم نهوا أن يدخروا لغد، لأن الله تعالى كان يجدد لهم كل يوم من المن والسلوى إلا يوم السبت، فكانوا يأخذون يوم الجمعة ما يكفيهم، فتعدّوا وادخروا وقدّدوا وملّحوا، فعصوا فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: ما نقصونا بالمعصية، ولكن نقصوا حظ أنفسهم باستيجابهم عذابي[١]. وقيل: معناه: وما ضرّونا ولم يَعُد ضرر ظلمهم[٢] إلينا وإنما عاد إليهم. وابن عباس في رواية عطاء جعل قوله تعالى: [﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ إخبارا عن الموجودين في زمن النبي ﷺ، لأنه قال:][٣] ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يريد حيث كذبوا نبيي وكفروا نعمتي، وخالفوا ما أنزلت في التوراة والإنجيل، ونقضوا عهدي[٤].

٥٨- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ الآية. قال الليث: هي القَرْيَةُ، والقِرْيَة لغتان[٥]، المكسورة يمانية، ومن ثم اجتمعوا في جمعها على القُرَى، فحملوها على لغة من يقول: كِسْوه وكُسَى[٦].

وقال غيره[٧]: القَرْيَة بالفتح لا غير، وكسرها خطأ، وجمعها قُرَى

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٥أ، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٠، و«البغوي» ١/ ٧٥، «البحر المحيط» ١/ ٢١٥، و«الخازن» ١/ ١٢٩.

(٢) في (ج): (ظالمهم).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) لم أجده عن ابن عباس فيما اطلعت عليه، والله أعلم.

(٥) (لغتان) ساقط من (ب).

(٦) «تهذيب اللغة» (قرا) ٣/ ٣٩١١، وانظر «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٤١١، «اللسان» ٦/ ٣٦١٧.

(٧) في (ب): (عكرمة).

جاءت نادرة[١].

ابن السكيت: ما كان من جمع فَعْلَة من الياء والواوعلى فِعَال كان ممدودًا مثل رَكوةَ ورِكَاء وشَكْوَة وشِكَاء، ولم يسمع في شيء من هذا القصر إلا كَوَّة وكُوًى وقَرْيَة وقُرى جاءتا على غير قياس[٢].

وقال أصحاب الاشتقاق: اشتقاق القرية من قريت، أي جمعت، والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء، والقَرِيّ: مسيل يجتمع الماء إليه[٣]، ويقال لبيت النمل: قرية، لأنه يجمع النمل[٤]. قال:

كَأَنَّ قُرَى نَمْلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا يُلَبِّدُهَا[٥] فِي لَيْلِ سَارِيَةٍ قَطْرُ[٦]

فالقرية تجمع أهلها، ومنه يقال للظهر: القرى، لأنه مجتمع[٧] القوى.

قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما خرجوا من التيه، قال الله[٨] لهم ادخلوا هذه القرية[٩].

---

(١) انظر «تهذيب اللغة» (قرا) ٣/ ٣٩١١، «اللسان» ٦/ ٣٦١٧.

(٢) قال الأزهري: أخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت ثم ذكره، «تهذيب اللغة» (قرا) ٣/ ٣٩١١، وانظر «اللسان» (قرأ) ٦/ ٣٦١٧.

(٣) انظر «الزاهر» ٢/ ١٠٧، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٤١١، «تهذيب اللغة» (قرأ) ٣/ ٣٩١١، «مقاييس اللغة» (قرى) ٥/ ٧٨، «المحكم» ٦/ ٣٠٧.

(٤) قال ابن سيده: قرية النمل: ما تجمعه من التراب، «المحكم» ٦/ ٣٠٧، وانظر «اللسان» (قرأ) ٦/ ٣٦١٧. والبيت الذي ذكره يؤيد قول ابن سيده.

(٥) في (ج): (يلرها).

(٦) لم أعثر عليه، ولم أعرف قائله.

(٧) في (ب): (مجتمع)، وفي (ج) (يجمع).

(٨) في (ج): (قالهم الله).

(٩) انظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٥ ب، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٦، «زاد المسير» ١/ ٨٤، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٤.

قال ابن عباس: هي أريحا[١]. وقال ابن كيسان: هي الشام[٢]. وقال قتادة والسدي والربيع: هي بيت المقدس[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ هي فِعْلَةٌ من الحَطّ، وضع الشيء من أعلى إلى أسفل، يقال: حط الحمل عن الدابة، والسيل يحط الحجر عن الجبل[٤]، قال[٥]:

كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ[٦] السَّيْلُ مِنْ عَلِ[٧]

---

(١) ذكره الطبري عن ابن زيد ١/ ٢٩٩، وأبو الليث عن الكلبي ١/ ٣٦٠، قال ابن كثير بعد أن ذكره عن ابن عباس وابن زيد: (وهذا بعيد، لأنها ليست على طريقهم وهم قاصدون بيت المقدس)، ١/ ١٧٧.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٥أ، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٦.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» عنهم ١/ ٢٩٩ وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٦٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» عن مجاهد ١/ ٧٥ب.
قال ابن عطية: هي بيت المقدس، في قول الجمهور ١/ ٣٠٦، وانظر «زاد المسير» ١/ ٨٤، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٤.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٠، «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣، «مقاييس اللغة» ٢/ ١٣، «مفردات الراغب» ص ١٢٢، «اللسان» (حطط) ٢/ ٩١٤.

(٥) هو امرؤ القيس.

(٦) (حطه) ساقط من (ب).

(٧) صدره:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا.

يصف الفرس يقول: إذا أردت الكر والفر على العدو فهو كذلك، والمقبل: هو المكر، والمدبر: هو المفر، ثم وصف سرعته وصلابته بالجلمود الساقط من علو، والبيت من الشواهد العربية والنحوية ورد في «الكتاب» ٤/ ٢٢٧، وشرح أبياته للسيرافي ٢/ ٣٣٩، «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣، «المخصص» ١٣/ ٢٠٢، =

ويقال في الدعاء: حط الله عنك وزرك، أي وضعه عنك، فالحِطّة من الحَطّ مثل الرِّدّة من الرَّدّ، يجوز أن يكون اسمًا، ويجوز أن يكون مصدرًا[(١)].

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي مغفرة، فقالوا: حنطة[(٢)].

وقال مقاتل: إنهم أصابوا خطيئة بإبائهم على موسى دخول الأرض التي فيها الجبارون، فأراد الله أن يغفرها لهم، فقيل لهم: قولوا حطة.

قال أبو إسحاق معناه: قولوا: مسألتنا حطة، أي: حط ذنوبنا عنا،

= «اللسان» (حطط) ٧/ ٩١٤. (علا) ١٥/ ٨٤، «شرح المفصل» ٤/ ٨٩، «شرح شذور الذهب» ص ١٠٧، «مغني اللبيب» ١/ ١٥٥، و«الهمع» ٣/ ١٩٦، «الخزانة» ٢/ ٣٩٧. ٣/ ١٥٨.، ٢٤٢، ٦/ ٥٠٦، «ديوان امرئ القيس» ص ١١.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٠، «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣، «اللسان» (حطط) ٢/ ٩١٤. قال أبو عبيدة: هي مصدر من حط عنا ذنوبنا. «المجاز» ١/ ٤١، وعلى حاشية (أ) إضافة من الكتاب، صدرها بـ (ش ك)، أي شرح من الكاتب وأذكرها للفائدة (حطة: فِعْلة من الحط، كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي: مسألتنا حطة، أو أمرك حطة، والأصل: النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة، وإنما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله: صبر جميل فكلانا مبتلى. والأصل: صبرًا علي، اصبر صبرًا، وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل، وقيل معناه: أمرنا حطة، أي: أن نحط في هذه القرية ونستقيم فيها، وهل يجوز أن ينصب (حطة في قراءة من نصبها بقولوا، على معنى: قولوا هذه الكلمة؟ فالجواب: لا يبعده والأجود أن ينصب بإضمار فعلها. وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقُرئ (يُغفر لكم خطاياكم) على البناء للمفعول بالياء والتاء) وهو منقول بنصه من «الكشاف» ١/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ١/ ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٧٢، والحاكم في المستدرك وقال: على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ٢/ ٢٦٢، وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٥٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٥، والرواية بنصها في «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣.

والقراءة بالرفع على هذا التأويل. قال: ولو قرئت حطة[1] كان وجهًا في العربية، كأنه قيل لهم: قولوا[2]: احطط عنا ذنوبنا حطة[3].

وقال الليث: بلغنا أن بني إسرائيل حيث قيل لهم: وقولوا حطة، إنما قيل لهم ذلك حتى يستحِطّوا بها أوزارهم فَتُحَطَّ عنهم[4].

وقال عكرمة: وقولوا حطة، أي: كلمة يحط[5] بها عنكم خطاياكم، وهي: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب[6].

قال الفراء: فإن يك كذلك فينبغي أن يكون حطة منصوبة[7] في القراءة، لأنك[8] تقول: قلت: لا إله إلا الله، فيقول السامع: قلت كلمة صالحة، وإنما يكون الرفع والحكاية إذا صلح قبلها إضمار، فإذا لم يصلح

---

(١) قراءة النصب شاذة، وهي قراءة ابن أبي عبلة. انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٧، «الكشاف» ١/ ٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٢.

(٢) (قولوا) ساقط من (ب).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٠، وانظر «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣.

(٤) «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣.

(٥) في (ب): (تحط).

(٦) أخرج الطبري في «تفسيره» بسنده عن عكرمة: قال قولوا: (لا إله إلا الله) ١/ ٣٠١، ٣٠٠، ونحوه في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٨٢، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى عبد بن حميد والطبري في «تفسيره» وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٥.

(٧) نص كلام الفراء: قال: (وبلغني أن ابن عباس قال: أمروا أن يقولوا: نستغفر الله، فإن يك كذلك فينبغي أن تكون (حطة) منصوبة...) «المعاني» ١/ ٣٨. قال الطبري في «تفسيره»: (وأما على تأويل قول عكرمة فإن الواجب أن تكون القراءة بالنصب في (حطة)...) ثم قال: (وفي إجماع القراءة على رفع (الحطة) بيان واضح على خلاف الذي قاله عكرمة من التأويل في قوله: (وقولوا حطة)...) ٢/ ١٠٨.

(٨) (لأنك) ساقط من (ب).

كان منصوبًا، كما تقول[١]: قلت كلاما حسنا[٢]. وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢] هو رفع، لأن قبله ضمير أسمائهم، المعنى: هم ثلاثة، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١] أي: ولا تقولوا الآلهة ثلاثة[٣].

وقال ابن الأنباري: إذا جاء بعد القول حرف مفرد يجوز أن يكون نعتا للقول نصبت كقولك: قلت حقا؛ لأنه يحسن أن يقال: قلت قولا حقا، وكذلك: قلت صوابًا وقلت خطأ، وإذا جاء حرف مفرد لا يجوز أن يكون نعتًا للقول رفعت، كقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ﴾ معناه: سيقولون هم ثلاثة، ولا وجه للنصب[٤].

وقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[٥] فحوى الكلام، وإجماع القراء على رفعها، دليل على أنهم أمروا بهذه اللفظة بعينها[٦]. فإن كانوا لم يؤمروا بهذه اللفظة

---

(١) في (أ)، (ج) (يقول) وما في (ب). موافق لما في معاني القرآن ١/ ٣٨، وهو الأنسب للسياق.

(٢) في المعاني: (وإنما تكون الحكاية إذا صلح قبلها إضمار ما يرفع أو يخفض أو ينصب، فإذا ضممت ذلك كله فجعلته كلمة، كان منصوبًا بالقول كقولك: مررت بزيد، ثم تجعل هذا كلمة، فتقول: قلت كلامًا حسنًا...) ١/ ٣٨.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٩.

(٤) انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٨، «تفسير الطبري» ١/ ٣٠١.

(٥) في (ب) (وقولوا).

(٦) ذكر الطبري في الوجه الذي رفعت من أجله (حطة) عدة أقوال: فقيل: رفعت على معنى: (قولوا) ليكن منك حطة لذنوبنا. وقيل: هي كلمة مرفوعة أمروا بقولها كذلك، وهذان القولان لنحويي البصرة. وقيل: رفعت بتقدير: هذه حطة. وقيل: رفعت بضمير معناه الخبر، كأنه قال: قولوا ما هو حطة فتكون حطة خبر (ما) ونسب هذين القولين لنحويي الكوفة. الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٠٠، وانظر «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٨، و«تفسير الغريب» لابن قتيبة ص ٥٠، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٤٨.

بعينها فنصبها جائز على معنى: قولوا قولًا حاطًّا لذنوبكم. ويجوز نصبها أيضًا وإن كانوا قد أمروا بها على معنى: وقولوا: احطط عنا يا ربنا ذنوبنا حطة[1]، كقراءة من قرأ ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً﴾[2] [الأعراف: ١٦٤] بالنصب. وإذا جاء بعد القول جملة من الكلام، لم يكن للقول فيها عمل، كقولك: قلت: عبد الله عالم، فهوعامل[3] في موضع الجملة؛ لأنها مجعولة في موضع الكلام، ولوقلت: قلت[4] كلاما، نصبت. وسنذكر بيانا لهذا زائدا عند قوله: ﴿قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩] إن شاء الله. والأصح والذي عليه الجمهور: أنهم أمروا بهذه اللفظة بعينها، وقد روي لنا عن الأزهري[5]، عن المنذري عن ابن فهم[6]، عن محمد بن سلام[7]، عن يونس قال:

---

(١) انظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٨، والأخفش ١/ ٢٦٩، والزجاج ١/ ١١٠.

(٢) قراءة حفص عن عاصم بالنصب وبقية السبعة بالرفع، انظر «السبعة» لابن مجاهد ص٢٩٦، و«التيسير» ص١٤٤.

(٣) في (ب): (عالم).

(٤) (قلت) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (الزهري).

(٦) هو الحافظ العلامة، أبو علي الحسين بن محمد بن فهم بن محرز البغدادي، روى عن محمد بن سلام وغيره، قال الدار قطني: ليس بالقوي، وفاته سنة تسع وثمانين ومائتين. انظر «تاريخ بغداد» ٨/ ٩٢، «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٢٧، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٨٠.

(٧) هو محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم، أبو عبد الله الجمحي، البصري، مولى قدامة بن مظعون، كان من أهل اللغة والأدب، روى عنه الجم الغفير، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. انظر «طبقات اللغويين والنحويين» ص ١٨٠، «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٢٧، «إنباه الرواة» ٣/ ١٤٣.

قوله: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾(١) هذه حكاية، هكذا أمروا(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾(٣) يعني بابًا من أبوابها(٤). ﴿سُجَّدًا﴾: قال ابن عباس: ركعا(٥)، وهوشدة الانحناء، والمعنى: منحنين متواضعين(٦).

قال مجاهد: هو باب حطة من بيت المقدس، طوطئ لهم الباب؛ ليخفضوا رؤوسهم، فلم يخفضوا ولم يركعوا، ودخلوا متزحفين على استاههم(٧).

قال الحسين بن الفضل: لولم يسجدوا لذكر الله ذلك منهم وذمهم به

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) «تهذيب اللغة» (حط) ١/ ٨٥٣، وذكره الأخفش عن يونس في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٠، ونحوه عند أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٤١، وذكر هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٠١، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٢.

(٣) في (ب): (سجدا).

(٤) أي: أبواب القرية. انظر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٥ب.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٣٠٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٧٠، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. «المستدرك» ٢/ ٢٦٢، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى ابن جرير، والحاكم وابن أبي حاتم ووكيع والفريابي، وعبد بن حميد وابن المنذر. «الدر» ١/ ١٣٨.

(٦) انظر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٥ب، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٧.

(٧) في (ب): (استاتهم). أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٠٠، ٣٢٥، وانظر «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٥ب، «الدر المنثور» ١/ ١٣٨. وقد ورد عن ابن عباس نحوه في روايات كثيرة، انظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٤.كما ورد بهذا المعنى حديث مرفوع عن أبي هريرة، أخرجه البخاري، انظر: «الفتح» ٨/ ١٦٤، و«تفسير الطبري» ١/ ١٣٨.

كما ذمهم بتبديل الكلمة لما قالوا خلاف ما أمروا به[١]. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿يغفر[٢] لكم خطاياكم﴾ أصل الغفر: الستر والتغطية، وغفر الله ذنوبه، أي: سترها، كل شيء سترته قد غفرته. والمغفر يكون تحت بيضة الحديد يغفر الرأس[٣]. قال ابن شميل: هي حلق تجعل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه، وربما جعل من ديباج وخز أسفل البيضة.

الأصمعي: غفر الرجل متاعه يغفر غفرًا: إذا أوعاه. ويقال: اصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ أي: أغطى له[٤]. والغفارة: خرقة تستر رأس المرأة تقي بها الخمار من الدهن[٥]، وكل ثوب يغطى به شيء فهو غفارة، ومنه غفارة البزيون[٦] يغشى بها الرحال[٧].

---

(١) قول الحسين لم أجده فيما اطلعت عليه، والله أعلم. والحديث الصحيح، والآثار ترد قوله، ففي البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «قيل: لبني إسرائيل: (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على استاههم، فبدلوا»، وقالوا: حطة حبة في شعرة. «الفتح» ٨/ ١٦٤، وكذا الآثار عن ابن عباس ومجاهد في هذا المعنى كلها ترد قول الحسين بن الفضل. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠١.

(٢) بالياء على قراءة نافع، انظر: «السبعة» ص ١٥٧.

(٣) «تهذيب اللغة» (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٢، «الزاهر» ١/ ١٩٢، «الصحاح» (غفر) ٢/ ٧٧٠، «مقاييس اللغة» (غفر) ٤/ ٣٨٥، «اللسان» (غفر) ٦/ ٣٢٧٢.

(٤) كلام ابن شميل والأصمعي ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: «الزاهر» ١/ ١٠٩.

(٥) ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن أبي الوليد الكلابي «تهذيب اللغة» (غفر) ٣/ ٢٦٧٩.

(٦) (البزيون) كذا ورد في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٧٩، و في «اللسان» (الزنون) ١/ ٢٧٧-٢٧٨، وقال في «الصحاح» (البزيون) بالضم السندس (بزن) ٥/ ٢٠٧٨، وأورد صاحب اللسان ١/ ٢٧٨ كلام الجوهري ثم قال: وقال ابن بري: هو رقيق الديباج.

(٧) في (ب): (الرجال). والكلام ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن الأموي. «تهذيب اللغة» (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: «اللسان» (غفر) ٦/ ٣٢٧٤.

وأجمع القراء على إظهار الراء عند اللام، إلا ما روى عن أبي عمرو من إدغامه الراء عند اللام[١]. قال الزجاج: وهوخطأ فاحش، وأحسب الذين رووا[٢] عن أبي عمروغالطين[٣]، ولا يدغم الراء في اللام إذا قلت: مر لي بشيء؛ لأن الراء حرف مكرر، ولا يدغم الزائد في الناقص[٤] للإخلال به، فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء، ولوأدغمت الراء في اللام لذهب التكرير من الراء وهذا إجماع النحويين[٥].

وقال أبو الفتح الموصلي: الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من التكرير.

---

(١) نقل بعضهم عن أبي عمرو إدغام الراء بدون اختلاف، بعضهم نقل عنه باختلاف. انظر «السبعة» ص ١٢١، «التيسير» ص ٤٤، «الكشف» ١/ ١٥٧، «النشر» ٢/ ١٢.

(٢) في (ب): (رووا ذلك) والزيادة ليست في المعاني للزجاج ١/ ٤٠٠.

(٣) وعلى نهجه سار الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال: (فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء؛ ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشًا، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو) «الكشاف» ١/ ٤٠٧، وانظر: «البيان» ١/ ٨٣، ومذهب سيبويه وأصحابه: أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام كما في «الكتاب» ٤/ ٤٤٨، «الكشف» ١/ ١٥٧. لكن هذا لا يلزم منه رد قراءة سبعية، وهي مسألة خلافية، فقد ذكر أبو حيان في «البحر» أن الكسائي والفراء أجازا ذلك وحكياه سماعًا، وقد تصدى أبو حيان للرد على الزمخشري وأجاد في ذلك، انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٦١، ٣٦٢، وانظر تعليق عضيمة على «المقتضب» ١/ ٣٤٧.

(٤) قوله: (ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به) ليس في «المعاني» ١/ ٤٠٠.

(٥) انظر كلام الزجاج في «المعاني» ١/ ٤٠٠. عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وأما قراءة أبي عمرو ﴿نَّغْفِر لَكُمْ﴾[١] بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا [وغير معروف عند أصحابنا، وإنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له في القياس[٢].

والخطايا: جمع خطيئة[٣]][٤] وهي[٥] الذنب على عمد قال أبو الهيثم: يقال: خطئ: ما صنعه عمدا، وهو الذنب، وأخطأ: ما صنعه خطأ غير عمد[٦]. ويأتي بيان هذا مشروحًا عند قوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٧]. قال الزجاج: الأصل في خطايا كان خطايؤ[٨] مثل خطائع، لأنها جمع خطيئة، فأبدل من هذه الياء همزة؛ فصارت

---

(١) البقرة: ٥٨، الأعراف: ١٦١، وفي «سر صناعة الإعراب»: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بدون واو، جزء من آية في الأحقاف: ٣١، الصف: ١٢، ونوح: ٤.

(٢) «سر صناعة الإعراب» لأبي الفتح ابن جني ١/ ١٩٣، والرواية إذا ثبتت فهي أقوى من القياس، وانظر التعليق السابق على كلام الزجاج.

(٣) ذهب بعض الكوفيين إلى أنه: جمع (خطية) دون همز، واختاره الطبري ١/ ٣٠٢، وانظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٥٣، ٣٥٤

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٥) في (ب): (وهو).

(٦) نص الكلام في «التهذيب» (خطئت) لما صنعه عمدا وهو الذنب، (أخطأت) لما صنعه خطأ غير عمد. «تهذيب اللغة» (خطئ) ١/ ١٠٦١، وانظر «اللسان» (خطأ) ١/ ١٠٦١.

(٧) البقرة: ٨١، وهناك بيَّن الواحدي الفرق بين (أخطأ) و(خطئ).

(٨) كذا وردت في (أ)، (ج) وفي (ب): (كل خطاييا) وهو خطأ، وفي «معاني القرآن» للزجاج رسمت (خطائِي) وكلامه يدل على أن المراد خطائئ، فلم يذكر أصل الكلمة خَطَايئ كما في «تهذيب اللغة»، انظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١١، «تهذيب اللغة» (خطئ) ١/ ١٠٦٠-١٠٦١.

[خطائئ][١] مثل خطاعع.

قلت: وإنما أبدلت هذه[٢] الياء همزة، لأن هذه الياء إذا وقعت في الجمع صارت همزة، مثل: ترائب وسحائب، وعلة ذلك نذكرها في قراءة من قرأ: معائش[٣] بالهمزة[٤]. رجعنا إلى كلام الزجاج: فاجتمعت همزتان، فقلبت الثانية ياء فصار خَطَائِي مثل خَطَاعِي ثم قلبت الياء والكسرة إلى الفتحة والألف، فصار خَطاءَا، مثل خَطاعا[٥] فأبدلت الهمزة ياء، لوقوعها بين ألفين، وإنما أبدلت الهمزة حين وقعت بين ألفين؛ لأن الهمزة مجانسة للألفات، فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد، فأبدلت الهمزة ياء فصارت خَطايَا[٦].

---

(١) في (أ)، (ج): (خطايو) وفي (ب): (خطاي) وما أثبت هو المثبت في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠-١٠٦١، وقريب مما في (ب)، وفي «اللسان» (خطائي). «اللسان» (خطأ) ٢/ ١١٩٣.

(٢) في (ج): (همزة).

(٣) الأعراف: ١٠، والحجر: ٢٠.

(٤) الجمهور على القراءة بالياء، وقرأ الأعرج وزيد بن علي والأعمش وخارجة عن نافع، وابن عامر في رواية بالهمز، والقياس القراءة بدون همز؛ لأن الياء التي في المفرد إذا كانت أصلا فلا تهمز مثل معايش وإذا كانت زائدة همزت مثل: صحيفة وصحائف، قال أبو حيان: لكن رواه ثقات فوجب قبوله. انظر «البحر المحيط» ٤/ ٢٧١، وانظر هذه المسألة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٧٣، والزجاج ٢/ ٣٥٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٩.

(٥) في «تهذيب اللغة» (خطاءى) مثل (خطىء) ١/ ١٠٦١، والمثبت هنا مثل ما في «معاني القرآن» ١/ ١١١، وكذا في «اللسان» ١/ ١١٩٣.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١١، والنص من «التهذيب» (خطئ) ١/ ١٠٦١، «اللسان» (خطأ) ٢/ ١١٩٣، وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٧٩، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٩، و«البيان» ١/ ٨٤ والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٥٣.

وقوله تعالى: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحسانا وثوابا[١].

٥٩- قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ الآية.

(التبديل) معناه: التغيير إلى بدل، وذكرناه مستقصى عند قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] والمعنى: أنهم غيروا تلك الكلمة التي أمروا بها، وقالوا بدل حطة: حنطة، وهذا[٢] قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والمفسرين[٣].

وقال أبو إسحاق: حرفوا وقالوا كلمة غير هذه التي أمروا بها، وجملة ما قالوا إنه أمر عظيم سماهم الله به فاسقين[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾. أظهر الكناية هاهنا تأكيدا[٥]، وكنىَّ في سورة الأعراف فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢]. والعرب تظهر الكنايات توكيدًا، قال:

---

(١) وقيل: المراد العموم من أهل الخطيئة وغيرهم فمن كان محسنا زيد في إحسانه ومن كان مخطئا غفر له خطيئته. انظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٢، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٠٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٤.

(٢) في (ب): (وهو).

(٣) انظر الآثار عنهم في الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٠٢-٣٠٥، وكذا في«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٧٥، ولم يرد عندهما عن سعيد، انظر «زاد المسير» ١/ ٨٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٠.

(٥) قال الزمخشري: (وفي تكرير (الذين ظلموا) زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم، وقد جاء في سورة الأعراف بالإضمار)، «الكشاف» ١/ ٢٨٣، وانظر «تفسير القرطبي» ١/ ٣٥٤، «الدر المصون» ١/ ٣٨١.

لَا[١] أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيْءٌ
نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرا[٢]

أراد لا أرى الموت يسبقه شيء، فأظهر الكناية. وأنشد ابن الأنباري:

فَيَارَبَّ لَيْلَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَأَنْتَ الَّذِي فِي رَحْمَةِ اللهِ أَطْمَعُ[٣]

أراد في رحمته أطمع، فأظهر الهاء.

والرجز: العذاب[٤]، [قال رؤبة][٥]:

كَمْ رَامَنَا مِنْ ذِي عَدِيدٍ مُبْزِ[٦]
حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرِّجْزِ[٧]

---

(١) في (ج): (ألا ترى).

(٢) البيت نسب لعدي بن زيد، ونسبه بعضهم لسواد بن عدي، وبعضهم لأمية بن أبي الصلت. وهو من «شواهد سيبويه» ١/ ٦٢، وانظر «شرح شواهد سيبويه» للسيرافي ١/ ١٢٥، «الخصائص» ٣/ ٥٣، «الإملاء» ١/ ٤٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٥٥، «مغني اللبيب» ٢/ ٥٠٠، «الخزانة» ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، ٦/ ٩٠، ١١/ ٣٦٦، «اللسان» (نغص) ٨/ ٤٤٨٨، «الدر المصون» ١/ ٣٨١، «فتح القدير» ١/ ١٤١.

(٣) ورد البيت في «همع الهوامع» ١/ ٣٠١، و«الدر اللوامع على همع الهوامع» و«شرح شواهد المغني» للسيوطي: قال: قيل: إنه لمجنون ليلى، وبحثت عنه في شعر مجنون ليلى، الذي جمعه عبد الستار أحمد فرج، ولم أجده، والله أعلم.

(٤) انظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص ٧٠، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٣، «العمدة في غريب القرآن» لمكي ص ٧٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٦) في (ج): (رجز).

(٧) الرجز ورد في «الزاهر» ٢/ ٢١٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١١، وورد الثاني في «تهذيب اللغة»، وبعده بيت آخر (جرز) ١/ ٥٨٠، وكذا في «اللسان» (جزر) =

وقال الله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي العذاب، ثم يسمى كيد الشيطان رجزًا لأنه سبب العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1] [الأنفال: ١١].

وقوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] قيل: إنه عبادة الأوثان؛ لأنه سبب العذاب[2].

قال أهل اللغة: وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم: ناقة رجزاء إذا كانت قوائمها ترتعد عند قيامها، ومن هذا رجز الشعر؛ لأنه أقصر أبيات الشعر، فالانتقال من بيت إلى بيت سريع[3]. أو؛ لأن الرجز في الشعر متحرك وساكن ثم متحرك وسكن في كل أجزائه، فهوكالرعدة في رجل الناقة تتحرك ثم تسكن وتستمر[4] على ذلك[5].

فحقيقة معنى الرجز: أنه العذاب المقلقل لشدته[6] قلقلة شديدة متتابعة[7].

= ١/ ٥٩٧، وفي «زاد المسير» ١/ ٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٢١٨، وفي ديوان رؤبة ص ٦٤. ومعنى (مبزي) أي: متفاخر، (وقمنا): رددنا كيده.

(١) في (أ)، (ج): (وليذهب) تصحيف.

(٢) انظر «الوسيط» ١/ ١١٥، «مفردات الراغب» ص ١٨٨.

(٣) ذكره الأزهري عن الليث. «تهذيب» (رجز) ٢/ ١٣٥٦، وانظر: «مفردات الراغب» ص ١٨٧.

(٤) في (ج): (ويستمر).

(٥) انظر: «اللسان» (رجز) ٣/ ١٥٨٨.

(٦) في (ب): (لشدة).

(٧) قال الأزهري: (قال أبو إسحاق: ومعنى الرجز في العذاب: وهو العذاب المقلقل...) «التهذيب» (رجز) ٢/ ١٣٦٥ «اللسان» (رجز) ٣/ ١٥٨٨.

قال الضحاك: أرسل الله عليهم ظلمةً وطاعونًا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفًا، عقوبة لهم بتبديلهم ما أمروا[(١)] به.

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾ الآية قال المفسرون: عطش بنو إسرائيل في التيه، فقالوا: يا موسى، من أين لنا الشراب؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله ﷻ إليه أن اضرب بعصاك الحجر[(٢)].

قال ابن عباس: كان حجرًا خفيفًا مربعًا مثل رأس الرجل، أمر أن يحمله، فكان يضعه في مِخْلاَته[(٣)]، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه[(٤)]، فعلى هذا الألف واللام فيه للتعريف[(٥)].

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ولم يعزه ١/ ٧٥ب، وكذا البغوي في «تفسيره» ١/ ٧٦، ولم أجده منسوبا للضحاك فيما اطلعت عليه، والله أعلم. قال ابن جرير بعد أن ذكر الآثار في معنى الآية: (وقد دللنا على أن تأويل (الرجز) العذاب، وعذاب الله جل ثناؤه أصناف مختلفة. وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفنا أمرهم الرجز من السماء، وجائز أن يكون طاعونًا، وجائز أن يكون غيره، ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت، أي الأصناف ذلك كان) الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٠٦، وانظر «البحر المحيط» ١/ ٢٢٥.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٦أ، وانظر «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٤، وورد بهذا المعنى آثار عن السلف ساقها ابن جرير في «تفسيره» ١/ ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) الْمِخْلاة: ما يوضع فيه الشيء، سميت بذلك لأنه يوضع بها الحشيش الذي يختلى من الربيع، أي: يحش. «اللسان» (خلا) ٢/ ١٢٥٨.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٦أ، والبغوي ١/ ٧٧، ونحوه عند الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس ١/ ٣٠٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٧٧، «تفسير أبي الليث» ولم يعزه، وانظر: «زاد المسير» ١/ ٨٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٧.

(٥) أي: أن (ال) للعهد، فهو حجر معهود لدى موسى.
انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٦أ، «الكشاف» ١/ ٢٨٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٧٧.

وقال وهب: كان موسى ﷺ يقرع لهم أقرب[(١)] حجر من عرض الحجارة بعصاه، فينفجر عيونا لكل سبط عين[(٢)]، والألف واللام على هذا للجنس[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ معناه: فضرب فانفجرت، وعرف بقوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ أنه قد ضرب، ومثله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] قال الفراء: ومثله في الكلام: أمرتك بالتجارة فاكتسبت الأموال، والمعنى: فاتجرت فاكتسبت[(٤)].

ومعنى انفجرت: انشقت[(٥)]، والانفجار: الانشقاق، وأصل الفجر في اللغة: الشق، وفَجْرُ السِّكْر: بَثْقُه[(٦)]. وسمي فجر النهار لانصداعه، أو[(٧)] لشقه ظلمة الليل، ويقال انفجر الصبح، إذا سال ضوؤه في سواد

---

(١) (أقرب) ساقط من (ج).

(٢) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٦ ب، والبغوي ١/ ٧٧، وذكره الزمخشري عن الحسن، في «الكشاف» ١/ ٢٨٤، وفي «البحر» عن وهب والحسن ١/ ٢٢٧، وانظر «زاد المسير» ١/ ٧٨.

(٣) في (ب): (الجنس).
ذكره الزمخشري، وقال: وهذا أظهر في «الحجة» وأبين في القدرة، «الكشاف» ١/ ٢٨٤، وانظر «البحر المحيط» ١/ ٢٢٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٧.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠، وقوله: (معناه) إلخ من كلام الفراء. وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٦، «زاد المسير» ١/ ٧٨، والبيان ١/ ٨٥.

(٥) وقيل: سالت، وقيل: هي بمعنى انبجست فهما بمعنى واحد، وقيل: الانشقاق أوسع من الانبجاس. انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٢، «القرطبي» ١/ ٣٥٨، و«تفسير النسفي» ١/ ١٣١، و«الخازن» ١/ ١٣١، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٨.

(٦) في (ب، ج): (شقه). (السِّكْر): ما يُسد به النهر ونحوه، انظر: «اللسان» (سكر) ٤/ ٢٠٤٧-٢٠٤٩.

(٧) في (ب): (ولشقه) بالواو.

الليل، كانفجار الماء في النهر، ويقال: فَجَرَ وأَفْجَرَ ينبوعا من ماء، أي: شقه وأخرجه.

قال الليث: والْمَفْجَر الموضع الذي يُفْجَر منه[١].

ابن الأعرابي: تَفَجَّر الرجل بعطائه، ورجل ذوفَجَر، وأتيناه فأفجرناه، أي: وجدناه فاجرًا، أي: معطيا[٢]. قال ابن مقبل:

إذَا الـرِّفـاقُ أَنَـاخُـوا حَـوْلَ مَـنْـزِلِـهِ حَلُّوا بِذِي فَجَرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي[٣]

أي برجل كثير العطايا، كأنه يتشقق بما عنده فيجود ولا يمسك كتفجر الماء.

والفجور الذي هوالمعصية من هذا، لأن الفاجر شقّ أمر الله أو شقّ العصا بخروجه إلى الفسق[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ قال الليث: اثنان[٥] اسمان قرينان، لا يُفْرَدان لا يقال لأحدهما: اثن، كما أن الثلاثة[٦] أسماء مقترنة لا تفرق[٧].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (فجر) ٣/ ٢٧٤٣-٢٧٤٤، «الصحاح» (فجر) ٢/ ٧٧٨، «المحكم» (فجر) ٧/ ٢٧٥، «اللسان» (فجر) ٦/ ٣٣٥١-٣٣٥٣.

(٢) «تهذيب اللغة» (فجر) ٣/ ٢٧٤٣-٢٧٤٤، وانظر المراجع السابقة.

(٣) ورد البيت في «ديوان ابن مقبل» ص ١١٦، و«العمدة في صناعة الشعر» لابن رشيق ٢/ ١٨٠. قوله: (الرفاق): يريد الرفقة المسافرين معه، (ذو فجرات): أي ذو عطايا، يتفجر بالسخاء، (زنده واري): كناية عن الكرم والنجدة.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (فجر) ٣/ ٢٧٤٣-٢٧٤٤، «المحكم» (فجر) ٧/ ٢٧٦.

(٥) (اثنان) ساقط من (ب).

(٦) في (ج): (ثلاثه).

(٧) في (أ)، (ج): (يفرق) بالياء، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق، ومثله ورد في «تهذيب اللغة» (اثنى) ١/ ٥٠٨.

يقال في التأنيث: اثنتان ولا يفردان[١]. والألف في اثنى واثنتى[٢] ألف وصل، لا تظهر في اللفظ. والأصل فيها[٣]: ثَنَيٌ[٤]، وربما قالوا للاثنتين: الثنتان[٥]، كما قالوا: هي ابنة فلان، وهي بنته، والألف في الابنة ألف وصل أيضا فإن جاءت هذه الألف مقطوعة في الشعر[٦] فهوشاذ كما قال:

إِذَا جَاوَزَ الإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ[٧]

---

(١) في «تهذيب اللغة» (ولا تفردان).

(٢) في (ب): (اثنتا)، وفي «تهذيب اللغة» (اثنين) و(اثنتين) ١/ ٥٠٨.

(٣) (فيها) كذا في جميع النسخ، وفي «تهذيب اللغة» (فيهما).

(٤) (ثنى) كذا ورد في «تهذيب اللغة» ١/ ٥٠٨، وكذا في «اللسان» (ثنى) ١/ ٥١٥، وفي القاموس: (وأصله: (ثِنْيٌ) لجمعهم إياه على أثناء). القاموس (ثني) ص ١٢٦٧.

(٥) في (ب): (الثنيان). (ثنتان) بحذف ألف الوصل، لأنها إنما اجتلبت لسكون الثاء، فلما تحركت، سقطت، وتاؤه مبدلة من ياء، لأنه من ثنيت. انظر القاموس (ثنى) ص ١٢٦٧.

(٦) في (أ)، (ج): (شعر) وما في (ب) موافق لما في «تهذيب اللغة»، وهو ما أثبته.

(٧) البيت لقيس بن الخطيم، ونسبه في «الكامل» إلى جميل بن معمر، والصحيح أنه لقيس. ويروى البيت:

إِذَا ضَيَّعَ الإِثْنَانِ سِرًّا فَإِنَّهُ بِنَشْرٍ وَتَضْيِيعِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

وقوله: (بِنَثٍّ): (النَّثُّ) بالنون والثاء: مصدر نَثَّ الحديث، أي: أفشاه و(قمين): حقيق، ورد البيت في «نوادر أبي زيد» ص ٥٢٥، «الكامل» ٢/ ٣١٣، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٩٥، و«حماسة البحتري» ص ١٤٧، «تهذيب اللغة» (قمن) ٣/ ٣٤٩، و(ثني) ١/ ٥٠٨، «الصحاح» (ثنى) ٦/ ٢٢٩٥، «اللسان» (نثث) ٧/ ٤٣٣٩، و(قمن) ٦/ ٣٧٤٥، و(ثنى) ١/ ٥١٢، «شرح المفصل» ٩/ ١٩، ١٣٧، والهمع ٦/ ٢٢٤، وديوان قيس بن الخطيم ص ١٠٥. والشاهد قطع همزة (الإثنين) وهذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر وبعضهم يرويه (إذا جاوز الخلين) ليتخلصوا من هذه الضرورة.

انتهى كلامه[١]. والعلة في إدخال ألف الوصل في اثنين واثنتين كالعلة في إدخالها في (الاسم)، وقد ذكرنا[٢].

وأصل هذا الحرف في اللغة من الثني وهو ضم واحد إلى واحد، والثني الاسم. ويقال: ثِنْيُ الثوب لما كف من أطرافه، وأصل الثَّني في جميع[٣] أبنيته: الكف[٤] والرجّ والعطف والطي والحنو، وكلها متقارب. وكل شيء عطفته فقد ثنيته، ومنه قوله تعالى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] أي يحنونها ويطوون[٥] ما فيها، ليسروا عداوة محمد ﷺ[٦]. وَثِنْيَا الحبل: طرفاه، واحده ثِنْي[٧]، وقال طرفة:

.... وَثِنْيَاه بِالْيَدِ[٨]

---

(١) أي كلام الليث، والكلام الآتي بعده كذلك لليث كما سيأتي. انظر «تهذيب اللغة» (ثنى) ١٥/ ١٤٢، «اللسان» (ثنى) ١/ ٥١٢، ونحوه في «الصحاح» ٦/ ٢٢٩٥.

(٢) ذكره عند شرح (الاسم) في البسملة حيث قال: (واجتلبت ألف الوصل ليمكن الابتداء به) إلخ.

(٣) في (ب): (جمع).

(٤) بهذا انتهى كلام الليث كما في «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٨.

(٥) في (ب): (يطيون).

(٦) انظر «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣، «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٤.

(٧) «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٥، وانظر «اللسان» (ثنى) ١/ ٥١٥.

(٨) جزء من بيت معلقة طرفة وتمامه:

لَعَمْرُكَ إنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأ الْفَتَى لَكَالطِّوَلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ

وقوله (الطِّوَل): الحبل، ورد البيت في «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص ٨٤، «المعاني الكبير» ٣/ ١٢٠٧، «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٥، و«المجمل» (طول) ٢/ ٥٩٠، (مهى) ٣/ ٨١٧، «المخصص» ١٥/ ٨٢، «مقاييس اللغة» (طول) ٣/ ٤٣٤، و(مهى) ٥/ ٢٧٩، «اللسان» (طول) ٥/ ٢٧٢٧، و(ثنى) ١/ ٥١٦، و(مها) ٧/ ٤٢٩٢.

أراد الطرف المثني في الرسغ، فلما انثنى جعله ثنيين، أي لأنه عقد بعقدين، ويقال: حلف[١] فلان يمينا ليس فيها ثُنْيَا ولا[٢] ثَنْوَى ولا ثَنِيَّة ولا مَثْنَوِيَّة ولا استثناء، كله واحد، لأن الحالف إذا قال: والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره، فقد رد ما قاله بمشيئة الله غيره، وصرفه[٣]، والحبل إذا عطفته وصرفته فقد جعلته ثنيين[٤]. وأثناء الحية: مطاويها، جمع ثِنْي، وما كان من نَضْد هذه الحروف فهو من هذا المعنى، ولا يمكن ذكر الجميع[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَشَرَة﴾ العَشْر عدد المؤنث، والعَشَرَةُ عدد المذكر، تقول: عَشْرُ نسوة وعَشَرَةُ رجال، فإذا جاوزت ذلك قلت في المؤنث: إحدى عَشَرَة، ومن العرب من يكسر الشين فيقول: عَشِرة، ومنهم من يُسَكن الشين فيقول: إحدى عَشْرة .

وكذلك اثنتي[٦] عَشَرة واثنتي عَشِرَة واثنتي عشْرة، ثلاث لغات[٧]،

---

(١) في (ب): (خلف).

(٢) في (ب): (ليس فيها ثنوا ولا ثنيا).

(٣) «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٥، غير قوله: (وصرفه)، وكذا ورد في «اللسان» ١/ ٥١٦.

(٤) في (ب): (ثنتين).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (ثنى) ١/ ٥٠٥ «الصحاح» (ثنى) ٦/ ٢٢٩٣، «مقاييس اللغة» ١/ ٣٩١، «اللسان» (ثنى) ١/ ٥١٦.

(٦) في (أ)، (ج): (اثنتا) في المواضع الثلاثة، وما في (ب) موافق لما في «تهذيب اللغة» ، وهوا لصواب.

(٧) انتهى ملخصًا من كلام الليث كما في «تهذيب اللغة» (عشر) ٣/ ٢٤٤٥، وانظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٢، «اللسان» (عشر) ٥/ ٢٩٥٢، والكسر لغة تميم، والإسكان لغة أهل الحجاز، انظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٠.

والقراءة[١] بسكون الشين[٢]. فمن فتح الشين فهو أصل البناء، ومن سكن تحرى التخفيف، ثم دخلت الكسرة على مذهب من يكسر ذهابًا إلى أن الساكن يحرك بالكسر[٣].

قال ابن الأنباري: تقول في المؤنث: إحدى عَشْرَة جارية، واثنتا عَشْرَة، قال: وبنو تميم يكسرون الشين[٤]، فهما لغتان وقرأ بهما القراء.

قال: وأهل اللغة والنحو لا يعرفون عَشَرة بفتح مع النيف، قال: وروي عن الأعمش[٥] أنه قرأ: اثنتا[٦] عَشَرة بفتح الشين[٧]، وأهل اللغة لا يعرفونه[٨].

---

(١) من قوله: (ومن العرب) إلى قوله: (والقراءة) فيه تقديم وتأخير وتكرار في (ج).

(٢) القراءة بالسكون قراءة جمهور القراء، وقرأ مجاهد، وطلحة، وعيسى، ويحيى بن وثاب، وابن أبي ليلى، ويزيد بكسر الشين، ورواية عن أبي عمرو والمشهور عنه الإسكان، وقرأ ابن الفضل الأنصاري والأعمش بفتح الشين. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٢-٣١٣، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٥٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٩.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٦ب، «المخصص» ١٧/ ١٠٢.

(٤) قوله: (وبنو تميم يكسرون الشين، أي مع المؤنث، أما مع المذكر فالشين مفتوحة، وقد تسكن عين (عشرة) لتوالي الحركات). انظر «الأشموني مع الصبان» ٤/ ٧٦.

(٥) هو الإمام سليمان بن مهران، أبو محمد الأسدي الكاهلي بالولاء، أصله من أعمال الري، أقرأ الناس، ونشر العلم دهرا طويلا، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٤٢، «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٣، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٧٨، «غاية النهاية» ١/ ٣١٥.

(٦) في (ب): (ثنتى) تصحيف.

(٧) ذكر ابن الأنباري القراءة بسنده عن الأعمش وعن العباس بن الفضل الأنصاري. المذكر والمؤنث ص ١/ ٣١٥.

(٨) انتهى كلام ابن الأنباري ملخصًا من «المذكر والمؤنث» ص ٦٣٢، ٦٣٣، انظر:=

والعشرة اسم موضوع[١] لهذا العدد المخصوص، وانتصابها في هذه الآية يجعلها مع اثنتي اسما واحدا، فلما جعلا اسما واحدا، منعا الإعراب والتنوين[٢].

قال أبو إسحاق: وذلك أن معنى قولك: اثنتا عشرة: اثنتان وعشرة، فلما حذفت الواو، وهي مرادة، تضمن الاسمان معنى الواو، وكل اسم تضمن معنى حرف بني كما تبنى[٣] الحروف، ولم يك أحدهما بالبناء أولى من الآخر، إذ كانت الواو تدخل ما بعدها في حكم ما قبلها، فصار تعلق الاسمين بالواو تعلقا واحدا، فاستحقا البناء، ووجب أن يبنيا على حركة،

= «المخصص» ١٧/ ١٠٢، «اللسان» ٥/ ٢٩٥٢. قال ابن عطية عن لغة الفتح: وهي لغة ضعيفة ١/ ٣١٣، وانظر: «الكشاف» ١/ ٢٨٤. و«الإملاء» ١/ ٣٩، وقد مر كلام الليث قريبًا.

(١) في (ج): (موضوع).

(٢) ظاهر كلام الواحدي أن (اثنتى) مبني. قال أبو حيان: وفي محفوظي أن ابن درستويه ذهب إلى أن (اثنا) و(اثنتا) مع عشر مبنى، ولم يجعل الانقلاب دليل الإعراب. «البحر» ١ / ٢٢٩. وما ذهب إليه الواحدي وابن درستويه مخالف لقول جمهور العلماء حيث قالوا: إن (اثنتي عشر) معرب من بين سائر الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر، وأما (عشر) فهي مبنية، واختلفوا في علة بنائها. انظر «المسائل الحلبيات» لأبي علي ص ٣٠٨ - ٣٢٣، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص ٦٣١، «المخصص» ١٤ / ٩١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٠، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٢. قال الصبان في «حاشية الأشموني»: وما ذكروه من إعراب صدر اثني عشر واثنتي عشرة هو الصحيح. والقول ببنائه مردود باختلافه باختلاف العوامل، وذلك علامة إعرابه. انظر: «حاشية الصبان على الأشموني» ٤/ ٦٨، ٦٩.

(٣) في (ج): (يبني).

لأن لهما[١] قبل حال البناء حال إعراب، والاسم إذا كان معربا ثم دخلت عليه علة أوجبت له البناء، وجب أن يبنى على حركة، وجعلُ الاسمين اسمًا واحدًا مستثقل[٢]، فاختير له أخف الحركات[٣].

وأدخلت الهاء في (عشرة) مع النيف لما جعلا اسما واحدا في عدد المؤنث، وإن لم يدخل دون النيف، لأنهما لما صارا اسما واحدا ثبتت الهاء في (عشرة) علامة للتأنيث فإنك تقول: ثلاث عشرة، وأربع عشرة[٤] إلى عشرين، فتدخل علامة التأنيث في عشرة[٥].

فإن قيل: قد قلتم: إن اثنتي عشرة، وإحدى عشرة اسمان جعلا اسما واحدا، والاسم الواحد لا يكون فيه علامتان للتأنيث.

قلنا: اثنتا[٦] عشرة اسمان من وجه، واسم واحد من وجه، فكونهما اسمًا واحدًا هو[٧] أن الواقع تحتهما عدد مخصص متميز عن[٨] غيره،

---

(١) في (ج): (لها).

(٢) في (ب): (مستقل).

(٣) وأخف الحركات الفتحة. هذا الكلام لم أجده عن أبي إسحاق، وقد ذكر نحوه أبو علي الفارسي، وابن الأنباري، وابن سيده. وكلامهم جميعا عن العدد من (أحد عشر إلى تسعة عشر غير اثني عشر، لأن صدرها معرب كما سبق، بينما نجد الواحدي جعل الكلام عليها. انظر: «المسائل الحلبيات» ص ٢٠٨- ٣٢٣، وانظر «المذكر والمؤنث» ص٦٣٢، «المخصص» ١٤/ ٩١، ١٧/ ١٠٠، ١٠١.

(٤) في (ج): (عشر).

(٥) انظر «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص ٦٤٥، «المخصص» ١٧/ ١٠١.

(٦) في (ب): (اثنتى).

(٧) في (ب): (وهو).

(٨) في (ب): (من).

فيهما كأحد عشر، ووجه كونهما اسمين، هو أنهما لو[١] كانا اسما واحدا لحذفت الألف من (اثنتا) إذ إعراب الاسم يكون في آخره لا في حشوه، فلما[٢] ثبتت الألف، وكانت علامة للإعراب[٣]، دل أنه اسم دون عشرة فوجب الحكم عليهما بأنهما اسمان من هذا الوجه، وإذا كان كذلك، جاز إدخال علامة التأنيث على كل واحد منهما، وأما إحدى عشرة فلم يجتمع فيهما علامتا تأنيث من جنس واحد، وإذا اختلف الجنسان جاز اجتماعهما كالياء في حبليات مع التاء[٤].

فإن قيل: لم حذفت نون التثنية من اثنتا[٥] عشرة، ولا إضافة هاهنا لأنكم جعلتموهما[٦] اسمًا واحدًا؟ قيل: نون التثنية في الأصل[٧] عوض من التنوين، والتنوين للتمكن، وما عرض فيه من معنى البناء أزال التمكن فزال علمه، ولم تحذف الألف وإن كانت دلالة إعراب[٨] لأنها علم التثنية،

(١) في (ب): (لما كانا).
(٢) في (ب): (فإذا).
(٣) وهذا يخالف ما ذكره فيما سبق أنه مبني.
(٤) انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٢، «حاشية الصبان على الأشموني» ٤/ ٦٨.
(٥) في (ب): (اثنتى) وهو أولى، لأنه مثنى مجرور.
(٦) في (ج): (جعلتموها).
(٧) في (ب): (أصل).
(٨) اختلف النحويون في ألف التثنية، فذهب سيبويه إلى أن الألف حرف إعراب، وأن الياء في الجر والنصب حرف إعراب كذلك، ولا تقدير إعراب فيها وإلى هذا ذهب جماعة، منهم أبو إسحاق وابن كيسان وأبو علي. وقال أبو الحسن: إن الألف ليست حرف إعراب، ولا هي إعراب وإنما هي دليل إعراب. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٩٥.

فلوحذفت لبطلت، فللضرورة أبقيت، ولا ضرورة في النون[١]، فهذا طرف من الكلام في علل الحساب احتجنا إليه، وهو باب طويل.

وقوله تعالى: ﴿عَيۡنٗاۖ﴾ انتصب على التميز، قال أبو إسحاق: جميع ما ينتصب على التميز في العدد على معنى دخول التنوين[٢]، وذلك أن حذف التنوين من اثنتا عشرة إنما كان للبناء فصار حكمه مراعى حتى انتصب ما بعده على تقدير تنوينه، ولم يحذف التنوين للإضافة حتى يبطل حكمه. وإذا[٣] كان كذلك انتصب ما بعده انتصاب قولك: هوضارب زيدا وقاتل عمرا، وحكي عن أحمد بن يحيى أنه قال: إنما انتصب المعدود لوقوعه موقع المصدر، فأجري عليه إعرابه، بيان ذلك: أن قولك: أحد عشر رجلا في موضع معدود عددًا، فأحد[٤] عشر في موضع معدود، إذ هو العدد الذي يعدّ، ورجلًا في موضع قولك: عددًا.

قال أبو إسحاق: وإنما وجب أن يكون التميز بواحد، لأنك إذا ذكرت العدد فقد أثبت[٥] بمقداره المعدود[٦]، وإنما يجب عليك تبيين

---

(١) قال أبو علي الفارسي: (ومن الدليل على أن (عشرا) من (اثنى عشر) ليس كسائر هذه الأعداد، أنها عاقبت النون فلم تجتمع معه، فلما عاقبتها علم أنها بدل منها، إذ ليس هنا إضافة توجب حذف النون لها، فهذه النون إنما تحذف للإضافة) «المسائل الحلبيات» ص ٣٠٨، وانظر: «المخصص» ١٤/ ٩١.

(٢) نص كلام الزجاج: (و (عينا) نصب على التميز، وجميع ما نصب على التميز في العدد على معنى دخول التنوين، وإن لم يذكر في (عشرة)، لأن التنوين حذف هاهنا مع الإعراب)، «معاني القرآن» ١/ ١١٢.

(٣) في (ب): (فإذا).

(٤) في (ب): (فإحدى).

(٥) في (ب): (اتبت).

(٦) في (ب): (المعدوده).

النوع، والواحد المنكور يدل على النوع. وهوأخف من لفظ المعرفة ولفظ الجمع، فلهذا وجب استعماله[١].

قال[٢]: وجملة قول الناس: عشرون درهما: عشرون[٣] من الدراهم، فحذف هذا التطويل، وأقيم الواحد المنكور مقامه.

وإنما وجب أن يكون الأصل: عشرون من الدراهم، لأن العشرين[٤] بعض الدراهم، فيجب أن يكون المذكور بعدها لفظ الجمع حتى يصح معنى التبعيض، ولوقدرت أن الأصل: الواحد لاستحال، ألا ترى أنك إذا قدرت الكلام بقولك: عشرون من درهم جاز أن يتوهم أن العشرين بعض الدرهم، فلذلك قلنا: إن الأصل: عشرون من الدراهم، ثم حذف لما ذكرنا من طلب الخفة[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أراد كل أناس منهم، فحذف للعلم[٦]. والمشرب يجوز أن يكون مصدرا، ويجوز أن يكون موضعا[٧].

---

(١) لم أجده عند أبي إسحاق، وبمعناه عند ابن سيده في «المخصص» ١٧/ ١٠١.

(٢) في معاني القرآن: (ومعنى قول الناس: عندي عشرون درهمًا، معناه: عندي عشرون من الدراهم.. إلخ) ١/ ١١٣، ذكر الواحدي كلامه بمعناه.

(٣) (عشرون) ساقط من (ب).

(٤) في (ج): (عشرين).

(٥) في (أ): (الحقه).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٦.

(٧) إما أن يكون نفس المشروب فيكون مصدرًا واقعًا موقع المفعول به، أو موضع الشرب. انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٦ب، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٩، «الدر المصون» ١/ ٣٨٧.

قال الفراء وأبو روق: كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة، [فكانوا إذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط إلى حفرته][١] فحفروا الجداول إلى أهلها، فذلك قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي وقلنا لهم: ﴿كُلُوا﴾ من المن والسلوى. ﴿وَاشْرَبُوا﴾ من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة ولا مؤونة[٣]. ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾[٤]. القراء كلهم قرؤوه بفتح الثاء من عَثِيَ يَعْثَى عُثُوًّا، وهوأشد الفساد. وفيه لغتان أخريان: عَثَا يَعْثُومثل سما يسمو، قال ذلك الأخفش وغيره[٥]. وَعَاث يَعِيثُ، ولوقرئ بهذا[٦] لقيل[٧]: ولا تَعِيثُوا، قال ذلك ابن الأنباري.

وقال الفراء في كتاب « المصادر»: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ مصدره

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) انظر كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤١، وكلام أبي روق في «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٦ أ، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٧.

(٣) الثعلبي ١/ ٧٧أ، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٨، و «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٧، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٣.

(٤) في (ب): ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

(٥) الكلام بنصه في «تهذيب اللغة» (عثا) ٣/ ٢٣٢٥، وانظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٢، والطبري ١/ ٣٠٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ.

(٦) أي على لغة (عاث يعيث). وفي «تهذيب اللغة» (..وفيه لغتان أخريان لم يقرأ بواحدة منهما، عثا يعثو، مثل: سما يسمو، قال ذلك الأخفش وغيره، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ (ولا تَعْثُوا) ولكن القراءة سنة، ولا يقرأ إلا بما قرأ به القراء. واللغة الثالثة عَاثَ يَعِيث) «تهذيب اللغة» (عثا) ٣/ ٢٣٢٥، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٨.

(٧) في (ج): (القيل).

عثًا مقصور، ومن قال عَثَوْتُ، قال: عُثُوًّا[1]، ومن قال: عَاث يَعِيث، قال في المصدر: عَيْثًا وعُيُوثًا ومَعاثًا وعَيثانًا[2].

قال ابن الرقاع[3] في اللغة الثانية:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِيَ قَدْ عَثَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أَمَّ الْهَيْثَمِ[4]

وقال كثير في اللغة الثالثة:

وَذِفْرَى كَكَاهِلِ ذِيخِ الْخَلِيفِ ... أَصَابَ فَرِيقَةَ لَيْلٍ فَعَاثَا[5]

٦١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ قال

---

(١) عند الطبري: (عَثَوْت أَعْثو) ١/ ٣٠٨.

(٢) في (ب): (عيثاثا). ذكر الطبري في «تفسيره» هذه المصادر ١/ ٣٠٨، وانظر: «تهذيب اللغة» (عثا)، و(عاث) ٣/ ٢٢٦٣، «المحكم» ٢/ ١٦٥، ٢٤٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ، «اللسان» (عيث) ٥/ ٣١٨٤، و(عثا) ٥/ ٢٨١١.

(٣) هو عدي بن الرقاع، من (عاملة) حي من قضاعة، كان شاعراً مجيداً مدح خلفاء بني أمية، انظر ترجمته في: «طبقات فحول الشعراء» للجمحي ٢/ ٦٩٩، «الشعر والشعراء» ٤١٠.

(٤) يروى (أم القاسم) بدل (أم الهيثم) ورد البيت في «الشعر والشعراء» ٢/ ٤١١، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤١، «الكامل»، وفيه (عسا) بدل (عثا) فلا شاهد فيه، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ، «تهذيب اللغة» (عثا) ٣/ ٢٣٢٦، و«أمالي المرتضى» ١/ ٥١١، «اللسان» (عثا) ٥/ ٢٨١١، «زاد المسير» ١/ ٨٧، «البحر المحيط» ١/ ٢١٩.

(٥) (الذِّفْرَى): العظم الشاخص خلف الأذن، (الذِّيخ): ذكر الضباع، (الْخَلِيف): الطريق بين الجبلين، ويروى مكانه: (الرفيض): وهو قطعة من الجبل، (فريقة ليل): هي الغنم الضالة. ورد البيت في «المعاني الكبير» ١/ ٢١٤، «تهذيب اللغة» (عاث) ٣/ ٢٢٦٣، و(فرق) ٣/ ٢٧٧٨، و«مجمل اللغة» (فرق) ٣/ ٧١٨، «مقاييس اللغة» ٤/ ٤٩٤، «اللسان» (عيث) ٥/ ٣٧٨٤، و(خلف) ٢/ ١٢٤٢، و(فرق) ٦/ ٣٤٠٠، و«شعر كثير» ص ٢٥٠.

سعيد بن المسيب: ملّوا عيشهم[١].

وقال قتادة: ذكر القوم عيشًا كان لهم بمصر، فقالوا لموسى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ الآية[٢]، و(الطعام): اسم جامع لما يؤكل، وإنما قالوا: طعام واحد، وكان طعامهم المن والسلوى، لأنهم كانوا يأكلون المن[٣] بالسلوى فكان طعامًا واحدًا كالخبيص، لون واحد وإن اتخذ من أطعمة شتى[٤].

قال ابن زيد: كان[٥] طعامهم المن، وشرابهم السلوى، فكانوا يجمعون بينهما فيأكلونه طعاما واحدا[٦].

وقال أصحاب المعاني: لما كان غذاؤهم في كل يوم لا يتغير، قيل: طعام واحد، كما يقال لمن يدوم على الصوم والصلاة: هوعلى أمر واحد، لملازمته لذلك لا يتغير عنه[٧].

---

(١) لم أجده عن سعيد فيما اطلعت عليه، وأخرج الطبري نحوه عن قتادة «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٨١.

(٢) أخرجه الطبري ١/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٨١، وذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير ١/ ٢٨٩.

(٣) في (ب): (والسلوى).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٤، و«البغوي» ١/ ٧٨، «زاد المسير» ١/ ٨٨، «القرطبي» ١/ ٣٦٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٢.

(٥) (كان) ساقط من (ب).

(٦) أخرجه ابن جرير ١/ ٣١٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٧أ، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٨، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٢٣٢. والقول بأن السلوى شراب يخالف ما عليه جمهور المفسرين.

(٧) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٤، «الكشاف» ١/ ٢٨٤، «تفسير الرازي» ٣/ ٩٩، «القرطبي» ١/ ٣٦٠، «ابن كثير» ١/ ١٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٢.

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ معنى الدعاء: الطلب[١] ممن يملك النفع والضر. وقال ابن السراج: أصله النداء وإنما قال للمسألة: دعاء؛ لأن السائل يقول: يا رب، فينادي ربه ﷻ[٢].

وجاء الدعاء بلفظ الماضي تفاؤلا[٣] بأن[٤] ذلك قد كان، كقولك: أحسن الله جزاءه[٥].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾ المعنى سَلْه وقل له: أَخرِجْ[٦] يُخْرِجْ، وكذلك قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] المعنى لهم: قولوا[٧] التي هي أحسن يقولوا. ومثله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ[٨] يقيموا الصلاة﴾ [إبراهيم: ٣١] أي قل لهم: أقيموا يقيموا، فجعل هذه كلها بمنزلة جواب الأمر، لأن قبله: ادع وقل[٩].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ البقل: كل نبات لا يبقى له ساق إذا رعته

---

(١) (الطلب) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (دعاء) ١/ ١١٨٨، «اللسان» (دعا) ٣/ ١٣٨٥.

(٣) في (ب): (مقالا) وفي (ج): (نقالا).

(٤) في (ج): (باذن).

(٥) في (ج): (جزاء).

(٦) في (أ)، (ج): (ويخرج) زيادة (واو) والأصوب حذفها كما في (ب)، ومثله في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٣.

(٧) في (ج): (يقولوا).

(٨) (الذين آمنوا) سقط من (أ)، (ج).

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٤، وقوله (يخرج) مجزوم. قال بعضهم: بما تضمنه الأمر من معنى الجزاء، وقيل: بنفس الأمر، وقيل مجزوم بلام الطلب المضمره أي: ليخرج. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٤، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦١، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٢.

الماشية[١].

وأما (الفوم): فقد اختلف أهل اللغة فيه، فقال الفراء: الفوم فيما يذكرون لغة قديمة، وهي الحنطة والخبز جميعا قد ذكرا، قال: وقال بعضهم: سمعت العرب من أهل اللغة يقولون: فَوِّموا لنا بالتشديد يريدون: اختبزوا.

وقال أُحَيْحَة بن الجُلاح[٢]:

قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ قَدِمَ[٣] الْمَدِينَةَ فِي زِرَاعَةِ فُومِ[٤]

قال الفراء: وهي في قراءة عبد الله: (وثومها) بالثاء، وكأنه أشبه المعنيين بالصواب؛ لأنه مع ما[٥] يشاكله من العدس والبصل، والعرب تبدل الفاء ثاء فيقول: جدث وجدف، ووقع في عَاثُورشَرٍّ وعَافُورشَرٍّ والْمَغَافِير[٦] والْمَغَاثِير[٧].

---

(١) ذكر الأزهري عن الليث (بقل) ٩/ ١٧١، وقال ابن عطية: البقل كل ما تنبته الأرض من النجم ١/ ٣١٥، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦١.

(٢) في (ب): (الحلاج). هو أُحَيْحَة بن الجلاح بن الحُرَيْش بن الأوس، كان سيد الأوس في الجاهلية وكان شاعرا. انظر: «الاشتقاق» لابن دريد ص ٤٤١، «الخزانة» ٣/ ٣٥٧.

(٣) في (ج): (قد قدم).

(٤) نسب البيت بعضهم إلى أبي محجن الثقفي، والبيت برواية الثعلبي والطبري:

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصًا واحدًا وَرَدَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ

انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٥، و«الهمع» ٢/ ٢٤٠، «اللسان» (فوم) ٦/ ٣٤٩١، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٢، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٨، «البحر المحيط» ١/ ٢١٩، «فتح القدير» ١/ ١٤٤.

(٥) (ما) ساقط من (ب).

(٦) المغافير شيء حلو يشبه العسل. انظر: «اللسان» (غفر) ٦/ ٣٢٧٦.

(٧) انتهى كلام الفراء، ولم يرد عنده بيت ابن الْجُلَّاح، معاني القرآن ١/ ٤١، وانظر=

فذكر الفراء قولين في الفوم، واختار الثاني، وهوأنه بمعنى الثوم[١] الذي يذكر مع البصل، وهذا القول أيضا اختيار الكسائي[٢].

وقال الزجاج: الفوم: الحنطة، ويقال: الحبوب، لا اختلاف بين أهل اللغة أن الفوم: الحنطة. قال: وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها اسم الفوم. قال: ومن قال: الفوم هاهنا: الثوم[٣] فإن هذا لا يعرف، ومحال أن يطلب القوم طعاما لا بر فيه، وهوأصل الغذاء[٤].

وقال اللحياني: هو الفوم والثوم[٥]، للحنطة[٦].

[الأزهري: وقراءة ابن مسعود إن صح بالثاء، فمعنى الفوم وهوالحنطة.][٧].

وقال ابن دريد: أزد السراة يسمون السنبل فُومًا[٨]. وهذا القول اختيار

= «تفسير الطبري» ١٠/ ٣١٢، وقد نقل كلام الفراء، ولم يعزه له، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٧.

(١) قال ابن قتيبة: وهذا أعجب الأقاويل إليّ. «تفسير غريب القرآن» ص ١/ ٤٤ .

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٧أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٨٩.

(٣) وهذا اختيار الفراء والكسائي كما سبق.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٥، والنص من «تهذيب اللغة» (فام) ٣/ ٢٧٢٧، وذكره الطبري في «تفسيره» عن بعض السلف ٣١٠٨، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٥، «زاد المسير» ١/ ٨٨.

(٥) في (ب): (الفوم).

(٦) في (ب): (الحنطة). كلام اللحياني في «تهذيب اللغة» (فام) ٣/ ٢٧٢ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). ونص كلام الأزهري في «تهذيب اللغة»: وإن كان يقرأ ابن مسعود بالثاء فمعناه: الفوم، وهو الحنطة «التهذيب» (فام) ١/ ٢٧٢٧.

(٨) «جمهرة أمثال العرب» ٣/ ١٦٠، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٤١، وفي «اللسان» (أزد الشراة) (فوم) ٦٠/ ٣٤٩١.

المبرد. ومفعول (يخرج) محذوف من الكلام، تقديره: يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها شيئا[(١)].

ومثله مما حذف[(٢)] منه المفعول قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: ناسًا أو فريقًا.

وقوله تعالى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾ يحتمل أن يكون ﴿أَدۡنَىٰ﴾ أفعل من الدنو، ومعناه: أتستبدلون الذي هوأقرب وأسهل متناولا، يشارككم في وجدانه[(٣)] كل أحد بالرفيع الجليل الذي خصكم الله وبين الأثرة لكم به على جميع الناس[(٤)]. ويجوز أن يكون معنى الدنو في قرب القيمة[(٥)]، يقول: أتستبدلون الذي هوأقرب في القيمة[(٦)]، أي أقل قيمة، أوأدنى في الطعم واللذة، أي أقل لذة وأبشع طعما بالذي هوخير في الطعم واللذة والقيمة[(٧)]. ويجوز أن يكون أفعل من الدناءة، وترك همزه؛ لأن

---

(١) أي أن مفعول يخرج محذوف، تقديره: (شيئا) وهذا قول الطبري في «تفسيره» ١/ ٣١٠، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ١٨٠، وغيرهما. وذهب الأخفش ومكي إلى أن (من) زائدة، والمفعول (ما) انظر «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٨٢، و«المشكل» ١/ ٤٩، وقولهما مردود عند كثير من المفسرين؛ لأنه يخالف مذهب سيبويه: أن (من) لا تزاد في الموجب، أي المثبت. انظر: «الكتاب» ١/ ٣٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٦، و«البيان» ١/ ٨٥، ٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٢.

(٢) في (ب): (ومنه مما يحذف).

(٣) في (ب): (وجدنه).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨١.

(٥)، (٦) في (ب): (القيامة).

(٧) وهذا القول راجع لمعنى القول السابق فجمع بين المعنيين الزجاج حيث قال: فمعناه أقرب وأقل قيمة ١/ ١١٥. والخلاصة في معنى (أدنى) قولان: أحدهما:=

العرب تقول: إنه لَدَنيٌّ يُدَنّي في الأمور، غير مهموز، أي: يتتبع خسيسها وأصاغرها، على أنه قد حكى الفراء[(١)] عن زهير الفرقبي[(٢)] أنه يقرأ (أدنأ) بالهمز[(٣)]، وهذا قول الفراء: إن معنى أدنى من الدناءة[(٤)].

والأول[(٥)] اختيار الزجاج[(٦)].

وقال بعض النحويين: (أدنى) هاهنا بمعنى أدون، أي: أوضع وأخس، فقدمت النون وحولت الواوألفا[(٧)]، وهذا خطأ، فقد أجمعوا على

= أنه من الدنو بغير همز، وهذا الدنو يدخل فيه عدة معان، فهو دنو في القيمة، واللذة، والكلفة، والحل، وامتثال الأمر، وغير ذلك مما ذكره المفسرون. انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧ب، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٦ «الكشاف» ١/ ٢٨٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٤، والقول الثاني: أنه من الدناءة بالهمزة، وهو ما سيأتي ذكره.

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢، والكلام قبله كله عن الفراء وذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٢، ولم يعزه له، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧ب، «الكشاف» ١/ ٢٨٥، «البحر» ١/ ٢٣٣.

(٢) في (ب): (الفريقي). زهير الفرقبي أحد القراء، نحوي، ويعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة يروى عنه، عاش في زمن عاصم.
انظر: «غاية النهاية» ١/ ٢٩٥.

(٣) في (ب): (بالهمزة). وهذه القراءة من الشواذ.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢، وهو قول الطبري في «تفسيره» ١/ ٣١٢، وذكره الزجاج في «المعاني» ١/ ١١٥، وذكره النحاس واختار غيره ١/ ١٨١، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٤.

(٥) (الواو) ساقطة من (ب).

(٦) اختيار الزجاج: أن (أدنى) غير مهموز بمعنى الذي هو أقرب وأقل قيمة. «المعاني» ١/ ١١٥.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٧ب، وانظر: «المشكل» لمكي ١/ ٥٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٧، و«البيان» ١/ ٨٦، و«الإملاء» ص ٣٩، «تفسير القرطبي»=

أنه لا يشتق فعل(١) من دون إذا كان بمعنى أخس كقولهم: فلان دونك في الشرف.

قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ جائز أن يكون هذا من كلام موسى لهم(٢)، وجائز أن يكون من قول الله تعالى لهم، ويكون في الآية إضمار كأنه قال: فدعا موسى فاستجبنا له، وقلنا لهم: اهبطوا مصرا [من الأمصار، فإن الذي سألتم لا يكون إلا في القرى والأمصار، ولهذا نون مصر](٣) لأنه لم يرد بلدة بعينها(٤)، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها، وصرفها لخفتها وقلة حروفها(٥).

قال الزجاج: صرف؛ لأنه مذكر سمي به مذكر(٦)، فهو مثل جُمْل

= ١/ ٣٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٤، «الدر المصون» ١/ ٣٩٥، و«الفتوحات الإلهية» ١/ ٦٠ .

وقوله: (وحولت الواو ألفًا) أي لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا.

(١) (فعل) هكذا في جميع النسخ، ولعلها (أفعل) قال أبو البركات ابن الأنباري: (ولا يجوز أن يكون (أدنى) أفعل من الدناءة؛ لأن ذلك يوجب أن يكون مهموزاً) «البيان» ١/ ٨٧.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» ١/ ٢٧، و«الخازن» ١/ ١٣٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) والنص فيها: (..اهبطوا مصرًا أي انزلوا مصرًا لأنه لم يرد..).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٤-٣١٥، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣، وللأخفش ١/ ٢٧٣، وللزجاج ١/ ١١٥، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٧ب، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٤.

(٥) انظر المراجع السابقة.

(٦) قوله: (سمى به مذكر) ساقط من (ب). وبهذا انتهى ما نقله عن الزجاج. «معاني القرآن» ١/ ١١٦.

ودَعْد وهند في جواز إجرائها[(١)].

والفراء يختار ترك الإجراء، ويفرق بين هذا وبين أسماء النساء، قال: إنها[(٢)] إذا خفت وكانت على[(٣)] ثلاثة أحرف، أوسطها ساكن، انصرفت، لأنها تكثر بها التسمية فتخف لكثرتها، واسم البلد لا يكاد يكثر. فاجعل[(٤)] الألف التي في مصرا ألفا يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنون كما كتبوا: سلاسلا[(٥)] وقواريرا[(٦)] بالألف، وأكثر القراء على ترك الإجراء فيها[(٧)].

ويختار قراءة من قرأ مصر بغير تنوين[(٨)]، وهي قرآءة مهجورة[(٩)]،

---

(١) الإجراء: هو الصرف في اصطلاح الكوفيين، فالجاري: المنصرف، وغير الجاري: الممنوع من الصرف. وقوله: (جُمّل ودعد وهند) صرفت لأنها على ثلاثة أحرف أوسطها ساكن.فصرفت لخفتها وإلا فهي مؤنثة. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢، و«البيان» ١/ ٨٧.

(٢) أي: أسماء النساء، كما هي عبارة الفراء في «المعاني» ١/ ٤٢.

(٣) (على) ساقط من (ج).

(٤) في المعاني للفراء: (..فإن شئت جعلت الألف التي في (مصرا) ألفًا يوقف عليها...) وإن شئت جعلت (مصر) غير المصر التي تعرف..) ١/ ٤٣.

(٥) من (ب)، وفي غيرها: (سلاسل)، آية: ٤ من سورة الإنسان.

(٦) في (أ): (قرارير)، آية: ١٥، ١٦ من سورة الإنسان.

(٧) في المعاني: (فيهما) أي: (سلاسلا) و(قواريرا). أما (سلاسلا) فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام ورويس في رواية بالتنوين، ووقفوا بالألف عوضا منها، والباقون بغير تنوين. وأما (قواريرا) فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر، بالتنوين ووقفوا عليها بالألف في الموضعين، ووافقهم ابن كثير في الأول، والباقون بغير تنوين مع اختلاف في الوقف. انظر «التيسير» ص ٢١٧، انظر «النشر» ٤/ ٣٩٥.

(٨) حيث قال: (والوجه الأول أحب إليّ) لأنها في قراءة عبد الله اهبطوا مصر (بغير ألف..) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٣٤.

(٩) قال الطبري: ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه، إلا من لا يجوز=

والوجه ما ذكرنا قبل، أنه صرف لخفته[(١)].

وقال الكسائي: العرب الفصحاء[(٢)] لا يبالون أن يجروا مالا يجري، ولا يرون به بأسا، ولولا أن ذلك مستقيم لهم ما جاز لهم أن يجروه في الشعر، فلا تهابن أن تجري شيئا مما لا يجري أبدا، إلا قولهم: أَفْعَلَ منك فإنه مما لم أسمع العرب تجريه في شعر ولا في[(٣)] غيره.

والمصر في اللغة: الحاجز بين الشيئين[(٤)].

قال عدي بن زيد[(٥)]:

وَجَعَلَ الشَّمْسَ مِصْرًا لاَخَفَاءَ بِهِ   بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْل قَدْ فَصَلاَ[(٦)]

= الاعتراض به على «الحجة» ٢/ ١٣٦، والقراءة بغير تنوين قراءة الحسن، وطلحة، والأعمش، وأبان بن تغلب، وهي كذلك في مصحف أبي، وعبد الله، وبعض مصاحف عثمان، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٨-٣١٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٤.

(١) قال النحاس: وهذا خطأ على قول الخليل وسيبويه والفراء، «إعراب القرآن» ١/ ١٨٢، وكذا رده أبو حيان. انظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٣٥، وقد ذكر ابن جرير الطبري الحجج لمن رأى أن المراد مصر من الأمصار، ولمن قال: إنها مصر المعروفة، وتوقف في ترجيح قول على الآخر، ١/ ٣١٤. أما ابن كثير فرجح أن المراد مصر من الأمصار، ١/ ١٠٩، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٣٥.

(٢) بياض في (ب).

(٣) (في) ساقط من (ب). وكلام الكسائي أورده النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ١٨٢.

(٤) ذكر الأزهري عن الليث. «تهذيب اللغة» (مصر) ٤/ ٣٤٠٦، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ أ، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٦.

(٥) نسبه بعضهم لأمية بن أبي الصلت، وبعضهم لعدى.

(٦) يروي البيت (جاعل) ورد في «تهذيب اللغة» (مصر) ٤/ ٣٤٠٦، «الصحاح» (مصر) ٢/ ٨١٧، «المخصص» ١٣/ ١٦٤، «اللسان» (مصر) ٧/ ٥/ ٤٢، «تفسير الثعلبي»=

أي: حدًّا، ومُصُور الدار: حدودها، فالمصر: القطعة التي بانت بعمارتها عما سواها وانتهت إليه البرية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي: ألزموها إلزامًا لا تبرح عنهم، يقال: ضرب عليه[٢] كذا، إذا ألزمه، وأصله من ضرب الشيء على الشيء، كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه، فيقال[٣] لكل من ألزم شيئا: ضرب عليه، يقال: ضرب فلان على عبده ضريبة، وضرب السلطان على التجار[٤] ضريبة أي ألزمهم[٥].

ويقال للشيء الدائم: ضربة لازم ولازب[٦].

ومنه قول النابغة:

و[٧] لاَ يَحْسِبُون الشَّرَّ ضَرْبَةَ لاَزِبِ[٨]

والذلة: الذل.

= ١/ ٧٨أ، «مفردات الراغب» ص ٤٦٩، «زاد المسير» ١/ ٨٩، «تفسير القرطبي»، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠، «الدر المصون» ١/ ٣٩٦.

(١) (البرية) ساقط من (أ)، (ج). انظر: «تهذيب اللغة» (مصر) ٤/ ٣٤٠٥-٣٤٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ أ، «القرطبي» ١/ ٣٦٦، «اللسان» (مصر) ٧/ ٤٢١٥.

(٢) في (ب): (عليهم).

(٣) في (ب): (أن يقال).

(٤) في (ب): (التجارة).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٦.

(٦) قال ابن الأنباري: ما هذا بضربة لازب، أي ما هو بضربة سيف لازب، واللازب: اللازم. انظر: «الزاهر» ١/ ٦٠٩، «تهذيب اللغة» (لزب) ٤/ ٣٢٥٨، «اللسان» (لزب) ٧/ ٤٠٢٥-٤٠٢٦.

(٧) (الواو) ساقطة من (ب).

(٨) شطره الأول:

أبو عبيد عن الكسائي: فرس ذلول بيّن[١] الذِّلّ، وهوضد الصعوبة، ورجل ذليل بيّن الذِّلّة والذُّلّ[٢].

والمسكنة مفعلة من السكون، قال الليث: المسكنة مصدر فِعْل المِسْكين، وإذا اشتقوا منه فعلا قالوا: تَمَسْكَن إذا صار مِسْكِينًا[٣].

قال ابن الأنباري: المسكنة الأمور التي تسكن صاحبها وتمنعه من الحركة ومن هذا أخذ المسكين، توهمًا أن الميم من أصل الكلمة، كما قالوا: تمكن من المكان، وهومفعل من الكون، ويقال: تسكن الرجل وتمسكن إذا ظهرت[٤] عليه أمور المساكين وتشبه بهم. كما يقال: تدرع وتمدرع، إذا لبس المدرعة[٥].

فأما معنى الآية، فإن جماعة من المفسرين قالوا: في هذا ما دل على أن قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾[٦] إخبار عمن كانوا[٧] في عصر موسى. وبعضهم قال: ما يدل على أن ضرب الذلة حصل على من كان في عهد النبي ﷺ.

وَلاَ يَحْسِبُونَ الْخَيْرَ لاَشَرَّ بَعْدَهُ

ورد البيت في «الزاهر» ١/ ٦٠٩، «تهذيب اللغة» (لزب) ٧/ ٤٠٢٦، «المخصص» ١٢/ ٦٨، «مقاييس اللغة» (لزب) ٥/ ٢٤٥، «اللسان» (لزب) ٧/ ٤٠٢٦، و«ديوان النابغة الذبياني» ص ٣٣.

(١) في «تهذيب اللغة» (من) وليس فيه قوله: (وهو ضد الصعوبة).

(٢) «تهذيب اللغة» (ذل) ٢/ ١٢٩٠، وانظر: «اللسان» (ذلل) ٣/ ١٥١٣-١٥١٤.

(٣) «تهذيب اللغة» (سكن) ٢/ ١٧٢٤-١٧٢٥، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٥، «اللسان» (سكن) ٢٠٥٤-٢٠٥٧.

(٤) في (ب): (ظهر).

(٥) انظر: «الزاهر» ١/ ٢٢٤، و«تهذيب اللغة» (سكن) ٢/ ١٧٢٣-١٧٢٥، و«الصحاح» (سكن) ٥/ ٢١٣٧، و«اللسان» (سكن) ٤/ ٢٠٥٤-٢٠٥٧.

(٦) في (ج): (والمسكنة). (٧) في (ب): (كان).

قال كثير من المفسرين: ضربت عليهم يومئذ الذلة والمسكنة، وهو أثر البؤس وزي الفقر، وذلك لعلم الله فيهم أنهم سيقتلون النبيين ويفعلون ويفعلون، ثم أعقابهم يتوارثون ذلك الذل والمسكنة، وهذا قول الكلبي(١).

وإلى هذا القول مال ابن الأنباري، لأنه قال: قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾(٢) منسوق على محذوف، دل الكلام عليه، وتلخيصه: اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم، فهبطوا فعثوا وأفسدوا، وضربت عليهم الذلة، فلما عرف معنى المراد حذف، وجرى مجرى الظاهر في حسن العطف عليه

وقال الحسن وقتادة: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون(٣).

وقال عطاء بن السائب(٤): هو [الْكُسْتِيج](٥) وزي اليهودية، والمسكنة

---

(١) ذكر أبو الليث عن الكلبي: يعني الرجل من اليهود وإن كان غنيا، يكون عليه زي الفقراء. «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٠، وانظر: «تفسير الرازي» ٣/ ١٠٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦ .

والكلبي هو محمد بن السائب، ضعفوه، واتهمه بعضهم بالكذب، توفي سنة ست وأربعين ومائة، انظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٦٩، «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ١٤٩.

(٢) في (ج): (والمسكنة).

(٣) ذكره الطبري بسنده عنهما ١/ ٣١٥، وكذا «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٨٥، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٦٩، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٩.

(٤) هو الإمام الحافظ، أبو السائب، كان من كبار العلماء، ولكنه ساء حفظه قليلًا آخر عمره، مات سنة ثلاثين مائة «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣٨، و«طبقات خليفة» ص ١٦٤، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١١٠.

(٥) في (أ)، (ج): (الكستينح) وفي (ب): (الكستينج)، وما أثبته هو الصواب وهو الوارد عند الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، والبغوي ١/ ٧٨، وفي غيرهما. =

زي الفقر، فترى المثري منهم يتبأس مخافة أن يضاعف عليه الجزية[١].
وهذا يدل على أن هذا الضرب وهذا الأثر حصل على المتأخرين منهم،
لأنهم قبل الإسلام لم يعطوا الجزية ولم يوسموا[٢] بالغيار[٣].

فإن قيل: نحن نرى اليهودي يملك المال الواسع، والفاخر من الثياب، والرفيع من العقار، ومن ملك بعض هذا لم يكن مسكينا. قيل: الذلة الجزية، والمسكنة فقر القلب والنفس، وغير ظاهر آثارهما، ولا يوجد يهودي غني النفس[٤]. ويجوز أن يكون هذا من العموم الذي أريد به الخصوص.

وقوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: رجعوا[٥] في قول الفراء[٦].

= قال في «القاموس»: الكُسْتِيج بالضم: خيط غليظ يشده الذميّ فوق ثيابه دون الزنار، مُعَرَّبُ: كُسْتِي. القاموس ص ١٣٢٨.

(١) ذكره الثعلبي ١/ ٧٨ أ، والبغوي ١/ ٧٨، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦.

(٢) في (ب): (يرسموا).

(٣) ذكره الرازي ٢/ ١٠٢، وقال أبو حيان: المضروب عليهم الذلة والمسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ قاله الجمهور، «البحر» ١/ ٢٣٦. وقيل: لا يلزم هذا فإنهم أذلوا قبل المسلمين، فقد ذكر ابن كثير عن الحسن قال: أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم تحت أقدام المسلمين، ولقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٩.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨أ، «تفسير البغوي» ١/ ٧٨/، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣١٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦.

(٥) في (ب): (ارجعوا).

(٦) لم أجده للفراء، وبه قال الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٩٧٣، وابن قتيبة في «الغريب» ص ٥١ وهو قول الكسائي كما سيأتي.

وقال الكسائي: انصرفوا به[1]، ولا يكون أبدا باؤوا إلا بشيء إما بخير وإما بشر، يقال: بَاءَ يَبُوءُ بَوْءًا [وَبَوَاءً][2] ولا يكون باء بمعنى مطلق الانصراف[3].

قال ابن الأنباري: وجاء في الحديث: «**باء طلحة بالجنة**»[4] أي: انصرف بها. وقال أبو عبيدة: باؤوا بغضب: احتملوه[5]، ونحوذلك قال الزجاج في قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ [البقرة: ٩٠]. قال: باؤوا في اللغة: احتملوا، يقال: قد بؤت بهذا الذنب أي: احتملته[6]. ومنه قوله: ﴿أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩].

---

(١) في تفسير الثعلبي: (رجعوا في قول الكسائي وغيره) ١/ ٧٨أ، ونحوه في الماوردي ١/ ٣٤٦، وكذا في البحر ١/ ٢٢٠. قال النحاس في «شرح القصائد المشهورات»: (والكسائي يذهب إلى أن (بؤت) من باء يبوء إذا رجع) ص١٧٠.

(٢) في (أ)، (ج): (بووا وبَوْا) وفي (ب): (بَاء يبؤا بوءا وبؤا) وفي «معاني القرآن» للفراء (بَاء بإثم يَبُوءُ بَوْءًا) ١/ ٦٠، وفي الطبري: (بَاءَ فلان بذنبه يَبُوءُ به بَوْءاً وَبَواءً) ١/ ٣١٦، ونحو ذلك في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٣، «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٦-٢٤٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٠٦.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وفي «مسند أحمد» وغيره: (عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ «أوجب طلحة»، حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .. الحديث)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال: الحديث في «سيرة ابن هشام» عن ابن إسحاق، ورواه ابن سعد مختصرًا، والترمذي مطولًا. «مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر» ٣/ ١٤١٧. وانظر: «الترمذي مع عارضة الأحوذي» ١٣/ ١٧٨، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٥، «طبقات ابن سعد» ٣/ ٢١٨.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٤٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٤٨.

واختلف أصحاب الاشتقاق في أصل هذا الحرف:

فمذهب أبي العباس أنه من الباءة والمباءة، وهو منزل القوم حيث[(١)] يتبوؤون[(٢)].

فمعنى باء بالذنب: أي نزل منزلة المذنبين، وباؤوا بغضب أي نزلوا منزلة من يلحقهم الغضب، ومن هذا يقال: أبأت فلانًا بفلان، إذا قبلته به، كأنك جعلته[(٣)] في منزلته وفي محله، وفلان بواء بفلان من هذا، والكلام يتصرف فيقع بعضه محمولا على بعض، هذا هوالأصل، ثم يفسر: باء بالشيء إذا احتمله ورجع به وانصرف به، وأقرّ به. وهذه كلها معان ترجع إلى أصل واحد، وهوالحلول في ذلك المحل[(٤)].

قال الفرزدق لمعاوية:

فَلَوكَانَ هَـذَا الْأَمْرُ فِي جَاهِلِيَّةٍ لَبُؤْتَ بِهِ أَوغَصَّ بِالْمَاءِ شَارِبُه[(٥)]

---

(١) في (ج): (حين).

(٢) ذكر الأزهري عن الليث نحوه، وكذا عن الأصمعي وأبي زيد وغيرهم، «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٦-٢٤٨.
وذكر الماوردي عن أبي العباس المبرد: أن أصل ذلك المنزلة. ومعناه: أنهم نزلوا منزلة غضب من الله. «تفسير الماوردي» ١/ ٣٤٤. انظر: «الصحاح» (بوأ) ١/ ٣٧، «اللسان» (بوأ) ١/ ٣٨٠-٣٨٢.

(٣) في (ج): (وجعلته).

(٤) ذكر ابن فارس في «مقاييس اللغة»: أن (بَوَأ) الباء والواو والهمزة أصلان: أحدهما: الرجوع إلى الشيء، والثاني: تساوي الشيئين ١/ ٣١٢.
وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٦، «الماوردي» ١/ ٣٤٤، «تهذيب اللغة» (باء) ١٥/ ٥٩٤ - ٥٩٦.

(٥) يروى هذا البيت بروايات مختلفة منها (شَئِنْتَ) بدل (لبؤت) وعليها فلا شاهد فيه هنا، ورواية الديوان: =

أي لأقررت[١] به، كأنه قال: حللت محل المقر به[٢]، وقال لبيد:

أَنْكَرْتُ بَاطِلَهَا وبُؤْتُ بِحَقِّهَا ... عِنْدِي وَلَمْ تَفْخَرْ عَلَيَّ كِرَامُهَا[٣]

وقوله تعالى: ﴿تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩]. تأويله: تحل محل من اجتمعت عليه العقوبتان بأن لم يتقبل قربانك وقتلتني[٤].

وعند الزجاج أن أصل هذا الحرف من التسوية[٥]. تقول العرب: هم في هذا الأمر بواء، أي: سواء. وبوأت الرمح نحوالفارس: سويته، وبوأت

وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ ... لَأَدَّيْتَهُ أَوْ غَصَّ بَالْمَاءِ شَارِبُه

انظر: «الكامل» ٢/ ٢٣٢، «التهذيب» (شنأ) ٢/ ١٩٤١، و«مجمل اللغة» (شنو) ٢/ ٥١٣، «اللسان» (شنأ) ٤/ ٢٣٣٦، «ديوان الفرزدق» ١/ ٥٣.

(١) (به) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «الكامل» ٢/ ٢٣٢.

(٣) البيت متعلق ببيت قبله، وقوله: (أنكرت باطلها) أي: رددته و(بؤت بحقها): رجعت، أو اعترفت وأقررت. انظر: «شرح ديوان لبيد» ص ٣١٨، و«شرح القصائد المشهورات» ص ١٧٠، «الصحاح» (بوأ) ١/ ٣٨، «اللسان» (بوأ) ١/ ٣٧، «الخزانة» ٥/ ٥١٨، ٩/ ١٦، «الدر المصون» ١/ ٣٩٨.

(٤) قال الزجاج: ترجع إلى الله بإثمي وإثمك.. «معاني القرآن» ٢/ ١٨٢، وانظر: «تفسير الطبري» ٦/ ١٩٢-١٩٣.

(٥) لم أجده عن الزجاج فيما اطلعت عليه، والله أعلم، والذي قاله الزجاج في «المعاني» عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖ﴾ [البقرة: ٩٠]. قال: (معنى باءوا في اللغة: احتملوا، يقال: قد بؤت بهذا الذنب: أي تحملته، «معاني القرآن» ١/ ١٤٨، وعند تفسير قوله تعالى ﴿تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩] قال: أي ترجع إلى الله بإثمي وإثمك. «معاني القرآن» ١/ ١٨٢ و(بواء) بمعنى: سواء ذكره الماوردي ١/ ٣٤٥، وذكره الأزهري عن أبي العباس وأبي عبيدة والأخفش. انظر: «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٦- ٢٤٨، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠.

فلانًا منزلًا[(١)]: أي سويته[(٢)] له، وقد باءت دماء القوم: إذا استوت، وباء فلان بالذنب: إذا احتمله واستوى عليه.

وفي حديث عبادة بن الصامت قال: (جعل الله الأنفال إلى نبيه ﷺ فقسمها بينهم عن بواء)[(٣)] أي[(٤)] عن سواء بينهم في القسم.

فمعنى ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كأنهم استوى عليهم الغضب من الله[(٥)]. ومعنى غضب الله: ذمه إياهم وإنزال العقوبة بهم، لا كعارض يحل بالمخلوقين[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ (ذلك) إشارة إلى ضرب الذلة[(٧)] والمسكنة والغضب[(٨)]، ومعنى ﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد الحكمة التي أنزلت على محمد ﷺ[(٩)].

---

(١) في (ب): (منزل).

(٢) في الصحاح: (بَوَّأْت للرجل منزلا، وبَوَّأْتُه منزلا بمعنى، أي: هيأته ومكنت له فيه «الصحاح» (بوأ) ١/ ٣٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٧.

(٣) الحديث أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٢، وابن ماجه (٢٨٥٢)، وذكره الماوردي في «تفسيره» ١/ ٣٤٥.

(٤) (أي) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٤٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠، ٢٣٦.

(٦) هذا تأويل لصفة الغضب التي أثبتها الله لنفسه، فيجب أن نثبتها له كما أثبتها لنفسه، ولا يلزم لها أي لازم باطل كأن تكون كالعارض الذي يحل بالمخلوقين.

(٧) في (ج): (الذل).

(٨) انظر «تفسير الطبري» ١/ ٣١٦، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٠.

(٩) ذكر المؤلف في «الوسيط» ١/ ١١٩، ولم أجده عند غيره فيما اطلعت عليه، والله أعلم.

وقال غيره: أي بصفة محمد ﷺ وآية الرجم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قال الفراء: إنما ألزمهم الله القتل ولم يقتلوا، لأن الذين كانوا في زمن النبي ﷺ من اليهود تولوا أولئك الذين قتلوا، فسماهم الله قتلة[(٢)]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١] فألزمهم الكفر بتوليهم الكفار. ويعني بالنبيين من قتلهم اليهود مثل: زكريا ويحيى وشعيا، وسائر من قتلوا من الأنبياء[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو صفة للقتل، كأنه قيل: قتلًا بغير حق، يعني بالظلم[(٤)].

قال ابن الأنباري: معناه: ويقتلون النبيين من غير جرم وذنوب أتوها توجب دماءهم، وتلزمهم أن يمحوا من ديوان النبوة لأجلها، ولا يجوز أن يقتل نبي بحقٍّ أبدًا[(٥)].

---

(١) ذكره الثعلبي ١/ ٧٨ أ، والبغوي ١/ ٧٨، وأبو حيان في البحر ١/ ٢٣٦. والأولى عموم الآية لأن كفر اليهود إنما جاء من كفرهم بالتوراة وتحريفها، ومن ثم كفرهم بمحمد وما جاء به فهو عام. انظر «تفسير الطبري»١/ ٣١٦-٣١٧، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٩.

(٢) انتهى ما نقله من كلام الفراء انظر: «المعاني» ١/ ١٦.

(٣) انظر: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٨ب.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٤٧، و«تفسير البغوي» ١/ ٧٨، «زاد المسير» ١/ ٩٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٧.

(٥) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٢، و«تفسير البغوي» ١/ ٧٨، و«زاد المسير» ١/ ٩٠، و«الكشاف» ١/ ٢٨٥، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٨، و«البحر المحيط» ١/ ٢٣٧، و«روح المعاني» ١/ ٢٧٦.

وقيل: قوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيد، لأن قتل النبي لا يكون إلا بغير حق، فهوكقوله: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ وأمثاله[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ قال الأخفش: ما والفعل بمنزلة المصدر، أي: ذلك الكفر والقتل بعصيانهم[٢]. يعني أن الكفر والقتل حصلا منهم بعصيانهم ما أمروا به وتركهم الطاعة[٣]، لأن نفس الكفر والقتل هوالعصيان، فالعصيان هوالكفر، والكفر هوالعصيان، وكل واحد منهما موجب للآخر في هذا الموضع، وإن لم يكن العصيان كفرا في مواضع. ويجوز أن يكون المعنى: ذلك حصل بشؤم عصيانهم، فحذف المضاف[٤].

وعلى هذا التأويل يتوجه قول من خص العصيان والاعتداء بعصيانهم الله في السبت، واعتدائهم فيه، فإن كثيرا من المفسرين ذهبوا إلى هذا[٥]، ومنهم من لم يخص وقال: ذلك[٦] بركوبهم المعاصي، وتجاوزهم أمري،

---

(١) انظر: «زاد المسير» ١/ ٩٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٦، نقل قوله بمعناه. وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٧.

(٤) أو يكون العصيان والتمادي فيه جرهم إلى القتل والكفر، فإن صغار الذنوب سبب يؤدي للكبائر، ذكره البيضاوي في «تفسيره» ١/ ٢٧. والنسفي في «تفسيره» ١/ ١٣٤، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٢٣٧.

(٥) بل هو قول بعضهم. انظر: الكشاف ١/ ٢٨٥، والنسفي في «تفسيره» ١/ ١٣٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٧.

(٦) (ذلك) ساقط من (ب).

وارتكابهم محارمي[(١)].

قلت: وهذه[(٢)] الأخبار التي أخبر الله[(٣)] عن اليهود ووصفهم بها ليست تشملهم كلهم مذ كانوا إلى عصر النبي ﷺ بل بعضهم انقرضوا قبل هذه الأحداث، وبعضهم اتصف ببعض هذه الأوصاف دون بعض، وبعضهم رضي بما أتى به الآخرون من هذه الجرائم فكانوا[(٤)] شركاءهم[(٥)] في الإثم، ولكن الله تعالى أضاف هذه الأوصاف إلى اليهود، وهويريد الجانين والذين تولوهم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وكلهم لم يقل ذلك.

فأما (النبي) فأكثر العرب على ترك همزه[(٦)]. قال[(٧)] أبو عبيدة:

---

(١) وعليه أكثر المفسرين، انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ ب، و«تفسير الطبري» ١/ ٣١٧، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٢، و«الكشاف» ١/ ٢٨٥، و«تفسير البغوي» ١/ ٧٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٠٩.

(٢) في (أ)، (ج): (وهذا) وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق.

(٣) في (ب): (أخبر الله به).

(٤) في (ب): (وكانوا).

(٥) في (ب): (شركاؤهم).

(٦) أكثر علماء اللغة على أن أصل (النبي) مهموز من أنبأ عن الله، فتركت العرب همزه على طريق البدل لا على طريق التخفيف. ومنهم من يرى أنه غير مهموز الأصل، وإنما هو من النباوة، وهي الرفعة، الأول قول سيبويه. انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٥٥، و«إصلاح المنطق» ص ١٥٨، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٧، و«الحجة» لأبي علي ١/ ٨٨، و«الإغفال» ص ٢٠٤، و«اشتقاق أسماء الله» ص ٢٩٣، «تهذيب اللغة» (نبا) ٤/ ٣٤٩٠، «تفسير الطبري» ١/ ٣١٦-٣١٧، «الزاهر» ٢/ ١١٩، وفيه اختار ابن الأنباري أن أصله غير مهموز.

(٧) في (ب): (وقال).

اجتمعت العرب على حذف الهمزة من أربعة أحرف من النبي والذرية والخابية والبرية وأصلها[١] الهمزة[٢].

وأما اشتقاقه فقال الزجاج وعدة معه: اشتقاقه[٣] من نَبَّأَ وأَنْبَأَ، أي: أخبر، فترك همزه لكثرة الاستعمال.

ويجوز أن يكون من نَبَا يَنْبُو، إذا ارتفع، فيكون فعيلا من الرفعة[٤].

وقال ابن السكيت: النبي هومن أنبأ عن الله، فترك همزه، قال: وإن أخذته من النَّبْوَةَ والنَّبَاوَةِ، وهي الارتفاع من الأرض، أي أنه شرف[٥] سائر الخلق، فأصله غير الهمز[٦]، وأنشد قول أوس بن حجر:

---

(١) في (ب): (أصلها) بحذف الواو.

(٢) في (ج): (الهمز). وكلام أبي عبيدة أورده ابن السكيت في «إصلاح المنطق» عنه عن يونس «إصلاح المنطق» ص ١٥٩، وانظر: «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٩٥.

(٣) في (ب): (مشتق).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (نبا) ٤/ ٣٤٩٠، قال أبوالقاسم الزجاجي: (اعلم أن للعلماء في اشتقاق (النبي) قولين: أما سيبويه في حكايته عن الخليل فيذهب إلى أنه مهموز الأصل من أنبأ عن الله، أي: أخبر، وهو مذهب أكثر أهل اللغة، فتركت العرب همزه لا على طريق التخفيف، لكن على طريق الإبدال...) ثم ذكر الفرق بين التخفيف والإبدال وبَيَّن أن ما ترك عن طريق الإبدال لا يجوز همزه إلا عند من لا يرى البدل. قال: (والقول الآخر مذهب جماعة من أهل اللغة، وهو رأى أبي عمرو بن العلاء قالوا: ليس بمهموز الأصل وإنما هو من النباوة وهي الرفعة. «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٥) في «إصلاح المنطق» : (أي شرف على سائر الخلق) ص ١٥٨، وانظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٩٠.

(٦) الكلام بهذا النص في «تهذيب اللغة» (نبا) ٣٤٩٠، وورد في «إصلاح المنطق» عن الفراء، وقال ابن السكيت بعده: وأنشد هو أي الفراء وأبو عمرو ثم ذكر بيتًا غير بيت أوس. «إصلاح المنطق» ص ١٥٨.

لَأَصْبَحَ رَتْمًا[١] دُقَاقَ الْحَصَى   مَكَانَ النَّبِيِّ مِنَ الْكَاثِبِ[٢]

قال: النبي: المكان المرتفع.

قال أبو علي فيما استدرك على أبي إسحاق[٣]: النبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر، كأنه المخبر عن الله سبحانه، وهذا مذهب سيبويه[٤].

ولا يجوز أن يكون مشتقا من النبأ الذي هوالخبر والنباوة التي هي الرفعة بأن يحتمل الأمرين[٥]؛ وذلك لأن العرب كلهم

---

(١) في (أ)، (ج): (رقما)، وما في (ب) موافق للمصادر التي ورد بها البيت.

(٢) في جميع النسخ (الكاتب) بالتاء وهذا مخالف لجميع المصادر. و(الرتم): الدق والكسر، (دُقَاقَ الحصى): دقيق الحصى، و(النبي) المكان المرتفع و(الكاثب): الرمل المجتمع.
ورد البيت في «إصلاح المنطق» ص ٥٨، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ١٣، «الزاهر» ٢/ ١١٩ / «تهذيب اللغة» (كثب) ٤/ ٣١٠٣، و(رتم) ٢/ ١٣٥٨، و(ثرم) ٢/ ١٣٦٠، و(نبا) ٤/ ٣٤٩٠، «الصحاح» (نبا) ٦/ ٢٥٠١، و«مجمل اللغة» (رتم) ٢/ ٤٩٨، (كثب) ٧/ ٣٨٢٦، «مقاييس اللغة» (كثب) ٥/ ١٦٣، و(نبو) ٥/ ٣٨٥، «اللسان» (كثب) ٧/ ٣٨٢٦، و(رتم) ٣/ ١٥٧٨، و(نبا) ١٥/ ٣٠٢، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٧، «الدر المصون» ١/ ٤٠٢.

(٣) وذلك في كتاب (الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني) ص ٢٠٥، نقل عنه الواحدي بتصرف، وداخل بين كلام أبي علي في «الإغفال» وكلامه في «الحجة». وكلام أبي علي بنصه في «المخصص» ١٢/ ٣٢١.

(٤) نص كلام أبي علي في «الإغفال»: (لا يخلو قولهم: (النبي) من أن يكون مأخوذا من (النبأ) أو من النبوة التي هي ارتفاع أو يكون مأخوذا منهما. فحمل (اللام) مرة على أنه ياء منقلبة عن الواو، ومرة على أنها همزة كسنة وعضا، فلا يجوز أن يكون مأخوذًا من النبوة، لأن سيبويه حكى أن جميع العرب يقولون: تنبأ مسيلمة..) «الإغفال» ص ٢٠٥. وانظر كلام سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٤٦٠، ٥٥٥.

(٥) قال أبو علي: (..ولا يجوز أيضا أن تكون لامه على وجهين: مرة ياء منقلبة عن=

يقولون[١]: تَنَبَّأَ مُسَيلمة بالهمز ويقولون في تحقير النبوة: كان مسيلمة نُبُوَّتُه نُبَيِّئَةَ سوء[٢]، فلوكان يحتمل الأمرين جميعا ما أجمعوا على الهمز في فعله وتحقيره.

فإن قيل[٣]: فإن المازني أنشد على أن (النبي) من النباوة قول بعضهم:

مَحْضَ الضَّرِيبَة فَي الْبَيْتِ الَّذِي وُضِعَتْ
فِيهِ النَّبَاوَةُ حُلْوًا غَيْرَ مَمْذُوقِ[٤]

قيل: أراد: في البيت الذي وضعت فيه الرفعة، وليس كل رفعة [نبوءة][٥]، وقد يكون في البيت رفعة ليست[٦] [بنبوءة][٧]، والمخبر عن الله المبلغ عنه إذا أخذ اسمه من النبأ[٨] كان أخص به وأشد مطابقة للمعنى

= الواو، ومرة همزة..) «الإغفال» ص ٢٠٦.

(١) (يقولون) ساقط من (ب).

(٢) السياق أقرب إلى كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٨٩، وانظر: «الإغفال» ص٢٠٦، ٢٠٩، «الخصائص» ١٢/ ٣٢٢، و«الكتاب» ٣/ ٤٦٠.

(٣) قوله: (فإن قيل فإن المازني ...إلخ) لم يرد في «الإغفال»، وإنما ورد في «الحجة» ٢/ ٨٨.

(٤) ورد البيت في «الحجة» لأبي علي بدون نسبة ٢/ ٨٨، وأورده ابن سيده في «المخصص» ونسبه لابن همام ١٢/ ٣٢٣. وقوله: (محض الضريبة) المحض من كل شيء: الخالص. و(الضريبة): الطبيعة والسجية. انظر: «الصحاح» (ضرب) ١/ ١٦٩، «اللسان» (محض) ٦/ ٤١٤.

(٥) في (أ)، (ب): (نبوة) وفي ج: (نبوه)، والتصحيح من «الحجة» ٢/ ٩٠.

(٦) في (ب): (ليس).

(٧) في (أ)، (ب): (بنبوة) وفي ج: (بنبوة)، والتصحيح من «الحجة» ٢/ ٩٠.

(٨) في جميع النسخ (النبا) بدون همز، والتصحيح من «الحجة» ٢/ ٩٠.

المقصود، ولأن النبوة ليس من الارتفاع المحمود، ألا ترى أنه لا يمدح به[١] كما يمدح بالرفعة[٢].

فإن[٣] قلت: فلم لا يستدل بقولهم: أنبياء[٤] على جواز الأمرين[٥]. لأنهم جمعوا ما كان أصله غير[٦] الهمز على أفعلاء نحو: غنى وأغنياء وتقى وأتقياء، فيحتمل[٧] على هذا أن النبي أصله غير الهمز، [ويحتمل أن أصله الهمز][٨] فترك همزه، وجمع[٩] على أفعلاء، تشبيها بما أصله غير الهمز.

قيل: ما ذكرته لا يدل على تجويز الأمرين، لأن (أنبياء) إنما جاء لأن البدل من الهمز لزم في (نبي) فصار في لزوم البدل له كقولهم: عيد وأعياد فكما أن أعيادا لا يدل على أن عيدا من الياء، لكونه من عود الشيء، كذلك لا يدل (أنبياء) على أنه من النباوة، ولكن لما لزم البدل جعل بمنزلة: تقي وأتقياء وصفي وأصفياء ونحوذلك، وصار[١٠] كالبرية والخابية، ونحو ذلك

---

(١) (به) ساقط من (ب).

(٢) من قوله: (ولأن النبوة...) إلى قوله: (كما يمدح بالرفعة) ليس في «الحجة» ولا في «الإغفال».

(٣) في (ب): (قال قلت).

(٤) أي: بالجمع. انظر: «الإغفال» ص ٢٠٧، و«الحجة» ٢/ ٩٠.

(٥) الأمران هما: كون اللام همزة، أو حرف لين. انظر «الإغفال» ص ٢٠٧.

(٦) أي أن أفعلاء جمع في أكثر الأمر لمعتل اللام. انظر «الإغفال» ص ٢٠٧.

(٧) في (ب): (فيحمل).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٩) قوله (ويحتمل. . .) إلى (فترك همزه وجمع)، مكرر في (ب) بعد قوله: (بما أصله غير الهمز).

(١٠) في (ب): (فصار).

مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلا من الهمزة، وما دل على أنه من الهمز قائم لم يعترض عليه[١] شيء .

وقد جمعوه أيضا نُبَآء[٢] على فُعَلاَء[٣]، مثل ظريف وظرفاء .

قال العباس بن مرداس[٤] :

يَا خَاتَمَ النُّبَآءِ[٥] إِنَّكَ مُرسَلٌ ... بِالحَقِّ خَيْرُ هُدَى الْإِلَهِ هُدَاكَا[٦]

وكأنه جمعه على أصل اللغة، ولما لزم البدل في نبي صار قول من حقق الهمز كرد الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله نحو: وَذَرَ ووَدَعَ فمن ثم كان الأكثر فيه التخفيف. واستردأ سيبويه تحقيق: النبيء والبرية[٧]،

---

(١) في «الحجة»: (لم يعترض فيه شيء) وبعده: (فصار قول من حقق الهمزة في النبي كرد الشيء إلى الأصل المرفوض استعماله..) ٢/ ٩٠.

(٢) في (أ)، (ج): (نبآا) وفي (ب): (نبا)، وما أثبته يوافق ما في «الحجة» ٢/ ٩٠.

(٣) في (ج): (أفعلاء).

(٤) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن سليم، وأمه الخنساء، الصحابية الشاعرة المشهورة، أسلم العباس قبل فتح مكة بيسير، وكان من المؤلفة قلوبهم. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ص٥٠١، «الخزانة» ١/ ١٥٢.

(٥) في (أ)، (ج) (النبآا) وفي (ب) (البنا).

(٦) رواية شطره الثاني في أكثر المصادر:

بِالْخَيْر كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَا

ورد البيت في «الكتاب» ٣/ ٤٦٠، «سيرة ابن هشام» ٤/ ٩٥، «المقتضب» ١/ ١٦٢، ٢/ ٢١٠، و«جمهرة اللغة» ٣/ ٢١٢، «الصحاح» (نبأ) ١/ ٧٥، و«الحجة» لابن زنجله ص ٩٩، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٠، «تفسير الطبري» ١/ ٣١٧، «اللسان» (نبأ) ٤/ ٤٣١٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٧.

(٧) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٥٥، وقوله (البريه) هكذا في جميع النسخ، ولو قال (البريئة) كان أولى. انظر «الحجة» ٢/ ٩١.

لأن الغالب في استعمالهما التخفيف على وجه البدل. ومن زعم أن البرية من البرا[(١)] كان غالطا، لأنه لوكان كذلك لم يجز همزه بحال، وهي مهموزة في لغة أهل الحجاز، فتحقيقهم لها يدل على أنها من برأ الله الخلق.

فأما حجة من همز (النبي) أن يقول: هوأصل الكلمة، وليس مثل (عيد) الذي قد ألزم البدل، ألا ترى أن ناسًا من أهل الحجاز قد حققوا الهمز في الكلام، ولم يبدلوه، فإذا كان الهمز أصل الكلمة وأتى به قوم في كلامهم على أصله لم يكن مثل: وَذَرَ ووَدَعَ ونحوهما مما رفض في استعمالهم[(٢)] واطرح.

وأما ما روي في الحديث من أن بعضهم قال: يا نبيء الله، فقال: لست بنبيء الله، ولكن نبيّ الله، فإن أهل النقل ضعفوا إسناد الحديث[(٣)].

ومما يقوي[(٤)] تضعيفه أن[(٥)] من مدح النبي ﷺ بقوله[(٦)]:

---

(١) (البرا): التراب، انظر «الحجة» ٢/ ٩١.

(٢) في «الحجة»: (لم يكن كماضي "يدع" ونحوه مما رفض استعماله واطرح) ٢/ ٩١.

(٣) في «الحجة»: (فأظن أن من أهل النقل من ضعف إسناد الحديث ..)، ٢/ ٩٢. والحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» عن أبي ذر، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: بل منكر لم يصح. قال النسائي: حمران ليس بثقة، وقال أبو داود: رافضي، روى عن موسى بن عبيدة، وهو واه، ولم يثبت أيضا عنه عن نافع، عن ابن عمر قال: ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا الخلفاء، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم. «المستدرك»، كتاب (التفسير) ٢/ ٢٣١، وذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ١٢٠، وأبو القاسم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص ٢٩٤، وأعله بالإرسال، وانظر: «البيان» ١/ ٨٨، و«النهاية» ٥/ ٣.

(٤) في (ج): (ومما يقوى هذا الحديث تضعيفه).

(٥) في (ب): (من أن).

(٦) (بقوله) ساقط من (ب).

يَـا خَـاتَـمَ الـنُّـبَـآءَ[(١)] ....

لم يؤثَّر فيه إنكار عليه، ولوكان في واحده نكير لكان الجمع كالواحد، وأيضا فلم نعلم[(٢)] أنه ﷺ أنكر على الناس أن يتكلموا بلغاتهم.

وأما من أبدل ولم يحقق فإنه يقول: مجيء الجمع في التنزيل على أنبياء يدل على أن الواحد قد ألزم فيه البدل[(٣)]، وإذا لزم البدل ضعف التحقيق[(٤)].

وقال الكسائي: النبي بغير همز، معناه في اللغة: الطريق، والأنبياء طرق الهدى[(٥)]. وعلى هذا سمّي الرسول نبيًّا لاهتداء الخلق به. واختار ابن الأنباري هذا القول، وقال[(٦)]: سمي النبيّ نبيًّا لبيان أمره ووضح خبره، أخذ من النبي وهوعندهم الطريق[(٧)].

---

(١) البيت للعباس بن مرداس وقد مرَّ قريبًا.

(٢) في (ب): (يعلم).

(٣) (البدل) ساقط من (ب).

(٤) انتهى ما نقله عن «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٨٨-٩٢، وانظر: «الإغفال» ص ٢٠٤، ٢١٠، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص ٢٩٤، ٢٩٥، «المخصص» ١٢/ ٣٢١ -٣٢٣.

(٥) «تهذيب اللغة» (نبا) ٤/ ١٤٨٩، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ ب، و«تفسير الطبري» ١/ ٣١٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠.

(٦) «الزاهر» ٢/ ١١٩، وظاهر كلامه أنه يرجع غيره حيث قال: النبي معناه في كلام العرب الرفيع الشأن.. ثم قال: ويجوز أن يكون النبي سمي نبيا لبيان أمره....إلخ).

(٧) رد أبو القاسم الزجاجي على ابن الأنباري قوله: إن النبي من أسماء الطريق، كما نقل ذلك ياقوت في (معجم البلدان)، قال ياقوت: (وقال أبو بكر بن الأنباري في «الزاهر» في قول القطامي:

لَمَّا وَرَدن نَبِيًّا ... البيت

=

وأنشد للقُطامي[١]:

لَـمَّـا وَرَدْنَ نَـبِـيًّـا وَاسْـتَـتَـبَّ بِـنَـا   مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْح مُنْسحِلُ[٢]

٦٢- قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ الآية[٣] قال

= إن النبي في هذا البيت هو الطريق، وقد رد عليه ذلك أبو القاسم الزجاجي فقال: (كيف يكون ذلك من أسماء الطريق وهو يقول: لما وردن نبيًا، وقد كانت قبل وروده على طريق، فكأنه قال: لما وردن طريقا، وهذا لا معنى له إلا أن يكون أراد طريقًا بعينه في مكان مخصوص، فيرجع إلى أنه اسم مكان بعينه..) «معجم البلدان» ٥/ ٢٥٩.

(١) القطامي: هو عمير بن شييم التغلبي، كان نصرانيًا فأسلم، فأسلم، وعده الجمحي في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، انظر: «طبقات الشعراء» للجمحي ص ١٧٩، «الشعر والشعراء» ٤٨٣، «الخزانة» ٢/ ٣٧٠.

(٢) قوله: (استتب): استقام وتبين واطرد، و(نبي): مكان معين في ديار تغلب، (مُسْحَنْفِر): صفة لطريق واسع ممتد (السيح): ضرب من البرود أو العباء مخطط. (مُنْسَحِل): مكشوط، وصف الطريق بذلك وأنه لكثرة المرور به صار واضحا. ورد البيت في «الزاهر» ٢/ ١١٩،«تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤١، و«معجم البلدان» ٥/ ٢٥٩، «اللسان» (نبا) ٧/ ٤٣٣٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٢٠، «الدر المصون» ١/ ٤٠٢.

(٣) في هامش نسخة (أ) تعليق صدره الكاتب برمز (ش ك) أي شرح من الكاتب، والكلام بنصه منقول عن «الكشاف» ١/ ٢٨٥، وأثبته هنا للفائدة: (ش ك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بألسنتهم من غير مواطأة القلوب، وهم المنافقون، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: والذين تهودوا، يقال: هاد يهود، وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد، والجمع هود، ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾: وهم جمع نصران، يقال: رجل نصران وامرأة نصرانة، قال: كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ. و(الياء) في نصراني للمبالغة كالتي في أحمري، سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام. ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: وهو من صبأ، إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في ملة الإسلام دخولا أصيلا ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم.

الليث: الهَوْد: التوبة، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: تُبْنا[١]. وقال غيره: هاد في اللغة معناه: مال. يقال: هَادَ يَهُود هِيَادَةً وَهَوْدًا[٢].

قال امرؤ القيس:

قَدْ عَلِمتْ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا أَنِّي مِنَ النَّاسِ لَهَا هَائِدُ[٣]

أي: إليها مائل.

وقال المبرد في قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَۚ﴾ أي ملنا إليك، ويقال لمن تاب: هاد، لأن من تاب عن شيء مال عنه. فأما اليهود، فقال الليث: سُمّوا يهودًا اشتقاقًا من هادوا، أي تابو ا من[٤] عبادة العجل[٥]. فعلى هذا القول لزمهم الاسم في ذلك الوقت. وقال غيره: سموا بذلك لأنهم مالوا عن دين الإسلام وعن دين موسى[٦]. وعلى هذا إنما سموا يهودا بعد أنبيائهم.

---

(١) «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٨٩.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٨ب، وليس فيه (هيادة) ونحوه عند الماوردي وفيه (هيادا) «تفسير الماوردى» ١/ ٣٧٣، ١/ ٣٤٩، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٣، و«تفسير البغوي» ١/ ٧٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٨ب، ولم أجده في ديوانه.

(٤) في (ب): (عن).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٨٩، وذكر هذا المعنى أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٤٢، والطبري في «تفسيره» ١/ ٣١٧، و«معاني الزجاج» ١/ ١١٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٨ب.

(٦) ذكر هذا المعنى الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٨ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٨٩، ونحوه عند أبي الليث ١/ ٣٧٣.

وقال ابن الأعرابي: يقال: هاد إذا رجع من خير إلى شر أو[١] من شر إلى خير[٢]. سمّي اليهود بذلك لتخليطهم، وكثرة انتقالهم من مذاهبهم.

وحكي عن أبي[٣] عمرو بن العلاء أنه قال: سميت اليهود لأنهم يتهودون أي: يتحركون عند قراءة التوراة[٤] ويقولون: إن السماوات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوارة.

وعلى هذا، التهود[٥] تفعل من الهيد بمعنى الحركة، يقال: هِدْتُه هيدًا، كأنك تحركه ثم تصلحه[٦]، ومنه الحديث: أنه قيل للنبي ﷺ في المسجد: يا رسول الله: هِدْه، فقال: « **عرش كعرش موسى** »[٧]، أي: حركه بالهدم[٨].

---

(١) في (ب): (ومن) بالواو.

(٢) ذكره الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي، «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٩٠، وانظر: «اللسان» (هود) ٨/ ٤٧١٨.

(٣) في (ج): (ابن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٧٩.

(٥) في (ب): (اليهود).

(٦) ذكره الأزهري عن الليث، «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٨٩، انظر «الصحاح» (هيد) ٢/ ٥٥٨، «مقاييس اللغة» (هيد) ٦/ ٢٣، «اللسان» (هيد) ٨/ ٤٧٣٤.

(٧) بهذا النص ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» ٣/ ١٧١، ٤/ ٤٥٢، وكذا الأزهري في «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٩١.

وقد أخرج البيهقي بسنده عن سالم بن عطية، قال: قال رسول الله ﷺ «عرش الناس كعرش موسى». يعني أنه يكره الطاق حوالي المسجد. «السنن الكبرى» كتاب (الصلاة) باب (كيفية بناء المسجد) ٢/ ٤٣٩، وقد أورد ه صاحب «كنز العمال» عن البيهقي. وقال: مرسل. «كنز العمال» ٣/٣٩٣، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ: «ليس بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى» ورمز له بالتضعيف. «فيض القدير شرح الجامع الصغير» ٥/ ٣٦٥. وهو في «الفائق» ٤ / ١٢٢، «اللسان» (هيد) ٨/ ٤٨٣٤.

(٨) قال أبو عبيد: (كان سفيان بن عيينة فيما بلغني عنه يقول: معنى هده: أصلحه، =

وقيل: اليهود[١] معرب من يهوذا بن يعقوب، عُرِّب يهوذا إلى يهود[٢] ثم نسب الواحد إليه فقيل: يهودي، ثم حذف الياء في الجمع فقيل يهود، وكل جمع منسوب إلى جنس فهو بإسقاط ياء النسبة، كقولهم: زنجي وزنج ورومي وروم[٣]. هذا هوالكلام في أصل هذا الحرف. ثم يقال: هاد إذا دخل في اليهودية كقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾[٤] [الأنعام:١٤٦] أي: دخلوا في دين اليهودية[٥]، والذي في هذه الآية بهذا المعنى، ويقال أيضا (تهوّد) إذا تشبه بهم ودخل في دينهم، كما يقال: تقيّس وتمضّر وتنزّر، وَ(هَوَّد) إذا[٦] دعا إلى اليهودية[٧]، ومنه الحديث: حتى يكون أبواه يهودانه[٨].

= وهذا معنى الحديث الآخر كما قال سفيان، ولكنه إصلاح بعد هدم الأول ..) «غريب الحديث» ٤/ ٤٥٢.

(١) في (ج): (يهود).

(٢) انظر: «العين» ٤/ ٧٦، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٤٩، و«معرفة أسماء نطق بها القرآن» لابن السجستاني وقال: ليس بشيء ١/ ٣٨٥، «المحكم» ٤/ ٢٩٧، وقال: ليس هذا بقوي.

(٣) انظر: «الصحاح» (هود) ٢/ ٥٥٧.

(٤) (حرمنا) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (هاد) ٤/ ٣٦٨٩.

(٦) في (ب): (ادعا).

(٧) في «المحكم»: (هَوَّد الرجل) حوله إلى ملة اليهودية ٤/ ٢٩٧. وفي «تهذيب اللغة»: ذكر الحديث: «فأبواه يهودانه..» وقال: معناه: أنهما يعلمانه دين اليهودية ويدخلانه فيه، (هاد) ٤/ ٣٦٨٩

(٨) الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ولفظه: (.. فأبواه يهودانه.. الحديث)، أخرجه البخاري (١٣٥٨)، (١٣٥٩) كتاب (الجنائز) باب (إذا أسلم=

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ اختلفوا في تسميتهم بهذا الاسم، فقال الزهري[(١)]: سموا نصارى، لأن الحواريين[(٢)] قالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢، والصف: ١٤][(٣)] حين قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، واختار ابن الأنباري هذا القول، وقال: إنهم كانوا نُصَّار عيسى[(٤)]. فعلى هذا، هذا الاسم مشتق من النصر والنصرة، وواحدهم: نَصَرْان كقولهم: ندمان وندامى، ونصران وناصر بمعنى، كما يقال: صديان وصادٍ للعطشان[(٥)]، قال الشاعر يصف الحرباء:

= الصبي فمات هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟) الفتح (١٣٨٥)، وباب (ما قيل في أولاد المشركين)، (٤٧٧٥) كتاب (التفسير) تفسير سورة (الروم)، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدين الله (٦٥٩٩) وفي كتاب (القدر) باب (الله أعلم بما كانوا عاملين)، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب (القدر) كل مولود يولد على الفطرة، «مسلم بشرح النووي» وأبو داود (٤١٤١٢) في كتاب: السنة، باب (في ذراري المشركين) ح(٢١٣٨) والترمذي كتاب (أبواب القدر) باب (ما جاء كل مولود يولد على الفطرة) وأحمد في مواضع من «المسند» منها ٢/ ٢٣٣.

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم الزهري، أحد أعلام التابعين، فقيه محدث، رأى عشرة من الصحابة، وروى عنه جمع من الأئمة، توفي سنة أربع وعشرين ومائة. انظر ترجمته في «حلية الأولياء» ٣/ ٣٦٠، «وفيات الأعيان» ٤/ ١٧٧، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٩٦.

(٢) في (ب): (الحواريون).

(٣) قول الزهري ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٩أ، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٨، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥١، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٧، «الكشاف» ١/ ٢٨٥.

(٤) «الزاهر» ٢/ ٢٢٥.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣١٧، «الزاهر» ٢/ ٢٢٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٩أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٠، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٧، «الكشاف» ١/ ٢٨٥.

تَـرَاهُ إِذَا دَارَ الْـعَـشِـيُّ مُـحَـنِّـفًـا
وَيُـضْـحِي لَـدَيْـهِ وَهْـوَنَـصْـرَانُ شَـامِسُ[(١)]

وقال آخر[(٢)]:

كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ[(٣)]

ثم زيدت ياء النسبة فقيل: نصراني. وقد جاء في كلام العرب النصارى، وأرادوا به الأنصار، لا هؤلاء الذين يعرفون بهذا الاسم[(٤)]، أنشد الفراء:

---

(١) لم أعثر على قائله، ويروى: (زار) بدل (دار) وفي «الزاهر» (تراه ويضحي وهو...).
قوله: (مُحنَّفًا): تحنف: صار إلى الحنيفية، والمراد أنه مستقبل القبلة، (شامس) مستقبل الشمس كما يستقبلها نصراني، فحذف الياء. ورد البيت في الطبري في «تفسيره» ١/ ٣١٨، «الزاهر» ٢/ ٢٢٥، «الأضداد» لابن الأنباري ص ١٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٩ أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٠، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٧، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٨، «الدر المصون» ١/ ٤٠٦، «فتح القدير» ١/ ١٤٨.

(٢) هو أبو الأخزر الحماني.

(٣) عجز بيت وصدره:

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا

يصف ناقتين أصابهما الإعياء، وانحنتا فطأطأتا رأسيهما، فشبه إسجادهما بسجود النصرانية فحذف الياء. البيت من شواهد سيبويه ٣/ ٢٥٦، ٤١١، وانظر: شرح شواهده للنحاس ص ١٧٨، و«تفسير الطبري» ١/ ٣١٨، «الزاهر» ١/ ١٤١، ٢/ ٢٢٥، «الإنصاف» ص٣٥٧، «المخصص» ١٧/ ٤٤، «تهذيب اللغة» (نصر) ٤/ ٣٥٨٤، «اللسان» (نصر) ٥/ ٢١١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٤٣٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٨، «الدر المصون» ١/ ٤٠٦، «فتح القدير» ١/ ١٤٨.

(٤) انظر: «الزاهر» ٢/ ٢٢٥، و«تفسير الطبري» ١/ ٣١٨.

لَـمَّـا رَأَيْـتُ نَـبَـطًـا أَنْـصَـارَا   شَـمَّـرْتُ عَـنْ رُكْـبَـتِـيَ الإِزَارَا

كُنْتُ لَهَا[(١)] مِنَ النَّصارَى جَارَا[(٢)]

فجمع بين الأنصار والنصارى على التوفيق بين معنييهم.

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون واحد النصارى نَصْرِيٌّ، مثل بَعِيرٌ مَهْرِي وإبل مَهَارى[(٣)]. وهذا قول مقاتل[(٤)]، وزعم أنهم سموا نصارى لاعتزائهم إلى قرية يقال لها نصرة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ قال أبو زيد: صبأ الرجل في دينه يَصْبَأ صُبُوءًا. [إذا كان صابئا[(٦)].

وهوالخارج من دين إلى دين، ومنه صبا النجم وأصبأ][(٧)] إذا ظهر كأنه خرج من بين التي لم تطلع[(٨)]، قال الشاعر، أنشده ابن السكيت:

---

(١) يروى (لهم).

(٢) سبق تخريج الأبيات ص٣٢٤.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٩، وانظر: «الزاهر» ٢/ ٢٢٥، و«تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٩أ، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٢٤٥.

(٤) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٩أ.

(٥) في الطبري وغيره (ناصرة)، وأخرجه عن ابن عباس وقتادة، ١/ ٣١٨، وانظر «الزاهر» ٢/ ٢٢٥، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥١. قال ياقوت: (النَّاصِرة) فاعلة من النصر قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلًا، فيها كان مولد المسيح ﷺ ومنها اشتق اسم النصارى معجم البلدان ٥/ ٢٥١.

(٦) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ١٩٦٦، وأبو علي في «الحجة» ٢/ ٩٤.

(٧) مابين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) «إصلاح المنطق» ص ١٥٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٩، «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ١٩٦٦، و«الحجة» ٢/ ٩٤.

وَأَصْبَأَ النَّجْمُ فِي غَبْرَاءَ كَاسِفَةٍ كَأَنَّهُ بَائِسٌ[١] مُجْتَابُ أَخْلَاقِ[٢]

وَصبَأَ نابه إذا خرج، يَصْبَأُ صُبُوءًا[٣].

وقال[٤] أبو زيد[٥]: صَبَأَتْ عليهم تَصْبَأُ صَبْأً وصُبُوءًا، إذا طلعت عليهم[٦]. [وكأن][٧] معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره، كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه منتقل إلى سواها، والدين الذي فارقوه هو[٨] تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم وتعظيمها[٩].

وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ معناه: الخارجين من دين إلى[١٠] دين، يقال: صَبَأَ فلان يَصْبَأُ، إذا خرج من دينه[١١].

قال الليث: وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ: قد صبأ، عنوا: أنه خرج من دين إلى دين[١٢].

---

(١) في (ب)، (ج): (ياسر) وكذا في (أ) وصحح في الهامش.

(٢) ورد البيت في «إصلاح المنطق» ص ١٥٧، «المخصص» ٩/ ٣٤، «اللسان» (صبأ) ٤/ ٢٣٨٥.

وقوله (غبراء) الغبراء: الأرض و(مجتاب أخلاق) لابس ثياب خلقة بالية.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٩، «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ١٩٦٦.

(٤) (الواو) ساقط من (ج).

(٥) في (ب): (ابن).

(٦) «الحجة» ٢/ ٩٤.

(٧) في جميع النسخ (وكان) والتصحيح من «الحجة» ٢/ ٩٤.

(٨) في (ب): (وهو).

(٩) «الحجة» ٢/ ٩٤.

(١٠) (إلى دين) ساقط من (ب).

(١١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٩، «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ١٩٦٦، والنص منه.

(١٢) «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ٢٩٦٦.

وفي قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِئِينَ﴾ قراءتان[١]: التحقيق والتخفيف[٢]، فمن حقق فهوالأصل[٣]. ومن خفف ولم يهمز لم يخل من أحد أمرين: إما أن يجعله من صبا يصبو إذا مال، ومنه قول الشاعر:

صَبَوْتَ أَبَا ذِئْبٍ[٤] وَأَنْتَ كَبِيرُ[٥]

وقال آخر:

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي[٦]

أو[٧] يجعله على ترك الهمزة من صبأ[٨].

قال أبو علي: فلا يسهل أن يأخذه[٩] من صبا إلى كذا، لأنه يصبو الإنسان إلى الدين، ولا يكون منه تدين مع صبوه إليه، فإذا بعد هذا، وكان

---

(١) (قراءتان) ساقط من (ج).

(٢) قرأ نافع بغير همز، وبقية السبعة بالهمز. انظر «السبعة» ص ١٥٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٤، و«التيسير» ص٧٤.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٥، وعلى هذا تكون لام الكلمة همزة من (صبأ) إذا خرج عن دينه. انظر: «الحجة» لابن زنجلة ص١٠٠، ولابن خالويه ص ٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٩ أ.

(٤) في (ب): (تأديب).

(٥) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وصدره:

دِيَارُ التِي قَالَتْ غَدَاةَ لَقِيتُهَا

ورد في «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٦٥، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٩.

(٦) ورد في «العقد الفريد» ٥/ ٤٨٤، «اللسان» (صبا) ٤/ ٢٣٨٥، ونسبه لزيد بن ضبة.

(٧) في (ب): (إذا).

(٨) أي: أن أصله الهمز فترك الهمز، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٥، ٩٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص ١٠٠، «الحجة» لابن خالويه ص٨١.

(٩) قال أبو علي: (.. أو تجعله على قلب الهمزة، فلا يسهل أن تأخذه من صبا إلى كذا..) ٢/ ٩٦.

الصابئون منتقلين من دينهم الذي أخذ عليهم إلى سواه ومتدينين به، لم يستقم أن يكون إلا من صبأ الذي معناه: انتقال من دينهم الذي شرع لهم [إلى آخر لم يشرع لهم](١) فيكون الصابون(٢) إذًا على ترك الهمز، وترك الهمز على هذا الحد(٣) لا يجيزه سيبويه إلا في الشعر، ويجيزه غيره، فهو على قول من أجاز ذلك، وأبو زيد ممن أجازه، فقال: من(٤) قرأ الصابون قلب الهمزة التي هي لامٌ ياءً، ونقل الضمة التي كانت تلزم أن تكون على اللام إلى العين فسكنت الياء فحذفها لالتقاء الساكنين، هي والواوالتي للجمع، وحذف كسرة عين فاعل فحركها بالضمة المنقولة(٥) إليها كقولهم: [خِفْتُ](٦) و:

حُبَّ بِهَا(٧) ....

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (الصابيون)، وفي (ج): (الصابون).

(٣) في «الحجة»: (..فيكون (الصابون) إذا على قلب الهمزة، وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه..) ٢/ ٩٦.

(٤) نسب الواحدي الكلام لأبي زيد وظاهر كلام أبي علي في «الحجة» غير ذلك، حيث قال في «الحجة»: (..وممن أجازه أبو زيد.....) ثم ذكر كلامًا لأبي زيد، ولسيبويه والخليل ولأبي الحسن، ثم قال: (.. ومن قلب الهمزة التي هي (لامٌ، يَاءً)، فقال: (الصابون) نقل الضمة التي كانت تلزم..) فالكلام لأبي علي، والله أعلم. انظر: «الحجة» ٢/ ٩٦، ٩٧.

(٥) في (ب): (المنقول).

(٦) في (أ): (خفت) ثم طمست وكتب فوقها (حسب) وفي (ب): (حفت) وفي (ج): (حسب حفت وحسب..) وما أثبت هنا موافق للحجة ٢/ ٩٧ والكلام عنه بنصه.

(٧) جزء من بيت للأخطل في وصف الخمرة وتمامه:

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُم بِمِزَاجِهَا وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولةً حين تُقْتَلُ

قتل الخمر: مزجها بالماء حتى تذهب حدتها. ورد البيت في «إصلاح المنطق»=

و . . . . حُسْن ذَا أَدَبَا[١]

فنقلوا الحركة من العين إلى الفاء، وحذفوا الحركة التي كانت للفاء في الأصل وحركوها بالحركة المنقولة، هذا في الصابون[٢].

فأما (الصابين)[٣] فقياس نقل الحركة أن تحذف[٤] كسرة عين فاعل وتنقل إليها الكسرة التي كانت تكون للام، ألا ترى أن الضمة منقولة إليها بلا إشكال، وإن شئت قلت: لا أنقل حركة اللام التي هي الكسرة كما نقلت حركتها التي هي الضمة؛ لأني لولم أنقل الحركة التي هي الضمة، وقررت[٥] الكسرة لم تصح واوالجميع، فليس الكسرة مع الياء كالكسرة مع

= ص ٣٥، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٧، ٩٨، و«المشوف المعلم» ٢/ ٧٤٣، «شرح المفصل» ٧/ ١٢٩، ١٤١، «الخزانة» ٩/ ٤٢٩، ٤٣٠، «اللسان» (قتل) ٦/ ٣٥٣٠. والشاهد (حب بها) يروي بالفتح والضم، فإذا نقلت حركة العين إلى الفاء بعد حرف حركتها صار (حب) بالضم، وإن حذفت حركة العين صار بالفتح.

(١) جزء من بيت لسهم بن حنظلة الغنوي وتمامه:

لَمْ يَمْنَع النَّاسُ مِنِّي مَا أَرَدْتُ وَمَا أُعْطِيهِمُ مَا أَرَادُوا حُسْنَ ذَا أَدَبَا

يقول: إنه يمنع الناس مما يريدون منه ويقهرهم، ويأخذ هو ما أراد منهم وجعله أدبًا حسنًا، وقيل: ينكر على نفسه أن يعطيه الناس وهو يمنعهم. ورد البيت في «إصلاح المنطق» ص ٣٥، و«الحجة» ٢/ ٩٧، ٩٨، «الخصائص» ٣/ ٤٠، و«الأصمعيات» ص ٥٦، و«التكملة» ص ٢٥١، و«المشوف المعلم» ٢/ ٧٤٢، «اللسان» (حسن) ٢/ ٨٧٧، «الخزانة» ٩/ ٤٣١، والشاهد (حُسْن) فإنه منقول من (حَسُن).

(٢) في (ب) (الصابيون). وهي جزء من آية: ٩٦ المائدة، على قراءة نافع.

(٣) كلام أبي علي في «الحجة»: (....وحركها بالحركة المنقولة، كما حرك العين من فاعل بالحركة المنقولة، وقياس نقل الحركة التي هي ضمة إلى العين أن تحذف كسرة عين فاعل..) ٢/ ٩٧.

(٤) في (ج): (يحذف).

(٥) في (ج): (قدرت) وفي (أ) محتملة، وما في (ب) موافق لما في «الحجة» ٢/ ٩٧.

الواو، فإذا كان كذلك ألقيت[١] الحركة[٢] التي كانت تستحقها اللام[٣]، ولم أنقلها[٤]، كما ألقيت[٥] حركة المدغم ولم أنقلها في قول من قال: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ [يونس: ٣٥] فحرك الهاء بالكسرة لالتقاء الساكنين، ولم ينقلها كما نقلها من قال: ﴿يَهَدِّيٓ﴾. ومثل ذلك في أنك تنقل الحركة مرة ولا تنقلها أخرى قولك: وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةً

وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً[٦]

و: حَسْنَ ذَا أَدَبًا

و: حُسْنَ ذَا أَدَبًا[٧]

فأما مذهب الصابئين[٨] فقد ذكرنا أنهم يعبدون النجوم، وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة[٩]. وقال مجاهد: قبيلة نحو الشام بين[١٠] اليهود والمجوس، لا دين لهم[١١].

---

(١) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة» في الموضعين (أبقيت) ٢/ ٩٧ وهو الصواب.

(٢) (الحركة) ساقط من (ب). (٣) في (ج): (للام).

(٤) في (ب): (أدغمها).

(٥) في «الحجة» (أبقيت) وانظر التعليق السابق على (ألقيت).

(٦) جزء من بيت للأخطل، يروي بفتح الحاء وضمها، مرَّ تخريجه قريبًا.

(٧) جزء من بيت لسهم بن حنظلة، مر تخريجه قريبًا.
وبهذا انتهى ما نقله عن «الحجة» لأبي علي ٢/ ٩٥، ٩٨.

(٨) في (ب) (الصابين).

(٩) أخرجه الطبري ونصه: (الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور) ١/ ٣١٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٧ ب، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٢.

(١٠) في (ب) (من).

(١١) أخرجه الطبري عن مجاهد من طرق ١/ ٣١٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٩١. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٧ أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٢.

وقال الليث: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن[(١)] قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح، وهم كاذبون[(٢)].

قال عبد العزيز بن يحيى: هم قوم درجوا وانقرضوا[(٣)].

واختلف المفسرون في معنى هذه الآية على طريقين[(٤)]:

أحدهما: أن الذين آمنوا، أي[(٥)]: بالأنبياء الماضين[(٦)] ولم يؤمنوا بك، وقيل: أراد المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم. من آمن

---

(١) في (ب): (أنهم).

(٢) «تهذيب اللغة» (صبا) ٢/ ١٩٦٦.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٧ ب، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٩.

(٤) سلك الواحدي طريقة الثعلبي في إيضاح الآية، وخلاصة ما ذكره الثعلبي أن في الآية طريقين:
الأول: أن الإيمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على طريق المجاز، ثم اختلفوا فيهم فقيل: من آمن بالأنبياء الماضين ولم يؤمن بك، وقيل: المنافقون.
الثاني: أن الإيمان على الحقيقة، فقيل: المراد المؤمنون من هذه الأمة، وقيل: الذين آمنوا بالنبي قبل المبعث، وقيل: المؤمنون من الأمم الماضية.
وسبب هذا الخلاف هو كيف يتم الجمع بين قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ انظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٧ ب، و«تفسير البغوي» ١/ ٩٧، وأما ابن جرير فقال: (فإن قال: وكيف يؤمن المؤمن؟ قيل: ليس المعنى في المؤمن المعنى الذي ظننته، من انتقال من دين إلى دين كانتقال اليهودي والنصراني إلى الإيمان - وإن كان قد قيل إن الذين عنوا بذلك، من كان من أهل الكتاب على إيمانه بعيسى وبما جاء به، حتى أدرك محمدًا ﷺ فآمن به وصدق فقيل لأولئك... آمنوا بمحمد وبما جاء به - ولكن معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع، ثباته على إيمانه وتركه تبديله. وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين فالتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به..) «الطبري» ١/ ٣٢٠، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١١.

(٥) (أي) ساقط من (ب).

(٦) في (أ): (الماضيين) وما في (ب)، (ج) موافق لما في الثعلبي.

بالله من جملة الأصناف المذكورة في هذه الآية إيمانا حقيقيا[(١)] ولا يتم إيمانهم بالله إلا بإيمانهم بمحمد ﷺ. فإذا آمنوا بالله ورسوله محمد، فلهم أجرهم عند ربهم، والدليل على أنه أراد مع[(٢)] الإيمان بالله الإيمان بمحمد أنه قال: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وقد قام الدليل على أن من لا يؤمن بالنبي ﷺ لا يكون عمله صالحًا.

وقال ابن جرير: في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إضمار واختصار، تقديره[(٣)] من آمن منهم بالله[(٤)]، لأن قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ في موضع خبر إن[(٥)] ولا بد من عائد إلى اسم إن، والعائد هاهنا محذوف، كأنه قيل: من آمن منهم بالله[(٦)]، وهذا مصرح به في سورة المائدة[(٧)]. وهذا معنى قول ابن

---

(١) في (ب): (وحقيقًا). وقوله: (حقيقيًا) يفيد أن الإيمان المذكور في أول الآية مجازي كما مر في كلام الثعلبي.

(٢) (مع) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (وتقديره).

(٤) «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٠، ذكر كلامه بمعناه، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠ أ.

(٥) (أن) ساقط من (ب). وفي نسخة (أ) تعليق من الكاتب صدره بقوله: ش.ك، ونصه: (محل (من آمن) الرفع إن جعلته مبتدأ، خبره (فلهم أجرهم).والنصب إن جعلته بدلا من اسم (إن) والمعطوف عليه، فخبر (إن) في الوجه الأول الجملة كما هي، وفي الثاني: (فلهم) و(الفاء) لتضمن (من) معنى الشرط) وهو منقول من «الكشاف» بنصه ١/ ٢٨٦.

(٦) هذا على إعراب (من) في محل رفع مبتدأ، وقيل: في محل نصب بدل من اللذين، ويكون الخبر: (فلهم) والأول أحسن. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٢، و«المشكل» لمكي ١/ ٥١، و«البيان» ١/ ٨٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٧٠، وذكر أبو حيان: أن هذين الوجهين لا يصحان إلا على تغاير الإيمانين، الإيمان الذي هو صلة (الذين)، والإيمان الذي هو صلة (من). «البحر» ١/ ٢٤١.

(٧) في سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ =

عباس في رواية الكلبي(١).

الطريقة الثانية: أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أصحاب النبي ﷺ ومؤمنو هذه الأمة، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، أي: الذين آمنوا بموسى والتوراة ولم(٢) يبدلوا ولم يغيروا، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ يعني نُصَّار(٣) عيسى على غير تبديل ولا تحريف لما في الإنجيل، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ يعني الخارجين من الكفر إلى الإسلام، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي من مات منهم على دين الإسلام، لأن حقيقة الإيمان تكون(٤) بالعاقبة(٥)، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء(٦).

= وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. ولم يرد فيها ذكر العائد، ولعل الذي أوقعه في هذا الوهم قول الثعلبي (..وفيه اختصار وإضمار تقديره: من آمن منهم بالله واليوم الآخر نظيره في سورة المائدة ..). «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠أ.

(١) ورد هذا في التفسير المنسوب لابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والمسمى «تنوير المقباس» ١/ ٢٨، «على هامش الدر».

(٢) (ولم يبدلوا) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (نصارى).

(٤) في (أ)، (ج) (يكون) وأثبت ما في (ب) لمناسبته للسياق.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ٧٩ب. وفيه (لأن حقيقة الإيمان بالموافاة) وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٧٩.

(٦) لم أجده عن ابن عباس من طريق عطاء، وهذا المعنى ذكره الطبري عن مجاهد والسدي، وأخرج عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فأنزل الله تعالى بعد هذا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. قال الطبري: وهذا الخبر يدل على أن ابن عباس كان يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين على عمله، في=

قالوا: ويجوز أن يقدر فيه « واو » أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة[١]. ووحد الفعل في قوله: آمن[٢] ثم جمع الكناية في قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ لأن من تصلح للواحد والجميع[٣] والمذكر والمؤنث، فالفعل يعود إلى لفظ (مَنْ) وهو واحد مذكر، والكناية تعود إلى معنى (من) ومثله في القرآن كثير[٤]. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥، ومحمد: ١٦]، وفي موضع آخر: ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ [يونس: ٤٢]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ [النساء: ١٣] ثم قال: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فجمع، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢] وأنشد الكسائي:

أَلِمَّا بِسَلْمَى أَنْتُمَا إنْ عَرضْتُما وَقُولَا لَها عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا[٥]

فجعل (مَنْ) بمنزلة (الذين). وقال الفرزدق:

= الآخرة الجنة، ثم نسخ ذلك..) الطبري ١/ ٣٢٣، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٧٩.

(١) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٧٩ب، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٧٩.

(٢) (أمن) مكرر في (ب).

(٣) في (ب): (والجمع).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١١٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٩.

(٥) البيت لامرئ القيس، وقيل: لرجل من كندة، وقوله: (ألما): أي زوراها (إن عرضتما): بلغتما إليها (عوجي): اعطفي وقفي، والرواية للبيت (عنكما) بدل (أنتما) ورد في «تفسير الطبري» ١/ ٣٢١، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٣، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٧١، «الدر المصون» ١/ ٤٠٨، «ديوان امرئ القيس» ص ٣٢٤)، وفي «أضداد» ابن الأنباري ورواية شطره: ألما بسلمى لمَّة إذ وقفتما ص ٣٣٠.

تَعَالَ فِإنْ عَاهَدْتَنِي لا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ[١]

وإنما جاز ذلك في (من)؛ لأنه مبهم جامد لا يتصرف ولا يتبين فيه الإعراب ولا العدد، وكذلك (ما) إلا أن (من) لبني آدم والموصوفين بالعقل، و(ما) لغيرهم. وعلى هذا[٢] يحكى أن جريرًا أنشد قوله:

يَا حَبَّذَا جَبَلُ الرَّيانِ مِنْ جِبَلٍ وَحَبَّذَا ساكِنُ الرَّيانِ مَنْ كَانَا[٣]

فقيل له: وإن كان ساكنه[٤] قرودًا؟ فقال: إنما يلزمني هذا لو قلت: ما كانا، وربما عاقب (ما) مَنْ على السعة كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥] على تأويل: ومن بناها[٥] وإنما ترخصوا في ذلك لأنهم قد يبدلون النون الخفيفة ألفا، كما قالوا: رأيت رجلًا، في الوقف، فالألف فيه بدل من التنوين، ومثله قوله: ﴿لَنَسْفَعًۢا﴾ [العلق: ١٥]، قول الشاعر:

---

(١) البيت من الشواهد النحوية المشهورة، ورد في «الكتاب» ٢/ ٤١٦، «المقتضب» ٢/ ٤٩٤، ٣/ ٢٥٣، و«الأصول» في النحو ٢/ ٢٩٧، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٨٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٤٠٤، «الكامل» ١/ ٣٦٨، و«طبقات فحول الشعار» ١/ ٣٦٦، «الأضداد» لابن الأنباري ص ٣٣٠)، «المخصص» ١٧/ ٥٥، والطبري ١/ ٣٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠أ، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٢٩، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٧١، والهمع ١/ ٣٠٠، و«ديوان الفرزدق» ٢/ ٣٢٩، وفي بعض المصادر (تعش) بدل (تعال). والشاهد: أنه ثنى (يصطحبان) لمعنى (من).

(٢) (على هذا) ساقط من (ب).

(٣) قوله: (الريان): اسم جبل أسود عظيم في بلاد طيئ، انظر: «معجم ما استعجم» ٢/ ٦٩٠، «معجم البلدان» ٢/ ١١١، وقد ورد البيت أيضًا في «جمل الزجاجي» ص ١١٠، و«شرح الجمل» لابن عصفور ١/ ٦١١، و«اللسان» (حبب) ١/ ٧٤٤، و«شرح المفصل» ٧/ ١٤٠، و«الهمع» ٥/ ٤٥، و«ديوان جرير» ص ٤٩٠.

(٤) (ساكنه) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٣٠/ ٢٠٩. (ط/ الحلبي).

. . . . والله فـاعـبـدا[١]

وقد جاء في (من) بعض التصريف في بعض اللغات، كقوله:

أَتَـوْا نَـارِي فَـقُـلْـتُ مَـنُـونَ أَنْـتُـم فَقَالُوا[٢] الجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظلاما[٣]

وقد يلزمها الإعراب في مثل قولهم: رأيت فلانًا، فتقول على

---

(١) في (ب): (فاعبدوا). جزء من بيت للأعشى من قصيدة قالها لما قدم مكة يريد الإسلام، ثم صدته قريش عن ذلك، وقد روى سيبويه البيت:

فَإِيَّاكَ والمَيْتَاتِ لا تَقْرَبَنَّهَا وَلا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعْبُدَا

وتبعه على ذلك جمهور النحاة، وقال بعض المحققين: إنه بهذه الرواية ملفق من بيتين كما في «ديوان الأعشى»:

فَـإِيَّـاكَ والـمَـيْـتَـاتِ لا تـأكُـلَـنَّـهَـا ولا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصدَا

وذَا النُّصبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ ولا تَـعْـبُـدِ الأوْثَـانَ واللهَ فـاعْـبُـدَا

انظر: «ديوان الأعشى» ص١٣٧، و«الكتاب» ٣/ ٥١٠، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٢٤٤، «المخصص» ١٣/ ١٠٤، «تهذيب اللغة» (نصب) ٤/ ٣٥٨١، «اللسان» (سبح) ٤/ ١٩١٦، و(نون) ٨/ ٤٥٨٧، و«الأزهرية» ص ٢٧٥، و«شرح الكافية» لابن مالك ٣/ ١٤٠٠، و«مغني اللبيب» ٢/ ٣٧٢، و«الهمع» ٤/ ٣٩٧، «المقتضب» ٥٢٨، «الإنصاف» ٢/ ١٥٧، «شرح المفصل» ٩/ ٣٩، ٨٨، ١٠/ ٢٠.

(٢) في (أ)، (ج): (قالوا).

(٣) البيت لشمير بن الحارث، وروي البيت في قصيدة حائية (عما صباحًا) منسوبًا لجذع بن سنان. يخاطب الجن، وقوله: (عموا ظلامًا) خاطب به الجن، كما كانوا يقولون لبني آدم: عموا صباحًا. ورد في «الكتاب» ٢/ ٤١١، و«شرح أبياته لابن السيرافي» ٢/ ١٨٣، «المقتضب» ٢/ ٣٦٠، «نوادر أبي زيد» ص٣٨٠، «الخصائص» ١/ ١٢٩، «الصحاح» (منن) ٦/ ٢٢٠٨، و«الهمع» ٥/ ٣٤٦. ٦/ ٢٢١، و«شرح ابن عقيل» ٣/ ٨٨، و«الجُمل» للزجاجي ص ٣٣٦)، و«الخزانة» ٦/ ١٦٧، ٧/ ١٠٥، «شرح المفصل» ٤/ ١٦، «اللسان» (حسد) ٢/ ٨٦٨، وفي عدة مواضع. والشاهد فيه (منون أنتم) حيث جمع (من) مع الوصل وهذا من الضرورة. قال سيبويه: وهذا بعيد، وإنما يجوز هذا على قول شاعر قاله مرة في شعر ثم لم يسمع بعد ٢/ ٤١٠.

الحكاية: منا بالنصب[١]، ومثله: منو ومني إذا قال: جاءني فلان ومررت بفلان، وقد يؤنثون فيقولون: منة فلما جاز هذا التصرف في (من) جاز إبدال نونها بالألف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقال: كيف قال هذا مع[٢] ما يمر بهم من أهوال القيامة؟ قيل: لأنه لا يعتد بذلك، من أجل أنه عارض ثم يصيرون[٣] إلى النعيم الدائم، لقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وهوكما تقول[٤] للمريض: لا بأس عليك. وقيل: إن أهوال القيامة إنما تنال[٥] الضالين دون المؤمنين، والأول هو الوجه لعموم قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ الآية [سورة الحج: ٢].

---

(١) هذه الحروف التي تلحق (من) ليست للإعراب إنما هي من باب الحكاية إذا كانت مستفهمًا بـ (من) عن نكرة، فذا قال: رأيت رجلا، فالجواب أن تقول: منا ؟، وإذا قال جاءني رجل، تقول: منو؟، أو مني إذا قال مررت برجل، وليست الواو والياء والألف التي لحقت (من) إعرابًا، إنما يلحقن في الوقف فقط، فهن دليل ولسن بإعراب، ومثله في التثنية والجمع فإذا قال: جاءتني امرأتان. تقول: منتان؟ وإذا قال جاءني رجال. قلت: منون؟. فإذا وصلت: قلت: من يا فتى في كل ما سبق لأن هذا هو الأصل. وجعل سيبويه والمبرد وغيرهما من النحاة البيت الذي استشهد به الواحدي من ضرورة الشعر، ولا يقاس عليه، خلافا ليونس. انظر: «الكتاب» ٢/ ٤٠٩، «المقتضب» ٢/ ٣٠٦، «الصحاح» (منن) ٦/ ٢٢٠٨، و«أوضح المسالك» ص٢٥٥.

(٢) في (ج): (معما يجبر بهم).

(٣) في (ب): (يسير).

(٤) في (ب): (يقول).

(٥) في (ب): (ينال).

وكذلك ما ورد من الأخبار في هذا[١].

٦٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ الآية الأخذ يستعمل في معان كثيرة، ويتصرف على ضروب[٢]، منها: أن يدل على العقاب كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٢]، وقوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ [الأنعام: ٤٢]، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾[٣] [الأعراف: ١٦٥]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

ومنها: أن يستعمل للمقاربة، تقول العرب: أخذ يقول كذا، كما قالوا: جعل يقول، وطفق يقول.

ومنها: أن يتلقى بما يتلقى به القسم، كقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ألا ترى أنه قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ فأخذ[٤]

---

(١) قال ابن جرير: (لا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة). ٢/ ١٥٠.
وقال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨] . قال: (قيل: ليس فيه دليل على نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين، لما وصفه الله تعالى ورسوله من شدائد القيامة، إلا أنه يخفف عن المطيعين، وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا) ١/ ٣٢٩.
وذكر أبو حيان في تفسير هذه الآية أقوالا كثيرة ثم قال: (وظاهر الآية عموم نفي الخوف والحزن عنهم، لكن يخص بما بعد الدنيا ..) «البحر» ١/ ١٧٠.

(٢) الكلام عن (الأخذ) نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتاب «الحجة» ٢/ ٧٢. انظر مادة (أخذ) في «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٩، «الصحاح» ٢/ ٥٥٩، «مقاييس اللغة» ١/ ٦٨، و(الغريبين) ١/ ٢٣، و«مفردات الراغب» ص ١٢، و«إصلاح الوجوه والنظائر» ص ٢٠، و«نزهة الأعين النواظر» ص ١٣٣.

(٣) في (ج): (فأخذنا) تصحيف.

(٤) في (ب)، (ج): (واخد).

الميثاق هاهنا بمعنى الاستحلاف وتوكيد العهد، وكذلك في هذه الآية.

ومثل أخذ في معنى العقاب: آخذ[١]، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥]، وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ويستعمل من الأخذ التفعيل والاستفعال، قالوا: رجل مُؤَخَّذٌ عن امرأته[٢]، وقال الفقهاء في الرجل المؤخذ عن امرأته: يؤجل كما يؤجل العنين[٣].

وأما اسْتَفْعل فقال الأصمعي[٤]: الاستئخاذ: أشد الرمد، قال الهذلي[٥]:

يَرْمِي الغُيُوبَ[٦] بِعَيْنيه ومَطْرِفُه ... مُغْضٍ كما كَسَفَ المُسْتَأْخِذَ الرَّمَدُ[٧]

---

(١) «الحجة» لأبي علي ١/ ٧٣، انظر: «الصحاح» (أخذ) ٢/ ٥٥٩، «مفردات الراغب» ص ١٢، ١٣).

(٢) قال أبو علي: (وأما (فعَّل) فقالوا: رجل مُؤَخَّذٌ عن امرأته) «الحجة» ٢/ ٧٤، انظر: «تهذيب اللغة» (أخذ) ٧/ ٥٢٦، «الغريبين» ١/ ٢٤.

(٣) ذكره أبو علي عن أبي حنيفة رحمه الله. «الحجة» ٢/ ٧٤، انظر: «بدائع الصنائع» ٢/ ٣٢٢- ٣٢٣، و«المغني» ٧/ ٦٠٢.

(٤) في «الحجة» (فقال الأصمعي فيما روى عنه الزيادي..) «الحجة» ٢/ ٧٤، وانظر «تهذيب اللغة» (أخذ) ١/ ١٢٩.

(٥) هو أبو ذؤيب الهذلي.

(٦) في (ج): (العيوب).

(٧) في هذا البيت يصف حمارًا وحشيًا، وقوله: (يرمى الغيوب) أي: ينظر ما غاب عنه خشية الصائد يرميه بطرفه حذرا، و(المغضي): الذي كف من بصره وهو مع ذلك ينظر، و(كسف): نكس رأسه لما أخذ الرمد فيه. انظر «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٥٨، و«جمهرة اللغة» ٣/ ٢٣٧، و«الحجة» ٢/ ٧٥، و«المخصص» ١/ ١١٠، «تهذيب=

أي: عين المُسْتأخِذ فحذف المضاف، والرمد الفاعل[١]. وهذه الآية خطاب لليهود وإن كان آباؤهم أخذ الميثاق عليهم. روى أبو صالح، عن ابن عباس أنه قال: هما ميثاقان[٢]: الأول[٣]: حين أخرجهم من صلب آدم وأشهدهم على أنفسهم. والثاني: أن كل نبي بعث إلى قومه أخذ عليهم الميثاق بالطاعة لله والإيمان بمحمد ﷺ[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾. الواو﴿وَرَفَعْنَا﴾ واوالحال، المعنى إذ أخذنا ميثاقكم في حال رفع الطور[٥]، ويضمر معه قد لتصلح الحال كما ذكرنا في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾[٦] [البقرة:٢٨]. ونذكر كيف أخذ الميثاق في حال رفع الطور، وأما الطور فقيل: إنه الجبل[٧]

= اللغة» (أخذ) ١/ ١٢٩، و(غاب) ٢٦١٦، و(كسف) ٤/ ٣١٤٤، «مقاييس اللغة» ١/ ٦٩، «اللسان» (غيب) ٦/ ٣٣٢٢، و(أخذ) ٣٨١١، و(كسف) ٧/ ٣٨٧٧.

(١) هذا آخر ما نقله عن «الحجة» ٢/ ٧٥.

(٢) في (ج): (ميتاق).

(٣) في (ب): (أول).

(٤) ذكره أبو الليث عن ابن عباس ١/ ٣٧٦. وذكر ابن جرير أن المراد به الميثاق الذي أخذه منهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[البقرة:٨٣-٨٥]، وأخرجه بسنده عن ابن زيد. الطبري ٢/ ١٥٦، وذكر الزجاج قولين فيه: الأول: حين أخرج الناس كالذر ورجحه، والثاني: ما أخذه على الرسل ومن تبعهم. «معاني القرآن» ١/ ١١٩.

(٥) ذكر أبو حيان: أن هذه الواو تحتمل أن تكون للعطف إذا كان أخذ الميثاق متقدمًا، وإن كان أخذ الميثاق في حال رفع الطور فهي للحال. «البحر» ١/ ٢٤٣.

(٦) وقد ذكر هناك القاعدة عند الجمهور: وهي أن الجملة الفعلية الماضوية، إذا وقعت حالا فلا بد من تقدير (قد) وقيل: لا يلزم ذلك. انظر ص ٦٦٧.

(٧) في (ب): (جبل).

بالسريانية[١]، فإن صح ذلك فهو وفاق وقع[٢] بين لغتهم ولغة العرب، لأنه لا يجوز أن يوجد في القرآن إلا ما تكلمت به العرب[٣]، وهذا مما تكلم به العرب، قال العجاج:

دَانَى جَنَاحَيْهِ من الطُّورِ فَمَرْ[٤].

وقيل: إنه اسم جبل بعينه، وهوجبل بالشام[٥]، قال ذوالرمة:

أَعاريبُ طُورِيُّونَ عن كُلِّ بلدة يَحيدونَ[٦] عنها مِنْ حِذَارِ المَقادِرِ[٧]

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠ أ.

(٢) (وقع) ساقط من (ب).

(٣) قال القرطبي: (لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلاماً.. كإسرائيل ونوح ولوط، واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب) ١/ ٦٨. فذهب الطبري في «تفسيره» إلى أن ذلك غير موجود، وكذا الثعلبي ١/ ٨٠أ، وذهب ابن عطية إلى أنه موجود لكن العرب استعملتها قبل وغيرت فيها، فدخلت في لغتها.

(٤) الرجز من قصيدة يذكر فيها مآثر عمر بن عبد الله بن معمر التميمي وبعده:

تَقَضِّيَ البازي إذا البَازِي كَسَرْ

ضم جناحيه للانقضاض، و(تقضي): أصلها (تقضض) ثلاث ضادات فقلبت الثالثة ياء طلبا للخفة، و(البازي): الشديد من الصقور ورد البيت في «ديوان العجاج» ص ٢٨، «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٤، «تهذيب اللغة» (طرأ) ٣/ ٢١٧٣، انظر «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٠، «الكشاف» ٤/ ٤٢٦، «اللسان» (طرأ) ٥/ ٢٦٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٩.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٥، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٠، ١٥/ ٥٠٢.

(٦) في (ب): (يحيدرون).

(٧) ورد البيت في «التهذيب» (طور) ٣/ ٢٢٢٩، «اللسان» (طرأ) ٥/ ٢٦٤٩، و(طور) ٥/ ٢٧١٨، «الخزانة» ٧/ ٣٥٥، و«ديوان ذي الرمة» ٣/ ١٦٩٨، وفي بعضها (قرية) بدل (بلدة).

طوريون أي: وحشيون، يحيدون عن القرى حذار الوباء والتلف، كأنهم نسبوا إلى الطور وهوجبل بالشام.

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١] قال: هوالجبل الذي بمدين، كلم الله عليه موسى(١).

قال المفسرون: إن موسى لما أتاهم بالتوراة فرأوها وما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم وأبوا أن يقبلوا ذلك، فأمر الله جبلًا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة، وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل كذلك، وأوحى الله إلى موسى إن قبلوا التوراة وإلا رضختهم بهذا الجبل، فلما رأوا ذلك وأن لا مهرب لهم، قبلوا ما فيها وسجدوا من الفزع، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فمن أجل ذلك يسجد اليهود على أنصاف وجوههم، فهذا معنى أخذ الميثاق في حال رفع الجبل فوقهم(٢)، لأن في هذه الحالة قيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [وكان فيما آتاهم الله تعالى الإيمان بمحمد(٣) ﷺ.

وقوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [(٤) أي: وقلنا لكم خذوا(٥)،

---

(١) في (ب): (موسى عليه). كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣/ ٩١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠ب، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٧، وانظر: «الطبري» ١/ ٣٢٤، «ابن عطية» ١/ ٢٤٨، «القرطبي» ١/ ٣٧٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٤٣.

(٣) في (ب): (لمحمد).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) نسب الطبري هذا القول لبعض نحويي أهل البصرة، قال: وقال بعض نحوي أهل الكوفة: أخذ الميثاق قول، فلا حاجة إلى إضمار قول، ورجَّح هذا في «تفسيره» ١/ ٣٢٦، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٤٣.

وتأويل[١]] ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ اعملوا بما أمرتم فيه وانتهوا عما نهيتم عنه.

وقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة: بجد ومواظبة على طاعة الله واجتهاد[٢]، وتأويله: خذوا ما آتيناكم بعزيمة على طاعة الله واتباع رسله.

وقال الزجاج: أي بقوة قلب ويقين ينتفي عنده الريب[٣] والشك، لما كان[٤] لكم من عظيم الآيات، وأصل القوة: الشدة، ومنه قوة الحبل، لأنها تقوي الحبل وتشد فتله[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ الكناية تعود إلى ما في قوله: ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾[٦]. والمعنى: احفظوا ما في التوراة من الحلال والحرام، واعملوا بما فيه[٧]، وقيل: اذكروا ما فيه من الثواب والعقاب لعلكم تتقون[٨]، ويجوز أن ترجع الكناية إلى الميثاق، ويكون المعنى على حذف

---

(١) من قوله (وقوله: خذو..) إلى هنا ساقط من (ب).

(٢) ذكر الطبري في «تفسيره» نحوه عن مجاهد، وأبي العالية، وقتادة، وابن زيد ١/ ٣٢٦، وكذا عند «ابن أبي حاتم» ١/ ٣٩٨، وذكره الماوردي عن ابن عباس، وقتادة والسدي «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٤، وكذا القرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٧٢، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠ب.

(٣) في (ب): (الرتب).

(٤) في «معاني القرآن» (بان) ١/ ١٢٠.

(٥) في «تهذيب اللغة»: (القوة) الخُصْلة الواحدة من قوى الحبل، وقيل: هي الطاقة الواحدة من طاقات الحبل. (قوى) ٣/ ٣٠٧٠.

(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٤٤، «الدر المصون» ١/ ٤٠٩.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٠ب.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٦، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٧.

المضاف، كأنه قيل: واذكروا ما في نقض الميثاق من العقوبة لعلكم تتقون.

٦٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ التولي في اللغة يستعمل على ثلاث معان[١]: يكون بمعنى الإعراض كالذي في هذه الآية، ومعناه: أعرضتم وعصيتم[٢]، ومثله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] أي تعرضوا عن الإسلام.

ويكون[٣] بمعنى الاتباع، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] معناه: من يتبعهم وينصرهم.

ويقال: توليت الأمر توليا، إذا وليته بنفسك[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ [النور: ١١] أي: ولي وزر الإفك وإشاعته[٥].

ومعنى توليتم هاهنا، أي: أعرضتم عن أمر الله وطاعته.

وقوله تعالى: ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قيل من بعد[٦] أخذ الميثاق .﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بتأخير العذاب عنكم[٧]. وقيل: بمحمد ﷺ والقرآن[٨]

(١) أخذه عن «تهذيب اللغة» (ولى) ١/ ٣٩٥٧، وانظر: «إصلاح الوجوه والنظائر» ص ٤٩٩، و«نزهة الأعين» النواظر ص ٢١٥، و«مفردات الراغب» ص ٥٣٤.

(٢) في (ب): (نسيتم).

(٣) في (ب): (وتكون).

(٤) لعل هذا المعنى هو الثالث عند المؤلف حسب تقسيمه، وانظر «نزهة الأعين النواظر» ص ٢١٦.

(٥) انتهى ما نقله عنه «تهذيب اللغة» (ولى) ١/ ٣٩٥٧.

(٦) (بعد) ساقط من (ب).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٠ب، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٨، وقال الزجاج من بعد ذلك: أي بعد الآيات العظام. «معاني القرآن» ١/ ١٢٠، وقال الماوردي: من بعد خروج موسى من بين أظهركم «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٥.

(٨) (والقرآن) ساقط من (ج). وقد ذكر الطبري عن أبي العالية: فضل الله: الإسلام،=

﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ فمن آمن بحمد بعد ما كان في الضلالة لم يكن من الخاسرين، وذكرنا معنى الخسران فيما تقدم[(١)]، ومعناه ذهاب رأس المال، وهو هاهنا هلاك النفس لأنها بمنزلة رأس المال[(٢)].

٦٥- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ العلم[(٣)] هاهنا بمعنى المعرفة كقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولولاه لاقتضى مفعولًا ثانيا، ألا ترى أنك إذا قلت: علمت زيدًا قائمًا [كان قائما][(٤)] مفعولًا ثانيا، وإذا قلت: عرفت زيدا قائما، [كان قائما][(٥)] حالا ولم يكن مفعولًا ثانيا، وإذا كان العلم بمعنى المعرفة جاز الاقتصار على أحد المفعولين[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: جاوزوا[(٧)] ما حد لهم، كانوا أُمروا أن لا يصيدوا في السبت، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فعدوا في السبت، لأن صيدها منعها من التصرف[(٨)].

= و(رحمته): القرآن، «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٨، ونحوه عند «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٥، وذكره ابن عطية في «تفسيره» عن قتادة ١/ ٣٣٢-٣٣٣، وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٤٤.

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

(٢) (رأس المال) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (علمتم).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٩، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٠، و«تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٣-٣٣٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٤٥.

(٧) في (ب): (جاوزا).

(٨) ذكره الزجاج في «المعاني» ١/ ١٢٠، وفيه (لأن صيدهم منعها..) أي أن حبس=

والسبت في كلام العرب معناه: القطع، يقال للحلق: السبت، لأنه قطع للشعر(١)، والسبت: السير السريع(٢)، وتأويله قطع للطريق(٣).

ومنه قول حميد(٤):

.... أمّا نَهارُها فَسَبْتٌ(٥) ....

والسبت: السُّبَاتُ. قال الزجاج: تأويله أنه يقطع الحركة(٦).

والسبت: قطعة من الدهر، كأنه بمعنى المسبوت(٧)، أي: المقطوع، وهو

= الحيتان ومنعها من التصرف صيد. وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨١أ.

(١) في (ب): (الشعر).

(٢) «تهذيب اللغة» (سبت) ٢/ ١٦٠٧.

(٣) في (ب): (الطريق).

(٤) هو حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي، أحد المخضرمين من الشعراء أدرك الجاهلية والإسلام، وقيل إنه رأى النبي ﷺ مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما. انظر ترجمته في «الشعر والشعراء» ٢٤٧، «معجم الأدباء» ١١/ ٨.

(٥) وتمام البيت:

وَمطْويَّةُ الأَقْراب أَما نهارُها فسبت وأمَّا لَيْلُها فذمِيلُ

قوله: (الأقراب): جمع قرب، وهو الخاصرة، و(السبت): السير السريع، و(الذمِيل): السير البطيء. ويروى شطره الأول: بمقورة الألياط أما نهارها والاقورار هنا: الضمور، و(الألياط) جمع ليط وهو الجلد، ورد البيت في «تهذيب اللغة» (سبت) ٢/ ١٦٠٧، «جمهرة أمثال العرب» (سبت) ١/ ١٩٥، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٢٤، وكذا في الصحاح ١/ ٢٥١، و«اللسان» ٤/ ١٩١٢، و«المخصص» ٧/ ١٠٧، و«البحر المحيط» ١/ ٢٤٠، و«ديون حميد بن ثور» ص ١١٦.

(٦) في «تهذيب اللغة» (وقال الزجاج): السبات: أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه..)، (سبت) ٢/ ١٦٠٧.

(٧) في (ب): (السبوت).

في شعر لبيد:

وغَنِيتُ سَبْتًا[١] ....البيت

قال أبو بكر بن الأنباري: السبت القطع، وسمي السبت من الأيام سبتًا، لأن الله ابتدأ الخلق فيه، وقطع بعض الخلق، وخلق[٢] الأرض. [ويقال: أُمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال وتركها.

قال: وأخطأ من قال: سمي السبت لأن الله أمر فيه بني إسرائيل بالاستراحة، وخلق هو ﷻ السموات والأرض في ستة أيام آخرها يوم الجمعة، ثم استراح في يوم السبت.

قال: وهذا خطأ، لأنه لا يعلم في كلام العرب (سَبَتَ) بمعنى استراح، وإنما معنى سَبَتَ: قطع، ولا يوصف الله تعالى بالاستراحة لأنه لا يتعب[٣]. قال: واتفق أهل العلم على أن الله ابتدأ الخلق يوم السبت ولم يخلق يوم الجمعة سماءً ولا أرضًا[٤].

---

(١) تمام البيت:

وغَنَيتُ سَبْتاَ قبل مُجْرَى داحس   لو كان للنفس اللجُوجِ خُلُودُ

ويروى (بعد مجرى) و عَمَرْتُ كَرْسًا. غنيت: عشت (سبتا): دهرا، (داحس) اسم فرس. ورد البيت في «تهذيب اللغة» (سبت) ٢/ ١٦٠٧، «اللسان» (سبت) ٤/ ١٩١٢، و(عمر) ٥/ ٣١٠، و«حماسة البحتري» ص ١٠٠، «المخصص» ٢/ ٦٤، «الخزانة» ٢/ ٢٥١، «البحر المحيط» ١/ ٢٤٠، وديوان لبيد مع شرحه ص ٣٥.

(٢) كذا العبارة في جميع النسخ، وفي «الزاهر» (وقطع فيه بعض خلق الأرض..) ٢/ ١٤٥، ومثله في «تهذيب اللغة» (سبت) ٢/ ١٦٠٧، والنص منه.

(٣) منهج السلف في باب الصفات التزام النص، فيثبتون لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ وينفون عنه ما أنفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله، وما لم يرد فيه نص فيلتزمون فيه النفي المجمل من دون تفصيل في النفي. ولم ترد الاستراحة في نص.

(٤) «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ١٤٥، «تهذيب اللغة» (سبت) ٢/ ١٦٠٧.

وقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ أي: كونوا بتكويننا إياكم وتغييرنا خلقكم قردة[١].

قال ابن الأنباري: كن[٢] ينقسم في كلام العرب على معان: منها: أن يقول الرجل للرجل: كن جبلًا فإني أهدّك، وكن حديدًا فإني أغلبك، يريد لوكنت بهذا الوصف لم تَفُتْنِي[٣]، قال الله تعالى: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠] يريد لوكنتم حجارة أوحديدا لنزل بكم الموت ووصل إليكم ألمه، ويقول الرجل للرجل إذا لم يتعلم[٤] العلم: فكن من البهائم، أي عُدَّ نفسَك مُشبهًا لها. قال الأحوص:

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاةً عَنِ اللَّهْوِ والصِّبَا
فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا[٥]

أي فعُدَّ نفسك من الحجارة.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٩، و«تفسير البغوي» ١/ ٨١، و«البيان» ١/ ٩٠، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٦.

(٢) في (ج): (كمن في).

(٣) في (ب): (تنتنى).

(٤) كذا في (أ)، (ج)، وفي (ب) غير واضحة، ولعل الصواب (تتعلم).

(٥) ويروى شطره الأول كما في شعر الأحوص:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تدرِ مَا الْهَوَى

وفي كتاب الزينة:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَطْرَبْ وَلَم تَشْهَدِ الْخَنَا

و(العِزْهَاةُ): الذى لا يحب اللهو ولا يَطْرب، ورد البيت في «الزينة» ١/ ١٢٤، «المخصص» ١٦/ ١٧٥، «الخصائص» ١/ ٢٢٩، «الشعر والشعراء» ص٣٤٦، و«أمالي الزجاجي» ص ٧٥، و«أساس البلاغة» (عزه) ص ٢/ ١١٥، «اللسان» (عزه) ٥/ ٢٩٣٣، و«شعر الأحوص» ص ٩٨.

فقال الله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾][(١)

أي بتغييرنا(٢) خلقكم وتبديلنا صوركم، وهذا أمر(٣) حتم ليس للمأمور فيه اكتساب، ولا يقدر على دفعه عن نفسه(٤).

وقال(٥) بعض النحاة: الأمر يجيء على معان: على الفرض، والنفل، والإذن، والتهديد والتحدي، وعلى معنى الخبر. فالفرض مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾(٦) وأشباهه، والنفل كقوله: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، والإذن: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢]، والتهديد: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(٧) [فصلت: ٤٠] وكقوله: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ﴾ [الإسراء: ٦٤] الآية، والتحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا﴾ [البقرة: ٢٣] وفيه معنى الإلزام، إلا أن من الإلزام ما لا يكون في المقدور أصلًا كقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾(٨) وليس يصح برهان على صدقهم. وأمَّا بمعنى الخبر فقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾(٩) أي: جعلناهم قردة(١٠)، إلا أنه جاء بلفظ الأمر على طريق البلاغة. وقد

---

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (ب).
(٢) في (ب): (بتغيير)، وفي (ج): (بتغيرنا).
(٣) في (ج): (امرتكم).
(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٦٦-٣٧٧، و«البيان» ١/ ٩٠، و«البحر» ١/ ٢٤٦.
(٥) (الواو) ساقطة من (ب).
(٦) [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، والنساء: ٧٧، والنور: ٥٦، والمزمل: ٢٠]
(٧) في (أ)، (ج): (اعملوا) تصحيف.
(٨) [البقرة: ١١١، والأنبياء: ٢٤، والنمل: ٦٤].
(٩) [البقرة: ٦٥، والأعراف: ١٦٦].
(١٠) ذكر الغزالي في المستصفى الوجوه التي يأتي عليها الأمر، ومنها الوجوه التي=

يجئ الأمر والمراد منه التسوية، كقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] أي قد استوى الحالان في أنه لا يغفر.

والقردة جمع قرد، يقال: قرد، وثلاثة أَقْرِدة[١] وقُرُود وقِرَدَة كثيرة، والأنثى قِرْدَة. وأصل الحرف من اللصوق، ومنه الْقَرِد، وهوما تلاصق من الوبر ويعقد، والقُرَادُ سمي قُرادًا للصوقه بالموضع الذي يعلق، والقرود تتلاصق إذا اجتمعت وتتداخل خوفًا من عدوها، فإنها أجبن شيء[٢].

و[٣] قوله تعالى: ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ الخَسْءُ: الطرد والإبعاد، يقال: خَسأْتُه خَسْأً فَخَسَأ [وانْخَسَأ[٤]]، فهو واقع ومطاوع[٥].

قال الفراء والكسائي: يقال: خَسأْتُه خَسْأً فَخَسَأ][٦] خُسُوءًا[٧] مثل رَجَعْتُه رَجْعًا فَرَجَعَ رُجُوعًا[٨]، ويقال للكلب عند الزجر والإبعاد: اخسأ، وأنشد الفراء:

وَإِذَا زَجَرْتُ الْكَلْبَ قُلْتُ اخْسَأ لَهُ
وَالْكَلْبُ مِثْلُكَ يَاخُرَيْمُ سَوَاءُ[٩]

= وردت عند المؤلف هنا و مما ذكر: التسخير كقوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ «المستصفى» ص ٢٩٣.

(١) في (ب): (أقراد) وكلها وردت في «تهذيب اللغة» عن الليث (قرد) ٣/ ٢٩٢١.

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» (قرد) ٥/ ٨٣، ٨٤، «الصحاح» (قرد) ٢/ ٥٢٣، «اللسان» (قرد) ٦/ ٣٥٧٦.

(٣) (الواو) ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (الخسأ).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٩، «تهذيب اللغة» (خسأ) ١/ ١٠٢٨، «جمهرة أمثال العرب» ٣/ ٢٣٧، «الصحاح» (خسأ) ١/ ٤٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في (ج): قال الفراء والكسائي: (خَسَأْتُه مخسأ خسأ فخسا خسوءا).

(٨) انظر: «الزاهر» ٢/ ٤٨، و«الوسيط» ١/ ١٢٥، «تفسير القرطبي» ١/ ٤٤٣.

(٩) لم أعثر على هذا البيت فيما اطلعت عليه، والله أعلم.

وأنشد ابن الأنباري لعمران بن[1] حطان:

لاَ تَـجْـعَـلَـنْ يَـوْمَ الْـقِـيَـامَـةِ مَـنْـزِلِـي
يَـا رَبِّ[2] مَـنْـزِلَ خَـاسِـئٍ مَـدْحُـورِ[3]

وتقدير الآية: كونوا خاسئين قردة، لأنه لولا التقديم والتأخير لكان: قردة خاسئة[4].

٦٦- قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ الآية، اختلفوا في الكناية، فقيل: إنها راجعة إلى القردة[5].

وقال الفراء: الكناية تعود إلى المسخة[6]، لأن معنى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ مسخناهم قردة، فوقعت الكناية عن الكلام المتقدم[7].

---

(١) في (ج): (عمر بن الخطاب). وابن حطان: هو عمران بن حطان من بني عمرو بن سيبان بن ذهل، كان رأس القَعدة من الصُّفْرية إحدى فرق الخوارج، وكان خطيبًا شاعرًا، توفي سنة أربع وثمانين ذكر الجاحظ أخباره في «البيان والتبيين» ١/ ٤٧، والمبرد في «الكامل» ٣/ ١٦٧، وانظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣١٧.

(٢) في (ج): (يارب منزلى).

(٣) لم أجد هذا البيت فيما اطلعت عليه من شعر عمران بن حطان ضمن «ديوان الخوارج» جمع نايف محمود معروف، ولا في «شعر الخوارج» لـ (إحسان عباس).

(٤) أي لو كان (خاسئين) صفة لقردة لقال: (خاسئة)، انظر «الوسيط» ١/ ١٢٥، وللعلماء في إعرابه وجوه: الأول: أنه خبر ثانٍ لـ (كان)، أو حال من (الواو) في كونوا، أو نعت لقردة، وهذا الوجه رده المؤلف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٤، و«المشكل» لمكي ١/ ٥٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٣٦، و«البيان» ١/ ٩٠، و«الإملاء» ١/ ٤١، «الدر المصون» ١/ ٤١٤.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨١ أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٥.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٣٣، «زاد المسير» ١/ ٩٥.

وقال ابن عباس: فجعلنا تلك[(١)] العقوبة لهؤلاء القوم الذين مسخوا قردة وخنازير، وعلى هذا الكناية تعود إلى العقوبة[(٢)]، وهي مدلول عليها بقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ لأن ذلك يدل على المسخ، والمسخ عقوبة، ويقال: الهاء عائدة على الأمة[(٣)] الذين اعتدوا، لأن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ﴾[(٤)] يدل على أنهم كانوا أمة وفرقة من الناس، فرجع العائد على المعنى[(٥)].

وقال الزجاج: وجعلنا هذه الفعلة عبرة[(٦)].

والنَّكَال[(٧)] اسم لما جعلته نكالًا لغيره إذا رآه خاف أن يعمل عمله[(٨)].

وأصل هذا من قولهم: نكل عن الأمر ينكُل نُكولًا، إذا جبن عنه، يقال: نَكَّلْت بفلان، إذا عاقبته في شيء أتاه عقوبةً تُنَكِّل غيره عن ارتكاب مثله، أي: تمنع وتردد. والنِّكْل: القيد، لأنه يمنع الجري، والنِّكْلُ: حديد اللجام[(٩)].

---

(١) (تلك) ساقط من (ج).

(٢) أخرجه الطبري عن الضحاك عن ابن عباس. الطبري ١/ ٣٣٣، وانظر: «الماوردي» ١/ ٣٥٧، «زاد المسير» ١/ ٩٥.

(٣) (الأمة) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (الذين اعتدوا).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٢١، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٣٣، وأورد أقوالًا أخرى منها: أنها تعود على قرية القوم الذين مسخوا، أو تعود على الحيتان، وهي وإن لم يجر لها ذكر ففي الخبر دلالة عليها، «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٦، وانظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٨١ ب، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٥٧، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٤٤.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٢١، والنص من «تهذيب اللغة» (نكل) ١٠/ ٢٤٧.

(٧) في (ب): (النكل).

(٨) ذكره الأزهري عن الليث. «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٥، وانظر: «اللسان» (نكل) ٨/ ٤٥٤٤.

(٩) ذكره الأزهري عن شمر. «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٥، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٤٤.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ قال أبو إسحاق: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الأمم التي تراها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ما يكون بعدها[١]. فما في هذا القول عبارة عن الأمم.

وقال الفراء: جعلت نكالا لما مضى من الذنوب، ولما[٢] يعمل بعدها، ليخافوا[٣] أن يعملوا بما عمل الذين مسخوا فيمسخوا[٤]. فعلى هذا القول (ما) عبارة عن الذنوب، والهاء في (يديها) يعود[٥] على الفرقة الممسوخة وكذلك الهاء في ﴿خَلْفَهَا﴾[٦].

وقيل: هذا على[٧] التقديم والتأخير، تقديره: فجعلناها وما خلفها مما أعد لهم من العذاب في الآخرة عقوبةً ونكالًا لما بين يديها، أي: لما[٨] تقدم من ذنوبهم في اعتدائهم يوم السبت[٩].

---

(١) ما ذكره أحد قولين أوردهما الزجاج في «المعاني» ١/ ١٢١، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٣٣.
(٢) في (ج): (يعملوا).
(٣) في (ب): (ليخافون).
(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣، وهو قول للزجاج. انظر: «المعاني» ١/ ١٢١، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٣٣-٣٣٤.
(٥) في (ج): (تعود).
(٦) رجح الطبري في «تفسيره» أنها تعود على (العقوبة) ١/ ٣٣٥، وذكر مكي: ثلاثة أقوال وهي، أنها تعود على القردة، أو المسخة، أو العقوبة. «المشكل» ١/ ٥٢، وانظر: «البيان» ١/ ٩١.
(٧) (على) ساقط من (ب).
(٨) في (ب): (أي التقديم).
(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨١ب، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨١.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز سطام آل سعود   أ. د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثالث

البقرة ٦٧ - البقرة ١٩٥

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

باقي تفسير سورة البقرة

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية. قال الليث[١]: القوم الرجال دون النساء، ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] أي رجال من رجال، ثم قال: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ قال زهير[٢]:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ[٣] أَدْرِي   أَقَوْمٌ آل حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٤]

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته[٥].

وقال أبو العباس: القوم والنفر والرهط معناه الجمع، ولا واحد لها من لفظها، وهم الرجال دون النساء[٦]. والمراد بالقوم هاهنا شيعة موسى وأتباعه. وقد يذكر القوم فيدخل فيه النساء كقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] وكان مرسلاً إلى الإناث والذكور جميعا، وجاز ذلك لأن

---

(١) هو: الليث بن المظفر، وقيل: ابن ، وقيل: ابن رافع بن يسار الخرساني، وكان بارعا في الأدب، بصيرًا بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتبا للبرامكة. ينظر: «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧٠، و«معجم الأدباء» ١٧/ ٤٣.

(٢) هو: زهير بن أبي سلمة بن رباح، شاعر جاهلي، نت نزينة من الطبقة الأولى من فحول «الشعراء الجاهليين»، كان له من الشعر ما لم يكن لغيره، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة. ينظر: «الشعر والشعراء» ١/ ٦٩، «الأعلام» ٣/ ٥٢.

(٣) في (أ)، (ج): (أخاك)

(٤) البيت من قصيدة قالها زهير في هجاء بيت من كلب من بني عليم. ورد في «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٣، و«مجمل اللغة» (قوم) ٢/ ٧٣٨، «المقاييس» (قوم) ٥/ ٤٣، و«المعاني الكبير» ١/ ٥٩٣، و«المخصص» ٣/ ١١٩، و«مغني اللبيب» ١/ ٤١، ١٣٩، ٢/ ٣٩٣، ٣٩٨، و«الهمع» ٢/ ٢٣٠، ٤/ ٥٤، ٣٧٦، و«معاهد التنصيص» ٣/ ١٦٥، و«اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦، و«فتح القدير» ١/ ١٣٥.

(٥) انتهى كلام الليث. «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٣، وانظر: «الزاهر» ٢/ ١٦٩، «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦.

(٦) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» عن المنذري عن أبي العباس (قام) ٣/ ٢٨٦٣، وانظر: «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦.

الغالب من أمر[(١)] النساء اتباع الأزواج فاكتفى بهم منهن لغلبتهم عليهن[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة واحدة[(٣)] البقر. الأصمعي: يقال: رأيت لبني فلان بَقَرًا وبَقِيرًا وبَاقُورَةً وبَاقِرًا[(٤)] وبَوَاقِرَ، كله جمع البقر، وأنشد[(٥)]:

بَوَاقِرُ جُلْحٌ أَسْكَنَتْهَا الْمَرَاتِعُ[(٦)]

وقال آخر[(٧)]:

خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ[(٨)]

ويقال لجماعة البقرة: بيْقُور[(٩)] أيضا، وقال أمية[(١٠)]:

---

(١) (من أمر النساء) ساقط من (ب).

(٢) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ١٧٠.

(٣) في (ب): (واحد).

(٤) في (ج): (باقر).

(٥) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (قال: قال أبو نصر: قال الأصمعي... ثم ذكره، وفيه: وأنشدني ابن أبي طرفة. (بقر) ١/ ٣٧٠، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧، «الصحاح» (بقر) ٢/ ٥٩٤، «مقاييس اللغة» (بقر) ١/ ٢٧٨.

(٦) في (ب): (المرابع). والبيت لقيس بن العَيْزَارَة. وشطره الأول:

فَسَكَّنْتُهُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ

و(الجُلْح): البقر لا قرون لها، (أسكنتها المراتع): طابت أنفسها بالمرعى فسكنت. ورد البيت في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٥٩٠، «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٨، «اللسان» (بقر) ١/ ٤٢٣، و(جلح) ٢/ ٦٥١.

(٧) هو الحارث بن خالد المخزومي كما في «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠.

(٨) البيت بتمامه:

مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا قَفْرًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّم

ورد البيت في «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ أ، والسجاوندي في ص ٥٣، و«البحر المحيط» ١/ ٢٥٤.

(٩) «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠.

(١٠) هو: أمية بن أبي الصلت.

..... وعَالَت الْبَيْقُورَا[١]

وقيل: إن أصل الحرف من الْبَقْر الذي هو الشقّ، يقال: بقر بطنه إذا شقّه وفتحه، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين[٢] رضي الله عنهما "الباقر"، لأنه بقر العلم وعرف أصله، أي شقه وفتحه[٣].

والْبَقِيرُ: ثوب يشق فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُمَّيْن ولا جيب[٤].

والبقر جنس شأنها أن تشق الأرض في الْكِرَاب[٥].

---

(١) تمامه:

سَلْعٌ مَّا وَمِثْلُهُ عُشَرٌ مَّا عَائِلٌ مَّا وَعَالَتِ الْبَيْقَورَا

و(السلع): نبت، و(عائل): من قولهم: عالني أثقلني، و(عالت البيقورا): أي أثقلت هذه السنة البيقور بالهزال. قال في مغني اللبيب: قال عيسى بن عمر: لا أدري ما معناه، ولا رأيت أحدا يعرفه، وقال غيره: كانوا إذا أرادوا الاستسقاء في سنة الجدب عقدوا في أذناب البقر وبين عراقيبها السَّلْع والعُشَر، وهما ضربان من الشجر، ثم أوقدوا فيها النار وصعدوا بها الجبال، ورفعوا أصواتهم بالدعاء. «مغني اللبيب» ١/ ٣١٤، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠، «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، و(سلع) ٢/ ١٧٣٣، «الأزهية» ص ٨١، «اللسان» (بقر) ١/ ٣٢٤، و(علا) ٥/ ٣٠٩٠.

(٢) في (ب) (الحسين الباقر). وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الباقر خامس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، كان ناسكًا عابدًا، توفي سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: ثماني عشرة. انظر: «حلية الأولياء» ٣/ ١٨٠، «تهذيب التهذيب» ٥/ ٣٠٩٠.

(٣) «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٦٩، «الصحاح» (بقر) ٢/ ٥٩٥. وذكر ابن فارس أن (الباء، والقاف، والراء: أصلان: الأول: البقر، والثاني: التوسع في الشيء وفتح الشيء، قال: وزعموا أنه أصل واحد وسميت البقر لأنها تبقر الأرض، قال: وليس ذلك بشيء. انظر: «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٧-٢٨٠.

(٤) ذكره في «تهذيب اللغة» عن أبي عبيد عن الأصمعي ١/ ٣٦٩.

(٥) (الكراب): بياض في: (ب). و(الْكِرَابُ): هو حرث الأرض وقلبها. انظر: «اللسان» (كرب) ٧/ ٣٨٤٧.

وقوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يقرأ بالتخفيف والتثقيل[١]، وذلك[٢] أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم[٣]، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، نحو: العُسْر واليُسْر والحُكْم[٤] والرُّحْم[٥]، وكذلك ما كان على فُعُل من الجموع قد استمر فيه الوجهان نحو: الكتب، والرسل وحتى جاء ذلك في العين إذا كانت واوا نحو:

.... سُـوُكَ الإِسْـحِـلِ[٦]

وقوله:

---

(١) قرأ حفص بضم الزاي من غير همز، وحمزة بإسكان الزاي، وبالهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً اتباعا للخط. وبقية السبعة بالضم والهمزة. التيسير ص ٧٤، وانظر: «السبعة» ص ١٥٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٠٠.

(٢) في (ب): (وكذلك).

(٣) في «الحجة» لأبي علي: (قال أبو الحسن: زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم.... الخ) نقل عن أبي علي بتصرف. «الحجة» ٢/ ١٠٥.

(٤) في (أ)، (ج): (الحلم)، وأثبت ما في (ب) لأنه يوافق ما في «الحجة» ١/ ١٠٥.

(٥) عند تثقيلها يقال: (العُسُر)، (اليُسُر)، و(الحُكُم)، و(الرُّحُم). وهذا آخر ما حكاه أبو علي عن أبي الحسن عن عيسى. انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٨، و«الحجة» ١/ ١٠٥، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٤٤٨، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١.

(٦) البيت لعبد الرحمن بن حسان، وتمامه:

أغَـرُّ الـثَّـنـايـا أحـمُّ الـلِّـثـا ت تَـمْـنَـحـهُ سُـوُكُ الإِسْـحِـلِ

(الأحم): الأسود، و(اللثات): جمع لثة وهي ما حول الأسنان، (سوك): جمع مسواك، و(الإسْحِل): شجر يستاك به. ورد في «الحجة» ٢/ ١٠٥، «المقتضب» ١/ ١١٣، «المخصص» ١١/ ١٩٢، «الصحاح» ٤/ ١٥٩٣، «المنصف» ١/ ٣٣٨، «شرح المفصل» ١٠/ ٨٤.

وفي الأكُفِّ اللامِعاتِ سُوُر[1]

وأما فُعْل في جمع أفعل نحوأحْمر وحُمْر، وكأنهم ألزموه الإسكان للفصل بين الجمعين، وقد جاء فيه التحريك في الشعر[2].

ومعنى قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال أبو زيد: هَزِئتُ به[3] هُزْءًا وَمهْزَأةً، وهذا لا يخلو من أحد أمرين[4]، أحدهما: أن يكون المضاف محذوفا؛ لأن الهُزْءَ حَدَثٌ، والمفعول الثاني من هذا الفعل يكون الأول كقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] ويكون التقدير: أتتخذنا أصحاب هزء. أويكون جعل الهُزْءَ المهزوءَ به مثل الخلْق[5] والصيد. وقوله[6]: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٧] لا يحتاج فيه إلى تقدير

---

(١) البيت لعدي بن زيد كما في «الكتاب» وشطره الأول:

عن مُبْرِقاتٍ بالبُرِيْنِ تبدو

(المبرقات): النساء المتزينات، و(البُرين): جمع برة وهو الحلي، و(سُوُر) جمع سوار. والبيت من «شواهد» سيبويه ٤/ ٣٥٩، و«شرح شواهده» للسيرافي ٢/ ٤٢٥، «المخصص» ٤/ ٤٦، و«المنصف» ١/ ٣٣٨، و«الحجة» ٢/ ١٠٥، و«شرح الكافية» لابن مالك ٤/ ١٨٣٧، «شرح المفصل» ٥/ ٤٤، ١٠/ ٨٤، ٩١، و«الهمع» ٦/ ٩٤، «اللسان» (لمع) ٧/ ٤٠٧٤.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٠٦، وانظر «الكشف» لمكي ١/ ٢٤٨.

(٣) (به): ساقط من: (ب)، وليس في «الحجة»، وفي الحاشية: (في ط: هزئت به) «الحجة» ٢/ ١٠٤.

(٤) في «الحجة» بعد أن ذكر كلام أبي زيد: قال أبو علي قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فلا يخلو من أحد أمرين..) ٢/ ١٠٤.

(٥) قوله: مثل الخلْق والصيد، أي في نحو قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ونحو ذلك. انظر: «الحجة» ٢/ ١٠٤.

(٦) في (ب): (وقال).

محذوف، لأن الدِّين[١] ليس بعين.

وقول موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ في جواب: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يدل على أن الهازئ جاهل[٢]، ومعنى ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ أي: أمتنع به وألجأ إليه، ومصدره العَوْذ والعِياذ[٣]. وتقول العرب: أطيب اللحم عُوَّذه، أي الذي عاذ بالعظم، وناقة عائذ: يعوذ بها ولدها، وجعلت عائذًا وهي معوذ بها، وجمعها عُوذ، وهي الحديثات النتاج، وذلك أن الولد يعوذ بها إذا[٤] كان حديثا، فإذا شبّ الولد لم يعذ بالأم، فلهذا يفسر العُوذ بالحديثات النتاج[٥] والأصل ما ذكرنا، ومنه قول لبيد:

فالعِينُ سَاكِنَةٌ على أَطْلائِهَا[٦] عُوذًا تأَجَّلُ بِالغَضَاءِ بِهَامُهَا[٧]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الجهل نقيض العلم، ويقال: استجهلت الريحُ الغصنَ إذا حركته فاضطرب، والمجهلة: الأمر يحملك

---

(١) في (ب)، (ج): (الذين) تصحيف.

(٢) انتهى من «الحجة» ٢/ ١٠٤، ١٠٥.

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» (عوذ) ٤/ ١٨٤، «اللسان» (عوذ)٥/ ٣١٦٢.

(٤) في (أ)، (ج): (إذ)، وأثبت ما في: (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (عاذ) ٣/ ٢٢٧٣، «الصحاح» (عوذ) ٢/ ٥٦٧، «اللسان» (عوذ) ٥/ ٣٧٦٣.

(٦) في (ب): (أطلابها).

(٧) قوله: (العين): البقر، لكبر عيونها، و(أطلائها): أولادها، والمفرد: طلا و(عوذا): حديثات النتاج، و(تَأَجَّل): تسير أو تتجمع إجْلاً إجْلاً، أي قطيعا. و(البِهَام): أولاد الضأن، واستعاره لبقر الوحش. «شرح ديوان لبيد» ص ٢٩٩، «مقاييس اللغة» (عوذ) ٤/ ١٨٤، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص ١٣٣، «اللسان» (أجل) ١/ ٣٣، و(بهم) ١/ ٣٧٦.

على الجهل[١]، ومنه الحديث: « **الولد مجهلة مبخلة**[٢] **مجبنة**[٣]».

وكان حقه[٤] أن يقول: (فقال أعوذ بالله) لأنه عطف على ما قبله، قال الفراء: وهذا في القرآن كثير بغير الفاء، وذلك أنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه، فكأنّ[٥] حسن السكوت[٦] يجوز به طرح الفاء. وأنت تراه في رؤوس[٧] الآيات لأنها فصول حسناً[٨]، من ذلك[٩] قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾[١٠] [الحجر: ٥٧، ٥٨، والذاريات:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (جهل) ١/ ٦٨٠، «اللسان» (جهل) ١/ ٧١٣.

(٢) (مبخلة): ساقط م:ن (ب).

(٣) أخرجه ابن ماجه بسنده (عن يعلى العامري أنه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه، وقال: «**إن الولد مبخلة مجبنة**». قال في «الزوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات. «سنن ابن ماجه» كتاب الأدب، باب: بر الوالد والاحسان إلى البنات. وبهذا اللفظ ذكره السيوطي في «جمع الجوامع» وعزاه لابن ماجه وابن أبي شيبة والطبراني في «الكبير»، «جمع الجوامع» في ١/ل/ ٢١٦. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، ولفظه: «**أن الولد مبخلة مجهلة مجبنة**» قال: رواه البزار ورجله ثقات. «مجمع الزوائد»، كتاب: البر والصلة باب ما جاء في الأولاد ٨/ ١٥٥.

(٤) قوله: (وكان حقه أن يقول..) هذه العبارة لا تليق بمكانة كتاب الله الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، مع أن عموم القاعدة التي ذكر منقوض بكلام الفراء الذي أورده.

(٥) في (ب): (وكان) وفي «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣: (فكأن) وهو أولى.

(٦) في (أ): (السكون) والصحيح بالتاء كما في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٧) في (ب): (فصول).

(٨) كذا في جميع النسخ، وكذا في «معاني القرآن» للفراء وفي حاشيته: في ش، ج (حسنة) ١/ ٤٤.

(٩) (من ذلك): ساقط من: (ب).

(١٠) قوله: (قالوا إنا أرسلنا) ساقط من: (ج).

٣١، ٣٢]. والفاء حسنة مثل قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [هود: ٢٧، المؤمنون: ٢٤]، ولوكان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء، من ذلك[١]: قمت ففعلت، لا يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال[٢]، حتى يقولوا: قلت[٣] فقال وقمت فقام، أو قلت[٤] وقال، لأنها نسق وليست باستفهام يوقف عليه، قال: وأنشدني بعض العرب.

لَـمَّـا رأَيْـتُ نَـبَـطًـا أَنْـصَـارا شَـمَّـرتُ عَـنْ رُكْـبَـتِـيَ الإِزَارَا
كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارى جَارَا[٥]

[لم يقل: فكنت، ولا وكنت][٦].

٦٨- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ الآية إنما سألوا ما هي، لأنهم لم[٧] يعلموا أنّ بقرةً يحيا بضرب بعضها ميّتٌ، قاله[٨] الزجاج[٩].

---

(١) (ذلك) ساقط من (ب).

(٢) زيادة لازمة من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٣) قوله: (حتى يقولوا قلت) ساقط من (ب).

(٤) قوله: (أو قلت وقال) ليست في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٥) سبق هذا الرجز. انظر تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. وبه ينتهي ما نقله من كلام الفراء. انظر: «المعاني» ١/ ٤٣، ٤٤، «تفسير الطبري» ١/ ٣٣٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٧) في (ب): (ما علموا).

(٨) في (ب)، (ج): (قال).

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٢. والحقيقة أن هذا السؤال تعنت منهم لسوء أخلاقهم مع نبي الله وجفائهم. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٢أ، «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٧.

ويقال: بيّن الشيءَ وأبانه إذا[(١)] أزال الإشكال عنه، والأصل فيه معنى التفريق، والبيان سمي بياناً لأنه التميز عما يلتبس، والتبيين هوالتمييز الذي يقع به التعريف[(٢)]. وترى هذا مستقصًى[(٣)] عند قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة:٦٨].

وموضع (ما) رفع بالابتداء، لأنه بمعنى الاستفهام، معناه: أي شيء هي؟ والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[(٤)]، وبيان هذه المسألة يذكر[(٥)] عند قوله: ﴿مَا لَوْنُهَاۚ﴾ [البقرة: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال الفراء: الفارض: الهرمة، يقال من الفارض: فرَضَت وفرُضَت، ولم يسمع بِفَرَضَ[(٦)]، ونحو ذلك قال قتادة[(٧)].

وقال الكسائي: الفارض: الكبيرة العظيمة، قد فرَضت تفرُض فُروضًا.

ثعلب عن ابن الأعرابي: الفارض: الكبيرة.

---

(١) في (ب): (وإذا).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» (بين) ١/ ٣٢٧، «الصحاح» (بين) ٥/ ٢٠٨٢.

(٣) في (ب): (مستقص).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١٨٥، و«إعراب المشكل» ١/ ٥٢، و«الإملاء» ص ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١.

(٥) (يذكر): ساقط من: (ب).

(٦) في (ج): (تفرض)، وفي (أ) غير معجمة، والكلام بهذا النص في «تهذيب اللغة» (فرض) ٣/ ٢٧٧٢، وفي «معاني القرآن» للفراء: (والفارض: قد فرضت، وبعضهم: قد فرضت، وأما البكر فلم نسمع فيها بفعل) ١/ ٤٥.

(٧) وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية والسدي، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤١٢.

وقال أبو الهيثم: الفارض: المسنة[١].

أبو زيد: بقرة فارض: عظيمة سمينة، والجميع فوارض[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ قال الليث: البكر من النساء: التي لم تمس، والبكر من الرجال: الذي لم يقرب النساء بعد، والبكر: أول ولد الرجل غلاما كان أو جارية، وبقرة بكر: فتية لم تحمل، والبكر من كل أمر: أوله[٣]، وأصل هذا الباب أول الأمر، فالبكارة أول حال النساء، وهي بكر في أول حالها، والباكورة أول ما يدرك من الثمار، والبُكرة أول النهار[٤].

قال الزجاج في قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾: أي: ليست بكبيرة ولا صغيرة، قال: وارتفع (فارض) بإضمار هي[٥].

وقال الأخفش: ارتفع على الصفة للبقرة، والوصف بالنفي صحيح، لأنه يرجع في التحقيق إلى أنه يختص بما ينافي ذلك الوصف، تقول: مررت برجل لا قائم ولا قاعد، أي: برجل[٦] مختص بصفة تنافي القيام والقعود[٧].

---

(١) قول الكسائي وابن الأعرابي وأبي الهيثم في «تهذيب اللغة» (فرض) ٣/ ٢٧٧٢، وانظر: «اللسان» (فرض) ٦/ ٣٣٨٧.

(٢) ذكره في «اللسان» (فرض) ٦/ ٣٣٨٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧.

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» (بكر) ١/ ٢٨٧، «تهذيب اللغة» (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧، «اللسان» (بكر) ١/ ٣٣٣.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ١٢٢.

(٦) في (ب): (رجل).

(٧) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٩. ذكر قوله بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ﴾ قال الفراء: انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَالِكَ﴾. قال: والعوان يقال منها: عوَّنت تُعوّن تعْوينًا[١].

وقال أبو الهيثم: العوان: النَّصَف التي بين الفارض -وهي المسنة- وبين البكر وهي: الصغيرة[٢].

أبو زيد: بقرة عوان: بين المسنة والشابة[٣]، وقد عانت تعون عُووناً إذا صارت عواناً[٤].

وقال الأخفش: العوان التي نتجت مرارا، وجمعها عُون[٥]. قال ابن[٦] مقبل:

وَمَأْتَمٍ كَالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُها لَمْ تشقَ بالعَيْشِ أَبْكَارًا وَلَا عُونًا[٧]

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٤، ٤٥، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، ولم يرد فيهما (تعون تعوينا).

(٢) «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، وانظر: «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩.

(٣) في (ب): (الشاب).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٣ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٨٣، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

(٦) (ابن): ساقط من: (ج).

(٧) (المأتم): جماعة النساء، و(الدمى): الصورة أو التمثال، شبه النساء بجمالهن بالدمى، لم يشقين بالعيش وهن أبكار، أو عون عند أزواجهن، ويروى البيت (لم تيأس) بدل (لم تشق)، ورد البيت في «تفسير الطبري» ، «الزاهر» ١/ ٢٦٣، و«جمهرة أشعار العرب» ص ٨٥٩، «تهذيب اللغة» (أتم) ١/ ١١٤، «اللسان» (أتم) ١/ ٢٠.

وقال ابن الأعرابي: العَوَان[١] من الحيوان السن بين السنين لا صغير ولا كبير[٢].

قال[٣]: ويقال في الجمع: عُون، فرس عَوان، وخيل عُون، على فُعْل، والأصل عُوُن فكرهوا إلقاء ضمة على الواو فسكنوها، وكذلك يقال: رجل جواد وقوم جُود، قال زهير:

نَحُلُّ[٤] سُهُولَها فإذا فَزِعْنا جَرَى مِنْهُنّ بالآصال عُونُ[٥]

فزعنا: أغثنا مستغيثًا.

قال[٦]: وامرأة عوان: ثيب. وحرب عوان: كان قبلها حرب، كأنه قوتل فيها مرتين.

قال ابن عباس: عوان: بين[٧] الصغيرة والكبيرة، وهي أقوى ما

---

(١) في (أ)، (ج): (العون)، وما في (ب) يوافق «تهذيب اللغة».

(٢) كلام ابن الأعرابي أورده الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، وانظر: «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩.

(٣) نسب الواحدي الكلام لابن الأعرابي، وهو في «تهذيب اللغة» منسوب لأبي الهيثم حيث قال: (وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال: العوان النصف.. ثم قال: قال: ويقال: فرس عوان . . إلخ)، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢.

(٤) في (أ) (ج): (يحل)، وفي (ب) غير منقوط، وبالنون ورد في جميع المصادر.

(٥) قوله: (جرى منهن): أي من خيلهم، وقد روي شطره الأخير:

جَرتْ بهم إلى المِضمارِ عُون

ورد البيت في «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، «المخصص» ٨/ ٥١، «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩، و«ديوان زهير» ص ١٠٢.

(٦) أي ابن الأعرابي. انظر: «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢.

(٧) في (ج): (من).

يكون من البقر[١] وأحسن ما يكون[٢].

وقال مجاهد: عوان: وسط قد ولدت بطنا أوبطنين[٣].

وفائدة قوله: (عوان)، بعد ما نفي أن تكون[٤] بكراً وأن تكون[٥] فارضاً، هوأنه احتمل أن تكون عجلاً أو جنيناً، فقال: عوان، لإزالة اللبس ونفي الاحتمال.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ و(بين) لا تصلح[٦] إلا لشيئين[٧] أولأكثر، وإنما صلحت من ذلك وحده؛ لأنه في مذهب الاثنين[٨]، والاثنان[٩] قد يجتمعان بـ ذلك وذاك ألا ترى أنك تقول: أظن زيدا أخاك، وكان زيد أخاك، ولا بد لـ (كان و أظن)[١٠] من شيئين، ثم تقول: قد كان ذاك وذلك، وأظن ذلك وذاك[١١]، فيكون جائزا.

---

(١) في (أ): (البقرة) وما في (ب)، (ج) يوافق رواية ابن عباس في الطبري.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» عن الضحاك عن ابن عباس ٢/ ١٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤١٣، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٨، «الدر المنثور» ١/ ١٥١.

(٣) أخرجه الطبري ٢/ ١٩٥، وابن أبي حاتم ١/ ٤١٤.

(٤) في (أ): (يكون) في المواضع الثلاثة وأثبت ما في (ب)، (ج) لمناسبته للسياق.

(٥) في (ج): (أو تكون).

(٦) في (أ)، (ج): (يصلح) وما في (ب) موافق لـ«معاني القرآن» للفراء١/ ٤٥، والكلام منقول منه.

(٧) في «معاني القرآن»: (لا تصلح إلا مع اسمين فما زاد).

(٨) في (ب): (الاثنتين).

(٩) في «معاني القرآن» (والفعلان).

(١٠) في (ب): (ولأظن).

(١١) (ذاك): ساقط من: (ب).

والاسمان اللذان ضمهما ذلك: الهرم والشباب[١]، كأنه قيل: بين الهرم والشباب[٢]، وجاز أن يتضمن ذلك اسمين، لأنه أتى به على مذهب الفعل وأنت تقول في الأفعال: إقبالك وإدبارك يشق علي، فتوحد فعلهما بعدهما، ولا تقول: أخوك وأبوك يزورني لأن الأفعال وإن اختلفت حركاتها جنس واحد، وليست كالأسماء التي يخالف بعضها بعضا، كذلك هاهنا أريد بين الهرم والشباب[٣].

ومما يجوز أن يقع عليه (بين) وهو واحد في اللفظ ويؤدي عن الاثنين[٤] فما زاد قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ولا يجوز: لا نفرق بين رجل منهم، لأن أحدا لا يُثنى كما يثنى الرجل ويجمع، فإن شئت جعلت أحدا[٥] في تأويل اثنين، وإن شئت في تأويل أكثر من ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وتقول: بين أيهم المال، وبين من قسم المال، فتجرى[٦] (من وأي) على[٧] مجرى أحد لأنهما قد يكونان لواحد. وجميع[٨] هذا قول الفراء[٩]، ونحو هذا قال

(١) في (أ، ج): (الشاب) في المواضع الثلاثة، وما في (ب) موافق لـ«معاني القرآن» ١/ ٤٥.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) في (ب): (اثنتين).

(٥) في (ب): (واحد).

(٦) في (ج): (في فتجري).

(٧) (على): ساقط من: (ب).

(٨) في (ب): (لواحد ولجمع).

(٩) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٥، وقد نقل كلام الفراء بتصرف، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٤.

الزجاج فقال: معنى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين البكر والفارض، وإنما جاز بين ذلك وبين لا يكون[١] إلا مع اثنين لأن[٢] ذلك ينوب عن الجمل تقول: ظننت زيدا قائما، فيقول القائل: قد ظننت ذاك، وظننت ذلك[٣].

قال أبو علي[٤]: اعلم[٥] أن بين اسم يستعمل على ضربين: مصدر وظرف، وهما عندي وجميع بابهما يرجع إلى أصل واحد، وهوالافتراق والانكشاف.

فأما الذي هو مصدر[٦] فقالوا: بان الخليطُ بيناً أي فارق، وقد بِنْتُه أي: فارقته، أنشد أبو زيد:

كَأَنَّ عَيْنَيَّ وَقَدْ بَانُونِي غَرْبَانِ فِي جَدْوَلٍ مَنْجَنُونِ[٧]

والمعروف: بان عني، فأما هذا فيتجه على أنه أراد الحرف فحذفه

---

(١) في (ب): (لا تكون).

(٢) (لأن): ساقط من: (ج).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٣، وانظر ما سبق ص ١٠٣٧، ١٠٣٨.

(٤) ورد كلام أبي علي في كتاب «الإغفال فيما أغفله الزجاج في كتاب معاني القرآن» نقل عنه الواحدي طويلا بتصرف، وقد أثبت الفروق الهامة في أما كنها، «الإغفال» ص ٢١٤.

(٥) (اعلم): ساقط من: (ب).

(٦) في (ب): (المصدر).

(٧) قوله: (بانوني): فارقوني، (غربان): مثنى غرب، وهي: دلو عظيمة، (جدول): نهر صغير، (منجنون): الدولاب، وهو ما يستقى به الماء، فارسي معرب. ورد البيت في «نوادر أبي زيد» ص ٢٦٢، «الإغفال» ص ٢١٤، «الخصائص» ٢/ ١٤٩، «المنصف» ٣/ ٢٤، «المخصص» ١٢/ ٣٨، «اللسان» (بين) ١/ ٤٠٤، و(منجنون) ١/ ٤٢٧٣.

فلما حذف الحرف أوصل الفعل[(١)]. وقولهم: بان الأمر وأبان، إنما معناه: انكشف، وفارقه ما كان غشيه من الإشكال بغيره والالتباس بسواه.

وقال أبو زيد: البَيُون: البئر الواسعة الرأس الضيقة الأسفل، إذا قام الساقي على شفتها لم ير الماء، وأنشد:

إنَّكَ إنْ دَعَوْتَنِي ودُونِي زَوْرَاءُ ذاتُ مَنْزَعٍ بَيُونِ
لَقُلْتُ لَبَّيْهِ لِمَنْ يَدْعُونِي[(٢)]

وهذا أيضًا مما ذكرنا[(٣)]؛ لأن أعلى البئر فارق أسفلها لانهياره بورود السابلة عليها[(٤)] والمستقين[(٥)] منها.

ولهذا المعنى الذي ذكرنا في أصل هذه الكلمة أضيف (بين) إلى ما دل على أكثر من الواحد في الأسماء، ولم يضف إلى الاسم المفرد الدال على الواحد، لأن ذلك ممتنع في معناه.

---

(١) بمعناه في «الإغفال» ص ٢١٥.

(٢) الرجز لم يعرف قائله، ومعنى: (زوراء): الأرض البعيدة الأطراف. (المنزع): الموضع الذي يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر، فذلك الهواء هو المنزع. يقول: لو ناديتني وبيني وبينك أرض بعيدة، ذات ماء بعيد المتناول، أجبت. فلا تردني عن إجابتك الصعاب، وردت الأبيات في «تهذيب اللغة» (بان) ١/ ٢٦٦، «المخصص» ١٠/ ٣٦، ١٦/ ١٤٧، «الإغفال» ص ٢١٥، «الهمع» ٣/ ١١٣، «شرح ابن عقيل» ٣/ ٥٢، «أوضح المسالك» ١٤٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٥٧٨، «الخزانة» ٢/ ٩٣، «اللسان» (لبب) ٧/ ٣٩٨٠، و(بين) ١٣/ ٦٤، ووقع اختلاف يسير في رواية بعض ألفاظها.

(٣) في «الإغفال»: (ذكرناه).

(٤) (عليها): ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (المستبين).

ألا ترى أنك لو قلت: اجتماع زيد[١]، وجمعت زيداً، لم يسغ[٢] حتى تضيف إليه ما تريد[٣] به على الأفراد.

هذا أصل (بين) في اللغة، ثم لا يمتنع أن يتسع فيه كما اتسع في غيره، فيستعمل لغير هذا المعنى. مما اتسع فيه أنه استعمل بمعنى الوصل[٤]، وهوضد الافتراق، وقد بينا أن أصله راجع إلى الافتراق، وإنما جاز استعماله بمعنى الوصل في قوله: ﴿لَقَد تَقَطَّع بَيْنُكُم﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من رفع[٥]، لأنه قد كثر استعمالها ظرفًا بين الشيئين ومع الشيئين اللذين بينهما ملابسة ومخالطة، فصار لذلك بمنزلة الوصلة والاقتراب بين الشيئين. وهذا الاتساع إنما هوفي المستعمل ظرفا دون التي هي مصدر، لأنه في الاستعمال أكثر.

وهذا التوسع في الظروف كثير، والذي استعمل ظرفا أصله الذي هومصدر؛ لأن المصادر قد استعملت ظروفاً في مواضع كثيرة، والأسماء التي تستعمل تارة ظروفاً وتارة أسماءً لا تمتنع أن تكون مشتقة مثل: خلف وأمام وقدام وأعلى وأسفل ووسط كلها مشتقة، وهي مع ذلك ظروف وقد استعملت أسماءً كما[٦] استعملت ظروفاً، وكذلك بين في نحوقوله: ﴿وَمِنْ

---

(١) في (ب): (زيدا).

(٢) (يسغ): مكانها بياض في (ب).

(٣) في «الإغفال» : (ما يؤيد به..) ص ٢١٧.

(٤) «الإغفال» ص ٢١٧ - ٢١٩، نقل كلامه بتصرف.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر بالرفع، وقرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص بالنصب. انظر: «السبعة» ص ٢٦٣، و«التيسير» ص ١٠٥.

(٦) في (ب): (كلما).

﴿بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] قد استعملت اسما. كما استعملت ظرفا[١] نحو: بينهما مال، وفي قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قراءة من نصب[٢]، لأن المعنى: لقد تقطع الاشتراك[٣] بينكم.

وأما ما لزم[٤] الظرفية وبعد عن التمكن كإذ ونحوه فيمتنع اشتقاقه[٥].

هذا هوالكلام في بين . فأما ما يقع بعده فهوعلى ضربين[٦]: اسم وجملة. والاسم المفرد الذي بعده لا يخلو من أن يكون دالا على واحد أوأكثر من الواحد. فإن كان دالا على الواحد غير دال[٧] على أكثر منه عطف عليه اسم آخر، وكان العطف بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة، [وذلك قولنا: المال بين زيد وعمرو. وإنما كان العطف بالواولما فيما من معنى الاجتماع، ولأن ذلك حقيقتها وأصلها وليس ذلك موجودا في شيء غيرها من الحروف العاطفة[٨]]، وفي العطف على الاسم المفرد بعد (بين) يحتاج إلى ما يدل على معنى الاجتماع. لما قدمنا ذكره في معنى

---

(١) في (ب): (قد استعملت ظروفًا).

(٢) قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم كما سبق.

(٣) في (أ)، (ج): (لقد تقطع بينكم الاشتراك بينكم) زيادة بينكم وليست في «الإغفال» ص ٢١٨.

(٤) في (أ)، (ج): (وأما لزم)، وفي (ب): (وأما ما لزوم).

(٥) قال أبو علي: (فالقول: أن ما كان منها يستعمل تارة اسما، وتارة ظرفا، فلم يلزم الظرفية، فيبعد بذلك عن المتمكنة، كإذ ونحوه، ولا يمتنع أن تكون مشتقة كسائر الأسماء التي لا تكون ظروفا) «الإغفال» ص ٢١٨.

(٦) «الإغفال» ص ٢١٩.

(٧) في (ب): (وغير ذاك).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(بين) فلو عطف فيه على الاسم المفرد بحرف غير الواو لبقيت إضافتها كأنها إلى المفرد.

ألا ترى أنك لوجعلت موضع الواو الفاء لكان -لما فيها من معنى إتباعه الثاني الأول- لا يكون مجتمعا مع المعطوف عليه، وإذا لم يجتمع معه حصلت الإضافة إلى مفرد دال على واحد، وإضافتها إلى الواحد ممتنع. والذي يدل على أنه حيث تريد[١] الاجتماع لا يجوز العطف بغير الواو[٢] أنك لوقلت: مررت بزيد أخيك وصاحبك، وأنت تريد نعته بالأخوة والصحبة جميعًا[٣] كان العطف بالواو دون سائر أخواتها، إذ[٤] كان الغرض أنه مستحق لهما[٥] معًا. وكذلك الأفعال التي لا تقع إلا من فاعلين لا يكون العطف فيه لأحد الفاعلين على الآخر إلا بالواو دون غيرها، لأنك لوعطفت فيها بغير الواو، لصارت كأنها مسندة إلى فاعل واحد، وذلك فيها فاسد، وذلك نحو الاشتراك والاختصام[٦] والاقتتال وما أشبه هذا. وما امتنع من العطف بالفاء، فهو من (ثم) أشد امتناعًا إذ[٧] كان معناها من معنى الاجتماع أبعد، وإلى الافتراق أقرب لما يدل عليه من التراخي والمهلة[٨].

---

(١) في (ب): (يريد).

(٢) «الإغفال» ص ٢٢٠، نقل كلامه بتصرف.

(٣) في (ب): (حصل).

(٤) في (ب): (اذا).

(٥) في (ب): (لها جميعا).

(٦) في «الإغفال»: (الاختصاص) ص ٢٢٠.

(٧) في (ب): (اذا).

(٨) «الإغفال» ص ٢٢١.

فإن قيل[١]: أليس قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور: ٤٣] فأضاف (بين)[٢] إلى اسم مفرد؟ قيل: الهاء فيه ضمير يعود إلى اسم يراد به الجمع، فجاز إضافة (بين) إليه من حيث جاز إضافته إلى الاسم الذي هذه[٣] الهاء عائدة إليه، وذلك قوله: ﴿سَحَابًا﴾[٤] ألا ترى أن سحاباً جمع سحابة.

فأما قوله[٥]: بيني وبينه مال، فمذهب سيبويه فيه أن (بين) الثاني متكرر للتأكيد، ومعناه عنده[٦]: بيننا. قال: وهومثل قولهم: أخزى الله الكاذب منِّي ومنك وإنما هو: منا[٧]، وكقول القائل[٨]:

فـأيِّـي مـا وأيُّـك كـان شـرًّا فَقِيدَ إلى الْمقَامَةِ لاَ يَرَاهَا[٩]

---

(١) «الإغفال» ص ٢٢٦.

(٢) (بين): ساقط من (ب).

(٣) في (ج): (هو هذه).

(٤) سياق الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [الآية، النور: ٤٣].

(٥) في (ب): (قولهم).

(٦) في «الإغفال» : فمذهب سيبويه فيه أن (بين) الثاني متكرر للتأكيد، كما يكرر الشيء له، ومعناه عندنا: بيننا.. ص ٢٢٧.

(٧) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٠٤.

(٨) هو العباس بن مرداس.

(٩) معنى البيت: يقول من كان منا شرًّا أعماه الله في الدنيا فلا يبصر مجلسه، وقيل: مات على عماه فيقاد إلى موضع إقامة الناس في العرصات، و(المُقامة): بفتح الميم وضمها: المجلس ومكان اجتماع الناس. انظر: «الكتاب» ٢/ ٤٠٢، «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٩٣، و«شرحها» للنحاس ص ١٥٥، «الإغفال» ص ٢٢٧، «تهذيب اللغة» (أى) ١/ ٢٤٢، «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٧، و(أيا) ١/ ٢٤٢، «أمالي القالي» ٣/ ٦٠، «شرح المفصل» ٢/ ١٣١، «الخزانة» ٤/ ٣٦٧، «البحر المحيط» ٤/ ٢٢٦.

إنما هو فأينا، كذلك هاهنا المعنى بيننا، وكرر للتأكيد. وأما قوله تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ فأضاف[١] (بين) إلى ذلك من حيث جاز إضافته إلى القوم وما أشبه ذلك من الأسماء التي تدل على الكثرة وإن كانت مفردة، وإنما جاز أن يكون قولنا: (ذلك) يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كـ (الذي وما).

ألا ترى أن القبيلين يشتبهان في دلالة كل واحد منها على شيء بعينه. ألا ترى أن (الذي) لا يدل على زيد دون عمرو، و(ما) لا يدل على الفرس دون الحمار، وكذلك (من)، فكان[٢] قولنا (ذلك) وسائر المبهمة كذلك، فلما كان (الذي وما ومن) على ما وصفنا من الدلالة على الجموع والإفراد، وكانت تفرد والمراد في إفرادها الجمع في نحوقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣] و﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] و﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ونحو ذلك مما يكثر تعداده، وكانت المبهمة مثلها في أنها لا تخص[٣] بالدلالة نوعاً ولا شخصاً بعينه، أجري مجراها في أن المراد فيما استعمل منه مفرداً قد يكون الجماعة[٤].

وهذا واسع مستحسن في جميع المبهمة، فمن المبهمة (كم) في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] وقال: ﴿وَكَم

---

(١) في (ب)، (ج): (فأضيف)، وفي «الإغفال»: (فإنما أضيف..) ص ٢٢٨.

(٢) في (ب): (وكان).

(٣) في (ب)، (ج): (لا تختص)، وما في (أ) موافق لـ «الإغفال» ص ٢٢٩.

(٤) في «الإغفال»: (لجماعة) ص ٢٢٩، وعبارته أوضح.

مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ [الأعراف: ٤] ثم قال: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وقال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧][١] وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣].

فهذه الأسماء[٢] حسن فيها هذا، لما لم يكن[٣] لواحد بعينه ولا لنوع وحده[٤]، فكذلك[٥] (ذلك) لما كان مبهماً جاز أن يراد به الواحد مرة، وأكثر من الواحد مرة، وعلى هذا الحد صار فاعلاً لحبَّ في قولهم: [حبذا. ألا ترى أنه موضع يقع فيه الاسم[٦]، كما أن فاعل نعم وبئس عام. وقيل:][٧] حبذا هند، كما قيل: حبذا زيد[٨]، ويدلك على ما ذكرنا من قصدهم بـ (ذلك) الجمع وما زاد على الواحد، أن رؤبة لما قيل له في قوله:

فيه خُطُوطٌ من سَوَادٍ وبَلَقْ كأَنَّه في الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[٩]

(١) والآية لم ترد في «الإغفال»، وترك الواحدي آيات أخرى استشهد بها أبو علي، انظر: ص ٢٣٠.
(٢) في (ج): (اسماء).
(٣) في (ب): (يكون)، وفي «الإغفال» (تكن) ص ٢٣٠، وهو أولى.
(٤) في «الإغفال» (واحد) ص ٢٣٠.
(٥) في (ج): (وكذلك).
(٦) في «الإغفال»: (الاسم العام).
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج)، وثابت في (ب)، و«الإغفال» ص ٢٣٠.
(٨) أي: أنه لم تُغير (حبذا) للتأنيث. انظر «الإغفال» ص ٢٣٠، ٢٣١.
(٩) يروى (فيها) بدل فيه، وقوله (بلق): سواد وبياض، و(التوليع) استطالة البلق ولمعانه، (البهق): بياض رقيق في البشرة. ورد الرجز في «ديوان رؤبة» ص ١٠٤ «مجالس العلماء» للزجاجي ص٢٧٧، «المخصص» ٥/ ٨٩، «تهذيب اللغة» (بهق) ١/ ٤٠٥، «مجمل اللغة» ١/ ١٣٨، «مقاييس اللغة» ١/ ٣١٠، «اللسان» ١/ ٣٧٤،=

وجب أن تقول[١]: كأنها، وإن أردت السواد والبلق وجب أن تقول[٢]: كأنهما.

قال: أردت كأن ذاك[٣]. فعلم بهذا أنهم يقصدون بـ (ذلك) غير المفرد وأنه قصد هذا المعنى، وعليه حمل كلامه.

ويدل أيضًا على أنهم يقصدون بـ(ذلك) إلى[٤] أكثر من الواحد إضافتهم (كلا) إليه، وذلك في قول القائل:

وَكِلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ[٥]

ألا ترى أن (كلا) لا يضاف إلى المفرد، فبان أن المراد بـ (ذلك) الزيادة على الواحد. وكذلك[٦] قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ إنما أضيف

=و«أساس البلاغة» (ولع) ٢/ ٥٢٧، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١، ٤/ ٢٨٥، ٥/ ٦٤، «الكشاف» ١/ ٢٧٨، «الدر المصون» ١/ ٤٢٣.

(١) في (أ): (يقول)، وما في (ب)، (ج) موافق «للإغفال» ص٢٣١.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) في «مجاز القرآن»: قال أبو عبيدة فقلت لرؤبة: إن كانت خطوط فقل كأنها، وان كان سواد وبلق فقل: كأنهما، فقال: كأن ذاك ويلك توليع البهق. «المجاز» ١/ ٤٤.

(٤) (إلى): ساقط من (ج)، وفي (ب): (الأكثر).

(٥) من قصيدة لعبد الله بن الزِّبَعْرَى، قالها يوم أحد، يتشفى من المسلمين، فرد عليه حسان، والشطر الأول: إنَّ للخَيْرِ ولِلشَّرِ مَدًى.
أورد ابن هشام القصيدة في «السيرة» ٣/ ٩٦، وهي في «شعره» ص ٤١، وورد البيت في «الإغفال» ص٢٣٢، «شرح المفصل» ٣/ ٢، و«الهمع» ٤/ ٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١، «شرح ابن عقيل» ٣/ ٦٢، «مغني اللبيب» ١/ ٢٠٣، «أوضح المسالك» ١٤٦، «الدر المصون» ١/ ٣٤٨، ٤٢٢.

(٦) في (ب): (فكذلك)، ومثله في «الإغفال» ص ٢٣٢.

(بين) إلى (ذلك) لأن المراد به الزيادة على الواحد.

ألا ترى أنه إشارة إلى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة.

فأما قول أبي إسحاق: (لأن ذلك ينوب عن الجمل[١]، يقول القائل: ظننت ذاك، والظن يقتضي مفعولين فقام ذلك أوذاك مقامهما)، فهذا خطأ[٢]، ولا يجوز أن يقع ذاك وذلك[٣] موقع الجملة، ولا يجوز أن تكون[٤] نائبة عن الجملة، لأنه لوكان نائبا عنها للزم أن ينوب عنها في صلة (الذي) وأخواتها، وفي وصف النكرات[٥]. ولو[٦] كان (ذلك) نائبًا عن الجمل لما جاز وقوعه في هذه الآية؛ لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل، ولا من الأماكن التي يتجه فيها دخول الجمل.

---

(١) في «الإغفال» : (فأما قول أبي إسحاق: إنما جاز (بين ذلك)، و(بين) لا تكون إلا مع اثنين فعبارة أطلقها على جهة التسامح.. ثم قال (فأما قوله (لأن ذلك) ينوب عن الجمل، كقول القائل: ظننت ذاك . . . إلخ) نقله بتصرف «الإغفال» ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) قوله: (فهذا خطأ) لم يرد في كلام أبي علي، ونص كلامه: (فلا يخلو(ذلك) في ما ذكره من قولهم: ظننت ذاك أن يكون إشارة إلى المصدر، كما ذهب إليه سيبويه، أو يكون نائبا عن الجمل كما قاله أبو إسحاق، أو يكون إشارة إلى أحد المفعولين اللذين يقتضيهما (ظننت)، لا تحتمل القسمة غير ذلك..) ثم أخذ يفصل هذه الوجوه. انظر: «الإغفال» ص ٢٣٣.

(٣) في (ج): (ذلك و ذاك).

(٤) في (أ)، (ج): (يكون)، وفي «الإغفال» (يكون نائبًا) ص ٢٣٣، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق.

(٥) «الإغفال» ص ٢٣٣.

(٦) «الإغفال» ص ٢٤١.

ألا ترى أن (ذلك) إشارة إلى البكارة والفروض. فلو كان واقعاً[١] موقعَ جملةٍ ما دلّ عليهما[٢]؛ لأن الجملة يُسنَد فيها الحديثُ إلى المحدَّث عنه[٣]، وليس[٤] واحد من الفروض والبكارة بمسند إلى الآخر. وهذا واضح لمن تأمله.

فأما قولهم: ظننت ذاك، فهو عند سيبويه إشارة إلى المصدر[٥] كأنك قلت: ظننت ذاك[٦] الظنَّ، وإذا كان إشارة إلى المصدر لم يحتج إلى مفعول ثان، كما أنّ (ضربت) وغيره من الأفعال المتعدية إذا عديته[٧] إلى المصدر لم يلزم أن تُعدِّيه إلى مفعول به، فبان أن (ذاك) من قولهم: (ظننت ذاك) لم يقع موقع الجملة[٨].

٦٩- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَآ﴾ اللون[٩] مرفوع، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة، فتقول: يبين لنا لونَها، وقد قرئ

---

(١) في (ب): (واقع).

(٢) في (ب): (عليها).

(٣) في (ب): (عنها).

(٤) قوله: (وليس) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «الكتاب» ١/ ٤٠.

(٦) في (ب): (ذلك).

(٧) قوله: (إذا عديته) ساقط من (ب).

(٨) انتهى ما نقله المؤلف عن كتاب «الإغفال» لأبي علي الفارسي بعضه بنصه، وبعضه بتصرف. انظر: «الإغفال» ص ٢١٤ -٢٤١، وقد أطال في النقل عن (بين). ومحل ذلك المطولات من كتب النحو، لا كتب التفسير والله أعلم.

(٩) في (ب): (ما لونها مرفوع).

بها شاذّاً، وهوصواب[١]، ولكنه[٢] أراد[٣]: ادع لنا ربك يبيِّن لنا أي شيء لونُها ؟ ولم يصلح للفعل الوقوع[٤] على (أي) لأن أصله جمع متفرق[٥] من الاستفهام، كقول القائل[٦]: يبين لنا[٧] أسوداء هي أم صفراء ؟ فلما لم يصلح[٨] للتَّبَيُّن أن يقع على الاستفهام في تفرقه لم [يقع][٩] على أي، لأنها

---

(١) لعل المراد من الناحية النحوية، لو ثبتت القراءة به وقد نسب الثعلبي القراءة بالنصب إلى الضحاك ١/ ٨٤/أ، وعبارة الفراء - والكلام بنصه منقول عنه - يقول: (اللون مرفوع، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة فتقول: يبين لنا ما لونَها، ولو قرأ به قارئٌ كان صوابا..) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦. قارن بين كلام الفراء وكلام الواحدي. قال الزجاج: (ولا يجوز في القراءة (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونَها) على أن يجعل (ما) لغوا، ولا يُقرأ القرآن إلا كما قرأت القراء المجمع عليهم في الأخذ عنهم) «معاني القرآن» ١/ ١٢٣. وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٤، فإنه نقل بعض كلام الفراء بمعناه، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٥، و«المشكل» ١/ ٥٢.

(٢) في (ج): (ولكنه القائل يبين لنا أسوداء هي أما صفراء أراد: ادع..) وفيه تكرير جملة لا مكان لها هنا وستأتي بعد.

(٣) ما أحسن صنيع الفراء حينما قال: (ولكنه أراد - والله أعلم - ادع..) «معاني القرآن» ١/ ٤٦.

(٤) في (ج): (للوقوع).

(٥) عبارة الفراء: (لأن الأصل (أي) تفرق جمع من الاستفهام) يريد أن (أيا) نابت عن جمع من الاستفهام متفرق. انظر: «معاني القرآن» للفراء، وحاشيته ١/ ٤٦.

(٦) (القائل): مكرر في (ج).

(٧) في (ب): (سوداء) بسقوط الهمزة.

(٨) في (أ)، (ج): (فإنما يصلح للتبيين..)، وما في (ب) موافق لـ «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦.

(٩) (يقع) زيادة من «معاني القرآن» ١/ ٤٦، وهي لازمة لتمام الكلام.

جمع ذلك المتفرق، وكذلك ما كان في القرآن مثله. فأعمِلْ في[١] (ما) و(أي) الفعل الذي بعدهما، ولا تُعمِلْ الذي قبلهما إذا كان مشتقًّا من العلم أوفي معناه، كقولك: ما أعلم أيُّهم قال ذلك، ولا أُعلِمَنَّ أيُّهم قال ذلك، وما أدري أيَّهم ضربتَ[٢]. فهو في العلم والإخبار والإنباء وما أشبهها على هذا الوصف، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧] موضع (ما)[٣] رفع[٤]، رفعتها بيوم، كقولك: ما أدراك أيُّ شيء يوم الدين؟ وكذلك قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢] رفعت (أي) بأحصى، وإنما[٥] امتنعت (أي) من الفعل الذي قبلها، لأنك تجد الفعل غير واقع عليها في المعنى؛ ألا ترى أنك إذا قلت: اسأل[٦] أيُّهم قام، كان المعنى: سل الناس أيُّهم قام، ولوأوقعت الفعل على أي فقلت: اسأل أيَّهم قام، خرجت من معنى الاستفهام، وذاك جائز إن أردته[٧]، تقول: لأضربنَّ أيَّهم قال ذلك، فهنا[٨] (أي) لا تكون[٩] استفهاماً؛ لأن الضرب لا يقع [على

---

(١) (في): ساقطة من (ب).

(٢) من (ب): (ضربت)، ومثله في «معاني القرآن» ١/ ٤٦، وفي غير (ب): (ضرب).

(٣) في «معاني القرآن» (ما الثانية) ١/ ٤٦.

(٤) في (ب): (رفعت).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء: (وتقول إذا كان الفعل واقعا على (أي): ما أدري أيَّهم ضربت، وإنما امتنعت من أن توقع على (أي) الفعل الذي قبلها من العلم وأشباهه، لأنك تجد الفعل... إلخ) ١/ ٤٦، ٤٧.

(٦) في «المعاني»: (سل).

(٧) في (ب): (أردت).

(٨) في (ج): (فهاهنا).

(٩) في (أ)، (ج): (يكون).

اسم، ثم يأتي بعد ذلك استفهام ؛ لأن الضرب لا يقع][1] على اثنين.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] مَنْ نصَبَ أيّاً[2] أوقع عليها النزع، وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجن العاتي الذي هو أشدّ عِتيّا.

وأما الرفع[3]، فأن تجعل مكتفيًا بـ(من) في الوقوع عليها كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل طعام، ثم تستأنف أيّاً فترفعها بالذي بعدها، كقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وكذلك: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4] [آل عمران: ٤٤].

و[5] قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا﴾[6] ما بعد القول من باب[7] إنَّ مكسور أبدا، كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك، وإنما وقع (قلت) في كلام العرب على أن يحكى به ما كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخوله، فيؤدي

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) بالنصب قرأ طلحة بن مصرف، ومعاذ بن مسلم الهراء، وزائدة عن الأعمش، انظر «البحر المحيط» ٦/ ٢٠٩.

(٣) ذكر الفراء وجهين للرفع حيث قال: (وفيها وجهان من الرفع: أحدهما: أن تجعل الفعل مكتفيا بـ (من).. الخ) وذكر الوجه الثاني فقال: (فإن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ لننزعن من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايع أيهم أشد وأخبث، وأيهم أشد على الرحمن عتيا..) ١/ ٤٨.

(٤) بهذا انتهى ما نقله المؤلف من الفراء بنصه في الغالب، وبتصرف في بعضه، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٦- ٤٨.

(٥) (الواو): ساقط من (ب).

(٦) (قال): ساقط من (ب).

(٧) (باب): ساقط من (ج).

مع ذكر (قلت) ذلك اللفظ، تقول: قلت: زيد منطلق، وكذلك إن زيدًا منطلق، إذا حكيته تقول: قلت: إن زيداً منطلق[١]، لا اختلاف بين النحويين في ذلك، إلا أن قوماً من العرب، وهم بنو سُلَيم يجعلون باب (قلت)[٢] كباب (ظننت)، فيقولون: قلت: زيداً منطلقاً، وهذه لغة لا يؤخذ بها في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ﴾ هو مبالغة في نعت الأصفر يقال: فَقَعَ فُقُوعًا وهو يَفْقَعُ ويَفْقُعُ. وربما استعمل الفقوع في معنى الحمرة[٣]، قال البُرجُ بن مُسْهِر:

كُمَيْتاً[٤] مِثْلَ ما فَقَعَ الأَدِيم[٥]

أي: اشتدت حمرته، وفاقع يرجع إلى اللون، وهوخبر واسمه اللون، فهو خبر مقدم على الاسم[٦].

---

(١) الكلام بنصه في «معاني القرآن» للزجاج وفيه: (تقول: قلت: زيد منطلق. كأنك قلت: زيد منطلق، وكذلك: إن زيدا منطلق، لا اختلاف بين النحويين..) «معاني القرآن» ١/ ١٢٣.

(٢) في «المعاني»: (باب (قلت) اجمع كباب (ظننت)) ١/ ١٢٣.

(٣) أكثر المفسرين على أن ﴿فَاقِعٌ﴾ في هذه الآية صفة للأصفر. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٥- ٣٤٦، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٥٣، ٥٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، «الكشاف» ١/ ٢٨٧، وانظر: مادة (فقع) في «الصحاح» ٣/ ٢٥٩، «اللسان» ٦/ ٣٤٤٨.

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي «اللسان» (كميت)، وكذا في «التاج».

(٥) ورد البيت في اللسان، وصدره:

تَراها في الإناء لها حُمَيًّا

«اللسان» (فقع) ٦/ ٣٤٤٨، و«التاج» (فقع) ١١/ ٣٤٩.

(٦) في إعراب (فاقع) وجوه: الأول: (فاقع) خبر مقدم، و(لونها) مبتدأ مؤخر، =

ومعنى ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تعجبهم بحسنها[١].

٧٠- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي[٢]: أسائمة أم عاملة[٣]؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ ذكَّر الفعل لتذكير[٤] اللفظ كقوله: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وكلُّ جمعٍ حروفُه أقلُّ من حروف واحده جاز تذكيره مثل: بقر ونخل وسحاب، فمن ذكَّر ذهب إلى لفظ الجمع، ولفظ الجمع مذكر، ومَن أنَّث ذهب إلى لفظ الجماعة[٥]، قال الله تعالى: ﴿يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور: ٤٣] وقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]، وقال الزجاج: معناه جنس البقر تشابه علينا[٦].

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى وصفها[٧]، وقيل: إلى القاتل[٨].

= والجملة صفة، والثاني: (فاقع) صفة للبقرة، و(لونها): فاعل فاقع، والثالث: (فاقع) صفة، و(لونها) مبتدأ خبره (تسر الناظرين) انظر: «البيان» ١/ ٩٣، «الإملاء» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٢، «الدر المصون» ١/ ٤٢٤.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤أ.

(٢) في (ب): (قوله) يبين لنا ما هي (أي..).

(٣) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٤ أ، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٨، و«البغوي» ١/ ٨٣.

(٤) في (ج): (للذكير).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ أ.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٢٨.

(٧) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٤ب، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٠، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٢٨.

(٨) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٢٨، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٤.

قال رسول الله ﷺ: «**وأيمُ اللهِ لولم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد**»[١].

٧١- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ الذلول: المذللة بالعمل، و﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تقلبها للزراعة[٢]. ومعنى الإثارة: تفريق الشيء في كل جهة، يقال: أثرت الشيء واستثرته، إذا هيجته. قال[٣]:

إِذا كَانَ فِي صَدْرِ[٤] ابنِ عمِّك إِحْنَةٌ
فلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدُو دَفِينُهَا[٥]

ويقال: ثار الشيء إذا ارتفع عن مكانه، يقال: ثار الغبار، ثار الدخان، وثار الدم في وجه فلان، وثَوَّرْتُ كدُورةَ الماء فثار، ومنه الثور لأنه يثير الأرض[٦].

---

(١) أخرجه الطبري عن قتادة وابن جريج مرسلا، قال شاكر -عن الأثر عن ابن جريج: لا تقوم به حجة. «الطبري (مع حاشية شاكر)» ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦، وبمعناه عند «تفسير ابن أبي حاتم» عن أبي هريرة، قال المحقق: إسناده ضعيف. «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٢٠، وذكر ابن كثير رواية ابن أبي حاتم، وقال: ورواه الحافظ أبو بكر من مردويه في «تفسيره» من وجه آخر، ثم ذكره، وقال وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة. «ابن كثير» ١/ ١١٨، وقد تناقل المفسرون هذه الروايات بدون سند، وقد جمع بعضها السيوطي في «الدر» ١/ ١٥٠، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ١٥٦.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٢ و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ب، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٨٨.

(٣) نسبه المرتضى في أماليه، إلى أبي الطمحان، ونُسب في اللسان إلى الأقيبل القيني.

(٤) في (أ)، (ج): (صد)، وأثبت ما في (ب)، لأنه يوافق المصادر الأخرى التي ورد بها البيت.

(٥) البيت في «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٩، «مقاييس اللغة» (أحسن) ١/ ٦٧، «الفائق» ١/ ٢٧، «اللسان» (أحن) ١/ ٣٥.

(٦) «تهذيب اللغة» (ثار) ١/ ٤٦٧، انظر: «الصحاح» (ثور) ٢/ ٦٠٦، «معجم مقاييس اللغة» (ثور) ١/ ٣٩٥.

وقوله تعالى: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ صفة لذلول[١]، والنكرة مع صفتها شيء واحد، ولذلك[٢] قلنا: إن المراد بقوله: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ النفي لا الإثبات، لأنه نفي أن تكون مثيرة للأرض[٣]، والنفي دخل على أول الكلام، فانتفى ما كان ينضم إليه، والصفة للنكرة كالصلة للموصول، ولوقلت: فلان ليس بالذي يأتيني كنت نافياً للإتيان. ألا ترى إلى[٤] قول طرفة:

لا كَبِيرٌ[٥] دالفٌ من هَرَمٍ أرْهَبُ اللّيْلَ ولا كَلُّ الظُّفُرْ[٦]

أراد أنه لا يدلف من الهرم ولا يرهب الليل، ولم يرد الإثبات.

---

(١) وقيل: في موضع الحال من المضمر في (ذلول)، أو حال من (ذلول) أو حال من بقرة، أو صفة لها، أو مستأنفة، فيكون الوقف على (ذلول)، والقول الأخير مردود عند كثير من العلماء، وسيذكره الواحدي.
انظر: «إعراب المشكل» ١/ ٥٣، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٤٦، «الإملاء» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٥، «الدر المصون» ١/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) في (ب): (وكذلك).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٦، «الإملاء» ١/ ٤٢.

(٤) في (ب): (في).

(٥) في (ب): (كثير).

(٦) قوله: (دالف): الدالف هو الذي يقارب الخطو ويمشي مشي المقيد، (الهَرَم): أقصى الكبر، كَلُّ الظفُر) أي: ظفري غير كليل، كناية عن قوته وبطشه، وكليلُ الظفَّر: المهين الذي لا يؤبه له. ورد البيت في ديوان طرفة ص ٧٥، «مقاييس اللغة» (ظفر) ٣/ ٤٦٦، وفيه (لا كليل دالف)، وورد الشطر الثاني في «اللسان» (ظفر) ٥/ ٢٧٤٩، وفيه (لست بالفاني ولا كل الظفر).

قال ابن الأنباري[١]: غلط أبو حاتم في هذا[٢]، لأنه قال: الوقف جيد على قوله: (ذلول)[٣]، ثم يبدأ بـ (تثير[٤] الأرض)، وقال: إن الله تعالى وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفاً لغيرها من البقر، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهد من بقرنا.

وقد أبطل[٥] الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف[٦]، وردّ عليه هذا الاختيار بأن البقرة متى أثارت سقت، وغير جائز أن يُدّعى أعجوبةٌ في حرف من القرآن لم تؤثر[٧] عن أهل العلم ما ادعاه، فلا يقبل[٨] عنه ذلك، مع ما ذكرنا أنه لا يصح من[٩] طريق النحو أن المراد منه الإثبات. وموضع (تثير) رفع في التأويل لأنه نعت لذلول، والمعنى: أنها بقرة لا ذلول مثيرة للأرض، أي: ليست كذا ولا كذا، أي: لا توصف بالتذليل ولا بإثارة الأرض، كما تقول في[١٠] الكلام: عبد الله ليس بعاقل حازم، وزيد ليس

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٥٢١.

(٢) في (ب): (في هذه الآية) بدل (في هذا لأنه).

(٣) قال النحاس (ليس بقطع طاف وزعم الفراء: أنه ليس بقطع). «القطع والائتناف» ص ١٤٨، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٤.

(٤) قوله: (بـ (تثير) ساقط من (ب).

(٥) (أبطل): ساقط من (ج).

(٦) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٥٢١، «القطع والائتناف» ص ١٤٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٥.

(٧) في (ب): (يؤثر).

(٨) في (ج): (فلا يقبل).

(٩) (من): ساقط من (ب).

(١٠) (في الكلام): ساقط من (ب).

بآكل شارب، فتنفي[١] عنه الفعلين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ﴾ دخلت (لا) لأنه معطوف على قوله: (ذلول) فلما كان فيه حرف النفي أدخل أيضا فيما انعطف عليه[٢].

[وجاز عطف الفعل على الاسم، لأن فيه معنى الفعل كأنه قيل: لم تُذلَّل، والاسم إذا كان مبنياً على الفعل][٣] جاز عطف الفعل عليه، كما تقول: زيد صائم ويصلي، ويجوز أن تكون (لا) مستأنفة، يراد بها: لا ذلول تثير الأرض، وليست تسقي الحرث.

قال أبو العباس: والحرث كل موضع ذللته من الأرض ليزرع[٤] فيه، ويقال له عند غرسه وبذره إلى حيث بلغ: حرث. فمعنى الحرث: الأرض المهيأة للزرع[٥]، ومنه قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] على التشبيه بالأرض التي[٦] قد هُيِّئت للزرع. فأما الزرع فإنما هو النماء، من ذلك قولك للصبي: زرعه الله[٧]، ويوضح هذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا

(١) في (أ): (فينفى) وفي (ج): (فينتفي).

(٢) وأجاز الزمخشري أن تكون (لا) مزيدة، لتأكيد النفي في الأولى. انظر «الكشاف» ١/ ٢٨٨، قال أبو حيان: (ووافقه على جعل الثانية مزيدة صاحب المنتخب، وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن قوله: (لا ذلول) صفة منفية بلا، وإذا كان الوصف كان الوصف قد نفى بـ (لا) لزم تكرار (لا) النافية لما دخلت عليه....) «البحر» ١/ ٢٥٥، وانظر «الدر المصون» ١/ ٤٣٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) لأن استقامة السياق تقتضيه.

(٤) في (ب): (لتزرعه).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (حرث) ١/ ٧٧٤، «الصحاح» (حرث) ١/ ٢٧٩، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٣٤، ٣٥، «مقاييس اللغة» (حرث) ٢/ ٤٩، «اللسان» (حرث) ٢/ ٨١٩.

(٦) في (أ)، (ج) (الذي)، وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (زرع) ٢/ ١٥٢٤، «اللسان» (زرع) ٣/ ١٨٢٦.

﴿تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ قال قتادة، والربيع، وابن عباس: أي من العيوب[١].

وقال الحسن: من أثر العمل[٢].

وقال مجاهد: من الشية[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ الوشى في اللغة معناه[٤]: خلط لون، وكذلك في الكلام يقال: وشيتُ[٥] الثوب أشِيه وَشْيًا وشِيَةً[٦]. والشية مما نقص منه الواو[٧]، وعوض فيه الهاء كالدية من وَدَيْتُ، والعِدة من وَعدتُ[٨]، ويجوز أن يكون[٩] الشية مصدراً، يقال: وَشَيْتُ أشي شِيَةً[١٠]

---

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» عنهم، وعن أبي العالية ١/ ٣٥٢، وذكره «ابن أبي حاتم» عن قتادة، وأبي العالية، والربيع ١/ ٤٢٣، انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٥، «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

(٢) في الثعلبي عن الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمل، ١/ ٨٤ ب، وذكره «الماوردي» ١/ ٣٦٥.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥١- ٣٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٢٣، وانظر: «الدر» ١/ ١٥٢.

(٤) (معناه) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (وشية).

(٦) بنصه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، وانظر «تهذيب اللغة» (وشى) ٨/ ٤٨٤٧.

(٧) (الواو): ساقطة من (ج).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٨٢، والطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥٢، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٦.

(٩) في (ب): (تكون).

(١٠) في (ب): (وشية).

ووَشْيا[(١)].

قال الزجاج: أي[(٢)] ليس فيها لون يفارق سائر لونها[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا الْآنَ﴾ الآن هوالوقت الذي أنت فيه، وهوحد الزمانين[(٤)]، حد الماضي من آخره وحد الزمان[(٥)] المستقبل من أوله[(٦)].

وذكر الفراء في أصله قولين[(٧)]:

أحدهما: أن أصله (أوان)[(٨)] حذفت منه الألف وغيرت واوه إلى الألف ثم أدخلت عليه الألف واللام، ولم يخلعا منه كما فعلوا بالذي وتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقة.

والقول الثاني: أن أصله: آن[(٩)] ماضي يئينُ، بني اسماً لحاضر الوقت، ثم ألحق به الألف واللام وترك على بنائه؛ لأن أصله فَعَلَ

---

(١) انظر «الكشاف» ١/ ٢٨٨، و«القاموس» (وشى) ص ١٣٤٣.

(٢) (أي) ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبتها من (ب) ومثله في معاني القرآن.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٢٤.

(٤) في (ب): (الزمان).

(٥) (الزمان): ساقط من (ب).

(٦) ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص ٥٢٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٧، ٤٦٨، وقد ذكر كلام الفراء ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص ٥٢٣، ٥٢٤، والأزهري في «تهذيب اللغة» (الآن) ١/ ٩٨، وعبارة الواحدي متفقة مع ما ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل».

(٨) في (ب): (وان).

(٩) في «معاني القرآن»: (الآن) أصلها من قولك آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام، ثم تركتها على مذهب (فَعَلَ) فأتاها النصب من نصب (فعل)، وهو وجه جيد كما قالوا..) ١/ ٤٦٨، ومثله في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٩.

منصوبة، كما قالوا: نهى رسول الله ﷺ عن قيلَ وقالَ وكثرةِ السؤال[(١)] وكانتا كالاسمين وهما منصوبتان. ولوخفضا على النقل لهما من حد الأفعال إلى الأسماء في النية لكان صواباً.

قال: وسمعت العرب تقول: أعييتني من شُبَّ إلى دُبَّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ مخفوض منون، يذهبون به مذهب الأسماء، والمعنى منذ كان صغيراً يشِبُّ إلى أن دَبَّ كبيرًا[(٢)].

ومثله (أمس) فإن أصله الأمر من: أمسى يُمسي بُنيَ اسماً للوقت، وألحق به الألف واللام[(٣)].

قال أبو علي الفارسي[(٤)]: حكم ما يبنى من الأسماء أن يكون لمضارعته الحرف، فلمضارعته له[(٥)] ما يجب أن يخرج إلى حكمه كما أن

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧) كتاب (الزكاة) باب (قول الله ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾. عن المغيرة ولفظه: (**إن الله كره لكم ثلاثا.. الحديث**). «الفتح» ٣/ ٣٤، وفي كتاب (الأدب)، باب (عقوق الوالدين)، «الفتح» ١٠/ ٤٠٥، و(٦٤٧٣) وفي كتاب (الرقاق) باب (ما يكره من قيل وقال) الفتح، وفي كتاب (الاعتصام) باب: (ما يكره من كثرة السؤال) الفتح، ومسلم عن أبي هريرة والمغيرة، بنحوه (٧٢٩٢) كتاب (الأقضية) (النهي عن كثرة المسائل)، وأحمد عن أبي هريرة ٢/ ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧، وعن المغيرة ٤/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) انتهى كلام الفراء، انظر: «المعاني» ١/ ٤٦٧، ٤٦٨، و«تأويل المشكل» ص٥٢٣، ٥٢٤.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (أمس) ١/ ٢٠٠، و«الأزمنة» لقطرب ص ١٠٩، ١١٠.

(٤) «الإغفال» لأبي علي الفارسي ص ٢٥٣. وقد نقل عنه الواحدي طويلا، بتصرف في كلامه بالاختصار والتقديم والتأخير، وسأذكر الفروق الهامة في أماكنها إن شاء الله.

(٥) (له): ساقط من (ب).

نوعاً منها لمشابهتها الأفعال[١] يخرج إلى حكمها[٢] فيمنع ما لا يكون لها من الجر والتنوين. وكذلك (الآن) بني لما فيه من مضارعته الحرف.

وجهة المضارعة تضمنه معنى الحرف، وإذا تضمن الاسم معنى الحرف وجب بناؤه. [وذلك التضمن هو تضمن معنى[٣] التعريف، لأن التعرف حكمه أن يكون بحرف، فلما تضمن معنى الحرف وجب بناؤه][٤]، كما أن خمسة عشر لما تضمن معنى الحرف بني. فإن قيل: كيف تضمن معنى الحرف، والحرف نفسه فيه، ولوجاز بناؤه وفيه الحرف لجاز بناء الرجل ونحوه؟

قيل: الألف واللام في (الآن) ليس كهما في (الرجل)؛ لأن الرجل لا يتعرف[٥] بغير الألف واللام، والآن يتعرف بغيرهما[٦].

والدليل على تعرف (الآن) بغير ما ظهر فيه من الحرفين، أن ما فيه الألف واللام مما يعرف به يلزم أن يكون قبل دخوله[٧] عليه نكرة كرجل، والرجل، وليس (الآن) كذلك. ألا ترى أنه ليس (آن)[٨] منكورا، ثم

---

(١) في (ب): (فقال يخرج).

(٢) قوله: (كما أن نوعا منها لمشابهتها الأفعال يخرج إلى حكمها) ليس في «الإغفال» انظر: ص ٢٥٣.

(٣) في «الإغفال» (تضمن معنى حرف التعريف) ص ٢٥٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (لا يعرّف).

(٦) نقله بالمعنى، انظر: «الإغفال» ص ٢٥٤، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠.

(٧) في «الإغفال»: (دخولهما)، وفي حاشيته (ج): (دخولها).

(٨) في (ب): (الآن).

يكتسي التعريف بالحرف كالرجل.

ويراد بـ (الآن) الوقت الحاضر[١]، وما هوأقل القليل، ثم قد تتسع فيه العرب، فتقول: أنا الآن أنظر في النجوم، وأنا الآن أنظر في العلم، وأنا الآن أصل من قطعني[٢]، وليس يراد أنه[٣] في ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك، ولكن غرضه أنه في وقته ذلك وما أتى من[٤] بعد، وتطاول، يفعل هذا الضرب من الفعل .

وهذا كقولهم: أنا اليوم خارج، يريد به الذي هو عقيب الليلة. ثم قالوا: أنا اليوم شيخ، وأنا اليوم متماسك، فاليوم أصله لما هو عقيب الليلة ثم يتسع فيستعمل لغير ذلك الزمان. فكذلك (الآن) أصله للوقت الحاضر، ثم قد يتسع فيه.

فإن قلت: فهل تجد الألف واللام في اسم غير هذا، والاسم الذي فيه غير متعرف به[٥]؟

---

(١) تصرف الواحدي في كلام أبي علي بالتقديم والتأخير، وسياق أبي علي أوضح، لترابط الكلام وبناء بعض على بعض. قال: أبو علي: (فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون تعريف الآن كتعريف الجنس ؟..) ثم قال: (ومع ذلك فلا يصح في المعنى أن يراد بالآن تعريف الجنس.. لأنه يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون يراد به جميع الأزمنة، أو يراد به الأوقات الحاضرة، أو الآتية..) ثم فصل ذلك، وفي آخره قال: (فكذلك الآن أصله للوقت الحاضر، ثم قد يتسع فيه بعد ..) «الإغفال» ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) في (ج): (من قطع).

(٣) في (ب): (وليس أنه يراد).

(٤) (من): ساقط من (ب)، وفي «الإغفال»: (وما يأتي بعد) ص ٢٥٥.

(٥) في «الإغفال»: (بهما).

فالجواب: أن قولهم: (الذي) فيه الألف واللام وليس[١] تعريف الاسم بهما، إنما تعريفه بغيرهما.

والدليل على ذلك: تعريف سائر الموصولات[٢] سوى الذي[٣] ولا ألف ولام فيها. فقد وجدت الألف واللام في هذا الاسم[٤] أيضا لغير التعريف[٥].

ويدل أيضا على أن التعريف في (الذي) ليس باللام، أنّ كثيراً من العرب قد يستعمل موضع (الذي): (ذو)، وهو عندهم معرفة.

أنشد أبو زيد لقيس بن جِرْوة[٦] جاهلي:

لئنْ لَم تُغَيِّرْ[٧] بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ
لَأَنْتَحِيَنْ[٨] لِلعَظْمِ ذُوأنا عارِقُه[٩]

---

(١) في (أ)، (ج): (ليس) بسقوط (الواو)، وثابتة في (ب)، و«الإغفال» ص ٢٥٦.

(٢) مثل (من) و(ما) و(أي)، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٣) والتي وبابهما مما فيه (الألف واللام).

(٤) قوله: (في هذا الاسم) أي: الآن كما في «الإغفال» ص ٢٥٧، واختصار الواحدي للكلام جعله محتملًا لأن يراد به (الذي).

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٦) هو قيس بن جروة الطائي، ويلقب بـ (عارق الطائي) شاعر جاهلي، انظر أخباره وترجمته في: «الحماسة»، «شرح المرزوقي» ٣/ ١٤٤٦، ١٤٦٦، «المزهر» ٢/ ٤٣٨، «الخزانة» ٧/ ٤٤٠.

(٧) في (ب): (يغير) وكذا يروى في بعض المصادر.

(٨) في (ب): (لا نتحن).

(٩) يروى البيت (فإن): بدل (لئن)، ومعنى (لا نتحين): لأقصدن و لأميلن. (عارقه): من عرق العظم، إذا نهشه بأسنانه. يقول: إن لم تغير ما صنعتم من الظلم، لأميلن إلى كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم، ورد في «نوادر أبي زيد» =

فإن قيل: إذا كانت اللام زيادة[١] في الذي غير متعرف بها، فهل يوجد حرف زائد لا يجوز إسقاطه؟ قلنا: قد يكون زائداً لازماً، ألا ترى أنهم يقولون: آثِراً ما[٢]، ولا يسقطون هذا الزائد، ورب[٣] زائد لازم حتى يكون بمنزلة ما هومن نفس الحرف.

ومثل ذلك (مِن) في ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الحج: ٤٨] و(ما) في سِيَّما[٤]، فليس لزوم هذا الحرف وامتناع حذفه مما يمنع من الحكم بزيادتها[٥]. ومما يقوي زيادة اللام، ما[٦] أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن[٧]، عن أبي العباس محمد بن يزيد[٨] عن أبي عثمان[٩] قال: سألت الأصمعي عن قول الشاعر:

= ص ٢٦٦ و«الكمال» ٣/ ٢١٩، و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/ ١٤٤٧، و«الإغفال» ص ٢٦٠، و«شرح المفصل» ٣/ ١٤٨، و«اللسان» (عرق) ٥/ ٢٩٠٩، و«الخزانة» ٧/ ٤٣٨، ١١/ ٣٣٩.

(١) في (ب): (زائدة).

(٢) جعلوا (ما) لازمة وهي زائدة، انظر «الكتاب» ١/ ٢٩٤.

(٣) في (ب): (وب).

(٤) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٢٦١-٢٦٦.

(٦) (ما): ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (الحسين) وفي «الإغفال»: (أبو بكر بن السراج ص ٣٦٦) وهو محمد بن السري، أبو بكر سبقت ترجمته، وليس في نسبه (الحسن أو الحسين). انظر: «طبقات النحويين» ص ١١٢، و«إنباه الرواة» ٣/ ١٤٥، «معجم الأدباء» ١٨/ ١٩٧.

(٨) المبرد، سبقت ترجمته.

(٩) المازني، سبقت ترجمته .

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ[(١)]

لم أدخل اللام[(٢)]؟ فقال: أدخله زيادة للضرورة، كقول الآخر:[(٣)]

يَا لَيْتَ أَمَّ العَمْرِو كانَت صَاحِبي[(٤)]

فكما أن اللام زيادة فيما ذكرنا، كذلك هو في (الآن) زائدة، ولا تستوحشنَّ من قولنا فيها، فقد قال بزيادته سيبويه والخليل في قولهم: مررت بهم الجمّاءَ الغفير نصب على نية[(٥)] إلغاء الألف واللام نحو: طرًّا

---

(١) البيت من الشواهد النحوية المشهورة، ولم يعرف له قائل، وقوله: (جنيتك): جنيت لك، وقوله: (أكمؤا): جمع كمأ، و(العساقل): نوع منه، وكذا (بنات الأوبر) وهو من رديئه، ورد البيت في «المقتضب» ٤/ ٤٨، «تهذيب اللغة» (العسقول) ٣/ ٢٤٣٦، و(جنى) ١/ ٦٧٤، و(وبر) ٤/ ٣٨٢٧، «الخصائص» ٣/ ٥٨، «المنصف» ٣/ ١٣٤، «الإنصاف» ٢٧٣، «المخصص» ١/ ١٦٨، ١١/ ١٢٦، ٢٢٠، ١٣/ ٢١٥، ٢١٦، ١٤/ ١٢٠، «شرح المفصل» ٥/ ٧١، «مغني اللبيب» ١/ ٥٢، «شرح ابن عقيل» ١/ ١٨١، «أوضح المسالك» ١/ ١٨٠، «اللسان» (سور) ٤/ ٢١٤٧، و(وبر) ٨/ ٤٧٥٢.

(٢) في «الإغفال»: (الألف واللام) ص ٢٦٦.

(٣) في «الإغفال»: (فقال أدخلها للضرورة كقول الآخر: باعَدَ أم العَمَرِ من أسيرِهَا ورويناعن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: ياليت أم العمر..) ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) لم يعرف قائل الرجز: وبعده:

مكان من أشتى على الركائب.

ويروى (أم العمر) ورد البيت في «الإغفال» ١/ ٢٦٧. «المخصص» ١/ ١٦٨، ١١/ ٢٢٠، «الإنصاف» ١/ ٣١٦، «المنصف» ٣/ ١٣٤، «تهذيب اللغة» (ربع) ٢/ ١٣٤٧، «الصحاح» (ضرب) ١/ ١٦٩، «اللسان» (ضرب) ٥/ ٢٥٦٩، و(وبر) ٨/ ٤٧٥٢، و(ربع) ٣/ ١٥٦٣، «شرح المفصل» ١/ ٤٤.

(٥) (على نية): ساقط من (أ)، (ج).

وقاطبة[١].

وقال به أبو الحسن والأصمعي، وقبله أبو عثمان وأبو العباس وأبو بكر، فلم يدفعوه فيما روينا عنهم في البيت، وأما أبو الحسن الأخفش فإنَّه قال في قولهم: (مررت بالرجل خير منك، ومررت بالرجل مثلك) إن اللام زائدة[٢]، وبعد: فإن حرف التعريف حرف كسائر الحروف التي تلزم معنى، ثم تزاد[٣] في موضع آخر معرًّى من ذلك المعنى، كـ (باء الجر، ومن) وغيرهما، وكما جاءت (ما ولا) زائدتين، ولكل واحد منهما معنى يلزمه إذا لم يزد، وكذلك حرف التعريف[٤].

فإن قيل: إذا كانت اللام زائدة فهلّا جعلت هذا الاسم من الأسماء المنكورة[٥] المبنية كـ (أين وكيف) ونحوه[٦]؟ فالجواب أن هذا الاسم لا يجوز أن يكون كـ (أين) ونحوه من المنكورة[٧] المبنية؛ لأن هذا مختص[٨]

---

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٧٥، وفيه: (كقولك: مررت بهم قاطبة، ومررت بهم طرّا) وانظر: «المنصف» ٣/ ١٣٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠-٣٦٨.

(٢) كلام أبي الحسن الأخفش ورد في «الإغفال» ص ٢٦٣، ٢٦٤. وفيه: (الألف واللام) زائدة، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٦.

(٣) في (أ): (يزاد) وأثبت ما في (ب)،(ج) لأنه أنسب للسياق، ومثله في «الإغفال» ص ٢٦٨.

(٤) انتهى كلام أبي علي في «الإغفال» في هذه المسألة ص ٢٦٨. ثم عاد إليها مرة أخرى ص ٢٧٧، ونقل عنه الواحدي كما سيأتي.

(٥) في (ب): (المكنوزة).

(٦) «الإغفال» ص ٢٧٧.

(٧) في (ب): (المكنوزة).

(٨) (مختص): ساقط من (ب).

مشار به إلى شيء بعينه، كما أن (هذا) مشار به إلى شيء واحد بعينه من سائر ما يحضر[١].

ألا ترى أنك تخص به الوقت الحاضر دون الماضي ودون الآتي، إلا أن يتسع[٢] فيه فالإشارة به والقصد فيه إلى المعين المخصوص يخرجه عن أن يراد به الشائع المنكور[٣] كـ « كيف » وبابه.

قال أبو علي: وأما قول الفراء[٤] إن قولنا: (الآن) يجوز أن يكون الآن[٥] من قولنا: آنَ أن[٦] يفعل كذا، دخلت عليه [الألف واللام مثل شُبَّ[٧] إلى دُبَّ. وهذا قول يفسد في: اللفظ والمعنى، ومن حكم مثله ألا يعرج عليه][٨] أما فساده في اللفظ: فلأن ذلك لا يخلومن أحد أمرين: إما أن يكون فعلاً مجرّداً من الفعل. أويكون فعلًا معه فاعل.

فإن كان فعلاً مجرداً من الفاعل لزم إعرابه وامتنع حكايته، وذاك مذهب العرب والنحويين جميعا.

---

(١) في «الإغفال»: (ما يخص).

(٢) في (ج): (تتسع)، ومثله في «الإغفال» ص ٢٧٧.

(٣) في (ب): (المكنون لكيف).

(٤) لم يذكر أبو علي الفراء باسمه وإنما قال: (وذكر بعضهم أن قولنا: (الآن) يجوز أن يكون..) «الإغفال» ص ٢٨٣.

(٥) في (ب): (الآن).

(٦) في (ج): (تفعل).

(٧) في «الإغفال» (من شب..) ص ٢٨٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) ومثله في «الإغفال» ص ٢٨٣، واستقامة السياق تقتضيه.

ألا تراهم سمَّوا[١] العنبر بن عمرو بن تميم[٢]: خَضَّمَ[٣] لكثرة أكله[٤]، فأعربوه ولم يحكوه.

قال سيبويه: وسمعناهم يصرفون رجلاً سُمِّيَ كَعْسَبَ[٥]، وهو فعلل[٦] من الكعسبة، وهي[٧] شدة العدو، وإنما لم يجز حكايةُ الفعل إذا نُقِل فسمّي به من أجل أن الفعل يلزمه الفاعل[٨]، فلا يفارقه. فلوحكي بعد التسمية للزمه الفاعل كما كان يلزمه قبل؛ لأنه لا يخلو[٩] من الفاعل، الحكاية[١٠] فيه إذا سمي به تؤدي إلى خلاف الغرض المقصود؛ لأن

---

(١) في (ب): (ألا تراهم أنهم) وفي «الإغفال» (ألا ترى أنهم سموا) ص ٢٨٣.

(٢) العنبر بن عمرو بن تميم، كان شاعر، وإليه ينسب بني العنبر، انظر «الاشتقاق» لابن دريد ص ٢٠١، ٢١١، و«المزهر» ٢/ ٢٧٥.

(٣) في جميع النسخ (خضما) وفي «الإغفال»: (خضم) ص ٢٨٣. قال سيبويه: ولا يصرفون (خضّم) وهو اسم للعنبر بن عمرو بن تميم. «الكتاب» ٣/ ٢٠٨.

(٤) قال في الصحاح (خضّم) على وزن (بقّم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم، وهو المضغ. الصحاح (خضم) ٥/ ١٩١٤، وانظر «اللسان» (خضم) ٢/ ١١٧٦- ١١٧٨.

(٥) في «الإغفال» ص ٢٨٢: (يسمى كعسبا). وكذا في «الكتاب» ٣/ ٢٠٦.

(٦) في «الكتاب» (وإنما هو (فَعَلَ) من الكعسبة. قال عبد السلام هارون: (لا يقصد بـ (فعل) الوزن الصرفي، وإلا فهو (فعلل) وإنما يقصد أنه منقول من الفعلية «الكتاب» مع حاشية عبد السلام هارون ٣/ ٢٠٦.

(٧) في (ب): (وهو).

(٨) في (ب): (الفعل).

(٩) (يخلو): ساقط من (ب).

(١٠) في (ب): (فالحكاية).

المُسمي بالفعل لوحكاه في حال[١] التسمية للزمه التسمية بالجملة دون المفرد، إذ الفعل لا يخلو من الفاعل بحال، فلما كان كذلك أزيل[٢] عن الفعلية بإعرابه، وترك حكايته، وصح التسمية به[٣] لذلك دون فاعله. ويدل على امتناع هذه الكلمة أن [تكون][٤] فعلا، دخول لام[٥] التعريف عليها، وهذه اللام دخولها يكون على الأسماء، كما أن التنوين من خواص الأسماء.

ولا يجوز[٦] في قولهم: (الآن)[٧] أن يكون فعلاً معه فاعله غير مجرد منه؛ لأن دخول اللام عليه يمنع ذلك، ألا ترى أن اللام لا تدخل على الجمل كما لا تدخل على الفعل فهذا فساده[٨] من جهة اللفظ.

وأما فساده من جهة المعنى، فقولهم: آن أن تفعل كذا[٩] مقلوب من[١٠] أنى يَأْني وأصل هذه الكلمة في اللغة إنما هوبلوغ الشيء[١١] وانتهاؤه ومكثه وامتداده، فهو خلاف الآن وعكسه. والدليل على صحة

---

(١) (حال): ساقط من (أ)، (ج)، وهو في (ب) «الإغفال» ص ٢٨٤.

(٢) في (ب): (أزيد).

(٣) في (ب): (بذلك).

(٤) في جميع النسخ (يكون) بالياء والتصحيح من «الإغفال» ص ٢٨٤.

(٥) في (ب): (اللام والتعريف).

(٦) «الإغفال» ص ٢٨٨.

(٧) في (ب): (ألا أن يكون).

(٨) أي قول الفراء.

(٩) (آن): ساقط من (ب).

(١٠) في (ج): (عن).

(١١) انظر: «تهذيب اللغة» (أنى) ١/ ٢٢٥، و(الآن) ١/ ٩٩.

القلب في هذا، أنه لا مصدر لـ (آن)، كما أن قولهم: أيس يأيس لما كان مقلوبًا من يئس ييأس[١] لم يكن له مصدر [ولوكان له مصدر][٢] لكان من باب جذب وجبذ[٣]، ولم يكن قلبا.

فإن قلت[٤]: فقد قالوا: الإياس، وقد سمّوا الرجل إياسًا؟

قيل: إن إياساً من إسْتَه إذا أعطيتَه[٥]، وتسميتهم بإياس كتسميتهم بـ (عطية وعطاء)، ومن هذا الباب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٦] أي أما بلغ، أما حان. والآن اسم للوقت الذي أنت فيه وهو باق، والباقي غير المتقضي[٧] المنتهي.

وأما قولهم: أعييتني من شُبَّ إلى دُبَّ[٨] فهذا الكلام مخرجه مخرج الأمثال التي تلزم طريقةً واحدةً ووجهاً واحداً، كقولك للرجل: أَطِرِّي

---

(١) في (أ)، (ج): (يأس)، وفي «الإغفال»: (يئس ييئس) ص ٢٨٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) ومثله في «الإغفال» ص ٢٨٨، والسياق يقتضيه.

(٣) جبذ مقلوب من جذب قلبًا مكانيًا. انظر: «تهذيب اللغة» (جذب) ١١/ ١٥، «اللسان» (جذب) ١/ ٢٥٨.

(٤) في (ب): (وأن).

(٥) في «الإغفال» وقد سموا الرجل إياسا فما تنكر أن يكون غير قلب، فإن إياسا من إسته إذا أعطيته... «الإغفال» ص ٢٨٨ ، وانظر: «اللسان» (يأس) ٦/ ٢٥٩.

(٦) الحديد: ١٦، وفي (ج) زيادة: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

(٧) في (ب): (المقتض)، وفي «الإغفال»: (المنقض) ص ٢٩٢.

(٨) قال أبو علي: (.. فإن قلت كيف يكون فيه ضمير الفاعل، وقد يقال: (أعييتني منذ شب إلى دب) ولو كان في هذا ضمير فاعل لوجب أن يكون مذ شببت إلى أن دببت؟ فالجواب: أنه إنما كان كذلك لأنه كلام مخرجه مخرج الأمثال. . . الخ) «الإغفال» ص ٢٨٧.

فَإنَّكِ نَاعِلة[١]، والصَّيفَ ضيَّعت اللبن[٢]، فمعنى هذا: أنت عندي ممن يجب أن يقال له هذا.

فهذه الأمثال وما شبه بها إنما تقال كما قيلت حيث جرت، ولذلك[٣] أيضًا دخلت (إلى) على الجملة كأنهم جعلوها الوقت[٤]. فأرادوا: أعييتني من وقت الشباب إلى وقت الكبر والدبّ بالعصا[٥].

وأما[٦] قوله: يجوز أن يكون الآن مأخوذا من الأوان فتكون الألف منقلبة عن الواو[٧]، فإن ذلك لا ينبغي أن يجوز، لأن هذه المبنية مشابهة بالحروف[٨] والأصوات [فكما لا يكون[٩] الحروف

---

(١) في جميع النسخ (فاعلة) وفي «الإغفال»: (ناعلة) وهو الصحيح، وفي الحاشية في (ب): (فاعلة). قال العسكري: يضرب مثلا للقوي على الأمر، وأصله أن رجلا كان تله أمتان راعيتان، إحداهما ناعلة والأخرى حافية، فقال للناعلة: أطري، أي: خذي طرر الوادي، فإنك ذات نعلين، ودعى سرارته، أي: وسطه لصاحبتك فإنها حافية. «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ٥٠، «المستقصي» ١/ ٢٢١، «اللسان» (طرر).

(٢) يضرب مثلا لمن يضيع الأمر، ثم يريد استدراكه في غير وقته، وللمثل قصة مذكورة في كتب الأمثال. انظر: «أمثال العرب» للضبي ص ٥١، «الدرة الفاخرة» ١/ ١١، «جمهرة الأمثال» ١/ ٥٧٥.

(٣) في (ب): (وكذلك).

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي «الإغفال» (للوقت) ص ٢٨٧.

(٥) انظر بقية كلام أبي علي ص ٢٨٧.

(٦) (أما): ساقط من (ب).

(٧) «الإغفال» ص ٢٩٥.

(٨) في «الإغفال»: (للحروف) ص ٢٩٥، وهذا أولى بالسياق.

(٩) في «الإغفال» (لا تكون) في الموضعين ص ٢٩٥.

والأصوات][(١)] مشتقة كذلك[(٢)] لا يكون هذه[(٣)] الأسماء مشتقة[(٤)].

ومعنى قوله: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي: بالوصف البين التام الذي دل على التميز من بين أجناسها[(٥)]، ويقال: جاء مجيئاً وجَيْئةً، ومنه: الجَيْئة[(٦)]؛ لأنه يجيئها الماء فيجتمع فيهما.

[وقوله: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ في الآية إضمار، أراد: فطلبوها، فوجدوها، فذبحوها][(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ قال القرظي: لغلاء ثمنها[(٨)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (لذلك).

(٣) في (ج): (هذا).

(٤) هذا آخر ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتابه «الإغفال» عن (الآن) وقد أطال النقل وتصرف في نقله بالاختصار والتقديم والتأخير، وقد أشرت للفروق الهامة في أماكنها.
انظر: «الإغفال» ص ٢٥٣ - ٢٩٨.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ ب.

(٦) كذا يقال له: (جيئة) وجيأة وكل من كلام العرب. «تهذيب اللغة» (الجيأة) ١/ ٦٨٦، وقال صاحب اللسان: والجِئة والجِيئة: حفرة الهبطة يجتمع فيها الماء، والأعرف: الجِيّة. «اللسان» (جيا) ٢/ ٧٣٩.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج) وأثبته من (ب). انظر معنى الآية في «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ ب، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٧.

(٨) ذكره الطبري ١/ ٣٥٤، «ابن أبي حاتم» ١/ ٤٢٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، وقال: وفي هذا نظر، لأن الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل. وانظر: «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

وقال وهب: مخافة الافتضاح[١]. وذكرنا ما في (كاد) عند قوله ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ [البقرة: ٢٠].

قال عكرمة: لو أنهم عمدوا[٢] إلى أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكنهم شدّدوا فشُدِّد عليهم[٣]، وقيل: إن أول من راجع موسى في ذبح البقرة هوالقاتل مخافة أن ينكشف ويفتضح.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ الآية. كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما تأخر في الكلام؛ لأن الله ﷻ لما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] علم المخاطبون أن البقرة لم تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقرّ علم هذا في نفوسهم أتبعه بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ على جهة التوكيد، لا أنه عرّفهم[٤] الاختلاف في القاتل بعد أن دلّهم على ذبح البقرة[٥]، وقيل: إنه

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥٥- ٣٥٦، و«ابن كثير» ، وقال: (ذكره ابن جرير، ولم يسنده عن أحد). «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩. الصحيح: أن ابن جرير الطبري ذكره بسنده عن وهب.

(٢) في (ب): (عهدوا).

(٣) ذكره الطبري عنه، وعن عدة من السلف ٢/ ٢٠٤، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

(٤) في (ب): (عن فهم).

(٥) وعلى هذا القول يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ مقدّماً في التلاوة، وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدّماً في المعنى على جميع ما ذكر من شأن البقرة، ذكر ذلك القرطبي، وقد ذكر في الآية ثلاثة أوجه، هذا أحدها .
والوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدمًا، والأمر بالذبح مؤخرًا .
والثالث: يكون ترتيب نزولها حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى=

من المؤخر الذي يراد به التقديم، وتأويله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾، فسألتم موسى فقال لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. وهذا عادة العرب في كلامهم، قال الله جل اسمه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل على عبده الكتاب قيماً[١]. وقال الفرزدق يمدح خال هشام[٢]:

وَمَا مِثْلُه في النَّاسِ إلَّا[٣] مُملَّكًا ... أبـو أمِّـهِ حَـيٌّ أبـوهُ يُـقَـارِبُـهْ[٤]

أراد: وما مثله[٥] في الناس حي يقاربه إلا مملكاً، أبو أم المملك أبوه، فقدّم وأخّر.

= ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل، فأمروا أن يضرب ببعضها. «القرطبي» ١/٣٧٨- ٣٨٨، وانظر: «البحر المحيط» ١/٢٥٨.

وقد رجح أبو حيان أن الأمر بالذبح متقدم، والقتل متأخر كحالهما في التلاوة، ولا داعي لحمل الآيات عن ظاهرها، بل تظهر الحكمة البالغة في امتحانهم أولا بذبح البقرة هل يمتثلون أم لا؟

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، «البغوي» ١/ ٨٤.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان، أحد خلفاء بني أمية، وخاله هو إبراهيم بن هشام ابن إسماعيل المخزومي القرشي. انظر: «الكامل» ٥/ ١٢٣، «سير أعلام النبلاء» ٥/٣٥١، «الأعلام» ١/ ٧٨.

(٣) (ألا): ساقط من (ب).

(٤) البيت من شواهد البلاغة على التعقيد اللفظي يقول: وما مثله يعني الممدوح في الناس حتى يقاربه، أي: يشبهه في الفضائل، إلا مملكا يعني به هشاما، أبو أمه: أي أبو أم هشام أبوه، أي: أبو الممدوح، فالضمير في (أمه) للملك، وفي (أبوه) للممدوح. ورد البيت في «المعاني الكبير» ١/٥٠٦، «الخصائص» ١/١٤٦، ٣٢٩، ٢/٣٩٣، «الكامل» ١/٢٨، «الصحاح» (ملك) ٤/١٦٠٩، «اللسان» (ملك) ٧/٤٢٦٦، «معاهد التنصيص» ١/٤٣، «الخزانة» ٥/١٤٦.

(٥) قوله: (أراد وما مثله) ساقط من (ب).

وأضاف القتل إليهم في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ وإن كان القاتل واحدًا على ما ذكرنا من مذهب العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون للقبيلة: انهزمتم يوم ذي قار وإنما انهزم بعضهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ ينعطف على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾[٢] [البقرة: ٥٥]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: ٥٠] والذكر مضمر فيها كأنه: واذكروا إذ قتلتم[٣]، ولهذا لم يأت لـ (إذ) بجواب. ومثله قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[٤]، وليس شيء قبله تراه ناصباً لصالح، فعلم بذكر النبي وبالمرسل[٥] إليه أن فيه إضمار[٦]: أرسلنا.

ومثله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وهذا يجري على مثال ما قال في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ٤٥][٧]، ثم ذكر الذين من بعدهم بغير (واذكر) لأن معناه متفق،

(١) سبق بيان هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٠]، ٢/ ٤٣٣ وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٠، ٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٩.

(٢) في (أ)، (ج): (قتلتم تصحيف).

(٣) كذا في «معاني القرآن» للفراء نقل عنه بتصرف ١/ ٣٥، والمراد أن (إذ) يقدر قبلها (اذكر) في أول موضع وردت فيه وما بعدها عطف عليهما وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٤٩]. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٥٦.

(٤) الأعراف: ٧٣، هود: ٦١.

(٥) في (ب): (المرسل) بسقوط الواو والباء.

(٦) (إضمار) ساقطة من: (أ)، (ج)، وأثبتها من (ب)، ومثله في «معاني القرآن» ١/ ٣٥، والسياق يقتضيها.

(٧) وفي «معاني القرآن» للفراء: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

فجاز ذلك، ويستدل على (أن) في هذه الآية[١] مضمرة أنه قال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] فلما ذكر ههنا (واذكروا)[٢] مع (إذ) علم أنه مراد مع (إذ) وإن حذف[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ قال ابن عباس: اختلفتم فيها[٤].

وقال الربيع: تدافعتم[٥].

وأصل الدرء: الدفع، يعني: ألقى ذاك على هذا، وهذا على ذاك، فدافع كل واحد عن نفسه[٦]. والتدارؤ والمدارأة مهموزتان.

قال أبو عبيد: وهي المشاغبة والمخالفة على صاحبك[٧].

ومنه حديث قيس بن السائب[٨]: «كان رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(١) في «معاني القرآن»: ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ١/ ٣٥.

(٢) في (ج): (واذكر).

(٣) انتهى النقل عن الفراء. «معاني القرآن» ١/ ٣٥.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٤، «زاد المسير» ١/ ١٠١.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٤.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٦. «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٧. وذكر الطبري في معنى الآية قولين: الأول: اختلفتم وتنازعتم، والثاني: تدافعتم، قال: وهو أي: القول الثاني قريب من المعنى الأول ١/ ٣٥٦. وذكر ابن فارس: أن (الدرء) مهموز: أصل واحد بمعنى: الدفع. «مقاييس اللغة» (درى) ٢/ ٢٧١.

(٧) «غريب الحديث» ١/ ٣٣٧، «تهذيب اللغة» (درى) ٢/ ١١٨١.

(٨) هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن مخزوم، ذكر ابن حجر عن ابن حبان: أن له صحبة. انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ٩٩، و«الإصابة» ٣/ ٢٣٨.

وسلم شريكي[١]، فكان خير شريك لا يدارئ ولا يماري»[٢]. وكل من دفعته عنك فقد دارأته.

قال أبو زبيد[٣]:

كَـانَ عَـنِّـي يَـرِدُّ دَرْؤُكَ بَـعْـدَ اللهِ شَغْبَ المُسْتَصْعَبِ المِرِّيدِ[٤]

---

(١) في (ب): (وكان خير) بسقوط (شريكي).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في «مسنده» عن قائد السائب عن السائب، وعن مجاهد عن السائب بن أبي السائب ٣/ ٤٢٥. وأبو داود عن قائد السائب عن السائب. «سنن أبي داود» كتاب الأدب، باب: كراهية المراء. وابن ماجه عن قائد السائب عن السائب (٢٢٨٧) كتاب: التجارة، باب: الشركة والمضاربة.
وأخرجه الطبري عن السائب، وقد تكلم شاكر في حاشية الطبري عن الحديث وبين ما في سنده من ضعف، وما في الحديث من اضطراب. «تفسير الطبري» مع «حاشية شاكر» ٢/ ٢٢٣.
والحديث أورده أبو عبيد في «الغريب» ١/ ٣٣٦، ٣٣٧. والأزهري في «تهذيب اللغة» (درى) ٢/ ١١٨١.
وذكر الحديث ابن حجر في «الإصابة» وقال: (أخرجه البغوي والحسن بن سفيان وغيرهما من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد، وأخرجه أبو بشر الدولابي في «الكنى» من هذا الوجه، لكنه قال: أبو قيس بن السائب كذا عنده، وقيس بن السائب أصح...).
«الإصابة» ٣/ ٢٣٨.

(٣) أبو زبيد هو حرملة بن المنذر الطائي، شاعر مشهور، أدرك الإسلام واختلف في إسلامه. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٨٥، و«الإصابة» ٤/ ٨٠، «الخزانة» ٤/ ١٩٢.

(٤) البيت من قصيدة لأبي زبيد رثى بها ابن أخته، (الشغب): تهييج الشر، و(المرّيد): مبالغة في المارد، يقول: كان دفعك عني بعد الله يرد عني شر كل مريد. ورد البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٠٢، «اللسان» (درأ) ٣/ ١٣٤٧، و(شغب) ٤/ ٢٢٨٣، «الخزانة» ٩/ ٧٦.

وأصله تدارأتم ثم أُدغمت التاءُ في الدال وأُدخلت الألفُ لِيسلَمَ سكونُ الحرف الأول[١].

ومثله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧].

قال الكسائي: التاء إذا كانت في الأفعال تدغم في حروف كثيرة، في التاء مثل: اتّابع بمعنى تتابع، وأنشد:

تُولِي الضَّجِيعَ إذا مَا اسْتَافَهَا خَصِراً
عَذْبَ المَذَاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ القُبَلُ[٢]

وفي الثاء نحو: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨] وفي الدال نحو: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨] وفي الذال نحو: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾[٣] وفي الصاد نحو: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] وفي الزاي نحو: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] وفي الطاء نحو: (اطَّهَّروا)[٤] و﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾[٥]، وفي السين نحو: ﴿واسَّمَّعَ﴾[٦]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٧، وللأخفش ١/ ٢٨٣، وللزجاج ١/ ١٢٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، و«البيان» ١/ ٩٥، «الدر المصون» ١/ ٤٣٤.

(٢) لم أجد من نسبه وقوله: (استافها): دنا منها وشمها. و(الخصر): البارد من كل شيء، ويريد الريق. ورد البيت في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٨، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، ١٠/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٨/ ١٤٠.

(٣) وردت في عدة آيات منها: الأنعام: ١٢٦، والأعراف: ٢٦، ١٣٠، والأنفال: ٥٧، والتوبة: ١٢٦، والنحل: ١٣.

(٤) في (ب): (اطهر). جزء من آية المائدة: ٦، سياقها: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾.

(٥) في (ج): (ولطيرنا). آية: ٤٧ من سورة النمل.

(٦) وعلى إدغام التاء في السين - أيضا - ورد قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

وفي الظاء نحو: ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾[١]، وفي الشين نحو: ﴿تَشَّقَّقُ﴾[٢] فمتى ما لقيت التاء حرفاً من هذه الحروف أُدغمت، وإذا لم تَلقَه ظهرت[٣]، من ذلك: يتعلّمون ويتكلّمون ويترامون، ولا يكون مدغمًا.

فإن ابتدأت بقوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ وأخواته فقد اختلف الناس فيه. فقال بعضهم: إذا ابتدأت قلت: تثاقلتم: فتركت الإدغام[٤]، قال: وهذا أحب إليّ. وقال بعضهم: لا بل أقطع الألف فأقول: اثاقلتم، يكون[٥] هذه الألف كألف وافتعل واستفعل عند الابتداء. ولم يكتب[٦] بالألف إلا وهي هكذا عند الابتداء.

قال الكسائي: ولم أسمع من العرب إلا بالبيان، وذلك أن الإدغام لا يكون إلا وقبله شيء، فأما إذا ابتدأت فلا .

قال الفراء: والعرب تبني المصدر على الإدغام كما بنوا الفعل، فيقولون: ادّارأ ادّارُؤا مثل ادّارَكَ ادّارُكاً واثّاقَل اثّاقُلاً وازّامُلاً، وما كان

---

(١) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر بتشديد الظاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَّٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الآية [البقرة: ٨٥] وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. انظر «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٣٠.

(٢) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر بتشديد الشين في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ الفرقان: ٢٥ وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾ ق: ٤٤ وبقية السبعة بالتخفيف، انظر: «السبعة» ص ٤٦٤، ٦٠٧.

(٣) في (ب): (اظهرت).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٧، ٤٣٨، «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، ١٠/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٨/ ١٤٠.

(٥) (يكون): كذا في (أ)، (ج)، وفي (ب) بدون إعجام والأولى (تكون).

(٦) في (ب): (تكتب).

مثله فإن فيه الإدغام[١] والإظهار في مصدره[٢]. وكتب في المصحف (فادّرأتم) بغير ألف قبل الراء[٣] كما كتبوا (الرحمن) بغير ألف الاختصار، لأنهم قد يحذفون لطول الكلام كما يحذفون لكثرة الاستعمال.

وقوله: (فيها) الكناية عائدة على النفس[٤].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن تعود على القتلة، لأن (قتلتم) يدل على المصدر[٥]. ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل، وأدخل التنوين لأنه ميعاد في المستقبل[٦]، وقد مضى الكلام في هذه المسألة[٧].

٧٣- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ قال ابن عباس: اضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو المقتل.

وقال الضحاك: بلسانها، واختاره الحسين بن الفضل.

سعيد بن جبير: بعَجْب ذنبها، واختاره يمان بن رباب، قال: لأنه

---

(١) في (ب): (الإظهار والإدغام).

(٢) في (أ)، (ج): (مصدر) بدون الهاء، وأثبت ما في (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٣) قال الداني: (اتفق جمعها -أي: مصاحف الأمصار- على حذف الألف التي هي في صورة الهمزة في قوله في البقرة: (فادارأتم) لا غير)، «المقنع» ص ٢٦.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥١، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٥.

(٥) ونحوه قال ابن عطية ١/ ٣٥١، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٢٩٥، وذكر قولًا ثالثًا، وهو: أن الكناية تعود على التهمة.

(٦) قال الزجاج: (الأجود في (مخرج) التنوين، لأنه ميعاد لما يستقبل، أو للحال) «معاني القرآن» ١/ ١٢٦، وانظر: «الكشاف» ١/ ٢٨٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٥.

(٧) وهي أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال ينون ولا يضاف لما بعده، وهذا عند البصريين، أما عند الكوفيين فيجوز إضافته .

أساس البدن الذي[1] رُكِّبَ عليه الخلقُ[2]. ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معناه: اضربوه ببعضها فيحيا، فضُرِبَ فحَيِيَ[3]، كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا هذا القتيل، وأضمر (فيحيى) كما قال: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والمعنى: فضرب فانفلق[4]، فهذا احتجاج على منكري البعث[5].

فإن قيل: ما معنى ضرب القتيل ببعض البقرة، والله قادر على إحيائه بغير ذلك؟

والجواب: أنّ في ذلك تأكيداً أنه ليس على جهة المخرقة والحيلة، ولا على جهة الكهانة والسحر، إذ جعل الأمر في إحيائه إليهم، وجعل ذلك عند الضرب بموات لا إشكال في أنه علامة لهم وآية للوقت الذي يحيا فيه

---

(١) (الذي): ساقط من (ب).

(٢) هذه الأقوال، عن ابن عباس، والضحاك، وسعيد، في «تفسير الثعلبي» بنصها ١/ ٨٥ أ، وذكر الطبري عن مجاهد وقتادة: بالفخذ، وعن السدي: بالبعضة التي بين الكتفين، وعن أبي العالية: بعظم من عظامها، وعن ابن زيد: بعضو من أعضائها. ثم قال الطبري: (والصواب من القول عندنا، أنه يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به.... ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله). «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٩- ٣٦٠، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩- ١٢٠.

(٣) قوله: (فضرب فحيى) ساقط من (ب).

(٤) قوله: (والمعنى فضرب فانفلق) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٨، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٦١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ.

عندما يكون منهم، فبان أنه من فعل الله ﷻ[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقال: أَرَيْتُه الشيءَ إرايةً[(٢)] من غير همز شبيهاً بالمنقوص، مثل: إقامة، وترك الهمز؛ لأن الياء في أريت غير مهموز.

ويقال أيضًا: أريته إِرَاءَة، لأن الياء إذا جاءت بعد الألف همزت، ويقال أيضا: إراءً بنوا على الهمز كأنهم قالوا: أرأيته إِرْءَاءً، ثم تركوا الهمز، قال الفراء: وأجودها[(٣)]: إراية غير مهموز.

وروى شمر عن ابن الأعرابي: أَرَيْتُه الشيءَ إراءةً وإراية وإِرْءَاءَةً[(٤)].

ومعنى قوله ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: آيات قدرته في خلق الحياة في الأموات. قال الزجاج: وهذه القصة في القرآن من أدلّ الدلائل على نبوة محمد ﷺ، حيث أخبرهم بما صدّقه في ذلك أهلُ الكتاب، وهو رجل عربي أمّي لم يقرأ كتاباً ولم يتعلم من أحد، ولم يكن هذا من علم العرب[(٥)].

٧٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ معنى القسوة في اللغة: الشدة والصلابة واليبس، ويقال: حجر قاسٍ. صلب، وأرض قاسية: لا تنبت شيئا، وعامٌ قَسِيٌّ: ذو قحط، قال شمر: هوالشديد[(٦)] لا مطر فيه[(٧)].

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٦١.

(٢) في (ب): (ارايته).

(٣) (أجودها): ساقط من (ب).

(٤) «تهذيب اللغة» (رأى) ٢/ ١٣٢٧، وانظر: «اللسان» (رأى) ٣/ ١٥٣٧- ١٥٤٥.

(٥) بمعناه في «معاني القرآن» ١/ ١٢٢.

(٦) قوله: (هو الشديد) ساقط من (ب).

(٧) «تهذيب اللغة» (قسا) ٣/ ٢٩٥٥، وانظر: «اللسان» (قسا) ٦/ ٣٦٢٢.

ويقال: قَسا قلبُه يَقْسُو قَسْوَةً وقَسَاوةً وقُسُوًّا[(١)].

وقال بعضهم: قسا قلبه قِسِيًّا، والعرب تقلب الفعول في المصدر إلى الياء فيقول: طغا طِغِيّاً وعتا عِتِيّاً.

قال أبو إسحاق: وتأويل القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾.

أي من بعد إحياء الميت لكم بعضوٍ من أعضاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها أن يلين قلبه[(٣)] ويخضع[(٤)].

قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: لم نقتله نحن، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك[(٥)].

قال أبو إسحاق: ويحتمل أن يكون (من بعد ذلك)، أي: من بعد إحياء الميت والآيات التي تقدمت، نحو: مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل فوقهم، وانبجاس الماء من حجر. وإنما جاز (ذلك) للجماعة، ولم يقل: (ذلكم)، لأن الجماعة يؤدي عن لفظها الجميع والفريق، والخطاب في لفظ واحد، والمعنى جماعة[(٦)].

---

(١) (قُسُوًّا): كذا ضبط في: (أ)، ومثله في «الوسيط» ١/ ١٣٢، وفي «تفسير الطبري» ٣٦١ (قَسْوا) وكذا في «القاموس» ٢٠/ ٧٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٢٨، «تهذيب اللغة» (قسا) ٣/ ٢٩٥٥، والنص من «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ ب.

(٣) في (ج): (عليه).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٢٨، وله قول آخر يأتي ذكره قريبًا. وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٦١- ٣٦٢.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٥ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٨٥.

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٨.

وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ قال أبو إسحاق: لا يجوز عندي إسكان الواو والياء من (هو وهي) لأن كل مضمر فحركته إذا انفرد الفتح نحو (أنا) فكما لا يسكن نون أنا فلا تسكن[١] هذه الواو.

قال أبو علي فيما استدرك عليه[٢]: إسكان الواو من (هو) والياء من (هي) غير ممتنع.

ولوقال قائل: الجيد الإسكان[٣] لسكون النون في أنت[٤]، كما قال هو[٥]: لا يجوز الإسكان فيها لتحرك النون في (أنا)، لما كان بينهما فصل.

فإن قلت: فقولهم: (نحن) من المضمر المنفصل، وآخره متحرك فذلك لا يشبه هو وهي وأنا وأنت، لأن آخر (نحن) إنما حرك لالتقاء الساكنين، ولوكان آخره متحرّكًا من الجهة التي ذكرت[٦] لا لالتقاء الساكنين لما جاز إسكان الآخر من (هم) ومن (أنت) لأنهما أيضا مضمران منفردان. فإن قلت: إن آخر (أنت) متحرك، وليس بساكن، كما أن آخر (أنا) متحرك. فليس هذا بسؤال، لأن آخر الاسم في أنت إنما هو النون، والتاء للخطاب وليست من نفس الكلمة، كما أن الألف من (أنا) إذا وقعت لتبيين الحركة في الوقف، لا من نفس الحرف فإن اعتد بـ (التاء) مع أنها زائدة في

(١) في (أ): (يسكن) وأثبت ما في: (ب، ج)، ومثله ورد في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣٠.
(٢) «الإغفال» ص ٢١١.
(٣) أي: الإسكان في (الياء) من (هي)، و(الواو) من (هو). انظر: «الإغفال» ص ٢١١.
(٤) قوله: (في أنت) ساقط من: (ب).
(٥) أي: الزجاج، وفي «الإغفال»: (كما قال أبو إسحاق) ص ٢١١.
(٦) ما الجهة التي ذكر؟ قال في «الإغفال» (فتبين مما ذكرنا أن (نحن) لم يحرك آخره من حيث كان مضمرا منفردًا) ص ٢١٢.

الكلمة، فليعتد بـ (الألف) أيضًا في (أنا) مع كونها زائدة، وإذا اعتد بها سقط الاحتجاج، لأنها حينئذٍ ساكنة الأخير، وإنما اختير الحركة في هو وهي لأنها أكثر، وفي اللغات أشهر، لا لما ذكره[(١)].

ويدل على جواز[(٢)] هذا الإسكان[(٣)] ما أخبرني محمد بن[(٤)] الحسن عن أبي حاتم عن أبي زيد:

كَأُطُوم فَقَدَتْ بُرْغُزَهَا أَعْقَبَتْهُ الغُبْسُ منه عَدَمَا
غَفَلَتْ ثم أَتَتْ تَرْقُبُهُ فإذا هي بِعظامٍ ودَمَا[(٥)]

وقوله تعالى: ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ قال الليث: الحجارة جمع الحجر[(٦)]، وليس بقياس، لأن الحجر يجمع على أحجار، ولكن يجوز الاستحسان في العربية مثل الاستحسان في الفقه، وترك[(٧)] القياس.

---

(١) انظر: «الإغفال» ص ٢١١، ٢١٢.
(٢) (جواز): ساقط من (ج).
(٣) في «الإغفال»: (ويدل على جواز هذا الإسكان إذا جاءت به رواية ثقة غير ممتنع ما أخبرنا..) ص ٢١٣.
(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد.
(٥) لم أعثر على قائل البيتين. قوله: (أُطوم): يريد البقرة الوحشية، (بُرْغُزَها): ولدها، (الغُبْسُ): الذئاب أو الكلاب. ورد البيتان في «الإغفال» ص ٢١٣، «مجالس العلماء» للزجاجي ص ٣٢٦، «المنصف» ٢/ ١٤٨، «اللسان» (برغز) ١/ ٣١٥، و(اطم) ١/ ١٧٠، «الخزانة» ٧/ ٤٩١، وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في «التكملة» ص ٣٠، «المخصص» ٦/ ٩٣، والبيت الثاني في «شرح المفصل» ٥/ ٨٤، «الهمع» ١/ ١٣. وبهذين البيتين انتهى ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتاب «الإغفال» ص٢١١-٢١٣.
(٦) في (ج): (حجر).
(٧) في (ب): (وترى)، وفي «تهذيب اللغة» (ترك القياس له..) ١/ ٧٤٦.

قال[١]: ومثله: المِهَارة والبِكَارة، لجمع: المُهْر والبَكْر[٢].

وأقرأني العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال: العرب تدخل الهاء في كل جمع على فِعَال أوفُعُول، فتقول: عظام وعِظَامةٌ وفِحَالةٌ وجمالةٌ[٣] وذِكَارةٌ وذُكورَة وفُحُولَة وعُمُومة وحُمُولَة، قال: وإنما زادوا هذه الهاء لأنه إذا سكت عليه اجتمع فيه عند السكت ساكنان[٤]. قال الأزهري: وهذه العلة[٥] أحسن من علة الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه[٦].

قال المفسرون: إنما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظة والشدة، ولم يقل[٧]: (كالحديد)، وإن كان الحديد أصلب من الحجارة، لأن الحديد يلين بالنار، وقد لان لداود بإذن الله حتى صار كالعجين، ولا تلين الحجارة بمعالجة أبداً، ولأن في الحديد منافع، تلك المنافع لا توجد في الحجارة، فشبه الله قلوبهم بالحجارة لقسوتها ولعدم المنفعة منها[٨].

---

(١) (قال): ساقط من (ج).

(٢) «تهذيب اللغة» (حجر) ١/ ٧٤٦، وانظر: «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨١.

(٣) في «تهذيب اللغة»: (حبالة)، وفي الحاشية (د): (جمالة).

(٤) في «تهذيب اللغة»: أخبرني المنذري عن أبي الهيثم. ثم ذكره مع بعض الاختلاف في العبارة (حجر) ١/ ٧٤٧، وانظر: «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨١.

(٥) في (ب): (اللغة).

(٦) «تهذيب اللغة» (حجر) ١/ ٧٤٦، وفيه: (قلت: وهذا هو العلة التي عللها النحويون فأما الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه فإنه باطل، ومثله في «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨.

(٧) (يقل): ساقط من (ج).

(٨) انظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١.

وقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ (أو) دخلت لغير معنى شك، ولكنها للإباحة[١] كما ذكرها في قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾، وقيل: (أو) هاهنا بمعنى بل[٢] كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

وقيل: أراد إبهام علم ذلك على المخاطبين، كالعادة في مثل هذا في المخاطبة أن يقال: فلان كالبدر أو أحسن، وكالبحر أو[٣] أجود، فأما الله تعالى فهو عالم أي ذلك كان[٤]. وارتفع (أشدُّ) بإضمار (هي) كأنه قال: أو هي أشدُّ[٥].

ويجوز أن يرتفع بالعطف على موضع الكاف، كأنه قيل: فهي مثل الحجارة[٦] أوأشد[٧].

قال ابن عباس في هذه الآية: إنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ لأن الحجارة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٩، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٢- ٣٦٣، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٥، «الماوردي» ١/ ٣٧٢، «ابن عطية» ١/ ٣٥٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٤.

(٣) في (ب): (بل أجود).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» ورجّحه ١/ ٣٦٢- ٣٦٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٤- ٣٥٥، وذكر الأخفش: أنها بمعنى (الواو) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٤، وقد رده الزجاج وقال: (أو) لا تصلح بمعنى (الواو) و«المعاني» ١/ ١٢٩، وهذا على قول البصريين، انظر: «الإنصاف» ص٣٨٣، وانظر ما سبق عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٨٤، وللزجاج ١/ ١٢٩، «الطبري» ١/ ٣٦٣.

(٦) في (ب): (كالحجارة).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٨، «الكشاف» ١/ ٢٩٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٣.

ليس لها ثواب ولا عليها عقاب، وهي تخاف الله تعالى[١]، وقد مر عيسى ابن مريم عليه السلام بجبل فسمع منه أنيناً فقال: يا رب ائذن لهذا[٢] الذي يئنّ حتى يكلّمني، فأذِن اللهُ للجبل فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فخفتُ أن أكون من تلك الحجارة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[٤]. الكناية عائدة على (ما)، و(ما) من المبهمات يجوز تذكيره وتأنيثه، تقول العرب: من النعال ما يعجبني بالياء والتاء حملاً على التأويل[٥]. وقيل: إن (من) واقعة على بعض الحجارة، وبعض مذكر، والعرب تقول: بعض النساء قام، وبعضهن قمن، فمن ذكر فللفظ (بعض) ومن أنث فلتأويله[٦]. والأنهار جمع نهْر ونَهَر، وأصله من السعة، يقال: أنهرت الفتق، أي: وسعته[٧]، ومنه قوله[٨]:

---

(١) لم أجده بهذا النص عن ابن عباس والله أعلم، وأخرج الطبري في «تفسيره» نحوه عن ابن عباس وقتادة ١/ ٣٦٤، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٣٣، «تفسير ابن كثير» ١٢٠، ١٢٢، «الدر المنثور» ١/ ١٥٦.

(٢) في (ب): (لهذا الجبل).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى ابن المنذر عن عبد العزيز بن أبي رواد، «الدر» ٦/ ٣٧٥.

(٤) في (ج): (وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣- ٣٦٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١٨٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٥.

(٦) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٩.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (نهر) ٤/ ٣٦٧٤، «الصحاح» (نهر) ٢/ ٨٤٠.

(٨) البيت لقيس بن الخطيم.

.... فـأنـهـرت فـتـقـهـا[١]

والنهر: اتساع الضياء، والنهر: أوسع من الجدول، والانتهار: إظهار الزجر، لا يكنى عنه، والنهار: ولد الكروان[٢]، لأنه مشبه بالنهار لبيضه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل: أراد به جبل موسى، لما تجلّى ربه للجبل جعله دكّاً[٣].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يجعل الله تعالى للحجر عقلاً فيخشاه، كما جعل بحراء[٤] عقلاً حتى عرف خطاب النبي ﷺ[٥]، وكذلك ما

---

(١) تمام البيت:
مَلَكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِن دُونِها ما وَراءَها
سبق البيت وتخريجه.

(٢) قال الليث: فرخ القطاة، وقال الأصمعي: فرخ الحبارى. انظر: «تهذيب اللغة» (نهر) ٤/ ٣٦٧٤، «الصحاح» (نهر) ٢/ ٨٤٠، وفي «القاموس»: فرخ القطا أو ذكر البوم، أو ولد الكروان أو ذكر الحبارى (نهر) ص ٤٨٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣٠، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٤) في (ب): (لحراء).

(٥) لعله بهذا يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان و علي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» مسلم (٢٤١٤). كتاب فضائل الصحابة، فضائل طلحة والزبير، وأخرج أبو داود نحوه وفيه: «أثبت حراء..» «سنن أبي داود» (٤٦٤٨)، كتاب: السنة، باب: الخلفاء، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (فضائل العشرة) .

صحت الأخبار به من تسبيح الحصا في يد رسول الله ﷺ[١]. وكذلك قوله تعالى: في قصة داود ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إني لأعرف**[٢] **حجراً بمكة كان يسلّم عليّ كلّما مررتُ به**»[٣].

وروي أنه قال: «**كان موسى** عليه السلام **يخرج من الرَّوحاء يؤمُّ هذا البيت يُلَبّي، ومقامُ الروحاء يُجاوبه**»[٤]. وكذلك قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] يدل على عقل

---

(١) أخرجه البيهقي بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه، وفيه: (.. وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال: تسع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل.. الحديث) وفي بعض رجاله ضعف. انظر: «دلائل النبوة» ٦/ ٦٤، ٦٥، وذكر الحديث ابن حجر في «الفتح» وعزاه للبزار، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل»، وقال: (.. وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها..) «فتح الباري» ٦/ ٥٩٢ .

(٢) في (ب): (لا أعرف).

(٣) أخرج مسلم نحوه عن جابر بن سمرة ولفظه: «**إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**» مسلم (٢٢٧٦). كتاب الفضائل، فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه)، وأخرجه الترمذي (٣٦٢٤) أبواب المناقب، باب (في إثبات نبوة النبي ﷺ وما خصه الله به). معه «عارضة الأحوذي»، والدارمي في «سننه» باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهائم والجن ١/ ١٢، وأحمد في «مسنده» ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق، فقال: «**أي واد هذا؟**»، قالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «**كأني انظر إلى موسى** عليه السلام **وهو هابط من الثنية وله جؤار إلى الله** عز وجل **بالتلبية**».. «المسند» ١/ ٢١٥، ٢١٦. وأخرج عن ابن عباس وفيه: «**وأما موسى** عليه السلام **فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة، كأني أنظر إليه إذا انحدر من الوادي يلبي**» «المسند» ١/ ٢٧٧، وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٣١٦.

يُركَّب في الجبل لو أنزل القرآن عليه، لأنّ في القرآن أمراً ونهياً، ولا يؤمر ولا ينهى(١) من لا يعقل(٢).

وقيل: إن الخشية في اللفظ للحجر، وفي المعنى للناظر إلى الحجر، وذلك(٣) أنه تعالى يهبط الحجارة [دلالة للناظر على قدرة الله، فيحمله ذلك على الخشية، فنسب الخشية إلى الحجر](٤) لما كان منه بسبب مجازاً(٥)، كما تقول العرب: لفلان ناقة تاجرة، أي: تامة سمينة تُنفِّق نفسَّها وتدعو إلى(٦) شرائها والتجارة فيها، كذلك قال: الحجارة خاشية من الله، أي: داعية إلى الخشية(٧)، ومعنى الآية: وإن منها ما يهبط فيدعو الناظرَ إليها إلى(٨) خشية الله.

وقال مجاهد: كلُّ حجر تفجّر منه الماءُ أوتشقّق عن ماء أوتردّى من

---

(١) في (ج): (وينهى).

(٢) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٥، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٣) في (ب): (وقيل أنه تعالى).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (مجاز).

(٦) في (ب): (إلى الله سرابها).

(٧) ذكر الطبري في «تفسيره» نحوه ١/ ٣٦٥، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨، قال الزجاج: (وقال قوم إنها أثر الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة، وهذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بينًا في جميعها، وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز..) «معاني القرآن» ١/ ١٣٠، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١- ٢٢٢ .

(٨) (إلى): ساقط من (ب).

رأس جبل فهومن خشية الله [نزل به القرآن(١).

وقال بعض المتأولين: من قال: المراد بالحجارة في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾](٢) أنه يركَّب فيها التمييز والعقل، فقد أخطأ(٣)، إذ كان لا يُستنكر ذلك ممن جُعِل فيه التمييز، ولكن هذا على جهة(٤) المثل، كأنه يهبط من خشية الله لما فيه من الانقياد لأمر الله الذي لوكان من حيّ قادر لدلَّ على أنه خاشٍ لله كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] أي: كأنه مريد. وكقول جرير:

لـمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ   سُورُ المدينةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ(٥)

أي: كأنها خاشعة للتذلل الذي ظهر(٦) فيها كما يظهر تذلل الخاشع،

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٣٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٦- ٣٥٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١- ١٢٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) نسب الرازي هذا القول للمعتزلة ٣/ ١٣١.

(٤) في (ب): (على وجه).

(٥) من قصيدة قالها جرير في هجاء الفرزدق، يقول: لما وافى خبر قتل الزبير إلى المدينة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزنًا له، لأن قاتل الزبير من رهط الفرزدق. ورد البيت في مواضع كثيرة منها، «الكتاب» ١/ ٥٢، «مجاز القرآن» ١/ ١٩٧، «الكامل» ٢/ ١٤١، «المقتضب» ٢/ ١٩٧، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص ٥٩٥، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٣٣٣٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص ٢٩٦، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧، والطبري في «تفسيره» ١/ ٢٦١، ٣٦٥، «الخزانة» ٤/ ٢١٨، «الخصائص» ٢/ ٤١٨، «المخصص» ١٧/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٦، «رصف المباني» ص ٢٤٤، «ديوان جرير» ص ٢٧٠.

(٦) في (ب): (للتذل ظهر الذي فيها).

هذا كلام أهل المعاني في معنى خشية الحجارة[١]، والصحيح: أنها تخشى الله حقيقة كما قال مجاهد، ولكنا لا نقف على كيفية ذلك كسجود الجمادات لله تعالى، ذهب كثير من المفسرين إلى أنها تسجد لله تعالى على الحقيقة ولا نقف عليه نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ اختلف القراء في مثل هذا، فقرأوا بالياء والتاء[٢].

والقول في جملة ذلك[٣] أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ ثم قال: ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ فالتاء هاهنا حسن، لأن المتقدم خطاب.

ومن[٤] قرأ بالياء[٥] فمعناه: ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصّتَهم[٦] أيها المخاطبون، وأما إذا كان قَلَبه غيبةً حَسُنَ أن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٥، وقد قال بعد أن ذكر هذه الأقوال: (وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها، فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها)، ٢/ ٢٤٣، وإلى نحو هذا مال القرطبي في «تفسيره» وقال: إنه لا يمتنع أن يعطي الله الجمادات المعرفة والعقل ولا ندرك نحن كيفيته، ١/ ٤٦٥، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١، وبهذا أخذ الواحدي كما يأتي قوله.

(٢) قرأ ابن كثير بالياء، وبقية السبعة بالتاء في هذه الآية، انظر: «السبعة» ص ١٦٠، «التيسير» ص ٧٤، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١.

(٣) نقله عن «الحجة» لأبي علي بتصرف ٢/ ١١٣.

(٤) في (ب): (فمن).

(٥) في (ج): (الياء) بسقوط الباء.

(٦) في (ب): (قصته).

يجعل على لفظ الغيبة ليعطف بالغيبة على مثله، كما عطفت الخطاب على مثله، ويجوز فيما كان قبله لفظ(١) غيبة: الخطاب، ووجه ذلك: أن يجمع بين الغيبة والخطاب، فتغلب(٢) الخطاب على الغيبة، لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب، فيصير(٣) كتغليب المذكر على المؤنث. ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير، فقالوا(٤): أعطاكهو(٥) ولم يقولوا: أعطاهوك، فعلمت أن الخطاب [أقدم في الرتبة كما أن المذكر مع المؤنث كذلك، ويجوز في الخطاب](٦) بعد الغيبة وجه آخر، وهو: أن يراد به: وقل لهم أيها النبي: وما الله بغافل عما تعملون. ومعناه(٧): وعيد لهم وتهديد(٨).

٧٥- وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ يعني النبيَّ والمؤمنين(٩). ومعنى الطمع: تعليقُ النفس بما يُرجى ويُظَنّ(١٠). وَالألف فيه ألفُ

---

(١) في (ب): (فيما كان لفظه غيبة).

(٢) في (ب): (فيغلب).

(٣) في (ب): (فتصير).

(٤) في (ب): (فقال).

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة» (اعطاكه) ٢/ ١١٣، وهو الصواب.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) قوله: (ومعناه) ساقط من (ب).

(٨) انتهى من «الحجة» لأبي علي ٢/ ١١٣-١١٤، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١، «الحجة» لابن خالويه ص ٨٢، «الكشف» ١/ ٤٤٨.

(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩، عن ابن عباس والربيع بن أنس والحسن، «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤.

(١٠) ينظر «المصباح المنير» ص ٣٤٨.

استخبار، يجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي، إذا لم يكن معها نفيٌ، كأنه آيَسَهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة، فإذا كان في أوّل الكلام نفيٌ، فإنكار النفي تثبيت[١]، نحو قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: ٨] وسيأتي بعد هذا لِمَ جعل الاستفهام للإنكار[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ يعني به: جماعةَ اليهود[٣]؛ لأنّه قال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. يعني به: جماعتَهم؛ لأن الخاصةَ تتبعُ العامة.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ أي: جماعة. وأصله من الفَرْق، ومعناه: طائفة فرقت من الجملة كالفئةِ، قالوا: أصلها من فأوتُ[٤] رأسَه: أي: شَقَقْتُه[٥].

واختلفوا في هذا الفريق، فقال مجاهد[٦] وقتادة[٧] والسُدّي[٨]:

---

(١) فصَّل هذه المسألة ابن هشام الأنصاري في كتابه «مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب» ١/ ١٧.

(٢) في (م): (الإنكاري) وفي (أ): (الإنكار).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤.

(٤) هذا مما يذكر في الواوي واليائي، أي فأوت وفأيت، وقوله: الفئة على وزن فعة، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» : وكانت في الأصل فئوة بوزن فعلة فنقص. انظر «لسان العرب» ٦/ ٣٣٣.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦.

(٦) رواه مجاهد في «تفسيره» ص ٨٠ ومن طريقه (الطبري) ٢/ ٢٤٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩، وذكره «الثعلبي» في «تفسيره» ١/ ٩٩٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣- ١٠٤، «ابن كثير» في «تفسيره» ص١٢٢-١٢٣.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٤، ابن كثير في «تفسيره» ص ١٢٢-١٢٣.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩ وذكره =

يعني به الذين غيّروا أحكام التوراة وبدّلوا الحرام بالحلال، وغيروا آية الرجم، وصفة محمد ﷺ[١].

وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: من موسى أو ممن سمعوه كما أنزل ثم غيّروه. ويجوز أن يكون معناه: يفهمون كلامَه. وقال ابن عباس[٢] ومقاتل[٣]: نزلت هذه الآية في السبعين، الذين[٤] اختارهم موسى وذهبوا معه[٥] إلى الميقات، وسمعوا كلام الله ﷻ وهو يأمره وينهاه، فلما رجعوا إلى قومهم سألهم الذين لم يذهبوا معهم، فقالت طائفة منهم لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: «إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس»[٦].

=«الثعلبي» في «تفسيره» ١/ ٩٩٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٩٠ «ابن كثير» ص ١٢٢-١٢٣.

(١) وهذا قول جمهور المفسرين، ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤، «الوسيط» للواحدي ١/ ١٦٠ «أسباب النزول» للواحدي ص ٣١ وعزاه لأكثر المفسرين، «تفسير البغوي» ١/ ١١٣ و«تفسير ابن كثير» ص ١/ ١٢٢-١٢٣، ورجَّحه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٨ وذكره «الثعلبي» ١/ ٩٩٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٢٧، و«الوسيط» ١ / ١٦٠، و«البغوي» ١ / ١١٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ١١٦، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣١، «الوسيط»١/ ١٦٠.

(٤) ليست في (أ).

(٥) قوله: (وذهبوا معه): ليست في (م).

(٦) وروي هذا القول عن ابن إسحاق والربيع بن أنس، رواه عنهما الطبري ٢/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ١/ ١٤٨ وذكره ابن كثير ١/ ١٠٥، ورجحه الطبري محتجًا بأن الله أخبر أن التحريف كان ممن سمع كلام الله، وهؤلاء الذين كانوا في عهد =

فغيّروا ما سمعوا، ولم يؤدّوه على الوجه الذي سمعوه، فقيل في هؤلاء الذين شاهدهم النبي ﷺ: إنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم، وهذا مما يقطع الطمع في إيمانهم[1]؛ لأن الطمعَ قد ينقطعُ بغلبةِ الظن كما ينقطع مع العلم، فإذا ظهرت الأمارات التي توجب غلبة الظن انقطع الطمع. بيان ذلك: أنا لا نطمع في إيمانِ ملكِ الرومِ مع غلبةِ الظن أنه لا يؤمن، كما لا نطمع في إيمان أبي جهل[2]، مع العلم بأنه لا يؤمن وقد هلك، واليأس إنما يكون مع اليقين أنه لا يقع، وهذا هو الفرق بين

=النبي ﷺ من نسلهم أحرى بالجحود والتحريف؛ لأن أسلافهم سمعوا من الله وحرفوا متعمدين التحريف، وهؤلاء سمعوا منكم أنتم، ولذا قطع الله أطماع المؤمنين في إيمانهم. ثم رد ابن جرير على أصحاب القول الأول قولهم، بأنه لوكان المراد: سمعوا التوراة، لم يكن لذكر قوله: (يسمعون كلام الله) معنى مفهوم، لأن ذلك قد سمعه المحرف وغيره، فخصوص المحرف بالسماع لا معنى له. وقد بين ابن كثير ص ١/ ١٢٢-١٢٣ أن القول الأول أعلم، وأنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون سمعه منه كما سمعه الكليم قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦] أي: يسمعه مبلغًا إليه. وممن ضعف القول الثاني ابن عطية ١/ ٣٥٩ فقال: وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ماسمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم، ونقله القرطبي ٢/ ١، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣: وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي صاحب «النوادر»، هذا القول إنكارًا شديدًا. وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة، وجعل هذا من الأحايث التي رواها الكلبي، وكان كذابًا. وينظر: «العجائب» ١/ ٢٦٢.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أحد سادات قريش في الجاهلية، وأشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهدها مع المشركين فكان من قتلاهم. ينظر: «السيرة النبوية» ٢/ ٣٥٨.

اليأس وبين قطع الطمع. وليس قولُ من قال: المراد بالفريق هاهنا الذين سمعوا كلامَ الله في وقت المناجاة أولى من القول الأول بأن هؤلاء سمعوا كلام الله على الحقيقة(١)، من جهة أن الكلام يضاف إلى المتكلم على وجهين، وكلاهما حقيقة: أحدهما: يضاف إليه على أنه المظهر له.

والآخر: يضاف إليه على معنى الحكاية لما كان مظهرًا له.

يوضح ذلك أنك تقول: هذا كلام سيبويه(٢) بعينه إن لم يحكه الحاكي على المعنى دون تأدية اللفظ(٣)؛ ولهذا نقول: القرآن كلام الله على الحقيقة، وإن كنا لا نسمعُ الله يقولُ ذلك عند تلاوته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ التحريفُ: تفعيلٌ من الحَرْف، والحَرْفُ في أصل اللغة: حدّ الشيء وحِدَّتُهُ، ومِنْه يقال: طعامٌ حِرِّيْفٌ، يراد حِدَّتُهُ، فالتحريف أن يَجْعَلَ للشيء حَرْفًا كتحريف القلم. هذا أصل معناه في اللغة، ثم استعمل في معنى الإمالة والتغيير، وهذا المعنى راجع إلى أصله في اللغة؛ لأن بالإمالة يصير الشيءُ ذا حَرْفٍ، ألا ترى أن القلم إنما يصير مُحَرَّفًا إذا أُمِيلَ قَطْعُهُ في أحد الجانبين، فصار التحريف اسمًا لتغيير الشيء عن وجهه(٤).

---

(١) يريد: سمعوا كلام الله من رسوله أو من كتابه المنزل.

(٢) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وقد تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٣) يريد: إن حكاه الحاكي بلفظه. ينظر: «تهذيب اللغة»١/ ٨٨٣، «اللسان» ٢/ ٩٥٤، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٢.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٦، «المفردات» للراغب ص ١٢١ وقال: وتحريف الشيء إمالته كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أنّ الذي حرفوا ليس من قبل الله، إنما هو مفتعل من جهتهم. أعلمنا الله تعالى أنهم لم يحرفوا ما سمعوا على جهة النسيان والخطأ، بل جهة القصد والتعمد. وقيل: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي يفعلونه مُكسِبٌ للأوزار[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابن عباس[٢] والحسن[٣] وقتادة[٤][٥]: يعني منافقي اليهود، كانوا إذا رأوا المؤمنين قالوا: آمنّا بمحمد أنه نبي صادق نجده في كتابنا، فإذا رجعوا إلى رؤسائهم لاموهم على ذلك[٦].

وقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. ومعنى التحديث: الإخبار عن حوادث الزمان. وأصل الفتح: نقيض الإغلاق، ثم يدخل في هذا فتح البلاد، وفتح المِغْلاق، وفتح المُشكل من الحكم، وفتح الباب، وكلّ مَا بَدَأتَ به فقد استفتحته، وبه سميت فاتحة الكتاب، ومعنى استفتحته:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٨، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩، «زاد المسير»١/ ١٠٤.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥١.

(٤) رواه الطبري في تفسيره بمعناه عنه ١/ ٣٦٩، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ١٤٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٩٠.

(٥) أخرج أثر ابن عباس: ابن جرير الطبري ١/ ٣٦٩. وأخرج ابن أبي حاتم أثر الحسن ١/ ٧٨٥، وذكره عن قتادة ١/ ٧٧٩، ٧٨٧، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ١٥٧ إلى عبد بن حميد.

(٦) روي هذا القول أيضًا عن السدي وأبي العالية، والربيع بن أنس، ومجاهد وعطاء وابن زيد، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٩- ٣٧٠، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩ - ١٥٠ «زاد المسير» ١/ ١٠٤، «الدر المنثور» ١/ ١٥٧.

ابتدأت فتحه، كما يبتدأ الدخول إلى الشيء بفتح بابه، ومنه: الفتّاح للحاكم؛ لأنه يفتح القضيّة المستغلقة[١]. وأما (يستفتحون) بمعنى: يستنصرون، فهم يسألون الفتح.

ومعنى قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ قال ابن عَبَّاسٍ[٢] وأبو العالية[٣] والحسن[٤] وقتادة[٥] أي: من العلم بصفةِ محمد ﷺ المبشَّر به ونعتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ معنى المحاجة: المجادلة والمخاصمة. وأصل الكلمة: من القصد، ومنه: حَجَّ البيتَ، والحجة: النكتة[٦] التي هي القصد في تصحيح الأمر، والمحجة: الطريقُ القاصدُ بك إلى الغرض الذي تؤمّه[٧].

ومعنى قوله: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ أي: ليجادلوكم، يعني: أصحاب محمد، ويقولون: قد أقررتم أنه نبي حقٌّ في كتابكم ثم لا تتّبعونه، فهذه حجة لهم عليكم[٨].

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ قال أبو بكر[٩]: معناه: في حكم ربكم، كما تقول: هذا حلال عند الشافعي، أي: في حكمه، وهذا يحل عند الله:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٤ «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٥، «القرطبي» ٢/ ٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٠، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٧٨١.

(٤) بنحوه أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٧٨٥، ٧٨٧.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٣٧٠ بأسانيد عن قتادة.

(٦) في (م): (النكة). والنكتة هي النقطة.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٤-٧٤٦ مادة حج، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٩-٣١.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٦.

(٩) يعني: ابن الأنباري.

أي: في حكمه، فعلى هذا معناه: لتكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة. ويحتمل: أنه أراد عند ربكم في الآخرة؛ لأنهم يقولون لكم: يا معشر اليهود آمنا بمحمد ولم نقرأ صفته، وكفرتم به بَعْد أن وقفتم على صِدقه في التوراة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانية[١]. وهذا من كلام رؤسائهم لهم في لومهم إياهم، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: من التكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من التصديق.

٧٨- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال أبو إسحاق: معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلّة[٢] الأمة: أي: لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه[٣].

وقال غيره: قيل للذي لا يكتب: أمّي؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نُسِبَ إلى ما ولد عليه، أي: هو على ما ولدته أمّه.

وقال ابن الأنباري: إنما سمّي الذي لا يكتب، ولا يقرأ: أمّيّاً؛ لأنه نسب إلى أمّه، إذ كان النساءُ لا يكتبن في ذلك الدّهر[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ جَمْعُ أُمْنِيّة، وأُمْنِيَّة في الأَصْلِ: أُمْنُوية

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٧.

(٢) في (ش): (حيلة).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٥٩.
وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤ مادة (أمّ) النص هكذا: معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤-٢٠٥، و«المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد ١٠/ ٤٥٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤، و«اللسان» ١/ ١٢٣.

فقلبت الواو ياءً لسكونها ثم أدغمت[١]، ويجوز في أداء[٢] جَمعها التخفيف على نقصان إحدى الياءين[٣]، وكذلك ما كان على هذا الوزن من الجمع الصحيح ففيه لغتان، نحو: قرقور وقراقر[٤] وإن شئت: قراقير، وحواجب وحواجيب، وجلابب وجلابيب.

فأمَّا الغواشي والجوابي[٥] والجواري والليالي فليس فيها إلَّا التخفيف؛ لأنّها منقوصات، وواحدَتُها خفيفة[٦].

والأمنيَّة: من التمنّي، كالأغنية من التغنّي. قال الكسائي: أصل التمني في اللغة: حديثُ الرجلِ نفسَه، والعرب تقول: تركتُه قاعدًا يتمنى، أي: يحدث نفسَه.

وأنشد لكعب بن مالك[٧] يرثي أباه:

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٥٤

(٢) ساقطة من (أ) و(ش).

(٣) قال أبو حاتم: كل جمع من هذا النحو، واحده مشدّد فلك فيه التخفيف والتشديد، مثل: بَخَاتي، وأثافي، وأغاني، وأماني ونحوها ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٦-٣٧٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤، «المحتسب» لابن جني ١/ ٩٤ «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩.

(٤) القرقور: السفينة العظيمة الطويلة.

(٥) في (م): (الجواني).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩، «معاني القرآن» للأخفش الأوسط ١/ ١١٧-١١٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧٦-٣٧٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥، «المحتسب» لابن جني ١/ ٩٤.

(٧) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم، اختلف في تاريخ وفاته بين ٤٠ و ٥٠ هـ وغيرها. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٤٨٧-٤٨٩، «الإصابة»: ٣/ ٣٠٢.

تمنى كتابَ الله أولَ ليلِهِ   وآخرها[١] لاقى حِمَام المقادر[٢]

أي: قرأ، يسمّى[٣] القراءة تمنّيًا، لأنها تشبه التحدث، وما تمناه الإنسان فهو مما[٤] يحدث به نفسه[٥]؛ ولهذا فُسِّرت الأماني في هذه الآية بالأحاديث.

وقال غيره: أصل هذه الكلمة عند أهل اللّغة من التقدير. والتمني: هو تقدير شيء تودُّه، والمنيّة مقدرةٌ على العباد، والمَنَى الذي يوزن به: مقدار معروف، والمَنِيُّ: الذي يقدَّرُ منه الولد، والتمني: التلاوة؛ لأنها حكاية على مقدار المحكيِ، والمنا[٦]: الحذاء؛ لأن أحد الشيئين بإزاء الآخر على مقداره[٧]، ومُنيت[٨] بكذا أي: قُدِّر علَيّ.

والأمنية في هذه الآية: التلاوة؛ لأنها حكاية للكلام على مقدار

---

(١) كذا في الأصل: وآخرها، وفي «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٢٨٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦: وآخره.

(٢) البيت في «ديوانه» ص ٢٩٤ قاله في رثاء عثمان بن عفان، وينظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٩، «القرطبي» ٢/ ٥، وقيل: هولحسان بن ثابت كما في «تفسير أبي حيان» ٦/ ٣٨٦، وليس في «ديوانه»، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٧٧، وكتاب «العين» ٨/ ٣٩٠. ينظر «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية»، للدكتور/ أميل بديع يعقوب ٣/ ٣٧٠. وحمام المقادر: الموت.

(٣) في: (م) لعلها (يسمي).

(٤) في (م) و(ش): (ما).

(٥) في (ش): تحدث نفسه.

(٦) في (م): (المنا الذي).

(٧) ينظر: «القاموس» ١٣٣٦: (مادة: المنا).

(٨) في (م): (أمنيت).

حُروفه من غير زيادة .

وقال ابن السكيت: يقال: هو مُنّي[(١)] بمَنَى مِيل، أي: بقدر ميل[(٢)] .

وقال الفراء: يقال: مَنىَ الله لك ما يَسُرّك، أي: قَدّر لك. وأنشد:

ولا تقولَنْ لشيء سوف أفعله   حتى تَبَيّنَ[(٣)] ما يَمْني[(٤)] لَكَ الماني[(٥)]

أي: ما يقدر لك القادر[(٦)] .

فأمّا التفسير، فقال ابن عباس: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلّا أحاديث[(٧)]، قال: لا يعلمون إلّا ما حُدّثوا .

وقال الفرَّاء: الأمانيّ: الأحاديث المفتعلة، يقول الله: لا يعلمون الكتاب ولكن هو أحاديث مفتعلة ليست من كتاب الله يسمعونها من كبرائهم[(٨)]، وهذا قول الكلبي[(٩)]. واختاره الزجّاج في أحد قوليه، وقال:

---

(١) في (ش): (تمني).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤ ولم أجده في كتابيه: «تهذيب الألفاظ»، و«إصلاح المنطق».

(٣) في (م): (يبين). وفي (ش): (بين) وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤: تُلاقيَ.

(٤) في (ش): (تمنى).

(٥) البيت لأبي قلابة الهذلي، في «شرح أشعار الهذليين» ص ٧١٣، ولسويد بن عامر «المصطلقي في لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٢، وذكره في «تهذيب اللغة» عن الفراء ولم ينسبه ٤/ ٣٤٥٤.

(٦) لم أجده في مظنته من «معاني القرآن» للفراء، ونقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦١، و«ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٢.

(٨) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩-٥٠.

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٩، وينظر: «البغوي» ١/ ٨٨، «الخازن» ١/ ٧٧.

إلّا أكاذيب، والعربُ تقول: أنت إنما تتمنى[١] هذا القول، أي: تختلقه[٢]. وقال أحمد بن يحيى: التمني: الكذب، يقول الرجل: والله ما تمنيت هذا الكلام ولا اختلقته[٣].

قال ابن الأنباري[٤]: والمُنى تشبه الكذب لأنه لا حقيقة لها، والعرب تذمّها كما تذم الكذب، قال الشاعر:

فَلا يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ ومَا وَعَدَتْ
إنَّ الأمَانِيَّ وَالأحْلامَ تَضْلِيلُ[٥]

وقال أبو عبيدة[٦] وابن الأنباري[٧] وابن قتيبة[٨] والزجَّاج[٩] في أحد قوليهِ: الأماني: التلاوة، واحتجوا ببيتِ كعبٍ، فأرادَ أنّهم يقرؤون عن ظهر القلب ولا يقرؤون في الكتب[١٠].

وقيل: يقرءون في الكتاب ولا يعلمونه بقلوبهم، فهم لا يعلمون

---

(١) في (ش): (تتمنى). في (أ) و(م): (تمتني)، وما في (ش) موافق لما في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٤.

(٤) في (م): (الأنبار).

(٥) البيت لكعب بن زهير، ينظر: «ديوانه» ص ٩، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٤، «المعجم المفصل» ٦ / ٣٤٧.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩،وليس هو في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٦

(٨) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص ٤٦.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.

(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩، «تفسير البغوي» ١/ ٨٨ «زاد المسير» ١/ ١٠٥.

الكتاب إلا تلاوة ولا يعملون به[(١)]، فليسوا كمن يتلونه حقّ تلاوته، فيُحِلّون حلالَه، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه[(٢)].

قال ابن الأزهري: والتلاوة سميت أمنية ؛لأن تالي القرآن إذا مر بآية رحمة تمنّاها، وإذا مرّ بآية عذاب تمنّى أن يُوَقّاه[(٣)].

وقال الحسن[(٤)] وأبو العالية[(٥)] وقتادة[(٦)]: أي: إلّا أن يتمنوا على الله الباطل والكذب، ويتمنون على الله ما ليس لهم، مثل قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠] وقولهم: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١٨]. قال ابن الأنباري: والاستثناء على هذا التأويل منقطع عن الأوّل، يريد: لا يعلمون الكتاب البتة، لكنهم يتمنون على الله مالا ينالون[(٧)].

---

(١) في الأصل (يعلمون)، وهو تحريف.

(٢) ينظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٥٦.

(٣) «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٤.

(٤) ذكره «الثعلبي» في «تفسيره» عنه ٢/ ١٠٠١، وينظر: «الوسيط» للمصنف ١/ ١٦٢، و«البغوي» ١/ ٨٨.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بمعناه ٢/ ٣٧٤-٣٧٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ، وفي «تفسير الطبري» بمعناه ١/ ٣٧٥، وذكره «ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٢ عنه وعن الربيع بن أنس بلا إسناد، وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٠.

(٧) وقد رجح الشنقيطي هذا القول في أضواء البيان ١/ ١٤١ وبين أن مما يدل لهذا القول: قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١١] وقوله ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ [النساء: ١٢٣] وبين أن القول الأول لايتناسب مع قوله: ومنهم أميون لأن الأمي لايقرأ.=

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: لا يعلمون،[1] أراد: ما هُمْ إِلَّا ظانّينَ ظنًّا وتوهمًا لا حقِيقَةً ويقينًا[2][3]. وجعل الفعل المستقبل في مَوضع الحَالِ؛ لأنه يصلح للزمانين.

قال ابن عبّاس في قوله: (وإن هُم إلَّا يظنون): أي: لا يعلمون الكِتَابَ، ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نبوتك بالظَنّ[4].

قالَ أصحاب المعاني: ذمّ الله بهذه الآية قومًا من اليهود، لا يحسنون شيئًا وليسُوا على بصيرة إلّا ما يحدّثونَ به، أو إلّا ما يقرءون عن غَيْرِ عِلم به[5]. ففيه حثٌّ علَى تعلّم العلم؛ حتّى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره، وأن يقرأ شيئًا لا يكون له به معرفة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الآية. قال ابن عباس: الوَيْل شِدّة العَذَاب[6].

= ويؤيد ذلك ماورد بأسانيد صحيحة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وأبي العالية. ينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٠.

(١) زيادة من (ش).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠١، «تفسير البغوي» ١/ ١١٥.

(٣) نقل القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٦ عن أبي بكر الأنباري عن أحمد بن يحيى النحوي: أن العرب تجعل الظن علمًا وشكًّا وكذبًا، وقال: إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٢٧٧.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٣٦٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١١٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٧٨ بلفظ: فالعذاب عليهم.

وقال الزجّاج: الويل كلمة يستعملها كل واقع في هَلَكة، وأصله في اللغة: العذاب[١].

وقال ابن قتيبة: قال الأصمعي: الويل تقبيح[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وروى الأزهري عن المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: قولهم: ويل[٣]، كان أصلها (وي) وُصِلت بـ (له)، ومعنى (وي): حزن، ومنه قولهم: ويه[٤] معناه: حزن، أُخْرج مُخْرَجَ الندبة[٥][٦].

وحكى ابن الأنباري عن الفراء: أن أصل هذه الكلمة: وي لفلان، وهو حكاية صوتِ المصاب وَي وَي، فكثر الاستعمال للحرفين، يعني: وي لفلان فوُصِلتْ اللام بوي وَجُعِلَتْ معها حرفًا واحدًا، ثم خُبِّر عَن ويل بلام أُخرى.

وقرأت على أبي الحُسين الفسوي، فقلت: أخبركم حمد بن محمد الفقيه، قال: أخبرني أبو عمر[٧]، قال: حضرنا مجلس أبي العباس أحمد

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٠.

(٢) ينظر: «اللسان» ١١/ ٧٣٩.

(٣) في «تهذيب اللغة»: (ويله).

(٤) في الأصل ويه، والمثبت من «اللسان».

(٥) الندبة: وهي نداء متفجع عليه حقيقة أوحكمًا أو متوجع منه. ينظر: «طرح التثريب» ١/ ١٥٤، «المصباح المنير» ص ٥٩٧.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٩.

(٧) هو: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر اللغوي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، لازم ثعلبًا في العربية فأكثر عنه إلى الغاية، له مصنفات كثيرة منها: «فائت الفصيح»، و«الياقوتة»، وغيرها، توفي سنة ٣٤٥هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٠٨-٥١٣، و«تاريخ بغداد» ٢/ ٣٥٦-٣٥٩.

ابن يحيى، فأقبل علينا، فقال: كيف الفعل من الويل؟ فبلّح القوم ولم يكن عند واحدٍ منهم جواب، وفي المجلس ابن[١] كيسان وغيره فأنشدنا:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ يميني لا تعلّلُ[٢] بالقليل[٣]

قال أبو عمرو: يقال في هذا أيضًا: وال يَوِيلُ، على وزن مال يميل. انتهت الحكايةُ.

وسمعتُ من يوثق بعلمه يقول: أخطأ أبو عمرو، لم يأت من هذا الباب ما أَوَّلُه واوٌ ولا ياءٌ في الأجوف. وروي عن أبي سعيد الخدري[٤] مرفوعًا قال: «**ويْلٌ: وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره**»[٥].

---

(١) ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): (لا تغلل).

(٣) البيت بلا نسبة في: «الممتع في التصريف» ٢/ ٥٦٨، وفي «لسان العرب» ٨/ ٤٩٣٩، «المعجم المفصل» ٦/ ٥٨٧.

(٤) هو: الصحابي الجليل، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته أبو سعيد الخدري، من فقهاء الصحابة ومكثريهم في رواية الحديث، شهد ما بعد أحد، وتوفي سنة ٧٤هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٦٥، و«الأعلام» ٣/ ٨٧.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وعبد بن حميد ٩٢٤، والترمذي في التفسير، سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤)،، الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٨، والحاكم ٢/ ٥٠٧ أبو يعلى في «مسنده» ٢/ ٥٢٣ والبيهقي في «البعث والنشور» برقم ٥٣٧ من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج ضعيف، وصححه الحاكم، وأحمد شاكر وقال الترمذي: هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة وتعقبه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٢٥ فقال: لم يتفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده، وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعًا منكر، والله أعلم.

قال النحويون: وذكر اليد في قوله: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق للإضافة وإن كانت الكتابة لاتقع إلا باليد، وقد أُكدّت الإضافة بذكر اليد[١] فيما لا يُرادُ باليد فيه الجارحة[٢]، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. ومعناه: مما تولينا عمله، ولما[٣] توليت خلقه.

والأصل في هذا: أنه قد يضاف الفعل إلى الفاعل وغير الفاعل له، كقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] والمراد بذلك: أنه يأمر بالذبح فَيُمتثل أمره. فلما كان الفعلُ قد يُضاف إلى غير الفاعل أُكّدَت الإِضافة بذكر اليد؛ للتحقق وينتفي الاحتمال، ثم استعمل هذا التأكيد[٤] أيضا في فعل الله تعالى وإن لم يجز في وصفه يد الجارحة؛ لأن المراد بذكر اليد تحقيق الإضافة على ما بيّنا.

وقال ابن السراج: معنى يكتبون بأيديهم، أي: من تلقائهم ومن قبل أنفسهم من غير أن يكون أُنزل عَلَيهم أو على من قبلهم[٥]، وهذا كما يقال للذي يُبدعُ[٦] قولًا لَم يُقَلْ قبله: هذا أنت تقوله[٧]، يراد بذلك: أنت ابتدعت هذا المذهب وهذا الحكم.

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٨.

(٢) هذا تأويل من المؤلف رحمه الله، جرى فيه على مذهب الأشاعرة. والصواب ما عليه السلف من إثبات الصفات لله من غير تأويل ولا تكييف ولا تمثيل .

(٣) في (أ) و(م): (كما).

(٤) في (ش): (التاليد).

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٨.

(٦) في (ش): (يبيع).

(٧) في (ش): (بقوله).

قال المفسرون: هذا في اليهود، عَمَدوا إلى صفة محمد ﷺ فكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة، وأخذوا عليه الأموال، وقبلوا الهدايا[(١)]. وهو معنى قوله: ﴿وَوَيۡلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ يقال: كسبت الشيء كسبًا، وكَسَبْتُ الرجلَ مالًا فكَسَبه وهذا أحد ما جاء على فَعَلْتُه ففَعَل، ومعنى الكسب: فعل يُجتلَب به نفع، أو يُستدفَع به ضرر، واكتسب الخطيئة إنما ذلك لأنه يَجتلب به تعجّلَ المنفعة وينسَى ما عليه فيه من تأجّل المضرّة.

٨٠- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ يعني: اليهود لما أوعدهم رسول الله ﷺ بالنار عند تكذيبهم إياه، قالوا: لن تمسَّنا النار إلّا أيامًا معدودة[(٢)]: أي: قليلة، والمعدودة إذا أطلقت كان معناها القليلة، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ﴾ [يوسف:٢٠] قيل معناه: معدودة عندنا. قال ابن عبّاس: قالت اليهود: مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذَّب بكل ألف سنة يومًا واحدًا[(٣)].

وقال قتادة[(٤)] وعطاء[(٥)]: يعنون الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٤٤ - ٢٤٧، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٠٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٠-٣٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٦.

(٣) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٢٧٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٥٥، وسنده حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٤ والطبراني في «الكبير» ١١/ ٩٦، وهو مروي عن مجاهد أيضًا كما عند الطبري ١/ ٣٨٢.

(٤) أخرجه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» بسند صحيح ١/ ٥١ ومن طريقه رواه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٥، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٠٧، ينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٤.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١١٦.

وهي مدّة غيبة موسى عنهم، فكذّبهم الله ﷻ، فقال: قُل يا محمد: ﴿أَتَّخَذتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: أخذتم بما تقولون من الله ميثاقًا فالله لا ينقُض ميثاقه، أم تقولون على الله الباطلَ جهلًا منكم. وَ(أَمْ) ها هنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لألف الاستفهام بمعنى: عَلَى أي الحَالَتَين أنتم؟ على اتخاذ العهد أم على القول بما لا تَعلَمُون.

ويحتمل أن تكون منقطعة(١)، على تقدير تمام الكلام قبلها، كأنه تم الكلام عند قوله: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ ثم استأنف بـ (أم) على معنى: لا تقولون على الله مالا تعلمون. وكذا تقديرها وإن كانت منقطعة(٢).

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال الفراء: (بلى): تكون جوابًا للكلام الذي فيه الجحد، فإذا قال الرجل: ألست تقوم؟ فتقول: بلى. ونَعم جواب للكلام الذي لا جحد فيه، فإذا قال الرجل: هَل تقوم؟ قلت: نعم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [تبارك: ٨، ٩]، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وإنما صارت (بلى) تتصل بالجحد؛ لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة (بَل)، و(بل) سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: مَا قام أخوك بل أبوك، وما أكرمت أخاك بل أباك.

فإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم، فقال: بلى، أرادَ: بل أقوم، فزاد الياء على (بل) ليحسن السكوت عليها؛ لأنه لو قال: بل كان يتوقع كلامًا بعد بل، فزاد الياء(٣) على بل ليزول عن المخاطب هذا

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٧٨.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: كذا تقديرها إن كانت منقطعة.

(٣) أراد الألف المقصورة، وهكذا عدها الفراء ألفًا.

التَوهم[١]. وإنّما لم يصلح ها هنا (نعم) لأن (نعم)؛ إقرار، وإذا قال في هذا الموضع نعم، فقد أقرّ بالجحد وبالفعل الذي بعده، ألا ترى أنك لو قيل لك: أَمالَكَ مالٌ؟ فقلت: نعم، كنتَ مُقِرًّا بالكلمة بطرح الاستفهام وحده، كأنك قلت: نعم مالي مالٌ، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويُقرّوا بما بعده، فاختاروا[٢] (بلى) لأن أَصلها رجوع عن الجحد كما بينا[٣].

ومعنى الآية: أنه ردّ على اليهود قولَهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ فقال: (بلى) أُعذِّبُ من كَسَبَ سَيّئةً. و(مَنْ) هاهنَا بمعنى (الذي)[٤]، ولهَا أربعة أَوجُه: تكون بمعنى (الذي)، وتكون[٥] استِفهَامًا، وجزاءً، ونكرةً موصوفة، مثل:

وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنا حُبُّ النبيِّ محمّدٍ إيّانا[٦]

أي: على أحد غيرِنا.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٢، ونقله عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٤-٣٨٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٧. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٨، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ٩٩.

(٢) في (م): (فقالوا).

(٣) ينظر في معنى (بلى): «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٧٩، و«مغني اللبيب» ١/ ١١٣-١١٤.

(٤) قال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٢٧٩: (من) يحتمل أن تكون شرطية، ويحتمل أن تكون موصولة، والمسوغات لجواز دخول الفاء في الخبر إذا كان المبتدأ موصولًا موجودة هنا، ويحسنه المجيء في قسميه بالذين، وهو موصول.

(٥) في (ش): (تكون) في الموضعين.

(٦) البيت ذكره ابن هشام في «مغني اللبيب» ١/ ٣٢٨، وابن الشجري في «الأمالي» ٢/ ٣١١ منسوبا إلى حسان، ونسبه الزبيدي في «التاج» (مادة: من)، والبغدادي في «الخزانة» ٢/ ٥٤٥ إلى كعب بن مالك، انظر: «ديوان حسان» ١/ ٥١٥.

وقولُ آخرَ:

يا رُبّ مَن يبغض أذوادنا . .[١] البيتَ.

ودخول « رُبَّ » يدل على أنه نكرة[٢].

والسيئة فيعِلة[٣] من السوء في قياس قول الخليل، وَفعيلَةٌ في قياس قول الفراء، وهذا مثل ما ذكرنا في الصيِّب[٤].

قال اللّيث: والسيئ والسيئة: عملان قبيحان يَصِير السيئ نَعتًا للذكر من الأفعال، والسيئة: الأنثى[٥]، يقال: ساء الشيء يَسوء فهو سَيئٌ، إذا قبح، وساء ما فعل، أي: قبح[٦].

وإجماع أهل التفسير: أن السيئةَ ها هُنا الشرك[٧]، وأنّ الآية وردت

---

(١) وتمامه:

رُحْنَ على بغضائه واغْتَدين

قاله عمرو بن قميئة كما في «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣١٥ وقيل: لعمرو بن لأي التيمي. ينظر: «الوحشيات» ص٩، «معجم الشعراء» ٢١٤، «المقتضب» ١/ ٤١، «الإغفال» ص ٣١٨.

(٢) ينظر في (رُبَّ): «المقتضب» للمبرد ٤/ ١٣٩-١٥٠، و«مغني اللبيب» ١/ ١٣٤-١٣٨، وقال في «القاموس» ٨٧: ورُبَّ، ورُبَّةَ، ورُبَّما، وربتما، بضمهن مشددات ومخففات، وبفتحهن كذلك حرف خافض لا يقع إلا على نكرة.

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٣٦٥، «المقتضب» للمبرد ١/ ١٢٥، «اللسان» ٤/ ٢١٦١ (مادة: سوأ).

(٤) راجع «البسيط» [البقرة: ١٩].

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣.

(٦) نقله عنه في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣، «اللسان» ٤/ ٢١٦١.

(٧) هذا الإجماع ذكره الواحدي أيضًا في «الوسيط» ١/ ١٦٤، والصحيح: أن هذا قول أكثر السلف، والقول الآخر: أن السيئة هي كبائر الذنوب التي توعد الله عليها=

في اليهود[١]، وقد قيل: إنها عامة في جميع الكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ لا يَخلو معناه من أحد أمرين: إمَّا أن يكون المعنى: أحاطت بحسنته خطيئته، أي: أحبطتها من حيثُ كان المحِيط أكبر مِنَ المحاط به، فيكون كقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤]، وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، ويكون المعنى في(أحاطت به خطيئته): أهلكته، من قوله: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢]. وهذا كله في معنى البوار.

وقد يكون للإحاطة معنى ثالث، وهو العلم كقوله: ﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: ٩١]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾ [البروج: ٢٠].

= بالنار، والخطيئة هي الكفر، وممن قال به الحسن والسدي، وقواه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٣٧٠ فقال: ولفظ الإحاطة يقوي هذا القول، وأصحاب القولين على أن الآية إنما هي في الكفار لا في العصاة؛ لأن الله توعد أهل هذه الآية بالخلود في النار، وهذا إنما يكون في حق الكفار فقط، قال الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٥: والمؤمنون لايدخلون في حكم هذه الآية، لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة هي الشرك، والمؤمن ومن عمل الكبائر فلم يوجد منه شرك. ولعل الذي دفع الواحدي لحكاية الإجماع الرد على من حمل الآية على عصاة المؤمنين كالمعتزلة والخوارج. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٤-٣٨٥، و«مجموع فتاوي ابن تيمية» ١٤/ ٤٨ وما بعدها، و«البحر المحيط» ١/ ٢٧٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، وكتاب «الإجماع في التفسير» ص ١٧٧.

(١) ذكر الإجماع على أنها في اليهود الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٦٢ قال: والإجماع أن هذا لليهود خاصة؛ لأنه ﷻ ذكرهم؛ والطبري في تفسيره لم يذكر سوى ذلك، وكأن المؤلف نقض الإجماع بقوله: وقد قيل.

أي: عالم، هذا كلام أبي علي[١].

وقال ابن السراج: أحاطت به خَطِيئته، أي: سُدّت عليه مَسَالك النجاة، وهذا لمن هو في معلوم الله أنه لا يؤمن. وأما الخطيئة فقال أبو زيد: خطِئتُ من الخطيئةِ، أَخْطأ خَطْئًا، والاسم الخِطْءُ، وأخطأت إخطاءً، والاسمُ الخَطَاء[٢].

وقال الأخفَش: الخطأ: الإثم وهو ما أصابه متعمدًا والخِطء غير المتعمد. ويقال من هذا: أخطأ يُخْطِئُ. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] واسم الفاعل من هذا: مخطئ، فأمّا خطيئة فاسم الفاعل منه: خاطئٌ، وهو المأخوذ به فاعله، وفي التنزيل: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧][٣].

اللّيث: الخطيئة: الذنب على عمد[٤].

قال أبو علي: والخطيئة تقع على الصغير والكبير، فمن وقوعها على الصغير قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. ووقوعها على الكبير قوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٥]. واختلف القراء في هذا الحرف فقرأ أهل المدينة (خطيئاته) بالجمع، والباقون على الوحدة[٦]؛

---

(١) في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١١٤-١١٥.

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ١١٥، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠، «اللسان» ٢/ ١٢٠٥.

(٣) «الحجة» ١/ ١١٥.

(٤) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠، «اللسان» ١/ ١٢٠٥ ولم ينسبه لليث.

(٥) «الحجة» لأبي علي ١/ ١١٦.

(٦) قرأ نافع وأبو جعفر بالجمع، والباقون بالإفراد، ينظر: «السبعة» ص١٦٢، «والنشر في القراءت العشر».

لأنها أضيفت إلى ضمير مفردٍ، فلما لم يكن الضمير جمعًا لم يجمع كما جمعت في قوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٨]. لأنه مضاف إلى جماعة لكل واحدٍ منهم خطيئة، وكذلك قوله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ﴾ [الشعراء: ٥١]. فهذه جمعت بجمع[١] ما أضيف إليه[٢]. فأما قوله: ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فمضاف إلى مفرد، وكما أفردت السيئة ولم تجمع فكذلك ينبغي أن تفرد الخطيئة. وأنت إذا أفردته لم يمتنع وقوعه على الكثرة وإن كان مضافًا، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾. [إبراهيم: ٢٤] والعَدُّ إنما يقع على الجموع والكثرة، وكذلك ما روي في الحديث: «**منعت العراق درهمها وقفيزها**[٣] **ومصر إردَبَّها**»[٤][٥].

فهذه أسماء مفردة مُضافة والمراد بها الكثرة، ومن جمَع حمله على المعنى، والمعنى الجمع والكثرة، فكما جُمع ما كان مُضَافًا إلى جمع كذلك يجمع ما كان مضافًا إلى مفردٍ يرادُ به الجمع من حيث اجتمعا في أنهما كثرة، ويدلّك على أن المراد به الكثرة. فيجوز من أجل ذلك أن تجمع خَطِيئةٌ على المعنى؛ لأنَّ الضمير المضاف إليه جمع في المعنى[٦].

---

(١) في «الحجة»: (كجمع).

(٢) «الحجة» ٢/ ١١٨-١١٩.

(٣) القفيز: مكيال معروف لأهل العراق، قال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، وهو خمس كليجات. ينظر: «النهاية» ٤/ ٩٠.

(٤) الإردب: مكيال معروف لأهل مصر، قال الأزهري وآخرون: يسع أربعة وعشرين صاعًا. ينظر: «النهاية» لابن الأثير ١/ ٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في (٢٨٩٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات.

(٦) ما تقدم بمعناه منقول من «الحجة» ٢/ ١١٩-١٢٠.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ واختلف المفسرون في معنى الخطيئة ها هنا، فقال ابن عباس[١] والضحاك[٢] وأبو وائل[٣][٤]، وأبو العالية[٥]، والربيع[٦][٧] وابن زيد[٨][٩]: هي الشرك يموت عليه الإنسان.

وقال غيرهم[١٠]: هي الذنوب الكبيرة الموجبة لأهلها النار، وعلى

(١) رواه عنه الطبري ١/ ٣٨٦، ابن أبي حاتم ١/ ١٥٧.

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٦، وذكره «الثعلبي» ١/ ١٠٠٩.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٨، وانظر: «زاد المسير» ١/ ١٠٦.

(٤) هو الإمام الكبير، شيخ الكوفة أبو وائل، شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه، حدث عن الخلفاء وكثير من الصحابة، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ٨٢هـ. ينظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٦٨، «السير» ٤/ ١٦١-١٦٦.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٨، والثعلبي ١/ ١٠٠٩.

(٦) هو: الربيع بن أنس البكري، من رواة الحديث، وممن اشتهر بالعلم والتفسير كان من التابعين، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، توفي سنة ١٣٩هـ وقيل: ١٤٠هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٢٠٥، (١٨٨٢) و«مشاهير علماء الأمصار» ص ١٢٦.

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٦- ٣٨٧ وذكره ابن أبي حاتم ١/ ١٥٨، والثعلبي ١/ ١٠٠٩.

(٨) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، المدني، محدث مفسر، كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث ذاهبًا، توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٢٣٣، «تقريب التهذيب» ص ٣٤٠.

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٩.

(١٠) ومنهم: مجاهد وقتادة والحسن والربيع بن أنس وأبو العالية، كما في «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٦-٣٨٧، و«ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٩، وقال ابن كثير ١/ ١٢٧عقب هذه الأقوال والأقوال السابقة في الشرك: وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى، والله أعلم.

هذا فالمؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية؛ لأنه أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت مِنه سَيِّئةٌ هي الشرك، والمؤمن وإن عمل الكبائر فلم يوجد منه الشرك. وأيضًا فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن؛ لأنه يعصي مستحييًا راجيًا عفو الله معتمدًا للتوبة فلا تحيط به الخطيئة، وإنما تحيط بالكافر. أو يجعل هذه الآية من العموم المخصوص بآي الوعد.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ خبر المبتدأ الذي هو (مَن) كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣][١].

فإن قيل: لم دخلت الفاء في خبر المبتدإ وأنت لا تقول: زيد فقائم.

والجواب: إن الفاء تدخل في خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ موصُولًا. نحو (مَنْ وما والذي) لتدلّ[٢] أنَّ الخبر يجب بوجوب معنى الصلة، كقولك: الذي في الدار فَلَهُ دِرْهَم. قال ابن السراج: دلت أنه وجب الدرهم لأجل الكون في الدار. ونذكر شرح هذه المسألة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إن شاء الله.

فإن قيل: لم جاءت الجملتان في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ بغير حرف عطف؟

والجواب: قال أبو بكر بن السراج: لأنهما خبران عن شيء واحد، وأيضا فإن الضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما أن حرف العطف يربط به، ألا ترى أنّك تقول: مررت بزيد والناس يتراءون الهلالَ، فلا يجوز إسقاط الواو، فإن قلت: مررتُ بزَيْدٍ الناس عنده يتراءون الهلال، جاز إسقاط الواو وجاز إثباتها.

---

(١) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٢٠.

(٢) في (ش) و(م): (ليدل).

٨٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ اختلف النحويون[١] في محل قوله: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ. فقال قطرب[٢][٣]: يجوز أن يكون[٤] حالًا كأنه أخذ ميثاقهم موحدين. وكذلك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ [البقرة: ٨٤] أي: غير سافكين، فيكون حالًا من المخاطبين، ويكون موضعه نصبًا، كأنه قيل: أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله، أو موحدين.

وقال الكسائي: يجوز أن يكون ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ و﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ في تقدير: لا تعبدوا، وكأن التقدير: أخذت ميثاقكم بأن لا تسفكوا[٥] إلا أنه لما حَذَفَ(أن) ارتفع الفعل، كقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾[٦] [الزمر: ٦٤].

وأنكر المبرد هذا القول، وقال: هو خطأ من وجهين: **أحدهما**: أن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مُظْهَرًا، كقولهم: وبلدٍ قطعت، يراد: ورُبَّ بلد قطعت[٧][٨]، وكقوله[٩] تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس:

---

(١) ذكر في «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢ ثمانية أقوال في إعراب الآية.

(٢) محمد بن المستنير بن أحمد البصري، أبو علي المعروف بقطرب.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢.

(٤) في (ش): (تكون).

(٥) ساقطة من: (أ) و(م) من قوله: (غير عابدين).

(٦) نقله عن الكسائي الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٣، وينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٣٣ «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٨-٣٨٩، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١٠١، «البحر المحيط» ١/ ٢٨٣.

(٧) مقولة المبرد نقلها القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٣.

(٨) ساقطة من: (أ) و(م).

(٩) في (م): (وقوله).

١٣] أي: احذروا، وكقوله: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً﴾ [الأعراف: ١٦٤] أي: موعظتنا معذرة.

والثاني: أنه لا يجوز حذف الموصول في شيء من الكلام.

وليس الأمر على ما قاله المبرد، فقد أجاز قولَ الكسائي: الأخفشُ والفراءُ وقطرب والزجّاج وعلي بن عيسى[(١)(٢)]، ودعواه أن كل ما أضمر في العربيّة فهو يعمل عمله مظهرًا ليس كذلك، وهو على ضربين: منه ما هو على ما ذكر، ومنه ما ليس كذلك[(٣)]، كحروف الجر إذا حذفت وهي تزاد، كقوله:

أمرتك الخير[(٤)]..... البيت

يريد بالخير، وقال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فلما حَذف مِنْ وصل الفعل فنصب. كذلك هاهُنا لمّا حذف (أن) وصل

---

(١) ينظر في الأقوال في المسألة: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٣-٥٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) هو: علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الربعي النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، درس النحو وتفنن فيه حتى ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه، من مؤلفاته: «شرح مختصر الجرمي»، توفي سنة ٤٢٠هـ. وينظر «إنباه الرواة» ٢/ ٢٩٧، و«تاريخ بغداد» ١٢/ ١٧-١٨.

(٣) في (أ): (كذلك) مكررة.

(٤) البيت: لعمرو بن معديكرب، وتتمته:

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمِرتَ به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

«مغني اللبيب» ١/ ٣١٥، وقد عزاه في «الكتاب» ١/ ٣٧ لعمرو بن معدي كرب الزبيدي، واختلف في قائله كما في «الخزانة» ١/ ١٦٤-١٦٦، والنشب: المال الثابت كالضياع ونحوها، من نشب الشيء، والمال: الإبل أو هو عام، والشاهد فيه: أمرتك الخير أراد: أمرتك بالخير.

عامل الرفع فرفع الفعل.

وقوله: لا يحذف الموصول في شيء من الكلام ليس كذلك؛ لأن الموصول مع صلته بمنزلة اسم واحد، والاسم الواحد قد يحذف بعضه بالترخيم[(١)].

وقال كثير من النحويين: الزجّاج[(٢)] والفراء[(٣)] والأخفش[(٤)] في أحد قوليه: إن قوله: (لا تعبدون) جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [آل عمران: ٨٧] القسم بـ(لام)، فكذلك هو في النفي بـ(لا)، وكان المعنى: استحلَفناهم وقلنا لهم: والله لا تعبدون[(٥)(٦)].

قال الفراء: ويجوز أن يكون في موضع جزم على النهي، إلا أنه خرج مخرج الخبر، كقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. بالرفع ومعناه النهي، ويدل على أنه نهي قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وقرئ لا تعبدون بالياء والتاء[(٧)]، وما كان من مثل هذا جاز أن يكون

---

(١) الترخيم: ما حذف من آخره حرف واحد أو أكثر للتخفيف، نحو: يا فاطم.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٢.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٣-٥٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٢.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٦.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٤، والبحر المحيط ١/ ٢٨٢.

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١١.

(٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. انظر «السبعة» ص١٦٢، «الحجة» ٢/ ١٢١، «النشر» ٢/ ٢١٨.

على لفظ الغيبة من حيث كان اللفظ لها، وجاز أن يكون على لفظ المخاطب لأنك تحكي حال الخطاب وقت ما تخاطب به. ألا ترى أنهم قد قرأوا قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سيُغلَبون ويُحْشَرونَ إلى جَهَنَّم﴾ [آل عمران: ١٢] على لفظ الغيبة، وبالتاء على لفظ الخطاب[١]، على حكاية حال الخطاب في وقت الخطاب[٢]، فإذا كان هذا النحو جائزًا جاز أن تجيء القراءة بالوجهين جميعا، ويجوز في قياس العربية في قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] الخطاب (على حكاية)[٣] حال الخطاب.

فأما قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، وهذا لا يجوز (أن يكون)[٤] إلا على الخطاب؛ لأن المأخوذ ميثاقهم مخاطبون[٥]، ولأنك إن حكيت الخطاب كان التقدير: (أخذنا ميثاقكم فقلنا لكم: لا تسفكون) كان بالتاء.

فحجة من قرأ بالتاء[٦] قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [آل عمران: ٨١] فجاء على الخطاب، ويقويه قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ .. الآية. فإذا كان هذا خطابًا وهو عطف على ما تقدّم وجب أن

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء على الغيب في: (سيغلبون، يحشرون) وقرأ الباقون بالخطاب. ينظر: «السبعة» ص ١٦٢، و«النشر» ٢/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٤.

(٣) في (م): (الحكاية على حال الخطاب).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (م): (مخاطبين).

(٦) أي في قوله: (لا تعبدون).

يكون المعطوف عليه في حكمه. وحجة مَن قرأ بالياء قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ .. الآية [الأنفال: ٣٨]. وكل واحد من المذهبين قد جاء التنزيل به[١].

وقوله[٢]: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. تقديره: وأحْسِنُوا بالوالدين إحسانًا، كأنه قال: لما أخذنا ميثاقهم قال: وقُلنا لهم: أحْسِنُوا بالوالدين إحسانًا، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ﴾ [البقرة: ٦٣]، أي: وقلنا لهم: خذوا، فالجار في الوالدين يتعلق بالفعل المضمر ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر؛ لأن ما يتعلق بالمصدر لا يتقدم عليه.

و(أَحْسِنْ) يُوصَل بالباء كما يوصل بـ (إلى)[٣]. يدلك على ذلك قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. فتَعَدّى بالباء كما تعدى بإلى[٤] في قوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٥] [القصص: ٧٧] هذا قول الزجاج[٦].

وقال بعضهم: المعنى: ووصيناهم بالوالدين إحسانًا[٧].

والقربى: القرابة في الرحم[٨].

---

(١) «الحجة» ٢/ ١٢٣-١٢٦، بتصرف.

(٢) في (ش): (وهو قوله).

(٣) في «الحجة» يصل بالباء كما يصل بـ (إلى).

(٤) من قوله: (يدلك). ساقط من (أ) و(م).

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٢٨-١٢٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٨) قال في «البحر المحيط» ١/ ٢٨١: القربى: مصدر كالرجعى، والألف فيه للتأنيث، وهي قرابة الرحم والصلب.

واليتامى: جمع يتيم، مثل: نديم وندَامى، ويجمع أيتامًا أيضًا، واليُتمْ[١] في الناس فُقْدان الأب، وفي غير الإنسان من قبل الأم[٢].

قال أحمد بن يحيى: معنى قولك: صبي يتيم: منفرد من أبيه، قال: واليتم[٣] في كلام العرب معناه: الانفراد.

قال: وأنشدنا ابن الأعرابي بيتًا، قال: فقلت له: زدنا، فقال: البيتُ يتيمٌ، أي: هو منفرد ليس قبله ولا بعده شيء.

ومنه قولهم: درة يتيمة، إذا لم يوجد لها نظير.

وقال الأصمعي: اليتيمة: الرملة المنفردة، قال: وكل منفرد ومنفردة عند العرب يتيم ويتيمة.

قال الفراء: يقال للغلام: يَتِم يَيْتَمُ يُتْمًا وَيَتْمًا، وحكي لي ما كان يَتِيمًا، ولقد يَتِم يِيتَم، وقَدْ أَيْتَمَهُ الله.

وقال المُفضّل: أصل اليُتْم: الغَفْلة، وبه سُمي اليتيم؛ لأنه يُتَغَافل عن بره.

---

(١) في (م): (اليتيم).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٥٢ «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٤، «اللسان» ١٢/ ٦٤٥، وقال ابن بري: اليتيم الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه، واللطيم الذي يموت أبواه. وقال ابن العربي في أحكام القرآن ١/ ٢١٥: اليتيم: هو في اللغة عبارة عن المفرد من أبيه، وقد يطلق على المفرد من أمه، والأول أظهر لغة، وعليه وردت الأخبار والآثار، ولأن الذي فقد أباه عدم النصرة، والذي فقد أمه عدم الحضانة، وقد تنصر الأم لكن نصرة الأب أكثر، وقد يحضن الأب لكن الأم أرفق حضانة.

(٣) في (م): (اليتيم).

وقال أبو عمرو: اليُتْم: الإبطاء، يقال: ما في سَيرِه أتَمّ ويتم أي: إبطاء، ومنه أُخِذَ اليتيم؛ لأن البرّ يبطيء عنه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ الحُسنُ هاهُنا يحتمل وجهين: أحَدُهما: أن يكون لغة في الحَسَن، كالبُخْل والبَخَل والرُشْد والرَشَد وبابه، وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهُم قالوا: العُرْبُ والعَرَبُ وهو صفة، يدلك على ذلك: قولك: قومٌ عُرْبٌ، فيكون الحُسْن على هذا صفة[٢].

وقد حكى الزجّاج عن الأخفش هذا القول، فقال: زعم الأخفش أنه يجوز أَنْ يكون(حُسنًا) في معنى حَسَنًا[٣].

الوجه الثاني: أن يكون الحُسْن مصدرًا كالكُفر والشُكر والشُغل، وحذف المضاف معه كأنه: قولًا ذا حُسْن[٤].

وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنًا)[٥] وهو صِفَة، كَأنَّ التقدير: وقولوا للناس قولًا حَسَنًا، فحذف الموصوف، وحَسُن ذلك في حَسَنٍ لأنها

---

(١) ينظر في معاني اليتيم السابقة: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٨١، «اللسان» ٨/ ٤٩٤٨، «القاموس» ١١٧٢.

(٢) من «الحجة» ٢/ ١٢٧، وبنحوه في «معاني القرآن» القرآن للأخفش ١/ ١٢٧، ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٣، «لسان العرب» ٢/ ٨٧٨ (مادة: حسن).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، ونقله أيضًا الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٢٣، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٢/ ٨٧٨.

(٤) من «الحجة» ٢/ ١٢٧، وبنحوه في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٥) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (حَسَنا) بفتح الحاء والسين، وقرأ الباقون بضم الحاء وإسكان السين. ينظر: «السبعة» ص١٦٢، و«النشر» ٢/ ٢١٨.

ضارعت الصفات التي تقوم مقام الأسماء، نحو: الأبرق والأبطح، ألا تراهم[(١)] يقولون: هذا حَسَن ومررت بحسن، فلا يكادون يذكرون مَعَهُ الموصوف[(٢)].

وقال أبو الهَيثم[(٣)]: أصل قولهم شيء حَسَنٌ. إنما هو شيء حَسِين؛ لأنه من حَسُنَ يَحسُنُ، كما قالوا: عَظُم فهو عظيم، إلا أنّه جاء نادِرًا (فَعَلٌ) في مَعنى (فَعِيل).

وحكى الأخفش عن بعض القراء: ﴿وقولوا للناس حُسْنَى﴾ بالتأنيث[(٤)(٥)].

وذلك[(٦)] لا يجوز عند سيبويه وسائر النحويين[(٧)]؛ لأن (أفعل)

---

(١) في (ش): (ألا تراهم أنهم).

(٢) كذا قال أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٢٦-١٢٨.

(٣) هو: خالد بن يزيد الرازي، كان نحويًا إمامًا علامة، اشتهر بكنيته، روى عنه الأزهري من طريق أبي الفضل، توفي سنة ٢٧٦هـ. ينظر: «إنباه الرواة» ٤/ ١٨٨، ومقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢.

(٤) كذا في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٥) قرأ بها: أبي وطلحة بن مصرف. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٥، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٥، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص٣٠.

(٦) في (ش): (في ذلك).

(٧) قال النحاس في «إعراب القرآن»: وهذا لا يجوز في العربية، لا يقال في هذا شيء إلا بالألف واللام، نحو الفضلى والكبرى والحسنى، هذا قول سيبويه. ونقل ذلك عن النحاس القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٦، وينظر «المحرر الوجيز» ١/ ١٠٩، وكذا رد القراءة ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٩٠-٣٩١، قال: وأما الذي قرأ ذلك فإنه خالف بقراءته إياه كذلك قراءة أهل الإسلام إلى آخر ما قال. وقد ناقش أبو حيان هذه القضية وأطال فيها النفس في «البحر المحيط» ١/ ٢٨٥.

و(فُعلى) لا يستَعمل صِفَةً إلا بالألف واللام؛ لأن أفعل لما كانت تلزمه (من) ولا يدخله الألف واللام معها كان إذا سقطت (من) لا بد من الألف واللام، إذًا صارا متعاقبين؛ فسقوط أحدهما يدلُّ على وجوب الآخر على المعاقبة .

فأما معنى قوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فقال ابن عباس(١) وسعيد بن جُبَير(٢)(٣) وابن جريج(٤) ومقاتل(٥) والزجّاج(٦) والأكثرون: قولوا للناس صدقًا وحقًّا في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيّنوا له صفته، ولا تكتموا أمره، ولا تغيروا نعته.

وقال الربيع بن أنس: هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم(٧) .

وقال الحسن والثوري(٨): يعني: الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦، وذكره القرطبي بنحوه ٢/ ١٢.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٦.

(٣) هو: أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، تقدمت ترجمته ٢/ ١٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٠-٣٩٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦.

(٥) أخرجه عن مقاتل بن حيان ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ١١٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٦٤.

(٧) لم أجده عن الربيع، لكن روى الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٢ بسنده عن الربيع عن أبي العالية: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: قولوا للناس معروفًا. أخرجه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦، وورد مثله عن ابن عباس كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٦١.

المنكر، وهو أن يأمروهم[١] بما أمرهم الله تعالى، وينهوهم[٢] عما نهاهم الله عنه[٣].

وقال عطاء عن ابن عباس: المراد بالناس في هذه الآية محمد ﷺ[٤] كقوله: ﴿أم يَحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤]، فكأنه[٥] يقول: قولوا للنبي ﷺ حُسْنًا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن العهد والميثاق[٦]، ويَعْني به: أوائلهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ يعني: من كان ثابتًا على دينه ثم آمن بمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: وأنتم أيضًا كأوائلكم في الإعراض عما عُهِد إليكم فيه.

ومعنى الإعراض: الذهَاب عن المواجهة إلى جهة العرض.

---

(١) في (ش): (تأمروهم).

(٢) في (ش): (وتنهونهم).

(٣) وروي هذا عن ابن عباس أيضًا كما عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١ وسنده مقبول.
وقال ابن كثير ١/ ١٢٨: فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنًا، كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.

(٤) تقدم الحديث عن رواية عطاء هذه في المقدمة.

(٥) في (م): (وكأنه)، وفي (أ): (وكانوا).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٦.

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ في (لا تسفكون) من وجوه الإعراب ما ذكرنا في (لا تعبدون). ويُقال: سَفَكَ يَسفِكُ ويَسفُكُ لُغتان[١]. ودماء: جمع دم، قال الزجاج: وأصل دم: دَماء في قول أكثر النحويين[٢]، أنشد أبو زيد:

غـفـلَـتْ ثـم أتـت تـرقـبـه   فـإذا هـي بـعـظـام ودَمَـا[٣]

وقد جاء في التثنية: دَمَيَان و دَمَوَان[٤]، على الأصل، قال الشاعر:

وظل لعمري في الوغى دَمَوَاهما

وقال آخر:

---

(١) ينظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٣٠، و«القاموس» ٩٤٢٥، وسفك: من باب ضرب ونصر، وبهما قرئ قوله تعالى: ويسفك الدماء، والسفك: الصب وقرأ طلحة بن مصرف بضم الفاء قال الثعلبي ١/ ١٠١٦: وهما لغتان، مثل: يعرُشون، ويعكُفون.

(٢) عبارة الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٦٥: وواحد الدماء دم يا هذا مخفف، وأصله دمي في قول أكثر النحويين، ودليل من قال: إن أصله دمي: قول الشاعر:

فـلـو أنـا عـلـى حـجـر ذبـحـنـا   جرى الـدمـيـان بـالـخـبـر الـيـقـين

وقال قوم: أصله: دمْي، إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه، حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفا. اهـ.

(٣) ورد البيت هكذا:

غـفـلـت ثـم أتـت تـطـلـبـه

ينظر: «الخزانة» ٧/ ٤٩١، و«التنبيه» لابن بري ٢/ ٢٣٥، و«شرح التسهيل» ١/ ٢٥٠، و«تلخيص الشواهد» ص ٧٧، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٢٣١ ولم ينسبوه.

(٤) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣١، فقال بعضهم في تثنية الدميان، ونقل في «اللسان» ٣/ ١٤٢٩ عن ابن سيده: وأما الدموان فشاذ سماعا. قال في «البحر المحيط» ١/ ٢٨١: الدم معروف وهو محذوف اللام، وهي ياء لقوله: جرى الدميان بالخبر اليقين، أو واو لقولهم: دموان، ووزنه فَعَل، وقيل: فَعْل، وقد سمع مقصورًا.

جرى الدَمَيان بالخَبر اليقين[١]

وقال الليْث: الدم معروف، والقِطعة دَمَةٌ، وكان أصله دَمَيٌ؛ لأنك تقول: دَمِيَتْ يده[٢].

وقد أقرأني العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري، عن أبي الهيثم، أنه قال: الدم اسم على حرفين. فقال بعضهم في تثنيته: الدَمَيَان، وقال بعضهم: الدَّمَان، ويقال في تصريفه: دَمِيَتْ يدي تَدْمَى دَمًى، فيظهرون في دَمِيَتْ وتَدْمَى الياء والألف اللذين لم يجدوهما في دم. قال: ومثله: يَدٌ، أصله: يَدَيٌ[٣]. ومن قال بهذا القول قال: إنما حرّك الميم في قوله جرى الدمَيان؛ لإقامة الوزن، وقيل: بل وزنُه فَعَلٌ، فإنه كان (دَمَيٌ)؛ لأن الشاعر لما اضطر ردّه إلى أصل بنائه[٤]. والأجود: ما حكاه الزجاج في أصل الدم. والدُّميَةُ من الدم، كأنها الحَيَوان ذُو الدم[٥].

فأما التفسير: فقال ابن عباس[٦] وقتادة[٧]: معناه لا يسفك بعضكم

---

(١) البيت صدره: فلو أنا على حَجَر ذُبِحْنا.. وهو للمثقب العبدي في ملحق ديوانه ص ٢٨٣، ولعلي بن بدال في «أمالي الزجاجي» ص ٢٠. ينظر: «المعجم المفصل» ٨/ ٢٦٥.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢١٦، «اللسان» ٤/ ٢٦٨.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣١، وينظر «اللسان» ٣/ ١٤٢٩.

(٤) ينظر: «اللسان» ٣/ ١٤٢٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧.

(٧) أخرجه عن قتادة «الطبري» ١/ ٣٩٤ وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٩، وكذا رواه عن أبي العالية، وأخرجه عن أبي العالية ابن أبي حاتم ١/ ١٦٣، ذكر أنه مروي عن الحسن والسدي ومقاتل بن حيان، وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٨.

دم بَعضٍ بغَير حقٍّ. وإنما قال: ﴿دِمَآءَكُمْ﴾ لأن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة، وأيضًا فإنّ الرجل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه؛ لأنه يقاد ويُقتص[١]، ففي النهي عن قتل نفسه على هذا الوجه نهي عن قتل غيره[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بَعضُكم بعضًا مِن دَاره ويغلبه عَليها[٣]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي: قبلتم ذلك وأقررتم به[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ حكى محمد بن جرير، عن ابن عباس: أن هذا خطاب لليهود الذين كانوا زمن النبي ﷺ[٥]. ومعناه: وأنتم تشهدون اليوم على إقرار أوائلكم بأخذ المِيثاق عليهم بما في الآية، فالآية وإن كانت خِطابًا فالمراد به: أوائلهم، إلّا قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على هذا القول. وقال أبو العالية: الآية كلها خبر عن الله ﷻ عن أوائلهم[٦]، وإن أخرجه مخرج المخاطبة على سعة كلام العرب، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خِطابًا للسَلف والخلف جميعًا، يريد: أنتم

---

(١) في (ش) و(م): (ويُقْبض).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٩٤-٣٩٦ ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٠، «زاد المسير» ١/ ١١٠.

(٣) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣ عن أبي العالية نحوه، وينظر المصادر السابقة، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٤٦.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣ نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية وإسنادهما حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٩.

(٥) ذكره «الطبري» ١/ ٣٩٥-٣٩٩.

(٦) رواه «الطبري» ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

تشهدُون أن هذا حق من ميثاقي عَليكم في التوراة[١].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الخطاب في هذه الآية لقُريظة والنضير[٢]. روى الربيع عن أبي العالية في هذه الآية، قال: كان[٣] بنو إسرائيل إذا استضعف قومٌ قومًا أخرجوهم من ديارِهم، وقد أُخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وأُخذ عليهم الميثاق إن أسر بعضهم بعضًا أن يفادوهم، فأخرجوهم من ديارهم، ثم فادوهم، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض[٤].

وقد كشف السُدِّي عن هذا، فقال: أخذ الله عليهم أربعةَ عهود: تركَ القتل، وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة عليهم، وفدى أسراهم، فأعرضوا عن كل ما أمروا إلا الفداء. وذلك أن قريظة كانت حلفاء الأوس[٥]،

---

(١) قال «الطبري» ٣٩٥: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي أن يكون قوله: (وأنتم تشهدون) خبرًا عن أسلافهم، وداخلًا فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله ﷺ كما كان قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم) خبرًا عن أسلافهم، وإن كان خطابًا للذين أدركوا رسول الله ﷺ

(٢) قريظة والنضير: قبيلتان من اليهود في المدينة، وهما من بني الخزرج الصريح بن التوءمان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عذري بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.ينظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٦١.

(٣) في (ش): (كانوا).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٩، ابن أبي حاتم في «تفسيره». بمعناه ١/ ١٦٣.

(٥) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، من أعظم بطون الأزد من القحطانية، أهل عز ومنعة، فيهم عدة أفخار، كان موطنهم الأصلي بلاد اليمن، فهاجروا إلى يثرب، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية، ونشبت حروب طويلة بينهم وبين الخزرج كيوم بعاث والدرك وغيرها. ينظر: «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» ١/ ٥٠.

والنضير حلفاء الخزرج[١]، وكانوا يقتتلون، فتقاتل بنو قريظة مع الأوس، والنضير مع الخزرج، فإذا غلبوا خربوا ديارهم، وأخرجوهم منها، فإذا أُسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه، فتعيّرهم العرب بذلك، وتقول: كيف تقاتلونهم وتفادونهم؟ فيقولون: إنَّا أُمرنا أن نفادَيهم، وحُرّم علينا قتالهم، قالوا: فلم تقاتلونهم؟[٢] قالوا: إنا نستحيي أن يُسْتَذَلّ[٣] حلفاؤنا، فذلك حِين عيّرهم الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي[٤]: يا هؤلاء، فحذف حرف النداء[٥]، وقيل: معناه التوكيد لأنتم، و(تقتلون) في موضع الرفع بالخبر. وقال الزجاج: هؤلاء في معنى: الذين (وتقتلون) صلة لهؤلاء، كأنه قيل: أنتم الذين تقتلون أنفسكم، ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة[٦]، ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][٧] بمنزلة: وما التي بيمينك.

---

(١) هم الخزرج بن حارثة بطن من الأزد من القحطانية، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس، وكانت العرب جميعًا في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعًا الخزرج، وكانوا هم والأوس يحجون ويقفون مع الناس. ينظر: «معجم قبائل العرب» ١/ ٣٤٢.

(٢) ساقطة من (أ) و(م).

(٣) في (م): (يذل).

(٤) رواه بمعناه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٠. وورد نحوه عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٣٠٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٧.

(٦) قوله: (ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة) ليست عند الزجاج في «معاني القرآن».

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

وقوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ قرئ بتخفيف الظاء وتشديدها[١]، فمن شدّد: أدغم التاء في الظاء لمقاربتها، ومن خفف حذف التاء التي أدغمها الآخرون، فكل وَاحِد من الفريقين كره اجتماع الأمثال والمقاربة، فبعضهم خفف بالحذف، وبعضهم بالإدغام[٢]، والمحذوفة هي التي تدغم، والمدغمة هي التي تحذف، وذلك أنها لما أُعِلّت بالإدغام أُعِلّت بالحذف.

قال سيبويه[٣]: الثانية أولى بالحذف؛ لأنّها هي التي تُسَكن وتدغم، في نحو ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس: ٢٤]. ومما يقوي ذلك: أن الأولى لمعنًى، فإذا حذفت لم يبق شيء يَدُلّ على المعنى، والثانية من جملةِ كلمةٍ إذا حذفتْ دل ما بقي من الكلمة عليها[٤]. ومعنى تظاهرون تعاونون[٥]، ومنه قوله: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٤]، وقوله: ﴿سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[٦] [القصص: ٤٨] أي: تعاونا[٧] على سحرهما، ومنه: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أي: معين[٨]. والتقدير فيه

---

(١) قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة والكسائي) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ينظر: «السبعة» ص ١٦٢ - ١٦٣ و«النشر» ٢/ ٢١٨.

(٢) ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٦.

(٣) «الكتاب» ٢/ ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) هذا كله كلام أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٥) في (م): (تعارفون).

(٦) قرأ الكوفيون (سحران) من غير ألف، وقرأ الباقون (ساحران). ينظر«السبعة» «النشر» ٢/ ٣٤١.

(٧) في (م): (تعارفا).

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

الجمع، وإن كان اللفظ على الإفراد، كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[١] [النساء: ٦٩]، وسمي العون ظهيرًا لاستناد ظهره إلى ظهر صاحبه[٢].

وأصل الباب من الظهور وهو البُروز، فظهر الشيء ظاهره الذي هو خلاف البطن، والظهيرة؛ لأنه أظهر ما تكون الشمس بانبساط شُعَاعها، وقرأه ظاهرًا، ومن ظهر قلبه ؛لأنّه ظهر له من غير كتاب. هذا أصل الباب. ثم استعمل من هذا التأليف أحرف ليس فيها معنى الظهور، ولكنها من الظهر الذي هو خلاف البطن، من ذلك: الظهر: الإبل التي تحمل الأثقال، والظهار: في مظاهرة الرجل من امرأته، والظِهريُّ: الشيء الذي تنساه وتحطّه وراء ظهرك[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أي: تعاونون على أهل ملتكم بالمعصية والظلم. ومعنى العدوان: الإفراط والظلم، يقال: عَدَا عَدْوًا وعُدوانًا وعُدُوًّا وعِداءً[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ أي: إن أتوكم مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم، وقُرئ: (أُسَارى) (وأسرى)[٥]، وهما جمع أسير. وأسير: فَعِيل في معنى مفعول؛ لأنك تقول: أسرته، كما تقول: قتلته، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول فجمعه يُكسَّر على فَعْلَى، نحو: لديغ ولدغَى، وقتيل وقتلى، وجريح وجَرحَى، وإذا[٦]

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» بتصرف ٢/ ١٣١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» ٣/ ٧٤١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

(٥) قرأ حمزة (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف، وقرأ الباقون بضم الهمزة وألف بعد السين. ينظر: «السبعة» ص ١٦٣، و«التيسير» ص ٦٤، «النشر» ٢/ ٢١٨.

(٦) في (ش): (وإن).

كان كذلك فالأقيس الأسرى، وهو أقيس من الأسارى، كما أن الأسارى أقيس من قولهم: أُسَراء. والذين قالوا أُسَرَاء شبهوه بظُرَفاء، كما قالوا في قتيل: قُتلَاء، فكما أن أُسَراء وقُتلَاء في جمع قتيل وأسير ليس بالقياس، كذلك أُسارى ليس بالقياس(١).

ووجه قول من قال أُسارى: كأنه شبهه بكسالى، وذلك أن الأسير لما كان محبوسًا عن كثير من تصرفه للأسر كما أن الكسلان محتبس عن ذلك لعادته(٢)، شُبِّه به، فقيل في جمعه: أُسارى، كما قيل: كسالى، وأجرى عليه هذا الجمع للحمل على المعنى، كما قيل: مرضى وموتى وهلكى؛ لما كانوا مُبتلين بهذه الأشياء ومصابين بها، فأشبه في المعنى فَعِيلًا الذي بمعنى مفعول، فلما أشبهه أجري عليه في الجمع(٣). والحمل على المعنى لايكون الأصلَ عند سيبويه، قال: ولو كان أصلًا قبح (هالِكون وزَمِنون)، وكذلك أُسَارى ليس بالأصل في هذا الباب، ولكن قد استعمل كثيرًا. قال سيبويه: قالوا: كَسْلى شبهوه بأَسْرى، كما قالوا: أُسارى، شبهوه بكُسالى. قال: وإنّما جمع ما كان على فعلان نحو سكران وكسلان على فُعَالى، وإن

(١) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» بتصرف يسير ٢/ ١٤٣، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢٠ أن أحدًا من العلماء الأثبات لم يُفَرق بين أسرى وأسارى إلا أبو عمرو فإنه قال: ماقد أُسِر فهو أسارى، ومالم يؤسر فهو أسْرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صاروا في أيديهم فهم أسارى وما جاء مستأسرًا فهم أسرى، وأنكر الفرق ثعلب. وبين القرطبي في «تفسيره» ١٨/ ١٩ أن ما ذكره أبو عمرو لايعرفه أهل اللغة.

(٢) في «الحجة»: لعادته السيئة شبه به.

(٣) في «الحجة» ٢/ ١٤٤: فلما أشبهه في المعنى أجري عليه في الجمع اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول.

كانت في أبنية الآحاد نحو: حيارى ؛ لأن فعالًا قد جاء في بعض أبنية الجموع، نحو: رُخَالٍ[(١)(٢)] وظُؤارٍ[(٣)] وثُناء[(٤)]، وقد لحقت تاء التأنيث بعض الجموع[(٥)]، نحو: الحجارة والذِّكارة[(٦)]، وكما لحق التاء في هذا النحو الذي يراد به الجمع، كذلك لحق علامة التأنيث في سكارى وكسالى، فجعلت الألف بمنزلة التاء، كما جعلت بمنزلتها في قولهم: قاصعاء وقواصع، وداماء[(٧)] ودوامّ[(٨)].

وأصل الأسر في اللغة: الشدّ. قال الأصمعي: تقول العرب: ما أحسن ما أُسَرَ قَتَبَه، أي: ما أحسن ما شدّه بالقِدّ، والقِدُّ: الذي يؤسَرُ به القَتَبُ، يسمى الإسار، وقيل للأسير من العدوّ: أسير؛ لأن آخذه يستوثق

---

(١) في (ش) كأنها (رجال).

(٢) رخال: بكسر الراء وضمها: جمع رِخل، الأنثى من أولاد الضأن، ينظر «القاموس» ص١٠٠٥ (مادة: رخل).

(٣) الظؤار: جمع ظئر، وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له. ينظر القاموس ص٤٣٢ مادة: ظئر.

(٤) الثُّناء: أي اثنين اثنين، يقال: جاءوا مثنى وثُناء، كغُرا ب، أي: اثنين اثنين، وثنتين ثنتين، ينظر «القاموس» ص ١٢٦٧.

(٥) في «الحجة» وقد لحقته تاء التأنيث، فقالوا في جمع نقوة: نُقاوة، كما قالوا: الحجارة والذكارة.

(٦) الذكارة: بالكسر، ما يصلح للرجال، كالمسك والعنبر والعود. انظر «اللسان» ٣/١٥٠٩ مادة: ذكر

(٧) القاصعاء والداماء: من أسماء جِحَرَةِ اليربوع السبعة. «اللسان» ٣/١٤٢٦ مادة: دمم.

(٨) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» ٢/١٤٣-١٤٥ بتصرف يسير.

منه بالإسار، وهو القِدّ، لئلا يُفْلِتَ[١]، ثمّ كثر استعماله حتّى قيل للمأخوذ: أسير، وإن لم يكن هناك شدّ[٢].

وقوله تعالى: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ قرئ أيضا بوجهين[٣]: بالألف، من المفاداة، وبغير ألف، من الفداء. يقال: فديتُه بمال، فيتعدّى إلى مفعولين، ويتعدّى إلى الثاني بالجار، كقوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]، وكقول الشاعر:

يودّون لو يَفْدُونَني بنفوسهم ... وَمَثْنَى الأواقي والقِيَانِ النواهدِ[٤]

فإذا ثَقَّلْتَ العين زدتَ المفعولين ثالثًا، كقوله:

لو يَستطعن إذا نابتك مُجْحِفَةٌ ... فَدَّيْنَك الموتَ بالآباء[٥] والولد[٦]

وقالوا: فادى الأسير: إذا أطلقه وأخذ عنه شيئا[٧]. فأما الفداء فيجوز أن يكون مصدرًا مثل: الكتاب، ويجوز أن يكون مصدر فاعل، وقد قالوا: فديتُهُ وافتديتُه، أنشد أبو زيد:

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٥٩. مادة (أسر)

(٢) ينظر في «تهذيب اللغة» ١/ ١٥٩، «اللسان» ٤/ ٧٨. (مادة: أسر)

(٣) قرأ المدنيان نافع وأبو جعفر، وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء، وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف. ينظر «السبعة» ص ١٦٢ - ١٦٣، «التيسير» للداني ص ٦٤، و«النشر» ٢/ ٢١٨.

(٤) البيت لأبي ذؤيب في «شرح أشعار الهذليين» ص ١٩٢. مثنى الأواقي: (الذهب)، مثنى: أي: مرة بعد مرة. والقيان: الخدم.

(٥) في «الحجة» بالأبناء.

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٤٦ ولم ينسبه.

(٧) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٦.

ولو أنّ مَيْتًا يُفْتَدَى لَفَدَيْتُه ... بما اقتال[١] من حُكْمِ عليَّ طبيبُ[٢][٣]

فمن قرأ: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ فلأن من كلّ واحد من الفريقين فِعْلًا، فمن الآسر دفع (الأسير)[٤]، ومن المأسور منهم دفع الفداء، وإذا كان كذلك فوجه (تفادوهم) ظاهر، والمفعول الثاني الذي يصل إليه الفعل بالحرف محذوف؛ لأن معناه تفادونهم بالمال. ومن قرأ (تَفْدُوهم) فالمعنى فيه مثل معنى من قرأ: (تُفَادوهم) إلا أنّه جاء بالفعل على يفعل، ألا ترى أن في هذا الوجه أيضًا دفعًا من كل واحد من الآسرين والمأسور منهم[٥].

أخبرني العَرُوضي، عن الأزهري، عن المنذري، عن ثعلب قال: المفاداة: أن تدفع رجلًا وتأخذ رجلًا. والفِداء: أن تشتريَه بمال فداءً. ويقال: فديته بنفسي[٦].

وقال نصير[٧] الرازي[٨]: يقال: فاديتُ الأسيرَ، وفاديت الأُسارى،

---

(١) في (ش) لعلها (أفتال) أو (أفتاك).

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي في النوادر ص ٢٤٤، وعنه نقل أبو علي في «الحجة» دون نسبة ١/ ٣٤٢، ورواية «اللسان» والصحاح مادة [قول] والأصمعيات ص ٩٧ هكذا:

ومنزلة في دار صدق وغبطة ... وما اقتال من حكم علي طبيب

فلو كان ميت يفتدى لفديته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب

وذكره صاحب «اللسان» في مادة [فدى] ٦/ ٣٣٦٦ دون نسبة.

(٣) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٧.

(٤) سقطت من (ش).

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٨ بتصرف يسير.

(٦) في «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢٠٠، وينظر: «اللسان» ٥/ ١٥٠ (مادة: فدى).

(٧) في (ش): (نظير).

(٨) هو: نصير بن أبي نصير الرازي، تقدمت ترجمته [البقرة: ١٥].

هكذا تقوله العرب. وإذا قلت: فديت الأسير فهو أيضا جائز بمعنى فَدَيْتُه مما كان فيه، أي: خلّصته، منه وفاديت أحسن في هذا المعنى.ومعنى فديته بالشيء، أي: خلّصته به، وجعلته عوضًا منه؛ صيانة له، كقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧] أي: خلّصناه به[١] من الذبح[٢].

قال الفراء: والعرب تقصر الفداء وتمدّه، يقال: هذا فداؤك وفداك، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. (هو) إضمار الإخراج الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾ . ثمّ بيّن لتراخي الكلام أنّ ذلك الذي حُرِّم: الإخراج، فقال: (وهو محرّم عليكم)، ولو اقتصر على هذا القدر أشبه أن يرجع ذلك إلى فداء الأسرى، لأن معناه وإخراجهم[٤] فأظهر المكنى عنه فأعاده، فقال: إخراجهم فكان رفع الإخراج[٥] بالتكرير على هو؛ لأن معناه: وإخراجهم، محرم عليكم، فهو مبتدأ مؤخر عن خبره، تقديره: وإخراجهم محرم عليكم، وهذا معنى قول الفرّاء[٦] والزجّاج[٧] جميعًا. قال الفراء: وإن شئتَ جعلتَ هو عمادًا[٨].

---

(١) من قوله: خلصناه به. ساقط من (أ) و(م).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٤ بتصرف واختصار. (مادة: فدى).

(٣) نقله عنه «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٤، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٦/ ٣٣٦٦، «القرطبي» في «تفسيره» ٢/ ٩١. (مادة: فدى).

(٤) قوله: (لأن معناه، وإخراجهم) ساقطة من (أ) و(م).

(٥) في (ش): (الإحرام).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٠-٥١.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

(٨) كذا نقله عنه «القرطبي» في «تفسيره» ٢/ ٢٢.

قال: وإذا رأيت الواو في موضع تطلب الاسم دون الفعل، صلح في ذلك الموضع العماد، كقولك: أتيت زيدًا وأبوه قائم، فإن أردت أن تقدم الفعل على الأب، فقلت: أتيت زيدًا قائم أبوه[١]، أو ويقوم أبوه قبح؛ لأن الواو تطلب الاسم، فإذا قبح ذلك أدخلوا هو؛ لأنه اسم فقيل: أتيت زيدًا وهو قائم[٢]، كذلك ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: حُرّم عليكم إخراجهم، والاسم المبني على الفعل ينوب عنه في العمل، ومحرم على: حُرِّم..[٣] ورفعت الإخراج في هذا الوجه بمحرّم لأن معنى قوله: (ومحرم) مبني على حُرِّمَ.

وقال الزجاج: وجائز أن يكون هو للقصة والحديث والخبر والأمر والشأن، كأنه قال: والخبر[٤]محرم عليكم إخراجهم، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] أي: الأمر الذي هو الحق: الله الأحد، وتأويله[٥]: الأمر الذي هو الحقُّ توحيدُ الله ﷻ[٦].

ونظم الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم، وهو محرّم عليكم إخراجُهم، وإن يأتوكم أسرى[٧] تَفْدُوهم[٨].

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء: فقبيح أن تقول: أتيت زيدًا قائم أبوه، وأتيت زيدًا ويقوم أبوه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥١.

(٣) من قوله: ح(رّم عليكم).. ساقط من (أ) و(م).

(٤) في (ش): (الخير).

(٥) في(أ): (وتأويل).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

(٧) في (م): (أسارى).

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٢.

والمحرم: الممنوعُ منه، والحرامُ: كلُّ ممنوع من فعله، ومن ذلك: البلد الحرام، والبيت الحرام؛ لأنه كان يمنع فيه ما هو مُبَاح في غيره، ورَجل مُحْرِم وحرام: إذا مَنَع نفسه ممّا يحظره الإحرام، والحُرُمات: كُلّ ما مُنِعَ ارتكابُه، وتقول: قد تَحَرَّمت بطعامك، أي: حَرُم عليك بهذا السبَب ما كان لك أخذه، والمحروم: الممنوع ما[1] ناله سواه. وقول زُهَير:

يقول[2] لاغائبٌ مالي ولا حَرِمُ[3]

أي: ليس بممنوع، والحَرَم والحَرَام واحد، كقولهم: زَمَنٌ وزَمَانٌ[4].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَالِكَ﴾ استفهامٌ في معنى توبيخ.
وقوله تعالى: ﴿إِلَّا خِزْىٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني[5]: ما نال قُرَيْظَة وبني النضير؛ لأن بني النضير أُجلوا عن مَساكنهم، وبني قريظة أبيروا بقتل مقاتلهم، وسبي ذراريهم[6]. والخزي: الهوان والفضيحة، وقد أخزاه الله: أي: أهانه[7]. شمر[8]: أخزاه الله: فضحه، وفي القرآن: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي

---

(١) (ما) بمعنى الذي.

(٢) في (أ): (يقول).

(٣) ديوان زهير ص ٧٩، وصدر البيت:

وإن أتـاه خـليـلٌ يـومَ مـسـألـةٍ.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٩٣-٧٩٧ ، و«لسان العرب» ٢/ ٨٤٤. مادة (حرم).

(٥) في (ش): (بمعنى).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٣.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧، «اللسان» ٢/ ١١٥٥مادة (خزا)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٣.

(٨) هو: شمر أبو عمرو بن حمدويه الهروي اللغوي الأديب الفاضل الكامل، إليه الرحلة في هذا الفن من كل مكان، كانت له عناية بعلم اللغة، توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٧٧-٧٨، و«بغية الوعاة» ٢/ ٤-٥.

ضَيْفِيٓ﴾ [هود: ٧٨] أي: لا تفضحوني[١]. أبو عبيد: يُقال: خزِي يخزى خِزيًا: إذا هلك[٢].

وقال ابن السراج: معنى أخزاه الله، أي: أوقفه موقفا يُسْتحيَا منه، مِن قولهم: خزي يخزَى خِزَايَةً: إذا استحيا[٣]. ثم أعلم الله عز وجل أن ذلك غير مكفِّر عنهم ذنوبهم، فقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾

والردُّ: الرجع. يقال: ردّه إلى كذا، ويقال للمُجبِّر: ردّاد؛ لأنه يردّ العُضْو إلى ما كان. والرِّدّة: الرجوع عن الشيء، ومنه الردّة عن الإسلام[٤].

وإنما قال: (يُردّون) بلفظ الجمع لمعنى مَنْ.

وفي (أشد العذاب) قولان:

أحدهما: أنه عذاب لا رَوْح[٥] فيه تتصل أجزاؤه.

والثاني: عذابٌ أشدّ من عذاب الدنيا بتضعيف الألم فيه.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية. أي: استبدلوا قليل الدنيا بكثير الآخرة[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: لا ينقص، والخِفّة: نُقْصان الوَزْن.

---

(١) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧، «اللسان» ٢/ ١١٥٥ (مادة: خزي).

(٢) كذا في «غريب الحديث» له ٢/ ٣٨١.

(٣) ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٣٨١، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧٤، (مادة: خزى)، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٠مادة (ردد) .

(٥) لا روح فيه: أي لا راحة فيه.

(٦) ينظر: الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٦-٣١٧، «زاد المسير» ١/ ٩٨.

ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ للعطف على (اشتروا) فيكون من صلة الذين.

٨٧- وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أرسلنا رسولًا يقفو رَسُولًا في الدعاء إلى توحيد الله والقيام بشرائع دينه[١].

يقال: قفّى أثره، وقفّى غيرَه على أثره، أي: اتبعه إياه، والقفا: مُؤَخَّرُ العُنُق، ويقال للشيخ إذا هرم: رُدّ على قَفَاه، ورُدّ قَفًا. قال:

إن تَلْقَ رَيْبَ المنايا أو تُرَدُّ قفًا   لا أَبْكِ مِنك على دينٍ ولا حَسَبِ[٢].

ومنه: قافية الشعر[٣]، ونذكر استقصاءه عند قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: الآياتِ التي ذكرها في سورة آل عمران[٤] والمائدة[٥].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، قال الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٣: وقفينا من بعده بالرسل أي: أتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد، وشريعة واحدة لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى ﷺ إلى زمان عيسى بن مريم فإنما بعثه بأمر بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء إلى ما فيها.

(٢) البيت بلا نسبة في: «لسان العرب» ٦/ ٣٧٠٨، و«أساس البلاغة» ص ٢/ ٢٦٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠١٣، «المحرر الوجيز» ١/ ٣٨٥، «اللسان» ٦/ ٣٧٠٨ مادة (قفا).

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩].

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ الآية: ١١٠ من سورة المائدة. وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٤.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ أي: قويناه[١]، والأيد والآد: القوة، ويقال: أَيَّدَه وآيده: إذا قواه، وآدَ يَئِيدُ أَيْدًا: إذا قوي، قال امرؤ القيس:

فَأَثَّتْ[٢] أَعَـالـيه وآدَتْ أُصُـولُه[٣]

أي: قويت وإياد كل شيء: ما يَقْوَى به[٤]، قال العجاج:

مـتـخـذًا مِـنـهـا إيـادًا[٥]

واختلفوا في معنى (روح القدس). فقال قتادة[٦] والربيع والضحاك[٧] والسُّدّي[٨]: إنه جبريل. واختاره الزجاج[٩]. والقُدسُ:

---

(١) «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٤ و«المحرر الوجيز» ١/ ٣٨٥.

(٢) في (م) (فأتت).

(٣) عجز البيت:

ومال بقُنْيَانٍ من البُسْرِ أحمرا

يصف نخيلًا، انظر «ديوانه» ص ٦٠، «لسان العرب» ١/ ١٨٩ (مادة أيد). «المعجم المفصل» ٣ / ١٤٠.

(٤) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٩٦، «اللسان» ١/ ١٨٩، وفيه: وإياد كل شيء: ما يقوى به من جانبيه، وهما إياداه.

(٥) البيت للعجاج يصف الثور: متخذًا منها إيادًا هدفًا. ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٩٦، «اللسان» ١/ ١٨٩.

(٦) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٠ وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٨، الثعلبي في «تفسيره»١/ ١٠٢٦.

(٧) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٠ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢٦.

(٨) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٤.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨ وكذا اختاره الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٤ بعد أن ذكر قولين آخرين: الأول: أنه الإنجيل، والثاني: أنه الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. ثم قال: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله: ﴿إِذْ

الطهارة[١]، كأنه منسوبٌ إلى الطهارة، وذلك أنه ممن لا يقترف ذنبًا ولا يأتي مأثمًا.

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه، يسير معه حيثما سار، وأيضًا فإنه صَعِد به إلى السماء[٢]، ودليل هذا التأويل: قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] يعني: جبريل[٣]. وإنّما سُمي جبريل رُوحًا؛ لأنه بمنزلة الأرواح للأبدان تحيا بما يأتي من[٤] البيان عن الله عز وجل من يُهدَى به، كما قال عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: كان كافرًا فهديناه.

قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ فلو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل لكان قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ تكرير قول لا معنى له، وانظر «تفسير ابن كثير» ص ١١٢.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، الطبري في «تفسيره» ١/ ١٣٢.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٢٦، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٢-١١٣ في تأييد عيسى بروح القدس الذي هو جبريل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أُيد به لإظهار حجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٦ وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ١/ ١٤٢ هو جبريل على الأصح، ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] انتهى. ويؤيده أيضًا قول النبي ﷺ لحسان - ﷺ -: «**ياحسان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس**». رواه البخاري (٤٥٣) في الصلاة، باب الشعر في المسجد ومسلم (٢٤٨٥) كتاب: في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت وينظر «التفسير الصحيح» ١/ ١٩٢.

(٤) في (م): (عن).

وقيل[١]: لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته، وكذلك سائر الملائكة.

وقال آخرون: أراد: الروح القدس، أي: المقدس، فأضاف الاسْم إلى الصفة، وأراد به روح عيسى عليه السلام.

وسمى روحَه قُدُسًا؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة، ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث[٢][٣]. وجاء في الخبر: أن الله تعالى لما أخذ الذرية من ظهر آدم[٤] وأشهدهم على أنفسهم ردها إليه إلا روح عيسى فإنه أمسكها عنده إلى وقت خلقه. وقرئ القُدس بالتخفيف والتثقيل[٥]، وهُما حسنان، مثل: العُنْقُ والعُنُق، والحُلْم والحُلُم، وبابه[٦]. ومعناه: الطهارة.

قال العَجّاج:

قد عَلِمَ القُدُّوس رَبُّ القُدْس[٧].

وذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) سقطت من (م).

(٢) في (م): (الطوارق).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٢٥، «الكشاف» للزمخشري ١/ ٨٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٣٢.

(٤) في (م): (لما أخذ من ظهر آدم الذرية).

(٥) قرأ ابن كثير في تفسيره (القُدْس) بإسكان الدال حيث جاء، والباقون بضمها. ينظر: «السبعة» ص ١٦٣، و«التيسير» ص ٦٤، و«النشر» ٢/ ٢١٦.

(٦) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٥٠.

(٧) وبعده:

إن أبا العباس أولى نفس بمعدن الملك القديم الكِرسِ

ذكره في: «اللسان» ٦/ ٣٥٥٠ (مادة: قدس)، وفيه: (مولى) بدل (رب).

وقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ ذهب أبو الحسن[١] في هذه الفاء إلى أنها زائدة، والوجه: أن تكون غير زائدة وأن تكون للإتباع؛ لتعلق ما قبلها بما بعدها.

وعلى هذا قوله ﷺ، وقد قيل له لما جهد[٢] نفسه بالعبادة: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[٣]. فالوجه أن تكون الفاء هَاهُنَا مُتبعَةً غير زائدة[٤].

ونصب (كلّما) كنصب سائر الظروف[٥]، وكُلّ: حرفُ جملة، وهو اسم يجمع الأجزاء[٦].

وقال أبو الهيثم: يقع (كل) على اسم منكور مُوحَّد فيؤدي معنى الجماعة، كقولهم: ما كلُّ بيضاءَ شحمةً[٧].

و(ما) هاهُنا حرف جزاء[٨]، ضم إلى (كل)[٩].

ومعنى ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تعظمتم عن الإيمان به؛ لأنهم كانت لهم

---

(١) أي: الأخفش.

(٢) في (م): (أجهد).

(٣) رواه البخاري (١١٣٠) في أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه، ومسلم (٢٨١٩) في الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٠.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩.

(٦) «اللسان» ١١/ ٥٩١، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٨٨: كل للعموم، وهو اسم جمع لازم للإضافة، إلا أن ما أضيف إليه يجوز حذفه ويعوض منه التنوين، وأحكام كل كثيرة.

(٧) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٥٠ وعنه ابن منظور في «اللسان» ١١/ ٥٩١، وينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٨) في (ش): (وخبر).

(٩) ينظر: «مغني اللبيب» ٢/ ٢٠١.

الرئاسة، وكانوا متبوعين، فآثروا الدنيا على الآخرة[١].

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل: عيسى ومحمد، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل: يحيى وزكريا. نظيره في المائدة [٧٠]: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٢]، والفريق: الطائفة من الناس[٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيما دل عليه قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ كأنه قال: فما استقمتم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ الآية. جمع أغلَف، كما أن حُمْرًا[٥] جمع أَحمر، فإذا كان جمع أفعل لم يجز تثقيله إلا في الشعر[٦].

قال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أَغْلَف، قالوا: سيفٌ أَغْلَف، وقوس غلفاء، ورجل أغلف: لم يُختن[٧].

وما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء إذا ذُكِر بأنه لا يعلم وُصِفَ بأن عليه مانعًا من ذلك ودونه حائلًا، فمن ذلك قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] كأن القُفْل لما كان حاجزًا بين المُقْفَل عليه وحائلًا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يَكن مُقفلًا

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٥-٤٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧ .

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٠.

(٥) في (ش): (حمر).

(٦) من «الحجة» ٢/ ١٥٥، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩.

(٧) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤٦، ونقله عنه أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٥٥.

جُعِل مَثَلًا للقلوب في أنها لا تعي ولا تفقَه.

وكذلك قوله ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الكهف: ١٠١][١]، ومثل هذه الآية في المعنى قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]. قال ابن عباس[٢] ومجاهد وقتادة في هذه الآية: إنهم قالوا استهزاءً وإنكارًا وجحدًا لما أتى به محمد: قلوبنا عليها غشاوة، فهي في أوعية، فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد.

ومن ضم اللام فهو جمع غلاف مثل: حِمَار وحُمُر، ومِثَال ومُثُل[٣].

قال ابن عباس[٤] والكلبي[٥]: إنهم قالوا للنبي ﷺ: قُلُوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به مما تدعونا إليه؟ فلو كان فيه خير لفَهِمَتْه وَوَعَتْه[٦].

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أكذبهم الله سبحانه وقال: بل

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٥٤.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩، و«البحر المحيط» ١/ ٣٠١، وقال الطبري في تفسيره ٢/ ٣٢٧: وأما الذين قرأوها بتحريك اللام وضمها، فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غلف للعلم، بمعنى أنها أوعية فمعنى الكلام: وقالت اليهود: قلوبنا غلف للعلم وأوعية له ولغيره، ثم بين أن القراءة بالضم شاذة غير جائزة. انتهى كلامه. وممن قرأ بضم اللام: ابن عباس والحسن وابن محيصن والأعرج.
ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٨، «زاد المسير» ١/ ٩٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢.

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٠، وذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٥٥، «القرطبي» ٢/ ٢٢.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٢٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٠، «تفسير الخازن» ١/ ٨١.

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢.

لعنهم الله، أي: أبعدهم من رحمته وطردهم، واللعن: الإبعاد[١].

قال الشَّمَّاخ[٢]:

ذَعَرْتُ به القَطَا وَنَفَيتُ عنه مقام الذئبِ كالرجُلِ اللعينِ[٣]

أراد: مقام الذئب الذي هُوَ كالرجل اللَعين، لا يزال مُنتبذًا عن الناس، شبّه الذئب به، وكل من لعنه الله فقد أبعده عن رحمته، واستحق العذاب، وصار هالكًا[٤].

وقال الليث: اللعن: التعذيب، ولعنه الله، أي: عذبه، قال: واللعنة في القرآن: العذاب، واللعن: السب والشتم[٥].

قال شمر[٦]: أقرأنا ابن الأعرابي لعنترة[٧]:

لُعِنَتْ بمحرومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ[٨]

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٨، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤٦.

(٢) هو: الشمّاخ بن ضرار بن سنان بن أمامة الذبياني، قال ابن سلام: فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر، أشد أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقًا «طبقات فحول الشعر» ١/ ١٢٤ - ١٣٢.

(٣) البيت للشماخ بن ضرار في «ديوانه» ص ٣٢١، «مجاز القرآن» ١/ ٤٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠ «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٩، «لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣، وذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٨ برواية: مكان الذئب.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٢-٣٢٧٤، «اللسان» ٧/ ٤٠٤٤-٤٠٤٥.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٩٦، و«اللسان» ١٣/ ٣٨٨، وتفسير «القرطبي» ٢/ ٢٥.

(٦) أول البيت:

هل تبلغني دارها شدنية

(٧) والبيت من معلقة عنترة بن شداد التي مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم

(٨) ينظر: «أساس البلاغة» ٢/ ١٤، و«لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٥.

وفسّره، فقال: سُبّت بذلك، أي: قيل: أخزاها الله فما لها در ولا لبن[١].

وقال الفراء: اللعن: المسخ أيضًا، قال الله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء:٤٧] أي: نمسخهم[٢]، وكل هذا راجع إلى معنى الطرد والإبعاد.

و(بل) لا يُنسق به في غير الجحد، والجحد ها هنا في المعنى، ومجازه: وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ، وليس كذلك، بل لعنهم الله، ولم يجعل لهم سبيلًا إلى فهم ما تقول[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يريد: فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا، والعرب قد تستعمل لفظَ القِلَّةِ في موضع النفي، فتقول: قلّما رأيتُ من الرجال مثلَه، وقلَّمَا تزورنا، يريدون النفي لا إثبات القليل.

وحكى الكسائي عن العرب: مررت[٤] بأرضٍ قلّما تُنبت إلا الكُرّاث والبَصَل، أي: ما تُنبت إلا هذين[٥]، هذا قول الواقدي[٦] [٧] و(ما) على

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٤، ونقله في «لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٥ وفيه: ولا بها لبن.

(٢) لم أعثر عليه في «معاني القرآن» له.

(٣) في (ش): (فتقول).

(٤) في (ش): (مررنا).

(٥) ذكره عنه الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٥٩، وعنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٩-٤١٠ ولم ينسبها، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٠.

(٦) نقله عنه الثعلبي ٣/ ١٠٣٠، وينظر: «القرطبي» ٢/ ٢٣، و«البحر المحيط» ١/ ٣٠٢.

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، محدث مؤرخ، مفسر فقيه، أديب، متروك الحديث مع سعة علمه، ولد بالمدينة، وأقام=

هذا الوجه للنفي .

وقال أبو عبيدة: معناه: لا يؤمنون إلَّا بقليل ممَّا في أيديهم ويكفرون بأكثره. وانتصب قليلًا على هذا القول بنزع الخافض[(١)]. و(ما) صلة، تقديره: فبقليل يؤمنون. وقال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليلٌ؛[(٢)] لأن مَنْ آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود. و(ما) على هذا القول أيضًا صلة، وانتصب قليلًا على الحال. تقديره: فيؤمنون قليلًا[(٣)]، كعبد الله بن سلاَمَ[(٤)].

وذكر ابن الأنباري في هذه الآية ثلاثة أوجهٍ سوى ما ذكرنا:

أحدها: فيؤمنون إيمانًا قليلًا، وذلك أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم، ويكفرون بمحمد والقرآن، فيقلل ذلك إيمانهم، ودليل هذا التأويل: قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]

= ببغداد، تولى القضاء، توفي سنة ٢٠٧هـ. ينظر: «تاريخ بغداد» ٣/٣، و«وفيات الأعيان» ٤/٣٤٨.

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/٣٠٢.

(٢) رواه عبد الرزق في «تفسيره» ١/٥١، ومن طريقه رواه الطبري في «تفسيره» ١/٤٠٩، وابن أبي حاتم ١/١٧١، وذكره الثعلبي ١/١٠٢٩، وينظر: «البحر المحيط» ١/٣٠١-٣٠٢، ونقل عن المهدوي مذهب قتادة: أن المعنى فقليل منهم من يؤمن، وأنكره النحويون؟ وقالوا: لو كان كذلك للزم رفع قليل، ثم تعقبه أبو حيان فقال: قول قتادة صحيح، ولا يلزم ما ذكره النحويون ؛ لأن قتادة إنما بين المعنى وشرحه ولم يرد شرح الإعراب فيلزمه ذلك.

(٣) «البحر المحيط» ١/٣٠٢.

(٤) هو: أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، كان أحد أحبار اليهود في الجاهلية، أسلم عند مقدم الرسول ﷺ، بشره الرسول ﷺ بالجنة، توفي سنة ٤٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٣/٢٦٤، «الاستيعاب» ٣/٩٢١.

معناه: أنهم يعترفون بأن الله ربهم، ويكفرون بمحمد فيقلّ إيمانهم. وانتصب قليلًا على هذا الوجه لأنه نعتُ مصدرٍ محذوف(١).

الوجه الثاني: أن يكون المعنى: فيؤمنون قليلًا من الزَمَانِ ويكفرون أكثره، ودليل هذا التأويل: قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. فخّبر الله تعالى بقلة إيمانهم على معنى الوقت القصير الذي أظهروا فيه موافقة المسلمين ثم باينوهم بعده، وانتصب (قليلًا) في هذا الوجه؛ لأنه أقيم مقام الظرف، و(ما) في هذين الوجهين صلة .

الوجه الثالث: أن يكون (ما) مع الفعل مصدرًا، ويرتفع بـ«قليل»، وهو مقدم، ومعناه:

فقليلًا إيمانهم، كما قالوا: راكبًا لقَائِيك ومُجَرَّدًا ضَرْبِيكَ.

والآيه رَدٌّ على القدرية؛ لأن الله تعالى بيّن أن كفرهم بسبب لعنه آباءهم، فالله تعالى لما لعنهم وطردهم وأراد كفرهم وشقاوتهم منعهم الإيمان(٢).

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠، وهذا ما رجحه الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٠٩، فقال: أخبر أنه لعن الذين وصف صفتهم في هذه الآية، ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ، ولذلك نصب قوله: فقليلا لأنه نعت للمصدر المتروك ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم فإيمانًا قليلًا ما يؤمنون، فقد تبين إذًا بما بينا فساد القول الذي روي عن قتادة في ذلك». ورجحه في «البحر» ١/ ٣٠٢ قائلًا: لأن دلالة الفعل على مصدره أولى من دلالته على الزمان، وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل، ولموافقته ظاهر قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

(٢) قال القرطبي ٢/ ٢٣: ثم بين أن السبب في نفورهم عن الإيمان: إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترائهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بأعظم منه.

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ موافق ﴿لِّمَا مَعَهُمۡ﴾؛ لأنه جاء على ما تقدّم به الإخبار في التوراة والإنجيل، فهو مصداق الخبر المتقدم، من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ﴾ يعني: اليهودَ[(٢)].

و(كان) ليس بفعل حقيقي كسائر الأفعال، والفرق بينه وبين الفعل الحقيقي، أن الفعل الحقيقي يدل على وجود معنى مصدره بعد أن لم يكن، في ماض أو حاضر أو مستقبل، و(كان) إنما يدل على الزمان الماضي أو الحاضر والمستقبل في تصريفه فقط، من غير دلالة على وجود مصدره بعد أن لم يكن[(٣)] كقولك: كان زيد عالمًا معناه: زيد عالم فيما مضى[(٤)].

وذكرنا ما في (كان) عند قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا﴾ [البقرة:٢٨][(٥)].

وقوله تعالى ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل هذا الكتاب وقبل هذا النبي[(٦)].

﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال ابن عباس[(٧)] والسدي[(٨)]: هو أنهم إذا

---

(١) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٢) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٣) من قوله: في ماضٍ أو حاضر.. ساقط من (ش).

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٤ مادة (كان)، و«الأزهية في علم الحروف» ص ١٨٣، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥٥٩.

(٥) ينظر: «البسيط» ٢/ ٢٩٣.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١٠ «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١١-٤١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١-١٧٢.

(٨) رواه عنه الطبري ١/ ٤١١-٤١٢، وانظر: «زاد المسير» ١/ ١١٤.

حزبهم[(١)] أمر، وظهر لهم عدوٌّ، قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، وكانوا يسألون الله النصرَ بمحمد وبكتابه[(٢)].

وذكرنا معنى (الفتح والاستفتاح) عند قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]. وفي الكلام إضمار واختصار، أراد: وكانوا من قبل يستفتحون به، أي: بذلك الكتاب، فلما سبق ذكر الكتاب لم[(٣)] يُعِده. ومثله في الكلام: السَّمْنُ مَنَوَان[(٤)] بدرهم أي: منه، ولكنك لا تعيد ذكره، وقد سبق في أول كلامك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ يعني: الكتاب وبعثة النبي ﷺ؛ وذلك أنهم كانوا قرأوا في التوراة: إن الله تعالى يبعث في آخر الزمان نبيًّا[(٥)]، وينزل عليه قرآنًا مبينًا أي: بالكتاب، ويبعث صاحب ذلك الكتاب[(٦)].

أعلم الله أنهم كفروا وهم يوقنون، وأنهم مُتَعمدون للشقاق وعداوة الله.

وجواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ محذوف، تقديره: ولما جاءهم

---

(١) في (ش): (حزنهم)، وفي (م): (جزلهم).

(٢) ينظر ما رواه الطبري في تفسيره ١/ ٤١٠-٤١٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١- ١٧٢، وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ١٩.

(٣) في (م): (فلم).

(٤) المنوان: تثنية مَنَا وهو كيل أو ميزان يساوي رطلين ويثنى على منوان، ومنيان ويجمع على: أمْنَاءٍ، وأمْنٍ، ومُنِيّ ومِنِيّ. ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤ مادة (منا)، و«القاموس» ١٧٢٢ و«المجموع شرح المهذب» ٩/ ٣٤٧.

(٥) في (م) و(ش): (يبعث نبيا في آخر الزمان).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١١-٤١٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٢.

كتاب من عند الله جحدوه، وحذف لأنه معروف، دل عليه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾، هذا قول أبي إسحاق(١).

وقال الفراء: جوابه في الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾، وفيه أيضا معنى الابتداء. و(كفروا) بما فيه من جوابهما جميعًا، والعرب تجيب كلامين بجواب واحد، كقولهم: ما هو إلا أن يأتي عبد الله فلما قعد أكرمته(٢)(٣).

والدليل على هذا: أن الواو لا تجوز في موضع الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ كما جاز في ابتداء الآية، فذلك دليل على أنها جواب وليست بنسق.

ومثل هذا في كون الفاء جوابًا قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ﴾(٤) صار كأنه جواب لـ« إما »، ألا ترى أن الواو لا تصلح في موضع الفاء هنا.

وقال محمد بن يزيد(٥) قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ تكرير للأول؛ لأن

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧١، وذكره الطبري في «تفسيره» ٤١٢-٤١٣، وممن ذهب إليه: الأخفش واختاره الزمخشري كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣، ورجحه أبو حيان.

(٢) قال الفراء: ما هو إلا أن أتاني عبد الله فلما قعد أوسعت له وأكرمته.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٩ بتصرف، وذكره الطبري في تفسيره ١/ ٤١٢-٤١٣، ونسبه إليه في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣، وقال: وأما قول الفراء، فلم يثبت من لسانهم: لما جاء زيد فلما جاء خالد أقبل جعفر، فهو تركيب مفقود في لسانهم فلا نثبته، ولا حجة في هذا المختلف فيه، فالأولى أن يكون الجواب محذوفًا لدلالة المعنى عليه.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) أي المبرد، ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣.

الكلام طال بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾، وكأنه كلام معترض، فأعاد الأول. وجوابه ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾

ومثله قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] أعاد ذكر ﴿أَنَّكُمْ﴾ لما طال الكلام، وكأنه قال: أيعدكم أنكم إذا مِتُّم مُخرَجون[١].

٩٠- قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾ الآية. بئس ونِعم لفظان وُضِعا للمدح والذم، يخبر بأحدهما عن الشيء المذموم، وبالثاني عن الممدوح، وأصلهما: نَعِمَ وبَئِسَ[٢]، وأرادوا لفظًا يُعبِّر عن المحمود يخصه، ولفظًا يعبِّر عنِ المذموم ويقتصر، فجعلوا نعم للممدوح وبئس للمذموم، فألزمهم بهذا الغرض ضرب من التغيير ليخص هذا القَصْد بالدلالة، فأزالوا التصرف عنهما وهو المستقبل، فلا يقال والمراد المدح أو الذم: ينعَم الرجل أو يَبْأسُ، وهذا القدر من التغيير لا يزيل الإلباس، فليس يُدرى[٣] بقولك: نَعِمَ الرجل أو بَئِسَ إن المراد به الإخبار عنه على ما يقتضيه الأصل أو المدح والذم، فلم يجدوا بُدًّا من تغيير[٤] زائد، فنقلوا وخففوا، والنقل والتخفيف لغة للعرب[٥] فيما كان على فَعُل وفَعِل، نحو: حَسُنَ وضَجِر. حَسْن

---

(١) بين في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣: أن هذا القول حسن، لولا أن الفاء تمنع من التأكيد.

(٢) ينظر في نعم وبئس: «المقتضب» للمبرد ٢/ ١٤٠-١٥٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، «اللسان» ١/ ٢٠١ (بئس).

(٣) في (ش): (تَدْري).

(٤) في (ش): (تعبير).

(٥) في (ش): (العرب).

وجهُك، إذا خففت، وإن ثقلت قلت: حُسْنَ وَجهُك، فنقلت ضمة السين إلى الحاء، وعلى هذا ينشد:

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كَمَا ضَجْرَ بَازِلٌ   من الأُدْمِ دِبْرَتْ[١] صفحتاه وكاهله[٢]

وإنما حملَهُم على هذا اسْتثقالهم الانتقال في الحركات المختلفة الذي يدل على هذا: أن اتفاق الحركات في فعل منعهم من هذا. فقالوا في نِعْمَ وبِئْسَ فرقًا بين المدح والذم وبين الخبر؛ ليخلُصا للمدح والذم لا يلتبسان بالخبر، ولهذا المعنى لم يتصرفا تصرف الأفعال؛ لأنهما تضمنا الدلالة على معنى الذم والمدح، كما أن التعجب لما كان خبرًا كسائر الأخبار إلا أنه زاد عليها بمعنى التعجب تُركَ تصرّفُه؛ ليدل به على زيادة المعنى، فكذلك (نعم وبئس)، يدل على أن القائل مادح أو ذامّ، وهو خبر باستحقاق المدح والذم.

وبئس ذمٌّ بشدة الفساد. وأصل الكلمة من الشدة، ومنه البأساء: وهو اسم للحرب والمشقة والضرر والشدة، ومنه ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعرف: ١٦٥] أي: شديد. وكل هذا ممَّا علّقته عن مشايخ هذه الصنعة.

فأما حكم هاتين الكلمتين وعملهما فقال أبو إسحاق: إنهما لا يعملان في اسم عَلم، إنما يعملان في اسم منكور دالّ على جنس، أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس، وإنما كانتا كذلك؛ لأنّ (نعم) مستوفية لجميع المدح، و(بئس) مستوفية لجميع الذمّ، فإذا قلت: نِعم الرجل زيدٌ،

---

(١) في (ش): (ديرت).

(٢) البيت للأخطل في «ديوانه» ص٢١٧، ينظر: «لسان العرب» ٤/ ٤٨١-١٢/ ١٢.

قلت[١]: استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه، وكذلك[٢] إذا قلت: بئس الرجل دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه، فلم يجز إذ كان يستوفي مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس، فإذا كان معهما[٣] اسم جنس بغير ألف ولام فهو نصب أبدًا، وإذا كانت فيه الألف واللام فهو رفع أبدًا، وذلك قولك[٤]: نعم رجُلًا زيدٌ،[٥] ونعم الرجل زيد[٦]، نصبت النكرة على التشبيه بالمفعول، وهو بمعنى التمييز، لأنك إذا قلت: نعم، جاز أن تذكر رجلًا أو حِمارًا، فإذا ذكرت نوعًا ميزته من سائر الأنواع، وفي نعم ضمير فاعل؛ لأنه فِعْلٌ، والفِعْلُ لا يخلو من فاعل، فصار المميز كالمفعول فلهذا نصب.

فأما إذا قلت: نِعْمَ الرَجُل، فليس في نِعْمَ ضمير، وصار الرجل رفعًا بنعم. وارتفع زيد من وجهين، قال سيبويه والخليل[٧]: إن شئت رفعت زيدًا؛ لأنه ابتداء مؤخر، ويكون نعم وما عملت فيه خبره، وإن شئت رفعت على أنه خبر ابتداء محذوف، لأنك إذا قلت: نعم رجلًا، ونعم الرجل، لم يُعلم من تعني، فقلت: زيد، أي: هو زيد.

---

(١) في «معاني القرآن»: فقد.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في «معاني القرآن»: معها.

(٤) في «معاني القرآن»: كقولك.

(٥) في (ش): (زيدًا).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٢، وقد نقله الواحدي بتصرف يسير، وينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، «اللسان» ١/ ٢٠١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٤.

(٧) نقله عنه الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٧٢، ونقله عن سيبويه ابن عطية في «المحرر» ١/ ٣٩١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٤٠.

وقال الكسائي: قولك: نعم الرجل، كالشيء الواحد يرتفع بهما زيد[١]؛ لأن قولك: نعم الرجل زيد، بمعنى: صلح زيد، فارتفاع زيدٍ، كارتفاع الفاعل.

قال الفراء: فإن أضفتَ النكرةَ التي بعد نِعْمَ إلى نكرة رفعت ونصبت، فقلت: نعم غلامُ سَفَرٍ زَيدٌ، وغلامَ سفرٍ زيد، فإن أضفت إلى المعرفة شيئًا رفعتَ، فقلت: نعم سائسُ الخيل أخوك، ولا يجوز النصبُ إلّا أن يضطرّ إليه شاعر؛ لأنهم حينَ أَضَافوا إلى النكرَة آثروا الرفع، فهم إذا أضَافوا إلى المعرفة أحرى أن لا ينصبوا[٢].

فإن وصلت « مَا » بـ «نعم وبِئسَ» نحو: بئسما ونعِمّا، فقال الزجّاج: (ما) فيهما لغير صلة[٣]؛ لأن الصلة توضح، وتخصص، وَالقصد في بئسَ[٤] أن يليها اسم منكور واسم جنس[٥].

فقوله ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بئس شيئًا اشتروا به أنفسهم[٦]، قال: وروى جميع النحويين: بئسما تزويجٌ ولامهر، وَالمَعنى فيه: بئسَ

---

(١) نقله الفراء في «معاني القرآن» عن الكسائي ١/ ٥٦، ابن عطية في «المحرر» ١/ ٣٩١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٤ قال ابن عطية: وهذا أيضًا معترض؛ لأن بئس لا تدخل على اسم معين متعرف بالإضافة إلى الضمير.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧.

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج: بغير.

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: نعم.

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج: اسم منكور أو جنس، وفي «الإغفال» ص٣١٧: اسم منكور أو اسم جنس.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٢، ونقله في «اللسان» ١/ ٢٠١مادة (بئس).

شيئًا تزويج ولامَهر[١].

قالَ أبو علي: مَا ذكره أبو إسحاق يَدُل على أن (مَا) إذَا كانت موصولة لم يجز عنده أن يكون فاعلة نعم وبئس، وذلك عندنا لايمتنع، وجهة جوازه: أن ما اسم مبهم يقع على الكثرة، ولايخصص شيئًا واحدًا، كما أن أسماء الأجناس كذلك، وهي تكون للكثرة[٢] والعموم، كما أن أسماء الأجناس تكون للكثرة[٣]؛[٤] وذلك نحو قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فالقصد به هاهنا الكثرة، وإن كان في اللفظ مفردًا؛ يدلك على ذلك قوله: هؤلاء[٥].

وتكون ما معرفةً ونكرةً، كما أن أسماء الأجناس تكون معرفةً ونكرةً.

فأمَّا كونها معرفةً فمأنوس به، وأمَّا كونها نكرة فكثير أيضًا، ذكره سيبويه في مواضع، وهي و(من) قد تكونان نكرتين في التنزيل والشعر القديم الفصيح؛ أنشد سيبويه:

ربّما تكره النفوسُ من الأمر ... له فَرجة كحلِّ العِقَال[٦]

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، ونقله في «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، و«اللسان» ١/ ٢٠١، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٨.

(٢) في «الإغفال»: للنكرة.

(٣) في «الإغفال»: للنكرة.

(٤) من قوله: كما أن.. ساقط من (ش).

(٥) في «الإغفال» فهؤلاء لايكون للواحد.

(٦) البيت لأمية بن أبي الصلت، في «ديوانه» ص ٥٠ وفي «الكتاب» ١/ ٣١٥، ٤٢٤ وكذا في «الخزانة» ٢/ ٥٤١ و ٤/ ١٩٤، وينسب البيت أيضًا: لأبي قيس اليهودي، ولابن صرمة اليهودي، ولحنيف بن عمر اليشكري، ولنهار بن أخت مسيلمة=

وقال:

يـا رُبَّ مـن يُـبْـغِـضُ أَذْوادَنـا رُحْنَ على بَغْضَائِه واغْتَدَيْن[(١)(٢)]

وتأول سيبويه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] على أن تكون معرفةً، وعلى أن تكون نكرةً، مثل: هذا شيء لديّ عتيد، فإنما يتخلص بعض ذلك من بعض، بدلالةٍ مِن غير جهة اللفظ؛ لأن اللفظ محتمل لما أعلمتك في اللغة[(٣)].

فقوله: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يجوز عندي أن تكون ما موصولة، وموضعها رفع بكونها فاعلة لـ«بئس»، ويجوز أن تكون منكورةً، ويكون (اشتروا) صفة غير صلة[(٤)]، وحينئذٍ تكون (ما) نصبًا. وتقول: نِعم ما صنعت، وبئسما صنعت، إن شئت كانت (ما) منصوبة، كأنك قلت: نعم شيئًا صنعت، وإن شئت كانت مرفوعة، كأنك قلت: بئس الشيء صنعت.

ولايجوز أن يليهما (الذي)؛ لأن الألف واللام لايفارقانه، وهما يعملان فيما عُرِّف بالألف واللام، وجاز طرحهما منه. فقال الفراء: ويجوز أن تُجعل (ما) مع نِعم وبئس بمنزلة كلمة واحدة في غير هذه الآية، فيكون مثل كلما، وإنما، كما جُعلت (ذا) مع حَبَّ كلمةً واحدة، فقالوا: حبّذا.

= الكذاب ويروى تجزع بدل تكره. ينظر: «الإغفال» ٣١٧، و«مغني اللبيب» ١/ ٢٩٧، و«شذور الذهب» ١٣٢، والأشموني ١/ ٧٠، و«المفصل» ٤/ ٢، وابن يعيش ٤/ ٣، و«طبقات القراء» ١/ ٢٩٠، وشرح شواهد المغني ص ٢٤٠، و«ديوان عبيد بن الأبرص» ص ٨٦.

(١) البيت تقدم تخريجه.

(٢) من «الإغفال» ص٣١٧، ٣١٨ بتصرف، وقد لخصه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢٤.

(٣) من «الإغفال» ص ٣١٩.

(٤) من «الإغفال» ص ٣١٩.

من ذلك قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] رفعت هي بنعما، ولا يجوز (حينئذ)[١] تأنيث نعم، كما لايجوز تأنيث حبّذا[٢]، قال: ويجوز أن تجعل (ما) فيه حشوًا وصلة، كما قال: عما قليل[٣]، وإذا جعلت (ما) صلةً جاز فيه التأنيث[٤]، تقول: بئست مَا جاريةً جاريتك[٥].

ومعنى الاشتراء هاهُنَا: البيع. والاشتراء والشراء والبيع كله من الأضداد، ويقال: اشتريته، أي: بعته، واشتريته، أي: ابتعته، وكذلك: شريته في المعنيين، وكذلك: بعته، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أي: باعوه[٦]، وقال يزيد بن المُفَرِّغ:

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧: عما قليل آتيك.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧: جاز فيه التأنيث والجمع، فقلت: بئسما رجلين أنتما، بئست ما جاريةً جاريتك.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٨ بتصرف، وقد ذكر الأقوال في إعراب ما في هذه الآية الطبري في تفسيره ١/ ٤١٣-٤١٤، والعكبري في «التبيان» ٧٤، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣٠٤-٣٠٥، وخلاصته: اختلف في ما ألها موضع من الإعراب أم لا؟ فذهب الفراء إلى أنه بجملته شيء واحد، وظاهره أن لا موضع لها من الإعراب، والجمهور على أن لها موضعًا من الإعراب، واختلفوا أموضعها نصب أم رفع ؟.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، «اللسان» ٤/ ٢٢٥٣ (شرى)، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥: أن اشتروا هنا بمعنى: باعوا عند الأكثرين، وفي المنتخب أنه على بابه، لأن المكلف إذا خاف على نفسه من العقاب أتى بأعمال يظن أنها تخلصه، وكأنه قد اشترى نفسه بها، قال أبو حيان: ويرد عليه، ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، حيث فعلوا ذلك على سبيل البغي والحسد.

وشَرَيْتُ بُردًا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بردٍ صِرتُ هامة[١]

أي: بعته؛ قال الفراء: وتقول بع لي بدرهم تَمرًا، أي: اشتر لي.

وأنشد:

ويأتيك بالأخبار مَن لم تَبِعْ له بَتَاتًا ولم تضربْ له وقتَ موعِدِ[٢][٣]

ومعنى الآية: بئس الشيء بَاعوا به أنفسهم الكفر؛ يريد: أنهم اختاروا الكُفر وأخذوه، وبذلوا أنفسهم للنار؛ لأن اليهود خصوصًا علموا صدق محمد ﷺ، وأن من كذبه فالنار عاقبته، فاختاروا الكفر، وسلموا أنفسهم للنار، فكان ذلك كالبيع منهم[٤]. وقال المفسرون: في الآية إضمار معناه بئسما باعوا حظ أنفسهم بالكفر، هكذا قالوا[٥]، وعلى هذا تكون الآية من باب حذف المضاف، وعلى ما قلنا أولًا تصح الآية من غير إضمار.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ قال الزجاج: موضع أن رفع، المعنى: ذلك الشيء المذموم أن يكفروا[٦]، على تقدير: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، في ديوانه ص ٢١٣، و«لسان العرب» ٤/ ٢٢٥٢مادة (شرى).

(٢) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» ص ٤١.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، وقال: وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون شروا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما جعلوهما جميعًا في معنى باعوا، وكذلك البيع، يقال: بعت الثوب، على معنى: أخرجته من يدي، وبعته: اشتريته، وهذه اللغة في تميم وربيعة. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١٤-٤١٦، «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٢، «تفسير ابن كثير» ١١٣-١١٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٢.

الكفر، فيكون كقولك: بئس الرجل زيد، على الاختلاف الذي حكينا عن سيبويه والخليل والكسائي في رفع زيد، وقال الفراء: يجوز أن يكون محله جرًّا بدلًا من المكني في (به)، كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكُفْر[(١)].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن[(٢)].

﴿بَغْيًا﴾ أَصْلُ البغي في اللغة: الظلم والخروج عن النَّصَفَة والحدّ، يقال: بَغَى الفرس في عدوه، إذا اختال ومرح، وإنه ليبغي، ولا يقال: فرس باغ، وبغى الجُرحُ يَبْغِي بَغْيًا، إذا وَرم وكثر فيه المِدّة[(٣)]، وبَغَتِ السماء، إذا كثر مطرها حتى تجاوز الحدّ، وبغى الوادي، إذا بلغ الماء منه موضعًا لم يبلغه قبل.

وقالَ قوم: أصل البَغْي: الطلب[(٤)]، يقال: بغى الشيءَ، إذا طلبه، وأَبْغَاه، أعانه على الطلب. والبَغيّ: التي تطلب الزنا، ومنه قيل للأمة: بَغِيٌّ. وما ينبغي كذا، أي: ليس بصواب طلبه، والبَغْيُ: شدة الطلَب للتطاول[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، ونصه: أن يكفروا، في موضع خفض ورفع، فأما الخفض فأن ترده على الهاء التي في به، على التكرير على كلامين، كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفر. وأما الرفع فأن يكون مكرورا أيضا على موضع ما التي تلي بئس. اهـ. وينظر في إعراب الآية: «التبيان» للعكبري ص٧٥، حيث ذكر القولين السابقين وزاد: وقيل: هو مبتدأ، وبئس وما بعدها خبر عنه.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٢.

(٣) المِدَّة بكسر الميم القيح، وهي الغثيثة الغليظة، وأما الرقيقة فهي صديد وأَمَدّ الجرح إمدادًا، صار فيه مِدَّةٌ ينظر: «المصباح المنير» ص ٥٦٧.

(٤) قال في «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٢: الباء والغين والياء أصلان: أحدهما: طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد.

(٥) ينظر في معاني البغي: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧، «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧١-٢٧٢، «المفردات» للراغب ص ٦٥، «اللسان» ١/ ٣٢٣.

قال المفسرون: البَغْيُ، هاهُنا، بمعنى الحَسَد[١].

قال اللحياني[٢]: بغيت على أخيك بغيًا، أي: حسدته، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] فالبغي أصله الحَسَد، ثم سمي الظلم بغيًا؛ لأن الحاسِد يظلم المحسودَ جَهْدَه إرادة زوال نعمة الله عليه عنه[٣].

قال ابن عباس في هذه الآية: إنَّ كفر اليهود لم يكن شكًا ولا شيئًا اشتبه عليهم، ولكن بغيًا منهم، حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل[٤].

وانتصابه على المصدر؛ لأن ما قبله من الكلام يدلّ على بَغَوا، فكأنه قيل:[٥] بَغَوا بغيًا[٦].

وقال الزجّاج: انتصب؛ لأنه مفعول له، كما تقول: فعلت ذلك حِذارَ الشرّ، أي: لحذر الشر[٧]، ومثله من الشعر: قول حَاتِم[٨]:

---

(١) ينظر: الطبري في تفسيره ١/ ٤١٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، «زاد المسير» ١/ ١١٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن حازم، وقيل: علي بن المبارك، تقدمت ترجمته [البقرة: ١٠].

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ لكن قريب منه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٣.

(٥) في (ش): (قال).

(٦) ينظر: «التبيان» للعكبري ص٧٥.

(٧) والعامل فيه: يكفروا، أي: كفرهم لأجل البغي، أويكون العامل فيه: اشتروا. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥.

(٨) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، فارس شاعر جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، شعره كثير ضاع معظمه. ينظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٣، و«الأعلام» ٢/ ١٥١.

وأغـفـر عَـورَاءَ الـكـريـم ادّخـارَه وأُعْرِضُ عن شَتْم اللئيم تَكَرُّما[١]

المعنى: لادخاره، وللتّكرّم[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ موضع أن نصب؛ لأن المعنى: أن تكفروا بما أنزل الله؛ لأن ينزل الله من فَضْلِهِ، أي: كفروا لهذه العلة، فهو كما ذكرنا في بيت حاتِم؛ لأنهم كفروا لإنزال الله عليه، كما أنه يغفر العوراء لادّخاره، هذا قول الزجاج[٣]. وأظهر منه أن تجعل ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ مفعولًا للبغي، كأن معناه: حسدًا إنزال الله؛ لأن البغي، هاهنا، بمعنى الحَسَد، وأنت تقول: حَسَدْتُ زيدًا مالَه وفضلَه[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ قال ابن عباس: الغضب الأول: تضييعهم التوراة، والثاني: بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله فيهم[٥].

وقال قتادة: الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني: بكفرهم بمحمد والقرآن[٦].

---

(١) تقدم تخريج البيت [البقرة: ١٨].

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠٣.

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، وينظر: «التبيان» ص٧٥ قال: وقيل: التقدير: بغيًا على ما أنزل الله، أي: حسدًا على ما خص الله به نبيه من الوحي.

(٤) وقيل: التقدير: بغيًا على أن ينزل الله، لأن معناه: حسدًا على أن ينزل الله، فحذفت على، وقيل: أن ينزل في موضع جرٍّ على أنه بدل اشتمال من ما في قوله بما أنزل الله أي: بتنزيل الله ينظر «البحر المحيط».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٢ وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة وابن أبي خالد نحو ذلك، وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٤ خمسة أقوال في الآية، والخلاف فيها من قبيل اختلاف التنوع.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٦ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٣، وعزاه=

وقال أهل المعاني: أي: بإثم استحقوا به النار على إثم تقدم استحقوا به النار[١].

٩١- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود، و﴿إِذَا﴾ عند النحويين وقت للفعل الذي هو جواب، كما تقول: إذا جئتني وصلتك، أخبرتَ أنك تصلُهُ وقت مجيئه، وليس كذلك إنْ ؛ لأنك إذا قلت: إن جئتني وصلتك، يصلح أن تصلَه بعد وقت المجيء[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني القرآن، ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يعني التوراة[٣].

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون هذا إخبارًا من الله ﷻ عن اليهود، وتم الكلام عند قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، ثم ابتدأ بالإخبار عنهم، فقال:[٤] ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾[٥]. والدليل على انقطاع الكلام الأول: الانصرافُ عن الإخبار عن النفس إلى الحديث عن

= السيوطي في «الدر» ١/ ٢١٨ إلى عبد بن حميد. وروى الطبري، وابن أبي حاتم عن أبي العالية نحوه.

(١) هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٧٤، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٤ عن سعيد بن جبير في قوله: (فباؤوا بغضب على غضب) يقول: استوجبوا سخطًا على سخط، وذكر «القرطبي» ٢/ ٢٩ قولًا فقال: وقال قوم: المراد التأييد وشدة الحال عليهم، لا أنه أراد غضبين معللين بمعصيتين. وينظر «البحرالمحيط» ١/ ٣٠٦.

(٢) ينظر في معاني إذا «مغني اللبيب» ١/ ٨٧-١٠١.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٣.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) في (ش): (تكفرون).

الغيب. ويجوز أن يكون[١] حكاية عن اليهود أنهم قالوا ذلك، وتأويله: نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَيَكْفُرُونَ[٢] بِمَا وَرَاءَه، فردّ الفعل الثاني إلى الغيبة،كما تقول العرب: قال عبد الله: لأقُومَنّ، وقال عبد الله ليقومن، فالألف: لمعنى الإخبار، والياء: لمعنى الغيبة[٣]، وكذلك تقول العرب: استحلفت عبد الله: لأقومنّ، وليقومنّ، ولتقومنّ.

فمن قال: لأقومنّ، أراد: قلت له: قل لأقومن، ومن قال بالتاء، أخرجه على معنى الخطاب.

ومن قال بالياء، أخرجه على لفظ عبدالله؛ لأنه غائب، قال الشاعر[٤]:

يا ليت شِعري عنك دَخْتَنُوس[٥] إذا أتـاك الـخـبـرُ الـمـرمـوسُ
أتـحـلِـقُ الـقـرونَ أم تَـمِـيـسُ لا، بـل تَـمـيـسُ إنّـهـا عـروسُ[٦]

فقدم أفعالًا على المخاطبة، ثم رجع إلى الغيبة على ما وصفنا.

ومعنى ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما سواه، قال الفراء: وذلك كثير في العربية يتكلم الرجل بالكلام الحسن، فيقول السامع: ليس وراء هذا الكلام شيء،

---

(١) في (ش): (تكون).

(٢) في (ش): (ونكفر).

(٣) من قوله: كما تقول العرب.. ساقطة من (ش).

(٤) البيتان للقيط بن زُرارة كما في «اللسان» ٣/ ١٧٢٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٧، ورواية التهذيب: ياليت شعري اليوم... إذا أتاها الخبر. ومعنى المرموس: المكتوم، وتميسُ: تتبختر.

(٥) في (ش): (وختنوس).

(٦) الرجز للقيط بن زرارة، في «لسان العرب» ٦/ ١٠١ مادة: (رمس)، و«تاج العروس» ٨/ ٢٧٩ (دختنس)، و«المعجم المفصل» ١٠/ ٢٨٢.

يريد ليس سوى هذا الكلام شيء(١).

ويحتمل ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما بعده، أي: ما بعد التوراة، يريد: الإنجيل والقرآن، وهذا كقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: ما بعده، وما سواه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾(٢) مثله(٣). أبو العباس، عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ قال: بما سواه(٤). وسنذكر الكلام في(وراء) عند قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقولِه: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ (هو) كناية عما في قوله: ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾.

و(ما وراءه)، يجوز أن يكون واقعًا على الإنجيل والقرآن، فأفرد الله القرآن بقوله: (وَهُوَ الْحَقّ) تفصيلًا له وتخصيصًا(٥).

ويجوز أن يكون (هو) كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزِّل دلّا على المُنزَّل عليه، فكان كالظاهر.

قال أبو إسحاق: في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم، إذ كفروا بما يُصَدِّق مَا معهم . قال: ونصبت

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠.

(٢) جزء من آية وردت في سورة [المؤمنون: ٧]، [المعارج: ٣١]

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٧٩، «اللسان» ٨/ ٤٨٠٧، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال[١]، ومثله قولك: هو زيد معروفًا، فـ(معروف) حال؛ لأنه إنما يكون زيدًا بأنه يعرف بزيد، وكذلك تقول: القرآن هو الحق، إذا كان مصدقًا لكتبِ الرُّسُل صلى الله عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا تكذيب من الله تعالى لهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، أي: أيّ كتاب جوّز فيه قتل نبي، وأيّ دين وإيمان جوّز فيه ذلك[٢].

وأضاف القتل هاهُنا إلى المخاطبين، وإن كان آباؤهم قَتَلوا؛ لأنهم كانوا يتولّون الذين قَتَلوا فهم على مذهبهم، وإذا كانوا على ذلك المذهب فقد شركوهم. قال ابن عباس: كلما عُمِلَت مَعصِية، فمن أنكرها برئ، ومن رضي بها كان كمن شهدها[٣].

وقال ابن الأنباري: تأويله: فلم توليتم آباءكم القاتلين ورضيتم ما كانوا عليه، وصوبتم أفعالهم. والمراد بلفظ الاستقبال هاهنا: المضي[٤]، وجاز ذلك؛ لأنه لايذهب الوهم إلى غيره؛ لقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، ودليل هذا قوله: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ [آل عمران:١٨٣]. ومما وضع فيه المستقبل موضع الماضي قوله تعالى:

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٧٤بتصرف، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤.

(٣) ذكره في «الوسيط» ولم أجده عنه في التفاسير المسندة، و في معناه حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٨/ ٦٢١ وقوله ﷺ: «إن الخطيئة إذا عملت في الأرض كان من غاب عنها ورضيها كمن حضرها، ومن شهدها وسخطها كان كمن غاب عنها وأنكرها» رواه أبو داود.

(٤) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥-٢٦.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وسنذكره في موضعه، ومثل هذا قولك للرجل تعنفه بما سلف من قبيح فعله: ويحك لم تكذب؟ لم تُبَغِّض نفسك إلى الناس؟، كأنه قيل: لم هذا من شأنك[(١)]. قال الفراء: وذلك كثير في الكلام، أنشدني بعض العرب:

إذا ما انْتَسَبْنا لم تلدني لئيمةٌ ... ولم تَجِدِي من أن تُقِرِّي بها بُدًّا[(٢)].

يعني: أن الولادة قد مضت، وقد عبَّر عنها بجواب الجزاء، وذلك يكون في الاستقبال، كما تقول: إذا ما جئتني لم أضربْك، لم يوجد المجيء ولا الضرب[(٣)] فالجزاء للمستقبل، والولادة قد مضت، وذلك أن المعنى معروف[(٤)] يدل عليه، فجاز ذلك. والذي يدل على أن المراد بما في الآية المضي أن (لِمَ) معناه التعنيف، وأنت إنما تعنف الرجل بما سلف من فعله[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠ - ٦١ ونقله الطبري في تفسيره ١/ ٤٢٠.

(٢) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي يُعَرِّض بزوجته، وكانت أمها سرية، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٦١، ١٧٨، ولم ينسبه وكذا الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، ٤٢٠، ٣/ ٧٣.

(٣) من قوله: (يعني أن الولادة) ساقط من (ش).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١، ومن قوله: (يعني أن الولادة) إلى قوله: (ولا الضرب) من كلام الواحدي، في «تفسيره».

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١ ونقله الطبري في تفسيره عنه ١/ ٤٢ ذكر جوابًا آخر وهو أن معناه: فلم قتلتم أنبياء الله من قبل، كقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: ماتلت، وكقول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني ... فمضيت عنه وقلت: لا يعنيني

يريد بقوله: (ولقد أمر﴾: ولقد مررت. اهـ. قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧ نقلًا عن ابن عطية: وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد ﷺ ولما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (إنْ) بمعنى الشرط، وجوابها قبلها، يراد به: إن كنتم مؤمنين، فلم تقتلون أنبياء الله؛ لأنه ليس سبيل المؤمنين أن تقتلوا الأنبياء، ولا أن يتولوا قاتليهم(١).

٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم﴾ اللام في(لقد) لام القسم(٢)، ولا يجوز أن تكون لام الابتداء؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلّا الاسم أو ما كان بمنزلة الاسم من المضارع.

والمراد بالبيّناتِ في هذه الآية ما ذكره في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء:١٠١] وهي العصا، واليد، وفلق البحر، والجراد، والقُمَّل(٣)، والضَفَادع، والدم، ورفع الطور، وإحياء الميت ببعض البقرة(٤).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ المراد بـ(ثُم) هاهنا: الاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات التي أتى بها موسى ﷺ.

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي:

---

(١) استظهر هذا الوجه أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧ وقال: ويكون الشرط وجوابه قد كرر مرتين على سبيل التوكيد، لكن حذف الشرط من الأول وأبقي جوابه، وهو فلم تقتلون، وحذف الجواب من الثاني وأبقي شرطه.

(٢) ينظر: «تفسير «القرطبي» ٢/ ٢٧.

(٣) القمّل: قال ابن عباس: وهو السوس الذي يخرج من الحنطة، وعنه: أنه الدَّبى وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له - وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة، وقال الطبري في تفسيره ٩/ ٣٣: القمّل: جمع، واحدتها قُمَّلة، وهي دابة تشبه القمْل، تأكلها الإبل فيما بلغني. ينظر «تفسير ابن كثير» ص ٧٠٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢١ «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ إلا أنه عد بدل الأخيرين: السنين، والطوفان.

ما فيه من حلاله وحرامه، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ ما فيه، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ما أمرنا به، هذا هو الظاهر.

وقال أهل المعاني: معنى (اسمعوا) هاهنا: استجيبوا وأطيعوا، عُبِّر بالسمع؛ لأنه سَبَب الإجابة والطاعة[١]، وقد يُعبّر عنهما بالسمع كقول الشاعر:

دعوتُ اللهَ حتى خِفتُ أن لا ... يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ[٢]

أي: يجيب[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ بعض المفسرين يقولون: إنهم تلفظوا بهذه اللفظة، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ لما أطلّ الجبل فوقهم، فلما كشف عنهم قالوا: ﴿وَعَصَيْنَا﴾[٤].

وقال الحسن: قالوا: سمعنا بألسنتهم، وعصينا بقلوبهم[٥].

فقال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكنهم لما سمعوا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤ «تفسير «القرطبي» ٢/ ٢٧.

(٢) البيت، لشُمَير بن الحارث الضبي، في «تاج العروس» ١١/ ٢٢٧ (مادة: سمع)، و«نوادر أبي زيد» ص ١٢٤، وبلا نسبة في «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٤ و«لسان العرب» ٤/ ٢٠٩٥.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥.

(٤) بنحوه عن ابن عباس كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ واستحسنه أبو حيان قال: لأنا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره لاسيما إذا لم يقم دليل على خلافه اهـ. وحكى الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٦ أن المفسرين اتفقوا على أنهم قالوا (سمعنا) لما أطل الجبل فوقهم، فلمَّا كشف عنهم قالوا (عصينا).

(٥) ذكره في «الوسيط» ١/ ١٧٦، وذكره في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ ولم ينسبه.

الأمر، وتلقَّوه بالعصيان نسب ذلك منهم إلى القول اتساعًا[(١)]، كقول الشاعر:

ومَنْهَلٍ ذِبَّانُه في غَيْطَلِ ... يَقُلْنَ للرائدِ أعْشَبْتَ انْزِلِ[(٢)]

وقال امرؤ القيس:

نواعِمُ يُتْبعنَ الهوى سُبُلَ الردَى ... يقلن لأهل الحِلم ضُلًّا بَتْضلال[(٣)]

قالوا: المعنى: يُضللن ذا الحلم، وليس الغرض حكاية قولهن.

وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ﴾ الإشرابُ في اللُّغةِ خَلْطَ لونٍ بلون، يقال: أبيض مُشرَبٌ حُمرةً، إذا كان يعلوه حُمرة[(٤)]، المازني[(٥)]: الإشراب: الخلط، يقال: أُشْرِب ذَا بذَا، وهو مشربٌ حُمرةً إذا خالطت لونه حُمرة. اللّحياني: يقال: فيه شُربةٌ من الحُمرة، إذا كان يُخالطه حُمرة[(٦)].

وقال أبو عبيدة[(٧)]، والزجاج[(٨)]: معناه سُقُوا حُبَّ العِجل، وأصل

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥، عزاه لأهل المعاني.

(٢) البيت لأبي النجم العِجْلي. ينظر: «الحيوان» ٣/ ٣١٤ و٧/ ٢٥٩، وذكرالشطر الآخر منه «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٤٨، «اللسان» ٥/ ٢٩٥١، «التاج» ٢/ ٢٣٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٥ بلا نسبة. والغيطل: شجر ملتف أو عشب ملتف.

(٣) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ص ١٢٦.

(٤) ينظر «تاج العروس» ٢/ ١٠٣.

(٥) هو أبو عثمان بكر بن بقية، وقيل: بكر بن محمد بن عدي بن حبيب المازني، تقدمت ترجمته.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٨، «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤ (شرب).

(٧) في «مجاز القرآن» ١/ ٤٧.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٥، وينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٨، «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤.

الإشرابِ: السَّقْي، واستُعملَ في اللون المختلط بغيره تشبيهًا بالسّقي؛ لأنه يقال للمشرب حُمرةً: إنه لمسقيّ الدم. والمعنى هاهنا: أنهم خلطوا بحب العجل حتى اختلط بهم، ثم بيّن أنّ مَحَلّ ذلك الحُبّ قلوبهم، وأن الخلط حصل فيها، فأضاف أولًا إلى الجملة، ثم خصّ القلوب، كما تقول: ضُربوا على رؤوسهم، أضفت الضرب أولًا إليهم، ثم بيّنت مَحلّ الضَّرب، وإنما ذكره بلفظ الإشراب إخبارًا عن رسوخ ذلك الحُبّ في قلوبهم كإشراب اللَّوْن لِشِدّة الملازمة(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ أراد: حُبّ العجل فحذف المضاف(٢) كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(٣) [يوسف:٨٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقول الشاعر:

وكيف تُواصل مَنْ أصبحتْ   خِلالَتُه كأبي مَرْحَبِ(٤)

---

(١) ينظر: «الزاهر» ٢/ ١٠١ و«غريب القرآن» ص ٤٨ «البحر المحيط» ٢/ ١٨٤٨ وقال: وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها.. وأما الطعام، فقالوا: هو مجاور لها غير متغلغل فيها، ولا يصل إلى القلب منه إلا اليسير.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٥، ونقله في «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٩: وأسند الإشراب إلى العجل مبالغة كأنه بصورته أشربوه.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١، الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٣.

(٤) البيت للنابغة الجعدي، ينظر: «ديوانه» ص ٢٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥، «الكتاب» لسيبويه ١/ ١١٠، «أمالي القالي» ١/ ١٩٢ «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٣، ١٧٥، «لسان العرب» ٤/ ٢٢٢٤ مادة (اشرب) و ١/ ٢٥٢ مادة (برد) قال ابن منظور: وأبو مرحب كنية الظِّل والظل منتقل، ويقال: هو كنية عرقوب، الذي قيل عنه: مواعيد عرقوب، والمراد على الأول: كيف تصاحب من لا يدوم على مودة، وإنما هو منتقل غير ثابت.

وأنشد الفراء:

حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتي عَنَاقًا ... وما هي وَيْبَ غيرِك بالعَنَاقِ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ قال بعضهم: أي، باعتقادهم التشبيه؛ لأنهم طلبوا ما يتصوّرُ في نفوسهم[(٢)]. وقال الزجاج: معناه فعل الله ذلك مجازاة لهم على الكفر، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: إن كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيمانٌ يأمر بالكُفْر، وهذا تكذيب لهم؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون، وذلك أنهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فكذّبهم الله ﷻ، وعيَّرهم بعبادة العجل، وذلك أنّ آباءهم ادعوا الإيمان ثم عبدوا العجل[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ﴾ من المجاز وسعة العربية؛ لأن الإيمان لايأمُر، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

(١) البيت لذي الخرق الطهوي، ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٢، و«لسان العرب» ١/ ٣٢٠ مادة (بغم)، ٥/ ٣٠٥٣ (مادة: عقا) يخاطب الشاعر ذئبًا تبعه في طريقه، وقبله:

ألم تعجب لذئب بات يسري ... ليؤذن صاحبًا له باللحاق

وقوله ويب كلمة مثل: ويل، تقول: ويْبَك وويب زيد، معناه: ألزمك الله ويلًا، نصب نصب المصدر. بُغام الناقة: صوت لاتفصح به، والعناق: الأنثى من المعز. وقوله: حسبت بغامَ راحلتي عناقًا، أي: بغام عناق.

(٢) ينظر «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٦، «الوسيط» ١/ ١٧٦.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وكما تقول في الكلام: بئسما يأمرك العقل بشتم الناسِ، معناه: إن كنْتَ عاقلًا لم تشتمهم، كذلك المعنى في الآية: لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل(١).

٩٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾ الآية، كانت اليهود تقول: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا أيضًا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فقيل لهم: إن كنتم عند أنفسكم صادقين فتمنوّا الموتَ، فإنّ مَنْ كان لايشكّ في أنه صائرٌ إلى الجنة، فالجنة آثرُ عنده من الدنيا(٢).

والمعنى: إن كانَتْ لكم نعمة الدار الآخرة، فحذف لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً﴾ يجوز أن يكون فاعلةً من الخُلوص، فيكون انتصابها على خبر كان، ويجوز أن يكون مصدرًا، كالكاذبة والصافية والخائنَة، فيكون المعنى: خلصتْ خالِصَةً، ويكون انتصابها على المصدر(٣). ومعنى الخالصة: الصافية من الشائبة.

---

(١) «البحر المحيط» ١/ ٣٠٩ «الوسيط» ١/ ١٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج١/ ١٧٧، وينظر في هذا: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٢-٤٢٣ عن قتادة وأبي العالية والربيع، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٦، «البحر المحيط» ١/ ٣١٠.

(٣) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣١٠ الخلاف في إعراب خالصة فقيل: نصب على الحال، ولم يحك الزمخشري غيره، وقيل: خبر كان، فيجوز في (لكم) أن يتعلق بـ(كانت)، ويجوز أن يتعلق بـ(خالصة) ويجوز أن تكون للتبيين، فيتعلق بمحذوف تقديره: لكم أعني، ولم يذكر الانتصاب على المصدرية، وكذا القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣.

ومعنى قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ الاختصاص كقولك: هذا لي دونك، أي: أنا مختص به[١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ معنى التمني: هو قولٌ يقدر فيه معنًى يحبه الطبع، وذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ وَيُدَلّ على التمني بأداةٍ تميِّزُه من الإخبار، كقولك: ليت الله غفر لي، (وليت) أصل في التمني[٢]، وقد يقام مقامها الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾[٣] [الأعراف: ٥٣]، وقولك: ألا ماءَ فأشربَه[٤].

٩٥- قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ وذلك أنهم كفروا، وعرفوا أنهم كَفَرة، ولا نصيب لهم في الجنة؛ لأنهم تعمدوا كتمانَ أمر النبي ﷺ وتكذيبَه.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما قدموه وعملوه[٥]، فأضاف ذلك إلى اليد، لأن أكثر جنايات الإنسان تكون بيده، فيضاف إلى اليد كل جناية، وإن لم يكن لليد فيها عمل، فيقال: هذا ما اجترحته يدك[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه معنى التهديد، أي: عليم بمجازاتهم، وهذا جرى على مستعمل الكلام يقول الرجل لمن أتى إليه مُنْكَرًا: أنا أعرفك، وأنا بصير بك، تأويله: أنا أعلم ما أعاملك به، وإلا

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٠.
(٢) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٢٨٥.
(٣) كذا أورده في مقام التمني: «القرطبي» ٧/ ٢١٨.
(٤) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٦٩.
(٥) في (أ): (قدموا فأضاف).
(٦) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٢ وبين أن هذا الاستعمال كثير في القرآن، وقيل: المراد: اليد الحقيقية هنا، والذي قدَّمته أيديهم: هو تغيير صفة الرسول ﷺ، وكان ذلك بكتابة أيديهم.

فالله عليم بالظالمين وغيرهم[١].

وفي هذه الآية أبيَن دلالة عَلَى صدق نبيّنا محمد ﷺ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت، وقال: «**لو تمنوا الموت لغصَّ كلُّ إنسانٍ بريقه، وما بقي على وجه الأرض يهودي إلاّ مَاتَ**»[٢]، ثمَّ لم يَرَوا مَعَ حرصهم على تكذيبه أنّ أحدًا أتاه، وقال: يا محمد، أنا أشتهي الموت وأتمناه؛ لأنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لَم يَبقَ منهم صغير ولا كبير إلّا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلًا على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صِدقه، ويعلمون صحَّة نبوَّته عليه السلام[٣].

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٧ عن ابن عباس مرفوعًا وأخرج البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه: «**لايقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه**» وفي السند الكلبي. وأخرج أحمد١/ ٢٤٨ وأبو يعلى ١/ ٤٢٤-٤٢٥، الطبري في تفسيره ٢/ ٣٦٢ من طريق عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: وفيه: «**ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار**» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٨: في الصحيح طرف من أدلة، رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله الصحيح. وقال أيضًا ٦/ ٣١٤: هو الصحيح بغير سياقه، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح وأصله كما قال في البخاري (٤٩٥٨) كتاب التفسير باب: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ والترمذي كتاب التفسير باب من سورة اقرأ باسم ربك برقم (٣٣٤٨) وأحمد ١/ ٣٦٨ وليس فيه: ولو أن اليهود... وأخرج الطبري في تفسيره، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤ عن ابن عباس موقوفًا: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه. وأخرجا عن عكرمة نحوه. وأورد ابن كثير في تفسيره هذه الموقوفات عن ابن عباس ص١١٥ وصحح أسانيدها إليه.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٦، «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٤-٤٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٣١٠-٣١٢.

٩٦- قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ دخلت اللام والنون لأن القسم مضمر تقديره: والله لتجدنهم، فهو جواب القسم[١]، فأكّد باللام والنون، وهذه النون إذا دخلت عَلَى (يفعل) فُتِحَ لدخولها، وبني الفعل معها على الفتح نحو: ليفعلنّ، وحذْفُ النون التي تَثبُت في نحو[٢] يفعلان، في الرفع مع النون الشديدة[٣]، كحذف الضمة في (ليفعلن).

ومَعناه: ولَتجدنّ اليهود، يعني: علماءهم، وهؤلاء الذين كتموا أمر محمد ﷺ عن عنَادٍ في حالِ دعائك إياهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة؛ لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار إذا ماتوا في أمر محمد ﷺ[٤]. والحرص: شدّة الطَلَب، يقال: رجل حريصٌ، وقوم حِرَاص، ومِنْهُ:

عليّ حِرَاصًا لَو يُسِرُّون مَقتَلي[٥]

ومنه يقال: حَرَص القَصَّارُ الثوبَ، إذا ألَحَّ في الدقِّ إلحاح الحَريص. والحَارِصَة: شَجّةٌ تشقّ الجلد قليلًا، كما يحرص القصّار الثوب عند الدقّ[٦].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٨.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) يعني عند التوكيد فتقول: يفعلانِّ.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.

(٥) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ص٤٩، وصدره:

تجاوزتُ أحراسًا إليها ومعشرًا

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٦، «اللسان» ٢/ ٨٣٥ (حرص).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ﴾ قال الفرّاء[١]، والزجّاج[٢]: أي، وأحرص من الذين أشركوا، وهذا كما يقال: هو أسخى الناس ومن هَرِم، أي: وأسخى من هَرِم.

وحقيقة الإشراك: عبادة غير الله مع الله، وهو أن يجعَل عبادته مشتركةً بين الله وغيره، ثم يسمّى كلُّ كافر بالله مُشرِكًا من عظم ذنبه حتى ساوى به عظم ذنب المشرك في عبادة الله.

وقال بعضهم[٣]: تم الكلامُ عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، ثم ابتدأ، فقال[٤]: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ﴾، أي: من يود، فأضمر الموصول بيَوَدّ كقول ذي الرُّمَّة:

فظلوا وَمنهم[٥] دمعُه سابقٌ له
وآخرُ تُذري دمعَه العينُ بالهَملِ[٦]

أراد: ومنهم من دمعه سابق[٧]. وهذا الوجه يضعف من جهتين:

إحداهما: أن المراد بالآية بيان حرص اليهود على الحياة، فلا يحسن قطع الكلام عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ ثم الإخبار عن غيرهم بحب التعمير.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» ١/ ٦٢.
(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.
(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٣٩.
(٤) في (أ) و(ش): (قال).
(٥) ساقطة من (م).
(٦) البيت في «ديوانه» ص ١٤١، «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٩، وبلا نسبة في «الدر» ٢/ ٦٦، و«همع الهوامع» ١/ ١١٦. وينظر: «المعجم المفصل في شواهد اللغة» ٦/ ٥٦٣.
(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٩.

والأخرى: أنه لايجوز حذف الموصول وترك صلته، واستقصاء هذا مذكور عند قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ في سورة النساء [٤٦].

واختلفوا في المعْنيّ بقوله: الذين أشركوا، فقال أبو العالية[١]، والربيع[٢]: هم المجوس، وإنما وصفوا بالإشراك؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة، ويَزدَان، وأَهرَمَن، وهم أيضًا موصوفون بالحرص على الحياة، ولهذا جعلوا التحيّة بينهم: زِه هَزَار[٣] سَال، أي: عِشْ ألف سنة[٤]، وقال ابن عباس: أراد منكري البَعْث، ومن أنكر البَعث فهو يحب طول الحياة؛ لأنه لا يرجو بعثًا بعد الموت[٥]. قال العلماء: وإنما كانت اليهود أحرص من الذين أشركوا؛ لأن المشركين لايؤمنون بالمعاد، ولايخافون النار، واليهود تؤمن، وقد علموا ما جَنَوا فهم يخافون النار[٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، أي: أحد اليهود أن[٧] يعمر ألف سنة؛

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٩.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩.

(٣) في (ش): (هزاز).

(٤) أخرج نحوه الثوري ص٤٧، والطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩- ٤٣٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٩ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: زه (يعني: زي، الأمر من مصدر «زيستن») هزار سال، يعني: عش ألف سنة، فمعنى زه: عش، وهزار: ألف، وسال: سنة.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٤٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ١٧٩.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨، و«البحر» ١/ ٣١٣.

(٧) في (م): (لو يعمر).

لأنه يعلم أن آخرته قد فسدت عليه، فالبقاء في دار الدنيا آثر عنده من القدوم على العذاب الأليم.

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ﴾ يقال: وَدِدتُ أوَدّ، والمصدر: الوَدّ، والوُدّ، والوِداد، والوَدادَة، أنشد الفرّاء[١]:

وددت ودادةً لو أنّ حظّي من الخُلّانِ أن لايَصرمُوني[٢].

ويقال أيضًا: وَدَادًا بالفتح، ووِدَادَةً بالكسر، ويقل[٣] هذان، واستقصاء هذا يذكر عند قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠][٤].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ يقال: عَمَّرَه الله تعميرًا، إذا أطال عمره، وأصله من العمارة، الذي هو ضدّ الخراب، والعُمُر: اسم للمدّة التي يُعَمَّرُ فيها البدن بالحياة والنمو[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سُمي الألف ألفًا؛ لأنه تأليف العشرات في عِقْدٍ، ويقال: ثلاثة آلاف إلى العشرة، ثم أُلُوف جمع الجمع، والألف مذكّر، وإذا أُنِّثَ على أنه جمع فهو جائز، وكلام العرب فيه التذكير[٦]،

---

(١) نقله عن الفراء صاحب «اللسان» ٨/ ٤٧٩٢، ولم أجده في «معاني القرآن» والظاهر أنه في المصادر للفراء.

(٢) البيت بلا نسبة في: «لسان العرب» ٨/ ٤٧٩٣.

(٣) في (ش): (ونقل).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، «اللسان» ٨/ ٤٧٩٣ (ودد)، «المفردات» للراغب ٥٣٢، وقال: الود: محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين.

(٥) ينظر: «المفردات» ٣٥٠، «اللسان» ٥/ ٣٠٩٩ (عمر).

(٦) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٣، «المفردات» ٣٠، «اللسان» ١/ ١٠٨ مادة (ألف).

وقال أبو عبيد: يقال: آلفتُ القوم، إذا جعلتهم ألفًا، وقد آلفوا هم، إذا صاروا ألفًا[١]. وأما السنة فأصلها والكلام فيها يذكر عند قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وخَصَّ الألف هاهُنا بالذكر؛ لأنه نهاية العُقُود، وقيل: لأنه نهاية ما كانت تدعُو بِهِ المجوس لملوكها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ الكناية راجعة إلى أحدهم، كأنه قيل: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، كما تقول: ما عبد الله بضاربه أبوه.

قال أبو إسحاق: ويصلح أن يكون هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر، وهو قوله: (لو يعمر) فيكون: وما تعميره بمزحزحه[٣]، والفعل يدل على المصدر، كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] وإنه يريد إنأكله، وعلى هذا قوله: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ تكرير لذكر التعمير، فيكون كقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أعاد المصدر بعد ما كنى عنه[٤]،

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون هو كناية عن الشأن والأمر في قول الكسائي، والمعنى عنده: وما الشأن بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر[٥].

قال: ويجوز أن يكون عمادًا في قول الفراء. والعرب تدخل (هو) للعماد مع (ما) في الجحد و(هل) و(واو الحال)، فيقولون: هل هو قائم

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٣، «اللسان» ١/ ١٠٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨، «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٩، «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٩، «زاد المسير» ١/ ١١٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٥.

(٥) وأجاز هذا الوجه أبو علي كما في «البحر المحيط» ١/ ٣١٥، وقال في التبيان ١/ ٧٨: ولا يجوز أن يكون هو ضمير الشأن لأن المفسر لضمير الشأن مبتدأ وخبر، ودخول الباء في بمزحزحه يمنع من ذلك.

عبد الله؟ وما هو بقائم زيد، ولقيت محمدًا وهو حسن وجهه(١). واحتج بما أنشده الفراء:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بما هاهنا رأسُ(٢)

من أبيات ذكرها(٣). والزحزحة الإبعاد والتنحية، يقال: زحّه وزحزحه فتزحزح: إذا تنحى(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ في موضع رفع بمزحزحه كما يرتفع الفاعل بالفعل؛ لأن المعنى: ما يزحزحه تعميره(٥).

٩٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية، سألت اليهود نبي الله ﷺ عمن يأتيه من الملائكة فقال: جبريل فقالوا: هو عدونا، ولو

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥١-٥٢، وينظر أيضًا: «معاني القرآن» للزجاج١/ ١٧٩، و«التبيان» ١/ ٧٨.

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٥١-٥٢ فقال: وأنشدني بعض العرب، والأبيات:

فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيتَهُ ... على العِيسِ في آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ

بأن السُّلامِيَّ الذي بضَرِيَّةٍ ... أميرَ الحِمَى قد باع حقي بني عبسِ

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ ... فهل هو مرفوع بما هاهنا رأسُ

(٣) ابن الأنباري. قال في «البحر المحيط» ١/ ٣١٦: وتلخص في هذا القول الضمير، أهو عائد على أحدهم أو على المصدر المفهوم من يعمر، أو على ما بعده من قوله: أن يعمر أو هو ضمير الشأن، أو عماد، أقوال خمسة أظهرها الأول.

(٤) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٧٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٨، «اللسان» ٣/ ١٨١٦، «القاموس» ٢٢٢.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٥ قال: وأجازوا أن يكون هو ضميرًا عائدًا على المصدر المفهوم من قوله: لو يعمر. و أن يعمر بدل منه، وارتفاع هو على وجهين من كونه اسم ما، أو مبتدأ.

أتاك بالوحي ميكائيل لتقبلنا منك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١] .

وجبريل فيه لغات[٢]، بعضها قرئ به[٣]، وبعضها لم يقرأ به[٤]،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/ ٢٧٤، والنسائي في «السنن الكبرى»، في عشرة النساء، كما في «تحفة الأشراف» ٤/ ٣٩٤، والترمذي (٣١١٧) كتاب باب ومن «التفسير»، سورة الرعد وقال: حسن غريب، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣٣٧ وقال: غريب من حديث بكير، تفرد به بكير، الطبري في تفسيره ١/ ٤٣-٤٣٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٠، وعبد بن حميد كما ذكره ابن كثير في التفسير، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري في تفسيره.وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٤٢: رواه الترمذي باختصار ورواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣١١٧) قال الطبري في تفسيره ١/ ٤٣١: أجمع أهل العلم جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك وحكى الإجماع أيضًا أبو حيان في «البحر» ١/ ٣١٩ قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٢٩٨ بعد أن ذكر الروايات في سبب النزول: وحاصل ماذكر فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قول الجمهور: أن عداوتهم لكونه ينزل العذاب.

ثانيها: كونه حال دون قتل بختنصّر الذي خَرّب مسجدهم، وسفك دمائهم، وسبى ذراريهم.

ثالثها: كونه عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

(٢) استقصى اللغات في جبريل وميكائيل: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٤ وما بعدها، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٧-١١٩.

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وحفص، بكسر الجيم والراء بلا همز، وقرأ ابن كثير كذلك ولكن مع فتح الجيم، وقرأ شعبة بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة، وقرأ كذلك حمزة والكسائي وخلف، ولكن بزيادة ياء ساكنة بعد الهمزة، ولحمزة إن وقف عليه التسهيل فقط. وأما ميكال، فقد قرأ نافع وأبو جعفر بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء بعدها، وقرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب من غير همز ولا ياء، وقرأ الباقون بهمزة مكسورة بعد الألف وياء ساكنة بعدها، ولحمزة فيه التسهيل مع المد والقصر .

ينظر: «السبعة» ص ١٦٦-١٦٧، و«النشر» ٢/ ٢١٩، و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، وذلك مثل: قراءة ابن محيصن (جبرئلّ)=

وكذلك ميكائيل وإسرائيل.

وهذه أسماء عجمية(١) وقعت إلى العرب(٢)(٣)، فإذا أُتي بها على ما في أبنية العرب مثلُه كان أذهب في باب التعريب، يقوي ذلك: تغييرهم للحروف المفردة التي ليست من حروفهم، كتغييرهم الحرف الذي بين الفاء والباء في قلبهم إياه إلى الباء المحضة أو الفاء المحضة، كقولهم: البِرِنْدُ والفِرِنْدُ(٤)، وكذلك تغييرهم الحركة التي ليست في كلامهم، كالحركة التي في قول العجم: زُوز وآشُوب(٥) يخلصونها ضَمّةً، فكما(٦) غيروا الحروف والحركات إلى ما في كلامهم فكذلك القياس في أبنية هذه الأسماء(٧)، إلا أنهم قد تركوا أشياء من العجمية على أبنية العجم التي ليست من أبنية العرب كالآجُرّ(٨) و الإِبْريسَم(٩) والفِرِنْد(١٠)، وليس في الكلام على هذه

= وقراءة الحسن (جبرائل). ينظر: «المحتسب» ١/ ٩٧، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص ٣١.

(١) في (م): (أسماء عربية وعجمية).

(٢) في (م): (للعرب).

(٣) في «الحجة»: وهذه أسماء معربة.

(٤) في (ش): (القرند).

(٥) في «الحجة» (زوزْ أشُوْب). قال المحققان: في المعجم في اللغة الفارسية: زور: قوة، غلبة، وآشوب: من أشوفتين: الاضطراب.

(٦) في (م) و(ش): (كما).

(٧) قال ابن جني في «المحتسب» ١/ ٩٧: عن العرب إذا نطقت بالأعجمي خَلَّطَتْ فيه.. وذكرنا أنهم قد يحرِّفون ماهو من كلامهم فكيف ماهو من كلام غيرهم. وقال في ١/ ٩٨: وهم لما كثر استعماله أشد تغييرًا.

(٨) الآجُرّ: اللَّبِنُ إذا طُبخ، بمد الهمزة، والتشديد أشهر من التخفيف، الواحدة آجُرَّة وهو مُعَرّب، ينظر «المصباح المنير» ص ٦.

(٩) الإِبْرِيسَمُ: بفتح السين وضمها، هو الحرير، أو معرَّبٌ مُفَرِّحٌ للبدن، معتدلٌ مُقَوٍّ للبصر إذا اكتحل به، «القاموس» ١٠٧٩.

(١٠) الفِرِنْد: بكسر الفاء والراء، السيف وجواهره ووشيه. ينظر: «القاموس» ص ٣٠٦.

الأبنية. فمن قال جِبْرِيل بكسر الجيم وحذف الهمز كان على لفظ قِنْديل وبِرْطيل[١]، فإذا فتحتها فليس لهذا البناء مِثْلٌ في كلام العرب، فيكون هذا من باب الآجُرِّ و الفرند ونحو ذلك من المُعَرَّب، الذي لم يجئ له مِثْل في كلامهم[٢].

ومن قال جَبْرَئل: على وزن جبرعل كان على وزن: جَحْمَرِش[٣][٤] وصَهْصَلْق[٥]. وجَبْرَئيل على وزن: عَندَليب[٦]، والخارج من الأبنية العربية: جَبْريل، ألا ترى أنه ليس في أبنيتهم مثل مَنْدِيل، إلا أنه مُتَّجِهٌ وإن لم تجئ في أبنيتهم، وكلا المذهبين حسن لاستعمال العرب لهما جميعًا، وإن كان الموافق لأبنيتهم أذهب في باب التعريب[٧]، وقد جاء في أشعارهم الأمران[٨]: قال جرير:

عبدوا الصّليبَ وكذّبوا بمحمدٍ وبِجبْرَئيلَ وكذّبوا ميكالا[٩]

(١) البِرطِيل: بكسر الباء: الرشوة، ينظر: «المصباح المنير» ص ٤٢.

(٢) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) في (ش): (جمحرش) وفي (م): (جمحرين).

(٤) الجَحْمَرِشُ: العجوز الكبيرة، والمرأة السمجة، والأرنب المرضع، ومن الأفاعي: الخشناء، وجمعه: جَحَامِر ينظر: «القاموس» ص٥٨٦.

(٥) الصهصلق: العجوز الصَّخَّابة، ومن الأصوات: الشديد. ينظر: «القاموس» ص٣٠٦.

(٦) العَنْدَلِيبُ: طائرٌ يقال له: الهزارُ، يصَوِّت ألوانًا، وجمعه: عَنَادِل: ينظر «القاموس» ١١٨.

(٧) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٥.

(٨) في «الحجة» الأمران: ما هو على لفظ التعريب، وما هو خارج عن ذلك.

(٩) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تغلب، ينظر: «شرح ديوان جرير» ٣٦١، =

وقال حسان[١]:

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القُدْسِ ليس به خفاءُ[٢]

وقال كعب بن مالك:

ويومَ بدر لقيناكم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النصرِ جبريل وميكالُ[٣]

قال أبو علي الفارسي[٤]: وليس قول من قال: إن إيل و إل اسم الله وأضيف ما قبلهما إليهما، كما يقال عبد الله[٥] بمستقيم من وجهين:

=، «إعراب القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، «تفسير الطبري» ١/ ٤٣٦، «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٧، «البحر المحيط» لأبي حيان ١/ ٤٨٦.

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الصحابي، شاعر الرسول ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، دافع بشعره عن الإسلام ونبيه ﷺ، إلا أنه لم يشهد معه مشهدًا لعلةٍ أصابته. ينظر: «الإصابة» ١/ ٣٢٦، و«الأعلام» ٢/ ١٧٥.

(٢) البيت لحسان بن ثابت، في «ديوانه» ص ٧٥، و«لسان العرب» ٧/ ٣٨٩٢ (مادة: كفأ)، ١/ ٥٣٥ (مادة: جبر). ورواية الزجاج وأبي علي: ليس له كفاء، ونفى صاحب «الخزانة» ١/ ١٩٩ أن يكون البيت لحسان.

(٣) نَسب أبو علي البيت لكعب، ونُسِب لحسان في «ديوانه» ص ٢٠٤ وجبريل بدل ميكال، وكذا نسبه في «لسان العرب» ٧/ ٤٢٥٢ (مادة: مكا). ورواية «اللسان» ميكال وجبريل.

(٤) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٧-١٦٨، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣١٩: (فإنه نزله) ليس هذا جواب الشرط لما تقرر في علم العربية أن اسم الشرط لابد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه... وإنما الجزاء محذوف لدلالة مابعده عليه، بالتقدير: فعداوته لا وجه لها أو ما أشبه هذا التقدير.

(٥) ذكر ذلك الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ١٦٣، وقال: وهذا قول ابن عباس، وليس له من المفسرين مخالف، ونقله عنه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣ ثم نقل خلافه، ونقل ابن كثير في تفسيره الخلاف أيضًا. ونقل هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣١٧، وينظر: «الإجماع في التفسير» ص ١٧٩-١٨٢.

أحدهما: أن إيل و إل[١] لا يعرفان في أسماء الله سبحانه في اللغة العربية. **والآخر**: أنه لو كان كذلك لم ينصرف[٢] آخر الاسم في وجوه العربية، ولكان الآخر مجرورًا، كما أن عبد الله كذلك[٣]. وهذا الذي قاله أبو علي أراد أنه ليس في اللغة العربية على الوجه الذي ذكروا بمستقيم. وقد قال جماعة من أهل العلم: جَبر و ميك: هو العبد بالسُريانية، و إيل هو الله ﷻ[٤]. وروي ذلك من خبر مرفوع، قال: **إنما جبريل وميكائل كقولك: عبد الله وعبد الرحمن**[٥].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ يعني جبريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ يعنى: القرآن، كنى عنه ولم يجئ له ذكر، وهو كثير، وقيل: فإن الله نزل جبريل على قلبك[٦].

وقيل: جواب من مُضمر، أراد: من كان عدُوًّا لجبريل فليخف، أو ليَمُتْ غيظا أو ما أشبهه من الإضمار[٧].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني: قلبَ محمد ﷺ قال الفراء: ولو كان: على قلبي، كان صوابًا، مثله في الكلام: لا تقل للقوم: إن الخَيْر

---

(١) من قوله: (اسم الله وأضيف) .. ساقط من (ش).

(٢) في (ش): (ينصرف).

(٣) «الحجة» ١/ ١٦٩، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٧.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٣٦-٤٣٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٤٨، «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«الدر المنثور» ١/ ١٧٦.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٨ بسنده من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي عن معاوية يرفعه، ونسبه في «الدر المنثور» ١/ ١٧٦ إلى الديلمي عن أبي أمامة، وهو من مظان الحديث الضعيف والله أعلم.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ١٩٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٠ ورجَّح الأول.

(٧) ينظر: «التبيان» ١/ ٧٩.

عندي وعندك، أما عندك فجائز؛ لأنه كالخطاب، وأما عندي فهو قول المتكلم بعينه[١]، وقد تقدم لهذا نظائر.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال ابن عباس: لما قبله من الكتب التي أنزلها الله ﷻ[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ رد على اليهود حين قالوا: إن جبريل ينزل بالحرب والشدة، فقيل: إنه وإن كان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فإنه ينزل بالهدى والبشرى للمؤمنين[٣].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا﴾ أي: معاديًا؛ لأن العدوَّ فعول بمعنى فاعل، ولا يصح العداوة لله على الحقيقة؛ لأن العداوةَ للشيء طلب الإضرار به بُغْضًا له، وإنما قيل للكافر: عدوّ الله، من عداوة الله له، أو لأنه يفعل فعل المُعَادي[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ يريد: كجبريل وميكائيل، وذلك أن اليهود قالت لعمر ﷺ: إن صاحب محمد من الملائكة جبريلُ، وهو عدوّنا، يُطْلعُ محمدًا على سرّنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسَنَةٍ وشدّة، فقال عمر: فإني أَشْهد أن من كان عدوًّا لجبريل فهو عدوٌّ ميكائيل، ومن كان عدوًّا لهما فإن الله عدو له، ثم[٥] أتى عمر النبي ﷺ، فوجد جبريل قد سبقه

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٣، وينظر: «تفسير الرازي» ٣/ ١٩٦ «البحر المحيط» ١/ ٣٢٠.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٣٨-٤٣٩، وينظر: «تفسير الرازي» ٣/ ١٩٧.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢١.

(٤) ينظر: «البحرالمحيط» ١/ ٣١٩.

(٥) في (م): (وأتى).

بالوحي، فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآيات، وقال: «**لقد وافقك ربك يا عمر**». فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجر(١).

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يعني: محمدًا وعيسى كفرت بهما اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(٢) أخرجهما من الجملة بالذكر(٣) تخصيصًا وتشريفًا(٤)، كقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وكقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قال محمد بن يزيد(٥): ظهرت الكناية في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لأن الفاء جواب الجزاء وما بعدها مستأنف، فلما كان مبتدأً لم يقع(٦) فيه كناية عن ظاهر سبقها؛ لأنه ليس

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٣٣-٤٣٤، عن قتادة والسدي بنحوه، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ١٧٤ لسفيان بن عيينة عن عكرمة. وذكر القصة بطولها الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٤، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٢ بسنده عن الشعبي عن عمر، وهو لم يلق عمر. ولقصة عمر هذه طرق كثيرة. وقد قوى الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ١٦٦ القصة بطرقها. وينظر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٠١٤١، و«الدر المنثور» ١/ ١٧٤-١٧٥، وقال: صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر.

(٢) في (أ): (وميكايل)، وفي (ش): (وميكائيل).

(٣) في (م): (من الذكر).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٤٩، «زاد المسير» ١/ ١١٩، «التفسير الكبير» للرازي ١/ ١٩٨، وذكر جوابًا ثانيًا وهو: أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما، والآية نزلت بسببهما فلا جرم نص على اسميهما. وقد أطال البحث في ذلك أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٢.

(٥) يعني المبرد.

(٦) في (م): (لم يكن يقع).

سبيل المكني أن يكون مبتدأً، بل سبيله أن يتقدمه ظاهر، والعرب تقول: إن ضربت زيدًا فإن زيدًا يضربك، إن ضربت زيدًا فإنه يضربك، فالذي يقول بالإظهار يحتج بأن الذي بعد الفاء مستأنف، و(إنَّ) من[١] علامات الاستئناف، والاستئناف[٢] يكون بالظاهر لا بالمكني. والذي يقول بالكناية يحتج بأن جواب الجزاء ملابسٌ للأوَّل في المعنى لتعلقه به، فالذي في الجزاء يكفي من الذي في الجواب، فتصح الكناية لهذه العلة[٣].

وقال غيره: إنما أظهر الكناية لأنه ذكر الملائكة والرسل، فلو كنى لذهبَ الوهمُ إلى واحد من الملائكةِ، أو الرسلِ، أو إلى جبريل، أو إلى ميكائيل، فأظهر الكناية ليزيل اللبس[٤].

ومعنى الآية: من كان عدوًا لأحد هؤلاء فإن الله عدو له؛ لأن عدوّ الواحد عدو الجميع، وعدو محمدٍ عدوُّ الله. ومثله قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]؛ لأن الكافر بالواحد كافر بالكل[٥].

والواو هاهنا بمعنى أو[٦]. وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: فهم أعداء له؛ لأنه تولى تلك العداوة بنفسه، وكفى رسله وملائكته أمر من عاداهم. وإنما لم يقل: فإن الله عدو لهم أوله بالكناية؛ ليدل مع أنه عدو لهم على أنهم كافرون بهذه العداوة[٧].

---

(١) في (م): (لأن).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٥٠، وذكر الرازي في «التفسير الكبير» ٣/ ١٩٨: أن الواو، قيل: إنها للعطف، وقيل: بمعنى أو.

(٧) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ١٩٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٤١.

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۢ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال ابن عباس: هذا جواب لابن صوريا[١]، حيث قال لرسول ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك لها، فأنزل الله هذه الآية[٢].

والبينات: جمع بينة، والبين: من باب الصيّب والسيّد، وقد مرّ[٣].

والبينة: الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة؛ لأنها من إبانة أحد شيئين عن الآخر، فيزول الالتباس بها. واستقصاء الكلام في هذا عند قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن أديانهم، واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ عن شريعة موسى عليه السلام[٤].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ قال سيبويه[٥]: الواو فيه واو العطف، إلا أن ألف الاستفهام دخل عليها؛ لأن لها صدر الكلام، وهي الأصل في الاستفهام، يدل على ذلك: أن الواو تدخل على (هل)، كقولك: وهل زيد عاقل؟ ولا يجوز: وأزيد عاقل؛ لأن الألف أقوى في

---

(١) هو: عبد الله بن صوريا، تقدمت ترجمته [البقرة: ١].

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٣ من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥١ والواحدي في «أسباب النزول» ص٣٤، والسيوطي في «لباب النقول» ص ١٨.

(٣) في تفسير الآية رقم ١٩.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤١.

(٥) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١٨٧، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٤١-٤٤٢، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي ١/ ١٠٥، «التبيان» للعكبري ١/ ٧٩.

الاستفهام[١]. و﴿كُلَّمَآ﴾ ظرف، والعامل فيه: ﴿نَّبَذَهُۥ﴾[٢] ﴿عَٰهَدُواْ﴾؛ لأنه متمم لما، إما صلةً، وإما صِفَةً.

وقوله تعالى: ﴿عَٰهَدُواْ عَهۡدًا﴾ قال المفسرون: إن اليهود عاهدوا فيما بينهم، لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنُنّ به، وليكونُنّ[٣] معه على مشركي العرب، فلما بُعِثَ نقضوا العهد وكفروا به[٤].

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود، نقضوها كفعل قريظة والنضير، عاهدوا ألا يعينوا عليه أحدًا، فنقضوا ذلك، وأعانوا عليه قريشًا يوم الخندق[٥].

واتصال هذه الآية بما قبلها: من حيث إنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ إنما دخلت (بل) ههنا لأنه لما قال: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ﴾ دل على أنه كفر ذلك الفريق بالنقض، فقال:

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥١، «القرطبي» ٢/ ٣٩ وذكر أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٣ الخلاف في هذه الواو: فقيل هي زائدة، قاله الأخفش، وقيل: هي أو الساكنة الواو حركت بالفتح، وهي بمعنى بل، قاله الكسائي، وكلا القولين ضعيف، وقيل: واو العطف وهو الصحيح.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨١، «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٠٦.

(٣) في (ش): (لنؤمنن به ولنكونن).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٢، «الوسيط» ١/ ١٨١، «زاد المسير» ١/ ١٢٠، القرطبي ٢/ ٣٥ والرازي في «تفسيره» ٢/ ٢١٧.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٥، الرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠١، القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٤٠ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٣.

بل أكثرهم كفار بالنقض.وحَسُن هذا التفصيل؛ لأن منهم من نقض عنادًا، ومنهم من نقض جهلًا.

وقيل: معناه: كفر فريق بالنقض وكفر أكثرهم بالجحد للحق، وهو أمر النبي ﷺ(١).

قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ جائز أن يكون المراد بقوله: ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾ : القرآن، وجائز أن يكون المراد به: التوراة؛ لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ نبذوا التوراة(٢).

ويقال لكل من استخف بشيء(٣) ولم يعمل به: نبذه وراء ظهره(٤).

قال الشعبي(٥): هو بين أيديهم يقرؤونها، ولكن نبذوا العمل به(٦).

وقال سفيان بن عُيينة:(٧) أدرجوه في الحرير والديباج، وحلَّوه بالذهب والفضة، ولم يُحِلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه، فذلك النبذ(٨).

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٤، وذكر احتمالًا آخر.

(٢) هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٢٠، و«تفسير الرازي» ١/ ٢٠٢.

(٣) في (م): (استخف بشيء نبذه ولم يعمل).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٣، «تفسير الرازي» ٣/ ٢٠١.

(٥) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، تقدمت ترجمته [البقرة: ٧].

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٤، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٢٦ وفي بعض نسخ الثعلبي في «تفسيره» يقرؤونه، وفي بعضها: يقرؤونها.

(٧) هو: الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي الكوفي المجتهد، شيخ الإسلام، من كبار المحدثين الثقات، كان واسع العلم، وله تفسير، توفي سنة ١٩٨هـ. ينظر: «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٩٦، و«السير» ٨/ ٤٥٤.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٤، «البغوي» ١/ ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أعلَمَ أنهم نبذوا كتاب الله، ورفضوه على علم به؛ عداوةً للنبي ﷺ[(١)].

وعنى بالفريق في هذه الآية: علماء اليهود الذين تواطؤوا على كتمان أمر محمد ﷺ[(٢)].

١٠٢- قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الآية، هذه الآية قد أشكل علم إعرابها ومعناها على كثيرٍ من الناس، حتى ترك أكثر أهل العلم والنحو الكلام فيها لصعوبتها. وتكلم آخرون فيها[(٣)].

قال أبو إسحاق: أعلم الله عز وجل أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿تَتْلُواْ﴾ أي: تقرأ[(٥)]. وقال ابن عباس: تتبع وتعمل به[(٦)]. وكذلك قال في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: يتبعونه حق اتباعه[(٧)]، فيعملون به حق عمله.

وقال أبو عُبَيدة: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾: أي: ما تتكلم به. كقولك: فلان يتلو كتاب الله، أي: يقرؤه ويتكلم به[(٨)]. وقال عطاء: ما تُحدّث

---

(١) من كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٢.

(٣) قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٥: فإن النحويين قد ترك كثير منهم الكلام فيها لصعوبتها، وتكلم جماعة منهم، وإنما تكلمنا على مذاهبهم.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣.

(٥) وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٧، و«تفسير ابن كثير» ص ١٤٤-١٤٦.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤٧ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٤/ ١٠٥٥.

(٧) رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٥.

(٨) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة بمعناه ١/ ٤٨.

وتَقُصّ[١]. وهذه أقوال متقاربة[٢].

قال الزجاج: وفيه إضمار، أراد: واتبعوا ما كانت تتلوا[٣]، وقيل: إنه لفظ الاستقبال والمراد به المضي، أي: تلت[٤]، كقول الشاعر:

فلقد يكون أخا دم وذبائح[٥]

أي: فلقد كان[٦]. وكقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: حتى قال.

وقال أبو علي[٧] فيما استدرك على أبي إسحاق الآية: تحتمل تأويلين، كلٌّ واحد منهما أسوغ مما ذكره وذهب إليه.

أحدهما: أن يكون ﴿تَتْلُواْ﴾ بمعنى: تلت فيكون كقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١]. أي: فلم قتلتم، إلا أنه لما اتصل بقوله: ﴿مِن

---

(١) رواه الطبري في تفسيره عنه ١/ ٤٤٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٥.

(٢) ينظر الطبري في تفسيره ١/ ٤٤٧-٤٤٨، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦: أنها متقاربة.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣ بتصرف، وليس عنده قوله: وفيه إضمار، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.

(٤) ينظر: «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.

(٥) صدر البيت:

وانْضَح جوانبَ قبرِه بدمائها

وهو لزياد الأعجم في «ديوانه» ص ٥٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٥، و«البيان» ١/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧، «الدر المصون» ١/ ٣١٨، «أمالي المرتضي» ١/ ٣٠١، «الشعر والشعراء» ١/ ٢٧٩، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٦٢، ينظر: «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٢/ ١٢٦.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٥.

(٧) أي: في كتابه «الإغفال».

قَبْلُ﴾ علم أن المراد بمثال المضارع الماضي، فكذلك هنا[١] كان يعلم باتصال الكلام بعهد سليمان؛ لأن المعنى[٢]: على عهد ملك سليمان، أو في زمن ملك سليمان، على تقدير[٣] حذف المضاف[٤]، وكان ذلك يدل على أن مثال المضارع يراد به الماضي.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]. يجوز عندي أن يكون المعنى: إنّ الذين كفروا وصدوا. فلما كان المعطوف عليه ماضيًا دلّ على أن المراد بالمضارع أيضًا الماضي، ويقوي هذا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١][٥]. ويجوز أن يكون المضارع على بابه، كأنه قال: إنّ الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدُّون مع ما تقدم من كفرهم. والأول كأنه أقوى[٦].

والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه؛ لأنه قال[٧]: وقد تقع[٨] نفْعَل في موضع فَعلت في بعض المواضع، ومثل ذلك: قول رجل

---

(١) ساقطة من (ش).
(٢) في «الإغفال»: في من قال إن المعنى على عهد ملك سليمان.
(٣) في «الإغفال»: على من لم يقدر.
(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.
(٥) تتمة الكلام في «الإغفال» فخبر اسم إن مضمرة، هو من نحو ماظهر من قوله: أضل أعمالهم، وحسن الحذف لطول الكلام بالعلة.
(٦) «الإغفال» ص ٣٢١ - ٣٢٢.
(٧) في «الإغفال» وهذا الذي ذكرته لك من الإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه وقوله.
(٨) في (ش): (يقع تفعل).

من بني سلول:

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسُبّني فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِيني[١][٢]

على معنى: ولقد مررت[٣]. قال أبو علي: فسألت أبا بكر عما ذكره سيبويه من هذا، فقال: الأفعال جنس واحد، فكان يجب أن يكون على بناء واحد؛ لكنها غُيّرت بتغيير الأزمنة وقُسِّمت بتقاسيمها، لما كان ذلك في الإيضاح أبلغ، فخُصّ كلٌّ قسم من ذلك بمثال لا يقع واحد منها في موضع الآخر، إلا أن يُضمّ إليه حرف يكون دليلًا على ما أريد به[٤]، فيصير الحرف كأنه يقوم مقام البناء المراد، إذ كان يَدُلّ عليه كما يدلّ البناء، نحو: والله لا فعلت، فقولك: فعلت فعلٌ ماض وقع في موضع مستقبل، فلما كانت قبلها[٥] (لا) عُلم أنه يُرادُ به الاستقبال؛ لأن (لا) إنما[٦] تكون نفيًا لما يستقبل[٧]، فلما كانت نفيًا للمستقبل ووقع بعدها ماض علمت أنه يراد

---

(١) البيت لرجل من سلول في «الكتاب» ٣/ ٢٤، و«الخصائص» ٣/ ٣٣٠، و«الإغفال» ١/ ٣٢٣، و«الدر» ١/ ٧٨، ولشمر بن عمرو الحنفي في «الأصمعيات» ص ١٢٦، ولم ينسب في بعضها: نحو «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٠، وروايته وحده: فمضيت عنه وقلت. وبعد هذا البيت:

غضبان ممتلئًا عليّ إهابه إني وربِّك سُخْطُه يُرضيني

(٢) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٢٤.

(٣) «الإغفال» ص ٣٢٢، ٣٢٣ و قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٥٠٤: يجوز أن يجعل أفعل في موضع فعلت، ولايجوز فعلت في موضع أفعل إلا في مجازاة، نحو إن فعلت فعلت.

(٤) في «الإغفال» على ما أريد به الحرف.

(٥) في (ش): (في قبلها).

(٦) إنما ساقطة من (ش).

(٧) في «الإغفال»: لما يستقبل مما أوجب القسم.

به الاستقبال[١]. قال أبو علي: وقد اتسعوا في إقامة أمثلة الأفعال، بعضها مقام بعض[٢]، من ذلك: إقامتهم مثال الأمر مقام الخبر، نحو قولهم: أكرِمْ بزيد وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ [مريم:٣٨] ومعنى هذا: كرُمَ زيد، وسمعوا[٣] وأبصروا، أي: صار زيد ذا كرم، وصار هؤلاء المستحقون لأن يمدحوا بهذا المدح ذوي[٤] أسماع وأبصار[٥].

ووقع مثال الأمر مقام الخبر، كما وقع مثال الخبر مقام الأمر في مثل: غفر الله لزيد، وقطع الله يده، وفي التنزيل: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤][٦].

فكذلك تَتْلُوا في هذه الآية، يجوز أن تكون بمعنى (تلتْ) كهذه الأشياء التي أريتكها، وهذا وجه. وأما الوجه الآخر: فعلى أن يكون يفعل على بابه، لا تريد به فَعَل كما أردت في الأول، ولكن تجعله حكايةً للحال وإن كان ماضيًا، وهذا الوجه في السَّعَة والكثرة كالأول وأسوغ[٧]، كأنه حكى الفعل الذي كان يُحدّث به عنهم وهو للحال.

ونظير هذا قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ [البقرة:

---

(١) «الإغفال» ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) في «الإغفال: اتساعًا أشد مما قدمنا.

(٣) في «الإغفال» فمعنى هذا: أكْرم زيد وأسمعوا. وما في نسخة البسيط أصوب.

(٤) في نسخة «الإغفال» جاء النص مُحرّفًا: وصار هؤلاء المستحقون الآن يمدحون بهذا المدح، ويثنى عليهم بهذا الثناء دون أسماع وأبصار.

(٥) «الإغفال» ص ٣٢٦.

(٦) «الإغفال» ص ٣٢٧ وما بعدها. بتصرف كبير.

(٧) في «الإغفال»: أو أسوغ.

٤٩]، فقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه، وإن كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب، وموضع الفعل نصب بالحال. ونظير هذا أيضًا من حكاية الحال: قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فأشير إليهما بما[(١)] يشار إلى الحاضر؛ إرادة لحكاية الحال على وجهها، وإن كانت قد تقدمت[(٢)]. ومن هذا أيضًا: إضافة (إذ) إلى تقول وإلى جمع المضارع في نحو: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] أضيف (إذ) إلى فعل الحال إرادةً لحكايتها[(٣)]، ولولا ذلك لتنافى هذا الكلام؛ لأن (إذ) لما مضى و(تقول) لما يستقبل.

ومن هذا أيضًا: ما أنشده أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي:

جاريةٌ في رمضانَ الماضي   تُقطِّع الحديث بالإيماض[(٤)]

وهذا وجه ثانٍ نظير ما يحسن حمل الآية عليه[(٥)].

---

(١) في «الإغفال»: كما.

(٢) في «الإغفال» لحكاية القصة على جهتها، وإن كانت متقدمًا كونها.

(٣) من قوله: إرادة لحكاية الحال على وجهها... ساقط من (أ)، (م).

(٤) ذكره في «الإغفال» ص ٣٣٢ بهذه الصيغة ووقع في نوادر ابن الأعرابي غير منسوب كما في «شرح ابن يعيش» ٦/ ٩٣، ووقع في «ديوان رؤبة» مما نسب إليه ص ١٧٦:

جارية في درعها الفضفاض   تقطع الحديث بالإيماض

ونسب البغدادي ٣/ ٤٨٣ الشاهد نقلًا عن هشام اللخمي لرؤبة هكذا:

لقد أتى في رمضان الماضي   جارية في درعها الفضفاض

تقطع الحديث بالإيماض   أبيض من أخت بني إباض

وينظر أيضًا: «مغنى اللبيب» ٢/ ٦٩١، و«الإنصاف» ١/ ١٢٤، مع اختلاف في الرواية، وحاشية «الإغفال» ٣٣٢.

(٥) «الإغفال» ص ٣٣١، ٣٣٢. بتصرف.

فإن قلت: ما تنكر أن يكون ما ذكره أبو إسحاق من إضمار (كان) أيضًا جائزًا، فيكون ذلك وجهًا ثالثًا.

قيل: ذلك لا يجوز؛ لأن المضمر لا دلالة عليه، وإنما يسوغ الإضمار إذا كانت عليه دلالة يكون بها كالمظهر، وسيبويه منع إجازة هذا، فقال: واعلم أنه لا يجوز لك أن تقول: عبدَ الله المقتول، وأنت تريد: كن عبدَ الله المقتول[1]، فإذا لم يجز هذا، لم يجز هذا مع أن المنصوب يدل على ناصبه، فأن لا يجوز ما ذهب إليه في الآية أولى[2].

فإن قلت: فقد قالوا: إنْ سيفًا فسيفٌ، وإنْ خنجرًا فخنجرٌ، فأضمروا، قيل: ليس ذلك من هذا في شيء؛ لأن (إن) مما يعلم أنه لا يليه إلا الفعل، فالدلالة على المحذوف المضمر قوية، وليس شيء من هذا في الآية[3].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ ذكرنا أنه على تقدير حذف المضاف، وقيل: إن (على) ها هنا من صلة الافتراء والكذب، إذا قلنا إنّ (تتلوا) معناه: تحدّث وتكلّم، على ما قال أبو عبيدة وعطاء، فمعنى قوله: ﴿تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[4]؛ لأنهم قالوا: إن سليمان مَلَكَ النّاسَ

---

(١) «الكتاب» ١/ ١٥٩ ط. بيروت. وزاد: لأنه ليس فعلًا يصل من شيء إلى شيء، ولكنك لست على أحد.

(٢) «الإغفال» ص ٣٣٣ بتصرف.

(٣) «الإغفال» ص ٣٣٤ بتصرف.

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٠٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦، ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٣-١٤٦.

بالسحر، وذلك ما قاله ابن عباس[١] رحمه الله: إن سليمان، عليه السلام، لما عُذِّبَ بنزع ملكه، دفنت الشياطين في خزانته ومواضع مصلاه سحرًا وأُخَذًا ونيرَنْجات[٢]، فلما مات سليمان دلّت الشياطين عليه الناسَ حتى استخرجوها، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فأقبل بنو إسرائيل على تعلمها، ورفضوا كتب أنبيائهم، فبرّأ الله نبيه سليمان عليه السلام على لسان محمد ﷺ[٣].

وقال السُّدِّي: إن الناس في زمن سُليمان كتبوا السحر، واشتغلوا بتعلّمه، فأخذ سليمان تلك الكتب، وجعلها في صندوق، ودفنها تحت كرسيه، ونهاهم عن ذلك، فلما مات سليمان، وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب، تمثل شيطان على صورة إنسان، فأتى نفرًا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا[٤]؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا، فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها، قال

---

(١) قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦: وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصًا كثيرة، الله أعلم به، ولم تتعرض الآية الكريمة ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه، فلذلك لم نذكره ا.هـ. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٢١ الكيفيات فعد أقوالًا ستة.

(٢) النيرنجات: أُخذٌ كالسحر وليس به، وإنما هو شبه وتلبيس، ويقال: النيرنجيَّات. ينظر: «تاج العروس» ٣/ ٤٩٧، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده ١/ ٣٤٠.

(٣) أخرج هذه القصة النسائي في «تفسيره» ١/ ١٧٩، الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤٧ ولفظه مختصر، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٧ من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، بنحوه، والمنهال: صدوق ربما وهم. وقد ذكرها الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٧، وعزا القصة للكلبي. وذكرها أيضًا في «عروس المجالس» ص ٤٣، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٥.

(٤) لا تأكلونه أبدًا: أي: لا تفنونه أبدًا، يقال: أكل فلان عمره: إذا أفناه.

الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس[١] والشياطين والطير بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب؛ فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية[٢].

وقوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: لم يكن كافرًا ساحرًا بسحر[٣]، ويعمل بالسحر[٤].

وقيل: وما ستر سليمان كتب السحر، ولكن الشياطين سترته ودفنته.

وأصل الكفر: الستر والتغطية[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ في (لكن) قراءتان: التشديد ونصب الاسم به، والتخفيف ورفع الاسم به[٦].

---

(١) في (م): (الإنس والجن).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» مطولًا عنه ١/ ٤٤٤-٤٤٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٦ من طريق أسباط عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» مطولًا ١/ ١٠٥٧ والواحدي في أسباب النزول ص ٣٦ ولفظه هناك مثل هذا تمامًا. وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٢١-١٢٢، وروى الحاكم ٢/ ٢٦٥، والواحدي بسنديهما عن ابن عباس نحوًا من هذا وصححه الذهبي. وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦. ذكر الدكتور بشير حكمت ياسين في كتاب «التفسير الصحيح» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦ روايتين عن ابن عباس وصححهما وهما موافقتان لما نقله الواحدي وقال بعدهما: وهاتان الروايتان من أخبار أهل «الكتاب»، ولكنهما لا تتعارض مع «الكتاب» والسنة، بل لبعض فقراتها شواهد، فهي توافق عصمة سليمان عليه السلام وتبرىء ساحته مما ألصق به من مفتريات الإسرائيليات.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٠.

(٥) «المفردات» للراغب ٤٣٥.

(٦) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف نون لكن وإسكانها، ثم تكسر تخلصًا من التقاء الساكنين، والشياطين بالرفع. وقرأ الباقون بتشديد النون مفتوحة، ونصب الشياطين. ينظر: «السبعة» ١٦٧ - ١٦٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٩، و«النشر» ٢/ ٢١٩، و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

وهذه الحروف، أعني :لكنّ، وإن، وأن، وكأنَّ حروف تستعمل مخففة ومثقلة، فإذا استعملت مثقلة كانت عاملة في الأسماء، وعملها النصب[١]، والعلة في ذلك: أنها إذا كانت مشدّدة كانت مفتوحة الأواخر، وفتحةُ أواخرِها ألحقتها في المشابهة بالأفعال الماضية، والأفعال عاملةٌ في الأسماء، فإذا استعملت مخففة باينتها تلك الصفة التي ألحقتها في المشابهة بالأفعال، فالقياس أن لا تعمل لزوال المعنى الذي به كان يعمل[٢].

وقال الكسائي: الذي يختار العرب والذي هو وجه الكلام عندنا إذا كانت (لكن) وحدها بغير واو كان التخفيف أحسن، وإذا كانت بالواو كانت بالتشديد، وبهذا قرئ أكثر ما في القرآن كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧] .وبغير الواو كقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ [التوبة: ٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [مريم: ٣٨].

وقال الفراء: إذا ألقيت من ولكن الواو آثرت العرب تخفيفَ نونها، وإذا دخلت الواو آثروا تشديدَها، وإنما فعلوا ذلك؛ لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام، فشبهت بـ« بل »، إذ كانت رجوعًا مثلها، ألا ترى أنك تقول: لم يقم أخوك بل أبوك، ثم تقول: لم يقم أخوك لكن أبوك، فتراهما في معنى واحد، والواو لا تصلح في بل.

فإذا قالوا: ولكن فأدخلوا الواو تباعدت من بل، إذ لم تصلح الواو في بل، فآثروا فيها تشديد النون، وجعلوا الواو كأنها دخلت لعطف لا بمعنى بل[٣]، وأصلها: أن دخلت عليها لا وكاف الخطاب، فصارتا

---

(١) ينظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠ (مادة: لكن)، و«مغني اللبيب» ١/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٧٠ - ١٧٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦١، «المجيد في إعراب القرآن المجيد» ص ٣٥٩.

(٣) بل ساقطة من (ش) .

جميعًا حرفًا واحدًا[١] .

وقال الكسائي: حرفان من الاستثناء لا يقعان[٢] أكثر ما يقعان إلا مع الجحد، وهما: لكن وبل، والعرب تجعلهما مثل واو النسق[٣] .

وقال المبرد: لكن من حروف العطف، وهي الاستدراك بعد النفي، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة، نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت[٤].

وأما اختلاف القراء في تشديد (لكن) في بعض المواضع وتخفيفها في بعض، فلا معنى للمصير إلى التبعيض في هذه المواضع ونظائرها إلا بأن تترجح عند أحد من القراء بعض الروايات على بعض، فيصير إليه[٥] .

ومعنى الآية: ولكن الشياطين كفروا بالله يعلّمون الناس السحر. يريد: ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر . ويجوز أن يكون (يعلّمون) من فعل اليهود الذين عُنوا بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾[٦].

وسُمي السحرُ سحرًا؛ لخفاء سببه. ومنه: السِّحْر وهو الغِذَاء، كقول لبيد[٧]:

ونُسْحَرُ بالطعام وبالشراب[٨]

---

(١) نقل كلام الفراء صاحب «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠، وقد ناقش أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٧٩ ذلك وبين أن القياس لا يوجب هذا الذي ذكره الفراء من تشديدها مع الواو وتخفيفها مع عدمها.

(٢) في (ش): (لا تقعان).

(٣) نقل كلام الكسائي صاحب «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠.

(٤) «المقتضب» للمبرد ١/ ١٢.

(٥) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥١-٤٥٢، «معاني للقرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٢، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١١٤، «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٠٥.

(٧) هو: أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك العامر، تقدمت ترجمته [البقرة: ٢].

(٨) وشطره الأول: =

وذلك أن حاله خفيّة في التنمية[١]، والسَّحَر: الرئة؛ لأنها مما تخفى وليس مما يظهر. وسَحَر الليل: قبل ظهور الصُبح.

وقال المحققون من أهل اللغة: معنى السحر: الإزالة وصرف الشيء عن وجهه[٢]، تقول العرب: ما سَحَرك عن كذا، أي: ما صَرَفك عنه. ومنه: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٩] أي: تصرفون، ويقال: سحره، أي: أزاله عن البُغض إلى الحُبِ، وكأن السّاحر بما أرى الباطل في صورة الحق فقد سَحَر الشيء عن وجهه، أي: صرفه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ موضع (ما) نصب، نسق على السحر، وجائز أن يكون نسقًا على ما في قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[٤].

ومعنى: ﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: أي: عُلِّما وأُلْهِما وقُذِفَ في قُلُوبِهِما

أرانا مُوضِعِين لأمر غيب

وفي رواية: لحتم غيبٍ، وهو لامرئ القيس في «ديوانه» ص ٤٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، «لسان العرب» ٤/ ١٩٥٢، ونسبه المؤلف وكثير من أهل التفسير كالرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥ إلى لبيد.

(١) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١: أن معنى ونسحر بالطعام، أي نُعَلَّل به قال الرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥: قيل فيه (أي: البيت) وجهان: أحدهما أنا نعلل ونخدع كالمسحور. والآخر: نغذى، وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء.

(٢) ينظر كلام الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، ونقله صاحب «اللسان» ٤/ ١٩٥٢٥.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٨، «المفردات» للراغب ٣٣١، ٣٣٢، «التفسير الكبير» ٣/ ٢٠٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨، «اللسان» ٤/ ١٩٥٢.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٢ وصحح الأول، «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٤-٤٥٥ «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٠٦، «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠.

من علم التفرقة، وهو رقية[١] وليس بسحر، والرخصة في الرقية واردة. فقد روى عوف الأشجعي[٢] أنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا لرسول الله ﷺ كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك**»[٣].

وقال ابن قتيبة: الذي أنزل الله على الملكين فيما يرى أهل النظر من أهل العلم والله أعلم هو الاسم الذي صعدت الزهرة فعلمته الشياطين، فهي تعلمه أولياءها، وقد يقال: إنّ السّاحر يتكلم بكلام فيطير بين السماء والأرض، ويطفو على الماء.

وذهب قومٌ ممن أبطلوا السّحر وأنكروا أن يكون له حقيقة[٤] إلى أن قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ما فيه نفي[٥]، وذلك مستكره؛ لأنه إذا كان

---

(١) الرقية: العُوذَةُ التي يُرَقى بها صاحب الآفة، كالحُمَى والصرع وغير ذلك من الآفات. ينظر: «النهاية» لابن الأثير، «اللسان» ٣/ ١٧١١.

(٢) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو حماد، صحابي جليل، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، توفي بدمشق سنة ٧٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٣١٢.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) كتاب السلام، باب: لا بأس، وأخرجه أبوداود (٣٨٨٦) كتاب الطب، باب: ما جاء في الرقى واللفظ له.

(٤) اختلف الناس هل للسحر حقيقة أو أنه خدع وتخييل؟ فذهب المعتزلة إلى أنه خدع وتخييل، ولا حقيقة له؛ لقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. والصحيح الذي عليه أهل السنة أنه يكون تخييلا وخدعا، ويكون حقيقة، ودليل كونه حقيقة قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٩-٤٦١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨- ٣٩، «المغني» لابن قدامة ١٢/ ٣٠٤.

(٥) ذكر هذا الوجه مكي بن أبي طالب في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٠٦.

المعنى: لم ينزل على الملكين،[١] صار الكلام فضلًا لا معنى له. وإنما يجوز أن يكون (ما) نفيًا أن لو ادعى مدعي: أن السحر أنزل على الملكين، ويكون فيما تقدّم ذكر ذلك أو دليل[٢] عليه، فيقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾، ولم ينزل على الملكين كما ذكروا. ومثال ذلك: أن يقول مُبْتدئا: علمت هذا الرجل القرآن، وما أنزل على موسى. فلا يتوهم سامعُ هذا أنك أردت بقولك أن القرآن لم ينزل على مُوسى؛ لأنه لم يتقدّمه قول أحدٍ أنه أنزل على موسى، وإنما يتوهم السامع أنك علمتَه القُرآنَ والتوراةَ[٣].

ثم اعلم أن السحر على قسمين:

أحدُهما: يكفر به السّاحر، وهو أن يعتقد القدرة لنفسه، فإذا انتهى به السحر إلى هذه النهاية صار كافرًا بالله، وهذا السحر هو الذي عده رسول الله ﷺ في الكبائر في قوله: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسّحر، وقَتْل النفسِ التي حرّم الله إلاّ بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنة**».[٤]

والقسم الثاني: لا يكفر به، وهو التخييل الذي يشاكل النِّيرَنْجات، فإذا لم يعتقد لنفسه فيما يعمل قدرة، واعتقد القدرة لله تعالى، كانت معصية، ولم يكن ذلك كفرًا[٥].

---

(١) من قوله: مافيه... ساقط من (أ)، (م).

(٢) في (ش): (ذلك).

(٣) كلام ابن قتيبة لم أره في «غريب القرآن» و«تأويل مشكل القرآن».

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٥٧) كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، ومسلم (٨٩): الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها.

(٥) قد ذكر القرافي في «أنوار البروق في أنواع الفروق» ٤/ ١٣٧، أقسام السحر وأحكامه، وذكر القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٩: أن من السحر ما يكون كفرًا =

وأما قصّة الملكين فهي معروفة مذكورة في عدة مواضع[1].

= من فاعله، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه، وأما من زعم أن السحر خدع ومخاريق وتمويهات فلم يَجِبْ على أصله قتل الساحر إلا أن يقتل بفعله أحدًا فيقتل به. ثم ذكر في ٢/ ٤٧ خلاف الفقهاء في حكم الساحر:

١- فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ؛ لأنه أمر يستسرّ به كالزنديق والزاني؛ ولأن الله سمى السحر كفرًا في هذه الآية، وهو قول أحمد وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين، وروي مرفوعًا: «**حدُّ الساحر ضربه بالسيف**».

٢- وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره، ويقول: تعمدت القتل، وإن قال : لم أتعمده لم يقتل، وكانت فيها الدية كقتل الخطأ، وإن أضرَّ به أُدِّبَ على قدر الضرر. ينظر: «الأم» للشافعي ١/ ٢٩٣.

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٤٨: وهذا باطل من وجهين: أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته: أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه المقادير والكائنات. الثاني: أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر.

وينظر في المسألة: الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٣، و«أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٧٢٥، و«المغني» ١٢/ ٣٠٢-٣٠٣، «زاد المسير» ١/ ١٢٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٤٧-١٥٢.

(١) ينظر في القصة وتفصيلاتها : «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٥٣، والبزار في «المسند» برقم ٢٩٣٨، وعبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» برقم ٧٨٧، وابن حبان ١٤/ ٦٣، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ١٤٣، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ٤، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٦٣، و«زاد المسير» ١/ ١٢٣، و«الدر المنثور» ١٨٥٨-١٩٣، والقرطبي ٢/ ٤٤-٤٥، قال: وقد روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار، والسدي والكلبي ما معناه: فذكر القصة مجملة، ثم قال: هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيء. أهـ. وقال «ابن كثير» في تفسيره: «وحاصلها راجع في تفاصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ =

وقوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ﴾[١].

وبابل اسم أرض[٢]، قيل: سميت لأن الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم من كل أفق إلى بابل، فبلبل الله بها

= ليس فيه حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لاينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة في غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال». وقال أيضًا: «فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. ا.هـ. وقد أنكر القصة جماعة من أهل العلم منهم ابن حزم في «الفصل» ٣/ ٢٦١، ٤/ ٣٢، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٤٢٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٢٩، والرازي في «تفسيره» ١/ ٢٣٧، والبيضاوي في «تفسيره» ١/ ٧٩، والخازن في «تفسيره» ١/ ٧١، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٩، وابن كثير في «تفسيره»١/ ١٥١، والآلوسي في «روح المعاني» ١/ ٣٤١، والقاسمي في «محاسن التأويل» ١/ ٢١١، وغيرهم. وينظر استقصاؤهم في: «تحقيق العجاب» لابن حجر للأستاذ عبد الحكيم محمد الأنيس ١/ ٣٣٢-٣٤٢، وانتصر لتصحيحها الحافظ ابن حجر في «العجاب»، والسيوطي كما في «اللآلي المصنوعة» ١/ ١٥٩ و«مناهل الصفافي» تخريج أحاديث الشفاء للسيوطي ٤/ ٢٣١ كما أفاده الخفاجي عنه في «نسيم الرياض» ٤/ ٢٣١، وقال: وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تأليف مستقل فبلغت نيفًا وعشرين طريقًا.

(١) قال العكبري في «التبيان» ص٨١: ببابل، يجوز أن يكون ظرفًا لأنزل، ويجوز أن يكون حالًا من الملكين، أو من الضمير في أنزل.

(٢) ذكر الطبري في تفسيره ١/ ٤٥٩ فيها قولين: أنها: بابل رنباوند، أو أنها بابل العراق، وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ١٠٩ في حدها ثلاثة أقوال: أنها الكوفة وسوادها، والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، وقد رجح ابن كثير في تفسيره ١/ ١٥٢ أنها بابل العراق، واستدل لذلك. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٣، «معجم ما استعجم» ١/ ٢٠٢، «معجم البلدان» ١/ ٣٠٩.

أَلْسِنَتهم، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد[(١)] . والبلبلة: التفرِيقُ[(٢)] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ اختلفوا في تعليم الملكين السحر، فذكر أهل التفسير وأصحاب المعاني فيه وجهين[(٣)]:

أحدهما: أنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر، ولكنهما يصفانه، ويذكران بطلانه، ويأمران الناس باجتنابه، وكانا يعلمان الناس وغيرهم ما يُسألان عنه، ويأمران باجتناب ما حُرِّم عليهم، وطاعة الله فيما أُمروا به، ونهوا عَنْهُ. وفي ذلك حكمة، لأن سائلًا لو سأل: ما الزنا؟ وما اللواط؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس السحر، وأمرهما السائل باجتنابه بعد الإعلام والإخبار أنه كفر حرام[(٤)] . ويؤكد هذا الوجه: ما روى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: عَلَّم بمعنى أعلم، وذلك أن التعليم لا ينفك عن الإعلام، كما يقال: تعلَّمْ بمعنى أعلَمْ؛ لأن من تعلم[(٥)] شيئا فقد عَلِمَه، فيوضع التَّعَلُّم موضع العلم[(٦)].

قال قيس بن زهَير:

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٣، «زاد المسير» ١/ ١٢٥، «القرطبي» ٢/ ٤٦.

(٢) ينظر: «القاموس» ٩٦٨-٩٦٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦١-٤٦٢-٤٦٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣-١٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٩، «زاد المسير» ١/ ١٢٢، «القرطبي» ٢/ ٤٨.

(٤) من «تهذيب اللغة» للأزهري ٣/ ٢٥٥٤ مادة (علم) ومنه نقل الثعلبي ١/ ١٠٨٥.

(٥) ساقطة من (أ)، (م).

(٦) نقله عن ابن الأعرابي والأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٥٤، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ٤٨، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠.

تَـعَـلَّـمْ أنّ خـيـرَ الـنـاس حـيًّـا   عـلـى جَـفْـر الـهَـبـاءةِ لا يَـريـم[١]

أي: اعلم.

قال ابن الأعرابي: ومن هذا قول الله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ قال معناه: إن السّاحر يأتي الملكين فيقول: أخبرني عمّا نهى الله عنه حتى أنتهي، فيقولان: نهى عن الزنى، فيستوصفُهما الزِنى، فيصفانه، فيقول: وعن ماذا؟ فيقولان: عن اللواط، ثم يقول: وعن ماذا؟ فيقولان عن السحر، فيقول: وما السّحر؟ فيقولان: هو كذا، فحفظه، وينصرف فيخالف، فيكفر، فهذا معنى ﴿يُعَلِّمَانِ﴾[٢] ولا يكون تَعليم السحْر إذا كان إعلامًا كفرًا، ولا تعلّمه إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه كفرًا، كما أن من عرَّف الزنى لم يأثم بأنه عرَّفه، إنما يأثم بالعمل[٣].

الوجه الثاني: أن الله ﷻ امتحن الناسَ بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنةَ في الكفر والإيمان أن يقبل القائل تعلُّم السحر، فيكفر بتعلّمه، ويؤمن بترك التعلّم، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن الله[٤] بنهر طالُوت في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة:

---

(١) البيت لقيس بن زهير في «مقاييس اللغة» ٤/ ١١٠، و«لسان العرب» ٥/ ٣٠٨٣ مادة (علم).

(٢) هذا فيه زيادة في (ش) إنما هو يعلمان ولا يكون.

(٣) نقل هذا بطوله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٥٥ مادة (علم)، ومنه أخذ الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٥، ونصر هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٣-٤٥٥، وقواه الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٣-١٨٤، قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٥٢-١٥٣: وهذا الذي سلكه [يعني: ابن جرير] غريب جدًا، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم.

(٤) في (ش): (كما أنه امتحن بنهر طالوت).

٢٤٩]. يدل على صحة هذا: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: محنة من الله نُخبرك أنَّ عملَ السحر كفر بالله، وننهاك عنه، فإن أطعتنا في ترك العمل بالسحر نجوتَ، وإن عصيتنا في ذلك هلكتَ(١).

وروي عن ابن عباس أنه قال: أما السحر فمما(٢) علّمت الشياطين، وأما الفرق بين المرء وزوجه فمما علّم الملكان(٣).

ثم وجه تعليم الملكين أنه يجوز أن يلهمهما الله ويعلّمهما من الأذكار والأسماء ما يعلمان أنها إذا استعلمت على جهة الدعاء أو على جهة الرقية أفادت التفريق بين المرء وزوجه، إذ لا يحسن بحالهما وما هما فيه من عقوبة الذنب السابق أن يشتغلا بارتكاب كبيرة مستأنفة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحدًا، و مِنْ زائدة مؤكدة، كقولك: ما جاءني من أحدٍ(٤).

وأما (أحد)(٥) فقال الليث:

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٥ وذكر أنه الأصح. وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٥، «تفسير السمعاني» ١/ ٥٧٥، «تفسير الرازي» ٣/ ٢٨٣.

(٢) في (ش): (فما).

(٣) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٨، ورواه الطبري بسنده عن مجاهد ١/ ٤٥٤، وروى نحوه ١/ ٤٥٣ عن قتادة، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٠ وعزاه في «الدر» ١/ ١٩٤ لعبد بن حميد.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠، وقال: من زائدة لتأكيد استغراق الجنس، لأن أحداً من الألفاظ المستعملة للاستغراق في النفي العام فزيدت هنا لتأكيد ذلك.

(٥) قال العكبري في «التبيان» ١/ ٨١: وأحد هاهنا يجوز أن تكون المستعملة في العموم، كقولك ما بالدار من أحد، ويجوز أن تكون هاهنا بمعنى واحد أو إنسان قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠: والأول أظهر.

أصله: وحد[١]، ونحو ذلك قال الزجاج[٢].

وقال أحمد بن يحيى: واحد وأحد وَوَحد بمعنى[٣].

وقال الليث: الوحَد: المنفرد، ورجل وحدٌ، وثور وحدٌ، قال النابغة[٤]:

بذي الجليل[٥] على مستأنسٍ وَحَدِ[٦]

والوَحْد والحِدَة كالوَعْد والعدة، يقال: وَحَدَ الشيءُ فهو يحِد حِدَةً.

وفرّق قوم بين الواحد والأحد، فقالوا: أحد يصلح في الكلام في موضع الجحد، و واحد في موضع الإثبات. تقول ما جاءني منهم أحد، وجاءني منهم واحد، ولا يقال: جاءني منهم أحد؛ لأنك إذا قلت: ما جاءني منهم أحد، فمعناه لا واحد ولا اثنان، وإذا قلت: جاءني منهم واحد، فمعناه: أنه لم يأتني منهم اثنان[٧]. وأكثر ما جاء (أحد) في التنزيل في موضع النفي.

---

(١) نقلة في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٦، (مادة: وحد).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤، «اللسان» ٨/ ٤٧٨٠، (مادة: وحد).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤: ثعلب عن سلمة عن الفراء: رجل وَحيدٌ وَوَحَدٌ وَوَحِدٌ، وكذلك فريد وفَرَدٌ مادة (وحد).

(٤) هو: الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب، من الطبقة الأولى، من فحول شعراء الجاهلية، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ويفاضل بينهم. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٦، و«جمهرة أشعار العرب» ١/ ٣٠٣.

(٥) في (م) و(أ): (الخليل).

(٦) صدر البيت:

كأن رحلي وقد زال النهار بها

والبيت، من قصيدة قالها يمدح النعمان بن المنذر، ينظر: «ديوانه» ص ١٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤ مادة (وحد).

(٧) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٥، وعنه في «اللسان» ٣/ ٤٤٨، (مادة: وحد).

قال أبو علي: وقد استعملوا أحدًا بمعنى واحد، وذلك قولهم: أحد وعشرون، وفي التنزيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] [الصمد: ١].

وسنذكر الكلام في (أحد) صفة الله تعالى في سورة الإخلاص، والكلام في (واحد) نذكره في[2] قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان[3]، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب: إذا أذبتهما بالنار؛ ليتميز الرديء من الجيد، وتعرف جودتهما من الرداءة، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يحرقون بالنار، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين، هذا هو[4]، ثم جعل كل امتحان فِتْنَة، وقد جعل الله امتحانه عبيده

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٧ - (مادة: وحد)، «مقاييس اللغة» ٦/ ٩٠، «اللسان» ٨/ ٤٧٨٠ (مادة: وحد)، وقال صاحب «المفردات» ص ٢١-٢٢ ما حاصله: أحد يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط، نحو: ما في الدار أحد. والثاني: في الإثبات، وهو على ثلاثة أوجه: الأول: في الواحد المضموم إلى العشرات، نحو أحد عشر. والثاني: أن يستعمل مضافًا إليه بمعنى الأول، كقوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، وقولهم: يوم الأحد، أي يوم الأول، ويوم الاثنين. والثالث: أن يستعمل مطلقًا وصفًا، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٢) في (م): (عند).

(٣) قال في «مقاييس اللغة» ٤/ ٤٧٢: الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار.

(٤) من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨، (مادة: فتن).

المؤمنين باللأواء ليبلو صبرَهم فيثيبهم، أو جزعهم[١] على ما ابتلاهم به فيجزيهم، جزاؤهم فتنة فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] قيل في تفسيره: وهم لا يُبلَون في أنفسهم وأموالهم، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٣] أي: اختبرنا[٢].

والفتنة تستعمل في معانٍ كثيرة، ترجع كلها إلى الأصل الذي ذكرنا عند النظر، والفتنة مصدر؛ لذلك[٣] لم يُثَنَّ[٤].

ويقال: فَتَنَه وأَفْتَنَه، والأول: لغة أهل الحجاز، والثاني: لغة أهل نجد، وقال أعشى همْدان:

لئن فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمس أفْتَنَتْ سعيدًا فأمسى قد قَلَى كلَّ مُسلم[٥]

وكان الأصمعي ينكر أفتَنَه[٦]، وذُكر له هذا البيت فلم يعبأ به[٧]. وأكثر أهل اللغة أجازوا اللغتين[٨]. ومعنى فتنته فلانة: أي: اختبرته، كأنه اختبر بها لجمالها.

---

(١) في (ش): (جوعهم).

(٢) بمعناه من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨، (مادة: فتن).

(٣) في (ش): (كذلك).

(٤) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٨٥.

(٥) البيت لأعشى همدان، وقيل: لابن قيس الرقيات، كما في «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، (مادة: فتن) وذكر أنه قيل في سعيد بن جبير، وقال الأصمعي: هذا سمعناه من مخنث، وليس بثبت؛ لأنه كان ينكر أفتن. وينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

(٦) في (ش): (افتنته).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن)، «اللسان» ٦/ ٣٣٤٤.

(٨) ماتقدم من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

وقال الليث: يقال فِتَنَه يَفتِنُه، ففَتَنَ بمعنى: افتتن، فجعله لازمًا ومتعدّيًا[١]، وقال:

رخيم الكلام قطيع القيا م أمسى الفؤاد به فاتنا[٢]

قال الأزهري: يقال: افْتَتَنْتُهُ[٣] فافْتَتَنَ، واقعًا ومطاوعًا، وهو صحيح ذكره ابن شُميل[٤].

وأما فَتَنْتُه فَفَتَنَ فهي لغة ضعيفة[٥].

ومعنى قوله: ﴿إنَّما نحنُ فتنةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار لكم[٦]

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾[٧] هذا الفعل منسوق على فعل مقدّر يدل عليه الكلام، كأنه قال: حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيَأْبَون فيتعلمون[٨].

---

(١) نقله في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

(٢) البيت في: «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، (مادة: فتن)، ولم ينسبه، وروايته: أمسى فؤادي بها فاتنا.

(٣) في (م): (افتنته).

(٤) هو: النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي، تقدمت ترجمته.

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٠، ينظر في فتن: «المفردات» ٣٧٤، «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، «تاج العروس» ١٨/ ٤٢٤-٤٢٨.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩.

(٧) ينظر في إعرابها: «التبيان» ص٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٣١، وقد لخص أبو حيان الكلام فيها بقوله: وتلخص في هذا العطف أنه عطف على محذوف، تقديره: فيأبون فيتعلمون، أو يعلمان فيتعلمون، أي: على مثبت، أو يتعلمون: خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يتعلمون عطف على جملة اسمية على فعلية، أو معطوف على يعلمون الناس أو معطوفًا على كفروا أو على يعلمان المنفية، لكونها موجبة في المعنى، فتلك أقوال ستة أقربها إلى اللفظ هذا القول الأخير.

(٨) وهذا اختيار «الطبري» ١/ ٤٦٢واستحسنه الزجاج ١/ ١٨٥ لكنه جوّد ما بعده.

قال ابن الأنباري: وصلح إضمار يأبون هنا كما صلح إضمار الفعل في قوله: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والعرب تحمل على المعنى كثيرًا، من ذلك قول الفرزدق:

فكيف بليلةٍ لا نجمَ فيها ولا قمر لساريها منيرِ[١]

عطف (ولا قمر) على مقدر في المعنى، كأنه قال: فكيف بليلة ليست بليلة نجم ولا قمر.

قال أبو إسحاق: والأجود في هذا أن يكون عطفًا على ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾، ويستغنى[٢] عن ذكر ﴿يُعَلِّمَانِ﴾؛ لما[٣] في الكلام من الدليل عليه[٤]. وقال الفرّاء: هي مردودة على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فيتعلّمون[٥].

قال الزجّاج: هذا خطأ؛ لأن قوله: (منهما) دليل هاهُنا على التعلم منَ الملكين خاصّةً[٦].

---

(١) ورد البيت هكذا:

فكيف بليلة لا نوم فيها ولا ضوء لصاحبها منير

والبيت للفرزدق، ينظر: «ديوانه» ص ٢٢١.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: واستغنى.

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج: بما.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٥، وينظر: «التبيان» للعكبري ص٨١.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٤، وقد جود الوجه الأول، ورد عليه النحاس هذا الوجه في «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٤، فقال: غلط؛ لأنه لو كان كذا لوجب أن يكون فيتعلمون منهم، فقوله: منهما، يمنع أن يكون التقدير: ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر فيتعلمون، إلا على قول من قال الشياطين هاروت وماروت.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٥، وقد أطال أبو علي في «الإغفال» ص ٣٣٥-٣٤٩ النفس في مناقشة كلام الزجاج.

وابن الأنباري صحح مذهب الفراء، وقال: معناه: يعلّمون الناس السحر فيتعلّمون منهم عن[١] الملكين، فلا يكون (منهما) على هذا صلة للتعلم، بل يكونْ كقولك: تعلمت من الفراء عن الكسائي، أي: الفراء تعلم عنه، وروى لي[٢] عنه، (ومنهما) على هذا الوجه يكون بمعنى: عنهما، فقامت مِنْ مقام عن.

قال هشام: قال الأصمعي: سمعت[٣] أفصح العرب يقول: حدثني فلان من فلان، وهو يريد عن فلان.

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: مِن السّحر والكُفر، أو من السحر والكهانة. و(أحدٌ): يقع على الواحد وَالاثنين والجميع؛ لذلك[٤] قال: فيتعلّمُون بلفظ الجمع، والدليل على ذلك: قوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

قال ابن الأنباري: وأجاز أصحابنا: ما مررت بأحدٍ يتكلّمون. ومررت على كُلّ رَجُل يتعجبون[٥].

وروى سَلَمة[٦] عن الفراء قال: (أحدٌ)، يكون للجميع والواحد في النفي، كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] جعل (أحد) في موضع جمع، وكذلك قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

(١) في (أ): فيتعلمون عن منهم عن الملكين، وفي (م): فيتعلمون عن منهم من الملكين.
(٢) (لي) ساقطة من (م)
(٣) في (م): (سمعت من).
(٤) في (ش): (كذلك).
(٥) ابن الأنباري.
(٦) هو: سلمة بن عاصم النحوي أبو محمد، تقدمت ترجمته [البقرة: ٨].

فهذا جمع؛ لأن (بينَ) لا يقع إلّا على اثنين فما زاد[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وهو أن يُؤَخَّذَ[٢] كل واحد منهما عن صاحبه، ويبغَّضَ كلُّ واحد إلى الآخر[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا هُم﴾ أي: السحرة، وقيل: الشياطين وعلى هذا دلّ كلام ابن عبّاس[٤].

(به) أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحدًا[٥].

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عبّاس: يريد: ما يُضلّون إلا من كان في علمي وقضائي وقدرتي أن أُضِلّه[٦].

وقال المفسرون: الإذن هاهُنا تأويله: إرادة التكوين، أي: لا يضرّون بالسحر إلَّا من أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر[٧].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٦ وقال سيبويه: هو معطوف على (كفروا)، قال: وارتفعت (فيتعلمون) لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلموا، ليجعلا كفره سببًا لتعلم غيره، نقله أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٣١.

(٢) يؤخذ: من التأخيذ، وآخذه: رقاه، والأُخْذَة: بضم فسكون: رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر، أو خرزة يؤخذ بها النساء الرجال، ورجل مؤخذ عن النساء: محبوس، ينظر: «اللسان» (مادة: أخذ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٦٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٩٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٠ كلهم عن قتادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٢ وزاد قولًا ثالثًا: وقيل: على اليهود.

(٥) أي: من زائدة. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٩، «تفسير «القرطبي» ٢/ ٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٢.

(٦) ليس في شيء من التفاسير المسندة، وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٤، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ المعنى: إنه يضرهم في الآخرة، وإن تعجّلوا به في الدنيا نفعًا[١].

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني: اليهود[٢] ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: اختاره يعني السحر[٣]. ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي: نصيب. والخلاق: النصيب الوافر من الخير[٤].

قال المفسرون في هذه الآية، الخلاقُ: النصيبُ من الجنة[٥].

ثعلب عن ابن الأعرابي: ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] لا نصيب لهم في الخير. ويعني بهذا: الذين يعلّمون الناس السحر، وهم كانوا من علماء اليهود[٦].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٤.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، وذكره في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٣ قولين آخرين أحدهما: أن المراد الشياطين، والثاني: أن المراد الملكين.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٥، ابن أبي حاتم ١/ ١٩٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، «زاد المسير» ١/ ١٢٥، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤ أربعة أقوال فيما يعود عليه الضمير، فقيل: السحر، وقيل: الكفر، وقيل: كتابهم الذي باعوه بالسحر، وقيل: القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧، «الطبري» ١/ ٤٦٥- ٤٦٦، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤، وذكروا خمسة أقوال هي: النصيب، والدين، والقوام، والخلاص، والقدر وقد فسره بالنصيب ابن عباس ومجاهد والسدي ورجحه الطبري والزجاج وغيرهما.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٦، «زاد المسير» ١/ ١٢٥.

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ جملتان[١]: إحداهما: مقسم عليها. والأخرى: مؤكدة بغير قسم.

ويحتمل أن تكون الجملتان كلتاهما مقسم عليهما، والجملة هي المحدّث عنه والحديث.

فأما الجملة المقسم عليها فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ مقسم عليه؛ لدخول اللام في لقد، وهذه اللام إذا جاءت في الفعل الماضي والمستقبل فإنما تجيء على نية اليمين، كانت مذكورة معها أو محذوفة. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ليفعلنّ إذا جاءت مبتدأة؟ فقال: هي على نية القسم[٢]، واللام التي تدخل على الماضي هي هذه التي إذا دخلت على المستقبل لزمته النون، فتقدير ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ : والله لقد علموا.

والأخرى المؤكدة غير المقسم عليها: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ إذا جعلت (مَنْ) بمعنى (الذي) كانت اللام للتأكيد دون القسم.

ومذهب سيبويه فيه هذا، وهو أن (من) فيه بمعنى (الذي)، كأنه قيل: للذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق[٣]. فموضع (من) رفع بالابتداء.

---

(١) ما سيأتي في المسألة من كلام أبي علي في «الإغفال» ص **٣٦٢** وما بعدها. وينظر في إعرابها «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٥ - ٦٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/١٨٦-١٨٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٤، «إعراب مشكل القرآن» ١/١٠٦-١٠٧، «التبيان» للعكبري ص٨١.

(٢) «الكتاب» ١/ ٥٣١ - ٥٣٢ ط. بيروت.

(٣) ساقط من (أ)، (م).

وموضع ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ رفع على أنه خبر الابتداء. وأما احتمال الكلام أن يكون فيه جملتان كلتاهما مقسم عليهما:

فالأولى منهما أيضًا: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾، والأخرى المقسم عليها: قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، وذلك أن تجعل (من) شرطًا في قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ولا تجعله بمنزلة الذي. وتجعل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ بمنزلة القسم؛ لأن العلم قد يقام مقام القسم، في مثل قولك: علمت ليفعلنّ كذا، وفي مثل قول الشاعر[1]:

ولقد علمتُ لتأتينّ عَشِيّةٌ لا بعدها خوفٌ عليّ ولا عَدَمْ[2]

قال سيبويه: كأنه قال: والله لتأتينّ عَشِيَّة، فحمل (علمت) في البيت على معنى اليمين. فمن حيث استعمل استعمال القسم صلح أن يكون له جواب، كما يكون للقسم، وساغ أن يكون النفي جوابًا له في الآية.

فإن قيل: على هذا إذا قلتم: إن قوله: ﴿لقد علِمُوا﴾ مقسم عليه، وجوزتم أن يكون هو في نفسه قسمًا، فكأنه قسم قد دخل على قسم، ويبعد ذلك عند سيبويه، فإن سيبويه والخليل قالا: لا يقوى أن يقول: وحقِّك وحقِّ زيد لأفعلن، والواو الآخرة واوُ قَسم لا يجوز إلا مستكرهًا؛ لأنّه لا يجوز هذا في محلوف عليه، إلا أن تضم الآخر إلى الأوّل، وتحلف بهما على المحلوف عليه[3].

(١) الذي استشهد به أبو علي في «الإغفال» ص ٣٦٦ ونقله عنه سيبويه هو قول الشاعر: ولقد علمت لتأتين منيتي.

(٢) البيت لعامر بن حوط، في تاج العروس، (مادة: عدم). «المعجم المفصل» ١٦٣/٧.

(٣) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٠١ ط. عبد السلام هارون.

ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله: ﴿والليلِ إذا يغشى * والنهارِ إذا تجلّى﴾ [الليل: ١-٢] إنه للعطف[١]. معنى ضم الآخر إلى الأوّل، أي: يضم إليه بحرف العطف[٢] دون القسم، قلنا: هذا على ما ذكرت، ولكن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ أقيم مقام القسم، وليس كالمختصّ بالقسم التي لا معنى لها غيره، نحو لعمرُك لأفعلنّ، وبالله[٣] ليقومنّ، فليس يدخل على هذا قسم على قسم على[٤] الحقيقة، إنما يدخل[٥] على شيء أقيم مقام القسم، وأصله غير ذلك، والأول هو الوجه الواضح[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بئس شيء باعوا به حظ أنفسهم، حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ إن قيل: كيف نفى العلم عنهم، ولقد أثبت العلم لهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾.

قيل: وصفهم بالعلم[٨] في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ على المجاز لا على الحقيقة، كأنه قال: علموا هذا عِلمًا ظاهرًا، ولم يعلموا كنه ما يصير

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من قوله: معنى (ضم الآخر) ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (وتالله).

(٤) (على) ساقطة من (ش).

(٥) في (ش) يدخل الاسم على شيء.

(٦) هذه المسألة بتمامها ملخصة من كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٣٦٢ - ٣٦٨.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٥٤.

(٨) في (ش): (وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم في قوله... وهذا سيأتي).

إليه من بخس الآخرة من العقاب، لذلك[١] قال: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: إن الله تعالى وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم؛ لأنهم لم يعملوا بما علموا، فكانوا بمنزلة من لم يعلم، كما تقول: صلّيتَ ولم تصلِّ، وتكلّمتَ ولم تتكلّم، أي: لم تجوّد كلامك، فكنت بمنزلة من لم يتكلم.

وقيل: إنما وصفهم بوصفين مختلفين؛ لأنهم علموا أن الآخرة يخسرها من آثر السحر، ثم دخلوا فيه وآثروه طمعًا في عوض يصير إليهم من الدنيا، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي قصدوه وآثروه لا يتم لهم من جهته ما يؤمِّلون؛ لأن الدنيا تنقطع عنهم بالموت، ثم يقدمون على الآخرة التي لا حظ لهم فيها[٢].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي: بمحمد والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ اليهودية والسحر[٣].

---

(١) في (ش): (كذلك).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٧، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٢، «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤، وأجاب الطبري ١/ ٤٦٦ بأنه من باب التقديم والتأخير، ومعنى الكلام: وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ثم رد على من قال: ولقد علموا، أي: الشياطين، ولو كانوا يعلمون، يعني به الناس، وبين أنه قول لجميع أهل التأويل مخالف، لأنهم مجمعون على أن قوله (ولقد علموا)، يعني به اليهود إلخ ما قال.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٢.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ يقال: أثابه إثابة ومَثَابة، والاسم: الثواب والمَثُوبَةُ والمثْوَبَةُ بفتح الواو[١]، كالمَشُورَة والمَشْوَرَة.

قال أبو العباس: الثوابُ في الأصل معناه: ما رجع إليك من عائدة، وحقيقته[٢]: الجزاء العائد على صاحبه مُكَافأةً لما فعل، ومنه: التَثْويب في الأذان، إنما هو ترجيع الصَوْت، ولا يقال لصوتٍ مرةً واحدةً: تثويب، ويقال: ثوّب الداعي: إذا كرر دعاه كما قال:

إذا الداعي المُثوّبُ قال: يالا[٣]

والثوب مشتقّ من هذا؛ لأنه ثاب لباسًا بعد أن كان قُطنا أو غزلا[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ في موضع جواب لو؛ لأنه ينبئ عن قولك: لأثيبُوا، فَحُذِفَ الجواب، وجُعل قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ بدلًا منه، واللامُ فيه لام الابتداء[٥].

---

(١) المثْوَبة: بفتح الواو شاذ كما قال اللحياني. ينظر: «اللسان» ١/ ٥١٩، (مادة: ثوب).

(٢) في (أ)، (ش): (والحقيقة).

(٣) البيت نسب لزهير بن مسعود الضبي، ينظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٩٧٦ (مادة: يا) غير منسوب. «المعجم المفصل» ٦/ ٨١. ونسب إلى الفرزدق في «لسان العرب» ٧/ ٤١٠٥ (لوم).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٦، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٣ (مادة: ثاب)، «المفردات» للراغب الأصبهاني ٨٩، «مقاييس اللغة» ١/ ٣٩٣، وقال: الثاء والواو والباء قياس صحيح من أصل واحد وهو العود والرجوع.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧ و«البحر المحيط» ١/ ٣٣٥، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٦٨ أن بعض نحويي البصرة يرد ذلك، ويرى أن الجواب (المثوبة)

ومعنى الآية: أن ثواب الله خير لهم من كسبهم بالكفر والسحر(١).

١٠٤- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ يقال: أرعى إلى الشيء، وراعاه: إذا أصغى إليه، مثل: عافاه وأعفاه. قال الفراء: هو من الإرعاء والمراعاة(٢).

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: راعِنا سمعَك، أي: اسمع منّا حتى نفهمَك وتفهمَ عنّا، والعرب تقول: أرْعِنا سمعَك، وراعِنا سمعَك بمعنى واحد(٣). وأصل الكلمة من الرعاية(٤)، الذي هو الحفظ، فمعنى أرعيته سمعي، أي: حفظت عليه ما يقول. والمراعاة: المراقبة لأنها حفظ ما يكون من أحوال الشيء، والإرعاء: الإبقاء على أخيك؛ لأنك تحفظ ما تقدم من حقه(٥).

قال الكلبي: عن ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعِنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهود سبًا قبيحًا، فلما سمعوا هذه الكلمة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٠٨، و«التبيان» ص٨١، و«البحر المحيط» ١/ ٣٣٥.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٩.

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٠، (مادة: رعن).

(٤) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٨ أن في (راعنا) ثلاثة أقوال: أحدها: راعنا، من أرعنا سمعك. والثاني: من المراعاة والمكافأة، فقيل لهم: لا تقولوا: راعنا، أي: كافئنا في المقال، كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا أنظِرنا، أي: أمهلنا، واسمعوا، كأنه قيل لهم استمعوا. والثالث: راعنا، كلمة تجري على الهزء والسخرية، فنهي المسلمون أن يتلفظوا بها بحضرة النبي ﷺ.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٠، «المفردات» للراغب ٢٠٤، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٦، «تاج العروس» ١٨/ ٢٣٨ (رعن).

يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبتهم، وكانوا يأتونه ويقولون ذلك، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ[١]، وكان يعرف لغتهم، فقال: عليكم لعنة الله، لئن سمعتُها من رجلٍ منكم يقولها لرسول الله ﷺ[٢] لأضربنَّ عنقه، فقالت اليهود[٣]: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية، ونُهوا عن ذلك[٤].

وهذا النهي اختص بذلك الوقت؛ لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن.

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، أبو عمرو سيد الأوس، شهد بدرًا، واستشهد من سهم أصابه بالخندق، ومناقبه كثيرة. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٢٣٠ (٢٢٥٥) ط. دار الرسالة.

(٢) من قوله: أعجبتهم... ساقطة من (ش).

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١/ ٤٧ من طريق عبد الغني بن سعيد عن موسى ابن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان كما ذكرت في الدراسة. وذكر الثعلبي القصة ولم يسندها لأحد ١/ ١٠٨٧ وكذا قال مقاتل في «تفسيره». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٦، عن عطاء عن ابن عباس، والسيوطي في «لباب النقول» ص ١٩ وفي «الدر» ١/ ١٩٥- ١٩٦ وعزاه لأبي نعيم في «الدلائل». ويشهد له ما أخرجه الطبري ١/ ٤٦٩ عن قتادة بمعناه، وذكره ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٤٤، وفي «فتح الباري» ٨/ ١٦٣ وقال: وروى أبو نعيم في «الدلائل» بسند ضعيف جدًا عن ابن عباس.

والصحابي الذي ذكره الواحدي في «أسباب النزول» هو سعد بن عبادة، وكذا هو عند مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٩. وهناك أسباب أخرى وردت في نزول الآية، ذكرها الطبري ١/ ٤٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ١٩٦، والسيوطي في «الدر» ١/ ١٩٥-١٩٦

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ أي: انتظرنا والعرب تقول: نظرت فلانًا، أي: انتظرته، قال الحطيئة:

وقد نَظَرْتُكُمُ إبناءَ صَادِرَةٍ[1]

ومعنى (انظرنا) ها هنا: اصبر حتى نفهمك ما نقول، ويجوز أن يكون (انظرنا) أي: انظر إلينا، فحذف حرف الصفة، كقول قيس بن الخطيم[2]:

ظاهراتُ الجَمالِ والحُسْنِ ينظُرنَ كما ينظرُ الأراكَ الظباءُ[3]

---

(١) عجز البيت:

للخمس طال بها حَوْزي وتنساسي

في «ديوانه» ص ١٠٦، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٣، «لسان العرب» ٧/ ٤٤٦٦، «المعجم المفصل» ٤/ ٧١، وفي رواية: للورد بدل للخمس والشطر الأول عند الطبري إعشاء: بدل إيناء. وهذه قصيدة مدح بها الحطيئة بغيض بن عامر بن شماس ويهجو الزبرقان بن بدر. والإيناء: مصدر آنيت الشيء: إذا أخرته. والصادرة: الإبل التي تصدر على الماء والخمس: من أظماء الإبل، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام ثم ترد في الرابع، والحوز: السوق اللين، والتنساس: السوق الشديد لورود الماء، والشاعر يصف طول انتظاره حين لاصبر له على طول الانتظار.

(٢) هو: قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، اشتهر عنه تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، قتل سنة ٢ق هـ. ينظر «جمهرة أشعار العرب» ١٢٣، و«الأعلام» ٥/ ٢٠٥.

(٣) نسب هذا البيت لقيس بن الخطيم كما في إحدى نسخ الثعلبي الخطية وفي بعضها بلا نسبة. «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٠. وهو بلا نسبة في «أساس البلاغة» ص ٤٥٤. ونسب لعبد الله بن قيس الرقيّات وهو في «ديوانه» ص ٨٨، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٩، و«الدر المصون» ١/ ٣٣٢.

وإذا كان بتقدير: انظر إلينا كان من نظر العين(١).

ونذكر معاني النظر عند قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] إن شاء الله.

قال: المفسرون أمروا أن يقولوا: انظرنا، بدل راعنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ أي: أطيعوا، أو اتركوا هذه الكلمة، فسمّى الطاعة سمعًا؛ لأن الطاعة تحت السمع(٢).

١٠٥- قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾ إلى قوله ﴿من خيرٍ﴾ (من) صلة مؤكدة(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ يقال: خَصَّه بالشيء واخْتَصَّه به بمعنى واحد(٤)، ويقال: اختَصَصْتُه بالفايدة واختصصت بها.

ومعنى الاختصاص: الانفراد بالشيء، ومنه: الخَصَاص للفُرَجِ(٥)؛

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٠، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٣، «المفردات» ٤٩٠-٥٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٤٦٤، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٧٣- ٤٧٤: أن معناها: انظرنا وارقبنا، نفهم ما تقول لنا وتعلمنا، قال: وقد قرئ (أنظِرنا)، أي: أخرنا، ولا وجه له في هذا الموضع؛ لأن الصحابة أمروا بالدنو من رسول الله ﷺ والاستماع له لا بالتأخر عنه، قال: وقد قيل: إن معناها: أمهلنا، وبيّنَ أنها قريبة المعنى مما ذكر لكن لا يقرأ بها. انتهى ملخصًا.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٩١، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٣.

(٤) زيادة من (ش) وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٩٢ أن الاختصاص أوكد من الخصوص؛ لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك.

(٥) أي: فُرَج بين الأثافي والأصابع، ينظر: «اللسان» ٢/ ١١٧٣، وقال في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٣- ٢٣٤: وأصل ذلك من الخَصَاص. وكل خَلَلٍ أو خَرْق يكون في مُنْخل أو باب أو سحاب أو بُرقُع فهو خصَاص.

لأنه انفرد كل منهما[١] واحد عن الآخر من غير جمع بينها، ثم يقال لسوء الحال: الخصاصة[٢]؛ لأنها خللٌ في الحال وصدع[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أراد بالرحمة ها هنا: النبوة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الليث: ذو اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذاك[٥]، كقولك: ذو مال. والتثنية: ذوان، والجمع[٦]: ذوون، وتقول في تأنيث[٧] ذو: ذات، وفي التثنية: ذواتا، وفي الشعر يجوز: ذاتا. والجمع: ذوات مال[٨]، وأنشد للكميت:

وقد عَرَفَتْ مَوَالِيها الذَّوِينَا[٩]

أي[١٠]: الأخصين الأدنين، وإنما جاءت النون لذهاب الإضافة[١١].

وسمعت أبا الحسن النحوي رحمه الله يقول: أصل ذو: ذوي أو

---

(١) زيادة من (ش).
(٢) في (ش): (خصاصة).
(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩، «المفردات» ١٥٥، «اللسان» ٣/ ١٤٧٦.
(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٤- ٤٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩.
(٥) في «تهذيب اللغة»: ذلك.
(٦) في (أ) و(ش): (الجميع).
(٧) في (م): (التأنيث).
(٨) ينظر: «المفردات» ١٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦- ٢٣٧، «القاموس» ص١٣٥١، «الإتقان» ٢/ ١٩٥.
(٩) البيت هكذا:

فلا أعني بذلك أسفليكم ولكني أريد به الذوينا

وهو للكميت بن زيد، في «ديوانه» ٢/ ١٠٩، و«معجم الشعراء» ٨/ ١٠١، وما ذكره المؤلف موافق لما في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩.
(١٠) في (ش): (أن).

ذوو، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها صارت ألفًا فصار ذوا، ثم لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها صارت ألفًا، فاجتمعت ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فبقي ذا فلم يمكن إعراب الألف، فجعل إعرابه في الذال، فلما أعربت الذال بالرفع انقلبت الألف واوًا، ولما أعربت بالخفض انقلبت ياء، ولما أعربت بالنصب بقيت ألفًا كما كانت.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ الآية، قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه. والعرب تقول: نسخت الشمسُ الظل، والمعنى: أذهبت الظلّ وحلّت محلّه[١].

وقال غيره: تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن: هو مضي الأول ومجيء الثاني بعده يخلفه في محلّه.

ثعلب عن ابن الأعرابي: النسخ: تبديل الشيء من الشيء، وهو غيره، والنسخ: نقل شيء من مكان إلى مكان، وهو هو[٢][٣]. وروى أبو تراب[٤] عن الفراء وأبي سعيد: مسخه الله قردًا، ونسخه قردًا، بمعنى واحد[٥][٦].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، «اللسان» ٧/ ٤٤٠٧، (مادة: نسخ).

(٥) لغوي من خراسان، استدرك على الخليل بن أحمد في كتاب العين، وله كتاب الاعتقاب. ينظر: «إنباه الرواة» ٤/ ١٠٢.

(٦) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، (مادة: نسخ)، وعنه أيضًا في «اللسان» ٧/ ٤٤٠٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٣.

وقال العلماء من أهل اللغة والتفسير[١]: النسخ له معنيان:

أحدهما: تحويلُ الكتاب من حيث هو إلى نسخة أخرى، يقال: نسخت الكتاب، أي: كتبت منه نسخة أخرى[٢].

ثم[٣] يقال: نَسَخْتُ منه نسخة، وإن لم تُحوِّله من مكتوب إلى غيره، كأنك كتبته عن حفظك. ومن هذا قوله ﷻ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] يجوز أن يكون معناه: ننسخ، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤] أي: يسخرون، ويجوز أن يكون معناه: نستدعي ذلك، وهو أمر الملائكة بكتابته. وعلى الوجهين جميعًا هو كتابة لا من نسخة.

فعلى هذا المعنى: القرآن كله منسوخ؛ لأنه نُسِخَ للنبي ﷺ من أمِّ الكتاب فأُنزل عليه.

والثاني: هو رفعُ الحكم وإبطالهُ، ثم يجوز النسخ إلى بدل وإلى غير بدل. فالذي إلى بدل قولهم: نَسَختِ الشمسُ الظلَّ، فالظلُّ يزول ويبطل،

---

(١) ينظر في معاني النسخ: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥- ٤٧٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، (مادة: نسخ)، «اللسان» ٧/ ٢٤٠٧، والإتقان ٣/ ٥٩، وقال صاحب «المفردات» ص٤٩٢: النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران.

(٢) ينظر في ذلك: «المستصفى» للغزالي ١/ ١٠٧، و«المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٣١، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٦، و«شرح مختصر الروضة» للطوفي ٢/ ٢٥١، و«الإتقان» ٣/ ٥٩، و«إرشاد الفحول» ص١٨٣.

(٣) ساقطة من (أ)، (ش).

والشمس تكون بدلًا عنه[١] .

والذي إلى غير بدل قولهم: نَسَختِ الريحُ الأثرَ، أي: أبطلتها وأزالتها.

وهذا المعنى هو المراد بالآية[٢].

ثم النسخ في القرآن على ضروب: منها: ما يكون حكمه مرفوعًا، وخطُّه مثبت يتلى ويقرأ، ولا يعمل به، وهذا هو المعروف من النسخ؛ أن تكون الآية الناسخةُ والمنسوخةُ جميعًا ثابتين في التلاوة وفي خط المصحف، إلا أن المنسوخة منهما غيرُ معمولٍ بها ثابت، فينسخ التلاوة بثابت التلاوة[٣]، وذلك مثل:

عِدّة المتوفى عنها زوجها، كانت سنّةً لقوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر؛ لقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤][٤].

ومثل هذا أيضا قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] الآية، ثم نسخت بقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٦٦] .

ومنها: أن ترفع تلاوتها وحكمها، كنحو ما يُرْوَى عن أبي بكر ﷺ أنه قال: كنا نقرأ: (لا ترغبوا عن آبائكم إنه كفر)[٥] .

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص ١٤، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥، «المحرر الوجيز» ٤٢٨- ٤٣١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥- ٦١.

(٤) (بثابت التلاوة) ساقطة من (ش).

(٥) سيأتي بيان حقيقة النسخ في هذه الآية عند «تفسيره».

ومنها: أن ينسخ تلاوته ولا تنسخ حكمه، كآية الرجم، فإنها منسوخة تلاوة، ثابتة حكمًا[١].

ومنها: أن يُنْسخ ما ليس بثابت التلاوة (بما ليس بثابت التلاوة)[٢] مثل: ما روي عن عائشة رضي الله عنها. قالت: إنا كنا نقرأ: «عشر رضعات معلومات يُحَرِّمن»، فنسخن بخمس[٣].

وقد ينسخ أيضا ما ليس بثابت التلاوة بما هو ثابت التلاوة والمراد بالمنسوخ: الحكم، مثل: نسخ تحليل الخمر، وكتحريم الزنا، وهذا كثير.

ويجوز أيضا نسخ ما هو ثابت التلاوة بما[٤] ليس بثابت التلاوة، وهو كنسخ الجلد في المحصنين بالرجم، والرجم غير متلو الآن، وإن[٥] كان يتلى على عهد رسول الله ﷺ[٦]، فالحكم يثبت والقراءة لا تثبت، كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم.

وإذا جاز أن يكون قرآن ولا يعمل به جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا يتلى؛ وذلك أن الله ﷻ أعلم بمصالحنا، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا

---

(١) الحديث أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٩٣، وأبو داود الطيالسي ص ١٢ عن عمر بن الخطاب، ونقله السيوطي عنه في «الإتقان» ٣/ ٧٤، وانظر: «كنز العمال» ٢/ ٢٨٥، وذكره في «الحجة» ٢/ ١٨٠، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥-٥٦، وأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» ١/ ١٩٧- ١٩٨.

(٢) ساقطة من (أ)، (م).

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٥٢) كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات.

(٥) (بما هو ليس) في (م).

(٦) في (ش): (قد).

تعلّق العمل بهذا الوجه .

قال أبو إسحاق: إن قيل: ما الفصل[1] بين الترك والنسخ؟

فالجواب في ذلك: أن النسخ أن يأتي في الكتاب نسخ آية بآية، فتبطِلَ الثانيةُ العمل بالأولى.

ومعنى الترك: أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون بترك ذلك بغير آية تنزل ناسخةً للتي قبلها، نحو قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ثم أُمر المسلمون بعد بترك المحنة، فهذا يدل على معنى الترك ومعنى النسخ[2].

فأبو إسحاق فصل بين النسخ والترك كما ترى، وجعلهما قسمين.

قال أبو علي[3]: ليس حقيقةُ النسخ ما ذكره أبو إسحاق، بل هو ضرب من النسخ، وقد يكون نسخ الآية على[4] ضروب أخر، وما أعلم في النسخ روايةً ولا قياسًا يدل على أنه مقصور على ما ذكر، وقد ينسخ القرآن عند عامةِ الفقهاء بسنَّةٍ غير آية، ولا يمتنعون من أن يسمّوا ذلك نسخًا، ولا يمتنع أن يسمّى الضرب الذي سماه أبو إسحاق تركًا نسخاً.

---

(١) ينظر حديث عمر في آية الرجم المنسوخة لفظًا عن ابن عباس عند البخاري (٦٨٣٠) كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ومسلم (١٩١) كتاب الحدود، باب: رجم الثيب في الزنا.
ينظر: «الإتقان» ٣/ ٧٣.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: ما الفرق.

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٠.

(٤) أي: في «الحجة» ٢/ ٢٠١ وما بعدها.

ومما[١] يدل على ذلك: أن الزهري روى عن عروة عن عائشة، قالت: نزل في أصحاب بئر معونة[٢] قرآن منه: «بلّغوا قومنا أن قد لقينا ربَّنا فرضِيَ عنّا وأرضاناً»، ثم نسخ[٣]، فسمّت عائشة ذلك نسخًا، وإن لم ينسخ بآية، ولم تُسمّه تركًا، وهذا يفسد القسمين اللذين قسمهما[٤].

قال أبو علي: ولم يثبت بتسمية النسخ ومعناه رواية نعلمها عن العرب، ولا سماع، ولا قياس، وإن المفسرين قالوا فيه على طريق التقريب.

الذي يدل على هذا: أن الفراء قال: النسخ: أن يعمل بالآية ثم تنزل أخرى فيعمل بها، وتترك[٥] الأولى.

---

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) في (أ)، (م): (وما).

(٣) بئر معونة: وقعة في صفر من السنة الرابعة، قتل فيها أربعون من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، بعثهم رسول الله ﷺ دعاة إلى الله فغدرت بهم قبائل رِعل وذكوان وعصية عند بئر معونة. ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ١٨٤- ١٩٠ تحقيق: همام سعيد.

(٤) حديث عائشة.
وجاء هذا أيضًا من رواية أنس رواه البخاري (٤٠٩٠) كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

(٥) من «الحجة» ٢/ ٢٠١.

والقراءة الصحيحة: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ وقرأ ابن عامر[١] وحده (ما نُنْسِخْ) بضم النون[٢]، وخَطَّأهُ في ذلك أبو حاتم[٣][٤] وكثير من أهل النظر[٥].

والذين وجهوا هذه القراءة قالوا: أفعَلَ لا يخلو من ثلاثة[٦] أوجه:

أحدها[٧]: أن تكون[٨] لغة[٩] في فعل كقولهم: حلَّ من إحرامه، وأَحَلّ، وبدأ الله الخلق وأبدا هم، ولا يجوز هذا الوجه في أنسخ؛ لأنا لا نعلم أحدًا حكى أو روى أنسخ بمَعنى: نسخ.

الوجه الثاني: أن تكون الهمزة للنقل، كقوله: قام وأقمته، وضرب وأضربته[١٠]، ونسخ الكتاب وأنسخته الكتاب، وهذا الوجه أيضًا كالأول

---

(١) هو: أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القرآن، وأحد القراء السبعة، أخذ القراءة من المغيرة بن أبي شهاب اليحصبي عن عثمان بن عفان ﷺ، توفي سنة ١١٨هـ. ينظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٢، و«السبعة» ص ٨٥.

(٢) قرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام: (ما نُنْسِخ) بضم النون، والباقون بالفتح. ينظر: «السبعة» ١٦٨، «النشر» ٢/ ٢١٩-٢٢٠، و«معاني القراءات» للأزهري ص ٦٠، «الحجة في القراءات السبعة» ٨٦ تحقيق: عبد العال سالم مكرم.

(٣) هو: سهل بن محمد الجشمي السجستاني، من أئمة القراءة واللغة، تقدمت ترجمته.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥، «الدر المصون» ١/ ٣٣٤.

(٥) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» ١/ ٣٣٤: وهذا جراءة منه على عادته.

(٦) في (ش): (لا يخلو هذه أوجه).

(٧) في (ش): (أحدهما).

(٨) في «الحجة» أن تكون (أفعل) لغة في هذا الحرف.

(٩) ساقطة من (م).

(١٠) في (ش): (وضربته).

في أنه لا يجوز حمل الآية عليه؛ لأنك لو قدرت الهمزة للنقل كان المعنى ما ننسخك من آية، فتجعل[١] المفعول محذوفًا من اللفظ مرادًا في المعنى، كقولك: ما أعطيت من درهم فلن يضيع عندك، على معنى: ما أعطيتك، وإذا كان على هذا التقدير، كان المعنى: ما نُنَزِّلُ عليك من آية أوننسها نأت بخير منها، وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى؛ لأنه تمكين من نسخها بالكتابة، وإنما يتمكن بأن ينزل عليه، وليس هذا المراد بالآية ولا المعنى، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أُتي بآية أذهب منها في المصلحة، وإذا كان هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح[٢].

الوجه الثالث: أن يكون المعنى في أنسخت الآية: وجدتها منسوخة، كقولهم: أَجَدْتُ الرجل، وأَجْبَنْتُه، وأكذَبْتُهُ، وأَبْخَلْتُه، أي: أصبتُه على هذه الأحوال، فيكون معنى قوله (نُنسخْ): نجده منسوخًا، وإنما[٣] نجده كذلك

---

(١) في (ش): (فجعل).

(٢) عبارة أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٥ هكذا: وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى، ويكون معنى الإنساخ أنه منسوخ من اللوح المحفوظ أو من الذكر، وهو، الكتاب الذي نسخت الكتب المنزلة منه، وإذا كان كذلك فالمعنى: ما ننزل من آية، أو ما ننسخك من آية أو ننسها ؛ لأن ابن عامر يقرأ: (أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها) وليس هذا المراد ولا المعنى، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أتي بآية أذهب منها في المصلحة فإذا كان تأويلها هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح، وإذا لم يصح ذلك ولا الوجه الذي ذكرناه قبله، ثبت أن وجه قراءته على القسم الثالث.

(٣) في (ش): (وأما).

لنسخه إياه، وإذا كان كذلك كان قوله: نُنسخ بضم النون كقراءة من قرأ: (نَنسخ) بفتح النون يتفقان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ(١).

وقوله تعالى: ﴿نُنسِهَا﴾ قرأ ابن كثير(٢) وأبو عمرو: (نَنْسَأها) مفتوحة النون مهموزة(٣).

قال أبو زيد: نسأتُ الإبل عن الحوض، فأنا أنسؤها نَسْأً، إذا أخَّرْتَها عنه، ونسأت الإبل: إذا زدتَ في ظمئها يومًا أو يومين أو أكثر، وتقول: انتسأتُ عنك انتساء: إذا تباعدتَ(٤) عنه(٥)، وفي الحديث: «**إذا تناضلتم**

---

(١) انتهى كلام أبي علي ملخصًا من «الحجة» ٢/ ١٨٤-١٨٦، وينظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩، ونقله القرطبي ٢/ ٥٤- ٥٦، قال أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٤٢ معلقًا على كلام أبي علي: فجعل الهمزة في النسخ ليست للتعدية، وإنما أفعل لوجود الشيء بمعنى ما صيغ منه، وهذا أحد معاني أفعل المذكورة فيه فاتحة الكتاب، وجعل الزمخشري الهمزة فيه للتعدية، قال: وإنساخها: الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها وقال ابن عطية: التقدير: ما ننسخك من آية، أي: ما نبيح لك نسخه، كأنه لما نسخه الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخًا (فالهمزة عنده للتعدية).
وخرج ابن عطية هذه القراءة على تخريج آخر، وهو أن تكون الهمزة فيه للتعدية أيضًا، وهو من نسخ الكتاب، وهو نقله من غير إزالة له،قال: ويكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله، أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله الخ وتعقبه أبو حيان. انتهى ملخصًا من «البحر المحيط».

(٢) هو: أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة المشهورين، تقدمت ترجمته ٢/ ٤١-٤٢.

(٣) ينظر: «السبعة» ص ١٦٨، «النشر» ٢/ ٢٢٠.

(٤) في (ش): (أخرتها).

(٥) نقله عنه في «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٨٧.

فانتسئوا عن البيوت»[١] أي: تباعدوا. وقال: مالك بن زُغْبة[٢]:

إذا أَنْسَؤُوا فوتَ الرماح أَتَتْهُمُ عوائرُ نَبْلٍ كالجرادِ نُطِيرُها[٣]

وأنسأته الدين إنساءً: إذا أخرت قضاءه عنه. واسم ذلك: النسيئة، فمعنى قوله: (ننسأها) أي: نؤخرها[٤]. ومعنى التأخير في الآية على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يؤخر التنزيل[٥] فلا ينزل ألبتَّة، ولا يُعْلَم، ولا يُعْمَل به، ولا يتلى، والمعنى على هذا: ما نؤخر[٦] إنزالها فلا ننزِلُها[٧].

الوجه الثاني: أن ينزلَ القرآن فيعمل به ويتلى، ثم يؤخر بعد ذلك، بأن يُنْسخ فترفع[٨] تلاوته ألبتّة، فلا يتلى ولا يعمل بتأويله، وذلك مثل ما روينا عن أبي بكر[٩] ﷺ ومثل ما روي عن زرٍّ أن أُبَيًّا قال له: كم تقرؤون الأحزاب؟ قلت: بضعًا وسبعين آية، قال: قد قرأتها ونحن مع

---

(١) ذكره ابن الأثير في «النهاية» بلفظ: «ارموا فإن الرمي جلادة، وإذا رميتم فانتسوا عن البيوت» أي: تأخروا وصوب: انتسنوا، وعزاه للهروي. ينظر: «النهاية» ٥/ ٤٥، «اللسان» ١/ ٣٩٢- ٣٩٣ ومعنى تناضلتم: تراميتم للسبق.

(٢) هو: مالك بن زغبة، من بني قتيبة بن معن، من باهلة، حدثت معركة قبلية جاهلية ضد بني الحارث بن كعب وبني نهد وبني جرم، نظم فيها أبياتا. ينظر: «خزانة الأدب» ٨/ ١٣٢، و«البرصان والعرجان» ص٤٥٩.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٥/ ٣٦١٧، (مادة: عور)، ٥/ ٣١٨٧، (مادة: عير)، ٧/ ٤٤٠٤، (مادة: نسأ)، «المعجم المفصل» ٣/ ٣٧١.

(٤) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٨٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٦، «اللسان» ٧/ ٤٤٠٣.

(٥) في (ش): (المنزل).

(٦) في (ش): (يؤخر).

(٧) في (ش): (فلا ينزلها).

(٨) في (ش): (فترفع).

(٩) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ أطول من سورة البقرة[(١)].

والوجهُ الثالث: أن يؤخر العملُ بالتأويل؛ لأنه نسخ، ويترك خَطه مُثبتًا وتلاوته في أن يُتلى قُرآن[(٢)]. وهو ما حكي عن مجاهد في قوله: (أونَنساها) قال: نُثْبت[(٣)] خطها ونُبَدّل حكمها[(٤)(٥)].

ولا يصح في معنى الآية من هذه الأوجه إلا الأول؛ لأن الثاني والثالث يرجع تأويلهما إلى النسخ، ولا يَحسُن في التقدير: ما نَنْسَخْ من آية أو نَنْسَخْها.

وذُكر وجه رابع، هو أقوى هذه الأوجه، وهو: أن يكون المعنى: نؤخرها إلى وقت ثانٍ، فنأتي بدلًا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها، فعلى هذا يتوجّه معنى التأخير[(٦)].

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في: «زوائد المسند» ٥/ ١٣٢، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١٥٠)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٩٠، ونقله عن أبي عبيد: السيوطي في «الإتقان» ٣/ ٧٢، وذكره القرطبي ٢/ ٥٦، وقال ابن كثير في «تفسيره» ص١٣٥٠: وهذا إسناد حسن.

(٢) في «الحجة»: وتلاوته قرآن يتلى.

(٣) في (م): (ثبت).

(٤) رواه الطبري في تفسيره عن مجاهد ١/ ٤٧٥ وذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٨٧ وينظر في هذه القراءة وغيرها: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٤، وما بعدها، و«المحتسب» ١/ ١٠٣، و«المختصر» لابن خالويه ص ٩، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩، و«البحر المحيط» ١/ ٣٤٣.

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٧-١٨٨ بمعناه.

(٦) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩: وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النسء أو الإنساء بمعنى التأخير، أو تكون من النسيان. والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر، وقد يجيء بمعنى الترك،=

وأما من قرأ: (نُنسها) فهو منقول من نسي، والنسيان له معنيان:
أحدهما: الترك كقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] أي: تركوا طاعة الله فترك رحمتهم، أو ترك تخليصهم.
والثاني: الذي هو ضد الذكر(١) .

= فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات، فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر، فمعنى الآية: ما ننسخ من آية أو نقدر نسيانك لها فتنساها حتى ترتفع جملة وتذهب، فإنا نأتي بما هو خير منها لكم، أو مثله في المنفعة. وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى الترك فإن الآية معه تترتب فيها أربعة معان:
أحدها: ما ننسخ على وجوه النسخ أو نترك غير منزل عليك فإنا لا بد أن ننزل رفقًا بكم خيرًا من ذلك أو مثله، حتى لا ينقص الدين عن حد كماله.
والمعنى الثاني: أو نترك تلاوته وإن رفعنا حكمه فيجيء النسخ على هذا: رفع التلاوة والحكم.
والمعنى الثالث: أو نترك حكمه وإن رفعنا تلاوته، فالنسخ أيضا على هذا: رفع التلاوة والحكم.
والمعنى الرابع: أو نتركها غير منسوخة الحكم والتلاوة، فالنسخ على هذا المعنى: هو على جميع وجوهه، ويجيء الضميران في منها، أو مثلها، عائدين على المنسوخة فقط، وكأن الكلام: إن نسخنا أو أبقينا فإنا نأتي بخير من المنسوخة أو مثلها .
وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير، فإن الآية معه تترتب فيها المعاني الأربعة التي في الترك:
أولها: ما ننسخ أو نؤخر إنزاله. والثاني: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته. والثالث: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه. والرابع: ما ننسخ أو نؤخره مثبتا لا ننسخه، ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك، وبعض هذه المعاني أقوى من بعض، لكن ذكرنا جميعها لأنها تحتمل، وقد قال جميعها العلماء، إما نصًا، وإما إشارةً، فكملناها.
(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٨ بمعناه.

والذي في هذه الآية منقول من: نسيتُ الشيء إذا لم تذكره، ومعناه: أنَّا إذا رفعنا آية من جهة النسخ أو الإنساء لها أتينا بخير من الذي نرفع بأحد هذين الوجهين وهما النسخ والإنساء(١). وقد يقع النسخ بالإنساء، وهو ما حدث أبو أمامة بن سهل بن حنيف(٢): أن رجلًا كانت معه سورة، فقام يقرؤها من الليل، فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرؤها، فلم يقدر عليها، فلما أصبحوا أتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله، قمت البارحة لأقرأ سورة كذا، فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله، ما جئت إلا لذلك(٣)، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها نسخت البارحة**»(٤).

---

(١) بمعناه من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) أبو أمامة أسعد بن سهل بن حُنَيف، وقيل: سعد بن سهل الأنصاري: معروف بكنيته، معدود في الصحابة، له رؤية، ولم يسمع من النبي ﷺ، مات سنة ١٠٠ ينظر: «الاستيعاب» ١/ ١٧٦ و«التقريب» ١٠٤ (٤٠٢).

(٣) في (ش): (كذلك).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» برقم [١٧] من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن عُقَيل ويونس عن ابن شهاب، ورواه الثعلبي في «تفسيره» من طريقه ١/ ١٠٩٧ وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/ ٢٧٣ والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٩ وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٢٣ من طريق شعيب بن أبي حمزة الحمصي عن الزهري، به نحوه. وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ١٩٧- ١٩٨ وعزاه لأبي داود في «ناسخه» وابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف»، وأبي ذر الهروي في «فضائله»، والبيهقي في «الدلائل». وله شاهد عن ابن عمر بنحوه قال فيه ابن كثير في تفسيره فيه سليمان بن أرقم: ضعيف رواه الطبراني في «الأوسط» ٧/ ١٥٦ وفي «الكبير» ١٢/ ٢٨٨ ورواه عبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٢٦٣، وينظر: «مشكل الآثار» ٢/ ٢٧٣، وقد حسنه د. خالد العنزي في تعليقه على الثعلبي ١/ ١٠٩٩ وهو من مراسيل الصحابة، وهي حجة، ينظر: «تدريب الراوي» ١/ ٢٠٧.

ومعنى قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: أصلح لمن تعبّد بها، وأنفع لهم، وأسهل عليهم، وأكثر لأجرهم، لا أن آيةً خيرٌ من آية؛ لأن كلام الله ﷻ واحد، وكله خيرٌ[١].

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في المنفعة والمثوبة، بأن يكون ثوابها كثواب التي قبلها[٢].

والفائدة في ذلك: أن يكون الناسخُ أسهلَ في المأخذ من المنسوخ، والإيمان به والناس إليه أسرع، نحو القبلة التي كانت على جهة ثم حولت إلى الكعبة، فهذا وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساويًا في العمل والثواب، فالذي أمر الله به في ذلك الوقت كان الأصلح والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام. واعلم أن هذه الآية قد اضطرب فيها المفسرون وأصحاب المعاني والقراء، واختلفت أقوالهم وقراءاتهم. وكثرة الاختلاف تدل على الإشكال وخفاء المغزى، وقلَّ من أصاب الشاكلة منهم[٣]. فالفراء أشار في هذه الآية إلى قولين زَلَّ في أحدهما، وذلك أنه قال: النسيان على وجهين:

أحدهما: على الترك، يتركها ولا ينسخها[٤]. وهذا لا يصح؛ لأنه

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥، و«المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٤١، و«التفسير الكبير» ٣/ ٢٣١، و«البحر المحيط» ١/ ٣٤٤.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٤-٦٥ قال: والوجه الآخر من النسيان الذي ينسى، كما قال الله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وكان بعضهم يقرأ (أو ننسأها)، بهمز، يريد: نؤخرها من النسيئة، وكل حسن.

ليس كل آية تُركت ولم تنسخ يؤتى بخير منها[١].

قال الزجاج: وهو فاسد من جهة اللفظ، وذلك النسيان يكون بمعنى الترك، وفي الآية (ننسها) من الإنساء لا من النسيان، فالإنساء لا يكون بمعنى الترك[٢]. ونصر أبو علي الفارسي في كتاب الحجة قول الفراء، وأَفسَدَ كل ما ذكره أبو إسحاق في هذه الآية في كتابه، وطال الخطبُ بينهما، فضربت عن ذكره صفحًا[٣]. وكثير من المفسرين حمل النسخ المذكور في الآية على معنى: نسخ الكتاب من الكتاب. فقد حكي عن عدة منهم أنهم قالوا: يريد بالنسخ ما نسخه الله لمحمد ﷺ من اللوح المحفوظ فأنزله عليه، وهذا ظاهر الإحالة؛ لأنه ليس كل آية نسخت للنبي ﷺ من اللوح المحفوظ، فأنزلت عليه[٤] يؤتيه الله ويأتيه بخير منها، ولو كان كذلك لتسلسل الوحي حتى لا يتناهى[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: من النسخ والتبديل وغيرهما[٦].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ هو استفهام معناه التوقيف والتقرير[٧]، كقوله:

---

(١) ينظر هذا التعقب عند أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٩٢.
(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩-١٩٠.
(٣) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٩٢-٢٠٢.
(٤) في (ش): (فأنزلت عليه)، وهذا ظاهر الإحالة، وهو تكرار.
(٥) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لابي عبيد ص ٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٧- ٤٧٨، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٠- ٢٠١، «تفسير القرطبي» ١/ ٥٤- ٥٦.
(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.
(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩١، وينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

أَلَسْتم خير من ركب المطايا[١]

أي: أنتم كذلك.

وقوله تعالى: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الملك: تمام القدرة واستحكامها[٢]، وقد مرَّ. ومعنى الآية: أنه يملك السماوات والأرض ومن فيهن، وهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ هو فعيل بمعنى الفاعل[٤]، يقال: هو والي الأمر ووليُّه، أي: القائم به والذي يلي عليه[٥].

وشرحنا[٦] معنى الولي عند قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومعنى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ تحذير العباد من عذابه، إذ لا مانع منه[٧].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ الآية، قد ذكرنا بعض أحكام أم في قوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦][٨] والذي بقي ها هنا أن أم تقع[٩]

---

(١) عجز البيت:

وأندى العالمين بطون راح

وهو لجرير، في «ديوانه» ص ٨٥، وفي «المجموع شرح المهذب» ١٠/ ٢٩٨، «المعجم المفصل» ٢/ ١٣٣، وانظر ٢/ ٣٦٣.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩١، وينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٣) نفسه.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٤٥.

(٥) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٦) يعني: سيأتي شرحه.

(٧) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٨) «البسيط» ١/ ٤٧٤- ٤٧٥ تحقيق: الفوزان.

(٩) في (ش): (تقطع).

عاطفة بعد الاستفهام، كقولك: أخرج زيدٌ[١] أم عمرو؟ وأَزَيدٌ عندك أم عمرو؟، فيكون معنى الكلام: أيُّهما عندك؟، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام[٢].

قال الفراء: ويجوز أن يستفهم بها، فتكون[٣] على جهة النسق في ظاهر اللفظ، وفي المعنى تكون استفهامًا مبتدأً به، منقطعًا مما قبله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: ١-٣]. فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، وهي دليل على أنها استفهام مُبتدأ على كلام قد سبقه[٤]، وتقديره: بل أتقولون افتراه، فلو لم يتقدمه كلام لم يجز أن تستفهمَ مبتدئا كلامك بـ(أم)، ولا يكون إلا بالألف أو بهل، فأم استفهام متوسط والمتقدم يكون بالألف أو بهل[٥].

فأما قوله: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ﴾ فيجوز فيه الوجهان جميعًا، إن شئت قلت قبله استفهام رُدَّ عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ﴾[٦].

فإن قيل: كيف يُرَدّ (أم تريدون) عليه والأول خطاب للنبي ﷺ، والثاني خطاب للجماعة؟ قيل: الله تعالى رجع في الخطاب من التوحيد إلى الجمع، وما خوطب به ﷺ فقد خوطب به أُمّته، فيكتفى به من أُمّته، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] فوحَّد ثم جَمَعَ،

---

(١) في (ش): (زيدًا).

(٢) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٦.

(٣) في (أ)، (م): (فيكون).

(٤) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١.

(٥) من قوله: (فأم استفهام)... ساقط من (ش).

(٦) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١.

كذلك فيما نحن فيه، ويكون المعنى على هذا: أيُّهما عندكم العلم بأن الله قدير، وأن له ملك السماوات والأرض، أم إرادة سؤال الرسول الآيات؟ والله تعالى علم أيهما عندهم.

وإن شئت جعلت أم منقطعًا مما قبله في المعنى، مستأنفًا بها الاستفهام، فيكون استفهامًا متوسطًا في اللفظ مُبتدئًا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ الآية. ثم قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢] وهذا يطرد فيه الوجهان العطف بالاستفهام، والابتداء به[١]. ومثله قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: ٦٢-٦٣]. فمن قرأ: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بفتح الألف فـ(أم) جاءت بعد الاستفهام[٢]، ومن وصل الألف فـ(أم) فيه بمنزلته في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٣].

قال الفراء: وربما جعلت العرب(أم) إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه أيٌّ على جهة (بل) فتقول[٣]: هل لك قبلنا حقٌّ أم أنت رجل ظالم؟ على معنى: بل أنت[٤].

وأنشد ابن الأنباري على هذا:

تروحُ من الحيِّ أم تَبْتَكِرْ ... وماذا يضُرُّك لو تَنْتَظِرْ[٥]

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٢.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١-٧٢.

(٣) في (أ)، (م): (فيقول). وفي «معاني القرآن» ١/ ٧٢: (فيقولون).

(٤) كذا بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٢، ونقل أغلب ما سبق عن الفراء الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٨٤- ٤٨٥، وينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٤٤١.

(٥) البيت لامرئ القيس، ينظر: «ديوانه» ص٦٨، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٧٧، (مادة: عبد)، «المعجم المفصل» ٣/ ٣١.

فقال: يجوز أن تكون أم في هذا البيت مردودة على الألفِ المُضْمَرة مع تروح وكافية منها، كقوله:

فوالله ما أدري وإنْ كنتُ داريًا بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ(١)

ويجوز أن يكون هي حرف الاستفهام متوسطًا.

فأما التفسير فقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رهط من قريش، قالوا: يا محمد، (اجعل لنا)(٢) الصَّفَا ذهبًا، ووسِّع لنا أرضَ مكة، وفجِّر الأنهار خلالها تفجيرًا، نؤمنْ بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣). والذي سأل قوم موسى أنهم قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣](٤). قال

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: «ديوانه» ص ٢٦٦، «المعجم المفصل» ٨/ ١٨٦.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٠، والمصنف أيضًا في «أسباب النزول» ص ٣٤، القرطبي ٢/ ٦٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٥ وذكره الحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٠ عن الواحدي، وقال: ذكره الثعلبي، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.. وقد ذكر الطبري في تفسيره ١/ ٤٨٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٨ أسبابًا أخرى، ومن ذلك: ماروواه ابن أبي حاتم بسنده الحسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ٢١٣ عن محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يامحمد ايتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك عن قولهم: (أم تريدون..) الآية. قال الثعلبي في «تفسيره» ١٥/ ١١١: والصحيح إن شاء الله أنها نزلت في اليهود حين قالوا: ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، لأن هذه السورة مدنية، وتصديق هذا القول: قوله عزوجل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣].

(٤) قال الشنقيطي في «أضواء البيان» ١/ ١٤٥ لم يبين هنا الذي سأل موسى من قبل من هو؟ ولكنه بينه في موضع آخر، وذلك في قوله: (يسألك أهل الكتاب...) الآية.

المفسرون: إن[١] اليهود وغيرهم من المشركين تمنَّوا[٢] على رسول الله ﷺ، فمِنْ قائلٍ يقول: ائتنا بكتاب من السماء جملة واحدة[٣]، كما أتى موسى بالتوراةِ، ومِن قائلٍ يقول، وهو عبد الله ابن أبي أمية المخزومي[٤]: ائتني بكتاب من السماء فيه من الله رب العالمين إلى أبي بن[٥] أُميّة: اعلم أني قد أرسلت محمدًا إلى الناس، ومِن قائلٍ يقول: لن نؤمن أو تأتي بالله والملائكة قَبيلًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٦].

وقال أبو إسحاق: معنى الآية: أنَّهم نُهوا أن يسألوا النبي ﷺ مالا خير لهم في السؤال عنه[٧]، إنما خُوطبوا بهذا بعدَ وضوحِ البراهين لهم، وإقامتهم[٨] على مخالفتهم[٩].

---

(١) في (ش): (بأن).

(٢) تحرفت في «أسباب النزول» ص ٣٧ إلى تمنعوا.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ابن عمة النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب، كان من كفار مكة ومن أقوى المعارضين للرسول ﷺ ودعوته ولم يزل كذلك حتى عام الفتح، فهاجر إليه قبل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، وأسلما وحسن إسلامهما، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف، ورُمي من الطائف بسهم فقتله. ينظر: «معجم الصحابة» لابن قانع ٢/ ٥٢١، «أسد الغابة» ٣/ ١٧٧، «البداية والنهاية» ٤/ ١٣٠.

(٥) في الأصل: أبي بن، والتصويب من «أسباب النزول» ص ٣٨.

(٦) ينظر تخريج كلام ابن عباس السابق، وكذا أيضًا في «أسباب النزول» للمصنف ص٣٧- ٤٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٦.

(٧) في «معاني القرآن» عنه وما يكفرهم وإنما.

(٨) في «معاني القرآن» وإقامتها.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٢.

والسؤال بعد قيام البراهين كفر. لذلك قال ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصدَه ووسطَه[(١)]، ومعنى الضلال ها هنا: الذَهابُ عن الاستقامة[(٢)]، قال الأخطل[(٣)]:

كنتُ القَذَى في موجِ أكدرَ مُزبدٍ قَذَفَ الأتيُّ به فضَلَّ ضلالا[(٤)]

أي: ذهب يمينًا وشمالًا.

وذكرنا ما في (سواء) في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد[(٥)]: ألم تروا إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحقّ ما هُزِمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم[(٦)]. وتم الكلام عند قوله: ﴿كُفَّارًا﴾. وانتصب ﴿حَسَدًا﴾ على

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٢.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩١.

(٣) هو: غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك التغلبي، شاعر نصراني.

(٤) ينظر: «ديوان الأخطل» ص ٢٥٠، و«نقائض جرير والأخطل» ص ٨٣، و«تفسير القرطبي» ١٤/ ٩١، و«الماوردي» ٣/ ٢٩٣، و«وضح البرهان» للغزنوي ٢/ ١٧٥. وينظر: «البحر المحيط» ٥/ ٥١٣-٥١٤.

(٥) تحرف في نسخ «أسباب النزول» كما في ص ٣٨ إلى وقعة بدر.

(٦) ذكره المصنف أيضًا في «أسباب النزول» ص ٣٨، وعنه ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» ١/ ٣٥٤، ثم قال: هذا لعله من تفسير الكلبي، والذي ذكره ابن إسحاق في المغازي من رواية يونس بن بكير عنه حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدًا؛ إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية. انتهى. وقد أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٨٧- ٤٨٨، ابن أبي=

المصدر. ودل قوله: (يردونكم كفّارًا) على (يحسدونكم)، وإن شئت جعلته مفعولًا له، كأنه قيل: للحسد[1].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أراد: أنهم ودُّوا ذلك من عند أنفسهم، لم يؤمروا به في كتابهم[2]. الدليل على ذلك قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ فـ(من) موصولة بـ﴿وَدَّ﴾ لا بقوله: ﴿حَسَدًا﴾ على التوكيد، كقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال ابن الأنباري: ويكون تأويل ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ في حكمهم وتدينهم ومذهبهم، أي: هذا الحسد مذهب لهم، لم يؤمروا به كما تقول: هذا عند الشافعي حلال، أي: في حكمه ومذهبه. وأما معنى الحسد في اللغة، فحكى ثعلب عن ابن الأعرابي: أصل الحسد في كلام العرب: القشر، ومنه أخذ الحسد؛ لأنه يَقْشر القلب، قال والحَسدلُ[3]: القراد؛

= حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٤ وسند ابن أبي حاتم حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ٢١٥، وقد ذكر القصة بأطول مما عند الواحدي: مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٣٠ وكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٢، وذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» ١/ ٧٨ وقال: قلت: غريب، وهو في «تفسير الثعلبي» هكذا من غير سندٍ ولاراوٍ. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» ١/ ٣٥٦: لم أجده مسندًا. اهـ. وممن ذكر القصة مختصرة: السمرقندي ١/ ١٤٩، والحيري في «الكفاية» ١/ ٦٧، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ١٦، وابن عطية ١/ ٤٤٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٤ وغيرهم.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ١١٨، «التبيان في إعراب القرآن» ص٨٣، و«إعراب القرآن» لأبي جعفر النحاس ١/ ٢٠٧، و«الدر المصون» ١/ ٣٤١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

(٣) زيدت اللام فيه كما يقال للعبد: عبدل. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

لأنه يقشر الجلد فيمص الدم. ذكره الأزهري(١).

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ في التوراة أن قول محمد صدق، ودينه حق، وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ قد ذكرنا معنى العفو عند قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]، وأما الصفح فمعناه في اللغة: الإعراض(٣)، يقال: صفح عن فلان أي: أعرض عنه موليًا، ومنه قول كُثَيِّر يصفُ امرأة أعرضت عنه:

صفوحًا فما تلقاك إلا بخيلةً فمَنْ ملَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ(٤)

قال ابن عباس: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ أي: عن مساوئ كلامهم، وغلّ قلبهم(٥). قال: وهذا منسوخُ بآية القتال(٦)، وذلك أن النبي ﷺ كان مأمورًا

---

(١) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٣، «اللسان» ٢/ ٨٦٨ (حسد).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

(٣) ينظر: «شمس العلوم» لنشوان الحميري ٦/ ٣٧٧٣.

(٤) البيت لكثير عزة، في «ديوانه» ص ٩٨، «لسان العرب» ٤/ ٢٤٥٧، (مادة: صفح)، «المعجم المفصل» ١/ ٥٥٣.

(٥) تقدم الكلام عن مثل هذه الرواية في قسم الدراسة.

(٦) أخرجه الطبري ١/ ٤٨٩- ٤٩٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٦. وينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيد ١/ ٥٠، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ص ٢٧٤، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص ٣١٢. ورد ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٤٦ القولَ بالنسخ وعزى ذلك لجماعة، وقال: واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقًا، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف ماقبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر. ونقل في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩ عن قوم بأنه ليس هذا حد المنسوخ، لأن هذا في نفس الأمر للتوقيف على مدته ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ غيّا العفو والصفح بهذه الغاية، وهذه الموادعة على أن تأتي أمر الله

في أوَّلِ الأمر أن[١] يدعو بالحججِ البينة، وغاية الرفق، فلمَّا عاندَ اليهود بعدَ وضوحِ الحق عندهم أُمِرَ المسلمون بعد ذلك بالحرب[٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: يريد إجلاء النضير، وقتل قريظة، وفتح خيبر وفَدَك[٣][٤]، وقال قتادة: يعنى: أمره بالقتال[٥] في قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٦] [التوبة: ٢٩][٧].

١١١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ المعنى: أن اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ولكنهم أُجملوا،

= بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير وإذلالهم بالجزية، وغير ذلك مما أتي من أحكام الشرع فيهم، وترك العفو والصفح.

(١) ساقط من (ش).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٩٣.

(٣) فَدَك: قال في «المصباح المنير» ص ٤٦٥ (ط: المكتبة العلمية) بفتحتين، بلدة بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ وتنازعها علي والعباس في خلافة عمر... فسلمها لهما. وينظر: «المغرب» للمطرزي ص ٣٥٣ ط. دار «الكتاب» العربي.

(٤) عزاه لابن عباس: الثعلبي ٣/ ١١١٤، وينظر: «الكفاية» ١/ ٦٧، «الوسيط» ١/ ١٩١ «ابن عطية» ١/ ٤٤٨، «القرطبي» ٢/ ٦٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩.

(٥) وهذا قول الجمهور كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩.

(٦) أخرجه الطبري ١/ ٤٩٠، وذكره الثعلبي ٣/ ١١١٤ وروي نحوه عن ابن عباس وأبي العالية والسدي والربيع بن أنس وغيرهم كما عند الطبري ١/ ٤٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٣٤.

(٧) لم يفسر المؤلف الآية رقم (١١٠) وهي قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، إن الله بما تعملون بصير﴾.

وضم النصارى إلى اليهود في قوله: ﴿وَقَالُواْ﴾ ؛ لأن الفريقين يُقِرَّانِ بالتوراة[١]. كما قال حسان:

أَمَنْ يهجُو رسولَ اللهِ منكمْ ويمدحُه وينصرُه سواءُ[٢].

تقديره: ومن يمدحه وينصره، إلا أنه لما كان اللفظ واحدًا جُمع مع الأول، يعنى إلى أصل الفعل، وصار كأنه إخبار عن جملة واحدة، وإنما حقيقته عن بعضين مختلفين.

وقوله: ﴿هُودًا﴾ قال الفراء: أراد: يهودًا، فحذف الياء الزائدة، ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقد يكون أن تجعل الهود جمعًا، واحده هائد، مثل حائل[٣] وحُول، وعائط وعُوط[٤][٥]، ومثله من الصحيح: بازل وبُزْل[٦]، وفاره وفُرْهٌ، والهائد: المائل إلى التوبة وإلى غيرها من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٤.

(٢) البيت لحسان في «ديوانه» ص ٨، وينظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٤٦، «تذكرة النحاة» ص ٧٠، «الخزانة» ٩/ ٢٣٢، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٣، «البحر المحيط» ١/ ٦٤٠.

(٣) في (ش): (حائل إلى أصل الفعل).

(٤) حائل: ناقة حائل: حمل عليها فلم تَلْقَح، أو التي لم تَلْقح سنة أو سنوات، وجمعها: حُول وحِيال وحُوَّل وحُولَل. القاموس ص٩٨٩. عائط: عاطت الناقة والمرأة: لم تحمل سنين من غير عُقْرٍ فهي عائط، وجمعها: عُوط وعِيْط و عُيَّط وعُوطَط، وعِيطات. «لسان العرب» ٥/ ٣١٧٢.

(٥) كذا أورده الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٧٣، وعنه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٧، وينظر مثله في: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥١، «تفسير الطبري» ١/ ٤٩١- ٤٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٤.

(٦) بازل: هو الجمل أو الناقة إذا بلغ التاسعة من سنينه، وليس بعده سِنٌّ تسمى جمعه: بُزْل، وبُزَّل، وبَوَازل.

المعاني[1]، وقال الليث: الهود: هم اليهود، هادوا يهودون هُودًا: أي: تابوا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي: دخلوا في اليهودية، وقد مرَّ هذا.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي: التي تمنَّوْها على الله باطلًا، وذكرنا ما في هذا الحرف عند قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿هَاتُواْ﴾ قيل: إن الهاء فيه أصلية، وهو من المُهَاتَاة. وقيل: إنه بدل عن الألف، من آتى، ولكن العرب قد أَمَاتَتْ كلَّ شيء من فعلها غير الأمر، فإذا أمرت رجلًا أن يعطيك شيئا قلتَ: هاتِ[3].

ثعلب عن ابن الأعرابي: هاتِ وهاتِيَا، وهاتوا: أي: قَرِّبُوا قال[4]: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: قَرِّبُوا، قال: ومن العرب من يقول: هاتِ: أعط[5].

و(البرهان): الحُجَّةُ، قال الأزهريُّ: والنون فيه ليست بأصلية، وقولهم: بَرْهَنَ فلانٌ، إذا جاء بِبُرهانٍ، مُوَلَّدٌ، والصوابُ أن يقال في معناه: أَبْرَهَ. كذلك قال ابن الأعرابي[6]. أَبْرَهَ الرجلُ إذا غلبَ الناسَ وأتى

---

(١) «تفسير الطبري» ١/ ٤٩٢، «اللسان» (مادة: هود) ٨/ ٤٧١٨.

(٢) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٨٩.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨١٦، ولفظه: كل شيء من فعلها غير الأمر بهات. وينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٤٤٩. «اللسان» ٨/ ٤٧٣٢ (هيت).

(٤) ساقطة من (ش) و(م).

(٥) في (أ) و(م): (اعطى).

(٦) عبارة «تهذيب اللغة» بتمامها ١/ ٣٢٢: كما قاله ابن الأعرابي [إن صح عنه =

بالعجائب[١].

١١٢- قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (بلى) هاهنا بمنزلته في قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ﴾[٢] [البقرة: ٨١] وقد ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ الإسلام والاستسلام لله -عز وجل- هو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره. ومن هذا قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣] أي: انقاد، والإسلام الذي هو ضد الكفر من هذا. ثم ينقسم إلى: متابعة وانقياد باللسان دون القلب، كقوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أي: انقدنا من خوف السيف، وإلى متابعة وانقيادٍ باللسان والقلب كقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ومعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: بذل وجْهَهُ له في السجود[٣]، وعلى هذا ﴿أَسْلَمَ﴾ بمعنى سلَّم، يقال: سلّم الشيءَ لفلانٍ، أي: خَلَّصَه له، وسَلَمَ له الشيء، أي: خَلَصَ له[٤].

قال ابن الأنباري: والمسلم على هذا القول: هو المخلصُ لله

= وهي في رواية أبي عمرو، ويجوز أن تكون النون في البُرهان نون جمعٍ على فُعْلان، ثم جعلت كالنون الأصلية، كما جمعوا مُصَادًا على مُصْدَانٍ، ومصيرًا على مُصْرانٍ، ثم جمعوا: مُصران على مَصَارين، على توهم أنها أصلية]..

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٢ وليس عنده: أَبْرَةَ الرجل إذا غلبَ الناسَ وأتى بالعجائب. وبنحوه في «اللسان» لابن منظور نقلًا عن الأزهري ١/ ٢٧١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٩.

(٣) ينظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٤٥١.

(٤) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٩.

العبادةَ، فمعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: سلّم وجهه له، بأن صانه عن السجود لغيره، وخَصَّ الوجه؛ لأنه إذا جاد بوجهه في السجودِ لم يبخل بسائر جوارحه. وقال قومٌ من أهل المعاني: أسلمَ وجهَه أي: أسلمَ نفسه وجميع بدنه لأمر الله، والعرب تستعملُ الوجه وهم يريدون نفسَ الشيء، إلا أنَّهم يذكرونه باللفظ الأشرف[١]، كما قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال جماعة: الوجهُ قد يقع صلةً في الكلام[٢]، فقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد هو لله، ومثله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي: انقدت لله بلساني وعَقْدي[٣]، قال زيد بن عمرو بن نفيل[٤]:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المزنُ تحملُ عَذْبًا زُلالًا[٥]

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ١/ ٦٧: والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢.

(٢) ذكره أبو حيان في: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢ معاني (أسلم وجهه) بأنه: أخلص عمله لله أو قصده، أو فوض أمره إلى الله تعالى، أو خضع وتواضع. ثم قال: وهذه أقوال متقاربة في المعنى، وإنما يقولها السلف على ضرب المثال، لا على أنها متعينة يخالف بعضها بعضًا.

(٣) في (ش): (وعقيدتي).

(٤) هو: زيد بن عمرو بن نفيل العَدَوي، ابنُ عمِّ عمر بن الخطاب ﷺ كان يعادي عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، آمن بالنبي ﷺ قبل بعثته، قال فيه ﷺ: «إنه يبعث أمة وحده» توفي قبل البعثة بخمسِ سنين. ينظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ١٠٥، و«الإصابة» ١/ ٥٦٩.

(٥) هما بيتان ذكرهما الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٩ هكذا:

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبًا زلالا

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال ابن عباس: يريد: وهو مؤمن موحّدٌ[١] مُصدِّق لما جاء به محمد ﷺ[٢]. وقال غيره[٣]: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله[٤].

وهذا دليل[٥] على أن الطاعةَ من الإيمان، حيث جعل الإحسان في العمل[٦] شرطًا في دخول الجنة، والآية ردٌّ على اليهود والنصارى؛ لأنهَّم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ فقال الله تعالى: (بلى) يدخلُها من كان بهذه الصفة.

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية.

قال ابن عباس: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ، فتنازعوا مع اليهود، فكذّب كل واحد منهما صاحبه، فنزلت هذه الآية فيهم[٧].

= وينظر في «الروض الأنف» ١/ ٢٦٦، و«الأغاني» ٣/ ١٧، و«تفسير الرازي» ٤/ ٤، والبيت الثاني في «تأويل مشكل القرآن» ٤٨٠، و«الدر المصون» ٢/ ٧٣، وينظر: «وضح البرهان في مشكلات القرآن» محمد الغزنوي ١/ ١٦٢، وقد ورد البيت الثاني في بعض المصادر: نفسي، بدل وجهي، وماءً، بدل عذبًا.

(١) في (م): موحد مؤمن).

(٢) هذه الرواية تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة، ولم أجد من نقلها من أهل التفسير.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣١.

(٤) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٤، «تفسير الثعلبي»١/ ١١٢٠ وذكر قولين آخرين: مؤمن، ومُخْلص. «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢.

(٥) في (ش): (زيادة دليل في العمل).

(٦) في (أ) و(م): (في العمل على شرطًا).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» بنحوه ١/ ٤٩٤- ٤٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٨ وإسنادهما حسن، وذكره المصنف في «أسباب النزول» دون عزو لابن=

فقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قال الزجَّاجُ: يعني[١] به أن الفريقين يتلون التوراة، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف، وكتابهم واحد، فدلّ بهذا على ضلالتهم، وحذّر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن؛ لأن الفريقين أخرجهما إلى الكفر[٢]. وقيل معنى قوله ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ رفع الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار إذا لم يكن لهم برهان على ما ينكرون، فلا ينبغي أن يدخل الشبهة بإنكار أهل الكتاب لملة الإسلام، إذْ كلُّ فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر. ثم بين أن سبيلهم كسبيل مَنْ لا يعلم الكتابَ في الإنكار لدين الله من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم، فهم في جحدهم لذلك إذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم لا من جهة سمع ولا عقل، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[٣].

قال ابن عباس: يريد: أمةَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ فرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، كلهم كذبوا الرسل، واختلفوا على أنبيائهم، وكذَّبوهم كما كذب اليهود والنصارى محمدًا ﷺ[٤].

= عباس ص ٣٩، وكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٠، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» ٢/ ١٧٥.

(١) في (أ) و(م): (نعني).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٣.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢١ عن ابن جريج عن عطاء قريبًا من هذا اللفظ، وأخرجه عن عطاء أيضًا: الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٩.

وقال مقاتل[١]: يعنى: مشركي العرب قالوا: إن محمدًا وأصحابه ليسوا على شيء من الدين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: المعنى: أنه[٣] يريهم من يدخلُ الجنة عيانًا ويدخل النار عيانًا[٤]، فأما[٥] حكم الدين[٦] فقد بيّنه الله ﷻ بما أظهر من حجج المسلمين[٧]، وقال الحسن: حُكْمُه فيهم أن يكذّبهم جميعًا، ويدخلهم النار[٨].

١١٤- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية، (من) ابتداء، وخبره أظلم، وهو استفهام معناه: وأيُّ أحدٍ أظلمُ[٩].

وعن ابن عباس في نزول هذه الآية روايتان: الأولى: أنها نزلت في أهل الروم، لأنهم خرّبوا بيتَ المقدس، فعلى هذا أراد بالمسجد بيت المقدس ومحاريبه[١٠][١١].

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، ولكنه رمي بالتجسيم، متروك الحديث، وانظر ترجمته في المقدمة.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٢. ويروى عن السدي فيما أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٧، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٢٠٩.

(٣) في (ش): (أنهم).

(٤) ليست في (أ)، (م). وفي «معاني القرآن» للزجاج قال بعدها : وهذا هو حكم الفصل فيما تصير إليه كل فرقة.

(٥) في (ش): (وأما).

(٦) في «معاني القرآن» فأما الحكم بينهم في العقيدة.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥، وزاد: وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن.

(٨) ذكر هذا الوجه: أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٥٤.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥.

(١٠) في (م): (محاربة).

(١١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٢ دون عزو وذكره الواحدي في «أسباب=

والثانية: أنها نزلت في مشركي مكة، لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام[1]، وعلى هذه الرواية معنى قوله ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ أنهم منعوا من العبادة في المساجد، وكلٌّ من مَنَعَ من عبادة الله في مسجد فقد سعى في خرابه؛ لأن عمارته بالعبادة فيه.

وأصل السعي في اللغة: الإسراع في المشي، قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]. ثم يسمّى المشيُ سعيًا، كقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يعنى المشي، وقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] أي: امشوا، وقال[2] ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: مشيًا. ثم يسمى العمل سعيًا؛ لأنه لا ينفك من السعي في غالب الأمر، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] أي: جدّوا في ذلك، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] أي: عملكم مختلف.

وأراد[3] بالسعي في هذه الآية: العمل[4].

= النزول» ص ٣٩ من رواية الكلبي عن ابن عباس وأخرجها الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ من طريق العوفي نحو ذلك، كما روي عن مجاهد وقتادة والسدي كما ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢١٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٩ وغيرهم.

(١) أخرجها ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ من طريق ابن اسحاق بسند حسن، وذكره الحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٩ من طريق عطاء عن ابن عباس. وبه قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، كما رواه الطبري عنه ١/ ٤٩٨.

(٢) في (م): (ثم قال).

(٣) في (ش): (فأراد).

(٤) ينظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني ص ٢٣٨-٢٣٩.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾. قال ابن عباس على الرواية الأولى: لم يدخل بيتَ المقدس بعد أن عمره المسلمون روميٌّ إلا خائفًا لو عُلمَ به قُتِلَ[١]، قيل: وهذا قول[٢] مجاهد وقتادة[٣] ومقاتل[٤] والفراء[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٣، البغوي ١/ ١٣٩، «الخازن» ١/ ٩٨.

(٢) يذكر ذلك عن كعب والسدي، ينظر: الطبري ١/ ٥٠٠، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠-٢١١، «العجاب» ١/ ٣٦٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٦ ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٨- ٤٩٩، وابن أبي حاتم ١/ ٣٤١ بنحوه. وأخرجه الطبري أيضًا من غير طريق عبد الرزاق.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٢-١٣٣.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٧٤. وقد رجح الطبري في «تفسيره» هذا القول ١/ ٤٩٨-٥٠٠ محتجًا بأن الله ذكر أنهم سعوا في خراب المسجد، وهذا لم يكن قط من المشركين في المسجد الحرام، بل كانوا يفخرون بعمارته، وبأن سياق الآية ولحاقها كله في أهل الكتاب، ولم يجر للمشركين ذكر. ثم قال: وإن كان قد دل بعموم قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أن كل مانع مصليًا في مسجد لله - فرضًا كانت صلاته فيه أو تطوعًا - وكل ساع في إخرابه، فهو من المعتدين الظالمين. وانتصر لترجيح الطبري في «تفسيره» أحمد شاكر ورد كلام ابن كثير في «تفسيره» الآتي مختصره. وأما قول الطبري في «تفسيره» إنهم النصارى، وذلك أنهم سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بُخْتنْصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد مُنْصرف بختنصر عنهم إلى بلاده.اهـ. فهذا قول قتادة والسدي وقد ذكر الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٦١ أن ماروي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطًا من راويه؛ لأنه لاخلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح ﷺ بدهر طويل، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح وإليه ينتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين=

وقال على الرواية الثانية: هذا وعدٌ من الله لنبيه والمهاجرين، يقول: أفتح مكة لكم حتى تدخلوها آمنين وتكونوا أولى بها منهم.

وهذا قول عطاء[(١)] وابن زيد[(٢)].

وقيل[(٣)]: إنه أمر في صيغة الخبر، يقول: جاهدوهم واستأصلوهم بالجهاد؛ كيلا يدخلها أحد منهم إلا خائفًا من القتل والسبي، كقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] نهاهم على لفظ الخبر، ومعناهما: لا ينبغي لهم ولكم[(٤)].

وقال الزجاج حاكيًا: إنَّ هذه الآية مما يعنى به جميع الكفار الذين تظاهروا على الإسلام ومنعوا جملة المساجد؛ لأن من قاتل المسلمين حتى يمنعهم من الصلاة فقد منع جميع المساجد، وكل موضع يتعبد فيه فهو

= الملك، وكان قبل الإسلام بمائتي سنة وكسور، وإنما كانوا قبل ذلك صابئين عبدة أوثان، وكان من ينتحل النصرانية منهم مغمورين مستخفين بأديانهم فيما بينهم، ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه.

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٦، وعنه البغوي في «تفسيره» ١/ ١٣٩، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٩.

(٢) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٠، ففيه عن ابن زيد بغير هذا المعنى ومال إلى هذا ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٦٧ وبين أن أعظم خراب فعلوه إخراجهم رسول الله ﷺ واستحواذهم عليه بأصنامهم، وصدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وذكر الآيات الدالة على أن معنى العمارة إقامة ذكر الله فيها وليس زخرفتها... إلخ.

(٣) في (ش): (وقال).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٢٤، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٣٩، والرازي ٤/ ١٢، والقرطبي ٢/ ٧٠، و«البحر المحيط» ١/ ٣٥٨-٣٥٩.

مسجد؛ لقوله ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدا**»(١) والمعنى على هذا: ومن أظلم ممن يخالف ملة الإسلام(٢).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ الآية، أعلم الله ﷻ أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم، حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفا، وهذا كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. الآية(٣).

وقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ موضع (أن) نصب؛ لأنه المفعول الثاني للمنع، وهو مع الفعل بمنزلة المصدر(٤).

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ الآية. قال المفسرون: يريد القتل للحربي، والجزية للذمي(٥). وذكرنا معنى الخزي عند قوله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ [البقرة: ٨٥].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ ارتفع المشرق من جهتين:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) كتاب الصلاة، باب: قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدًا. ومسلم (٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٦.

(٣) نقله عن الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٩٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٢٣، القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٦٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٥٨ وذكر الثعلبي في «تفسيره» جواز نصبه على نزع الخافض والتقدير: من أن يذكر.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٠، والقرطبي ٢/ ٧٠ عن قتادة، وأخرجه عبد الرازق في «تفسيره» ١/ ٥٦ ومن طريقه الطبري ١/ ٥٠٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢١١ عن قتادة: أن المراد بها الجزية وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٦-١٩٧، قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٦٨: والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله، وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

إحداهما: الابتداء، والأخرى: بالفعل الذي ينوب عنه اللام[١]، أي: ثبت لله المشرق، ومثله قولك: لزيد المال، فيه الوجهان كما ذكرنا، ومعنى (لله) أي: هو خالقهما[٢].

قال ابن عباس: نزلت الآية في نفر من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في سفر فأصابَهم الضَّبابُ، وحضرت الصلاةُ فتحرَّوا القبلةَ، وصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما ذهب الضباب استبان أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال ابن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعًا[٤].

وروى أن النبي ﷺ كان يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهت به[٥].

وقال عكرمة وأبو العالية: نزلت في تحويل القبلة، وذلك أن اليهود عيّرت المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية جوابًا

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٧.

(٢) «تفسير الطبري» ١/ ٥٠١.

(٣) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في «ابن كثير» ١/ ١٦٩، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ١٥١، والثعلبي ١/ ١١٢٨، والسيوطي في «الباب النقول» ص ٢٣، وفي «الدر المنثور» ١/ ٢٠٥، وعزاه إلى ابن مردويه، وضعف إسناده. وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» روايات كثيرة في هذا ثم قال: وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضًا.

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٠/ ٣٤- ٣٥- ٣٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت به.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠) في الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ومسلم (٧٠٠) صلاة المسافرين، باب جواز النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت.

لهم[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ أي: وجوهَكم، فحذف المفعول[٢]. ومعنى ﴿تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾: تجعلونها تليه، ونذكر معنى هذا الحرف عند قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَثَمَّ﴾ قال أبو إسحاق: (ثَمّ) بُني على الفتح لالتقاء الساكنين، وثَمَّ في المكان: إشارة، بمنزلة هناك[٣]، فإذا أردت المكان القريب قلت: هنا زيد. وإذا أردت المتراخي قلت: هناك وَثَمّ. وإنما منعت (ثَمّ) الإعراب لإبهامها[٤].

قال أبو علي الفارسي: المبني على ضربين: مبني على حركة، ومبني على سكون، والمبني على الحركة على ضربين: أحدهما: ما يكون بناؤه على الحركة، لتمكّنه قبل حاله المفضية إلى بنائه[٥]، وذلك نحو: من عَلُ وأولُ ويا حَكَم، وما أشبه ذلك.

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٢ وعنه البغوي ١/ ١٤٠، والخازن ١/ ٩٩، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٢- ٥٠٣، «الوسيط» ١/ ١٩٤. وقد ذكر الثعلبي ١/ ١١٣٢، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٢، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٦٤ سببين آخرين غير ما ذكر. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٠: وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول الآية وظاهرها التعارض، ولاينبغي أن يقبل منها إلا ماصح، وقد شحن المفسرون كتبهم بنقلها، وقد صنف الواحدي في ذلك كتابًا قلَّما يصح فيه شيء، وكان ينبغي أن لا يشتغل بنقل ذلك إلا ما صح.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٤.

(٣) في «معاني القرآن»: هنا زيد.

(٤) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٧، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٨.

(٥) في «الإغفال»: في حالة المفضية به إلى البناء.

والآخر: ما يكون بناؤه على الحركةِ لالتقاء الساكنين، نحو: كيف، وأين، وأيان، وثم، وأولاء، وحذارِ، ومنذ. وكل هذه الأسماء المبنيات مع اختلافها فالعلة الموجبة لبنائها مشابهتها الحروف، ومضارعتها لها، ولذلك بني هذا الاسم أيضا لا للإبهام، لأن الإبهام لا يوجب البناء. ألا ترى أن قولنا: (شيء) من أعمّ ما يتكلم به وأبهمه، وهو معرب غير مبني، و(مكان) أَبْهَمُ من قولنا: ثم؛ لأنه للداني والقاصي[١]، وهو مع إبهامه معرب، فبانَ أنّ بناءه ليس لإبهامه، وإنما هو لتضمُّنه معنى الحرف واختزاله عنه، وذلك أنّ هذا الاسم لمّا كان معرفةً، وكان حكم المعرَّف أن يكون بحرف ولم يذكر، بُنِيَ ولم يُعرَبْ؛ لتضمّنه معنى الحرف الذي به يكون التعريف والعهد. ألا ترى أنّ (ثَمَّ) لا تستعمله إلا في مكان معهود معروف[٢] لمخاطبك، فإن لم تعرفه لم تعبّر عنه بذلك، فتحقيق العلة في هذا وشرحه ما ذكرنا، دون ما ذكره من الإبهام[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال أكثر المفسرين[٤]: الوجه: صلة، معناه: فثمَّ الله. كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، والمعنى: فثم الله يَعْلَمُ ويَرَى[٥]. و(الوجه) قد ورد صلة مع اسم الله كثيرًا، كقوله:

---

(١) في «الإغفال»: ومكان أبهم من قولنا ثم وكذلك؛ لأنهما يقعان على المواضع الدانية والقاصية.

(٢) في (ش): (معروف معهود).

(٣) «الإغفال» ٣٨٣ - ٣٨٥ بتصرف واختصار.

(٤) بين شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٢/ ٤٢٨ أن جمهور السلف على القول بأن المعنى: فثم قبلة الله ووجهة الله.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] و﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وهذا قول الكلبي(١) وعبد الله بن مسلم(٢) (٣)، وقال الحسن(٤)، ومجاهد(٥) وقتادة(٦) ومقاتل(٧): فثم قبلة الله(٨)، والوجه والجهة والوجهة: القبلة. ومثله: الوزن والزِّنَة، والوَعْد والعِدَة، والوَصْل والصِّلة. والعرب تجعل القصد الذي يتوجه إليه وجهًا(٩)، كقول الشاعر:

ربَّ العبادِ إليه(١٠) الوجهُ والعملُ(١١)

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٤ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٢) يعني ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٥٤، وقد نُسِب هذا القول لابن عباس كما في «زاد المسير» ١/ ١٣٤- ١٣٥، «القرطبي» ٢/ ٧٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٦١، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤.

(٣) في (ش): (ومسلم).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٢، «الثعلبي»، ١/ ١١٣٤، «البغوي» ١/ ١٤٠، «زاد المسير» ١/ ١٣٥.

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة ٥/ ٢٠٦، الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٢ (١١٢٢)، والبيهقي في سننه ٢/ ١٣.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٢، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢١٢، الثعلبي ١/ ١١٣٤، البغوي ١/ ١٤٠، وينظر: «ابن كثير» ١/ ١٦٨.

(٧) أي: ابن حيان، ذكره عنه «الثعلبي» ١/ ١١٣٤ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٨) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» هذا القول عن ابن عباس ١/ ٢١٢، وينظر في هذا القول: «الطبري» ١/ ٥٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤، السمعاني ٢/ ٢٦، «زاد المسير» ١/ ١٣٥، القرطبي ٢/ ٧٥، الخازن ١/ ٩٩.

(٩) ينظر: «اللسان» ٤٧٧٥ (وجه).

(١٠) في (ش): وإليه.

(١١) وصدر البيت:

أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحْصِيه

معناه. إليه القصد، وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهة الله[1] التي تعبّدكم بالتوجه إليها[2]، والإضافة تكون للتخصيص

= هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لايعرف قائلها. ينظر: «الكتاب» ١/ ٣٧، و«الخزانة» ٣/ ١١١، و«أدب الكاتب» ٤١٩، و«الفراء» ١/ ٢٣٣، القرطبي ٢/ ٧٥ و«مجموع الفتاوى» ٢/ ٤٢٨ والرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٦١، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٧٤ (مادة: غفر). «المعجم المفصل» ٦/ ٢٧٩.

والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع؛ فلذا قال: لستُ محصيه، وأراد: من ذنبٍ. والوجه: القصد والمراد.

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) هذه الآية مما تنازع فيه الناس، هل هي من آيات الصفات أو لا؟ قولان: فمنهم من عدها في آيات الصفات وجعلها من الآيات الدالة على إثبات صفة الوجه لله واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه**» رواه البخاري (٤٠٦) كتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد ومسلم (٥٤٧) كتاب المساجد، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وبقوله «**لايزال الله مقبلاً على عبده بوجهه مادام مقبلاً عليه، فإذا انصرف صرف وجهه عنه**».

وممن قرر ذلك: «ابن خزيمة» كما في «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٦ وبهذا فسرها السعدي في «تفسيره» ص ٤٥ وابن عثيمين في «شرح العقيدة الواسطية» ١/ ٢٨٩ (ط. ابن الجوزي).

وقال آخرون: إن المراد بالوجه هنا الجهة كما نقل عن مجاهد والشافعي ونصره شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٦/ ١٦، ٣/ ١٩٣ و ٢/ ٤٢٨ بل قال في ٣/ ١٩٣: من عدها في آيات الصفات فقد غلط كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، يقال: أي وجه تريده ؟ أي: أي جهة.. ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم.اهـ. وقال في ٦/ ١٦: ولكن من الناس من يسلِّم أن المراد بذلك وجه الله: أي قبلة الله، ولكن يقول: هذه=

نحو: بيت الله، وناقة الله[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسع في صفة الله تعالى على ثلاثة أوجه[٢]:

أحدها: أنه واسع بإفضاله على خلقه، واحتماله مسائل عباده، وأنه لا يُكرِثه[٣] إلحاحُهم[٤]، من قول العرب: فلان يسع ما يسأل، قال أبو زبيد:

أُعطيهم الجَهْدَ مني بَلْهَ ما أسِعُ

= الآية تدل على الصفة وعلى أن العبد يستقبل ربه كما جاء في الحديث... ويقول: إن الآية دلت على المعنيين، فهذا شيء آخر، ليس هذا موضعه.

وقد بيَّن الشيخ ابن عثيمين في «شرح الواسطية» ١/ ٢٩٠: أن الأول صحيح موافق لظاهر الآية، وأن الثاني لايخالف الأول في الواقع، فإذاقلنا: فثم جهة الله، وكان هناك دليل سواء كان هذا الدليل تفسير الآية الثانية في الوجه الثاني، أوكان الدليل ماجاءت به السنة، فإنك إذا توجهت إلى الله في صلاتك، فهي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها، فثم أيضًا وجه الله حقًا، وحينئذٍ يكون المعنيان لايتنافيان.اهـ.

هذا وقد نبه شيخ الإسلام على أمرٍ مهم فقال في «الفتاوى» ٦/ ١٧: والغرض أنه إذا قيل: فثم قبلة الله لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه، الذي ينكره منكرو آيات الصفات، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة، فإن هذا المعنى صحيح في نفسه، والآية دالة عليه، وإن كانت على ثبوت صفة فذاك شيء آخر، ويبقى دلالة قولهم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ على: فَثَمَّ قبلة الله، هل هو من باب تسمية القبلة وجهًا باعتبار أن الوجه والجهة واحد، أو باعتبار أن من استقبل وجه الله فقد استقبل قبلة الله؟ فهذا فيه بحوث ليس هذا موضعها.

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: «البحر المحيط» ١/ ٣٦١.

(٣) في (أ): (لا يكونه).

(٤) «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٦.

وهذا معنى قول الفراء[١] وأبي عبيدة[٢].

الثاني: أنه يُوَسِّع على عباده في دينهم، ولا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه، فهو واسعُ الرَّحمة، واسع الشريعةِ بالترخيص لهم في التوجهِ إلى أي جهة أدَّى إليها اجتهادهم عند خفاء الأدلة[٣].

الثالث: أنه يسع علمَ كلِّ شيء، ويسع علمُه كلَّ شيء، كقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: علمه[٤]، وقال: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]. وقال ابن عباس في بعض الروايات: إن هذه الآية نزلت في النجاشي[٥]، وذلك أنه توفي، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**إن أخاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه**»، ثم صلى رسول الله ﷺ بأصحابه عليه، فقال أصحابه في أنفسهم: كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا؟، وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات، وقد صرفت القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى هذا الآية[٦]. وعَذَر النجاشيَّ في ذلك؛

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٦ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٢) في «مجاز القرآن» ١/ ٥١.

(٣) «الوسيط» ١/ ١٩٤.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٦ سيأتي الرد على هذا القول موسعًا عند آية الكرسي.

(٥) هو: أصحمة بن أبحر، والنجاشي لقبه، قال ابن عيينة: أصحمة بالعربية عطية، هو ملك الحبشة الذي أكرم المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده من مكة، وأحسن استقبالهم وأسلم ولم يهاجر وليست له رؤية فهو تابعي من وجه، وصاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ. ينظر: «الإصابة» ١/ ١٠٩، و«تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٤ و«السير» ١/ ٤٢٨.

(٦) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤١ ونقله عنه في: «العجاب» ١/ ٣٦٤، من قول ابن عباس في رواية عطاء، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٣٢ عن عطاء وقتاده، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ط. شاكر ٢/ ٥٣٢-٥٣٣، مختصرًا عن=

لأنه لم يبلغه خبرُ نسخ القبلة وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ للنجاشي في قبلته، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قبله[(١)] من الإيمان.

١١٦- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾ وفي مصاحف الشام: قالوا[(٢)] بغير واو؛ لأن هذه الآية ملابسة بما قبلها من قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ لأن الذين قالوا: اتخذ الله ولدا من جملة الذين تقدم ذكرهم، فيستغنى عن الواو؛ لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنني عنها في نحو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]. ولو كان (وَهُمْ) كان حسنًا، إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنت عن الواو. ومثل ذلك قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ولم يقل: ورابعهم كما قال: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولو حذفت الواو منها كما حذفت من التي[(٣)] قبلها، واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسنًا، ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف جملة ولا يعطفها على ما تقدم[(٤)].

والآية نزلت ردًا على اليهود والنصارى والمشركين، فإنهم وصفوا الله

= قتادة، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٧٠ عن ابن جرير وقال: وهذا غريب، وقال أحمد شاكر: هو حديث ضعيف؛ لأنه مرسل، وسياقه يدل على ضعفه ونكارته.

(١) قوله: عليم بما قبله.. ساقطة من (أ)، (م).

(٢) ذكره ابن أبي داود في: كتاب «المصاحف» ص ٥٤، ولم ينص عليه أبو عمرو الداني في: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار». وينظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٦٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٢.

(٣) في (ش): (الذي).

(٤) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢٠٨.

تعالى بالولد، فقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وقالت النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقالت المشركون: الملائكة بنات الله، فنزّه اللهُ نفسَه عن اتخاذ الولد، فقال سبحانه: ﴿بَل لَّهُۥ﴾[١]. وبل معناه: نفي الأول وإثبات للثاني[٢][٣]، أي: ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا وملكًا[٤].

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال مجاهد[٥] وعطاء[٦] والسدي[٧]: مطيعون.

قال أبو عبيد: أصل القنوت في أشياء: فمنها القيام، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة؛ لأنه إنما يدعو قائمًا، ومن أبين ذلك: حديث جابر[٨] قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»[٩]

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٥٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٧، «أسباب النزول» للواحدي ص ٤٢، «زاد المسير» ١/ ١١٨، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٦٦.

(٢) في (م): (الثاني).

(٣) ينظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٢٢٣.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٥٠٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٣ من طريقين عن مجاهد.

(٦) ذكره عنه في «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وهو مروي أيضًا عن ابن عباس وقتادة وعكرمة، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٧، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤١، واختاره الطبري في «تفسيره» و«ابن كثير» في «تفسيره».

(٨) هو: أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، أحد الصحابة المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ، شهد العقبة كما شهد تسع عشرة غزوة مع الرسول ﷺ عدا بدرًا وأحدًا، منعه أبوه، توفي سنة ٧٨ وقيل ٧٤، أو ٧٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ١/ ٣٠٧، و«الإصابة» ١/ ٤٣٤.

(٩) أخرجه مسلم (٧٥٦) في صلاة المسافرين، باب أفضل الصلاة طول القنوت.

يريد: طول القيام.

والقنوت أيضًا: الطاعة[١]، وقال عكرمة في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ القانت: المطيع[٢]، وقال الزجاج مثله، قال: والمشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وحقيقة القانت: أنه القائم بأمر الله، والداعي إذا كان قائمًا خُصَّ بأن يقال له: قانت، لأنه ذاكر لله وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام[٣].

ويجوز أن يقع في سائر الطاعة؛ لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية[٤].

قال ابن عباس في هذه الآية: قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين[٥].

وهو من العموم الذي أريد به الخصوص، وهذا اختيار الفراء[٦]، وطريقة مقاتل[٧] ويمان[٨] إلا أنهما قالا: هذا يرجع إلى عُزير والمسيح

---

(١) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٣٧، وينظر: «تأويل مشكل القرآن» ص ٤١٥، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٢) أخرجه أبو عبيد في: «غريب الحديث» ١/ ٤٣٨ ، ورواه الطبري ١/ ٥٠٧ بنحوه.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨.

(٤) رجح الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ أن القنوت: الطاعة والإقرار لله عزوجل بالعبودية، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله.

(٥) ورد عن ابن عباس بلفظ: قانتون: مطيعون. عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وأما اللفظ المذكور أعلاه فلعله من تلك الرواية التي تقدم الحديث عنها في مقدمة الكتاب.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٧٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٠.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٣، وذكره الثعلبي ١/ ١٤٠.

(٨) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٠.

والملائكة، أراد: أنهم كلهم عباد الله طائعون[١]، نظيره: قوله: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال السُدي ومجاهد والزجاج: هذا على ما ورد من العموم، فقال السدي: هذا في يوم القيامة[٢]، تصديقه قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١][٣].

وقال مجاهد: إن ظِلالَ الكفار تسجد لله وتطيعه[٤]. دليله قوله[٥]: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَالُهُ﴾ [النحل: ٤٨] الآية، وقوله: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥][٦].

وقال الزجاج: كل[٧] ما خلق الله في السماوات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله، ودليل[٨] على أنه مخلوق. والمعنى: كل له قانت، إما[٩] مُقِرّ بأنه خالقه؛ لأنه أكثر من يخالف ليس يدفع أنه مخلوق، وما كان

---

(١) رد الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٨ القول بالخصوص، بأنه لايجوز ادعاء خصوص في آية ظاهرها العموم، إلا بحجة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٠.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١.

(٤) تقدم تخريجه عن مجاهد قريبًا. قال ابن كثير في تفسيره ١/ ١٧١: وهذا القول عن مجاهد - وهو اختيار ابن جرير- يجمع الأقوال كلها، وهو أن القنوت: هو الطاعة والاستكانة إلى الله وذلك شرعي وقدري.

(٥) من قوله: قوله: وعنت... ساقط من(ش).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١ البغوي ١/ ١٤١.

(٧) في (ش): على.

(٨) في «معاني القرآن»، (والدليل).

(٩) في (ش): (إنما)، وليست الكلمة في «معاني القرآن» للزجاج، والكلام مستقيم بدونها.

من الجمادات فأَثَرُ الخلق بيِّنٌ فيه، فهو على العموم[(١)(٢)].

وقال غيرهُ: طاعة الجميع لله تكونهم[(٣)] في الخلق عند التكوين إذا قال: كن كان كما أراد[(٤)]، فنسب القنوت إليه كما نسبت الخشية إلى الحجارة، والمحبة إلى الجبال، والشكوى إلى الإبل، والسجود إلى الأشجار[(٥)].

١١٧- قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أي: خالقها وموجدها[(٦)] لا على مثالٍ تقدّم[(٧)]، وهو عند الأكثرين فعيل بمعنى مُفعلٍ، كأليم ووجيع وسميع في قوله:

---

(١) في «معاني القرآن»: فأثر الصنعة بَيِّنٌ فيه، فهو قانت على العموم.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ١٩٨.

(٣) في (ش): (بكونهم).

(٤) يروى عن مجاهد. ينظر: ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٣.

(٥) نسبت الخشية إلى الحجارة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] ونسبت المحبة إلى الجبال في قوله ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**» متفق عليه.

ونسبت الشكوى إلى الإبل في الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ لما راى جملًا لرجل من الأنصار، حنّ الجمل وذرفت عيناه، فمسح النبي ﷺ ذِفراه، فسكت فقال: «من رب **هذا الجمل**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**».

ونسب السجود إلى الأشجار في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦] وغيرها من الآيات.

(٦) في (ش): (خالقهما وموجدهما).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١.

أَمِنْ رَيْحَانة الداعي السميعُ[١]

أي: المسمع. فالبديع: الذي يُبْدِعُ الأشياءَ، أي: يحدثها مما لم يكن.

ابن السكيت قال: البدعة: كل محدثة، وسقاء بديع: أي: جديد[٢].

وقال أبو إسحاق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ منشئُهما[٣] على غير حذاء ولا مثال، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل: أبدعت؛ ولهذا قيل لمن خالف السنة[٤]: مبتدع؛ لأنه أحدث في الإسلام[٥] ما لم يسبقه إليه السلف[٦][٧].

قال الأزهري: قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بمعنى مبدعهما، إلا أن بديعًا من بَدَعَ لا من أَبْدَع، وأَبْدَع أكثر في الكلام من بَدَع، ولو استُعْمِل بَدَع لم يكن خطأ، فبديع: فعيل بمعنى فاعل، مثل: قدير بمعنى قادر، وهو[٨] من صفات الله؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد على

---

(١) عجز البيت:

يؤرقني وأصحابي هجوع

وهو لعمرو بن معديكرب، وقد تقدم البيت.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣، «لسان العرب» ١/ ٢٣٠ (بدع).

(٣) في «معاني القرآن»: يعني أنشأهما.

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: السنة والإجماع.

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج: لأنه يأتي في دين الإسلام.

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج: بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون.

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩وقد نقله بحروفه من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣ ولذلك اختلفت العبارات مادة (بدع).

(٨) في «تهذيب اللغة»: وهو صفة من صفات الله.

غير مثالٍ تقدمه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: قدره وأراد خلقه[٢].

قال أبو إسحاق في قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]: قضى في اللغة على وجوه، كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]. معناه: ثم حتم بذلك[٣] وأتمه، ومنه: الأمر، وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] معناه: أمر، إلا أنه أمرٌ قاطع حتم.

ومنه الإعلام، وهو قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]، أي: أعلمناهم إعلامًا قاطعًا، ومنه: القضاء الفصل في الحكم، وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤][٤] أي: قطع بينهم في الحكم، قال: ومن ذلك قضى فلان دينه، تأويله: أنه قطع ما لغريمه عليه، وأداه إليه، وقطع ما بينه وبينه. وكل ما أحكم فقد قُضِيَ.

تقول: قد قضيت هذا الثوب، وقد قضيت هذه الدار، إذا عملتها وأحكمت عملها، تقول: قد قضيت هذا الثوب، وقد قضيت هذه الدار، إذا عملتها وأحكمت عملها، وقال أبو ذؤيب[٥]:

---

(١) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣، ونقله في «اللسان» ١/ ٢٣٠ (بدع).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١.

(٣) في «معاني القرآن»: بعد ذلك.

(٤) وردت الآية في نسخ «البسيط» كلها، وفي «معاني القرآن» للزجاج ناقصة هكذا، (ولولا أجل مسمى لقضي بينهم).

(٥) هو: خويلد بن خالد بن محرث أبو ذؤيب الهذيلي، تقدمت ترجمته.

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهما داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبَّعُ[(١)][(٢)]

ومنه قول الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي: خَلَقَهن وعملهن وصنعهن.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، القول هاهنا عند كثيرٍ من النحويين لا يكونُ المراد به النطق، قالوا: لأن المعدوم الذي ليس بكائن لا يخاطَبُ، وتأويله: إذا قضى أمرًا فإنما يكوِّنُه فيكونُ، والقولُ قد يَرِدُ ولا يرادُ به النطقُ والكلام، كما قال:

امـتـلأ الـحـوضُ وقـال قَـطْـنـي[(٣)][(٤)]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب، في «ديوانه»: ١٩، «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩، «مجاز القرآن» ١/ ٥٢ «تأويل مشكل القرآن» ص ٤٤١، «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٩ «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٦٢ مادة (قضض)، ٦/ ٣٦٦٥ مادة (قضى)، ٤/ ٢٥٠٨ مادة (صنع). وتفسير «القرطبي» ٢/ ٨٧ «الدر المصون» ١/ ٣٥٣.
والبيت من قصيدته التي يرثي فيها أولاده، ومسرودتان يعني: درعين، من السرد، وهو الخرز أو النسج وقضاهما أي: أحكمهما. وداود هو النبي المعروف ﷺ، والصَّنَع الحاذق بالعمل، والصَّنَع هاهنا: تبع، يقال: رجلٌ صَنَعٌ، وامرأة صَنَاع. سمع بأن داود -عليه السلام- كان سخر له الحديد فكان يصنع ما أراد، وسمع بأن تبعًا ملك اليمن عملهما، فقال: عملهما تبع، وظن أنه عملهما، وإنما أمر بها أن تعمل، وكان تبع أعظم شأنًا من أن يصنع شيئًا بيده. ينظر: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩.

(٢) بتصرف يسير من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣٠.

(٣) عجز البيت:

مـهـلا رويـدًا قـد مـلأت بـطـنـي

وهذا البيت لم يعرف قائله، والبيت في «تفسير الطبري» ١/ ٥١٠، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦، و«الأمالي الشجرية» ١/ ٣١٣، و«المقاصد النحوية» ١/ ٣٦، و«الخصائص» ١/ ٢٣، ومعنى قطني: أي: حسبي. وروي: سلًّا رويدًا.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

وكقول أبي النجم[١]:

يَقُلْنَ للرائد: أعشبت، انزل[٢]

والذبّانُ لا قولَ لها، وقال آخرون: إن ما قدّر الله وجوده وعلم فهو كالموجود[٣].

قال أبو بكر بن الأنباري: يحتمل أن تكون اللام في (له) لام أجْل، والتأويل: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا﴾ فإنما يقول من أجْل إرادته: كن، فيكون، كقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] أي: من أجله[٤]، وكقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] معناه: إنه من أجل حبّ المال لبخيل. قال: ولا يعجبني أن يُلغى القول، ويبطل معناه؛ لأنا لا نجعل حرفًا من كتاب الله مُطَّرَحًا إذا وجدنا له من وجه من الوجوه معنى.

فإن قيل: كيف قال (كن) للشيء الذي يكونه، وذلك الشيء لا يكون نفسه حتى يقال له: كن؟ قلنا: على مذهب النحويين هذا لا يلزم؛ لأن التقدير عندهم فإنما يكوِّنه فيكون، ولفظ الأمر هاهنا المراد منه الخبر، ونذكره فيما بعد. وأما من جعل هذا أمرًا حقيقيًا فإنه يقول هذا من الأمر الحتم الذي لا انفكاكَ للمأمور منه، ولا قدرة له على دفعه والانصراف

---

(١) هو الفضل بن قدامة، تقدم ٢/ ١٠.

(٢) سبق تخريجه تحت الآية رقم ٩٣.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩ ففيه: قال بعض أهل اللغة (إنما يقول له كن فيكون) يقول له وإن لم يكن حاضرًا (كن)، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٤.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

عنه، ومشهورٌ في كلام العرب أن يرى الرجلُ منهم الرجلَ فيقول له: كن أبا فلان، أي: أنت أبو فلان. فكذلك قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ معناه: كن بتكويننا إياك، فالمأمور بهذا لا قدرة له على دفعِه، ولا صنع له فيه، كما أن الذي يقال له: كن أبا فلان، لا صنع له في ذلك بفعل ولا عزم ولا غير ذلك مما يكون من الفاعلين[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ قال الفراء[(٢)]: والكسائي[(٣)] وأبو إسحاق[(٤)]: رفعه من وجهين: **أحدهما**: العطف على (يقول)، ومثله ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ﴾[(٥)] [إبراهيم: ٤٤].

الثاني: أن يكون رفعه على الاستئناف، المعنى: فهو يكون؛ لأنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: (كن) ثم قال: فسيكون[(٦)] ما أراد الله. قال الفرَّاءُ: وإنه لأحبُّ الوجهين إلي[(٧)]، وقرأ ابن عامر وحده (فيكونَ) بنصب النون[(٨)].

(١) ينظر تفصيل المسألة في: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٨- ٥١١، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٤-٣٦٦ وقد رجح الطبري في «تفسيره» أن الأمر هنا عام في كل ماقضاه الله وبرأه مماهو موجود، فيقال له: كن قال: فغير جائز أن يكون الشيء مأمورًا بالوجود مرادًا كذلك إلا وهو موجود، ولا أن يكون موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

(٥) وهذا الذي اختاره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١١.

(٦) في (م): (فيكون).

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥.

(٨) ينظر كتاب: «السبعة» ١٦٨، «الحجة» ٢/ ٢٠٣.

قال أبو علي[١]: قوله: (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس بأمر، ولكنَّ المرادَ به الخبرُ، كأنَّ التقديرَ: يُكَوَّن[٢] فيكون، وقد يَرِدُ لفظ الأمر والمرادُ منه الخبر، كقولهم: أكرمْ بزيدٍ، تأويلُه: ما أكرمَ زيدًا[٣]، والجار والمجرور في موضع رفع بالفعل. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] فالتقدير: مدَّه الرحمن. وإذا لم يكن قوله: ﴿كُن﴾ خبرًا في المعنى وإن[٤] كان على لفظ الأمر لم يَجُزْ أن ينصبَ الفعلُ بعد الفاء بأنه[٥] جواب. ويدلُّ على امتناع النصب في قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ أن الجواب بالفاء مضارع للجزاء، يدلُّ على ذلك أنه يؤولُ في المعنى إليه. ألا ترى أن قولك: اذهب فأعطيَكَ، معناه إن تذهب أعطيتُك[٦] ولا يجوز: اذهب فتذهب؛ لأن المعنى يصير: إن ذهبتَ ذهبتَ، وهذا كلامٌ لا يفيد كما يفيد إذا اختلف الفاعلان والفعلان، نحو: قُمْ فأُعطيَك؛ لأنَّ المعنى: إن قُمتَ أعطيتُك، ولو جعلتَ الفاعل في الفعل الثاني فاعِل الفعل الأول، فقلت: قُم فتقومَ، أو أعطِني فتعطيني، على قياس قراءة ابن عامر، لكان المعنى: إن قمت تقم، وإن تُعطِني تعطِني، وهذا كلامٌ في قلةِ الفائدة على ما تراه.

فأمَّا مَنِ احتج له فإنه يقول: اللفظ لما كان على لفظ الأمر وإن لم

(١) في «الحجة» للقراء السبعة ٢/ ٢٠٣.
(٢) في (ش): (فكون).
(٣) في الأصل: زيد، والمثبت من «الحجة».
(٤) في (م): (وإذا).
(٥) في (ش): (لأنه).
(٦) من قوله: معناه.. ساقطة من (ش).

يكن المعنى عليه حملته على صورة اللفظ. وقد حمل أبو الحسن نحو قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٢] ونحوه من الآي على أنه أجري مجرى جواب الأمر، وإن لم يكن جوابًا له في الحقيقة. وقد يكونُ اللفظُ على شيء والمعنى على غيره، ألا ترى أنهم قالوا: ما أنت وزيد(١)، والمعنى: لِمَ تؤذيه، وليس ذلك في اللفظ. قال: ومن رفع فإنه عطف على قوله: ﴿كُن﴾ لأن معناه: يكوّنه فيكون، وهذا أولى من حمله على (يقول)(٢)؛ لأنه لا يطرد في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] لأن قال ماضي، ويكون مضارع، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما، قال: ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: فهو يكون(٣).

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود، قالوا لمحمد ﷺ: لا نؤمن لك حتى يكلّمنا الله أنك رسوله، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التي أتت بها الرسل(٤). وقال مجاهد: هم النصارى(٥).

---

(١) في «الحجة»: وزيدًا.
(٢) في (ش): (على ما يقول).
(٣) إلى هنا انتهى كلام أبي علي الفارسي ١/ ٢٠٨ بتصرف واختصار.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٢، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٥ وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٢، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق ٢/ ١٧٦، وينظر: «تفسير السمعاني» ٢/ ٣٣، «زاد المسير» ١/ ١٣٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٨٣.
(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٥، وهو في «تفسير مجاهد» ص ٨٦، وهذا الذي رجحه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٢ لدلالة سياق الآيات.

وقال الحسن[١] وقتادة[٢]: هم مشركو العرب، وهذا أظهر الأقوال؛ لأنه يُشاكل ما طلبوا، حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ الآيات الأربع [الإسراء: ٩٠- ٩٣]، ولأن أهل الكتاب أهل علم به، والله تعالى قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ قال أبو عبيدة[٣] والزجاج[٤]: معنى لولا: هلّا، وأنشد أبو عبيدة:

تعدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكم بني ضَوْطَرَى، لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[٥]

أي: هلّا[٦]، وقال الخليل: (لولا) له معنيان: أحدهما: هلّا،

---

(١) لم أره عن الحسن وقد نقله في «الوسيط» ١/ ١٩٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥١ ، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١، والثعلبي ١/ ١١٤٢.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ٥٢.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» ١/ ١٩٩.

(٥) البيت «لجرير» في ديوانه ص ٢٦٥، «النقائض» ص ٨٣٣، «مجاز القرآن» ١/ ١٩٩، «تفسير الطبري» ١/ ٥١٣، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢١٠. وقدعزاه هؤلاء الثلاثة لأشهب بن رُميلة. ورواية الديوان والنقائض: أفضل سعيكم. وقوله: عقر النيب: يقال عقر الناقة أو الفرس: أي ضرب قوائمها فقطعها، والنيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنة، سميت بذلك لطول نابها، وقوله: بني ظوطري: يعني: يابني الحمقى، وقيل: إنه نبز لرجلٍ من بني مشجاع بن دارم. والكمي: الشجاع الذي لايرهب، فلايحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. وكان العرب يعقرون البعير قبل نحره لئلا يشرد، وكانوا يتكارمون بالمعاقرة، وهي أن يعقر هذا ناقة فيعقر الآخر، يتباريان في الجود حتى يغلب أحدهما. ينظر حاشية «تفسير الطبري» ١/ ٥١٣.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٥٢-٥٣.

والآخر: لولم، كقولك: لولا زيد لأكرمتك، معناه: لو لم يكن، وتقول: لولا فعلت ما أمرتك ، في معنى: هلَّا فعلت. وقد يدخل (ما) في هذا المعنى في موضع لا، كقوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]. أي: هَلَّا. وكلُّ ما في القرآن لولا يفسَّر على هَلَّا، غير التي في الصافات ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] يقول: فلو لم يكن من المُسَبِّحين[1]. وقال الفراء: لولا إذا كانت مع الأسماء فهي شرط، وإذا كانت مع الأفعال فهي بمعنى هلّا، لومٌ على ما مضى، وتحضيض لما يأتي.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أراد: كفار الأمم الخالية. قال الزجاج: أعْلَمَ اللهُ أنَّ كفرَهم في التعنُّتِ بطلب الآيات على اقتراحهم، كَكُفْر الذين من قبلهم في قولهم لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وما أشبهه، وفي هذا تعزية للنبي ﷺ[2].

وقوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبه بعضُها بعضًا في الكفرِ والقسوةِ ومسألةِ المُحال[3] كقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يريد: أن من أيقن وطلبَ الحقّ فقد أتته الآيات البينات، نحو: المسلمين ومن لم يعاند من علماء اليهود؛ لأن القرآن برهانٌ شافٍ[4].

---

(١) ينظر في لولا: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١١٥، ٤/ ٢٢٢، «المغني» لابن هشام ١/ ٢٧٢-٢٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

(٤) نقلًا عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

١١٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ معنى الحقّ في اللغةِ: هو الواجب الصدق الموجود، وهو نقيض الباطل، يقال: حَقَّ الشيء يَحِقُّ حقًّا، معناه: وجب[١] وجوبًا. فالحق مصدر، ثم يستعمل بمعنى فاعل، مثل: بَرٌّ وطَبٌّ، وقال شمر: تقولُ العرب: حقٌّ عليَّ أن أفعل ذلك، وحُقّ، وإني لمحقوق أن أفعل خيرًا، قال: وتقول: حَقَقْتُ الأمر، وأحققته، إذا كنت على يقين منه[٢]. وقال الفراء: حُقّ لكَ أن تفعل كذا، وحُقٌّ عليك، فإذا قلت: حُقَّ، قلت: لك، وإذا قلت: حَقٌّ، قلت: عليك[٣]. ابن الأعرابي: الحق: صدق الحديث، والحقّ: الملك، والحقّ: اليقين بعد الشك[٤].

وأصل الحق ما ذكرنا من أنه الصدق الواجب، ثم يسمى كلُّ ثابت موجود غير باطل: حقًّا، كالذي ذكره ابن الأعرابي. والحقُّ من أسماء الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، والحقُّ: العدل في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، والحق: الدَّين في قوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾[٥] [البقرة: ٢٨٢].

فأما تفسير الحق في هذه الآية، فقال ابن عباس: الحق: القرآن[٦]، كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق: ٥][٧]، وقال ابن كيسان: الحق

---

(١) في (ش): (وجبت).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٧.

(٣) نقله عن شمر كما في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٦.

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٠.

(٥) ينظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني ص ١٣٢، «اللسان» ٢/ ٩٤٠ (حق).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨، البغوي ١/ ١٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٧.

(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

في هذه الآية: الإسلام[١]، نحو قوله: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١][٢].

والباء في (بالحق) بمعنى مع، أي: مع الحق[٣]. وقوله: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٦٢]، وإذا[٤] كان كذلك كان في موضع النصب بالحال[٥]، كقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٦] البشير: فعيلٌ بمعنى فاعل من بشَر يبشُرُ بشَرًا بمعنى بشّر[٧]، ونذكر ذلك عند قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. والنذير: بمعنى المنذر، وكان الأصل: نَذَر، إلا أن فعل الثلاثي أميت، ومثله: السميع: بمعنى المسمع، والبديع بمعنى المبدع، وتقول: أنذرتُه فنَذِر، أي: أعلمتُه فعلِمَ وتحرّز[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ سأل فِعْلٌ يتعدّى إلى مفعولين، أنشد أحمد بن يحيى[٩]:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨ البغوي ١/ ١٤٢ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧.

(٤) في (ش): (فإذا).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧ وذكر أنه حال من الكاف، ويحتمل أن يكون حالًا من الحق؛ لأن ماجاء به من الحق يتصف أيضًا بالبشارة والنذارة، والأظهر الأول.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠، «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٩.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧.

(٨) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٦، «اللسان» ٧/ ٤٣٩٠.

(٩) في «الحجة» ذكر هذا البيت ثم قال: وأنشد أحمد بن يحيى:

سألت عَمْرًا بعد بكرٍ خُفًّا والدلْو قد تُسْمَعُ كي تَخِفَّا

سألناها الشِّفاءَ فما شَفَتْنَا ومَنَّتْنَا المواعدَ والخِلابا(١)

ويجوز الاقتصارُ فيه على مفعولٍ واحد، ويكون على ضربين: أحدهما: أن يتعدّى بغير حرف. والآخر: أن يتعدّى بحرف. فالمتعدي بغير حرف نحو قوله: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]. وأما تعديه بالحرف فالحرف الذي يتعدى به حرفان: أحدهما: (الباء)، كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وكقول الشاعر:

وسائلةٍ بثعلبةَ بْنِ بكر وقد أودَتْ بثعلبةَ العَلُوقُ(٢)

والآخر: (عن)، كقولك: سل عن زيد.

وإذا تعدى إلى مفعولين فالمفعول الثاني يكون على ثلاثة أضرب: أحدها: أن يكون الفعل واقعًا عليه من غير حرف ظاهر ولا مضمر، وذلك نحو قوله:

سألتُ زيدًا بعد بكر خُفًّا(٣)

---

(١) البيت لجرير بن عطية، يهجو فيها الراعي النميري، ينظر: «ديوانه» ص٥٨، «الحجة» ٢/ ٢٠٩. والخلاب: المخادعة والكذب.

(٢) البيت للمفضل النكري، في «الأصمعيات» ص٢٠٣، و«المنصفات» ص ٢٥، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٧، «الحجة» ٢/ ٢١٠، «لسان العرب» ٤/ ٢١٧٠، (مادة: سير)، ٥/ ٣٠٧٤، (مادة: علق)، «المعجم المفصل» ٥/ ١٨٢ وروايته في بعض المصادر: (سير) بدل: بكر، و(علقت) بدل: أودت، وهذا البيت من قصيدة الشاعر المنصفة، يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره، وهو الذي ذكره في البيت: ثعلبة بن سير، ضرورة لإقامة الوزن. والعلوق: المنية.

(٣) البيت من الرجز لم ينسب لقائل، وبعده:

والدلْو قد تُسْمَعُ كي تَخِفّا

ذكره في «الحجة» ٢/ ٢١٠ مرة قال: عمرًا، ومرة قال: زيدًا. «اللسان» (مادة: خفف).

فيكون معناه: استعطيته[١].

الثاني: أن يتعدّى الفعلُ إليه بإضمارِ حرف، وذلك قوله[٢]: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]. معناه: ولا يسأل حميمٌ عن حميمٍ، ويكون بمنزلة: اخترت الرجال زيدًا، ويجوز إظهارُ الحرف، فيكون كقوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والثالث: أن يقع موقعَ المفعول الثاني استفهام، كقوله: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١]. وقوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥][٣].

وفي (سألت) لغتان: تحقيق الهمزة وهي الفاشية الكثيرة، وسِلْتُ أَسَال لغةٌ، وعليها جاء قول الشاعر:

سَالَتْ هذيلُ رسولَ الله فاحشةً
ضلَّت هذيلُ بما قالت ولم تُصِبِ[٤]

وحمل سيبويه[٥] (سالت) على قلب الهمزة ألفًا للضرورة، كما قال:

راحَتْ بمسلمةَ البغالُ[٦] عَشِيَّةً
فارعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعْ[٧]

---

(١) في «الحجة» ٢/ ٢١١ زيادة عليه، أي: سألته أن يفعل ذلك.

(٢) من قوله: سألت زيدًا بعد بكر... ساقط من (ش).

(٣) ما تقدم منقول من «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٠٩-٢١١.

(٤) البيت لحسان بن ثابت هجو هذيلًا، في ملحق ديوانه ص٣٤، «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ١٧٦، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٣٠ «المقتضب» للمبرد ١/ ١٦٧، «الحجة» ٢/ ٢١٨ «المعجم المفصل» ١/ ٤٢٥.

(٥) «الكتاب» ٣/ ٤٦٨، ٥٥٥. ونقل ذلك عنه أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٨.

(٦) في (ش): (النعال).

(٧) البيت للفرزدق، في «ديوانه» ١/ ٤٠٨، «الكتاب» ٣/ ٥٥٤، «الحجة» ٢/ ٢١٨، «المعجم المفصل» ٤/ ٢٦٧.

قال الزجاج(١) ثم ابن الأنباري وأبو علي(٢): الرفع في قوله: (ولا تُسأل) من وجهين: **أحدهما**: أن يكون حالًا صُرِفَتْ إلى الاستقبال، فيكون مثل ما عطف عليه في المعنى من قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وغير مسؤول، فيكون مرفوعًا في اللفظ، منصوبًا في التأويل، ويكون ذكر تُسْأَلُ وهو فعل بعد قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٣) كقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران: ٤٦]. بعد ما تقدم من قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ .

والوجه **الثاني**: أن يكون منقطعًا من الأول، مُستأنفًا به، يُراد: ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، ويقوي هذا الوجهَ قراءة عبد الله: ولن تسألَ، وقراءة أُبي: وما تُسأل(٤)، فلن، وما يشهدان للاستئناف(٥). ومعنى الآية ما قال مقاتل: وهو أن النبي ﷺ قال: لو أن الله أنزل بأسه باليهود لآمنوا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾(٦). أي: لست بمسؤولٍ عنهم، وليس عليك من شأنهم عُهدة ولا تبعة، فلا تحزن عليهم، كما قال:

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٠.

(٢) «الحجة» ٢/ ٢١٦.

(٣) ساقط من (ش) من قوله: (في اللفظ).

(٤) القراءتان في «الحجة» لابن زنجلة ص ١١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٦، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالوية ص ١٦، و«الكاشف» ١/ ١٨٢، وتفسير ابن عطية ١/ ٤٦٨.

(٥) إلى هنا انتهى كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢١٦.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«القرطبي» ٢/ ٨٣ ونقله ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٦٨ عن الواحدي، ثم قال: لم أر هذا في «تفسير مقاتل بن سليمان»، فينظر في «تفسير مقاتل بن حيان» ا.هـ. وهذا مرسل لايحتج به.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[1] [الرعد: ٤].

وقرأ نافعٌ وحدَه (ولا تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام، وله وجهان: أحدهما: أن يكونَ هذا نهيًا للنبي ﷺ على ما روي عن ابن عباس، أنه قال: سأل رسول الله ﷺ جبريل عن قبر أبيه وقبرِ أمِّهِ، فدلَّه عليهما، فذهب إلى القبرين ودعا لهما، وتمنىَّ أن يعرف حالَ أبويه في الآخرة فنزلت قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

وقال القرظي: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبواي»، فأنزل الله هذه الآية، فما ذكرهما حتى توفاه الله[3]. قال ابن

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

(٢) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٦، وقال: وهذا إن ثبت معنى صحيح، ويذكر أن في إسناد الحديث شيئا وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٤ والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ من طريق عطاء عن ابن عباس. وقال ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٦٩: وأما قول ابن عباس فنسبه الثعلبي في «تفسيره» لرواية عطاء عنه، وهي من تفسير عبد الغني بن سعيد الواهي، وقد أخرجه الطبري من مرسل محمد بن كعب القرظي، وعليه اقتصر الماوردي وابن ظفر وغيرهما، واستبعد الرازي صحة هذا السبب، قال لأنه ﷺ يعلم من مات كافرًا. انتهى. وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٩، الطبري ١/ ٥١٦ وأشار إلى ضعفه في ١/ ٥١٦، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٧ من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٢٠٩، وزاد نسبته إلى وكيع، وسفيان بن عيينه، وعبد بن حميد، وابن المنذر. قال السيوطي: هذا مرسل ضعيف الإسناد، وقال أحمد شاكر بعد أن أورده الطبري من طريقين عن موسى بن عبيدة: هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، والمرسل لاتقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا بضعف راويهما موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي... وقد أخرجه الطبري أيضًا ٢/ ٥٥٩ عن داود بن أبي عاصم، أن النبي ﷺ=

عباس: وفي هذا نزلت الآية التي في التوبة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهو علي ﷺ ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[(١)] [التوبة: ١١٣].

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون النهي لفظًا، ويكون المعنى على تفخيم ما أَعَدَّ لهم من العقاب، كما تقولُ[(٢)]: لا تسأل عما فيه فلان من البلاء، إذا عظمته وبالغت في وصفه[(٣)]. وعلى هذا يكون الظاهر نهيًا وتأويله تأويل التعجيب والتعظيم[(٤)]. واختار أبو عبيد القراءة الأولى قال: لأنه لو أراد النهي لكانت الفاء أحسن من الواو[(٥)].

وقال أبو علي: إنما تكون الفاء أحسن إذا كانت الرسالة بالبشارة والنِذارة علّةً لأن لا يسأل عن أصحاب الجحيم، كما يقول الرجل: قد حملتُك على فرس فلا تسألني غيره، فيكونُ حملُه على الفرس علّةً لئلا يَسْأل غيره، وليس البشارة والنذارة علةً لئلا يسأل[(٦)]، وإنما يجعل للقراءة الأولى مزية على الثانية؛ لأن الأولى خبر، والكلام الذي بعده وقبله خبر، فإذا كان أشكل بما قبله وبما بعده كان أولى من القراءة الثانية التي هي

= قال... فذكره. وقال السيوطي ١/ ٢٠٩: معضل الإسناد ضعيف لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة. وقال أحمد شاكر: وهذا مرسل أيضًا لاتقوم به حجة، داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي: تابعي ثقة، ويروى عن بعض التابعين أيضًا.

(١) أخرجه الطبري ١١/ ٤٢ من طريق عطية العوفي وسنده مسلسل بالضعفاء.

(٢) في «معاني القرآن»: كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حالة جميلة، أو حالة قبيحة، فتقول: لا تسأل عن فلان، أي: قد صار إلى أكثر مما تريد.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

(٤) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٠.

(٥) نقله أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٧ دون نسبة.

(٦) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٧.

نهي[1].

والجحيم عند العرب: النار المستحكمة المتلظية، يقال: جَحَمَتِ النارُ تَجْحَمُ، بفتح العين فيهما، جُحومًا فهي جاحم وجحيم، قال الله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] أراد: النار الشديدة التأجج. ويقال لشده القتل في معركة الحرب: جاحم، تشبيهًا بالنار العظيمة، قال:

حتى إذا ذاق منها جاحِمًا بَرِدَا[2]

والجَحْم والجَحْمَة: توقُّد النار[3]، ومنه قوله:

نحن حَبسنا بني جَدِيلةَ في نارٍ من الحرب جَحْمةِ الضَّرَم[4]

١٢٠- وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ قال المفسرون: كانت اليهود والنصارى يسألون النبي ﷺ الهُدنة، ويُطمعونه، ويُرونه أنه[5] إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه، فأنزل الله هذه الآية[6]، وأخبر أنه لا يرضيهم إلا ما يستحيل وجوده، وما لا سبيل إليه؛ لأن اليهود لا ترضى عنه إلا بالتهود، والنصارى إلا بالتنصر، ويستحيل

---

(١) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٦.

(٢) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ٥٤٥، عن الليث، ولم ينسبه وكذا في «اللسان» ١/ ٥٥٣.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٤٥، «المفردات» للراغب ص ٩٥، «اللسان» ١/ ٥٥٣.

(٤) ينظر: «ديوان الحماسة» ١/ ٤٦.

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٢، والسمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٥٤، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٦، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، وفي «الوسيط» ١/ ٢٠٠، البغوي ١/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٨.

الجمع بينهما، فإذا استحال إرضاؤهم فهم لا يرضَوْنَ عنه أبدًا[١].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (حتى) تقع[٢] على الأسماء وعلى الأفعال، وهي لوضعِ غاية اسمية أو فعلية. أما الاسمية: فمثل قولك: لقيتُ القومَ حتى عبدَ الله، ومررت بالقومِ حتى عبدِ الله. وأمَّا الفعليةُ: فمثلُ قولك: اصبِرْ حتى أخرُجَ إليك. و(حتى) قد تقوم مقام (إلى) وتؤدي مثلَ معناها في بعض المواضع، ويفترقان في كثير منها، أما الموضع الذي يتفقان فيه، فمثلُ قولك: أقمْنا عندَه إلى الليلِ، وحتى الليل. وأما موضعُ افتراقهما، فمثل قولك: لقيتُ القوم حتى زيدًا، فإنه لا يجوز في هذا الموضع: لقيت القوم إلى زيد. وأما قولهُم: أكلت السمكةَ حتى رأسَها، ورأسُها، ورأسِها. فإذا كسرت لم يدخل الرأس في الكل؛ لأنَّ الأكلَ انتهى إليه، وهو بمعنى إلى. وفي النصب والرفع الرأسُ مأكولٌ؛ لأن (حتى) أتبع الرأسَ السمكة في النصب. وفي الرفع كان (حتى) بمعنى الواو، ورأسُها ابتداء، والخبر مضمرٌ فيه.

وأما نصبها للفعل فقال الخليل[٣] وسيبويه[٤]: الناصبُ للفعل بعد حتى (أن)، إلا أنها لا تظهر مع حتى، والدليل على أن (حتى) غير ناصِبَة بنفسها: أنَّها خافضةٌ بالإجماع، كقوله ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، ولا يُعرَف[٥] في العربية ما يعمل في اسم يعمل في فعلٍ، ولا ما يكون خافضًا

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥١٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٨.
(٢) في (أ)، (م): يقع.
(٣) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢٠١.
(٤) «الكتاب» ٣/ ٧.
(٥) في (ش): (تعرف).

لاسم يكون ناصبًا[١]. وهكذا اللام في قولك: جاء زيد ليضربك، معناه: لأن يضربك؛ لأن اللام خافضة للاسم، فلا تكون ناصبةً لفعل، ولا يجوز إظهار (أن) مع هذه اللام. ويجوز رفع الفعل بعد (حتى) إذا حَسُن فيه الماضي، نحو قولك: تعلمت حتى أجيب في كل شيء، وسنذكر هذا عند قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: دينهم[٢].

وكذلك قال أهل اللغة، قالوا: وإنما سُمِّيَ الدينُ ملّةً؛ لأنه يُمَلُّ، أي: يُملَى على المدعوِّ إليه، وأملّ وأملَى بمعنى واحد[٣]، لكن الملة بنيت[٤] على الأصل، وهو الثلاثي. وقيل: الملّة فِعْلةٌ من مَلَّه يمُلّه، إذا ألقاه في الرماد الحار، جُعِلَتْ اسمًا للدين؛ لما فيه من مشاق تخرج عن قضية[٥] الهوى ورسم النفس، ويُقْلِق ويُحرقُ[٦][٧]. والزجاج ذكر فيها وجهًا آخر، وهو أنه قال: الملّة بمعنى السنّة والطريقة قال: ومن هذا سُمّيت المَلَّة؛ لأنها تؤثر (في مكانها كما يؤثر)[٨] في الطريق بالسلوك فيه[٩]، فجعل المَلَّة

---

(١) ينظر تفصيل حتى وأوجهها في: «مغني اللبيب» ١/ ١٢٢-١٣١، ومعظم النص منقول من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٢) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٠٩.

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ش) كأنها: (ثنيت).

(٥) في (ش): (قصة).

(٦) في (ش): (تعلق وتحرق).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٧، «اللسان» ٧/ ٤٢٧١.

(٨) ساقط من (ش).

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٢ وعبارته: ومن هذه المَلَّة، أي: الموضع الذي=

مشتقة من المِلَّة، وعنده أصلها من التأثير.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ قال ابن عباس: يريد أن الذي أنت عليه هو دين الله الذي رضيه[(١)]. وقال الزجاج: أي: الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو طريق الحق[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ إنما جمعَ الهوى؛ لأنَّ جميع الفِرَق ممن يخالفُ النبي ﷺ لم يكن لِيُرضيَهم منه إلا اتباعُ هواهم[(٣)]. وأراد بهذا: ما يدعونه إليه من المهادنة والإمهال.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ دين الله هو الإسلام[(٤)]، وقيل: من العلم أنهم على الضلالة. وروي عن ابن عباس في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه قال: الآية نزلت في تحويل القبلة، وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرجُون أن يرجع محمد إلى دينهم، فلمَّا صرفَ اللهُ القبلة إلى الكعبة شَقَّ ذلك عليهم، وأَيِسُوا منه أن يوافقَهم على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[(٥)]. يعني:

= يختبز فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يُؤثر في الطريق. ثم قال: وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض. وقد نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥١.

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، وهذا لعله من رواية عطاء.

(٢) و(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٢.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٧.

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١١٤٦والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، والبغوي ١/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٨، وابن حجر في «العجاب»١/ ٣٧٣، والسيوطي في «لباب النقول» ص ٢٥، وعزاه في «الدر» ١/ ٢٠٩ للثعلبي.

صليت نحو قبلتهم بعد الذي جاءك من العلم في التحويل إلى الكعبة.

والقول **الثاني**: إن المراد بقوله ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أمةُ محمد ﷺ، وأما محمد فقد عصمته. وإياكم أخاطب وأنهى وأؤدب، فقد علمتم أن محمدًا قد جاءكم بالحق والصدق، فلا تتبعوا أهواء الكافرين، فلا يكونَ لكم من دوني ولي ولا نصير، فالخطاب لرسول الله ﷺ والمراد منه أمته(١).

١٢١- ثم ذكر أن من كان منهم غير متعنّت ولا حاسد ولا طالب رئاسة تلا التوراة كما أنزلت، فرأى فيها أن النبي ﷺ حق فآمن به. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: نزلت في الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب(٢) من أهل الحبشة، وكانوا من أهل الكتاب، آمنوا بالنبي ﷺ(٣).

ومعنى قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال ابنُ مسعود: يُحِلُّون حلالَه،

---

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٩٤.

(٢) جعفر بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ، وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو الملقب بالطيار، وكان أشبه الناس بالنبي ﷺ خلقًا وخُلُقًا، هاجر الهجرتين، وعينه النبي صلى الله عليه خلفًا لزيد بن حارثة في مؤته واستشهد فيها سنة ٨؟ ينظر: «الاستيعاب» ١/ ٣١٢، «أسد الغابة» ١/ ٣٤١.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٧، ونقله الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧ من رواية عطاء والكلبي: نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، كانوا أربعين رجلًا من الحبشة وأهل الشام. وقال ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٧٤ تعقيبًا: ذكر بأبسط منه الثعلبي في «تفسيره» وقد ذكره الحيري في «الكفاية» ص٧٠، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٣٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٩.

ويُحَرِّمون حرامَه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحُرِّفونه عن مواضعِه[(١)].

وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهِه، ويَكِلُونَ علمَ ما أشكلَ عليهم إلى عالمه[(٢)].

وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه[(٣)]، وقال الضحاك: نزلت في مؤمني اليهود: عبد الله بن سلام وأصحابه[(٤)]، وقال قتادة[(٥)] وعكرمة[(٦)]: نزلت في أصحاب النبي ﷺ، و(الكتاب) على هذا: القرآن. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بمحمد أو بالكتاب.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٦، ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٩ ورواه أيضًا من طريق أبي العالية، ورواه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٩، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٥٦، والسمرقندي ١/ ١٥٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٥٠، وعزاه في «الدر» ١/ ٢١٠ إلى وكيع. وينظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/ ٧٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٠، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢١٨، والثعلبي ١/ ١١٥٠.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٨، ولفظه: هم من آمن من اليهود: عبد الله بن سلام، وشعبة بن عكرو وتمام بن يهوذا، وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ مختصرًا وفي «الوسيط» ١/ ٢٠٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٤، وفي «البحر المحيط» ١/ ٣٦٩، وينظر: «العجاب» ١/ ٣٧٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٨، وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٨، وعزاه في «الدر» ١/ ٢١٠ لعبد بن حميد.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ليس على ظاهره من العموم[(١)]؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] وهو من باب الخصوص، تأويله: ولا ينفعها[(٢)] شفاعة إذا وجب عليها العذاب، ولم يستحقوا سواه. وقال بعضهم: إنما آيس الله اليهود بهذه الآية؛ لأنهم كانوا يزعمون أن آباءهم من الأنبياء يشفعون لهم[(٣)].

١٢٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ الآية، الابتلاء: الاختبار والامتحان، وابتلاء الله تعالى يعود إلى إعلامه عباده لا إلى استعلامه؛ لأنه يعلم ما يكون، فلا يحتاج إلى ابتلاءٍ ليَعْلَم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ الكلبي، عن أبي صالح[(٥)]، عن ابن عباس، قال: الكلمات التي ابتلى الله عز وجل إبراهيمَ بها عشر خصال من السُّنة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فاللاتي في الرأس: المضمضة والاستنشاق والفرق والسواك وقص الشارب، والتي في الجسد: تقليم الأظفار وحلق العانة والختان والاستنجاء ونتف الرفغين[(٦)].

---

(١) ينظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٧٢- ٤٧٣.

(٢) في (ش): (ولا تنفعها).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٢٨.

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٥٤، «تفسير الطبري» ١/ ٥٢٤، «المفردات» للراغب ص ٧١-٧٢، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٥.

(٥) هو: باذان، ويقال: باذام، أبو صالح مولى أم هانئ، تقدمت ترجمته.

(٦) هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به حجة، لكن ورد هذا عن ابن عباس بإسناد صحيح عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٧ عن معمر عن ابن طاوس، عن ابن عباس، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٤، ابن أبي حاتم =

وهذا أصح ما قيل في تفسير الكلمات، وعلى هذا أكثر أهل العلم[(١)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي، تطهّرْ، فتمضمض، فأوحى الله إليه أن تطهرْ، فاستنشقَ، فأوحى إليه أن تطهر، فاستاك، فأوحى إليه أن تطهر، فأخذ شاربه، فأوحى[(٢)] إليه أن تطهر، فَفَرَقَ شعره، فأوحى إليه أن تطهر، فاستنجى، فأوحى إليه أن تطهرَ، فحلق عانته، فأوحى إليه أن تطهر، فنتف إبطيه، فأوحى إليه أن تطهر، فقلم أظفاره، فأوحى إليه أن تطهر، فأقبل بوجهه على جسده ينظر ما ذا يصنع فاختتن بعد عشرين ومائة سنة[(٣)].

وقال بعض المتأولين: المراد بالكلمات في هذه الآية: انقياده لأشياء امتحن بها، وأخذت عليه، منها: الكوكب والشمس والقمر والهجرة والختان وعزمه على ذبح ابنه[(٤)(٥)]، والمعنى: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بإقامة

= ١/ ٣٥٩، والحاكم ٢/ ٢٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في «السنن الكبرى» ١/ ١٤٩، وذكره الثعلبي ١/ ١١٥٤، ولفظ الرُّفْغَين عند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٧٦ والرُّفْغ: كل موضع اجتمع فيه الوسخُ، والمراد به الإبط. ينظر: «المصباح المنير» ص ٢٣٣.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٤، وقال ابن أبي حاتم ١/ ٢١٩: روي عن أبي صالح وأبي الجلد ومجاهد وسعيد بن المسيب والنخعي والشعبي نحو ذلك.

(٢) في (ش): (فأوحى الله).

(٣) هو بمعنى ما سبق، ولكن فيه تفصيل.

(٤) أورد هذا المعنى عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٥، الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢١ (١١٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٥٥ كلهم عن الحسن.

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٧- ٥٢٨ الأقوال في المسألة ثم بين أن الصواب: =

كلمات، أو بتوفية كلمات، والتقدير: ذوي كلمات: أي: يعبر بها عن هذه المسميات، ويجوز أن يكون الكلم المتكلم به، كما أن الصيد هو المصيد، والنسج المنسوج[(١)]، ومثلُ هذا مما حمل الكلمات فيه على الشرع قولُه تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢] فالكلمات تكون الشرائع التي شرع لها دون القول؛ لأن ذلك قد استغرقه قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وكان المعنى: صدقت بالشرائع فأخذت بها، وصدقت الكتب فلم تكذب بها[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ معناه: أدَّاهُنَّ تامّاتٍ غيَر ناقصات[(٣)]، وقيل: إنه مِنْ فعلِ الله تعالى، أي: قضاها الله له[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. قال ابن عباس: أوحى الله إليه إني جاعلك للناس إمامًا يقتدي بك الصالحون من بعدك[(٥)].

= أنه لايجزم بشيء مما ذكر على أنه المراد بالكلمات إلا بحجة يجب التسليم بها، ورجح ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٧٧ عموم الكلمات لكل ما ذكر في أقوال المفسرين، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٧٥ ثلاثة عشر قولًا ثم قال: وهذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إبراهيم إذ كلها ابتلاه الله بها، ولايحمل ذلك على الحصر في العدد ولاعلى التعيين، لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض.

(١) في (ش): (النسخ والمنسوخ)، وفي (م): (النسخ للمنسوخ).

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٨٧، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٧٦.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٢٨، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٦٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٥٧.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٤.

(٥) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢٠٣ لعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في=

والأَمُّ في اللغة: القصد، والإمامُ: كلُّ مَنِ ائتم به قومٌ، كانوا على الصراط المستقيم(١)، أو كانوا ضالّين. والنبي إمامُ أمتهِ، والخليفةُ إمام رعيتهِ، والقرآنُ إمامُ المسلمين، على معنى أنهم ينتهون إليه فيما أمر وزجر. والإمام: الذي يؤتَمُّ به، فيفعل أهله وأمته كما يفعل، أي: يقصدون لما يقصد. هذا أصله(٢). ثم يجعل الكتابُ إمامًا يؤتم بما فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتابهم الذي جعلت فيه أعمالهم في الدنيا، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعني: كتابًا، أو اللوح المحفوظ. وقد يجعل الطريقُ إمامًا؛ لأنَّ المسافر يأتَمُّ به ويستدلُّ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] أي: بطريقٍ واضح. ويقالُ للخيط الذي يُقَدَّرُ به البناء: الإمام؛ لأنه يقتدى به، ويُقْصَدُ قَصْدُه. وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلمه كل يوم؛ لأنه يتبعه، ويقصده بالتعلم، ولا يعدو ما فيه(٣).

فقال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: ومن أولادي أيضًا فاجعل أئمةً يُقْتَدَى بهم(٤). فأمَّا تفسيرُ الذرية، فقال الليث: الذر: عدد الذرية،

= القسم الدراسي وقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٢ عن أبي العالية، أنه قال: فجعله الله إمامًا، يؤتم ويقتدى به، ثم قال: وروي عن الحسن وعطاء الخراساني ومقاتل ابن حيان وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥، وينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٦ (مادة: أمَّ).

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٦، و«المفردات» للراغب الأصفهاني ص ٣٣-٣٤.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٥٧.

تقول[١]: نَمَى[٢] الله ذَرْأَكَ وذَرْوَكَ: أي: ذريتك. والذريةُ: تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء، قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] أراد: آباءهم الذين حُمِلوا مع نوح في السفينة[٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣- ٣٤] فدخل فيها الآباء والأبناء[٤].

وتكون[٥] الذرية واحدًا وجمعًا، فممَّا جاء فيه ذرية يراد به الواحد قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فهذا مثل قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. ألا ترى أنه قال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ومما جاء فيه جمعًا قوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وهو كثير.

وأما أصل الذُّرِّيَّةِ ومأخذُها، فقال أبو إسحاق النحوي: فيها قولان: قال بعضهم: هي فُعْليَّةٌ، من الذَرِّ؛ لأنَّ الله تعالى أخرجَ الخلق من صُلْبِ آدمَ كالذَّرِّ، حين أشهَدَهُم على أنفسِهم[٦].

---

(١) في (أ)، (م): (يقول).

(٢) في (ش): (تمنى).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٤ (مادة: ذرأ).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٤ (مادة: ذرأ).

(٥) في (ش): (ويكون).

(٦) لم يذكر أبو إسحاق شيئًا من ذلك في هذه الآية، لكنه أشار إلى العلة في آية الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. فقال في «معاني القرآن» ٢/ ٣٩٠: قال بعضهم: خلق الله الناس كالذر من صلب آدم وأشهدهم على توحيده.

قال: وقال بعضُ النحويين: أصلها ذرُّورَةٌ، على وزن فعلولة، ولكنَّ التضعيَف لمَّا كَثُرَ أُبْدِلَ من الراء الأخيرة ياء فصارت ذُرُّويَةً، ثم أُدغمت الواو في الياء فصارت: ذُرِّيَّة. قال: والقول الأول أقيسُ وأجود[١] عند النحويين[٢]. واختاره[٣] الليث، فقال: هو فُعْلِيّة من الذر، كما قالوا: سُرِّيَّة، والأصلُ من السّرّ، وهو النكاح[٤].

وزاد ابن الأنباري الوجهين[٥] اللذين ذكرهما أبو إسحاق بيانًا فقال: الذرية مأخوذةٌ من ذرأَ الله الخلق، ويكون أصلها ذُرُّوؤه، تُرِكَ هَمْزُها، وأبدل من الهمز ياءً، فلمَّا اجتمعت الياء والواو والسابقُ ساكنٌ أُبدلَ من الواو ياءً، وأُدغمت في الياء التي بعدَها، وكُسِرَ الراء لتَصِحَّ الياء.

قال: ويجوزُ أن تكون[٦] منسوبة إلى الذر بالتشبيه في كثرة التوالد، وضم الذال لأن النسبة قد يغير فيها الحرف، كما قالوا: دُهريٌّ بضم الدال[٧]، وقالوا: بُصري للمنسوب إلى البصرة.

وقال الخليل: الذرية فُعْلِيّة، من ذَرَرْت؛ لأن الله تعالى ذَرَّهم في الأرض، أي: نشرهم.

قال أبو على الفارسي: أمَّا مثالُ ذرية من الفعل، فيجوزُ أن يكون

---

(١) في (م): (أجود وأقيس).
(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٧، وعنه في «اللسان» ٣/ ١٤٩١ (مادة: ذرأ).
(٣) في (أ) و(م): (واختيار).
(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٧.
(٥) المثبتمن (ش)، وفي غيرها: (للوجهين).
(٦) في (أ)، (م): (يكون).
(٧) الدهري، بضم الدال وفتحها، الذي يقول ببقاء الدهر «القاموس» ص ٣٩٥.

فُعلُولة من الذر، فأُبدلَتْ من الراء التي هي اللامُ[1] الأخيرة ياءً، ويحتملُ أن يكون فُعّيلة منه. فأبدلت من الراء الياء، كما يبدل من هذه الحروف للتضعيف، وإن وقع فيها الفصل. ويحتمل أن يكون فُعْلية نَسَبًا إلى الذرّ، إلا أن الفتحة أبدلت منها الضمة، كما أبدلوا في الإضافة إلى الدهر دُهري، وإلى السهل سُهلي. ويجوز أن يكون فُعّيلة، من ذرأ الله الخلق، اجتمع على تخفيفها كما اجتمع على تخفيف البرية، ويجوز أن يكون فُعِّيلة، من قوله: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ أُبدِلت من الواو الياء؛ لوقوع ياء قبلها[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أعلم الله إبراهيم أن في ذريته الظالم[3]. قال ابن عباس: يريد من كان من ولدك ظالمًا لم ينل عهدي[4]. يريد: ليس بإمام ولا كرامة[5].

واختلفوا في معنى العهد هاهنا، فقال أبو عبيد: العهد هاهنا: الأمان، أي: لا ينال أماني الظالمين[6]، يقول: لا أؤمنهم عذابي، وقال

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ينظر: تفصيل ذرية وما فيها من اشتقاق وتصريف في: «البحر المحيط» ١/ ٣٧٢-٣٧٣، «اللسان» ٣/ ١٤٩٤ (ذر)، ٣/ ١٤٩١ (ذرأ).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٢ بمعناه.

(٥) تفسير العهد بالإمامة قال به: ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وبه قال كثيرون، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٠، و«تفسير السمعاني» ٢/ ٤٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٧٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٠، و«تفسير القرطبي» ٢/ ٩٨.

(٦) «غريب الحديث» ١/ ٤٤٠، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٠ في نسخةٍ، وفي النسخة: أبو عبيدة، وليس في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، ونسبه الرازي في «تفسيره» ٤/ ٤٥ إلى أبي عبيد، وقد أخرجه الطبري ١/ ٥٣٠ عن قتادة.

السدي: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ أي: نبوتي[١]. واختاره ابن كيسان، فقال: يعني: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدين من كان ظالمًا من ولدك، بل ينال عهدي من كان رسولًا إمامًا.

وقال الفراء: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يكون للناس إمام مشرك[٢]. وقال عبد الله بن مسلم[٣]: العهد هاهنا: الميثاق، يقول: لا ينال ماوعدتك من الإمامة الظالمين من ذريتك، والوعد من الله ﷻ ميثاق[٤]. وهذه الأقوال متقاربة.

١٢٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ هذه الآية تنعطف على ما تقدمها من الآيات التي ذكر فيها[٥] (إذ)، ويريد بالبيت الكعبة التي هي القبلة اليوم، ولذلك ذكره بالألف واللام[٦].

قوله تعالى: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ المثاب والمثابة مصدران لقولهم: ثاب يثوب مثابًا ومثابة وثُؤوبا وثَوَبانا، ذكر ذلك الفراء في كتاب «المصادر». فالمثابة هاهنا: مصدر وُصِف به، ويراد به الموضعُ الذي يُثاب إليه[٧]، كما يقال: درهمٌ ضربُ الأمير، والمصدر قد يوصف به كثيرًا، قال زهيرٌ:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢٣، وذكره الثعلبي ١/ ١١٥٩.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٧٦.

(٣) يريد ابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٦٢، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤١.

(٥) قوله: (التي ذكر فيها) ساقطة من (ش).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٢.

(٧) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٦، الطبري ١/ ٥٣٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥-٢٠٦. انظر البحث في مثابة في: «اللسان» ١/ ٥١٨ (ثوب).

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ هُمُ بَيْنَنا فَهُمُ رضًا وَهُمُ عَدْلُ[١]

وأنشد أحمد بن يحيى:

سقى الله نجدًا من ربيعٍ وصيّفٍ وما ذا تُرَجَّى[٢] مِن ربيعٍ سَقَى نَجْدا
بلى إنَّهُ قد كانَ للعيشِ مرةً وللبيضِ والفتيانِ منزلَةً حمدا[٣]

أراد: منزلة محمودة. قال ابن الأنباري: والمصدر للمؤنث قد يكون خبرًا عن المذكر، كقولهم: أكلُ الرمانِ لذةٌ، وذكر أخبار الصالحين عظةٌ، ولقاءُ محمد منفعة. ويمكن أن تكون المثابة الموضع الذي يثاب إليه، والهاء فيه لا تكون لتأنيث الموصوف به، كما يقال للمجلس: المقامُ والمقامة، يقال: هذا الموضعُ مقامُ فلان ومقامة بمعنى، والهاء تدخل للتخصيص لا للتأنيث، وهاء التخصيص تدخل في مواضع كثيرة كالقطنة والصوفة وأشباه ذلك[٤]، قال زهير:

وفيهم مقاماتٌ حِسَانٌ وجوهُها وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفِعْلُ[٥]

وواحد المقامات مقامة، وعلى هذا دلَّ كلام المفسرين. فقد قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿مَثَابَةً﴾: يريد: لا يقضون[٦] منه وطرًا، كلما أتوه

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في «الديوان» ص ٤٠، «والأشباه والنظائر» ٢/ ٣٨٥، و«لسان العرب» ٣/ ١٦٦٤ (مادة: رضى). وينظر: «المعجم المفصل» ٦/ ٢١٦.

(٢) ساقطة من (أ)، (م).

(٣) هما بلا نسبة في «المذكر والمؤنث» للأنباري ص ٢٤٦، «معجم البلدان» ٥/ ٢٦٣ (نجد). وينظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠٤.

(٤) ابن الأنباري.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، في «ديوانه» ص ١١٣، «لسان العرب» ٦/ ٣٧٨٧ مادة (قوم)، «المعجم المفصل» ٦/ ٢٤٥.

(٦) في (ش): (لا تقضون).

وانصرفوا اشتاقوا إلى الرجعة إليه[١].

وروي أيضًا عن ابن عباس أنه قال في تفسير المثابة: معاذًا[٢]، وعلى هذا فقال أبو إسحاق: الأصل في مثابة مثْوَبةٌ، ولكنَّ حركة الواو نُقلت إلى الثاء، وتبعت الواو الحركة فانقلبت ألفًا. قال: وهذا إعلال إتباع، تبع مثابةٌ بابَ ثاب[٣]، وأصلُ ثاب ثَوَبَ، ولكنَّ الواوَ قُلِبَت ألفًا؛ لتحركها وانفتاحِ ما قبلها، لا اختلاف بين النحويين في ذلك. انتهى كلامه[٤]. ويُنشدُ على أن المثاب والمثابة واحد قول ورقة في صفة الحرم:

مَثَابًا لأَفْنَاءِ القبائلِ كُلِّها ... تَخُبُّ إليها اليعملاتُ الطَّلائحُ

وأنشده الشافعي رحمه الله لأبي طالب، وروى: اليعملات الذوامل[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٣ وبنحوه أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥ ثم قال: وروي عن أبي العالية، وسعيد بن جبير في إحدى روايتيه وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والسدي والضحاك نحو ذلك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠ . ولفظهم: معاذًا وملجًا، بالذال، وليست بالدال. وقال الطبري ١/ ٥٣٢: وإذ جعلنا البيت مرجعًا للناس ومعاذًا. وورد بالدال في «الوسيط» ١/ ٢٠٤.

(٣) في (ش): (وإعلال الألف اتباع تبع ألف مثابة ألف ثاب).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٦.

(٥) نسبه إلى ورقة الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠، و«البداية والنهاية» ٢/ ٢٩٧. ورواية الطبري: مثابٌ، وذكره الشافعي في «الأم» (١/ ١٥٣ ط. دار المعرفة) منسوبًا لورقة بن نوفل خلافًا لما ذكره الواحدي، لكنه قال: الذوامل بدل الطلائح وكذلك ذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠ وعدها أبو حيان رواية في البيت. وبمثل هذه الرواية ذكرها صاحب «اللسان» ٣/ ١٥١٦ منسوبًا لأبي طالب، وذكره في (مادة: ذمل) غير منسوب قال=

ومعنى ثاب في اللغة: عاد ورجع إلى وضعه الذي كان أفضى إليه، يقال: ثاب ماء البئر إذا عاد جُمَّتُها[١]، ومنه تثويب الداعي إذا عاد وكرَّر الدعاء.

وقال الأخفشُ: الهاء في المثابة للمبالغة في كثرة من يثوب إليه، كقولهم: رجل علامة ونسابة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾ أراد: مأمنا[٣]، وهو أيضًا مصدر وصف به، كما ذكرنا. قال ابن عباس: يريدُ: من دخله كان آمنًا، فمن أحدث حدثًا خارج الحرم ثم لجأ إليه أمن من أن يُهاجَ فيه. ولكن لا يُؤذى[٤] ولا يخالط ولا يُبَايع، فإذا خرج منه أُقيم عليه الحدُّ، ومَنْ أحدثَ في الحرم أُقيمَ عليه الحد فيه[٥].

= شاكر في تعليقه على الطبري ٣/ ٢٦: «والظاهر أن الشافعي رحمه الله أخطأ في رواية البيت، وأخطأ صاحب «اللسان» في نسبته، اشتبه عليه بشعر أبي طالب في قصيدته المشهورة». وكلام الواحدي صريح في نسبة البيت لأبي طالب، فلعلها في نسخة أو كتاب آخر. وأفناء القبائل: أخلاطهم، وخَبَّت الدابة تَخُبُّ خَبَبًا: ضرب سريع من العدو، واليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة السريعة المطبوعة على العمل، اشتق اسمها من العمل، والعمل من الإسراع والعجلة، والطلائح: جمع طليح، ناقة طليح أسفار: جهدها السير وهزلها، والذوامل حمع ذاملة: وهي التي تسير سيرًا لينًا سريعًا.

(١) في «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٣ (مادة: ثاب).

(٢) «معاني القرآن» ١/ ١٤٦.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٦.

(٤) في «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦١: ولكن لا يُؤْوَي.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٦١ والسمعاني ٢/ ٤٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤١ وينظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ١٥٧، القرطبي ٢/ ١١١، الرازي ٤/ ٥٢=

وإلى هذا ذهب أبو حنيفة: أن الجاني إذا لاذ بالحرم أمن[١]، ومذهب الشافعي: أنه لا يأمن بالالتجاء إليه، ويُسْتَوفى منه ما وجب عليه في الحرم[٢](٣)، على ما قد روي في الخبر: لا يعيذ الحرم عاصيًا[٤].

وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ الأولى أن يأمن فيه الجاني، فإن أخيف بإقامة الحد عليه جاز، فقد قال كثير من المفسرين: من شاء أمن، ومن شاء لم يؤمن، كما أنه لما جعله مثابة من شاء ثاب ومن شاء لم يثب، وقد كان قبل الإسلام يرى الرجلُ قاتلَ أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وهذا شيء كانوا توارثوه من دين إسماعيل، فبقُوا عليه إلى أيام النبي ﷺ، فاليوم من أصاب فيه جريرةً أقيم عليه الحد بالإجماع[٥].

= وقد روي بعضه عن بعض التابعين كما عند الطبري ١/ ٥٣٤، ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٥.

(١) ينظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي ١/ ٣٦٦ (ط. الشركة الشرقية)، «كشف الأسرار» للبزدوي ١/ ٢٩٦، قال في «المغني» ٩/ ٩٠ (ط. دار احياء التراث العربي): وهذا قول ابن عباس، وعطاء، وعبيد بن عمير، والزهري ومجاهد وإسحاق والشعبي وأبي حنيفة وأصحابه. وأحمد بن حنبل في القتل وأما في غيره فعنه روايتان.

(٢) ينظر: «الأم» للشافعي ٤/ ٢٩٠، وبه قال مالك وابن المنذر كما في «المغني» ٩/ ٩٠.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) ذكره البخاري (١٠٤) كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ومسلم (١٣٥٤) كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيده، قال ابن حجر: كلام ظاهره حق لكن أراد به الباطل، «الفتح» ١/ ١٩٩ وقال في «المغني» ٩/ ٩١: وما رووه من الحديث فهو من كلام عمرو بن سعيد الأشدق يرد به قول رسول ﷺ حين روى له أبو شريح هذا الحديث [يعني إن الله حرم مكة] وقول الرسول أحق أن يتبع.

(٥) ينظر الخلاف الفقهي فيه في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١- ١٥، «غرائب النيسابوري» ١/ ٣٩٤، «الوسيط» ١/ ٢٠٤.

وقال أبو بكر بن الأنباري: معناه: وَأَمْنًا أن يُبخس القاصد له من الثواب الذي يوعده أمثاله، فهو واثق آمنٌ أنَّ أجرَه لا يضيعُ عند ربه[(١)(٢)]، وهذا قول قويم حسن؛ لأن الله تعالى وصف البيت بالأمن، وعلى ما ذكر أبو بكر يتعلق الأمن بالبيت، وعلى[(٣)] ما قاله غيره من المفسرين من أَمْنِ الجاني إذا لاذ بالحرم، فهو أمن الحرم لا أمن البيت، إلا أن يقال: إن أمن الحرم لأجل البيت، فهو بسبب منه وعائد إليه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ هذا معطوف على ما أضيف إليه إذ، كأنه: وإذ اتخذوا.

قال الزجاج: وهو عطف جملة، على جملة[(٥)].

وقال الفراء: أي: جعلناه مثابةً لهم فاتخذوه مُصلًّى. والفتح في الخاء على معنى الخبر، قراءة أهل المدينة والشام[(٦)]. ويؤكده أنَّ الذي قبله والذي بعده خبر، وهو قوله ﴿جَعَلْنَا﴾ و﴿وَعَهِدْنَآ﴾.

ومن قرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بالكسر على الأمر[(٧)] فحجته في ذلك: ما أخبرنا

---

(١) في (م): أن أجره عند ربه لا يضيع.

(٢) ابن الأنباري.

(٣) ساقطة من(أ)، (ش).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٧.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٧٧.

(٧) قرأ بفتح الخاء نافع وابن عمر، وبكسر الخاء على الأمر، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي. ينظر: «السبعة» ص ١٦٩، «الحجة» ٢/ ٢٢٠، «المبسوط» لابن مهران ص ١٣٥، «التيسير» للداني ص ٦٥.

الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم[(١)] -رحمه الله- ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد[(٢)]، ثنا عبدوس بن الحسين بن منصور[(٣)]، ثنا أبو حاتم الرازي[(٤)]، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري[(٥)]، حدثني حُميد الطويل[(٦)]، عن أنس بن مالك[(٧)]، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: وافقني ربي في ثلاث. قلت: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى. فأنزل الله ﷻ:

---

(١) يعني: الثعلبي في «تفسيره».

(٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أبو الحسين بن أبي إسحاق المزكي، من فقهاء نيسابور، قال الخليلي: كان ثقة، وقال الحاكم: كان من الصالحين العباد، التاركين لما لايغني، قراء القرآن، المكثرين من سماع الحديث توفي سنة ٣٩٧. ينظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٣٠٢، «السير» ١٦/ ٩٧.

(٣) هو أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور النَّصْراباذي، سمع محمد بن عبد الوهاب الفراء وطبقته، روي عنه أبو علي الحافظ، ويقال: إن اسم عبدوس: عبد القدوس، والله أعلم ينظر: «الأنساب» ٥/ ٤٩٢.

(٤) هو: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، تقدمت ترجمته.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك، أبو عبدالله البصري القاضي، ثقةٌ، توفي سنة (٢١٤) أو نحوها. انظر: «تهذيب الكمال» ٢٥/ ٥٣٩، «تقريب التهذيب» ص٤٩٠ (٦٠٤٦)، «تهذيب التهذيب » ٣/ ٦١٤.

(٦) هو: حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس، كثير التدليس عن أنس معظم حديثه عنه بواسطة ثابت وقتاده، وقد وقع تصريحه عن انس بالسماع وبالتحديث في أحاديث كثيرة في البخاري وغيره مات وهو قائم يصلي سنة ١٤٢ هـ. ينظر: «تهذيب الكمال» ٧/ ٣٥٥، «التهذيب» ١/ ٤٩٣.

(٧) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة ٩٢ وقيل: ٩٣ وقد جاوز المائة. ينظر: «الاستيعاب» ١/ ١٩٨، «أسد الغابة» ١/ ١٥١.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ . وقلتُ: يا رسولَ الله، إنه يدخُلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله ﷻ آيةَ الحجاب، قال: وبلغني شيءٌ كان بين أمهات المؤمنين وبين النبيﷺ فاستقريتُهن أقول: لتكُفُّنَّ عن رسول الله ﷺ، أو ليبدلَنَّه اللهُ أزواجًا خيرًا منكن، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥][(١)] .

وهكذا قال ابن عباس في هذه، فقال في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: وذلك أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله، لو صليت بنا خلف المقام، فأنزل الله تعالى على ما قال عمر، ففعل رسول الله ﷺ[(٢)] .

وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ عطفا على المعنى لا على اللفظ؛ لأن قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ معناه: ثوبوا إليه واتخذوا.

واختلف في مقام إبراهيم، فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: البيت[(٣)]، وقال النخعي[(٤)(٥)]:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) كتاب تفسير القرآن، باب: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

(٢) لعله من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها في المقدمة، والحديث رواه عدد كبير من الأئمة، وبعضهم أخرجه مختصرًا. وقد رواه الثعلبي بالإسناد نفسه ١/ ١١٦٣ بهذا اللفظ، وإسناده ورجاله ثقات عدا عبدوس فإنه لم يذكر بجرح أو تعديل، والحديث ثابت في البخاري (٤٤٨٤) كتاب التفسير: باب: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وغيره من طريق آخر عن حميد الطويل عن أنس به.

(٣) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي من أهل الكوفة، كان إمامًا مجتهدًا، له مذهب، صالح زاهد ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا ويدلس، توفي سنة ٩٧هـ. ينظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٦/ ٢٧٠، «الأعلام» ١/ ٨٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٤، البغوي ١/ ١٤٦، القرطبي ٢/ ١٠٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٨١، والآلوسي ١/ ٣٨٠.

الحرم كله مقام إبراهيم[(١)]. وقال يمان: المسجد كله مقام إبراهيم[(٢)].
وقال عطاء: التعريف والصلاتان بعرفة والمشعر ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة مقام إبراهيم، سمعته من ابن عباس[(٣)].

وقال قتادة[(٤)] ومقاتل[(٥)] والسدي[(٦)] في هذه الآية: هو الصلاة عند مقام إبراهيم، أمروا بالصلاة عنده، ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله، والمقام في اللغة: موضع القدمين حيث يقوم عليه[(٧)]. وروى عبد الله بن عمر[(٨)] أن النبي ﷺ قال: « **الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب** »[(٩)].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٤.
(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٤، والبغوي ١/ ١٤٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٨١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٦.
(٤) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، وذكره الثعلبي ١/ ١١٦٤.
(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٧-١٣٨، وذكره الثعلبي ٣/ ١١٦٤.
(٦) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢٧.
(٧) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٨١.
(٨) هكذا في الأصل، والصواب: عبدالله بن عمرو كما في مصادر تخريج الحديث.
(٩) أخرجه الترمذي (٨٧٨) كتاب الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود، والإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٢١٣-٢١٤ ابن خزيمة ٤/ ٢١٩ برقم ٢٧٣٢ في المناسك، باب صفة الركن والمقام، والبيان انهما ياقوتتان من يواقيت الجنة، والحاكم ١/ ٤٥٦ البيهقي ٥/ ٧٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٣٩، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٧. قال الترمذي: هذا يُرْوى عن عبد الله بن عمرو، موقوفًا من قوله، وفيه عن أنس أيضًا، وهو حديث غريب وقال ابن خزيمة: لست أعرف (رجاء) [يعني رجاء بن صبيح الحَرَشي] هذا بعدالة ولا جرح، ولست أحتج بخبر مثله، اهـ. وقد ضعفه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٤٦٢ وللحديث شواهد كثيرة حكم بعضها على الحديث بالحسن لغيره، كالدكتور خالد العنزي في تحقيق «تفسير الثعلبي».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل عليه السلام، فأذنت له، واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب[(١)] يتصيد، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل به، فجاءته بالمقام، فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شق رأسه الأيسر، فبقي أثر قدمه عليه[(٢)].

وذلك الحجر هو مقام إبراهيم الذي يعرفه الناس اليوم، وإذا أطلق مقام إبراهيم لم يفهم إلا الذي هو اليوم في المسجد، ويدل على هذا حديث عمر الذي رويناه آنفا[(٣)]، وجعل تأثير قدم إبراهيم في الحجر معجزة

---

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) ذكر القصة مطولة مبسوطة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٤ وقد ذكر الواحدي منها موضع الشاهد، وقد أخرج القصة الطبري في «تاريخه» ١/ ١٥٤ من طرق عن سعيد بن جبير، وذكرها البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٧، الثعلبي أيضًا من رواية السدي وغيره في كتابه: «عرائس المجالس» ص ٧١، ورواها الطبري مختصرة من كلام السدي ١/ ٥٣٧، وأصل القصة رواها البخاري (٣٣٦٤) كتاب الأنبياء، وليس عند البخاري غسل رأس إبراهيم ووضع رجله حينذاك على المقام، ومن طريق البخاري أخرجها ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٦٨ ثم ذكر قصة غسل زوجة إسماعيل الثانية لرأس إبراهيم، من رواية عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٦ تحقيق د: العنزي.

(٣) قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٨١ بعد أن ذكر اتفاق المحققين على هذا القول: ورجح بحديث عمر أفلا نتخذه مصلى. الحديث، وبقراءة رسول الله ﷺ لما فرغ من الطواف وأتى المقام ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فدل على أن المراد منه ذلك الموضع؛ ولأن هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع، ولأن الحجر صارت تحت قدميه في رطوبة الطين حين غاصت فيه رجلاه، وفي ذلك معجزة له، فكان اختصاصه به أقوى من اختصاص غيره، فكان إطلاق هذا الاسم عليه أولى=

لنبوته.

وقال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم[(١)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿مُصَلًّى﴾ قال الحسن: قبلة[(٢)]، وقال مجاهد: مُدَّعى[(٣)]، أي: موضع دعاء. وقال قتادة: صلوا عنده[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أمرناهما وأوصينا إليهما[(٥)]: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال سعيد بن جبير[(٦)]، وعبيد بن عمير[(٧)(٨)]،

= لأنه موضع القيام، وثبت قيامه على الحجر، ولم يثبت قيامه على غيره.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٧ وفي «عرائس المجالس» ص ٧٣، وأخرجه الواحدي بسنده من طريق الزهري، عن ابن أنس في «الوسيط» ١/ ٢٠٦، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٨٢ من هذا الطريق، وذكره القرطبي ٢/ ١٠٢ وابو حيان في «البحر» ١/ ٣٨١ وروى الطبري ٣/ ٣٥ بسنده عن قتادة قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ماتكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكرلنا بعض من رأى أثر عقبيه وأصابعه فيه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

(٢) في (ش): (وقبله).

(٣) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٧.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٩، البغوي ١/ ١٤٨، القرطبي ٢/ ١٠٣.

(٧) هو: أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي ﷺ، يعد من كبار التابعين، أجمعوا على توثيقه، كان من العباد، توفي سنة ٧٣هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٣٧٧ (٤٣٨٥)، «السير» ٤/ ١٥٦.

(٨) أخرجه الطبري ٣/ ٤٠، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٨، والثعلبي ١/ ١١٦٩.

وعطاء[١]، ومقاتل[٢]: من الأوثان والريب وقول الزور. وقال الزجاج[٣] والفراء[٤]: يريد من الأصنام ألا تعلّق فيه. وهذا الاختيار عند أبي علي، قال: لما جاء في المظهر منه لفظ (الرِّجْس) في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال ابن عباس ويمان بن رئاب[٥]: يعنى بَخْراه وخَلّقاه[٦] ونظفاه.

وقوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال الفراء[٧]: يقال: طاف يُطوفُ طَوفًا وطَوافًا وطوفانًا، وطاف يطِيف، وأطَاف يُطِيفُ، بمعنى واحد[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾ العكوف: الإقامة[٩] على الشيء[١٠].

قال المفسرون: عنى بالطائفين: النُّزَّاع إليه من الآفاق، وبالعاكفين:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٠ عن عطاء، عن عبيد، وذكره عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٨، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٨. وينظر: «الثعلبي» ١/ ١١٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٢.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٧٧.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٧١ وينظر: البغوي ١/ ١٤٥٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٢.

(٦) خَلَّقاه: أي طَيِّباه، والخلُوق والخِلاق: ضرب من الطيب وقيل: الزعفران وغيره، قال بعض الفقهاء: وهو مائع فيه صفرة. «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٤ «المصباح المنير» ص ١٨٠.

(٧) من قوله: (وقوله تعالى: للطائفين) ساقط من (ش).

(٨) هذا في كتاب «المصادر» للفراء وهو مفقود ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٢٢.

(٩) في (م): (القيام).

(١٠) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٣٢.

أهلَ مكة وبالركع السجود[(١)]: جميعَ المسلمين[(٢)].

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾. (البلد) يجوز في اللغة أن يكون جمع بلدة، ويجوز أن يكون واحدًا، وجمعه بلدان وبلاد[(٣)]. قال الليث: كل موضع من الأرض[(٤)] عامرٍ أو غامر[(٥)] مسكونٍ أو خالٍ: بلدٌ، والطائفة منه: بلدة[(٦)]. والبلد: المفازة، يقال: أذلّ من بيضةِ البلدِ، أي: بيضة النعامة التي تتركُها بالبلد، وهو المفازة. والعربُ تُسَمِّي كلَّ موضع خال: بلدة، فيقولون لموضع خالٍ من الكواكب بين النعائم وسعد الذابح: بلدة[(٧)]. ويقال للذي ليس بمقرون الحاجبين: الأبلدُ؛ لخُلُوّ ما بين حاجبيه من الشعر.

وقال أهل اللغة: أصلُ البلد: هو الأثر. من ذلك قولهم لكِرْكِرَةِ[(٨)]

---

(١) في (أ)، (م): (بالركع).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٩- ٥٤١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧، «تفسير الثعلبي»، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٨-١٤٩ وذكر الثعلبي في «تفسيره» عن عطاء قال: إذا كان طائفًا فهو من الطائفين، وإذا كان جالسًا فهو من العاكفين، وإذا كان مصليًا فهو من الركع السجود. وأخرجه الطبري ١/ ٥٤٠- ٥٤١ مفرقًا عن ابن عطاء ورجحه، وأخرج ابن حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٨ مثله عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣.

(٤) عبارة في «التهذيب» البلد: كل موضع مُسْتَحِييزِ من الأرض.

(٥) في (م): (أو غير عامر) وهو كذلك في «تهذيب اللغة» والغامر: ضد عامر.

(٦) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣.

(٧) نقل في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣ عن الليث: والبلدة في السماء موضع لانجوم فيه بين النعائم وسعد الذباح، وليست كواكب عظامًا تكون علمًا، وهي من منازل القمر وهي آخر البروج سميت بلدةً، وهي من برج القوس، خالية إلا من كواكب صغار.

(٨) الكِركِرة: بالكسر: رحى زور البعير، أو صدر كل ذي خف. «القاموس» ٤٦٩.

البعير: بلدة. لأنه إذا برك أثرت.

قال ذو الرمة:

أُنِيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوقَ بلدةٍ قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغَامُها[١]

ويقال للأثر: بلد، وجمعه أبلادٌ.

قال القُطامي[٢]:

وبالنُحورِ كُلومٌ ذاتُ أبلادِ[٣]

وقال ابنُ الرِّقاع[٤]:

عرَف الديارَ توهُّمًا فاعتادَها مِنْ بعدِ ما شَمِلَ البِلَى أبلادَها[٥]

وإنما سُمِّيت البلادُ لأنها مواضعُ مواطن الناس وتأثيرهم. والبلد: المقبرة، ويقال: هو نفس القبر، قال خُفَاف[٦]:

كلُّ امرئ تاركٌ أحبَّتَه ومُسْلِمٌ وجهَه إلى البلَد[٧]

---

(١) البيت لذي الرمة، في «ديوانه» ص١٠٠٤، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤١، «المعجم المفصل» ٧/ ١٣٥.

(٢) هو عمير بن شييم التغلبي القطامي، شاعر إسلامي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦١].

(٣) هذا عجز بيت، وصدره: ليست تجرح فُرّارًا ظهورهم. وهو للقطامي في «ديوانه» ص١٢، ينظر: «اللسان» مادة: بلد. ويروى: وفي النجوم، كما في «عمدة الحفاظ» ١/ ٢٥٨، وكذا في «المشوف المعلم» ١/ ١١٧، و«البصائر» ٢/ ٢٧٣، وينظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب ص١٤٣.

(٤) هو عدي بن الرقاع بن عاملة حي من قضاعة، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠].

(٥) البيت في «ديوانه» ص٣٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤١ مادة: بلد.

(٦) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، من مضر، أبو خراشة، شاعر فارس، كان أسود اللون، وعاش زمنًا في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف، وثبت في الردة على إسلامه، توفي سنة ٢٠هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ١٣٨، «الأعلام» ٢/ ٣٠٩.

(٧) البيت بلا نسبة في «المخصص» ٦/ ١٣٣، وانظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٤٢٩.

ومن هذا يقال: رجلٌ بليدٌ، إذا أثَّرَ فيه الجهلُ، ثم يقالُ منه: تبلَّدَ الرجلُ، وهو نقيضُ التجلُّد، قال:

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا فقد غُلِبَ المحزونُ أن يتجلَّدا(١)

وبلد أيضا: إذا ضَعُفَ في العملِ وغيره، حتى قيل في الجرِي قال:

جَرَى طَلَقًا حتى إذا قيلَ سابقٌ تداركَه أعراقُ(٢) سوءٍ فَبَلَّدَا(٣)

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنًا﴾ قال الزجاج: ذا أَمْنٍ(٤)، فيكون كقولهم: لابِنٌ وتَامِرٌ، ويجوزُ أن يكون آمنًا يأمَنُ أهله فيه، فيكون كقولهم: ليلٌ نائمٌ، أيْ: ينامُ أهله(٥) فيه، قال الشاعر:

ونمتُ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ(٦)

ويقولون: همٌّ ناصب، أي: ينصبُ فيه الإنسان، وينصبُ لأجلِه(٧)

---

(١) البيت للأحوص الأنصاري في «ديوانه» ص٩٨، وانظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠١.

(٢) في (ش): (أعواق).

(٣) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤٢ و٥/ ٢٩٠٤، «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠١.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٧.

(٥) زيادة من (م).

(٦) البيت لجرير بن عطية، ومطلعه:

لقد لُمتِنا يا أمَّ غيلان في السُّرى

ينظر: «ديوانه» ص٤٥٤.

(٧) وليس هذا بقياس عند سيبويه، وعن المبرد أن فاعلًا بمعنى صاحب، كذا قياس، وفي شرح المفصل: وكثر فعال حتى لا يبعد دعوى القياس فيه، وقل فاعل، فلا يمكن دعوى القياس فيه لندوره. ينظر: «حاشية ابن جماعة الكناني على شرح الجاربردي للشافية لابن الحاجب» ١/ ١٢٥، «همع الهوامع» للسيوطي ٢/ ١٩٨.

قال النابغة:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أميمةُ ناصبِ[١]

فأما التفسير فقال ابن عباس: يريد حرامًا محرمًا، لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاه، ولا يدخلها أحد إلا بإحرام، ولا تحلُّ لأحدٍ من الخلق إلا الساعة التي حلّت للنبي ﷺ، هذا كلامه[٢]. فأما الحكم في هذا، فإنَّ صيدَ مكة لا ينفر، ولا ينتف شعره، ولا يتعرض له بنوع أذًى، ومن قتل صيد مكة فعليه جزاؤه، ولا يجوز قطع أشجار[٣] الحرم على جهة الإضرار بها، ويجوز تشذيبها على جهة المصلحة لها، ولا يجوز خبطها؛ ولكنها تهشُّ هشًا رفيقًا، ويجوزُ إرسالُ المواشي لترتَعَ في حشيش الحرم[٤]. وقال النبي ﷺ: **«إن الله حبس الفيل عن مكة، وسلَّطَ عليها رسولَه والمؤمنين، وإنَّها لم تَحِلَّ لأحدٍ كان قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ كان بعدي، وإنما أُحِلَّت لي ساعة من النهار»**[٥]. والعرب تقول: آمَنُ من حمام مكة، يضربون المثلَ بها في الأمن[٦].

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

ينظر: «ديوانه» ص٤٠، و«المعجم المفصل» ١/ ٤٥٠.

(٢) ينظر مرفوعًا عن ابن عباس بنحوه عند البخاري (١٣٤٩) كتاب الحج باب: الأذخر والحشيش في القبر، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الحج؛ باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها.

(٣) في(م): (شجر).

(٤) ينظر في المسألة: «مشكل الآثار» للطحاوي ٤/ ١٧٦ ط دار الكتب العلمية، «المجموع شرح المهذب» ٧/ ٤٢٥ و٧/ ٤٤٤ ط المنيرية، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٨٠.

(٥) تقدم تخريجه آنفًا.

(٦) لأنها لا تثار ولا تهاج. ينظر: «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٨٧، «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ١٩٩، «المستقصى» للزمخشري ١/ ٧.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الثمرات: جمع ثمرة، وهو حمل الشجرة من أي نوع كان، ويأتي الكلام فيها عند اختلاف القراء في (ثمره) [الكهف: ٤٢].

قال المفسرون: استجاب الله دعاء إبراهيم، فقال في موضع آخر: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧](١).

قال عطاء عن ابن عباس: ذكروا أن الله عز وجل بعث جبريل إلى الشام، حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن، ثم طاف بها حول الكعبة أسبوعًا، لذلك سميت الطائف، ثم أنزلها تهامة، ومنها تجْبَى إلى مكة الثمرات(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (من) بَدَلٌ من أهله(٣) وهو بدل البعض من الكُلِّ، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ [آلعمران: ٩٧]. والأخفش يسمي هذا بدل التبيان؛ لأنَّ الأول دلَّ على العموم، ثم بان بالبدل أن المراد به البعض، كما تقول: أخذت المال ثلثيه، ورأيت القوم ناسًا منهم(٤). وإنما خصَّ إبراهيم عليه السلام بطلب الرزق المؤمنين؛ لأن الله تعالى أدبه بقوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتوهَّم أنه كما لا يعطيهم النبوة إلا إذا كانوا مؤمنين، كذلك لا يرزق أهل

---

(١) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢١٠.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٠ ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٩ دون نسبة، وبعضه يذكر عن الزهري ومحمد بن مسلم الطائفي. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٤٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٢٩-٢٣٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٣.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٧.

مكة إلا أن يكونوا مؤمنين[١].

قال ابن عباس: وكانت دعوةُ إبراهيم يومئذ وأهلها مؤمنون[٢]، فما زالوا على إيمانٍ ومعرفة بالله حتى غيَّرَ ذلك عمرو بن لُحَيّ الخُزاعي[٣]، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: «**رأيته في جهنم يجُرّ قُصْبَه**[٤] **في النار**»[٥]، وكان أول من غيّر دين إبراهيم، وعبد الأصنام، وسيّب السائبة، وبَحَر البحيرة، وحمى الحامي[٦]، وغلب على مكة، وقهر أهلها، وهم ولد إسماعيل.

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ فسأرزقه إلى منتهى أجله[٧]. وفي (أمتعه)

---

(١) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢١٠.

(٢) لعله من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها في القسم الدراسي.

(٣) هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي وقيل: عمرو بن لحي بن قَمَعَة، وقيل غير ذلك، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل، ودعا العربَ إلى عبادة الأوثان حيث دعا إلى تعظيمها. ينظر: «البداية والنهاية» ٢/ ١٨٧، «الأعلام» ٥/ ٨٤.

(٤) قصبه أي: أمعاءه، ينظر: «صحيح مسلم» (٢٨٥٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٥) رواه البخاري (٤٦٢٣) كتاب تفسير القرآن، باب: ماجعل الله من بحيرة، ومسلم (٢٨٥٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٦) السائبة: قيل: من الإبل، وقيل من جميع الأنعام وتكوم من النذر للأصنام، فتسيب فلاتحبس عن مرعى ولا ماء ولايركبها أحد ،كان الرجل ينذر إن برىء أو قدم من سفره ليُسيبن بعيرًا. والبحيرة: هي التي بحرت أذنها أي خرمت، قيل من الإبل وقيل من الشاة، إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها وتركت فلا يمسها أحد. والحامي: هوفحل الإبل، إذا انتجوا منه عشرة أبطن، قالوا قد حمى ظهره، فلم يركب وقيل: غير ذلك ينظر: «فتح الباري» ٨/ ٢٨٤.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٧٧، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٩.

قراءتان: التشديد من التفعيل، وهو قراءة عامة القراء، وقرأ ابن عامر بالتخفيف[١]. والتشديدُ أولى؛ لأن التنزيل عليه: كقوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] وقال: ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٦١] وقال: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. وأمّا التخفيف فإن أَفْعَل قد يكون بمعنى فَعَّل في كثير من المواضع، نحو: فَرَّحْتُه وأفرحْتُه، وأنزلته ونَزَّلته، قال الراعي[٢]:

خَلِيطَين من شعبين شتّى تجاورا
قديمًا وكانا بالتفرُّقِ أمتعا[٣]

وأما قوله: (قليلا) قال أبو علي الفارسي[٤]: يجوز أن يكون صفةً للمصدر، ويجوز أن يكون صفة للزمان. فالدلالةُ على جواز كونه صفة للمصدر قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] فوصف به المصدر. قال سيبويه[٥]: مثال هذا: أنك ترى الرجل يعالج شيئًا فتقول: رُويدًا، أي: علاجًا رويدًا. فإن قيل: كيف يحسنُ أن يكون صفةً للمصدر، وفعّل يدل على التكثير، فكيفَ يستقيمُ وصفُ الكثير بالقليل في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾، وهلا كان قولُ ابن عامر أرجحَ؛ لأنَّ هذا السؤال لا يعترض فيه.

---

(١) ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «معاني القراءات» للأزهري ص٦٣.

(٢) هو: أبو جندل عبيد بن حصين النميري، والراعي لقبه ؛ لكثرة وصفه للإبل، وهو شاعر من المحدثين الفحول، عاصر جريرًا والفرزدق، توفي سنة ٩٠هـ. ينظر: «الشعر والشعراء» ٢٦٥، «الأعلام» ٤/ ١٨٨.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص١٦٦، «لسان العرب» ٧/ ٤١٢٩، «المعجم المفصل» ٤/ ١٩٩.

(٤) في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٢٢.

(٥) «الكتاب» ١/ ١٢٤.

والجواب: أن هذا لا يدل على ترجيح قراءته، وإنما وصفه الله سبحانه بالقليلِ من حيثُ كان إلى نَفادٍ ونقصٍ وتناهٍ، ألا ترى أن(١) قوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧] فعلى هذا وُصِفَ المتاع بالقلة في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾.

وأما جواز أن يكون (قليل) صفة للزمان فيدلُّ عليه قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] بعد زمان قليل، كما تقول: أطعمه عن جوعٍ وكساه عن عُري(٢).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ أي: ألجئه في الآخرة إلى عذاب النار ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مُختصر، أي: بئس المصير النار أو عذاب النار(٣).

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ معنى القعود في أصل(٤) اللغة: الثبات على أيِّ حالةٍ كانت، الدليل عليه قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ [آل عمران: ١٢١] يريد: مثابت ومراكز، ولا يريد مَجَالس. وقولهم: قَعَدَتِ المرأةُ عن المحيض، معناه: ثبتت على حالة الطُّهر، ولا يراد به الجُلوس. ويقولون: قَعَدَتِ الفَسِيلة، إذا ثَبَتَتْ في الأرض، وصار لها جذع(٥). ومن هذا: قواعد البيت، فَقَعَدَ في أصل اللغة

---

(١) زيادة من (م).

(٢) انتهى كلام أبي علي الفارسي من «الحجة» ٢/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٧٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٤) ساقط من (ش).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤.

بمعنى: ثبت، ثم نقل إلى هذا الفعل المخصوص والمتعارف الذي لا تعرف العامة غيره(١).

وأما تفسير قواعد البيت، فقال ابن المظفر: القواعد: أصول الأساسِ، الواحد: قاعدة(٢).

قال الزجاج: وكل قاعدةٍ فهي أصلٌ للذي فوقها(٣). قال الكُمَيْت(٤):

فـي ذِروةٍ مـن يـفـاعٍ أوّلـهـم زانـت عـواليَـهـا قـواعـدُهـا(٥)

ومنه يقال للخشبات أسافل الهودج: القواعد، لأنها كالأساس للهودج(٦). قال ابن عباس: يعنى: أصولَ البيت(٧).

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ المعنى: يقولان(٨): ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٨٩ (قعد).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٧.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٨، قال في «البحر المحيط» ١: ٣٧٣: القواعد: قال الكسائي والفراء: هي الجدر، وقال أبو عبيدة: الأساس، وبالأساس فسرها ابن عطية أولًا والزمخشري وقال: هي صفة غالبة، ومعناها: الثابتة. ا هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) البيت للكميت في «مجاز القرآن» ١/ ٥٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٧٣ ولم ينسبه، واليَفَاع: المشرف من الأرض و الجبل.

(٦) «لسان العرب» ٦/ ٣٦٨٩ (قعد)، والهَوْدَج: مركب للنساء يوضع على ظهور الرواحل.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٨٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٢٣١ بلفظ: أساس البيت، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٤٦ بلفظ: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك.

(٨) يروي ابن عباس ذلك كما في «تفسير الطبري» ١/ ٥٤٩، وينظر: «صحيح البخاري» (٣٣٦٥) كتاب الأنبياء، باب: يزفون النسلان في المشي، وعند الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٤٨ أن إسماعيل هو الذي قال: (ربنا تقبل منا).

كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] المعنى: يقولون: أخرجوا، ومثله: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ يريد: لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبنا[1].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك[2].

قال ابن الأنباري: يقال: فلان مسلم، وفيه قولان:

أحدهما: أنه المستسلم لأمر الله.

والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم: سَلَّمَ لفلان الشيءَ، أي: خَلَّصَه له، وسَلِمَ له الشيءُ، أي: خَلَصَ[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] معناه: خالصًا لرجل، وأنشد على أنَّ المسلم بمعنى المستسلم لأمر الله قولَ الشاعر:

فقلنا أسْلِمُوا إنّا أخوكم[4] فقد بَرِئَتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدُورُ[5]

أراد: استسلموا. قالوا: فالمسلم الذي يعتقد الاستسلامَ لله تعالى والإيمانَ به محمودٌ، والمسلمُ الذي يستسلم خوفًا من القتل مذمومٌ، من

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٠.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٠.

(٣) نقله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٥، وعنه في «لسان العرب» ٤/ ٢٠٨٠.

(٤) في (ش): (باحركم).

(٥) البيت لعباس بن مرداس، في «ديوانه» ص٥٢، «لسان العرب» ١/ ٤١ «المعجم المفصل» ٣/ ٣٢٦.

ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[١] [الحجرات: ١٤]. معناه: استسلمنا من خوف القتل[٢]. وقد ذكرنا معنى الإسلام فيما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ الأُمَّةُ في اللغة تكون على وجوه، قال أبو العباس: الأُمَّةُ تأويلها: الجماعة من كل شيء، من ذلك: أمة محمد ﷺ، ويقال: إنما فلان أمةٌ وَحْدَه، أي: يَسُدُّ مَسَدَّ جَمَاعةٍ، ومنه يقال: فلان حسن الأُمَّة، إذا مُدِحَ بالتمامِ واستجماعِ الخُلُقِ على الاستواء[٣].

قال الأعشى[٤]:

وإنَّ معاويةَ الأكْرَمِين ... حِسَانُ الوُجُوهِ طِوالُ الأُمَمْ[٥]

ومنه سميت الأمّ؛ لأنها المحتويةُ على الولد، ومنها يخرج، ومن ذلك قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] أَيْ: مجمع الحلال والحرام. والإمام مأخوذ من هذا؛ لأن عليه تجتمع[٦] الجماعة[٧]، ومنه: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: بعد حين من الدهر[٨]، وذلك لجماعة الشهور

---

(١) في (م)، (ش): (لن).
(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٥، «لسان العرب» ٤/ ٢٠٨٠.
(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢-٢٠٦، «لسان العرب» ١/ ١٣٥ (أمم).
(٤) هو أبو بصير ميمون بن قيس، تقدمت ترجمته.
(٥) البيت للأعشى في «ديوانه» ص١٩٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤، «لسان العرب» ١/ ١٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٢، «الأمالي» لأبي علي القالي ١/ ٢٥، «المعجم المفصل» ٧/ ٢٩.
(٦) في (أ): (يجتمع)، وفي (م): (مجتمع).
(٧) «لسان العرب» ١/ ١٣٣-١٣٤ (أمم).
(٨) «المفردات» للراغب الأصفهاني ص٣٣.

والأعوام، وأم النجوم: المجرة؛ لأنها مجتمع النجوم، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أمّ لها(١)، وأمُّ القوم: رئيسُهم الذي يجتمع إليه أَمْرُهم(٢).

قال الشنفرى(٣):

وأمَّ عيال قد شَهِدتُ تَقُوتُهم إذا أحْتَرتْهُمْ(٤) أحْتَرَتْ وأقَلَّتِ(٥)

يعني: تأبط شرًا، والأَمَم: القريب المجتمع، وأمَّه: إذا قَصَدَ الاجتماع معه(٦).

وقال أبو إسحاق: الأمة في اللغة أشياء، الأمة: القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم أي: قرون، والأمة: الدِّين، ومنه قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: كانوا على دين واحد، والأمة: القامة وأنشد:

.... طوال الأمم(٧)

والأمة: الرجل الذي لا نظير له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾(٨)، [النحل: ١٢٠].

---

(١) «لسان العرب» ١/ ١٣٧ (أم).

(٢) «لسان العرب» ١/ ١٣٣ (أمم).

(٣) هو ثابت بن أوس الأزدي، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٠].

(٤) في (ش): (أخترتهم)، وفي (أ) لعلها كذلك.

(٥) البيت للشنفرى في «ديوانه» ص٣٥، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٣ وروايته: إذا حَتَرَتْهم أتْفَهَتْ وأقَلَّتِ، «لسان العرب» ٢/ ٧٦٩ (مادة: حتر)، ١/ ١٣٧ (مادة: أمم)، «المعجم المفصل» ١/ ٥٥٢.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢-٢٠٣، «لسان العرب» ١/ ١٣٥ (أمم).

(٧) هذه قطعة من البيت المذكور في الصفحة السابقة.

(٨) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، وزاد من المعاني: الأمة: بمعنى النعمة والخير.

قال: وأصل هذا الباب كله من القصد، يقال: أممت الشيء إذا قصدته، فمعنى الأمة في القرن من الناس: الذين يقصدهم مقصدًا واحدًا، ومعنى الأمة في الدين: إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه؛ ولذلك سميت النعمة أمة، ومعنى الأمة في الرجل: الذي لا نظير له: أن قصده منفرد من قصد سائر الناس[١]. قال ومعنى الأمة: القامة، لأنها مقصد الجسد، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى أممت،أي: قصدت[٢].

قال الأزهري: والأمة فيما فسّروا يقع على الكفار والمؤمنين[٣]، وقال الليث: كلُّ قوم نُسبوا إلى نبيٍّ فأضيفوا إليه فهم أمته، وقيل: أمة محمد ﷺ: كل من أرسل إليه[٤] ممن آمن به أو كفر، قال: وكل جيل من الناس هم أمة على حدة[٥].

قال ابن الأنباري: والأمة أيضًا أتباع الأنبياء، من قولهم: نحن أمة محمد ﷺ.

قال ابن عباس: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ يريد: أمةَ محمَّدٍ ﷺ ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ يريد: المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان[٦]. قيل: وإنما خصّا

(١) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٣، ونقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤ (أم).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٤.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤.

(٤) ساقط من (ش).

(٥) نقله في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٥.

(٦) لم أجده ولعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

بالدعوة بعضَ الذُّرِّيَّة؛ لأن الله تعالى أعلمهما أن في ذريتهما من لا ينال العهد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. (أرنا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون منقولًا من رأيت الذي يراد بها إدراك البصر، نقلت بالهمزة فتعدت إلى مفعولين، والتقدير: حذف المضاف، كأنه قال: أرنا مواضع مناسكنا، والمناسك: جمع منسك، وهو مصدر، جُمع لاختلاف ضروبه، والمعنى: عَرِّفْنا هذه المواضع التي تتعلق النسك بها؛ لنفعله ونقضي نسكنا فيها[1]، على حدِّ ما يقتضيه توقيفنا عليها، وذلك نحو: المواقيت التي يحرم منها، ونحو: الموضع الذي يوقف فيه بعرفةَ، وموضع الطواف، وموضع رمي الجمار، فهذا من: رأيتُ المواضع، وأريته زيدًا.

والوجه الآخر: أن يكون أرنا منقولًا من رأيت، الذي لا يراد به رؤية العين ولكن التوقيف على الأمر، وضرب من العلم. وإلى هذا ذهب أبو عبيدة في تأويل الآية فقال: (وأرنا مناسكنا) أي: عَلِّمْنا، وأنشد:

أريني جوادًا مات هَزْلًا لأنني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مُخَلَّدا[2]

---

(١) في (م): (فيه)، وفي (ش): (بها).

(٢) البيت لحاتم الطائي، في «ديوانه» ص٤٠، ولحطائط بن يعفر، «مجاز القرآن» ١/ ٥٥، «الحجة» ٢/ ٢٢٥، «شرح أبيات المغني» ١/ ٢١٩، وفي «خزانة الأدب» ١/ ٤٠٦، ولدريد في «لسان العرب» ١/ ١٥٨، ولمعن بن أوس في «ديوانه» ص٣٩. قال العيني ١/ ٣٢٩: أقول قائله هو حاتم بن عدي الطائي، كذا قالت جماعة من النحاة. ينظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠٢، وتحقيق أحمد شاكر لكتاب «الشعر والشعراء» ١/ ٢٤٨.

قال: أراد: دُلِّني، ولم يرد رؤية العين[(١)]. وقوله: لأنني، أي: لعلني[(٢)].

وقال أبو إسحاق: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ معناه: عرِّفنا متعبداتنا، وكلُّ متعبَّدٍ فهو منسِك ومنسَك، ومن هذا قيل للعابد: ناسك، ويقال للذبيحة المتقرب بها إلى الله: نسيكة، وإنما سمي الذبيحة نَسِيكة[(٣)]؛ لأنهم كانوا يذبحونها للعبادة. فقوله: ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ يحتمل أن يكون جمع مَنْسَك الذي هو المصدر، فيكون على تقدير حذف المضاف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون جمع منسك الذي هو الموضع، فلا يكون فيه حذف. ونسك في اللغة على معنيين:

أحدهما: ذَبح، والآخر: عَبَدَ، فلا يُدرى[(٤)] أيهما الأصل[(٥)].

وفي قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قراءتان: كسر الراء، وإسكانها[(٦)].

قال أبو إسحاق: والأجود الكسر؛ لأن الأصل أَرْئنا، فالكسرة في الراء إنما هي كسرة همزة، أُلقيت فَطُرحت حركتها على الراء، فالكسرة دليلُ الهمزة، وحذفُها قبيحٌ، وهو جائزٌ على بُعدٍ؛ لأن الكسرةَ والضمةَ

---

(١) ما تقدم من «الحجة» ٢/ ٢٢٤-٢٢٥ بتصرف واختصار.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٥٥.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٩، وقال بعده: وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله جل وعز.

(٤) في (ش): (ندري).

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢ (نسو).

(٦) قرأ ابن كثير والسوسي ويعقوب بإسكان الراء، وقرأ الدوري عن أبي عمرو بإخفاء كسرتها: أي: اختلاسها، والباقون بالكسرة الكاملة على الأصل. ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «الحجة» ٢/ ٢٢٤، «البدور الزاهرة» ص٥٠.

تُحذفانِ استثقالًا[١]؛ كقولهم في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وقد[٢] ذكرنا هذا بأبلغ من هذا الشرح فيما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ قال ابن عباس: أي: الراجع بأوليائه وأهل طاعته[٣] إلى أفضل دينه[٤].

١٢٩- وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ قال ابن عباس: يريد: في ولدي[٥]، والكناية تعود إلى الذرية أو إلى الأمة في قوله: ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[٦]، وكلاهما ولد إبراهيم، وهم العرب[٧].

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ، فاستجاب الله دعاءه، وبعث فيهم رسولًا من أنفسهم، محمدًا سيد الأنبياء[٨]، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**إني عند[٩] الله في أمِّ الكتاب لَخَاتَمُ**

---

(١) بتصرف من «معاني القرآن» ١/ ٢٠٩، وفيه: (والأجود الكسر، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فخذ وعضد، وهذا ليس بمنزلة فخذ ولا عضد؛ لأن الأصل . . .).

(٢) في (ش): (وهذا).

(٣) في (أ)، (ش): (طاعة).

(٤) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها. وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٠٠.

(٥) لعله من رواية عطاء.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٧، وينظر: «سنن سعيد بن منصور» ٢/ ٦١٥، «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٦، «زاد المسير» ١/ ١٤٦.

(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٧ قال: وقيل في أهل مكة. وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٤٦، «الخازن» ١/ ١١١، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٢.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٩٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥١.

(٩) في (ش): (عبد).

النبيين، وإن آدم لمُنجدِلٌ في طِينَتِه، وسوف أنبئكم بتلك دعوة أبي إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾. الآية، **وبشارة عيسى قومه**: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ﴾ [الصف: ٦]، **ورؤيا أمي، التي رأت أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام**(١)».

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قال ابن عباس: يريد القرآن الذي أنزل عليه، وما فيه من الفرائض والأحكام والسنن وشرائع النبيين(٢).

فعلى هذا الحكمة: هي نفس الكتاب، وجُمع بينهما لاختلاف اللفظين. والحكمة في اللغة: فهم المعاني، وبه قال مجاهد، فإنه قال: يعنى بالحكمة فهم القرآن(٣).

وقال عبد الله بن مسلم: هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ١٢٧، وابن حبان (٦٤٠٤)، والحاكم ٢/ ٤١٨، ٦٠٠، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٨٩، والبغوي في «تفسيره» ١٥/ ١٥١، وفي «شرح السنة» ١٣/ ٢٠٧، والطبري ١/ ٥٥٦، والطبراني ١٨/ ٢٥٢ (٦٢٩)، (٦٣٠)، والبخاري في «تاريخه» ٦/ ٦٨ والثعلبي في «تفسيره»، وآخرون من حديث العرباض بن سارية ورواياتهم: وسأنبئكم بتأويل ذلك، أو سأنبئكم بأول ذلك، أو سأخبركم عن ذلك، وذكر الآيات ليس في الرويات، ومعنى منجدل: أي: ملقىً على الجدالة وهي الأرض، والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وقال: الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان، وينظر: « الكشاف» لابن حجر ص١٠، وهو صحيح لغيره.

(٢) لعله من رواية عطاء، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٧، عن قتادة وغيره. «المحرر الوجيز» ١/ ٢١٢.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٨٨ عن مجاهد، وعنه البغوي ١/ ١١٨٨، «الخازن» ١/ ١١٢، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

حتى يجمعهما[١]. سمعت الثعلبي -رحمه الله- يقول: سمعت البياري[٢] يقول: سمعت السِّيرافي[٣] يقول: سمعت ابن دُرَيدٍ يقول: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قَبيحٍ فهي حكمة[٤].

ومنه قوله ﷺ: «إنَّ من الشعرِ حكمةً[٥]».

وأصلها في اللغة: من المنع والرد[٦]، قال الأصمعي: أصل الحكومة: ردُّ الرجل عن الظلم، ومنه سميت حَكَمَةُ اللِّجام؛ لأنها تَرُدُّ الدَّابَّة[٧]، وهذا يذكر في مواضع من هذا الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أصل التزكية في اللغة: النسبة إلى الازدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمشوبة، والزكاة: الزيادة[٨]، وقد ذكرنا

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٨، وذكره البغوي ١/ ١٥٢ وأبو حيان في «البحر المحيط».

(٢) هو علي بن الحارث البياري الخراساني، من معادن العلم، أديب بارع شدت إليه الرحال صاحب كتاب «شرح الحماسة وصناعة الشعر». ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، «دمية القصر» ص٣٠٢.

(٣) هو العلامة إمام النحو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، «السيرافي»، صاحب التصانيف ونحوي بغداد، وهو من أعيان الحنفية، رأسًا في نحو البصريين، تصدر لإقراء القراءات واللغة والفقه والفرائض، وولي قضاء بغداد توفي سنة ٣٦٨هـ. ينظر: «السير» ١٦/ ٢٤٧-٢٤٨، «إنباه الرواة» ١/ ٤١٣، «تاريخ بغداد» ٧/ ٣٤١-٣٤٢.

(٤) هكذا بهذا الإسناد عند الثعلبي ١/ ١١٨٩ وزاد: فهي حكمة وحكم. وذكره ابن دريد في «الجمهرة» ١/ ٥٦٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢، والسمعاني ٢/ ٦٠.

(٥) رواه البخاري (٦١٤٥) كتاب الأدب، باب: مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، من حديث أبي بن كعب.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «تفسير الثعلبي» ٨٤٣ و ١١٩٢

(٧) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «لسان العرب» ٢/ ٩٥٢ .

(٨) «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٨، «المحرر الوجيز» ١/ ٤٩٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٠.

هذا عند تفسير الزكاة. قال ابن عباس: ويرشدهم إلى أفضل عبادتك[١]، وقال ابن جريج[٢]: يطهرهم من الشرك، ويخلّصهم منه[٣].

وقيل: يأخذ زكاة أموالهم[٤]، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ، بيانه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٥] [البقرة: ١٤٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ اختلف قول أهل اللغة في معنى العزيز واشتقاقه، فقال أبو إسحاق: العزيز في صفات الله: الممتنع فلا يغلبه شيء[٦]، وهذا قول المفضل، قال: العزيز: المنيع الذي لا تناله الأيدي[٧].

وعلى هذا القول العزيز من عزّ يَعَزُّ بفتح العين، إذا اشتد[٨]، يقال: عَزَّ علي ما أصاب فلانًا أي: اشتد، وتعزّز لحم الناقة إذا صلُب واشتدّ[٩]،

---

(١) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها. وبنحوه أخرجه الطبري ١/ ٥٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٣٧ (١٢٦٥) بلفظ: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٥].

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٥٨، وذكره الثعلبي ١/ ١١٩٢ بلا نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٢، والسمرقندي ١/ ١٥٨، والبغوي ١/ ١٥٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٦، وبنحوه في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٢، وعنه البغوي ١/ ١٥٢، «الخازن» ١/ ١١٢.

(٦) نقله عن أبي إسحاق الزجاج الأزهري في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، وعنه في «اللسان» ٥/ ٢٩٢٥، وينظر تفصيلا في «اشتقاق أسماء الله» لأبي القاسم الزجاجي ص٢٣٧-٢٤٠.

(٧) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ «عزز».

(٩) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣، «الدر المصون» ١/ ٣٧٣.

وأنشد أبو عمرو الشيباني(١):

أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تعزّزَ لحمُها وإذا تُشَدُّ بنسعةٍ لا تَنْبِسُ(٢)

يريد: أنها إذا هزلت صَلُبَ لحمُها ولم يَسْتَرْخِ جلدها.

وقال أبو كبير الهذلي(٣) يصف عقابًا(٤):

حتى انتهيت إلى فراشِ عزيزة

سوداء روثةُ أنفِها كالمِخْصَفِ(٥)

سماها عزيزة؛ لأنَّها من أقوى الجوارح، وأشدِّها بأسًا، والعزاز: الأرض الصلبة، فمعنى العِزَّةِ في اللغة: الشِّدَّة(٦)، ولا يجوزُ في وصف الله تعالى الشِّدَّة(٧)، ويجوزُ العزّة، وهي امتناعه على من أراده، وعلوه

---

(١) هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٩].

(٢) البيت للمتلمس الضبعي في «ديوانه» ص١٨٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٧، «تاج العروس» ٨/ ١٠٥، «الأغاني» ٢٤/ ٢٣٠، وذكره ابن دريد في «الجمهرة» ص٣٤١ ولم ينسبه. ورواية «الديوان»: عُنُسٌ بدل أَجُدٌ، ورواية الثعلبي: بنَسعِها. ومعنى: ضمرت: نحلت، وقوله: تَعَزَّزَ لحمها: اشتد وصلب، والنسع: سير من الجلد تشد به الرحال، ومعنى لاتنبس: لاتنطق ولاتصيح. وهو في البيت يصف الناقة.

(٣) هو عامر بن الحليس الهذيلي، أبو كبير من بني سهل بن هذيل، تقدمت ترجمته.

(٤) ساقطة من (أ)، (م).

(٥) ينظر: «شرح أشعار الهذليين» ص١٠٨٩، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٦، ١/ ١٠٣٩ (خصف)، «تاج العروس» ٣/ ٢٢٠ (مادة: روث)، «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٥/ ٩١.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ (عزز).

(٧) ذكره الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية» ص٣٠٢ أن من أسماء الله تعالى القوي، ومن لوازم القوة: القدرة، بخلاف الشديد ولهذا لم يأت في القرآن=

عن[١] أن تناله[٢] يدٌ[٣]، وقال ابن عباس: العزيز: الذي لا يوجد مثله[٤].

قال الفراء: يقال: عزّ يَعِزُّ بالكسر: إذا قلَّ حتى لا يكاد يوجد، عِزّةً فهو عزيز[٥]. وقال الكسائي[٦] وابن الأنباري[٧] وجماعة من أهل اللغة: العزيز: القوي الغالب، تقول العرب: عَزَّ فلانٌ فلانًا يَعُزُّه عِزًّا، إذا غلبه[٨]، قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

= الكريم إلا مربوطًا بالعقاب أو العذاب أو الحساب الشديد، وهو كثير، وليس من أسماء الله الشديد، قال الله تعالى: (وهو شديد المحال) [الرعد: ١٣] فهذا من صفات الله سبحانه. ا. هـ. وقال الأستاذ علوي السقاف في كتابه: «صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة» ص١٣٥- ١٥٤: الشدَّة بمعنى القوة من صفات الله الذاتية ودلل لها بقوله تعالى: ﴿وهو شديد المحال﴾ [الرعد: ١٣] وقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] وبحديث: «اللهم اشدد وطأتك على مضر..» رواه البخاري ومسلم. وقال: وقد عد الزجاجي (في كتابه اشتقاق أسماء الله ص١٩٢) وابن منده في كتابه «التوحيد» ووافقه محققه (الشديد) من أسماء الله تعالى، ولا يوافقون على ذلك. ا. هـ كلام السقاف ملخصًا.

(١) في (ش): (من).

(٢) في (أ) و(م): (يناله).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠-٢٤٢١، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزز).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٢، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢، «الخازن» ١/ ١١٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، وينظر: «القاموس المحيط» ص٥١٧.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٣، والقرطبي ٢/ ١٢١.

(٧) «الزهراء» ١/ ١٧٤.

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزز).

قال عمر بن أبي ربيعة[١]:

هُنالك إما تَعُزُّ الهوى
وإما على إثرهم تَكْمَدُ[٢]

معناه: إما تغلب الهوى، ومنه يقال: من عَزّ بَزَّ أبو عبيد عن أبي زيد: عَزَّ الرجل يَعِزّ عِزةً وعِزًّا، إذا قَوِيَ[٣]، فمعنى العزيز: الغالبُ القويُّ الذي لا يعجزه شيء[٤]، وذكرنا معنى الحكيم فيما مضى[٥].

١٣٠- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يقال: رغبت عن الشيء أي: تركته عمدًا، وهو ضدُّ قولك: رغبتُ فيه[٦].

قال أبو إسحاق: معنى (مَنْ) التقريرُ والتوبيخُ، ولفظُها لفظُ الاستفهام والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَه[٧]، وذكرنا معنى السفه فيما تقدم[٨].

واختلف النحويون في نصب (نفسَه). فقال الفرَّاءُ: العرب توقع[٩]

---

(١) هو: أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المغيري المخزومي القرشي، أكثر شعره في الغزل، ولد ليلة مقتل الخليفة عمر، وتوفي سنة ٩٣هـ. ينظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٣٦، «الشعر والشعراء» ص٢٥، ١٨٦.

(٢) ينظر: «الأغاني» ١٣/ ٨٧.

(٣) ذكره عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ «عزر».

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزر).

(٥) تقدم عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج بتصرف، ١/ ٢٠٩ «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٨) تقدم عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

(٩) في (م): (ترفع).

سَفِهَ على النفس، وهي معرفة، وكذلك قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] وهو في المعرفة كالنكرة؛ لأنه مفسِّر، والمفسِّر في أكثر الكلام نكرة، كقولك: ضِقْتُ به ذَرْعًا، المعنى: ضاق به ذرعي، فالفعل للذرع، فلما جعلتَ الضيق مسندًا إليك فقلت: ضقت، جاء الذرع مفسرًا؛ ليدل على أنَّ[1] الضيقَ فيه، كما تقول: هو أوسعُكم دارًا، أدخلتَ الدارَ لِيُعْلَمَ أنَّ السعةَ فيها لا في الرجل[2]. ثم أجري على هذا قولهم: قد[3] وَجِعَ بطنَه، وأَلِمَ رأسَه، وغَبِنَ رأيَه، ورَشِدَ أمرَه، فعند الفرَّاءِ التقدير: سَفِهَتْ نفسُه، فَأُضيفَ الفعلُ إلى صاحب النفس، فخرجت النفس مُفسّرةً، وهذا مذهب الكوفيين.

واعترض الزجاج على هذا بأن قال: معنى التمييز لا يحتمل التعريفَ؛ لأنَّ التمييزَ إنما هو واحدٌ يدل على جنس أو خَلَّة يخلص من خِلال، فإذا عَرَّفته صار مقصودًا قصده، وهذا لم يقُلْهُ أحدٌ ممن تقدَّمَ[4] من النحويين[5].

ثم حكى أقوالًا، فحكى عن الأخفش[6]، عن أهل التأويل، إنهم قالوا: إن المعنى: سَفَّه نفسه. وقال يونس[7][8]: أُراها لغةً، ذهب إلى أن

(١) في (م): (أن المعنى الضيق فيه).
(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٩، ونقله في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٩٩.
(٣) ساقطة من (ش)، (م).
(٤) في (م): (من المتقدمين).
(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٩، وينظر: «التبيان» للعكبري ٩٣.
(٦) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٨.
(٧) نقله عنه الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٤٨.
(٨) هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء، البصري أبو عبد الرحمن، تقدمت ترجمته.

فَعِلَ للمبالغة كفَعُلَ، فذهب في هذا مذهب أهل التأويل، قال: ويجوز على هذا سفِهتُ زيدًا[١]، بمعنى: سَفّهتُ زيدًا.

قال ابن الأنباري: لا يعرف[٢] هذا؛ لأن العرب لا تقول: سَفِهَ زيدٌ عمرًا بمعنى: سَفَّه، وحكى الزجّاج أيضًا، عن أبي عبيدة، أنه قال: معناه: أهلك نفسه، وأوبق نفسه[٣]، وهذا القول مثل ما حكى الأخفش عن أهل التأويل[٤].

وقال أبو بكر: على هذا القول أهلكت في معنى سفه معنًى، وليس بتفسير، وإذا كان كذلك لم يجز نصبُ النفس به، وإيقاعُه عليه؛ لأن سَفِهَ يخالف أهلَكَ في التعدِّي، وإن كان بمعنى خِفْتُ.

وحكى الزجّاج أيضًا عن الأخفش نفسه[٥]: أن سَفِهَ نفسَه بمعنى سَفُه في نفسه، إلا أن (في) حذفت كما حُذفت حروف الجر في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣] المعنى: أن تسترضعوا لأولادكم[٦]، فحذف حرف الجر من غير ظرف؛ لأن المعنى: لأولادكم، ومثله ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي: عليها، ومثلُه قول الشاعر:

نغالي اللحم للأضياف نِيئًا ... ونبذُلُه إذا نَضِجَ القُدُورُ[٧]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج.

(٢) في (ش): (نعرف).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٥٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٠.

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ساقطة من (ش).

(٧) البيت لرجل من قيس، في «جمهرة اللغة» ص١٣١٧، «أساس البلاغة» (غلو)=

المعنى: نغالي باللحم[١].

قال: ومثله: قول العرب: ضُرِبَ زيدٌ الظَهَر والبَطنَ، المعنى[٢]: على الظهر والبطن.

قال: وهذا عندي مذهَبٌ صالح، ثم اختار أن يكون معنى سفِه نفسَه: جَهِلَ نفسه، فالمعنى والله أعلم: إلا من جهل نفسه، أي: لم يفكر في نفسه، فوضع سَفِهَ موضع جَهِل، وعُدِّي كما عُدِّي[٣]. وقد ارتضى هذا القول كثير من العلماء[٤]، وبه قال ابن كيسان فقال في تفسير قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: إلا من جهِل نفسه[٥]؛ لأن من عبد حجرًا أو قمرًا أو شمسًا أو صنمًا[٦] فقد جهل نفسه؛ لأنه لم يعلم خالقها، ولم يعلم[٧] ما يحق لله عليه. والعرب تضع سَفِهَ في موضع جَهِل، ومنه الحديث: «الكِبْرُ[٨]

= ص١٧١ وبلا نسبة في «لسان العرب» ٦/ ٣٢٩٠. ونسب للحطيئة في «أمالي المرتضي». انظر: حاشية «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٠، «معاني القرآن» للفراء٢/ ٣٨٢ ، «المعجم المفصل»٣/ ٣٢٧ .

(١) «معاني القرآن» للأخفش١/ ١٤٨-١٤٩ ، وينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٥.

(٢) في (ش): (والمعنى).

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٠، وعنده: فحذف حرف الجر في غير الظرف.

(٤) ينظر: «التبيان» ٩٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٥) الثعلبي١/ ١٢٠٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢. والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤، وهو اختيار الزجاج في «معاني القرآن»١/ ٢١١.

(٦) في (ش): (ضيًا).

(٧) في (م): (ولا يعلم).

(٨) في (أ) و(م): (الكبير).

أن تسفَهَ الحقَّ وتغمِصَ[١] الناسَ[٢]» أي: تجهل الحق.

ويؤيد هذا القولَ ما روي في الحديث[٣]: «مَنْ عرف نفسه فقد[٤] عرف ربه»[٥]. قيل في معناه: إنما يقع الناس في البدع والضلالات لجهلهم أنفسهم، وظنّهم أنهم يملكون الضرّ والنفع دون الله.

---

(١) أي: تحقر وتزدري، ينظر: «القاموس» ص٦٢٥.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ٢/ ٦٩، عن ثابت بن قيس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ١٣٣، في طريق عبد الله بن عمرو: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيف، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات. اهـ. ورواه أحمد ٤/ ١٣٤ عن أبي ريحانة بلفظ: «إنما الكبر من سفه الحق وغمض الناس» ورواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه ولفظه: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي»١/ ١٢٠٠ ، وقال: كما جاء في الخبر فذكره، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٣.

(٤) ساقطة من (أ).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ، وعنه البغوي ١/ ١٥٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤ قال النووي: ليس بثابت، ينظر: «المقاصد الحسنة» ص٤٩٠ (١١٤٩)، وقال ابن تيمية: موضوع، ينظر: «المصنوع في معرفة الموضوع» ص١٨٩ (٣٤٩)، وقال السمعاني: إنه لا يعرف مرفوعًا، ينظر: «المقاصد» ص٤٩٠، «الموضوعات» ص٣٥١. وقال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٦٢: وقال أبو المظفر ابن السمعاني في «القواطع»: إنه لايُعرف مرفوعًاوإنما يُحْكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله. وقال ابن الفرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت، قال: لكن كُتبُ الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث، كالشيخ محيي بن عربي، وغيره.. قال: وللحافظ السيوطي فيه تأليف سماه «القول الأشبه في الحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه» والكتاب ضمن الكتب الموجودة في «الحاوي للفتاوى» للسيوطي، وذكره أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٠٨، عن سهل التستري.

وحُكي عن أبي بكر الوراق[١] أنه قال في معنى هذا الحديث: من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة، عرف ربه خالقًا رازقًا بالحول والقوة[٢]، وقد أوحى الله إلى داود: كيف عرفتني، وكيف عرفت نفسك؟ فقال: عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء، وعرفتُ نفسي بالعجز والضعف والفناء، فقال: الآن عرفتني[٣]. فإذا كان من عرف نفسه عرف ربه، كان من جهل نفسه جهل ربه حتى يرغب[٤] عن ملة إبراهيم.

ثم بعد هذه الأقوال، قد حكي عن الخليل قول حَسَنٌ، وهو أنه قال: تجيء أفعال تتعدى إلى النفس خاصة، نحو: سَفِه نفسَه وصَبَر نفسَه، ولا يقال: سَفِهتُ زيدا[٥] ولا صبرتُه، قال عنترة[٦]:

فصَبرتُ عارفةً لذلك حُرّةً ترسُو إذا نفسُ الجبان تَطَلَّعُ[٧]

أراد: صبرتُ نفسًا عارفة. وبهذا قال الكسائي، فقال في قوله: ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ و﴿بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ [القصص: ٥٨] ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ووجع بطنَه، ورشِد أمرَهُ وخسِر نفسَه: هذه حروف تقولها العرب

---

(١) الإمام المحدث أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦].

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٤.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥، والبغوي ١/ ١٥٣.

(٤) في (م): (حتى يذهب يرغب).

(٥) في (م): (سفهت نفسه زيدًا).

(٦) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من أشهر فرسان العرب وشجعانهم، من أصحاب المعلقات، يعد من الطبقة السادسة لفحول شعراء الجاهلية. ينظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٩، «الأعلام» ٥/ ٩١.

(٧) البيت لعنترة، تقدم تخريجه [البقرة: ٤٤].

كأنها فعل واقع في هذا المكان، ولا يقولون: وجعتُ عبدَ الله، ولا خسرتُ عبدَ الله[(١)].

قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ قال: خسر نفسه[(٢)].

وقال بعضهم: سفِه حقَّ نفسه، أي: جهِلَ[(٣)]، فجعله من باب حذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ معنى اصطفيناه: اخترناه للرسالة، وهو افتعلنا من الصفوة، قلبت التاءُ طاءً؛ لأنها أشبه بالصاد[(٤)]، وتأويل ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: أخذناه صافيًا من غير شائب[(٥)]. قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: يريد: أنه ليس في الأرض خلق إلا وهو[(٦)] يذكره بخير، وينتحل دينه[(٧)]، وقيل: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة، وقيل: بالخُلّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، قال ابن عباس: يريدُ

---

(١) تقدم شيء منه قبل قليل.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ١١٩١ ، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢، والخازن ١/ ١١٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٣) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٠٠ ، عن المفضل بن سلمة عن بعضهم. وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٤) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٩-٢٤٠، «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٢.

(٥) ينظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ٢١٥ .

(٦) في (م): (إلا ويذكره).

(٧) لعله من رواية عطاء.

من نوح وآدم[(١)]، وقال أبو صالح عنه: يريد مع آبائه الأنبياء في الجنة[(٢)]، وقال الحسن[(٣)]: أي: من الذين يستوجبون على الله الكرامةَ وحسنَ الثواب، فلما كان خلوصُ الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك.

وقال الزجاج: يريد من الفائزين؛ لأن الصالح في الآخرة فائز[(٤)].

وقال الحسينُ بن الفضل[(٥)]: هذا على التقديم والتأخير، تقديره: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين قال: ومثل هذا: الآية التي في النحل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢][(٦)].

١٣١- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ﴾ قال الزجاج: معناه: اصطفيناه إذ قال له ربه ﴿أَسْلِمْ ۖ﴾، أي: في ذلك الوقت[(٧)]. ولأهل التفسير في قوله: ﴿أَسْلِمْ ۖ﴾ طريقان:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿أَسْلِمْ ۖ﴾ ابتداء الإسلام، فقد قال ابن

---

(١) في «الوسيط» عزاه لعطاء، فلعله من رواية عطاء عن ابن عباس التي تقدم الحديث عنها في المقدمة، ولفظه: يريد: نوح وآدم.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٠١، والبغوي ١/ ١٥٣، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١١.

(٥) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي، تقدمت ترجمته.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٠١، والبغوي ١/ ١٥٣، والقرطبي ٢/ ١٢٢، وأبو حيان ١/ ٣٩٥ وقال: وهذا الذي ذهب إليه خطاء ينزه القرآن عنه.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٢١١.

عباس: إنما قال له ذلك حين خرج من السَّرَب[١]، فنظر إلى الكوكب والقمر والشمس[٢]، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام[٣].

وقال أصحاب هذا القول: إن الأنبياء يجوز عليهم قبل الوحي من الشرك والكبائر ما جاز على غيرهم، وإنما عصموا من وقت البعثة وإنزال الوحي[٤]، وهذا مذهب جماعة من أهل الأصول[٥].

وقال عدة من المفسرين: قوله: (أسلِمْ) معناه: دُمْ واثْبُتْ على الإسلام، كقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٦]

---

(١) السَّرَب: حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. ينظر: «اللسان» ٤/ ١٩٨٠.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٤، والواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣، الخازن١/ ١١١، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٣، وهو من رواية الكلبي عنه ولفظه كما في «الوسيط» رفع إبراهيم الصخرة عن باب السَّرَب، ثم خرج منه فنظر إلى الكوكب والشمس والقمر.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٠.

(٤) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» ٤/ ٣١٩: فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم يَنْقُلْ عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا مايوافق هذا القول.. وإنما نُقِل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يُقَرُّون عليها، ولا يقولون: إنها لاتقع بحال. وأول من نُقِل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولًا لذلك: الرافضة....

(٥) ينظر مناقشة ذلك عند أبي حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي»١/ ١٢٠١ .

[محمد: ١٩] وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] في أحد الوجهين(١). وعند أصحاب هذا القول، لا يجوز على الأنبياء في سابقة حالهم الشرك والكبائر، بل عصمهم الله سبحانه ودفع عنهم مالم يدفع عن غيرهم. فأما محمد ﷺ فعامة أصحابنا: على أنه ما كفر بالله طرفةَ عينٍ، ولا كان مشركًا قطُّ. ثم قال بعضهم: كان قبل البَعْث على دين عيسى، ومنهم من قال: كان يعبد الله تعالى على دين إبراهيم. قال ابن كيسان: معنى (أسلم): أخلِصْ دينك لله بالتوحيد(٢) فيكون أصل الإسلام على هذا القول: من السلامة، كأنه يخلص دينه فيسلم من الشرك، والشك، وقال عطاء: أسلِمْ نفسَك إلى الله وفوِّض أمورَك إليه(٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: في رواية عطاء: يريد بقلبه ولسانه وجوارحه، فلم يعدل بالله شيئا، ورضي أن يُحرَق بالنار في رضى الله تعالى، ولم يستعن بأحد من الملائكة(٤).

١٣٢- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ يقال: وصَّى يُوَصِّي توصية(٥)، يكونُ المصدر منه على تفعلة، ولا يكون على تفعيل؛ لأنك لو جئت به على تفعيل

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٦، «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٧١.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٥، والواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥، والبغوي ١/ ١٥٣، والقرطبي ٢/ ١٢٣، وهذا اختيار ابن كثير ١/ ١٩٨، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٦.

(٣) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٩٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» بنحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣.

(٥) المادة المذكورة في «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٢٧-٢٢٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٥٣-٤٨٥٤ (وصى).

للزم في حيّيتُ ونحوه أن يكون على تفعيل، فيجتمع ثلاث ياءات. والوصاة: اسم من التوصية، يقوم مقام المصدر، يقال: وصّاه وصاةً، كما يقال: كلَّمه كلامًا، قال الله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] قال الشاعر:

ألا مَنْ مبلغٌ عَنّي يزيدًا وَصاةً من أخي ثقةٍ وَدودِ[(١)]

المصدر من هذا الباب ينقسمُ إلى: تفعيل وتفعلة وفِعّال ومُفَعَّل، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ﴾ [ق: ٨] . وقال: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [عم: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ [سبأ: ١٩]. وفيما جاء على فِعّال وهو اسم ينوب عن المصدر كما ذكرنا، إلا أن العربَ تُؤْثِر التَّفْعِلة على التفعيل في ذوات الأربعة، يقولون: وصَّيْتُه توصيةً، وصفَّيْتُه تصفيةً. قال الله تعالى: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤] . وقال: ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةً﴾ [يس: ٥٠]. والعلةُ فيه ما ذكرنا، واشتقاقُ التوصية من قول العرب: وصَى الشيء، إذا اتصل، قال أبو عُبيد[(٢)]: وَصَيْتُ الشيءَ ووَصَلْتُه سواء، قال ذو الرمة:

وصى الليلَ بالأيامِ حتى صَلاتُنا مُقاسمةٌ يشتَقُّ أنصافَها السَّفْرُ[(٣)].

وفلاة واصية: تتصلُ بفَلاةٍ أخرى، وقال ذو الرمة:

---

(١) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤ (وصى)، «المعجم المفصل» ٢/ ٢٥٦.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٣) ينظر: «ديوانه» ص٥٩٠، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «ديوان الأدب» ٣/ ٢٥٧، «أساس البلاغة» (وصى)، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٨٢، ورواية «التهذيب» (نَصِي) بدل (وصى).

بين الرَّجَا والرَّجَا من جنبِ واصيةٍ   يَهْمَاءُ خابطُها بالخوفِ مَكْعُومُ[(١)(٢)]

الأصمعي: وَصَى الشيءُ يَصي، إذا اتصلَ، ووَصَّاه غيرُه يَصِيه، إذا وَصَلَه، لازمٌ وواقع[(٣)]. ثعلب، عن ابن الأعرابي: الوصيُّ النباتُ الملتفُّ[(٤)]، وقيل لعلي ﷺ: (وصيٌّ)[(٥)]؛ لاتصالِ نسبه وسببه[(٦)] وسمته بنسب النبي ﷺ وسببه وسمته، وسميت الوصيّةُ وصيةً؛ لاتصالها بأمر الميت، وقيل: لأنَّ الموصَى وصَلَها إلى الموصي إليه[(٧)].

وفي هذا الحرف قراءتان: وصَّى، وأوصى[(٨)]، ولهما أمثلة من الكتاب. فمثال التشديد قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠] وقوله:

---

(١) ينظر: «ديوانه» ص٤٠٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٠، «لسان العرب» ٣/ ١٦٠٥، ٧/ ٣٨٩١، ٨/ ٤٨٥٤، «المعجم المفصل»٧/ ٢١٨، ورواية «التهذيب»، و«اللسان» معكوم.

(٢) في (ش): (معكوم).

(٣) ذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم أجد في النصوص مايدل على وصف علي - ﷺ - بالوصي سواء بالمفهوم الذي ذكره المؤلف أو بمفهوم الرافضة. وقد بين شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٤/ ٧٧ أن الرافضة خرج أولهم في زمن علي- ﷺ - صاروا يدعون أنه خُص بأسرار من العلوم والوصية حتى كان يسأله عن ذلك خواص أصحابه فيخبرهم بانتفاء ذلك.. وقد خرج أصحاب الصحيح كلام علي هذا من غير وجه مثل ما في الصحيح عن أبي جحيفة، قال: سألت عليًا، هل عندكم شيء ليس في القرآن ؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ماعندنا إلا مافي القرآن إلا فهمًا يعطيه الله لرجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل وفكاك الأسير.

(٦) ذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤ (وصى).

(٨) قرأ نافع وابن عامر: (وأَوْصَى) بها وقرأ الباقون من السبعة: (وَوَصَّى). ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢٧، «الحجة» لابن خالويه ص٨٩.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ [الأحقاف: ١٥] ومثال الإفعال: قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١] وقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ﴾ [النساء: ١٢][١]. قال الزجاج: ووَصَّى أبلغ من أَوْصَى؛ لأن أَوْصَى جائزٌ أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووَصَّى لا يكون إلا لمرات كثيرة[٢].

وقوله تعالى: (بِهَا) اختلفوا في هذه الكناية، فقال بعضُهم: إنهَّا ترجع إلى الوصية؛ لأنه ذكر الفعلَ، والفعلُ يدُلُّ على المصدرِ وعلى الاسمِ منه، كقول الشاعر:

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه[٣]

أي: إلى السَّفَهِ، فدل السفيهُ على السَّفَهِ. وهذا قولُ أبي عبيدة، قال: وإن شئت رددتها إلى الملة؛ لأنه قد ذكر ملة إبراهيم[٤]. وقال المفضَّلُ وجماعة: الكناية عائدة إلى غير مذكور، ثم اختلفوا إلى ماذا تعود؟ فقال المفضل: تعود إلى الطاعة[٥]، كأنه قال: ووصّى بالطاعة. وقال الكلبي[٦]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٣.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٧.

(٣) تمام البيت:

وخالف والسفيه إلى خلاف.

لم ينسب البيت لقائل. أنشده الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٨، وثعلب في «مجالسه» ١/ ٦٠، وذكره في «خزانة الأدب» ٤/ ٣٣٥، وفي «الخصائص» ٣/ ٤٩، وفي «همع الهوامع» ١/ ٢٦٤.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، ونقله البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، وذكره ولم ينسبه أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٩٧، والسمين في «الدر المصون» ١/ ٣٧٦.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، والواحدي في «البسيط» ١/ ١٢٠٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣.

ومقاتل[١]: يعني بكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله. والكناية عن غير مذكور جائزة كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] يعنى: الجنة لم يسبق لها ذكر، وقال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني: الشمس.

وقال طرفة[٢]:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أَفْدِيكَ منها وأَفْتَدي[٣]

أي: من الفلاة، وقال بعضهم: رجعت الكناية إلى كلمةٍ سبقت، وهو قوله: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ قيل: أراد أن يا بني، فحذف (أن) كأنه قال: وصَّاهم أن يا بني، وكذلك هو في قراءة أُبي وابن مسعود، بإثبات أن[٥]. قال الفراء: إنمّا حذف (أن) لأن الوصية قول، وكل كلام رجع إلى القول جاز فيه دخول (أن) وجاز إلقاؤه[٦]، كما قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ﴾ [النساء: ١١] ولم يقل: أن للذكر، كأنّ معناه: قال الله: للذكر، فجرى الوصية على معنى القول. قال: وأنشدني الكسائي:

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٣، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٣.

(٢) هو: طرفة بن العبد بن سفيان البكري، تقدمت ترجمته.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص٢٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٤ «الإنصاف» لابن الأنباري ص٨٥، «الدرر اللوامع على همع الهوامع» ٢/ ٢٦٩، والهاء في قوله: (منها) تعود إلى مضمر، وهي الصحراء المهلكة، وهو الشاهد حيث عادت على غير مذكور.

(٤) كذا في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٨.

(٥) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٧، «شواذ القراءة» ص٣٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٥.

(٦) في (م): كأنها (الغاوه).

إنـي سـأبـدي لـك فـيـمـا أبـدي
لـي شَـجَـنـان شـجـن بـنـجـد
وشَـجَـنٌ لـي بـبـلاد الـسـنـد(١)

ولم يقل: أن لي؛ لأن الإبداء بلسانه في معنى القول، قال: ومثله قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [المائدة: ٩] لأن العِدَةَ قولٌ، وإذا جعلت الوصية بمعنى القول لا يحسن أن يقال: أراد أن يا بني فحذف؛ لأنه لا يحتاج إلى إضمار أن مع القول(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾ قال أبو إسحاق: إنما كسرت (إنّ) لأن معنى وصى وأوصى: قول، والمعنى: قال لهم: إن الله اصطفى(٣).

قال ابن عباس: إن إبراهيم قال لبنيه: لا تَعْدِلُوا بالله شيئًا، وإن نُشرتم بالمناشير وقُرضتم بالمقاريض وحُرقتم بالنار(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾ يريد: دين الإسلام دين الحنيفية، والألف واللام فيه للعهد لا للجنس؛ لأنه لم يختر جميع الجنس من الدين، إنما اختار دين الإسلام على سائر الأديان(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ قال الفراء في كتاب

---

(١) الرجز ذكره الفراء، عن الكسائي في «معاني القرآن» ١/ ٨٠، وهو بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١/ ٥٦١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٧، «المخصص» ١٢/ ٢٢٣، «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٤٩.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١.

(٤) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٦، «تفسير ابن عباس» ص١٩.

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٣٩٩.

المصادر: مات يموت مَوتًا ومِيتةً ومَمَاتًا، والمَوتَةُ: المرَّةُ، ويقال: أرض مَواتٌ، وهو مصدر، ووَقَعَ في الناس مُواتٌ ومُوْتانٌ، ويقال: فلان يبيعُ الحيوان والموتانَ، إذا كان يبيع ما سوى الحيوان، ورجل مَوْتانُ النفس إذا لم يكن حيَّ القلب(١) (٢).

ووقع النهي في ظاهرِ الكلام على الموت، وإنما نهُوا في الحقيقة عن ترك الإسلام؛ لئلَّا يصادفهم الموت وهم(٣) عليه، فإنه لابد منه، وتقديره: لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بالشرك والكفر بالله(٤)، وهذا كما تقول: لا أرينَّكَ ههنا، فتوقع حرف النهي على الرؤية، وأنت لم تنه نفسك على الحقيقة، بل نهيتَ المخاطب(٥)، كأنك قلت: لا تقربن هذا الموضع فمتى جئته لم أرك فيه، ومثله من الكلام: لا يصادفك الإمام على ما يكره، تقديره: لا تتعرض لأن يصادفك. قال الزجاج: وهذا من سعة الكلام، والمعنى في الآية: ألزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه(٦).

١٣٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ الآية،

---

(١) في نسخة (أ) زيادة ليست في النسخ لعلها حاشية من الكاتب وهي قوله: ومن العرب من يقولُ: مُتُّ، ومِتُّ، ويَمَات ويموتُ، والمَمَات من مصادر الموت أيضًا، والجارية تأخذها المُوْتَةُ كأنه سُكْرٌ وضرب من الجنون. ومؤتةُ، مهموزة، الأرض التي قتل بها جعفر بن أبي طالب، ﷺ.

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٢١، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٩٦ (مات).

(٣) زيادة من (م).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٩.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢.

(٦) المصدر السابق.

نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فأنزل الله قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾[(١)]، ومعناه: بل أكنتم، كأنه ترك الكلام الأول واستفهم، قاله أبو إسحاق[(٢)]. وقال أبو عبيدة: أم ههنا بمعنى: هل، واحتج بقول الأخطل:

كذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ[(٣)]

بمعنى: هل رأيت[(٤)].

ويجوز أن يتقدمه استفهام مضمر، كأنه قيل لليهود: أبلغكم ما تقولون وتنسبون إلى[(٥)] يعقوب، أم كنتم شهداء حضرتم وصيته[(٦)]؟ وقد شرحنا معنى (أم) عند قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٨].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٠، والثعلبي ١/ ١٢١٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٤، وفي «الوسيط» ١/ ٢١٦، والبغوي ١/ ١٥٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٨، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٩٧، والمناوي في «الفتح السماوي» ١/ ١٨٣، ونقله عنه السيوطي، قوله: لم أقف عليه.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٠.

(٣) وعجز البيت:

غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالا

ينظر: «ديوان الأخطل» ص٣٨٥، «مجاز القرآن» ١/ ٦٥، «الخزانة» ٢/ ٤١١، ٤/ ٤٥٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٨١، ٧/ ٣٨٤١، «المعجم المفصل» ٦/ ٧٩.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٥٧.

(٥) في (ش): (عن).

(٦) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٤٩٧-٤٩٨: وقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ: أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدلون عن علم، أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون، وأم، تكون بمعى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، وحكى الطبري أن أم يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره، وهذا منه. ، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٠-٤٠١.

وقوله تعالى: ﴿شُهَدَآءَ﴾ أراد: حضورًا[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ﴾ موضع إذ نصب؛ لأنه بمعنى وقت حضر، والحضور خلاف الغيبة، وحَضْرة الرجل: فناؤه[٢][٣].

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: إذ هذه الثانية موضعها نصب، كموضع الأولى، وهو بدل مؤكد[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ الآباء: جمع أب، وفي الأب لغاتٌ، يقال: هذا أَبُكَ، وهذا أباك، وهذا أبوكَ، فمن قال: أَبُكَ، قال في التثنية: أَبَان وأَبُونَ وأَبِينَ، ومن قال: أباك وأبوك، فتثنيتهما أَبَوَان. أنشد أحمد بن يحيى[٥]:

سوى أَبِكَ الأدنى وأنَّ محمدًا علا كلَّ عالٍ ياابنَ عمِّ محمدِ[٦]

وأنشد سيبويه[٧]:

فلما تَبَيَّنَّ أصواتَنا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بالأَبِينَا[٨]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٠.

(٢) في (ش): (حضر الرجل فتاه).

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٧.

(٤) كذا قال الزجاج في: «معاني القرآن»١/ ٢١٢ .

(٥) في: «اللسان» ١/ ١٦ (أبى).

(٦) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ١/ ١٦ (أبى)، «المعجم المفصل» ٢/ ٤٣٦.

(٧) في: «الكتاب» ٣/ ٤٠٦، وهو في «اللسان» ١/ ١٥ (أبى).

(٨) البيت لزياد بن واصل السلمي، في «خزانة الأدب» ٤/ ٤٧٤-٤٧٧، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٢٨٤، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٤/ ٢٨٦، «خزانة الأدب» ٤/ ١٠٨، ٤٦٨، «الخصائص» ١/ ٣٥٦، «شرح المفصل» ٣/ ٣٧، «الكتاب» ٣/ ٤٠٦، «لسان العرب» ١/ ١٥ (أبى)، «المقتضب»٢/ ١٧٤ ، «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢، «المعجم المفصل» ٨/ ٧٥.

ويقال: ما كنت أبًا ولقد أَبَوْتَ أُبُوَّةً، وماله أبٌ يأبُوه.

الليث: فلان يأبو تيمًا إباوة بكسر الألف، أي: يغذوه[١]، وتأبىّ فلان[٢] فلانًا، أي: اتخذه أبًا، كما تقول: تبنَّى من الابن[٣]. وقال في تصغير الأب: أُبَيّ، وتصغير الآباء على وجهين: أجودهما: أُبيُّون، والآخر: أُبيَّاء؛ لأن كل جماعة كانت على أفعال فإنها تصغّر على حدها[٤]، كما تقول في تصغير الأجمال: أجيمال.

وقوله تعالى: ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ أدخله في جملة الأباء، وهو كان عمَّ يعقوب؛ لأن العرب تُسَمِّي العمَّ أبًا[٥]، وقد روي أنه لما كان يوم فتح مكة قال رسول الله ﷺ للعباس[٦]: « **امض إلى قومك، أهل مكة، فادعهم إلى الله قبل القتال** »، فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، فانطلق، فلما مضى فأبعد، قال رسول الله ﷺ: «**رُدُّوا عليَّ أبي، ردوا عليَّ أبي، لا تقتلْه**

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣، «اللسان» ١/ ١٦ (أبي).

(٢) في (أ) (م): (تأبى فلانًا).

(٣) في «اللسان» ١/ ١٧ (أبي). «تهذيب اللغة» ١/ ٣٩٦.

(٤) في (ش): (أحدها).

(٥) يروى عن أبي العالية، كما أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤، وينظر: «مجاز القرآن»، «معاني القرآن» للفراء، «تفسير الطبري» ١/ ٥٦٣، «تفسير الثعلبي».

(٦) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، هاجر قبل الفتح، وثبت يوم حنين، وقال النبي ﷺ: «**من آذى العباس فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه**»، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين، وتوفي بالمدينة سنة ٣٢. ينظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ٢/ ١١٥٩، «الاستيعاب» ٢/ ٣٥٨.

قريش كما قتلت ثقيفٌ عُروةَ بن مسعود[١]»، فلما رجع قال: يا رسول الله - ﷺ- دَعْني أمضِي لأمرك، فقال: «**يا عم، أما علمتَ أنَّ عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه**[٢]»، وقال أيضًا يعني العباس: « **هذا بقيةُ آبائي**[٣]»،

وفي بعض القراءات: «وإله أبيك إبراهيم»[٤] وله وجهان:

---

(١) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، كان كبيرًا في قومه بالطائف، استأذن رسول الله ﷺ في دعوته قومه فخافهم عليه أن يقتلوه فرجع ودعاهم فقتلوه سنة ٩هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٣١-٣٢، «الاستيعاب» ٣/ ١٧٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٤٨٤ عن عكرمة مرفوعًا، وينظر أيضًا: «كنز العمال» ١٤/ ٥٨٤ (٣٩٦٥٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٨٠ عن ابن عباس مرفوعًا ولفظه: «**استوصوا بعمي العباس خيرًا فإنه بقية آبائي، وإنما عم الرجل صنو أبيه**» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٢٦٩: رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأه، وبقية رجاله وُثِّقُوا ، ورواه الطبراني في «الصغير» ١/ ٣٤٤ من حديث الحسن بن علي مرفوعًا بلفظ «**احفظوا في العباس فإنه بقية آبائي**» قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم وضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع الصغير» برقم ٢١٣، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٦٨ من حديث عبد المطلب بن ربيعة، وقد ضعفه الألباني كما في «السلسلة الضعيفة» ٤/ ٤١٥، وروي عم مجاهد مرسلًا كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٢/ ١٠٩ وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٣٣١.

(٤) كذا قرأ ابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدري وأبو رجاء ،كما في «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه ص٩، «شواذ القراءة» للكرماني ص٣٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١١، «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢، وقال الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٣: وقرأ بعض المتقدمين (وإله أبيك إبراهيم) ظنا منه أن إسماعيل إذ كان عمًّا ليعقوب، فلا يجوز أن يكون فيمن ترجم به عن الآباء وداخلا في عدادهم، وذلك من قارئه كذلك قلة علم منه بمجاري كلام العرب، والعرب لا تمنع من أن=

أحدهما: أنه جمع الأب على أَبِينَ كما ذكرنا.

والثاني: أنه كره أن يجعل إسماعيل من جملة الآباء فوحَّد الأب، ويكونُ التقدير: إلهَ أبيك إبراهيمَ وإله إسماعيل وإسحاق، كما تقول: رأيتُ غلامَ زيد وعمرو أي: غلامهما[١]، قال عطاء عن ابن عباس: إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يخيره بين الموت والحياة، فلما خيرَّ يعقوب قال: أنظِرْني حتى أسألَ ولدى وأوصيَهم، فجمع ولده، وهم اثنا عشر رجلًا، وهم الأسباطُ، وجميع أولادهم، فقال لهم: قد حَضَرَتْ وفاتي، وأنا أريدُ أن أسألكم وأوصيكم: ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك كما في الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ينتصب على وجهين: إن شئت على الحال، كأنهم قالوا: نعبد إلهَكَ في حال وحدانية، وإن شئت على البدلِ، وتكون الفائدة في هذا البدل: ذكر التوحيد، فيكون المعنى: نعبد إلهًا واحدًا[٣].

= تجعل الأعمام بمعنى الآباء، والأخوال بمعنى الأمهات، فلذلك دخل إسماعيل فيمن ترجم به عن الآباء، وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ترجمة عن الآباء في موضع جر، ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرون.

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢-٤٠٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٧.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢١٠، و البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٤، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٨٠ من قول عطاء، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢١٠ والرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ٧٦، عن ابن عباس وذكره دون نسبة «الخازن» ١/ ١١٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، وذكره الأخفش في «معانيه» ١/ ١٥٠ على وجه الحال فقط.

١٣٤- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ قال الأخفش: التاء في تلك: اسم المؤنث، واللام عمادٌ للتاء، والكاف خطاب، وهذا كما ذكرنا في ذلك قال: وكُسرت التاء من[١] تلك علامةً للتأنيث[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت[٣]، وخَلَتْ إذا استعمل في المكان فالمراد به خلوّه عن السكان، وإذا استعمل في الزمان فالمراد به المضي[٤] كقوله ﷻ: ﴿الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وقول لبيد:

حِجَجٌ خلون حلالُها وحرامُها[٥]

والمراد بقوله: (تلك أمة) إبراهيم وبنوه ويعقوب وبنوه الذين تقدم ذكرهم، (لها ما كسبت) من العمل، ثم قال لليهود: ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: حسابهم عليهم، وإنما تسألون عن أعمالكم[٦].

١٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ المعنى: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى[٧].

---

(١) في (ش): (في).

(٢) ينظر: «شرح التصريح على التوضيح» للشيخ خالد الأزهري ١/ ١٢٨.

(٣) كذا قال الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٥٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٢.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٤ (خلا).

(٥) مطلع البيت:

دمن تجرم بعد عهد أنيسها

وهو من الكامل، للبيد بن ربيعة من معلقته، ينظر: «ديوانه» ص١٦٣.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٢، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٩٩.

(٧) ذكره الزجاج في «معاني القرآن».

قال ابن عباس: نزلت في: يهود المدينة، ونصارى نجران، قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بنصب[٢] ﴿مِلَّةَ﴾ بفعل مضمر، كأنه قال: قولوا بل نتبع ملة إبراهيم[٣]. وقال بعض النحويين: هو عطف على المعنى؛ لأن قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ معناه: اتبعوا اليهودية والنصرانية، فقال الله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: بل اتبعوا ملته[٤].

قال أبو اسحاق: ويجوز أن تنصب على معنى: بل نكون أهلَ ملةِ إبراهيم، ويحذف الأهل كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٥] [يوسف: ٨٢] وإلى هذا القول أشار الفراء والكسائي.

---

(١) ذكره الثعلبي، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤١، والبغوي ١/ ١٥٥، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٨١، عن ابن عباس وأخرج الطبري ١/ ٥٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤١، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا﴾، وذكره السيوطي في «لباب النقول» ص٢٦ وعزاه في «الدر» ١/ ٢٥٧، لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وحسن إسناده الأستاذ عصام الحميدان في تحقيقه لـ «أسباب النزول» للواحدي ص٤٤.

(٢) في (أ)، (م): (تنصب).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء، «معاني القرآن» للزجاج، وقال بعده: ويجوز الرفع (بل ملةُ إبراهيم حنيفا) والأجود والأكثر النصب، ومجاز الرفع على معنى: قل: ملتنا وديننا ملة إبراهيم.

(٤) كذا في «معاني القرآن» للزجاج.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج، وذكره بنحوه أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٠٦.

قال الفراء: إن نصبتها بـ(نكون) كان صوابًا(١)، وقال الكسائي: بل يكون ملة إبراهيم. وقول الزجاج بيان لقولهما .

قال أهل المعاني: وفي هذا احتجاج عليهم؛ إذ في اليهودية تناقُضٌ، وكذلك النصرانية، والتناقضُ لا يكون من عند الله، وملةُ إبراهيم سليمةٌ من التناقض، فهو أحقُّ بالاتباع(٢).

فمِمَّا في اليهودية من التناقض(٣): امتناعُهم من جواز النسخ، مع ما في التوراة مما يدل على ذلك، وامتناعُهُمْ من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأمي، مع إظهارِهم التمسك بها، وامتناعهم من الإذعان لما دلّت عليه المعجزة من نبوة محمد وعيسى عليهما السلام، مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة، إلى غير هذا مما هم عليه من التناقض، وأما النصارى فقولهم بثلاثة، ثم يقولون: إنه إله واحد(٤).

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾. انتصب على الحال؛ لأن المعنى: نتبعُ ملةَ إبراهيم في حال حنيفيته، وعند الكوفيين ينتصب على القطع، كأنه ملة

---

(١) «معاني القرآن»، وعبارته (نكون). وفي الحاشية قال: وفي نسخ الفراء: بيكون، ولعل المراد إن صحت: يكون ما نختاره، وفي «البحر» ١/ ٤٠٥ ذكر من أعاريبه على النصب: أنه خبر كان أي: بل تكون ملة إبراهيم، أي: أهل ملة إبراهيم... وإما أنه منصوب على الإغراء، أي: الزموا ملة إبراهيم، قاله أبو عبيد، وإما على أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي: نهتدي ملة: أي بملة.

(٢) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٨٠.

(٣) ساقط من (م) و(أ).

(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٨٠.

إبراهيم الحنيف، فقطع عنه الألف واللام(١).

وأمَّا معنى الحنيف: فقال ابنُ دُريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وبه سمي الإسلام: الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية(٢). قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: من أين عُرِفَ في الجاهلية الحنيف؟ قال: لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم، وكان كل من حجَّ البيت سُمِّيَ حنيفًا، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحجَّ قالوا: هلموا نَتَحَنَّفْ(٣)(٤). فالحنيف: المسلم؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام، ومنه قيل للميل في القَدَم: حَنَفٌ.

قال ذو الرُّمَّة:

إذا حَـوَّل الـظـلُّ الـعـشِـيَّ رأيـتَـه
حنيفًا وفي قَرنِ(٥) الضُّحَى يَتَنَصَّر(٦)(٧)

وقال الأخفش: الحنيف: المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت: حنيف؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢١٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٤، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١٢٥، «التبيان» ١/ ٩٥، ٩٦.

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٨.

(٣) في (م): (نحنف).

(٤) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٨.

(٥) في (م): (قرب).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٦٣٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٦٠، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٥.

(٧) في (م): (تنتصر).

دين إبراهيم غير الختان، وحج البيت، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية، فالحنيف: المسلم[(١)].

وروى ابن نجدة[(٢)]، عن أبي زيد[(٣)]، أنه قال: الحنيفُ: المستقيم، وأنشد[(٤)]:

تعلم أَنْ سَيَهْدِيْكُم إليـنا طريقٌ لا يَجُور بكم حَنِيفُ[(٥)]

فقيل: لكل من سَلَّم لأمر الله ولم يَلْتَوِ: حنيف[(٦)]، وهذا القول اختيار ابن قتيبة[(٧)]، والرياشي[(٨)]، قالا: الحنيفية: الاستقامة على دين إبراهيم، وإنما قيل للذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى: أحنف، تفاؤلًا بالسلامة، كما قيل للمفازة[(٩)]: مهلكة[(١٠)].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٥.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي، يعرف بابن نجدة، قال ياقوت: مشهور في أهل الأدب، وله خط مرغوب فيه، قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي. ينظر: «بغية الوعاة» ١/ ٩٤، «معجم الأدباء» ١٨/ ١٨٦.

(٣) «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٦ (حنف).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢ (حنف).

(٥) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٦ (حنف)، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٥.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢ (حنف).

(٧) «غريب القرآن» ص٦٤ بنحوه، وكذا قال الطبري ١/ ٥٦٤-٥٦٥.

(٨) هو العباس بن الفرج، أبوالفضل الرياشي، اللغوي النحوي، قرأ على المازني النحو، وقرأ عليه المازني اللغة، ووثقه الخطيب، صنف كتاب الخيل وكتاب الإبل، وغير ذلك، قتله الفرنج سنة ٢٥٧هـ. ينظر: «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧، «الأعلام» ٣/ ٢٦٤.

(٩) في (ش): (للمقارفة).

(١٠) لعل صحة العبارة كما قيل للمهلكة: مفازة، أو: كما قيل: مفازة للمهلكة، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٦٤.

فأما التفسير: فروي عن ابن عباس أنه قال: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[١].

وقال مجاهد: الحنيفية اتباع الحق[٢]، وروي عنه أيضًا: الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إمامًا للناس بعده، من الحج، والختان، وغير ذلك من شرائعه[٣].

وقال الحسن: الحنيفية: حج البيت[٤]، وهو معنى قول ابن عباس[٥]، وعطية[٦][٧].

وقيل: الحنيفية: إخلاص الدين لله وحده[٨]، وهذه الأقوال غير خارجة عما ذكره أهل اللغة؛ لأنها تعود إلى الاستقامة أو الميل إلى ما أتى به إبراهيم عليه السلام من الشريعة[٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢١٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨، و«البغوي» ١/ ١٥٥، و«الخازن» ١/ ١١٥، و«البحر المحيط» ١/ ٤٠٦.

(٢) بنحوه أخرج الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٥-٥٦٦، وابن أبي حاتم ١/ ٤١ قال: وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك.

(٣) عنه الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٥.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٥، ومن طريقه أخرجه الطبري ١/ ٥٦٥، وأخرجه من طريق أخرى ١/ ٥٦٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٢، والثعلبي ١/ ١٢١٤.

(٥) أخرجه عنه الطبري ١/ ٥٦٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤١، قال: وروي عن الحسن والضحاك وعطية والسدي نحو ذلك.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤١.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ذكر عن السدي كما أخرج الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٦، وعن خصيف عند ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٢، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤١.

(٩) رجح الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٦ أن الحنف والحنيف: الاستقامة على دين=

١٣٦- قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ قال الزجاج: الأسباط: ولد إسحاق، ومعنى القبيلة في ولد إسماعيل: معنى الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد: قبيلة، ويقال لكل جمع على شيء واحد: قبيل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾[1] [الأعراف: ٢٧].

فأما الأسباط: فهو مشتق من السبط، وهو ضرب من الشجر، يعلفه الإبل. كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة، ويجعلون الأولاد بمنزلة أغصانها[2].

وقال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي، ما معنى السبط في كلام العرب؟ فقال: خاصة الأولاد[3] والمُصَاصُ منهم[4]، وكان في الأسباط أنبياء؛ لذلك قال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض،

= إبراهيم، واتباعه على ملته، وبين أنه لو كان المراد الحج، أو الاختتان؛ لوجب أن يكون المشركون حنفاء، وقد نفى الله عنهم ذلك.

(١) عبارة الزجاج التي نقلها الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٥ (سبط): والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق عليه السلام، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، فولدُ كل ولد من أولاد يعقوبَ سبط، وولدُ كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سموا هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل لِيُفْصَل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليهما السلام.

(٢) نقله بتصرف من «تهذيب اللغة» عن الزجاج ٢/ ١٦١٥ (سبط)، وقد ذكر في «معاني القرآن» شيئًا يسيرًا من هذا ١/ ٢١٧، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٥، وقال: والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم.

(٣) ساقط من (أ)، (م).

(٤) كما في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٦ (سبط)، وعبارته: فقال: السِّبط والسِّبطان والأسباط: خاصة الأولاد، أو المُصاص منهم.

كما فعلت اليهود والنصارى[١]، وإنما جاز ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾، و(بين): تقتضي اثنين؛ لأنَّ أحدًا منهم يقع على الاثنين والجمع، يقال: ما عندي أحدٌ يتكلمون، فجاز دخول (بين) عليه، كما تقول: لا نفرق بين قوم منهم، وبين جمع منهم. ولهذه العلة جمع نعته في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧][٢].

١٣٧- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال الزجاج: تأويل هذا: إن أتوا بتصديقٍ مثل تصديقكم[٣]، فيُحْمَلُ على تشبيهٍ بالإيمان، لا على التشبيه في الشيء الذي آمنوا به، كأنه قال: إن آمنوا وكان إيمانهم كإيمانكم، ووحدوا كتوحيدكم، وهذا قول ابن الأنباري، وزاد بيانًا فقال: المعنى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، أي: فإن آمنوا مثل إيمانكم، فتزاد الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥].

وقال أبو معاذ النحوي[٤]: أراد: إن آمنوا هم[٥] بكتابكم كما آمنتم أنتم بكتابهم[٦]. فالمثل هاهنا: الكتاب، والمسلمون يؤمنون بالتوراة،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٤.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٩.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢١٧.

(٤) هو أبو معاذ النحوي المروزي، المقرئ اللغوي، تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٥) ليست في (م).

(٦) نقله البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٦.

وقيل: المثل ههنا صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به(١)، والمثل قد يذكر ولا يراد به الشِّبْهُ والنظير، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] قيل: ليس كهو شيء(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: فقد صاروا مسلمين(٣).

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أي: خلاف وعداوة(٤)، وتأويله: أنهم صاروا في شِقّ غير شَقّ المسلمين(٥)، والعداوة تسمى شقاقًا؛ لأنّ كلّ واحد من المعادين يأتي بما يشقّ على صاحبه، أو لأنّ كل واحد صار في شقّ غير شق صاحبه للعداوة والمباينة(٦).

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال المفسرون: كفاه الله أمر اليهود بالقتل والسبي في قريظة، والجلاء والنفي في بني النضير، والجزية والذلة(٧) في نصارى نجران(٨).

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤، والبغوي في «تفسيره» ١/١٥٦، وقد ورد عن ابن عباس أنه كان يقرأ الآية: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، كما ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٩، وبين الطبري أن مراد ابن عباس: فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به، فالتشبيه وقع بين التصديقين، الإقرارين اللذين هما: إيمان هؤلاء، وإيمان هؤلاء.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/١٢١٨، «البحر المحيط» ١/ ٤١٠.

(٣) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢١٤، والثعلبي ١/ ١٢١٧ .

(٤) ذكره الثعلبي ١/١٢١٨، عن ابن عباس وعطاء والأخفش.

(٥) في (م): (الإسلام).

(٦) بنحوه عند الزجاج في «معاني القرآن»١/ ٢١٤، «تفسير الثعلبي»١/ ١٢١٨ ، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٦٢، والرازي ٤/ ٩٣.

(٧) في (ش): (والذلة والجزية).

(٨) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٢٠و ١/ ١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣١، «البحر المحيط» ١/ ٤١٠.

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ يريد في خلاف لدينهم ولدينكم[١]؛ لأنهم أمروا في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ. وقال الحسن: علموا أولادَكم وأهاليكم وخدمَكم أسماء الأنبياء، الذين ذكرهم الله في كتابه، حتى يؤمنوا بهم، ويصدقوا بما جاءوا به. هذا قوله[٢].

وقالت العلماء: لا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بسائر الأنبياء السابقين، وجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل، فيجب على الإنسان أن يُعَلِّمَ صِبيانَه ونساءَه أسماءَ الأنبياء ويأمرهم بالإيمان بجميعهم؛ إذ لا يبعد أن يظُنُّوا أنهم كُلِّفوا الإيمان بمحمد ﷺ فقط فيلقِّنوا قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية.

١٣٨- قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ الصِّبْغ: ما يُلَوَّنُ به الثياب، والصَّبْغُ المصدر، وأصله: المزجُ للتلوين، وما يُصْطَبَغُ به من الأطعمة يسمى: صِبْغا وصِبَاغًا؛ لأنه مزج شيء بشيء، ولون بلون[٣].

قال الحسن[٤] وقتادة[٥] وأبو العالية[٦] ومجاهد[٧] والسُّدّي[٨] وعطية[٩] وابن زيد[١٠]: دين الله. فعلى هذا القول، إنما سمي الدينُ

---

(١) بنحوه مختصرًا عند الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢١٨، والبغوي ١/ ١٥٦.

(٢) ذكره في «الوسيط» عنه، وبنحوه عن الضحاك، كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٥٨.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٥-١٩٧٦ «صبغ»، «البحر المحيط» ١/ ٤١١.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤٥.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٥.

(٦) المراجع السابقة. (٧) المراجع السابقة.

(٨) المراجع السابقة.

(٩) المراجع السابقة.

(١٠) المراجع السابقة.

صبغةً؛ لأن المتدين يَلْزَمُه ولا يُفَارِقُه، كما يلزم الصبغُ الثوبَ. والعرب تقول: فلانٌ يَصْبغ فلانًا في الشرّ، إذا أدخله فيه، وألزمه إياه، كما يلزم الثوب الصبغ، خاطبهم الله في كتابه بمثل ما يعرفون في لغتهم، أنشد ثعلب:

دَعِ الشَّرَّ وَانْزِلْ بِالنَّجَاةِ تَحَرُّزًا
إذا أنت لم يَصْبِغْكَ في الشَّرِّ صَابِغُ[1]

قال اللحياني: تَصَبَّغَ فلان في الدين تَصَبُّغًا، وصِبْغَةً حسنة[2].

وقال أبو عمرو: كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ فهو الصِّبْغَةُ[3].

وقال ابن عباس: إن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى على سبعة أيام غمسوه في ماء لهم، يقال له: المعمودي، وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان[4]، ويقولون: هو تطهير له وتنظيف، فجعل الله الختان للمسلمين تنظيفًا وتطهيرًا، وأمر به معارضةً للنصارى. فعلى هذا القول جرت الصبغة على الختانة؛ لصبغهم غلمانهم في الماء.

(١) البيت بلا نسبة في: «أساس البلاغة»، (دبغ)، (صبغ)، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٧.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦ (صبغ).

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٣، وعنه البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٤، ٤٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥١، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٢، و«الخازن» ١/ ١١٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١١، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٨٢.

قال الأزهري: يقال: صَبَغَتِ الناقةُ مَشَافِرَها في الماء: إذا غمستها، وصبغ يده في الماء[١]، قال:

قد صبغت مشافرًا كالأشبارْ[٢]

فسمي الختانُ صبغةً من حيثُ كان بدل ما فعلوه من صبغهم أولادهم، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] فسمى الثانية سيئة لما كانت في معارضة الأولى، كذلك الختانة سماها الله تعالى صبغة؛ لأنها تجري[٣] للمسلمين مجرى صبغ النصارى أولادهم، وهذا القول اختيار الفراء[٤]. ويحتمل أنه سمي الختان صبغة؛ لأنه يصبغُ الولدَ بالدم.

وذكر أبو إسحاق في قوله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ قولًا آخر، هو مذهب أبي عُبيدة[٥]، وهو أنه قال: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: خِلقَةَ الله، من صَبَغْتُ الثوب، إذا غيرتُ لونَه وخِلْقَتَه، فيجوز أن يسمى الخلقة صبغة، والله تعالى ابتدأ الخلقة على الإسلام بدليل قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠][٦]، وما

---

(١) «تهذيب اللغة» له ٢/ ١٩٧٦ (صبغ).

(٢) هذا رجز ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦ (صبغ)، ولم ينسباه.

(٣) في (م): (تجزي).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٢، وينظر: «الزاهر» ١/ ١٤٥، «تفسير الطبري» ١/ ٥٧٠.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٥٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٥-٢١٦، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢١.

رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: « **كل مولود يُولَد على الفطرة**»[(١)]، معناه: إن كل مولود يولد في العالم على ذلك الإقرار الأول، وعلى ذلك العهد حين قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ وهو الفطرة، ومعنى الفطرة[(٢)]: ابتداء الخلقة. ثم يُهَوِّدُ اليهودُ أبناءَهم، ويُمَجِّسُ المجوسُ أبناءَهم، وليس الإقرارُ الأول مما يَقَعُ به حكم، أو عليه ثواب.

وانتصب قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ عند الأخفش[(٣)] على البدل من قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾. وذكر الزجاج[(٤)] في انتصابه الوجهين اللذين ذكرنا في ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، وقال أبو عبيد: نصب على الإغراء، أي: الزموا واتبعوا[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ أي: دينًا، على القول الأول، وعلى قول ابن عباس: تطهيرًا، ومعناه: أن التطهير الذي أمر الله به مبالغ في النظافة، وعلى قول أبي إسحاق: فطرة وخلقة.

١٣٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ الخطاب ليهود المدينة، ونصارى نجران، ومحاجتهم أنهم قالوا: إن أنبياء الله كانوا منا، وديننا هو الأقدم، وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبيًّا كنت منَّا، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) كتاب «الجنائز»، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب «القدر»، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة. ٤/ ٢٠٤٧، حديث ٢٦٥٨.

(٢) ليست في (أ) و(م).

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٠، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٥.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٣، وذكر هذا الوجه ابن الأنباري في «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ١٢٦، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٤١٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧.

﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾[١] أي: أتخاصموننا وتجادلوننا، والمحاجة: مفاعلة من الحجة[٢]. وظاهر الألف: الاستفهام، ومعناه: التوبيخ والتقرير هاهنا[٣]، وذكرنا في سورة آل عمران لم صار لفظ الاستفهام للتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي: في دين الله[٤]، ولنا أعمال نجازى بحسنها وسيئها، وأنتم في أعمالكم على مثل سبيلنا، لا يؤخذ بعض[٥] بذنب بعض. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي: موحدون[٦]، ومعنى الإخلاص: التنقية من الشوائب[٧].

ولقد سألت الأستاذ أبا إسحاق أحمد بن محمد[٨] رحمه الله فحدثني بإسناده مسلسلا[٩]: أن حذيفة[١٠] رضى الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٣، و«الوجيز» ١/ ٥٠٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧، و«الخازن» ١/ ١١٦، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٥٨٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤١٢.

(٣) قال أبو حيان في «البحر المحيط»١/ ٤١٣: والهمزة للاستفهام مصحوبًا بالإنكار عليهم. وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٣.

(٤) في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤ قال: وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، ولم يكن من العرب نبي، فلو كنت نبيًا لكنت منا وعلى ديننا، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧، «تفسير الخازن» ١/ ١١٦.

(٥) في (ش): (بعضنا).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٥ - ١٣٣٢، وقد أفرد فصلًا في معنى الإخلاص، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧.

(٨) يعني الثعلبي.

(٩) هذا الحديث مسلسل بالسؤال عن الإخلاص من أدناه إلى أعلاه.

(١٠) هو حذيفة بن اليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين،=

الإخلاص، ما هو؟ قال: «سألت جبريل عن الإخلاص، ما هو؟ قال: **سألت ربَّ العزة عن الإخلاص، ما هو؟ قال: سرٌ من سِرِّي، استودعتُه قلبَ مَنْ أحببتُ من عبادي**»[(١)] .

قال ابن الأنباري: وفي الآية إضمار واختصار، أراد: ونحن له مخلصون، وأنتم غير مخلصين، فحذف اكتفاء بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾.

قال: ومعنى الآية: أتحتجون علينا، وأنتم مشركون كافرون بالأنبياء، ونحن مخلصون له بالعبادة والتوحيد؟ ومَن هو على مثل سبيلكم، الواجبُ عليه أن يتشاغل بالفكر في عماه، وأن لا ينازع ويناظر من يعلم[(٢)] أنه أرشد منه وأهدى سبيلًا. وتلخيص الآية: لا حجة لكم علينا في دين ربنا؛ إذ كنا نخلص له[(٣)] ولا نعبد معه سواه، وأنتم تجعلون له الشركاء والأنداد[(٤)].

= أعلمه النبي ﷺ بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، كما في «صحيح مسلم»، وأبوه صحابي أيضًا، توفي في أول خلافة علي سنة ٣٦هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص١٥٤ (١١٥٦)، «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٤٦٨.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٥، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ١٨٧، عن علي وابن عباس مرفوعًا، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١٣، والآلوسي في «روح المعاني» ١/ ٣٩٩، والحديث في إسناده أحمد بن عطاء، وعبد الواحد بن زيد، وقال عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤/ ١٠٩: حديث واهٍ جدًا وضعفه كذلك الدكتور خالد العنزي في تحقيق «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٧.

(٢) في (ش): (يعلم الله).

(٣) في (ش): (معه).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤١٣ - ٤١٤.

١٤٠- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء[١]، فمن قرأ بالتاء؛ فلأن ما قبله من قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ وما بعده من قوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بالتاء. ومن قرأ بالياء؛ فلأن المعنى لليهود والنصارى، وهم غَيْبٌ[٢]. ومعنى الآية: كأنه قيل لهم: بأي: الحجتين تتعلقون؟ أبالتوحيد؟، فنحن موحدون، أم باتباع دين الأنبياء، فنحن متبعون دونكم[٣]، فمن الجهتين جميعًا لا تلزمنا لكم حجة. هذا على قراءة من قرأ[٤] بالتاء، وتكون الآية متصلة بما قبلها من الاستفهام الذي معناه الإنكار، ومن قرأ بالياء، فمعناه الانقطاع إلى حجاج آخر غير الأول، كأنه قيل: بل أيقولون إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والإنجيل كانوا هودًا أو نصارى؟ كأنه أعرض عن خطابهم استجهالًا لهم بما كان منهم؛ كما يُقبِل العالِم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة، هذا كله قول أصحاب المعاني في هذه الآية[٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: قد أخبرنا الله أن الأنبياء كان دينهم الإسلام، ولا أحد أعلم منه[٦][٧].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو، بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: «السبعة» ص١٧١، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢٩، «الكشف» لمكي ١/ ٢٦٦.

(٢) من «الحجة» ٢/ ٢٢٩ بتصرف، وينظر: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٨.

(٣) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢١٧.

(٤) في (م) و(ش): (قرأ).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٧.

(٦) ساقط من (ش).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٧.

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ توبيخٌ من الله لليهود بعد أن قامت الحجةُ عليهم[١].

قال ابن عباس: يريد مَنْ أظلمُ ممَّنْ كتمَ شهادتَه التي أشهد عليها، يريد أن الله أشهدهم في التوراة والإنجيل: أنه باعث فيهم محمد بن عبد الله من ذرية إبراهيم، وأخذ على ذلك مواثيقهم أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه، فكتموه وكذبوا فيه[٢].

وقال مجاهد[٣] والربيع[٤]: الشهادةُ في أمر إبراهيم والأنبياء الذين ذكرهم وأنهم كانوا حنفاء مسلمين، فكتموها، وقالوا: إنهم كانوا هودًا أو نصارى[٥].

وحكى ابن الأنباري عن بعضهم: أن هذا من كلام المسلمين، يريدون: من أظلم منا إن تابعناكم على ما تقولون، بعد ما وقفنا على كذبكم بإعلام الله إيّانا، وكتمان أمر محمد، والشهادة له بالنبوة، بعد أن ثبتت[٦]

---

(١) «البحر المحيط» ١/ ٤١٥.

(٢) هذا من رواية عطاء التي تقدم ذكرها في المقدمة، ويذكر قريب منه عن غير ابن عباس عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٤-٥٧٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٤.

(٤) أخرجه الطبري ١/ ٥٧٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٦.

(٥) رجح هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٥-٥٧٥ مبينًا أن هذه الشهادة جاءت بعد ذكر هؤلاء الأنبياء؛ فأولى بها أن تكون متصلة بهم لا بموضوع آخر، والشهادة التي عندهم ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل من الأمر بمتابعة هؤلاء المذكورين من الأنبياء، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين فكتموا ذلك حينما دعاهم إليه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. ورجحه كذلك أبو حيان في «البحر» ١/ ٤١٥، مبينًا أنه أشبه بالسياق.

(٦) في (م): (ثبت).

عندنا نبوته بإخبار الله تعالى إيّانا.

١٤١- قوله تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: ثواب ما كسبت ﴿وَلَكُم﴾ ثواب ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾[(١)] وحَسُنَ تكريرُ هذه الآية؛ لأن الحجاج إذا اختلفت مواطنه حَسُنَ تكريرُه للتذكير به[(٢)].

١٤٢- قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية، نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة.

قال ابن عباس: عَنَى بالسفهاء يهود المدينة[(٣)]، وقال الحسن: يعني مشركي مكة.

وقال السدي: يعني منافقي المدينة، وذلك أن المشركين قالوا لما توجه النبي ﷺ إلى الكعبة: قد اشتاق محمد إلى مولده، ومولد آبائه، وقد توجه نحو قبلتكم، وهو راجع إلى دينكم. وقالت اليهود: قد تردد على محمد أمره، ولا يدري أين يتوجه. وقالت المنافقون استهزاءً بالإسلام والمسلمين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾[(٤)]، والسفهاء: جمع سفيه، وهو الخفيف إلى ما لا يجوز له أن يخِفّ إليه[(٥)]، وذكرنا هذا فيما تقدم.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٨.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢٢٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١٥، وقال: وليس ذلك بتكرار؛ لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى بإثره، وإذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار، بيان ذلك: أن الأولى وردت بإثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة اليهم، وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى فالمشار إليه هم.

(٣) أخرجه الطبري ٢/ ١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٧.

(٤) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨.

(٥) ينظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٣٢ (سفه).

وقوله تعالى: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ أي: عَدَلهم وصرفهم[١]، ونذكر أصل هذا الحرف عند قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ القبلة: الوجهة، وهي الفعلة من المقابلة، والعرب تقول: ماله قِبلة ولا دِبرة، إذا لم يهتد لجهة أمره، وأصل القبلة في اللغة: الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها، كالجلسة للحال التي يجلس عليها، إلا أنها الآن صارت كالعلم للجهة التي تستقبل في الصلاة[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنون: بيت المقدس، في قول أكثر المفسرين، والضمير في قبلتهم: للنبي ﷺ وأصحابه.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[٣]، وهذا على زعمهم؛ لأنهم كانوا يدعون أن قبلة إبراهيم كانت بيت المقدس، وعلى هذا القول الضمير[٤] في ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾ لإبراهيم ومن ذُكر بعده، كأنهم قالوا: ما ولّى النبي وأصحابه عن قبلة إبراهيم والأسباط. والقول هو الأول، وعليه المفسرون.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: له أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء[٥].

وقيل: أراد بالمشرق الكعبة؛ لأن المصلي بالمدينة إذا توجه إلى الكعبة فهو متوجه إلى المشرق، وإذا توجه إلى بيت المقدس فهو متوجه إلى

---

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٧-١٣٨.

(٢) «اللسان» ٦/ ٣٥١٧ (قبل).

(٣) قريب منه في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٤٧.

(٤) ساقط من (م).

(٥) كذا في «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

المغرب(١).

وقوله تعالى: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ قال ابن عباس: إلى دين مستقيم، يريد: أني قد رضيت قبلة أولئك، ورضيت هذه القبلة لمحمد ﷺ. «ودين الله» يسمى: صراطًا مستقيمًا؛ لأنه يؤدي إلى الجنة؛ كما يؤدي الطريق المستقيم إلى البغية(٢).

١٤٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ الآية. قال أهل المعاني: التشبيه في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يرجع إلى ذكر الأنبياء الذين أنعم الله عليهم، وهم إبراهيم وأولاده، فلما ذكرهم وذكر النعمة عليهم بالكتاب المنزل، والحنيفية المستقيمة، قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أمةً وسطًا(٣).

وقيل: هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله: ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: هديناكم وخصصناكم دونهم بالصراط المستقيم، وتحويل قبلتكم إلى قبلة إبراهيم، وكذلك أنعمنا عليكم نعمة أخرى فقال: إنا جعلناكم عدولًا(٤).

وقوله: ﴿وَسَطٗا﴾ الوسط: اسم لما بين طرفي الشيء. قال الفراء: الوَسَط المثقل: اسم، كقولك: رأسٌ وسط وأسفل، ولا تقولن ههنا:

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر» ١/ ٤٢١.

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨، «تفسير الرازي» ٤/ ٩٦-٩٧.

(٤) ذكر الرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ٩٦-٩٧، وجوهًا أخر. وينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٣-٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١٢.

وسْط بالتخفيف، واحتجم وَسَط رأسه، وربما خفف، وليس بالوجه. وجلس وسْط القوم، ولا تقول[(١)]: وسَط؛ لأنه في معنى بين القوم، وجلس وسَط الدار؛ لأن (بين) لايصلح في هذا الموضع، وربما خفف.

قال الفراء: قال ابن يونس: سمعت وسْط ووَسَط بمعنًى[(٢)]، قال الشاعر:

قـالـوا يـالَ أشـجـع يـومَ هَـيْـجٍ ووَسْط الدار ضَربًا واحْتِمايا[(٣)]

قال أحمد بن يحيى: ما اتحدت أجزاؤه فلم يتميز بعضه من بعض فهو وسَط بتحريك السين، نحو: وسَط الدار، ووسَط الرأس والكف، وما أشبهها. وما التفت أجزاؤه متجاورة، بعضها يتميز[(٤)] من بعض، كالعقد، وحلقة الناس، فهو وسْط[(٥)]. ومما يصدق هذا ما روي في الخبر: «**الجالس وسْط الحلقة ملعون**»[(٦)]، لم يرو إلا بالتخفيف، وقال محمد بن يزيد: ما كان اسمًا فهو وسَط، محرّك السين، نحو قولك: وسَط رأسه صلبٌ، ووسَط

---

(١) في (أ): (ولا يقول).

(٢) قال الجوهري: كل وضع صلح فيه بين فهو وسْط، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسَط بالتحريك، وقال: وربما سكن، وليس بالوجه. وذكر البيت.

(٣) البيت، نسبه في «اللسان» ٨/ ٤٨٣١ (وسط) لأعصر بن سعد بن قيس عيلان.

(٤) في (م): (يتميز بعضها من بعض).

(٥) نقله عنه بمعناه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٨٨٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٢ (وسط).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٣٨٤ عن حذيفة، في الذي يقعد في وسط الحلقة قال: ملعون على لسان ٢٢٧٥٢، والترمذي (٢٧٥٣) الأدب، باب: كراهية القعود وسط الحلقة، وأبو داود (٤٨٢٦) الأدب، باب: في الجلوس وسط الحلقة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

داره واسع، وما كان طرفًا فهو وسْط، مسكن السين، نحو قولك: وسْط رأسه دهن، ووسْط داره رجل أي: في وسط داره، وفي وسط رأسه[(١)].

قال الفراء: ويقال: وسطتُ القوم سِطةً ووسوطًا إذا دخلت وسطهم: قال الله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥][(٢)].

فأما التفسير: فقال عُظْم أهل التفسير في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلًا خيارًا[(٣)]، وروي ذلك في حديث مرفوع، أخبرناه الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي[(٤)] رحمه الله، ثنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد[(٥)]، ثنا إبراهيم بن عبد الله الكوفي العبسي[(٦)]، ثنا

---

(١) نقله عنه بمعناه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٨٨٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٢ (وسط).

(٢) نقله عنه بمعناه في «اللسان» ٨/ ٤٨٣٣، ينظر في معاني الوسط: «المفردات» ص٥٣٧-٥٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٤١٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣١-٤٨٣٤ (وسط).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٤-٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أبو طاهر، من شيوخ الواحدي، كان إمام أصحاب الحديث بخراسان، وفقيههم ومفتيهم، أخذ الواحدي عنه، توفي سنة ٤١٠هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٧٦-٢٧٨، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٥١.

(٥) هو الإمام الزاهد المعمر أبو بكر محمد بن عمر بن حفص النيسابوري العابد، سمع سهل بن عمار وغيره، روى عنه أبو طاهر بن محمش وغيره، توفي سنة ٣٣٥هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٣٧٦.

(٦) هو إبراهيم بن عبد الله العبسي الكوفي أبو شيبة، سمع من أبي نعيم وقبيصة والإمام أحمد وغيرهم، وحدث عنه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة، قال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة ٢٦٥هـ. ينظر: «السير» ١١/ ١٢٨، «الجرح والتعديل» ٢/ ١١٠.

وكيع[١]، عن الأعمش[٢]، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له[٣]: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فذلك قوله ﷻ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾»[٤].

والوسط: العدل، ثم اختلفوا لِمَ سمّي العدل وسطًا؟ فقالت طائفة: هذا مأخوذ من وسط الوادي والقاع، وهو خير موضع فيه، وأكثره كَلأً وماءً، وذلك أن في غالب الأمر الماء يبرح وسط الوادي؛ لأنه في الصيف وشدة الحر ينحسر عن الأطراف إلى جوف الوادي، فيكون الكلأ هناك أكثر، ولذلك تقول العرب: انزل وسط الوادي، أي[٥]: خير مكان منه[٦]، فعلى هذا (الوسط) اسم وصف به[٧]، ومنه قول زهير:

هم وَسَطٌ يرضى الأنام بحكمهم[٨] .... البيت.

---

(١) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ، تقدمت ترجمته.

(٢) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠].

(٣) ساقط من (ش).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾، ورواه أحمد ٣/ ٣٢، ٥٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٩.

(٥) في (م): (انزل إلى وسط الوادي إلى)، وفي (أ): (انزل وسط الوادي إلى). وما أثبته موافق لما في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٣.

(٧) ينظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٣٤ «وسط».

(٨) البيت تتمته:

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظَمِ

ويحتمل على هذا الاشتقاق: أنه أراد: هم وسط بين طرفين:

أحدهما: الغلو.

والثاني: التقصير، وهما مذمومان، وهذا قول الكلبي(١).

قال أهل المعاني: لما صار ما بين(٢) الغلو والتقصير خيرًا منهما(٣) صار الوسط، والأوسط عبارة عن كل ما هو خير، وإن لم يتصور فيه الغلو والتقصير، حتى قالوا: هو من أوسطهم نسبًا، أي: خيرهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨] قيل في تفسيره: خيرهم وأعدلهم(٤)، وقال النبي ﷺ: «**خير هذا الدين النمط الأوسط**»(٥). فعلى هذا، أمة

= ذكره بهذا اللفظ الجاحظ في «البيان والتبيين» ٣/ ٣٢٥، لكنه قال: يرضى الإله. وهو تحريف مفسد للمعنى، وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص٦٣، ولم ينسبه، وذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦، والثعلبي ١/ ١٢٣٤، والسمعاني ٢/ ٨٠، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١٨، والسمين في «الدر المصون» ١/ ٣٩٣، وقال المعلق على «تفسير الطبري» ٢/ ٦: البيت من معلقة زهير، وروايته كما في «ديوانه» بشرح ثعلب، وفي شرحي التبريزي والزوزني للمعلقات، وكما في جمهرة أشعار العرب للقرشي:

لحيٍّ حلال يعصم الناس أمرهم   إذا طرقت إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٨.

(٢) من قوله: (الغلو)، ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (مبهمًا).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤.

(٥) قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ١٠٦: حديث: «**عليكم بالنمط الأوسط**»، رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» موقوفًا على علي بن أبي طالب، ولم أجده مرفوعا، وذكره في «اللسان» ٨/ ٤٨٣٣ «وسط» من كلام علي. وفي «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠-١٤١: «**عليكم بالنمط الأوسط، فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل**». والنمط: جماعة من الناس أمرهم واحد، وقيل هو الطريقة.

محمد ﷺ وسط، أي: عدول؛ لأنهم لم يغلوا غلو النصارى، ولا قصّروا تقصير اليهود، في حقوق أنبيائهم، بالقتل والصلب[١].

وقالت طائفة: وَسَط جمع واسط، وفَعَل يجوز في جمع فاعل، نحو: خدَم ونشَأ. والواسط: الذي يسِطُ الشيء، أي: يتوسطه، قال الشاعر:

وَسَطتْ نسبتي الذوائبَ منهم   كلُّ دار فيها أبٌ لي عظيم[٢][٣]

وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن نسبه توسط نسبهم، فهو كريم الطرفين، أبوه وأمه من ذلك النسب.

والثاني: أنه أخذ من واسطة القلادة؛ لأنه يجعل فيه أنفَسَ خَرَزها. قال بعض سعد بن زيد مناة:

ومَن يفتقِرْ في قومه يحمَدِ الغنى   وإن كان فيهم واسطَ العَمِّ مُخْوِلا[٤]

قوله: واسط العم، يحتمل المعنيين[٥].

وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: على جميع الأمم، وذلك أن[٦] الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين، أتى بالناس أمة بعد أمة، فيؤتى بأمة نوح، فيسألهم عما أرسل

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٣-٥.

(٢) سقطت من (م).

(٣) البيت لحسان بن ثابت في «ديوانه» ص٢٢٥.

(٤) البيت لجابر بن الثعلب الطائي، ينظر: «ديوان الحماسة» ١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٤.

(٦) في (م): (لأن الله).

إليهم، فينكرون أن نوحًا بلّغهم ما أرسل به إليهم، فيقول الله تعالى لنوح: ما فعلت فيما أرسلتك؟ فيقول: بلّغته قومي فكذّبوني وعصوك، فيقول الله له: زعموا أنك لم تبلّغهم فهل لك شهيد؟ فيقول: نعم، محمد وأمته، فيدعى بأمة محمد، فيقول الله تعالى: بم تشهدون لنوح؟ فيقولون: نشهد أنه قد بلّغ رسالاتك، فكذبوه وعصوك، فتقول أمة نوح: هؤلاء بعدنا يا رب؛ كيف يشهدون علينا؟ فيقولون: ربنا أرسلت إلينا رسولًا، فآمنا به وصدقناه، فكان فيما أنزلت عليه ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] إلى قوله: ﴿۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء: ١١١]. قال: ثم يؤتى بأمة بعد أمة فيشهدون عليهم[1].

وشهداء: لا ينوّن؛ لأن فيه ألف التأنيث، وألف التأنيث يبنى معها الاسم، وجعل الجمع بألف التأنيث كما جعل بهاء التأنيث، نحو: أَجْرِبَة، وأَغْرِبَة، وضَرَبَة، وكَتَبَة[2]. وقال ابن زيد في هذه الآية: الأشهاد أربعة: الملائكة، والأنبياء، وأمة محمد ﷺ، والجوارح، وهذا كقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩]. وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١][3].

---

(١) ذكره بمعناه من غير نسبة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٦، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨، و بمعناه: حديث أبي سعيد عند البخاري (٧٣٤٩) كتاب الاعتصام، باب: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، ورواه الترمذي (٢٩٦١) كتاب التفسير، باب: ومن تفسير سورة البقرة، والنسائي في «التفسير» ١/ ١٩٧، وابن ماجه (٤٢٨٤) كتاب الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٠ بتصرف، وأجربة: جمع جريب، والأصل فيه: كل أرض ذات حدود، ثم استعمل في مقدار معين من الأرض، وهو يستعمل في المساحة والكيل. وضربة: جمع ضارب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال المفسرون: وذلك أن محمدًا ﷺ يُسأل عن حال أمته، فيزكّيهم، ويشهد بصدقهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: لكم[(٢)]، كقوله[(٣)]: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] أي: للنصب، وقيل: معناه: على صدقهم، فهو من باب حذف المضاف[(٤)].

قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟ قال: أمةُ محمد شهداءُ على من ترك الحق من الناس أجمعين[(٥)]، حين جاءه الهدى والإيمان، فذكر الله في كتابه ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد على أنهم آمنوا بالحق حين جاءهم، وقبلوا، وصدّقوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ اختلف أهل المعاني في هذا، فقال بعضهم: إن الله تعالى تعبّد نبيه والمسلمين بالصلاة إلى بيت المقدس حيث[(٦)] كانوا بمكة في أول الأمر مخالفةً للمشركين؛ ليتبين إيمان المؤمن ونفاق المنافق، إذ كانت العرب تحب الكعبة، وترغب في الصلاة إليها، ولا يعجبهم الصلاة إلى بيت المقدس، فتعبّدهم الله بما يشقّ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩-١١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٢٢: وفي شهادته أقوال: أحدها: شهادته عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه. والثاني: شهادته عليهم بإيمانهم. والثالث: يكون حجة عليهم. والرابع: تزكيته لهم و تعديلهم. ثم عزا هذا القول لأكثر المفسرين.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥.

(٣) في (م): (لقوله).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٣.

(٥) رواه «الطبري» في «تفسيره» ٢/ ١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٠، والبغوي ١/ ١٥٩.

(٦) في (ش): (حين).

عليهم، امتحانًا واختبارًا؛ ليظهر إيمان المؤمن عند صبره على ما يحبّ، ويتبين نفاق المنافق عند خلافه ربَّه في إيثاره هواه، فكأنه قال: تعبدناكم بالصلاة إلى بيت المقدس برهةً من الدهر؛ لنمتحنكم بذلك، ونختبركم.

وعلى هذا التأويل خبر ﴿جَعَلْنَا﴾ محذوف، معناه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبلة إلا لهذا، فحذف المفعول الثاني؛ لإحاطة العلم، ويقال: إن ﴿جَعَلْنَا﴾ هاهنا لا يقتضي[1] مفعولًا ثانيًا؛ لأنه في تأويل نصبنا.

وقال بعضهم: إن النبي ﷺ لما[2] هاجر إلى المدينة أمر بالتوجه إلى الكعبة مخالفة لليهود وامتحانًا للمؤمنين، وعلى هذا التأويل[3] تقدير الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ فيكون من باب حذف المضاف[4]، ويحتمل أن يكون التقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، فأضمر المفعول الثاني، كما ذكرنا في الوجه الأول.

وتحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا ثالثًا، وهو أنّ ﴿كُنتَ﴾ بمعنى: أنت[5]، والتقدير: وما جعلنا القبلة التي أنت عليها -وهي: الكعبة- قبلةً،

---

(١) في (ش): (تقتضي).

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) في (م): (وعلى هذا التقدير تأويل الآية).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٦، «البغوي» ١/ ١٥٩، «الكشاف» ١/ ١٩٩، وروي هذا عن ابن عباس.
ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٣، وقال: وهذا من ابن عباس إن صح: تفسير معنى، لا تفسير إعراب؛ لأنه يؤول إلى زيادة كان الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا لم يذهب إليه أحد.

فحذف المفعول الثاني، أو أراد بـ (جعلنا) معنى نصبنا، كما بينا.

ويجوز أن يريد بمعنى الكون: الحال، كقوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] أي: من هو في الحال صبي، وكقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم. ويؤكد هذا التأويل الثاني: أن جماعة من اليهود لما صرفت القبلة إلى الكعبة، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، أكانت هدًى أو ضلالةً؟ فإن كانت هدًى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة، لقد دنتم الله بها؟ فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، عيّروهم بنسخ القبلة(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ والله تعالى عالم لم يزل، ولا يجوز أن يحدث له علم.

واختلف أهل المعاني في وجه تأويله(٢):

فذهب جماعة إلى أن العلم له منزلتان: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به(٣) بعد وجوده، والحكم للعلم بعد الوجود؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، والمتعبد بالشيء إذا لم يُطع وعصى عَلِمَه اللهُ تعالى عاصيًا، وإذا

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٥-١٤٦، والثعلبي ١/ ١٢٣٨. وتنظر بعض الآثار التي تدل على هذا عند الطبري ٢/ ١١-١٢، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٨. وتنظر الوجوه الإعرابية في: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٣، «التبيان» للعكبري ص٩٨.

(٢) ينظر في وجوه تأويل هذا: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢-١٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧-٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٤.

(٣) سقطت من (ش).

أطاع عَلِمَه الله مطيعًا، وكان قبل أن أطاع لم يعلمه مطيعًا علمًا يستحق به الثواب، وإن كان في معلوم الباري أنه يطيع.

فمعنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنعلم العلم الذي يستحق العامل به الثواب والعقاب، وتبدل الأحوال على المعلوم لا يقتضي تبدل العلم وتغيره، وهذا مذهب جماعة من أهل النظر(١). ويؤيده: ما روي عن ابن عباس: أنه فسر العلم هاهنا: بالرؤية، وقال: معنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إلا لنرى(٢)، وهذا راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه إنما يراه إذا علمه موجودًا.

وحكى ابن الأنباري، عن الفراء، أنه قال: يجوز أن يكون الله جل اسمه أضاف العلم إليه، وهو للمخاطبين(٣) في المعنى، كما يجتمع جاهل وعاقل، فيقول الجاهل: الحطب يحرق النار. ويقول العاقل: النار تحرق الحطب، وسنجمع بينهما؛ لنعلم أيهما يحرق صاحبه؟. ومعناه: لتعلم أنت فينسب إلى نفسه فعل غيره، كذلك معنى الآية: إلا لتعلموا أنتم. ومثله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] على هذا التأويل.

ويجوز في سَعَة العربية إضافة الفعل إلى من ليس له في الحقيقة، كقول العرب: طلعت الشِّعرى، وانتصب العود على الحرباء، معناه: انتصب الحرباء على العود، فنسب الانتصاب إلى غير فاعله، ومثله في الكلام: لا أرينَّك ههنا، أوقع النهي على غير المنهي؛ لأن المنهيَّ المخاطب، وذكرنا

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٧، «تفسير السمعاني» ٢/ ٨٣، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٠، «التفسير الكبير» ٤/ ١١٥.

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٣-١٤، ولم ينسبه لابن عباس، ثم رد عليه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٥.

(٣) في (أ): (المخاطبين).

هذا في قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقيل: أراد ليعلم محمد ﷺ، فأضاف علمه إلى نفسه تخصيصًا وتفضيلًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥][١] وتحقيق هذا القول: أنه تعالى أراد: ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين، كما يقول الملك: فعلنا بمعنى: فعل أولياؤنا، ومنه: فتح عُمَرُ السواد، وجبى الخراج، وإن لم يتول ذلك بنفسه[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يطيعه في التوجه[٣] إلى بيت المقدس[٤].

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرتد فيرجع إلى الشرك دين آبائه[٥].

ويجوز أن يكون المراد: ممن هو مقيم على كفره[٦]؛ لأن جهة الاستقامة إقبال وخلافها إدبار، وكذلك وصف الكافر بأنه أدبر واستكبر، هذا إذا قلنا: المراد بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ بيت المقدس

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٨.

(٢) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨ عن الأقوال السابقة: وهذا كله متقارب، والقاعدة: نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٢٤: فهذه كلها تأويلات في قوله: (لنعلم) فرارًا من حدوث العلم وتجدده؛ إذ ذاك على الله مستحيل، وكل ما وقع في القرآن مما يدل على ذلك أُوِّل بما يناسبه من هذه التأويلات.

(٣) في (ش): (التوحيد).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥، «زاد المسير» ١/ ١٥٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٤.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٤/ ١٠٥.

وإن قلنا: إن المراد هناك: التحويل عن بيت المقدس، وهو أظهر التأويلين[١]، فمعنى قوله: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يوافقه في التوجه إلى الكعبة، والانحراف عن بيت المقدس ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرتّد عن الدين فيرجع إلى اليهودية، أو إلى ما كان عليه. وذلك أن الله تعالى جعل نسخ القبلة عن الصخرة إلى الكعبة ابتلاء لعباده المؤمنين، فمن عصمه ووفقه صدَّق الرسول في ذلك، وعلم أن لله[٢] تعالى أن يتعبد عباده بما شاء، وأن له أن ينسخ ما تعبدهم به، فيحولهم إلى غير ذلك، وأن الصلاح لهم فيما يأمرهم به، ومن لم يعصمه شَكَّ في دينه، وتردد عليه أمره، وظن أن محمدًا في حَيْرة من أمره، فارتد عن الإسلام.

والانقلاب على العَقِب: عبارة عن الانصراف إلى حيث أقبل منه؛ لأن عقبَ الإنسان يكون وراءه، فإذا رجع إلى وراء يقال: نكص على عقبيه، وانقلب على عقبيه، أي: انصرف راجعًا[٣].

قال ابن عباس: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يريد: من يرجع إلى دينه الأول[٤]، يعني: المنافقين، وسمي العقب عقبًا؛ لأنه يتلو القدَمَ، وأصل هذا الباب: الإتباع[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ قال سيبويه: ﴿وَإِن﴾ تأكيد شبيه

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٥.

(٢) في (م) و(ش): (الله).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠.

(٤) هذه من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها بالمقدمة.

(٥) ينظر: «المفردات» ص٣٤٣-٣٤٤، «اللسان» ٥/ ٣٠٢٢ (عقب).

باليمين؛ لذلك دخلت اللام في جوابها[١].

قال أبو إسحاق: دخلت اللام مع إن، لأنها لو لم تدخل كان الكلام جحدًا، فلولا اللام كان المعنى: (ما كانت كبيرة)، فإذا جاءت (إن واللام) فمعناهما التوكيد للقصة[٢].

وأما التفسير: فقال ابن عباس[٣] ومجاهد[٤] وقتادة[٥]: وقد كانت التولية إلى الكعبة لكبيرة.

قال ابن زيد[٦]: وقد كانت الصلاة إلى الكعبة لكبيرة ثقيلة، إلا على الذين هدى الله، وقال أبو العالية: وإن كانت القبلة لكبيرة[٧]، يعني: الكعبة. وقيل: إنه يعني: بيت المقدس[٨]، أي: وإن كان اتباعها لكبيرًا إلا على الذين هدى الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قال المفسرون: قالت اليهود للمسلمين لما حُوِّلت القبلة إلى الكعبة: إن كان هذا التحويل حقًّا

(١) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٣، ٢/ ١٤٠.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٠، وينظر: «التبيان» للعكبري ٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٥.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ١٦.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥، بلفظ: عن أبي العالية (وإن كانت لكبيرة) أي: قبلة بيت المقدس (إلا على الذين هدى الله)، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١، وجعل قوله كقول مجاهد.

(٨) وعلى هذا المعنى حمله الطبري ٢/ ١٦.

فإنَّ من مات منكم وهو يصلي إلى بيت المقدس مات على الضَّلالة، وكان قد مات رجال من المسلمين قبل تحويل القبلة، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ، فقالوا: يارسول الله، صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا منا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾[1] أي: تصديقكم بأمر تلك القبلة.

قال الفراء: أسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين، والمعنى: فيمن مات من المسلمين. وإنما أضيف إلى الأحياء؛ لأن الذين ماتوا على القبلة الأولى كانوا منهم. فقال: ﴿إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ وهو يريد: إيمانهم؛ لأنهم داخلون معهم في الملة، وهو كقولك للقوم: قد قتلناكم وهزمناكم، يريد: قتلنا منكم، فيواجههم بالقتل وهم أحياء[2].

ويمكن أن يحمل على العموم، بأن أراد: إيمان الأحياء والأموات[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرأفة: أخص من

---

(١) روي بهذا اللفظ في: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٥١، «تفسير مقاتل» ١/ ٧٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٩، «الكفاية» للحيري ١/ ٧٩، «أسباب النزول» للواحدي ص٤٥-٤٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٣. وروى البخاري (٤٠) كتاب الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان، عن البراء بن عازب أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٣-٧٤.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨.

الرحمة وأرق، قال الفراء: الرأْفة والرآفة، مثل: الكأبة والكآبة[١].

وقال أبو زيد: رَأَفْتُ بالرجل، أَرْأَفُ به رأفةً، ورآفةً، ورَؤُفْتُ أَرْؤُفُ به، كلٌّ من كلام العرب[٢]. وفي الرؤوف قراءتان[٣]:

أحدهما: رؤوف على وزن فعول.

والثانية: رؤف على وزن رَعُف.

فمن قرأ على فَعُول؛ فلأنه أكثر في كلامهم من فَعُل، ألا ترى أن باب صبور وشكور، أكثر من باب حذُر ويقُظ، وإذا كان أكثر في كلامهم كان أولى. يؤكد هذا: أن صفات الله قد جاءت على هذا[٤] الوزن، نحو: ﴿غفور شكور﴾، ولا نعلم فَعُلًا فيها قال الشاعر:

نطيع إلهنا ونطيع ربًّا هو الرحمن كان بنا رؤوفًا[٥]

ومن قرأ على وزن «رَعُف»، فقد قيل: إنه غالبُ لغة أهل الحجاز، ومنه قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٦]:

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٣، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ (رأف)، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٦.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٣، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ (رأف). وينظر في بيان معاني الرؤوف: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٨٦.

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: (رؤف)، بهمزة من غير واو. وقرأ الباقون بواو بعد الهمزة. ينظر «السبعة» ص١٧١، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٤) في (أ)، (م): (على وزن رعف الوزن).

(٥) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في «ديوانه» ص٢٣٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٠ وروايته: نطيع رسولنا، «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ «رأف»، وروايته: نطيع ربنا، «تاج العروس» ١٢/ ٢٢١ (رجف).

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط أبان بن عمرو، أسلم يوم فتح=

وشرُّ الطالبين[١] فلا تَكُنْه   يقاتل عمَّه الرؤوفَ الرحيما[٢]

وكثر ذلك حتى قاله غيرهم، قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقًّا   كفعل الوالد[٣] الرؤوف الرحيم[٤][٥]

١٤٤- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية. قال المفسرون: كانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم[٦].

وقال مجاهد[٧] ومقاتل[٨] وابن زيد[٩]: لأنه كره موافقة اليهود[١٠].

= مكة، كان من الشعراء المطبوعين، قال الأصمعي كان شاعرًا كريمًا، توفي بالرقة. ينظر: «أسد الغابة» ٥/ ٤٥١، «الإصابة» ٣/ ٦٣٧.

(١) في (أ)، (م): (للطالبين).

(٢) البيت للوليد في «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٣٠، ابن عطية في «تفسيره» ٢/ ١٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٥، «البحر المحيط» ١/ ٦٠١، «أنساب الأشراف» ص١٤٠، «تاريخ الطبري» ٥/ ٢٣٦. وورد البيت في بعض المصادر هكذا:

وشر الظالمين للظالمين فلا تكنه   يقابل عمه الرؤف الرحيم

(٣) في (ش): (الوليد).

(٤) البيت لجرير في «ديوانه» ص٤١٢، «الخزانة» ٤/ ٢٢٢، «الكامل» للمبرد ٢/ ١٣٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤١، «البحر المحيط» ١/ ٦٠١.

(٥) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٣، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩ إلى عبد بن حميد.

(٨) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٠.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢.

(١٠) وثم قول ثالث روي عن السدي، وهو ليتألف العرب لمحبتها في الكعبة. ينظر «البحر المحيط» ١/ ٤٢٨.

وقال عامة المفسرين: إن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا بمكة يصلّون إلى الكعبة، فلما هاجروا إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم(١).

وقال ابن زيد: قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ﴾ فقال: هؤلاء اليهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله، فلو استقبلناه، فاستقبله النبي ﷺ سبعة عشر شهرًا(٢).

ثم رأى أن الصلاة إلى الكعبة أدعى لقومه إلى الإسلام، فقال لجبريل: وددت(٣) أنّ الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك، وأنت كريم على ربك، فادع ربك وسَلْه، ثم ارتفع جبريل، وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء؛ رَجَاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٤).

---

(١) عزاه لعامة المفسرين: الثعلبي ١/ ١٢٤١. وينظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد برقم ٢١، «صحيح البخاري مع الفتح» ١/ ٩٥، ومسلم (٥٢٥) كتاب المساجد، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص١٢٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٦١، «التفسير الكبير» ٣/ ١٠٩، «تفسير الخازن» ١/ ١٢٠، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٩٦.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠ بلفظ: ستة عشر شهرًا، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، ويوحي صنيع الواحدي أن ما بعده تبع له، وليس الأمر كذلك.

(٣) في (م): (وودت).

(٤) كذا في «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣، «تفسير البغوي»، عن مجاهد ١/ ١٦١، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٩٥، وقال في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩: أخرجه أبو داود في «ناسخه» عن أبي العالية. وذكره الواحدي ص٤٦،=

قال أصحاب المعاني: أراد: تَقَلُّبَ عينيك، فذكرهما بلفظ الوجه، كما ذكر الأعين بلفظ الوجوه في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وذلك أنّ ما تقع به المواجهة يسمّى وجهًا، كاللحية قد يطلق عليها اسم الوجه. ويجوز أن يريد نفس الوجه؛ لأنه كما يقلب عينيه في السماء يقلب وجهه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في النظر إلى السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ يقال، وَلَّيْتُكَ القبلة، : إذا صيرتَه يستقبلها[(٢)] بوجهه، وليس في (فعلت) منه هذا المعنى؛ لأنك إذا قلت: وَلِيتُ الحائط، ووليت الجدران، لم يكن في قولك دلالة على أنك واجهته. فَفَعَّلت من هذه الكلمة ليس بمنقول من (فَعَلت) الذي هو وَلِيتُ، فيكون على حد قولك: فَرِحَ وفرّحْتُه، ولكن المعنى الذي هو المواجهة عارض[(٣)] في فَعّلت، ولم يكن في (فَعَلْت)، وإذا كان كذلك كان فيه دلالة على أن النقل لم يكن من فَعَلت، كما كان قولهم: ألقيتُ متاعَك بعضَه على بعض، لم يكن النقل فيه[(٤)] من: لقي متاعك بعضه بعضًا، ولكن

= عن ابن عباس من رواية الكلبي، وأخرج بعضه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص١٥، من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس.

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٥، والوجه الثاني هو الذي ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠.

(٢) في (م): (مستقبلها).

(٣) في (ش): كأنها (يمارض).

(٤) في (ش): (فيه دلالة).

(ألقيت) كقولك: أسقطت، ولو كان منه زاد مفعول آخر في الكلام، ولم يحتج في تعديته إلى المفعول الثاني إلى حرف الجر في قولك: ألقيت متاعك بعضه على بعض، كما لم يحتج إليه في قولك: ضرب زيد عمرًا، وأضربته إياه، ونحو ذلك. فكذلك: وَلَّيْتُكَ قبلةً، من قولك: وَلِيتُ، كألقيت، من قولك: لَقِيتُ[1].

وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة، وذلك نحو: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ﴾ [يوسف: ٨٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] فهذه مع[2] دخول الزيادةِ الفِعْلَ. وفي غير الزيادة قوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠] وقوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] وقوله: ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ حال مؤكدة؛ لأن في ﴿وَلَّيْتُم﴾ دلالة على أنهم مدبرون، وهذا على نحوين: أما ما لحق التاءُ أولَه، فإنه يجوز أن يكون من باب: تَحَوَّب[3] وتأثم، إذا ترك الحُوب[4] والإثم، فكذلك إذا ترك الجهة التي هي المقابلة. وأما الذي لا زيادة فيه، فيجوز أن تكون الكلمة استعملت على الشيء وعلى خلافه، كالحروف المروية في الأضداد، وقد روي في الأضداد: ولّى: إذا أقبل، وولّى: إذا أدبر[5].

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٣٠.
(٢) في (ش): فهذا (دخول).
(٣) في (أ)، (م): (تحرب).
(٤) في (أ)، (م): (الحرب).
(٥) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٣١-٢٣٢ بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ أي: تحبها وتهواها[١]؛ لأن النبي ﷺ كان راضيًا بالقبلة الأولى، مطيعًا لله في حال صلاته إليها[٢]، ولكنه أحبّ أن[٣] تكون قبلته الكعبة؛ للمعاني التي ذكرنا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾ أي: أقبل وجهك نحوه.

وقوله تعالى: ﴿شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ﴾ أي: قصدَه ونحوَه، ومعنى الشطر: النحو عند أهل اللغة، يقولون: وَلِّ وجْهَك نحوَ الموضع، وشطرَه، وتلِقَاءه بمعنًى.

قال الشاعر:

وأظعنُ بالقوم شَطْرَ الملو ... ك حتى إذا خَفَق المِجْدَحُ[٥]

وقال آخر:

أقول لأم زِنباعَ أقيمي ... صُدورَ العِيسِ شَطْرَ بني تميمِ[٦]

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٢.

(٣) أن ساقطة من (م).

(٤) تقدمت في أول الآية.

(٥) البيت لدرهم بن زيد الأنصاري، في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٤، «مجمل اللغة» ١/ ١٨٠، «الكشاف» ١/ ٢٠١، «أساس البلاغة» ٢/ ٧٢، «تاج العروس» ٤/ ٢٢ (جرح)، «لسان العرب» ١/ ٥٥٩، ٢/ ١٢١٤. والمجدح: نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطر به، كقولهم الأنواء. وجواب إذا خفق المجدح، في البيت الذي بعده وهو قوله:

أمرت صحابي بأن ينزلوا ... فناموا قليلًا وقد أصبحوا

(٦) البيت لأبي زنباع الجذامي، في «الدرر» ٣/ ٩٠، «لسان العرب» ٤/ ٢٢٦٣ «شطر»، ولأبي ذؤيب الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٦٣، وبلا نسبة في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٢/ ٧٠٥.

وقال سُدَيف:

أقِمْ قصدَ وجهك شطرَ العراق وخالَ الخليفة فاستَمْطِرِ[(١)]

قال أبو اسحاق: لا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر معناه: النحو. قال: وقول الناس: فلان شاطر، معناه: إنه قد أخذ في نحو غير الاستواء. قال: ونصب قوله: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ على الظرف[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَرَامِ﴾ بمعنى المحرم، وأصله: من المنع، وسمِّيت تلك البقعة حرامًا لما منع فيها من أشياء لم تمنع في غيرها[(٣)]، ونذكر الكلام في الحرام والحرمات في موضع آخر. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ في بر أو بحر[(٤)]، وذكرنا الكلام في حيث عند قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ فيه إضمار واختصار، أي: وحيثما كنتم، وأردتم الصلاة، فولّوا وجوهكم شطره.

قال المفسرون: إن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة[(٥)]. وهذه

---

(١) البيت بلا نسبة في «جمهرة اللغة» ٢/ ٧٢٨.

(٢) بتصرف من، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٢، ونقل الإجماع على النحو ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٦، وينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٢٠-٢٢١، «التبيان» للعكبري ص٩٩. وينظر في معاني الشطر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠-٢١، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ص٦٠، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٤، «المفردات» ص٢٦٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٦.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٢/ ٨٤٧-٨٤٨.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٤.

(٥) قاله ابن عباس كما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٥٣ عنه، ورواه أبو داود في ناسخه كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩، ورواه الطبري عن الحسن وعكرمة ٢/ ٤، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤١.

الآية نزلت ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة، وقد صلّى بأصحابه[١] ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة نحو الكعبة، وحول الرجالَ مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال، فسمي ذلك مسجد القبلتين[٢]. فلما حولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد، ما أُمرت بهذا، وإنما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك! فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[٣]، والكناية في ﴿أَنَّهُ﴾ يجوز أن ترجع إلى المسجد الحرام، أي: إنهم عالمون أن المسجد الحرام قِبْلَة إبراهيم وأنه حق.

---

(١) في (م): (أصحابه).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٤ عن مجاهد وغيره، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٢، (الخازن) ١/ ١٢١.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٦، وذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٤، والبغوي ١/ ١٦٢، وأخرج الطبري ٢/ ٢٤-٢٥ نحوه عن السدي، وقد اختلفت الروايات كثيرًا في الوقت والمكان والكيفية التي غيرت فيها القبلة، وقد ذكر جملة منها: السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٧-٢٧٣ .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١/ ٥٠٣: اختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها، وكذا في المسجد، فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر، وذكر محمد بن سعد في «الطبقات» قال: يقال: إنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه، ودار معه المسلمون، ويقال: زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعامًا، وحانت الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب، فسمي مسجد القبلتين. قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا. وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٧، خلاف العلماء في وقت تحويل القبلة فلينظر.

ويجوز أن تعود الكناية إلى التولية[١]، لأن قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ دل على المصدر، كما أن قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] دل على البخل، فكنى عنه بقوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. والتولية وإن كان في لفظ المؤنث فهو مصدر، وحكى ابن الأنباري: أن أبا عمرو الدوري روى عن الكسائي: أن الهاء تعود على الشطر[٢]، والمعنى عنده: لَيَعْلَمُون أن شطره الذي تحولتم إليه هو الحق من ربهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وإن اليهود يطلبون سخطي، وما أنا بغافل عن خِزْيِهم في الدنيا والآخرة[٤].

١٤٥- وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، معنى (لئن): ما تستقبل، ومعنى (لو): ماض، وحقيقة معنى (لو): أنها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جئتني لأكرمتك، أي: لم تجئني، فلم أكرمك، فإنما امتنع إكرامي لامتناع مجيئك[٥]. ومعنى إن ﴿وَلَئِنْ﴾: أنه يقع بهما الشيء لوقوع غيره، تقول: إن تأتني أكرمْك، فالإكرام يقع بوقوع

---

(١) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٦-١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٧.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر في الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٣، «زاد المسير» ١/ ١٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠، «الدر المنثور» ١/ ٢٦٧-٢٦٩.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٣.

(٥) بمعناه من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٢٤، «المقتضب» للمبرد ٣/ ٧٥.

الإتيان[١].

فقولهم: (لئن) تستعمل فيما يستقبل، وجوابها يقع بالمستقبل، و(لو) تستعمل في الماضي، وجوابها يقع بالماضي، كقولك: لئن قمتَ لأقومنّ، ولو قمتَ قمتُ، هذا معنى الكلمتين ووضعهما في الأصل.

ثم إنّ العرب لما استجازت في الفعل المستقبل والماضي أن يقوم أحدهما مقام الآخر، استجازت تقريب إحدى هاتين الكلمتين من الأخرى في الجواب؛ لذلك أجيبت لئن بجواب لو في هذه الآية[٢]. ومثل هذا من تقريب إحداهما من الأخرى في التنزيل قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم: ٥١] أجيب (لئن) بجواب (لو). وأجيبت (لو) بجواب (لئن) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] فقوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ميعاد للثواب في المستقبل، ومثل هذا يكون جوابًا لقولك: لئن. وهذا معنى قول الفراء؛ لأنه قال: أجيبت لئن بجواب لو؛ لأن الماضي وليها، كما يلي لو ،فأجيبت بجواب لو، ودخلت كل واحدة منهما على أختها، وشبهت كل واحدة بصاحبتها[٣].

---

(١) بمعناه من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٧٧، و١٠٧، و١٠٨، «المقتضب» للمبرد ٢/ ٤٦-٤٧، و٣٦٢.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٤، واختاره الطبري ٢/ ٢٤، ورده الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٢٤، وينظر: «التبيان» للعكبري ص٩٩، وقال متعقبا رأي الفراء: وهو بعيد؛ لأن إن للمستقبل، ولو للماضي. وقال أبوحيان، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠: اللام في (ولئن) هي التي تؤذن بقسم محذوف متقدم، فقد اجتمع القسم المتقدم المحذوف والشرط متأخر عنه، فالجواب للقسم، وهو قوله: (ما تبعوا)؛ ولذلك لم تدخله الفاء، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وهو=

فأما التفسير: فإن اليهود والنصارى طلبوا من النبي ﷺ الآيات، فأنزل الله هذه الآية، وقد علم أهل الكتابين أن محمدًا حقّ، وصفته ونبوته في كتابهم، ولكنهم جحدوا مع تحقق علمهم، وما تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف[1]؛ لذلك قال -عز من قائل-: ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾.

فإن قيل: كيف قال هذا، وقد آمن منهم كثير؟

قيل: هذا إخبار عن جميعهم أنهم كلهم لا يفعلون[2] ذلك[3].

وقيل: إنه أراد الفريق الذين هم أهل العناد، وهم الذين عناهم بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ حسم بهذا إطماع اليهود في رجوعه ﷺ إلى قبلتهم؛ لأنهم كانوا يطمعون. وأكّد بهذا أنه لا ينسخ التوجه

= منفي بما، ماضي الفعل، مستقبل المعنى. ثم رد مذهب الفراء بقوله: وهذا الذي قاله الفراء هو بناء على مذهبه أن المقسم إذا تقدم على الشرط جاز أن يكون الجواب للشرط دون القسم، وليس هذا مذهب البصريين، بل الجواب يكون للقسم بشرطه المذكور في النحو، واستعمال (إن) بمعنى (لو) قليل، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك، إذا ساغ إقرارها على وضع أصلها. وقال ابن عطية في: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧: وجاء جواب لئن كجواب لو، وهي ضدها في أن لو تطلب المضي والوقوع، وإن تطلب الاستقبال؛ لأنهما جميعا يترتب قبلهما معنى القسم، فالجواب إنما هو للقسم، لا أن أحد الحرفين يقع موقع الآخر، هذا قول سيبويه.

(١) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٥، «الكفاية» ١/ ١٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٣.

(٢) في (ش): (لا يعقلون).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧، «التفسير الكبير» ٤/ ١٢٥، ونسبه إلى الحسن.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣١.

إلى الكعبة[(١)]، وقيل في هذا: إنه لما قال: ﴿مَا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾ قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ﴾ على المقابلة، كما تقول: ما هم بتاركي إنكار الحق، وما أنت بتارك الاعتراف به، ويكون الذي جرّ الكلام الثاني التقابل للكلام الأول، وهو حسن من كلام البلغاء[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾ أخبر أنهم وإن اتفقوا في الظاهر على النبي ﷺ مختلفون فيما بينهم. فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل المشرق. واليهود لا تتبع قبلة النصارى، ولا النصارى تتبع قبلة اليهود[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ أي: صليت إلى قبلتهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أن قبلة الله الكعبة ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إنك إذن مثلهم[(٤)]، وأجيبت (لئن) ها هنا بجواب مثلها؛ لأنه أراد فيما يستقبل من الزمان.

وذكر أهل التأويل في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ وجهين:

أحدهما: أن الخطاب له ﷺ في الظاهر وهو في المعنى لأمته، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

والثاني: أن الله تعالى خاطب نبيه -عليه السلام- بهذا مهددًا أمته، أي: إذا استحققت منا مثل ذا الجزاء عند مخالفة، لو وقعت منك، ولن تقع أبدًا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، ٢٥، والثعلبي ١/ ١٢٤٦، «التفسير الكبير» ٤/ ١٢٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧-١٨.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٦.

كانوا هم أجدر وأخلق، بتكاثف الأوزار، واجتماع الآثام، عند ما يظهر منهم من إيثار الضلال والانحراف عن الحق.

وذكر **وجه ثالث**: وهو أن معنى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: في المداراة معهم حرصًا على إيمانهم ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لنفسك، إذ قد أعلمتك أنهم لا يؤمنون[(١)].

وذكرنا الكلام في معنى (إذن) عند قوله: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

١٤٦- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ الآية، الكناية في ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ تعود إلى محمد ﷺ عند أكثر المفسرين[(٢)]. وكنى عن محمد، وقد تقدم ذكره في الخطاب؛ على عادة العرب في تلوين الخطاب.

ويشهد بصحة[(٣)] هذا التأويل: ما روي أن عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الآية، وسئل عن معرفته محمدًا ﷺ، فقال: والله لأنا بمحمد وصحة نبوته أعرف مني بابني؛ لأني لا أشك في أمره، ولا أدري ما أحدث النساء[(٤)].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨-١٩.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٦، وعزاه في «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١ إلى قتادة ومجاهد، وعزاه في: «زاد المسير» ١/ ١٥٨ إلى ابن عباس، ولم يذكر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٠٧ غيره، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٥: « واختاره الزجاج ورجحه التبريزي، وبدأ به الزمخشري » وهو الذي رجحه أبو حيان.

(٣) في (م): (على صحة).

(٤) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٦، من حديث ابن عباس، وفيه الكلبي، وينظر «الفتح السماوي» ١/ ١٩٥، «الوسيط» للواحدي ١/ ٢١٥، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٦٦، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٢، =

وقال قتادة[(١)] والربيع[(٢)] وابن زيد[(٣)]: معناه: يعرفون أن أمر القبلة حق[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: يعني النبي ﷺ وصفته في التوراة[(٥)]، وقال قتادة[(٦)] والربيع[(٧)]: يريد به: القبلة، والمسجد، والبيت، وأمر الكعبة[(٨)].

= والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٩٢، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٤، وأورده القرطبي في «تفسيره» بصيغة التمريض ٢/ ١٤٩. وعزاه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٩٩ إلى يحيى بن سلام.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥، وروي عنه ما يوافق القول الأول، أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٧١.

(٣) رواه عنه الطبري في ٢/ ٢٦.

(٤) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦، ورواه أيضًا عن ابن عباس والسدي، كما رواه ابن أبي حاتم عنهما في «تفسيره» ١/ ٢٥٥، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٨، قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤٠٠: وحاصله أن الضمير في قوله: (يعرفونه) للنبي ﷺ، وهو في آية الأنعام بعيد، وأما في آية البقرة فمحتمل، وقد جاء أن الضمير للبيت الحرام، كذا قال مقاتل بن سليمان.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٧، ولم ينسبه لأحد، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦-٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦ عن مجاهد، كما رواه ابن جرير ٢/ ٢٧، عن قتادة وخصيف بن عبد الرحمن.

(٦) روى الطبري في «تفسيره» عن قتادة ٢/ ٢٧ ما يوافق القول الأول.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦.

(٨) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٨، وعزاه في «زاد المسير» ١/ ١٥٨ إلى السدي، وقد جمع الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٧ بين القولين.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لأن الله بيّن ذلك في كتابهم.

١٤٧- ثم قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا الحق من ربك[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ لفظ خاص، ومعناه العموم، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره[٢].

والمعنى: فلا تكونن من الممترين في الجملة التي أخبرتك من أمر القبلة، وعناد من كتم النبوة، وامتناعهم من الإيمان بك[٣]، والمِرْيَة: الشك، ومنه: الامتراء والتماري[٤].

١٤٨- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ مختصر، أراد: ولكل أهل دين وِجهة[٥]. والوِجهة: اسم للمتوجَّه إليه. وقيل: الوجهة: الجهة.

قال الفراء: تقول العرب: هذا أمر ليس له وِجْهَةٌ، وليس له وَجْه[٦].

قال: وسمعت العرب تقول[٧]: وجِّه الحجر، وجِهةٌ مَّا لَه، وَوِجهةٌ مَّا لَه، ووَجهةٌ مَّا لَه[٨]، وجِهة مَّا له، ووَجْه ما له، معناه: ضعه غير هذه

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٧.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤، وقال: وكل ما ورد عليك من هذا النحو فهو سبيله.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١، ٢٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٩-١٥٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٧، «زاد المسير» ١/ ١٥٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٠، وقال الراغب في «المفردات» ص٤٦٩: المرية: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك، والامتراء والمماراة: المحاجة فيما فيه مرية.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠ زيادة: وليس له جهة.

(٧) سقطت من (م).

(٨) في «معاني القرآن» ١/ ٩٠، وسمعتهم يقولون: وجه الحجر، جهةٌ ما له، ووجهة ما له، ووجهٌ ما له. وينظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٧٥، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٢ «وجه».

الوَضْعة، والضِّعة والضَّعَة[١]. وأصله في البناء[٢]، يقولون: إذا رأيت الحجر في البناء لم يقع موقعه فأدِرْه، فإنه سيقع على جهته[٣].

قال أبو اسحاق: ومثله: وَضْعة وضِعَة وضَعَة[٤].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ ذكرنا معنى التولية في قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وقوله: ﴿هُوَ﴾[٥] ضمير اسم الله[٦] وقد حذف من الكلام أحد مفعولي الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين وهو التولية، والتولية تقتضي[٧] مفعولين، كقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ [البقرة: ١٤٤]. والتقدير هاهنا: الله موليها إياه، وإياه ضمير كل الموجَّه[٨] المولَّى، وتولية الله إياه إنما هي بأمره له بالتوجه إليها، أو بإرادته ذلك، هذا قول أبي علي[٩].

---

(١) في (ش) لم يكرر: ما له. وليس فيها: والضعه والضعة.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠: ويقولون: ضعه غير هذه الوضعة، والضِّعة والضَّعة، ومعناه: وجِّه الحجر فله جهة، وهو مَثَلٌ.

(٣) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠ بتصرف، وينظر في معاني الكلمة: «المفردات» ص٥٢٩، «اللسان» ٨/ ٤٧٧٦ (وجه).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥، ونصه: وكذلك يقال: ضَعَةٌ، ووَضْعة، وضِعَة.

(٥) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٩: وفي هو ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: الله موليها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها. والثاني: ترجع إلى المتولي، فالمعنى: هو موليها نفسه، فيكون هو ضمير كل. والثالث: يرجع إلى البيت، قاله مجاهد، أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة.

(٦) قوله: (اسم الله) سقطت من (ش).

(٧) قوله: (أحد مفعولي..) سقطت من (ش).

(٨) في (ش): (المؤخر).

(٩) ينظر: «الحجة» ٢/ ٢٣٩.

وقال أبو إسحاق: قال أكثر أهل اللغة[(١)]: هو ضمير لكل، المعنى: هو مولّيها وَجْهَة، وجاء قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ على لفظ كل، ولو قيل: هم[(٢)] مولّوها على المعنى كما قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] كان حسنًا، يريد: كل أهل وجهة هم الذين ولّوا وجوههم إلى تلك الجهة[(٣)]، ونحو هذا قال الفراء، فقال: هو مولّيها: مستقبلها، الفعل لكلٍ، يريد: كلٌّ مولّي وجهه إليها.

والتولية في هذا الموضع: الإقبال، وفي ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١] ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] انصراف، وهو كقولك في الكلام: انصرِفْ إليّ، أي: أقبِلْ إلي، وانصرف إلى أهلك، أي: اذهب إلى أهلك[(٤)]، وهذا وجه آخر في ولّى، بمعنى: أقبل، وبمعنى: أدبر، غير ما ذكرنا في قوله ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ أنّ (ولّى) من الأضداد.

قال الزجاج: وكلا القولين جائز[(٥)]، أي: أن يكون ﴿هُوَ﴾ كناية عن الله تعالى. وأن يكون كناية عن كلّ.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج: قال بعض أهل اللغة. وهو أكثر القول.

(٢) في (أ)، (م): (هو).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥، وليس عنده: وجاء قوله كان حسنًا، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧: (وهو)، من قوله: (موليها)، عائد على (كل)، على لفظه، لا على معناه، أي: هو مستقبلها وموجه إليها صلاته التي يتقرب بها، والمفعول الثاني لموليها محذوف؛ لفهم المعنى، أي: هو موليها وجهه أو نفسه، قاله ابن عباس وعطاء والربيع، ويؤيد أن هو عائد على كل، قراءة من قرأ: هو مولاها.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٥ بمعناه.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥.

وقرأ ابن عامر[١]: (هو مولّاها)[٢]. وعلى هذه القراءة الكناية تعود إلى كل فقط، والمفعولان مذكوران، وذلك أنه حذف الفاعل، وأضاف المفعول الأول إلى المفعول الآخر، الذي هو ضمير المؤنث العائد إلى الوجهة، أي: كلٌّ وُلِّي جهةً، وهذه القراءة تؤول في المعنى إلى القراءة الأولى[٣]؛ لأن التولية في المعنى استقبال، وما استقبلك فقد استقبلته، وما استقبلته فقد استقبلك.

وقال أبو[٤] الحسن النحوي فيما قرأته عليه: من قرأ بفتح اللام فحجته قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ فلما كان الله هو الذي يولّي القبلةَ فالإنسان مولًّى[٥] إياها، ومن قرأ بكسر اللام قال: لما كان الله هو الذي يولّي المتوجه القبلة؛ كان إسناد التولية إليه أولى. وموضع ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ رفع؛ لأنها جملة وقعت صفةً لقوله ﴿وِجْهَةٌ﴾[٦].

وقال الحسن في هذه الآية: هو كقوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧][٧].

---

(١) في (م): (عباس). وعند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٨٥: وقرأ ابن عباس وغيره. وكذا عند الطبري ٢/ ٢٩.

(٢) ينظر: «السبعة» ص١٧١، «الكشف» لمكي ١/ ٢٦٧، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٣) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٤٠، وزاد: ألا ترى أن في (موليها) ضمير اسم الله ﷻ، فإذا أسند الفعل إلى المفعول به، وبناه له، ففاعل التولية هو الله تعالى، كما كانت القراءة الأخرى كذلك.

(٤) في (ش) سقطت (أبو).

(٥) في (ش) و(م): كتبت (مولي) بنقطتين.

(٦) ينظر: «التبيان» للعكبري ص٩٩-١٠٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧.

(٧) وفي «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧: وقال الحسن: وجهة: طريقة، كما قال: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ قال أهل التفسير: أراد: إلى الخيرات، فحذف حرف الجر[١]، كقول الراعي:

ثنائي عليكم يا ابْنَ حَرْبٍ وَمَنْ يَمِلْ

سواكم فإني مهتدٍ غيرُ مائل[٢]

قال النحويون: ودعوى[٣] الحذف لا يطرد هاهنا، وليس[٤] الحذف من ضرورة هذا الكلام، فإن العرب تقول: استبقنا موضع كذا، أي: قصدناه متسابقين، كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥] وقوله: ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦] وقلَّ ما تراه مستعملا مع الخافض.

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال الفراء: إذا رأيت حروف الاستفهام قد وُصِلت بـ(ما) مثل: أينما، ومتى ما، وكيف ما ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠] كانت جزاء ولم تكن استفهامًا. فإذا لم توصل بـ(ما) كان الأغلب عليها الاستفهام، وجاز فيها الجزاء، فإذا كانت جزاءً جزمت الفعلين، الفعلَ الذي مع أينما وأخواتها، وجوابَه، كقوله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾. فإذا أدخلت الفاء في الجواب، رفعت الجواب فقلت في مثله من الكلام: أينما تكن فآتيك، ومثله قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة:

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٧.

(٢) البيت للراعي النميري، في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ينظر «ديوانه» ص١٩١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٧ وموضع الشاهد قوله: ومن يمل سواكم، أراد: ومن يمل إلى سواكم.

(٣) في (ش): (ومعنى دعوى).

(٤) سقطت من: (ش).

١٢٦]. فإذا كانت استفهامًا رفعت الفعل الذي يلي: أين، وكيف، ثم نجزم[١] الفعل الثاني؛ ليكون جوابًا للاستفهام بمعنى الجزاء، كما تقول: هل أدلك على بيتي تأتني؟[٢].

فإذا[٣] أدخلْتَ في جواب الاستفهام فاءً نصبتَ، كما تقول: هل أدلك على بيتي فتأتيني؟ قال: ومثله قوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠][٤].

وقال أبو اسحاق: إنما تجزم ما بعدها، لأنها إذا وصلت بما جزمت ما بعدها، وكان الكلام شرطًا، وكان الجواب جزمًا كالشرط، وإن كانت استفهامًا، نحو: أين زيد؟ فأجبته أجبت بالجزم، تقول: أين بيتُك أزرْكَ؟ المعنى: إن[٥] أعرف بيتك أزرك[٦].

قال أبو علي، فيما استدرك عليه[٧]: لا فائدة تحت قوله: إنها إذا وصلت بما جُزِمت[٨]؛ لأنها تجزم ما بعدها في الشرط والجزاء، وُصلت

---

(١) في (م): (وجزمت). في (أ)، (م): (فإن).
(٢) ذكر الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٨٦ مثالًا غير هذا، فقال: كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ ثم أجاب الاستفهام بالجزم، فقال: تبارك وتعالى: (يغفر لكم ذنوبكم).
(٣) في (أ)، (م): (فإن).
(٤) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٥-٨٦.
(٥) في (ش): (أين).
(٦) بتصرف يسير من، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦.
(٧) يعني في كتاب «الإغفال» لأبي علي الفارسي.
(٨) كرر كلام أبي إسحاق في نسخة (ش) وهو زيادة لا داعي لها.

بـ (ما)، أو لم توصل بها، فقوله إذن لا فائدة فيه، ولا نكتة تحته، كما لا فائدة في قول القائل: الفعل يرفعُ الفاعل إذا كان ماضيًا؛ لأنه يرفع ماضيًا كان أو آتيًا(١)، ومما جزم أين(٢) من غير وصلها بـ (ما). قول الشاعر:

أيـن تـصـرِفْ بـنـا الـغـداة تـجـدنـا   نصرف العيس نحوها للتلاقي(٣)(٤)

وأما التفسير: فلأهل التفسير في هذه الآية طريقان:

أحدهما: التعميم. **والثاني**: التخصيص.

فأما التخصيص فقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أراد: القبلة في الصلاة لكل أهل دين(٥)، كما ذكرنا.

وقوله ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ قال الزجاج: أي: فبادروا إلى القبول من الله ﷻ، وولّوا وجوهكم حيث أمركم الله أن تولوا(٦). وعلى هذا ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ على صيغتها من العموم، وهي مخصوصة؛ لأنه أراد الابتدارَ إلى استقبال الكعبة.

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: إنه في

---

(١) «الإغفال» ص٣٨٧.

(٢) في (ش): (أي).

(٣) البيت لابن همام السلولي في «الكتاب» ٣/ ٥٨، وبلا نسبة في «الإغفال» ص٣٨٩، «شرح ابن يعيش» ٤/ ١٠٥، «المقتضب» ٢/ ٤٨، «شرح الأشموني» ٣/ ٥٨٠، والرواية في بعض نسخ «الإغفال» وبعض المصادر:

أيـن تـضـرب بـنـا الـعُـداة

(٤) من «الإغفال» ص٣٨٩، باختصار.

(٥) ينظر أثر ابن عباس والسدي وابن أبي زيد ومجاهد والربيع وعطاء في هذا: عند ابن جرير ٢/ ٢٨، ٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦، وينظر أثر قتادة عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠.

المؤمنين خاصة، ومعناه: إن الذي سبق في علم الله أنه يصلي إلى الكعبة، فأينما يكونوا في شرق الأرض وغربها، وفي أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، يجمعهم الله على التوجه إلى هذه القبلة، فهذا محمول على صرف وجوه الناس إلى الكعبة للصلاة والمناسك(١).

وأما التعميم فقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: من أراد وجهَ الله قبِلَ اللهُ منه، ومن أراد غير ذلك فإن الله يجزيه(٢)، يعني: أن من طلب في جميع ما يأتي وجهَ الله قبِلَ الله منه، ومن رايا وطلب غير الله بعلمه عَلِمَ الله ذلك منه. وهذا كما قال سعيد بن جبير في هذه الآية قال: لكلٍّ طريقةٌ هو مجبور عليها. وهذا كقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] وكقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: تنافسوا فيما رغب فيه من الخير لكل عنده ثوابه(٣)(٤).

١٤٩- وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: أينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزيكم بأعمالكم(٥).

---

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩.

(٢) تقدم الحديث عن هذه الرواية.

(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠ حيث روى عن الربيع وابن أبي زيد ما يدل على العموم، وكذا ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٧، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «التفسير الكبير» ٤/ ١٣١-١٣٣.

(٤) من قوله: (وقوله تعالى:...) ساقط من (أ)، (م).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠، والثعلبي ١/ ١٢٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩.

١٤٩- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ الهاء تعود على شطر المسجد، ويجوز أن تعود إلى التوجه المدلول عليه بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾[(١)]، ومعنى: ﴿لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ﴾ أي: بأمره وحكمه[(٢)].

١٥٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ إنما كرر هذا؛ لأن هذا من مواضع التوكيد؛ لأجل النسخ الذي نُقلوا فيه من جهة إلى جهة للتقرير[(٣)].

وقوله تعالى ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ قيل: الحجة: فُعلة، من الحجّ الذي هو القصد؛ لأنها مقصودة للمخاصم، ومنه: المحجّة؛ لأنها تقصد بالسلوك. والمخاصمةُ يقال لها: المحاجّة؛ لقصد كل واحد من الخصمين إلى إقامة بينته وإبطال ما في يد صاحبه[(٤)].

وقوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ اختلف العلماء في وجه هذا الاستثناء، وهم في هذه الآية فريقان:

فريق أوّلوا الآية على سياقها، وصححوا الاستثناء على ظاهره[(٥)]،

---

(١) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠، وينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٠.

(٢) قال الطبري ٢/ ٣٠: وإن التوجه شطره للحق الذي لا شك فيه من عند ربك، فحافظوا عليه، وأطيعوا الله في توجهكم قِبَله. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩: هذا إخبار من الله تعالى بأن استقبال هذه القبلة هو الحق، أي الثابت الذي لا يعرض له نسخ ولا تبديل.

(٣) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٤.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٠، «المفردات» ص١١٥، «لسان العرب» ٢/ ٧٧٩ (حجج).

(٥) بين أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٤١ أن الاستثناء في الآية متصل، ونسبه إلى ابن عباس، قال: واختاره الطبري، وبدأ به ابن عطية، ولم يذكر الزمخشري غيره، وذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكانًا حسنًا كان أولى من غيره.

وهم مجاهد[١] وعطاء[٢] وقتادة[٣] والربيع[٤] والسدي[٥] وابن جرير[٦] وأبو روق[٧][٨]، قالوا: الناس هاهنا اليهود، كانوا يحتجون على رسول الله ﷺ في صلاتهم إلى بيت المقدس، ويقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، ويقولون: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا[٩]. وهذا كان حجتهم التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين، على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجة[١٠].

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم المشركون، فإنهم قالوا: قد تحيّر محمد في دينه، فتوجه إلى قبلتنا، وعلِم أنّا[١١] أهدى سبيلًا منه، ويوشك

---

(١) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٥٩، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.
(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.
(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.
(٤) رواه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.
(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.
(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١-٣٥.
(٧) هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صدوق، صاحب تفسير، عده ابن حجر من طبقة صغار التابعين، ينظر: «تقريب التهذيب» ص٣٩٣ (٤٦١٥)، «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٨٢.
(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٤.
(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١-٣٢، ٢/ ١٩-٢٠، والثعلبي ١/ ١٢٥١، والبغوي ١/ ١٦٥، و«زاد المسير» ١/ ١٥٩-١٦٠، وزاد نسبة هذا القول لابن عباس وأبي العالية ومقاتل.
(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦-٢٢٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢.
(١١) في (ش): (أننا).

أن يرجع إلى ديننا(١)، فهؤلاء تبقى لهم(٢) الخصومة . والحجةُ قد تكون بمعنى الخصومة، كقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] أي: لا خصومة(٣).

قال أبو روق: حجة اليهود أنّهم كانوا قد عرفوا أنّ النبيّ المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة، وأنه يحوَّل إليها، فلما رأوا محمدًا ﷺ يصلي إلى الصخرة واحتجوا بذلك، فصرفت قبلته إلى الكعبة؛ لئلا يكون لهم عليه حجة إلا الذين ظلموا منهم(٤)، يريد: إلا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من أنه يُحَوَّل إلى الكعبة.

وقال المفضَّل بن سلمة(٥): المراد بالناس في هذه الآية: جميع الناس، كانوا يحتجّون على النبي ﷺ بأنه(٦) لو كان نبيًّا لكانت له قبلة، ولم يصلّ إلى قبلة اليهود، فلما حُوِّلت قبلته إلى الكعبة، بطل هذا الاحتجاج، إلا أن الظالمين يتعنتون ويخاصمون. فيقول المشركون ومن دان بدينهم:

---

(١) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢-٣٤، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٨، بسنده عن أبي العالية، ثم ذكر عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن أنس والضحاك، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٥١، والبغوي ١/ ١٥٦.

(٢) في (أ)، (م): (فهو لانتقالهم الخصومة).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٢.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٥٤، والبغوي ١/ ١٦٥، وقد ذكر الرازي في «تفسيره» ٤/ ١٤٠ أربعة أوجه لتأويل كون الاستثناء متصلًا.

(٥) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب الضبي، لغوي، كان كوفي المذهب في النحو، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء، توفي في نحو ٢٩٠هـ كما في «الأعلام». ينظر: «إنباه الرواة» ٣/ ٣٠٥، «بغية الوعاة» ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، «الأعلام» ٧/ ٢٧٩.

(٦) في (م): (لأنه).

إنما رجع إلى الكعبة؛ لأنها قبلة آبائه وهي الحق، وكذا يرجع إلى ديننا، ويقول اليهود: إنما انصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق؛ لأنه يفعل برأيه ويزعم أنه أُمِرَ به. وهذا مذهب أبي إسحاق، فإنه يقول: المعنى: لأن لا يكون للناس عليكم حجة إلا من ظلم باحتجاجه فيما قد وضح له، كما تقول: مالك علي حجة، وحجته داحضة عند الله -عز وجل- قال الله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦] فسماها حجة مع بطلانها.

وعلى هذا المذهب موضع (الذين) خفض على البدل من الناس: كما تقول: ما مررت بأحد إلا زيد. ويجوز أن يكون موضعه نصبًا على الاستثناء، كما يستثنى بعد الإيجاب، كقوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] من رفعه جعله بدلًا من الواو، ومن نصبه نصبه على الاستثناء[(١)]، وكذلك: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١] رفعًا ونصبًا[(٢)].

وأما الفريق الثاني فإنهم لم يصححوا الاستثناء، وعدلوا به عن ظاهره، وهم الأخفش والمؤرج والفراء ومعمر بن المثنى. قال الفراء والمؤرج: هذا استثناء منقطع من الكلام الأول، ومعناه: لأن لايكون للناس كلهم عليكم حجة إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجّونكم بالظلم. هذا معنى قولهما، ثم قال الفراء: وهو كما تقول في الكلام: الناس كلهم حامدون إلا الظالم لك، فإن ذلك لا يُعتدّ به وبتركه الحمد لعداوته لك، وكذلك: الظالم لا حجة له وقد سمّي ظالمًا.

---

(١) قرأ ابن عامر بنصب قليل والباقون برفعها، ينظر: «السبعة» ص٢٣٥.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو إلا امرأتك برفع التاء. والباقون بنصبها. ينظر: «السبعة» ص٣٣٨.

قال ابن الأنباري: (إلّا) في الاستثناء المنقطع له معنيان:

أحدهما: أن يكون الذي بعدها مستأنفًا، يلابس الأول من جهة عائد عليه منها، أو معنى يقرب به منه، كقول القائل: قعدنا نتذاكر الخير وما يقرّبنا من الله، إلا أن قومًا يبغضون ما كنا فيه. فالذي بعد (إلا) مستأنف، يلبس بالأول من جهة المعنى، وذلك بغضهم لما كانوا فيه، فتأويل إلا: لكن قومًا. ولو لم يلتبس ما بعد (إلا) بما قبلها من وجه لم يكن الاستثناء معنى على جهة إيصال ولا انقطاع، ولذلك يقول النحويون: (إلا) في الاستثناء المنقطع بمنزلة (لكن)؛ لأن الذي بعد (لكن) مستأنف.

وبهذا قال الأخفش في هذه الآية، لأنه قال: معناه: لكن الذين ظلموا، كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧] يعني: لكن الذين يتبعون الظن ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] يعني: لكن يبتغي، فيكون منقطعًا من الكلام الأول. وأما المتصل فإنه يخرج من أسماء تشاكله ومن فعل يخالف بخروجه منه ما قبله من الأسماء المذكورة، كما تقول: خرج القوم إلا زيدًا، فزيد من جنس القوم قد خالفهم بترك الخروج. والمنقطع لا يكون مخرجًا من الأسماء التي قبل إلا في الظاهر، ولكن من معنى من معاني الكلام يجب به الملابسة كما ذكرنا.

والمعنى **الثاني** في الاستثناء المنقطع: أن يكون مؤكدًا لما قبله، وذلك أن الرجل إذا قال: ارتحل الناس إلا الأثقال، أكّد ارتحال الناس بقوله: إلا الأثقال، وذهب إلى أنه إذا لم يبق إلا الأثقال، كان القوم كلهم مرتحلين، وكان تأويله: ارتحل الناس كلهم. وكذلك: مضى العسكر إلا الأبنية والخيام، معناه: مضوا أجمعون؛ لأنه إذا لم يبق إلا بناء وخيمة كان

القوم غير متخلف منهم واحد. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] معناه :لكن ما قد سلف وأنتم غير مؤاخذين، فهو مستأنف يلابس الأول ،إذ كان أخرج من الأمور التي فيها المآثم والأوزار، فجعل لا مأثم فيه ولا وزر، ومثله قول النابغة:

.... وما بالربع من أحد

إلا أواري ....(١)

معناه: لكن، وضم الاستثناء؛ لأنها كانت مستثناة ممن كان بالربع، فالربع كان يشملهم، وهذا ملابسة بينهما، وأيضًا فإن هذا التأكيد لخلو الأرض؛ لأنه إذا لم يبق في الدار إلا الأواري كان خلوها من الإنس متيقنًا.

فهذان المعنيان ذكرناهما في الاستثناء المنقطع تحتملهما الآية؛ لأن الظالمين وإن لم يكن لهم حجة فهم يموّهون ويحتجون بالباطل، وأيضًا: فإنه إذا لم يكن لأحد عليهم حجة إلا من كان ظالمًا كان في هذا تأكيدًا لنفي الحجة.

فعلى المذهب الأول: الظالمون كانوا ظالمين بشركهم وكفرهم، وعلى المذهب الثاني: كانوا ظالمين لاحتجاجهم بما لا متعلق لهم به.

وموضع (الذين) على هذا القول -وهو قول الفريق الثاني- نصب على أكثر العرب؛ لأنهم ينصبون ما كان من الاستثناء المنقطع كقوله:

إلا أواريّ .. .. ..

---

(١) تمام البيتين:

وقفتُ بها أصيلانًا أسائلها ... عيَّتْ جوابًا وما بالربع من أحدِ

إلا الأواريَّ لأيًا ما أبينها ... والنؤيُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

ينظر: «ديوانه» ص٩، «الأغاني» ١١/ ٢٧، «الخزانة» ٢/ ١٢٢.

غير أن بني تميم يجيزون البدل، كما يكون الاستثناء متصلًا، وعلى لغتهم ينشد:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلّا اليعافيرُ وإلّا العِيسُ[1]

فجعل اليعافير بدلًا من الأنيس. والقرآن نزل بلغة أهل الحجاز فلذلك نصب كل مستثنى منقطع من الأول، كقوله: ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧] وقوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾ [يس: ٤٣-٤٤] وكذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ﴾ [الليل: ٢٠][2].

وقال معمر بن المثنى: إلا هاهنا معناها: الواو، فهو عطفٌ عُطِف به ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على ﴿ٱلنَّاسِ﴾. والمعنى: لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة[3]، واحتُجَّ على هذا المذهب بأبيات منها[4]:

---

(١) الرجز لجران العود في «ديوانه» ص٩٧، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٣٨ (كنز)، وأوضح المسالك ٢/ ٢٦١.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٥، وقال في «البحر» ١/ ٤٤٢ مبينًا مثار الخلاف بين من قال بالاتصال والانقطاع هو: هل الحجة هو الدليل والبرهان الصحيح، أو الحجة هو الاحتجاج والخصومة ؟ فإن كان الأول: فهو استثناء منقطع، وإن كان الثاني: فهو استثناء متصل.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٠-٦١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٥، و«تفسير البغوي» ١/ ١٦٦.

(٤) احتج أبو عبيدة بهذه الأبيات: الأول للأعشى:

إلا كخارجةَ المكلِّفِ نفسَه وابني قبيصة أن أَغيبَ وأشهدا

ومعناه: وخارجة. والثاني: لعنز بن دجاجة المازني:

من كان أسرع في تفرق فالج فلبونُه جَرِبتْ معًا وأغدَّتِ

إلا كناشرةَ الذي ضيّعتمُ كالغصن في غُلَوائه المتنبِّتِ

يريد وناشرة الذي ضيعتم.

وكـل أخٍ مـفـارقُـهُ أخـوه لَـعَـمْـرُ أبـيـك إلا الـفـرقـدان[١]

فقال: أراد: و الفرقدان أيضًا يفترقان.

وما أنشده الأخفش[٢]:

وأرى لـهـا دارًا بـأغْـدِرَةِ الـسِّـ ـيـدَانِ لـم يَـدْرُس لـهـا رَسْـمُ

إلّا رَمَـادًا خـامـدًا دَفَـعَـتْ عـنـهُ الـرِّيـاحَ خَـوَالِـد سُـحْـمُ[٣]

أراد: أرى دارًا ورمادًا[٤].

وهذا القول عند الفراء خطأ[٥]؛ لأن (إلا)[٦] لا يُخرج عن الاستثناء إلى النسق حتى يتقدمها عدد لا يصلح أن يستثنى منه، فتجري مجرى الواو إذا بطل فيها معنى الاستثناء، بيانه: قولك: لي على فلان ألفٌ إلا عشرةً إلا

---

(١) البيت. نسب لعمرو بن معدي كرب، ينظر: «ديوانه» ص١٧٨، «الكتاب» ٢/ ٣٣٤، «المؤتلف والمختلف» ص١٥١، ولعمرو أو لحضرمي في «خزانة الأدب» ٣/ ٤٢١. وهو بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٥، «لسان العرب» ٦/ ٣٤٠٢ «فرقد». والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٢.

(٣) البيت للمُخَبَّل السعدي، ينظر: «ديوانه» ص٣١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٦، «لسان العرب» ٢/ ١٢٢٥ (خلد)، «المفضليات» ص١١٣-١١٤. والأغدرة: جمع غدير، السِّيدان: أرض لبني سعد. الخوالد: البواقي وعنى بها: الأثافي. سحم: ذات لون يضرب إلى السواد.

(٤) سقط من (ش).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩، وخطأه أيضًا الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣-٣٤، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢: وإثبات إلا بمعنى الواو، لا يقوم عليه دليل، والاستثناء سائغ فيما ادعى فيه أن إلا بمعنى الواو، وكان أبو عبيدة يضعَّف في النحو، ثم نقل تخطئة الزجاج لهذا القول.

(٦) كتبت في (ش): (لئلا).

مائةً، لا يصلح استثناء المائة من العشرة، فعادت المائة إلى الألف لا بالاستثناء ولكن بالعطف، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها فقلت: اللهم إلا مائة فالمعنى: لي عليه ألف ومائة، وكما قال الشاعر:

ما بالمدينة دارٌ غيرُ واحدةٍ دارُ الخليفة إلا دارُ مروانا[١]

كأنه قال: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان[٢].

فعند الفراء إنما تكون (إلا)[٣] بمنزله الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها، لا يصلح أن يكون الثاني استثناء من الأول، كما بيّنا، ومن الناس من صوّب أبا عبيدة في مذهبه، وصحح قوله بما احتج به من الشعر.

وقال قطرب: الاستثناء في هذه الآية من الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾، المعنى: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا منهم فإن عليهم الحجة[٤]، وهذا الوجه اختيار أبي منصور الأزهري. حكاه لي أحمد بن إبراهيم المقبري -رحمه الله- عن الحسن بن محرم، عنه.

قال أبو بكر بن الأنباري: وهذا عندي بعيد رديء[٥]؛ لأن المكني المخفوض لا ينسق عليه إلا بإعادة الخافض، ولأن[٦] الكاف والميم في عليكم، للمخاطبين، فلو استثنى الذين ظلموا منهم لقال: إلا الذين ظلموا

---

(١) البيت للفرزدق في «الكتاب» ٢/ ٣٤٠، وليس في «ديوانه»، وبلا نسبة في «تذكرة النحاة» ص٥٩٦، «المقتضب» ٤/ ٤٢٥.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩-٩٠.

(٣) سقطت من (ش).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧، «التفسير الكبير» ٤/ ١٤٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢، وممن ضَّعف هذا: الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤.

(٥) ساقط من (أ)، (م).

(٦) في (ش): (ولكن).

منكم، فلما قال: (منهم) دلّ بالغيبة على أنّ الذين ظلموا لم[(١)] يُستثنَوا من الكاف والميم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ الكناية ترجع إلى الذين ظلموا، والمعنى: لا تخشوهم في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم في المحاجّة والمحاربة[(٢)]، فإني وليكم،أُظْهركم عليهم بالحجة والنصرة[(٣)]. ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ في تركها ومخالفتها[(٤)].

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[(٥)]، ولكن[(٦)] أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية[(٧)].

قال عطاء: عن ابن عباس: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ يريد: في الدنيا والآخرة، أما الدنيا: فأنصركم على عدوكم، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأولادهم، وأما في الآخرة: ففي رحمتي وجنتي، وأزوجكم من الحور العين[(٨)].

وقال علي ﵁: تمام النعمة: الموت على الإسلام.

---

(١) في (ش): (من).

(٢) في (ش): (والمجابهة).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧، والطبري ٢/ ٣٥، و«معالم التنزيل» ١/ ١٦٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٢، «التبيان» ص١٠٠.

(٦) هكذا وردت في الأصول، ووردت في «الثعلبي»: ولكي. وهي أوضح في المعنى.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٨، والطبري ٢/ ٣٥، والبغوي ١/ ١٦٦.

(٨) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

وعنه أيضًا: النعم ست: الإسلام[١][٢]، والقرآن، ومحمد ﷺ، والستر، والعافية، والغنى عما في أيدي الناس[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ذكرنا معنى (لعل) فيما تقدم[٤]، ونظمُ الكلام يوجب طرح الواو؛ لأن معناه: ولأتم[٥] نعمتي عليكم لعلكم تهتدون بنعمتي، إلا أنه قد يحسن استعمال الواو في مثل هذا الموضع، ويستفاد منه أن يكون ما بعده جملة مبتدئة تتضمن الاتصال بما سبق من الكلام، ويحسن حذف الواو فيكون حينئذ اتصالًا محضًا لا يتضمن استئناف جملة، مثاله: أن تقول: أعطيتك وأكرمتك أرجو رُشْدك، ويحسن أن تقول: وأرجو رُشْدك، أي: بالإكرام والإعطاء، وإن كانت جملة مبتدئة.

١٥١- قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الآية، تكلم النحويون وأرباب المعاني في أن الكاف في قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ بماذا تتعلق، فذكروا فيه قولين[٦]، أحدهما: أنه متعلق بما قبله، وهو من صلة ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾، فيكون المعنى: ولأتم نعمتي عليكم كإرسالي إليكم رسولًا، أي:

---

(١) ساقطة من (ش).

(٢) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١٢٥٨، والبغوي ١/ ١٦٦.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٥٨، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٣: ثمانية أقوال في معنى تمام النعمة، قال فيها: صدرت مصدر المثال، لا مصدر التعيين، وكل فيها نعمة.

(٤) وقد ذكر الثعلبي في هذا الموضع من «تفسيره» ١/ ١٢٥٨-١٢٦٠: معاني لعل.

(٥) في (ش): (لأتم).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٦، والثعلبي ١/ ١٢٦٢.

أنم هذه كما أتممت تلك، وبيان هذا: ما ذكر محمد بن جرير، قال: إن إبراهيم عليه السلام دعا بدعوتين:

إحداهما: قوله ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ الآية [البقرة: ١٢٨].

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩] وهو محمد ﷺ، فالله تعالى قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾ ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ يعني[(١)]: فكما أجبتُ دعوته بابتعاث الرسول، كذلك أجيب دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين، فيكون هذا إجابةً لدعوته حيث قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[(٢)] وهذا الوجه اختيار الفراء[(٣)].

القول الثاني: أن ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ جواب لقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ معناه: فاذكروني أذكركم كما أرسلنا، فيكون هذا بمنزلة جزاءٍ له جوابان، أحدهما: مقدم، والآخر: مؤخر، ومثله من الكلام: إذا أتاك عبد الله فَأتِه[(٤)] تُرْضِه، فقد صارت فأتِه تُرْضِه جوابين[(٥)].

---

(١) في (ش): (معنى).

(٢) «تفسير الطبري» ١/ ٣٥-٣٦ بتصرف. ورجحه مكي بن أبي طالب في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١١٤، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٢، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٢.

(٤) في (ش): كتبت: (فانه).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٢، وذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤ أن هذا قول مجاهد وعطاء والكلبي ومقاتل، وهو اختيار الأخفش والزجاج وابن كيسان والأصم، وردّ الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦ قول من قال: معنى الآية: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم =

قال ابن الأنباري: وفسر بعض[١] أصحابنا هذا تفسيرًا شافيًا. فقال: (كما) شرط، والفاء في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ جوابه، و﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جواب الشرط المقدر من الأمر في ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، وكذلك: إذا أتاك عبد الله فأتِه تُرضِه، (إذا) محمولة على معنى الشرط، والفاء جواب[٢] له، فلما جعل له جواب لشرط مقدر من الإتيان، قال: ولو اقتصر على قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ كان (كما) جوابًا له، فلما جُعِلَ له جوابٌ كان (كما) مذهوبًا به مذهب الشرط.

وهذا القول موافق لتفسير الآية؛ لأن الآية خطاب لمشركي العرب[٣]، خاطبهم الله تعالى بما دلّهم على إثبات رسالة محمد ﷺ فقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ محمدًا، وهو رجل منكم أمي، تعلمون أنه لم يتلُ كتابًا، فأنبأكم[٤] بأخبار الأنبياء، أي: فكما أنعمت عليكم بإرساله ﴿فَاذْكُرُونِي﴾

= وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغربوا النزع وبعدوا من الإصابة، و حملوا الكلام على غير معناه المعروف، وسوى وجهه المفهوم. ثم فسر ذلك، ثم ذكر الرد على من قال بالجزاء الذي له جوابان، فقال: وهذا القول وإن كان مذهبا من المذاهب، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب.
وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤: أن مكي بن أبي طالب رد هذا القول، وقال: لأن الأمر إذا كان له جواب لم يتعلق به فاقبله لاشتغاله بجوابه، وقد رد كلامه أبو حيان في «البحر» وفصَّل.

(١) في (م): (وفسر هذا).

(٢) في نسخة (ش): (والفاء جوابها وترضه جواب الشرط مقدر من الإتيان..) والمثبت من نسختي (أ)، (م).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٢.

(٤) سقطت من (ش).

بتوحيدي، وتصديقه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم(١).

قال ابن عباس: قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ قال: هذا كله للمهاجرين والأنصار، فأوّل الآية الخطابُ عامٌّ؛ لأن الإرسال عام، وباقي الآية خاص؛ لأن تلاوته وتعليمه وتزكيته مما خص الله به أقوامًا دون(٢).

ومعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يعرضكم لما تكونون به أزكياء، من الأمر بطاعة الله، واتباع مرضاته(٣)، ويحتمل أن يكون المعنى: ينسبكم إلى أنكم أزكياء بشهادته لكم؛ ليعرفكم الناس به، وقد ذكرنا معنى التزكية فيما تقدم(٤).

١٥٢- قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذكّرك شيئًا فقد نبهك عليه، وإذا ذكرته فقد تنبهت عليه، والذَّكرُ أَنْبَهُ من الأنثى. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: شرف لك، من النباهة. ومعنى الذكر: حضور المعنى للنفس، ثم يكون تارة بالقلب، وتارة بالقول، وليس موجبه أن يكون بعد النسيان؛ لأنه يستعمل كثيرًا دون أن يتقدمه نسيان(٥).

---

(١) من كلام الزجاج ١/ ٢٢٨، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧، والثعلبي ١/ ١٢٦٢-١٢٦٥، والبغوي ١/ ١٦٧.

(٢) سقط في نسختي: (أ)، (م). وأما في (ش) فبياض بمقدار كلمة ولعلها (أقوام).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٦-٣٧.

(٤) ينظر ما تقدم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(٥) ينظر في الذكر: «البحر المحيط» ١/ ٤٤٥-٤٤٦، «لسان العرب» ٣/ ١٥٠٧-١٥٠٩ (ذكر)، وقال الراغب في «المفردات» ص١٨٤: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر.

قال سعيد بن جُبير: (اذكروني) بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي[١]. وقيل: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ تقول العرب: شكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له، في أحرف تسمع ولا تقاس. فمن قال: شكرتك، أوقع اسم المنعم موقع النعمة، فعدّى الفعل بغير وسيطة، والأجود: شكرت لك؛ لأنه الأصل في الكلام، والأكثر في الاستعمال[٣]. والنعمة محذوفة من الآية؛ لأن معنى الكلام: واشكروا لي نعمتي؛ لأن حقيقة الشكر إنما هو إظهار النعمة، لا إظهار المنعم. وكذلك ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي: لا تكفروا نعمتي[٤]؛ لأن أصل الكفر إنما هو ستر النعمة[٥] لا ستر

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣١٤، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٦٣، وعزاه في «الدر» ١/ ٢٧٣ إلى عبد بن حميد، وأخرجه أبو الشيخ والديلمي من طريق جويبر عن ابن عباس مرفوعًا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٦٧.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧-٣٨، «المفردات» ص٢٦٨، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٠٥ (شكر)، قال: يقال: شكرته، وشكرت له، وباللام أفصح، وقال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٢: العرب لا تكاد تقول شكرتك، إنما تقول: شكرت لك، ونصحت لك، ولا يقولون: نصحتك، وربما قيلتا. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٧: وهو من الأفعال التي ذكر أنها تارة تتعدى بحرف الجر، وتارة تتعدى بنفسها وقالوا: إذا قلت شكرت لزيد، فالتقدير: شكرت لزيد صنيعه، فجعلوه مما يتعدى لواحد بحرف جر ولآخر بنفسه، ولذلك فسر الزمخشري هذا الموضع بقوله: واشكروا لي ما أنعمت به عليكم.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٧.

(٥) ينظر في الكفر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧-٣٨، وقال في «المفردات» ص٤٣٥: وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالًا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعًا.

المنعم. والأصل: لا تكفروني[١] بالياء، إلا أن أكثر ما جاء في القرآن حذف الياءات مع النون[٢][٣]، وقد حذفت مع غير النون، كقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾[٤] [ق: ٤١].

قال الفراء: وليست تتهيّب العرب حذف الياء من آخر الكلام[٥]، إذا كان ما قبلها مكسورًا، من ذلك ﴿أَكْرَمَنِ﴾ ﴿أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] و﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] ومن غير النون ﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] و﴿ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨][٦] يكتفي من الياء بكسر ما قبلها، ومن الواو بضمة ما قبلها، مثل: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨] و﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١]. وقد تُسقط العرب الواو، وهي واو جِمَاع[٧]، اكتفاءً بالضمة قبلها، فيقال في ﴿ضَرَبُوا۟﴾: ضَرَبُ، وفي ﴿قَالُوٓا۟﴾: قالُ، وهي في هوازن وعُليا قيس. قال بعضهم:

إذا ما شاءُ ضرّوا من أرادوا ... ولا يألوهم أحدٌ ضرارا[٨][٩]

---

(١) في (ش)، (م): (لا تكفرون).

(٢) (النون) سقطت من (م).

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/١٨٦، «المقتضب» ٤/٢٤٦.

(٤) في (م): (ينادى المنادي).

(٥) في(م): (النون).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/٢٢٨، وقال فيه: الأكثر الذي أتى به القراء حذف الياءات مع النون.

(٧) في (ش): (اجماع).

(٨) (ما) ساقطة من (أ)، (م). وفيهما: «ضرار». وفي (م)، (ش): (ضربوا)، وهو تحريف.

(٩) البيت بلا نسبة في «الإنصاف» ص٤٣٠، «همع الهوامع» ١/٥٨، وأورده البغدادي في «شرح شواهد المغني» ٢/٨٥٩، وقال: هذا البيت مشهور في تصانيف =

وأنشد الكسائي:

فلو أنّ الأطِبّا كانُ حولي ... وكان مع الأطبّاءِ الأُسَاةُ[(١)(٢)]

١٥٣- وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال مقاتل: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض، وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب[(٣)]. وذكرنا أن معنى الصبر في اللغة: الحبس[(٤)]، فالاستعانة بالصبر هو أن يستعين على دينه بحبس النفس عن[(٥)] الشهوات والمحارم، وحبسها على[(٦)] الطاعات[(٧)]. ومعنى الاستعانة بالصلاة: قال الزجاج: أي: أنكم إذا صليتم تلوتم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه، وكان ذلك لكم عونًا[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس:

= العلماء، ولم يذكر أحد منهم قائله. وذكر الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩١ بيتًا هو:

متى تقول خلت من أهلها الدار ... كأنهم بجناحي طائر طاروا

(١) البيت بلا نسبة في «أسرار العربية» ص٣١٧، «جواهر الأدب» ص٢٠٨، وينظر: «الخزانة» ٢/ ٣٨٥. والأُساة: جمع آس، وهو هنا: من يعالج الجرح.

(٢) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩١.

(٣) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٥٠، وعبارته: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلوات في مواقيتها نحو الكعبة، حين عيرتهم اليهود بترك قبلتهم.

(٤) ينظر في الصبر ومعناه وحقيقته: كتاب ابن القيم الماتع: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

(٥) في (ش): (من).

(٦) في (ش): (عن).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٨.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٩.

يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم[١].

وقال أبو اسحاق: تأويله: أنه يظهر دينهم على سائر الأديان؛ لأن من كان الله معه فهو الغالب، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦][٢].

١٥٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ يرتفع بإضمار المكني، تقريره: لا تقولوا: هم أموات. ولا يجوز إيقاع القول على الأسماء ،لا يجوز أن تقول: قلتُ عبد الله قائمًا، وإنما يجوز إيقاع القول على[٣] اسم في معنى قول، من ذلك قولك: قلت خيرًا، وقلت شرًا، نصبتهما؛ لأنهما قول، كأنك قلت كلامًا حسنًا أو قبيحًا[٤].

نزلت الآية في قتلى بدر من المسلمين، وذلك أن الناس كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية[٥].

---

(١) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٩.

(٣) من قوله: (الأسماء..) ساقط من (ش).

(٤) بمعناه من كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٨-٣٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٠-٣١، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨.

(٥) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٥٠، وعدَّ أسماء القتلى، وأبو الليث السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٦٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٦٩، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٧-٤٨، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٧، والسمعاني ٢/ ١٠٠، والماوردي مختصرا في «النكت والعيون» ١/ ٢٠٩، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٨٤ لابن منده في المعرفة، من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهذه سلسلة الكذب. وحكى ابن عطية في «المحرر» ٢/ ٣٠-٣١ في سببها، دون أن ينسبه إلى أحد، أن المؤمنين صعب عليهم فراق=

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: بل هم أحياء، والأحسن في حياة الشهداء، وكيفية وصفهم بها[1] ما قال رسول الله ﷺ: «**إن أرواح الشهداء في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ، تسرَحُ في ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها، وتأوي بالليل إلى قناديلَ من نورٍ معلّقةٍ بالعرش**[2]».

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي: ما هم فيه من النعيم والكرامة، وقيل ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أنهم أحياء[3].

فإن قيل: كيف لا يشعرون وقد أخبر الله بذلك؟

قلنا: أراد: لا يحسّون ذلك؛ لأنهم لا يشاهدون[4]، وهذا النوع من العلم مقتضى[5] الشِعْرِ، وذكرنا هذا في أول السورة[6]، وبيّنّا أنه لهذا المعنى لا يقال: الله يشعر.

١٥٥- قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ النون فيه للتأكيد، واللام جواب قسم

= إخوانهم وقراباتهم، فنزلت مسلية لهم، تعظم منزلة الشهداء، فصاروا مغبوطين لا محزونا عليهم. ينظر: «العجاب» لابن حجر ١/ ٤٠٣-٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨.

(١) سقطت من (م).

(٢) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود (١٨٨٧) كتاب الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٧٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨، وقال: ولكن لا تشعرون بكيفية حياتهم، ولو كان المعنى بأحياء: أنهم سيحيون يوم القيامة أو أنهم على هدى، فلا يقال فيه ولكن لا تشعرون؛ لأنهم قد شعروا به.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٠.

(٥) في (ش): (فيقتضي).

(٦) عند قوله: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [البقرة: ٩].

محذوف، وفتحت الواو لالتقاء الساكنين في قول سيبويه، وقال غيره: إنّها مبنية على الفتح[١].

ومعنى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ أي: نعاملكم معاملة المبتلي؛ لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعرف العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي، فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحقّ الثواب، فيكون في ذلك إلزام الحجة[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِشَيۡءٖ﴾ ولم يقل: بأشياء، وقد ذكر بعده ما هو أشياء لمكان (من)، والمعنى: بشيء من الخوف وشيء[٣] من الجوع، وهو كقول القائل: أعطني شيئًا من الدراهم، ومن الطعام، فيصير شيء كالمكرر في المعنى، ولو كان (بأشياء) كان صوابًا[٤].

قال ابن عباس: ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ يعني خوف العدو[٥]، ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾ يعني: المجاعة والقحط، ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ يعني: الخسران والنقصان

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٠، وعنده: وقال غيره من أصحابه، وتتمة كلامه: وقد قال سيبويه في لام يفعل، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة، فالذين قالوا من أصحابه: إنها مبنية على الفتح غير خارجين من قول له، وكلا القولين جائز. ينظر: «الكتاب لسيبويه» ٣/ ٥١٨-٥٢١.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤١، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٩.

(٣) في (م)، (ش): (شيئًا).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٤١، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٠، وقال: أفرده ليدل على التقليل؛ إذ لو جمعه فقال: بأشياء، لاحتمل أن تكون ضروبًا من كل واحد مما بعده.

(٥) ذكره عن ابن عباس: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣٦، و«البغوي» ١/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٩.

في المال وهلاك المواشي، ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾ يعني: الموت والقتل. وقيل: المرض. وقيل: الشيب، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ يعني: الجوائح، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج[١].

قال أبو إسحاق وابن الأنباري: تأويل الآية: ولَنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع لتصبروا عليه، فيكون صبركم داعيًا من يخالفكم من الكفار إلى اتباعكم والدخول فيما أنتم عليه، وذلك أنهم يقولون: لم يصبر هؤلاء القوم على هذا الدين الذي امتُحِنوا فيه بما امتُحِنوا ونالتهم فيه الشدائد إلا بعد ما قامت براهينُ صحته عندهم، ولم يداخلهم ريب في أنه هو الحق، فيكون ذلك أدعى إلى الإسلام[٢].

قال أبو بكر: وقيل في الآية: ولنختبرنّكم[٣] بشيء من الخوف والجوع، لتنالوا به درجةً، وتصلوا معه إلى منزلة لولا هو ما وصلتم إليها، ولكي[٤] تتضرعوا في كشفه عنكم، فتكتسبوا بذلك حظًا من الثواب جزيلًا.

وقال الشافعي ﷺ: يعني بالخوف: خوف الله ﷻ، وبالجوع: صيام شهر رمضان، وبنقص من الأموال: أداء الزكوات والصدقات، والأنفس: الأمراض، والثمرات: موت الأولاد؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه[٥]. وقد

(١) هذا من رواية عطاء وقد تقدم الحديث عنها، وقد ذكر هذا بتمامه: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٠.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١.

(٣) في (ش): (لنختبرنكم).

(٤) في (م): (ولكن).

(٥) ذكره عن الشافعي: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والبغوي ١/ ١٦٩، والرازي ٤/ ١٦٧، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٤٥٠، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢١١ قائلًا: وقد حكى بعض المفسرين، ثم قال: وفي هذا نظر.

سمى رسول الله ﷺ الولد ثمرة القلب(١) في بعض الأحاديث.

وفي قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ دليل على أن من صبر على هذه المصائب أعطاه الله تعالى في العاجل والآجل ما هو أعمّ نفعًا له.

١٥٦- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، من الناس من يجعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ومنهم: من يجعله صفة للصابرين(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَصَٰبَتۡهُم﴾ يقال في المصدر: الإصابة، والمُصَابة، والمُصَاب. أنشد الفراء:

فلو أنّا بكينا من مُصَابِ   على حَدَثٍ بكينا سَيِّدَيْنَا

(١) رواه البزار عن ابن عمر، وفيه: أبو مهدي سعيد بن سنان، وهو ضعيف متروك، ينظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي ٨/ ١٥٥، وينظر: «كنز العمال» ١٦/ ٢٨٤، برقم ٤٤٤٨٥. وقد أخرج الترمذي في كتاب الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب ٣/ ٣٣٢، (١٠٢١) عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟، قالوا: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد» وقال: هذا حديث حسن، ورواه عبد بن حميد [برقم ٥٥١]، وأبو نعيم في «زوائده على الزهد» لابن المبارك ص١٠٨، وابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٢١٠، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٣٠، قال ابن حجر في «الكاف الشاف» ص١٢-١٣. أخرجه أحمد [٤/ ٤١٥] وغيره من حديث أبي موسى، وصححه ابن حبان، ورواه البيهقي في الشعب مرفوعًا وموقوفًا وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم ١٤٠٨: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٥١، وقال عن الأول: إنه محتمل، وعن الثاني: إنه ظاهر الإعراب، وذكر أيضا: أنه منصوب على المدح، أو مرفوع على إضمار هم على وجهين: إما على القطع، أو على الاستئناف.

وأنشد أيضًا:

أَظُلَيْمُ إن مُصَابَكُمْ رَجُلًا   أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ[(١)]

ومعنى المصيبة: هي التي تصيب بالنكبة، ولا يقال فيما يصيب بخير: مصيبة[(٢)]، وياؤها منقلبة عن واو، هي عين الفعل.

فأما جمعها: فحكى سيبويه: أن بعضهم قال في جمع مصيبة: مصائب فهمز، وهو غلط، وإنما هو مُفْعِلَة فتوهموها فَعِيلَة.

قال: ومنهم من يقول: مصاوب، فجيء به عن الأصل والقياس. هذا كلامه[(٣)]، ومثل هذا الغلط في جمع مصيبة على مصائب بالهمزة: قراءة من قرأ (معائش) بالهمز، وقد شرحنا ذلك مستقصى.

قال أبو علي الفارسي: قول سيبويه: وتوهموها فعيلة، أي: توهموا

---

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي في «ديوانه» ص٩١، «الاشتقاق» ص٩٩، و١٥١، «الأغاني» ٩/ ٢٢٥، «خزانة الأدب» ١/ ٤٥٤، «إنباه الرواة» ١/ ٢٤٩، «اللسان» ٤/ ٢٥١٩، (صوب) «المقاصد النحوية» ٣/ ٥٠٢، «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٧/ ١٩٠.

وظليم: ترخيم ظليمة، ويروى: أظلوم، وظليم: هي أم عمران زوجة عبد الله بن مطيع وكان الحارث يُنْسب بها، ولما مات زوجها تزوجها.

ورجلًا منصوب بمصاب، يعني: إن إصابتكم رجلًا، وظُلْمُ: خبر إن.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٥١.

(٣) بمعناه من «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٥٦، وقال الزجاج فيما نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥٦ «صاب»: أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع: مصيبة، بالهمز، وأجمعوا على أن الاختيار: مصاوب، ومصائب عندهم بالهمز من الشاذ، قال: وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة، كما قالوا: وسادة وإسادة.

الياء التي في مصيبة، وهي منقلبة عن العين، التي هي واو الياء التي للمد، التي في نحو سفينة وصحيفة، فهمزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل، كما همزوا الياء التي للمد، في نحو: سفائن وصحائف، ولا تشبه هذه الياء تلك، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو، هي عين أصلها الحركة، وتلك زائدة للمد، لاحظَّ لها في الحركة. ومثل هذا مما حمله أبو الحسن على الغلط: قول بعضهم في جمع مَسيل: مُسْلان، فمسيل مَفعِل، والياء فيه عين الفعل، فتوهم من قال: مُسْلانِ أنها زائدة للمد، فجمعه على فُعلان، كما يجمع قضيب على قُضبان[1]، وعند أبي إسحاق: الهمزة في مصائب بدل من الواو المكسورة على حد إبدالها في إسادة[2].

قال أبو علي: وليس القول عندي كذلك؛ لأن المكسورة غير أول لا تبدل كالمفتوحة، ألا ترى أنهم قالوا: أناةٌ؟ فأبدلوا الواو أولًا، ولم يلزموا البدل غير أول، مع تكررهما في أَحْوويّ ونحوه، فكذلك المكسورة لا يجوز إبدالها غير أول[3] إذ لم تجئ في شيء مكسورة مبدلة غير أول، وإذا كان كذلك، كان قوله في مصائب عاريًا من دلالة تبينه، وخاليًا من نظير يردّ إليه، ويستشهد به[4] عليه، وقول النحويين: إنه على جهة الغلط أشبه

---

(١) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/٣٣٩٨ «مسل» أن القياس في مسيل الماء: مسايل، غير مهموز، ومن جمعه: أمسِلة، ومُسُلا، ومُسلانًا، فهو على توهم أن الميم في المسيل أصلية، وأنه على وزن فعيل، ولم يرد به مفعِلا، كما جمعوا مكانا: أمكنة، ولهما نظائر.

(٢) ينظر كلامه فيما نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/١٩٥٦ (صاب).

(٣) من قوله: (تبدل كالمفتوحة..) ساقط من (ش).

(٤) في (أ)، (م): (ويستشهد به دل عليه).

بالصواب من حيث كان أكثر نظيرًا. وقوله إنما يحصل[١] فيه على دعوى مجردة من البرهان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي: نحن وأموالنا لله، ونحن عبيد يصنع بنا ما يشاء، وفي ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار له بالعبودية ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ﴾ إقرار بالبعث والنشور[٢].

ومعنى الرجوع إلى الله: الرجوع إلى انفراده بالحكم، كما كان أول مرة، إذ قد مَلَّك قومًا في الدنيا شيئًا من الضر والنفع لم يكونوا يملكونه، ثم يرجع الأمر إلى ما كان، إذا زال تمليك العباد[٣].

وقال أبو بكر الوراق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: إقرار منّا له بالملك ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: إقرار على أنفسنا بالهلك[٤]، وظاهر الخطاب في هذه الآية يقتضي أن يكون قول القائل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ على إثر المصيبة من غير أن يتخللها جزع؛ ليستحق الثواب الموعود. يؤيد هذا: ما روي أن النبي ﷺ قال لامرأة جزعت ثم راجعت: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[٥]. الصبر الموعود عليه الأجر والثواب[٦].

---

(١) في (ش): كأنها: (يتحصل).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٥١.

(٣) في (ش): (العبادة).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٧، والرازي في «تفسيره» ٤/ ١٧١، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٦١ [دون نسبة].

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٣) كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٦) ينظر في ذلك: كتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ص١١٤ وما بعدها.

١٥٧- قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾ قد ذكرنا معنى الصلاة واشتقاقها فيما تقدم[(١)]، وهي في اللغة: الدعاء، ومنه قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسكنهم[(٢)].

وقال أبو عبيدة: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾ يقول: ترحّم من ربهم[(٣)]، واحتجّ بقول الأعشى:

تـقـولُ بـنـتـي وقـد قَـرّبْـتُ مُـرْتَـحِـلًا
يا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأوصابَ والوجعا
عليكِ مِثْلُ الذي صلَّيتِ فاغتمضي
نومًا فإنّ لجنب المرء مضطَجَعا[(٤)]

يروى (مثل) رفعًا ونصبًا، فمن نصب فهو إغراء، ومن رفع فهو ردّ عليها، كأنه قال: عليك مثل دعائك، أي: ينالك من الخير مثل الذي أردت لي. فأبو عبيدة يجعل صليت بمعنى: ترحمت، وغيره من أهل اللغة يجعله بمعنى: دعوت، وأحدهما يقرب من الآخر؛ لأن المترحم على الإنسان داعٍ له، والداعي للإنسان مترحّم عليه[(٥)]، ولهذا المعنى كان الصلاة منّا دعاء،

---

(١) تقدم ذلك عند قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ [البقرة: ٣].

(٢) ينظر في معنى الصلاة: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠، «المفردات» ص٢٨٧ قال: .. والصلاة، قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال: صليت عليه، أي دعوت له وزكيت وصلوات الرسول، وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تزكيته إياهم، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ص٦١-٦٢.

(٤) البيتان في «ديوانه» ص١٠٦، وفي «الخزانة» ١/ ٣٥٩، و«مراتب النحويين» ص١٩٤.

(٥) سقطت من (م).

ومن الله تعالى رحمة[١].

وأنشد الأزهري في تفسير هذه الآية قول الشاعر:

صلّى على يحيى وأشياعه ربٌّ كريمٌ وشفيعٌ مُطاعْ[٢]

قال: معناه[٣]: ترحم الله عليه، على الدعاء، لا على الخبر.

ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الصلاة[٤] من الله رحمة، ومن المخلوقين: الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح، ومن الطير والهوام: التسبيح، ومنه قوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

فالصلاة لها معانٍ بالتدريج، أصلها: الدعاء، ثم صارت الرحمة، لما ذكرنا من أن الداعي مترحّم، ثم صارت للمغفرة؛ لأن الترحم يوجب المغفرة، ومن ترحم الله عليه غفر له، وفسر ابن عباس الصلوات في هذه الآية بالمغفرة، فقال: ﴿صَلَوَاتٌ﴾ أي: مغفرة من ربهم[٥].

---

(١) قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٣١: الصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما: الركوع والسجود، والآخر: الرحمة والثناء والدعاء، فصلاة الناس على الميت، إنما معناها الدعاء، والثناء على الله صلاة، والصلاة من الله ﷻ على أنبيائه وعباده معناها: الرحمة لهم والثناء عليهم، وصلاتنا: الركوع والسجود كما وصفنا، والدعاء صلاة.

(٢) البيت للسفاح بن بكير اليربوعي، في «شرح اختيارات المفضل» ص١٣٦٢، وقيل: هو لرجل من قُريع يرثي يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير. ينظر: «الخزانة» ١/ ١٤١، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٤/ ٢٤٩٠ (صلا).

(٣) في (ش): (ومعناه).

(٤) في (ش): (الله من الله). وهو خطأ.

(٥) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨٠، وبهذا فسر الطبري الرحمة=

وقيل في قوله ﷺ: « اللهم صلِّ على آل[1] أبي أوفى[2]» أي: ارحمهم، واغفر لهم. قال ابن كيسان: وجَمَع الصلوات؛ لأنه عنى بها رحمةً بعد رحمة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ قال ابن عباس: ونعمة[4].

وقال أهل المعاني: إنما ذكر الرحمة، ومعنى الصلوات هاهنا: الرحمة؛ لإشباع المعنى، والاتساع في اللفظ[5]. ومثله قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال ذو الرمة:

لمياءُ في شفتيها حُوَّة لَعَسٌ[6]

= ٢/ ٤٢، ورواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٥ عن سعيد بن جبير، وفسر ابن كثير هذه اللفظة ص١/ ٢١١، فقال: ثناء من الله عليهم ورحمة. وكأنه يشير إلى تفسير أبي العالية لصلاة الله على نبيه ﷺ حيث قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. ذكره البخاري (٤٧٩٧) كتاب التفسير، باب:(إن الله وملائكته يصلون على النبي). حديث: قبل، ينظر: «فتح الباري» ٨/ ٥٣٢.

(١) سقطت من (ش).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٦) كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٠٧٨) كتاب الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته.

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠.

(٤) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٧٨، «معالم التنزيل» ١/ ١٧٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٤.

(٦) عجز البيت:

وفي اللثات وفي أنيابها شَنَبُ

وهو في «ديوانه» ص٣٢، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٣٦ (شنب).

وتفعل العرب ذلك كثيرًا إذا اختلف اللفظ، ألا ترى أنّ اللعَس حُوَّة، فكرر لما اختلف اللفظان.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد: الذين اهتدوا للترجيع[١]. وقيل: إلى الجنة والثواب، وقيل: إلى الحق والصواب[٢]، وكان عمر ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: نعم[٣] العِدلان، ونعمت العلاوة[٤][٥].

١٥٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، الصفا: جمع صفاة، وهي: الحجارة.

قال أبو العباس: الصفا: كلُّ حجر لا يخلطه غيره، من طين أو تراب يتصل به، واشتقاقه من صفا يصفو إذا خَلَص[٦]، والمروة: واحدة المرو،

---

(١) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها، وقد ذكره بغير نسبة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨١.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨١، «معالم التنزيل» ١/ ١٧٠.

(٣) في (م): (نعمت).

(٤) في (ش) حاشية: (قال عبد المؤمن: أراد بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الاهتداء).

(٥) الأثر أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٣٤، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧/ ١١٦، من طريق مجاهد عن عمر، والحاكم ٢/ ٢٧٠، وصححه على شرط الشيخين، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٦ من طريق مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر، ومجاهد لم يلق عمر، وسعيد أدرك عمر ولم يسمع منه. والأثر ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨١، و«تفسير البغوي» ١/ ١٧٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٢.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٢، «المفردات» ص٢٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤، وذكر أبو حيان =

وهي حجارة بِيض برّاقة، يكون فيها النار[١].

قال الأعشى:

وتُـوَلّـي الأرضَ خُـفًّـا ذابـلًا   فـإذا مـا صـادف الـمَـروَ رَضَـخْ[٢]

وهما اسمان لجبلين معروفين بمكة[٣].

وشعائر الله: واحدتها شعيرة. قال المفسرون وأهل اللغة جميعًا: شعائر الله: متعبداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، وهي كلّ ما كان من مَشعر، أو موقف، أو مسعًى، أو منحر[٤]، وهي من قولهم: شعرتُ، أي: علمتُ، وهي كلّها معلومات، وهذا قول الزجاج، واختياره[٥].

= قولين، فقال: وقد قيل: إنه الحجر الأملس، وقيل: هو الصخرة العظيمة، والقول المذكور أعلاه قال: إنه الذي يدل عليه الاشتقاق. وينظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٦٨ (صفا).

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣-٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤، وذكر في «البحر» أقوالا أخر هي: الحجارة الصلبة، أو الصغار المرهفة الأطراف، أو الحجارة السود، أو الحجارة البيض، أو الحجارة البيض الصلبة.

(٢) البيت في مدح إياس بن قبيصة الطائي، ينظر: «ديوان الأعشى الكبير» ص٤٠، وفيه: (مجمرًا) بدل (ذابلًا)، وفي «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٨٠. يصف الشاعر خف ناقته بأنه إذا وطئ المرو -وهي الحجارة الصغيرة- تكسرت من تحت خفها الأحجار، ورضح الحصى: كسرها.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣.

(٤) سقطت مشعر من (أ)، (ش) كما أن فيها تقديمًا وتأخيرًا بين المذكورات.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، وينظر «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤.

ويحتمل أن تكون الشعائر مشتقة من الإشعار الذي هو[(١)]: الإعلام على الشيء، ومنه: الشعائر بمعنى العلامة؛ ولهذا تسمى الهدايا: شعائر؛ لأنها تُشْعَر بحديدة في سنامها[(٢)] من جانبها الأيمن حتى يخرج الدم. قال الكميت:

شَعَائرَ قُربانٍ بهم يُتَقَرَّبُ[(٣)]

ويحتمل أن يكون من الإعلام بالشيء[(٤)]، وبه قال مجاهد في قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾. قال: يعني: من الخبر الذي أخبركم عنه[(٥)]، كأنه إعلام من الله عبادَه أمرَ الصفا والمروة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ قال الليث: أصل الحج في اللغة: زيارة شيء تعظّمه.

---

(١) في (ش): (هي).

(٢) في (ش): (من أسنامها).

(٣) وشطره الأول:

نُقَتِّلهُم جيلًا فجيلًا، تَرَاهُمُ

ينظر: «القصائد الهاشميات» للكميت بن زيد ص٢١، في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٥.

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٨٤ وما بعدها، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٤، «المفردات» ص٢٦٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٢.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨٤.

(٦) قال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٢٧: وذلك تأويل من المفهوم بعيد، وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: (إن الصفا)، عباده المؤمنين أن السعي بينهما من مشاعر الحج التي سنها لهم، وأمر بها خليله إبراهيم ﷺ إذ سأله أن يريه مناسك الحج، وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر، فإنه مراد به الأمر.

وقال يعقوب والزجاج: أصل الحجّ: القصد، وكلّ من قصد شيئًا فقد حجّه(١).

وقال كثير من أهل اللغة: أصل الحجّ: إطالة الاختلاف إلى الشيء. واختار ابن جرير هذا القول، قال: لأن الحاجّ يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه للطواف يوم النحر، ثم ينصرف عنه إلى منى، ثم يعود إليه لطواف الصَّدَر؛ فلتكرارِهِ(٢) العودَ إليه مرةً بعد أخرى قيل له: حاجّ(٣).

وكلهم احتجوا بقول المخبّل القُريعي(٤):

يحجُّون سِبَّ(٥) الزِّبرِقانِ المُزَعْفَرا(٦)

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(٢) في (م): (فلتكرار)

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤-٤٥، «المفردات» ص١١٥، «اللسان» ٢/ ١٨١-٧٧٨ (حجج).

(٤) هو المخبل بن ربيعة بن عوف قتال بن أنف الناقة بن قريع، أبو يزيد، شاعر فحل، هاجر وابنه إلى البصرة، وولده كثير بالأحساء، وهم شعراء، وله شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، و كان يمدح بني قريع ويذكر أيام سعد. ينظر: «طبقات ابن سلام» ص٦١، «الشعر والشعراء» ٢٦٩.

(٥) في (ش): (سب الزعفران الزبرقان المزعفرًا).

(٦) صدر البيت:

وأشهد من عوف حُلُولًا كثيرةً

ينظر في نسبته إليه «إصلاح المنطق» ص٣٧٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «البيان والتبيين» ٣/ ٩٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٦، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٠٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٥، وروي (المعصفرا) بدل (المزعفرا). وقوله: يحجون أي: يزورون. والسِّبّ: العمامة، وقيل: الاست. والزبرقان: هو حصين بن بدر =

وقال سيبويه: ويقال: حَجَّ حِجًّا، كقولهم: ذكر ذِكرًا. وقال الفراء: الحَجّ والحِجّ لغتان[(١)]، يقال: حَجَجْتُ حِجّة للمرة الواحدة، لم يأت عن العرب غيره. ولو قيل: حَجَّة بالفتح كما قالوا: مَرَرتُ به مَرّة، كان صوابًا، مثل: مددته مدّةً، وقددته قدّةً، هذا كلامه. فأما قولهم: حُجٌّ، وهم يريدون: جمع الحاجّ، فقد يمكن أن يكونوا سموا بالمصدر، وتقديره: ذوو[(٢)] حج، قاله أبو علي، قال: وأنشد أبو زيد:

وكأنّ عافيةَ النسور عليهمُ حُجٌّ بأسفلِ ذي المَجَاز نُزُولُ[(٣)(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ قال الزجاج: قَصَد[(٥)]، وقال غيره: زار[(٦)]، قال أعشى باهلة:

وراكبٌ جاء من تثليثَ معتمرُ

قال الأزهري: وقد يقال: الاعتمار[(٧)] القصد، وأنشد للعجاج:

لقد سما ابنُ مَعْمَرٍ[(٨)] حينَ اعْتَمَرْ مَغْزًى بعيدًا من بعيدٍ وضَبَر[(٩)]

= الفزاري من سادات العرب. والحلول: الأحياء المجتمعة. ينظر: «اتفاق المباني وافتراق المعاني» ١/ ٢٠٦، «البيان والتبيين» ٣/ ٩٧.

(١) ذكر في «اللسان» ٢/ ٧٧٩ «حجج»، أن الكسائي لا يفرق بين الحِج والحَج، وغيره يقول: الحَج حَج البيت، والحِج عمل السنة.

(٢) في (ش)، (م): (ذو).

(٣) البيت لجرير يهجو الأخطل في «ديوانه»، ص١٠٤، «لسان العرب» ٢/ ٧٧٨، وقال: والمشهور في روايات البيت: حِجّ، بالكسر، وهو اسم الحاج.

(٤) ينظر فيما تقدم «اللسان» ٢/ ٧٧٨-٧٧٩ (حجج).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٥، «المفردات» ص٣٥٠.

(٧) في (م): (للاعتمار).

(٨) في (ش): (معتمر).

(٩) البيت للعجاج يمدح عمر بن عبيد الله التميمي، في «ديوانه» ص١٩، «تفسير =

يعني: حين قصد مغزًى بعيدًا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ الجناح: الإثم، وأصله: من الجنوح، الذي هو الميل، يقال: جَنَحَ: مال، ومنه قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ﴾ [الأنفال: ٦١] وقيل للأضلاع: جوانح؛ لاعوجاجها. قال ابن دريد: معنى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا ميل إلى مأثم. وجناح الطائر من هذا؛ لأنه يميل في أحد شقّيه، ليس على مستوى خلقته، فمعنى الجناح: الميل عن الحق.

وقال أبو علي الجرجاني: معنى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أينما ذكر في القرآن: لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء، هذا هو الأصل، ثم صار معناه: لا حرج عليه، ولا ذنب عليه[(٢)].

قال ابن عباس: كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل الصنمين؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية، منبهًا لهم[(٣)] على أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم، وأنه

= الطبري» ٢/ ٤٥، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٦٦ (عمر)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٦، «القرطبي» ٢/ ١٦٦، قوله: مغزى: أي غزوًا. ومعنى: ضبر الجواد: تهيأ للوثوب بقوائمه أو جمع قوائمه ليثب ثم وثب. ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٦.

(٢) ينظر في معنى الجناح: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٥، الثعلبي ١/ ١٢٨٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٦، «المفردات» ص١٠٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٦، «اللسان» ٢/ ٦٩٧-٦٩٨ (جنح).

(٣) سقطت من (م).

طاعة لله تعالى، وغير تعظيم للصنمين(١).

فالآية تدلّ بظاهرها على إباحة ما كرهوه، ولكن السنّة أوجبت الطواف بينهما والسعي، وهو قوله ﷺ: « **يا أيها الناس كُتِبَ عليكم السعيُ فاسعَوا** »(٢).

وهو مذهب الشافعي، رضي الله عنه(٣)، والواجب أن يبدأ بالصفا،

(١) رواه الطبري من طريق عمرو بن حبشي عن ابن عباس ٢/ ٤٦، وضعفه أحمد شاكر، ورواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٩٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٩. وبمعنى هذا ذكر الطبري آثارًا كثيرة عن: أنس، وابن عباس، وابن عمر، والسدي، والشعبي، وابن زيد، ومجاهد. وحديث أنس، رواه البخاري (١٦٤٨) كتاب الحج، باب: ما جاء في السعي بين الصفا والمروة، ولم يذكر المؤلف -رحمه الله- السبب الآخر الذي روته عائشة، وهو أن الأنصار كان يُهّلون قبل أن يسلموا لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلّ منها تحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا النبي ﷺ عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله: إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ؟ فأنزل الله الآية. وهذا رواه البخاري في الحج، باب: وجوب الصفا والمروة. «فتح الباري» ٣/ ٤٩٧، ومسلم (١٢٧٧) كتاب الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٦/ ٤٢٢، حديث (٢٦٩١٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» ٤/ ٢٣٢ برقم (٢٧٦٤)، والدارقطني في «سننه» ٢/ ٢٥٥- ٢٥٦، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ ٢٥٥، والحاكم ٦/ ٤٢١، والحديث صححه الحافظ المزي، وابن عبد الهادي كما في «الإرواء» ٤/ ٢٧٠، وقواه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٤٩٨، وصححه الألباني في «الإرواء» ٤/ ٢٧٠.

(٣) ينظر: «المجموع شرح المهذب» ٨/ ٦٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٩٥، وقد اختلف العلماء في السعي: فمنهم من قال بركنيته، وهذا قول عائشة وعروة ومالك والشافعي، ومنهم من قال بسنيته، روي ذلك عن ابن عباس وأنس وابن الزبير=

ويختم بالمروة، ويسعى بينهما سعيًا، فيكون مسيره من الصفا إلى المروة شوطًا من السبع، وعوده من المروة إلى الصفا شوطًا ثانيًا، فإن بدأ بالمروة إلى الصفا لم يحسب هذا الشوط[(١)]؛ لأن النبي ﷺ لما دنا من الصفا في حجته قرأ: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ابدأوا[(٢)] **بما بدأ الله به**» فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتى رأى البيت، ثم مشى حتى إذا تصوّبت قدماه في الوادي سعى[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه وجهان من القراءة[(٤)]:

أحدهما: ﴿تَطَوَّعَ﴾ على تَفَعَّل ماضيًا وهذه القراءة تحتمل أمرين[(٥)]:

أحدهما: أن يكون موضع تطوَّع جزمًا، وتجعل (مَن) للجزاء، وتكون الفاء مع ما بعدها من قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في موضع جزم؛ لوقوعها موقع الفعل المجزوم، والفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾ على لفظ المثال

= ومجاهد وعطاء وابن سيرين، وهو رواية عن أحمد. ومنهم من قال: إنه واجب وليس بركن، وإذا تركه جبره بدم، وهو مذهب الحسن وأبي حنيفة وصاحبيه والثوري. ينظر «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ١٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٩، «المغني» ٥/ ٢٣٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢١٣.

(١) ينظر: «المغني» لابن قدامة ٥/ ٢٣٧.

(٢) في (م): (فابدأوا).

(٣) جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (يَطَّوَّعْ) بالياء التحتية، وتشديد الطاء، وإسكان العين على الاستقبال، والباقون: بالتاء الفوقية، وتخفيف الطاء، وفتح العين. ينظر «السبعة» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٥) في (م): (وجهين).

الماضي، والمراد به المستقبل، كقولك: إن أتيتني أتيتك.

الثاني: أن لا تجعل (مَن) للجزاء، ولكن تكون بمنزلة الذي، وتكون[١] مبتدأ به، ولا موضع حينئذ للفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾، والفاء مع ما بعدها في موضع رفع، من حيث كان خبر المبتدأ الموصول، والمعنى فيه معنى الجزاء؛ لأن هذه الفاء إذا دخلت في خبر الموصول أو النكرة الموصوفة؛ آذنت أنّ الثاني إنما وجب لوجوب الأول، كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وما: مبتدأ موصول، والفاء مع ما بعدها جواب له، وفيه معنى للجزاء؛ لأن تقديره: ما ثبت بكم من نعمة، أو ما دام بكم من نعمة فمن ابتداء الله إياكم بها، فسبب ثبات[٢] النعمة ابتداؤه [ذلك][٣]، كما أن استحقاق الأجر إنما هو من أجل الإنفاق في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وعلى هذا كل ما في القرآن من هذا الضرب، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، و﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. ونذكر هذه المسألة مشروحة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

---

(١) الأفعال السابقة في (ش) بالفاء (تجعل يكون ويكون).

(٢) في (ش): (ابتدا).

(٣) زيادة يقتضيها الكلام، من كلام أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢٤٦.

الوجه الثاني من القراءة: (يَطَّوَّعْ) بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوع إلا أنّ التاء أُدغم في الطاء لتقاربهما، وهذا حسن؛ لأن المعنى على الاستقبال، والشرط والجزاء الأحسن فيهما[1] الاستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتُوقع الماضي موقعَ المستقبل في الجزاء، إلا أنّ اللفظ إذا كان وافق المعنى كان أحسن[2].

وأما التفسير: فقال مجاهد: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالطواف بهما[3]، وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضًا.

وقال مقاتل والكلبي: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد في الطواف بعد الواجب[4].

ومنهم من حمل هذا النوع على العمرة، وهو قول ابن زيد[5]، وكان يرى العمرة غير واجبة.

وقال الحسن: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ يعنى به: الدين كلّه، أي: فعل غير المفترض عليه، من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات[6].

---

(١) في (ش): (في هذا).

(٢) ما تقدم من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٤٥-٢٤٨ بتصرف واختصار.

(٣) «تفسير مجاهد» ص٩٢، ورواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٥٠، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٢٩٢ إلى: سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٦٨ عن أنس قوله: والطواف بهما تطوع، وكذا روي عن ابن عباس، وعزاه في «الدر»: إلى عبد بن حميد، وأبي عبيد في «فضائله»، وابن أبي داود في «المصاحف».

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ١٥٢، وذكره عنهما الثعلبي ١/ ١٣٠٠، والبغوي ١/ ١٧٥.

(٥) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٥٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٠١.

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٠١، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ١٧٥.

وهذا أحسن هذه الأقاويل؛ لأن قوله ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ صيغته تدلّ على العموم[١].

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: مُجازٍ بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّته[٢].

قال أهل المعاني: وحقيقة الشاكر في اللغة: هو المظهر للإنعام عليه، والله تعالى لا تلحقه المنافع والمضارّ، فالشاكر في وصفه مجازٍ، ومعناه: المجازي على الطاعة بالثواب، إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد، مظاهرة في الإحسان إليهم، كما قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهو تعالى لا يستقرض من عوز؛ ولكنه تلطّف[٣] في الاستدعاء. كأنه قيل: من الذي يعمل عمل المُقرِض، بأن يقدّمَ، فيأخذ أضعاف ما قدَّمَ في وقت فقره وحاجته[٤]!؟

---

(١) رجح الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥١-٥٢ أن معنى ذلك: ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١.

(٣) في (م): (اللطف).

(٤) وقال الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص٨٧: فلما كان الله ﷻ يجازي عباده على أفعالهم ويثيبهم على أقل القليل منها، ولا يضيع لديه تبارك وتعالى لهم عمل عامل، كان شاكرًا لذلك لهم، أي: مقابلًا له بالجزاء والثواب. وقال الشيخ السعدي في «تفسيره» ص٧٧: الشاكر والشكور من أسماء الله تعالى: الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته أعانه عليه وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة، وفي بدنه قوةً ونشاطًا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق، ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملًا موفرًا، لم تنقصه هذه الأمور، ومن شكره لعبده أن من ترك شيئا لله أعاضه الله خيرًا منه، ومن تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا.

١٥٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ قال المفسرون: نزلت في علماء اليهود[١]. وأراد بالبينات: الرجم والحدود والأحكام[٢]، وبالهدى: أمر محمد ﷺ ونعته[٣][٤]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾: لبني إسرائيل[٥]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٠، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١١، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٨٠، ورواه الطبري ٢/ ٥٣، وابن أبي حاتم ١/ ٢٦٨ عن ابن عباس.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، وروى ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٩ عن السدي عن أصحابه: [البينات]: الحلال والحرام.

(٣) في (ش): (وبعثه).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، وقد ذكر هذا الفرق بين البينات والهدى أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨، وقال: والبينات هي: الحجج الدالة على نبوته ﷺ، والهدى: الأمر باتباعه، أو الهدى والبينات، والجمع بينهما توكيد، وهو ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه. وقد بين الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢ البينات بقوله: البينات التي أنزلها الله: ما بين من أمر نبوة محمد ﷺ ومبعثه وصفته في الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلهما يجدون صفته فيهما. ويعني -تعالى ذكره- بالهدى: ما أوضح لهم من أمره في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣، قال: لأن العلم بنبوة محمد ﷺ وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم، ثم قال: وهذه الآية وإن كانت في خاصّ من الناس فإنها معنيّ بها كلُّ كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٦٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، و«تفسير البغوي» ١/ ١٧٥، وروى «الطبري» ٢/ ٥٣، عن قتادة أن المراد: التوراة والإنجيل، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٦٩ عن الحسن أن الكتاب: القرآن، قال: وروي عن ابن عباس مثل ذلك، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨: والأولى والأظهر عموم الآية في الكاتمين، وفي الناس، وفي الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ اختلفوا في اللاعنين ههنا: فقال ابن عباس: كلّ شيء إلا الجنّ والإنس(١). وعلى هذا إنما قال: (اللاعنون)، ولم يقل اللاعنات؛ لأنه وصفها صفة من يعقل، فجمعها جمع من يعقل، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠](٢).

وقال قتادة: هم الملائكة(٣).

وقال عطاء: الجنّ والإنسان(٤).

---

(١) نسبه إلى ابن عباس: الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٥، والثعلبي «في تفسيره» ١/ ١٣٠٣، والفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٥، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ١٧٥، ورواه الطبري «في تفسيره» ٢/ ٥٦ عن البراء بن عازب، والضحاك، وقريب منه قول مجاهد وعكرمة حيث قالا: يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقارب، يقولون: مُنِعْنا القطرَ بذنوب بني آدم. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٤-٥٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٦٩، وقد رده الطبري: بأنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله، ولا خبر.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٥، والثعلبي ١/ ١٣٠٥، والقرطبي ٢/ ١٧١.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٢ إلا أنه قال في رواية: اللاعنون من ملائكة الله، ومن المؤمنين، وروى ذلك ٢/ ٥٦ عن الربيع بن أنس، وكذا رواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٩، ورجحه الطبري؛ لأن الله قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وبنحوه قال الزجاج.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٠٣، والبغوي ١/ ١٧٥، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٢٩٦ إلى عبد بن حميد.

وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا[(١)] رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى، الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وصفته[(٢)].

١٦٠- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ معنى[(٣)] (إلّا) التخصيص[(٤)]، نحو قولك: جاءني القوم إلا زيدًا، خصصتَ زيدًا بأنه لم يجئ[(٥)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ بعد قوله: ﴿تَابُواْ﴾ إزالة الإبهام: أن التوبة مما سلف من الكتمان تكفي، ومعنى ﴿وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ أي: أصلحوا السريرة بإظهار أمر محمد ﷺ[(٦)].

١٦١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه؟ قيل: يلعنونه في الآخرة؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ

---

(١) في (أ) زيادة في الحاشية: (وليس أحدهما بمستحق للعن رجعت).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٤/ ٣٠٣ من طريق السدي الصغير، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود، وهذا إسناد واه، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٠٤ ولفظه: هو الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة في السماء ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهلًا لذلك، فترجع إلى الذي تكلم بها فلا تجده أهلا، فتنطلق فتقع على اليهود، فهو قوله ﷻ ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾. فمن تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت في من بقي من اليهود. وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٥.

(٣) في (أ)، (م): (يعنى).

(٤) في (أ)، (م): (للتخصيص).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٤٥٩.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٠، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٢.

بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥][١].

وقال قتادة[٢] والربيع[٣]: أراد بـ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: المؤمنين، وعلى هذا كأنه لم يعتدّ بغيرهم، كما تقول: المؤمنون هم الناس[٤].

وقال السدي: لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافران، فيقول أحدهما: لعن الله الظالم، إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر؛ لأنه ظالم، وكل أحد من الخلق يلعنه[٥].

١٦٢- قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ معنى الخلود: اللزوم أبدًا، ومنه يقال: أخلد إلى كذا، أي: لزمه، وركن إليه[٦]. والعامل في الخالدين: الظرف من قوله (عليهم)؛ لأن فيه معنى الاستقرار، وهو حال من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، كقولك: عليهم المال صاغرين[٧]، ومثل هذه الآيات الثلاث: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في سورة آل عمران [الآيات: ٨٧- ٨٩]، وذكرنا الكلام هناك بأبلغ من هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد:

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٦، ورواه الطبري ٢/ ٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧١ عن أبي العالية، قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة نحو قول أبي العالية، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٧٦.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٨، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٧١، والثعلبي ١/ ١٣٠٦.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨.

(٤) رواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٧١ عن أبي العالية.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧١. ورجح الطبري العموم.

(٦) ينظر: «المفردات» ص١٦٠.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢.

للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة[(١)].

١٦٣- قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية، معنى الوحدة في اللغة: هي الانفراد، يقال: وحَدَ الشيءُ، وهو يَحِدُ حِدَةً، فهو واحد، وجمعه: وُحدان بالضم. والوَحدان بالفتح؛ بمعنى: الواحد، مثل قولهم: فَردان بمعنى: الفَرد. وحقيقة الواحد: شيء لا يتبعض، ويقال أيضًا: وَحَدَ يَوْحَدُ وَحَادةً وَوَحْدةً فهو وحيد[(٢)].

ويستعمل الواحد على وجهين:

أحدهما: على جهة الحكم والحقيقة.

والثاني: على الوصف والمجاز. فالحكم كقولك: ذاتٌ واحدةٌ، وجزء واحد، والوصف قولك: إنسان واحد، ودار واحدة، فهذا لا ينقسم عن[(٣)] الجهة التي جرت عليه الصفة، إذ ليس ينقسم من جهة أنه إنسان، وإن انقسم من جهة أنه جسم، وإذا أجريته حكمًا لم ينقسم من وجه من الوجوه.

فأما الواحد في صفة الله تعالى، فقال الأزهري: له معنيان:

أحدهما: أنه واحد لا نظير له، وليس كمثله شيء، والعرب تقول: فلان واحد قومه، وواحد الناس، إذا لم يكن له نظير.

وقال بعضهم: المعنى في الواحد: أنه إله واحد، وربّ واحد، ليس له في إلاهيته وربوبيته شريك؛ لأنّ المشركين أشركوا معه آلهةً فكذّبهم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم بمعناه عن الضحاك عن ابن عباس ١/ ٢٧٢.

(٢) ينظر في معاني الواحد: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٠، «المفردات» ص٥٣٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤، «اللسان» ٨/ ٤٧٧٩-٤٧٨٣ (وحد).

(٣) في (ش): (من).

الله ﷻ، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1].

وقال أبو علي: قولهم: واحد، اسم جرى على وجهين في كلامهم:

أحدهما: أن يكون اسمًا.

والآخر: أن يكون وصفًا.

فالاسم الذي ليس بصفة قولهم: واحد المستعمل في العدد، نحو: واحد، اثنان، ثلاثة، فهذا اسم ليس بوصف، كما أنّ سائر أسماء العدد كذلك، وأما[2] كونه صفة فنحو قولك: مررت برجل واحد، وهذا شيء واحد، فإذا أجري هذا الاسم على القديم تعالى جاز أن يكون الذي هو وصف، كالعالم والقادر، وجاز أن يكون الذي هو اسم، كقولنا: شيء. يقوي الأول قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[3].

ويجمع[4] الواحد واحِدِين، كقوله:

فقد[5] رجعوا كحيٍّ واحدينا[6]

---

(١) الذي وجدته في «تهذيب اللغة» للأزهري ٤/ ٣٨٤٧ (وحد): والواحد في صفة الله، معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به أحد غير الله؛ لخلوص هذا الاسم الشريف له، جل ثناؤه.

(٢) في (م): (فأما).

(٣) نقله عنه الرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ١٦٨.

(٤) في (م): (وجمع).

(٥) في (ش): (وقد).

(٦) ورد البيت هكذا:

فَرَدَّ قَواصِيَ الأحياء منهم فقد أضحوا كحيٍّ واحدينا

وهو للكميت، ينظر: «اللسان» مادة: (وحد)، وفيه ورد بلفظ: رجعوا، وينظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٠٨، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٩٢.

ويكسِّرونه على فُعلان، كقولهم: وُحدان، ويقلبون الواو همزةً، كقولهم: أُحدان، ومنه قوله:

طاروا[١] إليه زَرَافاتٍ ووُحْدانا[٢]

وذلك أنه وإن كان صفة قد يستعمل استعمال الأسماء، فكسروه على فُعلان، كقولهم: راعٍ ورُعْيَان.

وأما التفسير: فقال ابن عباس في رواية الكلبي: قالت كفار قريش: يا محمد صِفْ وانسُبْ لنا ربّك. فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص، وهذه الآية[٣].

وقال جويبر[٤]، عن الضحاك، عن ابن عباس: كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنمًا، يعبدونها من دون الله، فبيّن الله سبحانه لهم أنه واحد، فأنزل هذه[٥].

---

(١) في (أ)، (م): (يطار).

(٢) صدر البيت:

قوم إذا الشرّ أدى ناجذيه لهم

والبيت للعنبري، واسمه: قريط بن أنيف، ويروى لأبي الغول الطهوي. ينظر: «عمدة الحفاظ» ٢/ ٤٩٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٠٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤٥، والبغوي ١/ ١٧٦، والسمعاني ٢/ ١١٤، والقرطبي ٢/ ١٧٥، ونقله في «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢، وإسناده واهٍ، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١٣.

(٤) هو جويبر بن سعيد البلخي، روى: عن الضحاك وأبي سهل، وروى عنه: الثوري وابن المبارك ويزيد بن هارون، وهو ضعيف، قال يحي بن معين: ليس بشيء، وكان وكيع لا يسميه استضعافًا له، في قول عن سفيان عن رجل. ينظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٥٤٠-٥٤١.

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٠٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤، ونقله ابن حجر في=

قال أصحابنا: حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه: أنه واحد لا قسيم له في ذاته، ولا بعض له في وجوده، بخلاف الجملة الحاملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازًا، كقولهم: دار واحدة، وشخص واحد؛ ولهذا قال أصحابنا: التوحيد: هو نفي الشريك والقسيم، والشريك والشبيه، فالله ﷻ واحد في أفعاله، لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات؟ وواحد في ذاته، لا قسيم له؟ وواحد في صفاته، لا يشبه الخلق فيها[(١)].

وقال أهل المعاني: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: وإلهكم الرحمن الرحيم إله واحد، لا إله إلا هو.

١٦٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، قال المفسرون: لما نزل قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ عجب المشركون، وقالوا: إن محمدًا يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله هذه الآية[(٢)]، وعلّمهم كيفيةَ الاستدلالِ على الصانع، وعلى

= «العجاب» ١/ ٤١٣، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢، وإسناده ضعيف؛ لضعف جويبر.

(١) ينظر في تفسير الواحد: «اشتقاق أسماء الله» لأبي القاسم الزجاجي ص٩٠-٩٣.

(٢) رواه الثوري في «تفسيره» ص٥٤، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٤٠، وأبو الشيخ في «العظمة» ١/ ٢٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٧٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ١٣٠، والثعلبي ١/١٢٠٨ كلهم عن أبي الضحى. ورواه الطبري ٢/ ٦٠ عن عطاء، وذكرهما الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٠-٥١، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٧٣ عن ابن عباس أن قريشًا سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فأوحى الله إليه: إني معطيهم، ولكن إن كفروا عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فنزلت، وذكره السيوطي في «لباب النقول»=

توحيدِه، وردَّهم إلى التفكر في آياته، والنظرِ في مصنوعاته، على ما عدّها في الآية. وبيَّن أنّ فيما ذكره في هذه الآية من عجيب صنعه، وإتقانِ أفعاله، واتساق صنائعه دليلًا على توحيده، فإن هذه الأفعال لا تحصل في الوجود لو كان لها صانعان؛ لوجوب التمانع بينهما[(١)]، واستحالة تساويهما في صفة الكمال.

قال أهل المعاني: وجمع السماوات؛ لأنها أجناس مختلفة، كل سماء من جنس غير الأخرى، ووحّد الأرض؛ لأنها كلها تراب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فسّر الاختلاف هاهنا تفسيرين يرجعان إلى أصل واحد:

أحدهما: أنه افتعال، من قولهم: خلَفه يخلُفه، إذا ذهب الأول وجاء الثاني خلافه، أي: بعده، فاختلاف الليل والنهار: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه، ويجيء

= ص٣١ وجود إسناده، وروي عن ابن عباس أنها نزلت حين قالوا: انسب لنا ربك وصفه. وينظر: «العجاب» ١/ ٤١٤-٤١٥، «زاد المسير» ١/ ١٦٧.

(١) دليل التمانع: هو أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما - مثل أن يريد أحدهما: تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما: إحياءه، والآخر إماتته - فإما: أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية. ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ٢٨.

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، وينظر أيضًا: «تفسير الطبري» ١/ ١٩١-١٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٤.

من عنده، فذهابه يخلف مجيئه، ومجيئه يخلف ذهابه. أحدهما خلاف الآخر، أي: بعده، وكل شيء يجيء بعده شيء، فهو خِلفه . وبهذا فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢][(١)]، قال الفراء: يذهب هذا، ويجيء هذا[(٢)].

الثاني: قال ابن كيسان[(٣)] وعطاء[(٤)] في هذه الآية: أراد: اختلافهما في الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان .

قال الكسائي: يقال لكل شيئين اختلفا: هما خِلْفان وخِلْفتان، وقول زهير:

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً[(٥)]

فسّر بالوجهين: تكون مختلفة في ألوانها وتكون يذهب هذا، ويجيء هذا. وهذا القول يرجع إلى معنى الأول؛ لأن معنى الاختلاف في اللغة:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٣ ولم يذكر غيره، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٧١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٨، «اللسان» ٢/ ١٢٣٧ (خلف).

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٥.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٩، «القرطبي» ٢/ ١٧٦، «البغوي» ١/ ١٧٧.

(٥) عجز البيت:

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وهو في «ديوانه» ص٥، «جمهرة اللغة» ص٤١٥-٤١٦، «لسان العرب» ٢/ ١٢٣٧ (خلف)، و ٥/ ٢٧٠٠، وبلا نسبة في «رصف المباني» ص١٤٥.وقوله: بها: أي بدار من يتغزل بها، والعين: البقر، واحدها: أعين وعيناء، وذلك لسعة عيونها، والآرام: الظباء الخوالص البياض، والأطلاء: الصغار من البقر والظباء، والمجثم: ما تربض فيه وترقد.

التفرق في الجهات، جهة اليمين والشمال والخلف والقُدّام، ثم شبّه الاختلاف في المذاهب وفي كل شيء بالاختلاف في الطريق[١]، من جهة أن كل واحد من المختلفين على نقيض ما ذهب إليه الآخر، كالمختلفين في الطريق، ولما تفاوت الليل والنهار في النور والظلمة وغيرهما جعل ذلك اختلافا، فهذا أيضًا يعود في الاشتقاق إلى الخلف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ الفُلْك: واحد وجمع، ويذكر ويؤنث، وأصله من الدوران، وكل مستدير فُلك، وفَلَك السماء: اسم لأطواق[٢] سبعة، تجري فيها النجوم، وفَلَكَتِ الجارية: إذا استدارَ ثَدْيُها، وفَلَكَة[٣] المِغْزَلَ من هذا، والسفينة سميت فُلكًا؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور[٤]. وإنما كانت للواحد والجمع؛ لأنه على بناء يصلح لها[٥]، فإذا أريد به الواحد ذُكِّر، وإذا أريد به الجمع أُنِّث. ومثلُ الفلك من الجموع التي كسرت الآحاد عليها واللفظ فيهما[٦] واحد: قولهم: ناقة هِجَان، ونوق هِجَان[٧]، ودرع دِلاصٍ، وأدرُع دِلاص[٨]، وشِمال: للخليقة والطبع،

---

(١) في (ش): (بالطريق).

(٢) في (ش): (لأطواف).

(٣) في (م): (وفلك).

(٤) ينظر في الفلك: «تفسير غريب القرآن» ص٦٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٣٠-٢٨٣١، «المفردات» ص٣٨٧، «اللسان» ٦/ ٣٤٦٥ (فلك)، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٨.

(٥) في (م): (بها).

(٦) في (ش): (فيها).

(٧) (نوق هجان) سقطت من (ش). والهجان: البيض الخوالص.

(٨) دلاص: ملساء ليِّنة.

وجمعه شِمالٌ. ومجيء الجمع على لفظ الواحد مما يدل على قلة حفلهم بالفرق بينهما من طريق اللفظ، وأنهم اعتمدوا في الفرق على دلالة الحال، ومتقدم الكلام ومتأخره[١].

وقال سيبويه[٢]: الفلك إذا أريد به الواحد فضمة الفاء فيه بمنزلة ضمة[٣] باء بُرْد، و خاء خُرْج، وإذا أريد به الجمع ،فضمة الفاء بمنزلة ضمة الحاء في حُمْر، والصاد من صُفْر، فالضمتان وإن اتفقتا في اللفظ فإنَّهما مختلفتان[٤] في المعنى، وغير منكر أن يتفق اللفظان من أصلين مختلفين، ألا ترى أن من رخّم منصورًا في قول من قال: يا جار، قال: يامنصُ، فبقّى الصاد مضمومة، كما بَقَّى الراء مكسورة، ومن قال: يا جارُ، فاجتلب للنداء ضمةً قال أيضًا: يا منصُ، فحذف ضمّةَ الصاد، كما حذف كسرة الراء، واجتلب للصاد ضمةَ النداء، كما اجتلب للراء ضمة النداء، إلا أن لفظ: يا منصُ في الوجهين واحد، والمعنيان متباينان.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قد مضى الكلام في البحر. والآية في الفلك: تسخيرُ الله تعالى إياها، حتى يجريَها على وجه الماء، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ووقُوفُها فوق الماء مع ثقلها وكثرة وزنها.

وقوله تعالى: ﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: بالذي ينفعهم، من ركوبها،

---

(١) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٣١ (فلك)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٠.

(٢) قريب منه ما في «الكتاب» ٣/ ٥٧٧، ونقله عنه في «اللسان» ٦/ ٣٤٦٥ (فلك).

(٣) في (م): (ضمها).

(٤) في (م): (فهما مختلفان)، وفي (أ): (فإنهما مختلفان).

والحمل عليها في التجارات، وينفع الحامل؛ لأنه يربح، والمحمول إليه؛ لأنه ينتفع بما حمل إليه[(١)(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أراد بموت الأرض: جدوبتَها ويُبُوستَها، فسمّاها موتًا مجازًا، وذلك أن الأرضَ إذا لم يصبها مطر لم تُنبت، ولم تُنْمِ نباتًا، وكانت[(٣)] من هذا الوجه كالميت، وإذا أصابها المطر أنبتت، ونحو هذا قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، فلما وصفت بالاهتزاز وهو[(٤)] الحركة عند نزول الماء، توصف عند إمساك الماء بالسكون، والعربُ تسمي السكون موتًا[(٥)]، قال الشاعر:

إنـي لأرجـو أن تـمـوتَ الـريـحُ فـأسـكـنَ الـيـوم وأسـتـريـحُ[(٦)]

فيجوز أن يراد بالموت في هذه الآية: ضد الاهتزاز الذي وُصِفَت به عند نزول الماء، ولما سَمّى ذلك موتًا سمّى[(٧)] إزالتَها إحياءً ليتجانس اللفظ[(٨)].

---

(١) ساقط من (ش).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٠، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٨٠.

(٣) في (ش) و(م): (وكان).

(٤) في (ش): (وهي).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١١، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٨.

(٦) البيت في «اللسان» ٧/ ٤٢٩٥ (موت)، بغير نسبة. وينظر: «شأن الدعاء» ص١١٦، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٨١.

(٧) سقطت جملة: (ذلك موتًا سمي) من (ش).

(٨) ينظر: «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٨-١٩٩.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ البثُّ: النشر والتفريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، ومنه: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، ويقال: بثثته سِرِّي[١] أبثثته، إذا أطلعته عليه؛ لأنك فرقت بين سرّك وبينك، ويقال للحزن: بَثٌّ؛ لأن صاحبَه لا يصبر عليه حتى يظهره[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: كلّ ما دبّ على الأرض من جميع الخلق، من الناس وغيرهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ أراد: وتصريفه الرياح، فأضاف المصدر إلى المفعول، وهو كثير[٤]. والرياح: جمع الريح.

قال أبو علي: الريح: اسم على فعل، والعين منه واو، انقلبت في الواحد[٥] للكسرة، فأما في الجمع القليل: أرواح، فصحّت؛ لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال، ألا ترى أن سكون الراء لا يوجب إعلال هذه الواو في نحو: قوم، وعون، وقول. وفي الجمع الكثير: رياح، انقلبت الواو ياء؛ للكسرة التي قبلها، نحو: ديمة ودِيَم، وحِيلَة وحِيَل[٦].

---

(١) سقطت من (ش).

(٢) ينظر في البث: «الطبري» ٢/ ٦٤، «المفردات» ص٤٧، «اللسان» ١/ ٢٠٨ (بثث).

(٣) لم أجد هذا عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، واختار هذا الوجه، ونقل الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١ هذا عن الواحدي، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٧، وذكر وجهًا آخر وهو أن يكون تصريف مصدرًا مضافًا للفاعل، أي: وتصريف الرياح السحاب، أو غيره مما له فيه تأثير بإذن الله.

(٥) سقطت من (م).

(٦) ونقله عنه ابن سيده في «المخصص» المجلد ٢/ السفر التاسع ص٨٣، والرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٧٦٣.

وقال ابن الأنباري: إنما سميت الريح ريحًا؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوح والرَّاحة، وانقطاعُ هبوبها يُكسِبُ الكربَ والغَمّ، فهي مأخوذة من الروح. وأصلها: رِوْح، فصارت الواو ياء؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا في الميزان والميعاد والعيد، والدليل على أن أصلها الواو: قولهم في الجمع: أرواح[(١)].

قال زهير:

قِفْ بالديار التي لم يعفُها القدمُ
بلى وغيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ[(٢)]

ويقال: رِحْتُ الريح أَراحُها، وأُرحتُها أرِيحُها: إذا وجدتها، ومنه الحديث: **«من استُرعي رعيةً فلم يَحُطهم بنصيحة، لم يُرِحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحَها لتوجد من مسيرة مائة عام»**[(٣)].

قال الكسائي: الصواب: لم يُرِحْ، من: أَرَحتُ أُريح، وقال الفراء: لم يَرَح، بفتح الراء. وقال غيرهما: الصواب: لم يرِحْ، من رحت أريح.

---

(١) نقله عنه الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١.

(٢) ينظر: «ديوانه» ص١٤٥، «لسان العرب» ٨/ ٤٩٤٢.

(٣) الحديث أصله في الصحيحين، رواه البخاري (٧١٥٠، ٧١٥١) كتاب الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم (١٤٢) في الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وليس في ألفاظهما: «لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام»، ولفظ (لم يرح) في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»** رواه البخاري (٣١٦٦) كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، (٦٩١٤) كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذميًّا بغير جرم.

قال أبو عبيد: الصواب: بفتح الراء[(١)]، وأنشد:

وماءٍ وَرَدْتُ على زَوْرَةٍ
كَمَشْيِ السَّبَنْتَى يَراحُ الشَّفِيفَا[(٢)]

وقال أبو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال والجنوب والصَّبَا والدَّبُور. فأما الشمال فمن عن يمين القبلة، والجنوب من عن جهة شمالها، والصَّبَا والدَّبور متتابعتان[(٣)]، فالصَّبا من قبل المشرق، والدَّبور من قبل المغرب، وأنشد أبو زيد البيت لأبي صخر الهذلي:

إذا قلتُ هذا حينَ أسلُو يهيجُني
نسيمُ الصَّبا من حيث يَطَّلِعُ الفَجْرِ[(٤)(٥)]

وربما تسمى الصبا: قبولًا؛ لأنها استقبلت الدبور.

وقال الأصمعي: إذا انحرفت واحدة منهن عن هذه المهابّ فهي نكباء.

---

(١) «اللسان» ٣/ ١٧٦٥: لم يُرح رائحة الجنة: من أرحتُ، ولم يَرَح رائحة الجنة: من رِحتُ أراحُ، ولم يرِح تجعله من راح الشيء أريحه إذا وجدت ريحه، وقال الكسائي: إنما هو لم يُرح رائحة الجنة، من أرحت الشيء فأنا أُريحه، إذا وجدت ريحه، والمعنى واحد، وقال الأصمعي: لا أدري هو من رِحت أو من أرحت؟.

(٢) البيت لصخر الغَيِّ الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ص٣٠٠، «لسان العرب» ٣/ ١٧٦٤، ٣/ ١٨٨٧. والزورة: البعد، وقيل: انحراف عن الطريق، والشفيف: لذع البرد، والسبنتى: النمِر.

(٣) في كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠: متقابلتان. وهو أصوب.

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٩٥٧، و«شرح شواهد المغني» ١/ ١٦٩، و«لسان العرب» ٥/ ٢٦٨٩ (طلع)، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥١٨.

(٥) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠.

قال: وأخبرنا ابن الأعرابي قال: مهبّ الجنوب من مطلع سُهيل إلى مطلع الثُّرَيّا، والصبا من مطلع الثريا إلى بناتِ نَعْشٍ، والشمال من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، والدبور من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سُهَيل.

وقال غيره: الجنوب: التي تجيء من قبل اليمن، والشمال: التي تهبّ من قبل الشام، والدَّبور: التي تجيء من عن يمين القبلة شيئًا، والصّبا: بإزائها[١].

والشمال ريح باردة، تكرهها العرب؛ لبردها وذهابها بالغيم، وفيه[٢] الحَيَا والخِصْبُ[٣]، وإذا سمعت الريح تنسب إلى الشام فهي الشمال الباردة، كقول زياد بن منقذ:

والمطعِمون إذا هبّتْ شاميةً
وباكر الحيَّ من صُرّادها صِرَمُ[٤][٥]

وقال النابغة:

وهبّت الريحُ مِن تلقاءِ ذي أُرُلٍ
تُزجي مع الليل من صُرّادها صِرَمًا[٦]

---

(١) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠، و٢٥١ بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) في (ش): (وفيها).

(٣) من كلام الأصمعي، نقله أبو علي في «الحجة» ٢/ ٢٥٥.

(٤) في (أ): ضبطت صِرَم، وفي (ش): صَرَم.

(٥) ينظر: «معجم البلدان» ١/ ٢٠٣ (أشي).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٦٣، «لسان العرب» ١/ ٦٥، ٤/ ٢٤٣٩، «مقاييس اللغة» ٣/ ٣٤٥، «أساس البلاغة» (مادة: صرم).

وذُو أُرُلٍ: جبل بأرض غطفان من ناحية الشام، ولكراهتهم الشمال يسمّون كل مكروه عندهم: مشْمولًا، قال زهير:

جرت سُنُحًا[١] فقلت لها مَرُوعًا   نَوًى مَشْمُولةٌ فمتى اللِّقاءُ[٢]

مشمولة أي: مكروهة[٣].

وقد صرّح طرفة بأن الشمال شامية، في قوله:

فأنت[٤] على الأدنى شَمالٌ عَرِيّةٌ[٥]

شآميّةٌ[٦] تَزوي[٧] الوجوهَ بَلِيلُ

ويحبون الجنوب لدفئها، ولأنها تجيء بالسحاب والمطر[٨]، أنشد الأصمعي لحُميد بن ثور:

فلا يُبْعِدِ اللهُ الشبابَ وقولَنا   إذا ما صَبَوْنا صَبْوَةً سَنَتُوبُ

لياليَ أَبْصَارُ الغواني وسمعُها   إليَّ وإذ ريحِي لهن جنوبُ[٩]

---

(١) في (ش): (كأنها بسحًا).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٥٩، و«لسان العرب» ٤/ ٢١١٣، ٤/ ٢٣٢٩، «أساس البلاغة» ١/ ٥٠٦ (مادة: شمل).

(٣) ينظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٥٥.

(٤) في (ش)، (م): (وأنت).

(٥) في (ش): (عزية).

(٦) سقطت من (م).

(٧) في (ش): (تزري).

(٨) من كلام الأصمعي تابع للنقل السابق عنه، نقله أبو علي في «الحجة» ٢/ ٢٥٥، وقطعه المؤلف وأدخل فيه غيره.

(٩) البيتان لحميد بن ثور، وردا في «الإصابة» ١/ ٣٥٦، «الاستيعاب» ١/ ٤٣١، «الأغاني» ١٨/ ١٣٢، «الزاهر» ١/ ٣٦٧. ينظر: «وضح البرهان» ٢/ ٣٣٢.

أي: محبوبة كما تحب الجنوب.

وقال أبو عبيدة: الشمال عند العرب للرَّوْح، والجنوب للأمطار والأنداء، والدَّبور للبلاء، أهونه أن يكون غبارًا عاصفًا، يقْذي[(١)] العين، وهي أقلهن هُبوبًا، والصَّبا لإلقاح الشجر، وكل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين من هذه الأربع فهي نكباء.

وتقول العرب: إنَّ النُّكْب أربع: فنكباء الصبا والجنوب ميباس للبقل ونكباء الصبا[(٢)] والشمال مِعْجاجٌ مِصْراد، لا مطر فيها ولا خير، ونكباء الشمال والجنوب ريح قَرَّة، وربما كان فيها مطر وهو قليل، ونكباء الدبور والجنوب قد تكون في الشتاء والصيف[(٣)]. وقول الخثعمي:

مِن كلِّ فيّاضِ اليدين إذا غدَتْ   نكباءُ تُلْوي بالكنيفِ[(٤)] المُوصَدِ[(٥)]

هذه في الشتاء[(٦)(٧)].

واختلف القراء في ﴿ٱلرِّيَـٰحِ﴾ فقرأ بعضهم: بالجمع في مواضع، وبالتوحيد في مواضع[(٨)]، وهم مختلفون فيها. والأظهر في هذه الآية

(١) في (م): (يؤذي).
(٢) في (ش): (للصبا).
(٣) في (أ): (كأنها المصيف).
(٤) في (ش): (الكثيف).
(٥) ورد البيت في «ديوان الحماسة» ١/ ٣٣٤.
(٦) في (م): (الثنا).
(٧) ينظر في تفصيلات الريح وأسمائها وأنواعها: «المخصص» لابن سيده ٢ سفر ٩٦٢ وما بعدها.
(٨) فبهذه الآية قرأ حمزة والكسائي وخلف بإسكان الياء وحذف الألف بعدها، على الإفراد، وغيرهم بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. ينظر: «السبعة» ص١٧٣، =

الجمع؛ لأن كل واحد من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية، وتسخيرها؛ لينتفع الناس بها بتصريفها، وإذا كان كذلك فالوجه أن تجمع؛ لمساواة كل واحدة منها الأخرى. وأما من وحّد فإنه يريد الجنس، كما قالوا[١]: أهلك[٢] الناس الدينار والدرهم، وإذا أريد بالريح الجنس كانت قراءة من وحّد كقراءة من جمع .

فأما ما روي في الحديث من أن النبي ﷺ كان إذا هبت ريح قال: «**اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**»[٣].

فمما[٤] يدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى قوله[٥]: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، وإنما تبشر بالرحمة، ويشبه أن يكون النبي ﷺ قصد هذا الموضع من التنزيل. ومواضع الإفراد من

= «النشر» ٢/ ٢٢٣، «الحجة» ٢/ ٢٤٨-٢٥١، وقد ذكروا المواضع التي اختلفت فيها القراء في القرآن كله.

(١) في (م): (يقال).

(٢) في (م): (هلك).

(٣) أخرجه الشافعي في الأم ١/ ٢٥٣ باب القول في الإنصات عند رؤية السحاب، وفي «المسند» ١/ ١٧٥ برقم ٥٠٢، باب في الدعاء من طريق العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» ٥/ ١٨٩، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٤/ ١٣٥٢ من طريق العلاء بن راشد، وهو ضعيف، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٤/ ٣٤١، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٢١٣ من طريق الحسين بن قيس، وهو متروك. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٣٥: رواه الطبراني وفيه: حسين بن قيس، الملقب بحنش، وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) في (م): (رايدًا).

(٥) في كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٧: ومواضع العذاب بالإفراد، ويقوي ذلك قوله تعالى.

العذاب[1] كقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

وقد يختص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون أمارة له، فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ مبهم غير مبيّن، كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وما كان من لفظ (أدراك) مفسّر، كقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠][2].

فأما التفسير، فالتصريف في اللغة: التقليب، وهو تَفْعيل من الصَّرف، والصَّرف: القلب عن الشيء. والصَّرِيف: اللبنُ الذي سَكَنَت[3] رَغْوتُه؛ لانصراف الرغوة عنه، وقيل: لا يُسمَى صريفًا حتى يُنصرف به عن الضرع[4]، والصريف: الفحل نابيه؛ لأنه يقلب أحدهما بالآخر[5].

قال المفسرون: ومعنى ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقْليبُها قَبُولًا ودَبُورًا وشمالًا وجنوبًا، كما بَيّنَّا، وتصريفها مرةً بالرحمة، ومرةً بالعذاب، وتصريفها مرة حارةً، ومرةً باردةً، ومرة لينةً، ومرةً عاصفةً[6].

---

(١) في (أ)، (م): (الإفراد والعذاب).

(٢) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٦-٢٥٨ بتصرف.

(٣) في (ش): (سكتت). ولعلها كذلك في (م).

(٤) ينظر في معاني التصريف: «المفردات» ص٢٨٣، «اللسان» ٤/ ٢٤٣٤ (صرف).

(٥) العبارة غير واضحة، وقد يكون صوابها: صرف الفحل نابه، أي: حرقه فسمعت له صوتًا، ولنابه صريف أي: صوت. قال في «اللسان» ٤/ ٢٤٣٦: الصريف: صوت الأنياب، وصرف الإنسان والبعير نابه، وبنابه حرقة فسمعت له صريفًا، وناقة صروف بينة الصريف، وصريف الفحل: تهدُّره.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٥١، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ سمي السحاب لانسحابه في الهواء[١].

ومعنى التسخير: التذليل، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المطيعة لله تعالى[٢].

١٦٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ الآية، لما ذكر الله تعالى الدلالةَ على وحدانيته أَعْلَم أنّ قومًا بعد هذه الدلالة والبيان يتخذون الأنداد، مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكر[٣]. ومضى الكلام في معنى: (الأنداد)[٤].

قال أكثر المفسرين: يريد بالأنداد: الأضداد[٥] المعبودة من دون الله ﷻ، فعلى هذا، الأصنام أنداد بعضها لبعض، أي: أمثال، ليست أنها أنداد لله تعالى[٦].

وقال السُدِّي: يعنى: بالأنداد أكفاء من الرجال يطيعونهم في معصية الله[٧].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٢، وينظر: «المفردات» ص٢٣١، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٢، «اللسان» ٤/ ١٩٤٨.

(٢) ينظر: «المفردات» ٢٣٣، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٢، «اللسان» ٤/ ١٩٦٣ (سخر).

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٧، وينظر: «التفسير الكبير» ١/ ٢٠٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩.

(٤) ينظر في معنى الند: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٣، «المفردات» ص٤٨٩.

(٥) في (ش): (الأصنام). وهو كذلك عند الثعلبي في «تفسيره» ١ / ١٣١٤

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤، «زاد المسير» ١/ ١٧٠، «معاني القرآن» ١/ ٩٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٤، ونسبه إلى أكثر المفسرين. وظاهر كلام المفسرين: أنهم اتخذوها أندادًا لله بحسب زعمهم.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٦٧، ولفظه: الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله،=

وعلى هذا: المطاعون في معصية الله أنداد[1] للمطيعين، أو هم أندادٌ، بعضُهم[2] لبعض نِدٌّ، كما قلنا في الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قال الليث: يقال: أَحْبَبْتُ الشيءَ فأنا مُحِبٌّ، وهو محبوبٌ، قال: ومثله: أحزنته فهو محزون، وأَجَنَّه الله فهو مجنون، وقد جاء مُحَبّ شاذًا في قول عنترة:

بـمـنـزلـة الـمُـحَـبِّ الـمـكـرم[3]

قال شمر: قال الفراء: وحَبَبْتُ لغةٌ، وأنشد:

فـو الله لـولا تَـمْـرُهُ مـا حَـبَـبْـتُـهُ ... ولا كان أدنى من عُبيدٍ ومُشرِقِ[4][5]

عن أبي زيد: بعير مُحِبّ، وقد أَحَبّ أحبابًا، وهو أن يصيبه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت. قال: والإحباب: هو البروك، فمن

= إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله. وقد رواه الطبري عن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ باللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكر ذلك عند قوله: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، ورواه الطبري ١/ ١٦٣. وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩، فقد بين: أن المراد بالناس: أهل الكتاب، ورجح كونهم أهل الكتاب بقوله: (يحبونهم). فأتى بضمير العقلاء، وباستبعاد محبة الأصنام. ولقوله: (إذ تبرأ)، والتبرؤ لا يناسب إلا العقلاء، وكذا قال الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٤.

(١) في (ش): (أندادًا لمطيعين).

(٢) في (ش): (وبعضهم).

(٣) والبيت بتمامه:

ولـقـدْ نَـزَلْـتِ فـلا تَـظُـنّـى غـيـرَه ... مـنـي بـمـنـزلـة الـمُـحَـبِّ الـمـكـرم

البيت في «ديوانه» ص١٩١.

(٤) في (م): (ومشرقي).

(٥) البيت لغيلان بن شجاع النهشلي، في «لسان العرب» ٢/ ٧٤٣ (حبب). وروايته: فأُقسِمُ، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٤١٠، «مغني اللبيب» ١/ ٣٦١.

الناس من يجعل المحبة مأخوذة من هذا؛ للزوم المحب محبوبه[(١)].

وفي قوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ طريقان لأهل المعاني: أحدهما: أن المعنى فيه كحب المؤمنين الله، أي: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم، فأضيف المصدر إلى المحبوب، كقول القائل: أكلتُ طعامي كأكل طعامك، وبعت جاريتي كبيع جاريتك، وهو يريد: كبيعك جاريتك وأكلك طعامك، فيحذف الفاعل، ويضيف المصدرَ إلى المفعول[(٢)]، كقول الشاعر:

ولستُ مسلِّما ما دمتُ حيًّا على زيد كتسليم الأميرِ[(٣)]

أراد: كتسليمي على الأمير، هذا قول الفراء[(٤)]، ويوافقه تفسير ابن عباس[(٥)]، فإنه قال: يريد: كحب الذين آمنوا الله[(٦)]، فكثير[(٧)] من العلماء

---

(١) ينظر: «المفردات» ص١١٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٠، «اللسان» ٢/ ٧٤٥-٧٤٦ (حبب).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٥٤-٥٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٠.

(٣) البيت لعلي بن خالد البردخت، كما في «رسائل الجاحظ» ٢/ ٢٦١، ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١ / ١٠٠، «البيان والتبيين» ٤/ ٥١، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧ «تفسير الثعلبي» ١ / ١٣١٤.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧.

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٠، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٥٤.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧، واختار هذا القول، ورواه عن قتادة ومجاهد والربيع وابن أبي زيد، وكذا رواها ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٦، ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٠ أيضًا إلى عكرمة وأبي العالية ومقاتل. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤، وعزاه لأكثر العلماء، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٢٠، «الكشاف» ١/ ٢٠٩.

(٧) في (ش): (وكثير).

على هذه الطريقة فلم يثبتوا للكفار حبًا لله، وجعلوا حب الله للمؤمنين[(١)]، وشبهوا حُبَّ الكفار للأصنام بحب المؤمنين لله[(٢)].

الطريق الثاني: أن المعنى فيه: يحبونهم كحب الله، أي: يسوّون بين هذه الأصنام وبين الله ﷻ في الحب، فيكون تقدير الآية: يحبونهم كحبهم الله، فيضاف الحب إلى الله ﷻ، والمشركون هم المُحِبُّون[(٣)]، وعلى المشركين في تسويتهم بين الله ﷻ والأصنام في المحبة أعظم الحجج وأوكدها، إذ أحبوا وعبدوا ما لا ينفع ولا يضر، ولا يحيي ولا يميت. وقد بيّن الله -عز اسمه- ما يدل على هذا المعنى في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهذا القول اختيار الزجاج[(٤)] وابن كيسان[(٥)]، وعلى هذا فقد أثبت للمشركين حبًّا لله، شبه حبّهم الأصنام بحبهم الله تعالى.

وقال أبو رَوق: معنى قوله: ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾، أي: يحبون الأصنام حُبًّا لا يستحقّ مثلَ ذلك الحبِّ إلا اللهُ، ويحبونهم كما ينبغي لهم أن يحبوا الله، فالمعنى فيه: كالحب المستحق لله .

ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي:

---

(١) في (أ)، (م): (المؤمنين).

(٢) في (م): (الله).

(٣) في (م): (المحبين).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٧، وقال عن القول الأول: (ليس بشيء، ودليل نقضه قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. والمعنى: أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المحبون حقًّا). وهو اختيار الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤.

أثبت وأدوم[(١)]، وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنمًا فإذا رأوا شيئًا أحسن منه[(٢)] تركوا ذلك، وأقبلوا على عبادة الأحسن[(٣)]. وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء، ويقبل على الله ﷻ، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ الآية [العنكبوت: ٦٥]، والمؤمن لا يُعرض عن الله في السرّاء والضرّاء والشدة والرخاء، ولا يختار عليه سواه[(٤)].

وقيل: لأن المؤمنين يوحدون ربهم، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا، فتنقص محبة الواحد، بضم محبة مجمع إليه، والذي لا يعبد إلا واحدًا محبته له أتم. وهذه الأقوال على طريقة من لم يثبت للمشركين محبة لله. فأما من أثبت لهم محبة لله فالمؤمنون أشد حبًّا منهم؛ لأن الكفار يقولون: إن الله خالقنا ورازقنا، ثم يجعلون معه شركاء، فتضعف محبتهم، وتنقص بذلك، وتتم محبة المؤمنين ربّهم بإفرادهم إياه في العبادة[(٥)].

وهذا معنى قول الحسن: إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة، وذلك قولهم للأصنام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] وقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣] والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة؛ لذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾،[(٦)] ومعنى حب المؤمنين الله:

---

(١) في (م): (ودا).

(٢) في (م): (أخير).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣١٥، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ١٢١، والبغوي ١/ ١٧٨ ولم ينسبه لابن عباس.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٥، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٧٨-١٧٩، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٥-١٣١٦.

(٦) في «تفسير الحسن البصري» ١/ ٩٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣١٥.

حب طاعته والانقياد لأمره، ليس معنى يتعلق بذات القديم سبحانه[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ جواب (لو) محذوف. وقد كَثُر في التنزيل حذفُ جواب (لو) كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرعد: ٣١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال أصحاب المعاني: وحذف جواب (لو) في مثل هذا الآي يكون أفحم وأبلغ؛ لذهاب المخاطب المتوعَّد إلى كلّ ضرب من الوعيد، ولو

---

(١) هذا من المؤلف تأويل يخالف ظواهر النصوص، جرى فيه على مذهب الأشاعرة الذين يجيزون إطلاق هذه اللفظة لكنهم يحيلون وقوعه، كما ذكر الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٥، فالمؤمنون يحبون الله لذاته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة ٥٤].

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ١/ ١٦٥: وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله ﷻ وحده، الذي لا تصلح الألوهية إلا له. وأما تقسيم المحبة والإرادة إلى نافعة وضارة، فهو باعتبار متعلقها ومحبوبها ومرادها، فإن كان المحبوب المراد هو الذي لا ينبغي أن يحب لذاته ويراد لذاته إلا هو، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبه، كانت محبته نافعة له. أما الأشاعرة فينفون المحبة بين الله وعبده؛ لأن العقل لا يدل عليها، و كل ما لا يدل العقل عليه فإن الله يجب أن ينزه عنه، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متجانسين، فلا تكون بين رب ومخلوق، وهذه دعوى باطلة يكفي فيها المنع؛ لأن الأصل عدم ثبوت الدعوى، والواقع يدل على ثبوت المحبة بين غير المتجانسين، كما يحب آلاته وبعض بهائمه. علمًا بأن العقل قد دل على ذلك؛ فإثابة الطائعين ونصرهم وتأييدهم وإجابة دعائهم دليل على المحبة. وينظر: «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد العثيمين ص١٩٦، «مختصر منهاج القاصدين» ٣٤٣-٣٥٦.

ذكر له ضرب من الوعيد لم يكن مثل أن يبهم[(١)] عليه؛ لأنه يوطّن نفسه على ذلك المذكور، ومن وطّن نفسه على شيء لم يصعب عليه صعوبتَه على من لم يوطنْ عليه نفسَه. وذكرنا شواهد هذه المسألة في سورة الأنعام، عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٧][(٢)].

وكثر اختلافُ القُرّاء[(٣)] في هذه الآية، فقرأ حمزة والكسائي وعاصم وأبو عمرو وابن كثير: (ولو يَرَى) بالياء، ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتح فيهما[(٤)].

والمراد بالرؤية هاهنا: رؤية العين المتعدية إلى مفعول واحد، والفعل في هذه القراءة[(٥)] مسند إلى الذين ظلموا، و(الذين ظلموا): هم الذين

---

(١) في (ش): (يتهم)، وفي (أ)، (م): غير منقطة ولا واضحة.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، و«تفسير الطبري» ٢/ ٦٧، «التبيان» للعكبري ص١٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٨.

(٣) ينظر في توجيه القراءات في الآية: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧-٦٩، «التبيان» ص١٠٥-١٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٧١، «الحجة» ٢/ ٢٥٨.

(٤) ينظر: «السبعة» ص١٧٣-١٧٤، «النشر» ٢/ ٢٢٤، «الحجة» ٢/ ٢٥٨، قال في «النشر»: واختلفوا في ﴿ولو ترى الذين﴾ فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالخطاب، واختلف عن ابن وردان عن أبي جعفر، فروى ابن شبيب عن الفضل من طريق النهرواني عنه بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. واختلفوا في ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ فقرأ ابن عامر بضم الياء، وقرأ الباقون بفتحها. واختلفوا في ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ فقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهمزة فيهما. وقرأ الباقون بفتح الهمزة فيهما.

(٥) في (ش): (الآية).

كفروا، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وإنما كان ينبغي أن يسند إليهم الفعل؛ لأن النبي ﷺ والمسلمين قد علموا قدرَ ما يشاهدُ الكفارُ ويعاينونه من العذاب يوم القيامة، والمتوعدون في هذه الآية لم يعلموا ذلك، فوجب أن يسند الفعل إليهم[١]، وفتحوا ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، لأنهم أعملوا فيه الرؤية، تقديره: ولو يرون أن القوة. ومعناه: ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرّة اتخاذ الأنداد. وقولنا: لعلموا، هو الجواب المحذوف، وإنما قدرنا هذا الجواب مع احتمال غيره؛ لأنه قد جرى ذكر اتخاذ الأنداد في أول الآية[٢].

وقال أبو عبيد والزجاج[٣]: يجوز أن يكون العامل في (أن) جواب (لو) المقدر؛ لأنه قد جاء في تفسير هذه الآية: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة، لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا، ففتحوا (أن) بالجواب المقدر وهو: لعلموا[٤].

وضعّف أحمد بن يحيى هذا القول، وقال:[٥] العَلَم لو حذف لم يترك صلته، وقال من احتج لهذا القول: حذف الموصول وإبقاء أصله لا ينكر، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قراءة من نصب، والمراد: ما بينكم، فحذفت (ما) وتُركت صلتها.

وقرأ أبو جعفر: (ولو يرى) بالياء[٦]، وكسر (إن القوة) و(إن الله)

---

(١) «الحجة» ٢/ ٢٦١.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٤) في (ش): (وعلموا).

(٥) في (م): (قال).

(٦) في (ش): (بالتاء).

وإنما كَسَر؛ لأن ما قبل (إن) كلام تام، مع ما أضمر فيه من الجواب المقدر؛ لأن تقديره: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لآمنوا، أو لرأوا أمرًا عظيما، فلما تم الكلام بقي قوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ مستأنف، وإذا استأنف وجب كسره.

قال الفراء: وتكون الرؤية على هذه القراءة واقعة على (إذ) في المعنى، وفتح (أنّ) مع الياء أحسن من كسرهما[1].

وقرأ يعقوب وسَهْل: (ولو ترى) بالتاء، (إن القوة)، و(إن الله): بالكسر فيهما. والخطاب في هذه القراءة[2] للنبي ﷺ، ولم يقصده[3] بالمخاطبة؛ لأنه لم يعلم ما يراه الكفار من العذاب في الآخرة، ولكن في قصده المخاطبة[4] تنبيه لغيره، ألا ترى أنه قد يُخَاطَبُ فيكون خطابه خطابًا للكافّة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١][5].

قال أبو إسحاق: وهذا[6] كما قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ * أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧] وهو بمنزلة: ألم تعلموا. كذلك، (ولو ترى) بمنزلة: ولو ترون، ويكون (إن القوة) مستأنفة كما وصفنا. ويكون الجواب -والله أعلم- لرأيت أمرًا

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧.

(٢) في (ش): (الآية).

(٣) في (أ)، (م): (يقصد).

(٤) سقطت من (أ)، (م) .

(٥) «الحجة» ٢/ ٢٦٢.

(٦) في (ش): (فهذا).

عظيمًا، كما تقول: لو رأيت فلانًا والسياط تأخذه، فتستغني[١] عن الجواب؛ لأن المعنى معلوم[٢].

قال ابن الأنباري: ويجوز في هذه القراءة أن تضمر القول وتعلق (إن) به، ويكون التقدير: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لقلت: إن القوة لله جميعا، فانكسرت (إن) مع القول كما انفتحت مع العلم.

وقرأ نافع وابن عامر: (ترى) بالتاء[٣]، وفتح: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾، وعلى[٤] هذه القراءة لا يجوز أن يكون العامل في: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ قوله: (ترى)؛ لأن الرؤية ها هنا: المراد به رؤية البصر، فلم يجز أن تتعدّى إلى (أن)؛ لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه، وهو: (الذين ظلموا)، فإذا لم يجز أن تنتصب (أن) بـ(ترى)، ثبت أنه منتصب[٥] بفعل آخر غير (ترى) الظاهرة، وذلك الفعل هو الذي يقدر جوابا لـ(لو)، كأنه: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب رأوا أن القوة لله، والمعنى: أنهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه أنه قوي عزيز، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك، أو شكّهم فيه[٦].

والاختيار عند الفراء وغيره: كسر (إن) مع المخاطبة؛ لأن الرؤية واقعة على الذين ظلموا، فكان وجه الكلام أن يستأنف (إن).

---

(١) في (م): (تستغني).
(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨-٢٣٩، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٨.
(٣) في (م): (بفتح التاء وفتح).
(٤) في (أ)، (م): (على).
(٥) في (م): (انتصب).
(٦) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٣.

قال الفراء: ولو فتحها على تكرير الرؤية كان صوابًا، كأنه قال: ولو ترى الذين ظلموا إذ[١] يرون العذاب يرون[٢] ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣]. ومن قرأ بالياء ففتحُ ﴿أَن﴾ في قراءته أبين؛ لأنه ينصب ﴿أَن﴾ بالفعل الظاهر دون المضمر.

هذه وجوه اختلاف القراءة في هذه الآية[٤]. فإن قيل: كيف جاءت (إذ) في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وهذا أمر مستقبل وإذ لما مضى؟، قيل: إنما جاء على لفظ المضي لإرادة التقريب في ذلك، كما جاء ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، فلما أريد فيها من التحقيق والتقريب؛ جاء على لفظ المضي، وعلى هذا جاء في ما هو من[٥] أمر الآخرة أمثلة الماضي، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. ومما جاء على لفظ المضي للتقريب من الحال: قول المقيم: قد قامت الصلاة، يقول ذلك قبل إيقاعه التحريم بالصلاة؛ لقرب ذلك من قوله، وعلى هذا قول رؤبة:

أَوْدَيْتُ إن لم تَحْبُ[٦] حَبْوَ المُعْتَنِكْ[٧][٨]

---

(١) من قوله: (فكان وجه الكلام). ساقطة من (ش).
(٢) ليست في (أ)، (م).
(٣) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧-٩٨.
(٤) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٣ بتصرف.
(٥) ساقطة من (أ)، (م).
(٦) في (ش): (يجب).
(٧) في (ش): (المعتبك).
(٨) لرؤبة من قصيدة يمدح فيها الحكم بن عبد الملك في «ديوانه» ص١١٨، =

فإنما أراد تقريب مشاركته وإشفاءه عليه، فأتى بمثال الماضي، وجعله سادًّا مسدّ جواب أن، من حيث كان معناه الاستقبال في الحقيقة[١]، وأن الهلاك لم يقع بعد، ولولا ذلك لم يجز، ألا ترى أنه لا يكون: قمتُ إن قمتَ؟ إنما تقول: أقومُ إن قمتَ، وقد جاء كثير مما في التنزيل من هذا الضرب كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾ [سبأ: ٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الأنفال: ٥٠]، فكما جاءت هذه الآية التي يراد بها الاستقبال بإذ، كذلك جاء: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ﴾[٢].

وقرأ ابن عامر: (يُرون) بضم الياء، وحجته قوله[٣]: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال، المعنى: إن القوة ثابتة لله ﷻ في حال اجتماعها[٥].

١٦٦- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾. العامل في ﴿إِذْ﴾ معنى ﴿شَدِيدُ﴾

= «الخصائص» ٢/ ٢٨٩، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٦٠ والمعتنك: البعير يصعد في العانك من الرحل ،وهو المتعقد منه.

(١) في (ش): (بالحقيقة).

(٢) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٠-٢٦١.

(٣) ساقط من (ش) وكلمة قوله ليست في (م).

(٤) «الحجة» ٢/ ٢٦٤.

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، وينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٧، وهذا إعراب لكلمة: (جميعًا).

من قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ﴾ كأنه قيل: وقت تبرأ[١].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ يعني: المتبوعين في الشرك والشرّ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ يعني: السفلة والأتباع[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ الباء هاهنا: بمعنى: عن[٣]، كقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: عنه، قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيب[٤]

أي: عن النساء.

وقال آخر:

تسائل بي هوازنُ أين مالي وهل لي غيرَ ما أتلفتُ مالُ[٥]

أي: عني.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ أصل السبب في اللغة: الحبل، قال شمر: قال أبو عبيدة: السببُ: كلُّ حَبْل حَدَرْتَه[٦] من فوق.

---

(١) ينظر: «التبيان» ص١٠٧، وإعرابها إعراب آخرين، فالأول: بدل من إذ الأولى. والثاني: مفعول (اذكر).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٧ عن قتادة وأبي العالية والربيع وعطاء، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٠ وعزاه لأكثر أهل التفسير.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٠، «التبيان» ١/ ١٠٧، وذكر أنها أيضًا للسببية، والتقدير: وتقطعت بسبب كفرهم، وقيل: إنها للحال، أي تقطعت موصولة بهم الأسباب، وقيل: الباء للتعدية، والتقدير: قطعتهم الأسباب، كما تقول: تفرقت بهم الطرق، أي فرقتهم، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٧٣، «التفسير الكبير» ٤/ ٢١١.

(٤) البيت لعلقمة الفحل في «ديوانه» ص٣٥.

(٥) البيت ليزيد بن الجهم، في «ديوان الحماسة» ٢/ ٣٥٦.

(٦) في (ش): (جدوته).

وقال خالدُ بنُ جَنَبَة: السبب من الحبال: القوي الطويل، قال: ولا يدعى الحبل سببًا حتى يُصْعَدَ به ويُنْزَل، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥]، فالسبب: الحبل في هذا الموضع، ثم قيل[١] لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب، يقال: ما بيني وبينك سبب، أي: آصرة رحم، أو عاطفة مودة. وقيل للطريق: سبب؛ لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده، قال الله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقًا، و(أسبابُ السماء): أبوابُها؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها، قال الله تعالى خبرًا عن فرعون: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۞ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، قال زهير:

ومن هاب[٢] أسبابَ المنايا ينلنه ولو رام أسبابَ السماء بسُلَّمِ[٣].

والمودة بين القوم تسمى: سببًا؛ لأنهم بها يتواصلون، ومنه قول لبيد:

بل ما تَذَكَّرُ من نوارَ وقد نأتْ وتقطّعت أسبابُها ورِمامُها[٤][٥].

والتي في هذه الآية يعني بها: وُصَلَهم التي كانت تجمعهم، قال ابن

---

(١) في (م): (يقال).

(٢) سقط من (ش).

(٣) البيت في «ديوانه» ص٣٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢، «السمعاني» ٢/ ١٢٣، «الرازي» ٤/ ٢٣٤، «القرطبي»، «لسان العرب» ٤/ ١٩١٠ (سب).

(٤) البيت في «ديوانه» ص٣٠١، «لسان العرب» ٤/ ١٩١٠ (سب).

(٥) ينظر في معاني السبب: «تفسير الطبري» ٢/ ٧١-٧٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢، «المفردات» ص٢٢٦، «تاج العروس» ٢/ ٦٦ وما بعدها.

عباس[١] ومجاهد[٢] وقتادة[٣]: يعني: أسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا، تقطعت وصارت مخالّتهم عداوة .

وقيل: أراد بالأسباب: الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها[٤].

وقال ابن زيد: يعني: الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا[٥] بها إلى ثواب الله[٦].

١٦٧- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ وهم الأتباع. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ موضع أن رَفْع؛ لأن لو تطلب الفعل[٧]، المعنى: لو وقع كرور، أي: رجعة إلى الدنيا[٨] .

﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ جواب التمني بالفاء، كقوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] قال الكسائي: إنما نصب جواب التمني بالفاء[٩]؛ لأن تأويله: لو أنّ لنا أن نَكُرَّ فَنَتَبَرَّأَ[١٠].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٢) رواه عنه الطبري ٢٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٥/ ٦٥، والطبري ٢/ ٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧١ بسنده عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن الضحاك ١/ ٢٧٨، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٠ عن ابن جريج والكلبي.

(٥) في (م): (يوصلوا).

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٧٢، ورواه ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي صالح ١/ ٢٧٩.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٩.

(٩) ساقطة من (أ)، (م).

(١٠) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣، «التبيان» ١/ ١٠٦، وذكر وجهًا آخر وهو أن (فنتبرأ) منصوب بإضمار أن، تقديره: لو أن لنا أن نرجع فأن نتبرأ، وجواب لو على هذا محذوف، تقديره: لتبرأنا أو نحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كتبرؤ[١] بعضهم من بعض[٢].

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ قال الربيع بن أنس: يريهم أعمالهم القبيحة التي سلفت منهم في الدنيا حسراتٍ عليهم في الآخرة[٣]؛ لأنهم إذا رأوا حُسْنَ مجازاة الله المؤمنين بأعمالهم الحسنة تحسروا على أن لم تكن أعمالُهم حسنةً، فيستحقّوا بها من ثواب الله مثلَ الذي استحقه المؤمنون.

وقال ابن كيسان: يعني بأعمالهم: عبادَتَهم الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله، فلما عُذِّبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسّروا وندموا[٤].

قال أبو إسحاق: والحَسْرَةُ: شِدَّةُ الندم، حتى يبقى النادم كالحسير من الدوابّ الذي لا منفعة فيه، ويقال: حَسِرَ فلان يَحْسَر حَسْرَةً وحَسَرًا: إذا اشتدَّ نَدَمُه على أمر فاته، قال المَرَّار:

ما أنا اليومَ على شيء خلا … يا ابنةَ القَيْنِ تَوَلَّى بِحَسِرْ[٥].

أي: بنادم.

وأصل الحَسْر: الكشف، يقال: حَسَر عن ذراعه، والحَسْرَة: انكشاف عن حال الندامة[٦]، والحُسُور: الإعياء؛ لأنه انكشاف الحال

---

(١) في (ش): (كثير).

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢ وذكر وجهًا آخر، أي: كما أراهم العذاب كذلك يريهم الله!

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٥، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٣، والقرطبي ٢/ ١٩٠.

(٤) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥٢، والبغوي ١/ ١٨٠.

(٥) البيت للمرار في «لسان العرب» ٢/ ٨٦٩.

(٦) سقطت من (م).

عما أوجبه طول السفر، والمِحْسرة: المِكْنَسَة[١]؛ لأنها تكشف عن الأرض، والطيرُ تنحسر؛ لأنها تنكشف بذهاب الريش[٢].

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في المشركين الذين أخرجوا النبي ﷺ من مكة.

١٦٨- قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ قال ابن عباس، في رواية أبي صالح: نزلت في الذين حَرَّموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر[٣]، وقال في رواية عطاء: يعني: المؤمنين خاصةً[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَلَٰلًا﴾ إن شئت نصبته على الحال: ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وإن شئت نصبته على أنه مفعول: ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

---

(١) في (ش): كتب (الميليس).

(٢) ينظر في معاني حسر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣-٧٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٣، «المفردات» ص١٢٥، «تاج العروس» ٦/ ٢٧٣.

(٣) روى البخاري (٤٦٢٣) كتاب: التفسير، باب: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبةٍ، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر.

(٤) ينظر: «العجاب» ١/ ٤١٧، وفي «البحر المحيط» ١/ ٤٧٨: قال الحسن: نزلت في كل من حرم على نفسه شيئًا لم يحرمه الله عليه، وروى الكلبي ومقاتل وغيرهما: أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب، قاله النقاش. وقيل: في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، قيل: وبني مدلج فإن صح هذا كان السبب خاصًّا واللفظ عامًّا، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. انتهى. وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٢.

قال الفراء: يقال: قد حَلَّ الشيء فهو يَحِلُّ حَلالًا وحلًّا، وحَلَّ من إحرامه يَحِلُّ حلالًا، وأصله: من الحَلِّ الذي هو نقيض العَقْد، ومعنى الحلال: المباح الذي انحلت عُقْدة الحظر عنه. ومنه: حلَّ بالمكان، إذا نزل به؛ لأنه حلّ شدّ الارتحال للنزول. وحَلّ الدَّين: إذا وجب؛ لانحلال العُقْدة بانقضاءِ المدة، وحَلَّ من إحرامه؛ لأنه حل عقدة الإحرام. وحلت عليه العقوبة، أي: وجبت، لانحلال العقدة المانعة من العذاب، والحُلّة: الإزار والرداء؛ لأنها تحل عن الطي للبس، ومن هذا: تَحِلَّةُ اليمين؛ لأن عقدة اليمين تنحلّ به[1].

والطيب في اللغة يكون بمعنى: الطاهر، والحلال يوصف بأنه طيب؛ لأن الحرام يوصف بأنه خبيث، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]. والأصل في الطيب: هو ما يُسْتَلَذُّ ويستطاب، وَوُصفَ به الطاهر والحلال على جهة التشبيه؛ لأن النجسَ تكرهُهُ النفس فلا يُسْتَلَذّ، والحرام غير مستلَذّ؛ لأن الشرع يزجر عنه[2].

قال ابن عباس: يريد: قد غَنَّمْتُكم مال أعدائكم[3]، فعلى هذا عنى بالحلال الطيب: الغنيمة.

وقال أهل المعاني: أراد كل ما يغتذى به من المطاعم، ولهذا جمع

---

(١) ينظر في الحلال «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «تهذيب اللغة» ١/ ٩٠٢-٩٠٤ (حلّ)، «المفردات» ص١٣٥، «تاج العروس» ١٤/ ١٥٨-١٦٨.

(٢) ينظر في الطيب: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٤٧-٢١٤٨ (طاب)، «المفردات» ٣١٤-٣١٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٠، «تاج العروس» ٢/ ١٨٨-١٩٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٣) هذا من رواية عطاء، وتقدم الحديث عنها.

بين الوصفين لاختلاف الفائدتين، إذ وصْفُه بأنه حلال يفيد أنه طِلْقٌ، ووصفه بأنه طيب أنه يغتذى به، وهو مُستلَذٌ في العاجل والآجل. فعلى هذا: التراب والخشب طاهر، ولا يحل أكلهما؛ لأنهما ليسا من الطيّب الذي يغتذى به[(١)].

وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من حيث يطيب لكم، أي: لا تأكلوا مما يحرم[(٢)]. فعلى هذا: المعنى: كلوا حلالًا من حيث يحِلّ لكم، فأما أن يأكل مال غيره فهو حلال في جنسه، ولكن ليس يحلّ له أكله، فهو حلال وليس مما يطيب له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال ابن السِّكِّيت فيما رواه عن اللحياني: الخُطوة والخَطْوة بمعنى، وحكى عن الفراء: خَطَوْتُ خَطْوَةً، والخَطْوَة ما بين القدمين. وقالوا: خطوتُ خُطوةً، كما قالوا: حَسَوتُ حَسْوَةً، والحُسْوة: اسم ما تحسيت، وكذلك غَرفتُ غَرْفةً، والغُرفة: اسم ما اغترفت[(٣)]. وإذا كان كذلك، فالخطوة: المكان المتخطى، كما أن الغرفة: المغترَفة بالكف، فيكون المعنى: لا تتبعوا سبيله، ولا تسلكوا طريقه؛ لأن الخطوة: اسم مكان، وهذا قول عبد الله

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١.

(٣) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٢ (خطا): وقال الفراء: العرب تجمع فُعلة من الأسماء على فُعُلات، مثل: حجرة وحجرات، فرقًا بين الاسم والنعت، النعت يخفف، مثل حلوة وحُلْوات، فلذلك صار التثقيل الاختيار، وربما خفف الاسم، وربما فتح ثانيه فقيل: حُجَرات وينظر في معاني الخطوة «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «المفردات» ص١٥٨، «اللسان» ٢/ ١٢٠٥ (خطا).

ابن مسلم[١] والزجاج[٢]، فإنهما قالا: خُطواتُ الشيطان: طُرُقُه. وإن جعلت الخُطوة بمعنى: الخَطوة كما ذكره اللحياني، فالتقدير: لا تأتموا به، ولا تَقْفُوا أَثَرَه. والمعنيان يتقاربان وإن اختلف التقديران[٣]، وهذا قول المؤرِّج. قال: خطوات الشيطان: آثاره[٤].

وقال الوالبي عن ابن عباس: خُطوات الشيطان: عمله[٥]، وهذا على أن يكون الخُطوة بمعنى الخَطوة، وخَطوة الشيطان: عمله.

وقال الكلبي[٦] والسُّدّي[٧]: يعني: طاعته، وهذا على أنَّ من اقتدى بإنسان واتبع خطاه فقد أطاعه، يريد: لا تطيعوا الشيطان[٨].

وفي الخطوات قراءتان: ضَمُّ العين وإسكانها[٩]، فمن ضم العين فلأن الواحدة خُطوَة، فإذا جمعتَ حركتَ العينَ للجمع، كما فعلت

---

(١) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٤.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١.

(٣) ما تقدم في معنى الخطوة من قوله: وقالوا: خطوت خطوة، من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٧.

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٢٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٥) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٧٦، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٧.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٢٧.

(٧) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٧٧، ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٧.

(٨) ذكر الطبري ٢/ ٧٧: أن هذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض؛ لأن كل قائل منهم قولًا في ذلك فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩: وهذه أقوال متقاربة.

(٩) قرأ: نافع وأبو عمرو وشعبة وحمزة بإسكان الطاء، والباقون: بضمها. ينظر: «السبعة» ص١٧٤، «النشر» ٢/ ٢١٦، «البدور الزاهرة» ص٥٤.

بالأسماء التي على هذا الوزن، نحو: غُرْفَة وغُرُفات[١]، وتحريك العين في نحو هذا الجمع فصل بين الاسم والصفة[٢]، وذلك أن ما كان اسمًا جمعته بتحريك العين، نحو: تمرة وتمرات، وغرفة وغرفات، وشهوة وشهوات. وما كان نعتًا جمع بسكون العين، نحو: ضَخْمَة وضَخْمَات، وعَبْلَة وعَبْلات، والخطوة من الأسماء لا من الصفات، فتجمع بتحريك العين.

وأما من أسكن العين، فإنهم نووا الضمة، وأسكنوا الكلمة عنها؛ لثقل الضمة، وحذفوها من اللفظ وهم يقدرون ثباتها، ولا يجوز أن يكون جمع فعلة، فتركوها في الجمع على ما كان عليه في الواحد؛ لأن ذلك إنما يجئ في ضرورة الشعر، دون حال السعة والاختيار، كما قال ذو الرُّمَّة:

ورَفْضاتُ الهوى في المفاصل[٣]

وإذا كان كذلك، علمتَ أنهم أسكنوا تخفيفًا وهم يريدون الضمة، لأنّ تحريكَ العين فصلٌ بين الاسم والصفة كما ذكرنا، فلا بد من أن يكون التحريك الذي يختصّ بالأسماء دون الصفات منويًا هاهنا[٤].

ووجه آخر لمن سكن: وهو أنه أجرى الواو في خُطْوَة مجرى الياء في نحو: مُدْيَة وكُلية وزُبية، فإنها تجمع بإسكان العين، فيقولون: مُدْيات وكُلْيات. وذلك أنهم لو جمعوا بتحريك العين؛ للزم انقلاب الياء واوًا

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٧.

(٢) «الحجة» ٢/ ٢٦٨.

(٣) تمام البيت:

أبتْ ذِكَرٌ عَوَّدن أحشاءَ قلبه ... خفوقًا ورَفْضاتُ الهوى في المفاصلِ

لذي الرمة يتغزل بخرقاء، ويصف الإبل، في: «ديوانه» ص٤١٧.

(٤) من «الحجة» ٢/ ٢٦٨ بتصرف.

لانضمام ما قبلها، فلما لزم الإسكان في الياء جَعَل من أسكن خطوات الواو بمنزلة الياء، كما جعل الياء بمنزلة الواو[١] في قولهم: اتَّسَرُوا[٢]، ألا ترى أن التاء لا تكاد تبدل من الياء، وإنما يكثر إبدالها من الواو، وإنما أبدلوها في اتَّسَرُوا لإجراء الياء مجرى الواو[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قال المفسرون: قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لآدم، وهو الذي أخرجه من الجنة[٤]، فعلى هذا (مبين): من أَبَان العداوة: إذا أظهرها. ويجوز أن يكون المبين بمعنى: الظاهر هاهنا؛ لأنّ (أبان) يتعدى، ولا يتعدى[٥]. ثم بين عداوة الشيطان فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الكلام في إنما نذكره في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ [البقرة: ١٧٣].

١٦٩- وقوله تعالى: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ قال الليث: يقال: ساء الشيءُ يسوء فهو سيّئ، إذا قَبُحَ[٦]، والسوء: الاسم الجامع للآفات والداء.

وقال غيره: يقال: ساءه يَسُوءه سَوءًا ومساءةً، والسُّوء الاسم، بمنزلة الضُّرّ، وهو كل ما يسوء صاحبه في العاقبة[٧]، وذكرنا الكلام في (ساء)

---

(١) من قوله: (الياء كما..) ساقط من (ش).

(٢) ضبطت في (ش): (اتسَّروا).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٢٦٩ بتصرف.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٨، والقرطبي ٢/ ١٩٢-١٩٣.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٨، وينظر: «اللسان» ١/ ٤٠٦ بين، «المفردات» ص٤٥-٤٦، «زاد المسير» ١/ ١٧٢.

(٦) نقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢١٣٨ (سوأ).

(٧) ينظر في السوء: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٧، «المفردات» ص٢٥٣-٢٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٦٢، «زاد المسير» ١/ ١٧٢، «اللسان» ١/ ٤/ ٢١٣٨-٢١٣٩ (سوأ).

عند قوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، والفصل بين السَّوء والسُّوء نذكره في سورة التوبة، عند ذكر اختلاف القراء في قوله: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ اسم على ما قَبُحَ من الفعل والقول، كالفاحشة[١].

قال الليث: الفحشاء: اسم الفاحشة، وكل شيء تجاوز قَدْرَه فهو فاحش، وكلُّ أمرٍ لا يكون موافقًا للحق فهو فاحشة وفحشاء. ويقال: فَحُش الرجل يفحُش صار فاحشًا، وأفحَشَ [قال] قولًا فاحشًا[٢].

قال عطاء عن ابن عباس: السوء: عصيان الله، والفحشاء: البُخل[٣]، وقال في رواية باذان: السوء من الذنوب: ما لا حدّ فيه في الدنيا، والفحشاء: كل ما كان فيه حدّ[٤].

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام[٥]. قال ابن عباس: يريد: المشركين وكفار أهل الكتاب[٦].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٩.

(٢) ينظر في الفحش: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٧، «المفردات» ص٣٧٥-٣٧٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٦٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٧.

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٠ عن عطاء عن ابن عباس في تفسير الفحشاء، وقال: البخل، ولم يذكر تفسير السوء، وذكره بنحوه: أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠[عن عطاء].

(٤) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٩، وفي «البحر المحيط» بنحوه ١/ ٤٨٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٠، الطبري ٢/ ٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، «الدر المنثور» ١/ ٣٠٦.

(٦) لم أجده عند الثعلبي.

١٧٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وذلك حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيرًا وأعلم مِنَّا[١]. فعلى هذا، الآية مُستأنفة، والكناية في لهم عن غير مذكور.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نزلت في كفار قريش[٢]، والكناية تعود إلى (من) في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ [البقرة: ١٦٥][٣].

وقال آخرون: نزلت في الذين حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام[٤]، والكناية ترجع إلى (الناس) في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٨] عدل عن المخاطبة إلى الغيبة[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ إلى آخر الآية، معناه: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالًا، فترك جواب لو لأنه معروف[٦]، والتقدير: أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون يتبعونهم[٧]؟

---

(١) رواه الطبري ٢/ ٧٨ بسنده عن ابن عباس، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٣١، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، ونقله السيوطي في «اللباب» ص٣١-٣٢. وينظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٠٠.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٧.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٢، والبغوي ١/ ١٨١.

(٥) ينظر: «الطبري» ٢/ ٧٨، والثعلبي ١/ ١٣٣٢، ورجح هذا الطبري والثعلبي، وقال: لأن هذه القصة عقيب قوله: (يا أيها الناس)، فهي أولى أن تكون خبرًا عنهم من أن تكون خبرًا عن المتخذين للأنداد مع ما بينهما من الآيات وطول الكلام.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٣.

(٧) ينظر: «التبيان» ص١٠٩.

والواو في أَوَلو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام المنقولة إلى معنى التوبيخ[١]، وإنما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه. وفي هذا حجة عليهم، كأنه قيل: إذا جاز لكم أن تتبعوا آباءكم فيما لا تدرون أعلى حقٍّ هم فيه أم باطل؟ فأنتم كمن قال: نتبعهم وإن كانوا على باطل، وهذا غاية الفضيحة[٢].

والآية تضمنت النهي عن التقليد؛ لأن الله تعالى أنكر عليهم متابعة آبائهم، وأمر بمتابعة العقل والهدى[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ لفظه عام ومعناه الخصوص؛ لأنهم كانوا يعقلون أمرَ الدنيا، ومعناه: لا يعقلون شيئًا من أمر الدين[٤].

قال عطاء عن ابن عباس: لا يعقلون عظمةَ الله، ولا يهتدون إلى دينه[٥].

١٧١- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ الآية، قال أهل اللغة، الفراء وغيره: النعيق: دعاء الراعي الشاة، يقال: انعَقْ بضَأنِك، أي: ادعُها، وقد نَعَقَ يَنْعِقُ نعيقًا ونَعْقًا ونَعْقانًا ونُعاقًا، إذا صاح بالغنم زجرًا، قال الأخطل:

---

(١) ينظر: «التبيان» ص١٠٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، وذكر القول الآخر وهو أن الواو للحال.
(٢) «البحر المحيط» ١/ ٤٨١.
(٣) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠.
(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٤.
(٥) قد تقدم الحديث عن هذا الحديث عن هذه الرواية.

فانعِقْ بِضَأْنِك يا جريرُ فإنما مَنَّتْكَ نَفْسُك في الخَلَاء ضَلالا[1][2]

وللعلماء من أهل التأويل في هذه الآية طريقان:

أحدهما: تصحيح المعنى بإضمار في الآية.

والثاني: إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار[3].

فأما الذين أضمروا فقد اختلفوا، فقال الأخفش[4] والزجاج[5] وابن قتيبة[6]: تقدير الآية: ومثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله ﷻ، فَحَذَف أحدَ المثلين اكتفاءً بالثاني، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وعلى هذا التقدير: شبه الكفار بالبهائم، وشبه داعيهم بالذي يصيح بها، وهي لا تعقل شيئًا.

وقال الفراء[7] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أن تقدير الآية: ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بالغنم، فحذف كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلها[8].

---

(١) البيت في «ديوان الأخطل» ص٣٩٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، والثعلبي ١/ ١٣٣٦، «خزانة الأدب» ١١/ ١٣٣، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٩٧، «مجاز القرآن» ١/ ٦٤، «وضح البرهان في مشكلات القرآن» ١/ ١٨٣.

(٢) ينظر في معنى نعق: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦١٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٥، «المفردات» ٥٠١، «اللسان» ٧/ ٤٤٧٦.

(٣) ينظر في معنى الآية: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٩، «المحرر الوجيز» ١/ ٦٣-٦٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٧-١٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٨١.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٤، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٢.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص١٩٩، «تفسير غريب القرآن» ص٦٥.

(٧) ينظر: «معاني القرآن» للفراء بمعناه، وقال بعد ذكر القولين: وكلٌّ صواب.

(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢، وهذا اختيار الطبري.

والقول الثاني: أن معنى الآية: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ﷻ وعن رسولِهِ كمثل المنعوقِ به من البهائم، التي لا تفقه من الأمر والنهى غير الصوت، فيكون المعنى للمنعوق به[١]، والكلام خارج على الناعق، وهو جائز عند العرب، يقلبون الكلام لاتضاح المعنى عندهم، فيقولون: اعرض الحوض على الناقة، وإنما هو: اعرض الناقة على الحوض، وأنشد:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناءُ فريضةَ الرجم[٢]

أراد: كما كان الرجمُ فريضةَ الزنا. وعلى هذا حُمِل قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] المعنى: أنّ العُصْبَةَ تنوء بالمفاتح[٣]. واعترض ابن قتيبة على هذا القول بأن قال: لا يجوز لأحد أن يحكم بهذا على كتاب الله؛ لأن الشاعر يقلب اللفظ ويزيل الكلام عن الغلط، على[٤] طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة الوزن، والله تعالى لا يغلط ولا يُضْطر. هذا كلامه[٥].

---

(١) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ١٢٤٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢.

(٢) البيت للنابغة الجعدي في «ديوانه» ص٣٥، «لسان العرب» ٣/ ١٨٧٥ (زني)، وورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء، «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ١٣٣٧.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٩- ١٠٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٦- ١٣٣٧.

(٤) في (أ)، (م): (على الغلط وعلى طريق).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢ وقال: وينبغي أن ينزه القرآن عنه؛ لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا في الشعر، أو إن جاء في الكلام فهو من القلة بحيث لا يقاس عليه.

وقول الفراء صحيح وإن أنكره ابن قتيبة، موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها، فإنهم يفعلون الشيء للضرورة، ثم يصير وجهًا ومذهبًا لهم في الكلام، حتى يجيزوه وإن لم تدع إليه ضرورة. وعلى هذا الطريق أراد: بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً: البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الراعي، إنما تسمع صوتًا ولا تدري ما تحته، لو قال لها: كلي واشربي لم تقف على معنى قوله، فالذين كفروا يسمعون كلام النبي ﷺ وهم كالغنم، إذ كانوا لا يستعملون ما يأمرهم به، ولا ينتهون عما نهاهم عنه. وهذا قول ابن عباس[(١)] وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع[(٢)] والسدي[(٣)].

والطريق الثاني في الآية: هو أن معناها: ومثل الكفار في قلة فهمهم وعقلهم، كمثل الرعاةِ يكلمون البَهم والبهم لا تعقل عنهم، وعلى هذا التفسير لا تحتاج الآية إلى إضمار[(٤)].

وقال عبد الرحمنُ بن زيد: معنى الآية: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم الأوثان، كمثل الرجل الذي يصيح في جوف الجبال، فيجيبه منها صوت يقال له: الصدى، يجيبه ولا ينفعه[(٥)]، وتقدير الآية على

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢.
(٢) رواه عن عكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع: «الطبري» ٢/ ٧٩، وذكره «الثعلبي» ١/ ١٣٣٤.
(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢.
(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٨، «الوسيط» للواحدي ١/ ٢٥٥، والرازي ٥/ ٨، والقرطبي ٢/ ١٩٧-١٩٨.
(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٢.

هذا القول: ومثلهم في عبادتهم الأصنام كمثل الناعق بشيء لا يسمع منه الناعقُ إلا دعاءه ونداءه؛ لأن الصدى هو صوته عاد إليه، وذلك أنه إذا قال: يا زيد، سمع من الصدى يا زيد، وليس وراء القول شيء، إلا أنَّ يخيل إليه أن مجيبًا يجيبه، فيقول: يا زيد، وليس فيه فائدة. فكذلك يخيل إلى هؤلاء المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب، وليس لذلك[1] حقيقة ولا فيه فائدة، والسمع على هذا في قوله: (لا يسمع) منفي عن الناعق لا عن المنعوق به[2].

قال ابن الأنباري: ويجوز على هذا القول أيضًا: أن يكون السمع منفيًا عن المنعوق به، فيكون المعنى: كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ألبتة[3]. والدعاءُ والنداءُ ينتصبان بـ (ينعق)، و(إلا) توكيد هاهنا، معناها السقوط، كقول الفرزدق:

هم القوم إلا حيث سلّوا سيوفهم   وضَحَّوا بلحم من مُحِلٍّ ومُحرِمِ[4]

معناه: هم القوم حيث سلّوا سيوفهم[5]. انتهى كلامه.

والتقدير الأول في هذا المعنى أولى مما ذكره أبو بكر؛ لأن السمع إذا كان منفيًّا عن المنعوق به لم يكن للجبل اختصاص بالنعيق به؛ لأن غير الجبل من القفار والرمال والأشجار لا يسمع ألبتة أيضًا، وفي نفي السمع

---

(١) في (م): (مستجاب وليس كذلك).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ٣٣٩، والسمعاني ٢/ ١٢٨، والبغوي ١/ ١٨١، والرازي ٥/ ٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١.

(٤) البيت للفرزدق في «ديوانه» ص٢٠٠.

(٥) من قوله: (معناه هم). ساقطة من (ش).

عن الناعق للجبل اختصاص؛ لأن الصدى إنما يجيب من الجبل، فلهذا كان نفي السمع عن الناعق في هذا القول، أولى من نفيه عن المنعوق به، ولأنه أَلْغى (إلا)، وهو شاذ قليل في الاستعمال، ومهما أمكن استعمال حرف في معنى، أولى من إلغائه[١]. وجمهور أهل التأويل على ما ذكرنا أولًا؛ لأن المشهور في كلام العرب أن النعيقَ صوتُ الراعي بالغنم، فإن حمل على غيره من الأصوات لم يكن حقيقة فيه.

١٧٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ قال المفسرون: هذا أمرُ إباحةٍ لا ندبٍ، ولا إيجابٍ[٢]، وأراد بالطيبات: الحلالات من الحرث والنعم وما حرمه المشركون على أنفسهم منها[٣]، وذكرنا لم سُمّي الحلال طيبًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ أراد: إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم، فالشكر له واجب بأنه محسن إليكم، فمعنى الشرط هاهنا: المظاهرة في الحجاج[٤].

١٧٣- ثم بين أن المحرَّم ما هو[٥]، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ الآية. ﴿إِنَّمَا﴾ تكون على وجهين[٦]:

---

(١) ينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٩.

(٢) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥١، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٨.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، والثعلبي ١/ ١٣٤٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣.

(٥) سقطت: (هو) في (ش).

(٦) ينظر في (إنما) وإعرابها: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٤، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٣٨، و٣/ ١١٦-١٣١، «التبيان» ١/ ١٤٠-١٤١.

أحدهما: أن تكون حرفًا واحدًا، وما بعده من الأفعال يكون عاملًا في الأسماء على حسب عمله، فتقول: إنما دخلت دارَك، وإنما أعجبتني دارُك، وإنما مالي مالُك.

والوجه الآخر: أن تكون حرفين: ما منفصلة عن إنّ، وتكون بمعنى الذي[1]، وإذا[2] كان كذلك وصلتها بما توصل به (الذي)، ثم ترفع الاسم الذي يأتي بعد الصلة، كقولك: إنّ ما أخذت مالُك، وإنّ ما ركبتُ دابتُك، وفي التنزيل كثيرًا ما أتى على الوجهين:

كقوله[3]: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [هود: ١٢]، فهذه حرفٌ واحد؛ لأن (الذي) لا يصلح في موضع (ما). وأما التي[4] في مذهب (الذي) فقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، ولو نصب كيدَ ساحر على أن تجعل (إنما) حرفًا واحدًا كان صوابًا، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، تنصب المودة وترفع، على ما ذكرنا من الوجهين، هذا كله قول الفراء[5].

وقال الزجاج: ﴿إِنَّمَا﴾ إذا جعلته كلمةً واحدةً كان إثباتًا لما يذكر بعده ونفيًا لما سواه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ معناه: ما

(١) في (ش): (الذين).

(٢) في (م): (وإن.)

(٣) في (م): (زيادة إنما الله إله).

(٤) في (م): (الذي).

(٥) «معاني القرآن» للفراء، وينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٢٩.

حرم عليكم إلا ما ذكر، كقول الشاعر:

وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[(١)]

المعنى: ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، وإنما صارت كلمة إنما إثباتًا للشيء ونفيًا لما سواه؛ لأن كلمة (إنّ) للتوكيد في الإثبات، و(ما) تكون نفيًا، وإذا قال[(٢)] القائل: إني بشرٌ، فالمعنى: أنا بشرٌ على الحقيقة، وإذا قال: إنما أنا بشرٌ، كان المعنى: ما أنا إلا بشرٌ[(٣)].

والميتة: ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يُذبح[(٤)].

وتحريم الميتة مخصوص بالسنة لقوله ﷺ: «**أُحِلّتْ لنا ميتتان**»[(٥)].

---

(١) مطلع البيت:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما

والبيت للفرزدق في «ديوانه» ص٧١٢، «معاني القرآن» للزجاج، «معاهد التنصيص» ١/ ٨٩.

(٢) في (م): (وإذا كان قال).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٤٣، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ١٣٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، وتعريف المؤلف رحمه الله ناقص؛ فإنه لم يدخل فيه أيضًا ما ذبح بطريقة غير شرعية، قال الجصاص١/ ١٣٢: «الميتة في الشرع: اسم حيوان الميت غير المذكى، وقد يكون ميتة بأن يموت حتف أنفه من غير سبب لأدمي فيه، وقد يكون ميتة لسبب فعل آدمي إذا لم يكن فعله على وجه الذكاة المبيحة له».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨) كتاب الصيد، باب: صيد الحيتان والجراد، وأحمد في «المسند» ٢/ ٩٧، وعبد بن حميد في «المنتخب من مسنده» ص٢٦٠، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ٣٣١، والدارقطني في «سننه» ٤/ ٢٧٢، وابن عدي في «الكامل» ٤/ ٢٧١، والبيهقي في «سننه» ١/ ٢٥٤، كلهم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا وأخرجه ابن عدي في «الكامل» =

وكذلك الدم يخصه قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] فقيد هناك، وأطلق هاهنا، والمطلق يحمل على المقيد(١)، وقوله ﷺ: «وَدَمَان» وكانت العرب تجعل الدَّمَ في المباعر، وتشويها ثم تأكلها(٢)، فحرّم الله تعالى الدم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ أراد: الخنزيرَ بجميع أجزائه، وخص اللحم؛ لأنه المقصود بالأكل(٣)، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أبو عبيد: قال الأصمعي: الإهلال أصله: رفع الصوت، وكل رافع صوتَه فهو مُهِلّ، قال ابن أحمر(٤):

= ١/ ٣٩٧، من طريق عبد الرحمن وأسامة وعبد الله بني زيد بن أسلم وبنو زيد متكلم فيهم. وقد صحح الحديث موقوفًا أبو زرعة في «علل الحديث» ٢١٧١، والبيهقي وهو موقوف له حكم الرفع. ينظر: «حاشية أبي الطيب على سنن الدارقطني» ٤/ ٢٧٢، «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١١١، وتحقيق «تفسير الثعلبي» للدكتور خالد العنزي ١/ ١٣٤٦.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٧١، الثعلبي ١/ ١٣٤٣، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٧١-٧٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٩.

(٢) في (م): (وتأكلها).

(٣) وقد حكي الإجماع على هذا، وممن حكاه: السمرقندي ١/ ١٧٧، وابن حزم في «المحلى» ٧/ ٣٩١، وابن رشد في «بداية المجتهد» ١/ ٤٥٢، وابن عطية ٢/ ٦٩، والرازي ٥/ ٢٢، والقرطبي ٢/ ٢٠٥، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٢٦٢.

(٤) هو عمرو بن أحمر بن العمرو بن تميم بن ربيعة الباهلي، أبو الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم، وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان، وهو صحيح الكلام، كثير الغرائب. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٧١، و٥٨٠، و«الشعر والشعراء» ص٢٢٣.

يُهِلُّ[١] بالفَرْقَدِ رُكْبانُها كَمَا يُهِل الراكبُ المُعْتَمِرْ[٢]

هذا معنى الإهلال في اللغة، ثم قيل للمُحْرِم: مُهِل، لرفعه الصوت بالتلبية، يقال: أهَلّ فلانٌ بحَجَّةٍ أو عُمْرةٍ، أي: أحْرَم بها؛ وذلك لأنه يرفع الصوت بالتلبية عند الإحرام، والذابحُ مُهِلّ، وذلك لأنه كان يسمي الأوثان عند الذبح، ويرفع صوته بذكرها[٣].

فمعنى قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني: ما ذبح للأصنام[٤]، وهو قول مجاهد[٥] والضحاك[٦] وقتادة[٧].

وقال الربيع[٨] وابن زيد[٩]: يعني: ما ذكر عليه غير اسم الله ﷻ.

---

(١) في (م): (هل).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٦٦، «مجاز القرآن» ١/ ١٥٠، «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٧٣، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٣٠، الثعلبي ١/ ١٣٤٦، «لسان العرب» ٣/ ١٥٩٥، و ١٧١٤، ٥/ ٣١٠٢.

(٣) ينظر في الإهلال: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٥، والثعلبي ١/ ١٣٤٥، «المفردات» ص٥٢٢، «اللسان» ٨/ ٤٦٨٩.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦. وقد حكى الإجماع الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥٧ على أن ما أهل به لغير الله يشمل ما ذبح للأصنام، وذكر عليه غير اسم الله، وحكاه الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ١٥٤، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، ٨/ ٧١، «النكت والعيون» للماوردي، «معالم التنزيل» ١/ ١٨٣، «فتح القدير» ١/ ٢٦٢، «روح المعاني» ٢/ ٤٢.

قال الكلبي[(١)]: وإن ذبحه مسلم لم يحل أكله، وقال أهل العلم: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًا، وذبيحته ذبيحة مُرتد[(٢)]. وهذا الحكم في غير ذبائح أهل الكتاب، وذبائحهم تحل لنا، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: أُحْوِجَ وأُلجئ، وهو افتُعِل من الضرورة، قال الأزهري: معناه: ضُيق عليه الأمر بالجوع، وأصله: من الضرر وهو الضيق[(٤)].

وقرئ: برفع النون، وكسرها في ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾[(٥)] فمن رفع فللإتباع، ومن كسر فعلى أصل الحركة؛ لالتقاء الساكنين[(٦)]. وفي الآية إضمار، معناه: فمن اضطر إلى شيء مما ذكرنا أنه محرّم، ويدخل تحت قوله: ﴿ٱضْطُرَّ﴾: أن يحوج إليه لبؤس، أو يضطر[(٧)] أو يُكره عليه لخوف، والإكراه مذهب مجاهد[(٨)].

---

(١) لم أجده.

(٢) ينظر: «إعلام الموقعين» ٤/ ٤٠٤، «المغني» ١٢/ ٢٧٦، و«القول المفيد شرح كتاب التوحيد» ١/ ٢١٤.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٤٨، القرطبي ٢/ ٢٠٨- ٢١٤.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «المفردات» ص٢٩٦-٢٩٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠، «القاموس» ص٤٢٨.

(٥) قرأ أبو عمرو ويعقوب وعاصم وحمزة بكسر النون وضم الطاء، وأبو جعفر بضم النون وكسر الطاء، والباقون بضمهما معًا. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٥، «البدور الزاهرة» ص٥٤.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «التبيان» ص١١٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

(٧) ليست في: (أ)، (ش).

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ يصلح أن يكون ﴿غَيْرَ﴾ حالًا للمضطر، ولا يصلح أن يكون استثناءً؛ لأن ﴿غَيْرَ﴾ هاهنا بمعنى: النفي؛ ولذلك عطف عليها بلا؛ لأنها في معنى لا(١).

قال الفراء: (غير) في هذا الموضع حال للمضطر، كأنك قلت: فمن اضطر لا باغيًا ولا عاديًا فهو له حلال(٢).

وقوله: ﴿بَاغٍ﴾ أصل البغي في اللغة: الفساد وتجاوز الحد، قال الليث: البغي في عدو الفرس: اختيال ومرح، وإنه ليبغي في عدوه. ولا يقال: فرس باغ، والبغي: الظلم والخروج عن النَّصَفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ [الشورى: ٣٩].

الأصمعي: يقال: بغى الجرح يبغي بغيًا: إذا ترامى بالفساد، وبغت السماء: إذا كثر مطرها حتى تجاوز الحد.

الفراء: يقال للجرح إذا تورّم واشتد: بغى يبغي بغيًا، وبَغَى الجرح والبحر والحساب سواء: إذا طغى وزاد(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ العدْو: هو التعدي وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، يقال: عدا عليه عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا وعدًا واعتداءً وتعديًا:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «التبيان» ص١١٠ قال الثعلبي: وإذا رأيت (غير) تصلح في موضعها (لا)، فهي: حال، وإذا صلح في موضعها (إلا)، فهي: استثناء، فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٢- ١٠٣.

(٣) ينظر في معاني البغي: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «المفردات» ص٦٥-٦٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

ظلمه ظلمًا مجاوزًا للقدر، وعدا طورَه: جاوز قدره[١] ولأهل التأويل في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ طريقان[٢]:

أحدهما وهو قول ابن عباس في رواية عطاء: غير باغ على المسلمين، ولا عاد عليهم[٣]. وهذا قول مجاهد[٤]، وسعيد بن جُبَير[٥]، والضحاك[٦]، والكلبي[٧] قالوا: غير قاطع للطريق، ولا مفارق للأئمة، مُشاقّ للأمة. وعلى هذا التأويل كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة؛ لأنه باغ عاد، وهو مذهب الشافعي[٨] رحمه الله، قال: إن

---

(١) ينظر في التعدي: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «المفردات» ص٣٢٨-٣٢٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٣-٢٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٢-٧٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢١٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠-٤٩١.

(٣) تقدم الحديث عن هذا هذه الرواية ص٩٢.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٣.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٤.

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١.

(٧) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١.

(٨) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢١٤، «المغني» ١٣/ ٣٣٣، وقال الكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ١/ ٧٤: اختلف قول الشافعي في إباحة أكل الميتة للمضطر العاصي بسفره، ويشهد لأحد القولين قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا اَضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، فإنه عام، ويشهد للقول الآخر قوله: ولا تقتلوا أنفسكم، وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة، بل هو عزيمة واجبة، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا، وليس تناول الميتة من رخص السفر، أو متعلقًا بالسفر، بل هو من نتائج الضرورة سفرًا كان أو حضرًا، وهو كالإفطار للعاصي المقيم إذا كان مريضًا، و كالتيمم للعاصي المسافر عند عدم الماء، وهو الصحيح عندنا. ا.هـ=

الإباحة إعانة له على فساده وظلمه، ولكن يتوب ويستبيح[(١)].

والثاني: أن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل، ومعناه: غير آكلها تلذُّذًا من غير اضطرار، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع، وهذا قول السدي[(٢)].

وقال الحسن[(٣)]، وقتادة[(٤)]، والربيع[(٥)]، وابن زيد[(٦)]: (غير باغ) بأكله من غير اضطرار، ولا (عاد) يتعدى الحلال إلى الحرام، فيأكلها وهو غني عنها. وعلى طريقة هؤلاء يُباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة، وهو مذهب أهل العراق[(٧)].

والتأويل الأول أولى؛ من حيث اللفظ والمعنى.

= وقال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٤ -معقبا على قول ابن العربي-: وعجبا ممن يبيح له ذلك مع التمادي على المعصية، وما أظن أحدا يقوله، فإن قاله فهو مخطئ قطعا، قلت: الصحيح خلاف هذا؛ فإن إتلاف المرء نفسه في سفر المعصية أشد معصية مما هو فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، وهذا عام، ولعله يتوب في ثاني حال فتمحو التوبة عنه ما كان، وقد قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار، إلا أن يعفو الله عنه.

(١) «الأم» ٢/ ٢٢٦، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٢.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٨٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٥، والطبري ٢/ ٨٧.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣.

(٧) يعني به الحنفية، ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ١٥٦، وقد ناقش هذه القضية بتوسع وأجاب على أدلة المانعين، فلينظر: «أحكام القرآن» للتهانوي ١/ ١٢٠.

أما اللفظ: فرجوع البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله، وهو المفهوم من اللفظ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغي والعدوان صفةً له، راجعًا إليه، ومثله من الكلام أن يقال: قد حرم الأمير ركوب الخيل، ولبس السلاح، فمن أُحوِج[1] غير فارٍّ ولا ذاهبٍ فلا حرج عليه، فالذي يسبق إلى الوهم من هذا، ويليق باللفظ، أن معناه: غير فار بنفسه ولا ذاهب، وأن الفرار والذهاب يعود إلى نفس المضطر، لا إلى شيء سواه. وَوِزان التأويل الثاني من هذا الكلام: أن يكون المعنى: غير فار بسلاحه، ولا ذاهب به.

وأما من حيث المعنى: فإن نفس المؤمن يعاف الميتة والدم، ويستقذرهما[2] استقذارًا يمنعه من أكلهما؛ ولهذا لا يقام الحد على آكلهما؛ لأنه لم يحتج في الزجر عنهما إلى الحد، لا كالخمر فإن لها دواعي من النفس، وإذا كان كذلك فليس يتجاوز أحدٌ في أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة، ولا يتعدى الحلال الذي معه، فيأكلها تلذذًا من غير أن يَرِدَ بهذا نهي، وإن جاز ورود النهي تأكيدًا؛ فلهذين الوجهين: قلنا إن التأويل الأول أولى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: للمعاصي، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يأخذُ بما جعل فيه الرخصة .﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث رَخَّصَ للمضطر في أكل الميتة[3].

---

(١) في (ش): (أخرج).

(٢) في (ش): (تعاف وتستقذرهما).

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٥.

١٧٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ يجوز أن تعود الكناية إلى الكتمان، والفعل يدل على المصدر، ويحتمل أن تعود الكناية إلى ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ويجوز أن تعود إلى المكتوم مما أنزل الله[٢]. ومعنى قوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كقوله: ﴿تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]. وقد مرّ.

وقوله: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ ذكر البطن هاهنا زيادة بيان؛ لأنه يقال: أكَلَ فلانٌ المال: إذا بَذَّرَه وأَفْسَدَه[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٦، والواحدي بأطول من هذا في «أسباب النزول» ص٥٢، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١٩، والسيوطي في «لباب النقول» ص٣٠، وفي «الدر المنثور» ١/ ٣٠٩، وضعف إسناده، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وعبد بن حميد عن قتادة، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وهو في «تفسير سنيد بن داود». كما ذكره الحافظ في «العجاب». عن عطاء، ورواه الطبري ٢/ ٨٩-٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥ عن السدي وأبي العالية والربيع بن أنس، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩١ من وجه آخر عن ابن عباس، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٥ من رواية جويبر عن الضحاك، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٠٩، والآية وإن كانت في أحبار اليهود فإنها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارًا لذلك، بسبب دنيا يصيبها. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٣.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٤، وذكرها في «البحر المحيط» ١/ ٤٩١، واستظهر الثاني.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩١ قال: أو كناية عن ملء البطن؛ لأنه يقال: فلان أكل في بطنه، وفلان أكل في بعض بطنه، أو لرفع توهم المجاز إذ يقال: أكل فلان ماله إذا بذره وإن لم يأكله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: إلا ما هو عاقبته النار، كما روي في حديث الشارب من آنية الفضة: «**إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»(١) وكقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]؛ وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عنبًا، فسماه باسم ما يؤول إليه(٢).

وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. قال المفسرون: أي: لا يكلمهم كلاما ينفعهم ويسرهم، فأما التهديد والمناقشة فقد تكون.

وقيل: معناه: أنه يغضب عليهم؛ لأن ترك التكليم علامة الغضب.

وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية(٣).

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، ولايثني(٤) عليهم(٥).

١٧٥- قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ معنى الفاء هاهنا: الجواب لما تقدم، وذلك أن ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٣) كتاب الأشربة، باب: آنية الفضة، ومسلم (٢٠٦٥) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب.وقوله (يجرجر) يعني به صوت وقوع الماء في الجوف، وإنما يكون ذلك عند شدة الشرب. ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٥٤.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٢.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٨، وعزاه لأهل التفسير، «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، وقد اختار الأول، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «زاد المسير» ١/ ١٧٦. والقولان الأخيران فيهما عدول عن ظاهر اللفظ، وتأويل للصفة

(٤) في (أ)، (م): (لا يثني).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٨، «زاد المسير» ١/ ١٥٣، وذكر ثلاثة أقوال: لا يثني عليهم، قاله الزجاج، ولا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل، ولا يطهرهم من دنس كفرهم، قاله ابن جرير.

اشْتَرَوُا الضَّلَـٰلَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ثم قال: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ﴾، كأنه قال: من كان بهذه الصفة فما أصبرهم على النار، فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه حتى كأنه قد لفظ به.

فأما المعنى: ففيه وجهان لأهل التأويل[١]:

أحدهما: أن (ما) هاهنا تعجب[٢]، كقولهم: ما أحسن زيدًا. فما: رفع بالابتداء، وأحسن: فعل ماض، وهو خبر الابتداء، وفيه ضمير يرجع إلى ما وهو فاعل أحسن، وزيدًا[٣]: نصب[٤] بأحسن، والتقدير: شيء أحسن هو زيدًا؛ وخُصَّتْ لفظة ما بالتعجب لإبهامها، وهي واقعة على الشيء الذي تتعجب منه، وذلك الشيء ليس مما يعقل[٥].

فإن قيل: قد قلتم: إن (ما) استعمل لإبهامها، فهلا استعمل (الشيء) إذ كان أبهم الأشياء؟

قيل: إن الشيء ربما يستعمل للتقليل، فلو قلت: شيء حسَّن زيدًا، لجاز أن يعتقد أنك تقلل المعنى الذي حسن زيدًا، وأيضًا: فإن الغالب في قولك: شيء حسّن زيدًا، أنه خبر عن معنى مستقر، وما يتعجب منه، فحقه أن يبهرك في الحال، فأما ما قد استقر وعرف فلا[٦] يجوز التعجب منه،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، «المحرر الوجيز» ١/ ٧٥-٧٦، «زاد المسير» ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٩، قال في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤: والأظهر أنها تعجبية، وهو قول جمهور المفسرين.

(٣) في (أ): (نصبت).

(٤) في (أ): (نصبت).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٦) سقطت من (ش).

ومعنى التعجب: تَغَيُّر النفسِ لما يَرِدُ عَليها مما[١] جُهِل سَبَبُهُ جدًّا، ونقل لفظ الفعل في التعجب من الثلاثي إلى الرباعي؛ لأنا ذكرنا أن التقدير: شيء أحسن زيدًا، فصار زيد مفعولًا لغيره، ولهذا انتصب المتعجب منه؛ لأنه مفعول في الحقيقة، والدليل على أنَّ أحسن هاهنا فعل: لزومُ الفتحِ آخره[٢]. ولو كان اسمًا لوجب أن يرتفع؛ إذ كان خبر المبتدأ، فلما لزمه الفتح دل على أنه فعل ماض. وقد يصغَّرُ فعلُ التعجب، فيقال: ما أُحَيْسِنَ زيدًا، كقول الشاعر:

يا ما أُمَيْلح غزلانًا[٣] شدنّ[٤] لنا[٥]

وتصغيره لا يدل على أنه اسم، وذلك أن فعل التعجب قد لزم طريقةً واحدةً، فجرى في اللفظ مجرى الأسماء، فأدخلوا عليه التصغير تشبيهًا بالاسم، وليس يجب أن يكون الشيء إذا حمل على غيره لشبه بينهما أن يُخرج من جنسه، ألا ترى أن اسم الفاعل قد أُعمل عمل الفعل ولم يخرج من أن يكون اسمًا، وكذلك الفعل أعرب؛ لشبهه بالاسم ولم يخرجه ذلك من أن يكون فعلًا، فكذلك فعل التعجب وإن صُغِّر تشبيهًا بالاسم ؛لم يجب أن يكون اسمًا[٦]. فقد بان بما ذكرنا أن قوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ إذا

---

(١) في (ش): (ما).

(٢) مذهب البصريين أنه فعل، وأما الكوفيون فيرون أنه اسم. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٣) في (م): (عن). وفي (أ): (عزلانًا).

(٤) في (م): (شدان).

(٥) تكملة البيت:

من هؤليائكن الضال والسمر

والبيت للمجنون في «ديوانه» ص١٣٠، ونسب لآخرين.

(٦) ينظر في ما تقدم: «المقتضب» للمبرد ٤/ ١٧٥ وما بعدها.

قلنا: إنه تعجب، فعل منقول من الثلاثي إلى الرباعي، والهاء والميم في محل النصب بوقوع الفعل عليه.

قال ابن الأنباري: ويكون أصبر ههنا بمعنى: صبّر[١]، وكثيرًا ما يكون أفعل بمعنى فعّل، نحو: أكرم وكرّم، وخبّر وأخبر، فهذا الذي ذكرنا بيان معنى التعجب وفعله.

فأما التفسير على هذه الطريق: فقال المؤرّج: معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار[٢]، أو على عمل أهل النار[٣] وهو قول الكسائي وقطرب[٤].

وقال أحمد بن يحيى: الصبر معناه هاهنا[٥]: الجرأة، أي: ما أجرأهم على أعمال أهل النار[٦].

وهذا قول الحسن[٧] وقتادة[٨] والربيع[٩].

---

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٧.

(٢) الثعلبي ١/ ١٣٥٩، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٠٩، والقرطبي ٢/ ٢١٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٣) سقطت من (أ)، (م).

(٤) عزاه إليهما الثعلبي ١/ ١٣٦٠، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٠٩، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤، وهو قريب من قول المؤرِّخ كما بيّن أبو حيان، ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٦ إلى عكرمة والربيع.

(٥) في (م): (الصبر هاهنا معناه).

(٦) ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٦ إلى مجاهد.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

قال الفراء: وهذه لغة يمانية، وحكى عن الكسائي قال: قال لي قاضي اليمن: اختصم إليَّ رجلان، فحلف أحدهما على حق صاحبه، فقال له الآخر: ما أصبرك على الله ﷻ[١]! قال الفراء: ففي هذا وجهان: أحدهما: ما أجرأك على الله، والثاني: ما أصبرك على عذاب الله، كما تقول[٢]: ما أشبه سخاءك بحاتم، أي: بسخاء حاتم، فتقيم حاتم مقام السخاء[٣].

قال أهل المعاني: وإنما جاز استعمال الصبر بمعنى الجرأة؛ لأن الصبر حبس النفس على الشدة، والجريء يصبِّر نفسه على الشدة، فلما كانت الجرأة تقتضي الصبر سميت به.

وقال السدي: هذا على وجه الاستهانة[٤][٥]، وقد تقول في الكلام لمن تعرف ضعفه، تستخف به: ما أقواك على هذا الأمر!

وقيل: أراد ما أبقاهم في النار، وما أطول مكثهم فيها، كما يقال: ما أصبر فلانًا على الضرب والحبس، أي: ما أبقاه فيهما[٦].

قال عطاء عن ابن عباس: لم يرد أنهم حين دخلوا النار صبروا عليها،

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٩، والسمعاني ٢/ ١٣٤.

(٢) في (م): (يقال).

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٣، وهذا اختيار الطبري ٢/ ٩٢.

(٤) في (ش): (الاستهابة).

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٦٠ ولم ينسبه، وكذا القرطبي ٢/ ٢٣٦، وقد أخرج الطبري ٢/ ٩١، والثعلبي ١/ ١٣٦٠ عن السدي وعطاء وابن زيد وأبي بكر بن عياش نحوه.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٧٨، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٦٠، «زاد المسير» ١/ ١٧٦-١٧٧.

ولكنه يريد: فما أعملهم بأعمال أهل النار[١].

قال أصحاب المعاني: ومعنى التعجب من الله أنه يُعجِّب المخلوقين، ويدلُّنا على أنهم قد حلّوا محلّ من يتعجب منه[٢]، ولا يجوز على الله التعجب؛ لأنا قد ذكرنا أن التعجب إنما هو مما لا يعرف سببه، والله تعالى عالم لا يخفى عليه شيء[٣].

الوجه الثاني من التأويل: أن (ما) في هذه الآية استفهام يتضمن التوبيخ، معناه: ما الذي صبرهم؟، وأي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ وهذا قول عطاء[٤] وابن زيد[٥]، وقد ذكرنا عن ابن

---

(١) تقدم الحديث عن هذه الرواية. وقد ورد هذا عن مجاهد في «تفسيره» ص٩٤، ورواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٤٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣٣١.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢، «زاد المسير» ١/ ١٧٦.

(٣) قد دلت النصوص على إثبات صفة التعجب لله، وعقيدة أهل السنة إثباتها كما جاءت دون تأويل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، في قراءة ضم تاء الفاعل، وقوله ﷺ: «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَره**» رواه أحمد ٤/ ١١-١٢، وقال ﷺ: «**يعجب ربك من شاب ليست له صبوة**» رواه أحمد ٤/ ١٥١، وفيه ضعف، وقوله ﷺ: «**عجب الله ﷻ من قوم بأيديهم السلاسل حتى يدخلوا الجنة**» أخرجه البخاري (٣٠١٠) كتاب الجهاد والسير، باب: الأسارى في السلاسل وغيرها. وحقيقة التعجب: استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين: الأول: لخفاء الأمر على المستغرب المتعجب، وهذا مستحيل على الله؛ لأن الله عليم بكل شيء. والثاني: لخروج ذلك الشيء عن نظائره، وعما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، وهذا ثابت لله ﷻ، وليس فيه نقص. ينظر: «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد العثيمين ٢/ ٤٤٦، «الأسماء والصفات» للبيهقي ٢/ ٤١٥.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره عنه الثعلبي.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، ورواه أيضا عن أبي بكر بن عياش، وزاد نسبته في «زاد=

الأنباري أصبر بمعنى صبّر.

وقيل: معناه: أيُّ: شيء غرّهم من النار أنهم يصبرون عليها؟.

١٧٦- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] معناه: ذلك العذاب لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه، فأضمر: فاختلفوا فيه[١]. و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ هو التوراة، واختلافهم فيه: إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض[٢]. ويجوز أن يريد: القرآن، واختلافهم فيه[٣]: قولهم: إنه كهانة، وسحر، ورجز، وأساطير الأولين[٤].

وقال بعضهم: معنى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فعلهم الذي يفعلون من الكفر، والاجتراء على الله ﷻ من أجل أن الله نَزَّل الكتاب بالحق. وتنزيله الكتاب بالحق: هو إخباره عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾. إلى قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٦-٧][٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: فآمنوا ببعض

= المسير» ١/ ١٧٧ إلى السدي، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن»، ونسبه في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥ إلى ابن عباس والمبرد، وذكر قولًا ثالثًا وهو أن ما نافية، والمعنى: أن الله ما أصبرهم على النار، أي ما يجعلهم يصبرون على العذاب.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٧- ٧٨.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٣) (فيه) سقطت من (ش).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢.

وكفروا ببعض[١]. وإن قلنا: الكتاب هو القرآن، فقال ابن عباس: يريد اختلفوا فيما أنزلت عليك[٢]. وذكرنا حقيقة معنى الاختلاف عند قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤][٣].

وقوله تعالى: ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ ذكرنا معنى (شقاق) عند قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ومعنى ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: لفي خلاف طويلٍ[٤]، ويقال: معناه: بعيدٍ عن الألفة بالاجتماع على الصواب[٥].

١٧٧- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قرئ (البرُّ) رفعًا ونصبًا[٦]، وكلتا القراءتين حَسَن؛ لأن اسم ليس وخبرها، اجتمعا في التعريف، فتكافآ في كون أحدهما اسمًا، والآخر خبرًا، كما يتكافأ النكرتان. وحجة من رفع (البر): أن اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مشبهة بالفاعل وخبرها بالمفعول، والفاعل أن يلي الفعل أولى من المفعول، كما تقول: قام زيد، فيلي الاسم الفعل، وإذا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «زاد المسير» ١/ ١٧٧.

(٢) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٣) ينظر: ٣/ ٤٣١-٤٣٢.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي»، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٦.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٧، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٦.

(٦) قرأ حمزة وحفص: بالنصب، وقرأ الباقون: بالرفع. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦.

قدمت المفعول كان النيةُ به التأخير، كما تقول: ضرب غلامَه زيدٌ[(١)].

ومن نصب البر، ذهب إلى أن بعض النحويين قال: أَنْ مع صلتها أولى أن تكون اسم ليس؛ لشبهها بالمضمر، في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر، وكان هاهنا اجتمع مُضْمَرٌ ومظهر، والأولى إذا اجتمعا أن يكون المُضْمَرُ الاسم، من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر، فكذلك إذا اجتمع (أن) مع مظهر غيره كان أن يكون (أن)[(٢)] الاسم، والمظهرُ الخبرُ أولى[(٣)]، وعلى هذا قرئ في التنزيل قوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٨٢] ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية: ٢٥]، والاختيار رفع البر؛ لأنه روي عن ابن مسعود أنه قرأ: ليس البرُّ بأن[(٤)]، والباء تدخل في خبر ليس.

واختلف المفسرون في هذه الآية على وجهين: فقال قتادةُ[(٥)] والربيع[(٦)] ومقاتل[(٧)]: عنى الله بهذه الآية: اليهود والنصارى، وذلك أن

---

(١) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٠ بمعناه.
(٢) (أن) ليست في (ش).
(٣) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧١، و ينظر: «معاني القرآن» للزجاج.
(٤) رواه الثعلبي بسنده عن عبد الله، وأبي بن كعب. وينظر: «معاني القرآن» للفراء، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٠، ونسب القراءة لأبي بن كعب أيضًا ، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢.
(٥) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٦، والطبري ٢/ ٩٤.
(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٩٥ واختاره، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٧.
(٧) لعل المراد به هنا مقاتل بن حيان، كما هو عند الثعلبي، وقد روى عنه ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٧ ما يوافق القول الثاني.

اليهود كانت تصلي قِبَلَ المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قِبَلَ المشرق، وزعم كل طائفة أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غيرُ دينهم وعملهم، ولكنه ما بينه في هذه الآية. فقال ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، والضحاك[٣]، وعطاء[٤]: المراد به المؤمنون، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد الشهادتين، وصلى إلى أي ناحية[٥] كانت، ثم مات على ذلك، وجبت له الجنة، فلما هاجر رسول الله ﷺ، ونزلت الفرائض، وحُدَّتْ الحدود، وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل اللهُ هذه الآية، فقال: ليس البرُّ كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك، ولكن البرَّ ما ذكر في الآية[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿ٱلْبِرَّ﴾ مصدر، ولا يخبر عن المصادر بالأسماء ومَنْ اسم. واختلف النحويون وأهل المعاني في وجهه. وقال أبو عبيدة: البر، هاهنا، بمعنى: البار[٧]، والفاعل قد يسمى بالمصدر، كما يسمى المفعول به، ومنه قوله تعالى﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٩٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٨٧.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢.

(٥) في (م): (جهة).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٤ عن قتادة، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣١٠ إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٠-١٤١.

(٧) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٥، و«تفسير الطبري» ٢/ ٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧.

﴿غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [تبارك: ٣٠]. أي: غائرًا.

وقالت الخنساء:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار[1]

أي: مقبلة ومدبرة.

وقال آخر:

هَرِيقي مِنْ دمُوعهما سِجاما ضُباعَ وجَاوِبِي نَوْحًا قيامًا[2][3]

أراد: نائحاتٍ قائماتٍ. ومثله قوله: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] أي: للمتقي.

وحكى الزجّاجُ أن معناه: ذا البر، فحذف[4]، كقوله: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٦٣] أي: ذوو درجات[5].

وقال قطرب[6] والفراء[7]: معناه: ولكن البرَّ برُّ من آمن، فحذف المضاف، وهو كثير في الكلام، كقوله: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾

---

(١) صدر البيت:

ترتـع مـا رتـعـت حتـى إذا ادكـرت

والبيت في «ديوان الخنساء» ص٣٨٣، «الشعر والشعراء» ص٢١٥.

(٢) في (م): (سقاقًا.. حاوي)، وفي (ش): (صباع.. وجاوني).

(٣) البيت في «مجاز القرآن» ١/ ٤٠٤ بلا نسبة، بل قال: وقال باكٍ يبكي هشامَ بن المُغيرة. والطبري ١٥/ ٢٤٩، والقرطبي ١٠/ ٤٠٩، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ٩٤، ٣٥٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٥.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «البيان في إعراب القرآن» لأبي البركات الأنباري ١/ ١٣٩.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «البحر المحيط» ٢/ ٣، قال: وعلى هذا خرجه سيبويه. ينظر: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٢١٢، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٥.

(٧) «معاني القرآن» للفراء. ١/ ١٠٥.

[البقرة: ٩٣] و﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ويقولون: الجود حاتم، والشعر زهير، والشجاعة عنتر.

وقال النابغة:

وكيف تواصل من أصبحت ... خِلالتُه كأبي مرحب[1]

قال الفراء: والعرب تخبر عن الاسم بالمصدر، وعن المصدر بالاسم، وتجعل الاسمَ خبرًا للفعل، والفعلَ خبرًا للاسم؛ لأنه أمر معروف المعنى عندهم[2]، وحكي عن العرب أنهم يقولون: إنما البِرُّ الصادقُ[3]: الذي يصل رحمه، ويخفي صدقته، فيجعلون الاسم خبرًا للفعل، وأما الأفعال التي جعلت أخبارًا للأسماء، فقولُ الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما الفتيان أن تَنْبُتَ اللّحى

ولكنما الفتيانُ كلُّ فَتًى نَدِيّ[4]

فجعل نباتَ اللِّحى، وهو مصدر، خبرًا للفتيان[5].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٢٦، «لسان العرب» ٣/ ١٦٠٧ (رحب).

(٢) سقطت من (ش).

(٣) سقطت من (ش).

(٤) قال البغدادي في شرح أبيات «مغني اللبيب»: البيت ملفق من مصراعين من أبيات لابن بيض، وهي:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ... وتعظم أبدان الرجال من الهبر

ولكنما الفتيان كل فتى ندي ... صبور على الآفات في العسرِ واليُسْرِ

وقد ذكره غير منسوب الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٠٤، الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥، «أمالي المرتضى» ١/ ٢٠١، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٢٦٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٩١.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ١٠٤-١٠٥ للفراء بمعناه.

قال ابن الأنباري: ولا يجوز القياس على هذا، وإنما يستعمل في مثل هذا ما استعملته العرب، لا يجوزُ أن تقولَ: الرُّكوب عبد الله؛ لأن هذا[١] من المجاز، والمجاز لا يقاس بعضه على بعض، إلا أن يُوصفَ رجلٌ بحسن الركوب فيصير عَلَمًا فيه، فيقال فيه: الرُّكوبُ عبدُ الله، كما يقال: الجُودُ حاتم، ولا يقاس على المشهور ما ليس بمشهور.

قال أبو علي: ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾. ثم قال: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾ [التوبة: ١٩]، وهذا على: أجعلتم أهل سقاية حاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج[٢] كإيمان من آمن؛ ليقع التمثيل بين حَدَثَيْن، أو بين فَاعِلَيْن، إذ لا يقع التمثيل بين[٣] حدث وفاعل[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد: الكُتُب، قاله ابن عباس[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الأكثرون[٦] على أن الكناية في الحب راجعة إلى المال، والتقدير[٧]: وآتى المال على حب[٨] المال،

---

(١) ليست في (أ)، (م).

(٢) الجملة من قوله: (ثم قال..) سقطت من (ش).

(٣) في (م): (من).

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٥/ ٣٩.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩، وقال الزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٠٩: والكتاب: جنس كتب الله، أو القرآن. ينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ٣٧.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٥، ٩٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٨٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٠، «البحر المحيط» ٢/ ٥، وقال: لأنه أقرب مذكور، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل.

(٧) سقطت من (ش).

(٨) في (ش): (حبه).

فأضيف الحب إلى المفعول، كما تقول: اشتريت طعامي كاشتراء طعامك.

قال ابن عباس[(١)] وابنُ مسعود[(٢)]: هو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح. وهذا التفسير يقوي رجوع الكناية إلى المال.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون الهاء عائدة على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل، وتُرِكَ ذكرُ المفعول معه، لانكشاف المعنى.

قال: ويجوزُ أن يعودَ إلى الإيتاء، أي: على حُب الإيتاء، (وآتى) يدل على الإيتاء؛ لأن الفعل يدل على المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا﴾ [آل عمران: ١٨٠]، أي: البخل، كنى عنه؛ لأن (يبخلون) يدل عليه، ومثله قولُ القَطامي:

هُمُ المـلوكُ وأبنـاءُ المُـلوكِ هُـمُ والآخـذون بـه والسَّـاسَـةُ الأُوَلُ[(٣)]

أراد: والآخذون بالملك، ودلَّ (الملوكُ) عليه، فكنى عنه، وأنشد الفراء[(٤)]:

---

(١) عزاه إليه في «التفسير الكبير» ٥/ ٣٩.

(٢) رواه عنه ابن المبارك في «الزهد» ص٨، وعبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٥٥، وسعيد بن منصور ٢/ ٦٤٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٨، وبمعنى هذا: حديث أبي هريرة مرفوعًا، رواه البخاري (١٤١٩) كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

(٣) البيت من البسيط، وهو بهذه الصيغة للنابغة في «ديوانه» ص٧٥، «لسان العرب» ١/ ١١٩ مادة (ألا).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٤- ١٠٥.

إذا نُـهـي الـسـفـيـهُ جـرى إلـيــه وخَـالـف والـسفيهُ إلى خلاف[1]

أي: إلى السفه، ويكون المعنى على هذا الوجه: لا يعطيه وهو متسخِّط، وهذا الوجْهُ اختيارُ الحسين بن الفضل[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال مجاهد: هو المنقطع من أهله يَمُرُّ عليك[3].

وقال قتادة: هو الضيفُ ينزل بالرجل[4].

قال أهل المعاني: كل مسافر من حاجٍّ وغازٍ وغيرهما، فهو ابن السبيل؛ لملازمته الطريق، وكل من لزم شيئا نسب إليه، فيقال للشجعان: بنو الحروب، وللناس: بنو الزمان؛ لأنهم لا يَنْفَكُّون منه، ولطيرِ الماءِ: ابنُ الماء، وهو كثير[5].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد المكاتبين[6]، ويكون التقدير: وفي غزو الرقاب.

---

(١) تقدم تخريج البيت عند تفسير [البقرة: ١٧٧].

(٢) «تفسير الثعلبي»، ٢/ ١٥٠ «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ٢/ ٥، وقال عن هذا القول: إنه بعيد من حيث اللفظ ، ومن حيث المعنى، أما من حيث اللفظ: فإنه يعود على غير مصرح به، وعلى أبعد من المال، وأما المعنى: فلأن من فعل شيئًا وهو يحب أن يفعله لا يكاد يمدح على ذلك؛ لأن في فعله ذلك هوى نفسه ومرادها.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٠، وروى مثله عن قتادة.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٧، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٩، وأسنده عن ابن عباس، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١: والأول أعم.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١.

(٦) عزاه إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٨، قال وهو مروي عن علي =

وقيل: فداء الأسارى، وعتق النسمة، وفك الرقبة[1]، والرقاب: جمع الرقبة، وهو مُؤَخَّر أصل العنق، واشتقاقها: من المراقبة، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم؛ ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال: أعتق الله عُنَقَه؛ لأنها لما سميت رقبةً كانت كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رَقُوب؛ لأجل مراعاتها موتَ ولدِها[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ قال المفسرون: أراد: فيما بينهم وبين الله، وبينهم وبين الناس، إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حَلَفُوا ونَذَروا وَفَّوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدَّوا[3].

ارتفع قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ بالعطف على محل (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ

= والحسن وابن زيد والشافعي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٠ عن سعيد ابن جبير ومقاتل بن حيان والحسن والزهري، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٨، وقد حكى الواحدي في «الوسيط» أن جميع المفسرين قالوا: يريد به المكاتبين، والمفسرون ذكروا الخلاف على أربعة أقوال: المكاتبون، وأنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، وفداء الأسرى، وجميع هؤلاء، وهذا قول ابن عطية وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٦٠، واستظهره أبو حيان في «البحر» ٢/ ٦. ينظر: «الإجماع في التفسير» ص١٩٥.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١، «الكشاف» ١/ ١٠٩، وقال في «زاد المسير» ١/ ١٧٩: رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس وأبو عبيد وأبو ثور، وعنه كالقولين.

(٢) ينظر في الرقاب: «المفردات» ص٢٠٦، «اللسان» ٣/ ١٧٠١ (رقب)، والكلام بنصه عند الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٢.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦، وينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ٤٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٥.

﴿ءَامَنَ﴾ وهو رفع؛ لأنه خبر لكن، كأنه: ولكن البر من آمن بالله والموفون، أو على المدح على أن يكون خبر ابتداء محذوف، تقديره: وهم الموفون[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال الكسائي: هو معطوف على ذوي القُربى، كأنه: وآتى المال على حبه ذوي القربي والصابرين[(٢)].

قال النحويون: إذا عطفت قوله: (والموفون) على الموصول وهو قوله: (من) لا يجوز أن يكون (الصابرين) مِنْ صلة (مَنْ) وقوله: (وآتى المال)، مِنْ صلة (مَنْ)، فإذا نصبت الصابرين بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾، على ما ذكره الكسائي فقد جعلت ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ من تمام الصلة، ولا يجوز هذا؛ لأنك قطعت ذلك الكلام بالعطف على (مَنْ)، حيث عطفت عليه قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾، ولا يجوز العطف على الموصول حتى ينقضي بصلته، كما لا يؤكد ولا يوصف إلا بعد انقضائه بجميع صلته؛ لأن الموصول مع الصلة بمنزلة اسم واحد، ومحالٌ أن يوصف الاسم، أو يؤكد، أو يعطف عليه،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧، «التفسير الكبير» ١/ ٤٢، «التبيان» ص١١٢، وذكر وجهًا ثالثًا: وهو أن يعطف (الموفون) على الضمير في (آمن).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٧، قال: وإنما امتنع من مذهب المدح - يعني الكسائي - الذي فسرت لك؛ لأنه قال: لا ينصب الممدوح إلا عند تمام الكلام، ولم يتمم الكلام في سورة النساء، ألا ترى أنك حين قلت: (لكن الراسخون في العلم منهم) - إلى قوله: (والمقيمين والمؤتون)، كأنك منتظر لخبره، وخبره في قوله: (أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا). والكلام أكثره على ما وصف الكسائي، ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص والتام كالواحد وينظر أيضا: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣١، وقال: وهذا القول خطأ بين.

إلا بعد تمامه وانقضائه بجميع أجزائه وما يتصل به، فلا يجوز إذن أن يكون ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عطفا على قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وإذا كان قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطفا على الموصول؛ لأن قولَه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذا من تمام الموصول، فلا يجوز الفصل بينه وبين الموصول بالمعطوف على الموصول، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: مررت بالضاربين وقوم زيدًا، حتى تقدم زيدًا على القوم، وكذلك سبيل التأكيد والصفة، لو قلت: أعجبني كلامُكَ كلُّه زيدًا، أو أعجبني كلامُك الحسن زيدًا، لم يجز؛ لوصفك الاسم وتأكيدك قبل تمامه بما في صلته.

وإن جعلت قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ رفعًا على المدح على ما ذكرنا، لم يصح أيضا قول الكسائي؛ لأن الفصل بين الصلة والموصول يقع به إذا كان مدحًا، كما يقع إذا كان معطوفًا على الموصول، بل الفصل بينهما بالمدح أشنع؛ لكون المدح جملة، والجمل ينبغي أن تكون في الفصل أشنع بحسب زيادتها على المفرد(١).

فإن قيل: أليس جاز الفصلُ بين المبتدأ والخبر بالجملة، كقول القائل: إنّ زيدًا -فافهم ما أقول- رجلُ صدقٍ، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ففصل بين المبتدأ والخبر بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾؟ قيل: ليس الصلة مع الموصول كالمبتدأ مع الخبر؛ لأن اتصال كل واحد منهما بالآخر أشد من اتصال المبتدأ وخبره، لأن مجراهما مجرى حروف الاسم

(١) ذكر هذا بمعناه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٤.

الواحد وأجزائه، وعلى حسب شدة الاتصال يقبح الانفصال، وليس كذلك المبتدأ مع خبره، ألا ترى أنَّ كل واحد منهما ليس كَجُزْء[١] الآخر. وإذا كان الأمرُ على ما ذكرنا، لم يَجُزْ الفصل بين بعض الصلة وبعض؛ لأن عطفَك على الموصول بالمفرد والجملة وتأكيدَك إياه ووصفَك له وإبدالَك منه يؤذن كل ذلك بالتمام والانقضاء، فلا يسوغ أن يذكر ما يؤذن بالتمام ويدل عليه ثم يتم بعد؛ لأن ذلك نَقْضٌ وفساد[٢] .

فأما[٣] قول الشاعر:

ذاك الذي وأبيك يَعرِف مالكٌ والحقُّ يَدفَع تُرَّهاتِ الباطلِ[٤]

ففصل بين الصلة والموصول بالقسم، وهو جملة؛ لأن القسم، وإن كان في الأصل جملة، فإنه لا توصف به النكرة، ولا توصل به الموصول، كسائر الجمل، فالفصلُ بها -لجريها مجرى غير الجمل في هذه المواضع- أسهَل وأسْوَغ من الفصل بغيره؛ لمخالفة القسم سائر الجمل. وأيضًا فإن للقسم مداخل ليس لغيره من الجمل، ألا ترى أن القسم قد دخل بين الشرط وجزائه في نحو: إن تأتني والله آتك، ولا يدخل عليه غيره من الجمل.

فالقسم مما[٥] قد اتسع بالفصل فيه؛ لكثرته، ويقع مواقع لم يقع غيره، فلا يلزم إذا اتسع فيه ففصل به أن يفصل بغيره. ألا ترى أنهم اتسعوا في الفصل بالظرف، ففصلوا به بين إن واسمها، وليس يوجب فصلهم بذلك

---

(١) في (ش): (ليس كَجَسر الآخر).
(٢) ذكر هذا بمعناه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٤.
(٣) في (ش): (وأما).
(٤) البيت لجرير في «ديوانه» ص٥٨٠، «لسان العرب» ١/ ٤٣١ (تره).
(٥) في (م): (ما).

فصلهم بغيره. وكذلك يجوز الفصل بالقسم في الصلة، ولا يجوز ذلك في غيره، فبان[١] بما ذكرنا أنه لا وجه لقول الكسائي، وهذا كله كلام أبي علي. ثم قولُ الكسائي ضعيف أيضًا في المعنى؛ لأنه يَضْعُفُ أن يُقَال: معنى الآية: ولكن البرّ من آمن بالله وآتى الصابرين. والصحيح: أنَّ ما بعد ﴿ءَامَنَ﴾ تَعدادٌ لأفعال ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وأوصافه.

والوجه في نصب ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قولُ الفراء، وهو أنه ذهب به إلى المدح، وإن كان مِنْ صفة ﴿مَنْ﴾، والعرب تعترض في صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم، فينصبون بعض المدح، وإن كان الاسم رفعًا، كأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام، من ذلك قولُ الشاعر:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ ... سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطيبين معاقِدَ الأُزْرِ[٢]

فنصبوا النازلين والطيبين على المدح.

وأنشد أيضًا:

إلى الملك القَرْمِ وابنِ الهمام ... وليثَ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ[٣]

---

(١) في (ش): (فان).

(٢) البيتان لخرنق بنت بدر بن هفَّان، ترثي زوجها ومن قتل معه، في «ديوانها» ص٤٣، «معاني القرآن» للفراء، «لسان العرب» ٧/ ٤٤٥٤ (نضر). وفي «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٤، لكن قال: (والطيبون) قال الفراء: وربما رفعوا (النازلون) (الطيبون)، وربما نصبوهما على المدح، والرفع على أن يُتْبَعَ آخرُ الكلام أوّلَه.

(٣) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٥، «الإنصاف» ص٣٧٦، «الخزانة» ١/ ٢١٦.والقَرْم: السيد المعظم.

فنصب ليثَ الكتيبة على المدح، والاسم قبله مخفوض[١].

وقال أبو علي مختارًا هذا القول: الأحسن عندي في هذه الأوصاف التي تعطف وتذكر للرفع من موصوفها والمدح أو النقص منهم والذم: أن يخالف[٢] بإعرابها، ولا يجعل كلها جارية على موصوفيها؛ لأن هذه المواضع من مواضع الإطناب في الوصف، والإبلاغ في القول، فإذا خُولِفَ بإعراب الأوصاف كان أشدَّ وأوقعَ فيما يعني لضرورةِ الكلام، وكونه بذلك ضروبًا وجملًا[٣]، وكونه في الإجراء على الأول وجهًا واحدًا وجملةً واحدة[٤]. ونص سيبويه في قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] أنه نصبٌ على المدح. انتهى كلامه[٥].

ومعنى المدحِ والذمِّ في النحو: أن العربَ لما أطنبت في وصفٍ بمدح أو ذم سلكت طرقًا، وأتت بأوصاف كثيرة، فلذلك خالفت بإعراب الأوصاف، تنويهًا بالموصوف وتنبيهًا على المراد، كأنهم ظنوا أنهم لو أجروا الأوصافَ على نحوٍ واحدٍ، كانوا قد أَتوا بوصفٍ واحدٍ. وأما علة اختلاف الحركة في المدح والذم: فقال الفراء: أصل المدح والذم من كلام السامع، وذلك أن الرجل إذا أخبر الرجل، فقال له: قام زيد، أثنى السامع عليه، فقال: ذكرت والله الظريف، ذكرت العاقل، وهو والله الظريف، هو العاقل، فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل ما مدحه به السامع،

---

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٦ بتصرف، واختاره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٠.
(٢) في (ش): (لا تخالف).
(٣) في (م): (وحولًا).
(٤) نقله عنه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥، ونقله في «البحر المحيط» ٢/ ٧-٨.
(٥) «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٣-٦٥.

فجرى الإعراب على ذلك[١].

وقال الخليل: المدح والذم ينصبان على معنى: أعني الظريفَ[٢].

وأنكر الفراء هذا القول[٣]، وقال: (أعني) إنما تقع تفسيرًا للاسم المجهول، والمدح يأتي بعد المعروف، ولو اطرد لنا إضمار (أعني) لأجزنا[٤]: قام زيدٌ أخاك، على معنى: أعني أخاك، وهذا لا يقوله[٥] العرب أصلًا[٦]. قال: والذم بمنزلة المدح، يقال: مررت بزيدٍ الخبيثِ، والخبيثَ، ومن هذا: قوله ﷻ ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. وقد تدخل الواو على المنصوب على المدح والذم ويكون[٧] نكرةً، فيقال: مررت برجل ينصفُ من يُناظرهُ، وعاقلًا لبيبًا عالمًا، قال الشاعر:

ويـأوي إلـى نـسـوة عُـطَّـلٍ وشُعثًا مراضيعَ مثل السَّعَالِي[٨]

فنصب شعثًا على الذم. وقال آخر:

---

(١) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٥.

(٢) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥.

(٣) ليست في (أ)، (م).

(٤) في (ش): (لأجرينا).

(٥) في (ش): (بالتاء وفيهما).

(٦) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥.

(٧) في (ش): (بالتاء).

(٨) البيت، وهو لأمية بن أبي عائذ الهذلي، في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٥٠٧، ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٠٨ ولم ينسبه، وفي «لسان العرب» ٣/ ١٦٦١ (رضع). ويروى: وشعث على النعت كما ذكر الفراء. وهذا البيت في وصف صائد وإعساره. وعطل: هن اللواتي لاحلي عليهن، وشعث: جمع شعثاء، وشعثها من قلة التعهد بالدهن والنظافة. والسعالي: ضرب من الغيلان، الواحد: سعلاة.

إلى الملك القرم وابن الهمام وليثَ الكتيبة في المزدحم[(١)]

فنصب ليثَ على المدح.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ قال ابن عباس: يريد الفقر، وهو اسم من البؤس.(والضراء) قال: يريد المرض[(٢)]. وهما اسمان على فعلاء ولا أفْعل لهما؛ لأنهما ليسا بنعتين[(٣)].

(وحين البأس) قال ابن عباس: يريد القتال في سبيل الله والجهاد[(٤)]. ومعنى البأس في اللغة: الشدة، يقال: لا بأس عليكم في هذا، أي: لا شدة ولا حرج، ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥] شديد، ثم تسمى الحرب بأساء لما فيها من الشدة، والعذاب يسمى بأسًا لشدته، قال الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤] وقال: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ [الأنبياء: ١٢] وقال: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] كل هذا معناه: العذاب[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم[(٦)]. وهذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية

(١) سبق تخريج البيت.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩١، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٩، عن ابن مسعود والربيع وقتادة والضحاك وابن جريج.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٠، «التفسير الكبير» للرازي ٥/ ٤٥.

(٤) رواه الطبري ٢/ ١٠١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٢ عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة والربيع والضحاك وسعيد بن جبير والحسن وأبي العالية ومرة ومقاتل بن حيان.

(٥) ينظر في معاني البأس: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (بأس)، «المفردات» ص٧٥، «التفسير الكبير» ٥/ ٤٥.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٢.

للجمع، فمن شرائط البر وتمام شرط البار أن يجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر، فلا يظنن ظان أن الموفي بعهده على انفراد هذا الوصف فيه من جملة من قام بالبر، وكذا الصابر في البأساء حتى يستكمل هذه الأوصاف، وقد تدخل الواو في الأوصاف لموصوف واحد بقوله:

إلى الملك القرم ....[1]

البيت الذي أنشدناه آنفًا، دخلت الواو في هذه الأوصاف وهي لموصوف واحد. ولهذه النكتة اختلف السلف في هذه الآية، فقال بعضهم: هذه الصفة خاصة بالأنبياء؛ لأن غيرهم لا تجتمع فيه هذه الأوصاف كلها، وقال بعضهم: هذه عامة في جميع المؤمنين[2].

١٧٨- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾، كُتِبَ هاهنا، بمعنى: فُرض وأُوجب، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وأصله: أن من أراد إحكام شيء والاستيثاق منه كَتَبَه؛ لئلا ينساه، فقيل في كل مفروضٍ واجب: كتب، بمعنى: أحكم ذلك. وقيل: أصلُه: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، ومن هذا قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، أي: قضى الله ذُلك، وفرَغَ منه، وحَكَم به، ومثله قوله: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣]، أي: حكم بإخراجهم من دورهم، وقوله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ

---

(١) تقدم تخريج البيت .

(٢) نقله بتمامه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥ وصرح فيه بالنقل عن الواحدي.

عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، كل هذا من القضاء.

ويكون (كتب) بمعنى[١]: جعل، كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] وقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦][٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾ معنى القصاص في اللغة: المماثلة والمساواة، وأصله من قولهم: قصصت أثره، إذا تتبعته[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، فكأن المفعول به يتبع ما عُمِلَ به فَيَعْمَلُ مثله[٤]. والقِصَاص مصدر؛ لأنه فعال من المفاعلة.

قال الفراء في كتاب المصادر: قاصَصْته قَصَصًا، وأَقْصَصْتُه: إذا أقدته من أخيه إقْصَاصًا، ويقال: قَصَصْتُ أثره قَصَصًا وقَصًّا، وقَصَصْتُ عليه الحديثَ قَصَصًا، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

وقال في قَصِّ الأثر: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] والقَصُّ جائز في هذين. هذا كلامه. وأراد بالقصاص هاهنا: المماثلة في النفوس والجروح.

---

(١) في (أ): (يعنى).

(٢) ينظر في معنى (كتب): «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢، ١٠٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣، «المفردات» ص٤٢٥-٤٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ٧-٨، قال الراغب: ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم، بالكتابة، ووجه ذلك: أن الشيء يراد، ثم يقال، ثم يكتب، فالإرادة مبدأ، والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى.

(٣) في (م): (تبعته).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٦.

وقال الأزهري: أصل القَصّ: القطع. قال أبو زيد: قَصَصْتُ ما بينهما، أي: قطعت. قال الأزهري: والقِصَاص في الجِرَاح مأخوذ من هذا، وهو أن يُجْرحَ مثلَ ما جَرَح، أو يُقْتل مثل ما قتل[١]، والقول الأول أشهر؛ لأن القصاص والمقاصة في غير الجراح، يقال: قَاصَّه في الحساب وغيره: إذا أخذ الشيء مكان غيره.

وقال الليث: القصاص والتقاص[٢] في الجراحات والحقوق شيء بشيء[٣]، وهذا يبين أن معنى القصاص اعتبار المماثلة والمساواة[٤]. وليس معنى الآية أن القصاص واجب علينا حتى لا يسعنا تركه، ولكن معناه: أن اعتبار المماثلة بين القتلى فرضٌ علينا، فالفَرْضِية ترجع إلى اعتبار المماثلة بين[٥] الدماء، لا إلى نفس القصاص، حتى يلزم قَتْلُ القاتلِ حتمًا، فالقصاص حيث يجب إنما يجب إذا وُجِدَتْ المساواة، وهذا يؤكدُ أنَّ القولَ في اشتقاق القِصَاص في اللغة إنما هو من الاتباع، لا من القطع كما قاله الأزهري؛ لأنه لو كان من القطع لوجب القصاص حتى لا يسعنا تركه[٦].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٦ (قصّ)، وعبارته: والقصاص في الجراح مأخوذ من هذا، يجرحه مثل جرحه إياه، أو قتله به.

(٢) في (ش): (والتقصاص).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٦، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٥٢ (قصّ).

(٤) ينظر في معنى القصاص «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢-١٠٣، «اللسان» ٦/ ٣٦٥٢ (قصّ).

(٥) في (أ)، (م): (من).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢، ١٠٦، «زاد المسير» ١/ ١٨٠، «التفسير الكبير» ٥/ ٤٨، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣: وصورة فرض القصاص هو=

قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ أراد: الحر يقتص بالحر، فحذف لدلالة ذكر القصاص عليه. والحر: نقيض[(١)] العبد، قال أهل الاشتقاق: أصله من الحَرِّ الذي هو ضد[(٢)] البرد، وذلك أن الحُرّ له من الأنفة وحرارة الحمية ما يبعثه على المكرمة، بخلاف العبد، ثم قيل للأكرم من كل شيء: حُرٌّ تشبيهًا بالرجل الحر[(٣)].

قال المفسرون: نزلت الآية في حَيَّيْنِ من العَرَبِ، لأَحَدِهِما طَولٌ على الآخر، فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور، فقتلَ الأوضعُ منهما من الشريف قتلى، فحلف الشريف لَيَقْتُلَن الحرَّ بالعبد، والذكرَ بالأنثى. وليضاعفن الجراح، فأنزل الله هذه الآية؛ ليعلم أن الحر المسلم، كفء للحر المسلم، وكذلك العبد للعبد، والذكر للذكر، والأنثى للأنثى[(٤)].

= أن القاتل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله، والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه، وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله، وأن الحكام وأولي الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وليس القصاص باللزام، إنما اللزام أن لا يتجاوز القصاص إلى اعتداء، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح، فالآية معلمة أن القصاص هو الغاية عند التشاح.

(١) في (ش): (يقتص).

(٢) في (م): (نقيض).

(٣) ينظر في معاني الحر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٠-٧٨٣، «اللسان» ٢/ ٨٢٧-٨٣٢.

(٤) ينظر في سبب النزول «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٣، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣-٨٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٥، «أسباب النزول» للواحدي ص٥٢-٥٣، «زاد المسير» ١/ ١٨٠، «العجاب» لابن حجر ١/ ٤٢٣-٤٢٦، «لباب النقول» للسيوطي ص٣٢-٣٣، وقد استطرد الطبري -رحمه الله- في ذكر أسباب نزول للآية، وكلها تدور حول هذا المعنى الذي ذكره الواحدي.

ولم تدل[١] الآية على أن الذكر لا[٢] يقتل بالأنثى، ولكنها بينت أن من قُتِلتْ له أُنْثَى فقال: لا أقتل بها إلا رجلًا متعدٍّ غير منصف، فأما قتل الذكر بالأنثى فمستفاد من إجماع الأمة؛ لأنهما تساويا في الحرمة، والميراثِ، وحدِّ الزنى، والقذف وغير ذلك، فوجب أن يستويا في القصاص[٣].

قال الفراء: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥][٤] وكان عنده هذه الآية تدل على أن الرجل إنما يُقتل بالذَّكَر ولا يُقتل بالأنثى؛ لأنه قال: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ فلما لم يعمل بهذا وعمل بقوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ جعل هذه الآية منسوخة، والصحيح أن هذه الآية غير منسوخة؛ لأن حُكْمَ الآية ثابتٌ، ولم تدلَّ على أن الذكرَ لا يقتل بالأنثى[٥].

---

(١) في (ش): (تدلك).

(٢) في (م): (لم).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٥، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٤٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٦٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ١١ وقد حكى هؤلاء الثلاثة الإجماع على ما ذكره المؤلف. «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٩.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٧، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٤-٨٥: روي عن ابن عباس أن الآية نزلت مقتضية أن لا يقتل الرجل بالمرأة، ولا المرأة بالرجل، ولا يدخل صنف على صنف، ثم نسخت بآية المائدة: (أن النفس بالنفس)، قال القاضي أبو محمد (ابن عطية) : هكذا روي، وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل، فلا يترتب النسخ إلا بما تلقي عن رسول الله ﷺ، من أن حكمنا في شرعنا مثل حكمهم، وروي عن ابن عباس فيما ذكر أبو=

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ معنى العفو: هو ترك الواجب من أَرْشِ[١] جناية، أو عقوبة ذنب، أو ما استوجبه الإنسان بما ارتكبه من جناية فصفح عنه وترك له من الواجب عليه[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ أراد: من دم أخيه، فحذف المضاف للعلم به[٣]، وأراد بالأخ: المقتول، سماه أخًا للقاتل، فدل أن أخوة الإسلام بينهما لا تنقطع، وأن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله[٤][٥].

وفي قوله: (شيءٌ) دليل على أن بعض الأولياء إذا عَفَا سَقَطَ القود؛ لأن شيئًا من الدمِ قد بطل بعفو البعض[٦]، والله تعالى قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، والكنايتان في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ و﴿أَخِيهِ﴾ ترجعان إلى (مَنْ) وهو القاتل[٧]، ولا يحتاج أن يقال: أخيه المقتول؛ لأن هذا الحكم لا

= عبيد وعن غيره أن هذه الآية محكمة، وفيها إجمال فسرته آية المائدة، وأن قوله هنا: (الحر بالحر)، يعم الرجال والنساء، وقاله مجاهد.

(١) الأرش: ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك، لأنها جابرة لها عما حصل فيها من النقص، وسمي أرشا؛ لأنه من أسباب النزاع، يقال: أرَّشت بين القوم إذا أوقعت بينهم. «النهاية» ص٣٣.

(٢) وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء والشعبي وقتادة والربيع وغيرهم. ينظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٦٦، «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١.

(٣) «البحر المحيط» ١/ ١٢.

(٤) في (ش): (بقلبه).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٨.

(٦) «البحر المحيط» ١/ ١٣، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٤.

(٧) «تفسير البغوي» ١/ ١٩١.

يثبت ولا يوجد إلا عند القتل.

هذا الذي ذكرنا من معنى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ هو الذي عليه عامة المفسرين وأهل المعاني وإن لم[1] يبينوا هذا البيان.[2]

وقال الأزهري: هذه الآية فيها إشكال، وقد فسرها ابن عباس وغيرُه من المفسرين على جهة التقريب وقدر أفهام من شاهدهم من أهل عصرهم. وأهلُ عصرنا لا يكادون يفهمون عنهم ما أومأوا إليه حتى يزاد في البيان، ويوضح بعض الإيضاح، ونسأل الله التوفيق.

حدثنا محمد بن إسحاق، ثنا المخزومي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار[3] عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: كان القِصَاصُ في بني إسرائيل ولم تكن الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ قال: فالعفو أن تقبل الدية في العمد[4].

قال الأزهري: وليس العفو في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ عفوًا من ولي[5]

---

(١) (لم) سقطت من (م).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٩١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٦٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٤، وذكر خمس تأويلات للآية، وقال: هذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة من العلماء.

(٣) هو: أبو محمد عمرو بن دينار المَكِّي الأثرم الجمحي مولاهم، تابعي إمام حافظ ثقةٌ ثبت، توفي سنة ١٢٦هـ. ينظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢٣١، «التقريب» ص٤٢١ (٥٠٢٤).

(٤) الحديث: أخرجه البخاري (٤٤٩٨) كتاب التفسير، باب: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص)، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٧، كلاهما بهذا الإسناد.

(٥) في (ش): (ولا).

الدم، ولكنه عفو من الله -جل ذكره-، وذلك أنه لم يكن لبني إسرائيل أن يأخذوا الدية، فجعلها الله لهذه الأمة عفوًا منه وفضلًا، مع اختيار ولي الدم ذلك في العمد، فذلك قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي[1]: من عفا الله له بقبول الدية مع اختياره، أي: تَفَضَّل اللهُ عليه من هذه الأمة، ولم يكن ذلك الفضلُ لمن تَقَدَّمَه، قال: وقوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ هاهنا بمعنى البدل، المعنى: فمن عفا الله له بقبول الدية بدل أخيه المقتول. والعرب تقول: عوّضت[2] له من حقه ثوبًا: أي، أعطيته بدل حقه ثوبًا، وما أعلم أحدًا فسر من هذه الآية ما فسرته، فتدبره، فإنه صعب، واقبله بِشُكْرٍ إذ بان لك صوابه، انتهى كلامه[3].

ولقد أعجب بقوله، وزلّ[4] فيما تكلف، وليس الأمر على ما ذكر، فإن[5] قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ﴾ عفو من ولي الدم بإباحة الله تعالى ذلك، ولو

---

(١) لخص الواحدي كلام الأزهري، وهذا تمام هذه الجملة ٣/ ٢٢٦: أي: من عفا الله -جل اسمه- له بالدية حين أباح له أخذها بعدما كانت محظورة على سائر الأمم، مع اختياره إياها على الدم، (اتباع بالمعروف)، أي: مطالبة للدية بمعروف، وعلى القاتل أداء الدية إليه بإحسان، ثم بين ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، لكم يا أمة محمد، وفضل جعله لأولياء الدم منكم، ورحمة خصكم بها، ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، أي: من سفك دم قاتل وليه بعد قبوله الدية، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والمعنى الواضح في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: أحل له أخذ الدية بدل أخيه المقتول، عفوًا من الله وفضلًا مع اختياره، فليطالب بالمعروف.

(٢) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٣ (عاض).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٣ (بمعناه).

(٤) في (م): (وزاد).

(٥) في (م): (ما ذكرنا وقوله).

كان العفو من الله تعالى لتعيّنت[١] الدية وسقط القصاص أصلًا، ولا معنى لقوله: أي: من عفا الله له بقبول الدية، أي: تفضل الله به عليه؛ لأن هذا رُخِّص لولي الدم في العفو، وهذا التفضل من الله، هذا العفو على القاتل لا على ولي الدم. وقوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ أي: بدل أخيه المقتول[٢] ليس بشيء؛ لأن قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ عام في كل المقتول، ليس المراد به[٣] أخوة النسب، وعلى ما ذكره يختص بالأخ من[٤] طريق النسب، والحكم في كل مقتول سواء، وليس لتخصيص الأخ فائدة، ومن تأمل هذا ظَهَرَ له فساد قوله.

وقوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ على معنى: فعليه اتباع بالمعروف، ولو كان في غير القرآن لجاز: فاتباعًا وأداءً على معنى: فليتبع اتباعًا، وليؤد أداءً[٥]. قال الفراء: وهو بمنزلة الأمر في الظاهر، كما تقول: من لقي العدو فصبرًا واحتسابًا، فهذا نصب[٦]، ورفعه جائز، على معنى: فعليه. ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وليس شيء من هذا إلا ونصبه جائز على أن توقع عليه الأمر. ومما جاء منصوبًا قوله:

---

(١) في (م): (لم تثبت).

(٢) في (م): (العفو).

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ش).

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٩، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢.

(٦) في (م): (نصبه).

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤][1]. والمعروف: كل ما يتعارفه الناس ولا ينكرونه، ثم صار اسمًا للإحسان والجود والأخلاق الجميلة، لأنها مما لا ينكر، وأراد بالمعروف هاهنا: ترك التشديد[2] على القاتل في طلب الدية، ومعناه: فعلى[3] وليِّ المقتول الاتباع[4] بالمعروف في المطالبة بالدية[5]، وهو معنى قول ابن عباس: يطلبُ هذا بإحسان، ويؤدي هذا بإحسانٍ[6].

وقال بعضهم: قوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: فالأمر اتباعٌ بالمعروف، أو فالحكم فيه اتباع بالمعروف[7].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدَآءٌ﴾ الأداء: اسم، من قولك: أَدَّيْتُ إليه المال، وقد ينوب عن المصدر فيقال: أدّيت أداءً، كما يقال: سَلَّمْتُ

---

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٩-١١٠ بتصرف كبير، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) في (أ)، (م): (التشدد).

(٣) بياض في (م).

(٤) في (ش): (اتباع).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٩.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٩.

(٧) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٠، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٤٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٩، وقال: فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمر، تقديره: فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبًا، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، قال في «البحر المحيط» ٢/ ١٤: ولا أدري هذه التفرقة بين الواجب والمندوب إلا ما ذكروا من أن الجملة الابتدائية أثبت وآكد من الجملة الفعلية في مثل قوله: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩].

سلامًا، وكلَّمْتُ كلامًا، قال الله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾ الكناية ترجع إلى العافي، ودل عليه ﴿عُفِىَ﴾، لأنا قد ذكرنا أَنَّ الفعل يدل على الفاعل، فكأنه ذُكِر[1][2].

وقوله: ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ قال ابن عباس، في رواية عطاء[3]: يريد: أن يؤديَ الدية في نجومها، ولا يَمْطُلَه، ولا يذهبَ بشيء[4] منها، هذا هو الإحسان.

قال المفسرون: إن الله تعالى أمر الطالب أن يطلب بالمعروف، ويتبع الحق الواجب له، من غير أن يطالبه بالزيادة، أو يكلفه ما لا يوجبه الله، أو يشدد عليه[5]. كل هذا تفسير المعروف، وأَمَرَ المطلوب منه بالإحسان في الأداء، وهو ترك المَطْل والتسويف، وهذا لا يختص بثمن الدم، بل كل دين فهذا سبيله[6].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد حيث جعل الدية لأمتك يا محمد[7].

---

(١) في (ش): كأنها: (ذكره).

(٢) ينظر تفسير الواحدي لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(٣) في (م): (شيئًا).

(٤) تقدم الحديث عن هذه الرواية.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٥٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٥-٢٣٦. وقوله: بل كل دين فهذا سبيله، ففي حق الطالب قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. وفي حق المطلوب قال النبي ﷺ: **«مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته»**.

(٧) رواه الطبري بمعناه ٢/ ١١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦.

قال قتادة: لم تحلّ الدية لأحد غير هذه الأمة[١].

قال المفسرون: إن الله تعالى كتب على أهل التوراة أن يُقِيدُوا[٢]، ولا يأخذوا الدية، ولا يعفوا؛ وعلى أهل الإنجيل أن، يعفوا ولا يقيدوا ولا يأخذوا الدية؛ وخيّر هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو، فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: التخيير بين هذه الأشياء[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: كما كانت الجاهلية تفعل، تقتل من قوم القاتل عِدَّةً[٤].

وقال آخرون: أي: ظَلَم فوثب على القاتل فقتله بعد أخذ الدية[٥].

وفي هذه الآية أدلة على القدرية:

أحدها: قوله في افتتاح الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ ولا خلاف أن القصاص واقع في قتل العمد، فلم يسقط اسم الإيمان عن القاتل بارتكاب هذه الكبيرة.

والثاني: ما ذكرنا في قوله: (من أخيه).

والثالث: قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما يلحقان

(١) رواه الطبري عنه بمعناه ٢/ ١١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦.

(٢) في (ش): (ولا يفتقدوا).

(٣) روي نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع وقتادة. ينظر البخاري (٤٤٩٨) كتاب التفسير، باب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾، «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٥.

(٤) لم أجده في الطبري ولا ابن أبي حاتم ولا البغوي، وذكر الرازي هذا القول ولم ينسبه لأحد ٥/ ٥٥.

(٥) تنظر الآثار التي أوردها الطبري ٢/ ١١٢، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والحسن وعكرمة والسدي وابن زيد، وكذا عن ابن أبي حاتم ١/ ٢٩٧.

المؤمنين[١].

١٧٩- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ قال عُظْمُ أهل التأويل[٢]: معناه: أن سافكَ الدم إذا أُقيد منه ارتدع من كان يهمّ بالقتل، فكان في القصاص بقاءٌ؛ لأنه إذا علم أنه إن قَتَل قُتِلَ أَمْسَكَ وارتدع عن القتل، ففيه حياةٌ للذي همّ بقتله، وحياةٌ للهامّ أيضًا، وقد أخذ الشاعر هذا المعنى ونقله عن القصاص إلى العتاب فقال:

أبلغ أبا مالك عنى مُغَلغَلةً وفي العتاب حياة بين أقوام[٣]

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتابُ، وكَفُّوا عن القتل، فكان[٤] في ذلك حياةٌ. أخذه المتمثلون فقالوا: بعض القتل أحيا للجميع، وقالوا: القتل أقل للقتل[٥].

---

(١) ذكر هذا الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٩١ في مقام الاستدلال على أن القاتل لا يصير كافرًا، ولا يخلد في النار، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٩١.

(٢) ينظر في بيان كون القصاص حياة: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٤، ١١٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩١، «تفسير البغوي» ١/ ١٩١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩١، «التفسير الكبير» ١/ ٥٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٧- ٢٣٨، «البحر المحيط» ٢/ ١٥.

(٣) البيت لهمام الرقاشي في «مقاييس اللغة» ٤/ ٣٧٧، ولعصام بن عبيد الزماني في «تاج العروس»، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٦/ ٣٢٨٩ (غلل).

(٤) في (ش): (فكفوا عن القتل وكان).

(٥) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٦٦/ ٦٧، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ١٥٩، ويروى المثل بلفظ: القتل أنفى للقتل، وأوفى للقتل، وأكف للقتل. ينظر: «الصناعتين» لأبي هلال العسكري ص١٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩١، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٦، «الدر المصون» ٢/ ٣٥٧، وعزاه ابن كثير ١/ ٢٢٣-٢٢٤ لبعض الكتب المتقدمة.

وقال السدي: كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة، فلما قصروا على الواحد كان في ذلك حياة[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فرح، وأراد: أن ولي الدم إذا استوفى القصاص تشفّى بذلك وطابت نفسه، فالتذ بالحياة، ولولا القصاص لتنغص بعيشه، فكأن حياته موتًا. وقد يبلغ بالإنسان القصور عن إدراك الثأر إلى أن يتمنى الموت، سيما العرب، فإنهم أشد الأمم حفاظًا، وأحرصهم على إدراك الثأر، والأخذ بالطوائل، وكل عيشٍ يراد الموتُ فيه موت، فإذا زال سبب تمني الموت بالقصاص كان فيه حياة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا ما تذهب إليه العرب من أن قتل القاتل إحياء للمقتول، يقولون: أحيا فلان أباه، إذا قتل قاتله، ومنه:

أحيـا أبـاه هـاشـمُ بـنُ حَـرمَـلـه[٢]

يعني: قتل قاتله، فسماه إحياءً، فعلى هذا في القصاص حياة للمقتول على معنى: أن المراد بالحياة قتل قاتله.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ أولوا: واحدها ذو، وهو من الجموع التي لا يفرد واحدها من لفظه، كالنفر[٣] والرهط والقوم والخيل

---

(١) رواه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦٨، والرازي في «تفسيره» ٥/ ٥٦.

(٢) تمامه:

إذ الـمـلـوكُ حـولـه مُـرَعـبـلـه.

البيت لعامر الخصفي، ذكره في «الاشتقاق» لابن دريد ص٢٩٠، «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ١١٢، ١١٣، «الإصابة» ٣/ ٦١٦ وفيه قصة هذا البيت.

(٣) في (م): (كالنفس).

والإبل والنساء[١].

﴿الأَلْبَابِ﴾ جمع لُبّ، ولُبُّ الشيء: خالصُه، وهو الذي يَتركَّبُ عليه القِشْر، وكذلك اللُّبَاب، يُقال: لبابُ القَمح والفستق، ولُبّ اللَّوز[٢] والجوز. وسمي العقل لُبًا تشبيهًا به؛ لأنه أشرف خصال المرءِ، وأصل لُبّ: اللزوم، يقال: أَلَبَّ بالمكان، إذا لزمه لزوم لُبِّ الشّيء له، واللَّبَبَ: الرمل المتراكم، سمي للزوم بعضه بعضًا، ومنه قولُ ذي الرمة:

..... أفضى بها لَبَبُ[٣]

وقال ابن المظفر: اللَّبَابَةُ: مصدر اللَّبيب[٤]، وقد لَبِبْتَ تَلَبُّ، وهكذا قال الفراء

وغيرُه: لَبَّ يَلَبُّ: إذا عَقَل، ومنه قول صفية[٥] في ابنها الزبير[٦] وضربته، فقيل لها: لم ضربتيه؟ فقالت: أضربه كي يَلِبّ، ويقود الجيش ذا

---

(١) ينظر: «القاموس» ص١٣٣.

(٢) في (م): (الموز).

(٣) تمام البيت هكذا:

براقةُ الجِيدِ واللبات واضحة   كأنها ظبية أفضى بها لبب

ينظر: «ديوانه» ص٥٩.

(٤) في (أ): (اللبب).

(٥) هي: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، أم الزبير بن العوام شقيقة حمزة، صحابية، توفيت سنة ٢٠هـ- في خلافة عمر. ينظر: «أسد الغابة» ٧/ ١٧٢-١٧٤، «الأعلام» ٣/ ٢٠٦.

(٦) هو: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب، هو أول من سل سيفًا في سبيل الله، ما تخلف عن غزوة غزاها الرسول ﷺ، أحد المبشرين بالجنة، قتل سنة ٣٦هـ. ينظر: «الاستيعاب» ٢/ ٨٩، «أسد الغابة» ٢/ ٢٤٩-٢٥٢.

اللَّجَبْ[١].

وقرأتُ على سعيد بن محمد، قال: قرأت على أبي علي الفارسي، قال: قرأت على أبي إسحاق الزجاج، قال: قرأت على المبرد، عن يونس: لَبِبْتُ لبابًا، وليس في المضاعف حرف على فَعُلت غير هذا، ولم يروه أحدٌ غيرُ يونس[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: الدماء مخافة القصاص[٣].

١٨٠- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية. يعني: إذا تيقن حضور الموت، ورأى أعلامه، ولم يشكُك في قربِهِ منه.

فقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ يريد: أسبابَ الموت ومقدماته، من العلل والأمراض. وكان الإيصاء فرضًا قبل نزول أسباب الموت، ولكن يتضيق عند نزول سبب الموت حتى لا يجوز التأخير، فلذلك[٤] قال: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ليس أنه قبل الحضور لم يكتب عليه[٥]. وإنما قال:

---

(١) الخبر في «اللسان» ٧/ ٣٩٧٩ «لبب»، وفيه فقالت: ليَلَبَّ، ويقود الجيش ذا الجلب، أي: يصير ذا لُب، ورواه بعضهم: أضربه لكي يلَبَّ، ويقود الجيش ذا اللجب، قال ابن الأثير: هذه لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: يلِبّ، بوزن فَرَّ يَفِرُّ.

(٢) ينظر في معاني اللبيب: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٤-٣٢٢٦، «المفردات» ص٤٤٩، «اللسان» ٧/ ٣٩٧٩ (لبب).

(٣) «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٢.

(٤) في (ش): (فكذلك).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٦، وذكر قولًا آخر: وهو أن المراد بالموت حقيقته لا مقدماته، فيكون الخطاب متوجهًا للأوصياء والورثة أن ينفذوا الوصية.

﴿كُتِبَ﴾، لأنه أراد بالوصية الإيصاء، أو للفصل بين الفعل والوصية؛ لأن الكلام لما طال كان الفاصل بين المؤنث والفعل كالعوض من تاء التأنيث، والعرب تقول: حَضَرَ القاضي امرأةٌ، فيُذَكِّرون؛ لأن القاضي فَصَل بين الفعل وبين المرأة. وقد أحكمنا هذا فيما سبق(١). ورفع ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ من وجهين:

أحدُهما: على ما لم يسم فاعله، والثاني: على الابتداء، ويكون ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ الخبر، وتكون الجملة في موضع رفعٍ بـ﴿كُتِبَ﴾، كما تقول: قيل: عبدُ الله قائم، فترفع عبدَ الله بقائم، وقائمًا بعبد الله، وتكون الجملة في موضع رفعٍ بـ (قيل)(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ الخيرُ: اسم جامعٌ للمالِ وغيرِه، والخيرُ يراد به المالُ في كثيرٍ من القرآنِ، كقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤](٣).

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشيء الذي يعلم ذوو التمييز أنه لا حيف فيه، فهو العدل الذي لا ينكر، يعني: لا يزيد على الثلث(٤).

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٦٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٢-٩٤.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٣، «التفسير الكبير» ١/ ٦٠، «البحر المحيط» ١/ ١٩.

(٣) ينظر في معاني الخير: «المفردات» ص١٦٧-١٦٨، «البحر المحيط» ١/ ١٧.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧.

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ أي: حقَّ ذلك عليكم حقًّا[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يتقون الشرك[٢].

وقد اجتمعت العلماء على نسخ هذه الآية[٣].

وكان السبب في نزول هذه الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم للبعداء رياءً وسمعةً، ويتركون العيالَ عالةً، فصرف الله بهذه الآية ما كان يُصرف إلى البعداء إلى الأهلِ والأقرباء، فَعُمِل بها ما كان العمل صلاحًا، ثم نسختها آية المواريث[٤]، فكانت الوصية للوالدين والأقربين فرضًا على من مات وله مال، حتى نَزَلَتْ آيةُ المواريث في سورة النساء، فأجمعوا على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون[٥]؛ لقوله ﷺ:

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧، «البحر المحيط» ١/ ٢١، وقيل: نصب على المفعول، أي: جعل الوصية حقًّا، وقيل: على القطع من الوصية.

(٢) «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤.

(٣) تابع المؤلف - رحمه الله - الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٩ في هذا الإجماع، وسيأتي في كلامه ما يدل على نقض هذا الإجماع، وممن ذكر الخلاف في الآية فأطنب: الإمام الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٦، ولو قال -رحمه الله-: أجمع العلماء على نسخ حكم هذه الآية في القريب الوارث، لكان مقاربا، وهذا ما ذكره بعد عدة أسطر.

(٤) أشار إلى هذا الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٠، وذكره الرازي ٥/ ٦٠.

(٥) رواه عن ابن عباس: البخاري (٢٧٤٧) كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأبو داود (٢٨٦٩) الوصايا، باب: ما جاء في نسخ الوصية للوالدين، والدارمي ٢/ ٤١٩-٤٢٠، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٣٠، والطبري ٢/ ١١٧-١١٩.

«**ألا إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**»[(١)] .

فأما الأقرباء الذين لا يرثون، والوالدان اللذان لا يرثان بكفر أو رقٍّ، فهل تجب الوصية لهم؟ اختلفوا، فذهبت جماعة إلى أن الوصية للوارث نسخت، والوصيّة لهؤلاء الذين لا يرثون لم تنسخ، وهو[(٢)] مذهب مسلم بن يسار، والعلاء بن زياد[(٣)(٤)]، ومسروق[(٥)] والحسن[(٦)]، حتى قال

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢٠) كتاب الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، والنسائي ٦/ ٢٤٧ كتاب الوصايا، باب: إبطال الوصية للوارث، وأبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، وابن ماجه (٢٧١٣) كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأحمد في «المسند» ٤/ ١٨٦-١٨٧، عن أبي أمامة الباهلي. وقال الترمذي: حسن صحيح.وحسنه الحافظ في «التلخيص الحبير» ٣/ ١٠٦، وللحديث روايات ذكرها الزيلعي في «نصب الراية» ٤/ ٤٠٣، وقال الحافظ في «الفتح» ٥/ ٣٧٢ بعد أن ذكر رواياته: ولا يخلو إسناد كل منها من مقال، لكن مجموعها يقتضي أن للحديث أصلًا، بل جنح الشافعي في الأم إلى أن هذا المتن متواتر.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٣/ ٤٤٢ : استفاض عند أهل العلم، وقوله : لا وصية لوارث استفاضة هي أقوى من الإسناد والحمد لله .

وقد ذكره السيوطي ضمن الأحاديث في كتابه: «الأزهار المتناثرة» ص١١٩؛ وكذا الكتاني في «نظم المتناثرة من الحديث المتواترة» ص١٧٦، ينظر: «نصب الراية» للزيلعي ٤/ ٤٠٣.

(٢) في (م): (وهذا).

(٣) العلاء بن زياد بن مطر العدوي، أبو نصر البصري، ثقة، أحد العباد، توفي في ولاية الحجاج سنة ٩٤ هـ. ينظر: «الثقات» ٥/ ٢٤٦، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٤٣.

(٤) رواه عن مسلم والعلاء في أثر واحد: ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١/ ١٦٦، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٣٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٨.

(٥) هو: أبو عائشة، مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، تابعي ثقة ، من أخص تلاميذ ابن مسعود، كان عابدًا فقيهًا مقرئًا، توفي سنة ١٦٢هـ، وقيل بعدها. ينظر: «السير» ٤/ ٦٣-٦٩، «الأعلام» ٧/ ٢١٥.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٨.

الضحاك: من مات ولم يُوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية[١].

وقال طاوس: إن أوصى للأجانب[٢] وترك ذوي قرابته نزع منهم، ورد إلى ذوي قرابته[٣].

فعلى قول هؤلاء: النسخُ تناول بعض أحكام الآية وهو الوصية للوارث[٤]. والأكثرون من العلماء -وهو الذي يعمل به اليوم- على أن حكم الآية كلّه[٥] منسوخ، ولا تجب على أحد وصية لأحد قريب ولا بعيد. وإذا أوصى فله أن يُوصِي لكل من شاء من الأقارب والأباعد إلا الوارث[٦].

قال أبو عبيد: وعلى هذا القول أجمعت العلماء من أهل الحجاز وتهامة والعراق والشام، منهم سفيان ومالك الأوزاعي[٧] والليث، وجميع

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٦، وسعيد بن منصور في «السنن» طبعة الأعظمي ١/ ١٣٥، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٨٤، ومكي في «الإيضاح» ١٤٤.

(٢) في (ش): (الأجانب).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» ٩/ ٨١، والطبري ٢/ ١١٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٣١٩ إلى عبد بن حميد، وذكره الثعلبي ٢/ ١٩٨، والرازي ٥/ ٦٣.

(٤) عزا الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٧، ١١٨ القول بذلك أيضا إلى ابن عباس وقتادة والربيع وإياس بن معاوية.

(٥) سقطت من (م).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١/ ٤٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٩٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧، «البحر المحيط» ١/ ١٧، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٢.

(٧) هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو يحمد الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا وزهدًا، توفي سنة ١٥٩هـ. ينظر: «السير» ٧/ ١٠٧-١٣٨، «الأعلام» ٣/ ٣٢٠.

أهل الآثار والرأي، وهو القول المعمول به، أن الوصية جائزة للناس كلهم، ما خلا الورثة، غير واجبة[١].

والخير في هذه الآية حمل على المال الكثير[٢]، فقد روي عن علي رضي الله عنه أنه دخل على مريض يعوده، فقال: إني أريد أن أوصي، فقال علي: إن الله ﷻ يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإنما تدع شيئًا يسيرًا، فَدعه لعيالك، فإنه أفضل[٣].

وروي أيضًا أن رجُلًا قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإن هذا شيء يسير،[٤] فاتركه

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٣١.

(٢) الخير هنا: المال، في قول جميع المفسرين، وقد اختلف المفسرون فيه: فمنهم من جعل له حدًا معينًا، فمن ترك ذلك أوصى، وإلا فلا، واختلفوا في ذلك الحد، ومنهم من قيده بوصف، وهو المال الكثير عرفا كما بينه الواحدي، ومنهم من أطلق في القليل والكثير، كما روي عن الزهري، ونصره الطبري. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢١، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٩، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٩، «البحر المحيط» ١/ ١٧.

(٣) رواه الثوري في «تفسيره» ص٥٥، وعنه عبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٦٣، والدارمي في «سننه» ٢/ ٤٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٨، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٥٩، والبيهقي ٦/ ٢٧٠، وابن أبي شيبة في «المصنف»١١/ ٢٠٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٠١، وقال: صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الذهبي بقوله: فيه انقطاع يعني الانقطاع بين عروة بن الزبير وعلي ﷺ.

(٤) في (م): (شيئًا يسيرًا).

لعيالك(١).

١٨١- قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ الكناية تعود إلى الإيصاء؛ لأن الوصيةَ في معنى الإيصاء، ودالة(٢) عليه، كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وعظ. وقيل: الهاء(٣) راجعة إلى الحكم والفرض، إذ كان تأويل ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ﴾: فرض عليكم، فكأنه قال: فمن بدل فرض الله، فيدل ﴿كُتِبَ﴾ على الكَتْبِ فيُكْنى عنه.

وقيل: الكناية تعود إلى معنى الوصية، وهو قول أو فعل(٤)، قال المفسرون: أي فمن غيّر الوصية من الأوصياء والأولياء والشهود ﴿بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ من الميت(٥).

وما: صلة زائدة. والكناية في ﴿سَمِعَهُۥ﴾ ترجع إلى حيث رجعت الكناية(٦) في ﴿بَدَّلَهُۥ﴾. وقيل: (ما) بمعنى: الذي، والكناية في ﴿سَمِعَهُۥ﴾

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١/ ٢٠٨، وسعيد بن منصور في «السنن» ٢/ ٦٥٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢١، والبيهقي في «الوصايا»، باب: من استحب ترك الوصية إذا لم يترك شيئًا كثيرًا ٦/ ٢٧٠، ونحوه عن عبد الرزاق في الوصايا، باب: الرجل يوصي وماله قليل ٩/ ٦٣.

(٢) في (ش): (دالة) بلا واو عطف.

(٣) في (م): (إنها).

(٤) ينظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، «تفسير الطبري» ٢/ ١٢١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٠٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤، «التبيان» للعكبري ص١١٤.

(٦) سقطت من (م).

راجعة إليه. والمعنى: فمن بدله بعد الذي سمعه، أي: من تغليظ الإثم في التبديل، والعادة في الوصايا أن يُذْكَر فيها تغليظٌ على من بدَّلَها، وهذا فيه بعد؛ لأن التغليظَ ذُكِر بعد قوله: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيبعد أن تجعل ما بمعنى الذي[1].

وقوله: ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي: إثم التبديل على الذين يبدلونه[2]، أي: على من بدل الوصية، وبرئ الميت[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ قد سمع ما قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته وما أراد، وعليم بما يفعله الوصي[4]. ويحتمل أن يكون المنهي عن التبديل المُوصي، نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله سبحانه، وأمر أن يوصي على الوجه الذي أمر الله، وعلى هذا قوله: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي: عن[5] الله تعالى[6].

١٨٢- قال الكلبي: كان الأولياءُ والأوصياءُ يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن كانت مستغرقة للمال، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[7] أي: خشي، وقيل: علم.

---

(١) ينظر في هذه الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٠، «التبيان» للعكبري ص١١٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢.

(٢) من قوله: (فيبعد) ساقط من (ش).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٢، ١٢٣، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «البغوي» ١/ ١٩٤.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «البغوي» ١/ ١٩٤.

(٥) في (م): (من).

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٧، لكنه قال: ثم نسختها هذه الآية: (فمن خاف من موص جنفا). وذكره البغوي ١/ ١٩٤، وروى عبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٨٩ عن سفيان الثوري نحوه.

والخوف[١] والخشية يستعملان بمعنى العلم؛ لأن في الخشية والمخافة طرفًا من العلم؛ لأن القائل إذا قال: أخاف أن يقع أمر كذا، كأنه يقول[٢]: أعلم، وإنما يخاف لعلمه بوقوعه، فاستعمل الخوف في العلم، قال الله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] أي: علمنا، ومنه ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] وقوله: ﴿إلّا أن يخافا ألا يقيما﴾ [البقرة: ٢٢٩][٣].

وقوله: ﴿جَنَفًا﴾ أي: ميلًا، يقال: جَنِفَ يَجْنَفُ جَنَفًا: إذا مال، وكذلك تجانف، ومنه قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣][٤].

قال ابن عباس: يريد: خطأ من غير تعمدٍ[٥].

قال عطاء: هو أن يُعطي عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض[٦].

وقال طاوس: جنفُه: توليجه، وهو أن يوصي لولد ولده، يريدُ ولدَه[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي: قصدًا للميل، قال السُدّي[٨] والربيع[٩]

---

(١) في (ش): (فالحوف).
(٢) في (م): (قال).
(٣) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠١، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٨، «البغوي» ١/ ١٩٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٦.
(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، «المفردات» ص١٠٨، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٥.
(٥) رواه الطبري ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٢، وقال: وروي عن أبي العالية ومجاهد والضحاك والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك.
(٦) رواه عنه الطبري بنحوه ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠١.
(٧) رواه عنه الطبري بنحوه ٢/ ١٢٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠١.
(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٥.
(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٧.

وعطية[١]: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد.

فمن قال: (خاف) معناه: خشي قال: تأويل الآية: من حَضَر مَرِيضًا وهو يُوصي، فخاف أن يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو يتعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له، فلا حَرَجَ عليه أن يُصلح بينه وبين ورثته، بأن يأمره بالعدل وهذا قول مجاهد[٢].

ومن قال خاف: معناه علم، قال: الميت إذا أخطأ في وصيته، أو حاف فيها متعمدًا، فلا حَرَجَ على من علم ذلك أن يُغَيِّرَه، ويصلح بعد موتِه بين ورثته وبين المُوصَى لهم، من وليّ أو وصيّ أو والي أمر المسلمين، ويردَّ الوصيَة إلى العدل. وهذا معنى قول ابن عباس[٣] وقتادة[٤] والربيع[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ يريد: بين الورثة والمختلفين في الوصية، وهم المُوصَى لهم. وسياق الآية وذكر الوصية يدل عليهم، فكنى عنهم[٦].

وقال الكسائي والفراء[٧]: قوله: (أصلح) يدل على أن الصلح يكون

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٧.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٩٦، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٢٠ إلى عبد بن حميد، وهذا اختيار الطبري.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٣، وروي عن أبي العالية وطاوس والحسن وإبراهيم وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل نحو ذلك.

(٤) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٩، والطبري ٢/ ١٢٤، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ١٧١.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢٤، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٠٣.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢١٦، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٤.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١١.

بين الورثة والمُوصَى لهم، قال الكسائي: لأنّ أصلح لا يكون على واحد، لا تقول: أصلحت بينَه، ولكن بينهما، أو بينهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ إنما قال للمتوسط للإصلاح: ليس عليه إثم، ولم يقل فله الأجر؛ لأنه ذكر إثم التبديل، ونفى الإثم عن المصلح، ليبين أنه ليس بمبدل(١).

١٨٣- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ الآية، الصيام: مصدر صام كالقيام، وأصله في اللغة: الإمساكُ عن الشيء والتركُ له، ومنه: قيل للصمت: صوم، لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [مريم: ٢٦]، وصام النهار: إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، قال امرؤ القيس:

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسْرةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا(٢)

وقال آخر:

حتى إذا صَامَ النهارُ واعتَدَلْ(٣)

---

(١) «التفسير الكبير» ٥/ ٦٧، وذكر أربعة أوجه.

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ٦٣، «الكامل» للمبرد ٣/ ٨٩، «أساس البلاغة» (مادة: كنز). «لسان العرب» ٤/ ٢٥٣٠ (صوم) والجسرة: الناقة النشيطة، والذمول: هو «السير» السريع، وهجّرا: من الهاجرة، وهي شدة الحر. ينظر: «الديوان» ص٦٣.

(٣) ورد هذا الرجز بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٢٦، بعده عنده:

وسال للشمس لعابٌ فنزل

وكذا في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨١، وفي «لسان العرب» ٣/ ١٥٢٤، ٣/ ١٩٠١ (ذوب، زيق)، بالرواية التالية:

وقام ميزان النهار فاعتدل

وصامت الريح: إذا ركدت، وصام الفرس: إذا قام على غير اعتلاف، ومنه قول النابغة:

خيل صيامٌ وخيلٌ غير صائمة[(١)]

ويقال: بكرة صائمة: إذا قامتْ فلم تَدُر، وقال الراجز:

والبكراتُ شَرُّهن الصائمه[(٢)]

ومَصَام الشمس: حيث تَستَوى في مُنتصف النهار، وكذلك مَصَام النجم، وروي في شعر امرئ القيس:

كَأنَّ نُجومًا عُلِّقَتْ في مَصَامِها

بأَمْراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[(٣)]

هذا هو الأصلُ في اللغة[(٤)].

وفي الشريعة: هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية به[(٥)].

---

(١) عجز البيت:

تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

في ملحق «ديوانه» ص٢٤٠، «الكامل» للمبرد ٣/ ٨٩ ، «لسان العرب» ٥/ ٣٠٧٧ (مادة: علك)، ٤/ ٣٥٢٩ (مادة: صوم).

(٢) ذكره في «البحر» ٢/ ٢٦، ولم ينسبه، وذكره في «اللسان» ٢/ ٣٣. وقوله: الصائمة: أي التي لا تدور.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص١٩، «اللسان» ٤/ ٢٥٣٠ (مادة: صوم).

(٤) ينظر في (مادة: صوم): «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٨، «الثعلبي» ٢/ ٢٢٥، «المفردات» ص٢٩٣، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦، «اللسان» ٤/ ٢٥٣٠، «أساس البلاغة» ٢/ ٣٣.

(٥) ينظر في تعريفه: «المغني» ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٩-١٠٢.

وإجماعُ المفسرين على أن المراد بهذا الصيام صيام شهر رمضان[(١)]، وقد كان الفرض في ابتداء الإسلام صومَ يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، فنسخ ذلك بصيام رمضان قبل قتال بدر بشهرين[(٢)].

(١) حكى الواحدي هذا الإجماع في «الوسيط» ١/ ٢٧٢، ولا يسلم له؛ لورود الخلاف؛ حيث يرى جماعة أن المراد صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيامها وصيام عاشوراء، على خلاف بين القائلين بذلك، وبه قال قتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس.
وقد بيّن الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٧٨ أن الناس اختلفوا في التشبيه الذي دلت عليه الكاف، هل هو على الحقيقة، فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا؟ أو المراد: مطلق الصيام دون وقته وقدره؟ قولان، والثاني قول الجمهور. وينظر في ذكر الخلاف: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٩-١٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٢٣٥، «الإجماع في التفسير» ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩-١٣٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٤-٣٠٥، «الدر المنثور» ١/ ٣٢٢.
قال البغوي ١/ ١٩٦: قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ بصوم رمضان، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد بن إسحاق: كانت غزوة بدر يوم الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة، ثم ذكر حديث عائشة في الصحيحين، قالت: كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. البخاري (٢٠٠٢) كتاب الصوم، باب: صوم عاشوراء، ومسلم (١١٢٥) كتاب الصوم، باب: صوم عاشوراء.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال بعضهم: التشبيه عائد إلى الإيجاب، فنحن متعبدون بالصيام كما تعبد الله من قبلنا من الأمم وأهل الكتابين(١).

وقيل: إن التشبيه يعود إلى وقت الصوم، وقدر الصوم(٢)، وذلك أن الله تعالى فرض صيام رمضان على اليهود والنصارى، فأما اليهود فإنها تركت الشهر وصامت يومًا من السنة تزعم(٣) أنه يوم غَرَق فِرعون، وكذبت في ذلك أيضًا؛ لأن ذلك اليوم يوم عاشوراء على لسان رسول الله ﷺ.

فأما النصارى فإنهم حَوَّلوا صيامهم إلى فصل اعتدال الهواء؛ لأنهم ربما صاموه في القيظ، فكان يشتدُّ عليهم، فاستدعوا أحبارهم أن ينقلوا الصوم إلى وقت اعتدال الهواء، ويزيدوا عليه زيادة، ففعلوا، وزادوا عشرة أيام، ثم إن حبرًا لهم اشتكى فمه، فنذر إن(٤) شُفي أن يزيد في صومهم عشرة أيام، فبَرَأ فزاد، فصومهم اليوم خمسون يومًا. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١](٥).

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠١.

(٢) روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩، ١٣٠، «ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٥، «الثعلبي» ٢/ ٢٣٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠١.

(٣) في (ش): (بزعم).

(٤) في (ش): (لأن).

(٥) رواه الطبري ٢/ ١٢٩ عن السدي، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١١٢، والثعلبي ٢/ ٢٣٣، والبغوي ١/ ١٩٥، وعند الثعلبي أن الذي اشتكى ملك وليس حبرًا، وقد روي نحوه مرفوعًا إلى النبي ﷺ، فقد روى البخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ٢٥٤، والطبراني في «الكبير» ٤/ ٢٢٦، «الأوسط» ٩/ ٩٠، والنحاس=

وقال الشعبي: إنهم أخذوا بالوثيقة فصاموا قبل الثلاثين يومًا، وبعدهَا يومًا ثم لم يزل الآخر يَسْتَنّ بسُنَّة القرن[١] الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يومًا، ولهذا كره صوم يوم الشك[٢].

قال أبو إسحاق: وموضع ﴿كَمَا﴾ نصب على المصدر، المعنى: فرض عليكم فرضًا كالذي فرض على الذين من قبلكم[٣].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من الصيام، يراد بها: كتب عليكم الصيام مشبهًا ومماثلًا ما كتب على الذين من قبلكم[٤].

وقال أبو علي الفارسي: هو صفة لمصدر محذوف، تقديره: كتابة كما كتب يعني: مثل ما كتب عليهم، فحذف المصدر، وأقيم نعته مقامه، قال: ومثله في الاتساع والحذف قولهم في صريح الطلاق: أنتِ واحدة،

= في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٩٢ عن دغفل بن حنظلة، والطبراني في الكبير وقفه عليه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ١٤٢: رواه الطبراني في «الأوسط» مرفوعًا، ورواه الطبراني في الكبير موقوفًا على دغفل، ورجال إسنادهما رجال الصحيح، وقال الدكتور المنيع في تحقيق «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٤: الحديث مرسل، دغفل بن حنظلة مخضرم، ولم يصح أن له صحبة.

(١) في (ش): (القران).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١١١، ورواه الطبري عنه ٢/ ١٢٩، والثعلبي ٢/ ٢٣٤، وقد ورد النهي عن صيام يوم الشك في أحاديث، منها: حديث أبي هريرة، رواه البخاري (١٩١٤) كتاب الصوم، باب: لا يتقدمن رمضان بصوم يوم ولا يومين، ومسلم (١٠٨٢) كتاب الصوم، باب: لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، وليس فيه الجملة الأولى.

(٤) ينظر: «التبيان» ١/ ١٤٨، «المحرر الوجيز» ١/ ٢٥٠.

يريدون: أنت ذات تطليقة واحدة، فحذف المضاف والمضاف إليه، وأقيم صفة المضاف إليه مقام الاسم المضاف إليه[١].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد كي تخافوني في حدودي وفرائضي[٢].

وقال السُّدي: لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في وقت وجوب الصوم[٣].

وقال الزجاج:[٤] لتتقوا المعاصي، فإن الصيام وصلةٌ إلى التقى؛ لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلَّع إليه النفسُ من المعاصي، و(لعل) هاهُنَا على ترجي العباد، والله ﷻ من وراء العلم أيتقون[٥] أم لا؟ ولكن المعنى: أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رَجاؤكم في التقى[٦].

١٨٤- قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ في انتصاب الأيام وجوه:

أحدُها: أنها[٧] ظرف لكُتب، كأنه: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام، هذا قول الزجاج[٨].

---

(١) ينظر: «التبيان» ١/ ١٤٨، وزاد وجهًا رابعًا، وهو أن يكون في موضع رفع صفة للصيام، «المحرر الوجيز» ١/ ٢٥٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، وينظر معنى لعل في: «المفردات» ص٤٥٤.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٥.

(٤) من قوله: (يريد: كي) مكرر في نسخة (م)، وفيه تقديم وتأخير.

(٥) في (ش): (أتتقون).

(٦) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣١، فيه مناقشات للأعاريب المذكورة.

(٧) في (م): (آنه).

(٨) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

وقال الفراء: هي نصب على خبر ما لم يسم فاعله؛ لأن كل ما لم يسم فاعله، إذا كان فيه اسمان أحدهما غير الآخر رفعتَ واحدًا ونصبت الآخر، كما تقول: أُعطي عبدُ الله المال، ولا تبال أكان المنصوب معرفةً أو نكرة، فإن كان الآخر نعتًا للأول، وهما معرفتان، رفعتهما جميعًا، فقلت: ضُربَ عبدُ الله الظريفُ، رفعتَه؛ لأنه عبد الله، وإن كان نكرة نصبته، قلت: ضُرِبَ عبدُ الله راكبًا وماشِيًا ومظلومًا[١].

قال أبو إسحاق: ليس هذا بشيء، لأن الأيام هَاهُنَا معلقة بالصوم، وزيدٌ والمال مفعولان لأُعطي، فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل، وليس في هذا إلّا نصب[٢] أيام بالصيام[٣].

ونصر أبو علي الفارسي قول الفراء، وقال: يجوز أن ينتصبَ الأيام انتصاب المفعول به على السعة، وهو أن يكون الأيام اسمًا لا ظرفًا، فتخرجها من حيّز الظروف إلى حيز الأسماء، متسعًا فيها، وهذا الاتساع كثير واسع في الظروف، وقد جاء التنزيل به، وهو قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، فجواز الإضافة إليهما[٤] دل على خروجهما من الظرف، ومتى وقعت الإضافة إلى هذه الأسماء المستعملة ظروفًا أخْرَجَتها الإضافة عن ذلك وأدخلتها في حَيّزِ الأسماء، وقد نص سيبويه على جواز هذا في قوله: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار.

---

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢، وقد خطأ أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣١ قول الفراء وناقشه.

(٢) في (ش): (ونظر).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

(٤) في (م): فجواز إليهما وفي (ش): (إليها).

وإذا كان هذا الاتساع على ما ذكرت لك في الكثرة والحسن ومجيء التنزيل به، فلم ينكر أن تحمل هذه الآية أيضًا عليه، وإذا حمل عليه، كان بمنزلة: أُعطي زيدٌ المال، ولا يمتنع على هذا التقدير أن تكون الأيام ظرفًا لـ(كُتِبَ)، ولا شيءَ يمنع من كون الأيام ظرفًا لكُتِبَ؛ لأن الصّيَام مفروض مكتوب في أيام معدودات، وإذا كان ظرفًا له لم يمتنع أن يتسع فيه، فينتصب انتصاب المفعول به، وإذا نصب انتصاب المفعول به كان بمنزلة: أُعطى زيدٌ المال، وصار الأيام في موضع المال، لا إشكال في جواز هذا الوجه، فقد بان أن ما منعه أبو إسحاق من إجازة أن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ بمنزلة أعطي زيدٌ المال جائز غير ممتنع.

وعند أبي علي يجوز أن تُعمل (الصيام) في الأيام، ثم[1] يجوز في انتصاب الأيام الوجهان اللذان ذكرنا إذا أعملت فيها(كتب)، من الظرف والانتصاب على المفعول به، فالظرف أن تجعل الأيام ظرفًا للصيام لا للكتابة، كما تقول: كتب عليكم الدخول يوم كذا، يجوز[2] أن تجعل اليوم ظرفًا للدخول، وإن جعلت الأيام مفعولًا به لصيام أعملت الصيَام وهو مصدر، فنصبت به، والمصدر يعمل عمل الفعل، كقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وهو كثير، ومثله:

لحِقتُ فلم أنكُلْ عن الضرب مِسْمَعَا

قال أبو علي: والأجودُ فيمن جَعَل الأيامَ معمول الصيام أن ينصب على أنه ظرف ولا يجعله مفعولًا للمصدر؛ لأنه يعمل المصدر وفيه الألف

---

(١) (ثم) ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): (ويجوز).

واللام إعمال الفِعل، وذلك لا يحسن؛ لأن الفعل نكرة، فحُكْمُ ما قام مقامه ويعمل عمله أن يكون مثلَه، وإن كان أصحاب سيبويه قد أجازوه.

فأما[١] قوله: عن الضرب مسمَعًا، فقد قيل فيه: إن مسمعًا مفعول (لحقت) دون الضرب، فإن قيل: الإضافة في التعريف كالألف واللام، وقد جاء المصدر عاملًا في الإضافة، كقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾ [البقرة: ٢٥١] قيل: الإضافة أسهل من الألف واللام، ألا ترى أن الإضافة قد تقدر فيها الانفصال كثيرًا والألف واللام لا تشبهها، فلهذا رجَّحْنا قول من جعله ظرفًا، ولا يمتنع كون الأيام ظرفًا للصيام؛ لأن الصيام فيها، كما أن الكتابة فيها. وجمهور المفسرين على أن المراد بالأيام المعدودات: شهر رمضان[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ إلى قوله: (أخر) فيه معنى الشرط والجزاء، أي: من يكن منكم مريضًا أو مُسافرًا فأفطر فليقض. وإذا قدرت فيه معنى الشرط كان المراد بقوله: ﴿كَانَ مِنكُم﴾ الاستقبال لا المضي، كما تقول: من أتاني أتيته، وفي الآية إضمار؛ لأن التقدير: فأفطر فعدة؛ لأن القضاء إنما يجب بالإفطار لا بالمرض والسفر، ومثله قوله: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والحذف كثير في كلام العرب إذا كان فيما[٣] أُبقي دليلٌ على ما أُلقي، قال ذُو الرمة :

(١) في (ش): (وأما).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣١، ١٣٢، وهو اختياره، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٠.

(٣) في (م): (ما).

فلما لبسن الليل أو حين نصَّبت له من خذا آذانها وهو جانح[١]

أراد: أو حين أقبل[٢].

ونذكر في الآية التي بعد هذه حكم المرض والسفر في الصوم.

وأصل السَّفَر من الكشف، وذلك أنه يكشف من أحوالِ الرجالِ وأخلاقهم، والمِسفَرة: المكنس؛ لأنها تُسِفر التراب عن الأرض، والسَّفيرُ: الداخل بين اثنين للصُّلح؛ لأنه يكشف المكروه الذي اتصل بهما، والمُسْفِر: المضيء؛ لأنه قد انكشف وظهر، ومنه: أسفر الصبح، والسِّفْرُ: الكتاب؛ لأنه يكشف عن المعاني ببيانه، ومنه ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥]، أي: كتبة؛ لأن الكاتب يكشف عن المعاني، وسفرتِ المرأةُ عن وجهها: إذا كشفت النقاب[٣].

قال الأزهري: وسمي المسافر مُسَافرًا، لكَشْفِه قناع الكِنِّ عن وَجْهه، وبروزه للأرض الفضاء، وسُمي السَّفرُ سَفَرًا؛ لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافيًا مِنْهَا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعليه عدة، كقوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] والتقدير: فعليه صومُ عِدّةٍ، ويكون هذا من باب حذف المضاف[٥].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٨٩٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٩، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢-٣٣، «التبيان» ص١١٦.

(٣) ينظر في السفر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠١، «المفردات» ص٢٣٩، «لسان العرب» ٤/ ٢٠٢٤ (سفر).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٢ (سفر).

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢، «التبيان» ١/ ١١٦.

وقال أبو إسحاق: التقدير فالذي ينوب عن صومِهِ عِدة[١]. والعِدَّةُ: فِعْلَة من العَدِّ، وهو بمعنى المعدودة، كالطِّحْن بمعنى المطحون، ومنه يُقَالُ للجماعة المعدودة من الناس: عِدَّة، وعِدّة المرأة من هذا[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ أراد غير أيام مرضه أو سفره[٣]. و(أُخَر) لا ينصرف؛ لأنها جمع أُخرى تأنيث آخر، وآخَرَ على وزن أفعل، وما كان على وزن أفعل فإنه يُستَعمل مع مِنْ أو بالألف واللام، فيقالُ: زيدٌ أفضل من عمرو، وزيد الأفضل، والألف واللام مُعاقبة لـ (مِن) في باب أفعل، فكان القياس يُوجب أن يقال: زيد آخر من عمرو، كما يقال: أقدم من عمرو، إلا أنهم حذفوا (من) من آخر؛ لأن لفظه اقتضى معنى مِنْ، فأسقطوا (مِنْ) اكتفاء بدلالة اللفظ عليه، والألف واللام تعاقب (مِنْ)، فلما جاز استعماله بغير الألف اللام صار آخر وأُخر وأُخْرى معدولة عن حكم نظائرها؛ لأن الألف واللام استعملتا فيها، ثم حُذفتا.

فإن قيل: الخروج عن النظائر يُوجب للاسم البناء، فهلا بُني آخر وأُخرى وأخَرُ؟ قيل: إنها وإن خرجت عن حكم نظائرها فليس هو خروجًا مُبَاينًا لما عليه الأسماء، وإنما هو خروج عن حكم تعريفٍ إلى تنكير، وأكثر الأسماء يلحقها التعريف والتنكير، فلم يكن لهذه المخالفة قوةٌ توجب البناء، إلا أنه قد نقصت بهذا العدل لها درجة عن حكم أخواتها، فجعل هذا العدل لها من أقسام العلل المانعة للصرف، فاجتمع فيها في حال

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: «المفردات» ص٣٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢-٣٣، «لسان العرب» ٥/ ٢٨٣٢-٢٨٣٦ (عدد).

(٣) «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٤٠.

التنكير العدل والصفة، فلذلك لم تنصرف، ومعنى الصفة: أنها مما يوصف به، ألا ترى أنها صفة للأيام في هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ قال الأزهري: يُقَال: طَاقَ يَطُوقُ طَوْقًا، وأَطَاق يُطِيقُ إِطَاقَةً وطَاقَةً، كما يقال: طاع يَطُوعُ طَوْعًا، وأَطَاع يُطِيعُ إِطَاعة وطَاعَةً، والطَّاعَة والطاقة: اسمان يوضعان موضع المصدر[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ﴾ الفِدْيَة: الجزاء والبدل، من قولك: فديته بكذا، أي[٣]: أعطيته بدلًا منه[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بإضافة الفِدْيَةِ إلى الطَّعَام وجمع المساكين[٥].

ومعنى الآية: وعلى الذين يطيقون الصيامَ فأفطروا فديةُ طعامٍ؛ لأن

---

(١) ينظر: «المفردات» ص٢٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٤، «اللسان» ١/ ٣٨ (أخر).

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ١٣١ (طبق).

(٣) في (م): إذا.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٥٤، «المفردات» ص٣٧٦، «مجمل اللغة» ٣/ ٧١٤.

(٥) هذا إجمال في ذكر القراءات، تفصيله: قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان بحذف تنوين(فدية)، وجر(طعام) وجمع (مساكين)، وفتح نونه بغير تنوين، والباقون بتنوين(فدية)، ورفع(طعام)، وإفراد (مساكين)، وكسر نونه منونة، إلا هشامًا فقرأ بجمع مساكين كقراءة نافع ومن معه. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «البدور الزاهرة» ص٥٦.

الفدية وجبت بالإفطار لا بالإطاقة، وإنما أضافوا الفدية إلى الطعام، وهي طعام؛ لأن الفدية اسم للقدر الواجب، والطعام اسم يعم الفدية وغيرها، فهذه الإضافة من الإضافة التي تكون بمعنى من، وهو أن تضيف الاسم إلى اسم[1] يقع على الاسم الأول، كقولك: ثوبُ خَزٍّ، وقميصُ كتانٍ، وخاتم حديد، والمعنى: ثوبٌ من خَزٍّ، وقميصٌ من كتان، وخاتم من حديد. ألا ترى أنك تطلق على الثوبِ اسم الخز، وعلى القميص اسم الكتان، وعلى الخاتم اسم الحديد، كذلك ها هنا التقدير: فديةٌ من طعام، فأضفت الفدية إلى الطعام، وأنت تطلق على الفدية اسم الطعام. وجمعوا المساكين؛ لأن الذين يطيقونه جماعة، وكل واحد منهم يلزمُهُ طَعامُ مِسْكِين[2].

وقرأ الباقون: (فِديةٌ) منونةً ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ على واحد، جعلوا ما بعد الفدية تفسيرًا لها، ووحَّدُوا المسكين؛ لأن المعنى: على كل واحد لكل يوم إطعام مسكين.

ومثل هذا في المعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ﴾ وليس جميع القاذفين يُفرَّقُ فيهم جلد ثمانين، إنما على كل واحد منهم جلد ثمانين[3] فكذلك على كل واحد منهم طعام مسكين، فأفرد هذا كما جَمَعَ قوله: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾.

وقال أبو زيد: أتينا الأميرَ فكسانا كلَّنا حُلّةً وأعطى كلَّنا مائةً، قال:

---

(١) في (ش): (الاسم).

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٦، «البحر المحيط» ٢/ ٣٧.

(٣) من قوله: (إنما على..) ساقطة من (ش).

معناه: كسا كلَّ واحدٍ منّا حُلَّةً وأعطى كل واحدٍ منا مائة[١].

فأما حكم قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ فقال ابن عباس: كانت الإطاقة أن الرجل أو المرأة كان يصبح صائمًا، ثم إن شاء أفطرَ وأطعمَ لذلك مسكينًا، فنسختها هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢] وهذا قولُ سلمة بن الأكوع[٣][٤]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٥][٦]، وعلقمة بن قيس[٧]، وابن شهاب[٨]، ومذهب أكثر

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٧٣، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٤٦-٢٤٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٧.

(٢) أبو داود في الصوم، باب: نسخ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ ٢/ ٣٠٥ برقم ٢٣١٦، من طريق عكرمة، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٠٣، من طريق ابن سيرين، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٩٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٧، من طريق عطاء الخراساني، ورواه الطبري ٢/ ١٣٤ من طريق عطية.

(٣) هو: سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، غزا مع الرسول ﷺ سبع غزوات، وكان شجاعًا بطلًا راميًا عدّاءً، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٤٢٣، «الأعلام» ٣/ ١١٣.

(٤) رواه عنه البخاري (٤٥٠٧) كتاب التفسير، باب: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ومسلم (١١٤٥) كتاب الصيام، باب: بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤.

(٥) هو: عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي، تابعي ثقة، مات بوقعة الجماجم سنة ٨٣هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص٣٤٩ (٣٩٩٣)، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ١/ ٢١٢.

(٦) رواه عنه البخاري (١٩٤٩) كتاب الصوم، باب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٦.

(٧) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٢٢، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٤، والطبري ٢/ ١٣٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٨.

(٨) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٣٤.

العلماء[(١)]، قالوا: كان في ابتداء إيجاب الصوم من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام، ثم نسخ الله سبحانه ذلك بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ قال ابن عباس: زاد في الصدقة، يعني: على المُدِّ الوَاحِدِ[(٢)]؛ لأنه كان يجب مدٌّ واحدٌ على من أطاق الصومَ فَأَفْطَر قبل النسخ، في قول أهل الحجاز وأكثر العلماء[(٣)].

وقال مجاهد[(٤)] والسُدّى[(٥)]: يطعم مسكينين، وفي هذا القول أيضًا زيادة الصدقة؛ لأنه إذا زاد مسكينا يجب أن يزيد في الصدقة حتى يكون متطوعًا. وقال ابن شهاب: يريد: من صام الفِدْية فهو خيرٌ له[(٦)(٧)].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٣-١٣٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٥٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٧٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٧، «الناسخ والمنسوخ» لهبة الله بن سلامة ص٤٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٦-٣٧.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ١٤٢، ورواه ابن جريج وخصيف بن عبد الرحمن عن مجاهد، كما في «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٢، «تفسير الثوري» ٥٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٣) ينظر: «المغني» ٤/ ٣٩٥، و«تفسير البغوي» ١/ ١٩٧.

(٤) رواه عن مجاهد ابن جريج كما في «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٢، وأشار إليها عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٢٣، ورواها عنه خصيف بن عبد الرحمن كما في «تفسير الثوري» ص٥٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٠٩.

(٦) رواه عنه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٥، و«تفسير الطبري» ٢/ ١٤٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٧) قال الطبري ٣/ ٤٤٣: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله- تعالى ذكره-=

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: الصوم خيرٌ لكم، فالجملة ابتداء وخبر.

والمعنى: والصوم خيرٌ لكم من الإفطار والفدية، وهذا إنما كان خيرًا لهم قبل النسخ، وبعد النسخ فلا يجوز أن يقال: الصوم خيرٌ من الإفطار والفدية[(١)].

١٨٥- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ الآية، الشهر: مأخوذ من الشهرة، تقول شَهَرَ الشيء يَشْهَرُه شَهْرًا: إذا أظهره، وسمي الشَّهْرُ شهرًا لشهرة أمره في حاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحل ديونهم، وقضاء نسكهم في صومهم وحجهم وغير ذلك من أمورهم.

قال الليث: والشهر: ظهور الشيء، وسمي[(٢)] الهلال شهرًا، قال ابن الأعرابي: لأنه يشهر به[(٣)].

= عمم بقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وجائز أن يكون الله- تعالى ذكره -عنى بقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، أيَّ هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه فهو خير له؛ لأن كل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل. وقد ذكر ابن العربي ١/ ٨٠ قول من قال: (فمن تطوع)، أي: زاد على طعام مسكين، وقيل: من صام، وهذا ضعيف؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. معناه: الصوم خير من الفطر في السفر، وخير من الإطعام، وتحقيق ذلك أن الصوم الفرض خير من الإطعام النفل، والصدقة النفل خير من الصوم النفل.. اهـ.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٣.

(٢) في (م): (ويسمى).

(٣) نقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

وقال الزجاج: سمي الهلال شهرًا لشُهْرتِه وبيانه[١].

وقال بعضهم: سُمي الشهر شهرًا باسم الهلال إذا أهلّ سمي شهرًا. والعرب تقول: رأيتُ الشَّهْرَ، أي: رأيت هلاله، قال ذو الرمة:

يرى الشَّهْرَ قَبْلَ الناسِ وهو بخيلُ[٢]

وقد أَشْهَرْنا، أي: أتى علينا شَهْرٌ.

قال الفراء: ولم أسمع منه فعلًا إلا هذا[٣]. وارتفع على البدل من الصيام، كأن المعنى: كتب عليكم شَهْرُ رمضانَ. ويجوز أن يكون ابتداءً، وخَبرُه الذي مع صلته، كقولك: زيد الذي في الدار[٤].

وقال الأخفش: ارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف، المعنى: هي شهر رمضان[٥]؛ لأن قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ تفسيرٌ للأيام المعدُودات، وتبيين لها، ونحو هذا قال الفراء[٦]، أراد: ذلكم شهر رمضان، الصيام شهر رمضان، أي: صيامه كما قال في: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور: ٢] أي: فيما فرض عليكم الزانية والزاني، أي: حكمهما، وكذلك: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ﴾ قال: والأشبه أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ وصفًا، ليكون النص قد وقع على الأمر بصيام الشهر، يعنى: أَنَّكَ إن جعلت الذي خبرًا

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٩، ونقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٥٦١، وورد في «البحر المحيط»: نحيل.

(٣) ينظر في معاني الشهر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٦٤، «المفردات» ص٢٧٣، «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٣.

(٥) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٢.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢.

لم يكن شهر رمضان منصوصًا على صومه بهذا[1] اللفظ، إنما يكون مخبرًا عنه بإنزال القرآن فيه، قال: وإذا جعلت الذي وصفًا كان حقُّ النظر أن يكنى عن الشهر في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ كقولك: شهر رمضان المبارك من شهده فليصمه، قال: وهذا كقوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] و﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢] ونحو ذلك، يعني: أن ذكر الابتداء أعيد ولم يُكْنَ عنه للتعظيم، كذلك في هذه. والفاء في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ داخل على خبر الابتداء، وليس من حق خبر الابتداء[2] دخول الفاء عليه. ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه[3].

و﴿رَمَضَانَ﴾ لاينصرف للتعريف وزيادة الألف والنون، مثل: عثمان وسَعْدان. واختلفوا في اشتقاق ﴿رَمَضَانَ﴾، فقال بعضهم: هو مأخوذ من الرمض، وهو حرُّالحِجَارة من شدّة حَرِّ الشمس، والاسم: الرَمْضَاء، رَمِضَ الإنسان رَمَضًا: إذا مشى على الرَمضاء، والأرض رَمِضَة، فسُمي هذا الشهر رمضَان؛ لأن وجوبَ صَومه وافقَ بشِدَّة الحرّ، وهذا القول حكاه الأصمعي عن أبي عمرو[4].

وحكي عن الخليل أنه قال: مأخذه من الرَّمَضِي[5]، وهو من السَحَاب

---

(١) في (ش): (فهذا).

(٢) في (م): (المبتدأ).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢-١١٣، «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٦-١٤٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/٢٥٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٦٣، «التبيان» ص١١٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٨-٣٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٨.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٧، وقد ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨ (رمض) ولم ينسبه لأحد.

(٥) عند الثعلبي: (الرمض).

والمطر: ما كان في آخرِ القَيْظ وأول الخريف، سمّي رَمَضِيًا لأنه يُدرِك سُخونةَ الشمس وحَرَّها، فسمي هذا الشهر رمضان؛ لأنه يغسل[1] الأبدان من الآثام[2].

وقيل: هو من قولهم: رمَضْتُ النصْلَ أرمِضُه رَمْضًا: إذا دقَقْتَه بين حجرين ليرقَّ، ونصل رَميض ومَرْمُوض، فسمي هذا الشهر رمضان لأنهم كانوا يرمُضُون فيه أسلحتهم، ليقضوا منها أوطارهم في شوالٍ قبل دخول الأشهر الحرم، وهذا القول يُحْكَى عن الأزهري[3]، وعلى القولين الأولين يجب أن يكون هذا الاسم إسلاميًا، وقبل الإسلام لا يكون له هذا الاسم، وعلى ما حكاه الأزهري، الاسم جاهلي[4].

وروي مرفوعًا أن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «**أتدرون لم سمي شعبان؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**لأنه يشعب**[5] **فيه خير كثير لرمضان**»، أتدرون لم سُمي رمضان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**لأنه يرمض الذنوب**»[6]. والإرماض: الإحراق.

---

(١) في (م): زيادة (لأنَّ وجوب صومه يغسل).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، وعزاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٩ (رمض) إلى أبي عمرو.

(٣) لم يذكره في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٦، ولم ينسبه لأحد.

(٤) ينظر في رمضان: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨-١٤٦٩، «المفردات» ص٢٠٩، «اللسان» ٣/ ١٧٣٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦ (رمض).

(٥) سقطت من (ش).

(٦) أخرجه ابن الشجري في «أماليه» ٢/ ١٠٢.

وروى سلمة عن الفراء، يقال: هذا شهر رمضان، وهما شهرا ربيع، ولا يُذكَر الشهرُ مع سائر أسماء الشهور العربية[(١)]، ونحو هذا يروى عن مجاهد[(٢)]، أنه كره أن يقال: رمضان.

وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا رمضان، انسبوه كما نسبه الله في القرآن، فقال: شهر رمضان**»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قال ابن عباس: أنزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع في

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٩، وزاد، يقال: هذا شعبان قد أقبل، وكذا في «اللسان» ٣/ ١٧٣٠ (رمض).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٤، ورواه ابن أبي حاتم عن جماعة منهم مجاهد ومحمد بن كعب القرظي، وقال ابن أبي حاتم ١/ ٣١٠: ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن أنس ٢/ ٢٦٥، وليس في شئ من المصادر الحديثية عن أنس، بل روى من حديث أبي هريرة وابن عمر وعائشة ﷺ عند ابن عدي في «الكامل» ٧/ ٥٣، والبيهقي ٤/ ٢٠١والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير» ٢/ ٨٨ ، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٠، وحكم ابن الجوزي عليه في «الموضوعات» ٢/ ١٨٧ بأنه موضوع لا أصل له ، وقال المعلمي في تعليقه على «الفوائد المجموعة» ص٨٧ موضوع بلا ريب ، وضعفه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢٧٨، وقال: والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها .

روى مسلم (في الصيام، باب: فضل شهر رمضان برقم ١٠٧٩)، عن أبي هريره أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**». ورواه البخاري برقم [١٨٩٨] ثم ذكر القرطبي آثارًا كثيرة كلها بإسقاط الشهر.

بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على محمد ﷺ نجومًا[(١)] عشرين سنة[(٢)].

وقال سفيان بن عيينة: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ معناه: أنزل في فضله القرآن. وهذا اختيار الحسين بن الفضل، قال: ومثله: أن تقول: أنزل في الصديق كذا آية، تريد في فضله[(٣)].

وقال ابن الأنباري: أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن. كما تقول: أنزل الله في الزكاة كذا وكذا تريد في فرضها، وأنزل في الخمر كذا تريد في تحريمها[(٤)]. فأما[(٥)] القرآن فهو اسم لكلام الله تعالى

---

(١) سقطت من (ش).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٣٦٧، والنسائي في «تفسيره» ٢/ ١٣١، والحاكم ٢/ ٢٤٢، وصححه، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ١٣١، والطبري ٢/ ١٤٤-١٤٥، وابن الضريس في «فضائل القرآن» ص١٢٥، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٣٠٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ٩/ ٤.

قال القرطبي: «ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم ذكر قول مقاتل: أنزل من اللوح المحفوظ كل عام ليلة القدر إلى سماء الدنيا قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع» انتهى كلامه.

(٣) ذكره الرازي عن سفيان ٥/ ٨٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٩.

(٤) نسب ابن الجوزي هذا القول في «زاد المسير» ١/ ١٨٥، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣٩ إلى مجاهد والضحاك، وذكر ابن الجوزي قولًا ثالثًا نسبه إلى ابن إسحاق وأبي سليمان الدمشقي، وهو أن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ.

(٥) في (م): (وأما).

واختلفوا[١] في اشتقاقه وهمزه، فقرأه ابن كثير بغير همز[٢].

أخبرنا سعيد بن العباس القرشي[٣] كتابة، ثنا أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، ثنا محمد بن يعقوب المعقلي، عن محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم[٤]، أنّ الشافعي، رحمه الله، كان يقول: القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل، قال: ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول: وإذا قرأت القران[٥]. وقول الشافعي: إنه اسم لكتاب الله يشبه أنه ذهب إلى أنه ليس

---

(١) ينظر في هذه المسألة «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٧٨، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣ «قرأ»، «الإتقان» للسيوطي ١/ ١٤٦، «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٧.

(٢) قرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة إلى الراء، وحذف الهمزة في الحالين، وكذلك حمزة عند الوقف، وليس لورش فيه توسط ولا مد ؛ نظرا للساكن الصحيح الذي قبل الهمز، وهكذا كل ما جاء من لفظه في القرآن معرَّفا أو منكرا. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «البدور الزاهرة» ص٥٦، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ): وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن، وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير.

(٣) هو: سعيد بن العباس بن محمد بن علي القرشي الهروي، قدم بغداد حاجا، وحدث عن أبي حامد بن حسنويه وأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري وغيرهم، توفي سنة ٤٣٣هـ. ينظر : «السير» ١٧/ ٥٥٢-٥٥٣، «تاريخ بغداد» ٩/ ١١٣-١١٤.

(٤) هو: شيخ الإسلام المصري الفقيه، كان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني كان أعلم بمذهب مالك وأحفظهم له، وكان عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، له مصنف في أدب القضاة، توفي سنة ٢٦٨هـ. ينظر : «السير» ١٢/ ٤٩٧، «وفيات الأعيان» ٤/ ١٩٣، «تقريب التهذيب» (٦٠٢٨).

(٥) ذكره الأزهري بسنده في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٢/ ٦٢، ونقله عن الواحدي: الرازي في «تفسيره» ٥/ ٨٦.

بمشتق، وقد قال بهذا جماعة، قالوا: إنه اسمُ كلامِه، يجرى مجرى الأعلام في أسماء غيره، كما قيل في اسم الله: إنه غير مشتق، من معنى يجرى مجرى اللقب في صفة غيره[(١)].

وذهب آخرون إلى أنه مأخوذ من قَرَنْتُ الشيءَ بالشيء: إذا ضممت أحدَهما إلى الآخر، فسمي لاقتران السور والآيات والحروف، ولأن العبارة عنه: قرن بعضه إلى بعض. فهو مشتق من قرن. والاسم: قران غير مهموز، كما يقال: خرج، والاسم خُراج، ومن هذا يقال للجمع بين الحج والعمرة: قران[(٢)].

وذكر الأشعري[(٣)] رحمه الله هذا المعنى في بعض كتبه فقال: إن كلام[(٤)] الله يسمى قُرآنًا؛ لأن العبارةَ عنه قرن بعضه إلى بعض[(٥)].

---

(١) نقل ذلك الرازي في «تفسيره» ٥/٨٦، وقال بعده: وذهب آخرون إلى أنه مشتق، واعلم أن القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه ومنهم من يهمزه، أما الأولون فلهم فيه اشتقاقان: أحدهما أنه مأخوذ من قرنت.

(٢) نقله عن الواحدي: الزركشي في «البرهان» ١/٢٧٨.

(٣) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن تتلمذ في العقائد على الجبائي زوج أمه، وبرع في علمي الكلام والجدل على طريقة المعتزلة، ثم رجع فرد عليهم، وشُهر بمذهب ينسب إليه، وقيل إنه رجع بعده إلى مذهب السلف، له: «مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة»، توفي سنة ٣٢٤هـ. ينظر: «شذرات الذهب» ٢/٣٠٣، «الأعلام» ٤/٢٦٣.

(٤) في (م): (كتاب).

(٥) نقله عن الواحدي: الزركشي في «البرهان» ١/٢٧٨. وهذا مذهب الأشاعرة واعتقاد السلف إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال الفراء: ظن أن القرآن سمي من القرائن، وذلك أن الآيات يصدق بعضها بعضًا، ويشبه بعضها بعضًا، فهي قرائن، فمذهب هؤلاء أنه غير مهموز[(١)].

وأما الذين همزوا اختلفوا، فقالت طائفة: إنه مصدر القراءة.

قال أبو الحسن اللحياني[(٢)(٣)]: يقال: قرأت القرآن، فأنا أقرأه قَرْأً[(٤)] وقراءةً وقرآنًا، وهو الاسم، قوله: وهو الاسم يعني: أن القرآن يكون مصدرًا لقرأت، ويكون اسمًا لكتاب الله، ومثل القرآن من المصادر: الرُّجْحَان والنُّقْصَان والخُسْران والغُفْران[(٥)]، قال ابن مقبل[(٦)]:

يُقَطِّعُ اللَّيلَ تسبيحًا وقرآنًا[(٧)]

أي: قراءة، هذا هو الأصل، ثم المقروء، ويسمي قرآنًا لأن المفعول يسمى بالمصدر، كما قالوا للمشروب: شراب، وللمكتوب: كتاب، واشتهر هذا الاسم في المقروء حتى إذا طرق الأسماع سبق إلى القلوب أنه المقرُوء، ولهذا لا يجوز أن يقال: القرآن مخلوق مع كون القراءة مخلوقةً؛

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦.

(٢) هو: علي بن المبارك، وقيل ابن حازم، أبو الحسن اللحياني، تقدم.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ).

(٤) في (م): (قراء).

(٥) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣ (قرأ).

(٦) هو: الشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، تقدم.

(٧) صدر البيت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

والبيت لحسان بن ثابت في رثاء الخليفة عثمان ﷺ كما في «المغني» ١/ ٢١٨، رقم ٣٦٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢، ومعنى الأشمط: شيب اللحية.

لأن القرآن أشهر تسمية للمقروء(١).

وقال أبو إسحاق الزجاج(٢): معنى قرآن معنى الجمع، يقال: ما قَرَأَتْ هذا الناقة سلًا قط، إذا لم يَضْطَم رحمها على ولد، وهذا مذهب أبي عبيدة(٣)، قال: إنما سُمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، وأصل القرآن: الجمع، وأنشد قول عمرو:

هِجَان اللون(٤) لم تَقْرأْ جَنِينَا(٥)

أي: لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل: قُرء المرأة، وهو أيام اجتماع الدم في رحمها.

وقال قُطْرب(٦) في (القرآن) قولين:

أحدهما: ما ذكرنا وهو قول أبي إسحاق وأبي عبيدة.

والثاني: أنه سُمي قرآنًا؛ لأن القارئ يُظهرُه ويبينه ويلقيه من فيه، أخذ من قول العرب: ما قَرَأَتِ الناقة سلًا قَط، أي: ما رمت بولد، ونحو

---

(١) «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٧٨.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٣، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ١-٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٧، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣.

(٤) في (م): (اللون).

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته وأوله:

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أَدْماءَ بَكْرٍ

وينظر: «شرح المعلقات العشر» ١١١، «الجمهرة» ٧٦، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢ «لسان العرب» (مادة: قرأ)، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١١٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦.

هذا قال أبو الهيثم واللّحياني، أي: ما أسقطت ولدًا قَط، وما طرَحت، وتأويلُه: ما حَمَلَتْ قَطّ. وأنشد قول حميد:

أَرَاهـا الـولـيـد أن الـخـلا فـتـشـذّرتْ
مرَاحًا ولـم يـقـرأ[1] جنينًا ولا دمَا[2]

قال: معناه: لم ترمِ بجنين، وسمي قرء المرأة من هذا على مذهب أهل العراق، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه، فسمي قرآنًا، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعًا[3].

قال أبو إسحاق: وهذا القول ليس بخارج من الصحة وهو حسن. قَرَأْتُه أي: جَمَعْتُه[4].

فبيّن على هذا أنه اسمٌ منقول من اسمِ هذا الحدث، كما أن قولنا: (زيد) في اسم رجل منقول من مصدر زاد يزيد، فأما دخول لام التعريف فيه بعد النقل فكدخوله في الحارث والعباس والفضل بعد النقل.

ومذهب الخليل وسيبويه في هذه الأسماء التي يسمى بها، وفيها الألف واللام: أنها بمنزلة صفات غالبةٍ، كالنابغة والصَّعِق، وهذا فيما ينقل من الصفات، فأما الفضل فإنما[5] دخله الألف واللام لأنه[6] أيضًا

---

(١) في (ش): (تقرأ).

(٢) البيت لحميد بن ثور في «ديوانه» ص٢١، «لسان العرب» ٦/ ٣٥٦٥ (قرأ).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٥.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢.

(٥) في (م): (فإنه).

(٦) في (م): (فإنه).

على[١] وعلى هذا دخلت اللام في قولنا: القرآن، ومن هذه الأسماء ما يكون اللام فيه تعريفًا ثانيًا، كما قالوا في اسم الشمس: إلاهة والإلاهة[٢]، ومنها ما يكون اللام فيه زائدة، نحو قوله:

يا ليت أم العمرو كانت صاحبي[٣]

قال: وقول من يقول: إنّ القرآن غير مهموز من قَرَنْتُ الشيء بالشيء سهو، وإنما هو تخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها، فصار اللفظ به كفُعَال، من قرنت، وليس منه، ألا ترى أنك لو سميت رجلًا بقُرَان[٤] مخفف الهمزة لم تصرفه في المعرفة، كما لا تصرف عثمان، ولو أردت به فعالا من قرنت لا تصرف في المعرفة والنكرة، ذكر ذلك أبو علي في المسائل الحلبية[٥].

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أي: هاديًا، وهو حال قد سَدّ مَسَدّ المفعول الثاني لأنزل[٦]، و﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ عطف على قوله ﴿هُدًى﴾،

---

(١) بياض في نصف سطر في نسخة (أ) (م) وفي نسخة (ش) الكلام متصل كما هو مثبت والكلام غير واضح.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) عجز البيت:

مكان من أشتى على الركائب

ولم يعرف قائل هذا الرجز، والبيت ورد في «الأغفال» ١/ ٢٦٧، «المخصص» ١/ ١٦٨، «الإنصاف» ص٢٧٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٧، «الصحاح» ٣/ ١٦٩، «اللسان» ٢/ ١٥٦٣ (ربع). وانظر ص ٤٨ من هذا المجلد.

(٤) في (ش): (بقرأت).

(٥) «المسائل الحلبية» ص٢٩٧، وينظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٨.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٧٨، «البحر المحيط» ٢/ ٤٠.

وتأويله: أنزل القران بيانًا للناس[١].

والبيِّنات: جَمْعُ بينة، يقال: بانَ الشيءُ يبين بيانًا فهو بين، مثل: بيِّع بمعنى بايع. والبيِّنات: الواضحات[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد: من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

وذكرنا معنى الفرقان في قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: يريد: من الرشاد إلى مرضاة الله، ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ يريد: فرّق فيه بين الحق والباطل، وبيّن لكم ماتأتون وما تَذَرُونُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ﴾ زعم الأخفش والمازني: أن الفاء ههنا زائدة، وذلك أن الفاء تدخل للعطف أو للجزاء أو زيادة، وليس للعطف ولا للجزاء ههنا مذهب[٣]، ومن زيادة الفاء: قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] وقول الشاعر:

لا تـجـزعي إنْ مُـنْـفِـسًـا أهـلـكـتـه وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي[٤]

ألا ترى أن إحدى الفاءين لا تكون إلا زائدة؛ لأن (إذا) إنما تقتضي جوابًا واحدًا.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٠.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٩٩.

(٣) نقله عنه في «التفسير الكبير» ٥/ ٨٧-٨٨، والعكبري في «التبيان» ص١١٧، ١١٨.

(٤) البيت للنمر بن تولب في «ديوانه» ص٧٢، وانظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٥٠٣ (نفس).

قال أبو علي: ولا يمتنع[١] أن يكون دخول الفاء لمعنى الجزاء؛ لأن شهر رمضان وإن كان معرفة فليس معرفة[٢] بعينه[٣]، ألا ترى أنه شائع في جميع هذا القبيل، لايراد به واحدٌ بعينه، فلا يمتنع من أجل ذلك من معنى الجزاء، كما يمتنع ما يشار به إلى واحد مخصوص، ومن ثم لم يمتنع ذلك في صفة الموت في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ﴾ [الجمعة: ٨] لأن الموت ليس يراد به موتٌ بعينه، إنما يراد به الشِّيَاع ومعنى الجنس وخلاف الخصوص، والجزاءُ بوجبُ الشِّياع والإبهام واستغراق الجميع، ويكون التقدير فيه: الذي أنزل فيه القرآن من هذه الشهور التي سمي الواحد منها رمضان فمن شهده فليصمه[٤].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ﴾ أي: حضر. ومعنى الشهود في اللغة: الحضور[٥]، ومفعول شهد محذوف؛ لأن المعنى: فمن ﴿شَهِدَ﴾ منكم البلد أو بيته، يعنى: لم يكن مُسَافِرًا[٦].

---

(١) في (ش): (لا يمتنع).

(٢) ليست في (أ) و(م).

(٣) في (ش): (معينة).

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٨، قال: وأقول: يمكن أن يقال الفاء هاهنا للجزاء، فإنه تعالى لما بين كون رمضان مختصًا بالفضيلة العظيمة التي لا يشاركه سائر الشهور فيها، فبين أن اختصاصه بتلك الفضيلة يناسب اختصاصه بهذه العبادة، ولولا ذلك لما كان لتقديم بيان تلك الفضيلة هاهنا وجه، كأنه قيل: لما علم اختصاص هذا الشهر بهذه الفضيلة فأنتم أيضا خصوه بهذه العبادة.

(٥) ينظر: «التبيان» ص١١٥، «البحر المحيط» ٢/ ٤١.

(٦) المراجع السابقة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ انتصابه على الظرف، ولا يجوز أن يكون مفعولًا به؛ لأنه ما من أحدٍ غَابَ أو حضر إلّا وهو يشهد الشهر، لكن المعنى: من شهد منكم بيته في الشهر[١]، ولا بدّ أيضًا من إضمار حال الشاهد وصفته، التي بوجودها يجب الصوم، وهو أن يقال: من شهد منكم الشهر عاقلًا بالغًا مقيمًا صحيحًا[٢].

قوله: ﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾، قال ابن عباس وأكثر أهل التأويل: معناه: فليصم ما شَهِدَ منه؛ لأنه إن سافر في حال الشهر كان له الإفطار[٣].

وذهب طائفة إلى أنه إذا شهد أول الشهر مقيمًا ثم سافر لم يحل له الإفطار. وهو قول النخعي[٤] والسُدي[٥] وابن سيرين[٦] ومذهب

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٨، «الكشاف» ١/ ١١٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١، قال: وقيل: انتصاب الشهر على أنه مفعول به، وهو على حذف مضاف، أي: فمن شهد منكم دخول الشهر عليه، وهو مقيم لزمه الصوم، ثم قال: وقيل: التقدير: هلال الشهر، وهذا ضعيف؛ لأنك لا تقول: شهدت الهلال، إنما تقول: شاهدت، ولأنه كان يلزم الصوم من كل من شهد الهلال وليس كذلك.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٨، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٩٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٨، والطبري ٢/ ١٤٦، والبيهقي ٤/ ٢٤٦، وذكرها الثعلبي ٢/ ٣٠٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٨٢، والقرطبي ٢/ ٢٩٩، وروى الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس ما يوافق القول الثاني ٢/ ١٤٧.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٧، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣١٢.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٤٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣١٢.

(٦) رواه عنه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٦٩، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٨، والطبري ٢/ ١٤٦، ١٤٧، وقد ذكره من روايته عن عبيدة السلماني عن علي مرة، وعن عبيدة مرة أخرى.

جماعة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أعاد هاهُنا تخييرَ المريض والمسافر وترخيصهما في الإفطار؛ لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المقيمين بقوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يعود النسخ إلى تخيير الجميع، فأعاد بعد النسخ ترخيصَ المسافر والمريض؛ ليعلم أنه باق على ما كان[٢].

والمرض الذي يبيح الإفطار هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادةَ في علته زيادةً لا يحتمله، والأصل فيه: أنه إذا أجهده الصوم أفطر[٣].

---

(١) وممن حكي عنه هذا: علي وعائشة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، وعبيدة السلماني وسعيد بن جبير وابن الحنفية وسويد بن غفلة وعلي بن الحسين و مجاهد والشعبي وأبو مجلز، وغيرهم. تنظر الروايات عنهم في: «تفسير الطبري» ٢/١٤٦، ١٤٧، ابن أبي حاتم ١/٣١٢، «تفسير الثعلبي» ٢/٢٩٨، وقال ابن العربي في أحكام القرآن ١/٨٣: وقد سقط القول الأول -يعني: قول هؤلاء- بالإجماع من المسلمين كلهم على الثاني، وكيف يصح أن يقول ربنا: (فمن شهد منكم الشهر فليصم منه ما لم يشهد)، وقد روي أن النبي ﷺ (سافر في رمضان فصام حتى بلغ الكَديد فأفطر وأفطر المسلمون). رواه البخاري برقم (٢٩٥٣) كتاب الجهاد والسير، باب: الخروج في رمضان، ومسلم برقم (١١١٣) كتاب الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر ..، وقال جمهور الأمة: (من شهد أول الشهر وآخره فليصم ما دام مقيما، فإن سافر أفطر)، وهذا هو الصحيح، وعليه تدل الأخبار الثابتة. وينظر: «المغني» ١/٣٤٣-٣٤٤، «تفسير ابن كثير» ١/٢٣١.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/١٩٩.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» للشافعي ص١٢١، «تفسير الثعلبي» ٢/٣٠٤، «أحكام =

وحدُّ السَّفَرِ الذي يبيح الإفطار[1]: ستة عشر فرسخا[2] فصاعدًا. والإفطار رخصة من الله للمسافر، فمَنْ[3] أَفْطَرَ فبرخصة الله أخذ، ومن صام ففرضه أدّى، على هذا عامة الفقهاء[4]. ومن أجهده الصوم في السفر كره له ذلك[5]، وفي مثل هذا: جاء ما روي أنه ﷺ قال: «ليس من البر الصوم في

= القرآن» لابن العربي ١/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٦-١٥٧، «المغني» ٤/ ٤٠٣، وذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٠ أقوال العلماء في المرض الذي يبيح الفطر، فذكر ثلاثة أقوال: **الأول**: هو الذي لا يطيق معه صاحبه القيام لصلاته، ورواه عن الحسن وإبراهيم النخعي. **والثاني**: كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة، ونسبه للشافعي. **الثالث**: كل مرض يسمى مرضا، ونسبه لمحمد بن سيرين، ورجح أن من أجهده الصوم جهدا غير محتمل من المرض فله الفطر. وذكر القرطبي أن الجمهور يرون أن من كان به مرض يؤلمه ويؤذيه أو يخاف تماديه أو يخاف تزيده صح له الفطر، وقد ذكر قبل ذلك أن للمريض حالتين: **إحداهما**: أن لا يطيق الصوم بحال، فعليه الفطر واجبا. **والثانية**: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة، فهذا يستحب له الفطر، ولا يصوم إلا جاهل. وهذا من كلام ابن العربي في «الأحكام» ١/ ٧٧.

(١) اختلف العلماء في حد السفر الذي يبيح الفطر على أقوال كثيرة. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٧، «المغني» ٣/ ١٠٥-١١٠، ٤/ ٣٤٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥٧-٢٥٨، والذي في البخاري: كان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران في أربعة برد، وهي «ستة عشر فرسخا».

(٢) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية، والميل: ستة آلاف ذراع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعا معتدلة معترضة أي: أن طول الفرسخ نحو ٦ كلم. ينظر: «المجموع شرح المهذب» ٤/ ١٩٠، «القاموس» ٣٢٩، «المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري» ص٩٤.

(٣) في (أ)، (م): (ومن).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣١١، «المغني» ٤/ ٤٠٦.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣١٨-٣٢٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٦٠.

السفر»[١] يريد: لمن يشق عليه ويجهده.

وذهب قومٌ من الصَّحَابة إلى أن الإفطار في السفر واجب[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي: بالرخصة للمسافر والمريض[٣]. واليُسْر في اللغة: معناه: السهولة، ومنه يقال للغِنَى والسَّعَة: اليَسَار؛ لأنه يتسهل به الأمور، واليد اليُسْرى قيل: على التفاؤل باليسر، وقيل: لأنه يتسهل الأمر بمعاونتها اليمنى[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ لأنه لم يشدد ولم يضيق عليكم. وهذه الإرادة ونفي الإرادة تختص بالأحكام لأهل الإسلام[٥][٦]. قال الحسين بن الفضل: يريد الله أن يكون أمره بالصوم عليكم ميسَّرًا، ولم يرد أن يكون أمره بالصوم عليكم مُعَسَّرًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ذكرنا معنى العدة[٨]، والمدةُ من الأيام تسمى عِدَّة، قال أبو زيد: يقال انقضت عدة الرجل إذا انقضى

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٦) (كتاب الصوم)، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر، ومسلم (١١١٥) (كتاب الصيام)، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر. من حديث جابر وقد روي من حديث أبي سعيد وأنس.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٢ حيث روى ذلك عن عمر وأبي هريرة وعروة بن الزبير، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٠٥، «المغني» ٤/ ٤٠٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣١.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٧.

(٤) ينظر: «المفردات» ص٥٥٣، «اللسان» ٨/ ٤٩٥٧-٤٩٦٠ (يسر).

(٥) في (أ)، (م): لأهل (الأحكام) سلام.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٨.

(٧) لم أجده.

(٨) تقدم معنى العدة في الآية السابقة.

أجله[١].

قال عطاء عن ابن عباس: ولتكملوا عدة أيام الشهر، إن كان ثلاثين قضيتم ثلاثين، وإن كان تسعًا وعشرين قضيتم تسعًا وعشرين، عددًا[٢] بعدد[٣]. وروي عنه أيضا يعني: عدة ما أفطرتم، يوما مكان يوم. رواه الكلبي عن أبي صالح عنه[٤]، فحمل ابن عباس إكمال العدة في الروايتين على قضاء رمضان[٥].

ومعنى الواو في قوله: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ على هذا التفسير: العطف على معنى الكلام لا على ظاهر اللفظ، وذلك أن في إباحته الإفطار للمريض والمسافر تسهيل، فتأويل الكلام: فعل الله ذلك ليسهل عليكم، ولتكملوا العدة إذا أقمتم وبرأتم، والعرب ربما تحمل الكلام على المعاني وتترك اللفظ، أنشد الزجاج[٦]:

بادَت وغُيِّر آيُهنّ مع البلى ... إلا رَواكدَ جمرهُن هباءُ
ومشجَّجٌ أما سواءُ قذاله ... فبدا وغيّبَ سارَه المَعْزَاءُ[٧]

---

(١) ينظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٣٤ (عدد).

(٢) روى الطبري ٢/ ١٥٦، ١٥٧، أثرين عن الضحاك وابن زيد بمعنى ما ذكر.

(٣) تقدم الحديث عن رواية عطاء ص٩٢.

(٤) تقدم الحديث عن رواية الكلبي ص٩٢.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٦، ١٥٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٠، «تفسير أبي المظفر السمعاني» ٢/ ١٧٤.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٤، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٩٢.

(٧) البيت لشماخ بن ضرار، في ملحق «ديوانه» ص٤٢٧-٤٢٨، ولذي الرمة في ملحق «ديوانه» ص١٨٤٠-١٨٤١، «لسان العرب» ٤/ ٢١٩٧. والرواكد: الأثافي، والمَعْزاء بفتح الميم: الأرض الغليظة الصلبة. والمشج: الوتد، والقذال: أعلاه، =

فعطف المشجج على معنى: بها رواكِد ومشجج؛ لأنه لما قال: بادت إلا رواكد ومشجج علم أن المعنى بقيت رواكدُ ومشجج[١].

واحتج ابن الأنباري لهذه الطريقة بقول الشاعر:

قد سالَمَ الحياتُ منه القَدَما الأُفْعُوانَ والشُّجَاع الشَّجْعَما[٢]

رد الأفعوان والشجاع على الحيات بالنصب، وهي مرفوعة على تغليب المعنى وتحلية[٣] اللفظ؛ لأن الحيات إذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم. قال: ويحتمل أن تكون الواو عاطفة على مضمر في الكلام يدل عليه المعنى، والتأويل: يريد الله بكم اليُسر، ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم ولتكملوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، وبقيت الثانية منعطفة عليها؛ لأن قيام معناها في الكلام يجري مجرى إظهارها.

واختار الفراء هذا القول، وقال: معنى الآية: ولتكملوا العدة في قضاء ما أفطرتم، والواو واو استئناف، واللام من صلة فعل مضمر بعدها، والتقدير: ولتكملوا العدةَ فعلَ ذلك، أو شرع ذلك، أي: الرخصة في الإفطار. ومثله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

= وساره: سائره. وهذا البيت من شواهد «الكتاب» لسيبويه ١/ ١٧٣-١٧٤.

(١) زيادة يقتضيها الكلام، من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٤.

(٢) اختلف في قائل هذا الرجز، فنسب في «اللسان» ٤/ ٢٢٠١ (شجع) إلى مساور بن هند، ويقال هو لأبي حيان الفقعسي، وفي «كتاب سيبويه» ١/ ١٤٥، لعبد بني عبس، ونسبه الأعلم للعجاج، وفي «شرح شواهد المغني» للسيوطي ص٣٢٩ قال: هو من أرجوزة لأبي حيان الفقعسي، وقيل: لمساور بن هند العبسي، وبه جزم البطليوسي، وقيل: للعجاج، وقال السيرافي: قائله التدمري، وقال الصغاني: قائله عبد بني عبس، انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص١٩٥.

(٣) في (أ): (تخلية).

﴿ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، أي وليكون من الموقنين أريناه ذلك، وروي عن ابن عباس أيضا ما يدل على أن المراد بإكمال العدة إكمالها في الأداء لا في القضاء؛ وهو أنه قال في قوله ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: عدة أيام الشهر[١]. وتقدير الآية على هذا التفسير: يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسْر، ويريد لتكملوا العدة. والمفسرون على أن المراد به إكمالُ العِدّة في القضاء[٢].

وفي قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾، قراءتان: التخفيف والتشديد[٣]، فمن خَفَّف فلقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٤] [المائدة: ٣] وقد قال امرؤ القيس:

طوالُ المتون والعرانين والقنا لِطافُ الخُصور في تمام وإكمال[٥]

ومن شدَّدَ فلأن فَعَّل وأفعل يتعاقبان في أكثر الأحوال، كما ذكرنا في وصَّى وأوصى[٦].

وقال النابغة:

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٣-١١٤، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٩٢، واختار هذا الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٧.

(٢) هذا من رواية عطاء وقد تقدم الحديث عنها، ونسبه الثعلبي ٢/ ٣٢٩، البغوي ١/ ٢٠١ لعطاء.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٣، والبغوي ١/ ٢٠١، «المحرر الوجيز» ٢/ ١١٤، ١١٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٢.

(٤) قرأ يعقوب وأبو بكر بن عياش عن عاصم بتشديد الميم، والباقون بالتخفيف. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «الحجة» ٢/ ٢٧٤.

(٥) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ص١٣٩.

(٦) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٤-٢٧٥.

فكمَّلَتْ مائةً فيها حمامتُها وأسرعت حسبةً في ذلك العددِ(١)

واللام في ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾، لام كي(٢)، وليستْ لامَ الأمر، ولو كانت لامَ الأمرِ لجاز تسكينُها مع الواو؛ لأنه إذا دخل على لام الأمر الواو أو الفاء أوثم جاز تسكينها وتحريكها، كقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، قرئ بالتسكين والحركة(٣)(٤). ونذكر الكلام فيه في سورة الحج إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين(٥). وقال أكثر العلماء(٦): أراد به التكبير ليلة الفطر(٧).

قال ابن عباس في هذه الآية: حقٌّ على المسلمينَ إذا رَأَوا هَلالَ

---

(١) «ديوان النابغة» ص١٦.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٩، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠١.

(٣) سقطت من (م).

(٤) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٦-٢٧٧، قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما، والباقون بالإسكان، وقرأ شعبة بفتح الواو وتشديد الفاء من: وليوَفُّوا، والباقون بسكون الواو وتخفيف الفاء.

(٥) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها ص٩٢. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٠ دون عزو لأحد.

(٦) في (م): (المفسرين العلماء).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

شوالٍ أن يُكبروا(١).

١٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية، قال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: أقريب ربُنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله هذه الآية(٢).

وقال الحسن سأل أصحاب النبي ﷺ(٣) فقالوا: أين ربنا؟ فأنزل الله هذه الآية(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: من أوليائي وأهل طاعتي(٥).

---

(١) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٥٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٠، وهو مروي عن زيد بن أسلم كما في المصدرين السابقين.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٣، وكذا البغوي ١/ ٢٠٥، وروى الطبري ٢/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٤، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٥٣٥ وغيرهم: عن أبي الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده، بمثل حديث الضحاك، وذكر في «الدر المنثور» ١/ ٣٥٢: أنه رواه البغوي في معجمه، وابن مردويه، قال أحمد شاكر: وهذا الحديث ضعيف جدا، منهار الإسناد بكل حال. حاشية «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٨، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٥٢ من حديث أبي بنحوه إلى سفيان بن عيينة في «تفسيره»، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد من طريق سفيان عن أبي.

(٣) من قوله: (أقريب . .) ساقطة من (ش).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٣، وعنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٨، وإسناده صحيح إلى الحسن، لكنه ضعيف لإرساله كما ذكر ذلك أحمد شاكر في تعليقه على الطبري. وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٥٢ من حديث أنس بنحوه إلى ابن مردويه.

(٥) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

وقال أهل المعاني: يريد قربَه بالعلم، كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يريد بالعلم(١).

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ قال ابن عباس: أَتَقَبَّل عبادةَ من عَبَدَني وَوَحَّدني(٢).

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٤، «الدر المصون» ٢/ ٢٨٩، وقد بين شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» ٥/ ٢٤٧، ٤٦٠ أن ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه هو مقيد لا مطلق لجميع الخلق، وذكر رحمه الله أن قرب الله ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال ذلك من قال من السلف، وهذا كقربه من عبده موسى لما كلمه من الشجرة، وينظر أيضا: «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٣، و«النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» للشيخ عبد الله المحمود ٢/ ٧٣٥-٧٥١.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرحه للعقيدة الواسطية» ٤٦٠ ما خلاصته: اعلم أن من العلماء من قسم قرب الله إلى قسمين، كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص، ومنهم من يقول: إن القرب خاص فقط، مقتض لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم، مستدلين بهذه الآية، وبقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**». رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، وهذا اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وقد أورد على قولهما: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾، وهاتان عامتان في المؤمن والكافر، وأجيب بأن القرب فيهما إنما هو للملائكة، ألا ترى أنه قال بعد الأولى: إذ يتلقى المتلقيان، وهما من الملائكة، وقال في الثانية: ولكن لا تبصرون، أي: لا تبصرون الملائكة وهم حاضرون لقبض الروح.

(٢) هذه من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها.

ويصحُّ حملُ الإجابة على القبول إذا حملت الدعاء على العبادة، والدعاءُ ضُرُوبٌ ،فما كان توحيدًا وثناءً على الله، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وقولك: ربنا لك الحمد يكون عبادة؛ لأنك دعوت الله ثم وحدته وأثنيت عليه، ولهذا يسمى دعاءً، ولما سمى العبادة دعاءً سمى القبول إجابةً؛ ليتجانس اللفظ، ومثله كثير في كلام العرب(١).

وقال ابن الأنباري: ﴿أُجِيبُ﴾ هاهنا معناه: أسمع؛ لأنه أَخْبَرَ عن قُرْبه تعالى، وظاهر القُرْب يدل على السماع لا على الإجابة، والإجابة قد تكون في بعض المواضع بمعنى السماع؛ لأنها تترتب على السماع، فسمى السماعَ إجابةً، كما تقول: دعوت من لا يجيب، أي: دعوت من لا يسمع.

قال الشاعر:

منزلة صَمَّ صداها وعَفَتْ أرسُمُها إن سُئلتْ لم تُجبِ(٢)

أراد: لم تَسْمَع، فنفى الإجابة؛ لأن نفيها يدل على نفي السمع، وكما جعلوا الإجابة بمعنى السمع جعلوا السمع بمعنى الإجابة، فيقال: سمع الله لمن حمده، يراد به: أَجَابه.

وأنشد أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي:

دعوتُ الله حتى خِفْتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ(٣)

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥ بتصرف، وذكر ضربين آخرين: أحدهما: مسألة الله العفو والرحمة. وثانيهما: هو مسألته من الدنيا. كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا. وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٧.

(٢) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ١/ ٦١٨، ٢/ ١١٥٢.

(٣) البيت لسمير بن الحارث الضبي في «تاج العروس» ١١/ ٢٢٧ (سمع)، وفي «نوادر أبي زيد» ص١٢٤.

أراد: يجيب، وإنما قام أحدهما مقام الآخر؛ لأنهما يترتبان في الوجود[١].

وقال السدي: ما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، فإما أن عجل له في الدنيا، وإما ادّخر[٢] له في الآخرة، أو دفع به عنه مكروهًا[٣].

و﴿أُجِيبُ﴾ موضعه نصبٌ[٤] على الحَال، تأويله: فإني قريبٌ مجيبًا دعوةَ الداعي، فلما كان مستقبلًا رفع بما في أوله، ويجوز أن يكون مستأنفًا منقطعا مما قبله، ويجوز أن يكون محمولًا على ﴿قَرِيبٌ﴾. تأويله: فإني قريبٌ مجيب، فلما كان في لفظ الاستقبال رفع بالألف، وتأويله الرفع على النعت لقريب[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليجيبوني بالطاعة وتصديق الرسل. وأجاب واستجاب بمعنى[٦].

قال كعب الغنوي[٧]:

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٧.

(٢) في (ش): (أخر).

(٣) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٥٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٤.

(٤) في (ش): (نصبًا).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٥، وذكر أيضًا إعرابًا آخر، وهو أن أجيب خبر بعد خبر.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣١٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٥.

(٧) هو: كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غنى، شاعر جاهلي حلو الديباجة يقال له: كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال، أكثر شعره في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي: ليس في الدنيا مثله. وقد رد الزركلي وعبد العزيز الميمني قولَ الغدادي والبكري: إنه شاعر =

وداعٍ دَعَا يا[١] مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدى
فلم يَسْتَجِبْه عندَ ذَاك مُجِيبُ[٢]

قال أهل المعاني: الإجابة من العبد لله تعالى: الطاعة، وإجابة كلِّ شيء على وفق السؤال، والله تعالى تَعَبَّدَنا بالطاعة، فالإجابة منّا له أن نطيعه، يقال: سأل فلان فلانًا شيئًا فلم يكن له عنده إجابة، أي: إعطاء لأن سؤاله كان استعطاءً، ويقال: أجابت السماء بالمطر، إذا أرسلت المطر، وأجابت الأرضُ بالنبات إذا أنبتت[٣]، قال زهير:

وغيثٍ من الوسمي حُوٍّ تِلاعُه أجابت روابيه النِّجَاءَ هَوَاطِلُه[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد[٥].

= إسلامي. توفي نحو ١٠ ق هـ. ينظر: «سمط اللائي» ٧٧٢، «الأعلام» ٥/ ٢٢٧، «جمهرة أشعار العرب» ص٢٥٠.

(١) في (ش): (دعانا).

(٢) البيت في «الأصمعيات» ص٩٦، «الأمالي» لأبي علي ٢/ ١٥١ «مجاز القرآن» ١/ ٦٧ «لسان العرب» ١/ ٢٨٣ (جوب).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤٧.

(٤) البيت في «ديوانه» ص١٢٧. و«المخصص» لابن سيده ١٠/ ١٩٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٦، والوسمي: أول المطر، وحُوّ: تضرب إلى السواد من شدة خضرة نبتها، والتلاع: مسيل ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادي، والروابي: ما ارتفع من الأرض، وهواطله: مواطره، والهطل: مطر لين ليس بالشديد ينظر: «الديوان بشرح ثعلب» ص١٢٧.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٧.

وقال ابن عباس: لكي يرشدوا[١]، ويقال: رَشِدَ يَرشَدُ ورشَدَ يَرْشُدُ: إذا أصاب الرشد، وهو نقيض الغي[٢].

١٨٧- قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية قال المفسرون: كان في أول فرض الصيام الجماع محرَّما في ليل الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله ﷻ ذلك كله إلى طلوع الفجر[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ أراد: لَياليَ الصِّيام، فأوقع الواحد مَوْقِعَ الجماعة[٤]، ومنه قول العباس بن مرداس[٥]:

فقلنا اسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحنِ الصُدُور

وأما[٦] الرفث، قال الليث: الرفث: الجماع، وأصله: قول الفحش، وأنشد الزجاج:

عن اللَّغَا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ[٧]

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها.

(٢) ينظر: «المفردات» للراغب ص٢٠٢، وقال: وقال بعضهم: الرَّشَد أخص من الرُّشْد، فإن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَد يقال في الأمور الأخروية لا غير، والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥، وقد اختصر المؤلف قصة سبب النزول، وهي مطولة، ينظر: في «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٥-١٦٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٤٦، وابن كثير ١/ ٢٣٥، ورواها البخاري (١٩١٥، ٤٥٠٨).

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٧.

(٥) انظر التعليق عند تفسير [البقرة: ٦١].

(٦) في (م): (فأما).

(٧) قبله:

وَرَبِّ أسرابِ حجيج كُظَّم

وهو للعجاج، من ميميته الطويلة في «ديوانه» ص٢٩٦، وأسراب: قطع، وكُظَّم: لا تتكلم بالكلام القبيح واللغا بفتح اللام: اللغو من الكلام. «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٩.

يقال: رَفَثَ في كلامه يَرْفُثُ، وأرفث: إذا تكلم بالقبيح، هذا هو الأصل، ثم يكنى به عن الجماع[١].

قال أبو إسحاق: الرَّفَثُ: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة[٢].

وقال عطاء فيما روى عن ابن عباس: الرفث: الجماع[٣].

قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكني، فما ذكر الله في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث فإنما يعنى به الجماع[٤].

قال الزجاجي: قد تأملنا الألفاظ الواردة عن العرب، المستعملة في معنى الجماع، فما وجدنا فيها لفظةً وُضِعَتْ حقيقة في معنى الجماع حتى

---

(١) ينظر في الرفث: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٧، «اللسان» ٣/ ١٦٨٦، «المفردات» ص٢٠٥، وقال: الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه، وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، تنبيها على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه، وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٦١ من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٥ من طريق سعيد بن جبير، قال ابن أبي حاتم: وروي عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس والحسن والضحاك وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله والسدي، وعمرو بن دينار وقتادة والزهري ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني نحو ذلك. وينظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٥-٢٣٦، «الدر المنثور» ١/ ٣٥٨.

(٤) رواه الثوري في «تفسيره» ص٦٣، والطبري ٢/ ١٦١، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٥٩ إلى ابن المنذر والبيهقي، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٤٩، والبغوي ١/ ٢٠٧.

لا تستعمل في غيره، لكن الكلمة إذا كثر استعمالها في معنى ويكون موضوعها لمعنى آخر فإنها تصير حقيقةً فيما استعملت فيه كثيرًا، حتى إذا أطلق لم يعرف غير ذلك، كما تقول في المباضعة، فإن أصلها من البَضْع، وهو قَطْعُ اللحم، فإذا أطلق لم يعرف منه غير معنى الجماع، كما أن نفس قولنا: فَرْج كناية، فإذا أطلقوا الفرج لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه.

وقالوا: بَاضَعَها كأنه باشر بُضْعَها، ولم يقولوا: فارجها، وصارت المباضعة كالحقيقة في معنى الجماع؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره، ألا ترى أنهم يقولون: غَشِيَها وتَغَشَّاها، ووَطِئَها وتوطاها، وقربها، وبَطَنَها وتَبَطَّنَها، وكل هذه الألفاظ موضوعةٌ لغير هذا المعنى[١].

وذكر جماعة من أهل هذه الصناعة: أن صريحَ اللفظ المستعمل في المباضعة قولهم: ناك ينيكُ نَيْكا، وليس كما ذهبوا إليه؛ لأن هذه اللفظة مستعارة أيضا، وقد ذكر أبو زيد عن العرب: ناكَ النعاسُ عينَهُ، ونكح النعاس بمعنى[٢]، فجعل أصل الكلمة اللزوم والمواظبة.

وأما معنى النكاح فسنذكره عند قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١] إن شاء الله.

قال أبو عبيدة: الرّفث إلى نسائكم: الإفضاء إلى نسائكم[٣]، قال الأخفش: وإنما عدّاه بإلى لأنه كان بمعنى الإفضاء[٤].

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٥٣٧.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(٤) لم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أصلُ اللّباس: ما يَلْبَسُه الإنسان مما يواري جَسَدَه، ثم المرأة تسمى لباسَ الرّجل، والرجل لباس المرأة؛ لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب[1] الذي يلبسه، فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا للآخر[2]. قال الجعدي[3]:

إذا ما الضجيعُ ثنى جيدَها   تثنّتْ فكانت عليه لباسا[4]

والعرب تسمى المرأة: اللباس، والفراشْ، والإزار، وأم العيال، والرَبَضَ[5] والبيت. وقيل في قوله:

فـدًى لـك مـن أخـي ثـقـةٍ إزاري[6]

---

(١) في (م): (كالثوب لصاحبه كالثوب).

(٢) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ١٤١، «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٨، ٣٢٢٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥١، «البحر المحيط» ١/ ٤٩.

(٣) هو: قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة ؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، هجر الأوثان ونهى عن الخمر في الجاهلية، ثم وفد إلى الرسول ﷺ فأسلم، توفي سنة ٥٠ هـ. ينظر: «الإصابة» ٣/ ٥٣٧، «الأعلام» ٥/ ٢٠٧.

(٤) البيت في «ديوانه» ص٨١، «تأويل مشكل القرآن» ١٤٢ «الشعر والشعراء» ١/ ٢٩٩ «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٨٦. ويروى عطفها بدل جيدها. وتداعت بدل تثنت.

(٥) في (ش): (الريض).

(٦) صدر البيت:

ألا أبـلـغ أبـا حـفـص رسـولًا

وهو لنفيلة الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، وكان كتب إلى عمر بن =

أي: نسائي[١]. ومنه:

أَكِبرٌ غَيَّرني أم بيت[٢]

وقول[٣] الآخر:

جاء الشتاء ولمّا أتّخِذْ رَبَضًا[٤]

وهذا المعنى الذي ذكرناه في اللباس[٥] هاهنا موافق لما قاله المفسرون، قال الربيع: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن[٦].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ قال:

= الخطاب أبياتًا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليًا على مدينتهم في قصة طويلة. والبيت في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٤ «تاج العروس» ٦/ ٢١، «الإصابة» ١/ ٢٧٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦، «غريب الحديث» للخطابي ٢/ ١٠١. والبيت للنابغة الجعدي، في «الشعر والشعراء» ص٢٥٥، والطبري ٣/ ٤٩٠، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٤، «غريب الحديث» للخطابي ٢/ ١٠١، «الصحاح» للجوهري ٢/ ٥٧٨.

(٢) البيت لمجهول، ذكره في «الأمالي» لأبي علي ١/ ٢١، وفي «أساس البلاغة» ١/ ٧٢ (بيت)، وفي «لسان العرب» ١/ ٣٩٣ (بيتا).

(٣) في (ش): (وقال).

(٤) عجز البيت:

يا ويح كفي من حفر القراميص

وهو في «اللسان» ٣/ ١٥٥٩، بغير نسبة.

(٥) ينظر في اللباس: «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، ١٦٣، ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، «المفردات» ٤٥٠، «اللسان» ٧/ ٣٩٨٦ (لبس).

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٠٧ بهذا اللفظ، ورواه الطبري عنه ٢/ ١٦٣، ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦ ولفظهما: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن، و كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٥٢.

للمواقعة[١]، يريد: أن كلَّ واحد منهما يستر صاحبه عند الجماع عن أبصار الناس،[٢] وهذا من خصائص الإنسان.

قال عمرو بن يحيى[٣]: ليس شيء من الحيوان يتبطن طروقته غير الإنسان والتمساح. وزاد غيره: الدُبُّ. ومعنى تبطن: أتى من جهة البطن[٤].

وقيل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي: سكن لكم وأنتم سكن لهن، وهو قول ابن عباس في جميع الروايات[٥]، وقول مجاهد[٦] وقتادة[٧].

والمعنى: أنكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة، وهن كذلك، أي: قَلَّ ما يَصْبرُ أحد الزوجين عن الآخر.

ويقال: إنما سُمِي الزوجان[٨] لباسًا؛ لسَتر كل واحد منهما صاحبه عما لا يحلّ[٩]، كما جاء في الخبر: (من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه)[١٠].

---

(١) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٦٣.

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧.

(٣) في (ش): (عمرو بن بحر) أقول لعله الجاحظ فليلاحظ.

(٤) «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ١/ ١٦٤. (ط. دار الفكر).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٦، وقال بعده: وروي عن مجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٢/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦.

(٧) رواه الطبري عنه ٢/ ١٦٣.

(٨) في (م): (سمي الزوجين).

(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(١٠) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٠٧، دون إسناد، والحديث لفظه في كتب السنة الأخرى: «**من تزوج فقد استكمل نصف دينه، أو نصف الإيمان**» رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس برقم ٧٦٤٣، ورقم ٨٧٨٩، والأصفهاني في «الترغيب

وإنما وحد[1] اللباس بعد قوله: ﴿هُنَّ﴾ لأنه يجري مجرى المصدر. وفِعَال من مصادر فاعل، وتأويله: هنّ ملابسات لكم.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يقال: خَانه خَوْنًا وخِيانَةً ومَخَانَةً واخْتَانَه اخْتِيانًا: إذا لم يف له، والسيف إذا نبا عن الضريبة فقد خانك، وخَانَه الدهرُ والنعيمُ: إذا تغير حاله إلى شر منها.

قال ابن قتيبة: الخيانة: أن يؤتمن الرجلُ على شيء فلا يؤدي الأمانةَ فيه، وناقض العهدِ خائن؛ لأنه آمن بالعهد فغدره، ومنه قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨]. أي: نقضا للعهد، ويقال لعاصي المسلمين: خائن؛ لأنه مؤتمن على دينه، ومنه قوله: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي: بالمعاصي[2].

= والترهيب»، والحاكم ٢/ ١٦١، وصححه، ولفظه عنده: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**». وضعفه ابن حجر في التلخيص٢٧٩، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦١٢ (ط. دار الكتب العلمية): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما يذكر عنه، وفيه آفات منها: يزيد الرقاشي، وهياج يعني ابن بسطام، ومالك بن سليمان. اهـ بتصرف. وينظر: «كشف الخفا» للعجلوني ٢/ ٢٣٩ برقم ٢٤٣٢، «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص٦٣٨ برقم ١٠٩٨ (ط. دار الكتاب العربي) وحسن الألباني الحديث بمجموع طرقه كما في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٢٠٠ برقم ٦٢٥.

(١) في (ش): (وجد).

(٢) ينظر في «خان»: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٤، «الكشاف» للزمخشري ١/ ١١٥، وقال: الاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب، فيه زيادة وشدة، «اللسان» ٣/ ١٢٩٤، «المفردات» للراغب ص١٦٧، قال: والاختيان: مراودة الخيانة، ولم يقل تخونوا أنفسكم؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة. اهـ. أقول: وسبب النزول يدل على وقوعهم في الجماع المحظور.

وقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تخونونها بالمعصية، قال ابن عباس: يريد فيما ائتمنتكم عليه[١]، وخيانتهم: أنهم كانوا يباشرون ليالي الصيام[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ يريد: عمر وأصحابه، وذلك أنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يبكي، فأتى النبي ﷺ وطلب الرخصة، واعترف رجال بمثل ما صنع عمر فنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أمر إباحة[٤]، والمباشرة: المجامعة؛ لتلاصق البشرتين وانضمامهما[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بهذا: الولد، أي: اطلبوا بالمباشرة ما قضى الله لكم من الولد[٦].

---

(١) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها.

(٢) ينظر أسباب النزول فيما تقدم.

(٣) تنظر الروايات في ذلك عند الطبري ٢/ ١٦٣-١٦٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، والثعلبي ٢/ ٣٤٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٦.

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، «الثعلبي» ٢/ ٣٥٤، «البغوي» ١/ ٢٠٧، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٨.

(٦) ذكر الآثار في ذلك: الطبري ٢/ ١٦٩-١٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧ عن أنس وابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي والربيع وابن زيد والضحاك بن مزاحم وشريح وعطاء وسعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧، «الدر المنثور» ١/ ٣٥٩.

وقال قتادة: يعنى الرخصةَ التي كتبتُ لكم[(١)]، وقال معاذ بن جبل[(٢)] وابن عباس في رواية أبي الجوزاء[(٣)]: يعني: ليلةَ القدر، وكل هذا مما تحتمله الآية.

وقال أبو إسحاق: الصحيح عندي أن ما كتب الله لنا هو[(٤)] القرآن، أي: اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه[(٥)] وأمرتم به[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ أمر إباحة حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود[(٧)] روي في تفسير هذا عن النبي ﷺ أنه قال لعدي بن حاتم: «**إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل**»[(٨)].

وبهذا قال عامة أهل التفسير[(٩)]، والعرب قد تكلمت بهذا اللفظ في

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧١، والطبري ٢/ ١٧٠، وذكره الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٢٧.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ١٧٠، وذكره عنه الثعلبي ٢/ ٣٥٦، البغوي ١/ ٢٠٧.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٥٦، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٢٧.

(٤) هو: سقطت من (م).

(٥) سقطت من (ش).

(٦) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦ بمعناه، وقد بين الطبري ٢/ ١٧٠ أن كل الأقوال المذكورة مرادة، وهومما كتب الله، لكن أشبه المعاني بظاهر الآية من قال: إن المراد به الولد ؛ لأنه ورد عقيب قوله: جامعوهن.

(٧) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٩١.

(٨) أخرجه البخاري (١٩١٦)كتاب الصوم، باب قول الله: وكلوا واشربوا، ومسلم (١٠٩٠) كتاب الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

(٩) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨، «تفسير غريب القرآن» ص٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٠-١٧٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣١٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٣، «البغوي» ١/ ٢٠٨.

الليل والنهار، قال أمية الثقفي[(١)]:

الخيط الأبيض لون الصبح منفلق
والخيط الأسود لون الليل مركوم[(٢)(٣)]

وقال أبو دواد[(٤)]:

فَلمّا أَضَاءت لنا غُدْوَة ولاحَ من الصُّبْح خَيْطٌ أَنَارا[(٥)]

واختلفوا لم سميا خيطين؟[(٦)] فقال الأكثرون: إنما[(٧)] يسمى خيطين عند اختلاط الضوء بالظلام والتفاف أحدهما بالآخر؛ شبها[(٨)] بخيطين بريمين، ومن هذا يقال: خَيّطَ الشيبُ رأسَه، إذا اختلط السواد بالبياض،

---

(١) هو: أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف، تقدمت ترجمته.

(٢) في (ش): (مزكوم).

(٣) البيت في «ديوانه» ص٧٧، وذكره الثعلبي دون نسبة ٢/ ٣٦٤ ولفظه:

الخيط الأبيض وقت الصبح منصدع والخيط الاسود جوز الليل مركوم

وهو في «تاج العروس»، «الدر المنثور» ١/ ٣٦٠، وقد ورد في «الديوان»، «الدر المنثور» مكموم، بدل: مركوم.

(٤) جارية بن الحجاج بن حذاق، وقيل: حنظلة بن المشرقي، أبو دواد الإيادي، تقدمت ترجمته.

(٥) البيت لأبي دواد الإيادي في «ديوانه» ص٣٥٢، «الأصمعيات» ص١٩٠، «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٢٣٣، «لسان العرب» ٣/ ١٣٠٢ خيط. ورواية الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٧٦، سُدْفَة، بدل: غدوة، والسدفة: ظلمة الليل في لغة نجد، والضوء في لغة قيس، وهي أيضًا اختلاط الضوء والظلمة جميعًا وهذا مراد الشاعر. والخيط: اللون هنا يكون ممتدًا كالخيط.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٦-١٧٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٩-١١٠.

(٧) في (ش): (إنهما).

(٨) في (ش): (شبّها).

ذكره أبو عبيد عن الأصمعي، وأنشد:

حتى تُخَيَّطَ[١] بالبياض قروني[٢]

البيت لبدر الهذلي، وأوله:

آليت لا أنسى منيحة واحدٍ

يعنى بالمنحة: هجاء مهاجيه[٣].

وقرأت على أبي الحسين الفسوي: أخبركم حمد بن محمد، قال: أنشدنا الحسن بن خلّاد، قال: أنشدني دريد، قال: أنشدنا ابن أخي الأصمعي، عن عَمِّه، لرجل يصف ليلًا:

كأن بقايا[٤] الليل في أخرياته ... مُلاءٌ يبقى[٥] من طيالسة خضرِ

تخال بقاياه التي أسأر الدجى ... تمدُّ وشِيعًا فوق أرديةِ الفجرِ[٦]

فشبهها بالوشيع، وهو فتائل الغزل؛ لما يتراءى في خلاله من خيوط سوادٍ وبياضٍ.

وقال الزجاج: هما فجران، أحدهما: يبدو أسود معترضًا، وهو الخيط الأسود، والأبيض: الذي يطلع ساطعًا يملأ الأفق[٧]، فعندهما

---

(١) في (ش): (تخيط).

(٢) عجز بيت ذكر الواحدي بعده صدره، وهو من قول بدر بن عامر الهذلي في «الأغاني» ٢٤/ ١٦٦.

(٣) من قوله البيت: (لبدر... ساقط من: (ش).

(٤) في (ش): (بقانا).

(٥) في (م): (كأنها سقى).

(٦) لم أهتد إلى قائله أو من ذكره.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، والفجر فجران: أحدهما: يسطع في السماء مستطيلا كذنب السرحان (الذئب) ولا ينتشر، وهو الفجر الكاذب، فذاك لا يحل=

الخيطان: هما الفجران، سميّا لامتدادهما، تشبيهًا بالخيطين.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ الفجر: مصدر قولك: فَجَرْتُ الماء أَفْجُره فَجْرًا، وفَجَّرتُه تفجيرًا، فانفجر انفجارًا، إذا سال.

قال الأزهري: أصله: الشق، ومنه: فَجْرُ السِّكْر[1]، فعلى هذا، الفجر في آخر الليل: هو شق عمود الصبح الليل، شَبَّه شقَّ الضوءِ ظُلْمَةَ الليل بفجر الماء الحوض[2].

قال سهل بن سعد[3]: لما نزل قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ كان الرجل إذا أراد الصوم ربط في رجله خيطين أسود وأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رِئْيُهُما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنه يعني: الليل والنهار[4]. فالأكل للصائم بالليل

= الصلاة، ولا يحرم الطعام على الصائم. والثاني: هو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الأفق، وهو الفجر الصادق الذي يحل الصلاة ويحرم الطعام على الصائم، وهو المعني بهذه الآية. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٢، والبيهقي ٤/ ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٣٤.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٧، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٧، «المفردات» ٧٥، «اللسان» ٦/ ٣٣٥١ (فجر).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٧.

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة، توفي سنة ٨٨هـ وقيل بعدها. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٤٧٢، «تقريب التهذيب» ص٢٥٧ (٢٦٥٨).

(٤) رواه البخاري (٤٥١١) كتاب التفسير، باب: قوله: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض وكذا برقم (١٩١٧) كتاب الصوم، باب: قول الله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾، ومسلم (١٠٩١) كتاب الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

منظوم في الإباحة بإباحة المباشرة المذكورة قبله بمثل معناها في التوقيت، فقد أباح ﷻ المباشرة والأكل والشرب في ليالي الصوم وإلى انفجار الصبح، وفي هذا ما يدفع قول من يقول: إن الجنب إذا أصبح قبل الاغتسال لم يكن له صوم؛ لأن المباشرة إذا كانت مباحة إلى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال إلا بعد انفجار الصبح(١).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ جعل الليل منتهى الصوم، ولم يُدْخِل الليلَ في الصوم، كما دخل المرفق في الغسل في قوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]؛ لأن الليل ليس من جنس النهار، والمرفق (من جنس اليد)(٢).

قال أحمد بن يحيى: سبيل الغاية الدخول والخروج، وكلا الأمرين فيهما ممكن، كما تقول: أكلتُ السمكةَ إلى رأسها، جائز أن يكون الرأس داخلًا في الأكل وخارجًا منه، وخرج الليلُ من الصوم؛ لأنه لا يشك ذو عقل أن الليل لا يُصام، ودخلت المرافق في الغسل أخذًا بالأوثق، ثم انضم إلى هذا تبيين السنة(٣).

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ١١٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٩٤-٩٥، وقال: ففي ذلك على جواز طلوع الفجر عليه وهو جنب، وذلك جائز إجماعا، وقد كان وقع فيه بين الصحابة رضوان الله عليهم كلام، ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنبا فإن صومه صحيح، وبهذا احتج ابن عباس عليه. ويعني -رحمه الله- بالخلاف بين الصحابة ما روي عن أبي هريرة أنه قال: من أصبح جنبا فلا صوم له، واختلف في رجوعه كما ذكره القرطبي ٢/ ٣٠٥.

(٢) ساقط من (م).

(٣) قد بينت السنة ذلك بقوله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»، رواه البخاري (١٩٤١) كتاب الصوم، باب: =

وقال قوم: (إلى) في هذه الآية للتحديد، وفي آية الوضوء معناه مع. كقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيَ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢](١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ قال المفسرون: كان الرجلُ يخرجُ من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعود، فنهوا عن ذلك ما داموا معتكفين(٢)، فالجماع يفسد الاعتكاف، وأما المباشرةُ غيرُ الجماع مما يُقْصَدُ به التلذُّذُ فهو مَكْروه، ولا يفسده، وما لا يقصد به التلذذ فلا يكره(٣).

= الصوم في السفر والإفطار، ومسلم (١١٠١) كتاب الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار.

(١) ينظر: «المغني» ٤/ ٤٣٢-٤٣٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٢٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٠٦، «التفسير الكبير» ٥/ ١١١-١١٢، وقد نقل كلام الواحدي هذا برمته.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، وروى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٨٠، عن مجاهد والضحاك والربيع وقتادة معنى ذلك، وينظر ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٥.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٠-١٨٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١١، وبين أن من جامع زوجته وهو معتكف عامدا، أنه أفسد اعتكافه بإجماع أهل العلم، واختلفوا فيما عليه إذا فعل ذلك، فأما المباشرة من غير جماع فإن قصد بها التلذذ فهي مكروهة، وإن لم يقصد لم يكره ؛ لأن عائشة كانت ترجل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف، رواه البخاري (٢٠٢٨) كتاب الاعتكاف، باب: الحائض ترجل رأس المعتكف، ومسلم (٢٩٧) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وكانت لا محالة تمس بدن رسول الله ﷺ بيدها، هذا قول عطاء والشافعي وابن المنذر، قال أبو عمر(يعني: ابن عبد البر): وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل، واختلفوا فيما=

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أشار إلى الأحكام التي ذكرها في هذه الآية. وأما معنى الحد، فقالَ الليثُ: فَصْل ما بينَ كلِّ شَيْئين: حد، ومنتهى كل شيء حدُّه.

قال الأزهري: ومن هذا: حدود الأرضين، وحدود الحرم.

قال أهل اللغة: أصل الحد: الصرفُ والمنعُ عن[1] ومنه يقال للمحروم: محدودٌ؛ لأنه ممنوع عن الرزق، ولهذا قيل للبواب: حدَّاد؛ لأنه يمنع الناس من الدخول، قال الأعشى:

وقُمْنا ولَمّا يَصِحْ ديكُنَا   إلى جَوْنَةٍ عند حَدَّادها[2].

يعني: صاحبها الذي يحفظها ويمنعها[3]، والجونة: الخابية، ومنه قول النابغة:

...... فاحدُدْها عن الفَنَد[4]

= عليه إن فعل. وينظر في المسألة: «الإجماع» لابن المنذر ص٤، «الكافي» لابن عبد البر ١/ ٣٠٨، «فتح الباري» ٤/ ٢٧٢.

(١) في نسختى (أ) (م): (عن)، وكأن في الكلام باقيًا لم يذكر.

(٢) ورد البيت هكذا:

فقمنا ولما يصح ديكنا   إلى خمرة عند حدّادها

والبيت في «ديوانه» ٦٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨ «مجمل اللغة» ١/ ٢١٠، «الصحاح» ٢/ ٤٦٢ «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠، والجونة: خابية الخمر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠.

(٤) تمام البيت:

إلا سليمان إذ قال الإله له   قم في البرية فاحددها عن الفند

والبيت للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٢، والقرطبي ٩/ ٢٦٠، «البحر المحيط» ٥/ ٣٤٠، «الدر المصون» ٦/ ٥٥٧، «اللسان» ٢/ ٨٠١، «تاج العروس» ٤/ ٤١١=

أي: امنعها. وحَدُّ الدار: ما يمنع غيرها أن يدخلَ فيها، وحدودُ الله: ما منع الله من مخالفتها[١].

قال الأزهري: حدود الله على ضربين.

ضرب منها: ما حُدَّ للناسِ في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها مما أحل وحرم، وأمر بالانتهاء إليها[٢]، ونهى عن تعدّيها.

والضرب الثاني: عقوبات جعلت لمن تعداها[٣] كحد السارق وحد الزاني وحد القاذف، سميت حدودًا؛ لأنها تحدُّ، أي: تمنع من ارتكاب المعاصي التي جعلت عقوباتٍ فيها، وسميت الأولى حدودًا؛ لأنها نهايات أمر الله لا تُتَعَدَّى[٤].

وعلى ما ذكر الأزهري، وهو حسن صحيح، الضرب الأول سمي حدودًا؛ لأنها ممنوعة لا تؤتى، كالأكل بعد الفجر في الصوم، والضرب الثاني: مانعٌ، والمصدر يطلق على المفعول والفاعل كثيرًا، كقولهم: نسجُ اليمن، وضربُ الأمير، وقوله ﷻ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [تبارك: ٣٠].

ويؤكد ما ذكرنا من المعنى في الحدود قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تأتوها فبيّن أنها ممنوعة[٥].

= (حدد)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠، وروايته (المليك) بدل (الإله). والفند: الخطأ في الرأي والقول.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٤٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٧، ٣٠٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٩ (حدد).

(٢) عبارة الأزهري في «تهذيب اللغة» وأمر بالانتهاء عما نهي عنه منها.

(٣) عبارة الأزهري في «تهذيب اللغة» عقوبات جعلت لم ركب ما نهي عنه.

(٤) من «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٩ (حدد) بتصرف.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٥.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر[(١)].

١٨٨- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: لا يأكل[(٢)] بعضكم مالَ بعضٍ. فأضافَ الأموالَ إليهم؛ لأن المؤمنين كجسد واحدٍ في توادِّهم وتعاطفِهم وتَراحمِهم، كذا قال رسول الله ﷺ[(٣)]. ومثله قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩][(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ معنى الباطل في اللغة: الذاهب الزائل، يقال: بَطَلَ الشيء يبطُل بُطْلًا وبُطولًا فهو باطل، ويجمع الباطل: بَوَاطل، وأَبَاطِيل جمع أُبْطُولَة، ويقال: بَطَل الأجيرُ يَبْطُلُ بِطَالَة، إذا تَعَطَّل واتبع اللهو، ومثله: تبطّل[(٥)].

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٠، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٦.

(٢) في (أ): (لأكل).

(٣) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** أخرجه البخاري في الأدب باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم في: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، وتعاضدهم (٢٥٨٦) (٦٠١١) كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٠، «التفسير الكبير» ١/ ١١٦. وقال: اعلم أنهم مثلوا قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم﴾، بقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾، وهذا مخالف لها؛ لأن أكله لمال نفسه بالباطل يصح كما يصح أكله مال غيره.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٥٠ بطل، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٣، «الصحاح» ٤/ ١٦٣٥، «المفردات» ص٦١، «اللسان» ١/ ٣٠٢ بطل.

قال ابن عباس: يعني: بغير طاعة الله ﷻ، واليمين الكاذبة يقتطع الرجل بها مال أخيه المسلم[(١)].

قال أهل المعاني: الأكلُ بالباطل على وجهين:

أحدهما: أن يكون على جهة الظلم، من نحو: الغَصْب والخيانة والسرقة، والثاني: على جهة اللهو واللعب، كالذي يُؤْخَذُ في القمار والملاهي ونحوها، كلُّ ذلك من أكل المال الباطل[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ في محل ﴿وَتُدْلُوا۟﴾ من الإعراب قولان[(٣)] ذكر في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]. وأصل الإدلاء في اللغة: إرسال الدلو وإلقاؤها في البئر، قال الله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩] ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاءً، ومنه يقال للمحتج: أدلى بحجته، كأنه يرسلها ليصل إلى مراده إدلاءَ المستقى الدلوَ ليصل إلى مطلوبه من الماء، ويقال: فلان يُدلي إلى الميت بقرابة ورَحِم، إذا كان يَمُتّ إليه من هذا؛ لأنه يطلب الميراث بتلك القرابة طلب

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١٧، «زاد المسير» ١/ ١٩٤، ونقل عن القاضي يعلى أن الباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه كالسرقة. والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه كالقمار والغناء وثمن الخمر.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٤، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١٩، «التبيان» للعكبري ١/ ١٢٠، وذكر الوجهين، وهما: الجزم عطفًا على لا تأكلوا، والنصب على معنى الجمع أي: لا تجمعوا بين أن تأكلوا وتدلوا، وقيل: نصب بإضمار أن الخفيفة، وقال الأخفش: نصب على الجواب بالواو. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٣.

المستقي الماء بالدلو(١).

ومعنى قوله: ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: تلقون أمورَ تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام.

قال ابن عباس: نزلت في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصم فيه إلى الحكام، وهو يعرف أن الحقَّ عليه، ويعلم أنه آثمٌ آكلُ حرامٍ(٢).

وقال الحسن: هو أن يكون على الرجل لصاحبه حَقٌّ، فإذا طالبه به دعاه إلى الحاكم فيحلف له، ويذهب بحقه(٣). وعلى هذا المعنى تفسير لفظ الآية ما ذكره الزجاج، وهو أنه قال: معنى أدلى فلان بحجته: إذا أرسلها، وأتى بها على صحة. قال: فمعنى قوله: ﴿وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم والإدلاء بالحجة، وتتركون ما قد علمتم(٤)، وقد قال ﷺ: «**إنما أنا بشر، ولعل بعضَكم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ من بعض**» الحديث(٥).

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٤، «المفردات» ص١٧٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٨.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٢/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢١، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٦٦ إلى ابن المنذر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧، وذكر ابن أبي حاتم ١/ ٣٢١، عن الحسن أنه قال: لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٨.

(٥) أخرجه البخاري (٧١٦٩) كتاب الشهادات، باب: موعظة الإمام للخصوم، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

والمختار في هذه الآية ما ذكره الفراء، وهو أنه قال: المعنى: لا تصانعوا بأموالكم الحكام؛ ليقتطعوا لكم حقًّا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم[(١)].

قال الأزهري: وهذا عندي أصح القولين؛ لأن الهاء في قوله ﴿بِهَآ﴾ للأموال، وهي على قول الزجاج للحجة، ولا ذكر لها في الكلام[(٢)].

واختار ابن قتيبة أيضًا قول الفراء، فقال: يقول: لا تُدْلِ بمالِ أخيك إلى الحاكم ليَحكمَ لك به وأنت تعلم أنك ظالم له[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ أي: طائفة[(٤)]. ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ قال ابن عباس: يريد باليمين الكاذبة[(٥)].

وقال غيرُه: بالباطل[(٦)]، يعني: بأن يرشو الحاكم ليقضي له ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون وأنه لا يحلُّ لَكم[(٧)].

١٨٩- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الآية. قال المفسرون: سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ عن زيادة القمر ونقصانه؟ فأنزل الله هذه الآية[(٨)].

---

(١) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو).

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو).

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٥.

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «البحر المحيط» ٢/ ٥٧.

(٥) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦.

(٧) «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «البحر المحيط» ٢/ ٥٢.

(٨) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ١/ ٤٩٣، وعزاه السيوطي في «لباب النقول» =

والأهلة: جمع هِلال، وهو غُرّة القمر حين يراها[١] الناس، يقال لها[٢]: هلال ليلتين، ثم يكون قمرًا بعد ذلك.

وقال أبو الهيثم: يسمى القمر لليلتين من أول الشهر وليلتين[٣] من آخر الشهر: هلالًا، ويسمى ما بين ذلك: قمرًا، وسمي الهلال هلالًا: لأنه حين يرى يُهلّ الناس بذكر الله وبذكره[٤].

ويقال: أُهِلّ الهلال، واستُهِلّ، وأهللنا الهلال، واستَهْلَلْناه[٥]، إذا بُني الفعل للهلال ضُمَّ، وإذا بُنِيَ للرائين فُتِح. هذا قول عامة أهل اللغة، وقال شمِر: يقال: استَهَلَّ الهلال أيضًا وشهر مُستَهِلٌّ، وأنشد:

= ص٣٥ أيضًا إلى ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به، وذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ١٨٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٩٠، وضعف إسناده السيوطي كما في «الدر» ١/ ٣٦٧، ووهاه المناوي في «الفتح السماوي» ١/ ٢٣٢، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٦٦ والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦ عن الكلبي، وكذا ذكره الحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٢، قال الحافظ في «العجاب»: وقد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل كاد يكون مقطوعا به لكثرة من ينقله من المفسرين وغيرهم. اهـ. وقد روى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٨٥، عن قتادة والربيع وابن جريج وكذا ابن أبي حاتم ١/ ٣٢٢ عن أبي العالية، قالوا: إن أناسا سألوا رسول الله ﷺ لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية

(١) في (م): (تراها).

(٢) في (م) و(أ): (له).

(٣) من قوله: (ثم يكون قمرًا بعد ذلك). ساقط من (أ)، (م).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢.

(٥) في (م): (استهللنا).

وشهرٌ مُستهلٌّ بعد شَهْر وحَوْلٌ بعدَه[١] حولٌ جديد[٢][٣]

قال ابو إسحاق: فِعَالٌ يجمع في أقل العدد على أَفْعِلَة، نحو: مِثَال وأَمْثِلَة، وحِمَارٌ وأَحْمِرَة، وفي أكثر العدد يجمع على فُعُل، نحو: مُثُل وحُمُر، إلَّا أنهم كَرِهوا في التضعيف فُعُلا، نحو هُلُل وحُلُل[٤]، واقتصروا على جمع أدنى العدد، كما اقتصروا في ذوات الياء والواو على ذلك، نحو: أَكْسِيَة وأَرْدِيَة، للقليلِ والكثير[٥].

أخبرَ اللهُ سبحانه أن الحكمةَ في زيادة القمر ونقصانه زوال الالتباس عن أوقات الناس في حَجِّهم[٦]، وحَلِّ ديونهم، وعِدَدِ نسائهم، وأجور أُجَرائِهم، ومُدَدِ حواملهم، ووقت صومهم وإفطارهم، فقال: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[٧]

والمواقيت: جمع الميقات، والميقات: الوقت، كالميعاد بمعنى الوعد. وقال بعضهم: الميقات: منتهى الوقت، قال الله تعالى ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الأعراف:١٤٢] والهلال: ميقات الشهر، ومواضع الإحرام:

---

(١) في (م): (بعد).

(٢) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ٨/ ٤٦٩٠ (هلل). ورواية «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٤ (هلل: ويومٌ بعده يومٌ قريب).

(٣) ينظر في هلال: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٤-٣٧٨٨، «المفردات» ص٥٢٢، «اللسان» ٨/ ٤٦٩٠ (هلل).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: نحو هلل وخلل، فقالوا: أهلة وأخلة.

(٥) من «معاني القرآن» ١/ ٢٦٢.

(٦) في (ش): (حجتهم).

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٥، «البحر المحيط» ٢/ ٦١.

مواقيت للحج؛ لأنها مقادير يُنْتَهَى[(١)] إليها[(٢)]. ولا يصرف مواقيت؛ لأنها غاية للجموع، فصار كأن الجمع تكرر فيها. فإن قيل: لم صرفت ﴿قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥]؟ قيل: لأنها فاصلة وقعت في رأس آية، فنُوِّن ليجري على طريقة الآيات كما ينون القوافي في مثل:

أقلي اللومَ عاذلَ والعتابا[(٣)]

فالألفُ بدلٌ من التنوين، وليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تَمَكُّن الاسم، وإنما هو للفاصلة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ قال عامة أهل التفسير: كان أهلُ الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نَقَبَ في بيته نَقْبًا من مُؤَخَّرِه يخرج منه ويدخل، إلا قريشًا ومن دانوا بدينهم، فبينما رسول الله ﷺ وهو[(٥)] محرم، ورجل محرم فرآه دخل من باب حائط، فاتبعه ذلك الرجل، فقال له: تنح عني، قال: ولم؟ قال: دخلت من الباب وأنت محرم! فوقف ذلك الرجل فقال: إني رضيت بسنتك وهديك، وقد

---

(١) في (ش): (تنتهى).

(٢) ينظر في المواقيت: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢، «المفردات» ٥٤٤، «البحر المحيط» ٢/ ٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٩٠ «هلل».

(٣) عجز البيت:

وقولي إن أصبت لقد أصابا

مطلع قصيدة لجرير يهجو فيها عبيدا الراعي والفرزدق في «ديوانه» ص٨١٣، «أوضح المسالك» ١/ ١٤. وقوله: عاذل: هو مرخم عاذلة، وهو اسم فاعل مؤنث من العذل، وهو اللوم والتوبيخ.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٨/ ٣٩٧، «أوضح المسالك» ١/ ١٤.

(٥) ساقطة من (ش).

رأيتك دخلت فدخلت على إثرك، فقال النبي ﷺ: «إني أحمس»[(١)]، يعني: قرشي، وكانت قريش لا تفعل ذلك، قال الرجل: فإن كنت أحمس فإني أحمس[(٢)] ديننا واحد، فأنزل الله هذه الآية[(٣)]، وأعلمهم أن تشديدهم في الإحرام ليس ببر، ولكن البِرَّ بِرُّ من اتقى مخالفةَ اللهِ، وأمرهم بتركِ سُنَّةِ

---

(١) الأحمس: هو المتشدد في دينه، والحُمْس: قريش وخزاعة، وكل من ولدت قريش من العرب، وكل من نزل مكة من قبائل العرب، فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمنا، ولم يطبخوا أقطا، ولم يدخروا لبنا، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولم يحركوا شعرا ولا ظفرا، ولا يبتنون في حجهم شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا، ولا يأكلون لحما، ولا يلبسون إلا جديدا، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته، ولا يدخلون البيوت من أبوابها، ولا يخرجون إلى عرفات يقولون نحن أهل الله ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم. ينظر: «المحبر» ص١٧٨-١٨٠، «سيرة ابن هشام» ١/ ٢١١-٢١٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٢، وهذا من تعليق محمود شاكر على «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٧، وقيل: سموا حمسا بالكعبة؛ لأنها حمساء، حجرها أبيض يضرب إلى السواد، والأول أشهر وأصح. «فتح الباري» ٣/ ٦٠٣.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) أورده بهذا اللفظ الثعلبي ٢/ ٣٩٤، وكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦، دون سند، وقد جمعه من آثار متفرقة كما ذكر الحافظ في «العجاب» ١/ ٤٥٨، وقد روي نحو هذا عن جابر، رواه ابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣، والحاكم ١/ ٦٥٧، وصححه وعزاه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٦٢١ إلى ابن خزيمة وعبد بن حميد وأبي الشيخ وبقي، وقال في «العجاب» ١/ ٤٥٦: هو على شرط مسلم ولكن اختلف في إرساله ووصله، وروى الطبري ٢/ ١٨٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣ من طريق العوفي عن ابن عباس بنحوه، كما رواه الطبري ٣/ ٥٥٦ عن قيس بن حبتر، وأصل السبب رواه البخاري (١٨٠٣) كتاب العمرة، باب: قول الله تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾، ومسلم (٣٠٢٦) كتاب التفسير من حديث البراء بن عازب.

الجاهلية فقال: وأتوا البيوت من أبوابها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقد مرَّ.

وذهب أبو عبيدة في تفسير هذه الآية إلى غير ما ذكرنا، وهو أنه قال: معناه: ليس البرُّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوا الأمر من غير بابه، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾. أي: اطلبوا الخير من وجهه والأمر من بابه[١]، والقول ما عليه العامة.

واختلف القراء في ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ وأخواته، كالجيوب والغيوب، فقرؤوا بضم أولها وكسره[٢]، فمن ضم فهو الأصل، لأن فَعْلًا يجمع على فُعُول بضم الفاء، ومن كسر فلأجل موافقة الياء، فإن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة، ولا يستقبح ذلك، وإن لم يكن في كلامهم فِعُل؛ لأن الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تُكره، ولم تكن بمنزلة مالا تقريب فيه، ألا ترى أنه لم يجئ في الكلام عند سيبويه على فِعِل إلا إِبِل، وقد أكثروا من هذا البناء، واستعملوه على اطراد، إذا كان القصد فيه تقريب الحركة من

---

(١) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨، ولفظه: اطلبوا البر من أهله ووجهه، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين.

(٢) قال في «النشر» ٢/ ٢٢٦: واختلفوا في الضم والكسر من (بيوت، والغيوب، وعيون، وشيوخا، وجيوب) فقرأ بضم الباء من(البيوت وبيوت) حيث وقع: أبو جعفر والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وورش وحفص، وقرأ بكسر الغين من (الغيوب) وذلك حيث وقع: حمزة وأبو بكر، وقرأ بكسر العين من (العيون وعيون)، والشين من(شيوخا) وهو في غافر، والجيم من (جيوبهن)، وهو في سورة النور: ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر، إلا أنه اختلف عنه في الجيم من جيوبهن.

الحرف، وذلك قولهم ماضغٌ لِهِمٌ، ورجل ضِحِكٌ[١]، وقالوا في الفعل: شِهِدَ ولِعِب، وقد استعملوا في إرادة التقريب ما ليس في كلامهم[٢] على بنائه ألبتة، وذلك نحو شِعِير ورِغيف وشِهِيد، وليس في الكلام شيء على فِعِيل على غير هذا الوجه، فكذلك في ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ يستجاز فيه ما ذكرنا للتقريب والتوفيق بين الحرفين. ومما يدل على جواز ذلك: أنه إذا كانت عين الحرف ياءً جوزوا كسر الفاء في التحقير، فقالوا: عِيَيْنَةٌ وبِيَيْتٌ، بكسر الفاء، للتقريب من الياء، وإن لم يكُن في أبنية التحقير على هذا الوزن. ويدلّ على صحة هذا: أنه قد جاء في الجموع ما لزمته الكسرة في الفاء، وذلك قولهم في جمع قوس: قِسي، فلولا أن الكسر قد تَمَكَّن في هذا الباب للتقريب من الياء ما كان الحرف يجيء على الكسر خاصة حتى لا يستعمل فيه غيره[٣].

١٩٠- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في دين الله وطاعته[٤]، قال الربيع[٥] وابن زيد[٦]: هذه أول آية نزلت في القتال، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكفُّ عمن كف عنه، حتى

---

(١) هكذا بالأصل، وفي الحجة: مِحِك.

(٢) في (م): (الكلام).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٢٨٢-٢٨٣ باختصار وتصرف.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٩، «الثعلبي» ٢/ ٣٩٨، «البغوي» ١/ ٢١٢.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٨٩، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٩٨، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٥٧.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ١٨٩، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٦، والثعلبي ٢/ ٣٩٨.

نزلت: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] فنُسخت هذه الآية، وأُمِرَ بالقتال مع المشركين كافة.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تبدؤوهم ولا تعجلوهم بالقتال قبل تقديم الدعوة[١].

وقال ابن عباس[٢] ومجاهد[٣]: الآية محكمة، أُمر رسول الله ﷺ فيها[٤] بالقتال، ولم ينسخ شيء من حكم هذه الآية.

قالا[٥]: ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السَّلَم وكف يده، فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم[٦].

وقال في رواية الكلبي: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية[٧]، وذلك

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٩.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٥، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٦، والثعلبي ٢/ ٣٩٩.

(٣) رواه الطبري ٢/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٥.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) في (م): (قال).

(٦) روى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٠ هذا القول أيضا عن عمر بن عبد العزيز ثم قال: وأولى هذين القولين بالصواب: القول الذي قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لأن دعوى المدعي نسخ آية يحتمل أن تكون غير منسوخة، بغير دلالة على صحة دعواه: تحكمٌ، والتحكم لا يعجز عنه أحد.

(٧) الحديبية: بالتخفيف والتشديد، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وهي على تسعة أميال من مكة، ويقال لها الآن: الشميسي، وصلح الحديبية كان في سنة ست من الهجرة حين منع المشركون رسول الله ﷺ ومعه أصحابه وكانو ١٤٠٠ وقيل: ١٥٠٠، ثم تصالحوا=

أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الحديبية إلى المدينة حين صَدَّه المشركون عن البيت صالحهم على أن يرجع عامه القابل، ويُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء[1]، خافوا أن لا تفي لهم قريش، وأن يصدوهم عن البيت، ويقاتلوهم، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام، في الحرم، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ محرمين ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يعني: قريشا[2].

= الصلح المعروف، ولم يقع فيه قتال، وفيه أنزل الله: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾، ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٦٥-٣٧٣، «طبقات ابن سعد» ٢/ ٩٥-١٠٥، «تاريخ الطبري» ٣/ ٧١، «زاد المعاد» ٣/ ٣٨٦.

(١) عمرة القضاء أو القضية كانت في ذي القعدة سنة سبع، وسميت بذلك قيل: لكونها قضاء للعمرة التي صدوا عنها، وقيل من المقاضاة ؛ لأن رسول الله ﷺ قاضى عليها المشركين. ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٤٢٤، «زاد المعاد» ٣/ ٣٧٠.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٠٦، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٧-٥٨، والبغوي ١/ ٢١٣، وذكره ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤٦٥، ثم قال: الكلبي ضعيف لو انفرد، فكيف لو خالف، وقد خالفه الربيع بن أنس، وهو أولى بالقبول منه، فقال: إن هذه الآية أول آية في الإذن للمسلمين في قتال المشركين، وسياق الآيات يشهد لصحة قوله، فإن قوله تعالى عقيبهما: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، منسوخ بقوله تعالى: فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، عند الأكثر، فوضح أنها سابقة، لكن سيأتي في سورة الحج عن أبي بكر الصديق: أول آية نزلت في الإذن في القتال: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾، قلت: ويمكن الجمع، ولفظ الربيع قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فكان رسول اله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت براءة. اهـ. ولم يرتض ابن كثير ١/ ٢٤٢ هذا فقال: وفي هذا نظر ؛ لأن قوله: الذين يقاتلونكم إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ ولا تظلموا، فتبدؤوا في الحرم بالقتال[١].

١٩١- ثم قال: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ قال الليث: ثَقِفْنا فلانًا في موضع كذا، أي: أخذناه، ومصدره: الثَّقْف، وقال الفراء في المصادر: ثَقِفَ يَثْقَفُ ثَقْفًا، وربما ثُقِّل، فقيل: ثَقَفًا[٢][٣].

قال المفسرون: أي: حيث وجدتموهم[٤].

وقال الزجاج: معنى الآية: لا تمتنعوا من قتلهم في الحرم وغيره[٥]، أينما وجدتموهم وصادفتموهم وظفرتم بهم[٦]

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني: مكة[٧] ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ يعني: وشركهم بالله ﷻ أعظم من قتلكم إياهم في الحرم والحُرُم والإحرام[٨].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٩.

(٢) ضبطت في (ش): (ثقفًا).

(٣) ينظر في ثقف: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٣، «اللسان» ١/ ٤٩٢-٤٩٣، «المفردات» ص٨٥، وقال: الثَّقف: الحذق في إدراك الشيء، ويقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٧.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٢.

(٦) في (أ): (به).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٣.

(٨) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨، وعبارته في بعض النسخ: في الحرم والحرام والإحرام، «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، ١٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٤، وقوله: والحُرُم: يعني: الأشهر الحرم، والقول الثاني في=

وذكرنا معاني الفتنة عند قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال بعض أصحاب المعاني: سُمِّيَ الكفرُ فتنةً: لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، وأصل الفتنة: الاختبار[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ قال مقاتل: نَسَخَ هذا قولَه: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ثم[(٢)] نسخ هذا قولُه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فهذه الآية ناسخة ومنسوخة، وعنده يجوز الابتداء بالقتال في الحَرَم[(٣)].

= الآية: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليهم من أن يقتل محقًا، وهذا قول مجاهد. ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٩١-١٩٩، وقال الكسائي: الفتنة هاهنا: العذاب، وكانوا يعذبون من أسلم كما في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨.

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٩٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١٣٠.

(٢) ليست في (أ)، (م).

(٣) ذكره عن مقاتل بن حيان: الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٠، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٦، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٢٨، وفي «زاد المسير» ١/ ١٩٩-٢٠٠، واختاره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥٢١، ومكي في «الإيضاح» ١٥٧، ونسبه ابن عطية في «تفسيره» ٢/ ١٣٩ للجمهور، وقد ناقش الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٢٩-١٣٠ قول مقاتل، ثم ضعفه فقال: وأما قوله: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فهذا من باب التخصيص لا من باب النسخ، وأما قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فهو خطأ أيضا؛ لأنه لا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهذا الحكم ما نسخ بل هو باق، مثبت أن قوله ضعيف، ولأنه يبعد من الحكيم أن يجمع بين آيات متوالية تكون كل واحدة ناسخة للأخرى. اهـ. وممن رجح القول بعدم النسخ: ابن العربي في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨، وابن الجوزي. اهـ. في نواسخ القرآن ٢٢٨، بعدم النسخ: ابن العربي في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٥٨، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ٢٢٨، =

وقال آخرون: إنهم نُهُوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال، حتى يبتدئ المشركون بذلك، وهذه الآية محكمة. ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وعلى هذا أكثر المفسرين، وغلّطوا مقاتلًا فيما قال(١).

وقرأ حمزةُ والكِسائي (ولا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فإن قتلوكم) هذه الثلاثة بغير ألف(٢)، وجاز ذلك، وإن وقع القتل ببعض دون بعض؛ لأن العرب تقول: قتلنا بني تميم، وإنما قتلوا بعضهم(٣).

١٩٣- وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك(٤)، يعني: قاتلوهم حتى يُسْلموا، فليس يُقْبَلُ من المشرك الوثني جِزْيةٌ، ولا يُرضى منه إلا بالإسلام(٥)، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾

= والقرطبي ٢/ ٣٣٠، وابن كثير ١/ ٢٤٢ قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٩: هذه الآية من أصعب ما في الناسخ والمنسوخ.

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٣٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٣٠، ونسبه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٢ إلى مجاهد، وقال القرطبي: وبه قال طاوس، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه، ثم استدل بحديث ابن عباس، وفيه: وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وقد ذكر -رحمه الله- أدلة الفريقين.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بحذف الألف في الثلاثة، والباقون بإثباتها. «النشر» ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ٣٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٧ حيث ذكر الآثار في ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والربيع وابن زيد. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١١.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١١، وقد ذكر عن المفضل بن سلمة الحكمةَ في أخذ الجزية=

وحده، ولا يُعبد دونه شيء[١].

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر[٢] ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين الواضعين العبادة في غير موضعها[٣]، والذي عليهم إنما سماه عدوانًا على معنى الجزاء والقصاص؛ لأن ما يكون منهم عُدوان فسمي الذي عليهم عدوانًا، كقوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وذلك أنه في صورة العدوان من حيث إنه قَتلٌ ونهبٌ واسترقاقٌ[٤].

١٩٤- قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قال المفسرون: إن النبي ﷺ صُدّ عام الحديبية سنة ستٍ، ثم عاد في سنة سبع، ودخل مكة وقضى العُمرة في ذي القَعدة، فأنزل الله هذه الآية، يريد: ذو القعدة، الذي دخلتم فيه مكةَ، واعتمرتم ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: ذي القعدة، الذي صددتم فيه عن البيت، يعني: أن هذا جزاء ذاك وبدله. وتأويله: العمرة في الشهر

= من أهل «الكتاب» دون غيرهم، قال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٥٣: وقاتلوهم، أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع، على من رآها ناسخة، ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى: قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: فإن قاتلوكم، والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار، وقد بين في «زاد المسير» ١/ ٢٠٠ بأن القول بالنسخ إنما يستقيم إذا قلنا إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، وأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم، فالآية محكمة.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٢.

(٢) في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣: فإن انتهوا عن القتال والكفر.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٤، أو من بدأ بقتال على التأويل الثاني. ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٥٤.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٥، ١٩٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٣٢.

الحرام من سنة سبع بدلٌ من الصدّ في الشهر الحرام سنة ستٍ[(١)].

والحرمات: جمع حُرْمَة، والحُرْمَة: ما مُنِع من انتهاكه[(٢)].

والقصاص: المساواة والمماثلة، ذكرنا ذلك. وأراد بالحرمات: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحُرمة الإحرام[(٣)].

ومعنى قوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ﴾ أي: اقتصصت لكم منهم، حيث أضاعوا وانتهكوا هذه الحرمات في سنة ستٍ، فقضيتم على زعمهم ما فاتكم في سنة سبع[(٤)].

قال مجاهدٌ: فَخَرت قريش أن صدت رسول الله ﷺ عن البيت الحرام في الشهر الحرام، في البلد الحرام، فأقصه الله، فدخل عليهم من القابل، في الشهر الحرام، في البلد الحرام، في البيت الحرام، وأنزل الله هذه الآية[(٥)]، هذا قول أكثر المفسرين[(٦)].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٦-١٩٨، وقد ذكر روايات كثيرة في ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي والضحاك والربيع وابن زيد، ونحوه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، وذكر هذا السبب: الثعلبي ٢/ ٤١٤، البغوي ١/ ٢١٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٩٤ وغيرهم.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦، وينظر: «المفردات» ص١٢٢.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٧٩ و«تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦ و«البغوي» ١/ ٢١٥.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢-١٩٨، «الثعلبي» ٢/ ٤١٦، ويفيد كلام الواحدي هنا أن هذه العمرة قضاء للعمرة التي حصروا عنها عام الحديبية، والقول الآخر: أنها من المقاضاة؛ لقول ابن عمر: لم تكن هذه قضاء ولكن كان شرطًا على المسلمين أن يعتمروا في الشهر الذي حاصرهم فيه المشركون. ينظر: «زاد المعاد» ٣/ ٣٧٨.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٧.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦.

والصحيح في تفسير هذه الآية: ما قاله ابن عباس في رواية عطاء: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يريد: إن قاتلوكم في الشهر الحرام، فقاتلوهم في مثله[(١)]، واختار الزجاج هذا القول، فقال: معناه: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا منهم مثل ذلك.

وقال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن أمر هذه الحرمات قصاص[(٣)]، أي: لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء، ولكن على سبيل القصاص. وهذا القول أولى القولين بالصواب، وأشبهها بالآية وبما[(٤)] قبلها، وهو قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] والذي يدل عليه من سياق الآية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ظلم، فقاتل، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾. وسمى الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتداء فَسُمِّي بمثل اسمه؛ لأن صورةَ الفِعْلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية،

---

(١) تقدم الحديث عن رواية عطاء ص٩٢، وقد ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢١٥، ولم ينسبه، وروى الطبري ٢/ ١٩٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٩ عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: أمركم الله بالقصاص، ويأخذ منكم العدوان، وهي بمعنى ما ذكره الواحدي، وعزا ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٠١ هذا القول إلى الحسن البصري.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤.

(٤) في (أ)، (م): (بما) بلا واو.

والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، إذا جازيته بظلمه، وجَهِلَ عَلَيَّ فَجَهِلْتُ عليه، أي: جازيته بجهله. قال عمرو[١]:

ألا لا يَجْهَلَن أحدٌ علينا فَنَجْهَل فوق جَهْلِ الجاهلينا[٢]

أي: نكافئ على الجهل بأكثر من مقداره، ومثله من التنزيل: قوله ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩][٣]

١٩٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله، وأكثر ما استعمل في الجهاد؛ لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو عبيدة[٥] والزجاج[٦]: التَهْلُكة: الهلاك، يقال: هلك يهلك هَلاكًا وهُلْكًا وهَلَكًا وتَهلُكةً.

---

(١) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي، شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وقد عمِّر وأدركته المنية وهو يناهز الخمسين ومائة.
ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٥١، «الشعر والشعراء» ص١٣٧، «خزانة الأدب» ٣/ ١٨٣.

(٢) البيت في «ديوانه» ص٣٣٠ وقد تقدم تخريجه ٢/ ١٤٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٩، ٢٠٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، ٤١٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥.

(٥) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٦.

قال الخارزنجي[١]: لا أَعْلَمُ في كلام العَرب مصدرًا على تفعُلة بضم العين إلا هذا[٢].

قال أبو علي: قد حكى سيبويه التَّضُرَّةُ والتَّسُرَّة وقد جاء هذا المثال اسما غير مصدر، حكى سيبويه: التتفل والتنضُب قال: ولا نعلمه جاء صفةً[٣].

وقال الليث: التَّهْلُكَة: كل شيء تصيرُ عَاقبتُه إلى الهلاك.

ومعنى الهَلاكِ: الضياعُ، وهو مصير الشيء بحيث لا يُدْرى أين هو[٤].

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾، لا تأخذوا في ذلك، يقال لكل من أخذ في عمل: قد ألقى يديه فيه[٥]، ومنه:

---

(١) هو: أحمد بن محمد البشتي، أبو حامد المعروف بالخارْزَنجي، إمام الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، صنف تكملة كتاب العين، وشرح أبيات أدب الكاتب توفي سنة ٣٤٨هـ. ينظر: «الأنساب» ٢/ ٣٠٤ «بغية الوعاة» ١/ ٣٨٨.

(٢) رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٧، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٦، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٥٩، «الدر المصون» ٢/ ٣١٢.

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٧٠-٢٧١، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٥٩.

(٤) ينظر في التهلكة: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٧، «المفردات» ص٥٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٨٦ (هلك)، وقال الحافظ في «الفتح» ٨/: وقيل: التهلكة: ما أمكن التحرز منه، والهلاك بخلافه، وقيل: التهلكة: نفس الشيء المهلك، وقيل ما تضر عاقبته، والمشهور الأول . وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥، «البحر المحيط» ٢/ ٦٠، وقد تكلم كثيرا، يحسن تلخيص كلامه.

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨.

حتى إذا ألقت يدًا في كافر[1]

أي: بدأت[2] في المغيب[3].

وقال المبرد: عبر بالأيدي عن النفس، أراد: لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فعبر بالبَعْضِ عن الكُلِّ، كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠][4]

والباء زائدة، أراد: لا تلقوا أيديكم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥]. فعدّى بغير الباء[5].

وقال أبو علي: المعنى لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن من ألقى يَدَهُ إلى الشيء فقد قَرُبَ منه، وهذا مبالغة (في الزجر)[6] وتأكيد؛ لأن النهي إذا وقع عن[7] مشارفته ومُقاربته فمباشرته أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله[8].

---

(١) عجز البيت:

وأَجَنَّ عوراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

والبيت للبيد في «ديوانه» ص٣١٦، و«شرح المعلقات السبع» لأبي عبد الله الزوزني ص٢٢٠، و«شرح المعلقات العشر» للتبريزي ص٢٤٦، و«إصلاح المنطق» ص١٢٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨. والكافر: الليل، والكفر: الستر، والإجنان: الستر أيضًا. «لسان العرب» ٧/ ٣٨٩٧ (كفر).

(٢) في (م): (بدت).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨.

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٠٣.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٩، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٣، «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري ٢٤٤.

(٦) سقطت من (م).

(٧) في (ش): (من).

(٨) ينظر في ذكر الأقوال في الآية «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٠-٢٠٢، «البغوي» =

وأكثر أهل التفسير على أن معنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، أي: لا تمسكوا ولا تبخلوا عن الإنفاق في سبيل الله.

والمراد بهذه الآية: النَّهْيُ عن ترك النفقة في الجهاد، إما أن ينفق على نفسه ويخرج، وإما أن ينفق على من يغزو من المسلمين(١)، حتى قال ابن عباس: أنفق في سبيل الله، وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولنّ أحدكم: لا أجد شيئًا(٢).

وقال السدي، في هذه الآية: أنفق في سبيل الله ولو عقالًا. ﴿وَلَا تُلْقُوا

= ١/ ٢١٥-٢١٧، «زاد المسير» ١/ ٢٠٣، «البحر المحيط» ٢/ ٧٠، وذكر تسعة أقوال ثم قال: وهذه الأقوال كلها تحتمل هذه الآية، والظاهر أنهم نهوا عن كل ما يؤول بهم إلى الهلاك في غير طاعة الله، وقال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٩٣: فالصواب أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما لزمنا من فرائضه، فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه، ثم ذكر أثر ابن عباس: التهلكة: عذاب الله.

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٠-٢٠٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣١ الآثار في ذلك عن حذيفة، وابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي صالح والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة ومحمد بن كعب القرظي، وينظر: «صحيح البخاري» ٥/ ١٨٥، و«تفسير سفيان الثوري» ص٥٩، وسعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧١٠، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٤، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٦٢.

(٢) رواه عنه سفيان الثوري في «تفسيره» ٥٩، والإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» ٢/ ٣٩٥، والطبري ٢/ ٢٠٠، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٣٣١، والبيهقي ٩/ ٤٥.

﴿بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ لا تقل: ليس عندي شيء[١].

وقال أبو إسحاق معناه: أنكم إن لم تنفقوا في سبيل الله هلكتم، أي: عصيتم الله فهلكتم، وجائز أن يكون هلكتم بتقوّي عدوكم عليكم[٢].

فعلى هذا معنى التهلكة: الهلاك بالعصيان بترك النفقة، والهلاك بقوة العدو عند ترك النفقة في الجهاد.

وقال أبو أيوب الأنصاري[٣]: إنها نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله دينَهُ ونَصَر رَسُوله، قلنا: لو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٣١.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٦.

(٣) هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد، رحل إلى الشام وغزا مع جيش معاوية القسطنطينية، وتوفي هناك سنة ٥٢هـ. ينظر: «الإصابة» ١/ ٤٠٥، «الأعلام» ٢/ ٢٩٥.

(٤) الحديث رواه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة البقرة ٥/ ٢١٢ وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٣٦، وأبو داود في الجهاد، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ٣/ ١٢ برقم ٢٥١٢، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٢١٩٣، ولهذا الحديث قصة، عن أسلم بن عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنما نزلت في الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. هذا لفظ أبي داود. قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٣٤: وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو، فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك، أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الحسنة فهو حسن، ومتى كان مجرد تهور =

فعلى هذا، التهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

والمعنى: لا تتركوا الجهاد فتهلكوا، فسمى ترك الجهاد تَهُلكة؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك في الدنيا بقوة العدو وفي الآخرة بالعصيان(١).

وفي الآية قول ثالث، وهو ما روي عن البراء بن عازب(٢): أنه قيل له في هذه الآية: أهو(٣) الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف؟ قال: لا، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه(٤) ويقول: لا توبة لي؟(٥).

= فممنوع، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٥، «الثعلبي» ٢/ ٤٢٦، «البحر المحيط» ٢/ ٧٠.

(٢) هو: البراء بن عازب بن حارث الأنصاري الأوسي، صحابي غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة، وهو الذي افتتح الرَّيَّ، وشهد الجمل وصفين مع علي ﷺ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ينظر: «أسد الغابة» ١/ ٢٠٥، «الإصابة» ١/ ٢٧٨.

(٣) في (ش): (أهوالٌ).

(٤) في (م): (بيده).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٢، والحاكم ٢/ ٣٠٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٥/ ٤٠٧، والخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٣٦، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨٥، وروى الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٢، وأحمد في «مسنده» ٤/ ٢٨١ عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا؛ لأن الله ﷻ بعث رسوله ﷺ فقال: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك، إنما ذلك في النفقة، وذكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨٥ أنه إن كان محفوظا، فلعل للبراء فيه جوابين، والأول من رواية الثوري وأبي إسرائيل وأبي الأحوص ونحوهم، وكلٌّ منهم أتقن من أبي بكر بن عياش، فكيف مع اجتماعهم وانفراده.

وهذا القول اختيار يمان[١] بن رِئَاب[٢][٣] والمفضل[٤]، قالا: يقال للرجل إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة: ألقى بيديه[٥].

وقال الفضيل: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بإساءة الظن بالله[٦]، فعلى هذا القول التهلكة: هو ترك التوبة، والقنوط من رحمة الله، أو إساءة الظن بالله ﷻ في الإخلاف عند الإنفاق[٧].

قال أبو علي الفارسي: الباء في قوله: (بأيديكم) زيادة، المعنى: (ولا تلقوا أيديكم) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥] ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الحجر: ١٩] و﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] وزيادتها هٰهنا كزيادتها في قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤][٨].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٢/ ٤٣٧.

(٢) في (ش): (ريمان بن زيّات). وفي (م): (رباب).

(٣) هو: اليمان بن رباب أو ابن رئاب البصري من رؤساء الخوارج، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٣٧.
وهذا القول مروي أيضًا عن محمد بن سيرين وعبيدة السلماني وأبي قلابة البصري. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٣٢، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٣٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٣٦-٤٣٧.

(٥) في (م): (بيده).

(٦) رواه سفيان الثوري في «تفسيره» ٥٩، ورواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» ص١١٧، وذكره الثعلبي ٢/ ٤٤٣، وروى الطبري ٢/ ٢٠٥ عن عكرمة نحوه.

(٧) وروى الطبري ٢/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٣٢ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: التهلكة: عذاب الله، وهذا قول رابع في معنى الآية.

(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥، وقال: وقيل: الباء في موضعها، وفيه حذف، أي: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، واختار أبو =

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ معناه على القول الأول في التهلكة: أنفقوا في سبيل الله، فمن أنفق في سبيل الله فهو محسن.

قال ابن عباس: أي[1]: أحسنوا الظن بالله، فإنه يُضَاعِفُ الثواب، ويُخْلِفُ لكم النفقة[2]، فالإحسان على هذا محمول على إحسان الظن بالله في الخُلْف، وعلى القول الثاني: جاهدوا، والمجاهد في سبيل الله محسنٌ، وعلى القول الثالث: تفسير الإحسان إحسان الظن بالله في قبول التوبة وغفران الذنوب[3].

***

= حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٧١ أن المفعول في المعنى هو بأيديكم، لكنه ضمن ألقى معنى ما يتعدى بالباء فعداه بها، كأنه قيل: ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة، ويكون إذ ذاك قد عبر عن الأنفس بالأيدي ؛ لأن بها الحركة والبطش والامتناع.

(١) ليست في (م).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عن عكرمة ٢/ ٦٠٢، وذكر في «البحر المحيط» ٢/ ٧١.

(٣) ينظر: «زاد المسير» ١/ ٣٠٣، وذكر أن القول الثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة وسفيان، وهو يخرج على قول من قال: التهلكة: القنوط، والثالث: معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الرابع

البقرة ١٩٦ - آخر البقرة

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

١٩٦- قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ الآية.

قال ابن عباس[(١)] ومجاهد[(٢)]: أتِمُّوهما بمناسِكِهما وحدودِهما وسنَنِهما وتأديةِ كل ما فيهما[(٣)].

وقال ابن مسعود[(٤)] وعلي[(٥)] رضي الله عنهما: إتمامُهُما: أن تُحرم بهما من دُوَيْرة أهلك مؤتنفَيْن. وبهذا قال سعيد بن جبير[(٦)] وطاوس[(٧)].

وفي إيجاب العمرة قولان:

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «السنن» ٢/ ٧١٢، والطبري في «تفسيره» عنه بمعناه ٢/ ٢٠٧، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٣٧٦ إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر، والنحاس في «ناسخه»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه».

(٢) في «تفسير مجاهد» ١/ ١٠٠، ورواه الثوري في «تفسيره» ص٦٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٧٦ إلى عبد بن حميد.

(٣) وبه قال علقمة وإبراهيم. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٥٢.

(٤) نسبه إليه البغوي في «تفسيره» ١/ ٢١٧، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١١٧.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» بمعناه ٢/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٣، والحاكم ٢/ ٣٠٣ وصححه، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٣٧٦ إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والنحاس في «ناسخه»، والبيهقي في «سننه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٢/ ٢٠٧، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٣، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٦٣.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٣، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٢٥، وقد ذكر المؤلف قولين، والقول الثالث: إتمامهما: أن يفصل بينهما فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، روي عن عمر والحسن وعطاء، والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، روي عن مجاهد. والخامس: ألا يتجر معهما. والسادس: ألا يحرم بالعمرة في أشهر الحج، قاله قتادة. ينظر: «زاد المسير» ١/ ٢٠٤ (ط. المكتب الإسلامي)

أحدهما: أنها[1] واجبة، وهو مذهب علي[2] وابن عباس[3]، وقول الشافعي في الجديد[4].

قال ابن عباس: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[5].

وقال مسروق: نزلت العمرة من الحج منزلة الزكاة من الصلاة، ثم تلا هذه الآية[6].

فمن أوجَبَ العمرةَ تأول الإتمام على معنى الابتداء، أي: أقيموهما وافعلوهما بما فيهما من الأعمال، كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ

---

(١) في (أ) (أنهما)، وفي (م) (أيهما).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٩، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ١٧٦ إلى عبد ابن حميد، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٦٣.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٤، والدارقطني في «السنن» ٢/ ٢٨٥، والبيهقي في «تفسيره» ٤/ ٣٥١، والحاكم ١/ ٦٤٣ وصححه، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٧٧، إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد والدارقطني والحاكم والبيهقي.

(٤) ينظر: «الأم» للشافعي ٢/ ٤٧٧ (ط. دار إحياء التراث العربي) «المجموع» ٧/ ٧، «البيان في مذهب الشافعي» للعمراني ٤/ ١١، وممن قال بالوجوب: ابن عمر وجابر وزيد وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير وعلي بن الحسين، والسفيانان، وقتادة، وهو المذهب عند الحنابلة. ينظر: «المصنف» لابن أبي شيبة ٤/ ٣٠٤-٣٠٥، «البيان» للعمراني ٤/ ١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٦٣، «الفروع» لابن مفلح ٣/ ٢٠٣.

(٥) رواه البخاري تعليقًا في العمرة، باب: وجوب الحج والعمرة ٢/ ٢٤٠، ورواه موصولاً: الشافعي في «الأم» ٤/ ١٤٤، والبيهقي في «تفسيره» ٤/ ٣٥١، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ١٦.

(٦) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٢٠٩، والبيهقي في «تفسيره» ٤/ ٣٥١، وابن عبد البر في «التمهيد» ٢٠/ ١٥.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: فعلهن وقام بهن، وقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: ثم ابتدؤوا الصيام وأتموه؛ لأنه ذكر الإتمام عَقِيب الأكل والشرب[١].

وفرائض الحَجِّ أربعةٌ: الإحرامُ، والوقوفُ، وطوافُ الإفاضة، والسعيُ[٢].

وأعمال العمرة: الإحرامُ، والطوافُ، والسعي، والحلق والتقصير[٣]، وأقله: ثلاث شَعَرات[٤].

القول الثاني: أن العمرة سنةٌ وليست بفريضة، وهو مذهب أهل العراق[٥]، وحملوا الآية على معنى: أتموها إذا دخلتم فيها، كالمتطوع

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٦٩، وينظر: «الأم» ٢/ ١٤٤، «التمهيد» ٢٠/ ١٠.

(٢) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٥٤، وهذا مذهب الجمهور. ينظر: «حاشية ابن عابدين» ٢/ ٢٥٠، «شرح الزرقاني على مختصر خليل» ٢/ ٢٨١، «المهذب» للشيرازي ٢/ ٧٨٩، «الوسيط» للغزالي ٢/ ١٢٦١، «البيان» للعمراني ٤/ ٣٧٣، «الموسوعة الفقهية الكويتية» ١٧/ ٤٩.

(٣) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٥٤، وينظر: «المهذب» ٢/ ٧٨٩، «المجموع» ٨/ ٢٦٥، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن أركان العمرة ثلاثة، هي: الإحرام، والطواف، والسعي، وهو مذهب المالكية والحنابلة، وزاد الشافعية ركنًا رابعًا هو الحلق، ومذهب الحنفية أن الإحرام شرط للعمرة، وركنها واحد هو الطواف. ينظر: «الشرح الكبير» و«حاشيته للدسوقي» ٢/ ٢١، «المسلك المتقسط» ص٣٠٧، «كشاف القناع» ٢/ ٥٢١، «البيان» للعمراني ٤/ ٣٧٠.

(٤) القدر الواجب: هو حلق شعر جميع الرأس، أو تقصيره عند المالكية والحنابلة، وربع الرأس على الأقل عند الحنفية، وثلاث شعرات على الأقل عند الشافعية. ينظر: «فتح القدير» ٢/ ١٧٨-١٧٩، «المسلك المتقسط» ص١٥١-١٥٤، «الشرح الكبير» و«حاشيته للدسوقي» ٢/ ٤٦، «الفروع» ٣/ ٥١٣.

(٥) القول بالسنية قول المالكية وأكثر الحنفية، وهو قول الشافعي في القديم، واختيار=

بالحج يلزمه المضي فيه إذا شرع فيه[١].

والقول الأول أولى لأن فيه جمعاً بين وجهي الإتمام، ومعناه: ابتدئوا العمرة فإذا دخلتم فيها فأتموها، وقد تقول لمن لم يشرع في أمر: أَتِمَّ هذا الأمر[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ اختلف أهلُ اللغةِ في الحَصْر والإحْصَار، ففرَّق بينهما قوم.

أقرأني العروضي، قال: أقرأنا الأزهري، عن المنذري، عن ابن فهم، عن محمد بن سلام[٣]، عن يونس، قال: إذا رُدّ الرجل عن وجه يريده فقد أُحْصر، وإذا حُبِسَ فقد حُصر[٤].

وبهذا الإسناد عن المنذري، عن الحرَّاني، عن ابن السِّكِّيت[٥]:

= الطبري، وقول أبي ثور، وذهب بعض الحنفية إلى أنها واجبة في العمر مرة واحدة، على اصطلاح الحنفية في الواجب. ينظر: «مختصر الطحاوي» ص٥٩، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٢٦٤، «شرح فتح القدير» ٢/ ٣٠٦، «بدائع الصنائع» ٢/ ٢٢٦، «حاشية الدسوقي» ٢/ ٢، «الموسوعة الكويتية» ٣/ ٣١٤.

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٦٨، وينظر: «الأم» ٢/ ١٤٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٠، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٢٦٤، «التمهيد» ٢٠/ ١٠.

(٢) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٦٩، وقال: ولأن من أوجبها أكثر، والأخبار في إيجاب الحج والعمرة مقترنين أظهر وأشهر.

(٣) هو: محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم أبو عبد الله، الجمحي البصري، تقدمت ترجمته (البقرة آية ٥٨).

(٤) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٨ (حصر): عن يونس أنه قال: إذا رُدَّ الرجل عن وجه يريده فقد أحصر، أبو عبيد، عن أبي عبيدة: حُصر الرجل في الحبس، وأحصر في السفر من مرض أو انقطاع به.

(٥) في «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٣٨ (حصر)، وقال ابن السكيت، ولم يذكر الإسناد.

أحصره المرض: إذا منعه من السفر أو من حاجة يريدها، وحَصَرَه العَدُوّ: إذا ضَيَّق عليه[١].

وأقرأني سعيد بن أبي بكر الزاهد، عن أبي عليٍّ الحسنِ[٢] بن أحمد الفارسي، عن أبي إسحاقَ الزجاج، قال: الروايةُ عن أهل اللغة للذي يمنعه الخوف أو المرض: أُحْصِر، وللمحبوس: حُصِر[٣].

وقال ابن قتيبة في قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: هو أن يَعْرِضَ للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مَرَضٍ أو كَسْرٍ أو عَدُو، يقال: قد أُحصر فهو محصَر، فإن حُبِس في سجن أو في دار قيل: حُصِر فهو مَحصُور[٤].

وهذا هو قول الفراء في المَصَادر، ونحو[٥] ذلك ذكر أبو عبيد عن أبي عبيدة[٦].

وذهب قوم إلى أنهما بمعنى واحد، قال الزجاج، في باب الوفاق من فَعَلْت وأَفْعَلْت، يقال للرجل: من حَصَرك ههنًا، ومن أحصرك؟.

وقال أحمدُ بن يحيى: أصل الحَصْرِ والإِحْصَار: الحبس، وحُصِرَ في

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٣٨ (حصر)، وزاد: إذا ضيق عليه فحصر، أي: ضاق صدره.

(٢) في (أ) (م) الحسن.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٧ بمعناه.

(٤) «غريب القرآن» لابن قتيبة ٧٨.

(٥) في (أ) (م) نحو بلا واو.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٦٩، وينظر: «الفروق في اللغة» للعسكري ص١٠٨، «أحكام القرآن» ١/ ٢٦٨، وقد فرق بينهما الراغب في «المفردات» ص١٢٨ فقال: والحصر والإحصار من طريق البيت، فالإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو، والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن، فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ فمحمول على الأمرين.

الحبس أقوى من أُحْصِر[١].

وقال الأزهري: الروايةُ عن ابن عباس صحيحة أنه قال: لا حصر[٢] إلا حصر العدو[٣]، فَجَعْلُه بغير ألف جائزٌ، بمعنى قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[٤].

وقال الفراء: يقال للذي يمنعه خوف أو مرض: أُحْصِر، ولمن حُبِسَ قَهْرًا: حُصر، فإن نويت بقهر السلطان أنها عِلَّةٌ مانعةٌ ولم يذهب إلى فعل الفاعل جاز فيه أحصر، وإن نويت في العلة[٥] أنها حبسته جاز حُصِر[٦].

هذا كلام أهل اللغة في الحصر والإحصار، وأصل الباب: الحَبْس، ومنه يقال للذي لا يبوح بسرِّه: حَصِرَ؛ لأنه حبس نفسه عن البَوْح[٧] قال

---

(١) بمعناه عند الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٩٥، ونقله في «البحر المحيط» بنحوه ٢/ ٧٣، «الدر المصون» ٢/ ٣١٤.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) رواه الشافعي في «الأم» ٢/ ١٧٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢١٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٦، والبيهقي في «تفسيره» ٥/ ٢١٩، وصحح إسناده الحافظ في «تلخيص الحبير» ٢/ ٢٨٨.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٣٨، قال القشيري أبو نصر: وادعت الشافعية: أن الإحصار يستعمل في العدو، فأما العدو فيستعمل فيه الحصر، والصحيح أنهما يستعملان فيهما، نقله القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٤٨-٣٤٩، وقال أبو حيان في: «البحر المحيط» ٢/ ٧٣: وثبت بنقل من نقل من أهل اللغة أن الإحصار والحصر سواء، وأنهما يقالان في المنع بالعدو وبالمرض وبغير ذلك من الموانع، فتحمل الآية على ذلك، ويكون سبب النزول ورد على أحد مطلقات الإحصار، وليس في الآية تقييد، وبهذا قال قتادة والحسن وعطاء والنخعي ومجاهد وأبو حنيفة.

(٥) في (ش) اللغة.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٨ بمعناه.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٣٨ حصر.

جرير:

ولقد تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فَصَادفوا حَصِراً بسرِّكِ يا أُمَيْمُ ضَنِيْنَا[(١)]

والحَصْر: احتباس الغائط، والحصير: المَلِك؛ لأنه كالمحبوس في الحجاب، وهو في شعر لبيد:

جِنٌّ لَدَى بابِ الحَصِيرِ قِيامُ[(٢)]

والحصير: المعروف، وسَقِيْفُ من بَرْدِيٍّ[(٣)]؛ لانضمام بعضه إلى بعض، كحبس[(٤)] الشيء مع غيره، ومنه يقال للجَنْب: حصير، تشبيهًا به[(٥)].

فأما حُكْمُ الإِحْصار فمذهب أهل العراق: أن كل مانع منع المُحْرم عن الوصول إلى البيت من: مَرَضٍ أو جُرْح أو كسر أو خوف عدو أو أي مانع كان، فإنه يقيم مكانه على إحرامه، ويبعث بهديه، أو بثمن الهدي، فإذا نحر الهدي حَلَّ من إحرامه. واحتجوا بأن الإحصار من طريق اللفظ عام

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٤٧٦٠ وقد ورد البيت: ولقد تسقطني، وعند الطبري: تساقطني ٣/ ٢٥٥، وورد منسوبا له في «مجاز القرآن» ١/ ٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٣٥، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٧٣، «لسان العرب» ٢/ ٨٩٦.

(٢) ورد البيت وهو في «ديوانه» ص١٦٠ هكذا:

وَمَقَامةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأنهم جِنٌّ لدى طَرَفِ الحَصِيرِ قِيَامُ

«المفردات» للراغب ص١٢٨ وروايته: ومَعَالِمٍ.

(٣) في (ش) سقيف من تردي وفي (م) سفيف من بردي. والبردي: نبات يعمل منه الحصر.

(٤) في (ش): كلبس.

(٥) ينظر في مادة (حصر): «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٣٩، «المفردات» ص١٢٨، «عمدة الحفاظ» ١/ ٤٨١.

في كل مانع[١].

وأما مذهب أهل الحجاز[٢]، وهو مذهب الشافعي[٣]، رحمه الله، أن الحكم المتعلق بالإحصار إنما يتعلق بحبس العدو عن الوصول إلى البيت، فأما سائر الأعذار فغير داخل في الآية، والدليل على[٤] هذا سببُ النزول، وهو إحصار العدوِّ للنبي ﷺ وأصحابه بالحُدَيْبِيَةِ[٥]، يَدُلُّ على أن المراد به حبس العدو فقط، قوله في سياق الآية: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ ولم يقل: فإذا أندملتم[٦]، والأمن المطلق يقتضى الخوف المطلق من العدو، لأنه قال:

---

(١) وبه قال النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير ومقاتل. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٥، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٢٦٨، «شرح معاني الآثار» ٢/ ٢٥٢، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١١٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٥٠-٣٥١.

(٢) ينظر: «الموطأ» ١/ ٣٦٠، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٥، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٩٠-٩١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١١٩، وقال: قاله ابن عمر وابن عباس وأنس والشافعي، وهو اختيار علمائنا، ورأي أكثر أهل اللغة ومُحصِّليها على أن أُحصِر: عرض للمرض، وحُصِر: نزل به الحصر، واستدرك عليه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٥٠ فقال: ما حكاه ابن العربي من أنه اختيار علمائنا، فلم يقل به إلا أشهب وحده، وخالفه سائر أصحاب مالك في هذا، وقالوا: الإحصار إنما هو المرض، وأما العدو فإنما يقال فيه: حصِر حصْرا فهو محصور، قاله الباجي في المنتقى، وحكى أبو إسحاق الزجاج أنه كذلك عند جميع أهل اللغة.

(٣) «الأم» ٢/ ١٧٨، و«اختلاف العلماء» للمروزي ص٨٥، و«السنن» للبيهقي ٥/ ٢١٩.

(٤) في (ش) عليه.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي»: ٢/ ٤٩٥. قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١١٩: وقد اتفق علماء الإسلام على أن الآية نزلت سنة ست، في عمرة الحديبية، حين صد المشركون رسول الله ﷺ عن مكة.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٥، «تفسير القرطبى» ٢/ ٣٥٠.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ فعُلم أن الإحصار في الآية ليس بالمرض، وأيضًا ذكرنا عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو[١].

وقولهم: الإحصار عام، قلنا: هو عام من حيث اللفظ، خاص ههنا في حبس العدو، بما[٢] ذكرنا من الدليل[٣].

فإذا[٤] بان أن الإحصار هو قهر العدو بالحبس عن البيت، فالرجل إذا أحرم بحجٍّ أو عُمْرةٍ انحتم عليه الإتمام، حتى لو أفسد الإحرام بالجماع وجب عليه المضي في فَاسِدِ الإحرام، وإنما يباح التحلل[٥] من الإحرام بإحصار العدو، كما أُحْصِر رسول الله[٦].

ثم إن كان الحج فَرْضاً أو العمرة فأحصره العدو فقال الشافعي: إذا أُحْصِرَ بعدوٍّ كافرٍ أو مسلم، أو سُلْطَان يحبسه في سجن، نحر هديًا بالإحصار حيث أُحْصِر في حِلٍّ أو حَرَم، وحَلَّ من إحرامه، وعليه القَضَاءُ إذا انْجَلَى الحَصْر، فإن انجلى الحَصْرُ عاجلاً أمكنه القضاء في ذلك العام، وإن كان النُّسُكُ في الأصل نفلاً فأُحْصِر فَتَحَلَّلَ فلا قضاء عليه من طريق الوجوب، ولكن يُسْتَحَبُّ له ذَلكَ، وإذا لم يجد هديًا يشتريه، أو كان فقيرًا، ففيه قَوْلان:

أحدهما: لا يحل إلا بهدي.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في (م) وبما.

(٣) ينظر في ذكر الأدلة: «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ١٣٤-١٣٥.

(٤) في (ش) فإن.

(٥) في (ش) التحليل.

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٤٨-٣٥٥، «البحر المحيط» ٢/ ٧٣.

والآخر: إذا لم يَقْدِر عليه حَلَّ، وأتى به إذا قَدَرَ عَليه[(١)].

وأما المحصر بالمرض، فإنه يصير على إحرامه ولا يتحلل، وله أن يتداوى بما لابد منه ويفتدي، ويأتي في هذه الآية ذكره[(٢)].

وفي الآية إضمار، تقديره: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة، وجاز الحذف لأن ما تقدم يدل عليه[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ محل «ما» رفع. المعنى: فواجبٌ عليكم ما استيسر[(٤)].

قال الفراء: ولو نصبتَ على معنى: اَهْدُوا ما استيسر، كان صوابًا، وأكثر ما جاء في القرآن من أشباهه مرفوع[(٥)].

---

(١) «مختصر المزني» الملحق بكتاب «الأم» للشافعي ٨/ ١٦٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٦، والنقل عنه. وينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٥٣-٣٥٥، ويرى أبو حنيفة أن عليه القضاء، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٢٦، واحتجوا بأن النبي ﷺ قضى عمرة الحديبية في العام الآخر، وأُجيبوا بأنه إنما قضاها لأن الصلح وقع على ذلك إرغاما للمشركين، وإتماما للرؤيا، وتحقيقا للموعد، وهي في ابتداء عمرة أخرى، وسميت عمرة القضية من المقاضاة لا من القضاء.

(٢) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٧، وينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٥١، وقد رد الإمام الطبري هذا القول في «تفسيره» ٢/ ٢٢٧، وناقش القائلين به، وبين عدم الفرق بين الإحصار بالعدو وبالمرض لعدم الفارق بين المعنيين بكلام نفيس.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٥٥، «التبيان» ١٢٢، وقال مكي في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٣: (ما) في موضع رفع بالابتداء، أي: فعليه ما استيسر.

(٥) «معاني القرآن» للفراء بمعناه ١/ ١١٨، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٨، «مشكل =

واستَيْسر بمعنى: تيسر، ومثله استعظم، أي: تَعَظَّم، واسْتَكْبَر، أي: تَكَبَّر[(١)].

والهَدْيُ: جَمْعُ هَدْيَة، مثل: شَرْيَة وشَرْي، وجَدْيَة وجَدْي[(٢)].

قال أحمد بن يحيى: أهلُ الحجاز يُخَفِّفُون الهَدْي، وتميمٌ تُثَقِّلُهُ، فيقولون: هديّة وهديّ، مثل مطيّة ومَطِيّ[(٣)].

قال الشاعر:

حَلَفْتُ بربِّ مَكَّةَ والمُصَلَّى وأعْـنَـاقِ الـهَـديِّ مُـقَـلَّـداتِ[(٤)]

ومعــنى الهَــدْي: ما يُهْـدَى إلى بيت الله ﷻ تَقَرُّبًا إليه، بمنزلة الهَدِيَّــةِ يُهْدِيها الإنســان إلى غيره متقربًا بها إليه[(٥)]. قال علــي[(٦)] وابن

= إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٢٣، «التبيان» ١٢٢، «البحر المحيط» ٢/ ٧٤.

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٠، «التبيان» للعكبري ١٢٢، قال: والسين هنا ليست للاستدعاء. وقال في «البحر المحيط» ٢/ ٧٤: واستيسر هو بمعنى الفعل المجرد، أي: يسر، بمعنى: استغنى وغني، واستصعب وصعب، وهو أحد المعاني التي جاءت لها استفعل.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٣٨، «المفردات» ٥١٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٤٢ «هدى».

(٣) نقله الرازي في «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٠، وصاحب «اللسان» ٨/ ٤٦٤٢ (هدى).

(٤) البيت للفرزدق في «ديوانه» ١/ ١٠٨، «لسان العرب» مادة: قلد ٦/ ٣٧١٨.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٩، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢٠، «المفردات» ٥١٩، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٠، «اللسان» ٨/ ٤٦٤٢ (هدى).

(٦) رواه عنه مالك في «الموطأ» ١/ ٣٨٤، وسعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٧٥٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢١٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٦، قال: ما استيسر من الهدي: شاة، ولم يذكر هذا التقسيم، والواحدي لعله لما نقل هذا عن الثعلبي لم يلتفت إلى التفريق في عبارته؛ حيث قال الثعلبي ٢/ ٤٩٩: فقال علي ابن أبي طالب وابن عباس: شاة، وقال الحسن وقتادة: أعلاه بدنة، وأوسطه شاة.

عباس[(١)] والحسن[(٢)] وقتادة[(٣)] في هذه الآية: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسُّه شاة، فعليه ما تيسر له من هذه الأجناس.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ أي: لا تتحلَّلُوا من إحرامكم حتى يُنْحَرَ الهَدْيُ[(٤)].

ومعنى ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ أي: حيث يَحِلُّ ذبحُه ونَحْرُه، يُقال: حلَّ الشيء يَحِلُّ حَلاَلاً وحِلاًّ، وهذا أوان محلِه، أي: حينَ حَلَّ[(٥)]، كقوله ﷺ في اللحم الذي تصدّق على بريرة: «قربوه فقد بَلَغ محله»[(٦)] أي: حل لنا

أو لعله سقط من المخطوطة. والله أعلم.

(١) رواه مالك في «الموطأ» ١/ ٣٨٤، والطبري بمعناه ٢/ ٢١٥-٢١٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣٣٦، وسعيد بن منصور ٣/ ٧٤٩.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧٥٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢١٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٦ كلهم عن الحسن قال: فما استيسر من الهدي: شاة، وليس فيه التقسيم المذكور. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٠٠ بلفظ الواحدي.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٩.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢٠.

(٥) من «تفسير الثعلبي»، وينظر: «غريب القرآن» ٧٩، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢٠.

(٦) بهذا اللفظ ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٢٢، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٠٢، وتابعه الواحدي هنا. وحديث بريرة المشهور، لفظه: هو لها صدقة ولنا هدية، رواه البخاري في الزكاة، باب: الصدقة على موالي أزواج النبي ﷺ ٢/ ١٦٤ برقم ١٤٩٣، ومسلم في العتق، باب: إنما الولاء لمن أعتق ٢/ ١١٤٣ برقم ١٥٠٤ وليس فيه اللفظ الذي ذكره المؤلف، لكنه ورد في حديث أم عطية أنه ﷺ قال عن الشاة التي أرسلتها نسيبة الأنصارية: فقد بلغت محلها، رواه البخاري في الزكاة، باب: قدر كم يعطي من الزكاة والصدقة ٢/ ١٤٨ برقم ١٤٤٦، ومسلم في الزكاة، باب: إباحة الهدية للنبي ﷺ ٢/ ٧٥٦. =

بالهدية إلينا[١]، بعد أن كان صدقة على بريرة[٢][٣].

وهكذا فعل النبي ﷺ وأصحابه، حين صُدُّوا عن البيت، نَحَروا هَدْيَهُم بالحديبية ليست من الحرم[٤].

قال الشافعي رحمه الله: وكل ما وجب على المحرم في ماله من بَدَنةٍ وجَزَاء وَهَدْي فلا يُجْزِي إلا في الحرم، لمساكين أهله، إلا في موضعين:

أحدهما: دم المحصر بالعدو، فإنه ينحر حيث حبس ويحل.

والآخر: من ساق هدياً فعَطب في طريقه ذبحه وخلى بينه وبين المساكين[٥].

هذا على مذهب أهل الحجاز[٦]، وعلى مذهب أهل العراق محلُّ

= قال أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ولم أجد لفظ: «**فقد بلغ محله**»، الذي حكاه الطبري في قصة بريرة، ولعله وقع إليه من رواية خفيت علينا، ثم ذكر شاكر أن نحو هذا اللفظ جاء في قصتين أخريين: إحداهما: من حديث أم عطية الأنصارية، ولفظه: «**إنها قد بلغت محلها**»، والأخرى: من حديث جويرية بنحو اللفظ السابق.

(١) سقطت من (ش).

(٢) بريرة مولاة عائشة رضي الله عنهما، وكانت مولاة لبعض الأنصار، ثم اشترتها عائشة فأعتقتها، وكانت تحت مغيث فخيرها رسول الله ﷺ بعد عتقها، فاختارت فراقه، وعاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية. ينظر: «صحيح البخاري» ٦/ ٢١٠، «الاستيعاب» ٤/ ٣٥٧ (٣٢٩٠).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٢.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢١، ٢٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٢.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٩٧، وقد عزاه فقال: وقال بعض الفقهاء، ولم يعزه إلى الشافعي، لكن الجملة التي قبله عزاها للشافعي، وهي التي نقلها الواحدي قبل عدة أسطر.

(٦) ينظر: «الأم» ٢/ ١٧٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠١، «أحكام القرآن» لابن العربي =

هدي المحصر الحرمُ، ولا محل له غيره، فإن كان حاجًا فمحله يوم النحر، وإن كان معتمرًا فمحله[١] يوم يبلغ هديه الحرم[٢].

وحقيقة الخلاف تعود إلى أن عند أهل الحجاز المحل في هذه الآية اسمًا للأوان الذي يحل فيه ذبح الهدي عن المحصر، وعند غيرهم المحل اسم للمكان[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ نزلت في كعب ابن عُجْرة[٤] قال: مر بي رسول الله ﷺ زمن الحديبية ولي وفرة من شعر فيها القَمْل والصِّيبان، وهي تَتَناثر على وجْهي وأنا أطبخ قِدرًا لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أيؤذيك هوام رأسك؟**» قلت: نعم يا رسول الله قال: «**احلق رأسك**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾[٥] أي:

= ١/ ١٢٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢١، ٢٢٢، وبين رحمه الله ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: إن المراد بالآية كل محصر بعمرة أو حج، وجعل محل هديه الموضع الذي أحصر فيه، وجعل له الإحلال من إحرامه ببلوغ هديه محله، وأراد بالمحل: المنحر أو المذبح، وذلك حين حل ذبحه ونحره في حرم كان أو حل.

(١) في (م) (فحله في الموضعين).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٢٣، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٢٧٢، «شرح معاني الآثار» ٢/ ٢٥١، «بدائع الصنائع» ٢/ ١٧٩.

(٣) «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٢.

(٤) كعب بن عجرة بن أمية البلوي، الأنصاري المدني، أبو محمد، صحابي مشهور، تأخر إسلامه، ثم شهد المشاهد كلها، مات بعد الخمسين، وله نيف وسبعون سنة، روى حديثه الجماعة. ينظر، «أسد الغابة» ٤/ ٢٤٣، «تقريب التهذيب» ص٤٦١ (٥٦٤٣).

(٥) أخرجه البخاري (١٨١٧) كتاب المحصر، باب: النسك شاة، ومسلم (١٢٠١)=

فحلق أو فداوى فعليه فدية يفدي بها إحرامه؛ لأنه يجبر بها ما وقع من خلل في إحرامه[١].

والحكم في هذا: أن المحرم إذا تأذّى بهوامِّ رأسِه أو بالمرض أُبيح له الحلق والمداواة بشرط الفدية، وهذه الفدية على التخيير أيها شاء فعل، كما دل عليه ظاهر الآية[٢]، فالصيام ثلاثة أيام، يصوم حيث شاء من البلاد[٣]، والصدقة إطعام ستة مساكين، لكل مسكين مدان، فيكون الجملة فَرَقًا، وهو اثنا عشر مدًّا[٤]، وفي سائر الكفارات لكلِّ مسكين[٥] مدٌّ واحد.

وأصل معنى الصدقة نذكرها في قوله: ﴿إن تبدو الصدقات﴾ [البقرة: ٢٧١] إن شاء الله تعالى.

= كتاب الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم، وقال الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣٠: وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية نزلت بسبب كعب بن عجرة، إذ شكا كثرة أذى رأسه من صئبانه، وذلك عام الحديبية، ثم ذكر ٢٨ طريقا للحديث. والوفرة: أعظم من الجمة، وهي: ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر، ثم اللمة، وهي: ما ألم بالمنكبين، والصئبان: جمع صؤاب، جمع: صؤابة، وهو بيض القمل، والهوام: واحدها: هامة، وهي الحيات وأشباهها مما يهم، أي: يدب، والهميم: الدبيب، وكنوا عن القمل بأنها هوام؛ لأنها تهم في الرأس، أي: تدب فيه وتؤذي.

(١) «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٠، «اللسان» ٦/ ٣٣٦٧ فدي.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٣١-٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٤.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٧، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٤-١٢٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٣ خلافًا لقول الحسن وعكرمة.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٧، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٢-٣٦٣.

(٥) ليست في (أ) ولا (م).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ جمعُ نسيكة، وهي الذبيحة يَنْسُكُها لله ﷻ، أي: يذبحها[١]، ويجمع أيضا: نسائك، وأصل النسك: العبادة. والناسك: العابد. قال ابن الأعرابي: النسك سبائك الفضة. كل سبيكة منها نسيكة، وقيل للمتعبد: ناسك؛ لأنه خَلَّص نفسه من دنس الآثام وصفّاها، كالسبيكة المخلَّصَة من الخَبَث[٢]. هذا أصل معنى النسك. ثم قيل للذبيحة نسك؛ لأنها من أشرف العبادات التي يُتَقرَّب بها إلى الله[٣].

قال العلماء أعلاها: بدنة، وأوسطها: بقرة، وأدناها: شاة. وهو مخير بينهما؛ لأن النسك وقع على هذه الأجناس[٤]. والصحيح: أنه يأتي بالإطعام والنسك أي موضع شاء؛ لأن الله تعالى أطلق في الآية، ولم يخص مكانًا دون مكانٍ[٥].

---

(١) في (م) بذبحها.

(٢) نقله عن ابن الأعرابي في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢.

(٣) ينظر في معنى النسك: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢-٣٥٦٣، «المفردات» ٤٩٣، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٤، «عمدة الحفاظ» ٤/ ١٩٧.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٣، وقال الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٦٤: اتفقوا في النسك على أن أقله شاة لأن النسك لا يتأدى إلا بأحد الأمور الثلاثة: الجمل، والبقرة، والشاة، ولما كان أقلها الشاة، لا جرم كان أقل الواجب في النسك هو الشاة، قال ابن عبد البر: كل من ذكر النسك في هذا الحديث مفسرًا فإنما ذكره بشاة، وهو أمر لا خلاف فيه بين العلماء، نقله القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٦١. وينظر: «الإجماع في التفسير» ص٢٠٤.

(٥) وهذا قول علي وإبراهيم النخعي، وروي عن مجاهد، وهو قول المالكية، واختيار الطبري والثعلبي، وقال الحسن وطاوس وعطاء ومجاهد، وهو قول الشافعي: النسك والإطعام بمكة، والصيام حيث شئت، وعلتهم: قياسه على جزاء الصيد، حيث قال الله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة ٩٥] وإذا كان=

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾، قال ابن عباس: أي من العدو، أو كان حج ليس فيه عدو[١]، قد جمع ابن عباس الحالتين في تفسير قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ ؛ لأن الأمن يكون بعد خوف فيزول، ويكون من غير خوف قد زال، وكلا الحالتين سواء في حكم المتمتع، وهو قوله: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾.

والمتاع: كل شيء يُتَمَتَّعُ به، ويُنْتَفَع به. وأصله: من قولهم: جَبَلٌ ماتعٌ، أي: طَويل، وكل من طالت صُحْبته مع الشيء فهو متمتع به[٢].

والتمتع بالعمرة إلى الحجِّ هو: أن يَقْدُمَ مَكَّةَ مُحْرِمًا، فيعتمرَ في أَشْهُرِ الحَجِّ، ثم يقيم حلالاً بمكةَ، حتى ينشئَ منها الحجَّ فيحج من عامه ذلك، ويكون متمتعًا بمحظورات الإحرام؛ لأنه حل بالعمرة إلى إحرامه بالحج[٣].

= هذا حكم الدم فكذا الإطعام، وقال عطاء: ما كان من دم فبمكة، وما كان من طعام وصيام فحيث شاء، وروي عن الحسن وهو قول أصحاب الرأي، قال الطبري ٢/ ٢٤٠: وأجمعوا على أن الصيام مجزئ عن الحالق رأسه من أذى حيث صام من البلاد. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٠٩، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ١٤٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٤.

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة. والمفسرون على قولين: أحدهما: أمنتم من العدو ؛ لأن الأمن لا يقال إلا من العدو، والمرض لا تؤمن معاودته، وبه قال قتادة والربيع، وقال علقمة: أمنتم من المرض والخوف، وكذا قال عروة. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤٣.

(٢) ينظر في متع: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٣٤-٣٣٣٥، «المفردات» ٤٦٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١١، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٥، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٧٢-٧٤، «اللسان» ٧/ ٤١٢٧، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٢١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٣٤١.

(٣) وبه قال سعد بن أبي وقاص وابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء=

ومعنى قوله: ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب العمرة، لأنه لا يتمتع بالعمرة، ولكنه يتمتع بمحظورات الإحرام بسبب العمرة حيث أتى بها(١). هذا معنى التمتع بالعمرة إلى الحج.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ قال أصحابنا: المتمتع الذي يجب عليه الدّم: هو الذي يُحِم في أشهر الحج، ويحل بعمرة في أشهر الحج، ويُحْرم بالحج من عامه ذلك من مكةَ، ولا يرجع إلى الميقات، ويكون من غير أهل الحرم، فإذا انخرم شيء من هذه الشرائط سقط عنه الدم، ولا يكون متمتعاً(٢).

= وإبراهيم والحسن. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤٣-٢٤٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٣٤١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٦، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٦٤-٣٦٦، و ذكر رحمه الله أربع صور للتمتع، هذه إحداها. والثانية: القِران، وهي أن يجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد فيهل بهما جميعا في أشهر الحج أو غيرها. والثالثة: أن يحرم بالحج حتى إذا دخل مكة فسخ حجه في عمرة، ثم أهلَ بالحج يوم التروية، وهذا الذي توعد عليه عمر بن الخطاب، وقال: متعتان كانتا على عهد رسول اللهﷺ أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء، ومتعة الحج. والرابعة: متعة المحصر، ومن صُدَّ عن البيت حتى ينقضي الحج فيأتي إلى البيت فيعتمر ويحل إلى الحج من قبل قابل فيحج ويُهدي. وذكر هذه الصور: الطبري بأسانيده ٢/ ٢٤٣-٢٤٦.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١١، ونقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٦٥، وقيل: سمي متمتعًا؛ لأنه تمتع بإسقاط أحد السفرين. ينظر القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٦٤-٣٦٦.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١١، و«غرائب القرآن» للنيسابوري ٢/ ١٦١، «فتح الباري» ٣/ ٤٣٥، وذكر الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٦٥-١٦٦: أن دم التمتع له خمس شرائط عند الأصحاب أي من الشافعية: أحدها: أن يقدم العمرة على=

وإذا وجدت هذه الشرائط كان متمتعًا، وعليه إراقة دم إن شاء قبل يوم النحر، وإن شاء في يوم النحر(١)، ولا يجزيه غيره إن كان موسرًا، وإن كان معسرًا فعليه صوم عشرة أيام، وذلك قوله: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ أي: في أشهر الحج.

قال المفسرون: يصومُ يومًا قبل التروية، ويومَ التروية، ويومَ عرفة.

قال أصحابنا: يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر في أشهر الحج، إن شاء متتابعة، وإن شاء متفرقة، وإن صام قبل يوم عرفة حتى يكون يوم عرفة(٢) مفطرًا كان أولى؛ لأن رسول الله ﷺ ما صامَ بعرفةَ يومَ عَرَفة، وذلك

= الحج. والثاني: أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج. والثالث: أن يحج من عامه. والرابع: أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام. والخامس: أن يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة، فإن عاد إلى الميقات لم يلزمه شيء. وفصلها ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١٢٦ وزاد فقال: والتمتع يكون بشروط ثمانية: الأول: أن يجمع بين العمرة والحج. الثاني: في سفر واحد. الثالث: في عام واحد. الرابع: في أشهر الحج. الخامس: تقديم العمرة. السادس: ألا يجمعهما، بل يكون إحرام الحج بعد الفراغ من العمرة. السابع: أن تكون العمرة والحج عن شخص واحد. الثامن: أن يكون من غير أهل مكة.

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٢، وهذا قول علي وابن عمر وابن عباس وجماعة من التابعين.

ينظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٧٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤٥-٢٤٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٤٢.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤٧-٢٤٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٢٩-١٣١، «زاد المسير» ١/ ٢٠٦، وقد بين الطبري رحمه الله علة قول من قال: إن آخر الثلاثة قبل يوم النحر، أن الله أوجب صومهن في الحج، وإذا انقضى عرفة انقضى الحج، والعلماء مجمعون على حرمة صوم يوم النحر، فإن كان إجماعهم على حرمة صيام لأجل كونه ليس من أيام الحج فما بعده أولى، وإن كان لأجل كونه عيدا فما بعده من أيام التشريق في معناه. وقال آخرون: إن آخرهن أيام التشريق=

أقوى للدعاء[١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أما السَّبْعَةُ فله أن يصومها بعد الفراغ من الحج، أين شاء ومتى شاء، والأولى: أن لا يُوقِعَها في أيام التشريق[٢]، وإن فاته صوم الأيام الثلاثة في الحج قضاها من بعد.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ يقال: كمُل الشيءُ يَكمُل، وكمَل يكمُل، فهو كامِلٌ وكميل، وذُكِر أيضًا: كَمِل يكمَلُ[٣].

وإنما قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ مع العلم بأن الثلاثة والسبعة عشرة،

= لحديث عائشة وابن عمر قالا: لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لم يجد الهدي. رواه البخاري، قالوا: وأيام منى من أيام الحج، وفيه جملة من أعماله، وممن يرى جواز ذلك: عائشة وابن عمر وابن الزبير ومالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق، كما في «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٤. والواحدي رحمه الله كأنه بكلامه يرى عدم جواز صيام أيام التشريق مطلقا، وهذا قول الشافعية، والحديث حجة عليهم كما بين ذلك ابن العربي في «تفسيره» ١/ ١٢٩-١٣٠، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٧٧.

(١) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٣٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧٧.

(٢) ذكر الطبري في «تفسيره» رحمه الله ٢/ ٢٥٣: «الإجماع» على أن المراد بقوله: (وسبعة إذا رجعتم)، أي: إلى أهليكم، ودليله: حديث ابن عمر في الصحيحين مرفوعا: فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. البخاري ٢/ ١٨١ في الحج، باب: من ساق البدن معه، ومسلم ٢/ ٩٠١ في الحج، باب: وجوب الدم على المتمتع، وقد اختلف العلماء في حكم صيامها بعد الفراغ من أعمال الحج، وقبل الرجوع على قولين، ذكرهما القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٧/ ٣٩٣٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧٩.

للتأكيد[١]، كقول الفرزدق[٢]:

ثَلاثٌ واثْنَتَانِ فهُنَّ خَمْسٌ[٣] .... البيت.

وكقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]

وقيل: إن العرب أمّةٌ أميةٌ، لا تَعْرِف الحساب[٤]، ولذلك قال جابر حين ذكر عددَ أهلِ الحُدَيْبِيَة: كنا أربعَ عَشرَ مائة[٥]. ويروى أن رجلًا من الصحابة سَبَى جاريةً في بعض المغازي، فطلبوا منه أن يأخذ الفداء، فقال: لا أفديها إلا بألف درهم، فبذلوها له، فقيل له: لو طلبت أكثر من ذلك لأعطوك، فقال: والله ما عرفت أن فوق الألف حسابا[٦].

وقال الزجاج: العرب قد تذكر الواو والمراد منها أو، كقوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] فجاز أن يَتَوَهَّم المتوهم أن الفرضَ ثلاثة أيام في الحج أو سبعة في الرجوع، فأعلم الله ﷻ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٩.

(٢) هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر عظيم الأثر في اللغة، مات في بادية البصرة سنة ١١٠هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ٣١٠، «السير» ٤/ ٥٩٠ .

(٣) عجزه: وسادسة تميل إلى شمام
والبيت للفرزدق في «ديوانه» ٢/ ٨٣٥، ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٨٠، «تفسير الثعلبي» ٢/٥١٣، «الدر المصون» ٢/ ٣٢٠ وشمام: اسم جمل ينظر: «لسان العرب» ٥/ ٢٩٥٢ (عشر).

(٤) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٤، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٩.

(٥) رواه مسلم (١٨٥٦) كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

(٦) لم أجده.

أن العشرَ مفترضةٌ كلها(١). وذكر الكمال على التأكيد.

وقيل: أراد: كاملة في البدل عن الدم، وإن كانت مُفَرَّقة، ثلاثة في الحج وسبعة في الوطن(٢).

وقيل: لفظه خبر ومعناه أمر، أي: فأكملوها ولا تنقصوها(٣).

وقوله: ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: ذلك الفرض والذي أمرنا به لمن كان من الغرباء من غير أهل مكة(٤).

قال الفراء: واللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ معناها: على(٥)، أي: ذلك الفرض الذي هو الدمُ أو الصومُ على من لم يكن من أهل مكة، كقوله ﷺ: «اشترطي لهم الولاء»(٦). أي: عليهم.

والله تعالى ذكر الأهل والمراد بالحضور المحرم لا الأهل، وذلك أن

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٨، وينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧٩.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٧٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧٩، وهذا هو اختيار الطبري.

(٤) هذا قول، وهو رجوع اسم الإشارة إلى المتمتع الذي يلزمه الدم أو بدله، والقول الآخر: أن اسم الإشارة عائد إلى التمتع، ولهذا اختلفوا في حكم تمتع المكي، وهل له المتعة أو لا ؟ والأول: قال به الشافعي، والثاني: قال به أبو حنيفة. ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٧١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٠، «البحر المحيط» ٢/ ٨٠.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٨، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨١، والقول الآخر: أن اللام على بابها، والمعنى: ذلك لازم لمن. ينظر: «الدر المصون» ٢/ ٣٢١.

(٦) أخرجه البخاري (٢١٦٨) كتاب البيوع، باب: إذا اشترط شروطا في البيع لا تحل، ومسلم (١٥٠٤) كتاب العتق، باب: إنما الولاء لمن أعتق.

الغالب على الرجل أن يسكن حيث كان أهله ساكنون[(١)].

والحاضرون: من كانت دارُه على مسافةٍ لا يَقْصُر إليها الصّلاة، سموا حاضرين: لأنهم يقربون من مكة، والحَضْرة عند العرب: قرب الشيء[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ أصلُ الحرام: المَنْع، والمحروم: المَمْنُوع من المكاسب، والشيء المنهي عنه حَرَام؛ لأنه منع من إتيانه؛ ومنه قول زُهيْر:

لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ[(٣)].

أي: لا ممنوع. فالمسجد الحرام: الممنوع من أن يفعل فيه ما حَرُم ولم يؤذن في إتيانه[(٤)].

قال الفراء: ويقال حَرَام وحَرَمُ، مثل: زَمَان وزَمَن[(٥)].

---

(١) نقله عن الواحدي بتمامه الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٧٢.

(٢) واختلف الناس في حاضري المسجد الحرام، بعد «الإجماع» على أن أهل مكة وما اتصل بها، من حاضريه، وقال الطبري: بعد «الإجماع» على أهل الحرم، فقال بعضهم: من وجبت عليه الجمعة فهو من حاضريه، وقال مالك: هم أهل مكة وما اتصل بها خاصة، وقال أبو حنيفة: من كان دون المواقيت فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال الشافعي: ما ذكره الواحدي. ينظر في ذكر الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٥-٢٥٧، «التفسير الكبير» ٥/ ١٧١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨١، «البحر المحيط» ٢/ ٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٥.

(٣) البيت بتمامه:

وإن أتــاه خــلــيــل يــوم مــســألــة يــقــول: لا غــائــب مــالــي ولا حــرم

وهو في «ديوان زهير بشرح ثعلب» ص١٥٣، وفي «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٦٦، «الكامل» ١/ ١٣٤، «المقتضب» ٢/ ٧٠، والخليل من الخَلة: الفقير.

(٤) ينظر: «المفردات» ص١٢٢، «عمدة الحفاظ» ١/ ٤٥٧، ونقله عن الواحدي بلا عزو: الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٧٢، «لسان العرب» ٢/ ٨٤٦ (حرم).

(٥) نقله عنه الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٧٢.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: يريد فيما افترضه عليكم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن تهاون بحدوده[(١)].

١٩٧- قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ تقدير الآية عند النحويين على وجهين:

أحدهما: أن التقدير: أشهُر الحج أشهر معلومات، ليكون[(٢)] الثاني الأول في المعنى، فحذف المضاف[(٣)].

والثاني: أنّ التقدير: الحجُّ حجُّ أشهر مَعْلومات، أي: لا حج إلا في هذه الأشهر، ولا يجوز في غيرها، كما كان يفعله أهل الجاهلية، يستجيزونها في غيرها من الأشهر، فحذف المصدر المضاف إلى الأشهر. ويمكن تصحيحُ الآيةِ من غير إضمار، وهو أنه جعل الأشهر الحج لمَّا كان الحج فيها، كقولهم :ليل نائم، لما[(٤)] كان النوم فيه جعل نائمًا ،كذلك ها هنا، اتسع في الأشهر وأخرجت عن الظرف، كقوله تعالى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ [طه: ٥٩] ألا تَرَى أن الحجَّ في الأشهر، كما أن الموعدَ في اليوم، إلا أنه اتسع فيه، فجعل الأول لما كان فيه، كذلك جعل الحج الأشهر على الاتساع، لكونه فيها وكثرته من الفاعلين له[(٥)]، كما جَعَلتِ الخَنْساءُ الوحشيةَ إقبالًا وإدبارًا لكثرتهما منها في قولها:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (ش) (أي ليكون).

(٣) قال مكي في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٣: ولولا هذا الإضمار لكان القياس نصب (أشهر) على الظرف، كما تقول: القتال اليوم، والخروج الساعةَ.

(٤) في (ش) ولما.

(٥) ليست في (أ) ولا (م).

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ فـإنَّـمـا هـي[١] إقْـبَـالٌ وإدْبَـارُ[٢]

وكما قال مُتَمِّم[٣]:

لَعَمْري وما دَهْرِي بِتَأْبِيْنِ هَالِكٍ ولا جَزِعٍ مما أَصَاب فَأَوجَعَا[٤]

ألا ترى أنه قد جعل دَهره الجزع في قوله: ولا جزِعٍ، أي: وما دهري بجزع. والأشهرُ بمنزلة الدهر[٥].

والمراد بالأشهر، هاهنا، عند جميع المفسرين: شَوَّالٌ وذو القَعْدة وتسع من ذي الحِجَّة، ويقال: عشر من ذي الحجة، فمن قال: وتِسْع، أراد الأيام؛ لأن يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة آخر هذه الأشهر[٦]، ومن قال: عَشْرٌ، عَبَّر به عن الليالي؛ لأن من أدركَ عرفةَ في الليل العاشر

---

(١) في (ش) (اذكرت فانماهن).

(٢) البيت تقدم تخريجه مع تفسير [البقرة: ٤٩].

(٣) هو: متمم بن نويرة بن جمرة بن ثعلبة بن يربوع، أبو نهشل، صحابي شاعر فحل، اشتهر في الجاهلية والإسلام، أشهر شعره رثاء أخيه مالك، توفي سنة ٣٠هـ. انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٥٢، ٥٨، «الشعر والشعراء» ص٢٠٩.

(٤) البيت في «ديوانه» ص١٠٦، «لسان العرب» ١/ ١٣ (أبن)، ٣/ ١٤٤٠ (دهر).

(٥) ينظر: في إعراب الآية: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٢٣، «التبيان» ص١٢٣، «البحر المحيط» ٢/ ٨٤، «الدر المصون» ٢/ ٣٢٢، وقال أبو حيان والحج أشهر: مبتدأ وخبر، ولابد من حذف ؛ إذ الأشهر ليست الحج، وذلك الحذف إما في المبتدأ، فالتقدير: أشهر الحج، أو وقت الحج، أو في الخبر، أي: الحج حج أشهر، أو يكون الأصل: في أشهر، فاتسع فيه، وأخبر بالظرف عن الحج. ثم رد على ابن عطية قوله بالإلزام بالنصب في الحالة الثالثة.

(٦) ذكره الشافعي في «أحكام القرآن» ص١٢٧، «مختصر المزني» ٨/ ١٥٩، «المجموع» ٧/ ١٤٣.

من ذي الحجة فقد أدركَ الحج[١]، وقد ورد في الخبر اللفظان جميعًا في تفسير الأشهر[٢].

وإنما قال: أشهر، لشهرين وبعض الثالث؛ لأن الاثنين قد يوقع عليها[٣] لفظ الجمع، وذلك أن التثنية أولُ الجَمْع[٤]، الدليل عليه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ [النور:٢٦]. وإنما يريد عائشةَ وصَفْوان، وكذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨] يريد: داودَ وسليمانَ، وقال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم:٤].

وقال الشاعر:

---

(١) وهذا قول ابن عباس وابن الزبير وابن سيرين ومجاهد والحسن وعطاء والشعبي وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والسدي والضحاك وأبو حنيفة والشافعي، وابن حبيب عن مالك، وروي عن ابن مسعود وابن عمر، وهو اختيار الطبري. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٧-٢٦٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٥، «البحر المحيط» ٢/ ٨٥.

(٢) أما لفظ عشر من ذي الحجة، فقد ورد عن جماعة من الصحابة: عبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن الزبير -ﷺ- وجماعة من التابعين. ينظر: «سنن سعيد بن منصور» ٣/ ٧٨٣-٧٩١، «المصنف» لابن أبي شيبة، (القسم الأول من الجزء الرابع ص٢١٨)، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٧، «سنن الدارقطني» ٢/ ٢٢٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٦. وأما لفظ تسع، فلم أعثر عليه في شيء من الأحاديث والآثار، لكن ذكرها المفسرون والفقهاء في معرض الخلاف في أشهر الحج، وذكرها الشافعي في «أحكام القرآن» له ص١٢٧، وفي «المجموع» ٧/ ١٤٣، والمؤلف رحمه الله تابع الثعلبي على هذا. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٦.

(٣) في (ش) (عليه).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٢، «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» للحدادي ص٢٨٠.

ظَهْرَاهُمَا[١] مِثْلُ ظُهُورِ التُّرسَيْن[٢][٣]

وقال ابن الأنباري: العرب توقع الوقت الطويل على الوقت اليسير، فيقولون: قُتل ابن الزبير زمان الحجاج أمير، وإنما كان القتل في أقصر وقت، فجاز على هذا وقوع الأشهر على أقل منها، ويقولون: أتيتك يوم الخميس، وإنما أتاه[٤] في ساعة منه، فيسمي تلك الساعة يومًا[٥].

وقال عروة بن الزبير[٦]: أراد بالأشهر شوالًا وذا القَعْدة وذا الحِجَّة كُمَّلًا[٧]؛ لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها، مثل:

---

(١) في (ش) (ظهورهما).

(٢) في (ش) (الريسين).

(٣) صدر البيت: ومهمهين قذفين مرتين

ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٤٨، وفيه قال الراجز هو خطام المجاشعي، «الخزانة» ٢/ ٣١٤، «البيان» ٢/ ٤٤٦. وينظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٠٠.

(٤) في (م) أتوه.

(٥) وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٩، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٦٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٧، قال الفراء: وكذلك تقول العرب: له اليوم يومان منذ لم أره، وإنما هو يوم وبعض آخر، وهذا ليس بجائز في غير المواقيت؛ لأن العرب قد تفعل الفعل في أقل من الساعة ثم يوقعونه على اليوم.

(٦) هو: أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أخو عبد الله بن الزبير، وأمهما أسماء بنت أبي بكر ﷺ ثقة مشهور، من أفاضل التابعين وعبادهم، توفي سنة ٩٤هـ. انظر: «السير» ٤/ ٤٢١، «تقريب التهذيب» ص٣٨٩ (٤٥٦١).

(٧) ذكره الثعلبي عنه ٢/ ٥١٨، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٢٥، والرازي في «تفسيره» ١/ ١٧٣، ولم يذكره أحد من أصحاب الكتب المسندة في التفسير، وروى سعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧٩١ عن عروة بن الزبير قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ (الحج أشهر معلومات) قال: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٩٣ إلى ابن المنذر، وهذا قول ابن مسعود وابن عمر وعطاء وطاوس ومجاهد والزهري والربيع ومالك. ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٨٥.

الرمي، والحلق، والنحر، والبيتوتة بمنى[١].

وقوله تعالى: ﴿مَّعْلُومَٰتٌ﴾ أي: أشهر مُؤَقَّتَةٌ معينة، لا يجوز فيها ما كان يفعلُه أهلُ الجاهلية من التبديل بالتقديم والتأخير، الذي كان يفعله النَّسَأة الذين أنزل فيهم ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ الآية [التوبة: ٣٧].

قال ابن عباس في هذه الآية: جعلهن سبحانه للحج، وسائر الشهور للعمرة، فلا يصلح لأحد[٢] أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج[٣].

وهذا مذهب الشافعي رحمه الله قال: من أراد أن يحرم بالحج لم يصح إحرامه بالحج إلا في أشهر الحج، فإن أَحَرْم في غير أشهر الحج انعقد إحرامه عمرة؛ لأن الله تعالى خَصَّ هذه الأشهر بفرض الحج فيها، وجعلها وقتًا للحج[٤].

وعند أبي حنيفة: إذا أحرم بالحج في غير أشهر الحج كُرِه ذلك،

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٨.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٥٧-٢٥٨ من طريق علي بن أبي طلحة عنه، ورواه الشافعي في «الأم» ٢/ ١٦٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٥، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ١٣٠ من طريق عكرمة، ورواه البخاري معلقا ٢/ ١٨٣ معلقا مجزوما به، ووصله ابن خزيمة في «تفسيره» ٤/ ١٦٢، والحاكم في «تفسيره» ١/ ٦١٦، وصححه، من طريق مقسم، عن ابن عباس بنحوه مختصرًا.

(٤) ينظر: «الأم» ٢/ ١٦٨، «المجموع» ٧/ ١٤٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٣، وهذا القول على التقدير في الآية: الحج حج أشهر معلومات، وبه قال ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وطاوس والأوزاعي وأبو ثور، وقال الأوزاعي: يحل بعمرة، وقال أحمد: هذا مكروه، وروي هذا القول عن مالك، والمشهور عنه القول الآخر.

ويجزيه[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾. قال المفسرون: أي: من أوجب على نفسه فيهن الحج بالإحرام والتلبية[٢]. ومعنى فَرَضَ في اللغة: ألزم وأوجب، يقال: فَرَضْتُ عليك كذا، أي: أوجبته، وأصل معنى الفَرْض في اللغة: الحزّ والقطع.

قال ابن الأعرابي: الفرض: الحز[٣] في القِدْح وفي[٤] الزند وغيره[٥]، وفُرْضَة القَوس: الحَزّ الذي يقع فيه الوتر، وفرضة الزند: الحز الذي فيه. قال: ومنه فَرْضُ الصلاة وغيرها، إنما هو لازم للعبد كلزوم الحز للقدح، ففرض بمعنى: أوجب، قد ورد في القرآن فرضَ بمعنى أَبَان، وهو

(١) وبه قال النخعي والثوري، والمشهور من مذهب مالك، وهذا القول على أن التقدير في الآية: أشهر الحج أشهر معلومات. ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٣٠٠، «شرح فتح القدير» ٣/ ١٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥١٩، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٣.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٦٠-٢٦٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٢٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٣، وقد بين الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في المعنى الذي يكون به الرجل فارضا الحج بعد إجماع جميعهم على أن معنى الفرض: الإيجاب والإلزام، فقال بعضهم: فرض الحج: الإهلال، وقد رواه عن ابن عمر وعطاء ومجاهد وطاوس والثوري والقاسم بن محمد، وبه قال أبو حنيفة، وابن حبيب من المالكية، وهو قول الظاهرية، وقال آخرون فرض الحج: إحرامه، وقد رواه عن ابن عباس والحسن وقتادة والنخعي والضحاك، وهذا قول الشافعي والحسن بن حي. ثم رجح القول الثاني، وبين سبب الترجيح.

(٣) في (م) كأنها (الجز).

(٤) في ليست في (م).

(٥) نقله عن ابن الأعرابي في «تهذيب اللغة» ٣/ ٧٧١ فرض.

قوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]، بالتخفيف[(١)]، وقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] وهذا أيضًا راجع إلى معنى القطع؛ لأن من قطع شيئًا أبانه عن غيره، والله تعالى إذا فرض شيئًا أبانه، وبان ذلك الشيء عن غيره. (فرض) بمعنى: أوجب، وفرض بمعنى: أبان، كلاهما يَرْجِع إلى أصل واحد على ما بينا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ ذكرنا معنى الرفث عند قوله: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] وأما معناه في هذه الآية، فذهب ابن عباس[(٣)]، والأكثرون إلى أن المراد به الجماع[(٤)].

قالت طائفة[(٥)]: المراد بالرفث، هاهنا، التعريض[(٦)] للنساء بالجماع،

---

(١) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧١ «فرض»: (وفرضناها) فمن خفف أراد: ألزمناكم العمل بما فرض فيها، ومن شدد فعلى وجهين: أحدهما التكثير على معنى: إنا فرضنا فيها فروضا، ويكون على معنى بينا وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام والحدود.

(٢) ينظر في الفرض «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧١ «فرض»، «المفردات» ٣٧٨، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) رواه الثوري في «تفسيره» ص٦٣، وسعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧٩٩، وأبو يعلى في «مسنده» ٥/ ٩٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٦ وغيرهم.

(٤) ذكر الطبري القول بذلك عن ابن مسعود وابن عمر والحسن وعطاء ومجاهد وعكرمة وعمرو بن دينار وقتادة وسعيد بن جبير والسدي والربيع والنخعي والضحاك. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٦٥-٢٦٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٤٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٢٣.

(٥) ذكر الطبري القول بذلك عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وطاوس وابنه وعطاء. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٦٣-٢٦٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٤٦، وقد رجح الطبري أن الرفث شامل للقولين، وقال أبو حيان في البحر ٢/ ٨٧: وملخص هذه الأقوال أنها دائرة بين شيء يفسده، وهو الجماع، أو شيء لا يليق لمن كان متلبسا بالحج لحرمة الحج.

(٦) في (م) التعرض.

ذكره بين أيديهن، فأما اللفظ به من غير مراجعة النساء فلا بأس به، لما روى ابن عباس، كان يحدو بعيرَه وهو محرم ويقول:

وهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسا إن تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِك لَمِيسَا[١]

فقيل له: تَرفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما قيل عند النساء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ قال ابن عباس[٣] والأكثرون[٤]: الفسوق معاصي الله كلها.

وقال ابن زيد: هو الذبح للأصنام، قُطِعَ ذلك بالنبي ﷺ حين حج فعلَّم أُمتَه المناسكَ[٥]، دليله قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ

---

(١) البيت ذكره الفراء في: «معاني القرآن» ٢/ ١٩٢، وقال: تمثل به ابن عباس، وذكره الحربي في «غريب الحديث» ولم ينسبه ٣/ ١١١، وقال شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٦: لم أعرف قائله وهو رجز كثير الدوران في الكتب. والهمس، والهميس: صوت نقل أخفاف الإبل، والصوت الخفي الذي لا غور له في الكلام، والوطء والأكل وغيرها، ولميس: اسم صاحبته، ويريد بقوله: إن تصدق الطير: أنه زجر الطير فتيامن بمرها، ودلته على قرب اجتماعه بأصحابه وأهله.

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٨٠٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦٣ من طريق أبي حصين بن قيس، وهو القائل لابن عباس: ترفث وأنت محرم؟ ومن طريق أبي العالية الرياحي، ورواه الحاكم ٢/ ٣٠٣ وصححه وعنه البيهقي في «تفسيره» ٥/ ٦٧ من طريق الأعمش.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧٩٩، وأبو يعلى ٥/ ٩٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٧.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، عن عطاء والحسن وطاوس ومجاهد والقرظي وابن جبير وإبراهيم النخعي والربيع وعكرمة. قال ابن عطية في: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٩: وعموم المعاصي أولى الأقوال.

(٥) رواه الطبري، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٧ نحوه عن مالك، وينظر: «الموطأ» ١/ ٣٨٩.

وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١][1].

(والجدال) يقال: من المجادلة، وأصلها[2]: من الجَدْل الذي هو الفَتْل، يقال: زِمَامٌ مَجْدُول وجَدِيْل، أي: مَفْتُول، والجَدِيْل: اسم للزمام لأنه لا يكون إلا مفتولًا، سميت المخاصمة مجادلة؛ لأن كلَّ واحدٍ من الخصمين يروم أن يفتل صاحبه عن رأيه[3].

قال ابن عباس[4] والمفسرون[5] في قوله: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾: هو أن يجادل صاحبه ويُمَارِيَه حتى يغضبه، نُهِي المحرمُ عن هذا.

---

(١) ذكر الطبري رحمه الله ٢/ ٢٧٠ قولين آخرين أحدهما: أن الفسوق في هذا الموضع: ما عصي الله به في الإحرام مما نهى عنه فيه من قتل صيد وأخذ شعر، ورواه عن ابن عمر. والثاني: السباب، ورواه عن ابن عمر وابن عباس ومجاهد والسدي وإبراهيم وعطاء بن يسار. وينظر: «النكت والعيون» ١/ ٢٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٢٨.

(٢) في (م) وأصله.

(٣) ينظر في المجادلة: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٦٠-٥٦١ «جدل»، «المفردات» ٩٧، وذكر الراغب في تسمية المخاصمة مجادلة قولا آخر فقال: «وقيل: الأصل في الجدال: الصراع، وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة» وذكر السمين في عمدة الحفاظ ١/ ٣٥٩ قولا ثالثا، وهو: أن أصله من القوة، فكان كُلًّا من المتجادلين يقوي قوله ويضعف قول صاحبه.

(٤) رواه عنه سعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧٩٩، وابن أبي شيبة في «المصنف»، القسم الأول من الجزء الرابع ص١٥٧، وأبو يعلى ٥/ ٩٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٧١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٨.

(٥) روى الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٧٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٨ هذا القول عن عطاء وابن جبير ومجاهد وعمرو بن دينار والحسن والربيع والضحاك والنخعي وعطاء بن يسار وعكرمة والزهري وقتادة.

وقال مجاهد[١] وأبو عبيدة[٢]: معناه: ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة، فأبطل النسيء، واستقام الحج كما هو اليوم، وبطل ما كان يفعله النَّسَأة في تأخير الشهور[٣].

قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي ومعناها نهي، أي: ولا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، كقوله ﷻ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] أي: لا ترتابوا[٤].

واختلف القُرَّاء في هذه الآية، فقرأ[٥] بعضهم: (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) مرفوعين منونين، وقرأ بعضُهم منصوبين غير منونين، ولم يختلفوا في نصب اللام من جدال[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» عنه من عدة طرق ٢/ ٢٧٤-٢٧٥، ورواه عن السدي وابن عباس، ورجحه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٧٥-٢٧٦، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٩، ويرى الزجاج في «تفسيره» ١/ ٢٧٠ أن كلا من القولين صواب.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٧٠.

(٣) ذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٧٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٤٩ أقوالا أخر، فمنهم من قال: الجدال: السباب، وهو مروي عن ابن عمر وابن عباس وقتادة، ومنهم من قال: الجدال: اختلافهم فيمن هو أتم حجا من الحُجاج، وهو مروي عن محمد بن كعب القرظي، ومنهم من قال: الجدال: اختلافهم في اليوم الذي يكون فيه الحج، فنهوا عن ذلك، وهو مروي عن القاسم بن محمد، وقيل: بل اختلافهم في أمر مواقف الحج أيهم المصيب موقف إبراهيم، قاله ابن زيد. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٣٠، «النكت والعيون» ١/ ٢٥٩، «زاد المسير» ١/ ٢١١، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ٨٨.

(٤) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٣١، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٧، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص١٢٨، «المدخل» للحدادي ص٤٦٥.

(٥) في (ش) وقرأ.

(٦) قرأ ابن كثير المكي وأبو عمرو ويعقوب برفع الثاء والقاف مع التنوين، ووافقهم أبو جعفر، وانفرد بتنوين جدال مع الرفع، والباقون بـ(الفتح) بلا تنوين في الثلاث. ينظر: «السبعة» ص١٠٨، «النشر» ٢/ ٢١١، «البحر المحيط» ٢/ ٨٨.

والأصل في هذا الباب: أن «لا» تَنْصِبُ النكراتِ خاصّةً بلا تنوين، ولا تعمل في المعارف شيئًا؛ لأنها جواب ما لا يكون إلا نكرة، وذلك أنك تسأل فتقول: هل من رجلٍ عندك؟ وهل من غلامٍ لك، فتقول: لا رجلَ عندي، ولا غلامَ لي، فكان الجواب منكّرًا مثل السؤال، والخافض والمخفوض في السؤال بمنزلة شيء واحد لا ينفصل أحدُهما عن صاحبه، فكذلك جعلت (لا) وما عَمِلتْ فيه بمنزلة شيء واحد، وحذفت منه التنوين، كما حذفت من خمسة عشر. ويجوز أن يكون العامل والمعمول فيه بمنزلة شيء واحد، كقولهم: يا ابن أمِّ، فالابن عامل في الأم؛ لأنه مضاف إليها، فجعلا بمنزلة اسم واحد وبُنِيا. هذا وجه النصب بلا[(١)].

فإن رفعتَ بها، فقلت: لا رجلٌ عندك[(٢)] ولا ثوبٌ لك، فيكون هذا جوابًا لقول القائل: هل رجل عندك؟ هل[(٣)] ثوب لك؟ فكما أن هل لا تعمل شيئًا، جعلت لا في الجواب مثلها، فرفعت ما بعدها بالابتداء وإن شئتَ جعلتَ «لا» مشبهةً بـ (ليس) فرفعت بها النكرات؛ لأن بعض العرب تجعلها بمنزلة ليس. من ذلك قوله:

فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ[(٤)]

---

(١) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) في (م) عندي.

(٣) في (ش) لا ثوب.

(٤) شطره الأول: «من صد عن نيرانها».
والبيت لسعد بن مالك بن ضبيعة من قيس ثعلبة. ينظر: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٥٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٠، «الخزانة» ١/ ٢٢٣، «المقتضب» ٤/ ٣٦٠، وفي رواية: من فر نيرانها، أي: نيران الحرب وشدتها، ومعنى: لا براح: أي لا براح لي ولا تحول، ولا أهرب منها، وابن قيس: سمى نفسه باسم جده لشهرته.

وقول العجاج:

تالله لولا أنْ تَحُشَّ[١] الطُّبَّخُ بيَ الجَحِيمَ حِين لا مُسْتَصْرَخُ[٢]

فإن كررت (لا) كقولك: لا درهم ولا دينار، جاز لك فيه[٣] الوجهان: النصبُ من غير تنوين، والرفعُ والتنوين، كالقراءتين في هذه الآية، وجاز أوجهٌ ثلاثة أيضًا يطول ذكرها[٤].

فإن قدرت الاسم بعدها مرفوعًا بالابتداء، جاز في قول سيبويه أن يكون (في الحج) خبرًا عن الأسماء الثلاثة، لاتفاق الأسماء في ارتفاعها بالابتداء. أما قوله ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فبين[٥]، وأما قوله ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ فإن (لا) مع ﴿جِدَالَ﴾ في موضع رفع، فقد اتفقت الأسماء في ارتفاعها بالابتداء، فلا يمنع من أن يكون قوله: (في الحج) خبرًا عنها[٦]. وإن قدرت لا بمنزلة ليس، لم يجز أن يكون «في الحج» منتصبًا في موضع خبر ليس، لأن الخبر لا ينتصب بلا كما ينتصب[٧] بليس، ولكنك تضمر لقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ خبرًا، لأن من شأن العرب إذا رفعت ما بعد لا وكانت لا بمنزلة ليس، حذف الخبر. وإضماره كالبيتين الذين أنشدناهما، فقوله: لا براحُ، تقديره: لا براحٌ من هاهنا، ويكون قوله :(في

---

(١) في (ش) تخش وفي (م) كأنها (يخش).

(٢) البيت في «الديوان» ص١٤، «أمالي الشجري» ١/ ٢٨٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٠.

(٣) في (ش): ولا دينار لك جاز فيه الوجهان.

(٤) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٢٧٤، ٢/ ٣٠٣، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٠-٢٧١، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٠-١٢١.

(٥) في (م) فهن.

(٦) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٨٩-٢٩٠، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧١.

(٧) سقطت من (أ)، (م).

الحج) خبرا عن (لا جدال)[١].

فأما من فتح فقال: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فحجته أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، ألا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق، كما أنه إذا قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] فقد نفى جميع هذا الجنس، وإذا رَفَع وَنَوَّنَ كان المنفيُّ الواحدَ منه، ألا ترى أن سيبويه يرى[٢] أنه إذا قال: لا غلام عندك ولا جارية، فهو جواب من سأل فقال: غلام عندك أم جارية؟[٣] فالفتح أولى؛ لأن النفي به أعم والمعنى عليه[٤]، ألا ترى أنه لم يُرَخَّص في ضَرْبٍ من الرَّفَثِ والفُسوق، كما لم يُرَخَّص في ضرب من الجدال، وقد اتفق الجميع على فتح اللام من الجدال؛ لتناول النفي جميع جنسه، فيجب أن يكون ما قبله من الاسمين على لفظه، إذ كان في حكمه[٥]، ومن رفع فحجته أنه يُعلم من الفحوى[٦] أنه ليس المنفي رفثًا

(١) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٩٠ بتصرف، وقال أبو حيان في «البحر» ٢/ ٨٨: قيل: ويجوز أن تكون لا عاملة عمل ليس، فيكون في الحج في موضع نصب، وهذا الوجه جزم به ابن عطية فقال: ولا، في معنى ليس، في قراءة الرفع، وهذا الذي جوزه وجزم به ابن عطية ضعيف؛ لأن إعمال ليس قليل جدا لم أجد منه في لسان إلا ما لا بال له، ثم ذكر أربع شواهد، ثم قال: وهذا كله يحتمل التأويل، وعلى أن يحمل على ظاهره، لا ينتهي من الكثرة بحيث تبنى عليه القواعد فلا ينبغي أن يحمل عليه كتاب الله الذي هو أفصح الكلام وأجله، ويعدل عن الوجه الكثير الفصيح.

(٢) «الكتاب» لسيبويه ١/ ٢٩٥.

(٣) من قوله: فهو جواب... ساقط من (ش).

(٤) في «الحجة»: لأن النفي قد عم.

(٥) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٩١، قال العكبري في «التبيان» ص١٢٤: «الفتح» في الجميع أقوى لما فيه من نفي العموم.

(٦) في (م) (النحوي).

واحدًا ولكنه جميع ضروبه، وقد يكون اللفظ واحدًا والمعنى المراد به الجميع، خصوصًا في النفي، فإن النفي قد يقع فيه الواحد موضع الجميع، وإن لم يُبْنَ فيه الاسمُ مع لا النافية، نحو قولك: ما[١] رجل في الدار[٢]، هذا الذي ذكرنا يكون وجه القراءتين في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ ولم يختلفوا في نصب (لا جدال). وذلك أن الرفث والفسوق متفقان في المعنى وهو النهي، كأنه قيل: لا ترفثوا ولا تفسقوا، والجدال مخالف لهما في المعنى؛ لأن معنى لا جدال في الحج أي: الحج في ذي الحجة[٣] على ما حكينا عن مجاهد وأبي عبيدة، فلما كان معنى الأولَيْن نهيًا ومعنى الثالث خبرًا، أرادوا الفرق بين اللفظين، لتكون مخالفةُ ما بينهما في اللفظ لمخالفة[٤] ما بينهما في المعنى[٥].

---

(١) في (م) (لا) وفي (أ) (هل).

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٩١-٢٩٢.

(٣) في (ش) معنى لا جدال النفي أي لا جدال أي الحج في ذي الحجة.

(٤) في (ش) (كمخالفة) وفي (م) (للمخالفة).

(٥) ينظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٢٣-١٢٤، «البحر المحيط» ٢/ ٨٨-٩٠، وقد تعقب أبو حيان في «تفسيره» ٢/ ٩٠ الزمخشري في دعواه أن قراءة أبي عمرو وابن كثير: (لا رفث ولا فسوق)، بالرفع، (لا جدال)، بالنصب، بأنهما حملا الأولين على النهي، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال، كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج، فقال: الرفع والبناء لا يقتضيان شيئا من ذلك، بل لا فرق بين الرفع والبناء في أن ما كانا فيه كان مبنيا، وأما أن الرفع يقتضي الابتداء والبناء يقتضي الخبر فلا، ثم قراءة الثلاثة بالرفع، وقراءتها كلها بالبناء يدل على ذلك، غاية ما فرق بينهما أن قراءة البناء نص على العموم، وقراءة الرفع مرجحة له، فقراءتهما الأولين بالرفع، والثالث بالبناء على الفتح إنما ذلك سنة متبعة، إذا لم يتأد ذلك إليهما إلا على هذا الوجه من الوجوه الجائزة في العربية في مثل هذا التركيب. ثم بيَّن رحمه الله الخلاف في الآية هل يراد بها النفي حقيقة فيكون إخبارا، أو صورتها صورة النفي والمراد به النهي، ورجح الثاني.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ قال أهل المعاني: معناه: يجازيكم الله العالم به، إلا أنه جعل ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ في موضع يجازيه؛ لأن المجازاة إنما تقع من عالم بالشيء، وفيه: حث لهم على فعل الخيرات، وأن الله تعالى ليس بغافل عنهم وعن مجازاتهم، ومتى علم العامل أن الذي يُعْملُ له العملُ يعلم ذلك وليس بغافل عنه كان أحرصَ على عمله[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد، ويقولون: نحن متوكلون، ثم كانوا يسألون الناس، وربما ظلموهم وغصبوهم، فأمرهم الله سبحانه أن يتزودوا[(٢)]، فقال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ ما تتبلغون به ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ ما تكفُّون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم. وفي هذا حَثٌّ على التزود للآخرة، وتنبيهٌ عليه[(٣)]؛ لأن الآية أفادت بيان الزادين، وذلك أن اللفظةَ العامة إذا أفادت فوائد ولم تكن متنافية، فلابد من استفادتها جميعًا، ويكون

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٧٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٣٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٦٩، «البحر المحيط» ٢/ ٩٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٨٢.

(٢) وردت هذه القصة عن جمع من السلف، أشهرهم ابن عباس، روى حديثه البخاري (١٥٢٣) كتاب الحج، باب: قوله تعالى: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، وأبو داود (١٧٣٠) كتاب المناسك، باب: التزود في الحج، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٤٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٧٨، والخلال في «الحث على التجارة» ص١٤٧، والواحدي في «أسباب النزول» ص٦٣، عن عكرمة عن ابن عباس، وذكر الطبري الرواية بذلك عن ابن عمر وابن عباس وعكرمة، والنخعي وابن زيد ومجاهد، دون ذكر لقوم معينين، وذكر الرواية بتعيين أهل اليمن عن مجاهد والحسن والربيع وقتادة. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٧٨-٢٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٣٦.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٢٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٨١، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١٨٢-١٨٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨٨-٣٨٩.

الجميع مرادًا باللفظ عند أهل التحقيق، فكأنه قال: إذا تزودتم تعففتم عن السؤال، وهو نوع تقوى، والتقوى زاد الآخرة(١)، قال الأعشى، وأراد هذا المعنى:

إذا أنْتَ لم تَرْحَلْ بزَادٍ من التُّقَى ولاقيتَ بعدَ المَوْتِ من قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ على أن لا تكونَ كمِثْله وأنكَ لم تَرْصُدْ كما كان أرْصَدَا(٢)

١٩٨- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال المفسرون: كان قوم يزعمون أنه ليس لجمَّالٍ ولا أَجِيرٍ ولا تاجر حج، فأعلم الله ﷻ أنه لا (جُنَاح) أي: لا حرج في ﴿أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا﴾ من رَبِّكُمْ: رزقًا من ربكم، يعني: التجارة في الحج(٣).

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٨٩: أخبر تعالى أن خير الزاد اتقاء المنهيات، فأمرهم أن يضموا إلى التزود التقوى، وجاء قوله: فإن خير الزاد التقوى، محمولًا على المعنى؛ لأن معنى (وتزودوا): اتقوا الله في اتباع ما أمركم به من الخروج بالزاد، وقيل: يحتمل أن يكون المعنى فإن خير الزاد ما اتقى به المسافر من التهلكة أو الحاجة إلى السؤال والتكفف، وقيل: فيه تنبيه على أن هذه الدار ليست بدار قرار. وبين أبو حيان أن الأقوال ثلاثة: أحدها: أنه أمر بالتزود في أسفار الدنيا. والثاني: أنه أمر بالتزود لسفر الآخرة، واختار هذا القول؛ لدلالة السباق واللحاق. والثالث: أنه أمر بالتزود في السفرين، كأن التقدير: وتزودوا ما تنتفعون به لعاجل سفركم وآجله.

(٢) البيتان للأعشى من قصيدة يمدح بها رسول الله ﷺ، «ديوان الأعشى» ص٤٦. وذكرها الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٣٨.

(٣) هذا السبب جمعه المؤلف من عدة آثار بمعناها عن ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وقتادة، وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية، فكانوا يتجرون فيها، فلما كان الإسلام كأنهم تأثموا منها، فسألوا النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، في مواسم الحج، رواه البخاري، «الفتح» (٣/ ٥٩٣)=

قال الزجاج: وموضع أن نصب، على تقدير: ليس عليكم جناح في أن تبتغوا، فلما سقطت (في) عمل فيها معنى جُناح. المعنى: لستم تأثمون أن تبتغوا، أي: في أن تبتغوا[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم﴾ معنى الإفاضة، في اللغة: الدَّفْعُ للشَّيءِ حين يَتَفَرَّق. يقال: أفاضت العينُ دَمْعَها، وأفاض بالقداح، وعلى القداح: إذا ضرب بها منبثةً متفرقة، ومنه:

وكأنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وكأنَّه يَسَرٌ يُفِيْضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ[2]

وأفاض البعير بجرته: إذا رمى بها متفرقة.

=في الحج، باب: التجارة أيام الموسم، والبيع في أسواق الجاهلية ٢/ ٢٣٩ برقم ١٧٧٠، وأبو داود في المناسك، باب: الكرى ٢/ ١٤٦ برقم ١٧٣٤، والطبراني في «الكبير» ١١/ ١١٣، والطبري ٢/ ٢٨٥ وغيرهم، وثبت عن ابن عمر نحوه، رواه الأمام أحمد ٢/ ١٥٥ برقم ٦٤٣٥ ط. شاكر. وصححه أحمد شاكر، وأبو داود، الموضع السابق حديث ١٧٣٣، والحاكم ١/ ٤٤٩ وصححه، والطبري ٢/ ٢٨٢-٢٨٤، وفيه قال أبو أمامة التيمي: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري فيزعمون أنه ليس لنا حج، فقال: ألستم تحرمون كما يحرمون، وتطوفون كما يطوفون، وترمون كما يرمون، قلت: بلى، قال: أنت حاج، جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه فلم يدر ما يقول له حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧١.

(٢) والبيت لأبي ذؤيب الهذلي خويلد بن خالد يصف الحمُرُ، ضمن قصيدة من «المفضليات» ص١٢٦، «ديوان الهذليين» ١/ ٦ والبيت في «اللسان» مادة: ريب، و صدع. والرِّبابة: بكسر الراء: الرقعة تجمع فيها قداح الميسر، واليَسَر: صاحب الميسر، شبه الأُتُن بالقداح لتجمعهن وتراكمهن، وشبه الحمار الوحشي بالضارب الذي يفرق القداح ويجمعها. وينظر: «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ١٨.

قال الراعي:

وأَفَضْنَ بعد كُظُومِهِنّ بجِرَّةٍ   من ذي الأبَاطِحِ إذ رَعَيْنَ حَقِيلا[(١)]

وأفاض القوم في الحديث، إذا اندفعوا فيه، ومنه ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾[(٢)] [يونس: ٦١] فمعنى قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ أي: دفعتم بكثرة[(٣)]، يعني دفع بعضكم بعضًا؛ لأن الناس إذا انصرفوا مزدحمين دفع بعضهم بعضًا، قال أبو إسحاق: قد دل بهذا اللفظ على أن الوقوف بها واجب؛ لأن الإفاضة لا تكون إلا بعد وقوف[(٤)].

---

(١) البيت للراعي النميري من لاميته المطولة التي كان يرمي من لم يحفظها من أولاده وحفدته بالعقوق في «ديوانه» ٥٢، وفي «جمهرة اللغة» لابن دريد ٢/ ١٧٩ وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧١٩ (فيض) والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٤٧ ويروى: من ذي الأباطل، قال ياقوت في «معجم البلدان» ٢/ ٢٧٩: قال ثعلب: ذو الأبارق وحقيل موضع واحد، فأراد: من ذي الأبارق إذا رعينه، والكَظْم: إمساك الفم، فلما ابتل مافي بطونها أفضن بجرة. والمعنى: أنها إذا رعت حقيلًا أفاضت بذي الأبارق.

(٢) ينظر في مادة (فيض): «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٤٦، «المفردات» ص٣٩٠، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٠٨، قال الزجاج في «تفسيره» ١/ ٢٧٢: وكل ما في اللغة من باب الإفاضة، فليس يكون إلا من تفرقة أو كثرة.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٢، وفي معنى الآية ثلاثة أقوال، هذا أحدها. والثاني: أن معناه: فإذا رجعتم من حيث بدأتم، وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٨٥، والثالث: أن الإفاضة: الإسراع من مكان إلى مكان. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٤٦، «النكت والعيون» ١/ ٢٦٠، «البحر المحيط» ٣/ ٨٣.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٢، قال أبو حيان في «تفسيره» ٢/ ٩٥ متعقبا هذا القول: ولا يظهر من هذا الشرط الوجوب، إنما يعلم منه الحصول في عرفة والوقوف بها، فهل ذلك على سبيل الوجوب أو الندب، لا دليل في الآية على ذلك، لكن السنة الثابتة والإجماع يدلان على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾ القراءةُ بالكسرةِ والتنوين؛ لأنها جَمْع عَرَفَة، مثل: مسلمات ومؤمنات، سميت بها بقعةٌ واحدة، مثل قولهم[(١)]: ثوبٌ أَخْلاقٌ، وبَرْمَةٌ أَعْشَار، وأرضٌ سَبَاسبٌ[(٢)]، يجمع بما حولها، فلما سميت بها البقعة الواحدة صرفت، إذ كانت مصروفة قبل أن تسمى بها البقعة، تركًا منهم لها على أصلها[(٣)].

فإذا كانت في الأصل اسمًا لبقعة ولم يكن جمعًا لواحد معروف تركوا إجراءها، مثل: عانات وأذرعات[(٤)]؛ لأنها ليست بجمع عانة ولا أذرعة، ففرقوا بين الواحد والجمع[(٥)]، وعلى هذا تتوجه قراءة أشهب العُقَيلي: (من عرفاتَ)، مفتوحة التاء، جعلها اسمًا واحدًا، مثل: عانات وأذْرِعَات.

---

(١) ثوب أخلاق: الثوب الذي بلي كله، ومعنى خلق، أي: بلي، وبرمة أعشار، وقدور أعاشر: مكسرة على عشر قطع، أو عظيمة لا يحملها إلا عشرة، والبرُمة: بالضم قدر من حجارة. والسبسب: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة، يقال: بلد سبسب، وسباسب.

(٢) في (م): سباب.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٤-١٦٥، «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٢٣٢-٢٣٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٨٥-٢٨٦، ورجح الطبري أنه اسم لواحد، سمي بجماع، فإذا صرف ذهب به مذهب الجماع الذي كان له أصلًا، وإذا ترك صرفه ذهب به إلى أنه اسم لبقعة واحدة معروفة، فترك صرفه كما يترك صرف أسماء الأمصار والقرى المعارف. واستدرك أبو حيان في «البحر» ٢/ ٨٣ على من زعم أنها جمع، بأنه إن عنى في الأصل فصحيح، وإن عنى حالة كونه علما فليس بصحيح؛ لأن الجمعية تنافي العلمية.

(٤) أذرعات: موضع بالشام بين دمشق وعمان، وعانات، ويقال عانة: موضع في العراق على نهر الفرات.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٤٩.

قال أبو إسحاق: في قوله: ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ الوجه كسرها مع التنوين، وهي اسم لمكان واحد، ولفظه لفظ الجمع، والوجه فيه: الصرفُ عند جميع النحويين؛ لأنه بمنزلة الزيدين يستوي نصبُه وجَرُّه، وليس بمنزلة هاء التأنيث[(١)][(٢)].

هذا كلامه، ومعناه: أن عرفات بمنزلة مسلماتٍ، وهو معنى قوله: لأنه بمنزلة الزيدين، وهي وإن كانت اسمًا لمكان واحد لفظه جمع كما بينا، بخلاف عانات.

قال: وقد يجوز منعه الصرف إذا كان اسمًا للواحد، إلا أنه لا يكون إلا مكسورًا، وإن أسقطت التنوين، وأنشد:

تَنَوَّرْتُها من أَذْرعاتٍ وأَهْلُهَا ... بيَثْرِبَ أدْنَى دَارِها نَظَرٌ عَالِ[(٣)]

الرواية بالتنوين، وقد أُنْشِدَ بغير التنوين، فأما الفَتْحُ فَخطأ[(٤)]؛ لأن نصبَ الجميع غير المُنْصِرف وجرَّه كَسْر[(٥)].

---

(١) قوله: وليس بمنزلة هاء التأنيث ساقط من (ش).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٢.

(٣) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ص١٢٤. «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٢٣٣، «الخزانة» ١/ ٢٦، والضمير في قوله: تنورتها للمرأة التي يذكرها، وتنور النار: أبصرها من بعيد، والمعنى: لاح نور المرأة في الظلماء وهو بأذرعات بلد الشام وهي بيثرب (المدينة)، ثم يقول: أقرب ما يرى منها لا يرى إلا من عال في جو السماء، يصف بُعْدَ ما بينه وبينها، ومع ذلك فقد لاحت له في الليل من هذا المكان البعيد.

(٤) النحويون على إجازة الأوجه الثلاثة؛ لأنه ليس جمعا. ينظر الأشموني ١/ ٧٥، وممن أنشد البيت بغير تنوين: المبرد في «المقتضب» ٣/ ٣٣٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٢، والعبارة الأخيرة عنده هكذا: لأن نصب الجمع وفتحه كسر.

فعنده (من عرفاتَ) وهو قراءة العقيلي خطأ؛ لأن هذه التاء لا تفتح، وعند غيره إذا كان المراد به اسمًا واحدًا يجوز أن تفتح؛ لأنها ليست بتاء جمع يجري لفظه على ما كان يجري قبل التسمية، وعلى هذا جاء عرفات، قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ فالذي ذكره أصحابنا التنوين، أجازوا ترك التنوين.

قال[١]: وذكر المبرد أن الفتح فيه لا يجوز[٢]، فلا يجوز عنده أن تقول: رأيت عرفاتَ ومسلماتَ، إذا سميت بها رجلًا، قال: ورأيت من النحويين من يقول ضد هذا، يقول: إذا حذفت التنوين لم يجز إلا الفتح، قال: وكلام سيبويه[٣] عندي يدل على هذا، ولم يفصح بفتح ولا كسر، هذا معنى كلام السيرافي[٤]، وهو موافق لما ذكرنا وحكينا.

واختلفوا لم سميت تلك البقعة عرفات؟[٥]

فقال الضحاك: إن آدم ﷺ لما أُهْبِطَ، وقع بالهندِ، وحَوَّاء بِجُدَّة، فجعل آدم يطلب حواءَ، وهي تطلبه، فاجتمعا بعرفات يومَ عَرَفَة، وتَعَارَفا، فسمي اليوم عَرَفَة، والموضع عرفات[٦].

---

(١) الظاهر عود الضمير على الزجاج في المواضع الثلاثة الآتية، ولم أجد هذا النقل في كتابه، إلا أن يكون في الكلام سقط، أو في «معاني القرآن» للزجاج نقص.

(٢) «المقتضب» للمبرد ٣/ ٣٣١-٣٣٤.

(٣) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٤) السيرافي: الحسن بن عبدالله بن مرزبان السيرافي أبو سعيد، تقدمت ترجمته ٣/ ٣٢٨ [البقرة: ١٢٩].

(٥) ذكر المفسرون أقوالًا كثيرة في سبب تسمية البقعة عرفات. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٨٦، «النكت والعيون» ١/ ٢٦١، «التفسير الكبير» ٥/ ١٨٨-١٩٠.

(٦) ذكره الثعلبي ٢/ ٥٤٩، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٢٨، وابن الجوزي في «زاد=

وقال عطاء: إن جبريل عليه السلام كان يُرِي إبراهيمَ المناسكَ، فيقول: عَرَفْتُ، ثم يريه فيقول: عرفتُ، فسميت عرفات[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: بالدُّعاء والتَّلْبية[(٢)] ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو المزدلفة[(٣)]، وتسمى أيضًا جَمْعًا؛ لأنه يجمع فيها بين صَلاتَي العشاءِ[(٤)].

=المسير» ٢/ ١٧٤، وروى الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» ١/ ١٢١ عن ابن عباس نحوه، وقال ابن كثير: وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهما، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات، والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى أو رسوله.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، القسم الأول من الجزء الرابع ٢٩١، ورواه الفاكهي في «أخبار مكة» ٥/ ٩، والطبري ٢/ ٢٨٦، والثعلبي ٢/ ٥٥٤، وروى الإمام أحمد ١/ ٢٩٧، وغيره عن ابن عباس نحوه.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٢.

(٣) اختلف في المراد بالمشعر الحرام، فقيل: هو الجبل الذي بالمزدلفة، ويسمى جبل قزح، وهذا قول لبعض المفسرين، وهو الذي صححه الزمخشري. والأكثرون على أن المزدلفة كلها هي المشعر الحرام، قال الطبري ٢/ ٢٨٧: فأما المشعر، فإنه ما بين جبلي المزدلفة من مأزِمَي عرفة إلى محسر، وليس مأزما عرفة من المشعر، وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ثم ذكر الرواية به عن ابن عمر وابن عباس وابن جبير ومجاهد وعطاء والسدي والربيع. ثم ذكر الطبري أنه يحتاج للحاج أن يجعل وقوفه لذكر الله من المشعر الحرام على قُزح وما حوله؛ لحديث: هذا الموقف، وكل مزدلفة موقف.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٤، «تفسير البغوي» ١/ ٢٢٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٣٨، وهذا قول، وقيل: لأن الناس يجتمعون بها، وذلك أن قريشا كما سيأتي لا يخرجون إلى عرفات، فيكون اجتماع الحجيج في المزدلفة. ينظر: «معجم البلدان» [مزدلفة]، «اللسان» ٤/ ٢٢٧٧، وذكر قولا آخر، وهو: أنها سميت بذلك لأن آدم وحواء لما هبطا اجتمعا بها.

وتسمى مشعرًا من الشِّعَار، وهو العلامة؛ لأنه مَعْلَم الحج. والصلاةُ[١] والمقامُ والمبيتُ به والدعاءُ عنده من معالم الحج[٢]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾. وقولُه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ موضَع الكاف نَصْب.

المعنى: واذكروه ذكرًا مثل هدايته إياكم، أي: يكون جزاءً لهدايته[٣]، ومعنى(اذكروه) بتوحيده والثناء عليه والشكر له[٤].

قال سيبويه: يقال: ذَكَرْته ذِكرًا مثل: حَفِظْتُه حِفْظًا[٥]. وقالوا: ذُكرًا كما قالوا: شُربًا[٦].

والذكر في كلام العرب على ضَرْبين: ذكر هو خلاف النسيان، وذكر هو قول[٧]، فمما هو خلاف النسيان قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ [الكهف: ٦٣] والذكر الذي هو قولٌ يستعمل على ضربين: قول لا ثلبَ فيه للمذكور، كقوله: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وهو كثير.

---

(١) سقطت من (م).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٢، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٨٧، ونقل الثعلبي، عن المفضل: سمي المشعر لأنه أُشْعِرَ المؤمنون أنه حرم كالبيت ومكة، أي: اعملوا.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) «الكتاب» لسيبويه، لم أعثر عليه فيه. ونقله عنه في «اللسان» ٣/ ١٥٠٧ «ذكر».

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة»، ونقل عن الفراء قوله: الذِّكر: ما ذكرته بلسانك وأظهرته. قال: والذُّكر بالقلب، يقال: ما زال مني على ذُكر، أي: لم أنسه.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٨٦-١٢٨٧، نقله عن الليث، «لسان العرب» ٣/ ١٥٠٨ «ذكر».

والآخر: يراد به ثلب المذكور، كقوله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠][١]. ومن ذلك قول الشاعر:

يذكركم منا عدي بن حاتم لَعَمْري لقد جِئْتُم حبولًا ومائما[٢]

ويقال في مصدره أيضًا: ذِكرى[٣].

وإنما أعاد الأمر بالذكر بعد قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ مبالغة في الأمر، وزيادة في الحث. وأكثر ما يكون التكرير في الأمر والنهي، كقولهم للرجل: اِرْمِ اِرْمِ. على أنَّ هذا التكرير حَسُنَ هاهنا؛ لأن اللفظةَ الثانيةَ لم تلاصِقِ الأُوْلى، وأيضًا فإن الأمر الثاني موصول بما لم يَصِلْ به الأول، وكانت الإعادة لما تعلق به من قوله: ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾[٤].

---

(١) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/١٢٨٧ «ذكر»، عن الفراء والزجاج بيان أن الذكر يكون مدحا ويكون عيبا، ونقل عن بعضهم أنه أن يكون الذكر عيبا. وينظر أيضا: «تفسير الرازي» ٥/١٩٣-١٩٤، ونقله بحروفه.

(٢) البيت لم أهتد إلى قائله، ولا من ذكره.

(٣) ينظر في مادة: (ذكر) «تهذيب اللغة» ٢/١٢٨٦-١٢٨٨، «اللسان» ٣/١٥٠٧-١٥٠٩ «ذكر»، «المفردات» ص١٨٤ وقال: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر . ثم ذكر الأمثلة على ذلك، ولخص كلامه السمين الحلبي في «عمدة الحفاظ» ٢/٤٢-٤٥.

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/١٩٢-١٩٣، وذكر وجوها أخر.

وقال ابن الأنباري معنى قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ أي: اذكروه بتوحيده كما ذكَرَكُم بهدايته(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبل هداه، فالهاء كناية عن الهدى لدلالة هدى عليه(٢)، وتأويله: ما كنتم من قبل إلا ضالين، كقوله: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] يعني: ما نظنك إلا من الكاذبين(٣).

١٩٩- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ ذكرنا معنى الإفاضة.

و(حيثُ) حقُّها البناء؛ لأنها مُنِعَتْ الإضافةُ مع لزوم معنى الإضافة لها، ولمَّا لزمت معنى الإضافة إلى الجملة، صارت بمنزلة الأسماء الناقصة التي تحتاج إلى صِلَةٍ كالذي ونحوه، والاسم الناقص بمنزلة بعض الكلمة، وبعض الكلمة حرفٌ يستحق البناء، فأما بناؤها على الضم: فلأنها بمنزلة الغاية كقبلُ وبعدُ، من جهة أنها مُنِعت الإضافة، مع لزوم معنى الإضافة، ولو أُعربت لاستحقت النصب والجر فقط؛ لأنها ظرف، والظروف لا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) واختاره الطبري ٢/ ٢٩١، وقيل: راجعة إلى الرسول ﷺ، كناية عن غير مذكور، وقيل: راجعة إلى القرآن، ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٦، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠، «البحر المحيط» ٢/ ٩٨.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٦، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠، «تفسير الرازي» ٥/ ١٩٥، وحكى الطبري وجها مفاده: أن إنْ بمعنى قد، والمعنى: وقد كنتم من قبل ذلك من الضالين، وهذا مذهب الكسائي كما في «البحر المحيط» ٢/ ٩٨.

تُعْرَبُ إلا بالجر والنصب[١]، فإذا أعربت بالرفع لم تكن ظَرفًا، فلما بنيت جعلت على حركة لا تكون لها في حال الإعراب، ويجوز فيها الفتح لأجل الياء، كما فتحت أين و كيفَ، ويجوز الكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين[٢].

قال عامة أهل التأويل: كانت الحُمْسُ[٣] لا يَخْرجون من الحرم إلى عرفات، إنما يقفون بالمزدلفة، ويقولون: نحن أهلُ الله، وقُطَّانُ حَرَمه، فلا نخرج من الحرم، ولسنا كسائر الناس، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفات كما يقف سائرُ الناس، حتى تكون الإفاضة معهم منها، فالناس في هذه الآية: هم العربُ كلُّها غيرُ الحُمس، وإنما أتى الله تعالى بالجمع المبهم لانكشاف معناه عند المخاطبين، هذا قول جمهور المفسرين[٤].

---

(١) في (م): بالنصب والجر.

(٢) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٣ حيث بين أنها ظرف للمكان، ٣/ ٢٨٦، ٢٩٩، «مغني اللبيب» ص١٧٦-١٧٨ (ط. دار الفكر) «لسان العرب» ٢/ ١٠٦٤-١٠٦٥ «حيث».

(٣) الحُمس: تقدم بيانه عند قوله: (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) ٣/ ٦٢٧، البقرة: ١٨٩].

(٤) ذكر الرواية بذلك: الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩١-٢٩٣ عن عائشة وابن عباس وعروة وعطاء ومجاهد وقتادة والسدي والربيع وابن أبي نجيح، وحديث عائشة رواه البخاري (٤٥٢٠) كتاب التفسير، باب: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، ومسلم (١٢١٩) كتاب الحج، باب: في الوقوف وقوله: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، كما رواه البخاري (١٦٦٤) كتاب الحج، باب: الوقوف بعرفة، ومسلم (الموضع السابق) (١٢٢٠) من حديث جبير بن مطعم.

قال الطبري ٢/ ٢٩٣: والذي نراه صوابا من تأويل هذه الآية: أنه عُني بهذه الآية=

وعلى هذا يبقى إشكال في النَّظْم؛ لأن الله تعالى ذَكَر الإفاضة من عرفاتٍ قبل هذا في قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾، وبيَّنا أن في ذكر الإفاضة منها بيانَ وجوب الوقوف، فكيف يسوغ أن يقول: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ثم أفيضوا من عرفات، ووجه هذا: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رَفَثَ ولا فسوق ولا جدال في الحج، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله[(١)].

وقال بعضهم: المراد بالإفاضة في هذه الآية: الدَّفْعُ من مزدلفةَ إلى مِنَى، وأراد بالناس: الحُمْس، فإنهم كانوا يفيضون من المزدلفة إلى منى ولا يفيضون من عرفات. والله تعالى ذكر أولًا الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة، ثم أمر بالإِفَاضَة من المزدلفة إلى منى[(٢)].

والحكم في الوقوف بعرفة والإفاضتين، هو أن الغرض[(٣)] من الوقوف بعرفة الحصولُ فيها مجتازًا أو ماكثًا، مستيقظًا أو نائمًا، عالمًا أنه بعرفة أو جاهلًا. والكمال في الصبر إلى غروب الشمس.

فإن أفاض قبل الغروب أراق دمًا، وما بين زوال الشمس من يوم

=قريش، ومن كان متحمسا معها من سائر العرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله. وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠، «تفسير الرازي» ٥/ ١٩٦.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٨، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٩٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠، وذكر قولا آخر: أن ثم بمعنى الواو، أي: وأفيضوا، كقوله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ [البلد: ١٧].

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠.

(٣) في (ش): الفرض.

عرفة إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر وَقْتُ إدراك الحج، فمن أدرك عرفة في هذا الوقت تم حجه.

فإذا أفاضوا من عرفة إلى المزدلفة باتوا بها، ومن ترك المبيت بها فعليه دم[١]، ويجمعون هناك بين صلاتي العشاء، ولهذا يسمي: جمعًا[٢]، ويسمى أيضًا: قُزَح والمشعر[٣]. فإذا أصبحوا بها غَلّسوا بالصبح.

ثم وقفوا عند المشعر الحرام وهو آخر حد مزدلفة. والمزدلفة من الحرم كلها، ثم لا يزالون يدعون ويذكرون الله تعالى حتى يقاربوا[٤] طلوع الشمس، ثم يروحون من مزدلفة قبل الطلوع خلافَ العادةِ في الجاهلية[٥]، فإنهم كانوا يصبرون إلى الطلوع، ويقولون: أَشْرِقْ ثَبِيْر[٦] كيما نُغِير[٧]،

(١) ينظر: «الأم» ٢/ ٢٣٣، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٣١٣، «المجموع» ٨/ ١٣٤، «المغني» ٥/ ٢٨٤.

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٤.

(٤) في (ش): يفارقوا.

(٥) ينظر: «الأم» ٢/ ٢٣٣، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٣١٣، «المجموع» ٨/ ١٣٤، «المغني» ٥/ ٢٨٤، «صحيح البخاري» (١٦٨٤) كتاب الحج، باب: متى يدفع من جمع، «سنن أبي داود» (١٩٣٨) والترمذي كتاب الحج، باب: الإفاضة من جمع قبل طلوع الشمس ٣/ ٢٤٢ (٩٨٦)، والنسائي كتاب الحج، باب: الصلاة بجمع ٥/ ٢٦٥.

(٦) هو ثبير غيناء، ويسمى أيضا: ثبير الأثبرة، أي: كبيرها، وتسميه عامة أهل مكة اليوم: جبل الرخم، وهو المقابل لجبل النور (حراء) من الجنوب والمشرف على منى من الشمال. «معجم البلدان» ٢/ ٧٣، «معالم مكة» للبلادي ص٥٥.

(٧) رواه البخاري (١٦٨٤) كتاب الحج، باب: متى يدفع من جمع، عن عمر بن الخطاب ﷺ.

ومعناه: أشرق يا ثبير بالشمس كيما نَدْفَعَ من مزدلفَةَ، فندخل في غَورِ الأرض، وهو المنخفض منها، وذلك أنهم إذا جاوزوا المزدلفة صاروا في هبوط من الأرض، وهناك بطن وادي محسر، والوادي فاصل بين حد مزدلفة وحد منى[(١)].

وذهب الزُّهري[(٢)] إلى أن (الناس) في هذه الآية: آدم -عليه السلام- واحتج بقراءة سعيد بن جبير: (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي[(٣)]). وقال: هو آدم، نسي ما عُهد إليه.

وروي أنه قرأ (الناسِ) فاكتُفي[(٤)] من الياء بالكسرة[(٥)].

---

(١) المحَسِّر: وادٍ ليس من منى ولا المزدلفة، بل هو واد برأسه، وهو واد صغير يأتي من الجهة الشرقية لثبير الأعظم من طرف ثقبة، ويذهب إلى وادي عرَنة، فإذا مر بين منى ومزدلفة، كان الحد بينهما، والمعروف منه للعامة ما يمر فيه الحاج بين مزدلفة ومنى، وله علامات هناك منصوبة. «معجم البلدان» ٥/ ٦٢، «معالم مكة» ص٢٤٨.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٧٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٣١، «زاد المسير» ١/ ٢١٤، «تفسير الرازي» ٥/ ١٩٧.

(٣) في (ش): الناس.

(٤) في (ش) و (أ): اكتفى.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٧٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٣١، وابن جني في «المحتسب» ١/ ١١٩، وابن خالويه في «مختصر شواذ القراءات» ص٢٠، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧٧، وقال: وقرأ سعيد بن جبير: الناسي، وتأوله: آدم عليه السلام، ويجوز عند بعضهم: تخفيف الياء فيقول: الناس كالقاض والهاد، قال ابن عطية: أما جوازه في العربية فذكره سيبويه، وأما جوازه مقروءًا به فلا أحفظه. وبها قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورق العجلي: الناسي، بإثبات الياء، ينظر: «زاد المسير» ١/ ٢١٤.

وقال الضحاك: الناسُ هاهنا: إبراهيم عليه السلام[(١)]، وهذا كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: نعيم بن مسعود[(٢)] ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني: أبا سفيان، وإنما يقال هذا للذي يُقْتَدى به ويكون لسان قومه[(٣)].

قال ابن الأنباري: وإيقاع الجمع على الواحد جائز، كما تقول العرب: خرج زيدٌ إلى البصرة في السفن، وإلى الكوفة على البغال.

٢٠٠- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ ذكرنا معاني القضاء عند قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] وأراد هاهنا: أَدَّيْتُم؛ لأنه يقال: قضى ما عليه، إذا أداه. كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة: ١٠] يعني: الجمعة، ولا يُتَصَوَّرُ فيها قَضَاءٌ دون الأداء، وأصلُ هَذَا يؤول إلى إحكامه بالفراغ منه[(٤)].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٥٤، وينظر: «النكت والعيون» ١/ ٢٦١، «زاد المسير» ١/ ٢١٤، وبين الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٣: أنه لولا إجماع الحجة لكان الأولى بتأويل الآية قول الضحاك؛ لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من مزدلفة، وقبل وجوب الذكر عند المشعر الحرام، وقد تقدم الأمر بها، فالأمر هنا إنما هو بالإفاضة من الموضع الذي لم يفيضوا منه دون ما أفاضوا منه.

(٢) هو: أبو سلمة، نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، صحابي مشهور، هاجر إلى الرسول ﷺ يوم الخندق، وهو الذي خذَّل المشركين واليهود حتى صرفهم الله، سكن المدينة، قُتِلَ في وقعة الجمل في أول خلافة علي، وقيل في خلافة عثمان. ينظر: «الإصابة» ٣/ ٥٦٨، «أسد الغابة» ٥/ ٣٤٨.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٩٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٦٩، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٠-٢٣١، «التفسير الكبير» ٥/ ١٩٦.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٥، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٨٥-٢٩٨٧ «قضى»، «المفردات» ص٤٠٦-٤٠٨، وقال الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٩٩: اعلم أن القضاء=

والمناسك: جمع مَنْسَك الذي هو مصدر، بمنزلة النُّسُك، أي: إذا قضيتم عبادتكم التي أُمِرْتُم بها في الحج[١]، وإنْ جَعَلْتَها جَمْعَ مَنْسَك الذي هو موضع العبادة، كان التقدير: فإذا قضيتم أعمالَ مناسِكَكُم، فيكون من باب حذف المضاف[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾ قال أكثرُ أهل التفسير: كانت العربُ إذا فَرَغوا من حَجِّهم ذكروا مآثرَ آبائِهم ومفاخِرَهم، فأمرهم الله ﷻ بذكره، فقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم، وأحسنت إليكم وإليهم[٣].

=إذا علق بفعل النفس فالمراد به: الإتمام والفراغ، وإذا علق على فعل الغير، فالمراد به الإلزام، نظير الأول: قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾، ونظير الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، وإذا استعمل في الإعلام فالمراد أيضا ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعني: أعلمناهم، إذا ثبت هذا فنقول: قوله تعالى: (فإذا قضيتم مناسككم)، لا يحتمل إلا الفراغ من جميعه.اهـ بتصرف.

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١٩٩، «زاد المسير» ١/ ٢١٥، وذكر أن القائلين بأن المناسك هي المتعبدات قد اختلفوا في المراد بها هاهنا على قولين: أحدهما: أنها جميع أفعال الحج، قاله الحسن. والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد. وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٠٣.

(٢) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٩٩، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧٨ وقال: والمناسك عندي العبادات في معالم الحج، ومواضع النسك فيه.

(٣) نقله عن الثعلبي مختصرًا «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٨٣، وقد جمعه الثعلبي من روايات عدة عن الصحابة والتابعين، وذكر الطبري ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، الرواية بذلك عن أنس ومجاهد وأبي وائل وأبي بكر بن عياش وقتادة وسعيد بن جبير وعكرمة، وينظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٧٩، «أخبار مكة» للفاكهي ٤/ ١٤٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٥٥، «الدعاء» للطبراني ٢/ ١٢٠٨، «العجاب» ١/ ٥١١.

قال أبو إسحاق: كانت العرب إذا قضت مناسكها وقَفَتْ بين المسجد بمنى وبين الجبل، فَتُعَدِّدُ فَضَائل آبائها، وتذكر محَاسِنَ أيامهم، فأمر الله تعالى أن يجعلوا ذلك الذكرَ له، وأن يزيدوا على ذلك الذكر، فيذكروه بتوحيده، وتعديد نِعَمه؛ لأنه إن كانت لآبائهم نِعَمٌ فهي من الله ﷻ، وهو المشكور عليها[1]، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[2].

وقال في بعض الروايات[3]: وهو قول الربيع[4] والضحاك[5]: أرادَ: فاذكروا الله كذكركم آباءكم وأمهاتكم، فاكتُفي بالآباء من الأمهات، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] قالوا: وهو قول الصبي الصغير أول ما يُفْصِحُ الكَلام: أَبَهْ أَبَهْ، أَمَّهْ أَمَّهْ، أي: الهجوا بذكر ربكم في جميع أحوالكم، كما يلزمُ الصبيُّ[6] في صِغَرِه ذكرَ أبيهِ وأُمِّه[7].

وقال ابن الأنباري في هذه الآية: إن العربَ كان أكثر أقسامها في الجاهلية بالآباء، كقولهم: وأبي وأبيك وأبيكم وجدكم. فقال الله تعالى:

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٤.

(٢) رواه عن عطاء: الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ١٤٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٥٦، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٤٥١، وذكره الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٩٨.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٧ من طريق عطية العوفي عنه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٨٣.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٩٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٥٨٤، والرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٠.

(٥) انظر السابق.

(٦) من قوله: (الصغير...) ساقط من (أ) (م).

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥٨٤.

عَظِّموا الله تعالى كتعظيم آبائكم[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ يعني: وأشدّ[٢]، والعامل فيه: الكاف في قوله[٣]: ﴿كَذِكۡرِكُمۡ﴾، وموضعه جر، وإن شئت جعلت العامل فيه: الفعل في (اذكروا)، فتكون نصبًا[٤].

وهذا الذكر المأمور به هو التكبير أيام منى، وقيل: إنه الدعاء لله ﷻ في تلك المواطن[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ..﴾ إلى آخر الآية قال ابن عباس: هم المشركون، كانوا يسألون المال والإبل والغنم، وكانوا يقولون: اللهم اسْقِنا المَطَر، وأَعْطِنا على عَدُوِّنا الظَّفَر، ويسألون التوسعة عليهم في

---

(١) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٢٠٠-٢٠١، وينظر: «زاد المسير» ١/ ٢١٥، وقال: وهذا مروي عن الحسن أيضًا، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٣.

(٢) «التبيان» ١/ ١٦٤، قال في «البحر المحيط» ٢/ ١٠٣: و(أو) هنا قيل: للتخيير، وقيل للإباحة، وقيل: بمعنى: بل أشد.

(٣) في (م): (كقوله).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٤، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٢٤، «التبيان» ص١٢٥-١٢٦، وقد اعترض أبو حيان في «البحر» ٢/ ١٠٣ على إعرابه بذلك، وبين سبب الاعتراض، وأطال في ذكر الأعاريب الضعيفة، ثم قال: والذي يتبادر إلى الذهن في الآية أنهم أمروا بأن يذكروا الله ذكرًا يماثل ذكر آبائهم أو أشد، وقد ساغ لنا حمل الآية على هذا المعنى بتوجيه واضح ذهلوا عنه، وهو أن يكون أشد منصوبا على الحال، وهو نعت لقوله (ذكرًا) لو تأخر، فلما تقدم انتصب على الحال، ويكون إذ ذاك: أو ذكرا أشد، معطوفا على محل الكاف من (كذكركم)، ثم ذكر وجهًا آخر.

(٥) والأول: اختيار الطبري ٢/ ٢٩٨، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٢٠٠، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٣.

الدنيا، ولا يسألون حظًا في الآخرة لأنهم كانوا غير مؤمنين بالآخرة[١].

وحذف مفعول ﴿ءَاتِنَا﴾ من الكلام، وهو المسؤول من الدنيا؛ للعلم[٢].

٢٠١- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ الآية.

هؤلاء المسلمون يسألون الحظ في الدنيا والآخرة. قال ابن عباس في رواية عطاء: أمّر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه[٣] عام الفتح على الموسم، ثم بعث عليًا رضي الله عنه بسورة التوبة، وصلى أبو بكر بالناس في الموسم، وعَرَّفَهُم مناسكهم.

ولما[٤] قَضَوْا حَجَّهم ومناسكهم ذكروا الله أشد من ذكرهم آباءهم، فكان أول من قال: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ أبو بكر، ثم اتبعه علي والناس أجمعون[٥].

قال ابن عباس: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يريد: العملَ بما يُرضِي الله، وأكلَ الحلال، والزوجةَ الصالحة، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ يريد: الجنةَ

---

(١) رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٥٧، وهو مروي عن أنس ومجاهد وقتادة والسدي وأبي وائل وأبي بكر بن عياش، وابن زيد ومقاتل بن حيان. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) «التفسير الكبير» ٥/ ٢٠٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٤-١٠٥، وقال: حذف مفعولي آتى، وأحدهما جائز اختصارا واقتصارا؛ لأن هذا من باب: أعطى، وذلك جائز فيه.

(٣) قوله: (أبا بكر ﷺ) سقطت من (م).

(٤) في (م): (فلما).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٠٧، وأبو حيان في «البحر» ٢/ ١٠٥.

والحور العين، والنعيم المقيم[١].

وروى مجاهد، عن ابن عباس قال: عند الركن اليماني مَلَكٌ قائم منذ خلق الله السموات والأرض يقول: آمين، فقولوا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار[٢].

ولفظ الحسنة في الآية منكّرة مبهمة محتملة لكل حسنة من الحسناتِ على البدل، وأَتَمُّها ما قال ابن عباس[٣].

---

(١) هذه من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٠/ ٣٦٨، والفاكهي في «أخبار مكة» ١/ ١١٠، والآجري في «مسألة الطائفين» ٣٣، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» ٣٠١، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٣/ ٤٥٣ كلهم من طريق عبد الله بن مسلم بن هرمز عن مجاهد به، وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الله بن مسلم. ينظر: «التقريب» ص٣٢٢ (٣٦١٦)، وضعفه الدكتور/ المنيع في تحقيقه لـ «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٠٠، ورواه الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ٣٤١ بهذا السند موقوفا على مجاهد، وله شاهد من حديث أبي هريرة، رواه ابن ماجه (٢٩٥٧) كتاب: المناسك، باب: فضل الطواف، عن حميد بن أبي سوية، قال: سمعت ابن هشام يسأل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني، وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثني أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: وُكِّل به سبعون ملكًا، فمن قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، قالوا: آمين، الحديث، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢/ ١٣٥: إسناده ضعيف، حميد قال فيه ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة، وقال الذهبي: مجهول، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (٦٤٠).

(٣) والمروي عن السلف كله مقارب لهذا في المعنى، تنظر المرويات في ذلك عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٠-٣٠١، واختار الطبري أن المراد بالحسنة عام، فيشمل كل ما قيل فيها، وأما حسنة الآخرة فالجنة؛ لأن الله لم يخص شيئا من=

قال أهل المعاني: والفائدة في الإخبار عنهم بهذا الدعاء: الاقتداء بهم فيه، وذلك أنه لما حذر من الدعاء الأول رغب في الثاني. والإيتاء منقول من الأتي الذي هو المجيء[١]، يقال: أَتَى، إذا كان منه المجيء، وأتى إذا حَمَلَ غيرَه[٢] على المجيء. يقال: آتاه ما يحب، وأتاه غير ما يحب، إذا جعله يأتيه ذلك الشيء، ثم يفسر الإيتاء بالإعطاء، وأصله ما ذكرنا[٣].

٢٠٢- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: ثوابَ ما عملوا[٤].

وقال أبو إسحاق: أي: دعاؤهم مستجاب؛ لأن كَسْبَهُم هاهنا الذي ذكر: الدعاء[٥].

وقيل: معناه: لهم نصيب من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه، خلاف من بطل عمله فلم يكن[٦] له منه حظ[٧].

=معاني الحسنة ولا نصب على خصوصه دلالة فوجب إبقاؤه على عمومه، وحكى ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨٠ أن حسنة الآخرة الجنة بإجماع، وقال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨: والذي عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحسنتين: نعم الدنيا والآخرة، وهذا هو الصحيح، فإن اللفظ يقتضي هذا كله.

(١) في (م): (من المجيء).

(٢) في (أ) (م): (غير).

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة»، «المفردات» ١٨، «لسان العرب» ١/ ٢١-٢٤ «أتى».

(٤) لعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في القسم الدراسي.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٥.

(٦) في (م) (ينزل).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٢، ورواه عن قتادة وابن زيد، ينظر: «تفسير الثعلبي»=

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ سريع فاعل من السُّرْعَة. قال ابن السِّكِّيْت: يقال: سَرَع يَسْرُع سَرَعًا وسُرْعة فهو سريع(١).

والحساب: مصدر كالمحاسبة، وربما سمي المَحْسُوبُ حِسَابًا، ومعنى الحساب في اللغة: العد، يقال: حَسَب يَحْسُبُ حِسَابًا وحِسَابةً وحِسْبَةً وحَسْبًا؛ إذا عَدّ، ذكره الليث وابن السكيت، وأنشد قول النابغة:

وأَسْرَعَتْ حِسْبَةً في ذلك العَدَد(٢)

وقول آخر:

يا جُمْلُ أَسْقَاكِ بلا حِسَابَهْ(٣)

= ٢/ ٦٠١، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٠٥، وكلا القولين اللذين ذكرهما (المصنف) على اعتبار أن أولئك عائدة للصنف الثاني، وهم المؤمنون، وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠١، ودليله: أنه قال في حق الصنف الأول: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، فذكر جزاءهم، ثم ذكر الصنف الثاني، وهذا جزاؤهم. ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٢٠٥، «الدر المصون» ٢/ ٣٤٣، وقيل: إن أولئك تعود إلى الفريقين مثل قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٩].

(١) نقله في «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤١٠، ونقله عن الواحدي بغير عزو: الرازي في «تفسيره» ٥/ ٢٠٦.

(٢) صدره: فَكَمَّلَتْ مائةً فيها حمامَتُها

«ديوان النابغة» ص٢٥، «لسان العرب» ٢/ ٨٦٥ (حسب).

(٣) ورد الرجز هكذا:

يا جمل أُسْقِيْتَ بلا حسابه * سُقْيًا مَلِيكٍ حَسَنِ الرِّبَابَه * قتلتني بالدل والخلابة

والرجز لمنظور بن مَرْثَد الأسدي، في «لسان العرب» ٢/ ٨٦٥ (حسب)، وقال: وأورد الجوهري الرجز: يا جُمْل أسقاكِ، وصواب إنشاده: يا جُمْلُ أُسْقِيت، و«التنبيه والإيضاح» ١/ ٦٢، «تاج العروس» ١/ ٤١٩. «المعجم المفصل» ٩/ ٥١. والرِّبابة: القيام على الشيء بإصلاحه وتربيته، والخِلابة: أن تخلب الأمة قلب الرجل بألطف القول وأعذبه.

والحَسَبُ: ما عُدَّ، ومنه :حَسَب الرجل: وهو ما يُعَدُّ من مآثره ومَفَاخره، والاحتساب: الاعتدادُ بالشيء[1].

وقال الزجاج: الحساب في اللغة: مأخوذ من قولهم: حَسْبُك كذا، أي: كفاك، فسمى الحساب في المعاملات حسابًا؛ لأنه يعلم به ما فيه كفاية، وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان[2].

وأما التفسير، فإن[3] ابن عباس حَمَلَ الحساب، هاهنا ،على حساب المذكورين في هذه الآية، فقال: يريد: أنه[4] لا حساب عليهم، إنما يقفون بين يدي الله يُعْطَوْن كتبهم بأيمانهم، فيها سيئاتهم، فيقال لهم: هذه سيئاتكم قد تجاوزتها عنكم، ثم يعطون حسناتهم فيقال لهم: هذه حَسَنَاتُكم قد ضَعَّفْتُها لكم[5].

وقال أبو إسحاق: معناه: أنه قد علم ما للمحاسَب وعليه قبل توقيفه على حسابه، فهو سريع الحساب؛ لأن الفائدة في الحساب علم حقيقته[6].

فعلى ما ذكره أبو إسحاق تأويله: أنه عالم بما للمحاسبين وعليهم.

وقال ابن الأنباري: معناه: سريع المجازاة للعباد على أعمالهم، وإن

---

(١) ينظر في مادة حسب «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٠٩-٨١٢، «المفردات» ص١٢٣-١٢٥، «اللسان» ١/ ٨٦٣-٨٦٨.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ٨١٠ «حسب».

(٣) في (م): قال.

(٤) في (م): إنه يريد.

(٥) ذكره في «غرائب النيسابوري» ٢/ ٢٨٠-٢٨١، «الوسيط» ١/ ٣٠٨، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٠٦.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٥.

كان قد أمهلهم مدة من الدهر، فإن وقت الجزاء عنده قريب[١]، يدل عليه قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧] فسَمَّى المجازاة حسابًا؛ لأن ما يجازى به العبد هو كِفَاء لفعله، أو لأنه يجازى عند الحساب، وإنما يحاسب ليجازى، فذكر الحساب وهو يريد الجزاء.

وقيل: تأويل الآية: أنه سريع القبول لدعاء عباده، والإجابة لهم، وذلك أنه تعالى يُسأل في وقت واحد سؤالاتٍ مختلفة، من أمر الدنيا والآخرة، فيجزي كلَّ عَبْدٍ على قدر استحقاقه، فلو كان الأمر مع واحد من المخلوقين لطال العَدُّ واتصل الحساب، فأعلم الله تعالى أنه[٢] سريعُ الحساب، أي: الإحاطة والعلم بجملة سؤال السائلين؛ لأنه لا يحتاج إلى عَقْدِ يَدٍ، ولا وَعْيِ صَدْرٍ، ولا رؤيةٍ وفكرٍ، ثم تأويله يعود إلى سرعة القبول والإجابة ما لم يعرف مسألةَ كلِّ أحدٍ على التفصيل ليمكنه الإجابة[٣] إلى ما سأل، وهذا معنى الدعاء المأثور: يا من لا يشغله سَمْعٌ عن سَمْعٍ[٤].

ومع ما ذكرنا من هذه التأويلات[٥] قد ورد في الخبر: «أن الله ﷻ

---

(١) «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٩٧-٩٨، وينظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٠٨، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٦.

(٢) في (ش) (لأنه).

(٣) ليست في (أ) ولا (م).

(٤) لم أجده.

(٥) ينظر في الأقوال السابقة: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٠٩، «تفسير السمعاني» ٢/ ٢٤٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨١، «زاد المسير» ١/ ٢١٦، «تفسير الرازي» ٥/ ٢٠٧، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤١٢، وقال: الكل محتمل، فيأخذ العبد لنفسه في تخفيف=

يحاسب في قَدْر حَلْبِ شَاةٍ»[١].

٢٠٣- قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ الأصحُّ أن هذه الأيام يرادُ بها: أيامُ التشريق[٢] وأيامُ رَمْي الجمار[٣]، سماها معدودات[٤] لِقِلَّتِهَا[٥]، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠]. وجَمْعُها

= الحساب عنه بالأعمال الصالحة، وإنما يخف في الحساب في الآخرة على من حاسب نفسه في الدنيا.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٠٩، وذكره الزيلعي في «آثار الكشاف» ١/ ١٢٨، والحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ١/ ٢٤٩، وسكتا عليه، وقال المناوي في «الفتح السماوي» ١/ ٢٤٨: قال الولي العراقي: لم أقف عليه، وقال غيره: أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) سميت أيام التشريق بذلك؛ لأن الناس كانوا يشرقون اللحم تلك الأيام، وتشريق اللحم هو تقديده وبسطه في الشمس ليجف، وقيل: لأن الهدي والضحايا لا تنحر حتى تشرق الشمس، أي: تطلع. ينظر: «النهاية» لابن الأثير ص٤٧٥.

(٣) قد حكى جماعة كثيرة من العلماء الإجماع على أن المراد بالأيام المعدودات هي أيام منى، منهم: الماوردي في: «النكت والعيون» ١/ ٢٦٣، وابن عبد البر، نقله عنه القرطبي في «تفسيره» ٣/ ١، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٣٩٤، والكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ١/ ١٧٨، والرازي في «تفسيره» ٥/ ٢٠٨، والقرطبي في «تفسيره» ٣/ ١. وقال النووي في «المجموع» ٨/ ٢٨١: نقل القاضي أبو الطيب والعبدري وخلائق: إجماع العلماء على أن المعدودات هي أيام التشريق. وذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٢-٣٠٣ هذا القول عن مفسري السلف، وقال: وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ثم أسند التفسير به عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وإبراهيم والحسن وقتادة والسدي والربيع ومالك والضحاك وابن زيد. ينظر: «الإجماع في التفسير» ٢١٦ وما بعدها.

(٤) زيادة من (ي).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٥.

على الألف والتاء يدل أيضًا على القلة، نحو: دُرَيْهِمَات وحمامات[(١)].

وروي أن حسان بن ثابت عرضَ شعره وهو صبي بعكاظ على النابغة وأنشده قوله:

لنا الجَفنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْن بالضُّحَى

وأسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا[(٢)]

فقال: يا غلام! قَلَّلْتَ جِفَانك، يريد: أنه جَمَعَ بالألف والتاء، ولم يَقُلْ الجِفَان. قال الزجاج: وهذا الخبر عندي مصنوع؛ لأن الألف والتاء قد تأتي للكَثْرة قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾ [يونس: ٩]. وقال: ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ [سبأ: ٣٧] فقد يرد هذا الجمع في الكثير، ولكنه أدلُّ على القليل، من حيث كانَ أقرب إلى الواحد؛ لأنه على التثنية، تقول: حمام وحمامان وحمامات، فتؤدي بناءَ الواحد[(٣)].

والمراد بالذكر في هذه الأيام: التكبير أدبار الصلوات وعند الجمرات، يكبر مع كل حصاة[(٤)].

وأكثر العلماء على ما ذكرنا وهو أن الأيام المعدودات: أيام

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٥، قال القرطبي في «تفسيره» ٣/ ١: قال الكوفيون: الألف والتاء في (معدودات)؛ لأقل العدد، وقال البصريون: هما للقليل والكثير.

(٢) البيت في «ديوانه» ص٢٢١. «المقتضب» ٢: ١٨٨ «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٧٨ «الخصائص» ٢/ ٢٠٦، «المحتسب» ١/ ١٨٧، والغُر: البيض، جمع غرّاء، يريد بياض الشحم، يقول: جفاننا معدة للضيفان ومساكين الحي بالغداة وأسيافنا تقطر بالدم، لنجدتنا وكثرة حروبنا.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٥-٢٧٦، وقد استشهد سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٥٧٨ ببيت حسان على الجمع الكثير.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦١٤، «زاد المسير» ١/ ٢١٧.

التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد النحر:

أولها: يوم القَرّ، وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة، يستقرُّ الناس فيه بمنى.

والثاني: يوم النَّفْر الأول؛ لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى.

والثالث: يوم الثالث عشر، وهو يوم النفر الثاني(١).

وهذه الأيام الثلاثة مع يوم النحر كلها أيام النحر، وأيام رمي الجمار(٢). وهي الأيام الأربعة مع يوم عرفة أيام التكبير أدبار الصلوات، يبتدأ مع الصبح يوم عرفة، ويختم مع العصر يوم الثالث عشر، وهو مذهب

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٤٠-١٤٢، وقال القرطبي ٣/ ١: أمر الله سبحانه عباده بذكره في الأيام المعدودات، وهي الثلاثة التي بعد يوم النحر، وليس يوم النحر منها، لإجماع الناس أنه لا ينفر أحد يوم النفر، وهو ثاني يوم النحر، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن ينفر من شاء متعجلا يوم النفر؛ لأنه قد أخذ يومين من المعدودات.

(٢) كونها أياما لرمي الجمار لا خلاف فيه، وكونها أياما للنحر وقع فيه الخلاف على أقوال: الأول: أن آخر أيام النحر اليوم الثاني من أيام التشريق، فتكون أيام النحر ثلاثة، يوم النحر ويومان بعده، وهذا قول عمر وعلي وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأنس، وهو قول أبي حنيفة ومالك والثوري. والثاني: أن آخر أيام النحر هو آخر أيام التشريق، روي عن علي، وبه قال عطاء والحسن، وهو مذهب الشافعي. والثالث: أن النحر في يوم النحر فقط وهو قول ابن سيرين. والرابع: أن آخرها لأهل الأمصار يوم النحر، ولأهل منى اليوم الثاني من أيام التشريق، وبه قال سعيد بن جبير وجابر بن زيد. والخامس: أن آخرها هلال المحرم، وبه قال أبو سلمة بن عبد الرحمن وعطاء بن يسار. ينظر: «المغني» لابن قدامة ١٣/ ٣٨٦.

أمير المؤمنين علي[١]، رضي الله عنه، وهو أكمل المذاهب.

والأظهر من مذهب الشافعي رحمه الله أنه يبتدئ التكبيرَ من صلاة الظُّهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق، اقتداءً بالحاجّ، قال: لأنهم يقطعون التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر، من صلاة الظهر، والصبح آخر صلاة يصليها الحاج، والناس لهم تبع[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ معناه: فمن تعجل في يومين من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني، فلا إثم عليه في تَعَجُّلِه، ومن تَأَخَّرَ عن النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق إلى اليوم الثالث حتى

---

(١) رواه عن علي: ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ١٦٥، وابن المنذر في «الأوسط» ٤/ ٣٠٠، والبيهقي في «تفسيره» ٣/ ٣١٤.

(٢) ينظر: «الأم» ١/ ٢٧٥، «معرفة السنن والآثار» ٥/ ١٠٤، «المجموع» ٥/ ٣١، وقد وقع الخلاف في ابتداء التكبير عقب الصلوات المفروضات وانتهائه على ستة أقوال: الأول: ما ذكره المؤلف من مذهب علي، وبه قال عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود والثوري وأبو ثور، والشافعي في بعض أقواله، وأبو يوسف ومحمد، وهو مذهب أحمد لمن كان محلا، أما إن كان محرما فيبتدئ بالظهر من يوم النحر. الثاني أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود وعلقمة والنخعي وأبو حنيفة. الثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر وزيد بن ثابت وابن عباس وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى ما بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك وهو أحد قولي الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ينظر: «زاد المسير» ١/ ٢١٧، «المغني» ٣/ ٢٨٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٤٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٤.

نفر فيه، فلا إثم عليه في تأخُّرِه[(١)].

فإن قيل: إنما يخاف الإثم المتعجل. فما بال المتأخر أُلحق به، والذي أتى أفضل؟

قيل: معناه: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فهو مبرور مأجور. فقال:(فلا إثم عليه) وهو يريد هذا المعنى لتوافق اللفظةُ الأولى الثانيةَ، وتكون على مثلِ سبيلها، وقد ذكرنا أنه حُمِلَ على موافقة اللفظ بما لا يصلح في المعنى[(٢)] وهو قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] فَلأَن يحمل على موافقة اللفظ بما يَصِحُّ في المعنى أولى؛ لأن المبرور المأجور يصح في المعنى نفيُ الإثم عنه.

وقيل: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه في استعماله الرخصة، ومن تأخر فَتَرْكُه استعمالَ الرخصةِ غيُر مؤثم له أيضًا.

وقيل: فمن تَعَجَّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه من آثامهما التي كانت عليهما قبل أن يَحُجَّا، يدل على صحة هذا الوجه: ما روى منصور[(٣)]، عن أبي حازم[(٤)]، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٢٢، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٥، «زاد المسير» ١/ ٢١٨، «تفسير القرطبي» ٣/ ٤.

(٢) في (أ) و(م): ليوافق اللفظ ما لا يصح في المعنى.

(٣) هو: منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي، أبو عتاب الكوفي، أحد الأئمة الثقات، وكان أثبتَ أهلِ الكوفة، اشتهر بالتعبد والصلاح، ذكر العجلي أن فيه تشيعا قليلا وليس بمغال، توفي سنة ١٣٢هـ. ينظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٩٢، «تاريخ بغداد» ١١/ ١٢٠.

(٤) هو: سلمان أبو حازم الأشجعي الكوفي، روى عن ابن عمر وأبي هريرة، وروى=

حجَّ هذا البيتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُق خرج من ذنوبه كيومِ ولدتْه أمه»(١).

وذهب بعض المتأولين: إلى أن المراد بوضع الإثم عنه المتعجلُ دون المتأخر، ولكن ذُكرا معًا والمراد أحدُهما، كقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩] والجناح على الزوج؛ لأنه أخذ ما أعطى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٢٢٩] ومثل هذا قوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١] نسب النسيان إليهما، والناسي أحدُهما، وقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من أحدهما(٢).

وقوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قال النحويون: المعنى: ذلك لمن اتقى، أي: طَرْح المآثم عن المتعجل والمتأخر يكون إذا اتَّقَيَا في حَجِّهما تضييع شيء مما حَدَّه الله وأمر به، حتى لا يظن أن من تعجل أو تأخر خرج عن الآثام دون أن يتقي، فيكون قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف(٣)،

= عنه منصور والأعمش، كان ثقة وله أحاديث صالحة، قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. ينظر: «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٤٠، «التقريب» ص٢٤٦ (٢٤٧٩).

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠) كتاب الحج، باب: قول الله: ولا فسوق ولا جدال في الحج، ومسلم (١٣٥٠) كتاب الحج، باب: في فضل الحج والعمرة.

(٢) ينظر في ذكر هذه الأجوبة على هذا الإشكال الذي طرحه الواحدي: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٥-٣٠٧، «زاد المسير» ٢/ ٢١٨، «التفسير الكبير» ٥/ ٢١٠-٢١١، «البحر المحيط» ٢/ ١١٢.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨٥، «التبيان» ص١٢٦-١٢٧، وقال في «البحر المحيط» ٢/ ١١٢: قيل هو متعلق بقوله: واذكروا الله، أي: الذكر لمن اتقى، وقيل: المعنى: ذلك التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يختلج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما آثام في الإقدام عليه.

وهذا معنى قول قتادة[1] وابن مسعود[2]، وكان يقول: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله في حجه، وكذلك كان يقرأ: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[3][4].

وقال ابن عباس في رواية العوفي والكلبي: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر يكون إذا اتَّقَيا قَتْلَ الصيد، لا يحلُّ لأَحَدْ أن يَقْتُلَ صيدًا حتى تخلو أيام التشريق[5]، فمتى[6] لم يتقياه كان عليهما مأثم.

وقال أبو العالية: ذهب إِثْمُهُ كُلُّه إن اتقى فيما بقي من عمره[7].

ومعناه: التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال الحج والبر فيه، فبين أن عليهم مع ذلك ملازمةَ التقوى، ومجانبةَ الاغترار بالحال الأولى.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٥.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٣.

(٣) من قوله: كان يقرأ القرآن... ساقطة من(م). وهذه العبارة وردت مكررة في (أ) وفي الأولى منهما (لمن اتقى الله حجه).

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٩١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٨ عن ابن جريج، وذكر القراءة: الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ١١٣.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٣ كلاهما من غير طريق العوفي والكلبي، وفي «الدر المنثور» ١/ ٤٢٣، عزاه إلى سفيان بن عيينة وابن المنذر. رواية العوفي أخرجها الطبري ٢/ ٣٠٩، وذكرها الثعلبي ٢/ ٦٢٥، ورواية الكلبي ذكرها الثعلبي ٢/ ٦٢٥، وأخرجها ابن أبي حاتم ٢/ ٣٦٣، من طريق سفيان عن رجل قد سماه عن أبي صالح عن ابن عباس به.

(٦) في (ي) (فإذا).

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠٨، وفي «الدر المنثور» ١/ ٤٢٥ عزاه إلى عبد بن حميد، وذكر النحاس في «معاني القرآن» ١/ ١٤٧، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٥.

٢٠٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية. قال الكلبي[(١)] والسدي[(٢)] ومقاتل[(٣)] وابن عباس[(٤)] في رواية عطاء: نزلت هذه الآية في الأخنس بن شَرِيق[(٥)]، واسمه: أُبَيّ، وسمي الأخنس؛ لأنه خَنَس يوم بدر بثلاثمائة رجلٍ من بني زُهْرَة عن قتالِ رسول الله ﷺ، وكان رجلًا حُلْوَ الكلام، حُلْوَ المَنْظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه، ويظهر الإسلام، ويخبره أنه يحبه، ويحلف بالله على ذلك، وكان منافقًا حسن العلانية، سيئ السريرة، وكان يُعْجِبُ النبيَّ ﷺ[(٦)] كلامُه[(٧)]. وإنما قال: (في الحياة الدنيا)؛ لأنه كاذب، فما تعجب النبي ﷺ من كلامه[(٨)] ولا

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٢٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وعزاه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥١٩ إلى عبد بن حميد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٦.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٤.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ١٧٧. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢١٩، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٣٥.

(٤) عزاه في «زاد المسير» ١/ ٢١٩ إلى ابن عباس، وعزاه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٦، وكذا البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٣٥ إلى عطاء وحده وقد تقدم الحديث عن رواية عطاء في المقدمة.

(٥) هو: الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي، كان حليف بني زهرة، مطاعًا فيهم، نصحهم في عدم المشاركة في معركة بدر فأطاعوه ولم يشاركوا، كان أحدَ الثلاثةِ الذين تلذذوا بسماع القرآن ليلًا.اختلف في إسلامه. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨٧، «أسد الغابة» ١/ ٤٧، «البداية والنهاية» ٥/ ٧٨.

(٦) ساقطة من «ي».

(٧) هذا مختصر من لفظ مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٧٧-١٧٨، وذكره مطولا الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٦.

(٨) من قوله: وإنما. قال زيادة من (ي).

يثاب عليه في الآخرة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ يعني قوله: والله إني بك مؤمن، ولك محب، فهو يحلف بالله ويُشْهِدُه على أنه مضمر[(٢)] ما يقوله، وهو كاذب في ذلك، فكان التأويل: ويشهد الله على ما في قلبه من الإيمان بزعمه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ معنى الألَدّ: الشديد الخصومة. قال أبو إسحاق: أُخذ من لَدِيدَي العُنُق، وهما صَفْحَتَاه، وتأويله: أنه في

---

(١) وذكر المفسرون كالطبري ٢/ ٣١٢-٣١٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢١٩، والرازي ٥/ ٢١٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٢٩ قولين آخرين فيمن نزلت فيه الآية:

أحدهما: أنها نزلت فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول مجاهد والربيع وعطاء والحسن وقتادة وابن زيد ومحمد بن كعب القرظي، وقال الرازي في «تفسيره» ٥/ ٢١٤: وهو اختيار أكثر المحققين من المفسرين.

الثاني: أنها نزلت في سرية الرجيع، وبه قال ابن عباس والضحاك، والرجيع: ماء لهذيل قرب الهداة، بين عسفان ومكة، حين بعث كفار قريش إلى النبي ﷺ إنا قد أسلمنا فابعث لنا نفرا من أصحابك يعلمونا ديننا، فبعث لهم النبي ﷺ ستة من أصحابه، فغدرت بهم عضل والقارة، وصارت لهم قصة، فقال بعض المنافقين: ويح هؤلاء المقتولين، لا في بيوتهم قعدوا ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية وثلاث آيات بعدها. وخبر سرية الرجيع مذكور في الصحيحين. رواه البخاري (٤٠٨٦) كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان. ينظر: «فتح الباري» ٧/ ٣٨٥-٣٩٢، ومسلم (٦٧٧) كتاب الأمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٨٤-١٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٢٩-٦٣٨.

(٢) زيادة من (ي).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٤٢.

أيِّ وَجْه أَخَذَ من يمين أو شمال في أبواب الخُصُومةِ غَلَب[١]، ويقال: لَدَدْتَ يا رجل، فأنت تَلَدُّ لَدَدًا ولَدَادَةً[٢].

والخصام: مصدر، كالمُخَاصَمة، والمُخَاصَمَة: مُفَاعلةٌ من الخُصُومة، وحقيقةُ الخُصومة: التَّعَمُّق في البحث عن الشيء، والمضايقةُ فيه، ولذلك قيل لزوايا الأوعية: خُصُوم، واحِدُها: خُصْم[٣]. قال ابن عباس في قوله: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ يريد: الذي يدع الحق ويخاصم على الباطل[٤].

٢٠٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، يريد: راجعًا إلى مكة[٥]، وذلك أنه لما انصرف من بدر ببني

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٧ بمعناه.

(٢) ينظر في مادة لدد: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٥، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٤٣، «لسان العرب» ٧/ ٤٠٢٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٥٤، وضبطت فيه: لدِدْتُ، بكسر الدال، وقال شاكر في حاشية «تفسير الطبري» عن لدادة: مصدر لم أجده في كتب اللغة التي بين يدي.

(٣) ينظر في مادة (خصم) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٧١، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٤٤، «لسان العرب» ٢/ ١١٧٧-١١٧٨، «المفردات» ص١٥٥، وبين أن أصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه، وأن يجذب كل واحد خُصْم الجوالق من جانب. ويرى الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٧: أن خصام: جمع خصم ؛ لأن فَعلا يجمع إذا كان صفة على فعال، نحو صعب وصعاب، وكذلك إن جعلت خصما صفة، فهو يجمع على أقل العدد، وأكثره على فعول وفعال جميعا، يقال: خصم وخصام وخصوم، وإذا كان اسما ففعال فيه أكثر العدد، نحو: فرخ وأفراخ لأقل العدد، وفراخ وفروخ لما جاوز العشرة.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣١٠ بلفظه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٢٨ إلى الطستي من سؤالات نافع بن الأزرق.

(٥) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٣١٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٦،=

زُهْرَة[(١)]، كان بينه وبين ثقيف[(٢)] خصومة، فبيتهم ليلًا، وأهلك مواشِيَهُم، وأَحْرَقَ زَرْعَهُم[(٣)].

وقال السُّدِّي: مرّ بزرع للمسلمين وحُمُر، فأَحْرَقَ الزَّرْعَ، وعَقَرَ الحُمُر[(٤)].

وقال الضحاك[(٥)] ومجاهد[(٦)]: تولى بمعنى: ملك وَوَلي وصار واليًا، ومعناه: إذا ولي سلطانًا جار، وعلى تفسير ابن عباس معناه: أدبر وأعرض. وذكرنا معنى السَّعْيَ فيما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ أكثرُ المُفَسِّرين على أن المراد بالحرث: الزرع والنبات، وبالنَّسْل: نسل الدواب، على ما روي أنه

= وقد ذكر الواحدي قولين في معنى تولى، وفيها قولان آخران: أحدهما: تولى بمعنى غضب، روي عن ابن عباس وابن جريج. والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله. قاله الحسن. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٦، «زاد المسير» ١/ ٢٢١.

(١) هم: بنو زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، كانوا بطنا من بني مرة بن كلاب من قريش من العدنانية، ينتهي نسبهم إلى معد بن عدنان. انظر: «معجم قبائل العرب» ٢/ ٤٨٢.

(٢) قبيلة منازلها في جبل الحجاز بين مكة والطائف، وتنقسم إلى عدة بطون منها: طويرق، وبطن النور، وثمالة، وبني سالم، وعوف، وسفيان، وقريش، وهذيل، وثقيف اليمن. انظر: «معجم قبائل العرب» ١/ ١٤٧-١٤٨.

(٣) ذكر القصة بمعناها مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٧٨، وذكرها الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣١٠، والرازي في «تفسيره» ٥/ ٢١٦.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٣١٢.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٤٦، وذكر أيضا في «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٦، «زاد المسير» ١/ ٢٢١.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٧ بمعناه، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٦، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٤٨، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٣٦.

أهلكَ المَواشِيَ وأَحْرَقَ الزَّرْعَ[١].

وقال مجاهد: إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم أمسك الله المطر، فيهلك باحتباس المطر الحرث والنسل.

وقيل: إن الحرث: النساء، والنسل: الأولاد، وهذا غير مدفوع عن الصحة؛ لقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣][٢].

والنسل: معناه في اللغة: الولد، يقال: نَسَلَ بولد كثير[٣]، واشتقاقه يحتمل أن يكونَ من قولهم: نَسَلَ يَنْسِلُ، إذا سقط وخرج، ومنه نَسَل رِيْشُ الطائر، وَوَبَرُ البعير، وشَعْر الحمار، إذا خرج فسقط منه، والقطعة منها إذا سقطت نُسالة، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١] أي: يسرعون؛ لأنه إسراع الخروج بحدة، والنسل: الولد؛ لخروجه من ظهر الأب وبطن الأم وسقوطه، والنسل[٤]: نسل آدم، وأصل الحرف من النُّسُول، وهو الخروج[٥].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي: أي: لا يَرْضَى بالفسادِ والعَمَلِ بالمعاصي[٦].

---

(١) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٧٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٧-٣١٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٣٦٦-٣٦٧، ومرادهم بالنسل: نسل الدواب كلها، ومنها الإنسان؛ خلافا لما قد يوهمه لفظ الواحدي، كما بينه الثعلبي في «تفسيره» صراحة ٢/ ٦٤٧.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٧-٢٧٨ بمعناه.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ي) والنسل.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٣ «نسل»، «المفردات» ص٤٩٣، «النهاية في غريب الحديث» ص٩٣١ (ط. ابن الجوزي).

(٦) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣١١، «زاد المسير» ١/ ٢٢٢، وعبارة الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٩ نحو هذا.

وذكر في تفسير الفساد هاهنا: الخراب، وقطع الدرهم، وشق الثياب، لا على وجه المصلحة[(١)].

ويقال: فَسَدَ الشيءُ يَفْسد فسودًا وفسادًا، كما يقال: ذهب ذُهُوبًا وذَهابًا، وكسد كُسُودًا وكَسَادًا[(٢)].

٢٠٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾، وذلك أن رسول الله ﷺ دعاه إلى إجابةِ اللهِ في ظاهره وباطنه، فدعاه الأَنَفَةُ والكِبْر إلى الإثم والظلم، وهو قوله: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[(٣)]. ومعنى العزة هاهنا: المنعة والقوة[(٤)]. وذكرنا معاني العز والعزيز فيما تقدم.

قال قتادة: إذا قيل له: مَهْلًا مَهْلًا ازداد إقدامًا على المعصية[(٥)].

قال أهل المعاني: معنى (أخذته العزة بالإثم) حملته عليه، وجَرّأته عليه، وزينت له ذلك، يقال: أخذت فلانًا بكذا وكذا، أي: أردته عليه، وحملته على ذلك، وكلفته.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٤٨-٦٥١، «الوسيط» ١/ ٣١١، «البحر المحيط» ٢/ ١١٧.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١١٢٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٨٧ «فسد» وقال: قال الليث: الفساد: نقيض الصلاح، والفعل فسد يفسد فسادا، قلت: ولغة أخرى: فسُد فسودًا، ويقال: أفسد فلان المال يُفسده إفسادًا وفسادا.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٢.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٢، «الوسيط» ١/ ٣١١، «التفسير الكبير» ٥/ ٢١٩، «البحر المحيط» ٢/ ١١٧.

(٥) ذكره الواحدي عن قتادة في «الوسيط» ١/ ٣١١، والقرطبي ٣/ ١٩.

وتأويل الآية: حَمَلَتْه العِزّةُ وحَمِيَّةُ الجاهلية على الفعل بالإثم[(١)].

والجَارّ في قوله تعالى: ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ يجوزُ تَعَلُّقُه بالأخذ وبالعزة، فإن علقته بالأخذ، كان المعنى: أخذته بما يؤثمه، أي: أخذته بما كسبه ذلك، والمعنى: للعزة يرتكب ما لا ينبغي أن يرتكب، فكأن العزة حملته على ذلك وقلة الخشوع.

وإن علقته بالعزة كان المعنى الاعتزاز بالإثم، أي: اعتز بما يؤثمه فيبعده مما يرضاه الله[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ﴾ قال المفسرون: كافيه الجحيمُ جزاءً له وعذابًا[(٣)]، ويقال: حَسْبُكَ دِرْهَمٌ، أي: كفاك، وحَسْبُنا الله، أي: كافينا الله.

قال امرؤ القيس:

وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِيّ[(٤)]

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٩٢، «الوسيط» ١/ ٣١١، «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٠.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٦، «البحر المحيط» ٢/ ١١٧، «الدر المصون» ٢/ ٣٥٤، وذكر أبو حيان أن الباء يحتمل أن تكون للتعدية، كأن المعنى: ألزمته العزة الإثم، ويحتمل أن تكون للمصاحبة، أي: أخذته مصحوبا بالإثم، أو مصحوبة بالإثم، فيكون للحال من المفعول، أي: أخذته متلبسا بالإثم، أو من الفاعل أي: حال من العزة، أي متلبسة بالإثم. ويحتمل أن تكون سببية، والمعنى: أن إثمه السابق كان سببا لأخذ العزة له حتى لا يقبل ممن يأمره بتقوى الله.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٣، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٠، «البحر المحيط» ٢/ ١١٧.

(٤) صدر البيت: فَتُوسِعَ أَهْلَها أَقِطًا وسَمْنًا

والبيت في «ديوان امرئ القيس» ص١٧١، وينظر: «الزاهر» ١/ ٩٦، «الوسيط» للواحدي ١/ ٣١١.

أي: يكفيك الشِّبَعُ والرِّيُّ، تصريفه من الثلاثي ممات، ويقال منه في الرباعي: أحسبني الشيء، إذا كفاني[(١)].

وأما جهنم، فقال يونس وأكثر النحويين: هي اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة، وهي أعجمية لا تُجْرَى للتعريف والعجمة[(٢)].

وقال آخرون: جهنم اسم عربي، سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها، ولم تُجْر[(٣)] للتعريف والتأنيث.

قال قطرب: حكي لنا عن رؤبة[(٤)] أنه قال: رَكِيَّةٌ جَهَنَّام، يريد: بعيدة القَعْر[(٥)].

والمهاد: جمع المهد. والمهد: الموضعُ المُهَيَّأُ للنَّوم، ومنه: مَهْدُ الصبي. وأصله: من التوطية، يقال: مَهَدْتُ الشَّيءَ والأرض مهادًا ؛ لأنه موطاة للعباد[(٦)].

وسَمَّى جهنمَ هاهنا مِهادًا على معنى أنها قرار، والقرار كالوطاء في

---

(١) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣١، «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٠، «المفردات» ص١٢٤، «تفسير الرازي» ٥/ ٢٢٠، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٩، «لسان العرب» ٢/ ٨٦٣-٨٦٥ «حسب».

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٨١، وفي «لسان العرب» ٢/ ٧١٥ «جهن»، وقوله: لا تجرى، أي: لا تصرف وتنون.

(٣) قوله: لم تجر، أي: لم تصرف وتنون.

(٤) هو: أبو الجحاف رؤبة بن العجاج بن عبد الله التميمي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٩].

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٨١، «المفردات» ١٠٩، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٠، «البحر المحيط» ٢/ ١٠٨، «لسان العرب» ٢/ ٧١٥ «جهن».

(٦) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ٧١، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٦١، «المفردات» ص٤٧٩، «اللسان» ٧/ ٤٢٨٦ «مهد».

الثبوت عليه، وقيل: لأنها بدل من المهاد لهم، فصار كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] على جِهَةِ البَدَلْ(١).

٢٠٧- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ الآية، يشري من الأضداد، يقال: شَرَى إذا باع، وشرى إذا اشترى. وأصله: الاستبدال، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أي: باعوه(٢).

ومعنى بيع النفس هاهنا: بذلها لأوامر الله وما يرضاه(٣).

ونصب ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ على معنى المفعول له، أي: لابتغاء مرضاة الله، ثم نزع اللام منه، فوصل الفعل فنصبه(٤)، ولا يجوز على هذا: فعله زيدًا، أي: لزيد، ويجوز: فعله خوفًا، أي: للخوف، وذلك أن في ذكر المصدر دليلًا على الغَرَضِ الداعي إلى الفعل، وليس كذلك ذكر زيد،

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٠، «البحر المحيط» ٢/ ١١٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦، «الأضداد» للأصمعي ١٨، ١٩، «أضداد ابن السكيت» ١٨٥، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٦٩، ونقل عن الفراء قوله: وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما: أن شروا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما جعلوهما بمعنى باعوا. وينظر: «اللسان» ٤/ ٢٢٥٢-٢٢٥٣ «شرى»، «المفردات» ص٢٦٣، وقال: الشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن وآخذ الثمن، هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض وسلعة، فأما إذا كانت بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما في موضع الآخر، وشريت بمعنى: بعت أكثر، وابتعت بمعنى: اشتريت أكثر، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٤، «الوسيط» ١/ ٣١٢.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٩٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٩٩.

ولأن في قوله: فعله لزيدٍ، تضمينًا، كأنه قال: فَعَلَه لإكرامِ ولسببِ زيدٍ، وما أشبه هذا مما يكون داعيًا إلى الفعل، فلم يحتمل الكلام حذفين كما احتمل حذفًا واحدًا(١).

والمرضاة: الرِّضَى، يقال: رَضِيَ رِضًا ومَرْضَاة(٢).

وكان الكسائي يقرأها ممالة(٣)، ليدل على أن الألف فيها منقلبة عن الياء، ولم يمنعها المستعلي وهو(الضاد)(٤) من الإمالة، كما لم يمنع من إمالة نحو: صار وخاف وطاب(٥).

وكان حمزة يقف عليها بالتاء(٦)، وحجته ما حكاه سيبويه عن أبي الخطاب(٧)، أنه كان يقول: طَلْحَت(٨).

---

(١) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٦٧-٣٧٠، ٣/ ١٢٦، ١٥٤.

(٢) ينظر: «اللسان» ٣/ ١٦٦٣-١٦٦٤ «رضى».

(٣) قرأ الكسائي وحده: مرضاة الله، ممالة، وقرأ الباقون: مرضاة الله، بالفتح، أي بلا إمالة. ينظر: «السبعة» ١٨٠، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٩٩.

(٤) في (ي) و (أ): الميم.ثم ذكر في تصحيح نسخة [أ] أن ذكر الميم غلط لأنها ليست من حروف الاستعلاء.

(٥) «الحجة» ٢/ ٢٩٩-٣٠٠ بمعناه، وحروف الاستعلاء هي حروف التفخيم، وهي سبعة مجموعة في قولك: خص ضغط قظ.

(٦) وقف حمزة على مرضات، بالتاء المفتوحة، والباقون يقفون عليها بالهاء. ينظر: «السبعة» ص١٨٠، «الحجة» ٢/ ٢٩٩، وفي «التيسير» ص٦٠، أن الكسائي وأبا عمرو كانا يقفان على هاء تأنيث رسمت في المصاحف تاء بالهاء، وهو قياس مذهب ابن كثير.

(٧) أبو الخطاب، هو: عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٢].

(٨) «الكتاب» لسيبويه ٤/ ١٦٧.

وأنشد الأخفش:

مابَالُ عَيْني عن كَرَاها قد جَفَتْ مُسْبِلَةً تَسْتَنّ لَمّا عَرَفَتْ
دارًا لِسَلْمى بعد حَوْلٍ قَدْ عَفَتْ بل جَوْزِ تَيْهَاءَ كَظَهْرِ الْجَحَفَتْ[(١)]

ويجوز أن يكون لما كان المضاف إليه في التقدير أثبت التاء، كما يثبته في الوصل، أن المضاف إليه مراد[(٢)]، كما أشم[(٣)] من أشمّ في الوقف الحرفَ المضمومَ، ليعلم أنه في الوصل مضمومٌ، وكما كَسَر من كَسَر قوله:

.... واعتقالًا بالرِّجْلِ[(٤)]

ليعلم أنه في الوصل مجرور. ويدل على حُجةِ قراءة حمزة قول

---

(١) الرجز لسؤر الذئب، في «شرح شواهد الشافية» ٤/ ٢٠٠ مع اختلاف في الرواية، وينظر: «الخصائص» ١/ ٣٠٤ «المحتسب» ٢/ ٩٢. «لسان العرب» ٢/ ٧٨٧ «جحف». وقوله: تَسْتَنّ، أي: تجري بدمعها، من سننت الماء: إذا أرسلته بغير تفريق، وضعت موضع رب، وجوز وسط، والتيهاء: المفازة التي يتيه فيها سالكها، والجحفة: الترس، شبه التيهاء بظهر الترس في الملامسة.

(٢) في «الحجة»: ليعلم أن المضاف إليه مراد.

(٣) الإشمام هو: ضم الشفتين من غير انطباق بعد إسكان الحرف، وهو يرى ولا يسمع. ينظر: «الكشف» لمكي ١/ ١٢٢.

(٤) هذا جزء من بيت في الرجز، وتمامه في «النوادر والخصائص» ٢/ ٣٣٥:

علَّمَنا أصحابنا بنو عجِل الشغزَبِي واعتقالا بالرجِل

وهو برواية:

علمنا إخواننا بنو عجل شرب النبيذ واصطفافا بالرجل

في «المخصص» ١١/ ٢٠٠، «الإنصاف» ص٧٣٤، والعيني ٤/ ٥٦٧، وقال فيه: إن أبا عمرو سمع أبا مرار الغنوي ينشد هذا البيت، والشغزبي: ضرب من المصارعة، والاعتقال: أن يدخل رجله بين رجلي صاحبه فيصرعه .ينظر تعليق المحققين على «الحجة» ٢/ ٣٠١.

الراجز:

إن عَـدِيًّـا رَكِبَـتْ إلـى عَـدِي وجَعَلَتْ[1] أمْوالَها في الحُطَمي

ارْهَنْ بَنِيكَ عَنْهم ارْهَنْ بَنِي[2].

أراد: بنيّ، فحذف ياء الإضافة للوقف، كما يخفف المثقل من نحو: سُرٍّ وضُرٍّ، فلولا أن المضاف إليه المحذوف في تقدير المثبت لرد النون في بنين، فكما لم يَرُدَّ النون في بنين فكذلك لم يقف بالهاء في (مَرْضَاةِ)؛ لأن المضاف إليه في تقدير الثبات في اللفظ[3].

فأما التفسير، فقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي[4]، كان رجلًا من ولد النِّمر بن قاسط[5]، فَسُبِيَ صغيرًا[6] إلى

---

(١) في (م) لعلها: حملت.

(٢) ورد هكذا:

إنّ عديا ركبت لي عديْ وجعلت أموالها في الحطَميْ

ارهن بنيك عنهم ارهن بَنِيْ

وزعم ابن جني أن هذا الشعر جاهلي، ينظر: «المحتسب» ١/ ١٠٨، «الخصائص» ٣/ ٣٢٧، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٠١، ورهنه عنه: جعله رهنًا بدلًا منه.

(٣) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢ بتصرف، وذكر الوجهين السمين في «الدر المصون» ٢/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٤) هو: أبو يحيى صهيب بن سنان الرومي، أصله من النمر، يقال: اسمه عبد الملك، ولقبه صهيب، صحابي شهير شهد المشاهد كلها توفي بالمدينة في خلافة علي ﷺ سنة ٣٨هـ. انظر: «فضائل الصحابة» ٢/ ٨٢٨، «أسد الغابة» ٣/ ٣٦، «تقريب التهذيب» ص٢٧٨ (٢٩٥٤).

(٥) هو النمر بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دعمى من أسد بن ربيعة جد جاهلي، كان له بالمدينة عقب كثير. انظر: «قبائل العرب» ١١٩٢، «الأعلام» ٨/ ٤٨.

(٦) في (أ) و(م:) (صغير).

الروم، فتغير لسانه، ثم كان مملوكًا لابن جُدْعان[١]، فآمن بالله وصدق النبي ﷺ، وأقبل مهاجرًا إليه، فأخذه المشركون، فقال لهم صهيب: إني شيخ كبير لا يضركم أَمِنْكُم كنت أم من غيركم، فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ؟ ففعلوا ذلك، وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة، فلما بلغ المدينة تلقاه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في رجال، فقال له أبوبكر: رَبِحَ بيعُك أبا يحيى، فقال له[٢] صهيب: وبيعك فلا يخسر، ما ذاك؟ فقال أنزل الله[٣] فيكَ، وقرأ عليه هذه الآية[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: إنه بذل ماله لمولاه، وقال له: خذ

---

(١) هو: عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب، أحد كفار قريش، كان يقري الضيف ويطعم الجائع، ويصل الرحم ويعتق، سئل عنه الرسول ﷺ هل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا» لأنه لم يقل يوما من الدهر: لا إله إلا الله». انظر «البداية والنهاية» ٣/ ٢٥٣، و١٩/ ٥١٦.

(٢) زيادة من (م).

(٣) ساقطة من (م).

(٤) هذا السياق بمعناه ذكره مقاتل ١/ ١٧٨-١٧٩، ورواه ابن أبي حاتم بنحوه ٢/ ٣٦٨ عن سعيد بن المسيب، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٠ إلى ابن مردويه وابن سعد والحارث ابن أبي أسامة في «مسنده»، وابن المنذر وأبي نعيم في «الحلية»، وابن عساكر، كلهم عن سعيد بن المسيب، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٤٠٠، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٣٧ حديث رقم (٧٢٩٦)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٢٢، ويشهد له ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٣٩٨، وابن المنذر «فتح القدير» ١/ ٢١٠ عن أنس، وأخرج الطبري ٢/ ٣٢١ عن عكرمة: أنها نزلت في صهيب بن سنان وأبي ذر الغفاري، كما أخرج الطبري ٢/ ٣٢١، عن الربيع هذه القصة إلا أنه لم يسم صهيبا، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٥٤، «أسباب النزول» للواحدي ص٦٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٨، وقد نسبوه لأكثر المفسرين، وكذا ذكر الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٢٧.

مالي وسَيِّبْني، فقد آمنت بالله وحده لا شريك له، فأعطى ماله وخرج مهاجرًا[١]. وعلى هذا يشري بمعنى: يشتري، كأنه يشتري نفسه من مولاه بماله، أو من المشركين بماله[٢]. وروى عن ابن عباس أيضًا في هذه الآية، أنه قال: أرى هاهنا من إذا أُمِر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشري نفسي فقاتله فاقتتل الرجلان[٣]، لذلك كان علي رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتتلا ورب الكعبة[٤]، وهذا كالمستنبط من الآية، وذلك أن هاتين الآيتين تتضمنان[٥] المعنى الذي أشار إليه ابن عباس[٦].

---

(١) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة ونقل الرازي في «تفسيره» ٥/ ٢٢١ عن ابن عباس أنها نزلت في صهيب وعمار وسمية أمه وياسر أبيه، وفي بلال وآخرين ذكرهم.

(٢) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٣.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٠، ومراد ابن عباس: أن قوله: وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، هي في الكافر يأمره المؤمن بتقوى الله، فيرد ذلك الكافر فيقول المؤمن: وأنا أشري نفسي ابتغاء مرضاة الله، فيقتتل الرجلان، وبمعنى هذا: ما روي عن عمر أنها نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٦٨، ونقله ابن حجر في «العجاب» ٥٢٨/١، وقال: أسنده عبد بن حميد، وبمعناه أيضا ما روي عن الحسن، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٦٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٦٥٨.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٦٨، والخطيب في «تاريخ بغداد» ١١/ ١٣٥، وعزاه في «الدر» ١/ ٤٣٢ إلى وكيع وعبد ابن حميد والبخاري في «تاريخه» تاريخه ٦/ ٤٧.

(٥) في (أ) و(م): يتضمنان.

(٦) ذكر المفسرون أقوالًا أخرى في سبب النزول، فقيل: إنها نزلت في المهاجرين والأنصار، وقيل: إنها نزلت في كل شارٍ نفسه في طاعة الله وجهاد في سبيله، وقيل: نزلت في أناس بأعيانهم، وقيل: نزلت في أصحاب الرجيع، وتقدمت=

٢٠٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ اختلف القُرّاء في ﴿ٱلسِّلْمِ﴾، فقرأ بعضهم بفتح السين، وبعضهم بكسرها[(١)].

أما[(٢)] الكسر: فقال أبو عبيدة[(٣)] والأخفش[(٤)]: السِّلم: الإسلام، وهو اسم جعل بمنزلة المصدر، كالعطاء من أَعْطَيْتُ، والنبات من أَنْبَتَ. وأما الفتح: فيجوز أن يكون لغة في السِّلْم الذي يراد به الإسلام، ويجوز أن يكون المراد به الصُّلْح، والمعني بالصلح: الإسلام؛ لأن الإسلام صلح، ألا ترى أن القتال والحرب بين أهله موضوع، وأنهم أهل اعتقاد واحد، ويد واحدة في نصرة بعضهم لبعض، فإذا كان ذلك موضوعًا بينهم وفي دينهم[(٥)] كان صُلْحًا في المعنى، فكأنه قيل: ادخلوا في الصُّلْح، والمراد به: الإسلام، فسماه صُلْحًا لما ذكرنا، وهذا الوجه[(٦)] أوجه من أن يكون

= قصتهم. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٠-٣٢٢، «تفسير البغوي» ١/ ٢٣٦، «العجاب» ١/ ٥٢٤-٥٢٩، والذي رجحه الطبري أن يكون معنيًا بها كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما روي عن عمر وعلي وابن عباس، وهذا لا يدفع أن تكون أنزلت في شخص بعينه كصهيب، ومعناها شامل له ولغيره.

(١) قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بفتح السين هنا، وفي قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال ٦١] وقوله: ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ [محمد: ٣٥] وقرأ عاصم في رواية شعبة بكسر السين في الثلاثة، وقرأ حمزة بكسر السين هنا وفي سورة محمد، وفتح التي في الأنفال، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص، عن عاصم بكسر السين هنا، وفتحوا الأخريين. ينظر: «السبعة» ص١٨٠-١٨١، «الحجة» ٢/ ٢٩٢.

(٢) في (م) فأما.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٧١.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٧.

(٥) في «الحجة»: زيادة: وغلّظ على المسلمين في المسايفة بينهم.

(٦) زيادة من (م).

السَّلْم لغة في السِّلم الذي يراد به (الإسلام، إلا أن يقال: إن الفتح لغة في الكسر الذي يراد به)[١] الصلح، ويتأول أن الإسلام صلحٌ على نحو ما بينا[٢]. والذي يراد به الصلح فيه ثلاث لغات: السِّلْم والسَّلْم والسَّلَم. وأنشد أبو عبيدة:

أنائلَ إنَّني سَلَمٌ لأهلِكِ فاقْبَلي سَلَمِي[٣]

وقرئ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٤][٤].

والمراد بالسِّلم في هذه الآية: الإسلام[٥]؛ لأن المراد إنما هو

---

(١) ساقطة من (ي).

(٢) من «الحجة» ١/ ٢٩٣، وقد اختصر الواحدي كلامه كثيرًا، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٣.

(٣) البيت لمسعدة بن البختري يقوله في نائلة بنت عمر بن زيد الأسيدي، وكان يهواها، انظر: «الأغاني» ١٣/ ٢٧١، «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٤٣، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٩٤. وفي «اللسان» (مادة: سلم) ضبطت بكسر السين وتسكين اللام.

(٤) من «الحجة» ١/ ٢٩٣-٢٩٤ بتصرف واختصار، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٩، وآية النساء في المخطوطة كتبت: السلم، وهي كذلك في «الحجة» ٢/ ٢٩٦، وأما في «معاني القرآن» للزجاج فكتبت: السلام، بألف، والظاهر أن المؤلف ساقها شاهدا على السلم، وقد اختلف فيها القراء، فقرأها بالألف: ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وعاصم، وقرأها بغير ألف: نافع وابن عامر وحمزة. ينظر في تفصيل ذلك: «السبعة» لابن مجاهد ص٢٣٦.

(٥) ذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٢-٣٢٣، وكذا ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٠ الرواية بذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاوس وقتادة والسدي وابن زيد والضحاك. وقيل: بل المراد: الطاعة، وهو مروي عن ابن عباس وأبي العالية والربيع. وقيل: في أنواع البر كلها، وهو مروي عن مجاهد وسفيان الثوري، وهذه الثلاثة متقاربة، وقيل: الموادعة، وهو مروي عن قتادة، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٧٢.

تحضيضهم على الإسلام والدعاء إليه، والدخول فيه، وليس المراد: ادخلوا في الصلح، وليس ثَمّ صُلْحٌ يدعون إلى الدخول فيه[١]، إلا على التأويل الذي ذكرنا أن الإسلام صلح[٢].

قال ابن عباس في رواية عطاء[٣]

وقتادة[٤] وابن زيد[٥] والضحاك والسُّدِّي[٦]: نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبي ﷺ قاموا بشرائعه وشرائع موسى، فعظموا السبت، وكرهوا لُحْمَانَ الإِبِلِ وألبَانَها بعد ما

---

(١) من قوله: وليس المراد ساقطة من (ي).

(٢) من «الحجة» ١/ ٢٩٣ بتصرف، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٣.

(٣) رواه الواحدي بسنده في «أسباب النزول» ص٦٨، وفي إسناده عبد الغني بن سعيد الثقفي، وهو واه كما قال ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٣٠، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٧٩-١٨٠ بمعناه، ورواه الطبري ٢/ ٣٢٥، عن ابن جريج عنه بلفظ: يعني أهل الكتاب، ورواه ابن أبي حاتم ٢/ ٣٦٩-٣٧٠ عن عكرمة عن ابن عباس قال: يعني مؤمني أهل الكتاب، ثم ذكره عن مقاتل بن حيان، أنه قال: عبد الله بن سلام، ومؤمنوا أهل «الكتاب»، ورواه الطبري عن عكرمة قال: نزلت في ثعلبة وعبد الله بن سلام وابن يامين وأسد وأسيد بن كعب وسعية بن عمرو وقيس بن زيد -كلهم من يهود- قالوا: يا رسول الله، يوم السبت يوم كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، إلخ. بمعناه. وقد اعترض ابن كثير في «تفسيره» ص٢٦٦ على رواية عكرمة فقال: وفي ذكر عبد الله بن سلام مع هؤلاء نظر؛ إذ يبعد أن يستأذن في إقامة السبت، وهو مع تمام إيمانه يتحقق نسخه ورفعه وبطلانه، والتعويض عنه بأعياد الإسلام.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٥/ ٨٢، والطبري ٢/ ٣٢٣، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٠، والثعلبي ٢/ ٦٧١.

(٥) رواه الطبري ٢/ ٣٢٣، وذكره الثعلبي ٢/ ٦٧١.

(٦) انظر المصدر السابق.

أسلموا، فأنكر ذلك عليهم المسلمون، فقالوا: نقوى على هذا وهذا، وقالوا للنبي ﷺ: إن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها في صلاتنا، فأنزل الله هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿كَآفَّةً﴾ يجوز أن يكون معناه: ادخلوا جميعًا.

ويجوز أن يكون معناه: في السلم[(١)]، أي: في جميع شرائعه، وهذا أليق بظاهر التفسير، لأنهم أُمِروا بترك تعظيم السبت، واستحلال لُحْمان الإبل، وهذا من شرائع الإسلام التي أمروا بالقيام بها كلها[(٢)].

ومعنى الكافة في اللغة: الحاجزة المانعة، يقال: كففت فلانًا عن السُوء فكَفَّ يَكُفُّ كَفًّا، سواء لفظ اللازم والمجاوِز، ومن هذا يقال: كُفَّةُ القميص، لأنها تمنع الثوب من الانتشار، وقيل لطرف اليد: كَفٌّ؛ لأنه يُكَفُّ بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: كُفَّ بَصَرُه من أن ينظر. فالكافة معناها: المانعة، ثم صارت اسمًا للجملة الجامعة؛ لأنها تمنع من الشذوذ

---

(١) في (ي): كافة.

(٢) ينظر في ذكر القولين: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٤-٣٢٥، «النكت والعيون» ١/ ٢٦٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٩٧-١٩٨، «زاد المسير» ١/ ٢٢٥، قال ابن عطية: واختلف بعد حمل اللفظ على الإسلام من المخاطب؟ فقالت فرقة: جميع المؤمنين بمحمد ﷺ. والمعنى أمرهم بالثبوت فيه والزيادة من التزام حدوده، ويستغرق كافة حينئذ المؤمنين، وجميع أجزاء الشرع، فتكون الحال من شيئين، وذلك جائز نحو قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: ٢٧] إلى غير ذلك من الأمثلة. وقال عكرمة: بل المخاطب من آمن بالنبي ﷺ من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره. الحديث، فكافة على هذا لأجزاء الشرع فقط، وقال ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في الإسلام بمحمد كافة، فكافة على هذا لأجزاء الشرع وللمخاطبين على من يرى السلم الإسلام، ومن يراها المسالمة يقول: أمرهم بالدخول في أن يعطوا الجزية. ا. هـ- بتصرف.

والتفرق[١][٢]. والمعنى: ادخلوا في شرائع الإسلام جملة مانعة من شريعة لم تدخلوا فيها[٣].

وقال أبو إسحاق: معنى الآية: ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فتكفوا[٤] من أن تعدوا شرائعه، وادخلوا كلكم حتى يكف عن عددٍ واحدٍ لم يدخل فيه[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي[٦]: آثاره ونزغاته، فيما زين لكم من تحريم السبت ولحم الجمل[٧]. وذكرنا هذا فيما تقدم.

٢٠٩- قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ يقال: زَلّ يَزِلّ زَلًّا وزالًّا ومزلًّا وزلولًا: إذا دحضت قدمه، وزَلَّ في الطين زليلًا. ومعنى زَلَلْتُم: تنحيتم عن القصد والشرائع في تحريم السبت ولحوم الإبل[٨] ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا

---

(١) في (ي): فالفرق.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٩، وهذا لفظه بتصرف، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٥ «كفّ»، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٧٨، «المفردات» ص٤٣٥، وقوله: سواء لفظ اللازم والمجاوز: أي المتعدي.

(٣) ينظر: «الوسيط» ١/ ٣١٣، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٦.

(٤) في (ي) فيكفوا. وفي «معاني القرآن» للزجاج: فَكُفُّوا، وفي «تهذيب اللغة» موافق لما أثبت.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٧٩، وقوله: وادخلوا، في «معاني القرآن»: أو ادخلوا، وفي «تهذيب اللغة» موافق لما أثبت، وكذا قوله واحد، في «معاني القرآن» وأحد، وفي «تهذيب اللغة» موافق لما أثبت.

(٦) زيادة من (ي).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٠، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٧٨، «الوسيط» ١/ ٣١٣، «التفسير الكبير» ٥/ ٢٢٧.

(٨) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٠ بتصرف، وينظر في معاني زل «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٠-١٥٥١، «المفردات» ص٢١٩.

﴿جَآءَتْكُمُ﴾ يعني: القرآن ومواعظه[١].

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في نقمته لا تعجزونه، ولا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرع لكم من دينه[٢].

٢١٠- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ الآية، ﴿هَلْ﴾ هاهنا استفهام يراد به النفيُ والإنكار[٣]، كما يقال: هل يفعل هذا إلا مايق[٤]، أي: لم يفعل.

﴿يَنظُرُونَ﴾ بمعنى: ينتظرون، والنظر عند أهل اللغة: الطلب لإدراك الشيء، وتقليب العين نحو الجهة التي فيها المرئي المراد رؤيته، مما يدل على ذلك قولُ ذي الرُّمَّةِ:

فيامَيّ هل يُجْزَى بُكائِي بمِثْلِه ... مرارًا وأنْفاسِي إليكَ الزَّوافِرُ
وإني متى أشْرِف على الجَانِبِ الذي ... به أنتِ من بَينِ الجَوانِبِ ناظِرُ[٥]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٩٩.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٨٢، وقال ابن عطية ٢/ ١٩٩: والبينات: محمد وآياته ومعجزاته، إذا كان الخطاب أولا لجماعة المؤمنين، وإذا كان الخطاب لأهل الكتابين، فالبينات ما ورد في شرائعهم من الإعلام بمحمد ﷺ والتعريف به. اهـ- وهذا الذي مال إليه الطبري ٢/ ٣٢٦، وبين أن الأول قريب منه في المعنى.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٨١، ٢/ ٣٢٩، «التبيان» ص١٢٩، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٤، وقال: وكونها بمعنى النفي إذا جاء بعدها إلا، كثير الاستعمال في القرآن وفي كلام العرب.

(٤) المائق: الأحمق. ينظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٠٠.

(٥) البيت لذي الرمة من قصيدة يمدح فيها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، في «ديوانه» ص٢٣٣.

فلو كان النظرُ الرؤيةَ لم يطلب عليه الجزاء، أي: المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئًا، بل يريد ذلك ويتمناه، ويدل على ذلك قول الآخر:

ونـظْـرَة ذي شِـجَـنٍ وأَمْـنٍ إذا ما الرَّكَائِبُ جاوَزْنَ مِيلًا[١].

فهذا على التوجه إلى الناحية التي المحبوبُ فيها، وتقليب البصر نحوها، وما يعالج من التلفت والتقلب، كقول الآخر:

ما سِرتُ مِيلًا ولا جَاوَزْتُ مَرْحَلةً إلا وذكركِ يَلْوِيْ دايبًا عُنُقِيْ[٢]

هذا الذي ذكرنا هو الأصل في اللغة[٣]، ثم يجوز أن يعني بالنظر: الرؤية؛ لأن تقليب البصر نحو المُبْصَر تتبعه[٤] الرؤية، وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به، كقولهم للفِنَاء: عَذِرَة، ولذي بطن الإنسان: غائط.

والنَّظَر يُعَدَّى بإلى، ثم يجوز أن يُحْذَفَ الجار ويُوصَل الفعل كما أنشده[٥] الأخفش:

ظاهرات الجَمَالِ وَالحُسْنِ يَنْظُرْ
نَ كـمـا تَـنْـظـرُ الأرَاكَ الـظِّـبَـاءُ[٦]

---

(١) البيت في «المفضليات» ١/ ٥٦ ولم ينسبه.وقوله وأمن كذا في المخطوطة وفي «المفضليات»: (وامق) ولعلها أصوب.

(٢) البيت في «الحلة السيراء» ١/ ٩٤، وفي «محاضرات الأدباء» ٢/ ٧٣.ولم أهتد لقائله.

(٣) ينظر في (نظر) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٠٣-٣٦٠٦، «المفردات» ص٤٩٩-٥٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٤٦٥-٤٤٦٨ (نظر)، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٤.

(٤) في (م): (يتبعه).

(٥) في (أ): (م) (أنشد).

(٦) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات في «ديوانه» ص٨٨ وذكره في «البحر المحيط»

المعنى: ينظرن إلى الأراك، فحذف الجار[١]. والنظر فعل يستعمل على ضروب من المعاني، كلها يرجع إلى أصل[٢] واحد، وهي طلب الإدراك.

منها: النظر، بمعنى: الانتظار[٣]، كقوله تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: غير منتظرين إدراكه وبلوغه، والمنتظر يطلب إدراك ما يتوقع، يقال: نظرته وانتظرته، ومنه قوله: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

وقال الحطيئة[٤]:

وقد نَظَرْتُكُم إيناءَ صادرة.... [٥]

والناظرُ إلى الشيء يطلبُ إدراك ما يلتمس ببصره، والنظر بالفكر إدراك المعاني.

ويكون النظر بمعنى: التَّعَطُّفِ والرَّحْمَة، كقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ

١/ ٣٩٩، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٤٠، «أساس البلاغة» ٢/ ٤٥٤ (نظر) يشبه الشاعر الحسان العبشميات بالظباء المنتصبات، وهو أحسن ما تكون الظباء. والأراك شجر معروف يستاك بعيدانه.

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٢٤.

(٢) في (أ): الأصل.

(٣) قال الرازي في «تفسيره» ٥/ ٢٢٩: وأجمعوا على أنه يجيء بمعنى الانتظار.

(٤) هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، الشاعر الهجاء الشهير، لقب بالحطيئة لقصره، وهو جاهلي إسلامي أسلم بعد وفاة الرسول ﷺ، وتوفي سنة ٤٥هـ. ينظر: «الشعر والشعراء» ص١٩٩، «الأعلام» ٢/ ١١٨

(٥) وتمامه: للوِردِ طال بها حَوْزي وتَنْساسي.. البيت للحطيئة كما في «اللسان» ٧/ ٤٤٦٦ (نظر).

ﵟٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡﵞ [آل عمران: ٧٧]. ذلك أن الرحمةَ تتبع النظر، فإن الواحدَ منا إذا نظر إلى حال إنسان فرآه في بليةٍ أو شدةٍ رَحِمَهُ، ولو لم ينظر إليه لم تداخله الرحمة، هذا هو الأصل، ثم جعل الرحمة نظرًا.

ويكون النظر بمعنى الاعتبار والتأمل والتدبر، وهو فعل غير متعد، فمن ذلك قوله: ﵟٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَﵞ [الفرقان: ٩] ﵟٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖﵞ [النساء: ٥٠] ﵟٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚﵞ [الإسراء: ٢١] وقد يتعدى هذا بالجار، كقوله: ﵟأَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِﵞ [الأعراف: ١٨٥] .وقوله: ﵟأَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡﵞ [الغاشية: ١٧]. وقوله: ﵟأَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِﵞ [ق: ٦] والمراد بالنظر في هذه الآية: نظر الاعتبار، وذلك أن الاعتبار ثاني النظر، كما ذكرنا في الرحمة. والنظر يكون بمعنى المقابلة، تقول العرب: الجبل ينظر إليك أي: يقابلك، وذلك أن الأكثر في باب النظر أن الناظر ينظر فيما يقابله، فلما كان الأكثر في هذا الباب المقابلة سميت المقابلة نظرًا(١).

والظُّلَل جمع ظُلَّة: مثل حُلَّة وحُلَلٌ، والظُّلَّة: ما يُسْتَظَلُّ به من الشمس، ويسمى السحابُ ظَلَّةً لأنه يُسْتَظَل بها، ومنه قوله: ﵟعَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚﵞ [الشعراء: ١٨٩] أراد: غيمًا تحته سموم(٢).

ومعنى الآية: هل ينتظر التاركونَ الدخولَ في السِّلْم والمتبعون

---

(١) ينظر في معاني النظر «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٠٣-٣٦٠٦، «المفردات» ص٤٩٩-٥٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٤٦٥-٤٤٦٨ (نظر).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٧-٣٢٨، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٥-٢٢٤٨ (ظل)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٨٣، «المفردات» ٣١٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٠، «اللسان» ٥/ ٢٧٥٣-٢٧٥٦ (ظلل).

خطوات الشيطان إلا العذاب يوم القيامة، يريد: أنه لا ثواب لهم، فلا ينتظرون إلا العذاب[١].

فإن قيل: إنهم لا ينتظرون العذاب، ولو انتظروا العذاب لدخلوا في السلم كافة؟ قيل: انتظارهم العذاب يكون في الآخرة، يوم القيامة يعلمون أنهم لا ثواب لهم فلا ينتظرون إلا العذاب، أو نقول: قد ذكرنا أن هذا استفهام معناه النفي، بمعنى: ما ينتظرون، ويكون هذا خبرًا بمعنى النهي، أي: لا تنتظروا بعد تكذيب محمد ﷺ إلا العذاب، وذكرنا عن صاحب النظم وجهًا آخر في نظير هذه الآية في سورة النحل.

وفي قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ وجهان: أحدهما: أن هذا من بابِ المضاف، أن يأتيهم عذابُ الله، أو أمرُ الله، أو آياتُ الله، فجعل مجيء الآيات والعذاب مجيئًا له، تفخيمًا لشأن العذاب وتعظيمًا له.

والثاني: أن المعنى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب، فحذف ما يأتي به تهويلًا عليهم، إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد، وإذا لم يذكرْ كان أبلغ لانقسام

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٩-٣٣٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٤١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٦٦، وقد رد الطبري رحمه الله ٢/ ٣٣١ قول قتادة في تأويله: والملائكة، أنه يعني به الملائكة تأتيهم عند الموت، بدلالة بعض الأحاديث الواردة التي تدل على أن إتيانهم إنما يكون بعد قيام الساعة في موقف الحساب حين تشقق، وبمثل ذلك روي الخبر عن جماعة من الصحابة والتابعين. اهـ. وإذا كان قول قتادة مردودا بذلك فمن باب أولى ما روي عن بعضهم: أن هذا الوعيد إنما هو في الدنيا. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٠.

وخواطرهم وذهاب فكرتهم في كل وجه، ومثله قوله: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢] أي: أتاهم بخذلانه إياهم[1].

---

(١) ينظر في ذكر هذه الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٢٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٠، والقول الصحيح مذهب السلف الصالح من إثبات الصفات لله تعالى على الوجه اللائق به، من غير تحريف ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تعطيل، مع الإقرار بمعناها، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر ٢١-٢٢] وكقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام ١٥٨] وقد ساق الطبري في ٢/ ٣٢٧-٣٣١، وابن أبي حاتم ٢/ ٣٧٢-٣٧٣، والثعلبي ٢/ ٦٨٣-٦٨٧، أخبارا وآثارا كثيرة تدل على مجيء الله تعالى يوم القيامة لفصل القضاء مجيئا حقيقيا، قال ابن سريج كما نقل الذهبي في «الأربعين في صفات رب العالمين» ص٩٠: وقد صح عند جميع أهل السنة إلى زماننا أن جميع الأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلم الإيمان بكل واحد منها، كما ورد مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة أن نقبلها، فلا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ونسلم الخبر لظاهره، والآية لظاهر تنزيلها. وينظر: «مختصر العلو» للذهبي ٢٢٦ص، وقال الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص١٩١: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون له ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله ﷻ، وكذلك يثبتون ما أنزله - عز اسمه - في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وقوله عز اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. وينظر: «الحجة في بيان المحجة» ٢/ ١٢٣، و«تفسير أبي المظفر السمعاني» ٢/ ٦٠، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٤١، و«الفتاوى» لابن تيمية ١٦/ ٤٠٩، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» ص١٩٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٢٦٦.

وفي قوله: ﴿ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ وجهان أيضًا:

أحدهما: أن العذاب يأتي فيها ويكون أهول، كقوله: ﴿عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

والثاني: أن ما يأتيهم من العذاب يأتي في أهوال مفظعة، فشبه الأهوال بالظلل من الغمام، كقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ [لقمان: ٣٢](١).

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: فُرِغَ لهم مما كانوا يوعدون، بأن قدّر عليهم ذلك وأعد لهم(٢). وذكرنا معنى القضاء فيما تقدم(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ اختلف القراء في (ترجع)(٤)، فقرأ بعضهم: بفتح التاء وكسر الجيم، بنى الفعل للفاعل، كقوله ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

وقوله: ﴿إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية: ٢٥] و﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ [المائدة:

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٢٣٤، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٤. والغمام: السحاب الأبيض الرقيق، سمي غماما ؛ لأنه يغم، أي: يستر، قال ابن عباس: يأتي الله ﷻ يوم القيامة في ظلل من السحاب وقد قطعت طاقات، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، وقد ذكر المؤلف هذين الوجهين بناء على ما قرره من تأويل صفة الإتيان لله تعالى. تنظر: المراجع السابقة.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٣١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٦٩٢، «تفسير البغوي» ١/ ٢٤١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠١، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٥.

(٣) ينظر تفسير [البقرة: ٢٠٠].

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وعاصم بضم التاء، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح التاء، وروى خارجة عن نافع أنه قرأ: وإلى الله يُرجع الأمور، بالياء مضمومة في سورة البقرة ولم يروه غيره. ينظر السبعة ص١٨١، «الحجة» ٢/ ٣٠٤.

٤٨] أضاف المصدر إلى الفاعل[1]. وقرأ بعضهم: بضم التاء وفتح الجيم، بنى الفعل للمفعول به، كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٦][2].

ومعنى قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: في الخير من الثواب والعقاب، وذلك أن العباد في الدنيا لا يجازون على أعمالهم، ثم إليه يصيرون، فيعذب من يشاء، ويرحم من يشاء[3].

قال ابن الأنباري: إن الأمور لم تخرج من يديه، ولكن العباد في الدنيا لا يجازون على أعمالهم بما يستحقون من الثواب والعقاب، ولا يُرزقون بمقدار الطاعة، ولا يُقتَّر عليهم على حسب المعصية، بل الثواب والعقاب والجزاء والحساب في الآخرة، فقال الله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ يعني: أنه كان يجازي عليها ويُثِيبُ ويُعَاقب، إذ كانوا في الدنيا لا يلحقهم من هذه الأشياء شيءٌ. ويكون المعنى على أن الله مَلَّك عبيده في الدنيا الأموالَ والتصرفَ فيها، ثم يرجع الأمر في ذلك كله إلى الله تعالى في الآخرة، فلا يملك أحدٌ شيئًا[4].

٢١١- قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، ﴿سَلْ﴾ كان في الأصل: اسأل، فتركت الهمزة التي هي عين الفعل؛ لكثرة الدور في الكلام

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٣٠٥ بتصرف.

(٢) من «الحجة» ٢/ ٣٠٤-٣٠٥، وقال: والمعنى في بناء الفعل للمجهول كالمعنى في بناء الفعل للفاعل.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٣١.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٣١-٣٣٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠١، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٥.

تخفيفًا، ونقلت حركتها إلى الساكن الذي قبلها، فاستغنيت عن ألف الوصل.

وقال قطرب: يقال: سَال يَسَال، مثل: زأر الأسد يزأر، وسال يسال يسل، مثل: خاف يخاف، والأمر منه: سَلْ، مثل: خَفْ[١].

وبهذه اللغة قرأ نافع[٢] وابن عامر ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: ١][٣]، على وزن: قال وكال.

وقوله: ﴿كَمْ﴾ هو اسم مبني على السكون موضوع للعدد، يقال: إنه من تأليف(كاف) التشبيه إلى (ما)، ثم قصرت (ما)، وسكنت الميم، وبنيت على السكون لتضمنها حرف الاستفهام، ويعمل فيه ما بعده من العوامل، ولا يعمل فيه ما قبله سوى ما يجر، وهو في موضع نصب هاهنا بـ(أتيناهم)، وأكثر لغة العرب الجرُّ به عند الخَبَر، والنصبُ عند الاستفهام، ومن العرب من ينصب به في الخبر ويجر في الاستفهام[٤].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٤-١٢٥، «التبيان» للعكبري ص١٢٩، وقال: وفيه لغة ثالثة وهي إسل، حكاها الأخفش، ووجهها أنه ألقى حركة الهمزة على السين وحذفها، ولم يعتد بالحركة لكونها عارضة، فلذلك جاء بهمزة الوصل، كما قالوا: كحمر، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٦، «الدر المصون» ٢/ ٣٦٦.

(٢) هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، المقرئ المدني، أحد الأعلام والقراء السبعة المشهورين، توفي سنة ١٦٩هـ. ينظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٠٧، «النشر» ١/ ١١٢.

(٣) قرأ نافع وابن عامر: سال، غير مهموز، والباقون بالهمز، وكلهم قرأ: سائل، بالهمز بلا اختلاف. ينظر: «السبعة» ص٦٥٠.

(٤) ينظر في عمل كم: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٥٦-١٦٨، «مغني اللبيب» ٢٤٣، وبين أن الاستفهامية والخبرية يشتركان في خمسة أشياء ويفترقان في مثلها أيضا، «الدر المصون» ٢/ ٣٧٠ واختار أن الصحيح فيها أنها بسيطة وليست مركبة، وينظر في=

ومعنى السؤال هاهنا: تبكيتٌ للمسؤول عنه وتقريع له، لا تَعَرُّفٌ منه، كما يقال: سله كم أنعمت عليه فكفر نعمتي! وكم حذرته فلم ينته! كذلك هؤلاء، أنعم الله عليهم نعمًا من فَلْقِ البحر لهم، وإنجائهم من عدوهم، وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى، فكفروا بهذه النعم حتى لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ولم يبينوا نعته[1]، ولهذا قال بعضهم: في الآية إضمار واختصار، تقديره: سلهم كم آتيناهم من آية بينةٍ فكفروا بها، و يدل على هذا الإضمار قوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ يعني: أنهم بدلوا بالكفر بها، وترك الشكر لها[2].

والتبديل: تصيير الشيء على غير ما كان[3]، ونذكر الكلام فيه مستقصى عند قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] إن شاء الله. والله تعالى هو الذي يبدل النعمة نقمة إذا كُفِرَت ولم يُعْرف حقها، ولكن أضاف التبديل إليهم؛ لأنه بسبب من جهتهم، وهو ترك الشكر والقيام بحقها[4]، ثم بين حكم من بَدّل بباقي الآية.

وفي قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إضمار، يريد: شديد العقاب له[5].

= إعرابها هنا: «التبيان» ص١٢٩، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٦، «الدر المصون» ٢/ ٣٦٦-٣٦٧، وذكروا وجها آخر وهو الرفع بالابتداء (وآتيناهم) خبرها، وضعفه سيبويه وأبو حيان.

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٢، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٦، وذكر في «زاد المسير» ١/ ٢٢٧ قولا آخر وهو أن المراد بالاستفهام التقرير والإذكار بالنعم.

(٢) ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٣.

(٣) ينظر: «المفردات» ص٥٠.

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٤.

(٥) قال في «التبيان» ص١٣٠: ومن يبدل: في موضع رفع بالابتداء، والعائد الضمير في يبدل، وقيل: العائد محذوف تقديره: شديد العقاب له.

والعقاب يَعْقُبُ الجُرْمَ[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يريد: الذين آمنوا بالله ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ يريد ما أعطى موسى ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ يريد: من تخلف من الإيمان من قريظة والنضير وبني إسرائيل[٢]، فعلى هذا: السؤال راجع إلى مؤمني أهل الكتاب.

وقال مجاهد[٣]: النعمة في هذه الآية يراد بها: الحججُ والبراهينُ التي تدل على صحة أمر النبي ﷺ ونبوته، مما في كتابهم، و تبديلهم إياها: تغييرهم نعتَه وصفتَه وذكَره، وهذا الوجه اختيار الزجاج[٤].

٢١٢- قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، إنما لم يقل: (زينت)؛ لأن الحياة مصدر، فذهب إلى تذكير المصدر، كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود:

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٣.

(٢) تقدم الحديث عن رواية عطاء في المقدمة.

(٣) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٢: ونعمة الله، لفظ عام لجميع أنعامه، ولكن يقوي من حال النبي ﷺ معهم أن المشار إليه هنا محمد ﷺ، فالمعنى: ومن يبدل من بني إسرائيل صفة نعمة الله، ثم جاء اللفظ منسحبا على كل مبدل نعمة لله تعالى، وقال الطبري: النعمة هنا الإسلام، وهذا قريب من الأول، ويدخل في اللفظ أيضا كفار قريش الذين بعث محمد منهم نعمة عليهم فبدلوا قبولها والشكر عليها كفرًا، والتوراة أيضًا نعمة على بني إسرائيل أرشدتهم، وهدتهم فبدلوها بالتحريف لها، وجحدوا محمدًا ﷺ.

(٤) ذكره الزجاج ١/ ١٨١، وذكر ابن الجوزي ١/ ٢٢٧، أن في المراد بتبديل النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد. والثاني: تغيير صفة النبي ﷺ في التوراة قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة.

٦٧] هذا قول الفراء(١).

وقال الزجاج: تأنيث الحياة ليس بحقيقي؛ لأن معنى الحياة والعيش والبقاء واحد، وكأنه قال: زين للذين كفروا البقاء(٢).

وقال ابن الأنباري: إنما لم يقل: (زينت)؛ لأنه فصل بين زين وبين الحياة بقوله: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وإذا فصل بين فعل المؤنث وبين الاسم بفاصل حسن تذكير الفعل؛ لأن الفاصل يكفي من تاء التأنيث(٣)، ويقال: من الذي زين لهم؟ قيل: فيه قولان:

أحدهما: زَيَّنَها لهم إبليس بما يمنيهم ويعدهم من شهواتها، قاله ابن كيسان والزجاج(٤).

والقول الثاني: أن الله تعالى زَيَّنَها لهم حين بَسَطَها وَوَسَّعَها عليهم، فهي هَمُّهم وطَلِبَتُهم ونِيَّتُهم وهم لا يريدون غيرها، كقوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩] وإنما فعل الله ذلك بهم

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٥، وقال: فأما في الأسماء الموضوعة فلا تكاد العرب تذكر فعل مؤنث، إلا في الشعر لضرورته، وقد يكون الاسم غير مخلوق من فعل، و يكون فيه معنى تأنيث، وهو مذكر فيجوز فيه تأنيث الفعل وتذكيره على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، ومن ذلك قوله ﷻ: (وكذب به قومك وهو الحق) [الأنعام ٦٦] ولم يقل: كذبت، ولو قيلت لكان صوابا، كما قال (كذبت قوم نوح) [الشعراء ١٠٥]

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨١، وقد ذكر أيضا العلة التي ذكرها ابن الأنباري بعد.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٠٢، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٩، قال: وقرأ ابن أبي عبلة: زينت، بالتاء وتوجيهها ظاهر؛ لأن المسند إليه الفعل مؤنث. وينظر: «الدر المصون» ٢/ ٣٧١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٢.

للابتلاء، كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧] ويدل على هذا قراءة حميد[١] (زَيَّنَ للذين كفروا) بفتح، الزاي[٢] يعني الله تعالى[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقال: سخر منه سُخريَّة، وسُخريًّا، وسَخَرًا، وسُخْرًا، قال الأعشى:

..... لا عَجَبٌ منه ولا سُخْرُ[٤]

ويروى: ولا سَخَرَ، ومعنى السُّخْرِية: الإيهام للشيء والانطواء على خلافه[٥].

---

(١) هو حميد بن قيس المكي الأعرج، أبو صفوان القارئ، قال ابن حجر: ليس به بأس، من السادسة مات سنة مائة وثلاثين، وقيل بعدها. روى له الجماعة. ينظر: «تقريب التهذيب» ص١٨٢ (١٥٥٦).

(٢) وبها قرأ أبي بن كعب، والحسن ومجاهد وابن محيصن وابن أبي عبلة وأبو حيوة. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٣، «زاد المسير» ١/ ٢٢٨.

(٣) ينظر في ذكر الأقوال: «تفسير البغوي» ١/ ٢٤٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٩ قال البغوي: الأكثرون على أن المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها. وقال ابن عطية جامعا بين القولين: المزين هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر، ويزينها أيضا الشيطان بوسوسته وإغوائه. وينظر: «زاد المسير» ١/ ٢٢٨.

(٤) تمام البيت:

إني أتتني لسان لا أسر بها ... من عَلوَ لا عجبٌ منها ولا سُخُر

قال ذلك لما بلغة خبر مقتل أخيه المنتشر، والتأنيث للكلمة. ينظر: «اللسان» ٤/ ١٩٦٣ (سخر).

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٥٠، «المفردات» ٢٣٣، «اللسان» ٤/ ١٩٦٣ (سخر)، ونقل في «التهذيب» عن الفراء قوله: سخِرتُ منه، ولا تقل سخرت به، قال الله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ [الحجرات١١] وقال ابن السكيت: تقول: =

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف على ﴿زُيِّنَ﴾، ولا ينكر استئناف المستقبلِ بعد الماضي، وذلك أن الله تعالى خبر عنهم بـ ﴿زُيِّنَ﴾ وهو ماض، ثم خبر عنهم بعد ذلك بفعل يديمونه ويستقبلونه، فقال: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: يسخرون من فقراء المؤمنين ويعيرونهم بالفقر(١).

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في مشركي العرب، كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال، ويسخرون من فقراء المؤمنين الذين يرفضون الدنيا(٢)، وقال في رواية عطاء: نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم من بني قريظة والنضير وقينقاع، سخروا من المهاجرين حيث أخرجوا من ديارهم وأموالهم(٣).

= سخرت من فلان، فهذه اللغة الفصحية قال الله تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة: ٧٩].

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٧، «البحر المحيط» ٢/ ١٣٠، وذكر أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره، وهو يسخرون، وقيل الجملة الفعلية معطوفة على الجملة الفعلية، ولا يلحظ فيها عطف الفعل على الفعل ؛ لأنه كان يلزم اتحاد الزمان، وإن لم يلزم اتحاد الصيغة، قال: وصدرت الأولى بالفعل الماضي لأنه أمر مفروغ منه، فليس أمرًا متجددًا، وصدرت الثانية بالمضارع لأنها حالة تتجدد كل وقت. وينظر: «الدر المصون» ٢/ ٣٧١-٣٧٣.

(٢) ذكره الثعلبي ٢/ ٦٩٨ من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف جدًّا، وذكر البغوي ١/ ٢٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٢٨، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٢٦٣، والرازي في «تفسيره» ٦/ ٥، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٩، وعزاه أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ١٩٨ إلى الكلبي، وقد روى الطبري ٢/ ٣٣٤، نحوه عن عكرمة.

(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٧=

وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ قال مقاتل: والذين اتقوا الشرك وهم هؤلاء الفقراء[1]، وقال غيره: والذين اتقوا الله في عهدِهِ وأمرِهِ فوق الذين سخروا منهم[2]، يعني: بارتفاع حججهم على حجج الكفار، لأن في القيامة تعلو حجج المؤمنين، ويلزم الذُّلُّ الكافرين[3].

قال الزجاج[4] وابن الأنباري: يجوز أن يكون (فوق) يدل على علو موضع المؤمنين على موضع الكافرين[5]؛ لأن المؤمنين في الجنة، والجنة عالية، والكافرين في النار، والنار هاوية، فوصف المؤمنين بأنهم فوق الكفار، وإن لم يكن للكفار موضع يوصف بالفوقية، كما قال: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفرقان: ٢٤] وإن لم يكن في مستقر أهل النار خير. وقال بعض أهل المعاني: أراد: أن حالهم في الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار في الدنيا، وعلى هذا يتوجه قوله: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ يعني: أن مستقرهم في الآخرة خير من مستقر هؤلاء الذين اغتبطوا به في

= من قول عطاء، وكذا البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٤٢، «زاد المسير» ١/ ٢٢٨، و«تفسير الرازي» ٦/ ٥، «البحر المحيط» ٢/ ١٢٩، وقال مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٨١ عند قوله: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾: نزلت في المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه، ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، في أمر المعيشة بأنهم فقراء نزلت في عبدالله بن ياسر المخزومي وصهيب، وفي نحوهم من الفقراء.

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٨١.

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣١٥، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) ينظر: «زاد المسير» ١/ ٢٢٨، «التفسير الكبير» ٦/ ٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٢، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٤٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ١/ ٢٢٨، «التفسير الكبير» ٦/ ٨.

(٥) من قوله: قال الزجاج ساقط من (أ) و(م).

الدنيا(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد أن أموال قريظة والنضير تصير إليكم بلا حساب ولا قتال بأسهل شيء وأيسره(٢)، فيكون على هذا: والله يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق للرزق، فيصير إليه ما لم يكن يحتسبه ولم يؤمله، ويكون ذلك من أهنأ العطاء وأحلا الأرزاق، لذلك مدح الله نفسه بهذا.

وقال في رواية لأبي صالح: يعني: كثيرًا بغير فوت ولا مقدار؛ لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل(٣). وقال الضحاك: يعني من غير تبعة في الدنيا ولا حساب في الآخرة(٤)، دليله قوله: ﷺ: «**يدخل الجنة سبعون ألفًا من أمتي بغير حساب**»(٥).

وقال مقاتل: يرزق من يشاء حين بسط للكافرين في الرزق، وقتّر على

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، «زاد المسير» ١/ ٢٢٨، «التفسير الكبير» ٦/ ٨، وذكر ابن عطية أن هذه الاحتمالات المذكورة حفظ لمذهب سيبويه والخليل في أن التفضيل إنما يجيء فيما فيه شركة، والكوفيون يجيزونه حيث لا اشتراك.

(٢) هذا من تتمة الخبر السابق، عن عطاء، وقد تقدم تخريجه آنفا. وينظر في: «البحر المحيط» ١/ ١٣١، «غرائب النيسابوري» ٢/ ٣٠١، «الوسيط» للواحدي ١/ ٣١٥.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧١٢، «البغوي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، وروى ابن أبي حاتم ٢/ ٣٧٥ عن ابن عباس في تفسيرها قوله: ليس على الله رقيب ولا من يحاسبه.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧١٣، «البغوي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٣.

(٥) رواه البخاري (٦٠٥٩) كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، (٥٢٧٠) كتاب الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، ومسلم (٣١٧) كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة.

المؤمنين، ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ يعني: ليس فوقي من يحاسبني، لي الملك أعطي من شئت بغير حساب[1]. وهذا معنى قول الحسن[2]؛ لأنه قال: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ لا يسأل عما يفعل. هذا الذي ذكرنا هي أقوال المفسرين.

ولأصحاب المعاني أقوال[3] في هذا:

أحدها: أن ما يعطي الله تعالى العبد على نوعين: ما يستحقه بعمله، ومنه ما يعطيه من فضله ابتداءً من غير استحقاق بعمل، كقوله تعالى ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] فقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ يعني: ما يتفضل به لا على حساب العمل.

والثاني: لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج إلى حساب ما يخرج منه، إذ كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعلم ما يعطي وما يبقى ولا يتجاوز في عطائه إلى ما يجحف به، والله تعالى لا يحتاج إلى الحساب؛ لأنه عالم غني لا يتناهى لمقدوره ولا يخاف نفاد ما عنده[4].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٨١، ونقله في «البسيط» ١/ ٣١٥.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣١٥، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٣١، «غرائب النيسابوري» ٢/ ٣٠١.

(٣) ينظر في هذه الأوجه: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٣٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٣، و«تفسير السمعاني» ٢/ ٢٦٤، «النكت والعيون» ١/ ٢٧٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٤٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٥-٢٠٦، «زاد المسير» ١/ ٢٢٨-٢٢٩، «التفسير الكبير» ٦/ ٩-١٠، وقد ذكر ثمانية أوجه، إذا كان المراد به عطاء الآخرة، وثلاثة إذا حملت الآية على عطاء الدنيا. «البحر المحيط» ٢/ ١٣١.

(٤) روى نحوه عن الربيع بن أنس كما في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٥، وهذا اختيار الطبري ٢/ ٣٣٤، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٣.

والثالث: أنه أراد بهذا رزقَ أهل الجنة، ورَزْقُهم بغير حساب؛ لأنه دائمٌ، كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠] وذلك أن رِزْقَهُم لا يَتَنَاهى، وما لا نهاية له لا حساب له. وقال ابن الأنباري: هذا في الدنيا يرزقُ عبادَه من غيرِ محاسبةٍ ولا استحقاق، ولو فعل ذلك لخرج الكفار من الأرزاق، فجعل فضله يشملهم، ورزقه يعمهم، بتفضل منه عليهم، وفيهم من لا يستحق الرزق والإحسان، فكان ذلك على غير حساب؛ لأنه لا يحاسب بالرزق في الدنيا على قدر العمل، وهذا الوجه اختيار الزجاج[(١)]، وذكرنا معنى الحساب فيما تقدم.

٢١٣- قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ الآية، قال ابن عباس: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمةً واحدةً كفارًا كلهم، وولد إبراهيم في جاهلية، فبعث الله إليهم إبراهيم وغيره من النبيين[(٢)].

وقال الحسن[(٣)] وعطاء[(٤)]: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة واحدة وهي الكفر، كانوا كفارًا كلهم أمثال البهائم، فبعث الله عز وجل نوحًا وإبراهيم وغيرهما من النبيين.

قال ابن الأنباري: على هذا القول وإن كان فيما بينهم من لم يكن

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٦ من طريق العوفي، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، «الدر المنثور» ١/ ٤٣٥.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧١٤، «البغوي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣١٥، والرازي في «تفسيره» ٦/ ١٣٣، «غرائب النيسابوري» ٢/ ٣٠٣.

(٤) انظر المصادر السابقة.

بهذا الوصف نحو: هابيل وإدريس، فإن الغالب كان الكفر، والحكم للأغلب والأعم، ولا يعتد بالقليل في الكثير، كما لا يعتد بالنبيذ القليل من الشعير في البر الكثير.

وقال الكلبي(١) والواقدي(٢): هم أهل سفينة نوح، كانوا مؤمنين كلهم، ثم اختلفوا بعد وفاة نوح فبعث الله النبيين.

وقال ابن زيد(٣): لم يكونوا أمة واحدة إلا يومًا من الدهر، يذهب إلى الوقت الذي أخرجهم الله فيه من صلب آدم في صورة الذَّرِّ، حين قال لهم تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وهذا القول مروي عن أبي بن كعب(٤)، وعلى هذين القولين يحتاج في الآية إلى إضمار، كأنه قال: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله، وهكذا في قراءة أبيٍّ(٥) وابن مسعود(٦).

وحكى الزجاج عن بعض أهل اللغة قال: كان كلُّ من بعث إليه الأنبياء كفارًا(٧)، يريد: أن أمم الأنبياء الذين بعثوا إليهم كانوا كفارًا، كما

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧١٥، «البغوي» في «تفسيره» ١/ ٢٤٣، والقرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٢.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧١٦، والقرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٢، وقد استظهر محقق «تفسير الثعلبي» أن المراد بالواقدي هنا: علي بن الحسين بن واقد القرشي ت٢١١، وله تفسير رواه الثعلبي وصرح به في مقدمة «تفسيره».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣٦.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٦، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٧، «الدر المنثور» ١/ ٤٣٥.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٧.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٧، «الكشاف» ١/ ٢٥٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٩.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٤.

كانت هذه الأمة قبل مبعث محمد ﷺ.

وقال محمد بن إسحاق: ولدت حواء لآدم أربعين ولدًا ذكرًا وأنثى، في عشرين بطنًا، وكانوا أمة مسلمين فاختلفوا حين قتل أحد ابني آدم أخاه(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الكتب، اسم الجنس أريد به الجمع(٢).

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والصدق، وما فيه من البيان عن الحق من الباطل(٣).

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال أهل المعاني: هذا مجاز وتوسع، وحقيقته ليحكم منزل الكتاب، إلا أنه جعل اللفظ على الكتاب تفخيمًا له لما فيه من البيان(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ الكناية راجعة إلى الكتاب، والمراد بالكتاب المختلف فيه: التوراة والإنجيل(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يعني: اليهود والنصارى، وهم الذين

---

(١) ينظر: «السيرة النبوية» لابن هشام، والذي في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧١٧-٧١٨، وقال مجاهد ومحمد بن إسحاق بن يسار: كان الناس أمة واحدة، يعني: آدم وحده، سمى الواحد بلفظ الجمع؛ لأنه أصل النسل، ثم خلق الله تعالى حواء ونشر منهما الناس، فكانوا مسلمين كلهم إلى أن قتل هابيل فاختلفوا حينئذ فبعث الله النبيين. وينظر قول مجاهد في «تفسيره» ١/ ١٠٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣٥.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٣، «الكشاف» ١/ ٢٥٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٠٦.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٣.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٤، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٢.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٤.

أوتوا الكتاب، والله تعالى كثيرًا ما يذكرهم في القرآن بهذا اللفظ، كقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] كأنه قال: وما اختلف في الكتاب إلا اليهود والنصارى[(١)].

واختلافهم: كفر بعضهم بكتاب بعض بغيًا وحسدًا. ويحتمل أن يكون المراد باختلافهم: تحريفهم وتبديلهم؛ لأن اليهود بدلت التوراة، وعلى هذا المراد اليهود دون النصارى إن لم تبدل النصارى، والوجهان في الاختلاف ذكرهما الفراء[(٢)].

وقال بعضهم: الكناية راجعةٌ إلى محمد ﷺ؛ لأنه من جملة النبيين وداخل فيهم، وعلى هذا معنى الآية: وما اختلف في أمر محمد بعد وضوح الدلالات لهم بغيًا وحسدًا إلا اليهود الذين أوتوا الكتاب، وذلك أن المشركين وإن اختلفوا في أمر محمد فإنهم لم يفعلوا ذلك للبغي والحسد، ولم تأتهم البينات في شأن محمد ﷺ وصحة نبوته كما أتت اليهود. فاليهود مخصوصون من هذا الوجه الذي ذكرنا[(٣)]، وهذا اختيار الزجاج، وقال في هذه الآية: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي؛ لأنهم عالمون بحقيقة أمره في كتبهم[(٤)]، ويجوز أن تعود الكناية إلى الحق كأنه قال: وما اختلف في الحق، وذلك الحق الذي اختلفوا فيه هو: إما محمد ﷺ، وإما كتابهم،

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١٠-٢١١.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢م٧٢٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١١، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٢، «البحر المحيط» ٢/ ١٣٦-١٣٧.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٦١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٥، «البحر المحيط» ٢/ ١٣٦-١٣٧.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٤.

فيعود المعنى إلى ما ذكرنا.

وقوله تعالى ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: إلى ما اختلفوا، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ [المجادلة: ٣] ويقال: هديته إلى الطريق وللطريق والطريقَ، قال الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣][١].

فإن قيل: ما معنى الهداية إلى ما اختلفوا فيه؟ فالجواب ما قال ابن الأنباري: إن هذا من باب حذف المضاف، أي: فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة ما اختلفوا فيه.

وقال الفراء: هذا من المقلوب، أراد: فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه، وأنشد:

إنّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُه تَحْلَى به العَيْنُ إذا ما تَجْهَرُه[٢]

أراد: يَحْلَى بالعين؛ لأنك تقول: حَلِيْتَ بعيني، فصرف فعل الرجل إلى العين[٣].

وقال بعضهم: اختلفوا فيه حق لا باطل، فالهداية إليه يصح في المعنى، وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فكفر بعضهم بكتاب بعض، فهدى الله الذين آمنوا بالكتب كلها؛ لأن الكتب المنزلة كلها حق، ألا ترىٰ إلى قول ابن زيد في هذه الآية، قال: ثم اختلفوا في القبلة، فصلت اليهود إلى بيت المقدس، وصلت النصارى إلى المشرق، فهدانا الله ﷻ إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام، فمنهم من يصوم بعض يوم، ومنهم من يصوم بالليل،

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٦.

(٢) البيت غير منسوب، في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣١.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣١-١٣٢ بمعناه.

فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في يوم الجمعة فأخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدانا الله ﷻ له. واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهوديًا، وقالت النصارى: كان نصرانيًا، فهدانا الله ﷻ للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، فجعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى ربًا، فهدانا الله ﷻ فيه للحق(١).

وقد قال النبي ﷺ: «**كتب الله الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيها فهدانا الله لها، والناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا، والنصارى بعد غدٍ**»(٢).

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد كان ذلك في قضائي وقدري(٣)، وقال بعضهم: بعلمه وإرادته فيهم، وهو قول الزجاج(٤).

وقال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يعني: أهل كل كتاب اختلفوا فيه بعد ما جاءهم البينات بغيًا بينهم ظلمًا وطلبًا للملك، ورفضوا الحكم بكتابهم، فعصم الله هذه الأمة من نقض حكم كتابها، ومخالفة ما فيه من الأحكام.

٢١٤- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية، قال عطاء

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٨، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ١٦٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٢٦، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٣٨، «الدر المنثور» ١/ ٤٣٦.

(٢) أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (٨٧٦) كتاب الجمعة، باب: فرض الجمعة، ومسلم (٨٥٥) كتاب الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. وأوله عندهما: «**نحن الآخرون السابقون**».

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣١٧.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٦.

عن ابن عباس[١]: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة اشتد الضر عليهم؛ لأنهم خرجوا بلا مال، وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ تطييبًا لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية[٢]، وقال قتادة[٣] والسدي[٤]: نزلت في غزوة الخندق، حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف، وكان كما قال الله ﷻ ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

فقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ قال الفراء: استفهم بـ(أم) في ابتداء ليس قبله ألف فيكون (أم) ردًا عليه، وذلك يجوز إذا كان قبله كلام يتصل به، ولو كان ابتداء ليس قبله كلام لم يجز ذلك، كقولك للرجل: أعندك خبز؟ لم يجز هاهنا: أم عندك خبز، ولو قلت: أنت رجل لا تُنْصِف أم لك سلطان تُدِلُّ به؟ لجاز ذلك، إذ تقدمه كلام فاتصل به[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في «تفسيره» ٢/ ٣٧٩، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٧ إلى ابن المنذر، وعن عطاء ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٢٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص٦٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٣١، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٤٥، وأبو حيان في «البحر» ٢/ ٣٧١.

(٢) رواه في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٧ بمعناه، وعزاه إلى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٩، وابن المنذر. وينظر: «الوسيط» ١/ ٣١٧.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٨٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤١، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٣٥، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٧ إلى ابن المنذر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٢٧.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٧٩، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٢٧.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٨.

قال ابن الأنباري: (أم) استفهام متوسط، لا يكون إلا بعد كلام، جعلوا للمتوسط لفظًا يخالف لفظ السابق، فكان للسابق (هل) وأخواتها، وللمتوسط (أم) يدل على صحة هذا قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: ١-٣] أتى بـ(أم) وسطًا، فجعلها استفهامًا، ولم يَرْدُدْهَا على استفهام متقدم، ومن هذا قول الأخطل:

كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظلامِ من الرباب خَيَالا[(١)]

وقال قوم: (أم) هاهنا بمعنى (بل)[(٢)] وذلك لا يحسن إلا إذا تقدمه استفهام، كقولك: إنها لإبل أم شاء يا فتى، وكما قيل في بيت الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت .... البيت.

وقد استقصينا الكلام في (أم) عند قوله: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ﴾ [البقرة: ١٠٨] الآية.

وقال بعضهم: أم هاهنا عطفٌ على استفهام متقدم محذوف، تقديره: أعلمتم أن الجنة حفت[(٣)] بالمكاره، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة من غير بلاء ولا مكروه؟ والكلام ما ذكره الفراء وابن الأنباري[(٤)].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٣٨٥ «المعجم المفصل» ٦/ ٧٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٨.

(٣) في (أ) (تحف).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٥، «التبيان» ص١٣١، واختارا أنها منقطعة، وفي «البحر المحيط» ٢/ ١٣٩ ذكر أبو حيان في (أم) هنا أربعة أقوال: الأول: أنها منقطعة بمعنى بل والهمزة. والثاني: أنها متصلة على إضمار جملة قبلها. والثالث: الاستفهام بمعنى الهمزة. والرابع: الإضراب بمعنى بل، قال: والصحيح هو القول الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ أي: ولم يأتكم، و(ما) صلة، والفرق بينهما أن (لما) يوقف عليها في مثل قولك: أَقَدم زيد؟ فيقول:[١] (لما)، ولا يجوز: (لم)[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ أي: شبه الذين مضوا من قبلكم من النبيين والمؤمنين، أي: ولما يصبكم مثل الذي[٣] أصابهم، ولم يمتحنوا بمثل الذي امتحنوا فتصبروا، كما صبروا، وهذا استدعاء إلى الصبر[٤].

وفي الكلام حذف، تقديره: مثل محن الذين، أو مثل مصيبة الذين من قبلكم[٥].

ثم ذكر ما أصابهم، فقال: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ وهو اسم من البؤس بمعنى الشدة، قال عطاء: يريد: الفقر الشديد، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض والجوع[٦].

﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾: نقيض النعماء، والضراء نقيض السراء.

---

(١) في (ش): (تقول).

(٢) ينظر: «التبيان» ص١٣١، «البحر المحيط» ٢/ ١٤٠، «مغني اللبيب» ص٣٦٧، وذكر أنها تفارق (لم) من خمسة أمور:
١- أنها لا تقترن بأداة شرط.
٢- أن منفيها مستمر النفي إلى الحال، ومنفي لم يحتمل الاتصال والانقطاع.
٣- أن معنى (لما) لا يكون إلا قريبا من الحال.
٤- أن منفي (لما) متوقع ثبوته.
٥- أن منفي (لما) جائز الحذف. اهـ. وقال أبو حيان: ولما، أبلغ في النفي من لم؛ لأنها تدل على نفي الفعل متصلا بزمان الحال، فهي لنفي التوقع.

(٣) في (ي) و(ش) (الذين).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٢٩.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٤٠.

(٦) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣١٧.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أي: حركوا بأنواع البلايا والرزايا[(١)][(٢)].

قال أبو إسحاق: وأصل الزلزلة في اللغة من: زَلّ الشيء عن[(٣)] مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فتأويله: أنك كررت زلله[(٤)] من مكانه، فضوعف لفظه لمضاعفة معناه، وكل ما كان فيه ترجيع كررت فيه فاء الفعل، نحو: صَرَّ[(٥)] وصَرْصَرَ وَصَلّ وصلصل[(٦)]. وتفسير ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ هنا: خوفوا وحقيقته ما ذكرنا، وذلك أن الخائف لا يستقر بل يضطرب لقلقه، ولهذا يقال للخوف: المقيم المُقْعِد؛ لأنه يُذْهب السكون، فيجوز أن يكون ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ هاهنا مجازًا، والمراد به: خوفوا، ويجوز أن يكون حقيقة بأن يكونوا مضطربين لا يستقرون لما في قلوبهم من الجزع والخوف[(٧)].

وقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ قرئ (يقولَ) نصبًا ورفعًا[(٨)]، والنصب على وجهين إذا نصبت الفعل بـ(حتى) فقلت: سرت حتى أدخلها.

---

(١) في (ي): (الرزايا والبلايا).

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٣٠.

(٣) في (م): (من).

(٤) كذا في الأصول، وفي «معاني القرآن» زلزلته.

(٥) (صر) ليست في (ي)، وفي (ش): (ضر وضرضر) وفي (م): (صر وصَرّ).

(٦) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٥. بمعناه.

(٧) ينظر في زلزل «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥١، «المفردات» ص٢١٩، «عمدة الحفاظ» ٢/ ١٦٥، «اللسان» ٣/ ١٨٥٧ (زلل). ونقل الأزهري عن ابن الأنباري في قولهم: أصابت القوم زلزلة، قال: الزلزلة: التخويف والتحذير، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١] ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: خوفوا وحذِّروا قال بعضهم: الزلزلة مأخوذة من الزلل في الرأي، فإذا قيل: زلزل القوم، فمعناه: صرفوا عن الاستقامة، وأوقع في قلوبهم الخوف والحذر.

(٨) قرأ نافع برفع اللام، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: «السبعة» ص١٨١-١٨٢، «الحجة» ٢/ ٣٠٥-٣٠٦.

أحدهما: أن يكون الدخول غاية للسير، والسير والدخول قد مضيا جميعًا، والمعنى: سرت[١] إلى دخولها، وقد مضى[٢] الدخول. وعلى هذا نصب (يقول) في الآية، المعنى: وزلزلوا إلى أن يقول الرسول، فكأنه حتى قول الرسول.

والوجه الآخر في النصب: أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع، ويكون المعنى: سرت كي أدخلها، وليس هذا وجه نصب الآية[٣]. ورفع ما بعد حتى على وجهين.

فأحد الوجهين: هو وجه[٤] الرفع في الآية، كما تقول: سِرتُ[٥] حتى أَدْخُلُها، و قد مضى السير والدخول، كأنه بمنزلة قولك: سِرت فادخلها بمنزلة سرت فدخلتها، وصارت (حتى) هاهنا مما لا يعمل[٦] في الفعل شيئًا؛ لأنها تلي الجمل تقول:[٧] سرت حتى إني[٨] كالٌّ، وكقوله:

فيا عَجَبًا حتى كُليبٌ تَسُبُّني[٩]

---

(١) ليس في: (ش).

(٢) في (ي): (مضت).

(٣) رجح أبو حيان في «البحر» ٢/ ١٤٠ الوجه الأول، قال: لأن المس والزلزال ليسا معلولين لقول الرسول والمؤمنين.

(٤) من قوله: نصب الآية. ساقط من (ي).

(٥) (سرت) ليست في (أ) ولا (م).

(٦) في (ش) (تعمل).

(٧) في (ش): (تقول).

(٨) في (ي): (كأني).

(٩) البيت للفرزدق، وعجزه:

كأن أباها نهشل أو مجاشع

فعملها في الجمل يكون في معناها لا في لفظها، وعلى هذا وجه الآية، ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن، وقد انقطع السير، تقول: سرت حتى أدخلَها الآن ما أمنع، كأنك قلت: سرت حتى (أني)[١] أَدْخُلُها الآن ما أمنع، فهذه جملة باب (حتى) في الأفعال[٢]. قال أبو علي الفارسي: ما ينتصب بعد (حتى) من الأفعال المضارعة على ضربين:

أحدهما: أن يكون بمعنى (إلى)، وهو الذي تحمل[٣] عليه الآية، والفعل الذي يكون قبل (حتى) مع ما حدث عنه قد مضيا جميعًا، ألا ترى أن الأمرين في الآية كذلك.

والآخر: أن يكون بمعنى (كي)، وذلك قولك: (أسلمت حتى[٤] أدخلَ الجنة)، فهذه تقديره: أسلمت كي أَدْخُلَ الجنة، فالإسلام قد كان والدخول لم يكن.

وأما قراءة من قرأ: (حَتَّى يَقُولُ) بالرفع، فالفعل الواقع بعد حتى إذا

= في «ديوانه» ص٤١٩، «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١٨، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٤، «الخزانة» ٤/ ١٤١، «همع الهوامع» ٢/ ٢٤، و«تفسير ابن يعيش» ٨/ ١٨، «مغني اللبيب» ١٧٣. والشاعر يهجو كليب بن يربوع رهط جرير، فجعلهم من الهون بحيث لا يُسابُّون مثله لشرفه. ونهشل ومجاشعَ: ابنا دارم، وهم رهط الفرزدق.

(١) ليست في (ي).

(٢) ينظر في ذلك: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٤-٣٠٦، «التبيان» ص١٣١، «البحر المحيط» ٢/ ١٤٠، «مغني اللبيب» ١٦٦-١٧٦.

(٣) في (ش): (يجهل).

(٤) الجملة هذه ليست في (أ) و(م).

كان مضارعًا مرفوعًا لا يكون إلا فعلَ حالٍ، ويجيء على ضربين.

أحدهما: أن يكون السبب الذي أدى إلى[1] الفعل الذي بعد حتى قد مضى، والفعلُ المُسَبَّبُ لم يمضِ، ومثال ذلك قولهم: مرض حتى لا يرجونه، وشَرِبَتِ الإبلُ حتى يجيء البعير يَجُرُّ بَطْنَه، وتتجه الآية على هذا الوجه، كأن المعنى: زلزلوا فيما مضى حتى إن الرسول يقول الآن: متى نصر الله، وحُكِيَتْ الحالُ التي كَانوا عليها، كما حكيت الحال في قوله: ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] وفي قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

والوجه الآخر من وجهي الرفع: أن يكون الفعلان جميعًا قد مضيا، نحو: سِرتُ حتى أدخُلُها، والدخول متصل بالسير بلا فصل، كما (كان)[2] في الوجه الأول بينهما فصل، والحال في هذا الوجه أيضًا محكية، كما كانت محكية[3] في الوجه الآخر، ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالًا؟ وحتى إذا رُفِعَ الفعل بعدها حرفٌ، يصير الكلام بعدها إلى الابتداء، وليست العاطفةَ ولا الجارةَ، وهي إذا انتصب الفعلُ بعدها الجارةُ للاسم، وينتصب الفعل بعدها بإضمار (أن) كما ينتصب بعد اللام بإضمارها[4].

واعلم أن (حتى) على ثلاثة أضرب:

أحدها: أن تكون جارة نحو ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] وهذه[5]

---

(١) (إلى) ساقطة من (أ) و(ش) و(ي).

(٢) في (ش): (قال).

(٣) ليست في (أ) (م).

(٤) «الحجة» ٢/ ٣٠٦-٣٠٧، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٤-٣٠٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٣٠.

(٥) (وهي) في (ي).

الجارة هي التي تنصب الأفعال بعدها بإضمار أن، والفعل و(أن) المضمرة (معه)[١] في موضع جر بـ (حتى)[٢].

والآخر: أن تكون[٣] عاطفة في نحو:

والزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا[٤].

وهذه تكون عاطفة.

والثالث: أن تكون داخلة على الجمل ومنصرفًا بعدها الكلام إلى الابتداء، كأما وإذا ونحوهما، وذلك نحو قوله:

فيا عجبًا حَتَّى كليبٌ تَسُبُّني[٥]

فهذا جملة الكلام في حتى[٦]. ومعنى الآية: أن الجهد قد بلغ بالأمم قبل هذه الأمة حتى استبطأوا النصر، فقال الله ﷻ: ألا إن نصر الله قريب

---

(١) ليست في (ي).

(٢) ليست في (ش).

(٣) (يكون) في (م).

(٤) صدر البيت: ألقى الصحيفة كي يخاف رحله.

البيت منسوب للمتلمس، وفيه إشارة إلى قصة المتلمس وطرفة حين كتب لهما عمرو بن هند كتابين مختومين، أوهمهما أن فيهما أمرًا لعامله في البحرين بإكرامهما، إلا أن المتلمس فض صحيفته فوجد فيها أمرًا بقتله فرجع. وفي «الكتاب» لسيبويه ١/ ٩٧ نسبه لابن مروان النحوي. [وقال المحقق: الصواب أنه مروان النحوي] والبيت في «الكتاب» ١/ ٩٧، و«الخزانة» ١/ ٤٤٥، ٤/ ١٤٠، و«مغني اللبيب» ١٦٧، والشاهد في البيت: مجيء حتى عاطفة، حيث نصب نعله، ويستشهد به أيضًا على مجيئها ابتدائية برفع نعله.

(٥) تقدم تخريج البيت قريبًا.

(٦) ينظر في حتى: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٩٦-٩٧، ٣/ ١٦-٢٧، «المقتضب» للمبرد ٢/ ٣٨-٤٣، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٢-١٣٨، «الأزهية» ص٢١٤-٢١٦، «مغني اللبيب» ص١٦٦-١٧٦.

فأعلم أولياءه أنه ناصرهم لا محالة، وأن ذلك قريب منهم كما قال ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ (متى) سؤال عن زمان؛ لأن جوابها يقع بالزمان، ألا ترى أنك تقول: متى زيد خارج؟، فيكون الجواب: يوم الجمعة أو يوم السبت، فإذا كان الاسم الذي يلي(متى) جثة احتاج إلى خبر، كقولك: متى زيد منطلق؟، ولا يجوز أن تقول: متى زيد، وتسكت؛ لأن ظروف الزمان لا تكون خبرًا للجثث، وإن كان الاسم الذي (يلي)[1] (متى) لا يكون جثة، حسن السكوت على ذلك الاسم، كقولك: متى القتال؟ وكما في هذه الآية ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؛ لأن ظروف الزمان تكون خبرًا للمصادر[2].

وقوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ﴾ (ألا) صلةٌ لابتداء الكلام، كأنه تنبيهٌ للمخاطب.

قال صاحب النظم: في هذه الآية مبتدآن وجوابان، جمع بين المبتدأين والجوابين، فقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ مبتدآن. وقوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية جوابان لهما، مجموع بينهما، فيحتاج أن يرد كل جواب إلى ابتداء به ليبين نظم الكلام، والتقدير: حتى

---

(١) (هو) في (ي) و(ش).

(٢) ينظر في متى: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٢١٧-٢١٨، «المقتضب» ٣/ ٦٣، ٢٨٩، «الأزهية» ٢٠٠-٢٠١، «مغني اللبيب» ٤٤٠-٤٤١، قال في «التبيان» ص١٣١: وموضع متى رفع؛ لأنه خبر المصدر، وعلى قول الأخفش موضعه نصب على الظرف، ونصر مرفوع به.

يقول الذين آمنوا متى نصر الله، فيقول الرسول: ألا إن نصر الله قريب، وإنما قلنا إنه كذلك؛ لأن الرسول لا يشبهه[١] أن يقول: متى نصر الله، وهذا حسن (لمن)[٢] تأمله، وذكر عبد الملك بن محمد الصدفي في هذه الآية، يرفعه إلى النبي ﷺ، «**أن نبيًا من الأنبياء سأل ربه السعة في الرزق، فأوحى الله إليه: أما يكفيك أني عصمتك أن تكفرني حتى تسألني السعة في الرزق، ولو رضي الله الدنيا لأحد من أوليائه ما نال فيها كافر جرعة ماء، ولكن الله تعالى لم يجعلها ثوابًا لمؤمن ولا عقابًا لكافر**»، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. يريد: الجنة لا موت فيها ولا نصبَ ولا تَعَبَ ولا هَرَمَ ولا سَقَم ولا هَمّ ولا حَزَنَ ولا شيءَ من الضر.

٢١٥- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ الآية، قال عطاء عن ابن عباس[٣]: نزلت الآية في رجل أتى النبي ﷺ فقال: إن لي دينارًا؟ فقال: «**أنفقه على نفسك**» فقال: إن لي دينارين! فقال: «**أنفقهما على أهلك**»، فقال: إن لي ثلاثة؟ فقال: «**أنفقها على خادمك**»، فقال: إن لي أربعة؟ قال[٤]: «**أنفقها على والديك**»، وقال: إن لي خمسة؟ قال: «**أنفقها على قرابتك**»، قال: إن لي ستة؟ قال: «**أنفقها في سبيل الله، وهو أخسها**».

وروي من طريق الكلبي عن ابن عباس: أن الآية نزلت في عمرو بن

---

(١) في النسخ (أ) و(م) و (ب) يسبهه بدون نقط.

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) تقدم الحديث عن رواية عطاء في المقدمة، وقد ذكره في «زاد المسير» ١/ ٢٣٣، والرازي في «تفسيره» ٢/ ٢٤.

(٤) (فقال) في (ي). في جميع المواضيع.

الجموح الأنصاري[١]، وهو الذي قتل يوم أحد، وكان شيخًا كبيرًا هرمًا، وعنده مال عظيم، فقال: ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ (فنزلت)[٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ الآية[٣]، ومعنى السؤال طلب الجواب.

وقوله تعالى: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ في محل (ماذا) من الإعراب قولان:

أحدهما: أن تجعل (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، ويكون الموضع نصبًا بـ(ينفقون) المعنى: يسألونك أيّ شيء ينفقون، ومثل جعلهم (ماذا) بمنزلة اسم واحد قول الشاعر:

دَعِيْ مَاذا عَلِمْتُ سَأَتَّقِيْهِ ولكن بالمَغِيبِ ينبّئني[٤]

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٦٩، وينظر: «زاد المسير» ١/ ٢٣٣، «الوسيط» ١/ ٢١٥، «التفسير الكبير» ٢/ ٢٤، «البحر المحيط» ٢/ ١٤١. ورواية الواحدي في «أسباب النزول» و«البحر المحيط»: (وهو أحسنها)، وأورده الهيثمي عن أبي هريرة ص٢١١ حديث رقم ٨٢٨.

وعمرو، هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة وبدرًا في رواية، وجعله النبي ﷺ سيد بني سلمة، وشهد أحدًا، وكان أعرج شديد العرجة، واستشهد بها. ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم ٤/ ١٩٨٤، «الاستيعاب» ٣/ ٢٥٣.

(٢) في (ي) (فأنزل الله).

(٣) ذكره الثعلبي بغير إسناد ٢/ ٣٣٧، وعنه نقل الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٣٤، وعزاه من طريق أبي صالح عن ابن عباس: الواحدي في «أسباب النزول» ص٦٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٣٣، وعزاه الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣١٨، وعنه الفخر الرازي في «تفسيره» ٦/ ٢٠ إلى رواية الكلبي عن ابن عباس ٦/ ٢٤. وهو قول مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١/ وقول مقاتل بن حيان، نسبه إليه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٧.

(٤) البيت للمثقب العبدي، في «ديوانه» ص٢١٣، ولمزرد بن ضرار في «ديوانه» ينظر: «المعجم المفصل» ٨/ ٢٥٠.

فلا يكون (ذا) مع (ما) إلا بمنزلة شيء واحد، كأنه قال: دعي الذي علمت، لأن (دَعِي) لا يتعلق بالجملة كما يتعلق السؤال، لو قلت: سَأَلْته أزيدٌ في الدار أم عمرو؟ صَحَّ، ولو قلت: دعي أزيد في الدار أم عمرو، لم يصح على ذلك الحد من غير حذف، والعرب تقول: عماذا تسأل؟ بإثبات الألف في (ما)، فلولا أن (ما) مع (ذا) بمنزلة اسم واحد لقالوا: عمذا[1] تسأل، بحذف الألف، كما حذفوها من قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] و﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٤٣] فلما لم يحذفوا الألف من آخر (ما)[2] علمت أنه مع (ذا) بمنزلة اسم واحد، فلم تحذف الألفُ منه، لما لم يكن آخر الاسم، والحذف يلحقها إذا كانت آخرًا، إلا أن تكون في شعرٍ، كقول الشاعر:

عَلَى ما قام يشتمني لئيمٌ   كخنزيرٍ تَمَرَّغَ في دَمَانِي[3]

ومما يحمل على أن (ما) و(ذا) فيه شيء واحد قول الشاعر:

يا خُزْرَ تَغْلِبَ ماذا بالُ[4] نِسوتِكم
لا يَسْتَفِقْنَ إلى الدَّيرين تَحْنَانا[5]

فقوله: ماذا بالُ نسوتكم، بمنزلة: ما بال نسوتكم، فاستعمل (ماذا)

---

(١) في (ي) (عماذا).

(٢) (ما) ساقطة من (ي).

(٣) البيت لحسان بن ثابت، قاله في هجو بني عابد. ينظر: «الحجة» ٢/ ٣١٧ «شرح أبيات المغني» ٥/ ٢٢٠ «الخزانة» ٢/ ٥٣٧، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٣٣، «الشافية» ٤/ ٢٢٤، وابن يعيش ٤/ ٩، والعيني ٤/ ٥٥٤. والدمان كالرماد وزنًا ومعنى.

(٤) (قال) في (ي).

(٥) البيت لجرير يهجو الأخطل ينظر: «ديوانه» ص١٦٧. و«الحجة» ٢/ ٣١٧.

استعمال (ما) من غير أن ينضم إليها (ذا)، ألا ترى أنك لو حملت (ذا) على الذي في هذا البيت لم يَسْهُلْ: ما الذي بال نسوتكم؟ لأن المستعمل: ما بالُك، دون: ما الذي بالك[1].

القول الثاني: أن تجعل(ذا) اسمًا يرفع (ما) كأنك قلت: ما الذي ينفقون؟ يعنى: أيَّ شيء الذي ينفقون، فيكون (ما) رفعًا بالابتداء و(ذا) خبرُها، والعرب قد تذهب بهذا وذا إلى معنى الذي، فيقولون: ومن ذا يقول[2] ذاك، في معنى من الذي، وأنشدوا:

عَدَسْ ما لِعَبّادٍ عَلَيْكِ إمَارَةٌ أَمِنْتِ وَهَذَا تَحْمِلِيَن طَلِيقُ[3]

كأنه قال: والذي تحملين طليق[4].

وقد[5] مضى صدر من الكلام في (ماذا) عند قوله: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ هذا جواب لسؤالهم. فإن (قيل): هذا الجواب لا يُطَابِقُ السُّؤَال، وما الجواب المطابق لهذا السؤال؟

---

(١) هذا الكلام بطوله من «الحجة» بتصرف يسير ٢/ ٣١٦-٣١٨.

(٢) (يكون) في (م).

(٣) البيت ليزيد بن مفرَّغ الحميري قاله في عباد بن زياد، وكان يزيد قد أكثر من هجوه، حتى حبسه وضيق عليه، حتى خوطب في أمره معاوية، فأمر بإطلاق سراحه،.فلما خرج من السجن قدمت له بغلة فركبها فنفرت فقال هذا الشعر، في «ديوانه» ص١٧٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٨٣٧ «عدس» وعدس: اسم صوت لزجر البغل.

(٤) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٨-١٣٩.

(٥) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٣٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٧، «التبيان» ص١٣١، قال: وموضع الجملة نصب بيسألون على المذهبين. «البحر المحيط» ٢/ ١٤٢.

قيل: الجواب المطابق أن يقال: قل النفقة التي هي خير، وإنما عدل عن المطابق لحاجة السائل إلى بيان بجمع الدلالة على ما سأل وعلى غيره. ويحسن من المعلم الحكيم الذي يعلم الناس ويبصرهم أن يضمن الجواب مع الدلالة على المسؤول عنه، الدلالة على ما يحتاج إليه السائل في ذلك المعنى مما أغفله وترك السؤال عنه، فأما الجدل الذي يضايق فيه الخصم فالأصل فيه أن يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة ولا نقصان ولا عدول عما يوجبه نفس السؤال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ جزم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ بالشرط، واسم الشرط وموضع ﴿وَمَا﴾ نصبٌ بـ﴿تَفْعَلُوا﴾، وجواب الشرط قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[١] ومعناه: (أنه يحصيه)[٢] ويجازي عليه.

قال ابن الأنباري: إن عمرو بن الجموح سأل رسول الله ﷺ عن الصدقة لمن[٣] يخص[٤] بها عند الموت، فأنزل الله ﷻ هذه الآية قبل آية المواريث، فلما نزلت آية المواريث نسخت من هذه التصدق على الوالدين.

ويقال: إن الإنفاق في هذه الآية لا يراد به الصدقة عند الموت، إنما يراد[٥] به النفع في الدنيا، والإيثار بما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى،

---

(١) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٦، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٧، «التبيان» ص١٣١، «البحر المحيط» ١/ ١٤٢.

(٢) ساقط من (ش).

(٣) (لما) في (ي).

(٤) (نخص) في (ي) و(ش).

(٥) (أراد) في (ش).

فأخبر الله أن مريد ذلك ينبغي أن يتوخى به الوالدين والأقربين والمذكورين في الآية، وإذا خرج الإنفاق على معنى التصدق كانت الآية محكمة، وهذا معنى قول مقاتل بن حيان[١].

وقال[٢] كثير من أهل التفسير: إن هذا كان قبل فرض الزكاة، فلما فُرِضَتِ الزكاة بالآية التي في براءة، نسخت الزكاةُ هذه الآية[٣].

٢١٦- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ الآية، اعلم أن رسول الله ﷺ كان غير مأذون في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن بعد الهجرة في قتال من يقاتله من المشركين دون من لا يقاتل[٤]، ثم أذن في قتال المشركين عامة، وهذا كله قبل فرض الجهاد، ثم فرض الله الجهاد.

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فمذهب عطاء أن المعني بهذا: أصحاب رسول الله ﷺ خاصة دون غيرهم؛ لأنه قال: كان القتال مع النبي

---

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣١٨.

(٢) في (أ) و(م): فقال.

(٣) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٣٨، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٤٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٨١، و«الناسخ والمنسوخ» لابن العربي ٢/ ٧٢، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٢٢٨، وقد بين ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١٤٥، أن الأولى أن تكون الآية في بيان مصارف صدقة التطوع، ولا نسخ؛ لأن شروطه معدومة وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٢٩: والتحقيق أن الآية عامة في الفرض والتطوع، فحكمها غير منسوخ؛ لأن ما يجب من النفقة على الوالدين والأقربين إذا كانوا فقراء لم ينسخ بالزكاة، وما يتطوع به لم ينسخ بالزكاة، وقد قامت الدلالة على أن الزكاة لا تصرف إلى الوالدين والولد. وينظر: «النسخ في القرآن» للدكتور/ مصطفى زيد ٢/ ٦٥٦.

(٤) (يقاتله) في (ش).

ﷺ فريضة[(١)].

وسئل عبد الله بن عمرو عن الفرائض؟ فقال: الفرائض: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان، والجهاد في سبيل الله، وخالفه ابن عمر في الجهاد، فعد الفرائض وترك الجهاد[(٢)].

وقال بعضهم: كان الجهاد في الابتداء من فرائض الأعيان، ثم صار فرض كفاية؛ لقوله ﷻ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] ولو كان القاعدُ مضيِّعًا فرضًا ما كان موعودًا بالحسنى. وقال بعضهم: لم يزل الجهادُ فرض كفاية، غير أن رسول الله ﷺ كان إذا استنفرهم تعين عليهم النفير؛ لوجوب طاعته[(٣)]. وقال الزهري والأوزاعي: كتب الله سبحانه الجهاد على الناس(غَزَوا أو قعدوا، فمن غزا فبها ونعمت، ومن قعد فهو عدة، إن

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٤٤، وابن أبي حاتم ٢/ ٣٨٢، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٣٩، وقال النحاس في «الناسخ والمنسوخ»: ١/ ٥٣١: وأما قول عطاء: إنها فرض، ولكنه على الصحابة فقول مرغوب عنه، وقد رده العلماء، وقد ذكر الثعلبي عن عطاء ما يوافق قول الجمهور من أن الجهاد في الأصل فرض كفاية ٢/ ٧٤١.

(٢) رواه بسنده الجصاص في «أحكام القرآن» ٤/ ٣١١، وله قصة،وبين أنه مختلف في صحته، أما حديث ابن عمر المشهور: «بني الإسلام...» فقد رواه البخاري (٨) كتاب: الإيمان، باب: دعاؤكم إيمانكم، ومسلم (٢١) كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٣٧: فهو فرض كفاية على المشهور، إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو، ويتعين على من عينه الإمام، وممن ذكر أنه فرض كفاية أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٤-٣٤٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٤١، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١٧.

استعين به أعان)[١]، وإن استنفر نفر، وإن استغني عنه قعد[٢].

وقال أبو عبيد: القول في الجهاد أنه حق لازم للناس، غير أن بعضهم يقضي ذلك عن بعض، وإنما وسعهم هذا لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] فإنها فيما يقال ناسخة لفرض الجهاد، والإجماع اليوم على أنه من فروض الكفاية، إلا أن يدخل المشركون ديار المسلمين فإنه يتعين على كافة المسلمين، إلى أن يقوم بكفايتهم من يصرف وجوههم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ يعني: القتال كره لكم، وكان الكسائي يقول في الكَرْه والكُرْه: هما لغتان في المشقة[٣][٤].

قال الفراء: الكُره: المشقة، قمت على كُره، أي: على مشقة، وقال: أقامني على كره، إذا أكرهك عليه، فالكُره عند الفراء: الإجبار، ولهذا لم يقرأ هاهنا (كَرْه) بالفتح، كما قرأ في سائر المواضع بالضم والفتح؛ لأن المشقة هاهنا أليق من الإجبار[٥].

---

(١) ساقط من (م).

(٢) قول الزهري رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٠٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٨٢، وقول الأوزاعي ذكره أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٤.

(٣) ساقط جميعًا من (ي).

(٤) ينظر في بيان أنهما لغتان بمعنى: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٦٥، و«تفسير الطبري» ٢/ ٣٤٥، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٤٧.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٦ «كره»، و«المفردات» ص٤٣١، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٤٥٩، «اللسان» ٧/ ٣٨٦٤، ٣٨٦٥، قال الزجاج: والكره يقال فيه: كرهت الشيء كُرها وكراهية، وكل ما في كتاب =

قال الزجاج: وتأويله: وهو ذو كُره لكم، وهذا الكره من حيث المشقة الداخلة على النفس وعلى المال من المؤنة، وعلى الروح، (لا)[١] إن المؤمنين يكرهون فرض الله ﷻ[٢]، وقال عكرمة: إنهم كرهوه ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا[٣].

وقيل: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ قبل أن يكتب عليكم.

= الله ﷻ من الكُره فالفتح فيه جائز، إلا أن هذا الحرف الذي في هذه الآية ذكر أبو عبيدة أن الناس مجمعون على ضمه، قال الأزهري: الذي قاله أبو العباس والزجاج فحسن جميل. وقال الراغب: قيل: الكَره والكُره واحد، نحو الضَّعف والضُّعف، وقيل: الكَره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكُره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وهو على ضربين: أحدهما: ما يعاف من حيث العقل والشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه، بمعنى: إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو العكس، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي تكرهونه من حيث الطبع، ثم بين ذلك بقوله: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)، وكرهت يقال فيهما جميعا، إلا أن استعماله في الكره أكثر . اهـ- بتصرف.

(١) ساقط جميعًا من (ي).

(٢) الزجاج ١/ ٢٨٩، وعبارته: معنى كراهتهم القتال أنهم كرهوه على جنس غِلَظِه عليهم ومشقته، لا أن المؤمنين يكرهون فرض الله ﷻ، لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٤، عن عكرمة عن ابن عباس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٨٢ عن عكرمة، ولفظ الأثر: نسختها هذه الآية ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ يعني: أنهم كرهوه ثم أحبوه، فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال الطبري ٢/ ٣٤٤: وهذا قول لا معنى له ؛ لأن نسخ الأحكام من قبل الله ﷻ لا من قبل العباد، وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ خبر من الله عن عباده المؤمنين وأنهم قالوه لا نسخ منه.

وقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنين: إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والجنة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ يعني: القعود عن الغزو، وهو شر لكم؛ لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر(١).

﴿وَعَسَىٰٓ﴾ عند العامة شك وتوهم، وهي عند الله يقين وواجب. وعسى: فعل يتصرف، درج مضارعه وبقي ماضيه، فيقال منه: عسيتما وعسيتم، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] يتكلم فيه على فعل ماض، (وأميت)(٢) ما سواه من وجوه فعله.

ويرتفع الاسم بعده كما يرتفع بعد الفعل، فتقول: عسى زيد، كما تقول: قام زيد، ويقال منه: أعس بفلان أن يفعل كذا، مثل أحر وأخلق، وبالعسى أن يفعل كذا، يقول: بالحري أن يفعل، ومعناه في جميع الوجوه: قريب وقَرُبَ وأَقْرِب به.

ومنه قوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] بمعنى: قرب، ومنه: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] أي: قرب ذلك، وكثرت (عسى) على الألسنة حتى صارت كأنها مثل: (لعل).

وتأويل (عسى): التقريب؛ لكون الشيء الذي يقع عليه ويقتضيه فيجري مجرى (كاد)(٣) وقرب، ولما كانت فعلًا لم تخل من ذكر فاعل، وهو الاسم الذي يدل عليه (عسى)، كقولك: عسى زيد، فزيد رفع لأنه

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٤٥.

(٢) في (ي): ليست.

(٣) في (ي): عاد.

فاعل، ولا يخلو (عسى) إما أن يكون لازمًا أو متعديًا، فلو كان لازمًا لجاز أن تقول: عسى زيد، وتقف، فلما لم يكن ذلك كاملًا اقتضت (عسى) مفعولًا، فإذا قلت: عسى زيدٌ أن يقوم، فقولك: أن يقوم، مثل قولك: قيام كقوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] المعنى: والصيام خير لكم، فتأويل قولك: عسى زيد أن يقوم، عسى قيام زيد، بمعنى قَرُبَ قيامُ زيدٍ ورُجِي ذلك، إلا أنهم لما قلبوا فقدموا الاسم وأخّروا الفعلَ رفعوا زيدًا، فـ(أن يقوم) في قولك: عسى زيد أن يقوم، في موضع نصب بوقوع فعل زيد (عليه)[1]، وجاء في القرآن بدخول أن كقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: ٨]. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] ولما كثرت عند العرب في ألفاظهم أسقطوا (أن)[2] كما قال الشاعر:

عَسَى فَرَجٌ يأتي به اللهُ إنه له كلّ يَوْمٍ في خَلِيقَتِهِ أمْرُ[3]

(١) في (ي) (وعليه).

(٢) ينظر في عسى وأحكامها: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١١، ١٢، ١٥٨، ٤/ ٢٣٣، «المقتضب» ٣/ ٦٨-٧٢، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٨، «المفردات» ص٣٣٨، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٩٢، «اللسان» ٥/ ٢٩٥، «مغني اللبيب» ص٢٠١-٢٠٤، وقال: ومعناه: الترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، ثم ذكر أنها تستعمل على سبعة أوجه. وقال في «البحر المحيط» ٢/ ١٤٣: عسى هنا للإشفاق لا للترجي، ومجيئها للإشفاق قليل، وهي هنا تامة لا تحتاج إلى خبر، ولو كانت ناقصة لكانت مثل قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ﴾ [محمد ٢٢] فقوله: ﴿أَن تَكْرَهُواْ﴾ في موضع رفع بعسى.

(٣) البيت لمحمد بن إسماعيل، ينظر: «همع الهوامع» ١/ ١٣١. «المعجم المفصل» ٣/ ٣٠١.

وقال آخر:

عَسَى الكَرْبُ الذي أمْسَيْتُ فيه ... يكونُ وَرَاءَه فَرَجٌ قَرِيبُ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ قال أصحاب العربية: الشر: السوء، (وأصله)[(٢)] من شَرَّرْت الشيءَ إذا بسطته، يقال: شَرَّرْتُ اللحمَ والثوبَ، إذا بسطته لِيَجِفّ، وكذلك أَشْرَرْتُه[(٣)]، ومنه:

وحتى أُشِرَّتْ بالأكفِّ المَصَاحِفُ[(٤)]

فالشر: انبساط الضر، والشرر: اللهب لانبساطه، قال ابن عباس[(٥)]: كنت رِدْف النبي ﷺ فقال: «**يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك، إنه لمثبت في كتاب الله ﷻ**»، قلت: يا رسول الله، أين وقد قرأت القرآن؟ قال: (مكيس)[(٦)] ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾[(٧)].

---

(١) البيت لهدبة بن خشرم في «خزانة الأدب» ٩/ ٣٢٨. «المعجم المفصل» ١/ ٣٢٣.

(٢) ليست في (ش).

(٣) يقال: شرَّرت، وأشررت، وشرَرْت.

(٤) البيت لكعب بن جعيل، وقيل: إنه للحصين بن الحمام المرّي، يذكر يوم صفين، وتمامه: فما برحوا حتى رأى الله صبرهم.
أي نشرت وأظهرت. ينظر: «اللسان» ٤/ ٢٢٣٣ (شرر).

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٤٤، وفي «الدر المنثور» عنه ١/ ٤٣٩. ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٣، «المفردات» ص٢٦٠، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٢٩٨، «اللسان» ٤/ ٢٢٣٣ (شرر).

(٦) في (ي) و (ش) (مليس).ولم أعرف المراد من الكلمة.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٤٥ وأبو المسفر السمعاني في «تفسيره» ٢/ ٢٧٥ قال أحمد شاكر: هذا إسناد مظلم، والمتن منكر، لم أجد ترجمة يحيى بن محمد بن مجاهد، ولا عبيد الله بن أبي هشام، =

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: يعلم ما فيه مصالحكم وما فيه منافعكم فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم.

٢١٧- قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ الآية، نزلت في سرية بعثها رسول الله ﷺ إلى نخلة، فلما انتهوا إليها وافت خيل المشركين فيها عمرو بن الحضرمي[(١)] والحكم بن كيسان، فرمى واقد بن عبد الله[(٢)]، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ[(٣)]، عمرو بن الحضرمي فقتله، وظهر المسلمون على المشركين، وأسَرُوا بعضهم، وأهل هلال رجب والمسلمون يقاتلون لا يعلمون بدخوله، فضجت قريش بمكة، وكانوا يستعظمون سفك الدماء في رجب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[(٤)].

= ولا أدري ما هما، ولفظ الحديث لم أجده، ولا نقله أحد ممن ينقل عن الطبري. ينظر حاشية «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٩.

(١) هو: عمرو بن العلاء الحضرمي، والحضرمي هو عبد الله بن عباد الصدفي، كان من صناديد كفار قريش، كان في عير تجارة قريش، قتله واقد بن عبد الله التميمي من سرية عبد الله بن جحش. انظر«البداية والنهاية» ٥/ ٣٧-٣٩.

(٢) هو: واقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين التميمي الحنظلي اليربوعي، صحابي أسلم قبل دخول الرسول دار الأرقم،بعثه رسول الله ﷺ في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة لمراقبة تحركات المشركين والإتيان بأخبارهم،فكان أول من قاتل من المسلمين، شهد بدرًا والمشاهد كلها توفي في أول خلافة عمر ﷺ. انظر: «معرفة الصحابة» ٥/ ٢٧٢٩، «أسد الغابة» ٥/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٣) من قوله: عمرو بن الحضرمي.. ساقط من (أ) ولا (م).

(٤) ينظر في سبب النزول: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٤٧-٣٤٨، «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٤٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٥٣-٧٦٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٦٩، قال ابن حجر في «تغليق التعليق» ١/ ٧٦: وهو مرسل جيد، قوي الإسناد، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

فقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني: أهل الشرك يسألون عن ذلك على جهة العَيْب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام.

وقوله تعالى ﴿قِتَالٍ فِيهِۖ﴾ هو خَفْضٌ على البدل من الشهر، وهذا من باب بدل الشيءِ من الشيءِ، والمعنى مشتمل عليه، ويسمى: بدلَ الاشتمال، وهو إبدال المصادر من الأسماء، كقولك: أعجبني زيدٌ عِلْمُه، وعجبت من عمروٍ أمرِه، ونفعنى زيدٌ كلامُه، ومثله قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ﴾ [البروج: ٤-٥] وقول الأعشى:

لَقَدْ كان في حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُه تُقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأم سَائِم[(١)]

ومن هذا الباب: سُرِق زيدٌ مالُه، وسُلب زيدٌ ثوبُه[(٢)].

ومعنى الاشتمال في الآية: أن سؤالهم اشتمل على الشهر وعلى القتال، وسؤالهم[(٣)] عن الشهر إنما كان لأجل القتال.

وقيل: الخفضُ في ﴿قِتَالٍ﴾ على معنى تكرير(عن)، تقديرُه: وعن قتال فيه، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود والربيع[(٤)]، وقيل: إنه على

---

(١) البيت للأعشى في «ديوانه» ص١٧٧. «الكامل» للمبرد ٢/ ٢٦٥، وابن يعيش في «تفسيره» ١/ ٣٨٦، «شواهد المغني» ٢٩٧ .

قوله: ثواءٍ: الثواء: الإقامة، بالجر، قال ثعلب: وأبو عبيدة يخفضه، والنصب أجود، ومن روى تقضى لبنات فإنه ينبغي أن يرفع ثواء. ينظر: «شرح الديوان»، «مجاز القرآن»، «المعجم المفصل» ٧/ ١١٧.

(٢) ينظر في بدل الاشتمال: «الكتاب» لسيبويه ١/ ١٥٠-١٥٨، «المقتضب» ١/ ٢٧، ٤/ ٢٩٦.

(٣) في (م): (ومعنى سؤالهم).

(٤) وبها قرأ ابن عباس والأعمش أيضا، ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤١، «المصاحف» لابن أبي داود ٥٨، «تفسـير الثعلبي» ٢/ ٧٦٧، «البحـر المحيط» ٢/ ١٤٥.

التقديم والتأخير، تقديره: يسألونك عن قتالٍ في الشَّهْرِ الحرامِ، وتم الكلام عند قوله: (قتال فيه كبير)(١).

ثم ابتدأ فقال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهو رفع على الابتداء، وما بعده من قوله: ﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ﴾ مرتفع بالعطف على الابتداء(٢) وخبره قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ هذا قول الزجاج(٣)، وهو الصحيح(٤)، وذكر الفراء في ارتفاع الصَّدِّ وجهين آخرين(٥)، غُلِّطَ فيهما:

أحدهما: أنه عطف على قوله: ﴿كَبِيرٌ﴾ يريد: قل القتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به، يعني: أن القتالَ قد جَمَع أنه كبير وأنه صَدٌّ وأنه كُفْرٌ، وهذا القول يؤدي إلى(٦) أن يكون القتال في الشهر الحرام كفرًا

---

(١) ينظر في إعراب هذه الآية: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٧، «التبيان» ص١٣٢، «البحر المحيط» ١/ ١٤٥، وقد أعرض المؤلف عن وجه ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٧٢، وهو الخفض على الجوار، قال النحاس: لا يجوز أن يعرب شيء على الجوار في كتاب الله ﷻ، ولا في شيء من الكلام، وإنما الجوار غلط، وإنما وقع في شيء شاذ وقال: وإن كان أبو عبيدة عنى الخفض على الجوار أنه تابع لمخفوض، فخفضه بكونه جاور مخفوضًا، أي: صار تابعا له، ولا نعني به المصطلح عليه جاز ذلك ولم يكن خطأ، وكان موافقا لقول الجمهور، إلا أنه أغمض في العبارة وألبس في المصطلح.

(٢) من قوله: (وما بعده من..) ساقطة من (ي).

(٣) ذكره الزجاج في «تفسيره» ١/ ٢٩٠.

(٤) ينظر في إعراب الآية: المصادر السابقة.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤١.

(٦) ساقطة من (ش).

بالله، وهو خطأ بإجماع من الأمة.

والوجه الآخر: أن يجعل الصد مرتفعًا بالابتداء، وخبره محذوف لدلالة ﴿كَبِيرٌ﴾ المتقدم عليه، كأنه قال: والصد كبير، كقولك: زيد منطلق وعمرو، فيصير التقدير: قل قتال فيه كبير، وكبيرٌ الصد عن سبيل الله والكفر به، وينتقض هذا عليه بقوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه يستأنف على ما ذكر من التقدير قوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾[1] وإخراج أهله منه لا يكون أكبر عند الله من الكفر به، ومن قال: إنه أكبر فهو غالط بالإجماع[2].

ومعنى الصد: الحَبْس، يقال: صَدَّ عن الشيء صُدُودًا، إذا صَدَف عنه، وصَدَّ غيرَه يَصُدّ صَدًّا[3]، ويعني بهذا الصد: أن المشركين منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت عام الحديبية[4].

وقوله تعالى: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: بالله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ﴾ يُخْفَضُ بالعطف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تقديره: وصدٌّ عن سبيلِ الله وعن المسجدِ الحرام؛ لأن المشركين صدوا المسلمين عنه؛ كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) من قوله: وإخراج. ساقطة من (أ)، (ي).

(٢) ينظر في مناقشة الفراء: «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٢٨.

(٣) ينظر في الصد «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٨٤، ١٩٨٥، «المفردات» ص٢٧٩، «اللسان» ٤/ ٢٤٠٩ «صد».

(٤) ذكر الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٦٧ مثل قول الواحدي، دون قوله: عام الحديبية، وفيه إشكال ؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، والظاهر أن المراد بالصد عن سبيل الله: الصد عن دين الله. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٢١، «تفسير القرطبي» ٣/ ٤٦، وقد حاول الرازي الإجابة عن هذا بأن المراد أنه معلوم لله قبل وقوعه، والأولى ما ذكرنا.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥].

وقال الفراء: المسجد الحرام مخفوض بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ وعن المسجد[١]، وأُنكر[٢] عليه هذا، بأنهم لم يُسْألوا عن المسجد، وإنما السؤال عن القتال في الشهر الحرام[٣]، وله أن يقول: إن القوم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام وكان القتال عند المسجد الحرام فجرى مجراه في الاستعظام (جمعوهما)[٤] في السؤال، وإن كان القتال إنما وقع في الشهر الحرام خاصة، كأنهم قالوا: هل استحللت الشهر الحرام وَالْمَسْجِد الحَرَام؟[٥]، ولا يجوز حمله على الهاء في[٦] (وكفر به)؛ لأنه لا يعطف على المضمر المجرور إلا بإعادة الجار، ولأنه ليس المعنى: على كفر بالله والمسجد.

وقيل: إنه خفض بواو القسم وليس بشيء[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ أي: أهل المسجد منه ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا وعقوبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾[٨]. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي: الشرك والكفر ﴿أَكْبَرُ

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤١.

(٢) في (ش): (فأنكر).

(٣) ينظر في مناقشة قول الفراء: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٢١، «التفسير الكبير» ٦/ ٣٤، «التبيان» ص١٣٣.

(٤) في (أ) (ي): (مجوعهما) وفي (م): (فجمعوهما).

(٥) ليست في(ي).

(٦) في (ي) (الباقى) وفي (م) (الثاني) وفي (ش) (الباقى).

(٧) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٢٨، «التبيان» ص١٣٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٤٦.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٦٨.

﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، يعني: قتل ابن الحضرمي[١]، فلما نزلت هذه الآية كتب عبدالله ابن جحش[٢]، صاحب هذه السرية، إلى مؤمني مكة: إذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام، فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومَنْع المؤمنين عن البيت[٣].

وأما حكم القتال في الشهر الحرام اليوم، فالعلماء فيه مختلفون:

قال ابن جريج[٤]: حلف لي عطاء بالله: ما يحل للناس أن يغزوا في الحَرَم[٥] ولا في الشهر الحرام إلا أن يُقاتَلوا.

وروى أبو الزبير عن جابر[٦]، قال: لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغْزى[٧]، فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ. وسئل سعيد بن المسيب[٨]: هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام؟ قال: نعم، وقال ذلك سليمان بن يسار[٩]، وهذا مذهب قتادة[١٠]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو: عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة، أبو محمد الأسدي، أمه أميمة بنت عبد المطلب، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم وهاجر الهجرتين، كان أول أمير أمره الرسول ﷺ، شهد بدرا وقتل في أحد شهيدًا سنة ٣هـ. انظر «أسد الغابة» ٣/ ١٩٤-١٩٥، «الأعلام» ٤/ ٧٦.

(٣) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٦٨، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٤٨.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٥٣.

(٥) في (ش) (بالحرم).

(٦) المصدر السابق.

(٧) في (ي) (يغروا).

(٨) ذكره في «زاد المسير» عنه ١/ ٢٣٧، والرازي في «تفسيره» ٢/ ٢٣.

(٩) ذكره في «زاد المسير» عنه ١/ ٢٣٧.

(١٠) لم أجده عنه.

وغيره من العلماء، يرون القتال في الشهر الحرام، قال أبو عبيد: والناس اليوم بالثغور جميعًا على هذا القول، يرون الغزو مباحًا في الشهور كلها حلالها وحرامها ولم أر أحدًا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم، وكذلك حسب قول أهل الحجاز، والحجة في إباحته قوله جل ثناؤه: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] هذه الآية عندهم ناسخة لتحريم القتال في الشهر الحرام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني: مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له، يقال: ما يزال يفعل كذا، ولا[١] يزال، ولا يقال منه فاعل ولا مفعول، ومثله من الأفعال كثير، نحو: (عسى)، ليس له مصدر ولا مضارع، وكذلك ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وهَلُمّ وهَاكَ وهَاتِ وتَعَالَوا.

ومعنى (لا يزالون) أي: يدومون، وكأن هذا مأخوذ من قولهم: زال عن الشيء، أي: تركه، فقولك: ما زال يفعل كذا، أي: لم يتركْه، وقلّ ما يتكلم به إلا بحرف نفي لأنه يبطل المعنى، وذلك أنك إذا قلت: زال زيد، فإنما أثبت زوال القيام، فإذا أدخلت حرف النفي نفيت الزوال، وبينت معنى الدوام، ومثله: (ما برح) بهذا التقدير سواء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ أظهر التضعيف مع الجزم؛ لسكون الحرف الثاني، وهو أكثر في اللغة من الإدغام[٣].

---

(١) في (ي)، (ش) (أولا يزال).

(٢) ينظر في زال وأحكامها: «المقتضب» للمبرد ٣/ ٩٦-١٨٩، ٤/ ١١٩-١٢٠، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٧٧، «المفردات» ٢١٦، «اللسان» ٣/ ١٩٠١ «زول».

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٠، «التبيان» ص١٣٣.

وقوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ﴾ جزم بالعطف على ﴿يَرْتَدِدْ﴾[(١)][(٢)] وجوابهما[(٣)]: قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بطلت، يقال: حَبِطَ عملُ الرجلِ يَحْبَطُ حَبَطًا وحُبُوطًا، وأَحْبَطَه اللهُ إحْبَاطًا[(٤)]، وأصله: من الحَبَط، وهو فساد يلحق الماشية في بطونها لأكل الكلأ حتى تَنْتَفِخَ أجوافها، ومنه الحديث «وإن مما[(٥)] **ينبت الربيعُ ما يقتل حَبَطًا**»[(٦)]. وسمي بطلان الأعمال بهذا لأنه كفساد الشيء لمصيره إلى ما لا ينتفع به[(٧)]، والحكم في هذا أن المسلم إذا ارتد -أعاذنا الله من ذلك- فأعماله وطاعاته موقوفة، فإن عاود

---

(١) في (ي) (يرتد).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٦٨، «التبيان» ص١٣٣.

(٣) في (ش) (وجوابها).

(٤) ونقل في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢٦ «حبط» عن ابن السكيت، يقال: حَبَط عملُه يحبُط حبْطا وحُبوطا، بسكون الباء، وحبِط بطنُه إذا انتفخ يحبَط حبَطا فهو حبِط، ورأيت بخط الأقرع في كتاب ابن هانئ: حبَط عملُه يحبُط حبوطا وحبْطا، وهو أصح، ثم قال في ١/ ٧٢٨: قلت: ولا أرى حبْط العمل وبطلانه مأخوذا إلا من حبَط البطن؛ لأن صاحب الحبَط يهلِك، وكذلك عمل المنافق والمشرك يحبط، غير أنهم سكنوا الباء من قولهم: حبط بطنُه يحبَط حبْطا، كذلك أثبت لنا عن ابن السكيت وغيره.

(٥) في (ي): (ما).

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٢٧) كتاب: الرقاق، باب: ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة، باب: تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا. قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢٧: هو مثل الحريص المفرط في الجمع والمنع، وذلك أن الربيع يُنْبِتُ أحرار العشب التي تَحْلَوْليها الماشية فتستكثر منها حتى تنتفخ بطونها وتهلِك، وكذلك الذي يجمع الدنيا، ويحرص عليها ويشحّ على ما جمع حتى يمنع ذا الحق حقه منها.

(٧) ينظر في حبط: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢٦، «المفردات» ص١١٣-١١٤، «عمدة الحفاظ» ١/ ٤٢٣-٤٢٥، «لسان العرب» ٢/ ٧٥٥.

الإسلام لم تحبط، ولم يبطل حجه الذي فرغ منه في الإسلام، وإن لم يعد ومات على الردة حبط[١] عمله؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾.

٢١٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه، قالوا لرسول الله: أصبنا القوم في رجب أنرجو أن يكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢] يعني بمحمد ﴿وَهَاجَرُوا۟﴾ فارقوا عشائرهم وأوطانهم[٣]، وأصله من الهجر، الذي هو ضِدّ الوَصْل، ومنه قيل للكلام القبيح: الهُجْر؛ لأنه مما ينبغي أن يُهْجَر، والهاجِرة: وقتٌ يُهْجَر فيه العمل[٤].

﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ يعني: جاهدوا المشركين، ومعناه: حملوا أنفسهم على المشقة في قتالهم، ومنه: يقال: اجتهد فلان رأيه، إذا حمل نفسه على المشقة في بلوغ صواب الرأي، وأصله: من الجُهْد، الذي هو المشقة، ومنه: الجهاد، وهو الأرض الصلبة، لحمل النفس في ركوبها على

---

(١) في (أ) (م) (يحبط).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٥٦، والواحدي في «أسباب النزول» ص٧١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٦٩، وقد رواه الطبري من حديث جندب بن عبد الله في «تفسيره» ٤/ ٣٠٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٨٤، وأبو يعلى في «مسنده» ٣/ ١٠٢، وهو تمام قصة سبب النزول في الآية السابقة ومذكور في بعض رواياتها.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٦٩.

(٤) ينظر في هجر «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧١٧، «المفردات» ص٥١٤-٥١٥، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٢٧٨-٢٨٠، «لسان العرب» ٨/ ٤٦١٧. قال الراغب: الهجْر والهِجران: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب.

المشقة[١] ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في نصرة دين الله[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ قال الزجاج: إنما قال: ﴿يَرۡجُونَ﴾ لأنهم عند أنفسهم غير بالغين ما يجب لله[٣] عليهم، ولا يعلمون ما يختم به أمرهم[٤]. ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه ما لم يعلموا ورحمهم.

٢١٩- قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ الآية، نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وسعد بن أبي وقاص وجماعة، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فنزل قوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾[٥].

---

(١) ينظر في جهد «تهذيب اللغة» ١/ ٦٧٥، «المفردات» ص١٠٨، «عمدة الحفاظ» ١/ ٤٠٥-٤٠٦، «اللسان» ٢/ ٧٠٩. ونقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٧٥ عن الليث: الجَهد: ما جَهد الإنسان من مرض أو أمر شاق، فهو مجهود، قال: والجُهد لغة بهذا المعنى. وقال الفراء: بلغت الجَهد: أي: الغاية، واجْهَدْ جهْدًا في هذا الأمر: أي ابلغ فيه غايتك، وأما الجُهد فالطاقة. وقال الراغب: الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقة، وقيل: الجَهد بالفتح: المشقة، والجُهد: الوسع.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٦٩.

(٣) في (ي): (ما يحب الله).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٠-٢٩١.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٧٧٠، وعنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٤٦، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٧٣، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٤٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٣٩، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ١٥٦.
وورد عن عمر قوله: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ﴾ فدعي عمر فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا. الحديث رواه أبو داود =

والخَمْر عند أهل اللغة سميت خمرًا لسترها العقل. قال ابن المُظَفَّر: الَخمر معروف، واختمارها: إدْرَاكها وغَلَيَانُها، ومُخَمِّرُها: مُتَّخِذُها، وخُمْرَتُها: ما غشي المَخْمورَ من الخُمَارِ[١]، وأنشد:

وقد أَصَابَتْ حُمَيَّاها مَقَاتِلَهُ فلم تكد تَنْجَلِي عن قَلْبِه الخُمَرُ[٢]

وخَمَرْتُ الدابةَ أُخْمِرُها، إذا سَقَيْتُهَا الخَمْر[٣]، قال الكسائي: اختمرت خمرًا، ولا يقال: أخمرتها[٤]، وأصل هذا السحرف: التغطية. روى ثعلب عن عمرو عن أبيه[٥] قال: الخَامِرُ: الذي يَكْتُمُ شَهَادَتَهُ، وفي الحديث: «**خمروا آنيتكم**»[٦].

وقد اخْتَمَرَتِ المرأةُ بخمارها، وتَخَمَّرَتْ وهي حَسَنَةُ الخِمْرَةِ،

= (٣٦٧٠) كتاب الأشربة، باب: تحريم الخمر، والترمذي (٣٠٤٨) كتاب التفسير، باب: من سورة المائدة، والنسائي ٨/ ٢٨٦ كتاب الأشربة، باب: تحريم الخمر، وأحمد ١/ ٥٣، والحاكم ٢/ ٣٠٥، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه ابن المديني كما في «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٧٤.

(١) في «مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٥ زيادة: [والسكر في قلبه] والكلام منسوب إلى الخليل فلعل الليث ناقل كما قال محقق «تهذيب اللغة»، كما أنه أخبر عن الخمر بالمذكر فقال: معروف، وكذا في «التهذيب»، والعبارة المنقولة عن الخليل: الخمر معروفة.

(٢) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٩، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٥، «لسان العرب» ٢/ ١٢٥٩ (خمر) وروايته: لذٍّ أصابت.

(٣) نقله عن ابن المظفر في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٩.

(٤) نقل عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٩ قوله: أبو عبيد عن الكسائي: خمرت العجين وفطرته، وهي الخمرة الذي يجعل في العجين يسميه الناس: الخمير.

(٥) في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٩: ثعلب عن ابن الأعرابي.

(٦) رواه البخاري (٣٢٨٠) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم (٢٠١٣) كتاب الأشربة باب تغطية الإناء في الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، من حديث جابر بن عبد الله. والتخمير: التغطية.

ويقال: خَامِرِي أمَّ عَامر[1]، أي: ادخُلِي الخَمَرَ، واستتري، والخَمَرَ: ما واراكَ من شجرٍ وغيره من وهْدَةٍ وأَكَمَةٍ.

وقيل: سميت خمرًا؛ لأنها تُغَطَّى حتى تدرك، وقال ابن الأنباري: سميت خَمْرًا؛ لأنها تُخَامِرُ العَقْلَ، أي: تخالِطُه، يقال: خَامَره الداءُ، إذا خالَطَه، وأنشد لكثير:

هَنِيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ[2]

يقال: خامر السقامُ كبدَه، وخامرت كبدُه السقامَ، تجعل أيهما شئت فاعلًا، قال:

أَتَـيْـت الـوَلِـيـدَ لـه عَـايـدًا وقد خَامَرَ القَلْبُ منه سَقَامَا[3]

وهذا[4] الذي ذكره راجع إلى الأول؛ لأن الشيء إذا خالط[5] الشيء يصير بمنزلة الساتر، هذا قول أهل اللغة في اشتقاقها[6].

---

(١) مثَل يضرب للرجل الأحمق، وأم عامر هي الضبع، قال ابن السكيت: الضبع محَمَّق، ويدخل عليها الرجل في وجارها فتحمل عليه، فيقول: خامري أم عامر، ليست أم عامر هاهنا، فتمكنه حتى يكْعمَها ويوثقها بحبل ثم يجرها. ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٩، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٧، «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٢٣٨.

(٢) عجز البيت: لعزة من أعراضنا ما استحلت.

والبيت في «ديوانه» ص١٠٠، كتاب «العين» ٤/ ٢٦٣، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٦. «المعجم المفصل» ١/ ٥٤٧.

(٣) البيت لم أهتد إلى قائله، ولا من ذكره.

(٤) في (ش) (وهو).

(٥) في (ي) (خالطه).

(٦) ينظر في مادة خمر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩١، «تهذيب اللغة» ١/ ١١٠١، «المفردات» ص١٦٥، «عمدة الحفاظ» ١/ ٦١٤، «اللسان» ٢/ ١٢٦١.

فأما حدها: فمذهب الثوري[١] وأبي حنيفة وأكثر أهل الرأي[٢]: أن الخمر ما اعتصر من الحبلة[٣] والنخلة، فغلى[٤] بطبعه دون عمل النار فيه، وأن ما سوى ذلك فليس بخمر، ومذهب مالك[٥] والشافعي[٦] وأحمد[٧] وأهل الأثر[٨]: أن الخمر كل شراب مسكر، سواء كان عصيرًا أو نقيعًا، مطبوخًا كان أو نيئًا. واللغة تشهد لهذا.

قال الزجاج: القياس أن ما عمل عمل الخمر أن يقال لها خمر، وأن يكون[٩] في التحريم بمنزلتها[١٠]؛ لأن إجماع العلماء أن القمار كله حرام، وإنما[١١] ذكر الميسر من بينه وهو قمار في الجُزُر[١٢]، وحُرِّم كلُّه قياسًا على الميسر، وكذلك كل ما كان كالخمر فهو بمنزلته، وكل مُسْكِرٍ مخالط للعقل مُغَطٍّ عليه فهو خمر، ويقال لكل شارب غلبه بخار شرب المسكر،

---

(١) ينظر: «اختلاف العلماء» للمروزي ٢٠٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٧٨٤، «بداية المجتهد» ١/ ٥٤٩.

(٢) ينظر: «مختصر الطحاوي» ص٢٧٨، «شرح معاني الآثار» ٤/ ٢١٢، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٣٢٤.

(٣) الحبلة: العنبة.

(٤) في (م): (فغشي).

(٥) ينظر: «الموطأ» في الأشربة، باب: الحد في الخمر ١/ ٨٤٣، «المدونة» ٦/ ٢٦١.

(٦) ينظر: «الأم» ٦/ ١٩٥.

(٧) ينظر: «المغني» ١٢/ ٥١٤، «شرح الزركشي على مختصر الخرقي» ٦/ ٣٧٢.

(٨) ينظر: «التمهيد» ١/ ٢٤٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٤٩.

(٩) في (ش) (تكون).

(١٠) ابن الأنباري، ذكره الزجاج ١/ ٢٩١.

(١١) في (ش): (وإما).

(١٢) في (م): (الجزد)، وفي (ش): (الجرر)، وفي (ي): (الحرر).

أيّ مُسْكِرٍ كان: مخمور، وبه خمار، فهذا بين واضح، وقد قال النبي ﷺ «**إن من التمر لخمرًا، وإن من العنب لخمرًا، وإن من الزبيب لخمرًا، وإن من الحنطة لخمرًا، وإن من الشعير لخمرًا، وإن من الذرة لخمرًا، وأنا أنهاكم عن كل مسكر**»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ يعني: القمار، قال ابن عباس: كان الرجلُ في الجاهلية يخاطر الرجلَ على أهله وماله، فأيهما قمر صاحبه ذهب بماله، فأنزل الله هذه الآية[٢]. والمَيْسِر عند أهل اللغة: مَفْعِل، من قولهم: يَسَر لي هذا الشيء يَيْسِرُ يَسَرًا ومَيْسِرًا، إذا وجب، والياسر: الواجبُ بقدح وجب ذلك أو مُنَاحبةٍ[٣] أو غير ذلك، هذا أصله، ثم قيل للقمار: ميسر، وللمقامر: ياسر ويسرٌ[٤]، قال:

يَسَرُ الشِّتَاءِ وفَارِسٌ ذو قدمة
في الحَرْبِ أن حَاصَ الجَبَانُ مَحِيصَا[٥]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٧٢) كتاب الأشربة، باب: الخمر مما هو؟، والترمذي (١٨٧٢) كتاب الأشربة، باب: ما جاء في الحبوب التي يتخذ منها الخمر، وابن ماجه (٣٣٨٠) كتاب الأشربة، باب: مما يكون منه الخمر، والإمام أحمد ٤/ ٢٦٧ والحاكم ٤/ ١٦٤ وصححه. وحسنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٠/ ٤٤.

(٢) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٤٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٥٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٩٠، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٦٢٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٧٨، «الدر المنثور» ١/ ٤٥٢.

(٣) في (ش): مناجية. وفي (أ) كأنها: مناخبة، وما أثبت من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٧٨، والمناخبة: المراهنة والمخاطرة كما في النهاية، وأثبت محقق «تفسير الطبري» فتاحة.

(٤) «تفسير الطبري» ٢/ ٣٥٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٧٨، وعنده: الواجب بقداح.

(٥) البيت لم أهتد لقائله، ولا من ذكره.

ويجمع يَسَر أَيْسَارًا. قال طرفة:

وهم أَيْسَارُ لُقْمَانَ إذا أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الجُزُرْ[١]

قال ابن الأعرابي: يقال: يَسَر الياسِر يَيْسِر، إذا جاء بِقِدْحِه للقمار[٢]. وقيل: أخذ الميسر من التجزئة والاقتسام[٣]، ويقال: يَسَروا الشيء، أي: اقتسموه، قال:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونني ألم تيأسوا أني ابنُ[٤] فَارِسِ زَهْدَمِ[٥]

أي: تقتسمونني كما نقتسم أعضاء الجزور في الميسر، أراد أنهم أخذوا فداه فاقتسموه، فكأنهم اقتسموا نفسه، وكانت العرب تنحر الجزور وتجعله أقسامًا[٦] يتقامر عليها بالقِداح، على عادة لهم في ذلك[٧].

قال النضر: الياسر: الجزار، ويَسَرْتُ الناقة، أي[٨]: جَزَّأْتُ

---

(١) البيت في «اللسان» ٨/ ٤٩٥٩ (يسر)، «تفسير القرطبي» ٣/ ٥٣، والشتوة: مفرد شتاء، و العرب تجعل الشتاء مجاعة؛ لأن الناس يلتزمون فيه البيوت ولا يخرجون للانتجاع، وأبداء: جمع بدء، خير عظم في الجزور، وقيل: هو خير نصيب فيها.

(٢) نقله في «اللسان» ٨/ ٤٩٥٩ (يسر).

(٣) من قوله: يسر الياسر. ساقط من (أ) و(م).

(٤) في (ش) و(ي): (لي).

(٥) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، ينظر: «مجاز القرآن»، «اللسان» ٨/ ٤٩٥٩، «تفسير القرطبي» ٣/ ٥٣، ورواية الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨١ «يسر»: أقول لأهل الشعب، ورواية «اللسان»: ألم تعلموا. وتيأسوا: تعلموا. وزهدم: اسم فرس.

(٦) ليست في (أ) ولا (م).

(٧) ينظر: «الميسر والقداح» لابن قتيبة ص٥٦-١٥٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٧٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٣٤، «الميسر والأزلام» لعبد السلام هارون ص١٢-٥٤.

(٨) في (ش): (إذا).

لَحْمَها[١]، وقول الأعشى:

والجَاعِلُو القُوتِ على اليَاسِرِ[٢]

يعني: الجازر، وقيل: الميسر من اليُسْر، وهو تَسَهُّلُ الشيء، وذلك أنهم كانوا يشتركون في الجزور لِيَسْهُل أمرُه[٣]، وإلى هذا ذهب مقاتل؛ لأنه قال:[٤] سمي ميسرًا لأنهم كانوا يقولون: يَسِّرُوا لنا ثَمَنَ الجَزُور[٥]، وليست هذه الآية المُحَرِّمَةُ للخمر ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾[٦] إنما المحرمة التي في المائدة[٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ أراد: الإثم بسببهما من المخاصمة والمشاتمة، وقول الفحش والزور، وزوال العقل والمنع من الصلاة، والقمار يورث[٨] الجماعة[٩] العداوة، بأن يصير مال الإنسان إلى غيره بغير جزاء يأخذه عليه[١٠].

---

(١) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٠.

(٢) عجز بيت للأعشى، وصدره:

لمطعمون اللحم إذا ما شتوا

ينظر: «ديوانه» ص٩٥، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٠، «لسان العرب» ٨/ ٤٩٥٩ (يسر).

(٣) ينظر في الميسر: «الميسر والقداح» لابن قتيبة، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨١، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٤٠٩، «لسان العرب» ٨/ ٤٩٥٩ (يسر).

(٤) ليست في (ش)

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ١٨٨.

(٦) ليست في (ي).

(٧) تقدم ذلك في ذكر سبب نزول الآية.

(٨) من قوله: الخاصمة. ساقط من (أ) ولا (م).

(٩) ليست في (أ) ولا(م) ولا (ي).

(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٨٩-٨٩٠.

وقال الربيع[(١)] والضحاك[(٢)]: إثم كبير بعد التحريم، ومنافع للناس قبل التحريم. والأول الوجه، وعنى بالمنافع ما كانوا يصيبونه من المال في بيع الخمر، والتجارة فيها، واللذة عند شربها، والتقوي بها[(٣)]، كقول الشاعر[(٤)] الأعشى:

لنا من ضُحَاها خُبْثُ نَفْسٍ وكَأْبَةٌ ... وذِكرى هُمُومٍ ما تَغِبُّ أَذَاتُها
وعند العِشَاءِ طيبِ نَفْسٍ ولَذّةٍ ... ومالٍ كثِيرٍ عدة نَشَوَاتُها[(٥)]

ومنفعة الميسر: ما يصاب من القمار، ويرتفق به الفقراء[(٦)].

وقال قتادة: في هذه الآية ذمها ولم[(٧)] يحّرِمها، وهي يومئذ حلال[(٨)].

وذهب قوم من أهل النظر: إلى أن الخمر حرمت بهذه الآية؛ لأن الكتاب قد دل في موضع آخر على تحريم الإثم في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقد حرم الإثم، وقال: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فوجب أن يكون محرمًا[(٩)].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦١، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩١.
(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦١، وذكره النحاس في «معاني القرآن» ١/ ١٧٤، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩١.
(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٩٠.
(٤) ليست في (أ) ولا (م) ولا (ي).
(٥) البيتان للأعشى بن قيس في قصيدة فخر له، ينظر: «ديوانه» ص٣١ وفي الأشربة لابن قتيبة ص١٩٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٥٩ «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٩٠.
(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٩٠.
(٧) في (ي): (فلم).
(٨) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦٣، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٢٤١٤، وفي «الحجة» ٢/ ٣٠٧.
(٩) من «الحجة» ٢/ ٣٠٨.

واختلف القراء في قوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فقرأ حمزة والكسائي (كثير) بالثاء، الباقون بالباء[1]، وحجتهم: أن الباء أولى؛ لأن الكِبَر مثلُ العِظَم، ومقابلُ الكِبرِ الصِّغَر، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣] وقد استعملوا في وصف الذنب العِظَمَ والكِبَرَ، يدل على ذلك قوله: ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] بالباء، كذلك هاهنا ينبغي أن يكون بالباء، ألا ترى أن شرب الخمر والميسر من الكبائر.

وقالوا في اللمم: صغيرٌ وصغيرة، ولم يقولوا: قليل، فلو كان (كثير) متجهًا في هذا لوجب[2] أن يقال في غير الكبيرة[3]: قليل، ألا ترى أن القلة تقابل الكثرة، كما أن الصغر يقابل الكبر. واتفاق القراء على الباء في ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾، ورفضهم الثاء مما يقوي الباء.

وأما من قرأ بالثاء فلأنه قد جاء فيهما ما يقوي[4] وصف الإثم فيهما بالكثرة دون الكبر، وهو قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١] فذكر عددًا من الذنوب فيهما، ولأن[5] النبي ﷺ لعن عَشْرَةً في سبب الخمر[6]،

فدل على كثرة الإثم فيها؛ ولأن الإثم في هذه الآية عودل به المنافع فَحَسُنَ أن يوصف بالكثرة[١]؛ لأنه كأنه قال: فيه مضارٌ كثيرةٌ ومنافعُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزل في سؤال عمرو بن الجموح، لما نزل قوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥] في سؤاله أعاد السؤال وسأل عن مقدار ما ينفق، فنزل قوله: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[٣]. قال ابن عباس في رواية مقسم: العفو: ما فضل من المال عن العيال[٤]، وهو قول السدي[٥] وقتادة[٦] وعطاء[٧].

---

(١) في (ش): (بالكثير) وفي (بالكبيرة).

(٢) من «الحجة» ١/ ٣١٢-٣١٤ بتصرف.

(٣) ذكر السيوطي في «لباب النقول» ١/ ٤١ أن ابن المنذر أخرج عن أبي حيان أن عمرو ابن الجموح سأل النبي ﷺ ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها ؟ فنزلت. وذكره مقاتل بنحوه ١/ ١٨٨ وذكر الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩١ أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة، ورغبهم فيها من غير عزم، فقالوا: يا رسول الله، ماذا ننفق وعلى من نتصدق؟ فنزلت، وعنه نقله ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٤٦، والسيوطي في «لباب النقول» ص٤٢، وعزاه لابن جرير، وبنحوه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٨١.

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ٣/ ٨٣٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ١٣٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩٤.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٦٤، والثعلبي ٢/ ٨٩٣، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٥٣.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٨٩، والطبري ٢/ ٣٦٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩٣.

(٧) رواه سعيد بن منصور ٣/ ٣٣٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩٣.

وقال في رواية الوالبي: ما لا يتبين[1] في أموالكم[2].

وقال مجاهد: صدقة عن ظهر غنى[3]. وأصل العفو في اللغة: الزيادة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥] أي: زادوا على (ما)[4] كانوا عليه من العدد[5].

وقال الشاعر:

ولكنا نُعِضُّ السَّيْفَ منها   بأَسْؤُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ[6]

أي: زائدات الشحم.

قال أهل التفسير: أُمِروا أن ينفقوا الفَضْل، وكان أهل المكاسب يأخذ الرجل من كسبه ما يكفيه في عامه، وينفق باقيه، إلى أن فرضت الزكاة، فنسخت آيةُ الزكاة المفروضة هذه الآية وكل صدقة أمروا بها قبل نزول الزكاة[7][8].

---

(١) في (ش): (مانبين)

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٤، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٦٣١، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩٤.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦٥ بمعناه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٩٤.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٩٦.

(٦) القائل: لبيد، ينظر: «ديوانه» ص١٠٤، «مجاز القرآن» ٠/ ٢٢٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٦٦ «تفسير الثعلبي» ٢/ ٨٩٦ والضمير في قوله: منها، يعود إلى الإبل، يقال: أعضَّه السيف، إذا ضربه به والباء في (أسوق) زائدة، كُوْم: عظام الأسمنة يقال في البعير: أكوم، والناقة: كوماء.

(٧) من قوله: المفروضة. ساقطة من (ي).

(٨) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٣، وعزاه الثعلبي ٢/ ٨٩٩ للكلبي، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٢٣٨، واستظهر ابن الجوزي أن لا نسخ في الآية، =

واختلف القرَّاء في رفع العفو ونصبه، فقرؤا بالوجهين جميعًا[١]، فمن نصب جعل(ماذا) اسمًا واحدًا، فيكون قوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ بمنزلة ما ينفقون[٢]، و(ماذا) في موضع نصب، كما أن ما وأيًّا في قولك: ما ينفقون، وأيًّا ينفقون، كذلك[٣]، وجواب هذا العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ما أنفقت؟ درهمًا، أي: أنفقت درهمًا.

ومن رفع العفو جعل ذا[٤] بعد (ما) بمنزلة الذي، ورد العفو عليه فرفع، كأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: العفو، أي: الذي ينفقون العفو، فيضمن[٥] المبتدأ الذي كان خبرًا في سؤال السائل، كما تقول في جواب ما الذي أنفقته؟ مال زيد، أي: الذي أنفقته مال زيد[٦].

قال أبو إسحاق: ويجوز أن تنصب ﴿ٱلْعَفْوَۗ﴾ وإن كان (ما) وحدها اسمًا، تحمل (العفوَ) على ينفقون[٧]، كأنه قيل[٨]: قل أنفقوا العفو،

= وأنها في الإنفاق المندوب إليه، وقال الطبري ٢/ ٣٦٨: فهو أدب من الله لجميع خلقه على ما أدبهم به في الصدقات غير المفروضات، ثابت الحكم غير ناسخ لحكم كان قبله بخلافه، ولا منسوخ بحكم حدث بعده. وينظر: «النسخ في القرآن» لمصطفى زيد ٢/ ٦٦٥.

(١) قرأ أبو عمرو: ﴿قل العفوُ﴾ رفعًا، والباقون نصبًا.

(٢) قوله: بمنزلة ما ينفقون ساقطة من (أ) و(م).

(٣) ساقطة من (ي).

(٤) في (ي): (إذا).

(٥) في (ش): (فيضمر) لعلها هي الصواب.

(٦) من «الحجة» ٢/ ٣١٨ بتصرف.

(٧) في (ي): (ما ينفقون).

(٨) (قيل) ساقطة من (ش).

ويجوز[١] أن يرفع العفو، وإن جعلت ما وذا بمنزلة شيء واحد، على معنى: قل هو العفو[٢]، والكلام في (ماذا) قد مر مستقصى[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أشار إلى ما بين في الإنفاق، كأنه قال: مثل الذي بينه لكم في الإنفاق إذ يقول: (قل العفو) يبين لكم الآيات لتتذكروا[٤] في أمر الدنيا والآخرة، فتعرفوا فضل الآخرة على الدنيا.

وقيل: مثل البيان في الخمر والميسر يبين الله لكم الآيات[٥]. وقال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وهو يخاطب جماعة؛ لأن الجماعة معناها القبيل، كأنه قال: كذلك أيها القبيل.

وقد أتى القرآن في غير موضع (بذلك) للجماعة، قال الله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾ ثم قال: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠] والأصل: (ذلكن)[٦]، إلا أن الجماعة في معنى القبيل، وجائز أن يكون الكاف للنبي ﷺ، أي: كذلك أيها النبي يبين الله لكم الآيات؛ لأن خطاب النبي ﷺ مشتمل على خطاب أمته، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ [الطلاق: ١][٧].

---

(١) في (ي): (فيجوز).

(٢) ذكره الزجاج ١/ ٢٩٣.

(٣) ينظر ما تقدم .

(٤) (لتتفكروا) في (ش)، وفي (ي): (تتفكروا).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٦٨-٣٦٩، «بحر العلوم» ١/ ٢٠٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٠-٩٠١، «الكشاف» ١/ ٢٦٣

(٦) في (ي) و(ش) و(م): (ولكن).

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٣-٢٩٤ بتصرف، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٠.

٢٢٠- قوله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ أول هذه الآية موصول بما قبلها، فيجوز أن يكون من صلة التفكر، قال أكثر[١] المفسرين: معناه: هكذا يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها، وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها. ويجوز أن يكون ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ من صلة التبين، أي: يبين لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قال الضحاك[٣] والسدي[٤] وابن عباس[٥] في رواية العوفي: كانت العرب في الجاهلية يعظمون شأن اليتيم ويشددون[٦] أمره، فلا يؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون[٧] بملابسة أموالهم، فلما جاء الإسلام سألنا[٨] عن ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة والربيع[٩] وابن عباس في رواية سعيد بن جبير

---

(١) قوله: من صلة... في (ش) (أهل أكثر).

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠١.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٢ بمعناه، وذكره في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠١، «زاد المسير» ١/ ٢٤٤.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٢ بمعناه، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٢٤٤.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٢ بمعناه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٠١.

(٦) في (ي): (يسدورن).

(٧) في (أ) و(م) و(ي): (يتشامون).

(٨) في (ي) و(ش): (سألوا).

(٩) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٨٩، والطبري بمعناه ٢/ ٣٧٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٠٢، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٤٥٦- ٤٥٧ إلى عبد بن حميد وابن الأنباري والنحاس.

والوالبي[١]: لما نزل في أمر اليتامى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٤] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: ١٠] اعتزلوا أموالهم، وعزلوا طعامهم، واجتنبوا مخالطتهم في كل شيء، حتى كان يصنع لليتيم طعامٌ، فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، وكان صاحب اليتيم يفرد له منزلًا وطعامًا وشرابًا، فعظم ذلك على ضَعَفَةِ المسلمين، فقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله! ما لكلنا منازل يسكنها الأيتام[٢]، ولا كلُّنا يجد طعامًا وشرابًا يفردهما[٣]، ونزلت: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ يعني: الإصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض منهم خير وأعظم أجرًا، وقيل: مخالطتهم بالإصلاح لهم وتعريفهم ما فيه حظهم خير من التفرد منهم[٤].

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم، فتصيبوا من أموالهم عوضًا من قيامكم بأمورهم، أو تكافؤهم على ما تصيبون من أموالهم.

والمخالطة: جَمْعٌ يَتَعَذَّرُ معه التمييز، يقال: استَخْلط الفَحْل: إذا

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٧٠، وذكره الثعلبي ٢/ ٩٠٢.

(٢) قول ابن عباس من رواية سعيد رواه أبو داود (٢٨٧١) كتاب الوصايا، باب: مخالطة اليتيم في الطعام، والنسائي ٦/ ٢٥٦ كتاب الوصايا، باب: ما للموصى من مال اليتيم، وأحمد ١/ ٣٢٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٠-٣٧١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٥ وغيرهم. وقول ابن عباس من رواية الوالبي (علي بن أبي طلحة) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٣٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧١، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٣٣٠ وغيرهم.

(٣) في (ش): (نفردهما) وفي (ي): (يردهما).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٣.

خالطَ قُبُلُه[١] حَيَا الناقَةِ، ومنه يقال للجماع: الخِلاطُ، ويقال خولط الرجل: إذا جُنّ، والخلاط[٢]: الجنون، لاختلاط الأمور على صاحبه بزوال عقله[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم. والإخوان يعين بعضهم بعضًا، ويصيب بعضهم[٤] من مال بعض[٥]، ومثله قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الأحزاب: ٥].

قال الفراء: ولو نصبته كان صوابًا، يُرِيد: فإخوانَكُم تخالطون[٦]، وإنما يرفع من هذا ما حسن فيه هو، فإذا لم يحسن أجريته على ما قبله، فقلت: إن اشتريت طعامًا فَجَيِّدًا، أي: اشْتَرِ جَيِّدًا، وإن لبستَ ثِيابًا فالبياضَ، تنصب لأن هو[٧] لا يحسن هاهنا، والمعنى هاهنا مخالفٌ للأول، ألا ترى أنك تجد القوم إخوانًا وإن لم تخالطوهم[٨]، ولا تجد كل ما تلبس[٩] بياضًا ولا ما تشتري جيدًا، فإن نويت أن ما ولي شراءه

---

(١) في (ش): (قبلة).

(٢) في (ي): (المخالط).

(٣) ينظر في خلط «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٣، ١٠٨٤، «المفردات» ص١٦١، «عمدة الحفاظ» ١/ ٦٠٠-٦٠١، «اللسان» ٢/ ١٢٢٩-١٢٣٢ (خلط).

(٤) في (ش): (يصيب بعضهم بعضًا من مال بعض).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٤.

(٦) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٠.

(٧) في (ش): (ها).

(٨) عبارة الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٤٢: ألا ترى أنك تجد القوم إخوانًا وإن جحدوا .

(٩) في (ش): (تلتبس).

فَجَيّدٌ[١] رفعتَ، إذا كان الرجل قد عُرِفَ بجودةِ الشراءِ أو بلبس البياض[٢].

قال أبو عبيد: هذه الآية عندي أصل للتناهد[٣] الذي يفعله الرفاق في الأسفار، ألا ترى أنهم يخرجون النفقات بالسوية ويتباينون في قلة المطعم وكثرته، فلما جاء هذا في أموال اليتامى واسعًا كان في غيرهم بحمد الله واسعًا[٤].

وقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ أي: المفسد لأموالهم من المصلح لها، فاتقوا الله في مال اليتيم ولا تجعلوا مخالطتكم إياهم ذريعة إلى إفساد[٥] أموالهم وأكلها بغير حق[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾ معنى الإعنات: الحمل على مَشَقَّةٍ لا تُطَاقُ ثِقلًا، يقال: أعَنتَ فلانٌ فلانًا، أي: أوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه، وتَعَنَّتَه تَعَنُّتًا إذا لَبَّسَ عليه في سؤاله له، وعَنَتَ العظمُ المجبورُ، إذا انكسر بعد الجبر، وأصل الحرف من المشقة، أَكَمَةٌ عَنوت: إذا كانت شاقةً كَؤُودًا[٧].

---

(١) في (أ) و(م): (جيد).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤١-١٤٢ بتصرف يسير.

(٣) في (ي): (المشاهد)، وفي (ش): (للمتناهد).

(٤) «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٤٠.

(٥) في (ي) و(ش) (فساد).

(٦) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٥.

(٧) ينظر في عنت: «تفسير غريب القرآن» ص٧٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٤-٢٩٥، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٥-٢٥٨٦، «المفردات» ص٣٥٢ وقال: المعانتة: كالمعاندة لكن المعانتة أبلغ ؛ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك، ولهذا يقال: عنت فلان إذا وقع في أمر يخاف منه التلف يعنَت عنتا، وينظر: «عمدة الحفاظ» ٣/ ١٥٦، «لسان العرب» ٥/ ٣١٢٠.

قال ابن عباس: معناه: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقًا[(١)]. وقال عطاء: ولو شاء الله لأدخل عليكم المشقة كما أدخلتم على أنفسكم[(٢)].

وقال الزجاج: ولو شاء الله لكلفكم ما يشتد عليكم[(٣)].

وقيل: ولو شاء الله لضيق عليكم وأثمكم في مخالطتهم[(٤)]، ومعناه التذكير بالنعمة في التوسعة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمركم من أمر اليتامى.

٢٢١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ الآية، قال الأزهري: أصل النكاح في كلام العرب: الوطء، وقيل للتزوُّج: نِكَاح، لأنه سبب الوطء[(٥)]، يقال: نَكَح المطرُ الأرضَ: إذا اعتمد عليها، ونكح النعاسُ عَيْنَه. حكى ذلك أبو مالك[(٦)] وأبو زيد[(٧)].

وقال أبو القاسم الزجاجي: النِّكَاح لفظةٌ جاريةٌ في كلام العرب بمعنى الوطء والعَقْدِ جميعًا، وموضوع (ن ك ح) على هذا الترتيب في كلامهم للزوم الشيء الشيء وإكبابه عليه، من ذلك قولهم: نكحَ المطرُ

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٦، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٠٥.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ٢/ ٥٦.

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٢٩٤.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٥.

(٥) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩ (نكح)، سبب الوطء المباح.

(٦) هو غزوان الغفاري الكوفي، مشهور بكنيته أبي مالك، ثقة قال ابن حجر من الثالثة. انظر «الجرح والتعديل» ٧/ ٥٥، «التقريب» ص٤٤٢ (٥٣٥٤).

(٧) حكاه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩ (نكح).

الأرضَ ينكحها نكحًا، إذا واظب عليها ولزمها، ذكر ذلك أبو زيد وابن الأعرابي فيما حكى عنه ثعلب في «الأمالي»[(١)(٢)].

وقال أبو عمرو الشيباني: نكح النعاس عينه، إذا غَلَبَ ولزم، هذا كلام العرب الصحيح فإذا قالوا: نكح الرجلُ فلانةً، ينكِحُها نَكْحًا ونِكَاحًا، أرادوا: تزوج بها، كما قال الأعشى:

فلا تَقربَنَّ جَارَةً إنَّ سِرَّها عَلَيْكَ حَرَامٌ فانكِحَنْ أو تَأَبَّدا[(٣)]

وهذا الموضع لا يحتمل انكحن إلا الأمر بالعقد والتزوج؛ لأنه قال: لا تقربن جارة، يعني: مقاربتها على الطريق الذي يحرم فاعقد وتزوج، وإلا فتأبد في[(٤)] تجنب النساء وتوحش.

قال عثمان بن جني[(٥)(٦)]: سألت أبا علي عن قولهم: نَكَح المرأةَ، فقال: فَرَّقَتِ العربُ بالاستعمال فرقًا لطيفًا بين موضع العقد بفحوى الكلام وموضع الوطء حتى لا يلتبس، فإذا قالوا: نكح فلانٌ فلانة أو ابنةَ فلانٍ، أرادوا: أنه تزوجَ وعَقَدَ عليها، وإذا قالوا: نكح امرأته أو زوجَه، لم يريدوا غير المجامعة؛ لأنه إذا ذكر امرأته أو زوجه فقد استغنى عن ذكر العقد ولم

(١) في (ي) و(ش): (فيما حُكِي عنه في «الأمالي»).
(٢) نقله في «البحر المحيط» ٢/ ١٥٥، ونسبه للتبريزي، فلعله الزجاجي.
(٣) البيت للأعشى في «ديوانه» ص٤٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩ (نكح)، «اللسان» ٨/ ٤٥٣٧ «نكح» وروايتها ولا تقربن.
(٤) في (ي) و(ش) (أي تجنب).
(٥) في (ي) و(ش) (أن حسين).
(٦) هو أبو «الفتح» عثمان بن جني الموصلي النحوي، صاحب التصانيف البديعة في النحو والأدب، سكن بغداد، وتوفي سنة ٣٧٢هـ. انظر «إنباه الرواة» ٢/ ٣٣٥، «وفيات الأعيان» ٣/ ٢٤٦.

تحتمل الكلمة غير المجامعة، وإذا قالوا: نَكَحَ بنتَ فلانٍ أو أُخْتَه أو امرأةً، لم يريدوا غير العَقْد[١].

وروى سلم[٢][٣] عن الفراء أنه قال: العرب تقول: نُكْحُ المرأةِ (بضم النون) بمعنى بضعها، وهو كناية عن الفرج، بُني على بناء القُبُل والدُّبُر، فإذا قالوا: نَكَحَها فمعناه: أصاب نُكْحَها، أي: ذلك الموضعَ منها، وقلّ ما يقال: نَاكَحَها كما يقال: باضعها من البُضْع[٤]، وقد جاء لفظ النِّكاح في الشعر ولا يراد به إلا الوطء، من ذلك قوله:

التـارِكِـينَ عـلـى طُـهْـرٍ نِـسَـاءَهُـم
والناكحينَ بِشَطَّيْ دِجْلَةَ البَقَرَا[٥][٦]

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٥٥، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٢٥١ قال: قلت: وهذا غير صحيح لظهوره بالقرينة. وقال الراغب في «المفردات» ص٥٠٦: أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، ومحال أن يكون في الأصل للجماع، ثم استعير للعقد؛ لأن أسماء الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ [النور: ٣٢].

(٢) في (م): (مسلم)، وفي (ي): (سالم).

(٣) لعله سلمة بن عاصم النحوي من تلاميذ الفراء.

(٤) الفراء، نقله في «البحر المحيط» ٢/ ١٥٥.

(٥) البيت للربيع بن ضبع الفزاري. ورد البيت في: «عمدة الحفاظ» ٤/ ٢٥١ بلفظ:

النازلين على ظهور متونهم ... والناكحين بشاطي دجلة البقرا

ولم ينسبه، وورد في «البحر المحيط» ٢/ ١٥٥، وروايته:

الباركين على ظهور نسوتهم ... والناكحين بشاطي دجلة البقرا

(٦) ينظر في (نكح): «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩، «المفردات» ٥٠٦-٥٠٧، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٢٥٠-٢٥١، «اللسان» ٨/ ٤٥٣٧-٤٥٣٨.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي مرثد الغنوي(١)، كانت له خليلة مشركة في الجاهلية، يقال لها: عناق، فلما أسلم قالت له: تَزَوَّجْ بي، فسأل رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله أيحل لي أن أتَزَوجَهَا، فأنزل الله هذه الآية(٢).

ومعنى المشركات هاهنا: كل من كفر بالنبي ﷺ، وإن قال: إن الله واحد، وذلك أن من كفر بالنبي(٣) ﷺ فقد زعم أن ما أتى به النبي ﷺ من القرآن(٤)(٥) من عند غير الله، والقرآن إنما هو من عند الله ﷻ، فمن زعم

---

(١) هو: كناز بن حصين بن يربوع بن طريف بن خرشة، آخى النبي ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت وكان حليف حمزة بن عبد المطلب، وهو تربه، شهد هو وابنه مرثد بدرا، مات في خلافة أبي بكر ﷺ سنة ١٢هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» ٣/ ٤٧، «أسد الغابة» ٦/ ٢٨٢، «الأعلام» ٥/ ٢٣٤.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٩٠ وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٠٦، والواحدي في «أسباب النزول» ص٧٤، والرازي في «تفسيره» ٦/ ٥٨، والحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٥١، والسيوطي في «لباب النقول» ص٤٢، وغيرهم، وقد ورد عن عبد الله بن عمرو قصة مرثد هذه فنزل قول الله: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] رواها أبو داود في النكاح، باب: قول الله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ ٢/ ٢٢٧ برقم ٢٠٥١، والترمذي (٣١٧٧) كتاب التفسير، باب: ومن سورة النور وقال: حسن غريب، والنسائي ٦/ ٦٦ كتاب النكاح، باب: تزويج الزانية، والحاكم ١/ ١٨٠ وصححه، قال الزيلعي: فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة، إنما هو في الآية التي في النور [تخريج أحاديث «الكشاف» ١/ ٢٣٦] وقال الحافظ في «الكشاف» ١/ ٢٦٤ عن آية البقرة: ونزولها في هذه القصة ليس بصحيح.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) ساقط من (ي).

(٥) في (م) (إنه من عند).

أنه قد أتى غير الله[١] بما لا يأتي به إلا الله ﷻ فقد أشرك به غيره[٢] والله تعالى يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ثم قال في آخر الآية الثانية: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فحرم الله تعالى بهذه الآية نكاح المشركات، ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة، وهي قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] فهذه الآية مخصوصة بتلك في قول ابن عباس[٣]، وهو الصحيح، والذي عليه جمهور[٤] أهل العلم[٥].

وقال قتادة[٦] وسعيد بن جبير[٧]: أراد بالمشركات في هذه الآية: مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه، فعلى قولهما: الآية محكمة

(١) من قوله: والقرآن.. ساقط من (ي).

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٥.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٧، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٤، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٤٥٨ إلى ابن المنذر.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ٨٤، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٠٩، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص١٧١، وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ٢٤١: قوله: «ولا تنكحوا المشركات» لفظ عام، خص منه الكتابيات بآية المائدة، وهذا تخصيص لا نسخ، وعلى هذا الفقهاء وهو الصحيح، وينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٦٧، «النسخ في القرآن الكريم» لمصطفى زيد ٢/ ٦٠٤.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٧٧، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٤٥٨ إلى عبد الرزاق وعبد ابن حميد.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٧.

لا نسخ فيها، والذي عليه أهل العلم أن التي في المائدة ناسخة لهذه[١]، وبحكم[٢] هذه الآية لا يحل تزوج الأمة الكتابية، لأن الله تعالى إنما استثنى الحرائر الكتابيات بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] فلا يحل نكاح الأمة الكتابية بحال[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ الأمة: المملوكة. ومصدرها: الأُمُوَّة، وتأميتُ أَمَةً، أي: اتخَذْتُ أمة، وجمع الأمة: إماء وآم[٤]، قال الشاعر:

يا صاحِبيَّ ألا لا حَيَّ بالوادي   إلا عَـبِـيـدٌ وآمٍ بَـيْـنَ أذْوادِ[٥]

ووزن أمة فَعَلَة، بدلالة الجمع، نحو: أكَمَة وآكَام.

وقال الليث: يقال لجمع الأمة: إماء وإِمَوان وثلاث آم، وأنشد:

تَـمْـشِـي بـهـا رُبْـدُ[٦] الـنَّـعَـام   تَـمَـاشِـيَ الآمِـي الـزَّوَافِـر[٧][٨]

وقال أبو الهيثم: الآم جمع الأَمَة، كالنَّخْلَة والنَّخْل، والبَقْلَة والبَقْل. قال: وأصل الأَمَةِ أَمْوَة[٩]، حذفوا لامها لما كانت من حروف اللين، فلما

---

(١) قدم المؤلف أن آية المائدة مخصصة لآية البقرة على الصحيح، وعليه فإن مراده بالنسخ هنا التخصيص على العادة المعروفة عند المتقدمين.
(٢) في (م): (ومحكم).
(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٧٠.
(٤) وتجمع أيضًا على أَمَوَات، وإِمْوان، وأُمْوان، وأَمَات. ينظر: «اللسان» ١/ ١٢١ (أما).
(٥) القائل: السليك بن السلكة، في «ديوانه» ص٥١، «لسان العرب» ١/ ١٢١ (أما).
(٦) في (ي): (رند).
(٧) البيت للكميت في «ديوانه» ١/ ٢٣١، «تهذيب اللغة» ١/ ١٩٤، «لسان العرب» ١/ ١٢١ (أما).
(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٩٤ (أما).
(٩) ضبطت في الأصل: أَمَوَة، وما أثبتناه من «تهذيب اللغة»، «اللسان».

جمعوها على مثال نَخْلة ونَخْل لزمهم أن يقولوا: أَمَةٌ وآم، فكرهوا أن يجعلوها حرفين، وكرهوا أن يردوا الواو المحذوفة لما كانت آخر الاسم؛ لأنهم يستثقلون السكوت على الواو، فقدموا الواو وجعلوها ألفًا فيما بين الألف والميم[(١)][(٢)].

قال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة[(٣)]، كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها، ثم أتى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال له: «وما هي يا عبد الله»، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله، وتصوم رمضان، وتحسن الوضوء وتصلي، فقال: «هذه مؤمنة»، قال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل، وطعن عليه ناس من المسلمين وعرضوا عليه حرة مشركة فأنزل الله هذه الآية[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ أي: المشركة بمالها وجمالها[(٥)].

و(لو) بمعنى (أن) إلا أن (لو) للماضي، و(أن) للمستقبل[(٦)].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» (أما) بتصرف يسير، وفي الأصل قال ابن الهيثم، والتصويب من «التهذيب»، «اللسان».

(٢) ينظر في إماء: «تهذيب اللغة»، «البحر المحيط» ٢/ ١٥٥، «اللسان» ١/ ١٢١.

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة، وهو أحد النقباء، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان من الشعراء، واستشهد بمؤتة، وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان. ينظر: «معرفة الصحابة» ٣/ ١٦٣٨، «الاستيعاب» ٣/ ٣٣.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧-٣٨٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٩٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص٧٥، وينظر: «العجاب» ١/ ٥٥١، «لباب النقول» ٤٢.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩١٠.

(٦) ينظر: «مغني اللبيب» ٣٣٧.

وقوله تعالى ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ لا يجوز تزويج المسلمة من المشرك[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ يعني: المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: الأعمال الموجبة للنار[(٢)].

فإن قيل: أليست الكتابية تدعو أيضًا إلى النار، فلم جاز نكاحها؟

قيل: الوثنية تدعو بما هي عليه إلى التقصير في الجهاد، والكتابية الذمية من جملة من سقط فيهم فرض القتال فلا تدعو إلى التقصير في الجهاد[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ يقول: إلى التوبة والتوحيد والعمل الموجب للجنة، ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره، يعني: أنه بأوامره يدعوكم.

وقيل: إن[(٤)] هذا مختصر على تقدير: يدعو إلى الجنة والمغفرة ولا هداية إلا بإذنه، كما قال في سورة يونس، فَبَسَطَ ما اخْتُصِر هاهنا، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [يونس: ٢٥] فدعاء الله الخلق على العموم، وتوفيقه على الخصوص، ويؤيد هذا المعنى: ما روي عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ والمَغْفِرَةُ بِإِذْنِهِۦ﴾ رفعًا[(٥)].

---

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٧٢ قال: وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩١٣.

(٣) ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٦٥-٦٦.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٦١، «التفسير الكبير» ٦/ ٦٦، «البحر المحيط» ٢/ ١٦٦.

٢٢٢- قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية، قال المفسرون: كانت العرب في الجاهلية إذا حاضت المرأة لم تؤاكلْها ولم تشاربها ولم تساكنها في بيت، كفعل المجوس، فسأل أبو الدحداح[(١)] رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حِضْن؟ فأنزل الله هذه الآية[(٢)]. والمحيضُ: الحَيْضُ، قال أبو إسحاق: يقال: حاضت المرأةُ تَحِيضُ حَيْضًا ومَحَاضًا ومَحِيْضًا[(٣)].

وأصل الحيض في اللغة: السيلُ، حاض السيلُ، يقال: وفاض.

وقال الفراء: حَاضَتِ السَّمُرَة تحيض إذا سَالَ منها لَثَاها[(٤)]، وأنشد

---

(١) هو: ثابت بن الدحداح، وقيل الدحداحة بن نعيم بن غنم بن إياس، اشتهر بكنيته، صحابي أقبل يوم أحد والمسلمون أوزاع قائلًا: يا معشر الأنصار إليَّ أنا ثابت بن الدحداحة إن كان محمد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا معه حتى قتلوا. ينظر: «معرفة الصحابة» ١/ ٤٧٢، «الاستيعاب» ١/ ٢٧٨.

(٢) عزاه السيوطي في «لباب النقول» ص٤٣ إلى الباوردي في الصحابة بسنده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٠-٣٨١ عن السدي مختصرا، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٠ عن مقاتل بن حيان، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٩١ وعنده: عمرو بن الدحداح، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٧٦-٧٧، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٥٤، وقال في «التلخيص الحبير» ١/ ١٦٤: وقيل إن السائل هو أبو الدحداح، قاله الواقدي، والصواب ما في الصحيح أن السائل عن ذلك أسيد بن الحضير وعباد بن بشر. اهـ. يعني ما رواه مسلم (٣٠٢) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، عن أنس. وينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٨٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٦.

(٤) قوله: حاضت السمرة: خرج منها الدُّوَدِم، وهو شيء شبه الدم، وإنما ذلك على التشبيه. ينظر: «اللسان» ٢/ ١٠٧١ «حيض».

المبردُ عن عمارة بن عقيل[١]:

أجالَت حَصَاهُنَّ الذَّوَارِي وَحَيَّضَتْ[٢]
عَلَيْهِنّ حَيْضَاتُ السُّيولِ الطَّواحِمِ[٣][٤]

قال: ومعنى حيّضت: سيِّلت[٥].

قال الأزهري: ومن هذا قيل للحوض حوض؛ لأن الماء يحيض إليه، أي: يسيل، والعرب تدخل الواو على الياء، والياء على الواو؛ لأنهما من حَيِّزٍ واحدٍ وهو الهواء[٦].

قال أبو إسحاق: وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب المَفْعِل، ولذلك[٧] ذهب قوم إلى أنه المأتى أي:[٨] موضع الحيض، وإنما هو مصدر، والمَفْعِل جيد بالغ، قال الراعي:

بُنِيَتْ[٩] مرافقُهُنّ فوق مَزِلَّةٍ لا يَسْتَطِيعُ بها القُرَادُ مَقِيْلا[١٠]

---

(١) هو: عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، كان من الشعراء الفصحاء، قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده، اجتمع الناس وكتبوا شعره، عمر قبل موته. انظر: «معجم الشعراء» للمرزباني ص٢٤٧، «الأعلام» ٥/ ٣٧.

(٢) ساقط من (ش).

(٣) في (م) (الطواحي).

(٤) البيت في «لسان العرب» ٢/ ١٠٧١ «حيض»، ٥/ ٢٦٤٥ «طعم». والذَّوَاري والذاريات: الرياح.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٦، «اللسان» ٢/ ١٠٧١ «حيض».

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٦ «حاض».

أي: قيلولة[(١)][(٢)].

قال ابن السِّكِّيت: إذا كان المفعل من ذوات الثلاثة نحو: كَال يَكِيْلُ، وحاض يحيضُ وأشباهه، (فإن)[(٣)] الاسم منفرد[(٤)] منه مكسور، والمصدر مفتوح، من ذلك مَال مَمالًا وهذا مميلة، يذهب إلى الأسماء، وبالفتح إلى المصدر، ولو فتحتهما[(٥)] جميعًا أو كسرتهما في المصدر والاسم لجاز. تقول العرب: المَعَاش والمَعِيش، والمَعَابُ والمَعِيبُ، والمَسَار والمَسِيُر. وأنشد:

أنا الرَّجُلُ الذي قد عِبْتُمُوه وما فيه لِعَيَّابٍ مَعَابُ[(٦)]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قال عطاء وقتادة[(٧)] والسدي[(٨)]: أي: قَذَر. وقال مجاهد[(٩)] والكلبي[(١٠)]: دم. والأذى: ما يَغُمُّ ويُكْره من كل شيء[(١١)].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٦ بمعناه، وقوله: «ولذلك ذهب قوم إلى أنه المأتي أي موضع الحيض» ليست عند الزجاج.

(٢) ينظر في حيض: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٦، «المفردات» ص١٤٤، «عمدة الحفاظ» ١/ ٥٤٨، «اللسان» ٢/ ١٠٧٠.

(٣) في (م) (لأن).

(٤) زيادة من (م).

(٥) في (م) و(ي) (فتحهما)

(٦) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ٥/ ٣١٨٤ «عيب».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٨٩، والدارمي في «السنن» ١/ ٢٥٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠١.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠١.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠١.

(١٠) رواه الدارمي في «السنن» ١/ ٢٥٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠١.

(١١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩١٩.

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ الاعتزال: التنحي عن الشيء.

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية عمد المسلمون إلى النساء الحيض فأخرجوهن من البيوت واعتزلوهن، فإذا اغتسلن ردوهن إلى البيوت، فقدم ناس من الأعراب وشكوا عزل الحيض عنهم، وقالوا: يا رسول الله! البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت، وإن آثرنا أهل البيت هلكت الحيض، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم**»(١)(٢). فوطء الحائض في فرجها حرام(٣).

واعلم أن المرأة إذا حاضت حرم على الزوج جماعها ومباشرتها فيما بين السرة والركبة(٤)، ولم يحرم عليه تقبيلها وما(٥) فوق السرة وتحت الركبة منها(٦)، وكذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، روت ندبة(٧) عن ميمونة

---

(١) أورد السيوطي مثله منسوبًا إلى ابن عباس ١/ ٤٦١.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٩١، والسمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٢٥٠. وبنحوه روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في «تفسيره» ٢/ ٤٠٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٢٤، وقال الحافظ في «الكشاف» ١/ ٢٦٥: لم أجده.

(٣) بالنص والإجماع. ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٧٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٨٦.

(٤) في (ي): (إلى الركبة).

(٥) في (م): (ولا ما).

(٦) هذا قول أبي حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والجمهور، وقال الثوري ومحمد ابن الحسن وداود وبعض أصحاب الشافعي وهو الصحيح من قول الشافعي: يجتنب موضع الدم ؛ لقوله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**».
ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ٧٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٨٧.

(٧) ندبة: ويقال: بُرَيَّة، ويقال: بَدَنة، مولاة ميمونة أم المؤمنين، ذكرها ابن حبان في «الثقات» ٥/ ٤٨٧، وقال: روى عنها الزهري وذكرها الذهبي في النساء =

زوج النبي ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ يباشر المرأة من نسائه وهي حائض، إذا كان عليها إزار يبلغ إلى أنصاف الفخذين أو الركبتين[١]. فدل بهذا على أن المراد باعتزال الحيض ترك جماعهن، وذلك أن المجوس واليهود كانوا يجتنبون الحيض في كل شيء، وكانت النصارى يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، فأمرنا الله سبحانه بالاقتصاد بين هذين الأمرين[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: لا تجامعوهن[٣]، يقال: قَرُبَ الرجلُ امرأَته: إذا جامعها، قربانًا[٤].

وقوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: يَتَطَهَّرْنَ، ومعناه: يغتسلن بالماء بعد النَّقَاء من الدم، فأدغمت التاء في الطاء، هذه قراءة أهل الكوفة[٥]، وحُجَّتُهم: أن حكم انقطاع الدم قبل الاغتسال حكم اتصاله؛ لأنها ما لم

= المجهولات وقال: تفرد عنها حبيب الأعور. ينظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٦١٠، وقال الحافظ في «التقريب» ترجمة ص٧٥٤ (٨٦٩٢): مقبولة، ويقال: إن لها صحبة من الثالثة.

(١) رواه البخاري (٣٠٣) كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، ومسلم (٢٩٤) كتاب الحيض باب مباشرة الحائض فوق الإزار من طريق عبد الله بن شداد عن ميمونة بنحوه. وأخرجه النسائي ١/ ١٥١-١٥٢ كتاب الطهارة، باب: مباشرة الحائض، وأبو داود (٢٦٧) كتاب الطهارة، باب: في الرجل يصيب منها ما دون الجماع، والإمام أحمد في «المسند» ٦/ ٣٣٢، ٣٣٥.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٤٧، «تفسير القرطبي» ٣/ ٨١، «تفسير الرازي» ٦/ ٦٧.

(٣) في (ي) (يجامعوهن).

(٤) «المفردات» ص٤٠٠-٤٠١.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص، عن عاصم: يطْهُرن بالتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: يَطَّهَّرن مشددة. ينظر: «السبعة» ص١٨٢، «الحجة» ٢/ ٣٢١.

تغتسل كانت في حكم الحيض لكونها ممنوعة عن الصلاة والتلاوة، وإذا كانت كذلك فالوجه في القراءة التشديد، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦] فكما أن الجنب يتطهر بالماء إذا وجده، كذلك الحائض، لاجتماعهما في وجوب الغسل عليهما(١).

وأما من قرأ بالتخفيف، فقال أهل اللغة: طَهَرت المرأة، وطهُرت طُهْرًا وطَهَارة، والفتح أقيس؛ لأنها خلاف طَمَثت، فينبغي أن يكون على بناء ما خالفه، مثل: عَطِشَ وَرَوِيَ، ونحو ذلك(٢)، ويُقَوِّيَ طَهَرت أيضًا(٣) قولُهم: طَاهر، وهذا يدل على أنه مثل: قَعَدَ يَقْعُدُ فهو قَاعِد، فقوله: ﴿يَطْهُرْنَ﴾ يحتمل أن يكون المراد حتى يَنْقَطع الدم، ويحتمل أن يكون حتى يفعلن الطهارة التي هي الغسل؛ لأنه إنما يحكم لها بأنها طاهرة إذا اغتسلت، وهذا أولى؛ لما قدمنا أنها في حكم الحيض ما لم تغتسل(٤).

فإن قيل على هذه القراءة: وجب أن يحل الوطء بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال؛ لأن التحريم قد تناهى، ودل ﴿حَتَّىٰ﴾ على غاية التحريم؟

قيل: إن في الكلام حذفًا، قد دل عليه ما بعده، وأغنى(٥) عنه؛ لأن التقدير: ولا تقربوهن حتى يطهرن ويَطَّهَّرْن، نحو قول القائل: لا تكلم

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٣٢٢-٣٢٣ بتصرف.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٧، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٢٥-٢٢٢٦ (طهر)، «اللسان» ٥/ ٢٧١٢-٢٧١٣ (طهر)، قال الزجاج: ويقال: طَهَرت وطَهُرت جميعا، وطَهُرت أكثر.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) من «الحجة» ٢/ ٣٢١-٣٢٣ بتصرف.

(٥) في (ي)، (ش) (وأغني).

الأمير حتى يقعد[١]، وإذا طابت نفسه فكلمه في حاجتك، فتقديره: حتى يقعد وتطيب نفسه، مع أنا قد بينا أن معنى ﴿يَطْهُرْنَ﴾ يفعلن[٢] الطهارة التي يحل بها وطؤهن. فعلى القراءتين جميعًا لا يحل وطؤها ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء[٣]، وهو قول سالم بن عبد الله[٤] وسليمان بن يسار[٥] والقاسم بن محمد[٦] وابن شهاب[٧] والليث ومذهب الشافعي[٨].

وعند أبي حنيفة إذا طهرت لعشرة أيام حل وطؤها دون الاغتسال، وإن طهرت لما دونها لم يحل وطؤها إلا بإحدى ثلاث: أن تغتسل[٩]، أو

---

(١) في (ي) زيادة (ويطيب نفسه).

(٢) في (ش) (من الطهارة).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٥٣.

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني، أحد الفقهاء السبعة، كان ثبتًا عابدًا فاضلًا، وكان يشبه بأبيه في الهدي والسمت، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر: «التقريب» ص٢٢٦ (٢١٧٦)، «وفيات الأعيان» ٢/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٥) هو: أبو أيوب سليمان بن يسار مولى ميمونة أم المؤمنين، كان ثقة عالمًا فقيهًا كثير الحديث، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة ١٠٧هـ. انظر: «وفيات الأعيان» ٢/ ٣٩٩، «الأعلام» ٣/ ١٣٨.

(٦) هو: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، توفي سنة ١٠٦هـ. انظر «تقريب التهذيب» ص٤٥١ (٥٤٨٩)، «الأعلام» ٥/ ١٨١.

(٧) في (ي)، (ش): (ابن شباب).

(٨) ينظر في عزو هذه الأقوال إليهم: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٥٢، «الموطأ» باب: ما يحل للرجل من امرأته برقم ٩٦، «الأم» ١/ ٧٦، «سنن البيهقي» ١/ ٣١٠، «الأوسط» لابن المنذر ١/ ٢١٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٢، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ١٦٥.

(٩) في (م) و(أ): (يغتسل).

تمضي بها وقت أقرب الصلوات، فيحكم لها بذلك حكم الطاهرات بوجوب الصلاة في ذمتها، أو تتيمم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ معناه: فجامعوهن، وهو إذن بعد الحظر، فهو كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا﴾ [الجمعة: ٩][٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: من حيث أمركم الله بتجنبه في الحيض وهو الفرج، قاله مجاهد[٣] وإبراهيم[٤][٥] وقتادة[٦] وعكرمة[٧].

وقال ابن عباس في رواية الوالبي[٨]: يقول: طؤوهن في الفرج ولا تعدوه إلى غيره[٩]، وقال في رواية عطاء: يريد: من حيث يكون النسل[١٠].

وقال في رواية العوفي: فأتوهن من الوجه الذي أمركم الله أن تأتوهن

---

(١) ينظر: «مختصر الطحاوي» ص٢١٧، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ٣٤٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٥١، «التفسير الكبير» ٦/ ٧٣.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٥٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٣٣٠، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٣٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧- ٣٨٨.

(٤) هو: الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو النخعي اليماني ثم الكوفي، تقدمت ترجمته ٣/ ٣٠٧ [البقرة: ١٢٥].

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٣٢، والدارمي في «السنن» ١/ ٢٥٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٨.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٨.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١/ ٩٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧.

(٨) في (ي): (الكلبي).

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧، والبيهقي في «سننه» ١/ ٣٠٩.

(١٠) تقدم الحديث عن الرواية.

منه، وهو الطهر دون الحيض[١]. وهذا قول السدي[٢] والضحاك[٣].

وقال ابن الحنفية: فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور[٤].

وقال ابن كيسان: أي: من الجهات التي يحل فيها أن تقرب المرأة، أي: لا تأتوهن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات واقربوهن وغشيانهن لكم حلال[٥] وهذا اختيار الزجاج[٦].

وقال الواقدي: (من) هاهنا بمعنى (في) يريد: في حيث أمركم الله وهو الفرج، نظيره قوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤] أي: فيها، وقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] أي: فيه[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قال عطاء[٨] ومقاتل بن سليمان[٩] والكلبي[١٠]: التوابين: من الذنوب، والمتطهرين[١١] بالماء من الأحداث والمحيض والجنابات والنجاسات.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٥.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٩.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٢.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٢٣٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٨٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٢.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٦، والماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٢٨٣.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٧، و«تفسير الرازي» ٦/ ٧٤.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٦. وذكره ولم يعزه في «زاد المسير» ١/ ٢٤٩.

(٨) رواه عنه الطبري «في تفسيره» ٢/ ٣٩٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٣.

(٩) «تفسير مقاتل» ١/ ١٩٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٥٧.

(١٠) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٦، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٥٩.

(١١) من قوله: قال عطاء. ساقط من (ي).

وقال مجاهد: التوابين من الذنوب، والمتطهرين من أدبار النساء[١]. سعيد بن جبير: التوابين من الشرك، والمتطهرين من الذنوب[٢]. أبو العالية: التوابين من الكفر، والمتطهرين بالإيمان[٣]. ابن جريج: التوابين من الذنوب لا يعودون فيها، والمتطهرين منها لم يصيبوها[٤].

٢٢٣- قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس: جاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هلكت. قال: «**فما الذي أهلكك؟**» قال: حَوَّلْتُ رَحْلِيَ البارحة، فلم يرد عليه شيئًا، وأوحي إليه: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٥].

وقال الحسن[٦] وقتادة[٧] والمقاتلان[٨] والكلبي[٩]: تذاكر المسلمون واليهود إتيان[١٠] النساء، فقال المسلمون: إنا نأتيهن باركاتٍ وقائماتٍ

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٩١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٣.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٩، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٥٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٤٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٩، وفي «البحر المحيط» ٢/ ١٦٩.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٩١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٥٩.

(٥) الحديث رواه الترمذي (٢٩٨٠) كتاب التفسير، باب: ومن سورة البقرة وقال: حسن غريب، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٥٦، وأحمد ١/ ٢٩٧، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٩٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٥، والبيهقي في «سننه» ٧/ ١٩٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٦٢ وغيرهم.

(٦) رواه عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٣٢، والدارمي في «سننه» ١/ ٢٥٧.

(٧) عزاه الحافظ في «العجاب» ١/ ٥٦٠، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٦٧-٤٦٨ إلى عبد بن حميد، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٧١.

(٨) «تفسير مقاتل» ١/ ١٩٢، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧١.

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٩٧١، والواحدي في «أسباب النزول» ص٨٠.

(١٠) في (أ): (آيتان).

ومستلقياتٍ ومن بين أيديهن وأرجلهن، بعد أن يكون المأتى واحدًا، فقالت اليهود: ما أنتم إلا أمثال البهائم، لكنا نأتيها على هيئة واحدة، وإنا لنجد في التوراة: أن كل إتيان يؤتى النساء غير الاستلقاء دنس عند الله، ومنه يكون الحول والحَبْل، فذكر المسلمون ذلك لرسول الله ﷺ، فأكذب الله ﷻ اليهود، وأنزل يرخص[١] لهم ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾. أي: مَزْرَعٌ ومَنْبَتٌ للولد[٢]، وأراد به المُحْتَرَث والمُزْدَرَع، ولكنهن لما كُنَّ من أسباب الحرث جُعلن حَرْثًا، ولهذا وُحِّد[٣] الحرث؛ لأنه مصدر.

وقال أهل العربية: معناه: ذواتُ حرثٍ لكم، فيهن تحرثون الولد[٤]، فحذف المضاف، وقيل: أراد: كحرثٍ لكم، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾[٥] [الكهف: ٩٦].

أي: كنار[٦]، وكَقَولِ الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دنا نير وأطرافُ الأكفِّ عَنَم[٧][٨]

---

(١) في (م) (ترخص).

(٢) في (م) (للوالد).

(٣) في (م) (ي) (ش) (وحد).

(٤) في (م) زيادة (الولد والفدة وقال الأزهري) حرث الرجل امرأته وأنشد وهو تكرار.

(٥) (حتى) ساقطة من (ي).

(٦) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧٦-٩٧٧، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٧٠، وذكر وجهًا ثالثًا، قال: ويحتمل أن يكون حرث لكم بمعنى محروثة لكم، فيكون من باب إطلاق المصدر ويراد به اسم المفعول.

(٧) في (ي)، (ش) (غنم).

(٨) البيت للمرقش الأكبر في «ديوانه» ص٥٨٦، وفيه: وأطراف البنان. «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧٧ «تاج العروس» ٧/ ٥٢٤، «لسان العرب» ٧/ ٤٤٢٢ «نشر»، ينظر: «المعجم المفصل في شواهد العربية» ٧/ ٣٠-٣١.

وقال الزجاج: زعم أبو عبيدة أنه كناية[١]، قال: والقول عندي فيه: أن نساءكم حرث لكم، فيهن تحرثون الولد واللذة[٢]. وقال الأزهري: حَرْثُ الرجل: امرأتُه، وأنشد المبرد:

إذا أكل الجَرادُ حُرُوثَ قومٍ ... فَحَرْثِي هَمُّهُ أَكْلُ الجَرَادِ[٣]

يعني: امرأته[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم[٥]، ومن أين شئتم، بعد أن يكون في صمام واحد. ﴿أَنَّى﴾ شِئْتُمْ معناه من أين، يدل عليه الجواب، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧][٦].

وقال الزجاج: أي ايتوا مواضع[٧] حرثكم كيف شئتم مقبلة ومدبرة[٨].

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٧٣.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨.

(٣) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧٧، لكنه قال: قال المفضل بن سلمة أنشدني أبي «لسان العرب» ٢/ ٨٢٠، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥، «تاج العروس» ٣/ ١٩٤ [مادة حرث]، «أساس البلاغة»، [مادة: حرث] «البحر المحيط» ١/ ١٧٠. «المعجم المفصل» ٢/ ٣٢٨.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥، والكلام فيه منقول عن ابن الأعرابي.

(٥) ساقطة من (أ) و(م).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧٣، «البحر المحيط» ١/ ١٧٠.

(٧) في (ش) و(ي): (موضع).

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨.

والآية لا تدل على جواز[1] الإتيان في الموضع المكروه؛ لأنها نزلت تكذيبًا لليهود، ونسخًا لشرعهم إن صدقوا فيما ادعوا، أو إباحة للإتيان في القبل من أي[2] وجه كان، ولأن الله تعالى ذكر لفظ الحرث والقبل محل النسل[3] والحرث لا الدبر، فعلم أن المراد بالآية إباحة الجماع إذا كان في الفرج على كل جهة، والأخبار شائعة في تحريم أدبار النساء[4].

وقوله تعالى: ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد العمل لله بما يحب ويرضى[5]، وهو قول السدي[6]

والكلبي[7]، واختيار الزجاج؛ لأنه قال: معناه: قدموا طاعته واتباع أمره، فمن اتبع ما أمر الله به فقد قدم لنفسه خيرًا[8]، يحض على العمل بالواجب الذي أمروا.

وقال بعض المفسرين: يعني: ابتغاء الولد والنسل[9]، وذلك أن

---

(١) في (ي): (جواب).

(٢) في (ش): (كل).

(٣) في (ي): (للنسل).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٩٧٩-١٠٠٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٥٦، «التفسير الكبير» ٦/ ٧٦، «تفسير القرطبي» ٣/ ٩٦، «البحر المحيط» ٢/ ١٧٠-١٧١.

(٥) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة. وذكره في «زاد المسير» عنه ١/ ٢٥٣ برواية أبي صالح، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٢٩.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٩٩ بمعناه، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٦.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٦، البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٦٢.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨.

(٩) قال به عكرمة كما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٥، وقدمه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠١، وينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٧، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٨٦.

الولد ذخيرة للدنيا والآخرة .﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما حد لكم من الجماع وأمر الحيض .﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ قال عطاءُ: يريد: راجعون إليه[١]. وقد ذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦] .

وقال أصحاب المعاني: معناه: ملاقو جزائه، إن ثوابًا وإن عقابًا. وقال بعضهم: ﴿مُّلَٰقُوهُ﴾ أي: ملاقو ما قدمتم .﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين خافوه[٢] وحَذِرُوا مَعْصيتَهُ.

٢٢٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: قال الكلبي: نزلت في عبد الله بن رواحة، ينهاه عن قطيعة ختنه على أخته[٣]، بشير بن النعمان[٤]، حلف أن لا يكلمَه، ولا يَدْخُلَ بينه، وبين خصم له[٥]،

---

(١) لم أجده.

(٢) في (م): (يخافوه)، وفي (ي) (خافوا).

(٣) هي عمرة بنت رواحة الأنصارية، وهي امرأة بشير بن سعد والد النعمان. ينظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٤١.

(٤) هو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها، ويقال: إنه أول من بايع من الأنصار أبا بكر يوم السقيفة واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد سنة ١٢هـ. ينظر: «الاستيعاب» ١/ ٢٥٢، وهذا هو زوج أخت عبد الله، وفي «الإصابة» ١/ ١٦٠ ترجمة لبشير بن النعمان بن عبيد، ويقال له مقرن بن أوس بن مالك الأنصاري الأوسي، قال ابن قداح: قتل يوم الحرة وقتل أبوه يوم اليمامة لكنه ليس المقصود والله أعلم. ينظر: «الإصابة» ١/ ١٦٠.

(٥) في (أ) كأنها: ولا يدخل بيته، وعند الثعلبي ٢/ ١٠٠٧: أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له، فلعل في نسخ «البسيط» سقط كلمات، والمعنى صحيح على كل حال.

وجعل يقول: قد حلف[١] بالله أن لا أفعل، فلا يحل لي، فأنزل الله هذه الآية[٢].

والعُرضَة عند أهل اللغة: مُشْتَقَّةٌ من أصلين:

أحدهما: وهو الذي عليه الجمهور، أنها مشتقة من[٣] الاعتراض بمعنى المنع، وذلك أن المعترض بين الشيئين مانع من وصول أحدهما إلى الآخر، تقول العرب: هو له دونه عرضة، إذا كان يعترض له دون الوصول إلى ذلك الشيء.

قال الأزهري: والأصل فيه: أن الطريق المسلوك إذا اعترض فيه بناءٌ أو جِذْعٌ أو جَبَلٌ مَنَعَ السَابِلَةَ من سُلُوكه، فوضِعَ الاعتراضُ موضع المنع لهذا المعنى، وكل شيء منعك عن[٤] أمر تريده فقد اعترض عليك وتعرض لك، ومن هذا يقال للمعارض في الكلام: معترض، واعترض عليه في كذا، أي: منع كلامه عن الاستمرار على وجهه[٥].

---

(١) في (ي) و(ش): (حلفت).

(٢) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٢٠٦، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٧، والواحدي في «أسباب النزول» ص٨٠، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٧٦، وعزاه في «زاد المسير» ١/ ٢٥٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٧٦ إلى ابن عباس، وقد ذكروا أسبابا أخرى لنزول الآية، فقيل: نزلت في أبي بكر ﷺ حين حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، وقيل: نزلت فيه حين حلف لا ينفق على مسطح حين خاض في الإفك.

(٣) في (ي) زيادة وتكرار من أصلين أحدهما: الاعتراض.

(٤) في (ي) و(م): (من).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٤- ٢٤٠١ مادة «عرض».

وعلى هذا الفراء[١] والزجاج[٢] وابن الأنباري، وأكثر أقوال المفسرين موافق لهذا الأصل[٣].

قال الحسن[٤] وطاوس[٥] وقتادة[٦]: لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى، من حيث تتعمدون اليمين تعتلوا[٧] بها.

وقال ابن عباس[٨] ومجاهد[٩] والربيع[١٠]: لا تجعلوا[١١] اليمين بالله حجة في المنع، والتقدير: لا تجعلوا الله مانعاً من البر والتقوى باعتراضكم به حالفين.

الأصل الثاني: في اشتقاق العُرْضَة: أنها من الشدة والقوة، تقول العرب: لفلان عُرْضَة يصرع بها الناس، أي: قُوة، ودابة عُرْضَةٌ للسفر، أي: قوية عليه والعرضيّ من النوق والإبل: الذي فيه نشاط وقوة[١٢].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٤.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/٢٩٨-٢٩٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٠٠-٤٠٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٠٧، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠١١.

(٤) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٣٠.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٠، وعزاه في الدر ١/ ٤٧٩ إلى عبد الرزاق.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٠.

(٧) في (ي) (لتعلموا).

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠١ بمعناه، وعزاه في «الدر» ١/ ٤٧٩ إلى ابن المنذر. و«ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٠٧.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٠١- ٤٠٢ بمعناه.

(١٠) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٠٢ بمعناه.

(١١) ليست في (م) ولا (أ).

(١٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٠٩.

قال الشاعر:

واعْرَوْرَتِ العُلُطَ العُرْضِيَّ تَرْكُضُه
أمُّ الفَوارسِ بالدِّيداءِ والرَّبَعَه[(١)]

وقال الليث: يقال: فلان فيه على أعدائه عُرْضِيَّة، وفي الفَرَس عُرْضِيَّة[(٢)] في عَدْوِه.

وأنشد القطامي:

بِيضُ الهِجَانِ التي كانت تكونُ بها
عُرْضِيَّةٌ وهِبَابٌ حينَ يَرْتَحِلُ[(٣)(٤)(٥)]

فالمعنى على هذا الأصل: لا تجعلوا الحلف بالله قوة لأيمانكم في أن لا تبروا، ويحتمل أن يكون المعنى على هذا الأصل: النهي عن المبادرة إلى الأيمان، كأنه يقول: لا تجعلوا اسم الله قوة لأيمانكم تبتدر من أفواهكم مسرعين بذكره.

---

(١) ورد البيت هكذا:

واعرورت العلط العرضي تركضه أم الفوارس بالدأداء والربعة

والبيت من البسيط، وهو لأبي الأسود الرؤاسي، في «لسان العرب» ٣/ ١٣١١ مادة: دأدأ، ٥/ ٣٠٦٩ مادة: علط، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٠ مادة: «عرض»، ٣/ ٢٣٧٥ مادة «عرا» «جمهرة اللغة» ص٢٢٦، «ديوان الأدب» ١/ ٢٣٨. انظر «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٤/ ١٩٦.

(٢) في (ش) و(ي) (عرضة).

(٣) في (ش) (هبات)، وفي (ي) (ترتحل) وهي كذلك في الديوان.

(٤) البيت في ديوانه ص٢٣- ٣٠ ط دار الثقافة، بيروت.

(٥) ينظر في عرض: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٤- ٢٤٠٣، «المفردات» ٣٣٢، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٦٦-٧٤، «اللسان» ٥/ ٢٨٨٤- ٢٨٩٦.

وهذا المعنى مروي عن عائشة رضي الله عنها؛ لأنها قالت: لا تحلفوا بالله وإن بررتم(١).

وتفسير ابن عباس في رواية عطاء موافق لهذا المعنى؛ لأنه قال: يريد: لا يحلف الرجل في كل حق وباطل، ينبغي له أن ينزه الله عن كثير من الأيمان(٢).

والأيمان: جمع(٣) يمين، وهي القسم، وأصلها: من اليُمْن الذي هو البركة، فاليمين عَقْدُ الأمرِ بما يُتَبَرَّكُ(٤) بذكره(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ اختلف أهل المعاني في تقديره، فقال الزجاج: تقديره(٦): لا تعترضوا باليمين بالله في أن تبروا، فسقط (في) ووصل معنى الفعل(٧).

وقال أبو عبيد: معناه: أن لا تبروا، فحذفت لا، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦] وكقوله: ﴿رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] والمعنى: لئلا تضلوا، أن لا تميد بكم(٨).

وقال أبو العباس: تقديره: لدفع أن تبروا، أو لترك أن تبروا، فحذف المضاف.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٢.

(٢) تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي.

(٣) في (ش) (جميع).

(٤) في (م) (يتبرك به بذكره).

(٥) ينظر في اليمين: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٤- ٣٩٨٧، «اللسان» ٨/ ٤٩٦٧- ٤٩٧١.

(٦) ساقط من (ش).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠١١.

وقال الكسائي: تقديره: لأن تبروا[١] أي: لا تتخذوا اليمين[٢] مانعةً لأن تبروا[٣].

وهذه التقديرات كلها توافق تفسير العرضة من الاعتراض بمعنى المنع.

وإن جعلنا تفسير العرضة القوة لم يصلح فيه تقدير الزجاج والكسائي.

وقال عطاء: أراد[٤]: أن لا تبروا[٥]، وهذا موافق لتفسير الآية عنده، والتقدير: لا تحلفوا بالله إلا أن يكون اليمين لقصد بر أو تقوى أو إصلاح بين الناس، فلكم أن تحلفوا[٦].

فالعرضة على القول الأول بمعنى المعترض، وعلى القول الثاني بمعنى القوة والشدة، وعلى القولين جميعًا معنى قوله: لا تجعلوا الله، لا تجعلوا اسم الله، فالله تعالى هاهنا يراد[٧] به التسمية لا الاسم الذي هو بمعنى الذات.

وأما محل (أن) من الإعراب، فقال أبو إسحاق: الاختيار فيه النصب عند جميع النحويين؛ لأنه لما حذف الخافض وصل الفعل، المعنى: لا

---

(١) من قوله: تقديره. ساقط من (أ) و(م).

(٢) قوله: لا تتخذوا اليمين. ساقط من (أ) و(م) و(ش).

(٣) وقد ذكر النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٣١٢، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٠ أن موضع (أن) خفض على إضمار الخافض، فيكون في أن تبرو.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٢٥٤.

(٦) تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي.

(٧) في (ي) (يريد).

تعترضوا باليمين بالله في أن تبروا، فلما سقطت (في) أفضى معنى الاعتراض[١] فنصب (أن)، ويكون تأويله: (لا يمنعكم)[٢] الإيمان بالله البر والتقوى والإصلاح بين الناس، قال: وجائز عند كثير من النحويين أن يكون موضعُها خفضًا، وإن سقطت (في)؛ لأنَّ (إن) الحذف معها مستعمل، يقول[٣]: جئت لأن تضرب زيدًا، وجئت أن تضرب زيدًا، فتحذف اللام مع (أن) ولا تحذف مع المصدر لو قلت: جئت ضربَ زيدٍ، وأنت تريد: لضرب زيد، لم يجز كما جاز مع (أن)؛ لأنّ (أنْ) إذا وُصِلَت دل ما بعدها على الاستقبال، والمعنى[٤] تقول: جئتك أن ضربت زيدًا، وجئتك أن تضربَ زيدًا، فلذلك جاز حذف اللام، وإذا[٥] قلت: جئتك ضَرْبَ زيد، لم يدل الضربُ على معنى مضى[٦] ولا استقبال[٧].

وحرر بعض أصحابه هذا الفصل فقال: معنى هذا: أنّ (أنْ) لما وُصِل بالفعل احتمل الحذف كما يحتمل (الذي) إذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول ما لا يحتمله الألف واللام إذا وُصل بالاسم، نحو: الذي ضربت، يريد: ضربته، فأما: الضاربه[٨] أنا زيد، فلا يحسن إلّا بالهاء، وذلك أن

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨: لمعنى، وفي «الإغفال» لأبي علي ٥٠٩ أقصى معنى الاعتراض.

(٢) في (ش): (يمنعنكم).

(٣) في (ش): (تقول).

(٤) في (أ) و(م) و(ش): والمضي، وما أثبته من (ي) موافق لما في «معاني القرآن».

(٥) في (ي) (إذا).

(٦) في «معاني القرآن»: على معنى الاستقبال.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٨-٢٩٩ بمعناه.

(٨) في (ش) (المضاربة).

الفعل أثقل، وهو بالحذف أحق. وأنكر أبو علي الفارسي هذا الفصل كلَّه على أبي إسحاق، وأجاز حذف اللام من المصدر، وقال: الذي منعه جائز غير ممتنع في جميع باب المفعول له، تقول[١]: جئتك طمعًا في الخير، وزرتك كرامة فلان، أي: لكرامته[٢]، قال: وأنشد أبو عثمان[٣] لرؤبة:

بلالٌ أنْدَى[٤] العَالَمينَ شَخْصًا عندي وما بي أن أُسِيءَ الحِرْصا[٥]

فحمل الحرص على المفعول له، قال: وإنما جاز الحذف مع (أن) لطول الكلام بالصلة، وإذا طال الكلام حَسُنَ من الحذف معه ما لا يحسن إذا لم يطل، وذلك كثير، نحو قوله: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ترك التأكيد الذي يقبح تركه في السعة لطول الكلام بلا، ولو لم يطل به للزم التأكيد كما لزم ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٧] ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤] ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة: ٣٥] ومن ثم استجازوا: حضر القاضي اليوم امرأةٌ، حذفوا التاء من الكلام لما طال الكلام بالفصل بين الفعل والفاعل من المفعول.

قال: وأما قوله: والنصب في (أن) في هذا الموضع الاختيار عند

---

(١) في (أ) (يقول).

(٢) في «الإغفال» ص٥١١: تقول: جئتك طمعا في الخير، وللطمع في الخير، وزرتك كرامة فلان ولكرامة فلان، فتثبت اللام وتحذف، والمعنى في الحذف مثل المعنى في الإثبات.

(٣) هو بكر بن بقية، تقدمت ترجمته ٣/ ١٦٢، [البقرة: ٩٣].

(٤) في (ش): (أبدى).

(٥) هذان البيتان ليسا في «ديوان رؤبة» قال محقق «الإغفال»: ولم أوفق في العثور عليهما. «الإغفال» ص٥١٢.

جميع النحويين، فمن يقول أن موضعه جر وهو قول سيبويه، ليس يحفظ عنه أن النصبَ أحسن، وإنما يحكم على موضعه بالجر.

أطال أبو علي الكلام في هذه المسألة على أبي إسحاق في الإنكار عليه، وقد اختصرته ها هنا[١].

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون موضع (أن) رفعًا بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: أن تبروا وتتقوا وتصلحوا أولى، أي: البر والتقى أولى، ويكون (أولى) محذوفًا، كقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١] أي: طاعة وقول معروف[٢] أمثل. قال: ومذهب النحويين فيه الجر والنصب، ولا أعلم أحدًا منهم ذكر هذا المذهب[٣].

وهذا الذي ذكره أبو إسحاق من رفع (أن) تقدير[٤] زائد على ما ذكرنا من التقديرات في (أن)، لأن الكلام على هذا يصير مستأنفًا لا تعلق له بما قبله، والتقديرات السابقة توجب[٥] التعلق بما سبق[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمع[٧] أيمانكم ويعلم ما تقصدون بها.

---

(١) ينظر: «الإغفال» ص٥٠٩-٥١٧.
(٢) زيادة من (ي).
(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٠.
(٤) في (ش) (تقديره).
(٥) في (ش) (يوجب).
(٦) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١١-٣١٢، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٣٠، «التبيان» ص١٣٥، «البحر المحيط» ٢/ ١٧٧، وقد ضعف الوجه الأخير فقال: لأن فيه اقتطاع(أن تبروا) مما قبله، والظاهر هو اتصاله به، ولأن فيه حذفا لا دليل عليه.
(٧) ساقطة من (ي).

٢٢٥- قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية. اللغو: معناه في اللغة: الكلام الذي لا فائدة فيه ولا يعتد به[1]، وهو مصدر يقال: لَغَا يَلْغُو لَغْوًا وَلغا يَلْغَى، ولغي يَلْغَى لغًا: إذا أتى بلغو[2]، قال الفراء: اللغا مصدرٌ للغَيْتُ، واللغوُ مَصْدَرٌ لِلَغَوْتُ.

قال العجاج:

ورُبَّ أسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عـن الـلَّـغَـا ورَفَـثِ الـتَّـكَـلُّـمِ[3]

وقال ذو الرمة:

ويُطْرَحُ بينها المَرْئِيُّ لَغْوًا كما أَلْغَيْتَ في المائةِ الحُوَارَا[4]

قال ابن المظفر: يقول: اللَّغْو واللَّاغِيَةُ واللَّوَاغِي واللَّغَا واللغوي[5]، ومنه الحديث: «**من قال يوم الجمعة لصاحبه صه[6] والإمام يخطب فقد لغا**[7]».

---

(١) ساقطة من (ي).

(٢) قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٩٩: ويقال: لغوت أَلْغُو لغوًا، ولغوْت أَلْغَى لغواً، مثل محوت أمحو محوا وأمحى، ويقال: لغيت في الكلام ألغَى لغىً إذا أتيت بلغو.

(٣) سبق تخريجه ٣/ ٦٠٥.

(٤) ورد البيت هكذا:

ويَهْلِكُ بينها المَرْئِيُّ فيها كما أَلْغَيْتَ في الديةِ الحُوَارا

وفي «اللسان»: ويَهْلِكَ وسْطَها المرئي لَغْواً وهو لذي الرمة يهجو هشام بن قيس المرئي أحد بني امرئ القيس، انظر الديوان ٢/ ١٣٧٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠١٦، «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي ٤/ ٣٤. «اللسان» ٧/ ٤٠٤٩ مادة «لغا».

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٥ مادة «لغو»، وبعض الكلام لغيره.

(٦) سقطت من(م) و(أ).

(٧) رواه البخاري (٩٣٤) كتاب: الجمعة ، باب: الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، ومسلم (٨٥١) الجمعة، باب: الإنصات يوم الجمعة في الخطبة.

ومثله من الكلام: الدَّلْو والدِّلاَء، والعَيْبُ والعَابُ.

قال ابن الأنباري: اللغو عند العرب: ما يُطْرح من الكلام[١] استغناءً عنه ولا يفتقر إليه، قال الكميت:

وبعد ذلك[٢] أيَّامٌ[٣] سَنَذْكُرها لم تنس لغوًا ولم تقدم على عمد[٤]

أي: لم تنس اطراحًا لها. ويقال: لغَا الطائر يلغو لغوًا: إذا صَوَّتَ، وسُمِّيَ ذلك منه لَغْوًا؛ لأنه لا يُوْقَفُ على ما يُريدُه. قال الشاعر:

باكرتُهم بِسَبَا جَوْنٍ ذَارِعٍ[٥] قبل الصَّبَاحِ، وقَبْلَ لَغْوِ الطَّائرِ[٦]

السبا: اشتراء الخمر، والجَوْنُ: الزِّقُّ، والذَّارِعُ[٧]: الكبيرُ الكثيرُ[٨] الأخذ من الأرض، ولغو الطائر: تَصْوِيْتُه. قال الزجاج: وكلُّ ما لا خيرَ فيه مما يُؤْثَم فيه، أو يكون غير محتاج إليه في الكلام فهو لغوٌ[٩] ولَغًا[١٠]. هذا معناه في اللغة[١١].

---

(١) من قوله: الدَّلْو.. سقطت من (م) و(أ).

(٢) في (م): (ذاك).

(٣) في (ي): (أيامًا).

(٤) في (م): (أمر) والبيت لم أهتد إلى من ذكره.

(٥) في (ش) (دارع)، وفي (ي) (دراع).

(٦) البيت لثعلبة بن صعير المازني في «لسان العرب» ٣/ ١٤٩٨ مادة: ذرع، و٧/ ٤٠٥١ مادة: لغا. وروايته: بساء.

(٧) في (م) و(ش) (الذراع)، وفي (ي) (الدراع).

(٨) (الكثير) ساقطة من (ي).

(٩) في (ش) (أو).

(١٠) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٩.

(١١) ينظر لغا: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٩، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٥- ٣٢٧٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠١٦، «المفردات» ص٤٥٥، «عمدة الحفاظ» ٤/ ٣٣ =

وأما التفسير: فقال مجاهد[١] وعكرمة[٢] والشعبي[٣]: لغو اليمين، في هذه الآية، ما يسبق به اللسان من غير عقد ولا قصد، ويكون كالصلة للكلام، مثل قول القائل: لا والله، وبلى والله، وكلا والله، ونحو هذا، ولا كفارة فيه ولا إثم. وهو قول عائشة رضي الله عنها، قالت: أيمان اللغو ما كان في الهزل والمراء والخصومة، (الذي) لا يعقد عليه القلب[٤]، ومثله روى حماد[٥] عن إبراهيم[٦]، وهو كما روي أن رسول الله ﷺ مرَّ بقوم

= «اللسان» ٧/ ٤٠٤٩- ٤٠٥١. وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور. وقد يسمى كل كلام قبيح لغوًا.

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٠٦ بمعناه، وذكره النحاس في «معاني القرآن» ١/ ١٨٨، والثعلبي ٢/ ١٠٢١.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٠٤، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٨.

(٣) رواه عنه سعيد بن منصور ٤/ ١٥٢٨، والطبري ٢/ ٤٠٥، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٨.

(٤) حديث عائشة بهذا اللفظ موقوفًا عليها، رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١١- ٤١٢، وبنحوه عند عبد الرزاق في «المصنف» ٨/ ٤٧٤، وأصله رواه البخاري (٦٦٦٣) كتاب: الأيمان، باب: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ومالك في «الموطأ» ٢/ ٤٧٧، والشافعي في «الأم» ٧/ ٢٥٧، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٤٤٤ رقم ١٦٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٦، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨ وغيرهم موقوفا عليها. ورواه أبو داود مرفوعا (٣٢٥٤) كتاب: الأيمان، باب: لغو اليمين، والطبري ٢/ ٤٠٥، وابن حبان في «صحيحه» ١٠/ ١٧٦ وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ١٦٧: وصحح الدارقطني الوقف.

(٥) هو حماد بن أبي سليمان بن مسلم أبو إسماعيل الكوفي الأصبهاني، كان علامة إماما فقيه العراق، تفقه على إبراهيم النخعي فكان أنبل أصحابه وأفقههم، روى عنه تلميذه أبو حنيفة والأعمش وخلق كثير، توفي سنة ١٢٠هـ. ينظر «السير» ٥/ ٢٣١-٢٣٨، «الجرح والتعديل» ٣/ ١٤٦.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٤٤٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٣٠.

ينتضلون، ومعه رجل من أصحابه فرمى رجل من القوم، فقال: أصبت والله وأخطأ، فقال الذي مع النبي عليه الصلاة والسلام: حنث الرجل يا رسول الله، فقال ﷺ:[١] «كل[٢] **أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة**[٣]».

وكأن الفرزدق أراد هذا المعنى بقوله:

ولسْتَ بمأخُوذٍ بِلَغْوٍ تَقُولُه
إذا لم تَعَمَّد عاقِداتِ العَزَائمِ[٤]

وقال ابن عباس في رواية الوالبي[٥] ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٦]: لغو اليمين، أن يحلف الإنسان على الشيء يُرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك، فهو خطأ منه غير عَمدٍ، ولا كفارة عليه فيه ولا إثم،

---

(١) قوله: (فقال ﷺ). ساقطة من (ش).

(٢) في (ي) و(ش): (كلا).

(٣) أخرجه الطبراني في: «المعجم الصغير» عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ٢/ ٢٧١ حديث رقم ١١٥١. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ١٨٨: ورجاله ثقات إلا أن شيخ الطبراني يوسف بن يعقوب لم أجد من وثقهُ ولا جرحه، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١٢ عن الحسن قال ابن كثير: وهذا مرسل حسن عن الحسن، وقال الحافظ في «الفتح» ١١/ ٥٤٧: وهذا لا يثبت؛ لأنهم كانوا لا يعتمدون مراسيل الحسن، لأنه كان يأخذ عن كل أحد.

(٤) البيت للفرزدق في «ديوانه» ٢/ ٣٠٧، وانظره في «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٣٦، «الدر المصون» ٢/ ٤٣٠، «والأغاني» ١٩/ ١٤، «المفردات» ص٥٢، «وضح البرهان» للغزنوي ١/ ٢٠٧.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٠٦، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٨.

(٦) رواه في «تفسير مجاهد» ١/ ١٠٧، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٧.

وهو قول الحسن[(١)] والنخعي[(٢)] والزهري[(٣)] وقتادة[(٤)] والربيع[(٥)] والسدي[(٦)]: وقال[(٧)] في رواية وُسيم[(٨)(٩)]: اللغو: اليمين في حال الغضب والضجر من غير عقدٍ ولا عزم، وهو قول علي[(١٠)] ﷺ وطاوس[(١١)].

وقال ابن عباس[(١٢)] في رواية عكرمة ومسروق[(١٣)]: اليمين الملغاة هي التي يحلف بها الحالف على أمر متى أمضاه وفعله كان معصية لله ﷻ، فهي ملغاة، إذ كان الواجب أن لا يستعمل ما حلف عليه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩١، والطبري عنه ٢/ ٤٠٨.

(٢) رواه عنه سعيد بن منصور في «سننه» ٤/ ١٥٢٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٧.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٢٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨، ضمن أهل القول الأول.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨، وعزاه في الدر ١/ ٤٨١ بمعناه إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٩.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٠٩.

(٧) رواه سعيد بن منصور ٤/ ١٥٣٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٩، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤١٠.

(٨) في (م) (رستم) وفي (ي) (وسم).

(٩) وسيم أو الوسيم، قال البخاري وابن أبي حاتم وابن حبان في «الثقات»: يروي عن طاوس عن ابن عباس، روى عنه عطاء بن السائب، ولم يذكروا غيره. ينظر «التاريخ الكبير» ٨/ ١٨١، «الجرح والتعديل» ٩/ ٤٦.

(١٠) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٢٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ١٧٩.

(١١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٠٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٢٤.

(١٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١١، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٢٦.

(١٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» ٨/ ٤٦٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١١.

وقال الشعبي في الرجل يحلف على معصية: كفارته أن يتوب منها، وكل يمين لا يحل لك أن تفي بها فليس فيها كفارة[(١)]. يدل عليه ما روى عمرو[(٢)] بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: **«من حلف على معصية الله فلا يمين له[(٣)]»**.

وروت عمرة[(٤)] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف على قطيعة رحم أو معصية، فبره أن يحنث فيها ويرجع عن يمينه»**[(٥)].

وبه قال سعيد بن جُبير إلا أنه قال: يحنث ويكفِّر، ولا يؤاخذه الله بالحِنث[(٦)].

وقال الضحاك: هو اليمين المُكفَّرة[(٧)]، سُمّيت لغوًا لأن الكفارة تُسقط منه الإثم، تقدير الآية: لا يؤاخذكم الله بالإثم في اليمين إذا كفرتم، وهذا اختيار الزجاج، قال: المعنى: لا يؤاخذكم الله بالإثم في[(٨)] الحلف

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١١، وابن أبي شيبة في «المصنف»، القسم الأول من الجزء ٤/ ص٣٣.

(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، من رجال الحديث، قال ابن حجر: صدوق، سكن مكة وتوفي بالطائف سنة ١١٨هـ. انظر «تقريب التهذيب» ص٤٢٣ (٥٠٥٠)، «الأعلام» ٥/ ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٢١٩٠) كتاب: الطلاق، باب: الطلاق قبل النكاح.

(٤) هي: عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، تابعية روت عن عائشة توفيت سنة ١٠٣هـ. انظر «التقريب» ص٧٥٠ (٨٦٤٣) «البداية والنهاية» ١١/ ٣٣٩، ٥٠٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢١١٠) كتاب: الكفارات، باب: من قال كفارتها تركها.

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٨/ ٣٧٥، والطبري ٢/ ٤١١.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٣٢.

(٨) من قوله: في اليمين. ساقطة من (أ) و(م).

إذا كفرتم، وإنما قيل له[١] لغو؛ لأن الإثم يسقط فيه إذا وقعت الكفارة[٢].

أعلم الله ﷻ أن الإثم إنما هو في الإقامة على ترك البر والتقى، وأن اليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور.

وجملة اليمين على مذهب الشافعي، رحمه الله: قِسْمٌ على الماضي[٣] نفيًا أو إثباتًا مثل أن تقول: والله لقد كان كذا، أو لم يكن كذا. فإن كذب في يمينه متعمدًا فهذه الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم، وفيها[٤] الكفارة، وإذا[٥] لم يتعمد واستبان الكذب فلا كفارة.

القسم الثاني: اليمين[٦] على المستقبل نفيًا أو إثباتًا، مثل: والله لأفعلن، أو والله لا أفعل، فإن حَنِثَ لزمته الكفارة، وحالة الرضا والغضب سواء[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: عزمتم وقصدتم، لأن كسب القلب العقد والنية[٨].

وقال الزجاج: أي: بعزمكم على أن لا تبروا وأن لا تتقوا، وأن

---

(١) ساقطة من (أ) و(م).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٩.

(٣) في (ي): (المعاصي).

(٤) في (م) و(أ): (فيها).

(٥) في (ي) و(ش): (فإن).

(٦) ساقطة من (ي).

(٧) ينظر: «الأم» ٧/ ٦٤، «والسنن الكبرى للبيهقي» ١٠/ ٣٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٣٣، «الإشراف على مذاهب أهل العلم» لابن المنذر ١/ ٤٢٢، «اختلاف العلماء» للمروزي ٢١٢.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٣٢.

تَعْتَلُّوا في ذلك بأنكم حلفتم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ معنى الحِلْم في كلام العرب: الأَنَاةُ والسُّكُون، والعَرب تقول: ضَعِ الهَوْدَجَ على أحْلَم الجِمال، أي: على أَشَدِّها تؤدَةً في السير. ومنه الحُلُم؛ لأنه يُرَى في حال السكون، وحَلَمَةُ الثدي لأنها تُحَلِّم المرتَضِعَ، أي: تُسَكِّنُه، والحَلَمَةُ: القُراد، مُشَبَّهَةٌ بِحَلَمَةِ الثَّدْي[٢]، ومعنى الحليم في صفة الله: الذي لا يَعْجَل بالعقوبة، بل يؤخر عقوبة الكافرين والعُصَاة[٣].

٢٢٦- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ قال سعيد بن المسيب: كان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبدًا، فكان يتركها بذلك لا أَيِّمًا ولا ذاتَ بعلٍ، يُضَارُّها، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية وفي الإسلام، فجعل الله تعالى الأجل الذي يُعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر[٤].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٩٩.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٠٨، «المفردات» ص١٣٦، «عمدة الحفاظ» ١/ ٥١٦-٥١٨، «اللسان» ٢/ ٩٧٩- ٩٨٢. قال الراغب: الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطور: ٣٢] قيل معناه: عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل.

(٣) قال السمين الحلبي في عمدة الحفاظ ١/ ٥١٦: الحلم: أصله ضبط عن هيجان الغضب، وإذا ورد في صفات الله فمعناه: الذي لا يستفزه عصيان العصاة، ولا يستخفه الغضب عليهم.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٣٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص٨٠، ٨١، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٧٩. وذكره بنصه بلا نسبة الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٠٠-٣٠١، وروى سعيد بن منصور ٢/ ٥١ [ط. حبيب الرحمن] والطبراني=

ويقال: آلى يُولي إيلاء، وتألّي يَتَأَلّى تألّيًا وائتلى يأْتلي ائتلاءً، قالت الخنساء:

فـآلَيْتُ آسَـى عَـلَـى هَـالِـكٍ   وأسْـألُ نَـائِـحَـةً مَـالَـهَـا[١]

وقال زيد الفوارس[٢]:

تالى ابنُ أوسٍ حَلْفَةً ليَرُدَّني   إلـى نِـسْـوَةٍ كـأنَّـهُـنَّ مـقـائـد[٣]

ومن هذا قراءة من قرأ: ﴿ولا يتأل أولوا الفضل منكم﴾ [النور: ٢٢] وقراءة العامة (ولا يأتلِ)[٤] من الإيتلاء بمعنى الحلف، ويقال لليمين: الأَلِيَّةَ والأُلوّة والأَلُوّة[٥] كلها بالتشديد، وحكى أبو عمرو[٦] أَلْوَةٌ وإِلْوَةٌ

= في «المعجم الكبير» ١١/ ١٢٧، والواحدي في «أسباب النزول» ص٨٠، ٨١ عن ابن عباس قال: كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين، وأكثر من ذلك، فوقت الله أربعة أشهر.

(١) البيت للخنساء في رثاء أخيها صخر، ينظر ديوانها ص١٢٠.تقول: لا أبكي على هالك بعده فقد شغلني عن غيره.

(٢) هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي، فارس شاعر جاهلي، أورد البغدادي قليلاً من أخباره وأبياتاً له، واختار أبو تمام في «الحماسة» أبياتاً أخرى من شعره. ينظر «خزانة الأدب» للبغدادي ١/ ٥١٦، ٥١٧، «الأعلام» ٣/ ٥٨.

(٣) البيت ذكره في «الدر المصون» ٨/ ٣٩٤.

(٤) قرأ أبو جعفر: (يتأل) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة، وهي قراءة عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة مولاه، وزيد بن أسلم، وقرأ الباقون بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة، قال في النشر ٢/ ٣٣١: وذكر الإمام المحقق أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم القراب، في كتابه: «علل القراءات»: أنه كتب في المصاحف (يتل) قال: فلذلك ساغ الاختلاف فيه على الوجهين. ينظر النشر ٢/ ٣٣١، و«البدور الزاهرة» ص٢٧١.

(٥) ساقطة من (ش) و(ي).

(٦) ساقطة من (ي).

وأُلْوَةٌ ثلاث لغات مخففة في اليمين، وذكرها يعقوب[(١)].

قال كثيِّر:

قَلِيلُ الأَلايَا حَافِظٌ لِيمينه فإن سَبَقَتْ منه الأَلِيَّةُ بَرَّتِ[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ قال أهل المعاني: الآية مختصرة، وما وقع عليه الإيلاء محذوف، وهو اعتزال النساء، كأنه قيل: للذين يؤلون أن يعتزلوا نسائهم تربص أربعة أشهرٍ، فحذف ما حذف لبيان معناه، وذلك أنه معلوم أن الحلف لا يكون إلّا على شيء يؤكّدُ ويحقق[(٣)(٤)].

و (مِنْ) في[(٥)] قوله: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ عند بعضهم من صلة التربص، كأنه قيل: للذين يؤلون تربص أربعة أشهر من نسائهم، أي: يتربصون عنهن هذه المدة.

وحكى ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة أن (من) هاهنا بمعنى على، وحروف الصفات متعاقبة، والتقدير عنده: للذين يحلفون على وطء أو في

---

(١) ينظر في آلى: «تفسير الطبري» ٢/ ٤١٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠١، «تهذيب اللغة» ١٥/ ١٧٨- ١٨٠، «المفردات» ٣٢، «عمدة الحفاظ» ١/ ١٢٠-١٢٢، «اللسان» ١/ ١١٧- ١٢٠. قال الراغب: وحقيقة الإيلاء والألية: الحلف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يحلف عليه. وجعل الإيلاء في الشرع للحلف المانع من جماع المرأة. أي: مدة أربعة أشهر فأكثر.

(٢) البيت لكثير عزة في «ديوانه» ٢/ ٢٢٠. وفي «البحر المحيط» ٢/ ١٧٦، «التفسير الكبير» ٦/ ٨٦، وذكره في «اللسان» ١/ ١١٧ بغير نسبة قال: ورواه ابن خالويه: قليل الإلاء. وفيه: وإن سبقت.

(٣) في (ي) و(ش) (تحقق).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٤٠.

(٥) ساقطة من (ي) .

وطء نسائهم، فأقام الصفة مقام الصفة، وحذف المضاف، وأقام النساء مقامه[(١)].

والتربص: التَّلَبُّثُ والانتظار، تَرَبَّصْتُ بالشيء تَرَبُّصًا، ويقال: ما لي على هذا الأمر رُبْصَةٌ، أي: تلبث[(٢)].

وإضافة التربص إلى الأربعة أشهر أضافة المصدر، كقولك: بينهما مسيرة يوم، أو مسيرة في يوم، ومثله كثير.

وأما تفسير الإيلاء الشرعي وحكمه، فكل[(٣)] يمين يحلفها الرجل ويصير بها ممتنعًا من جماع امرأته أكثر من أربعة أشهرٍ فهو إيلاء، وما كان دون أربعة أشهر فليس بإيلاء. وإن حلف على أربعة أشهر، فقد اختلف الصحابة فيه، فذهب الأكثرون إلى أنه غير مُؤْلي، وذهب ابن عباس إلى أنه مُولٍ[(٤)].

---

(١) ينظر في معنى(من): التبيان ص١٣٦، «تفسير الرازي» ٦/ ٨٦، «البحر المحيط» ١/ ١٨١ وقال: (من) يتعلق بقوله: يؤلون، وآلى لا يتعدى بمن، فقيل: (من) بمعنى على، وقيل بمعنى في، و يكون ذلك على حذف مضاف، أي: على ترك وطء نسائهم، أو في ترك وطء نسائهم، وقيل: (من) زائدة، والتقدير: يؤلون أن يعتزلوا نساءهم، وقيل يتعلق بمحذوف، والتقدير: للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فتتعلق بما تتعلق به لهم المحذوف، قاله الزمخشري، وهذا كله ضعيف ينزه القرآن عنه، وإنما يتعلق بـ يؤلون على أحد وجهين: إما أن يكون (من) للسبب، أي: من يحلفون بسبب نسائهم، وإما أن يضمن الإيلاء معنى الامتناع فيعدى بمن، فكأنه قيل: للذين يمتنعون بالإيلاء من نسائهم.

(٢) ينظر في تربص: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٤ مادة «ربص»، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٤١، «المفردات» ١٩٢، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٦٨.

(٣) في (ي) و(ش) (وكل).

(٤) ينظر: «مختصر الطحاوي» ص٢٠٨، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٣٦٠.

وحالة الرضا والغضب سواء، إلا فيما يحكى عن علي رضى الله عنه أنه كان يقول: الإيلاء يمين في الغضب، فإذا حلف في حال الرضا فليس بإيلاء[١].

ثم إن جامع قبل مضي أربعة أشهر لزمته[٢] الكفارة عند عامّة الفقهاء والنكاح ثابت، وذهب الحسن[٣][٤] وقتادة[٥] إلى أنه لا كفارة عليه، لقوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ رَحِيمٌ، وإن لم يجامع حتى انقضت أربعة أشهر بانت منه بتطليقة عند أبي حنيفة[٦]، ولا رجعة له، وهو قول ابن مسعود[٧] وزيد بن ثابت[٨] وقتادة[٩] والكلبي[١٠].

وعند الشافعي[١١]: أنه إذا مضت أربعة أشهر والرجل ممتنع، فإن عفت المرأة ولم تطلب حقها من الجماع فلا شيء على الرجل، ولا يقع طلاق، وهما على النكاح ما أقامت على ذلك، وإن طلبت حقها وقف

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» / ٤٥١، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٤١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤١٧- ٤١٨، وعزاه في «الدر» ١/ ٤٨٢ إلى عبد بن حميد.

(٢) في (م): (لزمه).

(٣) في (ي): (أبو الحسن).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٢٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ينظر: «مختصر الطحاوي» ص٢٠٨، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٣٦٠.

(٧) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٥٤، وسعيد بن منصور ٢/ ٥١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٢٨.

(٨) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٥٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٢٨.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٢٨.

(١٠) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٤٣.

(١١) ينظر: «الأم» ٥/ ٢٨٧، و«الرسالة» ص٥٧٦.

الحاكم زوجها فإما أن يطلق، وإما أن يطأ، فإن أباهما جميعًا طلق الحاكم عليه، وله أن يراجعها.

وهذا قول عُمَر[١]، وعثمان[٢]، وعلي[٣]، وأبي الدرداء[٤] وابن عُمر[٥] وعائشة[٦]، ومذهب مالك[٧]

وأبي ثور[٨][٩] وأبي عبيد[١٠] وأحمد[١١] وإسحاق[١٢] وعامة أهل الحديث.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣.

(٢) رواه البخاري (٥٢٩١) كتاب: الطلاق، باب: قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ معلقا على قول عثمان، ورواه الشافعي في «الأم» ٥/ ٢٨٢ موصولا، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣.

(٣) رواه البخاري في الموضع السابق معلقا، ورواه موصولا: الشافعي في الأم ٥/ ٢٨٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٤.

(٤) رواه البخاري في الموضع السابق معلقا، ورواه موصولا عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٥٧، والطبري ٢/ ٤٣٤.

(٥) رواه البخاري في الموضع السابق، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٤.

(٦) رواه البخاري في الموضع السابق معلقا، ورواه موصولا الشافعي في الأم ٥/ ٢٨٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٣.

(٧) ينظر «الموطأ» ٢/ ٥٥٦، «والكافي» لابن عبد البر ٢/ ٥٩٩.

(٨) هو: إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي البغدادي، الفقيه مفتي العراق، أحد الحفاظ المجتهدين، حجة رغم جرح أبي حاتم الخفيف بسبب أخذه بالرأي، توفي سنة ٢٤٠هـ. ينظر «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٧٢، «تاريخ بغداد» ٦/ ٦٥، و«السير» ١٢/ ٧٢.

(٩) ينظر: «اختلاف العلماء» للمروزي ص١٨٣، و«الإشراف» لابن المنذر ١/ ٢٢٨.

(١٠) ينظر المرجعين السابقين.

(١١) ينظر: مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله ٣/ ١١١٩.

(١٢) «سنن الترمذي» (١٢٠١) كتاب: الطلاق واللعان، باب: ما جاء في الايلاء، والإشراف ١/ ٢٢٨.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾ أي: رجعوا، والفَيْءُ في اللغة: الرجوعُ. قال الفراء: يقال: فاء يفيء فيئًا[١] وفُيُوءًا[٢][٣] وفَيْئَةً، وهي المرَّة[٤] الواحدة[٥]، وإنما يصير راجعًا بالجماع، ويكفى من ذلك تغييب[٦] الحشفة في فرجها مرة واحدة[٧].

وقال قوم: الفيء باللسان، وهو مذهب النخعي[٨]، وإن كان عاجزًا عن الجماع بمرض أو غيبة فاء بلسانه، وأشهد عليه.

وقد ذكرنا أنه إذا فاء لزمته الكفّارة إلا عندَ الحسن وقتادة[٩]، لقوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والذين يوجبون الكفارة يقولون: هذا في إسقاط العقوبة لا في الكفارة[١٠].

---

(١) في (ش): (فئيًا).

(٢) في (ش): (فُؤَرًا).

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٥ بمعناه.

(٤) في (أ) و(م): (المرأة).

(٥) ينظر في معنى الفيء: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧١١، «المفردات» ص٣٩٠، وقال: الفيء والفيئة: الرجوع إلى حالة محمودة، «اللسان» ٦/ ٣٤٩٥، وذكر الأزهري: أن الفيء في القرآن على ثلاثة معان، مرجعها إلى أصل واحد هو الرجوع، ثم ذكر أولها وهي الفيء في هذه الآية، والثاني: قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، فالفيء الظل بعد العشي، والثالث: قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، فالفي: ما رد الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف أهل دينه بلا قتال.

(٦) في (م): (تغيب).

(٧) ينظر: «الإشراف» ١/ ٢٨٨، «والأم» ٥/ ٢٨٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٤٧.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٢٣، وعبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٦٢.

(٩) سبق تخريجه عنهما.

(١٠) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٤٧.

٢٢٧- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾ الآية، العَزْم: عقد القلب على الشيء، عزم على الشيء يَعْزِم عَزْمًا وعُزْمًا وعَزِيمةً، ذكرها الفراء[١]، اعتزم اعتزامًا، وعزمت عليك لتفعلنّ، أي: أقسمت[٢][٣].

والطلاقُ: مصدرُ طَلُقتِ المرأةُ تطلُق طَلاقًا[٤]، وقال الليث: طَلُقَتِ المرأة، بضم اللام، تَطْلُق طلاقًا، وقال ابن الأعرابي: طَلُقَتْ من الطلاق أجود، وطَلَقَتْ بفتح اللام جائز[٥][٦].

ومعنى الطلاق: هو حل عقد النكاح بما يكون حلًّا في الشرع، وأصله من الانطلاق وهو الذهاب، والطَّلاق: انطلاق المرأة، والأولى[٧] أن يكون الطلاق هاهنا اسمًا من التطليق، كالسراح اسم من التسريح يوضع موضع المصدر؛ لأن المراد هاهنا التطليق[٨].

وهذه الآية دليل على أنها لا[٩] تَطْلُقُ بعد مضي الأربعة أشهر ما لم

---

(١) لم أجده في مظانه من «معاني القرآن» له.

(٢) ينظر في عزم: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٥، «المفردات» ٣٣٧، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٨٦، «اللسان» ٥/ ٢٩٣٢- ٢٩٣٣.

(٣) ينظر عزم «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٢، «والمفرادت» ٣٣٧، «وعمدة الحفاظ» ٣/ ٨٦ واللسان ١٢/ ٣٩٨-٤٠١.

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٩ مادة «طلق».

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٩، وتتمة كلامه: ومن الطلق طُلقت، وكلهم يقول: امرأة طالق بغير هاء.

(٦) ينظر في طلق: «تهذيب اللغة» ٢٢٠٩- ٢٢١٢، «المفردات» ص٣٠٩، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٤٧٦-٤٧٧، «اللسان» ٤/ ٢٦٩٢- ٢٦٩٦.

(٧) ساقطة من (ي).

(٨) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٩٢.

(٩) ساقطة من (ي).

يطلقها زوجها أو السلطان؛ لأنه شرط فيه[١] العزم، ولأنّ[٢] السماع يقتضي مسموعًا، والقول هو الذي[٣] يُسمَعُ فالسماع راجع إلى الطلاق.

فإن قيل: العزم عزم القلب لا لفظ اللسان، فإلى أي شيء يرجع السماع؟ قلنا: الرجل يعزم بقلبه ثم يطلق بلسانه، وقد ذكر الله العزم والمراد منه إنشاء اللفظ وهو قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وما نهى عن النية؛ لأن التعريض بالخطبة مباح في عدة الوفاة والتعريض بالخطبة يتضمن القصد بالقلب وزيادة، وإنما حرم إنشاء عقد النكاح قبل أن يبلغ الكتاب أجله[٤].

٢٢٨- قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ الآية. المطلقات: المُخَلَّيات من حبال الأزواج[٥][٦]، أراد المطلقات المدخول بهن البالغات غير الحوامل؛ لأن في الآية بيان عدتهن.

وذكرنا معنى التربص. ومعنى الآية: أنهن ينتظرن بِأنفُسِهِنَّ[٧] انقضاء ثلاثة قروء أو مضي ثلاثة قروء[٨] ولا يتزوَّجن، لفظه خبر ومعناه الأمر، كقوله: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ومثله كثير[٩].

---

(١) في (ي) (في).

(٢) الواو. ساقطة من (ي).

(٣) في (ي) (الذي هو).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٤٨، «تفسير الرازي» ٦/ ٨٩-٩٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٥٠.

(٦) ساقطة من (ي).

(٧) ساقطة من (ي).

(٨) زيادة من (ي).

(٩) ينظر: «الكشاف» «التبيان» ص١٣٦، «البحر المحيط» ١/ ١٨٥.

قال الزجاج: هو كما تقول: حسبك درهم، لفظه خبر ومعناه: اكتف بدرهم.

وقال غيره: معناه[(١)]: يتربصن في حكم الله الذي أوجبه، فحذف للدلالة عليه[(٢)].

وقيل: أراد: ليتربصن، فحذف اللام[(٣)].

والقُرُوْءُ: جمع قُرْءٍ[(٤)]، وجمعه القليل أقرء، والكثير: أَقْرَاء وقروء[(٥)].

وهذا الحرف من الأضداد يقال للحِيَض: قُرُوءٌ، وللأَطهارِ: قُروء، والعَربُ تقول: أَقْرَأَتِ المرأةُ. في الأمرين جميعًا. وعلى هذا يونس[(٦)] وأبو عمرو بن العلاء[(٧)(٨)] وأبو عبيد أنها من الأضداد[(٩)(١٠)]، وهي في لغة

---

(١) ساقطة من (ي).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٨٥.

(٣) ينظر: «التبيان» ص١٣٦، «البحر المحيط» ٢/ ١٨٥، واستبعد هذا القول جدا.

(٤) في (ش) (قرؤ).

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٥١، قال في «اللسان» ٦/ ٣٥٦٤ مادة «قرأ»: والجمع أقراء، وقروء على فُعول، وأقرؤ، الأخيرة عن اللحياني في أدنى العدد، ولم يعرف سيبويه أقراءً ولا أقرؤًا، قال: استغنوا عنه بفعول.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤.

(٧) هو: زبان بن العلاء بن عمار التميمي البصري، أحد القراء السبعة المشهورين، كان إماما في التفسير والعربية، توفي سنة ١٥٤هـ. ينظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٠٠، «الأعلام» ٣/ ٤١.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤.

(٩) من قوله: يقال للحيض.. ساقط من (ي).

(١٠) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢- ٢٩١٣ مادة: (قرأ).

العرب مُستعملة في المعنيين[١] جميعًا[٢]، وكذلك في الشرع[٣].

أما في استعمال العرب فقد أنشد الأئمة حجة للحيض قول الراجز:

له قُرُوءٌ كَقُروءِ الحائضِ[٤].

وأنشدوا حجةً للطُّهْر قول الأعشى:

ما ضَاعَ فيها من قُرُوءِ نِسَائِكَا[٥]

والذي ضاع الأطهار لا الحيض؛ لأنه خرج إلى الغزو فلم يغش نساءه.

وأما في الشرع فقال[٦] النبي ﷺ في المستحاضة «تنتظر[٧] **أيام أقرائها**

---

(١) في (م) (الأمرين).

(٢) قال الراغب ص٣٩٩-٤٠٠: والقرء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسما جامعا للأمرين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منهما؛ لأن كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد كالمائدة للخوان وللطعام، ثم قد يسمى كل واحد بانفراده به، وليس القرء اسما للطهر مجردا ولا للحيض مجردا بدلالة أن الطاهر التي لم تر أثر الدم لا يقال لها ذات قرء، وكذا الحائض التي استمر بها الدم والنفساء لا يقال لها ذلك.

(٣) ينظر في القرء: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٧٤-١٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٢-٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢- ٢٩١٤ مادة (قرأ)، «المفردات» ص٣٩٩-٤٠٠، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٣٨-٣٤٠، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٤- ٣٥٦٥ مادة (قرأ).

(٤) ذكره الزجاج بقوله: وأنشدوا في القرء والحيض، ينظر «معاني القرآن» ١/ ٣٠٣.

(٥) مطلع البيت: مورِّثةً مالا وفي الأصل رفعة

البيت في «ديوان الأعشى» ص٦٧، «مجاز القرآن» ١/ ٧٤، ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤.

(٦) في (ي): (فقد قال).

(٧) في (م): (ينتظر).

ونغتسل فيما سوى ذلك»[١] يعني: أنها تجلس عن الصلاة أيام حيضها، فالخبر دليل على أن الأقراء قد يكون الحيض، وأما استعمال الشرع إياها في الأطهار، فقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ أي: ثلاثة أطهار، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لوقت عدتهن وزمان عدتهن، وبين النبي ﷺ: أن وقت العدة: زمان الطهر في حديث ابن عُمر، وهو أنه طلق امرأته وهي حائض، فقال النبي ﷺ لعمر: «**مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك**»[٢] فبين أن زمان الطلاق الطهر؛ لتكون المرأة مستقبلة العدة. ومن هذا الاختلاف في اللغة وقع الخلاف في الأقراء بين الصحابة وفقهاء الأمة.

فعند علي[٣] وابن مسعود[٤] وأبي موسى الأشعري[٥] ومجاهد[٦] ومقاتل[٧] وفقهاء الكوفة[٨]: أنها الحيض.

---

(١) أخرجه الدارمي في الطهارة، باب: في غسل المستحاضة ١/ ٢٠٢، وأحمد في «المسند» ٣/ ٣٢٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٢٥٨) كتاب: الطلاق، باب: من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق، ومسلم (١٤٧١) كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٣١٥، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٣٣٢ [ط. حبيب الرحمن]، والطبري ٢/ ٤٤١، وعزاه في «الدر» ٦/ ٣٤٩ إلى الشافعي وعبد بن حميد.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٣١٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٩.

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٣١٧، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٠.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ١٠٨، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٣٩، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤١٥.

(٧) هو ابن حيان. ينظر «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤١٥، والحيري في «الكفاية في التفسير» ١/ ١٧٩.

(٨) ينظر «مختصر الطحاوي» ص٢١٧، و«شرح معاني الآثار» ٣/ ٦٤، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٣٦٤.

وعند زيد بن ثابت[١] وابن عمر[٢] وعائشة[٣] ومالك[٤] والشافعي[٥] وأهل المدينة[٦]: أنها الأطهار. وهذا الخلاف فيما ذكر منها في العدة، فأما كونها حيضًا وطهرًا وأن[٧] اللفظ صالح لهما جميعًا، فمما لا يختلف فيه أحد[٨].

وأصل هذا اللفظ واشتقاقه مختلف فيه أيضًا[٩]، قال أبو عبيد: أصله من دُنُو وِقت الشيء[١٠]، وروى الأزهري عن الشافعي: أن القرء اسم للوقت، فلما كان الحيض يجيء لوقتٍ والطهر يجيء لوقت[١١]، جاز أن يكون الأقراء حيضًا وأطهارًا[١٢]. وذكر أبو عمرو بن العلاء أن القرء:

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٧٧، والشافعي في الأم ٥/ ٢٢٤، والطبري ٢/ ٤٤٢.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٧٧، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٣.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٧٦، والشافعي في «الأم» ٥/ ٢٢٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٢.

(٤) «الموطأ» ٢/ ٥٧٨، و«التمهيد» ١٥/ ٨٥.

(٥) «الرسالة» ص٥٦٩، و«الأم» ٥/ ٢٢٤.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٥٦.

(٧) في (ي) (فإن).

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦١.

(٩) ينظر في القرء: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٧٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٧٤-١٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٢-٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «المفردات» ص٣٩٩-٤٠٠، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٣٨-٣٤٠، «اللسان» ٣/ ٢٩١٢- ٢٩١٣.

(١٠) في «تفسير الثعلبي» ذكر أبا عبيدة وهو عنده في «مجاز القرآن» ١/ ٧٤.

(١١) قوله: والطهر يجيء الوقت. ساقط من (ش).

(١٢) «تهذيب اللغة» ٣ / ٢٩١٢.

الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطهر، ويقال: هذا قارئ الرياح، لوقت هبوبها[١] وأنشد أهل اللغة للهذلي:

إذا هَبَّتْ لِقَارِئِها الرِّيَاحُ[٢]

أي: لوقت هبوبها،[٣][٤] ومن هذا يقال: أَقْرَأَتِ النُّجُوم، إذا طَلَعَتْ، وأَقْرَأَتْ، إذا أَفَلَتْ[٥]، قال كُثَيِّر:

إذا ما الثُّرَيّا وقد أقْرَأَتْ   أحسَّ السِّمَاكَانِ منها أُفُولاَ[٦]

أي: غابت، وأنشد ابن الأعرابي عن أحمد بن يحيى:

مواعيد لا يأتي لقَرْءٍ حويرها[٧]   تكون هبا يوم نكباء صرصرا[٨]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٣، ورواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣/ ٦٠ عن أبي عمرو.

(٢) مطلع البيت: شَنِئْتُ العَقْر عَقْر بني شَلَيْلٍ

والبيت لمالك بن الحارث الهذلي، ينظر «ديوان الهذليين» ٣/ ٨٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٤، «لسان العرب» مادة: قرأ ٦/ ٣٥٦٥ ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤، ورواية الثعلبي ٢/ ١٠٦٢: كرهت، ورواية «اللسان»: لقارئها. وقوله: شنئت: أي: (كرهت)، والعقر: مكان، وهبت لقاريها: لوقت هبوبها. وشليل: جد جرير بن عبد الله البجلي ينظر «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٢٣٩.

(٣) من قوله: (وأنشد).. زيادة من(ي) و(ش).وهنا ينتهي كلام أبي عمرو كما في «تهذيب اللغة».

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٢.

(٦) البيت ليس في «ديوانه» الذي بتحقيق إحسان عباس، وهو في «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٢، «النكت والعيون» ١/ ٢٩١ بلا نسبة، والسماكان: نجمان نيران. ينظر «لسان العرب» ٤/ ٢٠٩٩ مادة «سمك».

(٧) في (ش): (حويزها).

(٨) البيت لم أهتد لقائله ولامن ذكره.

أي: لا تأتي[١] لوقت رجوعها[٢]، قال: والقُرُءُ: الأوقات، واحدها قَرْؤٌ، فعلى هذا الأصل القَرْؤ يجوز أن يكون الحيض، لأنه وقت سيلان الدم، ويكون الطُّهْر لأنه وقت إمسَاكِهِ، على عادة جارية فيه[٣].

وقال قوم: أصل القرء: الجمع، يقال: ما قَرَأَتِ الناقةُ سَلًا قَطّ، أي: ما جَمَعَتْ في رحمها ولدًا قَطُّ، ومنه قولُ عمرو بن كلثوم:

هِجَانِ اللونِ لم تَقْرأْ جَنِيْنَا[٤]

وقال الأخفش: يقال: ما قَرَأَتْ حَيْضَةً، أي: ما ضمت[٥] رحمها على حيضة[٦]، والقرآن من القرء الذي هو الجمع، وقرأ القارئ: أي جمع الحروف بعضها إلى بعض في لفظِهِ. وهذا الأصل يقوي أن الأقراء هي الأطهار[٧].

قال أبو إسحاق: والذي عندي في حقيقة هذا أن القرء الجمع[٨] في اللغة، وأن قولهم: قريت الماء في الحوض وإن كان قد لزم[٩] الياء فهو

---

(١) في (ش): (لا يأتي).

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) ينظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ٧٧- ٧٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤٤، «والأضداد» لابن الأنباري ٢٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٢.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ش): (صمت).

(٦) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٧٤، ولفظه: ما قرأت حيضة قط.

(٧) ينظر: «الأضداد» لقطرب ص١٠٨، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٢٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٣.

(٨) في (ش): (تجمع).

(٩) في (ش): (ألزم).

جمعت، وقرأت القرآن لفظت به مجموعًا، والقرد يقرى، أي: يجمع ما يأكل في فيه[١]، فإنما القُرء اجتماع الدم في الرحم، وذلك إنما يكون[٢] في الطهر. هذا كلامه[٣].

وذكر أبو حاتم عن الأصمعي أنه قال في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾: جاء هذا على غير قياس، والقياس: ثلاثة أَقْرؤ؛ لأن القروء للجمع الكثير[٤]، ولا يجوز أن تقول: ثلاثة فلوس، إنما يقال: ثلاثة أفلس[٥]، فإذا كثرت فهي الفلوس[٦].

قال أبو حاتم: وقال النحويون في هذا: أراد ثلاثة من القروء[٧].

وقال أهل المعاني: لما كانت كلٌ مطلقة يلزمها[٨] هذا، دخله معنى الكثرة، فأتي بناء الكثير[٩] للإشعار بذلك، فالقروء[١٠] كثيرة إلا أنها في القسمة ثلاثة ثلاثة.

فمن قال: القرء: الحيض، قال: لا تخرج المرأة من عدتها ما لم

---

(١) في (ي): (وقته)

(٢) ساقطة من (ي).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٥، وينظر في بسط أدلة القولين والترجيح بينهما: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٥١-١٠٦٤، «التفسير الكبير» ٦/ ٩٤-٩٨، «زاد المعاد» ٥/ ٦٢٩.

(٤) في (ي): (الكبير).

(٥) ساقطة من (ي).

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢.

(٧) انظر المصدر السابق مادة «قرأ».

(٨) في (ش) و(ي): (يلزمه).

(٩) في (ي): (الكثيرة).

(١٠) في (أ) و(م): (قال: فالقروء).

تنقض الحيضة الثالثة، ومن قال: إنها الأطهار، قال: إن طلقها في خلال الحيض لم يحتسب[١] كسر زمان الحيض من العدة، وعدتها ثلاثة أطهار كوامل، وإن طلقها وهي طاهر كانت بقية الطهر محسوبةً طهرًا ثم عليها طهران آخران[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ الرحم: منبت الولد ووعاؤه في البطن، قال عكرمة[٣] وإبراهيم[٤]: يعنى: الحيض، وهو أن تكون المرأة في العدة، فأراد الرجل أن يراجعها فقالت: إني قد حضت الثالثة.

وقال ابن عباس[٥] وقتادة[٦] ومقاتل[٧]: يعنى: الحبل والولد. وهذا القول أولى؛ لأن قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ أدل على الولد منه على الحيض، كقوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: ٦] ومعنى الآية: لا يحل لهن أن يكتمن الحمل ليبطلن حق الزّوج من الرجعة والولد[٨].

---

(١) في (م) (يحتسبه).

(٢) ينظر في الأحكام: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٧٢، «التفسير الكبير» ٦/ ٩٤-٩٥.

(٣) رواه عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٢٣٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٧، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤١٦.

(٤) رواه عنه ابن أبي شيبة ٥/ ٢٣٤، والطبري ٢/ ٤٤٦، والبيهقي ٧/ ٤٢٠.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٩، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٤٤، وروى ابن أبي شيبة عنه في «المصنف» ٥/ ٢٣٤ الجمع بين القولين.

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٣٣٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤١٥.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ١٩٤.

(٨) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٥-٣٠٦.

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾ الآية، وذلك أن المرأة السوء تكتم الحبل شوقًا منها إلى الزوج، وتستبطئ[١] العدة؛ لأن عدة ذات الحمل أن تضع حملها[٢]، ذكر هذا في سورة الحج في قوله: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ معناه: من كان مؤمنًا[٣] بالله واليوم الآخر[٤] فهذه صفته فيما يلزمه، لا أنه على المؤمن دون غيره.

قال[٥] أبو إسحاق: وهذا كما تقول للرجل يظلم[٦]: إن كنت مؤمنًا فلا تظلم، لا تقول له هذا مُطْلِقًا الظلمَ لغيرِ المؤمن، ولكن المعنى: إن كنت مؤمنًا فينبغي أن يحجزك إيمانك عن ظلمي[٧].

وفي هذه الآية أمر متوجه على النساء في إظهار ما يخلق[٨] الله في أرحامهن من الحيض والولد، وهن مُؤَمناتٌ على ذلك، إذ لا مرجع إلى غيرهن فيه، فإن كتمن أثمن وفسقن بالخيانة في الأمانة، وإذا أخبرن واحتمل ما قلن وجب الرجوع إلى قولهن، وإن كن متهمات فعليهن اليمين، وقد أغلظ الله القول عليهن حيث قال: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

---

(١) في (م): (تستنظر).
(٢) تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي ص٩٢.
(٣) في (م): (يؤمن).
(٤) من قوله: (معناه). ساقط من (ي).
(٥) في (ي) و(ش): (وقال).
(٦) في (ش): (تظلم).
(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٦.
(٨) في (ي): (خلق).

وقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ البُعُولَة: جمع بَعْل، كالفُحُولة والذُّكُورة والخُؤُولَة والعُمُومة، وهذه الهاء زيادة[1] مؤكدة تأنيث الجماعة، ولا يجوز إدخالها في كل جمع إلا فيما رواه أهل اللغة عن العرب، لا تقول في كعب: كُعُوبة، ولا في كلب: كلابة[2].

والبعولة أيضًا: مصدر البَعْل، يقال: بَعَل الرجل يَبْعَلُ بُعُولةً، إذا صار بَعْلًا، أنشد يعقوب[3]:

يا رُبَّ بَعْلٍ سَاء ما كان بَعَلْ[4]

ومن هذا يقال[5] للجماع ومُلاعَبَةِ الرَّجُلِ أهلَه: بِعَال، يقال للمرأة: هي تُباعِل زوجَها بِعالًا، إذا فَعَلتْ ذلك معه.

ومنه قول الحُطَيْئَة:

وكَمْ من حَصَانٍ ذاتِ بَعْلٍ تَرَكْتها
إذا الليلُ أَدْجَى لم تَجِدْ مَنْ تُبَاعِلُه[6]

وامرأةٌ حَسَنَةُ التَّبَعُّل: إذا كانت تُحْسِنُ عِشْرَة زَوْجها.

---

(١) في (ي) (زائدة).

(٢) من كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٠٦ بتصرف، وفيه زيادة: لأن القياس في هذه الأشياء معلوم.

(٣) هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت النحوي اللغوي، تقدمت ترجمته ٢/ ٥١، [البقرة: ٢].

(٤) البيت ورد بغير نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).

(٥) ساقطة من (م).

(٦) البيت من الطويل، وهو للحطيئة في «ديوانه» ص٨٠، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ «لسان العرب» ١/ ٣١٦ مادة: بعل. وأراد: أنك قتلت زوجها أو أسرته.

ومنه الحديث «إذا أَحْسَنْتُنّ تَبَعُّلَ أَزْوَاجِكُن[١][٢]».

ومعنى ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾، أي: إلى النكاح والزوجية، يعني: أحق بمراجعتهن[٣] ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في الأجل الذي[٤] أمرن أن يتربصن فيه.

﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾ لا إضرارًا، وذلك أن الرجل في الجاهلية إذا أراد الإضرار بامرأته، طلقها واحدةً وتركها حتى[٥] إذا قرب انقضاء عدتها راجعها، ثم طلقها، ثم راجعها، يضارها بذلك، فالله تعالى جعل الزوج أحق بالرجعة على وجه الإصلاح، لا على الإضرار[٦].

ويستغني الزوج في المراجعة عن الولي وعن رضاها وعن تسمية مهر، وإذا راجعها سقطت بقية العدة وحل جماعها في الحال. والاحتياط الإشهاد على الرجعة. ولفظ الرجعة أن تقول: راجعتك أو رددتك إلى النكاح.

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/ ٤٢٠-٤٢١، برقم (٨٧٤٣)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» ٤/ ١٧٨٨ في ترجمة أسماء بنت زيد الأشهلية، و«تاريخ واسط» ص٧٥.

(٢) ينظر في مادة: بعل «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٦، «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٦، «المفردات» ٦٤-٦٥، «اللسان» ١/ ٣٦٢- ٣٦٣. قال الراغب: ولما تُصور من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، سمي باسمه كلُّ مستعل على غيره، فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا؛ لاعتقادهم ذلك فيه، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، ويقال: أتانا بعل هذه الدابة، أي المستعلي عليها، وقيل للأرض المستعلية على غيرها بعل.

(٣) في (ي) زيادة أي في ذلك أي.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (أ) و(م).

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ أي: للنساء على الرجال مثل الذي للرجال عليهن من الحق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بما أمر الله به من حق الرجل على المرأة[(١)]. روي عن ابن عباس أنه قال: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ مثل الذي عليهن بالمعروف[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ يقال: رَجَلٌ بَيِّن الرُّجْلَة[(٣)]، أي: القُوة، وهو أَرْجَلُ الرَّجُلَين، أي: أقواهما، وفَرَسٌ رَجِيلٌ، قويٌّ على المشي، والرِّجْل: معروفة لقوتها على المشي، وارتَجَل الكَلامَ، أي: قَوِيَ[(٤)] عليه من ركوبِ فِكرةٍ ورويّة، وتَرَجَّلَ النهار: قويَ ضياؤه[(٥)].

والدَّرَجَة: المنزلة، وأصلها من دَرَجْتُ الشيء أَدْرُجُه دَرْجًا، وأَدْرَجْتُه إدراجًا: إذا طويتُه. ودَرَجَ القومُ قرنًا بعد قرن، أي: فَنُوا. وأدرجهم الله إدراجًا؛ لأنه[(٦)] كطي الشيء منزلة بعد منزلة. ومعنى دَرَج القوم: طووا عُمْرَهم شيئًا فشيئا، وأدرجهم الله: طواهم الله، ومَدْرَجَةُ الطريق: قَارِعَتُهُ؛ لأنه يُطْوى منزلةً بعدَ مَنْزِلَة، والدَّرَجَةُ: المنزلة من منازل الطَّيّ، ومنه:

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٦٧.

(٢) رواه الطبري عنه ٢/ ٤٥٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤١٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٤٩٣- ٤٩٤ إلى وكيع وسفيان بن عيينة و عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) يقال: رجل جيد الرُّجلة، ورجل بين الرجولة والرُّجلة والرُّجْلِيَّة والرجولية، وهي من المصادر التي لا أفعال لها. ينظر «اللسان» ٣/ ١٥٩٧ مادة «رجل».

(٤) في (ي) (أقوى).

(٥) ينظر في رجل: «تهذيب اللغة» ٣/ ١٥٩٦- ١٦٠١، «المفردات» ١٩٦، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٨١-٨٣، «اللسان» ٣/ ١٥٩٦- ١٦٠١.

(٦) ساقطة من (ي) .

الدَّرَجَة التي يُرْتقى[١] فيها[٢].

وأما المعنى[٣] فقال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال[٤]. وقيل: بالعقل. وقيل: بالدية. وقيل: بالميراث[٥]. وقال قتادة: بالجهاد[٦].

قال أبو إسحاق: المعنى: أن المرأة تنال من اللذة من الرجل، كما ينال الرجل، وله الفضل بنفقته وقيامه عليها[٧].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: مالك يأمر كما أراد، ويمتحن كما أحب، ولا يكون ذلك إلا عن حكمة بالغة.

٢٢٩- قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ قال أهل التفسير: أتت امرأةٌ عائشةَ فشكت أن زوجها يطلقها ويسترجعها، يضارُّها بذلك، وكان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك،

---

(١) في (ش) (يرتقي).

(٢) ينظر في درج: «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٦٧، «المفردات» ص١٧٤، «اللسان» ٣/ ١٣٥١. قال الراغب: الدَّرَجة نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة: درجة، إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيط كدرجة السطح والسُّلَّم، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

(٣) في (ي) (فقد قال).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٧٤، والماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٢٩٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٦٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٦١.

(٥) ينظر في هذه الأقوال: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٧٤-١٠٧٥، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٦٩، «زاد المسير» ١/ ٢٦١.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٥٤، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤١٨.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٧.

وإن طلقها ألف مرة، فذكرت ذلك عائشة(١) لرسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾(٢).

فحُصِرَ الطلاق، وجعل حدّه ثلاثة، فذكر في هذه الآية طلقتين، وذكر الثالثة في الآية الأخرى، وهو قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ﴾ الآية(٣).

والمرة من المرور والمرِّ أيضًا، يقال: المَرّةُ الأُولى، والمَرُّ(٤) الأوَّلُ.

وقال أهل المعاني: الآية مختصرة معناها: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾ الإمْسَاكُ: خلاف الطلاق، والمِسَاك والمَسَكَة اسمان منه، يقال: أنه لذو مَسَكَةٍ ومَسَاكَةٍ إذا كان بخيلا.

قال الفراء: يقال: إنه ليسيء(٦) مَسَاكَ غلمانِه، وفيه مُسْكَةٌ من خيرٍ، أي: قوة وتَمَاسُك، ومَسَكٌ من قوة ومَسَاكَة، وإنه لَمسِيْكٌ(٧) بيِّن

---

(١) في (ش): (عائشة ذلك).

(٢) رواه الترمذي (١١٩٢) كتاب: الطلاق، باب: ١٦، والحاكم ٢/ ٣٠٧، وصححه البيهقي ٧/ ٣٣٣، والواحدي في «أسباب النزول» ٨١ عن عائشة بنحوه، ورواه مالك في «الموطأ» في الطلاق، باب جامع الطلاق ٢/ ٥٨٨، وعنه الشافعي في «الأم» ٥/ ٢٥٨، والطبري ٢/ ٤٥٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤١٨ عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا، والمرسل أصح كما قال الترمذي ٣/ ٤٩٧، والبيهقي ٧/ ٣٣٣، وله شاهد من حديث ابن عباس عند أبي داود برقم ٢١٩٥، والنسائي ٦/ ٢١٢.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٨٣.

(٤) في (م)و(ش): (المرة).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٨٤.

(٦) في (ش): (لشيء).

(٧) في (ي) و(ش): (لمسك).

المَسَاكَة[١][٢].

وهو مرتفع بمحذوف يتقدمه، أي: فالواجب إذا راجعها بعد الطلقتين إمساك بمعروف، أو فعليه إمساك بمعروف[٣].

ومعنى (بمعروف) أي: ما يعرف من إقامة الحق[٤] في إمساك المرأة[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ معنى التسريح في اللغة: الإرسَال، وتَسْريحُ الشَّعْر، تخليصُك بعضَه من بعض، وسَرَحَ الماشيةَ سَرْحًا: إذا أرسلها ترعى، وناقة سُرُحٌ: سهلة السير لانطلاقها فيه[٦]. واختلفوا في معنى قوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ فقال عطاء والسُدّي[٧] والضحاك[٨]: هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة، يريد: إن كان من شأنه[٩] رجعتها وإمساكها، وإلّا فلا يرتجعها ويسرحها بإحسان كي يسلم من الإثم.

---

(١) في (ي) (الماسكة).
(٢) ينظر في مسك: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٧، «المفردات» ص٤٧١، «اللسان» ٤٢٠٢-٤٢٠٥.
(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٧، و«المحرر الوجيز» ٢/ ٢٧٧.
(٤) في (ي) (الحد).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٧٧.
(٦) ينظر في سرح: «تهذيب اللغة» ١٦٦٥- ١٦٦٨. وذكر الراغب أن التسريح في الطلاق مستعار من تسريح الإبل، كالطلاق في كونه مستعارًا من إطلاق الإبل.
(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٦٠ بمعناه، وذكره في «الدر المنثور» ١/ ٤٩٥- ٤٩٦.
(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٦٠.
(٩) في (ي) و(ش) (شأنها).

وقيل: قوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَٰنٍ﴾ أراد به: الطلقة الثالثة، روي ذلك عن النبي ﷺ، أن رجلًا قال له: أسمعُ الله يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ فأين الثالثة؟ قال: قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو الثالثة[1].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ إلى قوله: ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ ظاهره يقتضي أنه خبر، وتأويله في الباطن شرط وجزاء، على نظم: من طلق امرأته مرتين فليمسك بعدهما بمعروف، أو ليسرحها بإحسان، ومثله مما جاء على لفظ الخبر ومعناه الشرط: قوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ١٢﴾ [الدخان: ١٢] معناه: إن كشفت آمنَّا، وقال في الجواب: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] ظاهره خبر وتأويله: إن كشفنا تعودوا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ لا يجوز للزوج أن يأخذ من امرأته شيئًا مما أعطاها من المهر وما نحلها وتفضل عليها ليطلقها؛ لأنه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما أعطاها، فلا

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٣٣٧، وأبو داود في «المراسيل» ص١٨٩، وسعيد بن منصور ١/ ٣٨٤، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٢٥٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٥٨، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤١٩، والبيهقي ٧/ ٣٤٠ عن أبي رزين، وهذا مرسل؛ لأن أبا رزين تابعي، ورواه الدارقطني في «السنن» ٤/٤، والبيهقي ٧/ ٣٤٠ عن أنس، قال البيهقي: وروي عن قتادة عن أنس وليس بشيء، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى ٣/ ١٩٥: قد أسند هذا عن إسماعيل بن سميع عن أنس، وعن قتادة عن أنس، والمرسل أصح. وقال ابن القطان كما في بيان الوهم والإيهام ٢/٣١٦: وعندي أن هذين الحديثين صحيحان.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٩٥.

يجوز أن يأخذ منها شيئًا إلا في الخلع[١].

وهو قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبيّ[٢]، وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس[٣][٤]، كانت تبغضه أشد البغض وكان يحبها أشد حُبّ، فأتت رسول الله ﷺ وقالت: فرق بيني وبينه، فإني أبغضه، فقال ثابت: يا رسول الله مرها فلترد عليَّ الحديقة التي أعطيتها، فقال لها: «**ما تقولين**»؟ قالت: نعم وأزيده، قال: «**لا، حديقته فقط**». وقال لثابت: «**خذ منها ما أعطيتَها، وخَلِّ سَبِيلَها**»، ففعل، فكان أول خلع في الإسلام[٥].

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٨٥-١٠٨٦.

(٢) جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجية، وقد وقع الخلاف هل المختلعة بنت عبد الله المنافق أو أخته؟ واسمها جميلة أيضا، فذهب ابن سعد وابن منده إلى أن المختلعة هي جميلة بنت عبد الله، وذهب أبو نعيم وابن عبد البر إلى أنهما واحدة، وأن المختلعة هي جميلة بنت أبي، وصوب الحافظ ابن حجر أنهما اثنتان، وأن ثابتا تزوج أخت عبد الله فاختلعت منه، ثم تزوج الثانية ففارقها. ينظر «الطبقات الكبرى» ٨/ ٣٨٢، «فتح الباري» ٦/ ٣٩٨.

(٣) في (ش) (سماس).

(٤) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الخزرجي الأنصاري، خطيب الأنصار، شهد أحدا وما بعدها، وبشره النبي ﷺ بالجنة في قصة معروفة، رواها البخاري (٣٦١٣) كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة، قتل يوم اليمامة شهيدا بعد أن أبلى بلاء حسنا. ينظر «سنن الترمذي» ٥/ ٦٦٧، و«الاستيعاب» ١/ ٢٧٦.

(٥) القصة رواها البخاري (٥٢٧٣) كتاب: الطلاق، باب: الخلع وكيف الطلاق فيه، والنسائي ٦/ ١٦٩ كتاب: الطلاق، باب: ما جاء في الخلع، وأبو داود (٢٢٢٩) كتاب: الطلاق، باب: في الخلع، والترمذي (١١٨٥) كتاب: الطلاق، باب: ما جاء في الخلع، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٦١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٨٦، ولفظ الواحدي مختصر منه، وقد روى أبو داود والنسائي في الموضعين السابقين =

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي: يَعْلَما، وإنما كان الخوف بمعنى العِلْم؛ لأن الخَوفَ مُضَارعٌ للظَّنِّ، وحكى الفراء: أن[1] العرب تقول للرجل: قد خرجَ غُلامُك بغير إِذْنك، فيقول له: قد خِفْتُ ذاك، يريد[2]: قد ظَنَنْتُه وتَوَهّمْتُه، وأنشد:

أتاني[3] كلامٌ عن نُصَيبٍ يقولُه وما خِفْتُ يا سَلّام أنكَ عَائِبي[4][5]

أراد: وما ظَنَنْتُ، والظَّنُّ بمعنى العِلْم صحيح، كذلك الخوف.

وحكى الزجاج عن أبي عبيدة، قال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ إلا أن يوقنا[6]، وذلك أن في الخوف طرفًا من العلم، لأنك تخاف ما تعلم، وما لا تعلم لا تخافه، فجاز أن يكون بمعنى العلم، كما أن الظن لما كان فيه طرفٌ من العِلْم جاز أن يكون علمًا[7].

= وغيرهما: أن المختلعة هي حبيبة بنت سهل، قال الحافظ في «الفتح» ٦/ ٣٩٩: والذي يظهر أنهما قضيتان وقعتا لامرأتين؛ لشهرة الخبرين وصحة الطريقين واختلاف السياقين.

(١) في (م) (ساقطة).

(٢) ساقطة من(ي) .

(٣) في (ي) (وأتاني).

(٤) البيت لأبي الغول علباء بن جوشن من بني قطن، ينظر «الشعر والشعراء» ص٢٧٨، «والنوادر في اللغة» لأبي زيد ص٤٦، وذكره الفراء والطبري دون نسبة ٥/ ٦١.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٦.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٧٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٧-٣٠٨، وقال النحاس ١/ ٣١٥: وقول من قال: يخافا، بمعنى يوقنا، لا يعرف. ولكن يقع النشوز فيقع الخوف من الزيادة.

(٧) ينظر في بيان أن الخوف يكون بمعنى الظن والعلم: «مشكل القرآن» لابن قتيبة ص١٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨، «الحجة» ٢/ ٣٢٨، «تفسير الثعلبي» =

ومعنى الآية: أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها بغضًا له، وخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي[(١)] عليها، حل له أن يأخذ الفدية منها[(٢)] إذا دعت إلى ذلك[(٣)].

ويكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها، فإن أخذ أكثر من ذلك صح الخلع ولم ينقض[(٤)(٥)]، وهو مذهب ابن عباس[(٦)] وابن عُمر[(٧)] ورجاء بن حيوة[(٨)(٩)]: أنه يجوز أن يأخذ زيادة من المهر.

= ٢/ ١٠٩٠، «البحر المحيط» ١/ ١٩٧، وقال: والأولى بقاء الخوف على بابه، وهو أن يراد به الحذر من الشيء فيكون المعنى: إلا أن يعلم أو يظن أو يوقن أو يحذر كل واحد منهما بنفسه أن لا يقيم حقوق الزوجية لصاحبه حسبما يجب فيجوز الأخذ.

(١) في (ش): (يتعدى).

(٢) ساقطة من(أ) و(م).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٢.

(٤) في (ي): (ينقص).

(٥) ينظر: «الموطأ» ٢/ ٥٦٥، و«الأم» ٥/ ٢١١، و«الإشراف» ٣/ ٢١٣، و«الكافي» لابن عبد البر ٢/ ٥٩٣، «فتح الباري» ٩/ ٣٩٧.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧١.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧١، وعزاه في «الدر» ١/ ٦٧٤ إلى مالك والشافعي وعبد بن حميد والبيهقي عن نافع.

(٨) هو: رجاء بن حيوة الكندي، أبو المقدام، ويقال: أبو نصر الفلسطيني، ثقة فقيه، شيخ أهل الشام في عصره، من الوعاظ الفصحاء العلماء، لازم عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٢هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص٢٠٨ (١٩٢٠)، «الأعلام» ٣/ ١٧.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧١، وعزاه في «الدر» بمعناه ١/ ٦٧٤ إلى عبد ابن حميد عن حميد الطويل.

ومذهب علي[١]، والحسن[٢][٣]، وأبي حذيفة وعطاء[٤]، والزهري[٥] والشعبي[٦]: أنه يأخذ المهر فقط. وليست هذه الحالة حالة بعث الحكمين؛ لأن المرأة معترفة هاهنا بمنع حق الزوج وكراهتها[٧] صحبته، وإنما الحكمان إذا اشتبه المتعدي منهما، وموضعه في سورة النساء. والخلع فسخ بلا طلاق عند ابن عباس[٨]، وهو قول الشافعي في القديم، وقوله في الجديد[٩]: إن الخُلع[١٠] تطليقة بائنة، إلّا أن ينوي[١١] أكثر منها، وهو قول عثمان رضى الله عنه[١٢].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩.

(٢) في (ش): (الحسين).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧٠.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩، وعزاه في «الدر» ١/ ٦٧٣ إلى عبد بن حميد والبيهقي.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧٠.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩.

(٧) ساقطة من (ش).

(٨) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٨٥-٤٨٧، وسعيد بن منصور ١/ ٣٨٤، وقال الإمام أحمد كما في «الإشراف» ٣/ ٢١٤: ليس في الباب أصح من حديث ابن عباس.

(٩) ينظر: «مختصر المزني» ٨/ ٢٩٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٥، و«تكملة المجموع شرح المهذب» ١٧/ ١٤.

(١٠) من قوله: بلا طلاق ..ساقطة من(ي) .

(١١) في (ش): (يقوي).

(١٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٤٨٣، وسعيد بن منصور ١/ ٤٨٢، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٠٩ من طريق جهمان عن عثمان. وروى النسائي ٦/ ١٨٦، كتاب: الطلاق، باب: عدة المختلعة، وابن ماجه (٢٠٥٨) كتاب: =

وقرأ حمزة ﴿يُخَافَا﴾ بضم اليَاءِ[١]. وخَاف يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، فإن عديته إلى مفعول ثان ضَعَّفْتَ العين، أو[٢] اجتلبتَ حرفَ الجر، كقولك: خَوَّفْتُ زيدًا أمرًا، واجتلاب حرف الجر كقوله:

لو خَافَكَ اللهُ عَليه حَرَّمَهُ[٣]

فحرف الجر في موضع المفعول الثاني. وحمزة بنى الفعل للمفعول به وهو الزوجان، وقدر الجار ليتعدى إلى[٤] المفعول الآخر، الذي هو ﴿أَن يُقِيمَا﴾، فلابد من تقدير الجار في قراءة من[٥] ضم الياء، لأن الفعل قد أسند إلى المفعول، فلا يتعدى إلى المفعول الآخر إلا بالجار، ولا يحتاج في قراءة العامة إلى تقدير الجار، ثم يكون قوله: ﴿أن يقيما﴾ على هذه القراءة في محل الجر بالجار المقدر، على مذهب الخليل والكسائي، وفي محل النصب، على قول غيرهما، لأنه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثاني، مثل:

= الطلاق، باب: عدة المختلعة، عن الربيع بنت معوذ، قالت: اختلعت من زوجي فجئت عثمان فقال: تمكثي حتى تحيضي حيضة، وهذا يدل على أن عثمان يرى أن الخلع فسخ وليس بطلاق كما رجحه الخطابي في «معالم السنن» ٢/ ٢٥٦، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كما في «زاد المعاد» ٥/ ١٩٨، ضعفوا الرواية الأولى عنه.

(١) وقرأ الباقون (يَخافا) بفتح الياء. ينظر «السبعة» ١٨٣، «الحجة» ٢/ ٣٢٨.

(٢) في (ي) و(ش) (و).

(٣) من رجز نسبه في «اللسان»، مادة: روح، لسالم بن دارة، وقبله: يا أسدي لم أكلته لِمَه. وذكره في «الحجة» ٢/ ٢٢٩، وفي «الإنصاف» ٢٥٧، والعيني ٤/ ٥٥٥، والأشموني ٤/ ١١٧.

(٤) ساقطة من (ي).

(٥) ساقطة من (ي).

أستغفر الله ذنبًا[١] . . . .

وأمرتك الخيرَ[٢] . . . .

وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] وعلى قراءة العامة يكون في محل النصب لا غير؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقدير الجار، وعاب الفراء قراءةَ حمزة، فقال: أراد أن يعتبر قراءة عبد الله (إلا أن يخافوا) فلم يصبه؛ لأن الخوف في قراءة عبد الله واقع على أن، وفي قراءة حمزة على الرجل والمرأة[٣]، فقال من نصر حمزة: إن بلغ الفراء ما يقوله بروايةٍ عن حمزة: أنه أراد اعتبار قراءة عبد الله، فهو كما قال، وإلا فإذا اتجه قراءَتُهُ على وجه صحيحٍ لم يَجُزْ أن ينسب إليه الخطأ، وقد قال عمر رضي الله عنه: لا تَحمِلْ فِعْلَ أخيك على القبيح ما وجدت له في الحَسَن مذهبًا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ كان من حق النظم أن يكون فإن خافا (يعنى الزوجين؛ ليشاكل قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، وفي قراءة حمزة (فإن خِيْفَا) ليشاكلَ قراءته (يُخَافا)، إلا أنه لا يلزم هذا، لأمرين:

أحدُهما: أن يكون انصرف من الغيبة إلى الخطاب كما قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ثم قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩] ونظائره كثيرة.

وخاطب في هذه الآية الجماعة بعد ما أخبر عن اثنين؛ لأنّ ضمير الاثنين في ﴿يَخَافَآ﴾ ليس يراد به اثنان مخصوصان، إنما يراد به أن كل من

---

(١) تقدم تخريج البيت [البقرة: ١١٥].

(٢) تقدم تخريج البيت [البقرة: ٨٣].

(٣) ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٦.

(٤) ما تقدم كله ملخص من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٣٢٨-٣٣٣.

هذا شأنه فهذا حكمه.

والآخرُ: أن قولَه: (فإن خفتم) خطابٌ[١] لولاة الأمر والفقهاء الذين يقومون بأمور الكافة، وقد خاطب الله تعالى في هذه الآية الجميعَ بقوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ ثم رجع إلى الزوجين فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾، ثم رجع إلى المخاطبين بالجمع بينهم وبين الزوجين[٢] في لفظ واحد فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا﴾[٣].

ومثل هذا النظم قد جاء في الشعر، قال:

أبا واصلٍ[٤] فاكْسُوهُما حُلَّتَيْهِما ... فإنكما إن تَفْعَلا فَتَيَانِ[٥]

نادى مفردًا ثم جمع بقوله: فاكسوهما، ثم ثنى[٦].

ومعنى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا﴾ أي: عَلِمْتُم وغَلَب على ظنكم، (أن لا يقيما حدود الله) في حسن العشرة وجميل الصحبة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ المرأةُ نفسَها من الزوج.

وإنما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ والمقصودُ رفعُ الحرجِ عن الزوجِ في استرجاع المَهْرِ عند الخُلْع، لأنه لو خصَّ الرجلَ بالذكر لأوهم ذلك أنها عاصية بالنشوز والافتداء بالمال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق، فأدخلت في الذِّكْر ليزول هذا الوهم، وفيه وجوه سوى هذا ذكرناها في

---

(١) ساقطة من (ي).

(٢) من قوله: فقال.. ساقطة من (ش).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٣٣١-٣٣٢ بتصرف.

(٤) في (أ): (واصلى).

(٥) البيت لم أهتد لقائله ولا من ذكره.

(٦) في (أ) و(م): (كنى).

قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣][(١)].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الآية. يريد: ما حده الله من شرائع الدين[(٢)]. وذكرنا معنى الحد فيما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، قال عطاء: يريد: من يأخذ من امرأته شيئًا وليست تريد أن تختلع منه، ويضارها ليأخذ منها شيئًا.

٢٣٠- قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ قال صاحب النظم: قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ فصل مضمن فصلًا آخر، قد اعترض بينهما فصل سواهما، وهو قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟﴾ إلى آخرها. فلما فرغ من الفصل المعترض عاد إلى الفصل الأول الذي ضمنه الفصل الثالث، فقال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعنى: الزوج المطلق اثنتين المضمر في اللفظ الذي أخرجه مخرج الخبر بقوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ ففي هذا دليل على أن تأويل قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[(٣)] من طلق امرأته تطليقتين فليمسكها بمعروف أو ليسرحها ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾[(٤)]؛ لأن هذا الثاني منسوق على الأول مثل معناه، فكأنَّ الثاني مفسِّرٌ للأول.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد التطليقة الثالثة. وهو رفع على الغاية؛ لأنه لما حذف من الكلام ما أضيف إليه (بعدُ) رفع على الغاية[(٥)].

(١) ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٦٦- ٤٦٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٣-١٠٩٤.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٦.

(٣) من قوله: ففي هذا. ساقط من (ي).

(٤) ساقطة من (ي).

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٦، «البحر المحيط» ٢/ ٢٠٠.

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ أي: غير المُطَلِّقِ، والنكاح لفظ يتناول العقد والوطء جميعًا، فلا تحل للأول ما لم يصبها الثاني[١]؛ ولأن النبي ﷺ قال لعائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي[٢]: وكانت تحت رفاعة بن وهب[٣] فطلقها ثلاثًا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير[٤]، ثم طلقها، فأتت نبي الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني، فبتَّ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هُدْبَةِ الثوب[٥]، وإنه طلقني قبل أن يمسني، أفأرجع إلى زوجي الأول؟ فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: «**أتريدين أن ترجعي إلى رِفاعة؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عُسيلتك**[٦]» قال أبو إسحاق: عَلم الله تعالى صعوبة تزوج المرأة على الرجل، فحرم عليهم التزوج بعد الثلاث، لئلا يعجلوا بالطلاق[٧].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٧٦- ٤٧٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٩٦.

(٢) هي عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك النضيري القرظي، زوج رفاعة بن وهب، نزلت في طلاقها هذه آيات، صحابية. ينظر «أسد الغابة» ٢/ ٢٣٣، ٧/ ١٩٣.وقد وقع في اسم المطلقة اختلاف ينظر «فتح الباري» ٩/ ٤٦٤- ٤٦٥.

(٣) هو: رفاعة بن وهب بن عتيك، صحابي طلق زوجه طلاقا بائناً فنزل بشأنه قرآن. ينظر «أسد الغابة» ٢/ ٢٣٣. وينظر الاختلاف فيه في «فتح الباري» ٩/ ٤٦٤.

(٤) عبد الرحمن بن الزبير بن باطيا القرظي المدني، وقال ابن منده: هو ابن الزبير بن زيد الأوسي، قال ابن الأثير: واتفقوا على أنه هو الذي تزوج المرأة التي طلقها رفاعة. ينظر «المؤتلف والمختلف» ٣/ ١١٣٩، و«الإصابة» ٤/ ١٥٩.

(٥) أرادت أن متاعه في عدم الانتشار والاسترخاء كطرف الثوب الذي لم ينسج. ينظر «فتح الباري» ٩/ ٤٦٥.

(٦) رواه البخاري (٢٦٣٩) كتاب: الشهادات، باب: شهادة المختبئ، ومسلم (١٤٣٣) كتاب: النكاح، باب: لا تحل المطلقة ثلاثا حتى تنكح زوجا ويطأها عن عائشة.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨-٣٠٩.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ يعنى: الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة، لأنه قد ذكره بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ يعنى: على المرأة المطلقة وعلى الزوج الأول، ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بنكاح جديد، فذكر لفظ النكاح بلفظ التراجع، لما كان بينهما قبل هذا من الزوجية، فإذا تناكحا فقد تراجعا إلى ما كانا عليه من النكاح، فهذا تراجع لغوي[(٢)].

ومحل (أن) في قوله: ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ نصب؛ لأن المعنى: لا جناح عليهما في أن يتراجعا[(٣)]، فلما سقطت (في) وصل معنى الفعل. وعند الخليل والكسائي: يجوز أن يكون محله خفضًا بالجار المقدر، وإن حذف من اللفظ؛ لأن المعنى إرادته.

قال[(٤)] الزجاج: والذي قالاه صواب؛ لأن أن يقع معها الحذف، لكونها موصولة، ويكون جعلها موصولة عوضًا مما حذف، ولو قلت، لا جناح عليهما الرجوع، لم يصلح حذف في[(٥)]، وصلح مع (أن) لأن الكلام طال بالصلة فحسن الحذف، كما تقول: الذي ضربت زيد، تريد[(٦)]: ضربته، فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضعها جرًا على إرادة في، وأبى الفراء هذا، وقال: لا أعرفه[(٧)]. وقد استقصينا هذه المسألة عند قوله:

---

(١) ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٠٢.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٠٢.

(٣) من قوله: (نصب..) ساقطة من (ش).

(٤) في (م): (وقال).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٩.

(٦)في (ي): (يريد).

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٨.

﴿أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾ [البقرة: ٢٢٤](١).

وقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ﴾ أي: إن علما وأيقنا أنهما يقيمان حدودَ الله(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ خص العالمين بالذكر، وهو في المعنى عام لهم ولغيرهم؛ لأنهم الذين ينتفعون ببيان(٣) الآيات، فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد بهم، ويجوز أن يُخَصّوا بالذكر لنباهتهم(٤) وتشريفهم، كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

٢٣١- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قاربن انقضاء العدة، ولم يرد إذا انقضت عدتهن. فالبلوغ ها هنا بلوغ مقاربة، كما تقول: قد بلغت المدينة، إذا أشرفتَ عليها(٥).

والأَجَلُ: آخرُ المدةِ، وعاقبةُ الأمرِ، قال لبيد:

واخْزُها(٦) بالبِرِّ لله الأَجَلْ(٧).

---

(١) ينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٠٢، «التبيان» ١٣٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٠٢.

(٢) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ٧٤، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ٧٨، وتأويل مشكل القرآن ص١٨٧، وقيل: (إن ظنا) أي: رجوا، ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم؛ لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله. ينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٧٨- ٤٧٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٠٢.

(٣) ساقطة من(ي).

(٤) في (ش) (لنباهيهم).

(٥) حكى القرطبي في «تفسيره» ٣/ ١٥٥ الإجماع على أن معنى البلوغ هاهنا: المقاربة، ونقل الإجماع الشوكاني ١/ ٢٤٢، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٧٩- ٤٨٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٠، «زاد المسير» ١/ ٢٦٧، و«الإجماع في التفسير» ص٢٣٠.

(٦) في (ي) و(أ): (وأحرها).

(٧) صدر البيت:

يريد[١]: لله عاقبة الأمور، ومنه يقال: أَجَّلَ الشيءَ تأجيلًا، إذا أخَّره[٢].

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن. والمعروف: ما يتعارف الناس بينهم، مما تقبله النفوس ولا تنكره العقول. قال ابن جرير: أي: بإشهاد على الرجعة، وعقد لها، لا بالوطء، كما يجوز عند أبي حنيفة[٣]. ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، ويكن أملك بأنفسهن[٤]. ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ يريد: لا تراجعوهن مضارة وأنتم لا حاجة بكم إليهن. وكانوا يفعلون ذلك إضرارًا بالمرأة ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ أي: عليهن بتطويل العدة ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: الاعتداء ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ضرها، وإثم فيما بينه وبين الله[٥].

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ قال أبو الدرداء: كان الرجل يطلق في

= غير أن لا تكذبنْها في التقى

والبيت في: ديوانه ص١٣٩. وفي «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص١٧١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٦، وقوله: واخزها أمْرٌ من خزاه يخزو خزواً: إذا ساسه وقهره، ورواية «اللسان» واجْزِها ، والأجلّ من الجلالة كما قال ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ٣٧٤ص وقال ابن منظور: الأجل: الأعظم، كما في «لسان العرب» ٢/ ١١٥٥ مادة (خزا) وهذا لايوافق ما استشهد عليه الواحدي به متابعاً الثعلبي.

(١) ساقطة من (ي).

(٢) ينظر في الأجل: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٥، «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٤، «المفردات» ص٢٠-٢١، «عمدة الحفاظ» ١/ ٧١، «اللسان» ١/ ٣٢ مادة (اجل).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٧٩- ٤٨٠، وينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١١٢.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٩.

(٥) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١١٢-١١١٣.

الجاهلية، ويقول إنما طلقت وأنا لاعب، فيرجع[١] فيها، ويعتق فيقول مثل ذلك، وينكح فيقول مثل ذلك، فأنزلت هذه الآية، فقرأها رسول الله ﷺ وقال: «**من طلق أو حرّر أو نكح أو أنكح، فزعم أنه لاعب فهو جد**»[٢].

وقيل: معناه: لا تتركوا العمل بما حد الله ﷻ فتكونوا مقصرين لاعبين، كما تقول للرجل[٣] الذي لا يقوم بما تكلفه ويتوانى فيه، إنما أنت لاعب، وهذا معنى[٤] قول الكلبي[٥].

وقال عطاء[٦]: يريد أن المستغفر من الذنب المصِرَّ عليه كالمستهزئ بآيات ربّه.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال عطاء: بالإسلام[٧].

---

(١) في (ي): (يرجع).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١١٦، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٩١: رواه الطبراني، وفيه عمرو بن عبيد وهو من أعداء الله، ورواه ابن عدي في «الكامل ٥/ ١٠٩ مختصرا، وابن أبي عمر عن الحسن عن رجل عن أبي الدرداء كما ذكر = = البوصيري في «إتحاف المهرة» ٨/ ٤٣ وضعفه لجهالة التابعي، وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٠٦، والطبراني في «تفسيره» ٥/ ١٣ عن الحسن مرسلا، وإسناده صححه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٥٨٩، وصحح الألباني في الإرواء ٦/ ٢٢٧ إسناد ابن أبي شيبة، وينظر «تحقيق الثعلبي للمنيع» ٢/ ١١١٨.

(٣) في (ش) (يقول الرجل).

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٥.

(٦) لعله الرواية التي تقدم الحديث عنها في القسم الدراسي من المقدمة.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٨٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٣٨، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٥٠٨-٥١٠ إلى وكيع والبخاري وعبد بن حميد وأبي داود =

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: مواعظ القرآن[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيهٌ على أنه لا يسقط الجزاء على شيء من أعمالهم لخفائه عنده، لأنه بكل شيء عليم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ الآية: نزلت في أخت معقل بن يسار[٢]، طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، فأبى معقل أن يزوجها إياه، ومنعها بحق الولاية من ذلك، فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه رسول الله ﷺ، فقال معقل: رَغِمَ أنفي لأمر الله، وقال: فإني أومن بالله واليوم الآخر، وأنكحها إياه[٣].

وأراد ببلوغ الأجل ها هنا: انقضاءَ العِدَّةِ، لا بُلوغَ المُقَارِبَة[٤].

= والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن المنذر، وأبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٢٦، وابن مردويه والحاكم والبيهقي.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٢.

(٢) هو: معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق المزني، أبو عبد الله، وقيل: أبو اليسار، صحب الرسول ﷺ وشهد بيعة الرضوان، روي عنه قوله: بايعناه على أن لا نفر. سكن البصرة، وتوفي في آخر خلافة معاوية، وقيل: أيام يزيد بن معاوية، وفي الأعلام نحو ٦٥هـ. ينظر أسد الغابة ٥/ ٢٣٢-٢٣٣، و«الاستيعاب» ٣/ ٤٨٥، «الأعلام» ٧/ ٢٧١.

(٣) الحديث رواه البخاري ٤٥٢٩ كتاب: التفسير، باب: قوله: وإذا طلقتم النساء، وأبو داود (٢٠٨٧) كتاب: النكاح، باب: في العضل، والترمذي (٣٩٨١) كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة وغيرهم.

(٤) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢١٠، و«المحرر الوجيز» ٢/ ٢٨٨- ٢٩٠، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٥٥، و«الإجماع في التفسير» ٢٣٠-٢٣١.

والعَضْل: المنع، يقال: عَضَل فلان أَيِّمهُ: إذا مَنَعَها من التزوُّج، فهو يَعْضِلها ويَعْضُلها. أنشد الأخفش:

وإن قصائدي[١] يدي لَكَ فاصطنعني
كَرَائمُ قد عُضِلنَ عن[٢] النكاح[٣]

وأصل العضل في اللغة: الضيق، يقال: عَضَّلَتِ المَرْأَةُ: إذا نَشِبَ الولدُ في بطنها، وكذلك عَضَّلَتِ الشَّاةُ، وعضَّلَتْ الأرض بالجيش: إذا ضاقت بهم لكثرتهم[٤].

قال أوس بن حجر[٥]:

تَرَى الأَرْضَ مِنَّا بالفَضَاءِ مَرِيضَةً
مُعَضِّلَةً منا بجَيْشٍ عَرَمْرَمِ[٦]

---

(١) في (ش): (قضا).

(٢) في (ي): (من).

(٣) البيت نسب إلى إبراهيم بن هرمة في «ديوانه» ص٨٦ وفيه: كأن قصائدي، ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٢، «الأغاني» ٦/ ١٠١، «الكشاف» ١/ ٣٣٨، «البحر المحيط» ٢/ ٢٠٦، «تفسير الرازي» ٦/ ١١١.

(٤) في حاشية (أ) زيادة في الحاشية قال: وعَضَّلت الدجاجةُ فهي مُعَضِّل إذا احْتَبَس بيضُها ونَشِبَ فلم يخرج. وعَضَّلت الناقة فهي مُعَضِّلٌ إذا احتبس ولدها في بطنها.

(٥) هو أبو شريح بن حجر بن مالك التميمي، وقيل ابن عتاب من شعراء بني تميم في الجاهلية، في شعره حكمة ورقة، عمّر طويلا ولم يدرك الإسلام، له ديوان شعر. ينظر: «الشعر والشعراء» ١١٤، «الأعلام» ٢/ ٣١.

(٦) البيت من الطويل، وهو لأوس بن حجر في «ديوانه» ص١٢، «تهذيب اللغة» للأزهري ٣/ ٢٤٧٥ «لسان العرب» ٥/ ٢٩٨٩، مادة: عضل، وروايتهما: بجمعٍ عَرَمْرَمِ.

وأَعْضَل الدَّاءُ الأطباءَ، إذا أعياهم، ويقال: داءٌ عُضَال، وأمر عُضَال.

وأَعْضَلَ الأمرُ: إذا اشتد. ومنه قول أوس[١]:

وليس أخوك الدائمُ العَهْد بالذي
يذمُّكَ إنْ ولَّى ويُرْضِيكَ مُقْبِلا
ولكنّه النَّائي إذا[٢] كُنْتَ آمِنًا
وصَاحِبك الأدْنَى إذا الأمْرُ أَعْضَلا[٣]

وقوله تعالى: ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ يريد: الذين كانوا أزواجًا لهن، ويجوز أن يريد[٤] من رضين بهم أزواجًا. ومحل (أن) نصب بحذف الخافض، وجرٌّ عند الكسائي والخليل، على ما[٥] سبق شرحه[٦].

وأراد[٧]: ينكحن نكاحًا جديدًا: ﴿إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ أي: بعقد حلال، ومهر جائز، ونظم الآية: أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا ترضوا بينهم بالمعروف[٨]، وفي هذا ما يقطع به على صحة قول من قال: لا نكاح

---

(١) البيتان، لأوس بن حجر، في: ديوانه ص٨٢. وفي «تفسير الطبري» ٢/ ٤٨٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٧.

(٢) في (ش): (إذ).

(٣) ينظر في عضل: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٧٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٦-١١٢٧، «المفردات» ٣٤١، «عمدة الحفاظ» ٣/ ١٠٩-١١٠، «اللسان» ٥/ ٢٩٨٩.

(٤) في (ي): (يكون).

(٥) في (ي): (ما قال).

(٦) تقدم في قوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

(٧) في (ي): (أراد).

(٨) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٨.

إلا بوليّ؛ لإجماع المفسرين أن هذا الخطاب للأولياء، ولو صَحَّ نكاحٌ دون ولي لم يتصوَّر عضل، ولم يكن لنهي الله عن العضل معنى[(١)].

وزعم[(٢)] قوم أن[(٣)] المعني بالنهي عن العضل: الزوج، وأن البلوغ هاهنا: مقاربة انقضاء العدة، ومعنى عضلها: أن يطلقها واحدة ثم يمهلها حتى تقارِبَ انقضاء العدة، ثم يراجعها، ثم يطلقها، ويطول عليها بالعدة بعد العدة، فذلك العضل، وهذا خلاف ما أجمع عليه المفسرون، ثم ما ذكروا مستفاد من الآية الأولى فلا تحمل هذه على ما وردت فيه الأولى، ثم في نفس هذه الآية ما يقطع بفساد ما قالوه، وهو أنه قال: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم﴾ فقرن النهي عن العضل بشرط التراضي بالنكاح ولا يكون التراضي بالنكاح[(٤)] إلا بعد التصريح بالخطبة والنكاح، وقد نهى الله ﷻ عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وعلى ما ذكروا لا يكون هذا التراضي إلا قبل انقضاء العدة، وقبل بلوغ الكتاب أجله، إذ لا يكون العضل من الزوج إلا في ذلك الوقت، ولا يكون العضل من الولي إلا بعد بلوغ الكتاب أجله وانقضاء العدة، فوقوع التراضي بالنكاح في هذا الوقت أولى[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق، أي: أمر

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٢٨-١١٢٩، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٨٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٠.

الله الذي تلي عليكم من ترك العضل، ووحَّد الكاف وهو يخاطب جماعة؛ لأن الجماعة في معنى القبيل[١].

وقال الفراء: ﴿ذَٰلِكَ﴾ حرف، كثر في الكلام حتى تُوُهِّمَ بالكاف أنها من الحروف، وليست بخطاب، فعلى هذا يجوز أن يخاطب المرأة والرجل والواحد والاثنان والجماعة بالكاف المنصوبة، ومن جعل الكاف للخطاب ثنى وجمع وأنث[٢]، وقد نزل القرآن باللغتين جميعًا قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧]. وقال ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]. وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢]. وقال: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وأنكر الزجاج هذا وقال: اللهُ خاطب العرب بأفصح اللغات، وليس في القرآن تَوَهُّم، تعالى الله عن هذا[٣]، وقول الفراء صحيح، وإن أنكره الزجاج؛ لأن التوهم تعود إلى العرب هم توهموا ذلك، والله تعالى يخاطبهم بلغتهم، وهذا كقولهم: تمكن فلان من الشيء، توهموا أن ميم المكان أصلي فبنوا منه الفعل، ولهذا نظائر في كلامهم، يجعلونَ الحرفين بمنزلة حرف واحد، كما قلنا[٤] في (ماذا)، وهو كثير.

وقال صاحب النظم: الكاف في (ذلك) مَنْ جَعَلَه للخطاب أظهَرَ

---

(١) ذكر في «البحر المحيط» ٢/ ٢١٠: أن ذلك خطاب للنبي ﷺ، وقيل: لكل سامع، ثم رجع إلى خطاب الجماعة فقال: (منكم)، وقيل: ذلك بمعنى ذلكم.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٩ بمعناه، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٨٨- ٤٨٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٣.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١١.

(٤) في (ي): (قال).

الجَمْع والتثنيةَ والتَّذْكِير، ومَنْ جَعَلَه للتراخي أو التبعيد[١] تركه على حالة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ خص المؤمنين، لأنهم أهل الانتفاع به.

﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[٢] خير لكم وأفضل، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم من الريبة، وذلك أنهما إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى ما غير أحل[٣] الله، ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون[٤].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل وأنتم غير عالمين إلا[٥] بما أعلمكم.

٢٣٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ الآية. قال المفسرون: أراد المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن.

وقال بعضهم: بل هي على العموم؛ لأنه قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ والمطلقة[٦] لا تستحق الكسوة إلا أن يحمل على الرجعية، فإنها تستحق الكسوة والرزق في زمان العدة، والمطلقة ثلاثًا لا تستحق بالإرضاع الكسوة، وإنما تستحقُّ الأجرةَ، فإذا لا يمكن إجراؤها على العموم ولا

---

(١) في (ي) و(ش): (والتبعيد).

(٢) ساقطة من(ي) و(ش) و(أ).

(٣) في (أ) و(م): (إلى ما أحل الله).

(٤) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٤، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٨٩.

(٥) ساقطة من (ش).

(٦) في (ش): (فالمطلقة).

على المطلقات أيضًا لما بينا، فالأولى أن يحمل على الزوجات في حال بقاء النكاح؛ لأنهن يستحققن الرزقَ والكسوة[(١)].

فإنْ قيل: إذا كانت الزوجية باقية فهي تستحق الرزق والكسوة بسبب النكاح، سواء أرضعت له ولده أو امتنعت، فما وجه تعليق هذا الاستحقاق بالإرضاع؟ قلنا: النفقة والكسوة في مقابلة التمكين، وإذا اشتغلت بالإرضاع والحضانة ربما لا تمكن من كمال التمكين، فيتوهم متوهم أن نفقتهما وكسوتها تسقط بالخلل الواقع في التمكين، فقطع الله ذلك التوهم بإيجاب الرزق والكسوة، وإن اشتغلت المرأة بالإرضاع، ولهذا قلنا: إذا أشخصها زوجها إلى سفر لحاجته وتجارته فنفقة سفرها عليه؛ لأنها مشغولة بشغله، وإذا كان كذلك فالرزق والكسوة هاهنا لا يكون أجرة الرضاع، وأجرة الرضاع تجب على الزوج بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦] وفائدة ذكر الرزق والكسوة في هذه الآية ما بينا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، كما تقول: حسبك درهم، معناه اكتف به، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، يريد: أنهن أحقُّ بالإرضاع من غيرهن إذا أردن ذلك، ولو وجب عليها الإرضاع لما استحقَّت الأجرةُ، وقد أوجب الله الأجرة لهن في سورة الطلاق[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أي: سنتين.

أصل الحول من حال الشيء إذا انقلب، فالحول منقلب من الوقت

---

(١) ينظر «البحر المحيط» ٢/ ٢١٢.

(٢) «التفسير الكبير» ٦/ ١١٦-١١٧.

(٣) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣١٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٤-١١٣٥.

الأول إلى الثاني[١]، وذكر الكمال لرفع التوهم من أنَّه على مثل قولهم: أقام فلان بمكان كذا حولين أو شهرين، وإنما أقام حولًا[٢] وبعض الآخر، ويقولون: اليوم يومان مذ لم أره، وإنما يعنون يومًا وبعضًا آخر، ومثله قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ومعلوم أنه يتعجل في يوم وبعض الثاني[٣].

وليس التحديد بالحولين تحديد إيجاب؛ لأنه قد قال بعد هذا: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ولكنه تحديدٌ لقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع، فجُعِل الحولان ميقاتًا لهما يرجعان إليه عند الاختلاف، فإن أراد الأَبُ أن يَفْطِمَه قبل الحولين ولم ترض الأم، لم يكن له ذلك، وكذلك لو كان على عكس هذا. فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه[٤].

هذا هو الصحيح، وهو قول ابن عباس[٥]، في رواية علي بن أبي طلحة، والثوري[٦] وابن جريج[٧].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٥، وينظر: «المفردات» ١٤٢ قال الراغب: والحول: السنة اعتبارا بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها. وينظر «اللسان» ٢/ ١٠٥٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٩٠.

(٢) في (ي): (حولان) وهو خطأ.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٥، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٩٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٢، و«تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢١٢.

(٤) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٣٦-١١٣٧.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩١، وعزاه في «الدر» ١/ ٥١٥ إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٣٧.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٤٩٢.

(٧) ذكره الثعلبي ٢/ ١١٣٧، وعنه البغوي ١/ ٢٧٧، وروى ابن جريج عن عطاء نحوه=

وقال آخرون: المراد بهذه الآية: الدلالة على أن الرضاع ما كان في الحولين، وأن ما بعد الحولين من الرضاع لا يُحرِّم، وهو قول علي[(١)] وعبد الله[(٢)] وابن عباس[(٣)] وابن عمر[(٤)] وعلقمة[(٥)] والشعبي[(٦)] والزهري[(٧)] ومذهب الشافعي، فإن عنده التحريم الحاصل بالرضاع يتعلق بالحولين، وبعد الحولين لا يحصل التحريم بالإرضاع[(٨)].

وعند أبي حنيفة: تتقدَّر[(٩)] مدة حصول التحريم بالإرضاع بثلاثين شهرًا[(١٠)].

والآية حجة للشافعي على قول هؤلاء، لأن الله تعالى علق[(١١)] حكم

= رواه الطبري ٢/ ٤٩٢، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٢٩.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٤، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٩٠.

(٢) رواه أبو داود ٢٠٥٩ كتاب: النكاح باب في رضاعة الكبير، وعبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩٢.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٦٠٢، وعبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩٢.

(٤) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٦٠٢، وعبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٥، والطبري ٢/ ٤٩٢.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٩١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩٢.

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٣، وسعيد بن منصور ١/ ٢٧٨، والطبري ٢/ ٤٩٢.

(٧) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٤٦٥.

(٨) ينظر: «السنن الكبرى» للبيهقي ٧/ ٤٦٢، وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٠٣: وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق والثوري وأبي يوسف ومحمد ومالك في رواية.

(٩) في (ي) و(ش) (يتقدر).

(١٠) تنظر المراجع السابقة.

(١١) ساقطة من (م).

الرضاع بالحولين، فدل على أن ما زاد على الحولين لا حكم له.

وقال عكرمة عن ابن عباس: إذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين شهرًا، وإذا وضعته لتسعة أشهر أرضعته أحدًا وعشرين شهرًا، كل ذلك تمام ثلاثين شهرًا اعتبارًا بقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥][(١)].

فجعل مدتيهما[(٢)] ثلاثين شهرًا، والذي عليه عامة الفقهاء أن مدة الرضاع حولان في جميع هذه الأحوال، لا يفصلون بين أن تزيد مدة الحمل أو تنقص، للتصريح بذكر الحولين في هذه الآية.

وأما قوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ الآية [الأحقاف: ١٥] فإنها في تعظيم شأن الوالدة، وتعريف الأولاد ما لزم الوالدة من التعب والمشقة في أول هذه المدة من حملها وإرضاعها وفي آخرها؛ لقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] فلا تعتبر هذه الآية بتلك إذ الأصلان مختلفان في المعنى الذي نزلت الآيتان فيه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ يقال: رَضِعَ المولودُ يرضَعُ رِضاعةً ورَضاعًا، هذا هو الأفصح، ويقال أيضًا: رَضَعَ يرضِعُ رضاعةً ورِضاعًا بالكسر في المصدر[(٤)(٥)] والمعنى: أنَّ هذا التقديرَ والبيان لمن

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩١، والحاكم في «تفسيره» ٢/ ٣٠٨، وصححه، والبيهقي في «تفسيره» ٧/ ٤٦٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٣٦.

(٢) في (ي) (مدتهما).

(٣) تنظر المراجع في القول السابق.

(٤) في (ش) (أجرها).

(٥) كذا بنحوه في: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤١٩ مادة (رضع)، «المفردات» ص٢٠٢، «اللسان» ٣/ ١٦٦٠ مادة: رضع، وفيهما رضُع=

أراد أن يُتِمَّ الرضاعة، كقوله: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣] يعنى أن هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك وقت محدود[١].

(من) لفظ مبهم يصلح للأب والأمِّ جميعًا.

وقال قتادة[٢] والربيع[٣]: فرض الله ﷻ على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين، ثم أنزل الرخصةَ والتخفيفَ بعد ذلك، فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ يعنى: الأب.

﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ الكِسوة والكُسوة: اللباس، يقال: كسوت فلانًا أكسوه كسوة، إذا ألبسته[٤] ثوبًا[٥].

والأكثرون من المفسرين قالوا في هذا: معناه[٦] وعلى[٧] الزوج رزق المرأة المطلقة وكسوتها إذا أرضعت الولد[٨]، وقد ذكرنا هذا في أول الآية.

= الرجل يرضَعُ رضاعة، بمعنى اللؤم، وأصله: من رضع اللؤمَ من ثدي أمه، يريد أنه وُلد في اللؤم.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩٣، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٢٩.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) في (ي) و(ش): (ومن).

(٥) ينظر في كسا: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٩، «المفردات» ص٤٣٢-٤٣٣، «اللسان» مادة: كسا ٧/ ٣٨٧٩.

(٦) في (م): (قالوا في معنى هذا).

(٧) في (ي): (على).

(٨) يرويه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٩٥- ٤٩٦ عن الضحاك بن مزاحم، والنص المذكور من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بما يعرفون أنه عدل على قدر الإمكان[1].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ التكليفُ: الإلزام، يقال: كلفته الأمر فَتَكَلَّفْ وكَلِفَ[2].

قيل[3]: إن أصله من الكَلَف، وهو الأثر على الوجْه من السَّوَاد، فمعنى تَكَلَّفَ الأمرَ، أي: اجتهد يبين[4] فيه أثره، وكلّفه: أَلزمه ما يَظْهَرُ[5] فيه أثره[6].

والوُسْع، ما يَسَعُ الإنسانَ فيطيقه، أُخِذَ مِن سَعَةِ المَسْلَك إلى الغَرَضِ، ولو ضاق لعجز عنه، فالسَّعَةُ فيه بمنزلة القُدْرَة، فلذلك قيل: الوُسْعُ بمعنى[7] الطاقة[8].

---

(١) كذا في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٦٣.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) في (م): (وقيل).

(٤) في (ي) (أن بين).

(٥) في (م) (فلا يظهر)، وفي (أ) لعلها (فما يظهر).

(٦) ينظر في كلف: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٥، «المفردات» ص٤٤١، «اللسان» مادة: (كلف) ٧/ ٣٩١٧. قال الراغب: وتكلُّف الشيء ما يفعله الإنسان بإظهار كلَفٍ مع مشقة تناوله في تعاطيه، وصارت الكُلْفة في التعارف اسما للمشقة، والتكلُّف: اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبع.

(٧) في (ي) (بمنزلة).

(٨) ينظر في وسع: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٢، «المفردات» ص٥٣٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٥ مادة: وسع، «البحر المحيط» ٢/ ٢١٤، وذكر الراغب أن السعة تقال في الأمكنة وفي الحال كقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة﴾ [الطلاق: ٧] =

وقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ الاختيار فتح الراء[1] من تضارّ، وموضعه جزم على النهي، والأصل: لا تضارر، فأدغمت الراء الأولى في الثانية، وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف، تقول: عَضَّ يا رجلُ، وضارَّ زيدًا[2] يا رجلُ[3].

والمعنى: لا ينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه[4] وألفها الصبي، ولا تلقيه هي إلى أبيه[5] بعد ما عرفها، تضاره بذلك[6].

وقيل معناه: لا تضارَّ والدة فتكره على إرضاع الصبي إذا قبل من غيرها وكرهت هي رضاعه؛ لأن ذلك ليس بواجب عليها، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ يكلف[7] أن يُعْطِي الأم إذا[8] لم يرتضع الولد إلا منها أكثر مما يجب لها

= من سعته، والوُسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف، قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، تنبيها أنه يكلف عبده دُوَيْن ما ينوء به قدرته، وقيل: يكلفه ما يثمر له السعة، وهي الجنة.

(١) كذا قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر: (لا تضارَّ)، وقرأ الباقون من السبعة: (تضارُّ). ينظر: «السبعة لابن مجاهد» ص ١٨٣، و«النشر» ١/ ٢٢٧.

(٢) في (ي): (زيد).

(٣) كذا نقله من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣.

(٤) في (م): (وأصابك وألفها).

(٥) في (ش) (أمه).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٦، «البحر المحيط» ٢/ ٢١٥.

(٧) في (ي): (فكلف)، في (ش): (فيكلف).

(٨) في (ش): (إذ).

عليه. وهذان القولان على مذهب الفعل المبنى للمفعول نهيًا[١].

ويحتمل أن يكون الفعل لهما، ويكون تضارّ على مذهب ما قد سُمي فاعله، وكان في الأصل: لا تضارر، فأدغمت[٢].

والمعنى: (لا تُضارَّ والدة) فتأبى أن ترضع ولدها لتشق على أبيه، (ولا مولود له) أي: ولا يضارَّ الأب أمّ الصبي فيمنعها من إرضاعه وينزعه منها، والضرار يرجع إلى الوالدين، يضار كل واحد منهما صاحبه بسبب الولد[٣]، ويجوز أن يكون الضرار راجعًا إلى الصبي، أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي[٤]، فلا ترضعه الأم حتى يموت، ولا ينفق الأب أو ينزعه من أمه حتى يضر بالصبي، وتكون الباء زائدة على تقدير: لا تضار والدة ولدَها، ولا أبٌ ولدَه، وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين[٥].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (لا تضارُّ) برفع الراء على الخبر منسوقًا على قوله: (لا تكلف) وأتبع ما قَبْلَه ليكونَ أحسنَ في تشابه اللفظ.

فإن قلت: إن ذلك خبر، وهذا أمر؟ قيل: والأمر يجيء على لفظ الخبر، كقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقد سبق نظائره[٦].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٦-١١٤٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢١٥.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٦٧.

(٤) من قوله: أي لا يضار.. ساقط من(ي).

(٥) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٨، وأورده أيضًا البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٨، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٤٩٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٣٠-٤٣٢.

(٦) نقله من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٣٣ بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ هذا منسوق على قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ يعني: على وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه، مثل الذي كان على أبيه في حياته، وأراد بالوارث من كان من عصبته كائنًا من كان من الرجال(١)، في قول عمر بن الخطاب(٢) وإبراهيم(٣) والحسن(٤) ومجاهد(٥) وعطاء(٦) وسفيان(٧).

وقال بعضهم: هو وارث الصبي كائنًا من كان من الرجال والنساء، وهو قول قتادة(٨) والحسن بن صالح(٩) وابن أبي ليلى(١٠)، ومذهب أحمد(١١)

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٤٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٥٩، وسعيد بن منصور ٢/ ١٤٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٢.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٢٤٧، وأبو عبيد في «الأموال» ص٣٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٠.

(٥) تفسير مجاهد ١/ ١٠٩، وأخرجه الطبري ٢/ ٥٠١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣.

(٧) روى عنه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٦١ ما يوافق القول الثاني، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٣٣.

(٨) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٦١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠١.

(٩) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٥٠، والمروزي في «اختلاف العلماء» ص١٥٦، والحسن بن صالح اسمه: حيان الثوري الهمداني، ثقة فقيه عابد، رمي بالتشيع توفي سنة ١٦٩. ينظر «حلية الأولياء» ٧/ ٣٢٧، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٦١.

(١٠) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٥٠، والمروزي في «اختلاف العلماء» ١٥٦.

(١١) «المغني» ١١/ ٣٨١، و«زاد المعاد» ٥/ ٥٤٨.

وإسحاق[١]، قالوا: يجبر على نفقه الصبي كل وارث[٢] على قدر ميراثه عَصَبَةً كانوا أو غيرهم.

وعند أبي حنيفة: يجبر على نفقة الصبي مِن ورثته مَن كان محرمًا، ومن لم يكن محرمًا مثل ابن العم والمولى فليسوا ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ عند أبي حنيفة وأصحابه[٣].

وقال آخرون: أراد بالوارث، الصبي نفسه الذي هو وارث أبيه المتوفى، عليه أجر[٤] رضاعه[٥] في ماله، إن كان له مال، وإن[٦] لم يكن له مال أجبرت[٧] أمه على رضاعه، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك[٨] والشافعي[٩].

وقال كثير من أهل العلم: أراد بالوارث الباقي من الوالدين بعد الآخر، عليه مثل ما كان على الأب من أجر[١٠] الرضاع والنفقة والكسوة[١١].

---

(١) «اختلاف العلماء» للمروزي ص١٥٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥١.

(٢) قوله كائناً من كان.. ساقط من (ش).

(٣) ينظر «مختصر الطحاوي» ص٢٢٤، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٠٧.

(٤) في (ي): (المتوفى آخر).

(٥)في (ش): (رضاعة).

(٦) في (ي) و(ش): (فإن لم).

(٧) في (م) و(ي): (أجبر).

(٨) ينظر «اختلاف العلماء» للمروزي ص١٥٦، و«الإيضاح» لمكي ص١٨٠.

(٩) ينظر: «الأم» ٥/ ٩٧، و«أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٢٧١.

(١٠) في (ي): (آخر).

(١١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٠٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٤٣٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٢، «والنكت و العيون» ١/ ٣٠٠، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٧٨.

وقال الشعبي[١] والزهري[٢] والزجاج[٣]، ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ألا يضارَّ[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ يعني: الوالدين ﴿فِصَالًا﴾ فطامًا، لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدي أمه إلى غيره من الأقوات.

قال المبرد: يقال: فَصَلَ الولدُ عن أمِّه فِصَالًا وفَصْلًا، وقد قُرِئ بهما[٥][٦] في قوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ [الأحقاف: ١٥] والفِصالُ أحسن؛ لأنه إذا انفصل من أُمِّهِ فقد انْفَصَلَتْ منه أُمُّهُ، فبينهما فِصَالٌ، نحو: القِتَال والضِّرَاب. ويقال: فَصَلْتُه فَصْلًا وفِصَالًا كالكِتَاب والضِّرَاب[٧] والحِسَابِ واللِّقَاء، ومنه سُمِّيَ الفَصِيل فَصِيلًا؛ لأنه مَفْصُول عن أمِّه[٨].

﴿عَن تَرَاضٍ﴾ منهما، يعني: قبلَ الحولين؛ لأن بعد الحولين لا يجب

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٣، وروى عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٢٤٤ أن المراد بقوله: (مثل ذلك)، رضاع الصبي.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٤.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣١٣.

(٤) ذكره أيضًا البغوي ١/ ٢٧٨.

(٥) في (ش): (بها)، وفي (ي): (منها).

(٦) قرأ يعقوب من العشرة بفتح الفاء وإسكان الصاد(وفصْله) وكذا روي عن الحسن، وقرأ الباقون بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها(وفِصاله). ينظر «النشر» ٢/ ٣٧٣، و«البدور الزاهرة» ص٦٣، و«القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب» للقاضي ص٨١.

(٧) زيادة من (م).

(٨) ينظر في فصل: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٥، «المفردات» ص٣٨٢-٣٨٣، «لسان العرب» ٦/ ٣٤٢٣.

على واحد منهما اتِّبَاعُ الآخر.

وقوله تعالى: ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ معنى التَّشَاوُر في اللغة: استخراج[١]، وكذلك المَشْوَرَة، والمُشْوَرَة مَفْعَلَةٌ منه[٢] كالمَعُونَةِ، ونظيرها: المَيْسَرَة.

وشُرتُ العسلَ: استخرجته، وأنشد أبو زيد لحاتم:

وليس على ناري حِجَابٌ أكفُّها   لمُسْتَقْبِسٍ لَيلًا ولكِنْ أَشِيْرُها[٣]

قال أبو حاتم والرياشي: أشيرُها: أرفعها. وهذا يعود إلى ما ذكرنا، لأنه أراد أنه يوقدها في البراز والتِّلاع دون[٤] الوِهَاد، ليقْصِدَها الغَاشِيَةُ من الطُّرَّاق.

وقال أبو زيد: شِرتُ الدابةَ، وشَوَّرْتُها أَجْرَيْتُها لاستخراج جَرْيها.

والشَّوَار: متاعُ البيت؛ لأنه يَظْهَر للناظِر، وقولهم: تَشَوَّرَ وشَوَّرْتُه، قيل: إن أصله أنّ رجلًا بَدَتْ عورته وظهرت[٥]، وكان معنى تَشَوَّرَ[٦] ظهر ذلك، وشوَّرْتُه: فعلتُ به ذلك الفعلَ، أو مثله فيما فيه حِشمة ومنه خَجَلٌ. وتسميتهم للذكرِ شَوَارًا يُشبهُ أن يكونَ من ذلك. قال أبو زيد: يقالُ للرجالِ إذا دعوت عليه: أبدى الله شَوارَك. وشَوَارُهُ: مذاكيره[٧].

(١) في (ش): استخراج المشورة، وعند الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٥٣: استخراج الرأي.

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) البيت في ديوانه ص٢٣٢.

(٤) ساقطة من (ي).

(٥) في (م): (فظهرت)، وفي (ش) ساقطة.

(٦) في (ي): (شور).

(٧) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١١/ ٤٠٥.

والشارة: هيئة الرجل؛ لأنه ما يظهر[١] من زيِّهِ ويبدو من زينته.

والإشارة: إخراجُ ما في نفسك وإظهاره للمخاطب بالنطق وبغيره[٢].

والمعنى: أنهما إن تشاورا وتراضيا على الفطام قبل الحولين فلا بأس إذا كان الولد قويًا، وليس لهما ذلك مع ضعفه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لأولادكم، وحذفت اللام اجتزاء بدلالة الاسترضاع؛ لأنه لا يكون إلا للأولاد، ولا يجوز: دعوت زيدًا، وأنت تريد لزيد؛ لأنه يلتبس هاهنا، بخلاف ما قلنا في الاسترضاع[٤].

والمعنى: إن أردتم أن تسترضعوا لأولادكم مراضع غير الوالدة فلا إثم عليكم[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

قال مجاهد[٦] والسدي[٧]: إذا سلمتم إلى الأم أجرتها بمقدار ما أرضعت.

---

(١) في (ش): (لأنه يظهر).

(٢) ينظر في شور: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٠٣، «المفردات» ص٢٧٣، «اللسان» ٤/ ٢٣٥٦. قال الراغب: والمشورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، من قولهم: شِرت العسل، إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه.

(٣) بنحو معناه ذكر البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٩، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣١٣.

(٤) ينظر: «التبيان» ص١٣٩، «البحر المحيط» ٢/ ٢١٨، في تفصيل الاسترضاع وتعديه بحرف أو دون حرف.

(٥) كذا في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٤، وينظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٣.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٩، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٢٣٧.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٩، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٣٥.

وقال سفيان[١]: إذا سلمتم أجرة المسترضعة.

وقرأ ابن كثير: (ما أتيتم) بقصر الألف[٢].

وحجته: ما روي عن الزهري في هذه الآية، أنه قال: التسليم هاهنا بمعنى: الطاعة والانقياد[٣]. يعني: إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار[٤].

وكذلك قال ابن عباس في رواية عطاء، قال[٥]: إذا سلمت أمُّه ورَضِيَ أبوه، لعلَّ له غِنًى يشتري له مرضعًا[٦].

ومعنى: أتيتم ها هنا فعلتم، يعني: إذا سلمتم ما أتيتموه من الإنفاق، كما تقول: أتيت جميلًا، أي: فعلته. قال زهير:

وما يَكُ من خَيْرٍ أتَوْه فإنمَّا تَـوَارَثَـه آبـاءُ آبـائِـهِـم قَـبْـلُ[٧]

يعني: فعلوه وقصدوه. والباء في (بالمعروف) يجوز أن تتعلق بـ سلمتم، كأنه: إذا سلمتم بالمعروف، ويجوز أن تتعلق[٨] بالإيتاء على قراءة العامة[٩].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٠٩.

(٢) ينظر: «السبعة لابن مجاهد» ١٨٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٥، وينظر «تفسير البغوي» ١/ ٢٧٩.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٤، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٩ على أنه قول آخر غير التسليم الذي بمعنى الطاعة والانقياد.

(٥) ساقطة من (ي).

(٦) فقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في قسم الدراسة من المقدمة.

(٧) ورد البيت هكذا:

وما يك من خير أتوه فإنما تـوارثـهـم آبـاء آبـائـهـم قـبـل

والبيت في ديوانه ص٥٨. «البحر المحيط» ٢/ ٢١٨.

(٨) في (ش): (يتعلق).

(٩) من قوله: ومعنى أتيتم،... من كلام أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٣٣٦ =

ثم عطف على جميع[١] هذه الحدود والأحكام الوصية بالتقوى فيها فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٢٣٤- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية، ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾ معناه: يموتون ويُقْبَضُون.

وأصلُ التَّوَفِّي: أخذُ الشيء وافيًا، يقال: تَوَفَّى الشيءَ واسْتَوفاه، وتُوُفِّي فلانٌ وتَوَفَّى إذا مات، فمن قال تُوفي كان[٢] معناه قُبض وأُخِذَ، ومن قال: تَوَفَّى، معناه: تَوَفَّى أَجَلَه، واسْتَوْفَى أُكُلَه وعُمُرَه[٣].

وعلى هذا قراءة علي رضى الله عنه (يَتوفون) بفتح الياء[٤].

﴿وَيَذَرُونَ﴾ معناه: يتركون، ولا يستعمل منه الماضي ولا المصدر، استغناء عنهما بترك تركًا، ومثله أيضًا: يدع في رفض مصدره وماضيه[٥].

قال ابن المظفر: العربُ قد أماتت المصدر من يذر والفعل الماضي، واستعملته في الغابر[٦] والأمر، فإذا أرادوا المصدر قالوا: ذَرْه تَرْكًا[٧].

= بنحوه، وينظر «البحر المحيط» ٢/ ٢١٨.

(١) في (ش) (جمع).

(٢) ساقطة من (ي).

(٣) ينظر في توفي: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٨٤-٥٨٧، «المفردات» ٥٤٣، «لسان العرب» ١٥/ ٤٠٠-٤٠١ (مادة: وفي).

(٤) عزاها إليه ابن جني في «المحتسب» ١/ ١٢٥، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٣.

(٥) تنظر مادة وذر، في: «اللسان» ٨/ ٤٨٠٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٠.

(٦) هكذا في الأصل، وفي «اللسان» ٨/ ٤٨٠٥، ووردت (الحاضر) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٦٦.

(٧) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٦٦.

وقال ابن السِّكِّيت: يقال: ذر ذا ودع، ولا يقالُ: وَذَرْتُه ولا ودعته، وأمَّا في الغابر[١] فيقال: يذره ويدعه، ولا يقال: واذِرٌ ولا وادِعٌ، ولكن يقال: تركته فأنا تاركٌ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ ابتداء، ولابد للابتداء من خبر يكون هو أو يكون له فيه ذكر. واختلف النحويون في خبر (الذين) هاهنا:

فقال الأخفش: المعنى: يتربصن بعدهم[٣]. وقال المبرد: التقدير والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا أزواجهم يتربصن[٤].

وقال الكسائي: المعنى: يتربصْنَ أزواجهم، فكنى الله عن الأزواج، فجاءت النون دالة على تأنيث المضمر[٥].

وقال الفراء[٦]: ترك الخبر عن (الذين) وأخبر عن الأزواج؛ لأن المعنى على ذلك، قال: والعرب تذكر اسمين ثم تترك الأول بلا خبر، وتخبر عن الثاني، وأغنى الإخبار عن الثاني الإخبار عن الأول، كذلك

(١) هكذا في الأصل، وفي «اللسان» ٨/ ٤٨٠٥، وصوابه: الحاضر، كما في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٦٦، وهو المصدر الذي ينقل عنه الواحدي وابن منظور.

(٢) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٦٦. وينظر في المادة «المفردات» ص٥٣٣، «اللسان» ٨/ ٤٨٠٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٠.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٧٦، ونصه: فخبر(والذين يتوفون) يتربصن بعد موتهم، ولم يذكر بعد موتهم، كما يحذف بعض الكلام، تقول: ينبغي لهن أن يتربصن، فلما حذف ينبغي وقع يتربصن موقعها.

(٤) نقله عنه في «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٢ .

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٤-٣١٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٢.

(٦) ساقط من (ي).

ههنا أخبر عن الأزواج وترك الذين. والمعنى عنده: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، وأنشد:

لَعَلِّي إن مَالَتْ بي الرِّيحُ مَيْلَةً على ابن أبي ذِبَّانَ أن يَتَنَدَّما[١]

قال: المعنى: لعل ابن أبي ذِبان أن يتندم أن مالت بي الريح ميلة عليه[٢]، فأخبر عن الابن واكتفى بخبره من خبر الياء في لعلي[٣].

قال أبو إسحاق: وهذا القول غير جائز، لا يجوز أن يبتدأ بالاسم ولا يحدث عنه؛ لأن الكلام إنما وضع للفائدة، فما لا يفيد فليس بصحيح، والذي هو الحق في هذه المسألة: أن ذكر الذين قد جرى ابتداء، وذكر الأزواج قد جرى متصلا بصلة الذين، فصار الضمير الذي في (يتربصن) يعود على الأزواج مضافات إلى الذين، كأنك قلت: يتربصن أزواجهم. قال: ومثل هذا من الكلام: الذي يموت ويخلف ابنتين ترثان الثلثين، المعنى: ترث ابنتاه الثلثين[٤].

---

(١) البيت لثابت بن كعب العتكي المعروف بثابت قطنة من أبيات قالها يرثي بها يزيد بن المُهَلِّب ينظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٥١١، و«المخصص» ١٣/ ١٧٥. «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٢ والبيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٠، «تفسير الطبري» ٢/ ٥١١، «معاني القرآن» و«إعرابه» للزجاج ١/ ٣١٥ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٧ «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٥، وأبو ذُبّان: كنية عبد الملك بن مروان؛ لأنه كان أبخراً لفسادٍ كان في فمه، وأراد بابنه: هشام بن عبد الملك. ينظر «لسان العرب» ٣/ ١٤٨٤ [ذبب].

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٠-١٥١، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٢ ردا عليه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٠-١٥١ «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥١.

(٤) «معاني القرآن» لأبي إسحاق الزجاج ١/ ٣١٥-٣١٦.

وهذا الذي ذكره أبو إسحاق هو قول أبي العباس بعينه، إلا أنه مَثَّل مثالًا لا يليق بما قدَّمه من الكلام والتقدير؛ لأنه مثل بالفعل والفاعل، وكان ينبغي أن يمثل بالمبتدأ والخبر، ألا ترى أنه قال: فصار الضمير الذي في يتربصن يعود على الأزواج مضافات إلى الذين، وإذا كان كذلك، وجب أن يكون ما يرجع إليه الضمير الذي في (يتربصن) يرتفع بالابتداء، وإذا ارتفع بالابتداء[(١)]، وجب أن يمثل بالابتداء،ليكون المثال مطابقًا للوصف، فيقول بدل قوله: يتربصن أزواجهم، أزواجهم يتربصن، وكذلك: الذي يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين[(٢)].

ثم قال: المعنى: يرث[(٣)] ابنتاه الثلثين، والمعنى: كذا من حيث[(٤)] كان معنى الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر هاهنا واحدًا، إلا أن الأشبه بغرضه، والأولى أن يقول: ابنتاه يرثان الثلثين[(٥)]، وهذا نقد عليه في اللفظ لا في المعنى.

قال أبو علي الفارسي في تأويل هذه الآية: وتقدير المحذوف منها خلاف، فالواضح منها: أن الذين يرتفع بالابتداء، وإذا ارتفع بالابتداء فلا يخلو خبره من حكم خبر الابتداء، وهو أن يكون هو هو، أو يكون له فيه ذكر. ولا يجوز[(٦)] أن يكون على هذا الظاهر الذي هو عليه؛ لخلوه من ضربي

---

(١) قوله: «وإذا ارتفع بالابتداء». ساقطة من (ي).

(٢) في (ش): (الثلث).

(٣) في (ش): (ترث).

(٤) في «الإغفال»: والمعنى - لعمري- يقرض كذا .

(٥) من الإغفال ص٥١٨-٥١٩ بتصرف.

(٦) في «الإغفال» ص٥٢٠: ولا يجوز عندنا.

خبر الابتداء، فالذي يحتمله القول في ذلك: أن يكون المعنى: يتربصن بعدهم، على ما قاله أبو الحسن الأخفش(١)، والمعنى على هذا(٢)، لأن المراد: أن أزواج المتوفين يتربصن عن التزوج بعدهم أربعة أشهر وعشرًا، وإذا كان المعنى عليه، جاز حذف هذا الذي يتعلق به هذا الراجع إلى المبتدأ من جملة الخبر(٣)، يدل على جواز ذلك وحسنه: إجازة الناس: السمنُ مَنَوَانِ بدرهم، والمعنى على: منوان منه بدرهم، لا يستقيم الكلام إلا بتقدير ذلك، لأن المنوين ليس بالسمن، إنما هو عبارة عن المقدار.

وإذا كان كذلك فلابد(٤) من راجع يرجع إليه، وجاز الحذف ها هنا في الجار والمجرور للعلم به والدلالة عليه واقتضاء الكلام(٥)(٦).

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٢، وينظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٧١ «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٥٦.

(٢) اختصر الواحدي الكلام، وتمامه في «الإغفال» ص٥٢٠: وهذا قول أبي الحسن، أو أن يكون: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾. أخبرنا بهذا القول أبو بكر عن أبي العباس، وهذا هو الذي ذهب إليه أبو إسحاق أيضاً، أو يكون ما ذهب إليه الكسائي من أن المعنى: يتربصن أزواجهم، ثم كنى عن الأزواج.

(٣) اختصر الكلام، وتمامه في «الإغفال» ص٥٢١: إذ الخبر إذا عرف جاز حذفه بأسره، فإذا جاز حذف جميعه جاز حذف بعضه.

(٤) في (ش) (ولا بد).

(٥) ساقطة من (م) و(أ).

(٦) في «الإغفال» ص٥٢١ ورد الكلام هكذا: فإذا كان ذلك كذلك، فلابد من راجعين يرجع كل واحد منهما إلى كل واحد من المبتدأين، فالذي يرجع إلى الأول هو هذا الضمير المتصل بالجار المحذوف مع الجار، والذي يرجع إلى الثاني ما في الظرف، وجاز الحذف هنا في الجار والمجرور للعلم به، والدلالة عليه، واقتضاء الكلام له .

وهذه المعاني كلها قائمة في الآية، وإذا كان كذلك جاز تأويل أبي الحسن هذه المسألة التي لا خلاف في جوازها، وهذا القول أمثل من قول أبي العباس: أن التقدير: أزواجهم يتربصن، فحذف الأزواج، وحَذْفُ المبتدأ في كلامهم كثير، نحو: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] يعني: هو النار، وقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، لأن أبا العباس يقدر حذف مبتدأ مضاف، فيوالي بين الحذفين حذف المبتدأ، وحذف المضاف إليه مع اقتضاء الكلام لكل واحد منهما، أما اقتضاؤه للمبتدأ فلأن له خبرًا أسند إليه[١] وهو قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، وأما اقتضاؤه للضمير فلأنه يرجع إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ وليس إذا جاز حذف شيء جاز حذف شيئين، وليس حد حذف المبتدأ المضاف كحد حذف المبتدأ المفرد غير المضاف؛ لأن المضاف شيئان: المبتدأ والضمير.

ولأبي العباس أن يقول: حذف المبتدأ المضاف يسوغ من حيث ساغ حذف المفرد، لأن المفرد إنما ساغ حذفه للدلالة عليه، والدلالة[٢] إذا قامت على حذف المضاف قيامها على حذف المفرد، وجب أن يكون جوازه كجوازه؛ لمشاركته المفرد فيما له جاز الحذف، وقيام الدلالة على حذف المضاف: أن الأزواج قد تقدم ذكرهن في الصلة، فإذا تقدم ذكرهن ساغ إضمارهن وحسن، ألا ترى أنه لو قيل له: أين زيد؟ ساغ أن يقول[٣]: في السوق، ويضمر الاسم لجَرْي ذكره، وأما حذف المضاف إليه وهو

---

(١) من قوله: (الكلام لكل واحد...) ساقط من (ش).

(٢) في (ش) و(ي) (فالدلالة).

(٣) في (م) (يقول).

الضمير في (أزواجهم) ولتقدم[١] ذكر ما يعود هذا الضمير إليه، وجري ذكره وجري ذكر الاسم مما[٢] يسهل حذف الضمير العائد إليه، لدلالة المذكور عليه، فلا فصل إذن بين حذف المفرد والمضاف في باب الحسن والجواز، ألا ترى أنه قد جاء المضاف من المبتدأ محذوفًا كما جاء المفرد، وذلك كقوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ [آل عمران: ١٩٦- ١٩٧] والمعنى: تقلبهم متاع قليل، فقد رأيت المضاف حذف كما حذف المفرد[٣]، فهذان القولان أجود هذه الأقوال.

وأما قول الكسائي فليس بالمتجه؛ لأن المبتدأ على قوله ليس يعود إليه ذكر، لا مثبت ولا محذوف، وليس تقديره كواحد من هذين التقديرين في المساغ، ألا ترى أن المثبت في الكلام لا يرجع منه إلى المبتدأ شيء، وقد استقل الفعل بفاعله في ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ وليس بهذه الجملة افتقار إلى ذلك الضمير الذي تقدره؛ لأن (يتربصن) مستقلة بالأزواج الظاهرة فلم يضمر عائدًا على المبتدأ، كما أضمر أبو الحسن وأبو العباس[٤].

وأما قول الفراء: إنه[٥] اعتمد على الثاني ورفض الأول، فبعيد من الصواب جدًا، ومن فساده أنه ينكسر عليه قوله، وذلك أنه يقول: إن الأول مرتفع بالثاني، فإذا اعتمد على الثاني ورفض الأول لم يكن له برافع، وإذا لم يكن له برافع[٦] وجب أن لا يرتفع، فارتفاعه وظهور الرفع فيه يدفع ذلك

---

(١) في (م) (ليقدم)، وفي (ي) و(أ) غير منقوط.

(٢) في (أ) و(م) (فما).

(٣) من كلام أبي علي في الإغفال ص٥٢٦، بتصرف واختصار.

(٤) من كلام أبي علي في الإغفال ص٥٢٦-٢٢٧، بتصرف كثير واختصار.

(٥) في (ي) (فإنه).

(٦) قوله: وإذا لم يكن له برافع ساقطة من (ي).

ويمنع منه .

والمبتدأ[(١)] إنما يذكر ويلقى إلى المخاطب ليسند إليه حديث[(٢)] يُفاده[(٣)] المخاطب، وإذا كان كذلك، علمت أن رفضه خلاف الغرض الذي يقصد به، وهذا في المعنى فاسد مرذول، وليس في كلامهم (له) نظير[(٤)]، وما احتج به من البيت يجوز على حذف: أن يتندم لأجلي، لا على أنه ترك الأول[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَعَشْرًا﴾ بلفظ التأنيث، وأراد الأيام، وإنما كان كذلك تغليب الليالي على الأيام إذا[(٦)] اجتمعن في التاريخ وغيره، وذلك أن ابتداء الشهر يكون بالليل، فلما كانت الليالي الأوائل غلبت، لأن الأوائل أقوى من الثواني[(٧)].

قال ابنُ السِّكِّيت: يقولون[(٨)]: صمنا خمسًا من الشهر، فيغلبون

---

(١) في (ي): (فالمبتدأ).

(٢) في (ش): (حديثًا).

(٣) في الإغفال: (بإفادة).

(٤) من كلام أبي علي في «الإغفال» ص٥٢٨.

(٥) ينظر: في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٧-٣١٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٤، «التبيان» ص١٤٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٢. وذكر قول سيبويه، وحاصله: أن (الذين) مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: وفيما يتلى عليكم حكم الذين يتوفون منكم، ومثله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة ٣٨].

(٦) في (ي): (فإذا).

(٧) ينظر: «الكتاب» لسيبويه، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٥٩، «شرح الكافية الشافية» ٣/ ١٦٩٠-١٦٩٢، «الأصول» لابن السراج ٢/ ٤٢٨-٤٢٩، «همع الهوامع» ٢/ ١٤٨.

(٨) في (ي): (يقول).

الليالي على الأيام، إذا لم يذكروا الأيام وإنما يقع الصيام على الأيام؛ لأن ليلة كل يوم قبله، فإذا أظهروا الأيام قالوا: صُمنا خمسة أيام(١).

قال الزجاج: وإجماع أهل اللغة: سرنا خمسًا بين يوم وليلة(٢)، وأنشدوا للجعدي:

فَطَافَتْ ثَلاثًا بَيْنَ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ وكان النَّكِيُر أن تُضيفَ وتَجْأَرا(٣)

وفيه وجه آخر لأصحاب المعاني: وهو أنه أنث العشر لأنه أراد الليالي، والعرب تذكر الليالي والمراد بها الأيام، كقولهم: خرجنا ليالي الفتنة، وخفنا ليالي إمارة الحجاج، وقال أبو عمرو بن العلاء: هربنا ليالي إمارة الحجاج.

وإنما يُراد الأيام بلياليها، وهذا قريب من الأول(٤).

وكان المبرد يقول: إنما أنث العشر لأن المراد به المدة، معناه: وعشر مدد، وتلك المدد كل مدة منها يوم وليلة، والليلة مع اليوم مدة معلومة من الدهر(٥).

وذهب بعض الفقهاء إلى ظاهر الآية فقال: إذا انقضى لها أربعة أشهر

---

(١) «لسان العرب» ٢/ ١٢٦٢ (مادة: خمس).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٦.

(٣) البيت في ديوانه ص٤١، و«الكتاب: لسيبويه» ٣/ ٥٦٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٠و«الكتاب: لسيبويه» ٣/ ٥٦٣، «لسان العرب» ٢/ ١٢٦٢ (مادة: خمس) والشاعر يصف بقرة فقدت ولدها.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٣-٢٢٥.

(٥) نقله في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٠٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٣.

وعشر ليال حلت للأزواج، فتأول العشر لليالي، وإليه ذهب الأوزاعي وأبو بكر الأصم[١].

ومعنى الآية: بيان عدة المتوفى عنها زوجها، وأنها تعتد من حين وفاة الزوج أربعة أشهر وعشرًا[٢]، إلا أن تكون حاملًا؛ فإن عدتها تنقضي بوضع الحمل، أو تكون أمة فإنها تعتد نصف عدة الحرة[٣]، وسنذكر في سورة الحج[٤] عند قوله:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] الآية: لم اختصت عدة المتوفى عنها زوجها[٥] بهذا العدد، إن شاء الله.

وهذه الآية ناسخة[٦] لقوله: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:

---

(١) نقله ابن عطية في: «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٠٠- ٣٠١، والقرطبي ٣/ ١٨٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٣.

(٢) من: (ليال حلت). ساقط من (ش).

(٣) قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٢١٠: فإن كانت أمة فتعتد نصف عدة الحرة إجماعاً، إلا ما يحكى عن الأصم، وهذا الإجماع فيه نظر، فهذا ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥/ ١٦٢-١٦٤ ينقل أن عدتها أربعة أشهر وعشرٌ عن علي وعمرو بن العاص وأبي عياض، وسعيد بن المسيب، والحسن وسعيد بن جبير والزهري وعمر بن عبدالعزيز. وقد تعقب القرطبي في «تفسيره» ٣/ ١٨٣ قولَ ابن العربي فقال: قول الأصم صحيح من حيث النظر، فإن الآيات الواردة في عدة الوفاة والطلاق بالأشهر والأقراء عامة في حق الأمة والحرة، فعدة الحرة والأمة سواء على هذا النظر، فإن العمومات لا فصل فيها بين الحرة والأمة، وكما استوت الأمة والحرة في النكاح فكذلك تستوي معها في العدة. والله أعلم.

(٤) في (ي) (سورة الحجر).

(٥) في (ي) (الزوج).

(٦) سيأتي الحديث عن النسخ عند الآية الأخرى ٢٤٠ من سورة البقَرة.

٢٤٠] وإن كانت هذه مكتوبة قبلها في المصحف، إذ ليس ترتيب المصحف على ترتيب النزول، بل ترتيب التلاوة والمصاحف ترتيب جبريل بأمر الله سبحانه وتعالى(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يخاطب الأولياء(٢)، لأن الرجال قوامون على النساء، مأمورون بزجرهن عن مجاوزة حدود الله، فبين أنهن إذا انقضت عدتهن لا جناح على الأولياء في تخلية سبيلهن، ليفعلن في أنفسهن بالمعروف ما يردن من تزوج الأكفاء بإذن الأولياء، وهذا تفسير المعروف(٣)، لأن التي تزوج نفسها سماها النبي ﷺ زانيةً(٤).

٢٣٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، التعريض في اللغة: ضدّ التصريح، ومعناه: تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له، وأصله: من عَرْضِ الشيء، وهو جانبه، كأنه يحوم به ولا يظهره(٥)، وينشد على هذا قول الشماخ:

---

(١) ينظر: «الإتقان» للسيوطي ١/ ١٧٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨١.

(٣) ينظر: «تفسير ابن كثير».

(٤) روى ابن ماجه برقم (١٨٨٢) كتاب: النكاح باب: لا نكاح إلا بولي والدارقطني ٣/ ٢٢٧ والبيهقي ٧/ ١١٠ عن أبي هريرة مرفوعًا: لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها، فإنه الزانية هي التي تزوج نفسها وقد صحح الألباني الحديث دون الجملة الأخيرة منه؛ فإنها موقوفة على أبي هريرة كما في البيهقي. ينظر «إرواء الغليل» ٦/ ٢٤٨. وروى الترمذي (١١٠٣) كتاب: النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا ببينة عن ابن عباس مرفوعا: البغايا اللاتي يُنكحن أنفسهن بغير بينة. ثم أورده موقوفاً وقال: هذا أصح. وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٧/ ١٢٥ وقال: والصواب موقوف والله أعلم.

(٥) «تهذيب اللغة» (عرض) ٢٣٩٨.

كما خَطّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِه بتَيْمَاءَ حَبْرٌ ثم عَرَّضَ أسْطُرا[١]

قالوا في تفسير عَرَّضَ، أي: لم يبيّن، بل حرفها[٢]، ذهب[٣] مرة كذا ولم يقوِّمْها، وذلك أشبه بالرسوم.

قال ابن الأنباري حاكيًا عن بعضهم معنى التعريض في اللغة: اتصال الشيء من الكلام إلى المخاطب[٤]، فإذا قيل: عرَّضَ به، معناه[٥]: أوصل إليه كلامًا فهم معناه ودَلَّ بالذي أسمعه عليه، من قول العرب: قد عرضت الرجل. إذا أهديت إليه أوصلت إليه التحفة[٦].

ومن ذلك حديثُ عائشة: أن رسول الله ﷺ وأبا بكرٍ لقيا الزُّبير في رَكْبٍ قد أقبلوا من الشام يريدون مكة، فَعَرَّضُوا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضًا، أي[٧]: أهدوها إليهما[٨].

والتعريض أخفى من الكناية؛ لأن الكناية عدول عن الذكر الأخصّ إلى ذكر يدل عليه، والتعريض دلالة على شيء ليس له فيه ذكر، كقولك: ما أقبح

---

(١) البيت للشماخ في «ديوانه» ص١٢٩، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٥٢٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦١. «لسان العرب» ٢/ ٧٤٩ [مادة: حبر]. وتيماء: بلدة معروفة في الساحل على الطريق بين المدينة وتبوك. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ٦٧، والمعجم الجغرافي للبلاد السعودية «شمال المملكة» ١/ ٢٧١.

(٢) نص الأزهري «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٠٠: إذا لم يبين الحروف، ولم يقوّم الخطأ.

(٣) في (ي): (وذهب).

(٤) في (ي): (المخاطبين).

(٥) في (ي): (معنى).

(٦) ابن الأنباري

(٧) ساقطة من (ي).

البخل، تعرض[١] بأنه بخيل، والكناية كقولك: رأيته وضربته، من غير أن تذكر اسمه[٢].

وأما الخِطْبة فقال الفراء: الخِطْبة[٣]: مصدر، بمنزلة الخَطْب، وهو مثل قولك: إنه[٤] لحَسَنُ القِعْدَةِ والجِلْسَة، تريد[٥]: القُعُودَ والجلوسَ[٦].

ومعنى الخِطبة[٧]: التماس النكاح، يقال: خَطَب فلانٌ فلانة، أي: سألها خِطبةً إليها في نفسها، أي حاجَته وأمَره، من قولهم: ما خَطْبُك، أي: ما حاجتُك وأمرك[٨].

وقال بعضهم: أصلُ الخِطْبة: من الخطاب الذي هو الكلام، يقال: خَطَبَ المرأة خِطْبَةً؛ لأنه خاطِبٌ في عقد النكاح، وخَطَب خُطْبَة: خَاطب بالزجر والوعظ.

والخَطْب: الأمر العظيم، لأنه محتاج فيه إلى خطاب كثير.

قال الليث: يقال: هو يخطبُ المرأة ويختطبها خِطبَةً وخِطِّبَى[٩]،

---

(١) في (أ) يعرض أنه.

(٢) ينظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٥- ٢٤٠٣ (عرض)، «والنهاية» ص٦٠٤-٦٠٧، «المفردات» ص٣٣٣، «اللسان» ٥/ ٢٨٩٥ (عرض).

(٣) قوله: فقال الفراء: الخطبة. ساقطة من (أ) و(م).

(٤) في (ش) (وأنه).

(٥) في (أ) (يريد).

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٥٢.

(٧) ساقطة من (م).

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٥.

(٩) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٢- ١٠٥٣ مادة «خطب».

وخِطِّيبى مصدر كالخطبة، كذا قال أبو عبيد وغيره وأنشدوا.

لخطِّيبى التي غَدَرَت وخَانَت ... وهُـنّ ذَوَاتُ غـائِـلِـةٍ[(١)] لُـحِـينَـا[(٢)]

المعنى: لخِطبة زباء التي غدرت بجذيمة حين خطبها إلى نفسها[(٣)].

قال المفسرون: ومعنى التعريض بالخطبة: أن يقول لها وهي في العدة: إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك لنَافِقة، وإن من عَزْمي أن أتزوج، وإني فيك لراغب، وما أشبه هذا من الكلام[(٤)]. هذا في عدة المتوفى عنها، فأما الرجعية فلا يحل التعريض بخطبتها[(٥)] في العدة؛ لأنها في معاني الأزواج، وأما المختلعة والمطلقة ثلاثًا فالصحيح أن التعريض بخطبتها جائز، كجوازه في عدة الوفاة[(٦)].

---

(١) في (ش) و(ي): (عائلة).

(٢) البيت لعدي بن زيد في ديوانه ص١٨٢، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٣، «لسان العرب» ٢/ ١١٩٤ خطب. قال الأزهري: والمعنى: لِخُطَبة زباء وهي امرأة كانت مَلِكَةً خَطَبَها جذيمةَ الأبرش، فَغَرّرت به وأجابته، فلما دخل بلادها قَتَلَتْهُ. وقد خطأ الأزهري قول الليث: إن خطيبى في البيت اسم امرأة بل هو مصدر كالخِطبة.

(٣) ينظر في خطب «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٣، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٣ (خطب)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦٥، «المفردات» ص١٥٧، «اللسان» ٢/ ١١٩٤- ١١٩٥ (خطب)، قال في المفردات: وأصل الخِطبة: الحالة التي عليها الإنسان إذا خطب، نحو الجلسة والقِعدة، ويقال من الخُطبة: خاطب وخطيب، ومن الخِطبة: خاطب لا غير، والفعل منهما خطب.

(٤) كذا يروى عن القاسم ومجاهد وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن القاسم وآخرين، فيما ذكر عنهم الطبري في «تفسيره» بإسناده ٢/ ٥١٧- ٥٢٠، وينظر صحيح البخاري (٥١٢٤) كتاب: النكاح، باب: قول الله ﷻ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ ، «مصنف عبد الرزاق» ٧/ ٥٣، «مصنف ابن أبي شيبة» ٤/ ٢٥٧.

(٥) في (ش): (بخطبها).

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ١٨٨، «التفسير الكبير» ٦/ ١٤٠-١٤١.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ أي: أَسْرَرْتم وأضمرتم في أنفسكم من خطبتهن ونكاحهن. قال مجاهد[١] وابن زيد[٢]: هو[٣] إسرار العزم على النكاح دون إظهاره.

وقال السدي: هو أن يَدْخُل فَيُسَلِّم ويُهْدِي إن شاءَ ولا يتكلم بشيء[٤].

ومعنى الإكنان في اللغة: الإخفاء والستر. قال الفراء: للعرب في أكننت الشيء إذا سترته لغتان، كَنَنْتُهُ، وأَكْنَنْتُهُ وأنشدوني[٥]:

ثَـلاثٌ مـن ثَـلاثٍ قُـدَامِيَـاتٍ   مِنَ اللاتِي يَكُنُّ مِنَ الصَّقِيعِ[٦]

وبعضهم [يرويه][٧] تُكِن من أكننت[٨].

ونحو هذا قال ابن الأعرابي وأبو زيد: قالوا: كننت الشيء وأكننته في الكِنِّ وفي النفس بمعنى. وفَرَّقَ قومٌ بينهما، فقالوا: كننتُ الشيء: إذا صُنته حتى لا تصيبَه آفةٌ، وإن لم يكن مستورًا، يقال: دُرٌّ مكنون، وجاريةٌ مكنونة، وبيضٌ مكنون: مَصُونٌ عن التَّدَحْرُجِ[٩].

---

(١) أخرجه الطبري ٢/ ٥٢١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ساقط من (م) و(أ).

(٤) أخرجه الطبري ٢/ ٥٢١، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٣٩(٢٣٢٩).

(٥) في (م) (أنشدني).

(٦) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ٧/ ٣٩٤٢ [مادة: كنن]، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٦، «تاج العروس» (مادة: كنن). وينظر «المعجم المفصل» ٤/ ٤١٥.

(٧) في الأصل: طمس عليها، والكلام يقتضيها، وهي مذكورة في «معاني القرآن» الفراء.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ١٥٢-١٥٣.

(٩) «اللسان» ٧/ ٣٩٤٢- ٣٩٤٣، وينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٧.

وأما أكننت فمعناه: أضمرت[١]، ويستعمل ذلك في الشيء الذي[٢] يُخفيه الإنسانُ ويَسْتُره[٣] عن غيره[٤]، وهو ضِدُّ أَعْلَنْتُ وأَظْهَرْت[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ يعني: الخطبة[٦]، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾.

روى الكلبيُّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: السرُّ في هذا الموضع النكاح، وأنشد عنه بيت امرئ القيس:

وأن لا يشْهَدَ السِّرَّ أمْثَالي[٧][٨].

وقال الشعبي[٩] والسدي[١٠]: لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره،

---

(١) «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٢، «زاد المسير» ١/ ٢٧٦- ٢٧٧.

(٢) (الذي) ساقط من (ي). وفي (ش) (إذا).

(٣) ساقطة من (ي).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٧.

(٥) ينظر في (كنن) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٢-١٥٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٧، «تهذيب اللغة» «المفردات» ص٤٤٤، «اللسان» ٧/ ٣٩٤٢- ٣٩٤٣.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٣٦٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢١، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٣٩ عن الحسن.

(٧) ورد البيت هكذا:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ... كَبِرْتُ وألا يُحْسِنَ السِّرَّ أمثالي

في «ديوانه» ص٢٨، وفيه: وألا يحسن اللهو. و«جمهرة أشعار العرب»١/ ١١٧،١١٨، وفي «معاني القرآن» للفراء١/ ١٥٣: وأن يشهد. ومعنى السر: النكاح. وبسباسة: امرأة من بني أسد.

(٨) كذا نقَل رواية الكلبي وبيت الشعر من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٣.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٣، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٤٣٩.

(١٠) أخرجه الطبري في الموضع السابق.

وقال الحسن[١] وقتادة[٢] والضحاك[٣] والربيع[٤] وعطية عن ابن عباس[٥]: السِرُّ: هو الزنى، وكان الرجل يدخُلُ على المرأة للريبة وهو يعرض بالنكاح، فيقول لها: دعيني فإذا وفيتِ عدتك أظهرت نكاحك، فنهى الله ﷻ عن ذلك، وقال: الخطبة في السر بمعنى الزنا[٦].

ويَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِم عَلَيْهِم ويَأْكُلُ جَارُهُم أَنْفَ القِصَاعِ[٧]

ونحو هذا قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ قال: يريد الجماع، يقول لها: أنا راغب فيك، دعيني أجامعك حتى إذا وفيتِ عِدَّتَك أَظْهَرْتُ نِكَاحَكِ[٨]. وقال الكلبي: معناه: لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع[٩]، وعلى هذا القول السر: الجماع نفسه[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢٤) كتاب: النكاح، باب: ولا جناح عليكم فيما عرضم به خطبة النساء معلقًا عنه، ورواه موصولًا عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٥٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٠.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٨٧٦، انظر المصدرين السابقين.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ينظر ما تقدم عند الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٦٦-١١٦٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٣.

(٧) البيت من الوافر، وهو للحطيئة في «ديوانه» ص٣٢٨، و«أمالي المرتضى» ١/ ١٧٥، ومعناه: يصفهم بالعفة والكرم، فهم يعفون عن سر الجارة، ويؤثرون ضيفهم بخير الطعام. وينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٧.

(٨) تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي من المقدمة.

(٩) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٧٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٧٣.

(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧١.

قال الفرزدق:

مَوَانِع للأَسْرَارِ(١) إلا من أَهْلِهَا
ويُخْلِفْنَ ما ظَنَّ الغَيْورُ المُشَفْشَفُ(٢)

الذي شفه الهم. يعني: أنهن عفائف يمنعن الجماع إلا من أزواجهن.

فحصل في السرِّ أربعة أقوال: النكاح، والجماع، والزنا، والسِرّ الذي تخفيه وتكتمه غيرك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْـرُوفًا﴾ يعنى: التعريض بالخطبة كما ذكرنا(٣)، ويكون التقدير: قولًا معروفًا في هذا الموضع، وهو التعريض(٤) غير التصريح؛ لأن التصريح مزجور عنه، فهو منكر(٥) غير معروف.

ويجوز أن يكون المعنى: قولًا معروفًا(٦) منه الفحوى والمعنى دون التصريح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ قد ذكرنا معنى العزم عند قوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَٰقَ﴾. ولم يقل: على عقدة النكاح

---

(١) في (ش): (الأسرار).

(٢) البيت في «ديوانه» ٢/ ٢٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧١، «لسان العرب» ٤/ ٢٢٩٢ مادة شفف. والمشفشف: السخيف السيء الخلق، وقيل: الغيور، ويروى: المُشَفْشِف بالكسر عن ابن الأعرابي، وأراد: الذي شَفّت الغيرة فؤاده فأضمرته.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٢ عن مجاهد، ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٢، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٣، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٩٢.

(٤) من قوله: (بالخطبة) ساقط من (ش) و(ي).

(٥) في (ي): (منكور).

(٦) في (ش): (معروفًا يعني منه).

اجتزاء بدلالة العزم، لأنه لا يكون إلا على معزوم عليه، كما تقول: ضرب زيدٌ الظهرَ والبطن، أي: عليهما. قال سيبويه: والحذف في هذه الأشياء لا يقاس، ويكون معنى الآية: ولا تعزموا على عقدة النكاح أن تعقدوها حتى يبلغ الكتاب أجله[١]؛ لأنه يجوز أن ينوي بقلبه ويعزم في مدة عدتها أن يتزوجها إذا انقضت المدة، فأما أن يعقد العقد قبل مضي المدة فلا.

والمفسرون قالوا: معناه: لا تصححوا عقدة النكاح[٢].

وأصل العقد: الشدّ. والعهود[٣] والأنكحة تسمى عقودًا؛ لأنها كَعَقْد الحبل في التوثيق.

وقال عبد الرحمن بن زيد: هذه الآية نسخت ما قبلها، والخطبةُ[٤] ومواعدةُ النكاح، وكلُّ شيء جائز إلا النكاح فقط[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ قيل: الكتاب: القرآن. والمعنى: حتى يبلغ فرض الكتاب أجله، يعنى: العدة المفروضة تنقضي.

ويجوز أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض، فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض كمال أجله، قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] أي: فرض، وإنما جاز أن يقع (كتب) بمعنى فرض؛ لأن ما يكتب يقع في

---

(١) كذا نقله من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٨، وينظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٩، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٣، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١٩٢.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٢٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٣، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢٩.

(٣) في (م): (والعقود).

(٤) في (ي): (فالخكطبة).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٧٢، ومكي في «الإيضاح» ١٨٥.

النفوس أنه أثبت[١].

٢٣٦- قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية. نزلت في رجل من الأنصار، تزوَّجَ امرأةً من بني حنيفة، ولم يسمِّ لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يَمَسَّها، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ، فلما نزلت قال له رسول الله ﷺ: «**مَتِّعْها ولو بقلنسوتك**»[٢].

فإن قيل: ما معنى نفيِ الجناح عن المطلَّق قبل المسيس، ولا جناح على المُطَلِّقِ بعده؟ قيل: ظاهر الآية رفع الحرج عن المطلق قبل المسيس وقبل الفرض، فيحتمل أن يكون معناه: لا سبيل للنساء عليكم إذا طلقتموهن قبل المسيس والفرض بصداق ولا نفقة.

ويحتمل أن يكون معناه: إباحة الطلاق له أي وقت شاء، بخلاف ما لو طلق بعد المسيس فإنه يجب أن يطلق للعدة[٣].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٣.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٠٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٧٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٧٩، والقرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٢، وأبو حيان في «البحر» ٢/ ٢٣٠، وقد ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث «الكشاف» ١/ ١٥١، وبيض له، وقال الحافظ كما في «الكشاف» ١/ ٢٨٥: لم أجده، وقال الولي العراقي كما في «الفتح السماوي» ١/ ٢٩٣: لم أقف عليه، وعزاه الحافظ في «العجاب» ١/ ٥٩٦ إلى مجاهد ولم يذكر من خرجه. وقد روى البيهقي ٧/ ٢٥٧، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٣/ ٧٢ من حديث جابر ﷺ قال: لما طلق حفص بن المغيرة امرأته، قال له رسول الله ﷺ: «**متعها ولو بصاع**»، وليس فيه ذكر لسبب نزول الآية. وينظر تحقيق «تفسير الثعلبي» للمنيع ٢/ ١١٧٤.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٥-١١٧٩، وينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣٨- ٥٣٩، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٨٤، و«البحر المحيط» ٢/ ٢٣٢.

وقال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ في هذه الآية أن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأنه لا إثم على من طَلَّقَ من تزوج بها بغير مهرٍ[(١)]، كما أنه لا إثم على من طلق من تزوج بها بمهر[(٢)(٣)].

وقال صاحب النظم: ما في قوله: ﴿لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ بمعنى الذي على النعت للنساء والترجمة والبيان عنهن، على نظم: إن طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن. و(ما) اسم جامد لا يتصرف، ولا يتبين فيه الإعراب ولا العدد[(٤)].

واختلف القراء في قوله: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾، فقرأ حمزة والكسائي من المفاعلة، والباقون من الثلاثي[(٥)]، لإجماعهم على قوله: ﴿يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] ولأن أكثر الألفاظ في هذا المعنى جاء على فَعَلَ دون فاعل، كقوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ [الرحمن: ٥٦] كقوله: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٥][(٦)].

والنكاح عبارة عن الوطء وإن كان قد وقع على العقد[(٧)].

فأما ما جاء في الظهار من قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣] فإنه أراد المماسة التي هي عين[(٨)] الجماع، وهي حرام في الظهار[(٩)].

---

(١) من قوله: (على من) ساقطة من (ي).
(٢) من قوله: (كما أن) ساقطة من (ش).
(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٨.
(٤) ينظر: «مغني اللبيب» لابن هشام ١/ ٢٩٦ وما بعدها.
(٥) ينظر: «السبعة» ص١٨٣-١٨٤، «الحجة» ٢/ ٣٣٦، «النشر» ٢/ ٢٢٨.
(٦) نقله عن أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٣٣٦.
(٧) «الحجة» ٢/ ٣٣٧.
(٨) في (ش) و(م) (غير).
(٩) «الحجة» ٢/ ٣٣٧-٣٣٨.

ومن قرأ: (تماسوهن) فلأن فَاعَل قد يراد به ما يراد بـ فعل، نحو: طارقتُ النعلَ، وعاقبت اللصَّ، وهو كثير[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾. أي: توجبوا لهن صداقًا[(٢)]. ومضى الكلام في معنى الفرض عند قوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

واختلفوا في تقديره، فقال قوم: (أو) هاهنا عطف على محذوف قبله، والتقدير: ما لم تمسوهن ممن فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن، لأن كل منكوحة إنما هي إحدى ثنتين: مفروض لها الصداق، وغير مفروض لها.

وقال قوم: أو هاهنا بمعنى الواو، يريد: ما لم تمسوهن و[(٣)]لم تفرضوا لهن فريضة، كقوله: ﴿يَزِيدُونَ﴾. [الصافات: ١٤٧][(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: زودوهن وأعطوهن من مالكم[(٥)] ما يتمتعن به[(٦)] ومضى الكلام في معنى المتعة والتمتع.

فأما من يستحق المتعة: فالمرأة إذا طلقت قبل تسمية المهر وقبل المسيس، فإنها تستحق المتعة بالإجماع من العلماء، ولا مهر، وإنما تستحق المتعة في مقابلة ما حصل[(٧)] من العقد عليها[(٨)]. وإن طلقها بعد

---

(١) «الحجة» ٢/ ٣٣٨.
(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٥، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٨٤.
(٣) في (ي) (أوتفرضوا).
(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٣١.
(٥) في (ي) (وأعطوهن ما لكم).
(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٧٩، و «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٤.
(٧) في (ي) (حصلت).
(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٢٠٠.

الدخول وقبل الفرض، فلها[١] مهر مثلها والمتعة أيضًا[٢].

وإن لم يدخلْ بها ولم يَفْرِضْ لها حتى مات ففيها قولان:

أحدهما: لها مهر مثلها والميراث، وهو مذهب أهل العراق[٣]، لحديث بِرْوع بنت واشَقْ الأشْجَعِية[٤] حين توفي عنها زوجها، ولم يفرض لها، ولا دخل بها، فقضى رسول الله ﷺ بمهر نسائها، لا وَكْسَ ولا شطط، وعليها العِدّة، ولها الميراث[٥].

والقول الثاني: وهو الصحيح: أن لها الميراث، وعليها العدة، ولا مهر لها، ولها المتعة، كما لو طَلَّقها قبل الدخول والتسمية، وهو قول علي[٦] -رضي الله عنه - وكان علي يقول في حديث بِرْوع: لا يقبلُ قولُ

---

(١) في (ش): (فلما).

(٢) وقع الخلاف في حكم المتعة، وقد ذكره المؤلف عند الآية رقم (٢٤١) فلينظر.

(٣) ينظر «اختلاف العلماء» للمروزي ص١٤٢، «مختصر الطحاوي» ص١٨٤، «المبسوط» ٥/ ٦٢، «المغني» ١٠/ ٤٩.

(٤) بروع بنت واشق الرؤاسية الكلابية، وقيل: الأشجعية، زوج هلال بن مرة، صحابية اشتهرت بقصتها هذه. ينظر «الاستيعاب» ٤/ ٣٥٧، «أسد الغابة» ٥/ ٤٠٨.

(٥) الحديث رواه أبو داود (٢١١٥) كتاب: النكاح، باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقا، والنسائي ٦/ ١٢١ كتاب: النكاح، باب: إباحة التزوج بغير طلاق، والترمذي (١١٤٥) كتاب: النكاح، باب: ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، وصححه، وابن ماجه (١٨٩١) كتاب: النكاح، باب: الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك، وأحمد ٣/ ٤٨٠، والحاكم ٢/ ١٩٦، وقال: صحيح على شرط مسلم، عن معقل بن سنان الأشجعي، وقال الحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/ ١٩١: وصححه ابن مهدي والترمذي وقال ابن حزم: لا مغمز فيه لصحة إسناده.

(٦) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» ٦/ ٢٩٣، وسعيد بن منصور في «سنه» ١/ ٢٦٥، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٣٠١، والبيهقي ٧/ ٢٤٧.

أعْرَابِي بَوَّالٍ على عقبيه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ المُوْسِع: الغني الذي يكون في سَعَة من غناه، يقال: أوسعَ الرجل: إذا كَثُرَ مالُه واتَّسَعت حالُه، ويقال: أوسعه كذا، أي: وسعه عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧][٢].

وقوله تعالى: ﴿قَدَرُهُۥ﴾ أي: قَدْرَ إمكانه وطاقته، فحذف المضاف.

والمقتر: الذي في ضيق من فقره وهو المقل الفقير. وأقتر الرجل إذا افتقر.

وقرئ (قدْرُه) بالإسكان والتحريك[٣]، وهما لغتان في جميع معاني القدر.

يقال: قدر القوم أمرَهم يَقْدِرونه قَدْرًا، وهذا قَدْرُ هذا، واحمل على رأسك قَدْرَ ما تطيق، وقَدَرَ الله الرزق يَقْدِره ويَقْدُره قَدْرًا، وقَدَرْتُ الشيء بالشيء أقدِرُه قَدْرًا، وقَدَرْتُ على الأمر أقدِرُ عليه قُدْرَةً وقُدُورًا وقَدَارةً. كل هذا يجوز فيه التسكين والتحريك، يقال: هذا قَدَرُ هذا، واحمل قَدَرَ ما تطيق، وهم يختصمون في القدْرِ والقَدَر، وقدرتُ عليه الثوب قدرًا، وخذ منه بقدرِ كذا وَبِقَدَر كذا، قال الله تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] ولو حُرِّك كان جائزًا. وكذلك: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ولو خُفِّفَ جَاز، إلا أنَّه

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٢٦٨، والبيهقي ٧/ ٢٤٧، قال المنذري كما في «الجوهر النقي» ٧/ ٢٤٧: لم يصح هذا الأثر عن علي.

(٢) ينظر في وسع: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٩، «المفردات» ص٥٣٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٥.

(٣) قدْرُه: بإسكان الدال، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: قدَرُه، بتحريكين. ينظر «السبعة» لابن مجاهد ص١٨٤.

لِوفَاق رؤوس الآي يُحَرَّك[١]. وقال الفرزدق:

وما صَبَّ رِجْلي[٢] في حديدِ[٣] مُجَاشِعٍ
مع القَدْرِ إلا حاجةً لي أُرِيدُها[٤]

والمتعة غير مقدرة[٥] كما ذكر الله تعالى، فقال: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ قال ابن عباس[٦] والشعبي[٧] والزهري[٨] والربيع[٩]: أعلاها: خادم، وأوسطها: ثلاثة أثواب: درع وخمار وإزار، ودون ذلك: وِقَاية[١٠] أو شيءٌ من الوَرِق.

وهذا مذهب الشافعي رحمه الله، قال: أعلاها على الموسع[١١]

---

(١) هذا كله كلام أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) في (ش): (رحلي).

(٣) في (ي): (حديث).

(٤) البيت للفرزدق في «ديوانه» ١/ ٢١٥ وفي «إصلاح المنطق» لابن السكيت ص٩٩، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣٨ «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨١، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٨٧ (مادة: صبب).

(٥) قال الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٨٩: والصحيح أن الواجب من ذلك على قدر عسر الرجل ويسره.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٥٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٢/ ٢٧، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٣.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٢٧، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٥٧، والطبري ٢/ ٥٣١.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٣٠.

(١٠) الوقاية: مثلثة الواو: كل ما وقيت به شيئًا، والوِقاية التي للنساء. ينظر «لسان العرب» ٨/ ٤٩٠١- ٤٩٠٤ (مادة: وقى).

(١١) في (ي) (الموضع).

خادم، وأوسطها: ثوب، وأقلها: أقل مَالَه ثمن، قال: وحسن ثلاثون درهمًا[(١)].

وعند أبي حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوج والمرأة فيها قدر نصف مهر مثلها[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ انتصب على: متعوهن متاعًا، وإن شئت على الخروج من القدر، لأنه معرفة وهذا نكرة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بما يعرفون القصد وقدر الإمكان[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ منصوب على: حقَّ ذلك عليهم حقًا، يقال: حققت عليه القضاء وأحققت: أي أوجبت[(٥)].

٢٣٧- قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية. هذا في المطلقة بعد التسمية وقبل الدخول، حكم الله تعالى لها بنصف المهر ولا عِدَّة عليها[(٦)]، وإن مات عنها قبل الدخول فلها المهر كاملًا والميراث،

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨٧، «تكملة المجموع» ١٦/ ٣٩١، «تخليص الحبير» ٣/ ١٦٤.

(٢) «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٣٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨٩.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٩، وعبارته: يجوز أن يكون منصوبا على الخروج من قوله: (ومتعوهن... متاعًا) أي: ممتعًا متاعًا. وينظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٩. وقال الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٨١: ويجوز أن يكون نصبًا على القطع؛ لأن المتاع نكرة والقدر معرفة.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٩.

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٩، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٤-١٥٥، و«التبيان» ص١٤٢.

(٦) تنظر الآثار في ذلك في «تفسير الطبري» ٢/ ٥٤٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤.

وعليها العدة بلا خلاف[(١)].

والآية دلالة ظاهرة على أبي حنيفة حيث أوجب كمال الصداق[(٢)] بالخلوة[(٣)].

قال شريح: لم أسمع الله تعالى ذكر في كتابه بابًا ولا سترًا، إذا زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق[(٤)]. وهو مذهب ابن عباس، قال: إذا خلا بها[(٥)] ولم يَمَسَّها فلها نصف المهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية[(٦)].

وقال ابن مسعود: لها نصف المهر وإن قعد بين رجليها[(٧)].

فأما ما ذكر عن زرارة ابن أبي أوفى[(٨)] أنه قال: قضى الخلفاء الراشدون أن الرجل إذا أغلق بابًا وأرخى سترًا وجب المهر[(٩)]. فإنهم أرادوا

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٩٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٦.

(٢) في (ي) (الطلاق).

(٣) ينظر: «اختلاف العلماء» للمروزي ص١٥٧، «الإشراف» ٣/ ٤٨، «تحفة الفقهاء» للسمرقندي ٢/ ١٩٣.

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٢٣٤، ووكيع في «أخبار القضاة» ٢/ ٢٥٤، وذكره الثعلبي في «سننه» ٢/ ١١٩٤، والقرطبي ٣/ ٢٠٥.

(٥) في (أ) و(م) (خلاها).

(٦) رواه الشافعي في «الأم» ٥/ ٢٣٠، وعبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٢٩٠، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٢٣٦، قال ابن المنذر في «الإشراف» ٣/ ٤٩: فأما حديث ابن عباس فإنما رواه ليث بن أبي سليم، وليث يضعف.

(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٦، وذكر القرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥ عن ابن مسعود قال: قضى الخلفاء الراشدون فيمن أغلق بابًا أو أرخى سترًا أن لها الميراث وعليها العدة، وروي مرفوعا خرجه الدارقطني.

(٨) في (أ) و(ي) و(م): (ابن أوفى).

(٩) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٢٨٨، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٢٣٤، =

أنَّ لها المطالبةَ بجميع المَهْر والنكاحُ قائمٌ إذا مَكّنت من نفسها، ولم يريدوا إذا طَلَّقها، أو لعلهم قالوا ذلك على استعمال مكارم الأخلاق، فإنَّ من الكرم أن يوفي مَهْرَها إذا خلا بها وإن لم يطأها.

وقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فَعَلَيكم نصفُ ما فَرَضْتُم، أو فالواجب ذاك[1]. والنصف: الجزء من اثنين على المساواة، وكل شيء بَلَغَ نِصْفَ غيره فقد نَصَفَه، يقال: نصفَ النهارُ ينصُفُ، ونَصَفَ الماءُ القَدَحَ، ونصفَ الساقَ إزاري، ونصفَ الغلامُ القرآنَ، ويجوز في جميع ذلك: أنصف النهار، وأنصف الغلام القرآن[2]، ويجوز في جميع ذلك: أنصف، حكاه الفراء، يقال: أنصف النهار، وأنصف الغلام القرآن[3] وَنَصَّفَ[4].

قال ابن ميادة:

تَرَى سَيْفَه لا ينصُفُ الساقَ نعلُه أجَلْ لا وإن كانت طِوالا حَمَائِلُه[5]

= وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٣٥، والبيهقي ٧/ ٢٥٥ وقال: هذا مرسل، زرارة لم يدركهم، وقد رويناه عن عمر وعلي موصولا، وقد روى مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٢٨، وعبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٢٨٥، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/ ٢٣٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٣٤ من طرق عن عمر وعلي بنحوه.

(١) «تفسير القرطبي» ٣/ ٢٠٤.

(٢) من قوله: (ويجوز في جميع ذلك). ساقط من (ي).

(٣) من قوله: (ويجوز في جميع ذلك): أنصف النهار. ساقط من (ش).

(٤) ينظر في (نصف) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٦- ٣٥٨٧، «المفردات» ص٤٩٧، «لسان العرب» ٩/ ٣٣٠- ٣٣٢.

(٥) وفي رواية:

إلى ملك لا تنصف الساق نعلُه أجل لا وإن كانت طوالا محامله

ونسب لابن ميادة في «ديوانه» ص٢٩٣، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٧ وروايته: =

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ يعني: النساء، ولذلك لم تسقط[(١)] النون مع أن؛ لأن جماعة المؤنث في الفعل المضارع يستوي في الرفع والنصب والجزم، والنون في الدلالة على جمع المؤنث كالواو في الدلالة على جمع المذكر، وكما[(٢)] لا يسقط واو يفعلون في الإعراب كله رفعه ونصبه وجزمه لم يسقط نون يفعلن[(٣)].

وقال الفراء: (لو)[(٤)] أسقطوها لأشبه فعل الواحد المذكر، ألا ترى أنك لو أسقطت النون من يقمن لالتبس بفعل الواحد المذكر[(٥)].

ومعنى ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ إلا أن يترك النساء ذلك النصف فلا يطالبن الأزواج به، إذا كُنَّ بالغاتٍ رشيداتٍ، فيسقطُ عن الرجل أو بعضه، فيسقط ذلك القدر[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ اختلفوا في الذي بيده عقدة النكاح.

فقال ابن عباس[(٧)]، في رواية العوفي: هو ولي المرأة. وهذا قول

= محاملهُ، وفي «اللسان» ٨/ ٤٤٤٣ (نصف). نسب البيت الثاني لذي الرمة في «ديوانه» ص١٢٦٦.

(١) في (أ) و(م): (يسقط).

(٢) في (م): (مما).

(٣) ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٥ بنحوه، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٩٧، «التبيان» ص١٤٢.

(٤) ساقطة من (ي).

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٥ بنحوه.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥- ٢٠٦.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤.

علقمة[١] وأصحاب عبد الله[٢]، وإبراهيم[٣] وعطاء[٤] والحسن[٥] والزهري[٦] والسدي[٧]. وقال عكرمة: أذن الله تعالى في العفو، وأي[٨] امرأة عَفَتْ جاز عفوها، فإن شَحَّت عفا وليها وجاز عفوه[٩].

وهذا مذهب أهل الحجاز، إلا أنهم قالوا: يجوز عفو ولي البكر، فإذا كانت ثيبا فلا يجوز عفوه عليها[١٠]. وقال ابن عباس، في رواية عمار ابن أبي عمار[١١]:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٢٨٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٢) «تفسير الطبري» ٢/ ٥٤٣.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٨٨٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤، ٥٤٥، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٢٨٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١١٩٩.

(٨) في (ش) و(ي) (فأي).

(٩) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٨٨٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٥، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٤.

(١٠) ينظر: «الموطأ» ٢/ ٥٢٨، و«الكافي» لابن عبد البر ٢/ ٥٥٩، «الإشراف» ٣/ ٤٨.

(١١) هو: عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم أبو عمر، ويقال: أبو عبد الله، قال ابن حجر: صدوق ربما أخطأ، توفي بعد سنة ١٢٠هـ. ينظر «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٨٩، «التقريب» ص٤٠٨ (٤٨٢٩).

إنه الزوج[١]. وهو قول عليٍّ[٢]، وسعيد بن المسيب[٣]، والشعبي[٤]، ومجاهد[٥]، والقرظي[٦]، والربيع[٧] وقتادة[٨] ومقاتل[٩] والضحاك[١٠].

وهو الصحيح الذي عليه عامة الفقهاء اليوم[١١]. ومعنى عفو الزوج: أن يعطيها الصداق كاملًا، ولما ذكر الله تعالى عفو المرأة عن النصف الواجب ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط، فيحسن لها أن تعفو ولا تطالب بشيء، وللرجل أن يعفو ويوفي المهر كاملًا.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٦، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٧، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٧، ٥٤٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٦، والطبري ٢/ ٥٤٧- ٥٤٨، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٥.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢٨٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥.

(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٤٣٩.

(٩) هو مقاتل بن حيان، ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٠٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٨- ٥٤٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٩.

(١١) كذا ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٩.

روي أن جُبير بن مطعم تزوج امرأة ثم طلقها قبل البناء فأكمل لها الصداق، وقال: أنا أحقُّ بالعفو، وتأوَّل قوله: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾[١] ولأنَّ المهرَ حقُّ المرأة فليس لغيرها إسقاطه، كما أنه ليس للولي أن يهب من مالها شيئًا، كذلك المهر مال لها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعًا، إلا أن الغلبة[٣] للذكور إذا اجتمعوا مع الإناث، فلذلك غلب التذكير لسبق الأسماء المذكرة[٤] وزيادة التأنيث على ما بينَّا، تقول: قائم، ثم تريد[٥] التأنيث فتقول: قائمة، والمزيد[٦] عليه هو الأصل المغلب[٧]. وموضع (أنْ) رفع بالابتداء، تقديره: والعفوُ أقربُ للتقوى[٨]، واللام بمعنى إلى[٩]. والمعنى: وعفوُ بعضِكم عن بعضٍ أقربُ[١٠] إلى اتِّقاءِ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٦/ ٢٨٤، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ٢٨٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٤٦.

(٢) ينظر في الاستدلال لهذا القول: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٤٩، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٤٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٠٣-١٢٠٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٧.

(٣) في (أ) (الغلبة).

(٤) في (ي) و(ش) (المذكورة).

(٥) في (ش) (يريد).

(٦) في (ي) و(ش) (فالمزيد).

(٧) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣١٩-٣٢٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢١٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٧.

(٨) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢١١، «التبيان» ص١٤٣، «تفسير القرطبي» ٣/ ٢٠٨، «التفسير الكبير» ٦/ ١٤٤.

(٩) قال السمين في «الدر المصون» ٢/ ٤٩٦: وهذا مذهب الكوفيين، أعني: التجوز في الحروف، ومعنى اللام وإلى في هذا الموضع يتقارب. وينظر «التبيان» ص١٤٣.

(١٠) في (ي) (أقرب للتقوى).

ظلمِ كُلٍّ واحد صاحبه ما يجب من حقه[١]. وقيل: معناه: أدعى إلى اتقاء معاصي الله؛ لأن هذا العفو ندب، فإذا انتدب إليه علم أنه لما كان فرضًا كان أشد استعمالًا[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس: لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض، وهذا حث من الله للزوج والمرأة على الفضل والإحسان، وأمر لهما جميعًا أن يستبقا إلى العفو[٣].

٢٣٨- قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ الآية. الوسطى: تأنيثُ الأوسط، يقال: وَسَطَ فلانٌ الجماعة يَسِطُهم: إذا صار في وَسْطِهم، وهذا أوسطُ من ذاك على المبالغة، والأوسطُ: اسمٌ للوسط، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨][٤].

واختلفوا في الصلاة الوسطى، فقال معاذ[٥] وعمر[٦] وابن عباس[٧]

---

(١) «التفسير الكبير» ٦/ ١٤٤-١٤٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢١٢، «التفسير الكبير» ٦/ ١٤٥.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢١٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٧.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٨- ٣٨٨٩، «المفردات» ص٥٣٧-٥٣٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣١- ٤٨٣٤ (مادة: وسط).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢١٦، والدمياطي في «كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى» ص١٢٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٧.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) أخرجه مالك في «الموطأ» ١/ ١٣٩ بلاغا، وسعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٩١٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٤- ٥٦٥، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٨، وقد روى سعيد بن منصور في السنن ٣/ ٩١٧، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٤، والطبري ٢/ ٥٧٧ عن ابن عباس: أنها العصر.

وابن عمر[(١)(٢)] وجابر[(٣)] وعطاء[(٤)] وعكرمة[(٥)] والربيع[(٦)] ومجاهد[(٧)]: إنها صلاة الفجر. وهو اختيار الشافعي[(٨)] رحمه الله.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي صلاة الصبح، وسطت فكانت بين الليل والنهار، تُصَلى في سواد من الليل وبياض من النهار، وهي أكثر الصلاة تفوت الناس[(٩)]؛ ولأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار[(١٠)].

وقال زيد بن ثابت[(١١)]، وأبو سعيد الخدري[(١٢)]، وأسامة بن

---

(١) سقطت من (ي).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» ٣/ ٩١٠، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢١٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٧، وروى الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١٧٠ عن ابن عمر: أنها العصر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٥، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٧.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ١٧٩، والطبري ٢/ ٥٦٦، وذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٨.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٩١٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٨.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٨.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٥، وانظر المصدرين السابقين.

(٨) «أحكام القرآن» للشافعي ص٧١، «السنن الكبرى» للبيهقي ١/ ٤٦١.

(٩) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١٧١، وعزاه ابن عبد البر في «التمهيد» ٤/ ٢٨٤ إلى إسماعيل القاضي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٢١.

(١٠) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٢١.

(١١) أخرجه مالك في «الموطأ» ١/ ١٣٩، وعبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٥٧٧، والطبري ٢/ ٥٦١.

(١٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦١، والبيهقي ١/ ٤٥٨.

زيد[١] وعائشة[٢]: إنها الظهر؛ لأنها وسط النهار. ومن خصائصها: أنها أول صلاة فرضت[٣].

وقال علي[٤] وعبد الله[٥] وأبوهريرة[٦] والنَّخَعي[٧] وقتادة[٨] والحسن[٩] والضحاك[١٠] والكلبي[١١] ومقاتل[١٢]: أنها العصر، وهو اختيار أبي حنيفة[١٣] رحمه الله.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١/ ١٥٣، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٢، وابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٨.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٥٧٧، وذكره الترمذي ١/ ٣٤٢ كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الوسطى...، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٥ عنها أنها قالت: هي صلاة العصر.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٣٤.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٥٧٧، وسعيد بن منصور في «سننه» ٣/ ٩٠١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٧- ٥٥٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٨.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٧- ٥٥٩.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ١/ ٥٧٧، وسعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ٩٠٣- ٩٠٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٩.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٦، وذكره الثعلبي ٢/ ١٢٣٥، والدمياطي في كشف المغطى ص١١٩.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٦، ٥٥٧.

(٩) أخرجه الطبري ٢/ ٥٥٨.

(١٠) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥٦.

(١١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٣٦، والنووي في «المجموع» ٣/ ٦١.

(١٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٣٦.

(١٣) «شرح معاني الآثار» ١/ ١٧٦، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٤٣.

روي ذلك مرفوعًا أنها العصر[١]، ولأنها بين صلاتي نهار وصلاتي[٢] ليل[٣].

وقال قبيصة بن ذؤيب[٤]: إنها المغرب[٥]، لأنها وسط في الطول والقصر من بين الصلوات.

ومن خصائصها: أنها لا تقصر[٦]. وحكى[٧] الشيخ الإمام أبو الطيب سهل بن محمد، رحمه الله[٨]، عن بعضهم: أنها صلاة العشاء الآخرة؛

---

(١) قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر..» الحديث، فقد رواه البخاري (٢٩٣١) كتاب: الجهاد، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة، ومسلم (٦٥٧) كتاب: المساجد، باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر من حديث علي. ورواه الترمذي من طريقين: (١٨٢) كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة الوسطى، وحسنه، (٢٩٨٣) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البقرة وصححه، والإمام أحمد ٥/ ٧، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ١٧٤، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٥٠٥، والبيهقي ١/ ٤٦٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٣٦، وغيرهم عن الحسن عن سمرة بن جندب.

(٢) في (ي) (وبين صلاتي).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٤٩.

(٤) هو: قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، أبو سعيد أو أبو إسحاق المدني من أولاد الصحابة وله رؤية، من الفقهاء الوجوه، توفي سنة ٨٦هـ. ينظر «الاستيعاب» ٣/ ٣٣٦، «التقريب» ص٤٥٣.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٥٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٩.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٥٣-١٢٥٤، وهو معنى كلام قبيصة المتقدم تخريجه.

(٧) الواو ساقطة من (ي).

(٨) هو سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي، أبو الطيب النيسابوري، شيخ الشافعية بخراسان ومفتيها، توفي سنة ٤٠٤. ينظر «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٠٧، «طبقات الشافعية الكبرى» ٤/ ٣٩٣.

لأنها بين صلاتين، لا تقصران[١] فهي الوسطى بينهما[٢].

وقال بعضهم: هي إحدى الصلوات الخمس ولا نعرفها[٣] بعينها[٤].
سئل الربيع بن خثيم[٥] عنها فقال للسائل[٦]: أرأيت إن علمتها أكنت[٧] محافظًا عليها ومضيعًا سائرهن؟ قال: لا، قال: فإنك إن حافظت عليها كلها فقد حافظت عليها[٨].

وبه يقول أبو بكر الوراق[٩].

وقال: لو[١٠] شاء الله ﷻ لعينها، ولكنه أراد تنبيه الخلق على أداء الصلوات[١١].

وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ قال أبو عبيد: أصلُ القنوت في

---

(١) في (ي) (لا تقصران وهي المغرب والفجر فهي).
(٢) ذكره الثعلبي ٢/ ١٢٥٧، وينظر كشف المغطى ص١٣٥، «فتح الباري» ٨/ ١٩٧.
(٣) في (م) (ولا يعرفها) في «تفسيره» .
(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٦٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٦٠.
(٥) هو: الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله التوزي أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، توفي سنة ٦١هـ، وقيل: ٦٣هـ. ينظر «تقريب التهذيب» ص٢٠٦ (١٨٨٨).
(٦) ساقطة من (ي) .
(٧) في (ي): (كنت).
(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٦.
(٩) هو محمد بن عمر الوراق الحكيم، أبو بكر البلخي، أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، وأسند الحديث، توفي سنة ٢٤٠. ينظر «حلية الأولياء» ١٠/ ٢٣٥، «صفة الصفوة» ٤/ ١٦٥.
(١٠) في (ي): (وقالوا).
(١١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٦٠، وأبو حيان في «تفسيره» ٢/ ٢٤١.

أشياء، فمنها: القيام، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة؛ لأنه إنما يدعو قائمًا، ومن أبين ذلك: حديث جابر، قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»[(١)] يريد: طول القيام. والقنوت أيضًا: الطاعة، ومنه قوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ أي: مطيعين.

والقانت: الذاكر لله المصلي، كما قال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩][(٢)]. قال أبو إسحاق: والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة؛ لأنه إن[(٣)] لم يكن قيام بالرِّجلين فهو قيام بالشيء بالنية[(٤)]. وعلى هذا صارت الآية دلالة للشافعي أن الوسطى صلاة الفجر[(٥)]؛ لأنه لا فرض يُدْعى فيه قائمًا إلا الفجر عنده[(٦)].

فأما المفسرون: فقال ابن عباس في رواية عكرمة[(٧)] والعوفي[(٨)]

---

(١) سبق تخريجه

(٢) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٣٧ بمعناه، ونقله في «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٥٤.

(٣) في (ش) (لأنه لم يكن).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٠-٣٢١، وينظر في القنوت: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٥٤، «المفردات» ص٤١٣، «اللسان» ٦/ ٣٧٤٧- ٣٧٤٨.

(٥) في (ش) (أن الوسطى الفجر)، وفي (ي) (أن الصلاة الوسطى: الفجر).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٢٢، وقد قال ابن القيم في «زاد المعاد» ١/ ٢٧٣: وكان هديه ﷺ القنوت في النوازل خاصة، وتركه عند عدمها، ولم يكن يخصه بالفجر، بل كان أكثر قنوته فيها؛ لأجل ما شرع فيها من التطويل، ولاتصالها بصلاة الليل.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٧٧.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٩، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٩، من طريق العوفي عن ابن عباس: مصلين.

والوالبي[١]: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ أي: مطيعين. وهو قول الشعبي[٢] وعطاء[٣] والحسن[٤] وقتادة[٥].

وقال الضحاك[٦] ومقاتل[٧] والكلبي[٨]: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين، فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل قنوت في القرآن فهو الطاعة**».[٩]

وقال ابن عباس، في رواية أبي رجاء[١٠]: داعين في صلاتكم[١١].

فأما ما روي عن زيد بن أرقم[١٢] أنه قال: كنا نتكلم على عهد رسول

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٨.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٦٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٩.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) انظر المصدرين السابقين.

(٦) انظر المصدرين السابقين.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠١.

(٨) انظر المصدر السابق.

(٩) رواه أحمد ٣/ ٧٥، وأبو يعلى ٣/ ٥٢٢، والطبري ٢/ ٥٦٩، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٣، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٧. قال ابن كثير في «تفسيره»: ولكن في هذا الإسناد ضعف لا يعتمد عليه ورفع هذا الحديث منكر، وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه، والله أعلم. وكثيراً ما يأتي بهذا الإسناد تفاسير فيها نكارة فلا يغتر بها فإن السند ضعيف.

(١٠) في (م): (رخا).

(١١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٧٠.

(١٢) زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي الأنصاري، أبو عمر، أول مشاهده الخندق، وقيل: المريسيع، وغزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وهو الذي أنزل الله تصديقه في=

الله ﷺ في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[١][٢]، وعلى هذا القنوت هاهنا: الإمساك عن الكلام في الصلاة[٣].

وقال بعض[٤] أهل المعاني: ليس القنوت في اللغة بمعنى السكوت، والمراد: أنه لما نزلت الآية فهم النبي ﷺ من أمر الله بالقنوت وهو الطاعة تحريم الكلام في الصلاة فنهى عن الكلام في الصلاة[٥].

٢٣٩- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ الآية، أراد خفتم عدوًّا فحذف المفعول لإحاطه العلم به.

والرِّجَالُ: جمع رَاجِل، مثل: تَاجِر وتِجَارُ، وصَاحِب وصِحَاب[٦].

والراجل: هو الكائن على رجله ماشيًا كان أو واقفًا. ويقال في جمع راجِل: رَجْل ورَجَّالة ورُجّالَه ورِجَال ورُجَّال[٧].

= سورة المنافقون، توفي سنة ٦٦ وقيل ٦٨. ينظر «الاستيعاب» ٢/ ١٠٩، «أسد الغابة» ٢/ ٢١٩.

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٠) كتاب: الجمعة، باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة، ومسلم (٥٣٩) كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، والترمذي بلفظه (٢٩٨٦) كتاب: تفسير القرآن، باب: ٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٧٠، ٢٣٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٤٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٨٩.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٧٨.

(٤) (بعض) ساقطة من (ي).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧٠- ٥٧١.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢١، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧٢- ٥٧٣، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨١.

(٧) ينظر في رجل: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٧١- ١٣٧٥، «المفردات» ص١٩٦، =

والرُّكبان: جمع راكِب، مثل: فارس وفرسان[(١)]. ومعنى الآية: فإن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين مُوَفِّين للصلاة حقَّها فصلُّوا مشاةً على أرجلكم، وركبانًا على ظهور دوابّكم، فإن ذلك[(٢)] يجزيكم[(٣)].

قال المفسرون: هذا في المُسَايَفَة والمطاردة، يكبر الرجل مستقبلَ القبلة إن أمكنه، وإن[(٤)] لم يمكنه يكبر غير مستقبل القبلة، ثم يقرأ ويومئ للركوع والسجود، ولا ينقص بسبب الخوف من عدد الركعات، ولكن إن كان مسافرًا يقصر الصلاةَ كما يقصر المسافر[(٥)].

وما روي عن ابن عباس أنه قال: فرض الله على لسان نبيكم الصلاةَ في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة[(٦)] فذاك مذهب لا يُعْمَل به[(٧)]. وهذه صلاة شدة الخوف، وهي التي يجوز للمصلي أن يصلي

= و«القاموس» ص١٠٠٣- ١٠٠٤، وزاد في جمعه: رُجالَى ورَجالَى، ورجْلى ورُجْلان بالضم، ورَجْلة، ورِجْلة وأرجِلَة، وأراجل وأراجيل.

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٦- ١٤٥٨، و«القاموس» ص٩١، ونقل الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٨٢ عن المفضل قال: لا يقال راكب إلا لصاحب الجمل، وأما صاحب الفرس فيقال له: فارس، ولراكب الحمار: حمَّار، ولراكب البغل: بغَّال.

(٢) في (ي) (ذلكم).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٠.

(٤) في (ي) ولم يمكنه.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٠.

(٦) أخرجه مسلم (٦٨٧) كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين.

(٧) قال النووي في «المجموع» ٤/ ٤٠٤: إن صلاة الخوف لا يتغير عدد ركعاتها، وهو مذهبنا ومذهب العلماء كافة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، إلا ابن عباس والحسن البصري والضحاك وإسحاق بن راهويه، وحكاه الشيخ أبو حامد عن جابر وطاوس، فإنهم قالوا: الواجب في الخوف عند شدة القتال ركعة واحدة. وقال=

من أجلها راكبًا وموميًا وحيث ما كان وجهه، وأما صلاة الخوف فبيانها في سورة النساء[(١)]، وقال[(٢)] ابن عمر في تفسير هذه الآية: ومستقبلي القبلة وغير مستقبلها.

والصلاة بالإيماء في شدة الخوف لا يختص[(٣)] بخوف المشركين، بل إذا خاف سبعًا، أو سيلًا، أو جملًا صائلًا، وما الأغلب[(٤)] من شأنه الهلاك، له أن يومئ بالصلاة إيماءً، ويعدو عدوًا، أو يركض ركضًا إذا خاف فوت الصلاة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ فصلوا الصلوات الخمس تامةً بحقوقها ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد: كما افترض عليكم في مواقيتها[(٦)].

٢٤٠- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ الآية. قال ابن عباس وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من أهل الطائف يقال[(٧)] له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة وله

= البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٩٠: ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٣. وصلاة الخوف ذكرت في سورة النساء [آية: ١٠٢].

(٢) في (أ) و(م) قال.

(٣) في (م): (لا تختص).

(٤) في (م): (وما إلا وغلب)، وفي (ي): (وأما الأغلب).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٣، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧٦، «البحر المحيط» ٢/ ٢٤٤.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٠.

(٧) في (م): فقال.

أولاد معه أبواه وامرأته، فمات، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله ﷻ هذه الآية، فأعطى رسول الله ﷺ والديه وأولادَه ميراثه، ولم يعطِ امرأته شيئًا، غير أنَّهُ أمرَهم أن يُنفقوا عليها من تركةِ زوجها حَوْلًا[١].

فكان الأمر في ابتداء الإسلام على هذا، إذا مات الرجل لم يكن لامرأته من الميراث شيء إلا السُّكْنى والنفقة سنة، ما لم تخرج من بيت زوجها، وكان المتوفى يوصي بذلك لها، فإن خرجت من بيت زوجها لم يكن لها نفقة، وكان الحول عزيمةً عليها في الصبر عن[٢] التزوُّجِ، ولكن كانت مخيرةً في أن تعتدَّ إنْ شاءت في بيتِ الزوجِ، وإن شاءت خَرَجَتْ قبلَ الحَوْلِ، على أنها إنْ خرجت سقطتْ نفقتُها.

هذا جملةُ حكم هذه الآية. ثم وَرَدَ النَّسْخُ على هذه الآية من وجهين:

أحدهما[٣]: أن العدة صارت مُقَدَّرةً بأربعة أشهرٍ وعشر، وقد تقدمت الآية الناسخة.

والوجه الثاني: أن الميراث ثبت[٤] لها، وسقطت نفقة العدة[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي ٢/ ١٢٨٨، وإليه وحده عزاه الحافظ في «الإصابة» ٢/ ٣٢، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٣١١ عن الضحاك عن ابن عباس، وعزاه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٦٠٠، والسيوطي في «اللباب» ص٥٢، وفي «الدر» ١/ ٥٥٠ إلى إسحاق بن راهويه في «تفسيره»، وأورد مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٠٢ نحوه، وروى أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص١٢٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٠، وغيرهم عن ابن عباس في الآية قال: كان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته ينفق عليها من ماله.. الحديث.

(٢) في (ي): (في).

(٣) ساقطة من (ي).

(٤) في (ي): يثبت.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٠، وينظر «صحيح البخاري» (٤٥٣٦) كتاب: التفسير،=

واختلف القراء في رفع الوصية ونصبها[(١)].

فمن رفع فله وجهان:

أحدهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والظرف خبره، وهو قوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، وحَسُنَ الابتداء بالنكرة؛ لأنَّه موضعُ تخصيصٍ[(٢)]، كما حسن أن يرتفع: سلام عليكم، وخير بين يديك.

والوجه الآخر: أن يُضمر[(٣)] له خبرًا، فيكون قوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾

= باب: والذين يتوفون منكم، «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٢٩، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٨٢، «ونواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٢٥٢، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٩/ ٤٩٣: قال ابن بطال: وأطبقوا على أن آية الحول منسوخة، وأن السكنى تبعا للعدة، فلما نسخ الحول في العدة بالأربعة أشهر وعشر نسخت السكنى أيضا، وقال ابن عبد البر: لم يختلف العلماء في أن العدة بالحول نسخت إلى أربعة أشهر وعشر. وذهب مجاهد كما رواه البخاري (٥٣٤٤) كتاب: الطلاق، باب: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾، وآخرون من أهل العلم أن الآية محكمة، قال الشيخ السعدي في «تفسيره»: ومن تأمل الآيتين اتضح له أن القول الآخر في الآية -وهو عدم النسخ- هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشرا على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولا كاملا جبرا لخاطرها وبرا بميتهم، ولهذا قال: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، أي: وصية من الله لأهل الميت أن يستوصوا بزوجته ويمتعوها ولا يخرجوها. اهـ. وذكر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣١٨ أن قول عطاء ومن تابعه على أن ذلك منسوخ بآية الميراث، إن أرادوا ما زاد على الأربعة والعشر فمسلّم، وإن أرادوا أن سكنى الأربعة أشهر وعشر لا تجب في تركة الميت فهذا محل خلاف بين الأئمة.

(١) قرأ بالرفع: ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر السبعة لابن مجاهد ص١٨٤.

(٢) في «الحجة» لأبي علي: تحضيض.

(٣) في (ش): (يضمر).

صفةً للنكرة التي هي الوصية، وتقدير الخبر المضمر: فعليهم وصية لأزواجهم[١].

قال أبو عبيد: ومع هذا رأينا[٢] المعنى كله في القرآن رفعًا، مثل قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ [النساء: ٩٢]﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ونحوهما[٣].

ومن نصب حمله على الفعل، أي: فليوصوا وصيةً، فتُنْصَب الوصيةُ على المصدر، ويكون قوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ وصفًا كما كان في قول من أضمر الخبر كذلك. ومن حجتهم: أن الظرف إذا تأخر عن[٤] النكرة كان استعماله صفةً أكثر، وإذا كان خبرًا تقدم على النكرة، كقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾ [المؤمنون: ٦٣] ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فإذا تأخرت فالأكثر[٥] فيها أن تكون صفات، وهاهنا تأخر الظرف، وهو قوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾، فالأحسن أن تكون صفة للنكرة لا خبرًا[٦].

فإن قيل: كيف يوصي المتوفّى، والله تعالى ذكر الوفاة ثم أمر بالوصية؟.

قلنا: المعنى: والذين يقاربون الوفاة ينبغي أن يفعلوا هذا، فالوفاة عبارة عن الإشراف عليها[٧].

---

(١) كذا نقله من «الحجة» ٢/ ٣٤١-٣٤٢.
(٢) عند الثعلبي: رأينا هذا.
(٣) نقله عنه الثعلبي ٢/ ١٢٨٧.
(٤) في (ش) و(ي): (على).
(٥) في (ي): فأكثر.
(٦) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٤٣.
(٧) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٤٣.

وجواب آخر: وهو أن هذه الوصية يجوز أن تكون مضافة إلى الله، بمعنى أمره وتكليفه، كأنه قيل: وصية من الله لأزواجهم، كقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١] وهذا المعنى إنما يحسن على قراءة من قرأ بالرفع[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾ انتصب على معنى: متعوهن متاعًا، فيكون كقوله: ﴿وَصِيَّةً﴾ عند من قرأها بالنصب، ويجوز أن يكون على تأويل: جعل الله لهن ذلك متاعًا؛ لأن ما قبله من الكلام قد دل على هذا.

وقيل: إنه عبارة عن الحال، وقيل: نصب بالمصدر الذي هو الوصية، كقوله[(٢)]: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا﴾ [البلد: ١٤-١٥][(٣)].

وعنى بالمتاع: نفقة سنتها لطعامها[(٤)(٥)].

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ﴾ نصب على أنه[(٦)] صفةٌ لمتاع، وقيل: نصب بوقوعه موقع الحال، كأنه قال: مَتِّعوهن مقيمات غير مخرجات. وقيل: انتصب بنزع[(٧)] الخافض، أراد: من غير إخراج[(٨)].

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٤٥.

(٢) ليست في (ي).

(٣) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٢، «التبيان» ص١٤٣.

(٤) في (ش): إطعامها.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٨، وزاد: وكسوتها وسكناها وما تحتاج إليه.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) في (ي): انتزع بنصب.

(٨) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٨٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٢، «التبيان» ص١٤٣.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ يعني: من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يعني: التشوف[1] للنكاح والتصنع للأزواج[2].

قال عطاء: يريد التزوج بعد العِدة، يعني: إذا مضت لها ثلاثة قروء كان لها أن تتزوج، وهذا منسوخ كما بينا[3]. وفي[4] رفع الجناح عن الرجال بخروج النساء وجهان:

أحدهما: لا جناح في قَطْعِ النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والثاني: لا جُناحَ عليكم في ترك منعهن من الخروج؛ لأن مُقامَها حولًا في بيت زوجها غيرُ واجب عليها[5].

٢٤١- قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن زيد: إنما نزلت هذه الآية؛ لأن الله سبحانه لما أنزل قوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] قال رجل من المسلمين: إن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذاك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾[6] يعني: المتقين الشرك، فبين أن لكل مطلقة متاعًا[7].

---

(١) في (ش): (الشوق)، وفي (م): (التشوق).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩١، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩١.

(٣) ينظر كلامه عند تفسيره لآية ١٠٦ في: بيان الصحيح في النسخ.

(٤) في (ي): (في).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩١، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩١.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٤- ٥٨٥، وذكره في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٢.

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٢.

والناس طوائف مختلفة في هذا.

فطائفة تقول: لكل مطلقة متعة كائنة من كانت، وعلى أي وجه وقع الطلاق، وهو قول الحسن[(١)] وسعيد بن جبير[(٢)] وأبي العالية[(٣)].

وطائفة تقول: المتعة واجبة لكل مطلقة إلا المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول، إنما لها نصف المسمى فقط[(٤)].

وقال بعضهم: ليس شيء من ذلك بواجب، وإنما المتعة إحسان، والأمر بها أمر[(٥)] ندب واستحباب، وهو مذهب أبي حنيفة[(٦)].

روي أن امرأة خاصمت إلى شريح في المتعة فقال شريح للزوج: (لا تأب أن تكون من المحسنين[(٧)]) ولا تأب أن تكون من المتقين، ولم يجبره على ذلك[(٨)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٧٠، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٧٢، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٥٤، والطبري ٢/ ٥٣٢، ابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٤.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره» ٢/ ٢٩، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٥٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٣٢، وابن أبي حاتم ٢/ ٤٥٤.

(٤) وهذا قول ابن عمر ونافع وعطاء ومجاهد ومذهب الشافعي. ينظر «الموطأ» ٢/ ٥٧٣، وعبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٦٨، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ١٥٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٣٢، والأم ٥/ ٦٣، و«أحكام القرآن» للشافعي ص٢١٦، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨٤-١١٨٥.

(٥) ليست في (ش).

(٦) ينظر: «مختصر الطحاوي» ص١٩٤، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٢٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٨٦.

(٧) سقطت من (ش).

(٨) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٧/ ٧١، وسعيد بن منصور ٢/ ٢٨، ووكيع في «أخبار القضاة» ٢/ ٣٢٧، والطبري ٢/ ٥٣٤، ابن أبي حاتم ٢/ ٤٤٣.

قال المفسرون: إنما أعيد هاهنا ذكر المتعة؛ لأنه ذُكر في غير هذه الآية خاصًّا وذكرها هاهنا عامًّا[١].

٢٤٢- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: مثل البيان الذي تقدم فيما ذكر من الأحكام يبين آياته، فشبه البيان الذي يأتي بالبيان الذي مضى[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال عطاء: يريد: يفسر لكم فرائضه لتعملوا[٣] بها حتى تفقهوا. قال أبو إسحاق: حقيقة هذا أن العاقل ها هنا الذي يعمل بما افترض الله عليه، لأنه إن فهم الفرض[٤] ولم يعمل به فهو جاهل ليس بعاقل. وحقيقة العقل: استعمالُ الأشياء المستقيمة، ألا ترى أن الله تعالى وصَفَ بالجهلِ أقوامًا آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق، وإن كانوا ذوي عقل، من حيث يلزمهم التكليف، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] فلو كان هؤلاء جهالًا غير مميزين لسقط عنهم التكليف[٥][٦].

وقال غيره: معنى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: ثبت لكم صفةُ العقلاء، باستعمالِ ما بَيَّنَّا لكم، وهذا قريب مما ذكر.

---

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٥٨٣- ٥٨٤، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٢، و«تفسير البغوي» ١/ ٢٩١.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٢.

(٣) في (ش): لتعلموا.

(٤) في (م) لعلها (الغرض).

(٥) ساقط من (أ) و(م) .

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٢.

٢٤٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ الآية، الرؤية تكون بمعنى رؤية العيان، وتكون بمعنى رؤية القلب، وذلك راجع إلى العلم، والمعنى هاهنا: ألم تعلم، ألم ينته علمك إلى خبر هؤلاء[١]. وإنما جاز إطلاق لفظ الرؤية على غير المعاينة؛ لأن النبي ﷺ صار يصدق إخبار الله تعالى إياه كالناظر عيانًا.

قال أهل المعاني: وفي هذا تعجيب[٢] وتعظيم، كما تقول: ألم تر إلى ما يصنع فلان. وكل ما في القرآن من نحو هذا فهذا سبيله[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ قال المفسرون: أراد به قومًا من بني إسرائيل، كانوا أهل قرية يقال لها: داوَرْدَان[٤]، وقع بها الطاعون فخرجوا هاربين منها[٥]، حتى نزلوا واديًا فأماتهم الله جميعًا[٦].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٢، وينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٣.
(٢) في (ش) و(ي): (هذا تبين تعجيب).
(٣) «تفسير غريب القرآن» ص٨٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٠٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٤.
(٤) قرية في نواحي شرقي واسط، بينهما فرسخ. ينظر: «معجم البلدان» ٢/ ٤٣٤، والمذكور في «تفسير مقاتل» (دامرودان).
(٥) في (ش) و(ي): (منه).
(٦) وهذا قول ابن عباس والسدي وأبي مالك وابن زيد والحسن وعمرو بن دينار. ينظر «تفسير الطبري» ٢/ ٥٨٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٥٨، «الدر المنثور» للسيوطي ١/ ٥٥١، و«بذل الماعون في فضل الطاعون» ص٢٣٦، قال الحافظ ابن حجر في «بذل الماعون» ص٢٣٥: والطرق الماضية من أن فرارهم كان بسبب الطاعون أقوى مخرجًا وأحسن طرقًا.

وقال الضحاك[١] ومقاتل[٢] والكلبي[٣]: إنما فروا من الجهاد، وذلك أن نبيًّا لهم يقال له: حزقيل ندبهم إلى الجهاد، فكرهوا وجبنوا، فأرسل الله عليهم الموت، فلما كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فلما رأى حِزْقِيل ذلك قال: اللهم ربّ يعقوب، وإله موسى، ترى معصية عبادك، فأرِهِم آيةً في أنفسهم تدلُّهم على نفاذ قدرتك، وأنهم لا يخرجون عن قبضتك، فأرسل الله عليهم الموت.

واختلفوا في مبلغ[٤] عددهم، فلم يقولوا دون ثلاثة آلاف، ولا فوق سبعين ألفًا[٥].

والوجه من حيث اللفظ أن يكون عددهم يزيد على عشرة آلاف؛ لقوله: ألوف وهو جمع الكثير[٦]، ولا يقال في عشرة فما دونها: ألوف[٧].

وقوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ ينتصب على أنه مفعول له، أي: لحذر

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٥٦، وذكره الحافظ في بذل الماعون ص٢٣٥، وعزاه إلى سنيد في «تفسيره»، وإلى الطبري في تفسيره، وليس عند الطبري، وذكره النحاس في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٨.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٨.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٥٦-٤٥٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٢٩٩.

(٦) في (ي): (الكثير).

(٧) هذا ترجيح الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٠١، وتنظر الأقوال: عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٥٥، والسيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٥٥١، والحافظ في «بذل الماعون» ص٢٣٢.

الموت. وجائز أن يكون نصبه على المصدر؛ لأن خروجهم يدل على حذر[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ يجوز أن يكون الله تعالى أماتهم عند قوله لهم[(٢)]: موتوا، ويكون ذلك أمر تحويل[(٣)]، كقوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥] ويجوز أن يكون هذا أمرًا والمراد منه[(٤)] الخبر. وقد ذكرنا وجوه الأمر عند قوله: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً﴾ [البقرة: ٦٥][(٥)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن نبيهم حزقيل خرج في[(٦)] طلبهم فوجدهم بعد ثمانية أيام موتى، وقد نتنوا، فتضرع إلى الله و بكى، وقال: يا رب كنت في قوم يحمدونك ويمجدونك فبقيت وحيدًا لا قوم لي، فأوحى الله إليه رحمة منه له: إني قد جعلت حياتهم إليك، فقال حزقيل: احيوا، فقاموا كأنهم نيام انتبهوا من نومهم، فذلك السبط الذين أُحيوا في الدنيا تشم منهم رائحة منتنة تخالف روائح الناس[(٧)].

وقال قتادة: مقتهم الله على فرارهم من الموت، فأماتهم عقوبة لهم، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليتوفوها، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم[(٨)].

---

(١) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٤، «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٠.

(٢) في (ي) (قوله موتوا).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٠٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٩٤.

(٤) في (ي) و(ش) (فيه).

(٥) ينظر: «تفسير البسيط للواحدي» الدكتور/ محمد الفوزان ص١٠١٩.

(٦) ساقطة من (ش).

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٠٥، والثعلبي في «عرائس المجالس» ص٢٥٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٩٣.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ تفضل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم وأراهم الآية العظيمة في أنفسهم ليلزموا سُبُل الهدى[١].

٢٤٤- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يذهب كثير من أهل التفسير إلى أن هذا خطاب للذين أحيوا[٢].

قال الضحاك: أحياهم ثم أمرهم بأن يعاودوا[٣] إلى الجهاد[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: يحرض المؤمنين على القتال[٥].

فهذا يدلُّ على أنَّ الخطاب لأمة محمد ﷺ وهذا أظهر[٦]، لأن الكلام على وجهه لا محذوف فيه، وعلى الأول يحتاج إلى إضمار، أي: وقيل لهم: قاتلوا[٧].

قال الزجاج: يقول لا تهربوا من الموت، كما هرب هؤلاء الذين

---

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩١.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩١- ٥٩٢، «تفسير أبي المظفر السمعاني» ١/ ٣٦٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٠٩، «تفسير البغوي» ١/ ١٩٤.

(٣) في (ي) و(ش) (يعادوا).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٥٩، وتنظر روايات أخرى عن ابن عباس وغيره، فيها الأمر بالجهاد، عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨٦، ٥٨٧، ورد الطبري هذا الوجه من التفسير في «تفسيره» ٢/ ٥٩١- ٥٩٢ قائلًا: ولا وجه لقول من زعم أن قوله: (وقاتلوا في سبيل الله)، أمر من الله للذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف بالقتال بعدما أحياهم، ثم ذكر تفصيلًا مطولًا في المسألة.

(٥) ينظر: «التفسير الكبير» ٦/ ١٦٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٤. وتقدم الحديث عن هذه الرواية في قسم الدراسة ص٩٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٣.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩١، «بحر العلوم» ١/ ٢١٦، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٥٤، وذكر أنه قول الجمهور.

سمعتم خبرهم فلا ينفعكم الهرب[١]. وقيل: إنه حث على الشكر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ كأنه قال: واشكروا وقاتلوا في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ أي: سميع لما يقوله المُتَعَلل[٢] ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمره، فإياكم والتعلل بالباطل، وقيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لقولكم إن قلتم، كقول الذين تقدم ذكرهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بضمائركم[٣].

٢٤٥- قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ الآية.

القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء، يقال: أقرض فلان فلانًا، إذا أعطاه[٤] ما يتجازاه منه، والاسم منه: القرض، وهو ما أعطيتَه لتكافأ عليه، هذا إجماع من أهل اللغة[٥].

قال الكسائي: القرض: ما أسلفت من عمل صالح[٦] أو سيئ[٧].

وقال الأخفش: تقول العرب: لك عندي قَرْضُ صِدْق، وقرض سوء[٨]، لأمر يأتي فيه مسرته أو مساءته[٩].

وقال الزجاج: القرض: البلاء الحسن، والبلاء السيئ[١٠].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٣.

(٢) في (ي)، (م): (المعلل).

(٣) «زاد المسير» ١/ ٢٨٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٤.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣١٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٥٨٨- ٣٥٨٩ مادة «قرض».

(٦) ساقط من (م).

(٧) نقله عنه في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣١٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٥٨٩.

(٨) في (م): (سبق).

(٩) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٧٩.

(١٠) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٤.

وأنشد بيت أمية:

كلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى قرضَه حَسَنًا

أو سَيِّئًا ومَدِينًا كالذي دانا[(١)]

وقال ابن كيسان: القَرْضُ أن تعطيَ[(٢)] شيئًا ليرجع إليك مثله، ولتُقْضَى شبهه[(٣)].

يقال: تقارضا الثناءَ: إذا أثني كلُّ واحد منهما على صاحبه. ويقال: قارضه الودَّ[(٤)] والثناء.

وأصله في اللغة: القطع، ومنه المقراض[(٥)] ومعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازى عليها. وانقرض القوم: إذا هلكوا، لانقطاع أثرهم[(٦)].

شبه الله ﷻ عمل المؤمنين لله ﷻ على ما يرجون من ثوابه بالقرض؛ لأنهم إنما يعطون ما ينفقون ابتغاء ما وعدهم الله ﷻ من جزيل الثواب[(٧)].

والقرض في هذه الآية اسم لا مصدر، ولو كان مصدرًا لكان إقراضًا[(٨)].

قال أهل المعاني: هذا تلطف من الله في الاستدعاء إلى أعمال البر؛

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٦٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣١١ «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٣١ ويروى: ومديناً مثل مادانا.

(٢) في (ي): (تقضي).

(٣) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣١٢.

(٤) في (ش): (للود)، وفي (ي): (بالود).

(٥) في (م): (القراض).

(٦) ينظر في قرض: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٣١- ٢٩٣٣، «المفردات» ص٤٠٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٥٩٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٤، «تفسير القرطبي» ٣/ ٢٣٩.

(٧) «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣١٢.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٥.

لذلك أضاف الإقراض إلى نفسه، وهذا كما جاء في الحديث: **إن الله تعالى يقول لعبده: استطعمتك**[١] **فلم تطعمني**[٢]. كأنه قيل: مَنِ الذي يعمل عمل المقرض بأن يقدم فيأخذ أضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته. وتأويله: من الذي يقدم لنفسه إلى الله تعالى ما يجد ثوابه عنده[٣]. قال ابن زيد: هذا القرض[٤] الذي دعا الله إليه هو في الجهاد. وقال الحسن: هو في أبواب البر كله.

وقوله تعالى: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال عطاء: يعنى حلالًا.

الواقدي: طيبة به نفسه[٥]. ونذكر أوصاف القرض الحسن في سورة الحديد إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، والرفع والنصب[٦]. أما التشديد والتخفيف فهما لغتان. والرفع: بالنسق على ما في الصلة، أو الاستئناف، وهو الاختيار؛ لأن الاستفهام في هذه الآية عن فاعل الإقراض، ليس عن الإقراض، وإذا كان كذلك لم يحسن النصب؛ لأنه في هذه الآية[٧] ليس مثل قولك: أتقرضني

---

(١) في (م) و(ش): (استطعمك).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) كتاب: البر والصلة، باب: فضل عيادة المريض.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣١٣، «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٢.

(٤) في (ي): (هذا هو القرض).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣١٩، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٤، والواقدي هو علي بن الحسين.

(٦) قرأ ابن كثير (فيضعِّفُه) بالرفع والتشديد، وقرأ ابن عامر (فيضعِّفَه) بالنصب والتشديد، وقرأ عاصم(فيضاعفَه) بالنصب والتخفيف، وقرأ الباقون (فيضاعفُه). ينظر السبعة لابن مجاهد ص١٨٤-١٨٥.

(٧) زيادة من (ي).

فأشكرك؛ لأن الاستفهام هاهنا عن الإقراض.

فأما وجه النصب: فهو أن يحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ؛ لأن المعنى: أيكون قرض فيضاعفه، كقراءة من قرأ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ﴾[1][2] [الأعراف:١٨٦] جزم قوله: ﴿وَيَذَرْهُمْ﴾ لأن معنى قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ لا يهده[3]. ونحو هذا كثير مما حُمِل الكلام فيه على المعنى دون اللفظ، قال الحسن والسدي: هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله تعالى، و(هو)[4] مثل قوله: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] ومعنى التضعيف والإضعاف والمضاعفة واحد، وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر[5].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يعني: يمسك الرزق عمن يشاء، ويضيق عليه، ويوسع على من يشاء، في قول عطاء عن ابن عباس والحسن وابن زيد والأكثرين[6].

وحكى الزجاج: يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلًا وآجلًا[7].

---

(١) ساقطة من (أ) و(ش).

(٢) في (ش): (ونذرهم).

(٣) في (ش): (يهده).

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) نقله عن «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٦) ذكره عنهم أيضًا: ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٩١.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٥، وينظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٢٤٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٢٣.

وحكى أبو الهيثم السجزى، عن بعضهم قال: إن الله تعالى لما أمرهم بالصدقة أخبر أنه لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، فقال:[(١)] ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يعني يقبض بعض القلوب فيزويه كيلا ينشط[(٢)] لخير، ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرًا[(٣)].

٢٤٦- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية. الملأ: الأشراف من الناس، وهو اسمٌ للجماعة، كالقومِ والرَّهْطِ والجيش، وجمعه: أملاء، قال الشاعر:

وقال لها الأَمْلاَء من كلِّ مَعْشَر ... وخَيْرُ أَقَاوِيلِ الرِّجَالِ سَدِيدُها[(٤)]

وأصله من الملأ، فالملأ: هم الذين يملؤون العيون هيبة ورُواءً[(٥)]، وقيل: هم الذين يملؤون المكان إذا حضروا[(٦)].

وقال أبو إسحاق: الملأ: الرؤساء سموا بذلك لأنهم مِلآءٌ ومُلآءٌ[(٧)] بما يحتاج إليه[(٨)] من قولهم: مَلُؤَ الرجل يَمْلُؤُ ملاءَةً فهو مليء[(٩)].

---

(١) ساقطه من (ي).

(٢) في (ي) ينبسط وفي (ش) فيزويه ينشط.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٢٣، «عجائب التأويل للكرماني» ١/ ٢٢١، «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٣.

(٤) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في «أساس البلاغة» ٢/ ٣٩٧ مادة: ملأ.

(٥) في (ش) ورؤًا.

(٦) ينظر في الملأ: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٧- ٣٤٣٨، «المفردات» ص٤٧٤-٤٧٥، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٥٢- ٤٢٥٣.

(٧) في (ش) (مُلآة)، وقد كتبت الأولى والثانية في النسخ مِلآء ومُلآء.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٥-٣٢٦، ولفظه: لأنهم مُلء بما يحتاج إليه منهم، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٨: س ملاء بما يحتاج إليه منهم.

(٩) ساقط من (ش).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا﴾ قال قتادة: هو يوشع[(١)].

وقال السدي: هو شمعون[(٢)].

وقال سائر المفسرين: هو أشمويل[(٣)].

وكان سبب قولهم ذلك لنبيهم، فيما قال الكلبي[(٤)] ووهب[(٥)]: أن الأحداث كثرت في بني إسرائيل، وعظمت فيهم الخطايا، وغلب عليهم عدُوُلهم[(٦)] فَسَبوا كثيرًا من ذراريهم، فسألوا نبيهم ملكًا تنتظمُ به كلمتهم، ويجتمع أمرهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم، فقال لهم ذلك النبي: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ وهذا استفهام شك، يقول: لعلكم أن تَجْبُنُوا عن القتال[(٧)].

وقرأ نافع وحده (عسِيتم) بكسر السين، واللغة المشهورة فتحها[(٨)].

ووجه قراءة نافع: ما حكاه ابن الأعرابي: أنهم يقولون: هو عسٍ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٧، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٩٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٦٣، واستبعده ابن كثير ١/ ٣٢٢ قال: لا هذا كان بعد موسى بدهر طويل، وكان ذلك في زمان داود ﷺ كما هو مصرح به في القصة. وينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٥٢.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٩٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٦٣.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٣٤، وكذا يروى عن ابن إسحاق ووهب بن منبه فيما أخرج الطبري ٢/ ٥٩٥.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٣٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٩٦.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٩٦- ٥٩٧، وذكر الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٣٥.

(٦) في (ي): عدوهم.

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٣٩.

(٨) ينظر: «السبعة» ص١٨٦، «والنشر» ١/ ٢٣٠.

بكذا، وما أعساهُ، وأَعْسِ به، فقولهم: عسٍ، يقوي عسِيتم بكسر السين، ألا ترى أن عسٍ، مثل[1]: حرٍ وشجٍ، فإن قالوا: يلزمه أن يقرأ: ﴿عَسِىٰ رَبُّكُمْ﴾ [الإسراء: ٨] قيل: القياس هذا، وله أن يأخذ باللغتين فيستعمل إحداهما في موضع، والأخرى في موضع[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اختلف النحويون في وجه دخول (أن) هاهنا، والقائل يقول: ما لَكَ تفعل كذا كقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] و﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٨].

فقال الأخفش: (أن) هاهنا زائدة. المعنى: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله[3].

وقال الفرَّاءُ: ذهب إلى المعنى؛ لأن قول: مَا لَكَ لا تصلي، معناه:

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٥٠.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٠، وتمام كلامه: (أن) هاهنا زائدة، كما زيدت بعد(فلما) و(ولما) و(ولو) فهي تزاد في هذا المعنى كثيرا، ومعناه: ما لنا لا نقاتل، فأعمل(أن) وهي زائدة كما قال: ما أتاني من أحد، فأعمل(من) وهي زائدة. انتهى كلامه. وفي «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٦ رد مذهب الأخفش، ومذهب من قال: إن المعنى(ما لنا وأن نقاتل) فحذف الواو كما حكاه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٠٠، فقال أبو حيان: وهذا ومذهب أبي الحسن ليس بشيء؛ لأن الزيادة والحذف على خلاف الأصل، ولا نذهب إليهما إلا لضرورة، ولا ضرورة تدعو هنا إلى ذلك مع صحة المعنى في عدم الزيادة والحذف. وقال الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٠٠: وأنكر ما قال هذا القائل من قوله الذي حكينا عنه آخرون، غير جائز أن تجعل (أن) زائدة في الكلام وهو صحيح في المعنى وبالكلام إليه الحاجة، قالوا: والمعنى: ما يمنعنا ألا نقاتل، فلا وجه لدعوى مدّع أن (أن) زائدة معنى مفهوم صحيح.

ما يمنعك أن تصلي، فلما ذهب إلى معنى المنع أدخل أن[١]، الدليل على ذلك: قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وعلى هذا المعنى قال: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢][٢].

وقال الكسائيُّ: المعنى: وما لنا في أن لا نقاتل، فأسقط (في)[٣]. وارتضى الزجاج هذا القولَ وصحَّحه.

وقال: المعنى: أي شيء لنا في أن لا نقاتل. أي: أيُّ غرضٍ[٤] لنا في ترك القتال وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، ولكن (في) سقطت مع (أن)، وكثيرًا ما يحذف حرف الجر مع أن، وقد مضت لهذا نظائر[٥].

ورجح أبو علي الفارسي قول الكسائي على قول الفراء، فقال: إذا اتجه للكلام وجه صحيح وكان مستمرًّا على الأصول، فلا معنى للعدول عنه إلى غيره، وكما جاز وقوع الفعل موقع الحال في قولك: ما لك تفعل كذا، والمعنى: ما لك فاعلًا، كذلك يجوز وقوع حرف الجر موقعها، كما ذكر الكسائي، ويسد مَسَدَّها، ألا ترى أنك تقول: خرجت في الثياب، كما تقول: خرجت لابسًا، فالظرف هاهنا يقع موقع الحال، فكذلك في الآية، فإذا كان ما ذكرناه من تقدير حرف الجر متجها[٦] متخرجًا[٧] على معنى

---

(١) في (ش): (أنَّ).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٦٣-١٦٤.

(٣) نقله عنه الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٦٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٤١.

(٤) في (ي): (أي: أي شيء) وفي (ش): (أي أي لنا).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٧.

(٦) من قوله: (موقعها..) ساقط من (ش).

(٧) في (ش): (متحركًا).

مستقيم ولفظ مستعمل، لم يكن بنا حاجة إلى أن نقدر أنَّ معنى ما لنا: ما يمنعنا، وكأنه قال: ما يمنعنا أن نقاتل أي: ما يمنعنا من أن نقاتل[(١)]، على أنا لا ندفع الحمل على المعنى في كثير من المواضع، ولكن لا يستحسن[(٢)] ترك الظاهر والعدول عنه إلى غيره ما وجد للتأويل على الظاهر مساغ، وإذا حمل الكلام على ما ذكره الفَرَّاء ففي الكلام تقدير حرف جرٍ، كما أن في حمله على الظاهر تقديرُ حرفِ جرٍّ[(٣)]، وإذا استوتِ الحالتانِ فلزومُ الظاهرِ أعْجَبُ إلينا[(٤)].

وعلى الأقوال كلها (أن لا نقاتل[(٥)]) في محل النصب، لوقوعه موقع الحال، كقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] وقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩] كأنه[(٦)] قيل: ما لنا غير مقاتلين. وكما جاز وقوع الفعل الموجب موقع الحال في هذا النحو مثل: ما لك تفعل كذا، جاز أيضًا وقوع المنفي موقعه نحو: ما لك لا تفعل، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ [يوسف: ١١] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [الصافات: ٩٢][(٧)] وأنشد أبو زيد:

---

(١) من قوله: (أي ما..) ساقط من (ي).

(٢) في «الإغفال»: (لا نستحسن).

(٣) من قوله: (كما أن..) ساقط من (ي).

(٤) من «الإغفال» ص ٥٣٧-٥٤٠ بتصرف واختصار.

(٥) في (ي) (لا تقاتلوا).

(٦) في (ش): (له).

(٧) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٠، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٤، «التبيان» ١٤٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٦.

مـا لَـكَ لا تَـذْكُـرُ أُمَّ عَـمْـرِو إلّا لـعَـيْـنَـيْـكَ غُـرُوبٌ تَـجْـرِي(١)

وذهب المبرد في هذه الآية إلى غير ما ذهب إليه هؤلاء، وهو أنه قال: ما في هذه الآية جحدٌ لا استفهام، كأنه قيل: ما لنا ترك القتال، وعلى هذا سهل الأمر في دخول أن(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا﴾ ظاهرُ الكلام العموم وباطنه الخصوص؛ لأن الذين قالوا هذا لم يُخْرَجُوا من دِيَارِهم، ولكن إذا أُخْرِجَ بعضُهم جاز لكلهم أن يقولوا هذا، كما يقال: قتلناكم يوم ذي قار، وكما قال موسى بن جابر الحنفي(٣):

ذهبتُم فلُذْتمُ بالأميرِ وقُلْتُم تَرَكْنا أحَادِيثًا ولَحْمًا مُوضّعَا(٤)

والذين قالوا هذا لم يكونوا بهذه الصفة، وعنوا بالإخراج من الديار: السبيَ والقهر(٥) على نواحيهم(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَبْنَآئِنَا﴾ أرادوا: أُفْرِدنا من أبنائنا بالتفريق بيننا

---

(١) في «النوادر» ص٦٠، وينظر «الإغفال» ص٥٣٩، و«المخصص» ١/ ١٢٧، و«اللسان» ٦/ ٣٢٢٨، و«التاج» ٢/ ٢٧٥، قال أبو زيد: الغروب: الدموع حين تخرج، وغربا العين: مقدمها ومؤخرها.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٥٦.

(٣) هو: موسى بن جابر بن أرقم بن مسلمة أو سلمة بن عبيد الحنفي، شاعر مكثر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، من أهل اليمامة، كان نصرانيًّا يقال له: أزيرق اليمامة، ويعرف بابن الفريعة. ينظر: «النجوم الزاهرة» ٢/ ٢٣١، «الأعلام» ٧/ ٣٢٠.

(٤) البيت ذكر في «ديوان الحماسة» ١/ ١٤٠.

(٥) في (ي): (القهر والسبي).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٢، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٧.

بالسبي والقتل. ومعنى الآية: أنهم أجابوا نبيَّهم بأن قالوا: إنما كنا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا[(١)] يظهر علينا عدو، فأما[(٢)] إذْ[(٣)] بَلَغ ذلك منا فلابُدَّ من الجهاد، فنطيع ربَّنا في الغزو ونمنع نساءنا وأولادنا[(٤)].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر، ويأتي[(٥)] ذكرهم بعد هذا[(٦)].

قال عطاء: وفي هذا تحريض للمهاجرين والأنصار، ووعيدٌ لمن تَخَلَّفَ عن النبي ﷺ في القتال[(٧)]، فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريد: المشركين والمنافقين[(٨)].

٢٤٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ أي: قد أجابكم إلى ما سألتم، من بَعْثِ الملكِ يُقَاتِل وتُقَاتلون معه، وكان طالوتُ رجلًا دبَّاغًا، يعمل الأدم، وكان من أدنى بيوت بني إسرائيل، وكان من سبط بنيامن، ولم يكن من سبط النبوة، ولا من سبط المملكة، ولذلك أنكروا مُلكه[(٩)]، و﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

---

(١) في (ي): (مالا).

(٢) في (م): (فلما).

(٣) في (ي) و(ش): (إذا).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٢-١٣٤٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٧.

(٥) في (ي) (وسيأتي).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٧.

(٧) لعله من الرواية التي تقدم ذكرها في قسم الدراسة.

(٨) في (ي): (بالمشركين والمنافقين).

(٩) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٠٢- ٦٠٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٦٥، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٩٧.

﴿بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنا من سبط الملوك ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملوك ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختصه بالملك ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[١].

قال ابن عباس: كان طالوتُ يومئذ أعلمَ رجلٍ في بنى إسرائيل وأجمله وأتمه[٢].

والبسطة: الزيادة في كل شيء، ويسمى طول القامة: بَسْطَةً. والزيادة في المال والعلم وفي كل شيء: بسطة[٣].

وقال الكلبي: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ بالحرب[٤] ﴿وَالْجِسْمِ﴾ يعني: بالطول.

وكان يفوقُ الناسَ برأسه ومنكبه[٥]، وإنما سمي طالوت لطوله[٦].

قال الزجاج: أعلمَ اللهُ ﷻ أن الذي يجب أن يقع به الاختيارُ العلمُ، ليس أن الله ﷻ لا يُملِّكُ إلا ذا مالٍ، وأعلمَهم أنَّ الزيادة في الجسم مما يهيب به العدو ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾[٧] يريد: أن الملك ليس

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٦٠١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٧.

(٢) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٦٦.

(٣) ينظر في بسطة: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٤، «المفردات» ص٥٦-٥٧، «اللسان» ١/ ٢٨٣.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٨، وقال القرطبي: وهذا تخصيص للعموم بغير دليل.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٦٦ عن ابن عباس، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٨.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٨.

(٧) كذا في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٢٨-٣٢٩.

بالوراثة، إنما هو بإيتاء الله واختياره[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قيل في الواسع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه واسع الفضل والرزق والرحمة، وسعت رحمته كل شيء، وهذا كما يقال: فلان كبير وعظيم[٢]، يراد: أنه كبيرُ القدر، كذلك هو واسع بمعنى: أنه واسع الفضل، وهذا القول اختيار الأزهري[٣][٤].

والثاني: أنه واسع بمعنى: مُوَسِّع، أي: يوسع على من يشاء (من عباده)[٥] من نعمه، وهذا قول الزجاج[٦]، لأنه قال في قوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ معناه: يوسع على من يشاء، ويعلم أين ينبغي أن تكون السعة.

الثالث: أنه واسع بمعنى ذو سعة[٧]، ويجيء فاعل[٨] كثيرًا ومعناه ذو كذا، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] أي ذات رضى، وهمّ ناصب: ذو نصب، فلما قال لهم النبي ذلك، قالوا له: لا نصدقك أن الله بعثه علينا، ولكنك تريد أن تحمله علينا مضارَّة لنا إذ سألناك ملكًا، فأراهم النبي على صحة مُلْك طالوت وتمليك الله إياه آيةً[٩] وهي قوله:

٢٤٨- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٤٩.

(٢) في (ي): (كبير عظيم).

(٣) في (ي): (الزهري).

(٤) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٩ (مادة: وسع).

(٥) زيادة من (م).

(٦) في: «معاني القرآن» ١/ ٣٢٩.

(٧) «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٨.

(٨) في (ش): (وعلى فاعل).

(٩) «زاد المسير» ١/ ٢٩٤.

قال أصحاب الأخبار: إن الله تعالى أنزل على آدم تابوتًا فيه صور الأنبياء من أولاده، فتوارثه أولاد آدم إلى أن وصل إلى يعقوب، فكان في بنى إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكَلَّم وحكم بينهم، وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم، وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو، فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصرة، فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العَمَالقة، فغلبوهم على التابوت، وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت دعا النبي ربه، فنزل بالقوم الذين غلبوا (بنى إسرائيل على التابوت)[١] داء بسببه، وذلك أنهم كانوا قد أخذوا التابوت فجعلوه في موضع غائطهم وبولهم، وكل من بال عنده أو تغوط ابتلاه الله بالبواسير، حتى تنبهوا أن ذلك لاستخفافهم بالتابوت، فأخرجوه ووضعوه[٢] على ثورين، فأقبل الثوران يسيران، ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما[٣]، حتى أتوا به منزل طالوت، فلما رأوا التابوتَ عند طالوت، علموا أن ذلك إمارة ملكه عليهم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الآية[٤].

والإتيان على هذا مجاز لأنه أُتِيَ به ولم يأت هو، فنسبَ الإتيان إليه توسعًا، كما يقال: ربحت الدراهم، وخسرت التجارة، وعزم الأمر.

وقال آخرون: إن التابوت لم تحمله الملائكة ولا الثوران، بل كان

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ي) (فوضعوه) وفي (م) (فضعوه)

(٣) في (ي) (يسوقونها).

(٤) تنظر القصة بطولها في: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٠٧- ٦٠٨، «تاريخ الأمم والملوك» ١/ ٤٦٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٥٨-١٣٦٢، «تفسير البغوي» ١/ ٢٩٨-٢٩٩، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦١.

يسير بقدرة الله ﷻ، بلا حامل يحمله، ولا جارٌ يجره، وهم ينظرون إليه، والملائكة تحفظه وترعاه، حتى وضع عند طالوت، وهذا قول ابن عباس، وعلى هذا الإتيان حقيقة في التابوت.

وأضيف الحمل إلى الملائكة في القولين جميعًا؛ لأن من حفظ شيئًا في الطريق ورعاه جاز أن يوصف بحمل ذلك الشيء وإن لم يحمله، كما يقول القائل: حملت الأمتعة إلى زيد، إذا رعاها وحفظها في الطريق، وإن كان الحامل غيره، وتقول: حملت متاعي إلى مكة، ومعناه: كنت سببًا لحمله[١].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال وَهْبٌ: السكينة: روح من الله يتكلم، وكانوا إذا اختلفوا في أمر نطق ببيان ما يريدون[٢].

وقال قتادة[٣] والكلبي[٤]: هي فعيله من السكون، أي: طمأنينة من ربكم. وفي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا.

وهذا اختيار الزجاج. قال: أي: فيه ما تسكنون به إذا أتاكم[٥].

والسكينة: مصدر وقع موقع الاسم، نحو القضية والعزيمة، وهذا معنى قول الحسن، قال: جعل الله لهم في التابوت سكينةً لا يفرُّون عنه

---

(١) قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٦١: وقد كثر القصص في هذا التابوت والاختلاف في أمره، والذي يظهر أنه تابوت معروف حاله عند بني إسرائيل كانوا قد فقدوه، وهو مشتمل على ما ذكره الله تعالى مما أبهم حاله، ولم ينص على تعيين ما فيه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٧٠.

(٤) ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ١٢١٩، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٥٦.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٣٢٩.

أبدًا وتطمئن قلوبهم[١].

وجاء في التفسير: أن السكينة لها رأس كرأس الهرة من زبرجد وياقوت، ولها جناحان[٢].

وقال مقاتل: كان فيه رأس كرأس الهرة إذا صاح كان الظفرُ لبني إسرائيل[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ والبقية: مصدَرٌ وَقَعَ مَوْقِعَ الاسم، مثل: السكينة ونحوها، فيقال للباقي: بقية، وجمعها: بقايا[٤].

قال المفسرون: البقية التي كانت في التابوت: لوحان من التوراة، ورُضاض الألواح التي تكسَّرت لما ألقى موسى الألواحَ، وقفيزٌ من المن الذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى، وعمامة هارون، وعصاه، وعصى موسى، وطست من ذهب، قيل: كان يغسل فيه[٥] قلوب الأنبياء[٦]. وإنما جعل هذه الأشياء بقية لأنها بقيت مما تركه موسى وهارون.

---

(١) قريب منه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩.

(٢) بنحوه عن مجاهد في «تفسيره» ١/ ١١٤، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١١- ٦١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٦٩.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦، وأخرج نحوه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٢، عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٥٦، «المفردات» ص٦٧، «لسان العرب» ١/ ٣٣٠-٣٣١ (مادة: بقي).

(٥) في (ي): (فيها).

(٦) تنظر الآثار في ذلك: عند سعيد بن منصور في «سننه» ٣/ ٩٤٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٣- ٦١٥، وابن أبي حاتم ٢/ ٤٧٠-٤٧١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٥٧.

وأراد بآل موسى وآل هارون: موسى وهارون نفسهما، والعرب تقول: آل فلان، لو تريد نفسه[١]. قال جميل:

بثينة[٢] مِنْ آلِ النّساء وإنما   يَكُنَّ لأدْنَى لا وِصَالَ لِغَائِبِ[٣]

وعلى هذا يتأول قوله ﷺ لأبي موسى: «لقد أُوتيَ هذا مِزمارًا من مزامير آل داود[٤]» أراد: داود نفسه؛ لأنَّه لا يُعْلَم أحدٌ من آله أُعْطِيَ من حسن الصوت ما أعطيه داود.

أخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفسوي، أخبرنا أحمد بن محمد الفقيه، أخبرني أبو رجاء الغنوي، قال: حدثنا أبي، قال حدثنا ابن عمر بن شبه، قال: سمعت أبا عبيدة وسأله رجلٌ عن رجل أوصى لآل فلان: ألفلان نفسه المسمى من هذا شيء؟ قال: نعم، قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٥٦، «لسان العرب» ١/ ١٧٤-١٧٥ (مادة آل).

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أبو عمر، شاعر أموي من أشهر شعراء الغزل، صاحب بثينة، وكان قد خطبها فمنعت منه، فتغزل بها، واشتهر. وكان عفيفًا حييًا دينًا، توفي سنة ٨٢، وقيل: بعد ذلك. ينظر «الشعر والشعراء» ٢٨٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٨١

(٣) البيت عزاه إلى جميل، الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٥٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٢، وليس في «ديوان جميل»، وعزاه ابن جني في «الخصائص» ٣/ ٢٧ إلى كثيِّر، ولذا ألحقه د/ إحسان عباس بـ«ديوان كثير» ص٣٤٣، والبيت ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٧٠، وابن فارس في «الصاحبي» ص٢٥٨. ينظر تحقيق «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٥٧.

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) كتاب: فضائل القرآن، باب: حُسْن الصوت بالقراءة بالقرآن، ومسلم (٧٩٣) كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، من حديث أبي موسى الأشعري.

فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ففرعون أوَّلُهم، وأنشد:

ولا تبكِ مَيْتًا بعد ميت أجنة علـي وعبـاس وآل أبـي بـكـرِ[١]،

يريد: أبا بكر نفسه، وآل الرجل في اللغة: شخصه[٢]، وقد ذكرناه عند قوله: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ﴾ أي: في رجوع التابوت إليكم علامة أنَّ الله قد ملَّكَ طالوت عليكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي: مصدقين[٣].

قيل: إنهم كفروا بتكذيبهم نبيَّهُم في تمليك طالوت، ولذلك لم يَصْبر عن الماء - لَمَّا ابتلاهم اللهُ بالنهر إلا القليل منهم، وهم الذين أطاعوا ولم يكذبوا، فعلى هذا قوله: (إن كنتم مؤمنين) أي: مصدقين بتمليك طالوت إذ عاد إليكم التابوت[٤].

وقيل: أراد ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ كما تزعمون[٥]، ويجوز أن يكون المعنى: إن في ذلك لآية لمن كان مؤمنًا منكم، فدخل الشرط للتوكيد، كقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] أي: من كان مؤمنًا توكل، وكما تقول: إن كنت أخي فأكرمني، لم يدخل الشرط للشك في الأخوة، ولكن توكيدًا للإكرام، ومثله في القرآن كثير.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لابن أراكة الثقفي في: «المؤتلف والمختلف» ص٥٣.

(٢) ينظر «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٢.

(٣) «تفسير الطبري» ٢/ ٦١٧، وبنحوه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٠.

(٤) «تفسير الطبري» ٢/ ٦١٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٣

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٣.

٢٤٩- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ الآية. وجْهُ اتصال هذه الآية بما قبلها[١] يظهر بتقدير محذوف يدل عليه باقي الكلام، كأنه[٢] قيل: فأتاهم التابوت بالصفة التي وُعِدوا فصدقوا؛ لأن قوله: ﴿فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ بعد تلك[٣] المنازعة، يدل على أن الآية أتتهم فانقادوا لأجلها[٤].

ومعنى الفصل: القطع[٥]. يقال: قولٌ فَصْلٌ، إذا كان يقطع بين الحق والباطل، وفَصَلَ عن المكان، قطعه بالمجاوزة عنه، يقال: فَصَل يَفْصِل فُصولًا، ومنه قوله: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]. وفَصَلْتُ اللحم عن العظم فَصْلًا، وفَاصَل الرجل شَريكَه وامْرَأتَه فِصَالًا[٦]. والجنود جمع جند: وكل صنف من الخلق جُنْدٌ على حِدَة، يقال: الجَرَاد أكْثَرُ جنودِ الله[٧]، ومنه: «الأرواح جنودٌ مجندة»[٨].

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ي) فإنه.

(٣) في (ي) و(ش) (ذلك).

(٤) «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٣.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٦٣، «تفسير البغوي» ١/ ٣٠١

(٦) ينظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٥، «المفردات» ص٣٨٢ - ٣٨٣، «لسان العرب» ٦/ ٣٤٢٣ مادة (فصل).

(٧) ينظر: «المفردات» ص١٠٧ -١٠٨، «لسان العرب» ٢/ ٦٩٨. (مادة: جند).

(٨) الحديث رواه البخاري تعليقًامن رواية عائشة، (٣٣٣٦) كتاب: الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، وقال الحافظ في «الفتح» ٦/ ٣٦٩: وصله المصنف في «الأدب المفرد» عن عبد الله بن صالح عن الليث وأخرجه من رواية أبي هريرة ﷺ ومسلم (٢٦٣٨) كتاب: البر، باب: الأرواح جنود مجندة.

قال السدي: وكانوا يومئذ ثمانين ألف مقاتل(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ يعني: قال طالوت. قال وهب(٢): إنهم شكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم، وقالوا: إن المياه لا تحملنا، فادع الله سبحانه أن يجري لنا نهرًا، فقال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾(٣).

وهذا لا يجوز أن يقوله إلّا نبي؛ لأن الله ﷻ عالم الغيب، فلا يظهر على غيبه أحدًا، إلا من ارتضى من رسول. فيجوز أن طالوت قال ذلك بوحيٍ من الله إليه، فقد قيل: إنه لما مُلِّك عليهم صار نبيًّا، ويجوز أن يكون قال ذلك بإخبار نبيٍّ إياه(٤).

وإنما وقع الابتلاء ليتميز الصادق من الكاذب، فإن طالوت كان لا يعلم بمن له نيةٌ في القتال معه، ومن ليست له نية، فابتُلُوا بالنهر ليتميَّزَ المحقق من المعذِّر، وذلك النهر: هو نَهْر فِلَسْطين في قول ابن عباس(٥) والسدي.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، الكناية تعود على النهر في الظاهر، وهو في المعنى للماء.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٧٢.

(٢) وهب بن مُنبّه اليماني: أبو عبد الله، صاحب القصص والأخبار، كانت له معرفة بأخبار الأوائل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وثّقه أكثرهم، وضعفه عمرو الفلاس، اختُلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ١١٠هـ، وقيل ١١٦هـ، وقيل بينهما. ينظر «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٥، «طبقات ابن سعد» ٥/ ٥٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٨.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦١٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٧٣.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أهل ديني وطاعتي[1]، فحذف، ودل (مِنّي) عليه.

وقيل: تأويله: ليس معي على عدوي، كقوله ﷺ: «من غشنا فليس منا[2]» أي: ليس من أهل ديننا، وليس[3] هو معنا في حقيقة ديننا[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ طَعْمُ كُلِّ شيء ذوقُه، ومثله التطعُّمُ، يقال: تطعَّمت منه، أي: ذُقْتُه، قال ابن الأنباري: العرب تقول: قد أَطْعَمْتُكَ الماءَ، يراد به: أَذَقْتُكَ، وطعمت الماء أَطْعَمُه، بمعنى: ذُقْتُه أذوقه[5][6].

أنشدنا أبو العباس العَرْجِي[7]:

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/١٣٦٦، «تفسير البغوي» ١/٣٠١.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢٥) كتاب: التجارات، باب: النهي عن الغش، وأحمد في «المسند» ٢/ ٥٠، وأصله في مسلم.

(٣) في (ي) و(ش): (أو ليس).

(٤) ينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٢٥٢.

(٥) نقله عن ابن الأنباري أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٤.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٣، «المفردات» ص٣٠٧، «لسان العرب» ٥/ ٢٦٧٥ (مادة: طعم)، وذكر الراغب أن الطعم: تناول الغذاء، قيل: وقد يستعمل في الشراب، كقوله: ومن لم يطعمه فإنه مني. وقال بعضهم: إنما قال: (ومن لم يطعمه) تنبيهًا على أنه محظور عليه أن يشربه إلا غرفة، فإن الماء قد يطعم إذا كان مع شيء يمضع.

(٧) عبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي، وقال في «اللسان» ٨/ ٤٥١٧ (مادة: نقخ): اسمه عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ونسب إلى العَرْج وهو موضع ولد به، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له: العرج، فنُسب إليه، وكان من الشعراء. ينظر «الشعر والشعراء» ٣٨١.

فإن شِئْتُ حَرّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ وإن شِئْت لم أَطْعَم نُقَاخًا ولا بَرْدًا[(١)]

أراد: لم أذق. والنُّقَاخُ: الماءُ العَذْب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ الاغتراف: الأَخْذُ من الشيء باليدِ أو بآلة كما يُغْتَرَفُ من الماء. والمِغْرَفَةُ: الآلة التي يُغْرَفُ بها، وكذلك الغَرْفُ مثل الاغْتِرَاف[(٣)].

واختلف القراء في فتح الغين من (غرفة) وضمها[(٤)].

فمن فتح الغين عدَّى الفعل إلى المصدر، والمفعول محذوف في قوله، والمعنى: إلا من اغترف ماءً غَرْفةً. ومن ضم الغين عدَّى الفعل إلى المفعول به، ولم[(٥)] يعده إلى المصدر؛ لأن الغُرفَة بالضم: الشيء المُغْتَرف، والماء المغروف، فهذا بمنزلة إلا من اغترف ماء[(٦)]. إلا أن كثيرًا من البغداديين يجعلون هذه الأسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر،

---

(١) البيت نسب لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: «ديوانه» ص ٩٥، «اللسان» ٨/ ٤٥١٧ (مادة: نقخ) وروايته: أحرمت. والبرد هنا: الريق.

(٢) قال في «اللسان» ٨/ ٤٥١٦ (مادة: نقخ): والنقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ الفؤاد ببرده، وقال ثعلب: هو الماء الطيب فقط.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٥٦، «المفردات» ص٣٦٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٤٢ (مادة: غرف).

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (غَرفة) بالفتح، والباقون بالضم. ينظر «السبعة» لابن مجاهد ص ١٩٨.

(٥) في (ي): (ومن).

(٦) في «حجة القراءات» لابن زنجلة ص١٤٠، عن أبي عمرو: ما كان باليد فهو غَرفة - بالفتح - وما كان بإناء فهو غُرفة - بالضم -، وقال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٣٠ - ٣٣١: من قال: غرفة كان معناه: غَرفة واحدة باليد، ومن قال: غُرفة كان معناه: مقدار ملء اليد.

ويُعْمِلونَها كما يُعْمِلُون المصادر، فيقولون: عجبت من دُهنك لحيَتَكَ، ويحتجون بقول القُطامي:

وبعد عَطَائِكَ المِائةَ الرِّتَاعا[١][٢]

فعلى هذا يجوز أن ينتصب الغُرْفة، انتصاب الغَرْفَة. وزعم بعضهم[٣] أن الاختيار الضم، لأنه لو جاء على معنى المصدر لمرة واحدة لكان (اغترافة)[٤].

وليس فيما قال حجة؛ لأنه إذا كان معنى الغرف والاغتراف واحدًا جاز: اغْتِرَافةً[٥]؛ لأنه الأصل، وجاز غَرْفَة لأنه أخف[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ قال المفسرون: قال لهم طالوت: من شرب من النهر وأكثر فقد عصى الله ﷻ وخالف أمره وتعرَّض لعقابه، ومَنِ اغترف غرفة بيده أقنعته، فهجموا على النهر بعد عطش شديد

---

(١) في (ي): (الرباعا).

(٢) صدر البيت: أكفرا بعد رد الموت عني
ينظر: «ديوان القطامي» ص٤١، وفي «الخصائص» ٢/ ٢٢١، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٤٢، «شرح المفصل» ١/ ٢٠، «شرح الشواهد» للعيني ٣/ ٥٠٥، «همع الهوامع» ١/ ١٨٨، «مجاز القرآن» لأبي عبيد ٢/ ٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٧٢.

(٣) في (م): (بعضهم إلى).

(٤) شرح القراءة وتوجيهها منقول من «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٣٥١ بتصرف، وكذا رجح هذه القراءة الطبري في «تفسيره». قال أبو حيان في «البحر» ٢/ ٢٦٥ معلقًا: وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي، لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن رسول الله ﷺ، ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية، فلا يمكن فيها ترجيح قراءة على قراءة.

(٥) من قوله: (إذا كان). ساقط من (ش).

(٦) ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٥.

أضر بهم فوقع أكثر أصحاب طالوت في النهر، وأكثروا الشرب، وأطاع قوم قليل عددهم، فلم يزيدوا على الاغتراف، فأما من اغترف كما أمره الله تعالى: قوي قلبه، وصحَّ إيمانه، وعبر النَّهْرَ سالمًا، وكَفَتْه تلك الغرفة الواحدة لشربه ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله ﷻ اسودَّت شفاهُهم، وغلبهم العطش فلم يرووا، وبقوا على شاطئ النهر، وجبنوا عن لقاء العدو[1]، ولم يشهدوا الفتح[2].

قالوا: وتلك الغرفة المباحة لم تكن ملء الكف، ولكن المراد بالغرفة أن يغترف مرةً واحدةً بقربةٍ أو جرةٍ وما أشبه ذلك، تكفيه وتكفي دابته، غير أن العصاة انغمسوا في النهر ولم يغترفوا، بل شربوا منه وسقوا دوابهم. وأولئك القليل، الذين لزموا الاغتراف، كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، في أصح الأقاويل[3]؛ لأن النبي ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: **«أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر، وما جاز معه إلا مؤمن»**، قال البراء بن عازب: وكنا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا[4].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يقال: جاوزتُ المكان والطريق مجاوزةً وجوازًا، وكذلك جُزْتُ الطريق، فأنا[5] أجوزه جَوازًا ومجَازًا وجُؤُوزًا، وأَجَزْتُ أيضًا مثل جُزْتُ، قال امرؤ القيس:

---

(١) قوله: (عن لقاء العدو). ساقط من (ي) وفي (ش): (جبنوا من لقاء العدو).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٦٩، الفخر الرازي في «تفسيره» ٦/ ١٨٢

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٢١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٧٥، والثعلبي ٢/ ١٣٦٨

(٤) رواه البخاري ٣٩٥٦- ٣٩٥٩ كتاب: المغازي، باب: عدة أصحاب بدر عن البراء ابن عازب.

(٥) في (ي): (وأنا).

فلمّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ[(١)]

البيت، والمَجَازُ في الكلام هو ما جاز في الاستعمال، أي: نَفَذَ واستمرَّ على وَجْهِهِ، ومنه يقال: هذا يَجُوزُ. أي: يمرُّ على وجهِه[(٢)] لا يَمْنَعُه مَانعٌ[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ الطاقة: [مصدرٌ بمنزلة][(٤)] الإطاقة، يقال: أطقتُ الشيء إطاقةً وطاقةً وطَوْقًا، مثل: أطَعْتُ إطاعةً وطاعةً وطَوْعًا[(٥)].

قال ابن عباس والسدي: يعنى هؤلاء الذين شربوا، وخالفوا أمرَ الله ﷻ، وكانوا أهل شك ونفاق، قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ وانصرفوا عن طالوت، ولم يشهدوا قتال جالوت[(٦)].

وقال الحسن وقتادة وابن زيد: هم المؤمنون الذين عبروا مع طالوت

---

(١) البيت بتمامه:

فلما أجزنا ساحة الحي وانْتَحَى ... بنا بَطْنُ خَبْت ذي حِقَافٍ عَقَنْقَل

وهو لامرئ القيس في «ديوانه» ص١٥، «تهذيب اللغة» ١/ ٥١٩، «لسان العرب» ٢/ ٧٢٤ مادة: جوز.

(٢) في (ش): (على وجهه ومنه يقال: لا يمنعه مانع).

(٣) ينظر في (جاز): «تهذيب اللغة» ١/ ٥١٩، ٥٢٠، «المفردات» ١١٠، «لسان العرب» ٢/ ٧٢٤ (مادة: جوز).

(٤) ساقط من (م).

(٥) كذا في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١، وقوله: (طوقًا وطوعًا) إنما هما مصدران للثلاثي منه، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٣٠: يقال: طاق يطوق طوقًا، وأطاق يطيق إطاقة وطاقة، كما يقال: طاع يطوع طوعًا، فأطاع يطيع إطاعة وطاعة.

(٦) أخرجه عنهما بنحوه دون ألفاظه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٢٢، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٣٠٢.

النهر، ممن ضَعُفَت بصيرتُهم ولم يبلغوا منزلة غيرهم[١].

وهذا اختيار الزجاج، لأنه قال: لما رأوا قلتهم قال بعضهم لبعض: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ يعني: القليل الذين اغترفوا[٢].

وعلى قول الحسن: هم صلحاء المؤمنين والأماثل منهم.

ومعنى يَظُنّون: يَعْلمون ويُوقِنون[٣]. وذكرنا هذا عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾[٤] [البقرة: ٤٦].

ويجوز أن يكون الظن ها هنا[٥] شكًّا لا علمًا، وله تأويلان:

أحدهما: قال الذين يتوهمون أنهم يُقْتلون مع طالوت فَيلْقَون الله تعالى شهداء[٦]، فوقوع الشك في القتل لأنهم لم يَتَيَقَّنُوهُ، ولم يدرُوا أيكونُ أم لا؟

والثاني: الذين يظنون أنهم ملاقو ثواب الله فحذف المضاف، وهو كثير.

وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ قال الفراء: لو ألقيت[٧]

(١) نقل ذلك عنهم ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٩٨.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣١.

(٣) نقله الزجاج عن أهل اللغة في «معاني القرآن» ١/ ٣٣١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٧٠.

(٤) ينظر: «تفسير البسيط» للواحدي ت/د: الفوزان.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣١.

(٧) في (م) لعلها: (ألغيت).

من[1] ههنا جاز في (فئة) الرفع والنصب والخفض. فمن نصب قال: أصل (كم) الاستفهام[2]، وما بعدها (من) النكرة مُفَسّر كتفسير العدد، فجعل (كم) بمنزلة عدد ينصب ما بعده، نحو: عشرين وثلاثين.

ومن خفض قال: طالت صحبة (من) للنكرة في كم[3]، فلما حذفناها أعملنا إرادتها فخفضنا، كقول العرب إذا قيل لأحدهم: كيف أصبحت؟ قال: خيرٍ، يريد بخير.

ومن رفع نوى تقديمَ الفعل، كأنه قيل: كم غلبت فئة، وأنشد:

كم عَمَّةٍ لك يا جَرِيرُ وخَالةٍ ... فَدْعَاءَ قد حَلَبَتْ عليَّ عِشَاري[4]

قال: يجوز فيه الأَوْجُه الثلاثة، وأنشد في جوازِ الرفعِ قولَ امرئ القيس:

تَنُوصُ وكم من دُونِها من مَفَازَةٍ ... وكم أرضِ جَدْبٍ[5] دُونهَا ولُصُوصُ[6][7]

---

(١) ساقط من (ش).

(٢) في (ي) (استفهام).

(٣) في (ي) و(ش) (كما).

(٤) البيت للفرزدق يهجو جريرًا، في «ديوانه» ١/ ٣٦١، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ١٦٩، و«الأشباه والنظائر» ٨/ ١٢٣، و«أوضح المسالك» ٤/ ٢٧١. والفَدَع: اعوجاجٌ وعيبٌ في القدم، والعشار: جمع العشراء، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر.

(٥) في (ش): (جذب).

(٦) كذا إلى هنا نقل من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٦٨ - ١٦٩. وينظر في الإعراب: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٧، «التبيان» ١٤٩، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٨.

(٧) ورد البيت هكذا:

وكم دونها من مهمة ومفازة ... وكم أرضُ جَدْبٍ دونها ولصوصُ

والبيت في «ديوانه» ص٩١. وفي «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٦٩ ورد البيت هكذا:

تبوص وكم من دونها من مفازة ... وكم أرض جَدْب دونها ولُصُوصُ

والفئة: الجماعة، لأنَّ بعضَهم قد فاءَ إلى بعضٍ فصاروا جماعةً، وقال الزجاجُ: أصلُ الفئةِ: من قولهم فأوت رأسَه بالعصا، وفأَيْتُ، فالفئةُ فرقةٌ من هذا، كأنها[١] قطعة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أصل (مع): للمصاحبة[٣]، كأنه قال: الله يصحبهم النصر والمعونة[٤].

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ قال عطاء: على طاعة الله، وعن محارمه.

٢٥٠- وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ الإفراغُ: الصَّبُ، يقال: أَفْرَغْتُ الإناء إذا صَبَبْت ما فيه، أصله من الفَرَاغ: وهو الخُلُوّ، وفلان فَارغٌ، معناه: أنه خَالٍ مما يَشْغَلُه، والإفراغ: إخْلاَءُ الإنَاءِ مما فيه، وإنما يخلو بصَبِّ كُلِّ ما فيه، فمعنى ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: اصبب[٥] علينا أتمَّ صبٍّ وأبلغَه[٦].

= وقبله قوله:

أمن ذكر سلمى أن نأتك تنوص ... فتقصر عنها خطوة أو تبوص

تنوص: أي تتحول، فتقصر عنها خطوة، أي تتأخر عنها أو تبوص، البوص السبق والفوت، أي: تسبقها، أي: أنك لا توافقها في «السير» معها، وهو يخاطب نفسه.

(١) في (ي): (كأنه)

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٢، وينظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٠ مادة (فأى)، قال الأزهري: والفئة، بوزن فعة: الفرقة من الناس، مأخوذ من فأيت رأسه، أي شققته، وكانت في الأصل فئوة بوزن (فعلة) فنقص، وجمع الفئة فئون وفئات. وذكر العكبري في التبيان ١٤٩ قولا آخر فقال: وأصل فئة(فيئة)، لأنه من فاء يفيء إذا رجع، فالمحذوف عينها.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٧/ ٤٢٣٤ (مادة: معع).

(٤) «تفسير الطبري» ٢/ ٦٢٤.

(٥) في (ي): (صب).

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٧١، «لسان العرب» ٦/ ٣٣٩٦ (مادة: فرغ)، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٢.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقويةِ قلوبِنا، أو باختلاف كلمةِ الأعداء حتى يتخاذلوا، أو بإلقاء الرُّعْبِ في قلوبهم حتى يظهر منهم الخور، وما أشبه هذا مما يكون من أسباب النصر[١].

٢٥١- قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هذه الآية تتصلُ بما قبلَها بتقدير محذوف[٢] يتقدمها ويتصل بها، كأنه قيل: فأنزل الله عليهم صبرًا ونصرًا[٣]، فهزموهم بإذن الله.

وأصل الهزمِ في اللغة: الكسر، يقالُ: سقاءٌ مُنْهَزِمٌ: إذا تشقَّقَ مع جَفافٍ، وهَزَمْتُ العظم والقَصَبة هَزْمًا، وهزمت الجيشَ هزمًا وهَزِيمةً وهِزِّيمى مقصور، والهَزْمَةُ: نقرةٌ في الجبل أو في الصخرة.

قال سفيان بن عينية في ذكر زمزم: هي هَزْمَةُ جبريل، يريد: هَزَمَها جبريلُ[٤] برجله، فخرَجَ الماء، ويقالُ: سمعتُ هَزْمَةَ الرعد.

قال الأصمعي: كأنَّهُ صوتٌ فيه تشقق، ويقالُ للسحابِ: هَزِيمٌ؛ لأنه يتشقَّقُ بالمطرِ، وهَزْمُ الضريع، وهَزْمه: ما تكسر منه[٥]، قال قيسُ بن خويلد[٦].

---

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٦٢٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٧١.

(٢) في (ش): (محذوف في اللغة بتقدمها) وهي زيادة.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) زيادة من (ي).

(٥) ينظر في (هزم): «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٥٩، «المفردات» ص٥٢١، «لسان العرب» ٨/ ٤٦٦٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٢.

(٦) هو قيس بن عيزارة الهذلي، خويلد أبوه، وعيزارة أمه، وهو شاعر جاهلي، مات من داء من البطن في مكة. ينظر ترجمته في «معجم الشعراء» للمرزباني ص: ٣٢٦، و«ديوان الهذليين» ٣/ ٨٢ - ٨٣.

وحُبِسْن في هَزْمِ الضَّريعِ فكلُّها   حَدْباءُ[١] دَامِيَةُ الـيَـدَيْـنِ حَـرُودُ[٢]

فمعنى (هزموهم): كَسَرُوهم ورَدُّوهُم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ قال المفسرون وأصحاب الأخبار: إن جالوت طلبَ البِرازَ فخرج إليه داود، وكان ممن عبر النهر مع طالوت، فرماه بحجرٍ من مقلاعه، فوقَعَ بين عينيه، فخرجَ من قَفاهُ، وقَتَلَ من ورائه ثلاثين رجلًا، وانهزمَ القومُ عن آخرهم، وخَرَّ جالوتُ قَتيلًا[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: جمع له المُلْك والنبوة[٥]، قال ابن عباس: يريد بعد طالوت[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ قال الكلبيُّ: يعنى: صنعةَ الدروع، والتقدير: في السرد[٧]. وقيل: منطق الطير وكلام الحُكْل[٨].

---

(١) في (أ): (حربا)، وفي (م): (جربا).

(٢) البيت في «شرح أشعار الهذليين» ص ٥٩٨، «لسان العرب» ٥/ ٢٥٨١ (مادة: ضرع).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٢.

(٤) ينظر هذه القصة في: «تفسير مجاهد» ١/ ١١٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٢٥- ٦٣٢ على اختلاف بين الروايات، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٧٨ وما بعدها، «تفسير البغدادي» ١/ ٣٠٣ - ٣٠٧.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٨٩.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٠، ويذكر عن السدي فيما أخرج الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٣٢، و«ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٣/ ٤٨٠، وقال الضحاك والكلبي: ملك داود بعد قتل جالوت بسبع سنين، فلم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٨٨.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٨٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٠٧، وذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٣٢ دون عزو لأحد.

(٨) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٣٢، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٩٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٠٧. والحكل: ما لا يسمع له صوت كالذر والنمل.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ قال ابن عباس[١] ومجاهد[٢]: لولا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين وخربوا[٣] البلاد والمساجد.

وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار، لفسدت الأرض ولهلكتْ بِمَنْ فيها[٤].

وتصديقُ هذا: ما روي أن النبي ﷺ قال: **«يدفع الله بمن يصلي من أمتي عمَّنْ لا يصلِّي، وبمن يزكي، عمَّن لا يزكِّي، وبمن يصومُ عمَّن لا يصوم، وبمن يَحُجُّ عمن لا يَحُجُّ، وبمن يُجاهدُ عمن لا يجاهد، ولو اجتمعوا على تركِ هذه الأشياء ما ناظَرَهُم[٥] اللهُ طرفةَ عين»**، ثم تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية[٦].

واختلف القراء في قوله ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ فقرأ بعضهم: **(دفاعُ الله)**، وقرأ بعضهم: **(دفعُ الله)**[٧].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٩٤، وأبو المظفر السمعاني ٢/ ٣٨٥.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٣٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٨٠، والثعلبي ٢/ ١٣٩٤.

(٣) في (م): (لغلب المشركون فيقتلوا المؤمنين ويخربوا).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٣٩٤، و«تفسير البغوي» ١/ ٣٠٧.

(٥) أي: ينظرهم، وهي كذلك عند الثعلبي.

(٦) ذكره الديلمي في «فردوس الأخبار» ٥/ ٣٦٤، من حديث ابن عباس، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٨٠ دون طرفه الأخير، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/ ٩٧ عن ابن عباس موقوفًا. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٩٤.

(٧) قرأ نافع (دفاع)، وقرأ الباقون (دفع). ينظر «السبعة» لابن مجاهد، ص ١٨٧.

ومعنى الدفع: الصرف عن الشيء[١].

والدفاع يحتمل أن يكون مصدرًا لِفَعَلَ، كالكتاب واللقاء والنكاح، ونحوها من المصادر التي جاءت على فِعالٍ، ويجوزُ أن يكون مصدرًا لفاعَلَ[٢]، يُدلُّ على ذلك قراءةُ من قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ونظيرُ الدفاع في كونه مصدرًا لِفَعَلَ وفاعَلَ: الكتاب، فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النور: ٣٣] الكتاب فيه مصدر: كاتَبَ. وقال: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤] فالكتاب هاهنا: مصدرٌ لِكَتَبَ؛ لأن المعنى: كَتَبَ[٣] هذا التحريمَ عليكم، ومعنى (دَفَعَ) و(دافَعَ) سواء، قال أبو ذؤيب:

ولَقَدْ حَرِصْتُ بأن أُدَافِعَ عَنْهُم فإذا المَنِيَّةُ أقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ[٤]

المعنى: حرصتُ بأن أدفعَ عنهم المنيةَ فإذا المنيةُ لا تُدْفَعُ[٥].

ونصب (بعضهم) على البدل من الناس[٦]، المعنى: ولولا دفع الله بعض الناس ببعض.

---

(١) ينظر: «المفردات» ص ١٧٧، «لسان العرب» ٣/ ١٣٩٤ مادة (دفع). قال الراغب: الدفع إذا عُدِّي بـ إلى اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: (فادفعوا إليهم أموالهم)، وإذا عُدِّي بـ (عن) اقتضى معنى الحماية، نحو: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا).

(٢) ساقط من (م).

(٣) ساقط من (أ) و(م).

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، في «شرح أشعار الهذليين» ص ٨، «لسان العرب» ٢/ ٨٣٥ (مادة: حرص).

(٥) توجيه القراءة كله منقول من «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٦) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٨٠، «التبيان» ١/ ١٥٠.

٢٥٣- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ أي: هذه الآيات التي أنبأتُكَ بها آيات الله[1] أي: علاماته التي تدل على توحيده[2]، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: أنت من هؤلاء الذين قَصَصْت آياتهم؛ لأنك قد أُعطيت مثل ما أعطوا وزيادة.

٢٥٣- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية. ﴿تِلْكَ﴾ ابتداء، وإنما قال: ﴿تِلْكَ﴾ ولم يقل: أولئك الرسل؛ لأنه ذهب إلى الجماعة، كأنه قيل: تلك الجماعة. والرسلُ رفع، لأنها صفة لتلك، وخبر الابتداء: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾[3].

والمعنى في ذكر تفضيل بعضهم على بعض زوال الشبهة لمن أوجب التسوية بينهم في الفضيلة، لاستوائهم في القيام بالرسالة.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي أراد: كلّمه الله، فحذف الهاء، والهاء تحذف كثيرًا من الصلة[4]، وقد ذكرنا هذا في مواضع.

وعنى بقوله: ﴿مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ موسى عليه السلام[5].

---

(١) في (ي) (أ): (آيات الله أي: علاماته).

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٣

(٣) ينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٦، لكنه قال: الرسل: عطف بيان، «التبيان» ١٥٠، وذكر وجها آخر وهو: أن (الرسل) خبر، و(فضلنا) حال من الرسل.

(٤) ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٣ - ٣٣٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٢٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٠١.

(٥) ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٤

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قال أبو إسحاق: جاء في التفسير: أنه يعني به محمدًا[1] ﷺ، أُرسل إلى الناس كافةً، وليس شيء من الآيات التي أعطيها الأنبياء إلا والذي أُعطي محمد ﷺ أكبر[2][3].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قد مضى تفسير هذا فيما تقدم. والله تعالى أخبر في هذه الآية بتفضيل بعض الأنبياء على بعض ليعرف الناس أنهم ليسوا سواءً في الفضيلة، غير أن النبي ﷺ نهانا عن الخوض في تفضيل بعض الأنبياء على بعض، ولا نخالف أمره، فقال في خبر أبي هريرة: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**[4]» فيستفاد[5] من الآية معرفة تفاضلهم، وننتهي[6] عن[7] الكلام في ذلك؛ لنهيه ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يعني: من بعد الرسل ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أي: من بعد ما وضحت لهم البراهين ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ (ثبت على إيمانه)[8] ﴿وَمِنْهُم مَّن

---

(١) في باقي النسخ: محمد.

(٢) (أكبر) ساقطة من (ش).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٤.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤١٤) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: [قول الله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾]، ولفظه: بين أولياء الله، ومسلم (٢٣٧٣) كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى، واللفظ له.

(٥) في (ي): (يستفاد).

(٦) في (ي): (ويبتنى الكلام).

(٧) في (م) و(ش): (من).

(٨) ساقط من (ي).

﴿كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح، اختلفوا فصاروا فرقًا، ثم تحاربوا[(١)]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وكرر[(٢)] المشيئة باقتتالهم تأكيدًا للأمر، وتكذيبًا لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لم يجر به قضاء ولا قدر من الله تعالى، ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق من يشاء فضلًا، ويخذل من يشاء عدلًا[(٣)].

٢٥٤- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ قال الحسن: أراد الزكاة المفروضة، قال: لأنه مقرون بوعيد، وقال الآخرون[(٤)]: أراد صدقة التطوع، والنفقة في الخير. قال ابن عباس في هذه الآية: نَفَقَةُ الرجل على أهله وولده وخادمه وجاره صدقة، إذا كان من حلال، وفي غير سرف.

وقال أبو إسحاق: أي: أنفقوا في الجهاد، ولْيُعِنْ بعضكم بعضًا عليه[(٥)].

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ يعنى: يوم القيامة، يريد: لا يؤخذ في ذلك اليوم بدلٌ ولا فداء، كقوله: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآية [المائدة: ٣٦] فذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة وأخذ البدل.

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٤٠٢.

(٢) في (ي): (فكرر).

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٤٠٣.

(٤) في (ي) و(م): (آخرون).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٥.

﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ الخُلَّةُ: مَصْدَرُ الخَلِيْل، وكذلك الخِلاَلة، والخُلَّةُ أيضًا تكون اسمًا، كما قال:

ألا أبْـلِـغـا خُـلَّـتِـي رَاشِـدًا وصِـنْـوِي قَـديـمًـا إذا ما اتَّـصَـل[(١)]

يريد: خليلي[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿شَفَٰعَةٌ﴾ إنما عم نفيَ الشفاعة؛ لأنه عنى الكافرين بأن هذه الأشياء لا تنفعهم، ألا ترى أنه قال عقيب هذا: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: هم الذين وضعوا الأمرَ غيرَ موضِعِه[(٣)]، ونظير هذه الآية ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [ابراهيم: ٣١].

٢٥٥- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[(٤)] رفع بالابتداء، وما بعده خَبَرُه[(٥)]، ونَفْيُ إلهٍ سواهُ توكيدٌ وتحقيقٌ لإلاهِيَّتِه؛ لأن قولك: لا كريم إلا زيد، أبلغُ من قولِك: زيدٌ كريم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَيُّ﴾ الحي من له حياة، وهي صفة تخالف الموت والجمادية[(٦)]، وأصله: حَيِيَ، مثل: حَذِرَ وطَمِع، فأدغمت الياء في الياء عند

---

(١) البيت في «اللسان» ٢/ ١٢٥٢ (مادة: خلل» غير منسوب لأحد، وفي «اللسان»: إذا ما اتصل.

(٢) ينظر في (خلل): «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٥- ١٠٩٨، «المفردات» ص ١٥٩ وقال: الخلة: المودة، إما لأنها تتخلل النفس، أي: تتوسطها، وإما لأنها تخل النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها. وينظر أيضًا«اللسان» ٢/ ١٢٤٨- ١٢٥٤.

(٣) ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٠٩.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) ينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٣٥، «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٣٦، «التبيان» ص١٥١.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٣٦.

اجتماعهما. وقال ابن الأنباري: الحي: أصله الحيو[١]، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن جعلتا ياء مشددةً[٢]. ومعنى الحيّ: الدائم البقاء[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ القَيُّومُ في اللغة: مبالغةٌ من القَائم، وزنه فَيْعُول، وأصله: قَيْوُوم، فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن جُعِلَتا ياءً مشددة[٤]، ولا يجوز أن يكون على(فَعُّول)، لأنه لو كان كذلك لكان قوومًا[٥]. وفيه ثلاث لغات: قَيُّوم وقَيّام وقَيِّم[٦]، ولا يجوز أن يطلق في وصفه إلا ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ لعدم التوقيف بغيره من اللغات، إلا ما روي عن بعض الصحابة والتابعين، أنهم قرأوا: القَيَّام والقَيّم[٧]. وقد تكلمت العرب بالقَيُّوم. قال أمية:

قَدَّرَها[٨] المُهَيْمِن القَيُّوم[٩]

---

(١) في (ي) (الحياة).

(٢) ابن الأنباري، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٧ (مادة: حوى» عن الفراء.

(٣) ينظر في (حيي): «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٣٦.

(٤) في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٧ عن سيبويه. وكذلك قال في سيد وجيد وميت وهيِّن وليِّن.

(٥) في (ي): (قؤومًا)، وفي (م): (قيووم).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٣٧.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٩٠، وقال: وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود (القيّام)، وصورة القيوم: فيعول، والقيام: الفيعال، وهما جميعًا مدح، وأهل الحجاز أكثر شيء قولًا: (الفيعال) من ذوات الثلاثة، فيقولون للصوّاغ: الصيّاغ. اهـ. والقيم: قرأه علقمة، كما ذكر الثعلبي ٢/ ١٤٣٦.

(٨) في (ي) (قدزها)

(٩) صدر بيت من مشطور الرجز، لأمية بن أبي الصلت، وهو في «ديوانه» ص ٧٣ ضمن أبيات له يقول فيها: =

وأنشد ابن الأنباري:

إنَّ ذا العَرْش الذي يَرْزُق النَّاس وحَيّ عَلَيْهِمُ قَيّوم[(١)]

ومثله: ما في الدار دَيَّارٌ ودَيُّورٌ ودَيِّر[(٢)].

فأما معناه: فقال[(٣)] مجاهد: القيوم: القائم على كل شيء[(٤)]، وتأويله: أنه قائم بتدبير أمر الخلق، في إنشائهم وأرزاقهم، وقال الضحاك: القيوم: الدائم الوجود[(٥)]. أبو عبيدة: هو الذي لا يزول[(٦)]، لاستقامة وصْفِهِ بالوجود، حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه. وقيل: هو بمعنى العالم بالأمور، من قولهم: فلان يقوم بهذا الكتاب، أي: هو[(٧)] عالم به.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ السِّنة: ثِقَلُ النُّعاس، وهو مصدر وَسَن، يَوْسَنُ، سِنَةً، وهو وسنان ووسِن، وامرأة وَسْنَانَةٌ ووَسْنَى.

لم تخلق السماء والنجوم
والشمس معها قمر يَعُوم
درها المهيمن القيوم
والحشر والجنة والجحيم
إلا لأمر شأنه عظيم

(١) البيت لم أهتد إلى قائله، ولا من ذكره.

(٢) ينظر في (القيوم): «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٩٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٦، «تهذيب اللغة» ٩/ ٣٥٦.

(٣) في (ي): (قال).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٣/ ٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٤٨٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ١٣١.

(٥) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٣/ ٦.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٧٨.

(٧) ليست في (ي).

وحقيقة السِّنة: ريح تجيء من قبل الرأس لينة تغشى العين(١).

وحقيقة النوم: هو الغشية الثقيلة، التي تهجم على القلب، فتقطعه عن معرفة الأمور الظَّاهرة.

وقال المفضل: السِّنة في الرأس، والنوم في القلب(٢).

وقد فصل بينهما عدي ابن الرِّقَاع(٣) في قوله(٤):

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَينِه سِنَةٌ ولَيْسَ بِنَائِمِ(٥)(٦)

وتأويله: أنه لا يغفل عن تدبير الخلق(٧).

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ استفهام معناه الإنكار والنفي، أي: لا يشفع عنده أحد إلا بأمره(٨)، وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿مَا

---

(١) ينظر تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٤٣.

(٢) ينظر في (السنة): «غريب القرآن» لابن قتيبة ٨٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٣ مادة «وسن»، «المفردات» ٥٣٩.

(٣) عدي بن زيد بن مالك بن الرقاع العاملي القضاعي، يكنى أبا داود، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠].

(٤) (في قوله) ساقط من (ي).

(٥) في (ش): (ينام).

(٦) البيت في «ديوانه» ص١٢٢، وذكره في «مجاز القرآن» ١/ ٧٨، «غريب القرآن» ص٨٤، والأغاني ٨/ ١٨١، وفي «اللسان» ٨/ ٤٨٣٩ مادة «وسن». والإقصاد: أن يصيبه السهم فيقتله من فوره، وهو هنا استعارة، أي: أقصد النعاس فأنامه، رنقت: دارت وماجت، «سمط اللآلئ» ١/ ٥٢١.

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٧.

(٨) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٧٨.

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ الآية [يونس: ١٨] فأخبر الله تعالى أنه لا شفاعة عنده لأحد[١] إلا ما استثناه بقوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ يريد: شفاعة النبي ﷺ وشفاعة بعض المؤمنين لبعض في الدعاء[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ قال مجاهد[٣] وعطاء[٤] والسُّدِّي[٥]: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من أمر الآخرة.

الضحاك[٦][٧] والكلبي[٨]:

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني[٩]: الآخرة؛ لأنهم يُقْدمون عليها ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ الدنيا، لأنهم يُخَلِّفونها وراء ظهورهم[١٠].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يريد: من السماء

---

(١) في (ي): (لأحد عنده).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٧ بمعناه.

(٣) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٣/ ٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٨٩.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٥٢، وفي «تفسير البغوي» ١/ ٣١٢.

(٥) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٣/ ٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٨٩.

(٦) في (ي) و(أ) و(ش): (ضحاك).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥٣.

(٨) ذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٢٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥٣.

(٩) ساقط من (ي).

(١٠) في نسختي (أ) و(م) كرر قول الضحاك والكلبي بنصه، ونسبه إلى عطاء عن ابن عباس، وقد أتى بعده ما رواه عطاء عن ابن عباس.

إلى الأرض، (وما خلفهم) يريد: ما في السموات[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يقال: أَحَاط بالشيء: إذا عَلِمَه، كأنه ما لم يَعْلَمْه عازِبٌ عنه، فإذا عَلِمَه ووَقَفَ عليه وجَمَعَه في قَلْبه قيل: أحاط به[٢]، من حيث إن المحيط بالشيء مشتمل عليه، قال الليث: يقال لكل من أحرز شيئًا أو بلغَ علمُه أقصاه: قد أحاط به[٣][٤].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلومه، كما يقال: اللهم اغفر لنا علمك فينا، وإذا ظهرت آية عظيمة قيل: هذه قدرة، أي: مقدورة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: إلا[٥] بما أنبأ به الأنبياء، ليكون دليلًا على تثبيت نبوتهم، وقال[٦] ابن عباس: يريد مما أطلعهم على علمه.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يقال: وَسِع الشيءَ يَسَعُه سَعَةً: إذا احتمله وأطاقه[٧] وأمكنه القيام به، يقال: لا يَسَعُك هذا، أي: لا تُطِيقُه ولا تَحْتَمِلُه[٨]، قال أبو زبيد[٩][١٠]:

---

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديثِ عنها في قسم الدراسة.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٧ (مادة: حاط».

(٤) ينظر في (أحاط): «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٧ مادة «حاط»، «المفردات» ص ١١١ - ١١٢، «اللسان» ٢/ ١٠٥٢ (مادة: حوط».

(٥) ساقط من (ي).

(٦) في (ي): (قال).

(٧) ساقط من (ش).

(٨) في (ي): (لا تحمله).

(٩) في (ي): (أبو زيد).

(١٠) حرملة بن المنذر الطائي، شاعر مشهور أدرك الإسلام واختُلف في إسلامه. تقدمت ترجمته، [البقرة: ٧٢].

أعْطِيهم الجهدَ مِنّي بَلْهَ مَا أَسَعُ[(١)]

أي: ما أطيق، ومنه قوله ﷺ: «**لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**[(٢)]» أي: ما جَازَ له، ولم يحتمل غير ذلك[(٣)].

وأما الكرسي، فأصله في اللغة: من تركب الشيء بعضه على بعض، قال الأصمعي: الكِرْسُ: أبوالُ الدواب وأَبْعَارُها، تَتَلَبَّدُ بعضها فوق بعض[(٤)]، وأكرست الدار إذا كثر فيها الأبعار والأبوال[(٥)]، وتلبد بعضها على بعض.

قال العجّاج[(٦)]:

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكرِسَا[(٧)]

---

(١) عَجْز بيتٍ، صدرُه:

حَمالُ أثقالِ أهلِ الودِّ آونةً

والبيت في «اللسان» ٨/ ٤٨٣٤ (مادة: وسع»، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٠ (مادة: وسع»، قال الأزهري: فدع ما أحيط به وأقدر عليه، والمعنى: أعطيهم ما لا أجِدُه إلا بجهد، فدع ما أحيط به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٣٣٨ بلفظ: «فإنه لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني».

(٣) ينظر في (مادة: وسع): «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٠، «المفردات» ص ٥٣٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٥.

(٤) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٢٦ مادة «كرس».

(٥) في (ي): (الأبوال والأبعار).

(٦) ساقطة من (ي).

(٧) البيت، من أرجوزة للعجاج، في «ديوانه» ١/ ١٨٥، وبعده قوله:

قال: نعم أعرفه وأبلسا

ضمن مجموع أشعار العرب ٢/ ٣١، وذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٢٧، و«المفردات» ص٤٣٠، و«لسان العرب» ٧/ ٣٨٥٤ مادة «كرس».

بفتح الراء وكسرها، ومن فتح الراء فهو الذي قد بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضًا، وتَكَارَسَ الشَّيءُ إذا تَرَاكَب، ومنه: الكُرّاسة لِتَرَاكبِ بعضِ أوراقِها على بعضٍ، والكُرسيُّ المعروف؛ لتركيب خَشَبَاته[1] بعضِها فوق بعض[2].

واختلف المفسرون في معنى الكرسي في هذه الآية، فأولى الأقاويل وأصحُّها: ما قال ابن عباس، في رواية عطاء[3]، وأبو موسى[4] والسدي[5]: أنه الكرسي بعينه، وهو لؤلؤ، وما السموات السبع في الكرسيِّ ألا كَدَراهم سبعة أُلْقِيَتْ في تُرْس، ومعناه: أن كرسيَّهُ مشتمل بعظمه على السموات والأرض.

قال عطاء: هو أعظم من السموات السبع والأرضين السبع[6].

وروى عمَّار الدُّهني[7][8] عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن

---

(١) في (ي) (خشبه).

(٢) ينظر في (كرس): «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٧ - ٣٣٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٢٦- ٣١٢٧، «المفردات» ٤٣٠، «اللسان» ٧/ ٣٨٥٤- ٣٨٥٥.

(٣) ذكره البغوي بمعناه ١/ ٣١٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٥١ وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي.

(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» ١/ ٣٠٢، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في العرش ص ٧٨، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٦٢٧، وابن منده في «الرد على الجهمية» ٤٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٧٢، وصححه الحافظ في الفتح ٨/ ١٩٩.

(٥) رواه الطبري عنه بمعناه في «تفسيره» ٣/ ١٠، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٥/ ٤٩١.

(٦) ذكره البغوي بمعناه ١/ ٣١٣، وفي «زاد المسير» ١/ ٢٥١.

(٧) في (ي) الذهبي.

(٨) هو: عمار بن معاوية الدُّهْني، أبو معاوية البَجَلي الكوفي، قال ابن حجر: صدوق يتشيع، توفي سنة ١٣٣هـ ينظر «تقريب التهذيب» ص ٤٠٨ (٤٨٣٣).

ابن عباس، أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقْدَرُ قَدْرُه[١]. وقال[٢] الأزهري: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها[٣].

وأراد ابن عباس بقوله: موضع القدمين، أي: موضع القدمين منا.

قال الزجاج: وهذا القول بَيِّن؛ لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد عليه، ويجلس عليه، فهذا يدل[٤] أن الكرسي عظيم، عليه السموات والأرضون[٥].

وقال بعضهم: كرسيه: سلطانه ومُلْكه، يقال: كرسي الملك من مكان كذا إلى مكان كذا، أي: مُلْكه، مشبه[٦] بالكرسي المعروف؛ لأن تركيب بعض[٧] تدبيره على بعض، كتركيب بعض الكرسي على بعض، ويجوز أن يكون لاحتوائه عليه كاحتوائه على كرسيه، فلا يبعد أن تُكَنّي عن

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» ١/ ٣٠١، والدارمي في «نقض الإمام أبي سعيد على المريسي» ١/ ٣٩٩، ٤١٢، وابن خزيمة في «التوحيد» ١/ ٢٤٨، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» ص٧٩، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٣١، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٥٨٢، والحاكم ٢/ ٣١٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ٢/ ٣١٠، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٥١، قال الذهبي في «مختصر العلو» ص ١٠٢: رواته ثقات، وقال الهيثمي في المجمع ٦/ ٣٢٦: ورجاله رجال الصحيح، وصححه الأزهري كما ذُكر في النص أعلاه.

(٢) في (ي) و(ش) (قال).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٢٧ مادة «كرسى».

(٤) في (م) (يدل على).

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٣٣٨.

(٦) في (م) (فشبه).

(٧) ساقطة من (ش).

الملك بالكرسي، كما[١] تكني عنه بالعرش. فيقال: ثُلَّ عرشُه، إذا ذهب عِزُّه وملكه[٢].

وقال قوم: كرسيه: قدرته التي بها يمسك السموات والأرض، قالوا: وهذا كقولك: اجعل لهذا الحائط كرسيًا، أي: اجعل له ما يَعْمِدُه ويُمْسِكُه، حكاه أبو إسحاق[٣].

وقال ابن عباس[٤] ومجاهد[٥] وسعيد بن جبير[٦]: كرسيه: علمه.

قال أهل المعاني: يجوز أن يُسَمَّى العلمُ كرسيًّا، من حيث إن الاعتماد في الأشياء على العلم، كالكرسي الذي يعتمد عليه، ويقال للعلماء: الكراسي؛ لأنهم المُعتمدُ عليهم، كما يقال: هم أوتاد الأرض[٧]، وأنشدوا:

---

(١) في (ي) (كما لا يبعد أن تكني).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٥٥، «النكت والعيون» ١/ ٣٢٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٧٩.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٣٨.

(٤) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» ٢/ ٥٠٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٩، و«ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٩٠، وابن مندة في الرد على الجهمية ٤٥، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» ٣/ ٤٤٩، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٧٢، كلهم من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الدارمي في نقضه على المريسي ١/ ٤١١: وأما ما رَوَيْتَ عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته إذا خالفه الرواة المتقنون. وقال ابن منده في «الرد على الجهمية» ص ٤٥: ولم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوى في سعيد بن جبير.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٣.

(٦) رواه البخاري عنه ٨/ ١٩٩ معلقًا مجزومًا، ورواه موصولًا سفيان الثوري ١٢٧.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٥٤، «النكت والعيون» ١/ ٣٢٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٨٠.

تَحُفُّ بهم بِيضُ الوُجُوه وعُصْبة   كَرَاسي بالأحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ(١)

أي: علماء بحوادث الأمور.

وأنشدوا أيضًا:

نَحْنُ الكرَاسِي لا(٢) تعد هوازن

أمثالنا في النَّائِبَاتِ ولا أَسُد(٣)

قال ابن الأنباري: الذي نذهب إليه ونختاره القول الأول، لموافقته الآثار، ومذاهب العرب، والذي يحكى عن ابن عباس: أَنَّه عِلْمُه، إنما يروى بإسناد مطعون، والبيتان يقال: إنهما من صَنْعَةِ النحويين، لا يُعْرفُ لهما قائل، فلا يحتج بمثلهما(٤) في تفسير(٥) كتاب الله ﷻ.

وقال الأزهري: من روى عن ابن عباس في الكرسي(٦): أنه العلم، فقد أبطل(٧). وقال أبو إسحاق: الله ﷻ أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته

(١) البيت ذكره الطبري في «تفسيره» ٣/ ١١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥٥، والماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٣٢٠٥، والزمخشري في «أساس البلاغة» ٢/ ٣٠٣، (كرسي) وقال: أنشده قطرب، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٨٠.

(٢) في (ي) (فلا).

(٣) البيت لم أهتد إلى قائله، ولا من ذكره.

(٤) في (أ) و(م) بمثلها.

(٥) سقطت من (ي).

(٦) سقطت من (ي).

(٧) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٢٦، وهذا لفظه في نسخة خطية أشار إليها محققو التهذيب، ونقلها صاحب«اللسان» ٧/ ٣٨٥٥ مادة (كرس)، ولفظه في النسخة المطبوعة: والذي روي عن ابن عباس في الكرسي، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار. وفي «مجموع الفتاوى» ٦/ ٥٨٤ سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: هل العرش والكرسي موجودان، أو أن ذلك مجاز؟ فأجاب: الحمد لله، بل العرش موجود=

أنه أمر عظيم من أمره[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ يقال: آده يَؤُودُه أَوْدًا: إذا أَثْقَلَه وأَجْهَدَه، وأُدْتُ العُودَ أودًا، وذلك إذا اعتَمدت[٢] عليه بالثِّقْلِ حتى أملته[٣]، قالت الخنساء:

وحَامِلُ الثِّقلِ والأعْبَاءِ قَدْ عَلِمُوا
إذا يَؤُودُ رِجَالًا[٤] بعضُ ما حَمَلُوا[٥]

وقال آخر:

وقَامَتْ تُرَائِيكَ مُغْدوْدِنًا[٦] إذا ما تَنُوءُ بِهِ آدَهَا[٧]

= بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف، وقد نقل عن بعضهم أن كرسيه: علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧] والله يعلم نفسه، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض؛ لم يكن هذا المعنى مناسبًا، ولاسيما وقد قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٨.

(٢) في (أ) و(م) و(ش): (اعتمد).

(٣) في (أ) و(م) و(ش) (أماله).

(٤) في (ي): (رجال).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٦٣، وليس في «ديوانه».

(٦) في (م) مغدودوننا.

(٧) البيت من المتقارب، وهو لحسان بن ثابت في «ديوانه» ص٧٦، وفي «الحجة» ٢/ ٣٩٢، «المحتسب» ١/ ٣١٩، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٢٠ مادة: غدن. والمُغْدَودِن: الشعر الطويل.

أي: أثقلها، يصف كَثْرةَ شَعْرِها، وإنها لا تُطِيقُ حَمْله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ يقال: علا يَعْلُو عُلُوًّا فهو عالٍ وعليّ، مثل: عَالم وعَليم، وسامع وسميع، فالله تعالى عليٌّ بالاقتدار ونفوذِ السلطان، وقيل: عليٌّ على الأشباه والأمثال. يقال: علا على قِرنه، إذا اقتدر عليه وغَلبه، وليس ثَمَّ عُلُوٌّ من جهة المكان، ويقال أيضًا: علا فلان عن هذا الأمر: إذا كان أرْفَعَ مَحَلًّا عن الوصف به[٢]، فمعنى العُلُوِّ في صفة الله تعالى منقولٌ إلى اقتداره، وقهره، واستحقاقه صفات المَدْح، على وجه لا يُسَاوى ولا يُوَازَى[٣][٤].

والعظيم: معناه: أنه عظيم الشأن، لا يُعْجِزه شَيء، ولا نهايةَ لمَقْدُوره[٥] ومَعْلُومه.

٢٥٦- قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ الآية. اللام في الدين، قيل: إنه لام العهد، وقيل: بدل من الإضافة، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] أي: مأواه، وأراد: في دين الله[٦]. وأكثرُ المفسرين: ابن

---

(١) ينظر في (آد): «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٣، «المفردات» ص ٤٣، «اللسان» ١/ ١٦٨، وقال ابن قتيبة في غريب القرآن ص٩٣: آده الشيء يؤوده، وآده يئيده، والوأد: الثِّقَل.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) في (ي): (ولا يوازى ولا يوارى).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٦٣، وقد أنكر المؤلف -رحمه الله- علو الله على خلقه علو الذات وهو خلاف مذهب السلف. فالعلو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، ينظر كتاب: «العلو للعلي الغفار» للإمام الذهبي.

(٥) في (م): (القدورة).

(٦) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٨٢.

عباس[١]، وقتادة[٢]، ومجاهد[٣]، وغيرهم[٤]، على أن معنى الآية: لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب.

وذلك أن العرب كانت أمة أمية، لم يكن لهم دين ولا كتاب، فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف[٥]، فأُكرِهوا[٦] على الإسلام، ولم يقبل منهم الجزية، فلما أسلموا، ولم يبق أحد من العرب، إلا دخل في الإسلام، طوعًا أو كرهًا، أنزل الله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ فأمر أن يقاتل أهل الكتاب، والمجوس، والصابئون، على أن يسلموا أو يقروا بالجزية، فمن أقر منهم بالجزية، قبلت منه وخُلّي سبيلُه، ولم يُكره على الإسلام[٧].

والحكم في هذا: أن الحربي إذا أُكْره على الإسلام فتلفظ بالشهادتين خوف السيف صحّ إسلامه، ولا خلاف في ذلك؛ لأن الإكراه إكراه بالحق هذا[٨]، فأما الذمي إذا أكره على الإسلام، فهو مختلف فيه، والصحيح: أن إسلامه مع الإكراه غير صحيح؛ لأنه إكراه بباطل وظلم[٩]. قال أبو

---

(١) «الوسيط» ١/ ٣٦٩.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠٢، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٦، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٩٣.

(٣) «الوسيط» ١/ ٣٦٩.

(٤) عزاه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٧٢ إلى قتادة والضحاك وعطاء وأبي روق والواقدي.

(٥) في (ي) (والسيف).

(٦) في (ي) و(ش) (وأكرهوا).

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧٢.

(٨) ساقط من (ي).

(٩) ينظر: المغني ١٢/ ٢٩١، وخالف محمد بن الحسن، حيث يرى أن الذمي المكره على الإسلام يصير مسلمًا في الظاهر، وإن رجع عنه قتل إذا امتنع عن الإسلام.

عبيد: الصحيح في وجه هذه الآية، إن شاء الله، أن يكون في أهل الذمة لأدائهم الجزية، أو يكونوا مماليك، فلا يكرهون على الإسلام، فأما أهل الحرب فلا يكون لهم ذلك.

وقال ابن مسعود،[١] والسدي،[٢] وابن زيد،[٣]: كان هذا قبل أن يؤمر رسول الله ﷺ بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

وقال سليمان بن موسى[٤] في هذه الآية: نَسَخَتْها ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣][٥].

وقال الزجاج: الإكراه في هذه الآية معناه: النسبة إلى الكره، كما يقال: أكفره وأفسقه وأكذبه. ومعنى الآية: لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الإسلام: إنه[٦] دخل مكرهًا، ولا تنسبوا من دخل في الإسلام إلى الكره؛ لأنه إذا رضي بعد الحرب، وصح إسلامه فليس بِمُكرَه[٧][٨]، يدل عليه قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤][٩].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٤، والقرطبي ٣/ ٢٨٠.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٩٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٦.

(٣) ذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٢٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٦.

(٤) لعله سليمان بن موسى بن الأشدق أبو أيوب الدمشقي، روى عن عطاء وعمرو بن شعيب، وروى عنه الأوزاعي وابن جابر، كان أوثق أصحاب مكحول، وكان فقيها ثبتا. ينظر «الجرح والتعديل» ٤/ ١٤١-١٤٢، «التقريب» ص ٢٥٥ (٢٦١٦).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٨٠.

(٦) في (ي): (لا تقولوا من دخل في الإسلام بعد الحرب دخل مكرها).

(٧) في (ش) (بمكروه).

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣٣٨.

(٩) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧٥.

وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ يقال: بَانَ الشيءُ وأَبَانَ واستبان وَبيَّنَ: إذا ظهر وَوَضَح، ومنه المثل: قد بَيَّنَ الصُّبْح لذي عينين، ويقال: تَبَيَّن[1].

والرُّشْدُ معناه في اللغة: إصابةُ الخير، وفيه لغتان: رَشَد يَرْشُد رُشْدًا، ورشِد يرشَد رشَدًا[2]. والرشاد أيضًا مصدر كالرُّشْد[3].

والغيُّ: نقيض الرُّشد، يقال: غوى يغوي غيًا وغوايةً، إذا سلك خلافَ طريقِ الرُّشد[4]، قال:

فمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَه ... ومَنْ يَغْوِ لايَعْدَمْ على الغَيِّ لائِما[5]

قال أبو عبيد: وبعضٌ يقول: غَوِيْتُ أَغْوَى، وليست بمعروفة، إنما

---

(١) ينظر في (بان): «تهذيب اللغة» ١/ ٢٦٤، «المفردات» ص٤٥، «اللسان» ١/ ٤٠٦.

(٢) ينظر في (رشد): «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤١١، «المفردات» ص٢٠٢، «اللسان» ٣/ ٦٤٩. وذكر الراغب عن بعضهم الفرق بين الرشَد والرُّشد، بأن الرَّشَد أخص من الرُّشد؛ فإن الرُّشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَد يقال في الأمور الأخروية لا غير. والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا.

(٣) ذكر في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤١١ مادة «رشد» أن الليث فرق بين رَشَد يرشُد رُشْدا ورَشَادا، ورَشِد يرشَد رَشَدا، بأن الأول نقيض الغي، والثاني نقيض الضلال، ثم ذكر الأزهري أن غير الليث جعلوهما بمعنى واحد.

(٤) ينظر في (غوى): «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٠٦، و«القاموس المحيط» ص١٢٢٠، «اللسان» ٦/ ٣٣٢٠، قال الراغب: الغيُّ: جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحًا ولا فاسدًا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا النحو الثاني يقال له غيٌّ.

(٥) البيت للمُرَقِّش، كما في «اللسان» ٦/ ٣٣٢٠ مادة «غوص»، وضُبطت: يغْوَ، بفتح الواو، بينما في نسخة(أ) من البسيط ضُبطت بكسر الواو.

هي في الفصيل إذا بَشِمَ من اللبن[١].

ومعنى ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾ مِنْ الغَيِّ ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ قال أهل اللغة: الليث،[٢] وأبو عبيدة،[٣] والكسائي[٤]: الطاغوت: كُلُّ ما عُبِدَ من دون الله، واحدٌ وجِماع[٥]، ويُذَكَّر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فهذا في الواحد، قيل: هو كعب بن الأشرف[٦]، وقال في الجمع[٧]: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال في المؤنث: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧].

ومثله من الأسماء: الفُلْك، يكون[٨] واحدًا وجمعًا ومذكرًا ومؤنثًا[٩].

---

(١) نقله في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٠٦ مادة (غوى)، وينظر «غريب الحديث» لأبي عبيد، وغويت أغوَى، تقال في الفصيل إذا بشم وأتخم، وإذا لم يصب ريًّا من اللبن.

(٢) نقله عنه في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦ مادة (طغى).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٧٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦ مادة (طغى).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦ مادة (طغى).

(٥) في (م): (وجمع).

(٦) كعب بن الأشرف الطائي: من بني نبهان، شاعر جاهلي، أمه يهودية من بني النضير، وكان سيدًا فيهم، هجا النبي ﷺ وأصحابه، وآذى كثيرًا من المسلمين، أمر النبي بقتله؛ فقتله خمسة من الأنصار ظاهر حصنه سنة ٣ هـ. ينظر «الروض الأنف» ٣/ ١٣٩، «الأعلام» ٥/ ٢٢٥.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) في (ش): (تكون).

(٩) ينظر في الطاغوت: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦، «التبيان» ١٥٣، «اللسان» ٥/ ٢٦٧٨، مادة (طغى) وفى «المفردات» ٣٠٧-٣٠٨ قال الراغب: والطاغوت: عبارة عن =

قال النحويون: وزنه: فَعَلوت، نحو: جَبَرُوت، والتاء زائدة فيه، وهي مشتقة من طَغَى، وتقديره: طَغَوُوْت[١]، إلا أن لام الفعل قُلِبت إلى موضع العين، كعادتهم في القلب، نحو الصاعقة والصاقعة وبابه، ثم قلبت الواو ألفًا، لوقوعها في[٢] موضع حركة وانفتاح ما قبلها،[٣]، قال المبرد في الطاغوت: الأصوب عندي أنه جمع[٤]، قال أبو علي: وليس الأمر عندنا على ما قال، وذلك أن الطاغوت مصدر، كالرَّغَبُوت والرَّهَبُوت والسَّلَبُوت، فكما أن هذه الأسماء آحاد، كذلك هذا الاسم مفرد ليس بجمع، والأصل فيه التذكير، فأما قوله: ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] فإنما أَنَّث إرادةَ الآلهة، ويدل على أنه مصدر مفرد قوله: ﴿أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ فأفرد في موضع الجمع، كما قال: هم رضا، وهم عدل[٥].

= كل متعد وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع. ولما تقدم سمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتًا.

(١) في (ي) (إنها طغووت).

(٢) ليست في (م).

(٣) ينظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٧، «المفردات» ص ٣٠٨، «التبيان» ص١٥٣، «اللسان» ٥/ ٢٦٧٨ مادة (طغى). قال العكبري: وأصله طَغَيُوت؛ لأنه من طغيت تطغى، ويجوز أن يكون من الواو؛ لأنه يقال فيه: يطغو أيضا، والياء أكثر، وعليه جاء الطغيان، ثم قدمت اللام فجعلت قبل العين، فصار طَيْغوتًا أو طوْغوتًا، فلما تحرك الحرف وانفتح ما قبله قلب ألفا، فوزنه الآن فلَعوت، وهو مصدر في الأصل مثل الملكوت والرهبوت. اهـ. وبنحو هذا في «مشكل إعراب القرآن».

(٤) المبرد، نقله عنه في «البحر المحيط» ٢/ ٢٧٢.

(٥) أبو علي، نقله عنه في «البحر المحيط» ٢/ ٢٧٢.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٩٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٧٧، وابن

قال ابن عباس(١) ومقاتل(٢) والكلبي(٣): الطاغوت: الشيطان، وقيل: الأصنام(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ اسْتَمْسَكَ بالشيء: إذا تمسك به(٥).

والعُرْوة: جمعها عُرًى، وهي نحو عُروة الدَّلو والكُوز، وإنما سُميت لأنها يتعلق بها، من قولهم: عَرَوْتُ الرجلَ أَعْرُوهُ عَرْوًا: إذا أَلمَمْتَ به مُتَعلِّقًا بسبب منه، والعُرْوَةُ: شَجَر يبقى على الجَدْب؛ لأن الإبل تتعلق(٦) به إلى وقت الخِصْب(٧)،

ومنه قول مهلهل(٨):

الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٦.

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٥.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٧٧.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٩٥، «بحر العلوم» للسمرقندي ١/ ٢٢٤، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٧٧.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧٨، «المفردات» ص٤٧١، قال: واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك.

(٥) في (م) (ش): (يتعلق).

(٦) ينظر في (العروة): «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٧٦، «اللسان» ٥/ ٢٩١٩، قال الراغب في «المفردات» ص ٣٣٥: والعروة: ما يتعلق به من عراه، أي ناحيته، قال تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وذلك على سبيل التمثيل، والعروة أيضا شجرة يتعلق بها الإبل، ويقال لها: عروة وعَلْقة.

(٧) مهلهل بن ربيعة التغلبي؛ قيل: اسمه امرؤ القيس، وقيل: عدي، ورجح المرزُباني أن عديًّا أخوه، سمي مهلهلًا؛ لأنه هلهَل الشعر، أي: أرقّه، ويقال إنه أول من قصد القصائد، وفي الأعلام رجح عديًّا، وقال توفي نحو ١٠٠ ق هـ. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣٩، «معجم الشعر» للمرزباني ص ٢٤٨، «الأعلام» ٤/ ٢٢٠.

(٨) البيت في «ديوانه» ص ١٨٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٨٧٦ [مادة: عرر]، «تهذيب

خَلَعَ المُلوكَ وسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شَجَرُ العُرَى وعَراعِرُ الأقْوَام[١]

قال الأزهري: العروة من دِق الشجر: ما له أصل باق، مثل: العَرْفَج والنَّصِي،[٢] وأجناس[٣] الخُلةِ والحَمْضِ، فإذا أمحل[٤] الناس عصمت العروة الماشية فتبلغت[٥] بها، ضربها الله مثلًا لما يعتصم به من الدين[٦].

(والوُثْقَى) تأنيث الأوثق[٧]. قال عطاء عن ابن عباس: العروة الوثقى، هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن ما جاء به محمد حق وصدق[٨]. وقال مجاهد[٩]: هي الإيمان، وقال الزجاج[١٠]: معناه: فقد عقد لنفسه عقدًا وثيقًا[١١].

اللغة» ٣/ ٢٣٨٨، «تاج العروس» ٧/ ٢٠٨، «مقاييس اللغة» ٤/ ٣٧، «جمهرة اللغة» ص ١٩٧. وجاء في «اللسان» ٥/ ٢٩١٩ مادة(عرا)؛ قال ابن بَرِّي: ويروى البيت لشُرْحبيل بن مالك يمدح معد يكرب بن كعب، قال: وهو الصحيح. ويروى: عُراعِر وعَراعِر، فمن ضمّ فهو واحد، ومن فتح جعله جمعًا، ومثله: جُوالق، وجَوالق. قال: والعُرَاعِر هنا: السيد.

(١) حاشية على نسخة (أ) نصُّها: والنصِي من نبات الرمل، يقال له: الغضا والأرَطى والألا، مثال: العُلا، وهو شجر حسن المنظر، مر الطعم، والسبط والنَّصِي ما دام رطبًا، فإذا يبس فهو الحَلِي.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) في (م): (كأنها أهل).

(٤) في (م): (تعلقت).

(٥) «تهذيب اللغة» مادة (عرا) ٣/ ٢٣٧٦.

(٦) «المفردات» ٥٢٧.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٣/ ٢٨٢، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٩٦.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٠، «ابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٤٩٦.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٣٣٩.

(١٠) من قوله: (وقال الزجاج). ساقط من (ي).

(١١) ساقطة من (ش).

قال أهل المعاني: العروة[١] الوثقى، هاهنا: مَثَلٌ حَسُنَ به البيان لتَرْك ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به الإحساس، وذلك أنه لا يقع الإحساس بالتعلق بالكلمة ولا بالإيمان، وإنما يقع الإحساس بما يكون من جنس الحَبْل والسَّبب والعُرَى وما يتعلق به، فضرب العروة الوثقى مثلًا للإيمان بما جاء به محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ الفَصْم: كَسْرُ الشيء من غير إبانة، يدل عليه قولُ ذي الرمة يَصِفُ ظَبْيًا حاقِفًا:

كأنه دُمْلُجٌ من فِضَّةٍ نَبَهٌ
في مَلْعَبٍ من جَوَارِي الحَيِّ مَفْصومُ[٢]

والانفصام: مطاوع الفَصْم، يقال: فَصَمْتُه فانْفَصَم، أي: صَدَعْتُه فانْصَدَع[٣].

قال ابن عباس: لا انقطاع لها دون رضى الله ودخول الجنة[٤].

قال النحويون: نَظْمُ الآيةِ: بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها،

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٥٧٢، وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٥، وجاء في «اللسان» مادة (فصم) ٦/ ٣٤٢٤،: شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونُسي، وكل شيء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نَبَهٌ، قال ابن بري: قيل في نبه: إنه المشهور، وقيل: النفيس الضال الموجود عن غفلة لا عن طلب، وقيل هو المنسي.

(٢) ينظر في فصم: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٥، «اللسان» ٦/ ٣٤٢٤، وفي «البحر المحيط» ٢/ ٢٧٢، ذكر أبو حيان أن الفصم: الانكسار من غير بينونة، والقصم: الكسر ببيونة، وقد يجيء الفصم -بالفاء- في معنى البينونة.

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٧٠.

(٤) في (ي): (منهما).

والعرب تضمر(التي والذي ومن وما)، وتكتفي بصلاتها منها[١]، قال سلامةُ بنُ جَنْدَل[٢]:

والعادِياتُ أَسَابِيُّ الدِّماءِ بها كأنَّ أَعْناقَها أَنْصابُ تَرْجِيبِ[٣]

يريد: والعاديات[٤] التي. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: رأيت[٥] ما ثم. وقال الشاعر في إضمار من:

كَذَبْتُم وبَيْتِ الله لا تَنْكِحُونَها بَني شَابَ قَرْنَاهَا تُصَرُّ وتُحْلَبُ[٦]

على معنى: بني مَنْ شاب قرناها، وقال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: من له.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين حول المدينة، وكان يسأل الله ذلك سرًّا وعلانية[٧].

فمعنى قوله: والله سميع، يريد: لدعائك يا محمد، عليم بحرصك

(١) سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان، من أهل الحجاز، في شعره حكمة وجودة، توفي في حدود ٢٣ ق. هـ. ينظر الأعلام ٣/١٠٦.

(٢) البيت في ديوان سلامة ص ٩٦، وجاء في «لسان العرب» ٣/ ١٠٨٤ مادة (رجب) شَبّه الشاعر أعناق الخيل بالنخلِ المُرَجَّب، والترجيب: التعظيم أو إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط، وقيل: شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك.

(٣) في (ي): (العادة).

(٤) ساقط من (ش).

(٥) البيت من الطويل للأسدي في «لسان العرب» ٦/ ٣٦٠٩ (مادة: قرن).

(٦) هذه الرواية التي تقدم عنها الحديث في قسم الدراسة.

(٧) في (ي): (قال).

واجتهادك. وقال[١] أبو إسحاق: أي: يسمع ما يعقده الإنسان على نفسه من أمر الإيمان، ويعلم نيته في ذلك[٢].

٢٥٧- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، الوَلِيُّ: فعيل بمعنى فاعل، من قولهم: وَلِيَ فلانٌ الشيءَ يَلِيهِ ولايةً فهو والٍ وَوَليّ[٣]، وأصله من الوَلْيِ الذي هو القُرْب، قال الهذلي[٤]:

عَدَتْ عَوَادٍ دون وَلْيِك تَشْعَبُ[٥].

ومِنْ هذا يقال: داري تَلِي دارَه، أي، تَقْرُبُ منه، ومن هذا المعنى يقال للنصير المعاون المحب: وَلِيّ؛ لأنه يقرب منك[٦] بالمحبة والنصرة، ولا يفارقك[٧]، ومن ثَم قالوا في خلاف الولاية: العَدَاوة، ألا ترى أن العداوة من: عَدَا الشيءَ، إذا جَاوَزَه، فمن ثَمَّ كانت خِلافَ الوِلاية، فالوَلِيّ في اللغة هو: القريب من غير فصل[٨]، والله تعالى ولي المؤمنين على معنى أنه يلي أمورهم، أي: يتولاها، وإن كانت أمور الكفار تجري بمشيئته، ففي هذا تخصيص للمؤمنين وتفضيل، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٣٣٩.

(٢) ليست في (ي).

(٣) خويلد بن خالد بن محرث الهذلي: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم، وحسن إسلامه، تقدمت ترجمته.

(٤) عجز بيت وصدره:

هجرتْ غضوبُ وحبَّ من يتجنبُ.

ورد في «لسان العرب» ٨/ ٤٩٢٢؛ ونُسب لساعدة (مادة: ولى).

(٥) في (ش): (منه ومنك).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) ينظر في الولي: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٥٦، «المفردات» ص٥٤٧-٥٤٩، «اللسان» ٨/ ٤٩٢١.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٩.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] ووليهم أيضًا على معنى أنه يَتَوَلَّى ثوابَهُم ومجازاتهم بحسن أعمالهم[١].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: من الكفر والضلالة إلى الإيمان والهداية[٢].

قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فإنه أراد به الكفر والإيمان، غير التي في الأنعام ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] فإنه يعني الليل والنهار. وجعل الكفر ظلمات؛ لأنه كالظلمة في المنع من إدراك الحق[٣].

وقال الزجاج: لأن أمر الضلالة مظلمٌ غيرُ بَيِّن، وأمر الهدى بَيِّنٌ واضح كبيان النور[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أي: الذين يتولون أمرهم الطاغوت، والطاغوت هاهنا جمع، وقد ذكرناه[٥].

وقرأ الحسن: (أوليائهم الطواغيت) على الجمع[٦].

وقال مقاتل: يعنى بالطاغوت هاهنا: كعب بن الأشرف وحيي بن

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧٩.

(٢) نقله في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧٩، «تفسير والبغوي» ١/ ٣١٥.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٣٩.

(٤) في (ش): (وقد ذكرنا).

(٥) ينظر: «المحتسب» لابن جني ١/ ١٣١، وابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ٢٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٨١.

(٦) هو: حيي بن أخطب النضري اليهودي، جاهلي من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد

أخطب[١] وسائر رؤوس الضلالة[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال قتادة[٣] والمقاتلان[٤]: يعني: اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث لِما يجدونه في كتبهم من نعته وصفته، فلما بعث جحدوه وأنكروه[٥] وكفروا به. بيانه[٦] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وعلى هذا، الطاغوتُ: علماؤهم، يخرجون أتباعهم عما كانوا عليه من الإيمان بمحمد قبل مبعثه، بقولهم: إنه ليس ذلك الذي نُعت[٧] في كتابنا. وسائر المفسرين على أن هذا على العموم في جميع الكفار[٨].

ووجه إخراجهم من النور ولم يكونوا فيه، أنّ منع الطاغوت إياهم عن الدخول فيه إخراجٌ لهم منه، كما تقول: أخرجني والدي من ميراثه، تأويله: أنه[٩] منعني الدخول فيه؛ لأنه لو لم يعمل ما عَمِلَ لدخلتُ فيه ومثل هذا:

الحاضر والبادي، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه. ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٢٩، «الأعلام» ٢/ ٢٩٢.

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٥، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٥٣.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم ٢/ ٤٩٨، والثعلبي ٢/ ١٤٨٢.

(٣) ذكره عن مقاتل بن حيان: ابن أبي حاتم ٢/ ٤٩٧، والثعلبي ٢/ ١٤٨٢، وقول مقاتل

قوله تعالى: ﴿مَن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [الحج: ٥] يريد: ينقل، لأنه لم يكن فيه قط، فسمى النقل ردًا، لأن صورتهما واحدة، ومثله: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] أي: صار[1].

وروي عن مجاهد: أن هذا في قوم ارتدوا عن الإسلام[2].

وأضاف الإضلال والإخراج من النور إلى الطاغوت؛ لأن سبب ذلك من الطاغوت، وهو التزيين والوسوسة والدعاء إليه، فالإضافة إليه لأجل السبب. وحقيقة الهداية والإضلال لله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] والشيطان يزين ويسول، كما قال النبي ﷺ: «**بعثت داعيًا وليس إليَّ من الهداية شيء، وخُلِقَ إبليسُ مُزِيِّنًا**[3] **وليس إليه من الضَّلالَةِ شيء**[4]».

٢٥٨- قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ الآية ﴿أَلَمۡ﴾ كلمة يُوَقَّفُ[5] بها المخاطَبُ على أمر تعجب منه. ولفظه لفظ الاستفهام[6].

٢/ ١٤٨٣.

(١) ذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٢٩.

(٢) في (أ) و(م): (من نار).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» من حديث عمر بن الخطاب، وفيه خالد أبو الهيثم، وابن عدي في «الكامل» في الضعفاء ٣/ ٤٧١، وقال: في قلبي منه شيء، ولا أدري سمع خالد من سماك أم لا، قال الدارقطني وابن حجر: مجهول، ينظر تنزيه الشريعة ١/ ٣١٥، «كنز العمال» ١/ ١١٦ حديث رقم ٥٤٦.

(٤) في (ي): (وقف).

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٠.

(٦) ساقط من (ي).

قال الفراء: وإدخال العرب (إلى)[١] في هذا الموضع على جِهَةِ التعجب، كما يقول الرجل: أما ترى إلى هذا؟ والمعنى: هل رأيت مثل هذا؟ أو رأيتَ هكذا[٢]، والدليل على ذلك أنه قال: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ﴾، فكأنه قال: هل رأيت كمثل الذي حاج، أو كالذي مر[٣].

وإنما دخلت (إلى) لهذا المعنى من بين حروف الإضافة؛ لأن (إلى) لما كانت نهاية صارت بمنزلة: هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته؟ لتدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه، لأن التعجب إنما هو[٤] مما استبهم سببه مما[٥] لم تجر به عادة[٦].

و﴿حَآجَّ﴾ بمعنى: جادل وخاصم[٧]، وهو نمروذ[٨] بن كنعان. قال ابن عباس، في رواية عطاء: إن إبراهيم دخل بلدة نمرود ليمتار[٩]، وأرسل إليه[١٠] نمرود، وقال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال نمرود: أنا أحيي وأميت[١١].

---

(١) في (ش): (كهذا).
(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٠، وينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٨، «التبيان» ص١٥٥.
(٣) ساقط من (ي).
(٤) في (ش): (ما).
(٥) ينظر في معنى (إلى): «مغني اللبيب» ص ١٠٤.
(٦) «المفردات» ص١١٥.
(٧) في (أ) و(م) و(ي): (نمرود).
(٨) ساقط من (م).
(٩) في (ي) و(ش): (فأرسل).
(١٠) ذكر في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٥، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٨٤، وذكره في «الوسيط» ١/ ٣٧١.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: لأن أتاه الله، وتأويله: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه للملك الذي[١] آتاه الله، يريد: بطرُ المُلك حمله على محاجة إبراهيم[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، وتقديره[٣]: إذ قال له: من ربك؟ فقال إبراهيم: ﴿رَبِّىَ﴾[٤] الذي يحيي ويميت، فحذف[٥]؛ لأن الجواب يدل على السؤال في مثل هذا الموضع[٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ اعتمد عدو الله على المعارضة على الإشراك[٧] في العبادة[٨] في العبارة، عادلًا عن وجه الحجة بفعل حياةٍ للميت أو مَوْتٍ[٩] لحي على سبيل الاختراع الذي يفعله الله ﷻ؛ لأنه رُويَ أنه دعا برجلين؛ فقتل أحدهما واستحيا الآخر، فسَمَّى ترك القتل إحياءً[١٠].

والقراء على إسقاط ألف أنا[١١] عند الوصل في جميع القرآن، إلا ما

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٨٤.

(٣) في (م) (وتأويله).

(٤) زيادة من (ي).

(٥) في (م)حذف.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٠.

(٧) في (ي) و(ش) الاشتراك.

(٨) في (ي) و(ش) العبارة.

(٩) في (ش) ميت.

(١٠) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٨٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤- ٢٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٢.

(١١) (أنا) ساقط من (ي).

روي عن نافع من إثباته عند استقبال همزة[١]، والصحيح من القراءة ما عليه القراء[٢]؛ لأن (أنا) ضمير المتكلم، والاسم الهمزة والنون، فأما الألف فإنما تلحقها في الوقف، كما تلحق الهاء في (مسلمونه) للوقف، وكما أن الهاء التي تلحق للوقف إذا اتصلت الكلمة التي هي فيها بشيء[٣] سقطت. كذلك هذه الألف تسقط في الوصل؛ لأن[٤] ما تتصل به يقوم مقامه، ألا ترى أَنَّ همزة الوصل إذا اتصلت الكلمة التى هي فيها[٥] بشيء سقطت ولم تثبت؛ لأن ما تتصل به يتوصل به إلى النطق بما بعد الهمزة، فلا تثبت الهمزة لذلك، وكذلك الألف في أنا والهاء التي للوقف[٦]، إذا اتصلت الكلمة التي هما فيها بشيء سقطتا ولم يجز إثباتهما، كما لم تثبت همزة الوصل؛ لأن الهمزة في هذا الطرف مثل الألف والهاء في الطرف[٧] الآخر وأما قراءة نافع فهي ضعيفة جدًّا[٨]؛ لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف[٩]،

---

(١) ينظر: «السبعة» ص١٨٨، «الحجة» ٢/ ٣٥٩، ونافع يثبت الألف عند استقبال همزة في جميع القرآن، إلا في قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ١١٥] فإنه يطرحها في هذا الموضع مثل سائر القراء، ولم يختلفوا في حذف الألف إذا لم تلقها همزة، إلا في قوله: ﴿لكنَّا هو الله رَبي﴾ [الكهف: ٣٨].

(٢) ينظر التعليق لأبي حيان عند قوله تعالى: «إلا من اغترف غرفة بيده» [البقرة: ٢٤٩].

(٣) في (ي) و(ش): (شيء).

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (م): (في أنا والتي للوقف)، وفي (ش): (في أنا والهاء التى في الوقف).

(٧) في (ش): (الظرف) في الموضعين.

(٨) هذه العبارة، وأما قراءة نافع فهي ضعيفة جدًّا ليست من كلام أبي علي.

(٩) هذا قول في توجيه قراءة نافع، والقول الآخر: أنها لغة، قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٨٨: والأحسن أن تجعل قراءة نافع على لغة بني تميم، لا أنه من=

وأثبت الألف التي حكمها أن تلحق في الوقف[١]، وهم قد يجرون الوصل مجرى الوقف في ضرورة الشعر، فيثبتون فيه ما حكمه أن يثبت في الوقف، وليس ذلك مما ينبغي أن يؤخذ به في التنزيل؛ لأنهم إنما يفعلون ذلك لتصحيح وزنٍ أو إقامةِ قافية، وذلك لا يكونان في التنزيل، وهذه[٢] الضرورات إنما تركت في الشعر، كقوله:

هم القائلونَ الخيرَ والآمِرُونَهُ[٣]

الهاء فيه هاء الوقف التي تلحق في: مسلمونه وصالحونه، فألحق الهاء حرف اللين، وهذا كما أجروا غير القافية مجري القافية، كما أجروا قوله:

لما رَأَتَ ماءَ السّلى مَشْرَوبا[٤]

وإن لم يكن مُصَرَّعًا مجرى المُصَرّع، ولا يجوز شيء من ذلك في غير

= إجراء الوصل مجرى الوقف على ما تأوله عليه بعضهم، قال: وهو ضعيف جدا، وليس هذا مما يحسن الأخذ به في القرآن. انتهى. فإذا حملنا ذلك على لغة تميم كان فصيحًا، وبنحوه قال السمين في «الدر المصون» ٢/ ٥٥٣، وقال: وإنما أثبت نافع ألفه قبل الهمزة جمعا بين اللغتين، أو لأن النطق بالهمز عسر فاستراح له بالألف؛ لأنها حرف مد.

(١) ساقط من (ش).

(٢) في (ي): (وهذ)ا.

(٣) عجز البيت:

إذا ما خشوا من محدَث الأمر معظما.

هو بلا نسبة في «لسان العرب» ٥/ ٢٦٩٠ مادة: طلع، مادة (جين).

(٤) هذا صدر بيت عجزه:

والغرْثَ يُعْصر في الإناء أرنَّت.

وقد اختلف في نسبته إلى شبيب بن جعيل، أو حجل بن نضلة. ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٦٤، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧/ ٢٤٧-٢٤٨.

الشعر، فمما[١] جاءت ألف (أنا) مثبته فيه وصلًا من الشعر قول الأعشى:

فكَيْفَ أنا وانْتِحَالِي القَوافي ... بعيد المَشِيبِ كَفَى ذاكَ[٢] عارًا[٣]

وما أنشده الكسائي:

أنا شَيْخُ العَشِيرةِ فاعْرِفُوني ... حَمِيدٌ قد تَذَرَّيْتُ السَّناما[٤]

وقول آخر:

أنا عبيد الله يَنْمِينِي عُمَر
خَيْرُ قُرَيْشٍ مِنْ مَضَى ومَنْ غَبَر[٥][٦]

---

(١) في (م): فما.

(٢) في (ي): بذاك.

(٣) البيت في «ديوانه» ٨٤، وروايته فيه:

فما أنا أم ما انتحالي القوافِ ... بعد المشيب كفى ذاك عارا

وذكره في «البحر المحيط» ٢/ ٢٨٨، كرواية المؤلف، وأورده المبرد (في الكامل ٢/ ٣٧) شاهدا على إثبات ألف (أنا) في الوصل ضرورة، ثم قال: والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوا.. في بعد.. والمعنى: ينفي عن نفسه ما اتهم به عند الممدوح من أنه يسطو على شعر غيره وينتحله لنفسه.

(٤) ورد البيت هكذا:

أنا سيف العشيرة فاعرفوني ... حميدًا قد تذريت السناما.

والبيت لحميد بن ثور، ينظر: «الديوان» ١٣٣، «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي ٢/ ٥٥٣. وقيل: هو لحميد بن مجدل الكلبي، ينظر: «المنصف» ١/ ١٠، وابن يعيش ٣/ ٩٣، «الخزانة» ٢/ ٣٩٠، «شرح شواهد الشافية» ٤/ ٢٢٣.

(٥) تكملة الرجز:

بعد رسول الله والشيخ الأغر .

والرجز لعبيد الله بن عمر، ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩١، و «أساس البلاغة» (مادة: غبر)، «تاج العروس» ٧/ ٢٨٧ (مادة: غبر).

(٦) من «الحجة» ٢/ ٣٥٩-٣٦٥ بتصرف واختصار.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، إنما انتقل إبراهيم من الحجة الأولى مع إمكانه أن يناقضه بأن يقول له: أحيي من قتلته إن كنت صادقًا، قطعًا للخصومة، وتركًا للإطالة، واحتجاجًا بالحجة المسكتة، لأن عدوّ الله لما لبس في الحجة بأن قال: أنا أفعل ذلك، احتج عليه إبراهيم بحجة لا يمكنه فيه[1] أن يقول: أنا أفعل ذلك، ولو قال ذلك بان عجزه وافتضاحه، ولزمه من الحجة ما لا سبيل إلى التدليس فيه، وصار كلام إبراهيم عليه السلام قدوةً للمجادِل إذا تمرَّد الخصمُ[2] وقصدَ التلبيسَ بالمحالِ، وكان الإدلاء في الحجة الأخرى مما يقطعه ويفحمه فالصواب ذكرها، ولا يكون تركُ الأُولى انتقالًا لعجز، ولكنه تنبيهٌ على قِلةِ عَقْلِ الخصم، أو على تعسفه في الكلام[3].

فإن قيل: كان للنمرود أن يقول لإبراهيم: فليأت بها ربك من المغرب، قيل: علم بما رأى من الآيات أنه يفعل فيزداد[4] فضيحةً؛ لأن هذه المحاجة[5] كانت مع إبراهيم بعد إلقائه في النار، وخروجه منها سالمًا، فعلمَ أنَّ من قَدَرَ على حفظ إبراهيم في تلك النار العظيمة من الاحتراقِ، يَقْدِرُ على أن يأتي بالشمس من المغرب، وقيل: إن الله تعالى خذله عن التلبيس[6] بالشبهة نصرة لنبيه.

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ي): (للخصم).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٢.

(٤) في (م): (ليزداد).

(٥) في (ي): (المحاججة).

(٦) في (م): (التلبيس).

وقوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ يقال: بَهَتَه يَبْهَتُه بَهْتًا وبُهْتانًا: إذا واجهه بالكذب عليه، هذا هو الأصل، ثم تُسمَّى الحَيْرةُ عند استيلاء الحجة بُهْتًا لأنها كحيرة المواجَه بالكذب، وفيه ثلاث لغات: بُهِت الرجل فهو مبهوت، وبَهِت، وبَهُتَ، قال عروة العذري[1]:

فما هو إلا أن أراها فُجاءةً فَأُبْهَتُ حتّى ما أكادُ أُجِيْبُ[2]

أي: أتحير وأسكت[3].

وتأويل قوله[4]: فبهت أي: انقطع وسكت[5].

٢٥٩- قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ الآية. قد ذكرنا أن هذه الآية معطوفة على ما قبلها في المعنى، كأنه قيل: أرأيت[6] كالذي حاج، أو كالذي مر[7]، والعرب تحمل على المعاني كثيرًا[8]، قال الفرزدق:

---

(١) هو عروة بن حزام بن مهاجر العذري، من بني عذرة شاعر من متيمي العرب، له ديوان شعر صغير، توفي في حدود ٣٠هـ. ينظر: «الشعر والشعراء» ٣/ ٤، «الأعلام» ٤/ ٢٢٦.

(٢) البيت في «ديوانه» ص٢٨، وفي «خزانة الأدب» ٨/ ٥٦٠ ويُعْزى لكُثَيِّر عزة في «ديوانه» ص ٥٢٢، ويُعْزى أيضًا للمجنون في «ديوانه» ص ٤٩، ولم ينسبه في «معاني القرآن» للأخفش، ولا الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٩٣ وعزاه في الكتاب ٣/ ٥٤ لبعض الحجازيين، وللأحوص في ملحق «ديوانه» ص ٢١٣.

(٣) ينظر في بهت: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤١، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٠٠، «المفردات» ٧٣، «اللسان» ١/ ٣٦٨.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤١، ولفظه: انقطع وسكت متحيرًا.

(٦) ساقط من (م).

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٢.

(٨) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٠، وقال: والعطف على المعنى نصوا على أنه لا ينقاس.

فكَيْفَ بلَيْلَةٍ لا نَجْمٍ فيها ولا قَمَرٍ لسَاريهَا مُنِيرِ[(١)]

أراد: فكيف بليلة ليست بليلة نجم ولا قمر، وقال آخر:

وَجَدْنَا الصَّالِحِينَ لَهُم جَزَاءً وجَنَّاتٍ وعَيْنًا سَلْسَبِيلًا[(٢)]

فنصب الجنات بالنسق على الجزاء وجنات وعينا[(٣)]، وقال آخر:

مُعَاوِيَ إنَّنا بَشَرٌ فاسْجَحْ فلَسْنَا بالجِبَالِ ولا الحَدِيدَا[(٤)]

أراد: فلسنا الجبال والحديد[(٥)]، فحمل على[(٦)] المعنى وترك اللفظ.

وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أن الكاف زائدة، وعطف الذي على الذي من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى﴾[(٧)] والقول الأول اختيار أبي علي، وهو وجه

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت لعبد العزيز بن زرارة الكلابي، كما في «أدب الكاتب» ١/ ٢٨٨، وهو من شواهد «المقتضب» ٣/ ٢٨٤، ومعنى سلسبيلًا: أي سهلًا لذيذًا سلسًا، ينظر: «المفردات» ص٢٣٧.

(٣) البيت وما بعده ساقط من (أ) و(م).

(٤) البيت لعقبة أو لعقيبة الأسدي في: «الإنصاف» ٣٨٤، «لسان العرب» ٦/ ٣٤٩٦ (مادة: غمز).

(٥) في (ي): (ولا الحديدا)، وفي (ش): (ولا الحديد).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٢، ورده الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، وذكر أبو حيان في «البحر» ٢/ ٢٩٠: أن الكاف قد تكون اسمًا على مذهب الأخفش، فتكون في موضع جر معطوفة على (الذي)، والتقدير: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم، أو إلى مثل الذي مر على قرية، ومجيء الكاف اسمًا فاعلة ومبتدأة ومجرورة بحرف الجر ثابت في «لسان العرب»، وتأويلها بعيد، فالأولى هذا الوجه، وإنما عرض لهم الإشكال من حيث اعتقاد حرفية الكاف حملًا على مشهور مذهب البصريين.

حسن[١].

واختلفوا في الذي مَرَّ. فقال قتادة[٢] والربيع[٣] وعكرمة[٤] والضحاك[٥] والسدي[٦]: هو عزير[٧].

وقال وهب[٨] وعطاء عن ابن عباس[٩]: هو أرميا؟ وهو الخضر. وقال مجاهد: هو رجل كافر[١٠] شك في البعث[١١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قال وهب[١٢] وعكرمة[١٣] وقتادة[١٤]

---

(١) ينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٠، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٨، «التبيان» ١٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٠.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٠.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، وذكره الثعلبي ٢/ ١٤٩٤، والقرطبي ٣/ ٢٨٩.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، وذكره الثعلبي ٢/ ١٤٩٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٧.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، وذكره الثعلبي ٢/ ١٤٩٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٧.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٠.

(٧) وهذا الذي صححه أبو المظفر السمعاني في «تفسيره» ٢/ ٤٠٩، وقال ابن كثير ١/ ٣٣٧: وهذا القول هو المشهور.

(٨) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٩، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٩، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٢.

(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٣١٧، وابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ٢٥٥.

(١٠) ليست في (ي).

(١١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٩٦، وروى الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٠، وذكر ابن أبي حاتم ٢/ ٥٠٠ عن مجاهد: أنه رجل من بني إسرائيل.

(١٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠، وذكره الثعلبي ٢/ ١٤٩٦.

(١٣) انظر المصدرين السابقين.

(١٤) انظر المصدرين السابقين.

والربيع[١]: إيليا، وهي بيت المقدس.

وقال[٢] ابن زيد: هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ قال أبو عبيد عن أبي زيد والكسائي: خَوَت الدار[٤] تَخْوِي خُوِيًّا، إذا خلت، قال الكسائي: ويجوز: خويت الدار[٥]. الأصمعي: خَوَى البيتُ فهو يَخْوِي خَوَاءً، ممدود، إذا ما خلا من أهله[٦].

والخَوَى: خُلُوّ البطن من الطعام، وأصل معنى هذا الحرف: الخُلُوّ. ومن هذا ما ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان إذا سجد خَوَّى[٧] أي: أخلى ما بين عَضُدَيْهِ وجَنْبَيْهِ وبَطْنِهِ وفَخِذَيْه، وخَوَاءُ الفرس: ما بين قوائمه، وخَوَاءُ الأرض: بَرَاحُها[٨] قال أبو النَّجْم يصف فرسًا طويلًا.

يَبْدُو خَوَاءُ الأرْضِ من خَوَائِه[٩]

---

(١)رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٨- ٣٠٩.

(٢) في (أ) (قال).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٠٩.

(٤) في (ي) (الديار).

(٥) نقله عنهما في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٢٣ (مادة: خوى).

(٦) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٢٣ (مادة: خوى)، وضبطت يخوي في نسخة (أ) بكسر الواو، وفي التهذيب بفتح الواو.

(٧) رواه مسلم (٤٩٧) كتاب: الصلاة، باب: ما يجمع صفة الصلاة.

(٨) من قوله: (وخواء). ساقط من (ي).

(٩) ورد هذا الشطر منسوبا لأبي النجم في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٢٢، «اللسان» ٣/ ١٢٩٦ (مادة: خوى).

ثم يقال للبيت إذا سَقَطَ وتَهَدَّم: خوي؛ لأنه بِتَهَدُّمه يَخْلُو من أهله، وكذلك خَوَتِ النجوم وأَخْوَت: إذا سَقَطت ولم تمطر؛ لأنها خَلَتْ من المطر(١).

والعَرْشُ: سَقْفُ البيت، والعُرُوش: الأَبْنِيَة، والسُّقُوفُ من الخَشَب، يقال: عَرَشَ الرجلُ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ، إذا بنى بناءً من خَشَبٍ(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: متهدِّمة ساقطة خراب، قاله ابن عباس(٣) والربيع(٤) والضحاك(٥). ومعنى ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: أي: حيطانها كانت قائمة، وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت(٦) الحيطان من قواعدها، فتساقطت على السقوف المتهدمة(٧). ومعنى الخاوية: بمعنى المنقعرة وهي المنقلعة من أصولها، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾. [الحاقة: ٧]. وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وهذه الصِّفَةُ في خراب المنازل من أبلغ ما يوصف به.

قال الأزهري: وإنما قيل للمنقعر: خاو؛ لأن الحائط إذا انقلع خَوِي

---

(١) ينظر في خوى: «تهذيب اللغة» ١/ ١١٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٧، «المفردات» ص١٦٧، «اللسان» ٣/ ١٢٩٦ مادة (خوا).

(٢) ينظر في عرش: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٧، «المفردات» ٣٣٢، «لسان العرب» ٥/ ٢٨٨١.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣١، وذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٣١.

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣١، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٠، وذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٣١.

(٦) في (ش) (انقرعت).

(٧) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٨٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٣١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩٨.

مكانه، أي: خلا منه، فيقال: خَوِي البيت، أي: خلا عن الجدار، ثم يقال: خَوِي الحائط: إذا تهدّم(١).

وقال بعضهم ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي: خالية عن عروشها لتهدمها، جعل (على) بمعنى عن كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطففين: ٢] أي: عنهم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال وهب: إن بُخْتَنَصّر دخل هو وجنوده بيت المقدس، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وسبى ذراريَهم، وخرب بيت المقدس، فلما رجع إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أَرْمِيا على حمار له، معه عصير عنب في زُكرة(٢) وسلة تين، حتى غشي إيليا، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(٣).

ومن قال: المار عزير، قال: هذا من قوله(٤).

وفي قول مجاهد قوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يكون إنكارًا للبعث؛ لأنه جَعَل المارَّ كافرًا، وعلى قول غيره: لا يكون إنكارًا للبعث، ولكن تأويله: أنه أحب أن يزداد بصيرة في إيمانه، فقال: ليت شِعْري كيف يحيي الله الأموات(٥)؟ كما قال إبراهيم: ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١١٢٢ (مادة: خوى).

(٢) في (ش) (ركوة). والزُّكرة: وعاءٌ أو زِقٌّ من أدم يجعل فيه شراب أو خلّ.

(٣) حديث وهب ستأتي تتمته بعد قليل، فينظر تخريجه هناك.

(٤) ينظر «تفسير الطبري» ٣٥/ ٣٥، «تفسير ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠١، «بحر العلوم» ١/ ٢٢٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٠٥.

(٥) في (ي): (الموتى).

[البقرة: ٢٦٠] والمراد بإحياء القرية: عمارتها[١].

وقال آخرون: إنه لما رأى خلاءها[٢] من السكان وتهدم أبنيتها استبعد أن يعمرها الله، لا منكرًا للقدرة، ولكن متعجبًا منها لو كانت[٣].

ومعنى أنى: من أين، كقوله: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧] يعني: من أين يفعل الله ذلك، على معنى: أنه لا يفعله. فأحب الله تعالى أن يُرِيَه آيةً في نفسه، وفي إحياء القرية، فأماته الله مائةَ عَامٍ. قال وهبٌ: ربط أرميا حمارَه بحبل جديد، فألقى الله عليه النوم، فلما نام نزع الله منه الروحَ مائة عام، وأماتَ حماره، وعصيرُه وتِيْنُه عنده، وأعمى الله سبحانه عنه العيون، فلم يَرَهُ أحدٌ، وذلك ضُحَى، ومنع اللهُ السباعَ والطيرَ لحمَه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ﷻ مَلَكًا إلى ملك[٤] من ملوك فارس عظيم، يقال له: نوشك، فقال: إن الله ﷻ يأمرك أن تنفر بقومك فَتَعْمُر بيتَ المقدس وإيليا وأرضَها حتى تعودَ أَعْمَر ما كان، فانتدب الملك لعمارتها، وأهلك الله بُخْتَنَصّر، ورَدّ من بقي من بني إسرائيل إلى بيت المقدس، فعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه، فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه، وسائرُ جسدِه ميت، ثم أحيا جسدَه وهو ينْظُر، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه بيض متفرقة[٥] تلوح، فسمع صوتًا من السماء: أيتها العظام البالية، إن الله يأمرك أن تكتسي

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٠٥.

(٢) كتبت في (ي) و(ش) (خلاها)، وفي (أ) و(م): (حلآها).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٥٠٥، «التبيان» ص١٥٥، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩١.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) في (ي): (متفرقة بيض).

لحمًا وجلدًا، فكان كذلك، ثم قام بإذن الله تعالى ونهق، فذلك قوله: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ فيه وجهان من القراءة: الإدغام، والإظهار[2].

فمن أظهر فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاءَ والذالَ والثاءَ من حَيِّز، والطاءَ والدالَ والتاءَ من حَيِّز، فلما تباين المخرجان واختلف الحَيِّزَان لم يُدْغِم.

ومن أدغم: أجراهما مجرى المثلين، من حيث اتفق الحرفان في أنهما من طرف اللسان وأصول الثنايا، واتفقا في الهمس، ورأى الذي بينهما من الاختلاف في المخرج خلافًا يسيرًا. فأدغم، أَجْراهما مجرى المِثْلين، ويقوي ذلك اتفاقُهم في الإدغام في سِتٍّ، ألا ترى أن الدالَ أُلْزِمَتْ الإدغامَ في مُقَارِبِهِ وإن اخْتَلَفَا في الجَهْرِ والهَمْس[3].

---

(١) حديث منبه هذا، رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٢، وفي «تاريخ الرسل والملوك» ١/ ٥٤٨، وذكره الثعلبي بطوله ٢/ ١٤٩٨-١٥٠٨، وذكره ابن كثير في «قصص الأنبياء» ٢/ ٣٢٠.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في كل القرآن بإظهار الثاء هنا، وفي مثله، كقوله: «لبثتم» [الكهف ١٩] [المؤمنون ١١٢] وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالإدغام. ينظر «السبعة» ص١٨٨، «الحجة» ٢/ ٣٦٧.

(٣) من «الحجة» ٢/ ٣٦٧-٣٦٨ بتصرف. والجهر في اصطلاح المجودين: قوة التصويت بالحرف لقوة الاعتماد عليه في المخرج حتى منع جريان النفس معه، والهمس هو: ضعيف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى النفس معه، وحروفه مجموعة في قولك(فحثه شخص سكت) والباقي حروف الجهر. ينظر «هداية القاري» ١/ ٧٩.

(وكم) ههنا: استفهام عن مبلغ العدد الذي لبث، ومعناه: كم أقمت ومكثت هاهنا؟[١].

قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وذلك أن الله ﷻ أماته ضحى في أول النهار؟ وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقيةً من الشمس، فقال: أو بعض يوم، جاء[٢] بمعنى: بل بعض يوم؛ لأنه رجعَ عن قوله: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾[٣].

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾. العام[٤] -وجمعه أعوام-: حولٌ يأتي على شتوة وصيفة، قيل: إن أصله من العوم، الذي هو السِّباحة؛ لأن فيه سَبْحًا طويلًا لما يمكن من التصرف فيه[٥].

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ يعني: التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ يعني: العصير[٦].

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: لم يتغير ولم يتن بعد

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٠٨.

(٢) ليست في (ي).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٠٩، وينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٣.

(٤) في (ي) (والعام).

(٥) ينظر في العام: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٩٠، «المفردات» ٣٥٦، وقال: العام كالسنة، لكن كثيرًا ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الشدة أو الجدب، ولهذا يعبر عن الجدب بالسنة، والعام بما فيه الرخاء والخِصب، قال: «عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» [يوسف: ٤٩] ثم قال: وقيل سمي السنة عاما لعوم الشمس في جميع بروجها.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٠٩.

مائة سنة(١).

وقال أبو عبيدة: لم يأت عليها السنون فيتغير، يريد: أن مر السنين عليه لم يغيره.

وفيه قراءتان: إحداهما: إثبات الهاء في الوصل، والأخرى: حذفها، ولا اختلاف في إثباتها في الوقف(٢). وأصل هذا الحرف، من السَّنه، والسَّنه مترددة(٣) بين أصلين: أحدهما: سَنَوَة، والآخر: سَنَهَة(٤)، فالذي يدل على أن أصلها سنوة، قولهم في الاشتقاق منها: أَسْنَتَ القومُ، إذا أصابتهم السَّنَةُ، وينشد قوله:

ورِجَالَ مَكَّةَ مُسْنِتُون عِجَافُ(٥)

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٠٣ من طريق عكرمة، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٣١١.

(٢) قال ابن مجاهد: واختلفوا في إثبات الهاء في الوصل من قوله ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ و﴿أَقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] و﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩] و﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠] وإسكانها في الوصل، ولم يختلفوا في إثباتها في الوقف. فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر هذه الحروف كلها بإثبات الهاء في الوصل، وكان حمزة يحذفهن في الوصل، وكان الكسائي يحذف الهاء في الوصل من قوله(لم يتسنه) و(اقتده) ويثبت الهاء في الوصل والوقف في الباقي، وكلهم يقف على الهاء، ولم يختلفوا في ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] أنهما بالهاء في الوصل والوقف. «السبعة» ص١٨٨-١٨٩.

(٣) في (ي): (مرددة).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٠، «الحجة» ٢/ ٣٧٤.

(٥) شطره الأول:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه.

البيت لابن الزبعرى، كما قال ابن بري. ذكره: في «تاريخ الطبري» في «تفسيره» ١/ ٥٠٤، «صبح الأعشى» ١/ ٤١٢، «المنتظم» ٢/ ٢١٠، «الاشتقاق» ص ١٣ وفيه نسبته إلى مطرود بن كعب الخزاعي.

وقولهم في جمعها: سَنَوات، وفي الفعل منها: سَانَيْتُ الرجلَ مُسَانَاةً، إذا عامَلْتَه سَنَةً سَنَةً، قال لبيد:

وسَانَيْتُ مِن ذِي بَهْجَةٍ وَرَقَيْتُه عليه السُّموط عابِسٍ مُتَعصِّب[(١)]

يقال: سَانَيْتُ الرجلَ أي: رَاضَيْتُهُ وأَحْسَنْتُ مُعَاشَرَتَه، ومعناه: عَامَلْتُه مُعَاملةَ من كأنه يريد صحبةَ السنين؛ لأن طولَ الصحبة بحسن[(٢)] العشرة، وقولهم في التصغير: سُنَيه، فمن حذف الهاء أخذه من التَّسَنِّي، بمعنى التغير من السنه، على أن أصلها سنوة، فيكون المعنى: فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير لما أتى عليه من طول الأيام، ألا ترى أن تطاول الأيام على العصير يُغَيِّرُهُ خَمْرًا أو خَلًّا[(٣)].

وعند الفراء: يجوز أن تكون أصل سنة: سننه[(٤)]، قال: لأنهم قد قالوا في تصغيرها: سُنَيْنَة، وإن كان ذلك قليلًا، فعلى هذا يجوز أن يكون: لم يَتَسَنَّ، لم يَتَسَنَّنْ، فَبُدِّلَتِ النونُ ياءً لما كثرت النونات، كما قالوا: تَظَنَّيْت[(٥)]، وكقول العجاج:

تَقَضِّيَ البَازِي إذا البَازِي كَسَرْ[(٦)]

---

(١) البيت في «لسان العرب» ٤/ ٢١٣٠ (سنا) وفيه: عليه السموط عائصٍ متعصب، وأنشد الجوهري هذا البيت: عابس متعصب.

(٢) في (ش): (تحسن)، وفي (م): (يحسن).

(٣) ينظر: «الإغفال» لأبي علي ص٥٤٣، «الحجة» ٢/ ٤٧٤-٤٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٤٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٠.

(٤) في (أ) كأنها (سنينه).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨١ (مادة: سنن)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١١. وتظنيت من ظننت.

(٦) هذه قطعة من مشطور الرجز، للعجاج، وقبله: =

ووجه آخر لمن حذف الهاء ذكره الفراء[(١)] وأبو عمرو الشيباني[(٢)(٣)] وهو: أن يكون مأخوذًا من قوله تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨] يريد: متغير، فيكون قد بُدِّلَتْ نُونُه ياءً على ما ذكرنا[(٤)].

واعترض الزجاج على هذا، وقال: هذا ليس من ذاك[(٥)]؛ لأن مسنون إنما هو مصبوب على سُنَّةِ الطريق[(٦)].

قال أبو علي الفارسي: قد حكي عن أبي عمرو الشيباني أنه قال[(٧)]: لم يتسن: لم يتغير من قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨] وأبدل من النون ياءً فإن كان هذا ثابتًا[(٨)] عن أبي عمرو وقاله على[(٩)] جهة الاستنباط من قوله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ فهو خلاف ما فسره أبو عبيدة، لأنه يقول:

= داني جناحيه من الطور فمر

«ديوانه» ص١٧، «تفسير الطبري» ١/ ٣٢٤، «الإغفال» ٥٤١، «المحتسب» ١/ ١٥٧، «سمط اللآلي» ٢/ ٧١٠، «شرح ابن يعيش» ١٠/ ٢٥، «اللسان» (قضض، ضبر) وتقضي: بمعنى: انقض وتقضض على التحويل، وكسر الطائر يكسر كسرًا وكسورًا، إذا ضم جناحيه حتى ينقض.

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) ينظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٨٥، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٢٨٠.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٣، «تهذيب اللغة» ١/ ٩١٢ مادة «حمأ»، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٠.

(٥) في (ش): (ذلك.)

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٤.

(٧) سقطت من (ي).

(٨) كتبت في النسخ (ثبتًا).

(٩) في (ي): (عن).

المسنون: المصبوب[١]، وإن قال ذلك[٢] من حيث رواه وسمعه، فذاك على أنه يجوز أن يكون قوله: (لم يتسن) ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ بمعنى مصبوب، فيكون (لم يتسن) بمعنى: لم يَتَصَبَّبْ، أي: أن الشراب على حاله وكما تركته لم يَتَصَبَّبْ، وقد أتى عليه مائة عام، والسَّنُّ في اللغة: هو الصَّبُّ وإن لم يكن على سُنَّةِ الطَّريق، قال:

تُضَمَّرُ بالأصائلِ كلَّ يَوْمٍ تُسَنُّ عَلَى سَنَابِكِها قُرُون[٣]

أي: تُصَب عليها دُفَعٌ من العرق[٤].

فعلى ما ذكرنا من هذه الأوجه الهاء تكون للوقف، فينبغي أن تُلْحَقَ في الوقف، وتسقط في الدَّرْج. وأما من أثبت الهاء في الوصل فإنه يجعل اللام في السنة الهاء[٥]، فيقول: إنها في الأصل سَنَهَة، وتصغيرها سُنَيْهَة، ويحتج بقولهم: سَانَهَتِ النخلةُ، بمعنى: عَاوَمَتْ، وآجَرْتُ الدارَ مُسَانهة، وأنشد الفراء:

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٣٥١.

(٢) في (أ): (ذاك).

(٣) البيت من الوافر، وهو لزهير بن أبي سلمى، في «ديوانه» ص ١٨٧، «لسان العرب» ٤/ ٢١٢٥ مادة: (سنن). (وقرن) ٦/ ٣٦٠٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٠ (سنن) وروايته:

نعوِدها الطِّراد فكلَّ يومٍ يُسَنُّ على سَنابِكها القُرونُ

(٤) ما تقدم من كلام أبي علي في «الإغفال» ص٥٤٥ بتصرف، وينظر: «الحجة» ٢/ ٣٧٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٠، وقد وردت(رفع العرق) هكذا في «تهذيب اللغة»، وفي «الإغفال»: يعني وقع العرق الذي يتصبب عليها في الحضر.

(٥) ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٧٤-٣٧٦.

لَيْسَتْ بِسَنْهَاءَ ولا رُجْبِيَّةٍ   ولكن عَرَايَا في السِّنين الجَوَائِحِ[(١)]

ويكون التَّسَنُّهُ بمعنى التغير، فعلى هذا من وقف بالهاء وقف على لام الفعل، وإذا وصل بالهاء كان بمنزلة: لم يَتَّقِهِ زيد، ولم يجبهُ عمرو[(٢)].

قال الأزهري: وأحسن الأقاويل في السنة: أن أصلها سَنَهَة، نَقَصُوا الهاء منها كما نقصوها من الشَّفَة، ولأن الهاء ضاهت حروف اللين التي تنقص. والوجه: أن يُقْرَأ بالهاء في الوقف والإدراج[(٣)]، وهو اختيار أكثر القراء.

---

(١) البيت لسويد بن الصامت الأنصاري، ورد منسوبًا إليه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٢، السجستاني ٨٨، ٩٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٢ (سه) وروايتها: وليست. وفي «اللسان» ٣/ ١٥٨٤ مادة: رجب، ٣/ ١٥٨٤ مادة: قرح، ٢/ ٧١٩ مادة: جوح، ٤/ ٢١٢٨ مادة: سنه، وأورده أبو عبيد بن سلام في «غريب الحديث» ١/ ٢٣١، ٤/ ١٥٤، وابن فارس في «معجم المقاييس» ٤/ ٢٩٩، ونسباه لشاعر الأنصار دون تصريح. والشاعر يصف نخله بالجودة، وأنها ليس فيها سنهاء، وهي التي تحمل عامًا وتحيل عامًا، وقيل: القديمة، وقيل: التي أصابتها السَّنة، أي: أَخَّر بها الجدب، والرُّجْبِيّة: التي يبنى تحتها لضعفها أو لطولها وكثرة حملها، والعرايا: جمع عرية التي يوهب ثمرها، والجوائح: السنون الشداد.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١١، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨١ (مادة: سنن).

(٣) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨١- ١٧٨٢ (سنه) بمعناه، ولفظه: وأجود ما قيل في تصغير السنة: سُنيهة، على أن الأصل سنْهَة، كما قالوا: الشفة، أصلها: شفهة، فحذفت الهاء منهما في الوصل ونقصوا الهاء من السنة والشفة؛ لأن الهاء مضاهية حروف اللين التي تنقص في الأسماء الناقصة، مثل زنة وثبة وعِزة وعِضة، وما شاكلها، والوجه في القراءة(لم يتسنه) بإثبات الهاء في الإدراج والوقف، وهو اختيار أبي عمرو. والله أعلم.

قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إنه نظر إلى التين فإذا هو كما اجتناه، ونظر إلى العصير فإذا هو كهيئته لم يتغير[(١)]. فإن قيل: ذكر شيئين وأخبر عن أحدهما أنه لم يتغير؟ قيل: التَّغَيُّرُ راجعٌ إلى أقرب اللفظين، وهو الشراب، واكتفى بالخبر عن أحدهما عن الخبر عن الثاني؛ لأنه في معنى الثاني، كما قال الشاعر:

عِقَابٌ عَقَنْبَاة[(٢)] كأنَّ وَظِيفَها وخُرطُومَها الأعْلَى بنانٌ مُلوّح[(٣)]

ذكر الوظيف والخرطوم، وأخبر عن أحدهما، ويدل على صحة هذا التأويل: قراءة ابن مسعود[(٤)] فانظر إلى طعامك، وهذا شرابك لم يتسن[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ وذلك أنه لما أحياه الله وقال له: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ وأراه طعامه غير متغير، وكذلك شرابه، وأراه علامة مكثه مائة سنة ببلى عظام حماره، فقال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾[(٦)] فرأى حماره ميتًا عظامُهُ بيضٌ تلوح، فأذن الله ﷻ له في الحياة، فاجتمعت أعضاؤه وانتظمت، حتى عاد إلى حالة الحياة، وجاءه فوقف عند رأسه ينهق.

---

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٧٣.

(٢) في (أ) و(م) و(ي): (عقبناه)، وما أثبت موافق لما في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٣، «لسان العرب» ٧/ ٤٠٩٥ (مادة: لوح).

(٣) البيت من الطويل، وهو لجران العود في «ديوانه» ص٤: «لسان العرب» ٧/ ٤٠٩٥ مادة: (لوح)، وللطرماح في ملحق «ديوانه» ص ٥٦٥، «لسان العرب» ٥/ ٣٠٥٢ مادة: (عقنب).وقوله(عقاب عقبناه) على سبيل المبالغة: حديدة المخالب السريعة الخطبة، وظيفتها: عظم ساقها، والخرطوم: منقار الطائر.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٣، «تفسير القرطبي» ٣/ «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٢.

(٥) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٢.

(٦) من قوله: (وذلك أنه لما). ساقط من (ي).

وقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال بعضهم: هذه الواو مقحمة زائدة، والجالب للام في نجعلك (لبثت)، كأنه قال: بل لبثت مائة عام لنجعلك آية للناس[1] ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ على هذا تقدير الآية ونظمها، وإقحام الواو جائز عند بعض الكوفيين، أجازوا ذلك في مواضع من التنزيل، سنذكرها إن شاء الله.

وقال الفراء: دخلت الواو لنية فعل بعدها مضمر[2]، لأنه لو قال: لنجعلك، كان شرطًا للفعل الذي قبله، كأنه قيل: ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك، يعني: ما فعله من الإماتة والإحياء، ومثله قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] معناه: وليقولوا دارست صرّفْناها، ومثله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] أراد: وليكون من الموقنين نريه الملكوت[3].

ومعنى كونه آية للناس: أنه لما أحيي بعد الإماتة كان ذلك دلالة على البعث بعد الموت في قول أكثر المفسرين[4]. وقال الضحاك وغيره: جعله الله آية للناس بأن بعثه شابًا أسودَ الرأس واللحيةِ وبنو بنيه شيب[5].

---

(١) من قوله: (كأنه قال). سقطت من (أ) و(م).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٣.

(٣) ينظر في إعراب الآية: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٢٠، «التبيان» ١/ ١٥٥- ١٥٦، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٣.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٢١.

(٥) نقله عن الضحاك: الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٢١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٠، وروى سفيان الثوري في «تفسيره» ص٧٢ نحوه عن المنهال بن عمرو، وروى=

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالعظام عظام حماره، وأن اللام فيه بدل عن الكناية[(١)].

وقال آخرون: أراد به عظام هذا الرجل نفسه، وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره وأحيا الله عينيه ورأسَه، وسائرُ جسده ميت، ثم قال له: انظر إلى حمارك، فنظر فرأى حماره واقفًا كهيئة يوم ربطه حيًّا، لم يطعم ولم يشرب مائة عام، وتقدير الآية على هذا: وانظر إلى عظامك كيف ننشرها، واللام في هذا القول بدل عن كاف الخطاب، وهذا قولُ قتادة[(٢)] والربيع[(٣)] وابن زيد[(٤)]. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد عظام نفسه وعظام حماره[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[(٦)] أي: نحييها، يقال: أنشر الله الميت فنشر، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]، وقال الأعشى:

= الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٢ عن الأعمش نحوه، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٠٥ عن عكرمة نحوه.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٤٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٩، «النكت والعيون» ١/ ٣٣٣، «زاد المسير» ١/ ٣١٢.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٢٠.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) تقدم الحديث عن هذه الرواية في قسم الدراسة.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (نُنْشِرها) بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (ننشزها) بالزاي، قال ابن مجاهد: وروى أبان عن عاصم (كيف نَنْشُرها) بفتح النون الأولى وضم الشين والراء مثل قراءة الحسن. ينظر: «السبعة» ص١٨٩، «الحجة» ٢/ ٣٧٩.

يا عَجَبًا للمَيِّتِ الناشِرِ[(١)]

وقد وصفت العظام بالإحياء في قوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا﴾ [يس: ٧٨-٧٩] فكذلك في قوله: ننشرها[(٢)].

وقرئ (نَنْشُرُها)[(٣)] بفتح النون وضم الشين، قال الفراء: كأنه ذهب إلى النَّشْر بعد الطي[(٤)]، وذلك أن بالحياة يكون الانبساط[(٥)] في التصرف، فهو كأنه مطوي ما دام ميتًا، فإذا عاد حيًا صار كأنه نُشر بعد الطي.

وقال آخرون: يقال: نَشَر الميتُ ونَشَره اللهُ، مثل: حَسَرَتِ الدابةُ، وحَسَرْتُها أنا، وغاض الماء وغِضْتُه، قال العجاج:

كم قد حَسَرْنا من عَلاةٍ عَنْسِ[(٦)(٧)(٨)]

---

(١) صدر البيت:

حتى يقول الناس مما رأوا

والبيت في «ديوانه» ص٩٣، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٣، «الخصائص» ٣/ ٢٢٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٨، والناشر: الذي بعث من قبره. «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٧.

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٧٩-٣٨٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧٢ مادة «نشر»، «غريب القرآن» ص٨٥.

(٣) قرأ بها الحسن والمفضل. ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٣، «غريب القرآن» ص٨٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٨.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٣.

(٥) في (ش): (الانتشاط).

(٦) في (ش) و(ي): (عبس).

(٧) رجز أورده في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٨١، وصاحب «اللسان» ٥/ ٣١٢٩ (مادة: عنس)، ولم ينسباه، والعَنْس: الصخرة والناقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها، والعلاة: السندان، ويقال للناقة علاة تُشَبَّه بها في صلابتها.

(٨) بتصرف من «الحجة» ٢/ ٣٨١، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧٢ مادة «نشز»، «المفردات» ص٤٩٥.

وقرأ حمزة والكسائي نُنْشِزُها بالزاي على معنى: نرفع بعضها إلى[1] بعض، وإنشاز الشيء: رَفْعُه، يقال: أَنْشَزْتُه فَنَشَزْ، أي: رفعته فارتفع، ويقال لما ارتفع من الأرض: نَشْزٌ، ومنه: نشوز المرأة، وهو أن تنبو عن الزوج في العشرة ولا تلائمه، وترتفع عن حد رضاه[2].

ومعنى الآية على هذه القراءة: كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها على بعض[3].

وقال الأخفش: يقال: نَشَزْتُه وأَنْشَزْتُه، أي: رفعته[4].

وروي عن النخعي أنه كان يقرأ (نَنْشُزُها) بفتح النون وضم الشين والزاي[5].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وذلك أنه لما شهد ما شاهد من إحياء الله وبعثه إياه بعد وفاته، أخبر عما تبيّنه وتيقنه مما لم يكن تبيّنه هذا التبيُّنَ الذي لا يجوز أن يعترض فيه إشكال، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. أي: أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته قبل، وتأويله: أني قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيبًا[6].

---

(١) في (ي): (على).

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٨١-٣٨٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧٢ (مادة: نشز)، «المفردات» ص٤٩٥.

(٣) «غريب القرآن» ص٩٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٤، «المفردات» ص٤٩٥.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٣.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥١٨، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١٨٨، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٣.

(٦) سقطت من (ي).

(٧) وقرأ الباقون (أعلمُ). ينظر: «السبعة» ص١٨٩، «الحجة» ٢/ ٣٨٣.

وقرأ حمزة والكسائي[١]: (قال اعلمْ) موصولًا مجزومًا على لفظ الأمر، وذلك أنه لما تبين له ما تبين نَزَّلَ نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطِبُ سِواها، وهذا مما تفعله العرب، يُنزّل أحدهم نفسه منزلة الأجنبي، فيخاطبها كما يخاطبه، ويجري التخاطب بينهما كما يجري بين الأجنبيين، قال الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ[٢]

خاطب نفسه كما يخاطب غيره، كذلك[٣] قوله لنفسه: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ نزله منزلة الأجنبي المنفصل منه؛ لينبهه على ما تبين له[٤][٥].

ويجوز أن يكون الله تعالى قال له: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يدل على صحة هذا التأويل قراءة عبد الله والأعمش: قيل: اعلم[٦].

٢٦٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الآية. العامل في (إذ) عند الزجاج اذكر، كأنه قيل: واذكر هذه القصة[٧]، وعند غيره: كأنه قيل: ألم تر إذ قال إبراهيم، عطف على ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي

---

(١) عجز البيت:

وهل تطيق وداعًا أيُّها الرَّجُلُ

وهو في «ديوانه» ص ١٠٥، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٨٤ «لسان العرب» ٢/ ٧١٥ «جهم».

(٢) في (ي): (وكذلك).

(٣) سقطت من (ي).

(٤) من «الحجة» ٢/ ٣٨٣-٣٨٤ بتصرف.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٢٧، «التبيان» ص١٥٧، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٦.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٣٤٥، وينظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٨، «التبيان» ص١٥٧.

حَآجَّ﴾[١].

واختلفوا في سبب سؤاله إحياء الميت، والأكثرون على أنه رأى جيفة بساحل البحر، يتناوله السباع والطير ودوابّ البحر، ففكر كيف يجتمع ما قد تفرّق من تلك[٢] الجيفة، وتطلعت نفسه إلى مشاهدة ميت يحييه ربه، ولم يكن شاكًّا في إحياء الله تعالى الموتى، ولا دافعًا له، ولكنه أحب أن يرى ذلك كما أن المؤمنين يحبون أن يروا محمدًا ﷺ والجنة، ويحبون رؤية الله تعالى، مع الإيمان بذلك وزوال الشك، فكذلك أحب إبراهيم أن يصير الخبر له عيانًا[٣]، وهذا معنى قول الحسن[٤] والضحاك[٥] وقتادة[٦].

وقال ابن عباس[٧] والسدي[٨] وسعيد بن جبير[٩]: إن ملك الموت

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢٩٧، وقال: والذي يظهر أن العامل في (إذ) قوله: (قال أو لم تؤمن).

(٢) سقطت من (م).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٤٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٣١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٤١٦.

(٤) قول الحسن، عزاه الحافظ في «العجاب» ١/ ٦١٧ إلى عبد بن حميد، وعزاه السيوطي في الدر ١/ ٥٩٤ إلى البيهقي في «الشعب»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٣١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٢، وابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ٣١٣.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٧، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٧، وينظر «زاد المسير» ١/ ٣١٣.

(٦) رواه عنه الطبري ٣/ ٤٧، وذكره الثعلبي ٢/ ١٥٣٠، والبغوي ١/ ٣٢٢، وابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ٣١٣.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٩، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٠٩، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٤٨٧.

(٨) رواه عنه الطبري ٣/ ٤٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ١/ ٥٠٨، وينظر «زاد المسير» ١/ ٣١٣.

(٩) رواه سعيد بن منصور ٣/ ٩٧٣، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٩ بمعناه، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٥١٠.

استأذن ربه أن يأتي إبراهيم فيبشره أن الله تعالى اتخذه خليلا، فأذن له فأتاه وبشَّره بذلك، فحمد الله ﷻ، وقال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاك وتحيي الموتى بسؤالك، فقال إبراهيم ﵇: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾. والألف فيه ألف إيجاب، كقول جرير:

أَلَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا[١]

يعني: أنتم كذلك[٢].

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ بأن أنال ما قد تَمَنَّيْتُه، وأحببت رؤيته، واشتهيت مشاهدته. وقال الحسن[٣] وقتادة[٤]، أي: بزيادة اليقين والحجة، وعلى قول ابن عباس بحقيقة الخلة وإجابة الدعوة، ويدل على هذا: ما روى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ قال معناه: لكن لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني[٥][٦].

وروى الوالبي عنه: لكن لأعلم أنك تُجِيبُني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك[٧].

وعن سعيد بن جبير قال معناه: ولكن ليزداد قلبي إيمانًا[٨].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص ٨٥.
(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤٠.
(٣) ذكره عنه ابن أبي حاتم ٢/ ٥١٠، وابن الجوزي ١/ ٣١٣.
(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٠، وينظر «المحرر الوجيز» ٢/ ٤٢٠.
(٥) في (ش) و(م): (أحببتني).
(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٠٩.
(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥١، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٣١٣ .
(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٠-٥١، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٣١٣.

وقال الأزهري: أي: يسكن إلى المعاينة بعد الإيمان بالغيب. ويقال: طامن ظهره: إذا حنى ظهره، بغير همزة، والهمزة التي في (اطمأن) ليست بأصلية أدخلت فيها حذار الجمع بين الساكنين[1].

قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ قال ابن عباس: أخذ طاوسًا ونَسْرًا وغرابًا وديكًا[2]، وفي قول مجاهد[3] وابن إسحاق[4] وابن زيد[5]: حمامةً بدل النسر[6].

وقوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال أكثر أهل اللغة والتفسير[7]: معناه: مِلْهُنَّ إليك، يعني: وَجِّهْهُنَّ إليك وادْعُهُنَّ واضممهن، قاله عطاء[8] وابن زيد[9].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٢٠- ٢٢٢١ (مادة: طمن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٤١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٣، «زاد المسير» ١/ ٣١٤.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥١، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥١٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٤١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٣.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥١، وذكره في «المحرر الوجيز» ٢/ ٤٢٠.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥١، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٤١.

(٦) ذكر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٣٨ بأنه لا طائل تحت تعيينها؛ إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن.

(٧) ينظر: «غريب القرآن» ص٨٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٥-٣٤٦، وعزاه لأكثر أهل اللغة.«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٠٢- ٢٠٠٤ (مادة: طمن)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤٤، «المفردات» ٢٩٢-٢٩٣.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٦، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥١٢، وذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٣٥.

(٩) رواه عنه الطبري ٥/ ٥٦، وذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٣٥.

يقال: صُرْتُهُ أَصُورُه، إذا أملته[١]، وأنشدوا على الإمالة:

على أنني في كل سَيْرٍ أسِيرُه
وفي نظري من نَحْوِ أرضِكَ أَصْوَر[٢]

فقالوا[٣]: الأصور المائل العنق[٤].

وقول آخر:

الله يَعْلَمُ أَنّا في تَلَفُّتِنا يومَ الوَدَاعِ إلى أحْبَابِنا صُورُ[٥]

جمع: أصْوَرَ، أي: مائلة. وهذان البيتان من الصَّوْر، يعنى: الميل، وهو لازم، والصَّوْر: الإمالة، ساكنة العين، قال الطرماح[٦]:

عفائف إلا ذاك أو أن يَصُورَهَا هوًى والهَوَى للعَاشِقِينَ صَرُوعُ[٧]

وقال آخر:

يَصُور عنُوقَها أحْوَى زَنِيمٌ له ظَابٌ كما صَخِبَ الغَرِيمُ[٨]

وعلى هذا في الكلام محذوف، كأنه قيل: فصرهن إليك وقطعهن، ثم

---

(١) سقطت من (ي).
(٢) البيت لذي الرمة، في «ديوانه» ص٢٢٠.
(٣) في (ي): (فقال).
(٤) من «الحجة» ٢/ ٣٨٩ بمعناه.
(٥) البيت بلا نسبة في «تهذيب الألفاظ» لابن السكيت ٢/ ٥٥٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٥٢، «لسان العرب» ٤/ ٢٥٢٤ (مادة: صور)، و ٤/ ٢٢٥٤ (مادة: شرى)، «تاج العروس» ٧/ ١١١ (مادة: صور)، «المخصص» ١٢/ ١٠٣. «المعجم المفصل» ٣/ ٣٣٦.
(٦) هو الطرماح بن حكيم بن الحكم، تقدمت ترجمته ٢/ ١٣٣ [البقرة: ٩].
(٧) البيت في «ديوانه» ص١٨٠.
(٨) البيت لأوس بن حجر من ملحق «ديوانه» ص ١٤٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٤١ (مادة: ظأب)، وهو ملفق من بيتين.

اجعل على كل جبل منهن جزءًا، فحذف الجملة التي هي قَطِّعْهُن، لدلالة الكلام عليها، كقوله: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] على معنى: فضرب فانفلق؛ لأن قوله: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ يدل على التقطيع[(١)].

وقال أبو عبيدة[(٢)] وابن الأنباري[(٣)] وجماعة: صرهن، معناه: قطعهن[(٤)]. وهو قول ابن عباس[(٥)] وسعيد بن جبير[(٦)] والحسن[(٧)] ومجاهد[(٨)].

يقال: صار الشيء يَصُورُه صَوْرًا: إذا قطعه، قال رؤبة يصف خصمًا ألد:

صُرْنَاه بالحُكم ويعي الحُكَّما[(٩)]

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٣، «غريب القرآن» ص٨٦، «تفسير الطبري» ٣/ ٥٢، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٢٨٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٢.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٨١.

(٣) «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٣، «مجاز القرآن» ١/ ٨١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٥-٣٤٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥٩ (مادة: صار)، «المفردات» ص٢٩٢.

(٥) رواه عنه الطبري ٣/ ٥٥، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٥١٢.

(٦) انظر المصدرين السابقين.

(٧) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣١٥.

(٨) انظر التخريج السابق.

(٩) في حاشية (أ) تصحيح للبيت هكذا:

صرنا به الحُكم وأَعْيا الحكَمَا

وقد ورد البيت في «الحجة» ٢/ ٣١٩ معزوًّا لذي الرُّمَّة بلفظ (صُرْنا به الحكم وعيّا الحُكّمَا) وليس في «ديوان ذي الرمة»، ونسبه في «اللسان» ٤/ ٢٥٢٤ (صور) =

أي: قطعناه، ومنه قول الخنساء:

ولو يلدغني الذي لاقيته حَضَنٌ   لَظَلَّت الشُّمُّ منه وهي تَنْصَارُ[1]

أي: تنصرع[2] وتنفلق.

فمن فسر صُرْهُن بمعنى قَطِّعْهُن لا يحتاج إلى إضمار، كما ذكرنا في الإمالة، ويكون قوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ من صلة الأخذ، كأنه قيل: خذ إليك أربعة من الطير فقطعهن[3].

وقرأ حمزة (فصِرهن) بكسر الصاد (وقد فسر هذا الحرف على قراءة حمزة بالإمالة والتقطيع، كما ذكرنا في قراءة من ضم الصاد)[4][5].

فمن الإمالة: ما أنشده الكسائي هذا[6]:

وفَرْعٍ يصيرُ الجِيدَ وَحْفٍ كأنّه
على اللِّيتِ قِنوانُ الكُرومِ الدَّوَالِحِ[7].

= للعجاج وهو مذكور في «ملحقات ديوان العجاج» ٢/ ٣٣٥، «مجاز القرآن» ١/ ٨١ قال: صُرْنا به الحكم، أي: فصلنا به الحكم.

(١) ورواية صدر البيت

فلو يلاقي الذي لاقيته حضن

ورد في «لسان العرب» ٤/ ٢٥٢٤ مادة: (صور)، بلفظ: لظلت الشهب، ولم يرد في «ديوان الخنساء»، وهو في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٨١ وفي الأضداد للأصمعي وابن السكيت ص٣٣-١٨٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٠٠ وقوله: الشم، أي: الجبال، تنصار: تقطع، وحِضنُ الجبل: ما يُطِيف به.

(٢) في (ش): (تتضرع).

(٣) «الحجة» ٢/ ٣٩٣، وينظر «تفسير الطبري» ٣/ ٥٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٢.

(٤) ساقط من (أ) و(م).

(٥) ينظر «الحجة» ٢/ ٣٩٢.

(٦) ليست في (ي) ولا (ش).

(٧) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٧٤، قال: وأنشدني عن بعض سليم، وذكره=

معناه: يميل الجيد من كثرته.

قال الفراء: وهذه لغة هذيل[(١)].

وسليم[(٢)]، يقولون: صاره يصيره: إذا ماله[(٣)].

وقال الأخفش وغيره: صِرهن، بكسر الصاد: قطعهن، يقال: صاره يصيره: إذا قطعه[(٤)].

قال الفراء: وأرى أن ذلك مقلوبٌ من صَرَى يَصْرِي إذا قطع[(٥)]، قال ذو الرمة:

وودَّعْنَ مُشْتَاقًا أصبْنَ فُؤَادَه هَوَاهُنّ إن لم يَصره اللهُ قَاتِلُه[(٦)]

فقدمت ياؤها، كما قالوا: عثى وعاث[(٧)]، وأنشد:

= في «الحجة» ٢/ ٣٩٢. قوله: فرع: يريد بالفرع الشعر التام، والوحف: الأسود، والليت: صفحة العنق، ويريد بقنوان الكروم: عناقيد العنب، وأصل ذلك كباسة النخل، والدوالح: المثقلات بحملها. ينظر «تهذيب الألفاظ»

(١) هذيل بن مدركة، بطن من مدركة بن إلياس، من العدنانية، كانت ديارهم بالسروات، وكان لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد. ينظر «معجم قبائل العرب» ٣/ ١٢١٣.

(٢) سليم بن منصور، قبيلة عظيمة من قيس غيلان، من العدنانية، وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر. ينظر «معجم قبائل العرب» ٢/ ٥٤٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٣-١٨٤، وعبارته: أي قطعهن، وتقول منها: صار يصور، وقال بعضهم: فصرهن، فجعلها من صار يصير.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤.

(٦) ورد البيت: فودعن، وهو في «ديوانه» ص ٣٩٦.

(٧) ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤، وعثى: لغة أهل الحجاز، وعاث: لغة تميم، وهما بمعنى: أفسد.

صَرَتْ نظرةٌ لو صَادَفَتْ جَوْزَ[1] دَارِعٍ
عَدَا والعَوَاصِي من دَمِ الجَوْفِ[2] تَنْعَرُ[3]

وأنشد أيضًا:

يقولون: إنَّ الشَّأمَ يَقْتُلُ أهلَهُ   فمَنْ لِيَ إن لَمْ آتِهِ بِخُلُودِ
تَعَرَّب آبائي فما إن صَرَاهُم
عن الموت إذ لم يَذْهَبُوا وجُدُودِي[4]

فالإمالة والقطع يقال في كلٍّ واحد من القراءتين[5].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أمره أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها، ويقطعها، ويفرق أجزاءها، ويخلط ريشها ودماءها ولحومها، بعضها ببعض، ففعل ذلك، ثم

---

(١) في (م): (جوز)، وكما أثبت في (أ) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤٩.

(٢) في (ش): (القوم).

(٣) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ٧/ ٤٤٧٢ (مادة: نعر)، ٥/ ٢٩٨١ (مادة: عصا).

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٠، وفي «لسان العرب» ٤/ ٢١٧٧ مادة: شأم، وورد البيت الثاني في «معاني القرآن» هكذا:

تَعَرَّب آبائي فَهَلَّا صَرَاهم   من الموت إن لم يذهبوا وجُدُودي

«الأمالي» للقالي ٢/ ٥٢، وقال في «التنبيه» ص٩٣: هذا ما اتبع فيه أبو علي القالي رحمه الله غلط من تقدمه، فأتى ببيت من أعجاز بيتين أسقط صدورهما، والشعر للمعلى العبدي، وقد أطال محقق «الحجة» الكلام حول البيتين ٢/ ٣٨٩-٣٩١. ولون الدهاس: لون الرمل، كأنه تراب رمل أدهس، خُلْعة: خيار شائه، صفايا: غزار، ويقال للنخلة: صفية، أي: كثيرة الحمل.

(٥) ينظر: «الحجة» ٢/ ٣٩١-٣٩٣.

أمر بأن يجعلها على أربعة أجبُل، فجعل أجزاء تلك الطيور أربعة أقسام، وجعل على كل جبل رُبعًا منها[١]. وقال ابن جريج[٢] والسدي[٣]: جعلها سبعة أجزاء، ووضعها على سبعة أجبل.

وقال مجاهد[٤] والضحاك[٥]: كل جبل بحسب الإمكان، كأنه قيل: فرّقه على كل جبل يمكنك التفرقة عليه، قالوا: ففعل ذلك إبراهيم، وأمسك رؤوسهن عنده، ثم دعاهن: تعالين بإذن الله سبحانه، فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضًا، وتكاملت أجزاؤها، ثم أقبلن إلى رؤوسهن، فكلما جاء طائر أشار بعنقه إلى رأسه، فكان إبراهيم إذا أشار إلى واحد منها بغير رأسه امتنع الطائر وتباعد، حتى يشير إليه برأسه، فتلقى كل طائر رأسه، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[٦].

وهو نصبٌ على المصدر، أي: سَعَيْنَ سعيًا، ويجوز أن يكون في موضع الحال[٧].

---

(١) هذا هو المروي عن ابن عباس وقتادة والربيع وابن إسحاق. ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٥- ٥٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥١١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٣، «الدر المنثور» ١/ ٥٩٣.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٨.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) ينظر: الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٩.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٥- ٥٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥١١-٥١٢، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٤-١٥٥٥.

(٧) ينظر في الإعراب: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٣٩، «التبيان» ص١٥٨، «البحر=

وفي سعيها إلى إبراهيم دليل صحة إقدامها، وعود عظامها إلى مفاصلها، ولو طارت إليه لم يكن في طيرانها هذه الدلالة[١] ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمتنع عليه ما يريد[٢] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر ويفعل.

٢٦١- وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ الآية. قال أهل المعاني: هذه الآية متصلة بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وما بين الآيتين من الآيات اعتراض بالاستدعاء إلى الحق بالحجج والعبر التي ذكرها.

وقال الزجاج: لما قصَّ الله ﷻ ما فيه الدلالة على توحيده، وما أتاه الرسل من البينات، حث على الجهاد، وأعْلَمَ أن من جاهد من كفر بعد هذا البرهان فله في جهاده ونفقته الثواب العظيم، وقد وعد الله في الحسنات أن فيها عشر أمثالها من الجزاء، ووعد في الجهاد أن الواحد يضاعف سبعمائة مرة، فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾[٣]. ونظمُ الآية: مثلُ صدقاتِ الذين ينفقون (أموالهم في سبيل الله)[٤]، أو مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله[٥] كمثل زارعٍ

= المحيط» ٢/ ٣٠٠-٣٠١، واستظهر الإعراب الثاني، وذكره عن الخليل: أن المعنى يأتينك وأنت تسعى سعيًا، فعلى هذا يكون مصدر الفعل محذوفًا وهو في موضع الحال من الكاف، وكان المعنى: يأتينك وأنت ساعٍ إليهن، أي: يكون منهن إتيان إليك ومنك سعي إليهن فتلتقي بهن.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٠٠.

(٢) سقطت من (أ) و(م).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٦.

(٤) سقطت من (ي).

(٥) زيادة من (م).

حبةٍ، فحذف المضاف[١].

فإن قيل: فهل رؤي سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها؟ قيل: قد يتصور ذلك وإن لم ير، وليس القصد في المثل تصوير سنبلة فيها مائة حبة، وإنما القصد التشبيه بمثل هذه السنبلة، على تقدير التصوير، لا على تحقيق التصوير، والعادة في الأمثال التي تضرب أن يشبه الشيء بما يجوز أن يتصور، وإن لم ير ذلك الشيء، وقد قيل: إنه رأى ذلك في سنبل الدُّخن، وقد قيل: المراد بقوله: ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ﴾[٢] أنها إذا بذرت أنبتت مائة حبة، فقيل: فيها مائة حبة على هذا المعنى، كما يقال: في هذه الحبة حبّ كثير[٣] ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ من أهل النفقة في طاعته ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة، (عليم) بمن ينفق[٤].

٢٦٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إلى قوله ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًىۙ﴾ المنّ في اللغة على وجوه: يكون بمعنى الإنعام، يقال: قد منَّ عليَّ فلان: إذا أَفْضَل وأَنْعَم، ولفلان عليّ منّة، أي: نعمة، أنشد ابن الأنباري:

فمِنّي عَلَيْنَا بالسَّلامِ فَإِنَّما كلامُكِ ياقُوتٌ ودُرٌّ مُنَظَّمُ[٥]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥٨، «التبيان» ص١٥٨، قال: وإنما قدر المحذوف لأن الذين ينفقون لا يشبهون بالحبة، بل إنفاقهم أو نفقتهم.«البحر المحيط» ٢/ ٣٠٣.

(٢) سقطت من (ي).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٦١، «تفسير السمعاني» ٢/ ٤٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦٠، «تفسير البغوي» ١/ ٣٢٥.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦٠.

(٥) البيت أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣١٧ دون نسبة إلى قائل، وقال: ذكر ذلك أبو بكر بن الأنباري.

ومن النعمة: قوله ﷺ: «**ما من الناس أحد أمنّ علينا في صحبته ولا ذات يده من ابن أبي قحافة**[(١)]».

يريد: أنعم وأسمح بماله، ولم يرد المنة التي تهدم الصنيعة، والله تعالى يُوصَفُ بأنه مَنَّان، أي: منعم. قال أهل اللغة: المن: الإحسانُ إلى من لا يستثيبه، ولهذا يقال: الله تعالى منّان؛ لأن إحسانه إلى الخلق ليس لطلب ثواب، ومن هذا قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ [ص: ٣٩] وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط لتأخذ من المكافأة أكثرَ مما أعطيت[(٢)].

والمنّ في اللغة أيضًا: النقص من الحق والبخس له، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] يقال: غير مقطوع، وغير منقوص، ومن هذا يسمى الموت: مَنُونًا؛ لأنه يُنْقِصُ الأَعْدَاد، ويقطع الأعمار[(٣)].

ومن هذا: المِنَّةُ المذمومة؛ لأنها تُنْقِصُ النعمة وتُكَدِّرُها، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) كتاب: الصلاة، باب: الخوخة والممر من المسجد، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب: «فضائل الصحابة»، باب: من فضائل أبي بكر، والإمام أحمد في «مسنده» واللفظ له حديث رقم (١٥٤٩٢).

(٢) في (ي): (أعطيتك).

(٣) ينظر في معاني المن: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٩- ٣٤٦٠ (مادة: منن)، «المفردات» ٤٧٧، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٧٩، «عمدة الحفاظ» ٤/ ١٣١-١٣٢. وذكر الراغب أن المنة يراد بها: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان، إذا أثقله بالنعمة ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ويقبح ذلك، قيل: المنة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت=

الشاعر في المِنَّةِ المَذْمومة:

أَنَلْتَ قليلًا ثم أَسْرعَت مِنَّةً فَنَيْلُكَ مَمْنُون[١] لِذَاكَ قليلُ[٢]

فالمراد بالمن الذي في الآية: المنُّ الذي هو الاعتداد بالصنيعة[٣]، وذكرها الذي يكدرها.

والعَرَبُ تتمدّح بترك المنِّ بالنعمة، قال قائلهم:

زَادَ مَعْروفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حقيرْ

تَتَنَاسَاهُ كأنْ لم تَأتِهِ وهو في العالم مَشْهورٌ كبيرْ[٤].

قال المفسرون: معنى المنّ المذكور في الآية: هو أن يقول: قد أحسنت إلى فلان، ونَعَشْتُه[٥]، وجبرت حاله، وأعنته، يمنُّ بما فعل[٦].

والأذى: هو أن يذكر إحسانه لمن لا يحب الذي أحسن إليه وقوفه عليه، وما أشبه ذلك من القول الذي يؤذيه[٧].

= المنة، وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ [الحجرات: ١٧] فالمنة منهم بالقول، ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته إياهم كما ذكر.

(١) في (ش): (مذموم).

(٢) البيت أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ١ / ٣١٧ دون نسبة إلى قائل وقال: ذكر ذلك أبو بكر بن الأنباري.

(٣) في (ي): (في الصنعة).

(٤) البيتان من قول الخُرَيمي، نسبهما إليه في «عيون الأخبار» ٣/ ١٦٠، و«دلائل الإعجاز» ١/ ٣٦٠ وروايتهم، وعند الناس بدل في العالم.

(٥) في (م): (تعيشته).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦٤-١٥٦٦.

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦٤.

٢٦٣- قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: كلام حسن، وردٌّ على السائل جميل، وقال عطاء: عدةٌ حسنة[١]، وفي الجملة: أنه قول معروف، تعرفه النفوس وتقبله ولا تنكره.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: سَترٌ[٢] لخلة السائل، قاله ابن جرير[٣]، وقال عطاء والحسن[٤]: أي: تجاوز عن السائل، إذا استطال عليه عند رده، مثل ما يتجاوز عن أخيه إذا استطال عليه وعن زوجته وعن خادمه[٥]، علم الله تعالى أن الفقير إذا ردّ بغير نوال شق عليه ذلك، فربما يدعوه ذلك إلى بذاءة اللسان، فأمر بالصفح والعفو عنه، وبين أن ذلك خير من صدقة يتبعها أذى، أي: مَنّ وتعيير للسائل بالسؤال[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ أي: عن صدقة العباد، وإنما دعاكم إليها ليُثيبَكُم عليها[٧].

يقال: غَنِيَ عن الشيء يَغْنَى عنه غنًى مقصور، فهو غانٍ عنه وغَنِيٌّ عنه[٨]، والغِنَى: نقيضُ الحاجة[٩].

---

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٧٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٦٩ دون عزو.
(٢) سقطت من (ي).
(٣) «تفسير الطبري» ٣/ ٦٤.
(٤) لم أجده عنهما.
(٥) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٧٠، دون عزو لأحد.
(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٠، «تفسير السمعاني» ٢/ ٤٢٥.
(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٠-١٥٧١.
(٨) ليست في (ي) ولا (ش).
(٩) ينظر في غنى: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٧٠٣، «المفردات» ٣٦٨، «اللسان» ٦/ ٣٣٠٨.

﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته[١].

٢٦٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ أراد: ثواب صدقاتكم وأجرها[٢] ﴿بِٱلْمَنِّ﴾ هو أن تمن بما أعطيت وتعتد به، كأنك إنما تقصد به الاعتداد، وقال ابن عباس: (بِالْمَنِّ﴾ على الله ﷻ[٣].

(والأذى)[٤] هو أن يوبخ المعطَى.

وقوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أخبر الله تعالى أن المن والأذى يبطلان الصدقة، كما تبطل نفقة المنافق الذي إنما أعطى وهو لا يريد بذلك العطاء ما عند الله، إنما يريد[٥] ليوهم أنه مؤمن[٦].

والرياء مصدر المُرَاءاة، يقال: رياء ومراءاة، مثل: راعيته رِعَاءً ومُرَاعَاةً، وهو أن ترائي غيرك بعملك[٧].

قال ابن عباس: يريد كالذي يتصدق لا يرجو لها ثوابًا، ولا يخاف من منعها عقابًا[٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ أي: مثل هذا المنافق المرائي ﴿كَمَثَلِ

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٥.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٧٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٦، والرازي ٧/ ٥٧.

(٤) سقطت من (ي).

(٥) في (ي) و(ش): (يعطي).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٥.

(٧) ينظر في الرياء: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٦ (مادة: رأى)، «المفردات» ١٩٠، «اللسان» ٣/ ١٥٤٤ (مادة: رأى)، «عمدة الحفاظ» ٢/ ٦٢.

(٨) لعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

صَفْوَانٍ﴾[١]، وهو الحجر الأملس، ومثله: الصفا. أبو عبيد عن الأصمعي: الصَّفْواء أو[٢] والصَّفْوان والصَّفَا مقصور كلُّه واحدٌ[٣].

والوابل: المطر الشديد، يقال: وَبَلَتِ السماءُ تَبِلُ وَبْلًا، وأرض مَوْبُولَةٌ: أصابها وابل[٤].

والصَّلْد: الأملسُ اليابس، يقال: حَجَرٌ صَلْدُ، وجبين صَلْدٌ: إذا كان براقًا أملس، وأرض صلد: لا تنبت شيئًا كالحجر الصلد، قال تأبط شرًا[٥] في الحَجَر:

وَلَسْتُ بِجُلْبِ جُلْبِ ريحٍ وقِرَّةٍ ولا بصَفًا صَلْدٍ عَن الخَيْرِ مَعْزِلِ[٦]

وقال رؤبة في الجبين:

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٥.

(٢) كتبت في (م): (الصفو والصفوان)، وفي بقية النسخ (الصفوا والصفوان).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢٢ (مادة: صفا)، وينظر في المادة نفسها: «المفردات» ٢٨٦-٢٨٧، «اللسان» ٤/ ٢٤٦٨- ٢٤٦٩.

(٤) ينظر في وبل: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٢٩، «المفردات» ٥٢٦، «اللسان» ٨/ ٤٧٥٥ (مادة: وبل).

(٥) ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي أبو زهير، من شعراء الصعاليك، وأحد لصوص العرب المغيرين، اشتهر بسرعة العدو حتى إن الخيل لا تلحقه، وسمي تأبط شرًّا؛ لأنه تأبط سيفا وخرج، فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: تأبط شرا وخرج، وقيل غير ذلك. ينظر «الشعر والشعراء» ١/ ٩٣، «وسمط اللالي» ١/ ١٥٨.

(٦) البيت في «ديوانه» ١٧٤، وفي «تفسير الطبري» ٣/ ٦٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٧، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٣٠ (عزل) والجلب: هو السحاب المعترض، تراه كأنه جبل، والمعنى: لست برجل لا نفع فيه، ومع ذلك فيه أذى كالسحاب الذي فيه ريح وقِرٌّ، ولا مطر فيه. ينظر «لسان العرب» ٢/ ٦٤٩ (جلب).

برّاق أصلادِ الجبينِ الأَجْلَهِ[١]

وقال بعض بني أسد في الأرض الصلدة:

وإنِّي لأرجو الوَصْلَ منكِ كَما رَجَا
صَدَى الجَوْفِ[٢] مُرْتَادًا كداه صُلود[٣]

جمعُ صَلْد، وأصله من قولهم: صَلَدَ الزَّنْدُ وأصلد[٤]: إذا لم يوْرِ نارًا[٥].

وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق وعمل المنّان الموذي، يعنى: أن الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالًا كما يُرى التُرابُ على هذا الصفوان، فإذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل؛ لأنه لم يكن لله، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من التراب، فلا يقدر أحد (من الخلق)[٦] على ذلك التراب الذي أزاله المطر عن الصفا، كذلك هؤلاء في العمل الذي حبط، إذا قدموا على ربهم لم يجدوا شيئًا[٧]، فهو قوله: ﴿لَّا

(١) الرجز لرؤبة، وقبله كما في «الأراجيز» ص ١٦٥: لما رأتني خلق المُمَوهِ. وذكره في «تهذيب اللغة» ١٢/ ١٤٢، «اللسان» ٤/ ٢٤٨١ مادة: صلد، وخلق المموه: يعني: قد بلي شبابي وأخلق، وأصلاد الجبين: يعني: أن جبينه قد زال شعره، والأجله: الأنزع الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته. «حاشية تفسير الطبري» ٣/ ٦٦.

(٢) في (ش): (الخوف).

(٣) ورد البيت غير منسوب في «ديوان الحماسة» ٢/ ١٦٥.

(٤) سقطت من (ي).

(٥) ينظر في صلد: «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٤٢، «المفردات» ٢٨٩، «اللسان» ٤/ ٢٤٨١.

(٦) سقطت من (ي).

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧٨.

﴿يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي: على ثواب شيء[١] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ قال أبو إسحاق: أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين، وقيل: لا يجعل جزاءهم على كفرهم أن يهديهم[٢].

٢٦٥- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ الآية. هذا مثل ضربه الله ﷻ لمن ينفق، يريد ما عند الله ولا يمن ولا يؤذي، وقوله[٣]: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ أي: مثل نفقتهم أو إنفاقهم، فحذف المضاف كقولهم: يا خيل الله اركبي[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ قال الزجاج: أي: وينفقونها مقرين بأنها مما يثيب الله عليها[٥].

فعلى هذا يكون المعنى: وتثبيتًا من أنفسهم لثوابها، يعني: أنهم أيقنوا أن الله يثيب عليها فيثبتوا[٦] ذلك الثواب، بخلاف المنافق فإنه ينفق رياء[٧] ولا يحتسب، ولا يؤمن بالثواب، وعلى هذا المعنى دارت أقوال المفسرين.

فقال السدي[٨] وأبو صالح[٩] وابن زيد[١٠]: يقينًا.

---

(١) المصدر السابق. (٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٤٧.

(٣) في (ي): (فقوله).

(٤) ينظر في إعراب الآية: ما تقدم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٧. (٦) في (ش) و(ي): (فثبتوا).

(٧) في (ش): (رياء الناس).

(٨) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٢٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٨٥، وابن الجوزية في «زاد المسير» ١/ ٣١٩.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٩.

(١٠) ذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٣٩، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٨٥، وفي «الوسيط» ١/ ٣٧٩.

وقال الشعبي[١] والكلبي[٢]: يعني: تصديقًا من أنفسهم، يعلمون أن ما أَخْرجوا خيرٌ لهم مما تركوا. وقال بعضهم: التثبيت، ها هنا، بمعنى: التثبت، وهو مذهب عطاء ومجاهد والحسن، قال عطاء[٣] ومجاهد[٤]: يتثبت في صدقته، فيضعها في أهل الصلاح والعفاف، فهذا تثبت في طلب من يصرف إليه المال. وقال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت، فإن كان لله أمضى، وإن خالطه شك أمسك[٥]. وإنما جاز أن يكون التثبيت بمعنى التثبت؛ لأنهم ثبتوا أنفسهم تثبيتًا في طلب المستحق، وصرف المال في وجهه، فكانوا متثبتين، كما أن من صرف نفسه عن شيء فهو منصرف، وصح أن يقال: انصرف عنه، كذلك هؤلاء لما ثبتوا أنفسهم جاز أن يقال: تثبتوا[٦].

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾[٧] الرَّبْوة: ما ارتفع من

---

(١) رواه ابن زنجويه في «الأموال» ٣/ ١٢٢٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٩، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥١٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٨٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٨.

(٢) ذكره أبو المظفر السمعاني ٢/ ٤٢٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٨٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٧٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٨٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، والرازي ٧/ ٦٠.

(٤) رواه ابن زنجويه في «الأموال» ٣/ ١٢٢٠، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٦٩، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٢٠.

(٥) رواه ابن زنجويه في «الأموال» ٣/ ١٢٢١، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٠، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٢٠ بمعناه.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨٦.

(٧) قرأ عاصم وابن عامر (برَبوة) بفتح الراء، وقرأ الباقون بضم الراء. ينظر «السبعة» ١٩٠.

الأرض، وفيها لغات: رُبْوة ورَبْوة ورِبْوة ورَباوة ورِباوَةٌ ورُباوة[(١)].

قال الأخفش والذي نختاره: رُبْوَةٌ بالضم[(٢)]، لأنك لا تكاد تسمع في جمعها غير الرُّبَى، وأصلها من قولهم: رَبَا الشيء يَرْبُو: إذا زاد وارتفع، ولهذا يقال لها: الرَّابِيَة؛ لأن أجزاءها ارتفعت عن صفحة المكان الذي هي بها[(٣)]، ومن هذا يقال: أصابه رَبْوٌ: إذا أصابه نفسٌ في جوفه لزيادة النفس على عادته، ومن هذا أيضًا: الربا في المال؛ لأنه معاملة على أن يأخذ أكثر مما يُعطي، وإنما خصت الجنة بأنها على ربوة؛ لأن الموضع المرتفع من الأرض إذا كان له ما يُرَوِّيْهِ من الماء فهو أكثرُ ريعًا من المستفل، ونَبْتُه يكونُ أحسن، وأنضر ما تكون الجنان والرياض على الرُّبى، قال الأعشى:

ما رَوْضَةٌ (مِنْ رِياضِ)[(٤)] الحَزْنِ[(٥)] مُعْشِبَةٌ

خَضْرَاءُ جَادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

فخص رياض الحزن[(٦)] لما ذكرنا[(٧)(٨)].

---

(١) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ٨٣، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٤، «غريب القرآن» ص٨٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٨، «الحجة» ٢/ ٣٨٥.

(٢) نقله عنه في «الحجة» ٢/ ٣٨٥، «المفردات» ص١٩٣.

(٣) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٣٨٦.

(٤) سقطت من (ش).

(٥) في (م) و(ي): (الحسن)، وفي (ش): (الحي).

(٦) في (م): (الحسن)، وفي (ش): (الجون).

(٧) البيت في «ديوانه» ص١٤٥، «لسان العرب» ١/ ٤٢٨ (مادة: ترع)، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٣٥، وينظر: «المعجم المفصل» ٦/ ٢٤٠.

(٨) ينظر في ربو: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٤، «المفردات» ١٩٣، «اللسان» ٣/ ١٥٧٣.

وقوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو أشد المطر.

﴿فَئَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ الأُكُل: ما يؤكل، قال الله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] أي: ثمرتها وما يؤكل منها، فالأُكُلُ في المعنى مثل الطُّعمة، تقول: جعلته أُكْلًا له، كما تقول جعلته له[١] طُعمة[٢].

وأنشد الأخفش:

فما أُكْلَةٌ إن نِلْتُها بغَنِيمَة ولا جَوْعةٌ إن جُعْتُها بغَرام[٣]

وقال أبو زيد: يقال: إنه[٤] لذو أكل: إذا كان له[٥] حظّ من الدنيا[٦].

والضمُّ والتخفيف في الكاف لغتان[٧]، ويجمع على الآكال[٨].

قال المفسرون: الأُكل: المراد به الثمر.

وقوله تعالى: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ قال ابن عباس، في رواية عطاء: يريد: حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين[٩].

---

(١) (له) سقطت من (م).

(٢) من «الحجة» ٢/ ٣٩٤-٣٩٥ بتصرف.

(٣) ورد البيت في «تفسير الطبري» ٥/ ٥٣٨، ونسبه محققه إلى أبي مضرس النهدي، ينظر: «تفسير الطبري» ٥/ ٥٣٨، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٩٥.

(٤) في (ي) (له).

(٥) في (ي) (ذو).

(٦) نقله عنه في «الحجة» ٢/ ٣٩٥.

(٧) وفي الآية قراءتان على اللغتين: فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع بسكون الكاف، وقرأ الباقون بضمها. ينظر: «السبعة» ص١٩٠، «الحجة» ٢/ ٣٩٤.

(٨) ينظر في أكل: «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٦- ١٧٧، «الحجة» ٢/ ٢٩٤-٢٩٥، «المفردات» ص٢٩، «اللسان» ١/ ١٠٠- ١٠٣.

(٩) ذكره عن عطاء: الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٩٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، وفي «الوسيط» ١/ ٣٧٩، وفي بعض نسخ الثعلبي في «تفسيره»: سنين بدل سنتين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي: فالذي يُصِيبها طَلٌّ، وهو المطر اللِّينُ الصغارُ القَطْر، يقال: طَلَّت السماء تَطُلُّ طَلًّا فهي طَلَّة، وطُلَّتِ الأرض فهي مَطْلُولة، وروضة طَلَّةٌ نَدِيَّة، وتقول العرب في الدعاء: رحُبَت عليك الأرض وطُلَّت، بضم الطاء، ومن نصب الطاء أراد: وطَلَّت عليك السماء[(١)].

فإن قيل: كيف قيل فيما مضى ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ قيل: فيه إضمار المعنى: فإن يكن لم يصبها وابل فطل، ومثله من الكلام: قد أعتقت عبدين، فإن لم أعتق اثنين فواحدًا بقيمتهما، المعنى: إن أكن لم أعتق، قاله الفراء[(٢)].

وتم المعنى عند قوله: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ ثم زاد تأكيدًا وزيادة معنى فقال: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ وأصابها طلٌّ فتلك حالها في الثراء وتضاعف الثمرة لا ينقص بالطل عن مقدارها بالوابل، وفي الكلام إضمار لا يتم المعنى إلا به، كأنه قيل: فإن لم يصبها وابل وأصابها طل فتلك حالها، فحذف لأن الباقي يدل عليه، تقول: كما أن هذه الجنة تثمر في كل حال ولا يخيب صاحبها، قلّ المطر أو كثر، كذلك يضعف[(٣)] الله ﷻ ثواب صدقة المؤمن المخلص، سواء قلت نفقته وصدقته أم[(٤)] كثرت[(٥)].

---

(١) ينظر في طلل: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٨، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢١٢، «المفردات» ص٣٠٩، «اللسان» ٥/ ٢٦٩٦- ٢٦٩٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٨، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣١٢.

(٣) في (ش): (يضاعف).

(٤) في (م): (أو).

(٥) الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٥٩٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣١٣.

٢٦٦- قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ الآية. الأكثرون من المفسرين على أن هذه الآية راجعة في المعنى إلى قوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ وأن هذا تقريرُ مثلٍ للمراء في النفقة(١)(٢)، وقال مجاهد: هذا مثل للمفرط في طاعة الله، المشتغل بملاذ الدنيا، يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى(٣).

وقال ابن عباس: هو مثل الذي يختم عمله بفساد، وكان يعمل عملًا صالحًا، فهو مثل للجنة المذكورة في الآية، ثم يبعث الله له الشيطان فيسيء في آخر عمره، ويتمادى في الإساءة حتى يموت على ذلك، فيكون الإعصار مثلصا لإساءته التي مات عليها(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ عطف بماض على مستقبل، قال الفراء: وذلك يجوز(٥) في يود؛ لأنها تتلقى مرّة بأن ومرة بلو، فجاز أن يقدر أحدهما مكان الآخر لاتفاق المعنى، كأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة، وذلك أن (لو) و(أن) مضارعتان في المعنى، فتجاب أن بجواب لو، ولو بجواب أن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١] المعنى: وإن أعجبتكم، وقال: ﴿وَلَئِنْ

---

(١) في (م): (بالنفقة).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩٣.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره»٣/ ٧٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٢٢.

(٤) رواه البخاري (٤٥٣٨) كتاب: التفسير، باب: قوله: (أيود أحدكم أن تكون له جنة)، والثوري في «تفسيره» ٧٢، وابن المبارك في «الزهد» ٥٤٦، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٧٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٢٣.

(٥) في (ي): (ويجوز ذلك).

أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم: ٥١] فأجيبت لئن بإجابة لو، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] معناه: ودوا أن تدهن(١).

والإعصار: ريح ترتفع وتستدير نحو السماء كأنها عمود، وهي التي يسميها الناس الزوْبَعة، وهي ريح شديدة، ومنه: إن كنت ريحًا فقد لاقيت إعصارًا(٢) وقال ابن الأعرابي: يقال: إعصار وعِصَار، وهو أن يهيجَ الريحُ الترابَ(٣).

قال المفسرون: مثلُهم كمثلِ رجلٍ كانت له جَنَّةٌ فيها من كلِّ الثمرات، وأصابه الكِبَرُ فَضَعُفَ عن الكسب، وله أطفال لا يجدون عليه، ولا ينفعونه، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، ففقدها أَحوَج(٤) ما كان إليها، عند كبر السن، وضعف الحيلة، وكثرة العيال، وطفولة الولد، وضعف عن إصلاحها لكبره، وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم، ولم يجد هو ما يعود به على أولاده، ولا أولاده ما يعودون به على أبيهم، فبقي هو وأولاده فقراء عجزة متحيرين، لا يقدرون على حيلة، كذلك يبطل الله عمل المنافق والمرائي، حين لا مُسْتَعْتَب لهما، ولا توبة، ولا إقالة من ذنوبهما(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ أي: كمثل بيان هذه الأقاصيص

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩٣-١٥٩٤.

(٢) مثل عربي في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٥٩ (مادة: عصر). وينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٩. ويضرب مثلًا للرجل يلقى قِرْنَه في النجدة والبسالة.

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٥٩ (مادة: عصر)، وعبارته: أن تهيج الريح التراب فترفعه. وينظر في إعصار: «المفردات» ص٣٣٩ -٣٤٠، «اللسان» ٥/ ٢٩٧٠ (مادة: عصر).

(٤) في (م): (فأحوج).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩٦.

التي ذكرها، من قصة الذي يمر على قرية، وقصة إبراهيم، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾، أي: العلامات والدلالات التي تحتاجون إليها في أمر توحيده.

٢٦٧- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعنى: الجيادَ[1] الخِيارَ[2]، وقيل: يعنى: الحلالاتِ[3] مما كسبه الإنسان بالتجارة والصناعة من الذهب والفضة.

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى: الحبوب مما يجب فيه الزكاة.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ التَّيَمُّم: القَصْد والتَّعَمُّد، يقال: أَمَمْتُه وتَيَمَّمْتُه وَتَأَمَّمْتُه ويَمَّمْتُهُ، كله بمعنى: قصدته، قال الأعشى:

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وكَمْ دُونَه من الأرضِ من مَهْمَهٍ ذِي شَزَنٍ[4]

وقال آخر:

رَمَى بصُدُورِ العِيسِ مُنْخَرقَ الصَّبا
فلم يَدْرِ شَخْصٌ بعدها أين يَمَّمَا[5]

أي: أين قَصَد، ويقال أيضًا: يممته الشيء، قال:

---

(١) ليست في (ش) ولا (ي).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩٨.

(٣) روي عن ابن مسعود ومجاهد. ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٢٩.

(٤) البيت في «ديوانه» ص٢٠٧، «تفسير الطبري» ٣/ ٨٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١٩، «اللسان» ١/ ١٣٢ (مادة: أمم) من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب، ومعنى: ذي شزن: غليظ، يصفُ وُعُورَةَ الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى ممدوحه، انظر: «زاد المسير» ١/ ٣٢٢. وضبطت (شَزَن) بالفتح على الشين والزاي في «تهذيب اللغة» «اللسان» وبضمها في نسخة (أ).

(٥) أورده صاحب (ديوان الحماسة» ١/ ٤٠٤ دون أن ينسبه.

يَمَّمْتُه الرُّمْحَ شَزْرًا ثم قلتُ له هَذِي المروة لا لعب الزحاليق[(١)(٢)]

وقراءة العامة: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ مخففة التاء، على حذف إحدى التاءين، وقرأ ابن كثير مشددة التاء على الإدغام[(٣)].

قال أبو علي: والإدغام في هذا ينبغي أن لا يجوز؛ لأن المدغم يسكن، وإذا سكن لزم أن تجلب همزة الوصل عند الابتداء به، كما جلبت في أمثلة الماضي، نحو: ادّارأتم، وازينت، واطّيّر، وهمزة الوصل لا تدخل على المضارع، ألا ترى أن من قال في يترّس: اترس، لا يقول في المضارع: اتّرسون، بمعنى: تترسون، ولا ايفكرون، في تتفكرون[(٤)]، وهذا يلزم أن يقوله من قال: ولا تيمّموا مشدّدة التاء، وفي ﴿يَمِينِكَ تَلَقَّفْ﴾ [طه: ٦٩] ولا تدخل همزة الوصل على المضارع، قال أبو علي: وسألت أحمد بن موسى: كيف يبتدئ من أدغم؟ فقال كلامًا معناه: إنه يصير إذا ابتدأ إلى قول من خَفّف ويدعُ الإدغام.

وأما التاء المحذوفة على قراءة العامة فقال هشام: هي الأولى من التائين، والفراء يقول: أيهما شئت أسقطت لنيابة الباقية عنها، وسيبويه لا يسقط إلا الثانية.

---

(١) البيت لعامر بن مالك مُلاعِبُ الأسِنّة في «لسان العرب» ٣/ ١٨١٩ (مادة: زحلق)، ١/ ١٣٢ (مادة: أمم) وروايته: صدرًا بدل: شزرًا. «ومجمل اللغة» ٤/ ٥٦٠، «مقاييس اللغة» ١/ ٣١.

(٢) ينظر في أمم: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٧، «المفردات» ص٣٢-٣٣، «اللسان» ١/ ١٣٢.

(٣) ينظر «المبسوط في القراءات العشر» ص١٣٥، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص١٤٦، «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٢٣٢.

(٤) في (م): (يتفكرون).

قال ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حَشَف فوضعه في الصدقة فقال رسول الله ﷺ: «**ما صنع صاحب هذا**» فأنزل الله هذه الآية[١].

وقال علي بن أبي طالب[٢].

والحسن[٣] ومجاهد[٤]: كانوا يتصدقون بشرار في ثمارهم ورُذَالة أموالهم، فأنزل الله هذه الآية[٥] ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٢٣، وفي إسناده صالح بن محمد، والسدي الصغير، والكلبي، وهذا السند يسمى: سلسلة الكذب، وأورد نحوه مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٢٢٢ وأبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٣١، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٢٦ من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون، فأنزل الله على نبيه الآية، وروى أبو داود (١٦٠٨) كتاب: الزكاة، باب: فلا يجوز في الثمرة من الصدقة، والنسائي ٥/ ٤٣ كتاب: الزكاة، باب زكاة الثمر، وابن ماجه (١٨٢١) كتاب: الزكاة، باب النهي أن يخرج من الصدقة شر ماله، والإمام أحمد ٦/ ٢٣، والحاكم ٢/ ٣١٣، وصححه عن عوف بن مالك قال: دخل علينا رسول الله ﷺ المسجد وبيده عصا، وقد علق رجل منا حشفه، فطعن بالعصا في ذلك القنو، وقال: «**لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها**» الحديث، وليس فيه أن القصة كانت سبب نزول الآية.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٤ بمعناه، وذكره في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٣، «النكت والعيون» ١/ ٣٤٣.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٢٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٣.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٢٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٣، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٦١١ إلى سفيان بن عيينة والفريابي، وعزاه الحافظ في «العجاب» ١/ ٦٢٦ إلى عبد بن حميد.

(٥) من قوله: (وقال علي). ساقط من (ي).

يعني: الرديء من أموالكم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ قال الفراء: (أن) هاهنا في مذهب جزاء، يدلك عليه: أن المعنى: إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه، وإنما فتحتها لأن إلا وقعت عليها، وهي في موضعِ خفضٍ، وإذا رأيت (أن) في الجزاء قد أصابها معنى خفض أو نصب أو رفع، انفتحت فهذا من ذلك، والمعنى، والله أعلم: ولستم بآخذيه إلا على الإغماض، أو بإغماض، وعن إغماض. قال: ومثله: قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧][٢].

وأنكر المبرد ذلك، وقال: (أن) إذا كانت مع الفعل بمعنى المصدر كانت مفتوحة أبدًا على كل حال، وذلك نحو: أن تأتيني خير لك. والمعنى في الآية: ولستم بآخذيه إلا بإغماضكم فيه[٣].

والإغْمَاضُ في اللغة: غَضُّ البصر[٤]، وإطباق جَفْنٍ على جَفْنٍ، قال رؤبة:

أَرَّقَ عَيْنِي عن الإغْمَاضِ بَرْقٌ سَرَى في عَارِضٍ نَهَّاضِ[٥]

وأصله من الغموض، وهو الخفاء، غمُض الشيء يَغْمُضُ غُموضًا، والإغْمَاضُ والغَمْضُ[٦]: إطباق الجفن؛ لأنه إِخْفَاءُ العين، والغَمْضُ:

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٣.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٧٨ بمعناه.

(٣) نقله عنه في «البحر المحيط» ٢/ ٣١٨.

(٤) في (ي): (الطرف).

(٥) البيت في «ديوانه» ص٨١، وكذا في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٦٢٥، وفي «اللسان» ٦/ ٣٢٩٩ (مادة: غمض)، وروايته: أرَّق عينيك عن الغماض.

(٦) في (ش) و(ي): (والتغميض).

المتطامن الخفي من الأرض(١).

والمراد بالإغماض في الآية: التجويزُ والمساهلة، وذلك أن الإنسان إذا رأى ما يكره أَغْمَضَ عينه لئلا يرى ذلك، ثم كثر ذلك حتى جُعِلَ كلُّ تجاوز ومساهلة في البيع وغيره(٢) إغماضًا(٣).

قال الطِّرِمَّاح في الإغماض بمعنى(٤) المساهلة:

لم يَفُتْنا بالوِتْرِ قومٌ وللضيمِ رجالٌ يَرْضَونَ بالإغْمَاضِ(٥)

ويقال من هذا: اغمض لي في البياعة، أي: زدني لمكان رداءته، أو حُط لي من ثمنه(٦)، ومعنى قوله: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾ يقول: أنتم(٧) لا تأخذونه إلا بِوَكْسٍ، فكيف تُعْطُونَه في الصَّدَقَةِ(٨).

---

(١) ينظر في غمض: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩٧، «المفردات» ٣٦٧، «اللسان» ٦/ ٣٢٩٩، وقال في «القاموس» ٦٤٩: الغامض: المطمئن من الأرض، ج: غوامض، كالغمض، ج: غموض، وأغماض، وقد غمض المكان غموضا، وككرم: غموضة وغماضة، والرجل الفاتر عن الحملة، وخلاف الواضح من الكلام، وقد غمض ككرم ونصر: غموضة، والخامل: الذليل، والحسب الغير المعروف.

(٢) سقطت من (ي).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٥، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩٧، «المفردات» ص٣٦٧ (مادة: غمض).

(٤) في (م): (يغضّ).

(٥) البيت في «ديوانه» ص ١٧٠. وفي «تفسير الطبري» ٣/ ٨٤، والوِتْر: الثأر، وبالإغماض: أي الإغماض على الضيم، والتساهل فيه.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩٧ (مادة: غمض).

(٧) سقطت من (ي).

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩٧ (مادة: غمض).

قال ابن عباس في رواية العوفي: لو كان لأحدكم على رجل حقٌّ فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن بعض حقه وتساهل فيه[(١)].

وقال في رواية الوالبي: ولستم بآخذي هذا الرديء بحساب الجيد حتى تحطوا من الثمن[(٢)]، وبه قال الحسن[(٣)] وقتادة[(٤)]، وهذا القول يحمل على الإغماض إذا كان متعديًا إلى آخر، كما تقول: أغمضت بصر الميت وغَمَّضْتُه، كان المعنى: ولستم بآخذيه إلا إذا أغمضتم بصر البائع، يعني: أمرتموه بالإغماضِ والحطِّ من الثمن، فيكون المفعولُ محذوفًا في[(٥)] هذا[(٦)]، يدل على هذا المعنى: قراءة أبي مجلز ﴿تُغْمَضُوا﴾ فيه بضم التاء وفتح الميم[(٧)] يعني: إلا أن يُهضم لكم.

قال صاحب «النظم»: اختلف في نظم هذه الآية فريقان:

أحدهما: زعم أن انتهاء الفصل الأول إلى قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾ ثم ابتدأ خبرًا آخر في وصف الخبيث، فقال: (تنفقون منه) أي: من

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٤، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٢٨.

(٢) المصدرين السابقين.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٢٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٢٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٣.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٥، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٢٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٣.

(٥) في (ي): (على).

(٦) ينظر: «التبيان» ص١٦٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣١٨.

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٥، وعزاها في «المحتسب» ١/ ١٣٩، و«البحر المحيط» ٢/ ٣١٩ إلى قتادة.

الخبيث تنفقون، ولا تأخذون منه إلا إذا أغمضتم، أي: ساهلتم. وقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ الآخذون وصف وضع موضع الفعل، والمراد: لا تأخذون، كقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] أي: أم صَمَتُّم، فيكون تأويل هذا الفصل: تنفقون منه ولا تأخذونه إذا وجب لكم إلا بالإغماض.

الفريق الثاني: أن انتهاء الفصل: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾، فيكون (الذي) مضمرًا، كأنه قيل: ولاتيمموا الخبيث منه الذي تنفقونه، ولستم بآخذيه إلا بالإغماض[١]، والعرب قد تضمر (الذي) كما ذكرنا في قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال المفسرون: وفي هذه الآية بيان أن الفقراء شركاء رب المال في ماله، فإذا كان ماله جيدًا فهم شركاؤه في الجيد، والشريك لا يأخذ الرديء من الجيد، إلا بالتساهل[٢].

٢٦٨- قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ الفَقْرُ والفُقْرُ لغتان[٣]، وهو الضعف بقلة الملك، وأصل الفقر في اللغة: كسر الفَقَار، يقال: رجل فَقِرٌ وفَقِير: إذا كان مكسور الفَقَار[٤]، قال طرفة:

إنَّني لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ[٥]

(١) سقطت هذه الجملة من (أ) و(م) و(ش).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٨٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٧.

(٣) قال الليث: والفُقر: لغة رديئة. ينظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨١٢ مادة (فقر).

(٤) ينظر في الفقر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨١٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢٩، «المفردات» ٣٨٥، «اللسان» ٦/ ٣٤٤٤ مادة (فقر).

(٥) صدره: وإذا تلسُنني ألسُنها.

البيت في «ديوانه» ص ٦٠، وفي «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٠، و«اللسان» ٦/ ٣٤٤٥=

وقال لبيد:

رَفَعَ القَوَادِمَ كالفَقِيرِ الأعْزَلِ[(١)]

ولم يسمع من الفقر الذي هو ضد الغنى: فِعْل، إنما يُقَال: أَفْقَرَه الله فافتقر[(٢)].

ومعنى الآية: أن الشيطان يُخَوِّفكم بالفقر، ويقول[(٣)] للرجل: أمسك مالك، فإنك[(٤)] أن تصدقت افتقرتَ[(٥)].

والفحشاء: البخلُ ومنعُ الزكاة في هذه الآية، وروي عن مقاتل[(٦)] والكلبي[(٧)]: أن كل فحشاء في القرآن فهو الزنى إلا في هذه الآية.

قال الأزهري: والعَرَبُ تسمي البخيلَ فاحشًا، وأنشد لطرفة:

= (مادة: فقر). يقول الشاعر: إذا أخذتني بلسانها وفخرت علي، انتصرت لنفسي وقابلتها بمثل ذلك.

والموهون: الضعيف. الفقر: الفقار، وهو كناية عن ضعف النفس واحتمال الذل.

ينظر الديوان.

(١) مطلع البيت:

لما رأى لُبَدُ النُّسورَ تَطَايَرَتْ

والبيت في «ديوانه» ص ١٢٦. «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨١٣ «اللسان» ٦/ ٣٤٤٥ (مادة: فقر) والأعزل من الخيل: المائل الذَّنَب، والفقير: المكسور الفَقَار، يضرب مثلًا لكل ضعيف لا ينفُذُ في الأمور.

(٢) قال في «اللسان» ٦/ ٣٤٤٤ مادة (فقر) وقال سيبويه: وقالوا افتقر كما قالوا: اشتد، ولم يقولوا: فقُر، كما لم يقولوا: شدد، ولا يستعمل بغير زيادة.

(٣) في (ي): (فإن كان).

(٤) في (ي): (فإن كان).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٠.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٠، وليس في «تفسير مقاتل».

(٧) ذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٣١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٣٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٣.

أرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفي
عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ[(١)(٢)]

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أن يجازيكم على صدقتكم ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبكم، وأن يخلف عليكم[(٣)].

٢٦٩- قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ الآية. ابن عباس[(٤)] وقتادة[(٥)]، وأكثر المفسرين[(٦)] على أن المراد بالحكمة ها هنا: علم القرآن، والفهم فيه، والفقه في الدين.

وقال السدي: هي النبوة[(٧)]، وقال مجاهد، في رواية ابن أبي نجيح[(٨)]: هي الإصابة في القول والفعل[(٩)].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٣٤، و«لسان العرب» ٤/ ٢٢١٥ (مادة: شدد) ٦/ ٣٣٥٦ (مادة: فحش) ٥/ ٣١٩٥ مادة: عيم.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٦، وينظر «المفردات» ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٠.

(٤) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٥، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٨٩، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٣.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠٩، والطبري ٣/ ٨٩، وذكره البغوي ١/ ٣٣٤.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٨٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٣١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣١، «الدر المنثور» ٢/ ٦٦.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٣٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٣١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٤.

(٨) هو: أبو يسار عبد الله بن يسار بن أبي نجيح المكي الثقفي، مفسر، أخذ التفسير عن مجاهد وعطاء، من الرواة الثقات لكنه رمي بالقدر ولم يثبت عنه ذلك، توفي سنة ١٣١هـ. ينظر: «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ٢٥٨، «التقريب» ص٣٣٠ (٣٧١٩).

(٩) في «تفسير مجاهد» ١/ ١١٦، ورواه الدارمي في «السنن» ٢/ ٤٣٦، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٠، وابن أبي حاتم» في «تفسيره» ٢/ ٥٣٢.

قال المفضل: جماع الحكمة ما يَرُدُّ إلى الصواب(١)، ومضى الكلام في الحكمة، ومعناها وأصلها في اللغة(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ما يتعظ إلا ذوو العقول، وإنما قيل: للاتعاظ: تَذَكُّر؛ لأنه ما لم يتذكر آيات الله وأوامره ونواهيه لم يتعظ، وإنما يتعظ بذكر ما يزجُره عن الفساد، ويدعوه إلى الصلاح، وذكرنا تفسير الألباب فيما تقدم(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ النذر: ما يلتزمه الإنسان لله بإيجابه على نفسه، يقال: نَذَر يَنذُرُ وينذِر.

قال جميل(٤):

فلَيْتَ رِجَالًا فِيكِ قَدْ نَذَرُوا دَمِي وهَمُّوا بَقَتْلي يابُثَيْنُ لَقُونِي(٥)

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٥، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٤٥٧: وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي، قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في عمل أو قول، وكتاب: الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس، وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٤٥: والصحيح: أن الحكمة كما قاله الجمهور لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع.

(٢) ينظر ما تقدم [البقرة: ٣٢]

(٣) ينظر ما تقدم عند الآية ١٧٩ .

(٤) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، تقدمت ترجمته الآية ٢٤٨.

(٥) البيت في «ديوانه» ص٧، و«لسان العرب» ٢/ ١٠٠٧ (مادة: حمم)، والأغاني ٨/ ٩٩، و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي ٣/ ١٧٠، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ٣٢٤، و«مختار الأغاني» ٢/ ٢٣٧. انظر: «المعجم المفصل» ٨/ ٢٤٤.

وأصله من الخوف، لأن الإنسان إنما يَعْقِدُ على نفسِهِ بالنذر خوفَ التقصير في الأمر المهم عنده[١].

وهو في الشريعة على ضربين: مُفَسَّرٌ وغيرُ مُفَسَّرٍ.

فالمفسر، مثل أن تقول: لله عليَّ عتقُ رقبة، ولله عليَّ حَجٌّ، وما أشبه هذا، فيلزمه الوفاء به لا يجزيه غير ذلك. وغيرُ المُفسَّر، أن يقول: نذرت لله أن لا أفعل كذا، ثم يفعله، أو يقول: لله عليّ نذر من غير تسمية، فيلزمه في ذلك كفارة يمين[٢]؛ لقول رسول الله ﷺ: «**من نذر نذرًا وسَمَّى، فعليه ما سَمَّى، ومن نذر نذرًا ولم يُسَمِّ، فعليه كفارةُ يمين**[٣]».

والمفسرون حملوا الإنفاق في[٤] هذه الآية على فرض الزكاة، والنذر على التطوع بالصدقة؛ لأن كل ما نوى الإنسان أن يتطوع به فهو نذر.

٢٧٠- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ أي: يجازي عليه[٥]، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء، كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُهُۥ﴾ ولم يقل: يعلمهما[٦]؛ لأن الكناية عادت

---

(١) ينظر: في (نذر) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٦، «المفردات» ص٤٨٩، «اللسان» ٧/ ٤٣٩٠، و«القاموس» ص٤٨١.

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ١٩/ ١٢٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣٢٢) كتاب: الأيمان والنذور، باب: من نذر نذرًا لا يطيقه، وابن ماجه (٢١٢٧) كتاب: الكفارات، باب: من نذر نذرًا ولم يسمه.

(٤) في (ي) و(ش): (من).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٢.

(٦) في (ي) و(ش): (يعلمهما).

إلى الآخر منهما[١]، كقوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢] هذا قول الأخفش[٢]. وقال غيره: الكناية عادت إلى ما في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ لأنها اسم، كقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[٣] [البقرة: ٢٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعيد لمن أنفق في غير الوجه الذي يجوز له، من ربا، أو معصية، أو من مال مغصوب مأخوذ من غير وجهه[٤].

والأنصار: جمع نصير، مثل: شريف وأشراف، وحبيب وأحباب[٥]، يعني: لا أحد ينصرهم من عذاب الله.

٢٧١- قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ الآية. فنعما نزلت لما سألوا رسول الله ﷺ، فقالوا: صدقة السِّر أفضل أم صدقة[٦] العلانية؟[٧].

والصدقة تطلق على الفرض والنفل، والزكاة لا تطلق إلا على الفرض.

---

(١) في (ي): (منها).

(٢) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٦، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٩.

(٣) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤١، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٢، وذكر أن العطف إذا كان بأو كان الضمير مفردا؛ لأن المحكوم عليه هو أحدهما، وتارة يراعى الأول في الذكر، وتارة يراعى الثاني، وأما أن يأتي مطابقا لما قبله في التثنية والجمع فلا.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤٠، وينظر في (نصر): «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٤، «المفردات» ص٤٩٧.

(٦) سقطت من (ي).

(٧) ذكره الثعلبي ٢/ ١٦٤٠، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٩١، وابن =

قال الزجاجي: أصل[١] صدق على هذا الترتيب موضوع للصحة والكمال، من ذلك قولهم: رجل صَدْقُ النظر، وصدق اللقاء، وصَدَقُوهم القتال، وفلان صادق المودة، وهذا خَلٌّ صادق الحُموضة، وشيء صادق الحلاوة، وَصَدَقَ فلانٌ في خبره، إذا أخبر به على الوجه الذي هو عليه صحيحًا كاملًا، والصَّدِيقُ سُمِّي صَدِيقًا لِصِدْقِهِ في المَوَدَّة، والصَّدَاقُ سمي صَدَاقًا لأن عقد النكاح به يتم ويَكْمُل، وسَمَّى الله تعالى الزكاةَ صَدَقَةً لأن المال بها يَصِحُّ ويَكْمُل، فهي سبب لكمال المال ونماه، كما أن الزكاة سميت زكاة لأن بها تزكو الأموال وتنمى وتزداد بأن يبارك الله فيها[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ فيه ثلاثة أوجه من القراءة[٣]:

أحدها: كسر النون وجزم العين، وهو قراءةُ أبي عمروٍ، واختيار أبي عبيد، قال: لأنها لغة النبي ﷺ، حين قال لعمرو بن العاص[٤]: «نِعْمَا

= الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٢٥، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٣، والحافظ في «العجاب» ١/ ٦٢٧ عن الكلبي، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٨٤. عن ابن عباس.

(١) ليست في (أ) و(م).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من كتب الزجاجي، وينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٤٢، «المفردات» ٢٨٠-٢٨٢.

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح النون وكسر العين، وقرأ ورش وابن كثير وحفص ويعقوب بكسر النون والعين، وقرأ أبو جعفر بكسر النون وإسكان العين، واختلف عن قالون والبصري وشعبة، فروي عنهم وجهان: الأول: كسر النون واختلاس كسرة العين، وهذا هو الذي ذكره الشاطبي. والثاني: كسر النون وإسكان العين كقراءة أبي جعفر، واتفقوا على تشديد الميم. ينظر «السبعة» ١٩٠، «النشر» ٢/ ٣٣٥- ٣٣٦، «البدور الزاهرة» ٥٥- ٥٦.

(٤) هو: عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سُعَيد القرشي السهمي، كان في

بالمال الصالح للرجل الصالح»[١] هكذا روي في الحديث بسكون العين[٢]، وهذه القراءة لا تستقيم عند النحويين؛ لما فيها من الجمع بين ساكنين، الأول منهما ليس بحرف مدّ ولين، وإنما يجوز الجمع بين ساكنين إذا كان أحدهما حرف مدّ ولين، نحو: دابّة وشابّة؛ لأن ما في الحرف من المد يصير عوضًا من الحركة[٣].

وأما ما ذكر أبو عبيد من أنها لغة النبي ﷺ، فقال الزجاج: لا أحسب أصحاب الحديث ضبطوا هذا، ولا هذه القراءة جائز عند النحويين البتة؛ لأن فيها الجمع بين ساكنين مع غير حرف من مد ولين[٤].

ومن احتج لأبي عمرو في هذه القراءة قال: لعله أخفى حركة العين، كأَخْذِه بالإخفاء في نحو: بارئكم ويأمركم، فظن السامع الإخفاء إسكانًا،

= الجاهلية من الأشداء على الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية وأَمَّرَه الرسولُ ﷺ على الجيش، كان من عظماء العربِ ودُهَاتهم، له فتوحاتٌ في الشام ومصر، توفي سنة ٤٣هـ.

انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ٢/ ٩١١ «أسد الغابة» ٣/ ٢٤٤-٢٤٨، «الأعلام» ٥/ ٧٩.

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد ٤/ ١٩٧ (١٧٧٦٣)، (١٧٧٦٤)، ٤/ ٢٠٢ (١٧٨٠٢)، وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٩٣-٩٤، وابن أبي شيبة ٧/ ١٧-١٨، وأبو يعلى (٧٣٣٦)، وابن حبان (٣٢١٠)، (٣٢١١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٦٠٥٦)، (٦٠٥٧).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٤، «علل القراءات» للأزهري ١/ ٩٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤١-١٦٤٢، «والنشر» ٢/ ٢٣٦.

(٣) من «الحجة» ٢/ ٣٩٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٤.

للطف ذلك في السمع وخفائه[١]؛

وسمعت أبا الحسن القهندري رحمه الله يحتج لقراءة أبي عمرو، يقول: إنه لم يُبال الجمع بين ساكنين؛ لقوة العين، وخفاء سكون الميم عند الإدغام إذ اللسان ينبو[٢] عن الحرف المدغم نبوة واحدة، ولا يظهر سكون المدغم[٣].

الوجه الثاني من القراءة في هذا الحرف: (فنِعِما هي) بكسر النون والعين، قالوا: كسر العين اتباعًا لكسرة الفاء، فرارًا من الجمع بين ساكنين، فأتبع العين الفاء في الكسرة، هذا قول أكثرهم، وقال أبو علي الفارسي: لا يجوز أن تكون هذه القراءة ممن قال: نِعْم، فلما أدغم حرك العين، كما يقول ﴿يَهِدِّي﴾ [يونس: ٣٥] يتحرك الهاء إذا أدغمت التاء في الدال، وأنكر قول من قال: إن العين كسرت اتباعا للفاء[٤]، وقال: هذا لا يجوز في حرفين، وإنما جاز في يهدّي لأنه حرف واحد، ألا ترى أنه لا يجوز في قولك: هذا قِرْم[٥] مالك، أن تدغم الميم في الميم ويحرك الراء،

(١) من «الحجة» ٢/ ٣٩٧.

(٢) في (أ): (بنوا).

(٣) قال في «النشر» ٢/ ٢٣٦: وحكى النحويون الكوفيون سماعا من العرب (شهر رمضان) مدغمًا، وحكى ذلك سيبويه في الشعر، وروى الوجهين جميعًا عنه الحافظ أبو عمرو الداني، ثم قال: والإسكان آثر، والإخفاء أقيس، قلت: والوجهان: صحيحان غير أن النص عنهم بالإسكان، ولا يعرف الاختلاس إلا من طريق المغاربة ومن تبعهم اهـ.

(٤) في (ي): النون مراده بالنون نون نعم والمراد فيما أثبتا الفاء أي فاء الفعل.

(٥) هكذا بالأصل مضبوطة، وفي «الحجة»: (قدم) ولعله أصوب.

وكذلك: جسم ماجد، لا يجوز فيه الإدغام لما فيه من الجمع بين ساكنين، ولأنهما حرفان منفصلان، ولكن هذه القراءة على لغة من يقول في نعْم نِعِم[(١)].

وفي (نعم) أربع لغات:

أحدها: نَعِم بفتح النون وكسر العين، وهو الأصل.

والثاني: نِعِم بكسر النون والعين، أتبعوا الأول الثاني؛ لأن الكسرة أشبه بحروف الحلق.

والثالث: نَعْمَ بفتح الأول وإسكان[(٢)] الثاني، فعلوا ذلك أيضًا تخفيفًا، وهكذا القول في بئس، وقد مضى الكلام فيهما عند قوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠] بما فيه مقنع[(٣)].

قال سيبويه: أما قولُ بعضهم في القراءة ﴿فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ فَحَرَّك العين، فليس على لغة من يقول: نِعْمَ ما، فأسكن العين، ولكن على لغة من قال: نِعِم فحرك العين.

وحدثنا أبو الخطاب[(٤)]: أنها لغة هُذيل[(٥)]، ولو كان الذي قال: نعمّا، ممن يقول في الانفصال: نِعْمَ، لم يجز الإدغام على قوله، لما يلزم

---

(١) «الحجة» ٢/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) في (م): (سكون).

(٣) لم يذكر في هذا الموضع اللغة الرابعة، وهي نِعْم، بكسر النون وإسكان العين، وينظر في لغاتها: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤١.

(٤) هو الأخفش الأكبر.

(٥) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٤٣٩-٤٤٠.

من تحريك الساكن في المنفصل[١].

الوجه الثالث من القراءة: (نَعِمّا هي) بفتح النون وكسر العين، ومن قرأ بهذه القراءة فقد جاء بالكلمة على أصلها، وهو نَعِمَ كما قال طرفة:

نَعِمَ السَّاعُونَ في الأمْرِ المُبِرْ[٢]

ولا يجوز أن يكون ممن يقول: نَعْم قبل الإدغام، كما أن من قرأ: ﴿نِعِمَّا﴾ لا يكون ممنْ قال قبل الإدغام نِعْمَ، ولكن قارئ الوجه الثالث ممن يقول: نَعِم، فجاء بالكلمة على أصلها[٣].

فأما (ما) في قوله: ﴿فَنِعِمَّا﴾ قال أبو إسحاق: (ما) في تأويل الشيء، أي: نعم الشيء هي[٤]، فعلى هذا (ما) تكون في محل الرفع.

وقال أبو علي: الجيد في تمثيل هذا: أن يقال: (ما) في تأويل شيء؛

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٣٩٨.

(٢) البيت في ديوان طرفة ص ٥٨، وروايته:

خالتي والنفس قُدما إنهم   نعِم الساعون في القوم الشطُر

وذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ٣٩٨، وكذا التبريزي في «شرح الحماسة» ٢/ ٨٥ برواية:

ما أقلت قدماي إنهم   نَعِم الساعون في الأمر المُبِر

وعند سيبويه ٤/ ٤٤٠ برواية:

ما أقلت قدم ناعلها   نعم الساعون في الحي الشطر

وقد استوفى الكلام على الشاهد: البغدادي في «خزانة الأدب» ٤/ ١٠١، والمُبِر: الغالب، من أبره يبره، إذا قهره بفعال أو غيره. ينظر: «اللسان» ١/ ٢٥٢، ٢٥٣ [برر].

(٣) من «الحجة» ٢/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٤.

لأن (ما) هنا: نكرة فتمثيله بالنكرة أبين، والدليل على أن (ما) نكرة هنا: أنها لا تخلو من أن تكون معرفة أو نكرة، فإن كانت معرفة فلابُدّ لها من صلة، وليس هنا (ما) توصَل به (ما)[1]، ألا ترى أن الذي بعدها اسم مفردٌ، وهو هي، والاسم المفرد لا يكون صلة لـ (ما)[2]، وإذا كانت غير موصولة كانت منكورة، وإذا كانت منكورةً كانت منصوبةً، فـ (ما) في نعما بمنزلة سائر النكرات التي تنتصب في هذا الباب، فإن قلت: أرأيت (ما) إذا لم تكن موصولة هل تخلو من أن تكون موصوفة، وعلى هذا ما[3] يذهب إليه فيها لا تكون موصوفة أيضًا؛ لأنه ليس في هذا الكلام ما يصح أن يكون وصفًا لها؟ قلنا: لا تكون هنا موصوفة، كما لم تكن في التعجب في قولنا: ما أحسن زيدًا، موصوفةً ولا موصولةً[4].

والمعنى في قوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أن في نعم ضميرُ الفاعل، و(ما) في موضع نصب، وهي تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر، والمخصوص بالمدح بقوله: (نعم) هو. (هي) في قوله: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ والمعنى: إن تبدوا الصدقات فيكم[5] فنعم شيئًا إبداؤُها، وليس المعنى على أنه: إن تبدوا الصدقات فَنِعْمَ شيئًا الصدقات، إنما هو في الإظهار والإخفاء، وترجيح أحدهما على الآخر، وتعليمنا أيهما أصلحُ لنا وأفضلُ، فكما أن قوله:

---

(١) سقطت من (ي).

(٢) في «الإغفال» (لها) والمعنى واحد.

(٣) (هذا) ليست في (أ) و(م) و(ش).

(٤) من «الإغفال» ص ٥٤٧-٥٥٠ بتصرف واختصار.

(٥) ليست في (م) ولا (ش) وكأنها تبدو في (أ) مكشوطًا عليها.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ المعنى فيه: فالإخفاءُ خيرٌ لكم، كذلك قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ المعنى فيه: فنعم شيئًا إبداؤها، فالإبداء هو المخصوص بالمدح، إلا أن المضاف الذي هو الإبداء حُذِفَ، وأقيم المضاف إليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه، فعلى هذا قوله: ﴿هِيَ﴾ في محل الرفع(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

الإخفاء: نقيض الإظهار، والخِفَاء: الغِطَاء، والخفيّة: عَرِينُ الأسد، لأنه يَخْتَفِي فيها.

والخوافي من الريش ما دون القوادم؛ لأنها تخفى بها(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ كناية عن الإخفاء؛ لأن الفعل يدل على المصدر، أي: الإخفاء خير لكم(٣)، وإنما كان الإخفاء والله أعلم خيرًا؛ لأنه أبعدُ من أن يشوب الصدقة مُراءاةٌ للناس، وتصنعٌ لهم، فتخلص لله سبحانه(٤).

فأما التفسير، فأكثر المفسرين على أن المراد بالصدقات في هذه الآية التطوّع لا الفرض؛ لأن الفرض إظهاره أفضل من كتمانه، والتطوع كتمانه

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٣٩٩ بتصرف، وذكر الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» ٢/ ١٦٤٠ أن (هي) في محل النصب، كما تقول: نعم رجلًا، فإذا عرفت رفعت فعلت: نعم الرجل زيد.

(٢) ينظر في خفي: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٠، «المفردات» ١٥٩، «اللسان» ٢/ ١٢١٦، «القاموس» ١٢٨٠.

(٣) «الحجة» ٢/ ٣٩٩، «التبيان» ص١٦٣.

(٤) «الحجة» ٢/ ٣٩٩.

أفضل؛ لأنه أبعد من الرياء، كما تقول في الصلاة، فإن فرض الصلاة[(١)] تؤدى في الجماعة ظاهرًا، وهو أفضل، والتطوع كتمانه أفضل[(٢)]، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس[(٣)].

وقال بعضهم: المراد بالصدقات، هاهنا، الفرض، وكان كتمانه على عهد رسول الله ﷺ أفضل؛ لأن المسلمين إذ ذاك لم تكن تسبق إليهم ظِنَّةٌ في منع الواجب، فأما اليوم والناس يسيئون الظن فإظهار الزكاة أحسن، أما التطوع فإخفاؤه أحسن، فإنه أدلّ على أنه يراد به الله وحده، وهذا اختيار الزجاج[(٤)].

وقال بعضهم: هذه الآية عامة في الصدقات والزكاة، والإخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل.

وهذا قول الحسن[(٥)] وقتادة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ التكفير في اللغة: التغطية والستر، ورجل مُكَفَّرٌ في السلاح: مُغَطًّى فيه، ومنه، يقال: كفّر عن يمينه، أي: ستر ذَنْبَ الحِنْثِ بما بَذَلَ من الصدقة، والكَفَّارة الساترة لما

---

(١) قوله: (فإن فرض الصلاة)، ساقطة من (أ) و(م).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٣٦، «فتح الباري» ٣/ ٢٨٩.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٢، وفي «زاد المسير» ١/ ٣٢٥- ٣٢٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٤.

(٥) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٢٦، وذكره في «النكت والعيون» ١/ ٣٤٥.

(٦) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٢٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٨٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٣٧. ورواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٢ بمعناه.

حصل من الذنب[١].

والرفع[٢] في (يكفر) من وجهين:

أحدهما: أن يجعله خبرَ مبتدأ محذوف، تقديره: ونحن نكفر.

والآخر: أن تستأنف الكلام وتقطعه مما قبله، ولا تجعل العاطف للإشراك، ولكن لعطف جملةٍ على جملةٍ، ومن هذا القبيل قوله: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٦، ١٧] هو عطف جملة مستأنفة على معنى: نحن نفعل ذلك.

ومن قرأ: (ونكفر) بالنون والجزم، فوجهه: أن يُحْمَلَ الكلام على موضع قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وموضِعُه جَزْمٌ، ألا ترى أنه لو قال: وإن تخفوها تكن أعظم لأجركم، لجزم، فقد علمتَ أن قولَه: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في موضع جزم، ومثله في الحمل على الموضع: قراءة من قرأ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] بالجزم، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.

ومن الحمل على المعنى قول أبي دؤادٍ:

فَأَبْلُونِي بَلِيَّتَكُم لَعَلِّي أُصَالِحُكُم وأَسْتَدْرِجْ نَوِيَّا[٣]

(١) ينظر في (مادة: كفر): «تهذيب اللغة» ٣١٦٠- ٣١٦٤، «المفردات» ص٤٣٥- ٤٣٨، «اللسان» ٧/ ٣٨٩٧- ٣٩٠٢.

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي (ونكفر) بالنون وجزم الراء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة (ونكفر) بالنون ورفع الراء، وقرأ ابن عامر وحفص (ويكفر) بالياء والرفع. ينظر: «السبعة» ص١٩١، «الحجة» ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) البيت من الوافر، وهو لأبي دؤاد الإيادي في «ديوانه» ص ٣٥٠، «الحجة» ٢/ ٤٠١ «الخصائص» ٢/ ٣٤١، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠١، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٣٩، «مغني اللبيب» ٢/ ٤٢٣ بلا نسبة. ينظر: «المعجم المفصل» ٨/ ٣٦٥.

واختلفوا في الياء والنون في(نكفّر) فمن قرأ بالياء، فلأن ما بعده على لفظ الإفراد، فيُكَفِّر أشبه بما بعده من الإفراد منه بالجمع، ومن قرأ بالنون على لفظ الجمع، فإنه أتى بلفظ الجمع، ثم أفرد بعد، كما أتى بلفظ الإفراد ثم جمع، في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾. ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[1] [الإسراء١-٢].

وقوله تعالى: ﴿مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أدخل (من) للتبعيض؛ ليكون العباد فيها على وجل ولا يتكلوا[2].

وقال ابن الأنباري: (من) ها هنا توكيد للكلام، والتقدير: ويكفر عنكم سيئاتكم، فأكد[3] الكلام بمن كما قال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥].

وقال عطاء عن ابن عباس: (من) هاهنا صلة للكلام، يريد: جميع سيئاتكم[4].

---

(١) «الحجة» ٢/ ٤٠٠-٤٠٢.
وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٥-٣٥٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٨-٣٣٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤١، «التبيان» ص١٦٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤٩، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٦ قال: لأن الصدقة لا تكفر جميع السيئات.

(٣) في (م): (وأكد).

(٤) ينظر في إعراب الآية: «تفسير الطبري» ٥/ ٥٨٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٤٦٤، «التبيان» ص١٦٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦، وقد خطأ ابن عطية من قال إنها زائدة، وضعف قول من جعلها سببية وقدر (من أجل ذنوبكم).

٢٧٢- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية. نزلت هذه الآية حين جاءت قُتيلة[١] أم أسماء بنت أبي بكر[٢] إليها تسألها، وكذلك جدّتها، وهما مشركتان[٣]، أتتا أسماء تسألانها شيئًا، فقالت: لا أعطيكما حتى أستأمر رسول الله ﷺ، وإنكما لستما على ديني، فاستأمرته في ذلك، فأنزل الله ﷻ هذه الآية، وأمرها رسول الله ﷺ أن تتصدّق عليهما[٤].

والمعنى: ليس عليك هدى من خالفك فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها. وأراد بالهدى هاهنا: هدى التوفيق وخلق الهداية؛ لأنه كان على رسول الله ﷺ هدى البيان والدعوة لجميع الخلق[٥]،

---

(١) قتيلة بنت عبد العزى بن سعد العامرية القرشية، والدة أسماء بنت أبي بكر، ذكرها بعضهم في الصحابيات اللواتي تأخر إسلامهن، وقال أبو موسى: ليس في شيء من الروايات ذكر إسلامها، وقولها: راغبة، أي: في الصلة، وقال الحافظ ابن حجر: إن كانت عاشت إلى الفتح فالظاهر أنها أسلمت. ينظر «تجريد أسماء الصحابة» ٢/ ٢٩٧، «الإصابة» ٨/ ١٦٩.

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق، عبد الله بن عثمان التيمية القرشية، ذات النطاقين، أسلمت بعد سبعة عشر إنسانا، توفيت سنة ٧٣ أو ٧٤ بعد مقتل ابنها عبد الله بأيام، وقد عاشت مائة عام. ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم ٦/ ٣٢٥٣، «الاستيعاب» ٤/ ٣٤٤.

(٣) في (ي) و(م): (مشتركان).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٥٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص٩٠، والحافظ في «العجاب» ١/ ٦٣٢ عن الكلبي، وذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٣٣، ونحوه عند مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٤، والقصة في الصحيحين، لكن دون ذكر لسبب النزول، رواها البخاري (٢٦٢٠) كتاب: الهبة، باب: الهدية للمشركين، ومسلم (١٠٠٣) كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥٨.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال ابن عباس: يريد: أولياءه[(١)].

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: من مالٍ[(٢)] وهو شرط وجوابه ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[(٣)].

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ ظاهره خبر، وتأويله نهي، أي: ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، فلما لم يجئ بلا وجاء بما صرفه عن وجه الجزم؛ لأن (ما) لا يُنهى بها وإن كان جحدًا، وعادتهم في النهي أن يكون بـ لا، والخبرُ في النفي يأتي والمرادُ به النهي، كقوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]. ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] وفي الإثبات يأتي والمراد به الأمر، كقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وكقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤][(٤)].

وأجرى كثير من أهل المعاني هذا على ظاهر الخبر[(٥)]، قال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين، أعلمهم الله أنه قد علم أنهم يريدون بنفقتهم ما عند الله ﷻ[(٦)].

وقال غيره: المراد بهذا نفي المنّ، يقول: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ

---

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٨٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥٩.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥٩.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥٩-١٦٦٠، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٧، «غرائب التفسير» ١/ ٢٣٣.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٧.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٥.

وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تَمُنُّوا به، إذ كان[١] ما تنفقون لأنفسكم من حيث هو ذخر لكم، ولابتغاء وجه الله الذي يُوفَّرُ به الجزاءُ لكم، فهو من كلِّ جهةٍ عائدٌ عليكم.

وقال صاحب النظم: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ حالٌ متوسط بين الجزاءِ والشرط، تأويله: وما تنفقوا من خير، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، أي: إذا أنفقتم على هذه الحال فلأنفسكم، كما تقول في الكلام: ما تفعل من خير، ولا تفعله إلا لله، فهو مقبولٌ منك.

وقال بعضهم: القصد بقوله[٢]: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ أن يُعَلِّمَهُم التعميمَ بالإنفاق والصِّلَة، يقول: أنتم ما تنفقون[٣] أموالكم إلا ابتغاء وجه الله، فلا[٤] يضركم أن تبتغوا وجه الله بالإنفاق على المشركين، مثاله: قولك لمن تنصحه[٥]: إن قصدك بالمعروف الثواب فلا تخصص به أولياءك دون أعدائك، فيستفاد من هذا تعليم التعميم، وتعليم كيفية القصد في الإعطاء.

قال أهل العلم: وهذا في صدقة التطوع، أباح أن يتصدق على المليّ والذمي، فأما صدقة الفرض فلا تجوز إلا للمسلمين[٦].

وفي ذكر الوجه في قوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ قولان:

---

(١) في (ي): (ما إذا كان).

(٢) في (ش): (تقوله).

(٣) من قوله: (وما تنفقون)، ساقط من (ش).

(٤) في (ي) و(ش): (لا).

(٥) في (ش): (نصحته).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٠.

أحدهما: أن المراد منه تحقيق الإضافة؛ لأن ذكر الوجه يرفع الإبهام أنه له ولغيره، وذلك أنكَ لمَّا ذكرتَ الوجه ومعناه النفس، دل على أنك تصرِف الوهم عن الإشراك إلى تحقيق الاختصاص، فكنت بذلك محققًا للإضافة ومزيلًا لإبهام الشركة.

القول الثاني: أنك إذا قلت: فعلته لوجه زيد، كان أشرفَ في الذكر من: فعلتُه له، لأن وجه الشيء في الأصل أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صارَ يدل على شرف الذكر في الصفة فقط من غير تحقيق وجه، ألا ترى أنك تقول: وجه الدليل كذا، وهذا وجه الرأي، ووجه الأمر، فلا تريد تحقيق الوجه، وإنما تريد أشرف ما فيه، من جهة شدةِ ظهورِهِ وحسن بيانه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: يوفّر لكم جزاءه، قال ابن عباس: يريد: يجازيكم في الآخرة[(١)].

وإنما حسن ﴿إِلَيْكُمْ﴾ مع التوفية؛ لأنها تضمنت معنى التأدية[(٢)].

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئًا، كقوله تعالى: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣] يريد: لم تنقص[(٣)(٤)].

٢٧٣- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ﴾ الآية. قال المفسرون: هؤلاء فقراء المهاجرين، كانوا نحوًا من أربعمائة رجل، لم يكن لهم مساكنُ بالمدينة ولا عشائر، حثّ الله ﷻ الناس[(٥)] على الإنفاق

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٨٨. وهذه الرواية تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٠.

(٣) في (ي): (ولم تنقص)، وهي ساقطة من (م).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٠.

(٥) سقطت من (ش).

عليهم، فكان[١] مَن عنده فضل أتاهم به إذا أمسى[٢].

واللام في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف، تأويله: هذه الصدقات، أو النفقة للفقراء، وقد تقدَّم ما يدل عليه؛ لأنه قد سبق ذكر الإنفاق والصدقات.

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: عاقل لبيب، إذا تقدم وصف رجل، والمعنى: الموصوف عاقل لبيب[٣] وكذلك كتبوا على الأكياس: ألفان ومائتان، والمعنى: الذي في الكيس ألفان، وأنشد:

تَسْأَلُنِي عن بَعْلِها أيُّ فَتَى   خَبٌّ جَزُوعٌ وإذا[٤] جَاعَ بَكَى[٥]

أراد: هو خَبٌّ، فَحَذَف المبتدأ وأبقَى خبره.

وكثير من الناس قالوا: هذه اللام مردودة على موضع اللام من قوله: ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ كأنه قال: وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، للفقراء، فأبدل الفقراء من الأنفس[٦]، وهذا غلط؛ لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا والمعنى مشتمل عليه، وليس كذلك ذكر النفس ها هنا؛ لأن[٧] الإنفاق لها

---

(١) في (ي): (وكان).

(٢) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٤، «بحر العلوم» ١/ ٢٣٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦١، و«العجاب» ١/ ٦٣٣، «الدر المنثور» ١/ ٦٣٣.

(٣) من قوله: (إذا تقدم)، ساقط من (ي).

(٤) في (ي): (إذا).

(٥) هما بيتان وردا هكذا:

يسألها عن بعلها أي فتى   خب جبان وإذا جاع بكى

والبيتان لشماخ بن ضرار، في «ديوانه» ص ١٢٨.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٠-١٦٦١، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٨.

(٧) في (م): (لأن المعنى).

من حيث هو عائد عليها، وللفقراء من حيث هو واصل إليهم، وليس من ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة.

ولا يجوز أيضًا أن يكون العامل في هذه اللام (تنفقوا) إلا الأخير في الآية المتقدمة؛ لأنه لا يفصل بين العامل والمعمول فيه بما ليس منه، كما لا يجوز: كانت زيدًا الحُمّى تأخُذُ[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الإحصار في اللغة: أن يعرِضَ للرجل ما يحول بينه وبين سفره، من مرض أو كسر أو عدوٍّ أو ذهابِ نفقةٍ أو عَطَبِ رِكَابٍ، أو ما جرى مجرى هذه الأشياء. يقال: أُحْصِرَ الرجل فهو مُحْصَر، ومضى الكلام في معنى الإحصار عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦] بما يغني عن الإعادة.

فأما التفسير، فقد فسرت[٢] هذه الآية بجميع الوجوه والأعذار[٣] التي ذكرنا في معنى الإحصار، فقال قتادة: حبسوا أنفسهم في سبيل الله، أي: في طاعته للغزو، فلا يتفرغون إلى طلب المعاش[٤]، وبقريب[٥] من

(١) ينظر في إعراب الآية: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٠-١٦٦١، و«إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٤٢، «التبيان» ص١٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢٨، واستبعد قول من قال: التقدير: إن تبدوا الصدقات للفقراء، وكذلك من علقه بقوله: «وما تنفقوا من خير» وكذلك من جعل (للفقراء) بدلًا من قوله: (فلأنفسكم) لكثرة الفواصل المانعة من ذلك.

(٢) في (م): (فسر).

(٣) في (أ) و(م) كتبت كلمة لم أستطع قراءتها.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠٩، والطبري ٣/ ٩٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٠.

(٥) في (أ) و(ي) و(م): (ويقرب).

هذا القول قال ابن زيد، لأنه يقول: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلُّها حربًا عليهم، لا يتوجهون جهةً إلا ولهم فيها عدو[١]، فهذا القول كالأول، من حيث إن خوف العدو منعهم عن السفر، إلا أن الخوف في هذا القول على أنفسهم لو خرجوا، وفي الأول على بيضة الإسلام بقوة العدو واستيلائهم[٢] لو خرجوا لطلب المعاش. وقال سعيد بن المسيب[٣]: هؤلاء قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله، وصاروا زَمْنَى، فأحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في الأرض[٤]، فعلى هذا القول هم محصرون[٥] بالمرض والزمانة، وهذا القول اختيار الكسائي[٦]؛ لأنه يجعل الإحصار من الخوف والمرض. وقال ابن عباس، في رواية عطاء: هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد في سبيل الله، فعذرهم الله، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ يريد: الجهاد[٧]، وعلى

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٦- ٩٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٦٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٧.

(٢) في (ي): (لاستيلائهم).

(٣) كذا في الأصل، والذي عند ابن أبي حاتم ٢/ ٥٤٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٦٧، وفي «الدر المنثور» ١/ ٦٣٣ هو سعيد بن جبير.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٦٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٧، وعزاه في الدر ١/ ٦٣٣: إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) في (ي): (محصورون).

(٦) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٦٧، و«باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» لمحمود النيسابوري ١/ ٢٦٦، و«زاد المسير» ١/ ٣٢٨.

(٧) هذه الرواية تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة. وذكرها في «زاد المسير» ٣٢٨ والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٨٨.

هذا القول هم محصرون بذهاب النفقة وعدم الركاب.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ يقال: ضَرَبْتُ في الأرض ضَرْبًا ومضربًا، إذا سرت فيها. قال الشاعر:

لَحِفْظُ المَالِ أَيْسَرُ من بُغَاه   وضربٍ في البلادِ بِغَيْرِ زَادِ[(١)]

والضرب يقع على معان كثيرة[(٢)]، وهؤلاء إنما لا يستطيعون الضرب في الأرض؛ لأن الفقر منعهم عن جهاد العدو، على قول ابن عباس، والضرب في الأرض على هذا السفر للجهاد، وهم لا يستطيعون ذلك للفقر، وعلى قول سعيد للزمانة لا يمكنهم السفر، وعلى قول ابن زيد، إشفاقًا على أنفسهم من الاغتيال وإيقاع المكروه بهم لا يمكنهم السفر، وعلى قول قتادة، لا يستطيعون ضربًا لأنهم قد ألزموا أنفسهم أمر الجهاد، فمنعهم ذلك من ليس أنهم لا يقدرون أن يتصرفوا، وهذا كقولك: أمرني الوالي أن أقيم فما أقدر أن أخرج، فالمعنى: أني قد ألزمت نفسي طاعته، لا أنه لا يقدر على الحركة وهو صحيح سَوِيّ.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ يقال: حَسِبْتُ الشيءَ أَحْسَبُهُ وأَحْسِبُه حُسْبَانًا، وقرئ في القرآن ما كان من[(٣)] الحسبان باللغتين جميعًا،

---

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح في «ديوانه» ص١٧٢ وقبله:

قليل المال تُصْلِحه فيبقى   ولا يبقى الكثير مع الفساد

وينظر «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ص١٠٢، «الأغاني» ٢٣/ ٥٧٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦٦، «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» ١/ ٢٨٣.

(٢) ينظر في ضرب: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٣- ٢١٠٦، «المفردات» ص٢٩٨، «اللسان» ٥/ ٢٥٦٥- ٢٥٧٠. قال الراغب: الضرب: إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها.

(٣) من سقطت من (ش) وفي (ي): (في).

الفتح والكسر، والفتح عند أهل اللغة أقيس، لأن الماضي إذا كان على فَعِلَ نحو: حَسِبَ، كان المضارع على يفعَل، مثل: فرِق يفرَق، وشرِبَ يشرَبُ، وشذ يحسِبُ فجاء على يفعِل في حروف أُخر، والكسر حسن لمجيء السمع به، وإن كان شاذًّا عن القياس(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْجَاهِلُ﴾ لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، وإنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة، يقول: يحسبهم من لم يختبر أمرهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾(٢)، وهو تفَعُّلٌ من العِفّة، ومعنى العِفَّةِ في اللغة: تَرْكُ الشيءِ والكَفُّ عنه، قال رؤبة:

فعَفَّ عن أسرَارِها بَعْدَ العَسَق(٣)(٤)

أي: تركها(٥). وأراد: من التعفُّف عن السؤال، فتركه للعلم به، وإنما يحسبهم أغنياء لإظهارهم التحمل وتركهم المسألة.

---

(١) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٠٢-٤٠٣ بتصرف، وينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٨٠٩-٨١٢ مادة «حسب».

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧٠.

(٣) في (م): (العشق)، وفي (أ): (الغشق)، وفي (ش): (عند) بدل (عن).

(٤) البيت في «ديوانه» ص ١٠٤ من قصيدة وصف المفازة، وينظر «الزاهر» ٢/ ٣٢٤، «مجاز القرآن» ١/ ٧٦، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٧، ومعنى العسق: عسق بالشيء إذا لزق به، ينظر «عمدة القوي والضعيف» ص ٧، «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٨٩.

(٥) ينظر في عفف: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٠٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧١، «المفردات» ص٣٤٢، «اللسان» ٥/ ٣٠١٥، قال الراغب: العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف: المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله: الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة.

وقوله: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ السِّيْمَا والسِّيْمَاءُ والسِّيْمِيَاءُ: العَلاَمَةُ التي يُعْرف بها الشيء، وأصلها من السِّمَة التي هي العلامة، قلبت الواو إلى موضع العين، ووزنه يكون: عِفْلَى، كما قالوا: له جَاهٌ في الناس، أي: وجه، وأرض خَامة، أي: وَخْمَةٌ، واضْمَحَلَّ الشيء وامْضَحَلّ، ذكره الفراء في كتاب «المصادر» في سورة الأعراف.

وقال قوم: أصل السيما الارتفاع؛ لأنها علامة رفعت للظهور[1].

قال مجاهد: سيماهم التخشع والتواضع[2].

وقال الربيع[3] والسدي[4]: أثر الجهد من الحاجة والفقر. الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر[5].

ابن زيد: رثاثة ثيابهم، والجوع خفي[6].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ الإلحاف في اللغة: هو الإلحاح في المسألة[7]، ومنه الحديث: «**من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف**[8]».

---

(١) ينظر في السيما: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٠٠- ١٦٠٢ مادة «سام»، «المفردات» ص٢٢٥-٢٢٦، «اللسان» ٤/ ٢١٥٨- ٢١٥٩ (مادة: سوم).

(٢) في «تفسيره» ١/ ١١٧، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٠٩، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤١.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٤١.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٤١ بمعناه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٧٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٨، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٨٩.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٩٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٧٢.

(٧) ينظر: «المفردات» ص٤٥٢، «اللسان» ٤/ ٤٠٠٩ (مادة: لحف).

(٨) الحديث رواه الطبراني في «الكبير» ٢/ ١٥٠، وعنه أبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٦١، =

وقال أبو الأسود الديلي: ليس للسائل الملحف مثل الرد الحامس.

قال الزجاج: ومعنى ألحف: شَمِلَ بالمسألة، واللحاف[1] سمي لحافًا؛ لأنه شَمِلَ الإنسانَ في التغطية[2]، فالإلحاف في المسألة، هو أن[3] يشتمل على وجوه الطلب في المسألة، كاشتمال اللحاف في التغطية، في قول الزجاج.

وقال غيره: معنى الإلحاف في المسألة: مأخوذ من قولهم: ألحف الرجل، إذا مشى في لَحْفِ الجبل، وهو أصله، كأنه استعمل الخشونة في الطلب[4]. فأما التفسير، فقال ابن عباس، في رواية عطاء: يقول: إذا كان عنده غداءٌ لم يسأل عشاءً، وإذا كان عنده عشاءٌ لم يسأل غداءً[5]. فعلى

= ورواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٧٤ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٣٣٤: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس، وهو ثقة. قال الدكتور المنيع في تحقيقه «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧٦: وله شواهد يترقى بها للحسن لغيره، ثم ذكر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رواه النسائي ٥/ ٩٨، كتاب: الزكاة، باب من الملحف، وابن خزيمة ٤/ ١٠١، والبيهقي ٧/ ٢٤، وحديث عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد به مطولًا، رواه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٩، وأبو داود (١٦٢٧) كتاب: الزكاة، باب: من يعطي من الصدقة وَحَدُّ الغني، والنسائي ٥/ ٩٨، كتاب: الرعاب، باب: من الملحف، وأحمد ٤/ ٣٦.

(١) في (م): (باللحاف).

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٧.

(٣) في (م): (أنه).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٠٤.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٧٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٣٨ عن عطاء، وذكره في «الوسيط» ١/ ٣٩٠. وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في القسم الدراسي.

هذا التفسير يجوز أن يسألوا الناس غير إلحاف، لأن الله تعالى نفى عنهم السؤال إلحافًا، وهو أن يسألوا مع الاستغناء عن المسألة.

وقال الفراء[١] والزجاج[٢] وأكثر أهل المعاني[٣]: لا يجوز أن يَسْألوا غير إلحافٍ أيضًا، لما وصفوا به من التعفف والمعرفة بسيماهم، دون الإفصاح[٤] بسؤالهم، إذ لو أفصحوا لم يحسبهم الجاهل أغنياء؛ لأنه إنما جهل ما لا ينال[٥] بالاستدلال.

ثم اختلفوا في وجه قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ﴾ فقال الزجاج: المعنى: أنه ليس منهم سؤال فيكون إلحاف، كما قال امرؤ القيس:

على لاحبٍ لا يُهْتَدَى بمَنَارِه إذا سَافَهُ العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا[٦]

المعنى: ليس به منار فيُهتدى به، كذلك ليس من هؤلاء سؤال فيقع

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨١.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٧.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧٣، و«أمالي المرتضى» ١/ ٢٢٨.

(٤) في (م): (الالحاف صاح).

(٥) في (ش): (ما نال)، وفي (ي): (ما ينال).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٦٤، وأمالي المرتضى ١/ ١٦٥ «لسان العرب» ٣/ ١٤٦٦ مادة: ديف، ١٤٦٦٣ مادة: سوف ٤/ ٢١٥٣ مادة: لحف.وقوله: سلفه: شمه، العَوْدُ: المُسِنّ من الإبل - الدِّيافيّ: نسبة إلى دياف قرية بالشام، جرجرا: أخرج شقشقته وصاح، ولاحب: الطريق الواضح. ويروى النياطي، وهو الأكثر، بمعنى الضخم الجسيم، والشاعر يصف طريقًا إذا شمه البعير المُسن عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك. ينظر (أمالي المرتضى ١/ ٢٢٨-٢٢٩).

فيه[1] إلحاف[2].

ونصر ابن الأنباري هذه الطريقة، وقال: تأويل الآية: لا يسألون ألبتة فيخرجهم السؤال في بعض الأوقات إلى الإلحاف، فجرى هذا مجرى قولك: فلان لا يُرجَى خيرُه، أي: ليس فيه خيرٌ ألبتة فَيُرْجَى، وأنشد قول امرئ القيس:

وَصُمٌّ صِلابٌ ما يَقِيْنَ من الوَجَى
كأنَّ مَكَانَ الرِّدْفِ[3] منه على رال[4]

أراد: ليس بهن وَجًى فَيَشْتَكِينَ من أجله، وقوله: يقين يقال: مرَّ الفرسُ يقي ويتقي، إذا هابَ المشيَ من وَجًى أو حفًا، يقال: فرسٌ واقٍ، وخيلٌ أواقٍ.

وقال الأعشى:

لا يغمز السَّاقَ من أيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفه الصَّفَرُ[5]

معناه: ليس بساقه أينٌ ولا وصبٌ فيغمرها، ليس أن هناك أينًا ولا يَغْمِزُهُ هو[6].

---

(١) سقطت من (ي).
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٨، ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٤٧١.
(٣) في (م): (الزحف).
(٤) البيت في «ديوانه» ص ١٢٨.
(٥) البيت في «غريب الحديث» ١/ ٢٦، و«الكامل» للمبرد ٤/ ٦٥، و«الخزانة» ١/ ١٩٧، و«لسان العرب» ٤/ ٢٤٥٨ (مادة: صفر). ومعنى لا يعمز الساق: لا يحبسها، يصف جلده وتحمله المشاق، والأين: الإعياء، والوصب: الوجع، والشرسوف: العظم الزائد فوق القلب وأطراف الأضلاع. وينظر «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٩٠.
(٦) ليست في (أ) و(م).

ونصر أبو علي هذه الطريقة، وقال: لم يثبت في قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ مسألة منهم، لأن المعنى: ليس منهم مسألة فيكون منهم إلحاف، قال: ومثل ذلك قول الراجز[1]:

لا يُفْـزِعُ الأَرْنَبَ أهـوالُـها ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ[2]

أي: ليس بها أَرْنَبٌ فتفزع لهولها، ولا ضبٌّ فينجحر، وليس المعنى: أنه ينفي الفزع عن الأرنب، والانجحار عن الضب[3].

وقال الفراء: نَفَى الإلحاف عنهم، وهو يريد جميعَ وجوه السؤال، كما تقول في الكلام: قلّ ما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلًا ولا كثيرًا من أشباهه[4].

وحكى ابن الأنباري عن بعضهم: أن معنى الآية: لا يسألون الناس إلحافًا ولا غير إلحاف، فاكتُفي بالإلحاف من غيره، وجاز اختصاصه بالذكر؛ لأن القصد إنما هو نفي صفة الذم عنهم، وهذا كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] والبرد فاكتُفي بالحر من البرد.

٢٧٤- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية.

---

(١) في (ي): (الشاعر).

(٢) البيت لعمرو بن أحمر في وصف فلاة، في «ديوانه» ص٦٧، «الخزانة» ٢٧٣٤. «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٦، «الخصائص» ٣/ ١٦٤، ٣٢١، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٧. المعنى: نفى أن يكون في الفلاة حيوان.

(٣) «الحجة» ٢/ ٤٧.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨١.

قال ابن عباس، في رواية مجاهد[١] وعطاء[٢]: كان عند علي بن أبي طالب أربعة[٣] دراهم لا يملك غيرها، فتصدق بدرهمٍ سرًّا، ودرهمٍ علانيةً، ودرهمٍ ليلًا، ودرهمٍ نهارًا، فنزلت هذه الآية.

وقال في رواية الضحاك[٤]: لما أنزل الله قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ [البقرة: ٢٧٣]. الآية. بعث عبد الرحمن بن عوف إليهم بدنانير كثيرة، وبعث علي بن أبي طالب في جوف الليل[٥] بوسق من تمر، وهو ستون صاعًا، فكان[٦] أحب الصدقتين إلى الله تعالى صدقة علي بن أبي طالب، وأنزل فيهما: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم﴾ الآية. عنى بالنهارِ علانيةً، صدقة عبد الرحمن، وبالليل سرًّا، صدقة علي.

وروى حنش بن عبد الله الصنعاني[٧] عن ابن عباس، قال: هذه الآية

---

(١) الحديث رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/١٠٨، ومن طريقه النحاس في «معاني القرآن» ١/٣٠٥، والطبراني في «المعجم الكبير» ١١/٨٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٩٢، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/٥٤٣، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢/٣٥٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/١٦٨٨، وعزاه الحافظ في «العجاب» ١/٦٣٤ والسيوطي في «الدر» ١/٦٤٢ إلى ابن مردويه، وإلى الطبري في «تفسيره»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/٣٤٧: وفيه عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف، وقد حسن الدكتور المنيع في تحقيق «تفسير الثعلبي» ٢/١٦٨٩ إسناد الثعلبي. وينظر: «تفسير ابن كثير» ١/٣٤٩.

(٢) لم أجده عن عطاء، وهو من الرواية التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٣) في (ش): (أربع).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/١٦٩٣، والبغوي في «تفسيره» ١/٣٤٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/٣٣٠، وهو من رواية جويبر عن الضحاك، وجويبر ضعيف جدًّا، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) سقطت من (ش).

(٦) في (ي): (وكان).

(٧) هو: حنش بن عبد الله، ويقال: ابن علي بن عمرو السبئي، أبو رِشدين الصنعاني،=

في علف الخيل[١].

وبه قال أبو أمامة[٢] وأبو الدرداء[٣] ومكحول[٤] والأوزاعي[٥]، قالوا[٦]: هم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله، ينفقون عليها بالليل والنهار، سرًّا وعلانيةً، نزلتْ فيمنْ لم يرتبطها لخيلاء ولا مِضْمَار[٧].

وروي هذا مرفوعًا عن النبي أنه قال[٨]: **«هذه الآية نزلت في أصحاب الخيل[٩]»**.

= نزيل إفريقيا، كان تابعيًّا ثقة شجاعًا من القادة، غزا المغرب والأندلس وأسَّسَ جامع قرطبة، توفي سنة ١٠٠هـ. ينظر «تقريب التهذيب» ص١٨٣، (١٥٧٦) و«تهذيب الكمال» ٧/ ٤٢٩.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥/ ٣٠٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٣، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٩٧، وعزاه الحافظ في «العجاب» ١/ ٦٣٦ إلى عبد ابن حميد، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٦٤١ إلى ابن المنذر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٣٠٤، والمحاملي في «أماليه» ص٤٩، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٣.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٠، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٩٢، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٩٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٠، «زاد المسير» ١/ ٣٣٠.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٩٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٠، وابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ٣٣٠.

(٥) رواه عبد بن حميد كما عزاه إليه الحافظ في «العجاب» ١/ ٦٣٦، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٩٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٠.

(٦) في (ش): (قال).

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٩٤.

(٨) في (م) قال في.

(٩) الحديث رواه ابن سعد في «الطبقات» ٧/ ٤٣٣، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٥/ ١٥٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٢، وأبو الشيخ في =

قال أبو إسحاق: الذين: رفع بالابتداء، وجاز أن يكون الخبر[1] ما بعد الفاء، ولا يجوز في الكلام: زيد فمنطلق، وصلح في الذي[2]؛ لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاء[3]، لأنه يدل أن الأجر من أجل الإنفاق في طاعة الله، كأنه قيل: من أنفق كذا فله أجره عند ربه، هذا كلامه، وشرح هذا الفصل أبو الفتح الموصلي[4]، فقال: المعارف الموصولة والنكرات الموصوفة إذا تضمنت صلاتها[5] وصفاتها معنى الشرط أدخلت الفاء في أخبارها، وذلك نحو قولك: الذي يكرمني فله درهم، فلما كان الإكرام سبب وجود الدرهم دخلت الفاء في الكلام، ولو قلت: الذي يكرمني له درهم، لم يدل هذا القول على أن الدرهم إنما[6] يستحق للإكرام، بل[7] إنما هو حاصل للمكرم على كل حال، وتقول في النكرة: كل رجل يزورني فله دينار، فالفاء هي التي أوجبت استحقاق الدينار بالزيارة، ولو قلت كل رجل يزورني له دينار لما دل ذلك على أن الدينار مستحق عن الزيارة بل

= «العظمة» ٥/ ١٧٨١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٩٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص٩٢، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٧/ ١٨٨، وغيرهم. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٣٠: فيه مجاهيل.

(١) في (م): (الخبر بها).

(٢) في (م) و(ش): (الذين).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٨.

(٤) هو: عثمان بن جني النحوي اللغوي، تقدمت ترجمته.

(٥) سقطت من (ش).

(٦) سقطت من (م).

(٧) سقطت من (ش).

يدل على أنه في ملك الزائر على كل حال، فلأجل معنى الشرط في الصلة[١] والصفة ما دخلت الفاء في آخر الكلام. والفاء في هذه الآية دلت على أن الأجر إنما استحق عن الإنفاق، والفاء في مثل هذا الموضع للاتباع دون العطف، وإنما اختاروا الفاء هنا من قبل أن الجزاء سبيله أن يقع ثاني الشرط، وليس في جميع حروف العطف حرف يوجد هذا المعنى فيه سوى الفاء، فدخلت الفاء في جواب الشرط توصلًا إلى المجازاة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر، والكلام الذي يجوز أن يبتدأ به ولو لم تدخل الفاء لم يرتبط آخر الكلام بأوله، ولم يوجد هذه المعنى إلا في الفاء وحدها، فلذلك اختصوها من بين حروف العطف، فلم يقولوا: إن تحسن إلي والله يكافيك، ولا: ثم الله يكافيك[٢].

٢٧٥- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يريد: الذين يعاملون به، وخص الأكل لأنه معظم الأمر كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠] وكما لا يجوز أكل مال اليتيم لا يجوز إتلافه، لكنه[٣] نبه بالأكل على ما سواه[٤].

والربا في اللغة: الزيادة، يقال: رَبَا الشيءُ يَرْبُو رَبْوًا، ومنه قوله:

---

(١) سقطت من (ي).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٠٣، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٢، «التبيان» ص١٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٣٣١.

(٣) في (ي) ولكنه.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٠٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٠٥، «تفسير السمعاني» ٢/ ٤٥٢.

﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ [الحج: ٥] أي: زادت، وأرْبى الرجل، إذا عامل في الربا، ومنه الحديث: «من أجْبَى فقد أربى»(١) أي: عامل بالربا، والإجْبِاءُ: بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه، هذا معنى الربا في اللغة(٢).

فأما في الشرع: فهو اسم للزيادة على أصل المال من غير بيع(٣).

وما يجري فيه الربا مما لا يجوز بيع بعضه ببعض متفاضلًا لا يمكن ذكره هاهنا، يطول الكلام فيه(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَقُومُونَ﴾ يعني: يوم القيامة من قبورهم(٥).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» ٢٠/ ٣٣٦ برقم ٧٩٥، ٢٢/ ٤٨ برقم ١١٧، وفي «المعجم الصغير» ٢/ ٢٨٤ برقم ١١٧٦، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٥/ ١٧٣ برقم ٢٧٠٨، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» ١/ ٣٨٨ برقم ٢٩٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/ ١٥٩ برقم ١٤٣٣، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٧٥، ٩/ ٣٧٤ وقال: فيه بقية ولكنه مدلس وهو ثقة. قال في «النهاية» ١/ ٢٣٧: في كتاب: وائل بن حجر ومن أجبا فقد أربى الإجباء: بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه، وقيل: هو أن يغيب إبله عن المصَدِّق من أجبأته إذا واريته.والأصل في هذه اللفظة الهمز، ولكنه هكذا روي غير مهموز، فإما أن يكون تحريفًا من الراوي، أويكون ترك الهمز للازدواج بأربى. وقيل: أراد بالإجباء العينة، وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به.

(٢) ينظر: في الربا: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٤- ١٣٣٥، «المفردات» ص١٩٣، «اللسان» ٣/ ١٥٧٢- ١٥٧٤.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٤١-٢٤٢، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٤٨.

(٤) ينظر: «الأم» ٣/ ١٥-٣١، و«اختلاف الفقهاء» للمروزي ص٢٤٦، و«المجموع» ٩/ ٤٠١، و«أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٤١-٢٤٢، و«تفسير القرطبي» ٣/ ٣٤٨ وما بعدها.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٠٩.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والتَّخَبُّط: معناه: الضَّرْبُ على غير استواءٍ، وخَبَطَ البَعِيرُ الأرضَ بأخفافه، ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه: تَخَبَّطَ خَبْطَ عشْواءٍ، قال زهير:

رأيتُ المَنَايا خَبْطَ عَشْوَاءَ من تُصِبْ
تُمِتْهُ وَمَنْ تخطئ يُعمّر فيهرَمِ[(١)]

وتخبّطه الشيطان: إذا مسّه بخبْلٍ أو جنونٍ؛ لأنه كالضرب على غير استواءٍ في الإدهاش، ويسمى إصابة الشيطان بالجنون والخبل: خَبْطَةٌ، ويقالُ: به خَبْطة من جنون[(٢)].

والمَسُّ: الجنونُ، يقال: مُسَّ الرجلُ فهو مَمْسُوس، وبه مَسٌّ وأَلْسٌ، أنشد ابن الأنباري:

أُعلّلُ نَفْسِي بما لا يكونُ كذِي المَسِّ جُنّ ولم يخنق[(٣)]

وأصله: من المَسِّ باليد، كأن الشيطان يَمَسُّ الإنسانَ فيُجِنُّه، ثم سُمِّي الجنونُ مسًّا، كما أن الشيطان يتخبطه ويَطَؤُهُ برجْلِه فيخبّله، فسمي الجنونُ خَبْطَةً، فالتخبُّط بالرِّجل، والمَسّ باليد[(٤)].

---

(١) البيت في «ديوان زهير» ص ٢٩، .«تهذيب اللغة» ١١/ ٩٧٩ «الوسيط» للواحدي ١/ ٣٩٤. وقوله: بَطَ عشواء، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبِط إذا مشت لا تتوقى شيئًا. فهو يقول: رأيت المنايا تخبط الخلق خَبْطَ العشواء من الإبل، وهي التي لا تبصر، فهي تخبطُ الكل لا تبقي على أحد فممّن خبطته المنايا من تميته، ومنهم من تُعِلّه فيبرأ، والهرمُ غايته ثم الموت. ينظر «اللسان» ٢/ ١٠٩٣.

(٢) ينظر في خبط: «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧٨- ٩٧٩، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٢٤١، «المفردات» ١٤٨، «اللسان» ٢/ ١٠٩٣- ١٠٩٥.

(٣) جاء في: «البيان والتبيين» ١/ ٣٨٨ بيتًا شبيهًا بهذا وهو:

أعلل نفسي بما لا يكون كما يفعل المائق الأحمق.

(٤) ينظر في المس: «تفسير غريب القرآن» ص٨٧- ٨٨، «تفسير الطبري» ٣/ ١٠٣، =

فأما التفسير: فقال قتادة: إن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا، وذلك عَلَم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف، يُعْلَم أنهم أكلة الربا في الدنيا، يبعثون وبهم خبْلٌ من الشيطان[1]. قال الزجاج: لا يقومون في الآخرة إلا كما يقوم المجنون من حال جنونه[2]. فعلى هذا معنى الآية: أنهم يقومون مجانين كمن أصابه الشيطان بجنون.

وقال ابن قتيبة: يريد: أنه إذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين؛ لقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣] إلا أكلةُ الرِّبا، فإنهم يقومون فيسقطون، كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان ويسقط؛ لأنهم أكلوا الرِّبَا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون[3]، وهذا المعنى غير الأول؛ لأنه يريد أن أكلة الربا لا يمكنهم الإسراع في المشي، كالذي خَبَّله الشيطان وأصابه[4] بخبل في أعضائه من عَرَجٍ أو زَمَانة، فهو يقوم ويسقط، وهذا ليس من الجنون في شيء، والأول قول أهل التفسير، ويؤكد هذا الثاني: ما روي في قصة الإسراء: أن النبي ﷺ انطلق به جبريل إلى

= «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٤- ٣٣٩٥، «المفردات» ص٤٧٠، «اللسان» ٧/ ٤٢٠١- ٤٢٠٢، قال الراغب: المس كاللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس، واللمس يقال في كل ما ينال الإنسان من أذى.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٢، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٤.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٨.

(٣) ذكره ابن الجوزي عنه في «زاد المسير» ١/ ٣٣٠.

(٤) في (ي) (فأصابه).

رجال كثيرٍ، كلُّ رجلٍ منهم بطنُهُ مثلُ البيتِ الضَّخْم، يقومُ أحدُهم فيميل به بطنه فيصرع[1]، قال: قلت: «**يا جبريل من هؤلاء؟**» قال: الذين يأكلون الربا، لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس[2].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: ذلك الذي نزل بهم بقولهم هذا، واستحلالهم إياه، وذلك لأن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة بالربح في أول البيع. وكان أحدهم إذا حلَّ له مال على إنسان قال لغريمه: زدني في المال حتى أزيدك في الأجل. فكذبهم الله سبحانه فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[3].

قال أصحابنا: هذه الآية مجملة، والمجمل: ما لا يعرف المراد من ظاهره إلا بقرينة تقترن به، كقوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] أوجبَ الإِيتَاءَ، وليس يعرف من هذه الآية أن الحق الذي يجب إيتاؤه كم هو، وإنما يعرف ذلك بدليل آخر، كذلك قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ اقتضى أن يكون كلّ بيع حلالًا. وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ اقتضى أن

---

(١) في (م): (فيهرع).

(٢) يريد حديث أبي سعيد الخدري رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢٥/ ٣٦٥، ومن طريقه رواه الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١١ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٩٠، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» ٢/ ١٨٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧١١، وفي إسناده أبو هارون العبدي متروك، وفي الباب: حديث أبي هريرة، رواه ابن ماجه (٢٢٧٣) كتاب: التجارات، باب: التغليظ في الربا، والإمام أحمد ٢/ ٣٥٣، وضعَّف إسناده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٥٠، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢/ ٢٣: هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

(٣) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٥، «تفسير الطبري» ٣/ ١٠٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٤٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١٤.

يكون كلُّ بيعٍ حَرامًا، لأن الربا هو الزيادة، ولا بيع إلا ويقصد به الزيادة، فأول الآية إباح جميع البيوع، وآخرها حرم الجميع، فلا يعرف الحلال من الحرام بهذه الآية، ولكن يعرف ذلك ببيان رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي وَعْظٌ، ولذلك جاز تذكير (جاءه)[1].

قال السدي: الموعظة: القرآن[2] ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكل الربا ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قال الزجاج: أي: قد صُفح له عما سلف[3]، أي: مضى من ذنبه قبل النهي[4]، وقال السُدّي: فله ما أكل من الربا[5]، أي: ليس عليه رد ما سلف، فأما ما لم يُقْضَ بعدُ فلا يجوز له أخذه، وهذا له رأس ماله فقط، وهذا أجود من الأول؛ لأن قبل النهي الربا لم يكن حرامًا فلم يكن[6] أخذه ذنبًا[7].

ومعنى سلف، أي: تقدم ومضى، والسُّلُوف: التقدُّم، وكل شيء قدمته أمامك فهو سَلَفُكَ، ومنه: الأمم السَّالِفَة، والسَّالِفَةُ: العنق؛ لتقدُّمِه في جهة العلوّ، والسُّلفة ما تَقَدَّم قبل الطعام، وسُلاَفَةُ الخَمْرِ: صَفْوُها؛ لأنه أول ما يخرج من عصيرها[8].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١٥.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٥.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٨.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١٥.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٤٦.

(٦) في (ش): (فلا يكون).

(٧) سقطت من (أ) و(م).

(٨) ينظر في سلف: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٥، «المفردات» ص٢٤٤، «اللسان» ٤/ ٢٠٦٨، وذكر الأزهري أن السلف يطلق في المعاملات على معنيين: القرض=

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال أبو إسحاق: أي: الله وليه[١].

وقيل: وأمره إلى الله بعد النهي، إن شاء عصمه حتى ثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود[٢] ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي: إلى استحلال الربا[٣] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال أبو إسحاق: وهؤلاء قالوا: إنما البيع مثل الربا، ومن اعتقد هذا فهو كافر[٤].

٢٧٦- قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ المَحْقُ: نُقْصَانُ الشيء حالًا بعد حالٍ، ومنه المُحَاقُ في الهلال، يقال: مَحَقَهُ اللهُ فانْمَحَقَ وامتحق، أنشد يعقوب:

وأَمْصَلْتِ[٥] مالي كُلَّه بخيانةٍ ... وماسَسْتِ من شيء فَرَبُّكَ ماحِقُه[٦]

وأنشد الليث[٧]:

= والسلم، وله معنيان آخران: أحدهما: ما قدمه العبد من عمل صالح، أو ولد فرط تقدمه فهو سلف، والثاني: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل.

(١) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٨.

(٢) «تفسير الطبري» ٣/ ١٠٤، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٧، وقال: هذا قول حسن بين، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١٥.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٩.

(٥) في (ش): (وأمضلت).

(٦) ورد النص هكذا:

لقد أمصلت عفراء مالي كله ... وماسست من شيء فربك ماحقه

ذكره صاحب إصلاح المنطق ١/ ٢٧٩: قال: وأنشدني الكلابي.

(٧) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥١ (مادة: محق).

يَزْدَادُ حُتَّى إذا مَا تَمّ أَعْقَبَهُ   كَرُّ الجَدِيدَيْنِ نَقْصًا ثم يَمَّحِقُ[١]

وأَمْحَقَ: إذا صار إلى حالة المحق، أنشد ابن السكيت[٢]:

أبوك الذي يَكْوِي أنوفَ عُنُوقِهِ   بأَظْفَارِهِ حتَّى أَنَسَّ[٣] وأَمْحَقَا[٤]

ويقال: هَجِيرٌ ماحق: إذا نَقَصَ كلُّ شيءٍ بحرارته وأحرقه[٥].

قال المفسرون: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا﴾ أي: ينقصه ويذهب بركته، وإن كان كثيرًا، كما يُمْحِقُ القَمَرَ[٦]، وقد روى ابن مسعود[٧]، أن النبي ﷺ قال: «الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قُلٍّ»[٨].

---

(١) ورد البيت هكذا:

حتى إذا ما تراه تم أعقبه   كر الجديدين نقصًا ثم يمحق

والبيت لعبد الله بن المبارك، في «ديوانه» ص٩٠. والمِحَاق والمُحاقُ: آخر الشهر، إذا امَّحق الهلال فلم يُرَ.

(٢) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٢ (مادة: محق).

(٣) لعلها: حتى أنشروا محقًا.

(٤) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي، في «لسان العرب» ٧/ ٤١٤٧ (مادة: محق)، «تاج العروس» ١٣/ ٤٣٨ (مادة: محق)، وبلا نسبة في «اللسان» ٥/ ٣١٣٦ (مادة: عنق)، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٢ (مادة: محق)، وأنسَّ الشيء: بلغ غاية الجهد وهو نسيسه، أي: بقية نفسه.

(٥) ينظر في محق: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٢، «المفردات» ص٤٦٦، «اللسان» ٧/ ٤١٤٧.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٢٣.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٤.

(٨) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٩) كتاب: التجارات، باب: التغليظ في الربا ٢/ ٧٦٥ حديث رقم ٢٢٧٩، والإمام أحمد في «المسند» ١/ ٣٩٥ والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٣ وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤/ ٣٩٢، وأبو يعلى في «مسنده» ٨/ ٤٥٦، والطبراني في «الكبير» ١٠/ ٢٢٣ والأصبهاني في «الترغيب والترهيب»=

وقال ابن عباس في رواية الضحاك: يعنى: لا يقبل منه صدقةً ولا جهادًا ولا حجًّا ولا صلة[(١)].

﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قال في رواية عطاء: يريد: يُرَبِّي الصدقات لصاحبها[(٢)] كما يُرَبي أحدُكُم فَصِيلَه[(٣)].

أخبرنا أبو إسحاق بن أبي منصور المقرئ[(٤)] رحمه الله، ثنا[(٥)] عبد الله ابن حامد[(٦)]، ثنا[(٧)] أبو بكر محمد بن الحسين[(٨)]، ثنا[(٩)] سهل بن

= ٢/ ١٨٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٢٣. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ٢/ ٤٢: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٢٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ٢٧٣.

(٢) ليست في (ي).

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٩٦. وهو من رواية التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٤) يعني شيخه أبا إسحاق الثعلبي رحمه الله.

(٥) في (ي): (قال أخبرنا).

(٦) عبد الله بن حامد الأصبهاني، أبو محمد، كان أبوه من أعيان التجار الأصبهانيين، ثم نزل بنيسابور، ولد عبدالله بنيسابور وتفقه على أبي الحسن البيهقي، توفي سنة ٣٨٩. ينظر «الأنساب» ٥/ ١٨٢، و«طبقات الشافعية» ٣/ ٣٠٦.

(٧) في (ي): (قال أخبرنا).

(٨) العالم الصالح مسند خراسان، أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل النيسابوري القطان، قال الحاكم: أحضروني مجلسه غير مرة، ولم يصح لي عنه شيء وقال الخليلي: ثقة، وقال الذهبي: وسماعه صحيح كثير في الثقفيات، توفي سنة ٣٣٢هـ. ينظر «الإرشاد» ٣/ ٨٣٩، «السير» ١٥/ ٣١٨-٣١٩، «الوافي بالوفيات» ٢/ ٣٧٢.

(٩) في (ي): (قال: ثنا)، وفي (ش): (حدثنا)، وهكذا في الذي بعده.

عمار(١)، ثنا يزيد بن هارون(٢)، ثنا عباد بن منصور النَّاجي(٣)، قال: سمعت القاسم بن محمد(٤)، يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ﷻ يقبل الصدقات، ولا يتقبل منها إلا الطيب، ويأخذها بيمينه فيربيها، كما يربي أحدكم مهره، أو فلوّه، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷻ** ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾(٥).

(١) هو سهل بن عمار النيسابوري روى عن يزيد بن هارون وغيره، متهم، كذبه الحاكم، قال في «تاريخه»: سهل بن عمار بن عبد الله العتكي، قاضي هراة ثم طرسوس، وهو شيخ أهل الرأي في عصره، كانوا يمنعون السماع منه، توفي سنة ٢٦٧هـ. ينظر «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٣٠، «السير» ١٣/ ٣٢-٣٣.

(٢) هو: يزيد بن هارون بن زادان بن ثابت السلمي بالولاء الواسطي أبو خالد، ثقة متقن عابد من حفاظ الحديث الثقات، كان واسع العلم ذكيًا، كبير الشأن، من أهل بخارى، وتوفي بواسط سنة ٢٠٦هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٢٩٥، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٣١، «السير» ٩/ ٣٥٨.

(٣) هو: عباد بن منصور أبو سلمة الناجي البصري، سمع من عكرمة وعطاء وغيرهم، وأخذ عنه يحيى القطان ويزيد بن هارون وغيرهم، ولي قضاء البصرة، كان ضعيف الحديث، قال ابن حجر: صدوق رمي بالقدر، وكان يدلس، وتغير بأخرة. توفي سنة ١٥٢هـ. ينظر: «السير» ٧/ ١٠٥-١٠٦، «الجرح والتعديل» ٦/ ٨٦، «التقريب» ص ٢٩١ (٣١٤٢).

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) الحديث بهذا الإسناد رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٢٦، فيه ضعف، لأن فيه سهل بن عمار، متهم، وعبد الله بن حامد، لم يذكر بجرح ولا تعديل، لكن الحديث صحيح متفق عليه. أخرجه البخاري (١٤١٠) كتاب: الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب، ومسلم (١٠١٤) كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب، وغيرهما. وليس عندهما(وتصديق ذلك...) وهذه الزيادة عند=

وقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ قال عطاء: يريد: من جحد عظمة الله وكفر بما جاء به محمد ﷺ[١]. وقيل: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحريم الربا، مستحل له (أَثِيمٍ) فاجر بأكله[٢].

أخبر الله تعالى في هذه أن من جمع مالًا من الربا أذهب الله البركة عنه، حتى يتلف عليه، ويذهب من حيث لا يدري، ثم يبقى عليه الوزر والإثم بجمعه وأخْذِه، ويزيد صدقةَ من تَصَدَّق بشيءٍ وإن قلَّ، حتى يَكْثُرَ ما تصدق به.

٢٧٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يسأل عن هذه الآية، فيقال: إذا كان يستحق الثواب بخلوص الإيمان فلم شرط غيره؟

قيل: للبيان، إذ[٣] كل واحدة من هذه الخصال يُستَحقُّ عليها الثواب، كما قال في ضدّ هذا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾. ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] ومعلوم أن من دعا مع الله إلهًا آخر لا يحتاج في استحقاقه العقاب إلى عمل آخر، ولكن[٤] الله تعالى جمع الزنا وقتل النفس مستحلاً مع دعاء غيره إليها، للبيان أن[٥] كل واحدة من هذه الخصال توجب العقوبة، ولا تدل هذه الآية على أن ما ذكر من الخصال بعد الإيمان ليست من الإيمان، وإن ذكرها مع الإيمان على الانفصال، كما أنه

= أحمد ٢/ ٤٧١، وأبي عبيد في «الأموال» ٤٣٧، وحميد بن زنجويه في «الأموال» ٢/ ٧٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٢٦.

(١) وهو من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٢٩.

(٣) في (ي) و(م): (إن).

(٤) في (ش)پ: (لكن.)

(٥) في (ي): (لأن).

ذكر مع الكفر خصالًا أخرجها وذكرها على الانفصال من الكفر وهو كفر، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ١]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [البقرة: ٣٩] والصد عن سبيل الله والتكذيب بآياته كفر، وإن ذكرا مع الكفر على جهة الانفصال.

٢٧٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ قد ذكرنا معنى ﴿ذَرُواْ﴾ وما فيه عند قوله: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ومعنى الآية: تحريم ما بقي دينًا من الربا، وإيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا.

والسبب في نزولها: العباس[1] وعثمان رضي الله عنهما، طلبا ربًا لهما كانا قد أسلف قبل نزول التحريم، فلما نزلت الآية سمعا وأطاعا، وأخذا رؤوس أموالهما. هذا قول عطاء وعكرمة[2].

وقال المقاتلان[3][4]: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف، كانوا يداينون

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٢٩، والواحدي في «أسباب النزول» ص٩٣، والحافظ في «العجاب» ١/ ٦٤١، وروى الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٦ عن عكرمة قريبًا مما ذكره المقاتلان.

(٣) هما: المقاتلان: مقاتل بن سليمان المفسر المشهور، ومقاتل بن حيان، وهو: أبو بسطام النبطي الخزاز، صدوق مفسر مشهور فاضل، توفي قبيل سنة ١٥٠هـ. ينظر: «طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٣٢٩، «التقريب» ص٥٤٤ (٦٨٦٧).

(٤) قول مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٢٢٧، وقول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم ٢/ ٥٤٨، وقد روى أبو يعلى في «مسنده» ٥/ ٧٤، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» ص٩٣ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بنحوه، وقد روى الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٦- ١٠٧ عن ابن نجيح نحوه، وذكر هذا السبب الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢، والزجاج ١/ ٣٥٩، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٣٣.

بني المغيرة، فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم الإخوة، ثم طالبوا بربـاهم بني المغيرة، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: إن من كان مؤمنًا فهذا حكمه، كما تقول: إن كنت أخي فأكرمني، معناه: أن من كان أخًا أكرم أخاه[١]. فقيل: معناه: إذ كنتم[٢].

قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن من كان مؤمنًا قبل عن الله أمره، ومن أبى فهو حرْبٌ، أي: كافر[٣]. فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي: فإن لم تذروا ما بقي من الربا، قال النحويون: المفعول محذوف من الكلام، تقديره: فإن لم تفعلوا ترك ما بقي من الربا[٤].

٢٧٩- قوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يقال: أَذِنَ بالشيء: إذا علم به، يأذَنُ أَذَنًا وأَذَانَةً، قال أبو عبيدة: يقال: آذَنْتُه بالشيء فأَذِنَ به[٥]، أي: عَلِمَ، مثل: أَنْذَرْتُه بالشيء فَنَذِرَ به، أي: عَلِمَ[٦].

والمعنى: فإن لم تدعُوا الربا الذي قد أمر الله بوضعه عن الناس فاعلموا بحرب من الله، أي: فأيقنوا أنكم في امتناعكم من وضع ذلك

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٣٧.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٧٣٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٣٧، وعزاه لمقاتل بن سليمان، ثم ذكر أن بعض النحويين يقول به، وهو ضعيف مردود، ولا يثبت في اللغة.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٩.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٣٨.

(٥) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٨٣، وعبارته: تقول: آذنتك بحرب فأذنت به.

(٦) ينظر في أذن: «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٩، «المفردات» ص٢٣-٢٤، «اللسان» ١/ ٥١.

حربٌ لله ورسوله.

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب(١).

وقال، في رواية الوالبي: يُستتاب من عامل بالربا، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه(٢).

وهو قول قتادة(٣) والربيع(٤). وقال أهل المعاني: حرب الله النار، فمن كان حربًا لله استحق العقوبةَ بالنار، وحربُ رسولِه السيف، فمن كان حربًا له قوتل بالسيف(٥).

وقرأ حمزة وعاصم في بعض الروايات (فآذنوا) ممدودًا(٦)، أي: اعلموا، من قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] ومفعول الإيذان محذوف في هذه الآية، تقديره: فأعْلِمُوا من لم ينته عن ذلك بحرب(٧)، وإذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم لا محالة، ففي أمرهم بالإعلام علمهم أيضًا أنهم حرب

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٣٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٦.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٨، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٠.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٨.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٦، و«الكفاية في التفسير» للحيري ١/ ٢٦٦، «تفسير البغوي» ١/ ٣٤٤.

(٦) قرأ حمزة وشعبة (فآذنوا) ممدودة مكسورة الذال، وقرأ الباقون (فأذنوا) مقصورة مفتوحة الذال. ينظر: «السبعة» ص١٩٢.

(٧) سقطت من (ي).

إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه، وليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم، فهذا في الإبلاغ آكد[١]. وقال أحمد بن يحيى: الاختيار: قراءة العامة من[٢] الإذن؛ لأنه يفسّر كونوا على إذنٍ وعلم، ولأن الكلام يجري به على وجه واحد، وهو أدل على المراد وأقرب في الأفهام[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: عن الربا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ وإنما شرط التوبة، لأنهم إن لم يتوبوا كفروا برد حكم الله، وصار مالهم فيئًا للمسلمين، فلا يكون لهم رؤوس أموالهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَظْلِمُونَ﴾ قال عطاء: أي بطلب الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالنقصان[٥] عن رأس المال[٦].

وموضع ﴿تَظْلِمُونَ﴾ نصب على الحال من (لكم)[٧]، والتقدير: فلكم رؤوس أموالكم غير ظالمين ولا مظلومين. وروى عن عاصم في بعض الروايات: ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بضم التاء الأولى ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بفتح التاء الثانية[٨]، وقراءة القراء أشكل بما قبله؛ لأن الفعل الذي قبله مسند إلى

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٤١٣ بمعناه.

(٢) في (ي): (على).

(٣) أحمد بن يحيى، ينظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ٣١٨، «حجة القراءات» لابن زنجلة ١٤٨.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٧، «تفسير السمعاني» ٣/ ٤٥٧، «الكشاف» ١/ ٣٢٢.

(٥) في (م): (النقصان).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٣٦ بهذا اللفظ دون عزو لأحد.

(٧) «الحجة» ٢/ ٤١٣.

(٨) قرأ المفضل عن عاصم (لا تُظْلَمون ولا تَظْلِمون) بضم التاء الأولى وفتح الثانية، والقراء كلهم بعكس ذلك كما ذكر ابن مجاهد في «السبعة» ١٩٢.

فاعل، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ﴾، فتظلمون أشكل بما قبله لإسناد الفعل فيه إلى الفاعل من ﴿تَظْلِمُونَ﴾ المسند فيه[1] الفعل إلى المفعول به[2].

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قالت الإخوة المربون: بل نتوب إلى الله، فإنه لا يَدَان لنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال، وسلّموا لأمر الله ﷻ، فشكا بنو المغيرة العسرة، وقالوا[3]: آخرونا إلى أن تُدرك الغلات، فأبوا أن يؤخروا، فأنزل الله ﷻ[4]: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

٢٨٠- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ (كان) كلمة تستعمل على أنحاء[5]:

أحدها: أن يكون بمنزلة حَدَثَ وَوَقَعَ، وذلك قولك: قد كانَ الأمرُ، أي: وَقَع وحَدَث، وحينئذ لا تحتاج إلى خبر، وأكثر ما تستعمل بهذا المعنى في المنكرات، كقولك: إن كان رجل صالح فأكرمه.

والثاني: أن يخلع[6] منه معنى الحدث، فتبقى الكلمة مجردة للزمان،

---

(١) من قوله: (فيه إلى)، من (ي) و(ش).

(٢) من «الحجة» ٢/ ٤١٤ بتصرف.

(٣) في (ي) (وقال).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٢٧ والفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢، والحيري في «الكفاية» ١/ ٢٣٦، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٣٧، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٩٥- ٩٦، والحافظ في «العجاب» ١/ ٦٤١ عن الكلبي.

(٥) في (ي) (أحوال).

(٦) في (أ) و(م) (الخلع).

فيلزمها الخبر المنصوب، وذلك قولك: كان زيد ذاهبًا.

والثالث: أن يكون بمعنى صار. أنشد أحمد بن يحيى:

بتيهاءَ قَفْرٍ والمَطِيِّ كأنّها
قَطَا الحَزْنِ قد كانت فِرَاخًا بُيُوضُها[1]

أي: صارت.

والرابع: أن تكون زائدة، وذلك قولهم: ما كَان أحسنَ زيدًا، أنشد البغداديون:

سَرَاةُ بَنِي أبي بَكْر تَسَامَوا على كان المُسَوَّمةِ الجِيادِ[2][3]

فمما استعمل فيه (كان) بمعنى: وقع وحدث، هذه الآية، أي: وإن وقع ذو عسرة، والمعنى على هذا يصح، وذلك أنه لو نصب فقيل: وإن كان ذا عسرة، لكان المعنى: وإن كان المستربي ذا عسرة فنظرة، فيكون النظر مقصورًا عليه، وليس الأمر كذلك؛ لأن المستربي وغيره إذا كان ذا عسرة فله النظر إلى الميسرة[4].

(١) البيت لعمرو بن أحمر الباهلي في «ديوانه» ص ١١٩، «الحجة» ٢/ ٤٣٦، و«شرح الكافية» للرضي ٤/ ١٨٩، و«لسان العرب» ٥/ ٢٨٩٧ (مادة: عرض)، ٧/ ٣٩٦١ (مادة: كون).

(٢) البيت بلا نسبة في «الحجة» ٢/ ٤٣٧، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٩٨، والأزهية في علم الحروف ص١٨٧ وشواهد الأشموني ٢/ ١٠٩، «الخزانة» ٤/ ٣٣، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٦٣ (كون). ويروى: العِراب بدل الجياد.

(٣) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٤٣٧، وينظر في معاني (كان): الكتاب: لسيبويه ١/ ٤٥-٥٦، «المقتضب» ٣/ ٩٦، ٤/ ٩٥، ١١٦، ١٨٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٣- ٣٠٨٤، «الأزهية في علم الحروف» ١٨٣-١٩٢، «المفردات» ص٤٢١-٤٢٢، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٥٩- ٣٩٦٣.

(٤) من «الحجة» ٢/ ٤٣٩ بتصرف، وينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للزجاج =

والعُسْرة: الاسم من الإعسار: وهو تعذر الموجود من المال، يقال: أَعْسَر الرجلُ إذا صار إلى حالة العُسْرةِ، وهي الحالة التي يتعسَّر عليها وجود المال[١].

وقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أمر في صيغة الخبر، والفاء في جواب الشرط، تقديره: فالذي تعاملونه نظرة، أي: تأخير[٢].

والنَّظِرة: الاسم من الإنظار، وهو الإمهال، تقول: بِعته الشيء بِنَظِرَةٍ وبإِنْظار[٣].

والميسرة: مفْعَلَة، من اليُسْرِ واليَسَارِ الذي هو ضد العُسْرة، وهو تيَسُّر الموجود من المال، ومنه يقال: أَيْسَرَ الرجلُ فهو مُوسر، أي: صار إلى حالةِ تَيَسُّرِ وجودِ المالِ، فالمَيْسُرة والمَيْسَرَة والمَيْسُور: الغنى[٤][٥]. وفيه قراءتان: فتح السين وضمها[٦]، والفتح أشهر اللغتين؛ لأن مَفْعَلَة قد جاء في كلامهم كثيرًا، ومن قرأ بالضم فلأن مَفعُلة قد جاء أيضًا في كلامهم،

= ١/ ٣٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٠، قال: وأجاز بعض الكوفيين أن تكون كان ناقصة هنا، وقَدَّر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذو عسرة، محذوف المجرور الذي هو الخبر، وحذف خبر (كان) لا يجوز عند أصحابنا لا اقتصارًا ولا اختصارًا.

(١) ينظر في العسرة: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٣١- ٢٤٣٣، «المفردات» ٣٣٧.

(٢) ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٩، والتقدير عنده: فعليه نظرة، أو فالواجب نظرة.

(٣) ينظر في نظرة: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٠٣- ٣٦٠٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٣٩، «المفردات» ٤٩٩-٥٠٠.

(٤) في (ش): (والميسرة: الميسور وفيه).

(٥) ينظر في الميسرة: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٩- ٣٩٨١، «المفردات» ٥٥٣، «اللسان» ٨/ ٤٩٥٧- ٤٩٦٠.

(٦) قرأ نافع بضم السين، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: «السبعة» ١٩٢.

كالمَشْرُبَة والمَشْرُقَة وبابهما، ومفعُلة بناء مبني على التأنيث، ألا ترى أن مَفْعُل بناء لم يجىء في الآحاد[١]، قال سيبويه: وليس في الكلام مَفْعُل[٢]، فعلى هذا قراءة من قرأ (مَيْسُرِهِ) بالهاء وضم السين مُضافًا، فأخطأ، وهو قراءة مجاهد، وإحدى الروايات عن يعقوب[٣].

قال أبو إسحاق: من قرأ: (مَيْسُرِه) على الإضافة إلى الهاء فمخطئ، لأن مَيْسُر مَفْعُل، وليس في الكلام مَفْعُل، وزعم البصريون أنهم لا يعرفون مفْعُلًا[٤].

فأما ما أنشده ابن السكيت:

لِيَوْمِ رَوْعٍ أو فَعَالِ مَكْرُمِ[٥]

وقول آخر:

بُثَيْنُ الْزَمِي (لا) إنَّ (لا) إن لَزِمْتِه على كَثْرة الواشِينَ أيُّ مَعُونِ[٦]

وقول عدي:

أبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنّي مَأْلُكًا[٧]

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٤١٤-٤١٥ بتصرف، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٠.

(٢) «الكتاب»: لسيبويه ٤/ ٩١، ونقله أبو علي في «الحجة» ٢/ ٤١٥.

(٣) ينظر: «المحتسب» ١/ ١٤٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٤١، و«إعراب القراءات الشواذ» ١/ ٢٨٦، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٠.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٠، وتمامه: إنما يعرفون مفعُلة.

(٥) صدر البيت:

مروان مروان أخو اليوم اليمي.

والبيت لأبي الأخزر الحماني، في «اللسان» مادة: كرم ٧/ ٣٨٦١- ٣٨٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٣٥٥.

(٦) البيت لجميل بثينة، انظر: «ديوانه» ص١٠٥، «المحتسب» ١/ ١٤٤، «الخصائص» ٣/ ٣٢١، «البحر المحيط» ٢/ ٣٥٥.

(٧) البيت لعدي بن زيد العبادي، مطلع قصيدته الرائية المكسورة، يستعطف بها =

فهذه كلُّها عند جميع النحويين من البصريين والكوفيين جَمْعٌ، فمَكْرُم[١] جمع مَكرُمَة، ومَعُون جمْع مَعُونة، ومأُلُك جمع مأُلُكة، إلا عند الكسائي فإنه أجازَ أن يكونَ واحدًا، ولا يدخل هذا على كلام سيبويه، لأنه جمع، ومُراده فيما ذكر: أنه ليس في الكلام مفعُل المفرد دون الجمع، على أن مثلَ هذا الذي يقلّ[٢] قد لا يَعتَدُّ به سيبويه، فربما أطلق القول فقال: ليس في الكلام كذا، وإن كان قد جاء عليه حرف أو حرفان، كأنه لا يعتد بالقليل، ولا يجعل له حكمًا[٣].

فأما الحكم في إنظار المعسر: فمهما علم الإنسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته وأن يطالبَه بما له عليه، ووجب عليه الانتظار إلى وقت يساره، إلا أن يكون له ريبة في إعساره، فجاز له أن يحبِسَه إلى أن يقيمَ المحبوسُ البينةَ، وتعتبر زيادةُ عددٍ على شاهدين في بينة الإعدام؛ لما روي في حديث قبيصة بن مخارق[٤]: «**حتى يشهدَ ثَلاثةٌ من ذَوِي الحِجَى أنه أصابتْه فاقة وحاجة**»[٥].

= النعمان، وعجزه:

إنه قد طال حبسي وانتظاري

في «ديوانه» ص ١٢٤، وينظر «الشعر والشعراء» ص١٣٣، «الأغاني» ٢/ ٩٤، «العقد الفريد» ٦/ ٩٥، «الخزانة» ٣/ ٥٩.

(١) في (أ) و(م) (مكرم) بدون فاء.

(٢) في (ي) و(ش) (نقل).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٤١٦-٤١٧ بمعناه.

(٤) هو قبيصة بن الُمخارق بن عبدالله بن شداد بن ربيعة بن نهيك العامري الهلالي، أبو بشر، صحابي، عداده في أهل البصرة، وفد على النبي ﷺ. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٣٨٣

(٥) رواه مسلم (١٠٤٤) كتاب: الزكاة، باب من لا تحل له الصدقة، وذوو الحجى: ذوو العقول.

وإذا أقام بينة الإعدام كان للخصم طلبُ يمينه؛ لأن الرجل ربما يكتم ذخائر أمواله، فشهادة الشهود للظاهر، واليمين للباطن، وليس للقاضي أن يتوقف في الإصغاء إلى شهادة الإعدام؛ لأن رسول الله ﷺ لم يذكر مدة في سماع الشهادة(١) في حديث قبيصة.

والحقوق مختلفة في هذا، فكلُّ حق لزم الإنسان عوضًا عن مالٍ حصلَ في يده، مثلُ قرضٍ أو ثمنِ سلعةٍ، فإذا ادّعى الإعسار لزمته إقامة البينة، وكلُّ حق لزمه من غير حصول مال في يده كالمهر والضمان، فإذا ادَّعى الإعسار لزمَ ربُّ المال إقامةَ البينة على كونه موسرًا، لأن الأصل في الناس الفقر.

ويباع في الديون جميعُ أموالِ الغريم، فلا يستبقى له سِوى(٢) قوتِ يومٍ(٣) ودست ثوب وسط(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أعلم الله تعالى أن الصدقة برأس المال على المعسر خير وأفضل، والمراد: وأن تصدقوا على المعسر برأس المال خيرٌ لكم، ولكنه حذف للعلمِ به، لأنه قد جرى ذكرُ المعسر وذكرُ رأسِ المال، فعلم أن التصدقَ راجعٌ إليهما.

---

(١) في (ي) (الشهود).

(٢) في (ي) (غير).

(٣) في (ش) (يوم بيوم).

(٤) ينظر في أحكام الآية: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٤٣، «معالم السنن» ٤/ ١٧٩، «المغني» ٦/ ٥٨٥، «تكملة المجموع» ١٣/ ٢٦٩، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٣٥/ ٣٩٧، «نيل الأوطار» ٧/ ١٥١.

٢٨١- قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ، قال جبريلُ عليه السلام: ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة[١].

قال ابن جريج: وعاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال[٢]، وقال سعيد بن جبير[٣] ومقاتل[٤]: سبع ليال.

وانتصب (يومًا) على المفعول به، لا على الظرف[٥]، لأنه ليس المعنى: فاتقوا في هذا اليوم، لكن المعنى تأهبوا للقائه بما تقدمون من العمل الصالح، ومثله قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] أي: كيف تتقون هذا اليوم الذي هذا[٦] وصفه مع الكفر بالله، أي: لا يكون الكافر مستعدًا للقائه لكفره.

وقوله تعالى: ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هذا يوم القيامة.

وفي (ترجعون) قراءتان[٧]: ضم التاء وفتح الجيم، اعتبارًا بقوله:

---

(١) رواه سفيان الثوري ص٧٣، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٣٧٠، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٩٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٤- ١١٥، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣١٢، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٢٩٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ١٣٧، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٧٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص١٧.

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٣٧٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٥.

(٣) رواه ابن أبي حاتم ٢/ ٥٥٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٨٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٧.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢٨، وذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٣٥، وفي «الوسيط» ١/ ٤٠٠.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٤٩٩.

(٦) في (ي) (الذي وصفه).

(٧) قرأ أبو عمرو: بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم. ينظر: «السبعة» ص١٩٣، «الحجة» ٢/ ٤١٧.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٦].

وقرأ أبو عمرو: (تَرْجعون) بفتح التاء وكسر الجيم، اعتبارًا بقوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [الغاشية: ٢٥] فأضاف المصدر إلى الفاعل، وقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. وقوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [يونس: ٤٦]. وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩][(١)].

وقوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما كسبت من الأعمال، قال ابن عباس: يريدَ ثوابَ عَمَلِهَا، خيرًا بخير، وشرًّا بشر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يريد: وهم لا يُنْقَصُون، لا أهلُ الثوابِ ولا أهْلُ العِقَاب، قال: وهذه الآية لجميع الخلقِ البرِّ والفاجِرِ[(٢)].

٢٨٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ قال ابن عباس: لما حرّم الله تعالى الرِّبا أباحَ السَّلَم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾[(٣)] الآية.

التداين: تفاعل، من الدَّيْن، ومعناه: داين بعضكم بعضًا وتبايعتم بدين[(٤)]، قال أهل اللغة: القرضُ غير الدينِ؛ لأن القرض أن يقترض الإنسانُ دراهمَ أو دنانيرَ أو حَبًّا وتمرًا وما أشبه ذلك ولا يجوز فيه الأجل، والأجل في الدَّيْن جائز[(٥)].

---

(١) من «الحجة» ٢/ ٤١٧-٤١٨ بتصرف.

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٣٩٩، وهو من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٨/ ٥، والشافعي في «الأم» ٣/ ٩٣، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٦- ١١٧، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٤.

(٤) من قوله: (التداين)، ساقط من (ي).

(٥) ينظر «اللسان» ١/ ٣٢ (مادة: أجل).

ويقال من الدَّين: ادَّانَ: إذا باع سلعته[١] بثمن إلى أجل، ودان بدين: إذا أَقْرضَ، ودان استقرض، وأنشد الأحمر[٢]:

نَدِيْنُ ويَقْضِي اللهُ عَنّا وقد نَرَى مَصَارِعَ قَوْمٍ لا يَدِينُونَ ضُيَّعا[٣]

فهذا على معنى يستقرض، وادّان: إذا كثر عليه الدّين، وتديّن واستدان: إذا أخذ الدين[٤]، قال:

يُعَيِّرُني بالدَّيْن قَوْمِي وإنَّما
تَدَيَّنْتُ في أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُم حَمْدًا[٥]

قال المفسرون: كل حق مؤجل فهو داخل تحت قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾[٦].

---

(١) في (م) (سلعة).

(٢) هو: علي بن الحسن المعروف بالأحمر، مؤدب المأمون العباسي، وشيخ النحاة في عصره، كان جنديًا على باب الرشيد، وأخذ العربيةَ عن الكسائي الذي أوصله إلى الرشيد، كان قوي الذاكرة يحفظ ٤٠ ألف بيتِ شعرٍ، توفي سنة ١٩٤هـ. انظر بغية الوعاة ٢/ ١٥٨-١٥٩، «الأعلام» ٤/ ٢٧١.

(٣) البيت للعجير السلولي، في «لسان العرب» ٣/ ١٤٦٨ (مادة: دين)، «تاج العروس» (مادة: دين)، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٣٧، ينظر: «المعجم المفصل في شواهد اللغة» ٤/ ٢٤٩. قال ابن بَرّي: صوابه ضُيّعِ بالخفض على الصفة لقوم وقبله:

فَعِد صاحبَ اللَّحّام سيفًا تبيعُه وزد درهمًا فوق المُغَالينَ واخْنَعِ

(٤) ينظر في دين: «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٣٧، «المفردات» ص١٨١، «اللسان» ٣/ ١٤٦٨.

(٥) البيت للمقنع الكندي، ينظر «اللسان» ٣/ ١٤٦٨ مادة: (دين)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٣٨، «البحر المحيط» ٢/ ٨. ويروى البيت هكذا:

يعاتبني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمدًا

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٨٣.

قال ابن الأنباري: إنما ذكر الدَّيْن مع أن ﴿تَدَايَنتُم﴾ يدل عليه؛ لأن التداين يكون بمعنيين، أحدهما: التداين بالمال، والآخر: التداين بمعنى: المجازاة، من قولهم: كما تدين تُدان، والدين: الجزاء، فذكر الله تعالى الدين لتلخيص أحد المعنيين[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معنى الأجل في اللغة: الوقتُ المضروبُ لانقضاء الأمد، وأَجَلُ الإنسان هو الوقت لانقضاء عمره، وأَجَلُ الدين: محَلُّه، لانقضاء التأخير فيه، وأصله من التأخير، يقال: أَجِلَ الشيء يَأْجَلُ أُجُولًا: إذا تأخر، والآجل: نقيضُ العاجل.

وقوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ الكِتابةُ والإِشهادُ اللذان ذكرا في هذه الآية للتداين، والمبايعة في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ قد اختلف الناس فيهما، فأوجبهما جماعة من أهل العلم، وقالوا: إن الله تعالى أمر في الحقوق المؤجلة بالكِتابة والإشهادِ حفظًا منه للأموال، وذلك أن الذي عليه الدين إذا كانت عليه الشهود والبينة قلّ تحديثه نفسه بالطمع في إذهابه، وهذا مذهب عطاء[٢] وابن جريح[٣] وإبراهيم[٤] واختيار محمد بن جرير[٥]، قال إبراهيم: يشهد ولو على دَسْتَجة[٦] بَقْل.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٨٣، وقيل: إنها جاءت للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام ٣٨]. و«تفسير الطبري» ٣/ ١١٧، و«المدخل لتفسير كتاب الله»: للحدادي ٢٩٦ص، و«تفسير أبي المظفر السمعاني» ٢/ ٤٦١.

(٢) المغني ٦/ ٣٨١.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٧.

(٤) المغني ٦/ ٣٨١.

(٥) «تفسير الطبري» ٣/ ١١٩- ١٢٠.

(٦) الدَّسْتَجَة: الحزمة. ينظر: «القاموس» ص١٨٩ (مادة: دستج).

وقال قوم: هذا أمر ندب وإباحة كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟﴾ [الجمعة: ١٠] وهذا اختيار الفراء؛ لأنه يقول: هذا الأمر ليس بفريضة، إنما هو أدب ورحمة من الله، فإن كتب فحسن، وإن لم يكتب فلا بأس[١].

قال ابن الأنباري: وهو اختيارنا؛ لاتفاق أكثر العلماء عليه، ولأن الأمر لو كان حتمًا لم يكن المسلمون ليقدموا على خلاف نصّ القرآن في أسواقهم، ولكان فيه أعظم التشديد على الناس والتغليظ، والنبي ﷺ يقول: «**بُعِثْتُ بالحنفية السمحة**»[٢].

وقال آخرون: كانت الكتابة والإشهاد أو الرهن فرضًا، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ إن أشهدت فَحَزْم[٣]، وإن تركت ففي حلٍّ وسعة[٤].

وقال التيمي: سألت الحسن عنها فقال: إن شاء أشهدَ، وإن شاء لم يُشْهِدْ، ألا تسمع قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[٥].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٢٦٦. قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ١٠٩: وسنده حسن.

(٣) في (م) (فجزم).

(٤) وهذا قول الشعبي، رواه الثوري في «تفسيره» ص٧٣، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص١٤٥، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ٩٧، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٠، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص٢٦٣، وقال: وهذا ليس بنسخ؛ لأن الناسخ ينافي المنسوخ، ولم يقل هاهنا: فلا تكتبوا ولا تشهدوا، وإنما بين التسهيل في ذلك. وينظر: «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٨٣، و«النسخ في القرآن» لمصطفى زيد ٢/ ٦٨٣.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٨، وفي «النكت والعيون» ١/ ٣٥٤ بمعناه.

قال أبو عبيدٍ: والعلماء اليوم من أهل الحجاز وأهل العراق وغيرهم على هذا القول[١]، أن شهادة المبايعة ليست بحتم على الناس، والآية الناسخة بعدها قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ويرون[٢] أن البيّعين مخيَّرانِ في الشهادة والترك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ليكتب كتاب الدين بين المستدين والمدين كاتب بالعدل، أي: بالحق والإنصاف، لا يكتب لصاحب الدين فضلًا على الذي عليه، ولا يُنْقِصُه[٤] من حَقِّه، ولا يقدِّم الأجلَ، ولا يؤخِّرُه، ولا يكتب شيئًا يبطل به حقًّا لأحدهما لا يعلمه هو، فهذا العدل[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ أي: لا يمتنع، يقال: أبى فلان الشيء يَأْبَاهُ، إذا امتنع عنه[٦] ولم يفعله، ويقال: أَخَذَه أُبَاءٌ، إذا كان يأبى الطعامَ فلا يشتهيه[٧].

قال مجاهد[٨] والربيع[٩]: واجب على الكاتب أن يكتبَ إذا أُمر؛ لأن

---

(١) سقطت من (م). (٢) في (ش) (ويروي).

(٣) وينظر في المسألة: «المغني» ٦/ ٣٨١-٣٨٣، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٤٨، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٨٣.

(٤) في (ي) (ولا ينقصه عليه).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٨٩.

(٦) في (م) (منه).

(٧) ينظر في أبى: «تهذيب اللغة» ١/ ١١٤، «اللسان» ١/ ١٤ قال الراغب في «المفردات»: الإباء شدة الامتناع، وليس كل امتناع إباء.

(٨) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٨/ ٣٦٥، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٩، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٥٦.

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٥.

الله تعالى أَمَره أن لا يَأْبى. قال الفراء: أُمِرَ الكاتبُ أن لا يأبى، لقلةِ الكُتّاب كانوا على عهد رسول الله ﷺ(١).

وقال الحسن: ذاك إذا لم يقدر على كاتب سواه فيضر بصاحب الدين إن امتنع(٢).

وقال الضحاك: كانت هذه عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ أي: لا يأبَ أن يكتبَ كما أمره الله ﷻ من الحق، فعلى هذا يكون قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ متصلًا بقوله: ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ كما أمره الله، ويحتمل أن يتمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ ثم قال: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ أي: كما فضله الله بالكتابة.

وقال ابن عباس: كما أفهمه الله، ولا يمنعن المعروف بكتابة(٤).

والوجهان ذكرهما الزجاج(٥).

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٨٩.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٨٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٩.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٩، وفي «النكت والعيون» ١/ ٣٥٥، «تفسير القرطبي» ٣/ ٣٨٤، وقال معلقًا: هذا يتمشى على قول من رأى أو ظن أنه قد وجب في الأول على كل من اختاره المتبايعان أن يكتب، وكان لا يجوز له أن يمتنع، حتى نسخه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وهذا بعيد؛ فإنه لم يثبت وجوب ذلك على كل من أراده المتبايعان كائنا من كان، ولو كانت الكتابة واجبة ما صح الاستئجار لها؛ لأن الإجارة على فعل الفروض باطلة، ولم يختلف العلماء في جواز أخذ الوثيقة على كَتْب الوثيقة. وينظر «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٤٨.

(٤)وهو من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ الإمْلاَل والإملاءُ لغتان[١]، قال الفراء: أمْلَلْتُ عليه الكتابةَ لغةُ الحجاز وبني أسد، وأَمْلَيتُ لغة تميم[٢] وقيس، نزل القرآن باللغتين[٣]، قال الله تعالى في اللغة الثانية: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] ومعنى الآية: أن[٤] الذي عليه الدين يُملي؛ لأنه المشهود عليه، فيُقر على نفسه بلسانه، ليُعلم ما عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ البَخْسُ: النُّقْصان، يقال: بَخَسه حَقَّه، إذا نَقَصه[٥].

أُمِر من عليه الحق أن يُقرَّ بمبلغ المال الذي عليه ولا ينقص شيئًا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ قال مجاهد: جاهلا[٦] بالإملاء[٧].

وقال الضحاك[٨] والسدي[٩]: طفلًا صغيرًا.

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٩٠.

(٢) في (ي) (بني تميم).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٢ (مادة: ملل)، وينظر «اللسان» ٧/ ٤٢٧١ (مادة: ملل).

(٤) سقطت من (أ) و(م).

(٥) ينظر في بخس: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢١: «المفردات» ص٤٨، قال الراغب: البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم.

(٦) سقطت من (ي).

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩١.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩١.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٥٩.

(أو ضعيفًا) يعني: عاجزًا أحمق، عن السدي[١] وابن زيد[٢].

(أو لا يستطيع أن يملّ هو) لخَرَسٍ أوعِيٍّ أو[٣] جَهْلٍ بما له وعليه[٤].

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ﴾. قال الضحاك[٥] وابن زيد[٦]: أي: ولي السفيه والعاجز والطفل، يعنى: قيمه أو وارثه أو من يقوم مقامه في حقه.

وقال ابن عباس[٧] والربيع[٨] ومقاتل[٩]: يعني: ولي الحق، وهو صاحب الدين؛ لأنه أعلم بدينه .﴿بِٱلْعَدْلِۚ﴾: بالصدق والحق والإنصاف. والقول الأول اختيار الزجاج[١٠] وصاحب النظم، وهو الأظهر والأصح.

قال الزجّاج: إن الله ﷻ أمر أن لا يؤتى السفهاء الأموال، وأمر أن يقام بهم[١١] فيها، فقال: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]، فوليُّه: الذي يقوم مقامه في ماله. قال: وقول من قال: إنه ولي الدين، بعيد، كيف يقبل قول المدعي، وما حاجتنا إلى الكتابة والإشهاد، والقول قوله[١٢]؟

---

(١) انظر المصدرين السابقين.
(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٣.
(٣) غير واضح في (م).
(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٩١.
(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٣ بمعناه.
(٦) المرجع السابق.
(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٩.
(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩٢.
(٩) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢٩.
(١٠) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٣.
(١١) في (ي) و(ش) (لهم).
(١٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٣.

وقال صاحب «النظم»: الذي يدل عليه نظم هذا الفصل أنه ولي السفيه، لأن ولي السفيه[١] يقوم مقام[٢] السفيه، والسفيه هو الذي عليه الحق، وقد وسم الله ﷻ في أول الفصل صاحب الحق بوسْمٍ، وكان ما وسمه به أن قال: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ووسم الذي عليه الحق[٣] بوسم آخر، فقال: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[٤] فلما قال هاهنا: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾، عُلِمَ أنه يعني: وليَّ السفيه؛ لأنه أقامه مقام السفيه، وهو الذي عليه الحق، ولو أراد صاحب الحق لقال: فليكتب وليه بالعدل، كما وسمه[٥] به في أول القصة.

وأجاز الفراء القولين جميعًا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أي: أَشْهِدُوا، يقالُ: أَشْهَدتُّ الرجلَ واستشهدته بمعنى[٧]، وبه فسر قول النبي ﷺ: «يَشْهَدُون[٨] ولا يُستشهدون»[٩] أي: لا يشهدون.

---

(١) قوله: (لأن ولي السفيه)، ساقط من (ي).

(٢) في (م) (مقامه).

(٣) سقطت من (م).

(٤) في (ي) (قال فلما قال).

(٥) في (ي) (قال) بدل (وسمه به).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٣.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٤ (مادة: شهد).

(٨) سقطت من (ي).

(٩) رواه البخاري (٣٧٥٠) كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم (٥٢٣٥) كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة، عن عمران بن حصين.

وقوله تعالى: ﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ يعني: من أهل ملتكم من الأحرار البالغين، دون الصبيان والعبيد[١].

وقوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ قال الزجاج: أي:[٢] فالذي يُستشهد إن لم يكن رجلان فرجل[٣] وامرأتان[٤].

قال الفراء: فليكن رجل وامرأتان فرفع بالرد على الكون[٥].

وقال صاحب « النظم »: أي: فليكفكم رجل وامرأتان[٦]. وقيل: فرجل وامرأتان[٧] يشهدون. كل هذه التقديرات جائز حسن.

قال أبو علي الفارسي: قال أبو الحسن الأخفش: التقدير: فليكن رجل وامرأتان[٨]، كما قال الفراء، ثم قال من عنده: يجوز أن تكون[٩] (كان) المضمرة في الآية الناصبة للخبر[١٠]، ويجوز أن تكون التامة التي لا

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٩٢، وينظر «الأم» ٦/ ٢٥١، «مختصر الطحاوي» ٣٣٥، «المغني» ١٤/ ١٨٥، وأجاز أنس بن مالك وابن سيرين وشريح شهادةَ العبيد، وأجاز الحسن وإبراهيم والشعبي والنخعي والحكم شهادتهم في الشيء التافه. ينظر صحيح البخاري (٢٦٥٩) كتاب: الشهادات، باب: شهادة الإماء والعبيد، و«المصنف» لابن أبي شيبة ٦/ ٧٧، و«المغني» ١٤/ ١٨٦.

(٢) سقطت من (ي).

(٣) في (أ) و(م) و(ش) (رجل).

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٣.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٤.

(٦) من قوله: (قال الفراء). ساقط من (أ) و(م).

(٧) من قوله: (قال الفراء). ساقط من (أ).

(٨) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٨٩.

(٩) في (ي): (إن كانت كان).

(١٠) في (م): (للحال).

توجب خبرًا، فإن أضمرت التي تقتضي الخبر كان تقدير إضمار الخبر: فليكن من يشهدون رجل أو امرأتان، وإن[1] أضمرت التامة[2] التي بمعنى الحدوث والوقوع كان أولى؛ لأنك إذا أضمرتها أضمرت شيئًا واحدًا، وإذا أضمرت الأخرى احتجت أن تضمر شيئين، وكلما قل الإضمار[3] كان أسهل[4]، وأيهما أضمرت فلابدّ من تقدير المضاف، المعنى: فليحدث شهادة رجل وامرأتين، أو يقع، ألا ترى أنه ليس المعنى: فليحدث رجل وامرأتان، ولكن لتحدُث شهادتهما أو تقع، أو تكون شهادة رجلٍ وامرأتين[5] فيما يشهدون[6].

وإجماع أن شهادة النساء جائزة[7] في الأموال[8].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ قال ابن عباس: يريد: من

---

(١) في (م): (فإن).

(٢) سقطت من (ي).

(٣) في (أ) و(م): (إضمار).

(٤) ذكر في «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٦ أن الصحيح أن خبر كان لا يحذف لا اقتصارًا ولا اختصارًا.

(٥) في (ي): (امرأة).

(٦) من «الحجة» ٢/ ٤١٩-٤٢١ بتصرف، وينظر في إعراب الآية: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٤، «التبيان» ١/ ١٦٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٦.

(٧) سقطت من (م).

(٨) حكى الإجماع الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٧٩٣، وابن المنذر في «الإجماع» ص ٧٨، وينظر: «اختلاف الفقهاء» للمروزي ص٢٨٤، «المغني» ١٤/ ١٣٠، «فتح الباري» ٥/ ٢٦٦، ووقع الخلاف في غير الأموال، فيرى مالك والأوزاعي والشافعي وأبو عبيد وأحمد وأبو ثور: أنها لا تجوز إلا في الأموال، ويرى أبو حنيفة وسفيان: أنها جائزة في كل شيء ما عدا الحدود والقصاص.

أهل الفضل والدين[(١)]، كما في الطلاق، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]. ودل هذا القول: أن في الشهود من ينبغي أن لا يُرضى[(٢)]، وجملة القول فيمن تقبل شهادته، أن يجتمع فيه عشر خصال: يكون حرًا، بالغًا، مُسلمًا، عدلًا، عالمًا بما يشهد به، ولا يجرُّ بشهادته إلى نفسه منفعة، ولا يدفع عن نفسه مضرةً، ولا يكون معروفًا بكثرة الغلط، ولا بترك المروءة، ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عَصَبيّة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أن تتعلق بفعل مضمر، دل عليه ما قبله من الكلام، وذلك أن قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ يدل على: فاستشهدوا رجلًا وامرأتين، فتعلق أن إنما[(٤)] هو بهذا الفعل المدلول عليه[(٥)]، ويجوز أن يتعلق الشيء بما ذكرنا من الفعل المقدر، في قول الفراء وأبي الحسن[(٦)] وهو: فليكن رجل وامرأتان، ويجوز أن يتعلق بشيء ثالث، وهو الخبر المضمر فيمن جعل التقدير: فرجل وامرأتان يشهدون[(٧)(٨)].

---

(١) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٣٨، وفي «الوسيط» ١/ ٤٠٥.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٣.

(٣) ينظر في ذكر الشروط: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٩٦، و«الكافي» لابن عبد البر ٢/ ٨٩٢، و«المغني» ١٤/ ١٤٥، و«روضة الطالبين» ١٤/ ١٤٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٧. وبين المذاهب خلاف في بعض هذه الشروط.

(٤) سقطت من (ي).

(٥) من «الحجة» ٢/ ٤١٩.

(٦) تقدمت أقوالهما عند قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾.

(٧) من «الحجة» ٢/ ٤٢١.

(٨) ينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٥، «الحجة» ٢/ ٤١٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٤، «التبيان» ص١٦٧.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ قال ابن عباس[١] وجميع أهل التفسير والمعاني: تَضِلّ: تنسى، والضلال يكون بمعنى النسيان؛ لأن الناسي للشيء عادل عنه وعن ذكره، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي: الناسين الذين ضلوا وجه الأمر، ومن هذا قولهم: ضَلِلْتُ الطريق والدار أَضِلُّه ضلالًا: إذا لم تدر أين هو[٢]، قال الفرزدق:

وَلَقَدْ ضَلَلْتَ أبَاكَ يَدْعُو دَارِمًا   كَضَلالِ مُلْتَمِسٍ طَرِيقَ وَبَارِ[٣]

وقال أبو عمرو: أصل الضلال في اللغة: الغيبوبة[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ أي: تغيب عن حفظِها، أو يغيب حفظُها عنها، وإحدى: تأنيث الواحد.

قال أبو علي: أنثوه على غير بنائه، و(إحدى) لا تستعمل إلّا مضمومة إلى غيرها ومضافة، لا يقولون: رأيت إحدى، ولا جاءني إحدى. وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي قال:[٥] يقال: أحد في جمع إحدى. يقال: فلان إحدى الإحد، وأَحَدُ الأَحَدِيْن، وواحِدُ الآحَاد، كما يقال: واحد لا

---

(١) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٣٨.

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٢٩- ٢١٣١ (مادة: ضلّ)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٠٥، «المفردات» ٣٠٠-٣٠٢، وأطال النفس في ذكر أنواعه، «لسان العرب» ٥/ ٢٦٠١- ٢٦٠٤ (مادة: ضلل)، وفيه قال أبو عمرو بن العلاء: إذا لم تعرف المكان قلت: ضلَلته، وإذا سقط من يدك شيء قلت: أضللته، يعني: أن المكان لا يضل وإنما أنت تضل عنه.

(٣) البيت من الكامل، وهو للفرزدق في «ديوانه» ص ٤٥٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٦٠١ مادة: (ضلل).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٣٠ (مادة: ضلّ).

(٥) في «الحجة»: (وقال أحمد بن يحيى) ولم يروه عن ابن الأعرابي كما هنا.

مثل له، وأنشد:

حتى استثاروا بي[(١)] إحْدَى[(٢)] الإِحَدِ

لَيْثًا هِزَبْرًا ذا سِلاحٍ مُعْتَدِي[(٣)]

قال أبو العباس: جعلوا الألف في (إحدى) بمنزلة التاء في الكسرة، فقالوا[(٤)] في جمعها: إِحَد، كما قالوا: كِسَر لما جَعَلُوه مثلها في الكبر والكبرى، والعُلْيا والعُلَى، فكما جعلوا هذه كظُلْمَة وظُلَم، جعلوا الأول بمنزلة كِسَرٍ وسِدَرٍ[(٥)]، وكما جعلوا الألف المقصورة بمنزلة التاء فيما ذكرنا جعلوا الممدودة أيضًا بمنزلتها في قولهم: قَاصِعَاءُ وقَوَاصِعُ، ودَامَّاءُ ودَوَامّ[(٦)].

وموضع (أن) نصب، لأن المعنى: استشهدوا امرأتين، لأن تُذَكّر إحداهما الأخرى، ومن أجل أن تذكر[(٧)].

فإن قيل: إذا كان المعنى هذا فلم جاز: أن تضل، والشهادة لم توقع للضلال الذي هو النسيان، إنما وقعت للذكر والإذكار؟ والجواب عنه: أن

---

(١) في (ي): (في).

(٢) في (م): (أحد).

(٣) رجز للمرار الفقعسي. ينظر: «الأغاني» ١٠/ ٣٢٤، «الخزانة» ٣/ ٢٩٣.

(٤) في (ش): (فقال).

(٥) في (ش): (سدد).

(٦) «الحجة» ٢/ ٤٢٢-٤٢٣. وينظر في أحد: «اللسان» ١/ ٣٥، «عمدة الحفاظ» ١/ ٧١-٧٣.

(٧) ينظر في الإعراب: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٤، «التبيان» ص١٦٨.

الإذكار لما كان سببه الإضلال، جاز أن يذكر (أن تضل)، لأن الضلال هو السبب الذي به وجب الإذكار، كما تقول: أعددت هذا[١] أن يميل الحائط فأدعمه[٢]، وإنما أعددت للدعم لا للميل، ولكن ذكر الميل لأنه سبب الدعم، كما ذكر الضلال لأنه سبب الإذكار، هذا قول سيبويه، وعليه البصريون[٣].

وقال الفراء: معنى الآية: فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، كي تُذَكِّر إحداهما الأخرى إن ضلت، فلما تقدم[٤] الجزاء اتصل بما قبله ففتحت أن، قال: ومثله من الكلام: إنه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى، معناه: إنه ليعجبني أن يعطى السائل أن سأل، لأنه إنما[٥] يعجبه الإعطاء لا السؤال[٦]، فلما قدموا السؤال على العطية أصحبوه أن المفتوحة لينكشف المعنى، فعنده (أن) في قوله: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ للجزاء، إلا أنه قدم وفتح، وأصله التأخير. وأنكر البصريون هذا القول[٧].

قال أبو إسحاق: لست أعرف لم صار الجزاء إذا تقدم وهو في مكانه وغير مكانه وجب أن تفتح أن[٨].

---

(١) في «معاني القرآن»: (أعددت هذا الجذع)، وفي «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٣: أعددته.

(٢) في (ش) (فأدغمه).

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٣، وعنه نقل الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٦٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٤، «التبيان» ص١٦٨.

(٤) في (م) (قدم).

(٥) في (ش) (إنه).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٠٤.

(٧) ينظر في رد هذا القول: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٥، «التبيان» ص١٦٨.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٤.

وقال أبو علي: ما ذكره الفراء دعوى لا دلالة عليها، والقياس يفسدها[١]، ألا ترى أنا نجد الحرف العامل إذا تغيرت حركته لم يوجب ذلك تغيرًا في عمله ولا معناه، وذلك ما رواه أبو الحسن فتح اللام الجارة مع المظهر، عن يونس وأبي عبيدة وخلف الأحمر، فقال: لَزَيْدٍ، فكما أن هذا اللام لما فتحت لم يتغير من عملها ومعناها شيءٌ عما كان عليه من الكسر، كذلك (إن) الجزاء لو فُتِحَتْ لم يجب على قياس اللام أن يتغيَّرَ له معنى ولا عمل، ومما[٢] يبعد ذلك: أن الحروف العاملة إذا تقدمت كانت مثلها إذا تأخرت، لا تتغير بالتقدم عما[٣] كانت عليه في التأخير، ألا ترى أن من قال: بزيدٍ مررتُ، وإلى عمروٍ ذهبتُ، فقدم الحرف كان تقديمُه مثلَ تأخيرِه لا يُغَيِّرُ التقديم شيئًا كان عليه في التأخير[٤].

وقال صاحب النظم في هذه الآية: التقدير: مخافة أن تضل وخوفًا لكم، أن تضل أن تنسى، لما فيهن من النقص عن ذكر الرجال وحفظهم، كما قال عمرو بن كلثوم:

فَعجَّلْنَا القِرَى أن تَشْتِمُونَا[٥]

قيل فيه: مخافة أن[٦] يشتمونا، وهذا لا بأس به لو لم يكن بعد قوله:

---

(١) في (ي): (يفيدها).

(٢) في (ي): (ما).

(٣) في (أ) و(ش): (كما).

(٤) من «الحجة» ٢/ ٤٣٣ بتصرف.

(٥) شطره الأول:

نزلتم منزل الأضياف منا

والبيت من معلقته، ينظر: «شرح القصائد العشر» للتبريزي ص ٣٦١، «جمهرة أشعار العرب» ١/ ٤١٢، «منتهى الطلب» ١/ ١١٦، «شرح شواهد المغني» ص ٤٤.

(٦) في (أ) و(م) (لا يشتمونا).

﴿أَن تَضِلَّ﴾ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾، ولما عطف قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ على ﴿أَن تَضِلَّ﴾ فسد هذا القول؛ لأن الخوف على الضلال يصح، والخوف على التذكير لا يصح؛ لأن إشهاد امرأتين للتذكير لا لخوف التذكير(١).

وقرأ حمزة (إن تَضَلَّ) بكسر الألف (فَتُذَكِّرُ) بالرفع(٢)، جعل(إن) للجزاء، و(تضل) في موضع جزم، وحركت بالفتح لالتقاء الساكنين، كقوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]. وبالفاء في قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ جواب الجزاء، وقياس قول سيبويه في قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: ٩٥] أن يكون بعد الفاء في ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ مبتدأ محذوف(٣)، ولو أظهرته لكان: فيما(٤) تُذَكِّرُ إحداهما الأخرى، والذكر(٥) العائد إلى المبتدأ المحذوف: الضميرُ في قوله: ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾.

وموضع الشرط وجوابه رفع بكونهما وصفًا للمنكرين(٦)، وهما المرأتان في قوله: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، لأن الشرط والجزاء جملة يوصف

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ١/٣٤٦، وقال في «التبيان» ص١٦٨: ولا يجوز أن يكون التقدير: مخافة أن تضل؛ لأنه عطف عليه ﴿فَتُذَكِّرَ﴾، فيصير المعنى: مخافة أن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت، وهذا عكس المراد. وينظر «البحر المحيط» ٢/٣٤٩.

(٢) وقرأ الباقون (أن تضل إحداهما فتُذَكِّر) بفتح همزة (أن) ونصب الراء من (تذكر) غير أن ابن كثير وأبا عمرو خففا الكاف وشددها الباقون. ينظر «السبعة» ص١٩٤، «الحجة» ٢/٤١٨-٤١٩.

(٣) في (ي): (محذوف الضمير في).

(٤) في (ش): (فيهما). وفي (أ): (كأنها: فهما)، والمثبت من «الحجة».

(٥) في (ي) (والذكرى).

(٦) في (ش) (وضعا للمنكورين)، وفي (ي) (للمنكورين).

بها، كما يوصف[١] بها في نحو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١][٢].

وقوله تعالى ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف[٣][٤]، والذكر فعل يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا ضعفت منه العين أو نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعول آخر، مثل: فَرَّحْتُه وأَفْرَحْتُه، وغَرَّمْتُهُ وأَغْرَمْتُه، وكَرَّمْتُه وأَكْرَمْتُه. فمن قرأ بالتشديد كان ممن جعل التعدية بالتضعيف ومن حجته: قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، والتشديد أكثر استعمالاً من التخفيف، أنشد أبو علي:

على أنَّنِي بَعْدَ ما قَدْ مَضَى ... ثَلاثُون لِلهَجْرِ حَوْلًا كَمِيلا
يُذَكِّرُنِيكِ حَنِينُ العَجُولِ ... ونَوْحُ الحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلا[٥]

(١) في «الحجة»: (يوصل).
(٢) من «الحجة» ٢/ ٤٢٦-٤٢٧ بتصرف وتقديم وتأخير.
(٣) في (ي) (بتشديد الكاف وتخفيف).
(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: «السبعة» ص١٩٤، «الحجة» ٢/ ٤١٩.
(٥) البيتان للعباس بن مرداس الصحابي في «ديوانه» ص ١٣٦، «الحجة»٢/ ٤٣١، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٣٠ مادة: (كمل). والحنين: ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها، والعَجُول من الإبل: الواله التي فقدت ولدها بذبح أو موت أو هبة، ونوح الحمامة: صوت تستقبل بها صاحبها، والهديل: قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب» ص٢١٠: العرب تجعله مرةً فَرْخًا تزعم الأعراب أنه كان على عهد نوح لله، فصاده جارح من جوارح الطير، قالوا: فليس من حمامة إلا وتبكي عليه. ومرة يجعلونها الطائر نفسه، ومرة يجعلونه الصوت. ينظر «الخزانة» ١/ ٥٧٣ وشرح أبيات المغني ٧/ ٢٠٣، وتحقيق «الحجة» ٢/ ٤٣١.

ومن قرأ بالتخفيف جعل التعدية إلى المفعول الثاني بالنقل بالهمزة، والمفعول الثاني محذوف، المعنى: فتذكّر إحداهما الأخرى الشهادة التي احتملتاها(١).

وعامة المفسرين على أن هذا التذكير والإذكار من النسيان، إلا ما يروى عن سفيان بن عيينة أنه قال في قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: تجعلها ذَكَرًا(٢)، يعني: أنها إذا شهدت مع أخرى صارت شهادتهما كشهادة ذكر، وقد روي هذا أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء(٣)، أخبرناه أبو الحسن بن أبي عبد الله الفسوي، وأحمد بن محمد الفقيه، وأبو محمد الكراني(٤)، حدثنا عبد الله بن شبيب(٥)، حدثنا المنقري، حدثنا الأصمعي، قال: قال أبو عمرو بن العلا: من قرأ: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ بالتشديد فهو من طريق التذكير بعد النسيان، تقول لها: هل تذكرين يوم شهدنا في موضع كذا وبحضرتنا فلان أو فلانة، حتى تذكر الشهادة، ومن قرأ: (فتذكر) بالتخفيف، قال: إذا شهدت المرأة ثم جاءت الأخرى فشهدت معها أذكرتها، لأنهما تقومان مقام رجل، ونحو هذا روى

(١) من «الحجة» ٢/ ٤٣١-٤٣٢ بتصرف وتقديم وتأخير، وينظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص١٥١، «علل القراءات» للأزهري ١/ ١٠٠.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٥، وذكره النحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣١٨، وابن زنجلة في «حجة القراءات» ص١٥١، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٠٦، والبغوي ١/ ٣٥١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٣٨.

(٣) ذكره في «زاد المسير» ١/ ٣٣٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٥١١- ٥١٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٩.

(٤) في (أ) و(م) (المكداني).

(٥) عبد الله بن شبيب أبو سعيد الربعي، إخباري علامة، لكنه واهٍ ذاهب الحديث، كان يقلب الأخبار ويسرقها. ينظر: «ميزان الاعتدال» ٣/ ١٥٢، «تاريخ بغداد» ٩/ ٤٧٤.

أبو عمر عن ثعلب سواء.

وأنكر المفسرون هذا التفسير، وضعّفوه، من حيث إن النساءَ لو بلغن ما بلغن ولم يكن معهن رجل لم تجز شهادتهن حتى يكون معهنَّ رَجُل، فإذا كان الأمر على هذا لم تُذْكِرْها، والحاجة في نفاذ الشهادة إلى الرجل قائمة، ومما يبعد هذا التفسير: أن الضلال في قوله: ﴿تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ فسر بالنسيان، والذي[1] ينبغي أن يعادله ما هو مقابل للنسيان من التذكير، وأيضًا فإن المرأة إذا انضمَّت إلى المرأة لو صيرتها ذكرًا لكانت شهادة المرأتين بمنزلة شهادة رجل في جميع الأحكام[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن هذا في تحمل الشهادة، وكل من[3] دعي لتحمل شهادة وجب عليه ترك الإباء، في قول قتادة[4] والربيع[5].

قال الشعبي: هذا إذا لم يوجد غيره فيتعين عليه الإجابة، فإن وجد غيره ممن يتحمل فهو مخير[6].

---

(١) في (ي) (فالذي).

(٢) ينظر في الرد: «الحجة» ٢/ ٤٣٣، وعنه نقل المؤلف أكثر الكلام، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٠٦، «المحرر الوجيز» ١/ ٥١١- ٥١٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٩، وعده الزمخشري في «الكشاف» من بدع التفاسير، وقال ابن عطية: وهذا تأويل بعيد غير فصيح، ولا يحسن في مقابلة الضلال إلا الذكر، وذكر أبو حيان في «البحر» أن هذا التأويل ينبو عنه اللفظ من جهة اللغة ومن جهة المعنى، ثم فصل ذلك.

(٣) في (ش) و(كلما).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٣.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٧، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٣.

(٦) نفسه.

القول الثاني: أن هذا في إقامة الشهادة وأدائها، قال ابن عباس، في رواية عطاء: يريد: إذا استودعته الشهادة ثم احتجت إلى شهادة فلا ينبغي له أن يتخلف عنك حتى يأتي معك إلى الحاكم فيؤديها[(١)].

وهو قول مجاهد[(٢)] وعكرمة[(٣)] والسدي[(٤)] وسعيد بن جبير[(٥)].

القول الثالث: أن هذا في الأمرين جميعًا التحمل والأداء، إذا كان فارغًا، ولم يكن له عذر، وهذا قول الحسن[(٦)] واختيار أبي إسحاق. قال: والدليل على أن الشاهد ينبغي له إذا ما دعي ابتداءً أن يجيب قولهُ تعالى ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ أي: لا تملوا أن تكتبوا ما شهدتم عليه، فقد أمروا بهذا، فهذا يؤكد أن أمر الشهادة في الابتداء واجب، وأنه لا ينبغي أن تملوا[(٧)].

والسآمة: المَلاَلَةُ والضَّجَر، يقال: سَئِمْتُ الشيءَ أَسْأَمُهُ سَأَمًا وسَآمةً[(٨)].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٧، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٦٣، «الوسيط» ١/ ٤٠٥.

(٢) في «تفسيره» ١/ ١١٨، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٨.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٦٣، «الوسيط» ١/ ٤٠٥.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٨.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٢٨، «ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٦٣.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٠، وسعيد بن منصور في «مسنده» ٣/ ٩٩٦، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٧١، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٥٦٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٥.

(٨) ينظر في سئم: «المفردات» ص٢٢٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٠٩، «اللسان» =

يقول: لا يمنعكم[١] الضَّجَر والملالةُ أن تكتبوا ما شهدتم عليه من الحقِّ صَغُر أو كَبُر، قلَّ أو كَثُر، و(أن) مع الفعل مصدر في محل النصب بوقوع السآمة عليه[٢].

والهاء في ﴿تَكۡتُبُوهُ﴾ تعود على الحق، وكذلك الهاء في الأجل[٣].

هذا ما قيل في تفسير هذه الآية، وأظهر من هذا أن يُجْعَلَ قوله: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ خطابًا لأولياء الحق، يقول: لا تَمَلُّوا أن تكتبوا حقُوقَكُم التي دفعتموها إلى الناس دقّت أو جلّت، وتذكروا في الكتاب أَجَلَها ومَحَلَّها، ويؤكد هذا الوجه: أن الآية من ابتدائها خطاب لأرباب الأموال والديون.

والقيراط والحبة لا تدخل في الندب إلى الكتاب؛ لأن هذا مضمن بالعادة وليس في العادة أن يكتبُوا التَّافِه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: الكتاب ﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل[٤]، وذكرنا الكلام في قسط وأقسط عند قوله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ﴾ [النساء: ٣][٥] وإنما كانت الكتابة أعدل؛ لأن الله أمر به، واتباع

= ٣/ ١٩٠٧، قال في «اللسان»: سئم الشيء وسئم منه وسئمت منه أسأم سأما وسأمة وسآمة. وقال الراغب: السآمة: الملالة مما يكثر لبثه فعلًا كان أو انفعالًا.

(١) في (ش) (لا يمنعنكم).

(٢) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١٠.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١٠.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١١.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩، «التبيان» ص٢٣١، قال الراغب في «المفردات» ص٤٠٤: والقسط هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور، والإقساط أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف، ولذلك قيل: قسط الرجل إذا جار، وأقسط إذا عدل.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١١.

أمره أعدل من تركه[١].

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ لأن الكتاب يذكر الشهود، فتكون شهادتهم[٢] أقوم من أن لو شهدوا على ظن ومخيلة.

ومعنى ﴿وَأَقْوَمُ﴾ أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج، وذلك أن المنتصب القائم يكون ضد المنحني المعوج، ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي: أقرب إلى أن لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: إلا أن تقع[٤] تجارة حاضرة في هذه الأشياء التي اقْتُصَّت وأمر فيها بالتوثقة بالإشهاد والارتهان، فلا جناح في ترك ذلك فيه؛ لأن ما يخاف في النَّسَاء والتأجيل يؤمن في البيع يدًا بيدٍ[٥].

والكونُ هنا بمعنى: الوقوع والحدوث، كما بينا في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقال الفراء[٦]: وإن شئت جعلت ﴿تُدِيرُونَهَا﴾ في موضع نصب، فيكون لـ (كان) مرفوع ومنصوب[٧].

وعلى الوجه الأول تكون[٨] في موضع رفع كأنه قيل: إلا أن تقع

---

(١) في (أ) و(م): (الشهادة).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١١.

(٣) من قوله: (تديرونها)، ساقط من (ش).

(٤) ينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١١ - ١٨١٢.

(٥) قوله: (وقال الفراء)، سقطت من (ش).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٥.

(٧) من قوله: (في موضع نصب)، ساقط من (أ) و(م).

(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٣٢- ١٣٣، و«الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه

تجارةٌ حاضرةٌ دائرة بينكم[١].

وقرأ عاصم ﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب[٢]، قال أبو إسحاق: المعنى: إلا أن تكون المداينةُ تجارةً حاضرةً[٣].

قال أبو علي: لا يجوز أن يكون التداين اسم كان؛ لأن التداين معنى، والتجارة الحاضرة يراد بها العين، وحكم الاسم أن يكون الخبر في المعنى، والتداين حق في ذمة المستدين، للمدين المطالبة به، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون اسم كان؛ لاختلاف التداين والتجارة الحاضرة، ولا يجوز أيضًا[٤] أن يكون اسمها (الحق) الذي في قوله: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ للمعنى الذي ذكرنا في التداين؛ لأن ذلك الحق دين فإذا لم يجز هذا، لم يخل[٥] اسم كان من أحد شيئين:

أحدهما: أن هذه الأشياء التي اقْتُصَّتْ من الإشهاد والإرتهان قد عُلِمَ من فحواها التبايع، فأضمر لدلالة الحال عليه، كما أضمر لدلالة الحال في ما حكى سيبويه من قولهم: إذا كان غدًا فأتني، وينشد على هذا:

أَعَيْنَيّ هَلّا تَبْكِيَانِ عِفَاقا إذا كان طَعنًا بينهم وعِناقا[٦]

ص١٠٣، و«الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ٣٢١.

(١) قرأ عاصم وحده (تجارة) نصبًا، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: «السبعة» ص١٩٤، «الحجة» ٢/ ٤٣٦.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٦.

(٣) سقطت من (ش).

(٤) في (م) (يجز).

(٥) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٨٦ ولم ينسبه، وعفاق: اسم رجل، وقد يكون هذا عفاق بن مري الذي يقول فيه صاحب القاموس: أخذه الأحدب بن عمرو الباهلي في قحط وشواه وأكله، وقوله: إذا كان أي: إذا كان القتال والجلاد.

(٦) البيت لمقَّاس العائذي، في «الكتاب» ١/ ٤٧، «المقتضب» ٤/ ٩٦«الحجة»، ٢/

أي: إذا كان الأمر.

والثاني: أن يكون أضمر التجارة، كأنه قيل: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، ومثله: ما أنشده الفراء:

فِدًى لِبَنِي ذُهَلِ بنِ شَيْبَانَ نَاقتي إذا كان يومًا ذا كَوَاكِبَ أشْهَبَا[1]

أي: إذا كان اليوم يومًا[2].

فأما التِّجَارَةُ فهي: تقليبُ الأموال وتصريفُها لطلبِ النَّمَاء[3]، يقال: تَجَرَ الرجل يَتْجَر تِجَارَةً فهو تاجر[4]، قال الشاعر:

قد تَجَرَتْ في سُوقِنَا عَقْربٌ لا مرحبًا بالعَقْرَبِ التَّاجِرَة[5]

والتجارة، اسمُ حَدَثٍ، لأنه اسمٌ للتَّقْليب والتَّصرُّف، إلا أن المراد به في هذه الآية العين، ويكون المعنى: إلا أن تقع[6] ذو تجارة، أي: متاع تجارة، أو يراد بالتجارة المُتَّجَرُ فيه، فيكون كقولهم: هذا الدرهم ضرب

---

٤٣٩ مع اختلاف في الرواية. وأشهب يعني يوم الحرب، جعله كالليل تبدو فيه الكواكب، ووصفه بالشهبة، وهي البياض، إما لكثرة السلاح الصقيلية فيه، وإما لما ذكره من النجوم، وذهل بن شيبان من بكر بن وائل، وكان مقّاس نازلًا فيهم ينظر: «لسان العرب» ٧/ ٣٩٥٩- ٣٩٦٣ مادة: كون.

(١) من «الحجة» ٢/ ٤٤٠ بتصرف، والبيت الأول: أعيني هلا تبكيان، لم يذكره في «الحجة».

(٢) من «الحجة» ٢/ ٤٤١.

(٣) ينظر في تجر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢٩، «المفردات» ص٨٠، «اللسان» ١/ ٤٢٠، وضبط فيهما المضارع يتجر، بضم الجيم، قال في «المفردات»: وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذا اللفظ، فأما تجاه فأصله وجاه، تجوب: التاء للمضارعة.

(٤) البيت للفضل بن عباس في «لسان العرب» ٥/ ٣٠٣٩ (مادة: عقرب).

(٥) في (م) (يقع).

(٦) في (ش) (ويبين).

الأمير، وهذا الثوب نسج اليمن، أي: مضروبه ومنسوجه، وكذلك قوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ٩٤] أي: المصيد؛ لأن الأيدي والرماح إنما تنالان الأعيان، وبين[١] أن المراد بالمصدر الذي هو تجارة العروض وغيرها مما يتقابض وصفها بالحضور وبالإدارة بيننا. وهذا من أوصاف الأعيان[٢].

وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ قد ذكرنا ما في هذا في أول الآية[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ نهى الله -عز وجل- الكاتبَ والشاهدَ عن المضارَّة، وهو أن يزيد الكاتب أو ينقص أو يحرف، وأن يشهد الشاهد بما لم يستشهد عليه، أو يمتنع من إقامة الشهادة، وهذا قول طاوس[٤] والحسن[٥] وقتادة[٦] وابن زيد[٧]، وعلى هذا القول أصله: يُضَارِرَ، والكاتب والشاهد فاعلان، ثم أدغمت الراء في الراء لحقّ التضعيف، وهما ساكنان، الأولى سكنت للإدغام، والثانية للنهي، ثم حركت بالفتح[٨].

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٤٤٢، وذكر وجهًا ثالثًا وهو: أن يوصف بالمصدر فيراد به العين، كما يقال: عدل ورضا، يراد به: عادل ومرضي.

(٢) من قوله: (وقوله: وأشهدوا)، ساقط من (أ) و(م).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١١، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٤- ١٣٥.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٧.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٠، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٧.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٥، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٥.

(٧) ينظر «تفسير الطبري» ٣/ ١٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١٤.

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٦.

وقال ابن مسعود[١] وعطاء[٢] ومجاهد[٣]: معنى الآية: لا يُدْعَى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله إلا بضرر يدخل عليه، وكذلك لا يدعى الشاهد ومجيئه للشهادة يُضِرُّ به، وعلى هذا القول، أصله: يُضَارَرَ على الفعل المجهول فاعله.

والقول الأول اختيار الزجاج، قال: لقوله: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾ والفاسق أشبه بغير العدل، وبمن حَرَّف الكتابة منه بالذي دعا شاهدًا ليشهد وكاتبًا ليكتب وهو مشغول، وليس يسمى هذا فاسقًا، ولكن يسمَّى من كذب في الشهادة ومن حَرَّفَ في الكتاب فاسقًا[٤]. ومَنْ نَصَرَ القولَ الثاني قال في الفسوق ما قاله ابن عباس، قال: يريد: إثمٌ عليكم وعصيان[٥].

وإذا أَضَرَّ بالكاتِبِ والشاهِدِ فقد أثم وعصى بترك أمر الله، ومعنى الفسوق: هو الخروج، وهذا خارج[٦] عن أمر الله إذا ارتكب من الضرار ما نهي عنه، ويؤكد هذا الثاني: قراءة عمر[٧] وأبي[٨] وابن مسعود[٩]

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٦.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٦٨.

(٥) في (ي) (خروج).

(٦) عزاها إليه ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص٢١، والفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٥٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٦.

(٧) وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٦.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٦، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣٢٤، وابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص٢٤، والقرطبي ٣/ ٤٠٦.

(٩) عزاها إليه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٦، وأبو حيان في «البحر» ٢/ ٣٥٣،

ومجاهد[١] ﴿وَلَا يُضَارِر كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ بإظهار التضعيف على ما لم يسم فاعله[٢].

٢٨٣- قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ قال أهل اللغة: سمي السَّفَرُ سَفَرًا لأنه يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال[٣]، أي: يكشف، ونَضْدت هذه الحروف للظهور والكَشْف، فالسِّفْرُ: الكتاب، لأنه يبين الشيء ويوضِّحُه، ومنه يقال: أَسْفَرَ الصُّبْحُ، وسَفَرَتِ المرأةُ عن وجهها، وسَفَرْتُ بين القوم أَسْفِر سِفَارة، إذا كشفت ما في قلوبهم وأصلحت بينهم، وسَفَرْتُ أَسْفُر، أي: كَنَسْتُ، والمِسْفَر: المِكْنَسُ، والسفير من الورق، ما سَفَرَتْه الريح.

ابن الأعرابي: السَّفَر: إسْفَار الفَجْر[٤]، قال الأخطل:

إنّي أَبِيتُ وَهَمُّ المَرْءِ يَبْعَثُه   من أولِ الليلِ حتَّى يُفْرِجَ السَّفَرُ[٥]

والسمين في «الدر المصون» ٢/ ٦٧٦.

(١) ينظر في معنى الآية واختلاف المعنى باختلاف التصريف: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٥٣، وقد ذكر النحاس أن عمر يقرأ بكسر الراء الأولى، وابن مسعود يقرأ بفتح الراء الأولى، وقال السمين في «الدر المصون» ٢/ ٦٧٦: وذكر الداني أيضًا عنهم أنهم قرؤوا الراء الأولى بالفتح، قلت: ولا غروَ في هذا؛ إذ الآية محتملة للوجهين، فسروا وقرؤوا بهذا المعنى تارة وبالآخر أخرى، وقد ذكر النحاس أن القراءتين على التفسير ولا يجوز أن تخالف التلاوة التي في المصحف.

(٢) قوله: (عن أخلاق الرجال) من (ش).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٢.

(٤) البيت في «ديوانه» ص٧٧، وروايته: بعهده. وهو في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٢، وروايته: وهم المرء يصحبه، وفي نسخة: يبعثه، وهي كذلك في «اللسان» ٤/ ٢٠٢٥.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٠٧٢ بتصرف، والشعرى: نجم معروف، والمراد طلوعها

يقول: أبيت أسري إلى الفجر المضيء.

وقال الأزهري: وسمي المسافر مسافرًا لكشفه قناع الكِنِّ عن وجهه، وبروزه للأرض الفضاء، وسُمِّي السَّفَرُ سَفَرًا لأنه يُسْفِر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافيًا منها، ويقال لبقية بياض النهار بعد مغيب الشمس: سفر؛ لوضوحه، ومنه قولُ الساجع: إذا طلعتِ الشِّعْرى سَفَرًا ولم تر فيها مطرًا[1].

والسافرة والسَّفْر: جمع سافر[2]، ورجل مِسْفَر: قَوِيٌّ على السَّفَر[3].

وقوله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌ﴾ الرَّهْنُ: مَصْدرُ رَهَنْتُ عند الرجل رهنًا فأنا أَرْهَنْهُ: إذا وضعته عنده.

قال الشاعر:

يُرَاهِنُنُي فَيَرْهَنُنِي بنيه وأَرْهَنُهُ بَنِيَّ بِمَا أَقُولُ[4]

وأَرْهَنْتُ فلانًا ثوبًا: إذا دفعته إليه ليرهنه[5]، وأَرْهَنْتُ بمعنى رهنت، لغة عند الفراء، واحتج ببيت ابن همام السلولي:

عشاء.

(١) في (م): (مسافر). وفي «اللسان» ٤/ ٢٠٢٥: والمسافر كالسافر.

(٢) تقدم كلام المؤلف عن السفر في اللغة عند قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾، وينظر في سفر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٢- ١٧٠٢، «اللسان» ٤/ ٢٠٢٤- ٢٠٢٧.

(٣) البيت لأحيحة بن الجلاح، شاعر جاهلي، وذكر الأبيات الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٦٨ دون نسبة، «الخزانة» ٢/ ٢٣ «مجمع الأمثال» للميداني، «اللسان» ٣/ ١٧٥٧ مادة: (رهن)، وينظر التعليق على«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٧.

(٤) ورهن أكثر استعمالًا من أرهن. ينظر «الحجة» ٢/ ٤٤٦.

(٥) البيت في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٧، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٩١ مادة: (رهن)، «لسان العرب» ٣/ ١٧٥٧ مادة: رهن، ونسب لهمام بن مرة في «تاج

فَلَمَّا خَشِيتُ أظَافِيرَهُ   نَجَوتُ وأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكًا[1]

وأنكره[2] الأصمعي، وقال: الرواية: وأرهنهم مالكًا، والواو: واو الحال، كما تقول: قمت وأصكُّ وجْهَه[3].

ويسمى المرهون رهنًا، وقد[4] ذكرنا أن المصادر قد تنقل إلى الأسماء فيسمى بها، ويزول عنها عمل الفعل، فإذا قال: رهنت عند زيد رهنًا، لم يكن[5] انتصابه انتصاب المصدر، ولكن انتصاب المفعول به[6]، كما تقول: رَهَنْتُ زيدًا ثوبًا، ولما نقل فسمي به جَمْعٌ كما تُجْمَعُ الأسماء، ولم يسمع فيه أقل الجمع وهو أَفْعُل، نحو: أَكْلُبٍ وأَفْلُسٍ، كأنه استغنى بالكثير عن القليل، كما قيل: ثلاثة شُسُوع، ولم يقولوا: أَشْسُع، وعلى القلب من هذا استغنوا بالقليل عن الكثير في جمع الرَّسَن، فقالوا: أَرْسَان، فرهن جمع على بناءين من أبنيه الجموع وهو فُعُل وفِعَال[7]، وكلاهما من أبنية الكثير، فمما جاء على فُعُل: قول الأعشى:

العروس» (مادة: رهن). ورواية «اللسان»: أظافيرهم، وهي المشهورة، ورواية معاهد التنصيص ١/ ٩٦ (وأرهنهم) والشاعر قال ذلك لما توعده عبيد الله بن زياد ففر إلى الشام مستنجدًا بيزيد، ومالك عريفه، تركه لجنود عبيد الله ونجا بنفسه.

(١) في (ش): (فأنكره).

(٢) نقله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٩١ مادة: (رهن).

(٣) سقطت من (ي).

(٤) في (أ) و(م): (رهنت زيدًا رهنًا ليس انتصابه).

(٥) قال أبو علي في «الحجة» ٢/ ٤٤٦: لم يعملوا من المصادر ما كثر استعمالهم له، كما ذهب إليه في قولهم: لله درك، وتمثيله إياه بقولهم: لله بِلادك.

(٦) في (ش): (فعلل).

(٧) البيت في «ديوانه» ص ٥٦، و«لسان العرب» ٣/ ١٧٥٧ (مادة: رهن).

(٨) في بعض نسخ الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨١٩: حلْق وحُلُق، بالحاء، ولعله

آليتُ لا أُعْطِيهِ من أبنائنا

رُهُنًا فيُفْسِدُهُم كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا[١]

فرُهُن: جمع رَهْنٍ، ثم تخفف العين كما تخفف في رُسْل وكُتْب، ونحو ذلك، ومثل رَهْن ورُهُن: سَقْف وسُقُف، ونَسْرٌ ونُسُر، وخَلْق وخُلُق[٢][٣]، قال الزجاج: وفَعْلٌ وفُعُل قليلٌ إلا أنه صحيح[٤]، وأنشد أبو عمرو حجة لقراءته قول قعنب[٥]:

بانَتْ سُعَادُ وأمْسَى دُونَها عَدَنُ وغَلِقَتْ عندَها من قَلْبِكَ الرُّهنُ[٦]

وحكى أبو الحسن الأخفش: لَحْدُ القبر ولُحْد، وقَلْبُ النخلة وقُلْبُ[٧]، ورجل ثَطٌّ وقوم ثُطٌّ[٨]، وفرس وَرْدٌ وخيلٌ وُرْد[٩]، وسهم حَشْرٌ

الصواب؛ لأنه استشهد عليه ببيت أنشده الفراء في «معاني القرآن» ٣/ ٣٢:

حتى إذا بلَّت حلاقيم الحلُق أهوى لأدنى فِقرة على شقق

(١) ما تقدم كله من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٤٤٦-٤٤٨ بمعناه.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٧.

(٣) هو: قعنب بن ضمرة من بني عبد الله بن غطفان من شعراء العصر الأموي، يقال له: ابن أم صاحب، هجا الوليد بن عبد الله، توفي نحو ٩٥هـ. ينظر: «سمط اللآلئ» ص ٣٦٢، «الأعلام» ٥/ ٢٠٢.

(٤) البيت في «لسان العرب» ٦/ ٣٧١٤ (مادة: رهن).

(٥) قلب النخلة: لبها وشحمها. ينظر: «اللسان» ٦/ ٣٧١٤ (قلب).

(٦) يقال رجل ثط: ثقيل البطن بطيء، وقيل: هو قليل شعر اللحية. ينظر «لسان العرب» ١/ ٤٨١(ثطط).

(٧) الورد: هو النبات الذي يشم وله رائحة معروفة، وسمي الفرس به لمشابهة اللون، وهو بين الكميت والأشقر. ينظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٨١٠ (ورد).

(٨) نقله عنه أبو علي في «الحجة» ٢/ ٤٤٨.

(٩) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٨ بمعناه، ونقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٩٢

وسهام خُشْرُ[١].

وقال الفراء: الرُّهُن: جمع رِهَان، جَمْع الجمع، كأنه جمع رهن رِهانًا، ثم جمع الرِّهَان رُهُنًا، كما قالوا: ثُمُر في جمع الثمار[٢]، وفِعَال قد تكسر في الجمع، كجِمَال جمع على جَمَائل[٣].

قال أبو عمرو: وإنما قرأت: (فَرُهُنٌ) للفَصْل بين الرِّهَان في الخيل وبين جمع رَهْن في غيرها، والرُّهُن في جمع الرَّهْن أكثر، والرِّهَانُ في الخَيْلِ أكثر[٤][٥]، واختار الزجاج هذه القراءة، قال: لأنها موافقة للمصحف، وما وافق المصحف وصح معناه وَقَرَأَتْ به القُرَّاءُ، فهو المختار[٦]. وأما قراءةُ العَامّة ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾[٧] فإنها القياس في جمع رَهْن، مثل: نَعْل ونِعَال، وكَبْش وكِباش، وكَعْب وكِعاب. وذهب ناس إلى أن الرِّهان يجوز أن تكون جمع الرُّهُن؛ لأنهم قد جمعوا[٨] فُعُلًا على فِعَال، وسيبويه لا يرى جمع الجمع مطَّرِدًا[٩]، فينبغي أن لا يقدم عليه حتى

(مادة: رهن).

(١) ينظر «الحجة» ٢/ ٤٤٩.

(٢) قوله: (والرهان في الخيل أكثر)، ساقط من (ي).

(٣) نقله عنه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٧.

(٥) قرأ أبو عمرو وابن كثير (فرُهُن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وقرأ الباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها. ينظر: «السبعة» ص١٩٤-١٩٥، «الحجة» ٢/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٦) سقطت من (ي).

(٧) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٦١٩، قال: اعلم أنه ليس كل جمع يجمع، كما أنه ليس كل مصدر يجمع، كالأشغال والعقول والحلوم والألباب.

(٨) من «الحجة» ٢/ ٤٤٨-٤٤٩ بمعناه.

(٩) البيت للأعشى يصف قومًا يشربون خمرًا لا تنقطع، كما في «اللسان» ٣/ ١٧٥٨

يُعْلَم، فإذا كان رهن قد صار مثل: كَلْبٍ وكَعْبٍ قلنا: إن (رهان) مثل: كِعَاب وكِلاب، ولم يجعله جمع الجمع[1].

فأما اشتقاق الرهن في اللغة، فأصله: من قولهم: رَهَنَ الشيءُ: إذا دامَ وثَبَتَ، يقال: نِعْمةٌ راهِنَة، أي: دائمة ثابتة، أنشد ابن السكيت:

لا يَسْتَفِيقُونَ منها وَهْي رَاهِنَةٌ إلّا بهَاتِ وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهِلُوا[2]

وقال آخر:

واللَّحْمُ والخُبْزُ لَهُم رَاهِنٌ[3]

ويقال: أَرْهَنْتُ لهم الطعامَ والشرابَ إرهانًا فَرَهَن، وهو طعام راهِنٌ، أي: دائم[4]، فَسُمِّيَ الرَّهْنُ رَهْنًا لثباته[5] ودوامه عند المرتهن، ومن ثَمَّ يبطلُ الرهنُ إذا خرج من يدِ المُرْتَهِن بحقٍّ؛ لزوالِ[6] إدامة الإمساك[7].

وأما معنى الآية: فإن الله تعالى أمر عند عدم الكاتب بأخذ الرهون[8]؛ لتكون وثيقة بالأموال[9]. واتفق الفقهاء اليوم على أن الرهن في

(مادة: رهن).

(١) عجز البيت:

وقهوة راووقها ساكب

ذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ٤٤٦، وفي «اللسان» ١٣/ ١٩٠، دون نسبة، وفي «شرح ديوان العجاج» ١/ ٩٣.

(٢) ينظر في رهن: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٩١- ١٤٩٢، «المفردات» ص٢١٠، «اللسان» ٣/ ١٧٥٧- ١٧٥٨.

(٣) في (ي): (لشدته لثباته).

(٤) في (م): (الزوال)، وفي (ش)، و(ي): (المرتهن لزاول).

(٥) من «الحجة» ٢/ ٤٤٦.

(٦) في (م): (الرهن).

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢٢.

(٨) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٢٦١، «بداية المجتهد» ٢/ ٢٧٤، «تفسير

الحضر والسفر سواء، وفي حال وجود الكاتب وعدمه[١]. وكان مجاهد يذهب إلى أن الرهن لا يجوز إلا في السفر أخذًا بظاهر الآية، ولا يُعمل بقوله اليوم[٢]، وإنما تقيدت الآية بذكر السفر؛ لأن الغالب في ذلك الوقت أنهم إنما[٣] كانوا يحتاجون إلى الرهن في السفر وعند عدم الكاتب، فخرج الكلام على ظاهره كقوله ﷻ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] وليس الخوف من شرط جواز القصر[٤].

ثم عقد الرهن ينعقد بالإيجاب والقبول، ولاينبرم إلا بالقبض[٥]. فإن ندم الراهن كان له فسخ العقد قبل الإقباض، ثم يكون للبائع فسخ البيع المعقود بشرط هذا الرهن الذي صار مفسوخًا، وأما المرتهن فهو بالخيار أبدًا في فسخ الرهن ورده[٦].

وعقد الرهن جائز من جهة المرتهن، لازم[٧] من جهة الراهن.

ومنافع الرهن للراهن، لا حق للمرتهن فيها، فإن اشترطها المرتهن

القرطبي» ٣/ ٤٠٧، «المغني» ٦/ ٤٤٤.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٩، وينظر «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٢.

(٢) سقطت من (ي) و(ش).

(٣) ينظر: «المغني» ٦/ ٤٤٤، «تفسير القرطبي» ٣/ ٤٠٧.

(٤) ينظر: الإجماع لابن المنذر ص١٢٣، ونقل الإجماع على ذلك: الثعلبي في «تفسيره» أيضا ٢/ ١٨٢٢، وذكر الخلاف ابن قدامة في «المغني» ٦/ ٤٤٥، والقرطبي في «تفسيره» ٣/ ٤١٠.

(٥) ينظر في المسألة: «المغني» ٦/ ٤٤٨-٤٤٩.

(٦) في (ي): (لا من).

(٧) ينظر: «المغني» ٦/ ٥١٠، «تفسير القرطبي» ٣/ ٤١١-٤١٣، وذكر ابن قدامة عن

صارت مداينتهما ومبايعتهما عقدًا من عقود الربا[١].

وارتفع قوله: (فرهان)[٢] على معنى فالوثيقة رهن، أو فعليه رهن، ويجوز أن يكون (فرهان) مبتدأ[٣] وخبره محذوف، على تقدير: فرهان[٤] مقبوضة بدل من الشاهدين، أو تقوم مقامهما، أو ما أشبه هذا، ولكنه حذف للعلم[٥].

وقوله تعالى ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ قال اللحياني: أَمِنَ فلانٌ غيره على الشيء يَأْمَنُ أَمْنًا وأَمَنَةً وأَمْنَة[٦] وأَمَانًا فهو آمِن[٧]، والرجل مأمون، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[٨] [الأنفال: ١١] ويقال:

أحمد جواز اشتراط المرتهن منافع الرهن في المبيع كأن يقول: بعتك هذا الثوب بدينار بشرط أن ترهنني عبدك يخدمني شهرا، فيكون بيعا وإجارة، فهو صحيح، وإن أطلق فالشرط باطل لجهالة ثمنه، وقال مالك: لا بأس أن يشترط في البيع منفعة الرهن إلى أجل في الدُّور والأرضين، وكرهه في الحيوان والثياب، وكرهه في القرض. وذكر القرطبي في «تفسيره» ٣/ ٤١٣ عن ابن خويز منداد: لو شرط المرتهن الانتفاع بالرهن فلذلك حالتان: إن كان من قرض لم يجز، وإن كان من بيع أو إجارة جاز؛ لأنه يصير بائعا للسلعة بالثمن المذكور، ومنافع الرهن مدة معلومة فكأنه بيع وإجارة.

(١) في (ي) و(ش): (فرهن).

(٢) في (أ) و(م): (أن يكون ابتداء).

(٣) في (ي) و(ش): (فرهن).

(٤) ينظر في إعراب الآية: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٦، «التبيان» ص١٧٠، «البحر المحيط» ٢/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٥) سقطت من (ش).

(٦) نقله في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥١٠.

(٧) في (ش) (يغشاكم).

(٨) من قوله: (أي لم يخف)، ساقط من (ي).

أَمِنْتُ الرجل، إذا لم تخفه، آمنُهُ، قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٦٤]. ومن هذا: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: لم يخف خيانته وجحوده الحق[١].

وقوله تعالى ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ اؤتمن: افتعل، من الأمانة، يقال: أَمِنْتُه وايتَمَنْتُهُ، فهو مَأْمونٌ ومُؤْتَمَن[٢].

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ قال ابن عباس: يريد قد أَثِمَ قَلْبُه وفَجَر[٣].

وهو ابتداء وخبر[٤][٥].

قال المفسرون: ذكر الله تعالى على كتمان الشهادة نوعًا من الوعيد لم يذكره في سائر الكبائر، وهو إثم القلب، ويقال: إِثْمُ القلبِ سببُ مَسْخِه، والله تعالى إذا مسخ قلبًا جعله منافقًا، وطبع عليه- نعوذ بالله من ذلك- وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كتم شهادة إذا دعي كان كمن**

(١) ينظر في أمن: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٩- ٢١٢، «المفردات» ص٣٥، «اللسان» ١/ ١٤٠- ١٤٤.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤١- ١٤٢ بمعناه، وفي «الوسيط» ١/ ٤٠٧.

(٣) في (ي): (خبر).

(٤) ينظر في إعرابها: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٦، «التبيان» ص١٧١، «البحر المحيط» ٢/ ٣٥٧، وقد ذكروا عدة إعرابات: الأول: أن (آثم) خبر إن، و(قلبه) مرفوع به؛ لأن (آثم) اسم فاعل، والثاني: كذلك، إلا أن (قلبه) بدل من (آثم) لا على نية طرح الأول. والثالث: أن (قلبه) بدل من الضمير في (آثم). والرابع: أن (قلبه) مبتدأ، و(آثم) خبر مقدم، والجملة خبر (إن) وقد ناقش أكثر هذه الأقوال أبو حيان في البحر.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» ٥/ ٩٧، والشجري في «الأمالي الخميسية»

شهد بالزور»(١).

٢٨٤- قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو مالكُ أعيانه، يملك تصريفه وتدبيره ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ الآية.

اختلف الروايات عن ابن عباس في معنى هذه الآية، فقال في رواية مقسم ومجاهد(٢): نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها، يعني: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الشهود من كتمان الشهادة، وتخفوا الكتمان يحاسبكم به

٢/ ٢٣٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٢٣، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٠٣ إلى «المعجم الكبير» قال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/ ٢٢٢: حديث غريب، وقال الهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٠٣: وفيه عبد الله بن صالح وثقة عبد الملك بن شعيب، فقال: ثقة مأمون، وضعفه جماعة. وقال الدكتور المنيع في تحقيق «تفسير الثعلبي في «تفسيره»» ٢/ ١٨٢٥: في إسناده من لم أظفر له بترجمة، ومحمد بن حميد لم أجد فيه جرحًا ولا تعديلًا وعبد الله بن صالح كثير الغلط، وقد تفرد به واضطرب في إسناده.

(١) أما رواية مجاهد فأخرجها سعيد بن منصور في «تفسيره» ٣/ ١٠٠٤، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٢. وأما رواية مقسم فأخرجها أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٧٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٣، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٤/ ٣١٥، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٨٠.
وقد بين الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» ٤/ ٣١٦ أن هذا التأويل غير صحيح؛ لأن كتمان الشهادة مما لا يغفر؛ لأنه حق من المشهود، وفي الآية ما قد منع من ذلك، وكذلك اعترض الشوكاني عليه في «فتح القدير» ١/ ٤٦٣ قائلا: فإنها لو كانت كذلك لم يشتد الأمر على الصحابة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٣، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٢،

الله، وهذا قول الشعبي(١) وعكرمة(٢).

وقال في رواية سعيد بن جبير(٣) وعطاء(٤): هذه الآية منسوخة، وذلك أنه لما نزلت جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف(٥) ومعاذ بن جبل وناس إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله، هلكنا وكلفنا من العمل ما لا نطيق، إن أحدنا ليحدِّث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه، وأن له الدنيا، فقال النبي ﷺ: «**فلعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا، فقولوا: سمعنا وأطعنا**»، فقالوا: سمعنا وأطعنا، واشتدَّ ذلك عليهم، فمكثوا بذلك حولًا، فأنزل الله ﷻ الفَرَجَ والرحمة، بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فنسخت هذه الآية ما قبلها(٦).

والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٢٦.

(١) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٧٤، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٢.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ١١/ ٣٦٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٢٩٦، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٥، وذكرها ابن أبي حاتم ٢/ ٥٧٤.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٢٩.

(٤) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن زهرة القرشي الزهري، من كبار الصحابة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، كان من الأجواد الشجعان العقلاء، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، كان من أثرياء الصحابة أنفق كثيرًا في سبيل الله، توفي سنة ٣٢هـ. ينظر «أسد الغابة» ٣/ ٤٨٠، «الأعلام» ٣/ ٣٢١.

(٥) تابع المصنف ـ رحمه الله ـ شيخه الثعلبي في «تفسيره» في ذكر هذه القصة بهذا السياق [«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢٧] وهي ملفقة من عدة أحاديث وآثار منها الصحيح البالغ في الصحة، ومنها ما هو دون ذلك، ومنها الضعيف، ولذا أورد الحافظ في «العجاب» ١/ ٦٥٤ هذه الرواية عن الثعلبي في «تفسيره» بتمامها وعقب قائلًا: وهذا من عيوب كتابه، ومن تبعه عليه، يجمعون الأقوال عن الثقات وغيرهم،= = ويسوقون القصة مساقًا واحدًا على لفظ من يُرْمَى بالكذب أو الضعف الشديد، ويكون

فقال النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا**[١] **أو يتكلموا به**»[٢]، وهذا قول ابن مسعود[٣] وأبي هريرة[٤] والقرظي[٥] وابن سيرين[٦] والكلبي[٧] وقتادة[٨].

أصل القصة صحيحًا، والنكارة في ألفاظٍ زائدة، كما في هذه القصة من تسمية الذين ذكروا. اهـ. فمن الأحاديث هنا: حديث أبي هريرة، رواه مسلم في الإيمان، باب: بيان أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق ١/ ١١٥ برقم (١٢٥) وغيره. ومنها حديث ابن عمر، رواه البخاري في التفسير، باب: سورة البقرة ٥/ ١٩٥ برقم (٦٥٤٦) وغيره. ومنها أثر ابن عباس في تسمية الصحابة المذكورين في القصة، رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٧٥، والطبراني في «مسند الشاميين» ٣/ ٣٢٦. ينظر: تحقيق «تفسير الثعلبي» للمنيع ٢/ ١٨٢٨.

(١) في (ش) و(ي): (يعملوا).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦٩) كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره، ومسلم (١٢٧) كتاب: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس. وليس في روايتهما ما يدل على أن القصة المذكورة هي سبب ورود الحديث.

(٣) رواه سعيد بن منصور ٣/ ١٠١٨، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص ٢٧٥، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٦، والطبراني في «الكبير» ٩/ ٢١١.

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣٢٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٢٩.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٤.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٣٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٤٢.

(٧) ذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٣٩، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٣٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٥.

(٨) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١١، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٤.

(٩) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٧- ١٤٨ بمعناه، و ذكره الثعلبي في «تفسيره»

وقال في رواية الضحاك[(١)] ما يدل على أن الآية محكمة غير منسوخة، وهو أنه قد ثبت أن للقلب كسبًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ [البقرة: ٢٢٥] والعبد[(٢)] يجازى على عمل القلب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩] وكل عامل مأخوذ بكسبه ومجازى على عمله، فمن أبدى ما في نفسه أو أخفاه مما عزم عليه وعقد عليه في قلبه يحاسبه الله به، فأما ما حَدَّث به نفسه مما لم يعزم عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولا يؤاخذ به[(٣)]، وهذا معنى قول الحسن[(٤)] والربيع[(٥)].

وقال في رواية علي بن أبي طلحة[(٦)] وعطية[(٧)]: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: هذا يوم تبلى السرائر، وتخرج الضمائر، وإن كُتَّابي لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها، وأنا المطلع على سرائركم مما لم[(٨)] تعملوه ولم تكتبوه، فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه، لتعلموا أنه لا يعزب عن علمي

٢/ ١٨٣٣.

(١) في (ي): (والعمل).

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٣٢-١٨٣٣، وبين أن مما يدل على هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٨، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٤.

(٤) انظر المرجعين السابقين.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٢.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٣.

(٧) في (ش): (لا).

(٨) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٤٣-١٨٤٣، وذكر حديثين يتأيد بهما هذا القول: الأول:

مثقال ذرة، ثم أغفر لمن شئت، وأعذب من شئت، فأما المؤمنون فيخبرهم بذلك كله، ويغفر لهم، ولا يؤاخذهم إظهارًا لفضله، وأما الكافرون فيخبرهم بها، ويعاقبهم عليها، إظهارًا لعدله.

فمعنى الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فتعملوا به ﴿تُخْفُوهُ﴾ مما أضمرتم ونويتم ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ﴾ ويخبركم به، ويعرفكم إياه، فيغفر للمؤمنين، ويعذب الكافرين. يدل على هذا قوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ﴾ ولم يقل: يؤاخذكم، والمحاسبة غير المعاقبة، فالحِسَابُ ثابتٌ والعِقَابُ ساقط(١).

وروى الضحاك عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما حدَّث العبد به نفسه(٢) من شرٍّ كانت محاسبةُ الله له عليه بِغَمٍّ يبتليه به في الدنيا أو حُزْنٍ

حديث النجوى عن ابن عمر مرفوعا: «يدنو العبد من ربه حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف، فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا، فيقول الله ﷻ: أنا الذي سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، لا نطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا»، وأما الكفار والمنافقون فينادون على رؤوس الأشهاد ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] رواه البخاري في المظالم، باب: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣/ ١٣٤ برقم (٢٤٤١)، ومسلم في التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ٤/ ٢١٢٠ برقم (٢٧٦٨). والثاني: حديث أبي ذر مرفوعا: «يؤتى برجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه فتعرض عليه، فيقال له: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، وهو يقر ولا ينكر، وتخبأ عنه كبار ذنوبه وهو منها مشفق، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوبا ما أراها هاهنا، قال: فلقد رأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه». رواه مسلم (١٩٠) كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(١) في (ي): (من نفسه).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عنها ٦/ ١١٦-١١٧.

أو أذى، فإذا جاءت الآخرة لم يسأل عنه ولم يعاقب عليه[١]. وروت هذا المعنى عن النبي ﷺ أنها سألته عن هذه الآية فأجابها بما هذا معناه[٢].

والمحققون يختارون أن تكون الآية محكمة غير منسوخة، لأن النسخ إنما يكون في الأمر والنهي، والأخذ بقول عائشة، وبقولِ من لم يحكم على الآية بنسخ أولى[٣].

---

(١) حديث عائشة رواه الترمذي (٢٩٩١) كتاب: التفسير، باب: سورة البقرة، وأحمد ٦/ ٢١٨، والطيالسي ٢٢١ برقم ١٥٨٤، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» ٣/ ٧٨٣ برقم (١٤١٣)، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٩، و«ابن أبي حاتم» في تفسيره ٢/ ٥٧٤ من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أمية عن عائشة به.

قال الترمذي: حسن غريب من حديث عائشة، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٦٥: وشيخه علي بن زيد بن جدعان ضعيف يغرب في رواياته، وهو يروي هذا الحديث عن امرأة أبيه أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة، وليس لها في الكتب سواه.

ورواه أبو داود (٣٠٩٣) كتاب: الجنائز، باب: عيادة النساء، والطبري في «تفسيره» ٥/ ٢٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ١٠٧٢ وغيرهم، من طريق صالح بن رستم أبي عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عنها مرفوعا بمعناه، ولفظ الحديث عن أمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء ١٢٣] فقالت: ما سألني عنها أحد مذ سألت رسول الله ﷺ فقال: «**يا عائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة، حتى البضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيفرع لها فيجدها في خبنه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير**».

(٢) قال البيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ٢٩٧: وهذا النسخ بمعنى التخصيص والتبيين، فإن الآية الأولى وردت مورد العموم، فوردت الآية التي بعدها، فبينت أن ما = = يخفى مما لا يؤاخذ به، وهو حديث النفس الذي لا يستطيع العبد دفعه عن قلبه،

وقوله تعالى ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ قُرِئ رفعًا وجزمًا[1]، فمن جزم اتبع ما قبله ولم يقطعه منه، وهذا أشبه بكلامهم، لأنهم يطلبون المشاكلة[2].

ومن رفع قَطَعَه من[3] الأول، وقَطَعَه منه على أحد وجهين:

إما أن يجعل الفعل خبرًا لمبتدأ محذوف، كأنه قيل: فهو يغفر، فيرتفع[4] الفعل لوقوعه موقع خبر المبتدأ.

وهذا لا يكون منه كسب في حدوثه وبقائه، وكثير من المتقدمين كانوا يطلقون عليه اسم النسخ على الاتساع، بمعنى: أنه لولا الآية الأخرى لكانت الأولى تدل على مؤاخذته بجميع ذلك.

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١٤/ ١٠١، صحة هذا القول، وأن المراد بالنسخ في الأحاديث هنا نسخ ما وقع في نفوس الصحابة من فهم معنى، وإن كانت الآية لم تدل عليه لكنه محتمل، وهذه الآية من هذا الباب؛ فإن قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس، وقوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ يقتضي أن الأمر إليه في المغفرة والعذاب لا إلى غيره.

وقال الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٤٩: وأولى الأقوال: أنها محكمة وليست بمنسوخة، وذلك أن النسخ لا يكون في حكم إلا ينفيه بآخر هو ناف له من كل وجوهه، وليس في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ نفي الحكم الذي أعلم عباده بقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه. اهـ كلامه، باختصار.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بالرفع في: (فيغفرُ) و(يعذبُ)، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر: «السبعة» ص١٩٥، «الحجة» ٢/ ٤٦٣.

(٢) في (ي): (المشاركة).

(٣) في (ي): (عن).

(٤) في (ي): (ارتفع).

(٥) من «الحجة» ٢/ ٤٦٤-٤٦٥ باختصار.

وإما أن يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها[١].

٢٨٥- قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية. قد ذكرنا في بعض الروايات عن ابن عباس: أنه لما نزل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا وأطعنا. فقيل على هذا القول: إن الله تعالى لما قالوا ذلك أنزل الله هذه الآية وأثنى عليهم[٢].

وقال أبو إسحاق: لما ذكر الله ﷻ في هذه السورة فرضَ الصلاة والزكاة والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من الأحكام ختم السورة بذكر تصديق[٣] نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ فيه قراءتان: التوحيد والجمع[٥]، والكُتُب: جمع كتابَ، وهو مصدر كتَب، فنقل وسُمي به، فصار يجري مجرى الأعيان وما لا معنى فِعْلٍ فيه، وعلى ذلك كُسّر، فقيل: كُتب، كما قالوا: إِزَارٌ وأُزُر، ولِجَامٌ ولُجُم، فمن قرأ بالجمع؛ فلأن ما قبله وما بعده بالجمع، فَجَمَعَ الكتبَ أيضًا ليكون مُشاكلًا لما قبله وما بعده، وأما من أفرد؛ فيجوز أن يريد الجنس، كقولهم: كَثُر الدرهم في أيدي الناس والدينار، وكقوله: أهلك الناسَ اللبنُ، ونحو ذلك مما[٦] يفرد، والمراد منه الجمع.

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٥٨.

(٢) سقطت من (أ) و(م).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٦٨.

(٤) قرأ حمزة والكسائي (وكتابه) على الإفراد، وقرأ الباقون (وكتبه) بالجمع. ينظر: «السبعة» ص١٩٥-١٩٦، «الحجة» ٢/ ٤٥٥.

(٥) في (م) (فيما).

(٦) رواه مسلم (٢٨٩٦) كتاب: الفتن، باب: لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن

ويدل على هذا قوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢١٣] فإن قيل: إن هذه الأسماء التي يراد بها الكثرة تكون مفردةً معرَّفَةً باللام وهذه مضافة، قيل: قد جاء المضاف من الأسماء ويعني به الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وفي الحديث: «**منعت العراق درهمها وقفيزها**»[(١)] يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف وقال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [البقرة: ١٨٧] وهذا الإحلال شائع في جميع ليالي الصيام[(٢)] ولا يبعد أن يرجع الإفراد إلى كتاب محمد ﷺ الذي هو القرآن ثم الإيمان به يتضمن الإيمان بجميع الكتب والرسل[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ أكثر القراء فيه على التثقيل، وروى العباس[(٤)(٥)] عن أبي عمرو فيه التخفيف، والصحيح من مذهب أبي عمرو أنه يخفف ما أضيف إلى مكنيّ على حرفين مثل ﴿رُسُلُنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]

جبل من ذهب من حديث أبي هريرة. والقفيز: مكيال معروف لأهل العراق. قال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك. والمكوك: صاع ونصف. وهو خمس كيلجات.

(١) من «الحجة» ٢/ ٤٥٨ بتصرف. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦١.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٠.

(٣) في (ش): (أبو العباس).

(٤) العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد الواقفي الأنصاري، أبو الفضل الأنصاري، قاضي الموصل، من أكابر أصحاب أبي عمرو بن العلاء، كان عظيم القدر، جليل المنزلة في العلم والدين، متروك الحديث، توفي سنة ١٨٦ وقيل: ١٩٥. ينظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢١٢، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٩٢.

(٥) عزاها إلى أبي عمرو: ابن خالويه في «مختصر شواذ القرآن» ص ٢٤، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٦١، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣٦٥، والسمين الحلبي

و﴿رُسُلُكُم﴾ [غافر: ٥٠][1] فمن ثقل فلأن أصل الكلمة على فُعُل بضم العين، الدليل على أنه فُعُل مضموم العين رفضُهم هذا الجمع فيما كانت لامه حرف علة، نحو: كِسَاء ورِشَاء ورِدَاء وقِبَاء، لم يجمعوا شيئًا من هذا الجنس على فُعُل، كما جمعوا: قَذَالًا وحِمَارًا وكِتَابًا ورِغِيفًا، ولم يجمعوه أيضًا على التخفيف، لأنه إذا خفّف، والأصل التثقيل، كانت الحركة في حكم الثبات، ولو كان الأصل التخفيف لما رفضوا الجمع في هذه الأشياء على فُعْل كما قالوا: عُمْيًا وعُمْي، وعَشْواء وعُشْو، وقَنواء[2] وقُنْو، فلم يرفضوا هذا الجمع؛ لأن أصله فُعْل مُخَففًا، فصار بمنزلة الآحاد نحو: حُلْوٍ وعُرْيٍ. وأما ما كان عينه حرف العلة من هذا الجنس، فإنهم جمعوه مخففًا، نحو: عَوَان، وعُوْنٍ ونَوارٍ ونُور، وخِوانٍ وخُوْن[3]، كراهية الضمة في الواو، ثم إذا اضطر الشاعر رده إلى أصله، كما جاء:

.........سُوُكَ الإِسْحِلِ[4]

في «الدر المصون» ٢/ ٦٩٤، وقال ابن مجاهد في «السبعة» ص١٩٥: قرأ أبو عمرو ما أضيف إلى مكني على حرفين (رسلنا) و(رسلكم) بإسكان السين، وثقل ما عدا ذلك.

(١) قنواء: مؤنث أقنى، كما في القاموس [القنوة].

(٢) العَوان: كسحاب، من الحروب التي قوتل فيها مرة، ومن البقر والخيل التي نُتِجت بعد بطنها البكر، ومن النساء: التي كان لها زوج، جمعها: عُون. ينظر: «القاموس» ص١٢١٧ (مادة: عون)، والنَّوار: كسحاب، جمع: نور بالضم، والأصل: نُوُر، بضمتين، فكرهوا الضمة على الواو، ونارت نَورًا ونِوَارًا بالكسر والفتح: نفرت، وبقرة نوار: تنفر من الفحل ينظر: «القاموس» ص٤٨٨ (مادة: نور).

(٣) البيت: تمامه: =

= أغر الثنايا أحمُّ اللِّثاث تمنحه سُوُكَ الإسحل

في جمع سِوَاكٍ، وقوله:

وفي الأَكَفِّ اللامِعَاتِ سُوُرْ[١]

وأما من خفّف، فلأن ما كان من هذا الوزن يخفّف في الآحاد، نحو: العُنُق والطنُب، وإذا خفّفت الآحاد فالمجموع[٢] أولى من حيث كان أثقل من الآحاد.

وأما وجه تخفيف أبي عمرو ما اتصل من ذلك بحرفين، فلأن هذا قد يخفف إذا لم يتصل بمتحرك، فإذا اتصل بمتحرك حسن التخفيف، لئلا تتوالى أربع متحركات، لأنهم كرهوا ذلك، ومن ثم لم تَتَوالَ في بناء الشعر إلّا أن[٣] يكون مُزَاحَفًا. ومن لم يخفف فلأن هذا الاتصال بالحرفين ليس بلازم، وما لم يكن لازمًا فلا حكم له، ألا ترى أن الإدغام في ﴿جَعَلَ لَكَ﴾ [الفرقان: ١٠] لم يلزم، وإن كان قد توالى[٤] خَمْسُ متحركات، وهذا لا يكون في بناء الشعر[٥]، لا في مُزَاحَفِهِ ولا في سَالِمِهِ ولا في الكلم المفرد[٦].

وهو لعبد الرحمن بن حسان. ينظر: «الحجة» ٢/ ٤٦٢، «المنصف» ١/ ٣٣٨، «المقتضب» ١/ ١١٣.

(١) عجز بيت لعدي بن زيد العبادي، وصدره:

عن مبرِقاتٍ بالبُرين تبدو

ينظر: «الحجة» ٢/ ٤٦٢، «المنصف» ١/ ٣٣٨، «المقتضب» ١/ ١١٣.

(٢) في (ش): (فالجموع)، وهي كذلك في «الحجة»، وفي (ي): (فالجمع).

(٣) في (ي): (مزحفًا).

(٤) سقطت من (ي).

(٥) في (ش) (بدل الشعر) كلمة لم أستطع قراءتها.

(٦) من «الحجة» ٢/ ٤٦٠-٤٦٣ بتصرف.

(٧) بين ليست في (ش) ولا(ي).

وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فيه محذوف تقديره: يقولون: لا نفرّق بين[(١)]. كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي: يقولون: اخرجوا[(٢)]. ومعناه: لا نفعل كما فعل أهل الكتاب، حيث آمنوا ببعض الرسلِ وكفروا ببعضٍ، بل نجمع بين الرسل كلهم في الإيمان بهم[(٣)].

و(بين) تقتضي شيئين فصاعدًا، وإنما جاز مع أحدٍ، وهو واحد في اللفظ، لأن أَحَدًا يجوز أن يؤدي عن الجميع، قال الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وفي الحديث: «**ما أُحلت الغنائم لأحدٍ سُود الرؤوس غيركم**»[(٤)] وإنما كان كذلك، لأن أحدًا ليس كرجلٍ يثنى ويجمع، وقولك: ما يفعلُ هذا أحدٌ، تريد: ما يفعله الناس كلهم، فلما كان لفظ أحدٍ يؤدي عن الجميع، جازَ أن يُسْتَعْمَل معه (بين)، وإن كان لا يجوز أن يقول: لا نفرّق بين رجل منهم، وقد استقصينا هذا عند قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٣، «التبيان» ص١٧٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣٦٥، وذكر أن بعضهم يعربه خبرًا بعد خبر لكل.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٢.

(٣) الحديث، رواه الترمذي (٣٠٨٥) كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنفال، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٥٢٩ رقم ٢٢٩، وأحمد ٢/ ٢٥٢، والطيالسي في «مسنده» ٣١٨ رقم ٢٤٢٩، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٣٧٦ [ط. حبيب الرحمن] وابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٤/ ٣٨٧، وابن حبان في «صحيحه» الإحسان ١١/ ١٣٤ برقم (٤٨٠٦) عن أبي هريرة مرفوعا، وأصله في الصحيحين: رواه البخاري (٣١٢٤) كتاب: فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم، ومسلم (١٧٤٧) كتاب: الجهاد، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة عن أبي هريرة بمعنى الحديث أعلاه.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٣٦٥، وقال: ويحتمل عندي

ذَٰلِكَۖ﴾. [البقرة: ٦٨][١].

والكلام في أحدٍ وأصلهِ ذكرناه[٢] عند قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾ أي: سمعنا قوله، وأطعنا أمره، فحذف لأن في[٣] الكلام دليلًا عليه من حيث مُدحُوا به[٤].

وقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي: اغفر غفرانك[٥]، يُستغنى بالمصدر عن الفِعْلِ في الدعاء، نحو: سَقْيًا ورعيًا وأشباههما.

قال الفراء: وهو مصدر وقع موقع الأمر فنصب، قال: ومثله: الصلاةَ الصلاةَ[٦]، وجميع الأسماء من المصادر وغيرها إذا نويت الأمر نصبت[٧]، وهذا أولى من قول من يقول: معناه: نسألك غفرانك؛ لأنه على الفعل الذي أخِذ منه أدلّ، نحو: حمدًا، وشكرًا، أي: أحمد حمدًا، وأشكر شكرًا[٨].

أن يكون مما حذف فيه المعطوف لدلالة المعنى عليه، والتقدير: لا يفرق بين أحد من رسله وبين أحد، فيكون أحد هنا بمعنى: واحد، لا أنه اللفظ الموضوع للعموم في النفي، ومِنْ حذف المعطوف: «سرابيل تقيكم الحر» أي: والبرد.

(١) في (ي) و(ش): (ذكرنا).

(٢) في سقطت من (ي) و(ش).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٥، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٤٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٦٦.

(٤) قوله: (أي اغفر غفرانك)، سقطت من (أ).

(٥) هذه الجملة ليست في (أ).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٨.

(٧) ينظر في إعراب الآية: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٥-١٨٦٦، «التبيان» ص١٧٢.

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٥ (مادة: كلف)، «المفردات» ص٤٤١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ نحن مُقِرُّون بالبَعْث.

٢٨٦- قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية. يقال: كَلَّفْتُه الشيءَ فتَكَلَّفَ، والكُلْفَة الاسم منه(١).

والوُسْعُ، قال الفرّاء: هو اسم، كالوُجد والجُهد(٢)، وهو اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه(٣). وابن عباس(٤) وأكثر المفسرين على أن هذه الآية نَسَخَت ما ضجَّ المؤمنون عنه من حديث النفس والوسوسة لما نزل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية(٥).

وروي عنه من طريق آخر، أنه قال: معناه: أنه كلف المؤمنين ما هم له مستطيعون؛ لأنه قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦](٦).

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٨ قال: ومن قال في مثل الوُجد: الوَجد، وفي مثل الجُهد: الجَهد، قال في مثله من الكلام ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ولو قيل: وَسْعَها لكان جائزًا، ولم نسمعه. اهـ. ووَسعها بالفتح قراءة ابن أبي عبلة.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٦.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٤ بمعناه، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٧٤.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس ٣/ ١٥٤، وعزاه في «الدر» ١/ ٦٦٥ إلى ابن المنذر، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٧، «تفسير البغوي» ١/ ٣٥٧. وقد ذكر المؤلف أن التحقيق عدم القول بالنسخ فلينظر عند قوله: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤].

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٣٠ بمعناه، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٧، وعزاه في «الدر» ٢/ ١٣٣ إلى ابن المنذر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٦٧.

(٦) في (ش): (من).

وهذا أحسن ما قيل في[1] تفسير هذه الآية[2]، وذلك أن الوُسع دون الطاقة، والله تعالى كلفنا دون طاقتنا تفضلًا[3] منه، وقد روي عن سفيان بن عيينة أنه قال في قوله: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: إلَّا يُسْرَها لا عُسْرها، ولم يكلفها طاقتها، ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود[4].

وتقول القدرية: إن الله تعالى أخبر أنه لا يكلف العبد إلا ما يسعه، وإذا كلفه الإيمان وقضى عليه الكفرَ فقد كلَّفَهُ ما لا يسعه، فيقال لهم: يلزمكم مثلُ هذا في العِلْم، لأنكم توافقوننا على أن الله تعالى إذا سبق في مَعْلُومه أن فلانًا يموت كافرًا فلا سبيل له إلى تبديل معلومه، فإذا كلفه الإيمان فقد كلفه ما لا يطيق، وهذا معنى قول الشافعي، رضي الله عنه: إذا سلّمت لنا القدرية العلم خُصموا[5].

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ الصحيح عند أهل اللغة: أن الكسب والاكتساب واحد، لا فرق بينهما، قال ذو الرمة:

أَلَفَى أَبَاه بذاكَ الكَسْبِ يَكْتَسِبُ[6]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٦٩، وينظر: «تفسير السمعاني» ٢/ ٤٨١، «الكشاف» ١/ ٣٣٢.

(٢) في (ي): (تفصيلًا).

(٣) في «تفسير الثعلبي»: المجهود منها، وقول سفيان رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٦٨، وذكره الحيري في «الكفاية في التفسير» ١/ ٢٤٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٧.

(٤) قول الشافعي، ذكره العز بن عبد السلام في «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» ٢/ ٧٦ [ط. دار الكتب العلمية]. وابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٢٣/ ٣٤٢، وروايته: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أنكروه كفروا وإن أثبتوه خصموا.

(٥) شطره الأول:

ومطعم الصيد هبال لبغيته

وهو في «ديوانه» شرح أبي نصر الباهلي ١/ ٩٩، و«جمهرة أشعار العرب» ص٣٤٦، و«الحيوان» ٤/ ٤٧، و«الأمثال» للميداني ٣/ ٣٠٠، و«تاريخ دمشق» ٤٨/ ١٧٧.

(٦) قال الراغب في «المفردات» ص٤٣٣: والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره،

وقال بعضهم: الاكتساب أخصّ من الكسب؛ لأن الكسب ينقسم إلى كسبه لنفسه ولغيره، والاكتساب لا يكون إلا ما يكتسب الإنسان لنفسه خاصة[1]، يقال: فلان كَاسِبُ أهلِه، ولا يقالُ: مُكْتَسِب أهله، قال الحطيئة:

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفَر هَداكَ مَلِيكُ الناسِ يا عُمَرُ[2]

ومعنى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ أي: لا يؤاخَذ أحد بذنب غيره[3].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ قال الحسن: معناه: قولوا: ربنا[4]، على التعليم للدعاء. وقيل: أي: يقولون: رَبَّنَا. على الخبر.

ولهذا قد يتعدى إلى مفعولين، فيقال: كسبت فلانًا كذا، والاكتساب لا يقال إلا فيما استفدته لنفسك، فكل اكتساب كسب، وليس كل كسب اكتسابا، ثم ذكر الأقوال في المراد بقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ فقد قيل: خص الكسب هاهنا بالصالح، والاكتساب بالسيء، وقيل: عُني بالكسب ما يتحراه من المكاسب الأخروية، وبالاكتساب: ما يتحراه من المكاسب الدنيوية، وقيل: عُني بالكسب: ما يفعله الإنسان من فعل خير وجلب نفع إلى غيره، من حيثما يجوز، وبالاكتساب ما يحصله لنفسه من نفع يجوز تناوله، فنبه على أن ما يفعله الإنسان لغيره من نفع يوصله إليه فله الثواب، وأن ما يحصله لنفسه وإن كان متناولا من حيثما يجوز على الوجه فقلما ينفك من أن يكون عليه.

(١) البيت للحطيئة في «ديوانه» ص ٢٠٨، وفي «الأغاني» ٢/ ١٧٨، و«العقد الفريد» ٥/ ٢٥٩، و«الكامل في الأدب» ٣/ ١٩٣، «خزانة الأدب» ٣/ ٢٥٤، «لسان العرب» ٥/ ٢٦٨٦ (مادة: طلح)، «الوافي بالوفيات» ١١/ ٥٥. وأغلب رواياته: فاغفر سلام الله عليك.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦٩.

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٤١٠.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٠.

ومعنى ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾: لا تُعاقبنا[١].

وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد؛ لأن المسيء قد أمكن من نفسه، وطَرّقَ السبيلَ إليها بفعله، وكأنه أعان[٢] عليه من يُعاقبه بذنبه، ويأخذه به، فشاركه في أخذه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ يجوز أن يكون هذا من النسيان الذي هو ضد الذكر[٤]، فيكون له تأويلان: أحدهما: ما قاله الكلبي، وهو أن بني إسرائيل كانوا إذا نسوا شيئًا عجلت لهم العقوبة بذلك، فأمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك[٥].

والثاني: أن النسيان وإن كان معفوًا عنه في الشرع، فيجوز أن نتعبد[٦] بأن ندعو بذلك، كما جاء في الدعاء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] والله سبحانه لا يحكم إلا بالحق، وكما قال: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] وما وُعدوا به على ألسن الرسل يُؤْتَونه، وكذلك قول الملائكة في دعائهم: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [غافر: ٧-٩].

---

(١) في (ي): (أعدل).

(٢) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٠، وينظر: «تفسير الرازي» ٧/ ١٢٥، «الدر المصون» ٢/ ٧٠١.

(٣) وهذا اختيار الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧١.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٧، والحافظ في «العجاب» ١/ ٦٥٥.

(٥) في (ي) و(ش): (يتعبد).

(٦) سقطت من (ي).

ويجوز أن يكون النسيان، هاهنا[1]، بمعنى: الترك، فيكون معنى قوله: ﴿إِن نَّسِينَآ﴾ أي: تركنا شيئًا[2] من اللازم لنا، كقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم[3].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ الصحيح في اللغة: أن يقال: خَطِئ الرجلُ: إذا أَثِم، فهو خَاطِئٌ آثِمٌ. وأخطأ: إذا لم يُصِبِ الصَّوابَ[4].

قال أبو الهيثم: يقال: خطئ: ما صنعه عمدًا، وهو الذنب، وأخطأ: ما صنعه غير عمد[5]. فعلى هذا قوله: ﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ معناه: مثل معنى ﴿نَّسِينَآ﴾ إذا كان بمعنى السهو[6]، وفيه الوجهان اللذان ذكرناهما:

---

(١) سقطت من (ي).

(٢) ينظر: «الأشباه والنظائر» لمقاتل ص٢٣٩، الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٥- ١٥٦، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ١/ ٣٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧١، وقد بين الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٥- ١٥٦: أن النسيان على وجهين: أحدهما: على وجه التضييع من العبد والتفريط، فهو ترك منه لما أمر بفعله، فذلك الذي يرغب العبد إلى الله تعالى في تركه مؤاخذته، وهو النسيان الذي عاقب الله آدم به فأخرجه من الجنة، ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك كفرًا، فإن الرغبة إلى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة. وأما النسيان الذي يكون بسبب قلة احتمال العقل ما وكل بمراعاته، فلا وجه للدعاء بطلب المغفرة منه. قال: وكذلك الخطأ على وجهين.

(٣) ينظر في خطئ: «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٩٥-٥٠٠، «المفردات» ص١٥٦، «اللسان» ١/ ٦٥-٦٨.

(٤) نقله في «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٩٨.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٦/ ١٣٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧٠، قال الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧١: وهو الأصح؛ لأن ما كان عمدًا من الذنب فهو غير معفو=

أحدهما: قول الكلبي[١] والثاني: أنا تعبدنا بهذا الدعاء.

وقال أبو عبيدة: يقال: أخطأ وخطئ لغتان[٢][٣]، وأنشد:

يالَهْفَ هِنْدٍ إذ خَطِئْنَ كَاهِلًا[٤]

أي: أخطأن، ويقال في المثل: مع الخَوَاطِئِ سهمٌ صائبٌ[٥]، أي: المُخْطِئات.

= عنه، بل هو في مشيئة الله ﷻ ما لم يكن كفرًا. وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٥٤٥: وذهب كثير من العلماء إلى أن الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب، والخطأ غير المقصود، وهذا هو الصحيح عندي.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سقطت من (ي).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٦، ونقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠ (مادة: خطئ)، وتعقبه الحافظ ابن حجر في «الفتح» لعله في سورة الإسراء

(٤) البيت لامرئ القيس، وبعده كما في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠ (مادة: خطئ)، و«الشعر والشعراء» ١/ ٥٥، و«أساس البلاغة»:

القاتلَيْنِ الملِك الحُلاحلا

ورواية ديوان امرئ القيس ص١٣٦ (ط. السندوبي).

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا ... تالله لا يذهب شيخي باطلا

حتى أبير مالكا وكاهلا ... القاتلين الملك الحلاحلا

وفي طبعة المعارف رواية أخرى. ينظر التعليق على«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠ (مادة: خطئ)، وكاهل: حي من بني أسد، وهذا الشعر عنى به الخيل وإن لم يجر لها ذكر. ينظر: «اللسان» ٢/ ١١٤٩ (مادة: خطأ).

(٥) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠ (مادة: خطئ): ضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي الأحيان بالصواب، وفي «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ٢٨٠: الخواطئ سهم صائب، وفسر الخواطئ بأنها السهام التي تخطئ القرطاس.

فعلى هذا معنى(أخطأنا): خطئنا، أي: أثمنا وتَعَمَّدْنا الإثم[١].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أصل الإِصْر في اللغة: الثِّقْلُ والشِّدَّةُ، قال النابغة:

يا مانعَ الضَّيْمِ أَنْ يَغْشَى سَرَاتَهُم
والحَامِلِ الإِصْرَ عَنْهمُ بعدَ ما غَرِقُوا[٢]

ثم يُسَمَّى[٣] العهد إصرًا[٤] لأنه ثقيل، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١] أي: عهدي وميثاقي، والأَصْر: العَطْف، يقال: ما يَأْصِرُني عليه آصرة، أي: رَحِمٌ وقرابة، قال الحطيئة:

عَطَفُوا[٥] عَلَيَّ بغَيْرِ آ صِرَةٍ فَقَدْ عَظُمَ الأَوَاصِرْ[٦]

أي: عطفوا عليّ بغير عهدِ قرابةٍ[٧]، وسمي الثقل إصرًا؛ لأنه يعطف حامله بثقله، ومن هذا يسمى العهد إصرًا؛ لأنه يأصرك على المعهود معه، أي: يعطفك عليه: فالأصل في هذا الحرف الإصر بمعنى العطف، ثم يسمي الثقل والعهد إصرًا لما فيهما من العطف[٨].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٥٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٢، «تفسير البغوي» ١/ ٣٥٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٤٣.

(٢) في «ديوانه» ص١٢٩، و«الزاهر» ٢/ ٥٩، و«البحر المحيط» ٢/ ٣٤٣، و«الدر المصون» ٢/ ٥٩.

(٣) في (أ) و(ي): (سمي).

(٤) في (ي): (الإصر عهدًا).

(٥) في (م): (هم عطفوا).

(٦) البيت في «ديوانه» ص ٣٧، «تهذيب اللغة» ١/ ١٦٦، «لسان العرب» ١/ ٨٧ (مادة: أصر).

(٧) في «تهذيب اللغة» ١/ ١٦٦: أو قرابة.

(٨) ينظر في الإصر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٥٧- ١٥٨، «تهذيب اللغة» ١/ ١٦٦، «المفردات» ص٢٨، «اللسان» ١/ ٨٧.

فأما التفسير. فقال ابن عباس في رواية الوالبي وعطاء وعطية[(١)]: يعني: عهدًا وميثاقًا لا نطيقه[(٢)] ولا نستطيع القيامَ به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على اليهود فلم يقوموا به. وهو قول مجاهد[(٣)] وقتادة[(٤)] ومقاتل[(٥)] والسدي[(٦)] والكلبي[(٧)] والفراء[(٨)].

يدل على هذا التفسير قوله لليهود: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١]

وقال كثير من أهل المعاني: الإصر: الثقل، أي: لا تَشُقّ علينا، ولا تشدد ولا تغلِّظ الأمرَ علينا، كما شددت على من قبلنا من اليهود[(٩)]، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة، وأمرهم بأداءِ رُبُعِ أموالهم في الزكاة، ومن أصاب[(١٠)] ثوبه نجاسةٌ أُمِرَ بقطعها، ونحو هذا

---

(١) أخرجها الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٧، وروى ابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٠ نحوه من طريق الضحاك عن ابن عباس، وذكر ذلك عنهم الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧٥.

(٢) في (ي): (لا نطيق ذلك)، وفي (ش): (لانطيقه ذلك).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٦، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٨٠، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٨.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٢، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٧.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٣٢.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٥٧، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٨٠.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧٥، والحيري في «الكفاية» ١/ ٢٤٩، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٥٨.

(٨) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٨٩.

(٩) سقطت من (ي).

(١٠) في (ي) :(أصابت).

من الأثقال التي كانت عليهم، يدل على هذا قوله في صفة هذه الأمة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧][١] وهذا قول أبي عبيدة[٢] والمؤرج[٣][٤] والقتبيي[٥] والزجاج[٦] وابن الأنباري[٧].

قال الزجاج: المعنى لا تحمل علينا أمرًا يَثْقُلُ كما حملته على الذين من قبلنا، نحو ما أُمِر به بنو إسرائيل من قتل أنفسِهم، أي: لا[٨] تمتحنا بما يثقل علينا[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ الطاقة: اسم من الإطاقة، كالطاعة[١٠] من الإطاعة، والجابة من الإجابة، وهي توضع موضع المصدر.

قيل في معنى ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾، أي: من العذاب، كأنهم سألوا الله تعالى أن لا يعذبهم بالنار، فإنه لا طاقة لأحد مع عذاب الله، وقيل:

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٦-١٨٧٧.
(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٨٤.
(٣) هو: أبو فيد، مؤرج بن عمرو السدوسي البصري، تقدمت ترجمته ٢/ ٤٦٠، [البقرة: ٤٤].
(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٧.
(٥) «تفسير غريب القرآن» ص٨٩.
(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧١.
(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٧، وذكر الثعلبي في «تفسيره» أنه قول عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومالك بن أنس.
(٨) في (ش): (لأن لا).
(٩) «معاني القرآن» ١/ ٣٧١.
(١٠) في (م): (اسم من الإطاعة).

أي: ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيقين له بعد التجشم وتحمل[١] المكروه، وهذا كما تقول العرب: ما أطيق النظر إلى فلان، وهو مطيق لذلك، إلا أنه يثقل عليه ويتأذى به، ومن هذا قوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] معناه: كانوا يستطيعون ذلك على تأذٍّ وتكرُّهٍ، فكانوا بمنزلة من لا يستطيع[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾ قال ابن عباس والمفسرون: أي: ناصرنا[٣]، ومثله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي: نَاصِرُهُم وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم: ٤] أي: ناصره، وكذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١][٤].

ومعنى المولى: من النصرة، من ولي عليه، وولي منه: إذا اتَّصَلَ به ولم يَنْفَصِلْ عنه، وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] أي: ناصِرُنا، وعلى هذا المعنى قولهم[٥]: صحبك الله. والوَليُّ والمَوْلَى واحد، ومنه قوله ﷺ: «من كنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مولاه»[٦] قال يونس[٧]: أي: من كُنْتُ

---

(١) في (ي): (وحمل).

(٢) «تفسير الطبري» ٣/ ١٥٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٧٨.

(٣) ينظر التفاسير المتقدمة، والرواية عن ابن عباس قد تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٩٠.

(٥) في (ش): (قوله).

(٦) رواه أحمد ٤/ ٣٦٨، والترمذي (٣٧١٣) كتاب: المناقب، باب: مناقب علي. وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ٣/ ١٠٩.

(٧) قال يونس سقطت من (ي).

وَلِيَّه[١]، وقوله أيضًا: «**مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأَسْلَم وغِفَار موالي الله ورسوله**»[٢] أي: أولياء الله، وقال العجاج:

الحَمْدُ لله الذي أعْطَى الظَّفَرْ   مَوَالي الحَقِّ إن المَوْلَى شَكَرْ[٣]

أي: أولياءُ الحَقِّ، وكلُّ مَنْ انَضم إليكَ فَعَزَّ بِعِزِّكَ وامتنع بِمَنَعَتِكَ[٤]، فهو مَوْلاك، ولهذا تُسَمَّى العَصَبَةُ وبنو العَمِّ مَوالي، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥] أي: العصبة، وعلى هذا ينشد:

مَوَالي حِلْفٍ لا مَوَالي قَرَابَةٍ   ولكن قَطِينًا يَسْأَلونَ الأَتَاوِيَا[٥]

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٥٠.

(٢) رواه البخاري(٣٥١٢) كتاب: الأنبياء، باب ذكر أسلم وغفار، ومسلم (٢٥٢٠) كتاب: فضائل الصحابة، باب: دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم. من حديث أبي هريرة. ومزينة: بطن من مضر من القبائل العدنانية، مساكنهم بين المدينة ووادي القرى. ينظر: «معجم القبائل العربية» ٣/ ١٠٨٣. وجهينة: حي عظيم من قضاعة، من القحطانية، وهم: بنو جهينة بن زيد بن ليث، منازلهم مابين ينبع ويثرب. ينظر: «معجم القبائل العربية» ١/ ٢١٦. وأسلم: بطن من خزاعة، وهم: بنو أسلم بن أفصى بن حارثة، من القبائل القحطانية، ومن قراهم: وبرة: وهي قرية ذات نخيل من أعراض المدينة. ينظر: «معجم القبائل العربية» ١/ ٢٦. وغفار: بطن من كنانة، من العدنانية، وهم: بنو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف، كانوا حول مكة ومن مياههم: بدر. ينظر: «معجم القبائل العربية» ٣/ ٨٩٠.

(٣) البيت في ديوان العجاج رواية الأصمعي ١/ ٤، وروايته:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر   موالي الحق إن الحق شكر

وينظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ١/ ١٦٩، و«مجالس ثعلب» ص٢٥٣، و«أمالي القالي» ١/ ١٣٤، و«خزانة الأدب» ٤/ ٤٠.

(٤) في (ي) و(ش): (لأنه).

(٥) البيت للجعدي، نسبه إليه في «اللسان» ٨/ ٤٩٢٢ مادة: (ولى)، ٢/ ٩٥٧ (مادة: حلب)، ١/ ٢٤ (مادة: أتى)، وفي الموضع الأخير ذكره بلفظ: يحلبون الأتاويا.

يقول: هم حلفاء لا أبناء عم[١]، والمَولَى: الذي يلي عليك أَمْرَكَ[٢].

فمعنى قوله: أنت مولانا أي: أنت ولينا بنصرك إيانا، وأنت الذي تلي علينا أمورنا، وذلك أنه[٣] يلي أمور[٤] المؤمنين بالنصرة والمعونة، يقال منه[٥]: ولي يلي ولاية، فهو ولي ومولى[٦].

قال مقاتل بن سليمان: لما أسري بالنبي ﷺ إلى السماء، أعطي خواتيم سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ فقالت له[٧] الملائكة: إن الله ﷻ قد أحسن عليك الثناء بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ فَسَلْه وارغب إليه، وعلمه جبريل كيف يدعو، فجعل رسول الله ﷺ يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا﴾ إلى آخر السورة، وجبريل عليه السلام يقول في كل فصل: قد فعل الله تبارك وتعالى ذلك[٨].

---

(١) قوله: (حلفاء لا أبناء عم)، سقطت من (ي).

(٢) ينظر في ولي «تفسير الطبري» ٣/ ١٥٩، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٥٥- ٣٩٥٨، «المفردات» ص٥٤٧، «اللسان» ٨/ ٤٩٢٠.

(٣) في (ي) و(ش): (لأنه).

(٤) في (ي): (أمر).

(٥) سقطت من (ي).

(٦) قال الراغب: الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعدان حصولًا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد. والوِلاية: النصرة، والوَلاية: تولي الأمر، وقيل: الوِلاية والوَلاية نحو الدِّلالة والدَّلالة، وحقيقته: تولي الأمر، والوَلي والمولى يستعملان في ذلك، كل واحد منهما يقال في الفاعل، أي الموالي، وفي معنى المفعول، أي: الموالَى، يقال للمؤمن: هو ولي الله ﷻ، ولم يرد مولاه، وقد يقال: الله تعالى ولي المؤمنين ومولاهم.

(٧) سقطت من (ي).

(٨) لم أجد عند مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٣٢ الشق الأول من الحديث، ولكنه ذكر قوله: =

وحدثنا أحمد بن أبي منصور الحافظ(١) رحمه الله: أنبأنا(٢) عبد الله ابن حامد الأصبهاني أنبأنا محمد بن جعفر المطيري(٣)، حدثنا(٤) علي بن حرب(٥)، حدثنا ابن فضيل(٦)، حدثنا عطاء(٧)، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قال: قد غفرت لكم لا يكلف

= ثم علم جبريل النبي ﷺ أن يقول ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ قال الله ﷻ: ذلك لك. إلى آخر الآيات، وفي كل دعاء يقول الله: ذلك لك، فاستجاب الله ﷻ له ذلك فيما سأل، وشفعه في أمته، وتجاوز لها عن الخطايا والنسيان وما استكرهوا عليه، فلما نزلت قرأهن النبي ﷺ على أمته، وأعطاه الله ﷻ هذه الخصال كلها في الآخرة، ولم يعطها أحدًا من الأمم الخالية.

(١) يعني شيخه الثعلبي في «تفسيره».

(٢) في (ش): (أخبرنا)، وفي (أ): (انبا).

(٣) هو: الإمام المحدث أبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد بن يزيد المطيري، ثم البغدادي الصيرفي، نزل بغداد، وحدث عن خلق منهم علي بن حرب، وروى عنه الدارقطني وغيرهم، قال فيه هو ثقة مأمون، توفي سنة ٣٣٥هـ. ينظر «السير» ١٥/ ٣٠١، «تاريخ بغداد» ٢/ ١٤٥-١٤٦.

(٤) في (ي) و(أ) (ثنا).

(٥) هو: علي بن حرب الموصلي الطائي، أبو الحسن، روى عن يحي بن اليمان، ومحمد بن الفضيل وغيرهم، قال ابن حجر: صدوق فاضل، وروى عنه النسائي وأبو عوانة ومحمد بن جعفر المطيري، توفي سنة ٢٦٥هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ١٨٣، «التقريب» ص ٣٩٩ (٤٧٠١)، «السير» ١٢/ ٢٥١-٢٥٣.

(٦) هو: محمد بن فضيل بن غزوان أبو عبد الرحمن الضبي الكوفي، قال ابن المدني: كان ثقة ثبتًا في الحديث، وقال ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان، وابن سعد: ثقة، وقال الإمام أحمد: يتشيع، وكان حسن الحديث توفي سنة ١٩٤، وقيل: ١٩٥. ينظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ٥٧، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٧٦، «السير» ٩/ ١٧٣.

(٧) عطاء بن السائب بن مالك الثقفي، أبو السائب الكوفي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠، ٦١].

الله نفسًا إلا وسعها إلى قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: لا أواخذكم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ قال: لا أحمل عليكم، ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: لا أحملكم، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ إلى آخر السورة، قال: قد عفوت عنكم(١) وغفرت لكم، ورحمتكم، ونصرتكم على القوم الكافرين(٢).

وقال أبو إسحاق: هذا الدعاء أخبر الله ﷻ به عن النبي ﷺ والمؤمنين، وجعله في كتابه ليكون دعاء من يأتي بعد النبي ﷺ والصحابة(٣)، فهو من الدعاء الذي ينبغي أن يُحفَظ وأن يُدعَى به كثيرًا.

وقال في قوله: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: انصرنا عليهم في إقامة الحجة، وفي غلبتنا إياهم في حربهم وسائر أمورهم، حتى(٤) تُظهِر(٥) ديننا على الدين كلِّه كَمَا وَعَدتنا(٦).

---

(١) من قوله: (غفرت لكم)، ساقط من (ي).

(٢) الحديث، رواه بهذا السند واللفظ: في «تفسيره» ٢/ ١٨٩٠، ورواه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٦٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٧٧-٥٨٢ كلاهما عن علي بن حرب بهذا الإسناد، والحديث أصله رواه مسلم (١٢٦) كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه لا يكلف إلا ما يطاق، والترمذي (٢٩٩٢) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البقرة، وأحمد ١/ ٢٣٣ وغيرهم بلفظ: «قد فعلت» بعد كل دعاء.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧٠.

(٤) سقطت من (ي).

(٥) في (ش) (يظهر).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٧١.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الخامس

آل عمران - آل عمران ١٣٨

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة آل عمران[(١)]

١- ﴿الٓمٓ﴾ اجتمعت القرّاء على فتح الميم، وإدْراج ألفِ اللهِ في الوصل[(٢)]، إلا ما رُويت[(٣)] شاذًّا عن عاصم: أنّه سكّن الميمَ وقَطَعَ الألف[(٤)].

---

(١) تفسير سورة آل عمران: ساقط من (ج).

(٢) أي: بأن تُفتح الميمُ، ولا تظهر همزةُ اسم الجلالة في الوصل، حال النطق.انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج ١/ ٣٧٣، «السبعة في القراءات» لابن مجاهد ٢٠٠، «الحجة للقرّاء السبعة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٨، وكتاب «التبصرة في القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب ٤٥٥، «اتحاف فضلاء البشر» لأحمد البَنّا ص١٧٠. ويجوز لكل القرّاء في "ميم" المدُّ والقصر؛ لتغير سبب المد، فيجوز الاعتداد بالعارض وعدمه. انظر: «اتحاف فضلاء البشر» ص١٧٠، «البدور الزاهرة» لعبد الفتاح القاضي ٥٨.

(٣) في (ج)، (د): (روي).

(٤) (قَطَع الألف) أي: ابتدأ بها. انظر: «معاني القرآن» للفرّاء ١/ ٩، «السبعة» لابن مجاهد ٢٠٠، «التبصرة» لمكي ص ٤٥٥. وهذه القراءة عن عاصم، رواها ابنُ مجاهد من طرق عدّة عن أبي بكر عنه، كما رُويت عن الحسن، وعمرو بن عبيد، وأبي جعفر الرؤاسي، والأعمش، والأعشى، والبرجمي، وابن القعقاع. انظر: «السبعة» ص٢٠٠، «معاني القرآن» للفرّاء ١/ ٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٠٧، «علل الوقوف» للسجاوندي: ١/ ٢٢٠، «البحر المحيط» لأبي حيان: ٢/ ٣٧٤. ولكنَّ المعروف والمضبوط عن عاصم هو الوصلُ وفتح الميم، وهي =

واختلفوا في عِلَّةِ فتح الميم: فقال الفرّاء[١]: طُرِحت عليها فتحةُ الهمزة؛ لأن نيّة حروف الهجاء الوقف. فَلَمَّا كان يُنوى بها الوقفُ، نُوي بما بعده الاستئنافُ، فكانت الهمزةُ في حُكْم الثَّبات[٢].

ومذهب سيبويه[٣]: أنه حُرِّك لالتقاء الساكِنَين[٤]، والساكن الذي حُرّك له الميمُ، لامُ التعريف؛ وذلك أنَّ حُكْمَ هذه الهمزة، أن تُجتلَبَ في الابتداء، إذا احتيجَ إلى اللفظ بحرفٍ ساكنٍ، دون الصِّلَةِ والإدْراج، فإذا اتَّصلَ الساكنُ المُجتَلَبُ له هذا الحرفُ بشيءٍ قبله، استُغنِيَ عنه، فحُذِفَ. فإن اتّصَلَ بمتحرِّكٍ، بُنيَ على حركته[٥]؛ نحو: (ذهبَ ابْنُك). وإنْ كان حرفًا ساكنًا- غيرَ لَيِّنٍ- حُرّكَ، نَحْوَ: ﴿عَذَابٌ * ٱرْكُضْ﴾[٦] [ص: ٤١-٤٢]،

= روايةُ حفصٍ عنه. ويقول الزجّاج: (والمضبوط عن عاصم في رواية أبي بكر بن عيّاش وأبي عمرو فتح الميم. وفتح الميم إجماعٌ). ويقول مكي: (والذي قرأت به في رواية يحيى بن آدم بالوصل، مثل الجماعة). يعني: رواية يحيى عن أبي بكر. انظر: «معاني القرآن» للزجّاج: ١/ ٣٧٣، «التبصرة» لمكي ٤٥٥، «السبعة» لابن مجاهد ص٢٠٠، «الحجة» للفارسي ٣/ ٥.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٩. نقله عنه بالمعنى. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) يعني بـ "الثبات": عدم سقوط الهمزة في الوصل. وقد ذهب الزمخشريُّ مذهبَ الفرّاء، وناقشه أبو حيان وردَّ عليه. انظر: «الكشاف» للزمخشري ١/ ٤١٠، «البحر المحيط» لأبي حيان ٢/ ٣٧٥ «الدر المصون» للسمين الحلبي ٣/ ٨١٢.

(٣) في «الكتاب» له ٤/ ١٥٢ .

(٤) قال السمين الحلبي: (وهو مذهب سيبويه وجمهور الناس). «الدر المصون» ٣/ ٦.

(٥) في (ج): (متحركة).

(٦) يقول أبو علي الفارسي: (فإن كان الحرف الثاني من الكلمة التي فيها الساكن الثاني مضمومًا ضمة لازمة، جاز فيه التحريكُ بالضم والكسر جميعًا) وأتى بهذه الآية ضمن الشواهد على ذلك. ثم قال: وجميع هذا يجوز في الساكن الأول التحريك بالضم) أي أن تقرأ هكذا: ﴿عَذَابٌ * ٱرْكُضْ﴾ في حال الوصل. «التكملة» =

و﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[1] [الجن: ١٦].

فكذلك[2] الهمزة في أسماءِ اللهِ ﷻ مِن قوله: ﴿الٓمٓ﴾، إذا اتَّصَلَ بما قبلها، لزم حذفُها، كما لزم إسقاطُها فيما[3] ذكرنا. وإذا لزم حذفها، لزم حذفُ حركتها أيضًا؛ لأنك لا تجدُ هذه الهمزة المُجْتَلَبَة في موضع ملقاةً، وحركتَها مبقاةً. فإذا لزم حذفها، لم يَجُزْ إلقاؤها على الحرف الساكن. فليس حركةُ الميم إذن[4] حركةَ الهمزة، وإذا لم تكن حركةَ الهمزة، ثبت أنها حركةُ التقاء الساكنَيْنِ.

وأمّا ما احتج به الفرّاءُ مِن أنّ هذه الحروف موضوعةٌ على الوقف، وإذا كان كذلك وجب أنْ تثبت الهمزةُ ولا تحذَف، كما تثبت في الابتداء، فإذا لزم أن لا[5] تحذف كما لا تحذف[6] في الابتداء، لم يمتنع أن تُلْقَى

= للفارسي ١٧٧، وانظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ١٥٣، «الكشف» لمكي ١/ ٢٧٤. وقد قرأ بكسر الباء مع التنوين في ﴿عَذَابٌ﴾ في حال الوصل: عاصم، وحمزة، وأبو عمرو بن العلاء، وقنبل، وابن ذكوان، ويعقوب. وأجمعوا على ضم الهمزة في الابتداء. وقرأ الباقون بضم الباء مع التنوين. انظر: «الكشف» لمكي ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، وقال: والضم في ذلك كلِّه الاختيارُ؛ لأن عليه أكثر القراء، ولأنه أخف. والكسر حسن؛ لأنه الأصل في حركة التقاء الساكنين. وانظر: «اتحاف فضلاء البشر» ص٣٧٢، «البدور الزاهرة» ص ٢٧٢.

(١) وقد وردت كتابتها في جميع النسخ: (وأن لو) بفصل (أن) عن (لو). وأثبتها وفق رسم المصحف.

(٢) في (ج): (فلذلك).

(٣) في (ج): (في ما).

(٤) في (ب)، (ج)، (د): (إذًا).

(٥) (لا) ساقطة من: (ج)، (د).

(٦) (كما لا تحذف): ساقط من (ج).

حركتُها على ما قبلها. قيل: إنَّ وضعَ هذه الحروف[١] على الوقف، لا توجب[٢] قطعَ ألفِ الوصل وإثباته[٣] في المواضع التي تسقط فيها. وأنت إذا ألقيت حركته على الساكن، فقد وصلت الكلمة التي هي فيها بما قبلها، وإنْ كان ما قبلها موضوعًا على الوقف.

فقولك: (ألقيت حركته عليه) بمنزلة قولك: (وَصَلْتُه)، ألا ترى أنك إذا خفَّفْتَ (مَنْ أَبُوكَ)، قلتَ: (مَنَ بُوك) فَوَصَلْتَ، ولو[٤] وَقَفْتَ لم تُلقِ الحركةَ عليها، فإذا[٥] وصلْتَها بما قبلها، لَزِمَ إسقاطُها، وكان إثباتُها مخالفًا لأحكامها في سائرِ مُتَصَرفاتها[٦].

ويقوي قولَ الفراء ما حكاه سيبويه[٧] مِن قولهم: (ثَلَثَهَرْبَعَة)[٨] ألاَ

(١) في (ج): (الحرف).

(٢) في (د): (يوجب).

(٣) في (ج): (وإثباتها).

(٤) (ولو) ساقطة من (د).

(٥) في (ب): (وإذا).

(٦) يقول السمين الحلبي- بعد أن نقل ردّ الواحدي هذا على الفراء: (قلت: هذا الرد مردود؛ بأن ذلك معامل معاملة الموقوف عليه، والابتداء بما بعده، لا أنه موقوف عليه، ومبتدأ بما بعده حقيقةً، حتى يَرُدَّ عليه بما ذكر). «الدر المصون» ٣/ ٨. ورأي الفراء هذا رده آخرون غير المؤلف، ومنهم: أبو علي الفارسي، وابن جنِّي، وخطَّأه تاجُ القراء الكرماني، واستبعده العكبريُّ. انظر: «الحجة» للفارسي: ٣/ ٩، «المحتسب» لابن جني: ٢٤٠، «غرائب التفسير وعجائب التأويل» للكرماني ١/ ١٣٩، «التبيان» للعكبري ١/ ١٧٣. قال الفارسي: (ولا يجوز أن تكون الفتحة لهمزة الوصل ألقيت على النون؛ لأن الهمزة إذا أوجب الإدراجُ إسقاطَها لم تبق لها حركة تلقى على شيء، فيما علمناه).

(٧) في «الكتاب» ٣/ ٢٦٥.

(٨) (ثلثهربعة): مطموسة في (د).

ترى أنهم أجروا الوصل في هذا مجرى الوقف؛ حيث ألقَوا حركة الهمزة على التاء التي للتأنيث، وأبقوها هاءً، كما تكون في الوقف، ولم يقلبوها تاءً[١]؛ كما يقولون في الوصل: (هذه ثلاثتك) كذلك ههنا لَمّا كانت النيّةُ في الميم الوقفَ، وفيما بعدها الاستئنافَ، كانت الهمزةُ في حُكْم الثَبات، فأُلقِيَت حَرَكَتُها على الميم. فله حُكْم الوقف مِن وَجْهٍ، وحُكْمُ الوَصْلِ مِن وَجْهٍ؛ كما كان في (ثَلَثَهَرْبَعَة)[٢]، له حُكْمُ الوصل؛ من حيث إلقاء حركةِ الهمزة على (الهاء)، وحُكْم الوقف؛ حيث أبقوا الهاءَ على حالها[٣].

والساكن الذي حُرِّكت لَهُ الميمُ في ﴿الٓمٓ﴾، الساكنُ الثالث، وهو[٤]: لام التعريف؛ وذلك أنّ حروف التَّهَجِّي يجتمع فيها ساكنان؛ كقوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١-٢]، ولا يُحرَّك الساكنُ الثاني منها. وجمعهم بين الساكِنَيْنِ في هذه الحروف، دليلٌ على أنها في ﴿الٓمٓ﴾ ليس بمتحرك للساكن الثاني إذ لو كان للثاني[٥] لم يُحرَّك كما لم يُحرَّك سائرُ ما ذكرنا[٦].

---

(١) أي: أن أصلها (ثلاثة أربعة)، فلما وقفنا على (ثلاثة) أبدلنا التاء (هاءً) كما هو اللغة المشهورة، ثم أجرينا الوصل مجرى الوقف، فتركنا الهاءَ على حالها في الوصل، ثم نقلنا الهمزة إلى الهاء، فكذلك هذا. وانظر: «الدر المصون» ٣/ ٨.

(٢) (ثلثهربعة): مطموسة في (د).

(٣) ولكن يلاحظ أن الهمزةَ في (أربعة) همزة قطع، فهي ثابتة في الابتداء والدرج، وعليه نقلت حركتها. أما همزة اسم الجلالة، فهي همزة وصل واجبة السقوط، فلا تنقل حركتها إلى ما قبلها. وهذا هو الفرق. انظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٤٠، «الدر المصون» ٣/ ٨.

(٤) في (د): (فهو).

(٥) في (ج): (الثاني).

(٦) انظر: «التكملة» للفارسي ١٧٩، «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٣٩.

قال الأخفش[١]: لو كسرت الميم لالتقاء الساكِنَيْن، فقيل: ﴿الٓمٓ﴾، لَجَازَ.

قال أبو إسحاق[٢]: هذا غلط من أبي الحسن؛ لأن قبل الميم ياءً، مكسورًا[٣] ما قبلها، فحقها الفتح؛ لالتقاء الساكنين؛ لِثِقَلِ الكَسْرِ مع الياء[٤].

قال أبو علي[٥]: كَسْرُ الميم لو ورد بذلك[٦] سماعٌ، لم يدفعه قياس، بل كان يُثَبِّتُه ويُقَوِّيه؛ لأنَ الأصل[٧] في التحريك لالتقاء الساكنين الكسرُ. وإنما يُترك الكسرُ[٨] إلى غير ذلك؛ لِمَا يَعْرِضُ مِن عِلّةٍ وكراهةٍ. فإذا جاء الشيء على ما به فلا وجه لِرَدِّهِ، ولا مَسَاغَ[٩] لِدَفْعِهِ.

وقول أبي إسحاق: (إنَّ ما قبل الميم ياءً مكسورًا[١٠] [قبلها][١١]

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٢. نقله عنه بمعناه. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) قوله في «معاني القرآن وإعرابه» له ١/ ٣٧٣. نقله عنه بنصه.

(٣) في (ج): (مكسور).

(٤) في «معاني القرآن» (وذلك لثقل الكسرة مع الياء).

(٥) لم أقف على مصدر قوله فيما رجعت إليه من كتبه المطبوعة، وقد أورد قوله السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ١٤.

(٦) في (ب): (به).

(٧) في (ج): (الوصل).

(٨) في (ج): (القياس).

(٩) في (ج): (امتناع).

(١٠) في (ج): (مكسورة).

(١١) ما بين المعقوفين زيادة أضفتها من «الدر المصون» للسمين ٣/ ١٤. حيث أورد السمين هذه العبارة ناقلًا لها عن الواحدي، وكذلك هي في الأصل المنقول عنه وهو «معاني الزجاج» حيث إن الزجاج لا يعني كسر الياء، وإنما كسر ما قبل الياء.

فحققها الفتح)، ينتقضُ بقولهم: (جَيْرِ) وكان مِنَ الأَمْرِ)[١] (ذَيْتِ وذِيْتِ)[٢] و(كَيْتِ وكِيْتِ)[٣]. فَحُرِّك الساكنُ بعد الياء بالكسر، كما حُرِّك بعدها بالفتح في (أيْنَ).

وكما جاز الفتح بعد الياء؛ لقولهم[٤]: (أيْنَ)، كذلك يجوز الكسرُ بعدها؛ لقولهم: (جَيْرِ)[٥].

ويدل على جواز التحريك بالكسر لالتقاء الساكنين في ما[٦] كان قبله ياء جوازُ تحريكه بالضم؛ كقولهم[٧]: (حيثُ). وإذا[٨] جازَ الضمُّ، كان الكسرُ أسهلَ، وأجْوَزَ.

---

(١) (جير وكان من الأمر): ساقط من (ج)، (جَيْرِ) بكسر الراء، وقد يُنَوَّن: يمينٌ، أي: حَقًّا. أو بمعنى نعم، أو أجل. انظر: «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٢/ ٩٣٧، ٩٤٤، «مجمل اللغة» لابن فارس: ١/ ٢٠٤، «القاموس المحيط» ص٣٧٠ (جير).

(٢) في (د): (ديت وديت).

(٣) (ذيت وذيت) بفتح التاء أو كسرها أو ضمها: اسم كناية، يكنى بها عن الحديث أو القصة أي: الحديث عن شيء حصل أو قول وقع. ولا بد مع تكرارهما مع فصلهما بالواو، مع اعتبارهما كلمة واحدة في محل نصب أو جر أو رفع حسب حاجة الجملة. ويقال في (كيت وكيت) ما قيل في (ذيت وذيت). ولم أقف في المصادر التي رجعت إليها على كسر الذال من (ذيت) والكاف من (كيت). انظر: «الخصائص» لابن جني ٢٠٢/١، «سر صناعة الإعراب» له: ١/ ١٥٢-١٥٣، «لسان العرب» ٣/ ١٥٢٨ (ذيت) ٧/ ٣٩٦٤ (كيت)، «النحو الوافي» ٤/ ٥٨٣.

(٤) في (ج)، (د): (كقولهم). وفي «الدر المصون»: (في قولهم).

(٥) في (ج): (خبر).

(٦) في (ب)، (ج)، (د)، «الدر المصون»: (فيما).

(٧) في (د): (لقولهم). وفي «الدر المصون» (نحو قولهم).

(٨) في (د): (إذا). بدون واو.

وأما[١] ما رُوي عن عاصم، من قطعه الألف، فكأنّهُ قدّر الوقفَ[٢] على الميم، واستأنف (الله). فقطع[٣] الهمزة للابتداء بها.

قال محمد بن إسحاق[٤]، والكَلْبِي[٥]، والرَّبيع[٦]:

نزلت هذه الآية، إلى[٧] نيّف وثمانين من هذه السورة، في وفْدِ نَجْران[٨]، مِنَ النَّصارَى، لَمّا جاءُوا يُحَاجُّونَ النبي ﷺ[٩].

---

(١) من قوله: (وأما..) إلى (.. للابتداء بها): نقله بنصه عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٩.

(٢) في «الحجة»: (الوقوف).

(٣) في (د): (وقطع).

(٤) قوله في «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٥، «تفسير الطبري» ٣/ ١٦٢، «المحرر الوجيز» ٣/ ٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٦٨.

وهو: محمد بن إسحاق بن يَسَار، المُطَّلِبي بالولاء، من أهل المدينة، سكن العراق، إمام في المغازي والسيرة النبوية، رُمَي بالتشيع والقدر، صدوق يُدلِّس، مات ببغداد سنة (١٥١هـ)، وقيل بعدها. انظر: «وفيات الأعيان» ٤/ ٢٧٦، «تذكرة الحفاظ» ١/ ١٧٢، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٠٤.

(٥) قوله في «بحر العلوم» ٢/ ٨، «تفسير البغوي» ٢/ ٥ .

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١٦٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٨٥، «تفسير البغوي» ٢/ ٥، «المحرر الوجيز»: ٣/ ٥ .

(٧) في (ج): (في).

(٨) نجران: هي الآن في أرض الحجاز من المملكة العربية السعودية، وكانت قديمًا من مدن اليمن، من ناحية مكة. انظر حولها «معجم ما استعجم» ٤/ ١٢٩٨، «معجم البلدان» ٥/ ٢٦٦.

(٩) انظر في خبر وفد نجران، وأنه سبب نزول هذه الآيات إضافة إلى المصادر السابقة: «أسباب النزول» للمؤلف ص٩٩، «امتناع الأسماع» للمقريزي ١/ ٥٠٢، «وتفسيرات شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع إقبال الأعظمي: ١١٥، «زاد المعاد» لابن القيم: ٣/ ٦٢٩، «السيرة النبوية» لابن كثير: ١/ ٣٦٧، «البداية والنهاية» له ٥/ ٥٢-٥٦، «حدائق الأنوار» لابن الدَّيْبَع الشيباني ١/ ٦٨، ٢/ ٧٠٩، «الدر =

قال ابن عباس[(١)] في رواية عَطَاء، والضَّحَّاك في قوله: ﴿الٓمٓ﴾ يريد بالألف: الله، واللام[(٢)]: جبريل، والميم: محمد ﷺ[(٣)]. وقد مضى الكلام في حروف التَّهَجِّي، وفي معنى ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٣- قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾. إنّما قال: ﴿نَـزَّلَ﴾، وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾؛ لأن التنزيل للتكثير. والقرآن نزل نجومًا، شيء بعد شيء، والتوراة والإنجيل نزلتا دفعةً واحدةً[(٤)].

= المنثور» للسيوطي: ٢/ ٦٦، «لباب النقول» له: ٥١، وزاد في نسبة إخراجه فيهما لابن المنذر، والبيهقي في «دلائل النبوة». وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٥-٣٩٨ فله توجيه لطيف حول قول محمد بن إسحاق هذا ومن معه في سبب نزول هذه الآية.

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» (مخطوط مصور في جامعة الإمام): ١/ ٢٣ب .

(٢) في (ب): (والميم واللام).

(٣) أورد الأثر هذا عنه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» ١/ ٢٣ب.

(٤) وقد ذهب كثيرٌ من المفسرين، إلى ما ذهب إليه المؤلفُ، من تخصيص القرآن، هنا بلفظ التنزيل، الدال على التكثير؛ نظرًا لنزوله منجمًا، وأن التوراة والإنجيل خُصَّا بالإنزال؛ لأنهما نزلا دفعة واحدة. ومن هؤلاء المفسرين: الثعلبي، والبغوي، والزمخشري، وبيان الحق النيسابوري، وابن الجوزي، والقرطبي، والنسفي، وأبو جعفر بن الزبير الغرناطي، وابن جماعة، والبيضاوي، والمهايمي، وأبو السعود. انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٦، «الكشاف» للزمخشري: ١/ ٢٣٨، ٤١٢، «وضح البرهان» لبيان الحق: ١/ ٢٣٣، «زاد المسير» ١/ ٣٤٩، «تفسير القرطبي» ٤/ ٥، «تفسير النسفي» ١/ ١٤١، «ملاك التأويل» لابن الزبير: ١/ ١٤١، «كشف المعاني» لابن جماعة: ١٢٣، «تفسير البيضاوي» ١/ ٦٢، «تفسير المهايمي» ١/ ١٠٢، «تفسير أبي السعود» ٢/ ٤.

ولكن رُدَّ هذا القول بالآتي: إن التضعيف الدال على الكثرة، شرطه أن يكون في الأفعال المتعدية قبل التضعيف غالبًا؛ نحو: (فتَّحت الباب)، وفعل (نَزَل) لم =

و﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾؛ يعني: القرآن(١). فهو مصدرٌ، سُمِّي به المكتوب.
وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾. أي: بالصدق في أخباره، وجميع دلالاته.

= يكن متعديًا قبل التضعيف. وقولهم: (غالبًا): لأن التضعيف جاء دالًا على الكثرة في اللازم؛ نحو: (موَّت المالُ): إذا كثر. إن التضعيف الدال على الكثرة، لا يجعل اللازم متعديًا كما في (مَوَّت المال). ولما كان (نزل) لازما، وصار بالتضعيف متعديًا، دلَّ على أن تضعيفه للنقل لا للتكثير. إنه لو كان (نَزَّل) للتكثير، لاحتاج قولُهُ تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [سورة الفرقان: ٣٢] إلى تأويل، إنه ورد فعل (نَزَّل) المضعَّف، في آيات كثيرة، ولا يمكن أن يدل على التكثير، إلا بتأويل بعيد جدًا، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ [سورة الأنعام: ٣٧]، وقوله: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٩٥].

كما أن (أنزل) قد ورد خاصًا بالقرآن، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [سورة النحل: ٤٤]، فلو كان أحدهما يدل على التنجيم، والآخر على النزول دفعة واحدة، لكان في ذلك تناقض في الإخبار، وهو محال. انظر: «الحجة» للفارسي: ٢/ ١٥٨-١٦٢، «البحر المحيط» ١/ ١٠٣، «الدر المصون» ٣/ ١٩٨، ٣/ ٢١.

ويرى ابن عاشور أن التضعيف في ﴿نَزَّلَ﴾ كالهمز فيه، إلا أن التضعيفَ يؤذن بقوة الفعل في كيفيته وكمِّيَته، وأن ﴿نَزَّلَ﴾ أهم من (أنزل)؛ حيث يدل على عِظَم شأن نزول القرآن. ويرى بأنه لا دلالة على أن التوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة، بل نزلا مفرقَيْن؛ كحال كل ما نزل على الرسل في مدة الرسالة. انظر تفسير «التحرير والتنوير» ٣/ ١٤٧، ١٤٨ .

(١) ذهب سعيد بن جبير إلى أن الكتاب هنا : خواتيم سورة البقرة. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٨٧. أما جمهور المفسرين، فقد ذهبوا إلى أن المراد به القرآن، كما فَسَّره المؤلف. يقول أبو حيان (الكتاب هنا : القرآن، باتفاق المفسرين). «البحر المحيط» ٢/ ٣٧٧. وانظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٦٦، ١٦٧ «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٨٧، «تفسير البغوي» ٢/ ٦، «تفسير ابن جزي» ٧٣، «زاد المسير» ١/ ٣٤٩، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٦٩، «الدر المنثور» ٢/ ٥.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. أي: موافقًا لِمَا تقدم الخبرُ به في سائر الكتب. وفي ذلك دليل على صحة نبوة محمد ﷺ.

وقيل[١]: مصدقًا لشرائع الأنبياء المتقدمين فيما أتوا به، خلاف مَن يقول: نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. مِن مَجَازِ الكلام؛ وذلك أنَّ ما بينَ يَدَيْك، فهو أمَامَك. فقيل لكل ما تقدم على الشيء: (هو بين يديه)؛ كما جاء في الحديث: «إنَّ بينَ يَدَي الساعة سنين خَدّاعَة»[٢]؛ أي: أمامها، تتقدم عليها.

---

(١) هو معنى قول: مجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل، والطبري، والثعلبي، والبغوي. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٦٢، «تفسير الطبري» ٣/ ١٦٦، ١٦٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٨٧، «تفسير البغوي» ٢/ ٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤أ.

(٢) الحديث، أخرجه: البزار (انظر كشف الأستار عن زوائد البزار: رقم الحديث: (٣٣٧٣)، وأحمد في «المسند» ٣/ ٢٢٠. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٨٤، من رواية عمرو بن عوف، عن النبي ﷺ، ومن رواية ابن إسحاق، عن عبد الله بن دينار، عن أنس، عن النبي ﷺ. قال الهيثمي: (وقد صرح ابن إسحاق بالسماع من عبد الله بن دينار، وبقية رجاله ثقات). وأورده المتقي الهندي في «كنز العمال» ١٤/ ٢٢٩ رقم (٣٨٥١١) وعزاه للطبراني في «المعجم الكبير» والحاكم في «الكنى» وابن عساكر، عن عوف بن مالك الأشجعي. وورد الحديث بلفظ آخر من رواية أنس بن مالك: «إن أمام الدجال سنين خدَّاعة..». أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٢٠ (انظر: «الفتح الرباني» للبنا: ٢٤/ ٣٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٨٤: (رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وابن لهيعة، وهو لين). وورد من رواية أبي هريرة بلفظ: «إنها ستأتي على الناس سنون خداعة». رواه أحمد في «المسند» ٢/ ٢٩١. وانظر: «المسند» بشرح شاكر: ١٥/ ٣٧ رقم (٨٧٩٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: (إسناده حسن، ومتنه صحيح).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾. قال الفراء[(١)]: أصل (التوراة): (تَوْرَيَةٌ)، على وزن (تَفْعَلَة)، فصارت الياءُ ألفًا؛ لِتَحَرُّكِها وانفتاح ما قبلها. قال: ويجوز أن تكون (تَفْعِلَة)، فيكون أصلها: (تَوْرِيَة)، فتنقل الراء مِن الكَسْر إلى الفتح؛ كما تقول طَيِّئ[(٢)] في (جاريَة): جَارَاة. وفي (ناصيةٍ): نَاصَاة[(٣)].

قال الشاعر:

بِحَرْبٍ كَنَاصَاةِ الأغَرِّ المُشَهَّرِ[(٤)]

---

(١) قوله: في «الزاهر» لابن الأنباري: ١/ ١٦٨، وأورد الأزهريُّ طرفا منه، وعزاه لكتاب (المصادر) للفراء. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٠.

(٢) في (ج): (ظبي). (طيئ) هي القبيلة العربية المشهورة، التي تنسب إلى طيئ بن أدَد ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وهي من القبائل القحطانية، كانت مساكنهم في اليمن، ثم خرجوا منها، ونزلوا بنجد والحجاز، ثم انتشروا في الجزيرة العربية. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ٣٩٨٣٩٩، ٤٧٦، و«صبح الأعشى»: ١/ ٣٢٠، و«معجم قبائل العرب»: ٢/ ٦٨٩-٦٩١، ٥/ ٣٤٥.

(٣) الناصية، أو الناصاة: قصاص الشعر في مقدم الرأس. انظر: (نصا) في «اللسان» ٧/ ٤٤٤٧، «القاموس المحيط» (١٣٣٩). قال الأزهري (والناصية عند العرب: منبت الشعر في مقدم الرأس... وسمي الشعرُ ناصيةً؛ لنباته في ذلك الموضع). «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨١.

(٤) عجز بيت، وصدره:

لَقَدْ آذَنَتْ أهلَ اليَمَامَةِ طَيِّئٌ

وهو لحُرَيْث بن عَنَّاب الطائي. وقد ورد منسوبًا له، في كتاب «المعاني الكبير» لابن قتيبة: ٢/ ١٠٤٨، «اللسان» ٧/ ٤٤٤٧ (نصا). وورد غير منسوب، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨١، «الدر المصون» ٣/ ١٨. وردت كلمة (الحِصان) بدلًا من (الأغر) في كل المصادر السابقة، ما عدا «الدر المصون». المُشَهَّر: المشهور. انظر: (شهر) في «تهذيب اللغة» ٤/ ١٩٤٥، «اللسان» ٤/ ٢٣٥٢.

وأنشد الفراء:

فَمَا الدُّنيَا بِبَاقَاةٍ لِحَيٍّ وما حَيٌّ على الدنيا بِبَاقِ[1]

وقال الخليل[2] وهو مذهب البصريين[3]: (تَورَيَةٌ، أصلها: (فَوْعَلَةٌ)، وأصلها: (وَوْرَيَةٌ)، ولكنَّ الواو الأولى قُلِبت تاءً، كما قُلِبت في

---

(١) في (د): (باقي). أورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» ١/ ٣٨، ونسبه لخالد بن الطَّيِّفان الدارمي، وكذا نسبه الجاحظ له في: كتاب «الحيوان» ٥/ ١٠٥، وسماه خالد بن علقمة بن الطيفان. إلا أن الزمخشري في «ربيع الأبرار» في: ١/ ١٣ نسبه لنهشل بن حري النهشلي، وروايته فيه:

وما الدنيا بباقية لحي وما حي على الحَدَثان باقي

وهو في الموضعين في «ربيع الأبرار» (بباقية لحي). وورد البيت غير منسوب، في «الزاهر» لابن الأنباري: ١/ ١٦٨، ورسالة الصاهل والشاحج، للمعري: ٤٠٧، «الإنصاف في مسائل الخلاف» للأنباري: ص٦٩، «الدر المصون» ٢/ ٦٣٧، ٣/ ١٩. والشاهد فيه: قوله: (بباقاة)، وأراد: بباقية.

(٢) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٣٣.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤ب. والبصريون، هم: أصحاب المدرسة النحوية بالبصرة، الذين نشأ النحو على أيديهم وتطور. وقد وضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب مما نقل عن العرب، ومن قواعدهم المنهجية في النحو: التشدد في السماع، فلا يأخذون إلا من ثقات العربية، ممن سلمت لغاتهم من التأثر بلغة أو بلهجة أجنبية، ولا يعتمدون الشاهد النحوي مقياسًا، إلا إذا جرى على ألسنة العرب، وكثر استعمالهم له، وغير ذلك من القواعد، وهم أسبق من أصحاب المدرسة الكوفية، وأكثر تشددًا منهم. وهناك البغداديون، الذين ينتخبون من المدرستين. ومن علماء المذهب البصري: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، وسيبويه، وقطرب، والأخفش الأوسط، والمازني، والمبرد، وغيرهم. انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي: ٢١-٢١١، والمدراس النحوية، لشوقي ضيف: ١١وما بعدها، «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» د. محمود اللبدي: ٢١، ٨٧، «موسوعة النحو والصرف» د. أميل يعقوب: ٣٦٢، ٦١٦.

(تَوْلَج)[١]، فهو (فَوْعَل)، مِنْ (وَلَجْت). وقُلِبت الياء ألِفًا؛ لتحركها[٢] وانفتاح ما قبلها، فصارت (تَوْرَاةً)[٣]، وكُتِبَت بالياء على أصل الكلمة. قالوا: ولا يجوز أن يكون أصلها (تَفعَلَة) كما قال الفرّاء؛ لأن[٤] هذا البناء يَقِلُّ، وإن (فَوْعَلة) من الكثرة بحيث لا يتناسبان[٥].

ولا إشكال في أن الحَمْل على الأكثر الأشْيع أولى، وأيضًا فإن التاء لم تكثر زائدةً أوّلًا، والواو إذا كانت أوّلًا فقد استمرّ البدل فيها؛ نحو: (وُجُوه)، و(أُجُوه)[٦]، و(وُقِّتَتْ)، و(أُقِّتَتْ)، و(وشاح)، و(إشاح)[٧]، و(وَنَاة)، و(أَنَاة)[٨]. فإذا اجتمع واوان لزم الأوّلَ منهما البدلُ: إما همزة،

---

(١) تَوْلَج: كِناس الوحش، وهو الموضع الذي يستتر فيه. انظر: (ولج) في «أساس البلاغة» للزمخشري: ٢/ ٥٢٦، «القاموس المحيط» ص٢٠٩. وانظر: (كنس) في «الصحاح» ٣/ ٩٧١.

(٢) في (د): (لحركتها).

(٣) في (ج): (توراية).

(٤) من قوله: (لأن..) إلى (.. ولا إشكال): ساقط من: (د).
ومن قوله: (لأن..) إلى (.. وعومرة قد كثر): نقله بتصرف في بعض عباراته عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٣١٥.

(٥) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٣٣، «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٣/ ٨٧٩، «الممتع في التصريف» لابن عصفور: ١/ ٣٨٣، ٣٨٤ .

(٦) في (ج): (وأوجه).

(٧) الوشاح: شيء ينسج من أديم عريضًا، يرصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقيها. يقال: (وِشاح، وإشاح، ووُشاح، وُأشاح). الجمع: وُشُح، وأوْشِحة. انظر: «الصحاح» للجوهري: ١/ ٤١٥ (وشح).

(٨) (امرأة أناة، ووناة): فيها فتور. و(نساءق أنوات). و(قد وَني في الأمر): ضعف وفتر. انظر: «أساس البلاغة» ١/ ٢٣ (أنى)، ٢/ ٥٢٩ (ونى).

وإما تاء؛ نحو: (أَوَاقٍ)[١] في جمع (واقِيَةٍ).

وقد أُبدِلت التاءُ من الواو، إذا[٢] كانت مفردةً؛ نحو: (تُجَاه) و(تُرَاث)[٣] و(تُخَمَة)[٤] و(تُكْلاَن).

فإذا كثر[٥] إبدال التاء مِنَ الواو هذه[٦] الكثرة كانَ حملها على هذا الكثير[٧]، أَوْلى من حمله على ما لم يكثر ولم يتسع هذا الاتساع، ولا يقرب أيضًا حملُها على (تَفْعِلَة)؛ لأنه لا يخلو مِن أن يجعلها[٨] اسمًا؛ نحو: (تَوْدِيَة)[٩] أو مصدرًا؛ نحو: (تَوْصِية).

فأما باب (تَوْدِيَةٍ) فقليل؛ كما أن (تَفْعَلَة) كذلك، وباب (تَوْصِيَة) فيه

---

(١) في (د): (واق). وقوله: (نحو أواق): ساقط من: ب. انظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٩٠٣ (وقي).

(٢) في (أ): (فإذا). وفي (ب)، (ج): (وإذا) والمثبت من مصدر المؤلف؛ لأنه لا يستقيم الكلام إلا به. ومن قوله: (إذا..) إلى (.. من الواو) ساقط من: (د).

(٣) في (أ): (تَراث) بفتح التاء. والصواب ما أثبت وهو ضمها. انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ٥٢٧، «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٨٦٣ (ورث).

(٤) في (أ): (تُخْمَة) بسكون الخاء. والصواب بفتحها. انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس: ص٩٢٠، «المصباح المنير» للفيومي: ص٢٥٠ (وخم).

(٥) في (ج): (أكثر).

(٦) في (أ)، (ب): وهذه. والمثبت من: (ج) (د). وهو الصواب؛ حيث لا تستقيم العبارة إلا به، كما أنه هكذا في مصدر المؤلف، وهو «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٤.

(٧) في (د): (التكثير).

(٨) في (د): (تجعلها).

(٩) في (ب): (تردية). والتودية: واحدة التوادي، وهي: الخشبات التي تشد على خِلْفِ الناقة إذا صُرَّت. انظر: «غريب الحديث» للحربي: ١/ ٢٦٣، «الصحاح» ٦/ ٢٥،٢١ (ودى)، «اللسان» ٨/ ٨٨٠٤ (ودى).

اتساع؛ لكن إذا حملها على لُغَةِ طَيِّئٍ، فقد حملها على لغةٍ لم نعلم شيئًا منها في التنزيل.

فإذا لم يكن الوجهان اللّذان ذكرهما الفراءُ بالسّهلين، حَمَلْتَهُ على (فَوْعَلَةٍ) دونها؛ للكثرة؛ ألا ترى أنّ نحو: (صَومَعَة)[(١)] و(حَوجَلَة)[(٢)] و(دَوسَرَة)[(٣)] و(عَومَرَة)[(٤)]، قد كثر؟.

ونظير (التوراة) مِمّا قلبت الواوُ فيه تاءً[(٥)]، قولُهم[(٦)]: (التَّرِيَّة): لِمَا تَرَاهُ المرأةُ في الطُّهْرِ بعد الحَيْضِ[(٧)]، وهي (فَعِيلَةٌ) مِنَ (الوَرَاءِ)؛ لأنها تُرى بعد الصُّفْرَةِ والكُدْرَة. ويجوز أن تكون (فَعِيلَة)[(٨)]؛ مِن: (وَرِيَ الزَّنْدُ)؛ فكأن

---

(١) الصومعة: منار الراهب، وبيت للنصارى. انظر: (صمع) في «اللسان» ٤/ ٢٤٩٨، «القاموس» ص٧٣٨.

(٢) الحوجلة: هي ما كان من القوارير الصغار واسعة الرأس وقيل: هي القارورة الغليظة الأسفل. وقيل: هي القارورة فقط. انظر: (حجل) في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٢، «اللسان» ٢/ ٧٨٩.

(٣) الدَوْسَر: الجمل الضخم، ذو الهامة والمناكب. ولاأنثى: دَوْسَرٌ، ودَوْسَرةٌ. و(كتيبة دوسر، ودوسرة): مجتمعة. وقيل: الدوسر: النوق العظيمة. وقيل: الدوسر: القديم. انظر: (دسر) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٨٣، «اللسان» ٣/ ١٣٧٢، «القاموس» ص٣٩١.

(٤) في (ب): (عوصرة).
والعَوْمَرة: الاختلاط. يقال: (تركت الناس في عومرة)؛ أي: في صياح وجلبة. «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٦٧، «اللسان» ٥/ ٣١٠٣.

(٥) في (ب): (الياء في ثاء).

(٦) من قوله: (قولهم..) إلى (.. فكأن الطهر أخرجه): نقله بتصرف في بعض عباراته عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٢.

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٨ (رأى).

(٨) في (د): (فيعلة).

الطُّهْرَ أَخرجه[1].

فأما اشتقاقها: فقال الفرّاءُ فيما حكاه ابنُ الأنباري: التوراة[2]؛ معناها: الضياءُ والنُّورُ؛ من قول العرب: (وَرِيَ الزَّنْدُ[3]، يَرِي): إذا قَدَحَ[4]، فَلَم يَكْبُ[5]، و(أوريْتُه أنا)؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢]، ويقولونَ: (وَرِيتْ[6] بل زِنَادِي)، على مثال: (شَرِيَتْ)[7].

---

(١) انظر مبحث إبدال التاء من الواو، وأصل كلمة (التوراة) في «المقتضب» للمبرد ١/ ٦٣، «نزهة القلوب» للسجستاني ١٥٤، «مجالس العلماء» للزجاجي ٩٥، وكتاب «التكملة» للفارسي ٥٧١، «سر صناعة الإعراب» لابن جني ١/ ١٤٥، «المنصف» له ١/ ٢٢٦، «المشكل» لمكي: ١/ ١٤٩، «شرح المفصل» لابن يعيش: ٩/ ١٤٢، ١٠/ ٣٦، «نزهة الطرف في علم الصرف» لابن هشام: ١٦٠.

(٢) من قوله: (التوراة..) إلى (قول العرب): نقله عن «الزاهر» لابن الأنباري: ١/ ١٦٨.

(٣) من قوله: (وري الزند..) إلى: (.. لم يجاوز به غيره): نقله عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٠ مع بعض التصرف.

(٤) يقال: (وَرِيَ الزَّنْدُ يَرِي)، و(وَرَى يَرِي)، و(وَرِيَ يَوْرَى). انظر: (وري) في: «كتاب العين» للخليل بن أحمد: ٨/ ٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٠، «الصحاح» ٦/ ٢٥٢٢. والزَنْدُ: العود الذي تُقدَح به النارُ، وهو يكون في الأعلى، والزندة: السفلى. انظر: «الصحاح» ٢/ ٤٨١ (زند).

(٥) في (أ): (يثب).(ب): (يتب). وفي (ج): ينب. وفي (د) كما في النسخ السابقة، ولكن بدون إعجام، ولا وجه لجميعها. والمثبت هو ما استصوبته؛ فقد جاء في «اللسان» (كبا الزَنْدُ): إذا لم يخرج ناره. انظر ٦/ ٣٨١٤ (كبا). وفي «مفردات ألفاظ القرآن» (ويقال: (فلانٌ واري الزند): إذا كان مُنْجِحا. و(كابي الزند): إذا كان مُخفِقًا). ٨٥٥ (وري).

(٦) في (ج): (ورَيْتُ). ووردت الكلمةُ كما أثبَتُّ، في «مجالس العلماء» للزجاجي: ٨٢. وجاء في «كتاب العين» للخليل: ٨/ ٣٠٤: (وتقول للرجل الكريم: (إنه لواري الزِّناد، وورَّيْتُ بك زِنادي)؛ أي: رأيت منك ما أحب، مِنَ النُّصْح والنجابة والسماحة).

(٧) في (ج): (شربت).ومعنى (شَرِيَت)؛ أي: لجَّت، مِن: (شَرِيَ يَشْرَى شَرًى)، =

وزعم أبو عثمان[١]: أنه استُعْمِل في هذا الكلام فقط، لم يُجاوَزْ به غيره.

ومعنى (وَرِيَت بك زِنَادِي)؛ أي: ظَهَر بك الخيرُ لي.

فالتوراة سُمِّيت [بذلك][٢]؛ لظهور الحق بها. يدل على هذا المعنى قولُه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وقال المُؤَرِّج[٣]: هو من (التَّوْرِيَةِ)[٤]، وهي: التعريض بالشيء؛ وكان أكثر التوراة معاريضَ وتلويحًا، مِن غير إيضاحٍ وتصريح.

وفي (التوراة) قراءتان: الإمالة، والتفخيم[٥].

= و(استشرى فلان في غيِّه): إذا تَمادَى ولَجَّ فيه. و(شَرِيَ البَرْقُ): إذا تتابع لَمَعانُه. و(شَرِيَتْ عينُه): إذا لجت وتابعت الهملان. و(شَرِيَت)؛ بمعنى: أصابها الشَّرِي، وهو: مرض جلدي له لذع شديد. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري: ٢٢٨، ٢٢٩، ومادة (شري) في «الصحاح» ٦/ ٢٣٩١، «اللسان» ٤/ ٢٢٥٣.

(١) في (ج): (ابن عثمان). وهو: بكر بن بقية، وقيل: بكر بن محمد بن عديٍّ بن حبيب. أبو عثمان المازني. من أهل البصرة، أستاذ المبرد، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد. قال عنه المبرد: (لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان). قيل إنه توفي: (٢٤٨هـ)، وقيل: (٢٤٩هـ). انظر: «أخبار النحويين البصريين» ٨٥، و«معجم الأدباء» ٧/ ١٠٧، و«الأعلام» ٢/ ٦٩.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤ب.

(٤) في (د): (التوراة).

(٥) الإمالة: أن تُمِيل الفتحةَ نحو الكسرةِ، وتُمِيل الألفَ نحو الياء، مِن غير قلْبٍ خالص، ولا إشباع مبالغ. وهي كبرى وصغرى؛ فالكبرى: أن يُصرف الفتح إلى الكسر كثيرًا. ويُعبَّر عنها بـ(الكسر) مجازًا، أو (البطح) أو (الإضجاع)، وعند سيبويه: (الإجناح). والصغرى: أن يُصرف الفتح إلى الكسر قليلًا، ويسمى (بين اللفظين)؛ أي: بين الفتح وبين الإمالة الكبرى، أو يعبر عنها بـ(التقليل) و(التلطيف)، أو (بين بين). والتفخيم، أو الفتح هو النطق بالألف مركبة على =

فَمَنْ فَخَّم؛ فلأن الراءَ[1] حَرفٌ يَمْنُعُ الإمالة؛ لِما فيه مِنَ التكرير، كما يمنعه المستعلي[2]، ولو كان مكان[3] الراء مُستَعْلٍ مفتوحٌ، لمْ تَحْسُنْ الإمالةُ، كذلك إذا كانت الرّاءُ مفتوحةً.

ومَنْ أمالَهَا؛ فَلأنّ الألف لَمّا كانت رابعةً، لم تخلُ مِنْ أن تشبه ألِفَ التأنيث، أو الألف المنقلبةَ عن الواو، وعن[4] الياء.

وألِفُ[5] التأنيث تُمالُ[6]، وإنْ كان قبلها مستعْلٍ؛ كقولهم:

= فتحة خالصة غير مُمالة. وهو شديد ومتوسط؛ فالشديد: فتح القاريء لِفِيهِ بلفظ الحرف الذي يأتي بعده ألف، وهو مكروهٌ. والمتوسط: ما بين الشديد، والإمالة المتوسطة، وهو المستعمل عند أصحاب الفتح من القراء.
انظر: «الرعاية» لمكي: ١٢٩، «جمال القراء» للسخاوي: ٢/ ٥٠٠، «التمهيد» لابن الجزري: ٥٧.
ووردت الإمالة في قراءة ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ عن: أبي عمرو، والكسائي، وابن ذكوان، وخلف. ووردت الإمالة بين اللفظين، والإمالة المحضة، عن: حمزة. ووردت الإمالة بين اللفظين عن نافع. أما التفخيم: فورد عن: ابن كثير، وعاصم، وابن عامر.
انظر: «السبعة» لابن مجاهد: ٢٠١، «الكشف» لمكي: ١/ ١٨٣، «التبصرة» لمكي: ٤٥٥، «التيسير» للدَّاني: ٨٦، «الإقناع» لابن الباذش: ١/ ٢٨٢-٢٨٤، «النشر» لابن الجزري: ٢/ ٦١.

(١) من قوله: (فلأن الراء..) إلى (.. كذلك يميلون الراء): نقله بتصرف يسير عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٥.
(٢) حروف الاستعلاء: الخاء، والصاد، والضاء، والطاء، والظاء، والغين، والقاف. انظر: «الرعاية» لمكي: ١٢٣، «التمهيد» لابن الجزري: ٩.
(٣) في (أ): (مكان مكان).
(٤) في (د): (أو من).
(٥) في (د): (والألف).
(٦) في (د): (قال).

(فَوْضى)[(١)]، و(جَوْخَى)[(٢)] وهي مدينة[(٣)]، [فـ][(٤)] كما أمالوا المستعلية معها، كذلك يميلون الرَّاءَ[(٥)] والألِفَ المنقلبةَ عن الياء والواو، وتمال نحو: ﴿رَمَىٰ﴾[(٦)] و﴿سَجى﴾[(٧)]، وأشباههما.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾. قال الزجَّاجُ[(٨)]: الإنجيْل، (إفْعِيل)؛ مِنَ (النّجْل)، وهو[(٩)]: الأصل. هكذا كان[(١٠)] يقول جميع أهل اللغة في (إنجيل).

قال ابن الأنباري[(١١)]: معنى قولهم: (إنجيل) لِكِتاب الله: أَصْلٌ

---

(١) في (أ): (قوضى).(ب): (قوضي). (د) قوصي. والمثبت من: (ج)؛ لموافقته للمصدر المنقول عنه، وهو «الحجة» للفارسي: ٣/ ١٥؛ ولأن ما لم أُثْبِتْهُ لم أقف عليه في معاجم اللغة التي بين يدي.

(٢) في (ب): (جوخي). (د): (حوحي).

(٣) في (ج): (وهما مدينتان). وجوْخى: قرية من أعمال واسط بالعراق. انظر: «معجم ما استعجم» للبكري: ٤٠٣، «القاموس المحيط» ٢٥٠ (جاخ).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة ليستقيم بها الكلام، وهي موجودة في «الحجة» ٣/ ١٥.

(٥) قال الفارسي: (وإذا أمالوا مع المستعلي، كانت الإمالة مع الراء أجود؛ لأن الإمالة على الراء أغلب منها على المستعلي، ألا ترى أنه قد حكي الإمالة في نحو: (عمران)، ونحو: (فِراش)، و(جِراب). ولو كان مكان الراء المستعلي، لم تكن فيه إمالة؟..). «الحجة» ٣/ ١٦، وانظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ١٤١، ١٤٢ .

(٦) من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. سورة الأنفال: ١٧. وقد أمالها: أبو بكر، وحمزة، والكسائي. انظر: «الكشف» لمكي: ١/ ١٧٧، ١٨٤.

(٧) الضحى: ٢. وقد أمالها الكسائيُّ. انظر: «الكشف» ١/ ١٨٩، «التيسير» للداني٤٩.

(٨) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٥.

(٩) في (د): (وهي).

(١٠) (كان): ساقطة من: (ج).

(١١) في «الزاهر» ١/ ١٦٨. نقله عنه، مع التصرف في بعض عباراته.

للقوم[١] الذين[٢] نزل عليهم؛ لأنهم يَعْمَلونَ بما فيه. ويقال[٣]: (لَعَنَ اللهُ ناجِلَيْهِ)؛ أي: والِدَيْهِ. وأنشد قولَ الأعشى:

إذْ نَـجَـلاهُ فَـنِـعْـمَ مَـا نَـجَـلا[٤]

أي: كان أصلًا له إذ وَلَدَاهُ.

وقال قومٌ[٥]: (الإنجيل)، مأخوذ من قول العرب: (نَجَلْتُ الشيء): إذا استخرجته وأظهرتُه. يقال للماء الذي يخرج من النَّزِّ[٦]: (نَجْلٌ).

ويقال: (قد استَنْجَلَ الوادي): إذا أخرج الماء من النزِّ. فسمّي الإنجيلُ إنجيلًا؛ لأن الله تعالى أظهره للناس بعد طموس الحق ودُرُوسِهِ.

---

(١) في (د): (القوم).

(٢) في (ج): (الذي).

(٣) في (ج): (ويقولون).

(٤) عجز بيت، وصدره:

أنـجـب أيـامَ والـداه بـه

وهو في: ديوانه: ١٧١، وقد ورد منسوبًا له، في «مجالس ثعلب» ١/ ٧٧، «الزاهر» ١/ ١٦٩، «البارع» لأبي علي القالي: ٦٢٥، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٢٢(نجل)، «المحتسب» لابن جني: ١/ ١٥٣، «الإفصاح» للفارقي: ٣٣٢، «اللسان» ٧/ ٤٣٥٥ (نجل)، «أوضح المسالك» لابن هشام: ص١٥٣، «همع الهوامع» للسيوطي: ٤/ ٢٩٧.

ويروى البيت: (أنجب أيامُ والديه به)، و(أزمان) بدلًا من: (أيام). والبيت من قصيدة يمدح بها سلامة ذا فائش الحميري. ومعنى البيت: ولدا ولدا نجيبا. فيكون سياق البيت كالتالي: أنجب والداه به -أيام إذ نجلاه- فنعم ما نجلا.

(٥) ممن قال ذلك: ابن دريد في «جمهرة اللغة» ١/ ٤٩٢ (نجل). وانظر: «المعرب» للجواليقي: ١٢٣.

(٦) النَّزُّ، والنِزُّ: ما تَحَلَّبَ من الأرض من الماء. و(نَزَّت الأرض): صارت ذا نَزّ. انظر: (نزز) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٠، «مجمل اللغة» ٨٤٣، «القاموس» ٥٢٧.

قال: وفي (الإنجيل) قولٌ ثالث: وهو أن يكون سُمّيَ إنجيلًا؛ لأن الناس اختلفوا فيه، وتنازعوا.

قال أبو عمرو الشيباني[١]: التَّنَاجُل: التنازع. يقال: (تناجلَ القومُ): إذا تنازعوا[٢].

وقال جماعة من أهل التحقيق: التوراة والإنجيل والزَّبُور، أسماء عُرِّبت مِنَ السريانية، وليس يُطّردُ فيها قياس الأسماء العربيّة؛ ألا تراهم يقولون لها بالسريانية: (تُورَيْ)، (انْكِلِيُون)[٣]، (زَفُوتَا)[٤].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٢٢ (نجل).

(٢) انظر: اشتقاقات ومعاني الإنجيل في «نزهة القلوب» للسجستاني: ١٢٣، «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: ٣/ ١٦١، «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي: ٥٦٢، إضافة إلى بقية معاجم اللغة في مادة (نجل).

(٣) في (ج): (ان كليون). قيل إنه معرب من الرومية وليس من السريانية أي الآرامية، وأصله: (إثانْجَليُوم)؛ أي: الخبر الطيب. فمدلوله مدلول اسم الجنس؛ ولذ أدخلوا عليه كلمة التعريف في الرومية. وعربه العرب فأدخلوا عليه لام التعريف. ويرى ابن عاشور أن من ذهب إلى كونه منقول من السريانية، قد تكون العبارة اشتبهت عليه، وأن الصواب (اليونانية)؛ لأن فيها (أووَانَيْليُون) (أي: اللفظ الفصيح. انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور: ٣/ ١٤٩.

(٤) وممن ذهب إلى أن (الإنجيل) و(التوراة) اسمان أعجميان: الزمخشري، والجواليقي، والنسفي، وابن جزي، والبيضاوي، وأبو السعود، والسمين الحلبي، والطاهر بن عاشور. قال الزمخشري: (وتكلف اشتقاقهما من (الوَرْي) و(النَّجْل)، ووزنهما بـ(تفعلة)، و(إفعيل)، إنما يصح بعد كونهما عربيين). «الكشاف» ١/ ٤١٠. وانظر: «المعرب» للجواليقي: ١٢٣، «تفسير النسفي» ١/ ١٤١، «تفسير ابن جزي» ٧٣، «تفسير البيضاوي» ١/ ٦٢، «تفسير أبي السعود» ٢/ ٤، «عمدة الحفاظ» للسمين: ٥٦٢، «التحرير والتنوير» ٣/ ١٤٩. وقد استدل بعضهم بقراءة الحسن: (والأنجيل) بفتح الهمزة، على أنه أعجمي؛ لأنه ليس=

٤- وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾. أي: ما فرق بين الحق والباطل[١].

قال ابن عباس في رواية عطاء[٢]: يريد به جميع الكتب؛ لأنه فرّق فيها بين الحق والباطل[٣].

وقال السُّدِّي[٤]: في هذه الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: ونَزَّلَ التوراة والإنجيل وأنزل الفرقان؛ هُدًى للناس.

وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي: مِمَّن كَفَرَ به؛ (لأن)[٥] ذِكْرَ الكافرين جرى ههنا.

والانتقام: العقوبَة. يقال: (انتقم منه انتقامًا)؛ أي: عاقبه[٦].

= في أبنية العرب (أفعيل). انظر: «الزاهر» ١/ ١٦٩، «البحر المحيط» ٢/ ٣٧٨، «اللسان» ٧/ ٤٣٥٦ (نجل).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٣٧٥، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٤٣، «تفسير البغوي» ٢/ ٦.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٣) إضافة إلى هذا القول، فقد وردت الأقوال التالية في (الفرقان): أنه القرآن، وهو قول: قتادة والربيع وعطاء ومجاهد ومِقْسم والجمهور. أنه مصدر لكل ما يفرق بين الحق والباطل في أمر عيسى ﷺ، وغير ذلك من أموره. وهو قول محمد بن جعفر ابن الزبير، ورجحه الطبريُّ؛ محتَجاً بتقدم ذِكْر القرآن في آية: ٣. من هذه السورة، فلا داعي لإعادته. أنه التوراة، وهو قول أبي صالح، ورَدَّه ابن كثير؛ نظرًا لِتقدم ذِكْر التوراة. أنه خواتيم سورة البقرة، قاله سعيد بن جبير.
انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٦٧، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٣٧٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٨٨، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٤٣، «تفسير البغوي» ٢/ ٦، «زاد المسير» ١/ ٣٥٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٦٩.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥، «تفسير البغوي» ٢/ ٦، «زاد المسير» ١/ ٣٥٠.

(٥) في (أ): (لال). والمثبت من: (ب)، (ج)، (د).

(٦) انظر: (نقم) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٤، «الصحاح» ٥/ ٢٠٤٥، «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (تحقيق عدنان داودي): ٨٢٢.

وقال اللَّيْث[١]: يقال: (لَمْ أرْضَ منه حتى نَقِمْتُ، وانتقمْتُ): إذا كافأه؛ عقوبةً بما صنع.

٦- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ﴾[٢]. التصويرُ: جعل الشيء على صُورةٍ. والصورة: هيئة يكون[٣] عليها الشيء بالتأليف.

وأصلها مِن: (صارَه، يَصُوره): إذا أماله[٤]. فهي صورَةٌ؛ لأنها مائلة إلى بِنْيَةٍ بالشَّبَه لها.

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ .جَمْعُ رَحِم. وأصلها مِنَ: الرَّحْمَة[٥]؛ وذلك لأنها مما يُتَراحم بالاشتراك فيها، ويُتَعاطف.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ .أي: ذكرًا (و)[٦] أنثى؛ قصيرًا وطويلًا؛ أسودَ وأبيض؛ سعيدًا وشقيًا .﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلْكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾

---

(١) قوله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٤ (نقم).

(٢) لم يتعرض المؤلف لتفسير آية: ٥ .

(٣) في (أ): (تلون). (ج) يلون. والمثبت من: (ب)، (د).

(٤) يقال: (صارَهُ يَصُورُه، ويَصِيرُه). انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥٨ (صار)، «غريب الحديث» لأبي عبيد بن سلام: ٢/ ٣٠٩، «اللسان» ٤/ ٢٥٢٤.

(٥) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (تحقيق عدنان داودي): ٣٤٧. وورد في الحديث: (قال الله: **أنا الله، وأنا الرحمن، خَلَقْت الرَّحِمَ، وشَقَقْت لها اسمًا من اسمي، فَمَن وَصَلَها وصَلْتُه، ومَنْ قَطَعَها بَتَتُّه**). أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (١٩٠٧) كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في قطيعة الرحم، وقال الترمذي: (حديث صحيح)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٥٧. وصححه، ووافقه الذهبي، وأحمد في «المسند» ١/ ١٩٤.وعند البزار: (**أنا الرحمن الرحيم، وإني شققت الرَّحِمَ من اسمي..**). انظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار»: ٢/ ٣٧٩، تحقيق الأعظمي، وقال عنه الهيثمي: (وإسناده حسن). «مجمع الزوائد» ٨/ ١٥١.

(٦) في (ج): (أو). وكذا كُتِبت (أو) بدلا من (و) في (ج) فيما بعدها.

في خَلْقِه.

٧- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ إلى قوله: ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ اختلف المفسِّرون في المُحْكَم والمُتَشابِه.

واختلفت (فيهما)[١] الروايات عن ابن عبّاس، فقال في روايةِ عَطِيّة: المُحْكَم: الناسخ الذي يُعمل به. والمُتشابه: المَنْسُوخُ الذي يُؤمَنُ به، ولا يُعمل [به][٢]. وهذا قول قتادة، والربيع[٣].

وقال في رواية عطاء: المُحْكَمَات: (هي)[٤] الثلاثُ (الآيات)[٥] في (آخر)[٦] سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات

---

(١) في (ج): (فيها).

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).
وهذا الأثر عن ابن عباس من رواية عَطِيَّة، في «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٥/ ب، «الدر المنثور» للسيوطي: ٣/ ٨. وسند هذا الأثر عن ابن عباس من طريق عطية قال عنه الشيخ أحمد شاكر: (إسنادٌ مُسَلْسَلٌ بالضعفاء). انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٣ هامش (١) (ط. شاكر)، وقد تكلم على السَّنَدِ بإسهاب. وانظر كذلك السندَ، في «تفسير الثعلبي» ١/ ٤ أ. وقد أخرج الطبريُّ أثرًا آخرَ عن ابن عباس، في نفس المعنى من رواية السُّدِّي الكبير، عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٢، وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على سنده، في: ١/ ١٥٦-١٦٠ هامش (٢) (ط. شاكر).

(٣) انظر الأثر عنهما في «تفسير القرآن» لعبد الرزاق الصنعاني (تحقيق د. مصطفى مسلم): ١/ ١١٥، «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥ ب، «تفسير البغوي» ١/ ١٧، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٧-١٨.

(٤) (هي): ساقطة من: (ج).

(٥) في (ب): (آيات).

(٦) في (ج): (أواخر).

الثلاث[(١)].

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾؛ يريد: (التي)[(٢)] تشابهت اليهود؛ وهي حُرُوف التَّهَجِّي في أوائل السُّوَرِ؛ وذلك أنهم أوَّلُوها على حِسَابِ الجُمَّلِ، وطلبوا أن يَسْتَخرِجوا منها مُدَّة بقاء هذه الأمَّةِ، فاختلط عليهم واشْتَبَه[(٣)].

---

(١) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس من رواية عطاء فيما رجعت إليه من مصادر، وإنما الوارد عنه هو من رواية أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله بن قيس. وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٨٨، وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٩٢ كما أورده السيوطيُّ في «الدر المنثور» ٢/ ٦، وعزا إخراجه لسعيد بن منصور، وابن مردويه. وورد من نفس الطريق بلفظ آخر: (قال: هي الثلاث الآيات، مِنْ ههنا: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١]، إلى ثلاث آيات، والتي في (بني إسرائيل): ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] إلى آخر الآيات). أخرجه الطبريُّ في «تفسيره» ٣/ ١٧٢، وابن أبي حاتم ٢/ ٥٩٢، والثعلبي ٣/ ٥ /ب، من رواية أبي إسحاق.
وأورده السيوطيُّ في «الدر المنثور» ٢/ ٦ وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد، وابن المنذر. وانظر: «الإتقان» له: ٣/ ٥. وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ١٧-١٨: (وهذا عندي مِثالٌ أعطاه في المُحكَمَات).

(٢) في (ج): (الذي).

(٣) موقف اليهود من حروف أوائل السور، ورد في أثر طويل رواه محمد بن إسحاق، عن الكَلْبِيُّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله، وروايته له بصيغة التمريض؛ حيث قال: (.. فيما ذُكر لي عن عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله..). انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٠-١٧١. فسنده ضعيف لِمَا فيه مِنْ مجهول. وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٧٤، وقال عنه الشيخ أحمد شاكر: (ضعيف الإسناد). وقد أورد شاكر أسانيد هذا الأثر وبَيَّن اضطرابَها، ثم قال: (وعندي أن هذا الاضطراب، إنما هو من ابن إسحاق، أو لَعَلَّه رواهُ بهذه الأسانيد كَمَا سَمِعَه، وكلها ضعيف مضطرب). «تفسير الطبري» ١/ ١٧٩ (ط. شاكر). وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٦ب، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٧٠، وقال عنه: (مداره=

وهذا القول، اختيار الفرّاء(١).

وقال في رواية الوالبي(٢): محكمات القرآن: ما فيه من الحلال

= على محمد بن السائب الكلبي، وهو مِمَّن لا يُحتج بما انفرد به). وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٨، وأشار إلى ضعفه، والشوكانيُّ في «فتح القدير» ١/ ٤٨٠ وَرَدَّه. هذا وقد استدل الطبري بهذه الرواية على أن هذه الحروف هي من حساب الجُمّل، مع أن الرواية التي أوردها مدارها على الكلبي، الذي ضعفه الطبري نفسُهُ، وعدّه ممن لا يجوز الاحتجاج بنقله. وقال عنه ابن تيمية: (فهذا نقلٌ باطلٌ)، وبيَّن بطلانَه من ثلاثة وجوه، منها: أنه من رواية الكلبي. وقال ابن كثير: (وأمّا مَنْ زَعَم أنها دالَةٌ على معرفة المُدَدِ، وأنه يُستخرجُ من ذلك أوقاتُ الحوادث والفِتَنِ والمَلاحِم، فقد ادّعَى ما ليس له، وطار في غير مطاره)، ثم قال: (كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحًا أن يُحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإنْ حُسِبت مع التكرار فأطم وأعظم). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٥، «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيميّة: ١٩١. «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٧٠.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ١٩٠.

(٢) يريد المؤلف بـ(الوالبي) والله أعلم: علي بن أبي طلحة، الراوي عن ابن عباس، وهكذا سماه الثعلبي شيخ المؤلف في مقدمة تفسيره «الكشف والبيان» ١/ ٥أ، وساق سنده إليه، فقال: (.. أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن طلحة [هكذا في المخطوط، والصواب: ابن أبي طلحة] الوالبي، عن ابن عباس)، وهو نفس السند الذي روى به ابن أبي طلحة التفسير عن ابن عباس، وهو نفس السند الذي جاءت به هذه الرواية عنه في هذا الموضع في «تفسير الطبري» «تفسير ابن أبي حاتم». ولم أقف في المصادر التي رجعت إليها، على مَنْ سَمَّاه بـ(الوالبي) سوى الثعلبي والواحدي، والزركشي في «البرهان» ٢/ ١٥٨.

وهو: علي بن أبي طلحة «سالم» بن المخارق الهاشمي، أبو الحسن. أرسل عن ابن عباس ولم يره، عالم بالتفسير، رواه عن ابن عباس مرسلًا، والواسطة بينهما مجاهد، أو سعيد بن جبير. وتُعَدُّ هذه الطريقة إلىٰ ابن عباس في التفسير من أقوى=

والحرام، والحُدُود والفرائض، مِمّا يُعمل به. والمتشابهات: مُقَدَّمُه ومُؤَخَّرُه، وأمثالُهُ وأقسامه، وما يُؤمَنُ به (ولا يُعمل به)[1].

وقال ابن كَيْسَان[2]: المُحْكَمَات: حُجَجُها واضحةٌ، ودَلائِلُها لائحة، (لا)[3] حاجة بمن سمعها إلى طلب معانيها. والمتشابه: ما يُدرَك عِلْمُهُ بالنظر. وهذا القول؛ اختيار أبي إسحاق؛ لأنه حكى هذا القول، وقال[4]: معنى ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: أي: أُحكِمت في الإبانة، فإذا سمعها السامعُ لَمْ يَحْتَجْ إلى تأويلها؛ لأنها ظاهرةٌ بَيِّنَةٌ؛ نحو: ما قَصّ اللهُ تعالى مِنْ

= الطرق إليه. واعتمد عليها البخاريُّ في صحيحه. قال الإمام أحمد: (بمصر صحيفة تفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا، ما كان كثيرًا) مات سنة (١٤٣هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ١٩١، و«المراسيل» ١٤٠، و«تاريخ بغداد» ١١/ ٤٢٨، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ١٤٣، و«تهذيب التهذيب» ٧/ ٣٣٩، و«الإتقان» ٢/ ٤١٤-٤١٥.

(١) في (ج): (وما لم يُعمل به) والأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٧٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٩٣، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٨. وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩، وزاد نسبة إخراجه كذلك لابن المنذر، وأورده كذلك في: «الإتقان»: ٣/ ٤.

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦ب، وأورده بالمعنى النحاسُ في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٤٥. وابن كسيان، أكثر من واحد، وهو هنا: عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم المعتزلي. كان من أفصح الناس، وأورعهم، وأفقههم، وله تفسير للقرآن، وكتب كثيرة ذكرها ابن النديم. قال ابن حجر: (هو من طبقة أبي الهذيل العلاف، وأقدم منه)، توفي سنة (٢٠٠هـ)، وقيل: (٢٠١هـ). وقد نَصّ الثعلبيُّ على اسمه في مقدمة تفسيره «الكشف والبيان» وجعله من مصادره، وعليه اعتمد الواحديُّ. انظر: «الفهرست» لابن النديم: ١٢٠، «لسان الميزان» لابن حجر: ٤/ ٢٨٨، «طبقات المفسرين» للداودي: ١/ ٢٧٤، «تفسير الثعلبي» (المقدمة) ١/ ١٠.

(٣) في (ج): (ولا).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» له: ١/ ٣٧٦. نقله عنه باختصار وتصرف يسير.

أقاصيص الأنبياء، مِمّا اعترف به أهلُ الكِتَاب، وما أخبر اللهُ جلّ وعزَّ به مِنْ إنشاءِ الخَلْقِ، في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤]. الآية. ومِنْ خَلْقِهِ مِنَ الماءِ (كلَّ)[١] شيءٍ (حَيٍّ)[٢]، وما خلق مِنَ الثمار، وهذا (ما)[٣] لَمْ يُنْكِروا، (وأنكروا)[٤] ما احتاجوا فيه إلى النَّظَرِ مِنْ أنَّ اللهَ يبعثهم بعد أنْ يَصِيروا تُرابًا، (ولَوْ نَظَرُوا وتَدَبَّروا)[٥] لَصَارَ المُتَشابِهُ عندهم كالظاهر؛ لأنَّ مَنْ قَدَرَ على الإنشاء أوّلًا، قَدَرَ على الإعادَةِ.

وقد نَبَّهَ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ [يونس: ٧٩].

وقال محمد بن جعفر بن الزبير[٦]: المُحْكَم: ما لا يَحْتَمِل مِنَ التأويل غير وَجْهٍ واحدٍ. والمُتَشابه: ما احتمل من التأويل أوجُهًا[٧]. وهذا

---

(١) في (ج): (كل كل).

(٢) (حي): ساقطة من: (د).

(٣) في (ب): (مما).

(٤) في (ج): (ولو أنكروا).

(٥) (ولو نظروا وتدبروا): ساقطة من: (ج).

(٦) هو: محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي المدني. من أتباع التابعين، كان من فقهاء أهل المدينة، ثقة، مات ما بين (١١٠هـ و١٢ هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ٢٢١، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٣٠، «تقريب التهذيب» ص٤٧١ (٥٧٨٢).

(٧) هذا معنى كلام محمد بن جعفر، ذكره: الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٧٣، ولفظه عنده من رواية محمد بن إسحاق: (قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: فيهن حُجَّةُ الرَّبِّ، وعصمةُ العباد، ودفعُ الخصوم والباطل؛ ليس لها تصريف ولا تحريف عمّا وُضِعت عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: في الصدق؛ لَهُنَّ تصريفٌ وتحريف وتأويل، ابتلى اللهُ فيهن العبادَ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام؛ لا يُصرَفْنَ إلى الباطل، ولا يُحرفن عن الحق).=

اختيار ابن الأنباري، وكثيرٍ مِنَ العلماء[١].

[و][٢] قال ابن الأنباري[٣]: الآية المُحْكَمَةُ: التي مَنَعَتْ كَثْرَةَ التأويلات؛ لأنها لا تَحْتَمِلُ إلّا تفسيرًا واحدا.

والعرب تقول[٤]: (حَكَمتُ) و(أحكمتُ) و(حَكَّمْتُ)؛ بمعنى: (رَدَدْت)[٥]، ومَنَعْتُ. والحاكم يَمْنَعُ (الظالمَ)[٦] من الظُلْم.

قال الأصمعي[٧]: وأصلُ الحُكُومَةِ: رَدُّ الرَّجُلِ عَنِ الظُّلْمِ، ومِنْهُ قولُ لَبيد:

أَحْكَمَ الجِنْثِيَّ مِنْ عَوْراتِها كُلُّ حِرْباءٍ إذا أُكْرِهَ صَلْ[٨]

= وانظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٨، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠، «الدر المنثور» ٢/ ٧. وقال ابنُ عَطيَّة في «المحرر الوجيز» ٣/ ١٨: (وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية).

(١) ونسبه الماورديُّ، وابنُ الجوزي للشافعي رحمه الله. انظر: «النكت والعيون» ١/ ٣٦٩، «زاد المسير» ١/ ٣٨١.

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) من قوله: (والعرب..) إلى نهاية بيت الشعر: (.. أحكموا سفهاءكم): نقله بتصرف واختصار عن «تهذيب اللغة» للأزهري: ١/ ٨٨٦.

(٥) في (أ): رَدَدت. والمُثبت من: بقية النسخ، ومن «التهذيب».

(٦) في (ج): (الظلم).

(٧) قوله: في «جمهرة اللغة» لابن دريد: ١/ ١٤٣ (أبواب النوادر)، وفي «تهذيب اللغة» كما سبق.

(٨) البيت في «ديوان لبيد» ١٩٢. وقد ورد منسوبًا له، في: كتاب «المعاني الكبير» لابن قتيبة: ٢/ ١٠٣٠، «جمهرة اللغة» لابن دريد: ١/ ١٤٣، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦ (حكم)، «شرح الأبيات المشكلة الإعراب» للفارسي: ٥٤١، «الصحاح» ١/ ١٠٩ (حرب)، «مجمل اللغة» لابن فارس: ١/ ١٩٩ (جنث)، «اللسان» ١/ ٣٠٦ =

قال: (الجِنْثِيّ): السَّيْف[١]؛ أي: ردَّ السيفَ عن[٢] عوراتِ (الدرع)[٣] (وهي)[٤] فُرَجُها، كلُّ حِرْباءٍ وهُوَ المِسْمَارُ الذي يُسَمَّرُ به حَلَقُها[٥].

ومِنْهُ حديثُ النَّخَعِيِّ: (حَكِّمْ اليتيمَ كما تُحَكِّم وَلَدكَ)[٦]؛ أي: امنعه من الفَسَاد[٧].

= (حرب)، ١٢/ ١٤١ (حكم). وورد غير منسوب في «المخصص» لابن سيده: ١٢/ ٢٤٠.

وللبيت رواية ثانية: برفع (الجِنْثِيُّ)، ونصب (كلَّ). ومعنى (إذا أكرِهَ صَلّ): إذا أكره لِيُدْخَلَ في الحِلَقِ، سمعت له صليلًا. وعلى الرواية الثانية، يكون معنى الإحكام في البيت: إحكام الصنعة، و(الجِنْثِي): الزَّرَّاد (الحداد)؛ أي: أحْكَمَ الزَّرَّادُ مساميرها. انظر: «كتاب المعاني الكبير» ٢/ ١٠٣٠، «شرح الأبيات المشكلة» ٥٤١، «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣٢٢.

(١) في «القاموس» (الجُنْثي بالضم : السيف، والزَّرَّاد، وأجود الحديد، ويُكسر). ص١٦٦ (جنث)، وانظر: «مجمل اللغة» ١/ ١٩٩ (جنث).

(٢) في (ب): (من).

(٣) في (ج): (الدروع).

(٤) في (ب): (وهو).

(٥) انظر: (حرب) في «الصحاح» ١/ ١٠٨، «اللسان» ٢/ ٨١٨.

(٦) الأثر في «غريب الحديث» لأبي عبيد: ٢/ ٢٤٠، وقال: (حدثنيه ابنُ مهدي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم..)، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري: ١/ ٣٠٣، «غريب الحديث» لابن الجوزي: ١/ ٢٣١، «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير: ١/ ٤٢٠.

(٧) وقيل: حكِّمه في ماله ومِلْكِهِ إذا صَلَح، كما تحَكِّم وَلَدَكَ في مِلْكه. ولم يرتض الأزهريُّ هذا المعنى، ورجح المعنى السابق. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦ (حكم)، «الزاهر» لابن الأنباري: ١/ ٥٠٣، «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٤٢٠، والمراجع السابقة.

وقال جرير:

. . أَحْكِمُوا[١] سُفهاءَكُمْ[٢] . . .

يقول: امنعوهم[٣] من التَعرُّض.

قال أبو بكر[٤]: والمُتَشَابِهُ، ما اعتَوَرَتْهُ تأويلات. وسُمِّيَ مُتشابهًا؛ لأن لفظَهُ يُشْبِهُ لفظَ غيره، ومعناه يخالف معناه.

وقال بعضهم[٥]: المُحْكَمُ: ما عرفَ العلماءُ تأويلَهُ، وفهموا معناه. والمتشابه: ما ليس لأحدٍ إلى عِلْمِهِ سبيلٌ، مِمَّا استأثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ؛ وذلك نحو: وقت خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجّال، ونزول عيسى، وقيام الساعة، وعِلْم الرُّوح.

ويُسْأَلُ (فيقال)[٦]: ماذا[٧] أراد اللهُ بإنزال المُتشابِهِ في القرآن؛ وأراد

---

(١) في (ج): (حكموا).

(٢) البيت في: ديوانه: ٤٧. وتمامه:

أَبنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهاءَكمْ إنِّي أخافُ عليكُمُ أنْ أغْضَبَا

وقد ورد منسوبًا له، في «غريب الحديث» لأبي عبيد: ٢/ ٤٢١، «الكامل» للمبرد: ٣/ ٢٦، «الزاهر» ١/ ٥٠٣، ومادة (حكم) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «الصحاح» ٥/ ١٩٠٢، «مجمل اللغة» ١/ ٢٤٦، «أساس البلاغة» للزمخشري: ١/ ١٩١، «اللسان» ٢/ ٩٥٣. وورد غير منسوب، في «غريب الحديث» للخطابي: ٢/ ٤٦٢، «الفائق» للزمخشري: ١/ ٣٠٣. وقد وردت روايته في «الكامل» (أبني حنيفة نَهْنِهُو).

(٣) في (ج): (امنعوا السفهاء).

(٤) هو ابن الأنباري، ولم أقف على مصدر قوله.

(٥) من قوله: (وقال..) إلى (.. وعلم الروح): نقله بتصرف يسير عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦ أ، كما أن هذا القول موجود في «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٣، مع اختلاف يسير جدًّا، إلا أن سياق المؤلف له أقرب إلى سياق الثعلبي.

(٦) في (د): (فيقول).

(٧) من قوله: (ماذا..) إلى (.. يقع العجز والبلادة): نقله عن «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة: ٨٦.

بالقرآن لِعِبادِهِ الهُدَى والبيان؟ فيقال: إنَّ القرآن نَزَلَ بألفاظِ العَرَبِ ومذاهبها في: الإيجاز؛ (للاختصار)[١]، والإطالَةِ؛ (للتوكيد)[٢]، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني؛ حتى لا يظهر عليه إلا اللَقِن[٣]. ولو كانَ القرآنُ كلُّهُ ظاهرًا مكشوفًا، حتى يستوي في معرفته العالمُ والجاهلُ، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس، وسقطت المِحْنَةُ، وماتت الخواطرُ. ومَعَ الحاجَةِ تَقَعُ الفِكْرةُ[٤] والحِيلَةُ، ومع الكفاية يقع العَجْزُ والبَلاَدَةُ[٥].

وأصل التشابه[٦]: أن يُشْبِهَ اللفظُ اللّفظَ في (الظاهر)[٧]، والمَعْنَيَانِ مُخْتَلِفان. قال اللهُ ﷻ في وَصْفِ ثِمَارِ الجَنَّةِ: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]؛ أي: مُتَّفِقَ المَنَاظِرِ، [و][٨] مُخْتَلِفَ الطُّعُوم[٩].

---

(١) في (د)، «وتأويل المشكل»: (والاختصار).

(٢) في «تأويل المشكل»: (والتوكيد).

(٣) في (د): (الكفر). واللَّقِن، هو: سريع الفهم. انظر: «القاموس» ص١٢٣١ (لقن).

(٤) في (ج): (النكر).

(٥) انظر الحكمة في ورود المحكم والمتشابه في القرآن، في «الكشاف» ١/ ٤١٢، «تفسير الفخر الرازي» ٧/ ١٨٥-١٨٦، «البرهان في علوم القرآن» للزركشي: ٢/ ٧٥، «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة» للرجراجي: ١٦١، «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» للكرمي: ٥٠، «نور من القرآن» لعبد الوهاب خلاف: ٦٧، «علوم القرآن» د. عدنان زرزور: ١٧٧، «الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي» لعبد المتعال الجبري: ١٣٥.

(٦) من قوله: (وأصل التشابه..) إلى (.. وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة، مشكل): نقله بتصرف واختصار يسيرين عن «تأويل مشكل القرآن»١٠١-١٠٢.

(٧) (الظاهر): ساقطة من: (ج).

(٨) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٩) ممن قال هذا: ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، والربيع، وغيرهم.=

ثم يقال لكل ما غَمُضَ ودَقّ: (مُتشابهٌ)، وإنْ لم تقع الحَيْرَةُ فيه، مِنْ جِهَةِ (الشَّبَهِ)[١] بغيره ألا تَرَى أنه قد قيل للحروف المقَطَّعَةِ في أوائل السُّوَر: متشابهة؟ (وليس)[٢] الشكُّ[٣] فيها. والوقوف فيها؛ لمشاكَلَتِها غيرَهَا والتباسِها به. ومثل المتشابه: المُشكِلُ.

واعلَمْ[٤] أنَّ القرآن كُلَّهُ محكَمٌ مِنْ وَجْهٍ؛ على معنى: أنه (حقٌّ)[٥] ثابت[٦]. قال اللهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]. ومُتَشابِهٌ مِنْ وَجْهٍ؛ وهو أن يشبه بعضه بعضًا في الحُسْنِ، ويُصدّق بَعْضُه بعضًا[٧]، وهو قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[٨] [الزمر: ٢٣].

= انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٧٣، «تفسير القرطبي» ١/ ٢٠٦، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ٢٦، «تفسير المشكل» لمكي: ٢٥، «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» لابن الجوزي: ١/ ٥٣، «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي: ٢٥٩.

(١) في (ج): (الشيء).

(٢) في (ج): (ولبس).

(٣) قوله: (الشك..) إلى (ومثل المتشابه): ساقط من: (ج).

(٤) من قوله: (واعلم..) إلى (.. ويصدق بعضه بعضًا) نقله عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦ب.

(٥) (حق): ساقطة من: (ج).

(٦) تدور معاني الإحكام العام هنا على المعنى اللغوي للكلمة؛ أي: بمعنى الإتقان، والتدعيم، ومنع تطرق الخلل إلى ألفاظه وأساليبه ومعانيه؛ فهو محكم الألفاظ، لا يعتريها خلل ولا خطأ؛ ومحكم الأساليب، لا يعتورها رِكَّةٌ ولا تعقيد؛ ومحكم المعاني، فكلها حق ورسوخ، وثبات.

(٧) قوله: (في الحسن ويصدق بعضه بعضًا): ساقط من: (ج).

(٨) قال ابن العربي: (وأما كونه متشابها) فبمعنى واحد، وهو ما وصفناه من الإحكام الذي يجري في جميع سوره وآياته). «قانون التأويل» له: ٦٦٥. ويقول: «والمعنى الذي صار به القرآن كله محكما، بذلك المعنى، صار كله متشابهًا). المرجع السابق: ٦٦٥. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالتشابه هنا: تماثل الكلام،=

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾. أي: أصل الكتاب الذي يُعْمَل عليه[١]. فَمَنْ جَعَلَ (المُحْكَمَات): الآيات الثلاث في (الأنعام)، قال: يريد: هُنّ أم كلِّ كِتَابٍ أنزله الله على نَبِيٍّ، فيهن كلُّ ما أحلّ، وفيهن كلُّ ما حرّم. ووحّد (الأمَّ) بعد قوله: ﴿هُنَّ﴾؛ لأن[٢] الآياتِ كلَّها في تكامُلِها واجتماعها، كالآية الواحدة، وكلام الله واحد.

وقال أبو العباس[٣]: لأنهن بكمالِهِنَّ (أُمٌّ)، وليست كلُّ واحدةٍ منهن (أُمَّ الكتاب)، على انفرادها.

وقال الأخفش[٤]: وَحَّدَ ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بالحكاية؛ على تقدير الجواب؛ كأنه قيل[٥]: ما أُمُّ الكتاب؟ فقيل: هنّ أم الكتاب؛ كما تقول:

= وتناسبه؛ بحيث يصدق بعضه بعضًا. فالإحكام العام في معنى التشابه العام، بخلاف الإحكام الخاص والتشابه الخاص؛ فإنهما متنافيان). ذكره ابن الوزير في «إيثار الحق على الخلق» ٩٢. وانظر في هذا المعنى: «الرسالة التدميرية» لابن تيمية: ٦٥، «القائد إلى تصحيح العقائد»، لعبد الرحمن المعلمي: ١٦١، «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان» لابن الوزير: ١٢٤، «أقاويل الثقات»، للكرمي: ٤٨.

(١) والعرب تطلق (الأم) على كلِّ ما جُعِلَ مُقَدَّما لأمْرٍ، وله توابعُ تَتْبَعُه، وكلِّ جامعٍ لأمْرٍ؛ ومِنْ ذلك: رايَةُ الجيش، والجِلْدَة التي تجمع الدِّمَاغ، وتسمى: (أم الرأس)، ومكة المكرمة، وتسمى: (أم القرى)؛ لِتقدمها أمام جميعها، أو لأن الأرض دُحِيت منها، فصارت لجميعها أمًّا.. وهكذا. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٠، «الصحاح» ٥/ ١٨٦٤-١٨٦٥ (أمم)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥أ.

(٢) من قوله: (لأن..) إلى (.. وكلام الله واحد): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥ب. وانظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٠.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ١٩٣. نقله عنه بالمعنى.

(٥) في (ج): (قيل له).

مَنْ نَظِيرُ زيد؟ فيقول قومٌ: نحن نظيرُه[١]؛ كأنهم حَكَوا ذلك اللفظ. وهذا على قولهم[٢]: دَعْنِي مِنْ (تَمْرَتان)[٣]؛ أي: مِمَّا يقالُ له (تمرتان).

قال أبو بكر[٤]: وقولُ الأخفش بعيدٌ مِنَ الصواب في الآية؛ لأن الإضمار لَمْ يَقُمْ عليه دليلٌ، ولم تَدْعُ إليه حاجةٌ. وقيل[٥]: أراد: كل آية منهنّ أمُّ الكتاب؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]؛ أي: كلُّ واحدٍ منهما آية[٦].

قال العلماءُ، وأصحابُ المعاني: معنى قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصلُ الكتاب الذي يُسْتَدَلُّ به على المتشابه وغيره مِنْ أمور الدين. فإذا وردت الآية المتشابهة رُدَّت إلى المُحْكَمَةِ، فكانت المُحْكَمَةُ[٧] مُفَسِّرَةً لها، وقاضِيَةً على معناها.

فـ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ معناه: أصل الكتاب الذي ترجع إليه التأويلات، وتضم جميع المعاني؛ لأن الأم يرجع إليها بنوها فتضمهم.

---

(١) العبارة في «معاني القرآن» للأخفش: (.. كما يقول الرجل: ما لي نصير. فيقول: نحن نصيرك).

(٢) في (ج)، (د): (وعلى هذا قولهم).

(٣) في (ب): تمراتان.

(٤) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٢٦.

(٥) هو قول ابن كيسان. انظر: «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٤٨.

(٦) فعيسى عليه السلام وأمَّه، مشتركان جميعا في الأمر العجيب الخارق للعادة، فهي قد جاءت به مِنْ غير زوج، وهو مِنْ غير أبٍ. فلم تكن الآيةُ لها إلّا بِهِ، ولا لَهُ إلّا بها. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٧١، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٤٨، «تفسير الفخر الرازي» ٢٣/ ١٠٣.

(٧) (فكانت المحكمة): ساقطة من: (د).

مثال ما ذكرنا: قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]. هذه آيةٌ[١] مُحْكَمَةٌ، لا تحتمل تأويلًا غير ظاهرها[٢]؛ لأن معناها: لا ينشئ الصُّوَرَ[٣]، ولا يُرَكِّبُ الأرواحَ في الأجسام غيره ﷻ.

وأما الآية المتشابهة: فقوله عزَّ ذِكْرُه: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ يقع هذا متنافيًا عند الجاهل؛ إذْ كان قالَ في ذلك الموضع: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، وَجَعَلَ في[٤] هذا الموضع مع الله خالِقِين؛ فاحتجنا إلى رَدِّ هذه الآية، إلى الآية المحكمة؛ لِتَحْكُمَ[٥] عليها، فقلنا: قد نَفَت الآيةُ المُحْكَمة أن يكون مع الله تعالى خالقٌ يُنْشئ ويُحْيي.

ووجدنا العربَ تجعل (الخَلْقَ) على مَعْنَيَيْن: أحدهما: (الإنشاء)، والآخر: (التقدير).[٦] فنفت الآيةُ المُحْكَمة (الخَلْقَ) الذي بمعنى: (الإنشاء)، فبقي الذي معناه[٧]: (التقدير). فَحَمَلْنا المُتشابِهَ عليه، وقلنا: تأويلُهُ: فتباركَ اللهُ أحْسَن المُقَدِّرِين؛ كما قال: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾

---

(١) في (ب): (الآية).
(٢) في (د): (غير ظاهر).
(٣) في (د): (الصورة).
(٤) (في) ساقطة من: (ج).
(٥) في (ج): (ليحكم)، وفي (د): (لنحكم).
(٦) انظر: «الأضداد» للأصمعي (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد): ٥٥، «تأويل مشكل القرآن» ٥٠٧، «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج: ٣٥، «الزاهر» ١/ ٨٤، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٣، «قاموس القرآن» للدامغاني: ١٦٣١٦٤، «مفردات ألفاظ القرآن». للراغب: ٢٩٦ (خلق)، «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي: ٢٨٣، «اللسان» ٢/ ١٢٤٣ (خلق).
(٧) (الذي معناه): ساقط من: (ج).

[العنكبوت: ١٧]؛ أي: ويُقَدِّرُون(١).

ومن هذا القَبِيل أيضًا، قولُه: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]؛ هذه مُحْكَمَةٌ لا تَحْتَمِل التأويلات. ثم قال: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ فَأَثْبَتَ في المُتَشَابِهِ(٢) ما نفاهُ في المحكمة؛ فكانت المُحْكَمة قاضيةً عليها؛ لأنا وجدنا النسيان في كلام العرب على مَعْنَيَيْنِ: أحدهما: (الإغفال)، والآخر: (التَّعَمُّدُ والتَّرْكُ)(٣).

فقلنا في قوله ﷻ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: : ٦٧]: تركوا(٤) العَمَلَ لله، فَتَرَكَ أنْ يُثِيبهم(٥)؛ فكان في المُحْكَمِ بيانُ المُتَشابِهِ.

---

(١) في (د): (وتعبدون). وفي «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٣: (وتقدرون). وانظر: «تفسير الطبري» ٢٠/ ١٣٧، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٣ (خلق)، «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج: ٣٦، «تفسير القرطبي» ١٣/ ٣٣٥، «لسان العرب» ٢/ ١٢٤٣ (خلق)، «تفسير أبي السعود» ٧/ ٣٤، «الدر المنثور» ٦/ ٤٥٧، «فتح القدير» ٤/ ١٩٧. وقد سبق أن ذكر المؤلف عند تفسير آية: ٢١ من سورة البقرة: أن الخلق المنسوب لغير الله، إنما هو قياس وتشبيه وافتراء ومحاكاة وتقدير، على قدر قدره غيره، فخلق الله ذاتي، وخلق غيره على سبيل الاستعارة والتقدير.

(٢) في (د): (المتشابهة).

(٣) يعني أن النسيان، إما ترك الشيء عن غفلة وسهو وعدم ذكر، أو ترك الشيء مع التعمد. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري: ٣٩٩، «الأضداد» لأبي حاتم السجستاني (ضمن ثلاثة كتب في «الأضداد» ١٥٦، «قاموس القرآن» للدامغاني: ٤٥٤، «نزهة الأعين النواظر» ٥٧٩، «الوجوه والنظائر في القرآن» د. سليمان القرعاوي: ٦١٤، «المصباح المنير» ٢٣١ (نسو).

(٤) في (ج): (ترك).

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ١٩٨، «تفسير الطبري» ١٠/ ١٧٥، «الأضداد» لابن الأنباري: ٣٩٩، وتذكرة الأريب «في تفسير الغريب» لابن الجوزي: ١/ ٢٢٠.

ومن هذا: قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[١]؛ احتمل في اللغة أنْ يكونَ كاستواءِ الجالِسِ على سَرِيرِهِ، واحتَمَلَ أن يكون بمعنى الاستيلاءِ؛ وأحَدُ الوَجْهَيْنِ لا يجوز على الله؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وهذا من المُحْكم، الذي هو أصلٌ يُرَدُّ إليه المتشابهُ، فقلنا: إنَّ استواءَهُ بمعنى: الاستيلاء[٢] ومثل هذا كثيرٌ، وفيما

---

(١) سورة الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣، والرعد: ٢، والفرقان: ٥٩، والسجدة: ٤، والحديد: ٤.

(٢) لقد أبعد المؤلف -رحمه الله- النجعةَ، في حمل الاستواء على الاستيلاء، وجانبه الصواب في ذلك؛ حيث لم يرد عن العرب أنَّ مِنْ معاني (الاستواء): الاستيلاء. وإنما الوارد عنهم في معاني الاستواء، التالي: الاستقرار، والقَصْدُ، والعُلُوّ، والإقبالُ على الشيء وإليه، والصُعود. وقد ذَكَرَ ابنُ القيِّم أن للسلف أربع تفسيرات للاستواء، وهي: الاستقرار، والعلو، والارتفاع، والصعود، وهو ما يتناسب مع المعنى اللغوي. انظر: «توضيح المقاصد» في «شرح قصيدة الإمام ابن القيم» لأحمد بن عيسى: ١/ ٤٤٠. أما (الاستيلاء) فقد أورده الجوهري في «الصحاح» مستدلًا بقول الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العراق   من غير سيفٍ ودَمٍ مِهْراقِ

وقد نسب الزبيديُّ في «تاج العروس» البيتَ للأخطل. وتبع الجوهريَّ في ذكر هذا المعنى، صاحبُ «لسان العرب» وصاحبُ «القاموس المحيط».

أما بيت الشعر السابق، فقد قال عنه ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» ٥/ ١٤٦: (ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة..).

وقد رَدَّ ابن الأعرابي وهو من أئمة اللغة على مَنْ فَسَّر الاستواء بـ(الاستيلاء) هنا، بقوله: (.. لا يقال: استولى على الشيء، إلا أن يكون له مضادّ، فإذا غلب أحدُهما، قيل: استولى..). «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي: ٣/ ٤٤٢. والله تعالى لا منازع له في مُلْكه. ورَدَّه كذلك الخليل بن أحمد. ذكَرَ ذلك الكرميُّ=

أوردتُه كِفَايَةٌ لِمَنْ رُزِقَ الفَهْمَ.

وقوله تعالى: ﴿وَأُخَرَ﴾ زعم[١] سِيبَوَيه والخليلُ أنَّ (أُخَرَ) فارقت

= في «أقاويل الثقات» ١٢٤.

فمعنى لفظ (الاستواء) من ناحية اللغة معروفٌ، وليس متشابها، ولا حرج في تفسيره بالألفاظ التي جاءت في اللغة، وليس في ذلك إيهام بالكيف، أو التجسيم ومشابهة الخلق؛ لأننا عندما نفسر هذه الصفة، إنما نذكر المعنى اللغوي، ونُجري هذه المعاني بما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، ونقطع الطمع عن إدراك الكيفية، وذلك لعجز وقصور عقولنا عن إدراك ذلك. ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء، وغيرها من صفات الباري تعالى: أن تمر كما جاءت، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل؛ فيثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، إثباتًا منزهًا عن التشبيه، ونفيًا منزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعطّل، ومَنْ شبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فهو مُمَثِّل. وقد قال الإمام مالك بن أنس، لَمَّا سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، وقد وَرَدَ مثلُ ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها ، وربيعة الرأي.

انظر: «شرح أصول الاعتقاد» ٣/ ٤٤٠-٤٤٣. وانظر مادة (سوا) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤، «الصحاح» ٦/ ٢٣٨٥-٢٣٨٦، «اللسان» ٤/ ٢١٦٠، «القاموس المحيط» ١٢٩٧، «قاموس القرآن» للدامغاني: ٢٥٥، «تاج العروس» للزبيدي: ١/ ١٧٩. وانظر حول موضوع صفة الاستواء: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة: ٣٩٤، «الرد على الجهمية» للدارمي: ص٤٠، «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد» للبيهقي: ص١١٦، «الأسماء والصفات» للبيهقي: ٢/ ٣٠٣، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٥/ ١٤٦، ٣٦٥، ٤٠٤، ٥١٩-٥٢٠، «العقائد السلفية» لأحمد بن حجر: ١/ ١٢٤-١٢٥، ١٦٤-١٦٧، «رسائل في العقيدة» لمحمد بن عثيمين: ٧٠.

(١) من قوله: (زعم..) إلى (.. إلا صفة منعت الصرف): نقله عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٣٧٧. وانظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٢٢٤، ٢٨٣.

أخواتها، والأصلَ الذي عليه بِنَاءُ أَخَواتِها؛ لأن (أُخَرَ) أصلُها أن تكون بالألف واللّام[١]؛ كما تقول: (الصُّغْرى) و(الصُغَر)، و(الكُبْرَى) و(الكُبَر). فلما عُدِلَت عن مُجْرَى الألِفِ واللام، وأصلِ (أَفْعَلَ مِنْكَ) وهي مِمَّا لا يكونُ[٢] إلا صِفَةً، مُنِعَت الصَّرْفَ. وقد شرحنا هذه المسألة عند قوله: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣] [البقرة: ١٤٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ .الزَّيْغُ: المَيْلُ. يعني: مَيْلًا عن الحقِّ؛ (زاغ، يَزِيغ، زَيْغًا، وزَيْغُوغَةً، وزَيَغانًا، وزُيُوغًا[٤]).

قال الفراء[٥]: والعرب تقول في عامَّةِ ذوات الياء، مِمَّا يُشْبِهُ (زِغتُ)؛

---

(١) في «معاني القرآن» (أن تكون صفة بالألف واللام).

(٢) في (د): (وهي لا تكون).

(٣) يريد المؤلف (والله أعلم) أن (أخَر) مُنِعت مِنَ الصَّرْفِ؛ لأنها جاءت صفة بغير الألف واللام، ولم تلحقها (مِنْ) كأفعل التفضيل (أفعل منك)؛ حيث إن (أُخَر) جمعٌ، ومفرده (أُخْرَى). و(أخْرَى) مؤنث لِلَفْظٍ مُذَكَّرٍ، هو: (آخِر)؛ الذي أصله (أأخَر) بفتح الهمزة الأولى، وتسكين الثانية ، على وزن (أفْعَل) الدال على التفضيل. وهو مُجَرَّدٌ من (أل) والإضافة. وحقُّه أنْ يكون مفردًا مذكرًا في جميع استعمالاته. ولكنْ عَدَلَ العربُ عنه إلى لفظ (أُخَر) بصيغة الجمع، ومنعوه من الصرف؛ للوصفية والعَدْل.

انظر آراء النحويين حول منع (أخر) من الصرف، في «المقتضب» للمبرد: ٣/ ٢٤٦، ٣٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٢٣٥، «البيان في غريب إعراب القرآن» للأنباري: ١/ ١٤٣، «شرح المفصل» لابن يعيش: ٦/ ٩٩، «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري: ١/ ١١٦، «شذور الذهب» لابن هشام (بشرح محمد محي الدين عبد الحميد): ص٥٣٧، «همع الهوامع» للسيوطي: ١/ ٨٠، «النحو الوافي» لعباس حسن: ٣/ ٢٠٨، ٤/ ٢٢٤.

(٤) انظر: (زيغ) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٠٢، «اللسان» ٣/ ١٨٩٠.

(٥) قوله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٣. وأورده بمعناه ابن جني في «المنصف» ٢/ ١٢.

مثل: (سِرْتُ)، و(صِرْتُ)، و(طِرتُ): (سَيْرُورَةً)، و(صَيْرُورَةً)، و(طَيْرُورَةً)، و(حِدْتُ حَيْدُودَةً)، و(مِلْتُ مَيْلُولَةً)، لا أحصى ذلك، وهو كثير. فأمّا ذوات الواو؛ مثل: (قلتُ)، و(رُضْتُ)، فإنهم لمْ يقولوا ذلك إلا في أربعة أحْرُف؛ منها: الكَيْنُونة[(١)]، والدَّيْمُومَةُ، مِنْ: (دُمْتُ)، والهَيْعُوعَةُ، من: (الهُواع)[(٢)]، والسَّيْدُودَةُ، من: (سُدْتُ).

وكان ينبغي أن يكونَ - في القياس -: (كَوْنُونَة) بالواو[(٣)]، ولكنها لَمَّا قَلَّت في مصادر الواو، وكثرت في مصادر الياء، ألحقوها بالذي هو أكثر مجيئًا منهما؛ إذ كانت الواوُ والياءُ مُتَقارِبَتَيْنِ في المَخْرَج.

ومثل هذا: أنهم يقولون في ذوات الياء: (سَعَيْتُ به سِعَايَةً)، و(رَمَيْتُهُمْ رِمَايَةً)، و(دَرَيْتُ بِهِ[(٤)] دِرايةً)، فتأتي المصادرُ في ذوات الياء،

---

(١) مصدر (كان يكون كَوْنًا وكَيْنُونة).

(٢) في «القاموس المحيط»: (والهواع بالضم ، والهيعوعة، والمِهْوع، والمهواع بكسرها: الصياح في الحرب). ص٧٧٧ (هوع). وجعلها في «لسان العرب» من مصادر ذوات الياء، فقال: (هاعَ، يَهاع، ويَهِيع، وهَيْعًا، وهَاعًا، وهُيُوعًا، وهَيْعَة، وهَيَعانًا، وهَيْعُوعة: جَبُن وفَزِع. وقيل: استخف عند الجزع). ٨/ ٤٧٢١ (هيع). والهُواع: القيءُ. يقال: (هاع، يهوع هواعًا. وهيعوتة): أي: قاء. انظر: (هوع) في «الصحاح» ٣/ ١٣٠٩، «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى الأصفهاني: ٣/ ٥١٦، «اللسان» ٨/ ٤٧٢١، «المعجم الوسيط» ٢/ ١٠١٠.

(٣) ويرى الخليل بن أحمد أن «كيْنُونة»: (فَيْعُولة)، هي في الأصل: (كَيْوَنُونَه)؛ التقت منها ياءٌ وواوٌ، والأولى منهما ساكنة، فَصُيِّرَتا ياءً مشدَّدَةً [أي: كيَّنُونة]، مثلما قالوا: (الهيِّن) من (هُنْت)، ثم خففوها فقالوا: (كيْنُونة)؛ كما قالوا: (هَيْنٌ، لَيْنٌ). قال الفراء: وقد ذهب مذهبًا، إلا أن القول عندي هو الأول). «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٤ (كان).

(٤) في (د): (بهم).

على هذا النحو، كثيرةً، ولا تكاد تأتي في ذوات الواو؛ نحو: (خَلَوْتُ)، و(دَعَوْتُ). فَنَدَرَ حرفٌ مِنْ ذوات الواو فألْحِقَ بذوات الياء، وهو قولُهم: (شَكَوْتُ فُلانًا شِكَايَةً)، ولم يقولوا: (شِكاوَةً)، فألحقوها بالمصادر من الياء[١].

واختلفوا في هؤلاء الذي عُنُوا بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: فقال الرَّبِيع[٢]: هم[٣] وَفْدُ نَجْرَانَ؛ لَمَّا حَاجُّوا رسولَ الله ﷺ، في المَسِيح، فقالوا: أليسَ[٤] هُوَ كَلِمَة اللهِ، وروح منه؟ قال: «بَلَى». قالوا: حَسْبُنا. فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، الآية. ثمّ أنزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية.

وقال الكَلْبِيُّ[٥]: هم اليهود، طَلَبُوا[٦] عِلْمَ أكْلِ[٧] هذه الأُمَّةِ،

---

(١) انظر في هذا الموضوع: «المنصف» لابن جني: ٢/ ١٠، «الممتع في التصريف» لابن عصفور: ٢/ ٥٠٤-٥٠٢، «شرح شافية ابن الحاجب» للاستراباذي: ١/ ١٥٢.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٩٦، «تفسير البغوي» ٢/ ٩، «زاد المسير» ١/ ٣٥٣.

(٣) (هم): ساقطة من: (ج).

(٤) في (أ)، (ب): (ليس). والمثبت من: (ج) و(د).

(٥) قول الكلبي، أخرجه الطبري ١/ ٩٢، ٩٣ من رواية محمد بن إسحاق، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله، وأخرجه البخاري في: تاريخه: ١/ ٢/ ٢٠٨، والبغوي ٢/ ٩، وذكره بمعناه أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٤٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٥٣، والسيوطي في «الدر» ٢/ ٧٨.

(٦) في (ج): (طالبوا).

(٧) في (ج): إقامة. (د) أجل. وحقيقة (الأُكُل) بضم الهمزة: التنَقّص. ومعناها هنا: الرزق، والحظ من الدنيا.
يقال للميت: (قد انقطع أكُلُه)؛ أي: انقضت مدته في الدنيا. فاليهود أرادوا معرفة=

واستِخْراجِهِ مِنَ الحُرُوف المُقَطَّعَةِ في أوائل السُّوَرِ[١]. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٢].

وقيل: هم جميع المُبْتَدِعَةِ، وكلُّ من احتَجَّ لِباطِلِهِ بالمتشابه[٣]. وهذا معنى قول قتادة[٤].

= مدة بقاء أمة محمد ﷺ، وأجلها. انظر: (أكل) في «مجمل اللغة» ١/ ١٠٠، «القاموس المحيط» ص٩٦١.

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٠، ١٧١ فقد ذكره عن ابن إسحاق. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٥٩٥ عن مقاتل بن حيان، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٧ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر في «تفسيره» عن ابن جريج معضلا.

(٢) لم أقف على رواية عطاء عن ابن عباس.

(٣) روت عائشة رضي الله عنها قائلة: (تلا رسول الله ﷺ، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سَمَّى الله فاحذروهم**». أخرجه البخاريُّ (٤٥٤٧). كتاب: التفسير. سورة آل عمران باب: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، ومسلم رقم (٢٦٦٥). كتاب: العلم. باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن. وفي رواية الإمام أحمد: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله فاحذروهم**». «المسند» ٦/ ٤٨، ٢٥٦. وأخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٨). كتاب: السنة. باب: النهي عن الجدال، والترمذي رقم (٢٩٩٣)، (٢٩٩٤). كتاب: التفسير. باب: ومن سورة آل عمران، وابن ماجة رقم (٤٧). في المقدمة، وابن حبان في «صحيحه» ١/ ٢٧٤، ٢٧٧ (٧٣)، (٧٦). وأخرجه: عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٦، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٩-١٩٥، والطيالسي في «المسند» ٣/ ٥٠ (١٥٣٥)، والآجرِّي في «الشريعة» ٢٦، ٢٧.

(٤) كان قتادة إذا قرأ هذه الآية ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: (إنْ لم يكونوا الحَرُوريَّة والسَّبَئِيَّة، فلا أدري مَن هم!..). و(الحرورية) هم: الخوارج، و(السبئية): نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي غالى في الإمام عليٍّ، وادَّعى فيه الألوهية. انظر الأثر، في «تفسير عبد الرزاق»: ١/ ١١٥، «تفسير الطبري» ٣/ ١٧٨، «تفسير=

وقولُ الزَّجَّاج في هذه الآية، يَدُلُّ على أنّ هؤلاء، هم الكفار الذين يُنْكِرُون البَعْثَ؛ لأنه قال[(١)] في سياق الآية: معنى ابتغائهم تأويله: أنهم طلبوا تأويل بَعثِهِمْ وإحيائهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾. قال عطاءٌ، عن ابن عباس[(٢)]: يريد: الكفر. وقال الرَّبيع[(٣)]، والسُّدِّي[(٤)]: طلب الشرك[(٥)].

وقال مجاهد[(٦)]: اللَّبْسِ[(٧)]؛ لِيُضِلُّوا به جُهَّالَهم.

= البغوي» ٢/ ٨، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٣. وورد كذلك عن أبي أمامة رضي الله عنه: أنهم الخوارج. يرويه عن رسول الله ﷺ. وقد رجح ابن كثيرٍ وقفَهُ على أبي أمامة. انظر الأثر في: «مسند الإمام أحمد» ٥/ ٢٦٢، «مصنف عبد الرزاق» ١٠/ ١٥٢ رقم (١٨٦٦٣)، و«سنن البيهقي» ٨/ ١٨٨، و«مسند الحميدي» ٢/ ٤٠٤ رقم (٩٠٨)، «المعجم الكبير» للطبراني: ٨/ ٢٧٤ وما بعدها، «المعجم الصغير» له: ١/ ٤٢ (٣٣)، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٩٤، و«الشريعة» للآجرِّي: ٣٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٧١.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٨.

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «تنوير المقباس» المنسوب إلى ابن عباس: ٤٣.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٠، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٩٦، «الثعلبي» ٣/ ٧ب، «البغوي» ٢/ ١٠، «المحرر الوجيز» «زاد المسير» ١/ ٣٥٤.

(٤) قوله في: المصادر السابقة، عدا «المحرر الوجيز». والسُدِّيُّ هنا هو: السُدِّي الكبير (إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، ت: ١٨٢هـ). وليس هو السُدِّي الصغير (محمد بن مروان، ت: ١٨٦هـ)؛ وذلك أن هذا الأثر ورد من رواية أسباط عن السدي، وأسباط إنما يروي عن السدي الكبير. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٩٦، «الطبقات الكبرى» لابن سعد: ٦/ ٣٧٦، «تهذيب التهذيب» لابن حجر: ١/ ١٥٨ في ترجمة أسباط ، «معجم المفسرين» لعادل نويهض: ١/ ٩٠، ٢/ ٦٣٥.

(٥) وهو قول: مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٦٤، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١٠١.

(٦) قوله في «تفسيره» ١/ ١٢٢، والمصادر السابقة .

(٧) هكذا وردت في الأصل بالكسر على تقدير: ابتغاء، أو طَلَبِ اللَّبْسِ. =

وقال أبو إسحاق[(١)]: الفِتْنَةُ في اللغة على ضُرُوب: فالضَّرْبُ الذي ابتغاه هؤلاء: إفسادُ ذوات[(٢)] البَيْن في الدِين، والحرب. والفتنة في اللغة: الاستهتار بالشيء والغُلُوُّ فيه؛ يقال: (فلانٌ مَفْتُونٌ بِطَلَبِ الدُّنْيا)؛ أي: قد غلا في طَلَبِها، وتجاوز القَدر[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾. التأويل: التفسير. وأصلُهُ في اللغة: المرجِعُ والمَصِيرُ؛ مِنْ قولهم: (آل الأمْرُ إلى كذا): إذا[(٤)] صار إليه. و(أَوَّلْته تأويلًا): إذا صَيَّرته إليه، فتأول[(٥)]؛ أي: رَجَعَ، وصار.

قال الأعشى:

علـى أَنَّـهـا كـانـتْ تَـأَوُّلُ حُـبِّـهـا   تـأَوُّلَ رِبْعيِّ السِّقابِ فَأَصْحَبَا[(٦)]

= ونصُّ قول مجاهد كما في «تفسير الطبري» (الشبهات، مِمَّا أهلكوا به)، وفي تفسيره: (الهلكات التي أهلكوا بها).

(١) هو الزجاج في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٧. نقله عنه بتصرف يسير جدًا في بعض الألفاظ.

(٢) في (ج) و«معاني القرآن»: (ذات).

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج: (وتجاوز القُدْرة). وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥ (فتن)، «تفسير الفخر الرازي» ٧/ ١٨٩. ويقول النحاس في هذا الموضع: (أي: ابتغاء الاختبار الذي فيه غُلُوٌّ، وإفسادُ ذاتِ البَيْن؛ ومنه: (فلانٌ مَفْتُونٌ بِفُلانة)؛ أي: قد غَلا في حبها). «إعراب القرآن» له: ١/ ٣١٠.

(٤) في (ب): (أي).

(٥) في (ب): (فتأوله).

(٦) البيت، في: «ديوانه»: ص٧. وقد ورد منسوبًا له، في: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: ١/ ٨٦، «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٩ (ربع)، «الصحاح» ٤/ ١٦٢٧ (أول)، «الصاحبي» لابن فارس: ٣١٥، «اللسان» ٣/ ١٥٦٦ (ربع)، ١/ ١٧٢ (أول)، وفي: ٤/ ٢٤٠١ (صحب) أورد الشطر الثاني ولم ينسبه. وورد=

أي: كان حُبُّها صغيرًا، فآل إلى العِظَم، كما آل السَّقْبُ إلى الكِبَرِ[١].

هذا معنى (التأويل) في اللغة[٢].

ثم تُسَمَّى (العاقبةُ): (تأويلا)؛ لأنَّ الأمرَ يصيرُ إليها. و(التفسير)

= البيت في الديوان كالتالي: (.. تأوَّلُ حبَّها ..). وورد في «التهذيب» ٢/ ١٣٤٩ (ربع)، «اللسان» ٣/ ١٥٦٦ (صحب)، كالتالي:

ولكنها كانت نَوًى أجنبيَّةً ... تواليَ رِبْعِيِّ السِّقاب فأصحبا

وينشد كما في «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٤:

على أنها كانت تَوَابعُ حُبِّها ... توالي ربعي السقاب فأصحبا

ومعنى: (ربعي السقاب): ذلك أن الفصيل الذي يُنتَج في أول النتاج، يقال له: (رُبَع)، والجمع: (رِباع). ورِبْعِيُّ كل شيء: أوله. والسَّقْب: ولد الناقة، أو ساعة يولد، إذا كان ذكرًا. والجمع: (سِقاب). ويقال: (سقبٌ رِبْعِيٌّ)، و(سقاب رِبعية)، وهي: التي ولدت في أول النتاج. و(أصحب): ذَلَّ وانقاد. انظر: «كتاب الفرق» لقطرب: ١٠٠، «الفرق» لابن فارس: ٨٧، «اللسان» ١/ ١٧٢ (أول)، «القاموس» ص٩٧ (سقب). وسيأتي تفسير المؤلف للبيت على الرواية التي أوردها. أما على الرواية الثانية، التي أوردها الأزهريُّ، وصاحب «اللسان» فمعنى (توالي ربعي السقاب) هنا: من (الموالاة). وهي: تمييز شيء من شيء، وفصله عنه؛ أي: إن نَوَى صاحبته اشتَدَّ عليه، فحن إليها حنين ربعي السقاب، إذا فُصِل عن أمِّهِ ومُيِّز عنها. وأن هذا الفصيل يستمر على الموالاة ويُصْحب، أما هو فقد دام على حنينه الأول، ولم يصحب إصحاب السقب. انظر: «تهذيب اللغة» ١٣٤٩.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٤؛ حيث قال في تفسيره: (ويعني بقوله: (تأوُّلُ حبِّها): تفسير حبِّها ومرجعه. وإنما يريد بذلك أنَّ حبَّها كان صغيرًا في قلبه، فآلَ من الصِّغَرِ إلى العِظَم، فلَمْ يزلْ ينبت حتى أصْحَبَ فَصَارَ قديمًا، كالسَّقْبِ الصغير الذي لم يزل يشبُّ حتى أصحبَ فَصَارَ كبيرًا مثلَ أُمِّهِ) ويبدو أن المؤلف نقل هذا المعنى عن الطبري، متصرفًا في عبارَته هذه.

(٢) انظر: (أول) في «الصحاح» ٤/١٦٢٦، ١٦٢٨، «مجمل اللغة» ١/ ١٠٧، «اللسان» ١/ ١٧٢، «المصباح المنير» ١٢، «القاموس المحيط» ٩٦٣.

يُسمَّى: (تأويلًا)، وهو قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]؛ أي: بِعِلْمِهِ وتفسيره؛ لأن التَّأويل: إخبارٌ عَمَّا يَرْجِعُ إليه اللفظُ مِنَ المعنى.

وذكرنا معنى التَّأوِيل [بأبلغ][١] مِنْ هذا، في سورة النساء، عند قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩][٢].

قال ابن عباس في رواية عطاء[٣]: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: طَلَب مُدَّةِ أُكْلِ مُحَمَّد ﷺ.

وفي قول الزجاج[٤]: المراد به: الكفار[٥]؛ طلبوا متى يُبْعثون؟ وكيف يكون إحياؤُهم بعد الموت؟ وفي قول الباقِين: معناه: طَلَبُ تفسير المُتَشابِهِ، وعِلْمِهِ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ يريد: ما يَعلَمُ انقضاءَ مُلْكِ أُمَّة[٦] محمد ﷺ إلّا الله؛ لأن انقضاءَ مُلْك هذه الأُمَّةِ مع قيام الساعَةِ، ولا[٧] يَعْلَم ذلك مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌ مُرْسَلٌ. وهذا قولُ عطاء[٨]. وعلى هذا؛ يَحْسُنُ الوقفُ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وكذلك على قول الزجاج؛ لأن وقت البعثِ لا يَعلَمُهُ إلا الله. ثم ابتدأ، فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٢) وقد تكلم ابنُ القيم عن معاني (التأويل) بإسهاب، وبَيَّن الصحيح منه والباطل. انظر: «الصواعق المرسلة»: ١٧٥ وما بعدها.

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية. وقد ورد هذا القول في: «تنوير المقباس»: ٤٣.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٨.

(٥) في (ب): (المراد به الزج الكفار).

(٦) (أمة): ساقطة من: (ج).

(٧) في (ج): (لا) بدون واو .

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: الثابتون فيه. والرُّسُوخُ في اللغة[(١)]: الثُّبُوتُ في الشيء[(٢)]. وعند أكثر المفَسِّرين[(٣)]: المرادُ بـ (الراسخين علمًا): مُؤْمِني أهل الكتاب؛ دليله: قوله: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٢]. قال ابن عباس[(٤)]، ومجاهد[(٥)]، والسُّدِّي[(٦)]: بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، سَمَّاهُم الله (راسخينَ في العِلْم). فَرُسُوخُهم[(٧)] في العِلْمِ؛ قولُهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بالمُتَشَابِهِ.

﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾؛ المُحْكَم والمُتشابه؛ الناسخُ والمنسوخ؛ وما عَلِمْناه وما لَمْ نعْلَمْه.

وقال الزجاج[(٨)]: أي: يقولون: صَدَّقنا بأن الله ﷻ يبعثنا، ويؤمنون

---

(١) في (ج): (في العلم).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٣٧٨، «الصحاح» ٤٢١ (رسخ)، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٩.

(٣) قول المؤلف أعلاه: (عند أكثر المفسرين)، غير مُسَلَّم؛ لأنني لم أجد من قال بهذا القول إلا مقاتل بن حيان، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٠. ولو كان قال به أكثر المفسرين، لتناقلته كتب التفسير والحديث، مما أُلِّف قبل المؤلف وبعده. وقد أورد هذا القولَ الثعلبيُّ وهو شيخ المصنف في «تفسيره» ١/ ٢٨٠ بصيغة (قيل) ولم يذكر قائله. وأورده أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٥ بصيغة (قيل) ولم يذكر القائل، ولكنه استبعده بقوله: (وهذا فيه بعد).

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٦/ ٢٠٨. «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠أ، «تفسير البغوي» ١/ ٢٨٠. ومن قوله: (قال ابن عباس..) إلى (.. وما لم نعلمه): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠أ.

(٥) قوله في المصادر السابقة. وهو من روايته عن ابن عباس.

(٦) قوله في المصادر السابقة.

(٧) في (د): فرسخهم.

(٨) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٨. نقله عنه بالنص.

بأنَّ البَعْثَ حَقٌّ، كما أنَّ الإنشاءَ حَقٌّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. قال عطاء[١]: هذا ثَنَاءٌ مِنَ الله تعالى على الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ معناه: ما يَتَّعِظُ [بما][٢] في القُرْآن، إلّا ذَوُو العُقُول.

وقال الزَّجَّاج[٣]: هذا دليلٌ على أن الأمرَ الذي اشْتَبَهَ عليه من البَعْثِ، لَمْ يَتَدَبَّرُوه؛ ومعناه: ما يَتَدَّبر القرآنَ، وما أتَى به الرسولُ ﷺ، إلّا أوْلُوا الألباب. والأظهر في تفسير هذه الآية: قولُ عطاء: إنَّ هذا في اليهود، حين طلبوا تفسيرَ الحروف المُقَطَّعَة، والقولُ الذي حكاه الزجَّاج: إن هذه في منكري البعث.

ويقال: هل يجوز أن يكون في القرآن شيءٌ، لا يعلمه إلا الله؟ فيقال: اختلف الصحابة والناسُ في هذا:

فذهب الأكثرون: إلى أنَّ تَمَامَ الوَقْفِ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأن جميع المتشابه لا يعلمه إلا الله؛ مثل: وقت قيام الساعة، وطلوع الشمس من المغرب، ونزول عيسى، وخروج الدجَّال.

وقال قومٌ: في القرآن أشياء لا يَعْرِف حقيقَتَها إلا الله؛ كالحروف المُقَطَّعة، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وأشباه هذا. والله تعالى مُخْتَصٌّ[٤] مُستأثِرٌ بِعِلْم هذه، والإيمانُ بها حَقٌّ، وحقائقُ عُلُومِها

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٩. نقله عنه بتصرف يسير.

(٤) في (أ)، (ب): (يختص). والمثبت من: (ج)، (د)؛ لمناسبته لسياق العبارة.

مُفَوَّضَةٌ إلى الله تعالى.

وهذا مذهب: عائشة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَي، وكثير من التابعين، واختيار[١] الفَرّاء، والكسائي[٢]، والمُفَضَّل[٣]، وابن الأنباري، وأبي عُبَيد[٤]، وأحمد بن يحيى[٥].

ودليل هذا القول: قراءة عبد الله[٦]: (إنْ تَأْويلُهُ إلّا عِنْدَ الله. والرّاسخون في العِلْم يقولون آمَنّا به)[٧].

---

(١) في (أ): (واختار). والمثبت من: (ب)، (ج)، (د). وهو الصواب.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو: المُفَضَّل بن محمد بن يعلى الضَّبِّي، الكوفي. تقدم ٢/ ١١٩.

(٤) في «الأضداد» لابن الأنباري: أبو عبيدة. وورد في أكثر المصادر: أبو عبيد. وهو: أبو عُبَيد، القاسم بن سَلّام الهَرَوي الأزدي الخزاعي.

(٥) هو: أبو العباس، أحمد بن يحيى (ثعلب). وقد بَيَّن النحاسُ أن نَيِّفًا وعشرين رجلًا من الصحابة والتابعين والقراء وأهل اللغة، ذهبوا إلى الوقف التام على لفظ الجلالة (الله)، وأن ما بعده منقطع منه، ثم ذكر إضافة إلى من ذكرهم المؤلف: الحسن، وأبانهيك، والضحاك، ومالك بن أنس، وسهل بن محمد، وعمر بن عبد العزيز، وعروة بن الزبير، والطبري، والزجاج، وابن كيسان، وأحمد بن جعفر بن الزبير، والسدي.
انظر: «القطع والائتناف» للنحاس: ٢١٢، «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٢-١٨٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٥٩٩-٦٠١، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٥١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨ب، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٤، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٦، «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٤، «الدر المنثور» ٢/ ١٠، ١١، «معترك الأقران» للسيوطي: ١/ ١٣٨، «فتح القدير» للشوكاني: ١/ ٤٧٦، «فتح البيان» لصديق حسن خان: ٢/ ١٥-١٦.

(٦) يعني: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٧) انظر هذه القراءة في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ١٩١، «كتاب المصاحف» لأبي بكر بن أبي داود: ٥٩، «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٤، «الأضداد» لابن الأنباري: =

وفي[١] حرف أُبَيٍّ، وابن عباس: (ويقول[٢] الراسخون في العلم آمَنّا به)[٣]. وهذا هو الأشبه بظاهر الآية؛ لأنه لو كان ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ عَطْفًا، لَقَال: ويقولون آمنّا به.

وفي قوله أيضًا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾، دليلٌ على أنهم لَمْ يَعْرِفوا البعضَ فآمَنُوا بظاهره، وقالوا: إنه من عند الله.

وقد رُوي عن ابن عباس، أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسيرٌ[٤] لا يَسَعُ أحدًا جَهْلُه، وتفسيرٌ تَعرِفُهُ العربُ بألسنتها، وتفسيرٌ يَعْلَمُهُ العلماءُ، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله[٥].

= ٤٢٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩أ، «تفسير البغوي» ٢/ ١٠، «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٤، «الدر المنثور» ٢/ ١٠، والإتقان، للسيوطي: ٢/ ١٥. وقد وردت القراءة في: كتاب المصاحف، لابن أبي داود، كالتالي: (وإنْ حقيقةُ تأويلِهِ إلا عند الله..).

(١) من قوله: (وفي..) إلى (.. آمنا به): ساقط من: (ج).

(٢) في (ب): (ويقولون).

(٣) انظر هذه القراءة، في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ١٩١، «الأضداد» لابن الأنباري: ٤٢٦، «القطع والائتناف» للنحاس: ٢١٢، «المستدرك» للحاكم: ٢/ ٢٨٩ كتاب: التفسير، سورة آل عمران. وقال: (صحيح) ووافقه الذهبي، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩أ، «الدر المنثور» ٢/ ١٠ وزاد نسبة إخراج الأثر لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر. قال النحاس عن هذه القراءة: (وهي قراءة على التفسير).

(٤) (تفسير): ساقطة من: (ج).

(٥) الأثر، في «تفسير الطبري» ١/ ٣٤، أخرجه موقوفًا على ابن عباس، من رواية محمد بن بشار، قال: (حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان [بن عيينة]، عن أبي الزناد..) والسند صحيح، ما عدا مؤمل بن إسماعيل، فقد اختلف فيه. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي: ٥/ ٣٥٣، ٣٥٤. وأورده النحاس في «القطع والائتناف» ٢١٣، كما أخرجه الطبري مرفوعًا بلفظ آخر عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ، قال: «أنزل الله القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام، لا يُعذَر أحدٌ بالجهالة به،=

وعلى هذا المذهب؛ إنما[١] أنزل الله -تعالى- ما[٢] لا[٣] يعلمه إلّا هو؛ اختبارًا[٤] للعباد، لِيُؤمِنَ به المُؤْمِنُ فَيَسْعَد، ويكفر به الكافرُ فَيَشْقَى؛ لأن سبيلَ المُؤْمِنِ إذا قرأ من هذا شيئًا، أن يُصَدِّق رَبَّه ﷻ، ولا يعترض فيه بسؤال وإنكار؛ فَيَعْظُمَ - بذلك - ثوابُهُ على الله ﷻ.

فإن[٥] قيل: وأي[٦] تخصيصٍ لِلرَّاسخين إذا[٧] لم يَعرِفوا، فإنَّ غيرَهم أيضًا يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، فَلِمَ خَصَّ[٨] الراسخينَ[٩] بالذكر؟

قلنا: المراد بـ(الراسخين): كلُّ مَنْ يقول: ﴿ءَامَنَّا﴾، وليس المراد

= وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ومن ادَّعى علمَهُ سوى الله، فهو كاذب». وقال الطبري: (في إسناده نظر)؛ وذلك أنه من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهي أوهى الأسانيد عن ابن عباس. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤.

وانظر: الحُكْمَ على الكلبي، وأبي صالح، في «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٦٩، «تقريب التهذيب» ص٤٧٩ (٥٩٠١)، «ميزان الاعتدال» ٥/ ٢ (٧٥٧٤)، «الاتقان» للسيوطي: ٤/ ٢٣٨.

(١) في (د): (إن ما).

(٢) (ما) ساقطة من: (د).

(٣) (لا): ساقطة من: (ج).

(٤) في (د): (اختبار).

(٥) في (أ)، (ب): (بان). والمثبت من: (ج)، (ء).

(٦) في (أ)، (ب): (وإلى). والمثبت من: (ج)، (ء).

(٧) في (د): (فإذا).

(٨) في (أ): خُصَّ بالبناء للمجهول . وفي (ب)، (ج)•، (د) غير مضبوطة بالشكل. وما أثبتُّه يتناسب مع ما بعده، من نصب (الراسخين).

(٩) في (د): (الراسخون).

بهم الذين يدأبون في التَّعَلُّم[١] ويَجْتَهِدُون. وقد ذكرنا عن ابن عباس، أنه قال: سَمَّاهم (راسخين)، بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

وقال مجاهد[٢]، والربيع[٣]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٤]: المتشابه يعلمه الله، ويعلمه الراسخون. ولا يجوز أن يكون في القرآن شيءٌ، لا يعرفه[٥] أحدٌ مِنَ الأُمَّةِ. وهذا اختيار ابن قتيبة[٦]، وزَعَمَ أنَّ الراسخينَ في العِلْمِ عَلِمُوا تأويل القرآن مع الله تعالى؛ لأنه لم يُنْزِلْ كتابَهُ، إلا لِيَنْفَعَ به

---

(١) في (د): (التعليم).

(٢) قوله في «تفسيره» ١/ ١٢٢، «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٣، «الأضداد» لابن الأنباري: ٤٢٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨ ب، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٤، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٦. وقد رَدَّ ابن الأنباري رواية هذا القول عن مجاهد؛ زاعمًا بأن الراوي عن مجاهد هو ابن أبي نَجِيح، وهو لم يسمع التفسير عن مجاهد. ولكن أئمة الجرح والتعديل على توثيق ابن أبي نجيح، وتصحيح تفسيره عن مجاهد، بل عدَّه ابنُ تيميَّة مِنْ أصح التفاسير. انظر: «الأضداد» لابن الأنباري: ٤٢٧، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: ٥/ ٢٠٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٧/ ٤٠٩، «سير أعلام النبلاء» للذهبي: ٦/ ١٢٥، ١٢٦، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٤٤٤، «تقريب التهذيب» ص٣٢٦ (٣٦٦٢).

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١٨٣، «القطع والائتناف» للنحاس: ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨ب، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٥، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٧.

(٤) قوله في المصادر السابقة.

(٥) في (د): (لا يعلمه).

(٦) في «تأويل مشكل القرآن» له: ٩٨. قال مرعي الكرمي: (ورجح هذا جماعات من المحققين؛ كابن فورك، والغزالي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، وقال النووي: إنه الأصح، وابن الحاجب: إنه المختار..). «أقاويل الثقات» ٥٣. وانظر: «مشكل الحديث» لابن فورك: ٥٢٢-٥٢٥، وشرح صحيح مسلم، للنووي: ١٦/ ٢١٨، «معترك الأقران» للسيوطي: ١/ ١٣٨، «والإتقان» له: ٣/ ٣٥٣٧ .

عِبَادَه، ويدل على المعنى الذي أراده. وتأوَّلَ قولَهُ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، على أنه حالٌ صُرِفَت إلى المُضَارَعَةِ؛ أي[1]: (والراسخون[2] في العلم، قائلين[3] آمَنَّا به).

قال: ومثله من[4] الكلام: (لا يَأْتِيك إلا عبدُ الله، وزَيْدٌ يقول: أنا مسرورٌ بزيارتك)؛ تريد[5]: (لا يأتيك إلا عبدُ الله، وزيدٌ قائلًا: أنا مسرورٌ بزيارتك). فـ(زيد) عطفٌ على (عبد الله)[6].

واحتج لهذه الطريقة في كتابه (المُشْكل) بما يطول ذِكْرُه[7].

---

(١) في (أ)، (ب): (إلى). والمثبت من: (ج)، (ء).

(٢) في (ج): (والراسخين).

(٣) في (د): (قايلون).

(٤) في (ج): (في).

(٥) من قوله: (تريد..) إلى (.. بزيارتك): ساقط من: (ج)، (ء).

(٦) أورد الشوكاني، والشنقيطي إشكالًا على من يمنع كون جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا، وخلاصته: أن الحال قَيْدٌ لِعامِلِها. ووصف لصاحبها، فتقييد عِلْمِهم بتأويله، بحال كونهم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، لا وجه له؛ لأن مفهومه: أنهم في حال عدم قولهم ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، لا يعلمون تأويله، وهو باطل؛ حيث إنهم يعلمونه في كل حال. ويرى الشنقيطيُّ أن جملة ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ في حال كونها معطوفة، فإن ﴿يَقُولُونَ﴾ تكون معطوفة كذلك بحرف محذوف. واستدل على ذلك بأقوال المحققين من أهل العربية، واستشهد عليه بآيات من القرآن؛ كقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ فإنها معطوفة على قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ بالواو. انظر: «فتح القدير» للشوكاني: ١/ ٤٨٢، «أضواء البيان» للشنقيطي: ١/ ١٣١.

(٧) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٨٦١٠١. إن الخلاف الواقع بين العلماء في تبني أَحَدِ المذهبَيْنِ المذكورَيْن للسَّلَفِ؛ في الوقف أو العطف على لفظ الجلالة في هذه الآية، مرجعه وسببه: الاشتراكُ في لفظ التأويل؛ حيث إنَّ له معانٍ عِدَّة. ولكنَّه إذا أُطْلِقَ عند السَّلَفِ، إنَّما يُرادُ به أمران: =

٨- قوله[١] تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾. أي: ويقول الراسخون: ربنا، كقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقوله: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؛ أي: لا تُمِلْنَا[٢] عن الهدى والقصد، كما

= الأول: تفسيرُ الكلام وبيان معناه؛ كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي: بتفسيره. فيجوز بهذا المعنى عطفُ جُملَةِ ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ على لفظ الجلالة؛ لأن الراسخين يعلمون تفسيره، ويفهمون ما أريد منهم بالخطاب القرآني.

الثاني: حقيقةُ الشيء، وما يؤول أمرُهُ إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [سورة الأعراف: ٥٣]؛ أي: حقيقة ما أخبرهم الله به مِنْ أمر القيامة والبعث. فيجوز بهذا الاعتبار الوقف على لفظ الجلالة؛ لأن حقائق الأشياء وكنهها، لا يعلمها إلا الله تعالى.

وهناك معنى ثالث للتأويل عند الأصوليين والفقهاء المتأخرين عن عصر السَّلَف، وهو: صَرْفُ اللفظ عن ظاهره المتبادرِ منه، إلى مُحتَمَلٍ مرجوح، بدليل يدل عليه. وهذا المعنى ليس مُرادًا في إطلاقات السَّلَف، فهو خارجٌ عن دلالة الآية هنا. فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل، اعتَقَدَ كلُّ مَنْ فَهِمَ مِنْهُ معنًى، أنَّ ذلك هو المذكور في القرآن. ولا شكَّ أنَّ في القرآن أمورًا لا يعلمها إلا الله: كوقت قيام الساعة، وحقيقة الروح وغيرها... وهي الأمور المتشابهة في نفسها.وهناك أمورٌ، العِلْمُ بها نِسْبيٌّ، يعلمها الراسخون في العلم دون غيرهم، وهو المتشابه الإضافي، الذي قد يَشْتَبِه على أناسٍ دون آخرين. فلا مُنافاة بين الرأيَيْنِ عند التحقيق. انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» ٤٤٣٤٤٥ (شبه)، والإكليل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية: ٨٩، ٢٠٢٥، والرسالة كلها حول هذا المعنى، وتفسير سورة الإخلاص، لابن تيمية: ١٧٤، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٨١٩٣، «الرسالة التدمرية» لابن تيمية: ٥٩٦٣، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٧٢، «بصائر ذوي التمييز» للفيروز آبادي: ٣/ ٢٩٦، «أقاويل الثقات» للكرمي: ٥٣٥٥، «فتح القدير» للشوكاني: ١/ ٤٨٢، «فتح البيان» لصديق خان: ٢/ ١٥١٧، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان: ٢١٨، ٢١٩.

(١) في (د): (وقوله).
(٢) في (د): (لا تملها).

أزغت قلوب اليهود والنصارى، والذين في قلوبهم زيغ، بعد إذ هديتنا للإيمان بالمُحْكَمِ والمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِكَ.

وروت أم سلمة(١): أن النبي ﷺ كان يُكثر في دعائه أن يقول: «اللّهم مُقَلِّب(٢) القلوب، ثبِّت قلبي على دينك»(٣).

٩- قوله(٤) تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾. تقديره: جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه(٥)؛ فلما حذف لفظ

---

(١) هي: هند بنت أبي أمية المعروف بـ (زاد الراكب) بن المغيرة، القرشية المخزومية، زوج النبي ﷺ، وهي ممن أسلم قديمًا، وهاجرت إلى الحبشة، ثم المدينة، وشهدت غزوة خيبر، ماتت سنة (٦١هـ)، أو (٦٢هـ)، وهي آخر أمهات المؤمنين موتًا. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٩٣ (٣٥٩٤)، و«الإصابة» ٤/ ٤٥٨ (١٣٠٩).

(٢) في (د): (مثبت). وقد وردت هذه اللفظة في الحديث من رواية أنس عند ابن أبي شيبة في: «المصنف»: ٦/ ٢٥.

(٣) الحديث من رواية أم سلمة رضي الله عنها: أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٩١، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣١٥، والترمذي برقم (٣٥٢٢) كتاب الدعوات، وقال عنه: (حديث حسن). وابن أبي شيبة في: «المصنف»: ٦/ ٢٥ برقم (٢٩١٩٧)، وابن أبي عاصم في: «السنة»: ١٠٠ برقم (٢٢٣)، وقال الألباني محقق الكتاب عنه: (حديث صحيح). وابن خزيمة في: كتاب التوحيد: ١/ ١٩١، والطبري في «تفسيره» ٣/ ١٧٨، ١٧٩، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٠٢، ٦٠٣، والآجرِّي في «الشريعة» ٣١٦. وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٣ وزاد نسبة إخراجه للطبراني، وابن مردويه، وأورده المتقي الهندي في «كنز العمال» ١/ ٣٩١ برقم (١٦٨٦). وقد أوردت المصادر السابقة الحديث كذلك عن عائشة، والنواس بن سمعان، وأنس، وجابر، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم.

(٤) في (د): (وقوله).

(٥) وقيل: إن اللام بمعنى: (في)؛ أي: في يوم. ويكون المجموع لأجله لم يُذكر. فظاهره أن هذا الجمع للحشر من القبور للمجازاة. وقيل: اللام بمعنى: (إلى)؛=

الجزاء، دخلت اللام على ما يليه، وأغنت عن (في)[1]؛ لأن حروف الإضافة متآخية؛ لما يجمعها من معنى الإضافة.[2].

قال الزجّاج[3]: وهذا إقرارٌ من المؤمنين بالبعث، ومخالفةٌ لمن اتبع

= أي: جامعهم في القبور إلى يوم... انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٧، «روح المعاني» للآلوسي: ٣/ ٩١.

(١) في (د): (فيه).

(٢) حروف الإضافة عند البصريين : هي حروف الجر، وسميت بذلك: (لأنها تضيف معنى الفعل الذي هي صلته إلى الإسماء المجرور بها) «شرح المفصل» لابن يعيش: ٢/ ١١٧، وانظر: «الإيضاح في علل النحو» للزجاجي: ٩٣.وفي تناوب حروف الجر وتآخيها، مذهبان للنحويين:
أ- مذهب جمهرة البصريين: أنها لا تنوب عن بعضها البعض قياسًا، فإن لكل حرف معنًى واحدًا أصليًا، يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز، فإذا أدى معنى آخر، فيقال حينها: إنه أداه على سبيل المجاز أو التضمين.
ب- مذهب الكوفيين ومن وافقهم: أنها تنوب عن بعضها البعض؛ لأن الحرف إذا اشتهر معناه اللغوي الحقيقي، وشاعت دلالته بحيث تفهم بلا غموض، كان المعنى حقيقيًا لا مجازيًا، ودلالته أصلية، وليست من قبيل المجاز أو التضمين.
قال ابن جنّي ويحسبه البعضُ على البصريين بعد أن خطّأ المذهب الثاني: (ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لاكِنّا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع، على حسب الأحوال الداعية إليه،والمسوّغة له، فأمّا في كل موضع، وعلى كل حال، فلا) «الخصائص» لابن جنّي: ٢/ ٣٠٨.
وقال المالقي: (والحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسًا، إلّا إذا كان معنياهما واحدًا، ومعنى الكلام الذي يدخلان فيه واحدًا، أو راجعًا إليه، ولو على بعد) «رصف المباني» للمالقي: ٢٩٧. وانظر حول الموضوع «مغني اللبيب» لابن هشام: ٦٥٦، «همع الهوامع» للسيوطي: ١/ ٢٧، «النحو الوافي» لعباس حسن: ٢/ ٥٣٧، و«تناوب حروف الجر» د. محمد عواد: ١٠ ١٣ وما بعدها، و«من أسرار حروف الجر في الذكر الكريم» د. محمد الخضري: ١٢.

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٧٩. نقله عنه بالمعنى.

المتشابه ممن ينكر أمر البعث.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾. [يجوز أن يكون إخبارًا عن المؤمنين أنهم قالوا ذلك، فيكون متصلًا بما قبله، لكنه على تلوين الخِطاب[(١)]، و][(٢)] يجوز أن يكون استئنافًا، أخبر الله تعالى أنه لا يخلف الميعاد. ولا يدلُّ هذا على تخليد مرتكبي الكبائر من المسلمين في النار، وإنْ وعد ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]. الآية؛ لأن المراد بالميعاد[(٣)] ههنا يوم القيامة[(٤)] لأن الآية وردت في ذكره. أو يُحمل [هذا[(٥)] على ميعاد الأولياء دون وعيد الأعداء؛ لأن خلف الوعيد كرم[(٦)] عند العرب][(٧)]، والدليل: أنهم يمدحون بذلك، ومنه قول الشاعر:

(١) يعني بتلوين الخطاب؛ أي: الانتقال من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾. قال أبو حيان ذاكرًا الحكمة في تغيير الأسلوب، هنا: (لِمَا في ذكره باسمه الأعظم من التفخيم والتعظيم والهيبة..) «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٧.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٣) في (ب): (المعاد).

(٤) ومما يؤكد ذلك لغة أن الميعاد هو: وقت الوعد وموضعه، ففي «تهذيب اللغة» (والميعاد، لا يكون إلا وقتًا أو موضعًا) وفي «اللسان» (والموعد: موضع التواعد، وهو الميعاد). انظر مادة (وعد) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١٥، «الصحاح» ٢/ ٥٥٢، و«اللسان» ٨/ ٤٨٧١، و«القاموس المحيط» ٣٢٦. لكنَّ أبا عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٩، ١٨٩: ذكر أن الوعد والميعاد والوعيد، واحد. وعلى الرغم من هذا، فإن سياق الآية وأقوال من سبق من أهل اللغة، يؤكد ما ذكره المؤلف من أن الآية لا دلالة فيها على تخليد مرتكبي الكبائر من المسلمين في النار.

(٥) أي: على فرض التسليم بدلالة الآية على ما ذكر.

(٦) في (د): (لزم).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

إذا وعد السرّاءَ أَنجز[١] وعدَه   وإنْ وَعَدَ الضرّاءَ فالعَفْوُ مانَعُهْ[٢]

قال الأصمعي: جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء، وبين محمد بن مسعود الفدكي[٣]، فقال أبو عمرو: ما تقول؟ قال: أقول: إن الله وعد وعدًا، وأوعد إيعادًا[٤]، فهو منجز إيعاده، كما هو منجز وعده. فقال أبو عمرو: إنك رجل أعجم، لا[٥] أقول: أعجم اللسان، ولكن أعجم القلب. إن العرب تعُدُّ الرجوع عن الوعد لُؤمًا، وعن الإيعاد كرمًا، وأنشد:

وإنِّي وإنْ أوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُهُ   لَيَكذِبُ إيعادي ويصدقُ موعدي[٦]

---

(١) (أنجز): غير مقروءة في: (أ).

(٢) البيت، لأبي الحسن، السَّري بن أحمد بن السّري الكندي الرفّاء الموصلي. وهو في: «ديوانه» ٢/ ٣٦٨. وورد منسوبًا له، في «يتيمة الدهر» ٢/ ١٥٦. وروايته في «الديوان» «واليتيمة»: (.. وإن أوْعَدَ الضراء..).

(٣) ولكن في «الوسيط في التفسير» للمؤلف: ٦٧٠ (رسالة ماجستير. تحقيق بالطيور): ورد عمرو بن عبيد المعتزلي بدلًا من محمد بن مسعود الفدكي ، وكذا بقية المصادر التي أوردت الحكاية والتي سأذكرها فيما بعد، أجمعت كلُّها على أن المُحاوِر لأبي عمرو بن العلاء، هو عمروُ بنُ عبيد المعتزلي، حتى إن الرازي في «تفسيره» ٧/ ١٨٧ نقل الحكاية عن «تفسير البسيط» للواحدي، وذكر اسم عمرو بن عبيد ، وليس محمد بن مسعود، والذي يبدو لي والله أعلم أنَّ اسم عمرو بن عبيد المعتزلي قد حوِّر إلى محمد بن مسعود الفدكي، وقد يرجع السبب إلى أن جميع النسخ التي بين يدي، قد تكون نقلت عن نسخة رئيسة واحدة لم يستبن فيها الاسم لسبب ما، فكان الخط أقرب إلى أن يقرأ هذه القراءة، أو لاجتهاد من الناسخ الأول في كتابة الاسم السابق. وعمرو بن عبيد، هو شيخ المعتزلة في عصره، ولد سنة (٨٠هـ)، وتوفي سنة (١٤٤هـ)، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» ١٢/ ١٦٦ ، «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٦٠.

(٤) (إيعادا): مطموسة في: (ج).

(٥) (لا): مطموسة في: (ج).

(٦) البيت لعامر بن الطفيل، وهو في «ديوانه» ٥٨. وقد ورد منسوبًا له، في «العقد=

أو تقول: هذا عامٌّ في وعيد الأولياء، ووعيد الكفار، فأما مرتكبو الكبائر، فهم مخصوصون بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

١٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: يعني:

= الفريد» لابن عبد ربه: ١/ ٢٨٤، وأورده بنفس رواية المؤلف: «يتيمة الدهر» للثعالبي: ٢/ ١٥٧، «لسان العرب» ٢/ ١٠٩٨ (ختأ)، ٨/ ٤٨٧١ (وعد)، ٢/ ١١٠٣ (ختا)، «تاج العروس» ١/ ١٤٣ (ختأ)، ١٩/ ٣٦٩ (ختا). كما ورد غير معزوٍ، في «عيون الأخبار» لابن قتيبة: ٢/ ١٤٢، «ضرورة الشعر» للسيرافي، تحقيق د. رمضان عبد التواب: ١٣٨، «مجالس العلماء» للزجّاجي: ٦٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١٥ (وعد)، «الصحاح» ٢/ ٥٥١ (وعد) «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي: ٣٩، «العمدة» لابن رشيق: ١/ ٥٨٩، «الحماسة البصرية» لصدر الدين البصري: ٢/ ٣٠. وروايته في «الديوان»:

وإنِّيَ إن أوعدتُه أو وعدتُه ... لأخلِفُ إيعادي وأنجز موعدي

وبرواية أخرى:

لمخلِفُ إيعادي ومنجز موعدي

كما ورد في «اللسان» ١/ ٦٣ كالتالي:

لَيأمَنُ ميعادي ومنجز موعدي

وانظر الفرق بين (وعد) و(أوعد) في: «ما تلحن فيه العامة» للكسائي: ١١٠، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: ٢/ ١٨٩، «أدب الكاتب» لابن قتيبة: ١/ ٢٧٢، «مجالس ثعلب» ١/ ٢٢٧، «والخاطريات» لابن جني: ١٩٨، «خزانة الأدب» للبغدادي: ٥/ ١٨٩، ١٩٠. وانظر مادة (وعد) في «تهذيب اللغة» «الصحاح» «اللسان». وقد وردت هذه المحاورة في «عيون الأخبار» ٢/ ١٤٢، «مجالس العلماء» ٦٢، «طبقات النحويين واللغويين» ٣٩، «إنباه الرواة» ٤/ ١٣٣، «مدارج السالكين» لابن القيم: ١/ ٣٩٦، «ميزان الاعتدال» للذهبي: ٤/ ١٩٨، ١٩٩، «لوامع الأنوار» للسفاريني: ١/ ٣٧١.

اليهود من قُريظة والنضير[١].

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ أي: لن تنفع، ولن تدفع. وإنما ذُكرَ (عن) مع الإغناء؛ لأنه يراد به الدفع، و(الغِنَى): ما يدفع عن صاحبه الفقر.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي[٢]: من عذاب الله[٣].

وقال أبو عبيدة[٤]: معناه: عند الله.[٥]

(مِنْ) بمعنى: (عند) وحروف الصفات تتعاقب[٦].

---

(١) لم أهتد إلى قول ابن عباس هذا في المصادر التي رجعت إليها. وقد ذهب ابن جرير الطبري إلى أن المراد بهم: (يهود بني إسرائيل ومنافقيهم ومنافقي العرب وكفارهم) «تفسيره»: ٣/ ١٨٩. وقال أبو السعود: (والمراد بالموصول: جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف). تفسيره: ٢/ ١٠. وإلى عموم الآية وتناولها لكل كافر، ذهب كذلك أبو حيان في «تفسيره» ٢/ ١٨٧.

(٢) من قوله: (قال الكلبي) إلى: (بمعنى: عند) نقله بالنص عن «الثعلبي» ٣/ ١١ب.

(٣) قوله في «تفسيرالثعلبي» في الموضع السابق.

(٤) في «مجاز القرآن» ١/ ٨٧.

(٥) وضعَّف أبو حيان، والسمينُ الحلبي قولَ أبي عبيدة. انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣٨٨، «الدر المصون» ٣/ ٣٥. ولكن ابن هشام وافق أبا عبيدة في جعل (مِن) موافقة لـ(عند) وكذلك جعلها بمعنى البدل؛ أي: بدل طاعة الله، أو بدل رحمة الله. انظر: «المغني» ٤٢٢، ٤٢٤.

(٦) حروف الصفات هي حروف الجر. قال عنها ابن يعيش في «شرح المفصل» ٨/ ٧: (وقد يسميها الكوفيون: حروف الصفات؛ لأنها تقع صفاتًا لما قبلها من النكرات). وقد عقد لها ابن قتيبة بابًا في «تأويل المشكل» ص٥٦٥ فقال (باب دخول بعض حروف الصلات مكان بعض)، وانظر: «أدب الكاتب» له ١/ ٣٩٢، «من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم» ص١٢، وانظر التعليق السابق على حروف الإضافة في هامش تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ آية: ٩.

١١- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾. الآية. يقال: (دَأبتُ، أَدْأَبُ، دَأْبًا)[١]. و(دَأَبًا)، و(دُؤُوبًا): إذا اجتهدتَ في الشيء وتعبتَ فيه[٢].

قال الفراء[٣]: والعرب تُثَقِّلُ[٤] ما كان ثانيه أحد حروف الحلق[٥]: كـ(النَعْلِ)، و(الصَخْرِ)، و(النَهْرِ)، و(الشأْمِ)[٦]، وأنشدَ:

قد سار شرقِيُّهُمْ حتى أتى سبأً وانساحَ غربِيُّهُمْ حتى هو الشأَمُ[٧]

ويقال: (سار فلان يومًا دائِبًا): إذا اجتهد في السير يومه كله. هذا

---

(١) في (ب): (داءبًا).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٣٨٠، «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٢٧ (دأب).

(٣) قوله بمعناه في «معاني القرآن» له: ٢/ ٤٧. وورد بمعناه في «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٣، ونسبه لكتاب (المصادر) للفراء. وأورده السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٤٠.

(٤) في (أ): (تَثَقَّلُ). ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ، وصوبته من: «الدر المصون» ٣/ ٤٠.

(٥) حروف الحلق هي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٦-٤٧، «الممتع في التصريف» ٢/ ٦٦٨-٦٦٩، «التمهيد» لابن الجزري ص ٨٣. وقد قال الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٤٧ عند قوله تعالى: (دأبا) آية: ٤٧ من سورة يوسف بعد ذكر القراءتين فيها، بتسكين الهمزة وفتحها: (وكذلك كل حرف فُتِح أوله، وسُكِّن ثانيه، فتثقيله جائز إذا كان ثانيه همزةً أو عينًا أو غينًا أو حاءً أو خاءً أو هاءً). وانظر: «تفسير الطبري» ٣/ ١٩١، «البيان» لأبي البركات الأنباري: ٢/ ٤٢.

(٦) في (ب)، (أ): (والشام) في (ج): (والسام). وقصد المؤلف هنا أن هذه الكلمات تُنطق بتسكين الحرف الثاني، أو بفتحه.

(٧) لم أهتد إلى قائله، وقد نقله السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٤٠ عن «البسيط» للواحدي بالرواية التالية:

قد سار شرقيهم حتى أتى سبأ وانساح غربيهم حتى هوى الشأما.

معناه في اللغة. ثم يصير الدأب عبارة عن: الحال، والشأن، والأمر، والعادة؛ لاشتمال العمل والجهد على هذا كله[(١)].

واختلفوا في معنى الكاف في قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾: فقال ابن عباس، وعكرمة[(٢)]، ومجاهد، والسدِّي، وابن زيد[(٣)]: كفعل آل فرعون، وصنيعهم في الكفر والتكذيب.

يريد: إن اليهود كفرت بمحمد ﷺ كعادة آل فرعون مع فرعون، عرفوا كَذِبَهُ وصِدْقَ موسى، وكذلك كفار الأمم الخالية.

وعلى هذا التقدير: دأبهم في الكفر، كدأب آل فرعون، فيكون الكافُ في موضع رفعٍ بخبر الابتداء[(٤)].

و(الدأب) على هذا التفسير والتقدير إن شِئت قلت: معناه: الأمر والشأن. وهو قول الأخفش[(٥)]. وإن شئت قلت: العادة. وهو قول النضر[(٦)] والمُبَرِّد[(٧)].

وأما الزجَّاج، فإنه أجرى (الدأب) على ما هو موضوع عليه في اللغة، فقال[(٨)]: القول فيه عندي: إنَّ دأب هؤلاء أي[(٩)]: اجتهادهم في كفرهم،

---

(١) انظر: «مجمل اللغة» ٢/ ٣٤٢، «اللسان» ٣/ ١٣١٠.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٣، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٧٥ .

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٣٨٠.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ١٩٤.

(٦) لم أهتد إلى مصدر قوله .

(٧) في «الكامل» له ١/ ٣٧٦.

(٨) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٨٠. نقله المؤلف عنه بتصرف يسير.

(٩) (أي): ساقطة من: (ج).

وتظاهرهم على النبي ﷺ، كتظاهر آل فرعون على موسى ﷺ.

قال ابنُ الأنباري[١]: لم يخاطب الله تعالى العرب إلَّا بما تَعْقِل[٢]، وقد يكون من عادتها أن تحذف المُشَبَّهَ، وتذكر المشَبَّهَ به[٣]، وتكون كاف التشبيه دليلًا على المحذوف، كقول امرئ القيس:

كَدَأْبِك من أُمِّ الحُوَيْرِث . . . البيت[٤].

أي لَقِيتَ من هذه المنازل، كما لَقِيتَ من هاتين المرأتين[٥]، فحذف، وهذا مشهور في الكلام.

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في (د): (تفعل).

(٣) (به): ساقطة من: (ج).

(٤) البيت من معلقته، وهو في: «ديوانه»: ص١١١. وروايته في «الديوان»:

كَدِينك من أمِّ الحوَيْرِثِ قَبْلَها ... وجارَتِها أُمِّ الرَّباب بِمَأسَلِ

وورد كذلك في «تفسير الطبري» ٣/ ١٩١، «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٢٧، «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٥٦٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٤، «الأمالي» للقالي ٢/ ٢٩٥، «المنصف» لابن جني ١/ ١٥٠، «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص١٠، «شرح القصائد العشر» للتبريزي ص١٠، «خزانة الأدب» ٣/ ٢٢٣ .

والدأب في البيت: العادة. وكذا قوله: (كدينك) أي: كعادتك. و(أم الحويرث) هي: أخت الحارث الكلبي، وهي امرأة أبي الشاعر، كما صَوَّبَ ذلك البغداديُّ في «خزانة الأدب» وقيل: هي أم الحارث الكلبي. و(أم الرَّبَاب): امرأةٌ من بني كلب أيضًا ، و(مَأسِل): إسم جبل.

(٥) أي: لقيت من وقوفك على هذه الديار وتذكرك أهلها، كما لقيت من أم الحويرث وجارتها. وقيل: أصابك من التعب من هذه المرأة، كما أصابك من هاتين المرأتين أي: أصبحت عادتك في حب هذه، كعادتك من تَيْنك في قلة حظك من وصالهما ومعاناتك الوجْد بهما.

وقال بعض أهل المعاني[1]: يجوز أن يكون الكاف في محل النصب، متصلة بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ * كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾؛ لأن (الوقود) وإن كان اسما، ففيه معنى الفعل، ويكون التقدير: تَتَّقد النارُ بأجسامهم [كما تَتَّقدم بأجسام][2] آل فرعون، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم عند حلول[3] النقمة والعقوبة، مثل آل فرعون، أخذناهم وعاقبناهم، فلم يغن عنهم أموالهم ولا أولادهم[4].

وعلى هذا القول: شُبِّه حال كفار اليهود بحال آل فرعون في العقوبة، وقلة غناء أموالهم عنهم، وفي القول الأول: التشبيه وقع بين الحالتين في الكفر والتكذيب.

قال النحويون: ولا يجوز أن تكون الكاف من صلة (كفروا) في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لما وقع بينهما من الفصل بخبر (إنَّ)[5].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾. قال بعض أهل اللغة: معنى

---

(١) ممن قال بذلك النحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣٥٩.

(٢) زيادة من: (ج)، (د).

(٣) في (ب): (طول).

(٤) من قوله: (عند حلول) إلى (أولدهم): ساقطة من: (ج)، (د).

(٥) ممن قال: إن الكاف متعلقة بـ﴿كَفَرُواْ﴾ الفرَّاء. وممن أنكر هذا الوجه الزجَّاج، والنَّحاس. انظر: «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٣٨٠، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣١٣. وتعليل رأييهما أن الخبر قد تم بقوله (لن تغني..) فانقطع تعلق الفعل بالكاف، ولا يُعطَف على صلة الموصول بعد تمام الجملة.
وانظر: «البيان» لأبي البركات الأنباري ١/ ١٩٢، «التبيان» للعكبري ١/ ١٧٧. «الكشاف» ١/ ٤١٤، «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٩ وقد ذكر عشرة أقوال في إعراب الكاف.

الذَّنْب: التُّلُوُّ للشيء. (ذنَبه، يذْنِبهُ، ذنْبًا): إذا تلاه. و(الذَّنُوبُ): الدَّلْو؛ لأنها تالية للحبل في الجذب، وأصله من (الذَّنَبِ)؛ لأنه تالٍ لصاحبه[١].

فالذَّنْب: الجُرْم[٢]؛ لأن تبعته تتلو صاحبه من استحقاق الذم[٣].

وقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. إنما سُمِّي عقابًا؛ لأنه يعقب الذنب.

١٢- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. قال ابن عباس في رواية عكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي صالح[٤]، وعطاء[٥]: يعني يهود المدينة[٦].

---

(١) انظر: (ذنب) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٥، «اللسان» (ذنب) ٣/ ١٥٢٠.

(٢) في (ج): (والحرم).

(٣) في (ج)، (د): (الدم).

(٤) هو: باذام، أو باذان، مولى أم هانئ. تقدمت ترجمته.

(٥) (عطاء): غير مقروءة في: (ج).

(٦) أثر ابن عباس هذا برواية عكرمة وسعيد بن جُبير في: «سنن أبي داود»: برقم (٣٠٠١) كتاب «الخراج» باب: كيف كان إخراج اليهود من المدينة. «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٢، «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢أ، «أسباب النزول» للواحدي: ص١٠٠-١٠١، «تفسير البغوي» ٢/ ١٣، «لباب النقول» للسيوطي ص٥١. وورد من رواية الكلبي عن أبي صالح في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢أ، «أسباب النزول» للواحدي ص١٠٠، «تفسير البغوي» ٢/ ١٣. أما رواية عطاء عن ابن عباس، فلم أهتد إلى مصدرها. ونص الأثر في: «سنن أبي داود»: (لما أصاب رسولُ الله ﷺ قريشًا يوم بدر، وقدم المدينة، جَمَع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشَرَ يهودَ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قريشًا**» قالوا: يا محمدُ، لا يغرَّنَّكَ من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أنَّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﷻ في ذلك ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾

وقال مقاتل[١]: هم مشركو مكة. واللفظ يحتمل الفريقين جميعًا.

يدل على ذلك قوله: ﴿مَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] ففسَّر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقبيلين، وكذلك قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ١].

وقوله تعالى: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾. يقال: غَلَبَ، غَلبةً، وغَلَبًا. والغَلَبة أكثر[٢].

قال الفرَّاء[٣]: وكان قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ [الروم: ٣]، حُذفت منها الهاء لمَّا أُضيفت[٤]، كما قال: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧]، فحُذفت منها الهاء للإضافة. وفيه قراءتان: الياء والتاء[٥]، وكذلك قوله: ﴿تُحْشَرُونَ﴾. فمن قرأ بالتاء: فللمخاطبة. ويدل[٦] على حُسن[٧] التاء[٨]: قوله تعالى[٩]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [النور: ٣].

---

(١) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٦٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢أ، «تفسير البغوي» ٢/ ١٢ .

(٢) انظر: (غلب) في: كتاب «العين»: ٤/ ٤٢٠ «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٢، «اللسان» ٦/ ٣٢٧٨.

(٣) في «معاني القرآن» ٢/ ٣١٩.

(٤) في (ب)، (د): (أضيف).

(٥) في (د): (التاء والياء). قرأ حمزة والكسائي من السبعة بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ١٧، «المبسوط» لابن مهران ١٤٠، «حجة القراءات» لابن زنجلة ١٥٤-١٥٥، وكتاب «الإقناع» لابن الباذش ٢/ ٦١٨.

(٦) في (د): (يدل).

(٧) في (ج): (صحة).

(٨) من قوله: (ويدل على..) إلى (.. ولم يقل غضوا): نقله عن «الحجة» للفارسي ٣/ ١٨ بتصرف واختصار.

(٩) من قوله: (تعالى..) إلى (.. صحة الياء): ساقط من: (ج).

ومن قرأ بالياء، فالمعنى: بلِّغهم أنهم سيُغلَبون. ويدل على صحة الياء: قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ [الجاثية: ١٤]، وقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣]، ولم يقل: (غُضُّوا).

قال الفرَّاء[١]: مَن[٢] قرأ بالتاء: جعل اليهود والمشركين[٣] داخلين في الخطاب، ثم يجوز في هذا المعنى: الياء، والتاء؛ كما تقول في الكلام: (قل لعبد الله إنه قائم، وإنك قائم)[٤].

وفي حرف عبد الله[٥]: (قل للذين كفروا إن ينتَهوا[٦] يُغفَر لكم[٧] ما قد سلف)[٨].

ومن قرأ بالياء: فإنه ذهب إلى مخاطبة اليهود، وإلى أن الغلبة تقع على المشركين؛ كأنه قيل: (قل يا محمد لليهود: سَيُغلَبُ المُشركون، ويُحشَرون) فليس يجوز في هذا المعنى[٩] إلَّا الياء؛ لأن المشركين غَيبٌ.

وقال غير الفرَّاء[١٠]: جعل المخاطبة للفريقين أحسن؛ لجواز وقوع

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ١٩١.
(٢) في (ج): (ومن).
(٣) في (ج): (المشركين واليهود).
(٤) (وإنك قائم): ساقط م:ن (ج).
(٥) هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٦) في (ب): (تنتهوا).
(٧) في (ج): (د): (لهم).
(٨) انظر هذه القراءة، في «المحرر الوجيز» ٦/ ٣٠٠، «البحر المحيط» ٤/ ٤٩٤، ووردت فيه: (تنتهوا). والقراءة المتواترة: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ الأنفال: ٣٨.
(٩) في (ج): (الموضع).
(١٠) القائل هو: أبو علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ١٩، ونقله المؤلف عنه بتصرف.

(الذين كفروا) عليهما ولأنهما جميعًا مغلوبان: فاليهود غُلِبوا بوضع الجِزْيِ[١] عليهم، والمشركون غُلِبوا بالسيف.

وقال صاحب النظم[٢]: من قرأ بالتاء، فالأمر واقع على هذه اللفظة بعينها، أي[٣]: قل لهم هذا القول، ومن قرأ بالياء، فالأمر واقع على المعنى دون اللفظ أي قل لهم ما يكون هذا معناه، وإن لم تكن هذه اللفظة بعينها[٤].

قال مقاتل[٥]: لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ للكفار يوم بدر: «**إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم**».

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ قال مجاهد[٦]: بئس ما مَهَدوا لأنفسهم.

وقال الحسن[٧]: بئس القرار.

وقيل[٨]: بئس الفراش المُمَهَّدُ لهم. وقال ابن عباس في رواية

---

(١) في (ج): (د): (الخزى) وفي «الحجة» الجِزَى، وما أثبته صحيح كذلك؛ لأن الجزي، والجِزى، جمعٌ للجزية وهي: خراج الأرض، وما يؤخذ من أهل الذمة من مال. انظر: «اللسان» ٢/ ٦٢١ (جزى).

(٢) هو: أبو علي، الحسن بن حيبى بن نَصْر الجُرْجاني، وكتابه «نظم القرآن».

(٣) من قوله: (أي..) إلى (.. هذه اللفظة بعينها) ساقطة من (د).

(٤) وانظر في توجيه القراءة بالتاء والياء: «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه ص١٠٦، «الكشف» لمكي ١/ ٣٣٥.

(٥) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٥٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢أ.

(٦) انظر: «تفسير مجاهد»: ١/ ١٢٢، «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٤.

(٧) لم أهتد إلى مصدر قوله .

(٨) ممن قال بذلك: الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٨٠.

عطاء[١]: بئس ما مُهِّدَ لكم، وبئس ما مَهَّدتم لأنفسكم.

وقال أصحاب المعاني: ليس[٢] هناك تمهيد، ولكن المعنى: إنها بدلُ المهاد؛ كما أن البشارة بالعذاب بدل البشارة بالنعيم في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٣].

١٣- قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ قال الفرَّاء[٤]: أراد بالآية البيان[٥]؛ فلذلك ذَكَّرَ الفِعْلَ كأن ذهب إلى المعنى، وترك اللفظ كقول الشاعر:

كَخُرْعُوبَةِ البانَةِ المنفطرْ[٦]

---

(١) لم أقف على هذه الرواية عن ابن عباس، والذي في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٠ هو قوله: (بئس ما مهدوا لأنفسهم). ونسب إخراجه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، ولم يذكر الرواي عنه.

(٢) في (ج): (وليس).

(٣) سورة آل عمران: ٢١، التوبة: ٣٤، والانشقاق: ٢٤. وأصل المَهْد لغة: التوثير، ويقال: (مَهَدْت لنفسي مهدًا) و(مَهَّدت لنفسي) أي: جعلت لها مكانًا وطيئًا سهلًا، و(مَهَد لنفسه خيرًا)، و(امْتَهده): هيأه وتوطأه. والمِهاد: الفراش، سمي بذلك لوثارته، و(مهدت الفراش مهدًا): بسطته ووطأته، والجمع: (أمهِدة) و(مُهُد)، و(مهْد الصبي): موضعه الذي يُهَيَّأ له لينام فيه، وجمعه: مُهود. انظر: (مهد) في: «الجمهرة» لابن دريد ص٦٨٥، «اللسان» ٧/ ٤٢٨٦.

(٤) لم أهتد إلى مصدر قوله. ومن قوله: (أراد بالآية..) إلى (.. في الدنيا لمغرور): ورد في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣ أ، مع اختلاف في بعض عباراته.

(٥) أي قد كان لكم بيان.

(٦) عجز بيت، وصدره كما في «الديوان»:

بَرَهْرَهَةٌ رُؤْدَةٌ رَخْصَةٌ

وهو لامرئ القيس، في: «ديوانه»: ص٦٩، كما ورد منسوبًا له في «تهذيب=

[ولم يقل المنفطرة][1] لأنه ذهب إلى القضيب.

ويجوز أن يكون التذكير للفصل [الواقع][2] بينهما بحرف الصفة؛ كقول الشاعر:

إنَّ[3] امرءًا غرَّه مِنْكُنَّ واحدةٌ[4] بعدي وبعدك في الدنيا لَمَغْرُورُ[5]

= اللغة» ١/ ١٠١٤ (خرعبة)، «الصحاح» ١/ ١١٩ (خرعب)، «والمخصص»: ١٠/ ٢١٤، ١١/ ٣، «اللسان» ٢/ ١١٣٨ (خرعب)، ١/ ٣٩١ (بون)، ١/ ٢٧٠ (بره). ويروى كذلك: (.. رَخصَةٌ رُودَةٌ) في «تهذيب اللغة» وورد في «الصحاح»: (رأدَة) بدلًا من (رُؤدَة)، ويروى: (رُودَةٌ). والبرهرهة: الجارية البيضاء، وقيل: التي لها بريق من صفائها، وقيل: الرقيقة الجلد؛ كأن الماء يجري فيها من النعمة، وهي معان متقاربة. والرخصة: الناعمة البَشرة. والرُّؤْدَة، والرَّأدَة، والرَّؤودة: الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء. وسُمِّيت بذلك تشبيهًا لها بالغصن الرؤود، وهو الذي نبت من سنته أرطب ما يكون. والخرْعُوبة، والخرْعُوب، والخرعب: الغصن الطري السامق المتثني، وبه شُبِّهت المرأة الرقيقة الحسنة القوام، الكثيرة اللحم. والبانة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر. انظر: «اللسان» ١/ ٢٧٠ (بره) ٣/ ١٦١٦ (رخص) ٣/ ١٥٣٢ (رأد) ٢/ ١١٣٨ (خرعب) ١/ ٣٩١ (بون). والشاهد فيه: أنه ذكَّر لفظ (المنفطرْ) مع أن الأصل فيه التأنيث؛ لأنه صفة للفظ (خرعوبة) المؤنث لفظًا، إلا أنه لما أراد وقصد معنى (الغصن) أو (القضيب) ذكَّر الصفة لتتناسب مع مراده.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د). وهي في «تفسير الثعلبي» كذلك ٣/ ١٣أ.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج) و(د).

(٣) (إن): ساقطة من: (ج).

(٤) في (أ): (واحدةً) وبقية النسخ غير مضبوطة بالشكل، والصواب ما أثبت.

(٥) لم أهتد إلى قائله. وهو في «معاني القرآن» للفرَّاء: ٢/ ٣٠٨، «الخصائص» لابن جني ٢/ ٤١٤، «واللمع» له ص٨١، «الأمالي الشجرية» لابن الشجري ٢/ ٤١٣، «الإنصاف» لأبي البركات الأنباري ص١٥٢، «شرح المفصل» ٥/ ٩٣، «اللسان» ٦/ ٣٢٣٢ (غرر)، «شرح شذور الذهب» ص٢٣٣، «وتخليص الشواهد» لابن =

والخطاب في هذه الآية للمعنيِّينَ بقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأراد بالآية عَلاَمَةً تدل على صدق النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ أراد بالفئتين: رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر، ومشركي مكة حين خرجوا لقتاله، في قول جميع المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ﴾ الرفع[1]، وجْه الكلام؛ لأن المعنى: إحداهما تقاتل في سبيل الله، فهو رفع على استئناف من الكلام كما أنشدهُ[2] الفرَّاء:

إذا مُتُّ كانَ الناسُ صِنْفَيْنِ[3]: شامتٌ
وآخرُ مُثْنٍ بالذي كنت أفعل[4]

= هشام ٤٨١، «المقاصد النحوية» للعيني ٢/ ٤٧٦، «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك» شرح الأشموني ٢/ ٥٢، «همع الهوامع» ٧/ ٦٦، «الدرر اللوامع على همع الهوامع» للشنقيطي ٢/ ٢٢٥. والشاهد فيه قوله: (غرَّه منكن واحدةٌ) حيث لم يؤنث الفعل (غرَّ) مع أن إسناده إلى اسم ظاهر حقيقي التأنيث، وهو (واحدة) نظرًا للفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول، وهو الضمير المتصل، وبالجار والمجرور، وهو (منكن).

(١) من قوله: (الرفع..) إلى (.. والنصب جائز): نقله عن «معاني القرآن» للفراء: ١/ ١٩٢ ١٩٣ بتصرف.

(٢) في (د): (أنشد).

(٣) في (ج): (صنفان). وفي «معاني القرآن» نصفين.

(٤) البيت للعُجَيْر بن عبد الله السَّلُولي. وقد ورد منسوبًا له في «كتاب سيبويه» ١/ ٧٠، «والنوادر» لأبي زيد ١٥٦، «والأزهية في علم الحروف» للهروي ١٩٩، «الإفصاح» للفارقي ٢٨١، «والبسيط في شرح جمل الزجّاجي» لابن أبي الربيع السبتي ٢/ ٧٦٠، «المقاصد النحوية» للعيني ٢/ ٨٥، «خزانة الأدب» ٩/ ٧٢، «الدرر اللوامع» ١/ ٤٦. وورد غير منسوب في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠، «شرح أبيات سيبويه» للنحاس ص٤٠، «أسرار العربية» لأبي البركات الأنباري=

ابتدأ الكلام بعد الصنفين، ولو كُسِرت على البدل من[1] ﴿فِئَتَيْنِ﴾ جاز؛ كما قال كُثَيِّر[2]:

وكنت كذي رِجلين: رجلٍ صحيحة
ورِجْلٍ رَمى فيها الزمانُ فَشَلَّت[3]

= ص١٣٦، «شرح المفصل» ١/ ٧٧، ٣/ ١١٦، ٧/ ١٠٠، «منهج السالك» للأشموني ١/ ٢٣٩، «همع الهوامع» ١/ ٢٣٥.
وقد انتهت قافية البيت في أكثر المصادر بكلمة (أصنعُ) بدلا من (أفعلُ) وقد جاءت رواياته مختلفة في بعض كلماتها، فورد (نصفين) و(نصفان) و(وصنفان) بدلًا من (صنفين) وورد (.. ومثنٍ بنِيرَيْ بعض)، و(النِيران): العَلَمان في الثوب. انظر: «الخزانة» ٩/ ٧٣.
والشاهد فيه، قوله وفق رواية المؤلف: (شامتُ وآخر) بالرفع؛ ناويًا ابتداء الكلام بعد (صنفين)؛ ليفَسِّر؛ وأراد: بعضٌ شامتٌ، وآخر مثنٍ. وعلى الرواية الثانية: (.. كان الناس صنفان: شامت..)، الشاهد فيه: (صنفان: شامت..) وأراد: كان الشأن والأمر: الناس صنفان.

(١) (من): ساقطة من: (د).

(٢) هو: أبو صخر، كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة. من خزاعة، كان رافضيًّا مُغاليًا، عَدَّه ابنُ سلام من الطبقة الثانية من الشعراء الإسلاميين. عاش في العصر الأموي. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٣٤، «الشعر والشعراء» ص٣٣٤، «وفيات الأعيان» ١/ ٥٤٧.

(٣) البيت في: (ديوانه): ٩٩، كما ورد منسوبًا له في كتاب «الجمل في النحو» للخليل ص٢٠٧، «كتاب سيبويه» ١/ ٤٣٣، «مجاز القرآن» ١/ ٨٧، «الأمالي» للقالي ٢/ ١٠٨، «أمالي المرتضى» للشريف المرتضى ١/ ٤٦، «العمدة» لابن رشيق ٢/ ١٠٤٨، «والإيضاح» للفارقي ٢٣٢، ٢٨٢، و«نتاج الفكر» للسهيلي ٣١٥، «المقاصد النحوية» ٤/ ٢٠٤، «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ١/ ٣٩٨، «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٨١٤،.. كما ورد غير منسوب في «المقتضب» ٤/ ٢٩٠، «المحلى» (وجوه النصب)، لأبي بكر بن شقير ١٦٣ و«إيضاح الوقف=

[يُنشَدُ البيتُ على وجهين[1].

ومما فُسِّر به الأول، فتبعه في الإعراب، ما أنشده][2] الفرَّاء:

حتى إذا ما استقلَّ النجمُ[3] في غَلَسٍ
وغُودِر البقْلُ[4] مَلْويٌّ ومحصودُ[5]

= والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٥٧٠، و«المخصص» ص٥٨، و«ارتشاف الضرب من لغة العرب» لأبي حيان ٢/ ٦٢١، و«المغني» لابن هشام ٢/ ١٤٣ .
ومعنى البيت: أنه لما لم تثبت معشوقته عَزَّة على العهد، وثبت هو على عهدها؛ صار كذي رِجلين: رجلٍ صحيحة، ويعني بها: ثباته على عهدها، ورِجلٍ مريضة، ويعني بها: خيانتها للعهد. ومعنى (شَلَّت): أصابها الشلل، وأصل الفعل: (شَلِلَت، تَشَلُّ، شَلَلًا)، ويقال: (شَلت يدُه)، و(أشلَّها الله). انظر: «الخزانة» ٥/ ٢١٢. والشاهد فيه قوله: (رِجْلٍ..) كُسرت على البدل من (رِجلين) وهو ما يسمى: بدل المفصَّل من المُجْمل، ويجوز الخفض على النعت.

(١) أي: في (رِجْل) الوجه الأول: الخفض، كما سبق بيانه. والوجه الثاني: الرفع، على أنه خبر مبتدأ محذوفٍ، وتقديره: هما: رِجلٌ صحيحةٌ، ورجلٌ أخرى...، أو: إحداهما رِجلٌ.. انظر: «الخزانة» ٥/ ٢١١.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٣) في (ج): (استقل النجمَ).

(٤) في (ج): (النفل).

(٥) البيت لذي الرُّمَّة، وهو في: «ديوانه»: ١٣٦٦، «والسمط» ١/ ٣٥٤. وأورده الفرَّاء في «معاني القرآن» ٢/ ٤١٠ برواية أخرى:

حتى إذا ما أضاء الصبح في غَلَسٍ

وكذا نقله عن الفرَّاء بهذه الرواية النحاسُ في «إعراب القرآن» ٢/ ٨٠١. وروايته في (الديوان) (..وأحْصَدَ البقلُ أوْ مُلْوٍ ومحصودُ). ومعنى (استقل): ارتفع، و(النجم) أراد به هنا الثريا. و(الغَلَس): ظلمة آخر الليل. وقوله (ملويٌّ)؛ يقال: (ألوَى النبتُ إلواءً): إذا جف. وقوله في رواية الديوان: (وأحْصَدَ البقلُ): أي: حان أن يحصد. انظر: «ديوانه» بشرح الباهلي: ١٣٦٧، «القاموس» ١٠٤٩ (قلل)، ٥٦١ (غلس).

ففسر، فقال: بعض البقل كذا، وبعضه كذا، والنَّصْب جائز[١].

وقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ الرؤية[٢] ههنا متعدية إلى مفعول واحد، يدلك على ذلك تقييده بـ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾. وإذا كان كذلك كان انتصاب ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ على الحال[٣]، لا على أنه مفعول ثانٍ كما تقول: (رأيت زيدًا راكبًا).

وقوله (مثليهم): المِثْل: يجوز إفراده في موضع التثنية والجمع؛ كقول الشاعر:

وساقِيَيْنِ مثلِ زيدٍ وجُعَلْ[٤]

---

(١) أي على الحال؛ سواء كان يقصد جواز النصب من الناحية الإعرابية في قوله: ﴿فِئَةٍ﴾ أي: التقتا مختلفتَيْن، أو يقصد جواز النصب في قوله: (ملوي ومحصود) في البيت، فيكون المعنى: حال كونه ملويًا ومحصودًا.

(٢) من قوله: (الرؤية..) إلى نهاية قول الله تعالى: (ثم لا يكونوا أمثالكم) نقله عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩-٢٠ بتصرف.

(٣) انظر: «المشكل» لمكي ١/ ١٥٠، «البيان» للأنباري ١/ ١٩٣.

(٤) صدر بيت من الرجز، وتمامه:

سَقْبانِ ممشوقان مكنوزا العَضَلْ

ولم أقف على قائله، وقد ورد غير منسوب في «كتاب سيبويه» ٢/ ١٧، والفرق بين الحروف الخمسة، لابن السيد البطليُوسي ص٣٧٠، «اللسان» ٤/ ٢٠٣٦ (سقب) ٧/ ٣٩٣٧ (كنز)، «التاج» ٢/ ٧٨ (سقب). وروي بلفظ: (.. صَقْبان) بدلًا من (سقبان). و(السَّقْب): ولد الناقة الذكر ساعة يُولد، وقد سبق بيانه. و(الصَّقْب، والصَّقَب): يُطلق على الطويل الممتلئ من كل شيء، ومنه الغصن الريَّان الغليظ الطويل، و(صَقْب الناقة): ولدها، وعمود يُعمد به البيت، و(رجل صقْب): ممتلئ الجسم ناعمه. انظر: «كتاب العين» ٥/ ٦٨، «الفرق بين الحروف الخمسة» ص٢٧٠، «اللسان» ٤/ ٢٤٦٩ (صقب)، و(الممشوق): الذي فيه طول مع خفة لحم. و(مكنوزًا العضل): مجتمعًا، وممتلئًا العَضَل باللحم. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٢١١ (مشق)، ٧/ ٣٩٣٧ (كنز). =

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[1] [النساء: ١٤٠] ولم يقل: أمثالهم. وقد جمع في قوله ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾. يقال: (رَأَيْتُه[2] رَأْيًا)، و(رُؤْية)، و(رأيته في المنام رُؤيا حَسَنَةً) غَيْر مُجْراةٍ[3]. فالرؤيا تختص بالمنام، وهو مصدرٌ لـ(رأيت)[4]، ويقول: (هو منى رأْيَ العَيْنِ) أي: حيث يقع عليه بصري. فقوله: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ يجوز[5] أن يَنْتَصِبَ على المصدر[6]، ويجوز أن يكون ظرفًا للمكان[7]، كما تقول: (ترونْهم أَمامَكم). ومثله: (هو مِنِّي مَزْجَرَ الكَلْبِ)[8]،

= والشاهد في البيت: إفراد (مثل) وهي في موضع التثنية.

(١) فأفرِدَت (مثل) في الآية، وهي في موضع الجمع.

(٢) من قوله: (رأيته..) إلى (.. مجراة): نقله عن «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٨ مع التصرف.

(٣) في (ج): (محزاة)، (د): (مجزاة). ومعنى: (غير مُحجْراة): أي أن كلمة (رُؤْيا)، غير مصروفة، والإجراء: المنع من الصرف. وهو من اصطلاحات الكوفيين. يقولون: (ما يجرى وما لا يجرى)، و(الجاري وغير الجاري). قال ابن حجر: (وهذا اصطلاح قديم، يقولون للاسم المصروف: مُجْرى). «فتح الباري» ٨/ ٦٨٤. وقد وردت هذه اللفظة كثيرًا عند الفرَّاء. انظر: «معاني القرآن» ٣/ ١٥٠، ٢١٤، ٢١٨، «والحروف» لأبي الحسين المزني ٥٩، «النحو وكتب التفسير» ١/ ١٨٦، «دراسة في النحو الكوفي» ص٢٣٣.

(٤) في (د): (مصدرًا رأيت).

(٥) في (ج): (ويجوز).

(٦) والنصب هنا على المصدر: إمَّا المصدر التوكيدي، أو المصدر التشبيهي أي: رأيا مثلَ رأي العين أي: يشبه رأي العين.

(٧) أي: يجوز نصبه لكونه ظرف مكانٍ.

(٨) انظر هذا المَثَل في «كتاب سيبويه» ١/ ٤١٣، ٤١٦، «الأصول» لابن السراج ١/ ١٩٩، «المسائل الحلبيات» للفارسي ٥٩، «اللسان» ٣/ ١٨١٣ (زجر). =

و(مَنَاطَ العَيُّوقِ)[١].

وفي قوله: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ قراءتان: التَّاءُ[٢]، والياء[٣]. فمن قرأ بالتَّاء؛ فلأن ما قبله خطاب لليهود؛ والمعنى: تَرَوْن أيها اليهود المسلمينَ مِثْلي ما كانوا، أي: مِثْلي الفئة الكافرة؛ وذلك أن الله تعالى كَثَّر المسلمين في أعينهم يوم بَدْر. فذلك الآية، والأُعجوبة، وهو أنهم رَأَوا القليلَ كثيرًا. ويجوز أن تكون الكناية عن الفئة الكافرة، وهم المشركون، والمعنى: تَرَوْنَ المشركين ضِعفي المؤمنين.

= والمَزْجَر: اسمٌ لمكان الزَجْر. والزَّجْر: المنع والنهي والانتهار. ومعنى هذا المثل: أنه مني في القرب بتلك المنزلة.
انظر: (زجر) في «اللسان» ٣/ ١٨١٣، «المعجم الوسيط» ١/ ٣٩٠.

(١) المَناط: موضع التعليق. والعيُّوق: نجم أحمرُ مضيءٌ في طرف المجرَّة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدمها، ويطلع قبل الجوزاء. ومعنى المَثَل: هو مني شديد البعد، كبعد مكان هذا النجم. انظر: «القاموس» ص٩١٣ (عوق)، «المعجم الوسيط» ٢/ ٦٤٣ (عاق) ٢/ ٩٧٢ (ناط).
وقد ورد المَثَل في «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٢٠١، «المستقصى في الأمثال» للزمخشري ١/ ٢٤، «الدرةالفاخرة» لحمزة الأصفهاني ١/ ٧٥، ٧٦. وورد بلفظ: (أبعد من العيوق) في «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ٢٠٤، ٢٣٨. وورد: (وهو مني مناط الثريا) في «الأصول» لابن السراج ١/ ١٩٩. ولم يرتض السمينُ الحلبي رأيَ الواحدي بالنصب على الظرفية، فقال بعد أن نقل قول الواحدي السابق: (وهذا إخراجٌ للفظ عن موضوعه مع عدم المساعد معنًى وصناعةً). انظر: «الدر المصون» ٣/ ٥٥.

(٢) قوله: (التاء والياء، فمن قرأ بالتاء) ساقط من: (ج).

(٣) قرأ نافع بالتاء، وقرأ باقي القرَّاء السبعة بالياء. انظر: «السبعة» ص٢٠١-٢٠٢، «الحجة» للفارسي ٣/ ١٧.

ونذكر بعد هذا كيف رأَوْهم مِثْلَيهم، وهم كانوا ثلاثةَ أمثالهم؟![1].

ومن قرأ بالياء؛ فَلِلْمُغايبَةِ[2] التي جاءت بعد الخطاب، وهو قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ﴾. فقوله: ﴿يَرَوۡنَهُم﴾ يعود إلى الإخبار عن إحدى الفِئتين: يجوز أن يكون خَبرًا عن الفئة المسلمة،

---

(١) وهناك وجهٌ إذا كان الخطاب لليهود، إضافة إلى ما ذكره المؤلف، وهو: ترون أيها اليهودُ الكفارَ مثلي عدد الكفار، أي أن الله كثَّر الكفار في أعين اليهود، ومع ذلك كان النصر عليهم للمسلمين، وفيه دلالة على تأييد الله للمؤمنين. ويرى السمينُ الحلبي، أن كون الخطاب هنا لليهود استتباعًا لخطابهم في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ﴾ يرى أن (تكلفٌ لا حاجة إليه). ويعلل ذلك بقوله: (لأن اليهود لم يكونوا حاضري الواقعة حتى يُخاطَبوا برؤيتهم لهم ذلك). «الدر المصون» ٣/ ص٥٠-٥١ .

كما أن هناك وجوهًا أخرى وُجِّهَتْ بها القراءة بالتاء، وهي:

أن الخطاب في قوله: ﴿لَكُمۡ﴾ و﴿تَرَوۡنَهُمۡ﴾ للمؤمنين، أي: كان لكم أيها المؤمنون آية... حيث ترون الكفارَ مِثْلَيْ ما أنتم عليه في العدد، واستُبعِدَ هذا بأنه خلاف ما ذكره الله في آية ٤٤ من سورة الأنفال ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ حيث قلل الله المشركين في أعين المؤمنين.

أن الخطاب في قوله: ﴿تَرَوۡنَهُمۡ﴾ للمؤمنين، أي: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي عدد أنفسكم. و﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ هنا انتقالٌ من الخطاب إلى الغيبة، والمعنى: ترونهم مثلي الفئة المقاتلة في سبيل الله. أو ترون أيها المسلمون المسلمين، أي: ترون أنفسكم مثلي عددكم.

أن الخطاب في ﴿لَكُمۡ﴾ و﴿تَرَوۡنَهُمۡ﴾ للكفار، أي: قد كان لكم أيها المشركون آية.. حيث ترون المؤمنين مثلي أنفسهم في العدد، ورُدَّ هذا بما رُدَّ به الوجه الأول.

ترون أيها المشركون المؤمنين مثلي فئتكم الكافرة و﴿مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾ هنا انتقال من الخطاب إلى الغيبة، وحول هذه الوجوه المذكورة نقاشات، تراجع في الكشف لحمكي ١/ ٣٣٦. «الحجة» للفارسي ٣/ ٢٠ ، «حجة القراءات» ص١٥٤ ، «الدر المصون» ٣/ ٤٨- ٥١.

(٢) في (ج)، (د): (فللمعاينة).

ويجوز[(١)] أن يكون خبرًا عن الفئة الكافرة[(٢)]. فإن جعلته خبرًا عن الفئة المُسْلمة[(٣)]، فالمعنى: يرى المسلمونَ المشركينَ مِثْلَيهم.

فإن قيل: المسلمون يوم بَدْر كانوا ثلاثمائة وثلاثةَ عشر رجلًا، والكفار كانوا تسعمائة وخمسين رجلًا[(٤)]، فكيف رأى المسلمون[(٥)] المشركين مِثْليهم، وهم كانوا ثلاثة أمثالهم؟!

فزعم الفرَّاءُ[(٦)]: أن المعنى: يرونهم ثلاثة أمثالهم. قال: لأنك إذا قلت: (عندي ألف، وأحتاج إلى مِثْليه). فأنت تحتاج إلى ثلاثة[(٧)] آلاف[(٨)]؛ لأنك لمَّا نَوَيْتَ أن يكون الألف الذي عندكَ داخلًا في المِثْل، كان (المِثْل): اثنين، و(المثلان): ثلاثة. وعلى هذا[(٩)] الآية كانت في أن المسلمينَ رَأَوْا المشركين على ما هم عليه مِنْ وُفُورِ العَدَدِ، ومع ذلك كانت قلوبهم مملوءةً جُرْأَةً عليهم، واحتقارًا لهم، وشهوةً لملابستهم[(١٠)].

---

(١) من قوله: (ويجوز) إلى (.. عن الفئة المسلمة) ساقط من: (د).

(٢) في (ج): (المسلمة).

(٣) (فإن جعلته خبرًا عن الفئة المسلمة) ساقط من: (ج).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٥٧) كتاب المغازي، باب: عدة أصحاب بدر، «صحيح مسلم» برقم (١٧٦٣): كتاب الجهاد. باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، «زاد المعاد» ٣/ ١٧٥، «حدائق الأنوار» لابن الديبع ٢/ ٤٩٨-٤٩٩، «السيرة النبوية» لابن كثير ٢/ ٤٠٤، ٤٢٢.

(٥) في (ج): (المسلمين).

(٦) في «معاني القرآن» ١/ ١٩٤. نقله عنه بتصرف، واختصار.

(٧) من قوله: (ثلاثة..) إلى (.. في المثل، كان) ساقط من: (ج).

(٨) في (د): (ألف).

(٩) في (د): (هذه).

(١٠) الملابسة: المخالطة. وهنا بمعنى: الاشتباك مع الكفار في ساحة المعركة. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩٨٧ (لبس).

قال الزجاج[١]: وهذا غلط؛ لأنَّا إنما نعقل (مِثْل الشيء): مساويًا له، و(مثليه): ما يساويه مَرَّتَيْن. والذي قاله الفرَّاءُ يَبْطُل في معنى الدلالة على الآية المعجزة؛ لأن المسلمين إذا رأوهم على هيئتهم، فليس في هذا آيةٌ، وإنما المعنى في هذا: أن الله ﷻ أرى المسلمين أنَّ المشركين إنما هم[٢] ستمائة وكَسْر، وذلك[٣]، أن الله ﷻ كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار[٤]، فأراهم المشركين على قَدْرِ ما أعلمهم أنهم يغلبونهم؛ ليُقَوِّي قلوبَهم.

والدليل على صحة هذا المعنى: قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال:٤٤]، فرأى كلٌّ واحدٍ من الفريقين الآخرَ أقلَّ مِمّا كانوا؛ لِيَطْمَعَ كلٌّ واحد منهما في الآخر، فيتقدم ويُلابِسَ. وهذا[٥] هو الذي فيه الآية المعجزة، وهو رؤية الشيء بخلاف صورته. انتهى كلامه[٦].

هذا إذا جعلنا قوله: ﴿يَرَوْنَهُم﴾ إخبارًا عن المؤمنين، فإنْ جعلته

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٨١ نقله عنه بتصرف واختصار.

(٢) في (ج): (سماهم).

(٣) قوله (وكسر، وذلك): بياض في: (د).

(٤) وذلك في قول الله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾. آية: ٦٦ من سورة الأنفال.

(٥) في (ب): (هذا).

(٦) ومما يدفع قول الفراء الآنف: أن (المِثل) في اللغة: شِبْه الشيء، والمعادل له في المثال والقَدْر والمعنى.

كتاب «العين»: ٨/ ٢٢٨، وذيل كتاب «الأضداد» للصَّغاني: ٢٤٥.

إخبارًا عن الفئة الكافرة[١]، فيكون المعنى: يُرِي الفئةَ الكافرةَ الفئةَ المقاتلةَ في سبيل الله مِثْلَيهم أي: مِثْلي ما كانوا، أو[٢] مِثْلي أنفسهم، على ما ذكرنا مِنْ تكثير الله إيَّاهم.

فإن قيل: كيف يصح تكثير الله المسلمينَ في أعينِ الكافرين، وقد قال: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

فالجواب: ما قاله أبو عبيد[٣]، وهو إنَّ التقليل كان في حالة أخرى، فالله[٤] تعالى كثَّر المسلمين في أعين الكافرين، كما قَلَّل الكافرين في أعينهم، ثم في حالة أخرى، قَلَّل المسلمين في أعينهم؛ لِيَطْمَعوا[٥] فيهم، فإذا لابسوهم، كانت العاقبةُ للمسلمين عليهم. فَكِلا[٦] الأمرين فيه دلالة على لُطْف الله ﷻ للمؤمنين[٧]، وحُسْن مَعُونَتِه إيَّاهم.

والقراءة الصحيحة الموافقة للآية التي في الأنفال من غير اختلاف حالين: قراءة العامة، وهي الياء المُعْجَمة، على المعنى الذي ذكره الزجَّاج.

على أنَّ الفرَّاء[٨] قال: يجوز أن يكون التقليل الذي ذُكِر[٩] في

(١) من (الكافرة..) إلى (.. الفئة الكافرة): ساقط من (ج).

(٢) في (أ)، (ب): (و). والتصويب من (ج) و(د).

(٣) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٤) في (د): (والله).

(٥) في (أ): (ليطعموا)، والمثبت من (ب)، (ج)، (د)، وهو الصواب.

(٦) في (د): (فكان).

(٧) (للمؤمنين): ساقطة من (ج) و(د).

(٨) في «معاني القرآن» ١/ ١٩٥.

(٩) في (ج): (ذكره).

الأنفال لم يكن من طريق تقليل العَدَد، ولكن معناه: التهوين، كما تقول: (إني لأرى كثيرَكم قليلًا)، أي: قد هُوِّن علي، لا[١] أنك ترى الثلاثةَ اثنين[٢]. وإذا كان كذلك صَحَّ تكثيرُ الله المسلمين في أعين الكافرين، على ما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ نَصْرُ الله تعالى المسلمين على وجهين: نَصْرٌ بالغَلَبَةِ، كنصرهم يوم بدر. ونَصْرٌ بالحُجَّة. ولو هُزِمَ قومٌ مِنَ المؤمنين لجاز أن يقال: هم المنصورون بالحُجَّة، ومحمودِ العاقبة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ العِبْرَة: الاعتبار[٣]، وهي: الآية التي يُعْبَر[٤] بها من منزلة الجهل إلى العلم؛ لأن المعتبر بالشيء، تاركٌ جهلَه، وواصلٌ إلى عِلْمِهِ بما رأى.

وأصلُه من: (العُبُور)، وهو: النفوذ من أحد[٥] الجانبين إلى الآخر. ومنه: (العِبارة) وهو: الكلام الذي يَعْبرُ[٦] بالمعنى إلى المخاطَب، و(عبارة

---

(١) (لا): ساقطة من: (ج).

(٢) وقد دافع ابن الأنباري عن قول الفرَّاء هذا مبينًا أن الأعجوبة لم تكن في العَدَد، وإنما كانت في الجزع الذي أوقعه الله تعالى في قلوب المشركين على كثرتهم، وقلة المسلمين، ولِما قذفه الله من شجاعة في قلوب المسلمين، فهانت بها كثرة عدد المشركين عليهم، فكان احتقار المسلمين للكافرين على وفرة عددهم أعجب من احتقارهم لهم على نقصان عددهم. انظر: «الأضداد» ص١٣٣.

(٣) وفي «الصحاح»: (العِبْرَة: الاسم من الاعتبار) ٢/ ٧٣٢ (عبر).

(٤) في (د): (يُعتبر).

(٥) في (د): (إحدى).

(٦) في (أ): (يُعْبَرُ). وفي بقية النسخ غير مضبوطة بالشكل. والصواب ما أثبته ليستقيم المعنى.

الرُّؤْيا) من ذلك؛ لأنه تفسير لها، يَعْبُر بها من حال النَوْم إلى حال اليَقَظَةِ بإظهار التأويل[١].

وقوله تعالى: ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ أي: لأولي[٢] العقول؛ كما يقال: (لِفُلانٌ[٣] بَصَرٌ بهذا الأمر)، أي: على علم ومعرفة. وليس بالأبصار التي يشترك فيها سائرُ الحيوان.

١٤- قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾. يقال: مَن الذي زَيَّن للناس ذلك؟ فيقال: اللهُ تعالى زَيَّن للناس؛ بما جعل[٤] في الطِبَاع من المنازعة إلى هذه الأشياء محنةً، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧].

وقال بعضهم[٥]: الشيطان زينها؛ لأن الله تعالى زهَّد فيها؛ بأنْ أعلم وأرى زوالها[٦]، ولو زهَّد فيها[٧] حقيقةً؛ لوُجد ذلك في الخَلْقِ كلِّهم؛ كما وُجِد التزيين؛ فإنَّ حُبَّ هذه الأشياء موجودٌ في طِبَاع البَشَر[٨].

---

(١) وقد أخذت الكلمة من (العِبْر) وهو جانب النهر. (وعبرت النهرَ والطريقَ): إذا قطعته من هذا الجانب إلى الجانب الآخر. انظر: (عبر) في «التهذيب» ٣/ ٢٣٠٥، «مجمل اللغة» ٢/ ٦٤٣، «مفردات ألفاظ القرآن» ص٥٤٣، «التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي ص٤٩٩.

(٢) في (ج): (أولي).

(٣) في (ج): (فلان).

(٤) في(ب): (بحب أجعل).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٣٨٣ حيث اقتبس منه المؤلف بعض العبارات.

(٦) في (د): (والها).

(٧) (فيها): ساقطة من: (ج).

(٨) وممن قال بهذا القول: الحسن البصري رضي الله عنه وممن قال بالقول الأول:=

والشهوة: تَوَقان النفس إلى الشيء، وقد ذكرناها في سورة الأعراف، عند قوله: ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾. جَمْعُ (قِنْطار)، وكثر الاختلاف في معنى (القنطار): فروى أبو هريرة[(١)] عن النبي ﷺ، أنه قال:

= عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٧، «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٠، «الدر المنثور» ٢/ ١٧١٨. وقال الخازن في «تفسيره» ١/ ٢٧٤: (قال أهل السنة: المُزيِّنُ: هو الله تعالى؛ لأنه تعالى خالق جميع أفعال العباد، ولأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا، وأباحها لعبيده، وإباحتها للعبيد تزيين لها) ثم ذكر من الآيات ما يدل على ذلك، ثم قال: (ومما يؤيد ذلك: قراءةُ مجاهد: (زَيَّنَ) بفتح الزاي على تسمية الفاعل. وقال الحسن: المزين: هو الشيطان. وهو قول طائفة من المعتزلة، ويدل على ذلك: أن الله تعالى... أطلق حب الشهوات، فيدخل فيه الشهوات المحرمة، والمُزَيِّن لذلك هو الشيطان، ولأن الله تعالى ذكر هذه الأشياء في معرض الذم للدنيا، ويدل عليه آخر هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ ونُقل عن أبي علي الجبَّائي من المعتزلة أن كل ما كان حرامًا، كان المزين له هو الشيطان، وكل ما كان مباحًا كان المزين له هو الله تعالى. والصحيح: ما ذهب إليه أهل السنة؛ لأن الله تعالى خالق كل شيء، ولا شريك له في ملكه). ولكن الآية هنا تحتمل الأمرين؛ لأن تزيين الله لها، حقيقة، كما سبق إيضاح المؤلف له، وكما ورد في قول الخازن، أما تزيين الشيطان لها فبالوسوسة والخديعة وتحسين أخذها من غير وجهها، والحض على تعاطي الشهوات المحضورة فيها، وعلى هذا الوجه يُحمل كلام الحسن رضي الله عنه. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٠، «البحر المحيط» ٢/ ٣٩٦، «تفسير الرازي» ٧/ ٢٠٩، «الإنصاف» فيما تضمنه «الكشاف» من الاعتزال، لابن المنير (مطبوع على هامش «الكشاف» ١/ ٤١٦، «روح المعاني» ٣/ ٩٩.

(١) هو: أبو هريرة بن عامر الدوسي. واختلف في اسمه كثيرًا، ولم يُختَلَف في اسم آخر مثله ولا ما يقاربه. فقيل: عمير، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وقيل غير ذلك. وقيل: إن اسم والده: صخر. وقيل: دومة، وقيل غير ذلك. أسلم بين =

«القنطار: اثنا[١] عشر ألف أوقية»[٢].

وروى أنس عنه أيضًا: أن القنطار: ألف دينار[٣].

وروى أُبَيُّ بن كعب، أنه قال: القنطار[٤]: ألف ومائتا أوقية[٥].

= الحديبية وخيبر، وهاجر وسكن الصُفَّة، وكان من ألزم الصحابة للنبي ﷺ، وأحفظهم للحديث عنه، وأكثرهم رواية. توفي سنة (٥٧هـ). انظر: «أسد الغابة» ٦/ ٣١٨، «الإصابة» ٤/ ٢٠٢.

(١) في (ب)، (ج)، (د): (اثني).

(٢) الحديث أخرجه: أحمد في «المسند» ٢/ ٣٦٣، وابن ماجه (٣٦٦٠) «كتاب الأدب» باب: (برُّ الوالدين)، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» مما نقله محقق «السنن»: (إسناده صحيح، رجاله ثقات) ولكن ضعفه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» ٢/ ٤٩٤ برقم (٢٩٥٣)، وأخرجه الدارمي في «السنن» ٤/ ٢١٧٧ (٣٥٠٧) باب: (كم يكون القنطار). وأوقفه على أبي هريرة، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» انظر: «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» ٦/ ٣١١ برقم: ٢٥٧٣، وقال محققه، شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن)، وأخرجه البيهقي في «السنن» ٧/ ٢٣٣ وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٥ ب، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٧٧، ونسب إخراجه لوكيع في «تفسيره» وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨، والمتقي الهندي، في «كنز العمال» ٢/ ٥ برقم (٢٨٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٠٨، وقال محقق التفسير: إسناده ضعيف، ولم يصح رفعه. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٧٧ ونسب إخراجه للطبراني، وأخرجه الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٥ ب، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨، ونسب إخراجه كذلك لابن مردويه.

وقد ورد عن أنس رضي الله عنه بلفظ آخر، يرفعه: (القنطار: ألفا أوقية). رواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٧٨ كتاب النكاح. وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبيُّ، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨، والمتقي الهندي في «كنز العمال» ٢/ ٥ برقم (٢٨٩١).

(٤) في (ج): (إن القنطار).

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٣/ ٢٠٠، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٧٧،=

وهو قول ابن عمر[١]، ومعاذ بن جبل[٢] وابن عبَّاس في[٣] رواية عَطِيَّة[٤].

وقال في رواية الوالبي: القنطار: اثنا[٥] عشر ألفَ درهم، أو ألفُ دينار، دِيَةُ أحدِكم[٦].

= وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨، والمتقي الهندي في «كنز العمال» ٢/ ٥ برقم (٢٨٩٣)، وقال عنه ابن كثير: (وهذا حديث منكر أيضًا، والأقرب أن يكون موقوفًا على أبي بن كعب، كغيره من الصحابة).

(١) الأثر عنه، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥ ب، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤١، «زاد المسير» ١/ ٣٥٩. وورد عنه: أن القنطار سبعون ألفًا. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٩.

(٢) الأثر عنه، في «سنن الدارمي» ٤/ ٢١٧٨ (٣٥١٢) كتاب: فضائل القرآن، باب: (كم يكون القنطار)، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٠٨، «غريب الحديث» لأبي عبيد: ٢/ ٢٦٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥ ب، «سنن البيهقي»: ٧/ ٢٣٣، كتاب الصداق، باب: (لا وقت في الصداق)، «تفسير البغوي» ٢/ ١٥، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤١، «زاد المسير» ١/ ٣٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ١٨، ونسب إخراجه لعبد بن حميد.

ومعاذ بن جبل، هو: أبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي. من كبار الصحابة، شهد العقبة والمشاهد كلها، بعثه النبي ﷺ قاضيًا على منطقة (الجَنَدِ) من اليَمَن، وهو مُقَدَّمٌ في علم الحلال والحرام، وممن جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، توفي بالطاعون سنة (١٧هـ). انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٥٩، «الإصابة» ٣/ ٤٢٦.

(٣) في (ج): (وفي).

(٤) الأثر عنه، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥ ب، «سنن البيهقي» ٧/ ٢٣٣، «الدر المنثور» ٢/ ١٨.

(٥) في (ج): (د): (اثني).

(٦) الأثر عنه، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦أ، «سنن البيهقي» ٧/ ٢٣٣، «الدر المنثور» ٢/ ١٨.

وبه قال: الحسن[(١)] [وقتادة][(٢)].

وقال الكلبي[(٣)]: القنطار بلسان الروم: مِلْءُ[(٤)] مَسْكِ ثَوْر[(٥)]، من ذهب أو فضة. وهو قول أبي نَضْرة[(٦)].

---

(١) الأثر عنه، في «سنن الدرامي» ٤/ ٢١٧٤ (٣٥٠١) كتاب: فضائل القرآن، باب: من قرأ من مائة آية إلى الألف، رواه مرة مرسلًا عنه، ومرة موقوفًا عليه. وورد في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/٦٠٨، «تفسير الثعلبي» ٣/١٦أ، «تفسير البغوي» ٢/ ١٥، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤١، «زاد المسير» ١/ ٣٥٩.

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من: د.
ولم أهتد إلى مصدر الأثر عنه، وإنما الوارد عنه في المعنى المذكور: روايته عن الحسن، وهي في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٠. أما الوارد عنه من قوله هو: أن المثقال: ثمانون ألفًا من الورق، وهي الفضة، أو مائة رطل من ذهب. وقد ورد هذا الأثر في «تفسير الطبري» ٣/ ١٩٩، «الزاهر» ١/ ٤٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦أ، «زاد المسير» ١/ ٣٥٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٢، «الدر المنثور» ٢/ ١٨، ونسب روايته لعبد بن حميد.

(٣) أورد قوله: أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٨٩، وأورده نقلًا عن النقَّاش ابن عطية، في «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٢، والقرطبي في «تفسيره» ٤/ ٣١، وفي «الزاهر» ١/ ٤٣٢، ينقل عن الكلبي، أن القنطار: ألف مثقال؛ ذهب أو فضة، وكذا في «زاد المسير» ١/ ٣٥٩.

(٤) في (ب): (ملاء)، وفي (ج): (ملو).

(٥) المَسْكُ: هو الجلد. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٣٣١.

(٦) في (ج) في (د) أبي (نصرة).
الأثر عنه، في «سنن الدارمي» ٤/ ٢١٧٧ (٣٥٠٨) كتاب: فضائل القرآن، باب: كم يكون القنطار، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠١، «الزاهر» ١/ ٤٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦أ، «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٢، «ابن كثير» ١/ ٣٧٧. ولكن أبو منصور الثعلبي، في «فقه اللغة» ١/ ١٩٩، ذكر أن مقداره في لغة الروم: اثنا عشر ألف أوقية.
وأبو نضرة هو: المنذر بن ملك بن قُطَعة العبدي، العَوَقي، البصري. عده =

ويقال: إنَّه في التوراة كذا. وبلسان أفريقية، وأندلس: ثمانية ألف[(١)] مثقال من ذهب أو فضة[(٢)].

قال الزجَّاج[(٣)]: والذي يخرج من اللغة أن (القنطار) مأخوذ من عَقْدِ الشيء وإحكامه، و(القَنْطَرة) من ذلك؛ لتوثيقها بعَقْدِ الطَّاق[(٤)]. وكأن القنطار[(٥)]: هي الجملة التي تكُونُ عقْدَةً وثيقةً منه[(٦)].

وهذا قول الربيع[(٧)]، وابن كيسان[(٨)]، وأبي عبيدة[(٩)]؛ فإنهم لم يحدُّوا القنطار، فقالوا: إنه المال[(١٠)] الكثير.

= ابن حجر من الطبقة الوسطى من التابعين، ثقة، توفي سنة (١٠٨هـ) أو (١٠٩هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٢٩، «تقريب التهذيب» (٦٨٩٠)، «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٥٤.

(١) هكذا جاءت كتابتها في جميع النسخ. وهي كذلك في «الزاهر» ١/ ٤٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦أ، «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي: ١٣٢.

(٢) ممن قال بهذا القول أبو حمزة الثُّمالي. انظر المصادر السابقة، «تفسير القرطبي» ٤/ ٣١.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٣٨٣، نقله عنه بتضرف.

(٤) الطَّاق: ما عُطِف من الأبنية، والجمع: طاقات، أو عقد البناء حيث كان، والجمع: أطواق وطيقان. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٧٢٥ (طوق).

(٥) (القنطار): ساقطة من: (د).

(٦) يعني: أن القنطار: الجملة من المال.

(٧) الأثر عنه، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥أ، «زاد المسير» ١/ ٣٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ١٨.

(٨) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥أ.

(٩) في «مجاز القرآن» ١/ ٨٨.

(١٠) في (ج): (مال).

وحكى أبو عبيدة عن العرب: أنهم يقولون: هو وزن لا يُحَدُّ[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ قال أهل اللغة:[٢] هو (مُفَعْلَلَة)، من: (القنطار)؛ كما قالوا: (إبلٌ مُؤَبَّلَةٌ)؛ أي: مجموعة، و(ألفٌ مؤلَّفٌ).

فمعنى ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: أنها جُمعت حتى صارت قناطير؛ كما يقال: (دراهم مُدَرْهَمَة)؛ أي: مجعولة كذلك.

وقال يَمَان[٣]: قَنطر؛ أي: كَنَزَ[٤].

وقال أبو العباس[٥]: اختلف الناس في القنطار، والمعمول عليه عند

---

(١) وقد رجح الطبري هذا في «تفسيره» ٣/ ٢٠٠.

(٢) من قوله: (قال..) إلى (.. القنطار): ساقط من: (د).
والقائل هو أبو عبيدة، كما في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦ب.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. ويمان، أكثر من واحد، إلا أن المؤلف قد صَرَّح باسمه في أكثر من موضع من تفسيره، وسماه: يَمَان بن رَبَاب. انظر: «تفسير البسيط» تحقيق: د. الفوزان ٩١، ٤٠٢، ٩٠٣، ١٠٨٤.
وقد ورد في بعض النسخ (رياب)، وأثبَتَها المحققُ: (رباب)، وقال بأنه لم يقف على حاله، سوى ما ذكره عنه البغدادي في «هداية العارفين» ٢/ ٥٤٨، وقول البغدادي فيه: هو اليمان بن رباب البصري، من رؤساء الخوارج... له «إثبات إمامة أبي بكر الصديق»، «أحكام المؤمنين»، «الرد على المعتزلة في القدر»، «كتاب التوحيد»، «كتاب المخلوق»، «كتاب المقالات». «التفسير البسيط» ٤٠٢. وقد وقفت عليه كذلك في «المغني في الضعفاء» للذهبي: ٢/ ٧٦٠، وسماه: (يَمَان بن رِئَاب)، وقال عنه: (خراساني. قال الدارقطني: ضعيفٌ، من الخوارج). وذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ٧/ ٥٢١، وسماه: (يَمَان بن رَبَاب)، وقال عنه مثل القول السابق.

(٤) في (د): (كثر).

(٥) هو أحمد بن يحيى (ثعلب).
وقد ورد قوله بأطول مما هنا في «اللسان» ٦/ ٣٧٥٢ (قنطر)، وقد اختصره الواحدي قليلًا.

العرب: أنه أربعة آلاف[١] دينار [قال: وقوله ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾، يقال: (قد قنطر فلان): إذا مَلَكَ أربعةَ آلاف دينار][٢]، فإذا قالوا: مقنطرة؛ فمعناها: ثلاثة أدوار؛ دَوْرٌ، ودور، ودور. فمحصولها: اثنا عَشَرَ ألف دينار.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ﴾ الذهب: التِّبْر. والقِطْعَةُ ذَهَبَة[٣].

﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾ الفَضُّ في اللغة معناه: التفريق، والكسر[٤]. ومنه: (لا يَفْضُض[٥] الله فاكَ)[٦]، فالفضة سُمِّيت؛ لأن من شأنها أن تُفَرَّق بضرب الدراهم.

---

(١) في (ج): (د): (الألف).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).

(٣) في «الصحاح»: (التِّبْر: ما كان من الذهب غير مضروب.. ولا يقال: (تِبْرٌ) إلَّا للذهب، وبعضهم بقوله للفظة، أيضًا) ص٦٠٠ (تبر).

(٤) انظر: «كتاب العين» ٧/ ١٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٩.

(٥) في (أ): يَفْضَضِ، بفتح الضاد الأولى. ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ.

(٦) فاك: ساقطة من: (ج). وهذه العبارة، دعاء؛ بمعنى: لا يسقط الله أسنانَك، وتقديره: لا يكسر الله أسنان فيك، فحذف المضاف. ويقال: لا يُفضِ الله...، من: (أفضيت)، والإفضاء: سقوط الثنايا من تحت ومن فوق. انظر كتاب «العين» ٧/ ١٣، «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ٤٥٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٩، «الفائق» للزمخشري: ٢/ ٣٨٢ .

وقد رُوي أن النبي ﷺ قال: «**لا يفضض الله فاك**» للعباس؛ لَمَّا مدحه شعرًا، وللنابغة الجعدي؛ لما أنشده بعض شعره. انظر المصادر السابقة، «غريب الحديث» للخطابي: ١/ ١٨٩، «الاستيعاب» لابن عبد البَر: ٢/ ٣٥٨، «غريب الحديث» لابن الجوزي: ٢/ ١٩٧، «أسد الغابة» لابن الأثير: ٤/ ١٦٤، «الإصابة» لابن حجر: ٢/ ٢٧١، وعزاه للبزَّار، والحسن بن سفيان، في مسنديهما، وأبي نعيم في «تاريخ أصبهان» والشيرازي في «الألقاب» «المؤتلف =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الخيل: جَمْعٌ لا واحد له من لفظه؛ كـ(القَوْلِ)، و(النساءِ)، و(الرَّهْطِ)[١].

سُمِّيت الأفراسُ (خيلًا)؛ لاختيالها في مِشْيتها بطول أذنابها؛ ألا ترى إلى قول امرئ القيس:

لها ذَنَبٌ مِثْلُ ذيلِ العروسِ ... تَسُدُّ[٢] به فَرْجَها من دُبُرْ[٣]

والاختيال: مأخوذ من (التَّخَيُّل)، والتخيُّل: التَّشَبُّه بالشيء[٤]، ومنه يقال: (أخال عليه الأمرُ): إذا اشتبه، فالمختال[٥]، يَتَخَيَّل في صورة من هو أعظم منه كِبْرًا، والخيال: صورة الشيء.

= والمختلف» للدارقطني، «الصحابة» لابن السكن، وغيرهم. وبَيَّن ابنُ حجر طرق روايتها عن النابغة. وأورده المتقي الهندي في «كنز العمال» ١٣/ ٦٠٠ برقم (٣٧٥٤١) ونسب إخراجه لابن عساكر، وابن النجار.

(١) انظر: «جمهرة اللغة» ١٠٥٦ (خيل)، وكتاب «فقه اللغة» للثعالبي: ٢٥٢.

(٢) في (د): (تشدُّ).

(٣) البيت، في: ديوانه: ١٦٤. وورد منسوبًا له في «أدب الكاتب» ١٥٥، وكتاب «المعاني الكبير» ١/ ١٤٩، «شرح أدب الكاتب» للجواليقي: ١٥١، «الاقتضاب» للبطليوسي: ٣/ ١١١، «خزانة الأدب» ٩/ ١٧٦، ١٧٧. وجاء في «الاقتضاب» (هذا البيت يروى لامرئ القيس، ويروى لرجل من النمر بن قاسط) ٣/ ١١١. والشاعر هنا يصف فرسه ويذكر محاسن صفاتها، ومنها طول ذنبها ووفرته. وقال ابن قتيبة في «أدب الكاتب» ١٥٥: (لم يرد بالفرج هنا الرحم، وإنما أراد ما بين رجليها، تسدُّه بذنبها).

(٤) في «أدب الكاتب» ٥٨، «المجمل» ١/ ٣٠٩: (أفعل ذلك على ما خيَّلت، أي: على ما شبَّهت)، وفي «اللسان» ٤/ ٢٢٩٩: (وتخيَّل الشيءُ له): تشبَّه. و(وتخيَّل له أنه كذا)، أي: تشبَّه وتخايل).

(٥) في (د): (والمختال).

والأَخْيَلُ[١]: الشِّقِرَّاقُ[٢]؛ لأنه يَتَخَيَّلُ، مرةً أخضر، ومرةً أحمر.

واختلفوا في معنى ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: فقال ابن عباس في رواية عطية[٣]: هي الراعية؛ يقال: (أَسَمْتُ الماشيةَ)، و(سوَّمتُها): إذا رَعَيتُها، فهي (مُسَامةٌ)، و(مُسَوَّمة)[٤]، ومنه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

وقال في رواية الوالبي[٥]: هي المُعْلَمَةُ. وأصلها من: (السِّيْما)، التي هي: العلامة.

ومعنى العلامة ههنا: (الكَيُّ) في قول المؤرِّج[٦]، والبَلَقُ[٧] في قول

(١) في (أ): (الأخيَّل). والمثبت من كتب اللغة.

(٢) في (ج): (السقراق)، في (د) الشفراق. والشِّقِرَّاق: طائر، وهو مشئوم عند العرب، ويقولون: أشأم من أخيَل. ونقل الأزهري عن الليث أنه طائر يكون في منابت النخيل، كقدر الهدهد، مرقَّط بحمرة وخضرة، وبياض وسواد. ويقال له: الشِّرقْراق، والشَّقِراق. ونقل صاحب «اللسان» عن ثعلب أنه يقع على دَبَر البعير، وينقُره، فيؤذي ظهره؛ ولهذا تشاءموا منه. انظر كتاب «العين» ٤/ ٣٠٥، «أدب الكاتب» ١٩١، «جمهرة اللغة» ١٠٥٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٠٥، «اللسان» ٤/ ٢٢٩٩ (خيل).

(٣) هذه الرواية، في «تفسير الطبري» ٦/ ٢٥٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦ ب، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠.

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ٩٨، «نزهة القلوب» للسجستاني: ٤١٩.

(٥) هذه الرواية، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠١، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧أ، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠.

(٧) البَلَقُ: سواد وبياض، وفي الفرس: أن يرتفع التحجيل وهو البياض في قوائمه إلى أن يتجاوز البطن، ويظهر في جسده دون رأسه وعنقه، ويكون في بياض بلقه استطالة وتَفَرُّق. انظر: «المنتخب من غريب كلام العرب» لكراع النمل: ١/ ٣١٢، «القاموس» (٨٦٩) (بلق).

ابن كَيْسان[١]، والشِّيَةُ[٢]، في قول قتادة[٣].

وقال مجاهد[٤]، وعكرمة[٥]: الخيل المُسوَّمة: هي الحسان المُطَهَّمَةُ[٦]، يُراد: أنها ذات سيما؛ أي: ذات حُسن. يقال: (لفلان سِيما)، و(له شارةٌ حَسَنة)[٧].

---

(١) انظر: قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧ أ، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠.

(٢) في (أ)، (ب): (المشبه)، في (ج): (السه). والتصويب من: (د). و(الشِّيَة)، هي: اللون المخالف للون سائر الجسد، وأصلها من: (وَشَى الثوبَ، وشْيا، وشِيَةً): إذا نسجه على لونين. واستعير للحديث؛ فقيل: و(شَى كلامه)؛ أي: زَيَّنه ونمَّقه. انظر: (وشى) في «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٨٧٢، «عمدة الحفاظ» ٦٣٢.

(٣) انظر: قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٠، «الطبري» ٣/ ٢٠٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧أ، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠.

(٤) انظر قوله في «تفسيره» ١٢٣، «تفسير سفيان الثوري» ٧٥، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١١٧، ورواه البخاري تعليقًا في «الصحيح» ٦/ ١٦٥ كتاب التفسير، سورة آل عمران، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦١٠، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٩، ونسب إخراجه كذلك لعبد بن حميد.

(٥) انظر: قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٠، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠١، «زاد المسير» ١/ ٣٦٠، «الدر المنثور» ٢/ ١٩، وزاد نسبة إخراجه كذلك لعبد بن حميد.

(٦) (المُطَهَّم) هنا: الحَسَنُ، الذي تمَّ كلُّ شيء منه على حدته، فهو بارع الجمال، ويقال للناس والخيل.
انظر: (طهم) في «أساس البلاغة» ٢/ ٨٦، «اللسان» ٥/ ٢٧١٤.

(٧) (السِّيما): العلامة. ويقال: (سيما فلان حسنةٌ)؛ أي: علامة. وهي مأخوذة من: (وسَمْتُ، أسِمُ)، والأصل فيها: (وِسْمى)، فَحُوِّلت الواوُ من موضع الفاء إلى موضع العين، فصارت: (سِوْمى)، وجُعلت الواو ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، فصارت (سِيما). ويقال كذلك: (سِيماء)، و(سيمياء). انظر: «الزاهر» ٢/ ١٤٤، «اللسان» ٤/ ٢١٥٧ (سوم). قال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٠٢: (وأولى هذه الأقوال بالصواب.. المعلَّمة بالشِّيات، الحسان، الرائعة حسْنًا من رآها. لأن =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ جمع (نَعَم)، والنَّعَم: الإبل والبقر والغنم. ولا يُقال لجنس منها: (نَعَمٌ)، إلَّا للإبل خاصة؛ لأنه غلب عليها[١]. ومضى فيما قبل اشتقاق (النَعَم).

وقوله تعالى: ﴿حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ المآب في اللغة: المرجعُ. يقال: (آب الرَّجُلُ، إيابًا)، و(أَوْبَةً)، و(أَبيَةً)[٢]، و(مَآبًا)[٣]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية: ٢٥].

قال الفرَّاء[٤]: ولا يجوز التشديد[٥] في (الإيَاب)، وقارِئُه[٦] لعله ذهب على الإفعال، والإفعال من (أُبْتُ)، إنما[٧] يأتي على مثل: (أَقَمْتُه

= (التسويم) في كلام العرب: هو الإعلام. فالخيل الحسان مُعلَمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن، من ألوانها وشِياتها وهيئاتها، وهي (المُطَهمة) أيضًا).

(١) انظر: كتاب «العين» ٢/ ١٦٢، «معاني القرآن» للزجّاج: ١/ ٣٨٤، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري: ١٤٢٨-٤٢٩.

(٢) في (أ)، (ب): أبية، والمثبت من: (ج) د، وهو الصواب. ويقال: أَيْبَةً، وإيبَةً. انظر: «اللسان» ١/ ١٦٦ (أوب).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٥، «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤.

(٤) لم أهتد إلى مصدر قوله والذي في «معاني القرآن» ٣/ ٢٥٩: (سُئل الفراء عن (إيَّابهم) فقال: لا يجوز [أي: تشديد الياء] على جهة من الجهات)، وفي «تهذيب اللغة» ١٥/ ٦٠٩ ينقل عن الفرَّاء، فيقول: (قال: هو بتخفيف الياء، والتشديد فيه خطأ).

(٥) من قوله (التشديد..) إلى (.. من أبت): ساقط من: (ج).

(٦) يعني بقارئه: أبا جعفر، يزيد بن القعقاع المدني. أحد القراء العشرة، تابعي، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٧٢، «النشر» ١/ ١٨٧. وقد قرأها: ﴿إِيَّابَهُمۡ﴾ في سورة الغاشية: ٢٥. انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ٥/ ٣١٩، «إعراب القرآن» للنحاس: ٣/ ٦٩١، «المحتسب» ٢/ ٣٥٧.

(٧) في (ج): (أن).

إقامَةً)، و(أزَغتُه إزاغةً).

فلو أردت ذلك، قلتَ: (أَأَبْتهُ إِآبَةً)[١]، ولو أردت أن تُخرجَ المصدرَ[٢] تامًا، قلت: (إيوابًا). ثم أعلم الله ﷻ أن خيرًا من جميع ما في الدنيا ما أعدَّه الله لأوليائه، فقال:

١٥- ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذَكَرتُ[٣].

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء[٤]: يريد: المهاجرين والأنصار، أراد الله أن يعزِّيَهم، ويشوقهم إلى المعاد.

قال العلماء: ويدخل تحت هذا الخطاب كلُّ[٥] من اتقى الشرك، بظاهر هذا الكلام[٦].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٌ﴾ يرتفع على وجهين:

أحدهما: بخبر الصفة، ويكون تمام الكلام عند قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾.

والثاني: على تقدير الجواب، ويكون تمام الكلام عند قوله[٧]:

---

(١) في (ج): (ابته ابه).

(٢) في (أ): (المصدرُ).

(٣) (الذي ذكرت): ساقطة من: (د).

(٤) لم أعثر على هذه الرواية فيما رجعت إليه من مراجع، إلَّا في «تفسير الخازن» ١/ ٢٧٥، وعبارته قريبة جدًّا من عبارة الواحدي. وفي «تنوير المقباس» ٤٤: (يعني: أبا بكر وأصحابه).

(٥) (كل): ساقطة من: (د).

(٦) وممن ذهب للعموم فيها: الإمام الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٠٦، حيث قال عن معنى ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: (للذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه).

(٧) من قوله: (بخير..) إلى: (.. تمام الكلام عند قوله): ساقط من: (ج)، (د).

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ فكأنه قيل: ما ذلك الخير؟ فقيل: هو جنَّات، ومثله: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢]؛ أي: هو النار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قد ذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. ويُقرأ[١] بضم الراء[٢]، وهو لغة قيس وتميم[٣].

قال الفراء[٤]: يقال: (رضيت رضًا)، منقوص، و(رِضوانًا، ورُضوانًا[٥]، ومَرْضاةً).

ومثل (الرِّضوانِ) بالكسر من المصادر: (الرِّئْمان)[٦]، و(الحِرْمان).

---

(١) (ويُقرأ): ساقطة من: (ج).

(٢) هي قراءة عاصم برواية أبي بكر بن عيَّاش عنه، أمَّا رواية حفص عن عاصم فهي بالكسر كبقية السبعة. انظر: «السبعة» ٢٠٢، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٢١.

(٣) (وتميم): ساقطة من: (ج). انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٠٦. وقيس: قبيلة عظيمة من قبائل العرب، تنتسب إلى قيس بن غيلان بن مضر بن نِزار بن معد بن عدنان. وغلب اسم قيس على سائر العدنانية. انظر حولها «معجم قبائل العرب» ٣/ ٩٧٢. وتميم: قبيلة عظيمة من العدنانية، تنتسب إلى تميم بن مُر بن أدّ بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد عدنان. وكانت منازلهم بنجد، دائرة من هنالك إلى البصرة واليمامة، حتى تتصل بالبحرين، وانتشروا في الكوفة، ثم تفرقوا في الحواضر. انظر المرجع السابق ١/ ١٢٦.

(٤) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد يكون في كتابه (المصادر).

(٥) (ورضوانًا): ساقطة من: (د).

(٦) الرِّئْمان: الالتئام، يقال: (رَئِمَ الجُرْح رَأمًا، ورِئْمانًا حسنًا): التأم. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٢ (ريم)، «اللسان» ٣/ ١٥٣٦ (رأم).

وبالضمِّ: (الطُّغْيان)، و(الرُّجْحان)، و(الكُفْران). وقال[١] سيبويه[٢]: (الشُّكْران).

١٦- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾[٣]: خفض؛ صفةٌ ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾. [و][٤] المعنى: للمتقين القائلين[٥].

١٧- [و][٦] قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال ابن عباس[٧]: يريد: على دينهم، وعلى [ما][٨] أصابهم.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: قال قتادة[٩]: هم قوم صدقت نيَّاتهم، واستقامت قلوبُهم وألسنتهم، فصدقوا في السرِّ والعلانية.

---

(١) في (ج): (قال).
(٢) في «الكتاب» له: ٤/ ١١.
(٣) في (د): (الذين).
(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).
(٥) ويجوز أن يكون كذلك في موضع جر، بدلًا من قوله: (للذين اتقوا). وجوَّز أبو البركات الأنباري كونه نعتًا لـ(العباد) في قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، وضعَّف هذا الوجهَ العكبريُّ؛ لأن فيه تخصيصًا لعلم الله تعالى، ولكنه جوَّزه على ضعفه. ويحتمل أن يكون في محل رفع؛ على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أو خبرٌ لمتبدإ محذوف. ويحتمل أن يكون في محل نصب بإضمار: (أعني) أو (أمدح). انظر: «البيان» لأبي البركات الأنباري: ١/ ١٩٤، «التبيان» للعكبري: ص١٨٠، «الدر المصون» ٣/ ٦٩.
(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).
(٧) لم أقف على مصدر قوله.
(٨) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب)، (ج)، (د).
(٩) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٧-٢٠٨، و«ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٤، «الثعلبي» ٣/ ٢٠ أ، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٠، ونسب إخراجه لعبد بن حميد.

ومعنى الصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به[(١)]، وذكرنا أصله في اللغة عند ذكر اشتقاق الصدقة في سورة البقرة.

﴿ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[(٢)] الطائعين لله، عن أكثر المفسرين[(٣)]. ومضى الكلام في معنى القانتين.

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ قال ابن عباس[(٤)]: يريد: الذين ينفقون الحلال في طاعة الله [تعالى][(٥)].

---

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٤٧٨ (صدق)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» ٤٥٠.

(٢) في (د): (والقانتين).

(٣) وبه قال: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والشعبي، وجابر بن زيد، وعطاء، وابن جبير، والضحاك، والحسن البصري، وعطية، وطاوس، وغيرهم. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٧-٥٠٨، ٢/ ٥٦٨-٥٧١ .
ومن معاني (القنوت): السكوت، وبه فُسِّر قوله تعالى ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨.
ومنها: طول القيام، وبه فُسِّر قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ الزمر: ٩؛ أي: مصلٍّ، فسمى الصلاة قنوتًا؛ لأنها تكون بالقيام. وقيل للدعاء: (قُنُوت)؛ لأنه يُفْعَل أثناء القيام في الصلاة. ومن معانيه: الإقرار بالعبودية؛ كقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦]. ولكن ابن قتيبة أرجع كل هذه الوجوه إلى معنى: (الطاعة)، وقال معللًا: (لأن جميع هذه الخلال: من الصلاة، والقيام فيها، والدعاء، وغير ذلك يكون عنها). وإليه ذهب الطبري، وجعل الطاعة هي أصل القنوت، وكل المعاني راجعة إليها. انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٤٥١-٤٥٢، «تفسير الطبري» ٥/ ٥٧١-٥٧٢، «تحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذي: ٥٠، «مفردات ألفاظ القرآن» ٦٨٤-٦٨٥ (قنت)، «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي: ٤٨٣.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾. السَّحَر: الوقت الذي قبيل[1] طلوع الفجر. و(تَسَحَّر): إذا أكل في ذلك الوقت. و(استَحَرَ)؛ أي[2]: سار فيه[3].

قال زهير[4]:

بَكَرْنَ بُكورًا، واسْتَحَرْنَ بسُحْرَةٍ[5]

والمُسْتَحِرُ من الطَّيْرِ: ما يَصيحُ[6]، ويتحرك فيه[7].

قال امرؤ القيس:

إذا طَرَّبَ الطائرُ المُسْتَحِرْ[8]

---

(١) في (د): (قبل). وهكذا وردت هذه العبارة في «معاني القرآن» للزجَّاج: ١/ ٣٨٥.

(٢) في (د): (إذا).

(٣) انظر: (سحر) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، «اللسان» ٤/ ١٩٥٢-١٩٥٣.

(٤) هو: زهير بن أبي سلمى (ربيعة) بن رباح. شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٥) تمامه:

فَهُنَّ ووادي الرَّسِّ كاليد للفَمِ

وهو، في «ديوانه» ص١٠، «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: ٢٥٠، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤٠ (سحر)، «شرح المعلقات السبع» للزوزني: ص٧٦، «شرح القصائد العشر» للتبريزي: ١٠٩.

(٦) في (أ): (يُصبح). والمثبت من بقية النسخ، وهو ما استصوبته لموافقته للمعنى المساق.

(٧) (فيه): ساقطة من: (ج). وانظر هذا المعنى في «جمهرة اللغة» ٥١١.

(٨) عجز بيت، وصدره:

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها

وهو في (ديوانه) ص٦٩، «جمهرة اللغة» ٥١١، «اللسان» ٥/ ٢٦٤٩ (طرب)، ٤/ ١٩٥٣ (سحر)، ٦/ ٣٦٧٠ (قطر) «خزانة الأدب» ٩/ ٢٣١. وورد في «الجمهرة» (.. إذا غَرَّد ..) وفي «اللسان» ٥/ ٢٦٤٩ (كما طرَّبَ ..)، وفي: ٦/ ٣٦٧٠ (يُعَلُّ بها..)، ويروى: (إذا صوت الطائر..). وقوله: (يُعَلُّ)؛ من: (عَلَّه، يَعِلُّه، ويَعُلُّه، عَلًّا، وعلَلًا)، وهو: السقيا بالخمر، مرةً بعد مرة. انظر: «ديوانه» ص٦٩.

وأسْحَرَ(١) دخل(٢) في وقت السَّحَر(٣).

ونذكر كلام النحويين في ترك إجراء (سحر) عند قوله: ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] إن شاء الله.

قال ابن عباس(٤) في قوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: يريد: المصلين صلاة الصبح(٥)، وهو قول زيد بن أسلم(٦)، وابن كيسان(٧).

---

(١) في (أ): (داسحر)، (ب): (ذاسحر)، والمثبت من: (ج)، (د)، وهو الصواب.

(٢) في (د): (رحل).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤٠. وفي «جمهرة اللغة» ٥١١ (وأسْحرَ القومُ إسْحارًا: إذا خرجوا في وقت السَّحر).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) ويريد هنا المصلين صلاة الصبح في جماعة.

(٦) الأثر عنه في «مصنف ابن أبي شيبة» ٧/ ١٩٣ (٣٥١٧٦)، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٥-٦١٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠ب، «النكت والعيون» للماوردي: ١/ ٣٧٨، «تفسير البغوي» ٢/ ١٦. وهو: أبو عبد الله، أو أبو أسامة، زيد بن أسلم العَدوي المدني، مولى عمر رضي الله عنه، ثقة عالم كثير الحديث، كانت له حلقة علم في مسجد النبي ﷺ، وله تفسير يرويه ابنه عبد الرحمن، توفي سنة ١٣٦هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة. تحقيق د. زياد منصور) ٣١٤، «تقريب التهذيب» ص٢٢٢ (٢١١٧)، «طبقات المفسرين» للداودي: ١/ ١٨٢.

(٧) الأثر عنه في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠ ب. ولكن يرد على هذ القول: أن صلاة الصبح يبدأ وقتها بعد انتهاء وقت السَّحر، فكيف تدخل في المعنى؟! اللهم إلا أن يُراد أن التصاق وقت صلاة الصبح بوقت السحر وقربه المباشر له أدخل صلاة الصبح فيه استتباعًا، والعرب تقول: (لقيته بأعلى سَحرَين)، و(أعلى السَّحرَين)؛ لأنه أول تنفس الصبح. انظر: «اللسان» ٤/ ١٩٥٣. ولكن هذا التخريج أرى فيه تكلفًا، والله أعلم. ولذا استغربَ الكرمانيُّ إيرادَ الواحدي لهذا القول، فقال: والعجيب: قول الواحدي: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: المصلين صلاة الصبح، فإن =

وقال مجاهد[(١)]، وقتادة[(٢)]: يعني: المصلين بالأسحار[(٣)].

قال الزجَّاج[(٤)]: وصف الله -تعالى[(٥)] هؤلاء بما وصف، ثمَّ بيَّن أنهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم يستغفرون بالأسحار.

١٨- قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال أبو إسحاق[(٦)]، وأبو العباس[(٧)]: معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: بيَّن وأظهر[(٨)]؛ لأنَّ

= الإجماع على أن الصائم يتناول الطعام في السحر، فكيف تصح صلاة الصبح فيه؟). «غرائب التفسير» ١/ ٢٤٧. ويقصد الكرماني: أن وقت السَّحر متميز ومختلف عن وقت صلاة الصبح، الذي يَحرُمُ فيه الأكلُ على الصائم، وتصح فيه صلاة الصبح، فجواز أكل الطعام للصائم في السحر، فيه دلالة على عدم دخول وقت الصبح، فكيف تصح فيه صلاة الصبح؟! فافترق وقت الصبح عن السحر، لغة، واصطلاحًا؛ بما ميَّز الشرعُ كلاًّ وقت بحكم. هذا والله أعلم.

(١) الأثر عنه في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠ ب، «زاد المسير» ١/ ٣٦١.

(٢) الأثر عنه في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٠٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٠ب، «النكت والعيون» ١/ ٣٧٨، «تفسير البغوي» ٢/ ١٦.

(٣) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٥١ بعد أن ذكر بعض الوجوه في تفسير معنى الاستغفار هنا، ومنها ما سبق معنا: (وهذا كله يقترن به الاستغفار).

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٨٥ نقله عنه بتصرف واختصار.

(٥) في (ج): عز وجل.

(٦) هو الزَّجَّاج، في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٨٥.

(٧) هو أحمد بن يحيى (ثعلب): وقوله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٢-١٩٤٣، وبعضه في «الزاهر» ١/ ١٢٥.

(٨) هذه العبارة بنصها في «تهذيب اللغة». ومما ذكره العلماء في معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ إضافة إلى ما ذكره المؤلف: قضى، وحكم، وأعلم، وأخبر. وقد ردَّ الطبريُّ في «تفسيره» ٣/ ٢٠٩، وابنُ عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٢ من المعاني السابقة المذكورة، معنى (قضى) الذي قاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٨٩. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الأقوال السابقة في معنى (شهد) قال: (وكل هذه =

الشاهد[١]: هو العالم الذي يبين ما علمه. فالله ﷻ قد دلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبين أنه لا يقدر أحدٌ أن ينشيء شيئًا واحدًا مما أنشأ.

قالَ أبو العباس[٢]: ونظير هذا في القرآن مما أُريد فيه بالشهادةِ: التبينُ، وإن لم يقارنه القولُ: قولُه ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، معناه: مبيِّنين على أنفسهم الكفر؛ وذلك أنهم يؤمنون بأنبياء[٣]، كلهم شاهد لمحمدٍ ﷺ بالصِّدق، فلمَّا آمنوا بأنبياء[٤] بشَّروا بمحمد، وحثُّوا على اتباعه، ثم خالفوا عليه فكذبوه وحاربوه، بيَّنوا بذلك الكفر على أنفسهم، فوُصفوا بأنهم شَهِدوا به، وإنْ لم يكونوا قالوا: نحن كفار[٥].

= الأقوال وما في معناها، صحيحة، وذلك أن الشهادة تتضمن كلامَ الشاهد وقولَه وخبرَه عمَّا شهد به، ... وإن لم يكن مُعْلِمًا به لغيره، ولا مُخْبِراً به لسواه، فهذه أول مراتب الشهادة. ثم قد يخبره ويُعْلِمه بذلك، فتكون الشهادة إعلامًا لغيره وإخبارًا له ..)، وتابع: (.. فمن قال: (حكم) و(قضى) فهذا من باب اللازم، فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر؛ ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى وحكم)، وتابع: (فإذا شهد الله أنه لا إله إلا هو، فقد حكم وقضى أن لا يعبد إلا إيَّاه). «التفسير الكبير» لابن تيمية: ٣/ ١٣٧-١٤٢. وانظر: «التفسير القيم» لابن القيم: ١٧٨.

(١) من قوله: (لأن الشاهد..) إلى (.. مما أنشأ): نقله بالنص عن الزجَّاج.

(٢) قوله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٢-١٩٣٤ نقله المؤلف بالمعنى.

(٣) في (ج): (بالأنبياء).

(٤) في (ج): (بالأنبياء).

(٥) هذا الوجه في تفسير شهادة المشركين على أنفسهم بالكفر المذكور في آية (١٧) من سورة التوبة، ذكره كذلك ابنُ الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٠٨، ونسبه لابن الأنباري. ومما قيل كذلك في تفسيرها: هو قول اليهودي: أنا يهودي، =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: وشهدت الملائكة، بمعنى: أقرَّت بتوحيد الله -تعالى-؛ لما عاينت من عظيم قدرته؛ كقوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]؛ أي: أقررنا. فَنَسَق شهادة الملائكة وأولي العلم على شهادة الله سبحانه، والشهادتان مختلفتان معنًى لا لفظًا، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] والصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار والدعاء[(١)].

= والنصراني: أنا نصراني، والصابئ: أنا صابئ، والمشرك: أنا مشرك. وقيل: إنَّ إظهار عبادتهم للأوثان، وتكذيب القرآن، وإنكار نبوة النبي محمد ﷺ، كل هذا كفر يمارسونه، وهو إقرار منهم على أنفسهم به، وإن أبوا ذلك بألسنتهم. وقيل: قولهم في الطواف: (لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك). وقيل غير ذلك. فكيف يستقيم زعمُهم بعمارة المساجد وهي من صفات المؤمنين وشأنهم ، والشهادة على أنفسهم بالكفر؟! وهما أمران متنافيان. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٦/ ٩، «تفسير أبي السعود» ٤/ ٥١، «فتح القدير» ٢/ ٥٠٠.

(١) عن أبي العالية رضي الله عنه قال: (صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء). أخرجه البخاري في: «الصحيح» تعليقًا: «الفتح» ٨/ ٥٣٢ كتاب التفسير، سورة الأحزاب، وأخرجه إسماعيل القاضي في: «فضل الصلاة على النبي ﷺ»: ٨٢ ٨٣، وقال عنه الألباني: (إسناده موقوف حسن)، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٤٦، ونسب إخراجه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم . وقال ابن عباس: (يصلون: يُبَرِّكون). أخرجه البخاري تعليقًا في: «الصحيح» في الموضع السابق، والطبري في «تفسيره» ٢٢/ ٤٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٤٧، ونسب إخراجه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية. وقال الضحاك: (صلاة الله: رحمته، وصلاة الملائكة: الدعاء)، وفي رواية: (صلاة الله: مغفرته..) أخرجه إسماعيل القاضي في: «فضل الصلاة على النبي» ٨٢ ٨٣ وقال محققه الألباني عن الروايتين: (إسناده موقوف ضعيف جدًا) .
وعن ابن عباس قال: (صلاة الله على النبي: هي مغفرته... وأما صلاة الناس على النبي ﷺ فهي الاستغفار) أورده السيوطي في «الدر» ٦/ ٦٤٦ ونسبه لابن مردويه. وقال الطبري: (وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو =

وقال ابن الأنباري[١]: إنما عَطَف الملائكةَ وأولي[٢] العلمِ على اسمه؛ لأن الشهادة معناها في اللغة: إظهارُ المعلوم وتَبَيُّنُه. فلمَّا بيَّن أولوا العلم المعلومَ[٣] [عندهم؛ كما بيَّنه الله ﷻ، عطفهم على اسمه؛ للاتفاق في إظهار المعلوم][٤].

وقوله تعالى: ﴿وأُولُوا العِلْمِ﴾ أي: وشهد بتوحيده أولوا العلم؛ بما ثبت عندهم. وشهادة أولي[٥] العلم: يجوز أن تكون بمعنى: الإقرار، ويجوز أن تكون بمعنى: التبيين[٦].

واختلفوا في المعنيين بـ (أولي العلم) ههنا: فقيل[٧]: هم الأنبياء، وقال مقاتل[٨]: هم مؤمنو أهل الكتاب؛ لأن الله تعالى وصفهم بالعلم في

= له ملائكته ويستغفرون؛ وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء). «تفسيره» ٢٢/ ٤٣. وقال القاسمي: (وبالجملة، فالصلاة تكون بمعنى التمجيد والدعاء والرحمة، على حسب ما أضيفت إليه في التنزيل أو الأثر) «محاسن التأويل» ١٣/ ٤٩٠١. وانظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٥٧، «فتح الباري» ٨/ ٥٣٣، «فتح القدير» للشوكاني ٤/ ٣١٠.

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٢) في (ب): (وأولوا).

(٣) (المعلوم): ساقط من (ج).

(٤) زيادة من (ج)، (د).

(٥) في ب، (د): (أولوا).

(٦) قال ابن القيِّم رحمه الله بعد أن ذكر الوجهين: (والصحيح، أنها تتضمن الأمرين. فشهادتهم إقرار وإظهار وإعلام، وهم شهداء الله على الناس إلى يوم القيامة..). «التفسير القيم» ١٩٩.

(٧) ورد هذا القول في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٣ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ١٩، «فتح القدير» ١/ ٤٩١، ولم ينسبوه لقائل.

(٨) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٧٦، والمصادر السابقة.

مواضع من كتابه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال ابن كيسان[(١)]: يعني: المهاجرين والأنصار، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[(٢)].

وقال السدي والكلبي[(٣)]: يعني[(٤)]: علماء المؤمنين كلهم[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾. ينتصب على الحال من اسم الله جل وعز، على تقدير: شهد الله قائمًا بالقسط. ويجوز أن يكون حالًا من: هو؛ تقديره: لا إله إلَّا هو قائمًا بالقسط[(٦)].

وقال الفراء[(٧)]: هو نصب على القطع[(٨)]؛ لأنه نكرة نُعِت[(٩)] به معرفة،

---

(١) قوله: في: المصادر السابقة.
(٢) لم أهتد إلى مصدر هذه الرواية.
(٣) انظر قوليهما في المصادر السابقة، والأثر عن السدي ورد كذلك في «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٧.
(٤) في (أ)، (ب): (معنى). والمثبت من: (ج)، (د).
(٥) قال الشوكاني عن هذا القول: (وهو الحق، إذ لا وجه للتخصيص). «فتح القدير» ١/ ٤٩١.
(٦) وقد رجح هذا ابن تيمية. انظر: «التفسير القيم» لابن القيم ١٨٣.
(٧) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٠.
(٨) استعمل الفراءُ كثيرا مصطلح (القطع) في كتابه «معاني القرآن» وهو في الغالب يريد به الحال، وقد يستعمله ولا يقصد به الحال، ولا أن يكون في النصب فقط، وكأنه يريد به قطع الكلمة عما قبلها من الإعراب، أيًّا كان هذا الإعراب. انظر حول مذهبه في ذلك: «النحو وكتب التفسير» ١/ ١٩٥-١٩٧. وكذا استعمل الطبري هذا المصطلح في تفسيره كثيرًا. راجع فهرس المصطلحات من «تفسيره» (تحقيق محمود شاكر): (ج) ١، ٢، ٥، ٦، ٧، ٩. وانظر تعليق محمود شاكر على هذا المصطلح في هامش «تفسير الطبري» ٦/ ٢٧٠. وانظر هذا التفسير، في إعراب قوله تعالى: (.. وجيهًا في الدنيا والآخرة) [من آية: ٤٥ من آل عمران].
(٩) في (ج): (نصب).

كان[١] أصلها: (القائم بالقسط)؛ فلما[٢] قُطعت الألفُ واللامُ نصب[٣].

ومعنى قوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾: قائمًا بالعدل[٤]، كما يقال: (فلان قائم بالتدبير)؛ أي: يُجْرِيه على الاستقامة. فالله[٥] تعالى يُجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور[٦].

١٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

القُرَّاءُ على كسرِ (إنَّ)، إلَّا الكسائي؛ فإنه فتح (أنَّ)[٧].

والوجه[٨]، الكسر[٩]؛ لأن الكلام الذي قبله قد تمَّ[١٠]، وهذا النحو من الكلام الذي يراد به التنزيه، أن يكون بجُمَلٍ متباينة أحسن؛ من حيث

---

(١) من قوله (كان..) إلى (.. نُصِب) ينقله عن الثعلبي: ٣/ ٢٤ ب، باختصار يسير.

(٢) من قوله (فلما ..) إلى (.. قائمًا بالقسط): ساقط من: (ج).

(٣) ومعنى كلام الفرَّاء: أنَّ الأصل أن تكون (القائم..) معرفة مرفوعة؛ لكونها نعتا للفظ الجلالة المرفوع، وهو معرفة، لكن، لمّا نُكِّرت (القائم)، انقطعت تبعية النعت للمنعوت، فتُرِك الرفعُ إلى النصب. وفي إعرابها وجوه أخر. انظر: «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ١٩٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٠، «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٣١٦، «التفسير القيم» ١٨٢-١٨٣، «الدر المصون» ٣/ ٧٥ وما بعدها.

(٤) القِسْطُ بكسر القاف : العدل، والنصيب. ويقال: (أقسط، يُقْسِط، إقساطًا)، فـ(هو مُقْسِط). والقَسْطُ بفتح القاف: الجَوْر. ويقال قَسَطَ، يَقْسِطُ، قَسْطًا، وقُسوطًا، فهو قاسِط. انظر: (قسط) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩، و«المجمل» ٧٥٢.

(٥) قوله: (فالله تعالى يجري التدبير على الاستقامة): ساقط من: (ج).

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ٧/ ٢٢٢- ٢٢٣.

(٧) انظر: «السبعة» ٢٠٢-٢٠٣، «الحجة» للفارسي ٣/ ٢٢.

(٨) من قوله: (الوجه..) إلى نهاية قول الله تعالى: (.. والصابرين): نقله عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٢٢ بتصرف يسير جدًّا.

(٩) (الكسر): ساقطة من (ج).

(١٠) في (ج): (قديم).

كان أبلغ في الثناء[(١)]، وأذهب في باب المدح؛ ومن ثمَّ جاء: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فأما وجه قراءة الكسائي، فإن النحويين ذكروا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون الشهادة واقعة على ﴿أنَّ الدين﴾[(٢)]، وفَتح ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿إنه لا إله إلَّا هو﴾ على تقدير: حذف حرف الجر؛ كأنه قيل: (شهد الله؛ لأنه[(٣)] لا إله إلَّا هو، أنَّ الدين عند الله الإسلام). وهذا معنى قول الفرَّاء، حيث يقول[(٤)]- في الاحتجاج للكسائي : إن شِئتَ جعلتَ (أنه) على الشرط[(٥)]، وجعلت الشهادة واقعة على قوله: ﴿أنَّ الدينَ عند الله الإسلامُ﴾. وتكون ﴿أَن﴾[(٦)] الأولى يصلح فيها الخفض، كقولك: شهد الله بتوحيده، أنَّ الدين عند الله الإسلام.

الوجه الثاني: أنه فتحهما على أن الواو تُراد[(٧)] في قوله: ﴿أنَّ الدين﴾؛ كأنه قيل: (شهد الله أنه لا إله إلَّا هو: وأنَّ الدين عند الله الإسلام). فيكون قوله[(٨)]: (أنَّ الدين عند الله الإسلام) جملةً استغني فيها

---

(١) في (ج): (البناء).

(٢) في (ب): (الذين).

(٣) في (ج): (أنه).

(٤) في «معاني القرآن»: ١/ ١٩٩، نقله عنه بتصرف يسير جدًّا.

(٥) ويعني بقوله (على الشرط)، أي: على العلة، وسماه شرطًا؛ لأن المشروط متوقف عليه، كتوقف المعلول على علته، إلا أنه خلاف اصطلاح النحويين، ولما كان (أنه) على الشرط لم يقع عليه الفعل، وإنما وقع على (أن الدين). انظر: «الدر المصون» ٣/ ٨٦.

(٦) (أنَّ): ساقطة من: (ج).

(٧) في (ج)، (د): (تزاد).

(٨) (قوله): ساقطة من: (ج)، (د).

عن حرف العطف؛ بما تضمنت من ذكر الأول المعطوف عليه، وهو التوحيد، كما استغني عنه بذلك في قوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولو كانت (الواو) لكان ذلك حسنًا[١]، كما قال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٢] [الكهف: ٢٢].

الوجه الثالث: وهو مذهب البصريين: أن تجعل (أنَّ) الثانية بدلًا من الأولى، فكأنَّ[٣] التقدير: (شهد الله أنَّه، أنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام). فيكون هذا من الضرب الذي الشيء فيه، هو هو[٤]، نحو قولك: (ضربت زيدًا نفسَه). ألا ترى أنَّ الدين الذي هو الإسلام، يتضمنُ التوحيد، وهو هو في المعنى.

---

(١) قول المؤلف: (ولو كانت (الواو) لكان ذلك حسنًا) قد يريد به: أن الواو لو كانت ظاهرة في الآية؛ لكان هذا الوجه والتخريج النحوي حسنًا، وقد يفهم كلام المؤلف أن الواو لو كانت في الآية لكان ذلك أفضل من حيث استقامة التركيب، وهذا لا يجوز لأنه يبدو كأنه اقتراح على الله، والقراءات الصحيحة المتواترة قرآن، ودورنا إزاءها أن نذكر الوجوه النحوية لها، لا أن نعترض أو نقترح أو نفضل أو نحبذ. ولذا فإني أرجح أن قصد المؤلف هو الأول، لأنه حاشاه أن يقصد الثاني.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).

(٣) ضعف ابن عطية هذا الوجه في «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٣، وبين أبو حيان وجه الضعف في هذا التخريج، فقال: «وجه ضعفه أنه متنافر التركيب مع إضمار حرف العطف، فيفصل بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب المفعول، وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع المشارك الفاعل في الفاعلية، وبجملتي الاعتراض، وصار في التركيب دون مراعاه الفصل نحو: (أكل زيد خبزًا وعمرو سمكًا) وأصل التركيب: (أكل زيد وعمرو خبزا وسمكًا.. وإضمار حرف العطف لا يجوز على الأصح): «البحر المحيط» ٢/ ٤٠٨.

(٤) وهو ما يسمى: البدل المطابق، أو بدل كلٍّ من كل، وهو الذي يساوي المبدل منه في المعنى مساواة تامة.

وإن[١] شئت، جعلته مِنْ بدل الاشتمال؛ لأن الإسلام يشتمل على التوحيد[٢]، فيكون كقولك: (ضربت زيدًا، رأسَه)[٣]. فإن قيل: على هذه القراءة، لو جاز إيقاع الشهادة على (أنَّ الدين)، لم يحسن إعادة اسم الله، ولكان: (أنَّ الدين عنده[٤] الإسلام)؛ لأن الاسم قد سبق، فالوجه الكِنَايةُ عنه. قيل: إنَّ العرب ربما أعادت الاسم في موضع الكناية[٥]؛ كقول الشاعر:

لا أرى الموتَ، يسبقُ الموتَ شيءٌ[٦]

---

(١) في (ج): (فإن).

(٢) من قوله: (فكأن..) إلى (.. يشتمل على التوحيد): نقله عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٢٣ بتصرف يسير.

(٣) انظر هذه التوجيهات، وغيرها لقراءة الكسائي -إضافة إلى ما سبق من مراجع- في: «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٥٧٢، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٧٠، «القطع والائتناف» له: ٢١٨، «الحجة» لابن خالويه: ١٠٧، «المشكل» لمكي ١/ ١٥٢، «الكشف» له ١/ ٣٣٨، «البيان» للأنباري ١/ ١٩٥، «الدر المصون» ٣/ ٨٣-٨٨.

(٤) في (ج): (عند الله).

(٥) يعني بـ(الكناية): (الضمير).

(٦) صدر بيت، وعجزه:

نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا

وهو لعدي بن زيد، في «ديوانه» ٦٥. وورد منسوبًا له في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي: ١/ ٣٦، «أمالي ابن الشجري» ١/ ٣٧٩، ٢/ ٦، «الأشباه والنظائر في النحو» للسيوطي: ٨/ ٣٠، «الخزانة» ١/ ٣٧٨، ٣٧٩، ٦/ ٩٠، ١١/ ٣٦٦. وقيل: البيت لسوادة بن عدي، وورد منسوبًا له في «كتاب سيبويه» ١/ ٦٢، والنكت في تفسير «كتاب سيبويه» للشنتمري: ١/ ١٩٨، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٧٦، =

ومثله كثير[(١)].

فأما المعنى: فقال ابن عباس[(٢)]: افتخر المشركون بآبائهم، فقال كلُّ فريق منهم: لا دين إلّا ديننا، وهو دين الله منذ بعث الله[(٣)] آدم، فكذبهم الله -تعالى-، فقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، يعني الذي جاء به محمد ﷺ[(٤)].

وأصل الدين في اللغة: الجزاء. ثم الطاعة تسمى دينًا؛ لأنها[(٥)]

= «الاقتضاب» ٣٦٨، وقال في «لسان العرب»: (لعدي أو سوادة بن عدي). ٨/ ٤٤٨٨ (نغص). وصحح البغداديُّ في «خزانة الأدب» ١/ ٣٨١ أن البيت لعدي بن زيد. وورد غير منسوب في «الخصائص» ٣/ ٥٣، «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٣٢٠، ٢/ ٦٩٤، «شرح أبيات الكتاب» للنحاس: ٦٧، «القطع والائتناف» له: ٢١٨، «ضرورة الشعر» للسيرافي ١٩٠، «العمدة» لابن رشيق: ٦٨٦، «البيان» للأنباري: ١/ ٦٣، ١٢٢، ١٤٤، ٣٧٩، ٢/ ٤٤، ١٠٧، «مغني اللبيب» ٦٥٠. والبيت دليل على جواز إعادة الظاهر موضع المضمر؛ حيث كرر (الموت) في جملة واحدة. فـ(الموت) الأول مفعول لـ(أرى)، و(يسبق الموت) مفعول ثانٍ، وكان ينبغي أن يقول: يسبقه شيءٌ؛ لأن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره في جملة واحدة، كان الاختيار أن يُذكر ضميرُهُ، ولكن التكرير قد يراد به التعظيم والتفخيم. انظر في هذ المعنى «القطع والائتناف» ٢١٨، «شرح ديوان الحماسة» ١/ ١١٨، «النكت» للشنتمري: ١/ ١٩٧-١٩٨.

(١) انظر: «الكتاب»: ١/ ٦١ -٦٢.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) (الله): ليست في: (ج).

(٤) (ﷺ): ساقطة من: (ب).

(٥) (لأنها): ساقطة من: (د).

للجزاء، وكل ما[١] يطاع الله تعالى به فهو دين[٢]، فاليهود يدَّعون أنهم يطيعون[٣] بما أتاهم به موسى، فذلك دين اليهودية، وكذلك النصارى، وكل فرقة. والمسلمون يطيعونه بما أتاهم به محمد ﷺ، فهو دين الإسلام[٤]، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ومعنى (الإسلام) في اللغة: الدخول[٥] في السَّلَم؛ أي: في الانقياد والمتابعة. قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾[٦] [النساء: ٩٤]؛ أي: انقاد لكم وتابعكم[٧].

---

(١) في (د): (كلما).

(٢) انظر المعاني السابقة لـ(الدين) وغيرها، في «تأويل مشكل القرآن» ٤٥٥، «الكامل» للمبرد: ١/ ٣٢٨، «تهذيب اللغة» ١٤/ ١٨١، «الأمالي» للقالي: ٢/ ٢٩٥، «والوجوه والنظائر في القرآن الكريم» د. سليمان القرعاوي: ٣٢٣ ٣٢٨. إلا أن ابن فارس جعل أصل (الدين): الانقياد والذل، وجعل كون الدين بمعنى (الطاعة)؛ أن مرد الطاعة إلى الانقياد. وهكذا خرج بقية المعاني الواردة لـ(الدين). انظر: «معجم المقاييس» ٢/ ٣١٩ (دين).

(٣) في (ج): (د): (يطيعونه).

(٤) في (د): (دين الله الإسلام).

(٥) من قوله: (الدخول ..) إلى (.. وتابعكم): نقله بنصه عن «تأويل مشكل القرآن» ٤٧٩.

(٦) وفي: نسخة (د)، وتأويل المشكل: ورد (السلام) بدلا من: (السلم)، وكذلك هي في مصاحفنا. وما أثبته، وردت به القراءة الصحيحة عن نافع، وابن عامر وحمزة، وكذلك وردت عن عاصم من رواية المفضل عنه، وعن ابن كثير من رواية عبيد عن شبل عنه، ويناسب مع إراده المؤلف من معنى بعده. وقرأ بقية السبعة: (السلام) بالألف الممدوة. انظر: «السبعة» ٢٣٦، «الكسف» لمكي ١/ ٣٩٥، «حجة القراءات» لابن زنجلة ٢٠٩.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٥/ ٢٢٦. وقال الخطابي في «غريب الحديث» ٢/ ٤١١: =

وقيل: أصله: السِّلْم[١]. فـ(أَسْلَمَ): دخل في السِّلْم؛ كقولهم: (أشتى)، و(أَقْحَطَ)، و(أَرْبَعَ)[٢]. وأصل السِّلْم: السَّلامة؛ لأنه انقياد على السَّلامة.

ثم من[٣] الإسلام[٤] ما هو متابعة وانقياد باللسان دون القلب، وهو قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٥] [الحجرات:

= (السَّلَمُ: الاستسلام) وقال بعد أن أورد آية ٩٤ من النساء بقراءة (السَّلَم): (أي: من استسلم وأعطى المقادة، و كذلك (الإسلام)؛ إنما هو: الطاعة لله، والانقياد لأمره، وأحدهما مشتق من الآخر). وانظر: «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ٣٩٤، «اللسان» ٤/ ٢٠٧٧ (سلم).

(١) في «اللسان» ٤/ ٢٠٧٧ (سلم): (والسَّلْمُ والسِّلْمُ: الصلح. يُفتح ويُكسَر ويُؤنَّث ... والسَّلْمُ، والسلام: كالسِّلْم؛ وقد سالمه مُسالَمَة وسلامًا ... والسِّلْم: المُسالِم ... وقوم سِلْمٌ، وسَلْمٌ: مسالمون).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٤٧٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٢. وقد يكون المؤلف نقله عنه مع اختصار وتصرف.
وأشتى أي: دخل في الشتاء، وأقحط: دخل في القحط، وأربع: دخل في الربيع. انظر المرجع السابق.

(٣) من قوله: (من الإسلام ..) إلى (قال أسلمت لرب العالمين): نقله بتصرف واختصار عن «تأويل مشكل القرآن» ٤٧٩.

(٤) في (ب): (أسلم).

(٥) الإسلام هنا : هو الإسلام بالمعنى اللغوي، وهو: الانقياد بالجوارح دون القلب. وانقياد اللسان والجوارح في الظاهر يُعد إسلامًا لغةً، وفي نفس الوقت يُكتَفى به شرعًا عن البحث عن خبايا القلوب. (وكل انقياد واستسلام وإذعان، يسمى: إسلامًا لغةً) والأعراب المذكورون في الآية هم بعض الأعراب؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ التوبة: ٩٩. انظر: «أضواء البيان» ٧/ ٦٣٦، ٦٣٩.

١٤]؛ أي: انقدنا[١]؛ من خوف السيف.

ومنه، ما هو متابعة وانقياد باللسان والقلب، وهو قوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فهذا معنى الإسلام.

وذكر ابن الأنباري[٢] في المسلم قولًا آخر، وهو: أنَّ المسلم معناه: المُخْلِصُ لله العبادة. من قولهم: (سَلَّمَ الشيءَ لفلان)؛ أي: خلَّصه[٣] له، و(سَلِمَ له الشيءُ)[٤]؛ أي: خَلصَ له.

فعلى هذا الإسلام معناه: إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى، وهو التبريء عن الشرك.

وأصله أيضًا من السلامة؛ لأنه يعود إلى أن يُسْلِم دينَه لله، حتى يكون له سالمًا من غير شريك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾.

معنى الاختلاف في اللغة، هو: ذهابُ أحدِ النَفسَيْنِ إلى نقيض ما ذهب إليه الآخر[٥].

---

(١) في (د): (أنقذنا).

(٢) في «الزاهر» ٢/ ٢٠٣. ولكن المؤلف ينقل قول ابن الأنباري عن «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٢ نظرًا لتطابق العبارة مع «التهذيب». وعبارة ابن الأنباري: (المسلم: المخلص لله العبادة، وقالوا: هو مأخوذ من قول العرب: (قد سَلم الشيءُ لفلان): إذا خلص له).

(٣) في (أ)، (ب): (خلَّفته). والمثبت من: (ج)، (د). نظرًا لموافقته لما في «الزاهر» و«التهذيب» ولموافقته للمعنى المراد وهو الإخلاص.

(٤) (الشيء): ساقطة من (ج).

(٥) قال الراغب: (والاختلاف والمخالفةُ: أن يأخذ كلٌّ واحدٍ طريقًا غير طريق =

والاختلاف في الأجناس: امتناعُ أحدِ الشيئين أن يَسُدَّ مَسَدَّ الآخر.

وأراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود[(١)]. قال ابن عباس[(٢)]: يعني: قريظة والنضير وأتباعهم. يقول: لم يختلف اليهود[(٣)] في صدق نبوَّةِ محمد ﷺ لما كانوا يجدونه في كتابهم من نعته وصفته.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ قال ابن عباس[(٤)]: يريد: النبي ﷺ. وعلى هذا؛ سَمَّى النبي ﷺ (العِلْمَ)، وهو يريد المعلوم. والمصدر يقع على المفعول كثيرًا.

والمعنى: أنهم كانوا يصدقونه بنعته وصفته قبل بعثه[(٥)]، فلما جاءهم اختلفوا فآمن به بعضُهم، وكفر به الآخرون، فقالوا: لست الذي وُعِدْناهُ[(٦)]؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

ويجوز أن يريد بـ(العِلْم): بيان ما جاء في التوراة من نعت محمد ﷺ

= الآخر، في حاله أو قوله) «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ص٢٩٤ (خلف). وانظر: «التوقيف» للمناوي ٣٢٢.

(١) وممن قال بأنهم اليهود: الربيع بن أنس، وسعيد بن جبير. وقال محمد بن جعفر بن الزبير: إنهم النصارى. وقال ابن السائب: إنهم اليهود والنصارى. ولفظ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعم الفريقين. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٨، «النكت والعيون» ١/ ٣٨٠، «زاد المسير» ١/ ٣٦٣، «تفسير الفخر الرازي» ٧/ ٢٢٦، «تفسير القرطبي» ٤/ ٤٤.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) (اليهود): ساقطة من: (ب).

(٤) لم أهتد على مصدر قوله.

(٥) (قبل بعثه): ساقطة من: (د).

(٦) في (ج) و(د): (وعدنا به).

وصفته، وبيان ما جاء في شأنه.

يعني: أنهم ما اختلفوا إلَّا بعد صحة علمهم بنبوَّتِه، وإذا كان الاختلاف بعد العِلْم، كان ذلك أبلغ في الكفر والعناد، ودليل هذا التأويل قوله في سورة البقرة: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ معنى البغي: طَلَبٌ للاستعلاء[١] بالظلم. أخبر الله تعالى عن عِلَّةِ اختلافهم، فقال: فعلوا ذلك طلبًا للرئاسة، وحسدًا له على النُبُوَّةِ. فانتصب[٢] ﴿بَغْيًا﴾ في قول الأخفش[٣] على تقدير: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[٤].

وقال الزجَّاج[٥]: والذي هو الأجود؛ أن يكون ﴿بَغْيًا﴾ منصوبًا بما دلَّ عليه: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ﴾. فيكون المعنى: اختلفوا بغيًا بينهم.

قال أبو علي[٦]: وجهُ قولِ الأخفش: أنَّ ﴿بَغْيًا﴾ انتصب[٧] على أنه

(١) هكذا ورد (أ). وورد في: (ب)، (ج)، (د): (الاستعلاء). وأثبَتُّ ما في نسخة الأصل؛ نظرًا لِمُوافقته لما سيأتي بعده من طلبهم للرئاسة. وما ذكره المؤلف من معنى (البغي)، إنما هو في موضعه في هذه الآية؛ لأن لـ(البغي) معانٍ عدة، وأصله: مجاوزة الحد. ومن وجوهه: الحسد، والظلم. انظر: «اللسان» ١/ ٣٢١ (بغى)، «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» د. القرعاوي ٢٢٦.

(٢) في (ج)، (د): (وانتصب).

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ١٩٩.

(٤) من قوله: (إلا ..) إلى (.. اختلفوا بغيًا بينهم): ساقط من: (د).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٨٧، نقله عنه بنصه.

(٦) في «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني»، له: ١/ ٥٧٣-٥٧٥. تَصَرّف في بعض عباراته، ونقل بعضَها بالمعنى.

(٧) قوله: (وجه قول الأخفش: أن بغيًا انتصب): ساقط من: (ج).

مفعول له؛ أي: للبغي؛ كقولك: (جئتُ مَخافةَ الشرِّ، وابتغاءَ الخير).

[قال][(١)]:

وأَغْفِرُ عَوْراءَ الكريمِ ادِّخارَهُ[(٢)]

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (د).

(٢) صدر بيت. وعجزه:

وأصْفَح عن شتمِ اللئيمِ تَكَرُّما

وهو لحاتم الطائي، وهو في: «ديوانه» (ن: دار مكتبة الهلال): ٧٢، وورد منسوبًا له، في «كتاب سيبويه» ١/ ٣٦٨، «الإفصاح» ٢٧٩، «شرح المفصل» ٢/ ٥٤، «اللسان» ٥/ ٣١٦٥ (عور)، «التصريح بمضمون التوضيح» للأزهري: ١/ ٣٩٢، «شرح شواهد المغنى» ٢/ ٩٥٢، «الخزانة» ٣/ ١١٥، ١٢٢. «الجمل» للخليل: ٩٥، «معاني القرآن» للفرَّاء: ٢/ ٥، «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ١٦٧، «الكامل» ١/ ٢٩١، «المقتضب» ٢/ ٣٤٨، «المحلى» (وجوه النصب)، لابن شقير: ٦٩، «وأسرار العربية، للأنباري: ١٨٧، «الاقتضاب» ١٠٩.

وورد في بعض المصادر بالروايات التالية: (.. اصطناعه وأعرض عن ذات ..) و(.. اصطناعه وأصفح عن ذات ..) و(.. وأصفح عن شتم..). ومعنى (أغفر): استُر. و(العَوْراء): الكلمة، أو الفعلة القبيحة، و(الادِّخار)، افتعال من (الذُّخر)، بمعنى: الاتخاذ والحفظ، وأصلها: (اذتخار)، فقلبت التاء ذالًا، وأُدْغِمَت فيها الذالُ الأصليةُ، فصارت ذالًا مشدوةً، ثم أبدِلَت الذالُ دالًا. انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٩٠ (ذخر)، ٥/ ٣١٦٥ (عور)، ٦/ ٣٢٧٤ (غفر). ومعنى البيت: إذا جهل علي الكريمُ بكلمة أو فعلةٍ فبيحة، سترتها عليه، وسامحته، واحتملتها منه؛ للإبقاء على صداقته، ولادِّخاره ليوم احتاج إليه فيه. وإن شتمني اللئيمُ أعرضت عن شتمه والرد عليه؛ إكرامًا لنفسي. والشاهد في البيت: نصب (ادِّخارَه)، و(تكرُّما) على المفعول لأجله، والأصل فيه: (لادخارِه)، و(للتكرمِ)، فلما حُذِف حرفُ الجرِّ، انتصب الاسمُ.

ووجه قول الزجَّاج: أنَّه انتصب على المصدر؛ كأنه لمَّا قيل: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ دلَّ[١] على: (وما بغى[٢] الذين أوتوا الكتاب). فحُمِلَت ﴿بَغْيًۢا﴾ عليه[٣]. فإن قيل: ما الفصل[٤] بين ما ينتصب على المصدر؛ نحو: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾[٥] [النمل: ٨٨]، وما ينتصب على أنَّه مفعول له؛ نحو: (ادِّخاره)، وبابه؟

فالقول: إنَّ الجميع وإن كانا يجتمعان في أنهما ينتصبان عن تمام الكلام؛ فالمفعول له؛ معناه: الإخبارُ بالغرض الذي من أجله فُعِل الفعلُ، والسبب له. والعامل فيه؛ هو هذا الفعل[٦] الظاهر.

وأما[٧] المصدر: فالنحويون يُسَّمونه مفعولًا مطلقًا؛ لأن الفاعل

---

(١) (دل): ساقطة من: (ج).

(٢) في (أ)، (ج): (بغا). والمثبت من: (ب)، (د).

(٣) أي أنَّ (بغيًا) مصدر مؤكِّد (مفعول مطلق)، ويكون التقدير: (وما بغى الذين أوتوا الكتاب ... بغيًا). والمعنى بناء على رأي الأخفش : أن الاختلاف بينهم حاصل قبل مجيء العلم وبعده، ولكن سببه بعد مجيء العلم هو البغي، فهو المفعول لأجله. والمعنى على رأي الزجاج : أن الخلاف بينهم حصل بعد مجيء العلم فقط وسببه البغي. هذا والله أعلم.

(٤) في (ب): (الفعل).

(٥) وقد انتصبت (صُنْعَ) بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه ما قبله؛ لأن معنى الجملة: (صَنَعَ اللهُ ذلك صُنْعًا)، أو (صنع صنعًا، الله). ثم أضاف المصدر إلى الفاعل. ويجوز نصبها على الإغراء؛ أي: (انظروا صنع اللهِ). ولكن ليس هذا الوجه محل الشاهد. انظر: «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٢/٧٦٨، «إعراب القرآن» للنحاس: ٢/٥٣٦، «البيان» للأنباري: ٢/٢٢٨.

(٦) في (د): (السبب).

(٧) في (د): (فأما).

أحدثه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. هذا شرطٌ وجوابُ، يتضمن وعيدًا لليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ. وذكرنا معنى ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ في سورة البقرة[١].

٢٠- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. قال ابنُ عباس[٢]: نزلت في يهود المدينة، ونصارى نَجْرَان، والأمِّيِّين من العرب.

قال الكلبي[٣]: وذلك أن اليهود والنصارى قالت: لسنا على ما سميتنا به يا محمد، إنما اليهودية والنصرانية نَسَبٌ، والدِّين هو الإسلام، ونحن عليه.

قال الزَّجَّاج[٤]: فأمر الله تعالى نبيَّه بأن يحتجَّ عليهم؛ أنه اتَّبع أمرَ اللهِ، الذي هم مُجْمِعون[٥] مُقرُّون بأنه خالقُهم، وأمَرَه بقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ الآية بأن يدعوهم إلى ما هو عليه من الإسلام.

قال أهل المعاني[٦]: وإنما لزمتهم الحُجَّة من حيث إن النبي ﷺ

---

(١) انظر تفسير آية: ٢٠٢ من سورة البقرة.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله إلا ما ورد في «تنوير المقباس» ٤٤، فقد قال بعد قوله تعالى: ﴿حَآجُّوكَ﴾ (يعني: اليهود والنصارى)، وقال بعد ﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: (يعني: العرب).

(٣) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٥ أ.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٨٨، نقله عنه بتصرف.

(٥) في «معاني القرآن»: (أجمعون).

(٦) لم أعثر على من نصَّ على هذا القول، ممن سبق المؤلف.

أراهم الدلالة على صدقه ونبوَّته، ثم دعاهم إلى اتباع أمر من أقروا بأنه خالقهم، فإذا لم يطيعوه، صاروا محجوجين.

فهذا وجه الحجة للنبي ﷺ في قوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾. ومعنى ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: انقدت له بقلبي ولساني وجوارحي.

وذكرنا أن الإسلام معناه - في اللغة -: الانقياد[(١)]. وذُكِرَ (الوجه) ها هنا؛ لأنه أكرم جوارح الإنسان، فإذا خضع وجهُهُ لشيء، فقد خضع له سائرُ جوارحه[(٢)].

وقال ابن عباس في هذه الآية[(٣)]: يريد: كما قال أبوك إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقد ذكرنا هناك معنى (أسلم) و(أسلمْتُ).

وقال الفرَّاء[(٤)]: معنى [أسلمت وجهي لله: أخلصت عملي لله؛ يقال[(٥)]][(٦)]: (أسلمتُ الشيءَ لفلان)؛ أي: أخلصته لهُ، فسلم له الشيء، ولم يشاركه غيره[(٧)].

قال: ومعنى (الوجه) ههنا: العمل؛ كقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾

---

(١) انظر ما سبق عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ من آية ١٩ من هذه السورة.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٥ ب.

(٣) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٤) لم أهتد إلى مصدر قوله وهو موجود في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٥ ب.

(٥) في (ج): (فقال).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ج)، (د).

(٧) في (ج): (فيه).

[الأنعام: ٥٢- الكهف: ٢٨]؛ أي: قصده والعمل.

وقول الشاعر:

. . .إلـيـه الـوجـهُ والـعَـمَـلُ(١)

نسق بالعمل على الوجه، وهما واحدٌ؛ لاختلاف اللَّفْظَيْن. ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢]، الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِّۗ﴾ .﴿مَّنِ﴾ عطف على الضمير في ﴿أَسْلَمْتُ﴾ من غير أن يؤكده؛ لأن الكلام طال بقوله: ﴿وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾، فصار عِوَضًا من تأكيد الضمير المُتَّصِل.

ولو قيل: (أَسْلَمْتُ وزيدٌ)، لم يَحْسُن حتى يقول: (أسلمتُ أنا وزيدٌ).

---

(١) عجز بيت، وتمامه:

أستغفرُ الله ذنبًا لست مُحصِيَهُ ... رب العباد إليه الوجه والعمل

لم أهتد إلى قائله، وقد ورد غير منسوب في المصادر التالية «كتاب سيبويه» ١/ ٣٧، «معاني القرآن» للفرَّاء: ٢/ ٣١٤، «تأويل مشكل القرآن» ١٧٧، «أدب الكاتب» ٥٢٤، «المقتضب» ٢/ ٣٢١، «الأصول في النحو» ١/ ١٧٨، «المحلى» لابن شقير: ٦٨، «الخصائص» ٣/ ٢٤٧، «الصاحبي» ٢٩١، ٣٣٩، «أمالي المرتضى» ١/ ٥٩١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٥ ب، «المخصص» ١٤/ ٧١، «الاقتضاب» ٣/ ٤٠٠، «شرح المفصل» ٧/ ٦٣، ٨/ ٥١، «اللسان» ٥/ ٢٦ (غفر)، «شرح شذور الذهب» ص٤٤٥، «المقاصد النحوية» ٣/ ٢٢٦، «منهج السالك» (شرح الأشموني): ٢/ ١٩٤، «التصريح» للأزهري: ١/ ٣٩٤، «الهمع» ٥/ ١٧، ورد فيه الشطر الأول فقط. «خزانة الأدب» ٣/ ١١١، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٠٦.

ومعنى البيت: أطلب المغفرة؛ أي: الستر على ذنوبي، ويريد بـ(الذنب) هنا اسم الجنس؛ أي: جميع الذنوب؛ لأنه قال بعده: (لست محصِيَهُ)؛ أي: لا أحصي عدد ذنوبي التي عملتها، وأستغفر الله من جميعها. و(الوجه) هنا القصد، وهو بمعنى: التوجُّه؛ أي: إليه التوجُّه في الدعاء.

فإن قال: (أسلمتُ اليوم[١] بانشراح صدرٍ ومن جاء معي)، جاز وحَسُنَ[٢].

[قال أبو إسحاق[٣]: حذفت الياء من (اتبعن)، وهذه الياء إذا وقعت في آخر آية، حسن][٤] حذفها[٥]؛ لأن أواخر الآي تُشَبَّهُ[٦] بقوافي الشِّعْر، وأهل اللغة يسمونها الفواصل.

قال الأعشى:

ومن شانئٍ كاسِفٍ بالُهُ إذا ما انتَسَبْتُ له أنكَرَنْ[٧]

---

(١) (اليوم): ساقطة من (د).

(٢) وفي إعراب ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِّ﴾، وجوهٌ أخرى، وهي: أنها مرفوعة على الابتداء، وخبره محذوف، والتقدير: (ومن اتَّبعني أسلم وجهه لله). أنها منصوبة على المعيَّة، والواو واو المعية؛ أي: (أسلمت وجهي لله مع من اتبعني)، أو (مصاحبًا لمن أسلم وجهه لله).
أنها في محل جر عطفا على اسم الله تعالى، على تأويل: (جعلت مقصدي لله بالإيمان به والطاعة له، ولمن اتَّبعني بالحفظ له والاحتفاء بعمله وبرأيه وبصحبته). ويظهر على الوجه التكلف والتعسف. انظر هذه الوجوه، في «الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمداني ١/ ٥٥٥، «البحر المحيط» ٢/ ٤٢١، «الدر المصون» ٣/ ٩٠-٩٢، «الفتوحات الإلهية» ١/ ٢٥٣.

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٨٩، نقله عنه بتصرف واختصار قليل.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٥) (حذفها): ساقطة من: (د).

(٦) (تشبه): مطموسة في (ج).

(٧) البيت في «ديوانه» ص٢٠٧. وورد منسوبًا له في «الكتاب» ٤/ ١٨٧، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٩١، و«مجاز القرآن» ٢/ ١٩٥، و«الأمالي» للقالي ٢/ ٢٦٣، و«إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢٥٩، و«فقه اللغة» للثعالبي ٢١٨، =

فإذا لم يكن آخر آيةٍ أو قافيةٍ، فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جيد، خاصة مع النونات؛ لأن أصل (اتبعني)[1]: (اتبعي)[2]، فزيدت النونُ؛ لِتَسْلَم فتحةُ العيْن. فالكسرة[3] من النون، تنوب عن الياء، فإذا لم تكن النون؛ نحو: (غلامي،) (وصاحبي)، فالأجود إثباتها، وحذفها قليل، إلا أنه جائز؛ لأن[4] الكسْرَة دالة عليه.

قال ابن عباس[5]: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾: يريد: المهاجرين والأنصار.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾. يعني: العرب[6]

= «شرح المفصل» ٩/ ٨٣، ٨٦. وورد غير منسوب في «غريب الحديث» للحربي: ٢/ ٨٧٤، «وشرح أبيات سيبويه» للنحاس: ١٨٩. وروايته في الديوان وبعض المصادر: (.. كاسف وجهه ..)، وورد في بعض المصادر: (.. ومن كاشح ظاهِرِ غِمْرُهُ ..). و(الشانئ): المُبغِض، و(كاسف البال): سيِّء الحال، و(كاسف الوجه): عابِسُه؛ من سوء الحال، و(رجل كاسف): مهمومٌ، قد تغير لونه، وهزل من الحزن. و(أنكرن): أنكرني بادِّعائه أنه لا يعرفني؛ لكراهيته لي. أما في الرواية الثانية: فمعنى (كاشح)؛ أي عدو مبغض، وهو الذي يضمر لك العداوة في كَشْحه؛ أي: باطنه، أو يطوية عنك كشحُهُ ويُعرض عنك، و(الكشح): الخَصْر. و(الغَمْرُ) بفتح الغين وكسرها : الحقد والغِل. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٣٥ (شنأ)، ٧/ ٣٨٧٧ (كسف)، ٧/ ٣٨٨٠ (كشح)، ٦/ ٣٢٩٤-٣٢٩٥ (غمر). والشاهد في البيت: حذف الياء من (أنكرن) في الوقف عليها في القافية، وأصلها: (أنكرني).

(١) في (ب): (اتبعن).

(٢) في (أ)، (ب): (اتَّبعنن). والمثبت من: (ج)، (د)، «معاني القرآن» للزجَّاج، «زاد المسير» ١/ ٣٦٤.

(٣) في (د): (فالكسر).

(٤) في(ج): (إلا أن).

(٥) لم أعثر على مصدر قوله.

(٦) أي: إن الأميِّين هم العرب. وسُمُّوا بذلك كما يقول ابن عطية: نسبة (على الأم، =

﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾.

قال الفرَّاء[(١)]، والزجَّاج[(٢)]: معناه: الأمر؛ أي: أسلموا؛ لأنه استفهام في معنى التوقيف والتهديد، وفي ضمنه الأمر؛ كما تقول للإنسان، بعد أن تأمره وتُؤكِّد عليه: أقَبِلْتَ؟ فأنت تسأله متوعدًا، وفي مسألتك دليلٌ أنك تأمره أن يفعل، ومثله قوله[(٣)]: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي: انتهوا.

قال النحويون: إنما جاء الأمر في صورة الاستفهام؛ لأنه بمنزلته في طلب الفعل، والاستدعاء إليه، فذكر ذلك؛ للدلالة على الأمر، من غير تصريح به؛ ليُقِرَّ المأمورُ بما يلزمه من الأمر.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾. البلاغُ: اسمٌ[(٤)] للمصدر، بمنزلة

= أو إلى الأمَّة... أي: كما هي الأم، أو على حال خروج الإنسان عن الأم، أو على حال الأمة الساذجة قبل التعلم والتحذق) «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٨؛ أي: سُمُّوا بذلك لعدم معرفتهم الكتابة والقراءة. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤-٢٠٥ (أمم). وبهذا ورد الأثر عن ابن عباس، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٠. ويعزز هذا قول النبي ﷺ: «**إنَّا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب** ..». أخرجه البخاري في «صحيحه» ٢/ ٢٣٠ كتاب الصوم، باب: ١٣، ومسلم في: «صحيحه»: ٢/ ٧٦١. كتاب الصيام، باب: وجوب صوم رمضان، رقم: ١٥. وقال محمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق: الذين لا كتاب لهم. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦١٩.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٠٢.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» له ١/ ٣٩٠، وعنه نقل المؤلف العبارات التالية، بتصرف.

(٣) (قوله): ساقط من: (ج).

(٤) (اسم): ساقط من: (د).

التبليغ؛ كـ(السَّراح)[1] و(الأداء)؛ أي: تبليغ الرسالة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. قال ابن عباس[2]: ممن[3] آمن بك وصدَّقَك، ومن كفر بك وكذبك[4]. وفي هذه الآية تسلية للمصطفى ﷺ حين أُخبر أنه ليس عليه هداهم، إنما عليه التبليغ، فإذا بلَّغ فقد أدَّى ما عليه.

وقال بعض المفسرين: حكم هذه الآية قبل أن يُؤمر النبي ﷺ بالسيف[5].

---

(١) (السَّراح) اسم للمصدر، بمعنى: التسريح، وأصل (التسريح): إرسال الإبل في المرعى، ثم جُعِل للمطلق الإرسال، ثم استعير في الطلاق، فـ(تسبح المرأة): تطليقها، والاسم: (السَّراح)، قال تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الأحزاب: ٤٩، وقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ومن معاني (السَّراح): السهولة، والمصدر: (التسريح)؛ أي التسهيل. انظر: (سرح)، في «اللسان» ٤/ ١٩٨٤-١٩٨٥، «عمدة الحفاظ» ٢٣٧.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) في (ج): (من)، (د): (بمن).

(٤) والذي في: «تنوير المقباس» عنه: ٤٤: (بمن يؤمن، وبمن لا يؤمن).

(٥) يعني أنها منسوخة، والمنسوخ منها عندهم هو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. وممن قال بذلك ممن سبق المؤلف بالوفاة: أبو عبد الله، محمد بن حزم الأنصاري، المتوفى سنة (٣٢٠هـ) تقريبًا، في كتابه: «الناسخ والمنسوخ في القرآن»: ٣٠، وهبة الله بن سلامة، المتوفى سنة (٤١٠هـ) في كتابه: «الناسخ والمنسوخ من كتاب الله ﷻ»: ٦٠. والناسخ لها عندهم هي آية السيف، وهي في أصح أقوال العلماء: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ﴾. سورة التوبة: ٥. ومنشأ دعواهم بأنها منسوخة، هو أنَّ الآية بما تضمنته من أسلوب القصر حصرت مهمة النبي ﷺ، في تبليغ الرسالة والموادعة دون قتال المخالفين، ثم جاءت آية =

٢١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ نزلت في اليهود[1]، ومعنى هذه الآية، قد ذكرنا في سورة البقرة، عند قوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

= السيف بالإذن بقتالهم، فنسخت الاقتصارَ على التبليغ، وصارت المهمةُ بعدها: التبليغ والقتال في سبيل ما كُلِّفَ بتبليغه، ولكن دعوى النسخ هذه لا تُسلَّم؛ لأمور منها: أن هذه الآية خبَر، والأخبار لا تقبل النسخ. أن القول بالنسخ يقتضي معرفة تاريخ نزول الآية؛ ليقال: إن اللاحق نسخ السابق، والتاريخ هنا غير معروف. إن القصر هنا إضافيٌّ، يُراد به تقرير أن الرسول ليس مكَلَّفًا بإيجاد الإيمان في القلوب، وهو ما يُسمَّى بهداية القبول، فذلك من حق الله تعالى، أمَّا هداية البيان والإرشاد والتبليغ فذلك من وظيفة النبي ﷺ، وهي المرادة في هذه الآية. أن الآية كما يقول د. مصطفى زيد: (لم تكن تقصد إلى إعفاء النبي ﷺ من واجب القتال في سبيل الدعوة، وإنما قصدت إلى تقرير أنه قد بَلَّغ عن الله فأدَّى ما عليه. وشَرْعُ القتال قبلها، ثم بعدها بآية السيف وغيرها لم يغير شيئًا من حقيقة الوظيفة التي كُلِّفَ القيام بها، وإن كان قد زاد الوسائل إليها وسيلة جديدة، هي: مشروعية القتال في سبيلها؛ لتأمين الدعوة، وحماية أرواحهم من عدوان الكفار عليهم، لا لحملهم على الدخول في الإسلام بقوة السلاح). «النسخ في القرآن» د. مصطفى زيد: ١/ ٤٢٥، وانظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٩.

(١) وقال محمد بن جعفر، وقتادة، وأبو سليمان الدمشقي: إن المراد هنا هم اليهود والنصارى. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢١، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٠، «زاد المسير» ١/ ٣٦٥، «تفسي الخازن» ١/ ٢٧٩، «البحر المحيط» ٢/ ٤١٣ وقال ابن عطية، عن الآية بعد أن ذكر قول محمد بن جعفر: وتعم كلَّ من كان بهذه الحال، والآية توبيخ للمعاصرين لرسول الله ﷺ بمساوئ أسلافهم، وببقائهم أنفسهم على فعل ما أمكنهم من تلك المساوئ؛ لأنهم كانوا حرصى على قتل محمد ﷺ. «المحرر الوجيز» ٣/ ٦٠.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.
روى أبو عبيدة بن الجرَّاح[١]: أن النبي ﷺ قال: قَتَلَت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين[٢] نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا[٣] عَشَرَ رجلًا، من عبَّاد بني إسرائيل، فأمروا مَنْ قَتَلَهم بالمعروف، ونَهَوْهم عن المنكر، فقُتِلُوا جميعًا من آخر النهار، في ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله ﷻ في كتابه، وأنزل الآية فيهم[٤].
وقرأ حمزةُ[٥]: (ويُقاتِلون الذين)؛ لأنه[٦] اعتبر قراءةَ عبد الله[٧]:

(١) هو: عامر بن عبد الله الجَرَّاح، الفِهْرِي القرشي. من كبار الصحابة، والسابقين منهم، سماه رسول الله ﷺ (أمينَ هذه الأمة)، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، توفي بالأردن، سنة (١٨هـ). انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٣٤١-٣٤٣، «الإصابة» ٢/ ٢٥٢-٢٥٤.
(٢) في (ب): (وأربعون).
(٣) في (د): (واثنى).
(٤) الأثر عن أبي عبيدة، أخرجه: الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢١٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٢١ وفيه بلفظ (.. فقام مائة رجل وسبعون رجلًا ..)، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٢٦ ب، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٣٨١، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٢٠-٢١، والديلمي في: «مسند الفردوس»: ٥/ ٣٦١ رقم (٨٤٤١) وأورده القرطبي في «تفسيره» ٤/ ٤٦، ونسب إخراجه للمهدوي، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٨١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣. وأورده الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٧٢، وقال: (رواه البزار، وفيه ممن لم أعرفه اثنان). وفيه عندهم جميعًا : أبو الحسن مولى بني أسد، وهو مجهول. انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٣٥٧، «ميزان الاعتدال» ٦/ ١٨٨، «المغني في الضعفاء» للذهبي: ٢/ ٧٨٠.
(٥) هو: أبو عمارة، حمزة بن حبيب الزيات، تقدمت ترجمته.
(٦) من قوله: (لأنه ..) إلى (.. قتال المباين المشاق لهم): نقله عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٢٤ بتصرف كثير.
(٧) هو ابن مسعود رضي الله عنه . وانظر قراءته، في «المصاحف» لابن أبي داود: =

(وقاتَلوا الذين يأمرون)، فقرأ[١]: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾، وهو يريد: (قاتَلُوا)، كما روي في حرف عبد الله.

ويجوز أن يكون المضارع، بمعنى الماضي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]، وقال في أخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾[٢]، فالأول جاء على لفظ المضارع؛ حكاية للحال؛ كذلك[٣] قراءة حمزة: (ويقاتلون)، يجوز[٤] أن يكون مراده: (قد قاتَلوا)، إلَّا أنه جاء على لفظ المضارع؛ حكايةً للحال.

والمعنى في قراءة حمزة: أنهم لا يوالون الذي يأمرون بالقسط؛ ليقلَّ نهيُهُم[٥] إيَّاهم عن العدوان عليهم، فيكونون متباينين لهم[٦] مُشاقِّينَ؛ لأمرهم بالقسط، وإن لم يقتلوهم[٧] كما قتلوا الأنبياء، ولكن يقاتلونهم[٨]

= ٥٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٦ أ، «الحجة» للفارسي ٣/ ٢٤، «البحر المحيط» ٢/ ٤١٤.

(١) من قوله: (فقرأ ..) إلى (.. يريد قاتلوا): ساقط من: (ج).

(٢) سورة النساء: ١٦٧، وورد هذا المقطع كذلك في: سورة النحل: ٨٨، وسورة محمد: ٣٢، ٣٤.

(٣) من قوله: (كذلك ..) إلى (.. حكاية للحال): ساقط من: (د).

(٤) في (ج): (ويجوز).

(٥) في (أ)، (ب): (نبيهم)، والمثبت من: (ج)، (د)، ومن «الحجة» للفارسي. وورد في إحدى نسخ «الحجة» أشار إليها محققه: (لِثِقَلِ نَهْيِهِم).

(٦) هكذا جاءت في جميع النسخ، وفي «الحجة» للفارسي: (مباينين)، وهي الأصْوَب، ولكني تركت ما في الأصل كما هو؛ لاتفاق جميع النسخ عليه.

(٧) في (ج): (يقاتلوهم).

(٨) في (ج): (يقاتلوهم).

قتال المُبايِنِ، المُشاقِّ لهم. والصحيح الموافق لتفسير الآية: قراءةُ العامَّةِ[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ذكرنا معنى التبشير، وجواز إطلاقه فيما [لا][(٢)] يَسُر، عند قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥].

وأما[(٣)] دخول الفاء في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ وهو خبر الابتداء، فقد[(٤)] ذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

٢٢- قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يريد بـ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾: ما هم عليه من ادِّعائهم التمسك بالتوراة، وإقامة شريعة موسى. وأراد ببطلانها في الدنيا: أنها لم تحقن دماءَهم، وأموالهم[(٥)]؛ وفي الآخرة: لم يستحقوا بها مثوبة، فصارت كأنها لم تكن ولم توجد.

---

(١) قال النحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣٧٥: (فإن قال قائل: الذين وُعظوا بهذا لم يقتلوا نبيًا. فالجواب عن هذا: أنهم رضوا فِعْلَ من قَتَل، فكانوا بمنزلته، و أيضًا فَإنهم قاتلوا النبي ﷺ وأصحابه وهمُّوا بقتلهم ..).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د)؛ ليستقيم بها المعنى.

(٣) من قوله: (وأما ..) إلى (.. ذكرنا ما فيه عند قوله): ساقط من (د).

(٤) في (ج): (وقد).

(٥) يعني المؤلف هنا والله أعلم: أنهم لم ينالوا بها محمدة الناس، وثناءَهم، ولم يرفع الله بها ذكرَهم؛ لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولعنهم وفضح ما كانوا يُخفُون من قبيح الأعمال على ألْسِنة رسله وأنبيائه في كتبه المنزلة، فأزال من قلوب الخلق محبَّتَهم، وغرس فيها احتقارهم، وبقيت على مدى الدهر مذمَّتُهم؛ مما أدى لأن تُسفَك دماؤُهم، وتُسلَب أموالهم. انظر «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٧، «تفسير الفخر الرازي» ٧/ ٢٣٣.

٢٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ الآية إنما قال: ﴿نَصِيبًا﴾؛ لأنهم كانوا يعلمون بعض ما في الكتاب[١]. والمراد بهؤلاء: اليهود.

وقوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس في رواية الضحَّاك[٢]: المراد بـ(كتاب الله) ههنا: القرآن، والله [تعالى][٣] جعل القرآن حَكَماً بينهم وبين رسول الله ﷺ[٤]، فَحَكَمَ القرآن عليهم بالضلالة، فأعرضوا عنه.

فإن قيل: كيف دُعوا إلى حكم كتابٍ لا يؤمنون به؟

قيل: إنَّما دُعوا إليه بعد[٥] أن ثبت أنه[٦] من عند الله، بموافقته التوراة في الأنباء والقصص، ورصانته[٧]، بحيث لم يقدر بشرٌ أن يعارضَه، وهذا

---

(١) وقال الشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٤٩٥: (وتنكير النصيب؛ للتعظيم؛ أي: نصيبًا عظيمًا، كما يفيده مقام المبالغة. ومن قال: إنَّ التنكير للتحقير فلم يصب، فلم ينتفعوا بذلك؛ وذلك بأنهم يدعون إلى كتاب الله الذي أوتوا نصيبًا منه، وهو التوراة). وبهذا قال الزجَّاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٩١، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٣٧٦، والزمخشري في «الكشاف» ١/ ٤٢٠، وأبو السعود في «تفسيره» ٢/ ٢٠.

(٢) هذا الأثر، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٧أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٢١. وهو كذلك من رواية أبي صالح عنه، وهو قول الحسن، وقتادة. انظر: «النكت والعيون» ١/ ٣٨٢، «زاد المسير» ١/ ٣٦٧.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٤) في (ج)، (د): (رسوله).

(٥) (إليه بعد): ساقطة من (ج).

(٦) في (ج): (أنهم).

(٧) في (د): (ورصافته).

قول قتادة[١]، وقال في رواية سعيد بن جُبَير، وعكرمة: إنَّ النبي ﷺ قال لليهود: «**أنا على ملَّة[٢] إبراهيم، وملَّته: الإسلام**»، فقالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فَهَلُمُّوا إلى التوراة**». فأبوا عليه. فأنزل الله هذه الآية[٣].

وقال في رواية أبي صالح: أنكروا آية الرجْم من التوراة، وكان قد زنى منهم رجل[٤] وامرأة، فكرهوا[٥] رجمَهما[٦] وسألوا النبي ﷺ ما يلزمهما[٧]، فحكم بالرجْم. فقالوا: جُرْتَ[٨] يا محمد! فقال: «**بيني وبينكم التوراة**». ثم أتوا بابن صُورِيا[٩]، فقرأ التوراة، فلما أتى على آية الرجم سترها بكفِّهِ، فقام[١٠] ابنُ سَلام، فرفع كفه[١١] عنها، ثم قرأ على

(١) يعني بـ(قول قتادة) والله أعلم: ما سبق أن ذكره من أن المراد بـ(الكتاب)، هو: القرآن.
(٢) في (ج): (ما أنا على ملة)،(د): (ما علامكة).
(٣) هذا الأثر في «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٩-١٨٠ «تفسير الطبري» ٣/ ٢١٧، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٢، «الثعلبي» ٣/ ٢٧ ب، «أسباب النزول» للواحدي: ١٠٢، «تفسير البغوي» ٢/ ٢١-٢٢، «زاد المسير» ١/ ٣٦٦، «تفسير القرطبي» ٤/ ٥٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٤، «لباب النقول» ٥٠، ونسب إخراجه لابن المنذر.
(٤) في (ج): (د): (رجل منهم).
(٥) في (ج): (وكرهوا).
(٦) في (ج): (رجمها).
(٧) في (أ): (يلزمها)، والمثبت من: (ب)، (ج) (ء).
(٨) قوله: (فقالوا: جرت): ساقط من (ج).
(٩) جاء في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٧ (ب) أن رسول الله ﷺ سأل اليهود، فقال: «**فمن أعلمكم بالتوراة؟**» فقالوا: رجل أعور يسكن فدك، يقال له: ابن صوريا. واسمه: عبد الله.
(١٠) في (ج): (فقال).
(١١) في (ج): (ارفع كفك).

رسول الله ﷺ وعلى اليهود الرجْمَ، فغضب اليهودُ لذلك[١] غضباً شديداً، وانصرفوا؛ فأنزل الله هذه الآية[٢].

---

(١) (لذلك): ساقطة من (ج).

(٢) هذا الأثر في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٧ ب من رواية الكلبي عن أبي صالح. كما ورد في «تفسير البغوي» ٢/ ٢٢، «زاد المسير» ١/ ٣٦٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤١٦. وقد ذكره المؤلف هنا مختصرًا وأورد طرفًا منه في «أسباب النزول» ١٠٢، وأشار إلى أنه سيأتي بيان ذلك في سورة المائدة، ولكنه عند إيراده لأسباب نزول سورة المائدة، لم يورد هذا الأثر عن ابن عباس، وإنما أورد آثارًا أخرى في نفس المعنى. ولم أجد أحدًا من المفسرين ممن اطَّلعت على تفاسيرهم ذكر هذا السبب عند هذه الآية، إلَّا من سبق ذكره، وإنما أورد المفسرون هذا السبب عند الآية: ٤١، ٤٣ من سورة المائدة، ولكن بروايات أخرى عن ابن عباس وغيره، وأقرب هذه الروايات إلى ما ذكره المؤلف: ما أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: (إنَّ اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ، أن رجلًا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**» فقالوا: نفضحهم ويُجلدون. قال عبد الله بن سَلاَم: كذبتم! إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدُهم يَدَه على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك. فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فَرُجِما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة). «صحيح البخاري» (٦٨٤١). كتاب الحدود. باب: أحكام أهل الذمة. وأخرجه مسلم في «صحيحه» (١٦٩٩) كتاب الحدود، باب: رجم اليهود، أهل الذمة. وأخرجه أبو داود (٤٤٤٦). كتاب: الرجم. وليس في لفظ الحديث أنه سبب لنزول الآية. وأما الوارد عن ابن عباس مما هو قريب من هذه الرواية فهو من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وأخرجها الطبري ٦/ ٢٣٢ عند آية ٤١ من المائدة، وليس فيها كذلك أنها سبب لنزول الآية. انظر بقية الروايات، في «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٨-٥٠٠، «أسباب النزول» للواحدي: ١٩٧-٢٠٠، «لباب النقول» للسيوطي: ٩١-٩٢.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾. إن قيل: كيف خصَّ بالتولِّي فريقاً، ثم جمعهم في الإعراض، فقال: ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾؟ .

فالجواب، ما قال ابن الأنباري[(١)]، وهو: أنَّ الفريق المتولِّي، هم: المعرضون. وأراد بـ(الفريق المتولي): الرؤساء الذين تدين السَّفَلَةُ لهم، فأفردهم الله تعالى بالذكر، وخصَّهم بالتولي؛ لأنهم سببٌ لإضلال أتبَّاعهم.

قال[(٢)]: ويحتمل أن يكونَ المتولُّون: العلماء والرؤساء، والمعرضون: الباقون منهم؛ كأنه قيل[(٣)]: ثم يتولى العلماءُ. والتُبَّاعُ معرضون عن القبول من النبي ﷺ؛ لتولي علمائهم. ويجوز أن يكون الفريق اختصه الله[(٤)]؛ لأن عبد الله بن سَلام، وغيره من مؤمني أهل الكتاب، كانوا ممن قبلوا حكم النبي ﷺ، فكان[(٥)] المتولِّي بعض مَن أوتي[(٦)] الكتاب.

٢٤- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾.[(٧)] اختلف أهل المعاني في المُشارِ إليه بـ﴿ذَٰلِكَ﴾، فقال بعضهم[(٨)]: ﴿ذَٰلِكَ﴾ راجعة إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٢]؛ يعني: ذلك الحُبُوطُ؛ بكذبهم على

---

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد أورد طرفًا منه ابنُ الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٦٧.

(٢) (قال): ساقطة من (د).

(٣) في (د): (كانو قبل).

(٤) معنى عبارة المؤلف هنا : أن الله خصَّ بالتولي فريقًا منهم دون الكل؛ لأن منهم من لم يتولَّ، كابن سلام وغيره.

(٥) في (ج)، (د): (وكان).

(٦) في (ج): (أولى).

(٧) (بأنهم): ساقطة من (د).

(٨) لم أهتد إلى هذاالقائل. ولم أقف فيما رجعت إليه من مصادر على من قال برجوع ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى (الحبوط).

الله؛ وهو قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

و[١] قال ابن الأنباري[٢]: معنى قوله[٣]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾؛ أي: ذلك الاجتراء عليك، وعلى الإعراض عن حكمك يا محمد بسبب اغترارهم، ومقالتهم؛ حيث قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وظنوا[٤] أنفسهم على قِلَّةِ العذاب وقِصَرِ مُدَّته[٥]، فتجاسروا على تكذيب الرسل[٦].

وهذا معنى قول الزجَّاج[٧]: أخبر الله تعالى عن اليهود، أنهم يُعرضون عن حكم كتاب الله، ثم أنبأ وبيَّن ما حملهم على ذلك، وخبَّر بما غرَّهم، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾[٨]. قال: وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾: رفعٌ. المعنى: شَأنُهُم ذلك، وأَمْرُهُم ذلك[٩]. ومضى القول في تفسير قولهم:

---

(١) الواو زيادة من: (ج)، (د).

(٢) لم أعثر على مصدر قوله.

(٣) (قوله): ساقطة من (ج).

(٤) في (ب): (وظّنوا)، وفي (د): (وطمنوا).

(٥) أي: أنهم ظنوا أنهم لا يعذبون إلا قليلًا، ولمدة قصيرة، كما زعموا.

(٦) وقد ذهب أكثر المفسرين إلى هذا الرأي، وهو أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود على التَّوَلِّي والإعراض المذكور في الآية قبلها. انظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٣٥٥، «الكشاف» ١/ ٤٢١، «تفسير الفخر الرازي» ٧/ ٢٣٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨١، «تفسير أبي السعود» ٢/ ٢١، «الفتوحات الإلهية» ١/ ٢٥٥، «فتح القدير» ١/ ٤٩٦، «روح المعاني» ٣/ ١١١.

(٧) في «معاني القرآن» ١/ ٣٩١، نقله عنه بالمعنى.

(٨) (قالوا): ساقطة من (ج).

(٩) أي: أنها مرفوعة على أنها خبرُ مبتدأ محذوف؛ المعنى: شأنهم وأمرهم ذلك. ولكن هذا القول، ضعَّفه العكبري في «التبيان» ١/ ٢٥٠؛ لأنه سيجعل قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ في موضع نصب على الحال؛ مما في (ذا) من معنى الإشارة؛ أي: ذلك الأمر مستحقًا بقولهم..، وقال السمين الحلبي، في «الدر المصون» ٣/ ٩٥: =

﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا﴾ في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ الغُرور: الإطماع[١] فيما لا يصح[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾. يعني قولهم: لن تَمَسَّنا النار.

٢٥- قوله[٣] تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾. الآية. (كيف): معناه: السؤال عن الحال. والحال المسئولة عنها محذوفة؛ وتقديره: فكيف حالهم إذا جمعناهم؟ وتحذف الحال كثيراً مع كيف؛ لدلالته عليها؛ نحو قولك: (كنت أكْرِمُه وهو لم يزرني؛ فكيف إذا زارني؟)؛ أي: كيف حالُهُ إذا زارني في عِظَمِ الإكرام؟. ويُحذف أيضاً جوابُ هذا السؤال من الكلام؛ لأن في حذفه بلاغة تزيد على الإفصاح بذكره؛ لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من أنواع الكرامة في قول القائل: فكيف إذا زارني؟ وكل نوع من أنواع العذاب في الآية.

وتأويل الكلام: أي حالة تكون[٤] حال من اغتر بالدعاوى الباطلة، إذا جُمعوا ليوم الجزاء[٥]؟ وقوله ﴿لِيَوْمٍ﴾[٦]، ولم يقل: (في يوم)؛ لأن

= (بل هذا لا يجوز البتة). والقول الثاني: إن ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ انظر المراجع السابقة، «الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمداني: ١/ ٥٥٧.

(١) في (د): (الأطواع).

(٢) انظر: «تاج العروس» ٧/ ٢٩٩ (غرر).

(٣) في (د): (وقوله).

(٤) في (ب): (يكون).

(٥) قال أبو حيان في: «البحر»: ١/ ٤١٧: (هذا تعجيب من حالهم واستعظام لعظم مقالتهم حين اختلفت مطامعهم، وظهر كذب دعواهم؛ إذ صاروا إلى عذابٍ مالهم حيلة في دفعه ..).

(٦) في (ج): (ليوم لا ريب فيه).

المراد: لجزاء يوم، أو لحساب يوم؛ فحذف المضاف، ودلت اللاَّمُ عليه. قاله الزجَّاج[١].

وقال الفرَّاء[٢]: اللاَّمُ، لفعل مُضْمَرٍ؛ إذا قلت: (جُمعوا ليوم الخميس)؛ كان المعنى: جُمعوا لما يكون يوم الخميس. وإذا قلت: (جُمعوا في يوم الخميس)، لم تُضْمِرْ فِعْلاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ﴾. أي: لما يكون في ذلك اليوم من الحساب والجزاء. وهذا قريب من القول الأول، بل هو تفسير له[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾. أي: جزاء ما كسبت[٥] من خيرٍ أو شرٍّ. فهذا يكون على حذف المضاف، ويجوز أن يكون المعنى: ووُفِّيَت كل نفس ما كسب من الثواب والعقاب، بالطاعة والمعصية، فلا يكون في الكلام مضافٌ محذوف، ويجوز أن يُسمَّى الثوابُ والعقابُ كسباً للعبد؛ على معنى[٦]: أنهما جزاء كسبه، وأنه اجتلبهما بأعماله[٧] الصالحة والطالحة[٨].

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٣٩٢، وعبارته: (أي: لحساب يوم لا شك فيه).

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٠٢. نقله عنه بتصرف قليل.

(٣) انظر كذلك «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٠.

(٤) (له): ساقط من: (ب).
وقد يكون هذا من تتمة كلام الفرَّاء، ولكن المؤلف نقله بالمعنى، ونص قول الفرَّاء: (أي: للحساب والجزاء).

(٥) قوله: (أي جزاء ما كسبت): ساقط من (ج).

(٦) (معنى): ساقط من (د).

(٧) في (ج): (بأعمال).

(٨) قال الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٨٠: (وأصل (الكسب): العمل، فكل عامل عملًا، بمباشرة منه لما عمل، ومعاناة باحتراف، فهو كاسبٌ لما عمل ..).

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. أي: لا يُنقص من حسناتهم، ولا يزاد على سيِّئاتهم.

٢٦- وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ اختلف النحويون في إعراب (اللّهمَّ)؛ فقال الخليل[(١)]، وسيبويه[(٢)]: (اللّهمَّ)؛ بمعنى: يا الله. والميم[(٣)] المشدَّدَة عِوَضٌ[(٤)] من (يا)؛ لأنهم لم يقولوا: (يا) مع هذه الميم في هذه الكلمة. والضمة التي في الهاء[(٥)]: ضمة الاسم المنادى المفرد[(٦)]، والميم مفتوحة؛ لسكونها، وسكون الميم التي قبلها.

وأنكر الفرَّاء هذا القول؛ فقال[(٧)]: لم نجد العرب زادت مثل هذه الميم في نواقص الاسم إلاَّ مخففة؛ مثل: (الفمُ)، و(هذا ابْنُمٌ)، و(سُتْهُمُ)[(٨)].

---

(١) من قوله: (فقال الخليل ..) إلى (.. وسكون الميم التي قبلها): نقله بتصرف يسير جدًّا عن «معاني القرآن» للزجَّاج: ١/ ٣٩٤.

(٢) في: (الكتاب)، له: ٢/ ١٩٦، وانظر مذهبه ومذهب الخليل كذلك في «الأصول في النحو» لابن السراج ١/ ٣٣٨.

(٣) (الميم): ساقطة من (د).

(٤) في (ب): (عوضًا).

(٥) في (ج): (أولها)، وكذا هي في «معاني القرآن» للزجاج، ولا وجه لها، والصواب ما أثبته.

(٦) ويُبنى المنادى المفرد على ما كان يرفع به قبل النداء، في حالة كونه علمًا، أو نكرة مقصودة، على أن لا يكونا مضافين، أو شبيهين بالمضاف.

(٧) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٠٣، نقله عنه بتصرف.

(٨) قوله: (وهذا ابنم، وستهم): مطموسة في: (د). و(هذا) لم ترد في «معاني القرآن». و(ابنم): لغة في (ابن)، وتعرب إعرابها، وقيل إنَّ ميمها زائدة؛ للمبالغة، أو للعوض من لام الاسم المحذوفة، حيث إنَّ أصلها: (بَنَو)، وتعرب (ابنم) =

فلو[١] كانت الميم بدلاً من (يا)، لم يُجمع بين الميم و(يا)، وقد أنشدني بعضهم:

وما عليكِ أنْ تَقُولي كُلَّما
صَلَّيتِ أو سَبَّحتِ: يا اللَّهما
ارْدُدْ علينا شَيخَنا مُسَلَّما[٢]

فقال: (يا اللّهُمَّ). ثم قال: ونرى أنها كانت في الأصل كلمةً ضُمَّ

= بحسب موقعها في الجملة، وحركة النون فيها تتبع حركة الميم في جميع حالات الإعراب، وبعضهم يبقيها مفتوحة دائمًا، ويجوز إبقاء الميم وحذفها عند إضافتها إلى ياء المتكلم. انظر: «موسوعة النحو والصرف والإعراب»: ١٩، «معجم الشوارد النحوية» ٦٥. و(سُتْهُمُ): غير موجودة في «معاني القرآن» المطبوع المتداول، وقد وردت في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢١. ومعنى (ستهم): هو الرجل الأسْتَهُ، إذا كان عظيم الاست، ويقال للمرأة: (سُتْهُم)، و(سَتْهاء). انظر كتاب «خلق الإنسان» لابن أبي ثابت: ٣٠٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٢٥ (ستة).

(١) في (د): (ولو).

(٢) ثلاثة أبيات من الرجز لم يعرف قائلها، وردت في: «المحلى» لابن شقير: ٨٤ «اللّامات» للزجاجي: ٩٠، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢١، «الإنصاف» للأنباري ص٢٩١، «رصف المباني» ٣٧٣، «اللسان» ١/ ١١٦ (أله) «ارتشاف الضرب» ٣/ ٢٨٥، ٢٨٩، «الهمع» ٥/ ٣٤٧، «خزانة الأدب» ٢/ ٢٩٦، «الدرر اللوامع» ٢/ ٢٢٠. وقد ورد في بعض المصادر: (.. صَلّيتِ أو هلّلْت ..)، وفي الطبري: أو كبَّرتِ)، وفيه: (يا اللهُمَا)، وفي بعضها: تُفصَل (ما) عن (اللّهُمَّ). والشاعر هنا يأمر بُنيَّته أو زوجته بالدعاء له، إذا ما سافر أو غاب عنهم: أن يرده عليهم سالمًا. و(التسبيح): تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه، و(الصلاة) هنا قد تكون بمعنى الدعاء، أو الصلاة الشرعية، و(الشيخ) هنا الأب، أو الزوج. والشاهد فيه: قوله: (يا اللهمَّما)؛ حيث جمع بين حرف النداء، والميم المشددة، ولم يكتف بذلك، بل وزادها ميمًا مفردة بعد الميم المشددة، دلالة على أن الميم ليست بدلًا من حرف النداء.

إليها (أُمَّ)؛ يريد: (يا الله؛ أُمَّنا بخير)، فكثرت في الكلام حتى اختلطت[(١)] به، فحذفت الهمزة استخفافاً؛ فقيل: (اللّهمَّ)[(٢)]، ثم كثرت هذه اللفظة حتى قالوا: (لاهُمَّ)؛ بمعنى: اللّهمَّ.

قال الشاعر:

لاهُـمَّ إنَّ عـامِـرَ بـن جَـهْـمِ أوْذَمَ[(٣)] حَجّاً في ثِيَابٍ[(٤)] دُسْمِ[(٥)]

وقال آخر:

لاهُـمَّ إن جُـرْهُـمـاً[(٦)] عِـبـادكـا الـنـاس طُرْفٌ[(٧)] وهـمُ تِـلادُكـا[(٨)]

---

(١) في (د): (اختلط). ويعني بذلك: أنها اندمجت مع لفظ الجلالة.

(٢) (فقيل: اللهم): ساقط من (ج).

(٣) في جميع النسخ: (أودم). والصواب ما أثبته، كما سيأتي في التعليق على البيت.

(٤) في (أ)، (ب): (ثبات)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٥) بيت من الرجز، وقائله مجهول، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء. وقد ورد غير منسوب في المصادر التالية: «غريب الحديث» لأبي عبيد: ١/ ٣٤٧، «تأويل مشكل القرآن» ١٤٢، «كتاب المعاني الكبير» ١/ ٤٨٠ «الصحاح» ٥/ ٢٠٥٠ (وذم)، «أساس البلاغة» ١/ ٢٧١ (دسم)، «اللسان» ٣/ ١٣٧٥ (دسم)، ٨/ ٤٨٠٦ (وذم)، «البحر المحيط» ٢/ ٤١٦ وورد فيه: (.. أحرم جحا). و(أوذم عليه الشيء)؛ أي: أوجبه وألزمه نفسه، و(ثيابٍ دُسْم)؛ أي: وَسِخة، و(الدَّسَمُ): الوَضَر والدَّنَس. ويقال للرجل من قبيل المجاز إذا تدنَّس بمَذامِّ الأخلاق: (إنَّه لَدَسِمُ الثوب). ومعنى البيت: أنه أحرم بالحج وهو متدنِّسٌ بالذنوب. انظر: مادة (دسم) و(وذم) في «أساس البلاغة» ١/ ٢٧١، «اللسان» ٣/ ١٣٧٥، ٨/ ٤٨٠٦.

(٦) في (ج): (أجرهما).

(٧) في (د): (طرو).

(٨) في (ج)، (د): (بلادكا). ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء، والبيت لعامر ابن الحارث بن مُضاض، سيِّد جُرْهم في مكة. وقد ورد منسوبًا له في «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٨٥، وذكر قصته ومناسبته. وتمامه كما عند الطبري: (.. بهم قديمًا =

فحذفوا الألف واللاَّم، لَمَّا كَثُرَ في كلامهم .

قال[١]: وقد خُفِّفت ميمها في بعض اللغات. أنشدني بعضهم:

كـحَـلْـفَـةٍ مـن ابـن[٢] ربـاح يَـسْـمَـعـهـا الـلّـهُـمُ[٣] الـكُـبـارُ[٤]

= عَمِرَتْ بلادكْ). وقافيته عند الطبري كلها بالسكون. وورد في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: ١/ ٥٧٤. وروايته فيه: (اللّهم إن جُرْهما عبادُك .. الناس طُرْفٌ وهم تلادك). وورد فيه برواية: (اللَّهم إن جرهما عبادكا .. القوم طرف وهم تلادكا). وقوله: (طرف): يعني به والله أعلم: أنها جمع (طارف) و(طريف)، وهو: المستحدث من المال. ونقيضه: التليد والتالد، وهو: المال القديم الأصلي الذي وُلد عندك. فيعني الشاعر هنا والله أعلم: أن جرهما هم أهل مكة وأهل الحرم، وأول من عمر بهم البلد الحرام، وأما الآخرون فهم حديثو عهد به. انظر: «اللسان» ١/ ٤٣٩ (تلد)، ٥/ ٢٦٥٧-٢٦٥٨ (طرف).

(١) يعني: الفرَّاء كما سبق .

(٢) هكذا في: (أ)، (ب)، (ج)، (د). وورد في الديوان وبقية مصادر البيت: (أبي).

(٣) في (أ): اللّهُمَّ. ولم تضبط بالشكل في بقية النسخ. وما أثبَتُّه هو الصواب؛ لوروده في مصادره بتخفيف الميم، ولأن تشديدها، خلاف ما أراده المؤلف من إيراده شاهدًا على التخفيف فيها.

(٤) البيت مطموس في: (د). وهو للأعشى، في ديوانه: ٨٢، وقد ورد منسوبًا له، في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٣٠، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٩٧، «اللسان» ١/ ١١٦ (أله)، «الهمع» ٣/ ٦٤، «الخزانة» ٢/ ٢٦٦، ٢٦٩، «الدرر اللوامع» ١/ ١٥٤.

وورد غير منسوب في: «معاني القرآن» للفرَّاء: ١/ ٢٠٤، ٢/ ٣٩٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢١، والجمهرة: ١/ ٣٢٧ (برك)، «تهذيب اللغة» ١/ ١٩١ (أله)، «المسائل العضديات» ٧٨، «شرح المفصل» ١/ ٣، «شرح ما يقع فيه التصحيف» ٣١٠، «المقاصد النحوية» ٤/ ٢٣٨.

وقد وردت (أبي رياح) بدلًا من: أبي رباح، في: الديوان، «معاني القرآن» والطبري، «التهذيب» «سر صناعة الإعراب» والجمهرة، «أمالي ابن الشجري» والخزانة، وقال صاحبها: (هو بمثناة تحتيَّة، لا بموحدة كما يزعم شُرَّاح الشواهد).=

قال: والرفعة التي في الهاء من همزة (أُمَّ) لمَّا تركت، انتقلت إلى ما قبلها. قال: ونرى[1] أن قول العرب: (هَلُمَّ) مثلها؛ إنما كانت: (هل) فضُمَّ إليها (أُمَّ)[2].

= ووردت (لاهُهُ)، بدلًا من: (اللّهُمُ) في: الديوان، والمسائل العضديات، «أمالي ابن الشجري» والخزانة. وورد في «سر صناعة الإعراب» «اللسان» (لاهُمُ). وورد في «معاني القرآن» ٢/ ٣٩٨ (.. الهمَّةُ الكبار)، وقال: (الهِمُّ، والهِمَّةُ: الشيخ الفاني)، وفي «معاني القرآن» ٢/ ٣٩٨ (.. الهمَّةُ الكبار)، وقال: (الهِمّ، والهِمَّةُ: الشيخ الفاني)، وفي: ١/ ٢٠٤: (وإنشاد العامة: «لاهُهُ الكبار»، وأنشدني الكسائي: (يسمعها الله والله كبار). وفي «الخزانة» ٢/ ٢٦٩ أن الأصمعي رواها: (يسمعها الواحد الكبار).

و(الحَلْفةُ): المرَّة من الحَلِفِ؛ بمعنى: القسم. و(أبو رياح) وفق رواية المؤلف: رجل من بني ضُبَيعة، وكان قد قتل رجلا من بني سعد بن ثعلبة، فسألوه أن يحلف أو يعطي الدِّيَة، فحلف فقُتِل بعد حَلْفَته، فضربته العربُ مَثَلًا لِمَا لا يغني حِلفُه. و(الكُبارُ): صيغة مبالغة لـ(الكبير). والشاهد فيه هنا: تخفيف ميم (اللّهم).

(١) في (ج): (ويري).

(٢) ومعنى: (هلُمَّ): أقبل، أو أعط. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٦٩٤-٤٦٩٥ (هلم). ولكن لم يرتض ابنُ سيده رأيَ الفرَّاء هذا في (هلم)، وردَّه مستدلًا على ذلك: بأن رأي الفرَّاء لا يخلو من أحد أمرين: (إمَّا أن تكون (هل) بمعنى: (قد)، وهذا يدخل في الخبر، وإما تكون بمعنى الاستفهام، وليس لواحد متعلق بـ(هلم) ولا مدخل). «المخصص»: ١٤/ ٨٨. ولكن هذا الردُّ لا يُسلَّم لابن سيده؛ حيث إن لـ(هل) استعمالات ومعاني أخرى غير ما ذكره ابن سيده؛ ومن ذلك: ما قاله ابنُ دريد في «الجمهرة» ٢/ ٩٨٨: (هلم) كلمتان جُعلتا كلمة واحدة؛ كأنهم أرادوا (هَلْ)؛ أي: أقبل، و(أُمَّ)؛ أي: اقصد).

وقال الزبيدي في «التاج» ١٧/ ٧٦٢ عن (هلم): (وقال الفراء: مركبة من (هل)، التي للزجر، و(أُمَّ)؛ أي: اقصد، خفِّفت الهمزة بإلقاء حركتها على الساكن، وحذفت). وانظر في مجيء (هل) للزجر والتوبيخ والأمر والتنبيه وغيرها، في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٤ (هل)، «اللسان» ٨/ ٤٦٨٩ (هلل).

وأنكر أبو إسحاق هذا القول إنكاراً شديداً، فقال(١): لو كان الأمر على ما قال، لجاز أن يقال: (الله أُمَّ)، فيُتَكلم به على أصله، كما يقال: (ويلُ أمِّه)، ثم يُتَكلم به على الأصل، فيقال: (ويلُ أُمِّهِ)(٢)، ولجاز أيضاً: (الله أُؤمُمْ)(٣).

فلمَّا لم(٤) يُسمع أحدٌ من العرب تكلم به على الأصل الذي [هو](٥) ذَكَر(٦)، علم أنه ليس بأصل، وأيضاً لم يُسمع(٧) أحدٌ(٨) يقول: (يا اللّهُمَّ)، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٤٦].

وما احتجَّ به الفرَّاء من قوله: (أنشدني بعضهم)(٩)، فليس يعارض

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/٣٩٣، ينقله عنه بتصرف كثير.

(٢) جاءت (ويل) في الموضعين برفع اللام، ولم تضبط في بقية النسخ بالشكل، وما أثبته هو الصواب؛ لأن (ويل) إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب؛ على أنها مفعول به لفعل محذوف، يقال: (ويلَ الظالمين)؛ أي: ألزمَ اللهُ الظالمين وَيلًا. أما إذا أضيفت باللام، فتُرْفَع؛ مثل: (ويلٌ لأمِّه)، فهي مرفوعة بالابتداء. و(ويل): بمعنى: عذاب. وقد تُركَّب لفظة (ويل) مع (أمِّه)، فيقال للرجل: (ويْلُمِّه)، أو (ويْلِمِّه) بكسر اللام، من (ويلٌ لأمه): وتعني: أنه داهية، وأصلها: الدعاء عليه، ثم استعملت في التعجب. انظر في أصلها وتركيبها: «المسائل الحلبيات» ٤٣، ٤٥، «سر صناعة الإعراب» ١١٣، ٢٣٥، ٧٤٥، «معجم النحو» ٤٣٧، «معجم الشوارد النحوية» ٦٤٠.

(٣) في جميع النسخ: (أمم)، ولا وجه لها، والمثبت من «معاني القرآن» للفرَّاء: ١/٣٩٣.

(٤) (لم): ساقطة من: (ب).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٦) في (ج): (ذكره).

(٧) في (د): (نسمع).

(٨) في (أ): (أحدا)، والمثبت من: (ب)، (ج)، (د).

(٩) (بعضهم): ساقطة من (ج).

الإجماعَ، وما أتى به كتابُ الله ﷻ، ووُجد في ديوان العرب. يقول قائل: (أنشدني بعضهم)، وليس ذلك البعضُ بمعروفٍ ولا مُسمًّى.

وقال غير أبي إسحاق مِمَّن نصر مذهبَ الخليل[1]: لو كان الأمر على ما ذكره الفرَّاء، لما صحَّ أن يقال: (اللّهُمَّ افعل كذا)، إلاَّ بحرف العطف؛ لأن قوله: (اللّهُمَّ) حصل عنده في ضمنه الدعاء؛ لأن تأويله: (الله[2]؛ أُمَّنا بخير)، فالدعاء الثاني يجب أن يكون معطوفاً عليه بحرف العطف. ولم نجد أحداً يقول: (اللّهُمَّ اغفر).

وأجابَ الفرَّاءَ عن قوله: (هذه الميم، إنما تُزاد مُخفَّفةً)؛ بأن قال: إنما شُدِّدت الميمُ في (اللّهمَّ)؛ لأنها عِوضٌ من حرفين[3] فشُدِّدت؛ كما قيل: (قُمتُنَّ) و(ضَربتُنَّ)؛ لمَّا كانت النون عِوضاً من حرفين في: (قُمتُموا) و(ضَربتُموا)، شُدِّدَت. فأما (قُمْنَ) و(ذَهبْنَ) فَعِوَضٌ من حرف واحد.

وما ذَكَر من قوله: (فَمُ)[4] و(سُتْهُمُ) و(ابْنُمُ)[5]، فإنما خُفِّفت الميم؛ لأنها عِوَضٌ من حرف واحد.

وليس حكمُ قولِكَ: (الله)، حكمَ (الفمُ) و(الابنُ)؛ لأنهما ناقصان أُتمَّا بالميم، و(اللهُمَّ) ليس زيادتها[6] تتميما للاسم، إنما هي لمعنىً آخر

---

(١) لم أهتد إلى هذا القائل، وقد يكون المبرِّد، كما في «الأصول في النحو» لابن السرَّاج: ١/ ٣٣٨، حيث ورد موجز لهذا الرأي نقله عنه.

(٢) في (د): (اللّهم).

(٣) (حرفين): ساقطة من (د).

(٤) في (د): (قم).

(٥) في (د): (وانتم).

(٦) أي: زيادة الميم في (اللّهم).

غير المعنى الذي في (الفمُ).

وأمَّا ما احتَجَّ به من البيت؛ فجاز إدخال (يا) مع الميم لضرورة الشعر[١].

فأما[٢] احتجاجه بقوله: (هلُمَّ)، فعند الخليل[٣]: أنَّ الأصل فيه: (ها) التي [هي][٤] للتنبيه، دخلت[٥] على (لُمَّ)[٦]، فلما كثر[٧]، حُذِفت الألف[٨].

وأمَّا البيت الذي ذكر أنه جاء في (اللّهُمُ)، بتخفيف الميم، فهو خطأ فاحشٌ خصوصا عنده[٩]؛ لأن الميم في (اللّهُمُ)، هو الميم الذي في (أُمَّنا)، وإنشاده بالتخفيف يفسد عليه مذهبه؛ لأنه لا يحتمل في البيت ذكر أن يكون (أُمَّنا)، إنما هو بمنزلة قولك: (يسمعهُ اللهُ الكبارُ)، فالرواية الصحيحة: يَسمعها لاهُهُ الكبارُ

---

(١) (لضرورة الشعر): ساقط من (د).

(٢) في (ج)، (د): (وأما).

(٣) انظر رأيه في: «الكتاب» ٣/ ٣٣٢، «تأويل مشكل القرآن» ٥٥٧.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) في (ج): (وحلت).

(٦) وأصل (لُمَّ)، من قولهم: (لَمَّ الله شعثه)؛ أي: جمعه. كأنه أراد: لُمَّ نفسك إلينا؛ أي: اقْرُبْ. انظر (هلم)، في «الصحاح» ٥/ ٢٠٦٠، «اللسان» ٨/ ٤٦٩٤.

(٧) في (ج): (كثرت).

(٨) انظر الأقوال في (هلم) في «إصلاح المنطق» ٢٩٠، «الزاهر» ١/ ٤٧٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٨، «المسائل العضديات» للفارسي: ٢٢١، «الصاحبي» لابن فارس: ٢٧٩، «المسائل السفرية» لابن هشام: ٣٤، «تنوير الحوالك شرح موطأ مالك» للسيوطي: ١/ ٢٢٤-٢٢٦، «تاج العروس» ١٧/ ٧٦٢.

(٩) في (د): (عندهم).

قال أبو إسحاق(١): وقوله: إنَّ الضمَّةَ [التي](٢) في الهاء من قوله: (اللّهُم)، ضمةُ الهمزِة التي كانت في (أُمَّ) محالٌ؛ لأنه لا يُترك الضمُ الذي هو دليل على النداء المفرَد(٣)، ويُجعل في اسم الله ضمةُ (أُمَّ)(٤).

وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾. في نصبه، وجهان: **أحدهما**: وهو قول سيبويه(٥): أنه منصوب على النداء، وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٤٦]، ولا يجوز عنده أن يكون ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ نصباً على النعت للنداء المفرد، الذي هو قوله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾؛ لأن هذا الاسم عنده لا يُوصَف.

الوجه **الثاني**: وهو قول أبي العباس(٦): أنَّ (مالِكَ) وصف للمنادى المفرد. وهذا الوجه اختيار الزجَّاج؛ قال(٧): لأن هذا الاسم ومعه(٨) الميم، بمنزلته ومعه (يا)(٩)، فلا تمتنع الصفة مع الميم، كما لا تمتنع مع(١٠)(يا)(١١).

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٩٣، نقله عنه بتصرف.
(٢) ما بين المعقوفين من: (ج)، (د)، وكذا هي في «معاني القرآن».
(٣) أي: المنادى المفرد: مثل: يا الله.
(٤) (أم): ساقطة من (د).
(٥) «الكتاب» ٢/ ١٩٦.
(٦) هو المبرد، في «المقتضب» ٤/ ٢٣٩.
(٧) في «معاني القرآن» ١/ ٣٩٤، نقله عنه بتصرف يسير.
(٨) في (ب): (ومنه).
(٩) (ومعه يا): ساقط من (د).
(١٠) في (د): (ومعه).
(١١) في (د) وردت هنا عبارة: (فلا تمتنع مع يا) مكررة.
(١٢) قوله، في «الإغفال» ٥٥٤-٥٥٧. نقله عنه باختصار وتصرف. وقوله ينتهي إلى عند: (بمنزلة صوت مضموم إلى صوتٍ، نحو: حي هل).

ونَصَر أبو علي الفارسي قولَ سيبويه، وقال[١]: هو عندي أصح، وإن كان أغمض، وذلك[٢]؛ لأنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء[٣] على حد (اللّهُمَّ)، فإذا خالف ما عليه الأسماء الموصوفة، ودخل في حيّز ما لا يوصف من الأصوات، وجب أن لا يوصف.

والأسماء المناداة المفردة المعرَّفة، القياس فيها: أن لا توصف، كما ذهب إليه بعض الناس؛ لأنها واقعة موقع ما لا يوصف؛ وكما[٤] أنه لمَّا وقع موقع ما لا يُعرب لم يعرب، كذلك لمَّا وقع موقع ما لا يوصف، وجب أن لا يوصَف[٥].

فأما قوله:

---

(١) في (ج): (ذلك).

(٢) من قوله: (شيء ..) إلى (ما عليه الأسماء الموصوفة): ساقط من (ج).

(٣) في (ج): (كما). ومن قوله: (وكما ..) إلى (.. موقع ما لا يوصف): ساقط من (د).

(٤) في (د): (توصف).

(٥) بيت شعر من الرجز لرؤبة بن العجاج، في: «ديوانه»: ١١٨. كما ورد منسوبًا له في المصادر التالية: «المعاني الكبير» ٢/ ٨٧٠، «إعراب القرآن» «المنسوب» للزجّاج: ١/ ٩٧، «شرح الأبيات المشكلة» للفارسي: ٤٤٨، «أمالي ابن الشجري» ٣/ ٤٤، «شرح شواهد المغني» ١/ ٥٢، ٥٣.

وورد غير منسوب في «المقتضب» ٤/ ٢٠٨، «الخصائص» ٢/ ٣٨٩، ٣/ ٣٣١، ٣٣٢، «الإنصاف» للأنباري: ص٤٩٩، «مغني اللبيب» ٢٨. وبعده وفق رواية الديوان:

.. ميراثُ أحسابٍ وجُودٍ مُنسفِكْ. وورد في بعض المصادر بنصب لفظ (الوارثَ).

والشاعر هنا يمدح الحكم بن عبد الملك بن بشر بن مروان. والشاهد هنا أن قوله: (الوارث) على رأي سيبويه وأبي علي الفارسي ليس نعتًا للمنادى، وإنما هو خبر لمبتدأ؛ تقديره: (أنت). بينما الوجه الآخر فيه أنه مرفوع؛ لأنه نعت للمنادى قبله، ونعت المنادى المفرد إذا كان مقترنا بـ(أل) يجوز رفعه تبعًا للفظ المنادى، ونصبه =

يا حَكَمُ الوارثُ عن عبد الملكْ [١].

= تبعًا لمحله، فإن المنادى المفرد العلم مبني على الضم في محل نصب. انظر: «الانتصاف من الإنصاف» للشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد (مطبوع مع الإنصاف، لأبي البركات الأنباري): ٢/ ٦٣٠.

(١) في (ج)، (د): (ابن).

(٢) في (د): (ابن).

(٣) بيت من الرجز، وتكملته: أنت الجوادُ ابنُ الجوادِ المحمودْ

قيل: هو لرؤبة بن العجاج، وقد ورد في: ملحق ديوانه: ١٧٢، وفيه أنه مما نُسب إليه، وقد نُسب إليه كذلك في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٩، «الصحاح» ٤/ ١٤٩٦(سردق).

وقيل: هو لعبد الله الأعور، المُسَمَّى بـ(الكذاب الحرمازي)، وقد ورد في: «كتاب سيبويه»: ٢/ ٢٠٣، وفيه: (وقال الراجز من بني الحرماز). ونسبه له ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٨٩. كما ذكرته المصادر التالية، مع ذكر الاختلاف في نسبته إليهما «اللسان» ٤/ ١٩٨٨ (سردق)، «المقاصد النحوية» ٤/ ٢١٠، «التصريح» ٢/ ١٦٩، وورد غير منسوب، في «المقتضب» ٤/ ٢٣٢، «الأصول في النحو» ١/ ٣٤٥، «شرح المفصل» ٢/ ٥، «أوضح المسالك» ص٢٠٠، «منهج السالك» ٣/ ١٤٢.

والشاعر يمدح الحكَمَ بن المنذر بن الجارود العَبْدي، أمير البصرة على عهد هشام ابن عبد الملك. والشاهد فيه هنا: أن (ابن) تُعْرَب على أنها مُنادى مضاف، فحقها النصب، ولا تعرب على أنها تابعة للمنعوت، وهو (حكم). و(حكم) يجوز فيها: النصب والرفع؛ لأنه العلم المفرد الموصوف بـ (ابن) المتصلة به، والمضاف إلى علم، يجوز فيه الأمران، إمَّا النصب فعلى الاتباع لحركة الصفة؛ لأنها جُعلت مع (ابن) كأنها اسم واحد لكثرة استعمالها، وكما أضيفت (ابن) إلى ما بعدها، فكذلك جعلوا (حكم) كأنها أضيفت إلى ما بعدها، فكانت كالمنادى المفرد المضاف في هذا البيت. وإمَّا الرفع فعلى النداء؛ لأنها علم، مفرد، معرفة. انظر: «شرح أبيات سيبويه» للنحاس: ١٣٤، «شرح المفصل» ٢/ ٥، «هداية السالك» لمحمد محيي الدين عبد الحميد (مطبوع مع «أوضح المسالك» ٣/ ٨٠.

يا حَكَمُ بن(١) المنذرِ بنَ(٢) الجارودْ(٣)

و:

.........يـا عُـمَـرُ الـجَـوادَ(٤)

فإن الأول، على: (أنت)، والثاني، على: نداء ثانٍ، والثالث، على: (أعني)، فلمَّا كان هذا الاسم، الأصل فيه: أن لا يُوصَف لِما

---

(١) جزء من عجز بيت، وتمامه:

ما كعبُ بنُ مامَةَ وابنُ سُعدى بـأجـودَ مـنـك يـا عـمـرُ الـجـواد

هو لجرير، في: «ديوانه»: ١٠٧. وقد ورد في المصادر التالية، ونسبه أكثرها إليه: «الكامل» ١/ ٢٣١، «المقتضب» ٤/ ٢٠٨، «الأصول في النحو» ١/ ٣٦٩، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٤٠، ٣/ ٤٤، «أوضح المسالك» ص٢٠١، «مغني اللبيب» ٢٨، «المقاصد النحوية» ٤/ ٢٥٤، «منهج السالك» ٣/ ١٤٣، «الهمع» ٣/ ٥٤، «شرح شواهد المغني» ١/ ٥٦، «التصريح» ٢/ ١٦٩، «الخزانة» ٤/ ٤٢٢، ٩/ ٣٩٩، «الدرر اللوامع» ١/ ١٥٣.

والشاعر يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله. و(كعب بن مامه) من إياد، يُضرب به المثلُ في الجود والإيثار، ومن ذلك: إيثاره رفيقه بالماء على نفسه، ومات هو عطشًا، و(ابن سُعدى): هو: أوس بن حارثة الطائي، يُضرب به المثلُ -كذلك- في الجود والشاهد في البيت -هنا-: أن (الجَوادَ) انتصبت على الاختصاص، بتقدير فعل: (أعني) أو (أخص). وفي الديوان وبعض المصارد وردت (عمرَ) بالفتح، على أنها منادى مبني على الفتح؛ لأنه منعوت بـ(الجواد) المَنصوب. أو مبني على ضم مقدر منع من ظهوره فتح الإتباع؛ أي: أن الموصوف هنا يتبع الصفة في فتح آخرها، وهو مما يجيز الكوفيون الفتح فيه، سواء أكان المنادى موصوفًا بلفظ (ابن) أم لم يكن. انظر: «الأصول في النحو» ١/ ٣٦٩، «أوضح المسالك» ص٢٠١، «الهمع» ٣/ ٥٤. والأصل فيه أن يكون في المخطوط: (عُمَرَ) بالفتح؛ ليتحقق الشاهد؛ لأن الفارسي أراد أن يقول: إن (الجوادَ) نصبت؛ لا لكونها صفةً لـ(عمرَ) المنصوب، فتبعتها في الإعراب -لأن عنده: المنادَى المعرَّف المفرَد، لا يوصف-، وإنما جعلها -في البيت- منصوبة بفعلٍ مُقَدَّرٍ، هو: (أعني).

ذكرنا، كان (اللّهم) أولى أن لا يوصف؛ لأنه قبل ضم الميم إليه، واقعٌ موقع ما لا يوصف، فلمَّا ضُمَّت الميمُ إليه، وصيغ معه صياغة مخصوصة، صار حكمُهُ حكمَ الأصوات، وحكم الأصوات: أن لا يوصف[(١)]؛ نحو: (غاقِ)[(٢)].

قال[(٣)]: وهذا المضموم إليه مع ما ضُمَّ إليه، بمنزلة صوتٍ مضموم إلى صوت؛ نحو: (حَيَّهَل)[(٤)]، فحقُّهُ أن لا يوصفَ؛ كما لا يوصف (حَيَّ هلْ).

فأما التفسير: فقال ابن عباس[(٥)]: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ووعد أمَّتَه مُلكَ فارسَ والرومَ، قالت المنافقون واليهودُ: هيهات، هيهات[(٦)]!

---

(١) في (د): (لا توصف)، وفي (ج) غير منقوطة، وأثبتُّ ما في الأصل، ونسخة (ب) على تقدير: أن لا يوصف الصوت.

(٢) غاق: حكاية صوت الغراب، فإن نُكِّرَ، نُوِّنَ يقال: سمعتُ (غاق غاق)، وسمعت (غاقٍ غاقٍ). وسُمِّي الغُرَابُ: (غاقًا)؛ فيقال: (سمعت صوت الغاق). انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣١٠، ٢/ ٤٩٤، ٤٩٥، «اللسان» ٦/ ٣٣١٧ (غوق).

(٣) في (د): (مال).

(٤) في (ج): (جبهل). و(حيَّهَلْ) و(حيَّهَلا) و(حيَّهَلًا) -مُنَوَّنًا وغير مُنَوَّنٍ-: كلمة يستحثُّ بها. ويقال: (حَيَّ هَلْ بفلان)، و(حيَّ هَلَ)، و(حَيَّ هَلا). ومعنى (حيَّ على كذا..): هلمَّ وأقبِلْ، و(هلا) -كذلك- تقال للاستعجال والحَثِّ. وبُنِيَت (حيَّ) مع (هل)، وجُعِلَتا اسمًا واحدًا، وسُمِّي به الفِعْلُ، ويستوي فيه الواحد والجمع المؤنث. انظر: «الصحاح» ٥/ ١٨٥٣(هلل)، «اللسان» ٢/ ١٠٨٢ (حيا)، «المسائل المشكلة» للفارسي: ١٥٢، «شرح الشافية» ٢/ ٢٩٤، «شرح المفصل» ٩/ ٨٤.

(٥) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٩ أ، «أسباب النزول» للواحدي: ١٠٢، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٣، «تفسير القرطبي» ٤/ ٥٢، وعزوه -كذلك- لأنس بن مالك.

(٦) (هيهات): ساقطة من (د).

فأنزل اللهُ هذه الآية.

وقيل: إنَّ الله ﷻ أمر النبي ﷺ في هذه الآية، أن يسأله نقل عزِّ فارس إلى العرب، وذلِّ العرب إلى فارس(١).

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾. قال ابن عباس(٢): تؤتي ملكَ قيصر أمةَ محمدٍ ﷺ، وتنزع الملكَ منه.

الكلبي(٣): ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾: محمداً وأصحابَه، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: أبي جهل(٤)، وصناديدَ قريش.

وقال بعضهم: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾: العرب، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: الروم، والعجمِ، وسائرَ الأمم(٥).

---

(١) لم أهتد إلى قائل هذا القول، وقد ورد في «معاني القرآن» للزجَّاج: ١/ ٣٩٣ مصدرًا بلفظ (قيل)، وعقب عليه بقوله: (الله أعلم بحقيقة ذلك). والذي في كتب التفسير عن قتادة رحمه الله أن نبي الله ﷺ سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله هذه الآية. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٢٩/أ، «النكت والعيون» ١/ ٣٨٤، «أسباب النزول» للواحدي: ١٠٢١٠٣، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٣، «زاد المسير» ١/ ٣٦٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٥ ونسب إخراجه -كذلك- لعبد بن حميد.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣١ أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٣.

(٤) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، تقدمت ترجمته.

(٥) وردت هذه العبارة بنصها في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٢ أ، وهو بنفس معنى قول مقاتل ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ يعني: محمدًا وأمته، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ يعني الروم وفارس). تفسيره: ١/ ٢٦٩. وقد يكون الثعلبي حكاه بمعناه عن مقاتل ونقله المؤلف عن الثعلبي.

(٦) هو الزجَّاج، في «معاني القرآن» ١/ ٣٩٢، نقله عنه بالمعنى.

وذكر أبو إسحاق(١) في ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ المذكور ههنا، قولين:

أحدهما: أن المراد بـ ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ ههنا: المال، والعبيد، والحَفَدَة(٢). والله تعالى يؤتيها من يشاء، وينزعها ممن يشاء.

الثاني: أن ﴿ٱلْمُلْكَ﴾ ههنا: ظهور الدين، والغَلَبة. فمعنى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي ترزق الغَلَبَةَ والظَّفَرَ الذين يطيعونك، ويعبدونك. والله تعالى قد جعل كلَّ ما(٣) في مملكة(٤) مَلِكٍ غير مسلم للمسلمين مُلكاً وغنيمة، ولهم أن يُطالِبُوا به حتى يَحُوزوه، كما يُطالِبُ المَسْلوبُ ثَوْبَهُ(٥) بِثَوْبِهِ، والمأخوذ مالُهُ بما غلب عليه منه(٦).

---

(١) في «معاني القرآن» (والحضرة)، وفسَّرها المحقق، بأنها: التَّحضر والثراء، وقد تكون (الحفدة) -هكذا- في نسخة أخرى لمعاني القرآن، والذي يؤكد ما نقله المؤلف -هنا- عن الزجاج، هو أن ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٦٩ نقل هذا القول عن الزجاج وفيه (الحفَدَة) كما هي عند الواحدي. و(الحفَدَةُ) و(الحفَدُ): الخدم، والأعواد. والمفرد: حافد. وحفدة الرجل: بناته، وقيل: أولاد أولاده، ومفردها، حفيد، وقيل: الأصهار. وأصلها من: (حفَد، يَحفِدُ، حفْدًا، وحفَدانًا، واحتفد احتفادًا)؛ أي: خفَّ وأسرع في العمل. انظر (حفد) في «اللسان» ٢/ ٩٢٢، «القاموس المحيط» ص٢٧٧.

(٢) في (ج): (كلما).

(٣) في (ج): (ملكه)، في (د): (مملكته).

(٤) في (ب): (المغلوب لوبه).

(٥) ولكن لفظ (الملك) -هنا- عام، ولا دليل على تخصصه، ولذا يقول ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٦٥: (والصحيح: أنَّه مالك الملك كله مطلقًا في جميع أنواعه)، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٨/ ٧.

(٦) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٣٩٧، وانظر -في هذا المعنى-: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٠٤، «الطبري» ٣/ ٢٢٢، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٣٧٩.

وقال أهل المعاني[١]: معنى قوله ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي مَنْ تشاءُ أن تُؤْتِيَه، وكذلك[٢]﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ أي: ممن تشاء أن تنزعه، إلاَّ أنه حذف؛ لأن في الكلام ما يدل عليه.

قال الفرَّاء[٣]: ومثله: قولك: (خذْ ما شئت)؛ أي: ما شئت أن تأخذه. وكذلك[٤] قولك: (إن شئت؛ فَقُمْ، وإن[٥] شئت؛ فلا تَقُمْ)[٦]، وكذلك قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. [فهذا بيِّن أنَّ][٧] المشيئة واقعة على الإيمان والكفر، وهما متروكان[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ قال ابن عباس[٩]: يريد: المهاجرين والأنصار، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾؛ يريد: الروم وفارس: وقيل[١٠]: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾[١١]: محمداً[١٢] وأصحابه، حتى دخلوا مكة ظاهرين عليها،

---

(١) في (د): (كذلك).

(٢) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٤. نقله عنه بتصرف واختصار.

(٣) من قوله: (وكذلك..) إلى (..فلا تقم): ساقط من (ج).

(٤) في (ب): (إن).

(٥) أي: إن شئت أن تقوم فقم، وإن شئت أن لا تقوم فلا تقم.

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ). وفي(ب): (فهذا فيه). والمُثْبت من: (ج)، (د)، «معاني القرآن».

(٧) في (ج): (واقعان). والمعنى: أي: من شاء الإيمان، فلْيُؤمِنْ، ومن شاء الكفُرْ. فوقعت المشيئة على الإيمان والكفر، وتركا ولم يذكرا في الآية.

(٨) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد ورد هذا القول عن عطاء، كما في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٢ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٣.

(٩) لم أهتد إلى قائل هذا القول، وقد ورد في المصادر السابقة مصدرًا بلفظ: (قيل).

(١٠) في (أ)، (ب)، (ج): (تعز) -بدون واو-. والمثبت من (د).

(١١) في (أ): (محمد). والمثبت من: (ب)، (د)، ومن المصادر السابقة.

(١٢) في (د): (جرت).

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: أبا جهل وأصحابه، حتى حُزَّت[١] رؤوسهم وأُلقوا في القليب. ويدخل تحت هذا كلُّ ما به يُعِزُّ اللهُ ويذل، من الإيمان والكفر، والتوفيق والخذلان وأشباهها[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي: الخير والشر، فاكتفى بالخير؛ لأن الرغبة إليه فعل الخير بالعبد دون الشر[٣]، وهذا كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النمل: ٨١] أي: [تقيكم][٤] الحَرَّ والبرد.

وقال ابن عباس في تفسير ﴿ٱلْخَيْرِ﴾ ههنا[٥]: إنه عِزُّ الدنيا والآخرة.

٢٧- قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ الإيلاج في اللغة[٦]: الإدخال. والوُلُوجُ: الدخول. يقال: (وَلَجَ)، (وُلُوجاً)، و(لِجَةً) [و][٧]

---

(١) في (د): (وما أشبهها).

(٢) قال الحدَّادي: (وهذا من باب الاقتصار على أحد طرفي الكلام، وهذا مطرد في كلام العرب) انظر «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» للحدادي: ٣٠٦. وقال الزمخشري -مبيِّنًا العِلَّة في ذلك-: (قلت: لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين، وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك؛ ولأن كل أفعاله -تعالى- من نافع وضار، صادر عن الحكمة والمصلحة، فهو خير كله، كإيتاء الملك ونزعه) «الكشاف» ١/ ٤٢٢، وانظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٤٩.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج) و(د).

(٤) لم أهتد على مصدر قوله: والذي في «تنوير المقباس» المنسوب إليه: ٤٥: (بيدك الخير: العز والذل والملك والغنيمة والنصرة والدولة).

(٥) (في اللغة): ساقط من (د).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج) و (د).

(٧) انظر (ولج) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٩، «الصحاح» ١/ ٣٤٧، «اللسان» ٨/ ٤٩١٣، «تاج العروس» ٣/ ٥٠٩. والمصدر الذي ذكره المؤلف، وهو: (وَلْجًا)، لم أعثر عليه فيما رجعت إليه من مصادر اللغة، وورد في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٣.

(وَلْجاً)، و(اتَّلَجَ، اتِّلاجاً)، و(توَلَّجَ، تولُّجاً)[١].

قال الشاعر:

فإنَّ القوافي يَتَّلِجْنَ موالِجاً تَضايَقُ عنه أن تَوَلَّجَهُ[٢] الإِبَرْ[٣]

وفي التنزيل: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والوُليجةُ: الدَّخيلَةُ، والبطانة[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا

---

(١) في (ب): (تلجه).

(٢) في (أ)، (ب): (الأبرار). والمثبت من: (ج)، (د)؛ نظرًا لاتفاق مصادر البيت كلها عليه؛ ولاتفاقه مع الروي الذي قبله. والبيت، لطَرفة بن العبد، وهو في: ديوانه: ٤٧. وورد منسوبًا له في «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٤، ٢/ ١٤٢، «البيان والتبين»١/ ١٧٠، «الخصائص» ١/ ١٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٧، «الممتع» لابن عصفور: ١/ ٣٨٦، «المقاصد النحوية» ٤/ ٥٨١، «التصريح» ٢/ ٣٩٠. وورد غير منسوب في المصادر التالية: «تفسير الطبري» ٢٢/ ٥٩، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٩ (ولج)، «والمخصص»: ١٤/ ١٨٣، «شرح المفصل» ١٠/ ٣٧، «اللسان» ٨/ ٤٩١٣ (ولج)، «تاج العروس» ٣/ ٥١٠ (ولج). وروايته في الديوان، «تفسير الطبري» (رأيت القوافي ..). وفي الديوان: (تَضَيَّقُ). وفي بعض المصادر: (تضايق عنها)، وفي «تهذيب اللغة» (أن تولجه الأمر). و(القوافي): جمع قافية، وهي آخر حرف في بيت الشعر، الذي تبنى عليه القصيدة، وأراد هنا القصيدة. و(تَتَّلجْنَ)، أصلها: تَوْتِلجن، ثم قُلِبت الواوُ تاءً، وأدْغِمت في التاء التي بعدها، وهو صيغة افتعال من: (الولوج)، وهو: الدخول. و(الموالج): جمع (مَوْلَج)، وهو: المَدْخل، و(تَوَلَّجه): أصلها: تتولجه؛ أي: تدخل إلى مكانه. والمعنى: أن قصائده وهي هنا، قصائد هجائه تبلغ من التأثير في نفس المهجوِّ، مواضِعَ عميقة ودقيقة، لدرجة أن رؤوس الإبر لا تستطيع أن تلجها، وتدخل إلى أماكنها. والشاهد هنا: ورود كلمات (يتَّلجن) و(تولَّجه)، فالأولى دلالة على ما ذكره المؤلف من ورود فعل (اتَّلج) والثانية على ما ذكره من ورود المصدر (التَّولُّج) وفعله (تولَّج).

(٣) انظر (ولج)، في «الصحاح» ١/ ٣٤٨، «القاموس» ص٢٠٩.

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

ومعنى الآية: تجعل ما نقص من أحدهما، زيادة في الآخر، في قول جميع المفسرين[(١)].

وذكر ابن الأنباري[(٢)] قولاً آخر، وهو: أن المعنى: تدخل أحدهما في الآخر؛ بإتيانه به[(٣)] بدلاً[(٤)] منه. قال: وذلك أن الليل إذا[(٥)] دخلت ظلمتُهُ، وظهرت نجومُهُ وقمرُه، كان النهار داخلاً فيه، ومستتراً تحته، وكذلك[(٦)] والنهار، إذا دخل ضوؤه، وطلعت شمسُه، كان الليل داخلاً فيه، ومستترا تحته[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾. أكثر المفسرين على أنَّ معناه: تخرج الحيوان من النطفة، وتخرج النطفة من

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٩٠، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٣، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٣.

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) (به): ساقطة من: (ج)، (د).

(٤) في (ج): (وبدلًا).

(٥) في (ج): (لما).

(٦) من قوله: (وكذلك..) إلى (.. ومستترا تحته): ساقط من (د).

(٧) وورد عن ابن مسعود ﷺ قولًا آخر، وهو: أنه يأخذ الصيف من الشتاء، ويأخذ الشتاء من الصيف. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٥، وأورده السيوطيُّ في «الدر» ٢/ ٢٦، ونسب إخراجه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ. وأورد عنه السيوطي في المصدر السابق رواية أخرى، هي: أنه قِصَر أيام الشتاء في طول ليله، وقِصَر ليل الصيف من طول نهاره. ونسب السيوطي إخراجه كذلك لسعيد بن منصور، وابن المنذر. «وانظر تفسير ابن مسعود» إعداد: محمد العيسوي: ٢/ ١٥٨-١٥٩.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٤ ورجَّحه، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٦-٦٢٧، «المحرر الوجيز» ٣/ ٦٨.

الحيوان(١).

وقال الكلبي(٢): تخرج الفرخ من البيضة، وتخرج البيضة من الطير، وهذا كالأول؛ لأن البيضة للطير بمنزلة النطفة لسائر الحيوانات(٣).

وقال ابن عباس في رواية عطاء، والحسن(٤): تخرج المؤمن مِنَ الكافر، والكافر من المؤمن. والمؤمنُ حَيُّ الفؤاد، والكافرُ ميِّت الفؤاد. دليله: قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾(٥) [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٣ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٤، وقال به عكرمة، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٨، والمصادر السابقة.

(٢) في (د): (الحيوان).

(٣) لم تذكر المصادر التي رجعت إليها هذه الرواية عن ابن عباس، وإنما عزت القول للحسن وعطاء، فالرواية عن الحسن وردت في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١١٧، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٣ب. وعن الحسن وعطاء وردت في «تفسير البغوي» ٢/ ٢٤، «زاد المسير» ١/ ٣٧٠. وقال ابن الجوزي في «الزاد» بعد أن ذَكَر هذا القولَ: (رَوى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وعطاء).

(٤) روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله: أنَّ خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث دخلت على الرسول ﷺ، وهو عند بعض نسائه، فقال: «من هذه؟» قيل: إحدى خالاتك يا رسول الله. قال: «إنَّ خالاتي بهذه البلدة لغرائب، فمن هي؟» قيل: خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث. فقال: «سبحان الله! يخرج الحيَّ مِن الميّت». أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٧، والطبري ٣/ ٢٢٦، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٢٦، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٢٤٨ من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٧، ونسب إخراجه لابن مردويه.

(٥) القراءة بالتشديد؛ أي: ﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾، قراءة: حفص عن عاصم، وحمزة، ونافع، والكسائي. والقراءة بالتخفيف؛ أي: ﴿المَيْت﴾ قراءة: أبي بكر عن عاصم، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر. انظر: «السبعة» ٢٠٣، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٢٥، «التبصرة» ٤٥٧.

وفي (الميِّت) قراءتان: التشديدُ، والتخفيفُ[١]. والتشديد الأصل؛ لأنه في الأصل: (مَيْوِت)، فلما اجتمعت الواو والياء[٢]، وسبقت[٣] إحداهما بالسكون، قُلِبت الواوُ ياءً[٤]، وأُدغمت الياءُ فيه[٥]. ومن خَفَّفَ: حَذَفَ الواوَ التي[٦] أُعِلَّت في التشديد بالقلب[٧]، فأعِلَّت[٨] الواوُ في التخفيف بالحذف، كما أعلَّت في التشديد بالقلب.

وقول من قال: إن (المَيْت) بالتخفيف: الذي قد مات، و بالتشديد: الذي لم يمت بعدُ[٩]، ليس[١٠] بشيء؛ لأنه قد ورد في الشعر على عكس

(١) في (ج): (الياء والواو).

(٢) في (ج): (سبقت).

(٣) ياء: ساقطة من (ج).

(٤) هذا مذهب البصريين، أما مذهب الكوفيين، فعندهم أن (ميِّت)، أصلها: (مَوِيت)، على وزن: (فَعِيل)، وذهب آخرون إلى أن أصلها: (فَيْعَل)، بفتح العين، وفي المسألة نقاش حول أصل هذه الكلمة. انظر كتاب العين: ٨/ ١٤٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٢١ (مات)، «الإنصاف» للأنباري: ص٦٣٩، «الكشف» لمكي: ١/ ٣٤٠.

(٥) في (ج): (والتي).

(٦) قوله: (أعِلَّت)، من: (الإعلال)؛ وهو: تغيير حرف العلة للتخفيف؛ بالقلب، أو الحذف، أو الإسكان. انظر: «شرح الشافية» ٣/ ٦٦.

(٧) من قوله: (فأعلت ..) إلى (.. في التشديد بالقلب): ساقط من (ج).

(٨) نُقِل هذا القول عن أبي حاتم السجستاني، كما في «الخزانة» ٦/ ٥٢٩، ولم أعثر على من قال به غيره، إلا ما نقله الجوهري عن الفراء: (يقال لمن لم يَمُت: (إنه مائت عن قليل)، و(ميِّت)، ولا يقولون لمن مات: (هذا مائت». «الصحاح» ١/ ٢٦٧ (موت).

(٩) في (ب): (وليس).

قوله .

أنشد أبو العباس[1] لابن[2] الرَّعْلاء الغسَّاني[3].

ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ   إنَّما المَيْتُ ميِّتُ الأحْياءِ

(١) لم أهتد إلى مصدره، وهكذا ورد في «النكت والعيون» ١/ ٣٨٥.

(٢) في جميع النسخ: (لأبي)، والمثبت هو الصواب.

(٣) في (أ): غير واضحة. وفي (ب): (لأبي يعلى الفسافي). والمثبت من (ج)، (د). وهو الصواب. وهو: عَدِي بن الرَّعْلاء الغَسَّاني، والرَّعْلاء هي أُمَّهُ. وهو شاعر جاهلي .
انظر: «معجم الشعراء» ٨٦، «الخزانة» ٩/ ٥٨٦، «الأعلام» ٤/ ٢٢٠.

(٤) (باله): ساقط من (ج).

(٥) ورد منسوبًا له في: المصادر التالية: «الأصمعيات» للأصمعي ١٥٢، «معجم الشعراء» للمرزباني (ط ٢، ١٩٨٢م، ن: مكتبة القدسي) ٢٥٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٨٥، ولكن فيه: (لابن الرعلاء القلابي)، «البيان» للأنباري ١/ ١٩٨، «اللسان» ٧/ ٤٢٩٥ (موت)، «شرح شواهد المغني» ١/ ٤٠٥، ٢/ ٨٥٨، «الخزانة» ٦/ ٥٣٠، ٩/ ٥٨٣ .
كما ورد غير منسوب، في المصادر التالية: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٥، «البيان والتبيين» للجاحظ ١/ ١٣٢، «العقد الفريد» ٥/ ٤٩١، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٢١ (موت)، «المنصف» ٢/ ١٧، ٣/ ٦٢، «الصحاح» ١/ ٢٦٧ (موت)، «أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٣٢، «ورسالة الصاهل والشاحج» ٥٢٢، «شرح المفصل» ١٠/ ٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٦، «والمغني» ٦٠١، «منهج السالك» ٢/ ١٦٩. وقد نسبا لصالح بن عبد القدوس، في «الحماسة» للبحتري (ضبط وتعليق: كمال مصطفى، ط ١، ن: المكتبة التجارية) ٣٤٠، «معجم الأدباء» ٣/ ٤٢٠. وردت روايته في «الأصمعيات» (.. ذليلا سيِّئا..) ووردت (الرجاء) بالجيم، بدلًا من: (الرخاء) بالخاء، في كل المصادر ما عدا «معجم الشعراء» «خزانة الأدب» ٩/ ٥٨٣، وهي موافقة لما أورده المؤلف هنا و(الرخاء): اسم =

إنَّما المَيْتُ من يعيشُ كئيبا   كاسفاً بالُهُ[١] قليلَ الرَّخاء[٢]

فهذا بيِّن أنَّ الأمر فيهما سواء.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قال الزجَّاج[٣]: أي: بغير تقتير. وهذا مستعمل في اللغة، يقال: (فلان ينفق بغير حساب)؛ أي: يُوسِّع في النفقة؛ فكأنه لا يحسب ما ينفقه.

وقال الحسن[٤]، والربيع[٥]: أي: بغير[٦] نقصان، وذلك؛ لأنه غير متناهي المقدور، فما يؤخذ منه[٧] لا ينقصه، ولا هو على حساب جزءٍ من كذا وكذا[٨] جزءا[٩]، فهو بغير حساب التجزئة.

وقيل معناه[١٠]: بغير حساب الاستحقاق؛ لأنه يرزق ويعطي تفضلاً لا استحقاقاً.

= من: (رَخِيَ العيشُ)، و(رَخوَ): إذا اتَّسَع. و(كاسِفًا بالُه)، من: (كسفت): إذا ساءت، والبال: الحال. والشاعر يقول: بأن من لا يموت في الحرب، فإنه يعيش في ذلٍّ، وسوءِ حال، وخزي، فحياته في الحقيقة ليست إلا موتا. والشاهد: استعمال (ميْت) و(ميِّت) بمعنى واحد.

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٣٩٥، نقله عنه بتصرف يسير جدا. وانظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١٠٣.

(٢) لم أهتد إلى مصدر الأثر عنه.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٨.

(٤) في (ج): (تغير).

(٥) في (ج): (مثله).

(٦) في (ب): (ولا كذا).

(٧) (جزءًا): ساقطة من (ج).

(٨) لم أهتد إلى قائل هذا القول.

٢٨- قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ قال ابن عباس[١]: نزلت الآية في قوم من المؤمنين، كانوا[٢] يباطنون اليهود ويوالونهم[٣].

وقال المُقاتِلان[٤]: نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة[٥]، وغيره ممن كانوا يوالون كفار مكة.

---

(١) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٨، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٤ أ، «أسباب النزول» للواحدي ص١٠٤، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٥، «زاد المسير» ١/ ٣٧١، «لباب النقول» للسيوطي ٥٢.

(٢) (كانوا): ساقطة من (ج).

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): (يتوالونهم)، والمثبت من (د). وتفسير (الوسيط) للمؤلف (تح: بالطيور): ١٨٧.

(٤) في (أ)، (ب)، (د): (مقاتلان). والمثبت من (ج) وهو الصواب؛ لموافقته لما في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٤أ؛ والمقاتلان؛ هما: مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان، وقد أخرج لهما الثعلبي في «تفسيره» وجعلهما من مصادره. انظر: «تفسيره» ١/ ٧ ب، وقول مقاتل بن سليمان في تفسيره ١/ ٢٧٠. ويبدو أن الواحدي نقل القول عنهما من «تفيسر الثعلبي» ٣٤أ، وقد أورد البغوي في «تفسيره» ٢/ ٢٥ قولَ مقاتل، ولم يُعَيِّن مَنْ منهما. ونَصَّ على وروده عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٧١، وقال: (هذا قول المقَاتِلَيْن: ابنِ سُليمان، وابن حَيان).

(٥) هو: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو اللَّخمي، صحابي، أصله من اليمن، وكان حليفًا للزبير، شهد بدرًا، وهو الذي كاتب أهل مكة يخبرهم بتجهز رسول الله ﷺ لغزوهم، مُريدًا بذلك أن يتخذ عند الكفار يدا يحمي بها أهله الذين في مكة، حيث لا عشيرة له بها تحميهم، وقد قبل النبي ﷺ عذره. وقد أنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾. [الممتحنة: ١]، توفي سنة (٣٠هـ). انظر: «صحيح البخاري» ٨/ ٦٣٣. كتاب التفسير. سورة الممتحنة، «الاستيعاب» ١/ ٣٧٤، «الإصابة» ١/ ٣٠٠.

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٠٥ نقله عنه بالمعنى.

قال الفرَّاء(١): ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: نهيٌ؛ فجُزم على ذلك. ولو رُفِع على الخبر كقراءة من قرأ: ﴿لَا تُضَآرُّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾(٢) [البقرة: ٢٣٣] جازَ.

قال الزجَّاج(٣): ويكون المعنى على الرفع: أنه من كان مؤمنًا، فلا ينبغي أنْ يتَّخذَ الكافرَ وَلِيًّا؛ لأن وَلِيَّ الكافرِ راضٍ بِكُفْرِهِ، فهو كافر، وقد ذكرنا معنى (الوليّ) و(المولى) فيما تقدم.

ومعنى (الأولياء) ههنا: الأنصار، والأعوان، أو(٤) الذين يوالونهم ويلاطفونهم بالمحبَّةِ والقُرْبَةِ.

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾. (مِنْ) ههنا معناه: ابتداء الغاية،

---

(١) وهي قراءة: ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿تُضَآرَّ﴾، بفتح الرَّاء المشددة. انظر: «الحجة» لابن زنجلة: ١٣٦، «اتحاف فضلاء البشر» ١/ ٤٤٠. والقراءة بجزم ﴿لَا يَتَّخِذِ﴾، قراءة الجمهور، وقرأ المفضل الضبِّي برفع الذال، وأجاز الكسائي الرفعَ على الخبر، والمراد به النهي. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٣٢٠، «التبيان» للعكبري: ١/ ١٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٢.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٩٥، نقله عنه نصًّا.

(٣) (أو): ساقطة من (ج). وفي (د)، (و).

(٤) (تقدير): ساقطة من (ب).

(٥) والتقدير بعبارة أوضح: لا تجعلوا ابتداء الولاية من مكان دون مكان المؤمنين. وكون (مِن) لابتداء الغاية، هو الوجه الأظهر، والوجه الآخر: أن (مِن) في موضع نصب، صفة للأولياء. وقال سليمان الجمل: (إنها في محل الحال من الفاعل). انظر: «التبيان» للعكبري ١/ ١٨٣، «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٣، «الدر المصون» ٣/ ١٠٧، «الفتوحات الإلهية» للجمل ١/ ٢٥٨.

(٦) من قوله: (وهذا..) إلى (.. مكان المؤمنين): نقله عن «معاني القرآن» للزجَّاج: ١/ ٣٩٦ مع اختلافٍ يسير جدًّا بين النصين.

على تقدير[١]: لا تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين[٢]. وهذا[٣] كلام جرى على المثل في المكان، وهو كما تقول: (زيدٌ دونك)؛ لست تريد: أنَّه في موضعٍ مُسْتَفِلٍ[٤]، وأنك في موضع مرتفع، ولكن جعلت الشَّرف بمنزلة الارتفاع في المكان، وجعلت الخِسَّةَ كالاستفال[٥] في المكان.

والمعنى[٦]: أنَّ المكان المرتفع في باب الولاية: مكانُ المؤمنين، ومكان الكافرين الأدنى. فهذا معنى ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾، وتحقيق له.

والتأويل: أولياء من غير المؤمنين وسواهم؛ كقوله تعالى ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أي: غير الله. وقد مرَّ.

وقد ثبت بهذه الآية تحريمُ موالاة الكافرين: والله تعالى قد قطع بيننا وبينهم أصلَ الموالاة.

قال ابن عباس في هذه الآية[٧]: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا

---

(١) (مستفل): وردت في «معاني القرآن» مستقل، وما أورده المؤلف هنا هو الصواب؛ لمناسبتها لسياق الكلام. و(التَّسفُّلُ)، نقيض التَّعلِّي، انظر: «التاج» ١٤/٣٤٧ (سفل).

(٢) كالاستفال: وردت في «معاني القرآن» (كالاستقبال)؛ ولا وجه لها، والصواب ما أثبته المؤلفُ.

(٣) في (ج): (فالمعنى)، وفي (د): (والمكانى).

(٤) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/٢٢٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/٦٢٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/٢٨ ونسب إخراجه كذلك لابن المنذر. ونهاية قول ابن عباس إلى (.. الكفار)، أما الآيات القرآنية، فهي من إلحاق المؤلف الواحدي تفسيرًا لقول ابن عباس.

الكفارَ في آيات كثيرة، منها قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾(١) [المائدة: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اتِّخاذ الأولياء منهم(٢).

﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾. أي: من دين الله، فحذف الدينَ اكتفاءً بالمضاف إليه، والمعنى: أنه قد برئ من الله، وفارق دينه، ثمَّ استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾. ذكرنا معنى الاتقاء وحقيقته في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. و(التُّقاة) ههنا مصدر، ووزنها: فُعَلَة، مثل:

(١) وقال ابن عطية: (ولفظ الآية عام في جميع الأعصار)، وقال أبو حيان: (وظاهر الآية تقتضي النهي عن موالاتهم إلا ما فُسح لنا فيه من اتِّخاذهم عبيدًا، والاستعانة بهم استعانة العزيز بالذليل، والأرفع بالأوضع، والنكاح فيهم). «المحرر الوجيز» ٣/ ٧١.
وذكر سلميان الجمل أن ترك موالاة المؤمنين يصدق بصورتين: إما أن تقصر الموالاة على الكافرين، أو أن يُشرك بينهم وبين المؤمنين في الموالة، وكلا الصورتين داخلتان في منطوق النهي، فموالاة الكافرين ممنوعة، استقلالًا أو اشتراكًا مع المؤمنين. انظر: «الفتوحات الإلهية» ١/ ٢٥٨. وانظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٢.

(٢) (اتخاذ الأولياء منهم): ساقط من (د).

(٣) انظر: «تفسير البسيط» (تح: د. الفوزان): ٢/ ٤٨، «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٣٣، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٤٥-١٤٨، «شرح الشافية» ٣/ ٨٠-٨٣، «الممتع في التصريف» ١/ ٣٨٣. ومعنى (تُخمَة): ما يصيب الإنسان من الطعام، إذا استثقله ولم يستمرئه. وهي مأخوذة من: (الوَخامة). و(تُؤَدَة) بالتسكين والفتح: التأني والتمهل، واصلها: (وُأدَةٌ). و(تُكَأة): ما يُتَكأ عليه، و(رجل تُكَأة): كثير الإتِّكاء، وأصلها: (وُكَأة). و(تُهَمَة): الظنُّ، أصلها: (الوُهَمَة)، من: الوهم، وهو: الظَّن. «اللسان» ٨/ ٤٧٩١ (وخم)، ٨/ ٤٧٤٥ (وأد)، ٨/ ٤٩٠٤ (وكأ)، ٨/ ٤٩٣٣ (وهم).

(تُخَمَة)، و(تُؤَدَة)، و(تُكَأَة)، و(تُهمَة). والتَّاء في كل هذا مبدلة من الواو[١]، ويقال[٢]: (تَقَيْتُهُ تُقاةً، وتُقىً، وتَقِيَّةً، وتَقْوى). وإذا قلت[٣]: (اتَّقَيت)، كان مصدره (الإتقاء)[٤].

وإنما قال: (تتَّقوا)؛ من: الاتِّقاء، ثم قال: (تُقاةً)، ولم يقل: اتِّقاءً: لأن العربَ قد تَذْكُر المصدرَ من غير لفظ الفعل، إذا كان ما ذُكِر من المصدر يوافق[٥] مصدر الفعل المذكور، فيقول: (التقيت فلاناً لقاءً حسناً)، قال القُطامي[٦]:

---

(١) من قوله: (ويقال..) إلى نهاية بيت الشعر (.. احتقارًا): نقله بتصرف عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٤ ب.

(٢) في (ج): (قلبت).

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» ٢٤، ومادة (وقى)، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤١، «الصحاح» ٦/ ٢٥٢٧، «اللسان» ٨/ ٤٩٠١.

(٤) في (ج): (موافق).

(٥) هو: عمير بن شُيَيْم التَّغْلبي، تقدمت ترجمته.

(٦) عجز بيت، وصدره:

وخير الأمر ما استقبلت منه

وهو في: «ديوانه» ٣٥، «كتاب سيبويه» ٤/ ٨٢، «أدب الكاتب» ٦٣٠، «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٢٨، «المقتضب» ٣/ ٢٠٥، «الأصول في النحو» ٣/ ١٣٤، «شرح المفضليات» لابن الأنباري ٣٥٢، «الخصائص» ٢/ ٣٠٩، «الاقتضاب» ٤٧٧، «شرح أدب الكاتب» ٣٠٥، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٤١، «وضح البرهان» ١/ ٢٣٩، «شرح المفصل» ١/ ١١١، «خزانة الأدب» ٢/ ٣٦٩.

ومعنى البيت: أن خير الأمور ما تدبرته في أوله فعرفت إلام تنتهي عاقبته، وشر الأمور ما تُرِك النظرُ في أوله، وتُتُبِّعت أواخرُه بالنظر.

والشاهد فيه: أنه أتى بـ «اتِّبَاعًا» مصدرًا لـ «تَتَبع»، لأن معناهما واحد.

وليس بأنْ تتَّبعه اتِّباعا[١]

وقال أيضًا:

ولاح بجانب[٢] الجبلين منه ركامٌ يَحْفِر التُّربَ[٣] احتفارا[٤]

وقال بعض النحويين[٥]: (تقاة) اسم وضع موضع المصدر[٦] كما يقال: (جَلَسَ جَلْسَةً)، و(رَكِبَ رِكْبَةً)[٧]، وكما قال:

---

(١) (د): (من جانب).

(٢) (د): (الثوب).

(٣) لم أقف عليه في ديوان القطامي، وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٣٤ ب، ونسبه للقطامي، وبيَّن أنه يصف غَيْثًا، وأورده أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٤.

(٤) لم أهتد إلى القائل، وقد ذكره أبو حيان في «البحر» ٢/ ٤٢٤، والحلبي في «الدر» ٣/ ١١١ عند بيان نصب ﴿تقاه﴾ على الحال كما سيأتي.

(٥) أي على تقدير: إلا أن تتقوا منهم اتقاءً، فيكون مفعولًا مطلقًا.

(٦) «جَلْسَة»: اسم للمرَّة، و«جِلْسَة»: اسم للهيئة، وهكذا «رِكْبَة» و«رَكْبَة».

يقول ابن مالك -في صياغة اسم المرَّة والهيئة من الثلاثي:

و«فَعْلَةٌ» لمرَّةٍ كجَلْسَهْ و«فِعْلَةٌ» لهيئةٍ كجِلْسَهْ

(٧) عجز بيت، وصدره:

أكُفرًا بعد ردِّ الموتِ عني

وهو للقطامي، في «ديوانه» ٣٧، كما ورد في «الشعر والشعراء» ٢/ ٧٢٧، و«الخصائص» ٢/ ٢٢١، و«الأصول في النحو» ١/ ١٤٩، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٩٦، و«اللسان» ٨/ ١٦٣ (سمع)، ٩/ ١٤١ (زهف)، ١٥/ ٦٩ (عطا)، ١٣٨ (غنا)، و«شرح شذور الذهب» ٤١٢، و«المقاصد النحوية» ٣/ ٥٠٥، ٤/ ٢٩٥، «منهج السالك» ٢/ ٢٨٨، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٤٩، و«الهمع» ٣/ ١٠٣، «معاهد التنصيص» ١/ ١٧٩، و«التصريح» ٢/ ٦٤، «الخزانة» ٨/ ١٣٦، ١٣٧، «الدرر» ١/ ١٦١. والشاعر يمدح في البيت زُفَر بن الحارث الكِلاَبي، بعد أن مَنَّ عليه بإطلاق أساره من قبيلة قيس، التي كانت تنوي قتله، وأعطاه مائة من الإبل. وقوله: (أكفرًا) استفهام إنكاري؛ أي: لا أخونك بعد أن أنقذتني من الموت، =

وبَعْدَ عطائِكَ المائةَ الرِّتاعا[١]

فأجراه مجْرَى الإعطاء[٢].

قال: ويجوز أن تجعل (تُقاة) ههنا مثل: (رُماة)، فتكون حالاً مؤكدة[٣].

قال المفسرون[٤]: هذا في المؤمن، إذا كان في قوم كفَّار، ليس فيهم

= وأعطيتني مائة من الإبل (الرِّتاع)؛ أي: الراعية. والشاهد فيه: إعمال اسم المصدر: وهو (عطاء) عملَ المصدر، وهو (إعطاء)، ولذا نصب به المفعول، وهو (المائة).

(١) اسم المصدر المأخوذ من حدث لغيره، كـ(الثواب، والكلام، والعطاء)، منع البصريون إعمالَه، إلَّا في الضرورة، وأجاز إعمالَه الكوفيُّون والبغداديُّون قياسًا؛ إلحاقًا له بالمصدر. واستثنى الكسائي إمام الكوفيِّين ثلاثةَ ألفاظ، هي: (الخبز) و(الدهن) و(القوت)، فإنها لا تعمل، فلا يقال: (عجبت من خبزكَ الخبزَ)، ولا (من دهنكَ رأسكَ)، ولا (من قوتِكَ عيالَكَ)، وأجاز ذلك الفرَّاءُ، لما حكاه عن العرب مثل: (أعجبني دهنَ زيدٍ لحيَتَه). انظر: «همع الهوامع» ٢/ ٩٤-٩٥.

(٢) أي: إنَّ (تقاة) هنا جمعٌ، حالها حال (رُماة) التي مفردها: (رامٍ)، وإن لم يأت من (تقاة) لفظ (فاعل)؛ لأن (فُعَلَة) تأتي جمعًا لفاعل الوصف المعتل اللَّام. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٠ (وقى)، «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٤، «الدر المصون» ٣/ ١١١، «التبيان» للعكبري: (١٨٤).

(٣) من قوله: (قال المفسرون ..) إلى (.. عورة المسلمين): نقله بتصرف عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٥ أ.

(٤) في (د): (يحالفهم)، وفي «تفسير الثعلبي» (يتحالفهم)، وقد أثبَتُّ (يخالفهم)؛ لورودها في النسخ الثلاث، ولأنها تحتمل المخالفة القلبية، وإلا فإني أرجِّح أن تكون (يخالقهم)، بمعنى: يصانعهم، ويعاشرهم على أخلاقهم، وهكذا وردت عن مجاهد في تفسير الآية، حيث قال: (إلَّا مصانعة في الدنيا، ومُخالقة). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٢٩.

غيره، وخافهم على نفسه وماله، فله أن يخالفهم[١]، ويُداريهم باللسان، وقلبه مطمئنٌ بالإيمان دفعا عن نفسه[٢]، من غير أن يَستحِلَّ مُحرَّماً؛ من: دمٍ، أو مالٍ، أو إطْلاع للكافرين على عَوْرة[٣] المسلمين.

قال ابن عباس في هذه الآية[٤]: يريد: مُدَاراةً ظاهرةً. والتقيَّة لا تحل إلاَّ مع خوف القتل. وهي رخصة من الله تعالى. ولو أفصح بالإيمان؛ حيث يجوز له التَّقِيَّة، [فيُقْتَل لأجلِ إيمانِهِ][٥]، كان ذلك فضيلةً له[٦].

وظاهر الآية يدل على أن التقيَّة إنما تَحلُّ مع الكفار الغالبين، غير أن مذهب الشافعي رحمه الله: [أنَّ الحالةَ بين][٧] المسلمين[٨]، إذا شاكلت[٩] الحالةَ بين المسلمين والمشركين، حَلَّت التقِيَّةُ، محاماةً عن

---

(١) (دفعا عن نفسه): ساقط من: (ب).

(٢) في (د): (عورات).

(٣) الوارد عن ابن عباس في المصادر التي بين يدي ما يفيد هذا المعنى، وليس بهذا اللفظ. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٢٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٢٢٩، «المستدرك» للحاكم ٢/ ٢٩١، «الدر المنثور» ٢/ ٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، وهو مثبت من: (ب)، (ج)، (د).

(٥) قال ابن العربي: (لا خلاف في ذلك) «أحكام القرآن» ٣/ ١١٧٩، وانظر: «أحكام القرآن» للجصاص: ١/ ٩، ٣/ ١٩٢، «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٨٨.

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، وهو بياض في (ب)، والمثبت من (ج)، (د).

(٧) (المسلمين): مكانها بياض في: (ب).

(٨) (شاكلت): أي: شابهت، ووافقت. انظر: «القاموس» (١٠١٩) (شكل).

(٩) انظر: «أحكام القرآن» للكيا الهراسي: ٢/ ٢٨٥، ٤/ ٢٤٦، «الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية» للسيوطي: ٢٠٦، «حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب» ٢/ ٣٩٠.

المُهْجَةِ[(١)].

[وأمال][(٢)] الكسائي، وحمزة ﴿تُقَىٰةً﴾ ههنا[(٣)]. والقافُ حرفٌ مُسْتَعْلٍ[(٤)]، فالأحسن تركُ الإمالة مع القاف؛ كما لم يُميلوا (قادم). و(قاة) من (تقاة)، بمنزلة: (قادم).

وحُجَّة[(٥)] من أمالَ: أنَّ سيبويه ذكر[(٦)]: أنَّ قوماً قد أمالوا مع المستعلي، ما لا ينبغي أن يُمال في القياس؛ وذلك قولهم: (رأيت غَرْقى)[(٧)]. قال: وهو قليل. وأيضاً فإنهم قد أمالوا: (سَقى)، (وصَغى)[(٨)]؛ طلباً للياء التي الألِفُ في موضعها، فلمَّا أُميلت هذه الألِفُ مع المستعلي،

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ). وفي (ب)، (ج)، وأما المثبت من (د).

(٢) انظر: «الحجة» للفارسي: ٣/ ٢٧، وقال: (وأمال حمزة منهم (تقاة) إشمامًا من غير مبالغة)، «حجة القراءات» لابن زنجلة: ١٥٩.

(٣) الحروف المستعلية، هي: الخاء، والطاء، والظاء، والصاد، والضاد، والغين، والقاف. انظر: «الرعاية» لمكي ١٢٣، «التمهيد» لابن الجزري ٩٠.

(٤) من قوله: (وحجة..) إلى (.. أميلت التي في تقاة): نقله عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٠-٣١ بتصرف واختصار.

(٥) انظر: «كتاب سيبويه»٤/ ١٣٢،و٤/ ١٣٤.

(٦) هكذا جاءت في جميع النسخ. والذي في «الحجة» للفارسي، «كتاب سيبويه» (عِرْقا) بالعين المكسورة، من: العِرقاة، وهي: أصل الشيء، وما يقوم عليه. وهي في الشَّجَر: أرُومُه الأوسط الذي تتشعب منه العروق. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٩٠٣ (عرق). أما (غَرقى)، فهي جمع: غريق. ويلاحظ أن سيبويه قد ذكر أن العلة في إمالة (عِرقا) هي وجود الكسرة في أولها، وليس ذاك في (غرقى). انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ١٣٤، «الدر المصون» ٣/ ١١٢-١١٣.

(٧) (سقى)، (وصغى): ساقطتان من (د).

(٨) (أميلت): ساقطة من (ج).

كذلك أميلت[١] التي في (تقاة).

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾. أي: يخوفكم الله على موالاة الكفار عذابَ نَفْسِهِ، وعقوبَته، فحذف المضاف، وهو قول ابن عباس[٢] و(النفس) عند العرب، عبارة عن: ذات الشيء ووجوده. يقولون: هذا نفس كلامك[٣]. وإلى هذا ذهب أهل المعاني.

قال الزجّاج[٤]: معنى ﴿نَفْسَهُۥ﴾: إيَّاه؛ كأنه قال: ويحذركم الله إيَّاه.

وقال بعضهم[٥]: النفس ههنا: تعود إلى اتِّخاذ الأولياء من الكفار؛ [أي][٦]: ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل[٧].

٢٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾. أي: مِن مودة الكفار، وموالاتهم. هذا قول أكثر المفسرين[٨].

وقال الكلبي[٩]: يعني: تكذيب محمد ﷺ، يقول: إن أخفيتموه أو

---

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله، اللهم إلا ما ورد في «المحرر الوجيز» ٣/ ٧٧ من قوله هو والحسَنَ: (ويحذركم الله عقابه)، وانظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٥.

(٢) انظر (نفس) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٩.

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٩٧، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٨٤، «المحرر الوجيز» ٣/ ٧٦، «القاموس المحيط» (٥٧٧).

(٤) لم أهتد إلى هذا القائل.

(٥) ما بين المعقوفين في (أ): غير واضح، وفي (ب): (أن)، والمثبت من (ج)، (د).

(٦) والآية من الأدلة على أن لله تعالى نفسًا، وهي صفة من صفاته العلية، تليق بكماله وجلاله سبحانه. انظر: «قطف الثمر في عقيدة أهل الأثر» لصديق خان: ٦٥.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٦ أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٦، «زاد المسير» ١/ ٣٧٢.

(٨) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٦ أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٦.

أظهرتم تكذيبه، بحربه وقتاله، يعلمه الله.

وقال عطاء[١]: يريد: الضمير، وهذا يعم كل ما في قلب الإنسان.

قال أهل المعاني: لَمّا نَهَى اللهُ في الآية الأولى عن موالاة الكفار، خوَّفَ وحذَّر في هذه الآية[٢] عن إبطان[٣] موالاتهم؛ بأنه يعلم الإسرار، كما يعلم الإعلان.

[فإن قيل: لِمَ جاء][٤] ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ بالجَزْم؛ على جواب[٥] الشرط، ولا يَفْتَقِرُ في علمه إلى وجود[٦] شرطٍ متقدمٍ؛ كقول القائل: (إنْ تأتِني؛ أُكْرِمْكَ!)، فالإتيان سببٌ للإكرام، ولا يجوز أنْ يكون الإخفاء ولا الإبداء سبباً لعلمه. فالقول في ذلك إنَّ المعنى: يعلمه كائنًا، [ولا يعلمُهُ اللهُ تعالى[٧] كائناً، إلا بعد كَوْنِهِ، وقبل[٨] الكَوْنِ لا يُوصَفُ بأنه[٩]: يعلَمُه كائنا][١٠]، والتأويل: إنْ تبدوا ما في صدوركم، يعْلَمْهُ مبدىً، أو تُخْفوه يَعْلَمْهُ مُخْفىً.

---

(١) لم اهتد إلى مصدر قوله.

(٢) (في هذه الآية): ساقطة من (ج).

(٣) في (ج): (انظار).

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ). والمثبت من: (ب)، (ج)، (د).

(٥) في (ج): (جواز).

(٦) في (ج): (وجوب).

(٧) (الله تعالى): ليس في (أ)، (ب)، (د). والمثبت من (ج).

(٨) في (د): (وقيل)، والمثبت من (ج).

(٩) في (ج): (لأنه)، والمثبت من (د).

(١٠) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(١١) من قوله: (رفع ..) إلى (.. رفعا): نقله بتصرف عن «معاني القرآن» للفراء: ٢٠٦/١.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. رفع[١]؛ على الاستئناف؛ كقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ١٤]، جزم الأفاعيل[٢]، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ١٥]، فرفع. ومثله، قوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٤٢]، ورفعاً[٣].

وفي قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، إتمامٌ؛ للتحذير؛ لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيءٌ منهما، فكيف يخفى عليه الضميرُ؟.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. تحذيرٌ مِنْ عِقَابِ مَنْ لا يُعْجِزَهُ شيءٌ.

٣٠- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ اختلفوا في العامل في ﴿يَوْمَ﴾، فقال ابن الأنباري[٤]: اليوم معلق بـ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[٥]، والتقدير: (وإلى اللهِ المصير، يومَ تَجِدُ).

وقال الزجَّاج[٦]: العامل: قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، في الآية[٧]

---

(١) (الأفاعيل): ساقطة من (د). ومعناه: جُزِمت الأفعال التالية في الآية: (يُعذِّبْهمْ)، (يُخزِهِمْ)، (يَشْفِ)، (يُذْهِبْ).

(٢) أي: هي في نيَّةِ رفع، مستأنفةٌ، غير داخلة في جزاء الشرط؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقًا. وسقوط الواو لفظًا؛ لالتقاء الساكنين في الدرج، وسقوطها خطًّا؛ حملًا للخطِّ على اللفظ. انظر: «منار الهدى في بيان الوقف والابتداء» للأشموني: ٢٤٩.

(٣) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٤) في (د): (متعلق بالضمير). يعني بـ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾. آية: ٢٨ من نفس السورة.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٣٩٧.

(٦) من قوله: (في الآية..) إلى (.. نفسه): ساقط من (ج).

(٧) ضعَّف أبو حيان نصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، وبـ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ في الآية التي قبلها؛ وذلك لأن الفاصل قد طال بين العامل والمعمول، ويضاف إليه في النصب =

السابقة؛ كأنه قال: ويحذِّرُكُم اللهُ نفسَهُ في ذلك اليوم(١).

قال أبو بكر: ولا يجوز أن يكون (اليوم) منصوباً بـ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾، المذكور في هذه الآية، لأن واو النَّسَقِ(٢) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

قال: ويجوز أن يكون (اليوم) متَّصلًا بـ﴿قَدِيرٌ﴾(٣) منصوباً به، والتأويل: (والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ في هذا اليوم).

وخصَّ هذا [اليوم](٤)، وإنْ كان غيرُه من الأيام بمنزلته في قدرة الله تعالى؛ تفضيلاً له؛ لِعِظَمِ شأنِه؛ كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾. يريد: بيان ما عملت؛ بما يرى من صحائف الحسنات. ويجوز أن يكون المعنى: جزاء ما عملت؛ بما يرى من الثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ﴾. الأظهر: أن تجعل ﴿مَآ﴾ ههنا بمنزلة (الذي)، فيكون معطوفاً على ﴿مَآ﴾ الأولى، ويكون ﴿عَمِلَتۡ﴾ صلةً لها. ويصلح أن تكون بمعنى: الجزاء فتكون مُسْتَأْنَفَةً. وكان الأجود؛ إذا

= بـ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾، أن التحذير موجود، واليوم موعود، فلا يلتقيان، فلا يصح عمل الفعل هنا. انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٦، «التبيان» للعكبري: ١/ ٢٥٢.

(١) أي: واو العطف.

(٢) في (ج): (تقديره). ويعني بـ﴿قَدِيرٌ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾. آية: ٢٩.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، (د).

(٤) وقيل إنَّ ﴿يَوۡمَ﴾ في آية سورة آل عمران، منصوب بفعل مضمرٍ، هو (اذكر) أو (اتَّقوا)، وقال الزمخشري: إنَّ ناصبه هو فعل ﴿تَوَدُّ﴾ الآتي بعده. وحول هذه الوجوه نقاش، انظره في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣١، «الكشاف» ١/ ٤٢٣، «الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٥٦٠، «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٦، «الدر المصون» ١/ ١١٤.

جعلت ﴿مَآ﴾ بمعنى الجزاء، أن تنصب ﴿تَوَدُّ﴾، أو تخفضه، ولَمْ يقرأ أحدٌ إلا رفعاً، فكان هذا دليلاً [على][(١)] أنَّ ﴿مَآ﴾ بمعنى (الذي)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدًاۗ﴾. معنى (الأمد): الغاية التي يُنتَهى إليها[(٣)].

قال مقاتل[(٤)]: أي: كما بين المشرق والمغرب.

وقال الحسن[(٥)]: يَسُر أحدَهم أن لا يلقى عملَهُ أبدا.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾. قد ذكرنا ما فيه[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾. قال الحسن[(٧)]: مِن رأفته بهم أن حذَّرهم نفسه.

٣١- قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك[(٨)]: وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب)، (ج).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٠٦، «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٣٢١، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٥٥، «الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٥٦١.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣١، «القاموس المحيط» ٣٣٩ (أمد).

(٤) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٧٠. ونصه عنده: (يعني: أجلًا بعيدًا بين المشرق والمغرب).

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٦ ب، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٩، ونسب إخراجه لابن المنذر كذلك.

(٦) ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ من آية: ٢٨.

(٧) قوله في «تفسير عبد الرزاق): ١/ ١١٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٣١، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٨٤.

(٨) قول ابن عباس، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٦ أ، «أسباب النزول» للواحدي: ١٠٥، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٧، «زاد المسير» ١/ ٣٧٣.

للأصنام، فقال: «**يا معشرَ قريش: والله لقد خالفتم ملَّة أبيكم إبراهيم!**». فقالت قريش: إنما نعبد هَٰذه حبًا لله؛ ليقربونا إلى الله. فقال الله: قل يا محمد: إن كنتم تُحبُّون الله وتعبدون الأصنامَ لِتُقَرِّبكم إلى الله فاتَّبعوني، يُحْبِبْكم اللهُ؛ فأنا رسوله إليكم، وحجَّتُه عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم[1].

وقال في رواية أبي صالح[2]: إنَّ اليهود لمَّا قالت: نحن أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤه، أنزل الله تعالى هذه الآية، فعرضها عليهم رسول الله ﷺ فأَبَوا أن

---

(١) هذه الرواية عن ابن عباس، من طريق جُويبر عن الضحاك عنه، كما في «تفسير الثعلبي» «أسباب النزول» للواحدي وجُويبر، هو: ابن سعيد، أبو القاسم البلخي: ضعيف جدًّا. انظر: «المجروحين» لابن حبان: ١/ ٢١٧، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٢/ ٥٤٠، «تقريب التهذيب» (٩٨٧).

(٢) هذه الرواية في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٧ أ «أسباب النزول» للواحدي ١٠٥.

(٣) هذه الرواية من طريق الكلبي عن أبي صالح. والكلبي - كما سبق - متَّهم بالكذب، وقد رُمي بالرفض، وقد قال لسفيان الثوري (كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب). انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ٢ (٧٥٧٤)، «تقريب التهذيب» (٥٩٠١)، وقد ورد في سبب نزول الآية سببان آخران:
الأول: ادِّعاء أقوام في عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله تعالى، فأنزل الله هذه الآية؛ ليبين لهم أن علامة حُبِّه هي: اتباع النبي ﷺ. وهو قول الحسن، وابن جريج.
الثاني: أنها نزلت رَدًّا على مزاعم النصارى في ادِّعائهم: أنَّ ما يقولونه عن عيسى عليه السلام إنما هو محبة لله وتعظيم له. فأخبرهم أن محبة الله تكون باتباع النبي ﷺ. وهو قول محمد بن جعفر بن الزبير.
ورجَّح الطبري هذا القول، قائلًا: (لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة، ولا قبل هذه الآية ذِكْرُ قوم ادَّعوا أنهم يحبُّون الله، ولا أنهم يُعَظِّمُونه)، ولم يجزم الطبري بصحة قول الحسن السابق، وبيَّن أنه ليس في السورة ما يدل عليه، إلا =

يقبلوها[(١)].

قال أهل العلم: معنى (مَحبَّة العبدِ لله): إرادته طاعته، وإيثاره أمره، ورضاه بشرائعه. ومعنى (مَحبَّة الله للعبد): إرادته لِثَوَابِهِ، وعفوه عنه،

= أن يراد بالقوم الذين ادَّعوا ذلك هم وفد نصارى نجران، فيكون القولان متَّفقين.
انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٢ .
وقال ابن عطية: (ويُحتمل أن تكون الآية عامة لأهل الكتاب: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانو يدَّعون أنهم يحبون الله، ويُحبهم، ألا ترى أنهم جميعًا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [١٨ المائدة] ولفظ ﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ إنما يعطي أن الله يحبهم، لكن يعلم أن مراده «ويحبوه»). انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٨٠.

(١) نقل القرطبي في تفسيره قريبًا من هذا القول عن الأزهري. انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٦٠، «فتح القدير» ١/ ٥٠١، «فتح البيان» ٢/ ٤٢ .
وما ذكره المؤلف هنا في محبة الله تعالى هو ما عليه مذهب الأشاعرة؛ حيث ينفون هذه الصفة، وغيرها من الصفات، عن الله تعالى ويعطلونها، ويفسِّرونها إذا وردت في القرآن والسنَّة بلوازمها ومقتضياتها، من إرادة الثواب للعبد والعفو عنه والإنعام عليه كما فعل المؤلف، فينفون حقيقة صفة الله، ويحرفونها ويؤوِّلونها؛ بدعوى أنها توهم النقص في الذات العلية؛ لأن المحبة عندهم، هي: ميل القلب إلى ما يلائم الطبع، وهذا من صفات المخلوق، والله منزَّه عن ذلك الأمر الذي دعاهم إلى تأويل صفة المحبة، وحملها على الإرادة كما فعل المؤلف .
والذي أوقع الأشاعرة في هذا الخطأ العقدي، هو قياسهم صفات الخالق على صفات المخلوق. ومن قواعد منهج السلف الصالح: أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن ذات الحق لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك صفاته .
ومن قواعدهم: أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر، فيثبت السلف جميع صفات الله، ويمرُّونها كما جاءت بما يليق بذاته العلِيَّة، ولا يُؤوِّلونها، ومنها: صفة المحبة. ويثبتون كذلك لوازمها من إرادة الله إكرام من يحبه وإثابته، فالله تعالى يُحِبُّ، ويُحَبُّ لذاته، وليس فقط لثوابه، كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥٤ المائدة]. =

وإنعامه عليه(١).

٣٢- قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ قيل: لمّا نزل(٢) قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، الآية، قال عبد الله بن أُبي(٣): إنَّ محمداً يجعل طاعتَه كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبَّت النصارى عيسى، فنزلت هذه الآية(٤) وبين فيها أنَّ طاعة الله معلقةٌ بطاعة الرسول، ولا يتمُّ لأحد طاعةُ الله، مع عصيان الرسول؛ ولهذا قال الشافعي ﷺ: كلُّ أمرٍ أو نهيٍ، ثبت عن رسول الله ﷺ، جرى ذلك في الفريضة واللزوم، مجرى ما أمر الله به

= وتأويل الأشاعرة ومنهم المؤلف لصفة المحبة بالإرادة، إنما هو حرْفٌ لحقيقة الصفة، وصرف لها عن وجهها الصحيح، ويقال لهم: إنَّ المعنى الذي صرفتم اللفظ إليه، هو نفس المعنى الذي صرفتموه عنه، فالإرادة، هي: ميل الإنسان إلى ما يلائمه، أو إلى ما ينفعه، ودفع ما يضره، وهي من صفات المخلوقين، والله منزَّه عن ذلك، فإن قال الأشاعرة: إرادة تليق به، قيل لهم: وكذلك له محبة، وصفات تليق به، فالسلامة والحكمة في منهج السلف.

انظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني ١/ ٢٢١ وما بعدها، «شرح العقيدة الواسطية» محمد هراس ٤٥، «التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية» لفالح آل مهدي: ١/ ٤٧، «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» للسلمان ١٨٣.

(١) في (ب): (نزلت).

(٢) هو: عبد الله بن أبَيّ بن سَلُول، العَوْفي الخزرجي. رأس المنافقين بالمدينة، وكان سَيِّد أهل المدينة قبل هجرة النبي ﷺ إليها، وقد اجتمعت الأوس والخزرج على أن يُتَوِّجوه عليهم مَلِكًا، فجاء الإسلامُ وهدى الله الحَيَّيْن له، ففَرَط منه هذا الشرفُ، فدخل في الإسلام مُكرَها، وأبطن النفاق والضَّغينة. انظر أخباره في «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٣، ٢٣٤، ٢٣٦-٢٣٨، ٣/ ٥١-٥٣، ٦٨، ٢٠٠، ٣٠٣.

(٣) ورد هذا الأثر في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٧ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٢٧، «زاد المسير» ١/ ٣٧٣-٣٧٤، وقال: (هذا قول ابن عباس)، كما ذكره الرازي ٨/ ٢٠.

(٤) لم أجد نصَّ قول الشافعي، فيما اطلعت عليه من مصادر، ولكن وردت أقوال =

في كتابه، ونهى عنه(١).

قال عطاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾، يريد: محمداً ﷺ، فإن طاعتكم [لمحمدٍ طاعةٌ(٢)](٣) لي، فأما أن تطيعوني وتعصوا محمداً، فلن أقبل طاعتكم(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. قال الزَّجَّاج(٥): أي(٦): فإنَّ الله لا يحبهم(٧)؛ لأن من تَوَلَّى عن النبي ﷺ، فقد تَوَلَّى عن الله ﷻ. ومعنى ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا يغفر لهم، ولا يُثْنِي عليهم خيراً(٨).

٣٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ معنى (اصطفى) في اللغة: اختار. وتأويله: جعلهم صفوة خَلْقِه(٩).

= كثيرة له تدل على هذا المعنى. انظر: «الرسالة» للشافعي ٧٣، ٧٦، ٧٨، ٨٤، ٨٥، ٨٨، «أحكام القرآن» للشافعي، (جامع البيهقي): ١/ ٢٨.

(١) في (ج): (طاعتكم).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٣) لم أهتد إلى مصدر هذه الرواية.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٩٨.

(٥) (أي): ساقطة من (د).

(٦) في (ج): (لا يحبكم).

(٧) هذا من تمام قول الزجاج، وقد سبق أن بيَّنت أن عدم المغفرة، وعدم الثناء بالخير عليهم، إنَّما هو من لوازم، ومُقتضيات عدم المحبة، وليس هو حقيقة عدم المحبة، وحقيقة ذلك وكنهه وكيفيَّته، لا تحيط بها عقولنا، ونكلها إلى الحق ﷻ.

(٨) نقله عن «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٣٩٩، وانظر: «تهذيب اللغة» ١٢/ ٢٤٩ (صفو).

(٩) ممن قال بذلك الزجاج في المصدر السابق. ومن قوله: (هذا تمثيل ..) إلى (.. والرسالة على عالمي زمانهم): نقله بالمعنى من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٩٩.

قال أهل المعاني[١]: هذا تمثيل المعلومِ بالمرئيِّ، والعرب تفعل ذلك، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم، كان عنده بمنزلة ما يشاهده عَياناً؛ وذلك أن الصافي هو: النَّقيُّ من شائب الكَدَر فيما يُشاهَد. فمُثِّلَ به خُلُوص هؤلاء القوم من الدنس؛ لأنهم خلصوا كخلوص[٢] الصافي من شائب الأدناس. وقيل في معنى (اصطفائه إيَّاهم)، قولان:

أحدهما: اصطفى دينهم على سائر الأديان؛ لأن دين الجماعة الإسلامُ، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا اختيار الفرَّاء، قال[٣]: وهو من باب حذف المضاف، كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

القول الثاني: أنه اصطفاهم بالنبوَّة والرسالة، على عالمي زمانهم. وأراد بـ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط[٤].

---

(١) في (ج) و(د): (الخلوص).

(٢) في «معاني القرآن» ٢/ ٢٠٧، وهو اختيار الطبري كذلك في «تفسيره» ٣/ ٢٣٢.

(٣) هذا قول ابن عباس ومقاتل، وفي روايةٍ عن ابن عباس والحسن: أنه من كان على دينه. قال البخاري: (قال ابن عباس: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ المؤمنين من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ﷺ، يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وهم المؤمنون). «الصحيح» ٤/ ١٣٨ كتاب الأنبياء. باب: ٤٤. وقيل: هو نفسه. انظر: «وضح البرهان» للنيسابوري: ١/ ٢٣٨، «زاد المسير» ١/ ٣٧٤، «تفسير القرطبي» ٤/ ٦٢، «كشف المعاني» لابن جماعة: ١٢٧، «الدر المنثور» ٢/ ٣٠، وتفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة: ١/ ١٦٥. ومردُّ الخلاف: في ذلك إلى الـ(آل)، وهل هي تعني: الأهل والقرابة؟ أم الأتباع سواءً كانوا قرابة أو غيرهم ؟ أم تعني: الرجل نفسه؟ والمسألة فيها خلاف، ولكلٍّ قولٍ دليله. انظر: «اللسان» ١/ ١٧١ (أول).

(٤) وهو قول ابن عباس ومقاتل، وممن ذهب إليه الكرماني وابن جماعة. وقيل: =

وبـ﴿وَءَالَ عِمْرَانَ﴾: موسى وهارون[١]. قالوا: وإنما خصَّ هؤلاء بالذكر؛ لأنَّ الأنبياء بأسرهم من نسلهم.

وقوله تعالى: ﴿على العالمين﴾. قال صاحب «النَّظْم»: ظاهر هذا اللفظ على العموم، وتأويله على الخصوص؛ لأنه يتضمَّنُ أخباراً منفصلاً بعضها من بعض، وأُجْمِلَت في الإخبار عنها؛ لأنه ﷻ إنْ كان عنى بالاصطفاء: أولادَ آدم، فمن سواه من العالمين الذين فُضِّل عليهم قد خرجوا من أن يكون لهم على العالمين فضل؛ لأن آدم من جملة العالمين، و كذلك نوحٌ، وإبراهيم، وآل عمران، إذا دخل أحد هؤلاء في التفضيل خرج الآخرون منه[٢]؛ لأن كلاً من (العالَمين).

فتأويل ذلك: أنَّ الله اصطفى كلاً منهم على عالَم لا يدخله من قد فُضِّل منهم على عالَم آخر، كما جاء في التفسير: على عالَمي زمانهم.

٣٤- قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ قال أبو إسحاق[٣]: المعنى

= عيسى وأمه. و(عمران) والد مريم أم عيسى ﵇، وقال به الحسن وابن وهب. وقيل: هو نفسه، ورجَّح ابن جزي أن المعنيَّ بـ(عمران) هو: والد مريم؛ لِذِكْر قصَّتِها بعد ذلك في السورة، وممن ذهب إلى ذلك: أبو حيان، والسهيلي، والبلنسي، وابن كثير، والآلوسي، والقاسمي. انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٦٣، «تفسير ابن جزي» ٧٨، «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٥١، «وضح البرهان» ١/ ٢٣٨، «كشف المعاني» ١٢٧، «تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ١/ ٢٧٩، «البحر المحيط» لأبي حيان ٢/ ٤٣٤، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٤، «روح المعاني» ٣/ ١٣١، «محاسن التأويل» ٤/ ٢٨٩.

(١) في (ب): (منهم).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٣٩٩.

(٣) والمُبدَل منه، فيه ثلاثة أقوال: =

اصطفى ذرِّيَةً بعضها من بعض؛ فيكون نصب (ذريةً) على البدل[١]، وجائز[٢] أن ينتصب[٣] على الحال، المعنى: اصطفاهم في حال كون بعضهم مِن بعض[٤].

وقوله: ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ﴾ فيه قولان: أحدهما: بعضها من ولد بعض؛ لأنَّ الجميع[٥] ذُرِّية آدمَ ثم ذُرِّية نوح[٦].

الثاني: (بعضها [من بعض)][٧]؛ أي: في التناصر[٨] في الدين[٩]، فيكون المعنى: أنَّ بعضها يوالي[١٠] بعضاً، ولا يَتَبَرَّأُ بعضهم من بعض، كما يتبرأ الكافرون؛ ألا تراه[١١] قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ

= قيل: مُبدَل من (آدم). ولم يرتض هذا العكبري، قائلا: (لأنه ليس بذرية).
وقيل: مبدل من (نوح). وإليه ذهب العكبري.
وقيل: مبدل من (آل إبراهيم وآل عمران). وبه قال الزمخشري.
انظر: «الكشاف» ١/ ٤٢٤، «التبيان» للعكبري: ١/ ١٨٤.

(١) في (ب): (وجاز)، وفي «معاني القرآن» (وجائزًا).
(٢) في (ج): (ينصب)، وهكذا هي في «معاني القرآن».
(٣) وجوز الهمداني رفعها، على تقدير: تلك ذرية. انظر: «الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٥٦٣.
(٤) في (ب): (الأول).
(٥) أورد هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٣٨٦، وعزاه لبعض المتأخرين دون أن يُعيِّنْ، وأورده ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٧٥ وقال: (ذكره بعض أهل التفسير).
(٦) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.
(٧) في (ب): (التباصر).
(٨) وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة. انظر المصادر السابقة.
(٩) في (ب): (توافي).
(١٠) (ألا تراه): ساقط من (ج).

ٱتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

فقوله: ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: هم على غير صفة الكافرين؛ لأنهم إخوان متوالون[1]، وهذا كقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أي: بعضهم يُلابس[2] بعضاً، ويوالي بعضاً وليس المعنى: على النسل والولادة؛ [لأنه قد يكون من نَسْلِ][3] المنافقِ مُؤمنٌ، ومِنْ نَسْلِ المؤمنِ مُنافقٌ. قال عُبَيْد الرَّاعي[4]:

فَقلتُ ما أنا مِمَّن لا يُواصِلُنِي ولا ثَوائِيَ[5] إلاَّ رَيْثَ أحْتَمِلُ[6].

أي: لا [أُلابس مَنْ لا][7] يواصلني، ولا أُواليهِ.

والعرب تقول: (هو مِنْ بني فلان)؛ إذا كان يواليهم ويُلابسهم، وإن

---

(١) في (ب): (لما يتوالون)، بدلًا من إخوان متوالون.

(٢) أي: يخالط، وقد سبق بيانها.

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، والمثبت من بقية النسخ.

(٤) هو: أبو جندل، عبيد بن حُصين بن معاوية النُّمَيْري، تقدم ٢/ ٣١٨.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٠٢، «الشعر والشعراء» ص٢٦٥، «شرح شواهد المغني» ١/ ٣٣٦.

(٥) في (ب): (رأي). (أ)، (ج) ثواي. والمثبت من: الديوان، ومصادر البيت.

(٦) البيت في: «ديوانه» ١٩٧. وقد ورد منسوبًا له في «الحجة» للفارسي ١/ ١٧٣، إلا أنه لم يجزم بنسبته إليه، بل قال: (أظنه الراعي). و«أساس البلاغة» ١/ ٣٨٨، و«المقاصد النحوية» للعيني ٢/ ٣٣٦. وورد في «المقاصد النحوية» (يوافقني) بدلًا من: (يواصلني)، وورد في «أساس البلاغة» (وما) بدلًا من: (ولا). وورد في الديوان، وبقية المصادر: (أرتحل) بدلًا من: (أحتمل).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، وفي(ب): (أنا ممن لا)، والمثبت من: (ج)، (د)؛ لأنها أقرب لما ذكره المؤلف من قبل.

(٨) الذي في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٨أ: (وقال أبو روق: بعضها على دين بعض). وأبو رَوْق، هو: عَطِيّة بن الحارث الهَمْداني الكوفي تقدم.

لم يكن من نسلهم. وهذا القول يُحكى معناه عن أبي رَوْق[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. قال عطاء عن ابن عباس[٢]: هذا مخاطبة لليهود الذين قالوا: نحن أبناءُ الله وأحبَّاؤه، وأبناء[٣] الأنبياء الذين اصطفاهم. فأنزل فيهم قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، الآيات إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ويريد: ﴿سَمِيعٌ﴾ لقولكم الذي تقولون: إنكم من ولد إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ومن آل عمران. وإنَّما فضَّلت أولئك، ورفعتهم واصطفيتهم؛ بطاعتهم، ولو عصوني، لأنزلتهم منازل العاصين. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم من تكذيب محمد، وعصيانه، بعد إقراركم بالتوراة، وتصديقكم بما فيها من صفته.

وذكر أهل المعاني في هذا قولين آخرين:

أحدهما: أنَّ المعنى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقوله (الذرية) المصطفاة. ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضمره[٤]؛ فلذلك فضلها على غيرها، لما في معلومه من استقامتها في فعلها وقولها[٥].

القول الثاني: أنَّ هذه الآية تتصل بما بعدها، تقديرها: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما تقوله امرأة عمران، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تضمره، إذْ قالتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾

---

(١) لم أهتد إلى مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء، والذي عثرت عليه هو ما سبق من رواية أبي صالح عنه في هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾، آية: ٣١، وقد سبق الكلام على هذه الرواية.

(٢) في (ب): (وأما).

(٣) والذُرِّيَّة: تأتي مذكرًا ومؤنثًا ومفردًا وجمعًا، ولذا جاء هنا تذكير الضمائر. انظر تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا﴾ من آية: ٣٨. من هذه السورة.

(٤) لم أهتد إلى قائل هذا القول ولكن ورد مثل هذا القول في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٣٦ عن ابن إسحاق، حيث قال: (أي: سميع لما يقولون، .. عليم بما يخفون).

[آل عمران: ٣٥]، الآية، وفيه إشارة إلى أنه لا يضيع لها شيء من جزاء عملها[1].

٣٥- قوله تعالى[2]: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾. اختلف النحويون في وجه ﴿إِذْ﴾ ههنا: فزعم أبو عبيدة[3] أنها زائدة، لَغْوٌ؛ والمَعنى: (قالت امرأة عمران)، ولا موضع لها من الإعراب[4].

قال الزَّجاج[5]: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً؛ لأن (إذ) تدل على ما مضى من الزمان، وكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغواً.

وقال ابن الأنباري[6] منكراً لهذا القول أيضاً[7]: إنَّا لا نُلغي حرفاً من

---

(١) وهذا قول الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٥.

(٢) في (د): (عز وجل).

(٣) في «مجاز القرآن» ١/ ٩٠.

(٤) وكذا قال ابن قتيبة بأنها زائدة. انظر: «تفسير غريب القرآن» له ١٠٣.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٠، نقله عنه بتصرف يسير.

(٦) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٧) (أيضًا): ساقطة من (د).

(٨) اختلف أهل النحو والتفسير في وقوع الزوائد في القرآن؛ بين مانع لذلك، وبين مُجوِّز. فمن المانعين: المبرد، وثعلب، وداود الظاهري، وابن السَّرّاج، الذي رفض أن يكون في لغة العرب زوائد. وهناك من جوز ذلك، فرأى أن وجود هذه الزوائد كعدمها، وقال الزركشي عن هذا الرأي: (وهذا أفسد الطرق) «البرهان» ٣/ ٧٣. وأكثر النحويين على أن في القرآن حروفًا زوائد، ولكن من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى؛ حيث إن لهذه الزوائد فوائد كثيرة منها: فصاحة اللفظ وحسنه، وتوكيد المعنى، وتمييز مدلوله عن غيره، إلى غير ذلك. وهذا ما تميل إليه النفس. قال السمين الحلبي عن القائلين بزيادة بعض الحروف: (لا يعنون أنه يجوز سقوطه، ولا أنه مُهْمَل لا معنى له. بل يقولون: زائدٌ للتوكيد. فله أسوة بسائر =

كتاب الله ﷻ إذا وجدنا سبيلاً إلى أن لا يكون مُلغىً[١].

قال الأخفش، والمبرِّد[٢]: المعنى: (اذكر إذ قالت امرأة عمران). وقد[٣] مضى مثل هذا كثيراً.

وقال أبو إسحاق[٤]: المعنى عندي: (واصطفى آل عمران ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾)[٥]. فالعامل في ﴿إِذْ﴾: معنى الاصطفاء[٦].

وأنكر أبو بكر هذا، وقال: الله تعالى قَرَنَ اصطفاءه [آل عمران][٧] باصطفائه آدم ونوحاً، واصطفاؤه آدم ونوحاً قبل قول إمرأة عمران. وأيضاً فإن (عمران) هذا غير عمران المذكور في قوله: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾، لأنه[٨]

= ألفاظ التوكيد الواقعة في القرآن). «الدر المصون» ٣/ ٤٦٢.

ولقد تَحرَّجَ كثيرٌ من العلماء من القائلين بوقوع الزيادة في القرآن من إطلاق لفظ (زائد) أو (مكرر)؛ لما له من مدلول لا يتفق وإحكام كتاب الله، واستخدموا محله لفظ (الصلة) و(الإقحام) و(التأكيد). انظر للتوسع في معرفة آراء العلماء في ذلك «البرهان» ٢/ ١٧٨، ٣/ ٧٢-٧٣، ١/ ٣٠٥، «التأويل النحوي في القرآن» د. عبد الفتاح الحموز: ٢/ ١٢٧٧-١٢٧٩، «لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن» د. فضل عباس: ٥٧ وما بعدها.

(١) قولهما، في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٠، «الإغفال» للفارسي ٥٦٦.

(٢) من قوله: (وقد ..) إلى: (.. إذ قالت امرأة عمران): ساقط من (د).

(٣) هو الزجاج، في: المصدر السابق: نقله عنه باختصار.

(٤) (إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ): ساقط من (ج).

(٥) يعني: أنَّ قولها ذلك، ونذرها ما في بطنها لله، وقبول الله لنذرها، كل هذا يُعَدُّ اصطفاءً وتفضيلًا لآل عمران.

(٦) ما بين المعقوفين مطموس في: (أ). والمثبت من بقية النُّسخ.

(٧) في (ج) و(د): (لأن).

(٨) في (ب)، (ج): (مانان). وفي (د): (ماثان). وكذا ورد في «المعارف» لابن =

عمران أبو موسى وهارون، وهذا عمران بن ماتان[١]، وبينهما ألف وثمانمائة سنة. كذلك ذكره ابن عبّاس[٢]، ومقاتل[٣].

وذكرنا أيضاً عن بعض أهل المعاني أن هذه الآية متصلة بما قبلها، فيكون العاملُ في ﴿إِذْ﴾ على هذا القول: معنى قوله ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ هي: حَنَّةُ[٤]، أمُّ مريمَ، جَدَّةُ عيسى ﷺ، دعت الله أنْ يَهَبَ لها ولداً، وقالت: اللّهم لك عَلَيَّ إن رزقتني ولداً، أن أتصدق به على بيت المقدس، فيكون من[٥] سَدَنَتِه[٦] وخَدَمِه، شكراً لك. وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذورهم، وكان الرجل ينذُرُ في ولده أن يكون خادماً في مُتعَبَّدِهم[٧].

وقوله تعالى: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ معنى ﴿نَذَرْتُ﴾:

= قتيبة: ٥٢، وفي «تاريخ الطبري» ١/ ٧٨٥. وينقل الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٥، و«تاريخه» ١/ ٥٨٥ عن ابن إسحاق أن اسمه: (عمران بن ياشهم)، وفي «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٨ (أ)، (ب) (عمران بن أشهم)، ينقله عن الحسن وابن وهب وابن إسحاق، وكذا في «تفسير البغوي» ٢/ ٢٨.

(١) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٨ ب، «زاد المسير» ١/ ٣٧٦، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢، ونسب إخراجه لإسحاق بن بشر، وابن عساكر.

(٢) قوله، في «تفسيره» ١/ ٢٧١.

(٣) بنت فاقود وقيل: فاقوذ بن قبيل. انظر: «تاريخ الطبري» ١/ ٥٨٥، وتفسير مبهات القرآن، للبلنسي ١/ ٢٧٩.

(٤) في (ج): (عن).

(٥) السَّدَنة، جمع: سادِن، وهو: الذي يقوم على خدمة بيت العبادة. انظر: «القاموس» ١٥٥٥ (سدن).

(٦) انظر قصَّتها في: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٥، «تفسير الفخر الرازي» ٨/ ٢٥، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢.

(٧) ما بين المعقوفين في جميع النسخ: (أوفيت)، ولم أر لها وجهًا، وما أثبته هو =

[أَوْجَبتُ][١] .

والنذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه بِشَرِيطة كان، أو بغير شَرِيطة[٢].

قال أهل اللغة: معنى النَّذْر: استدفاع المَخُوفِ، بما يُعقَد على النفس

= ما رجَّحتُ صوابه؛ لدلالة المعنى اللغوي للكلمة، كما ذكره المؤلف بعدها، وهو: ما يوجبه الإنسان على نفسه..، وفي «تهذيب اللغة» (إنما قيل له نذر؛ لأنه نُذِر فيه؛ أي: أوجِبَ، من قولك: (نذرت على نفسي)؛ أي: أَوْجَبْتُ). ٤/ ٣٥٤٦ (نذر). وكذا في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٩أ؛ حيث فسرها بـ(أوجبت)، وكذا في بقية كتب اللغة. انظر (نذر) في «مفردات ألفاظ القرآن» ٧٩٧، والتعريفات، للجرجاني: ٤٢٠، «اللسان» (نذر) ٧/ ٤٣٩٠، «عمدة الحفاظ» ٥٦٩، «التوقيف على مهمات التعارف» ٦٩٤-٦٩٥. وقد يكون مرد الخطأ، إلى اللبس في قراءة الأصل الذي انتُسِخت منه النسخ؛ نظرًا لتقارب الكلمتين في الرسم.

(١) هذا التعريف ذكره الثعلبي في: «تفسيرْ»: ٣/ ٣٩ أ. وقوله: (بشَريطة)؛ أي: أنْ يكون النذرُ مُعلَّقًا على شرط؛ كأن يقول: (إن شفى الله مريضي، فعلي أن أتصدق). وأما قوله: (بغير شَرِيطة)، فيعني به النذرَ المُطلَق غير المشروط، كأن يقول: (لله علي أن أتصدق بدينار).

وبهذين النَّوْعَيْن من النذر، قال الشافعيةُ والمؤلف منهم، والحنابلة، وأهل العراق، وأكثر أهل العلم، وأوجبوا الكفارة عند عدم الالتزام. انظر: «فتح الوهاب» للنووي: ٢٠٤، «مغني المحتاج» للشربيني ٤/ ٣٥٦، «المغني» لابن قدامة: ١٣/ ٦٢٢-٦٢٣.

ويرى ابن عرفة أن النذر: هو ما كان وعدًا بِشَرْط، وما ليس وعدًا بشرطٍ، فليس بنذر. وهو قولُ أبي عمرو (غلام ثعلب)، وبه قال: أبو البقاء، وفي (الكليات)، وإليه ذهب بعض أصحاب الشافعي. إلا أن الراجح هو الأول. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٦-٣٥٤٧ (نذر)، «الكليات» لأبي البقاء (نذر): ٩١٢، «المغني» لابن قدامة ١٣/ ٦٢٣.

(٢) وفي «مقاييس اللغة» ٥/ ٤١٤ ويقول عن (نذر): (.. كلمة تدل على تخويف، أو تخوُّف، ومنه الإنذار: الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف).

وفي «تهذيب اللغة» (الإنذار: الإعلام بالشيء الذي يُحذر منه) ٤/ ٣٥٤٧ (نذر).

من عمل البِرِّ. وأصله، من: الإنذار، وهو: الإعلام بموضع المخافة[١].

وانتصب ﴿مُحَرَّرًا﴾ على الحال من ﴿مَآ﴾؛ تقديره: نذرت لك الذي في بطني محرراً[٢].

وقال ابن قتيبة[٣]: أرادت نذرت لك أن أجعل[٤] ما في بطني محرراً، أي: عتيقاً[٥] خالصاً لله، خادماً للكنيسة، مفرغاً للعبادة ولخدمة الكنيسة. وكل ما أُخْلِصَ فهو مُحَرَّر. يقال: (حرَّرتُ العبدَ). إذا أعتقته، و(حَرَّرْتُ الكتابَ) إذا أصلحته، وأخلصته، فلم يبق فيه ما يحتاج إلى إصلاحه[٦].

و(رجل حُرٌّ): إذا كان خالصاً لنفسه، ليس لأحد عليه مُتَعَلَّق. و(الطينُ الحُرُّ): الذي خَلَصَ من الرملِ والحَمْأَةِ[٧] والعيوب.

---

(١) وقيل في علة النصب: إنه حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور، ﴿فِي بَطْنِي﴾، والعامل فيه، هو: (استقر)، وبه قال الطبري. وقيل: انتصب على المصدر، ويكون فيه حينها حذفُ مضاف، تقديره: (نذرت .. نذرَ تحرير)، أو انتصابه على ما تضمنه ﴿نَذَرْتُ لَكَ﴾ من معنًى، وهو: (حرَّرْتُ لك ما في بطني تحريرًا).
وقيل: نصب على أنه نعت مفعول محذوف؛ أي: (.. غلامًا محررًا). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٥، «الدر المصون» ٣/ ١٣٠، «الفريد في إعراب القرآن» ١/ ٥٦٤، «روح المعاني» ٣/ ١٣٤.

(٢) في «تفسير غريب القرآن» له: ١٠٣.

(٣) في (د): (نجعل).

(٤) من قوله: (عتيقا ..) إلى (.. والحمأة والعيوب): نقله مع اختصار قليل عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٣٩ أ.

(٥) في (ج)، (د) (إصلاح).

(٦) في (د): الحمأ. والحَمْأة، والحَمَأ: الطين الأسود المنتن. انظر (حمأ) في «الصحاح» ٤٥، «اللسان» ٢/ ٩٨٦.

(٧) (معنى التقبل): ساقط من (ج).

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾. معنى التَّقَبُّلِ[١]: أخذُ الشيءِ على الرِضى[٢] به[٣]. وأصله، من: المقابلة؛ لأنه يقابل بالجزاء ما يؤخذ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾. أي: لدعاي[٤]. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلبي.

٣٦- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾. قال المفسرون[٥]: هلك عمرانُ أبو مريمَ، وامرأته (حَنَّة) حاملٌ[٦] بمريمَ، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾؛ أي: ولدتها. و(الهاء): راجعة إلى ﴿مَآ﴾، في قوله: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى﴾، و(ما)

---

(١) في (ج)، (د): (الرضا). والأصل في كتابتها أن ترسم بالألف الممدودة؛ لأنها اسم ثلاثي منقلب ألفه عن واو، وهو مذهب البصريين، وما أثْبَتُّه صحيح على رأي الكوفيين الذين يكتبون ما كان على وزن (فعَل) بالياء، سواء كان أصل الألف ياءً أم واوًا. قال الفراء: (الحِمَا والرِّضَا، يكتبان بالألف والياء؛ لأن الكسائي سمع العرب تقول: حِمَوان ورِضَوان، وحِمَيان، ورِضَيان). انظر: «المنقوص والممدود» للفراء (تح: عبد العزيز الميمني): ٣٣.
وفي «إصلاح المنطق» ١٣٩: (ويقال: كان مَرضِيًا ومَرضُوًّا). وانظر: «باب الهجاء» لابن الدهان: ٢٩.

(٢) انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥١٦ (قبل).

(٣) في (د): (دعائي).

(٤) ممن ذكر ذلك: الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٥ يرويه عن ابن إسحاق، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٣٩ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٠، ونسبه للكلبي عن ابن إسحاق.

(٥) في (ب): (كامل).

(٦) وقيل: إن (الهاء) تعود على: النذيرة، أو النسمة، أو النفس، وهي ألفاظ مؤنثة، ولذا أنَّث الضمير. وهو رأي الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٧، والثعلبي: ٣/ ٣٩ ب، وانظر: «الكشاف» ١/ ٤٢٥.

يقع على المؤنث، وقوعُهُ على المُذَكَّر[(١)]، وكان ما في بطنها، أُنْثى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾. اعتذار منها إلى الله حين فعلت ما لا يجوز من تحرير الأنثى للكنيسة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. قُرِئ بإسكان التَّاء وضمها[(٣)]: فمن[(٤)] ضم التاء؛ جعل هذا من كلام أمِّ مريم، وهو كقول القائل: (ربِّ قد كان كذا وكذا، وأنت أعلم بما كان). ليس يريد بقوله: (ربِّ قد كان كذا)، إعلام الله سبحانه [وتعالى][(٥)]، ولكنه كالخضوع منه، والاستسلام لله تعالى؛ لذلك قالت: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[(٦)]، لأنها لم

---

(١) هذا قول السدي؛ كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٣٧، «زاد المسير» ١/ ٣٧٧. وقيل: إنها قالته على سبيل التَّحسُّر، والتلهف على ما فاتها من رجائها وتقديرها. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٨٨، «الكشاف» ١/ ٤٢٥، «البحر» ٢/ ٤٣٨. وإليه مال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٣٧، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٣٩ ب، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٣٠.

(٢) وردت القراءة بإسكان التاء وفتح العين في (وَضَعَتْ)، عن: عاصم برواية حفص والمفضل عنه، وابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وحمزة، والكسائي. أما القراءة بضم التاء وإسكان العين: (وَضَعْتُ)، فقد وردت عن: عاصم برواية أبي بكر، وعن ابن عامر، ويعقوب، وأبي رجاء، وإبراهيم النخعي. انظر: «السبعة» ٢٠٤، «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٥٧٥، «القطع والائتناف» للنحاس: ٢٢١، «التيسير» ٨٧، «النشر» ٢/ ٢٣٩.

(٣) من قوله: (فمن ..) إلى: (.. بما وضعت): نقله بتصرف واختصار عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٤.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(٥) في (أ): وضَعَتْ، وفي بقية النسخ، غير مضبوطة بالشكل، والصواب ما أثبته لتناسبها مع سياق الكلام.

ترد بقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾، إخبارًا لله تعالى.

ومن قرأ بإسكان التَّاء وهو أَجْوَدُ القراءتين، كان قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾، مِن[١] كلام الله تعالى، ولو كان من قول أمِّ مريم، لكان: (وأنت أعلم بما وَضَعْتُ)؛ لأنها تخاطب الله سبحانه [وتعالى][٢]؛ ولأنها قد قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾، [فليست][٣] تحتاج[٤] بعد هذا [القول][٥] أن تقول: والله أعلم بما وضعْتُ[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾. أي: في خِدْمَة الكنيسة والعِبَّادِ الذين فيها؛ لما يلحقها من الحَيْضِ والنفاس، والصيانة عن التَّبَرُّج [للناس][٧].

قال عبد الله بن مُسْلِم[٨]: قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، مؤخَّرٌ، معناه التقديم على قراءة العامة كأنه قال: إنِّي وضَعتها أُنثى وليس الذكر كالأنثى؛ لأنه من قول أمِّ مريم[٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾. يقال: (عاذ فلانٌ بالله)؛ أي: التجأ

---

(١) من قوله: (كلام ..) إلى (وأنت أعلم بما وضعتُ): ساقط من: (ج)، (د).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د)، «الحجة» للفارسي.

(٤) في (ب): (يحتاج).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (د)، وليست موجودة في «الحجة» للفارسي.

(٦) انظر: «الحجة» لابن خالويه ١٠٨، «الكشف» لمكي ١/ ٣٤٠.

(٧) ما بين المعقوفين من: (ج)، (د).

(٨) هو ابن قتيبة، في «تفسير غريب القرآن» ١٠٤، نقله المؤلف عنه بالمعنى.

(٩) أما على القراءة الأخرى (.. وضَعْتُ) بضم التاء، فليس فيه تقديم ولا تأخير. انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٨٧.

إليه، وامتنع به، فأعاذه؛ أي: أجارَهُ، ومنعه[1]. فمعنى: ﴿أُعِيذُهَا بِكَ﴾؛ أي: أمنعها، وأجيرها بك.

وذكرنا معنى (العوذ) في قوله: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2][3] [البقرة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. أي: المطرود، المَرْمِيِّ[4] بالشُّهُبِ. وقال ابن عباس: ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: الملعون[5]. ويجوز أن يكون ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾؛ بمعنى: المسبوب المشتوم[6]. وذكرنا معاني (الرَّجْمِ) في سورة الحِجْر عند قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]. ومعنى هذه الإعاذة، وإجابة الله تعالى إيَّاها إلى ما سألت؛ هو: ما رواه أبو هريرة: أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما من مولود، إلاَّ والشيطان يَمَسُّهُ حين يُولَد، فيستَهِلُّ صارخاً من مَسِّ الشيطان إيّاه، إلا مريمَ وابنَها**»، ثمَّ يقول أبو هريرة: (اقرأوا

---

(١) انظر (عوذ) في: «العين» ٢٢٩، «الصحاح» ٢/ ٥٦٦، «مقاييس اللغة» ٤/ ١٨٣ ١٨٤.

(٢) (قال): ساقطة من (د)

(٣) وانظر: «تفسير البسيط» ٣/ ١٠ .

(٤) في (ب): (الرمي).

(٥) لم أهتد إلى مصدر هذا القول عن ابن عباس، والذي عثرت عليه، أنه من قول قتادة، كما في «زاد المسير» ١/ ٣٣٧، «الدر المنثور» ٥/ ٦٩ ونسب إخراجه لعبد ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) من معاني الرَّجْمِ في اللغة: الرمي بالحجارة، والقتل، والسب والشتم، واللعن. وينقل الأزهري عن ابن الأنباري، قوله: (والرجيم في نعت الشيطان: المرجوم بالنجوم، فصُرِف إلى (فَعِيل) من (مفعول). قال: ويكون الرجيم، بمعنى: المشتوم المسبوب، من قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [٤٦ سورة مريم]؛ أي: لأسبنَّك. قال: ويكون الرجيم، بمعنى: المطرود. قال: وهو قول أهل التفسير). «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٧٥ (رجم)، وانظر: «القاموس المحيط» ١١١١ (رجم).

إنْ شِئْتُم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾)[1].

٣٧- **قوله تعالى**: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ التَّقبُّلُ، والقَبُولُ، معناهما سواء، وهو: أن ترضى بالشيء، وتأخذه؛ ولهذا قال: ﴿بِقَبُولٍ﴾، ولم يقل: (بتَقَبُّلٍ)؛ لأن معناهما واحدٌ.

قال الفراء[2]: والعرب قد تترك المصدر للفعل المذكور، وتأتي بمصدر آخر في معنى الأول، وإن اختلف بالزيادة والنقصان؛ كقولك: (تكلَّمْتُ كلاما). وهذا النوع يقال له المصدر على غير المصدر.

وذكرنا هذا عند قوله: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

والقَبُول: مصدر قولهم: (قَبِلَ فلانٌ الشيءَ): إذا رضِيَهُ.

قال أبو عمرو بن العَلاء[3]: وليس في المصادر (فَعُولٌ) بفتح الفاء،

---

(١) الحديث، أخرجه البخاري في: الصحيح: ٥/ ١٦٦ كتاب التفسير سورة آل عمران، ٤/ ١٣٨ كتاب الأنبياء، باب: ٤٤. ومسلم في «الصحيح» ٤/ ١٨٣٨ رقمه = = (٢٣٦٦) كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام. وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٧٤ (وانظر: «الفتح الرباني» ٢٠/ ١٣٢، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١١٩، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٤٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٣٨، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٣٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٢. وورد الحديث بألفاظ أخرى من طرق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣٣٦ ٣٤٠، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢. واستهلال الصبي: رفع صوته بالبكاء عند ولادته. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٥/ ٢٧١، «القاموس» (١٠٧٢) (هلل).

(٢) لم أهتد إلى مصدر قوله.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤١، وفي مادة (قبل) في «الصحاح» ٥/ ١٧٩٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٠ ب، «اللسان» ١١/ ٥٤٠، ونصه كما في «الصحاح»: (وحكى اليزيدي عن أبي عمرو بن العلاء: (القَبُول) بالفتح مصدر، ولم أسمع غيره.

إلاَّ هذا، قال: ولم أسمع فيه الضَّمَّ.

وقال سيبويه[١]:

خمسة[٢] مصادر، جاءت على (فَعُول): (قَبُولٌ)، و(وَضُوءٌ)[٣]، و(طَهُورٌ)، و(وَلُوعٌ)، و(وَقُود)، إلاَّ أنَّ الأكثر في (وَقُود)[٤] إذا كان مصدراً[٥] الضَّم. وأجاز الفرَّاء[٦]، والزجَّاج[٧] (قُبُولاً) بالضَّمِّ.

ثَعْلَب، عن ابن الأعرابي[٨]: يقال: قَبِلْتُهُ (قَبُولاً)، و(قُبُولاً)[٩]، و(على وجهِهِ قَبُولٌ)، لا غير[١٠]، قال الشاعر:

---

(١) في «الكتاب» ٤/ ٤٢ نقله عنه بالمعنى، وقد ذكرها سيبويه في باب ما جاء من المصادر على فعول، ونصه: (.. توضَّأت وَضُوءًا حسنًا، وأولِعْتُ به وَلُوعًا، وسمعنا من العرب من يقول: وَقَدَت النارُ وَقُودًا عاليًا، وقَبِلَه قَبولًا، والوُقُود أكثر، والوَقود: الحطب). وفي نسخة أخرى لـ «كتاب سيبويه» أشار إليها محققُ الكتاب في الهامش: (وتطهَّر طَهورًا حسنًا، وَأُولِعت وَلوعا).

(٢) في (د): (خمس).

(٣) في (ج): (ووضو)، وفي (د): (ووصول).

(٤) في (ب): قود.

(٥) في (د): مصدر.

(٦) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد يكون في كتابه (المصادر) وهو مفقود.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٤٠١، قال: (ويجوز قُبولًا: إذا رضيته.).

(٨) أورد قولَه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٩/ ١٦٩. وابن الأعرابي، هو: أبو عبد الله، محمد بن زياد. كوفيٌّ، تقدمت ترجمته.

(٩) (وقبولًا): ساقطة من (ج).

(١٠) هكذا جاءت (قَبول) بالفتح في مصدرها في «التهذيب» وكذا ضبطها في «لسان العرب» ٦/ ٣٥١٦ بالفتح، وفي «القاموس المحيط» (١٠٤٥) (قبل) أجاز فيها الأمرين، قال: (والقَبُول، وقد يُضم: الحُسْنُ والشَّارَةُ)، وانظر: «التاج»=

قد يُجهدُ[1] المرء إنْ لم يُنل[2] بالبشر والوجه عليه القَبُول[3].

قال المفسِّرون[4]: معنى قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾؛ أي: رَضِيَها مكان المُحَرَّرِ الذي نذَرتْه (حَنَّةُ)، ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك المعنى.

وقال ابن عباس في رواية الضحَّاك: معناه: سَلَكَ بها طريقَ السُّعداء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

= ١٥/ ٥٩٥ (قبل).

وأما (وَضوء) بالفتح، فقيل: الماء الذي يُتوضأ به، وقيل: هو المصدر، من: (توضأت للصلاة)، وقيل: إنَّ المصدر هو: (الوُضوء) بالضم. انظر: «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ٥١، «اللسان» ٨/ ٤٨٥٤ (وضأ). أما (طَهور) بالفتح، فقيل: هو الماء الطاهر، المُطَهِّر، وهو أعم من الطاهر، حيث إنَّ كل طَهور طاهر، وليس كل طاهر طَهور، وقيل إنَّ (طُهور) بالضم مصدر، بمعنى: التَّطَهُّر. انظر: «النهاية في «غريب الحديث» ٣/ ١٤٧، «اللسان» ٥/ ٢٧١٢ (طهر). أما (وَلُوع) بالفتح، فهي: العلاقة، وهو اسم أقيم مقام المصدر الحقيقي، يقال: (وَلِعَ به وَلَعًا، و(وَلُوعا)، و(أولِعَ به إيلاعًا)، و(أوْلَعَه به): إذا أغراه، و(مُولَعٌ به): مُغْرَى به. انظر: «اللسان» ٨/ ٤١٠. أما الـ(وَقود) بالفتح، فقيل: الحطب، والـ(وُقود) بالضم: المصدر. انظر: «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ٥١، «اللسان» ٨/ ٤٨٨٨.

(١) في (ج)، (د): (يحمد).

(٢) في (د): (يبل).

(٣) لم أهتد إلى قائله.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤١، يرويه عن ابن جريج، وقال به، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٣٨، يرويه عن شرحبيل بن سعد، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٠ ب، «النكت والعيون» ١/ ٣٨٨، «تفسير البغوي» ٢/ ٣١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٥.

قال الزجّاج(١): جاء لفظُ(٢) ﴿نَبَاتًا﴾ على غير لفظِ (أَنْبَتَ)؛ على معنى: نبتت نباتاً حَسناً.

وقال ابن الأنباري(٣): لمَّا كان (أَنْبَتَ) يدل على [نَبَتَ](٤) حمل(٥) الفعل على المعنى؛ كأنه قال: (وأنبتها، فَنَبَتَتْ هي نباتاً حَسَناً)؛ كقول امرئ القيس:

[ورُضْتُ](٦) فَذَلَّت(٧) صعبةً أيَّ إذْلالِ(٨)

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» له ١/ ٤٠٣، نقله عنه بالنص.

(٢) (لفظ): ساقط من (د).

(٣) لم أقف على مصدره، وقد ورد في «زاد المسير» ١/ ٣٧٧.

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في: (أ)، ومثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ب): (عمل).

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، وفي (ب): (ونبتت)، والمثبت من: (ج)، (د)؛ نظرًا لموافقتها «الديوان» وللسياق.

(٧) في (د): (فدلت).

(٨) في (د): (إدلال). عجز بيت، وصدره:

فَصِرْنا إلى الحسْنى ورَقَّ كلامُنا

وهو في «ديوانه» ٣٢، كما ورد في «المقتضب» ١/ ٧٤، «معاني القرآن» للزجاج: ٢/ ٣٦ ولم ينسبه، «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٣٢٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٧٥، «وليس في كلام العرب» لابن خالويه: ٢٢٧، «المحتسب» ٢/ ٢٦٠، «والمخصص»: ١٤/ ١٨٧، «زاد المسير» ١/ ٣٧٨، «اللسان» ٣/ ١٧٧٥ (روض)، «شرح شواهد المغني» ١/ ٣٤١، «خزانة الأدب» ٩/ ١٨٧. ورد في بعض المصادر: (.. فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ) بالضمِّ. ومعنى (فَصِرنا): فَرَجعنا وانتقلنا، على أن (صار) هنا تامة. و(الحسْنى): قد تكون اسم مصدر، بمعنى: الإحسان، أو تكون صيغة مؤنث (أحسن)؛ أي: الحالة الحسنة. و(رَقَّ): لطُف. و(رُضْتُ)؛ أي: =

أراد: أيَّ رياضة. فلمَّا دلَّ (رُضْتُ) على (أذْلَلْت)[١]، حمله[٢] على المعنى، وخلَّى[٣] اللفظَ.

قال ابن عباس في رواية عطاء[٤]، في قوله: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؛ يريد: في صلاحٍ ومعرفةٍ بالله، وطاعةٍ له، وخدمةٍ للمسجد.

وقال في رواية الضحَّاك[٥]: يعني: سوَّى خَلْقَها من غير زيادة، ولا نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[٦] أي:

= سَهلت وانقادت، فهي (ذلُول)، ويقال لتعدية الفعل: (ذلَّلْتها وأذْلَلْتها). و(صعبة)؛ أي: غير ذلول. والشاهد فيه: أنَّ (رُضت) تتضمن معنى: (أذللت)؛ ولذا جاء المصدر بعدها: (إذلالًا)؛ أي: أذلَلْت .. إذلالًا، وأقام (الإذلال) مقام (الرياضة). انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣١٩ (راض)، «اللسان» ٣/ ١٧٧٥ (روض)، «الخزانة» ٩/ ١٨٧.

(١) في (د): (دللت).

(٢) في (ب): (جاء).

(٣) في (أ)، (ب)، (د): (وخلا)، وفي (ج): (وحلى)، وما أثبتُّه يوافق القاعدة الإملائية؛ حيث إنه فعل يزيد على ثلاثة أحرف، ولم يكن قبل الألف ياءٌ، كما إنه يوافق ما جاء في نسخة (ج) وإن خلت الكلمة فيها من النقط. ومعنى (خلَّى الأمرَ): تركه. انظر: «اللسان» ٢/ ١٢٥٤ (خلا).

(٤) لم أهتد إلى مصدر هذه الرواية.

(٥) الرواية في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤١أ، «تفسير البغوي» ١/ ٣١، وهذه الرواية من طريق جويبر بن سعيد، وسبق أنه ضعيف جدا .

(٦) حديث المؤلف التالي عن هذا المقطع، بالنظر إلى قراءة من قرأ: (وَكَفَلَهَا) بتخفيف الفاء وفتحها، و﴿زَكَرِياء﴾ بالمد والرفع. هي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر. وقد أثبتُّ رسم الآية كما جاء في جميع النسخ، وهي مطابقة لقراءة حفص عن عاصم. أما بقية قراءات «السبعة» فهي: قراءة عاصم في رواية أبي=

ضَمَّها[١] إلى نَفْسِهِ وقام بأمرها.

قال الزجّاج[٢]: ومعناه في هذا: ضَمِنَ القيامَ بأمرها، يقال[٣]: (كَفَلَ[٤]، يَكْفُلُ، كَفالة، وكَفْلاً)[٥]، فهو كافِل؛ وهو: الذي قد كَفَلَ إنساناً يَعُولُه[٦] ويُنفِقُ عليه.

و﴿زَكَرِيَّا﴾، رُفِعَ بفعله[٧]؛ لأن الكفالة نُسِبت إليه. وفيه قراءتان: القَصر، والمَدُّ، وهما لغتان فيه؛ كقولهم: (الهَيْجاء)، و(الهَيْجا)، والألِفُ فيه أَلِفُ تانيثٍ؛ ولهذا لا ينصرف في معرفة ولا نَكِرة؛ لأن (زكريا)[٨]؛ بالمَدِّ، مثل: (حمراءَ)، و(سوداءَ)[٩]؛ وبالقصر، مثل:

= بكر: (وكَفَّلَها) بتشديد الفاء، و﴿زكرياءَ﴾ ممدودة منصوبة، وكان يمدها في جميع القرآن. أما قراءة عاصم برواية حفص، وقراءة حمزة والكسائي، فهي: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء، و﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصورة في جميع القرآن. انظر: «السبعة» ٢٠٤، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٣، «حجة القراءات» لابن زنجلة: ١٦١. «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٣/ ٨٦٩.

(١) في (ب): (ضمنها).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٣.

(٣) من قوله: (يقال ..) إلى (.. وينفق عليه): نقله عن «تهذيب اللغة» للأزهري: ٣١٦٦/٤ (كفل)، وانظر: «اللسان» ٧/ ٣٩٠٥ (كفل).

(٤) في «التهذيب» (كفل به).

(٥) (وكفلا): غير موجودة في «التهذيب».

(٦) في (ب): (يقول من).

(٧) على أن (زكرياءُ) هنا ممدودة مرفوعة، وهي فاعل لـ(كَفَلَ) المتعدي لمفعول واحد، بناء على قراءة من قرأ بالتخفيف فيها.

(٨) في (ب)، (د) (زكريا).

(٩) في (ج)، (د): (حمرا، وسودا).

(حُبْلى)[١]، و(سَكْرى)[٢]، و(ذِفْرى)[٣] وهذا النوعُ لا ينصرفُ في مَعْرفة ولا نَكِرَة؛ لأن الاسم[٤] بُني على أَلِفِ التأنيث، وحقُّ التأنيثِ أن يكون داخلاً على لفظ المُذَكَّر؛ نحو: (قائمٌ)، و(قائمةٌ)؛ فلما بُنِي الاسمُ على علامة التأنيث، ولَزِمَت[٥] الاسمَ حتى صارت كبعض حروفه، صار كأن التأنيثَ قد تكرر فيه، فقامت العِلَّةُ مَقامَ العِلَّتين[٦]، فلم ينصرف[٧] في النَّكرة والمعرفة.

وقرأ حمزةُ والكسائيُ: (وكَفَّلَها) مشَدَّدا، ومصدره: التَّكْفِيلُ، والتَّكْفِلَةُ[٨]

---

(١) في (ب): (حتى). و(الحُبْلى): المرأة الحامل، وجمعها: (حَبَالى) و(حُبْلَيات). انظر: «القاموس» ١٢٦٩ (حبل).

(٢) يقال: (هي سَكِرَة، وسَكْرَى، وسَكْرانة) للمؤنث. انظر: «القاموس» ٥٢٤ (سكر).

(٣) في (ب): (دفري). و(الذِفْرى)، هو: العظم الشاخص خلف الأذن. وهما ذِفريَان. والجمع: ذِفرَيات، وذَفارى. انظر: «خلق الإنسان» لابن أبي ثابت: ٥٤، «القاموس» ٣٩٦ (ذفر)، «المعجم الوسيط» ١/ ٣١٢ (ذفر).

(٤) في (ج): (اللام).

(٥) في (ب): (لزمت).

(٦) يعني: قامت ألفُ التأنيث، مقامَ العلميةِ والعجمةِ في المنع من الصرف. انظر في علَّة منعها من الصرف «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٥٧، «البيان» للأنباري: ١/ ٢٠١.

(٧) في (د): (تنصرف).

(٨) لم أقف في معاجم اللغة التي رجعت إليها، على أنَّ (التكفلة) مصدر لـ(كَفَّل). وهي على خلاف القياس في مصدر (فَعَّلَ) الرباعي المضاعف العين، الصحيح اللام. وتأتي (تفْعِلَة) مصدرًا للرُّباعي المعتل اللام، المُضاعَف العين؛ مثل: (رضَّى تَرْضِيَةً)، و(ورَّى توريَةً). وأشار الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد إلى مجيء (تفْعِلَة) مصدرًا لـ(فَعَّلَ) الصحيح اللام، وذلك في النادر، ومَثَّلَ لها بـ (قَدَّمَ=

و﴿زكرياءَ﴾[١] على هذه القراءة منصوب؛ لأنه المفعول الثاني للتَّكفيل، ومعناه: ضَمَّنها الله زكريا[٢]، وضَمَّها إليه؛ وذلك أنَّ (حَنَّةَ) لمَّا ولدت مريمَ، أتت بها سَدنَةَ بيت المقدس، وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة[٣]. فتنافس فيها الأَحْبارُ[٤]، حتى اقترعوا عليها، فخرجت القُرعةُ لزكرياءَ[٥] عليه السلام. ونذكر ما فيه عند قوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤]. فمعنى قوله: ﴿وكفَّلها زكرياءَ﴾[٦]: أنَّ الله تعالى[٧] ضمَّها[٨] إلى زكريا[٩] بالقُرْعَة التي قَرعها[١٠].

= تَقْدِمَةًجَرَّبَ تَجْرِبَةً). انظر: «منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل» مطبوع بهامش «شرح ابن عقيل»: ٣/ ١٢٨، «النحو الوافي» ٣/ ١٩٨. وانظر (كفل) في «الصحاح» ٥/ ١٨١١، «اللسان» ٧/ ٣٩٠٥-٣٩٠٦، «التاج» ١٥/ ٦٥٨.

(١) في (ج)، (د): (وزكريا).

(٢) (أ)، (ب): (وزكريا)، والمثبت من: (ج)، (د)، وهو الصواب؛ لأنه لا وجه لحرف العطف هنا.

(٣) النذيرة هنا: الابن الذي يجعله أبواه قَيِّما أو خادمًا للكنيسة أو للمُتَعَبِّد؛ من ذكر أو أنثى. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٩٠ (نذر).

(٤) الأحبار: جمعُ (حَبْر) أو (حِبْر)، وهو: واحد أحبار اليهود، وهو: العالم أو الرجل الصالح، ويُجمع كذلك على (حُبُور). انظر: «الصحاح» ٢/ ٦٢٠، «اللسان» ٢/ ٧٤٨ (حبر).

(٥) في (ج): زكريا.

(٦) في (ب)، (ج)، (د): (وكفلها زكريا).

(٧) في (أ)،(ب) (إن شاء الله تعالى)، والمثبت من: (ج)، (د)؛ نظرًا لمناسبته لسياق الكلام، ولا وجه لما في (أ)، (ب).

(٨) في (ب): (ضمنها).

(٩) في (د): (زكرياء).

(١٠) في (ب): اقترعها. ومعنى (قرعها): أصابته القرعةُ دونهم. يقال: (كانت له=

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾. قال المفسرون[١]: لمَّا ضمَّ زكريا مريمَ إلى نفسه، بنى لها مِحْرابا في المسجد، وبابه في وسطها، لا يُرقى إليها إلا بسُلَّم، ولا يَصعَد إليها غيره.

و(المِحْرابُ) في اللغة: أشرف المجالس. وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدَهم[٢].

و(المِحْراب): الغُرْفَة أيضاً، قال عمر[٣] بن أبي ربيعة[٤]:

رَبَّةُ مِحْرابٍ إذا جِئْتُها لم أَدْنُ حتى أرْتَقي سُلَّما[٥].

= القرعة): إذا قَرَع أصحابه، و(قارعه فَقَرَعَه، يَقرَعه): إذا أصابته القرعة دونه. «اللسان» ٦/ ٣٥٩٦ (قرع)، وانظر: «المعجم الوسيط» ٧٣٥ (قرع). وانظر القصة في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٣٩-٢٤٠، «وسنن البيهقي»: ١٠/ ٢٨٦، «الدر المنثور» ٢/ ٣٥.

(١) من قوله: (قال ..) إلى (.. أي: ربة غرفة): نقله مع الاختصار والتصرف من «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٢أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٢/ ٣١.

(٢) قوله: (وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم): ليست عند الثعلبي، وإنما هي في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٢.

(٣) في (د): (عمرو).

(٤) هو: أبو الخطاب، عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المُغِيري المخزومي تقدمت ترجمته.

(٥) البيت ليس لعمر بن أبي ربيعة، ولم أقف عليه في «ديوانه» وإنما نسبته المصادر لوضَّاح اليمن، والمؤلف تبع الثعلبي في نسبته لعمر. وقد ورد منسوبًا لوضَّاح، في «مجاز القرآن» ٢/ ١٤٤، ١٨٠، «جمهرة اللغة» ٢٧٦ (حرب)، «الصحاح» ١/ ١٠٩ (حرب)، «والأغاني» (نسخة مصورة من طبعة دار الكتب مِصر): ٦/ ٢٣٧، «تفسير القرطبي» ٤/ ٧١، «اللسان» ٢/ ٨١٧ (حرب).

كما ورد غير منسوب، في «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٠٣، ٤/ ٣٢٥،=

أي: رَبَّة غُرفةٍ. وقال الأصمعي[(١)]: (المِحْراب): الغُرْفة؛ ألا تراه يقول: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [سورة ص: ٢١].

وقال الزجاج[(٢)]: (المحراب): أرفع بيت في الدار، وأرفع مكان في المسجد، قال: و(المحراب) ههنا كالغرفة، وأنشد بيت عمر[(٣)].

وقال أبو عبيدة[(٤)]: (المحراب) عند العرب سيِّدُ المجالس، ومُقَدَّمُها، وأشرفها، وإنما قيل للقبلة: محرابٌ؛ لأنها أشرف موضع في المسجد. ويقال للقصر محرابٌ؛ لأنه سيِّد المنازل[(٥)].

قال امرؤ[(٦)] القيس:

كغزلان وَحْشٍ في محاريبِ أَقْوال[(٧)]

= «الاشتقاق» لابن دريد: ٧٥، «الزاهر» ١/ ٥٤١، «التهذيب» ١/ ٧٧٢، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٩. وهذه الرواية للبيت وردت في: الجمهرة، «الزاهر» «تفسير الثعلبي» وورد في بقية المصادر: (... لم ألقها أو أرتقى سلما).

(١) نقل المؤلف قوله باختصار عن «الزاهر» ١/ ٥٤١. كما ورد هذا القول عن الأصمعي في: الاشتقاق: ٧٥، قال: (وقال أبو حاتم وعبد الرحمن، عن الأصمعي) وذكره.

(٢) في «معاني القرآن» له ٤/ ٣٢٥.

(٣) قوله: (وأنشد بيت عمر) ساقط من (د).

(٤) في قوله: (وقال أبو عبيدة ..) إلى (.. أراد بالمحاريب القصور) نقله بنصه عن «الزاهر» ١/ ٥٤٠. أما قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٩١ عن المحاريب، فنصه: (سيد المجالس، ومقدمها وأشرفها، وكذلك هو من المساجد)، وفي ٢/ ١٤٤، ١٨٠ ورد عنه هذا المعنى بألفاظ مختلفة قليلًا، أما بقية الكلام فهو من قول ابن الأنباري.

(٥) في «الزاهر» (أشرف المنازل).

(٦) في (أ): (امرئ)، والمثبت من بقية النسخ.

(٧) عجز بيت، وصدره:

أراد بـ(المحاريب): القصور[١]. قال ابن عباس في رواية عطاء[٢]: صارت عنده لها غرفة تصعد إليها تصلي فيها الليل والنهار.

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

قال[٣] ابن عباس[٤]، والربيع[٥]: كان زكريَّا كلما دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقاً؛ أي: فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في

ومـاذا عـلـيـه أنْ ذكـرتُ أوانـسًـا

وقد ورد البيت في «ديوانه»: ٣٤، «مجاز القرآن» ٢/ ١٨٠، حيث ورد في هامش إحدى نسخ المجاز، كما أشار إلى ذلك المحقق، وفي «الزاهر»: ١/ ٥٤٠، «اللسان» ٢/ ٨١٧ (حرب). وورد غير منسوب في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٢، «والمخصص»: ٣/ ١٣٥، «البحر المحيط» ٣/ ٢٤٩.

وورد في كل المصادر السابقة: (كغزلان رَمْلٍ..)، وورد في الديوان، وبعض المصادر: (.. محاريب أقيال)، وفي «الزاهر» (وماذا عليه أن أروضَ نجائبًا ..). و(الأقوال) و(الأقيال): ملوك اليمن، وقيل: هم مَنْ دون الملك الأعظم. ومفردها: (قَيْل). انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٥٩ (قال). وقوله: (كغزلان وَحشٍ)، الوَحشُ: حيوان البَرِّ؛ مثل: حمارُ وَحشٍ، وحمارٌ وحشِيٌّ. انظر: «القاموس» ٦٠٩ (وحش).

(١) انظر معاني الـ (محراب) السابقة، في: مادة (حرب)، في «التهذيب» ١/ ٧٧٢، «الصحاح» ١/ ١٠٨، «اللسان» ٢/ ٨١٧.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٣) من قوله: (قال ..) إلى (.. غرفتها، وجد عندها رزقًا): ساقط من: (ج)، (د).

(٤) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٢٢٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ٩٤، «زاد المسير» لابن الجوزي ١/ ٣٨٠ . قال ابن الجوزي: (وهذا قول الجماعة).

(٥) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٢ ب. وهو قول مجاهد، وعكرمة، وابن جبير، وأبي الشعثاء، والنخعي، والضحاك، وقتادة، وعطيَّة العوفي، والسُّدِّي. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٦.

الشتاء، تأتيها به الملائكة من الجَنَّةِ.

قال محمد بن إسحاق[١]: كان هذا كله، بعد أن بلغت مريمُ مبلغ النساء.

وقال الحَسَنُ[٢]: كان هذا في صغرها، ولم ترضع ثدياً قط، بل[٣] كان يأتيها رزقها من الجَنَّة، وتكلَّمت وهي صغيرة، حين أجابت زكريا بقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤].

قال أبو إسحاق[٥]: ونصب ﴿كُلَّمَا﴾ بقوله: ﴿وَجَدَ﴾[٦]؛ أي: يَجِدُ عندها الرزقَ في كل وقت يدخل عليها المحرابَ، فيكون (ما) مع (دَخَلَ)، بمنزلة: الدخول[٧]؛ أي: في كل وقت دخول[٨].

---

(١) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٢أ.

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «تفسير البغوي» ٢/ ٣٢، وفيه: (قال أبو الحسن)، وهو خطأ، والصواب: الحسن. كما ورد في «زاد المسير» ١/ ٣٨٠.

(٣) (بل): ساقطة من (د).

(٤) انظر حول الذين تكلموا في المهد صغارًا: «مصنف ابن أبي شيبة»: ٦/ ٣٤٢ (٣١٨٦٤)، «المستدرك» للحاكم ٢/ ٥٩٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٢، «القرطبي» ٤/ ٩١، «البحر المحيط» ٢/ ٤٤٢-٤٤٣، «روح المعاني» ٣/ ١٤٠.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٣، نقله عنه بنصه.

(٦) لأن (كلّ) عندما تضاف إلى (ما) المصدرية الظرفية، تصبح ظرفًا متضمنًا معنى الشرط، ويكون لها فعل وجواب، وتتعلق بجوابها، وتنتصب به، وجوابها هنا (وَجَدَ). أمَّا (ما) فهي حرف مصدري ظرفي، مبني على السكون، لا محل لها من الإعراب.

(٧) لأن (ما) وما بعدها تُؤَوَّل بمصدر، وهو هنا : الدخول.

(٨) انظر في إعرابها «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٥٧، «التبيان» للعكبري ص٣٤، «الفريد» للهمداني ١/ ٥٦٦.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾. قال ابن عباس[١]: يريد: من أين لك هذا؟ وإنما سألها؛ لأنه خاف أن يأتيها الرزقُ من غير جهته، فتبيَّن أنه من عند الله، لا من عند الناس[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. قد فَسَّرنا هذا في موضعين: من[٣] سورة البقرة، ومن هذه السورة[٤]. وهذا يحتمل أن يكون من كلام مريمَ، ويحتمل أنَّه على[٥] الابتداء، والأَوْلى به الاستئناف[٦]؛ لأنه ليست[٧] من معنى الجواب عمَّا سئلت في شيء.

---

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٢) ممن قال بأن (أنَّى) بمعنى (أين): أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٩١، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص٩٩. بينما يرى الإمام الطبري في تفسيره: ١/ ٣٩٧-٣٩٨: أنَّ هناك اختلافًا بين (أنَّى) و(أين) و(كيف)، ويرى أنه نظرا لتقارب معنى (أنَّى) من هذه الحروف فقد تداخلت معانيها وحصل اللَّبْسُ، فتُؤُوِّلت بـ(أين) و(كيف) و(متى) مع مخالفة معناها لهذه الحروف، ومخالفة هذه الحروف لها، ويرى أنَّ (أين) سؤال عن الأماكن، و(كيف) سؤال عن الأحوال، أمَّا (أنَّى) فهي سؤال عن المذاهب والوجوه، وقد بيَّن الطبري هذا الأمر بإسهاب مستدلًّا عليه بأمثلة من القرآن وشعر العرب. وبهذا قال النحاس كذلك، رادًا على أبي عبيدة في «معاني القرآن» ١/ ٣٨٩. وانظر حول هذاالموضوع: «إعراب الحديث النبوي» للعكبري: ٩٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤٤٣، «الدر المصون» ٢/ ٤٢٣.

(٣) في (د): (في).

(٤) عند آية: ٢٧.

(٥) في (ب): (أن يكون على).

(٦) وبه قال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٤٧.

(٧) في (ج): (ليس).

٣٨- قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ قال أهل اللغة[١]: (ههنا) و(هنا) تقريب (ثَمَّ)[٢].

ومعنى (هنالك)؛ أي: عند ذلك. و(وهنالك): مَحَلٌّ ومَوْضِعٌ؛ كما أنَّ (حيثُ): مَحَلٌّ، و(عِنْدَ)، و(حِينَ): وقتان.

فلو قال ﷻ: (عند ذلك دعا زكريا) لكان جائزاً[٣]، بمثل[٤] معنى (هنالك). ولكن العرب تضع المحل موضع اسم الوقت في مثل هذا، فيقولون: (كان ذلك حيث وَلِيَ زيدٌ) بمعنى حين وَلِيَ، وكذلك (هنالك): مَحَلٌّ يوضع[٥] موضع (عند)، وقد يكون مجاز (هنالك) في هذا الموضع

---

(١) انظر مادة: (هنا) في «الصحاح» ٦/ ٢٥٦١، «اللسان» ٨/ ٤٧١٥، «تاج العروس» ٢٠/ ٤٣٢.

(٢) (ثَمَّ) بفتح الثاء، وتشديد الميم: اسم إشارة إلى المكان البعيد، وهو ظرف مكان، لا يتصرف، مبني على الفتح، في محل نصب على الظرفية، ويقال: (ثَمَّةَ) والتاء فيه لتأنيث اللفظ فقط. انظر: «معجم الشوارد النحوية» لمحمد شراب ٢٢٧، «معجم النحو» للدقر: ١٢٤. أما (هنا) و(هناك) فيقول عنهما الجوهري: (للتقريب، إذا أشرت إلى مكان، و(هناك) و(هنالك): للتبعيد). «الصحاح» ٦/ ٢٥٦١ (هنا).

(٣) قول المؤلف: (فلو قال .. لكان جائزًا)، أقول: غفر الله للمؤلف، ليته لم يقل هذه العبارة، فإنها كلمةٌ فيما أرى عظيمةٌ، يجب أن لا تقال في حق الله تعالى، وهل يجوز أن نقترح على الله تعالى.؟! ومتى كان الحق ﷻ لا يقول الأفضل من القول، والأبلغ من الكلام، والفَصْلَ في الخطاب، حتى نقول نحن البشر القاصرون مثل تلك المقولة العظيمة.؟! فالله تعالى يضع الكَلِمَ وفق حكمته وعلمه، وهو الأحكم الأعلم.

(٤) في (د): (مثل).

(٥) في (ج): (موضع).

مَحَلاً؛ لأن ما ذَكَرَه ﷺ من هذه القصة، يكون مضمناً لوقت(١) ومحل؛ لأنه لا يكون إلا في محل؛ كما لا يكون إلا في وقت؛ فلما لم يجز أن يكون(٢) إلا(٣) في محل؛ احتمل أن يومئ إلى ذلك المحل بقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾، و(هناك)، و(هنالك) الأصلُ فيهما: [هنا](٤)، ثم(٥) زيدت الكاف؛ للخطاب، كما قالوا في (ذا)(٦): (ذاك).

ومن قال: (هنالك) فتقديره تقدير (ذلك)، والكاف فيهما للخطاب(٧). وقول زهير:

هنالك إنْ تُسْتَخبَلُوا(٨) المالَ تُخبِلُوا(٩)

---

(١) في (ج)، (د): (بوقت).
(٢) (ب): (إلا أن يكون).
(٣) إلا: ساقطة من (ب)، (ج).
(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، وهي غير موجودة في جميع النسخ.
(٥) (ثم): ساقطة من (ج).
(٦) (ذا): ساقطة من (ج).
(٧) انظر في زيادة الكاف في هذه الأسماء «المسائل العسكرية» للفارسي: ١٤٠، «المسائل الحلبيات» له: ٧٥٧٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٩، ٣٢١ ٣٢٢، ٢/ ٥٧١، «مغني اللبيب» ٢٤٠.
(٨) في (د): (يستجلبوا).
(٩) صدر بيت، وقد وردت روايته في «الديوان» بضمير الغائب، كالتالي:
هنالك إنْ يُسْتَخْبَلوا المالَ يُخبِلوا وإنْ يُسْألوا يُعْطوا وإن يَيْسِروا يُغْلُوا
انظر: «ديوانه» ص١١٢. كما ورد منسوبًا له في «الخصائص» ١/ ١٠٩٧، «اللسان» ٢/ ١٠٩ (خبل)، و٣/ ١٢٩٣ (خول). وروايته في «الخصائص» «اللسان» ٣/ ١٢٩٣ (خول) (هنالك إن يُسْتَخوَلوا المال يُخوِلوا..). وفي «اللسان» ٣/ ١٢٩٣ (خول: (.. وإن يُسألُوا يُعْصوا..) .و(يُستَخبَلوا)؛ من قولهم: (أخبَلْتُ الرجلَ، أُخبِلُه، إخبالًا)،=

يحتمل (هنالك) أن يكون[1] لمحل، وأن يكون لوقت.

و(هنالك)، و(هناك) و(هنا)[2]، و(ههنا)، شيء واحد، إلا أن (هنا)، و(ههنا)، لم يُذكرا في شيء من الأوقات، وإنما ذُكرا في المحالِّ[3] القريبة منك.

= و(اسْتَخبَلَه إبِلًا وغنمًا، فأخبله)، و(يُسْتَخوَلُوا) بمعناها؛ أي: إن تُطلَب منهم إبلُهم أو غنمُهم على سبيل الاستعارة؛ ليُنتفَعَ بألبانها وأوبارها، أو تستعار منهم خيلهم للغزو، فإنهم (يُخبلوا)؛ أي: يتكرموا ويتفضلوا بإعارتها. ومعنى (يَيْسَروا): من (يَسر، يَيْسَر، يَسْرًا)، وهو: المقامر بالمَيْسر، أو هو: تجزئة الجَزُور، واقتسام أعضائها؛ يقال: (يَسَرَ القومُ الجزورَ)، وهو المراد في البيت هنا - والله أعلم - نظرًا لمناسبته لما سبقه من أبيات يمدح فيها الشاعرُ سنان بن أبي حارثة المُرِّي، والمعنى: إنهم يأخذون سِمان الجُزُرِ والغاليَة منها وينحرونها، ويقسمونها على ذوي الحاجات.

ومعنى: (يغْصوا) كما في رواية «اللسان -: أي - والله أعلم-: يجمعونهم، من قولهم: (عصوت القومَ): إذا جمعتهم على الخير أو الشر؛ أي: إنهم إذا سُئلوا الخيرَ، جمعوا الناس على خيرهم وزادهم. وقبله: إذا السنةُ الشهباءُ بالناس أجحفت

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم   قطينًا بها حتى إذا نبت البقل

والذي دعاني لسوق الأبيات، أن المُعَلِّق على الديوان، فسَّر (ييسروا) بقوله: (يقامروا بالميسر)، وإن كان المعنى صحيحًا لغة، إلا أن المعنى الآخر الذي ذكرته أصح في رأيي لمناسبته لسياق الأبيات .

انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٩٧ (خبل)، ٣/ ١٢٩٣ (خول)، ٥/ ٢٩٨٠ (عصا)، ٨/ ٤٩٥٩-٤٩٦٠ (يسر). والشاهد في البيت: قوله: (هنالك) المحتملة أن تكون لوقت ومكان.

(١) في (ب): (يحتمل أن يكون هنالك).

(٢) (وهنا): ساقطة من (ج).

(٣) (ج): (المحل).

قال الزجَّاج[(١)]: و(هنالك) في موضع نصب؛ لأنه ظرف؛ ويقع في المكان من الزمان والحال[(٢)].

[ومعنى قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا﴾؛ أي: في ذلك المكان من الزمان والحال][(٣)] دعا.

قال أهل التفسير: لمَّا رأى زكريا ما أوتي[(٤)] مريم من فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف مجرى العادة، طمع في رزق الولد من العاقر، على خلاف مجرى العادة، فدعا الله ﷻ، فقال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾.أي: من عندك[(٥)]. و(لَدُن) اسمٌ غير متمكن[(٦)]، ونذكر حقيقته، وما قيل فيه، في سورة الكهف إن شاء الله.

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٠٤، نقله بتصرف يسير جدًّا.

(٢) (ج) (وأحوال الزمان)، بدلًا من: (من الزمان والحال).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د) ومن «معاني القرآن» للزجاج.

(٤) في (د): (أولي).

(٥) ممن قال بذلك: ابن عباس، والسُّدِّي، وابن جبير، والحسن. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٧.

(٦) الاسم غير المتمكن، هو الاسم المبني، الذي لا يتغير آخره بتغير العوامل في أوله؛ أي: لا يتمكن من تحمل الحركات المختلفة. انظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» د. محمد اللبدي: ٢١٣. و(لَدُنْ): اسم جامد يُعرب ظرفًا للمكان أو الزمان، مبني على السكون، في محل نصب مفعول فيه، وهي تلازم الإضافة الاسم، أو الضمير، أو الجملة، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم اتصلت بها نون الوقاية، فيقال: (لَدُنِّي) ويقل تجريدها منها، فيقال: (لَدُنِي) وهي في المعنى والإضافة كـ(عند)، إلا أنها أقرب مكانًا من (عند) وأخصُّ منها. انظر: «معجم الأدوات النحوية» د. محمد التونجي: (١٠١)، «معجم النحو» د. الدقر: ٣٠٩، «موسوعة النحو والصرف» د. أميل يعقوب: ٥٧٦.

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. أي[1]: نسلاً مباركاً تقياً[2]. والذُّرِّية؛ يكون[3] واحداً وجمعاً، وذكراً وأنثى[4].

والمراد بـ(الذُّرِّيَّة) ههنا: ولدٌ واحدٌ؛ لقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

قال الفرَّاء[5]: وأنَّث الـ(طَيِّبَة)؛ لتأنيث لفظ الذرية؛ كما قال الشاعر:

أبوك خليفةُ وَلَدَتْهُ أخرى
وأنت خليفةٌ، ذاك الكمال[6]

فأنَّثَ فعل الخليفة؛ لتأنيث لفظهِ[7]. وقال آخرُ:

---

(١) من قوله: (أي ..) إلى (فهب لي من لدنك وليا): نقله بتصرف يسير عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٤أ.

(٢) عند الثعلبي: (نقيا).

(٣) في (ب)، (د)، وعند الثعلبي: (تكون)، وفي: (ج) غير منقوطة.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفرَّاء: ١/ ٢٠٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٤.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٠٨. نقله عنه بالمعنى.

(٦) البيت نسبه ابن الأنباري لنُصَيْب بن رباح. انظر: «المذكر والمؤنث» ٢/ ١٦٣. وقال محقق الكتاب: بأن البيت ليس في مجموع شعره. وقد ورد غير منسوب، في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٠٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٨، «الزاهر» ٢/ ٢٤٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٤أ، «المحرر الوجيز» ٣/ ٩٦، «اللسان» ٦/ ٣٤٥٩ (فلح)، ٢/ ١٢٣٥ (خلف).

(٧) أي: قال: (ولدته أخرى)؛ نظرًا لأن لفظ الخليفة مؤنث، والوجه: أن يقول: ولده آخر. قال ابن الأنباري: (ويقال: (قال الخليفة)، و(قالت الخليفة)، ويقال: (قال الخليفة الآخر)، و(الخليفة الأخرى)؛ فمن ذكَّر، قال: (الخليفة)، معناه: فلان؛ ومن أنَّثَ، قال: هو وصف قد دخلته علامة التأنيث، فحمل الفعل على لفظ المؤنث.. ومن استعمل لفظ المؤنث، قال في الجمع: (خلائف)، ومن استعمل=

فَـمَـا تَـزْدَري مِـنْ حَـيَّـةٍ جَـبَـلِـيَّـةٍ
سُكاتٍ[(١)] إذا ما عَضَّ ليس بِأَدْرَدا[(٢)]

فجمع التأنيث، والتذكير: مرَّة على اللفظ، ومرةً على المعنى.

قال: وهذا يجوز في أسماء الأجناس، دون التي معناها: فلانٌ؛ نحو: (طَلْحَة)، و(حَمْزَة)، و(مُغِيرَة). لا يجوز (جاءت طلحة)؛ من قِبَل أنَّ التذكيرَ الحقيقي يغلب على تأنيث اللفظ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾. قيل[(٣)]: مجيب الدعاء في

= المعنى المذكَّر، قال في الجمع: (خلفاء..). «الزاهر» ٢/ ٢٤٢، وانظر: «المذكر والمؤنث» له ٢/ ١٦٣.

(١) في جميع النسخ: سُكابٌ، ولم أر لها وجهًا، والتصويب من المصادر التي أوردت البيت، وسيأتي بيانها.

(٢) لم أهتد إلى قائله،وقد ورد غير منسوب، في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٠٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٤٨، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ١٢٥، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧١٨ (سكت)، «الصحاح» ١/ ٢٥٣ (سكت)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٤أ، «المحرر الوجيز» ٣/ ٩٦، «اللسان» ٤/ ٢٠٤٦ (سكت). وقوله: (سُكاتٌ): وصف للحيَّة، يقال: (حيَّة سُكاتٌ، وسَكُوتٌ)،: إذا لم يشعر بها الملسوع حتى تلسعه. وقوله: (أدردا)؛ أي: ليس في فمه سِنٌ، و(الدَّرَدُ): هو ذهاب الأسنان، والأنثى: دَرْداء.

انظر: «الصحاح» ٢/ ٤٧٠ (درد)، «اللسان» ٤/ ٢٠٤٦ (سكت)، «القاموس» ص١٥٣ (سكت).

والبيت في وصف رجل داهية يقول عنه: كيف تستخف به، وهو كالحية الجبلية الفاتكة، التي لا يشعر الملسوع بعضها حتى تعضه بناب لم يسقط، ولم يذهب سُمُّه. والشاهد فيه كونه أنَّث (جبلية)؛ نظرًا لورود الموصوف مؤنثًا في اللفظ، وهو (حيَّة)، وذكَّرَ (عضَّ)؛ لأنه أراد المعنى؛ أي: حيَّة ذكَرًا.

(٣) لم أقف على صاحب هذا القول، وقد حكاه الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٤٤أ، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٣٣، وابن الجوزي، في «الزاد» ١/ ٣٨٠.

التفسير؛ وذلك أن مَنْ لا يُجابُ[١] كلامه، صار بمنزلة من لم يُسمع[٢]، فقيل لمن أجيب في سؤاله: سُمع دعاؤه. وعلى هذا دلَّ كلام ابن عباس في تفسير هذه الآية؛ لأنه قال في قوله[٣]: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾؛ يريد: لأنبيائك، وأهل طاعتك[٤].

وهذا يدل على أنه أراد بالسمع: الإجابة؛ لأن دعاء غير هؤلاء مسموع لله تعالى على الحقيقة.

٣٩- قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقال: نادى، مُناداةً، ونِداءً. فالكسر: مصدرٌ[٥]، والضم اسمٌ[٦]. وأكثر ما جاءت الأصوات على ضَمِّ أولها؛ نحو: (الرُّغاء)[٧]، و(البُكاء)، و(الصُّراخ)، و(الهُتاف)[٨].

---

(١) في (أ)، (ب): (الإيجاب)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٢) في (أ)، (ب): (يَسمع)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٣) في (أ): قولك، والمثبت من: (ب)، (ج)، (د).

(٤) لم أقف على مصدر قول ابن عباس هذا.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» ٢/ ١٠٦١ (ندى).

(٦) ويردُ الاسمُ منه كذلك بالكسر؛ فيقال: (نِداء)، و(نُداء). وجعل الجوهريُّ الكسرَ هو الأصل، فقال: (النِّداء: الصوت، وقد يُضم). «الصحاح» ٦/ ٢٥٠٥. وانظر (ندى) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٥، «اللسان» ٧/ ٤٣٨٨، «التاج» ٢٠/ ٢٣٣.

(٧) في (ج)، (د): (الدعا). والرُّغاء: صوت البعير، والضبع، والنَّعام. انظر: «القاموس» ص١٢٨٩ (رغى).

(٨) في جميع النسخ: (والهتات)، ولم أجدها في معاجم اللغة التي رجعت إليها، ولم أر لها وجهًا، وما أثبته هو ما رجَّحتُه؛ لأن (الهُتاف)، و(الهَتْف): هو الصوت الجافي العالي، أو الصوت الشديد. انظر: «المنتخب من غريب كلام العرب» لكراع النمل: ١/ ٢٩٤، «اللسان» ٨/ ٤٦١٢ (هتف).

وفي قوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآَئِكَةُ﴾، قراءتان: التذكير، والتأنيث[١].

قال الفرَّاء[٢]: (الملائكة)، وما أشبههم من الجمع، يُذَكَّر ويُؤَنَّث.

وقرأت القُرَّاءُ: ﴿يَعرُجُ الملائكة﴾، و﴿تَعْرُجُ﴾[٣] [المعارج: ٤]، و﴿تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ و﴿يَتوفَّاهم الملائكة[٤]﴾[٥] [النحل: ٢٨]، فمن ذكَّر؛ ذهب إلى معنى التذكير، ومن أنَّث؛ فلِتأنيث الاسم.

قال الزجَّاج[٦]: الجماعة، يلحقها التأنيث؛ للفظ الجماعة، ويجوز أن يُعبَّر عنها بلفظ التذكير؛ لأنه يقال: جَمْعُ الملائكة، وهذا كقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠].

وقال أهل المعاني[٧]: أراد بالملائكة[٨] ههنا: جبريل، وحده[٩]،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي من السبعة وخلف من العشرة (فناداه)، بإمالة الدال، وتروى هذه القراءة عن (علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وعلي بن الحسين، ومحمد بن زيد وابنيه، وجعفر بن محمد). «القطع والائتناف» ص٢٢٢. والباقون: (فنادته). انظر: «السبعة» ٢٠٥، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٣٧، و«النشر» ٢/ ٢٣٩.

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٠٩، نقله بنصه.

(٣) والقراءة بالياء: للكسائي، وبالتاء: للباقين. انظر كتاب «الإقناع»، لابن مهران: ٢٩٧، «حجة القراءات»، لابن زنجلة ٧٢١، «التبصرة» ٧٠٨.

(٤) الملائكة: ليست في: (ج) و(د).

(٥) القراءة في الموضعين بالياء: لحمزة، وبالتاء: للباقين. انظر: «الكشف» ٢/ ٣٦، «حجة القراءات» ٣٨٨.

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٥. نقله عنه بتصرف يسير.

(٧) نقل المؤلف هنا عبارة الفراء باختصار عن «معاني القرآن» ١/ ٢١٠، وممن قال بذلك: الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٥٠، والزجاج في «المعاني» ١/ ٤٠٥، والنحاس في «المعاني» ١/ ٣٩٠، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٤٥ أ.

(٨) قوله: (المعاني أراد بالملائكة): مكانها بياض في: (د).

(٩) ممن قال بأن المنادي: جبريل وحده: عبد الله بن مسعود ﷺ، والسدي، ومقاتل.=

وذلك جائز في العربية أن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع؛ كما تقول في الكلام: (ركب السفنَ)، و(خرجَ على البِغالِ)، وإنما ركب بغلاً واحدًا. وهذا[١] جائز فيما لم يُقْصد فيه قَصْد[٢] واحدٍ بعينه.

قال الزجّاج[٣]: المعنى: أتاه النداءُ من هذا الجنس، الذين هم الملائكة[٤]، كما تقول: (ركب فلانٌ في السُّفُن) وإنما ركب في سفينةٍ واحدةٍ؛ تريد بذلك: جَعْلَ ركوبه في هذا الجنس.

ومثل[٥] هذا مما في القرآن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وهو نُعَيْمُ بن مَسعود[٦]، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾، يعني: أبا سُفيان[٧].

قال المفضَّل: إذا كان القائل رئيساً، فيجوز الإخبار عنه بالجمعِ؛

= انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤٩-٤٥٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤١، «القطع والائتناف» للنحاس ٢٢٢، «زاد المسير» ١/ ٣٨١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٧.

(١) (ج): (وهو).

(٢) في (أ)، (ب): (وقصد)، والمثبت من: (ج) (د)، ومن «معاني القرآن».

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٥، نقله عنه بتصرف يسير جدًّا.

(٤) في (ج): (ملائكة). وقوله: (الذين هم ملائكة): ليس في «معاني القرآن».

(٥) من قوله: (ومثل..) إلى (.. جرى على هذا): نقله بتصرف يسير عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٥ أ.

(٦) هو أبو سلمة، نُعَيم بن مسعود بن عامر الأشجعي. صحابي مشهور، هاجر إلى الرسول يوم الخندق، وهو الذي خذَل المشركين واليهود حتى صرف الله المشركين، سكن المدينة، قتل في وقعة الجمل في أوّلِ خلافة علي، وقيل: مات في خلافة عثمان ﷺ. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٧٠ (٢٦٥٨)، «الإصابة» ٣/ ٥٦٨ (٨٧٧٩).

(٧) سيأتي بيان قصة الآية في موضعها من هذه السورة، عند تفسير آية: ١٧٣ : ١٧٣ إن شاء الله تعالى.

لاجتماع أصحابه معه؛ فلمَّا كان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة، وقلَّما يُبْعثُ إلاَّ ومعه جَمعٌ منهم، جُرِيَ على هذا. وهذا قول ابن عباس[١]، والأكثرين[٢]: إنَّ المنادى جبريل وحده.

وقال غيره: ناداه جماعةٌ من الملائكة[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ يُقْرأ بـ﴿إِنَّ﴾[٤]: مكسوراً ومفتوحاً[٥]؛ فمن فتح[٦]، كان المعنى: (فنادته بِأَنَّ اللهَ)، فلمَّا حذف الجارّ منها[٧]، وصل الفعلُ إليها فنصبها؛ فـ﴿أَن﴾[٨] في موضع

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) قوله: (والأكثرين)، سبق أن بينت أنه لم يقل بهذا القول غير ابن مسعود رضي الله عنه والسدي، ومقاتل، بناءً على المصادر التي رجعت إليها.

(٣) ورَجَّح هذاالطبري؛ حملًا لتأويل القرآن على الأظهر الأكثر من كلام العرب، دون الأقل، ما وُجِد إلى ذلك سبيل. وبيَّن أنَّه لا حاجة هنا لصرفه إلا أنه بمعنى واحد. وبيَّن أنَّ هذا قول جماعة من أهل العلم، ومنهم: قتادة، والربيع، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم. «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٠، وانظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٧، ورجحه كذلك النحاس في «القطع والائتناف» ٢٢٣.

(٤) في (ج)، (د): (إن). وفي (د) بدلًا من: (بإن) .

(٥) قرأ ابن عامر،وحمزة: ﴿إِنَّ﴾ بالكسر، وقرأ الباقون: ﴿أَن﴾ بالفتح . انظر: «السبعة» ٢٠٥، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٨، «الكشف» لمكي: ١/ ٣٤٣.

(٦) من قوله: (فمن ..) إلى (.. فأضمر القول في ذلك كله): نقله باختصار وتصرف يسير عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٣٨،٣٩.

(٧) (منها): ساقطة من (ج).

(٨) في (ج): (بأن).

[نصب][1]. وعلى قياس قول الخليل: في موضع[2] [جَرٍّ][3]. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم.

ومن كَسَرَ، أضمر القولَ؛ كأنه: (ناداه، فقال: إنَّ الله) فحذف القولَ. وإضمار القول كثير في هذا النحو، كما قال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤]، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فأضمر القول في ذلك كلِّه[4].

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ قد[5] ذكرنا معنى التبشير في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥].

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ[6]:

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (د)، ومن «الحجة». ويقتضيها السياق.

(٢) (في موضع): مكانها بياض في: (د).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من «الحجة» للفارسي، يقتضيها السياق. وانظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ١٢٦-١٢٩، ١/ ٩٢، ٣٧-٣٩، «المحلى ووجوه النصب» لابن شقير: ٧٦، «سر صناعة الإعراب» ١٣٠، «الكشف» لمكي ١/ ٣٤٣. وانظر تفسير آية ١٩ من هذه السورة، وما سيذكره عند تفسير ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ آية: ٧٣ من هذه السورة.

(٤) هذا على مذهب البصريين القائلين بإضمار القول، أما على مذهب الكوفيين، فإنهم أجروا النداء مُجرى القول. انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٤٦، «الدر المصون» ٣/ ١٥٢، «إتحاف فضلاء البشر» للبنا ص١٧٤.

(٥) من قوله: (قد ..) إلى (.. وقرأ حمزة والكسائي: يبشرك): ساقط من (د).

(٦) انظر: «السبعة» ٥٠٢، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٤١. وقد قرأ حمزة: (يَبْشُرُ) بالتخفيف في كل القرآن، إلا في قوله: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [آية ٥٤ من سورة الحجر]، فقرأها بالتشديد (يُبَشِّرون). أما الكسائي: فقد قرأها بالتخفيف في خمسة مواضع: (آل عمران: ٣٩، ٤٥) و(الإسراء: ٩)=

﴿يُبَشِّرُكَ﴾[(١)]، مُخَفَّفاً، من (البَشْرِ)[(٢)] وهو بمعنى: التبشير[(٣)].

قال أبو زيد: يقال: (بَشَّرَ، يُبَشِّرُ)، [و(أَبْشَرَ يُبْشِرُ][(٤)] إِبْشارا)، و(بَشَرَ، يَبْشُرُ، بَشْرا)، ثلاث لغات[(٥)]. ونحو هذا قال ابن الأعرابي فيما روى عنه ثَعْلَب[(٦)].

= و(الكهف: ٢) و(الشورى: ٢٣). أمَّا نافع، وابن عامر، وعاصم، فقد قرأوها بالتشديد في كل القرآن. وكذا قرأها ابن كثير، وأبو عمرو في كل المواضع، إلا في آية (٢٣ من الشورى). انظر: «السبعة» ٢٠٥، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٢٣٩، «الغاية» لابن مهران: ١٢٥، «التيسير» للداني: ٨٧، «النشر» ٢/ ٢٣٩، «اتحاف فضلاء البشر» ص١٧٤.

(١) وردت في: (أ) يَبْشِرُكَ بكسر الشين المخففة، وأهملت حركاتها في بقية النسخ، ولم ترد بها قراءة، والصواب من قراءتها ما أثبته، وما سبق الإشارة إليه، وقد ورد في قراءة مجاهد، وحميد بن قيس الأعرج: (يُبْشِرُكَ) بضم الياء، وتسكين الباء، وكسر الشين المخففة . انظر: «معاني القرآن» للزجَّاج: ١/ ٤٠٥، «المحتسب» ١/ ١٦١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٥ ب. انظر ترجمة حميد بن قيس في «غاية النهاية» ١/ ٢٦٥ برقم (١٢٠٠).

(٢) في (أ): البَشَرَ، ولم أر لها وجهًا، وأهملت حركاتها في بقية النسخ، وما أثبته، هو ما استصوبته. قال في «اللسان» ٤/ ٦١ (بشر): (وقد بَشَرَه بالأمر، يَبْشُرُه بالضم بَشْرًا، وبُشُورا، وبِشْرًا، وبَشَرَهُ به بَشْرًا.. وبَشَرَ يَبْشُرُ بَشْرًا وبُشُورًا) وانظر: «الصحاح» ٢/ ٥٩٠ (بشر).

(٣) قال الفرَّاء في «معاني القرآن» ١/ ٢١٢: (وكأن المشَدَّد على: بِشارات البُشَراء، وكأن التخفيف من وجهة الإفراح والسرور، وهذا شيء كان المشيخة يقولونه).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، (د)، ومن «الحجة» للفارسي.

(٥) لم أقف على قول ابن زيد فيما رجعت إليه من مصادر، ويبدو أن هذا قول أبي الحسن (الأخفش)، كما في «الحجة» للفارسي ٣/ ٣٧، ونصه: (قال أبو الحسن: في (يبشر) ثلاث لغات: ..) وذكر ما دُوِّنَ أعلاه، ثم بعدها نقل الفارسي قولًا آخر لأبي زيد مغاير لما هنا، فقال: (قال أبو زيد..).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨ (بشر).

وقال أهل اللغة[١]: أصل معنى (البَشْرِ): إصابة البَشَرَةِ يقال: (بَشَرتُ الأديمَ)[٢]: إذا أخذتُ بَشَرَتَه بشَفْرةٍ، و(بَشَرَ الجرادُ الأرض): إذا أكلَ ما عليها، [فأخذ بَشَرَتها[٣]، فاستُعمِلَ هذا في إيراد الخبرِ[٤] السَّارِّ؛ لأنه يصيب البَشَرَة بالهَشاشَةِ[٥]][٦].

وقال الزجَّاج[٧]:

معنى ﴿يُبَشِّرُكَ﴾[٨] بالتخفيف : يسُرُّكَ، ويُفرِحُكَ، يقال: (بَشَرْتُ

---

(١) انظر (بشر) في «إصلاح المنطق» ص ٢١-٢٢، ٤١، ٢٧٧، و«الجمهرة» ص٣١٠، «تهذيب اللغة» ١/٣٣٨، «الصحاح» ٢/ ٥٩٠، «مقاييس اللغة» ١/ ٢٥١.

(٢) الأديم هنا : الجلد. انظر القاموس (أدم) ص ١٠٧٤.

(٣) أخذ بشرتها؛ أي: أكل ما ظهر من نباتها، فجعل ظاهر الأرض كأنه بشرة لها.

(٤) في (د): هذا إيراد في الخبر.

(٥) الهَشَاشة والهَشَاشُ: الارتياح، والخفَّةُ، والنشاط، يقال: (هَشِشْتُ إليه، أهَشُ، هَشاشة): إذا خففت إليه، وارتحت له. انظر: «إصلاح المنطق» ٢٠٠، «القاموس المحيط» ٦١٠ (هش).

(٦) ما بين المعقوفين زياد من: (ج) (د).

(٧) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٥. ولكن النصَّ في «معاني القرآن» المطبوع المتداول يختلف بعض اختلافٍ في ضبط الكلمات عمَّا أورده الواحدي، ونصُّه في «معاني القرآن» (ومعنى: يُبْشرك: يسرك ويفرحك، يقال: بَشَّرتُ الرجلَ أبَشِّره، وأبْشُره: إذا أفرحته، ويقال: بَشُرَ الرجل يَبْشرُ)، وما أورده المؤلف مطابق لما في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨ (بشر)، وأورده كذلك ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٨٢، وصاحب «اللسان» ١/ ٢٨٧ (بشر) مما يعني أن يكون الأزهري، والواحدي، قد نقلا من نسخة أخرى غير المعتمدة في المطبوعة، أو يكون الواحدي، نقل النص عن الأزهري، وهو ما أرَجِّحه؛ نظرًا لأن «التهذيب» من مصادره الأساسية، التي اعتمد عليها كثيرًا.

(٨) في (أ): يَبْشِرُكَ. أما بقية النسخ فقد أهملت حركاتها. وفي «معاني القرآن» المطبوع=

الرَّجُلَ، أبْشُره): إذا أفرحته، فـ(بَشِرَ[١]، يَبْشَرُ): إذا فرِحَ.

وقال ابن الأعرابي[٢]: (بَشِرتُ بكذا، وأبْشَرْتُ به) أي: فرحت[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿بِيَحْيَىٰ﴾. (يحيى)[٤]، لا ينصرف، عَربيّاً كان، أو عجمِيًّا[٥]؛ لأنه إن كان عجميًّا: فقد اجتمع فيه العُجْمةُ والتعريف، وإن كان عربيًّا: لا[٦] ينصرف؛ لِشِبهه[٧] بالفعل، وأنه معرفة.

قال المفسرون: سمَّاه الله تعالى بهذاالاسم قبل مولده[٨].

قال الحسين[٩] بن الفضل[١٠]: إنَّما سُمِّيَ

= يُبشرك. وما أثبتُّه هو ما استصوبته، وهو موافق لما في «زاد المسير» حيث ضبط الحركات بالحروف، «اللسان»؛ لأن الواحدي أراد أن يبين معنى القراءة بالتخفيف (يَبْشُرُكَ)، وما في «معاني القرآن» المطبوع لا استبعد الخطأ المطبعي في ضبط حركتها.

(١) في (أ): (فَبَشُرَ) وهو موافق لما في «معاني القرآن». وما أثبتُّه يوافق ما في «تهذيب اللغة»، «اللسان» وبقية مصادر اللغة، ولم أعثر على (بَشُرَ) في معاجم اللغة.

(٢) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨، وهو ما أشار إليه المؤلف سابقًا.

(٣) نقله المؤلف باختصار، ونصه: (يقال: (بَشَرْتُهُ، وبَشَّرْتُهُ، وبَشِرْتُهُ، وأبْشَرته). قال: (وبَشِرْتُ بكذا، وبَشَرْت وأبشرْت): إذا فرحتَ به.

(٤) من قوله: (يحيى ..) إلى (.. وأنه معرفة): نقله بتصرف عن «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٤٠٦.

(٥) في (ج)، و«معاني القرآن»: (أعجميا).

(٦) في (ج)، «معاني القرآن»: (لم). (٧) في (د): لتشبيهه.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٩) في (ج): (الحسن).

(١٠) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٦ أ، وانظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب ٢٦٩-٢٧٠. وهو: أبو علي، الحسين بن الفضل بن عمير بن كَيْسان البجَلِي، تقدم.

(يَحْيى)[(١)]، لأن الله [تعالى][(٢)] أحياه بالطاعة، حتى لم يَعْصِ، ولم يَهم بمعصية. فمعنى (يحيى): أنه يعيش مطيعاً لله عمره، ألا ترى أنَّ الكافر يُسمَّى (مَيْتاً)؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، قيل في تفسيره: ضالاً فهديناه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. نصب على الحال؛ لأنه نكرة، و(يَحيى) معرفة.

قال ابن عباس[(٤)]: يريد: مُصدِّقاً بعيسى أنه روح الله، وكلمته.

وسُمِّيَ (عيسى) كلمةُ الله؛ لأنه حدث عند قوله: ﴿كُن﴾، فوقع عليه اسم (الكلمة)؛ لأنه بها كان.

قال المفسرون: وكان (يحيى) أول من آمن بـ(عيسى) عليهما السلام، وصدَّقه، وكان (يحيى) أكبر من (عيسى)[(٥)].

---

(١) في (د): (بيحيى).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٣) وهذا قول: ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدِّي، وابن زيد، وعكرمة، وغيرهم. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١-٢٤، «الدر المنثور» ٣/ ٨١.

(٤) الأثر عنه في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٧، «الدر المنثور» ٢/ ٣٨، ونسب إخراجه كذلك للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر. وهو قول مجاهد، والرقاشي، وقتادة، والربيع، والسدي، والضحاك. انظر المصادر السابقة .

وذهب أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٩١ إلى أن (كلمة الله): كتاب الله، كما تقول العرب للرجل: (أنشدني كلمة كذا وكذا)؛ أي: قصيدة فلان، وإن طالت. وأنكر عليه الطبري ذلك إنكارًا شديدًا، وردَّه. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٤.

(٥) قال به ابن عباس، والربيع، والضحاك. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٠-٢٥٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٦ ب.

قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾. (السَّيِّد) من باب: (الصَّيِّب)، و(المَيِّت). وقد ذكرنا ما فيهما[(١)]. ويقال[(٢)]: (سادَ فلانٌ قومَه، يَسُودُهم، سُؤْدَداً، وسِيادَةً): إذا صار رئيسهم[(٣)].

قال أبو[(٤)] إسحاق[(٥)]: (السيِّد): الذي يفوق في الخير قومَه.

وقال بعض أهل اللغة: (السيد): المالك الذي[(٦)] يجب[(٧)] طاعته؛ ولهذا يقال: (سيِّد الغلام)، ولا يقال: سيِّد الثوبِ.

سَلَمَة[(٨)] عن الفرَّاء[(٩)]: (السيِّد): المالك[(١٠)]، و(السيِّد): الرئيس، و(السيِّد): الحليم، و(السيِّد): السَّخي، و(السيِّد): الزوج، ومنه قوله:

---

(١) في (ج): فيها. وانظر: «تفسير البسيط» تح: د. الفوزان، عند آية: ١٩ من سورة البقرة. وانظر ما سبق عند تفسير آية: ٢٧ من سورة آل عمران. ويعني: أن (سَيِّد)، أصلها: (سَيْوِد)، مثل: (صَيِّب)، و(مَيِّيت) حيث إنَّا أصلهما: (صيوِب) و(مَيْوِت). انظر بيان هذه المسالة، والخلاف فيها، في «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٦٥، «سر صناعة الإعراب» ١٥٣، ٥٨٥، «الإنصاف» ص٦٢٤-٦٢٥، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند تفسير آية: ٢٧ من سورة آل عمران.

(٢) (ويقال): ساقطة من (ج).

(٣) وفي لغة طيىء: (سُؤْدُد) بضم الدال، وورد من مصادره: (سَيْدُودَة). انظر (سود) في: العين، للخليل: ٧/ ٢٨١، «الصحاح» ٢/ ٤٩٠، «اللسان» ٤/ ٢١٤٤.

(٤) في (ب): ابن.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٠٦.

(٦) من قوله: (الذي ..) إلى (.. والسيد الرئيس): ساقط من (د).

(٧) في (ج): (تجب).

(٨) هو: أبو محمد، سَلَمَة بن عاصم. تقدم.

(٩) قوله في «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٥.

(١٠) في «التهذيب» «اللسان» (سود): الملك.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [يوسف: ٢٥] [أي: زوجها][(١)].

وقال أبو خيرة[(٢)]: سُمِّيَ (سَيِّدا)؛ لأنه يَسُودُ سَوادَ الناسِ؛ أي: عُظْمَهم[(٣)]. هذا قول أهل اللغة في معنى (السيِّد).

فأما أهل[(٤)] التفسير: فقال ابن عباس[(٥)]: السَّيِّد: الكريم على رَبِّهِ ﷻ. وقال قتادة[(٦)]: السيِّد؛ هو: العابد، الورع، الحليم. وقال عِكرِمَة[(٧)]: السيد: الذي لا يغلبه غضبُهُ.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) (د)، ومن «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٠. وانظر في تفسير (سيِّدها) بـ(زوجها) «تفسير البيضاوي» ص٢٤٣، «تفسير أبي السعود» ٤/ ٢٦٧، «فتح القدير» ٣/ ٢٧.

(٢) في (د): أبو حيوة. وقوله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٠، «اللسان» ٤/ ٢١٤٤-٢١٤٥. وأبو خيرة، هو: نهشل بن زيد البصري. أعرابي بَدَوي من بني عَدِيّ، دخل الحاضرة، وأخذ عنه الناس، وصنف في الغريب كتبا. انظر: «الفهرست» ص٧٢، «إنباه الرواة» ٤/ ١١٧، «معجم الأدباء» ١٩/ ٢٤٣، «بغية الوعاة» ٢/ ٣١٧.

(٣) في «تهذيب اللغة» معظمهم.
و(عُظْمهم): أكثرهم، ومعظمهم. انظر: «الصحاح» ٥/ ١٩٨٧ (عظم).

(٤) (أهل): ساقطة من: (ب).

(٥) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد أورده ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٨٣، وهو قول مجاهد، والرقاشي. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٤، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٣، «البغوي» ٢/ ٣٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣٨ أورده عن مجاهد ونسب إخراجه كذلك إلى عبد بن حميد. والوارد عن ابن عباس، تفسيره بـ(الحليم النقي)؛ كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٤، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٢، «زاد المسير» ١/ ٣٨٣، «الدر المنثور» ٢/ ٣٩، ونسب إخراجه كذلك لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن عساكر.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٧أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٤.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٥، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٠، «الدر المنثور» ٢/ ٣٩، وزاد نسبته لابن أبي الدنيا في «ذم الغضب».

وقوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ (الحَصْرُ) في اللغة: الحَبْسُ[١]. يقال: (حَصَرَه، يَحْصُرُه، حَصْراً). و(حُصِرَ الرجلُ): إذا اعتُقِل بطنه[٢]، و(حَصِرَ[٣] الرجلُ عن النساء)، فهو (حَصُورٌ).

والحَصُورُ: الضَّيِّقُ[٤]، البخيل، الذي يمنع مالَهُ، فلا يُخرِجُ مع النَّدامى[٥] شيئاً للشراب[٦]، ومنه:

لا بالحَصُورِ ولا فيها بِسَوَّارِ[٧]

---

(١) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة»: (الحاء، والصاد، والراء؛ أصل واحد؛ وهو: الجمع والحبس والمنع ٢/ ٧٢ (حصر). وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي: ٣٤، «الصحاح» ٢/ ٦٣٠-٦٣٢، وما سيأتي من مراجع.

(٢) في «الصحاح» (والحُصْرُ بالضم: اعتقال البطن، تقول فيه: (حُصِرَ الرجل)، وَ(أُحْصِرَ)، على ما لم يُسمَّ فاعِلُه) ٢/ ٣٦٢ (حصر).

(٣) ورد ضبطها في «تهذيب اللغة» (حُصِرَ)، حيث قال: (ورجل حَصُورٌ: إذا حُصِرَ عن النساء ..) ١/ ٨٣٨، وانظر ١/ ٨٣٩، وكذا ورد في «اللسان» ٢/ ٨٩٦ (حصر). ولكن ورد في «الصحاح» (وكل من امتنع عن شيء، فلم يقدر عليه، فقد حَصِرَ عنه، ولهذا قيل: (حَصِرَ في القراءة)، و(حَصِرَ عن أهله» ٢/ ٦٣١ (حصر).

(٤) من قوله: (الضيق..) إلى (.. ولا فيها بسوار): ساقط من: (ب).

(٥) النَّدامى هنا : هم الذي يجتمعون على الشراب، وهذا هو الأصل فيها، ثم استعملت في كل اجتماع للمسامرة. يقال: (نادمه على الشراب، مُنادمة، ونِداماً). والمفرد: نَدِيم، ونَدْمان. والجمع: نَدامى، ونُدَماء، ونِدام. انظر (ندم) في «أساس البلاغة» ٢/ ٤٣٢، «التاج» ١٧/ ٦٨٣.

(٦) انظر: «التهذيب» ١/ ٨٣٨ (حصر). وقال ابن سيده في: «المخصص»: ١٤/ ٢٥: (والحَصير.. الذي لا يشرب مع القوم لبخله، وهو الحَصور)، وكذا ورد في «مجالس ثعلب» ٥٠٩.

(٧) قوله: (فيها بسوار): بياض في: (د). وهذا عجز بيت وصدره:

وشارِبٍ مُربحٍ بالكأس نادمني

و(الحَصور)، و(الحَصِرُ) أيضاً: الذي يكتم السِّرَّ، ويحبسه في نفسه.

قال جرير:

ولقَدْ تَسَقَطني الوُشاةُ فصادفوا حَصِرًا بِسِرِّكِ[1] يا أُمَيْمَ ضَنينا[2]

= وهو للأخطل، في شعره ١٦٨، كما ورد منسوبًا له في أغلب المصادر التالية: «مجاز القرآن» ١/ ٩٢، «طبقات فحول الشعراء» ٥٠١، «مجالس ثعلب» ٣١٥، ٥٠٩، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٠٧، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٥، «القطع والاستئناف» للنحاس: ٢٢٣، «جمهرة أشعار العرب» ص٣٢٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٨ (حصر)، «المحتسب» ٢/ ٢٤١، «الصحاح» ٢/ ٦٣١ (حصر)، «مقاييس اللغة» ٣/ ١١٥ (حصر)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨أ، «والمخصص»: ١٤/ ٢٥، «تفسير القرطبي» ٣/ ١٥٨، «اللسان» ٢/ ٨٩٦ (حصر)، ٤/ ٢١٤٧ (سور). وورد في «مجالس ثعلب» برواية أخرى، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (.. ولا فيها بسآر) بتشديد الألف الممدودة، وقال ابن جني: (وأجود الروايتين: (بسَوَّار)؛ أي: بمعربد)، وفي «القطع والائتناف» (وصاحب مربح..). ومعنى (مُرْبح)؛ أي: يصف نديمه في الشراب، بأنه يُربح بائعها، ولا يبالي بأن يشتريها بثمن غالٍ، وهو هنا يمدحه بحب اللّهْو والكرم، أو تكون (مربح) من: أرْبَح الرجلُ: إذا نحر لأضيافه (الرُّبَح)، وهي الفصلان الصغار. وقوله: (لا بالحصور)؛ أي: ليس بخيلا ممسكا. ومعنى: (ولا فيها بسوَّار)؛ السَّوَّار: الذي تَسُورُ وتدبُّ الخمرُ في رأسه سريعًا، فتثب به وثْبَ المُعَرْبِد على من يُشارِبُه. أما الرواية الثانية (ولا فيها بسآر)؛ أي: لا يبقى في الإناء سُؤْرًا، أي: بقية، بل يشتفُّهُ كلَّه.

انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٥٣ (ربح)، ٢/ ٨٩٦ (حصر)، ٤/ ٢١٤٧ (سور).

(١) في (ج)، (د): (يسرك).

(٢) في نسخة (ب) دمج بيت الأخطل مع بيت جرير، كالتالي:

لا بالحصر ولا عنها بسوار بسرك يا أميم ضنينا

وقد ورد بيت جرير، في «ديوانه»: ٤٧٦. كما ورد منسوبًا له في: «مجاز القرآن» ١/ ٩٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٥، «معاني القرآن» للزجَّاج ١/ ٤٠٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٩، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ٧٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨أ، =

قال ابن قتيبة[(١)]: الحَصُور: الذي لا يأتي النساء، وهو (فَعُولٌ) بمعنى: (مفعول)؛ كأنه[(٢)] محصور عنهن؛ أي: مأخوذ[(٣)]، محبوس[(٤)]، ومثله: (رَكوب)، بمعنى: مَرْكُوب[(٥)]، و(حَلوب)، بمعنى: مَحْلُوب[(٦)]. ويجوز أن يكون (فَعُولاً) بمعنى: (فاعل)؛ يعني: أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات.

وجميع المفسرين: على أن (الحَصُور) ههنا: الذي لا يأتي النساءَ، ولا يقربهن[(٧)].

= «والمخصص»: ٣/ ٢٠، «اللسان» ٢/ ٨٩٦ (حصر)، ٤/ ٢٠٣٨ (سقط). وورد عند الطبري: (تَساقَطَني)، وفي «اللسان» ٤/ ٢٠٣٨: (.. حَجِئًا بسِرِّك). و(تَسَقَّطه)، و(استسقطه)، و(تساقطه)؛ بمعنى: طلب سَقَطَه، أي: خطأه وعثرته، وعالجه على أن يخطئ، وفي البيت: عالجه على أن يسقط فيخطئ أو يبوح بما عنده. أما في الرواية الثانية: (.. حجئا بسرك)؛ أي: مستمسكًا به، من قولهم: (حَجِئَ بالشيء، وحَجَأ به، حَجْأ)؛ أي: تمسك به ولزمه. ومعنى (الضَّنِين): البخيل، الحريص على الشيء. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٣٨ (سقط)، ٢/ ٧٧٧ (حجأ)، «القاموس» ١٢١٢ (ضنن).

(١) في «تفسير غريب القرآن» له ٩٩، نقله مع اختصار قليل.

(٢) في (ج): (فكأنه)، وفي (د): (وكأنه).

(٣) في (د): (أحود).

(٤) قال ابن قتيبة بعدها: (وأصل الحصر: الحبس).

(٥) (بمعنى مركوب): ساقط من: (ج) (د).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٤.

(٧) وهو قول: ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وابن جبير، وقتادة، وعطاء، وأبي الشعثاء، والحسن، والسدي، وابن زيد، وعطية العوفي انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٣، ٦٤٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨أ، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٧، «تفسير القرطبي» ٤/ ٧٨.

قال ابن عباس: هو الذي لا يجامع النساءَ، إنما له فَرْجٌ كفَرْجِ الصَّبِيِّ الصغير[١] وقال سعيد بن المُسَيِّب[٢]: هو العِنِّين.

وروي عن النبي ﷺ، أنه ذكر يحيى بن زكريا ثمَّ أهوى بيده إلى قَذَاةٍ[٣] من الأرض فأخذها، وقال: «**كان ذَكَرُهُ مثلَ هذه القذاةِ**»[٤].

---

(١) الذي في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٣: (عن ابن عباس، قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.)، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٩، ونسب إخراجه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن عساكر.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨أ. وقد تقدمت ترجمته.

(٣) القذاة: هي الشيء الصغير جدًّا، مما يقع على العين والماء والشراب؛ من تراب، أو تُبْن، أو وسخ، أو غير ذلك. وجمعها: (قَذًى)، وجمع الجمع: (أَقْذاء). انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٦٢ (قذى).

(٤) الحديث: أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٥٥، بسنده عن سعيد بن المسيب، عن ابن العاص إما عبد الله أو أبيه، من طرق مختلفة، مرفوعًا وموقوفًا، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٤٣ عن ابن المسيب عن ابن العاص مرفوعًا وموقوفًا، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٧٣، وقال: (صحيح على شرط مسلم)، ووافقه الذهبي، وأورد ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٨٧ رواية ابن أبي حاتم المرفوعة والموقوفة، وقال عن المرفوعة: إنها غريبة جدًّا، وقال عن الموقوفة: (فهذا موقوف، أصح إسنادًا من المرفوع)، وقال: (رواه ابن المنذر في «تفسيره» من طريق آخر عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص). وأخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيريهما عن أبي هريرة مرفوعًا. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨أ. وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٩، ونسب إخراجه كذلك إلى ابن المنذر وابن عساكر، وقال: (وأخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد في: «الزهد» وابن أبي حاتم، وابن عساكر، عن أبي هريرة من وجه آخر عن ابن عمرو، موقوفًا، وهو أقوى إسنادًا من المرفوع). وقد نقل ابن كثير بعد أن أورد بعضًا من هذه الآثار قولَ القاضي عياض حولها، ونصه كما في (الشفاء): (فاعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى بأنه حصُورٌ، ليس كما قال بعضهم: إنه كان=

فعلى هذا القول: (الحَصور)، بمعنى: (المحصور)، وهو الذي حُصِر عنهن، على[1] قول الجمهور، وهو (فَعُول) بمعنى (فاعل)؛ لأنه حَبَس نفسه عنهن. وقد استقصينا هذا الحرف عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]

٤٠- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ذهب كثير من

= هَيُوبا [أي: يهاب الفعل المعروف]، أو لا ذَكَر له، بل قد أنكر هذا حذَّاق المفسرين، ونقَّاد العلماء، وقالوا: هذه نَقيصةٌ وعيب، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه: أنه معصوم من الذنوب؛ أي: لا يأتيها، كأنه حُصِر عنها، وقيل: مانعا نفسه من الشهوات، وقيل: ليست له شهوة في النساء. فقد بان لك من هذا؛ أنَّ عدم القدرة على النكاح، نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة، ثم قمْعُها؛ إمَّا بمجاهدة، كـ (عيسى) عليه السلام، أو بكفاية من الله تعالى كـ(يحيى) عليه السلام فضيلة زائدة؛ لكونها مُشْغلةً في كثير من الأوقات، حاطَّةً إلى الدنيا؛ ثم هي في حقِّ من أقْدِر عليها، ومُلِّكها، وقام بالواجب فيها، ولم يشغله عن ربه درجةٌ علياء، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم تشغله كثرتُهُنَّ عن عبادة ربِّه؛ بل زاده ذلك عبادة؛ لتحصينهنَّ، وقيامه بحقوقهنَّ، واكتسابه لهنَّ، وهدايته إيَّاهن؛ بل صرَّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره) ثم ساق القاضي عياض الأدلة على ذلك. انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض: ص٨٨. ثم يقول ابن كثير: (والمقصود، أنه مَدْح ليحيى بأنه حَصُورٌ، ليس أنه لا يأتي النساء؛ بل معناه: .. أنه حصور عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال، وغشيانهنَّ، وإيلادهنَّ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم، حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾؛ كأنه قال: ولدا لهُ ذرية ونسل وعَقِب. والله ﷻ أعلم). «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٨. وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٨/ ٤٠ وقال بأنه (اختيار المحققين)، «غرائب القرآن» للنيسابوري ٣/ ١٨٣، «تفسير الخازن» ١/ ٢٨٩.

(١) في (ج): (وعلى).

المفسرين إلى أن زكريًا خاطب بهذا جبريل عليه السلام، فقال: (رَبِّ)؛ أي: يا سيِّدي[١]. وذهب جماعة إلى أنه خاطب الله تعالى[٢].

وقوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾؛ إنْ قيل: كيف أنكر زكريًا الولدَ مع تبشير الملائكة إيَّاه به؟ وما معنى هذه المراجعة؟ ولِمَ عجب[٣] من ذلك بعد إخبار الله تعالى بأنه يكون، إذ يقول ﷻ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾؟ فالقول في ذلك: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي[٤]﴾ أن معنى قوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ على أيِّ حالٍ يكون ذلك؛ أيَرُدُّني إلى حال الشباب، وامرأتي؟ أم من حال الكِبَرِ؟. فقال ما قال من هذا مستثْبِتاً، ومستعْلِماً، لا متعجباً، ولا منكِراً[٥].

والغُلامُ: الشابُّ من الناس. وأصله من (الغُلْمَةِ). و(الاغتلام)؛ وهو: شِدَّة طَلبِ النِّكاح. ويقال: (غُلامٌ بَيِّن[٦] الغُلُومِيَّةِ، والغُلُومَةِ، والغُلامِيَّةِ)[٧].

---

(١) وهذا قول الكلبي، كما في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨ ب، وقال الثعلبي بأنه قول أكثر المفسرين، «تفسير القرطبي» ٤/ ٧٩، وانظر: «الخازن» ١/ ٢٩٠.

(٢) وهو الظاهر من الآية.

(٣) في (ج): (اعجب).

(٤) (لي): ساقطة من (ج)، (د).

(٥) وممن قال بهذا: الحسن، وابن كيسان، وابن الأنباري. انظر: «زاد المسير» ١/ ٣٨٤. وقيل: بأي منزلة أستَوْجِبُ هذا؟ قاله على سبيل التواضع لله، والشكر له، والاستعظام لقدرته تعالى التي لا يعجزها شيء. انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٥، «النكت والعيون» ١/ ٣٩١، «غرائب القرآن» ٣/ ١٨٤، و«أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل» للرازي ٦١.

(٦) في (د): (من).

(٧) انظر كتاب «خلق الإنسان» ١١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩١ (غلم)، «الصحاح» ٥/ ١٧٩٧ (غلم).

قال الفرَّاء[(١)]: والعرب تجعل مصدرَ كلِّ اسمٍ ليس له فعلٌ[(٢)] معروف على هذا المثال. فتقول: (هذا [عبدٌ][(٣)] بَيِّن[(٤)] العبودية، والعبدِيَّةِ[(٥)]، والعبودَةِ).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾. (الكِبَرُ)، مصدرُ: (كَبِرَ الرجلُ، يَكْبَرُ): إذا أَسَنَّ[(٦)].

قال أهل المعاني[(٧)]: معنى ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: وقد بَلَغتُ الكِبَرَ؛ وذلك أن كلَّ[(٨)] شيءٍ صادَفْته وبلغته، فقد صادفك وبلغك. وكان نسبةُ الفعلِ إلى الكبر، كنسبته[(٩)] إلى الرجل؛ يدل على هذا قولُ العرب: (تلقَّيْتُ الحائطَ)، و(تلقَّاني[(١٠)] الحائطُ).

(١) لم أهتد إلى مصدر قوله، وقد ورد بعضه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٠١ (عبد) ونصُّه: (وقال الفرَّاء: يقال: فلان عبدٌ بيِّن العبودة، والعبودية، والعبدية).

(٢) (فعل): ساقط من: (ب).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٤) في (أ)، (ب): (من)، والمثبت من: (ج)، (د)، ومن «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٠١.

(٥) (والعبدية): ساقط من: (ج)، (د).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٧، «القاموس المحيط» ص٤٦٨ (كبر). والقياس أنَّ (فَعِلَ) من الثلاثي المجرد، يأتي مضارعها على (يَفْعَلُ). انظر: «المزهر» ٢/ ٣٧. أما (كَبُرَ، يَكْبُرُ)، فهي إذا ما أردت عِظَمَ الشيءِ والأمرِ، فهي مثل: (عَظُمَ، يعظُمُ). انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٩٠-٣٠٩١ (كبر).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزَّجاج ١/ ٤٠٨، «مجاز القرآن» ١/ ٩٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨ ب.

(٨) من قوله: (كل ..) إلى (.. وبلغك): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٨.

(٩) في (أ): (كنسبة)، والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في (ج): (فتلقاني).

فإن قيل: أيجوز[١] (بلغني البلدُ) في موضع (بلغْتُ البلدَ)؟ قيل: إنما جاز في الكِبَرِ؛ لأن الكبَر بمنزلة الطالب، فهو يأتيه بحدوثه[٢] فيه، والإنسان[٣] أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه، ولا يجوز مثل ذلك في البلد، وليس الكبَر بمنزلة البلد، إنما هو بمنزلة: القول، والعطاء، والإفضال[٤]، والعقاب؛ فكما يجوز: (بلغني عطاؤك)، و(بلَغَتْ زيداً[٥] جائزتُكَ)، (وبلغ عبدَ اللهِ عقابُكَ)، جاز أن يكون[٦] البلوغُ منسوباً[٧] إلى الكِبَر[٨].

قال ابن عباس في رواية الضحاك[٩]: كان زكريا يوم بُشِّر بالولد ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمانٍ وتسعين سنةً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾. العاقِر[١٠] من النساء: التي لا تلد. يقال: (عَقُرَت، تعْقُرُ، عُقْراً، وعَقارةً)[١١].

أنشد الفراء:

---

(١) في (ج): (تحوز)، وفي: (د) (لا يجوز).

(٢) من قوله: (بحدوثه ..) على: (.. أيضًا يأتيه): ساقط من (ج).

(٣) في (د): (والإنصاف).

(٤) في (د): (والاتصال).

(٥) في (ج): (زيد).

(٦) (أن يكون): ساقط من (ج).

(٧) في (أ)، (ب): (منصوبًا)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٨) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ١٩٣-١٩٨، فقد جعل هذا من المقلوب، وهو أن يقدم ما يوضحه التأخير، ويؤخر ما يوضحه التقديم.

(٩) الأثر في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٥، «زاد المسير» ١/ ٣٨٥.

(١٠) (العاقر): ساقطة من (د).

(١١) في (ب): (وعقارا).

إرْزامَ نـابٍ عـقُـرت أعـوامـاً فَـعَـلِـقَـتْ بُـنَـيَّـهـا[١] تَـشْـمـامـا[٢]

ويقال أيضًا: (عَقُرَ الرجلُ، وعَقَرَ، وعَقِرَ)[٣]: إذا لم يُحمل له. و(رجلٌ عاقرٌ)[٤].

قال عامرُ بن الطُّفَيْل[٥]:

---

(١) في (د): (فعقرت بنتها).

(٢) في (ج): (تسماما). لم أقف على قائله، وقد أورد الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٤٨ ب، قائلًا: (وأنشد الفراء) وذكره، وأورده السمين الحلبي في «الدر المصون» وقال: (وأنشد الفراء) وذكره. وروايته في «الدر المصون».

أرزامُ بـاب عـقُـرت أعـوامـا فـعـلّـقـت بُـنَـيَّـهـا تـسـمـامـا

ومعنى (الإرزام): الصوت الذي لا يُفْتَح به الفمُ، ومنه: (الرَّزَمة)، وهو: ضرب من حنِين الناقة على ولدها حين تَرأمُهُ، يقولون: (أرْزَمَت الناقةُ إرْزامًا). وقيل: هو دون الحنِين، والحنِينُ أشدُّ من الرَّزَمَةِ. و(النابُ)، و(النَّيُوب): الناقة المسنة، سُمِّيت بذلك حين طال نابها وعظُمَ.

انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٣٧ (رزم)، ٨/ ٤٥٩١ (نيب).

أي: أنَّ هذه الناقة المسنَّة، والتي نُتِجَتْ بعد أن كان عاقرًا لمدة أعوام، فإنها تحن على وليدها، مصدرة صوتًا يدل على رحمتها، وشغفها وتعلقِّها به، ولا تنشب تَشَمُّ هذا الوليد تَشْماما المرة بعد الأخرى.

(٣) (وعقر): ساقط من (د).

(٤) انظر (عقر)، في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٤، «اللسان» ٥/ ٣٠٣٤. والقياس في (فَعُلَ) الثلاثي المجرد، أن يكون مضارعه (يَفْعُل). أما (فَعَلَ) من المجرد الثلاثي الصحيح، الذي عينه أو لامه ليست من حروف الحلق، فمضارعه يأتي على (يَفْعِل) و(يَفْعُل). انظر: «المزهر» ٢/ ٣٧- ٣٨.

(٥) هو: عامر بن الطفيل بن مالك العامري. أحد فرسان العرب المشهورين، وابن عم لَبيد الشاعر، أدرك النبي ﷺ، ولم يُسْلِم، وهو الذي غدر بالصحابة عند بئر معونة سنة (٤هـ)، وحاول قتل النبي فعصمه الله منه، ودعا عليه النبي ﷺ، فأهلكه الله. انظر: «الشعر والشعراء» صـ٢٠٧، «معجم الشعراء» ٣٧، «الأعلام» ٣/ ٢٥٢.

لبئس الفتى إنْ كنتُ أعورَ عاقرًا
جبانًا فما عذري لدى كلِّ مَحْضَرِ[(١)]

قال أبو إسحاق[(٢)]: قوله: ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾، في هذا دليل على أن (عاقرًا)[(٣)] وقع على جهة النَّسَب[(٤)]؛ لأنَّ (فَعُلَت) أسماء[(٥)] الفاعلين فيه على (فَعِيلَة) نحو: (ظَرِيفة)[(٦)]، و(كَرِيمة)؛ وإنما (عاقر) على: (ذات عُقْرٍ)[(٧)]،

(١) البيت في: «ديوانه»: ٦٤، كما ورد منسوبًا له في «مجاز القرآن» ٢/ ٩٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٧، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري: ١/ ٢٠٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٨ ب، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٠٧، «تفسير القرطبي» ١١/ ٧٩، «الدر المصون» ٣/ ١٦٢. وورد غير منسوب في «الزاهر» ٢/ ٥٨٢. وروايته في الديوان: (فبئس ..)، وفي «الزاهر» (.. فما أغني لدي كل مشهد)، وفي «المذكر والمؤنث» (.. فما أغني لدي كل محضر). قال الشاعر هذا البيت ضمن أبيات في وقْعَةٍ دارت في موضع يُسمَّى (فَيْفَ الريح)، وقد ذهبت عَيْنُه في هذه المعركة، فاجتمع له العَورُ والعُقْمُ، فيقول هنا: إنه بئس الفتى إن كان يجمع إلى العور والعقم، الجُبنَ، والمهابَةَ من العدو، حيث لا يُعذَر بعدها.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٨، نقله عنه بنصه.

(٣) في (ب): (عاقر).

(٤) أي مما جاءت النسبة فيه على صيغة (فاعل)، مثل: تامِر، ولا بِن، وحائِك، وكاسٍ؛ بمعنى: صاحب تمْرٍ، وصاحب لبنٍ، وصاحب حياكة، وصاحب كساء. فعاقر، بمعنى: ذات عُقْر.

(٥) في (ج): (اسما)، وفي (د): (اسم).

(٦) في (أ)، (ب): (طريقة)، والمثبت من: (ج)، (د)، ومن «معاني القرآن» للزجاج؛ لأن (طريقة) من: (طَرَقَ) وليست من: (طَرُقَ)، كما أن (طريقة) تأتي على (مفعولة) بمعنى (مطروقة).

(٧) في (أ): (عُقَر). وفي بقية النسخ، مهملة من الشكل. وما أثبَتُّه هو ما استصوبته. والعُقْر: العُقْم.
يقول السمين الحلبي بعد أن نقل كلام الزجاج السابق: (وهذا نصٌّ من أن الفعل=

و(رجالٌ ونساءٌ عُقُرٌ)[١] وفي الحديث: (عُجُزٌ عُقُرٌ)[٢].

ويقال: (أعقَر اللهُ [رحِمَها])[٣]، فهي (مُعْقَرَةٌ). و(رملٌ[٤] عاقِر): لا يُنبِت شيئاً[٥].

= المسند للمرأة، لا يقال فيه إلّا (عقُرت) بضمِّ القاف؛ إذ لو جاز فتحها أو كسرها لجاز منها (فاعِل) من غير تأويل على النسب). «الدر المصون» ٣/ ١٦٢. ولكن ورد في «اللسان» (وقد عَقُرَت المرأة عَقارةً، وعِقارة، وعَقَرت تَعْقِر عَقْرا، وعُقْرا، وعَقِرت عَقارًا، وهي عاقر) ٥/ ٣٠٣٣ (عقر). وعليه فإنه يصح أن يأتي منها صفة مشبَّهة باسم الفاعل.

(١) عقر: ساقطة من (ج). و(عُقُر)، و(عُقَّر) و(عواقر)، جمع: عاقر. انظر العين: ١/ ١٥٠، «النهاية في «غريب الحديث» ٣/ ١٨٦، «اللسان» ٥/ ٣٠٣٣ (عقر).

(٢) العُجُز: جمع (عَجوز). ولم أهتد إلى مصدر الحديث بهذا اللفظ في كتب السنة. وقد أورده الخليل في: «كتاب العين» ١/ ١٥٠، وقال: وفي الحديث: «عُجْزٌ عُقُرٌ» بتسكين العَيْن في (عجز)، وورد في «النهاية في «غريب الحديث» ٣/ ١٨٦، بلفظ: «إيَّاكم والعُجُز والعُقُر»، ولم يخرِّجه. وقد وقفت على حديث آخر قريب من معنى هذا الحديث، وهو: عن عياض بن غنم الفهري، عن النبي ﷺ، قال: «**يا عياض لا تَزَوَّجَن عجوزًا ولا عاقرا، فإني مكاثر بكم الأمم**». أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٢٩٠ ٢٩١. كتاب معرفة الصحابة، وصححه، وتعقبه الذهبي بأن في سنده معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٧/ ٣٦٨ رقم (١٠٠٨). قال الهيثمي: (وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف) «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٥٨، وأورده ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٥٠ وضعَّفه؛ لأن في سنده عمرو بن الوليد الأغضف، وزاد نسبة إخراجه لأبي نعيم، وأورده ابن حجر الهيتمي المكي في كتاب «الإفصاح» عن أحاديث النكاح): ١٦٠.

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، وفي(ب): (امرأته)، والمثبت من: (ج)، (د)، ومن «اللسان» ٥/ ٣٠٣٤ (عقر). والعبارة في (ج): (أعقرها الله رحمها)، وفي(د): (أعقر رحمها).

(٤) في (ج): (ورجل).

(٥) انظر: «اللسان» (عقر) ٥/ ٣٠٣٤.

وذَكر[١] زكريا عليه السلام عُقْرَ زوجته مع كِبَر نفسه؛ لزيادة ترجيحٍ في الاستبعاد، فلمَّا استفهم عن[٢] كيفيَّة حال الولادة؛ قيل له: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: مثل ذلك من الأمر، وهو: هبة الله الولدَ على الكِبَر، يفعل الله[٣] الذي يشاؤه، فسبحان من لا يعجزه شيء.

٤١- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ قال المفسرون: إنَّ زكريا عليه السلام لمَّا بُشِّر بالولد، سأل الله تعالى علامةً يعرف بها وقت حمل امرأته؛ ليزيد في العبادة؛ شكراً[٤] على هبة الولد[٥]، فقال الله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾. أي[٦]: علامة ذلك أن تمسك[٧] لسانك عن الكلام، وأنت صحيح سَوِيٌّ؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ [مريم: ١٠]؛ أي: وأنت سَوِي.

---

(١) في (ج): (وذكرنا).
(٢) في (أ): غير مقروء، وفي (ب): (استبعد من). والمثبت من: (ج)، (د).
(٣) (الله): ليس في: (ج).
(٤) في (ب): (ذكرا).
(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٩ أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٦، «زاد المسير» ١/ ٣٨٦.
(٦) من قوله: (أي ..) إلى: (أي: وأنت سوي): نقله عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٩.
(٧) في «معاني القرآن» للزجاج: (يُمْسَك لسانُك)، وهي الأصوب؛ لأن قوله بعدها: (وأنت صحيح سوي) لا تتناسب مع فعل (تمسك)، المبني للمعلوم، كما أن الآثار بعدها تدل على ذلك، وكذلك ما رواه الحاكم عن ابن عباس قال: (يُعتقَلُ لسانُك من غير مرض وأنت سوي) «المستدرك» ٢/ ٢٩١ كتاب التفسير. وصححه، ووافقه الذهبي. وروى عن نوف البكالي: (فختم على لسانه ثلاثة أيام ولياليهن، وهو صحيح لا يتكلم). المرجع السابق: ٢/ ٥٩١ كتاب التاريخ، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨٨.

قال الحسنُ(١)، وقتادة(٢)، والربيع(٣): أُمسِك لسانُه ثلاثةَ أيام، فلم يقدر أن يكلم الناس إلاَّ إيماءً، وجعل ذلك علامةَ حملِ امرأتِه.

و(الرَّمْزُ): الإيماء بالشَّفَتين، والحاجِبَيْن، والعينين؛ يقال: (رَمَزَ، يَرمُزُ، ويَرْمِزُ)، ومنه قيل للفاجرة: (رامِزَةٌ)، و(رمَّازَةٌ)(٤)؛ لأنها تَرمُز وتُومِئ(٥)، ومنه الحديث: أنه (نهى عن كسب الرَّمَّازة)(٦).

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٦، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٠، ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٥٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٠٨.

(٤) (ورمازة): ساقطة من (د).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢١٣، «تأويل مشكل القرآن» ٤٨٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٠، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٧ (رمز)، «الصحاح» ٣/ ٨٨٠ (رمز).

(٦) الحديث ورد بلفظ آخر، أخرجه البيهقي في «السنن» ٦/ ١٢٦. ولفظه عنده: (عن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر الزَّمّارة). وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٨/ ٢٢-٢٣ رقم (٢٠٣٨)، عن أبي هريرة بنحوه إلا أنه فيه (.. وكسب الزمّارة). وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٢٠٤ بنحوه. وذكر محقِّقُ الكتاب في الهامش سندَ الحديث، من نسخة أخرى لكتاب «الغريب».
وأورده اليزيدي في «ما اتفق لفظه واختلف معناه»: ١٥٥، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨ (زمر)، وابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ٢٠/ ٣١٢.
وفي كل المصادر السابقة ورد (الزَّمّارة) بدلا من: الرَّمّازة). وأشار البغوي، وأبو عبيد، وابن الأثير، والأزهري إلى أن الحديث رواه البعض بلفظ: (الرمّازة). وقال أبو عبيد: (قال الحجاج: (الزمّارة): الزانية .. وقال بعضهم: (الرمّازة). وهو عندي خطأ في هذا الموضع.
=

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾. إن[١] قيل: إذا مُنع من[٢] الكلام، واضطُرَّ إلى الإشارة، كيف يقدر على التسبيح؟ قيل[٣]: إنَّ الله تعالى حبس لسانه عن التَّكلم بأمور[٤] الدنيا، وما يدور بين الناس، ولم يُحبس لسانه عن التسبيح. فكانت هذه أبلغ في الأعجوبة من أن يُمنع من[٥] كلٍّ ما يجري

= أما (الرَّمَازة) في حديث آخر؛ وذلك أن معناها مأخوذ من (الرَّمْز)، وهي التي تومئ بشفتيها أو عينيها، فأي كسب لها ههنا ينهى عنه؟ ولا وجه للحديث إلا ما قال الحجاج: (الزمارة). وعقب ابنُ قتيبة على هذا الكلام بقوله: (الصواب (الرَّمازة)؛ لأن من شأن البَغِيِّ أن ترمز بعينها أو حاجبها). «تهذيب اللغة» ٢٠٧/١٣. وصوب الأزهريُّ قول أبي عبيد، وكذا قال البغوي: (والأصح تقديم الزاي). «شرح السنة»: ٨/ ٢٣. ومن الناحية اللغوية، فإن (الزمارة) و(الرمازة) كلامها هنا بمعنى الفاجرة، إلا أن (الزَّمّارة) يُحتمل أن تكون كذلك بمعنى المرأة المُغَنِّيَة. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٧، ١٥٥٥ (رمز، زمر)، وانظر قول ابن قتيبة في هامش «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٣٤٢ نقله المحقق عن كتابه «إصلاح الغلط» مخطوط: ص٣، فقد أسهب في بيان هذا المعنى.

وورد الحديث بلفظ: (الزمارة) في كتاب «أحاديث ذم الغناء في الميزان» لعبد الله الجديع: ٥٠-٥١ وعزا تخريجه للمحاملي في «الأمالي» وابن عدي، وابن طاهر في: كتاب السماع. وأورده في ص: ١٥٥ بلفظ: (أخبث الكسب كسب الزمارة)، وعزا إخراجه لابن أبي الدنيا في: «ذم الملاهي». وذكر الجديعُ إسنادَه، وحكم عليه بأنه ضعيف جدًا.

(١) في (ج): (أي).

(٢) (من): ساقطة من: (ب).

(٣) في (ج)، (د) (فيقال).

(٤) في (ب): (بكلام).

(٥) في (د): (عن).

به اللسانُ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ أي: صَلِّ لله تعالى. والصلاة تُسَمَّى تسبيحا[٢]، لأن الصلاة يُوَحَّد فيها الله تعالى، ويُنَزَّه، ويُوصف بكلِّ ما يُبَرِّئه من السوء[٣].

و(العَشِيُّ): آخر النهار، جمع (عَشِيَّة)[٤]. و(الإبكار) مصدر: (أَبْكَرَ:

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٨/ ٤٤، ٢١/ ١٩١، «غرائب القرآن» ٣/ ١٨٥، «أضواء البيان» ١/ ٣٤١.

(٢) في (ج)، (د): (سبحة).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٠٩، فقد نقل عنه المؤلفُ بعض العبارات في تفسير التسبيح.
قال الراغبُ: (والتسبيح تنزيه الله تعالى. وأصله: المرُّ السريع في عبادة الله تعالى .. وجُعِل التسبيح عامًّا في العبادات؛ قولًا كان، أو فعلًا، أو نِيَّة). «مفردات ألفاظ القرآن» ٣٩٢ (سبح). وتفسير التسبيح هنا بالصلاة، قال به مجاهد، ومقاتل. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٦، «زاد المسير» ١/ ٣٨٦.

(٤) قال الخليل: (العَشِيُّ: آخر النهار. فإذا قلت: (عَشِيَّة) فهي ليوم واحد، تقول: (لقيته عَشِيَّة يوم كذا)، و(عشِيَّة من العشيَّات». كتاب «العين»: ٢/ ١٨٨ (عشى). وفي «القاموس» (والعشيُّ، والعَشِيَّة: آخر النهار، والجمع: عَشايا، وعَشِيَّات) ص١٣١١ (عشا). وعند الراغب: أنَّ العشي من زوال الشمس إلى الصباح. وعند الطبري: أن العشي من زوال الشمس إلى المغيب. وقال السمين الحلبي عن هذا القول: (هو المعروف). وعند الجوهري: أن العشي (من صلاة المغرب إلى العتمة، تقول: أتيته عشيَّ أمس، وعشيَّة أمس). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٢، «الصحاح» للجوهري ٦/ ٢٤٢٦ (عشا)، «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب ٥٦٧ (عشا)، «الدر المصون» ٣/ ١٦٧، «تاج العروس» ١٩/ ٦٧٧ (عشا).

إذا صار في وقت البُكرة(١)، أو سار(٢) فيه، ومثله: (بَكَر)، و(ابتَكَر)(٣)، و(بَكَّر)، قال عمر بن(٤) أبي ربيعة:

أمِنْ آل نُعْمٍ أنت غادٍ(٥) فَمُبْكِرُ(٦)

وقال أيضًا:

أيُّها الرائِحُ المُجِدُّ ابتكارا(٧)

---

(١) البكرة: هي أول النهار. انظر: «عمدة الحفاظ» للحلبي ٥٩ (بكر) وقال: (وقد اشتُق منها لفظ الفعل، فقيل: (بكر فلان في حاجته)؛ أي: خرج بُكرَة. والبُكور: الخروج بُكرة، والبَكور بالفتح: المبالغ في البكور. ولتَقَدُّمِها على سائر أوقات النهار؛ استعمل منها كلّ متعجل، وإن لم يكن في ذلك الوقت، فقيل: بَكر فلان في حاجته، وابتكر، وباكر مُباكرةً).

(٢) في (ب): (صار).

(٣) في (د): (فابتكر).

(٤) في (د): (عمرو ابن).

(٥) في (أ)، (ب): (حا)، في (د): (عاد). والمثبت من: (ج) لموافقته للديوان، وبقية المصادر.

(٦) في (ج): (فمنكر)، وفي (د): (فمسكر). البيت في: «ديوانه» ٩٢. وورد في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٢، «المحرر الوجيز» ٣/ ١١١. وتمامه:

غَداةَ غَدٍ أمْ رائحٌ فَمُهَجِّرُ

و(نُعْم): امرأةمن قريش من بني جُمَح. و(غادٍ)؛ أي: سائر في وقت الغَداة، وهو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، وأراد أول النهار. و(مُبْكِر)، من (التبكير)؛ وهو: الخروج بُكرةً، وهو: أول النهار. و(مُهَجِّرُ)، من التهجير؛ أي: السير في وقت الهاجرة، وهو: نصف النهار، عند زوال الشمس، حال اشتداد الحرِّ. انظر: «القاموس» ص٣٥٢ (بكر)، ص١٣١٧ (غدو)، ص٤٩٥ (هجر).

(٧) من الشعر المنسوب لعمر بن أبي ربيعة. انظر: «ديوانه» ٤٩٣ وتمامه:

قَدْ قَضى مِن تِهامَة الأوطارا

وقال زُهير:

بَكَرْنَ بُكوراً واسْتَحَرْنَ بِسُحْرةٍ[(١)]

و(باكرت الشيء): إذا بكَّرت له، قال لَبيد:

[باكَرْتُ حاجَتَها الدجاجَ بسُحرةٍ[(٢)]

هذا معنى (الإبكار)، ثمَّ يُسَمَّى ما بين طُلوعِ][(٣)] الفجر إلى الضحى: إبكاراً، كما يُسَمَّى: إصباحاً[(٤)].

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾. هذا عطف على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾[(٥)]، وذكرنا العامل في ﴿إِذْ﴾ هناك. وأراد

---

(١) في (أ): حرة (بدلا من بسحرة)، والمثبت من بقية النسخ، ومن «ديوانه»: ص١٠، وقد سبق ورود البيت عند قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]

(٢) (باكرت حاجتها الدجاج بسحرة): ساقط من (د). وهذا شطر بيت، وتمامه:

لأُعِلَّ منها حين هبَّ نيامُها

وهو في: «ديوانه»: ٣١٥. وقد ورد البيت منسوبا له، في «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٥٧٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٧٦ (بكر)، «شرح القصائد العشر» للتبريزي ١٦٣، «شرح المعلقات السبع» للزوزني: ٢٤٤، «اللسان» ٣/ ١٣٢٨ (دجج)، ١/ ٣٣٢ (بكر)، ٣/ ١٨٧٩ (زهف). وروايته في «الديوان»: (بادرت حاجتها)، ويروى: (بادرت لذتها)، و(أن يهب نيامها).

قال الأزهري في معناه: (أي: بادرت صقيع الديك سحرًا إلى حاجتي)؛ أي: حاجتي في الخمر، وأضاف الحاجة إلى الخمر اتِّساعًا؛ أي: بادرت بشربها صياح الدِّيَكة. و(لأُعِلَّ منها)؛ أي: أشرب مرَّة بعد مرَّة، من (العَلَل)، وهو: الشرب مرَّة ثانية. و(حين هبَّ نيامها)؛ أي: وقت استيقاظ النيام بالسَّحَرِ، يعني: أنه ذهب بليل.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٤) انظر المعاني السابقة، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٢، «اللسان» ١/ ٣٣٢.

(٥) فيكون العامل في ﴿إِذْ﴾، هو: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ من آية ٣٤، وإليه ذهب الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٦٣. =

بـ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: جبريل وحده كما ذكرنا[(١)]. وهذا كقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل: ٢]، يعني: جبريل وحده[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾. أي: بما لطف لكِ [حتى][(٣)] انقطعتِ إلى طاعته، وصرت متوفرة[(٤)] على اتباع مرضاته.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾. قال ابن عباس[(٥)]: أي: من ملامسة الرجال. وقيل: من الحيض، والنفاس؛ كانت مريم لا تحيض[(٦)]. ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قال الأكثرون[(٧)]:

= وقيل العامل فيها: فعلٌ مُضْمَرٌ تقديره: (واذكر) ورجَّح هذا ابن عطية. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ١١٢، «التبيان» للعكبري ص١٨٨.

(١) (ذكرنا): ساقط من (د)، وانظر تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من آية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٢) وهذا قول ابن عباس ﷺ، كما في «المحرر الوجيز» ٨/ ٣٦٧، «غرائب القرآن» ٣/ ١٩٠، «تفسير أبي السعود» ٥/ ٩٥.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٤) في (ب): (متفرغة).

(٥) لم أهتد إلى مصدر قوله، وهو مذكور في «زاد المسير» ١/ ٣٨٧.

(٦) هذا قول السدي، وعكرمة، وهو في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٧، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٩ ب. وفي «زاد المسير» ١/ ٣٨٧ أنه قولٌ لابن عباس. وقال مجاهد: (جعلك طيبة إيمانًا)؛ أي: طهَّرَ دينك من الرَّيَب والدَّنَسِ. انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٢٧، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٧، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٢ وعزا إخراجه كذلك لعبد بن حميد، وابن المنذر. قال الآلوسي: (والأوْلى: الحمْلُ على العموم؛ أي: طهَّرك من الأقذار الحسِّيَّة والمعنوية والقَلْبِيَّة والقالبية). «روح المعاني» ٣/ ١٥٥.

(٧) ممن قال بذلك ابن عباس، والحسن، وابن جريج، والسدِّي، واختاره ابن جرير في «تفسيره» ٣/ ٢٦٢، وانظر: «تفسيره» كذلك ٣/ ٢٦٣، «زاد المسير» ١/ ٣٨٧، =

معناه: على عالَمي زمانها؛ بأن فضلت عليهن[١].

قال أبو إسحاق[٢]: وجائز أن يكون على نساء العالمين كلِّهم؛ لأنه ليس في النساء امرأة وَلَدت من غير أبٍ[٣] غير مريم؛ ولأنها[٤] قُبِلت في التحرير للمسجد[٥]، ولم يكن التحرير في الإناث، فهي مختارة على النسوان كلِّهنَّ، بما لها من الخصائص[٦]. وكرَّر الاصطفاء[٧]، لأن كلا[٨] الاصطفائين مختلفٌ[٩] معناهما: فالاصطفاء الأول: عمومٌ يدخل فيه صوالحُ النساء، والثاني: اصطفاء بما اختُصَّت به من خصائصها.

٤٣- قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾. ذكرنا معنى القنوت فيما تقدم[١٠]. قال مجاهد: معناه: أطيلي القيام في الصلاة[١١].

= وقال: (قال ابن الأنباري: وهذا قول الأكثرين)، وقال الشوكاني عن هذا القول: (وهذا هو الحق). «فتح القدير» ١/ ٥١٠.

(١) في (ج): (عليهم).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤١٠.

(٣) في (د) شطب على كلمة (أب) وكتب عليها: (زوج). ويُراد هنا: أنها ولدت عيسى من غير أبٍ.

(٤) في (ج): (لأنها).

(٥) في (ج)، (د): (في التحرير للمسجد).

(٦) وقد رجَّح هذا الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ٤٨، والقرطبي في «تفسيره» ٤/ ٨٢.

(٧) في (د): (وذكر الاصطفاء عموم).

(٨) في (أ)، (ب)، (د): (كلي)، والمثبت من: (ج) ومن «الدر المصون» ٣/ ١٧٠ حيث نقل عبارة الواحدي.

(٩) في (ج)، (د): (يختلف).

(١٠) انظر تفسير آية: ١١٦، ٢٣٨ من سورة البقرة، و١٧ من سورة آل عمران.

(١١) قوله، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٥، ولكن لفظه: (قال: أطيلي الرُّكود؛ يعني:=

وقال ابن عباس: يريد: قومي للصلاة بين يدي ربِّكِ[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾. يقال: لم قدَّم الأمرَ بالسجود على الركوع، وهو قبل السجود؟ قيل: (الواو) عند النحويين للجمع لا للترتيب[2]، وليس فيه دليل على المبدوء به.

= القنوت). وأورد الأثر عنه السيوطي في «الدر» ٢/ ١٩٥ ونسب إخراجه كذلك إلى عبد بن حميد. ومعنى الرُّكود: السكون والثبات. انظر: «القاموس المحيط» ٢٨٣ (ركد). وعند الطبري، عن الربيع: (قال القنوت: الركود. يقول: قومي لربك في الصلاة، يقول: اركدي لربك؛ أي انتصبي له في الصلاة) «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٥، وكذا رواه الربيع عن أبي العالية كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٨. وقال ابن عطية: (معناه: أطيلي القيام في الصلاة. وهذا هو قول الجمهور.. وبه قال مجاهد وابن جريج والربيع). «المحرر الوجيز» ٣/ ١١٥.

(١) الذي وقفت عليه عن ابن عباس، قوله في الآية: (يعني: صلِّي لربِكِ) من رواية إسحاق بن بشر، وابن عساكر، أوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٣. وقد ورد عن سعيد بن جبير في معنى ﴿ٱقْنُتِى﴾: قوله: (أخلصي لربك). وعن قتادة، والسدِّي، وابن زيد: (أطيعي ربَّكِ)، وعن الحسن: (اعبدي ربكِ). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٥، «زاد المسير» ١/ ٣٨٧. وقد جمع بينهما الطبري، فقال: (فتأويل الآية، إذًا: يا مريم أخلصي عبادةَ ربِّكِ لوجهه خالصًا، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له مِن خلقه؛ شكرًا له على ما أكرَمَكِ به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس، والتفضيل على نساء عالَمِ دهرِكِ) تفسيره: ٣/ ٢٦٦. وانظر ما سبق من تعليق على قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ في آية ١٧.

(٢) هذا هو مذهب جمهور النحويين وأئمة الأصول والفقه. وذهب آخرون إلى إفادتها للترتيب، ومن هؤلاء: قطرب (ت: ٢٠٩هـ)، وهشام بن معاوية الضرير (ت: ٢٠٩هـ)، وأبو جعفر الدينوري (ت: ٢٨٩هـ)، والرَّبعي (ت: ٤٢٠هـ)، وقد عزاه بعض المؤلفين إلى الإمام الشافعي. إلا أن صلاح الدين العلائي قال: (والحق أن ذلك ليس قولًا له، بل هو وجه في المذهب، قال به جماعة من الأصحاب). «الفصول المفيدة في الواو المزيدة» للعلائي ٦٩. انظر بيان هذا الأمر في=

قال أبو الفتح الموصلي(١):

واوُ العطفِ(٢)، ليس فيها دليل على المبدوء به في المعنى؛ لأنها ليست مُرَتِّبةً، يدلُّ على ذلك قولُ لَبيد:

أُغْلي السِّباءَ(٣) بكلِّ أدكنَ عاتقٍ(٤)
أو جَوْنَةٍ قُدِحتْ وفُضَّ خِتامُها(٥).

= «المقتضب» للمبرد ١/ ١٠، «الكامل» له ٢/ ١٨، ٣/ ١٨٥، «الأصول في النحو» لابن السراج: ٢/ ٥٥، وكتاب «المعاني الحروف» للرماني ٥٩ ٦٠، «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٣٣٤-٣٣٥، «رصف المباني» ٤٧٤-٤٧٥، «ارتشاف الضرب» لأبي حيان: ٢/ ٦٣٣، «الجنى الداني» للمرادي: ١٥٨ ١٦٠، «مغني اللبيب» ٤٦٣-٤٦٤، «البرهان» للزركشي ٤/ ٤٣٦، «همع الهوامع» ٢/ ١٢٩.

(١) في «سر صناعة الإعراب» ٦٣٢، نقله عنه باختصار وتصرف. وأبو الفتح الموصلي، هو: عثمان بن جِنِّي. من أئمة النحو والأدب والتصريف، تتلمذ على أبي علي الفارسي وصحبه أربعين سنة، استوطن بغداد، ودرّس بها إلى أن مات، من كتبه «الخصائص»، «المنصف» وغيرها. توفي ببغداد سنة (٣٩٢هـ). انظر: «نزهة الألباء» ٢٤٤، «إنباه الرواة» ٢/ ٣٣٥، «معجم الأدباء» ٣/ ٤٦١.

(٢) في (ج): (الفتح).

(٣) في (أ)، (ب): (أعلى السب). (ج): (أعلى النسا). والمثبت من: (د)، ومن «سر صناعة الإعراب» والديوان.

(٤) في (ج): (عايق).

(٥) البيت في: «ديوان لبيد» ٣١٤. وقد ورد في «سر صناعة الإعراب» ٦٣٢، «شرح القصائد العشر» للتبريزي ١٦٢، «شرح المفصل» ٨/ ٩٢، «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص١٠٩، «رصف المباني» ٤٧٤، «الفصول المفيدة» للعلائي ٧٧، «اللسان» ٦/ ٣٥٤٥٢ (قدح)، ٥/ ٢٨٠٠ (عتق)، ٣/ ١٤٠٦ (دكن).
ومعنى قوله: (السِّباء): شراء الخمر، من: (سَبَأ الخمرَ): إذا اشتراها للشرب.
ومعنى قوله: (أغْلِي)؛ أي: أشتريها غالية. =

وإنما يُفتح ويفض: الختم قبل الغَرْف[١]، فقد علمت أن (قُدِحت) مُقَدَّم في اللفظ، مُؤَخَّرٌ في المعنى، كذلك ههنا بدأ بالسجود لفظاً، وهو مؤَخَّرٌ معنى، والكلام في هذه المسألة يُذكر[٢] عند قوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ﴾ [المائدة: ٦] الآية.

قال[٣] ابن الأنباري[٤]: أَمَرها أمراً عاماً، وحضَّها على أفعال الخير، فكأنه قال: استعملي السجود في حال، واستعملي الركوع في حال، ولم يذهب إلى أنهما يجتمعان، ثمَّ يُقدَّم السجودُ على الركوع؛ بل أراد العموم بالأمر على اختلاف الحالين[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾. ولم يقل مع الراكعات؛ لأن الراكعين

= وقوله: (أدْكَنَ عاتِقٍ): العاتق: زِقُّ الخمر الواسع. والأدْكَن: الأغبر اللون بين الحمْرَةِ والسَّوادِ، أو أراد: بكلِّ أدكنَ عاتقٍ خمرُهُ التي فيه.

و(الجَوْنَة): الزِّقُّ الأسود المَطْلِيُّ بالقار.

وقوله: (قُدِحت): (غُرِفَت).

وقوله: (فُضَّ ختامُها)؛ أي: كُسِرَ خاتَمُها، وهو الطينُ الذي خُتِمَ به فوهُها.

والشاهد فيه قوله: (قُدِحت وفُضَّ ختامُها)، على أنَّ واو العطف هنا لا تعني ترتيب الفضّ بعد القدح وهو الغرف، حيث إنها تُفَضُّ أولًا ثمَّ تُغرَف.

(١) في (ج): (الغرق).

(٢) في (ب): (نذكر). وفي (ج): (نذكره).

(٣) في (ج)، (د): (وقال).

(٤) لم أهتد إلى مصدر قوله. وقد أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٨٨.

(٥) وقال أبو سليمان الدمشقي: إنه كذلك كان في شريعتهم، يُقدَّمُ السجود على الركوع. ويرى الفخر الرازي أنه قُدِّم لرتبته وفضيلته؛ حيث إنَّ غاية قرب العبد من الله أن يكون ساجدًا. انظر: «زاد المسير» ١/ ٣٨٨، «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٤٨.

أعمُّ؛ لوقوعه على الرجال والنساء إذا اجتمعوا، والراكعات يختصُّ بالنساء، فكان[(١)] الأعم أولى.

ومعنى قوله: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: افعلي كفعلهم. وقيل: المراد به: الصلاة في الجماعة[(٢)].

قال المفسرون[(٣)]: كلَّمت الملائكةُ بهذا مريَم شفاها، فقامت مريمُ في الصلاة حتى ورمت قدماها، وسالتا دَماً، وقيحاً.

٤٤- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾. أشار إلى ما قصَّ من حديث زكريا، ومريم، ويحيى.

وقوله تعالى: ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾. [أي][(٤)]: نلقيه إليكَ[(٥)]. و(الإيحاء) في اللغة: إلقاء معنى الكلام إلى من تريد إعلامه؛ إما بإرسال رسول، أو بإلهام، أو بكتابة، أو بإشارة[(٦)]. فمن الإرسال: قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾[(٧)] [النساء: ١٦٣].

---

(١) في (ج): (وكان).

(٢) وهو قول ابن عباس ومقاتل. ولفظ ابن عباس: (مع المصلِّين، مع قرَّاء بيت المقدس). أورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٣-٤٤ ونسب إخراجه لإسحاق بن بشر وابن عساكر. ولفظ مقاتل: (يعني مع المصلين في بيت المقدس). «تفسير مقاتل» ١/ ٢٧٦.

(٣) هو قول ابن إسحاق، والأوزاعي. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٤٩ ب، «تفسير القرطبي» ٤/ ٨٤.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٥) (إليك): ساقطة من (د).

(٦) انظر: «مقاييس اللغة»: ٦/ ٩٣ (وحى)، «اللسان» ٨/ ٤٧٨٧ (وحى).

(٧) في (ج) ورد بدلًا من هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾.

ومن الإلهام: قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، ومن الإشارة: قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ [مريم: ١١]؛ أي: أشار إليهم، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ أي: يُلْقون إليهم بالوَسْوَسَة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾. الأقلام: جمع (القَلَم)، و(القَلَم)[(٢)] أصله من: (القَلْم)، وهو: قطع للطَّرَفِ[(٣)]، يقال منه: (قَلَمْتُ الظُفُرَ)[(٤)]. والقَلَمُ: الذي يُكْتب به؛ بمعنى: مَقْلُوم؛ لأنه يُبْرى طرفُهُ. والقَلَمُ: القِدْحُ[(٥)]، لانه يُسَوَّى بأن يُقْطع طرفاه[(٦)].

---

(١) جعل ابن قتيبة والثعلبي، وابن الجوزي (الإعلام بالوسوسة من الشيطان) وجهًا مستقلًا من وجوه الوحي، وأوردوا هذه الآية دليلًا عليه، ويشهد لقولهم: أن الوحي لغة هو: إعلام في خفاء، كما أن إيحاء الجن والشياطين يكون عن طريق الوسوسة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٥]. أما مقاتل، وهارون بن موسى، وابن العماد فجعلوا هذه الآية شاهدا على أنَّ الوحي هنا يعني: الأمر.
انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٤٨٩-٤٩٠، «الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى: ١٦٦. «الزاهر» ٢/ ٣٥٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٢ (وحى)، «الأشباه والنظائر» للثعلبي: ٢٦٧، «ونزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي: ٦٢٢، «والوجوه والنظائر في القرآن» د. القرعاوي: ٦٤٩-٦٥١.

(٢) (والقلم): ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): (الظفر).

(٤) ويقال كذلك: قَلَّمْتُ الظُفُر. انظر: «القاموس» ١١٥١ (قلم).

(٥) القِدْح بالكسر: السهم قبل أن يُراش ويُنصل، والجمع: قِدَاح، وأَقْدَاح، وأَقْدُح، وأقاديح، وهي جمع الجمع. انظر: «تاج العروس» ٤/ ١٦٤ (قدح).

(٦) انظر (قلم) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٣٧، «مقاييس اللغة» ٥/ ١٥.

قال ابن عباس في رواية عطاء[١]: هؤلاء كانوا جماعة من الأنبياء، اختلفوا واختصموا في مريم، كل واحد يقول: أنا أَوْلى بها، فقال زكريا: هي بنت عمِّي، وخالتها عندي. قالوا: فتعالوا حتى نَسْتَهِم[٢]. فجمعوا سهامهم، ثم أَتَوا بها إلى العَيْنِ، وقالوا: اللَّهمَّ، مَنْ كان أَوْلى بها فَلْتقُم سَهْمُهُ، ويغرق[٣] البقيَّة. وأَلْقَوا سهامَهم، فارتَزَّ[٤] قلَمُ زكريا، وانحدرت[٥] أقلامُ الآخرين[٦]، فقرعهم زكريا[٧].

وقال الزجَّاج[٨]: هي قِداحٌ جعلوا عليها علامات، يعرفون بها مَنْ يَكْفل مريمَ على جهة القرعة.

---

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٢) في (أ)، (ب): (فتغالوا حتى نسيتهم)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٣) في (ج): (وتغرق).

(٤) في (ب): (فارتد). وفي (ج): (فأدبر). وفي (د) مكانها بياض.

(٥) في (ب): (واتحدرت).

(٦) في (ب): (الباقين).

(٧) وقد وردت رواية قريبة من هذه الرواية عن ابن عباس، من طريق أبي مالك، وأبي صالح عنه، أخرجها البيهقي، وفيها: أنَّ هؤلاء المستهمين كانوا ممن يكتبون التوراة، ولم يرد فيها أنهم كانوا جماعة من الأنبياء. وورد فيها أنهم ألقوا أقلامهم التي يكتبون فيها في نهر الأردن، فجَرَت أقلامهم، وقام قلم زكريا كأنه مرتزٌّ في طين. انظر: «سنن البيهقي»: ١٠/ ٢٨٦-٢٨٧. كما ورد عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، أنه: (اقترع عليها أهل المُصلَّى، وهم يكتبون الوحي، فاقترعوا بأقلامهم أيُّهم يكفلها). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٤٩.

(٨) في «معاني القرآن» ١/ ٤١٠، نقله بنصه.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. مختصر[١]؛ أي: لينظروا أيُّهم تجب له كفالة مريم[٢].

٤٥- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال ابن عباس: يريد: جبريل[٣].

﴿يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾. يعني: عيسى؛ لأنه في ابتداء أمره كان كلِمَةً من الله ألقاها إلى مريم، ثمَّ كوَّن تلك الكلمة بَشَراً. قال الحسنُ[٤]، وقتادةُ[٥]: لأنه كان بكلمة الله [تعالى][٦]، وهو: ﴿كُن﴾، ومعنى هذا: أنه أوجده بالكلمة، وكوَّنه بها، وهي قوله: ﴿كُن﴾ من غير توليد من فَحْلٍ، أو تنسيل من ذَكَرٍ، وهو معنى قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن﴾ [آل عمران: ٥٩]، ولم يُرِدْ -والله أعلم- أنَّ عيسى هو الكلمة نفسها؛ ألا تراه يقول: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾، ولو أراد الكلمة لقال[٧]: (اسمها المسيح)[٨].

---

(١) في (د): (مختص).

(٢) نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤١١. وانظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠.

(٣) لم أقف على مصدر قوله، وقد ورد في «زاد المسير» ٤/ ٤٢٨، «غرائب القرآن» ٣/ ١٩٠، ٤/ ٤٤، وانظر: «المحرر الوجيز» ٨/ ٣٦٧.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٦٩-٢٧٠، وأورده ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٨٩.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(٧) في (أ)، (ب): (يقال). والمثبت من: (ج)، (د).

(٨) وهذا ما رجَّحه في «تفسيره» ٣/ ٢٧٠، ثم قال بعده: (ومعنى ذلك: أنَّ الله يبشِّركِ ببشْرى، ثم بيَّن عن البشرى أنها ولد اسمه المسيح).

وقيل: إنما سمَّاه كلمةً؛ لأن الله تعالى بشَّر به في الكتب السالفة، فلمَّا أوجده سمَّاه كلمة، كما يقول الذي يُخْبِرُنا بأمر كائن- إذا وُجِدَ ذلك الأمر-: (قد جاء قولي[1] وكلامي)؛ وقيل: لأن الله ﷻ يهدي به كما يهدي[2] بكلمته.

وقيل: لأنه كان (يُكلِّم)[3] عن الله تعالى فيُبشِّر، ويُنْذر[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ﴾. ذَكَر[5] الكنايةَ[6]؛ لأنه عنى بـ(الكلمة): عيسى، أو الولد، فرجعت الكناية إلى معنى الكلمة، لا إلى اللفظ.

فإن قيل: كيف أخبر أن اسمه المسيح، وقدمه على اسمه المعروف، وهو: عيسى، وإنما لُقِّب بـ(المسيح) بعد نفاذ التسمية له بـ(عيسى)؟

قيل: إنَّ الأسماء ألقاب عُلِّقت على المُسمَّيات؛ للفصل بين الأعيان فإذا عُلِّق الاسم على المولود في وقت ولادته، ثمَّ شُهر بعد عُلُوِّ سنِّه[7] بلقب، كان اللقبُ أغلبَ عليه من الاسم؛ لأن من يعرفه به أكثر ممن يعرفه باسمه الحقيقي؛ فلهذه العلَّة قُدِّم المسيح على عيسى؛ ألا ترى أنَّ ألقاب

---

(١) في (أ)، (ب): (في قولي). والمثبت من: (ج)، (د). وهو الصواب؛ لأن المؤلف يريد أنَّ الأمر الكائن المتحقق هو نفس الكلام والقول الذي قاله.

(٢) كما يهدي: ساقط من (د).

(٣) في (ج): (تكلم).

(٤) لم أهتد إلى أصحاب الأقوال السابقة المصدر بقوله: (قيل)، ولا إلى مصادرها.

(٥) (ذكر): ساقطة من (د).

(٦) الكناية: الضمير.

(٧) في (أ)، (ب): (سته). والمثبت من: (ج)، (د).

الخلفاء أشهر وألزم لهم من أسمائهم[١].

فأما معنى المسيح؛ فقال أبو عبيد[٢] والليث[٣]: المسيح أصله بالعبرانية: [(مشيحا). فعرَّبته العربُ وغيرت لفظه، وكما قالوا[٤]: موسى، وأصله: (موشى)، أو (ميشى) بالعبرانية][٥]، فلمَّا أعربوه[٦] غيَّروه[٧]، فعلى هذا لا اشتقاق[٨] له، وأكثر العلماء على أنه مشتق.

قال ابن عباس في رواية عطاء والضحاك[٩]: وإنما[١٠] سُمِّيَ عيسى عليه السلام مسيحاً؛ لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ[١١].

وقال أحمد بن يحيى[١٢]: سمي مسيحاً؛ لأنه كان يمسح الأرض؛ أي: يقطعها.

فعلى قول هؤلاء، هو: (فعيل) بمعنى: (فاعل)، وقيل: إنه[١٣]

---

(١) نقل هذا القول ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٨٩، ونسبه لابن الأنباري.

(٢) قوله في «الزاهر» ١/ ٤٩٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٩ (مسح).

(٣) قوله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٨ (مسح).

(٤) في (د): (قال). والمثبت من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٦) في (ج)، (د): (عربُوه). ويجوز لغة: عرَّبوه، وأعربوه. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٦٥ (عرب).

(٧) في (د): (وغيَّروه).

(٨) في (ج): (الاشتقاق).

(٩) ورد قوله هذا في «الزاهر» ١/ ٣٩٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٨ (مسح)، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٨، «زاد المسير» ١/ ٣٨٩، قال: (رواه الضحاك عن ابن عباس).

(١٠) في (د): (إنما).

(١١) في (ج): (برأ).

(١٢) هو ثعلب، وقوله في «الزاهر» ١/ ٤٩٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٨، «زاد المسير» ١/ ٣٨٩.

(١٣) (إنه): ساقطة من (د).

(فعيل) بمعنى: (مفعول)[١]، على أنه مُسِح من الأوزار، وطُهِّر[٢].

وقيل: لأنه خرج من بطن أمِّه ممسوحاً بالدهن[٣].

وقال الحسن[٤]، وسعيد[٥]: لأنه مُسح بالبركة. وبهذا[٦] قال مِنْ[٧] أهل اللغة: شَمِر[٨]. وقال ابن الأعرابي[٩]، وأبو الهيثم[١٠]: المسيح بن مريم: الصدِّيق.

قال أبو الهيثم[١١]: وضدُّ الصديق: المسيحُ الدجال؛ أي: الضلِّيل، الكذاب؛ خلق الله المسيحين، أحدهما ضد الآخر، فكان[١٢] المسيح بن مريم يُبْرِئ الأَكْمَهَ، والأَبْرَصَ[١٣]، ويحيى الموتى بإذن الله، و كذلك

---

(١) في (أ) وردت عبارة مكرَّرة هي: (وقيل: إنه فعيل بمعنى فاعل).

(٢) ممن قال بذلك الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٧٠ ونص قوله: (إنما هو ممسوح؛ يعني: مسحه الله فطهَّره من الذنوب؛ ولذلك قال إبراهيم: المسيح: الصدِّيق) فجعل الطبري من لوازم معنى الصدِّيق. ويعني بـ(إبراهيم)، هو: النخعي كما سيأتي معنا.

(٣) قال ابن الجوزي عن هذا القول: (قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم). «زاد المسير» ١/ ٣٨٩.

(٤) لم أقف على مصدر قوله، وهو مذكور في «النكت والعيون» ١/ ٣٩٤، «زاد المسير» ١/ ٣٨٩.

(٥) «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٠، وذكره ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٨٩.

(٦) في (ب): (بهذا). (٧) (من): ساقطة من (د).

(٨) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٩ .

(٩) في (د): الأعرابي. قوله، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٨٩ (مسح).

(١٠) في (ج): أبو الهيثم، بدون واو العطف. وقوله في: المصدر السابق. وأبو الهيثم، هو خالد بن يزيد الرازي.

(١١) قوله في «التهذيب» ٤/ ٣٤٨. (١٢) في (ج): (وكان).

(١٣) الأَكْمَه: هو الذي يولد أعمى. وقد يقال لمن لم تذهب عينه. انظر: «معجم المفردات» للراغب: ٤٥٩ (كمه).

الدجال، يحيي الميتَ، ويميت الحيَّ، وينشئ السحائب[١] [وينبت][٢] النبات، فهم المسيحان[٣]: مسيح الهدى، ومسيح الضلالة.

قال [المنذري][٤]: فقلت[٥] له: بلغني أن عيسى [عليه السلام][٦]، إنما سُمّي مسيحاً؛ لأنه [مُسح بالبركة، وسُمّيَ الدجال مسيحا؛ لأنه][٧] ممسوح العين. فأنكره، وقال: إنما المسيح ضدَّ المسيح، يقال: مَسَحَه الله؛ أي: خلقه حَسناً مباركاً، ومَسَحَه[٨]، أي: خلقه قبيحاً ملعوناً.

وكان إبراهيم النخعي يذهب أيضاً[٩] إلى أن المسيح، معناه: الصِّدّيق[١٠].

قال ابن الأنباري[١١]: وهذا القول لا يعرف[١٢] اللغويون مذهبه؛

= والبَرَصُ: مرض جلدي معروف، يصيب الجلد ببياض. انظر: «القاموس» ٦١٣ (برص).

(١) في (د)، «تهذيب اللغة» السحاب.

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في: (أ) ومثبت من بقية النسخ، ومن «تهذيب اللغة».

(٣) في (ج)، (د)، «التهذيب»: فهما مسيحان.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ). ومثبت من بقية النسخ، ومن «تهذيب اللغة». وقول المنذري في «التهذيب» ٤/ ٣٣٨٩. وقد تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (قلت).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د)، ومن «التهذيب». وقول المنذري في «التهذيب» ٤/ ٣٤٨.

(٨) في (ب): (ومسخه).

(٩) (أيضًا): ساقطة من (ج).

(١٠) «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥١، «الزاهر» ١/ ٤٩٣، «التهذيب» ٤/ ٣٣٨٩ (مسح)، «الدر المنثور» ٢/ ٤٥، وعزاه كذلك لابن المنذر.

(١١) قوله، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٩ (مسح).

(١٢) في (ج): (لا يعرفه).

إذ[١] كانت لا تصف كلَّ صِدِّيق بـ(المسيح)، ولعل كان هذا مستعملاً[٢] في بعض الأوقات في وصف الصدِّيقين، فدَرَسَ مع ما دَرَسَ من الكلام؛ لأن الكسائي قال[٣]: قد درس من كلام العرب شيء كثير. ثمَّ فسَّر المسيح وبيَّنه من هو، فقال: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾. معنى (الوجيه): ذو الجاه والشرف والقدْر، يقال: (وجُهَ الرجلُ، يَوْجُهُ، وَجاهةً)، فـ(هو وَجِيْهٌ): إذا صارت له منزلة رفيعة عند السلطان والناس[٤].

وقال بعض أهل اللغة[٥]: الوجيه: الكريم، عند من لا يسأله؛ لأنه لا يردُّه لكرم[٦] وجهه عنده[٧]، خلاف من يبذل وجهه للمسألة[٨]، فيرده[٩].

قال الزجَّاج[١٠]: ﴿وَجِيهًا﴾، منصوب على الحال، المعنى: إنَّ الله

---

(١) في (أ)، (ب): (إذا). والمثبت من: (ج)، (د).

(٢) في (ج): «التهذيب» ولعل هذا كان مستعملًا،(د) ولعل هذا مستعملًا.

(٣) قوله، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٩ (مسح)، وقوله من تتمة كلام ابن الأنباري.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤١٢، «اللسان» ٨/ ٣٧٧٦ (وجه).

(٥) لم أقف على هذا القائل.

(٦) في (أ)، (ب): (الكرم). والمثبت من: (ج)، (د)، ومن «البحر المحيط» ٢/ ٤٦١، وهو أنسب لسياق الكلام.

(٧) في (ج): عند. قال الفخر الرازي: (الوجيه، هو: الكريم؛ لأن أشرف أعضاء الإنسان وجهه، فجعل الوجه استعارة عن الكرم والكمال). تفسيره: ٨/ ٥٥ . وقال الطبري عن قوله تعالى عن موسى ﷺ: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]: (الوجيه في كلام العرب: المُحَبُّ المقبول). تفسيره ٢٢/ ٥١.

(٨) في (ج): (للمسلمة).

(٩) في (ج)، (د): (فيرد). ولم أقف على هذا الذي ذكره المؤلف في معنى (الوجيه) فيما رجعت إليه من مراجع.

(١٠) في «معاني القرآن» ١/ ٤١٢.

يبشِّرك بهذا الولد، وجيهاً في الدنيا والآخرة. والفرَّاء[١] يسمي هذا قطْعاً، كأنه: كان[٢] عيسى بن مريم الوجيه، قُطِع منه التعريف[٣].

وقوله تعالى: ﴿ومِنَ المُقَرَّبِيْنَ﴾. أي: إلى ثواب الله وكرامته.

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ موضع ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ منصوب؛ في التأويل بالنَّسَقِ[٤] على (وجيه)، كأنه قال: (وجيها، ومُكَلِّماً الناسَ)، ولا يُنكَرُ وضعُ[٥] المستقبل موضعَ الحال. ومثله قوله: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٥٦] في قراءة مَنْ رَفَعَ[٦]. وهذا أحدُ ما يضارعُ به الفعلُ المستقبلُ الاسمَ.

وأنشد النحويُّون على هذا:

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢١٣.

(٢) في (ج): (قال). وكذا في «الدر المصون» ٣/ ١٧٩، حيث نقل عبارة الواحدي هذه.

(٣) وقد علَّق السمينُ على قول الفراء هذا، بعد أن نقله عن الواحدي، بقوله: (فظاهر هذا يُؤْذِن بأن (وجيها) من صفة عيسى في الأصل، فقُطِعَ عنه، والحالُ وصْفٌ في المعنى). «الدر المصون» ٣/ ١٧٩. وانظر ما سبق من تعليق على إعراب قوله تعالى ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ من آية ١٨ من سورة آل عمران.

(٤) النسق، هو: عطف اللفظ على نسقِ الأول وطريقته. ويسمَّى في النحو بـ(عطف النسق)، وهو: التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحدُ حروف العطف. انظر: «معجم المصطلحات النحوية» د. اللبدي: ٢٢٤.

(٥) (ولا ينكر وضع): ساقط من (ج).

(٦) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ برفعهما. والتقدير: (وليًّا وارثًا)، على أنَّ (يرِثُني) صفة لـ(وليًّا). قال مكي: (وهو الاختيار؛ لأنَّ الجماعة عليه، ويقوِّي الرفع: أنَّ (وليًّا) رأس آية، فاستغنى الكلام عن الجواب). «الكشف» ٢/ ٨٤. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: (يَرِثْنِي وَيَرِثْ) بجزمهما؛ على أنها جواب للأمر، والتقدير: (هب لي من لدنك وليًّا فإنك إنْ وهبته لي ورثَني). انظر: «الحجة» لابن خالويه: ٢٣٤، «حجة القراءات» لابن زنجلة: ٤٣٨.

بتُّ أُعَشِّيها(١) بَعضْبٍ باتِرِ يَقْصِدُ(٢) في أَسْوُقِها وجائِرِ(٣)

(١) في (ج): (أغسيها)، وفي (د): (أغشيها).

(٢) يعصله.

(٣) البيت في نسخة (ب) ورد هكذا:

سبت اميتها بقضيب باتر بقصد في اسوفها وجاير

ولم أقف على قائل هذا البيت. وقد ورد في: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١٣، ٢/ ١٩٨، «تفسير الطبري» ٦/ ٤١٦، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤١٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٩ (كهل)، «شرح الأبيات المشكلة» للفارسي ٤٦٥، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٢١، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٤٣٧، ٣/ ٢٠٥، «وضح البرهان» للنيسابوري: ٢٤٣، «اللسان» ٥/ ٢٩٦٣ (عشا)، «وشرح ابن عقيل» ٣/ ٢٤٥، «المقاصد النحوية» للعيني ٤/ ١٧٤، «منهج السالك» للأشموني ٣/ ١٢٠، «خزانة الأدب» ٥/ ١٤٠-١٤٣. وقد ورد البيت بألفاظ أخرى، هي: (بات يعشّيها)، و(بات يغشّيها) و(بات يعيَشها)، و(أسؤقها)، و(أسواقها). ومعنى (أعشّيها)؛ أي: أطعمها العشاءَ، وأما رواية (يغشّيها) بالغين المعجمة، فهي من الغشاء، كالغطاء؛ أي: يشْملها ويعمُّها. و(عَضْب باتر)؛ (العَضْب) هنا: السَّيف. والكلمة، أصلها: صفة، بمعنى: قاطع؛ من: عضَبَه؛ أي: قطعه. و(باتر): قاطع. و(يَقْصِد): يتوسط، ولا يتجاوز الحد في القطع. و(أسْوُقِها) جمع: ساق، وتجمع كذلك على (سُوْق) و(سِيْقان) (وأسْؤُق)، والساق: ما بين الكعب والركبة. و(جائر): ظالم، مجاوز للْحدِّ.

والشاعر هنا على هذه الرواية: يمدح نفسه بأنه رجل كريم مضياف، يقول: بأنه بات يعشّي إبِلَه عقْرًا لها بسيف قاطع، فأقام الشاعرُ السيفَ مقام العشاء، وعلى الرواية الثانية (يغَشِّيها)؛ أي: يشْملها بسيفه القاطع؛ أي: يضربها به، فهو يقصد ويتوسط في عقر سيقان إبِل تستحق العقر، ويجور ويتجاوز الحدَّ في عقر سيقان إبِل لا تستحق العقر، كالحوامل، وذوات الفصال. وعلى رواية (بات يعشِّيها) يصف به رجلًا آخر بالكرم .انظر: «القاموس» (١١٦) (عضب)، (٣٤٥) (بتر)، (٨٩٥) (سوق)، «الخزانة» ١٤١ ١٤٥، «ومنحة الجليل» لمحمد محيي الدين عبد الحميد (مطبوع مع شرح ابن عقيل): ٢٤٥-٢٤٦. والشاهد فيه كما قال الأزهري: (والعرب تجعل (يفعل) في موضع (فاعل)، إذا كان في عُطوف مجتَمِعيْنِ). «التهذيب» (٣١٩٩).

على معنى: قاصدٌ[(١)]، وجائزٌ.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾. أي: صغيراً. والمَهْدُ: الموضع الذي مُهِّدَ لنوم الصبي[(٢)].

قال ابن عباس في رواية عطاء[(٣)]: يريد: الحَجْرَ[(٤)]. ويعني بكلامه ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: تبرئة أمِّهِ ممَّا قُرِفَت[(٥)] به[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾. هو عطف على الظرف من قوله: ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾، كأنه قيل: (ويكلِّم الناس صغيراً وكهلاً)[(٧)].

---

(١) في (د): (قصد).

(٢) سبق بيان معاني (المهد) في التعليق على قوله تعالى: ﴿وبئس المهاد﴾ آية ١٢ من هذه السورة. وانظر (مهد) في: «الجمهرة» لابن دريد ٦٨٥، «القاموس» (٣٢٠).

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء. والذي في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧١ من طريق ابن جرير عن ابن عباس، قال: (مضجع الصبي في رَضاعه). وأوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٤٥ ونسب إخراجها كذلك لابن المنذر.

(٤) الحَجْر بفتح الحاء وقد يقال بكسرها، وهو: الحضن، وما بين يديك من ثوبك. والجمع: حُجُور. انظر (حجر) في «اللسان» ٢/ ٧٨٢، «القاموس» (٣٧١)، «عمدة الحفاظ» للسمين (١١١).

(٥) في (ب)، (ج): (قذفت). وفي (د): مكانها بياض. ومعنى (قُرِفَت به)، أي: قُذِفت به واتُّهِمت، من: (قرَفَه بكذا)، أي: اتَّهمه به وأضافه إليه. انظر (قرف) في «اللسان» ٦/ ٣٦٠٠، «القاموس» ٨٤٤، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٢.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٢.

(٧) أي: أنه حال من الضمير في ﴿وَيُكَلِّمُ﴾. وقد يكون معطوفًا على ﴿وَجِيهًا﴾، فيكون في الآية خمسة أحوال، هي: ﴿وَجِيهًا﴾ و﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ و﴿وَيُكَلِّمُ﴾ و﴿وَكَهْلًا﴾ و﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. انظر: «البيان» للأنباري: ١/ ٢٠٣-٢٠٤، «التبيان» للعكبري: ص١٨٩.

و(الكَهْلُ) في اللغة: الذي اجتمع [فيه][١] قوَّتُه، وتَمَّ[٢] شبابُه، وهو من قول العرب: (اكْتَهَلَ النَّباتُ): إذا قَوِيَ وتَمَّ[٣].

قال الأعشى:

يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ، بعَميمِ النَبْتِ مُكْتَهِلُ[٤]

أراد بـ(المكْتَهِل): المتناهي في الحسن والكمال.

واختلفوا في كهولة عيسى عليه السلام، فقال بعضهم: إنه رفع إلى السماء حين[٥] دخل في الكُهُولة؛ وذلك، أنه كان قد أَرْبى[٦] على الثلاثين، ومن أَرْبى[٧] عليها فقد دخل في الكُهُولة، وتقَضَّى أكثرُ شبابه[٨]. وعلى هذا

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٢) في (ج): (وثمَّ).

(٣) في (ج): (وعم). انظر: «خلق الإنسان» ٢١، «الزاهر» ٢/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) البيت في: «ديوانه» ص١٤٥. وقد ورد منسوبا له في: «العين» للخليل ٣/ ٣٧٨ (كهل)، وتأويل المشكل، لابن قتيبة ١٣٦، «الزاهر» ٢/ ٢٧٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٩ (كهل)، «أمالي الزجَّاجي» ١٣٥، «شرح القصائد العشر» للتبريزي: ٢٩٢، «اللسان» ٧/ ٣٩٥٧ (كوكب)، ١/ ٧٢ (أزر)، ٤/ ٢٢٤٤ (شرق)، ٧/ ٣٩٤٨ (كهل)، ٥/ ٣١١٢ (عمم). والشاعر هنا يصف روضةً. وقوله: (يضاحكُ الشمسَ)؛ أي: يدور معها، ومضاحكته إيَّاها: حسنٌ لها نَضْرَةٌ. و(كوكبٌ شَرِقٌ): (الكوكب): معظم النبات، و(الشَّرِقُ): الريَّانُ الممتلِيءُ ماءً. و(مؤَزَّر)؛ أي: صار النبات كالإزار للكوكب، فهو يغطِّيه. و(عَمِيم النبت): النبات الكثير الحسَنُ، ويقال: (نبات عَمِيم، ومُعتَمّ، وعَمَمٌ): إذا كان بالغًا حسنًا كثيرًا. و(المكتهل): التامُّ الحسَنُ. انظر: «الزاهر» ٢/ ٢٧٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٩ (كهل).

(٥) في (ج): (أنه). (٦) في (ج): (أرمى).

ومن قوله: (أربى ..) إلى (.. ومن أربى): ساقط من (د).

(٧) في (ج): (أرمى).

(٨) وردت عن علماء اللغة أقوال في بيان عُمُرِ الكَهْلِ: فقيل: إنَّه من وَخطَهُ الشيبُ=

القول: يكلِّم الناس كهلاً، قبل أن يرُفع إلى السماء. وهذا معنى قولِ مقاتل[(١)]، وابن عباس في رواية عطاء[(٢)]، لأنه قال[(٣)] في قوله: (وكهلاً)[(٤)]؛ يريد: أنه يتكلم بكلام النبُّوة.

وقال بعضهم: المراد بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾[(٥)]: بعد أن ينزل من السماء يكلِّم الناس بعد نزوله إلى الأرض، كهلاً[(٦)]. وهذا اختيار الحسين بن الفضْل[(٧)]، قال[(٨)]: وفي هذا بيان نزوله في نصِّ القرآن[(٩)].

= ورأيت له بَجَالَة. قاله الخليل، والليث بن المظفر. وقيل: هو ما بين الأربعين إلى الخمسين. قاله ابن أبي ثابت. وقيل: إذا بلغ الخمسين. قاله الأزهري. وقيل: ابن ثلاث وثلاثين سنة. قاله ابن الأعرابي. وقيل: هو من جاوز الثلاثين. قاله ابن الأنباري. وقيل: منتهى الحُلُم؛ أي: منتهى سن البلوغ. قاله يزيد بن أبي حبيب. انظر: «العين» ٣/ ٣٧٨ (كهل)، «خلق الإنسان» لابن أبي ثابت: ٢٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠١، «تهذيب اللغة» ٦/ ١٩ (كهل)، «الصحاح» ٥/ ١٨١٣ (كهل)، «اللسان» ٧/ ٣٩٤٧ (كهل).

(١) قوله: في «تفسيره» ١/ ٢٧٦. وما نقله المؤلف هو نص كلام مقاتل.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية. والذي في «زاد المسير» ١/ ٣٩٠ خلاف هذه الرواية، قال: (وقد روي عن ابن عباس، أنه قال: ﴿وَكَهْلًا﴾، قال: ذلك بعد نزوله من السماء).

(٣) في (ب): (وقال).

(٤) الواو زيادة من: (ج)، (د).

(٥) في (ب): (كهلا).

(٦) في (ب): (من السماء كهلًا إلى الأرض كهلا).

(٧) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٠، «تفسير البغوي» ٢/ ٣٨.

(٨) (قال): ساقطة من (د).

(٩) وهذا كذلك قول ابن زيد، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٣، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٢٢، وقول أحمد بن يحيى، ثعلب، كما في «تهذيب اللغة» ٦/ ١٨ (كهل). وقال محمد بن جعفر بن الزبير، وقتادة، والربيع، والحسن، وابن إسحاق: إنه=

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. قال عطاء[١]: يريد: مثل: موسى، وإسرائيل[٢]، وإسحاق، وإبراهيم[٣].

٤٧- قوله تعالى[٤]: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ قال أهل المعاني[٥]: إنَّ مريم لا تستنكر في قدرة الله تعالى خلقَ الولد من غير مَسِيس بَشَرٍ[٦]، وإنَّما قالت هذا؛ لأنَّ في البشرية التعجب مما خرج عن العادة، كما يقول الإنسان: (كيف تَهَبُ ضيعتَك، وهي أنفَس أملاكك.؟!) ليس يشك في هبته، وإنما يتعجب من وجوده. و(البَشَر): الخَلْق. واحدُهُ وجمعُه سواء؛ لأنه بمنزلة المصدر[٧]، نحو[٨]: الخَلْق، يقال[٩]: هذا

= يكلِّمهم صغيرًا أو كبيرا، وهو إخبارٌ لِمريمَ عليها السلام أنه يعيش إلى سِنِّ الكهولة. وبيَّن الطبري رحمه الله أن كلام هؤلاء الأئمة يعني: أن عيسى ﷺ كسائر بني آدم، يتقلب في الأحداث، ويتغير بمرور الأزمنة عليه، من صِغَرٍ إلى كِبَر، ومن حال إلى حال، وفي هذا احتجاج على النصارى القائلين بألوهية عيسى ﷺ. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٢، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٣، «القطع والائتناف» للنحاس ٢٢٤.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) إسرائيل، هو: يعقوب ﷺ. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٨، «فتح القدير» ١/ ١١٧.

(٣) في (ج): (ويعقوب). قال الطبري في تفسير هذه الآية: (يعني: من عدادهم وأوليائهم؛ لأن أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل) تفسيره: ٣/ ٢٧٣.

(٤) في (د): (عزَّ وجل).

(٥) لم أقف عليه. وقد أورد هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٩٠، ونسبه للجمهور.

(٦) (بشر): ساقطة من (ج).

(٧) انظر (بشر) في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨.

(٨) من قوله: (نحو ..) إلى (.. في المصدر): ساقط من (د).

(٩) في (ج): (يقول).

خَلْق، وهؤلاء خَلْق(١). وإنما وجب في المصدر ذلك؛ لأنه جنس في الفعل، كما وجب في الماء والرمل، وما هو من أسماء الأجناس.

وأصله من (البَشَرَة) التي هي ظاهر الجِلْدِ؛ لأنه الذي من شأنه أن يَظْهَرَ الفرحُ والغمُّ في بشَرَته(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾. أي: يخلق الله(٣) ما يشاء مثل ذلك من الأمر، وهو: خَلْق الولد من غير مَسِيس.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾. إلى آخر الآية. ذكرنا ما فيه في سورة البقرة، عند قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] الآية.

٤٨- قوله(٤) تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾. الآية. قال ابن جُرَيج، وغيره: أراد: الكتابة والخط(٥). وقيل: أراد كتابًا آخر غير التوراة والإنجيل، من نحو: الزَّبُور وغيره(٦).

---

(١) (وهؤلا خلق): ساقط من (ج).

(٢) انظر (مادة: بشر) في: «التهذيب» ١/ ٣٣٨، «اللسان» ١/ ٢٨٦.

(٣) لفظ الجلالة (الله): ليس في: (ج)، (د).

(٤) في (د): (وقوله).

(٥) قول ابن جريج، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٤، ولفظه: (قال: بيده). وقد ورد هذا التفسير عن عكرمة، يرويه عن ابن عباس، ولفظه: (الخطُّ بالقَلَم)، وقد ورد كذلك عن: يحيى بن أبي كثير، ومقاتل، وعثمان بن عطاء. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٣، وممن رجَّح هذا: البغويُ في «تفسيره» ٢/ ٣٩، والفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ٥٩، واستظهره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٩١.

(٦) لم أهتد إلى قائل هذا القول. وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٥٣ عن الحسن قوله: (الكتاب: القرآن). وفي «زاد المسير» ١/ ٣٩١ ذكر في المراد بـ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ قولَ ابن جريج، وقولًا آخر، وهو: (أنه كُتُب النَّبِيِّين، وعلمُهم)، وقال: (قاله ابن عباس). وذكرَ ابنُ عَطِيَّةَ هذا القولَ الذي أورده الواحديُّ، وقال عنه: (وهو دَعْوَى لا حُجَّةَ عليها). «المحرر الوجيز» ٣/ ١٢٥.

٤٩- [و][١] قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. قال أبو إسحاق[٢]: ينتصب على وجهين: **أحدهما**: (ويجعلُهُ[٣] رسولاً). قال: والاختيار عندي: أنه (ويكَلِّمُ الناسَ رسولاً)؛ لقوله: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾؛ والمعنى: يكلِّمُهم رسولاً بأني[٤] قدْ جئتكم[٥].

وقال الأخفش[٦]: إن شئت جعلت الواو في ﴿وَرَسُولًا﴾ مُقْحَمَةً[٧]، و(الرسولا)[٨] حالاً للهاء[٩]، تقديره: ونُعَلِّمُهُ الكتابَ رسولا[١٠].

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ذكر آية واحدة، وإنما

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب.)

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٣، نقله عنه بتصرف واختصار.

(٣) في (د): (ونجعله).

(٤) في (د): (أني).

(٥) أي: أنَّ الوجه الأول، تقديره: (ويجعلهُ رسولًا) فـ﴿رَسُولًا﴾ منصوب على المفعولية. والتقدير الثاني وهو اختيار الزجاج: (ويكلمُ الناسَ رَسُولًا)، على أنَّ ﴿رَسُولًا﴾ حالٌ.

(٦) من قوله: (قال الأخفش ..) إلى (.. ونعلِّمه الكتاب رسولًا): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥١ ب. والوارد في «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ٢٠٥ في قوله تعالى: ﴿ونعلِّمُهُ الكتاب والحكمة﴾، كالتالي: (موضع نصب على ﴿وَجِيهًا﴾. و﴿رَسُولًا﴾ معطوف على ﴿وَجِيهًا﴾)؛ أي: أنها عنده حال منتصبة عن قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٖ﴾ في آية: ٤٥. انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٠٤.

(٧) أي: (زائدة) أو (لغو)، وهي عبارة البصريين، وتسمى (صلة) أو (حشو) عند الكوفيين. انظر: «البرهان» ٣/ ٧٢.

(٨) في (ج): (ورسولًا).

(٩) في (ب): (لها). وقوله: (للهاء)؛ أي: في ﴿ونعلِّمُهُ﴾.

(١٠) وللآية توجيهات نحوية أخرى، انظرها: في «البحر المحيط» ٢/ ٤٦٤، «الدر المصون» ٣/ ١٨٦-١٨٩.

جاءهم[١] بآيات، وهي: خلق الطير، وإبراء الأَكْمَه والأبرص، وإحياء الموتى، وإنباء[٢] بما يأكلونَ؛ وذلك، أنه أراد بالآية: خلق الطير، ثم عطف عليه إبراء[٣] الأكمه والأبرص على جهة الاستئناف.

وقوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ مَنْ[٤] فتح ﴿أَنِّيٓ﴾[٥]، جعلها بدلاً من ﴿ءَايَةٍ﴾[٦]، كأنه قال: (وجئتكم بأني أخلق لكم من الطين)، ويكون موضع ﴿أَنِّيٓ﴾ خفضاً على البدل من ﴿ءَايَةٍ﴾[٧]، ويجوز أن يكون رَفعاً على معنى: الآيةُ أنّي أخلق لكم)[٨]. ومَنْ كَسَرَ[٩]، فله وجهان: **أحدهما**: الاستئناف، وقَطْع الكلامِ مما قبله.

والوجه الآخر: أنه[١٠] فسر الآية بقوله: ﴿إِنِّي أخلق [لكم من

---

(١) في (د): (جاههم).

(٢) في (ج)، (د): (والأنباء).

(٣) في (ج): (وإبراء).

(٤) من قوله: (من ..) إلى (أني أخلق لكم من الطين): نقله بتصرف يسير جدًّا عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٤٣. وقد قرأ الجميع بفتح الهمزة في ﴿أَنِّيٓ﴾، إلّا نافعًا وأبا جعفر، فقد كسرا ﴿إِنِّيٓ﴾. انظر «النشر» ٢/ ٢٤٠، «إتحاف فضلاء البشر» ١٧٤-١٧٥.

(٥) في (ج): (أنا).

(٦) (من آية): ساقط من (د).

(٧) في (ج): (أنه).

(٨) أي هي خبر لمبتدأ مضمر، تقديره: (هي أنّي أخلق)؛ أي: الآية التي جئت بها أني أخلق. انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٤.

(٩) من قوله: (ومن كسر..) إلى (.. وأبدل من آية): نقله بتصرف عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٤٣٤٤.

(١٠)(أنه): ساقط من: (ج).

الطين](١)﴾، ويجوز أن يفسِّر الجملة المقدمة بما يكون على وجه الابتداء، كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩]، ثمّ فسّر الموعود بقوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾(٢)، وكقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾(٣) [آل عمران: ٥٩]، ثمَّ فسَّر المَثَلَ بقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾. وهذا الوجه أحسن؛ لأنه في المعنى كقراءة مَنْ فتح (أنِّي)، وأبدل من آية(٤).

وقوله تعالى: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ أي: أقَدِّر، وأصوِّر. والخلْقُ، معناه: التقدير في اللغة(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ الهيئةُ: الصورة المُهَيَّأة؛ من قولهم:

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج) ومن «الحجة».

(٢) ومن قوله: (لهم مغفرة ..) إلى (.. فسّر المثل بقوله): ساقط من: (ج).

(٣) (كمثل آدم): ساقط من: (ب).

(٤) وهناك وجه ثالث، وهو: كسْرُها على إضمار القول؛ أي: فقلت: إنِّي أخلق. انظر هذه الوجوه في: «البحر المحيط» ٢/ ٤٦٥، «الدر المصون» ٣/ ١٩١.

(٥) وقد قال ابن قتيبة أنَّ الأصل في (الخَلْق)، هو: التقدير. وفي «تهذيب اللغة» أنَّ (الخَلْقَ) في كلام العرب على ضربين: **الأول**: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبَق إليه. والآخر: التقدير. وقد ذكر أصحاب الوجوه والنظائر أنَّ من وجوه (الخلق) في القرآن: الإيجاد، والبعث، والتصوير، وذكروا هذه الآية (٤٩ من آل عمران) شاهدًا على هذا المعنى، والكذب، والجعل، والنطق، والدين، والموت، والبناء. وهذان الوجهان الأخيران، ذكرهما الثعلبي، وابن الجوزي. انظر «تأويل مشكل القرآن» ٥٠٧، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٣ (خلق)، «الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى ٢٨١، «قاموس القرآن» للدامغاني ١٦٢، «الأشباه والنظائر» للثعلبي: ١٣١.

(هيَّأتُ الشيءَ): إذا قدَّرْته[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الطَّيْر. و(الطَّيْر): يجوز تذكيره، على معنى الجمع، وتأنيثه، على معنى الجماعة.

ولا يجوز أن تعود[٢] الكناية[٣] إلى الطين؛ لأن النفخ إنَّما يكون في طِينٍ مخصوص، وهو: ما كان مُهَيَّأً منه، والطينُ المتقدِّمُ ذكرُهُ، عامٌ، فلا تعود إليه الكناية؛ ألا ترى أنه لا يَنْفخ في جميع الطِّينِ[٤]؟. ويجوز أن تعود الكناية على ذي الهيئة. وأريد بـ(الهيئة): ذو الهيئة، كما أريد بـ(القسمة): المقسوم، في قوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨]؛ لأنه قال: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[٥][٦].

---

(١) قال الثعلبي: (هيأت الشيء: إذا قدَّرته، وأصلحته). تفسيره: ٣/ ٥٢أ، وانظر (هيأ) في «الصحاح» ١/ ٨٥، «اللسان» ٨/ ٤٧٣٠.

(٢) في (ج): (يعود).

(٣) يعني بـ(الكناية) هنا: الضمير؛ لأنه يُكْنى به أي: يرمز عن الظاهر، اختصارا، وتسميته بـ(الكناية) من إطلاقات الكوفيين عليه. انظر «النحو الوافي» ١/ ٢١٧، «معجم المصطلحات النحوية» د. اللبدي: ٧٤.

(٤) قال السمين الحلبي، بعد أن ذكر قول الواحدي هذا: (وفي هذا الردِّ نَظَرٌ؛ إذ لقائل أن يقول: لا نسلِّم عموم الطِّينِ المتقدِّم، بل المراد بعضه؛ ولذلك أدخل عليه (مِنْ) التي تقْتضي التبعيض. وإذا صار المعنى: (أني أخلق بعض الطين) عاد الضمير عليه من غير إشكال، ولكن الواحدي جعل (مِن) في ﴿مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ لابتداء الغاية، وهو الظاهر). «الدر المصون» ٣/ ١٩٤.

(٥) (منه): ساقط من: (ج).

(٦) [سورة النساء: ٨]. والشاهد هنا: أنَّ الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يعود على القسمة. ولمَّا كان الضمير مذَكَّرا، والقسمة مؤنثة، دلَّ على أن المراد بالقسمة هنا المقسوم.=

كذلك أراد بـ(الهيئة): المُهيَّأ، وذا[١] الهيئة.

و[٢]يجوز أن تعود الكناية إلى ما وقعت الدلالة[٣] عليه في اللفظ، وهو[٤]: أنَّ (يَخْلُق) يدل على الخَلْقِ، فيكون قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾؛ أي: في الخَلْقِ، ويكون الخلق بمنزلة المخلوق.

ويجوز أن تعود إلى ما دلَّ عليه الكافُ من معنى المِثْل؛ لأن المعنى: أخلق من الطين مِثْلَ هيئة الطير، ويكون الكافُ في موضع نصب على أنه صفة[٥] للمصدر المُرادِ، تقديره: (أنِّي أخلق لكم من الطينِ خَلْقاً مثلَ هيئةِ الطَّيْرِ). وهذه الوجوه ذكرها أبو علي الفارسي[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقرأ[٧] نافع[٨]: ﴿طائراً﴾[٩]،

= وهذا رأي في مرجع الضمير هنا. وقيل: إنه يعود على المال؛ لأن القسمة تدلُّ عليه بطريق الالتزام. وقيل: إنه يعود على (ما) في قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ من آية ٧ في سورة النساء. انظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٠، «تفسير البيضاوي» ١/ ٨٥، «البحر المحيط» ٣/ ١٧٦، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٩.

(١) في (د): (وذو).

(٢) الواو زيادة من: (ج).

(٣) في (ب): (الكناية الدلالة).

(٤) من قوله: (هو ..) إلى (.. أي: في الخلق): ساقط من (د).

(٥) (صفة): ساقطة من (ج).

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) في (ج): (وقرئ).

(٨) هو: أبو رُوَيم، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم، تقدمت ترجمته.

(٩) وقرأ بها كذلك: أبو جعفر، ويعقوب. وقرأ باقي القرَّاء العشرة: (طَيْرًا). انظر «المبسوط في القراءات العشر» ١٤٣.

على معنى: يكون[1] ما أنفخ فيه طائراً، أو[2] ما أخلُقُهُ طائراً، أو أراد أن[3] يكون كلَّ واحد من ذلك طائراً، كما قال تعالى: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]؛ أي: كلَّ واحد منهم.

وقال بعضهم[4]: ذهب نافع[5] إلى نوع واحد من الطير؛ لأنه لم يَخْلُق غير الخَفَّاش. وإنَّما خصَّ الخفَّاش[6]؛ لأنه أكمل الطير خَلْقاً. وقد زدنا بيانا على هذا في سورة المائدة[7].

---

(١) من قوله: (يكون ..) إلى (.. أي: كل واحد منهم): نقله بتصرف يسير عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٤٤.

(٢) في (د): (و).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) هو الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٥٢ أ.

(٥) عبارة الثعلبي: (وقرأ أهل المدينة ﴿طائرا﴾ بالألف على الواحد؛ ذهبوا إلى نوع..)، وبقية العبارة كما هي عند الواحدي.

(٦) وإنما خص الخفاش: ساقط من: ج. ورد خَلْقُه للخفاش، عن ابن جريج، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٦. وعن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، كما في «زاد المسير» ١/ ٣٩٢. وأورده السيوطي في الدر: ٢/ ٥٧٥ عن ابن عباس، ونسب إخراجه لأبي الشيخ.

(٧) قول المؤلف فيما سبق عن توجيه قراءة نافع: (أو أراد أن يكون ..)، وقوله: (ذهب نافع ..)، قد تشعر هذه العبارات أن قراءة نافع، وغيرها من القراءات الصحيحة، إنَّما هي مذهب اجتهادي في القراءة يذهبه القارئُ بناء على موازنات ذوقية، ومقاييس منهجية، لا علاقة لها بالتلقي عن طريق الرواية الصحيحة. وليس الأمر كذلك؛ فالذي يعرفه الجميع أن القراءات القرآنية إنَّما هي متلقّاة عن النبي ﷺ عن طريق التواتر، فهي موقوفة لا مجال فيها للاجتهاد، وإنما للإمام القارئ فقط أن يختار مما رُوي، وعُلم وجهه من القراءات.

ولذا يقول ابن الجزري عن نسبة القراءة إلى القارئ، بأنها: (إضافة اختيار ودوام=

قال وَهْبٌ: كان يطير ما دامَ الناسُ ينظرون، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾. قال الأصمعي[(٢)]: بَرِئْتُ من المرض: لغةُ تميم، وبَرَأْتُ: لغةُ أهل الحِجاز[(٣)].

وقال أبو زيد[(٤)]: بَرَأْتُ من المرض: لغة أهل الحجاز. وسائرُ العرب: بَرِئْتُ[(٥)].

= ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد). أي: إنَّ إضافة القراءات إلى أئمة القراءة ورُواتِهم، يُرادُ بها فقط أن الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة، حسبما قرأ به، فآثره على غيره ودوام عليه، ولزمه حتى اشتهر وعرف به. فللإمام أن يختار من القراءات ما وافق العربية، سواء أكان ذلك الوجه فصيحًا أم أفْصَح، حسبما يترجح عنده، إذا تحققت بقية الشروط، وهي: صحة السند، وموافقة المصحف الإمام ولو احتمالًا. وهذا المجال الاختياري فيما يبدو لي، والله أعلم، هو الذي يعنيه الواحدي، ومَنْ نقلَ عنهم عباراته السابقة. انظر «النشر» ١/ ٥٢، «القراءت القرآنية». د. عبد الهادي الفضلي: ١٠٥-١٠٦، «دفاع عن القراءات المتواترة». د. لبيب السعيد: ١٣-١٤.

(١) ورد هذا الأثر في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٢ أ، «زاد المسير» ١/ ٣٩٢، «تفسير القرطبي» ٤/ ٩٤.

(٢) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٤ (برأ).

(٣) في «تهذيب اللغة» (وقال الأصمعي: (بَرَأت من المرض بُروءًا)، لغة تميم، وأهل الحجاز يقولون: (بَرْأت من المرض بَرْءًا)، و(أبرأه الله من مرضه إبراءً). ويبدو أن هذا النص من النسخة المطبوعة من «التهذيب» فيها خطأ مطبعي؛ لأنها لم تفرِّق بين برأ وبرئ. وقد أورد السمين الحلبي نفس النص في «الدر المصون» ٣/ ١٩٨ موافقًا لما أورده الواحدي.

(٤) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٤ (برأ).

(٥) قال في «اللسان» ١/ ٢٤٠ (برأ): (وبَرِئت من المرض، وبَرَأ المريض، يَبْرأ، ويبرُؤ، بَرءًا، وبُروءًا.. وأصبح بارئًا من مرضه، وبريئًا، من قومٍ بِراءٍ). وانظر: «العين» ٨/ ٢٨٩ (برأ)، «المقاييس» ١/ ٢٣٦ (برأ).

والأكمَهُ[(١)]، قال ابن عباس، وقتادة[(٢)]: هو الذي وُلِد أعمى، لم يبصر ضوءاً قط[(٣)].

يقال: كَمِهَ الرجلُ، يَكْمَهُ، كَمَهًا[(٤)]. والأبْرَصُ: الذي به وَضَحٌ[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال الكلبي[(٦)]: كان[(٧)] عيسى ﷺ يحيي الأموات بـ(يا حيُّ يا قيُّوم)، أحيا عازَرَ[(٨)]، وكان صديقاً له، ودعا سامَ بن نوح من قبره، فخرج حيًّا، ومُرَّ عليه بابن عجوز على سريرٍ مَيْتاً، فدعا

---

(١) في (ج): الأكمه (بدون واو).

(٢) قولهما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٥، وأخرجه في ٢/ ٦٥٥ بلفظ: (الأعمى: الممسوح العين)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٢ أ.
وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٢١ عن مقاتل قوله: (الأكمه: الأعمى).
وأورد السيوطي في «الدر» ٢/ ٥٧ قول ابن عباس، وعزاه كذلك لابن المنذر.

(٣) وفي معنى (الأكمه) أقوال أخرى، وهي: إن الأكمه هو: الأعمى، أو الأعمش، أو الأعش الذي يبصر بالنهار لا بالليل. ولكن المعنى الذي ذكره الواحدي هو الأرجح، وقد قال به أبو عبيدة، والطبري، وغيرهم، وهو الذي عليه الجمهور، كما يقول ابن حجر في فتح الباري؛ لأن إبراء الذي يولد أعمى هو الذي فيه المعجزة، أمَّا من يُصيب عينيه مرض عارض، فهذا قد يُعالجه الطب البشري. انظر: «صحيح البخاري» ٤/ ١٣٨ كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٦-٢٧٨، «فتح الباري» ٦/ ٤٧٢، «الدر المنثور» ٢/ ٥٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٦، «الصحاح» ٦/ ٢٢٤٧ (كمه).

(٥) الوَضَح، هو: البياض من كلِّ شيء، والضوء، ويكنى بالوضح عن البرص، وهو المرض الجلدي المعروف؛ لأنه يصيب الجلدَ ببياض. انظر «اللسان» ٨/ ٤٨٥٥.

(٦) ورد قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٣أ، ونهاية قوله إلى: (بيا حي يا قيوم).

(٧) في (ب): (إن).

(٨) هكذا ضُبطت في «القاموس المحيط» ٤٣٩ (عزر)، وورد في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٢ ب (عازِر).

اللهَ عيسى، فنزل عن سريره حيّاً، ورجع إلى أهله، وبقي ووُلِدَ له[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾. (ما) بمعنى: الذي؛ أي: بالذي تأكلونه، والذي تدَّخِرونه[(٢)].

وجاء[(٣)] في التفسير: بما تأكلون في غُدُوِّكم [وتدَّخرون لباقي يومكم][(٤)]. و(تدَّخِرون): (تفتعلون)، من (الذُّخْر)[(٥)].

يقال: (ذَخَر، يَذْخَر، ذُخْراً)، و(اذَّخَرَ اذِّخارا): وأصله: (اذْتَخَرَ)[(٦)]، فأُبْدِل[(٧)] التَّاءُ دالاً[(٨)]؛ لأن الذَّالَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ[(٩)] والتَّاءَ مهموسٌ[(١٠)]،

---

(١) أورد هذا الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ٥٢ أ، وذكره البغوي ٢/ ٤٠ عن ابن عباس. وانظر روايات أخرى في هذا المعنى، في «الدر المنثور» ٢/ ٥٨. وهذه الأخبار بصرف النظر عن إمكان وقوع ما ورد فيها، فإنها لا تعدو أن تكون من الإسرائيليات، التي وإن لم يكن عندنا ما ينفيها، فليس عندنا ما يصدقها من خبر صحيح عن الصادق المعصوم ﷺ. والاكتفاء بإجمال القرآن في مثل هذه المواطن، أولى من السير وراء تفصيلات أخبار، الله أعلم بصحتها ووقوعها.

(٢) وقد استحسن هذا الوجه الزجَّاج، وقال: (ويجوز أن يكون (ما)، وما وقع بعدها، بمنزلة المصدر، المعنى: (أنبِّئكم بأكلِكم، وادِّخاركم). «معاني القرآن» ١/ ٤١٤.

(٣) من قوله: (جاء) إلى (غدُوِّكم): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١٤.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).
وقوله: (في غُدُوِّكم)؛ أي: في وقت البكرة، أو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. انظر: «القاموس» ١٣١٧ (غدا).

(٥) أي: أن أصل (تدَّخرونَ): تذْتَخرون.

(٦) في (ب): (اتدخر).

(٧) في (ب): فأبدلت.

(٨) في (أ)، (ب): (ذالا). والمثبت من: (ج)، (د)، وهو الصواب. انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٩٠ (ذخر).

(٩) في (ج): (مجهورة).

(١٠) الحروف المهموسة، عشرة أحرف، هي: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، =

فأُبدِلَ بحرفٍ يُشْبِهُ الذَّالَ[1] في الجَهْرِ، وهو الدَّال، ثم أُدْغِمتْ الذَّالُ[2] في الدَّال فصار: (تَدَّخِرونَ)[3]، وهذا أصل الإدغام؛ وهو: أن يدغم[4] الأولى في الثانية، ومثل[5] هذا في التعديل بين الحروف[6]: (ازدُجِر)[7]، و(اضطُرَّ)، و(اصْطَبِر)[8].

= والشين، والصاد، والتاء، والسين، والثاء، والفاء. ويجمعها قولك: (سَتَشْحثُك خصَفَه). وباقي الحروف مجهورة.
انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦٠، وقد ذكر كذلك سبب تسْمِيتها بذلك، «الممتع» لابن عصفور ٢/ ٦٧١.

(١) في (ج): (الدال). وفي (د): (الجهر).

(٢) في (أ)، (ب): (الدال). والمثبت من: (ج)، (د). وهو الصواب.

(٣) ويرى العكبري أن أصل الكلمة: (تذْتَخرون)، إلا أن التاء أبدلت دالًا لتقارب مخرجها مع الذال، ثم أبدلت الذال دالًا، ثم أدْغِمت الدال في الدال. انظر «التبيان في إعراب القرآن» ١/ ١٩١.

(٤) في (ج) و(د): (تدغم). (٥) في (د): (ومثال).

(٦) في (ج): (الحرفين). وقوله: (التعديل بين الحروف)، يعني به: الإبدال الصرفي، وهو جعل حرف مكان حرف غيره؛ لتسهيل اللفظ، وتيسيره. انظر «شرح الشافية» ١٩٧/٣، «موسوعة النحو والصرف» د. أميل يعقوب ١٧.

(٧) (ازدجر): ساقط من (د).

(٨) (ازدُجِر) وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]، وأصلها: (ازتجر)، فقلبت فيها التاءُ دالًا. و(اضطُرَّ) وردت في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وانظر آية ٣ من سورة المائدة. وأصلها: (اضتُرَّ). و(اصطَبِر) وردت في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وأصلها: (اصتَبِر) فقلبت التاءُ طاءً في الكلمتين. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١٥٢١٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٥، ٢١٧، و«الوجيز في علم التصريف» للأنباري ٥٥، «الممتع في التصريف» ١/ ٣٥٦، ٣٦٠، و«شرح شافية ابن الحاجب» ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.

قال الخليل[(١)]: الحرف[(٢)] المجهور: الذي أُشبع[(٣)] الاعتمادُ[(٤)] عليه في موضعه، ومَنَعَ[(٥)] النَّفَسَ أن يخرج معه، والمهموس: حرف أُضْعِفَ الاعتماد عليه في موضعه، وجرى معه النفس[(٦)].

٥٠- قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾. [قال الفرَّاءُ[(٧)]، والزجَّاج[(٨)]: نصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال؛ المعنى: (وجئتكم مصدِّقاً لِما بين يَدَيَّ)][(٩)]. وجاز إضمارُ (جئتكم)؛ لأن أول الكلام يدلُّ عليه، وهو قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]. ومثله في الكلام: (جئتُه بما يُحِب، ومُكْرِماً لهُ)[(١٠)].

قال الفرَّاء[(١١)]: ولا يجوز أن يكون ﴿مُصَدِّقًا﴾ عطفاً على ﴿وَجِيهًا﴾؛

---

(١) قوله في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١٤، وقد ورد: هذا النص في «كتاب سيبويه» ٤/ ٤٣٤، ولم يعزه للخليل، كما ورد في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦٠ ولم يعزه كذلك للخيل.

(٢) في (ج): (والحرف). (٣) في (ب): (اتسع).

(٤) في (ب): (للإعتماد).

(٥) من قوله: (ومنع ..) إلى (.. في موضعه): ساقط من: (ج).

(٦) وقد شرح ذلك سيبويه، وابن جني، وبيَّنَا أن المهموس يُعرف بترديد الحرف مع جَرْي النفس، ويصعب ذلك في المجهور، فيمكن تكرير المهموس مع جري الصوت، نحو: (سَسَسَسَ، كَكَكَكَ، هَهَهَهَ)، ولو تكلفت ذلك في المجهور لما أمكن. انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٤٣٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦٠.

(٧) في «معاني القرآن» له ١/ ٢١٦. ونسب النحاسُ كذلك القول بهذا لأحمد بن يحيى (ثعلب). انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٥.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤١٥.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(١٠) في (ب): (ومكر حاله).

(١١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢١٦، نقله عنه بتصرف.

لأنه لو كان كذلك، لقال: (ومُصَدِّقاً لِمَا بين يَدَيْهِ)[١]، ولا يحسن أيضاً أن يتابع قوله: ﴿وَرَسُولًا﴾[٢]؛ لأنه لو كان مردودًا عليه؛ لقال: (ومُصَدِّقاً لما بين يديكِ)؛ لأنه خاطب بذلك مريمَ، أو قال: (بين يديهِ)[٣].

ومعنى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: أي: للكتاب[٤] الذي أُنزِلَ قَبْلِي[٥]. وإذا كان يُصَدِّقُ التوراةَ، كان أحرى أن يُتَّبع.

وقوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ قال الفرَّاء[٦]: الواوُ ههنا زائدةٌ مُقْحَمةٌ، كهي في قوله: ﴿وكذلك نُري إبراهيمَ مَلَكُوت السمواتِ والأرضِ ولِيَكُونَ [مِنَ المُوقِنِينَ]﴾[٧]، المعنى: يُرِيهِ[٨] لِيَكونَ[٩].

---

(١) (أي): إنه لو كان معطوفًا على ﴿وَجِيهًا﴾؛ لجاء بضمير الغيبة، لا بضمير المتكلِّم.

(٢) (أي): يمتنع أن يتبع ﴿وَرَسُولًا﴾ في الإعراب.

(٣) قال أبو حيان في «البحر» ١/ ٤٦٨: (وقد ذكرنا أنه يجوز في قوله ﴿وَرَسُولًا﴾، أن يكون منصوبًا بإضمار فعل؛ أي: (وأرسلت رسولا)، فعلى هذا التقدير، يكون ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ معطوفًا على ﴿وَرَسُولًا﴾). (٤) في (ج): الكتاب.

(٥) في (ب): قيل. في (ج): قيل. (د) من قبلي.

(٦) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢١٦. نقله عنه بالمعنى.

(٧) سورة الأنعام: ٧٥. وما بين المعقوفين زيادة من: (ب)، وكذا وردت في «معاني القرآن». وانظر مذهب الفراء في زيادة الواو، في «معاني القرآن» ١/ ١٠٧، ٢٣٨، ٢/ ٥٠، ٢١١، ٣٩٠، ٣/ ٢٤٩.

(٨) في (ج): نريد. ب، (د) نريه.

(٩) قيل في قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ﴾ ثلاثة أقوال: الأول: إن الواو زائدة. الثاني: إنها عِلَّةٌ لمحذوف؛ أي: وليكون .. أريناه ذلك. الثالث: إنها عطف على عِلَّةٍ محذوفة؛ أي: ليستدل وليكون، أو ليقيم الحجة على قومه. وقال صلاح الدين العلائي: (تقديره: لِنُبَصِّره أو لِنُرْشده. ونحو ذلك. ثم عطف عليه ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾). الفصول المفيدة في الواو المزيدة، للعلائي: ١٤٧. وانظر: «التبيان» للعكبري ١/ ٣٤٢، «الفريد» للهمداني ٢/ ١٧٧، «الدر المصون» ٥/ ٧.

وأهل التحقيق من النحويين قالوا: الواو لا تُقْحَمُ إلا معَ (حتى إذا)، ومع (لَمَّا)[١].

---

(١) قال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٨ عن الواو في قوله تعالى: ﴿حتَّى إذا فَشِلْتُمْ وتَنازَعْتُم في الأمرِ .. ﴾ آل عمران: ١٥٢: (وهو في (حتى إذا) و(فَلَمَّا أن) مقول، لم يأتِ في غير هذين). وقال في ٢/ ٣٩٠: (والعرب تدخل الواو في جواب (فلما) و(حتى إذا)، وتلقيها). وفي ٣/ ٢٤٩ بَيَّنَ أن العرب لم تجاوز هذين الموضعين. وانظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٢. وبيان هذا الأمر: إن مذهب الكوفيِّينَ هو: جواز وقوع الواوِ زائدةً لغير معنى. وشاركهم من البصريين في هذا المذهب: الأخفشُ، وأبو القاسم بن بَرهان، وتبعهم ابنُ مالك. ونَسَب الرمَّانيُّ في كتابه «معاني الحروف» ٦٣ ، وأبو البركات الأنباري في كتابه «الإنصاف» ص٣٦٦ القولَ بهذا الرأي للمبرد وهو من البصريين. ولكن المبرد في كتابه «المقتضب» ٢/ ٨٠ قال عن مذهب القائلين بزيادة الواو لغير معنى: (وهو أبدع الأقاويل؛ أعني زيادة الواو) مما يؤكد أنه لم يشذ عن مذهب البصريين. واستدل الكوفيُّون على مذهبهم هذا بأدلة من القرآن ولغة العرب، منها: زيادة الواو في ﴿وَفُتِحَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وزيادتها في ﴿واقترب﴾ في قوله تعالى: ﴿حتى إذا فُتِحتْ يأجُوجُ ومأجُوجُ وهم من كلِّ حدَبٍ يَنْسِلُون واقتَرَبَ الوعدُ الحقُّ.. ﴾ الأنبياء: ٩٧. وزيادته في ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾. سورة الصافات: ١٠٣، وغيرها من الآيات. ومن شعر العرب، قول امريء القيس:

فلَمَّا أجَزنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَنْقَل

وغيرها من الأدلة. أمَّا البصريُّون فلا يُجيزون وقوع الواو مزيدةً، لأن الحروف عندهم (وضعت للمعاني، فذكرها بدون معنى يقتضي مخالفة الوضع، ويورثُ اللَّبْسَ. و أيضًا فإن الحروف وضعت للاختصار نائبة عن الجمل، كالهمزة فإنها نائبة عن (أستَفْهِم)، وزيادتها يُنقِصُ المعنى). الفصول المفيدة، للعلائي: ١٤٧. وتأول البصريون أدلة الكوفيين، وقالوا بأن الواو فيها عاطفة، وأن الجواب محذوفٌ مقدَّرٌ. يقول ابن جني: (فأما أصحابنا فيدفعون هذا التأويل البتَّة، ولا يُجِيزون زيادةَ هذه الواو، ويرون أن أجوبة هذه الأشياء محذوفة للعلم بها =

قالوا: أو، والواو ههنا للعطف على معنى الكلام الأول[١]؛ لأن معناه: (وجئْتُكم لأُصَدِّقَ ما بين يديَّ من التوراة، ولأُحِلَّ لكم). ومثله من الكلام: (جئتُ مُعتذِرًا إليه، لأجتَلِبَ رِضاه)؛ أي: لأعتذر، ولأجتلب[٢].

وقال ابن الأنباري[٣]: اللام في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾[٤] صِلَةٌ لفعلٍ مضمرٍ؛ كأنه قال: (ولأحلَّ لكم جئتكم)، وكذلك قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾، تقديره: ولِيكون من الموقنين نُرِيهِ[٥] ذلكَ[٦].

= والاعتياد في مثلها). «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٦. فمثلًا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ قال البصريون: إن الواو فيها عاطفة، وجواب (إذا) محذوف، والتقدير فيه: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، فازوا ونَعِموا. وهكذا ردُّوا على بقية الأدلة. انظر هذه المسألة، إضافة إلى المراجع التي ذكرت في «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ١٢٤- ١٢٥، «تأويل مشكل القرآن» ٢٥٢٢٥٤، «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: ٥٥، «الإنصاف» للأنباري ص٣٦٦، «شرح المفصل» ٨/ ٩٣، «رصف المباني» ٤٨٧، و«الجني الداني» ١٦٤، «المغني» ٤٧٣، «الحروف» لأبي الحسين المزني ١١٠.

(١) أي: للعطف على معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾.

(٢) في (ج): لاجتلب (بدون واو).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) (لكم): ساقطة من (د).

(٥) في (ج): (بربه).

(٦) وفي التوجيه الإعرابي لقوله ﴿وَلِأُحِلَّ﴾ أقوال أخرى، هي: إنها مردودة على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من آية ٤٩؛ أي: جئتكم بآية من ربكم، ولأحل لكم. أو معطوفة على عِلَّةٍ مقدَّرةٍ؛ أي: جئتكم بآية لأوسِّعَ عليكم ولأحل لكم، أو نحوها. أو إنها متعلقة بقوله: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ في آخر آية ٥٠؛ أي: اتَّبِعوني لأحلَّ لكم. وقد استبعد هذا الوجهَ السمينُ الحلبيُّ وجعله ممتنعًا. أو إنها معمولة لفعل مضمر بعد الواو؛ أي: وجئتكم لأحل.. انظر هذه الوجوه، في «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٥، «الكشاف» ١/ ٤٣١، «التبيان» للعكبري: ١/ ١٩١، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦٨- ٢٦٩، «الدر المصون» ٣/ ٢٠٢- ٢٠٣، «روح المعاني» ٣/ ١٧١.

- قوله تعالى: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾. قال المفسرون(١): أُحِلَّ لهم على لسان المسيح: لحومُ الإبل، والثُّرُوبُ(٢)، وأشياءُ مِنَ الطَّيْر، والحيتان، مما كان مُحرَّما في شريعة موسى ﷺ. قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(٣). وإنَّما قال(٤): ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن عيسى لم يأتهم بتحليل الفواحشِ من: القتل، والسَّرِقِ، والزِّنا.

وذهب أبو عبيدة(٥) إلى أنَّ (بعضَ) ههنا بمَعنى: الكُلِّ، واحتجَّ ببيت لَبيد:

أو يعتَلِقْ(٦) بعضَ النفُوسِ حِمامُها(٧)

---

(١) ممن قال بذلك: قتادة، والرَّبيع، وابن جريج. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٧، «زاد المسير» ١/ ٣٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ٦٢.

(٢) في (ب): الشروب. و(الثُّروب): شحم رقيق يُغَشِّي الكرشَ والأمعاء، والمفرد: ثَرْب. انظر: «القاموس المحيط» ص٦٢ (ثرب).

(٣) سورة النساء: ١٦٠. وبقيتها: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

(٤) في (ج): (قيل).

(٥) في «مجاز القرآن» ١/ ٩٤.

(٦) في (د): (وتعليق).

(٧) عجز بيت، وأوله:

تَـرَّاكُ أمْـكِـنَـةٍ إذا لـم أرضـهـا

وهو من معلقته، وقد ورد في «ديوانه» ٣١٣. كما ورد في «مجاز القرآن» ١/ ٩٤، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤١٥، «الزاهر» ٢/ ٢٣٧، ولم ينسبه، «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: ٥٧٣، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٣، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٠، «الخصائص» ١/ ٧٤، «المحتسب» ١/ ١١١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٢ب، «شرح المعلقات السبع» للزوزني: ص١٠٩، «شرح القصائد العشر» للتبريزي: ١٦٠، «تفسير البغوي» ٢/ ٤١، «اللسان» ١/ ٣١٢ (بعض). =

وأنكر عليه الآخرون أشدَّ[١] الإنكارِ[٢].

وسنستقصي الكلام في (بعض) عند قوله: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، وأنه هل يجوز أن يكون بمعنى الكلِّ، أم لا؟. إنْ شاء الله.

= وورد غير منسوب في «الموضح في التفسير» للحدادي: ٣٧، «المخصص» ١٧/ ١٣١. ويروي (منزلةٍ) بدلًا من: (أمكنةٍ)، و(أو يَرْتَبِط)، و(أو يَعْتَقِي) بدلًا من: (أو يعتلق). و(يرتبط)، و(يعتقي)، معناهما: يَحتَبِس. و(يعتلق): من (اعتلقه)؛ أي: أحبَّهُ، ويقال: (عَلِقَ بقلبه): أي: تشبَّث به. وعليه يكون معناها هنا معنى: يرتبط، ويعتقي. و(والحِمَام): الموت. انظر: «شرح القصائد السبع» ٥٧٣، «اللسان» ٥/ ٣٠٥٣ (عقا).

ومعنى البيت: إني أترك الأماكن التي أجتويها، إذا رأيت فيها ما أكره إلا أن يربط الموتُ نفسي فلا يمكنها البراح. وتحرير المعنى: إني لا أترك الأماكن التي أجتويها إلا أن أموت. انظر: «شرح المعلقات السبع» ٢٤٢، «شرح القصائد العشر» ١٦٠.

والشاهد فيه عند أبي عبيدة: أنَّ (بعض) هنا تعني (كلَّ). وقد خالفه آخرون كما ذكر المؤلف، حيث إنَّه في هذا البيت لا داعي لإخراج لفظ (بعض) عن مدلوله مع إمكان صحةِ معناه؛ لأن لبيد يريد بـ(بعض) هنا نفسَهُ هُوَ، من بين نفوس الناس.

(١) في (ج): (ابتدا).

(٢) وممن أنكر عليه ذلك الزجاجُ، حيث قال: (وأنشد أبو عبيدة في ذلك بيتًا غلط في معناه) ثم قال: (وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: (بعضنا يعرفك)؛ يريد: أنا أعرفك، فهذا إنما هو تبعيض صحيح) «معاني القرآن» ١/ ٤١٥. أي: إن (بعض) هنا مستعملة في موضعها؛ لأن المتكلم بعض الناس. وقال ثعلب: (أجمع أهل النحو على أنَّ البعض شيء من أشياء، أو شيء من شيء) ثم ردَّ على من زعم أن المراد بـ(بعض) في بيت لبيد تعني: (كل) فقال عنه: (فادَّعى وأخطأ أنَّ (البعض) ههنا جمعٌ.. وإنما أراد لبيد بـ(بعض النفوس): نفسَه). «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٠. وكذا ردَّه النحاس، في «معاني القرآن» ١/ ٤٠٣، وابن سيده، كما في «اللسان» ١/ ٣١٢، والزوزني في «شرح المعلقات السبع» ص١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال أبو إسحاق[١]: أي: لم أُحل لكم شيئًا بغير برهان، فهو حقيق[٢] عليكم اتِّباعي؛ لأنَّني أتيتكم[٣] ببرهان، وتحليلِ طيِّباتٍ كانت[٤] حُرِّمَتْ عليكم.

وإنَّما وحَّد[٥] الآية، وكان قد أتاهم بآيات؛ لأنها كلُّها جنسٌ واحدٌ في الدلالة على رسالته.

٥١- وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾. أي: طريق من طرق الدين مستوي. ومضى الكلام في معنى (الصراط المستقيم)[٦].

٥٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾. معنى (الإحْساس) في اللغة: وُجودُ الشيء بالحاسة، من جهة المُلابَسة. هذا أصله ثم يختلف في الفرع، والأصل واحد[٧].

قال الفرَّاء[٨]: معنى ﴿أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾[٩]؛ أي: وجد.

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٥، نقله عنه بنصه.
(٢) في «معاني القرآن» (حق).
(٣) في «معاني القرآن» (أنبئكم).
(٤) (كانت): ساقطة من (د).
(٥) من قوله: (وحد ..) إلى (.. رسالة): نقله بتصرف عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٤أ.
(٦) انظر تفسير آية: ٦ من الفاتحة، في «تفسير البسيط» (تح د/ الفوزان).
(٧) قال السمين الحلبي: (وأصله من (الحاسة)، وهي: القوة التي تُدرك الأعراض الحسِّيَّة. و(الحواس): المشاعر.. ويقال: (حَسَسْتُ)؛ بمعنى: فهمت وعلمت، ولكن لا يقال إلا فيما كان من جهة الحاسة، وأما (أحسَسْت)، فحقيقته: أدركته بحاستي. قوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾، تنبيه: أنه قد ظهر منهم الكفر، ظهورًا بأن للحسِّ، فضلًا عن التفهم..) «عمدة الحفاظ» ١٢٣ (حسس).
(٨) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢١٦.
(٩) (منهم الكفر): ساقطة من (د).

والإحساس[(١)]: الوجود.

وقال ابن المُظَفَّر[(٢)]: ﴿أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾: أي رأى. يقال: أحسَسْتُ من فلان أمرًا؛ أي: رأيت.

وقال معْمَر[(٣)]: أحسَّ؛ أي: عرفَ.

وقال الزجَّاج[(٤)]: أحسَّ في اللغة: عَلِمَ، ووجَدَ، ورأى[(٥)]. يقال[(٦)]: (هل أحسَسْتَ صاحبَكَ)؟؛ أي: هل رأيته. هذا كلام أهل اللغة.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: أحسَّ: عَلِمَ[(٧)].

وقال مقاتل[(٨)]: رأى، نَظِير[(٩)] قوله[(١٠)]: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨].

---

(١) في (د): الإحساس (بدون واو).

(٢) هو الليث بن المظفر، وقد سبقت ترجمته. ولم أقف على مصدر قوله هذا.

(٣) هو أبو عبيدة، مَعْمر بن المُثَنَّى. وقوله في «مجاز القرآن» ١/ ٩٤.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٦.

(٥) (ورأى) غير مذكورة في «معاني القرآن» للزجاج. وقد أورد الأزهري في «التهذيب» ١/ ٨١٧ قولَ الزجاج هذا، ولم يذكر فيه (رأى).

(٦) من قوله: (يقال..) إلى (.. رأيته): غير موجود في «معاني القرآن» للزجاج، ولكن ذكره الأزهري في «التهذيب» ١/ ٨١٧ وعزاه للزجاج، مما يعني أن قولَ الزجاجِ هذا نقله المؤلف إمَّا عن «تهذيب اللغة» أو عن نسخة أخرى لمعاني القرآن، لم يعتَمدها محقق الكتاب.

(٧) لم أقف على مصدر هذه الرواية عن أبي عباس.

(٨) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٧٨. ويبدو أن المؤلف نقل قوله عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٤أ؛ نظرًا لاتفاق عبارته معه.

(٩) في (ب)، (ج)، (د)، «تفسير الثعلبي»: نظيره.

(١٠) في (ج): (وقوله). وعن ثعلب، قال في معنى هذه الآية: (معناه: هل تبصر، هل ترى؟). «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٧ (حسس).

=

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾. يريد: القتل؛ وذلك أنَّهم أرادوا قتلَهُ حين دعاهم إلى الله[١] [تعالى][٢]، فاستنصر عليهم، وقال:

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾. و(الأنصارُ): جمع (نَصِير)، مثل: (شَرِيف)، و(أشراف)[٣].

قال الحسن[٤]، ومجاهد[٥]: إنَّما استنصر طلبًا للحماية من الكافرين، الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة، ولم يستنصر للقتال؛ لأنه لم يُبْعث بالحرب.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾. أكثر أهل التفسير على أن المعنى: مع الله[٦].

= وقال ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٣٣١: (معناه: هل تجد منهم من أحد.).

(١) الكفر هنا بمعناه الأصلي الحقيقي، وإنما قال المؤلف: القتل؛ لأنهم أرادوا قتله، نظرًا لكفرهم وجحودهم دعوته، فكانت إرادة القتل من دوافقع كفرهم وتكذيبهم به. هذا، والله تعالى أعلم. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٩؛ «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٣، «تفسير القرطبي» ٤/ ٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٢، ٢٨٦، «الصحاح» ٢/ ٨٢٩ (نصر).

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٩، ولفظه عندهما: (استنصر، فنصره الحواريون، وظهر عليهم.)، وورد قوله كذلك في «النكت والعيون» ١/ ٣٩٦.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٦، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٦، «زاد المسير» ١/ ٣٩٤، ولفظه عند الطبري: (قال: كفروا وأرادوا قتله؛ فذلك استنصر قومه).

(٦) هو قول: السدِّي، ومقاتل، وابن جريج، وسفيان بن عيينه، والكسائي، وابن قتيبة، والطبري، ومكِّي بن أبي طالب. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٧٨، «تأويل مشكل القرآن» ٥٧١، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ١٠٦، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٤، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٥أ، وتفسير=

قال الفرَّاء[١]: وهو وجه حسن، وإنَّما يجوز أن تجعل (إلى) في موضع (مع)؛ إذا ضممت الشيءَ إلى الشيءِ[٢]، مما لم يكن معه؛ كقول العرب: (الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ؛ إبل)[٣]؛ أي[٤]: إذا ضممت الذَّوْدَ إلى الذَّودِ[٥]، صارت إبِلًا. فإذا كان الشيءُ مع الشيءِ، لم يصلح مكان (مع) (إلى)[٦]، ألا ترى أنَّك تقول: قَدِمَ فلانٌ ومعه مالٌ كثيرٌ، ولا تقول في هذا الموضع: وإليه مالٌ كثير[٧]. وكذلك تقول: قَدِمَ فلانٌ إلى أهله، ولا

= المشكل من غريب القرآن: ٤٩. ويبدو أن المؤلف نقل هذه العبارة عن «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢١٨، ونصُّها عند الفراء: (المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله).

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢١٨. نقله عنه مع تصرف يسير جدًّا.

(٢) (إلى الشيء): ساقطة من: (ج).

(٣) في (ج): الدود إلى الدود. وفي «معاني القرآن» إنَّ الذود إلى الذود. و(الذَّوْدُ) من الإبل من الثلاثة إلى العشرة، أو من الثلاثة إلى التسع، وقيل غير ذلك. ولفظ (الذود) مؤنث. انظر: «المذكر والمؤنث» للفراء: ٧٧، «المنتخب» لكراع النمل: ١/ ٢٩١، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري: ١/ ٥٢٢، «المجمل» ٣٦٢ (ذود)، «اللسان» ٣/ ١٥٢٥ (ذود). وهذا القول مَثَلٌ من أمثال العرب، وهو في كتاب الأمثال، لأبي عبيد بن سلام: ١٩٠، «تأويل مشكل القرآن» ٥٧١، وجمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري: ١/ ٤٥٨، ٤٦٢، ٢/ ٢٢٦، ٢٨٩، والمخصص: ٧/ ١٢٩، ١٤/ ٦٧، ١٧/ ٩، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيد البكري: ٢٨٢، ومجمع الأمثال، للميداني: ١/ ٢٨٨. والمستقصى من أمثال العرب، للزمخشري: ١/ ٤٢٢، «اللسان» ٣/ ١٥٢٥ (ذود).

(٤) من قوله: (أي ..) إلى (.. الذود): ساقط من (د).

(٥) في (ج): (الدود إلى الدود).

(٦) (إلى): ساقطة من (د).

(٧) في «معاني القرآن»: قدم فلان وإليه مال كثير.

تقول: مع أهله، ومنه قوله[١]: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]؛ معناه: لا[٢] تُضيفوا[٣] أموالهم إلى أموالكم في الأكل[٤].

وقال أبو إسحاق[٥]: (إلى) ههنا إنما قاربت معنى (مع)، بأن صار اللفظ لو[٦] عُبِّرَ عنه بـ(مع)[٧] أفاد مثل هذا المعنى، لا أنَّ (إلى) في معنى (مع)[٨]. لو قلت: (ذهب زيدٌ إلى عمرو)، لم يجز أن تقول: (مع عمرو) في[٩] هذا الموضع؛ لأن (إلى) غاية، و(مع) تضمُّ الشيءَ إلى الشيءِ، والمعنى في الآية: من يضيف نُصْرَته إيَّايَ إلى نُصْرةِ الله. والحروف[١٠]، إنما يقع بعضها مكان بعض؛ لنوع تقارب في المعنى؛ لا أنَّ[١١] أحدهما يقوم مقام الآخر، كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على. وأصل (في): إنما هو للوعاء[١٢]، وأصل (على): لما علا [على][١٣]

---

(١) في (أ): (قولهم). والمثبت من بقية النسخ، ومن «معاني القرآن».
(٢) في (ج)، (د)، «معاني القرآن»: (ولا).
(٣) في (ب): (لا تضيعوا).
(٤) في الأكل: غير موجودة في «معاني القرآن».
(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٦ نقله عنه بالمعنى.
(٦) في (د): (إذ).
(٧) في (ب): (مع)، بدون الباء.
(٨) (مع): ساقطة من: (ج).
(٩) في (ج)، (د): (وفي).
(١٠) في (ج): (والحروف).
(١١) في (ج): (لأن) بدلًا من(: لا أن).
(١٢) في (ب): (الدعاء).
(١٣) ما بين المعقوفين زيادة من (د). وفي «معاني القرآن» ١/ ٤١٧: (وأصل (على) لما مع الشيء).

الشيء، تقول: (التمرُ في الجِراب)؛ المعنى فيه: أنَّ الجِراب مشتمل عليه، ولو[١] قلت: (التمرُ على الجِرابِ)، لم يصلح[٢] في هذا المعنى.

وجاز ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، بمعنى: على؛ لأن الجِذْع مشتمل على المصلوب، ولو قلت: (زيدٌ في الجبل)، و(على الجبل). [يصلح][٣]؛ لأن[٤] الجبل قد اشتمل على زيد، فعلى هذا مَجاز هذه الحروف[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ اختلفوا في (الحواريِّين): فقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[٦]: كانوا

---

(١) في (ج): (لو بدون واو).

(٢) (لم يصلح): ساقطة من: (ج).

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة من «معاني القرآن» ليتم بها المعنى.

(٤) في (ج): (أن).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٤، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٥. وقد سبق الحديث عن تناوب حروف الجر في التعليق على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، آية: ٩ من آل عمران. وانظر كذلك في هذا المعنى «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٨٠٦، «الخصائص» لابن جني: ٢/ ٣٠٦٣١٥.

وقد قال ابن الأنباري كما نقل عنه ابن الجوزي في «زاد المسير»: ١/ ٣٩٣: (ويجوز أن يكون المعنى: من أنصاري إلى أن أبين أمر الله). وذكر الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٣٩٥ بقية الأقوال في الآية إضافة إلى ما سبق، وهي: من أنصاري في السبيل إلى الله. وقيل: من ينصرني إلى نصر الله. وقيل: من ينقطع معي إلى الله.

(٦) هذه الرواية في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٥أ، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٥، «زاد المسير» ١/ ٣٩٤، وأوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٢، وزاد نسبة إخراجها للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر. وأخرجها البخاري تعليقًا، فقال: (وقال ابن عباس: .. وسُمِّيَ الحواريُّون لبياض ثيابهم) ٧/ ٧٩ «الفتح» كتاب فضائل أصحاب النبي، باب: مناقب الزبير بن العوام.

صيَّادين، سُمُّوا حواريين؛ لبياض ثيابهم.

قال السُدِّي[(١)]: وذلك أنَّ عيسى [عليه السلام][(٢)] مرَّ بهم وهم يصطادون السمكَ، فقال: ما تصنعون؟ فقالوا[(٣)]: نصطاد السمك. قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس؟ قالوا: وكيف ذاك؟ قال: من أنصاري إلى الله؟ قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله، فآمنوا به، وانطلقوا، فهم الحواريُّون.

قال ابن الأنباري[(٤)]: وهذا قول بعض اللُّغَوِيِّين[(٥)]، يقول: الحواريُّون: النِظَافُ الثِّياب؛ من قول العرب: (قد حُرْت الثوبَ): إذا غسلته، ونَظَّفته، قال: وإنما يراد بنظافة الثياب: نظافةُ الأديان والأعمال. يقال: (فلانٌ نظيف الثياب): إذا كان صالحًا، و(دَنِسُ الثياب): إذا كان غادرًا و[(٦)] فاجرًا. قال امرؤ القيس:

ثِيابُ بني عَوْفٍ طَهارى نقِيَّةٌ[(٧)]

---

(١) قوله هذا جزء من أثر طويل أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٣) في (ج): (قالوا بدون فاء).

(٤) في «الزاهر» ١/ ١٢١-١٢٢، ونقله عنه بالمعنى، ولكن قوله: (وإنما يراد ..) وما بعده، غير موجود في كتابه «الزاهر» في هذا الموضع، وإنما ورد معناه في نفس الكتاب في ١/ ٥٣٩، فإما أن يكون المؤلف نقل بالمعنى من الموضعين ولَفَّق بينهما، أو يكون نقله من كتاب آخر لابن الأنباري.

(٥) في (ج): (الكوفيين). وقد عزا ابن الأنباري هذا القول لقطرب، وهو محمد بن المستنير.

(٦) في (ج)، (د): (أو).

(٧) في (ج): (نظيفة). وهذا صدر بيت، وعجزه:

وأَوْجُهُهُم عند المشاهد غُرَّانُ

أراد بـ(الثياب): الأفعال.

وقال [ابن عباس][(١)] في رواية عَطَاء[(٢)]: كانوا قَصَّارين[(٣)]، وكانوا يُحَوِّرُون الثياب؛ أي: يُبَيِّضونَها[(٤)].

= وقد ورد في ديوانه: ص١٦٧، كما ورد منسوبًا له، في «الزاهر» ١/ ٥٣٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٢٦ (طهر)، ٣/ ٢٦٥٢ (غرر)، «الصحاح» ٢/ ٧٦٧ (غرر)، «اللسان» ٥/ ٢٧١٢ (طهر)، ٦/ ٣٢٣٤ غرر)، «التاج» ٧/ ٣٠١.
وترويه بعض المصادر السابقة: (.. وأوجُهُهُم بِيضُ المَسافِرِ غُرَّان). و(طَهارى) و(أطهار): جمع طاهر، وترد (طهارى) نادرة. و(غُرَّان): جمعٌ، ومفردها: (أغَرُّ). و(رجل أغرُّ الوجه): إذا كان أبيض الوجه، و(هو من قوم غُرٍّ، وغُرَّان). و(مَسَافِر الوجه): ما يظهر منه. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٥٢ (غرر)، «اللسان» ٥/ ٢٧١٢ (طهر)، و٤/ ٢٠٢٤ (سفر). قال ابن الأنباري: (وهم يكنون بالثياب عن النفس والقلب..)، ثم قال عن البيت: (معناه: هم في أنفسهم طاهرون). «الزاهر» ١/ ٥٣٩. وقال عنه الزبيدي: (أي: إذا اجتمعوا لغُرْم حَمَالةٍ، أو لإدارة حرب، وجدت وجوههم مستبشرة، غير منكرة). «التاج» ٧/ ٣٠١.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٢) ورد معنى هذه الرواية عن عطاء دون رفع إلى ابن عباس في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٥أ، وفي «تفسير البغوي» ٢/ ٤٢. وورد هذا القول عن أبي أرطأة يرويه عن ابن أبي نجيح، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٧، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٥أ. وورد عن الضحاك ومقاتل، كما في «زاد المسير» ١/ ٤٩٤، «غرائب القرآن» ٣/ ٥٠١، «البحر المحيط» ٢/ ٤٧١.

(٣) قَصَرَ الثوبَ قِصَارةً: حَوَّره ودقَّهُ. وقصَّره تقصيرًا، مثله. والقصَّار، والمُقَصِّرُ: المُحَوِّرُ للثياب؛ لأنه يدُقُّها بالقَصَرَةِ؛ وهي قطعة من الخشب، وحرفته: القِصارَةُ. والمِقْصَرَةُ: خشبة القصَّار. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٤٩ (قصر).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد: ١/ ٢١٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٦ (حور)، «مقاييس اللغة» ٢/ ١١٦ (حور)، «اللسان» ٢/ ١٠٤٤ (حور).

وهو قول مصعب(١)، قال(٢): كانوا مع عيسى، اتَّبعوه وصدَّقوه(٣)، وكانوا إذا احتاجوا إلى الطعام أو(٤) الشراب، دعا الله تعالى، فيخرج(٥) من الأرض ما يأكلون، وما يشربون، أينما كانوا. فقالوا له(٦): من(٧) أفضل منَّا؟ إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا سقيتنا، وقد آمنَّا بك!؟ فقال: أفضل(٨) منكم من يعمل بيده، ويأكل من [كسبه](٩). قال: فصاروا يغسلون الثياب بالكراء، ثمَّ صار هذا الاسم مُستعمَلا فيمن أشبههم(١٠) من المُصدِّقين بأنبيائهم(١١)؛ تشبيهًا بهم.

وروى جُوَيْبِر(١٢) عن الضحَّاك، قال(١٣): مرَّ عيسى عليه السلام بغسَّالين،

---

(١) هو: مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو زرارة المدني، تابعي، ثقة كثير الحديث. توفي سنة (١٠٣هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٠٣، «المراسيل» ٢٠٦، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٨٤.

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٥ب.

(٣) في (ب): (وصل وقوه).

(٤) في (ب)، (د): (و).

(٥) في (ج): (ليخرج).

(٦) في (ب): (أيا ال) بدلًا من: (له).

(٧) (من): ساقطة من: (ب).

(٨) في (أ)، (ب): (يال)، والمثبت من: (ج)، (د).

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروءة في (أ). والمثبت من: بقية النسخ، ومن «تفسير الثعلبي».

(١٠) في (ب): (أشباههم).

(١١) (بأنبيائهم): ساقطة من (ج)، (د).

(١٢) هو: أبو القاسم، جويبر بن سعيد الأزدي البلخي. تقدمت ترجمته.

(١٣) الأثر في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ٦٣، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

يغسلون الثياب، فدعاهم إلى عبادة الله ﷻ، فآمنوا، فسمَّاهم الله: حواريِّين. قال: وهي[(١)] بلغة النَّبَط[(٢)]: هواري[(٣)].

قال أبو بكر[(٤)]: فمن أخذ بهذا القول، قال: هذا حرفٌ اشتركت فيه لغة العرب ولغة[(٥)] النَّبِط. وهذا قول مقاتل بن سليمان: إنَّ الحواريِّين القصَّارون[(٦)]. قال أبو بكر[(٧)]:

---

(١) (وهي): ساقطة من (د).

(٢) في (ب): (وهي بلغة القيطي).
و(النَّبَطُ): جِيْل ينزلون سواد العراق، ويقال: النَّبيط، والأنباط. والمفرد: نَبَطي، ونُباطي، ونَباط، ويقال كذلك: بَناطي. انظر (نبط) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٩٧، «التاج» ١٠/ ٤٢٥. وفي الموسوعة العربية الميسرة: أنهم قبائل بدوية كانت تعيش في الصحراء في شرق الأردن، وقامت لهم دولة قديمًا، سنة (١٦٩ ق. م)، وعاصمتهم البتراء، ولغتهم العربية. ص: ٢٣١-٢٣٢.

(٣) انظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي: ٨٦، وقد أورد هذا الأثر عن الضحاك، وأورد عن ابن جريج فيما يرويه عنه ابن المنذر: (الحواريون: الغسَّالون للثياب، وهي بالنبطية: الحوار)، وأشار محقق الكتاب الدكتور التهامي الهاشمي إلى أن هذه اللفظة في اللغة الحبشية تعني: (رسول)، ولها أصل في الآرامية، وتعني عندهم: (الأبيض).

(٤) هو ابن الأنباري، وقد ورد التصريح باسمه في «الدر المصون» ٣/ ٢١٠. ولم أقف على مصدر قوله.

(٥) في (ب): (واللغة).

(٦) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٧٨. قال: (فمرَّ عيسى ﷺ على الحواريين، يعني: على القصارين. غسَّالي الثياب).

(٧) في (ج): قال أبو بكر ومقاتل.
ولكن لم أجد هذا القول لمقاتل في تفسيره، ولا في بقية المصادر التي رجعت إليها، ولم يعزه أحد منها إليه، ولم تذكره بقية النسخ؛ لذا أهملته، ولم أثبته في الأصل؛ لما ترجح عندي أنه سبق قلم من الناسخ. وقول أبي بكر بن الأنباري، =

ويقال[١]: الحواريُّون: المجاهدون، وسُمِّيَ أصحابُ عيسى حواريين؛ لمجاهدتهم معه، وصبرهم على منازعة أهل الكفر، وأنشد:

ونحن أناسٌ يملأُ البَيْضَ هامُنا ونحنُ حَواريُّون حينَ نُزاحِفُ.

جماجِمُنا يومَ اللقاءِ تِراسُنا إلى الموت نمشي[٢] ليس فيها تَجانُفُ[٣]

= في «الزاهر» ١/ ١٢١، ونصُّه: (وقال آخرون: الحواريون: المجاهدون، واحتجوا بقول الشاعر: ..)، ثم ذكر الشعر، وبقية العبارات غير موجودة في «الزاهر» فقد يكون المؤلف نقل قوله هذا عن كتاب آخر له، أو أنه أضاف هذه العبارات من عنده، توضيحًا وشرحًا. والله أعلم.

(١) في (ج): (يقال بدون واو).

(٢) في (ج): (تمشي).

(٣) لم أهتد إلى قائله. وهما في «الزاهر» ١/ ١٢١، «زاد المسير» ١/ ٣٩٤ وقد ورد البيت الثاني فيهما برواية: (.. ليس فينا ..).
ومعنى (البَيْضَ) هنا : الحديد الذي يوضع على الرأس لحمايته في الحرب، وهي: الخُوذَة، ومفردها: بَيْضَة.
وقوله: (هامُنا): جمع (هامة)، وهي: الرأس. وقوله: (نزاحف) من (الزَّحْفِ)، وهو: المشي قليلًا، قليلًا. ويراد به هنا الزحف لقتال العدو. و(الجماجم)، جمع: جُمْجُمَة، وقد يريد بها هنا جمجمة الرأس، أو يريد: جماجم القوم؛ أي: ساداتهم ورؤساؤهم، ويكون معنى البيت في هذه الحال : أن سادتهم يتقدمونهم للحرب، ويكونون لهم كالترس الواقي. و(التِراسُ)، جمع: (تُرْسٍ)، وتجمع كذلك على (أتراس) و(تِرَسة) و(تُروس)، وهو: ما يُتَوَقَّى به في الحرب. و(تَجانُف): تمايل. وهي مصدر: (تَجانَفَ)، أي: مال. وقد وردت في المخطوطة (تجانِف) بكسر النون ، وأثْبَتُّ ما رأيته صوابًا؛ لأن (تَفاعَلَ) يأتي مصدرها على (تَفاعُل) بضم العين . انظر: «المزهر» للسيوطي: ٢/ ٨١. وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٢٣ (هوم)، ٣/ ١٨١٦ (زحف)، ٢/ ٦٨٦ (جمم)، ١/ ٤٢٨ (ترس)، ٢/ ٧٠٠ (جنف)، «المعجم الوسيط» ١/ ٧٨ (بيض)، (١٠١١) (هوم).

والمختار من هذه الأقوال عند أهل اللغة : أنَّ هذا الاسم لزمهم للبياض. قال[(١)] أبو عبيد[(٢)]: سُمِّي أصحاب عيسى الحواريين؛ للبياض، وكانوا قصَّارين .

قال الفرزدق[(٣)]:

فقلت إنَّ الحواريَّات مَعْطَبَةٌ
إذا تَفَتَّلْنَ[(٤)] من تَحْتِ الجَلابِيبِ[(٥)]

يعني: النساء[(٦)].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الزُّبَيْر[(٧)] ابنُ[(٨)] عمَّتي، وحَوارِيَّ من**

---

(١) من قوله: (قال ..) إلى (.. هم خاصة الصحابة): نقله بتصرف قليل واختصار في بعض المواضع عن «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٦.

(٢) قوله في «غريب الحديث» ١/ ٢١٧، وقد نقله عنه الأزهري بمعناه، ونقله الواحدي عن الأزهري.

(٣) هو: أبو فراس، هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي. تقدمت ترجمته.

(٤) في (د): (تقتلن)•.

(٥) البيت، في ديوانه: ٢٥. كما ورد في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٦ (حور)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٦أ، «اللسان» ٢/ ١٠٤٣ (حور)، «الدر المصون» ٣/ ٢٠٩. ومعنى (مَعْطَبَة): مَهْلَكَة؛ من: (عَطِبَ)؛ أي: هلك. و(تفَتَّلْنَ): تمايلن، وتلَوَّيْنَ، وأصلها من: (فَتَلَ الحبلَ، وفتَّله): إذا لواه. و(الجلابيب): جمع (جِلْباب): القميص أو الثوب الواسع. انظر (عطب) في «القاموس» ص١١٦، و(فتل) في «اللسان» ٦/ ٣٣٤٤، «القاموس» ص١٠٤١، و(جلب) في «القاموس» ص٦٨.

(٦) انظر هذا المعنى في: «جمهرة اللغة» لابن دريد: ٢٥٨ (حور)، «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٦ (حور). قال ابن دريد: (الحَواريَّات: النساء الحَضَرِيَّات؛ سُمِّين بذلك لنقائهن، وبياضهنَّ).

(٧) في (ب): (النصر).

(٨) في (ب): (بين بن).

أمَّتي»[١].

قال أبو عبيد[٢]: أصل هذا إنما كان[٣] بُدُوَّهُ[٤] الحواريُّون[٥]،

(١) الحديث بهذا اللفظ: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٣/ ٣١٤ (وانظر: «الفتح الرباني» للبنا: ٢٢/ ٢٤٠)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٦/ ٣٧٩ (٣٢١٥٤). وورد في «غريب الحديث» ١/ ٢١٧، وأورده المتقي الهندي في «كنز العمال» ١١/ ٦٨٢، وعزاه لأحمد.
وورد بلفظ: «**إن لكل نبي حواريَّ، وإن حواريَّ الزبير بن العوام**». أخرجه البخاري (٣٧١٩)، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب الزبير بن العوام (٤١١٣) كتاب: المغازي، باب، غزوة الخندق (٢٨٤٦) باب: فضل الطيعة، (٢٨٤٧) باب: هل يبعث الطليعة وحده، (٢٩٩٧) باب: السير وحده من كتاب: الجهاد. وأخرجته الكتب التالية بنصه أو قريبًا منه: صحيح مسلم: (٢٤١٥) كتاب فضائل الصحابة، باب (من فضائل طلحة والزبير). وسنن الترمذي: (٣٧٤٤)، (٣٧٤٥) كتاب المناقب، باب، ٢٤، ٢٥، «مسند أحمد» ١/ ٨٩، ٣/ ٣٠٧. (وانظر: «المسند» بشرح : أحمد شاكر: ٢/ ٧٩). «سنن ابن ماجه» (١٢٢)، المقدمة، باب: فضل الزبير. وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني: ١/ ٢٧). «المستدرك» ٣/ ٣٦٢ كتاب معرفة الصحابة، «الحلية» لأبي نعيم: ٤/ ١٨٦، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٥١، والمتقي الهندي في «كنز العمال» ١١/ ٦٨٢.
والزبير، هو: ابن العوّام بن خويلد الأسدي القرشي، تقدمت ترجمته.

(٢) قوله في «غريب الحديث» ١/ ٢١٧، وقد نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٦ بمعناه، ونقله الواحدي عن الأزهري.

(٣) في (د): (يكون).

(٤) في (ب): (بد). وفي «تهذيب اللغة» بَدْؤُهُ، وليس موجودة في «غريب الحديث» وأثبتُّها كما هي أعلاه؛ لاتفاق النسخ عليها، ولصحة معناها؛ لأن (البُدُوَّ)، يعني: الظهور، من: (بدا)؛ أي: ظهر، (يبدو، بَدْوًا، وبَدًا). أما (بَدْؤُهُ)، فهي من: (بَدَأ، يبدَأ، بَدْأ)، و(البَدْءُ): فعلُ الشيءِ أوَّلُ. انظر: «اللسان» ١/ ٢٣٤ (بدا)، و١/ ٢٢٣ (بدأ).

(٥) في (ب): (الحوارين).

أصحاب عيسى؛ سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا يحوِّرون الثياب، وهو[1]: التبييض، فلما كانوا هؤلاء أنصار عيسى دون الناس، قيل لكلِّ ناصرِ نَبِيِّهُ: (حواريٌّ)؛ تشبيها بأولئك.

وروى[2] ثَعْلَب عن ابن الأعرابي: الحواريُّون: الأنصار، وهم خاصَّة الصحابة[3]، وهذا معنى قول قتادة[4]، والكلبي[5]، وأبي رَوْق[6]، قالوا: الحواريُّون: خَواصُّ عيسى، وأصفياؤه[7]. واختاره الفرَّاء[8].

وروى شَمِر عن ابن الأعرابي، أنه قال[9]: الحواري: الناصح، وأصله: الشيء الخالص. وكلُّ شيءٍ خَلَصَ لونُهُ، فهو: حَواري. والحواريَّات من النساء: النَّقِيَّاتُ الألوان والجلود.

قال أبو عبيدة[10]: يقال لنساء الأمصار: حواريات؛ لأنهنَّ تباعدن

(١) في (ج): (وهي).
(٢) في (ج): (روي بدون واو).
(٣) في «تهذيب اللغة» أصحابه. وأشار محققه في الهامش إلى ورود (الصحابة) في نسخة أخرى للتهذيب.
(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٦/ ٤٥٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٦ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٣.
(٥) قوله في «تفسير البغوي» ٢/ ٤٣.
(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٧، يروي عن الضحاك.
(٧) في (ج): (وأصفيائه).
(٨) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢١٨.
(٩) لم أهتد إلى مصدر رواية شمر عن ابن الأعرابي.
(١٠) من قوله: (قال أبو عبيدة ..) إلى نهاية بيت الشعر. نقله عن «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٧، والأزهري في «التهذيب» ذكر معنى قول أبي عبيدة.
ونص قوله كما في «مجاز القرآن» ١/ ٩٥: (و(الحواريات) من النساء: الاتي لا ينزلن البادية، وينزلن القرى. قال الحادي: (لمَّا تضمَّنت الحواريات). وقال أبو جلدة اليشكري: ..) وذكر بيت الشعر.

عن قَشَفِ الأعرابيات، وأنشد:

فَقُلْ للحواريَّات يَبكِينَ غيرَنا ولا يبْكِينا إلاَّ الكلابُ النَّوابِحُ[(١)]

واختار الزجَّاج هذا القول، وقال[(٢)]: الحُذَّاقُ باللغة يقولون: الحواريون: صفوة الأنبياء، الذين خَلَصوا[(٣)]، وأخْلصوا في التصديق بهم، ونُصرتهم[(٤)].

---

(١) البيت لأبي جِلْدة بن عبيد اليشكري. وقد ورد منسوبًا له، في «مجاز القرآن» ١/ ٩٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٧٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤١٨، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٧، «المؤتلف والمختلف» للآمدي: ١٠٦، ١٠٧، «الصحاح» ٢/ ٦٤٠ (حور)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٦أ، وفيه (ابن حلزة)، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٣٩، «اللسان» ٢/ ١٠٤٤ (حور)، «البحر المحيط» ٢/ ٤٧٠. وورد غير منسوب، في غريب لحديث، لأبي عبيد: ١/ ٢١٧، «الجمهرة» لابن دريد: ٢٨٥ (نبح)، «الزاهر» ١/ ١٢١، «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٧ (حور)، «معجم مقاييس اللغة» ٢/ ١١٦ (حور)، «أساس البلاغة» ١/ ٢٠٥ (حور)، «تفسير القرطبي» ٤/ ٩٨. وقد ورد البيت في أكثر المصادر بلفظ: (.. ولا تبكنا.)، وفي «التهذيب»: (ولا يَبكِينَ)، وفي المؤتلف والمختلف: (فقل لنساء المصر..). ومعنى البيت: قل للنساء الحضريات، المترفهات، البيضاوات، يبكين غيرنا، أما نحن، فغير مترفين ولا مرفهين، بل من أهل البدو، فلا تبكي علينا إلا الكلاب النوابح التي تخرج معنا للصيد.

(٢) «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٧، نقله عنه بتصرف يسير.

(٣) في (د): (أخلصوا).

(٤) هذا الذي قاله الزجاج، إنما هو من إطرادات كلمة (حواري)، وتقرير حال أولئك الذي أطلِقت عليهم هذه الكلمة، وليس تفسيرًا لفظيًا لها، لأن أصل كلمة (حَوَرَ) هو: شدة البياض، وكما بيَّن المؤلف أن أصحاب عيسى -عليه السلام- وخاصته، سُمُّوا بذلك؛ لتبييضهم الثياب، فجرى هذا الاسم لهم، ثم أطلق على خاصَّة الأنبياء وناصريهم. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٧، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٣٨.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾. أي: أنصار دين الله، آمنَّا بالله، واشهد يا عيسى بأنَّا مسلمون.

٥٣- وقوله تعالى: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال عطاء، عن ابن عبَّاس[(١)]: يريد: مِن النبيِّين[(٢)]؛ لأن كل نبي شاهدُ أمتِّهِ.

قال: فنبَّأهم الله -تعالى- أجمعين، إجابة[(٣)] لهم، فأحيوا الموتى، وصنعوا كل ما صنع عيسى[(٤)].

وقال أكثر أهل التفسير[(٥)]: (اكتبنا [مع الشاهدين][(٦)]): مع الذين شهدوا للأنبياء بالصدق. ومعنى (اكتبنا معهم): أَثبِت أسماءَنا مع أسمائهم؛

---

(١) ورد الأثر عن عطاء دون أن يُرفع إلى ابن عباس، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٧أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٣، «زاد المسير» ١/ ٣٩٥. وورد من رواية عكرمة من ابن عباس: (قال: مع محمد وأمَّتِهِ، فإنهم قد شهدوا أنه قد بلغ، وشهدوا للرسل على أنهم قد بلَّغوا) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٢٧٩، رقم (١١٧٣٢).

(٢) هكذا جاءت في جميع النسخ (من النبيين)، وعند الثعلبي: (مع النبيين). وقد ورد عن ابن عباس في هذا المعنى قولَه: (من محمد ﷺ وأمته أنهم قدشهدوا له أنه قد بلَّغ، وشهدوا للرسل أنهم قد بلَّغوا). انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٠، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٧، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٧أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٣، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٢، «الدر المنثور» ٢/ ٦٣، وزاد نسبة إخراجه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردوية.

(٣) في (ج): (أجابهم).

(٤) من قوله: (قال: فنبأهم ..) إلى (.. ما صنع عيسى): هذه الزيادة لم أقف عليها فيما رجعت إليه من مصادر.

(٥) ممن قال بهذا الطبري، في تفسيره: ٣/ ٢٨٨، والزجاج، في «معاني القرآن» ١/ ٤١٨، والنحاس، في «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧.

(٦) ما بين المعقوفين: زيادة من: (د).

لنفوز بمثل[١] ما فازوا، ونَنال مِن الكرامة مثل ما نالوا.

٥٤- [و][٢]- قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ﴾. أصل (المَكْر) في اللغة: السعي في الفساد[٣] في خفية، ومُداجاة[٤].

قال الزجاج[٥]: يقال: (مَكَرَ الليلُ، وأمْكَر): إذا أظلم[٦].

قال ابن عباس[٧]: يريد: أنَّ عامَّة بني إسرائيل كفروا به، وهَمُّوا بقتله، وتواطئُوا على الفتك به، فذلك مكرهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾. قال أهل المعاني[٨]: المَكْرُ مِنَ[٩]

---

(١) في (د): (مثل).

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من (د).

(٣) في (ج)، (د): (بالفساد).

(٤) انظر (مادة: مكر) في «كتاب العين» ٥/ ٣٧٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٧أ، «اللسان» ٧/ ٤٢٤٧، «التاج» ٧/ ٤٩٣٤٩٤. و(المُداجاة): من: (داجى الرجلَ): ساتره بالعداوة، وأخفاها عنه، فكأنه أتاه في الظلمة. و(المُداجاة): المداراة، و(داجَيْته): داريته، وكأنك ساترته العداوة. انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٣٢ (دجا).

(٥) لم أقف على مصدر قوله وقد ذكره كذلك السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٢١٢، ولم يبين مصدره.

(٦) لم أعثر على هذا المعنى فيما رجعت إليه من مصادر اللغة، وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٥٧أ قائلًا: (قال أهل المعاني: المكر: السعي بالفساد في سَتر ومُداجاة، وأصله من قول العرب: (مكَرَ الليلُ): إذا أظلم).

(٧) لم أقف على مصدر قوله وقد أورد معناه ابنُ الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٣٩٥.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١٨، «معاني القرآن» للزجاج، ١/ ٤١٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٨، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٧أ.

(٩) في (د): (في).

المخلوقين: خِبٌّ[١] وخِداعٌ، وهو مِنَ الله: استدراجه العِبادَ. قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

قال ابن عباس في تفسيره[٣]: كلَّما أحدثوا خطيئةً، جدَّدْنا[٤] لهم نعمةً. وليس المراد بـ(مَكْرِ اللهِ) في هذه الآية، هذا الوجه. ووجه (مكرِ اللهِ) بهم في هذه القصَّة، ما قال الزجاج، وهو أنه قال[٥]: المكر من الله ﷻ: المجازاة على ذلك، فسُمِّي باسمه؛ كقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد مرَّ[٦].

---

(١) في (د): (خبث). (الخِبُّ) بكسر الخاء: الخِداع، والخُبْثُ، والغِشُّ. و(الخَبُّ) بفتح الخاء، وقد تُكسر: الخدَّاع، الذي يسعى بين الناس بالفساد، والفعل منه: (خَبَّ)؛ أي: خَدَعَ وغشَّ غشًا منكرًا، و(خبَّبَهُ تخبيبًا): خدعه وأفسده. انظر (مادة: خبب) في «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث»: ١/ ٥٤١، «القاموس» ٧٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٨٢، والقلم: ٤٤.

(٣) في (ج): (تفسير). وقوله أورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٥٧أ، وذكره المؤلف في تفسيره «البسيط»، تح (د). الفوزان) ٢/ ٥٤١، والقرطبي في «تفسيره» ٤/ ٩٨.

(٤) في (ج): (حددنا).

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤١٩، نقله عنه باختصار.

(٦) انظر: «تفسير البسيط» للمؤلف: [البقرة: ١٥]. والواحديُّ عند تفسيره لهذه الآية أوَّلَ الاستهزاء الوارد في الآية بالمجازاة؛ أي: يجازيهم جزاء استهزائهم، وأجراه على المجاز، لا على الحقيقة، وما ذكره المؤلف حول معنى الاستهزاء، والمكر الوارد في هذه الآيات إنما هو من لوازم معانيها، والواجب في مثل هذه الألفاظ الاستهزاء، والمكر، والخديعة، والسخرية الواجب فيها أن تُثبت على الحقيقة، كما أثبتها الله لنفسه، دون تأويل. وتُجرى وفق ما يليق به تعالى ولكن لا يُشتَق من هذه الأفعال التي أطلقها الله على نفسه أسماءٌ منها، فلا يقال: ماكر، ولا مستهزيء، حاشاه عن ذلك؛ وذلك أن هذه الأفعال في إطلاقاتها، أوسع من =

قال المفسرون: ومكْرُ اللهِ بهم في هذه القصَّة: إلقاءُ شَبَهِ عيسى على[1] من دَلَّ عليه، حتى صُلِبَ بَدَلَه. قال ابن عباس: وذلك أن أحد الإنجيلية[2] ممن آمن به، نافَقَ، فدلَّ[3] عليه، فجعله[4] الله تعالى في صورة عيسى، فأُخِذ فَصُلِبَ[5].

= إطلاقات الأسماء. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٢-١٣٣، «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٧/ ١١١- ١١٢، «إعلام الموقعين» لابن القيم: ٣/ ٢١٧-٢١٨، «مدارج السالكين» ٣/ ٤١٥.

(١) من قوله: (على ..) إلى (.. في صورة عيسى): ساقط من: (ج).

(٢) في (د): (أصحابه).

(٣) في (ج): (يدل).

(٤) (أ)، (ب): (جعل)، وهي ساقطة من: (ج). والمثبت من (د).

(٥) الذي وقفت عليه مما ورد عن ابن عباس: أن اليهود لمَّا أرادوا قتل عيسى عليه السلام حاصروه، وحوارييه، ثم بعث رأسُ اليهود رجلًا خبيثًا ليدخل ويقتل عيسى عليه السلام، فرفع اللهُ عيسى، وألقى شبهَهُ على هذا الرجل، فلمَّا خرج الرجلُ إلى أصحابه بعد أن لم يرَ عيسى، ظنَّه أصحابُه أنه عيسى، فقتلوه وصلبوه. وقد أورد هذه القصة عن ابن عباس: الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ٥٧ب، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٤٤٤، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٣٩٥، وأوردها القرطبي في «تفسيره» ولم يعزها إلى ابن عباس. وكذا ورد عن السدِّي بمعناه كما في «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، وعن مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٧٨ .

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس من طريق سعيد بن جُبير قصَّةً، مُلَخصها: أن عيسى عليه السلام لما خرج على أصحابه، وهم اثنا عشر رجلًا، قال لهم: (أيُّكم سيُلقى عليه شَبَهي، فيُقتَل مكاني، فيكون معي في الجنة؟) فتطوع أحدهم، فألقِيَ عليه شَبَهُ عيسى عليه السلام، ثم رُفع عيسى إلى السماء، ولما جاء طلبُ اليهود، أخذوا الشبيه، فقتلوه وصلبوه.

انظر: «مصنف ابن أبي شيبة»: ٦/ ٣٤٢. وكذا ورد بهذا المعنى عن السُدِّي، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٩، وورد مثله عن قتادة في «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥ =

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾. أي: أفضل المُجازين بالسيِّئة العقوبة.

٥٥- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ﴾. الآية. العامل في (إذ): قوله: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[1].

واختلف أهل التأويل في هذه الآية على طريقين: **أحدهما**: إجراء الآية[2] على سياقها من غير تقديم ولا تأخير. وهو قول الحسن[3]، والكلبي[4]، وابن جُريج[5]، وابن زيد[6]، ومَطَر[7]، قالوا: معنى

= فليس في هذه الروايات عن ابن عباس وغيره، أن الذي دلَّ عليه كان ممن نافق من أصحابه، ولكن ورد ذلك عن وهب، وهو: أن الذي دلَّ اليهود عليه أحدُ الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام بعد أن أخذ رشْوَةً من اليهود، فلما دخل هذا الرجل إلى البيت الذي فيه عيسى، رفع اللهُ عيسى عليه السلام، وألقي شبَهَهُ على الرجل، فأخذه بعدها اليهود وقتلوه وصلبوه، ظنًّا منهم أنه عيسى عليه السلام. انظر هذه الرواية عن وهب في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٧ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦.

(١) أي إنها منصوبة بقوله: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ومكر الله بهم في هذا الوقت. وقيل: إن الناصب لها، قوله: ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾. وقيل: إن الناصب لها، فعل مقدَّر، هو: (اذكر). انظر تفسير «الكشاف» ١/ ٤٣٢، «غرائب القرآن» ٣/ ٢٠٣، «الدر المصون» ٣/ ٢١٣.

(٢) في (ج): (الإجراء).

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٩-٢٩٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ب، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٧، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، «زاد المسير» ١/ ٣٩٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٤.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ب، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٧، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، «زاد المسير» ١/ ٣٩٦.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ب، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٧.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٠، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤١٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ ب، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٣. ومطر، هو: ابن طَهْمان الوَرّاق،=

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك من غير موت. و(التَّوَفِّي): أخذُ الشيء وافيًا(١). وقد ذكرنا هذا فيما تقدم(٢).

يدل على هذا القول: قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]؛ أي: قبضتني إلى السماء(٣).

فعلى هذا، معنى قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك وافيا، لم ينالوا منك شيئاً(٤).

وقال(٥) الربيع(٦): معناه: متوفيك وفاة نومٍ(٧)، للرفع(٨) إلى السماء،

= أبو رجاء، السّلمي مولاهم، الخراساني، سكن البصرة، قال ابن حجر: (صدوق كثير الخطأ، وحديثه عن عطاء ضعيف). مات سنة (١٢٥هـ)، وقيل: (١٢٩هـ). انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ٢٥١-٢٥٢، «تقريب التهذيب» ٥٣٤ (٦٦٩٩).

(١) انظر (مادة: وفى) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٤-٣٩٢٥، «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٨٧٨، «التاج» ٢٠/ ٣٠٠.

(٢) انظر: «تفسير البسيط» للمؤلف: ٣/ ٨٠٤-٨٠٥، وانظر في موضع آخر عند تفسير آية: ٢٨١ من البقرة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٩، «أبي السعود» ٣/ ١٠١، «البيضاوي» (٦٨).

(٤) وهذا الذي رجحه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٨٩-٢٩٠، حيث قال: (وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قول من قال: (معنى ذلك: أني قابضك من الأرض، ورافعك إليّ)؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدَّة ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه» ثم ذكر ابن جرير روايات في ذلك.

(٥) في (ج): (قال).

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٨٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٩، والنكت العيون: ١/ ٣٩٧، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٣.

(٧) (نوم): ساقطة من: (ج). وقد وردت في جميع النسخ (يوم) بدلًا من: (نوم)، وما أثبتُّه هو الصواب؛ لأن المقصود بها أن الله رفعه إليه بعد أن نام، وقد سمَّى الله النوم وفاة، كما جاء في الدليل بعدها، وهو ما تدل عليه روايات الأثر في مصادره المذكورة سابقًا.

(٨) في (د): (الرفع).

يدلُّ عليه: قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. قال ابن عباس في رواية الوالبي[١]: معناه: إنِّي مميتك. ووجه هذا القول؛ ما قال وهبٌ[٢]: توفَّى اللهُ عيسى ثلاثَ ساعات من النهار، ثمَّ أحياه، ورفعه إليه[٣].

وقال الواسطي[٤]: معناه: إنِّي متوفيك عن شهواتك و[عن][٥] حظوظ

(١) هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه تعليقًا: ٦/ ١٩٠ كتاب «تفسير القرآن» سورة المائدة، باب: ١٣. وهي كذلك في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٣. وأورَدَها السيوطيُّ في «الدر المنثور» ٢/ ٦٤، وزاد نسبت إخراجها لابن المنذر. وانظر: «تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير» ١/ ١٦٩.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦١، «مستدرك الحاكم» ٢/ ٥٩٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٨ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٤٣، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٣.

(٣) أخرج الحاكم عن وهب، قوله: (توفى الله عيسى ثلاث ساعات من نهار، ثم رفعه إليه، والنصارى تزعم أنه توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه..). وقال الذهبي عن هذه الرواية: (رواه عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عنه، قلت: وعبد المنعم، ساقط). «المستدرك» ٢/ ٥٩٦، كتاب: تواريخ المتقدمين. وأورد السيوطي عن وَهْب، قوله: (أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه ورفعه). «الدر المنثور» ٢/ ٦٤، ونسب إخراجه لابن عساكر. قال الطبري رادًا على من قال بأن الله أماته في الدنيا ثم رفعه: (ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله ﷻ، لم يكن بالذي يميته مِيتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين؛ لأن الله ﷻ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحيهم..). تفسيره: ٣/ ٢٩٢.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٩ب. وسماه الثعلبي: (أبو بكر الواسطي). وهو: أبو بكر، يوسف بن يعقوب بن الحسين الأصم، الواسطي. الإمام المُجوِّد، مقرئ واسط، وإمام جامعها، إمام جليل القدر، ثقة، محقق كبير، توفي سنة (٣١٣هـ)، وقيل: (٣١٤هـ). انظر: «تاريخ بغداد» ١٤/ ٣١٩، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٥٠، «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٢١٨، «غاية النهاية» ٢/ ٤٠٤.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

نفسك؛ وذلك[١] أن عيسى لمَّا رُفع إلى السماء، صارت حالُهُ[٢] كحالِ الملائكةِ[٣] والطريق[٤] الآخر في هذه الآية: أنها على التقديم والتأخير.

قال ابن عباس في رواية عطاء[٥]: هذا مقدَّمٌ ومؤخَّرٌ، يريد: إني رافعك إليَّ، ومتوفيك بعد أن أُهبِطك إلى الأرض حتى تكون فيها، وتتزوج، ويُولَد لك، وتكون في أمَّة محمد، ومعهم حتى تموت.[٦] وفي حديث أبي هريرة: أنه يُدفن في حجرة النبي ﷺ، فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين رسولين: محمد وعيسى عليهما السلام[٧].

---

(١) من قوله: (وذلك ..) إلى (.. كحال الملائكة)، هذا التعليل ذكره الثعلبي تعليقًا على قول الواسطي، ولفظ الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٥٩ ب، بعد أن ذكر قول الواسطي: (ولقد أحسن فيما قال؛ لأن عيسى..)، ثم ذكره.

(٢) في (ج): (حالته).

(٣) ورد هذا في «تفسير البغوي» ٢/ ٤٥، عن قتادة بدون سند قال: (ورفعه إليه، وكساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذَّة المطعم والمشرب، وطار مع الملائكة، فهو معهم حول العرش..) وقد أورده القرطبي في «تفسيره» ٤/ ١٠٠، عن الضحاك ولم يسنده.

(٤) في (ج): (الطريق) بدون واو.

(٥) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٦) ورد هذا القول عن الضحاك. انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٥٩أ.

(٧) حديث أبي هريرة رضي الله عنه في نزول عيسى عليه السلام، ورد عنه من طرق وألفاظ مختلفة، فقد أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٤٨) كتاب الأنبياء، باب: ٤٩، و(٢٤٧٦) كتاب المظالم، باب: ٣١. ومسلم في الصحيح: (انظر: «صحيح مسلم» (١٥٥) كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكمًا). والترمذي (٢٢٣٣) كتاب الفتن، باب: ٥٤. وأحمد في «المسند» انظر: «الفتح الرباني» للبنا: ٢٤/ ٨٧، ٨٨ كتاب الفتن أبواب ظهور العلامات الكبرى)، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٩٥ كتاب التواريخ، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٩٢. وقد ورد=

قال الفَرَّاء[(١)]: يقال: إنَّ هذا مقَدَّمٌ ومؤَخرٌ؛ المعنى[(٢)]: إني رافعك إليّ، ومُطَهِّرُكَ من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إيَّاك إلى[(٣)] الدنيا.

ومثله من المقدَّم والمؤخر، قوله: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١][(٤)]

= فيها أنه يُتوفَّى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه، ولكن لم أقف فيها على كونه يتزوج، ويولد له، أو كونه يُدفن في حجرة النبي ﷺ.. إلخ، إلا في روايةأوردها الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٥٩ب، عن أبي هريرة، ولم يسندها، قال: (.. ثم يتزوج ويولد له، ثم يتوفى، ويصلي المسلمون عليه، ويدفنونه في حجرة النبي ﷺ). وفي سنن الترمذي، عن عبد الله بن سلام: (مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه، قال: فقال أبو داود [أحد الرواة في السند]: وقد بقي في البيت موضع قبر) وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب). «السنن» (٣٦١١) كتاب المناقب، باب: ١. وفي «الدر المنثور» ٢/ ٦٥ قال: (وأخرج البخاري في تاريخه، والطبراني، عن عبد الله بن سلام، قال: (يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه، فيكون قبره رابعا). وقد جمع ابن كثير والسيوطي روايات كثيرة في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ٦٥.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢١٩. نقله عنه بنصه.

(٢) في «معاني القرآن»: المعنى فيه.

(٣) في «معاني القرآن»: في.

(٤) ويعني المؤلف بالتقديم والتأخير في الآية، على أن معناها: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّما، ولم يجعل له عِوَجًا. وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإليه ذهب الطبري، والفراء، والزجاج. وقيل: ليس فيه تقديم ولا تأخير، والمعنى: ولم يجعل له عوجا، ولكن جعله قيِّما. وهو مروي عن قتادة. وكذلك ذهب إليه الفخر الرازي، وقال: (﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ يدل على كونه كاملًا في ذاته، وقوله ﴿قَيِّمًا﴾ يدل على كونه مكملا لغيره، وكونه كاملًا في ذاته، متقدم بالطبع على كونه مكملًا لغيره، فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح =

[الآية][(١)]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [أي][(٣)]: و[(٤)] إلى سمائي ومحل كرامتي. فجعل ذلك رَفْعًا إليه؛ للتفخيم[(٥)] والتعظيم، ومثله، قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات:٩٩]، وإنما ذهب إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام، والتقدير: إلى أمر ربي، لأنه أمره بذلك المكان.

وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. أي: مُخرِجُك مِن بينهم؛ لأن كونه في جملتهم، بمنزلة التنجيس له بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

= هو: الذي ذكره الله تعالى، وهو قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾، فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد، يمتنع العقل من الذهاب إليه) «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٧٦. انظر: «تفسير الطبري» (ط: دار الفكر): ١٥/ ١٩١١٩٠، «معاني القرآن» للفراء: ٢/ ١٣٣، «معاني القرآن» للزجاج: ٣/ ٢٦٧، «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢١١٢١٢، «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٥١.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٢) سورة طه: ١٢٩. والمعنى على التقديم والتأخير فيها: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسَمًّى لكان لزاما.. وهو قول قتادة، وأبي زيد، وأهل التفسير. انظر: «تفسير الطبري» (ط. دار الفكر): ٢٢/ ٢٣٢، «تفسير الفخر الرازي» ٢٢/ ١٣٣، «تفسير البيضاوي» ٢/ ٦٥.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج، (د).

(٤) الواو: ساقطة من: (ج)، (د).

(٥) في (ب): (إلى التفخيم).

قال ابن عباس في رواية عطاء[١]: يعني بـ(الذين اتَّبعوه): الحواريّين ومن كان على دينهم.

وقال قتادة[٢]، والربيع[٣]، والكلبي[٤]، ومقاتل[٥]: هم أهل الإسلام من أمَّة محمد ﷺ، اتَّبعوا دين المسيح، وصدَّقوه بأنَّه[٦] رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه. فوالله ما[٧] اتَّبعه من دعاه[٨] ربًّا.

وقوله تعالى: ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾. يحتمل أن يكونوا فوقهم بالبرهان والحُجَّة، ويحتمل بالعِزِّ والغَلَبَةِ.

وقال ابن زيد[٩]: وجاعل النصارى فوق اليهود، فاليهود: مُسْتذلُّون

---

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية. وورد في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦: أن الضحاك، ومحمد بن أبَّان، قالا: (يعني: الحواريون فوق الذين كفروا).

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦١، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤١١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٨، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦، «زاد المسير» ١/ ٣٩٧، «الدر المنثور» ٢/ ٦٤ وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٨، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦، «زاد المسير» ١/ ٣٧٩.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦، «زاد المسير» ١/ ٣٧٩.

(٥) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٧٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٤٦.

(٦) في (ب): (أنه).

(٧) في (ب): (وربما).

(٨) في (د): (ادعاه).

(٩) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠أ، «تفسير ابن عطية» ٣/ ١٤٤، «زاد المسير» ١/ ٣٧٩.

مقهورون، والنصارى وأهل الروم: لهم الملك والبسطة.

و(الاتِّباعُ) على هذا القول، بمعنى: الادِّعاءُ والمحبَّة، لا بمعنى: اتِّباع الدين والمِلَّة[١]. والاختيار: ما سبق من القولين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾. عَدَل عن الغَيْبَة إلى الخطاب؛ لتغليب الحاضر على الغائب، لمَّا دخل معه في المعنى، وهو محمد ﷺ. ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله من المعنى: كأنَّه قيل: أمَّا الدنيا: فالحال فيها ما ذكرنا، وأما الآخرة: فيقع فيها الحكم في[٢] اختلافكم في الدين وأمر عيسى.

٥٦- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ الآية. العذاب[٣] في الدنيا: القتل الذي نالهم[٤]، وينالهم[٥]، وسَبْي الذراري، وأخذ الجزية. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾. أي: مالهم مَن يمنعهم مِن عذاب الله.

٥٧- قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ التَّوْفِيَةُ: التكميلُ[٦] في الأداء. وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾. أي[٧]: يعذِّبهم، ولا يرحمهم، ولا

(١) يعني: أنه بناء على قول ابن زيد، يكون معنى اتِّباع النصارى لعيسى الوارد في الآية إنَّما هو: ادِّعاؤهم اتِّباعه ومحبته، وليس المراد به الالتزام الحقيقي باتباع دينه وملته؛ لأن واقع النصارى يخالف ذلك.

(٢) في (ج): (على).

(٣) من قوله: (العذاب ..) إلى (.. الجزية): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٠.

(٤) في (ب): (أصابهم).

(٥) في (ب): (ونالهم.)

(٦) في (ج): (التمليك).

(٧) من قوله: (أي ..) إلى (.. ولا يثني عليهم): نقله بتصرف يسير عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢١.

يُثني عليهم(١).

٥٨- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدَّم من النبأ عن(٢) عيسى ومريم والحواريِّين.

وقوله تعالى: ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾. قال ابن عباس(٣): يريد: نخبرك به. جَعَلَ إخبارَه به(٤)، وإظهارَهُ له(٥): تِلاوةً؛ لأن التلاوة: إظهار وإخبار(٦).

---

(١) المحبة هنا وفي غيرها من الآيات، صفة من صفات الله تعالى، وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله الكريم ﷺ، وهي من صفاته تعالى الاختيارية المتعلقة بمشيئته. ومنهج السلف الكرام: وجوب اثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات، وفق ما يليق به تعالى، دون تأويل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ويُنفى عنه ما نفاه عن نفسه منها. وقد وردت صفة المحبة في آيات كثيرة منها ما ورد بالإيجاب، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٩٥ من سورة البقرة] ومنها ما ورد بالسلب، كالآية السابقة في الأصل، والتي هي موضوع هذا التعليق. والمؤلف هنا أثبت لازم الصفة، وثمرتها وفق مذهب الأشاعرة، وإثبات الّازم غير إثبات الصفة، فالله تعالى لا يحب الظالمين على الحقيقة، ومن نتيجةِ ولازِمِ وعدم محبتهم: أن يعذبهم، ولا يرحمهم، ولا يثني عليهم. والأشاعرة والمعتزلة ينفون هذه الصفة بدعوى إيهامها النقص في الخلق؛ لأنها عندهم: مَيْلُ المخلوق إلى ما يناسبه أو يستلذه، ويرجعها الأشاعرة إلى صفة الإرادة، فيقولون بأن محبَّة اللهِ للعبد: هي إرادة إكرامه ومثوبته. والمعتزلة بما أنهم لا يثبتون إرادة قائمة، به فإنهم يفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله. وكلا المذهبين خالف الحقَّ وجانب الصواب والعدل. والصراط السوي، هو: مذهب السلف الكرام الذي أثبت هذه الصفة وغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة لله، على الحقيقة ويثبت معها نتائجها ولوازمها. انظر: «مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٢/ ٣٥٤، «شرح العقيدة الواسطية» ٤٤-٤٦، «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» ١/ ٢٩٦-٢٩٩.

(٢) في (د): من.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) (به): ساقطة من (د).

(٥) (له): ساقطة من: (ج).

(٦) وإخبار: ساقطة من (د). قال ابن فارس: (التاء، واللام، والواو، أصل واحد،=

ويجوز أيضًا أن تكون[١] التلاوة[٢] لجبريل ﷺ، والله تعالى يضيفها إلى نفسه[٣]؛ لأن تلاوة جبريل بأمر الله [تعالى][٤].

ومثله: ﴿نَحْنُ[٥] نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾[٦]، وأمثاله كثيرة. ومعنى ﴿مِنَ ٱلْأَيَٰتِ﴾: أي[٧]: من العلامات الدالة على تثبيت رسالتك[٨]؛ لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب أو من يوحى إليه، وقد علموا أنك أمِّيٌّ لا تقرأ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾. يعني: القرآن. ولـ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾[٩] ههنا

= وهو: الاتباع. يقال: (تَلَوته)؛ إذا تَبِعْتَه. ومنه: تلاوة القرآن؛ لأنه يُتبع آية بعد آية). «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٣٥١ (تلو). وقال الراغب: والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة؛ تارة بالقرآن، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب، أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخصُّ من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة. ولا يقال: (تلوت رُقْعتك)، وإنما يقال في القرآن، في شيء إذا قرأته وجب عليك اتِّباعه). «مفردات ألفاظ القرآن» للرغب: ١٦٧ (تلو)، وانظر: «اللسان» ١/ ٤٤٤ (تلو).

(١) في (ب): (يكون).

(٢) (التلاوة): ساقطة من: (ب).

(٣) (إلى نفسه): ساقطة من: (ب).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د).

(٥) (نحن): ساقطة من: (ج).

(٦) مقطع من آية ٣ في سورة يوسف، وأية ١٣ من الكهف. وسياقها في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

(٧) من قوله: (أي ..) إلى (.. لا تقرأ): نقله بتصرف واختصار عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢١.

(٨) انظر هذا المعنى لـ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾، في «الصحاح» ٦/ ٢٢٧٥ (أيا)، «اللسان» ١/ ١٨٢ (أيا).

(٩) في (ج): (والحكيم).

معنيان:

أحدهما: أنه بمعنى: الحاكم، مثل: القدير، والعليم، ومعناه: ذو الحِكْمَةِ[١] في تأليفه ونظمه، وإبانة[٢] الفوائد فيه. [والحِكْمَة: أصله في اللغة: المنع عن الفساد. والقرآنُ حاكمٌ، على معنى: أنه بما فيه][٣] من العِبَرِ والدِّلالات، مانع عن الكفر والفساد. وهذا كما وُصِفت الدِّلالةُ بأنَّها الدليلُ؛ لأنها بمنزلة الناطق بما فيها من البيان. وهذا الوجه، اختيار الزجَّاج[٤].

الثاني: أنَّه بمعنى: المُحكَم، (فَعِيل) بمعنى: (مُفعَل).

قال الأزهري[٥]: وهو سائغ[٦] في اللغة؛ لأن (حَكَمتُ) يجري مجرى (أَحْكَمت) في المعنى، فَرُدَّ إلى الأصل.

ومعنى (المُحْكَم) في القرآن: أنه أُحكِم بالأمر والنهي، وبيان الحلال والحرام. قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]. وهذا قول مقاتل[٧]. قال: الحكيم: هو المُحكَمُ من الباطل. قال الليثُ[٨]:

---

(١) في (ج): (ذو القدرة).

(٢) في (ج): (وآياته).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، (د). قال الزجاج: (وأصل (ح، ك، م) في الكلام: المَنْعُ. وسُمِّيَ الحاكمُ حاكمًا؛ لأنه يمنع الخصمين من التظالم. و(حَكَمَة الدابَّة)، سُمِّيت (حَكَمَةً)؛ لأنها تمنعه من الجِماح. وفي كتب السلاطين القديمة: (واحكُم فلانًا عن ذلك الأمر)؛ بمعنى: امنعهُ). تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج: ٤٣. وانظر: «مقاييس اللغة» ٢/ ٩١ (حكم)، «الزاهر» ١/ ٢٠٧.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢١. وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤١٣.

(٥) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥ (حكم)، نقله عنه بالمعنى.

(٦) في (د): (شائع).

(٧) في «تفسيره» ١/ ٢٧٩.

(٨) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥ (حكم).

وسَمَّى الأعشى القصيدَةَ المحكَمةَ: (حكيمةً)؛ فقال[١]:

وغَرِيبَةٍ تأتي المُلوكَ حكيمةٍ قد قُلتُها ليُقالَ مَنْ ذا قالَها[٢].

٥٩- و[٣]قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[٤] الآية.

نزلت في وَفْدِ نجران، حين قالوا للنبي ﷺ: (وهل رأيت ولدًا من غير ذكرٍ؟)؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥]. وقد ذكرنا معنى (المَثَل) فيما تقدم[٦]، وأن المراد به بيان أنَّ سبيلَ الثاني سبيلُ الأول.

فالله تعالى قد ذكر في القرآن قصَّةَ آدَمَ، وإنشاءه إيَّاه من غير والدٍ، ثم دلَّ في هذه الآية على أنَّ سبيلَ الثاني[٧] وهو عيسى، في إنشائِه، وخَلْقِهِ من غير ذَكَرٍ سبيلُ الأول، وهو آدَم.

---

(١) في (ج): (وقال).

(٢) البيت، في ديوانه: ١٤٤، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥ (حكم)، «اللسان» ٢/ ٩٥١ (حكم). وأراد بـ(الغريبة): القصيدة.

(٣) الواو: زيادة من (د).

(٤) (كمثل آدم): ليست في (ب)، (د).

(٥) ورد هذا السبب بألفاظ مختلفة في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٥، ٤٧١، يرويه عن قتادة، والسدِّي، وابن زيد، ولفظه عن قتادة: (ذُكِر لنا أن سيِّدَيْ أهل نجران وأسْقُفَّيهم: السيد، والعاقب، لقيا نبي الله ﷺ فسألاه عن عيسى، فقالا: كل آدمي له أب، فما شأن عيسى لا أب له؟ فأنزل الله ﷻ فيه الآية ﴿إنَّ مثل عيسى..﴾). وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٦ وزاد في نسبته إلى عبد بن حميد. ووردت روايات أخرى من طرق أخرى في سبب نزول هذه الآية، قريبة من السابقة، انظرها في «تفسير الطبري» ٦/ ٤٦٨-٤٧١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٥، «أسباب النزول» للواحدي: ٩٩، «لباب النقول» للسيوطي ٥٢، «الدر المنثور» ٢/ ٦٧.

(٦) انظر: «تفسير البسيط» [البقرة: ٢٦] تحقيق د. الفوزان.

(٧) (الثاني): ساقطة من: (ج).

وفي هذه الآية حجةٌ على من أنكر القياس؛ لأن الله تعالى احتجَّ فيها على المشركين، ولا يجوز أن يدلَّهم إلاَّ بما فيه دليلٌ. فقياس[1] خَلْقِ عيسى من غير ذَكَرٍ، كقياسِ خَلْقِ آدم، بل الشأن فيه أعجب؛ لأنه خُلِقَ من غير ذَكَرٍ ولا أنثى.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾. أي: في الخَلْق والإنشاء. خَلَقَ عيسى من غير أبٍ، كما خَلَقَ آدمَ من غير أبٍ ولا أُمٍ. وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾[2]، وهو جملةٌ تامَّةٌ، وتشبيهٌ كاملٌ. ولو اقتصر عليه حصل المراد. ثم قال: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ وهذا ليس بِصِلَةٍ لـ﴿ءَادَمَ﴾، ولا صِفَةٍ؛ لأن الصلة للمبهمات[3]، والصفة للنكرات[4]، ولكنَّهُ خبرٌ مستأنَفٌ على جهة التفسير لحال آدم[5].

---

(١) في (ب): (فيقاس).

(٢) ممن قال بأن الوقف تامٌ: يعقوب، وقال أبو بكر بن الأنباري: إن الوقف هنا: حسنٌ، وليس بتامٍّ ولا كافٍ. انظر كتاب «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري: ٢/ ٥٧٨، «القطع والائتناف» للنحاس ٢٢٦، «منار الهدى» للأشموني: ٦٣.

(٣) لأن (آدم) معرفة، والمعارف لا تُوصل، وإنما الصلات للنكرات. انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢١٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٦.

(٤) لأن الجُمَل بعد النكرات صفات، و(آدم) مَعْرِفة، ولذا لا تكون الجملة بعده صفة له؛ لأن الجمل لا تكون إلا نكرة، فلا توصف بها معرفة.

(٥) أي: إنها جملة مفسرة لوجه التشبيه، فلا وجه لها من الإعراب، وهذا الوجه هو الأظهر.

وقيل: إنها في محل نصب على الحال من (آدم)، مع تقدير (قَدْ) معها لتقربه من الحال؛ لأن الفعل الماضي لا يتصل بالأعلام إلا إذا أضمر معه (قَدْ)، والعامل فيها معنى التشبيه. وقال أبو البركات بن الأنباري في كتابه «البيان»: إنها جملة مفسرة للمَثَلِ، وهي في موضع رفع؛ لأنها خبر لمبتدأ محذوفٍ؛ كأنه قيل: ما=

قال الزجَّاج[١]: وهذا كما تقول في الكلام: (مَثَلُك، مَثلُ زيدٍ). تريد: أنك تشبهه في فِعْلٍ، ثم تخبر بقصَّة زيد، فتقول: كذا وكذا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. اختلفوا في المَقُولِ له ﴿كُن﴾: فالأكثرون[٢]: على أنه (آدمُ)، وعلى هذا يقع الإشكال في لفظ الآية؛ لأنه إنما يقول له: (كُنْ) قبل أن يخلقه لا بعده، وههنا يقول: ﴿خَلَقَهُۥ﴾، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾. والجواب:

إنَّ الله تعالى أخبرنا أوَّلًا أنه خلق آدم من غير ذَكَر ولا أنثى، ثم ابتدأ خبرًا آخَرَ، أراد أَنْ يُخبرنا به، فقال: ثم[٣] إني أخبركم أيضًا بعد خبري الأول: أني قلت له ﴿كُن﴾، فكان، [فجاء][٤] [(ثم)][٥] لمعنى[٦] الخبر الذي تقدم، والخبر الذي تأخر في الذِّكْر، لا أن[٧]

= المثل؟ فقال: خلقه من تراب. أي: المَثَلُ خلَقَهُ من تراب..). انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢١٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٦، «البيان» للأنباري: ١/ ٢٠٦، «الدر المصون» ٣/ ٢١٨، «منار الهدى» ٦٣.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢٢، نقله عنه بتصرف يسير. والزجَّاج هنا يوضح كيف كانت ﴿خَلَقَهُۥ﴾ جملة مفسرة.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٩٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٥ وقد رواه عن ابن إسحاق، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٤٨.

(٣) (ثم): ساقطة من: (ج) و(د).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (د)، وهي كذلك في «الدر المصون» ٣/ ٢٢٠؛ حيث نقل السمينُ الحلبيُّ قولَ الواحدي كاملًا.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د)، و كذلك هي في «الدر المصون» ٣/ ٢٢٠، ولكن وردت فيه: (بثم).

(٦) في (ج)، (د): (بمعنى).

(٧) في (ب)،(ج)، (د): (لأن) بدلًا من: (لا أن) وكذلك وردت في «الدر المصون»=

الخَلْقَ تقدم على قوله: ﴿كُن﴾، وهذا كما تقول للرجل: أخبرك أني أعطيتك اليوم ألفا، ثم إني أخبرك [أني][١] قد أعطيتك[٢] أمس قبلَ هذا ألفا، فـ(أمس) متقدم[٣] لِـ(اليوم)، وإنما جاء (ثم)؛ لأن خبَرَ اليومِ متقدمٌ خبرَ[٤] أمس، وجاء خبرُ أمس بعد مُضِيِّ[٥] خبرِ اليوم، ومثله قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦] وقد خُلِقت[٦] بعد خلق زوجها، ولكن هذا واقع على الخبر دون الخلق؛ لأن التأويل: أخبركم أني قد خلقتكم من نفس واحدة؛ لأن حوَّاء أيضًا خُلِقت من ضلعه، ثم إني أخبركم أني[٧] خلقت زوجها منها، ومثل هذا مما جاء في الشعر، قوله:

قُلْ لِمَن سادَ ثمَّ سادَ أبوهُ ثم قد سادَ قبلَ ذلك جدُّهْ[٨]

= ٣/ ٢٢٠: (لأن). وما في هذه النسخ له وجاهته؛ حيث يعني أنه جيء بـ(ثم) لأن الإخبار عن قوله (كن) تأخر عن الإخبار عن الخلق. وما أثبته في الأصل من نسخة (أ)، يتناسب كذلك مع الكلام السابق واللاحق.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب)، (ج)، (د)، «الدر المصون».

(٢) أعطيتك: ساقطة من (د).

(٣) في (د): (متقدما).

(٤) (خبر): ساقطة من: ب.

(٥) في (ب): (فأخبر أمس بفعل مضى).

(٦) في (ج)، (د): (خلقتا).

(٧) في (ب): (أني قد).

(٨) البيت لأبي نواس، وهو في ديوانه: ٤٩٣. وورد البيت غير منسوب، في «غرائب التفسير» للكرماني: ١/ ٢٦٠، «رصف المباني» ٢٥٠، والجني الداني: ٤٢٨، «مغني اللبيب» ١٥٩، «منهج السالك» ٣/ ٩٤، «همع الهوامع» ٥/ ٢٣٦ (١٦٠٥)، «خزانة الأدب» ١١/ ٣٧، ٤٠، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٧٣. وقد وردت روايته في=

ومعلوم أن الأبَ متقدم له، والجدَّ متقدم للأب، ولكنه أخبر عن سيادته أولًا، ثم عن سيادة أبيه، ثم عن سيادة جدِّه؛ فالترتيب يعود إلى الخبر، لا إلى الوجود. ويجوز أن يكون المراد: أنه خلقه قالَبًا من تراب، ثم قال له: (كن بَشَرًا)، فيصح النظم[1]. وقال بعضهم: المقول له ﴿كُن﴾: عيسى عليه السلام[2]، ولا إشكال على هذا.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾، وجهان من التأويل: **أحدهما**: أن هذا دلالة على أنه تعالى يخلق الشيء من غير نصب ولا تعب؛ لا أنَّه يختلقه بقوله ﴿كُن﴾؛ لأنه لو أراد خلق شيء وُجد ذلك الشيء، وإن لم يقل له: (كن).

= المصادر السابقة: (إنَّ من ساد..).

وروايته في الديوان:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ... قبلَهُ ثم قبل ذلك جدُّه

وقال البغدادي في «خزانة الأدب» ١١/ ٤٠: (وهذا البيت من شعرٍ مولَّدٍ لا يوثق به، وأوله مغيَّر اشتهر به، وهو أول أبيات سبعة مدح بها العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر) وهو عم هارون الرشيد.

(١) يعني المؤلف بقوله (فيصح النظم) والله أعلى : أن الذهاب في تفسير الآية إلى هذا الوجه الأخير الذي ذكره يغني عن تمحل إجابة كالتي سبقت في تفسيرها بالوجه الأول، وأنه لا إشكال في لفظ الآية.

(٢) روى أسباط عن السدِّي عن أبي مالك (غزوان الغفاري) أنه قال عن المَعنِيِّ بالآية: (فهو أمر عيسى والقيامة). انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٦، وبه قال البغوي في «تفسيره» ٢/ ٤٧، وهذا القول مذكور في «تنوير المقباس» ٤٨. قال الآلوسي: (والضمير المجرور عائد على ما عاد عليه الضمير المنصوب، والقول بأنه عائد على عيسى، ليس بشيء؛ لما فيه من التفكيك الذي لا داعي إليه، ولا قرينة تدل عليه). «روح المعاني» ٣/ ١٨٧. ويعني بـ(الضمير المجرور): الضميرَ في ﴿لَهُۥ﴾، ويعني بـ(الضمير المنصوب): الضميرَ في ﴿خَلَقَهُۥ﴾. وانظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٧٨.

والثاني: أن قولَه: ﴿كُن﴾، علامةٌ لما يريد خلقه وإنشاءه.

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾. قال بعض النحويين[(١)]: هو بمعنى: كان. وكذا فسَّره ابن عباس، فقال[(٢)]: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾، فَكانَ، فجرى عليه[(٣)] الروح. وقد ذكرنا أنه يجوز أن يراد بمثال المستَقبَلِ الماضي، مستقصىً عند قوله: ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[(٤)].

وقال آخرون[(٥)]: المعنى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾، فيكون كما يأمر الله تعالى. وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾، حكاية لتلك الحالة التي يكون فيها آدمُ كما شاءَ اللهُ.

٦٠- قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ارتفع ﴿ٱلْحَقُّ﴾ عند الفراء[(٦)] والزجاج[(٧)] بخبر ابتداءٍ محذوف. المعنى: [(الذي أنبأناك من قصة][(٨)]

---

(١) ومنهم الأخفش في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٠٦، وقال: (ومعناه: (كن فكان)، كأنه قال: فإذا هو كائن). والنحاس، في «إعراب القرآن» ١/ ٣٣٨.

(٢) لم أقف على مصدر قولهِ، وأورده الخازن في «تفسيره» ١/ ٣٠٢.

(٣) في (ج)، (د): (فيه).

(٤) سورة البقرة: ١٠٢. ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾. قال النحاس: (والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عُرِفَ المعنى) «إعراب القرآن» له: ١/ ٣٣٨. وذكر الحدَّاديُّ أنَّ الماضي يذكر بلفظ المستقبل في موضعين:
أحدهما: إذا كان حالًا.
والثاني: إذا كان الفاعل يدوم على الفعل، وكان من سبيله إتيان ذلك الفعل. انظر: «المدخل لعلم تفسير كتاب الله» له: ٢٢٨.

(٥) لم أقف عليهم.

(٦) انظر: «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٠.

(٧) انظر: «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢٢.

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). ومُثْبت من بقية النسخ.

عيسى، الحَقُّ). أو: (ذلك النبأ في أمر عيسى، الحقُّ). فحُذِفَ؛ لتقدم ذِكْره، وأغنى حضورُ المعنى للنفس عن الإشارة إليه.

وقال أبو عبيدة[(١)]: هو استئنافٌ بعد انقضاء الكلام، وخبره: في قولك[(٢)]: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [و][(٣)] هذا كما تقول: الحقُّ من الله تعالى[(٤)]، والباطل من الشيطان[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد: نهي غيره عن الشكِّ، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[(٦)] ويحتمل أن يكون المعنى: فلا تكن من الممترين أيُّها السامع للبرهان، من المكلفين كائنًا مَنْ كان.

والامْتِراءُ: الشكُّ[(٧)]. قال ابن الأنباري[(٨)]: وهو مأخوذ من قول العرب: (مَرَيْتُ الناقةَ والشاةَ): إذا حَلَبْتهما[(٩)]. فكأنَّ الشاكَّ يجتذب

---

(١) في «مجاز القرآن» له: ١/ ٩٥. نقله عنه.

(٢) في (ب)، (ج)، (د): (قوله).

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج)، (د).

(٤) تعالى: ساقطة من: (ج)، (د).

(٥) وقيل: هو فاعل؛ أي: جاءك الحقُّ. انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠٣.

(٦) سورة الطلاق: ١. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾. قال الزجاج: (والخطاب للنبي خطاب للخلق؛ لأن النبي لم يشكك في قصَّة عيسى) «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢٢.

(٧) في (ب): (الشاك).

(٨) في «الزاهر» ١/ ٤٥٥ نقله عنه بالمعنى.

(٩) في (ج): (حلبتها).

بِشَكِّه[١] سِرًّا، كاللبن[٢] الذي يُجتذَب[٣] عند الحلب. ويقال: (قد مارى فلانٌ فلانا): إذا جادله واستخرج غضبه[٤].

٦١- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى عليه السلام. وقيل[٥]: الهاء تعود إلى ﴿ٱلْحَقُّ﴾، في قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾. أنَّ عيسى عبد الله ورسوله. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾. أصله: (تعالَيُوا)؛ لأنه (تَفاعَلُوا)؛ من: (العُلُوِّ)، فاستُثْقِلت الضمة على الياء، فسُكِّنت، ثم حُذِفَت لاجتماع الساكِنَيْن. وأصله: العُلُوُّ والارتفاع.

فمعنى (تعالَ): ارتفع. إلاَّ أنه أكثر[٦] في الاستعمال حتى صار لكل مجيء، وصار بمنزلة (هَلُمَّ)[٧].

وقوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾. فقال المفسرون[٨]: لمَّا احتجَّ الله تعالى على النصارى من طريق القياس بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ [آل

---

(١) من قوله: (بشكه..) إلى (يجتذب): ساقط من (د).

(٢) في (أ): (كاللين). والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (ج): (يجتلب).

(٤) ونصُّ قول ابن الأنباري: (وقولهم: "قد مارى فلان فلانًا"، قال أبو بكر: معناه: قد استخرج ما عنده من الكلام «الحجة» وهو مأخوذ من قولهم: "مَرَيْتُ الناقةَ والشاة، أمْريهما مَرْيًا": إذا مسحت ضروعهما لتَدُرّا).

(٥) لم أقف على القائل، وقد حكى المفسرون القولين دون بيان الذاهب إلى القول الثاني. وقد ذهب الطبري إلى الأول، وأجاز الثاني. انظر: «تفسيره» ٣/ ٢٩٨، «تفسير البغوي» ١/ ٤٨، «زاد المسير» ١/ ٣٩٩.

(٦) في (ب)، (د): (كثر).

(٧) انظر: «الزاهر» ٣/ ٢٧٧، «مفردات ألفاظ القرآن» ٥٨٤ (علا).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٢٣.

عمران: ٥٩]، الآية؛ أمر(١) النبي ﷺ، أن يحتجَّ عليهم من طريق الإعجاز وهو: المباهلة.

ومعنى المباهلة: الدعاء على الظالم من الفريقين(٢). فلما نزلت هذه الآية، دعا رسول ﷺ وفد نجران إلى المباهلة، وخرج رسول الله ﷺ محتضنًا الحسينَ(٣)، آخذًا بيد الحَسَن(٤)، وفاطمة(٥) تمشي خلفه، وعَلِيٌّ خلفها، وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فَأَمِّنوا. فقال: أُسْقُفُّ(٦) نَجْران: يا

(١) (أمر): ساقطة من (د).

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ٥٥٦، «الزاهر» ١/ ٢١٩، «مقاييس اللغة» ١/ ٣١١ (بهل). وقد ذكر ابن فارس أن (بهل) أصل لثلاثة معانٍ: الابتهال، والتضرع، والدعاء، ثم قال: (والمباهلة يرجع إلى هذه، فإن المتباهِلَيْن يدعو كل واحد منهما على صاحبه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾. [سورة آل عمران: ٦١]).

(٣) هو: أبو عبد الله، الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حفيد رسول الله ﷺ، ابن بنته فاطمة رضي الله عنها، اختلف في سنة ولادته ما بين سنة (٤هـ-٦هـ)، وكان رحمه الله دَيِّنا فاضِلا كثيرَ الصيام والصلاة والحج، وقُتِل رضي الله عنه بكربلاء من الكوفة سنة (٦١هـ)، إثر خروجه على بني أمية. رضي الله عنه. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤٤٢، «الإصابة» ١/ ٣٣٢.

(٤) هو: أبو محمد، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حفيد رسول الله ﷺ، ابن بنته فاطمة رضي الله عنها وُلِد سنة (٣هـ)، كان حليمًا ورعًا فاضلًا، ترك المُلْك والدنيا حرصًا على دماء المسلمين، ورغبة فيما عند الله، اختلف في سنة وفاته ما بين (٤٩هـ-٥١هـ)، ودفن بالبقيع. رضي الله عنه. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤٣٦، «الإصابة» ١/ ٣٢٨.

(٥) هي: الزهراء، بنت رسول الله ﷺ، وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله ﷺ، وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٤٧، «الإصابة» ٤/ ٣٧٧.

(٦) الأُسقُفُّ بتشديد الفاء، وتخفيفها: لقب ديني لأحبار النصارى، فوق القسِّيس،=

معشر النصارى: إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا عن مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ثمَّ قبلوا الجِزْيَةَ وانصرفوا. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، إنَّ العذاب قد تدلَّى على أهل نجران، ولو تلاعنوا، لمُسِخوا قِرَدَةً وخنازيرَ، ولا ضطَرَبَ عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجرانَ وأهلَهُ، حتى الطيرَ على الشجر، ولَمَا حالَ الحولُ على النصارى حتى هلكوا»**(١).

= ودون المطران. ويقال: سُقُفٌ. والجمع: أساقفة، وأساقف. انظر (سقف) في «القاموس المحيط» ص٨٢٠، «المصباح المنير» ١٠٦، «المعجم الوسيط» ص٤٣٨. وقد سَمَّى ابنُ إسحاق هذا الأسقُفَّ، وهو: أبو حارثة بن عَلْقَمة، أحد بني بكر بن وائل، ووصفه بأنه أسقفُّهم وحَبْرُهم وإمامُهم، وصاحبُ مِدْرَاسِهم. وذكر في موضع آخر أن الذي قال ذلك هو العاقب، واسمه عبد المسيح، ووصفه بأنه أميرُهم، وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. وفي «دلائل النبوة» لأبي نُعيم: أن الذي نصحهم، هو: السَّيِّد، واسمه: الأيهم، وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم والذي يقوم بأمورهم. انظر: «السيرة» لابن هشام: ٢/ ٢١٥، «دلائل النبوة» ٣٥٥.

(١) وردت قصة المباهلة في كتب السنة، والتفسير بالمأثور، بروايات وألفاظ مختلفة تتفق في مضمونها مع ما ذكره المؤلف، ولكن لم أجد الرواية بهذا اللفظ الذي ساقه المؤلف إلا عند البغوي في «تفسيره» ٢/ ٤٨، وذكرها الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٤٣٤. وتتفق بعض ألفاظ رواية المؤلف مع بعض الروايات الواردة في كتب السنة، وتقرب من بعضها، كما أن بعض ألفاظها بالمعنى. انظر: «روايات المباهلة» في «صحيح البخاري» (٤٣٨٠) كتاب: المغازي، باب: (قصة أهل نجران). «صحيح مسلم» (٢٤٠٤) كتاب: فضائل الصحابة، باب (من فضائل علي)، «سنن الترمذي» (٢٩٩٩)، كتاب: التفسير، باب: من سورة آل عمران، وقال عنه: (حسن صحيح). «مسند أحمد» ١/ ٢٤٨، «مستدرك الحاكم» ٢/ ٥٩٤ وصححه، ووافقه الذهبي. «مصنَّف ابن أبي شيبة» ٦/ ٣٨١ رقم الحديث (٣٢١٧٥)، «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢١٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٩-٣٠١، «تفسير=

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾. قال أهل المعاني: يعني بـ(الأنفس): بني العم. والعرب لا تستنكر أن تخبر عن ابن العم بأنه نفسُ ابن عمِّهِ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]؛ أراد: إخوانكم من الدين[2]، فأجرى[3] الأخوَّةَ في[4] الدين، مجرى الأخوَّةِ في[5] القرابةِ[6]. وإذا[7] وقعت النفس على البعيد في النسب، كان أجدر أن تقع على القريب في النسب والدين؛ وإنَّما قلنا هذا؛ لأن المتكلم لا يقول ادعوا فلانا وفلانا ونفسي؛ لأنه يكون حاضرًا.

= ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٧-٦٦٨، «دلائل النبوة» لأبي نعيم: ٣٥٣-٣٥٤، «أسباب النزول» للواحدي: ١٠٧-١٠٨. وأوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٧-٧٠، ونسب إخراج بعض رواياتها للبيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وسعيد ابن منصور. وأوردها ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٩٥ من لفظ ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام» ومن رواية البيهقي في الدلائل، ومن غيرها من كتب السنة.

(١) سورة الحجرات: ١١ وبعدها: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

(٢) في (ج)، (د): (من المؤمنين).

(٣) في (ج): (وأجرى).

(٤) في (ب): (من).

(٥) في (ب): (من).

(٦) وقد ذكر ابن خالويه أن من معاني (النفس): الأخ. ثم استدل له بقوله تعالى في آية ٢٩ من النساء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، وقال: (أي: إخوانكم). وقد نقل صاحب «اللسان» قوله ابن خالويه، واستدل له بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ آية: ٦١ سورة النور. انظر ليس في كلام العرب، لابن خالويه: ١٩٦، «لسان العرب» ٦/ ٢٣٤ (نفس). وكذا فسرها ابن قتيبة، فقال: (أي: إخواننا وإخوانكم). «تفسير غريب القرآن» ١٠٦.

(٧) في (ج): (إذا) بدون واو.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾ الابتهال في اللغة يكون على معنيين:

أحدهما: التضرع إلى الله.

والثاني: الالتعان، والدعاء بـ(البَهْلَةِ)، وهي: اللَّعْنَةُ. يقال: (عليه بَهْلَةُ اللهِ)؛ وبَهلتهُ؛ أي: لعنته[1].

قال لَبِيد:

فـي قُـرومٍ سـادةٍ مِـن قـومِـهـم نَـظَرَ الـدهـرُ إليـهـم فـابْـتَـهَـلْ[2].

---

(١) ما ذكره المؤلف من معاني الابتهال، ترجع إلى (البَهْل)، وهو: اللعن. والبَهْلَةُ بفتح الباء وبضمها تعني: اللغنة. و(باهَلَ القَومُ بعضهم بعضا)، و(تباهلوا، وابتهلوا)؛ أي: تلاعنوا، وذلك أن جتمعوا ويقولوا: لعنة الله على الظالم مِنَّا؛ وذلك إذا ما اختلفوا في شيء. ومن معاني (بَهَلَ): التخلية. ويقولون: (بَهَلْتُه)؛ إذا خلَّيته وإرادَته، و(أبهل الراعي إبِلَهُ): إذا تركها ترعى، أو تركها من الحلب. و(الباهل من الإبل): التي لا صِرَارَ على ضَرْعِها. و(أبْهَلَ الوالي رعيَّتَه): إذا أهملها. والمعنيان من وادٍ واحد؛ لأن اللعن في حقيقته: إهمال وإبعاد، فَ(بهَلَه اللهُ): لعنه وأبعده من رحمته. وهذا هو أصل الابتهال، ثم استعمل في كل دعاء يُجتهد فيه، ويُسترسَل، ويُتضرع، وإن لم يكن التعانا. و(البَهْلُ) كذلك: الشيء الحقير اليسير، ومنه المال القليل، والماء القليل. و(التَّبَهُّلُ): العناء في الطلب. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٩٦، وغريب القرآن، لليزيدي: ٤٢، «الزاهر» ١/ ٢١٩، «الصحاح» ٤/ ١٦٤٢-١٦٤٣ (بهل)، «مقاييس اللغة» ١/ ٣١٠-٣١١ (بهل)، «الفائق» للزمخشري: ١/ ١٤٠، «الكشاف» ١/ ٤٣٤، «اللسان» ١/ ٣٧٥ (بهل).

(٢) البيت، في ديوانه: ١٩٧، وقد ورد منسوبًا له، في «تفسير الطبري» ٣/ ٢٩٨، «الزاهر» ١/ ٢١٩، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤١٥، «النكت والعيون» للماوردي: ١/ ٣٩٨، «أساس البلاغة» ١/ ٧١ (بهل)، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠٤. وقد وردت روايته في بعض المصادر السابقة: (في كهول سادة)، وورد في كل المصادر السابقة: (.. من قومه) بدلًا من: (.. من قومهم). و(قُروم)، = مفردها: (قَرْم)، وهو: السيِّد المقدَّم في الرأي والمعرفة وتجارب الأمور. ويقال كذلك للسيد الرئيس: (مُقرَم). انظر: «أساس البلاغة» ٢/ ٢٤٨ =

أي: دعا عليهم بالهلاك، وكلا[١] المعنيين مروي عن ابن عباس.
قال[٢] في رواية الكلبي[٣]: قوله ﴿نَبْتَهِلْ﴾؛ أي: نجتهد في الدعاء.
وقال في رواية عطاء[٤]: ندعُ[٥] الله باللَّعنة على الكاذبين.

٦٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية. أي[٦]: هذا الذي أوحيناه إليك من الآيات والحُجَج.

فـ﴿هُوَ﴾[٧] ههنا يصلح أن يكون فَصْلًا وعِمادًا[٨]، ويكون ﴿ٱلْقَصَصُ﴾

= (قرم)، «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٤٩، ٥٠ (قرم). وقد فسر الزمخشري في «أساس البلاغة» (ابتهل) الواردة في البيت، فقال: فاجتهد في إهلاكهم. وفسرها د. إحسان عباس محقق الديوان: (سبح، أوقف متضرعًا؛ أي أنه وقف معجبًا وهو ينظر إليهم، أو استشعر ذلة حاله بالنسبة إليهم..).

(١) في (ب): (وكان)، وفي (ج)، (د): (وكلي).

(٢) (قال): ساقطة من: (ج).

(٣) أخرج هذه الرواية: أبو نعيم في «دلائل النبوة» ٣٥٤، وهي في «تفسير البغوي» ٢/ ٤٨ من قول الكلبي دون أن يرفعها لابن عباس، وأوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٩ ونسب إخراجها لأبي نعيم.
وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٦٨ عن ابن عباس من رواية ابن جريج عنه: (﴿ثم نبتهل﴾: نجتهد).

(٤) أوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ٦٩ من طريق الكلبي عن ابن عباس، وعزاها لأبي نعيم في الدلائل، ولم أجدها فيه، وقال البغوي في «تفسيره» ٢/ ٤٨ (قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يتضرع في الدعاء).

(٥) في (د): (ندعوا).

(٦) من قوله: (أي..) إلى (.. وهما جميعا خبر إنَّ): نقله بتصرُّف عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٤.

(٧) في (ب)، (ج): (وهو). وفي (د): (هو) بدون واو .

(٨) أي: ضمير زائد لا محل له من الإعراب، وضمير الفصل ويسمِّيه الكوفيُّون:=

خَبَرَ ﴿إِنَّ﴾. ويصلح أن يكون ﴿هُوَ﴾ ابتداءً، وخَبرُه: ﴿ٱلْقَصَصُ﴾. وهما جميعًا خبرُ إنَّ[(١)].

والقَصَصُ: مصدر قولهم: (قَصَّ فلانٌ الحديثَ، يقصُّه قَصًّا، وقَصَصًا)[(٢)]. وأصله[(٣)]: اتِّباعُ الأثر؛ يقال: (خرج فلانٌ قَصَصًا في أثر فلان)، و(قَصًّا)[(٤)]؛ وذلك إذا اقتصَّ أثَره، ومنه قوله تعالى: [﴿وقالت لأخته قُصيه﴾ [القصص: ١١]. وقيل للقاصِّ يقصُّ[(٥)] لأتباعه خبرًا بعد خبر][(٦)]، وسَوقه الكلامَ سَوقًا.

فمعنى[(٧)] (القَصَص): الخبر الذي تَتَابَعُ[(٨)] فيه المعاني.

= (العماد)، ويُسمَّى كذلك (الدعامة) هو: أحد ضمائر الرفع المنفصلة، يأتي لإزالة اللبس في الكلام، فيفصل بين ما أصله مبتدأ وخبر؛ ليُعلم أن ما بعده خبر عمَّا قبله، وليس نعتا له، وهو يفيد الكلام ضربًا من التوكيد، ويغلب على الاسم الواقع بعده أن يكون معرفة. انظر: «النحو الوافي» ١/ ٢٤٢-٢٥٠، «معجم الشوارد النحوية» ٣٥٥، «معجم المصطلحات النحوية» ١٧٣.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٣٩، «التبيان» للعكبري: (١٩٤)، «الفريد في إعراب القرآن» ١/ ٥٨٣.

(٢) قال في «اللسان» ٦/ ٣٦٥٠ (قصص): (والقِصَّةُ: الخبر، وهو (القَصَصُ). و(قَصَّ عليَّ خبره، يقصُّهُ قَصًا، وقصَصًا): أورده. و(القَصَص): الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر، حتى صار أغلب عليه. و(القِصَصُ) بكسر القاف: جمع (القِصَّة) التي تكتب).

(٣) من قوله: (وأصله) إلى (سوقا): نقله بتصرف عن «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٧ (قصَّ).

(٤) في (د): (وقصصا).

(٥) في (د): (يقص)ه. والمثبت من: (ج). وفي (تهذيب الغة): (يقُصُّ القَصَصَ).

(٦) ما بين المعقوفين: زيادة لازمة لتمام المعنى، من: (ج)، (د)، «تهذيب اللغة».

(٧) في (ب): (لمعنى).

(٨) في (ب): (شايع).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. (مِن)[١] دخلت توكيدا[٢] لنفي جميع من ادَّعى المشركون أنَّهم آلهة[٣]؛ أي: أن عيسى ليس بإلهٍ كما زعموا، وإنَّما اقتضت (مِن) توكيد النفي؛ لأن أصلها لابتداء الغاية، فدلت[٤] على استغراق النفي لابتداء الغاية إلى انتهائها[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. معناه ههنا[٦]: أنه لا أحد يستحقُّ إطلاق هذه الصفة[٧] له إلا هو.

٦٣- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ الآية. أي[٨]: فإن أعرضوا عمَّا أتيت به من البيان، فإنَّ الله يعلم من يُفسِد[٩] خلقه فيجازيه على إفساده.

٦٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا﴾. الآية[١٠]. الخطاب

---

(١) من قوله: (من ..) إلى (.. كما زعموا): نقله باختصار وتصرف من «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٤.
(٢) في (ب): توكيد.
(٣) في (د): إله.
(٤) (فدلت على استغراق النفي لابتداء الغاية): ساقط من (د).
(٥) فـ(من) هنا جارَّةٌ، صلةٌ (أي: زائدة) تفيد استغراق نفي الجنس، أو توكيد العموم. انظر: كتاب «حروف المعاني» للزجاجي: ٥٦، «الجنى الداني» ٣١٦،٣١٧.
(٦) في (ب): هنا.
(٧) في (ج): القصة.
(٨) من قوله: (أي..) إلى (.. على إفساده): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٤.
(٩) في «معاني القرآن»: (يفسد من خلقه).
(١٠) الآية: ساقطة من (د).

لنصارى نجران؛ عند الحسن[١]، والسُدِّي[٢]، وابن زيد[٣]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٤].

وليهود المدينة؛ عند قتادة[٥]، والربيع[٦]، وابن جُرَيج[٧].

وعند بعضهم[٨]: الخطاب لهما جميعًا[٩].

---

(١) قوله في «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠٥.

(٢) قوله: في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «زاد المسير» ١/ ٤٠٠، «القرطبي» ٤/ ١٠٥، «الدر المنثور» ٢/ ٧١.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠٥.

(٤) قوله في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢١٥ من رواية ابن إسحاق عنه، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «الدر المنثور» ٢/ ٧١.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «زاد المسير» ١/ ٤٠٠، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٠٥، «الدر المنثور» ٢/ ٧١ وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «زاد المسير» ١/ ٤٠٠، «الدر المنثور» ٢/ ٧١.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٢، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٩، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤، «زاد المسير» ١/ ٤٠٠، «الدر المنثور» ٢/ ٧١.

(٨) ومنهم: عمر بن عبد العزيز، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٦٩، ونُسِب القولُ به إلى الحسن، كما في «زاد المسير» ١/ ٤٠٠، وكذلك جعلها الطبري عامَّةً لأهل الكتابين. انظر: «تفسيره» ٣/ ٣٠٢-٣٠٣، وإليه ذهب المؤلف الواحدي في تفسيره (الوجيز) (مطبوع بهامش تفسير مراح لبيد): ١/ ١٠٢.

(٩) رجح الطبري هذا الرأي، مستدلًّا بعدم مخصص من أثر صحيح لأحد الفريقين دون الآخر، وليس أحدهما أولى بأن يُقصَد دون الآخر، وقال: (فالواجب أن يكون كل كتابي معنيًا به لأن إفراد العبادة لله وحده وإخلاص التوحيد له، واجب على كل مأمور منهي من خلق الله، واسم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة والإنجيل، فكان معلومًا بذلك أنه عني به الفريقان جميعًا). «تفسيره» ٣/ ٣٠٢-٣٠٣. وإليه ذهب ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٣٩٨، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٥٢٥.

واستظهر ابن عطية أن الآية نزلت في وفد نجران إلا أن لفظ (أهل الكتاب) =

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾. معنى[١] الكلمة: كلامٌ فيه شرح قِصَّة، وإن طال؛ ولذلك يقول[٢] العرب للقصيدة: (الكلمة)[٣].

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. [يريد بـ(السواء): العدل، وكذلك في قراءة عبد الله (إلى كلمة عدل بيننا وبينكم)][٤].

قال ابن قتيبة[٥]: ﴿سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: نَصَفٍ. يقال: (دعا إلى

= يعمهم، ويعم سواهم من النصارى واليهود. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٤.

(١) من قوله: (معنى) إلى (الكلمة): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٤.

(٢) في (ج)، (د): تقول.

(٣) وهو من باب إطلاق الجزء، ويراد به الكُلُّ، وسُمِّيت القصيدةُ بذلك؛ لأنها بمجموعها وارتباط بعضها ببعض، صارت في قوة الكلمة الواحدة. وقد تطلق الكلمة وهي واحد (الكَلِم)، ويراد بها الكلام، وذلك على سبيل المجاز. يقول ابن مالك:

كلامنا لفظٌ مفيدٌ كاستقم ... اسمٌ وفعلٌ ثم حرف الكَلِم
واحدُه كَلِمَةٌ والقَوْلُ عَم ... وكِلْمَةٌ بها كلام قد يُؤم

فالكلمة قد يُؤَمُّ بها الكلام؛ أي: قد تطلق على الكلام، وهو اللفظ المفيد المتركب من كلمتين أو أكثر. انظر: «شرح ابن عقيل» ١/ ١٦، «النحو الوافي» ١/ ١٧. ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**أصدق كلمة قالها الشاعر؛ كلمة لَبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**». أخرجه: البخاري في «صحيحه» (٣٨٤١)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، وأخرجه ابن ماجه في سننه: (٣٧٥٧)، كتاب: الأدب، باب: الشعر.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (د). وانظر قراءة عبد الله بن مسعود وهي قراءة تفسيرية في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٢٠، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٣، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٥٥، «البحر المحيط» ٢/ ٤٨٣.

(٥) في «تفسير غريب القرآن» له: ١٠٦، نقله عنه بتصرف واختصار.

السواء)؛ أي: إلى النَّصَفَةِ؛ وإنَّما قيل لـ(النَّصَفَة): (سواءٌ)؛ لأنَّ أعدل الأمور أوساطها[١].

وقال الزجاج[٢]: ﴿سَوَآءٍ﴾: نعتٌ للكلمة ؛ يريد: ذات سواء. وذكرنا الكلام في معنى ﴿سَوَآءٍ﴾ في ابتداء سورة البقرة.

والمعنى: إلى كلمة عادلة مستقيمة مستوية، إذا أتيناها نحن وأنتم كنَّا على السواء والاستقامة. ثمَّ قال: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. موضع[٣] ﴿أَنْ﴾: خَفْضٌ على البدل من ﴿كَلِمَةٍ﴾؛ المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلاَّ الله. وهذا تفسير للكلمة[٤].

قال الزجاج[٥]: وجائز أن تكون في موضع (رفع)؛ كأن قائلًا قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾. أي: لا نعبد معه غيره. يقال: أشرك معه فلانًا: أي: جعله شريكه، وأشرك باللهِ غيره؛ أي: عبده معه عبادة الله؛ فمعنى الباء، معنى (مع)[٧]، وفي الباء وجه آخر،

---

(١) وعبارة ابن قتيبة أوضح، وهي: (وسواء كل شيء): وسطه. ومنه يقال للنَّصَفَة: (سَواء)؛ لأنها عَدْلٌ. وأعدل الأمور: أوساطها. والنَّصَفَة، والنَّصَفُ: العدل. والمصدر: الإنصاف. انظر: «القاموس» (٨٥٦) (نصف).

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢٥، نقله عنه بالمعنى.

(٣) من قوله: (موضع..) إلى (.. فقيل: هي أن لا نعبد إلا الله): نقله بنصه مع تصرف يسير عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٥.

(٤) قوله: (وهذا تفسير للكلمة): من قول المؤلف وليس من قول الزجاج.

(٥) في المصدر السابق.

(٦) وهناك توجيهات إعرابية أخرى لها، انظرها في «الدر المصون» ٣/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٧) انظر في إتيان الباء بمعنى (مع) «رصف المباني» ٢٢٢، «مغني اللبيب» ١٤٠، «تناوب حروف الجر» ٩٤.

ذكرنا[١] عند قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قال عطاء عن ابن عباس[٢]: يريد: كما اتخذت النصارى عيسى، واتخذت بنو إسرائيلَ عُزَيْرًا.

قال الزَّجاج[٣]: أي: نرجع إلى أنَّ[٤] معبودَنا الله ﷻ، وأن عيسى بشر، كما أننا بشر، فلا نتَّخذه[٥] ربًّا.

وقال بعضهم[٦]: معناه: لا نطيع في المعاصي أحدًا. والله تعالى أخبر عن اليهود والنصارى لمَّا[٧] أطاعوا في معصيته[٨] علماءَهم، فإنهم اتخذوا[٩] من دونه آلهةً، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[١٠]. وفي الخبر: (من أطاع مخلوقًا في معصية الله، فكأنما

---

(١) في (د): (ذكرناه).

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٢٦. نقله عنه بنصه.

(٤) أن: ساقطة من (د).

(٥) في (ج): تتخذوه.

(٦) ومنهم ابن جريج، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٤ وإليه ذهب الطبري، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٠، «النكت والعيون» ١/ ٣٩٩، «زاد المسير» ١/ ٤٠٢، «الدر المنثور» ٢/ ٧١، وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

(٧) في (د): (بما).

(٨) في (ج): (في معصية الله).

(٩) اتخذوا: غير مقروءة في (أ)، ومثبتة من: بقية النسخ.

(١٠) [سورة التوبة: ٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. انظر في تفسيرها «تفسير الطبري» ١٠/ ١١٤.

سجد سجدة لغير الله)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾. أي: إنْ أعرضوا عن الإجابة[(٢)]، فقابلوا أنتم إعراضَهم عن الحقِّ بِخِلافِهِ؛ للإنكار عليهم، وقولوا: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. أي: مقرون بالتوحيد مستسلمون لما أتتنا به الأنبياءُ.

٦٥- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾. الآية[(٣)].

قال ابن عباس[(٤)]، والسدِّي[(٥)]، وقتادة[(٦)]: اجتمعت اليهود، ونصارى نجران عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا في إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيًّا؛ فنزلت هذه الآية.

وقوله[(٧)] تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ﴾. يريد: إنَّ اليهودية حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية، بعد نزول الإنجيل.

---

(١) لم أقف على مصادر هذا الخبر.

(٢) في (أ): (عن الآية). وفي (ب): (عن الحق)، والمثبت من: (ج)، (د): «التفسير الوسيط» للمؤلف.

(٣) الآية: ساقطة من (د).

(٤) قوله في «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٧٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٥، «زاد المسير» ١/ ٤٠٢، «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٩٩، «الدر المنثور» ٢/ ٧٢، وزاد نسبة إخراجه إلى البيهقي في الدلائل، وأورده السيوطي في «لباب النقول» ٥٣.

(٥) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧١، «زاد المسير» ١/ ٤٠٢، «الدر المنثور» ٢/ ٧٢.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧١.

(٧) (قوله): ساقطة من: (ج).

وإنما أنزلت التوراة والإنجليل بعد مهلك إبراهيم بزمان طويل، وليس في الكتابين اسمه بواحد من [دين][(١)] اليهود والنصارى.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. أي: فساد هذه الدعوى؛ إذ العقل يزجر عن الإقامة على دعوى بغير حُجَّة، فكيف بما ظهر فساده بالمناقضة؟.

٦٦- وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾. اختلفوا فيه: فقرأ ابن كثير[(٢)] من طريق قُنْبُل[(٣)]: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾[(٤)]، بِوَزْنِ (هَعَنْتُم)[(٥)]، أُبْدِلَ[(٦)] من همزة الاستفهام الهاءُ؛ أراد: أأنتم[(٧)]. والهمزة قد تُبدل هاءً[(٨)]، كقولهم: (أرقت الماء) و(هرقته)[(٩)]، و(إبرِيَة) و(هِبرِيَة)[(١٠)].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج)، (د).

(٢) هو: أبو معبد، عبد الله بن كثير الداري المكي. إمام المكِّيِّين في القراءة، وأحد القُرّاء السبعة المشهورين، توفي سنة (١٢٠هـ). انظر: «الفهرست» ٤٨، «معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٦، «النشر» ١/ ١٢٠.

(٣) في (أ): (قتيل). والمُثبَت من بقية النسخ.
وقُنْبُل، هو: أبو عمر، محمد بن عبد الرحمن، المخزومي مولاهم، المكي. ولد سنة (١٩٥هـ)، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، أحد رواة قراءة ابن كثير، توفي سنة (٢٩١هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٣٠، «النشر» ١/ ١٢٠-١٢١، «البدور الزاهرة» ٨.

(٤) في (ج)، (د): (هانتم).

(٥) انظر: «الحجة» للفارسي: ٣/ ٤٦، «الكشف» لمكي: ١/ ٣٤٦.

(٦) من قوله: (أبدل..) إلى (.. الاستفام في أنتم تقرير): نقله عن «الحجة» للفارسي ١/ ٤٦٤٧، نقل بعض عباراته بالنص، وبعضها بالمعنى، وتصرف وزاد في بعضها.

(٧) في (د): (أنتم).

(٨) في (ج): (نبدلها).

(٩) في (ج): (وأهرقته).

(١٠) (أ)، (ب): (إبريه، وهيريه). وفي (ج): (ابره وهبره)، وفي (د): (اره وهيريه). وما أثبته هو ما استصوبته؛ نظرًا لقربه من رسم الكلمتين في نسخة ج. أما (إبريه =

وهذا كإبدالهم من الباء[١]، الواوَ، في قولهم: (والله)، ومن الواوِ التَّاءَ في (تالله)[٢]، فهذه حروف مفردة قد وقع الإبدال منها.

ولا[٣] يجوز أن يكون أراد ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾، و(ها) للتنبيه، ثم حَذَف الألفَ، فصار: (هأنتم)، كما حذف الألف من (ها) في (هَلُمَّ)؛ لأن

= وهيريه) فلم أقف عليها في كتب اللغة التي رجعت إليها، ولم ترد مثالًا فيما رجعت إليه من كتب الاختصاص في باب الإبدال، إلا ما ورد في «سر صناعة الإعراب» لابن جني: ٥٥٣، من تمثيله لهذا الإبدال بـ(هيْر، وهِيْر) و(أيْر وإيْر) وهي من أسماء الصَّبا، وقيل: من أسماء ريح الشمال. ولكني استبعدتُها، وأثبتُّ ما هو أقرب إلى رسم الكلمة المثبتة، وهي: الـ(إبْريَة) والـ(هِبْرِيَة)، وهي: ما تعلق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس، أو ما طار من الريش ونحوه. وقد تكون الكلمة المرادة، هي: (أبرْتُهُ)، و(هبَرْتُهُ)، فكتب الناسخ النقط تحت التاء فكانت ياءً. ومعناها: قطعتُهُ، من (هَبر، يَهْبُرُ، هَبْرًا): قطع قِطَعا كبارا. والهَبْرُ: قَطْعُ اللحم، و(هَبرتُ له من اللحم هَبْرَةً): قطعت له قِطعَةً ومنه: (هَبَره بالسيف)؛ أي: ضربه وقطعه. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٦٠٣ (هبر)، ٨/ ٤٧٣٥ (هير)، «الممتع» ١/ ٣٩٩، «ارتشاف الضرب» ١/ ١٣٠، «نزهة الطرف» لابن هشام: ١٥٨.

(١) في (ب)، (د): (التاء).

(٢) الأصل فيها (بالله) ثم أبدلت الواو من الباء، ثم أبدلت التاء من الواو، ويدل على ذلك:

أولا: أن الباء توصل القسم إلى المقسم به؛ كقولنا: (أحلف بالله).

ثانيًا: أن الباء تدخل على المُضمَر كما تدخل على المُظهَر؛ كقولنا: (بالله لأقومَنَّ)، و(به لأقعدنَّ). والواو لا تدخل على المضمر البتة، فتقول: (والله لأضربنَّك). فإذا رجعنا إلى المضمر قلنا: (به لأضربنَّك). وهذا هو رأي الجمهور. ونقل ابن هشام عن قطرب وغيره أن التاء غير مبدلة من الواو، وإنما هي حرف مستقل. انظر: «سر صناعة الإعراب» ١٢١، ١٤٣، ١٤٤، ٦٤٥، «الممتع في التصريف» ١/ ٣٨٤، «ارتشاف الضرب» ١/ ١٥٦، «نزهة الطرف» لابن هشام: ١٦١.

(٣) في (ج): (لا) بدون واو.

الحروف لا يحذف منها إلاَّ إذا كان فيها تضعيف، وليس ذلك في (ها)، وإنَّما حُذِف من (هَلُمَّ)؛ لأن الَّلام التي هي فاءٌ ، في تقدير السكون؛ لأن (تَلُمَّ)؛[1] كان في الأصل: (تلْمُمْ)[2]، و(لَمَّ) أصله[3]: (الْمُم)، فهي[4] متحركة بحركة منقولة إليها، والحرف المتحرك بالحركة المنقولة، قد تكون في نيَّة السكون؛ كقولهم: (اَلَحْمَرْ)[5]، فالَّلام[6] في تقدير[7] سكون؛ بدلالة تقدير الهمزة التي للوصل معها، فكذلك الَّلام في (هَلُمَّ)، وإذا كان في نية سكون، استقام حذف الألف من (ها) كما يُحذف لالتقاء الساكِنَيْنِ، وليس ذلك في (هأنتم)[8]؛ فإذا كان كذلك لم يستقم الحذف فيه، كما جاء في (هَلُمَّ).

ومعنى الاستفهام في (أنتم)[9]: تقرير[10].

وقرأ نافع وأبو عمرو (ها انتم)[11] استفهامًا من غير همزٍ ولا مَدٍّ[12].

---

(١) في (د): (لم).
(٢) في (د): (لمم).
(٣) في (ج): (بصله).
(٤) يعني: اللام الذي هو فاءُ الكلمة (لَمَّ).
(٥) (الحمر): ساقطة من (د). وضبطها في «الحجة» بضم الراء.
(٦) في (د): (اللام) بدون واو.
(٧) (تقدير): ساقطة من (د).
(٨) في (ب): (ها أنتم).
(٩) هكذا وردت في جميع السنخ. وفي «الحجة»: (أأنتم)، وهي الأصوب.
(١٠) (أ)، (ب)، (ج): (تقدير). وفي (د): (تقديره). والمثبت من «الحجة» وهو الصواب.
(١١) في (ج): (هانتم).
(١٢) الذي أوردته كتب القراءات من قراءة نافع وأبي عمرو: أنهما كانا يقرآنها ممدودة، من غير همز، على الاستفهام. وقول المؤلف: (بلا مدٍّ)؛ يعني: بلا مدٍّ كثير. فقد=

و(ها)[١] في هذه القراءة للتنبيه، دخلت على (أنتم)، وخُفِّفت[٢] الهمزةُ في (أنتم)؛ لوقوعها بعد أَلِفٍ، كما تقول في (هَبَاءَةٍ): (هَبَايَة)[٣] مليَّنة الهمزة، وفي (المسائل)[٤]: (المسايل). ويجوز أيضًا على[٥] هذه القراءة: أن يكون[٦] الهاءُ بدلًا من همزة الاستفهام، كما ذكرنا في قراءة ابن كثير، ودخلت الأَلِفُ التي تدخل للفصل بين الهمزتين في مثل قولك: ﴿أاأنتم﴾[٧]، و﴿قُلْ أاالذكرين﴾[٨] [الأنعام ١٤٣] في قراءة أبي

= كانا يمدان قليلًا بقدر خروج الألف الساكنة. فهذا هو توجيه قول المؤلف والله أعلم. انظر: «السبعة» ٢٠٧، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٤٦، «حجة القراءات» ١٦٥، «الكشف» لمكي: ١/ ٣٤٦، «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٩٨.

وقال ابن مجاهد في «السبعة» ٢٠٧: (وروى علي بن نصر عن أبي عمرو استفهامًا مُخَفَّفًا بلا همز. وقال أحمد بن صالح عن ورش وقالون عن نافع: ممدودًا غير مهموز).

(١) من قوله (و(ها)..) إلى (وكذلك في كثير من المواضع البدل يكون في حكم المبدل منه): نقله عن «الحجة» للفارسي: ١/ ٤٧-٥٠ نقل بعض عباراته بالنص وبعضها بالمعنى، وتصرف في بعضها بالاختصار والزيادة.

(٢) في (ج): (فخففت).

(٣) (هباية): مطموسة في (أ). وفي «الحجة»: (هباةٌ). والمثبت من بقية النسخ. والهباءة: القطعة من الهباء. والهباء: التراب الذي تطيره الريح ويلزق على الأشياء، ويرى في ضوء الشمس. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٦٠٩ (هبا)، «المعجم الوسيط» ٩٨٠ (هبأ).

(٤) (المسائل): ساقطة من: (ج).

(٥) في (ج): (من).

(٦) في (د): (تكون). وفي (ج): مهملة في النقط.

(٧) في (د): (اانتم). وقد وردت هذه المفردة في الآية ١٤٠ من سورة البقرة، و١٧ من الفرقان، و٥٩، ٦٤، ٦٩، ٧٢، من الواقعة، و٢٧ من النازعات.

(٨) في (ب): (آاالذكرين)، (د): (الذكرين). وهي مقطع من الآيتين ١٤٣، ١٤٤ من سورة الأنعام.

عمرو[١].

فإن قيل: إن الألف إنما تدخل للفصل بين المِثْلين، واجتماع المِثْلين قد زال ههنا بإبدال الهاء من الهمزة[٢]، فلا يُحتاج إلى الألف؛ ألا ترى أنَّ من قال: (هَراقَ)، قال: (أُهْرِيق)، ولم يحذف[٣] الهاء مع الهمزة، كما يحذف[٤] إذا قال: (أُرِيق)؛ لزوال اجتماع المثلين؟ قيل: إن البدل قد يكون في حكم المُبدَل عنه، ألا ترى أنَّك لو سميت رجلًا: بِ(هَرِق)، لم تصْرفْهُ كما لا تصرفُ مع الهمزة؛ لأن حكم الهاء حكم الهمزة، وكذلك في كثير من المواضع، البَدَلُ يكون في حكم المُبدَلِ عنه.

وقرأ أهل الكوفة[٥]: (ها أنتم)[٦] بالمدِّ في (ها)، وتحقيق الهمزة في (أنتم)، ويكون[٧] (ها) في قولهم، حرف التنبيه، ولا يكون الهاءُ بدلًا من همزة الاستفهام، كما يجوز[٨] أن يكون بدلًا منها في قراءة أبي عمرو؛ ولأنهم[٩] لا يرون إدخال الألف بين الهمزتين.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» ١٦٥، «الكشف» ١/ ٣٤٦، «النشر» ١/ ٣٦٤.
(٢) في (د): (الهمز).
(٣) (ب)، (ج): (تحذف).
(٤) في (ب): (تحذف).
(٥) يعني بهم: عاصم، وحمزة، والكسائي، وهم من أهل الكوفة، وقرأ بها كذلك ابن عامر. انظر: «السبعة» ٢٠٧، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٤٦.
(٦) في (د): (هانتم).
(٧) من قوله: (ويكون ..) إلى (.. إدخال الألف بين الهمزتين): نقله مع التصرف عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥١.
(٨) في (ج): (لا يجوز).
(٩) في (ج): (لأنهم) بدون واو.

فإن قيل: ما وجه التنبيه[١] بـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ مع أنه لا يُنبَّهُ الإنسان على نفسه، وإنما يُنبَّه على ما أغفله؟. قيل: إنَّ التنبيه[٢] وإن كان على ما أغفله من حاله فإنه يُنبِّه بذكر ما يعلم على ما لا يعلم، فلذلك خرج التنبيه على النفس؛ والمعنى: على حال النفس.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾. في موضع النداء؛ يعني: يا هؤلاء[٣]. وقد ذكرنا زيادة بيان عند قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿حَٰجَجْتُمْ﴾. أي: جادلتم، وخاصمتم[٤]. ويُسَمَّى الجدال بِحُجَّةٍ أو شبهة: حِجاجًا؛ لأن صاحب الشبهة[٥] يُوهِم أن معه حُجَّة.

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾. قال السدِّي[٦]: هو ما وجدوه في كتبهم، وأنزل عليهم [بيانه][٧] وقصته[٨].

---

(١) في (د): (التثنية).

(٢) في (ج): (قيل خرج التنبيه).

(٣) لا يجوز عند البصريين حذف حرف النداء من أسماء الإشارة، وأجازه الكوفيون. انظر: «كتاب سيبويه» ٢/ ٢٢٩، «المقتضب» ١/ ٢٥٨، «شرح المفصل» ٢/ ١٥، «التبيان» (١٩٥)، في الآية وجوه أخرى من الإعراب، استوعبها السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٢٤٠-٢٤٢، وانظر نفس المرجع: ١/ ٤٧٤-٤٧٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٨٣، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٦.

(٥) في (ب): (المشبهة).

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٦ «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٢.

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في: (أ)، وفي (ب): (خبره). والمثبت من: (ج)، (د).

(٨) ونص قول السدي، كما في «تفسير الطبري» (أما الذي لهم به علم: فما حُرِّم عليهم، وما أمروا به، وأما الذي ليس لهم به علم: فشأن إبراهيم). ولعل المؤلف ساقه هنا بمعناه؛ أي: ما وجدوه محرما، وما أمروا به في كتبهم... الخ.

وقال آخرون[(١)]: يعني: في أمر محمد عليه السلام[(٢)]؛ لأنهم كانوا يعلمونه بما يجدون من نعته في كتابهم، وحاجُوا[(٣)] فيه بالباطل.

وقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾. أي: لِمَ تجادلون في شأن إبراهيم، وليس في كتابكم أنَّه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، والله يعلم شأن إبراهيم، وأنه لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، وأنتم لا تعلمون. فينبغي أن [تلتمسوا][(٤)] حقَّهُ من باطله؛ إذ لا تعلمون أنه كان يهوديًّا ونصرانيًا. ثم بيَّن حال إبراهيم، فقال:

٦٧- ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ الآية. نزَّهه وبرأه من الدِّينَينِ، ووصفه بدين الإسلام.

واليهودية والنصرانية صفتا ذَمٍّ، ما تعبَّد[(٥)] بهما قط؛ [لأنَّ موسى لم يكن يهوديا[(٦)]][(٧)]، وعيسى لم يكن نصرانيًا، مع قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

فاليهودية[(٨)] مِلَّةٌ محرَّفة عن شريعة موسى، والنصرانية مِلَّةٌ مُحرَّفةٌ عن

---

(١) قد يعني بهم: قتادة، وأبي العالية، والربيع، فقد ورد عنهم في معناها: (فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم). انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٢، والذي شهدوه ورأوه وعاينوه هو أمر النبي ﷺ ورسالته.

(٢) في (د): (صلى الله عليه وسلم).

(٣) في (ج)، (د): (فحاجوا).

(٤) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). ومثبت من بقية النسخ.

(٥) في (ج): (لم يتعبد).

(٦) (لم يكن يهوديا): ساقطة من (ب).

(٧) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ)، ومثبت من بقية النسخ.

(٨) في (ج): (واليهودية).

شريعة عيسى عليهما السلام.

فإن قيل: الله تعالى أخبر[١] أن[٢] إبراهيم كان[٣] مُسْلِمًا، فهل كان إبراهيم على جميع ما نحن عليه من شريعة الإسلام؟ قيل: إنه كان مسلما، وإن كان على بعض شريعتنا؛ لأنَّ تلاوة القرآن واجبة في صلاتنا، ولم ينزل القرآن إلاَّ على نبينا ﷺ[٤]، والدليل على أنه كان مسلما بإقامة بعض الشريعة: أن أصحاب النبي ﷺ كانوا مسلمين في الابتداء قبل استكمال الشريعة[٥].

٦٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾. أَوْلَى: أَفْعَل؛ من (الوَلْي)؛ الذي هو: القُرْبُ[٦]؛ أي: أقرب الناس إلى إبراهيم، وأحقهم به: الذين[٧] اتَّبعوه على دينه ومِلَّتِه. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾. يعني: محمدًا عليه السلام. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. يعني: بمحمد[٨] ﷺ. من المهاجرين والأنصار والتابعين.

قال الزجاج[٩]: أي: فهم الذين ينبغي أن يقولوا: إنَّا على دين

---

(١) في (ب): (أخبر الله تعالى).

(٢) في (ج): (عن).

(٣) في (ج): (أنه كان).

(٤) يعني المؤلف بقوله هذا: أن إبراهيم عليه السلام كان مسلما، وإن لم توافق فروع شريعته جميع فروع شريعتنا، حيث لا يمكن ذلك بوجه أصلا، فَمِنْ فروع شريعتنا: وجوب تلاوة القرآن في صلاتنا، ولم يكن ذلك من فروع شريعته؛ لأن معروف بديهة أن القرآن نزل على النبي محمد ﷺ، ولم ينزل على نبي غيره.

(٥) انظر بيان ذلك في «روح المعاني» ٣/ ١٩٦.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٤٨ (ولي)، «المجمل» ٩٣٦ (ولي).

(٧) في (ب)، (ج)، (د): (للذين).

(٨) في (ج)، (د): (لمحمد).

(٩) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٢٧، نقله عنه بنصه.

إبراهيم.

وفي هذا بيان أنَّ[١] الأَوْلَى بالإنسان: المُوافق له في دينه، دون ولده، ومن يرجع إليه في نسبه، ممن يخالفه في مذهبه، ولا يُعتَدُّ[٢] بالولادة أو نحوها من القرابة في عقد الولاية.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[٣]. الآية[٤].

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. أي: تَمَنَّت[٥]. وذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾[٦]. الآية[٧].

﴿طَّآئِفَةٌ﴾؛ الطائفةُ، معناها في اللغة: القطعة من كل شيء. يقال: (طائفةٌ من الناس)، (وطائفة من الليل)[٨].

---

(١) أن: ساقطة من: (ج).

(٢) في (ج) (د): (لئلا يعتبر).

(٣) سورة البقرة: ٢٥٧. ﴿... يخرجهم من ...﴾

(٤) (الآية): ساقطة من (د).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٥٠٠، «مفردات ألفاظ القرآن» ٨٦٠ (ودد).

(٦) سورة البقرة: ٩٦. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

(٧) (الآية): ساقطة من: (ج)، (د).

(٨) انظر (مادة: طوف) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤، «اللسان» ٥/ ٢٧٢٢. قال الراغب: (والطائفة من الناس: جماعة منهم، ومن الشيء: القطعة منه.. وقال بعضهم: قد يقع ذلك على واحدٍ فصاعدا). «مفردات ألفاظ القرآن» ٥٣٢ (طوف). وبيَّن ابنُ فارس (أن كل جماعة يمكن أن تحفَّ بشيء فهي عندهم طائفة. ولا يكاد هذا يكون إلا في اليسير ثم يتوسعون في ذلك من طريق المجاز، فيقولون: أخذتُ =

قال بعض أهل اللغة: الطائفة: الفِرْقَة؛ سُمِّيَت بها لتصرفها في الإقبال والإدبار؛ كأنها تطوف[(١)]؛ كقولهم: (الإنسان[(٢)]، دَيُّور ودَيَّار)؛ لكثرة دورانه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾. ولم يقل: أنْ يُضِلُّونكم؛ لأن (لو)[(٤)] أوفق مع التمني[(٥)]، فإنَّ[(٦)] قولك: (لو كان كذا)، تَمَنٍّ [منك][(٧)] تمنيته[(٨)] لِكَوْنِه[(٩)]. ومثله: قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ [البقرة:٩٦]، وقد مرَّ.

= طائفةً من الثوب؛ أي: قطعة منه. وهذا على معنى المجاز؛ لأن الطائفة من الناس، كالفرقة والقطعة منهم) «مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٣ (طوف).

(١) لم أقف على من قال بهذا القول، ولكن معناه صحيح، قال ابن فارس: (الطاء والواو والفاء، أصلٌ واحدٌ صحيح، يدل على دوران الشيء على الشيء وأن يحفَّ به) ثم قال: (فأما الطائفة من الناس، فكأنها جماعة تطيف بالواحد أو بالشيء). «المقاييس» ٣/ ٤٣٢ (طرف).

(٢) في (ج)، (د): (للإنسان).

(٣) في (ب): (مداراته). وفي «اللسان» (.. وما بالدَّار دُوريٌّ ولا ديَّار، ولا دَيُّورٌ على إبدال الواو من الياء ؛ أي: ما بها أحدٌ، لا يُستعمل إلا في النفي، وجمع الدَّيَّار، والدَّيُّور لو كُسِّرَ : دواويرُ) ٣/ ١٤٥٠ (دور). وانظر: «الزاهر» ١/ ٣٦٦، «الصحاح» ٢/ ٦٦٠ (دور). ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [سورة نوح: ٢٦]. وانظر: «تفسير أبي السعود» ٩/ ٤١.

(٤) في (ج): (أو).

(٥) في (ج): (المتمني).

(٦) في (ب): (وإن).

(٧) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج)، (د).

(٨) (تمنيته): ساقطة من: (ج)، (د).

(٩) انظر: «رصف المباني» ٣٦٠، «الجنى الداني» ٢٨٨.

والإضلال(١) في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد. يقال: (أضللتُ فلانا): إذا وجَّهته للضلال عن الطريق فلم ترشده.

نزلت هذه الآية في نَفَرٍ من اليهود. قال ابن عباس(٢): هم قُرَيظَة والنَّضير وبنو قَيْنُقاع؛ أرادوا أن يَسْتَنزِلوا(٣) المسلمين عن دينهم ويردوهم إلى الكفر(٤).

---

(١) من قوله: (والإضلال..) إلى (.. عن الطريق): نقله بنصه عن «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٢٨ (ضلل).
وقال الطبري: (والإضلال في هذا الموضع: الإهلاك)، ولم يختلف المعنى؛ لأن الإهلاك من نتائج الإضلال ولوازمه. وقد بيَّن الطبري نفسه هذا الأمر فقال في نفس الصفحة: (.. لو يصدُّونكم أيها المؤمنون عن الإسلام، ويصدونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر، فيهلونكم بذلك). «تفسيره» ٣/ ٣٠٤.
ولذا قال ابن عطية عن تفسير الطبري لهذه اللفظة بـ(الهلاك): (وهذا تفسير غير خاص باللفظة، وإنما اطَّرد له؛ لأن هذا الضلال في الآية اقترن به الهلاك، وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم). «المحرر الوجيز» ٣/ ١٦٣.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.
وقد أورد ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٠٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٨٨ عن ابن عباس أنَّ المقصود بالطائفة هم اليهود حين دعوا معاذ بن جبل، وعمار بن ياسر إلى دينهم.

(٣) في (د): (يستزلوا).

(٤) قيل: إن المقصود بـ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم النصارى، وبه قال سفيان بن عيينة، فقد ورد عنه قوله: (كل شيء في آل عمران من ذكر أهل الكتاب، فهو في النصارى).
أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٧١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٣٩، وزاد في نسبته إلى ابن المنذر.
ودفع هذا القول الشوكاني في «الفتح» ١/ ٣٥٢، وقال: (ويدفع هذا أن كثيرًا من خطابات أهل الكتاب المذكورة في هذه السورة، لا يصح حملها على النصارى =

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[(١)] لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم، وما يدعونهم إليه فيحصل عليهم الإثم بتمنيهم إضلال المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وما يعلمون أن هذا يضرهم، وما يضر المؤمنين.

٧٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الخطاب لليهود[(٢)]. وقوله: ﴿لِمَ﴾ أصلها: (لِمَا)؛ لأنها[(٣)] (ما) التي للاستفهام، دخلت عليها اللّام فحُذِفت الألِفُ استخفافًا؛ لأن حرف الجرِّ صار عِوَضًا منها، مع وقوعها طَرَفًا[(٤)]، تدل[(٥)] عليها الفتحةُ[(٦)]؛ وعلى هذا قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، و﴿فِيمَ

= البتة، ومن ذلك هذه الآيات)، ثم بيَّن أن المقصود بالطائفة هم: اليهود خاصة. وقيل: هم اليهود كما سبق أن رُوي عن ابن عباس، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٢٨٣. وذكر هذا القول بعض المفسرين دون عزو إلى قائل، ومنهم: البغوي في «تفسيره» ٢/ ٥٠، والواحدي في «أسباب النزول» (١١٠). وقال أبو حيان: بأن عليه إجماع المفسرين. انظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٨٨. وعلى هذين القولين تكون ﴿مِّنْ﴾ في الآية تبعيضية.

وقيل: هم اليهود والنصارى، ولفظ ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعمهم، وتكون حينها ﴿مِّنْ﴾ في الآية لبيان الجنس. وبه قال أبو سليمان الدمشقي، كما في «زاد المسير» ١/ ٤٠٤. وإليه ذهب الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٠٤، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٤١٩. ونقل ابن عطية عن مكي: أنهم يهود بني قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع، ونصارى نجران. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ١٦٤.

(١) إلى هنا انتهى ما وقفت عليه من نسخة (د).

(٢) وذهب الطبري: إلى أن الخطاب لليهود والنصارى. انظر: «تفسيره» ٣/ ٣٠٩، «المحرر الوجيز» ٣/ ١٦٤.

(٣) في (ج): (أنها).

(٤) في (ب): (ظرفا).

(٥) في (ج): (يدل).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٧-٤٢٨.

=

تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤].

والوقف على هذه الحروفِ يكون بالهاء[(١)]، نحو: (فِبْمَهْ)، و(لِمَهْ). ولا يجوز حذفُ الأَلِفِ [من (ما)، إذا كانت موصولة][(٢)]؛ لأن [الألِفَ في][(٣)] الموصولةِ [بِمَنْزِلَة حرفٍ في وسط الاسم؛ لأن الموصولة][(٤)] لا تتم[(٥)] إلا بِصِلَتِها، والطَّرَف[(٦)] أقوى على التغيير من وسط الاسم، كما قوي على التغيير بالإعراب[(٧)] والتنوين[(٨)].

وزعم الكسائيُّ[(٩)]، أن أصل (كَمْ)[(١٠)] كما، وهذا غلط منه عند

= ويجب حذفُ ألف (ما) بعد دخول حرف الجر عليها، مع إبقاء الفتحة دليلا عليها، إلَّا في الشعر، حال الضرورة الشعرية. انظر: «المغني» لابن هشام: ٣٩٣.
وذكر أبو حيَّان أن قوما يحذفون الألف من (ما) الاستفهامية في الوصل، فيقولون: (مَ صنعت؟). وذكر كذلك أن من العرب من يثبت الألف إذا دخل عليها حرف الجر، وقال: (وذلك قليل وقبيح). «ارتشاف الضرب» ١/ ٥٤٤، وانظر: «شرح المفصل» ٤/ ٨.

(١) في (ج): (كأنها). انظر في هذا المعنى: «شرح المفصل» ٤/ ٦، «ارتشاف الضرب» ١/ ٥٤٤.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٣) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٤) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٥) (لا تم) ساقطة من: (ج).
(٦) في (ب): (والظرف).
(٧) بالإعراب: في (أ) غير واضحة، وفي (ب): (للإقراب). والمثبت من: (ج).
(٨) في (ب): (وللتنوين). انظر في هذا المعنى «شرح المفصل» ٤/ ٩.
(٩) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٢٨، «الجنى الداني» ٢٦١ ونسب هذا الرأي للكسائي والفراء.
(١٠) أي: إن (كم) مركبة من: كاف التشبيه، و(ما) الاستفهامية محذوفة الألف، وسُكِّنت ميمُها لكثرة الاستعمال.

البصريين؛ لمخالفة[١] (كَمْ) (ما) في اللفظ، والمعنى؛ أما في اللفظ: فكان يجب أن تبقى الفتحة[٢] لتدل على الألِفِ، كما بقيت في (لِمَ) ونحوه. وأما في المعنى: فإن (كم) سؤالٌ عن العدد، و(ما) سؤال عن الجنس، فليس بينهما مشابهة، ولا لكاف التشبيه في (كَمْ) معنًى.

وقوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. يعني: القرآن[٣].

﴿وأنتم تشهدون﴾، قال قتادة[٤]، والربيع[٥]، والسُّدِّي[٦]: أي: تشهدون بما يدل على صحة القرآن من كتابكم؛ لأن فيه نعت محمد وذكره.

وقيل[٧]: ﴿وأنتم تشهدون﴾ بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها. فحذف من الكلام ما يشهدون به ويقرون؛ لأن الكلام كان توبيخًا، فَدَلَّ على: (وأنتم تشهدون بما عليكم فيه الحجة)، فحُذِف؛ للإيجاز، مع الإستغناء عنه بالتوبيخ.

والحجة عليهم: إقرارهم بالبشارة لمحمد ثم الكفر به، والإقرار بمثل

---

(١) (لمخالفة): غير واضحة كاملًا في (أ)، وفي (ب): (لمحل أداة). والمثبت من: (ج).

(٢) في (ج): (العدد الفتحة).

(٣) ممن قال بهذا: مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٢٨٣. وفسر السدي (آيات الله) بـ(محمد ﷺ). وفسرها مقاتل بن حيان بالحجج. أما الطبري، فقد فسرها بما أنزِل عليهم من كتب الله على ألسن أنبيائه.
انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٥٠٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٦.

(٤) قوله في «الطبري» ٣/ ٣٠٩، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٦.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

(٧) لم أقف على هذا القائل. وقد أورده الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٨٥٤، ولم يعزه إلى قائل.

آياته للأنبياء، ثم كفرهم بما جاء به محمد وجحدهم؛ فكان[١] ذلك مناقَضَةً منهم.

٧١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ذكرنا معنى (اللَّبْس) فيما تقدم[٢].

و(الحَق) ههنا: التوراة التي أنزل على موسى، و(الباطِلُ): ما كتبوه بأيديهم وغيروه وحرفوه من نعت محمد ﷺ، وخبره[٣]، في قول: الحسن[٤]، وابن زيد[٥].

وقال قتادة[٦]: لِمَ تخلطون[٧] الإسلام باليهودية والنصرانية؛ وذلك أنهم تداعوا إلى إظهار الإسلام في صدر النهار، والرجوع عنه في آخره؛ لتشكيك الناس فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ يعني أمر محمد ﷺ. قاله [قتادة][٨]،

---

(١) في (ج): (وكان).

(٢) عند تفسير الآية ٤٢ من سورة البقرة.

(٣) في (ب)، (ج): (وغيره).

(٤) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٧، «النكت والعيون» ٢/ ٤٠١ «زاد المسير» ١/ ٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٩١.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٠، «النكت والعيون» ٢/ ٤٠١، «زاد المسير» ١/ ٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٩١.

(٦) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٧، «زاد المسير» ١/ ٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٩١.

(٧) في (ب): (تختلطون).

(٨) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).
وقوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٧، «زاد المسير» ١/ ٤٠٥.

ومقاتل(١).

وقال عطاء(٢): يريد بـ﴿ٱلْحَقَّ﴾: النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني: تعلمون الحق، وأنه رسول الله، وأن الإسلام دين الله. ونظير هذه الآية: قوله في البقرة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾(٣) الآية.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية، قال الحسنُ(٤)، والسدِّيُّ(٥): تواطأ اثنا عشرَ حَبْرًا من اليهود، وقال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد ﷺ، في أول النهار، وارجعوا عنه في آخر النهار؛ فإنه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينهم ويشكوا فيه؛ إذا قلتم: نظرنا في كتبنا فوجدنا محمدًا ليس بذاك، وقال مجاهد(٦)، ومقاتل(٧)،

---

(١) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٨٤. وهو مروي كذلك عن: الحسن والربيع ومقاتل بن حيان انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٠ «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٧.

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وهو مروي كذلك عن: مجاهد والسدي، كما في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٠٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٦، ولا أرى فرقًا بين القولين، وقد جعلهما ابن أبي حاتم في «تفسيره» بمعنًى واحدٍ.

(٣) سورة البقرة: ٤٢ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٤) قوله في «تفسير البغوي» ٢/ ٥٣، «زاد المسير» ١/ ٤٠٥ «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٨، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٣، «زاد المسير» ١/ ٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٧٩، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ٧٥ وزاد انسبة إخراجه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٨٤، ولكن ليس فيه أن مرادهم بفعلهم هذا: التشكيك في أمر القبلة، بل جعله للتشكيك في نعت النبي ﷺ في التوراة، فقال: (وإذا كان العشي قولوا لهم: نظرنا في التوراة فإذا النعت الذي في التوراة ليس بنعت محمد ﷺ ..). وفي «تفسير البغوي» ٢/ ٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣ بنحو الذي عند المؤلف.

والكلبي[١]: قال بعض اليهود لبعض: أظهروا الإيمان بالذي[٢] [أنزل][٣] على محمد في أمر الكعبة، والصلاة إليها، أولَ النهار، ثم اكفروا به آخرَ النهار[٤]، وارجعوا إلى قبلتكم؛ لعلهم يَشُكُونَ فيرجعون إلى قبلتكم؛ فأطلع اللهُ نبيَّه على سرِّ اليهود ومكرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ قال ابن عباس[٥]: أول النهار. والوَجْهُ في اللغة: مُسْتَقْبَلُ كلِّ شيء؛ لأنه أول ما يُواجَهُ منه؛ كما يقال لأول الثَّوْبِ: (وَجْهُ الثوب)[٦].

روى[٧] ثعلب عن ابن الأعرابي: (أتيته بوجهِ نَهارٍ)، و(صدر نهار)،

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٢٣ عن قتادة والكلبي، أنهما قالا: (قال بعضهم لبعض: أعطوهم الرضى بدينهم أول النهار، واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أن قد رأيتم فيهم ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم). فليس في هذا الأثر ما يتعلق بأمر القبلة، وفي «تفسير البغوي» ٢/ ٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣، بنحو الذي عند المؤلف.

(٢) في (ب): (الذي).

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من: (ب، ج).

(٤) (ثم اكفروا به آخر النهار): ساقطة من: (ج).

(٥) أخرج قوله ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٦٧٩ بمعناه، ولفظه عنده: (قال: يكونون معهم أول النهار يمارونهم ويكلمونهم). وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٧٦ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر، وابن مردويه، والضياء في «المختارة».
وكذا ورد عنه في حديث آخر أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣١٢ حيث ورد ضمنًا تفسيره لـ(وجه النهار): بأوله، وقد فسره بذلك قتادة، والربيع، ومجاهد.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٢ (وجه).

(٧) في (ج): (وروي).
ومن قوله: (روي..) إلى نهاية بيت الشعر: نقله باختصار وتصرف عن «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٢ (وجه).

و(شباب نهار)؛ أي: أول النهار؛ وأنشد للربيع بن زياد[١]:

مَنْ كان مسرورًا بِمَقتَلِ مالِكٍ فَلْيَأتِ نِسْوَتَنا بِوَجْهِ نهارِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: عن دينهم[٣]. وقال الكلبي[٤]: إلى القبلة الأولى.

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ الآية.

---

(١) هو: الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان العَبْسي، شاعر جاهلي، وفارسٌ، وسيد من سادات قومه، يقال له الكامل، مات سنة (٣٠) قبل الهجرة.
انظر: «العمدة» لابن رشيق: ١/ ١٢٨، ٢/ ٨٨١، ٨٩١، «الأعلام» ٣/ ١٤.

(٢) ورد البيت منسوبًا له في «مجاز القرآن» ١/ ٩٧، «الحماسة» لأبي تمام: ١/ ٤٩٤، «الفاخر» للمفضل الضبي: ٢٢٣، «الطبري» ٣/ ٣١٢، «الدر المصون» ٣/ ٢٤٨، «خزانة الأدب» ٨/ ٣٦٩.
وورد غير منسوب في «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٢٤٩، «مجالس العلماء» ٢٣٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٢ (وجه)، «الموضح في التفسير» ٣٨، «تذكرة النحاة» ١٣٩، «اللسان» ١٣/ ٥٥٦ (وجه)، «التاج» ٩/ ٤١٨ (وجه).
والبيت ضمن أبيات قالها في مالك بن زهير العبسي الذي قتلته بنو فزارة، وبعده:
يَجِدِ النساءَ حواسِرًا يندُبْنَهُ يَلْطِمْنَ أوجُهَهُنَّ بالأسحارِ.
ومعناه: إن من سرَّه قتل مالك، فلْيأت لنا في أول النهار، ليَجدنا قد أخذنا بثأره مباشرة، وعلامة ذلك أن يجد النساء حواسرًا يندُبنه ويلطمن وجوههن بالأسحار، وذلك أن العرب لا تندب قتلاها إلا بعد أن تأخذ ثأرها.

(٣) وهو قول قتادة، والربيع، وابن عباس ومجاهد، وغيرهم. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٠.

(٤) لم أقف على مصدره. وقد ورد في «البغوي» ٢/ ٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٣.
والذي في «تفسير عبد الرزاق): ١/ ١٢٣ عنه وعن قتادة قالا: (.. وهو أن يرجعوا عن دينهم).

قتادةُ[١]، والرَّبيعُ[٢]، والسُّدي[٣]، والحسنُ[٤]، وابن زيد[٥]، وأكثرهم: على أن هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض؛ والمعنى: لا تصدِّقوا إلا لِمَن تبع دينكم اليهودية، وقام بشرائعكم.

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ من: العلم، والحكمة، والكتاب، والحجة، والمَنِّ والسَّلْوَى، والفضائل والكرامات. والتقدير:[٦] لا تُصَدِّقوا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، إلا لِمَنْ تبع دينكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ اعتراضٌ بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله تعالى.

قال ابن عباس[٧]: ومعناه: إنَّ الدينَ دينُ اللهِ. ومثله في سورة البقرة: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾[٨] [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ التقدير: (بأن يُؤتى)؛ لأن الإيمان

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٣.
(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٤.
(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨١، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٠.
(٤) لم أقف على مصدر قوله وهو في «زاد المسير» ١/ ٤٠٦، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٠.
(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٤، «النكت والعيون» ١/ ٤٠١.
(٦) في (ج): (ولا).
(٧) لم أقف على مصدر قوله، وفي «تنوير المقباس» ١/ ٥٠ (إنَّ دينَ الله هو الإسلام، وقبلة الله هي الكعبة).
(٨) في (ج): (قل إن الهدى هدى الله).

يتعدَّى بالجارِّ، فلمَّا حذفَ الجار من ﴿أَن﴾، كان موضع ﴿أَن﴾ على ما ذكرنا من الخلاف؛ في قول الخليل: يكون جَرًّا[(١)]، وفي قول سيبويه: يكون نصبًا[(٢)]. وقد ذكرنا هذا الخلاف في مواضع.

فأما اللَّام في ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فقال أكثر النحويين[(٣)]: إنها دخلت صِلَةً وتأكيدًا[(٤)]؛ كهي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾[(٥)]؛ والمعنى: رَدِفَكم. وأنشد ابن الأنباري[(٦)] على هذا:

ما كنتُ أَخدَعُ للخليلِ بِخُلَّةٍ حتى يكونَ ليَ الخليلُ خَدوعا[(٧)]

قال: أراد: ما كنت أَخدَعُ الخليلَ؛ فزاد اللَّام.

---

(١) في (ج): (خبرا).

(٢) انظر ما ذكره عند تفسير: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾، آية: ٣٩ من آل عمران.

(٣) منهم: الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٢٢، وابن شقير في «المحلى» ٢٣٨، والزجاجي، في «اللامات» ١٤٧.

(٤) حروف الصلة، هي حروف الزيادة، وأشهرها: الباء، الكاف، اللام، مِن. وتستعمل هذه الحروف أصلية، وأحيانًا زائدة. وهي لا تجلب معنى جديدًا، وإنَّما تؤكد وتقوي المعنى العام في الجملة كلها، سواء أكان المعنى العام إيجابًا أم سلبًا. انظر: «النحو الوافي» ٢/ ٤٤٩-٤٥٠، وانظر للتوسع في نقاش هذا الأمر في «سر صناعة الإعراب» ١٢٠ وما بعدها، «شرح المفصل» ٨/ ١٢٨.

(٥) [سورة النمل: ٧٢]. ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.
وممن قال بزيادتها: الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٢٢، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٣١٤، وابن شقير في «المحلى» ٢٣٨، والزجاجي في «اللامات» ١٤٧.

(٦) لم أقف على مصدره. وقد أورده ابنُ الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٠٧.

(٧) لم أقف على قائله فيما رجعت إليه من مصادر. وقد ورد في «زاد المسير» ١/ ٤٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

وقال الآخر:

يَذمُّونَ للدنيا[١] وهم يَحْلِبونها أَفَاوِيقَ[٢] حتى ما يَدُرُّ لها ثُعْلُ[٣]

أراد: يذمون [الدنيا. فأكَّدَ الكلامَ باللَّام. ويُروى: (يَذُمُّونَ لِي الدنيا) بالياء.

وقال][٤] أبو علي الفارسي[٥]: (الإيمان) لا يتعدَّى إلى مفعولين،

---

(١) في (ج): (لي الدنيا).

(٢) في (أ)، (ب): فاويق. والمثبت من: (ج)، ومصادر البيت.

(٣) في (أ): (نَعل). وفي (ب): (حتى لا يدرها نعل)، والمثبت من: (ج) ومصادر البيت.

والبيت لعبد الله بن همام السلُولي. وقد ورد منسوبًا له، في «إصلاح المنطق» ٢١٣، «الكامل» ١/ ٥٥، «الصحاح» ١٦٤٦ (ثعل)، والمخصص: ١٥/ ٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٨٥٧ (وضع)، ٦/ ٣٤٨٧ (فوق)، ١/ ٤٨٤ (ثعل).

وورد في «المخصص» ١/ ٢٥ ونسبه لهمام بن مرة.

وورد غير منسوب، في «مجالس ثعلب» ٤٤٧، «جمهرة اللغة» ٧٤٦ (وضع)، «التهذيب» ٢/ ١٤١٨ (رضع)، ١/ ٤٨٢ (ثعل)، «معجم المقاييس» ٢/ ٤٠١ (رضع)، و«المجمل» ٣٨٠ (رضع)، «زاد المسير» ١/ ٤٠٧، «الدر المصون» ٣/ ٢٥٠.

وفي كل المصادر السابقة ما عدا «زاد المسير» ورد: (وذمُّوا لنا الدنيا وهم يرضِعُونها..)، وفي «معجم المقاييس» (.. الثُّعْلُ)، وفي «الدر المصون» (ويروى: (بالدنيا) بالباء.

و(الثُعْل)، و(الثَّعْل)، و(الثَّعَل): زيادة في حَلَمات الناقة والشاء والبقر.

وقيل: هو خِلْفٌ زائدٌ في أخلاف الناقة وضرع الشاة.

انظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٨٧ (فوق)، ١/ ٤٨٤ (ثعل).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٥) في «الحجة» له: ٣/ ٥٣. نقله عنه بالمعنى.

فلا يجوز أيضًا أن يَتعَلَّقَ(١) بجارَّيْنِ، وقد تعلق بالجارِّ المحذوف من قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾، فلا يتعلق باللَّام من(٢) قوله: ﴿لِمَن﴾، إلا أن يُحمَل (الإيمان) على معناه، فيَتَعدَّى إلى مفعولين، ويكون المعنى: ولا تقرُّوا بأنْ يُؤتَى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم، إلا لِمَن تبع دينكم؛ كما تقول: (أقررت لِزيدٍ بألف)، فيكون اللامُ متعلقًا بالمعنى، ولا تكون زائدةً(٣) على حَدِّ ﴿رَدِفَ لَكُم﴾(٤)، و﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ (أحَدٌ)(٦) إنَّما يُستعمل(٧) لتعميم النفي؛ كقولك: (ما رأيت أحدًا مِنَ الناس)(٨). وههنا دخل (أَحَدٌ) للنفي الواقع في

---

(١) في (ج): (تعلق).
(٢) في (ج): (في).
(٣) في (ج): (زيادة).
قال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤: (والأجود أن لا تكون اللام زائدة، بل ضُمِّن (آمَن) معنى أقَرَّ، واعترف، فتعدى باللام).
(٤) سورة النمل: ٧٢ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.
(٥) سورة يوسف: ٤٣. وقبلها: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.
قال العكبري: في «التبيان» (٤٧٢) (للرؤيا): اللام فيه زائدة، تقوية للفعل لمَّا تقدم مفعوله عليه، ويجوز حذفها في غير القرآن؛ لأنه يقال: عبَّرت الرؤيا).
(٦) (أحد): ساقطة من: (ج). وفي (أ)، (ب): (أحدًا بما).
ومن قوله: (أحد ..) إلى (.. لدخول النفي في أول الكلام): نقله بتصرف من «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٤-٥٥.
(٧) في (ج): (استعمل).
(٨) (أحدٌ) الذي يلازم النفي، تكون همزته أصلية، وهو وإن كان لفظه مفردا، إلا أنه يدل على الجمع ويفيد العموم. أما (أحد) الذي بمعنى واحد، فهمزته بدل من واو.

أول الكلام، وهو قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾؛ كما دخلت[1] (مِنْ) في صِلَةِ (أنْ يُنَزَّلَ) في قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٥]. فكما دخلت (مِنْ) في صلة (أنْ يُنَزَّلَ)؛ لأنه مفعول للنَّفي الَّلاحق لأوَّلِ الكلام[2]، كذلك دخل (أحدٌ) في [صِلَةِ (أنْ) في][3] قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾؛ لدخول النفي في أول الكلام. والكلام في معنى (أحد)، قد تقدم عند قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾؛ المعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجُّوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح دينًا منهم، فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله.

قوله: ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾، الضمير[4] فيه ضمير الجماعة، وهو خبر عن ﴿أحدٌ﴾ في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾، وجاز ذلك؛ لأن الأسماء المنفردة قد تقع للشياع[5] في المواضع التي يراد بها الكثرة؛ كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[6]، وقوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[7] [الفرقان: ٧٤]، وقوله:

---

(١) (دخلت): ساقطة من: (ج).

(٢) (الكلام): ساقطة من: (ج).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٤) من قوله: (الضمير ..) إلى: (.. للمتَّقين إماما): نقله بالمعنى من «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٧.

(٥) يريد بالشياع: الجمع والعموم، وشمول اللفظ المفرد لأكثر من فرد.

(٦) سورة غافر: ٦٧. وقد وردت في (أ)، (ب)، (ج): (ويخرجكم).
والشاهد في الآية: أن (طفلا) بمعنى أطفال، وأفرد اللفظ وأراد به الجنس.
انظر: «تفسير أبي السعود» ٧/ ٢٨٣، «تفسير البيضاوي» ٢/ ٣٤٥.

(٧) الشاهد هنا إفراد لفظ (إمام) ليدل على الجنس.
انظر: «تفسير أبي السعود» ٦/ ٢٣١، «تفسير البيضاوي» ٢/ ٧٥.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[(١)].

وقد مضى مثل هذا في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾[(٢)].

وقرأ ابن كثير: ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾[(٣)] بالمدِّ[(٤)]. وعلى هذه القراءة يحتاج أن يستأنف الآية في بيان المعنى والنظم. فقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾؛ معناه على هذه القراءة: ما ذكره الزجَّاجُ، قال[(٥)]:

قالت اليهود بعضهم لبعض: لا تجعلوا تصديقكم للنبي ﷺ في شيء مما جاء به، إلا لليهود؛ أي: لا تخبروا أحدًا بصدق ما أتى به، إلا أن يكونَ منكم؛ فإنكم[(٦)] إن قلتم ذلك للمشركين كان[(٧)] عونًا لهم على تصديقه، ويكون معنى (الإيمان): الإقرار، كما ذكرنا، وأحد مفعوليه محذوف، والتقدير: لا تقروا إلا لليهود[(٨)] بصدق محمد.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ هو من كلام الله، معترض من كلام اليهود على ما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ ﴿أَن﴾[(٩)] في موضع رفع

---

(١) سورة الحاقة: ٤٧. والشاهد هنا: أن حاجزين جمع، وهو وصف لـ(أحد) الذي يدل على جماعة. انظر: «الكشاف» ٤/ ٥٥.

(٢) مقطع من آية ١٣٦ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، وآية ٢٨٥ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾. سورة البقرة.

(٣) في (ج): (أن يؤتى).

(٤) أي على الاستفهام. انظر: «السبعة» ٢٠٧، «الحجة» ٣/ ٥٢، «التيسير» ٨٩.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٠. نقله عنه بتصرف.

(٦) في (ج): (وإنكم).

(٧) في (ج): (كانوا).

(٨) في (ج): (اليهود).

(٩) من قوله: (أن في موضع..) إلى (.. إن أحدًا ووحدا وواحدا بمعنى): نقله عن=

بالابتداء[١]، ولا يجوز أن يُحمل على ما قبله؛ لقطع الاستفهام بينهما، وخبره محذوف؛ والمعنى: أأنْ[٢] يُؤتَى أحَدٌ، يا معشر اليهود، مثل ما أوتيتم من الكتاب والعلم، تصدقون به، أو تعترفون، أو تذكرونه لغيركم، أو تشيعونه في الناس؟ أو نحو هذا مما دلَّ عليه قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾. وهذا في قول من قال: (أزيدٌ ضربته)[٣]؟

ومن قال: (أزيدًا ضربته؟)، كان (أنْ) عنده في موضع نصب[٤].

ومِثْلُ حَذْفِ خبر المبتدأ لدلالة ما قبل الاستفهام عليه: حَذْفُ الفعل في قوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ [يونس: ٩١]؛ التقدير[٥]: آلآن أسلمتَ حين لا ينفعك الإيمانُ من أجل المعاينة؟. فحذف الفعل لدلالة ما قبل الاستفهام عليه. ومثل هذه الآية في المعنى: قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦] وبَّخ بعضهم بعضًا بالحديث بما علموه من أمر النبي ﷺ، وعرفوه من صفته.

= «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٥- ٥٧، نقل بعض عباراته بالنص، وتصرف في بعضها، واختصر في بعض المواضع.

(١) هذا التوجيه النحوي بناء على قراءة ابن كثير.

(٢) في (أ)، (ب): (آأن). وفي (ج): (ان). وما أثبتُّهُ هو الصواب.

(٣) فالاسم هنا واقع بعد همزة الاستفهام، وقد قال عنه السمين الحلبي: (وهو وجه مرجوح). «الدر المصون» ٣/ ٢٥٧.

(٤) فالفعل هنا مضمر بعد حرف الاستفهام، وقد استحسن هذا، وقال بوجوب اختياره، مكيٌ في «الكشف» ١/ ٣٤٨ وقال: (فهو أقوى في العربية؛ لأن الاستفهام بالفعل أولى؛ لأنك عنه تستفهم، لست تستفهم عن شخص زيد، إنما تستفهم عن الفعل، هل وقع بزيد). وانظر: «الدر المصون» ٣/ ٢٥٧- ٢٥٨.

(٥) (التقدير): ساقط م: (ج).

ولعل ابن كثير اعتبر هذه الآية في قراءته[١].

فإن قيل: فكيف وجْهُ دخول ﴿أحدٌ﴾ في هذه القراءة، وقد انقطع من النفي [بِلحاقِ][٢] الاستفهام[٣]، وإذا انقطع، كان[٤] الكلام إيجابًا وتقريرًا، فلا يجوز دخول﴿أحدٌ﴾؟

قيل: يجوز أن يكون ﴿أحدٌ﴾ في هذا الموضع (أحدًا) الذي في نحو: (أحدٌ وعشرون)، وهذا يقع في الإيجاب؛ ألا ترى أنه بمعنى واحد؟.

وقال أبو العباس[٥]: إن (أحدًا)، و(وَحَدًا)، و(واحدًا) بمعنًى.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ (أو) في هذه القراءة[٦] بمعنى: حتىَّ[٧]؛ ومعنى الكلام: أأن[٨] يُؤتَى أحدٌ مثل ما أوتيتم، تذكرونه لغيركم؛ حتى

---

(١) أي: اعتبر الآية السالفة ٧٦ من البقرة، حيث إنها في معنى قراءة ابن كثير. وقد سبق أن بينت أن القراءات المتواترة، لا تقوم على مقايسات ذوقية، ولا على اعتبارات لغوية، أو نظر عقلي، إنما هي سنَّةٌ متَّبعة، متلقاة بالسند الصحيح عن النبي ﷺ. وابن كثير أحد أئمة القرَّاء، الذين تلقت الأمة قراءتهم بالقبول، بعد أن تلقاها هو بالسند الصحيح عمَّن قبله من القراء المعتبرين، إلى النبي ﷺ. فهم اعتبروا السند الصحيح للقراءة قبل كل شيء؛ لأن الإسناد الصحيح في القراءات هو (الأصل الأعظم والركن الأقوم) كما قال ابن الجزري في «النشر» ١/ ١٠.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٦ ليتم ويصح بها المعنى.

(٣) في (ج): (والاستفهام).

(٤) (كان): ساقطة من: (ج).

(٥) هو أحمد بن يحيى، ثعلب. كما في «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٧.

(٦) أي: في قراءة ابن كثير.

(٧) قال الرماني: (وتضمر مع (أو) (أن)؛ وذلك إذا كان معناها معنى «حتى». كتاب «معاني الحروف» له: ٧٩. وانظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٧، «المقتضب» ٢/ ٢٨، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي: ٥٨.

(٨) في (ج): (أن).

يحاجُوكم عند ربكم؟.

قال الفرَّاء[١]: ومثله في الكلام: قولك: (تعلَّقْ به، أو يُعْطِيَكَ حقَّكَ)؛ أي: حتى. وقال امرؤ القيس:

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ[٢] مُلْكًا أو تَموتَ فنُعْذَرا[٣]

أي: حتى تموت. ومن هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران:١٢٨] وسنذكره إن شاء الله.

فهذا[٤] وجهٌ، وأجود منه: أن نجعله عطفًا على الاستفهام؛

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٣. نقله عنه بالمعنى. وانظر نفس المصدر ٢/ ٧٠-٧١.

(٢) في (ب): نجادل.

(٣) البيت في ديوانه: ٦٦. وقد نسبته إليه أكثر المصادر التالية: «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٨، «معاني القرآن» للفراء: ٢/ ٧١، «المقتضب» ٢/ ٢٨، «الزاهر» ٢/ ١٨٣، «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٥٨٤، «القطع والائتناف» للنحاس ٢٣٣، «معاني القرآن» له: ١/ ٢٤٣، وكتاب «حروف المعاني» للزجاجي: ٥٨، «اللامات» للزجاجي: ٦٨، «معاني الحروف» للرماني: ٧٩، «الخصائص» ١/ ٢٦٣، «الموضح في التفسير» ٣٨، «أمالي ابن الشجري» ٣/ ٧٨، «شرح المفصل» ٧/ ٢٢، ٣٣، «تفسير القرطبي» ٤/ ١١٣، «رصف المباني» ٢١٢، «منهج السالك» ٥٥٨، «الخزانة» ٨/ ٥٤٣.

وقد ورد في كل المصادر السابقة: (.. أو نموتَ فنُعذَرا).

والبيت من قصيدة له، وقبله:

بَكَى صاحبي لمَّا رأى الدربَ دونه وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا

وصاحبه هو عمرو بن قميئة الذي استصحبه معه في ذهابه إلى القيصر، لاستنصاره على قتلة أبيه واستعادة ملكه، فلما توسطوا الدرب بين بلاد العرب وبلاد الروم، وأيقن صاحبه أنهما لاحقان بقيصر، حنَّ إلى بلاده فبكى، فقال له الشاعر هذا القول.

والشاهد فيه: قوله: (أو نموت..)؛ بمعنى: حتى نموت.

(٤) في (ب): (وهذا).

والمعنى: أنْ يؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم، أو يُحاجَّكم[١] أحدٌ عند الله، تصدِّقون به؟.

وهذه الآية من مشكلات القرآن، وأصعبه تفسيرًا، ولقد تدبَّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية، فلم أجدْ قولًا يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى، وصحة النظم. وقد يسر الله تعالى بفضله ههنا سوق الآية في القراءتين على تفسيرٍ بيِّن، ونظمٍ صحيحٍ، وله المنة في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس[٢]: يريد: ما تفضَّل به عليك، وعلى أمَّتك.

٧٤- قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال الحسن[٣]، ومجاهد[٤]، والربيع[٥]: بنُبُوَّتِه. وقال[٦] ابن عباس: بدينه[٧].

---

(١) في (ب): (يحاجوكم).

(٢) لم أقف على مصدره. وفي «زاد المسير» ١/ ٤٠٨: (قال ابن عباس: يعني النبوَّة، والكتاب، والهدى). وهو بمعنى ما ذكره المؤلف عنه.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «النكت والعيون» ٢/ ٨٥٧، «تفسير القرطبي» ٤/ ١١٥، «البحر المحيط» ٢/ ٤٩٧.
والذي أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٣٤٥ عن الحسن قوله: (برحمته: الإسلام، يختص بها من يشاء).

(٤) قوله في «تفسيره» ١٢٩، «تفسير الطبري» ٦/ ٥١٧، ٥١٨، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٣٤٥، «النكت والعيون» ٢/ ٨٥٧، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٢٣، «زاد المسير» ١/ ٤٠٨، «الدر المنثور» ٢/ ٧٦ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٢، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٢.

(٦) في (ج): (قال).

(٧) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه. والذي في «زاد المسير» ١/ ٤٠٨، «البحر المحيط» ٢/ ٤٩٧ قوله: (إنها الإسلام).

وقال ابن جريج[(١)]: بالقرآن والإسلام.

[و][(٢)] قال عطاء[(٣)]: يريد: اختصَّك وتفضل عليك وعلى أمَّتِك، بدينه ورحمته.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾.[(٤)] على أوليائه وأهل طاعته.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾. لأنه لا شيء أعظم عند الله من الإسلام.

والفَضْلُ في اللغة: الزيادة. وأكثر ما يُستعمل في زيادة الإحسان[(٥)].

والفاضل: الزائد على غيره في خصال الخير. ثم كثر استعمال الفضل حتى صار لكل نفعٍ قَصَد به فاعلُهُ أن ينفع صاحبَهُ.

٧٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ﴾ الآية.

قال عُظْمُ[(٦)] أهلِ التفسير: أخبر الله تعالى في هذه الآية اختلاف أحوال أهل الكتاب، في الأمانة والخيانة؛ ليكون المؤمنون على بصيرة في ترك الركون إليهم؛ لاستحلال أموالهم[(٧)].

قال[(٨)] مقاتل[(٩)]: يعني بـ(الذي يُؤَدِّي): مؤمني أهل الكتاب؛

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٦، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٢، «زاد المسير» ١/ ٤٠٨، «تفسير القرطبي» ٤/ ١١٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٧.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) (والله): ليس في (ج).

(٥) انظر (فضل) في «مقاييس اللغة» ٤/ ١٠٨، «اللسان» ٦/ ٣٤٢٨.

(٦) (عُظْمُ الشيء، ومُعْظَمُهُ): جُلُّهُ وأكثرُه. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٤ (عظم).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٧.

(٨) في (ج): (وقال).

(٩) في «تفسيره» ١/ ٢٨٥ نقله عنه بالمعنى.

وبـ (الذي لا يُؤَدِّي): كُفَّارَهم.

وقال ابن عباس في رواية الضحاك[1]: أودع رجلٌ عبدَ الله بن سَلامَ ألفًا ومائتي أوقية من ذهب، فأدَّاهُ إليه، فمدحه الله ﷻ. وأودع رجلٌ فنحاصَ[2] بن عازورا[3] دينارًا فخانه.

وقوله تعالى: ﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾.

يقال: (أمنتهُ بكذا، وعلى كذا)، كما يقال: (مررت به، وعليه)[4].

فمعنى الباءِ: إلصاقُ الأمانة[5]. ومعنى (على): استعلاء الأمانة[6]. وهما يتعاقبان[7] ههنا لتقارب المعنى.

وفي قوله: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ وجوه من القراءة:

تسكين الهاء[8]، وهو رديء عند أهل النحو، خطأ عند

---

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه. وقد وردت في «تفسير البغوي» ٢/ ٥٦، «زاد المسير» ١/ ٤٠٨، «الخازن» ١/ ٣٠٩.

(٢) في (ب): (فيحاص).

(٣) وردت في المصادر التي رجعت إليها: (عازوراء) بمد وهمز. انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ٥٦، «زاد المسير» ١/ ٤٠٨، «تفسير القرطبي» ٤/ ١١٥.
وفنحاص، سَيِّد بني قَيْنُقاع اليهود، ومن أحبارهم، وعلمائهم. انظر: «سيرة ابن هشام» ١٣٧، ١٨٧، ٢٠١، «تفسير الطبري» ٧/ ٤٥٥.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٥٢٠).

(٥) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٣، «مغني اللبيب» ١٣٧.

(٦) انظر: كتاب «معاني الحروف» للرماني: ١٠٨، «مغني اللبيب» ١٩٠.

(٧) في (ج): (متعاقبان).

(٨) وهي قراءة أبي عمرو من رواية عبد الوارث واليزيدي عنه، وقراءة حمزة، وعاصم من رواية أبي بكر عنه. انظر: «السبعة» ٢٠٧- ٢١٢، «التبصرة» ٤٦١، «اتحاف فضلاء البشر» ص١٧٦.
والخلاف هنا في حال الوصل، أما في حال الوقف فلا خلاف على الإسكان.

الزجاج[١]؛ لأن الجزم[٢] ليس في الهاء وإنما هو فيما قبل الهاء، والهاء اسم[٣] المَكْنِي[٤]، والأسماء لا تجزم في الوصل[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» له: ١/ ٢٣٤.

(٢) في (ج): (الحرفو).

(٣) في (ج): (الاسم).

(٤) (المكني): ساقطة من: (ج).

(٥) ما ذكره المؤلف من كون هذه القراءة غير مرضية عند أهل النحو، وخطّأوها، فإنه لا يؤثر في صحة هذه القراءة، لأن القراءات المعتمدة قرآنٌ، فهي حجة على النحو واللغة، وليس النحو واللغة حجة عليها. وما النحو واللغة إلا أدوات خادمة لكتاب الله تعالى. يقول أبو عمرو الداني: (وأئمة القرَّاء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياسُ عربية ولا فشوُّ لغة؛ لأن القراءة سنَّة متَّبعة، يلزم قبولها والمصير إليها). «النشر» ١/ ١٠- ١١.
ويقول الفرَّاء: (والقُرَّاء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقبحنَّ عندك تشنيعُ مشَنِّع مما لم يقرأه القراء مما يجوز). «معاني القرآن» ١/ ٢٤٥.
فالقراءات (ما دام سندها الرواية، ودعامتها السماع، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى كالشعر وغيره؛ لأن رواة القراءات يتحرجُّون من عدم الدقة فيها، على حين لا يبالون بالحرج في غيرها؛ حينما تخون الحافظة، أو يستبد النسيان، أو يقع على الألسنة التحريف). «أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية» ٥٨.
أما ما يتعلق بهذه القراءة، وتخطئة الزجاج لها، فقد دفع هذا أبو حيَّان، فقال: (وما ذهب إليه أبو إسحاق من أن الإسكان غلط، ليس بشيء؛ إذ هي قراءة في «السبعة» وهي متواترة. وكفى أنها منقولة عن إمام البصريين أبي عمرو بن العلاء، فإنه عربي صريح، وسامع لغة، وإمام في النحو، ولم يكن ليذهب عنه جوازُ مثل هذا، وقد أجاز ذلك الفرَّاء، وهو إمام في النحو واللغة، وحكى ذلك لغةً لبعض العرب، تجزِمُ في الوصل والقطع. وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب أنهم=

وقال الفراء[1]: من العرب من يجزم الهاء، إذا تحرك ما قبلها، فيقول: (ضربتُهْ ضربًا شديدًا)، كما يسكنون ميم (أنتمْ) و(قمتمْ)، وأصلها الرفع، وأنشد:

لـمَّـا رَأَى أَنْ لا دَعَـهْ ولا شِـبَـعْ[2]

= يختلسون الحركة في هذه الهاء، إذا كانت بعد متحرك، وأنهم يسكنون أيضًا..).
«البحر المحيط» ٢/ ٤٩٩، وانظر: «الكشف» ١/ ٣٤٩.
وانظر ما سبق بيانه عند التعليق على توجيه المؤلف لقراءة نافع الواردة في قوله تعالى: ﴿فيكون طائرًا بإذن الله﴾ من آية: ٤٩، وعن تعليقي على توجيه المؤلف لقراءة ابن كثير لقوله تعالى: ﴿آن يؤتى﴾ من آية: ٧٣، والتعليق على كلام المؤلف حول القراءة الواردة بتسكين الهاء في قوله: ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ من آية: ٧٥.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٣، نقله عنه بتصرف.
وليس في هذا الموضع من كتابه بيتُ الشعر الآتي، وإنما ذكره الفراء في ١/ ٣٨٨ عند قوله: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾. الأعراف: ١١١.

(٢) صدر بيت من الرجز لمنظور بن حبة الأسدي، وقبله:

يـا رُبَّ أَبَّـازٍ مِـنَ الـعُـفْـرِ صَـدَعْ تـقَـبَّـضَ الـذِئْـبُ إليـهِ فـاجـتَـمـعْ.
لـمـا رأى أنْ لا دعـه ولا شـبـع مالَ إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فاضطجعْ.

وقد ورد في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٣٨٨، «إصلاح المنطق» ٩٥، «المحتسب» ١/ ١٠٧، «الخصائص» ١/ ٦٣، ٢٦٣، ٣/ ١٦٣، «المنصف» ٢/ ٣٢٩، والمخصص: ٨/ ٢٤، «شرح المفصل» ٩/ ٨٢، ١٠/ ٤٦، «اللسان» ١/ ٦ (أبز)، ١/ ٦٣ (أرط)، ٥/ ٢٥٥٤ (ضجع)، ٣/ ١٦٦٤ (رطا)، «أوضح المسالك» ٣/ ٣١٣، «المقاصد النحوية» ٤/ ٨٥٤، «التصريح» ٢/ ٣٦٧، «منهج السالك» ٤/ ٢٨٠، ٣٣٢، «الأشباه والنظائر» للسيوطي: ٢/ ٣٤٠، و«شرح شواهد الشافية»، للبغدادي (مطبوع في آخر «شرح الشافية»): ٤/ ٢٧٤.
والأبَّاز: القفَّاز، مِنَ (القَفْزِ). و(العُفر)، جمع: (عفْراء) أو (أعْفَر)، وهي مِن الظباء: التي يعلو بياضها حُمرة.
و(الصَّدَعُ): الوسط من الوعول، ليس بالعظيم ولا الصغير. وقيل: هو الشيء بين=

وقرئ باختلاس[(١)] حركة الهاء، اكتفاءً بالكسرة من الياء[(٢)]، وأنشدوا على هذا:

أنا ابنُ كلابٍ[(٣)] وابنُ أوْسٍ فمَنْ يَكُنْ
قِنَاعُهُ مَغْطِيًا فإنِّي لَمُجْتَلِي[(٤)]

= الشيئين من أي نوع كان.

يصف الذئب بأنَّهُ تقبَّضَ؛ أي: جمع قوائمه ليثب على الظبي. فلمَّا رأى الذئبُ أن لا مجال لإدراك الظبي والشبع منه ولا مجال للدَّعةِ -وهي الخفض ولين العيش-، فحينها مال إلى أرْطاةِ حِقْفٍ فاضطجع. و(الأرطاة): شجر ينبت في الرمل وجمعها: (أرْطَى). و(الحِقْف) بكسر الحاء وسكون القاف، وهو: المعوجُّ من الرمل، وجمعه: (أحقاف)، و(حُقوف)، و(حِقاف)، و(حِقَفَة).

انظر: «اللسان» ١/ ٦ (أبز)، ٤/ ٢٤١٤ (صدع)، ٢/ ٩٣٩ (حقف)، «شرح شواهد الشافية» ٤/ ٢٧٥- ٢٧٦.

والشاهد فيه هنا: إبدال تاء التأنيث في (دعه) هاءً، ومعاملة الكلمة في الوصل كما تعامل في الوقف. واعترض السمين الحلبي على الفراء في إيراده هذا البيت شاهدًا في هذا الموضع؛ لأن الهاء في البيت هي هاء التأنيث، والكلام هنا عن هاء الضمير، وهاء التأنيث لاحظ لها من الحركة البتةَ. انظر: «الدر المصون» ٣/ ٢٦٤.

(١) اختلاس الحركة: الإسراع بها إسراعًا يحكم السامع له أن الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن. انظر: «التمهيد» لابن الجزري: ٥٩.
فالقارئ لا يكمل الحركة، بل يأتي بثلثيها فقط.

(٢) وهي قراءة نافع برواية الحلواني عن قالون عنه، وقراءة يعقوب وأبي جعفر من العشرة. انظر: «المبسوط» لابن مهران: ١٤٥، «حجة القراءات» ١٦٧، «إتحاف فضلاء البشر» ص١٧٦.

(٣) جاءت في (أ)، (ب)، (ج): (حلاب). والمثبت من مصادر البيت.

(٤) لم أقف على قائله، وقد ورد في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٢٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٧٨ (غطى)، «الصحاح» ٢٤٤٧ (غطا)، «الإنصاف» ٤٠٧، «اللسان» =

وقُرئ بإشباع الكسرة في الهاء، وهو الأصل[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾.

أي: بالإلحاح[(٢)] والخصومة والتقاضي والمطالبة. عن ابن عباس[(٣)] وقتادة[(٤)] ومجاهد[(٥)].

قال ابن قتيبة[(٦)]: أصله: أن المطالب للشيء، يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه. دليله: قوله [عز وجل][(٧)]: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل

= ٦/ ٣٢٧٣ (غطى)، «الدر المصون» ٣/ ٢٦٤.

وقوله: (لمجتلي) وردت في «الإنصاف»، «اللسان»: (مجتَلى)، وفي «معاني القرآن»: (لمجتلَى) بفتح اللام وفي «الإنصاف» «اللسان» لم تضبط اللام وما بعدها بالشكل. وما في المخطوط موافق لما في «التهذيب»، «الصحاح»، «الدر المصون».

وقوله: (مَغْطِيًا)؛ من: (غَطَيتُ الشيءَ): سترته، (أغْطِيهِ غَطْيًا)، فـ(هو مُغْطِيٌّ)، وهي بمعنى: (غطَّى يُغَطِّي). ويقال: (فلانٌ مَغْطيُّ القِناعِ): إذا كان خامل الذِّكْرِ.

وقوله: (مُجتلي)؛ أي: نابه الذكْرِ محمود الأثر. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٧٣ (غِطى).

والشاهد في البيت: اختلاس ضمةِ الهاء في (قناعُهُ)، وعدم إشباعها حتى تنشأ عنها واو.

(١) وهي قراءة عاصم برواية حفص، وقراءة ابن كثير، والكسائي، ونافع من رواية ورش عنه، ورواية الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عنه، وقراءة ابن عامر.

انظر: «السبعة» ٢٠٧- ٢١٢، «المبسوط» لابن مهران: ١٤٥.

(٢) في (ج): (باالالجاج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «تفسير البغوي» ٢/ ٩٢.

(٤) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٣، «الطبري» ٣/ ٣١٧، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣، «زاد المسير» ١/ ٤٠٩.

(٥) قوله في «تفسيره» ١٢٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٣١٧، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣، «زاد المسير» ١/ ٤٠٩.

(٦) في «تأويل مشكل القرآن» ١٨١. نقله عنه بتصرف واختصار.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

عمران: ١١٣]؛ أي: عاملة بأمر الله، غير تاركة. ثم قيل لكل من واظب على مطالبة أمر: (قامَ به)، وإن لم يكن ثَمَّ[١] قيامٌ. ومثله قال ابن الأنباري[٢] وأنشد[٣] للأعشى:

يقومُ[٤] على الوَغْمِ في قومِهِ فَيَعْفُو إذا شاءَ أوْ يَنْتَقِمْ[٥]

أراد: يحققه ويتمسك بالمطالبة به، وليس ثَمَّ قيامٌ على الرِّجْل.

وقال أبو علي الفارسي[٦]: (القيام) في اللغة بمعنى: الدوام والثبات. وذكرنا ذلك في قوله: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣]. ومِنْ هذا قولُه: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[٧]؛ أي: دائمًا ثابتًا، لا يُنسَخ كما نُسِخت الشرائعُ التي قبله. فمعنى

---

(١) في (ج): (تم).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) قد يكون الضمير في (أنشد) يعود على ابن الأنباري؛ لأنه أقرب متَحَدَّث عنه، وقد يرجع إلى ابن قتيبة؛ لأن المؤلف هنا ينقل كلامه، وابن قتيبة قد أنشد هذا البيت في هذا الموضع استدلالًا على المعنى الذي ذهب إليه، وحينها يكون قول المؤلف: (ومثله قال ابن الأنباري) جملةً معترِضَةً، وهو الذي أرَجِّحه.

(٤) في (ج): (نقوم).

(٥) البيت في ديوانه: ١٩٨، «تأويل مشكل القرآن» ١٨١، «النكت والعيون» ٢/ ٨٥٩. وقد ورد في «النكت»: (على الرَّغْم).
والشاعر يمدح قيس بن معديكرب. و(الوَغْم): الحقد الثابت في الصدر، والثأر، والقهر. انظر (وغم) في «العين» ٤/ ٤٥٦، «اللسان» ٨/ ٤٨٨٠، «القاموس» (١١٦٧).
ومعناه: يقوم مطالبًا بالثأر لقومه، ولا يقعد ولا يتوانى عن ذلك.

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) سورة الأنعام: ٦١. فُسِّر (قِيَما)؛ بمعنى: مستقيمًا. ولا منافاة بين التفسيرين. قال الآلوسي: (ولا فرق بين (القيم) و(المستقيم) في أصل المعنى، عند الكثير. وفسروا (القِيَم) بالثابت المقوم لأمر المعاش والمعاد، وجعلوا المستقيم) من:=

قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾؛ أي: دائمًا ثابتًا في اقتضائك له، ومطالبتك إياه.

ومن المفسرين من يجعل القيام ههنا حقيقةً. قال السدِّي[(١)]: يعني: إلا ما دمت قائمًا على رأسهِ[(٢)]، بالاجتماع معه، والملازمةِ له. وهو اختيار أبي رَوْق؛ قال[(٣)]: [يعترِف بما][(٤)] دفعت إليه، ما دمت قائمًا على رأسه، [فإنْ أنظرته وأخَّرت][(٥)]، أنكر وذهب به. والقول الأول: اختيار الفراء[(٦)] والزجاج[(٧)].

وقوله[(٨)] تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ أي: ذلك الاستحلال والخيانة، بأنهم يقولون: ليس علينا فيما اؤتُمِنَّا[(٩)] من أموال العرب سبيل؛ [لأنهم مشركون. فـ(الأميُّون) على هذا القول: العرب كلهم][(١٠)]. وهو[(١١)] قول قتادة[(١٢)] والسدِّي[(١٣)].

= استقام الأمر؛ بمعنى: ثبت.. وقيل: (المستقيم) مقابل (المعوج). والقِيَم: الثابت الذي لا ينسخ). «روح المعاني» ٨/ ٧٠. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١١١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٦٢ (قام).

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣.

(٢) في (ب): (على مطالبته).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (بعته ما). والمثبت من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٦) انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٢٢٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٤٣٣.

(٨) في (ب): (قوله).

(٩) في (ج): (أصبنا).

(١٠) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وساقط من: (ب). والمثبت من: (ج).

(١١) في (ب): (وهذا).

(١٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١١٧، و«ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣، «الدر المنثور» ٢/ ٧٧ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد.

(١٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ١١٧، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣.

وكانت اليهود تستحل ظلم من خالفهم في دينهم، وتقول(١): لا حرج علينا في جنس(٢) أموال العرب، قد(٣) أحلها الله لنا؛ لأنهم ليسوا على ديننا(٤).

و(٥) روي في الخبر: أنَّه(٦) لَمَّا نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: «[كذَّب الله أعداءَ اللهِ](٧)، **ما من شيء كان في الجاهلية، إلاَّ وهو [تحت](٨) قَدَمَيَّ، إلاَّ الأمانة؛ فإنها مُؤَدَّاةٌ إلى البَرِّ والفاجر»**(٩).

وقال ابن عباس في رواية عطاء(١٠): الأمِيُّون ههنا: أصحاب

---

(١) في (ب): (فتقول).

(٢) في (ب): (أخذ).

(٣) قد: ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (دين).

(٥) في (ب): (لما).

(٦) (أنه): ساقطة من: (ج).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، وبياض في (ب). والمثبت من (ج). إلا أن الحديث في كل مصادره التالية، ورد بلفظ: (كذب أعداء الله).

(٨) ما بين المعقوفين: غير مقروء تمامًا في (أ)، وبياض في (ب)، والمثبت من: (ج) ومصادر الخبر.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١١٧، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٨٣، والثعلبي ٣/ ٦٠ب، وابن كثير ١/ ٤٠١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٧٧ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد وابن المنذر. وقد أخرجه كلهم عن سعيد بن جبير مرسلا. وقال الشيخ أحمد شاكر عن إسناده إلى سعيد بن جبير: (وإسناده إليه إسناد جيد). هامش «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٣.

(١٠) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

النبي ﷺ، والمسلمون.

وهو قول: الحسن[(١)] ومقاتل[(٢)] وابن جريج[(٣)]، قالوا: إن اليهود كانوا استدانوا من العرب وبايعوهم، ولزمتهم الأثمانُ، فلمَّا أسلم أصحابُ الحقوق، [قالت][(٤)] اليهودُ حين تقاضوهم[(٥)] ليس لكم علينا شيءٌ؛ لأنكم تركتم دينكم، وتحولتم، فسقطت عنَّا ديونُكم، وادَّعوا أنَّ ذلك في التوراةِ، فكذبهم الله ﷻ، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. أنهم يكذبون.

٧٦- قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ في ﴿بَلَىٰ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه جواب متصل بالجَحْدِ المتقدم، وهو قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾، فقال الله ﷻ رادًّا عليهم[(٦)]: ﴿بَلَىٰ﴾؛ [أي: بَلَى][(٧)] عليهم سبيل في ذلك. وهذا اختيار الزجاج؛ قال[(٨)]: وعندي وقف التمام على ﴿بَلَىٰ﴾. وما بعده استئناف[(٩)].

(١) قوله في «النكت والعيون» ١/ ٤٠٣، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٦.
(٢) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٨٥.
(٣) قوله في «الطبري» ٣/ ١١٧، «ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٣، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٣.
(٤) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).
(٥) في (ب): (نقضوهم).
(٦) عليهم: ساقطة من (ج).
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).
(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٣٤. نقله عنه بالمعنى.
(٩) في (ب): (وما بعدها مستأنف).

والوجه الثاني: أن ﴿بَلَىٰ﴾ ابتداء كلامٍ، أتى به بيانا [وتصديقًا لما بعده][(١)]، وهي[(٢)] كلمة مصححة لحب اللهِ ﷻ، من اتَّقاهُ وعبدَه وخاف عقابه. وعلى هذا الوجه لا يحسن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾. مضى الكلام في معنى (الوفاء)، و(العهد)[(٣)].

قال المفسرون: أي: بما[(٤)] عهد[(٥)] اللهُ إليه في التوراة، مِنَ الإيمان بمحمد، والقرآن، وأداء الأمانةِ[(٦)].

والهاء[(٧)] في (عهده)، تعود على اسم الله، في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾. ويجوز أن تعود على ﴿مَّنْ﴾؛ لأن العهد مصدر يضاف إلى الفاعل وإلى المفعول[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ أي: الكفر[(٩)]، والخيانة، ونقض العهد. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. يريد: مَن كانت هذه صفته.

---

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، وفي (ب): (وفيت لما بعده). والمثبت من (ج).

(٢) في (ج): (هو).

(٣) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٤٠ .

(٤) في (ج): إنما. ومن قوله: (أي بما) إلى (.. الأمانة): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠ب.

(٥) في (أ)، (ب): (عاهد)، والمثبت من: (ج)، «تفسير الثعلبي».

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٠.

(٧) في (ج): (والفاء).

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠ب، «الدر المصون» ٣/ ٢٧١٠٢٧٠.

(٩) من قوله: (الكفر..) إلى (.. هذه صفته): نقله بتصرف يسير جدًّا عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٠ب.

٧٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية. أكثر أهل التفسير على أن هذه الآية نزلت في اليهود[١].

قال عكرمة[٢]: إن جماعة من علمائهم[٣] كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن محمد ﷺ، وبدَّلُوه، وكتبوا غيره بأيديهم من عندهم، فيما ادَّعوه أنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وحلفوا أنه من عند الله؛ لئلا تفوتهم الرِّشَى[٤] والمآكل.

ودليل هذا: قوله في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[٥] الآية.

---

(١) ممن قال بذلك: عكرمة كما سيأتي، ومقاتل، والكلبي، والحسن. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٨٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦١ب، «أسباب النزول» للمؤلف (١١٢)، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٤. ولم أقف على غيرهم قال بهذا القول. وفي الآية روايات أخرى صحيحة، تخالف هذا القول ذكرها المفسرون، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٦، «ابن كثير» ١/ ٤٠١، «الدر المنثور» ٢/ ٧٧.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢١، ٦/ ٥٢٨، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦١ب، «أسباب النزول» للمؤلف (١١٢)، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٦، «زاد المسير» ١/ ٤١١.

(٣) هم: أبو رافع، وكنانة بن أبي الحُقَيق، وكعب بن الأشرف، وحُيي بن أخطب. كما في المراجع السابقة.

(٤) الرِّشى بكسر الراء، وبضمها: جمع رَشْوة بفتح الراء وبضمها وبكسرها: وهي الجُعْل الذي يُتوصل به إلى الحاجة، وأصلها من الرِّشاء، وهو: الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، والمصدر: الرَّشْوُ. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٢/ ٢٢٦، «اللسان» ٣/ ١٦٤٨ (رشا).

(٥) سورة البقرة: ١٧٤. وهذه الآية نزلت في اليهود. انظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٩.

وقال ابن عباس في رواية باذان[١]: نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضَيْعَةٍ، فَهَمَّ المدَّعَى عليه أن يحلف، فنزلت هذه الآية، فَنَكَلَ المدَّعَى عليه عن اليمين، وأقر للمدَّعِي بحقه، ودفعه إليه[٢].

---

(١) في (ب): بانوان. ولم أقف على مصدر هذه الرواية. وباذان، هو: أبو صالح، مولى أم هانئ، يقال: باذان، وباذام. وقد سبق، ورواية باذان عن ابن عباس وردت في «تفسير الثعلبي» من طرق كلها عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) ورد عن ابن جريج أثر قريب من هذا القول أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٢٢: (قال [يعني أن جريج]: قال آخرون..) ثم ذكره. وملخصه: أن الأشعث بن قيس اختصم مع رجل في أرض، فطلب الرسول ﷺ من الرجل البيِّنة، فقال: ليس يشهد لي أحدٌ على الأشعث، قال: فلك يمينه. فقام الأشعث ليحلف، فأنزل الله هذه الآية، فنكل الأشعثُ، وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أن خصمي صادق. فردَّ إليه أرضه، وزاده من نفسه زيادة كثيرة.. قال الشيخ أحمد شاكر: (هذا حديث مرسل، لم يذكر ابن جريج من حدَّثه به، فهو ضعيف الإسناد). المرجع السابق. وورد في نزول هذه الآية أسباب أخرى، أصح من هذا الأثر، فقد ورد أنها نزلت في السبب التالي: (قال رسول الله ﷺ: «**من حلف يمين صبرٍ؛ ليقتطع بها مال امريء مسلم، لقيَ الله وهو عليه غضبان.**» فأنزل الله تصديق ذلك ﴿إن الذي يشترون بعهد الله .. ﴾ إلى آخر الآية. قال فدخل الأشعث بن قيس، وقال: فيَّ أنزِلَت، كانت لي بئر في أرض ابن عمٍّ لي، قال النبي ﷺ: «**بيِّنَتك أو يمينه**». فقلت إذًا يحلفُ يا رسول الله! فقال النبي ﷺ من حلف على يمين صبر ..). إلى آخره.

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ﴿إن الذي يشترون..﴾، واللفظ له، انظر: «فتح الباري» ٨/ ٢١٢. وأخرجه مسلم في «صحيحه» (١٣٨) كتاب الإيمان، باب: (وعيد من اقتطع حق مسلم). وأبو داود في «السنن» (٣٢٤٣) كتاب الأيمان والنذور، باب: (فيمن حلف يمينًا ليقتطع بها مالًا). والترمذي في «السنن» (٢٦٦٩) كتاب التفسير، باب: (ومن سورة آل عمران). وابن ماجه في «السنن» (٢٣٢٢) كتاب الأحكام، باب: (البيِّنة على المدَّعي). وأحمد في «المسند» ٥/ ٢١١، ٢١٢ وانظر: «المسند» شرح شاكر =

ومعنى ﴿يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون[1]. وذكرنا هذا في قوله: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾. جاز[3] أن يكون[4] إسماع الله جلَّ وعز أولياءَهُ كلامَهُ بغير سفير، خصوصيةً يَخُصُّ بها أولياءه، فهو لا [يكلم هؤلاء أصلا. ويكون المحاسبة معهم بكلام الملائكة.

= ٥/ ٢١٠ رقم (٣٥٩٧)، ٦/ ٥٨ رقم (٤٠٤٩). والبيهقي في «السنن» ١٠/ ١٧٨، وأبو داود الطيالسي في مسنده: ٣٥ رقم (٢٦٢)، ١٤١ رقم (١٠٥٠، ١٠٥١)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١/ ٢٣٤، والحميدي في مسنده: ١/ ٥٣ رقم (٩٥)، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٩٩، والطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٢٠ وفيه أن الخصومة كانت بين الأشعث وبين رجل من اليهود، وأخرجه ابن أبي حاتم في ٢/ ٦٨٦. وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿إن الذين يشترون.. ﴾ سببًا آخر عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: (أن رجلًا أقام سلعة في السوق، فحلف فيها: لقد أعطِيَ بها ما لم يُعطَهُ؛ ليوقع فيها رجلًا من المسلين. فنزلت ﴿إن الذين يشترون .. ﴾). انظر: «فتح الباري» ٨/ ٢١٣، وأخرجه كذلك الطبري ٦/ ٥٣٣، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٨٦. وقد وردت روايات أخرى، ولكنْ هاتان الروايتان أصح ما ورد، وعليهما الاعتماد، وهما نصَّان في السببيَّة، ولا يمتنع أن يتعدد السبب والنازل واحد. وقال الكرماني: (لعل الآية لم تبلغ ابن أبي أوفى إلا عند إقامته السلعة، فظنَّ أنها نزلت في ذلك، أو أن القصتين وقعتا في وقت واحد، فنزلت الآية). «فتح الباري» ١١/ ٥٦٠. ولكن هذا لا يمنع أن يدخل اليهود فيها؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معروف. وانظر بقية الروايات في «تفسير الطبري» ٦/ ٥٣٠- ٥٣٤.

(١) في (ب): يسترون: يستدلون.
(٢) في (ج): (واشتروا). سورة البقرة: ١٦ .
(٣) في (ب): (فإما).
(٤) من قوله: (أن يكون) إلى (لم ينقض ذلك) نقله عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٣٤ نقل بعض عباراته بالنص، وتصرف في بعض عباراته بالزيادة والاختصار.

وجائز أن يكون معنى][(١)] ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: لا يكلمهم بكلامٍ يَسُرُّهم. ونفى الكلامَ أصلًا؛ لأنه يتضمن[(٢)] معنى الغضب؛ كما يقال: (فلان لا يكلم فلانًا)، تأويله: أنه غضبان عليه، وإنْ كلمه بكلام سوء، لم ينقض ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾. أراد: نظر الرحمة؛ كما يقال: (نظر فلان لفلان)، و(نظر الأمير لرعيته): إذا رحمهم، وبهذا فسره ابن عباس، فقال[(٣)]: يريد: لا[(٤)] يرحمهم.

وروى جعفر بن سليمان الضُّبَعِي[(٥)] عن أبي عِمْران[(٦)] الجَوْني[(٧)]، أنه قال[(٨)]: ما نظر الله ﷻ إلى شيء إلاَّ رَحِمَه، ولو قضى أن ينظر إلى أهل النار لرحِمَهُم؛ ولكن قضى أن لا ينظرَ إليهم. ومضى الكلام في معنى تزكية الله.

---

(١) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٢) في (ج): (يضمن).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) في (ب): (ولا).

(٥) هو: أبو سليمان الحرشي البصري. قال عنه ابن حجر: (صدوق زاهد، لكنه كان يَتَشيَّع)، وعَدَّه من الطبقة الوسطى من أتباع التابعين، توفي سنة (١٧٨هـ). انظر الجرح والتعديل: ٢/ ٤٨١، «ميزان الاعتدال» ١/ ٤٠٨، «تقريب التهذيب» (٩٤٢).

(٦) في (ج): (أبي عمر).

(٧) في (ب): الجرني. وهو: أبو عمران، عبد الملك بن حبيب، البصري، الأزدي، الجَوْني. ثقةٌ، من التابعين، توفي سنة (١٢٨هـ) وقيل: بعدها. انظر: «الأنساب» ٢/ ١٢٥، «تقريب التهذيب» (٤١٧٢).

(٨) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٣أ، وقد أورده بسنده عنه.

٧٨- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾. يعني: من اليهود[١]. وفي هذا دليل: أن الآية المتقدمة نازلةٌ[٢] في اليهود، حيث عطف عليها بهذه [الآية][٣] التي هي[٤] نازلة فيهم بلا خلاف.

وقوله تعالى: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ﴾. قال مجاهد[٥]، وقتادة[٦]، والربيع[٧]، وابن جريج[٨]: يحرفونه[٩] بالتغيير والتبديل.

وأصل (اللَّيِّ): [الفَتْلُ؛ من قولك: (لَوَيْتُ يدَهُ): إذا فتلتها[١٠]، و][١١] تحريف الكلام [وتقليبه][١٢] عن وجهه، [و][١٣] لَيُّ اللِّسانِ به؛ لأن

---

(١) وهذا قول ابن عباس في رواية عطية، والربيع، وقتادة، وإليه ذهب الطبري، وابن كثير. وذهب الحسن، وابن عباس في رواية الضحاك: إلى أنهم أهل الكتاب كلهم. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٨، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٤ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٩، «زاد المسير» ١/ ٤١١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٠٤.

(٢) في (ب): (أولا).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

(٤) في (ب): (أنها).

(٥) قوله في «تفسيره» ١٢٩، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٩.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٩.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٨٩.

(٨) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٤.

(٩) في (ب): (يحرفون).

(١٠) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٤، قال: (وأصل (الليّ): الفَتْل، والقلب، من قول القائل: لوى فلانٌ يدَ فلان: إذا فتلها وقلبها).

(١١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وساقط من: (ب). والمثبت من: (ج).

(١٢) في (ب): وتقلبه. وقد جاءت في النسخ الثلاث: (وتقلبه). وما أثبتُّه من «تفسير الخازن» ١/ ٣١١؛ حيث نقل عبارة الواحدي، وفيها: (تقليبه) وهي الأليق بسياق الكلام.

(١٣) ما بين المعقوفين زيادة لازمة ليستقيم بها الكلام.

المُحرِّفَ[١] لَوَى لسانَهُ[٢] عن سَنَنِ[٣] الصواب، بما يأتي به من عند نفسه[٤].

ويحتمل أن يكون المعنى: يَلْوُونَ بألسنتهم الكتابَ[٥]؛ لأنهم[٦] يحرفون الكتاب عما هو عليه، بألسنتهم، فأتى به على القَلْب. والقَلْبُ سائغٌ في كلام العرب. ولهذا نظائر وأشباه.

وقوله تعالى: ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾. أي: لتحسبوا ما لَوَوا ألسنَتَهم به، وما حرفوه من الكتاب.

فرجعت[٧] الكناية[٨] إلى مفعول ﴿يَلْوُونَ﴾، وهو غير مذكور[٩] ولكن الفعل يدل عليه[١٠].

٧٩- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية. لمَّا ادعت اليهود والنصارى أنهم على دين إبراهيم، أخبرهم النبي ﷺ أنهم ليسوا على دينه، غضبوا، وقالوا: ما يرضيك منا يا محمد إلا أن نتخذك ربًّا ونعبدَك؟. فقال رسول الله ﷺ: «**معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير**

(١) في (ب): (الحرف).
(٢) (لسانه): ساقطة من (ج).
(٣) في (ب): (حسن).
(٤) بما يأتي به من عند نفسه: ساقط من (ب).
(٥) (بألسنتهم الكتاب): الكتاب: غير مقروء في (أ). وفي (ب)، (ج): (السنتهم بالكتاب)، ولا يستقيم بها المعنى. وما أثبتُّه من «تفسير الخازن» ١/ ٣١١؛ حيث نقل عبارة الواحدي هذه، وهي الأصح والأليق بسياق الكلام.
(٦) في (ب): (أي).
(٧) في (ب): (ورجعت).
(٨) الكناية، هي: الضمير؛ لأنه يكنى به أي: يرمز به عن الظاهر.
(٩) في (ج): (منكور).
(١٠) (وهو غير مذكور ولكن الفعل يدل عليه): ساقط من (ب).

الله، ما بذلك بعثني ربي». فأنزل الله ﷻ هذه الآية. هذا قول ابن عباس[١].

وقال الضحاك[٢]، ومقاتل[٣]: كانت النصارى تقول: إن عيسى إلهٌ معبودٌ، وزعموا أن عيسى قال لهم ذلك، فنزلت الآية فيهم.

فقوله[٤]: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[٥]؛ يعني: محمدًا ﷺ على قول ابن عباس. وعلى قول مقاتل، يعني: عيسى.

و(الحُكْم)[٦] في اللغة وفي التفسير: العلم والفقه؛ قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]؛ يعني: العلم والفقه.

و(الحُكْم): القضاء بالعدل[٧] أيضًا؛ ومنه قول النابغة:

واحْكُم كحُكْمِ فتاةِ[٨] الحَيِّ.[٩].. البيت.

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٤ ب، «أسباب النزول» للواحدي: (١١٦)، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٠٤، «لباب النقول» ٥٤، «الدر المنثور» ٢/ ٨٢ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٤ ب، «أسباب النزول» للواحدي: ١١٦، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٩، «زاد المسير» ١/ ٤١٣.

(٣) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٨٦، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٤ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٥٩ «زاد المسير» ١/ ٤١٣.

(٤) (فقوله): ساقط من: (ج).

(٥) في (أ): (وما).

(٦) من قوله: (والحكم..) إلى نهاية بيت الشعر: من قول الليث بن المظفر، نقله المؤلف بتصرف من «تهذيب اللغة» ٤/ ١١١.

(٧) في (ب): والعدل. في (ج): (بالعذاب).

(٨) في (ب): قناة. في (ج): (فتادة).

(٩) صدر بيت، وتمامه:

=

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾. عطف على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ما كان لبشرٍ أن يجمع بين هذين: بين النُّبُوَّة، وبين دعاء الخلق إلى عبادة غير الله.

قال الزجاج[١]: أي: اللهُ ﷻ لا يصطفي لنبوته الكَذَبَةَ[٢]، ولو فعل ذلك بشَرٌ، لَسَلَبَهُ الله ﷻ آياتِ النُّبُوّة، و[٣]علاماتها. ونصب ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾ على الاشتراك[٤] بين أن يُؤتِيَه وبين أن يقولَ[٥]؛ أي: لا يجتمع لنبي إتيانُ[٦]

= واحكم كحكم فتاةِ الحي إذْ نَظَرَتْ إلى حَمامٍ شِراعٍ واردِ الثَّمَدِ
وهو في ديوانه: ٣٤، وورد منسوبًا له، في «كتاب سيبويه» ١/ ١٦٨، والحيوان، للجاحظ: ٣/ ٢٢١، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥ (حكم)، «الصحاح» ٥/ ١٩٠٢ (حكم)، «أمالي ابن الشجري» ٣/ ٢٩، «اللسان» ٢/ ٩٥١ (حكم)، (١٠٠٦) (حمم)، «التصريح» ١/ ٢٢٥، «شرح شواهد المغني» ١/ ٧٥ .
ويروى: (.. سِراع) بدلًا من (شراع).
والشاعر هنا يخاطب النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه، ويطلب منه أن يحكم بالعدل في أمره، كما حكمت فتاةُ الحيِّ، وهي زرقاء اليمامة، المشهورة بحدَّةِ النظر، حيث نظرت إلى سرب حمام في الجو، فأحصتها، ولم تخطيء في عددها. و(شِراع): مقبلة على شِرعةِ الماء؛ أي: مَوْرِدِهِ. و(الثَّمَدِ): الماء القليل. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٢٣٨ (شرع)، «القاموس» ٢٧٠ (ثمد)، «شرح شواهد المغني» ١/ ٧٦-٧٧.
وقيل: إن معنى قوله: (احكم كحكم ..)؛ أي: كن حكيمًا كفتاة الحي؛ أي: إذا قلت فأصِبْ كما أصابت هذه المرأة في حكمها. انظر: «التهذيب» ١/ ٨٨٥.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٥، نقله عنه بتصرف.
(٢) في (ب): (مثل ذا) بدلا من (الكذبة).
(٣) الواو ساقطة من: (أ)، (ب). والمثبت من (ج)، و«معاني القرآن».
(٤) في (ج): (الإشراك).
(٥) في «معاني القرآن»: (يقول) بدون واو .
(٦) الأوْلى أن تكون (إيتاء النبوة) بدلًا من (إتيان)؛ لأن الإتيان: المجيء، وهو =

النُّبُوَّةِ والقولُ للناس: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾.

وقال صاحبُ النَّظْمِ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: نفيٌ، والنفي واقع غير موقعه؛ لأن التأويل ما كان لبشر يُؤتِيَه الله الكتابَ والحكمَ والنبوةَ. وقوله تعالى[١]: ﴿يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾[٢] صفة للنكرة[٣]؛ على تأويل: (ما كان لِبَشَرٍ يكون بهذه الحال، أن يقول للناس: كونوا عبادًا لي من دون الله).

فالمنفي[٤]: قوله: (أن يقول الناس). فلمَّا[٥] وقع ﴿أَن﴾ في غير موقعه، نسق[٦] عليه بـ﴿ثُمَّ﴾. ففي الآية تقديم حرف حقُّهُ أن يُؤَخَّرَ، ومثله من تقديم ما وجب أن يؤخر في النظم: قوله تعالى[٧]: ﴿ولولا رجالٌ مؤمنونَ ونِساءٌ مؤمناتٌ لَمْ تَعلمُوهُمْ أن تَطَؤوهم[٨]﴾ [الفتح: ٢٥]؛ التأويلُ: ولولا أن تطؤوا رجالًا مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ لم تعلموهم؛ أي: لم تعرفوهم.

وقوله تعالى: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِّي﴾. قال ابن عباس[٩]: هذه لغة

= مصدر: (أتى يأتي)، ومن مصادره أيضًا: (أتْيًا، وأُتِيًّا، وإتِياً، ومأتاة). أما قوله تعالى: ﴿يُؤْتِيهِ﴾، فهو من: (آتاه، يُؤْتيه)؛ أي: أعطاه، يعطيه. والمصدر: إيتاء. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١١٥ (أتى)، والسان: ١/ ٢١ (أتي).

(١) (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٢) في (ب): ﴿يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾.

(٣) (صفة للنكرة): ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (والمنفي).

(٥) في (ب): (وإنما).

(٦) أي: عطف. وحروف النسق، هي: حروف العطف.

(٧) (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٨) (أن تطؤوهم): ساقطة من: (ج).

(٩) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٥أ.

مُزَيْنَة(١)؛ تقول للعبيد: (عِبَاد)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾. أي: ولكن تقول: كُونُوا، فحذف القول؛ لدلالة الأولى عليه.

و(الرَّبّانِي): العالم، في قول كلهم.

أخبرني العَرُوضِيُّ، عن الأزهري، قال(٣): أخبرني المُنْذِري، عن أبي طالب(٤)، قال: الرَّبّاني: العالم. والجماعة(٥): الربّانِيُّون. وقال أبو

---

(١) قبيلة عربية مُضَرية عدنانية، كانت مساكنهم بين المدينة ووادي القرى. وقد قاتلت مُزينة مع النبي ﷺ في غزوة حنين، واشتركوا في فتح مكة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: «معجم قبائل العرب» ٣/ ١٠٨٣.

(٢) فرق الراغب بينهما، فجعل (العبد) بمعنى (العابد)، وجعل (العبيد) جمع (العبد) الذي هو مسترقٌّ. أي: أن (العباد) من العبادة، و(العبيد) من العبودية، وهي لا تمتنع أن تكون لغير الله. ثم قال: (فـ(العبيد) إذا أضيف إلى الله، أعم من (العباد)؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٩]، فنبه إلى أنه لا يظلم من يختص بعبادته، ومن انتسب إلى غيره من الذي تسموا بـ(عبد الشمس)، و(عبد اللات)، ونحو ذلك). «المفردات» ٥٤٣ (عبد). ويرى ابن عطية أن (العباد) (جمع (عبد)؛ متى سيقت اللفظةُ في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة، دون أن يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشأن)، وضرب لذلك أمثلة، منها: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [سورة البقرة: ٢٧]، و﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦]. «المحرر الوجيز» ٣/ ١٨٧، وانظر: «روح المعاني» ٣/ ٢٠٧.

(٣) قوله هذا في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٦.

ومن قوله: (قال ..) إلى (.. بصغار العلوم قبل كبارها): موجود مع اختلاف يسير في «التهذيب» ١٥/ ١٧٩.

(٤) هو: المفضَّل بن سَلمة بن عاصم، أبو طالب الضَّبِّي، تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (للجماعة).

العباس[١]: الربَّانِيُّون: العلماء.

وقال سيبويه: زادوا ألِفًا ونونًا في (الرَّبّاني)، إذا[٢] أرادوا تخصيصًا بعلم الرَّبِّ، دون غيره من العلوم، وهذا كما قالوا: (شَعْراني)، و(لِحياني)، و(رَقَباني): إذا خُصَّ بكثرة الشَّعْر، وطول اللِّحْيَة، وغِلَظ الرَّقَبَة. فإذا نسبوا إلى الشَّعْر، قالوا: (شَعْرِي)، وإلى الرَّقَبَة: (رَقَبِي)، وإلى اللِّحْيَة: (لِحْيِي)[٣].

وقال ابنُ الأعرابي: الرباني: العالم المُعَلِّم، الذي يَغْدُوا الناسَ[٤] بصِغار العلوم قبل كبارها.

وقال المبرد[٥]: الربّانِيُّون: أرباب العلم، وأحدهما: رَبّاني، وهو: الذي يَرُبُّ العِلم، ويَرُبُّ الناسَ؛ أي: يعلمهم ويصلحهم، ويقوم بأمورهم[٦].

والأَلِف والنُّونُ: للمبالغة؛ كما قالوا: (رَيّان)[٧]، و(عطشان)، و(شبعان)، و(عُرْيان)[٨]، و(نَعْسان)، و(وَسْنان)[٩]، ثم ضمَّت إليه ياءُ

---

(١) هو ثعلب كما في «تهذيب اللغة» قوله: (الربّاني: العالم. والجماعة: الربَّانيون).

(٢) (إذا): ساقطة من (ج).

(٣) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٣٨٠. «المقتضب» ٣/ ١٤٤.

(٤) في (ج): (للناس).

(٥) قوله بنصه، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٥ ب، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٢٢.

(٦) انظر: «الزاهر» ١/ ٥٧٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٦ (ربَّ)، «تاج» ٢/ ١٠ (ربب).

(٧) في (أ)، (ب)، (ج): (ربَّان). والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٨) في (ب): (وعرقان)، في (ج): (وعرثان).

(٩) يقال: (وَسِنَ، يَوْسَنُ، وَسَنًا)، و(سِنَةً)، و(وَسْنَةً)؛ أي: أخذ في النُّعاس، فهو: (وَسِنٌ)، و(وَسْنان)، و(مِيْسان). والاسم: (الوَسَن)، وهو: النعاس. انظر (وسن) في «المجمل» ٩٢٥، «القاموس» (١٢٣٨)، «المعجم الوسيط» ١٠٣٣.

النسبة، كما قيل: (لِحياني)، و(رَقَبانِي).

فعلى قول سيبويه؛ الرَّبّاني: منسوب إلى الرَّبِّ؛ على معنى التخصيص بعلم الرَّبِّ؛ أي: يَعْلَم الشريعة، وصفات الرب. وعلى قول ابن الأعرابي، والمبرد؛ الرّبّانِي: من الرَّبِّ، الذي هو بمعنى: التربية، على البيان الذي ذكر.

وقال أبو عبيدة[١]: لم تعرف العرب (رَبّانِيِّين)[٢]. هذا قول أهل اللغة في معنى[٣] هذا[٤] الحرف.

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[٥]: ربانيين؛ أي: معلِّمين[٦]. وهو قول مُرَّة الهَمْداني[٧]، واختيار عبد الله بن مُسْلِم[٨]، ويقوى هذا قول

---

(١) قوله في «مجاز القرآن» ١/ ٩٧.

(٢) ونص قول أبي عبيدة كما في «مجاز القرآن» (لم يعرفوا ربّانيِّين). وفي «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٦: (قال أبو عبيدة: وأحسب الكلمة ليست بعربية، وإنما هي عبرانية أو سريانية: وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربّانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم).

(٣) (معنى): ساقطة من: (ب).

(٤) (هذا): مطموسة في (أ). ومثبتة من: (ب)، (ج).

(٥) الرواية في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٥أ.

(٦) في (ب): (مسلمين). واختلفت ألفاظ هذه الرواية عن ابن عباس في مصادرها، فعند الطبري، ورد: (حكماء فقهاء)، وعند ابن أبي حاتم: (الفقهاء المعلمون)، ومثله عند الثعلبي. وورد عن ابن عباس من رواية عطية العوفي: (حكماء فقهاء)، هكذا عند الطبري. وعند الثعلبي: (حكماء علماء). ومن رواية الضحاك عنه: (الفقهاء العلماء). انظر المراجع السابقة.

(٧) هو: أبو إسماعيل، مُرَّة بن شَرَاحِيل، الكوفي، البكيلي الهَمْداني، تقدم ٢/ ٧٧.

(٨) هو ابن قتيبة. وقوله في «تفسير غريب القرآن» له: ١٠٧.

ابن الأعرابي والمبرد[١].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ﴾[٢]. ويُقرأ: ﴿تَعْلَمون﴾[٣]، من: العلم. والباء[٤] في ﴿بِمَا﴾، متعلقة بقوله: ﴿كُونُوا﴾. و(ما) في القراءتين، هي التي بمعنى المصدر مع الفعل، والتقدير: كونوا رَبَّانِيِّين،

---

(١) قال الطبري: (وأولى الأقوال عندي بالصواب في (الرَّبانيِّين): أنهم جمع (ربّاني)، وأن (الرَّبّاني): المنسوب إلى (الرَّبَّان) الذي يربُّ الناسَ، وهو الذي يُصْلح أمورهم، و(ويربُّها)، ويقوم بها..). ثم قال: (يقال منه: (رَبَّ أمري فلان، فهو يُربُّه رَبًّا، وهو رَابُّه). فإذا أريد به المبالغة في مدحه، قيل: (هو ربّان)..). ثم تابع قائلًا جامعًا بين الأقوال المختلفة: (فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا وكان (الربَّان) ما ذكرنا، و(الربّاني) هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم وكان كذلك الحكيمُ التقيُّ لله، والوالي الذي يلي أمورَ الناس على المنهاج الذي وَلِيَهُ المقسطون من المصلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم، ودنياهم، كانوا جميعًا يستحقون أن [يكونوا] مِمّن دَخل في قوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾. فـ(الرَّبّانيُّون) إذًا، هم عمادُ الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا. ولذلك قال مجاهد: (وهم فوق الأحبار)؛ لأن (الأحبار): هم العلماء، و(الرَّبّاني): الجامع إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم). تفسيره: ٣/ ٢٩٦.

(٢) (الكتاب): ساقطة من (ج).

(٣) في (أ): (تُعَلِّمون). وفي (ب)، (ج) مهمل، لم يضبط بالشكل. وما أثبته هو الصواب. وهذه القراءة بفتح التاء، وإسكان العين وفتح اللّام، قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء وتشديد اللام المكسورة. انظر: «السبعة» ٢١٣، «الكشف» ١/ ٣٥١.

(٤) من قوله: (الباء..) إلى (.. أبلغ في هذا الوضع): نقله باختصار وتصرف من «الحجة» للفارسي: ٣/ ٥٩- ٦١.

بكونكم عالمين؛ [أو: معلِّمين][(١)] .

وعلى هذا التقدير أيضًا قوله تعالى[(٢)]: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. ومثل هذا مِنْ كَوْن[(٣)] (ما) مع الفعل بمنزلة[(٤)] المصدر؛ قوله [تعالى][(٥)]: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١]؛ أي: كنسيانهم لقاء يومهم، وككونهم[(٦)] بآياتنا جاحدين.

فأما قوله: ﴿تَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، من قرأه[(٧)] بالتخفيف؛ فهو من (العِلم) الذي يراد[(٨)] به: المعرفة، فيتعدى إلى مفعول واحد؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وحجته: ما رُوي عن عمرو[(٩)] أنه

---

(١) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ)، وساقط من (ب). ومثبت من (ج). إلّا أنه ورد في (ج): (أي: معلمين)، بدلًا من: (أو معلمين)، ولم أرَ لها وجهًا. والصواب ما أثبته؛ لأن المؤلف هنا يذكر التقدير في القراءتين باعتبار أنَّ (ما) مصدرية فيهما. ففي القراءة الأولى ﴿تَعلمون﴾، يكون التقدير: (بكونكم عالمين)، أو يكون التقدير: (بكونكم مُعَلِّمين) على اعتبار القراءة الثانية ﴿تُعَلِّمُونَ﴾. ويعزز هذا ما ورد في «التفسير الوسيط» للمؤلف؛ حيث أورد في هذا الموضع القراءتين، فقال عن قراءة ﴿تَعْلَمُونَ﴾: (أي: بكونكم عالمين). وقال عن قراءة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد: (بكونكم معلمين). «الوسيط» تحقيق بالطيور: ٢٥٥.

(٢) لفظة (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٣) في (ب): (ممن تكون فيه).

(٤) في (ب): (بمعنى).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: ب.

(٦) في (ج): (ولكونهم).

(٧) في (ج): (قرأ).

(٨) في (ج): (يريد).

(٩) هو أبو عمرو بن العلاء، ممن قرأ ﴿تَعْلَمون﴾.

احتج بقوله: ﴿تَدْرُسُونَ﴾ ولم يقل: (تُدَرِّسُون)، وأيضًا فإن التشديد يقتضي مفعولين، والمفعول ههنا واحد، فالتخفيف أولى.

ومن قرأ بالتشديد: فالمفعول الثاني محذوف، تقديره: بما كنتم تُعَلِّمونَ الناسَ الكتابَ، أو غيرَكم الكتابَ. وحُذِف؛ لأن المفعول به قد يُحذَف من الكلام كثيرًا.

وحجته في التشديد: أن التعليم[1] يَدُل على العِلْم؛ لأن الذي يُعَلِّم لا يكون إلا عالمًا بما يُعَلِّم، والعِلْم لا يدل على التعليم، فالتشديد أبلغ في هذا الموضع. وأيضًا فإن الرَّبَّانِيِّين لا يقتصرون على أن يَعْلَموا لأنفسهم حتى يتقربوا إلى الله بالتعليم، يدل عليه: قول مُرَّة بن شَراحيل[2]: كان عَلْقَمَةُ من الربّانيين الذي يُعَلِّمون الناسَ القرآن.

قال الزجاج[3]: معنى قوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: كونوا معلِّمِي الناس بعِلْمِكم ودَرْسِكم، عَلِّموا الناسَ وبَيِّنوا لهم؛ كما تقول: انفعوهم بمالِكم. وقيل[4]: كونوا ممن يستحق أن يُطلق[5] له صفة عالم بعلمه؛ لإخلاصه وقيامه بحقه.

وقوله تعالى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. أي: تقرأون[6]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وشَرْحُ معنى الدَّرسِ والدراسة،

---

(١) في (ج): (العلم).
(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٥أ، «حلية الأولياء» ٢/ ٩٨، «صفة الصفوة» ٢/ ١٦.
(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٥. نقله عنه بالمعنى.
(٤) هذا القول يدخل ضمن معنى قول الزجاج في المصدر السابق.
(٥) في (ب): (تطلق).
(٦) في (ج): (تقرون).

يُذكر عند قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٨٠- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾. الآية. أكثر القراء على رفع ﴿ولا يأمُرُكم﴾(١).

قال سيبويه(٢): ﴿ولا يأمُرُكم﴾: منقطعة مما قبلها؛ لأن المعنى: ولا(٣) يأمُرُكم الله.

وقال ابن جريج(٤)، وجماعة(٥): ولا يأمُرُكم محمدٌ. ومما يدل على الانقطاع من الأول: ما روي عن ابن مسعود، أنه قرأ: (ولن يأمُرَكم)(٦).

قال الفراء(٧): فهذا دليل على انقطاعها من النَّسَقِ، وأنها مستأنفة؛ فلما وقعت (لا) موقع (لن) رفعت، كما قال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرًا

---

(١) القراءة برفع الراء، هي لابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، والكسائي، وأبي جعفر، وعاصم برواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر. وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفًا. والقراءة بالفتح، لعاصم برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر، وهي كذلك قراءة ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف. انظر: «السبعة» ٢١٣، «المبسوط» لابن مهران: ١٤٥- ١٤٦، «حجة القراءات» ١٦٨، «الإقناع» ٦٢١، «إتحاف فضلاء البشر» (١٧٧).

(٢) في «الكتاب» ٣/ ٥٢.

(٣) من قوله: (ولا ..) إلى (.. ابن جريج وجماعة): ساقط من: (ج).

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٢٩.

(٥) لم أقف على المراد بهم. وقد وردت هذه العبارة بنصها في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٦أ. قال: (وقال ابن جريج وجماعة).

(٦) ذكر هذه القراءة: الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٢٩، والفارسي في «الحجة» ٣/ ٥٨، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٦٦أ. وقال الطبري: عن سند هذه القراءة: (فذلك خبر غير صحيح سنده). «تفسيره» ٣/ ٣٢٩.

(٧) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٥. نقله عنه بنصه.

﴿وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، وفي قراءة عبد الله: (ولن تُسأَلَ)[١].

ومَن نَصَبَ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾؛ كان[٢] وجهه ما قال سيبويه: إن المعنى: وما كان لِبَشَرٍ أن يأمرَكم أن تتخذوا الملائكة. فيكون نصبًا بالنَّسَقِ على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾. ويقوي هذا الوجه ما ذكرنا: أن اليهود قالت للنبي ﷺ: أتريد يا محمدُ أن نتخذك ربًّا؟! فقال الله سبحانه: ما كان لِبَشَرٍ أن يأمر بذلك[٣].

قال الزجاج[٤]: معنى الآية[٥]: ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين؛ لأن الذي قالوا: إن عيسى إلهٌ، عبدوهُ واتخذوهُ ربًّا. وقال قوم من الكفار: إن الملائكة أربابُنا[٦]؛ يقال[٧]: إنهم الصابئون[٨].

---

(١) انظر هذه القراءة في «تفسير الطبري» ١/ ٥١٦، «المحرر الوجيز» ١/ ٤٦٩.
(٢) من قوله: (كان ..) على (.. لبشر أن يأمركم): ساقط من: (ج).
(٣) سبق تخريج هذا الأثر في التعليق على تفسير آية ٧٩ من هذه السورة.
(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٦، نقل عنه بنصه.
(٥) في «معاني القرآن»: أي.
(٦) في (ج): (أربابًا).
(٧) في «المعاني»: (ويقال).
(٨) (الصابئ) هو الذي خرج من دينه ودخل في دين آخر. ولذا سَمَّ كفارُ قريش النبيَ ﷺ وصحابته بذلك -بزعمهم- لأنهم تركوا دينهم ودخلوا في دين آخر. و(الصابئة) هنا لفظة قديمة من لغة عرب ما بين النهرين من العراق، وهو دين قديم ظهر في بلاد الكلدانيين في العراق، واشتهر في (حرّان) من بلاد الجزيرة الفراتية، ويُسَمَّون لذلك بـ(الحرْنانِيّة) على غير قياس. ودينهم من أقدم الأديان، ولما بعث الله إبراهيم ﵇ كان الناس على دين الصابئة. وقد ترك هؤلاء دين التوحيد وعبدوا النجوم والكواكب وعظموها، مدعين أن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق =

وقوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾. استفهام معناه: الإنكار؛ أي: لا يفعل[١] ذلك، وإنما جاز أن يُنقَلَ إلى الإنكار؛ لأنه مما أَقَرَّ بِهِ المخاطَبُ، [و][٢] ظهر افتضاحه، وبان سقوطه؛ لأنه مما لا يَخفى فسادُه؛ فلذلك[٣] جاء الكلام على السؤال، وإنْ لم يكن معناه تَعَرُّف الجواب.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. أي: بعد إسلامكم .

٨١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال أبو إسحاق[٤]: موضع (إذْ): نَصْبٌ؛ المعنى: واذكر في أقاصيصك: إذ أخذ اللهُ ميثاقَ النَّبِيِّين.

وقوله تعالى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ قرأ[٥] حمزة: ﴿لِمَا﴾ بكسر اللاَّم[٦]. ووجهُ[٧] هذه القراءة: أنَّ اللاَّم في ﴿لِمَا﴾ متعلق

= فلزم التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربة لديه، وهي الأرواح الطاهرة المقدسة، وزعموا أن هذه الأرواح تسكن الكواكب، وأنها تنزل إلى النفوس الإنسانية بمقدار تقرب النفوس إليها، فعبدوا الكواكب بقصد الاتجاه إلى رُوحانياتها. وبنوا للكواكب هياكل وجعلوا لها تماثيل. انظر حول تفصيل معتقدهم «الملل والنحل» للشهرستاني: ٢/ ٥ وما بعدها، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي: ١٤٣، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٩٨ (صبأ)، «المختصر في أخبار البشر» ١/ ٨١، «التحرير والتنوير» لابن عاشور: ١/ ٥٣٣.

(١) في (ج): (نفعل).

(٢) الواو: زيادة لازمة ليستقيم بها المعنى.

(٣) في (ج): (فكذلك).

(٤) في «معاني القرآن» لم: ١/ ٤٣٦. نقله عنه بنصه.

(٥) في (ج): (وقرأ).

(٦) انظر: «السبعة» ٢١٣، «حجة القراءات» ٣/ ٦٢، «المبسوط» لابن مهران: ١٤٦.

(٧) من قوله: (ووجه ..) إلى (.. والمفعول لا يحتاج إلى عائد ذكر): نقله باختصار وتصرف عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٦٢.

بالأخذ؛ كأنَّ[١] المعنى: أخذ ميثاقهم لهذا؛ لأن من يؤتَى الكتابَ والحكمة، يُؤخَذُ عليهم الميثاقُ؛ لِما أوتوهُ[٢] من الحكمة، وأنهم الأفاضل، وأماثل[٣] الناس. و(ما) على هذه القراءة تكون موصولةً؛ بمعنى: الذي. والراجع إلى (ما) مِن صِلَتِها محذوفٌ؛ تقديره: لِما آتيتكموه. فَحُذِفَ الراجعُ، كما حُذِفَ من قوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]. ونحو ذلك.

فإن قيل][٤]: إذا كانت (ما) موصولةً، لزم أن يرجع من الجملة المعطوفة[٥] على الصلة، ذِكرٌ إلى الموصول، وإلاّ لم يَجُز. ألا ترى أنك لو قلت: (الذي قام أبوه[٦] ثم انطلق زَيْدٌ، ذاهبٌ)[٧]؛ لم يَجُز إذ لم يكن [راجعٌ مذكورٌ][٨].

وقوله تعالى: (ثُم جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا معك [لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ][٩]﴾ ليس فيه[١٠] راجعٌ إلى الموصول. قيل: يجوز[١١] أن يكون المُظهرُ بمنزلة

---

(١) (أ)، (ب)، (ج): (كان). والمثبت من «الحجة».

(٢) (أ)، (ب)، (ج): (أتوه). والمثبت من «الحجة».

(٣) في (ب): (وأفاضل).

(٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج).

(٥) في (ب): (الموصولة).

(٦) في (ب): (أثره بدلًا من أبوه).

(٧) (إليك) بدلًا من (ذاهب).

(٨) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج) «الحجة».

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(١٠) ليس فيه: ساقط من: (ب).

(١١) في (ب): ورجوعه بدلا من: (قيل يجوز).

المُضْمَر. فقوله: ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾، هو في المعنى: ما أُوتوهُ[١] مِنَ الكتاب والحكمة؛ فكأنه[٢] قال: ثم جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ له؛ أي[٣]: لِمَا آتيتكم مِنْ كتابٍ وحِكْمَةٍ، وهو ما معكم.

والصلة المُظهَرَة تقوم مقام المُضمَرَة[٤]، عند أبي الحسن الأخفش؛ ومثل هذا: قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]؛ المعنى: كأنه قال: لا يضيع أجرهم؛ لأن الذي يتقي[٥] ويصبر يكون من المحسنين، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٦] [الكهف: ٣٠]؛ المعنى عنده: إنا لا نضيع أجرهم؛ لأن مَنْ أحسن عملًا، هم: الذين آمنوا وعملوا الصالحات[٧].

ووجه آخر، وهو: أنَّ الراجعَ ههنا محذوفٌ، وحَسُن الحذف للطول، كما حكاه الخليل[٨] من قولهم: (ما أنا بالذي قائل لك شيئًا)، والتقدير: بالذي هو قائل.

كذلك ههنا يكون التقدير: ثم جاءكم رسولٌ به؛ أي: بتصديقه؛ أي: بتصديق ما أتيتكم.

---

(١) (أ)، (ب): (أتوه). والمثبت من: (ج)، و«الحجة».
(٢) في (ج): (وكأنه).
(٣) له أي: ساقط من: (ج).
(٤) في (ج): (المضمر).
(٥) في (ب): (يتق).
(٦) من (إنا لا نضيع ..) إلى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات): ساقط من: (ج).
(٧) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٣٩٦.
(٨) انظر قوله في «كتاب سيبويه» ٢/ ٤٠٤.

وأما من قرأ ﴿لَمَا﴾ بفتح اللام[١]؛ فـ(ما)[٢] في هذه القراءة، يحتمل[٣] تأويلين:

أحدهما: أن تكون موصولة. والآخر: أن تكون للجزاء[٤]. فمن قدَّرها موصولةً: كان القول فيها كما ذكرنا في قراءة حمزة.

واللاّم في (لَمَا)، لام الابتداء، وهي المتلقية[٥] لِما أُجري مجْرى القَسَم؛ لأن قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، بمنزلة القَسَم؛ كأنَّ المعنى: استحلفهم.

وموضع (ما) رفع بالابتداء. والخَبَرُ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾. و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾[٦]، متعلق بِقَسَم محذوف؛ المعنى: والله لتؤمنن به. فإن قدرت (ما) للجزاء، كانت (ما) في موضع نصب بـ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾. و﴿جَآءَكُمْ﴾ في موضع جزم بالعطف على ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، واللاّم الداخلةُ على (ما) لا تكون المتلقية[٧] للقسم، ولكن تكون بمنزلة اللاّم في قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأحزاب: ٦٠] [والمتلقية للقسم؛ قوله[٨]: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، كما أنها في

---

(١) هم باقي القراء، ما عدا حمزة الذي قرأ بكسرها كما سبق. انظر: «السبعة» ٢١٣، «المبسوط» لابن مهران: ١٤٦، «الكشف» ١/ ٣٥١.

(٢) في (أ)، (ب): (فيما). والمثبت من: (ج). وفي «الحجة»: فإن ما.

(٣) في (ب)، (ج)، «الحجة»: (تحتمل).

(٤) الجزاء: هو الجواب في أسلوب الشرط؛ لأنه جزاء مترتب على حصول الشرط.

(٥) في (ب)، (ج): (المنقلبة).

(٦) ولتؤمنن: ساقط من: (ج).

(٧) في (ج): (المنقلبة).

(٨) (قوله): ساقط من: (أ)، (ب). وفي (ج): (وقوله). والمثبت من «الحجة» للفارسي.

قوله ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾](١)؛ قوله(٢) ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾ [الأحزاب: ٦٠].

وهذه اللاّم الداخلة على (إنْ) في ﴿لَئِنْ﴾، لا يعتمد القَسَمُ عليها؛ فلذلك جاء حذفها تارةً، وإثباتها تارة؛ كما قال(٣): ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [المائدة: ٧٣] فَتَلْحَقُ هذه اللاّم مرة [(إنْ)](٤)، ولا تَلْحَقُ أخرى، كما أنّ (أنْ) كذلك في قولهم: (واللهِ أَنْ لو فعلتَ لفعلتُ)، [و](٥) (واللهِ لو فعلتَ لفعلتُ)(٦). وهذه اللاّم بمنزلة (أَنْ) الواقعة مع (لو). وهذا مذهب سيبويه(٧)، وهو يُقدِّر (ما) ههنا للجزاء(٨)، وإنما لم يحمله على أن (ما)

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج) ومن «الحجة» للفارسي.

(٢) في (ب): (وقوله).

(٣) قال: ساقطة من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من «الحجة» للفارسي؛ ليتضح بها المعنى.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من «الحجة».

(٦) (والله لو فعلت لفعلت): ساقطة من: (ج).

(٧) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ١٠٧.

(٨) بالرجوع إلى «كتاب سيبويه» يظهر ابتداءً خلاف ما ذكره المؤلف هنا، ونص عبارة سيبويه: (وسألته [يعني الخليل] عن قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾. فقال: (ما) ههنا بمنزلة (الذي)، ودخلتها اللام؛ كما دخلت على (إنْ) حين قلت: (واللهِ لئن فعلتَ لأفعلن)، واللام التي في (ما) كهذه التي في (إنْ)، واللام التي في الفعل، كهذه التي في الفعل هنا ..).وذكر الفارسي في «الحجة» ٣/ ٦٦ أنَّ المازني قال: (زعم سيبويه أن (ما) بمنزلة (الذي)، ثم فسّر تفسير الجزاء). ثم بيَّن الفارسي وجه قول سيبويه، فقال: (والقول فيما قاله من أن (لَما) بمنزلة (الذي): أنه أراد أنه اسم، كما أن (الذي) اسم، وليس بحرف، كما كان حرفًا في قوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١]، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥]، فهذا المعنى أراد بقوله: أنه بمنزلة الذي، ولم =

موصولة، بمنزلة الذي؛ لأنه لو حمله على ذلك، للزم أن يكون في الجملة المعطوفة على الصلة، ذِكرٌ يعود على الموصول، فلما لم ير[١] ذلك، ولم ير أن يضع المُظْهَر موضع المُضْمَر كما يراه أبو الحسن عَدَلَ عن القول: بأن (ما) موصولة، إلى أنها للجزاء، ولم يحملها على الحذف من المعطوف على الصلة؛ لأنه ليس بالكثير، ولا بموضع[٢] يليق به الحذف. و(ما) إذا كانت للجزاء، لا تحتاج إلى عائدِ ذِكرٍ، كما تحتاج إليه (ما) التي بمنزلة (الذي)؛ لأن (ما)، إذا كانت جزاءً، مفعولٌ بها، والمفعولُ لا يحتاج إلى عائدِ ذكرٍ. وهذا الوجه اختيار الزجاج؛ لأنه قال[٣]: أجوَد الوجهين: أن يكون[٤] (ما) للشرط والجزاء؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسول[٥] فهذه طريقته.

وأبو عثمان المازني أيضًا اختار هذا الوجه، فقال[٦]: الوجه عندي: أن يكون[٧] (ما) للجزاء؛ لأن الفعل الماضي إنما يكون في معنى

= يرد أنها موصولة ك(الذي). وبهذا يتضح كلامَ المؤلف الذي اختصره من «الحجة» للفارسي. انظر في هذا كذلك «الإغفال» لفارسي: ١/ ٥٧٩- ٥٨٦ فقد نقل هنا قول سيبويه والمازني، وناقش هذه المسألة.

(١) في (ج): (نر).

(٢) في (ب): (موضع)، (ج): (لموضع).

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٦. نقله عنه بتصرف.

(٤) في (ب)، (ج): (تكون).

(٥) في (ج): «معاني القرآن» الرسل. أما (الرسول) فقد وردت في كتاب «الإغفال» للفارسي: ١/ ٥٧٩ حيث نقل قول الزجاج هذا. ويبدو أن المؤلف نقل العبارة عن «الإغفال» أو عن نسخة أخرى لـ «معاني القرآن» ورد فيها لفظ (الرسول).

(٦) قوله في «الإغفال» ١/ ٥٨٥. وقد نقله المؤلف بنصه.

(٧) في (ب)، (ج): «الإغفال» تكون.

المستقبل، في الجزاء لا في غيره، والمعنى: أنه أخذ ميثاقهم على أن ينصروه ويؤمنوا بما يأتيهم فيما يستقبل من كتاب وغيره.

والدليل على أن ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾، معناه مستقبل: قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾، وإذا كان جزاءً كانت اللاّمُ توكيدا.

وقد قال سيبويه[(١)]: ومثل هذه الآية؛ قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف:١٨] فهذا جزاء، والفعل[(٢)] الماضي في معنى المستقبل، ولام القسم التي تعتمد عليها اللاّم في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ وهي وإن كانت مؤخرة فمعناها التقديم.

وقوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ تقديره[(٣)]: أول الكلام في قول من قدّر (ما) جزاء، والتمثيل: (وإذ أخذ اللهُ ميثاق النبيين لتؤمنن به)، وجواب الشرط، محذوف مستغنى عنه؛ لدلالة لتؤمنن به، الذي هو جواب القسم عليه، كما أن قولك: (لآتِيَنَّك إنْ أتيتني)، كذلك؛ والمعنى: (واللهِ، لآتِيَنَّك إنْ أتيتني). فيكفي جوابُ القسم من جواب الجزاء، وإذا كانت بمعنى الجزاء على ما[(٤)] وصفنا فيكون تقدير المعنى: لأَنْ آتيتكم شيئًا من كتاب وحكمة، -ومهما آتيتكم- ثم جاءكم رسول، لتؤمنُنَّ به.

---

(١) في «الكتاب» له: ٣/ ١٠٨. ونص قوله: (ومثل ذلك: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ﴾، إنما دخلت اللام على نِيَّة اليمين). وقول سيبويه هنا من تتمة نقل المؤلف لكلام المازني من «الإغفال».

(٢) من قوله (والفعل ..) إلى (.. فمعناها التقديم): نقل المؤلف هذه العبارات بالمعنى، وهي من تتمة كلام المازني في «الإغفال».

(٣) من قوله: (وتقديره ..) إلى (.. لآتينك إن أتيتني كذلك): نقله بتصرف عن «الإغفال» للفارسي: ١/ ٥٨٧.

(٤) في (ب): (كما) بدلًا من: (على ما).

فإن قيل: ميثاق الإيمان بمحمد ﷺ، وسائر الرسل، مأخوذ على جميع النبيين ما[١] أوتوا الكتاب، وإنما أوتي[٢] بعضهم؟.

قيل: هذا على التغليب؛ فالذكر ذكر الأنبياء الذين أوتوا الكتاب، والمراد: هم، وغيرهم ممن لم يُؤتَ الكتاب، ودخلوا في جملتهم؛ لأنهم بمنزلة من أوتى الكتاب بما أوتوا من الحُكْم والنبوة، وأيضًا فإن الذين لم ينزل عليهم الكتاب أمروا بأن يأخذوا بكتاب نَبِيٍّ[٣] قبلهم، ورُزِقوا علمَ ذلك الكتاب، فدخلوا تحت صفةِ أبناء الكتاب.

وقرأ[٤] نافع: ﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾[٥]، وحجته قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ [الصافات: ١١٧].

ومن قرأ: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، فحجته قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحديد: ٩]، و﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١].

والقراءة الأولى: أشبه بكلام البلغاء والملوك، ومن الفصاحة تغيير العبارة عن الواحد إلى الجمع، وعن الجمع إلى الواحد، كقوله: ﴿وجعلناه

---

(١) في (ج): (مما).
(٢) في (ج): (أولى).
(٣) (بأن يأخذوا بكتاب نبي): مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).
(٤) من قوله: (وقرأ ..) إلى نهاية قوله: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: نقله بتصرف عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٦٩.
(٥) في (ب): (أتيتكم).
وهذه القراءة لجعفر - كذلك -، وقرأ الباقون ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾. انظر: «المبسوط» لابن مهران: ١٤٦، «الكشف» لمكي ١/ ٣٥١.

هُدَى لِبَنِي إسرائيلَ أَلاّ يَتّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلا﴾[١] [الإسراء: ٢] ولم يقل: من دوننا، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾.

والقراءة الثانية: أشبه بما قبله مِنْ قولِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾، وبما بعده من قوله: ﴿إِصْرِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال ابن الأنباري[٢]: وإنّما خاطب، فقال: ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ بعد أن ذكر النبيين وهم غيب؛ لأن في الكلام معنى قول وحكاية؛ يراد: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين، فقال مخاطبًا لهم: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾.

قال[٣]: ونظائر هذا كثيرة[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾.

دخلت ﴿مِّن﴾ تبيينًا لـ(ما)؛ كقولك: (ما عندي من الوَرِقِ[٥] والعَيْنِ)[٦].

---

(١) كُتِبت ﴿ألّا يَتّخذوا﴾ -بضمير الغائب- وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ الباقون: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ -بضمير الخطاب- على الالتفات.
انظر: «إتحاف فضلاء البشر»: (٢٨١).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) في (ج): (وقال).

(٤) في (ج): (وتظاهر هذا كثرة).

(٥) الوَرِق، والوِرْق، والوَرْق، والرِّقَة: الدراهم المضروبة. وقيل: الفضة، أكانت مضروبة أم لا. وقيل: المال بعمومه. وجمع الورق: أوراق. وجمع الرِّقَة: رِقُون.
انظر (ورق)، في «الصحاح» ٤/ ١٥٦٤، «اللسان» ٨/ ٤٨١٦، «التاج» ١٣/ ٤٧٦.

(٦) في (ج): (والحبر).
و(العين): من معانيها في اللغة -مما يصلح في هذا الموضع-: المال العتيد الحاضر، والنّقد، والدينار، والذهب عامّة.
انظر (عين)، في «اللسان» ٦/ ٣١٩٨، «القاموس» (١٢١٨).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

يقال: ما وَجْه[1] قوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾، والنَّبِيُّون لم يأتهم الرسولُ؛ وإنما يُبْعَثُ الرُّسُلُ إلى الأمم، لا إلى الرُّسُلِ؟.

قيل: يجوز أن يُعْنى بذلك أهل الكتاب في المعنى[2]؛ لأن الميثاق إذا أُخذ على النبيين، فقد أُخذ على الذين أوتوا[3] كُتُبَهُمْ من أممهم.

وعامَّة ما يُشْرع للأنبياء[4]، قد[5] شُرِعَ لأممهم وأتباعهم؛ يبين ذلك: أن الفروض التي تلزمنا تلزمُ نبينا[6] ﷺ؛ وإذا كان كذلك؛ فأخذ[7] الميثاق على النبيين، كأَخْذ الميثاق على الذين أوتوا كتبهم من أممهم، ومن ثَمَّ جاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] فجُمع النبي ﷺ ومن تبعه في الخطاب الواحد، وهذا من جهة المعنى.

قال ابن الأنباري[8]: إنما أخذ الله ميثاق النبيين[9]، بأن يؤمنوا برسل

---

(١) من قوله: (ما وجه ..) إلى (وهذا من جهة المعنى): نقله -بتصرف- عن «الحجة» للفارسي: ٣/ ٦٧-٦٨.

(٢) ممن قال بذلك: طاوس، وقتادة.
انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٤، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٤.

(٣) في (ب): أتوا. والمثبت من: (ج)، «الحجة».

(٤) في (أ)، (ب): الأنبياء. والمثبت من: (ج)، «الحجة».

(٥) في (ب)، (ج): (فقد).

(٦) في (ج): (نبيهم).

(٧) في (أ)، (ب)، (ج): (وأخذ). والمثبت من «الحجة» للفارسي؛ لأنه الأليق بالعبارة، ودخول الواو يخل بالمعنى.

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

(٩) في (ج): (الميثاق على النبيين).

الله جل وعز بعدهم، فإذا آمنوا بهم، لزم أُمَمَهم الاقتداءُ بهم، والسلوكُ لمنهاجهم.

وجواب آخر من طريق اللفظ[١]، وهو: أن يكون المراد: وإذ أخذ ميثاق أممِ النَّبيِّين وأتباع النَّبِيِّين، شَرط عليهم أنبياؤُهم أن يؤمنوا بكل نَبِيٍّ يبعثه الله ﷻ ولا يكذبوه، ولا يدخلوا في جملة أعدائه، وأخذوا بذلك عهودهم، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وهو يريد: ميثاقَ تُبّاع النَّبيين، فحَذَف المضاف.

وقال صاحب النظم: معنى النَّبِيِّين ههنا: معنى أُمَمِهم، وصار ذكرهم كالقبيلة للأمم؛ كما يقال: قَيْس، وتَمِيم، وبَكْر، وهي أسماء رجال بأعيانهم، نُسِب أولادهم إليهم، فصاروا قبائل.

ومنه قول الشاعر:

أَتَسْأَلُني السَّوِيَّةَ وَسْطَ زَيْدٍ ... ألا إنَّ السَّوِيَّةَ أنْ تُضامُوا[٢]

فـ(زيد) ههنا قبيلة لأصحابه؛ لذلك قال: (وَسْطَ زيد).

وقوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾.

إن قيل: ما معنى: أخْذَ ميثاق النبيين بِنُصْرَةِ مَن لم يَلْقَوْهُ، ولم يدركوا زمانَه؟.

قلنا: قد بَيَّنّا[٣] أن المراد بـ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أتباعهم وأممهم. فعلى هذا؛

---

(١) وهذا الجواب قد ذكره الفارسي في «الحجة» ٣/ ٦٨، وإنما ذكر المؤلف معناه هنا.

(٢) البيت ورد في «اللسان» ٤/ ٢١٦٢ (سوا)، ونسبه إلى البراء بن عازب الضَّبِّي.
و(السَّويّة، والسواء): العدل، والنَّصفَة. وقوله: (تُضامُوا) من: (ضامَهُ حقَّهُ)، (يَضيمُه، ضَيْما)؛ أي: انتقصه حقه، وظلمه.
انظر: «اللسان» ٤/ ٢١٦٢ (سوا)، ٥/ ٢٦٢٩ (ضيم).

(٣) (قد بينا): ساقط من: (ج).

لا كلام.

وإن[١] قلنا: المراد: هُم، ثم[٢] تتبعهم الأُمَمُ؛ فمعنى النصر ههنا: أن ينصروه بتصديقه عند قومهم.

قال المفسرون في هذه الآية: إن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء بتصديق بعضهم بعضًا. وهذا قول: سعيد بن جبير[٣]، وقتادة[٤]، وطاوس[٥]، والحسن[٦]، والسدّي[٧].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٨]: لم يبعث الله ﷻ[٩] نَبِيًّا، آدَمَ ومَن بَعده، إلا أَخَذَ[١٠] عليه العهد في محمد وأمره[١١]، وأخذ العهدَ

---

(١) في (ج): (فإن).

(٢) (ثم): ساقط من: (ج).

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣١ -يرويه عن ابن عباس- وفي «الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ، «الدر المنثور» ٢/ ٨٤، وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد.

(٥) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٤، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٠٥، وانظر: «تفسيره» ١/ ٢١٩.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.

(٨) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.

(٩) (ﷻ): ساقطة من: (ج).

(١٠) في (أ): (خذ). والمثبت من: (ب)، (ج)، و«تفسير الطبري» و«الثعلبي».

(١١) في (ب): وإمره. وهكذا جاءت العبارة: (... وأمره، وأخذ العهد...) عند المؤلف، والثعلبي، الذي نقل قول الإمام علي، ومن سبق من التابعين، عن كتاب «نظم القرآن» - كما أشار هو إلى ذلك. ولكن عبارة الطبري أصح في المعنى وهي: (ويأمره فيأخذ العهد على قومه).

على قومه لَيُؤمِنُنَّ به، ولَئِن بُعث وهم أحياء لَيَنْصُرُنَّهُ.

وقال ابن عباس: يريد بـ﴿مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: عَهْدَهُم؛ ليشهدوا بمحمد ﷺ، بأنه رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾. يريد: محمدًا ﷺ.

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ يريد: إن أدركتموه. فالآية[١] عامة في جميع النبيين؛ على قول: سعيد بن جبير ومَن تابَعَهُ، وخاصَّة في النبي ﷺ، على قول: عَلِيٍّ، وابن عباس رضي الله عنهما. وهذا هو الأصح؛ لأن المراد بالآية: التَنْوِيه بذكر محمد ﷺ بما أُخِذ على النبيين مِن التصديق به، واعتقاد النصرة له، مع الاحتجاج على أهل الكتاب باتِّبَاع سبيلِ النبيين فيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ أي: قال الله تعالى للنبيين: أأقررتم بالإيمان به والنصرة له.

و(الإقرار) في اللغة منقول بالألف[٣]، من: (قَرّ الشيءُ، يَقِرُّ)[٤]: إذا ثبت، ولزم مكانه، و(أَقَرَّهُ غيرهُ). والمُقِرُّ بالشيء: يُقِرُّهُ على نفسه؛ أي: يُثْبِتُهُ[٥].

---

(١) في (أ)، (ب): بالآية. والمثبت من: (ج).

(٢) وقد رجَّح الطبري القول الآخر؛ أن الآية عامَّة في جميع النبيين بأن يصدِّق بعضهم بعضًا، وأخذ على الأنبياء الميثاق على أممهم وأتباعهم بنحو الذي أخذ عليهم ربهم بتصديق أنبيائه ورسله. انظر: «تفسيره» ٣/ ٣٣٣.

(٣) أي: منقول بالهمزة؛ للتعدية.

(٤) في (أ)، (ب): (يقرو). في (ج): (يقرا). وما أثبته هو ما رجحت صوابه. يقال: (قَرَّ بالمكان، يَقَرُّ، ويَقِرُّ) -بالكسر والفتح- وبالكسر أكثر. انظر المصادر التالية.

(٥) انظر (مادة: قرر) في «اللسان» ٦/ ٣٥٧٩، و«التاج» ٧/ ٣٨٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ﴾ أي: قبلتم عهدي[١]. والأخذ؛ بمعنى (القَبُول)[٢]، كثيرٌ في الكلام؛ كقوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨]؛ أي: لا يُقبل فِدْيَةٌ[٣]. وقال: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]؛ أي: يقبلها.

ومضى الكلام في معنى (الإصْر)[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ أي[٥]: قال الله ﷻ للنبيين: فاشهدوا[٦] أنتم على أنفسكم، وعلى أتباعكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. وهذا القول، يُروى عن عَلِي ﷺ[٧].

وقال الزجاج[٨]: ﴿فَٱشْهَدُواْ﴾؛ أي: فبينوا[٩]؛ لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي، ويبينها، وشهادة الله ﷻ للنبيين: تبيينه[١٠] أمر

---

(١) تفسير (الإصر) بـ(العهد)، قال به ابن عباس، ومحمد بن إسحاق، ومجاهد، والربيع، والسدي، وابن جريج، وقتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٥.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٤.

(٣) انظر: «تفسير البسيط» ٨٦٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.

انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ١٩٢، ٨٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦ب.

(٤) انظر: «تفسير البسيط» للمؤلف: عند تفسير آية: ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٥) من قوله: (أي:..) إلى (عليكم وعليهم): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦ب.

(٦) (أي قال الله ﷻ للنبيين فاشهدوا): ساقط من: (ج).

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٤، «زاد المسير» ١/ ٤١٦.

(٨) في «معاني القرآن» له، ٤٣٧. نقله عنه بتصرف يسير.

(٩) في «معاني القرآن» فتبينوا. وما كتبه المؤلف أصح من ناحية المعنى، وأنسب لما بعده من كلام.

(١٠) في (ب)، (ج): (تبينه).

نبوتهم بالآيات المعجزات[١].

وحكي عن سعيد بن المُسَيّب أنه قال[٢]: هذا الخطاب للملائكة، قال الله تعالى للملائكة)[٣]: اشهدوا عليهم بإقرارهم؛ فيكون خطابًا لمن لم يتقدم ذِكْرُهُ[٤].

٨٢- قوله تعالىٰ: ﴿فمن تولىٰ بعد ذلك﴾ هذا شرط[٥]؛ وقد ذكرنا أن الفعل الماضي معناه: الاستقبال في الشرط والجزاء، وإنما جاز وقوع الماضي موقع المستقبل في الجزاء؛ لأن حرف[٦] الجزاء لمّا كان يعمل في الفعل، قوي علىٰ نقله من معنىٰ المضي إلىٰ الاسقبال، وذلك إشارة إلىٰ أخذ الميثاق.

قال ابن عباس[٧]: يريد: فمن أعرض عما جئت به، وأنكر ما عاهد الله عليه.

وقال الزجاج[٨]: فمن تولى؛ أي: أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق، وظهور آيات النبي ﷺ.

---

(١) في (ب): (والمعجزات).

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦ب، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٢، «زاد المسير» ١/ ٤١٦، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٢٦.

(٣) (قال الله -تعالى- للملائكة): ساقط من: (ج).

(٤) في (ج): (لم يتقدم).

(٥) ويجوز أن تكون ﴿من﴾ موصولة، وتكون ﴿تولىٰ﴾: صلة، لا محل لها. ويكون ﴿فأولئك﴾ -في هٰذه الحالة-: في محل رفع؛ لوقوعها خبرًا.
انظر: «الدار المصون» ٣/ ٣٩٥ .

(٦) في (ج): (حروف).

(٧) لم أقف على مصدر قوله.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٣٨. نقله عنه بتصرف

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ دخلت الفاء في (أولئك)؛ لأنه جواب الشرط؛ وإنما تدخل[1] الفاءُ في جواب الشرط؛ لأن الثاني يجب بوجود الأول بلا فصل؛ كقولك: (إنْ تأتِنِي فَلَكَ درهمٌ)، فوجوب الدرهم، بالإتيان عقيبَه بلا فصل؛ فلذلك جاء بالفاء.

و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: ابتداء؛ و[2]﴿هُمُ﴾: ابتداءٌ ثانٍ، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: خبره، و﴿هُمْ﴾[3] مع خبره: خَبَرُ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ويصلح أن يكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: ابتداء؛ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: خبرَهُ، و﴿هُمُ﴾: عِمَادٌ وفَصْلٌ؛ لا موضع له. ومعنى (الفاسقين) ههنا؛ أي: الذين خرجوا عن القصد، وعن جملة الإيمان. قاله الزجاج[4].

٨٣ - قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ دخلت الفاءُ في ﴿أَفَغَيْرَ﴾؛ لأنه عطف جملة على جملة[5]، وكذلك[6] لو قيل: (أَوَغير)، إلّا أنَّ الفاءَ تُرتِّبُ[7]؛ كأنه قيل: أَبعد أَخْذِ الميثاق، غَيرَ دينِ الله يبغون؟.

واختلفوا في الياءِ والتّاءِ، من قوله: ﴿تبغُون﴾:

فمن قرأ بالتاء[8]؛ فلأن ما قبله خطاب؛ كقوله: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾.

---

(١) في (ج): (يدخل).

(٢) (الوا)و: زيادة من (ج).

(٣) من قوله: (وهم..) إلى (والفاسقون خبره): ساقط من (ج).

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٨.

(٥) على جملة: ساقط من: (ج).

(٦) في (ج): (ولذلك).

(٧) في (ج): (نزلت).

(٨) القراءة بالتاء في ﴿تبغون﴾، لابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم -في رواية =
أبي بكر عنه-، وحمزة، والكسائي.

ومن قرأ بالياء[١]؛ فوجهه: أن الله تعالى أخبر في الآية السابقة، عن أخذ الميثاق على اليهود والنصارى وغيرهم، فلما كفروا، أخبر عنهم على جهة الاستنكار، فقال[٢]: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يَبْغُونَ﴾ بالياء، و﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالتاء[٣]؛ لأن الأول: خاص لليهود[٤] وغيرهم[٥]، والثاني: عامٌّ لجميع المكلفين[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾.

روى[٧] أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ، قال في هذه الآية: «**الملائكة، أطاعوه في السماء؛ وعبد القيس في الأرض**»[٨].

= انظر: «علل القراءات» للأزهري: ١/ ١٢٢-١٢٣، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٦٩، «التيسير» ٨٩، «التبصرة» ٤٦٢.

(١) القراءة بالياء في ﴿يَبْغُونَ﴾، لأبي عمرو، وعاصم -برواية حفص-، ويعقوب. انظر المصادر السابقة.

(٢) في (ج): (قال).

(٣) قرأ عاصم -برواية حفص-: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ -بالياء المضمومة-، وقرأ الباقون: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ -بالتاء المضمومة-. انظر المصادر السابقة.

(٤) في (ب): (باليهود).

(٥) (باليهود وغيرهم): ساقط من: (ج).

(٦) انظر توجيه هذه القراءة في «علل القراءات» للأزهري: ١/ ١٢٣، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٦٩-٧٠، «حجة القراءات» لابن زنجلة: ١٧٠، «الكشف» لمكي: ١/ ٣٥٣.

(٧) في (ج): (وروي).

(٨) الحديث: أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»: ٤/ ٤٠٧، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٦٨أ، وأورده -بدون سند- القرطبيُّ في «تفسيره» ٤/ ١٢٨. وفيه زيادة عندهم «**والأنصار وعبد القيس أطاعوه في الأرض**». وفي سنده عند الديلمي والثعلبي:=

وبهذا[١]؛ قال ابن عباس في رواية عطاء[٢]: قال: يريد بأهل السموات: الملائكة. وبأهل الأرض: المهاجرين والأنصار وعبد القيس، طوعًا، والناس كرهًا. وهذا قول الحسن[٣].

وقال قتادة[٤]: المؤمن، أسلم طائعًا فنفعه[٥] ذلك، وقبل منه، والكافر، أسلم كَرْهًا في وقت البأس والمعاينة، حين[٦] لا ينفعه ذلك، ولا

= الكُدَيْمي، وهو: محمد بن يونس القرشي.
قال عنه ابن حبان: (كان يضع على الثقات الحديث وضعًا، ولعله قد وضع أكثر من ألف حديث).
وقال عنه الذهبي في «الميزان»: (أحد المتروكين)، وقال عنه -في «المغني في الضعفاء»-: (هالك). وعند ابن حجر - في «التقريب» -: (ضعيف).
انظر: «المجروحين» لابن حبان: ٢/ ٣١٣، «ميزان الاعتدال» ٥/ ١٩٩، «المغني في الضعفاء» له: ٢/ ٢٨٣، «تقريب التهذيب» ص٥١٥ (٦٤١٩).
وعبد القيس، قبيلة عربية كبيرة، تنسب إلى عبد القيس بن أفصى بن دُعْمي بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان. وكان موطنهم بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين واستوطنوها، وقدم وفدهم على النبي ﷺ عام (٩هـ)، وثبتت عبد القيس على إسلامها عندما ارتدت قبائل البحرين عام (١١هـ).
انظر: «جمهرة أنساب العرب» ٢٩٥-٢٩٦، ٤٦٩، و«صبح الأعشى» ١/ ٣٣٧، «معجم قبائل العرب» لكحالة: ٢/ ٢٧٦.

(١) في (ب): (وعلى هذا).
(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية.
(٣) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٦١، وورد نفس المعنى عن مطر الوراق، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٣٧.
(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٣٧، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٩أ.
(٥) في (ب): ففقه.
(٦) (حين): ساقطة من: (ج).

يُقبَل منه؛ يدل عليه قولُه: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

وقال ابن كَيْسان[١]، والزجاج[٢]: أي: خضعوا وانقادوا من جهة ما فطرهم عليه، ودَبَّرَهُم به، لا يمتنعُ مُمْتَنِعٌ مِن جِبِلَّةٍ جُبِلَ[٣] عليها، ولا يَقدِرُ على تغييرها، أحب تلكَ الجِبِلَّةِ أو كرهها؛ يدل على تصديق هذا القول: قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لأن المعنى: أنه بدأكم على إرادته، شئتم أو أبيتم، وهو يبعثكم كما بدأكم، والتأويل: أتبغون دينا غير دين[٤]؛ الذي هذه صفته.

وفي قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وعيد لهم؛ أي: أتبغون غير دين الله، وتزيغون عن الله، مع أن مرجعهم إليه، فيجازيهم على رفضهم دينه، وأخذهم سواه.

وقوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الطَّوْعُ: الانقياد؛ يقال: (طاعَهُ، يَطُوعُه، طوعًا)[٥]: إذا انقاد له، وخضع. فإذا مضى لأمره (فقد أطاعَهُ)، وإذا وافقه، (فقد طاوَعَهُ)[٦].

---

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٩أ، «البحر المحيط» ٢/ ٥١٥.

(٢) في «معاني القرآن»، له: ١/ ٤٣٨. وهذا النص -هنا- له، من: (أي خضعوا ..) إلى (الذي هذه صفته).

(٣) الجِبِلَّةُ: الخليقة، والطبيعة، والغريزة. ويقال للخلق: (الجِبِلّة، والجِبِلّ، والجِبُلّ، والجُبُلُ، والجُبُلّ، والجِبْلُ). و(جَبَلَه الله على كذا)؛ أي: فطره عليه.
انظر: «الزاهر» ١/ ٣٢١، «المجمل» ٢٠٦ (جبل)، «المصباح المنير» ٣٥ (جبل).

(٤) في «معاني القرآن»: الدين.

(٥) (طوعا): ساقطة من: (ج).

(٦) انظر: (طوع) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣، «الصحاح» ٣/ ١٢٥٥، «المقاييس» ٣/ ٤٣١.

وقال ابنُ السِّكِّيت[١]: يقال: (طاعَ لهُ، وأطاعَهُ)، سواء، فَمَن قال: (طاعَ)، قال: (يَطَاعُ)، ومن قال: (أطاعَ)، قال: (يُطيعُ). فحصل في (الطَّوْع) لغتان: (طاعَ يَطُوعُ)، و(طاعَ يَطاعُ).

وانتصب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾؛ على أنه مصدرٌ وقع موقع الحال؛ وتقديره: طائعًا[٢] أو كارهًا[٣]؛ كقولك: (أتاني رَكضًا)؛ أي: راكضا؛ ولا يجوز: (أتاني كلاما)؛ أي: متكلمًا؛ لأن الكلام ليس بِضَرْبٍ للإتْيَانِ.

٨٤ - قوله تعالى ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية. في هذه الآية إنكارٌ[٤] على الكفار من اليهود والنصارى، فيما ذهبوا إليه[٥] من الإيمان ببعض النبيين دون بعض، وأمْرٌ للنبي ﷺ، وأمته، أن يقول: آمنا بالله وبجميع الرسل، وما أنزل عليهم: لا نفرق بين جميع الرسل في الإيمان[٦] بهم؛ كما فعلت اليهود والنصارى.

وأجرى أوَّلَ الآية على التوحيد، وآخِرَها على الجمع، في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾، ﴿وَنَحْنُ﴾؛ لدخول أمة محمد ﷺ في هذا الإقرار معه.

٨٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ الآية.

---

(١) في «إصلاح المنطق» ٢٥٧-٢٥٨ مع اختلاف في العبارة.
والعبارة -هنا- تتفق مع ما في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٢ عن ابن السكيت؛ مما يدل على أن المؤلف نقل النص عن «التهذيب».

(٢) (طائعًا): ساقطة من: (ب).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس: ٣/ ٢٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦٧.

(٤) في (ج): (ان كان).

(٥) إليه: ساقطة من: (ب).

(٦) في (ب): (بالإيمان).

قال ابن عباس[(١)]: يريد: خَسِرَ[(٢)] ثوابَ الله، وصارَ إلى عذابِهِ، وخَسِرَ الحُورَ العِيْنِ.

وقال الزجاج[(٣)]: يعني: خَسِرَ عَمَلَهُ؛ حيث لم يُجازَ بِهِ[(٤)] الجنةَ والثوابَ.

٨٦ - قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

قال ابن عباس[(٥)]: نزلت في اليهود[(٦)]: قَرَيظة والنَّضِير، ومَن دانَ بدينهم؛ كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا قبل مَبْعَثِهِ مؤمنين، وكانوا يَشهَدُون له بالنبوة، فلما بُعِثَ، وجاءهم بالآيات المعجزات، كفروا بغيًا وحَسَدًا[(٧)].

---

(١) من قوله: (قال ابن عباس ..) إلى نهاية (كفروا بعد إيمانهم): ساقطة من: (ج). ولم أقف على مصدر قول ابن عباس.

(٢) في (ب): (حسن).

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٣٩.

(٤) في (أ)، (ب): (يجازيه). وأثبتُّ ما رأيته صوابًا.

(٥) ورد قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٩، «زاد المسير» ١/ ٤١٨.

(٦) الذي وقفت عليه عنه: أنها نزلت في أهل الكتاب، ولم يجعل نزولها في اليهود فقط.

(٧) وقد ورد في سبب نزولها -إضافة إلى ما ذكره المؤلف-: أن رجلًا من الأنصار، أسلم، ثم ارتَدَّ ولحق بالمشركين، ثم ندم فأرسل إلى قومه؛ ليسألوا رسول الله ﷺ، هل له من توبة؟ فلما سألوا الرسول ﷺ، نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فأرسل إليه فأسلم.

وقد ورد هذا الأثر بسندٍ صحيح عن ابن عباس -من رواية عكرمة عنه-، قد أخرجه: النسائي في سننه: ٧/ ١٠٧. كتاب تحريم الدم. باب: (توبة المرتد)، وأخرجه -كذلك- النسائي في «تفسيره» ١/ ٣٠٨.

وأحمد في «المسند» ١/ ٢٤٧، وابن حبان في «صحيحه» (انظر: «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»): ١٠/ ٣٢٩، (٤٤٧٧)، «موارد الظمآن» ٤٢٧، =

وأصل (كيف): أنها للاستفهام والاستخبار عن الحال. ودخلت ههنا للإنكار؛ وذلك أن المسئول يُسألُ لأغراضٍ مختلفة، فقد يُسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، وقد يُسأل لتوبيخ، بما يظهر من معنى الجواب.

وقد ذكرنا فيما مضى[1]: لِمَ جازَ أن يَقَعَ الاستفهام موقعَ الإنكار؟

ومثل هذا قول ابن الرُّقَيَّات[2]:

= والحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٤٢، ٤/ ٣٦٦، وقال: (صحيح)، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقيُّ في «السنن» ٨/ ١٩٧. والطبري في «تفسيره» ٣/ ٣٤٠، وابن أبي حاتم ٢/ ٦٩٩، والواحدي في «أسباب النزول» ص١١٦-١١٧.

وقد ذكر مجاهد والسدي أن المرتد هو الحارث بن سويد.

وعن عكرمة أنهم أثنا عشر رجلًا، منهم أبو عامر الراهب، والحارث بن سويد، وَوضحْوَح بن الأسلت.

وقيل: إنها نزلت في أهل الكتاب، عرفوا نعت النبي ﷺ في كتبهم، ثم كفروا به بعد بعثته. وقد روي هذا عن ابن عباس والحسن.

انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٦٩٩، «أسباب النزول» للمؤلف (١١٨)، «تفسير الحسن» ١/ ٢٢١، «الدر المنثور» ٢/ ٨٨.

ومما سبق تبين أن الأثر الأول في كونها نزلت في الحارث بن سويد أصح؛ ولذا يُقدم ويُعتَمد سببًا لنزول الآية، مع عموم حكمها لكل من عَرفَ الحقَّ وارتد عنه، ثم تاب ورجع إليه، فيدخل في حكمها أهل الكتاب الذين شهدوا بأن النبي ﷺ حق، ثم كفروا به بعد بعثته؛ حسدًا منهم.

(١) من هذه المواضع: ما ذكره عند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. [آية: ٨٠ من سورة آل عمران].

(٢) هو: عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّات. أحد بني عامر بن لؤي، من الشعراء الإسلاميين، كان يوالي مصعب بن الزبير، ضد بني أمية.

انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٦١، «خزانة الأدب» ٧/ ٢٨٠.

كيفَ نَوْمِي عَلَى الفِراشِ وَلَمّا ... يَشْمَلِ الشامَ غارَةٌ شَعْوَاءُ.[١]

أي: لا نوم لي، ولا أنام. ومثله قوله: ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٧]؛ أي: لا يكون لهم عهد.

قال[٢] الزجاج[٣]: أعلم الله ﷻ أنه لا جهة لهدايتهم؛ لأنهم قد استحقوا أن يُضلُّوا بكفرهم؛ لأنهم قد كفروا بعد البيِّنات.

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾.

---

(١) البيت في «ديوانه» ٩٥. وورد منسوبًا له، في أكثر المصادر التالية: «إصلاح المنطق» ٢١١، «المنصف» ٢/ ٢٣١، «العقد الفريد» ٤/ ٤٠٦، «الأمالي» للقالي: ١/ ٩٥، «اللسان» ٤/ ٢٢٨٢، «مقاييس المقاييس» ٣/ ١٩٠ (شعى)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٩أ، «أساس البلاغة» ١/ ٤٩٥ (شعو)، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٦٣، «شرح المفصل» ٩/ ٣٦، «اللسان» ١١/ ٣٦٨ (شامل)، ١٤/ ٤٣٥ (شعا)، «خزانة الأدب» ٧/ ٢٨٧، ١١/ ٣٧٧.

ونسبه في «معجم الشعراء» (تحقيق: عبد الستار فراج): ٤٠٦ إلى محمد بن الجهم بن هارون السِّمري، صاحب الفراء.

والشعواء، الفاشية المتفرقة يقال: (أشعى القومُ الغارةَ إشعاءً): إذا أشعلوها. و(شَعِيَت الغارةُ، تَشْعَى شَعًا): إذ انتشرت.

انظر: «معجم المقاييس» ٣/ ١٩٠ (شعى)، «اللسان» ٤/ ٢٢٨٢ (شعا).

والبيت من قصيدة يمدح فيها الشاعرُ مصعبَ بن الزبير، ويعرِّض ببني أمية أعداء ابن الزبير، ويقول بأنه لا يمكن أن ينام، ولن يأتيه النوم حتى تَعُمَّ الشامَ -وهي معقل بني أمية- غارةٌ فاشية مكتسحة. وبعد هذا البيت:

تُذهِلُ الشيخ عن بنيه وتُبْدِي ... عن بُراها العَقيلَةُ العذراءُ

و(بُراها)؛ أي: خلاخيلها. يريد: أن النساء يكشفن عن خلاخيلهن وسيقانهن، حال الهروب من شدة الفزع من الغارة.

(٢) في (ج): (وقال).

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٣٩. نقله عنه بنصه.

عطف بالفعل على المصدر؛ لأنه أراد بالمصدر الفعل؛ تقديره: (كفروا بالله بعد أن آمنوا). فهو عطفٌ على المعنى؛ كما قال:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إليَّ مِن لُبْسِ الشُّفُوفِ(١)

معناه: لأن ألبس عباءة، وتَقَرَّ عيني(٢).

---

(١) البيت لميسون بنت بحدل الكلبية. زوج معاوية بن أبي سفيان، وأم ولده يزيد. وقد ورد في «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٥، «المقتضب» ٢/ ٢٧، «الأصول في النحو» ٢/ ١٥٠، «المحتسب» ١/ ٣٢٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٣، «الإيضاح العضدي» ٣٢١، «الصاحبي» ١٤٦، «شرح المفصل» ٧/ ٢٥، «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ١/ ٢٣٣، «شرح شذور الذهب» ص٣٨١، «شرح بن عقيل» ٤/ ٢٠، «المقاصد النحوية» ٤/ ٣٩٧، «منهج السالك» ٣/ ٣١٣، «التصريح» ٢/ ٢٤٢، «شرح شواهد المغني» ٦٥٣، ٧٧٨، «همع الهوامع» ٤/ ١٤١، «الخزانة» ٨/ ٥٠٣، ٥٧٤، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٠.

الشفوف: الثياب الرِّقاق. وسميت بذلك؛ لأنها تشف عما تحتها، وواحدها: (شَفّ) - بفتح الشين وبكسرها.

وقد قالته ميسون ضمن أبيات، تحنُّ فيها إلى وطنها البادية، وتُفَضِّل فيها حياةَ البداوة وشَظَفَ العيش، على نعيم المدينة وعِيشَةِ القصور.

(٢) ذكر النحويون البيت السابق شاهدا على انتصاب الفعل المضارع بـ(أنْ) المضمرة جوازا، بعد واو عاطفة على اسم صريح؛ أي: (وأنْ تقرَّ عيني) بمعنى: قرة عيني. فهذا المصدر، معطوف على المصدر الأول، فيكون: (ولبس عباءة وقرة عيني) وهذا خلاف ما ذكره المؤلف حيث أوَّلَ الاسم الوارد في الآية: ﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾، وفي البيت: (لبس)، من أجل الفعل، فقال: (أن آمنوا)، و(أن ألبس) والأوْلَى أن نتأول الفعل باسم ليصح عطفه على الاسم الصريح قبله، فيكون التقدير في الآية: (بعد إيمانهم، وأن شهدوا..)؛ أي: وشهادتهم. فعطف الشهادة على الإيمان. وكذا في البيت، يكون التقدير: (ولبس عباءة وأن تقر عيني) أي: وقرة عيني. انظر المصادر النحوية السابقة التي أوردت البيت، «الدر المصون» ٣/ ٣٠٣.

وزاد(١) صاحبُ النظم لهذا بيانا، فقال(٢):

قوله: ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾ منسوق على ما يمكن في التقدير؛ وذلك أن قوله: ﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ يمكن أن يكون: (بعد أن آمنوا)، و(أَنْ) الخفيفة مع الفعل، بمنزلة المصدر؛ كقوله: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ أي: والصوم.

ومثل هذا ممّا حُمِلَ عَلَى الإمكان(٣) قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ﴾(٤)، فهو(٥) عطف على قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، ويمكن فيه: إلا أَنْ يوحى إليه. فلمّا كان قوله(٦): ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾؛ بمعنى: يوحى إليه، حمله على ذلك. ومثله من الشعر، قوله:

فَظَلَّ طُهاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ(٧) شِواءٍ أو [قَدِيرٍ مُعَجَّلِ](٨)

---

(١) في (ج): (وأراد).

(٢) أورد هذا النص عنه السمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٣٠٣.

(٣) في «الدر المصون»: (المعنى).

(٤) [سورة الشورى: ٥١]. وبقيتها: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

(٥) من قوله: (فهو ..) إلى (إلا وحيا): ساقط من: (ج).

(٦) في (ب): ما كان يوحى. بدلًا من: (فلما كان قوله).

(٧) في (أ)، (ب): (ضعيف). والمثبت من: (ج)، ومصادر البيت.

(٨) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). وساقط من: (ب). ومثبت من: (ج)، ومصادر البيت.

والبيت لامرئ القيس، من معلقته، وقد ورد في «ديوانه» ١٢٠، «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: ٩٧، «شرح المعلقات السبع» للزوزني: ٣٦، «شرح القصائد العشر» للتبريزي: ٤٦، «اللسان» ٤/ ٢٤٦٣ (صفف)، ٤/ ٢٧١٥ (طها)، «مغني اللبيب» ٦٠٠، ٦١٧، «المقاصد النحوية» ٤/ ١٤٦، «منهج السالك» ٣/ ١٠٧، «همع الهوامع» ٥/ ٢٧٨، «شرح شواهد المغني» ٨٥٧. =

خَفَضَ قولَه: (قَدِيرٍ)[١]؛ لأنه عَطْفٌ على ما يمكن في قوله: (مُنْضِجٍ)؛ لأنه أمكن أن يكون مضافًا إلى الصَّفِيفِ[٢]، فحمله على ذلك[٣].

وقوله[٤] تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

يجوز أن يريد بـ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: ما بُيِّنَ في التوراة والإنجيل. وهو قول ابن عباس[٥].

ويجوز أن يريد: ما أتى به[٦] النبي ﷺ، من الكتاب والآيات المعجزات. وفي هذا تبعيد لهم من حال الهداية، وبيان لاستحقاقهم الكفر بفعلهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس[٧]: يريد: لا يرشد من نقض عهود[٨] الله، وظلم نفسه.

= الصفيف: هو اللحم المصفوف على الجمر على شكل شرائح مُرَقَّقة؛ ليُشوَى.
وقدير: أي: المطبوخ في القدور، فصرفه من (مفعول) إلى (فعيل).
ومعنى البيت: أنه نظرًا لكثرة الصيد، فقد ظل الطبَّاخون ما بين من يقوم بإنضاج اللحم بشوائه على الجمر، وما بين من يقوم بطبخه في القدور. وقوله: (معجل)؛ لأنهم كانوا يستحبون تعجيل كل ما كان من الصيد يُستظرف.

(١) (خفض قوله قدير) غير مقروء في (أ). وساقط من: (ب). ومثبت من: (ج)، و«الدر المصون».

(٢) في (ب): (الخفيف).

(٣) أي: حَمَلَ (قدير) على (صفيف)؛ لأنه أمكن أن يكون (صفيف) مجرورًا بالإضافة إلى (منضج).

(٤) من قوله: (وقوله..) إلى (الكفر بفعلهم): ساقط من: (ب).

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) (أتى به): غير مقروء في (أ). ومثبت من (ج).

(٧) لم أقف على مصدر قوله.

(٨) في (ج): (عهد).

وهذا خاص فيمن[1] علم الله ﷻ منهم أنهم لا يؤمنون، وأراد ذلك منهم.

٨٧ - قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال ابن عباس[2]: يريد: المؤمنين[3]. فعلى هذا؛ ﴿ٱلنَّاسِ﴾، خاصٌ؛ ولكنَّه لمَّا ذكر الثلاثة، قيل: ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

وقال الزجاج[4]: معنى (لَعْن الناسِ أجمعين لهم): أن بعضَهم يوم القيامةِ يَلعَنُ بعضًا، ومَن خالَفَهم؛ يلعنهم في الدنيا. فقد استقرَّت عليهم لعنةُ الجميع، وإن كان على التفريق.

٨٨ - قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ نصبٌ على الحال مما قبله، وهو قوله: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) في (ب): (بمن).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) ورد هذا -كذلك- عن قتادة، والربيع.
وقيل: اللفظ على إطلاقه، وأن الكافرَ يلعنه الناسُ جميعًا يوم القيامة. وهو قول أبي العالية. وكذا قال مقاتل بالعموم.
وقيل: هي قول القائل: (لعنة الله على الظالم)، فتجب تلك اللعنة للكافر؛ لأنه ظالم، فكل أحد من الخلق يلعنه. وهو مروي عن السدي.
ورجح هذا الطبري، وجعل بمعناه قول أبي العالية السابق. واستدل له بقوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [سورة هود: ١٨].
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٨٨، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٣، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٣٤، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٠٦، «الدر المنثور» ٢/ ٨٧، «روح المعاني» ٢/ ٢٩، عند تفسير آية: ١٦١ من سورة البقرة، وهي نظير هذه الآية.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٠. نقله عنه بنصه.

(٥) انظر: «المشكل» لمكي ١/ ١٦٩، «التبيان» للعكبري: ٢٠٠.

وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾ قال ابن عباس[(١)]: في جهنم.

فعلى هذا؛ الكنايةُ[(٢)] عن[(٣)] غيرِ مَذْكورٍ[(٤)].

وقال الزجاج[(٥)]: أي: فيما توجبه اللعنة؛ [أي: في عذاب اللعنة][(٦)].

وقال بعضهم[(٧)]: الكناية راجعة إلى اللعنة.

ومعنى (خلودهم في اللعنة): استحقاقهم دائمًا لها، مع ما[(٨)] توجبه من أليم العقاب؛ بدوامها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ معنى (الإنظار): تأخير العبد؛ ليُنظَرَ في أمره[(٩)]؛ أي: لا[(١٠)] يُؤخرون عن وقتهم المؤقت[(١١)] لعذابهم.

---

(١) لم أقف على مصدر قوله، وقد ذكره الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٤٢.

(٢) الكناية؛ هي: الضمير.

(٣) في (ج): (من).

(٤) قال ابن عطية: (وقرائن الآية تقتضي أن هذه اللعنة مخلدة لهم في جهنم، فالضمير عائد على النار، وإن كان لم يجر لها ذكر؛ لأن المعنى يُفهمها في هذا الموضع). «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٠٧.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٠. نقله عنه بتصرف.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٧) ممن قال بذلك: مقاتل، في «تفسيره» ١/ ٢٨٨.

(٨) في (أ)، (ب)، (ج): (معما). وما أثبتُّه هو الموافق للرسم الإملائي؛ لأن (ما) اسمية موصولة، ولا توصل بـ(مع)، وإنما قيل: إن (ما) الحرفية الزائدة توصل بـ(مع). انظر: «كتاب الإملاء». لحسين والي: ١٠٦، ١١٠.

(٩) الإنظار -لغة-: التأخير والإمهال. يقال: (أنْظَرتُه، أُنْظِرُه). وتقول: (أَنْظِرْني): أمهلني. انظر: «نزهة القلوب» للسجستاني: ٧٢، «العمدة في غريب القرآن» لمكي: ٨١، «اللسان» ٧/ ٤٤٦٧ (نظر).

قال ابن عطية: (ولا يجوز أن يكون ﴿يُنْظَرون﴾ -هنا- نظر العين، إلا على توجيه غير فصيح، لا يليق بكتاب الله -تعالى-). «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٠٧.

(١٠) في (ب): (ما).

(١١) في (ب): (الوقت).

٨٩ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نصبٌ؛ استثناء من قوله: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ والتوبةُ لا تكون إلا بعد الذنْبِ، ولكنْ فيه دلالةٌ على معنًى تابوا منه؛ وذلك أن التوبة مِن غير الرِّدَّةِ لا ينفع[١] في التَّخَلُّصِ منها[٢]، كما أن التوبةَ من ذَنْبٍ لا ينفعُ في التخلص من ذَنْبٍ آخر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ قال ابن عباس[٤]: يريد: راجعوا الإيمان بالله، والتصديق بِنَبِيِّهِ، وأَصلَحُوا أعمالَهم.

وقال الزجاج[٥]: معنى ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: أظهروا للناس أنهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوهُ مِن تَغْرِيرِهم مَن تَبِعَهم[٦]، مِمَّن لا علم عنده. وشَرَطَ مع[٧] التوبةِ الإصلاحَ؛ لإزالة الإيهام؛ أنهم إذا تابوا من الارتداد، [لم][٨] يضرهم غيرُهُ مِنَ الفساد؛ وعلى ذلك، قال[٩]: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

(١) في (ب)، (ج): (لا تنفع).
(٢) أي: من الردة.
ومن قوله: (منها..) إلى (من ذنب آخر): ساقط من: (ج).
(٣) انظر: «لوامع الأنوار» ١/ ٣٨٤.
(٤) لم أقف على مصدر قوله.
(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٠. نقله عنه بتصرف.
(٦) (تبعهم): غير مقروء في (أ). وفي (ب): (بعدهم). وفي «معاني القرآن»: (اتَّبعهم). والمثبت من: (ج).
(٧) في (ب): (شرائع). بدلًا من: (شرط مع).
(٨) زيادة لازمة من (ج).
(٩) (قال): ساقطة من (ب).

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١]؛ لإزالة الإيهام: أنَّ مَن كان مؤمنًا[٢]، لم[٣] يضره ما عمل بعد ذلك مِن الجُرْمِ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ دخلت الفاءُ في: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾؛ لِشَبَهِ الجزاء؛ إذ[٤] كان الكلامُ قد تضمن معنى: (إنْ تابوا؛ فإنَّ الله يغفر لهم).

وقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال الزجاج[٥]: أعلم الله أنَّ مِن سَعَةِ[٦] رحمته وتفضله، أنْ يغفرَ لِمَن اجترأ عليه هذا الاجتراء؛ وذلك أنَّ الذي[٧] فعلوا، لا غايةَ وَرَاءَهُ فِي الكفر، وهو: أنَّهم كفروا بعد[٨] تَبَيُّنِ الحقِّ.

٩٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ قال ابن عباس[٩]: نزلت في اليهود؛ كفروا بعد إيمانهم بمحمد، وتصديقِهم إيّاهُ قَبْلَ[١٠] بِعثَتِهِ[١١].

---

(١) مقطع من: سورة الشعراء: ٢٢٧، وص: ٢٤، والانشقاق: ٢٥، والبروج: ١١، والتين: ٦، والبينة: ٧، والعصر: ٣.

(٢) (مؤمنا): غير مقروء في (ج).

(٣) في (ب): (لا).

(٤) في (ج): (إذا).

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٠. نقله عنه بتصرف.

(٦) في (ب): (منّه).

(٧) (الذي): غير مقروء في (أ). وفي (ب): (الذين). والمثبت من: (ج).

(٨) (بعد): ساقطة من: (ج).

(٩) لم أقف على مصدر قوله.

(١٠) في (ج): (وقيل).

(١١) أورد ابن كثير عن ابن عباس -من رواية الكلبي- أن سبب نزول الآية، هو: أن =

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بالإقامة على كفرهم حتى هلكوا عليه. قاله مجاهد[(١)].

وقال الحسن[(٢)]: ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾؛ أي: كلَّما نزلت آية على محمد ﷺ، كفروا بها.

وقال قتادة[(٣)]: إنَّ اليهود كفروا بعيسى والإنجيل، بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم، ثم ازدادوا كفرًا، بكفرهم بمحمد والقرآن.

﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾.

= قومًا أسلموا ثم ارتدُّوا عن الإسلام، فأرسلوا إلى قومهم يسألون إن كان لهم من توبة، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.

ونسب ابنُ كثير إخراجَه إلى البزار -مسندا-، وقال: (هكذا رواه، وإسناده جيد). «تفسيره» ١/٤٠٨ .

ولكن السيوطي قال -بعد أن أورد هذه الرواية عن البزار-: (هذا خطأ من البزار)؛ وذلك أن ابن عباس ورد عنه بنفس السند الذي عند البزار: أن هذا كان سببًا لنزول قوله -تعالى-: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾ آية: ٨٦. وقد مر بيانه عند تفسيرها.

وورد عن الحسن وأبي العالية أنها نزلت في اليهود والنصارى؛ كفروا بعد إيمانهم. ثم ازدادوا كفرًا بذنوب عملوها، ثم يتوبون من تلك الذنوب بعد كفرهم. وفي أثر لأبي العالية أضاف لهم المجوس.

انظر: «تفسير الطبري» ٣/٣٤٣، «ابن أبي حاتم» ٢/٧٠١، «أسباب النزول» للواحدي: ص١١٨، «الدر المنثور» ٢/٨٨.

(١) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/٧٠١، «الثعلبي» ٣/٧٠أ، «البغوي» ٢/٦٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/٨٨، ونسب إخراجه إلى عبد بن حميد والطبري.

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/٧٠أ، «تفسير البغوي» ١/٦٥، «زاد المسير» ١/٤١٩.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٣/٣٤٣، «ابن أبي حاتم» ١/٧٠١، «الثعلبي» ٣/٧٠أ، «النكت والعيون» ١/٤٠٨، «تفسير البغوي» ٢/٦٥، «زاد المسير» ١/٤١٩.

قال الحسن[١]، وقتادة[٢]، وعطاء[٣]: لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾[٤]، الآية.

وقال ابن الأنباري[٥]: لن تُقبل توبتهم التي تقدمت في حال إيمانهم وتصديقهم محمدًا ﷺ؛ لأن الله ﷻ لا يَقبَلُ مع الإقامة على الشرك توبةً متقادمةً[٦]، ولا عَمَلًا حَسَنًا ماضيًا مرجوعًا عنه إلى ضدِّه.

٩١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ (مِلْءُ[٧] الشيء): قدر ما يَمْلؤه، وهو اسمٌ يُثَنَّى ويُجمع؛ يقال:

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٤، «ابن أبي حاتم» ١/ ٧٠٢، «الثعلبي» ٣/ ٧٠ب، «زاد المسير» ١/ ٤١٩، و«تفسير الحسن البصري» ١/ ٢٢٢.

(٢) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٥، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٧٠٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٠أ، «النكت والعيون» ١/ ٤٠٨، «زاد المسير» ١/ ٤١٩.

(٣) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٦، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٧٠٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٠ب، «زاد المسير» ١/ ٤١٩.
وعطاء -هنا- هو: أبو عثمان، عطاء بن أبي مسلم -(اسمه: مَيْسرة)-، البَلْخي الخراساني. تابعي، مشهور بالعبادة والفتوى والجهاد، والتفسير، صاحب رِحْلَة، قال ابن حجر: (صَدوق، يَهم كثيرا، ويرسل ويدلس). مات سنة (١٣٥هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٣٤، «حلية الأولياء» ٥/ ١٩٣، «الميزان» ٣/ ٤٧٠، «تقريب التهذيب» ٣٩٢ (٤٦٠٠).

(٤) [سورة النساء: ١٨]، وتمامها: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) في (ب): (مقادمة).

(٧) في (ب): (بمثل).

(مِلْءُ القَدَح)، و(مِلآهُ)، و(ثلاثة أملائِهِ)[١]. والفرق بين (المِلْءِ) و(المَلْءِ)[٢]، كالفرق بين (الرِّعْي) و(الرَّعْي)[٣].

وانتصب ﴿ذَهَبًا﴾ على التفسير[٤].

قال المُفضَّل[٥]: ومعنى التفسير: أن يكون الكلامُ تامًّا وهو مُبْهَم؛ كقولك: (عندي عشرون)؛ فالعدد[٦] معلوم، والمعدود[٧] مُبْهَم.

فإذا قلت: (درهمًا)[٨]، فَسَّرت العددَ. وكذلك إذا قلت: (هو أَحْسَنُ

---

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٧٧٦ (ملأ)، «اللسان» ٧/ ٤٢٥٢ (ملأ).

(٢) في (ب): الملاء والملاء. وهكذا رسمت (مل) في نسخة (ب) فيما سيأتي.
المِلْءُ -بالكسر-: اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ.
والمَلْءُ -بالفتح-: المصدر. (ملأ الشيء، يملؤه مَلأً).
انظر: (ملأ) في «اللسان» ٧/ ٤٢٥٢، «القاموس» (١٣٣٥).

(٣) في (ب): (والري).
الرِّعي -بالكسر-: الكلأ، والجمع: أرْعاء. والرَّعي -بالفتح-: المصدر.
انظر: (رعى) في «اللسان» ٣/ ١٦٧٦-١٦٧٧، «القاموس» (١٢٨٩).

(٤) التفسير -هنا- بمعنى: التمييز، ويقال له - كذلك: التبيين.
وكونه منصوبًا على التمييز، هو قول عامة أهل النحو.
انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٢٥، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٤٢.
وذهب الكسائي إلى انه منصوب بنزع الخافض.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٣١.
وقال السمين الحلبي -عن هذا القول-: (وهذا كالأول؛ لأن التمييز مقدر بـ «مِن»). «الدر المصون» ٣/ ٢٠٦.

(٥) من قوله: (قال المفضل ..) إلى (ما لا عامل فيه): نقله -بنصه- عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٠ ب. وأورده القرطبي في «تفسيره» ٤/ ١٣١.

(٦) في (ب): (العدد)، وفي (ج): (والعدد).

(٧) في (ج): (والمعدوم).

(٨) في (ج): (درهم). وعند الثعلبي: (عشرون درهما).

الناسِ)، فقد أخبرت عن حُسْنِه، ولم يبين[١] في أي شيء هو، فإذا قلت: (وَجْهًا)، أو [(فِعْلًا)][٢]، فقد بينته، ونصبته [على التفسير، وإنما نصبته][٣]؛ لأنه ليس له ما يخفضه ولا ما يرفعه، فلما خلا من هذين، نُصِبَ؛ لأن النصب أخفُّ[٤] الحركات، فجُعِل لكل ما لا عامل فيه.

وقال سيبويه[٥]: انتصب (ذهبًا)؛ لأن الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين المِلْءِ أن يكون جَرًّا[٦]؛ ومعنى هذا: أنَّ العاملَ[٧] اشتغل بالإضافة في ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾[٨]، وبما يعاقِبُ الإضافة من النون الزائدةِ في (عشرون درهمًا)، فجرى ذلك مجرى الحالِ في اشتغال العامل بصاحبها[٩]، ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل.

---

(١) في (ب)، (ج)، «تفسير الثعلبي»: (تبين).

(٢) ما بين المعقوفين: غير مقروءة في (أ). وفي (ب): فضلًا. والمثبت من: (ج)، «تفسير الثعلبي».

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج)، «تفسير الثعلبي».

(٤) في (ب): (أحد).

(٥) لم أقف على موضع قوله في كتابه، وقد ذكره الزجاج في «معانيه» ١/ ٤٤٢.

(٦) في (ب): (خبرا).

(٧) في (ب): (الملاء).

(٨) أي: إننا شغلنا الإضافة بالاسم الذي قبل ﴿ذَهَبًا﴾، وهو ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، فانجرت ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ بالإضافة، ثم جاء ﴿ذَهَبًا﴾ فانتصب كما ينتصب الحالُ، أو المفعول إذا جاء من بعد الفاعل.

(٩) في (ج): (لصاحبها).

أي: بصاحب الحال؛ كقولنا: (جاء عبدُ الله راكبًا) فشغلنا الفعل بـ(عبد الله) وهو صاحب الحال فرفعه، فبقيت (راكبًا) ليس لها ما يرفعها ولا ما يجرها، فانتصبت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

قال الفرّاء[(١)]: الواو زائدةٌ، كهي في قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]؛ المعنى: لن يُقبلَ مِن أحَدِهم مِلْءُ الأرضِ ذهبًا، لو افتدى به.

وغَلّطَهُ الزجاجُ وغيرُه[(٢)]، وقالوا: الواو ههنا للعطف؛ لأن المعنى: لو[(٣)] عمل مِنَ الخَيْرِ، وقَدَّمَ مِلْءَ الأرضِ ذهبًا؛ يتقرب به الله ﷻ، لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو افتدى من العذابِ بِمِلْءِ الأرضِ ذهبًا، لم يُقْبَل منه. فالواو دخلت لفعلٍ مُضْمَرٍ، وهو[(٤)]: (القَبُولُ)؛ أي: ولا يُقبل منه لو افتدى به[(٥)].

قال ابن الأنباري: وهذا آكَدُ في التغليظ عليهم، إذْ كانوا لا يُقبل منهم [مِلْءُ الأرضِ ذَهَبًا، على جهة الصَّدَقَةِ والتَّقَرُّبِ إلى الله جل وعز، ولا يُقبل منهم][(٦)] أيضًا على جهة فِدْيَةٍ[(٧)].

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٦.
(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٤١، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٣٧.
(٣) في (ب): (ولو).
(٤) هو: بياض في (ج).
(٥) انظر: «الكامل» للمبرد: ١/ ٢٧٧، «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٦، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢١١.
(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).
(٧) قال رسول الله ﷺ: **«يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سُئلت ما هو أيسر من ذلك»**. رواه البخاري في «صحيحه» (٦٥٣٨). كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب فقد عُذب، ومسلم في «صحيحه» (٢٨٠٥) كتاب: صفات المنافقين، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا، رقم (٢٨٠٥) وفي لفظه عنده: **«قد=**

وقد أشار الفراء إلى هذا القول أيضًا ، فقال[١] : والواو [ههنا كأنَّ لها فِعْلًا][٢] مُضْمَرًا بعدها.

وقال بعض النحويين[٣] : الواو ههنا دخلت لتفصيل نفي القَبول بعد الإجمال؛ وذلك[٤] أنَّ ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [قد عمَّ وجوهَ القَبول][٥] بالنفي، ثم أتى بالتفصيل؛ لِئَلَّا يتَطَرَّق عليه سوءُ التأويل[٦].

٩٢ - قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ قال شَمِر[٧] : اختلف العلماء في تفسير ﴿ٱلْبِرَّ﴾ : فقال بعضهم : البِرُّ: الصلاح. وقال بعضهم: الخير، ولا أعلم تفسيرًا [أجمع منه؛ لأنه][٨] يُحيط بجميع ما قالوا.

قال: وجعل لَبِيد[٩] (البِرَّ): التُّقَى؛ حيث يقول:

= أردت منك أهون من هذا وأنت في صُلْبِ آدم: أن لا تشركَ - وأحسبه قال - ولا أدخِلَكَ النار، فأبيت إلا الشرك».

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٦.

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). ومثبت من: (ب)، (ج)، «معاني القرآن».

(٣) لم أقف عليهم.

(٤) (وذلك): ساقطة من: (ج).

(٥) ما بين المعقوفين: غير مقروء تمامًا في (أ). وفي (ب): قد أجمل القبول. والمثبت من: (ج).

(٦) أي: أنه نفى جميع وجوه القبول، ثم خص من تلك الوجوه: أليقها وأحراها بالقبول، وهو: الافتداء، فنفاه كذلك.

(٧) من قوله (قال شمر) إلى (في غير طاعة وخير): نقله عن «تهذيب اللغة» ١/ ٣٠٧ (برر).

(٨) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): أجمع سيرة لأنه. والمثبت من (ج)، «تهذيب اللغة».

(٩) في (ب): (النيل).

وما البِرُّ إلا مُضْمَراتٌ مِنَ التُّقى[١]

وقول الشاعر:

تُحَزُّ رُؤوسُهم في غَيْرِ بِرٍّ[٢]

معناه: في غير طاعة وخير. وعلى هذا دار كلام المفسرين.

قال عطاء[٣] ومقاتل[٤]: البِرُّ: التقوى، في هذه الآية. وقال أبو رَوْق[٥]: الخير.

---

(١) صدر بيت، وبقيته:

وما المالُ إلا مُعْمَراتٌ ودائِع

وهو في ديوانه: ١٦٩. وورد في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٠٧ (بر)، «اللسان» ١/ ٢٥٢ (برر). والمُضْمَر: الهزيل. من: (ضَمَرَ، يضمُرُ، ضمورًا)، و(الضُمْرُ، والضُمُرُ): الهزال. والمعمرات: من قول العرب: (هذه الدار لك عُمْرَى)؛ أي: لك ما عمرت، فإذا مت، فلا شيء. (ضمر) «التهذيب» ٣/ ٢١٣٣، «القاموس» (٤٢٩).

(٢) صدر بيت، وبقيته:

فما يدرون ماذا يَتَّقونا

وهو لعمرو بن كلثوم، من معلقته. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: ٣٩٧، «شرح المعلقات السبع» للزوزني: ص١٢٦، «شرح القصائد العشر» للتبريزي: ٢٣٠.

وورد غير منسوب في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٠٧ (برر)، «اللسان» ١/ ٢٥٢ (برر). وورد (تَحُزُّ)، و(نَجُذُّ)، و(نَحُذُّ)، و(تَخر).

(٣) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «زاد المسير» ١/ ٤٢٠، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٣٣. ونص قوله: (لن تنالوا شرف الدين والتقوى، حتى تتصدقوا، وأنتم أصحاء أشحَّاء، تأملون العيش، وتخشون الفقر).

(٤) ورد هذا القول عن مقاتل بن سليمان، وهو في «تفسيره» ١/ ٢٩٠.

وورد عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٠٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٦٦، «زاد المسير» ١/ ٤٢٠.

(٥) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «زاد المسير» ١/ ٤٢٠.

ورُوِيَ عن ابن عباس، ومجاهد، والسدِّي، أنهم قالوا[١]: [البِرُّ؛ المرادُ به ههنا: الجنة. وقال بعض أهل المعاني[٢]: معنى الآية: لَنْ تَنالوا][٣] البِرَّ من الله ﷻ بالثواب في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قال ابن عباس في رواية الضحاك[٤]: أراد بهذه الآية: الزكاةَ؛ يعني: حتى تُخرجوا زكاةَ أموالكم.

وقال الحسن[٥]: كل شيء أنفقهُ المُسْلِمُ مِن مالِهِ؛ يبتغي به وجْهَ الله ﷻ، فإنّه من الذي عَنَى الله سبحانه بقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، حتى التَّمْرَةَ.

وقال مجاهد، والكلبي[٦]: هذه الآية منسوخة، نسختها آيةُ الزَّكاةِ[٧].

---

(١) قول ابن عباس، ومجاهد، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٦، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٣٣.
وقول السدي، في «تفسير الطبري» ٣/ ٣٤٧، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٠٣، «الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «البغوي» ٣/ ٦٦، «القرطبي» ٤/ ١٣٣.

(٢) لم أقف عليهم.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) هذه الرواية عنه، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٦، «زاد المسير» ١/ ٤٢١.

(٥) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧١أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٦٦.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) آية الزكاة، هي: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [آية: ٦٠ من سورة التوبة].
قال الفخر الرازي - رادًا على من قال إن هذه الآية منسوخة -: (وهذا في غاية البعد؛ لأن إيجاب الزكاة؛ كيف ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ﷻ؟).
«تفسيره» ٨/ ١٤٨.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

[تأويلها[١] تأويل الشرط والجزاء، وموضعها نَصْبٌ بـ﴿تُنفِقُوا﴾، والفاء في ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾][٢]، جوابُ المجازاة.

وتأويل الآية: وما تنفقوا من شيء فإنَّ اللهَ يجازيكم به قَلَّ أو كَثُرَ، فإنه عليم به، لا يخفى عليه شيء منه.

نَظِير هذه الآية[٣] في المعنى: قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقوله تعالى[٤]: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[٥].

٩٣ - قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية.

قال أهل التفسير: لما ادَّعى النبي ﷺ أنه على مِلَّةِ إبراهيم؛ قالت اليهود: كيف وأنت تأكل لُحومَ الإبلِ وألبانها؟ فقال النبي ﷺ: «**كان ذلك حلالاً[٦] لإبراهيم، فنحن نحله**».

فقالت اليهود: كلُّ شيءٍ أصبحنا اليوم نُحرِّمُهُ، فإنه كان مُحرَّمًا على نوح وإبراهيم؛ فأنزل الله ﷻ تكذيبًا لهم: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٧]

---

(١) من قوله: (تأويلها ..) إلى (جواب المجازاة): نقله بتصرف عن: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٤٣.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٣) في (ج): (وهذا) - بدلًا من: (وهذه الآية).

(٤) (تعالى): ساقطة من (ج).

(٥) [سورة البقرة: ٢٧٠] وبقيتها: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

(٦) (حلالًا): ساقطة من: (ج).

(٧) ورد هذا القول عن أبي رَوْق، والكلبي - بدون سند - كما في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٣أ، «أسباب النزول» للواحدي: ص١١٨، «زاد المسير» ١/ ٣٢٦، وأورده البغوي - كذلك - دون عزوٍ لقائل -، في «تفسيره» ٢/ ٦٧.

[الآية][1] و(الحِلُّ)، و(الحَلالُ)، و(المُحَلَّلُ): واحد. قال ابن عباس في زمزم[2]: (هي حِلٌّ وَبِلّ)[3]. رواه سُفْيَان بن عُيَيْنَة[4]، عن عَمْرو بن دينار عنه، فسُئِل سفيانُ: ما (حِلٌّ)[5]؟ فقال: مُحَلَّلٌ.

وروى ابن عباس[6]: أن النبي ﷺ قال: **«إنَّ يعقوبَ مرض مرضًا شديدًا[7]، فنذر لَئِن عافاه الله؛ ليُحرِّمَنّ أحبَّ الطعام والشراب إليه. وكان أحب الطعام إليه: لُحْمان الإبل، وأحب الشراب إليه: ألبانها».**

---

(١) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٢) هذه الرواية عنه، في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٠٥ (حل).

(٣) قال في «اللسان» ١/ ٣٤٩ (بلل): (والبِلَّة: الخير والرزق. والبِلّ: الشفاء والبِلَّة: العافية والبِلّ: المباح. وقالوا: (هو لك حلٌّ وبِلٌّ)، فـ(بل): شفاء ويقال: (بِلٌّ): مباحٌ مُطلقٌ، يمانيَّة حِميَريَّة).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في «التهذيب»: ما حل وبل.

(٦) هذه رواية شهر بن حوشب عنه، أخرجها: أحمد في «المسند» ١/ ٢٤٧. والطيالسي في «المسند» ٤/ ٤٥٠ (٢٨٥٤)، والطبري في «تفسيره» ١/ ٤٣١، ٤/ ٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٠٤، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٢/ ٢٤٦ برقم (١٣٠١٢)، وأوردها الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٤٢، وقال: (رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات).
وورد بنحوه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، أخرجها: أحمد في «المسند» ١/ ٢٧٤، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ١١٤، والترمذي في «سننه» (٣١١٧) كتاب التفسير، باب: سورة الرعد، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٢، وصححه ووافقه الذهبي. والطبري ٤/ ٤، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٠٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣٠٤، وقال: غريب من حديث سعيد، تفرد به بكير [بن شهاب].

(٧) وفي المروي عن ابن عباس في المراجع السابقة: أن الألم الشديد هو: عِرْق النَّسَا.

وهذا قول: أبي العالية[١]، وعطاء[٢]، ومقاتل[٣]، والكلبي[٤]: أن الذي حرَّم إسرائيلُ[٥] على نفسه كان[٦] لحومَ الإبلِ وألبانَها[٧].

قالت العلماء[٨]: إنما حرَّمَ إسرائيلُ ذلك على نفسه بإذن الله ﷻ[٩] له[١٠] [فيه][١١]، كما جاز[١٢] الاجتهاد في الأحكام لما أَذِنَ اللهُ فيه[١٣].

---

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٣ب، «البغوي» ٢/ ٦٨، «زاد المسير» ١/ ٤٢٢.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤، والمصادر السابقة.

(٣) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٦٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٣ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٦٨.

(٤) قوله في «بحر العلوم» ٢/ ١٠٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٣ب، «البغوي» ٢/ ٦٨.

(٥) إسرائيل، هو: يعقوب ﷺ.

(٦) من قوله: (كان ..) إلى (ذلك على نفسه): ساقط من (ج).

(٧) وورد - كذلك - أنه حرم عروق اللحم. وهذا مروي - كذلك - عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وأبي مجلز. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢-٤.
وعن ابن عباس: أنه حرم زائدتي الكبد والكليتين والشحم، إلا ما كان على الظهر.
وعن مجاهد: أنه حرم الأنعام. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٠٥.
ورجح الطبريُّ أنه حرم العروق ولحوم الإبل، وقال: (لأن اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما، كما كان عليه أوائلها). «تفسيره»٤/ ٥.

(٨) لم أقف على من قال ذلك ممن سبق المؤلف.

(٩) (ﷻ): ليس في (ج).

(١٠) (له): ساقطة من: (ب).

(١١) ما بين المعقوفين غير مقروء تمامًا في (أ). وساقط من (ب)، (ج). والمثبت هو ما رجحته.

(١٢) (كما جاز): ساقطة من: (ب).

(١٣) يَرِدُ على كلام المؤلف - هنا - التالي: إذا كان التحريمُ بإذن الله، فأين مجال الاجتهاد هنا؟. ولذا عَرَضَ الماورديُّ تحريمَ إسرائيل ذلك على نفسه، كالتالي: (هل كان بإذن الله - تعالى - أم لا؟ على اختلافهم في اجتهاد الأنبياء على قولين: أحدهما: لم يكن إلا بإذنه، وهو قول مَن زعم أنه ليس لِنَبِي أن يجتهد. =

وللنبي[١] أن يجتهد في الأحكام؛ لأنه إذا كان بالدين أعلم، ورأيُه أفضل، كان بالاجتهاد أحق، ولا[٢] يجوز لأمته أن يخالفوه في اجتهاده، كما لا يجوز مخالفة الإجماع[٣].

وإن[٤] كان من طريق الاجتهاد. فعلى هذا؛ لم تكن لحومُ الإِبل محرمة عليهم في التوراة، وإنما لزمهم ذلك التحريم من جهة يعقوب.

وقال الحَسَنُ[٥]: حَرَّم إسرائيلُ على نفسه لحم الجَزُور؛ تَعَبُّدًا لله ﷻ، فسأل ربه أن يجيز ذلك له، فحرَّمَه اللهُ على ولده.

= الثاني: بغير إذنٍ، بل باجتهاده، وهو قول مَن قال إنَّ للنبيِّ أن يجتهد). «النكت والعيون» ١/ ٤٠٩-٤١٠.

(١) في (ج): (للنبي) بدون واو.

(٢) في (ج): (ثم لا).

(٣) وهذه مسألة وقع فيها خلاف بين الأصوليين: هل كان النبي ﷺ مُتعبَّدًا بالاجتهاد فيما لا نَصَّ فيه؟ قال بذلك الإمام أحمد وأبو يوسف، وجوزه الشافعي من غير قطع، وبه قال بعضُ أصحابه، واختاره الآمديُّ.
انظر: «المحصول» للرازي: ٢/ ٤٣/ ١٨٤ وما بعدها، وأفعال الرسول ﷺ، د. محمد الأشقر: ١/ ١١٨ وما بعدها.
وهناك مسألة أخرى، هي: هل يجوز أن يَكِلَ الله (يفوض) إلى نَبِيِّه أن يَحْكُمَ في بعض الأمور بما يَرَاه، دون نَصٍّ ولا قياسٍ على منصوص، ويُعَدُّ ذلك شَرْعَ الله، ويكون مُكَلَّفًا به؟ ترددت هذه المسألة عند الأصوليين بين المنع والجواز؛ فمنعها أكثر المعتزلة، والجَصَّاص من الحنفية. وممن أجازها الآمديُّ، وابنُ السمعاني، والشيرازي. وكانت هذه الآية من أدلتهم على الجواز. ولم يَقْطَعْ بذلك الشافعيُّ.
انظر: «أفعال الرسول ﷺ» ١/ ١٢٣-١٢٦.

(٤) في (أ)، (ب): فإن (بالفاء). ولم أر لها وجهًا، ولا يستقيم بها المعنى المراد. والمثبت من: (ج)؛ لاستقامة المعنى وصحة السياق.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤ بمعناه. وبنصه في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٤أ.

وقال عَطِيَّةُ[١]: إنما كان ذلك حرامًا عليهم، بتحريم إسرائيل ذلك عليهم؛ وذلك أنَّه[٢] قال: لئن عافاني الله؛ لا يأكل لي ولدٌ لحم الجزور[٣]. ولم يكن ذلك محرمًا عليهم في التوراة.

وقال الضَّحّاك[٤]: لم يكن شيءٌ من ذلك عليه[٥] حرامًا، ولا حَرّمَهُ اللهُ عليهم في التوراة، وإنما هو شيء حرموه على أنفسهم؛ اتِّباعًا لأبيهم، ثم أضافوا تحريمَهُ إلى الله ﷻ، فكذبهم الله ﷻ، فقال: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾.

وقال السُدِّي[٦]: إنَّ الله تعالى[٧] لما أنزل التوراة، حرَّم عليهم ما كانوا يُحرِّمونه قبل نزولها؛ اقتداءً بأبيهم يعقوب عليه السلام.

فالمفسرون مختلفون كما ترى في أن هذا التحريم: هل ثبت عليهم من الله تعالى في التوراة، أم لا؟.

---

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٤أ، كما ورد في «تفسير الطبري» ٤/ ٢ من رواية عطية عن ابن عباس.

(٢) في (ب): (لأنه).

(٣) نص قوله عند الثعلبي والطبري، يفيد أن يعقوب عليه السلام حرم على نفسه العروق؛ حيث قال عطيّةُ - كما عند الثعلبي -: (وذلك أن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا: والله! لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولدٌ، ولم يكن ذلك محرمًا عليهم في التوراة). أي: أصابه عرق النسا، والضمير في (لا يأكله) يعود على العرق.

(٤) قوله بمعناه، في «تفسير الطبري» ٤/ ٢، «بحر العلوم» ٢/ ١١٠.

(٥) (عليهم): ساقطة من: (ج).

(٦) قوله بمعناه، في «تفسير الطبري» ٤/ ١. وبهذا النص في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٤أ.

(٧) لفظة (تعالى): ساقطة من: (ب).

وكيفما[١] كان، ففي التوراة بيان أن ابتداء هذا التحريم من جهة يعقوب، وقبله كان حلالًا لإبراهيم عليه السلام. والنبي ﷺ كان يَدَّعي دين إبراهيم.

٩٤ - قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ الافتراء: اختلاق الكذب[٢]. والفِرْيَةُ: الكذِبُ والقَذْفُ[٣]. وأصلُهُ مِنْ: (فَرْيِ الأديم)، وهو: قَطْعُهُ[٤]، فقيل للكَذِبِ: افتراء؛ لأن الكاذب يقطع به على التقدير، من غير تحقيق.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد ظهور الحُجَّة: بأنَّ التحريم إنما كان من جهة يعقوب، ولم يكن محرمًا قبله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنفسهم ومن يدعونهم إلى مذهبهم.

٩٥ - قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ أي: في جميع ما أخبر به، وفيما أخبر[٥] مِنْ أنَّ ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. [الآية][٦].

٩٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾. الآية. قال أبو إسحاق[٧]: معنى (الأول) في اللغة: ابتداء الشيء. ثم جائزٌ أن يكون له ثانٍ، وجائزٌ أن لا يكون؛ كما تقول: (هذا أوَّلُ مالٍ[٨] كَسَبْتُهُ). جائزٌ أن

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (كيف ما). وأثبتها وفق الرسم الإملائي الحديث.
(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ١٠٣، «غريب القرآن» لليزيدي: ٤٠، «نزهة القلوب» للسجستاني ١٢٤، ١٢٥، «التاج» ٢٠/ ٤٧ (فري).
(٣) انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٤٥٤ (فرا)، «التاج» ٢٠/ ٤٧ (فري).
(٤) وهو قطعة: ساقطة من: (ب).
انظر هذا المعنى، في «جمهرة اللغة» ٨٧٩ (فري)، «المقاييس» ٤٩٦ (فرى).
(٥) (به وفيما أخبر): ساقط من (ج).
(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
(٧) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٥. نقله عنه بتصرف واختصار.
(٨) في (ج): (ما).

يكون بعده كسبٌ، وجائزٌ أن لا يكون، ولكن إرادتك: (هذا ابتداءُ كَسْبِي).

ومضى الكلامُ في معنى (الأول) واشتقاقه، عند قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١].

واختلفوا في تأويل قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ فقرأت على الشيخ أبي حسَّان، محمد بن أحمد بن جعفر، فقلت: أخبركم أبو سَهْل، هارون بن محمد(١) بن هارون الإسْتَرَاباذي(٢) أبنا(٣) أبو محمد، إسحاق بن أحمد الخزاعي(٤)، أبنا(٥) أبو الوليد، محمد بن عبد الله الأَزْرَقي(٦)، حدثني

(١) في مصادر ترجمته التالية: (هارون بن أحمد) بدلا من: (محمد).

(٢) هو: أبو سهل، هارون بن أحمد بن هارون بن بندار بن حريش - أو خداش - بن الحكم، والإستراباذي. شيخ فاضل، مكثر من الحديث، ارتحل إلى العراق والحجاز، وحدث سنين في نيسابور وبخاري ونسف وسمرقند، مات سنة (٣٦٤هـ). انظر: «الأنساب» ١/ ٢١٦، «تاريخ الإسلام» للذهبي: ٢٦/ ٣٣١ وفيات (٣٥١-٣٨٠هـ).

(٣) في (ج): (أخبرنا). قال السيوطي: (ويكتبون مِن (أخبرنا): (أنا)؛ أي: الهمزة والضمير. ولا تحسن زيادة الباء قبل النون؛ وإن فعله البيهقي وغيره؛ لئلا يلتبس برمز حدَّثنا). «تدريب الراوي» ٢/ ٨٧.

(٤) في (ب): أبو محمد إسحاق بن محمد بن أحمد.

وهو: أبو محمد، إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع الخزاعي، شيخ الحرم، من كبار أهل القرآن، وأحد فصحاء مكة، ثقة حجة، توفي سنة (٣٠٧هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٢٨٩، ومقدمة محقق «أخبار مكة» للأزرقي: ١/ ١٦-١٧.

(٥) في (ج): (أخبرنا).

(٦) مؤرِّخ، من أهل مكة، أصله من اليمن، له كتاب: «أخبار مكة»، اختلف في سنة وفاته، ورجح محقق «أخبار مكة» القولَ بأنه كان حَيًّا في عهد الخليفة العباسي، المنتصر، الذي حكم سنة (٢٤٧-٢٤٨هـ).

انظر: «الفهرست» (١٥٨)، ومقدمة محقق «أخبار مكة»: ١/ ١٣-١٥، «الأعلام» ٦/ ٢٢٢، «معجم المؤلفين» ٣/ ٤٢٩.

مهدي بن أبي المهدي[(١)]، ثنا أبو أيوب البصري[(٢)]، ثنا هشام[(٣)]، عن حميد[(٤)]، قال: سمعت مجاهدًا يقول: (خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئًا من الأرضين)[(٥)].

وبه عن الأزرقي، قال: حدثني يحيى بن سعيد[(٦)]، عن محمد بن عمر بن إبراهيم[(٧)]، عن عثمان بن عبد الرحمن[(٨)]، عن هشام، عن مجاهد، قال: (لقد خلق الله موضع هذا البيت، قبل أن يخلق شيئًا من الأرض بألفي سنة، وإنَّ قواعده لفي الأرض السابعة السفلى)[(٩)].

---

(١) هو: مهدي بن حرب العبدي، الهَجَري، قال أبو حاتم: (شيخ ليس بمنكر الحديث). وقال ابن حجر: (مقبول).
انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٣٥، «تقريب التهذيب» ٥٤٨ (٦٩٢٨).

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) هو: أبو عبد الله، هشام بن حسان القُرْدُوسي البصري. ثقة، إمام كبير الشأن، توفي سنة (١٤٧هـ)، أو (١٤٨هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٥٤، «تهذيب الكمال» ٣٠/ ١٨١، «ميزان الاعتدال» ٥/ ٤٢٠، «تقريب التهذيب» ٥٧٢ (٧٢٨٩).

(٤) هو: أبو صفوان، حميد بن قيس الأعرج، المكي، القارئ، تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الأزرقي، في «أخبار مكة»: ١/ ٣١-٣٢، وانظر معناه، في «تفسير الطبري» ٧/ ٢٠-٢١، «تفسير البغوي» ١/ ٣٢٨، «زاد المسير» ١/ ٤٢٤.

(٦) لم أقف على ترجمته.

(٧) في «أخبار مكة»: (محمد بن عمر بن إبراهيم الجبيري). ولم أقف على ترجمته.

(٨) لم أقف على ترجمته.

(٩) أخرجه الأزرقي، في «أخبار مكة» ١/ ٣٢، والطبري في «تفسيره» ١/ ٥٤٨، وأورده السيوطي في «الدر» ١/ ٢٣٦، وزاد نسبة إخراجه إلى الحميدي، وعبد الرزاق - ولم أقف عليه في مُصنَّفِه، ولا في تفسيره.

وبه عن الأزرقي، ثنا علي بن هارون العجلي[(١)]، ثنا [عن أبيه][(٢)]، [قال][(٣)]: ثنا [القَاسم][(٤)] بن عبد الرحمن الأنصاري[(٥)]، حدثني محمد بن علي بن علي بن أبي طالب[(٦)]، عن أبيه[(٧)]، قال: (إنَّ الله بعث ملائكته، فقال: ابنوا لي في الأرض بيتًا بمثال البيت المعمور وقَدْرِهِ، وأمر الله مَنْ في الأرض مِنْ خَلْقِه، أن يطوفوا به، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خَلْق آدم)[(٨)].

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من «أخبار مكة» ١/ ٣٢.
وهو: هارون بن مسلم بن هُرْمُز العجْلي، أبو الحسين البصري، صاحب الحِنّاء. من أتباع التابعين، قال ابن حجر: (صدوق)، وقال أبو حاتم: (فيه لين)، ووثقه الحاكم، وابن حبّان، مات بعد المائتين. انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ٤١١، «لسان الميزان» ٧/ ٢٤١، «تقريب التهذيب» ٥٦٩ (٧٢٤٠).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج)، وأخبار مكة.

(٥) قال عنه ابن معين: (ضعيف جدًّا)، وقال أبو حاتم: (ضعيف الحديث، مضطرب الحديث). انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ١٤-١٥، «لسان الميزان» ٥/ ٥٠٠-٥٠١.

(٦) هو: أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، من فقهاء المدينة، وكان يتولى الشيخين: أبا بكر وعمر، ويبرأ من عدوهما، ويقول: (فإنهما كانا إمامي هدى) وقال: (ما أدركت أحدًا من أهل بيتي، إلا وهو يتولاهما)، توفي سنة مائة وبضع عشرة. انظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٥٠، «التقريب» ٤٩٧ (٦١٥١).

(٧) هو: الملقب بـ(زين العابدين)، الثقة الثبت العابد الفاضل، المتفق على جلالته. قال الزهري: ما رأيت قرشيًّا أفضل منه، توفي سنة (١٩٣هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ١٧٨، «التقريب» ٤٠٠ (٤٧١٥).

(٨) جزء من أثر طويل، أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» ١/ ٣٢-٣٤، وورد في «تفسير البغوي» ٢/ ٧٠.

وقال ابن عباس[١]: هو أول بيتٍ بناه آدمُ في الأرض.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]: هو أول بيت مبارك وهدى وُضِع[٣] للناس. وهو قول الضحاك[٤].

وروي عن ابن عباس أيضًا قال[٥]: هو أول بيت وُضِع للناس يُحَجُّ إليه. واختاره الزجاج[٦].

وأخبرنا أبو الحسين بن أبي عبد الله الفَسَوي[٧]، أبنا أحمد[٨] بن

---

(١) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٥ب، «البغوي» ٢/ ٧٠، «زاد المسير» ١/ ٤٢٤.

(٢) قوله: في «أخبار مكة» ١/ ٦١، «تفسير الطبري» ٤/ ٧، «الثعلبي» ٣/ ٧٥ب، و«المطالب العالية» ١٤/ ٥٣٩ (٣٥٥٦) - ونسب إخراجه لابن راهويه في مسنده.

(٣) وضع: ساقطة من: (ب).

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٥ ب، «تفسير البغوي» ٢/ ٧٠.

(٥) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٥ب.

(٦) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٦، وهو قوله: (فجائز أن يكون أول بيت، هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره).

(٧) هو: أبو الحسين، عبد الغافر بن محمد (أبي عبد الله) بن عبد الغافر بن أحمد الفارسي، الفسوي. أحد رواة صحيح مسلم، وأحد رواة «(غريب الحديث») للخطابي، يرويه عن مؤلفه. كان عَدْلًا جليلَ القَدْر. قال عنه حفيدُه عبد الغافر الفارسي صاحب كتاب (السياق لتاريخ نيسابور): (الثقة الأمين الصالح الديِّن). توفي سنة (٤٤٨هـ). انظر: «المنتخب من السياق» ٣٦١، «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٩، «شذرات الذهب» ٣/ ٢٧٧.

وقد أثبت محقق تفسير (الوسيط، من أول آل عمران - على آخر المائدة) اسمه كالتالي: (أبو الحسن الفسوي)، وأشار إلى وروده في نسخة أخرى لـ(الوسيط): (أبو الحسين القشيري)، وقد وهم المحققُ فَعَرَّف الفَسَوِيَ - هذا - بأنه: (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الفارسي)، وهو خطأ ظاهر.

انظر: «تفسير الوسيط» من أول آل عمران إلى آخر المائدة: ٢٧٥.

(٨) في (ج): (حمد). وهو الأصوب في اسم هذا الإمام؛ فقد قال - رحمه الله -: =

محمد البُسْتي، ثنا[١] إسماعيل بن محمد الصفّار[٢]، ثنا[٣] سعدان[٤]، ثنا[٥] أبو معاوية[٦]، ثنا الأعمش عن إبراهيم التَّيْمي[٧]، عن

= (اسمي الذي سُمِّيت به: (حمْد) - [بتسكين الدال] -، ولكن الناس كتبوا (أحمد)، فتركته عليه). «وفيات الأعيان»: ٢/ ٢١٥.

وهو: الإمام أبو سليمان، حمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسْتي، الخَطّابي.

(١) في (ب): (أبنا).

(٢) نقل الحافظ العراقي قول ابن حزم فيه: إنه (مجهول)، ودفع هذا ابن حجر، وسَمَّاه: (الثقة، الإمام النحوي المشهور)، وذكر أنه حدَّث عن الكبار، وانتهى إليه عُلُوُّ الإسناد، وأنه روى عنه الدارقطني، وابنِ مَنْدَه، والحاكم، ووثقوه، صَحب المبرِّد وأخذ عنه. قال الدارقطني: (وكان متعصبًا للسُّنَّة)، مات سنة (٣٤١هـ)، وله ٩٤سنة. انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ٣٠٢، و«إنباه الرواة» ١/ ٢٤٦، وذيل «ميزان الاعتدال» ١٤٠، «لسان الميزان» ١/ ٦٦٦.

(٣) في (ب): (أبنا).

(٤) هو: أبو عثمان، سعدان بن نصر بن منصور البغدادي، الثقفي، البزار. ثقة صدوق، توفي سنة (٢٦٥هـ)، وقد جاوز التسعين.

انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٢٩٠، «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٠٥، «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٥٧.

(٥) في (ب): (أبنا).

(٦) هو: محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم، الضرير، الكوفي. ثقة، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وحديثه عنه فيه اضطراب، اتهم بالإرجاء، والتدليس، مات سنة (١٩٥هـ).

انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ٢٤٦، «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٧٣، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٥١.

(٧) هو: إبراهيم بن يزيد بن شَرِيك التيمي الكوفي، أبو أسماء. ثقة عابد، ولكنه يرسل ويدلس، قتله الحجاج سنة (٩٢هـ)، وله أربعون سنة.

انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ١٤٥، «الميزان» ١/ ٧٤، «التقريب» ٩٥ (٢٦٩).

أبيه[١]، عن أبي ذر[٢]، قال: قلت: يا رسول الله ﷺ[٣]؛ أيُّ مسجد وُضِعَ في الأرض أوَّلا؟ قال: «**المسجد الحرام**». قال: قلت[٤]: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قال: قلت كم بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**». قال: «**فأينما[٥] أدركتك الصلاةُ فَصَلِّ[٦]؛ فهو مسجدٌ**»[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾.

---

(١) هو: يزيد بن شَريك بن طارق التَّيْمي الكوفي. ثقة، عَدَّه ابنُ حجر مِن طبقة كبار التابعين، وكان عريف قومه، يقال: إنه أدرك الجاهلية، مات في خلافة عبد الملك.
انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٢٧١، «التهذيب» ٤/ ٤١٧، «التقريب» ٦٠٢ (٧٧٢٩).

(٢) اختلف في اسمه، وأصح ما قيل فيه: جُنْدُب بن جُنادة، الغِفَاري. من كبار الصحابة، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وتوفي بـ(الرَّبَذة) سنة (٣١هـ) أو (٣٢هـ) وليس له عقب.
انظر: «المعارف» لابن قتيبة: ٢٥٢، «الاستيعاب» ٤/ ٢١٦، «صفة الصفوة» ١/ ٢٩٨، «الإصابة» ٤/ ٦٢.

(٣) (ﷺ): ليس في (ج).

(٤) في (ج): (ثم قلت).

(٥) فأينما: كتبت في (أ)، (ب)، (ج): (فأين ما). وكذا رسمت في صحيح البخاري: ٤/ ١١٧، وأثبتُّها وفق الرسم الإملائي الحديث.

(٦) في (ب): (فصلي).

(٧) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٣٦٦)، كتاب: الأنبياء باب: (١٠)، ومسلم في «الصحيح» (٥٢٠). كتاب: المساجد ومواضع الصلاة. وأحمد في «المسند» ٥/ ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٨-٩، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٧٠، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٧٦أ، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٣، وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبيهقي في «الشعب».

بَكّة: هي[(١)] مكة، في قول الضحاك[(٢)]، ومجاهد[(٣)]، والمُؤَرّج[(٤)]. فأبدِلَت الميمُ باءً، كقوله[(٥)]: (سَبَّدَ[(٦)] رأسَهُ)، و(سَمَّدَ رأسَه)[(٧)]، و(أَغْبَطَت

---

(١) في (ج): (قال هي).
(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦أ، «زاد المسير» ٣/ ٤٢٥.
(٣) قوله في مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٢٦٢ (١٤١٢٥)، «تفسير الطبري» ٤/ ٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٠٩، «النكت والعيون» ١/ ٤١٠، «تفسير القرطبي» ٤/ ٣١٨، «الدر المنثور» ٢/ ٩٤، وزاد نسبة إخراجه إلى سعيد بن منصور، والبيهقي في «الشعب» وعبد بن حميد.
وأورد السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٩٤ عن مجاهد، أن (بكة) هي: الكعبة، ومكة: ما حولها. ونسبة إخراجه إلى عبد بن حميد.
ونَصُّ قولِ مجاهد - كما في الطبري -: (إنما سميت (بكة)؛ لأن الناس يتباكُونَ فيها، الرجال والنساء)؛ أي: يزدحمون. إلّا أن الطبري أتى بقول مجاهد شاهدًا على أن المراد بـ(بكة) موضع مُزدَحِم الناس للطواف، وأن ما كان خارج المسجد فـ(مكة) لا (بكة)؛ لأن ما كان خارجَ المسجد لا يوجب على الناس التّباك فيه؛ أي: التزاحم.
(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦أ.
(٥) في (ج): (كقولك).
(٦) في (ب): (وشهد).
(٧) (رأسه، وسمد رأسه): ساقط من: (ب).
التسبيد أو التسميد - هنا -: ترك التدهن، وغسل الرأس، وقيل: هو الحلق واستئصال الشعر حتى يلصق بالجلد، وقيل: تطويل الشعر وتكثيره. فهو حرف من الأضداد.
ويقال: (سَبَدَ شعرَه وسَبَتَه) - بالتخفيف -: إذا حلقه، ويقال: (سبَّد شعرُهُ): إذا نبت بعد الحلق، أول ما يظهر.
انظر: «الأضداد» لقطرب: ١٤٤، «الأضداد» للسجستاني: ٩١، «غريب الحديث» لأبي عبيد: ١/ ١٦٢، «الأضداد» لابن الأنباري: ٣٠٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٢، «ذيل كتاب الأضداد» للصغاني: ٢٣٢.

الحُمَّى)، و(أَغْمَطت)[١]، و(ضَرْبة لازِمٍ)، و(لازِبٍ)[٢]. ومَكَّة سُمِّيَت بذلك؛ لقلة مائها، وعدم الزرع والضَرْع بها، من قولهم[٣]: (مَكَّ الفَصِيلُ ضَرْعَ[٤] أُمِّهِ)، و(امْتَكَّهُ)[٥]: إذا امتص كلَّ ما فيه.

وقال [ابن الأنباري[٦]: سُمِّيَت مكة؛ لاجتذابها الناس إليها من كل أُفُقٍ وفَجٍّ، من قولهم][٧]: (وقال تَمَكَّكْتُ المُخَّ من العَظْم): إذا استقصيت عليه في جِذْيه[٨]، وكذلك (تَمَكُّك[٩] الفَصِيلِ ما في

---

(١) في (ب): (وأغطش).
ومعنى: (أغْبَطَت الحمَّى وأغْمَطَت)؛ أي: لزمته الحُمَّى ولم تفارقه. وهو مأخوذ من وَضْع (الغَبِيط) على الجَمَلِ، و(الغَبيط): ما يوطَّأ للمرأة من هودج وغيره، ويقال: (أغْبَطْتُ الرَّحْلَ على الدابة إقباطا): إذا ألزمته إيّاه.
انظر: «غريب الحديث» لابن سلام: ١/ ٩٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٣١ (غبط)، «الفائق» ٣/ ٤٧، «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٣٤١.

(٢) اللُّزوب: اللصوق، والثبوت. و(طين لازب)؛ أي: لاصق وثابت. و(اللَّازب واللاتب واللاصق)، واحد. وتقول العرب: (صار الأمر ضربة لازب)؛ أي: شديدًا لازمًا ثابتًا. ويقولون: (ليس هذا بضربة لازب) و(لازم)؛ بمعنى: ما هذا بواجب لازم؛ أي: (ما هذا بضربة سيف لازب)، وهو مَثَل.
انظر: «إصلاح المنطق» ٢٨٨، «التاج» ٢/ ٤٠٢ (لزب).

(٣) (من قولهم): ساقط من: (ج).

(٤) في (ج): (زرع).

(٥) (وامتكه): ساقطة من: (ج).

(٦) قوله في «الزاهر» ٢/ ١١٢. نقله عنه بالمعنى.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٨) في (ب): (حديه)، في (ج): (حذبه). وفي «الزاهر»: (تمككت العظمَ: إذا أجديت ما عليه من اللحم). وما أثبته صواب لغة؛ لأن (جِذْي كلِّ شيءٍ، وجِذْمهُ): أصله. انظر: «اللسان» ١/ ٥٨١ (جذا).

=

(٩) في (ج): (امتكاك).

الضرع)[١].

وقال الآخرون[٢]: (مكّة): اسم البلد كله[٣]، و(بَكَّة): موضع البيت والمطاف. سميت بكّة؛ لازدحام الناس بها، يَبُكُّ بعضهم بعضًا، أي: يدفع ويصلي بعضهم بين يدي بعض، ويَمُرُّ بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا هناك.

وقال الليث[٤]: سميت مكَّةُ: بَكَّةَ[٥]؛ لأنها تَبُكُّ أعناقَ الجبابرة، إذا ألحدوا فيها؛ أي: تَدُقُّ. و(البَكُّ): دَقُّ العُنُقِ[٦].

= والتَّمَكُّك، مصدر (تَمَكُّك)؛ أي: امتصَّ ما في الضرع.
أما (مَكَّ)، فمصدرها: (المَكُّ). انظر: «اللسان» ٧/ ٤٢٤٨ (مك).

(١) في (ب): (الدرع).
انظر المعاني السابقة، في «غريب الحديث» لابن سلام: ١/ ٤٣٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٥ (مك)، «معجم البلدان» ٥/ ١٨١، «اللسان» ٧/ ٤٢٤٨-٤٢٤٩ (مكك).

(٢) في (ب)، (ج)، «تفسير الثعلبي» (آخرون).
ومن قوله: (وقال الآخرون ..) إلى (لا يصلح ذلك إلا هناك): نقله - بتصرف يسير - عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٦٧أ.
ومن هؤلاء الآخرين القائلين بهذا القول: مالك بن أنس، وعكرمة، وزيد بن أسلم، وعطية العوفي، وضمرة بن ربيعة، وإبراهيم النخعي، ومقاتل بن حيان، والطبري.
انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» ٣/ ٢٦١-٢٦٢ «تفسير الطبري» ٤/ ٧-١٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٠٨-٧٠٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٦أ، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٣٨، «معجم البلدان» ٥/ ١٨١.

(٣) في (ب): (اسم البيت).

(٤) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٧٧.

(٥) (بكة): ساقطة من: (ج).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ٩٧، «تفسير الطبري» ٤/ ٩، «الصحاح» ٤/ ١٥٧٦ (بكك)، «معجم البلدان» ١/ ٤٧٥، «اللسان» ١/ ٣٣٥ (بكك).

وقوله تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾ معناه[١]: كثير الخير؛ أنْ جعل فيه وعنده البَرَكَة، ومعنى البَرَكَةِ: الكثرة في كل خير.

وقال بعض أهل المعاني: أصل البَرَكَة: الثُّبُوت؛ من قولك: (بَرَكَ بَرْكًا، وبُرُوكًا): إذا ثبت على حاله[٢]. فالبَرَكَة: ثُبُوت الخير؛ بِنُمُوِّهِ وتَزَيُّدِه.

ومنه: (البَراكاء) في القتال[٣]، ومنه: (البِرْكة)، شِبْهُ الحوض؛ لثبوت الماء فيها. و(تبارك الله)؛ لثبوته، لم يزل ولا يزال[٤].

وقال اللِّحْياني[٥]: (باركت على التجارة، وغيرها)؛ أي: داومت وواظبت عليها[٦].

---

(١) (معناه): ساقطة من: (ج).

(٢) قال ابن فارس: (الباء، والراء، والكاف، أصل واحد، وهو: ثبات الشيء ثم يتفرع فروعًا يقارب بعضها بعضًا). «مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٧ (برك).

(٣) البراكاء: الثبات في الحرب، والجدّ، ويقال - كذلك - لساحة الحرب، وأصله من البُرُوك. انظر: (برك) في «الصحاح» ٤/ ١٥٧٥، «اللسان» ١/ ٢٦٧.

(٤) قال ابن الأنباري: (قال قوم: معنى (تبارك): تَقَدَّس؛ أي: تطهروقال قوم: معنى (تبارك اسمك): تفاعل من (البَرَكة)؛ أي: البركة تُكتسب وتنال بذكر اسمك). «الزاهر» ١/ ١٤٨.

وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٨ أن (تبارك): ارتفع. والمتبارك: المرتفع. وينقل عن الزجاج: أنه (تفاعل) من (البركة).

انظر المعاني السابقة لـ(البركة)، في مادة (برك) في «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، «الصحاح» ٤/ ١٥٧٤، ١٥٧٥، «اللسان» ١/ ٢٦٦.

(٥) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩ .

(٦) وفي «مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٩، ينقل عن ابن السكيت قوله: (بَرَكَ فلانٌ على الأمر، وبارك، جميعًا: إذا واظب عليه).

وانتصب ﴿مُبَارَكًا﴾ على الحال. قال الزجاج[١]: المعنى: لَلَّذي[٢] استقر بمكة في حال بَرَكَتِه، وقال[٣]: هو حالٌ مِنْ ﴿وُضِعَ﴾، أي: وُضِعَ مباركًا.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو إسحاق[٤]: المعنى: وذا هُدَى[٥]. قال: ويجوز أن يكون ﴿وَهُدًى﴾ في موضع رفع؛ على معنى: وهو هُدَى.

ومعنى كونه ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: أنه قِبْلَةُ صلاتهم، ودلالة على الله تعالى من حيث هو المدبر له[٦] بما لا يقدر عليه غيره، مِن أَمْنِ الوحوش فيه، حتى يجتمع الكلبُ والظَبْي[٧] فلا يعدوا عليه، وحتى يأنَسَ الطيرُ فلا يمتنع كما يمتنع في غيره، إلى غير ذلك من الآثار البينة فيه، مع البَرَكة التي يجدها من حج البيت.

٩٧ - قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ قال ابن عباس[٨]: يريد:

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٥.

(٢) في (ج)، «معاني القرآن» الذي.

(٣) هذا القول ليس في «معاني القرآن» عند الموضع السابق، وقد يكون نقله المؤلف من موضع آخر في كتاب المعاني، لم أقف عليه، وقد يكون المؤلف حكى معنى قول الزجاج.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٥. نقله عنه بتصرف قليل.

(٥) هذه العبارة غير موجودة في «معاني القرآن» في الموضع السابق.

(٦) في (ب): (الذي) بدلًا من: (له بما).

(٧) في (ج): (والصبي).

(٨) الذي وقفت عليه عن ابن عباس - من رواية عطية - أنه فسره بمقام إبراهيم والمشعر. إلا أنه ورد عنه - من رواية عطاء بن أبي رباح، عنه - أنه قرأ ﴿فيه آيَةٌ بيِّنَةٌ﴾، وفسره بـ(مقام إبراهيم)، وفسر مقام إبراهيم بأنه الحج كله. =

المناسك والمشاعر كلها. وقال آخرون[١]: الآيات التي فيها: أَمْنُ الخائف، وإمحاقُ الجِمَارِ[٢] على كثْرةِ الرَّامي، وامتناع الطَيْرِ مِنَ العُلُوِّ عليه[٣]، واستشفاءُ المريض به، وتعجيلُ العقوبة لمن انتهك فيه حُرْمة[٤]، وإهلاكُ أصحاب الفِيل لَمَّا قصدوا [لإحْراقِهِ][٥].

فعلى[٦] هذا؛ تفسير الآيات[٧] وبيانها[٨]، غير مذكور[٩] في الآية. ومذهب جماعة من المفسرين[١٠]: أنَّ تفسير الآيات مذكورة، وهي قوله: ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: هي: مقامُ إبراهيم؛ يعني: الآيات. وقال بعضهم[١١]: المعنى: منها مقام إبراهيم.

= انظر: «الطبري» ١/ ٥٣٥، ٤/ ١٠، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٠، «الدر المنثور» ٢/ ٩٦.

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٤٤-٤٤٥، «النكت والعيون» ١/ ٤١١، «تفسير البغوي» ٢/ ٧١.

(٢) في (ب): الجبار.

(٣) قال ابن عطية: (وهذا كله عندي ضعيف، والطير تُعايَنُ تعلوه). «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٢٨.

(٤) في (ب): (حرمة فيه).

(٥) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ)، وفي (ج): (الإحراقه)، والمثبت من: (ب).

(٦) في (ب): (وعلى).

(٧) في (ج): (الآية).

(٨) من قوله: (وبيانها ..) إلى (الآيات مذكورة): ساقط من (ج).

(٩) في (أ)، (ب): (منكور). وفي (ج): ساقطة. وما أثبتُّه هو الصواب.

(١٠) ومنهم: مجاهد، والسدي، ومقاتل، وقول ابنِ عباس على حسب القراءة المروية عنه ﴿فيه آية بيِّنة﴾؛ حيث فسرها بـ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٠، «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩١.

(١١) منهم: مجاهد، وقتادة، والطبري. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٧، «تفسير الطبري» ٤/ ١١، «الدر المنثور» ٢/ ٩٦.

فإن قيل: (الآيات) جماعة، ولا يصح تفسيرُها بشيء واحد. قلنا: يجوز ذلك؛ كما يقول القائل: (في بلدة كذا، لي أصدقاء وقرابات)، ثم يقتصر على ذكر واحدٍ منهم، على معنى تخصيص له.

وعند الزجاج: أن قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، مِن تفسير الآيات؛ لأنه قال[1]: ومن الآيات[2] أيضًا: أَمْنُ مَنْ دَخَلَه. قال: ومعنى (أَمْن مَن دخله): أن إبراهيم عليه السلام سأل الله عز وجل أنْ يُؤَمِّنَ سكانَ مكةَ، قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، فجعل [عز وجل][3] أَمْنَ مكةَ آيةً لإبراهيم، فلم يطمع في أهلها جبَّار، فكان فيما[4] عطف الله تعالى من قلوب العرب في الجاهلية على مَنْ لاذَ بالحَرَمِ حتى يُؤَمِّنوا[5]، آيةً بَيِّنَةً، يدل على هذه الجملة قولُ قتادة في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، قال[6]: كان ذلك في الجاهلية، فأما اليوم، فإنْ سرقَ فيه [أحدٌ][7] قُطِعَ، وإن قَتَلَ فيه قُتِلَ.

وقد ذكرنا الحُكمَ في هذا عند قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

---

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٦.
(٢) في (ج): (ومن تفسير الآيات). وكلمة (تفسير) غير موجودة في «معاني القرآن».
(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وساقط من (ب). والمثبت من (ج)، «معاني القرآن».
(٤) في (ج): (فيها).
(٥) في (ج): (يؤمنوه).
(٦) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٧، «تفسير الطبري» ٤/ ١١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٢، والأزرقي، في «أخبار مكة» ٢/ ١٣٩، «الدر المنثور» ٢/ ٩٣ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج). وهي موجودة في رواية الأثر في المصادر السابقة، وورد في «تفسير عبد الرزاق»: (وأخذَ قطِع).

وقال الضحاك في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال[١]: مَن حَجَّهُ فدخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قَبْلَ ذلك.

وعن يحيى بن جعدة[٢] في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال: مِنَ النَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿ولله على النَّاسِ حَجُّ البيتِ﴾ [ويقرأ ﴿حِج البيت﴾][٣] بالكسر[٤]. فالمَفتوح: مصدرٌ، وهو لغة أهل الحجاز. والمكسور: اسم العَمَلِ[٥].

---

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٧ ب.
وقوله: (من حجه فدخله كان آمنا): ساقط من: (ج).

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٤، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٧٧ب، «النكت والعيون» ١/ ٤١١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٨، وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
ويحيى بن جَعْدة بن هُبَيرة، بن أبي وَهْب المخزومي القرشي. تابعي، ابن أخت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال عنه أبو حاتم: (حجازي ثقة)، روى عن بعض الصحابة، وأرسل عن ابن مسعود وأبي بكر. انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ١٣٣، «المراسيل» ٢٤٥، «تقريب التهذيب» ص٥٨٨ (٧٥٢٠).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿حِجّ﴾ - بالكسر -، وقرأ الباقون: ﴿حَجّ﴾ - بالفتح -. انظر: «علل القراءات» للأزهري ١/ ١٢٣، «الحجة» للفارسي ٣/ ٦٩، «الكشف» لمكي ١/ ٣٥٣.

(٥) في (ج): (للعمل). قال أبو زرعة بن زنجلة: (الفتح، لأهل الحجاز، وبني أسد، والكسر، لغة أهل نجد وقيل: إن الفتح مصدر، والكسر اسم). «حجة القراءات» ١٧٠. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨، «الصحاح» ١/ ٣٠٣ (حجج)، «القاموس» (١٨٣) (حج).

قال سيبويه[(١)]: ويجوز أن يكون مصدرًا كـ(الذِكْرِ) و(العِلْم).

وقوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

قال الزجّاج[(٢)]: موضع ﴿مَن﴾: خفض على البدل من ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ المعنى هو[(٣)]: [و][(٤)] لله على من استطاع [إليه سبيلا][(٥)] مِنَ الناس، حِجُّ البيت[(٦)].

قال الفرّاء[(٧)]: وإنْ نويت الاستئناف بـ ﴿مَن﴾، كان جزاء، وكان الفعل به بعدها جزمًا، واكتفيتَ بما جاء قبله من جوابه، [والتأويل][(٨)] فيه: [من استطاع][(٩)] إلى الحج سبيلًا، فلِلّهِ[(١٠)] عليه حِجُّ البيت[(١١)]. فقدم الجوابَ وهو مؤخر في المعنى، على مذهب العرب في التقديم والتأخير.

---

(١) في «الكتاب» له ٤/ ١٠، نقله عنه بمعناه. ونصُّ سيبويه: (وقالوا: حجَّ حِجًا، كما قالوا: ذكر ذِكرا).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٧، نقله عنه بنصه. وانظر: «الكامل» للمبرد ٣/ ١٨.

(٣) (هو): ساقطة من (ج). وليست في «معاني القرآن».

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، «معاني القرآن».

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). وهي ليست في «معاني القرآن».

(٦) من الناس حج البيت: ساقطة من: (ج).
وهذا التوجيه النحوي، هو قول أكثر النحويين. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٥٣.

(٧) لم أقف على مصدر قوله، وقد أورده الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٦٦، ونصه عنده: (إن نويت الاستئناف بـ(مَنْ) كانت شرطًا، وأسقط الجزاء؛ لدلالة ما قبله عليه). وبقية العبارة كما هي عند المؤلف.

(٨) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). وساقط من: (ب). والمثبت من (ج).

(٩) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). وفي (ب): (كالمستطاع). والمثبت من (ج).

(١٠) في (ج): (ولله).

(١١) ونسب هذا الرأي للكسائي، كما في «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٥٣-٣٥٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٦٩.

وقال ابن الأنباري[١]: ويجوز أن يكون في موضع رَفْعٍ؛ على الترجمة للناس؛ على معنى: (هُمْ[٢]: مَن استطاع إليه سبيلا).

وأما معنى الاستطاعة في اللغة:

فالاستطاعة مأخوذة مِن: (طاع له[٣] الشيءُ يَطُوعُ)، و(طاع يُطيع): إذا انقاد له[٤]. يقال: (فَرَس طَوْعُ العِنَانِ)[٥]: إذا انقاد لك. و(تطاوع لي الأمرُ)؛ أي: سهل حتى تمكنت منه. فمعنى قولهم: (استطعت): استمكنت منه ووجدت السبيلَ إلى فعله؛ لمطاوعته لي وسهولته عَلَيّ[٦]. وكلّ من

---

(١) لم أقف على مصدر قوله وقد أورده الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٦٦.

(٢) في (أ)، (ب): (بهم). والمثبت من (ج).

(٣) (له): ساقط من (ج).

(٤) وردت في معاجم اللغة التي رجعت إليها: (طاعَ له يطوع طوْعًا): إذا انقاد.
أما (طاع يُطيع)، فلم أجدها. وإنما الذي وقفت عليه، ما ورد في «تهذيب اللغة» عن ابن السكيت: (يقال: (طاع له وأطاع)، سواء. فمن قال: (طاع)، قال: (يَطاع). ومن قال: (أطاع)، قال: (يُطيع». «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٢ (طوع). وكذا نقله ابن دريد عن أبي زيد.
انظر: «الجمهرة» (طوع): ٩١٧، ١٣١٠ . وانظر مادة (طوع) في «العين» ٢/ ٢٠٩، «الصحاح» ٣/ ١٢٥٥، «المقاييس» ٣/ ٤٣١. وانظر تفسير قوله - تعالى -: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ من الآية: ٨٣ من هذه السورة .

(٥) في (ب): (القتال).
وعِنان اللجام: السير الذي تمسك به الدابة. وجمعه: (أعِنَّة). انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٤١ (عنن).
يقال: و(طَوْعة العنان). ويقال: (ناقةٌ طَوْع القِياد، وطَيِّعة القياد، وطَوْعة القياد)؛ أي: ليِّنة لا تنازع قائدها. انظر: (طوع)، في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣، «اللسان» ٥/ ٢٧٢٠.

(٦) في (ب): (له).

تَوصَّلَ إلى مُرامِهِ، وتمكَّنَ من مطلبه، قالوا: (قد استطاعة، واسْطاعَه)[(١)]؛ لانقياد ذلك المطلوب له. والعرب تستعمل لفظ الاستطاعة[(٢)] فيمن يصل إلى مرادهِ مِن غير مباشرة لذلك الفعل؛ كما يقولون: استطاع الأمير فتحَ بلدِ كذا، وإنْ لم يَتَوَلَّ بنفسه، وإنما توصل إليه برجاله وأمواله، فليس كل الاستطاعة بالمباشرة بالأعضاء.

وأما التفسير: فقال ابن عباس في رواية عطاء[(٣)]: يريد بـ(الاستطاعة) القوة. واختلف الناس في الاستطاعة الموجبة للحج: [فالذي عليه الجمهور أن معنى (الاستطاعة) ههنا، هو: القوة. والمستطيع للحج][(٤)]: هو القوي الذي لا يلحقه مشقة غير محتملة في الكَوْنِ على الراحلة، فهذا إذا ملك الزاد والراحلة، لزمه فرضُ الحج بنفسه. وإن[(٥)] عدم الزاد والراحلة أو أحدَهما سقط فرضُ الحج عنه، فوجودُهُ[(٦)] الزادَ والراحلةَ شرطٌ في

---

(١) في (ج): (وأطاعه).
والعرب تحذف التاءَ مِن (استطاع)، فتقول: (اسطاع)، ومن (يستطيع)، فتقول: (يسطيع)؛ لأن التاء والطاء من مخرج واحد، فيحذفون التاء استثقالًا لها مع الطاء. وبعض العرب يقول: (استاع يَسْتِيع)؛ أي: (استطاع يستطيع). وبعضهم يقول: (أسْطاع يُسْطِيع) - بهمزة قطع -، يريدون: أطاع يُطيع، فيزيدون السين. انظر: (طوع) في «التهذيب» ٣/ ٢١٥٣، «الصحاح» ٣/ ١٢٥٥.

(٢) في (ج): (الإطاعة).

(٣) لم أقف على مصدر، هذه الرواية، وفي «المحلى» لابن حزم: ٧/ ٥٤: (قد روينامن طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، قال في الحج: (سبيله: من وجد له سعة، ولم يُحَلْ بينه وبينه).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٥) في (ب): (وإذا).

(٦) في (ج): (فوجود).

=

وجوب الحج[١]. وهذا قول عمر بن الخطاب[٢]، وابنه[٣]، وابن عباس[٤]،

= والوجود: مصدر (وَجِدَ) - بفتح الجيم وكسرها -. ومن مصادرها - كذلك -: (جِدَة، و(وُجْد)، و(وِجْدان)، و(إجْدان). انظر: «القاموس» (٣٢٤) (وجد).

(١) هذا مع مراعاة انتفاء عوائق أخرى من مرض مقعد، أو خوف طريق، أو غيره من الأعذار التي تُعد مانعًا من الاستطاعة ذكرها وفصَّلها الفقهاء في كتبهم. انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ١٤٩.

(٢) في (ج): (وعلى قول ابن عباس، وعمر بن الخطاب).
وقول عمر ﷺ، في «تفسير الطبري» ٤/ ١٥، «المحلى» لابن حزم: ٧/ ٥٤، «سنن البيهقي» ٤/ ٣٣١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٩، وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة.

(٣) قول ابن عمر هذا أورده ابنُ حزم في «المحلى» ٧/ ٥٤، من طريق إسرائيل عن مجاهد عن ابن عمر، قال: (﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، قال: ملء بطنه، وراحلة يركبها). وقد أخرج عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧١٥، قوله: (من كان يَجِد - وهو موسرٌ صحيح - لم يَحج، كان سيماه بين عَيْنَيه: كافر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾). وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٩ وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد. وفيه بيان أنَّ الغِنَى، والسَّعَة مِن موجبات الحج عنده.
كما وردت روايته المشهورة لحديث النبي ﷺ، الذي فَسَّر فيه (السبيل) بالزاد والراحلة، وسيأتي التنبيه عليها.

(٤) (ابن عباس): ساقط من: (ج). وقوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٥، «المحلى» ٧/ ٥٤، «سنن البيهقي» ٤/ ٣٣١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤١٤، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٠، وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة.
وورد من رواية علي بن أبي طلحة عنه: (السبيل: أن يصح بدن العبد، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به). انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥، «سنن البيهقي» ٤/ ٣٣١، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٠ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.
وفي رواية سعيد بن جبير عنه: (من ملك ثلاثمائة درهم فهو السبيل). «الطبري» ٤/ ١٦.

وسعيد بن جبير[(١)]، ومجاهد[(٢)]، ومذهب الشافعي[(٣)]، وابي حنيفة[(٤)]، وأحمد بن حَنْبل[(٥)]، وإسحاق[(٦)].

[وروى جماعة من الصحابة][(٧)] عن النبي ﷺ أنه فسَّر استطاعة السبيل إلى الحَجِّ، بوجود الزاد والراحلة[(٨)].

---

(١) قوله في «تفسير سفيان الثوري» ٧٩، «تفسير الطبري» ٤/ ١٦، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٣، «المحلى» ٧/ ٥٤، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٠ ونسب إخراجه لابن أبي شيبة.

(٢) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٣، «المحلى» ٧/ ٥٤، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٠ ونسب إخراجه لابن أبي شيبة.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي (جمع البيهقي): ١/ ١١٣، «الأم» ٢/ ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢-١٣٣، «الرسالة» ١٩٧، «المجموع» للنووي: ٧/ ٦٣، «أحكام القرآن» للهراسي: ١/ ٢٩٤، «مغني المحتاج» للشربيني: ١/ ٤٦٣.

(٤) انظر: «فتح القدير» لابن الهمام: ٢/ ٤١٥ وما بعدها، «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» للزيلعي: ٣/ ٣.

(٥) انظر: «مسائل الإمام أحمد» لأبي داود: ٩٧، ١٠٦، «المغني» لابن قدامة: ٣/ ١٦٩، «المقنع» لابن قدامة: ١/ ٣٨٩، «حاشية الروض المربع» (جمع: عبد الرحمن العاصمي): ٣/ ٥١٤.

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ١٤٧، «المغني» لابن قدامة: ٣/ ١٦٩.

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (وروى بعض الصحابة). والمثبت من: (ج).

(٨) ورد في ذلك أحاديث رواها ابن عمر، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وغيرهم. فحديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - وهو أشهرها -: أن رجلًا سأل النبي ﷺ، فقال: ما السبيل؟ فقال ﷺ: **«الزادُ والراحلة»**.

أخرجه الترمذي في «السنن» (٢٩٩٨) كتاب: التفسير، باب: (٤) من سورة آل عمران (٨١٣)، كتاب: الحج، باب: (٤)، وقال فيه: (هذا حديث حسن، والعمل عليه عند أهل العلم، أن الرجل إذا ملك زادًا وراحلة وجب عليه الحج). وأخرجه الإمام الشافعي في «الأم» ٢/ ١٢٦-١٢٧، وفي مسنده (بترتيب =

= السندي): ١/ ٢٨٤، وسفيان الثوري في «تفسيره» ٧٨، وابن ماجه في «السنن» (٢٨٩٦) كتاب: المناسك، باب: (٦)، والدارقطني في «السنن» ٢/ ٢١٨، والطبري في «تفسيره» ٧/ ٣٩، ٤٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/ ٤٢٢، والبغوي في «شرح السنة» ٧/ ١٤، والبيهقي في «السنن» ٤/ ٣٢٧.
وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٩، وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عدي، وابن مردويه.
إلا أن الحديث في سنده إبراهيم بن يزيد الحوزي، وقد تكلم فيه أهل العلم. انظر سنن الترمذي في المواضع السابقة، و«نصب الراية» ٣/ ٨، و«التلخيص الحبير» ٢/ ٢٢١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤١٥.
كما ورد من رواية الإمام علي ﷺ، عن رسول الله ﷺ: (من ملك زادا وراحلة، حتى تبلغه إلى بيت الله؛ فلم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا، إن الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾).
أخرجه الترمذي في «سننه» (٨١٢) كتاب المناسك، باب (٣).
وفي سنده هلال بن عبد الله، والحارث الأعور. قال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال). وقال عن هلال: (مجهول)، وعن الحارث: (يُضَعَّف في الحديث). وانظر: «تقريب التهذيب» ١/ ٣٤٥، ٢/ ٣٢٤.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٦، وابن أبي حاتم ٣/ ٧١٣، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» ٢/ ٢٠٩، والسيوطي، في «الدر» ٢/ ١٠٠ وزاد نسبة إخراجه للبيهقي في «الشعب» وابن مردويه.
كما ورد الحديث من رواية الحسن البصري، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥-١٦، والدارقطني في «السنن» ٢/ ٢١٨، والبيهقي في «السنن» ٤/ ٣٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٩٩، وزاد نسبة إخراجه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
قال عنه ابن حجر: (وسنده صحيح إلى الحسن، ولا أرى الموصول إلا وهْمًا). «التلخيص الحبير» ٢/ ٢٢١.
أي: أن سند الحديث إلى الحسن صحيح، إلا أنه منقطعٌ وليس موصولًا.
كما ورد الحديث من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، عند ابن ماجه في «سننه» =

= ٢/ ٩٦٧ رقم (٢٨٩٧) كتاب المناسك، باب (٦)، والدراقطني في «سننه» ٢/ ٢١٨، وقال عنه ابن حجر: (وسنده ضعيف أيضًا). و«التلخيص الحبير» ٢/ ٢٢١.
كما ورد عن عائشة، وأنس - رضي الله عنهما -. انظر: «سنن الدارقطني» ٢/ ٢١٦، ٢١٧، «سنن البيهقي» ٤/ ٣٣٠.
ولكن أكثر روايات الأحاديث - في هذا المعنى - فيها مقال. انظر نصب الراية: ٣/ ٧-١٠. قال ابن حجر: (ورواه ابن المنذر من قول ابن عباس، ورواه الدارقطني من حديث جابر، وحديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة، ومن حديث محمد بن شعيب عن أبيه عن جده، وطرقها كلها ضعيفة. وقال عبد الحق: إن طرقها ضعيفة، وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت في ذلك مسندًا، والصحيح من الروايات: رواية الحسن المرسلة). التلخيص الحبير: ٢/ ٢٢١. أي: أن سندها صحيح إلى الحسن، مع إرساله.
وقال البيهقي: (وروي فيه أحاديث أخرى لا يصح شيء منها، وحديث إبراهيم بن يزيد أشهرها، وقد أكدناه برواية الحسن البصري، وإنْ كان منقطعًا). «السنن الكبرى» ٤/ ٣٣٠ .
إلا أن الشوكاني قال: (ولا يخفى أن هذه الطرق يقوي بعضها بعضًا، فتصلح للاحتجاج بها، وبذلك استدلَّ مَن قال: إن الاستطاعة المذكورة في القرآن هي: الزاد والراحلة). «نيل الأوطار» ٤/ ٣٢٢.
وقد قال ابن تيمية في (شرح العمدة) عن الأحاديث السابقة - كما نقله عنه الصنعاني في «سبل السلام» -: (فهذه الأحاديث مسندة من طرق حسان ومرسلة وموقوفة، تدل على أن مناط الوجوب: الزاد والراحلة، مع علم النبي ﷺ أنَّ كثيرًا من الناس يقدرون على المشي، و - أيضًا - فإن الله قال في الحج: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ إما أن يعني القدرة المعتبرة في جميع العبادات، وهو مطلق المُكْنة، أو قدرًا زائدًا على ذلك؛ فإن كان المعتبر هو الأول، لم يحتج إلى هذا التقييد، كما لم يحتج إليه في آية الصوم والصلاة، فعلم أن المعتبر قدرٌ زائد في ذلك، وليس هو إلا المال؛ وأيضًا: فإن الحج عبادة مفتقرة إلى مسافة فافتقر وجوبها إلى ملك الزاد والراحلة كالجهاد. ودليل الأصل قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [٩١-٩٢ سورة التوبة]). «سبل السلام» ٢/ ١٨٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قال ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وعطاء[٣]: جَحَد فرضَ الحَجِّ.

وقال الضحّاك[٤]: لمّا نزلت آية الحج، جمع رسول الله ﷺ، أهلَ الأديان كلَّهم، فخطبهم، وقال: «**إن الله ﷻ كتب عليكم الحجَّ فحُجُّوا**». فآمَنَ بِهِ المسلمون، وكفر [بِهِ][٥] الباقون، فأنزل الله قولَه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

٩٨ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أهلَ الكتابِ لِمَ تكفُرونَ بآيات الله [واللهُ شَهِيدٌ على ما تعملون﴾.

وقال في هذه السورة: ﴿يا أهلَ الكتابِ لِمَ تكفرونَ بآيات الله][٦] وأنتم تشهدون﴾[٧] [آل عمران: ٧٠].

هناك خاطبهم تَلَطُّفًا في استدعائهم[٨] إلى الحق؛ بأن وجه الخطاب

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٢ ب، «النكت والعيون» ١/ ٤١١، «الدر المنثور» ٤/ ١٠١ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر، والبيهقي.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٩، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٥، «الثعلبي» ٣/ ٨٢ب.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٩، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٢ ب، وعنه رواية أخرى، قال: (قال: ومن كفر بالبيت). في «الطبري» ٤/ ٢١، «الثعلبي» ٣/ ٨٣أ.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠، «تفسير الثعلبي» ٨٢ ب، «الدر المنثور» ٢/ ١٠١ وزاد نسبة إخراجه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) (وأنتم تشهدون): ساقطة من (ب).

(٨) في (ب): (اسم تداعيهم).

إليهم، وههنا وجَّهَ الخطابَ إلى غيرهم إهانة لهم لصدهم عن الحق.

فإن قيل: لم جاز أن يقال لليهود والنصارى (أهل الكتاب)، وهم لا يعملون[١] به، ولم يجز[٢] مثلُ ذلك في أهل القرآن؟

قيل: إن القرآن [اسمٌ][٣] خاصٌ لِما أُنزل الله على محمد ﷺ، فأما الكِتاب فيجوز أن يذهب به إلى معنى: يا أهل الكتاب المحرف عن جهته!.

وأيضًا فإنهم نُسبوا إلى الكتاب، احتجاجًا عليهم بالكتاب لإقرارهم به كأنه قيل يا من يُقِرُّ بأنه من أهل الكتاب لم تكفرونَ بآيات الله؟.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ توبيخٌ[٤] لهم، على لفظ الاستفهام؛ لأنه كسؤال التعجيز عن إقامة البرهان. وقد ذكرنا مثل هذا[٥].

والمراد بـ(الآيات) ههنا: الآياتُ التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ، والمعجزات التي كانت له، والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به[٦]

---

(١) في (أ)، (ب): (يعلمون). والمثبت من (ج).

(٢) في (ج): (نجز).

(٣) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (انتم). والمثبت من (ج).

(٤) في (ب): (توبيخًا).

(٥) انظر: «تفسير البسيط» آية: ٢٨ من سورة البقرة.
وانظر تفسير الآية: ٧٠ من سورة آل عمران: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، والآية: ٨٠ ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، والآية: ٨٦ ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾.

(٦) ورد عن ابن عباس، تفسيره لـ(الآيات) بأنها القرآن، ومحمد ﷺ. انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٢٩. وجعلها ابن عطية محتملة للقرائن وللعلامات الظاهرة على يدي النبي ﷺ. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس[١]: يريد: حاضرٌ لأعمالكم.

ومعنى الآية يؤول إلى أن[٢] الله وبخهم على الكفر[٣]، وأخبر أنَّه لا ينفع [الاستسرارُ به][٤]؛ لأن الله شهيدٌ عليه، مع أن شهادته توجب ردعهم عن الكفر.

٩٩ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال الفرّاء[٥]: [يقال][٦]: (صَدَدْتُهُ، أصده صَدًّا)، و(أَصْدَدْتُه، إصْدادًا)[٧]، وأنشد:

أُناسٌ أَصَدُّوا الناسَ بالسيف عنهمُ   صُدُودَ السَّواقِي عن أُنوفَ الحَوائِمِ[٨]

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) أن: ساقطة من: (ج).

(٣) في (ج): الكافرين.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (الأخرابية). والمثبت من: (ج).

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٧) قال الجوهري: (صدَّ عنه، يَصِدُّ، صُدُودًا): أعرض و(صده عن الأمر صدًّا): منعه وصرف عنه. و(أَصَدَّهُ)، لُغة. «الصحاح» ٢/ ٤٩٥ (صدد)، وانظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٠٩ (صدد)، «البحر المحيط» ٣/ ١٤.

وقال الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ القصص: ٨٧: (وقرئ (يُصِدُّنَّك) من: أصَدَّه بمعنى: صَدَّه، وهي لُغة كلب). «الكشاف» ٣/ ١٩٤.

(٨) البيت لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه: ٧٧١. وورد في «الصحاح» ٢/ ٤٩٥ (صدد)، «الكشاف» ٢/ ٣٦٦، ٣/ ١٩٤، «الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٦٠٨، «اللسان» ٤/ ٢٤١٠ (صدد)، «البحر المحيط» ٣/ ١٤.

وروايته في «الديوان»: =

وقرأ الحَسَنُ: (تُصِدُّون) بضم التاء، مِن: أَصَدَّ[1].

قال المفسرون[2]: وكان صدهم عن سبيل اللهِ بالتكذيب بالنبي ﷺ، وأنَّ صِفَتَهُ ليست في كتابهم، ولا البِشَارَة به متقدِّمَةٌ عندهم.

وقوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال اللِّحْياني[3]: (بَغَى الرجلُ في كل

= أناس أصدوا الناس بالضرب عنهم صدودَ السواقي عن رؤوس المخارِمِ

ويروى: (السوافي) - بالفاء - وهي الرياح التي تسفي التراب.

و(الحوائم)، جمع: (حائم). من: (حام حول الشيء، يَحُوم حَوْما وَحَوَمانا): دار. وكلُّ مَن رام أمرًا فقد (حام عليه حَوْمًا، وحِياما، وحُؤُوما، وحَوَمانا). وكلُّ عطشان: (حائم). و(إبِلٌ حوائم وحُوَّمٌ): عطاش جدا، وهي: التي تحوم حول الماء من شدَّة العطش. انظر: (حوم) في «اللسان» ٢/ ١٠٦١، «القاموس» (١٠٩٨).

وقيل: الحوائم: الإبل الغرائب، انظر: «شرح شواهد الكشاف» لمحب الدين أفندي. ٤/ ٥٢٨. وعليه يكون معنى البيت: أنهم صدوا أعداءهم كما يصد السقاةُ الإبلَ الغرائبَ عن إبلهم.

أما على رواية «الديوان»، فقد قال في «اللسان» ٤/ ٢٤١٠ (صدد): (قال ابن برِّي: وصواب إنشاده: (صدود السواقي عن رؤوس المخارم).

و(السواقي): مجاري الماء. و(المَخرِم)، منقطع أنف الجبل. يقول: صدُّوا الناسَ عنهم بالسيف، كما صُدَّت هذه الأنهار عن المخارم، فلم تستطع أن ترتفع إليها).

قال الزمخشري - مبينًا الشاهد في البيت -: (والهمزة فيه داخلة على (صد صدودًا)؛ لتنقله من غير التعدِّي إلى التعدِّي). «الكشاف» ٢/ ٣٦٦.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٣ب، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٥٤، «البحر المحيط» ٣/ ١٤، «فتح القدير» ١/ ٥٥٣.

(٢) منهم: السدي، وقتادة، والربيع. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٧، «فتح القدير» ١/ ٥٥٥.

(٣) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧. وفيه (وبِغْيةً، وبِغًى مصدر). وقد نقله المؤلف عنه بتصرف.

ما يطلبه من خير وشر، يَبْغِي، بُغاءً وبِغْيَة)[١].

وقال الفرّاء[٢]: العرب تقول: (ابغني كذا)؛ يريدون: ابتغه لي. فإذا أرادوا: ابْتَغ معي، وأَعِنِّي على طلبه، قالوا: (أَبْغِنِي)، ففتحوا الألف، وكذلك يقولون: (أُحْلُبْنِي وأَحْلِبني)[٣]، و(احْمِلْنِي وأَحْمِلْنِي)، و(اعْكُمْنِي وأَعْكِمْنِي)[٤]، على هذا القياس.

و(العِوَجُ)[٥] بكسر العين، في الأَمْرِ، وفي الدين والقول: المَيْلُ عن الاستواء في الطريق، وفي كلِّ ما لا يُرى. وكلُّ قائمٍ مُنْتَصِبٍ يُرَى عَوَجُهُ، يقال: (فيه عَوَج)، بالفتح؛ كالحائط، والقَنَاة[٦]، والشجرة.

يقال: (عَوِجَ الشيءُ، يَعوَجُ، عَوَجًا)، فهو (أَعْوَجُ) لكل ما يُرى،

---

(١) ويقال: (بِغْيَة، وبُغْيَة، وبَغَى، وبُغايَة). انظر: «اللسان» ١/ ٣٢١-٣٢٢ (بغا).

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٧. نقله عنه بتصرف واختصار.

(٣) فسَّرها الفراء في سوقه لهذا القول فقال: (فقوله: احلبني؛ يريد: احلب لي، أي: اكفني الحَلَب. وأحلِبني: أعني عليه. وأتبعها قائلا: (وبقيته مثل هذا). أي: بقية الكلمات التي ذكرها. «معاني القرآن» ١/ ٢٢٨. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٤٧.

(٤) في (ب)، (ج): (واعلمني، وأعلمني).
وقوله: اعكُمني - بضم الكاف -، ويجوز بسكرها. يقال: (عَكَم المتاعَ، يعْكِمُه عَكْمًا): وهو أن يبسط ثوبًا ويجعل فيه المتاعَ، ويشدَّه، ويسمى بعدها: (العِكْمُ)، والجمع: (أعكام) و(عُكوم). انظر: (عكم) في «المجمل» ٦٢٣، «اللسان» ٥/ ٣٠٦٠-٣٠٦١.

(٥) من قوله: (العوج ..) إلى (فهو أعوج لكل ما يرى): نقله بتصرف واختصار من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٦٤-٢٢٦٥.

(٦) القناة - هنا -: الرمح، وكل عصًا مستوية، وقيل: ولو مُعْوَجَّة. انظر: «القاموس» ١٧١٠ (قنى).

[و(عِوَجًا)][(١)] لما لا يرى .

وأما المعنى، فقال ابن الأنباري[(٢)]: قوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، (البَغْيُ): يُقتَصَرُ[(٣)] له على مفعول واحد، إذا لم يكن معه اللّام؛ كقولك: (بَغَيْتُ المالَ والأجرَ والثوابَ). [وأريد ههنا][(٤)]: تَبغون لها عِوَجًا. فلما سقطت اللّامُ، عمل الفعلُ فيما بعدها؛ كما قالوا: (وَهَبْتُك[(٥)] درهمًا)، وأصله: وهبت[(٦)] لك درهما، ومثله: (صِدْتُكَ ظَبْيًا)، يعنون: صِدْتُ لك. وكذلك: (جِئْتُكَ)، كما قد[(٧)] (وَرَّثْتُكَ من المال جملة)، وأنشد:

فَتَولَّى غُلامُهم ثُمّ نادَى[(٨)] [أَظَلِيمًا أَصِيدُكُم][(٩)] أم حِمَارا[(١٠)]

---

(١) مابين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وفي (ب): وهوجًا. والمثبت من: (ج).
وهذه الكلمة ليست في «تهذيب اللغة» وإنما فيه: (والأنثى: عوجاء).
وقيل: إن الكسر يقال في الأمرين: الأجسام المرئية وغير المرئية؛ كالرأي والقول.
انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٩٨، «النهاية» لابن الأثير: ٣/ ٣١٥. «اللسان» ٥/ ٣١٥٤-٣١٥٥ (عوج).
ولكن الراغب ذكر أن (العِوَج) - بالكسر - (يقال: فيما يدرك بالفكر والبصيرة كما يكون في أرضٍ بسيطٍ يُعرف تفاوتُه بالبصيرة، والدين والمعاش). انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» ٥٩٢ (عوج).

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده - كذلك - الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٧٢.

(٣) في (ب): (يقتدر).

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (واري أصله). والمثبت من (ج)، و«تفسير الفخر الرازي».

(٥) في (ب): (أوهبتك).

(٦) في (ب): (أوهبتك.)

(٧) (قد): ساقطة من: (ج).

(٨) في (ب): (الذي).

(٩) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (أظبيا صيدكم). والمثبت من (ج).

(١٠) لم أقف على قائله. وقد ورد في «زاد المسير» ١/ ٤٣٠، «تفسير الفخر الرازي» =

أراد: أصيد لكم.

والهاء في قوله: ﴿تَبْغُونَهَا﴾ عائدةٌ على السبيل؛ لأن السبيلَ يُؤَنَّثُ ويُذَكَّرُ[١]. و(العِوَجُ)، يعنى به: الزَيْغ والتحريف[٢]؛ أي: تَلتمسون لسبيله الزيغ والتحريف بالشبه التي تُلَبِّسون بها، وتُوهِمون أنها تقدح فيها، وأنها مُعوَجَّة بتناقضها[٣].

ويجوز أن يكون (عِوَجًا﴾ في موضع الحال؛ والمعنى: تبغونها ضالِّين؛ وذلك[٤] أنهم كانوا يَدَّعون أنهم على دين اللهِ وسبيلِه، فقال الله: إنكم تبغون سبيلَ اللهِ ضالِّين عنها. وهذا قول أبي إسحاق[٥]، ذكر ذلك في سورة إبراهيم، عند قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾[٦]. وعلى هذا القول، لا يحتاج إلى إضمار اللّام في ﴿تَبْغُونَهَا﴾.

= ٨/ ١٧٢، «مغني اللبيب» ٢٩١، «شرح شواهد المغني» ٥٩٦، «الدر المصون» للسمين الحلبي: ٣/ ٤٢٦. (الظَّليم): ذَكَرُ النَّعَام.

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣١٩، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢، «الزاهر» لابن الأنباري: ٢/ ١٠٨، «المذكر والمؤنث» له: ١/ ٣٩٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢.

(٣) فإعراب ﴿عِوَجًا﴾ على هذا القول: مفعول به.
انظر: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٧، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢.

(٤) في (ب): (والمعنى).

(٥) في «معاني القرآن» له: ٣/ ١٥٤.

(٦) [سورة إبراهيم: ٣]. ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾.
وفي حالة إعرابها حالًا يكون معنى (تبغون): تتعدَّوْن. و(البغي): التعدي.
انظر: «الدر المصون» ٣/ ٣٢٦، «اللسان» ١/ ٣٢٣.

وقال بعض أهل المعاني[١]: تأويل[٢] الآية: يطلبون أن يُعْوِجُوا[٣] سبيل الله، وأن يكون فيها عِوَج؛ لأن معنى (سبيل الله): الطريق التي هي الوُصْلَة[٤] إلى رضا الله، فهم يطلبون أن يُعْوِجوا هذا الطريق؛ حتى لا يصل إلى رضا الله من سلكها بدلالة اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ قال ابن عباس[٥]: يريد بها: في التوراة. [قال المفسرون][٦]: يعني: أنتم شُهداء أنَّ في التوراة مكتوبًا أنَّ دينَ اللهِ الذي لا يقبل غيره، هو الإسلام. وهذا معنى قول ابن عباس.

وقال الزجاج[٧]: أي: أنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن أمر النبي ﷺ حقٌّ.

وقيل[٨]: معناه: وأنتم شهداء أن لا يجوز الصَّدُّ عن سبيل الله.

١٠٠ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ﴾ الآية.

قال المفسرون: نزلت في الأوس والخزرج، حين أَغْرَى قومٌ من

---

(١) لم أقف عليهم.
(٢) في (ب): (أصل).
(٣) في (ج): (تطلبون أن تعوجوا).
(٤) في (ب): (الموصلة).
(٥) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٧٢.
(٦) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ) وساقط من: (ب). والمثبت من (ج).
وممن قال بهذا: قتادة، والربيع، وابو جعفر الرازي، وقريبًا منه قال مقاتل.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٨، «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٢، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٤.
(٧) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٧. نقله عنه بنصه.
(٨) لم أقف على القائل.وأورده الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٧٣.

اليهود بينهم؛ ليفتنوهم[١] عن دينهم[٢].

---

(١) في (ب): (ليغشوهم).

(٢) ورد ذلك في روايات عدَّة تتفق في مضمونها، وأكثرها تفصيلًا، ما أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٤-٢٥، عن زيد بن أسلم، وخلاصتها: أن شاس بن قيس اليهودي - وكان عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم، وقد كبر في الجاهلية وأَسَنَّ - مرَّ يومًا على نفر من المسلمين - من الأوس والخزرج -، فغاظه ما رآهم عليه من الألفة وصلاح ذات البين، فأوعز إلى شاب من اليهود أن يجلس بينهم، ويُذَكِّرهم يوم بُعاث - وقد اقتتل فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظفر فيه للأوس، وما كان قبله من معارك بين الحَيَّيْنِ، وينشدهم بعض ما قالوا فيه من أشعار، ففعل الشاب، فتنازع الحيَّان، ووثب كلٌّ مِن أوْس بن قيظى، من الأوس، وجبَّار بن صخر من الخزرج، فتقاولا، وغضب الفريقان، وأخذتهم حميَّةُ الجاهلية، ورَبَا الأمرُ بينهم وتداعوا إلى حمل السلاح وتواعدوا للقتال، وخرجوا إلى ظاهر المدينة، وانحاز الأوس إلى بعضهم، وكذلك الخزرج، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، ووعظهم، فعرف القوم أنها نَزْغةٌ من الشيطان، وكَيْدٌ من عدوهم، فألقوا السلاح، وبكوا، وتعانقوا، وانصرفوا مع الرسول ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٨٣-١٨٤، «أسباب النزول» للواحدي: ١١٩-١٢٠، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٣-ب، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٢-١٠٣ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر، وأبي الشيخ. وأورده السيوطي في لباب النقول: ٥٥.

وقد روى الواحدي بسنده إلى عكرمة نحو هذه الحادثة مع الاختصار. انظر: «أسباب النزول» له: (١٢٠)، وأوردها عنه - كذلك - السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٣ ونسب إخراجها لابن المنذر.

كما ورد عن ابن عباس ومجاهد نحو ذلك. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٨، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤-٢٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٩، «مجمع الزوائد» ٦/ ٣٢٦، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٣.

١٠١ - وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هذا خطاب للمسلمين[١]، من الأوس والخزرج، في قول ابن عباس، وأكثر المفسرين[٢].

﴿وَكَيْفَ﴾ ههنا [استفهام في معنى][٣] التعجب، وإنّما [تَضَمَّنَت صيغةُ الاستفهام معنى][٤] التعجب؛ لأنها طلبٌ للجواب عَمَّا حَمَلَ على الفساد مما لا يصح فيه اعتذار.

قال الزجاج[٥]: أي: على أي حال يقع منكم الكفر، وآياتُ الله التي تدل على توحيده ونُبُوَّة نَبِيِّه[٦] محمد ﷺ تتلى عليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ قال الزجاج[٧]: جائزٌ أن يقال: [فيكم رسوله، والنبي ﷺ شاهد، وهذا مختصٌّ بأيَّامه. وجائزٌ أن يقال لنا][٨] الآن: فيكم رسول الله؛ لأن آثاره، ومعجزته القرآن الذي أتى به، فِينا. فعلى هذا، كونُه فينا، لا يختص بزمان دون زمان.

وقال الحسن[٩]: نزلت الآية في مشركي العرب.

---

(١) في (ب): (للمؤمنين).

(٢) انظر قول ابن عباس في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤-٢٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧١٩. وانظر أقوال بقية المفسرين في المصادر السابقة.

(٣) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وفي (ب): (استفهام بمعنى). والمثبت من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (تضمنت كيف الاستفهام ومعنى). والمثبت من: (ج).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٨. نقله عنه بتصرف.

(٦) (نبيه): ساقطة من: (ب).

(٧) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٨. نقله عنه بتصرف.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ خطاب لهم، وهو توبيخٌ لهم على الكفر بعد نصب الحُجَّةِ، وبعثة الرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ الاعتصام في اللغة: الاستمساك بالشيء، وأَصله مِن: (العِصْمة). و(العِصْمَةُ): المَنْع في كلام العَرب. و(العاصِمُ): المانع. و(اعتصم فلانٌ بالشيء): إذا امتنع به[١].

قال ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾؛ يريد[٣]: يمتنع بسبيل الله. وقال الزجاج[٤]: يستمسك بحبل الله.

وقال ابن جريج[٥]: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يؤمن بالله.

١٠٢ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قد ذكرنا ما في (التُقاة) عند قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

ومعنى ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، هو: أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكَرَ فلا يُنْسى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَر. وهذا يروى عن عبد الله مرفوعًا، ورُوي موقوفًا عليه[٦].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) (العِصْمة) الاسم. أما المصدر، فهو: (العَصْمُ).
واعتصم، قد يتعدّى بالباء، فيقال: (اعتصمت به)، وهي الأفصح، وقد يقال: (اعتصمته). انظر مادة (عصم) في «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة: ١٠٨، «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٢٨، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٦-٢٧، «الزاهر» ١/ ٥٧٩، «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٥٦٩، «اللسان» ٥/ ٢٩٧٦.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) من قوله: (يريد ..) إلى (ومن يعتصم بالله): ساقط من: (ج).

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٤٨. نقله عنه بنصه.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٠، «تفسير البغوي» ٢/ ٧٧، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٤ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

(٧) أكثر الذين رووا الأثر عن عبد الله بن مسعود، رووه موقوفًا. انظر: «الزهد» لابن =

واختلفوا في هذه الآية: فقال ابن عباس في رواية الوالِبي[(١)]: لَمْ تُنسَخ هذه الآيةُ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا

= المبارك ٨، «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ٢٦٠، «تفسير سفيان الثوري» ٧٩، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٢٩، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧ «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٢، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ص٨٤-٨٥، «المعجم الكبير» للطبراني ٩/ ٩٣ رقم (٨٥٠١)، «المستدرك» للحاكم ٢/ ٢٩٤، وقال: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

وأورد البغويُّ طرفًا منه - موقوفًا - في «تفسيره» ٢/ ٧٧، وأورده ابن كثير ١/ ٤١٦ من رواية ابن أبي حاتم موقوفًا، وقال: (وهذا إسناد صحيح موقوف).

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٥ وزاد نسبة إخراجه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه.

أما المرفوع، فقد أخرجه: الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٨٦أ بسنده إلى عبد الله بن مسعود مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

كما أورده القرطبي ٤/ ١٥٧ مرفوعًا، ونسب إخراجه للبخاري، وهو تصحيف؛ لأن البخاري لم يرو هذا الأثر، والصواب نسبته للنحاس، حيث ورد ذلك في نسخة أخرى لـ «تفسير القرطبي» أشار إليها محقق التفسير.

وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٣١، وقال رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ.

وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤١٦ مرفوعًا من رواية ابن مردويه، وذكر أن الحاكم رواه مرفوعًا في «المستدرك» - كذلك -، وعَقَّب ابنُ كثير قائلًا: (والأظهر أنه موقوف. والله أعلم).

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٥ ونسب إخراجه للحاكم، وابن مردويه. ولم أقف على المرفوع في مستدرك الحاكم.

وورد من رواية ابن عباس، أخرجها البيهقي في كتاب «الزهد الكبير» ٣٤٤ رقم (٨٧٣).

(١) هذه الرواية، في «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد: ٢٦٠، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٢، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس: (٨٥)، «الدر المنثور» ٢/ ١٠٦ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

تأخذهم[١] في الله لومةُ لائم، ويقوموا[٢] بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم[٣].

واختار الزجاج هذا الوجه، وهو أن الآية مُحكَمَةٌ غير منسوخة؛ لأنه قال[٤] في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أي: اتَّقُوهُ فيما يحقُّ عليكم أن تَتَّقُوهُ فيه.

وقال[٥] في رواية عطاء[٦]: هذا منسوخٌ؛ لأنهم قالوا: يا رسولَ الله! وما حَقُّ تُقاتِهِ؟ قال: «**يُذكَر فلا ينسى، ويُطاع فلا يُعصى**» قالوا: ومَن يَقوَى على هذا؟ وشَقَّ[٧] عليهم؛ فأنزل الله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وإلى هذا القول، ذهب: قتادة[٨] والرَّبيع[٩] والسُّدِّي[١٠] وابن

---

(١) في (ج): (يأخذهم).

(٢) في (ب): (ويفرحوا).

(٣) ورد في الأثر عند أبي عبيد، والطبري، وابن أبي حاتم، زيادة في آخره: (وأبنائهم). ولا توجد لفظة (أنفسهم) عند النحاس. وفي «الدر»: (وأمهاتهم) بدلًا من: (أبنائهم).

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٨. نقله بنصه.

(٥) أي: ابن عباس.

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية. ولكن ورد عن ابن عباس بنحوه، أخرجه ابن مردويه، كما ورد عنه من طريق عكرمة، أخرجه عبد بن حميد. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ١٠٦.

(٧) في (ب): (وحتى).

(٨) قوله في كتاب «الناسخ والمنسوخ» له: ٣٨، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩، ٢٨/ ٢٢٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٢ «الناسخ والمنسوخ» للنحاس: (٨٥)، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٥، ونسب إخراجه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبي داود في ناسخه.

(٩) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٢.

(١٠) قوله في المصادر السابقة.

زيد[(١)]، وقال مقاتل[(٢)]: ليس[(٣)] في آل عمران من المنسوخ إلا هذا[(٤)].

---

(١) قوله في «الطبري» ٤/ ٢٩، «زاد المسير» ١/ ٤٣٢، «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٤٦.

(٢) لم أقف على نص قوله هذا في تفسيره، وقد أورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٨٦أ. وقد نص مقاتل في تفسيره على نسخها بآية التغابن. انظر: «تفسيره» ١/ ٢٩٢.

(٣) في (ب): (آيتين). بدلًا من: (ليس).

(٤) ممن قال بنسخها من الذين كتبوا في النسخ: هبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» له: ٦٢، ١٨١، وأبو عبد الله محمد بن حزم في «الناسخ والمنسوخ» له: ٣١، والبازري في «ناسخ القرآن ومنسوخه» له: ٢٨، وعبد القاهر البغدادي في «الناسخ والمنسوخ» له: ٩٢. والكرمي في «قلائد المرجان» ٨١.
ولكن ذهب آخرون إلى إحكام هذه الآية وعدم نسخها - وهو الراجح -؛ لأنه لا تعارض بين الآيتين؛ حيث إن آية سورة التغابن من قبيل المفسِّر والمبيِّن للمُبْهَم الوارد في آية سورة آل عمران؛ وذلك أنَّ (حقّ تُقاته) إنما هو بقدر الاستطاعة؛ لأنه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ - ٢٨٦ البقرة -، فمعنى الآية: أن نتَّقي اللهَ حقَّ تقاته، ما استطعنا، ويُبَين النَّحاسُ هذا بقوله:
(محال أن يقع في هذا ناسخ ولا منسوخ، إلا على حيلة؛ وذلك أن معنى (نسخ الشيء): إزالته بضدِّه، فمحال أن يقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ منسوخ، ولا سيما مع قول رسول الله ﷺ، مما فيه بيان الآية) ثم ذكر رواية معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ: (قال لي رسول الله ﷺ: (يا معاذ أتدري ما حق الله -ﷻ- على العباد؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (أن يعبدوه، فلا يشركوا به شيئًا). أفلا ترى أنه محال أن يقع في هذا نسخ؟).
ثم ذكر رواية ابن عباس من طريق الوالبي التي أوردها المؤلف سابقًا، وقال: (فكل ما ذكر في الآية، واجب على المسلمين أن يستعملوه، ولا يقع فيه نسخ. وهذا هو قول النبي ﷺ: أن تعبدوه لا تشركوا به شيئًا، وكذا على المسلمين، كما قال ابن مسعود: أن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وتشكروه ولا تكفروه، وأن تجاهدوا فيه حق جهاده. فأما قول قتادة - مع محله من العلم -: إنها نسخت.=

= فيجوز أن يكون معناه نزلت ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بنسخ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وأنها مثلها؛ لأنه لا يُكلَّفُ أحدٌ إلا طاقته). «الناسخ والمنسوخ» له: ٢٨٢-٢٨٤.

وقال مكي بن أبي طالب - مؤكدًا القول بإحكام الآية وعدم نسخها -:

(وهذا القول حسن؛ لأن معنى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: اتَّقوه بغاية الطاقة، فهو قوله: ﴿اتَّقوا الله ما استطعتم﴾؛ إذ لا جائز أن يكلِّفَ اللهُ أحدًا ما لا يطيق، وتقوى الله بغاية الطاقة واجب فرض لا يجوز نسخه؛ لأن في نسخه إجاة التقصير من الطاقة في التقوى، وهذا لا يجوز). «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ١٧١.

ويؤكد هذا ما ورد عن طاوس بن كيسان في تفسير هذه الآية، وهو قوله: (وهو أن يُطاع فلا يُعصَى، فإن لم تفعلوا، ولن تستطيعوا، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، قال: على الإسلام، وعلى حرمة الإسلام). أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٣٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٢٣ واللفظ له.

ويرجح هذا المعنى: أن معنى النسخ عند السلف أعم وأشمل من المعنى الإصطلاحي، وهو: (رفع حكم شرعي متقدم بدليل شرعي متأخر عنه)، بل يشمله ويشمل غيره، وقد بين الشاطبي هذا الأمر فقال:

(الذي يظهر من كلام المتقدمين، أن النسخ عندهم في الإطلاق، أعم منه في كلام الأصولين: فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخًا، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخًا، كما يطلقون على رفع الحكم الشرعي بدليل متأخر نسخا؛ لأن جميع ذلك مشترك في معنى واحد، وهو أن النسخ في الإصطلاح المتأخر اقتضى أن الأمر المتقدم غير مراد في التكليف، وإنما المراد: ما جيء به آخرًا، فالأول غير معمول به، والثاني هو المعمول به). الموافقات: ٣/ ١٠٨.

وبمثله قال ابن القيم في إعلام الموقعين: ١/ ٣٥.

وممن رجَّح كون الآية محكمة غير منسوخة، وأن المراد بها هو: تقوى الله قدر الاستطاعة: الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٩، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٤٦، وابن الجوزي في المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم «الناسخ والمنسوخ» ١٢٢، والكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ١/ ٢٩٨، والفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٦٧.

ومن المعاصرين: د. مصطفى زيد في «النسخ في القرآن» ٢/ ٦١٤-٦١٥.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ لفظ[١] النَّهي واقعٌ على الموت، والمعنى واقعٌ على الأمر بالإقامة[٢] على الإسلام.

المعنى: كونوا على الإسلام فإذا أورد[٣] عليكم الموت، صادفكم على ذلك[٤].

وقال بعض أهل المعاني[٥]: هذا في الحقيقة ، نَهْيٌ عن ترك الإسلام؛ المعنى: لا تتركوا الإسلام فإن الموت لابد منه، فمتى[٦] صادفكم، [صادفكم][٧] عليه، إلّا أنه وضع كلامًا موضع كلام؛ لِحُسْنِ الاستعارة؛ لأنه لَمَّا كان يمكنهم الثبات على الإسلام، حتى إذا أتاهم الموت، لاقاهم وهم على الإسلام، صار الموت على الإسلام، بمنزلة ما[٨] قد [دَخَلَ][٩] في إمكانهم. وقد مضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، الآية.

---

(١) من قوله: (لفظ ..) إلى (صادفكم على ذلك): نقله - بنصه - عن: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٤٩.

(٢) في (ب): (والإقامة).

(٣) في (ب): (اود). وفي «معاني القرآن»: (ورد).

(٤) في (ب): (الإسلام): بدلًا من (ذلك).

(٥) لم أقف عليهم. وقد نقل هذا القول ، بتصرف: الفخر الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٧٧. ونقله - بنصه - الخازن في «تفسيره» ١/ ٣٢٨ دون أن ينسباه لقائل.

(٦) في (ب): (التي).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). و«تفسير الفخر الرازي»، و«تفسير الخازن».

(٨) في (ب): (من).

(٩) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب)، (ج): (دخله). ولكن لم أر لها وجهًا، وأثبتُّها من تفسير الفخر الرازي، وتفسير الخازن.

١٠٣ - وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾. الآية. ذكرنا معنى (الاعتصام)[١]. وأما (الحَبْل)؛ فقال أبو عبيد[٢]: أصل الحَبْل في كلام العرب، ينصرف على وجوهٍ منها: (العَهْدُ) وهو الأمان[٣]، وذلك أن العرب كانت تخفيف بعضها بعضًا في الجاهلية، فكان[٤] الرجل إذا أراد سفرًا أخذ عهدًا مِن[٥] سيِّد القبيلة[٦]، فَيأمَن به ما دام في تلك القبيلة، حتى ينتهي إلى الأخرى، فيأخذ مثلَ ذلك أيضًا، يريد به الأمان. وربما أعطاه حَبْلًا أو سَهْمًا[٧].

و[٨] هذا المعنى ذَكَرَهُ الأعشى في قوله يذكر مَسِيرا له[٩]:

وإذا تُجَوِّزُها حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إليكَ حِبَالَها[١٠]

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾. الآية: ١٠١ من هذه السورة.

(٢) في «غريب الحديث» له: ٢/ ٢١٩ نقله عنه بتصرف. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣٠ (حبل).

(٣) انظر: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي: ١٢١-١٢٢.

(٤) في (ج): (وكان).

(٥) في (ب): (على).

(٦) في (ب)، (ج): (القبيل).

(٧) في (ب): (أن سهل). بدلًا من: (حبلًا أو سهامًا).
وقوله: (وربما أو سهما): غير موجودة في «غريب الحديث».
وقال السمين الحلبي معلقًا على هذا القول: (وهذا معنى غير طائل؛ بل سُمِّي العهد حبلًا للتوصل به إلى الغرض). «الدر المصون» ٣/ ٣٣٢.

(٨) في (ب): (في).

(٩) في «غريب الحديث»: (يذكر مسيرًا له، وأنه كان يأخذ الأمان من قبيلة إلى قبيلة، فقال لرجل يمتدحه) وذَكَرَ البيتَ.

(١٠) البيت، في ديوانه: (١٥١). كما ورد منسوبًا له، في «غريب الحديث» لأبي عبيد: =

قال أبو عبيد:(١) فالاعتصام بحبل الله؛ هو: ترك الفرقة، واتباعُ القرآن؛ لأن المؤمن إذا اتبع القرآن، أَمِنَ العذابَ(٢)، كما أن الآخذ [عهد](٣) سيِّد القبيلة يأمَنُ به.

قال ابن الأنباري(٤): لمَّا ذَكَرَ اللهُ ﷻ الاعتصامَ، ذكر الحبلَ، إذ كان العهد في التمسك به والتوصل، يجري مجرى الحبل، فأقامه الله تعالى مقامه، وأجراه مُجراهُ، ولم تزل العربُ تُشَبِّهُ العهودَ بالحبالِ .

قال الشاعر:

= ٢/ ٢١٩، «تأويل مشكل القرآن» ٤٦٥، «المعاني الكبير» ١١٢٠، «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٠، «الزاهر» ٢/ ٣٠٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣٠ (حبل)، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٥٣، «مقاييس اللغة» ٢/ ١٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٦ب، «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» لأبي موسى المديني: ١/ ٣٩٤، «اللسان» ٢/ ٧٦٠ (حبل)، «التاج» ١٤/ ١٣٤ (حبل)، وغيرها. وورد غير منسوب في الموضح في «التفسير» ٣٨.

وروايته في الديوان: (فإذا تجوزها ..)، وعند الزجاج: (وإذا أجوز بها ..).

وهذا بيت من قصيدة يمدح فيها الشاعر قيس بن معديكرب، ويقول فيها مخاطبًا له، وذاكرًا ناقته - أي: ناقة الشاعر -: إنها - وهي تمر في أراضي القبائل، قاصدةً إليك -، لا يُسَوِّغ لها هذا المرور، ولا يُسَهِّل لها قطعَ هذه الطرق، إلا ما تأخذه من عهود الأمان من هذه القبائل، وهكذا من قبيلة إلى قبيلة حتى تصل إليك.

انظر: «المعاني الكبير» ١١٢٠، «المقاييس» ٢/ ١٣١.

(١) في «غريب الحديث» له ٢/ ٢١٩. نقله عنه بالمعنى.

(٢) في (ب): (العرب).

(٣) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وفي (ب): (عن). والمثبت من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

ما زلتُ معتَصِمًا بِحَبْلٍ منكُمُ   مَن حَلَّ ساحَتَكم بأسبابٍ نَجَا[(١)]

أي: بعهد وذِمَّةٍ.

فَسُمِّي عهدُ الله حبلًا؛ لأنه سبب النجاة، كالحبل الذي يُتمسك به للنجاة من [سببي][(٢)]. ونحوها[(٣)].

قال ابن عباس[(٤)]: أي: تمسكوا بدين الله[(٥)]. وقال قتادة[(٦)]، والسدي[(٧)]، والضحاك[(٨)]: حبل الله، هو: القرآن[(٩)].

---

(١) لم أقف على قائله. وقد ورد في مادة (حبل) في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣١، «اللسان» ٢/ ٧٥٩.

(٢) هنا كلمة غير مقروءة في (أ)، (ج). وفي (ب): (شيء)، ولم أر لها وجهًا.

(٣) في (ب): (ونحوهما).
قال ابن الأنباري: (والحبل توقعه العرب على السبب تشبيهًا له بالحبل المعروف والسبب المذكور في القرآن هو الحبل، سمَّاه الله -عز وجل- سببًا؛ لأنه يوصل من تمسك به إلى الأمر الذي يَؤُمُّهُ. وكذلك الأسباب المعروفة هي وُصلات وأسباب تصل شيئًا بشيء..). «الزاهر» ٢/ ٣٠٧، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» ٤٦٤- ٤٦٩، «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٦ب، «زاد المسير» ١/ ٤٣٣.

(٥) وقد ورد نفس هذا المعنى عن ابن زيد، في «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠، «النكت والعيون» ١/ ٤١٤، «زاد المسير» ١/ ٤٣٣.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٦-ب، «النكت والعيون» ١/ ٤١٣، «زاد المسير» ١/ ٣٣. وفي رواية أخرى عنه، فسره بـ(عهد الله وأمره). انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٣١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٤.

(٧) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٣١، والمصادر السابقة.

(٨) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٨٦ب.

(٩) ورد عنه ﷺ تفسير (حبل الله)، بقوله: (كتاب الله، حبل الله ممدود من السماء إلى الأرض). ورد ذلك من رواية أبي سعيد الخدري، أخرجها: أحمد، في «المسند»=

= ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩. والترمذي، في «السنن» ٥/ ٦٦٣ رقم (٣٧٨٨) كتاب المناقب، باب: (مناقب أهل البيت). وأورده من طريقين: الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد. والأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم. وقال: (هذا حديث حسن غريب).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ١٣٤ (٣٠٠٧٢)، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٣١، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٨٧ب، وابن أبي عاصم في «السنة» ٦٣٠ (١٥٥٤). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ١٦٣ ونسب إخراجه إلى لطبراني في «الأوسط» وقال: (وفي سنده رجال مختلف فيهم)، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٠٧. ومدار سنده عندهم على عطية العوفي، وهو ضعيف، ويخطئ كثيرًا، وكان شيعيًّا مدلِّسًا.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٧٦، «تقريب التهذيب» ٣٩٣ (٤٦١٦).
وورد بلفظ: (إني تارك فيكم كتاب الله، هو حبل الله ..)، من رواية يزيد بن حبان، عن زيد بن أرقم. أخرجه: ابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ١٣٤ (٣٠٠٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» ١/ ٣٣٠-٣٣١ (١٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٨٧ ب.
وورد بنفس السند وبنحو لفظه، إلا أنه ليس فيه تفسيره بأنه حبل الله، وإنما ورد فيه: (وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن: أولهما كتاب الله ..). أخرجه:
مسلم في «الصحيح» (٢٤٠٨) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب. وأحمد في «المسند» ٤/ ٣٦٦-٣٦٧، وابن أبي عاصم في «السنة» ٦٢٩ (١٥٥١)، والبيهقي في «السنن» ٤/ ٢٠٩٠ (٣٣٥٩)، والدارمي في «السنن» ٢/ ٤٣١ كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن.
ووردت تفسيراتٌ أخرى لـ(حبل الله) عن بعض السلف، منها: أنه: طاعة الله، وقيل: إخلاص التوحيد، وقيل: الجماعة، وقيل: عهد الله.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٣١، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٣، ٧٢٤.
والاختلاف - هنا - من قبيل اختلاف التَّنَوُّع، وليس التَّضاد، فإن من التزم القرآن فقد التزم الإسلام - أصلا -، وبالتالي، فقد أطاع الله، واستقام على عهده، وهو ما عليه جماعة المسلمين.

والخطاب في هذه الآية للأوس والخزرج[١].

وقوله تعالى: ﴿جَمِيعًا﴾ منصوب[٢] على الحال؛ المعنى: اعتصموا بحبل الله، مجتمعين على الاعتصام به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ قال ابن عباس[٣]: أي: كما كنتم في الجاهلية مقتتلين على غير دين الله.

وقال قتادة[٤]: لا تفرقوا عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة، والائتلاف على الطاعة.

وقال الزجاج[٥]: أي: تناصروا على دين الله، ولا تتفرقوا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس[٧]: يريد: دين الإسلام.

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ يريد: ما كان بين الأوس والخزرج من الحرب التي[٨] تطاولت عشرين[٩] ومائة سنة، إلى أن ألَّفَ اللهُ ﷻ بين قلوبهم

---

(١) ويدخل فيه المسلمون عمومًا؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، كما هو مقرر في أصول هذا الفن.

(٢) من قوله: (منصوب ..) إلى (الاعتصام به): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٠.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٣٢ بنحوه، «النكت والعيون» ١/ ٤١٤.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٠ نقله عنه بنصه. وقد فسره الزجاج بلازمه؛ لأن التناصر من لوازم الوحدة وعدم التفرق.

(٦) (ولا تتفرقوا): غير موجودة في «معاني القرآن».

(٧) لم أقف على مصدر قوله.

(٨) في (ج): الذي).

(٩) في (ج): (عشرون).

بالإسلام، فزالت تلك الأحقاد، وصاروا إخوانًا في الإسلام، مُتَوادِّينَ على ذلك(١).

قال الزجاج(٢): وأصل (الأخ) في اللغة [مِن](٣) [(التَّوَخِّي)، وهو](٤): الطَّلَبُ. فالأخ [مقصده مقصد](٥) أخيهِ، وكذلك هو في الصداقة: أن تكون إرادةُ كلِّ واحدٍ من الأَخَوَيْنِ موافقةً(٦) لِمَا يُريد صاحِبُه(٧).

---

(١) انظر حول ذلك: «تفسير الطبري» ٤/ ٣٣، «الكامل» لابن الأثير ١/ ٤٠٢-٤٢٠.

(٢) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥١. نقله عنه بتصرف.

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). ولكنه بعد التمعن والتدقيق قد يقرأ (من) كما أثبتُّه. وقد وجدته كذلك في تفسير الفخر الرازي: ٨/ ١٧٩؛ حيث نقل عبارة الزجاج كما هي عند المؤلف - هنا -.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
وقوله: (من التوخي، وهو الطلب) ليس في «معاني القرآن» وإنما حكى المؤلف المعنى، ونصها عند الزجاج - في آخر كلامه -، كالتالي: (والعرب تقول: (فلان يَتَوَخَّى مَسَارَّ فلانٍ)؛ أي: يقصد ما يسره).

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (مقصد فمقصد). والمثبت من (ج).

(٦) في (ج): (مفارقة).

(٧) قال الأزهري: (وأصله من: (وَخَى، يَخِي): إذا قصد. فقلبت الواو همزة). «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٨ (أخو).
ونقل عن أبي عمرو: (وَخى فلان يَخي وخيًا: إذا توجه لأمر). المصدر السابق: ٤/ ٣٨٥٦ (وخى). وانظر: «معجم مقاييس اللغة» ٦/ ٩٥ (وخى)، ١/ ٧٠ (أخو).
وجمع (أخ): (أُخُون، وإخْوان، وإخْوَة، وأُخْوَة، وآخاء). ويرى سيبويه أن (إخوة) اسم جمع. انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٦٢٥، «الصحاح» ٦/ ٢٢٦٤ (أخا)، «اللسان» ١/ ٤٠ (أخا).

قال أبو حاتم[(١)]: قال أهل البصرة: (الإخوَةُ؛ في النَّسَبِ، و(الإخوان)؛ في الصَّداقة. قال: وهذا غلط[(٢)]. يقال[(٣)] للأصدقاء، و[الأنسباء][(٤)]: (إخوةٌ) و(إخوانٌ). قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ولم يعْنِ[(٥)] النَّسَبَ.

وقال ﷻ: ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وهذا في النَّسَبِ.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ (شَفَا الشيءِ): حَرْفُهُ، مقصورٌ[(٦)]، مثل: شَفَا البئر. والجمع: (الأشفاء). ويقال لِمَا بين الليل والنهار، عِند غُروب الشَّمس، إذا غاب بعضُها: (شَفًا).

قال الراجز:

أدركتُهُ قَبْلَ شَفًا أو بِشَفَا والشمسُ[(٧)] قد كادت تكُونُ دَنَفَا[(٨)].

---

(١) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٨ (أخ)، نقله باختصار وتصرف يسير. وقد تقدمت ترجمته.

(٢) في «التهذيب»، وهذا خطأ وتخليط.

(٣) في (ج): (فقال).

(٤) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ). وفي «تهذيب اللغة» وغير الأصدقاء. والمثبت من (ب)، (ج).

(٥) في (ب): (يقل).

(٦) في (ج): (مقصورة).

(٧) في (ج): (فالشمس).

(٨) البيت، للعجاج، وهو في ديوانه (تح: د. عزة حسن): ٤٩٣. كما ورد في «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٨، «العين» ٦/ ٢٨٨، ٨/ ٤٨، «غريب الحديث» لأبي عبيد: ٢/ ٤٢٧، «إصلاح المنطق» ٤٠٩، «الجمهرة» ٢٧٤، ٦٧٩، «الخصائص» ٢/ ١١٩، «المخصص» ٩/ ٢٥، ١٧/ ٣١، «المقاييس» ٢/ ٣٠٤، «اللسان» ٣/ ١٤٣٢-١٤٣٣ (دنف)، ١٤/ ٤٣٧ (شفى). =

ومِن هذا، يقال: (أشفى على الشيء): إذا أشرف عليه؛ كأنه بلغ شَفَاهُ؛ أي: حَدَّهُ وَحَرْفَه[١].

قال ابن عباس[٢]: يريد: لو مُتُّمْ على ما كنتم عليه في الجاهلية، لكنتم من أهل النار.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنقَذَكُم﴾ قال الأزهري[٣]: يقال: (نَقَذْتُهُ)، و(أنقَذتُه)، و(استَنْقذتُه)، و(تَنَقّذتُه)؛ أي: خلَّصته ونجَّيته. ومنه يقال[٤]:

= وورد في الديوان: (أشرفته قبل شفا). وفي «إصلاح المنطق»، «المخصص»، «اللسان»: (أشرفته بلا شفى).
وقال في «اللسان» - في تفسير البيت -: «بلا شفى)؛ أي: وقد غابت الشمس، (أو بشفى)؛ أي: وقد بقيت منها بقية) ٤/ ٢٢٩٤ (شفى).
يقال: (شَفَت الشمسُ، تشفو، وتشفي)، و(شفيت شَفًى)، فالكلمة واوية ويائية. انظر المصدر السابق: ٤/ ٢٢٩٤ (شفى).
و(الدَّنَفُ): هو المرض اللازم، وقيل: مطلق المرض. ويقال: (رجلٌ دَنَفٌ، ودَنِف، ومُدْنَف، ومُدْنِف)؛ أي: براه المرضُ حتى أشفى على الموت. ويقال: (دِنفَت الشمسُ وأدْنَفَت): إذا دنت للمغيب أو أصفرَّتْ.
وأراد في البيت: مداناة الشمس للغروب، فكأنها حينئذ كالشخص الدَّنِفِ، وهو استعارة. انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٣٢-١٤٣٣ (دنف).

(١) انظر المعاني السابقة في مادة (شفا)، في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٠٢، «تفسير الطبري» ٤/ ٣٦-٣٧، «المخصص» ٩/ ٢٥، «اللسان» ٤/ ٢٢٩٤-٢٢٩٥.

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد بنحوه عن السدي، في «تفسير الطبري» ٤/ ٣٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٦.

(٣) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٤٦٤٣ (نقذ). نقله عنه بنصه.

(٤) هذا قول أبي عبيد، كما في المصدر السابق: ٤/ ٤٦٤٣ (نقذ).

(النقائِذ)؛ للخيل التي[1] تُنُقِّذَت مِن أيدي الناس[2] وقوله تعالى: ﴿مِّنۡهَا﴾.

الكناية[3] راجعةٌ إلى النار، لا إلى الشَّفا؛ لأن القصد: الإنجاء مِن النَّارِ لا مِن شَفَا الحفرة. هذا قول الزجاج[4].

وقال غيره[5]: الكِناية تعود إلى الحفرة، فإذا أنقذهم الله من الحفرة، فقد أنقذهم من شَفَاها؛ لأن شفاها منها. على أنه يجوز أن يُذكَر المضافُ، والمضافُ إليه، ثم تعود الكنايةُ إلى المضاف إليه دون المضاف، فذكر الشفا، وعادت الكناية إلى الحفرة. كقول[6] جرير:

[أَرَى مَرَّ][7] السِّنِين أَخَذْنَ مِني كما أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلالِ[8]

---

(١) في (ب): (الذي).

(٢) قال ابن دريد: (وكل شيء استرجعته من عدوك من بعير أو فرس، فهو: (نَقِيذ)، والجمع: (نقائذ). «الجمهرة» ٧٠٠.

(٣) أي: الضمير.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥١. وهو معنى قوله.

(٥) ممن قال بذلك: أبو عبيد، في «مجاز القرآن» ١/ ٩٨، والطبري، في «تفسيره» ٤/ ٣٧-٣٨.

(٦) من قوله: (كقول ..) إلى (وكذلك شفا الحفرة): ساقط من: (ب).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ج)، ومصادر البيت.

(٨) البيت في ديوانه: ٣٤١. وقد ورد منسوبًا له، في «مجاز القرآن» ١/ ٩٨، ٢/ ٨٣، «الكامل» للمبرد: ٢/ ١٤١، «تفسير الطبري» ٤/ ٣٧، «الأصول في النحو» ٣/ ٤٧٨، «البحر المحيط» ٣/ ١٩، «الدر المصون» ٣/ ٣٣٧، «الدر اللوامع» ١/ ٢٠.

وورد غير منسوب، في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧، «المقتضب» ٤/ ٢٠٠، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٩، «الصاحبي» ٤٢٣، «اللسان» ٢/ ١١٨٧ (خضع)، «همع الهوامع» ١/ ٤٧. =

فَذَكَرَ (مَرَّ السِّنين)، ثم أخبر عن السنين.

وكذلك قول العَجَّاج:

طُولُ اللَّيالي أسرعت في نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وطَوَيْنَ عَرْضِي[1]

= وروايته في الديوان وأكثر المصادر: (رأت مرَّ السنين ..).

والسِّرَارُ: هي آخر ليلة من الشهر. ويقال: (سَرَرُ الشهر، وسَرارُه، وسِراره)، وهو مشتق من: (استسر القمرُ)؛ أي: خفي ليلة السرار، وقد يكون ذلك ليلةً، أو ليلتين. انظر: «الصحاح» ٦٨٢ (سرر).

قال الأستاذ محمود شاكر: (وأراد جرير بـ (السرار) - في هذا البيت -: نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالًا، حتى يخفى في آخر ليلة، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة، أما (السِّرَار) الذي شرحه أصحاب اللغة، فهو ليلة اختفاء القمر، وذلك لا يتفق في معنى هذا البيت). هامش «تفسير الطبري» ٧/ ٨٦ (ط. شاكر).

قال ابن السراج: (فقال (أَخَذْنَ)، فردَّه إلى السنين، ولم يرده إلى (مَرّ)؛ لأنه لا معنى للسنين إلّا مرُّها). «الأصول في النحو» ٣/ ٤٧٨.

(١) البيت من الرجز، في ملحق ديوانه (بعناية: وليم بن الورد، نشر ليبسك ١٩٠٣م): ٨٠، مما نسب له.

وقد ورد منسوبًا له، في «كتاب سيبويه» ١/ ٥٣، «مجاز القرآن» ١/ ٩٩، «تفسير الطبري» ٤/ ٣٧، «المخصص» ١٧/ ٧٨ .

وقد نسبته بعض المصادر للأغلب العجلي، ومنها: «المُعمِّرون» لأبي حاتم السجستاني (تح: عبد المنعم عامر، ط: البابي الحلبي - مصر ١٩٦١م) ١٠٨، و«الأغاني» ٢١/ ٢٨، «المقاصد النحوية» ٣/ ٣٩٥، «التصريح» للأزهري ٢/ ٣١، «خزانة الأدب» ٤/ ٢٢٤-٢٢٦.

وورد غير منسوب، في «البيان والتبيين» للجاحظ: ٤/ ٦٠، وقال فيه: (ورأى معاويةُ هُزالَه وهو مُتَعرّ، فقال:..) وذَكَرَه. ولا يدلُّ هذا على أنه لمعاوية، بل قد يكون مما استشهد به من حفظه، ووروده في «المقتضب» ٤/ ١٩٩، «الخصائص» ٢/ ٤١٨، «الأصول في النحو» ٣/ ٤٨٠، «الصاحبي» ٤٢٣، «مغني اللبيب» ٦٦٦=

وهذا إذا كان المضاف من جنس المضاف إليه[(١)]. فإن (مَرَّ السنين)، هو السنون. وكذلك (شَفَا الحفرة). فَذَكَرَ الشَّفَا وعادت الكناية إلى الحفرة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾ الكافُ[(٣)] في موضع نصب[(٤)]؛ أي: مِثْلَ البَيَانِ الذي يُتلى عليكم، يُبَيِّنُ اللهُ لكم آياته لعلكم تهتدون؛ أي: لتكونوا على رجاء هدايته.

= (وانظر: «شرح شواهد المغني» (٨٨١)، «منهج السالك» ٢/ ٢٨٤.
وقد ورد برواية: (إن الليالي ..) و(أرى الليالي ..)، ولا شاهد فيه - هنا - على هاتين الروايتين. وورد: (مرُّ الليالي ..).
وورد الشطر الثاني برواية: (نَقَصن كلِّي ونقضن بعضي)، و(أخَذْنَ بعضي وتَرَكْنَ بعضي). والشاهد فيه: أنه تكلم عن (طول الليالي)، ولكن أخبر عن الليالي، حيث أنَّثَ (أسرعت)، و(طَوَيْنَ) مع أنه يعود على (طول) وهو مذكر؛ وذلك لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، وهو (الليالي)، وليس الطول شيئًا غيرها، فأخبر عنها، دون الطول.

(١) (إليه): ساقطة من: (ج).

(٢) وذهب أبو حيان إلى عَوْد الضمير على (الشفا)، وعلَّلَ قائلًا: (لأن كينونتهم على الشفا، هو أحد جزئي الإسناد، فالضمير لا يعود إلا عليه، وأما ذكر الحفرة فإنما جاءت على سبيل الإضافة إليها ..) ثم أضاف: (وأما ذكر النار فإنما جيء بها لتخصيص الحفرة، وليست - ايضًا - أحد جزئي الإسناد [و] لا محَدّثًا عنها، و - أيضًا - فالإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ منها لا يستلزم الإنقاذ من الشفا، فعَوْدُهُ على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظ ومن حيث المعنى). «البحر المحيط» ٣/ ١٩.

(٣) من قوله: (الكاف) إلى (هدايته): نقله بنصه عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٥١.

(٤) وفي هذه الحالة إما أن تكون نعتًا لمصدر محذوف، أو تكون حالًا؛ أي: (يبيِّن بيانًا مثل ذلك البيان). أو: (يبيِّن لكم تبيينًا مثل تبيينه لكم الآيات الواضحة).
انظر: «الفريد في إعراب القرآن» ١/ ٦١٢، «الدر المصون» ٣/ ٣٣٨.

١٠٤ - قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾. الآية. (مِنْ) دخلت لتخص المُخاطَبين مِن سائر الأجناس، و[ليس المُراد][١] به التبعيض[٢]، [وهذا][٣] كما تقول: (لِفُلان من أولادِهِ جُهْدٌ)، و(للأمير مِن غِلْمانِهِ عِدَّةٌ)؛ تريد بذلك: جميعَ أولادِهِ وغلمانه، لا بعضهم. وقد قال الله تعالى[٤]: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، ليس[٥] يأمرهم باجتناب بعضِ الأوثان، ولكن المعنى: اجتنبوا الأوثان، فإنها رِجْسٌ[٦]. ومثله من الشعر، قولُ الأعشى[٧]:

أَخُو رغائِبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها ... يأبَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ[٨]

---

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (ومن يراد). والمثبت من (ج).

(٢) قال المالقي: (وكثيرًا ما تَقْرُب التي للتبعيض من التي لبيان الجنس، حتى لا يُفرق بينهما إلا بمعنى خفي؛ وهو: أن التي للتبعيض تُقَدَّرُ بـ(بعض)، والتي لبيان الجنس تُقدَّر بتخصيص الشيء دون غيره). «رصف المباني» ٣٨٩.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٤) (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٥) من قوله: (ليس..) إلى (اجتنبوا الأوثان): ساقط من: (ج).

(٦) ذكر ابن هشام أن بعض العلماء ذهب إلى أن (من) في قوله - تعالى -: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ للابتداء، والمعنى: فاجتنبوا من الأوثان الرجس؛ أي: عبادتها. وقال - معقِّبًا على هذا القول -: (وهذا تكلُّف). «مغني اللبيب» ٤٢٠-٤٢١.

(٧) هو: أعشى باهلة، أبو القُحفان، عامر، وقيل: عمر بن الحارث بن رياح الباهلي، من همدان، شاعر جاهلي.
انظر: «المزهر» ٢/ ٤٥٧، «الخزانة» ١/ ١٨٧، «الأعلام» ١/ ٢٥٠.

(٨) ورد البيت منسوبًا له في أكثر المصادر التالية: «الأصمعيات» ٩٠، «الكامل» للمبرد: ١/ ٥٧، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٢، «جمهرة أشعار العرب» ص٢٥٥، «الأضداد» لابن الأنباري: ٢٥٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٣٧ (نفل)،=

وهو النَّوْفَلُ الزُّفَرُ لا بعضه(١).

= «شرح الأبيات المشكلة» ٥٢١، «أمالي المرتضى» ٢/ ٢١، «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٢/ ٦٦٥، ٦٦٦، «التنبيه والإيضاح» لابن بري: ٢/ ١٩٢، «زاد المسير» ١/ ٤٣٤، «اللسان» ٣/ ١٨٤٢ (زفر)، ٦/ ٣٧٠١ (قفر)، ٨/ ٤٥١٠ (نفل)، «خزانة الأدب» ١/ ١٨٥، ١٨٦، ١١٩٥ وردت روايته في «الأضداد»: (يعطاها) بدلًا من: (يعطيها)، كما وردت روايته كذلك: (ويَسْلُبُها) - بالبناء للمعلوم -، من: (السلب) بدلًا من: (ويُسألُها).
والبيت من قصيدة قالها الشاعر في رثاء أخيه من أمه: المنتشر بن وهب الباهلي.
والرغائب: هي العطايا الكثيرة. والمفرد: (رَغِيبة)، وهي: ما يُرغَب فيه من أشياء.
والظُّلامَة: هي ما تطلبه عند الظالم، وهي: اسمٌ لما أُخِذَ من الإنسان ظلما. ويقال - كذلك -: (الظليمة)، و(المظلِمة) - بكسر اللام وضمها.
والنوفل: السيد من الرجال الكثير الإعطاء للنوافل، وهي: العطايا. وفي «اللسان» ٨/ ٤٥١٠ (نفل) ينقل عن ابن الأعرابي: (النوفل: من ينفي عنه الظلم من قومه؛ أي: يدفعه)؛ من (انتفل من الشيء): انتفى وتبرأ منه، و(انتفل)، و(انتفى) بمعنى واحد، كأنه إبدال منه. انظر المرجع السابق.
والزُّفَر: السيد الذي يتحمل بالأموال في الحَمَالات من دَيْن، أو دِيَة، مطيقًا لها. وأصلها من: (ازْدَفَر)؛ أي: حَمَل. والزَّفْرُ: الحَمْل من قولك: (زفَرَ الحِمل، يزفِرُهُ، زفْرا)، و(ازدفَرَهُ) - أيضًا -؛ أي: حمله.
ويقال - كذلك - (زُفَر) للأسد، والجمل الضخم، والرجل الشجاع، والجواد.
انظر: (زفر) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٨، «اللسان» ٣/ ١٨٤١.

(١) قال ابن الأنباري: (ومستحيل أن تكون (مِن) - ههنا - تبعيضًا؛ إذ دخلت على ما لا يتبعض، والعرب تقول: قطعت من الثوب قميصًا، وهم لا ينوون أن القميص قطع من بعض الثوب دون بعض، إنما يدُلُّون بـ(مِن) على التجنيس..). «الأضداد» ٢٥٢-٢٥٣. وانظر: «التنبيه والإيضاح» لابن بري: ٢/ ١٩٢. وممن ذهب إلى ذلك: الزجاج، في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٢، ولكنه جوَّز أن تكون (مِن) في الآية تبعيضية. وممن ذهب إلى أنها لبيان الجنس: النحاس، في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٦. وانظر في هذا الموضوع: «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج ٢/ ٦٤٤.=

وفيه قول آخر، وهو: إنَّ المراد: تخصيص للعلماء والأمراء، والذين هم أعلامٌ، في الأمر بالمعروف، فهو أمر لجماعة من جملة المسلمين، على الكفاية؛ كأنه قيل: لِيَقُمْ بذلك بعضُكم، فأيُّ بعضٍ قام به سقط عن الآخر. ولو كان الأمر للجميع على غير الكفاية لم[1] [تسقط][2] الفريضةُ بقيام البعض به[3].

١٠٥ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ يعني: اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين[4]. ومعنى ﴿تَفَرَّقُوا۟﴾؛ أي: بالعداوة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ يعني: اختلفوا في الديانة. ولاختلافهم وجوهٌ:

= وممن ذهب - كذلك - إلى أن الأمر في هذه الآية عام لكل الأمة: أبو بكر الجصاص، في «أحكام القرآن» ٢/ ٢٩-٣٤، وأطال النفس في بيان ذلك والاستدلال له، وانتصر لهذا الرأي الشيخ محمد عبده، وأسهب في بيان ذلك. انظر: «تفسير المنار» ٤/ ٢٣ وما بعدها.

(١) في (ب): (ثم).

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (تكون). والمثبت من (ج).

(٣) ممن قال بأن المراد - هنا - بعض الأمة، وهم العلماء: الضحاك، كما في «تفسير الطبري» ٤/ ٣٨، ومقاتل بن حيان، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٦، وبكفائيةِ هذا الفرض قال: الطبري، والماوردي، وأبو يعلى الفراء، والزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان، وابن تيمية، وابن كثير، وهو رأي جمهور العلماء.
وانظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي: ٢٤٠، «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى: ٢٨٤، «الكشف» ١/ ٤٥٢، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٦٥، «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية ٦، ٢٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤١٩، «البحر المحيط» ٣/ ٢٠.
قال ابن تيمية: (ويصير فرضَ عَيْن على القادر؛ إذا لم يقم به غيره). الحسبة: ٦.

(٤) منهم: ابن عباس، الربيع، والحسن، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، =

أحدها: أن اليهود اختلفوا مِن بعد موسى، فصاروا فِرَقًا، والنصارى اختلفوا من بعد عيسى، فصارت[1] فِرَقًا، فأمر الله ﷻ بالاجتماع على كتابه، وأعلَمَ أنَّ التَّفَرُّقَ[2] فيه، يُفضي بأهله إلى مثل ما أفضى بأهل الكتاب إليه من الكفر.

= والطبري، والزجاج.

انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٣، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٣، «تفسير الطبري» ٧/ ٩٢-٩٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٢٨، «زاد المسير» ٤٣٥.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، قائلًا: قال النبي ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

أخرجه: أبو داود كتاب: السنة (٤٥٩٦)، باب شرح السنة، والترمذي (٢٦٤٠) كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال: (حديث حسن صحيح). وابن ماجه (٣٩٩١) كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، وقال عنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ٢/ ٣٦٤ (حسن صحيح). والحاكم في «المستدرك» ١/ ٦، ١/ ١٢٨، وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٣٣٢، وابن حبان في صحيحه «الإحسان» ١٤/ ١٤٠ رقم (٦٢٤٧)، والآجري في الشريعة: ١٥.

وأورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٩٠)، وذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم الحديث (٢٠٣).

وورد بنحوه بروايات أخرى فيها زيادات، أخرجها: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والآجري، والحاكم، كلهم في المواضع السابقة.

وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ١١٠-١١١، «كشف الخفاء» للعجلوني: ١/ ٣٦٩، «الفوائد المجموعة» للشوكاني: ٥٠٢، «فتح القدير» له: ١/ ٥٥٩، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٣، ٢٠٤).

(١) في (ب): (فصاروا).

(٢) في (ب): (التفريق).

والثاني: أن المراد بالاختلاف ههنا: اختلاف[١] أهل الكتاب في الإيمان[٢] بمحمد صلى الله عليه وسلم[٣]: فبعضهم آمَنَ، وبعضهم كفر.

والثالث: أنَّ الاختلاف ههنا: اختلاف اليهود والنصارى، و[٤] كتابهم جميعًا[٥] التوراة، وهم يختلفون، كل فرقة[٦] منهم ليست على شريعة الأخرى.

فإن قيل[٧]: إذا[٨] كان الاختلاف في الدِّين مذمومًا منهيًا عنه، فَلِمَ اختلفت هذه الأُمَّةُ في المذاهب والدِّيانات؟.

قلنا: ذاك اختلافٌ في المُجْتَهَدَاتِ، وجميع ذلك مدلولٌ على صحته، فيصير كاختلاف الأحكام المنصوص عليها، مثل: حُكْم المقيم والمسافر، في الصلاة والصيام، ونحو ذلك من الأحكام، في أنَّ كلًّا منها مأذون فيه بالشرع.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ ولم يقل (جاءت)؛ لجوازِ حذفِ علامَةِ التأنيث من الفعل في التقديم؛ تشبيهًا بعلامة التثنية والجمع[٩].

(١) في (ب): (اختلفوا).
(٢) في الإيمان: ساقطة من: (ج).
(٣) في (ج): (عليه السلام).
(٤) في (ب): (في).
(٥) جميعًا: ساقطة من: (ب).
(٦) في (ب): (حرفة).
(٧) فإن قيل: ساقطة من: (ب).
(٨) في (ب): (إذا).
(٩) وقال العكبري: (إنما حذف التاء؛ لأن تأنيث البيِّنةِ غير حقيقي، ولأنها بمعنى الدليل). «التبيان» ص٢٠٣.

وقد فسَّرنا ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ في مواضع[١].

١٠٦ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ انتصاب اليوم على الظرف، والعامل فيه معنى قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: يثبت لهم العذاب يوم تبيض وجوه، و[٢] يعذبون يوم تبيض وجوه[٣].

ومعنى ابيضاض الوجوه: إشراقها[٤] واستنارتها وسرورها واستبشارها[٥]؛ لما تصير إليه من ثواب الله ورحمته؛ كقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩].

ومعنى اسْوِدادِها: حزنها، وكآبتها، وكسوفها؛ لما تصير إليه من العذاب؛ كقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧].

قال ابن عباس في رواية عطاء[٦]: تبيض وجوه المهاجرين

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ من الآية: ٨٦.

(٢) في (ج): (أو). بدلا من: (و). و(أو) أولى هنا من (و)؛ لما تتضمنه من معنى المغايرة.

(٣) أو يكون منصوبًا بفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم...
انظر: «البيان» للأنباري ١/ ٢١٤، «التبيان» (٢٠٣)، «محاسن التأويل» للقاسمي ٤/ ٩٣٣.

(٤) في (ج): (وإشراقها). ومن قوله: (إشراقها ..) إلى (عليها غبرة): موجود بمعناه في «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٢.

(٥) (سرورها واستبشارها): ساقط من (ج).

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية. وقد أورد الثعلبي والقرطبي هذا القول وعزواه لعطاء دون رفع لابن عباس.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٦ب، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٦٧.

والأنصار، وتسود وجوه بني قريظة والنضير والذين كذبوا بمحمد ﷺ.

وقال في رواية سعيد بن جبير[(١)]: تَبْيَضُّ وجوهُ أهل السُّنَّة، وتَسْوَدُّ[(٢)] وجوهُ أهل البدعة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ قال الفرَّاء[(٣)] والزجاج[(٤)]: جواب (أمَّا) محذوفٌ مع القول، وهو: [الفاء][(٥)] مع قولٍ مُضمَرٍ، فلما سقط القول، [سقط][(٦)] الفاء معه[(٧)]، والمعنى: (فيقال لهم: اكفرتم بعد إيمانكم؟)، وحَذَف القولَ؛ لأن في الكلام دليلًا عليه.

ومثله كثير في التنزيل؛ كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾[(٨)]، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ

---

(١) أخرجها ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٢٩، والثعلبي - بسنده - في «تفسيره» ٣/ ٩٦ب. وأوردها البغوي في «تفسيره» ٢/ ٨٧، والسيوطي في «الدر» ٢/ ١١١-١١٢ ونسب إخراجها لأبي نصر في الإبانة، والخطيب في تاريخه، واللالكائي في «السنة».

(٢) في (ج): (وتبيض).

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٨.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٤.

وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١١، «تفسير الطبري» ٤/ ٤٠، «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ١/ ٣٨، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٥٧. «الصاحبي» ٣٩٠، «الإكسير في علم التفسير» للطوفي ١٨٥، ١٩٣، «ارتشاف الضرب» ٢/ ٦٣، ٥٧٠، ٣/ ١٥١.

(٥) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). وفي (ب): ساقط. والمثبت من: (ج).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). وفي «معاني القرآن» للفراء: سقطت.

(٧) انظر: «البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٢/ ٨٣٤.

(٨) سورة الرعد: ٢٤. وتمامها: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾. والمعنى: يقولون: سلامٌ عليكم.

رَبَّنَا﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ﴾[٢]. الآية.

وقوله تعالى ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء[٣]: يعني: اليهود؛ شهدوا لمحمد عليه السلام[٤] بالنُّبُوَّةِ، فَلمَّا قَدِمَ عليهم كذَّبوه وكفروا به. وهذا قول عكرمة[٥] واختيار الزجاج[٦].

وقال قتادة: هم أهل البدع كلهم[٧].

وقد روي عن النبي ﷺ مرفوعًا في قوله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾؛ أي:

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧. وتمامها: ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. والمعنى: يقولان: ربَّنا ..

(٢) سورة السجدة: ١٢. وتمامها: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾. والمعنى: يقولون: ربنا..

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية. (٤) في (ب): (ﷺ).

(٥) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٧ - ب، «تفسير القرطبي» ٤/ ١٦٧، وأروده السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٢ ونسب إخراجه للفريابي، وابن المنذر.

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٥٥.

(٧) أورده بهذا النص الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٩٧ ب. وهو معنى قول قتادة الذي أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٤٠، ونصه عنه - بعد أن قرأ الآية -: (لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون، ولقد ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «والذي نفس محمد بيده، لَيَرِدنَّ عليَّ الحوض ممن صحبني أقوام، حتى إذا رُفِعوا إليَّ ورأيتهم، اختُلِجوا مِن دوني، فلأقولن: ربِّ! أصحابي! أصحابي! فليقالنَّ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وقد ذكر الثعلبي هذا النص الذي أخرجه الطبري مستدلًا به على معنى قول قتادة الذي ذكره، قائلًا: (ودليل هذه التأويلات) ثم أورد الخبر السابق.

وأورد - كذلك - قول قتادة - كما هو عند المؤلف -: البغوي في «تفسيره» ٢/ ٨٨ وابن الجوزي في الزاد: ١/ ٤٣٦. وانظر هذا الخبر وأحاديث أخرى نحوه في «لوامع الأنوار» للسفاريني: ٢/ ١٩٧.

بعد الإقرار بالميثاق الأول[١].

أخبرنا أبو علي ابن أبي القاسم المذكِّر[٢]، أبنا محمد بن حمدوية النيسابوري[٣]، [حدَّثنا علي بن حَمْشَاذ[٤]، ثنا حُمَيد بن حَكيم الدقَّاق[٥]، ثنا عباس بن الوليد الخلَّال[٦][٧]، ثنا][٨] أبو صفوان، القاسم بن [يزيد

(١) أي المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف. آية: ١٧٢].

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعَيم الضَّبِّي الطهماني، الحاكم النيسابوري، المعروف بـ(ابن البَيِّع). ولد سنة (٣٢١هـ)، الإمام الجليل الحافظ المتفق على جلالة قدره، صاحب «المستدرك على الصحيحين»، و«معرفة علوم الحديث» وغيرها من التصانيف الكثيرة. توفي سنة (٤٠٥هـ).
انظر: «تاريخ بغداد» ٥/ ٤٧٣، «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ١٦٢، «طبقات الفقهاء الشافعية» ١/ ١٩٨، «لسان الميزان» ٦/ ٢٥٠.

(٤) هو: أبو الحسن، علي بن حمشاذ بن سختويه بن نصر النيسابوري. ولد سنة (٢٨٥هـ)، إمام عدل ثقة حافظ عابد. قال عنه الحاكم: (ما رأيت في مشايخنا أثبت في الرواية والتصنيف من علي بن حمشاذ). توفي سنة (٣٣٨هـ).
انظر: «تاريخ الإسلام» ٢٥/ ١٦٥ وفيات (٣٣١-٣٥٠هـ)، «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٣٩٨، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ٨٥٥، «شذرات الذهب» ٢/ ٣٤٨.

(٥) لم أقف له على ترجمة، إلّا ما ورد في (ذيل ميزان الاعتدال)، للحافظ العراقي، حيث قال: (حُمَيد بن حَكِيم. حديثه في سنن الدارقطني، قال ابن القطان: لا تُعرف حاله). الذيل: ٢٠٣.

(٦) هو: أبو الفضل، عباس بن الوليد بن صُبْح الخلال السُلَمي الدمشقي. قال ابن حجر: (صدوق)، ووثقه ابن حبان، قال أبو داود: كان عالمًا بالرجال والأخبار، لكنه لم يحدث عنه. توفي سنة (٢٤٨هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢١٥، «الميزان» ٣/ ١٠٠، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٩٥.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٨) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، وجاء فيه: (ثنا أبو صفوان القاسم بن يزيد العامري، ثنا يحيى بن كثير أبو النضر، ثنا عاصم.

العامري][(١)]، ثنا يحيى بن كثير، أبو النضر[(٢)]، ثنا عاصم الأحول[(٣)]، وداود بن أبي هند[(٤)]، عن أبي العالية الرِّيَاحِي، قال:

قال أُبَيُّ بن كعب[(٥)]:

---

(١) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وساقط من: (ب). ومثبت من: (ج).
وقد وردت رواية القاسم - هذا - عن يحيى بن كثير، في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٧٧، ١٠٩ باسم أبي صفوان، القاسم بن يزيد بن عوانة. ولم أقف له على ترجمة.

(٢) في (ب): ثنا أبو النصر. في (ج): أبو النصر. عَدّه ابنُ حجر مِن الطبقة الصغرى من أتباع التابعين، شيعي، قال ابن حجر: (ضعيف)، وقال أبو حاتم: (ضعيف ذاهب الحديث جدًا)، وقال الدارقطني: (متروك).
انظر: «المجروحين» لابن حبان: ٣/ ١٣٠، «ميزان الاعتدال» ٦/ ٧٧، «المغني في الضعفاء» ٢/ ٤١٠ «التقريب» ص٥٩٥ (٧٦٣١).

(٣) هو: أبو عبد الرحمن، عاصم بن سليمان الأحول، البصري. تابعي، ثقةحافظ، توفي بعد سنة (١٤٠هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٤٣، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٥٢ .

(٤) هو: أبو بكر أو أبو محمد، داود بن أبي هند - (دينار) - القُشَيري بالولاء، البصري. تابعي، ثقة متقن، إلا أنه يهم إذا حدّث مِن حِفْظِه، توفي سنة (١٤٠هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٤١١، «ميزان الاعتدال» ٢/ ٢٠١، «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٧٢، «التقريب» ص٢٠٠ (١٨١٧).

(٥) هو: أبو المنذر، أُبَيُّ بن كعب بن قيس، الأنصاري الخزرجي. ويكنى بـ(أبي الطفيل) - أيضًا -، من فضلاء الصحابة، شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، سيد القراء، وأحد كتَّاب النبي ﷺ، توفي سنة (٢٢هـ)، وقيل: (٣٠هـ) ورجحه ابن الأثير.
انظر: «المعارف» لابن قتيبة: ٢٦١، و«أسد الغابة» ١/ ٦١، «صفة الصفوة» ١/ ٢٤٥، «الإصابة» ١/ ١٩.

(قال)(١) النبي(٢) ﷺ في قوله، فذكره(٣).

١٠٧ - قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس(٤): يريد: ففي جنة الله.

قال أهل المعاني(٥): وإنما قيل [لـ(الجَنَّةِ): رحمةُ](٦) الله؛ إعلامًا أنَّ العبدَ لا يدخلها إلا برحمته(٧)، وإنْ اجتهد في طاعته.

---

(١) في (أ): (قال قال).

(٢) في (ج): (رسول الله).

(٣) الأثر: أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٤٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٣٠، وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٨٨أ، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٣٤٠، والماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤١٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٣٦، والسيوطي في «الدر» ٢/ ١١٢ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.
وقد أوردوه كلهم موقوفًا على أبي بن كعب ﷺ (ولم أر من رفعه سوى المؤلف. ونصه كما عند الطبري: (قال صاروا يوم القيامة فريقين: فقال لمن أسوَدَّ وجهُه، وعيَّرَهم: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، قال: هو الإيمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم، وأقرُّوا كلهم بالعبودية، وفطرهم على الإسلام، فكانوا أمَّة واحدة مسلمين. يقول: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، يقول: بعد ذلك الذي كان في زمان آدم..). وعلى هذا فالآية عامَّةٌ في جميع الكفار، ورجَّح هذا الطبري.

(٤) لم أقف على مصدر قوله وقد أورده ابن الجوزي في الزاد: ١/ ٤٣٧.

(٥) ممن قال ذلك: ابن قتيبة، في «تأويل مشكل القرآن» ١٤٥.
وانظر: «الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى: ٥٣، «تفسير الطبري» ٤/ ٤٠، «الأشباه والنظائر» للثعلبي: ١٦٢، «قاموس القرآن» للدامغاني: ١٩٩، «نزهة الأعين النواظر» لابن الجوزي: ٣٣١، «تفسير الكريم المنان» للسعدي: ١/ ١٩٤، «محاسن التأويل» ٤/ ٩٣٢. حيث فسروها جميعًا بالجنة.

(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) في (ج): (رحمة الله).

وقال آخرون[١]: رحمة الله ههنا: ثوابُه لأهل طاعته.

وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال أبو إسحاق[٢]: كرَّر (في)؛ للتأكيد، الذي هو تمكين المعنى في النفس.

وقال غيره[٣]: كرَّر (في)؛ للبيان عن الصفتين[٤]؛ المعنى: أنهم في رحمة الله، وأنهم خالدون فيها، فكل واحدةٍ منهما قائمةٌ بنفسها.

١٠٨ - قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي[٥]: تلك التي جرى ذكرها، حُجَجُ اللهِ وعلاماتُه.

وصَلح ﴿تِلْكَ﴾ ههنا في موضع (هذه)؛ لانقضاء الآيات؛ فلمَّا انقضت، صارت كأنها بَعُدَت، فقيل فيها: ﴿تِلْكَ﴾[٦].

وقال ابن عباس[٧]: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى: القرآن[٨].

وقوله تعالى: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ أي: نُعرِّفُك إيَّاها. قال ابن

---

(١) ممن قال بذلك: الزجاج، في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٥، والنحاس، في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٨.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٥٥. وعبارته - هنا - بالمعنى.

(٣) لم أقف على هذا القائل.

(٤) في (ج): (البيان عن الصفين).

(٥) من قوله: (أي..) إلى (وعلاماته): نقله بنصه عن: «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ١٠، ٢٢٩، «تفسير الطبري» ١/ ٩٦.

(٧) لم أقف على مصدر قوله. وهو مذكور في (تنوير المقباس)، المنسوب له: ٥٣. وقد قال بهذا القول: قتادة. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٤٦٨.

(٨) (القرآن): مطموسة في (ج).
وقد اختار المؤلف هذا القول في تفسيره (الوجيز) (المطبوع بهامش (مراح لبيد): ١/ ١١٣). وذهب إليه القرطبي. انظر: «تفسيره» ٤/ ١٦٩.

عباس[١]: نُبيّنها.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بأنَّها[٢] حقٌّ؛ كما تقول: أعامِلُك بالحَقِّ؛ أي: معاملتي حقٌّ.

ويجوز أنْ يكون المعنى: نتلوها بالمعنى الحق؛ لأن معنى المَتْلُوِّ حقٌّ.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ فيعاقبهم بلا جُرْم. (قاله)[٣] ابنُ عبَّاس. وقال أبو إسحاق[٤]: أعلم الله جل وعزَّ أنَّهُ[٥] يُعذِّبُ مَن يُعذِّبُهُ باستحقاقٍ.

[وحَسُنَ][٦] ههنا نفيُ إرادةِ الظلم للعالمين؛ لأن ذِكْرَ العقوبةِ قد تقدم، فبيَّنَ أنَّه لا يُعاقِب أحدًا[٧] ظالمًا إيَّاهُ.

فإنْ قيل: أليس لو فعل ذلك، لم يكن ظالمًا عندكم؟ فلِمَ[٨] قال: ﴿وما اللهُ يريدُ ظُلْمًا للعباد﴾ [غافر: ٣١]؟ ولو أراده لم يكن ظُلمًا؟[٩].

قلنا: سمَّاه ظلمًا؛ لأنه في صورة الظُّلْم[١٠]، ولو عَذَّبَ غير[١١]

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.
واختاره المؤلف في تفسيره (الوجيز) (المطبوع بهامش (مراح لبيد): ١/ ١١٣).

(٢) في (ب): (بيانها).

(٣) من (أ)، وفي باقي النسخ: (قال).

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٥. نقله عنه بمعناه.

(٥) في (ج): (أنَّ).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) في (أ)، (ب): أحد. والمثبت من: (ج). وهي أليق بالعبارة - هنا - وأوجه.

(٨) في (ج): فلما.

(٩) في (ب): (ظالمًا).

(١٠) انظر حول هذا الموضوع: «شرح العقيدة الطحاوية» ٤٥٣-٤٥٥.

(١١) في (ج): (غيره).

مُستَحِقٍّ(١) للعذاب، لم يكن منه ظلمًا حقيقيًا، ولكنه يكون في صورة الظلم، وقد يُسمَّى الشيءُ بالشيء، إذا أشبهه، وكان في صورته؛ كجزاء السيِّئة، يُسَمَّى: (سيئةً)(٢)، وجزاء الاستهزاء، يُسمَّى(٣): (استهزاءً) في التنزيل(٤)، ومثله كثير.

١١٠ - قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ اختلف قول أهل المعاني في هذا:

فقال الفرَّاء(٥) والزجاجُ(٦)، وغيرُهما(٧): كنتم خير أُمَّةٍ عند الله، في اللَّوْح المحفوظ. وقالا(٨) أيضًا: معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: أنتم خير أمة؛

---

(١) في (ج): (مستحقًا).

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. سورة الشورى: ٤٠.

(٣) في (ج): (سمي).

(٤) يعني المؤلف قولَه - تعالى -: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. [سورة البقرة: ١٤، ١٥].
وقد ذكر الطبريُّ هذا المعنى في تفسيره، ورَدَّهُ، فـ(الاستهزاء) في هذه الآية صفة من صفات الله على الحقيقة، تليق بجلال الله - تعالى -، وليس المقصود بـ(الاستهزاء) هنا مجازاتهم في الآخرة على استهزائهم بأوليائه في الدنيا، فهذا صرفٌ للصفة عن حقيقتها. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٢-١٣٤. وانظر ما سبق من تعليق على تفسير المؤلف لقول الله - تعالى -: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ من الآية: ٥٤.

(٥) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٢٩.

(٦) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٦. وقد أورده الزجاج بلفظ (قيل: ..).

(٧) ممن جوز هذا القول: النحاس، في «إعراب القرآن» ١/ ٣٥٧.

(٨) قائل هذا القول، هو: الفراء، في المرجع السابق. والعبارات التالية له نقلها =

كقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦]، وقال في موضع آخر: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأنفال:٢٦]. وإضمارُ (كان)[١] وإظهارُها في مثل هذا، سواءٌ، إلّا أنها إذا ذُكِرت كانت للتأكيد، ووقوع الأمرِ لا مَحالة.

قال ابن الأنباري[٢]: وهذا القول ظاهرُ الاختلال؛ لأن (كان) يُلغى[٣] مُوسَّطًا ومُؤَخَّرًا، ولا يُلغَى[٤] مُقَدَّما؛ تقول العرب: (عبدُ الله كان قائمٌ) و(عبدُ الله قائمٌ، كان)؛ على أنَّ (كان) مطروحةٌ، ولا يقولون: (كانَ عبدُ الله قائمٌ)، على إلغائها؛ لأنَّ سبيلهم أن يبدأوا بما [تنصرف الغايةُ إليه، والمُلْغَى غير معني به، على أنَّه لا يجوز][٥] إلغاءُ الكَوْنِ في الآية؛ لانتصاب خبره، وإذا (أُعْمِلَ)[٦] الكَوْنُ في الخَبَرِ، فنصبه، لم يكن مُلغًى.

وقال بعضُ النحويين[٧]: إنما قال: ﴿كُنتُمْ﴾، ولم يقل: (أنتم)؛

= المؤلف بتصرف يسير. أما الزجاج فلم يذكر هذا المعنى في هذا الموضع.
وممن قال بهذا: ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ٢٩٥. وجعله من باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، قال: (ومنه أن يأتي الفعلُ على بِنْيَةِ الماضي وهو دائمٌ أو مُستَقبَل) وذكره. وقال به الطبري، في «تفسيره» ٤/ ٤٥-٤٦، وابن فارس، في «الصاحبي» ٣٦٤، ويرويه أبو العباس عن ابن الأعرابي، كما في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٤ (كون)، وجوزه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٣٥٧.

(١) في (ج): (كل).
(٢) لم أقف على مصدر قوله.
(٣) في (ب)، (ج): (تلغى).
(٤) في (ب)، (ج): (تلغى).
(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج).
(٦) في (أ): (عمل).
(٧) لم أقف عليهم.

لتَقَدُّمِ[١] البِشَارَةِ بهذه الأُمَّة، ولِمَا قد[٢] كان يُسمَعُ مِنَ الخير في هذه الأمَّةِ؛ فكأنَّه[٣] قيل: كنتم خير أُمَّةٍ بُشِّرَت بها. وهذا القول، يُروى معناه عن الحَسَنِ[٤].

وقال بعضهم[٥]: الكَوْنُ ههنا بمعنى: الوقوع والحُدُوث، وهي التَّامَّةُ التي لا تحتاج إلى خبر، فمعنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: حَدَثْتم خَيْرَ أُمَّةٍ، ووُجِدْتُم وخُلِقْتُم خَيرَ أمَّةٍ، فيكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ حينئذ بمعنى الحَالِ. وهذا معنى قولِ [ابن][٦] جَرِير[٧].

وحكى الزجاجُ[٨] عن بعضهم: كنتم [منذ][٩] آمنتم خيرَ أُمَّةٍ[١٠].

فأمَّا المُخاطَبون بهذا: فقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[١١]:

---

(١) في (ج): (فتقدم).

(٢) في (أ)، (ب): (قدم). والمثبت من (ج).

(٣) في (ج): (وكأنه).

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٥، «النكت والعيون» ١/ ٤١٦.

(٥) منهم الطبري، كما سيأتي.

(٦) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٧) في «تفسيره» ٧/ ١٠٦.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٥٦. أورد هذا القول وصدَّره بلفظ (قيل ..).

(٩) في (أ)، (ب)، (ج): (قد). ولم أر لها وجهًا. وأثبتُّها من: «معاني القرآن» للزجاج. وقد تكون (مُذ) فحرِّفت إلى (قد).

(١٠) قد يكون القائل ابن الأنباري؛ حيث أورد ابن الجوزي في الزاد نحو هذا القول، وقال: (ذكره ابن الأنباري) ونصه: (مذ كنتم). انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٣٩.

(١١) هذه الرواية، في «مصنف ابن أبي شيبة» ٦/ ٣٩٨ رقم (٣٢٣٤٩)، و«مسند أحمد» (شرح الشيخ أحمد شاكر): ٤/١٥٣ رقم (٢٤٦٣)، ٣٣٥ (١٩٢٨)، ٣٥٥ (٣٩٨٩)، ٥/ ١١٢ (٣٣٢١)، وصححه الشيخ شاكر، وتفسير النسائي: ١/ ٣١٩، «تفسير الطبري» ٤/ ٤٥، «تفسير عبد الرزاق» ١٣٠، «تفسير ابن أبي حاتم» =

هم الذين هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة. وعلى هذا[١]: عِكْرِمة[٢]، ومُقاتل[٣]، والضَّحَّاك[٤]: أن هذا خاصة لأصحاب محمد[٥] ﷺ. يدل على هذا القول:

ما روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال في هذه الآية[٦]: هي

= ٣/ ٧٣٢، «المعجم الكبير» للطبراني: ١٢/ ٦ رقم (١٢٣٠٣)، ومستدرك الحاكم: ٢/ ٢٩٤. وصححه ووافقه الذهبي، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٨أ، وذكرها ابن حجر في «المطالب العالية» ٣/ ٣١٥ رقم (٣٥٧٠) وعزاها للحارث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس، وذكرها الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٣٢٧ وقال: (رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح)، وأوردها ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٢٢٥ وعزاها لمن سبق وقال عن إسنادها: (جيد)، وأوردها السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٣، وزاد نسبة إخراجها لعبد بن حميد، والفريابي، وابن المنذر، عن ابن عباس موقوفًا.

(١) في (ج): (ذلك).

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٣، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٨أ، «أسباب النزول» للواحدي: (١٢١)، «تفسير البغوي» ٢/ ٨٩، «زاد المسير» ١/ ٤٣٨، «الدر المنثور» ٢/ ١١٣ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

(٣) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٩٥، والمصادر السابقة ما عدا الطبري.
وقد ورد قول مقاتل وعكرمة في معرض بيانهما لسبب نزول الآية، فقد قال مقاتل في تفسيره (وذلك أن مالك بن الصَّيف، ووهب بن يهوذا، قالا لعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة: إن ديننا خيرٌ مِمَّا تدعوننا إليه فأنزل الله -ﷻ- فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ في زمانكم، كما فضل بني إسرائيل في زمانهم). وانظر المصادر السابقة.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٤، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٨أ، ولكنه فيه: (عن الضحاك عن ابن عباس)، «تفسير البغوي» ٢/ ٨٩.

(٥) في (ب): (النبي).

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٣، وابن أبي حاتم: ٣/ ٧٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٨أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٨٩.

لأوَّلِنا، ولا تكون لآخرنا.

وقال[١] في رواية عطاء[٢]: يريد: أُمَّةَ محمد ﷺ. فعلى هذا: هم جميع المؤمنين من هذه الأمَّة.

قال الزجاج[٣]: هذا الخطاب، أصلُه: أنه خوطب به أصحابُ رسول الله ﷺ، وهو يَعُمُّ سائرَ أُمَّتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يُحتَمَلُ أنْ يكون ﴿لِلنَّاسِ﴾، مِنْ صِلَةِ ﴿أُمَّةٍ﴾؛ أي: كنتم خير أمَّةٍ للنَّاسِ أُخْرِجَت؛ يعني: أنهم[٤] خير أمَّةٍ للنَّاس، تجيئون بهم في السلاسل، فتُدْخِلُونَهم في الإسلام. وهذا المعنى يُروى عن أبي هريرة[٥].

---

(١) أي: ابن عباس ﷺ.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٣) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٦، نقله عنه بتصرف يسير جدًّا.

(٤) في (ج): (أنتم).

(٥) ورد هذا عنه مرفوعا وموقوفًا، أما المرفوع فقد أخرجه: البخاري في «الصحيح» (٣٠١٠) في الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، ولفظه عنده من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**عجب ربنا من قوم يدخلون الجنة في السلاسل**». وأخرجه أحمد مرفوعًا بنحو لفظ البخاري. انظر: «المسند» (شرح الشيخ شاكر): ١٥/ ١٦٨ (٨٠٠٠)، ١٨/ ٤٨ (٩٢٦٠)، ١٩/ ٣٣ (٩٧٨١)، ٦٦ (٩٨٩٠)، وأبو داود في «السنن» (٢٦٧٧) كتاب الجهاد، باب: (في الأسير يوثق). وابن حبان في «صحيحه» «الإحسان» ١/ ٣٤٣ رقم (١٣٤).

أما الموقوف، فقد أخرجه: البخاري (٤٥٥٧) في التفسير، سورة آل عمران، باب (٧) ولفظه: (﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام).

وأخرجه عنه كذلك: النسائي في «تفسيره» ١/ ٣١٨، والطبري في «تفسيره» =

وقال قتادة(١): لم يُؤْمَرْ نَبِيٌّ وأمَّتُهُ بالقتال، إلّا هذه الأمَّة ونَبِيها، يُقاتِلُونَ، فَيَسْبُونَ الرُّومَ والتُّرْكَ والعَجَمَ، فَيُدْخِلونهم في دينهم، فهم خير أمَّة للنَّاس.

ويُحتَمَلُ(٢) أن يكون ﴿لِلنَّاسِ﴾(٣) مِن(٤) صِلَةِ ﴿أُخْرِجَتْ﴾؛ ومعناه: ما أَخرَجَ(٥) [اللهُ](٦) للنَّاسِ أمَّةً، خيرًا(٧) مِنْ أمَّةِ أحمد(٨)؛ فهم(٩) خير أمَّةٍ أُظْهِرَت(١٠) وأُخْرِجَت للنَّاس.

= ٤/ ٤٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٣٢، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ٩٨ب، وأورده البغوي في «تفسيره» ٢/ ٩٠، والسيوطي في «الدر» ٢/ ١١٣ وزاد نسبةإخراجه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم. ولكنيِّ لم أجده في مستدركه.

قال ابن حبان في معناه: (والقصد في هذا الخبر: السَّبْيُ الذين يسبيهم المسلمون من دار الشرك مكتَّفِين في السلاسل يُقادون بها إلى دور الإسلام، حتى يُسْلِمُوا، فيدخلوا الجنة). «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» ١/ ٣٤٣-٣٤٤.

وقد نقل ابنُ حجر أقوال أهل العلم في شرحه. انظر: «فتح الباري» ٦/ ١٤٥، ٨/ ٢٢٥.

(١) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٩أ، «تفسير البغوي» ٢/ ٨٩.

(٢) من قوله: (ويحتمل ..) إلى - (أخرجت للناس): نقله بتصرف يسير عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ٩٩أ.

(٣) في (ج): (من الناس).

(٤) من: ساقطة من (ج).

(٥) في (ب): (فلا تخرج).

(٦) ما بين المعقوفين: في في (أ)، (ب): إليه. وهي ساقطة من: (ج). وليست في «تفسير الثعلبي». ورجَّحتُ أن أصلها كما أثبتُّه، وقد حُرِّفت إلى (إليه).

(٧) في (ج): (خير).

(٨) في (ج): (محمد).

(٩) (من أمة أحمد فهم): ساقطة من: (ب).

(١٠) في (ج): (ظهرت).

وقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الظاهرُ أنَّ[١] هذا مَدْحٌ لهذه الأمَّة بهذه الخصال، وإخبارٌ عنهم بهذه الجملة، وحُكِي عن مجاهد أنه قال[٢]: الخَيْرِيَّةُ في هذه الأمَّةِ على هذه الشَّرِيطَةِ[٣]؛ يعني: كنتم خيرَ أُمَّةٍ، ما أَمَرْتُم بالمعروف، ونَهَيْتُم عن المنكر، وآمنتم بالله، وهذا أيضًا اختيار الزجاج[٤].

والمَعْرُوفُ: كلُّ حَسَنٍ جميل، يُعرَفُ بجلالته، وعُلُوِّ قَدْرِه[٥]. ولا يجوز إطلاق هذه الصفة على القبيح، وإنْ كان يُعرَف؛ لأنه بمنزلة ما لا يُعْرَف؛ لخُمُولِهِ وسُقُوطِهِ.

١١١ - قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ هذا وعْدٌ مِنَ الله تعالى[٦] للمؤمنين، في أهل الكتاب، أنَّهم منصورون عليهم، وأنَّه لا ينالهم منهم غَلَبَةٌ. ومعنى ﴿إِلَّآ أَذًى﴾؛ أي: أذًى باللِّسانِ، مثل[٧]: الوعيد، والبُهْت[٨].

---

(١) في (ج): (من).

(٢) قوله في «الطبري» ٤/ ٤٤، «الدر المنثور» ٢/ ١١٣ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

(٣) في (ب): (الطريقة).

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٥٦.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٤٤، «اللسان» ٥/ ٢٨٩٩-٢٩٠٠ (عرف)، و«التعريفات» للجرجاني: ٢٢١، و«التوقيف على مهمات التعاريف» ٦٦٦.

(٦) تعالى: ساقطة من: (ب)، (ج).

(٧) في (ج): (ثم).

(٨) البُهْت - بضم الباء -، والبَهِيتة، والبهتان: الكذب والافتراء.
والبَهت - بفتح الباء -: أن يقول المرء في غيره ما لم يفعله. يقال: (بَهَته، يَبْهَتُه، بَهْتًا، وبَهَتا، وبُهْتانًا).
والبَهْتُ: الانقطاع والحَيْرة، يقال: (بَهَتَ، وبَهِتَ، وبُهِتَ): إذا تَحيّرَ. وهو أصل=

وقال الحسن[١] وقتادة[٢]: أي: دعاء إلى الضلالة.

وموضع ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ نصبٌ بالاستثناء المتصل؛ المعنى: لن يضروكم إلا ضَرَرًا يسيرًا. فـ(الأذى) وقع موقع الضَّرَر[٣].

والأذى: مصدر (أَذِيْتُ بالشيء أذًى)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ قال أبو علي[٥]: (وَلَّى) منقول مِن (فَعل)؛ تقول: (داري تَلِي دارَهْ)، وَ(وَلِيَتْ[٦] داري دارَه)،

= معنى الكلمة. فـ(البُهتان): هو الباطل الذي يُتحير من بطلانه.

انظر: (بهت) في «مقاييس اللغة» ١/ ٣٠٨، والنهاية في «غريب الحديث» ١/ ١٦٥، «اللسان» ١/ ٣٦٧-٣٦٨.

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٤، «زاد المسير» ١/ ٢٤٠.

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٦ ونصه عنده: (لن يضروكم إلا أذى تسمعونه منهم). «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٤.

(٣) وقيل: هو استثناء منقطع؛ أي: لن يضروكم بقتال أو غلبة، ولكن بكلمة أذى أو نحوها. وممن قال بهذا: الأخفش، والطبري، والنحاس، ومكي، وأبو بكر الأنباري.

انظر: «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ٢١٣، «تفسير الطبري» ٤/ ٤١، «إعراب القرآن» للنحاس: ١/ ٣٥٨، «البيان» للأنباري: ١/ ٢٨٥، «الدر المصون» للسمين الحلبي: ٣/ ٣٥٢، «مشكل إعراب القرآن» لمكي: ١/ ١٧٠.

(٤) الأذى: هو ما تسمعه من مكروه. يقال: (أَذِيتُ بالشيء، آذَى أَذًى وأذاة وأَذِيَّة)، فـ(أنا أَذٍ). أمَّا (آذى)، فمصدرها: إيذاء، وأذيّة. وتأذَّيْت به تأذِّيا.

انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٤٠ (أذا)، «الصحاح» ٦/ ٢٢٦٦ (أذا)، «اللسان» ١/ ٥٤.

(٥) هو: الفارسي، ولم أقف على مصدر قوله فيما رجعت إليه من مؤلفاته، وقد وجدته - مع اختلاف يسير جدًا - في «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: ٢/ ٤٤٧ في كلام طويل نقله عن أبي علي في تعليقه على قوله - تعالى -: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [الآية: ١٤٤ من سورة البقرة].

(٦) في (ب): (ووليته).

فإذا[١] نَقَلْتَ[٢] إلى (فَعَّلَ)، قلت: (ولّاني مآخيرَهُ)[٣]، و(ولّاني مَيامِنَه)[٤]، فهو مثل: (فَرِحَ) و(فَرّحْتُه)[٥]، ومثل هذا: قوله: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ [الحشر:١٢]، وقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥]، إلّا أنّ المفعول الثاني الزائِد في نَقل (فَعِلَ)[٦] إلى (فَعَّلَ) محذوفٌ من الآيتين، ولو لم يُحذَفْ لكان كقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ محمول[٨] على الاستئناف، لا على

---

(١) في (ج): (وإذا).

(٢) في «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: نقلته.

(٣) في (أ)، (ب): (ما آخيره). والمثبت من: (ب)، (ج)، «إعراب القرآن».
وفي «إعراب القرآن»: (قلت: وَلِيتُ مآخيره، وولّاني مآخيره).
والمآخير: لم أقف على المراد بها في معاجم اللغة التي رجعت إليها، وقد ورد فيها (المئخار)، وهي النخلة التي يبقى حملها إلى آخر الصّرام، أو يبقى إلى آخر الشتاء، وجمعها: مآخير.
انظر: «كتاب النخل»، لأبي حاتم السجستاني: ٩٢، وانظر مادة (أخر) في «اللسان» ١/ ٤٠، «التاج» ٦/ ١٧.
ولكن هذا المعنى ليس هو - المراد هنا، وإنما يراد بها هنا - والله أعلم - جهة الخلف من الإنسان: الظهر وما يليه. ويعزز هذا قوله بعده: (وولاني ميامنه).

(٤) ورد في «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج: (ووليت ميامنه، وولاني ميامنه).
والميامن: جمع (مَيمَنه)، وهي خلاف الميسرة في الإنسان. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٩٦٧ (يمن).

(٥) في «إعراب القرآن» السابق، أضاف بعدها: (وليس مثل: لقي وألقيته ولقَّيْته).

(٦) في (أ): (فعّل). وفي (ب)، (ج): (غير مشكولة). وما أثبته هو الصواب.

(٧) فـ(الأدبار) مفعول ثانٍ. انظر: «التبيان» للعكبري: ص٢٠٤، «الدر المصون» ٣/ ٣٥٢.

(٨) من قوله: (محمول ..) إلى (ثم لا ينصرون): ساقط من (ج).

العطف[١]. والتقدير: ثم هم لا ينصرون.

وإنَّما لم يُحتملْ[٢] على العطف؛ لأنه غير مشاكل للمعطوف عليه؛ وذلك أن سبب التولية: القتال، وليس كذلك منعُ النصر؛ لأن[٣] سببه: الكفر[٤]. وأيضًا فإنه آخر آية، فكان الرفعُ فيه أقوى؛ ليشاكل[٥] سائرَ الفواصل بالنُّون[٦]؛ كما قال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٧] [المرسلات: ٣٦].

قال المفسرون: صدق الله وعْدَه بالنصر، فلم يقاتل يهودُ[٨] المدينة رسولَ الله ﷺ والمسلمين[٩]، إلّا ولّوا منهزمين، وكانت الدَّبْرَةُ[١٠] عليهم،

---

(١) انظر: «إعراب الحديث النبوي» للعكبري: ١٧٢.

(٢) في (ج): (يحمل).

(٣) في (ج): (لأنه).

(٤) أي: لو قلنا بعطفه على جواب الشرط، للزم تقييد عدم نصرهم في حالة مقاتلتهم لنا فقط. ولكن - في الحقيقة - هم غير منصورين مطلقًا؛ لكفرهم، سواءً أقاتلوا أم لم يقاتلوا.

(٥) في (ج): (لتشاكل).

(٦) في (ب): (والنون).

(٧) في رفع ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ - هنا - وجهان:
أ- أنها معطوفة على ما قبلها ﴿وَلَا يُؤْذَنُ﴾ فهي نفي؛ أي: فلا يعتذرون. فلم يجعل الاعتذار متسببًا عن الإذن؛ إذ لو كان كذلك لنُصب وحذف النون. وذهب الفرَّاء إلى أن الرفع فيها لمراعاة الفواصل.
ب- أنها مستأنفة؛ أي: فهم يعتذرون. ومعناها: أنهم ينطقون في مواقف دون أخرى.
انظر: «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٢٩، ٣/ ٢٢٦، «التبيان» للعكبري: ص٢٠٤، «البيان» للأنباري: ٢/ ٤٨٨، «البحر المحيط» ٨/ ٤٠٨.

(٨) في (ب): (بعد) بدلًا من (يهود).

(٩) (والمسلمين): ساقطة من: (ج).

(١٠) في (ج): (الدائرة).

=

ففيه أعظم دلالة على (صحة)[(١)] نبوة محمد ﷺ.

١١٢ - قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ قد مضى الكلام في معنى ضَرْبِ الذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ على اليهود، في سورة البقرة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وُجِدوا، وصُودِفوا[(٣)]. ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الفرّاء[(٤)]: يقول: (إلَّا أنْ يَعتَصِموا بحبل من الله)، فأضمر ذلك، وأنشد:

رأتني بحَبْلَيْها فَصدّتْ مَخَافَةً   وفي الحَبْلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ[(٥)]

= الدَّبْرَة: العاقبة، والهزيمة في القتال. أمّا الدِّبْرة - بكسر الدال المشددة - فهي خلاف القِبلة. انظر: «القاموس المحيط» ص٣٨٩ (دبر).

(١) زيادة من (أ).

(٢) انظر: «تفسير البسيط» عند تفسير آية: ٦١ من سورة البقرة.

(٣) انظر: (ثقف) في «اللسان» ١/ ٤٩٢، «القاموس» ص٧٩٥.

(٤) في «معاني القرآن» له: ١/ ٢٣٠. نقله عنه بنصه.

(٥) البيت لحميد بن ثور، وهو في ديوانه: ٣٥. وورد في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٣٠، «تفسير الطبري» (٤٩)، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣١، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠١أ، «أساس البلاغة» ١/ ٣٨١، «اللسان» ٢/ ٧٦١، ٧/ ٤٤١٠، ٦/ ٣٤٠١. «البحر المحيط» ٣/ ٣٢.

وروايته في الديوان:

فجئت بحبليها فردَّت مخافةً   إلى النفس روعاءُ الجَنان فَرُوق

ووردت روايته في «اللسان» ٧/ ٤٤١٠

رأتني بنِسْعَيها فردت مخافتي   إلى الصدر رَوْعاءُ الفؤادِ فَرُوق

وفي «اللسان» ٦/ ٣٤٠١:

رأتني مُجَلِّيها فصدت مخافةً   وفي الخيل روعاء الفؤاد فروق

و(الروعاء): الناقة الحديدة الفؤاد. «القاموس» ٧٢٤ (روع). و(الفَرُوق): =

قال أراد: أَقْبَلْتُ(١) بحبليها(٢).

وقد نُعي هذا عليه، فقيل: لا يجوز حذف الموصول وإبقاء صلته(٣)؛ وذلك أن الموصول لمّا احتاج إلى الصِّلَةِ للبيان عنه، فالحاجة إلى ذِكْرِهِ أشَدُّ(٤)، وإنَّما يجوز حذفُ الشيء للاستغناء بدلالة غيره عليه، فلو دَلّ دليل عليه لحُذف مع صلته؛ لأنه معها بمنزلِةِ شيءٍ واحد. ويجوز حذف الصلة دون الموصول؛ لأن الموصول [هو المعتمد عليه، والصلة تبع له؛ لأنها للبيان عنه، فإذا حُذِفَ الموصول](٥) وجب حذفُ الصلة معه؛ [لأنها تَبَعٌ](٦) له.

وقد أخبرني العَرُوضي رحمه الله، عن الأزهري، قال(٧): أخبرني

= الشديدة الفزع. من (الفَرَق): وهو الخوف. «اللسان» ٦/ ٣٣٩٧ (فرق).
قال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على البيت في هامش «تفسير الطبري» ٧/ ١١٣ (ط. شاكر): (مدح ناقته بحدة الفؤاد، تفزع لكل نبأة؛ من يقظتها؛ كما قالوا: (مجنونة)، يقول ذلك في ناقته: رأتني أقبلت بالحبلين لأشد عليها راحلي، فصدَّت خائفة. يصفها بأنها كريمة لم تبتذلها الأسفار. ثم قال: فلما شددت عليها الرحل، كانت في الحبل ذكية شهمة، تتوجس لكل نبأة؛ من يقظتها وتوقدها).

(١) في (ب): (قبلت).

(٢) في (ج): (بحبلها).

(٣) وهي - هنا - الجار والمجرور. ففي الآية ﴿بِحَبْلٍ﴾، وفي البيت (بحبليها).

(٤) في (ج): (ذكر ما شد).

(٥) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٦) ما بين المعقوفين: في (أ)، (ب): (لا يتبع). والمثبت من (ج).

(٧) قوله في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣١-٧٣٢ (حبل) إلى نهاية: (ومعنى (ألا): (لكن). وقد نقله عنه بتصرف واختصار يسيرين.

المُنْذِريُّ، عن ثعلب، أنه قال: هذا الذي قاله الفرّاء[١]، بعيدٌ[٢]، ولكن المعنى إن شاءَ الله : ضربت عليهم الذِّلَّة أينما ثُقِفُوا؛ أي: بكلِّ مَكان إلّا بموضِع حَبْلٍ مِنَ الله، وهو استثناء مُتَّصل؛ كما تقول: (ضُرِبت عليهم الذِّلَّة في الأمكنة، إلّا في هذا المكان)، ثمّ حذف المضافُ[٣].

قال: وقول الشـاعر: (رأتني بحبليها)؛ هو كما تقول: (أنا بالله، وبك)[٤]؛ أي : مُتَمَسِّك. فتكون البـاءُ مِن صِـلَة (رأتني متمسكًا

---

(١) (الفراء): ساقطة من: (ج).

(٢) وفي «تهذيب اللغة»: (بعيد أن تحذف (أن) وتُبقِي صلتها).

(٣) ثم حذف المضاف: ليس في «تهذيب اللغة».
وقد ذهب إلى هذا الزمخشري، وأيّد كون الاستثناء متصلًا هنا، وقال: (وهو استثناء من أتم الأحوال؛ المعنى: ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حالة اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس..). «الكشاف» ١/ ٤٥٥.

(٤) وبك: ليس في «تهذيب اللغة».
بالنسبة لهذه الألفاظ مثل (أنا بالله، وبك) وأمثالها، وبغض النظر عن مجال الاستدلال النحوي بها، فإن الآثار الشرعية قد وردت بالنهي عن استعمالها بهذه الصورة. فقد قال ﷺ: «**إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله، ثم شئت**». أخرجه ابن ماجه (٢١١٧) كتاب الكفارات، باب (١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»: ١/ ٣٦٢.
وورد في الحديث عنه ﷺ: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان**». رواه أبو داود في «السنن» (٤٩٨٠)، كتاب الأدب، والبيهقي في «السنن» ٣/ ٢١٦، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨.
وعن ابن عباس: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فراجعه في بعض الكلام، فقال: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: «**أجعلتني والله عِدْلاً، بل ما شاء الله وحده**».
أخرجه البيهقي في «السنن» ٣/ ٢١٧، والبخاري في الأدب المفرد: ٣٤٤ رقم (٧٨٣)، وغيرهما. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ حديث رقم (١٣٦-١٣٩).
وقد ذكر العلماء أن قول الإنسان (ما لي غير الله وأنت)، و(توكلت على الله =

بحبليها)[١]، فاكتفى بالرُّؤيَةِ[٢] مِن التمسك.

قال الأزهري: والقول، ما قال أبو العباس[٣].

وقال الأخفش[٤]: قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾ استثناء خارج عن[٥] أول الكلام[٦]، ومعنى (إلّا): لكِنْ[٧].

واختار الزَّجَّاج هذا الوجه، فقال[٨]: ما بعد الاستثناء[٩] ليس من الأول؛ المعنى[١٠]: أنهم أذلَّاءُ، إلَّا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أُعطوه.

ونَصَرَ محمدُ بن جَرِير هذه الطريقة أيضًا، فقال[١١]: إن أهل الكتاب (قد)[١٢] ضربت عليهم الذلة، سواء كانوا على عهد من الله، أو لم يكونوا

= وعليك)، وأنا بالله وبك) وأمثالها من عبارات، تعد من ألفاظ الشرك التي يجب أن تُجتَنَب، كما دلت على ذلك الآثار السابقة. انظر تيسير العزيز الحميد: ٥٩٨-٦٠٢.

(١) في (ج): (بحبلها).

(٢) في (ب): (بالراية).

(٣) هو ثعلب.

(٤) قوله في «معاني القرآن» له ١/ ٢١٣، ولكنه هنا من تتمة قول الأزهري السابق في «التهذيب».

(٥) في (ب)، «معاني القرآن»، «تهذيب اللغة»: (من).

(٦) أي إنه استثناء منقطع.

(٧) في «معاني القرآن»، «تهذيب اللغة»: (في معنى لكن).

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٥٧ نقله عنه بنصه.

(٩) في (ج): (الا استثناء).

(١٠) المعنى: ليست في «معاني القرآن».

(١١) في «تفسيره» ٤/ ٥٠. نقله عنه بالمعنى.

(١٢) زيادة من (أ).

على عهد، فلا يخرجون بالاستثناء(١) عن الذِّلة إلى العِزَّة.

قال(٢): وتمام الكلام عند قوله: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾، ثم قال: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أراد(٣): لكن قد يعتصمون بحبل من الله، أو قد يُثْقَفُونَ بحبل من الله، وحَبْلٍ مِنَ الناس كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، فـ(الخَطَأ) وإن كان منصوبًا بما عمل فيه ما قبل الاستثناء، فليس باستثناء مُتَّصل حتى يَدُلَّ على أنَّ قتلَه خطأ مباحٌ(٤)، ولكن معناه: قد يقتله خطأ(٥).

ومَن نَصرَ طريقة أبي العباس، قال(٦): إنَّ عِزَّ(٧) المسلمين عِزٌّ لأهلِ الذِّمَةِ؛ لأنَّ أخْذَهم عَهْدَ المسلمين يَحقِنُ دماءَهم، ويمنع فُرُوجَهم وأموالهم عن الاغتنام بالسَّبْي، ثم هذا [العِزُّ](٨) لا يخرجهم عن الذِّلَّة في أنفسهم، فهم على ما وصفهم الله من الذِّلَّة أينما ثقفوا، وإنْ اعتصموا بالذِّمَّة(٩).

وأما التفسير: فقد ذكرنا معنى (الحبل) عند قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وبعض المفسرين يذهب إلى أن حبلَ الله ههنا

---

(١) في (ج): (بالاستغناء).

(٢) في المرجع السابق. نقله بالمعنى.

(٣) من قوله: (أراد..) إلى (بحبل من الله): مكرر في (أ).

(٤) في (ج): (ماح).

(٥) (خطأ): ساقطة من: (ب).

(٦) لم أقف على هذا القائل. وممن ذهب إلى أن الاستثناء منقطع ونصر هذا الرأي: ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٧٠.

(٧) في (ج): (إن الله عز).

(٨) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٩) وهو اختيار ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٧٠-٢٧١.

الإسلام[١]؛ يعني [إلّا][٢] أنْ يُسْلِمُوا. وهذا بعيد؛ لعطف (حبل الناس) عليه، وإذا أسلموا، استغنوا عن حَبْلِ الناس، ولو أرادَ الله تعالى بالحبلَ الأوَّل: الإسلام، وبالثاني: الذِّمَّة؛ لقالَ: (أو حبل من الناس)، ولكن الصحيح: أن كلا[٣] الحبلين؛ المراد به العهد، والذِّمَّة، والأمان، كما قال ابن عباس[٤] يريد: بعهد مِنَ الله، وعهد مِنَ المؤمنين، وإنما ذكر الله تعالى حبلَ الله مع حبل المؤمنين؛ لأن الأمان الذي يأخذونه[٥] من المؤمنين، هو بإذن الله تعالى ، فهو أمانٌ مِن جهته.

وباقي الآية مشروح في سورة البقرة[٦].

١١٣ - قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ قال أبو الهيثم[٧]: يقال: (فلانٌ وفلانٌ سَواء)[٨]؛ أي: متساويان، و(قوم سَواء)؛ لأنه مصدر لا يُثَنّى ولا يُجمع. ومضى الكلام في (سواء) في أول سورة البقرة[٩].

---

(١) ممن قال بذلك: ابن زيد، ومقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٣، «تفسير الطبري» ٧/ ٧٣.

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من: (ج).

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): كلي.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٤٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٥ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.

(٥) في (ج): أخذونه.

(٦) انظر: «تفسير البسيط» [البقرة: ٦١].

(٧) قوله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤ (سوى).

(٨) في «تهذيب اللغة»: (سواعد) - بدلًا من: (سوى) - ويبدو أنها تصحيف.

(٩) عند آية ٦ من سورة البقرة.

انظر حول (سواء): «الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى ٣٦، و«تحصيل نظائر=

قال ابن الأنباري[١]: يريد: ليس أهل الكتاب الذين سبق ذكرُهم وتقدم وصفُهم، سواءً؛ أي: متساوين في دينهم ومذهبهم. ثمّ ابتدأ فقال[٢]:

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ انقطع الكلامُ عند (سواءً)، ورفع (الأُمَّة) بـ (مِنْ)[٣]، وأضمر[٤] (الأمَّة) المذمومة؛ لأن القائمة تكفي من التي ليست بقائمة، على مذهب العرب من الاكتفاء بالشيء من ضده، كما قال أبو ذؤيب[٥].

عَصاني إليها القَلْبُ إنّي لأمرها مطيعٌ فما أدري أَرُشْدٌ طِلابُها؟[٦]

= القرآن» للحكيم الترمذي ٢٧، «الأضداد» لابن الأنباري ٤٠، «الحجة» للفارسي ١/ ٢٤٥، «الصحاح» ٦/ ٢٣٨٤ (سواء)، و«قاموس القرآن» للدامغاني ص ٢٥٢، و«التصاريف» لمكي ١١١، و«نزهة الأعين النواظر» ٣٥٩، «المغني» لابن هشام ١٨٧-١٨٩.

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد بعضُ قوله في «إيضاح الوقف والابتداء» له: ٢/ ٥٨٢.

(٢) فقال: ساقطة من: (ب).

(٣) ممن قال بالوقف التام - هنا - أكثر أهل العلم، ومنهم: نافع، ويعقوب، والأخفش، والزجاج، وأبو حاتم.
انظر: «القطع والائتناف» للنحاس: ٢٣٢، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٥٨، و«منار الهدى» للأشموني ٦٨ وقال: (وهو الأصح).
وإعراب ﴿أُمَّةٌ﴾ على هذا الوجه: مبتدأ مؤخر، و﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ خبر مقدم.
انظر: «التبيان» للعكبري: ص٢٠٥.

(٤) في (ج): (فأضمر).

(٥) في (ج): (ذيب). وهو: خويلد بن خالد بن مُحرِّث الهُذَلي. تقدم.

(٦) ورد البيت منسوبًا له في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٤٣، «تأويل مشكل القرآن» =

أراد: أم غيٌّ؟. فاكتفى بالرُّشد مِن غيره[١] .

وقال آخر:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضًا   أُريدُ الخيرَ أيُّهُما يَلِيني[٢]

= ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠١ - ب، «مغني اللبيب» ١٨، ٥٩، ٨٢٠، وانظر: «شرح شواهد المغني» ٢٧، ١٤٢، ٦٧٢)، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٧٢.

كما ورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٢٣٠، «منهج السالك» ٣/ ١١٦، «همع الهوامع» ٥/ ٢٤١.

وقد ورد في بعض المصادر: (دعاني إليها القلب) وفي معاني الفراء، وتأويل المشكل، وتفسير الثعلبي: (عصيت إليها القلب) كما ورد في جميع المصادر المذكورة: (إني لأمره * سميع..).

قال الأصمعي: (عصاني القلب): جعل لا يقبل مني؛ أي: ذهب إليها قلبي سفها، فأنا أتبع ما يأمرني به، فما أدري أرُشدٌ الذي وقع فيه أم غيٌّ). «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٤٣.

(١) وقد تطرق المؤلف لهذا المعنى عند الآية: ٦ من سورة البقرة.

(٢) في (ج): (أيهما أريد).

والبيت للمثقب العبدي، وهو في ديوانه: ٢١٢. وورد منسوبًا له، في «المفضليات» ٥٧٤، «الشعر والشعراء» ١/ ٤٠٣، و«الصناعتين» ٢٠٥، و«الحماسة البصرية» ١/ ٤٠، «شرح شواهد المغني» ١٩١، «خزانة الأدب» ١١/ ٨٠.

وورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء: ٢٣١.

وروايته في «المفضليات»: (يممت أمرًا ..)، وعند الفراء: (يممت وجها ..) وفي «الحماسة البصرية» كما عند المؤلف، وفي «شرح شواهد المغني» «الخزانة»: (وجهت وجهًا . .).

وبعد هذا البيت:

أألخير الذي أنا أبتغيه   أم الشر الذي هو يبتغيني

ومعنى (يميت): قصدت، و(يليني): من (الوَلْي)، وهو: القرب.

أراد[١]: أريد الخير والشر، فاكتفى بالخير من الشر[٢].

ويجوز أن يرتفع (الأُمَّة)[٣] بـ(سواء)، ويكون المعنى: لا يستوي من أهل الكتاب أمَّةٌ قائمةٌ، وأخرى غيرُ قائمةٍ.

وهذا الذي ذكر[٤] ابنُ الأنباري، كُلُّهُ مذهبُ الفرّاء في هذه الآية[٥].

قال [أبو إسحاق][٦]: هذا الذي قاله[٧]، خطأ فاحش في هذا المكان[٨]؛ لأن ذِكْرَ أهلِ الكتابِ قد جرى في هذه القصة، وأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون [الأنبياء][٩]، فأعلمَ اللهُ ﷻ أنَّ منهم المؤمنين، الذين هم[١٠] أمةٌ قائمةٌ، فما الحاجَةُ إلى أن يقال: غير قائمة؟ وإنما [المبدوء][١١] به ما[١٢] كان مِن فِعْلِ أكثرِهم؛ من الكفر والمُشَاقَّةِ للنبي ﷺ.

---

(١) في (ج): (المعنى: لا يستوي أراد). ولم أثبت هذه الزيادة؛ لأنه لا وجه لها، ويبدو أنها سبق قلم من الناسخ.

(٢) انظر المصادر السابقة التي أوردت البيتين؛ حيث تطرقت إلى موضوع الحذف الوارد في الآية.

(٣) في (ج): (الأمر).

(٤) في (ج): (ذكره).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٣٠.

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج).

وقوله في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٦٠. نقله عنه بنصه.

(٧) في (ج): (قال).

(٨) في «معاني القرآن» في مثل هذا المكان.

(٩) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ). ومثبت من (ب)، (ج)، «معاني القرآن».

(١٠) هم: ساقطة من (ب).

(١١) ما بين المعقوفين: في (أ): البدو. والمثبت من (ب)، (ج)، «معاني القرآن».

(١٢) في (ب): (مما).

فَذَكَرَ مَنْ كان منهم مباينًا لهؤلاء.

فعند الزجّاج: لا يحتاج إلى إضمار الأمَّةِ المذمومة؛ لأن ذِكْرَ أهلِ الكتاب قد جرى، ثُمّ أخبر الله تعالى أنهم غير متساوين، بقوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾، وههنا وقف التمام. ثُمّ أنبأ بافتراقهم، فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾[1].

قال أبو بكر[2]: وقول الفرّاء هو الحق، واحتجاج الزّجاج عليه مُخْتَلٌّ[3] فاسد؛ لأنه لو اكتفى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] من إضمار الأُمَّة الكافرة بعد ذِكْرِ الأُمَّة المؤمنة، لاكتفى بقوله ﷻ: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، مِن ذِكْر الأُمَّتين جميعًا؛ فلما لم يكتفِ بالمؤمنين من الأُمَّة القائمة، لم يكتفِ بالفاسقين من الأُمَّة الكافرة، إذْ كان الله جل وعلا أتى بإخبار بعد إخبار، وَوَصْفٍ لهم إثْرَ وَصْفٍ؛ للزيادة[4] في الإفهام، والمبالغة في الإيضاح والبيان. والله أعلم.

وكان أبو عبيدة يذهب مذهب الفرّاء: من إضمار الأُمَّة المذمومة، إلّا أنه لا يجعل تمامَ الوقف عند قوله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾، ويقول[5]: (الأُمَّة) رُفِع

(١) في (أ)، (ب): ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾. وما أثبته من: (ج)؛ لأنه الأولى والأنسب بسياق الكلام. وما ورد في (أ)، (ب) مما سبق به الفكر والقلب عادة في مثل هذه المواطن.

(٢) هو ابن الأنباري، كما سبق، ولم أقف على مصدر قوله وهو من تتمة النقل السابق عنه.

(٣) في (ج): (محتمل).

(٤) في (ج): (الزيادة).

(٥) لم أقف على مصدر قوله وليس موجودًا في «(مجاز القرآن») بهذا النص؛ ونَصُّهُ =

بـ ﴿لَيْسُواْ﴾.

قال: وجُمِعت (ليس) وهي مُقَدَّمة، على لغة مَن يجمع الفعلَ وإن يقَدّم، كقولهم: (أكلوني البراغيثُ)[1]، واحتج بقول الفرزدق:

ولـكـنْ دِيـافِـيٌّ أبُـوهُ وأُمُّـهُ بِحَوْرانَ[2] يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أقارِبُهْ[3]

= في (المجاز) هو: (العرب تُجوِّزُ في كلامهم مثل هذا أن يقولوا: (أكلوني البراغيثُ)، قال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهذلي في منطقه، وكان وجه الكلام أن يقول: (أكلني البراغيث). وفي القرآن: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقد يجوز أن يجعله كلامين، فكأنك قلت: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ثم قلت: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾.) «المجاز» ١/ ١٠١-١٠٢.

(١) هذا مثل وضع عَلَما على لغة (طيئ)، وقيل لغة (أزد شنوءة)، أو (بلحارث)، وكما ورد في الهامش السابق عن أبي عبيدة أنه نطق بها بعض (هذيل).
وقد ألحقوا في هذه اللغة علامة الجمع أو التثنية بالفعل، مع ظهور الفاعل، فجمع في (أكلوني البراغيث) واو الجماعة والاسم الظاهر. والأصل المتبع أن يقال: (أكلني البراغيث).
انظر الكلام عن هذه اللغة في «كتاب سيبويه» ٢/ ٤٠-٤١، «معاني القرآن» للفراء: ١/ ٣١٦، «المسائل المشكلة» للفارسي: ١٠٩، «سر صناعة الإعراب» ٦٢٩، «نتائج الفكر» للسهيلي: ١٦٦، «إعراب الحديث النبوي» للعكبري: ١٢٥، ١٣٧-١٣٨، «رصف المباني» ١١١، «الجنى الداني» ١٥٠، ١٧٠، «البحر المحيط» ٣/ ٢٤، «مغني اللبيب» ٤٧٨، «أوضح المسالك» ص٨٢، «همع الهوامع» ٢/ ٢٥٦، «الاقتراح في علم أصول النحو» للسيوطي: ٤٣، «معجم الشوارد النحوية» ١٠٨.

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): (بحوزان). والمثبت من: الديوان ومصادر البيت.

(٣) البيت في ديوانه: ٤٤. وقد ورد منسوبًا له في «كتاب سيبويه» ٢/ ٤٠ (وانظر شرح أبيات سيبويه، للنحاس: ١١٣)، «أمالي بن الشجري» ١/ ٢٠١، «شرح المفصل» ٣/ ٨٩، ٧/ ٧، «معجم البلدان» ٢/ ٤٩٤، «خزانة الأدب» ٥/ ٦٣، ٢٣٤، ٧/ ٣٤٦، ٤٤٦، ١١/ ٣٧٢، «اللسان» ٢/ ١١٩٣ (خطأ)، ٤/ ٢٠٦٥ (سلط)،=

ولم يرتض هذا القولَ أحدٌ مِن النحويين، وقالوا: هذا الذي قاله، لغة رديئة في القياس والاستعمال.

أما القياس؛ فلأن الجمعَ عارِضٌ، والعارِضُ لا تُؤكَّد عَلامَتُه؛ لأنه بمنزلة ما لا يُعتَدُّ بِه، وليس كالتأنيث؛ للزومه، فَتُقَدَّم [له][(١)] العَلامَةُ؛ لِتُؤذِنَ به قبل ذِكْرِهِ. ومع[(٢)] [هذا؛ فجائز][(٣)] تركها فيه، فكيف[(٤)] بالعارض[(٥)]؟ ولزوم[(٦)] الفعل للفاعل يغني عن التثنية والجمع فيه، فلا

= ٣/ ١٤٥٥ (دوف)، «الدر اللوامع» ١/ ١٤٢.

وورد غير منسوب في «الحجة» للفارسي: ١/ ١٣٢، «الخصائص» ٢/ ١٩٤، و«إعراب الحديث النبوي» ١٢٥، ١٣٨، «رصف المباني» ١١٢، «الجنى الداني» ١٥٠، «همع الهوامع» ٢/ ٢٥٦.

والبيت من قصيدة قالها في هجاء عمرو بن عفراء الضبِّي.

و(دِيافيّ) نسبة إلى (دِياف) وهي من قرى الشام، وأهلها نَبَط، و(حوران): من قرى الشام. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٤٩٤، «الخزانة» ٥/ ٢٣٥.

و(السليط): الزيت. وقيل: كل دهن عصر من حبٍّ. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٦٥ (سلط).

يقول الشاعر - هنا - عن المهجو: إنَّ أهله من النَّبَطِ، وليسوا من العرب الخلَّص، أصحاب الانتجاع والشجاعة والحروب، بل هم من أهل (دِياف)، ممن يعيشون على عصر الزيت. وزاده هجاءً بقوله: (يعصرن) - بنون النسوة - يشبههم بالنساء ذوات الخدمة والتبذل، وليسوا كالرجال ممن شأنهم الحروب.

والشاهد فيه: قوله: (يعصرن السليط أقاربه) ولم يقل (يعصر)، على الأصل، حيث إنه فعل مقدمة، وفاعله (أقاربه)، والنون في الفعل علامة لكون الفاعل جمعًا.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٢) في (ج): مع.

(٣) ما بين المعقوفين: غير مقروء في (أ). وفي (ب): هذا الحيز. والمثبت من: (ج).

(٤) في (ج): (وكيف).

(٥) في (ب): (العارض).

(٦) في (ب): ولزومه. في (ج): (ولزم).

يدخل جمعٌ على جمع، كما لا يدخل تعريفٌ على تعريف.

وأما الاستعمال؛ فإن أكثر العرب تَرَكَ هذه اللغة، وهي من لغة من لا يُرتَضى لغتُه، ولم ينزل الله ﷻ كتابَه إلا بأعرب اللغات، وأقربها من البيان. ومتى جُمع الفعلُ مُقدَّمًا [أَوْهَمَ][1] أسماءً[2] قبله، ولم يَقِفْ المخاطَبُ على معنى الكلام، إلّا بعد تفكر [من التَّوَهُّم][3].

ومعنى ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: قال ابن عباس[4]: يريد: قائمة على الحَقِّ، وعلى أمر الله، لم تتركه كما تركه الآخرون.

وقال مجاهد[5]: عادلة. وقال السُدِّي[6]: قائمة بطاعة الله. وقال ابن قتيبة[7]: مواظبة على أمر الله.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. أي: يقرأون كتاب الله.

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): وهم. وما أثبته هو كما رجحت صوابه؛ لأني لم أجد في معاجم اللغة التي رجعت إليها، أن (وهم) يتعدى بدون الهمزة، أو بالتضعيف. وما يؤكد هذا أن الواو في (وهم) لصقت بالألف في (مقدما) في (أ)، (ج).

(٢) في (ب): (إنهاء).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ج).

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٤، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٨، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٦٢، «تفسير البغوي» ٢/ ٩٣، وقد رجح هذا الطبري في تفسيره في الموضع السابق، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٢٧.

(٥) قوله في «تفسيره» ١٣٣، «تفسير الطبري» ٤/ ٥٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٨، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٦٢، «تفسير البغوي» ٢/ ٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ١١٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٣، «ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٧، «البغوي» ٢/ ٩٣.

(٧) في «تفسير غريب القرآن» له ١٠٨.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾. ساعاته. والواحد: (إِنًى)، مقصورٌ؛ مثل: (مِعًى)[1].

قال الراجز:

لله درُّ جعفرٍ أيَّ فتًى مُشَمِّرٍ عن ساقه كُلَّ إنًى[2]

ويجوز: (إِنْيٌ)، مثل: (نِحْيٌ)[3]، و(حِسْيٌ)[4].

قال الأعشى:

في كلِّ إِنْيٍ حَذَاهُ الليلُ يَنْتَعِلُ[5]

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (معًا). والمثبت من كتب اللغة. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٥ (أنى).

(٢) في (ب): (أنى). ولم أقف على قائله، وقد أورده الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٠٢أ، ولم يعزه لقائل، ولم أقف على مصادر أخرى له.

(٣) في (ب): (محي).
والنِحْيُ: الزِّقُّ - وهو السقاء الذي يُتَّخذ للشراب، أو ما كان للسمن خاصة -، أو نوع من الرُّطَب، أو سهم عريض النصل. ويقال - كذلك -: (النِّحْي، والنَّحَى).
والجمع: (أنحاء، ونُحِيٌّ، ونِحاءٌ).
انظر: (نحا) في «اللسان» ٧/ ٤٣٧٢، «القاموس» ص١٣٣٧.

(٤) الحِسْيُ: سهل من الأرض يستنقع فيه الماء. وقيل: غِلَظٌ فوقه رمل يجتمع فيه ماء المطر، فكلما نَزحتَ دلوا جمَّت أخرى. والجمع: أحساء.
انظر: «الصحاح» ١٣١٣ (حسا)، «المجمل» ٢٣٣ (حسو)، «اللسان» ٢/ ٨٨٠ (حسا)، «القاموس» ص١٢٧٤ (حسا).

(٥) في (أ)، (ب)، (ج): ورد البيت كالتالي: (في كل إنيٌ جداه الليل شغل). وما أثبته فمن مصادر البيت.
والبيت ليس للأعشى كما ذكر المؤلف، بل هو لأبي أُثَيْلَة، المُتَنَخِّل، مالك بن عويمر بن عثمان الهُذَلي. وقد ورد منسوبًا له في «سيرة بن هشام» ٢/ ١٨٦، «مجاز القرآن» ١/ ١٠٢، ٢/ ٣٣، «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٢٨٣، «الشعر والشعراء» ص٤٣٩، «الصحاح» ٢٢٧٣ (أنا)، «اللسان» ١/ ١٦٢ (أنى). =

قال المفسرون: يعني بـ(الأُمَّة القائمة) ههنا: عبد الله بن سلام، ومن آمَنَ معه من أهل الكتاب. هذا قول ابن عباس[(١)]، وقتادة[(٢)]، وابن

= وورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٤، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٥٩، «المنتخب» لكراع النمل: ٢/ ٦٠٨، «معاني القرآن» للأخفش: ١/ ٢١٤، وكتاب «حروف الممدود والمقصور» للكسائي: ٦٤، «المنصف» ٢/ ١٠٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦١٤ (نعل)، ١/ ٢٢٥ (أنى)، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٢أ.
وأول البيت:

حـلْـوٌ ومُـرٌّ كَـعَـطْـفِ الـقِـدْح مِـرَّتُـهُ

وقد ورد في بعض المصادر: (بكل إني ..)، وورد: (قضاه الله ..)، و(قضاه الليل ..) بدلًا من: (حذاه الليل)، وفي المنتخب، لكراع النمل: (حَذَاهُ الليل)، وورد: (كعطف القدح شيمتُهُ ..).
الشاعر - هنا - يرثي ابنه أُثَيْلَة، ويصفه بأنه (حلو ومر)؛ أي: حلو وسهل لمن يستحق المعاملة الحسنة، ومرٌّ وشديد على من يستحق الشدة والخشونة. وقوله: (كعطف القدح)، (القِدْح): السهم قبل أن يُراش ويُنْصل. و(المِرَّة): الشِّدَّة، والقوة. يريد: أنه يُطوَى كما يُطوَى القِدح، ثم يعود إلى شدَّته واستقامته. قوله: (حذاه الليل): أي: قطعة اليل حِذاءً. و(ينتعل)؛ أي: يتخذه نعلًا. أي: إنه يسري في كل ساعة من ساعات الليل، لا يتأخر ولا يهاب.
انظر: «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ١٢٨٣، وتعليق الأستاذ محمود شاكر على البيت في هامش «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٥-١٢٦.
وفسر كراع النمل: (حذاه الليل)؛ أي: ساقه. وقال: (أي: ينتعل كل إنيٍ حذاه؛ أي: ساقه، و(في) زائدة). المنتخب: ٦٠٨.

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٧، «الدر المنثور» ٢/ ١١٥، وزاد نسبة إخراجه لابن إسحاق، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر.

(٢) لم أقف على مصدر قوله وقد أورده ابن الجوزي في الزاد: ١/ ٤٤٢. والذي في تفسير الطبري عنه: (ليس كل القوم هلك، قد كان لله فيهم بقية) ٤/ ٥٢.

جريج[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ قال الفرَّاء[٢]، والزجاج[٣]: أي: يُصلُّون؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع. فالمراد بـ(السجود) (هنا)[٤]: الصلاة، وإنَّما ذكرت بلفظ السجود؛ لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع.

فعلى ما ذكروا[٥]؛ الواو في (وهم) واو الحال؛ أي: يقرأون القرآن مُصَلِّينَ.

وقال غيرهما[٦]: يجوز أن يكون المراد: حقيقة السجود، لا الصلاة؛ فيكون التأويل: يتلون آيات الله آناء الليل[٧]، وهم مع ذلك يَسجدون. فليست الواوُ حالًا، وإنَّما هي عطفُ جملةٍ على جملة[٨]. وعلى هذا؛ لم يعدل بالسجود عن ظاهره.

وقال ابن مسعود[٩]: هذه في صلاة العَتَمَة؛ يصلونها، ومن سواهم

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٢.
(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣١.
(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٥٩.
المؤلف - هنا - دمج بين عبارات الفراء والزجاج، ولفَّقَ بينها.
(٤) زيادة من (أ).
(٥) في (أ) و(ج): (ذكر).
(٦) ممن قال ذلك: الطبري في «تفسيره» ٤/ ٥٦، رادًّا على الفراء رأيَه السابق. والعبارة التالية قريبة من عبارته في تفسيره.
(٧) (آناء الليل): ساقطة من: (ج).
(٨) أي: أنها معطوفة على قوله تعالى ﴿يَتْلُونَ﴾، في موضع رفع نعت لـ﴿أُمَّةٌ﴾. وقد تكون مستأنفة لا محل لها من الإعراب. واستحسن هذا مكِّي بن أبي طالب.
(٩) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٧٣٩، «التاريخ =

من أهل الكتاب لا يصليها.

١١٤ - قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال ابن عباس(١): يريد: بتوحيد الله. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: يريد: عن الشرك بالله.

وقال الزجاج(٢): أي: يأمرون باتّباع(٣) النبي ﷺ، وينهون عن

= الكبير» للبخاري ١/ ٢/ ٣٠٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٦ وزاد نسبة إخراجه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقد وردت في رواية أخرى للطبري عن ابن مسعود عبارةٌ مُدرَجة، تبيِّن أن صلاة العتمة هي صلاة العشاء، ونصها: (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر العشاء - يريد: العتمة - فقال لنا: ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم. قال: فنزلت: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾.). وقد يكون الإدراج من الطبري أو من أحد رواة الأثر عن ابن مسعود.

أخرج هذه الرواية: أحمد ١/ ٣٩٦، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٥٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٣٨، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٢٠، وابن حبان (الإحسان) ٤/ ٣٩٧ رقم: ١٥٣٠)، والبزار (انظر: «كشف الأستار» ١/ ١٩٠ رقم: ٣٧٥)، والواحدي في «أسباب النزول» ص١٢٣، وانظر: «تفسير ابن مسعود» ١/ ١٧٦-١٧٨.

وقد ورد عن ابن عباس، والسُدِّي تفسير ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ بجوف الليل. وعن الثوري، عن منصور بن المعتمر السلمي: أنها بين المغرب والعشاء.

وهي معان متقاربة؛ لأن كلًّا منها يصدق عليه أنه من آناء الليل.

إلا أن الطبري يرى أن أَوْلاها، هو قول من قال: هي تلاوة القرآن في صلاة العشاء، لأنه صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب.

انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٥٤-٥٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٣٨-٧٣٩.

(١) لم أقف على مصدر قوله. وفي «النكت والعيون» ٢/ ٨٨١ أورد عن ابن عباس، أن (المعروف: اتِّباع الرسول. والمنكر: عبادة الأصنام).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٠. نقله عنه بنصه.

(٣) في (ب): (يأمرون بتوحيد الله باتباع النبي).

الإقامة على مُشَاقَّتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾ فيه وجهان لأصحاب المعاني: أحدهما: أنهم يبادرونها خوف الفَوْتِ بالموت[١]. والآخر: [يعملونها][٢] غير متثاقلين[٣] فيها[٤].

والسُّرْعة محمودةٌ، بخلاف العَجَلَة؛ وذلك أنَّ (السرعة): التقدم فيما ينبغي أن تتقدم[٥] فيه. ونقيضها مذموم، وهو: (الإبطاء)[٦].

و(العَجَلَة) مذمومة، وهي: التقدم فيما لا ينبغي أن تتقدم[٧] فيه[٨]. ونقيضها: (الأَنَاة)[٩]، وهي محمودة.

١١٥ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾ موضع ﴿يَفۡعَلُواْ﴾: جزم بالشرط، وجوابه: ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾.

وفيهما قراءتان[١٠]:.

---

(١) ممن قال بذلك: الطبري في «تفسيره» ٤/ ٥٦. وهو المتبادر من معنى الآية.

(٢) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (يعلمونها). والمثبت من: (ج).

(٣) في (ب): (متشاقين).

(٤) لم أقف على من قال بهذا القول، ممن سبق المؤلف.

(٥) في (ب): (يتقدم).

(٦) انظر: «اللسان» ٤/ ١٩٩٤ (سرع)، «بصائر ذوي التمييز» ٣/ ٢١٤.

(٧) في (ب): يتقدم.

(٨) قال الفيروز آبادي: (والعجلة من مقتضيات الشهوة؛ فلذلك ذُمَّت في جميع القرآن، حتى قيل: إن العجلة من الشيطان. وقوله - تعالى -: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] ذُكر أن عجلته - وإن كانت مذمومة - فالذي دعا إليها أمرٌ محمود، وهو: طلب رضا الله). «بصائر ذوي التمييز» ٤/ ٢٣.

(٩) في (ب): (الإناء).

(١٠) قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء في ﴿يَفۡعَلُواْ﴾ و﴿يُكۡفَرُوهُۗ﴾.=

الياءُ؛ للكناية عن الأُمَّةِ القائمة، ثم سائر الخلق داخل في هذا الشرط.

ومن قرأ بالتَّاء؛ فلأن نظائره جاءت بالتَّاء؛ مخاطبة لجميع الخلائق، من غير تخصيص قوم دون قوم؛ كقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾(١) [البقرة: ٢٧٢].

ومعنى ﴿فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: فلن تعدموا(٢) ثوابه، ولن تُجحَدوا جزاءَه(٣) وسُمِّيَ منعُ الجزاء على عمل الخير كفرًا؛ لأنه بمنزلة الجَحْدِ له، والسَّتْر(٤)؛ لئلا يقع الجزاء عليه. ولمَّا جعل ثواب الطاعة من الله تعالى

= وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبي بكر عن عاصم، وابن عامر، بالتاء فيهما. وورد عن أبي عمرو القراءة بالياء، والتاء.

انظر: «السبعة» ٢١٥، «الحجة» للفارسي: ٣/ ٧٣، «النشر» ٢/ ٢٤١.

(١) ورد في (أ)، (ب)، (ج): (وما تفعلوا من خير يوف غليكم) وليست هذه آية قرآنية. والصواب ما أثبته.

وقد أورد هذه الآية في هذا الموضع - في سياق بيان وجه القراءة بالتاء - الفارسيُّ في «الحجة» ٣/ ٧٣ - وهو من مصادر المؤلف في كتابه هذا -، وكذا أوردها مكيُّ في «الكشف» ١/ ٣٥٤.

(٢) في (ب): (تقدموا).

وقوله: (ولن تعدموا ثوابه ولن تجحدوا جزاءه): بنصها في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٣أ.

(٣) في (ج): (جزاه). انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٥٧.

(٤) أصل معنى كلمة (كفر): السَّتْر والتغطية.

انظر: (كفر) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٠. «مقاييس اللغة» ٥/ ١٩١.

وعبارة الطبري في بيان معنى الآية: (فلن يغطي على ما فعلوا من خير، فيتركوا بغير مجازاة، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب). «تفسيره» ٤/ ٥٧، وانظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٨٠.

شُكْرًا لأن معنى الشاكر في[(١)] صفته: أنَّه يُثِيب[(٢)] على الطاعة[(٣)] جعل منع الثواب كفرًا.

ومعنى[(٤)] قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لا يُضيع شيئًا من أعمالهم[(٥)]؛ لأن المُجازي به عليمٌ بهم.

١١٦ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابن عباس[(٦)]: يريد: قريظة والنضير[(٧)].

﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ أي: لن تدفع عنهم الضَّررَ إذا نزل بهم أموالُهم ولا أولادُهم. خُصَّا بالذكر؛ لأنهما مُعتَمَد ما يقع به الاغترارُ، فإذا لم يغنيا، فغناء مَن دونهما أبعد.

وقال الزجّاج[(٨)]: لأن رؤوساء اليهود مالوا إلى الأموال في معاندتهم

---

(١) في (ج): (مع).

(٢) في (ج): (يثبت).

(٣) قال الزجاج: (فكأن الشكر من الله - تعالى - هو: إثابة الشاكر على شكره، وقبوله للطاعة شكرا على طريقة المقابلة؛ كما قال عز اسمه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]). «تفسير أسماء الله الحسنى» ٤٨. ونقل الأزهري عن الزجاج - كذلك - قوله: (والشكور من أسماء الله - جل وعز - معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم به الجزاء). «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩١٣.

(٤) ومعنى: ساقطة من: (ج).

(٥) في (أ) و(ج): (عملهم).

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) قال الطبري: (وهذا وعيد من الله ﷻ للأمَّة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب... ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله..). «تفسيره» ٤/ ٥٨.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٠. نقله عنه بالمعنى.

النبي ﷺ، وإنما قامت لهم الرياسة، واكتسبوا الأموالَ بمعاندته.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٧٩]. الآية.

وخص الأولاد؛ لأنهم أقرب أنسبائهم[١] إليهم.

وقال بعض المفسرين[٢]: لن تغني عنهم أموالُهم في الصدقات، ولا أولادُهم في الشفاعات، بخلاف المؤمن، فإنَّ المؤمنَ ينفعه مالُه في الكَفَّارات والصدقات؛ وأولاده في الشفاعة. والدليل على صحة هذا التفسير: ما ذكر مِن بُطلان نفقاتهم عقيب هذه الآية في:

١١٧ - قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية.

قال يَمَان[٣]: نزلت في إنفاق أبي سفيان والمشركين في بدر وأحد، على عداوة النبي ﷺ.

وقال مقاتل[٤]: يعني: نفقة سَفَلَة اليهود على علمائهم[٥].

وقال مجاهد[٦]: يعني جميع نفقات الكفار في الدنيا، وصدقاتهم.

---

(١) في (ب)، (ج): أنسابهم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٣ب، وقد أورد الماوردي هذا القول في «النكت والعيون» ١/ ٤١٨ ولم يعزه لقائل.

(٤) قوله في «تفسيره» ١/ ٢٩٦، «تفسير بحر العلوم» ٢/ ١٣٥، «الثعلبي» ٣/ ١٠٣ب.

(٥) بيَّن مقاتل أن نفقة سفلة اليهود على علمائهم، يبتغون بها الآخرة، ثم أردف مقاتل قائلًا: (فكذلك أهلك الله نفقات سفلة اليهود ومنهم كفار مكة التي أرادوا بها الآخرة، فلم تنفعهم نفقاتهم). «تفسيره» ٢٩٧.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤١، وتفسير مسلم بن خالد الزنجي: ٧٧ (ضمن الجزء الذي فيه تفسير القرآن ليحيى بن اليمان وغيره =

الزجّاج(١): كل ما أُنفق في التظاهر على عداوة الدين.

ومعنى (المَثَل): الشَّبَهُ الذي يصير كالعَلَمِ؛ لكثرة استعماله فيما يُشَبَّه به(٢). ولا بُدَّ من تقدير محذوفٍ من الكلام، حتى يتقابل المثلان في التشبيه(٣)، وهو: مَثَل إهلاك ما ينفقون، كَمَثَل إهلاك ريح. فحذف الإهلاك؛ لدلالة آخر الكلام عليه(٤).

= رواية أبي جعفر الرملي). وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٧ وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(١) في «معاني القرآن» له: ١/ ٤٦١.

(٢) انظر: (مثل) في «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب: ٧٥٩، «اللسان» ٧/ ٤١٣٢.
وانظر الوجوه المختلفة لكلمة (مثل) في القرآن، في «التصاريف» ٢٥٣، «الوجوه والنظائر» في القرآن، د. القرعاوي: ٥٨٨.

(٣) وذلك أن الظاهر - هنا -: تشبيه الشيء المُنفَق بالريح، وفي ذلك إشكال؛ لأنه ليس هو المقصود من معنى المثل هنا، لذا لزم التقدير.

(٤) وقيل: هو من باب التشبيه المركب، شبَّه هيئة حاصلة من أشياء، بهيئة أخرى. وبه قال الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٤٥٧.
وقيل: هو من باب التشبيه بين شيئين وشيئين، فذكر الله أحد الشيئين المشبَّهين وترك الآخر، وذكر أحد الشيئين المشبَّه بهما - وليس هو مما يقابل المذكور الأول - وترك ذكر الآخر، ودلَّ المذكوران على المتروكَيْنِ.
وبه قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٨١ وقال: (وهذا غاية البلاغة والإعجاز).
وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٧، «الدر المصون» ٣/ ٣٥٨-٣٥٩.
قال ناصر الدين ابن المنير: (أصل الكلام - والله أعلم -: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا، كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم، فأصابته ريح فيها صِرٌّ فأهلكته، ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور؛ لفائدة جليلة، وهو: تقديم ما هو أهم؛ لأن الريح التي هي مثل العذاب، ذِكْرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها، واعتمادًا على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة بردِّ الكلام إلى أصله على أيسر وجه..). الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (مطبوع مع «الكشاف» ١/ ٤٥٨).

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ اختلفوا في (الصّر): فقال أكثر المفسرين، وأهل اللغة[١]: الصِّرُّ: البَرْد الشديد.

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٢]، وقتادة[٣]، والربيع[٤]، والسدّي[٥]، وابن زيد[٦].

ومعنى الآية: أن إنفاقهم في الدنيا على عداوة الدين، أفسد عليهم أعمالَهم في الآخرة، كما أفسدت هذه الريحُ - التي فيها الصِّرُّ - الزرعَ الذي وقعت به[٧].

---

(١) (أهل اللغة) ساقط من: (ج).

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه من طريق عطاء، ولكن ورد عنه ذلك من طرق أخرى أخرجها الطبري ٤/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٤١، وذكر هذا القول عنه الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤١٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١١٧ وزاد نسبة إخراجه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤١، «النكت والعيون» ١/ ٤١٨.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤١.

(٥) قوله في المراجع السابقة، «النكت والعيون» ١/ ٤١٨.

(٦) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٦٠، ونصه: (قال: (صر): باردة، أهلكت حرثهم، وقال: والعرب تدعوها (الضَّريب)، تأتي الريح باردة فتصبح ضريبا قد أحرق الزرع). و(الضريب) هنا معناها: الثلج والجليد والصقيع. انظر: «القاموس» ص١٠٧ (ضرب).
وممن فسر (الصر) بـ(الريح الباردة): أبو عبيدة، وأبو عبيد بن سلام، وابن السكيت، والمبرد، والطبري، والزجاج، والنحاس.
انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٠٢، «غريب الحديث» لأبي عبيد: ٤/ ٤٧٢، «إصلاح المنطق» ٢١، «الكامل» للمبرد: ١/ ٢٥، «تفسير الطبري» ٤/ ٦٠، «معاني القرآن» للزجاج: ١/ ٤٦١، «معاني القرآن» للنحاس: ١/ ٤٦٤.

(٧) قال ابن القيِّم: (هذا مثل ضربه الله - تعالى - لمن أنفق ماله في غير طاعته =

وقال الزّجاج[١]: أعلم الله - تعالى -: أن ضَرَرَ نفقتهم عليهم، كضَرَرِ هذه الريح على[٢] هذا الزرع.

وقال ابن عباس[٣]: الصِّرُّ: السَّمُومُ الحارَّةُ التي تقتل[٤].

وإلى قريبٍ من هذا القول ذهب ابنُ كيسان، وابن الأنباري[٥] (فقالا)[٦]: الصِّرُّ: النار. وهو قول مجاهد - في رواية ابن أبي نَجِيح -[٧].

= ومرضاته، فشبَّه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر، وكسب الثناء، وحسن الذكر، لا يبتغون به وجه [الآخرة]، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله - عليهم الصلاة والسلام -، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابه ريح شديدة البرد جدًا، يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته). أمثال القرآن: ٥٢.

(١) في: «معاني القرآن»، له ١/ ٤٦١. نقله بنصه.

(٢) في «معاني القرآن»: في.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده البغوي ٢/ ٩٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٤٤. وذكر هذا القول عنه: ابن القيم في «أمثال القرآن»: ٥٣، وابن كثير في: «تفسيره»: ١/ ٤٢٧.

(٤) في (ج): (تقبل).
والسَّمُوم: ريح حارَّة تكون غالبًا في النهار. والجمع: سمائم. انظر: «القاموس»: ص١١٢٤ (سمم).

(٥) لم أقف على مصدر قوليهما.
وفي تفسير الفخر الرازي: (الصِّر: هو السموم الحارة، والنار التي تغلي، وهو اختيار أبي بكر الأصم، وأبي بكر بن الأنباري). ٨/ ٢١٣. ثم ذكر بقية قول ابن الأنباري الآتي.

(٦) من (أ) وفي باقي النسخ: (فقال).

(٧) أخرج عنه ذلك ابن أبي حاتم في: «تفسيره»: ٣/ ٧٤١ قائلًا: (وروي عن مجاهد في إحدى الروايات نحو ذلك)؛ أي: نحو قول ابن عباس في تفسير (الصِّرّ) =

قال ابن الأنباري[(١)]: وإنما وُصِفت النارُ أنها صِرٌّ؛ لتَصْرِيَتِها[(٢)] عند الالتهاب.

قال الزجاج[(٣)]: وهذا غير ممتنع. وصوت لهيب النار يُسمَّى صِرًّا[(٤)]، ومن هذا: (صرير الباب). ويقال: (صَرْصَرَ الأخطَبُ[(٥)]

= بـ(النار)، ولم يُبَيِّن ابنُ أبي حاتم السندَ إلى مجاهد.
وابنُ أبي نَجِيح، هو: أبو يَسَار، عبد الله، بن أبي نجيح - (يسار) -، المَكِّي، الثقفي بالولاء. من الأئمة الثقات، إلا أنه رُمي بالقدر والاعتزال، وربَّما دَلَّس. قال ابن تيمية: (تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، من أصح التفاسير، وليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير، أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد، إلا أن يكون نظيره في الصحة)، مات (١٣١هـ)، وقيل: بعدها .
انظر: «تفسير سورة الإخلاص»، لابن تيمية: ٢٠١، و«ميزان الاعتدال»: ٣/ ٢٢٩، و«تقريب التهذيب»: ص٣٢٦ (٣٦٦٢).

(١) لم أقف على مصدره. وقد أورد قوله هذا ابن الجوزي في: الزاد: ١/ ٤٤٥، وابن القيم في: أمثال القرآن: ٥٣، والفخر الرازي في: «تفسيره»: ٨/ ٢١٣.
وكذا نقل صاحب «اللسان» هذا المعنى، فقال: (وقال ابن الأنباري في قوله - تعالى -: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، قال: فيها ثلاثة أقوال: أحدها: فيها برد، والثاني: فيها تصويت وحركة، وروي عن ابن عباس قوله آخر: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾، قال: فيها نار). ٤/ ٢٤٢٩ (صرر).

(٢) في «زاد المسير»، و«تفسير الفخر الرازي» لتصويتها. وورد في «أمثال القرآن» لابن القيم: (لتصريتها) - كما هي عند المؤلف -.

(٣) في: «معاني القرآن»، له: ١/ ٤٦١.

(٤) ونص عبارة الزجاج: (وجعل فيها صِر؛ أي: صوت، وهذا يخرج في اللغة، وإنما جعل فيها صوتًا؛ لأنه جعل فيها نارًا، كأنها نار أحرقت الزرع. فالصر - على هذا القول -: صوت لهيب النار، وهذا كله غير ممتنع).

(٥) الأخطب: من نوع الطيور، قيل: هو الشِّقِرَّاق، وهو طائرٌ مُرَقَّط، وقيل: هو الصُّرَد. وسُمِّيا بذلك؛ لأن فيهما سوادًا وبياضًا. انظر: «تاج العروس»: ١/ ٤٦٩ (خطب).

صَرْصَرَةً)[١]. و(الصَّرَّةُ): الصَّيْحة[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ﴾[٣] [الذاريات: ٢٩]. وقول ابن عباس على هذا يتوجه؛ فإن السموم الحارة لها صوت، ألا ترى إلى قول الراعي:

فَعُجْنَا على رَبْعٍ بِرَبْعٍ تَعُودُهُ مِنَ الصَّيفِ جَشَّاءُ الحَنينِ نَؤُوجُ[٤]

---

(١) تقول العرب: (صَرَّ الجُنْدبُ صَرِيرًا)، و(صرصر الأخطبُ صَرْصَرَةً)، و(صَرَّ البابُ يَصِرُّ). (وكل صوت شِبْه ذلك فهو صرير؛ إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضُوعِف). «العين»: ٧/ ٨٢ (صرّ)، وانظر: «الصحاح»: ٧١٢ (صرر).

(٢) انظر: «اللسان»: ٤/ ٢٤٢٩ (صرر).

(٣) تفسير (الصرَّة) بـ(الصيحة) هو ما عليه أكثر أهل التفسير. انظر: «تفسير الطبري» ٢٦/ ٢٠٩، و«العمدة في غريب القرآن» لمكي ٢٨٢، و«تفسير أبي المسعود» ٨/ ١٤٠، و«الدر المنثور»: ٢/ ١١٧.

وقال السمين الحلبي في تفسيرها: (قيل: جماعة من النساء. سميت صرة؛ لانضمام بعضها إلى بعض، كأنهم جُمِعوا وصُرُّوا في وعاء واحد..). «عمدة الحفاظ» ٢٩٢ (صرر)، ثم ذكر المعنى الآخر.

وما ذكره الحلبي صحيح من ناحية اللغة. انظر هذا المعنى في: «الصحاح»: ٢/ ١٧٠ (صرر)، و«اللسان»: ٤/ ٢٤٢٩.

(٤) البيت في: ديوانه: ٢٢. وورد منسوبًا له في: «تهذيب اللغة»: ٢/ ١٣٤٧ (ربع)، و«اللسان»: ٣/ ١٥٦٣.

وروايته في الديوان:

فعجنا على رَسْمٍ بربْعٍ تَجُرُّهُ

وفي «اللسان»: (تُؤَرِّجُ) بدلًا من: (نَؤُوج).

وقوله: (فعُجْنا)، من (عاج بالمكان، وعاج عليه، عَوْجًا)؛ أي: عَطَفَ عليه، ومالَ، وألَمَّ به، ومرَّ عليه.

والرَّبْع: هو المنزل، وأهل المنزل. والرَّبع الثاني الذي ذكره في البيت، يريد به: طَرَف الجَبَل.

=

فعلى هذا، قوله: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؛ أي: سَمُوم؛ كالنار أحرقت الزرع، أو نارٌ لها صوت[١].

وروى ابن الأنباري - بإسناده - عن السُّدِّيّ، عن أبي مالك[٢]، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾، قال: فيها نار[٣].

وقوله تعالى: ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قال ابن عباس[٤]: جحدوا نعمة الله عندهم. وقال آخرون[٥]: ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية.

= وقوله: (جشَّاء الحنين): (الأجش): الغليظ الصوت، والمؤنث: (جَشَّاء)؛ أي: لها صوت أجش. يقال للريح التي لها حنين يشبه حنين الإبل: (الحَنُون).
وقوله: (نؤوج) من (نَأَجَ، ينأَجُ، نأجًا) وهو من الإنسان أحزن ما يكون من الدعاء وأضرعه وأخشعه. و(النَّأج، والنئيج)، بمعنى: الصوت والسرعة، ويقال عن الريح: (نَأَجَتْ، تَنْأَجُ، نَئِيجًا): تحركت، فهي (ريح نؤوج)، و(لها نَئِيج)؛ أي: مَرٌّ سريع مع صوت.
انظر: «تهذيب اللغة»: ٢/ ١٣٤٧ (ربع)، و«اللسان»: ٥/ ٣١٥٦ (عوج)، ٧/ ٤٣١٢ (نأج)، ٢/ ١٠٢٩ (حنن)، ٢/ ٦٢٨ (جشش).

(١) قال ابن القيم: (وأقوال الثلاثة متلازمة، فهو برد شديد محرق بِيُبْسه للحرث، كما تحرق النار، وفيه صوت شديد). «أمثال القرآن»: ٥٣. وانظر: «تفسير ابن كثير»: ١/ ٤٢٧.

(٢) هو: غَزْوان الغِفاري الكوفي، مشهور بكنيته (أبي مالك). ثقة، عده ابن حجر من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي بعد المائة.
انظر: «الجرح والتعديل»: ٧/ ٥٥، و«التقريب»: ص٤٤٢ (٥٣٥٤).

(٣) وقد أخرج هذا القول عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره»: ٣/ ٧٤١ من رواية عنترة بن عبد الرحمن الكوفي عنه.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) منهم السدي، وهو ما يفهم من قوله في الآية: (فكذلك أنفقوا، فأهلكهم شركهم). «تفسير الطبري»: ٤/ ٦٠. و«تفسير ابن أبي حاتم»: ٣/ ٧٤٢. وهو قول الطبري في «تفسيره».
وهو قول الكلبي. انظر: «بحر العلوم» ٢/ ١٣٥، وقول الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٠٣ب.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ لأنَّ كلَّ ما فعله بخلقه فهو منه عدلٌ، ومَن تَصَرَّف في حقيقة مُلْكِهِ، لا يُوصَفُ تصرفُهُ بأنه ظلم.

﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأنَّ الإنسان - بالكفر والعصيان - هو الذي يَظلِمُ نفْسَه.

قال أهل المعاني: وفي هذا حسرة شديدة لهؤلاء المنفقين، ومصيبة عظيمة؛ لأنهم رجوا[١] فائدة نفقاتهم، وعائدتها، فعادت عليهم بالمَضَرَّة[٢]؛ كما رجا أصحابُ الزرع عائدةَ زرعِهم، فضربته[٣] الريحُ وأهلكته[٤].

١١٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ الآية. قال المفسرون: نزلت في النهي عن مداخلة اليهود والمنافقين[٥].

---

(١) في (أ)، (ب): ربحوا. ولا وجه لها. والمثبت من: ج؛ نظرًا لمناسبته لما بعده من قوله: (كما رجا أصحاب الزرع ..)، ولمناسبته للمعنى المراد. وقد وردت هذه الكلمة في: «تفسير الطبري»: ٤/ ٦٠ عند تفسير هذه الآية.

(٢) في (ب): (المضرة).

(٣) في (ج): (فضربتها).

(٤) انظر معنى هذا القول في: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٠.

(٥) ورد ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع، وغيرهم.
انظر: «سيرة ابن هشام»: ٢/ ١٨٦، و«تفسير الطبري»: ٤/ ٦١، و«تفسير ابن أبي حاتم»: ٣/ ٧٤٢-٧٤٣، و«تفسير الثعلبي»: ٣/ ١٠٤أ، و«أسباب النزول» للواحدي: ص١٢٤، و«الدر المنثور»: ٢/ ١١٨.
ولا يمنع كونها نازلة في اليهود والمنافقين، أن يدخل في النهي اتِّخاذ جميع أصناف الكافرين بطانة؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، وقد قال الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾. [سورة الممتحنة: ١]. =

و(البِطَانَة): قال أبو حاتم، عن الأصمعي[(١)]: (بَطَن فلانٌ بفلان، يَبْطُنُ به بُطُونًا، وبِطَانَةً)[(٢)]: إذا كان خاصًّا به، داخلًا في أمره. فـ(البِطانة)[(٣)] مصدرٌ يُسَمَّى به الواحد والجمع.

قال الشاعر:

أولئك خُلْصاني نَعَمْ وبِطانَتِي وهُمْ عَيْبَتِي[(٤)] مِن دونِ كلِّ قَرِيبِ[(٥)]

= وقد قيل لعمر بن الخطاب - ﷺ -: (إن ههنا غلامًا من أهل الحيرة، حافظًا كاتبًا، فلو اتّخذته كاتبًا. قال: قد اتّخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين). أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٤٣، وأورده ابن كثير ١/ ٤٢٨، والسيوطي في «الدر»: ٢/ ١١٨، وزاد عزوه لعبد بن حميد، وابن أبي شيبة.

قال ابن كثير - معلقًا في هذا الموضع -: (ففي هذا الأثر مع هذه الآية [أي: آية سورة آل عمران ١١٨] دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين، وإطلاع على دواخل أمورهم، التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب؛ ولهذا قال: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾). «تفسيره»: ١/ ٤٢٨. وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٨/ ٢١٥.

(١) قوله، في: «تهذيب اللغة»: ١/ ٣٥٠ (بطن). وهو من قوله: (أبو حاتم..) إلى (في أمره). نقله عنه بنصه.

(٢) وبطانة: ليست في: «تهذيب اللغة». وهي في: «اللسان»: ١/ ٣٠٤ (بطن) حيث أورد نفس النص، ولكن دون عزو.

(٣) في (أ): (بالبطانة). وفي (ب): (في البطانة). والمثبت من (ج).

(٤) في (ب): (عينتي).

(٥) لم أقف على قائله. وقد ورد غير منسوب في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٤أ، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٣، و«الدر المصون» ٣/ ٣٦٣، و«فتح القدير» للشوكاني ١/ ٥٦٦. وفي «فتح القدير»: (وهم خلصاني كلهم وبطانتي).

وقوله: (خُلْصاني)؛ أي: خُلَصائي. ويستوي فيه الواحد والجماعة. =

وبِطَانة الرجل: خاصَّتُه الذين يَسْتَبْطنون[1] أمْرَهُ. وأصله من: (البَطْنِ) خلاف الظهر، ومنه[2]: (بِطانَة الثوب)، خلاف (ظهارته)[3].

وقوله تعالى: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: مِن دون المسلمين، ومِن غير أهل ملَّتكم، وظاهر هذا للمخاطَبِين، وهو يريد: جميع المسلمين. يعني لا تتخذوا بطانة مِن دون[4] المسلمين[5].

وصلح أن يُعَبِّرَ ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ عن هذا؛ كما يقول الرجل: (قد قتلتمونا [وهزمتُمُونا)][6]؛ وهو يريد قتلتم إخواننا. وقد تقدم لهذا نظائر[7].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يقال[8]: (أَلَوْتُ في الشيء،

= و(عَيْبَة الرجل): موضعُ سِرِّه. والجمع: (عِيَبٌ)، و(عِياب)، و(عَيْبات). انظر: «اللسان»: ٥/ ٣١٨٤ (عيب)، ٢/ ١٢٢٨ (خلص).

(١) في (أ)، (ب): (يستنبطون). ولا وجه لها. والمثبت من (ج)، ومصادر اللغة.

(٢) منه: ساقطة من (ج).

(٣) انظر: (بطن) في: «الصحاح» ٢٠٧٩-٢٠٨٠، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٥٩.

(٤) في (ب): من دونكم من دون المسلمين.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قتيبة ١/ ١٠٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ٦١، و«تفسير أبي السعود» ٢/ ٧٦، و«فتح القدير» ١/ ٥٦٦.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) ومن ذلك قوله - تعالى - عن بني إسرائيل: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [من سورة البقرة: ٥٤]. لا يعني بها أن يقتل كل واحد منهم نفسه بيده، بل يعني ليقتل بعضكم بعضًا، أو ليقتل البريء منكم المجرم .
ومنها قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. [من سورة البقرة: ٦١]. والمعنِيِّين في الآية لم يقتلوا النبيين، وإنما الذي قتل النبيين آباؤهم، وإنما هم تولوا القتلة.
وانظر: الآية: ٢١ من سورة آل عمران، والآية: ٦١ من سورة النور.
وانظر: «معاني القرآن»، للنحاس: ١/ ٤٦٥، و«تفسير الفخر الرازي»: ٨/ ٢١٦.

(٨) في (أ)، (ب): (لا يقال). وهو خطأ واضح. والمثبت من (ج).

أَلْوًا[١]؛ أي: قَصَّرت.

قال امرؤ[٢] القيس:

وما المَرْءُ ما دامت حُشَاشَةُ[٣] نَفْسِهِ
بِمُدْرِكِ أطرافِ الخُطُوبِ ولا آلِي[٤]

قال أبو الهيثم[٥]:

يقال: (أَلاَ، يَأْلُوا): إذا فَتَرَ[٦]، وضَعُفَ، وقَصَّر[٧]، ومثله: (أَلَّى[٨]، وائْتَلَى)، وأنشد:

---

(١) في (أ): (آلوا). وهي خطأ. والمثبت من: (ب)، (ج)، ومصادر اللغة.

(٢) في (ب): (امرئ).

(٣) في (أ): (حَشاشة) - بفتح الحاء -. ولم أرها في معاجم اللغة التي رجعت إليها. وأهملت حركاتها في: (ب)، (ج). وما أثبتُّه، فمن مصادر البيت وكتب اللغة.

(٤) في (ج): (ولا ألي).
والبيت في: ديوانه: ص١٢٩. كما ورد منسوبًا له في: كتاب «المعاني الكبير»: ٣/ ١٢٥٥، و«الزاهر»: ١/ ٢٦٨.
وورد غير منسوب في: «اللسان»: ٢/ ٨٨٦ (حشش)، ١/ ١٧٦ (ألا).
والحُشاشة: الروح ورمق الحياة، وبقية الروح في المريض، وكل بَقِيَّة: (حشاشة).
انظر: «اللسان»: ٢/ ٨٨٦ (حشش).
ومعناه: إن المرء ما بقيت فيه بقية من روح، فإنه يبذل قصارى جهده في سبيل تحقيق ما يريد، ومع هذا فإنه لن يحصل على كل شيء، ولن يدر أواخر الأمور.

(٥) قوله، في: «تهذيب اللغة»: ١/ ١٧٩، و«اللسان»: ١/ ١١٧.

(٦) في (أ)، (ب): (أفتر). والمثبت من: (ج)، و«تهذيب اللغة»، و«اللسان».

(٧) وقصَّر: غير موجودة في (التهذيب)، «اللسان».

(٨) في (أ)، (ب): (آلى). وفي (ج): (الا). وقد أثبتُّها (أَلَّى)؛ لأنه بدا لي - والله أعلم - أن المؤلف هكذا أرادها؛ والدليل على ذلك: أنها جاءت بهذه الصورة في: «التهذيب» و«اللسان»، وبقية مصادر اللغة التي رجعت إليها. إضافة إلى أن =

فـمـا أَلَّـى بَـنِـيَّ ولا أسَـاؤوا(١)

أي: ما قَصَّروا(٢).

= المؤلف أورد الشاهد الشعري بعدها دليلًا على ورودها في اللغة بهذه الصورة، وقد وردت فيه (ألَّى) كما سيأتي.
مع ملاحظة أن (آلى) صحيحةٌ لغةً، وقد أوردها ابنُ فارس في: «مقاييس اللغة»: ١/ ١٢٨ (ألوى)، وأورد بعدها الشاهد الشعري الآتي دليلًا عليها، وفيه (آلى) بدلًا من (ألَّى).
ومن معاني (آلى): حَلَفَ. يقال: (آلَى، يُؤلي، إيلاءً). وتأتي: (يَتَأَلَّى تألِّيًا)، و(ائتَلَى يأتَلي ائتِلاءً). كلها بمعنى: اليمين. انظر: «مقاييس اللغة»: ١/ ١٢٨ (ألوى)، و«اللسان»: ١/ ١١٧ (ألا).

(١) في (ب)، (ج): وردت (ألَّى) في البيت مهملة بدون همز ولا تشكيل.
وهذا شطر بيت للرَّبيع بن ضبُع الفَزَاري. وأول البيت:
وإنَّ كَـنَـائِـنـي لَـنِـسَـاءُ صِـدْقٍ
وقد ورد منسوبًا له في: كتاب «المعاني الكبير» ١/ ٥٣٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٧٩ (ألى)، و«غريب الحديث»، للخطابي ١/ ٥٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٧٠ (ألا)، و«أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٥، و«الإفصاح» للفارقي ٢٧٠ و«الفائق» للزمخشري ١/ ٦٥، و«اللسان» ١/ ١١٧ (ألا)، و«خزانة الأدب» ٧/ ٣٨١، ٣٨٢ .
وورد غير منسوب في: «مقاييس اللغة» ١/ ١٢٨ (ألوى).
وقد ورد في كل المصادر السابقة - إلا في: «المقاييس»، و«أمالي المرتضى» كالتالي: (وما ألَّى بَنِيَّ). أما في: «المقاييس»، و«الأمالي»، فورد: (.. آلَى ..)، وورد في بعض المصادر: (وما أساؤوا).
الكَنائن: جمع: كَنَّة. وهي امرأة الابن والأخ. انظر: «القاموس»: ١٥٨٥ (كنن).
و(ألَّى) فعَّلَ، من: (ألَوت)؛ أي: أبطأت. أو من: (الأُلُوِّ)؛ أي: التقصير.
انظر: كتاب «المعاني الكبير»: ١/ ٥٣٢، و«التهذيب»: ١/ ١٧٩ (ألى).
ويعني الشاعر: أن كنائنه نِعْم النساء، وأن بنيه ما أبطؤوا عن فعل المكارم، وما يجب عليهم من القيام بأمره، وما قصَّروا في ذلك.

(٢) نقل في «خزانة الأدب» قول أبي حاتم السجستاني، معلقًا على البيت: (والتألية:=

قال امرؤ القيس:

أَلاَ رُبَّ خَصْمٍ فيكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ على تَعْذالِهِ غيرِ مُؤْتَلِي[(١)]

أي: غير مقصر.

و(الخَبَالُ) - في اللغة -: الفساد والشر. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[(٢)]؛ أي[(٣)]: يريد[(٤)]: [إلَّا][(٥)] شرًّا[(٦)].

= التقصير، ومن قال: (وما آلى) بالمد؛ فمعناه ما أقسموا؛ أي لا يَبرُّوني) ٧/ ٣٨٢. وذكر محقق «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٥: أنه في حاشية نسخة أخرى للأمالي، ورد التالي: «ألّى) - بتشديد اللام. قال: وهو الصحيح، ومعنى (ألّى): قصر، في قول بعضهم. واللغة الأخرى: (ألا) - مخففًا -؛ يقال: (ألا الرجلُ)، (يألوا): إذا قصر وفَتَر. فأما (آلى) في البيت، فلا وجه له؛ لأنه بمعنى: حلف، ولا معنى له - ههنا -). وانظر: «الخزانة»، في الموضع السابق.

(١) البيت في: ديوانه: (١١٦). و«شرح القصائد السبع»، لابن الأنباري: ٧٣، و«شرح المعلقات السبع»، للزوزني: ٢٥، و«شرح القصائد العشر»، للتبريزي: ٣٥.
(الألوى): الشديد الخصومة، الجَدِل. و(النصيح): الناصح. و(التَّعْذال): هو العَذْل؛ أي: اللوم. و(غير مؤتلي): غير مقصر.
ومعنى البيت: ألا رُبَّ خصم؛ شديد في خصومته؛ جَدِلٍ في كلامه، كان ينصحني، غير مقصر في نصيحته لي، ولومه إيّاي على حبي لكِ، قد رددته، ولم أرجع عن هواك بلومه ونصحه.
أي: إنه بلغ من شدة حبه لها الغاية القصوى، لدرجة أنه لا يؤثر فيه، ولا يثنيه عن ذلك نصح ناصح، ولا لومُ لائم. انظر: المراجع السابقة.

(٢) [سورة التوبة: ٤٧]، وتمامها: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

(٣) (أي): ساقطة من (ب)، (ج).

(٤) في (أ): (لا يريد).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

(٦) انظر: «مجاز القرآن»: ١/ ١٠٣، ٢٦١ و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١٨٧، =

ويقال: (في قوائم الدابَّة خَبَالٌ)، و(في عَقْلِهِ خبالٌ)؛ أي: فساد و(رجلٌ مُخَبَّلُ الرأي): فاسدُهُ، [و][١] مُضْطَرِبُهُ. و(خَبَلَهُ[٢] الحُبَّ)؛ أي: أفسده[٣].

ومعنى قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ أي: لا يَدَعُونَ جهدَهم في مضرَّتِكم، وفسادكم[٤].

يقال: (ما أَلَوْتُهُ نُصْحًا)؛ ما قصَّرت في نصيحته[٥]، و(ما أَلَوْتُه شَرًّا)، مثله. قال الزجَّاج[٦]: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ أي: لا يُبْقون[٧] غايةً في إلقائكم فيما يضركم[٨].

ومحل قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: النَّصْبُ؛ لأنه صفة البطانة[٩].

= و«نزهة القلوب» للسجستاني ٢١٧، و«بحر العلوم» لأبي الليث ١/ ٢٩٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٤ب، و«تحفة الأريب» لأبي حيان ١١٣.

(١) ما بين المعقوفين: زيادة من (ب).

(٢) في (ج): (ختله).

(٣) انظر: (خبل) في: «إصلاح المنطق»: ٥٢، و«تهذيب اللغة»: ١/ ٩٨١، و«مقاييس اللغة»: ٢/ ٢٤٢.

(٤) انظر: «بحر العلوم» لأبي الليث: ١/ ٢٩٤.

(٥) في (ج): (نصيحة).

(٦) في: «معاني القرآن»، له: ١/ ٤٦٢.

(٧) في (ج): (لا يتقون).

(٨) في «معاني القرآن»: في إلقائهم فيما يضرهم.

(٩) انظر: «البيان»، للأنباري ١/ ٢١٧، و«التبيان» للعكبري (٢٠٦).

وقيل: هي حال من الضمير في قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ على أن يكون الجارُّ صفة لـ(بطانة). وقد جوز كونها - والجمل التي بعدها - صفة، الزمخشريُّ، ولكنه جعل الأَوْلَى من ذلك أن تكون مستأنفة على وجه التعليل للنهي عن اتِّخاذهم بطانة. وأيد ذلك ابن هشام. =

وانتصب[(١)] (الخَبَالُ) بـ(الأَلْوِ)؛ لأنه يتعدى إلى مفعولين، كما ذكرنا[(٢)]. وإن شئت نصبته[(٣)] على المصدر؛ لأن معنى قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: يُخبلونكم خَبالًا[(٤)].

= انظر: «الكشف»: ١/ ٤٥٨، و«المغني»، لابن هشام: ٥٠٣-٥٠٤.
أما أبو حيان فلا يرى أن تكون هذه الجمل صفة للبطانة أو حالًا، ولا يجيز ذلك، ويرى لها وجهًا واحدًا فقط، هي أن تكون استئنافية، لا محل لها من الإعراب (جاءت بيانًا لحال البطانة الكافرة؛ لتنفير المؤمنين عن اتخاذهم بطانة).
ويرى أن من قال عنها أنها صفة للبطانة أو حال مما تعلقت به (مِن) (فبعيد عن فهم الكلام الفصيح؛ لأنهم نُهوا عن اتِّخاذ بطانة كافرة، ثم نبَّه على أشياء مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين، ووداد مشقتهم، وظهور بغضهم، والتقييد بالوصف أو بالحال يؤذن بجواز الاتخاذ عند انتفائهما). «البحر المحيط»: ٣/ ٣٨.

(١) من قوله: (وانتصب) إلى (يخبلونكم خبالًا): نقله بتصرف عن «الثعلبي» ٣/ ١٠٤ب.

(٢) أي هو مفعول ثانٍ.
قال الزمخشري عن تعدِّي فِعْلِ (ألا) الذي بمعنى قصَّر: (يقال: (ألاَ في الأمر، يألو): إذا قَصَّرَ فيه، ثم استعمل فعدِّيَ إلى مفعولين في قولهم: (لا آلُوكَ نُصْحًا)، و(لا آلوك جهدًا)؛ على التضمين؛ والمعنى: لا أمنعك نصحًا، ولا أنقصكه). «الكشاف»: ١/ ٤٥٨.

(٣) في (ج): (نصبت).

(٤) في (أ): لا يختلونكم خبالًا. ب: لا يخبلونكم خبالًا. والجملة ساقطة من (ج).
وأثبتُّها بحذف حرف النفي (لا) كما جاءت في: «تفسير الثعلبي»، ولأنها لا وجه لها بوجود حرف النفي. وأثبتُّ (يخبلونكم) من: ب، و«تفسير الثعلبي».
وقد ذُكر في نصب (خبالًا) أقوالٌ أخرى، منها:
- إنها منصوبة على إسقاط حرف الجر، والتقدير: لا يألونكم في خبال؛ أي: في تخبيلكم، ويكون حينها فعل (ألاَ) يتعدى إلى مفعول واحد بغير حرف الجر.
- وقيل: إنها مصدر في موضع الحال؛ أي: مُتَخبلين. انظر: «التبيان» للعكبري (٢٠٦)، و«الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٦٢٠.

وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾.

قال المفسرون[(١)]: ودُّوا عَنَتَكم[(٢)]. والعَنَت[(٣)]: دخول المشقة على الإنسان، ووقوعه فيما لا يستطيع الخروج منه. يقال: (عَنِتَ الرجل): إذا صار إلى هذه الحالة. و(عَنِتَ) - أيضًا -: إذا أثم[(٤)].

و(ما)[(٥)] - ههنا - (ما) المصدر، كقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[(٦)]؛ أي[(٧)]: عزيز عليه عنَتُكم[(٨)]، وهو: لقاء الشِّدَّةِ والمَشَقَّةِ[(٩)].

وقيل[(١٠)] في قوله: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: ما أعنتكم من مكروه،

---

(١) منهم: ابن قتيبة في: «تفسير غريب القرآن»: ١٠٩، والزجاج في: «معاني القرآن» ١/ ٤٦٢، والطبري في: «تفسيره»: ٤/ ٦١.

(٢) في (ج): (ودُّوا ما عنتم).

(٣) في (ج): (فالعنت).

(٤) انظر هذا المعنى في: كتاب «العين»: ٢/ ٧٢، و«مجاز القرآن»: ١/ ٧٣، ١٢٣، و«تفسير الطبري»: ٢/ ٣٧٥، و«معاني القرآن»، للزجاج: ١/ ٣٦٢، و«جمهرة اللغة»: ١/ ٤٠٣ (عنت)، و«الزاهر»: ١/ ٤٣٦، و«تهذيب اللغة»: ٣/ ٢٥٨٤، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٥٠ (عنت).

(٥) (ما): ساقطة من (ج).

(٦) [سورة التوبة: ١٢٨]. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(٧) (عزيز عليه ما عنتم أي): ساقط من (ج).

(٨) انظر: «المغني» لابن هشام ٣٩٩.

(٩) قوله: (لقاء الشدة والمشقة): هو نص قول الأزهري في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٤ (عنت).

(١٠) القائل هو ابن قتيبة في: «تفسير غريب القرآن» ١٠٩.

وضُرٍّ(١). وهو معنًى وليس بتفسير.

وقال السُّدِّي(٢): ودُّوا ضلالكم عن دينكم؛ وذلك أن الحَيْرَة بالضلال مشقة.

ومضى الكلام في (العَنَتِ)، و(الإعْنَاتِ) عند قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ولا محل لقوله: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾؛ لأنه استئنافٌ بالجملة. وقيل(٣): إنَّه من صِفَةِ البِطَانَةِ، ولا يصح هذا؛ لأن البطانة قد وصفت بقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

فلو رجع هذا إلى البطانة، لأدخل حرف العطف؛ لأنك لا تقول في الكلام: (لا تَتَّخذ صاحبًا يَشْتِمُكَ، أحبَّ مُفارقَتَكَ)(٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ البَغْضاءُ: شِدَّةُ البُغْضِ(٥) قال الفراءُ(٦): البغضاء: مصدرٌ مؤنثٌ.

---

(١) ونصه قول ابن قتيبة: (أي: ودُّوا عنتكم وهو ما نزل بكم من مكروه وضر). وبه قال مكي في: «تفسير المشكل» ٥١، وأبو الليث في: «بحر العلوم» ١/ ٢٩٤.

(٢) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٢/ ٧٤٣ و«النكت والعيون» ١/ ٤١٩.

(٣) ممن قال ذلك: الأخفش في: «معاني القرآن»، له: ١/ ٢١٤، والطبري في: «تفسيره»: ٤/ ٦٢.

(٤) أورد قولَ الواحديِّ - هذا - ابنُ هشام في: «المغني»: ٥٠٤، وفيه: (يؤذيك) بدلًا من (يشتمك) وقد علق ابن هشام على قول الواحدي هذا بقوله: (الذي يظهر، أنَّ الصفةَ تتعدد بغير عاطف، وإن كانت جملة، كما في الخبر، نحو: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن: ١-٤]).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (٦٣٧) (بغض).

(٦) قوله، في: «معاني القرآن» له: ١/ ٢٣١، نقله عنه بالمعنى.

ومعنى الآية: قد ظهرت العداوةُ من أفواههم، بالشتِيمَةِ والوَقِيعَةِ في المسلمين، وإطلاع المشركين على أسرارهم[(١)].

وواحد (الأفواه): فَمٌ. وأصله[(٢)]: (فَوْهٌ)، بوزن: (سَوْطٍ)، فحُذِفت الهاءُ تخفيفًا، كما حذفت من (سَنَةٍ)؛ فيمن قال:

لَيْسَتْ[(٣)] بِسَنْهاء ...[(٤)].

---

(١) قال القرطبي: (وخص الله - تعالى - الأفواهَ بالذكر، دون الألسنة؛ إشارة إلى تشدُّقهم، وثرثرتهم في أقوالهم هذه، فهم فوق المتستر الذي تبدو البغضاء في عينيه). «تفسيره»: ٤/ ١٨٠.

(٢) من قوله: (وأصله ..) إلى (كالحات وبسل): نقله بتصرف واختصار عن: «سر صناعة الإعراب»: ١/ ٤١٤.

(٣) في (ب): (لست).

(٤) قطعة من بيت، لِسُوَيد بن الصامت الأنصاري. وتمامه:

لَيستْ بِسَنْهاءٍ ولا رُجَبِيَّةٍ ولكنْ عَرَايا في السِّنينَ الجَوائِح

وقد ورد منسوبًا له في: «كتاب النخل» لأبي حاتم السجستاني: ٨٨، ٩٣، و«اللسان»: ٣/ ١٥٨٣ (رجب)، ٦/ ٣٥٧١ (قرح)، ٢/ ٧١٩ (جوح)، ٤/ ٢١٢٧ (سنة)، (عرا). وأورده أبو عبيد بن سلام في: «غريب الحديث»: ١/ ١٤١، وابن فارس في: «المقاييس»: ٤/ ٢٩٩، ونسباه لشاعر الأنصار، ولم يصرحا باسمه. وورد غير منسوب في: «مجالس ثعلب»: ٧٦، و«جمهرة اللغة»: ١/ ٢٦٦، و«الأمالي»، للقالي: ١/ ١٢١، و«تهذيب اللغة»: ٦/ ١٢٩ (سنة)، و«المخصص»: ١٦/ ٥٤.

وقد وردت (سنهاء) في مصادر البيت بفتح الهمزة، وبكسرها مُنَوَّنَةً، ووردت (رُجَبِيَّةٍ) بفتح الجيم مع التشديد فيها وبدونه.

يصف الشاعر - هنا - نخلةً بالجودة. و(السنهاء): إما هي التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى، أو تلك التي أصابتها السنة المجدبة فأضرت بها.

و(الرُّجَبِيَّة): هي النخلة التي تكون كريمة على صاحبها، فتميل، فيسندها =

و(عملت[1] معه مُسَانَهَةً)[2]، ومن: (شاةٍ)[3]، و(شَفَةٍ)[4]، فصار التقدير: (فَوْ)[5]. فلما صار الاسم على حرفين، لاثاني منهما[6] حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فَيُجْحِفُوا به، فأبدلوا من الواوِ مِيْمًا لقرب الميم

= بِ(رُجْبة)؛ أي: بخشبة ذات شعبتين، وقيل: الترجيب، هو: أن يُجعَل حولها شوكٌ حتى لا يرقى لها راقٍ فيجني ثمرها. وأرى - والله أعلم - أن القول الثاني هو المراد في البيت؛ لأنه يصفها أنها ليست من تلك التي يُمنع ثمرها من الناس، بل هي مبذولة لهم، لأنه قال بعدها: (عرايا)؛ أي: التي يوهب ثمرها للناس، ومفردها (عَرِيَّة). و(الجوائح): هي السنون الشداد التي تجتاح المال. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٤١، و«اللسان» ٣/ ١٥٨٣ (رجب)، ٤/ ٢١٢٧ (سنه).

(١) في (ج): (علمت).

(٢) المسانهة: أن يعامله إلى مدَّة سنة. يقال: (سانَهَهُ مسانهةً وسِناهًا).
انظر (سنه) في: «اللسان»: ٤/ ٢١٢٧، و«المعجم الوسيط» ١/ ٤٥٩.
ويجوز أن يكون المحذوف من (سنة) واوًا أو هاءً؛ لأنها في الجمع: (سنوات)، و(سنهات). انظر حولها: «كتاب سيبويه» ٣/ ٣٦٠، ٤٥٢، و«اللسان» ٤/ ٢٨٧ (سنة)، و«نزهة الطرف» ١٧٢.

(٣) أصل (شاة): (شَوْهَةٌ) ويقال في تصغيرها: (شُوَيهة)، وفي جمعها تكسيرًا: (شياه)، ويقولون: (شَوَّهتُ شاةً)، أي: اصطدتها.
انظر: «الممتع في التصريف» ٢/ ٦٢٦.

(٤) أصل (شَفَة): (شَفَهَة) فيقال في تصغيرها: (شُفَيهة)، وفي جمعها: (شِفاه) والفعل منها: (شافهتُ فلانا)، والمصدر: (المُشافهة).
انظر: «كتاب سيبويه»: ٣/ ٣٥٨-٣٥٩، ٤٥١، و«الوجيز في علم التصريف» ٤١، و«الممتع» ٢/ ٦٢٥، و«نزهة الطرف» ١٧٣.

(٥) في (أ)، (ب)، (ج): (فوه). والمثبت من: «سر صناعة الإعراب»، وهي الصواب.

(٦) في (ج): (منها).

من الواو؛ لأنهما[١] شفويتان[٢]، وفي الميم هُوِيٌّ في الفَمِ يضارع امتداد الواو.

والدليل على أن أصله (فَوْه): جمعه على (أفواه)؛ نحو: (سَوْطٍ، وأسواط)، و(حَوْضٍ، وأحواض)، و(طَوْقٍ، وأطواق).

وقال أُمَيَّةُ[٣]:

وما فَاهُوا بِهِ أبدًا مُقِيمُ[٤].

وقالوا: (رجلٌ مُفَوَّهٌ): إذا أجادَ[٥] القولَ، و(أَفْوَهُ): إذا كان واسع الفَمِ. وجمعه: (فُوْهٌ)[٦].

---

(١) في (ب): (ولأنهما).

(٢) في: «سر صناعة الإعراب»: شفهيتان.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) شطر بيت، وتمامه - كما في الديوان:

وفيها لحمُ ساهرة وبَحرٍ   وما فاهوا به لهم مقيمُ

وهو في «ديوانه» ٦٨. وورد منسوبا له في «معاني القرآن»، للفراء ١/ ١٢١، و«اللسان»: ١/ ٢٩ (أثم)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و«المقاصد النحوية» ٢/ ٣٤٦، و«شرح التصريح» ١/ ٢٤١، و«الدرر اللوامع» ٢/ ١٩٩ .

وورد غير منسوب في: «اللسان» ٤/ ٢١٣٢ (سهر)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و«شرح شذور الذهب» (١٢٣)، و«شرح ابن عقيل» ٢/ ١٥، و«منهج السالك» للأشموني ٢/ ١١.

وأكثر المصادر - ومنها «سر صناعة الإعراب» - تورد الشطر الأول كالتالي: (فلا لغوٌ ولا تأثيم فيها..) وهذا إنما هو صدر بيت آخر وعجزه: (ولا غَوْلٌ ولا فيها مُلِيمُ). وهو في القصيدة بعد البيت المستشهد به بأبيات.

و(الساهرة): الأرض. و(مقيم): ثابت. انظر: «اللسان» ٤/ ٢١٣٢ (سهر).

(٥) في (ب): (جاد).

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٢٦٤، ٣٦٥-٣٦٦، و«المسائل المشكلة»، للفارسي ١٤٩-١٦٣، ٥٠٤، و«المخصص» ١/ ١٣٤-١٣٧، و«شرح المفصل» =

قال الشَّنْفَرَى[١]:

مُـهَـرَّتَـةٌ[٢] فُـوْهٌ كـأنَّ شُـدُوقَـهـا
شُقُوقُ العِصِيِّ[٣] كالِحاتٌ[٤] وبُسَّلُ[٥]

ذكر ذلك أبو الفتح الموصلي[٦].

= ١٠/ ٣٣، و«الوجيز في علم التصريف» ٥٠، و«الممتع» ٣٩١، ٦٢٥، و«نزهة الطرف» ١٧٣، و«أوضح المسالك» ٣/ ٣٤١.
ويرى الأخفش أن الميم في (فم) بدل من الهاء؛ حيث إن أصله عنده (فَوْه)، ثم قلب، فصار (فَهْو)، ثم حذفت الواو، وجعلت الهاء ميما. انظر «شرح الشافية» ٣/ ٢١٥.

(١) هو: ثابت بن أوس الأزدي. شاعر جاهلي، من عَدّائي العرب المعدودين، وصعاليكهم، وأكثرهم جرأة ودهاءً، أَسَرَتْه بنو سَلاَمَان صغيرًا، ونشأ فيهم، فلما شبَّ وعرف بقصة أسره، قَتَل منهم كثيرًا، فقتلوه ثأرا وانتقامًا.
انظر: «خزانة الأدب»: ٣/ ٣٤٣، و«الأعلام»: ٣/ ١٧٧.

(٢) (أ)، (ب): (مبونه). وفي (ج): (مهونه). والمثبت من: سر الصناعة، ومصادر البيت.

(٣) في (ب): (العصا).

(٤) (أ)، (ب): (الحاق). والمثبت من (ج)، وسر الصناعة، ومصادر البيت.

(٥) البيت من لامِيَّتِهِ المسماة بـ(لامية العرب). انظر: «بلوغ الأرب في شرح لامية العرب» ١٥٢. المُهَرَّتَة: الواسعة الأشداق. و(فُوْهٌ): جمع: (أَفْوَه) و(فوهاء)، يقال للواسع الفم، أو من تخرج أسنانه من شفتيه من طولها.
و(الشدوق): جمع كثرة، وأما جمع القلة، فـ(أشداق)، والمفرد: شِدْق، وهو جانب الفم. و(الكالحات): المكشِّرات في عُبوس. و(بُسَّل): الكريهة المنظر، المفرد: باسل. ويقال للأسد، وللرجل الشجاع.
الشاعر - هنا - يعين بهذه الأوصاف: الذئابَ وقوله: (كالحات وبسل) نعت لـ(فُوْهٌ). انظر: المرجع السابق ١٥٢-١٥٤.

(٦) في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٤١٣-٤١٦.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[(١)] أي: من العداوة والخيانة[(٢)]. وقيل[(٣)]: من الكفر بالله ومحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ قال عَطَاء[(٤)]: يريد: ما أمرهم به مِن طاعته، وما نهاهم عنه من معصيته.

وقال السُّدِّي[(٥)]: قد بيَّنَّا آياتهم؛ لتعرفوهم بها.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قيل[(٦)]: إن كنتم تعقلون موقعَ يقع[(٧)] البيان، ومبلغَ عائدتِهِ عليكم[(٨)].

وقيل[(٩)]: إن كنتم تعقلون الفَصْلَ بينَ ما يستحقه العدوُّ، والوَلِيُّ.

١١٩- قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ الآية. مضى الكلام في (ها) مع (أنتم) عند قوله: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ﴾ [آل عمران: ٦٦].

قال الفراء[(١٠)]: العرب إذا جاءت إلى اسمٍ مَكنيٍّ قد وُصِفَ بـ(هذا) و(هذان) و(هؤلاء)، فرَّقوا بينَ (ها) وبين (ذا)، المَكنِيَّ بينهما، وذلك في

---

(١) في (ج): (وما تخفي الصدور).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٧، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٤ب.

(٣) لم أهتد إلى القائل، ولا فرق بين القولين لأنهما متلازمان.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) قاله - بمعناه - الطبري في «تفسيره» ٤/ ٦٤.

(٧) هكذا في: (أ)، (ب). وفي (ج): مهملة من النقط. وأرى أن الأصوب أن تقرأ (نفع)؛ لأنها تتناسب مع عبارة الطَّبَري التالية.

(٨) ونص قول الطبري: (إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه، وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم، ومبلغ عائدته عليكم).

(٩) لم أهتد للقائل.

(١٠) في: «معاني القرآن»، له ١/ ٢٣١. نقله عنه بنصه.

جهة التقريب[١]، فيقولون: (أين أنت؟) فيقول القائلُ:

(ها أنا ذا)[٢]. ولا يكادون يقولون: (هذا أنا)[٣]. و - كذلك -: التثنية والجمع، ومنه[٤]: ﴿هَٰأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾، وربَّما أعادوا (ها) فوصلوها بـ(ذا)، و(ذان)، و(أولاء)[٥]، فيقولون: (ها أنت هذا)، و(ها أنتم هؤلاء). قال الله - تعالى -: ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٠٩].

---

(١) «التقريب» هو: أن تجعل (هذا)، و(هذه) بمثابة الأفعال الناقصة كـ(كان) وأخواتها التي تحتاج إلى تمام الخبر، وهذا من اصطلاحات الكوفيين، وقد بَيَّنَه السيوطي في: «همع الهوامع»: ١/ ٢٦٤ فقال: ذهب الكوفيون إلى أن (هذا) و(هذه)، إذا أريد بهما التقريب، كانا من أخوات (كان)، في احتياجهما إلى اسم مرفوعٍ وخبر منصوب، نحو: (كيف أخاف من الظلم، وهذا الخليفة قادمًا؟)، و(كيف أخاف البرد، وهذه الشمس طالعةً؟)، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني له في الوجود، نحو: (هذا ابنُ صياد أشقى الناس)، فيعربون (هذا): (تَقْريبا)، والمرفوع اسم التقريب، والمنصوب خبر التقريب؛ لأن المعنى إنما هو عن الخليفة بالقدوم، وعن الشمس بالطلوع، وأتى باسم الإشارة تقريبًا للقدوم والطلوع. ألا ترى أنك لم تشر إليهم وهما حاضران؟ و - أيضا -، فالخليفة والشمس معلومان، فلا يحتاج تبيينهما بالإشارة إليهما. وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه بالمنصوب؛ لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختل المعنى، كما لو أسقطت (كان) من: (كان زيدٌ قادمًا).

وانظر في هذا المعنى: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ٦٤-٦٦، ١٥/ ٤١٦، و«دراسة في النحو الكوفي» ٢٣٧، و«النحو وكتب التفسير» ١/ ١٨٥.

(٢) هكذا جاء رسمها في (أ)، (ب)، وكذا وردت في «تفسير الطبري» ٤/ ٦٥، ووردت في (ج): (هاناذا). أما في الرسم الإملائي فقد اصطلح على كتابتها كالتالي: هأنذا.

(٣) في (ج): (ها أنا).

(٤) في (ج): (منه) بدون واو.

(٥) في «معاني القرآن»: فوصلوها بذا وهذا وهذان وهؤلاء.

قال[١]: وإنَّما فعلوا ذلك؛ ليفصلوا بين (التقريب) وغيره. ومعنى (التقريب) عنده: أنك لا تقصد أن تخبر[٢] عن (هذا) بالاسم[٣]، فيقولون[٤]: (هذا زيد).

وإذا[٥] كان الكلام على غير تقريبٍ، وكان[٦] مع اسم ظاهر، جعلوا (ها) موصولةً بـ(ذا)؛ فقالوا[٧]: (هذا زيد)، و(هذان الزيدان)[٨]، إذا كان على خَبَرٍ يكتفي كلُّ واحدٍ بصاحبه بلا [فِعْلٍ][٩]. فقد[١٠] أنشد ابنُ الأنباري[١١] على هذا قولَ أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها[١٢] أنا ذا لَدَيْكُما[١٣]

---

(١) من قوله: (قال..) إلى (فيقولون هذا زيد): هو نص قول الزجاج في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٣، يحكي به معنى قول الفراء في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢) في «معاني القرآن»، للزجاج الخبر. بدلًا من: (أن تخبر).

(٣) في «معاني القرآن»، للزجاج (الخبر عن هذا الاسم).
وقوله: (بالاسم)؛ أي: بالاسم الظاهر، غير المكنيِّ عنه.

(٤) في (ج) و«معاني القرآن» للزجاج: (فتقول).

(٥) من قوله: (وإذا ..) إلى (بلا فعل): من تتمة كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٢ نقله عنه ببعض التصرف.

(٦) في «معاني الفراء»: أو كان.

(٧) في (ب) و«معاني الفراء»: (فيقولون).

(٨) في «معاني القرآن»: هذا هو، وهذان هما.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، و«معاني القرآن».
وبقية عبارة الفراء: (والتقريب لابد فيه من فعل؛ لنقصانه، وأحبوا أن يفرقوا بذلك بين معنى التقريب وبين معنى الاسم الصحيح).

(١٠) (فقد): ساقطة من (ج).

(١١) في: «الزاهر» ١/ ٢٧٩.

(١٢) (ها): ساقطة من (ج).

(١٣) بيت من الرجز، ورد منسوبًا لأمية في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٦٦، و«الزاهر» ٢/ ٢٧٩.

فَجَعَل (أنا) بين (ها) و(ذا)؛ لتقريبه طاعتهما، والانقياد لأمرهما.

وقال الزَّجَّاجُ[١]: (ها) - ههنا - تَنْبِيهٌ[٢] دَخَلَ على (أنتم) و[٣] (أولاء) في معنى: (الذين)، كأنه قيل: (ها أنتم الذين تُحِبُّونَهم ولا يُحِبُّونكم). فيكون ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صِلَةً[٤].

قال[٥]: وكُسِرت (أولاء)؛ لأن أصلها السكون، لكن الهمزة كُسِرت؛ لسكونها وسكون الألف. وإنما كان أصلُها السكون؛ لأنها بمنزلة حَرْفِ الإشارة، والحروفُ أصلها السكون.

وسنذكر الفرقَ بين (أولاء) و(أولئك) عند قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ﴾ [النساء: ٩٩].

قال المفسرون: هذا خطاب للمؤمنين، أُعلِموا فيه أن منافقي أهلِ الكتابِ[٦] لا يُحِبُّونَهم، وأنهم يَصْحَبونَ هؤلاء المنافقين بالبِرِّ، والنصيحة

---

(١) في: «معاني القرآن» ١/ ٤٦٣. نقله عنه بمعناه.

(٢) في (ج): (ها تنبيه ههنا).

(٣) (و): ساقطة من (ب).

(٤) وفي «البسيط في شرح جمل الزجاجي»: ١/ ٣١٠ قال عن هذه الآية: (فيحتمل أن يكون الأصل: (أنتم هؤلاء)، فاعْتُني بحرف التنبيه فقُدِّم، وأن تكون (ها) التنبيه، ولا تكون المقرونة بالإشارة؛ كما تقول: (ها زيد قائمٌ) ويكون هذا بمنزلة قوله سبحانه ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [آل عمران: ٦٦]).

(٥) أي: الزجاج، في المصدر السابق. نقله عنه معناه.

(٦) لم أقف على من خص المراد هنا بمنافقي أهل الكتاب، وإنما قيل في المراد: هم المنافقون، أو اليهود. وقد سبق أن ذكر المؤلف أن المعنيَّ في هذه الآيات: اليهود والمنافقون معًا، وهو قول لابن عباس ومجاهد، وغيرهم. وقد سبق بيان مصادر هذا القول عند التعليق على شرح المؤلف لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ [آية: ١١٨]. =

التي يفعلها المُحِبُّ.

قال المُفَضَّلُ[١]: معنى ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾: تريدون لهم الإسلام، وهو خير الأشياء. ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ لأنهم يريدونكم على الكفر، وهو الهلاك.

قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالكتب كلها، وهو اسم جنس؛ كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، أو لأن الكتاب مصدر، فيجوز أن يسمى[٢] به الجمع.

قال ابن عباس[٣]: يريد: الذي أُنزل على محمد، والذي أنزل على عيسى، والذي أنزل على موسى، وهم لا يؤمنون بشيء منه؛ لأنهم[٤] يَنتحِلون[٥] التوراةَ، ولم يعلموا بما[٦] فيها.

= وممن قال بأنهم اليهود: ابن عباس - في رواية عنه - والحسن، وقتادة، ومجاهد، وابن جريج، والنحاس، والقرطبي، وابن كثير.

انظر: «تفسير مجاهد» ١٣٤، و«تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٨، و«تفسير الطبري» ٤/ ٦٠-٦٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤٢، و«معاني القرآن»، للنحاس ١/ ٤٦٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٥أ، و«تفسير البغوي»: ٢/ ٩٥، و«تفسير القرطبي» ٤/ ١٨١، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٢٨، و«الدر المنثور» ٢/ ١١٨-١١٩.

(١) قوله، في: «تفسير الثعلبي»: ٣/ ١٠٥ب.

(٢) في (ج): (نسمي).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عنه، والذي في: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٥ قوله: (أي: بكتابكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء منهم لكم).
وأورده السيوطي في: «الدر المنثور» ٢/ ١٢٠ وزاد نسبة إخراجه لابن إسحاق، وابن المنذر. وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٨٦.

(٤) (لأنهم): ساقطة من (ب).

(٥) يقال: (انتحل كذا): أي: دان به. و(انتحل فلانٌ شِعْرَ غيره): ادَّعاه ونسبه لنفسه. و(انتحل مذهبا): انتسب إليه. انظر: «لسان العرب» ٧/ ٤٣٦٩-٤٣٧٠ (نحل).

(٦) في (ج): (ما).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يقال: عَضَّ، يَعَضُّ، عَضًّا، وعَضِيضًا[1].

قال امرؤ القَيس:

كَفَحْلِ الهِجَانِ يَنْتَحِي لِلعَضِيض[2]

والأنامِل: جمع أَنْمُلَة[3]؛ وهي: أطراف الأصابع[4].

[والغَيْظُ: الإغضابُ[5]، يقال: (غاظَهُ الشيءُ)؛ أي: أغضبه[6].

---

(١) في (ج): (يغض غضًا وغضضا).

(٢) في (ج): (العضيض).

وهذا عجز بيت، وأوله:

لـه قُـصْـرَيـا عَـيْـرٍ وسـاقـا نـعـامـةٍ

وهو في «ديوانه» ٩٧.

والقُصْرَيان: مفردهما: (قُصْرى). وهما الضلعان اللذان يليان الخصر بين الجنب والبطن، وهما آخر الضلوع. و(العَيْر): الحمار، ويغلب إطلاقه على الوحشي منه. و(فحل الهجان)؛ أي: فَحل الإبل الكريمة البيضاء، ولا يكون فحلها إلا كريمًا مثلها. و(الانتحاء): القصد، والاعتماد، والجد، وقوله: (ينتحي للعضيض)؛ أي: يعتمد ويعترض للعض.

انظر: «تهذيب اللغة» (٢٩٧٤) (قصر)، و«القاموس» (١٣٣٧-١٣٣٨) (نحا).

(٣) يقال: (أَنْمُلَة) - بفتح الهمزة وضم الميم -، و(أنمَلَة) - بفتح الهمزة وفتح الميم -. انظر: (نمل) في «الصحاح» ١٨٣٦، و«القاموس» (١٠٦٥)، و«المجمل» ٨٨٦، و«اللسان» ٨/ ٤٥٥٠.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) (الإغضاب): ساقطة من (أ)، (ب). وفي (ج): (الأعصاب). وما أثبتُّهُ هو الصواب.

(٦) يقال: (غاظه، وأغاظه، وغيَّظه): بمعنى واحد، والمصدر: الغيظ. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٢٢ (غيظ).

قال الراغب: (الغيظ: أشد الغضب، وهو: الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه). «مفردات ألفاظ القرآن»: ٦١٩ (غيظ).

وعَضُّ الأصابع][1]، والأنامِل، واليد[2]: مِن فِعْلِ المُغضَبِ[3]، الذي فاته ما لا يقدر [على][4] أن يتداركه، أو يرى شيئًا يكرهه، ولا يقدر على أن يُغيِّره. ثم كثر استعمال[5] [هذا][6] فيه، حتى استُعمِلَ مَثَلًا، مجازًا، فيقال للمُغضَبِ: (هو يَعَضُّ يدَهُ غَضَبًا وحَنَقًا)[7]، وإنْ لم يكن هناك عَضٌّ. قال الشاعر:

قَـدَ أَفْـنَـى أنـامِـلَـهُ أَزْمُـهُ فأَضْحى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفا[8]

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٢) في (ب): (ولليد).

(٣) في (ج): (الغضب).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) في (ج): (استعماله).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) قال - تعالى - عن حال من يعض على يديه ندمًا وأسفًا يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾. [سورة الفرقان: ٢٧].

(٨) البيت لصخر الغَيّ بن عبد الله الخُثَمِي الهذلي. وقد ورد منسوبًا له في: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٢٩٩، وورد في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٧ (يدي)، و«اللسان» ٨/ ٤٩٥٣ (يدي)، وقالا فيه: (قال الهذلي). وروايته في هذه المصادر: (فأمسى يَعَضُّ..). وقوله: (أزْمُهُ): عَضُّهُ. من: (أزَمَ يأزِم أزْما) و(أُزوما)، فهو (آزِمٌ وأزُوم): إذا عَضَّ بالفم كلِّه عَضًا شديدًا. و(الوظيفة): أصل استعمالها لذوات الأربع من الخيل والإبل، وهي ما استدَقَّ من الذراع أو الساقين، ففي البعير هي: ما بين الرسغ والذراع، أو بين الرسغ والساق، وجعلها الشاعر هنا للإنسان.
انظر: «الصحاح» ١٤٣٩ (وظف)، و«الفرق» لابن فارس ٦١، و«زينة الفضلاء» للأنباري ٩١، و«القاموس المحيط» (١٠٧٥) (أزم).
قال الأزهري عن معنى البيت: (أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فصار يعض وظيف الذراع). «تهذيب اللغة» ١/ ١٥٦ (أزم).

وقال أبو طالب[(١)]:

يَعَضُّونَ غَيْظًا خلفَنا بالأَنَامِلِ[(٢)]

قال المفسرون[(٣)]: وإنما ذلك لِما يَرَوْنَ من ائتلاف المؤمنين، واجتماع كلمتهم، وصَلاح ذات بَيْنِهم.

وفي الآية تقديم وتأخير؛ لأن التقدير: وإذا خَلَوْا عَضُّوا الأنامِلَ مِنَ الغَيْظِ عليكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ خرج هذا مخرج الأمر، وليس معناه الأمرَ، لكنَّه دعاء عليهم، أمر اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بأن يَدْعُوَ عليهم بهذا[(٤)].

---

(١) واسمه: عبد مَناف - بن عبد المُطَّلِب بن هاشم، عَمُّ النبي ﷺ، الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب، وكان حدِبًا على أمر النبي ﷺ، عطوفًا عليه، منع عنه أذى قريش، إلا أنه لم يُسْلِم، ومات على الشرك، قبل الهجرة بثلاث سنين.
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ١٩٣-١٩٤، ٢/ ٢٥-٢٦.

(٢) عجز بيت، وصدره:

وقد حالفوا قوما علينا أظنَّةً

وقد ورد منسوبًا له في: «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٨٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٥ب، و«البحر المحيط» ٣/ ٤١، و«الدر المصون» ٣/ ٣٧٠.
وأول البيت في: «تفسير الثعلبي»، والبحر: (وقد صالحوا قومًا عليهم أشحة)، ولكن في: «البحر المحيط»: (علينا أشحة).
والبيت من قصيدة طويلة يخاطب فيها أشراف قومه لَمّا خافهم على النبي ﷺ، بعد أن علا ذِكرُه وظهر أمرُه، ووقفوا منه موقف العداء، وفيها كذلك مدح للنبي ﷺ.
انظر حول هذه القصيدة: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٤٤.

(٣) ممن قال ذلك: قتادة، والربيع، والطبري. والعبارة - هنا - عبارة الطبري.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٦-٦٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤٦.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٧.
وقال أبو الليث: (يقول: موتوا بحنقكم على وجه الدعاء والطرد واللعن، لا على وجه الأمر والإيجاب؛ لأنه لو كان على وجه الإيجاب لماتوا من ساعتهم. كما =

ومعنى موتِهم بِغَيْظِهم: هو أن يَدُوم غيظُهم إلى أن يموتوا، أو[(١)] يصير الغيظُ قاتِلَهم، وسببَ موتهم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من خير وشر. قال[(٣)] النحويون[(٤)]: (ذات) تأنيث (ذو). وإذا وقَفْتَ[(٥)] على (ذات): فمنهم مَن يَدَعُ التَّاء على حالها؛ لكثرة ما جرى على اللسان بالتَّاء، ومنهم من يردها إلى هاء[(٦)] التأنيث. وهو القياس.

وقال ابن الأنباري[(٧)]: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما فيها[(٨)] من خير وشر[(٩)]. معناه: بحقيقة القلوب من المضمرات. فتأنيث (ذات)[(١٠)]

= قال في موضع آخر: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣] فماتوا من ساعتهم، وههنا لم يرد به الإيجاب). «بحر العلوم»: ١/ ٢٩٤-٢٩٥ .
وذهب الضحاك إلى أن هذا يراد به الخبَر؛ أي: يخبر عنهم أنهم يخرجون من الدنيا بالموت وهم بهذه الحسرة والغيظ. انظر: المرجع السابق.

(١) في (ب): (و).

(٢) أي: أن الباء - هنا - في ﴿بِغَيْظِكُمْ﴾، إما للحال، أو للسببية.

(٣) من قوله (قال..) إلى (عليم بذات الصدور): مكرر مرتين في (أ).

(٤) هذا قول الليث في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩ (ذو)، نقله عنه المؤلف بتصرف يسير. وانظر: «اللسان» ٣/ ١٤٧٧-١٤٧٨ (ذو).

(٥) في (ب)، (ج): (وقعت).

(٦) في (ب): (تاء).

(٧) قوله، في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٠٠. نقله عنه بتصرف يسير وانظر: «المذكر والمؤنث» لابن الإنباري ٢/ ٣٦٧-٣٦٨، و«اللسان» ٣/ ١٤٧٨ (ذو).

(٨) (أي بما فيها): ساقط من (ج).

(٩) (من خير وشر): ساقط من (ج).

(١٠) في (ج): (ذا).

لهذا المعنى؛ كما قال: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧]، فَأَنَّثَ؛ لمعنى (الطائفة)؛ كما يقال: (لقيته ذات يوم)، فيؤنثون؛ لأن مقصدهم: لقيته مرَّةً في يوم. وقد ذكرنا زيادة في الشرح والبيان عند قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

١٢٠- قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الآية. (المَسُّ)، أصله باليد، ثم يُسَمَّى المُقارِبُ والمخالِطُ: (ماسًّا)؛ تشبيهًا بالمتناوِلِ للشيء، فيقال: (أَمْرُكَ يَمَسُّنِي)؛ أي: يَكْرِثُني[1]، ويهمني، ويَقْرُبُ مِن قلبي. فأشبه بذلك المَسَّ بالأصابع[2].

ومعنى (الحسنة) - ههنا -: النصر[3]، والغنيمة، والخِصْب[4].

(١) يقال: (كَرَثَه، وأكرَثَه الغَمُّ)، (يكرِثُهُ ويَكرُثه): اشتد عليه، وأقلقه، وحرَّكَه. و(الاكتراث): الاعتناء. و(لا تكترث بالأمر): لا تعبأ به، ولا تبالي. وذكر ابن الأثير أنها لا تستعمل إلا في النفي، وقد جاءت في الإثبات وهو شاذ.
انظر: (كرث) في: «أساس البلاغة» ٢/ ٣٠٢، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير ٤/ ١٦١، و«التاج» ٣/ ٢٥٢.

(٢) يقال: (مَسَسْتُ) - بفتح السين الأولى وبكسرها -، (أَمَسُّ مَسًّا ومَسِيسا، ومِسِّيسَى): وهو ما كان باليد. و(المَسُّ، والمَسِيس) يُكنى به عن النكاح -كذلك-. ويقال: (مِسْتُ) - يحذفون السين الأولى، ويحولون كسرتها إلى الميم، أو تترك الميمُ مفتوحة. انظر: «العين»، للخليل ٧/ ٢٠٨، ٢٠٩ (مسس)، و«إصلاح المنطق» ٢١١، و«المقاييس» ٥/ ٢٧١، و«الفرق بين الحروف الخمسة» ٤٠٨، ٤٠٩، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/ ٤٩٨.

(٣) في (ج): (النصرة).

(٤) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٠٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ٦٧، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٥، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٢٩.
لفظ الآية في (الحسنة) و(السيئة) عامٌّ، لم يخصص نوعًا منها دون نوع، فيدخل فيها كل ما يحسن ويسوء. وما ذكره المؤلف من النصر والغنيمة والخصب، إنما هو على سبيل التمثيل لها. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٢.

و(تسؤهم)، أي: تُخْزِيْهم، يقال: (ساءَهُ، يَسُوءُهُ، مَسَاءَةً[١]، ومَسَائِيَةً)[٢]، فـ (استاءَ)[٣]؛ أي: اهتم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: نالكم ضد ذلك.

ويقال: (ساء[٥] الشيءُ)، (يسوء[٦]، فهو سيِّء)، والأنثى: (سيِّئةٌ)؛ أي: قَبُحَ[٧]. ومنه قوله: ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]. و(سَوَّأْتُ على الرجل[٨] فعلَهُ)؛ أي: قَبَّحْتُهُ عليه، وعِبْتُهُ به. و(السُّوْءَى)[٩]: ضد الحُسْنَى، و(السَّوْءاءُ)[١٠]: المرأةُ القبيحة[١١].

---

(١) في (ج): (ساه يسوه مساه).

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): مسايبة. والمثبت من كتب اللغة. وفي «القاموس المحيط» ٤٣ (سوء): قال: (ومسائية مقلوبًا، وأصله: مساوِئة).

(٣) في (أ): فاستاءَ، والمثبت من: (ب)، (ج)، وكتب اللغة.

(٤) انظر: (سوء) في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٥-١٧٩٦، و«القاموس» ٤٣.

(٥) في (ج): (أسى).

(٦) يسوء: ساقطة من (ج).

(٧) في (ب): (قبيح).

(٨) في (ب): (الوجه).

(٩) في (ج): (السوى).

(١٠) في (ب): (السؤا). وفي (ج): (السوا).

(١١) انظر: المصادر السابقة.

قال ابن عطية: (وذكر تعالى المسَّ في (الحسنة)؛ ليُبَيِّن أن بأدنى طروء الحسنة تقع المساءةُ بنفوس المبغِضِين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي: عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء، فهو متمكن منه أو فيه، فدلَّ هذا المنزعُ البليغُ على شدة العداوة، إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا هي عداوة الحسد في الأغلب، ولا سيما في هذا الأمر الجسيم الذي هو ملاك الدنيا والآخرة). «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾. أي: على ما تسمعون منهم، وعلى أذاهم.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾. قال ابنُ عباس[١]: وتخافوا ربَّكم، في سِرِّكم وعلانِيَتِكم.

وقال غيره[٢]: وتتقوا مقاربتهم في دينهم، والمحبة لهم.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ يقال: (ضارَهُ، يَضِيرُهُ، ضَيْرًا)، و(يَضُورُهُ ضَوْرا): إذا ضَرَّهُ[٣].

وقرئ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ مُشَدَّدا[٤] من: الضَّرّ[٥]. وأصله: (يَضْرُرْكُمْ) - جَزْمًا -، وأُدغِمَت[٦] الرَّاءُ في الرَّاءِ، ونقلت ضَمَّةُ الرَّاء الأولى إلى

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. والذي في: «زاد المسير» ١/ ٤٤٨ من قول ابن عباس: (الشرك).

(٢) لم أهتد لقائل هذا القول. وقد يفهم ذلك من عبارة الطبري في «تفسيره» ٤/ ٦٨، حيث قال: (وإن تصبروا - أيها المؤمنون - على طاعة الله، واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه: من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود - الذين وصف الله صفتهم - من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر ما نهاكم ..).

(٣) انظر: «الزاهر» ٢/ ١٧٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٧٨ (ضور)، و«اللسان» ٥/ ٢٦١٩ (ضور)، ٥/ ٢٦٢٣ (ضير).

(٤) هي قراءة عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي -بضم الصاد، وتشديد الراء المرفوعة -. انظر: «السبعة» ٢١٥، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٧٤.

(٥) انظر: «الحجة»، لابن خالويه ١١٣. وورد في: «اللسان»: (الضَّرُّ، والضُّرُّ): ضد النفع. و(الضَّرُّ): المصدر، و(الضُّرُّ): الاسم. وقيل: إذا جمعت بين الضَّرِّ والنفع: فتحتَ الضاد، وإذا أفردت الضُّرَّ: ضممت الضاد: إذا لم تجعله مصدرًا.
وقال: «وضَرَّه يضُرُّه ضَرًّا)، و(ضَرَّ به وأضَرَّ به)، و(ضارَّه مُضارَّة، وضِرَارًا) والاسم: (الضَّرر». «اللسان» ٥/ ٢٥٧٣ (ضرر)، وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٦٨.

(٦) في (ج): (فأدغمت).

الضاد، وضُمَّت الرَّاءُ الأخيرةُ؛ إتْباعًا لأقرب الحركات إليها، وهي: حركة الضادُ، كقولهم: (مُدُّ يا هذا)[١].

واعلم أنه إذا كان قبل الحرف المُدْغم[٢]، حرفٌ مضمومٌ، فلك في تحريك الأخير ثلاثة أوجه: الضمُّ؛ للإتْباع، والكسرُ؛ على أصل ما يجب[٣] في التقاء الساكنين، والفتحُ؛ للخفة.

قال جرير:

فَغُضّ الطَرْفَ إنك مِن نُمَيْرٍ[٤]

يُنشَد باللغات الثلاث[٥]. ولا يجوز في القراءة إلّا الرفع، على ما قرأته القُرَّاءُ المُتَّبَعون[٦].

---

(١) انظر: «المغني» لابن هشام ٧١٧-٧١٨؛ حيث لم ير في إعرابها إلا أنها مجزومة، وأن الضم اتباع، كالضمة في قولك: (لم يَشُدُّ ولم يَرُدُّ).

(٢) (المدغم): ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): (التأنيث). بدلًا من: (ما يجب).

(٤) صدر بيت، وتمامه:

فـلا كَـعْـبًـا بَـلَـغْـتَ ولا كِـلابـا

وهو في: ديوانه: ٦٣، وورد في: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٣٣، و«المقتضب» ١/ ١٥٨، و«المصون في الأدب» ١٩، و«العمدة» ١٢٦، ١٢٧، ٨٤٤، ١٠٥٣، و«شرح المفصل» ٩/ ١٢٨، و«المقاصد النحوية» ٤/ ٤٩٤، و«منهج السالك» ١/ ٢٥٢، و«التصريح» ٢/ ٤٠١، و«همع الهوامع» ٦/ ٢٨٨، و«خزانة الأدب» ١/ ٧٢، ٦/ ٥٣١، ٩/ ٣٠٦، ٥٤٢، و«شرح شواهد شرح الشافية» ٤/ ١٦٣.

والبيت من قصيدة طويلة له، يهجو فيها الراعي النميري، ويُعَرِّض بقومه.

(٥) أي يقال: (فَغُضَّ) - بضم الضاد المشددة، وفتحها، وكسرها. انظر فيما ذكره المؤلف سابقًا: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٣٢، و«الطبري» ٤/ ٦٨.

(٦) أي: لا يجوز في قراءة: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ إلا الرفع في الراء، من ناحية القراءة القرآنية، مع صحة قراءتها بالفتح والكسر من ناحية اللغة كما ذكر المؤلف؛ لأن=

قال أبو إسحاق[(١)]: ضمن الله -ﷻ- للمؤمنين النصرَ إن صَبَروا، وأَعلَمَهم أَنَّ عَدَاوَتَهم[(٢)] وكَيْدَهُم غَيْرُ ضَارٍّ لهم.

والكَيْدُ - في اللغة -: الاحتيال بغير ما يبدي[(٣)]، وهو: أن يحتال ليَغْتَالَ صاحِبَهُ، ويوقِعَهُ في مكروه[(٤)]، وابن عباس فَسَّرَ الكَيْدَ بالعداوة[(٥)].

= الراء الثانية مُدغَمَة في الراء الأولى، مع سبقها بحرف مضموم.

وقد وردت قراءة أخرى صحيحة، متواترة، وهي: ﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ على التخفيف - بتسكين الراء وكسر الضاد المخففة - وقد قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، ويعقوب، ورواية أخرى عن حمزة. انظر: «السبعة» ٢١٥.

قال الفارسي: (فكلتا القراءتين حسنة؛ لمجيئهما جميعًا في التنزيل). «الحجة» ٣/ ٧٥. وانظر: «المحلى» لابن شغير ١٧.

ووردت قراءات أخرى شاذة، وهي: قراءة عاصم برواية أبي زيد عن المفضل عنه: (لا يَضُرَّكم) بضم الضاد وفتح الراء المشددة. وقرأ الضحاك: (يَضُرِّكم) -بضم الضاد، وكسر الراء المشددة-.

انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٦١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ١٨٤، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٣.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٥. نقله عنه بنصه.

(٢) في «معاني القرآن»: عدوانهم.

(٣) في (ج): (ما مدى).

(٤) أصل (كَيَدَ) -في اللغة- يدل على معالجة شيء بشدة، ثم يتسع بابه ويدخل فيه المعنى المراد -هنا- الذي ذكره المؤلف وهو: الاحتيال لإيقاع مكروه بالغير؛ لأنه فيه معالجة وبذل وُسْع، واجتهاد للمكر والإضرار بالآخرين. انظر: «المقاييس» ٥/ ١٤٩ (كيد). وعَرَّف الجرجانيُّ (الكيد)، فقال: (إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة). التعريفات: ١٨٩. وانظر: «اللسان»: ٧/ ٣٩٦٦ (كيد)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» ٦١٤.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

[ورُدَّ على الفرَّاء][(١)] [في هذه الآية شيئان:

أحدهما: أنه قال[(٢)]: ولو][(٣)] قرئ: (لا يَضُرْكم) - بضم الضاد-، جازَ؛ فقد سمع الكسائيُّ بعضَ أهل العالِيَةِ[(٤)] يقول: [(لا ينْفَعُني ذاك[(٥)] ولا يَضُورُني)[(٦)].

قال الزجاج[(٧)]: وهذا غير جائز، لا يُقرأ حرفٌ من كتاب الله -عز وجل- بخلاف الإجماع، على قول رجل من أهل العالية. وهذا كما قاله؛ لأن القراءةَ بالسَّمَاع والتَّوْقِيف، لا بالجَوَازِ في اللغة.

والآخر: أنه قال[(٨)] في قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ - على قراءة من قرأ بالتشديد -: يجوز أن يكون جواب الشرط: فَاء مُضْمَرَة[(٩)]، ويكون (لا)

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، وساقط من (ب)، والمثبت من (ج).

(٢) في: «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٢. نقله عنه بمعناه.

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في: (أ)، والمثبت من (ب)، (ج).

(٤) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة، وهي عالية الحجاز، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة. وقيل: هي ما جاوز الرُّمَّة -وهي أرض واسعة بنجد تنصب فيها عدَّة أودية- إلى مكة. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٧١.

(٥) (ذاك) مطموس في (أ). وساقط من (ب). ومثبت من (ج)، و«تهذيب اللغة»: ٣/ ٢٠٧٨. وفي «معاني القرآن»: ذلك.

(٦) (يضورني): مطموسة في (أ). وفي (ب): (يضرني). والمثبت من (ج)، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٧٨، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٣٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ٦٨.

(٧) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٥. نقله عنه بتصرف يسير.

(٨) في: «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٢. نقله عنه بمعناه.

(٩) (فاء مضمرة): مطموس في (أ)، وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

بمعنى (ليس) والتقدير: (فليس يَضُرُّكُمْ كيدُهم شيئا).

وأنشد[١] على هذا بيتًا[٢].

قال النحويون: وهذا غلطٌ، مَن حَذَفَ الفاءَ، إنما[٣] يجوز لِضَرُورة الشعر[٤]، والقرآن لا يُحْتَمل[٥] على ضرورة الشعر[٦]، سِيَّما إذا كان لرفع

---

(١) من قوله: (وأنشد ..) إلى (من حذف الفاء): مطموس في (أ).وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٢) البيت هو:

فإن كان لا يُرضيكَ حتى تَرُدُّني إلى قَطَريٍّ لا إخالُكَ راضيا.

وقائله، هو: سوَّار بن المُضَرِّب السعدي التميمي.

وقد ورد البيت في: «النوادر» لأبي زيد ٥٤، و«الكامل» للمبرد ٢/ ١٠٢، و«الطبري» ٤/ ٦٨، و«القراءات» للأزهري ١/ ١٢٤، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٣، و«المحتسب» ٢/ ١٩٢، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٨٥، و«شرح المفصل» ١/ ٨٠، و«المقاصد النحوية» ٢/ ٤٥١، و«منهج السالك» ٢/ ٤٥، و«التصريح» ١/ ٢٧٢.

والشاعر يخاطب الحجاجَ لمَّا أراد بعثَه وقومَه بني تميم لقتال الخوارج وزعيمِهم قَطَرِي بن الفجاءة. ويعبر الشاعر عن رفضه لهذا الأمر.

والشاهد في البيت قوله: (لا إخالُك)، أي: فلست إخالُك) -برفعها-.

(٣) في (ب): وإنما. والمثبت من (ج). وهو الصواب.

(٤) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٦٤-٦٥، و«المقتضب» ٢/ ٧١، و«المغني» لابن هشام: ٨٠، ١٣٣، ٢١٨، ٣١١، ٨٣٢. وذكر ابن هشام أن المبرّدَ منع حذف الفاء حتى في الشعر. انظر: «المغني» ٢١٩. إلا أن الظاهر من كلام المبرّد في كتابه «المقتضب»: ٢/ ٧٢ خلاف ما ذكره ابن هشام. وانظر تعليق محقق «المقتضب» في هامش ٢/ ٧٢-٧٣.

وأجاز الأخفشُ حذفَ الفاء في جواب الشرط في القرآن. انظر: «معاني القرآن» له ١/ ١٥٨ عند تفسيره لآية (١٨٠) من سورة البقرة ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾. ورُدّ بأن ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ نائب فاعل لـ﴿كُتِبَ﴾، وجواب الشرط محذوف، وهو (فَلْيُوصِ). انظر: «المغني» ١٣٣، ٢١٩.

(٥) في (ج): (لا يحمل).

(٦) في (ب): (الشاعر).

الراء في ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ وجهٌ حسن.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي: عالم به؛ على معنى: أنه باقتداره عليه، وعلمه به[١]، قد[٢] حَصَرَه مِن[٣] جميع جهاته، كما حَصَرَه[٤] المحيطُ به. هذا معناه وحقيقته؛ لأن المحيط بالشيء، هو المحيط به من حواليه، وهذا من صفة الإحكام[٥]][٦].

١٢١- قوله تعالى[٧]: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[٨] الآية.

مضى[٩] الكلام [في (إذ) في مواضع،[١٠] والعامل فيه - ههنا - محذوف، وهو: اذكر. وحُذِفَ؛ لأن الحال تدل على أن[١١]][١٢] المعنى تذكير لتلك الحال.

قال ابن عباس[١٣]، وقتادة[١٤]، والربيع[١٥]، والسدي[١٦]، وأكثر

(١) أنه باقتداره عليه وعلمه به: مطموس في (أ). وساقط من (ب). ومثبت من (ج).
(٢) في (ج): (ود). والمثت من (ب).
(٣) في (ج): (في). والمثبت من (ب).
(٤) في (ج): (يحصره)، والمثبت من (ب).
(٥) في (ج): (الأجسام)، والمثبت من (ب).
(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).
(٧) (قوله تعالى): ساقط من (ج).
(٨) ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾: ليس في (ب).
(٩) (مضى): مطموسة في (ج).
(١٠) منها: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٥].
(١١) ليست في (أ)، (ج). ومثبتة من (ب).
(١٢) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ)، ومثبت من (ب)، (ج).
(١٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤٨، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٠.
(١٤) انظر المصادر السابقة.
(١٥) انظر المصادر السابقة.
(١٦) انظر المصادر السابقة.

المفسرين[١]: هذا كان يوم أُحُد، غدا رسول الله ﷺ من منزل عائشة إلى أُحُد[٢]، فجعل يصف أصحابَه للقتال.

قال ابن عباس[٣]: ﴿مِنۡ أَهۡلِكَ﴾؛ يريد: مِن[٤] منزل عائشة[٥].

وقوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقال: (بَوَّأْتُه مَنْزِلًا)، و(بَوَّأْتُ له منزلًا)؛ أي: أنزلته إيَّاهُ[٦].

قال ابن هَرْمَة[٧]:

وبُـوِّئَـتْ فـي صَـمـيـمِ مَـعْـشَـرِهـا فَـتَـمَّ فـي قـومِـهـا مُـبَـوَّؤُهـا[٨]

---

(١) ممن قال بذلك: ابن مسعود ﷺ، ومجاهد، والكلبي، والزهري، وابن إسحاق، والطبري. انظر: المراجع السابقة، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٥٨، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٥، و«زاد المسير» ١/ ٨٨٤. و«الدر المنثور» ٢/ ١٢٠ وما بعدها.

(٢) المصادر التي أشرت إليها، وقد ذكرت أقوال من سبق ذكره، ولكن لم تذكر أنه ﷺ خرج من منزل عائشة رضي الله عنها.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) (من): ساقطة من (ج).

(٥) وممن ذكر أن المنزل الذي خرج منه ﷺ هو منزل عائشة: أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٩٥، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٠٧أ، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٩٦، وقد نسباه لمجاهد والكلبي والواقدي، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٤٩، وابن الديبع في «حدائق الأنوار» ٥٢١.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٢، و«الصحاح» ١/ ٣٧ (بوأ)، و«اللسان» ١/ ٣٨٢.

(٧) هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن سَلَمَة بن عامر بن هَرْمَة القرشي، من الخُلْج، وهم من قيس بن الحارث بن فِهر. سكن المدينة، وهو من آخر الشعراء الذين يُحتَجُّ بشعرهم، قال الأصمعي: (خُتِم الشعرُ بابن هَرْمة)، عاصر الدولة الأموية والعباسية، مات بعد سنة (١٥٠هـ) تقريبا. انظر: «طبقات الشعراء» لابن المعتز ٢٠، و«تاريخ بغداد» ٦/ ١٢٧، و«خزانة الأدب» ١/ ٤٢٤.

(٨) البيت ورد منسوبًا له في: «مقاييس اللغة» ١/ ٣١٢ (بوأ)، وورد غير منسوب في: «اللسان» ١/ ٣٨٢ (بوأ).

وفي قراءة عبد الله: (تُبَوِّئُ للمؤمنين)[(١)]. و(المَبَاءَة)[(٢)]، و(البَاءَة)[(٣)]: المنزل[(٤)].

قال أبو علي[(٥)]: (بَوَّأْتُ فُلانًا[(٦)] منزلًا)، تُعدِّيْهِ إلى مفعولين، وكأنه منقول من قولك: (باءَ فلانٌ منزِلَهُ)؛ أي: لَزِمَه. وإن كنّا لا نرى ذلك؛ ولكن يدل على ذلك قولهم: (المَبَاءَة)[(٧)] - وهي: المُرَاحُ[(٨)] الذي تبيت فيه النَّعَم[(٩)]-: [اسمٌ][(١٠)] للمكان[(١١)].

(١) انظر: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٣٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٦٢.
(٢) في (ج): (والمباه).
(٣) في (ج): (والمباه).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة»: ١/ ٢٤٦ (بوأ).
(٥) لم أقف على مصدر قوله.
(٦) في (ب): (الفلان).
(٧) في (ج): (المباه).
(٨) تضبط (المُراح) بضم الميم، إذا كانت من (أراح) الرباعي، وهو: حيث تأوي الماشية بالليل. أما (المَراح) بفتح الميم، إذا كانت من (راح) الثلاثي. وقد ضبطت بالضم في: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٢، و«التهذيب» ٢/ ١٣٠٩ (راح)، و«القاموس»: ٢٧٢ (روح)، و«اللسان» ٣/ ١٧٦٩ (روح)، و«المصباح المنير» ٩٣ (روح).
(٩) في (ج): (الغنم).
(١٠) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
(١١) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٤٦ (بوأ)، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣١٢ (بوأ)، و«المصباح المنير» ٩٣ (روح).
ولم أعثر في كتب اللغة - التي رجعت إليها - على: (باء فلان منزله) بمعنى: لزمه، وإنما تأتي (باء) بمعنى الرجوع، واللزوم، والإقرار إذا عُدِّيت بالباء أو بـ(إلى) ومنه: (باء بإثمه، يَبُوء بَوْءا) و(أبوء بذنبي)؛ أي: ألتزم وأرجع وأقر. و(باء بالشيء): رجع. ويقا- كذلك: باء فلانٌ لفلان، بَوْءا، وبَوَاءً): إذا كان مكافئًا له، يقتل به. =

وقوله تعالى: ﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾ أي[1]: مواطن. قال ابن عباس[2]: كل رجل لِمَقعَدِه الذي يصلح له.

وقد بيّنّا أن معنى القُعُود - في أصل اللغة -: الثُّبُوت، على أي حال كانت، عند قوله: ﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

فمعنى ﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ﴾: مراكز[3]، ومَثَابِتَ، لا مَجَالِس[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيـمٌ﴾. قال ابن عباس[5]: يريد: سميعٌ لقولكم، عليمٌ بما في قلوبكم؛ وذلك أن رسول الله ﷺ استشار أصحابه في ذلك الحرب[6]، فمنهم من أشار عليه بأن يقيم في المدينة، ومنهم من أشار عليه بالخروج إليهم، فقال الله - تعالى -: أنا ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقوله المُشيرون عليك[7]، ﴿عَلِيمٌ﴾[8] بما يُضْمِرُون.

= أما (المَباءة) فهي من: (أبَأتُ الإبلَ مَباءَةً): أنخت بعضها إلى بعض. فيتعدى الفعل هنا بالهمزة. انظر: (بوأ) في: «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٩٤، و«الصحاح» ١/ ٣٧، و«اللسان» ١/ ٣٨٢.

(١) من قوله: (أي..) إلى (.. مقاعد للقتال): ساقط من (ج).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) في (ج): (مراكب).

(٤) قال ابن دريد: والمقاعد: موضع القعود في الحرب وغيرها. «الجمهرة» ٢/ ٦٦١ (قعد).

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) هكذا جاءت (ذلك الحرب) على التذكير. والمعروف أن الحرب مؤنثة، لكن حكى ابن الأعرابي والمبرد فيها التذكير، ولكنها نادرة، وقد تُذكَّر إذا ضُمِّنت معنى القتال. انظر: (حرب) في: «الصحاح» ١/ ١٠٨، و«اللسان» ٢/ ٨١٥.

(٧) في (ج): (عليكم).

(٨) (عليم): ساقطة من (ج).

١٢٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ قال الزّجاج[١]: العامل في (إذ)[٢]: التَّبْوِئَة؛ المعنى: كانت التَّبْوِئَةُ في ذلك الوقت. و﴿هَمَّت﴾؛ أي: قَصَدَت وأرادت. يقال: (هَمَمْتَ بالشيء)، (أَهَمُّ به هَمًّا)[٣]. والطائفتان - في قول ابن عباس وأكثر المفسرين-[٤]: بَنُو سَلِمَة[٥] مِن الخزرج، وبنو حَارِثَة من الأنصار[٦].

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٥. نقله عنه بنصه.

(٢) في (ب): (إذا).

(٣) انظر: «اللسان»: ٨/ ٤٧٠٢ (همم).

(٤) قول ابن عباس في: «تفسير الطبري»: ٤/ ٧٢، و«تفسير ابن أبي حاتم»: ٣/ ٧٤٩.
وهو قول جابر بن عبد الله ﷺ، ومجاهد، وقتادة، والربيع، والسدي، والشعبي.
انظر: «صحيح البخاري»: (٤٠٥١)، كتاب: المغازي، باب: (إذ همت طائفتان...)، (٤٥٥٨) كتاب التفسير. سورة آل عمران. باب: (إذ همت طائفتان ..)، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤٩.

(٥) في (ب): (بنو أسلمة). و(سَلِمة) - بفتح السين وكسر اللام -، وترد في بعض المراجع بفتح اللام، وهو خطأ.
قال الأستاذ محمود شاكر: (بنو سَلِمة - بفتح السين وكسر اللام - وليس في العرب (سَلِمة) - بكسر اللام - غيرها، وسائرها بفتح اللام. وهم: بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج). هامش «تفسير الطبري» ٧/ ١٦١. (ط. شاكر).
ويذكر ابن الأثير أن النسبة إلى سَلِمة بن سعد المذكور سابقًا: (السَّلَمي) عند النحويين، وينطقونها بفتح اللام، وأما المُحدِّثون فينطقونها (السَّلِمي) بكسر اللام.
انظر: اللباب في «تهذيب الأنساب» ٢/ ١٢٩.
وقد ورد ضبطها بالكسر في: «المغازي» للواقدي ١/ ٣١٩، و«المعارف» لابن قتيبة ١٠٩، ١٥٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٣٥٤، ٣٥٦، و«الاشتقاق»، لابن دريد ٥٦٦، و«عيون الأثر» ٢/ ٩، و«فتح الباري» ٧/ ٣٥٧.

(٦) هم بنو حارثة بن النَّبت، أو النبيت، من الأوس. انظر: «سيرة ابن هشام»: ٣/ ٥٨، و«المعارف» ١١٠، ١٥٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٢، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٩، و«التعريف والإعلام» للسهيلي ٧٧.

وكان سبب ذلك أن[١] عبد الله بن أُبَيِّ انْخَزَلَ[٢]، فرجع عن الطريق في ثلاثمائةٍ، وهمت الطائفتان بالانصراف معه، فعصمهم الله، فلم ينصرفوا ومضوا مع رسول الله ﷺ[٣].

والفَشَل: الجُبْنُ، والخَوَرُ[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ قال ابن عباس[٥]: يريد: ناصِرُهما، ومُوَالٍ لهما على مَنْ عاداهما[٦].

---

(١) أن: ساقطة من (ج).

(٢) انخزل؛ أي: انفرد وانقطع. و(الخَزْلُ، والاختزال، والانخزال): القطع والتقطع. انظر: «المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» ١/ ٥٧٤، و«النهاية في غريب الحديث»: ٢/ ٢٩ (خزل).

(٣) وبقي من المجاهدين مع رسول الله ﷺ سبعمائة -ﷺ أجمعين- بعد رجوع ابنِ أُبَي ومن معه من الثلاثمائة، وكان عدد المشركين: ثلاثة آلاف.
انظر خبر هذه الغزوة في «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣ وما بعدها، «طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٩٩ وما بعدها، و«المنتظم» لابن الجوزي ٣/ ١٦١، و«الكامل في التاريخ» ٢/ ١٠٣، و«عيون الأثر» ٢/ ٥، و«البداية والنهاية» ٣/ ١٠، و«حدائق الأنوار» لابن الديبع: ٢/ ٥١٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٤، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦٥، و«تفسير المشكل من غريب القرآن» لمكي ٥١، و«تذكرة الأريب» لابن الجوزي ١/ ٩٨، و«تحفة الأريب» لأبي حيان ٢٤٧.
قال ابن عباس: ﴿أن تفشلا﴾ يعني: أن تَجْبُنا، بلغة حِمْيَر). «اللغات في القرآن»: ٢٠.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) وقد فسرها ابن إسحاق بقوله: (المدافع عنهما ما همَّتا به من فشلهما؛ وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما، غير شك في دينهما، فتَوَلَّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته، حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما، ولحقتا بالنبي ﷺ). «سيرة ابن هشام»: ٣/ ٥٨. وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ التَّوكُّل: تَفَعُّل، مِن: (وَكَلَ أَمْرَهُ إلى فلان): إذا اعتمد في كفايته عليه، ولم يَتَوَلَّهُ بنفسه[١]. وفي الآية إشارة إلى أنَّه ينبغي أن يستدفع[٢] الإنسان ما يعرض له مِن حَرْفٍ[٣] ومكروهٍ بالتوكل على الله، وأن[٤] يَصْرِفَ الجَزَعَ[٥] عن نفسه بالتوكل.

١٢٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾. الآية[٦].

النَّصْرُ: حُسْنُ المَعُونة[٧]. وبَدْرٌ: بِئْرٌ[٨] لرجل [يقال][٩] له: بَدْر[١٠]،

---

(١) (والتوكل: إظهار العجز، والاعتماد على الغير، والاسم: التُّكلان). «القاموس»: (١٠٦٩) (وكل). وانظر: «مقاييس اللغة»: ٦/ ١٣٦ (وكل).

(٢) في (ب): (يدفع).

(٣) في (ج): (حرب). وما في نسخة (ج) له وجاهته، ومناسبته التامة هنا؛ لأن المقام هنا مقام حديث عن الحرب، إلا أن ما أثبته وهو في نسخة الأصل (أ)، (ب)، له وجهه كذلك؛ لأن (الحرف) من (حَرَفَ الشيء، يحرف حَرْفا)، و(انحرف، وتَحرَّف): عَدَلَ. ومال عن الشيء، و(حَرَف الشيءَ عن وجهه): صرفه. فيكون معناها في هذا الموضع هو الصرف والميل والعدول عن الأمر السوي. وهو ما كان من أمر الطائفتين اللتين همَّتا بالميل والانصراف عن القتال مع النبي ﷺ، مما يستدعي أن يدفع الإنسان هذا الوهم الشيطاني عن نفسه بالتوكل.
انظر: (حرف) في: «اللسان» ٢/ ٨٣٩، و«القاموس» (٧٩٩).

(٤) في (ج): (أن).

(٥) في (ب): (الجذع). الجَزَع: نقيض الصبر. وهو أبلغ الحزن، الذي يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه. يقال: (جَزع جَزَعًا، وجُزُوعا). انظر: (جزع) في: «مفردات ألفاظ القرآن» ١٩٤، و«القاموس» (٧٠٩).

(٦) (الآية): ساقطة من (ب).

(٧) انظر: (نصر) في: «المجمل» ٨٧٠، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٨٠٨.

(٨) (بئر): ساقطة من (ب)، (ج).

(٩) ما بين المعقوفين: غير واضح في (أ). وفي (ب): اسمه - بدلًا من: (يقال له) -. وأثبَتُّه من (ج). وهكذا جاءت العبارة في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٨ - ب. ويبدو أن المؤلف نقلها عنه.

(١٠) في (ب): وبدر كان رجل اسمه بدر.

سُمِّيَت باسم صاحبها، في قول الشعبي[(١)].

يدل على هذا قولُ حَسَّان[(٢)]:

وبِبِئْرِ إذْ يَرُدُّ وجوهَهُم جبريلُ تحت لِوائِنا ومُحَمَّدُ[(٣)]

وقال الواقِدِيُّ[(٤)] -عن شيوخه -[(٥)]: (بدر)[(٦)]، هو اسمٌ لِمَوضِعٍ[(٧)].

(١) بيَّن الشعبي أن هذا الرجل من جهينة. انظر قوله في: «مصنف ابن أبي شيبة» ٧/ ٣٥٣ رقم (٣٦٦٤٦)، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٢٧، و«المعارف» ١٥٢، «تفسير الطبري» ٤/ ٧٤-٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٨ب، و«معجم ما استعجم» ١/ ٢٣١، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٢٣ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
وذكر ابن قتيبة والسهيلي أن بدرًا - هذا - رجل من غفار، من بطن يقال لهم: بنو النار. وقيل: إن بدرا - هذا - هو ابن قريش بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة. انظر: «المعارف»: ١٥٢، و«التعريف والإعلام»، للسهيلي ٧٧-٧٨.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) البيت لكعب بن مالك الأنصاري، وليس لحسّان، ولم أقف عليه في ديوانه، ولم أجد من نسبه له. رضي الله عنهما.
وهو في: «ديوان كعب» ١٩١، وورد منسوبًا له في: «العمدة» لابن رشيق ٧٩٩، و«معجم ما استعجم» ٢٣٢.
وفي المعجم: (.. نَرُدُّ ..) بدلًا من: (.. يَرُدُّ ..).
والبيت من قصيدة يرثي فيها حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم النبي ﷺ.
والضمير في (وجوههم) يعود على المشركين الذين قُتِلوا وغُيِّبوا في قليب بدر بعد المعركة.

(٤) لم أهتد إلى قوله هذا في كتابه «المغازي»، وقد ورد في: «الطبقات الكبرى» ٢/ ٢٧، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٨ب، و«معجم ما استعجم» ١/ ٢٣١.
والواقدي، هو: محمد بن عمر بن واقد السَّهْمي، تقدمت ترجمته.

(٥) عن شيوخه: ساقطة من (ب).

(٦) بدر: زيادة من (ب).

(٧) وفي هذا الخبر عنه، أن الواقدي ذكر قول شيوخه - هذا - ليحيى بن النعمان=

وقيل: هو ماءٌ[١] لبني غِفَار[٢]، بين مكة والمدينة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ في موضع الحالِ، وإنّما كانوا أذلةً؛ لقلة العَدَدِ، وضعف الحال[٤]؛ لقلة[٥] السلاح والمال عن مقاومة العدو[٦].

= الغفاري، فقال: (سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون: هو ماؤنا ومنزلنا، وما مكه أحدٌ قطُّ يقال له بدر، وما هو من بلاد جهينة، إنما هو من بلاد غفار. قال الواقدي: وهو المعروف عندنا) «معجم ما استعجم» ١/ ٢٣١.

(١) (ماء): ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (لبني عفان).

(٣) ورد عن الربيع، والضحاك، وقتادة أنه ماء بين مكة والمدينة. وليس فيه أن هذا الماء لبني غفار. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٧ب، و«معجم ما استعجم» ١/ ٣٠٧، و«الدر المنثور» ٢/ ١٢٣.

(٤) وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والحسن، والربيع، وابن إسحاق.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥١.

(٥) في (ب): ولقلة.

(٦) بلغ عدد المسلمين في هذه المعركة: ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وهذا قول عامة السلف، كما يقول الطبري في تاريخه: ٢/ ٤٣٢. على اختلاف الأقوال في العدد بعد الثلاثمائة: فقيل: (٣٠٥)، وقيل: (٣٠٧)، وقيل: (٣١٣)، وقيل: (٣١٤)، وقيل: (٣١٨)، وقيل: (٣١٩). ومعهم: فرسان، وستون درعًا، وسبعون بعيرا. أما المشركون: فقيل: عددهم: تسعمائة وخمسون رجلًا، وقيل: ألف رجل. ومعهم: ستمائة درع، ومائتا فرس، وقيل: مائة، وقيل: ثمانون، وقيل: ستون. انظر: «صحيح البخاري»: كتاب: المغازي. باب: عدة أصحاب بدر، و«صحيح مسلم»: كتاب: الجهاد والسير، باب: الامداد بالملائكة في غزوة بدر، و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٢١-٢٢، و«سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٥٤، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٢٣، ٤٣١-٤٣٢، و«المنتظم» ٣/ ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، و«البداية والنهاية»: ٣/ ٢٥٩،=

ومعنى الذلِّ: الضَّعْف عن المقاومة. ونقيضه: العِزُّ، وهو: القوة والغَلَبَة[(١)].

و﴿أَذِلَّةٌ﴾[(٢)]: جمع ذليل. والأصل في (فَعِيل) إذا كان صفةً، أن يجمع على (فُعَلاَء، نحو: (ظَرِيف وظُرَفَاء)، و(شَرِيك وشُرَكَاء)، ولكن لفظ[(٣)] (فُعَلاَء). [اجتُنِبَ][(٤)] في التضعيف؛ لأنه [لو قيل: (خُلَلاَء)[(٥)]، و(قُلَلاَء)، في جمع: خَلِيل[(٦)] وقَلِيل، لاجتمع حرفان من جنسٍ واحد، فَعُدِل به][(٧)] إلى (أفْعِلَة)؛ لأن (أفْعِلَة) مِن جمْع الأسماء في (فَعِيل)[(٨)]، [نحو: جَرِيب][(٩)] وأَجْرِبَة)[(١٠)]، و(قَفِيز[(١١)] وأَقْفِزَة)[(١٢)].

= ٢٦٠، و«حدائق الأنوار» ٢/٤٩٨، ٤٩٩، و«عيون الأثر» ١/٣٨١، ٣٨٣، وانظر: تفسير المصنف لقوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ من آية ١٣ سورة آل عمران.

(١) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (٣٣٠) (ذلل)، «اللسان» ٥/٢٩٢٥ (عزز) ٣/١٥١٣ (ذلل)، «القاموس» ٥١٧ (عزز).

(٢) من قوله: (وأذلة ..) إلى (.. وأقفزة): نقله بتصرف يسير من «معاني القرآن»، للزجاج ١/٤٦٦، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/٤٠٥.

(٣) (لفظ): في (أ) غير واضحة. وفي (ب): (لفظت)، وليست في «معاني القرآن». والمثبت من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (خففت). وفي «معاني القرآن» (اجتنب). والمثبت من (ج).

(٥) في «معاني القرآن»: (جللاء).

(٦) في «معاني القرآن»: (جليل).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج) ومن «معاني القرآن».

(٨) في (ب): (فعل).

(٩) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). وفي (ب): (نحو جريت). والمثبت من (ج) و«معاني القرآن».

(١٠) في (ب): (أجريت).

(١١) في (ب): (وقفز).

(١٢) الجريب: من الأرض والطعام، مقدار معلوم الذراع والمساحة. وهو عشرة =

قال أبو إسحاق[(١)] في هذه الآية[(٢)]: أعلم الله - جَلَّ وعَزَّ - أنَّهم حين لَزِمُوا الطاعةَ، نصرهم اللهُ، وهم قليل، ويوم أُحُد نَزَلَ بهم ما نزل؛ بمخالفة أمرِ النبي ﷺ، فجعل ذلك عقوبة.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: اتقوا معاصي الله بالعمل بطاعته، أو اتَّقوا عقابَ اللهِ بالعمل بطاعته؛ لتقوموا بشكر نعمته. وهذا[(٣)] معنى قول محمد بن إسحاق بن يَسَار في هذه الآية[(٤)]: اتَّقُونِي فإنَّه شكر نعمتي[(٥)].

= أقفزة وقيل: قدر أربعة أقفزة. وقيل: يختلف باختلاف البلدان، كالاختلاف في الرطل والمد والذراع وغير ذلك. وقيل: ثلاثمائة وستون ذراعًا.

ويطلق - كذلك - على المزرعة، والوادي. وجمعه: أجربة وجُربان.

والقفيز: مكيال، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق - والمكّوك: مكيال يسع صاعًا ونصف، وقيل: غير ذلك.

وقيل: القفيز: مقدار مساحة من الأرض. وقيل: مكيال يتواضع الناس عليه. ويجمع على أقفزة، وقُفْزان - بكسر القاف وضمها -. انظر: «التاج»: ١/ ٣٦١ (جرب)، ٨/ ١٢٩ (قفز)، و«القاموس»: ص٩٥٤ (مكك).

(١) في «معاني القرآن»، له: ١/ ٤٦٦. نقله عنه باختصار قليل وتصرف.

(٢) (في هذه الآية): ساقط من (ج).

(٣) في (ج): (هذا) بدون واو.

(٤) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٥٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥١.

(٥) في (ب): (لنعمتي).

١٢٤- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. قال الشَّعْبيُّ[(١)]: حُدِّثَ المسلمون أن كُرْز بن جابر المُحَارِبي[(٢)] يريد أن يُمِدَّ[(٣)] المشركين، فَشَقَّ ذلك عليهم، فقيل لهم: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾.

ومعنى الكِفَايَةِ، هو: سَدُّ الخَلَّةِ[(٤)]، والقيام بالأمر، يقال: (كفاهُ أمْرَ كذا): إذا قامَ[(٥)] بِهِ دونه، وسَدَّ خَلَّتَهُ[(٦)].

ومعنى الإمْدَاد: إعطاء الشيء حالًا بعد حال[(٧)].

قال المُفَضَّلُ[(٨)]: ما كان على جهة القوة والإعانة، قيل فيه: (أَمَدَّهُ،

---

(١) قوله في: «مصنف ابن أبي شيبة» رقم (٣٦٦٥٩) كتاب: المغازي. غزوة بدر الكبرى، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٢، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٠ب، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٣٢، و«الدر المنثور» ٢/ ١٢٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) هو كرز بن جابر بن حُسيل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فِهْر القُرَشي الفهري. كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم، وهو الذي أغار على سَرْح المدينة مرَّةً، وفات النبي ﷺ، ولم يدركه، وهي المسماة: (غزوة بدر الأولى)، ثم أسلم وحسن إسلامه، ولاه رسول الله ﷺ الجيش الذي بعثهم في أثر العرنيين الذين قتلوا راعيه، واستشهد يوم في فتح مكة سنة (٨هـ).
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ٤٦٨، و«الإصابة» ٣/ ٢٩٠.

(٣) في (ب): (أن هذا). بدلًا من (أن يمد).

(٤) الخَلَّةُ - هنا -: الحاجة، والفقر. انظر: «القاموس» (٩٩٤) (خلل).

(٥) في (أ)، (ب): (أقام). والمثبت من (ج).

(٦) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٢١، و«اللسان» ١٥/ ٢٢٥ (كفي)، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/ ٣٦٨.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٦١ (مدد)، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢١.

(٨) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١١ب.

يُمِدُّهُ)[١]، وما كان على جهة الزيادة، قيل فيه: (مَدَّهُ، يَمُدُّهُ، مَدًّا)[٢]، ومنه قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾[٣].

١٢٥- قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ الآية. ﴿بَلَىٰٓ﴾: تصديق لوعد الله. ومضى الكلامُ فيه[٤] إذا وقع في ابتداء الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾[٥]. أي: على لقاء العدو.

---

(١) في (ب): (المد مده). وفي «تفسير الثعلبي»: أمدَّه يُمِدُّه إمدادًا.

(٢) في «تفسير الثعلبي»: (مدَّه يمده مدادًا).

ذكر الرَّاغبُ أن أكثر ما جاء (الإمداد) في المحبوب، و(المد) في المكروه.

فمن (الإمداد) قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢]، و﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: ١٢].

ومن (المد) قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، وقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩].

وقد نقل الطبري عن يونس الجرْمي ذلك، وبيَّن أن ما كان منها متعلقًا بالشر وبمعنى أنك تركته، فهو: (مددت)، وما كان في الخير، وبمعنى أنك أعطيته، فهو: (أمددت). ونقل عن بعض نحويي الكوفة - ولم يسم أحداً منهم -: أنَّ كل زيادة أحدثت في الشيء من نفسه، فهي: (مَدَدت)؛ كقولنا: (مدَّ النهر، ومدَّه نهرٌ آخر غيرُه) حيث يتصل به، فيصير منه.

وكل زيادة أحدثت في الشيء من غيره، فهي: (أمدَدْت)؛ كقولنا: (أمددت الجيش بمدد).

انظر: «تفسير الطبري» ١/ ١٣٥، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٧٦٣ (مدد)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١١ ب، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/ ٤٨٩.

(٣) سورة لقمان: ٢٧. وتمامها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(٤) في (ج): (في).

(٥) في (ج): ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾.

﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصية الله، ومخالفة النبي ﷺ[١].

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ قال ابنُ عبَّاس - في رواية العَوْفي -[٢]: مِن وجههم هذا. وهو قول: الحسن[٣]، وقتادة[٤]، والربيع[٥]، والسُّدِّي[٦]، وابن زيد[٧].

وقال[٨] في رواية باذان: من غَضَبِهم هذا[٩]. وهو قول: مجاهد[١٠]، والضَّحَّاك[١١].

وأصل الفَوْرِ: غَلَيانُ القِدْرِ. يقال: (فارت القِدْرُ، تَفُورُ فَوْرًا)، وهو

(١) انظر: «بحر العلوم»: ١/ ٢٩٦، و«تفسير ابن أبي حاتم»: ٣/ ٧٥٣ ولفظه عندهما: (من سفرهم هذا)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢أ، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٥١.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢أ، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٥١.

(٣) قوله في المصادر السابقة.

(٤) قوله في المصادر السابقة.

(٥) قوله في: «الطبري» ٤/ ٨٠، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٣، و«الثعلبي» ٣/ ١١٢ب.

(٦) قوله في المصادر السابقة.

(٧) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢ب.

(٨) أي: ابن عباس.

(٩) ورد هذا القول في «تفسير الطبري» ٤/ ٨٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢أ، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢١، ولكن هذه المصادر نسبت هذا القول لأبي صالح باذان، وليس في الأثر أنه رفعه لابن عباس.

(١٠) قوله، في «تفسيره» ١٣٥، و«تفسير الطبري» ٤/ ٨١، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٣، و«الثعلبي» ٣/ ١١٢أ، و«البغوي» ٢/ ١٠٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٥١.

(١١) قوله في المصادر السابقة، عدا الأول.

غليانها عند شدة الحَمْي[١]. ومنه: فَوْرُ الغَضَبِ؛ لأنه كَفَوْرِ القِدْرِ بالحَمْي. ومنه، يقال: (جاء على الفَوْر)؛ أي: على ابتداء الحَمْي، قبل أن تَبْرُدَ نَفْسُه عنه[٢].

وقوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِين﴾ مَنْ فَتَحَ الواو[٣]، معناه: مُعْلَمِين، قد سُوِّمُوا، فهم مُسَوَّمِين.

والسُّوْمَةُ: العَلاَمَةُ يُفْرَقُ بها الشيءُ مِن غَيْرِه. ومضى شيءٌ من هذا في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾[٤].

وهذه[٥] العَلامَةُ يُعْلِمُها الفارسُ يوم اللقاء؛ ليُعْرَفَ بها.

قال عنترة[٦]:

فَتَعَرَّفُونِي إنَّنِي أنا ذلكُم ... شاكٍ سِلاحي في الحوادِثِ مُعْلَمُ[٧]

---

(١) انظر: (فور) في: «مقاييس اللغة» ٤/٤٥٨، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٦٤٧.

(٢) انظر: المصادر السابقة، و«تفسير الطبري» ٤/٨١، و«تفسير الثعلبي» ٣/١١٢أ.

(٣) هي قراءة: نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿مُسَوَّمِين﴾.
انظر: «السبعة»: ٢١٦، و«حجة القراءات»: ١٧٣.

(٤) [سورة آل عمران: ١٤]. وانظر: «تهذيب اللغة»: ٢/١٦٠١ (سوم).

(٥) من قوله: (هذه) إلى نهاية بيت الشعر الآتي: نقله بنصه عن «الحجة» للفارسي ٣/٧٦. غير أنه ليس في «الحجة»: (قال عنترة) وإنما: (قال) فقط دون نسبة لقائل.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) البيت: ليس لعنترة، وإنما هو لطريف بن تميم العنبري.
وقد ورد منسوبًا له في: «كتاب سيبويه» ٣/٤٦٦، ٤/٣٧٨، و«الأصمعيات» ١٢٨، و«البيان والتبيين» ٣/٩٣، و«الاختيارين» ١٨٩، و«العقد الفريد» ٣/٢٠٨، و«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» ٣/٤٠٨، و«شرح أدب الكاتب»، للجواليقي ٢٨٤، و«الكامل» لابن الأثير ١/٣٦٧، و«معاهد التنصيص» ١/٢٠٤، و«شرح شواهد شرح الشافية» (مطبوع مع شرح الشافية) ٤/٣٦٨. =

ومَن كَسَرَ الواو[1]، نَسَبَ الفِعْلَ إليهم؛ لِمَا جاء في الخبر: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «سَوِّمُوا، فإن الملائكة قد سَوَّمَتْ»[2].

= كما ورد غير منسوب في: «المقتضب» ١/ ١١٦، و«المنصف» ٢/ ٥٣، ٣/ ٦٦، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٧٧.
وقد روي البيت في بعض المصادر بـ(فتوسَّموني) بدلًا من: (فتعرفوني)، و(ذاكم) بدلًا من (ذلكم) وفي بعضها: (شاكي السلاح)، وفي «الكامل»، لابن الأثير: (لا تنكروني إنني داء لكم ..). وقبل هذا البيت:

أَوَ كلما وردت عكاظ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفهم يَتَوَسَّمُ

لقد كان من عادة الفرسان في الجاهلية - نظرا لما عليهم من ثارات كثيرة - أنهم إذا ما وردوا عكاظ في الموسم، يتقنعون لئلا يُعرَفوا، فيُقصدوا في الحروب؛ لأخذِ الثأرِ منهم، إلا الشاعر، فإنه لشجاعته يلقي القناع عن وجهه على خلاف العادة، فكان بعضُ من لهم ثأر عنده يمر به ويتفرس في وجهه، فخاطبهم الشاعرُ بقوله: تعرفوا عليَّ جيدًا، وتفرسوا فيَّ، فإنني لا أخشاكم، ولا أهابكم.
وقوله: (شاك سلاحي)؛ أي: لسلاحي شوكة وله حد. وأصله: (شائك)، فقُلِب إلى: شاكٍ. وقيل: أصله: (شاككٌ) من: الشكَّة، وهي: السلاح. وقيل غير ذلك. وينطق (شاكِ) - في البيت - بالضم، أو بالكسر، مع التنوين. وقوله: (مُعْلَم)؛ أي: يُعلِم نفسه بعلامةٍ في الحرب؛ ليُعرَف بها. انظر: «الاقتضاب»: ٣/ ٤٠٩.

(١) هي قراءة: ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، ﴿مسَوِّمين﴾.
انظر: «السبعة» ٢١٦، و«حجة القراءات» ١٧٣.

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي شيبة في: «المصنف» ٧/ ٣٥٥ رقم (٣٦٦٥٧) وأبو عمرو الدوري في «جزء فيه قراءات النبي ﷺ» ٨٠، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٨٢ .
وأوردته الكتب التالية، غير مسند: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ٩٩، ١٠٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٢، و«الدر المنثور» ٢/ ١٢٥.
والحديث مرسل؛ لأنه من رواية عمير بن إسحاق، قال: (.. قال رسول الله ﷺ) وذكره . =

قال ابن عباس: كانت الملائكة قد سَوَّمت يوم بدر بالصُّوف الأبيض في نواصي الخيل، وأذنابها[(١)].

وقال الربيعُ[(٢)]، وهشامُ بن عُرْوة[(٣)]: كانت عليهم عمائم صُفْرٌ،

= قال الشيخ أحمد شاكر: (وعمير بن إسحاق، أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، كان قليل الحديث. قال أبو حاتم: لا نعلم روى عنه غير ابن عون. قال ابن معين: ثقة. وقال - ايضًا -: لا يساوي حديثه شيئًا، ولكن يكتب حديثه) ثم تابع الشيخ شاكر قائلًا: (فهذا الحديث مرسل - كما ترى -، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به). هامش «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٦. (ط. شاكر). وانظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٢١٦.

وأخرج الواقدي في «المغازي»: ١/ ٧٥-٧٦ عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الملائكة قد سَوَّمت فسَوِّموا، فأعْلَموا بالصوف في مغافرهم وقلانسهم»**.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٢/ ١٦ ولم يسنده، وأورده المتقي الهندي في: «كنز العمال»: ١٠/ ٤٠٣ رقم (٢٩٩٦٤) وزاد نسبة إخراجه لابن النجار.

ومحمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي، أبو نعيم المدني. قال عنه ابن حجر: (صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة، مات سنة ٩٦، وقيل: ٩٧، وله تسع وتسعون سنة). «تقريب التهذيب»: ٥٢٢ (٦٥١٧).

(١) في (ب): (وأذناها). وفي (ج): (وأذانها).

ولم أقف على قول ابن عباس بهذا اللفظ، وإنما الذي ورد عنه، قوله: (فإنهم [أي: الملائكة] أتوا محمدًا النبي ﷺ مسومين بالصوف، فسوَّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف).

أخرجه الطبري ٤/ ٨٣، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٥٤، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٢٢.

(٢) لم أقف على مصدر قوله هذا. والذي في «تفسير الطبري» ٤/ ٨٣ قوله: (كانوا يومئذ على خيل بُلْق) وكذا ورد في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢ ب.

(٣) قوله في: «مصنف ابن أبي شيبة» ٧/ ٣٦١ رقم (٣٦٦٩٢)، و«تفسير الطبري» ٤/ ٨٣، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٥، و«المستدرك» ٣/ ٣٦١، و«تفسير الثعلبي» =

وروي عن علي[١] وابن عباس[٢]: كانت عليهم عمائمُ بِيضٌ، قد أرسلوها بين أكتافهم.

قال المفسرون: فصبر المسلمون يوم بَدْرٍ، واتَّقوا اللهَ، فأَمَدَّهم[٣] الله

= ٣/ ١١٢ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٢، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠١، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٢، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٣٢، وقال: (رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير).

وهشام، هو: أبو المنذر، ابن عُرْوة بن الزبير بن العوام الأسدي. إمام ثقة حافظ حجة، مشهور بالورع والصلاح. توفي ببغداد سنة (١٤٥هـ) أو (١٤٦هـ).

انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٦٣، و«الميزان» ٥/ ٤٢٦، ٤٢٧، و«التهذيب» ٤/ ٢٧٥، و«شذرات الذهب» ١/ ٢١٨.

(١) قوله في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٧٤ ولفظه عنده: (العمائم تيجان العرب، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء، أرخوها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء).

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قوله: (كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض)، وفي رواية أخرى عنده: (كان سيما الملائكة أهل بدر الصوف الأبيض، وكان سيما الملائكة - أيضًا - في نواصي الخيل). «تفسيره» ٢/ ٥٢٥.

وورد في «مصنف ابن أبي شيبة» بنفس السند الذي عند ابن أبي حاتم، ولكن لفظه: (كان سيما أصحاب رسول الله ﷺ ..) وذكره.

وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٢ ب، بنفس لفظ المؤلف، حيث قال: (وقال علي ابن أبي طالب وابن عباس ..) وذكره، وكذا أورده البغوي في «تفسيره»: ٢/ ١٠١، وأورده المتقي الهندي في «كنز العمال» ٢/ ٣٧٨ رقم (٤٢٩٩) بنفس لفظ ابن أبي حاتم، وزاد نسبته لابن المنذر.

(٢) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٧٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٢ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠١، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٣٢، وورد في «الدر المنثور» ٢/ ١٢٥، وزاد نسبة إخراجه للطبراني.

(٣) في (ب): (فأيديهم).

بخمسة آلافٍ من ملائكته[١] على ما [وَعَدَهم][٢]. قال الحسن[٣]: فهؤلاء الخمسة آلاف رِدْءٌ[٤] للمؤمنين إلى يوم القيامة.

وقال ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وفيما سوى ذلك، يشهدون القتال ولا يُقاتِلُون.

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ الكناية[٧] تعود على المَصْدَرِ؛ كأنه قال: وما جعل الله المَدَدَ والإمْدادَ إلّا بُشْرى. فَدَلَّ ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾ على الإمداد، فَكَنَى عنه[٨]، كما قال: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ معناه[٩]: وإن أكلَهُ لَفِسْقٌ. فَدَلَّ ﴿تَأْكُلُواْ﴾ على الأكل، فكنى عنه، والعرب تقول: (مَنْ صَدَقَ؛ كان خيرًا له، ومَن كَذَبَ؛ كان شرًا له). فدل الفعلان على المَصْدَرَيْنِ[١٠]. هذا كلام

---

(١) في (ج): الملائكة.

(٢) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (وهم). والمثبت من (ج).
وممن قال بهذا: ابن عباس، وقتادة، والربيع. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٧٧.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) الرِّدْءُ - هنا -: العَوْنُ. انظر: «القاموس المحيط» ٤١ (ردأ).

(٥) قوله في «المغازي» ١/ ٧٩، و«سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٧٤، «تفسير الطبري» ٤/ ٧٧، «النكت والعيون» ١/ ٤٢٢، و«ابن كثير» ١/ ٤٣٢، ونسب إخراجه إلى ابن مردويه.

(٦) قوله في «تفسيره» ١٣٥، و«تفسير الطبري» ٤/ ٧٨.

(٧) سبق بيان أن الكناية يُراد بها: الضمير.

(٨) وقيل: الضمير يعود على النصر، وقيل: يعود على التسويم، وقيل: على التنزيل، وقيل: على العدد، وقيل: على الوعد.
انظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٦٨، و«الدر المصون» ٣/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٩) (معناه وإن أكله لفسق): ساقط من (ج).

(١٠) وهما الصدق والكذب.

ابن الأنباري[١]. وكذلك قال الزجاج[٢]؛ أي: وما جَعَلَ اللهُ ذِكْرَ المَدَدِ إلّا بُشْرَى[٣].

والبُشْرى: اسم من (الإبشار)، و(التبشير)[٤].

ومضى الكلام في معنى التبشير[٥]، وسيأتي الكلام في (بُشْرى) في سورة يوسف إن شاء الله[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ فلا تجزع من كثرة العَدُوِّ[٧]، وقِلَّةِ عَدَدِكم. وإنما قال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾، ولم يقل: واطْمِئنانًا، كما قال ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأن ذِكْر المَدَدِ سببٌ لاطمئنان القلوب، ولم يكن نفس الاطمئنان، وكان ذكر المَدَدِ نفس البُشْرَى.

وقال صاحب النظم[٨]: هذا على تأويل: وما جعله الله إلّا لِيُبَشِّركم[٩]، ولِتَطمئنَّ به قلوبُكم.

ومن أجاز إقحام الواو -وهو مذهب الكوفيِّين[١٠]- جعلها مقحمةً في

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦٧.

(٣) ومن قال بهذا: أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٩٦، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٤٧١، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٥٤.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» ٧٤٤ (بشر).

(٥) انظر: «تفسير البسيط» عند تفسير ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ الآية: ٣٩.

(٦) وردت لفظة (بشرى) في سورة يوسف: ١٩ ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾.

(٧) في (ج): (العدد).

(٨) قد أورد قوله هذا بنصه السمينُ الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٣٨٩.

(٩) في (ب): (إلا بشرى لكم).

(١٠) سبق بيان مذهب الكوفيين والبصريين في موضوع زيادة الواو العاطفة. انظر: التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ [الآية ٥٠ من سورة آل عمران].

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ فيكون التقدير: وما جعله الله إلا بُشْرَى لكم؛ لِتَطمئنَّ قلوبكم به.

قال: وزعم بعضهم أنَّ الواو لإضمارٍ بعده، على تأويل: (ولتطمئن قلوبكم به، جَعَل ذلك). واحتج بقوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ﴾ [فصلت: ١٢]، على تأويل: (وحفظًا لها، جعَل ذلك). ومثله: قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، على[١] تأويل: ليقضي اللهُ أمرًا كان مفعولًا، فَعَلَ ذلك.

ونحو هذا قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[٢] [الأنعام: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال المفسرون: أرادَ الله تعالى: أنْ لا يَرْكَن المؤمنون إلى الملائكة، وأَعْلَمَ أنهم وإنْ[٣] حضروا وقاتلوا، فما النصر إلا من عند الله؛ ليستعينوا به [و][٤] يَتَوَكَّلوا عليه. والإمداد بالملائكة؛ بُشرَى لهم [وطُمَأْنينة][٥] لقلوبهم[٦]؛ لما في البَشَرِ من الضَّعْف، فأما حقيقة النصرِ والاستعلاءِ في الحرب، فهو من عند الله العزيز الحكيم[٧].

---

(١) من قوله: (على ..) إلى (.. مفعولًا): ساقط من (ج).

(٢) والتأويل هنا، على هذا الرأي: أي: وليكون من الموقنين أريناه. انظر: «الدر المصون» ٥/ ٧.

(٣) في (ج): (إن) بدون واو.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (بطمأنينة). والمثبت من (ج).

(٦) في (ب): (قلوبهم) بدون اللام.

(٧) انظر هذا المعنى في: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٤.

١٢٧- قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ اللّام تعود إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[(١)].

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾؛ أي: لِيُهلك طائفةً، ولِيَقْتُلَ قِطْعَةً. قال السُّدِّي[(٢)]: معناه: لِيَهدِمَ رُكْنًا مِن أركان الشرك، بالقتل والأَسْرِ، فقُتِلَ من قادتهم وسادتهم يومَ بَدْرٍ، سبعون، وأُسِرَ سبعون[(٣)].

وقال بعضهم[(٤)]: المعنى: وما النصر إلا من عند الله؛ ليقطع طرفًا[(٥)].

وقيل[(٦)]: إنَّ هذا راجعٌ إلى [معنى قوله][(٧)]: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٥، و«الثعلبي» ٣/ ١١٣أ، و«البغوي» ٢/ ١٠١.
وعزا السمين الحلبي هذا القول - كذلك - للحوفي. انظر: «الدر المصون» ٣/ ٣٩٠، واستبعده السمين؛ لطول الفصل بين اللام ومتعلقه.

(٢) قوله هذا - بنصه - في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٣أ، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠١.

(٣) الذي وقفت عليه من قول السدي: أن المَعني بالآية: مَن قُتِل من الكفار يوم أحد، وهم ثمانية عشر رجلًا. وقد ورد قوله هذا في: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٥، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٢، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٤.
وممن قال بأن المراد بها مَن قتل يوم بدر: قتادة، والربيع، والحسن، وابن إسحاق، والجمهور. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٥، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٤.
أما ما ذكره المؤلف من عدد قتلى وأسرى المشركين في معركة بدر، فانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٦٢، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٤٧٤.

(٤) لم أقف على القائل.

(٥) قال السمين: (وفيه نظر من حيث إنه قد فُصل بين المصدر ومُتَعَلَّقه بأجنبي، وهو: الخبر). «الدر المصون» ٣/ ٣٩٠.

(٦) ممن قال بهذا: أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٢٩٧.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه.
=

و﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾، ولكنه ذُكِر بغير حرفِ العطف؛ لأنَّ الكلامَ إذا كان بعضُه ملتبسًا ببعضٍ، جاز حذفُ العاطف؛ كقوله: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

وإنما قال: ﴿طَرَفًا﴾ ولم يقل: (وَسَطًا)؛ لأنه لا يُوصَلُ إلى الوَسَطِ إلا بعد قطع الطَّرَفِ، وهذا القَطْعُ إنما هو بأيدي المؤمنين، وإنما يقطعون الطَّرَفَ الذي يليهم مَنَ الكافرين، وهذا يوافق قوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وعلى هذا - أيضًا - قولُه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ الكَبْتُ - في اللغة -: صَرْعُ الشيء على وجهه؛ يُقال: (كَبَتَهُ، فانْكَبَتَ)(١). هذا تفسيره، ثم قد(٢) يُذكرُ(٣) المرادُ به: الإخْزَاءُ، والإهلاكُ، واللَّعْنُ، والهَزِيمَةُ، والغَيْظُ، والإذلالُ. وكلُّ هذا ذكره المفسرون في تفسير (الكَبْتِ)(٤).

= وهناك أقوال أخرى في عود اللام في ﴿لِيَقْطَعَ﴾. انظر: «تفسير ابن عطية» ٣/ ٣١٣، و«الدر المصون» ٣/ ٣٩٠.

(١) انظر: كتاب «العين» ٥/ ٣٤٢ (كبت)، و«مجاز القرآن» ١/ ١٠٣، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ١٥٢ (كبت).

(٢) (قد): ساقطة من (ب).

(٣) (يُذكَرُ): وردت في (أ)، (ج): (يذكرو). وفي (ب): (يذكروا). وما أثبتُّهُ هو ما استصوبته؛ لأن في (أ)، (ج) قد تكون الضمة التي على الواو كتبها الناسخ بحجم أكبر من حجمها الطبيعي، وتزحلقت قليلًا إلى ما بعد الرَّاء. أما الذي في نسخة (ب) فلا وجه له؛ لأن الفعل كُتِب فيها في حالة الجمع، وحذفت منه النون التي هي علامة رفعه، والصواب إثباتها؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٩٩، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٦١، و«غريب القرآن» لابن اليزيدي ٤٤، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١١٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ٨٦،=

وقوله تعالى: ﴿خَآئِبِينَ﴾ الخَيْبَةُ: حِرْمانُ البُغْيَة[١]، ولا تكون إلّا بعد الأَمَلِ. واليَأْسُ قد يكون قبل الأَمَلِ، وقد يكون بعده. فنقيض اليَأْسِ: الرَّجَاءُ، ونقيض الخَيْبَةِ: الظَّفَرُ.

وقد أنجز الله وَعْدَهُ يوم بَدْرٍ؛ بِقَطْع[٢] طَرَفٍ مِن الكفار بالقتال والأسر، وَرَدَّ الباقين منهزمين، خائبين مِمّا أَمَّلُوا مِن الظَّفَرِ، فتحقق نصرُه، وعَلَت كلمَتُهُ.

١٢٨- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية. ذَكَرَ النحويون - الفرّاء[٣]، والزّجاج[٤]، وغيرُهما[٥]- في هذه الآية قولين:

= و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦٧، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٦، و«نزهة القلوب» للسجستاني ٤٨٥، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٧، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٤.
قال ابن قتيبة: (لأن أهل النظر يَرَوْن أن التاء فيه منقلبة عن دال؛ كأن الأصل فيه: (يكبدُهُم)؛ أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيظ وشدة العداوة.ومنه يقال: (فلان قد أحرق الحزنُ كبِدَهُ). و(أحرقت العداوة كبده). والعرب تقول للعدو: (أسود الكبد)..) ثم أتبع قائلًا: (والتاء والدال متقاربتان المَخرَجَيْن. والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى). «تفسير غريب القرآن» ١١٠. وانظر (كبت) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٨، «اللسان» ٦/ ٣٨٠٥، «عمدة الحفاظ» ٤٧٧.

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٧ (خاب)، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٢، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٧ (خيب).

(٢) في (ج): (فقطع).

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٤.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٥، و«تفسير الطبري» ٤/ ٨٦، و«إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٥٨٣، و«القطع والائتناف» للنحاس ٢٣٣، و«معاني القرآن» له ١/ ٤٧٤. واستحسنه الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٥ب.

أحدهما: أنَّ قوله: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ عَطْفٌ عَلَى قوله: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾، ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾، ويكون قولُه: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه؛ كما تقول: (ضَرَبْتُ زيدًا - فاعْلَمْ ذلك - وعَمْرًا)[1]. فعلى هذا القول: هذه الآية متصلة بما قبلها.

القول الثاني: وهو أنَّ الموافق لِمَا ذُكِرَ في تفسير هذه الآية: أنَّ معنى (أو) - ههنا - معنى (حتَّى) و(إلّا أنْ)؛ وذلك أنَّ أكثر المُفَسِّرين - ابنَ عباس[2]، والحسنَ[3]، وقتادةَ[4]، والربيع[5] - قالوا: لَمّا كان من المشركين يوم أحد ما كان[6]، مِنْ كَسْرِ رَبَاعِيَةِ[7] النبي ﷺ، وشَجِّهِ حتَّى

---

(١) وقد رجح الطبري هذا الرأي في «تفسيره» ٤/ ٨٦، وقال معلِّلًا: (لأنه لا شيء من أمرالخلق إلى أحد سوى خالقهم، قبل توبة الكفار وعقابهم، وبعد ذلك).

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره الماوردي في «النكت» (٤٢٣)، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٥٦.

(٣) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٧، ٨٨، و«النكت والعيون» ٢/ ٤٢٣، و«زاد المسير» ٤٥٦.

(٤) قوله في المصادر السابقة.

(٥) قوله في المصادر السابقة.

(٦) (ما كان): ساقطة من (ج).

(٧) الرَّبَاعِيَّة: هي السن بين الثَّنِيَّة والناب. وجمعها: رباعيات. وهن أربع رباعيات: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل. انظر: كتاب «خلق الإنسان»، لابن أبي ثابت ١٦٦، و«القاموس» (٧١٩) (ربع).

قال ابن حجر: (والمراد بكسر الرَّبَاعية .. أنها كسرت فذهب منها فلقة، ولم تقلع من أصلها). «فتح الباري» ٧/ ٣٦٦.

وفي «سيرة ابن هشام» عن ابن إسحاق أن الذي فعل ذلك هو: عقبة بن أبي وقاص؛=

جَرَت الدِّماءُ على وجهه، قال: «كيف يُفْلِحُ قومٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟!»[١]، فأنزل اللهُ هذه الآية؛ لِعِلْمِهِ أنَّ كثيرًا منهم سيؤمِنُونَ، فَكَفَّ عن ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ مختَصَرُ معناه: ليس لَكَ مِنَ الأمْرِ في عقابهم، أو[٣] استصلاحهم شيءٌ، حتى تقَعَ إنابَتُهم[٤] أو

= حيث رمى النبي ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته العليا وشَجَّه في وجهه.
ويذكر ابن هشام، عن أبي سعيد الخدري، أن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في وجهه، وأن ابن قَميئة جرح وجنته، فدخل حلقتان من حِلَق المِغْفَر في وجنته.
انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٧، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٤.

(١) الحديث - كذلك - ورد من رواية أنس، وقد أخرجته الكتب التالية بألفاظ مختلفة، بنحو الذي ذكره المؤلف.
فقد أخرجه البخاري - معلقًا - ٥/ ٣٥. كتاب المغازي. باب (ليس لك من الأمر شيء)، وأخرجه مسلم في (١٧٩١) كتاب الجهاد. باب غزوة أحد، وأحمد ٣/ ٢٠٦، ٣/ ٩٩، ٢٥٣، ٢٨٨، والترمذي (٣٠٠٢-٣٠٠٣) كتاب التفسير. (سورة آل عمران) وقال: (حسن صحيح). وابن ماجه (٤٠٢٧) كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء. والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٢٩، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/ ٣٣٣ رقم (٣٧٤٨) وقال عنه: (صحيح)، وابن سعد في «الطبقات» ٢/ ٤٤، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٨٧، وفي «تاريخه» ٢/ ٥١٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٥٦، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٢١٣، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٤أ، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٠٢، والمؤلف في «أسباب النزول» (١٢٤).

(٢) وهناك أسباب أخرى لنزول هذه الآية ذكرها المفسرون. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٨٦-٨٩، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٦-٧٥٨، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٢٤-١٢٦، و«لباب النقول» ٥٧-٥٨، و«الصحيح المسند من أسباب النزول» ٥٣-٥٦.

(٣) في (ج): (و) بدلًا من: (أو).

(٤) وهكذا وردت في «تفسير الوسيط» للمؤلف (تح: بالطيور): ٣٢٦. وورد في «تفسير الوجيز» له ١/ ١١٨ (إثابتهم).

تعذيبهم. فيكون أمْرُكَ - حينئذٍ - تابعًا لأمْرِ اللهِ، بِرِضَاكَ بتدبيره.

قال الفرّاء[١]: ومِثْلُ هذا مِن الكلام: (لأَذُمَّنَّكَ[٢] أو تُعْطِيَنِي)؛ على معنى: (إلّا أنْ تُعْطِيَني)، و(حتى تُعْطِيَنِي)[٣].

وأنشد ابن الأنباري[٤] على هذا:

فَقُلْتُ لَهُ لا تَبْكِ عينُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكًا أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا[٥]

أراد: (حتَّى)، و(إلّا أنْ نموت)[٦].

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٤. نقله بمعناه. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٧٠.

(٢) في (أ)، (ب): (لا أذمنك). وهي خطأ. والمثبت من (ج).

(٣) الذي في «معاني القرآن» - في هذا الموضع -: (وإن شئت جعلت نصبه على مذهب (حتى)؛ كما تقول: (لا أزال ملازمك أو تعطيني)، أو (إلا ان تعطيني حقي).
وقال في موضع آخر ٢/ ٧٠: (والله لأضربَنَّك أوْ تُقِرَّ لي). فيكون معناه معنى (حتى) أو (إلّا).

(٤) في «إيضاح الوقف والابتداء» له ٢/ ٥٨٤.

(٥) في (ج): (فنعذرا).
والبيت لامرئ القيس، في «ديوانه» ٦٤. وقد سبق إيراده وبيان مصادره عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ [الآية: ٧٣ من سورة آل عمران].

(٦) الذي في كتاب «إيضاح الوقف والابتداء»، قوله - بعد أن ذكر البيت -: (أراد: حتى نموت).
وهناك قولان آخران في نصب ﴿يَتُوبَ﴾، وهما: - النصب بإضمار (أنْ) عطفًا على (الأمر)، والتقدير: (ليس لك من الأمر لك من الأمر شيء، أو من أن يتوب عليهم، أو يعذبهم)؛ أي: ليس لك من الأمر أو من توبته عليهم، أو من تعذيبهم شيء. وهو قول أبي حاتم، كما في «تفسير الثعلبي» - إنها معطوفة بالتأويل على ﴿شَيْءٍ﴾؛ وتقديرها: ليس لك من الأمر شيءٌ، أو توبةُ الله عليهم، أو تعذيبهم؛ أي: ليس لك أيضًا توبتهم ولا تعذيبهم، إنما مرد ذلك إلى الحقِّ تعالى.
انظر: كتاب «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٥٨٤، وكتاب «القطع والائتناف» ٢٣٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٥ب، و«الدر المصون» ٣/ ٣٩٣.

١٢٩- وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ قال أهلُ المعاني[(١)]: لَمَّا نَفَى [اللهُ][(٢)] الأمرَ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، ذَكَرَ أنَّ جميع الأمر له؛ كأنه قال: الأمر ليس لك منه شيءٌ، فمن شاء عَذَّبَهُ، ومَن شاءَ غَفَرَ له.

وقوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ولم يقل: (مَنْ)؛ لأنه ذهب به مَذْهَب الجنس، فَدَخَلَ فيه الجميع[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ قال ابنُ عَبَّاس، في رواية عطاء[(٤)]: الذنْبَ العظيمَ للمُوَحِّدِينَ[(٥)].

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ يريد: المشركين[(٦)]، على الذنب الصغير[(٧)].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

١٣٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ﴾ قال ابن عباس[(٨)]، وسعيد بن جبير[(٩)] هو أنهم كانو يزيدون على

---

(١) لم أقف عليهم.

(٢) ما بين المعقوفين: زيادة من (ب).

(٣) قال البقاعي: (وعُبِّر بـ(ما)؛ لأن غير العاقل أكثر، وهي به أجدر). «نظم الدرر» ٥/ ٦١.

(٤) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٥) وقد أورد أبو الليث عن الضحاك مثل هذاالقول: انظر: «بحر العلوم» ١/ ٢٩٧.

(٦) في (ج): (للمشركين).

(٧) في (ج): (الصغير). وفي «تفسير ابن أبي حاتم» عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ قال: (وأما أهل الشكِّ والرِّيْب فيخبرهم بما أخفوا من تكذيب) ٣/ ٧٥٨.

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

(٩) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٥٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٥ ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٥٨.

المال، ويُؤَخِّرُونَ الأَجَلَ، كلَّما أخّر عن أَجَلٍ إلى غيره، زِيد زيادة.

وانتصب ﴿أَضۡعَٰفٗا﴾ على الحال.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ قال عطاء(١): يريد: كي تسعدوا، وتبقوا في الجنة. وقال الزّجاج(٢): المُفْلِحُ: الذي أدرك ما أمَّلَ مِنَ الخير. وذكرنا معنى (الإفلاح) فيما تقدم(٣).

١٣١- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ الآية. قال أبو إسحاق(٤): أي: اتَّقُوا أن تُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ، فإنَّ مَنْ أَحَلَّ شيئًا مِمَّا حَرَّمَ اللهُ، فهو [كافرٌ](٥) بإجماع.

وهذا معنى قول ابن عبَّاس، قال(٦): يُهَدِّدُ المؤمنين إن استحلوا ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ الرِّبَا وغيره، مِمَّا أوجَبَ الله فيه النَّارَ؛ والتقدير: واتَّقُوا النَّارَ التي أُعِدَّت للكافرين، أن تستحلوا الرِّبا، فتستحقوها(٧).

وفي الآية تَقْوِيَةٌ لِرَجاءِ المؤمنين؛ رحمةً من الله - تعالى -؛ لأنه قال: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾. فَجَعلها مُعَدَّةً للكفار، دونَ أهلِ الإيمان.

١٣٢- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ لَمَّا نَهَى عن أكل الرِّبَا، أَمَرَ بطاعة الرسولِ فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، مِن أكلِ الرِّبَا وغيره.

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٨. نقله عنه بنصه.

(٣) انظر: «تفسير البسيط» عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٦٨. نقله عنه بنصه.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج) و«معاني القرآن».

(٦) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره ابن الجوزي في: «زاد المسير» ١/ ٤٥٩.

(٧) في (ج): (فيستحقوها).

وذُكِر عن محمد بن إسحاق بن يَسَار، أنَّه قال[١]: [في][٢] هذه الآية معاتَبة للذين عَصَوا رسولَ الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به يوم أُحُد.

١٣٣- قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ قُرِئ بالواو، وبغير الواو[٣]. فَمَن[٤] قرأ بالواو؛ فلأنه عَطَفَ الجملة على الجملة، والمعطوف عليها قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾.

ومَن تَرَكَ الواو؛ فلأن الجملة الثانيةَ مُلْتَبِسَةٌ بالأولى[٥]، مستغنية بالتباسها عن عطفها بالواو[٦].

وقد جاء الأمران في التنزيل، في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢] الآية[٧]، وقوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ

(١) قوله، في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦١-٦٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ٩١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦١.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: ﴿سَارِعُوٓاْ﴾ بغير الواو. وهي في مصاحف المدينة والشام.
وقرأ باقي القرّاء: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بإثبات الواو. وعليه مصاحف مكة والعراق.
انظر: «القراءات» للأزهري ١/ ١٢٦، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٧٨، و«المبسوط» لابن مهران ١٤٧، و«النشر» ١/ ٢٤٢، و«كتاب المصاحف» للسجستاني (٣٨).

(٤) من قوله: (فمن..) إلى (.. فكذلك المكسورة تجلبها): نقله عن «الحجة»، للفارسي ٣/ ٧٨. نقل بعض العبارات بالنص، وبعضها تَصرَّف فيها.

(٥) وذلك لأن الضمائر فيها وفي التي قبلها متحدة، وكذلك المأمورين غير مختلفين. انظر: «الكشف» ١/ ٣٥٦.

(٦) وهي كذلك مستأنفة. انظر: المرجع السابق، و«التبيان» ص٢٠٨.

(٧) وجه الدلالة فيها أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ يجوز فيه من الناحية النحوية دخول واو العطف على ﴿رَّابِعُهُمۡ﴾، وكذا دخولها على ﴿سَادِسُهُمۡ﴾، =

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩][(١)].

ورُوِي عن الكِسائي الإمالة في[(٢)] ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] و﴿نُسَارِعُ﴾[(٣)] [المؤمنون: ٥٦]. وذلك مُستَحسَنٌ لِمَكان الرَّاءِ المكسورة؛ فكما تمنع المفتوحةُ الإمالةَ، فكذلك المكسورةُ تَجلِبُها[(٤)].

وفي الكلام محذوف، والمعنى على: وسارعوا إلى مُوجِبِ[(٥)] مغفرة مِن رَبِّكم.

واختلفوا في ذلك الذي إذا سارع إليه، فقد سارع إلى مغفرة:

فقال عطاء عن ابن عباس[(٦)]: يريد: لا تُصِرُّوا على الذنب. إذا أذنب أحدٌ فلْيُسْرع الرجوع، يغفر الله له.

وقال ابن عباس - أيضًا -[(٧)]: سارعوا إلى الإسلام. وروي عن

= كما يجوز حذفها من ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾؛ لأن الضمير العائد يكفي عن الواو.
انظر: «إعراب مشكل القرآن» ١/ ٤٣٩، و«التبيان» ص٥٣٥.

(١) قال أبو علي في «الحجة» ٣/ ٧٨ بعد أن أورد هذه الآية: (فهذا على قياس قراءة نافع وابن عامر). فقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لم تحتج لعطف بالواو؛ لأنها حال من ﴿أَصْحَٰبُ﴾، فالجملة ملتبسة بما قبلها متحدة معها، فاستغنت عن العطف بالواو.

(٢) (في): ساقطة من (ج).

(٣) والإمالة - هنا - هي رواية أبي عمرو الدوري عن الكسائي. ورواية غيره عن الكسائي ترك الإمالة. انظر: «السبعة» «٢١٦»، و«إتحاف فضلاء البشر»: ص٣١٩.

(٤) انظر: «الإقناع» لابن الباذش ١/ ٢٧١-٢٧٧، و«النشر» ٢/ ٥٤.

(٥) في (ج): (لما موجب).

(٦) لم أقف على مصدر قوله. وقال البغوي: (وروي عنه: إلى التوبة، وبه قال عكرمة). «تفسيره» ٢/ ١٠٤.

(٧) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٦أ، و«البغوي» ٢/ ١٠٤، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٠.

عليﷺ، أنه قال[١]: إلى أداء الفرائض. وعن أنس بن مالك، قال[٢]: هو التكبيرة الأولى[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: عرضها عَرْضُ السَّموات والأرض، فحذف المضاف؛ كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٤]. يدل على هذا قوله في سورة الحديد: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال ابن عباس[٥]: تُقرَنُ السَّمواتُ السبعُ والأرَضُونَ السَّبْعُ، كما يُقرن[٦] الثيابُ بعضها إلى بعض، فذلك عَرْضُ الجنَّةِ.

---

(١) قوله في المصادر السابقة.

(٢) قوله في المصادر السابقة، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٦، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٤.

(٣) وهناك أقوال أخرى، منها:

- وسارعوا بالأعمال الصالحة. وهو قول أبي سعيد الخدري، ومقاتل.
- وسارعوا إلى أداء الطاعة. وهو قول الكلبي.
- وسارعوا إلى الجهاد الأكبر. وهو قول الضحاك.
- وسارعوا إلى الإخلاص. وهو قول عثمان رضي الله عنه. وقيل غير ذلك.

انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٠١، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٦أ. ويلاحظ أن القول الأول وهو تفسيرها بالمسارعة بالأعمال الصالحة، أو تفسيرها بالمسارعة بالطاعة هو أعم الأقوال، وتدخل تحته كل الأعمال التي ذكرت في الأقوال الأخرى، حيث إنها مفردات للعمل الصالح، وطاعة الله تعالى، ومن أنواعه. فليس بينها تعارض، وإنما اختلاف تنوع.

(٤) [سورة لقمان: ٢٨ وبقيتها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾].
والتقدير: ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة. فحذف المضاف، وهو (بَعْث).

(٥) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ٩١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٤.

(٦) هكذا في (أ)، (ب): (يقرن). وفي (ج): غير منقوطة. وفي «تفسير الطبري»: تُقرن.

قال أهل المعاني[(١)]: إنَّمَا خَصَّ العَرْضَ دون الطول؛ لأن طُولَ كلِّ شيءٍ في الأغلب أكثر من عَرْضِه. يقول: هذه صفة عرضها، فكيف طولُها؟. كما قال الزُّهْري[(٢)]: إنما وصف عرضها، فأما طولها فلا يعلمه إلَّا الله. وهكذا قوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وصَفَ[(٣)] البِطَانَةَ وتَرَكَ الظِّهارَةَ؛ إذ مِنَ المعلوم[(٤)] أنها[(٥)] أحسن وأنفس من البطائن.

وقال عطاء عن ابن عباس[(٦)] - في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ -، يريد: لِرَجُلٍ واحدٍ مِن أوليائه.

[و][(٧)] قال جماعة من أهل المعاني[(٨)]: لم يُرِدْ العَرْضَ الذي هو ضِد الطُوْلِ، وإنما أراد بالعرض: السَّعَةَ. والعرب تقول: (بلاد عَرِيضةٌ)؛ أي:

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٢٩٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٦ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٩، والعبارات التي ذكرها المؤلف متطابقة مع ما في «تفسير الثعلبي»، وهي من قوله: (إنما خص ..) إلى (.. من البطائن).

(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب. تقدمت ترجمته.

(٣) في (أ)، (ب): (وصفةُ). والمثبت من (ج)، و«تفسير الثعلبي» و«تفسير القرطبي».

(٤) في (أ): (العلوم). والمثبت من (ب)، (ج).

(٥) أنها: ساقطة من (ب).

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٨) قال ذلك ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١١١. وقد نقله عنه المؤلف بتصرف مع اختصار قليل. وقد ورد بعض هذا القول في تفسير «بحر العلوم» ١/ ٢٩٨، نقله عن ابن قتيبة، وورد في: «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٧٠٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٦ب.

(٩) في «تفسير غريب القرآن»: ضبطها المحقق: (مذهبُ) بدون تنوين. وهذه العبارة

واسعة. (وفي الأرض العريضة مذهبٌ)[١]. [و][٢] قال:

كـأنَّ بـلادَ اللهِ وَهْـيَ عَـرِيـضَـةٌ   على الخائفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حابِلِ[٣]

وإنما يقال للشيءِ الواسع: (عَرِيض)؛ لأن الشيء إذا عَرُضَ اتَّسَعَ، وإذا لم يَعْرُضْ، ضاقَ وَرَقَّ.

قالوا[٤]: وتشبيه عرض الجنة بعرض السَّموات والأرض على التمثيل لا على التحقيق؛ معناه: عرضها كعَرْضِ السموات والأرض عند ظَنِّكم؛ لأنه لا شيء عندنا أعرض منها، فهو كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٥]؛ يعني: عند ظنكم؛ لأنَّهما لابد زائلتان. فَلمَّا كانَ قوله: ﴿مَا

أشبه لأن تكون مقطعًا من بيت شِعْرٍ، ولكني لم أقف عليه.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٢) البيت لم أهتد إلى قائله، وقد ورد غير منسوب في: «تفسير غريب القرآن» ١١١، و«الكامل» للمبرد ٣/ ١٣١، و«غريب الحديث» للخطابي ١/ ٧٠٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٦ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٠، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٥، و«لسان العرب» ٧/ ٣٩٠٤ (كفف)، و«البحر المحيط» ٣/ ٥٧.

وقد ورد في «الكامل» و«اللسان»: (كأن فجاج الأرض ..).

والكِفَّةُ - بكسر الكاف -: كل شيء مستدير، وهي هنا: حِبالة الصائد، لاستدارتها، أما إذا كانت مستطيلة فهي: (كُفَّة) - بضم الكاف -، وجمعها: (كِفَف)، و(كِفاف). والحابل: الصائد الذي ينصب الحِبَالة، وهي المصيَدة. انظر: «الكامل» ٣/ ١٣١، و«اللسان» ٧/ ٣٩٠٤ (كفف)، و«القاموس» ص٩٨١ (حبل).

(٣) ممن قال ذلك: الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٦ ب. ويبدو أن المؤلف نقل هذا القول عنه بتصرف.

(٤) سورة هود: من آية ١٠٧، وآية: ١٠٨. وتمام الآيات ليتضح المعنى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

(٥) هذا القول هو ما ذهب إليه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ١١٧. وهناك قول آخر، وهو:

دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ عندنا - في عادة الاستعمال - من ألفاظ التأبيد، خُوطِبْنا على ما نَعْرِف[1]؛ كذلك في هذه الآية.

وسُئِل أنسُ بن مالك عن الجَنَّة: أفي الأرض أم في السماء؟ فقال: وأيُّ أرضٍ وسماءٍ تَسَعُ الجَنَّة؟! قيل: فأين هي؟ فقال: فوق السَّموات السَبْع، تحت العَرْش[2][3].

١٣٤- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال ابن عباس[4]: يعني: في اليُسْرِ والعُسْر. كأنه يريد: السَّرَّاء؛ بكثرة المال، والضَّرَّاء؛ بِقِلَّتِهِ.

وهذه الآية من صفة المُتَّقِين الذين أُعِدت لهم الجَنَّة. وأول ما وصفهم الله تعالى به: الإنفاق في كل حال. وهو من أقسام السَّخاء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ يقال: (كَظَمَ غَيْظَه): إذا سكت

إن المراد: سموات الدار الآخرة، وأرضها، وهي دائمة بدوام الدار الآخرة؛ حيث إنه لابد لهم من أرض تقلهم وسماء تظلمهم. وقد ورد عن ابن عباس قوله: (لكل جنة أرضٌ وسماء) وروي نحوه عن السدي والحسن.

انظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٤٠١، و«تفسير النسفي» ٢/ ١٧٣، و«تفسير أبي السعود» ٤/ ٢٤١، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٥٠٤، و«فتح البيان» ٤/ ٤٠٣، و«منهج صديق حسن خان في تفسيره» ٥٢٦-٥٢٧.

(١) أورد قوله هذا بنصه: الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٧أ، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٠٤. ولم أقف على مصدر آخر له.

(٢) انظر حول مكان الجنة روايات أخرى بنفس ما روي عن أنس بن مالك في: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ٦٥-٦٧.

(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥١ (كظم)،

عليه، ولم يُظْهِرْهُ بقول أو فِعْلٍ(١).

قال المُبَرِّد(٢): تأويله: أنه كتمه على امتلائه منه. ويقال: (كَظَمْتُ [السِّقَاءَ): إذا ملأتُه](٣)، وَشَدَدْتُ عليه. ويقال: ما يَكْظِمُ فلانُ على (جِرَّةٍ)(٤): إذا كان لا يحتمل شيئًا.

قال أبو زيد(٥): وكل ما سددت(٦) من مجرى ماءٍ أو طريق؛ فهو (كَظْمٌ). ويُدعَى الذي تَسُدُّه(٧) به: (الكاظِمَة) و(السَّدادَة).

و(فلانٌ كَظِيْمٌ)، و(مَكْظُومٌ): إذا كان ممتلئا(٨) حُزْنًا، مُمْسِكًا عليه. وهما في التنزيل(٩).

و«الزاهر» ٢/ ٣٤٤.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٣) في (أ)، (ب)، (ج): (حره). وما أثبتُّ هو الصواب.
(الجِرَّةُ): هي ما يخرجه البعير من كرشه، ويَجْتَرّه؛ أي: يردده في حلقه.
انظر: (جر) في: «تهذيب اللغة»: ١/ ٥٧٨، و«اللسان»: ١/ ٥٩٤ (جرر).
وقولهم: (ما يَكظِمُ فلانٌ على جِرَّةٍ)، مَثَلٌ يُضرَب لِمن لا يَكتِمُ سِرًا. ومثله: (ما يَخنُق فلان على جِرَّةٍ) كما في: النوادر لأبي زيد. وفي: «اللسان»: (ما يَحْنَق..).
انظر: «النوادر» لأبي زيد ١٣٢، و«جمهرة الأمثال» للعسكري ٢/ ٢٣٤، و«مجمع الأمثال» للميداني ٣/ ٢٨٨، و«اللسان» ١/ ٥٩٤.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) في (أ)، (ب): (شددت). والمثبت من (ج)، ومن «تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٧؛ حيث أورد هذا النص بتمامه.

(٦) في (ج): (تشده).

(٧) في (ج): (ممكا).

(٨) ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. يوسف: ٨٤. وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾. [النحل: ٥٨]، =

ويقال للقناة[١] التي تجري في بطن الأرض: [كِظَامَة][٢]؛ لامتلائها بالماء كامتلاء القِرْبَةِ المكظومة. ومنه الحديث: (كيف بك إذا بُعِجَتْ مَكَّةُ كظَائِمَ)[٣].

[والزخرف: ١٧]. وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾. [القلم: ٤٨].

(١) في (أ): (الفتاة). والمثبت من (ب)، (ج) وكتب اللغة.

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء تمامًا في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج) ، وكتب اللغة.

(٣) الأثر ورد في: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٦٩ (ط. السلفية)، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥ (كظم)، و«الفائق» للزمخشري ٣/ ٢٦٣، و«المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» ٣/ ٥٠، و«غريب الحديث» لابن الجوزي ٢/ ٢٩١، و«النهاية في غريب الحديث» ٤/ ١٧٨. ولم أقف عليه في غيرها من مصادر الحديث.
وكل المراجع السابقة أوردته غير مسند وصرحت بأنه حديث، إلا في «المجوع المغيث» حيث قال: (ومنه قول عبد الله بن عمرو ..). وفي (الفائق)، للزمخشري، و«غريب الحديث»، لأبي عبيد أورداه من حديث عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما. وفي «المجموع المغيث»، و«النهاية» عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما. ولكن أشار محقق «غريب الحديث» لأبي عبيد، إلى أنه في نسخة أخرى للكتاب، ورد: (ومنه حديث عبد الله بن عَمرو). ثم ذكرت هذه النسخةُ السندَ، وهو: (حدثنيه هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه عن عبد الله بن عَمْرو، قال: ..).
أقول: وهذا هو الصواب؛ لأن عطاء والد يَعْلى، وهو عطاء العامري الطائفي روى عن ابن عمرو بن العاص وروى عنه ابنه يعلى، كما في «تهذيب التهذيب» ٣/ ١١١.
ونصه عند أبي عبيد: (إذا رأيت مكة قد بُعِجت كظائم، وساوى بناؤها رؤوس الجبال، فاعلم أن الأمر قد أظللك، فخذ حذرك). «غريب الحديث»: ١/ ١٦٩، وانظر: المصادر السابقة التي أوردت الأثر.
و(الكظائم)، جمع: كِظَامَة، وهي: آبارٌ تُحفَر، ويُباعَد ما بينها، ثم يُحفَر ما بين كلِّ بئرين بقناة مِن تحت الأرض، تُوصِل الماءَ مِن الأولى إلى التي تليها، حتى يجتمع الماءُ في أخراهن.
انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٦٣، والمصادر السابقة التي أوردت الأثر.

(٤) انظر المعاني السابقة لـ(كظم) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥١، و«المقاييس»

ومنه يقال: (أَخَذَ بكَظْمِهِ): إذا أخذ بمجرى نَفَسِهِ؛ لأنه موضع الامتلاء بالنَّفَسِ. و(كَظَمَ البعِيرُ والنَّاقَةُ، كُظُومًا): إذا أَمْسَكا على ما في جَوْفِهِما ولم يَجْتَرَّا[1].

قال الراعي:

فَأَفَضْنَ[2] بعد كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ   مِن ذِي الأَبَاطِحِ إذْ رَعَيْنَ حَقِيلاَ[3]

/٥ ١٨٤-١٨٥، و«اللسان» ٧/ ٣٨٨٦ وما بعدها.

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (فأفرضن). والمثبت من مصادر البيت التالية.

(٢) البيت في «ديوانه» ٢٢٤. وقد ورد منسوبًا له في: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٦٩، و«جمهرة أشعار العرب» (٣٣٣)، و«الزاهر» ٢/ ٣٤٤، و«مجالس العلماء» ٣٩، ٨٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥١ (كظم)، و«الفهرست» ٨٦، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٦ (برق)، ٢/ ٨٨ (حقل)، ٤/ ٤٦٥ (فيض)، و«المجمل» ٢٤٥ (حقل)، و«معجم ما استعجم» ٢/ ٤٦٠، و«أساس البلاغة» ٢/ ٢٢٢ (فيض)، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٢٦، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٢١، و«معجم البلدان» ٢/ ٢٧٩ (حقيل)، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٦، و«اللسان» ٦/ ٣٥٠٠ وما بعدها (فيض)، و٢/ ٩٤٧ (حقل)، و٧/ ٣٨٨٦ وما بعدها (كظم).
وورد غير منسوب في: «جمهرة اللغة» ٥٥٨، و«الصحاح» ٣/ ١١٠٠ (فيض).
وقد ورد في كل المصادر السابقة: (من ذي الأبارق). وقال البكري: (ورواه أبو حاتم: (من ذي الأباطح)، قال: وهو واد في بني عامر). «معجم ما استعجم» ٢/ ٤٦٠. وورد في «جمهرة أشعار العرب»: (أو رَعَيْن..).
ومعنى البيت: أي: دفعن بالجِرَّةِ من كروشهن، فاجترنها بعد أن كُنَّ كُظُومًا لا يجترن.
و(ذي الأبارق)- على الرواية الأخرى -: موضع. أي: أن هذه الجِرَّة التي اجترنها أصلها مما رعينه من هذه الموضع.
و(حقيل): موضع. وقيل: نبت. وقيل: جبل في (ذي الأبارق).
انظر: «الزاهر» ٢/ ٣٤٤، و«اللسان» ٢/ ٩٤٧ (حقل)، ٧/ ٣٨٨٦ (كظم)، و«معجم البلدان» ٢/ ٢٧٩ (حقيل).

(٣) هو أعشى باهلة (عامر بن الحرث)، وليس الأعشى الكبير (ميمون بن قيس).

وإنَّما تفعل ذلك الإِبِلُ مِنَ الفَزَع أو الجهد. قال الأعشى[1] - ووصف رجلًا نَحَّارًا للإبل، وهي[2] تفزع منه -:

قَد تَكْظِمُ البُزْلُ مِنه حين تُبْصِرُهُ   حتَّى تَقَطَّعَ في أجوافها الجِرَرُ[3]

ومعنى ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: الكافِّينَ غَضَبَهم[4] عن إمضائه، يَرُدُّون غيظهم في أجوافهم، ويصبرون فلا يُظِهرون[5]. وهذا الوصف من أقسام

---

(١) في (ج): (فهي).

(٢) البيت ورد منسوبًا له في: «الأصمعيات» ٨٩، و«الكامل» للمبرد ٤/ ٦٥، و«جمهرة أشعار العرب» (٢٥٥)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٨أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٦، و«خزانة الأدب» ١/ ١٩٤. وقد اختلفت روايات البيت، فقد ورد في بعض المصادر:
(وتفزع الشَّوْلُ منه حين تبصره   حتى تقطع في أعناقها الجرر).
وورد: (وتفزع الشول منه حين يفجؤها)، وورد: (قد تكظم البَرْك منها حين يفجؤها).
والبيت من قصيدة يرثي بها أخاه المنتشِر بن وهب الباهلي. انظر خَبَرَهُ في: «الكامل»: ٤/ ٦٤-٦٥.
و(البُزْل): جمع: بازِل. وهو - من الإبل -: الداخل في السنة التاسعة، وفطر نابه. وتُجمَع - كذلك - على: (بُزَّل)، و(بوازل). ومعناه: أن الإبل قد تعودت على أن يَعقِرَ منها، فإذا رأته كظمت على جِرَّتها فزعا منه.
و(البَرْك): - على الرواية الأخرى -: جمع بارك. و(الشَوْل): جمع: شائلة، وهي - من الإبل -: ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر، فجف لبنها.
انظر: «المصباح المنير» ١٩ (بزل)، و«القاموس» (١٠٢١) (شول).

(٣) في (ب)، (ج): (غضبهم).

(٤) قال ابن عطية: (و(الغيظ) أصل الغضب، وكثيرًا ما يتلازمان، ولذلك فسر بعض الناس (الغيظ) بـ(الغضب)، وليس تحرير الأمر كذلك، بل الغيظ فعل النفس، لا يظهر على الجوارح، والغضب حال بها معه ظهور في الجوارح، وفعل ما ولا بد). «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٢٧، وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٠٧، و«البحر المحيط» ٣/ ٥٨.

(٥) قال الإمام ابن حِبَّان البُسْتي: (الحِلْم: اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج - عند

الصبر والحِلْم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ قال ابن عباس[٢]: يريد: المَمَالِيك؛ إذا أذنب واحد منهم ذنبًا، عفوت عنه؛ لما يرجو من ثواب الله.

وقال زيد بن أسلم[٣]، ومقاتل[٤]: أي: عمَّن ظَلَمَهم وأساء إليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس[٥]: يريد: المُوَحِّدِين، الذين هذه الخِصَال فيهم.

قال الثَّوْرِي في هذه الآية[٦]: الإحسان: أن تُحْسِن إلى مَن أساء

الورود عليها ضد ما تحب - إلى ما نُهِي عنه). «روضة العقلاء» ٢٥٢.

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «تنوير المقباس» ٥٦، و«زاد المسير» ١/ ٤٦١. وبهذا قال: الربيع، والكلبي، ومكحول، وأبي العالية.
انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٣، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٨ ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٦١.
وقد ورد عن ابن عباس حول هذه الآية قوله: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾؛ كقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٢]، يقول: لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً واعفوا واصفحوا). «تفسير الطبري» ٤/ ٩٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٣.

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٨ب، و«البغوي» ٢/ ١٠٥، و«زاد المسير» ١/ ٤٦١.

(٣) (ومقاتل): ساقطة من (ج). ولم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في: «زاد المسير» ١/ ٤٦١، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٥.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٩أ.
والثوري، هو: أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق. أمير المؤمنين في الحديث، ولد في الكوفة سنة (٩٧هـ)، ونشأ بها، مشهور بالورع والعلم، مُجْمَع على إمامته، مات بالبصرة سنة (١٦١هـ). انظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ١٥١، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٣٨٦، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٦.

(٦) في (أ)، (ب): (متأخره). وفي (ج): (مناحرة). والمثبت من: «تفسير الثعلبي».

إليك؛ فإنَّ الإحسانَ إلى المُحسِنِ مُتَاجَرَةٌ(١)، كَنَقْدِ السُّوقِ: خذْ مِنِّي وهات(٢).

وصَدَقَ؛ فإنَّ الله - تعالى - عقَّبَ وَصْفَ هؤلاء بالكَظْمِ والعَفْوِ، بِحُبِّهِ المحسنين. وفي ذلك دليل على أن هؤلاء محسنون، والأوصاف التي وُصِفوا بها، كلُّها إحسانٌ إلى مَن أساء إليهم.

١٣٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الآية. الظاهر أنَّ هذا عطفٌ على ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣). فيكون موضع (الذين): جَرًّا(٤). ويُحتمل أنْ يكون موضِعُه: رفعًا على الاستئناف؛ بعطف جملة على جملة. وهو قول أكثر المفسرين.

قال ابن عباس - في رواية عطاء -(٥): نزلت الآيةُ في نَبْهان التَّمَّار؛ أتته امرأةٌ حسناء، تَبْتَاعُ منه تَمْرًا، فَضَمَّها إلى نَفْسِه وقَبَّلَها، ثم ندمَ على

---

(١) يعني رحمه الله: أن الإحسان إلى من أحسن إليك لا يُسَمَّى إحسانًا، بل يُعَد من قبيل المكافأة؛ لأنَّ ذلك بمثابة أن تعطي من سبق له أن أعطاك؛ وترد الفضلَ له؛ لما سبق أن أولاك من فضل. ويسميه الثوري - هنا - متاجرة، لأنه كالمقايضة، والأخذ والعطاء.

قال ابن حِبَّان: وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء، فأما من أحسن إلى المحسن وحلُمَ عمن لم يؤذه؛ فليس ذلك بحِلْم ولا إحسان. «روضة العقلاء» ص٢٥٤.

(٢) في (ج): (المنفقين).

(٣) الجَرُّ؛ على النعت لـ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ في الآية: ١٣٣، أو البدل منه أو البيان.

(٤) هذه الرواية في: «بحر العلوم» ١/ ٣٠٠، ولم يعزها إلى ابن عباس. وأوردها الثعلبي في: «تفسيره» ٣/ ١١٩ ب قائلًا: (قال عطاء: نزلت هذه الآية في نبهان التَّمَّار، وكنيته: أبو مقبل). وأوردها المؤلف في «أسباب النزول» ص١٢٧، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٦١.

(٥) قال ابن حجر: ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، في

ذلك، فأتى النبي ﷺ، وذَكَر له ذلك، فنزلت هذه الآية[1].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾. الآية، قال: هو نبهان التمار، أتته امرأة حسناء..) ثم ذكر نحو ما ذكر المؤلف، وأضاف ابن حجر: إن المرأة قالت له: (والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك، فسقط في يده، فذهب إلى النبي ﷺ فأعلمه، فقال له: إيَّاك أن تكون امرأة غاز! فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل، فأنزل الله في اليوم الرابع هذه الآية، فأرسل إليه فأخبره، فحمد الله وأثنى عليه وشكره، وقال: يا رسول الله هذه توبتي، فكيف بأن يقبل شكري؟ فأنزل الله ﷻ : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤])، ثم قال ابن حجر بعده:
(وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في: تفسيره، عن موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مطوَّلًا. ومقاتل متروك، والضحاك، لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسى هالكان. وأورد هذه القصة: الثعلبي، والمهدوي، ومكي، والماوردي، في تفاسيرهم بغير سند). «الإصابة»: ٣/ ٥٥٠.
وهذه القصة لم يذكرها مقاتل في تفسيره المطبوع، ولا الماوردي في «النكت والعيون» خلاف ما ذَكَرَه ابنُ حجر.
وهناك سبب آخر ذكره العلماء لهذه الآية، وهو: أن رجلين؛ أنصاريا وثَقَفِيًا، آخى بينهما رسول الله ﷺ، فكانا لا يفترقان، فخرج الثقفي مع رسول الله ﷺ، في إحدى غزواته، وخلَّفَ الأنصاريَّ على أهلِهِ، وحاجته، فكان يتعاهد أهل الثقفي، فرأى يومًا امرأة أخيه الثقفي بارزة، فوقعت في نفسه، فراودها عن نفسها فأبت، وسترت وجهها منه بكفِّها، فقَبَّلَ كفَّها، ثم خرج بعدها، سائحا في الجبال، نادِمًا خائِفًا من ذنبه، إلى أن أتاه أخوه الثقفي فأخذ بيده إلى رسول الله ﷺ، بعد أن علم بحاله، فأنزل الله هذه الآية.
وقد ذكر هذا السبب - مع اختلاف في التفاصيل -: مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٠١، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٩ب، وعزاها للكلبي عن ابن عباس، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٦٢ وقال: (رواه أبو صالح عن ابن عباس).

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٩٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٩أ، و«النكت والعيون»

وقال ابنُ مسعود[١]: قال المؤمنون للنبي ﷺ: كانت بنو إسرائيلَ أكرَمَ على اللهِ مِنَّا؛ كان أحدُهم إذا أذنب ذَنْبًا، أصبحت كفَّارةُ ذَنْبِهِ مكتوبةً[٢] في عَتَبَةِ بابِهِ[٣]: (اجْدَعْ أنفَكَ)، (افعل كذا)! فأنزل اللهُ هذه الآيَةَ، وبَيَّنَ أنَّهم أكرم على اللهِ منهم؛ حيث جعل كفّارةَ ذنوبهم الاستغفار.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ يعني: الزِّنَا - ههنا -[٤]. وهي - في اللغة -: كلُّ قَبِيحةٍ خارِجَةٍ عَمَّا أذِنَ اللهُ فيه[٥]. وذكرنا معنى (الفُحْش) و(الفحشاء) فيما تقدم.

والفاحشة - ههنا - نعتُ محذوفٍ؛ التقدير: فعلوا فِعْلَةً فاحشةً[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ قال ابنُ عباس[٧]، ومقاتل[٨]،

١/ ٤٢٤. وسياق المؤلف للخبر قريب جدا من سياق الثعلبي له.

إلا أن لفظ الأثر هنا أقرب إلى لفظ الأثر الوارد عن عطاء بن أبي رباح، الذي أخرجه الطبري في: «تفسيره» ٤/ ٩٦، والمؤلِّف في: «أسباب النزول» ص١٢٨، وابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٦٢.

(١) (مكتوبة): ساقطة من (ج).

(٢) في (أ)، (ب): (بأنَّه). وهي تصحيف. والمثبت من: (ج)، ومصادر الخبر.

(٣) وممن قال ذلك: جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل بن حيان. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٥-٩٦، و«ابن أبي حاتم» (٧٦٤)، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٢.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٥، و«المقاييس» ٤/ ٤٧٨ (فحش).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ.

(٦) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «تنوير المقباس» ٥٦.

(٧) قول مقاتل بن سليمان في: «تفسيره» ٣٠٢، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ، وورد عن مقاتل بن حيان: (أصابوا ذنوبًا). «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٤.

(٨) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ.

والكلبي[(١)]: هو ما دون الزِّنَا، مِن قُبْلَةٍ أو لَمْسَةٍ، أو نَظَرٍ فيما [لا يَحِلُّ؛ مثل الذي[(٢)] فَعَلَ نَبْهانُ التَّمَّار.

وقوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن المعنى: ذكروا وعيد الله. فيكون من باب حَذْفِ المضاف.

والذِّكْرُ - ههنا - يكون: هو الذي ضد النسيان. وهذا معنى قول: الضحاك، ومقاتل، والواقدي. فإن الضَّحَّاكَ قال[(٣)]: ذكروا العَرْضَ الأكبر على الله. ومقاتل والواقدي قالا[(٤)]: تَفكَّرُوا أنَّ اللهَ سائِلُهُم عنه.

الوجه الثاني: ذكروا الله بأن قالوا: اللّهُمَّ اغفر ذنوبنا، فإنَّا تُبْنا إليك، ونَدِمْنا. وهذا معنى قولِ مُقاتل بن حَيَّان[(٥)]. والذِّكْر - ههنا - ليس الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال الفَرَّاءُ[(٦)]: هذا محمولٌ على المعنى؛ تأويله: ما يَغْفِرُ الذنوبَ أحَدٌ إلّا اللهُ؛ فلذلك رفعت

---

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٣، و«القرطبي» ٤/ ٢١٠.

(٣) قوله مقاتل في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢١٠.
وقول الواقدي في: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٣، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢١٠.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠أ، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٧.
وفي «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٤ عن مقاتل بن حيان: (ذكروا الله عن تلك الذنوب الفاحشة). وليس فيه بيان نوع الذكر هنا. وفي «تفسير القرطبي» ٤/ ٢١٠ ذكره عن مقاتل، ولم يبِّن أيَّ المُقاتِلَيْن؛ ابن سليمان أو ابن حيَّان.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٤. نقله عنه بمعناه. وانظر: «معاني القرآن»، للزجاج ١/ ٤٦٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ٩٧.

(٦) ونص قول الفراء - ليتضح المعنى -: (يقال ما قبل (إلّا) معرفة، وإنما يُرفَع ما بعد

ما بعد (إلّا)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ يقال: (أَصَرَّ[٢] على الشيء): [إذا قام عليه][٣]، ودام. ومِن هذا يقال للعَزِيمَةِ[٤] التي لا تُنْقَضُ: (صِرِّي)[٥].

قال المفسرون[٦]: معناه: لم يُقِيموا، ولَمْ يَدُومُوا، [بل تابوا، وأَقَرُّوا][٧]، واستغفروا. والذي يُؤَكِّد هذا القول[٨]:

(إلّا) باتْباعِهِ ما قَبْلَهُ، إذا كان نكرة، ومعه جحد؛ كقولك: (ما عندي أحدٌ إلّا أبوك)، فإن معنى قوله: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: ما يغفر الذنوب أحدٌ إلّا الله، فجعل على المعنى).

وقال أبو حيان عن رفع اسم الجلالة: (فهو على البدل مِن ﴿مَن﴾، أو مِن الضمير الفاعل في ﴿يَغْفِرُ﴾ العائد عليها، وجاز هذا؛ لأن في الكلام معنى نفي؛ وتقديره: لا يغفر أحدٌ الذنوبَ إلا اللهُ). «تذكرة النحاة»: ٢٩٦.

(١) في (ب): (صر).

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ) .والمثبت من (ب)، (ج).

(٣) في (ج): (العزيمة).

(٤) يقال: (هذا منِّي صِرِّي، وأَصِرِّي، وصِرَّى، وأَصِرَّى، وصُرِّي، وصُرَّى): أي: عزيمةٌ وجِدٌّ. و(إنها مني لأصِرِّي)؛ أي: لحقيقة.
وهي مشتقة من: (أصررت على الشيء): إذا أقمت ودمت عليه. انظر: (صرر) في: «إصلاح المنطق» ٣١٩، و«تهذيب اللغة» ٢/٢٠٠٣، و«المجمل» ٥٣٢، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٤٨٢، و«الفرق بين الحروف الخمسة» ٣٨٦.

(٥) ممن قال ذلك: مجاهد، وقتادة، وابن إسحاق، ومقاتل، والزجاج، والطبري، وأبو الليث. انظر: «تفسير مجاهد» ١٣٦، و«تفسير مقاتل» ١/٣٠٢، و«الجزء الذي فيه تفسير القرآن» ٧٨، و«تفسير الطبري» ٤/٩٧-٩٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/٧٦٦، و«معاني القرآن» للزجاج / ٤٦٩، و«بحر العلوم» ١/٣٠٠.

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (تابوا وأنابوا). والمثبت من (ج).

(٧) حيث إن هناك أقوال أخرى منها: =

= لم يواقعوا الذنب إذا همُّوا به. قاله الحسن، ونُسب لمجاهد، وليس هو في

أنه تعقب[1] قوله: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ فوَصَفَ الذَّاكرَ بأنه غيرُ مُصِرٍّ[2]. ورُوِيَ عن [النبي][3] ﷺ أنه قال: «ما أصَرَّ مَن استَغْفَرَ، وإنْ عادَ في اليوم سبعينَ مَرَّةً»[4].

تفسيره.
- وقيل: السكوت على المعصية، وترك الاستغفار منها. قاله السدي، وعطاء الخراساني.
انظر: «الجزء الذي فيه تفسير القرآن» ١٠٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ٩٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٤.

(١) في (ج): (يعقب).

(٢) انظر توجيه هذا الترجيح في: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٨.

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ج).

(٤) الحديث من رواية أبي بكر الصدِّيق (أخرجه: أبو داود في «السنن» رقم (١٥١٤). كتاب الصلاة. باب في الاستغفار، والترمذي في «السنن» رقم (٣٥٥٩) . كتاب الدعوات. باب: ١٠٧. وقال: (هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نُصَيْرة، ليس إسناده بالقوي).
وأخرجه أبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» ١٨٦ رقم (١٢١)، (١٢٢)، والشهاب القضاعي في «مسنده» ٢/ ١٣ رقم (٧٨٨)، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٩٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٦٦. والبيهقي في «السنن» ١٠/ ١٨٨، والبغوي في «شرح السنة» ٥/ ٨٠ (١٢٩٧)، وفي «تفسيره» ٢/ ١٠٧.
وأورده الغزالي في «الإحياء» ١/ ٣١٢. وذكر الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» نَفْسَ قول الترمذي السابق في الحديث، مما يدل على موافقة الحافظ العراقي للترمذي في تضعيف الحديث.
وأورده التبريزي في «مشكاة المصابيح» ٢/ ٧٢٣ رقم (٢٣٤٠)، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٣٩ وزاد نسبة إخراجه إلى أبي يعلى، والبزار.
وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٣٩ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد،=

= والبيهقي في «الشعب». وأورده في: «الجامع الكبير» ١٥/ ١٩٦٣ رقم (١١١٧)

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قال عطاء[(١)]: يعلمون أنَّ الله يُعذِّب على الإصْرارِ.

وقال ابن عباس[(٢)]، والحسن[(٣)]، ومقاتل[(٤)]، والكلبي[(٥)]: وهم

وزاد نسبة إخراجه إلى ابن السني في «عمل اليوم والليلة» وأورده في: «الجامع الصغير» (انظر: «فيض القدير» ٥/ ٥٣٨) ورمز له بالضعف، وكذا ضعفه الألباني في ضعيف «الجامع الصغير» ٥/ ٨٢ (٥٠٠٤).

وفي سند الحديث: (. . عثمان بن واقد، عن أبي نصيره، عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر . .).

قال الغَماري: (وقال البزَّار: لا نحفظه إلا من حديث أبي بكر بهذا الطريق، وأبي نصيرة وشيخه لا يعرفان. انتهى. قلت: أما أبو نصيرة، فمعروف، اسمه: مسلم بن عبيد. قال أبو طالب عن أحمد: ثقة. وقال ابن مَعِين: صالح. وذكره ابن حِبَّان في: الثقات، وقال: الأزدي: ضعيف. ومولى أبي بكر، اسمه: أبو رجاء، ولم اقف فيه على جرح ولا تعديل، إلا قول البزار المتقدم: إنه مجهول. وقد قال الزيلعي: إن جهالته لا تضر، إذ يكفيه نسبته إلى الصدِّيق. وعثمان بن واقد، وثقه ابن معين..). «فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب» ٢/ ٥٤-٥٥.

وقال ابن كثير - بعد أن ذكر نحو القول السابق -: (فهو حديث حسن). «تفسيره» ١/ ٤٣٩.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) قوله، في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠ ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٠٧. وورد في «زاد المسير» ١/ ٤٦٤ و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢١٢، عنه وعن الحسن: (وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التمادي).

(٣) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٠ب، و«البغوي» ٢/ ١٠٧، و«القرطبي» ٤/ ٢١٢.

(٤) قوله في «تفسيره» ١/ ٣٠٢، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٤.

(٥) قوله في «تفسير الكلبي» ٣/ ١٢٠ب، و«البغوي» ٢/ ١٠٧، و«القرطبي» ٤/ ٢١٢.

(٦) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢١أ، و«البغوي» ٢/ ١٠٧، و«القرطبي» ٤/ ٢١٢.

يعلمون أن الذي أَتَوْهُ معصية.

وقال الحسين بن الفَضْل[١]: وهم يعلمون أنَّ لهم رَبًّا يغفر الذنوب، وكان هذا من قوله - ﷺ -: «**من أذنب ذَنْبًا، وعَلِمَ أنَّ له رَبًّا يغفر الذنوبَ، غُفِرَ له وإنْ لم يَستَغْفِر**»[٢].

١٣٦- قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ مختصر المعنى[٣]: ونِعْمَ أجْرُ العاملين؛ المغْفِرَةُ. فحُذِفَ؛ لدلالة ما قبله عليه.

١٣٧- قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أصل[٤] (الخُلُوِّ) - في

---

(١) الحديث: لم أقف على من أخرجه بهذا اللفظ، وقد أورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢١أ. ولم يسنده.

وقد ورد حديث آخر بنفس معنى هذا الحديث، ولفظه: «من أذنب ذنبًا، فعلم أن الله قد أَطَّلَعَ عليه، غفر له وإن لم يستغفر». أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» ١/ ٣١٢. قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود، بسند ضعيف).

وهناك حديث آخر قريب منه، من رواية أنس رضي الله عنه، ولفظه: «**من أذنب ذَنبًا، فعلم أن له رَبًّا إن شاء أن يغفر له غفر له، وإن شاء أن يعذِّبَه عذَّبه، كان حقًا على الله أن يغفر له**».

أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٤٢، وقال: (حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)، وأخرجه أبو نعيم في «حِلية الأولياء» ٨/ ٨٢٦.

وفي سنده عندهما: جابر بن مرزوق المكي. قال الذهبي في تعليقه على تصحيح الحاكم له: (قلت: لا والله، ومَنْ جابر؛ حتى يكون حُجَّة؟ بل هو نَكِرة، وحديثه مُنْكَر).

(٢) في (ب): (معناه).

(٣) (أصل): ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (الخال).

اللغة -: الانفراد. والمكان الخالي[١]: المنفرد عن الساكن. والخَلِيَّةُ من النُوْقِ: التي ذُبِحَ ولَدُها، فَخَلَت عن الوَلَدِ[٢].

ويستعمل في الزمان، والقُرُون؛ بمعنى: المُضِيّ؛ لأن ما مضى انفرد عمَّا يأتي بعده. فالأيَّام الماضية: التي انفردت بالمُضِيِّ عن غيرها، كذلك الأمَم الخالية[٣].

والسُّنَنُ: جمع: سُنَّة[٤]. والسُّنَّة[٥]: الطريقة المستقيمة[٦]. ويقال للخط الأسود على مَتْنِ الحِمَار: سُنَّة.

و(سَنَّ اللهُ سُنَّةً)؛ أي: بَيَّنَ طريقًا قويمًا. ويقال: (هذه سُنَّةُ اللهِ)؛ أي: أمْرُهُ ونَهْيُهُ وحُكْمُهُ. و(سُنَّةُ النبي ﷺ): طريقته.

---

(١) في كتاب «العين»: (والخَلِيَّة: الناقة التي خلت من ولدها، ورَعَت ولدَ غيرها. ويقال: هي التي ليس معها ولد) ٤/ ٣٠٨ (خلو). وذكر الأزهري أنها التي ينحر ولدها عمدًا؛ ليدوم لبَنُها، فتُستَدَرَّ بِخُوارِ غيرها، أو التي يُجَرُّ ولدُها مِن تحتها، ويُجعَل تحت أخرى، وتُخلى هي للحلب. انظر: «التهذيب» ١/ ١٠٧٤ (خلو). وانظر المعاني السابقة لـ(خلو) في المصدر السابق ١/ ١٠٧٤، و«المقاييس» ٢/ ٢٠٤.

(٢) انظر: (خلو) في «التهذيب» ١/ ١٠٧٤، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٢٩٧.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٩٩.

(٤) من قوله: (والسنة ..) إلى (.. قويما): نقله بنصه عن «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٠ (سنن). وانظر: «الزاهر» ٢/ ٣٥٢، و«اللسان» ٤/ ٢١٢٥ (سنن).

(٥) قال ابن الأنباري في: «الزاهر» ٢/ ٣٥٢: (وهي مأخوذة من: (السَّنَن)، وهو: الطريق. يقال: (خذ على سَنَنِ الطريق، وسُنَنِهِ، وسُنُنِه) .. أي: وسطه وجادته). وقال: (ثم تستعمل السنن في كل شيء يراد به القصد).

(٦) من قوله: (والسنة ..) على نهاية بيت الشعر (.. وإمامها): نقله - بتصرف يسير-

والسُّنَّةُ[1]: المِثَالُ المُتَّبَعُ، والإمام المُؤتَمُّ به. يقال: (سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً، و[سَنَّ][2] سُنَّةً سيِّئَةً): إذا عمل عملًا اقتُدِيَ به[3]، مِن خيْرٍ أو شَرٍّ.

قال لَبِيد:

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّت لهمْ آباؤُهُمْ[4] ولِكلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وإمَامُها[5]

واختلفوا في اشتقاق (السُّنَّةِ):

فقال بعضهم: هي (فُعْلَة)، من: (سَنَّ الماءَ، يَسُنُّهُ): إذا والَى صَبَّهُ. والسَّنُّ: صَبُّ الماءِ، والعَرَقِ، وغيره[6]. قال زُهَيْر:

عن: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٠.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠٠.

(٢) في «تفسير الطبري» اتبع عليه.

(٣) في (أ): (آبائهم)، وفي (ب): (آبائهم). والمثبت من (ج)، ومن مصادر البيت.

(٤) البيت في: ديوانه: ٣٢٠، وورد منسوبًا له في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٠، و«جمهرة أشعار العرب» (١٣٧)، و«الزاهر» ٢/ ٣٥٢، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٥٩٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢١ب، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني ٢٥١، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي ١٧٣، و«اللسان» ١/ ١٣٤ (أمم)، و«الدر المصون» ٣/ ٣٩٩.

والبيت من معلقته. وقد تقدم هذا البيت أبياتٌ يذكر فيها قومه، ويذكر أنَّ مِن قومه مَن لهم فضائل متعددة، ومكارم وجلائل من الأعمال متنوعة. وفي هذا البيت يقول: إن هؤلاء الذين ذكرتهم وأشرت إليهم هم من معشر فيهم هذه العادات والفضائل سنة قديمة متَّبعة، سنَّها لهم آباؤهم فتوارثوا عنهم، ولكل قوم سنة، وإمامها؛ أي: مِثَال يُحتَذى ويُسَارُ على طريقته.

(٥) قال ابن السكيت: (وكل صبٍّ سهل، فهو: سَنٌّ). «إصلاح المنطق»: ٣٧٨. وانظر هذا المعنى في: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي: ٢٧٠، و«تهذيب اللغة» = = اللغة» ٢/ ١٧٧٧ (سنن)، و«غريب الحديث» للخطابي ١/ ٤٣٨-٤٣٩،

تعودها الطرادَ[١] فَكلَّ[٢] يومٍ يُسَنُّ على سَنابِكِها قُرُونُ[٣]

أي: يُصَبُّ عليها دُفَعٌ[٤] من العَرَقِ. يريد: أنهم يُضَمِّرُونها.

شُبِّهَ فِعْلُ النبي ﷺ، الذي كان يأتيه مَرَّةً بعد أخرى، بالماءِ المَسْنُون؛ وهو[٥]: المصبوب صَبًّا مُتَوَالِيًا. فهي (فُعْلَة) بمعنى: (مفعول)،

و«مجالس ثعلب» ٢/ ٣٥٢، و«الصحاح» ٢١٤١ (سنن)، و«المقاييس» ٣/ ٦٠، و«اللسان»: ٤/ ٢١٢٦ (سنن).

(١) في (ب): مطرد.

(٢) في (ج): وكل.

(٣) البيت في: «شرح ديوانه» ص١٨٧، ورد منسوبًا له في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٠ (سنن)، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٧٧ (قرن)، و«الدر المصون» ٣/ ٤٤٠، و«اللسان» ٤/ ٢٥٢٢ (صوح)، ٤/ ٢١٢٥ (سنن)، ٦/ ٣٦٠٩ (قرن).

ورد في كل المصادر السابقة: (نُعَوِّدُها) - بالنون -. وورد الشطر الأول في الديوان، و«اللسان» ٦/ ٣٦٠٩ (قرن): (تُضَمَّرُ بالأصائل كل يوم ..). وورد في الديوان و«اللسان» (تُسَنُّ) - بالتاء -.

الطِّرَاد: هو عَدْوُ الخيل، وتتابعها. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٦٥٣ (طرد).

السَّنابِك: جمع: سُنْبُك، وهو: طرف الحافر في الفرس. انظر: «كتاب الفرق» لابن فارس ٦٣، و«القاموس» ٩٤٤.

والقُرُون: جمع: قَرْن، وهو: الدُّفْعَة من العَرَق. وقال أبو عمرو الشيباني: (القرن: العرق). كتاب الجيم، له: ٧٠. وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٠٩ (قرن).

يقول: إننا نعوِّدها الجري في كل يوم، حتى يسيل عرقها، ويصل إلى سنابكها؛ مبتغين بذلك أن تكون ضامرة، خفيفة الجسم.

(٤) في (أ)، (ب)، (ج): رسمت الدالُ فيها قريبًا من الراء. والمثبت من كتب اللغة وهو الصواب. والدُّفَع: جمع: دُفْعَة. وهي: الدَّفْقَة المنصبة بمرَّة. انظر: «القاموس» ٧١٥ (دفع).

(٥) (أ)، (ب): (وهي)، والمثبت من (ج). وهو الصواب؛ لأن الضمير يعود على الماء المسنون.

(٦) في أ: قد تُقرأ: (الغَرْفة) - لقرب رسم الفتحة كالضمة -. وفي (ب)، (ج): مهملة

كـ(الغُرْفَة)[١] من الماء وأشباهها. فَمَا رَسَمَهُ النبي ﷺ: (سُنَّة)، و(مسنون).

ويجوز أن يكون من قولهم: (سَنَنْتُ النَّصْلَ والسِّنَانَ، أَسُنُّهُ سَنًّا)، فهو (مَسْنُون): إذا أَحْدَدْتُهُ على المِسَنِّ[٢]. فالفعل[٣] الذي كان تهذيبُه منسوبًا إليه، سُمِّيَ (سُنَّة)؛ على معنى: أنه (مَسْنُون).

ويجوز أن يكون من قولهم: (سَنَّ الإِبِلَ): إذا أَحْسَنَ رِعْيَتَها[٤]. فالفعل الذي كان النبي ﷺ يتولَّى رِعايَتَه وإدامَتَه مِن العبادات سُمِّيَ: (سُنَّةً ومسنونًا)؛ ذَهابًا إلى أنَّه كان يَتَوَفَّرُ عليها بإقامةِ شروطِها، تَوَفُّرَ الرَّاعِي على الإِبِلِ بإِحْسانِ رَعْيِها. هذا كلامُ أهلِ اللغة في (السُّنَةِ).

فأما معنى الآية وتفسيرها؛ فقال أكثر المفسِّرين[٥]:

معنى الآية: قد مضت منِّي - فيمن[٦] [قد][٧] كان قبلكم، من الأمم

من الشكل. وما أثبته هو الصواب؛ لأن (الغَرْفة) لا دليل فيها على ما أراد المؤلف. أما (الغُرْفَة) فهي من: (غَرَفَ الماء يَغرِفُه، ويَغرُفه). و(اغترَفَهُ): أخذه بيده. واسم المَرَّة منه: (غَرْفَة). و(الغِرْفة) - بكسر الغين -: هيئة الغَرْفِ. و(الغُرفَة) بضم «العين»: بمعنى: المغروف. وهي المراد بالتمثيل هنا. انظر: «القاموس» (٨٤١) (غرف).

(١) انظر: (سنن) في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٧٦، و«اللسان» ٤/ ٢١٢٣.

(٢) في (ج): (والفعل).

(٣) قال ابن السكيت: (ويقال: (سَنَّ الإبل، يَسُنُّها، سَنًّا): إذا أحسن رِعْيَتها، حتَّى كأنه صَقَلَها). «إصلاح المنطق» ٥٤. وانظر: (سنن) في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٧٧، و«الصحاح» ٢١٣٩، و«اللسان» ٤/ ٢١٢٣.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٠٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ٩٩، ١٠٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٦٨، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢١ب.

(٥) في (ج): (في من).

(٦) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٧) في (ج): فهم.

الماضية المكذِّبَةِ الكافرة -، سُنَنٌ؛ بإمهالي واستدراجي إيَّاهم، حَتَّى يبلغَ الكتابُ فيهم أجَلِي الذي أجلته، في إهلاكهم واستئصالهم، وبَقِيَت لهم آثارٌ في الدنيا، فيها[١] أعظمُ الاتِّعاظِ والاعتبار، فَسِيرُوا في الأرض فانظروا كيف كان [آخِرُ أمْرِ][٢] المكذِّبين منهم.

والمعنى: أنكم إذا سِرْتُم في أسفاركم، عرفتم أخبارَ قومٍ أُهْلِكُوا؛ بتكذيبهم، ورأيتم مصارِعَهم، وما بقي بعدَهم مِن آثارِ مساكنهم، التي [خربت][٣]، فاعتبرتم، وكنتم على حَذَرٍ بما تَرَون[٤] في غيرِكم مِن المَثُلاتِ[٥] التي نزلت بهم على قبيحِ فِعْلِهم. وهذا في يوم أُحُد، يقول الله: فأنا أمهلهم[٦] [حتى يبلغ أجلي الذي][٧] أجَّلْتُ في نُصْرَةِ النبي وأوليائِه، وهلاكِ أعدائِهِ.

فـ(السُّنَنُ) - على هذا - جمع: (سُنَّة)، وهي سُنَّة الله ﷻ في [إهلاكِ الأُمَمِ الضالَّةِ][٨]. وهذا تفسير الآية من غير إضمار.

---

(١) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (احزا من). والمثبت من (ج).

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٣) في (أ): (يرون)، والمثبت من (ب)، (ج).

(٤) المَثُلات، والمُثُلات: جمع: مَثُلَة؛ وهي: النقمة والعقوبة التي تنزل بالإنسان، فيجعل مثالًا يرتدع به غيره.
انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» ٧٦٠ (مثل)، و«تذكرة الأريب» لابن الجوزي ١/ ٢٧١، و«تحفة الأريب» لأبي حيان ٢٨٤.

(٥) في (ج): (مهلكهم).

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٨) في (ج): (قال) بدون واو.

وقال[١] ابن عباس - في رواية عطاء -[٢]: قد خلت سُنَنٌ مِن قبلِكُم؛ يريد: شرائعُ.

قال ابن الأنباري[٣]: يعني: شرائع مذمومة؛ لأن باقي الآية يدل على ذَمِّها، وإنَّ المُعَاقَبِينَ بالتكذيب كانوا مُسْتَعْمِلِينَ لها، وجارِينَ[٤] على منهاجها، فأقامَ المذكورَ في آخرِ الآيةِ، مقامَ النَّعْتِ لها.

وتلخيص الآية: قد خَلَت مِن قبلكم طرائقُ سَلَكها[٥] قومٌ، فأُهْلِكُوا بِمَعاصيهم وخِلافِهم على أنبيائهم.

وقالَ أبو إسحاق[٦]: معنى الآية: قد خَلَت [مِن قَبْلِكم][٧] أهلُ سُنَنٍ، وأصحاب سُنَن في الشَّرِّ، [فحذف المضاف][٨]، ولم يذكر (في الشَّرِّ)[٩]؛ لأن في الآية دليلًا عليه، فهو[١٠] إهلاك من اتَّبَعَها.

و(العاقبة): آخر الأمر[١١]. يقال: (عَقَبَهُ، يَعْقُبُهُ، عَقْبًا، وعُقُوبًا)،

---

(١) أورد هذا القول الثعلبي في: «تفسيره» ٣/ ١٢١ب، وعزاه لعطاء دون ابن عباس. وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٦٥.

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) في (أ): (وجازين). وفي (ب): (وجازبن). والمثبت من (ج).

(٤) في (ب): (سنها).

(٥) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٠. نقله عنه بمعناه.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٨) في «معاني القرآن» (وقول الناس: فلان على السنة؛ معناه: على الطريقة، ولم يحتاجوا أن يقولوا على السنة المستقيمة؛ لأن في الكلام دليلًا على ذلك).

(٩) في (ج): (وهو).

(١٠) انظر: «القاموس» ص١١٦-١١٧ (عقب).

(١١) في (ج): (وإذا).

وعاقَبَهُ: إذا[١] جاءَ بعده[٢]. فالعاقب[٣]: الذي يَخْلُف مَن كان قَبْلَهُ[٤].

ومنه قيل للنبي ﷺ: (العاقب)[٥].

١٣٨- قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: هذا القرآن. عن أكثر المفسِّرين[٦].

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٤٧، و«اللسان» ٥/ ٣٠٢٢ (عقب).

(٢) في (ب): (كالعاقب). وفي (ج): (والعاقب).

(٣) العاقب: الآخر، والذي هو دون السيد، وقيل: الذي يخلفه، وقيل: الذي يخلف من كان قبله في الخير، وهو - كذلك -: العَقُوب.
انظر: (عقب) في: «اللسان» ٥/ ٣٠٢٢، و«القاموس» ص١١٦.

(٤) ورد ذلك في الحديث الذي رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن لي أسماءَ: أنا محمد: وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**».
أخرجه: البخاري في «الصحيح» (٣٥٣٢). كتاب التفسير. سورة الصف (٦١).
ومسلم في «الصحيح» رقم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل. باب في أسمائه ﷺ، وفيه: «**وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**»، وفي لفظ: «**ليس بعده نبي**».
وأخرجه الترمذي في «السنن» (٢٨٤٠). كتاب الأدب. باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ. والدارمي في «السنن» (٢٨١٧). وأحمد في «المسند» ٤/ ٨١، ٨٤. (وانظر: «الفتح الرباني» ٢/ ١٨٧-١٨٨).
وأخرجه عبد الرزاق في: «المصنف»: ١٠/ ٤٤٦ رقم ١٦٩٥٧) وفيه: (قال معمر: قلت للزهري: وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي).
وأخرجه مالك في:«الموطأ» (انظر: «تنوير الحوالك» ٣/ ١٦٢-١٦٣). وقال السيوطي عن عبارة (والعاقب: الذي ليس بعده نبي): (وهو مدرج من تفسير الزهري). «تنوير الحوالك» ٣/ ١٦٣.

(٥) ممن قال بذلك: الحسن، وقتادة، والربيع، ومقاتل.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٠٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠١، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٥.

(٦) في (أ): (أبي)، وفي (ب)، (ج): (أبو). والصواب ما أثبتُّه.

وقال ابن[1] إسحاق[2]: ﴿هَٰذَا﴾؛ أي: ما ذَكَرْت؛ يعني قولَه: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: ١٣٧]؛ أي: هذا[3] الذي[4] عَرَّفْتُكم، بيانٌ للناس. قال ابن عباس[5]: يريد: لجميع الخَلْقِ.

﴿وَهُدًى﴾. ذَكَرَهُ بعد ذِكْرِ البَيَان؛ لأن البَيَان: ظُهور المعنى للنفْسِ[6]، كائنًا ما كان[7]. والهُدَى: بَيَانٌ لِطَريق الرُّشْد؛ لِيُسْلَكَ دُونَ[8] طَرِيق الغَيِّ[9].

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ عَمَّ في أَوَّلِ[10] الآية، عند ذِكْرِ البَيَان؛ لِيَدُلَّ [على][11] أنَّ الخِطَابَ في التكليف، شَامِلٌ لِلمُشْرِكِ والمُسْلِم. وخَصَّ بـ(الهدى)؛ لأنه يهدي بالقرآن مَن يشاء مِن عِبَادِهِ بفضله.

---

(١) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠١، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢١ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٥.

(٢) في (ج): (هذا القرآن). ولفظة (القرآن) - هنا - مقحمة.

(٣) (الذي): ساقطة من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) في (ب): (لليقين).

(٦) انظر: «التوقيف على مهمات التعاريف»: ١٤٩.

(٧) في (ب): (بعد).

(٨) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢/ ٢٢، ٩/ ١٣، و«تفسير الخازن» ١/ ٣٥٥، و«غرائب القرآن» للنيسابوري ٤/ ٧٢.

(٩) في (أ)، (ب): (تأويل). والمثبت من (ج).

(١٠) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

أ.د. تركي بن سهو العتيبي د. عبد العزيز بن سطام آل سعود

الجزء السادس

آل عمران ١٣٩ — النساء ٨٣

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

سورة آل عمران من آية (١٣٩) إلى آخر السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

١٣٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ الآية.

قالَ الزُهْرِيُّ[(١)]، وقتادة[(٢)]، وابن أبي نَجِيح[(٣)]: هذه الآية تَسْلِيَةٌ مِن الله - تعالى - للمسلمين؛ لِمَا نالَهُمْ يومَ أُحُد مِنَ القتل والجَرْح.

ومعنى ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: لا تضْعُفُوا. والوَهْنُ[(٤)]: الضَعْفُ في العَمَلِ، وفي العَظْمِ. يقال: (وَهِنَ[(٥)]، يَهِن، وَهْنًا)، فهو (واهِنٌ): إذا ضَعُفَ في العمل. و(مَوْهُونٌ) في العَظْمِ والبَدَنِ، و(وهِنَ وَهَنًا)، لُغَةٌ[(٦)]. و(أَوْهَنَهُ الله)[(٧)]، فهو (مَوْهُونٌ)؛ مثل: (أَحَمَّهُ)، فهو (مَحْمُوم)، و(أَزْكَمَه) فهو (مَزْكُوم)[(٨)]. ومنه قول طَرَفَة:

---

(١) في (ج): (الأزهري).
وقول الزهري، في «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٢.

(٢) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٠.

(٣) قوله هذا يرويه عن مجاهد، وهو في: «تفسير مجاهد» ١٣٦، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٠.

(٤) من قوله: (والوهن ..) إلى (.. وهَنا لغة): نقله - بتصرف واختصار - عن: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٦ (وهن).

(٥) هكذا جاءت في (أ): (وَهِنَ) - بكسر الهاء -. وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. وفي «التهذيب» (وَهَنَ) - بفتح الهاء - وقد وردت الكلمة في مصادر اللغة بالحركات الثلاث (فتح الهاء وكسرها وضمها). انظر مادة (وهن) في: «الصحاح» ٢٢١٥، و«التاج» ١٨/ ٥٧٩.

(٦) في (أ): (وَهْنًا) بتسكين الهاء. وفي (ب)، (ج): مهملةٌ غير مشكولة. والمثبت هو الصواب. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٦ (وهن).

(٧) من قوله: (وأوهنه الله ..) إلى نهاية شطر بيت الشعر: (.. فقر): نقله -بتصرف يسير- عن «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٧ (وهن).

(٨) انظر (وهن) في: «جمهرة اللغة» ٩٩٦، و«الصحاح» ٢٢١٥-٢٢١٦، و«التاج» ١٨/ ٥٧٩.

إنَّنِي لَسْتُ بِمَوْهُونٍ فَقِرْ[1]

قال المفسِّرُون: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ عن جهاد عدوِّكم؛ بما نالَكُم مِنَ الهزيمة[2]، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فاتكم من الغَنِيمَةِ[3]؛ فإنَّكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾؛ أي: لكم تكون العاقِبَةُ بالنَصْرِ والظَّفَرِ.

---

(١) عجز بيت، وصدره:

وإذا تَلْسُنُنِي ألسُنُها

وهو في: ديوانه: ٥٣، وورد منسوبًا له في: «التهذيب» ٤/ ٣٩٦٧ (وهن)، و«الصحاح» ٢٢١٥ (وهن)، و«اللسان» ٦/ ٤٤٥ (فقر)، ٧/ ٤٠٣٠ (لسن)، ٨/ ٤٩٣٥ (وهن).

ومعنى (تلسُنُني)؛ أي: تأخذني بلسانها، يقال: (لَسَنَه لَسْنًا): إذا أخذه بلسانه. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٣٠ (لسن).

والمَوْهُون: هو الذي أصابه وَجَعُ (الواهنة)، وهو وَجَعٌ يصيب العِرْق المستبطن حبْل العاتق إلى الكتف. انظر: «التهذيب» ٤/ ٣٩٦٧ (وهن).

والفَقِر: الذي يشتكي من فَقَارِهِ. انظر: «اللسان» ٦/ ٤٤٥ (فقر).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٢-١٠٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧١.

(٣) في (ج): (القسمة). لم أقف على من قال بأنهم نُهُوا عن الحزن على ما فاتهم من الغنيمة. وقد ذكر هذا القول الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢٢ب. وصدَّره - مع القول السابق - بقوله: (وقيل: ..). ولم يبين القائل .

وأورده ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٦٦ وقال: (ذكره علي بن أحمد النيسابوري) يعني: المؤلف (الواحدي).

ويرى مقاتل أنهم نُهوا عن الحزن على ما أصابهم من هزيمة يوم أحد. انظر: «تفسيره» ١/ ٣٠٣. ويرى الماوردي أنهم نهوا عن الحزن على ما أصاب النبي ﷺ من شَجِّه، وكَسْرِ رَبَاعِيَتِهِ. انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٦٦.

وقيل: نُهُوا عن الحزن على مَن قُتِل من إخوانهم من المسلمين. ونسبه ابن الجوزي لابن عباس. انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٦٦.

قال ابن عباس[١]: يريد: في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: أَنَّ الإيمانَ يُوجِب ما ذَكَرَ مِن تَرْكِ الوَهْنِ والحُزْن. فقيل: إنْ كُنتم مؤمنينَ؛ فَلا تَهِنوا ولا تحزنوا؛ أي[٢]: من كان مؤمنًا فيجب ألّا[٣] يَهِنَ، ولا يَحْزَن؛ لثقته باللهِ -جل وعَزَّ-. وإلى هذا أَشَار ابنُ عبَّاس، فقال[٤] في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ يريد: مُصَدِّقِينَ؛ تحريضًا مِنَ اللهِ تعالى لهم.

وفيه وجْهٌ آخر، وهو: أن[٥] المعنى: إنْ كنتم مؤمنين بِصِدْق[٦] وَعْدِي إيَّاكُمْ بالنَصْر؛ حتى تَسْتَعْلُوا على عَدُوِّكم، وتَظْفَرُوا بِبُغْيَتِكُم.

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه في موضعُ الحَال؛ كأَنَّهُ قيل: لا تَحْزَنوا عَالِينَ؛ أي: منصورين على عَدُوِّكُم[٧] بالحُجَّةِ[٨].

الثاني: أنه اعتراضٌ بِوَعْدٍ مؤكد؛ كأنه قيل: ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا إنْ كُنْتُم مؤمنين، وأنتم الأَعْلَوْن[٩].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في (ج): (إلى).

(٣) في (ب): (أن لا).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) (أن): ساقطة من (ج).

(٦) في (ج): (لصدق).

(٧) (على عدوكم): ساقطة من (ج).

(٨) انظر: «البيان»، للأنباري ١/ ٢٢٢، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠١.

(٩) انظر: «الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٦٣٣.

وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ[(١)] مَنْ كان مؤمنًا، لا يَنْبَغِي له أن يَضْعُفَ لِمَا يَنَاله مِن مُصِيبَةٍ في الدُّنْيَا، بل يجب أن يسكن نفسُهُ، وينتفي حزْنُهُ بما هو عليه مِن الاستعلاء، والفوز بالأُمْنِيَةِ في العاقِبة.

١٤٠- قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية.

مَعْنَى ﴿يَمْسَسْكُمْ﴾: يُصِبْكم[(٢)]. يقال: (مَسَّهُ أَمْرُ كذا)، [أو][(٣)] (مَسَّتْهُ الحَاجَة)؛ أي: أصابته. وتأويله: لَصِقَ بِهِ، وأصابَهُ في ذاتِهِ[(٤)].

و(القَرْحُ): قُرِئ بِضَمِّ القَافِ، وفَتْحِه[(٥)].

قال أهل اللغة[(٦)]: هُمَا لُغَتَانِ في عَضِّ السِّلاح ونَحْوِهِ، مِمَّا يَجْرَحُ [الجَسَدَ][(٧)]، مثل: (الوَجْد، والوُجْد)[(٨)]، و(الضَّعْف، والضُّعْف)، وبابه[(٩)].

---

(١) أن: ساقطة من (ج).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٤.

(٣) (أو): في (أ)، (ب): و. والمثبت من (ج).

(٤) أصل (المَسِّ): لمس الشيء باليد. ثم تُوُسِّعَ فيه، واستعير للتعبير عن معانٍ عدَّة. انظر: (مسس) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٤، و«اللسان» ٧/ ٤٢٠١.

(٥) القراءة بضم القاف في (قُرْح)، هي من رواية أبي بكر عن عاصم، وقراءة حمزة، الكسائي. والقراءة بفتحها (قَرْح)، من رواية حفص عن عاصم، وابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر.
انظر: «علل القراءات» ١/ ١٢٦، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٧٩، و«التبصرة» ٤٦٤.

(٦) هو قول الليث. ذكره الأزهري في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٨ (قرح).

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، والمثبت من (ب)، (ج).

(٨) يقال: (وَجَدَ الشيءَ، يجِدُهُ، جِدَةً، ووُجْدًا، ووَجْدًا، ووجودا، ووُجْدانًا، وإجْدانًا). وتأتي (الوُجْدُ) و(الوَجْدُ)، بمعنى: اليَسَار، والسَّعَة. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٧٠ (وجد).

(٩) ومنها: (الكَرْه والكُرْه)، و(الفَقْر والفُقْر)، و(الدَّفْ والدُّفْ)، و(الشَّهْد والشُّهْد)، =

قال الفراء[١]: وكأن (القَرْح): أَلَمُ الجِرَاحات، وكأن (القَرْح): الجراحات[٢] بأعيانها.

وقال الزجاج[٣]: هما عند أهل اللغة بمعنى واحد؛ ومعناهما: الجراح وألَمُهَا. يقال: (قَرَحَهُ): إذا جَرَّحَهُ[٤].

قال الشاعر:

لا يُسلِمُونَ قَرِيحًا حَلَّ وَسْطَهُمُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ولا يُشْوُونَ مَنْ قَرَحُوا[٥]

= و(الجَهْد والجُهْد)، و(الوَسْع والوُسْع).
انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٣٤، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٧٩.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٤. نقله عنه بنصه.

(٢) (وكأن القرح الجراحات): ساقط من (ج).
وفي «معاني القرآن» الجرح - بدلًا من: الجراحات -.

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٠. نقله عنه بنصه.

(٤) هكذا جاءت في (أ): (جَرَّحه). وفي (ب)، (ج): مهملة من علامات الشكْل.
والأصوب: (جَرَحَه) بدون تشديد في الرَّاء. وهكذا وردت في مصادر اللغة.
قال ابن السكيت: (قَرَحَه، يَقْرَحُهُ، قَرْحًا: إذا جَرَحَه). «إصلاح المنطق» ص٨٠، ١٩٥. وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٨ (قرح)، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٦٦٥ (قرح)، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٣.

(٥) البيت للمتنخل الهذلي. وقد ورد منسوبًا له في: «إصلاح المنطق» ٨١، ١٩٥، و«شرح أشعار الهذليين» ١٢٧٩، و«الأمالي» للقالي ١/ ٢٨، و«الصحاح» ٣٩٥ (قرح)، و«اللسان» ٦/ ٣٥٧١ (قرح).
وورد غير منسوب في: كتاب «المعاني الكبير» ٩٠١، و«جمهرة اللغة» ٥٢٠ (قرح).
وقد وردت روايته في «الجمهرة»:
لا يُسْلِمون قَرِيحا كان وسْطَهُمُ تحت العَجَاج ولا يشوون من قرحوا
القريح: الجريح. و(لا يُشْوُون مَن قَرَحُوا): يقال: (أشواه): إذا أصاب (شَوَاهُ)، وهي: أطرافه، وأخطأ مقتله. ومعنى البيت: أن من جُرِح منهم حاموا عليه حتى يستنقذوه، ولا يُخْطِئون مقتل من جرحوه. انظر: «المعاني الكبير» ٩٠١، و«الجمهرة» ٥٢٠ (قرح)، و«اللسان» ٦/ ٣٥٧١ (قرح).

و(قَرِحَ الرَّجُلُ، يَقْرَحُ): إذا صَارَ قَرِيحا[(١)].

قال المفسِّرُون[(٢)]: يقول: إنْ أصابكم جُرْحٌ يوم أُحُد، فقد أصابَ المشركين[(٣)] مثْلُهُ يومَ بَدْر.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾.

قال ابنُ عبَّاس[(٤)]: يعني: أيَّام الدُّنْيَا، نُداوِلُها [بَيْنَ النَّاس][(٥)].

[قال الحَسَنُ][(٦)]، وقَتادة[(٧)]، والرَّبيع[(٨)]، والسُّدِّي[(٩)]: نصرفها مَرَّةً

---

(١) انظر: المعاني السابقة لـ(قرح) في: «إصلاح المنطق» ٨١، ١٩٥، و«جمهرة اللغة» ٥٢٠ (قرح)، و«التهذيب» ٣٧ (قرح)، و«المخصص» ٥/ ٩٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٠٣، و«الطبري» ٤/ ١٠٤، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٢ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٦.
وقد رجح هذا القول: البغوي، والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، وصديق خان. انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١١٠، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢١٧، و«تفسير النسفي» ١/ ٨٤، و«فتح القدير» ١/ ٥٨٤، و«فتح البيان» ٢/ ١٣٧.

(٣) في (ب)، (ج): (المشركون).

(٤) لم أقف على مصدر قوله هذا. ويُفهم من قوله - هنا - عموم أيام الدنيا، وما فيها من مداولة بين الناس، من عُسْر ويُسْر، وفَرَح وغَمٍّ، بينما وردت آثار أخرى عنه، تخصص هذه الأيامَ بما حدث يوم بدر واحد، حيث كانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر، وللمشركين على المسلمين يوم أحد. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٢.

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).
وقول الحسن، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٤-١٠٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٣، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٦.

(٧) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٥، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٦.

(٨) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٣.

(٩) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٥.

لِفِرْقَةٍ ومَرَّةً عليها.

والدَوْلَةُ: الكَرَّةُ[(١)]. و(أَدَالَ اللهُ فُلانًا مِن [فُلان): إذا جَعَلَ الكَرَّةَ لَهُ عليه؛ يريد][(٢)]: أَنَّهُ أدالَ المسلمينَ مِنَ المُشْرِكين يَوْمَ بَدْر، وأدال المشركين مِنَ المسلمين يوم أُحُد.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. اختلفوا في العامل في اللام، فذكروا فيه وجهين:

أحدهما: أن اللام صِلَةٌ لِفِعْلٍ مُضْمَر[(٣)]، يدل عليه أولُ الكلام؛

---

(١) (الدَّوْلَة) - بفتح الدال -، أو (الدُّوْلَة) - بضم الدال -: أصل معناهما: تَحَوُّل شيء من مكان إلى مكان. يقال: (تداولوا الشيء بينهم): إذا صار مِن بعضهم إلى بعض. وتستعمل (الدوْلَة) - بفتح الدال وبضمها -: لانقلاب الزمان من حال البؤس، إلى حال السرور. وكذلك في العُقْبَة في المال؛ أي: النَّوبة فيه.
ويرى بعضُ أهلِ اللغة أن بينهما فرقًا، فقالوا: الدَّولة - بالفتح -: تستعمل في الحرب خاصة، وهو أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى. وبالضم: في المال خاصة. يقال: (صار الفيءُ دُوْلة بينهم)؛ أي: يتداولونه مرَّة لهذا ومرة لهذا.
وقيل: بالفتح: للفعل، وهو الانتقال من حال إلى حال. وبالضم: اسمٌ للشيء المتداول بعينه. وقيل: بالفتح: أن ترجع الكرة للجيش المهزوم، فينتصر على من هزمه، فتكون له الدَّوْلة. وبالضم: في المُلْك والسنن التي تُغير وتُبدل عن الدهر. انظر (دول) في: «التهذيب» ٢/ ١٢٤٨، و«المقاييس» ٢/ ٣١٤، و«اللسان» ٣/ ١٤٥٥، و«التاج» ١٤/ ٢٤٥.

(٢) ما بين المعقوفين ورد مكانه في صورة الأصل: العبارةُ التالية: (عن خلق وتأتي مثله). وهي عِبَارَةٌ مكانها في الصفحة التي تليها في الأصل، ولكن نظرًا لوجود خرم في الأصل في هذا الموضع، فقد ظهرت هذه العبارة في المصورة في هذه الصفحة. وقد أثبتها من (ب)، (ج).

(٣) في (ب): (لمضمر). - بدلًا من: لفعل مضمر -.

بتقدير: ولِيَعلم اللهُ الذين آمنوا؛ نُدَاولها[١].

الوجه الثاني: أن العامل فيه: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾[٢] المذكور؛ بتقدير: نداولها بين الناس؛ ليظهر أمرهم، وليَتَبَيَّنَ[٣] أعمالَهم، وليعلم الله الذين آمنوا.

فَلَمَّا انكشف معنى اللّامِ المُضْمَرة في (لِيظهر)، و(لِيَتبيَّن)، جرت مجرى الظاهرة؛ فأمكن[٤] العطْفُ عليها. [و][٥] الوجهان، ذكرهما ابنُ الأنباري[٦]، وغيرُهُ مِن أهلِ النَّحْو.

و(العِلْمُ) إذا لم يتعلق بالذَّاتِ، اقتَضَى مَعْلُومَيْنِ؛ كما تقول: (عَلِمْتُ زَيْدًا عاقلًا، وَجَوادا). فلا[٧] تقول: (عَلِمْتُ زَيْدًا) فقط؛ إلّا أن تريد به: عَرَفْتَهُ، وعَلِمْتَ مَنْ هُوَ[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/١٠٦.

(٢) في (ج): (تداولها).

(٣) ورد هذا النص في: «الدر المصون» ٣/٤٠٥ ينقله عن ابن الأنباري، وفيه: (ولِنُظْهِرَ أمرَهم، ولِنُبَيِّن أعمالهم).

(٤) في (ب): (وليكن).

(٥) غير واضحة في (أ)، وفي (ب): (ب). والمثبت من (ج).

(٦) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده السمين الحلبي في «الدر» ٣/٤٠٥.

(٧) في (ج): (ولا).

(٨) أي: أن العِلْمَ - هنا - متعلق بذاته. ويجوز أن يتعدى (عَلِمَ) إلى مفعول واحد؛ وذلك إذا كان بمعنى (عَرَف)، أو أن يكون العِلْمُ متعلِّقًا بالذوات دون الأحوال. فأما إذا كان بمعنى (عرف) فيرى السمينُ الحلبيُّ أنه يُشْكِلُ في هذا الموضع؛ لأن الله -تعالى- لا يجوز أن يوصف بذلك، وإنما يوصف بالعلم؛ لأن المعرفة هي: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل، أو نسيان حاصل بعد العلم. =

والمفعول الثاني - ههنا - محذوف. والتقدير: وَلِيَعلمَ اللهُ الذين آمنوا [مُمَيَّزينَ][1] بالإيمان مِنْ غيرهم؛ أي: إنما يجعل الدَّولةَ للكفارِ على المسلمين؛ لِيُميِّزَ[2] [المؤمن][3] المخلص[4]، مِمَّن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبةٌ.

ويحتمل أن يكون (العِلْمُ) - ههنا - بمعنى: معرفة الذات؛ والتأويل: وَلِيَعلمَ اللهُ الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوِّهم؛ أي: لِيَعرِفَهم بأعيانهم. إلَّا أنَّ سَبَبَ العِلْم، - وهو: ظهور الصبر - حذف ههنا -.

وقال الفراء[5]: هذا في مذهب [(أيّ)][6] و(مَنْ)؛ التأويل: ليعلم الله مَن المؤمن، وأيّهُم المؤمن؛ كما قال: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢]. وجاز ذلك؛ لأنَّ في (الذي)، وفي الألِفِ واللَّامِ تأويل (مَن) و(أيّ)؛ كما قال: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

= أما العِلْم، فهو: الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، إذ هو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض. انظر: كتاب «التعريفات» للجرجاني ١٥٥، ٢٢١، و«التوقيف على مهمات التعاريف» ٥٢٣، ٦٦٦، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٦، و«الكليّات»، لأبي البقاء: ٨٦٨.

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٢) في (ب): (ليتميز).

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ)، وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٤) في (ب): (الملخص).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٤. نقله عنه باختصار، وتصرف يسير. وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٦.

(٦) ما بين المعقوفين في (أ) غير مقروء. وفي (ب): (أين). والمثبت من (ج).

وتأويل قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، واللهُ تعالى يعلم الشيءَ قبلَ وُجُودِهِ، ولا يحتاج إلى سَبَبٍ حَتى يعلم؛ وإنما المعنى: وَلِيَعْلَمَ ذلك واقِعًا منهم.

أي: لِيَقَعَ ما عَلِمَهُ غَيْبًا، مُشاهَدَةً للناس. والمُجَازاة إنَّمَا تَقَع بِما يعلمه موجودًا كائِنًا، لا[1] بِمَا عَلِمَهُ غَيْبًا[2]. وهذا كقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١]. وقد استقصينا ما في هذا عند قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ أي: وَلِيُكْرِمَ قَوْمًا بالشَّهَادَةِ؛ وذلك أنَّ المسلمين تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وأنْ يَكُونَ لهم يومٌ كيوم بَدْر، يقاتِلُوا فيه العَدُوَّ، ويَلْتَمِسُوا الشهادة[3].

والشُّهَدَاء: جمع شَهِيد؛ كـ(الكُرَمَاء)، و(الظُّرَفَاء). والمقتول مِنَ المسلمين بِسَيْفِ الكُفَّار، يُسَمَّى: شهيدًا.

واختلفوا فيه: لِمَ سُمِّيَ شهيدًا؟:

فقال النَضْرُ بن شُمَيْل[4]: الشَّهِيد: الحَيُّ. قال الأزهري[5]: أراه تَأَوَّلَ قولَ اللهِ جلَّ وَعزَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ

---

(١) (لا): ساقطة من (ج).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٠-٤٧١، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٨٢، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٤١، و«البحر المحيط» ٣/ ٦٣.

(٣) ممن قال ذلك: ابن عباس، ومجاهد، وابن جريج، والضحاك، وقتادة، والربيع، والسدي، وابن إسحاق. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٦-١٠٧.

(٤) قوله، في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٣ (شهد)، و«اللسان» ٤/ ٢٣٤٨ (شهد).

(٥) قوله، في «التهذيب» ٢/ ١٩٤٣ (شهد). نقل أكثر قوله بنصّه وتصرف قليلًا في آخره.

عِندَ رَبِّهِمْ﴾(١)، كأنَّ أرواحَهُم أُحْضِرَت(٢) دارَ السَّلام [أحياءً، و](٣) أرواحَ غيرهم لا يَشهَدُها(٤). وهذا قولٌ حَسَنٌ.

وقال ابنُ الأنباري(٥): سُمِّي شهيدا؛ لأن الله وملائكته شُهُودٌ له. فهو (فَعِيل)، بمعنى: (مَفْعُول له).

وقال قومٌ(٦): سُمُّوا شُهَداء؛ لأنهم يُسْتَشْهَدُونَ يومَ البَعْثِ(٧)، مع الأنبياء والصِّدِّيقِينَ على الأمم؛ كما ذَكَرَهُ اللهُ تعالى في قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣].

قالَ أبو منصور(٨): والشهادة - يومئذ - تكون للأفضل(٩) فالأفضل مِنَ الأُمَّةِ. فأفضلهم مَن قُتِلَ في سبيل الله؛ أَبَانَهم اللهُ من غيرهم - بالفضل الذي يميَّزوا به - مِن جَمَاعَةِ المؤمنين.(١٠) وبَيَّن أنَّهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٩]، الآية. ثم يتلوهم في الفضل مَنْ عَدَّه النبيُّ ﷺ مِنَ

(١) سورة آل عمران ١٦٩. وبقيتها: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.
(٢) في (ج): (حضرت).
(٣) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من: «تهذيب اللغة».
(٤) وفي «التهذيب»: وأرواح غيرهم أُخِّرَتْ إلى يوم البَعْث.
(٥) قوله، في: المصدر السابق. نقله عنه بمعناه.
(٦) أورد هذا القول الأزهريُّ في المصدر السابق، ولم ينسبه لقائل.
(٧) في (ب): (بالبعث). بدلًا من: (يوم البعث).
(٨) هو الأزهري، وقوله في: «تهذيب اللغة» ٢/١٩٤٣. نقله عنه بتصرف واختصار.
(٩) في (أ)، (ب): الأفضل. والمثبت من (ج)، و«تهذيب اللغة».
(١٠) وعبارة «التهذيب»: ميِّزت هذه الطبقة عن الأمة بالفضل الذي حازوه. - بدلًا من عبارة المؤلف: (أبانهم.. المؤمنين).

المسلمين شهيدا؛ فإنه قال: «**المَبْطُونُ شَهِيد**[١]، **والغَرِيق شَهيد**[٢]»[٣].

وذَكَرَ - أيضًا - غيرَ هذين. ويدل على هذا ما رُوي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال:

---

(١) في (أ): (شهيدا). والمثبت من: (ب)، (ج)، و«التهذيب»، ومصادر الخبر.

(٢) في (ب): (شهيدا).

(٣) الحديث ورد من رواية جابر بن عتيك، ونصه: (.. فقال رسول الله ﷺ: «**وما تعدُّون الشهادة؟.**» قالوا: القتل في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «**الشهداء سَبْعَةٌ، سوى القَتْل في سبيل الله: المَطْعُونُ شهيد، والغَرِقُ شهيد، وصاحبُ ذات الجَنْبِ شهيد، والمَبْطُونُ شهيد، والحَرِقُ شهيد، والذي يموت تحت الهَدْمِ شهيد، والمرأة تموت بِجُمْعٍ شهيد**».

وقد أخرجه مالك في: «الموطأ» ١٦١ رقم (٣٦) كتاب الجنائز. باب النهي عن البكاء على الميت. واللفظ له.

وأخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ٤٤٦. انظر: «الفتح الرباني» ١٤/ ٣٩)، وأبو داود في «السنن» رقم (٣١١١). كتاب الجنائز. باب في فضل من مات في الطاعون.

وأخرجها النسائي في «السنن» رقم (١٨٤٦) كتاب الجنائز. باب النهي عن البكاء على الميت. رقم (٣١٩٤) كتاب الجهاد. باب من خان غازيا..

وأخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٢٨٠٣) كتاب الجهاد. ما يرجى فيه الشهادة، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢٢٦١).

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٥٦٢ رقم (٦٦٩٥).

وابن حبان في صحيحه ٧/ ٤٦١ رقم (٣١٨٩)، ٤٦٣ رقم (٣١٩٠).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ٣٥١ كتاب الجنائز، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢/ ١٩١ رقم (١٧٧٩)، ١٩٢ رقم (١٧٨٠)، و«الأوسط» ٢/ ١٤٢ (١٢٦٥)، والبغوي في «شرح السنة» ٥/ ٤٣٣ رقم ١٥٣٢.

وأخرج الشافعيُّ أوَّله في «المسند» ١/ ١٩٩ رقم (٥٥٦)، وكذا البيهقي في «السنن» ٤/ ٦٩ واقتصر على أوَّله.

وقد ورد حديث آخر بنحو هذا الحديث عن أبي هريرة: (الشهداء خمسة: ..) وذكر بعض الأنواع التي وردت في الحديث السابق.

=

«مالَكُمْ إذا رَأيتم الرَّجلَ يُخرِّقُ[١] أعْرَاضَ الناس، ألاّ تُعَرِّبُوا عليه[٢]»؟

= أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٨٢٩). كتاب الجهاد: باب الشهادة سبع سوى القتل، ومسلم في «الصحيح» رقم (١٩١٤) كتاب الإمارة. باب بيان الشهداء. وأحمد في «المسند» ٢/ ٤٤١، ٣١٠، وابن ماجة في «السنن» رقم (٢٨٠٤)، والطيالسي ٣١٦ رقم (٢٤٠٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٢٧٠ رقم (٩٥٧٤).

وانظر أحاديث، وآثارًا أخرى في: «صحيح البخاري» (٥٧٣٣) كتاب الطب. باب ما يذكر في الطاعون، و«مصنف عبد الرزاق» ٥/ ٢٦٩ رقم (٩٥٧٢)، ٢٧١ رقم (٩٥٧٥، ٩٥٧٦، ٩٥٧٧)، و«سنن سعيد بن منصور» ٢/ ٢٣٥-٢٣٦ رقم (٢٦١٥، ٢٦١٦، ٢٦١٧)، و«فتح الباري» ٦/ ٤٣-٤٤، و«كنز العمال» ٤/ ٤٢١-٤٢٤ رقم (١١٢١٣-١١٢٣١)، و«الفتح الرباني» ١٤/ ٣٤-٣٩.

و(المبطون): الذي مات بداء البطن، كالاستسقاء، ونحوه من العلل. و(المطعون): الذي مات من إصابته بالطاعون. و(المرأة تموت بجُمْع): التي تموت وولدها في بطنها. وقيل: التي تموت بكرًا. و(ذات الجنب): التهاب يصيب غلاف الرئة، ينتج عنه سُعال وحمى، ونخس في الجنب، ويسمى - كذلك (الجُناب).

(١) (يُخرِّق) جاءت في: (أ)، (ب)، (ج) مهملة من الشكل، وفي «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٤: (يَخرِق)؛ خلاف ما جاء في مخطوط التهذيب؛ كما أشار إلى ذلك محقق التهذيب. وكذا ورد ضبطها في: «اللسان» ٤/ ٢٣٤٨ (شهد)، وما أثبتُّه هو ما استصوبته؛ لأنها وردت في مصادر الخبر (يُخرِّق)، ومن هذه المصادر: أصل مخطوط «تهذيب اللغة»؛ حيث أشار إلى ذلك محقق التهذيب في هامش نفس الصفحة قائلًا: (ضُبط في مُصوَّرة التهذيب بضم أوَّلِه؛ فكأنه يُراد فيها مشدَّد الرَّاء من (التخريق». ولكن المحقق أثبتها (يَخرِق) إما باجتهاد منه، أو اعتمادًا على ما في «اللسان».

وكذا وردت (يُخرِّق) في: «غريب الحديث» لابن سلّام ١/ ١٠٢، ٢/ ٢٨، و«الفائق» للزمخشري ٢/ ٤١٤، و«غريب الحديث» لابن الجوزي ٢/ ٧٨، و«النهاية» لابن الأثير ٣/ ٢٠١.

(٢) (تُعَرِّبوا) وردت في (أ)، (ب)، (ج) مهملة من الشكل. ووردت في «تهذيب اللغة» (تُعرِبوا)، وهو خلاف ما ورد في أصل التهذيب كما أشار إلى ذلك =

فقالوا: نَخَاف لِسَانَهُ يا رَسُولَ الله. فقال: «**ذلك [أدْنَى]**[(١)] **أنْ لا تَكُونوا شُهَداء**»[(٢)] معناه: أنكم إذا لَمْ تُعَرِّبُوا على مَن يتناول أعراضَ المسلمين؛ مَخَافَة لِسَانِهِ، لم تَدْخُلوا في جُمْلَةِ المُسْتَشْهَدِين يومَ القيامة على الأمم التي كَذَّبَتْ أنبياءَها.

= محققه؛ حيث قال: (ضُبطت بتشديد الراء في المصورة).

وكذا وردت بتشديد الراء في مصادر الخبر المشار إليها سابقًا. وهي ما اعتمدت عليه في ضبط الكلمة.

أما في «لسان العرب» ٤/ ٢٣٤٨ (شهد) فقد نقل هذا النص عن الأزهري وفيه: (أنْ لا تَعْزِمُوا عليه).

(١) ما بين المعقوفين زيادة من «تهذيب اللغة»، وبقية مصادر الأثر التالية.

(٢) الأثر، لم أهتد إليه في كتب السنة، وقد أورده: أبو عبيد بن سلّام في: «غريب الحديث» ١/ ١٠٢ من قول عمر ﷺ، حيث قال: (وقد روي عن عمر أنه قال: ..) وذكره، وفي: ٢/ ٢٨ قال: (وفي حديث عمر: ما يمنعكم إذا رأيتم الرجل ..) وذكره. وأشار محقق «غريب الحديث» في هامش: ٢/ ٢٥٢ إلى أنه وردت زيادة في بعض نسخ الغريب فيها سند هذا الأثر، وهو: (.. قال: حدثناه أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن زيد بن صوحان، عن عمر..).

وفي «التهذيب» ٦/ ٧٤: جعله من قول عمر، حيث قال: (لقوله (..)، وقد أورده الزمخشري في «الفائق» ٢/ ٤١٤، وابن الجوزي في «غريب الحديث» ٢/ ٧٨ وقال: (قال عمر: مالكم ..) وذكره، وابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٢٠١.

وفي جميع المصادر السابقة التي أوردت الأثر لم يرد فيها قولهم: (.. يا رسول الله ..). وقوله: (تُعَرِّبوا عليه)؛ أي: تقبِّحوا قولَه، وتعيبوه، وتَرَدُّوه عليه، وتُفسِدوا عليه كلامَه، وتهجِّنوه .

انظر: «الفائق» ٢/ ٤١٤، و«اللسان» ٥/ ٢٨٦٦ (عرب)، في كتاب «النخل» لأبي حاتم السجستاني ١٠١ : (وفي الحديث: (فما عرَّبتم عليه)؛ أي: فما غيَّرتم).

وقيل في الشَّهِيد: إنَّه سُمِّيَ (شَهِيدا)[(١)]: لأنه شَهِد الجَنَّةَ؛ أي: حَضَرَها حين استشهد. فهو على هذا التأويل، بمعنى[(٢)]: (شاهد)، وهو: الحاضر؛ كما يقال: (سميع وسامع)، و(عليمٌ وعالِم)[(٣)]. وهذا قريب مِمَّا قاله ابنُ شميل[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس[(٥)]: أي: المشركين.

وفي هذا [إشارة][(٦)] إلى أنه إنَّما [يُدِيل][(٧)] الكافرين على المؤمنين؛ لِمَا ذَكَرَ[(٨)]، لا[(٩)] لأنَّهُ يُحِبُّهم. وإذْ[(١٠)] أَدَالَ المؤمنين، أدَالَهُمْ نُصْرَةً لهم، ومَحَبَّةً منه إيَّاهم.

وجملة معنى الآية: أنها [تَسْلِيَة][(١١)] للمؤمنين [عَمَّا نالَهُم مِنَ

---

(١) لم أقف على من قال بهذا القول.
(٢) في (أ)، (ب): (معنى). والمثبت من (ج).
(٣) وردت - هنا - عبارة مكررة في (ج)، وهي: (فهو على هذا التأويل).
(٤) أورد ابن حجر في «فتح الباري» هذه الأقوال في سبب تسمية الشهيد بهذا الاسم، وزاد عليها أقوالًا أخرى، ثم قال: (وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله، وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه). «فتح الباري» ٦/ ٤٣.
(٥) قوله، في «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٤.
(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).
(٧) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب): (يريد). والمثبت من (ج). وهو الصواب.
(٨) أي في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.
(٩) لا: ساقطة من (ج).
(١٠) في (ب)، (ج): (وإذا).
(١١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

الجِرَاح](١) بِأَنَّ عَدُوَّهم قد نَالَ مِثْلَهُ، وأَنَّ سُنَّةً لَهُ في عِبَادِهِ أنْ يَبْلُوهم مَرَّةً بالخير، ومَرَّةً بالشَّرِّ [كما قال](٢): ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(٣)](٤).

١٤١- قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: لِيُظْهِرَهم(٥) مِن ذنوبهم، ويُسْقِطَها عنهم. وتأويل (المَحْص) [-في اللغة-: التَّنْقِيَةُ والتَّخْلِيص(٦)](٧).

قرأت على سَعِيد بن محمد الحِيري، فقلت: أَخْبَرَكم أبو علي الفارسي، عن الزجَّاج، قال: سمعت المبَرِّد يقول: (مَحَصَ(٨) الحبْلُ،

(١) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٢) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٣) سورة الأنبياء: ٣٥. وتمامها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

(٤) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٥) هكذا في (أ)، (ب): (لِيُظْهرهم) - بالظاء -. وفي (ج): (ليطهِّرهم) - بالطاء -. وهي أوْلى. إلّا أنَّ الأولَى، وهي (لِيظْهِرَهم) تدخل في المعنى المراد من التمحيص. جاء في «اللسان» (.. وقد أمْحَصَت الشمسُ؛ أي: ظهرت من الكسوف وانجلت). ٧/ ٤١٤٥ (محص).

وقد قال المؤلف - فيما سيأتي - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [آية: ١٥٤]: (قد ذكرنا للتمحيص ثلاثة معانٍ، عند قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: التطهير، والكشف، والابتلاء.

وهذا القول يعزز ما جاء في نسخة (ج)؛ لأن التطهير مصدر لـ(طهَّر)، إلا أنِّي آثرت أن أبقِيَ ما في نسختي (أ)، (ب)؛ لأن الكلمة وردت فيهما مضبوطة بالشكل، واضحة، فكأن الناسخ أراد بشَكْلها أن يُنَبِّهنا إلى رسمها.

(٦) في (ب): (والتلخيص).

(٧) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، والمثبت من: (ب)، (ج) و«معاني القرآن»، للزجاج، حيث وردت العبارة فيه.

(٨) هكذا ضُبطت في (أ): (مَحَصَ) - بفتح الحاء -. وكذا وردت في «معاني =

يَمْحَصُ، مَحْصًا)[١]: إذا ذهب زِئْبِرُهُ[٢] حتَّى [يَمَّلِصَ][٣].
و(حبْلٌ مَحِصٌ، ومَلِصٌ)، بمعنًى واحدٍ[٤].

= القرآن»، للزجاج ١/ ٤٧١. أمّا في (ب)، (ج) فأهمِلَت من الشَّكْل. وفي «التهذيب» ٤/ ٣٣٥٠، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥ فقد وردت فيهما: (مَحِصَ) - بكسر الحاء -.

(١) (أ)، (ب)، (ج): (محصا) مُهْمَلة من الشَّكْل. وضَبَطْتُها من: «معاني القرآن»، للزجاج ١/ ٤٧١، و«التهذيب» ٤/ ٣٣٥٠ حيث نقل نَصَّ الزجاج، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٧ حيث نقل هذا النص عن الواحدي. أمّا في: «الزاهر» ١/ ١٠٨، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥ فقد وردت فيها: (مَحَصًا) - بفتح الحاء -.

(٢) (أ)، (ب)، (ج): زبيره. وفي «معاني القرآن» للزجاج: (إذا ذهب منه الوبَرُ). وقد وردت (زبيره) في: «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي: ٥٣٦ إلا أني لم أجدها في كتب اللغة الأخرى التي رجعت إليها. وقد ذكرها السمين الحلبي - نفسه - في: «الدر المصون» ٣/ ٤٠٧ (زئبره) وفق ما أثبتُّهُ.
والمثبت من كتب اللغة. انظر: «مقاييس اللغة» ٥/ ٣٠٠ (محص)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٧.
الزِّئْبِرُ - بكسر الباء، وقد يضمها بعضُهم -: هو ما يظهر من درز الثوب. وهو الزَّغَب والوَبَر الذي يعلو المنسوجات. انظر: «التاج» ٦/ ٤٤٩ (زأبر)، و«المعجم الوسيط» ١/ ٣٨٨ (زأبر).

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج). وهي فيهما غير مشكولة.
وفي «معاني القرآن»، للزجاج وردت: (يَمْلَصَ). وقد ضبطْتُها بالشكل من: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٠ (محص)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥ (محص). وهي الصواب.
ويَمَّلِص: يَنْزَلِقُ من اليد. والمَلَص: الزَّلَق. يقال: (مَلِصَ مَلَصًا)، (فهو أمْلَصُ، ومَلِصٌ، ومَلِيصٌ).
قال في: «اللسان» (وامَّلَصَ، وتَمَلَّص): زَلَّ انسلالًا لِمَلاسَتِهِ. وخصَّ اللِّحيانيُّ به الرِّشاءَ، والعِنان، والحبل، قال: و(انْمَلَص الشيءُ): أفْلَتَ. وتُدْغَمُ النونُ في الميم). ٧/ ٤٢٦٢ (ملص).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧١، و«الزاهر» ١/ ١٠٨، و«تهذيب اللغة» =

قال[١]: ويُسْتَحَبُّ مِن الفَرَسِ أنْ تَمْحَصَ[٢] قوائِمُهُ؛ أي[٣]: تَخْلُصَ من الرَّهَلِ[٤]. وأنشد[٥] ابنُ الأنباريِّ[٦] - على هذا - لأبي دُوَاد[٧]، يَصِف قوائمَ الفرس:

صُـمِّ النُّسُـورِ صِحـاحٌ غيـرُ عـاثِرَةٍ رُكِّبْنَ في مَحِصَاتٍ مُلْتَقَى العَصَبِ[٨]

= ٤/ ٣٣٥٠ (محص)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٧.

(١) القائل هو الزجاج، ويروي المؤلفُ قولَه هذا بسنده السابق، وقول الزجاج - بنصه - في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٢. قال الزجاج: (ويقال: ..) وذكره.

(٢) في (ب): (يملص). وفي «معاني القرآن» (تُمَحَّصَ). وما أثبتُّه ورد كذلك في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٠ (محص) حيث نقل نَصَّ الزجاج. و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٧ حيث نقل نَصَّ المؤلف (الواحدي). وورد في «اللسان» ٧/ ٤١٤٥ (محص) قوله: (أنْ تُمْحَصَ) - بضم التاء -.

(٣) في (ب)، (ج): (أن).

(٤) في (ب): (الرها). والرَّهل - هنا -: استرخاء اللحم مِنْ سِمَنٍ. يقال: (رَهِلَ اللحم، يَرْهَلُ، رَهَلًا)، فهو (رَهِلٌ): إذا استرخى واضطرب.
انظر (رهل) في: «جمهرة اللغة» ٨٠٢، و«المجمل» ٤٠٣، و«اللسان» ٣/ ١٧٥٦.

(٥) في (ج): (أنشد) - بدون واو -.

(٦) في «الزاهر» ١/ ١٠٧.

(٧) قال البغدادي: (وأبو دُوَاد، بدالين مهملتين، أوْلاهما مضموم، بعدها واو). «خزانة الأدب» ٩/ ٥٩٠. وكذا كُتِب في «الأصمعيات» ١٨٥. أما في المصادر التالية، فقد ورد (دُؤاد).
وهو: أبو دؤاد الإيادي، جارية بن الحجَّاج، وقيل: جُوَيْرِية بن الحجاج، وقيل: حنظلة بن الشَّرْقي.

(٨) البيت في «ديوانه» ٢٨٥. وورد منسوبًا له في «الزاهر» ١/ ١٠٧، وورد غير منسوب في «الدر المصون» ٣/ ٤٠٨. وقد وردت روايته في المصادر السابقة: (.. صِحاحِ غيرِ عاثرةٍ ..) - بكسر (صِحاحِ)، و(غيرِ).
قال ابن الأنباري: (النُّسُور: اللحم الذي في باطن الحافر، يشبه النوى، واحدها: نَسْر). «الزاهر» ١/ ١٠٧.

قوله: (فِي مَحِصَات)؛ معناه: في قوائمَ مُتَجَرِّداتٍ عن اللحم، ليس فيها إلا العَظْمُ، والعَصَبُ، والجِلْدُ[١].

قال المُبرِّد[٢]: وتأويل قول الناس: (مَحِّصْ عنَّا ذُنُوبَنا)؛ أي: أذهب[٣] ما تَعَلَّقَ بنا مِنَ الذُّنُوب.

وهذا الذي ذكره المبرِّدُ، تأويل (المَحَصِ) - بفتح الحاء -، وهو واقعٌ[٤]، و(المَحْص) - بسكون الحاء - مطاوع[٥].

قال الخليل[٦]: يقال: (مَحَصْتُ الشيءَ، أَمْحَصُه، مَحْصًا): إذا

---

(١) انظر: المصدر السابق. وورد فيه: (.. من العظم، والجلد، والعصب).

(٢) قوله في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧١.

(٣) في «معاني القرآن» أذهب هنا.

(٤) الفعل الواقع هو الفعل المتعدي إلى مفعول أو أكثر. وسمي بـ(الواقع)؛ لوقوعه على المفعول بِهِ، ويسمى كذلك بالفعل المجاوز؛ لمجاوزته الفاعل إلى المفعول به. انظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» ٢٤٥، و«موسوعة النحو والصرف» ٤٩٨.

(٥) في «الدر المصون» ٣/ ٤٠٨ - وقد نقل نَصَّ الواحدي هذا -: (.. والمحص - بسكون الحاء - مصنوعٌ).
المطاوع من (محص) هو: انْمَحَص، وتُدغم النونُ في الميم فيصير: (امَّحَص) قال في «اللسان» (وقَدْ أَمْحَصَت الشمسُ؛ أي: ظهرت من الكسوف وانجلت. ويُروَى: امَّحَصت على المطاوعة، وهو قليل في الرباعي). ٧/ ٤١٤٥ (محص).

(٦) قوله في: كتاب «العين» له ٣/ ١٢٧. ولكن المؤلف نقل قوله عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٢ نظرًا لتطابق النص معه.
ونص قول الخليل: (المحْصُ: خُلُوص الشيء. (مَحَصْتُهُ محْصًا): خلَّصْته من كل عيب).
وفي «معاني القرآن» للنحاس: (قال أبو إسحاق: قرأت على أبي العباسِ، محمد =

خَلَّصته من كلِّ عَيْبٍ. قال رُؤْبَةُ - يصف فَرَسا[١] -:

[شَدِيدُ][٢] جَلْزِ الصُّلْبِ مَمْحُوصُ الشَّوَى[٣]

= ابن يزيد، عن الخليل: أن التمحيص: التخليص؛ يقال: (مَحَصَه، يَمْحَص، مَحْصًا): إذا خلَّصه) ١/ ٤٨٣.

(١) في (ب): (ذئبا).

(٢) (شديد) غير مقروء في (أ). وفي (ب): (فيديد). والمثبت من (ج)، ومصادر البيت.

(٣) في (ج): السوى. - غير معجمة -.

والبيت من الرجز، وتمامه:

كالكَرِّ لا شَخْتٌ ولا فيه لَوَى

وقد ورد منسوبًا لرؤبة، في: «تهذب اللغة» ٤/ ٣٣٥٠ (محص)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥ (محص)، و«الدر المصون» ٣/ ٤٠٨، و«التاج» ٩/ ٣٥٩ (محص).

وفي «اللسان» ٧/ ٣٨٥١ (كرر) نقله عن الأزهري، ولم ينسبه.

والبيت ليس في ديوان رؤبة، وإنما في ديوان العجاج (بعناية وليم بن الورد) ص٧٣. وقد ورد منسوبًا له في «اللسان» ٧/ ٤١٠٩، وقد أورد الأزهري شطره الثاني، ونسبه للعَجَّاج في «التهذيب» ٤/ ٣٣١٤ (لوى).

وورد في «اللسان» ٧/ ٣٨٥١ (كرر): (.. لا سَخْتٌ ..) وهي تصحيف - والله أعلم -، وفي «الدر المصون» (.. السَّوى ..).

(الجَلْز): الطيُّ، واللَّيُّ. وكل شيء يُلوى على شيء، ففعله: الجَلْز. يقال: (جَلَزْته، أجْلُزُه، جَلْزًا). انظر: «اللسان» ٢/ ٦٥٦ (جلز).

و(الصُّلْب): الظهر. انظر: «المجمل» ٥٣٨ (صلب) و(الشَّوَى): الأطراف، و(شَوَى الفَرَسِ): قوائمه. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٦٨ (شوى).

يصف الفرس بأنه شديد طَيِّ الظهر؛ أي: وثيق الخلْق، أطرافه وقوائمه نَقِيّة من العيوب المشينة.

أما (السَّوَى) - على الرواية الثانية التي أوردها السمين الحلبي -، فقد فَسَّرَهُ السَّمينُ بأنه: الظَّهْر. جعله مقصورًا للضرورة. وأصله: (السواء).

و(الكَرُّ): الحبل الذي يصعد به على النخل. وجمعه (كُرُور). و(الشخت): =

ومِن هذا؛ يُقال للسِّنَانِ المَجْلُوّ: (مَمْحُوص)[١]. قال أُسَامَةُ الهُذَلِيُّ[٢]:

وَشَقُّوا[٣] بِمَمْحُوصِ القِطَاعِ[٤] فُؤَادَهُ[٥]

يعني: بِمَجْلُوِّ النِّصَالِ[٦].

= الدقِيق، الضامر. و(اللَّوَى): العِوَج.

انظر: «التهذيب» ٤/ ٣١٢٣ (كرر)، ٤/ ٣٣٥٠ (محص)، و«القاموس» ١٩٨ (شخت).

(١) انظر (محص) في: «التهذيب» ٤/ ٣٣٥٠، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥.

(٢) هو: أسامة بن الحارث الهذلي. وقيل: أسامة بن حبيب. شاعرٌ مُخَضْرَم (جاهلي، إسلامي). انظر: «الشعر والشعراء» ٢/ ٦٧٠، و«شرح أشعر الهذليين» ٣/ ١٢٨٩، و«الإصابة» لابن حجر ١/ ٣١.

(٣) في (ج): (شقوا) - ب•دون واو -.

(٤) في (ج): (القطاة).

(٥) صدر بيت، وتمامه:

لَـهُـمْ قُـتَـرَاتٌ قـد بُـنِـيـنَ مَـحـاتِـدُ

وقد ورد منسوبًا له في: «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٣٠٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٠ (محص)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٥ (محص)، و«التاج» ٤/ ٤١٠ (حتد).

وورد غير منسوب في: «اللسان» ٢/ ٧٦٨ (حتد).

ولكنه ورد في «شرح أشعار الهذليين» بالرواية التالية: (.. بِمَنْحُوضِ القِطَاعِ..) وليس في هذه الرواية شاهد على ما ذهب إليه المؤلف. وفي «التهذيب» (أشَفُّوا ..)، وفي «اللسان» ٢/ ٧٦٨: (.. له قُتُرات ..)، وفي ٧/ ٤١٤٥: (أشْفَوْا ..).

يصف الشاعر حِمَارًا رُمي بالنِّصال، حتى رَقَّ فؤادُه من الفزع، فيقول: شَقُّوا فؤادَه. بـ(مَنْحُوض القِطَاع)، وهو النَّصْل الدَّقيق المُرْهف. يقال: (سِنان نَحِيض)، أي: رقيق. و(نَحَضَه): رقَّقَه. و(القطاع): جمع: قِطْع، وهو نصلٌ قَصِير عَرِيض. و(القُترات) واحدها: (قِتْر)، و(قِتْرَة)، وهي: نوع من النصال حاد الطَّرف. و(محاتد): أي: قديمة ورثوها عن آبائهم فهي لهم أصل، و(المحتِدُ): الأصل. انظر: المصادر السابقة. و«الصحاح» ١١٠٧ (نحض)، و«اللسان» ٦/ ٣٥٢٦ (قتر).

(٦) (النِّصَال، والأنْصُل، والنُّصُول)، واحدها: (نصْل)، وهي حديدة السَّهم، =

فمعنى قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: لِيُخَلِّصَهم مِن ذُنوبهم. وإلى هذا ذَهَب أكثرُ أهلِ المعاني والتفسير.

وقال[١] ابن عباس[٢]: يريد[٣]: يُمَحِّصَ ذنوبَهم حتى يَلْقَوْهُ؛ وليس لهم قَبْلَهُ سَيِّئَةٌ يعذبهم عليها. ووجه هذا القول: ما قاله أبو عَمْرُو الشيباني[٤]: معنى التمحيص في اللغة: الكشف. و(مَحِّصْ عنَّا ذنوبَنا)؛ معناه: واكشف[٥] عنَّا ذنوبَنا. و(تَمَحَّصَ الشيءُ): إذا تَكَشَّفَ. وأنشد:

حتى بَدَتْ قَمْرَاؤُهُ وتَمَحَّصَتْ ظَلْمَاؤُهُ[٦] ورَأَى الطريقَ المُبْصِرُ[٧]

وهذا اختيار الفرَّاء؛ لأنه قال[٨]: يريد: لِيُمَحِّصَ[٩] اللهُ الذنوبَ عن الذين آمنوا.

= والرُّمح، والسَّيف ما لم يكن له مِقْبَض، فإذا كان له مقبض، فهو سيف. انظر: «التاج» ١٥/ ٧٣٨ (نصل).

(١) في (ج): (قال) - بدون واو -.

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) (يريد): ساقطة من (ب).

(٤) لم أقف على مصدر قوله، وليس في كتابه (الجيم). نقله عنه القالي في «أماليه» ٢/ ٢٧٥.

(٥) في (ب): (اكشف) - بدون واو -.

(٦) في (أ): (ظلماه)، والمثبت من (ب)، (ج).

و(القَمْرَاء): ضوء القَمَر. و(ليلة قمراء): مضيئة. و(الظَّلْمَاء): الظُّلْمة. و(ليلة ظلماء): شديدة الظلمة. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٧٣٦ (قمر)، ٥/ ٢٧٥٩ (ظلم).

(٧) ينظر: «أمالي القالي» ٢/ ٢٧٥، و«الفاخر» ١٣٥، و«اللآلئ» ٩١٦، و«أساس البلاغة» (محص)، والزاهر ١/ ١٥.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٥. نقله بنصه.

(٩) في «معاني القرآن» يمحص.

وعلى هذا القول؛ تقدير الآية: وَلِيُمَحِّصَ اللهُ ذنوبَ الذين آمنوا. فحذف المضاف[١].

وروى أبو عُبَيْد[٢]، عن أبي عَمْرو، قال[٣]: التَّمْحِيص: الابتلاء والاختبار[٤]. وإلى هذا القول ذهب جماعة من المفسرين: السُّدِّي[٥]، ومجاهد[٦]، وروي ذلك عن ابن عباس - في بعض الروايات -[٧]، قالوا: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾؛ أي: لِيَبْتَلِي. وهذا اختيار القُتَبِيِّ[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(المَحْقُ) في اللغة معناه: النُّقْصَان.

يقال: (مَحَقَهُ اللهُ، فامْتَحَقَ، وامَّحَقَ)[٩].

---

(١) انظر: «مجالس ثعلب» ١/ ٢٦٦، فقد حكى هذا القول.

(٢) (أبو عبيد): في (أ) تُقرأ: (أبو عبيدة) -فيشتبه السكون على الدال بالتاء المربوطة-. وفي (ج): أبو عبيدة. وما أثبتُّه من (ب)، و«تهذيب اللغة»، وهو الصواب؛ لأن أبا عبيد هو المعروف بالرواية عن أبي عمرو الشيباني. انظر: مقدمة تحقيق كتاب «الجيم» ١/ ٢٥.

(٣) انظر قوله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٠ (محص).

(٤) في (ج): (والاختيار) وفي «التهذيب» الاختبار والابتلاء.

(٥) قوله، في «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٧، و«زاد المسير» ١/ ٤٦٧.

(٦) قوله، في «تفسيره» ١٣٧، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠٧-١٠٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٤.

(٧) في «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٥ - من رواية ابن جريج عنه -، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٢٦.

وهو قول: الحسن، وابن إسحاق، وقتادة. انظر: المصادر السابقة.

(٨) هو ابن قتيبة، واختياره هذا في: «تفسير غريب القرآن»، له ١/ ١٠٦، وهو - كذلك - قول المبرِّد في «الكامل» ١/ ٢١٣.

(٩) انظر: (محق) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥١، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٦.

وقال أبو زيد(١): (مَحَقَهُ اللهُ)، و(أَمْحَقَهُ). والأصمعي يأبى إلّا (مَحَقَه)(٢). وأما (أَمْحَق)(٣)، فقال أبو عمرو(٤): هو أن يَنْقُصَ ويَدِقَّ(٥)، كَمُحَاقِ(٦) الهِلالِ.

وأنشد ابن السِّكِّيت(٧):

... حتى أنسَّ وأَمْحَقا(٨)

(١) قوله، في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٢ (محق)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٦ (محق).

(٢) قول الأصمعي هذا، مِن تتمة كلام أبي زيد. قال: (وأبَى الأصمعيُّ إلا (محقه)). وفي «الصحاح» (و(مَحقَه الله)؛ أي: ذهب ببركته. و(أمحقه) لغة رديئة). ١٥٥٣ (محق). وانظر: «اللسان» ٧/ ٤١٤٦ (محق).

(٣) نلاحظ هنا أن الفعل (أمحق) لازم، وأما (أمحقه) السابق، فمتعدٍّ.

(٤) قوله في: «إصلاح المنطق» ٢٧٨، و«التهذيب» ٤/ ٣٣٥٢ (محق)، و«الصحاح» ١٥٥٣ (محق).

(٥) في (ب): (يرق).

(٦) مُحَاق، ومَحاق، ومِحاق. بضم الميم، وفتحها، وكسرها -. انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٤٧ (محق).

(٧) ولفظ أبي عمرو كما في «إصلاح المنطق» (قال أبو عمرو: الإمحاق: أن يَهلِك؛ كمُحاق الهلال، وأنشد ..). وفي «التهذيب» (عن ابن السكيت عن أبي عمرو: الإمحاق: أن يهلك الشيء ..).

(٨) في (ج): (وامَّحقا).

وهذا مقطع من بيت وتمامه - حسب روايته في «إصلاح المنطق» ٢٧٨ -:

أبوك الذي يَطْوِي أُنوفَ عُنُوقهِ   بأظفاره حتى أنَسَّ وأمْحَقا

وقد نسبه في «اللسان» ٧/ ٤١٤٧ (محق) لسَبْرة بن عمرو الأسدي، يهجو به خالد بن قيس، وقد ورد غير منسوب في: «إصلاح المنطق» ٢٧٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٢ (محق)، و«الصحاح» ١٥٥٣ (محق)، و«اللسان» ٧/ ٤١٤٧ (محق). وقد وردت روايته في هذه المصادر - عدا «إصلاح المنطق» -: (يَكْوي أنوف عنوقه).

و(العُنُوق): مفردها: (عَنَاق)، وهي: الأنثى من أولاد المِعْزى، إذا أتت عليها=

وقال ابن الأعْرَابي -عن المُفَضَّل -[١]: (المَحْقُ) -عند العرب[٢]-: أن يذهب الشيءُ كلُّهُ، حتى لا يُرَى مِنْهُ شيءٌ. ومنه ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٣]؛ أي: يستأصله.

قال أبو إسحاق[٤]: ومعنى الآية: جَعَلَ اللهُ الأيَّامَ مُدَاوَلَةً بين الناس؛ لِيُمَحِّصَ اللهُ المُؤْمنينَ، إذا أدَالَ عليهم، بما يقع عليهم[٥] مِنْ قَتْلٍ وَجُرْحٍ وذَهَابِ مَالٍ. و﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: يستأصلهم، إذا أدال عليهم، ويهلكهم بذنوبهم.

فَقَابَلَ[٦] تَمْحِيصَ المؤمنين بِمَحْقِ الكافرين؛ لأن تمحيص هؤلاء؛ بإهلاك ذنوبهم، نَظِير مَحْقِ أولئك؛ بإهلاك أنْفُسِهِمْ. وهذا مُتقابِلٌ في المعنى، حَسَنٌ.

١٤٢- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية[٧].

= سنة. وتُجمع - كذلك - على: (أعْنُق، وعُنُق). و(العُنوق) جمعٌ نادرٌ. و(أنَسَّ)؛ أي: بلغ نَسِيسَهُ، ونَسِيسَتَهُ؛ وهو: بقية روحه، أو غاية جهده. انظر: «التهذيب» ٣/ ٢٥٩٧ (عنق)، و«القاموس» ٤/ ٥٧٧ (نسس).

(١) قول ابن الأعرابي في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٥٣ (محق)، وفيه: (أبو العباس عن ابن الأعرابي، قال: المحق: ..) وليس فيه (عن المفضل). وكذا أورده صاحب «اللسان» في: ٧/ ٤١٤٦ (محق).

(٢) (عند العرب): ليس في «تهذيب اللغة»، ولا في «اللسان».

(٣) سورة البقرة: ٢٧٦. وتمامها: ﴿يَمْحَقُ الله الرِّبَا ويُرْبِي الصَّدَقات والله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أثِيم﴾.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٠. نقله عنه بتصرف.

(٥) (بما يقع عليهم): ساقط من (ج).

(٦) في (ب): (مقابل).

(٧) (الآية): ساقطة من (ج).

معنى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾: (بَلْ حَسِبْتُم)؛ على جهة الإنكار[١]؛ أي: لا تحسبوا ذلك. ومضى الكلام في هذا، في مواضع[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾.

قال أبو إسحاق[٣]: (لَمَّا) جوابٌ لقولِ القائل: (قَدْ فَعَلَ فُلان). فجوابه: (لَمَّا[٤] يَفْعَل)؛ لأن (لَمَّا) مُؤَكَّدٌ بِحَرْفٍ؛ كما أُكِّدَ الابتداءُ بـ(قد).

وإذا قال: (فَعَلَ فلان)، فجوابه: (لَمْ يَفْعَل). وإذا قال: (لَقَد فَعَل)، فجوابه: (ما فَعَل)[٥]؛ كأنه قال: (واللهِ لَقَد فَعَل)[٦]، وقال المُجِيبُ: (واللهِ ما فَعَل) وإذا قال هو يفعل فجوابه و(لا يَفْعَل)[٧] وإذا قال سيفعل

---

(١) (أم) هذه، هي المنقطعة، التي تقدر ب(بل) - التي للإضراب -، وهمزة الاستفهام التي تفيد الإنكار. والتقدير: (بل أحسبتم؟). وانظر أقوالًا أخرى فيها، في: «المغني» لابن هشام ٨٢١، و«البحر المحيط» ٣/ ٦٥-٦٦، و«الدر المصون» ٢/ ٣٨٠، ٣/ ٤٠٨-٤٠٩، و«دراسات لأسلوب القرآن الكريم» القسم الأول ١/ ٣١٣-٣١٥.

(٢) انظر: «البسيط» عند تفسير الآيات: ١٠٨، ١٣٣، ٢١٤ من سورة البقرة.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٤٧٢. نقله عنه بتصرف.

(٤) (لما): ساقطة من (ج).

(٥) في «المعاني»: ما يفعل.

(٦) في «المعاني» (والله هو يفعل). وقد أورد هذا سيبويه في «الكتاب» ٣/ ١١٧ وفيه: (والله لقد فعل) كما هي عند المؤلف.

(٧) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ١١٧ فقد وردت نفس العبارات التي أوردها الزجاج، ويبدو أنه نقلها عن سيبويه.

قال الزمخشري: (و(لَمَّا) بمعنى (لم)، إلا أن فيها ضربًا من التوقع، فدل على نفي الجهاد فيما مضى، وعلى توقعه فيما يُستقبل. وتقول: (وعدني أن يفعل كذا، ولَمَّا)، تريد: ولم يفعل، وأنا أتوقع فعله). «الكشاف» ١/ ٤٦٧.

قال أبو حيان - معلقًا على قول الزمخشري السابق -: (وهذا الذي قاله في (لَمَّا)=

فجوابه (لن يفعل) و(لا يفعل).

والنَّفْيُ في الآية، واقِعٌ على العِلْمِ. والمعنى: على نَفْيِ الجِهَادِ دونَ العِلْمِ؛ وذلك لِمَا فِيهِ مِنَ الإيجاز في انتفاءِ جهادٍ؛ لَوْ كانَ؛ لَعَلِمَهُ.

والتقدير: (ولَمَّا لم[1] يكن المعلوم من الجهاد الذي أَوْجَبَ عليكم). فجرى النفيُ على العِلْمِ؛ للإيجاز؛ على سبيل التوسع في الكلام؛ إذ المعنى مفهومٌ مِن غير إخلال.

وقال الزجاج[2]: المعنى: وَلَمَّا يقع العِلْمُ بالجهاد، والعِلْمُ بِصَبْرِ الصابرين؛ أي[3]: وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ ذلك واقِعًا منكم[4]؛ لأنه يَعْلَمُه غَيْبًا[5]، وإنما يجازيهم على عَمَلِهِم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ انتصب على الصَّرْفِ[6] عن

= أنها تدل على توقع الفعل المنهي بها، فيما يُستَقبَل؛ لا أعلم أحدًا من النحويين ذكره، بل ذكروا: أنك إذا قلت: (لمَّا يخرج زيد)، دَلَّ ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى، متصلًا نفيُهُ إلى وقت الإخبار، أمَّا أنها تدل على توقعه في المستقبل، فلا، لكني وجدت في كلام الفرَّاء شيئًا يقارب ما قاله الزمخشري، قال: (لَمَّا) لتعريض الوجود، بخلاف (لم))

«البحر المحيط» ٣/ ٦٦. وانظر: «دراسات لأسلوب القرآن الكريم» القسم الأول ٢/ ٦٢٠-٦٢٢.

(١) لم: ساقطة من (ج).

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٢. نقله عنه بنصه.

(٣) أي: ليست في «معاني القرآن».

(٤) في «معاني القرآن»: منهم.

(٥) في (أ): (غنيا). والمثبت من: (ب)، (ج)، و«معاني القرآن».

(٦) (الصرف) اصطلاح للكوفيين؛ يعني: أن الفعل كان من حقه أن يُعرَبَ بإعراب ما=

العطف[١]. إذ ليس المعنى على نفي الثاني والأول، وإنما هو على نفي اجتماع الثاني والأول؛ على نحو: (لا يَسَعُنِي[٢] شيءٌ، ويَعْجَزَ[٣] عنك). ومثله:

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ[٤]

= قبله، ولكن صَرَفَتْهُ الواو إلى وجهٍ آخر من الإعراب.
انظر: «المحلى» لابن شقير ٤٢، و«مغني اللبيب» ٤٧٢، و«الدر المصون» ٣/ ٤١١، و«النحو وكتب التفسير» ١/ ١٨٧. وسيفسر الفرَّاءُ هذا المصطلح، كما سيأتي.

(١) والرأي الثاني، - وهو للبصريين -: أن النصب في هذه الآية وأمثالها، بإضمار (أن) وجوبًا بعد الواو، إذا قصد بها المصاحبة.
والرأي الثالث، - وهو لأبي عمرو الجَرْمي، من البصريين -: أنها نصبت بالواو نفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف.
وقد عرض هذه الآراء وناقشها أبو البركات الأنباري في «الإنصاف» ص٤٤٢.
وانظر: «شرح ابن عقيل» ٤/ ١٤.

(٢) (أ)، (ب): (يستعني). والمثبت من (ج). وهو الصواب.

(٣) في (ب)، (ج): (ولا يعجز). وهو خطأ؛ لأنه خلاف ما يريد المؤلف في هذه المسألة النحوية، وسيأتي بيان ذلك في قول الفراء.

(٤) صدر بيت، وعجزه:

عـار عـلـيـك إذا فـعـلـت عـظـيـمُ

وقد اختلف في قائله، فنُسِب للشعراء التالين: أبي الأسود الدُؤَلي، والمتوكل الليثي، وسابق البربري، وحسان بن ثابت، والطرماح. وقد ورد في الكتب التالية: «ديوان أبي الأسود الدؤلي» ٢٣١، و«كتاب سيبويه» ٣/ ٤٢، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٤، و«المقتضب» ٢/ ٢٦، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٥٥، ٢/ ١٨٥، و«الأصول في النحو» ٢/ ١٥٤، و«المحلى» لابن شقير ٤٢، و«اللمع» لابن جني ١٨٩، و«الإيضاح العضدي» ١/ ٣٢٣، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر ١/ ٢٤٠، و«فصل المقال» للبكري ٩٣/ و«شرح المفصل» ٧/ ٢٤، و«البسيط في=

قال الفراء[١]: ومعنى (الصرف): أن يجتمع فِعْلان ببعض حروف النَّسَقِ[٢]، وفي أوَّلِهِ ما لا يَحْسُنُ إعادَتُه في حروف النَّسَقِ[٣]، فتنصب الذي بعد حرف العطف؛ لأنه مَصْرُوفٌ عن معنى الأول. وذلك يكونْ مع جَحْدٍ أو استفهامٍ أو نَهْيٍ في أول الكلام. كقولهم: (لا يَسَعُنِي مكانٌ، ويَضِيقَ عنك) بفتح (ويضيقَ)؛ لأن (لا) التي مع (يَسَعُنِي)، لا يَحْسُن أن يذكرها مع (يضيقَ عنك)[٤].

وقال ابن الأنباري[٥]: قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ معناه:

= شرح جمل الزجاجي» ١/ ٢٣٢، و«المغني» لابن هشام ٤٧٢، و«شرح شذور الذهب» ٢٩٦، ٣٦٠، و«شرح ابن عقيل» ٤/ ١٥، و«خزانة الأدب» ٨/ ٥٦٤ وقد ذكر البيت، والاختلاف في قائله.

والشاهد في البيت: نصب الفعل المضارع (وتأتيَ) بعد الواو في جواب النهي. وهي الواو التي يسميها الكوفيون: واو الصرف. أما عند البصريين: فالنصب بـ (أن) المضمرة وجوبًا، بعد واو المعية التي تقتضي الجمع.

انظر: «شرح ابن عقيل» ٤/ ١٤ والمصادر النحوية السابقة.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٥. نقله عنه بالمعنى. وعبارة المؤلف قريبة جدًا من عبارة الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٤٧، وقد يكون المؤلف نقل قول الفراء عن الطبري. وعبارة الفراء في المعاني أوضح وأجلى.

(٢) في المعاني: بالواو، أو (ثُمَّ)، أو الفاء، أو (أو).

(٣) في المعاني: (وفي أوله جحد، أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد، أو الاستفهام، ممتنعًا أن يُكَرَّر في العطف، فذلك الصرف..).

(٤) انظر - لبيان معنى الصرف -: «تفسير البسيط» فقد تناول هذه المسألة عند تفسير آية ٤٢ من سورة البقرة، و«معاني القرآن»، للفراء: ١/ ٣٣-٣٤، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٥٥، ٤/ ١٠٨، و«الإنصاف» ٥٥٥-٥٥٦.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

الحال لِمَا قبله. وهذه الواو، يُسَمُّون[١] النحويون: (واو الصرف)، والذي بعدها يُنْصَبُ[٢] على خلافِ ما قبلها. كما تقول العربُ: (لا تأكل السَّمَكَ، وتَشْرَبَ اللَّبَنَ[٣])؛ أي: لا تجمع بينهما، ولا تأكلِ السَّمَكَ، في حال شُرْبِكَ اللَّبَنَ.

قال: وقَرَأ الحَسَنُ: ﴿وَيَعْلَمِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ - بالكسر -[٤]، وهو جزمٌ بالعطف على الأول، وليس بحالٍ لما قبله.

وهذه الآية خطابٌ للذين انهزموا يوم أحد، فقيل لهم: أَحَسِبتم أنْ تدخلوا الجَنَّةَ، كما دَخَلَ الذين قُتِلوا، وبَذَلُوا مُهَجَهُم[٥] لِرَبِّهم، وثَبَتُوا على أَلَمِ الجِرَاح والضَّرْبِ، مِن غير أنْ تَسْلُكُوا[٦] طَرِيقهم، وتصبروا صَبْرَهُمْ.

١٤٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ الآية.

قال الحسن[٧]، ومجاهد[٨]، ....

(١) هكذا جاءت في: (أ)، (ب). وفي (ج): (تسميها).
(٢) في (ب): (نصب).
(٣) في (ب): (المابن).
(٤) انظر قراءة الحسن في: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٣٥، «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٨، وهي - كذلك - قراءة: يحيى بن يعمر، وابن حيوة، وعمرو بن عبيد، انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٤١.
وقرأها عبدُ الوارث عن أبي عمرو بن العلاء بالرفع: (ويعلمُ)، وهي إما على الاستئناف، وهو الأظهر، أو على أن الواو للحال.
انظر: «الكشاف» ١/ ٤٦٧، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٤٤، و«الدر المصون» ٣/ ٤١١.
(٥) في (ب): (جهدهم).
(٦) في (ج): (يسلكوا).
(٧) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٠٩، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٦.
(٨) قوله، في: «تفسيره» ١٣٧، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠٩، و«تفسير ابن أبي حاتم»=

وقتادة[١]، والرَّبِيع[٢]، والسُدِّي[٣]، ومحمد بن إسحاق[٤]: كانوا يَتَأَسَّفُون[٥] على ما فاتهم مِن [بَدْر][٦]، ويَتَمَنَّون يوما مع رسول الله ﷺ، ويقولون: لَنَفْعَلَنَّ ولَنَفْعَلَنَّ، ثم انهزموا يوم أُحُد، واستحقوا العِتَاب[٧].

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾. يعني: مِن قَبْلِ يوم أُحُد.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: رأيتم أسبابَهُ، وما يتولَّدُ منه الموتُ[٨]؛ كالسَّيْفِ، والأَسِنَّةِ، ونحوِها[٩].

وقوله تعالى: ﴿وأنتم تنظرون﴾.

قال الأخفش[١٠]: هو تَوْكيدٌ[١١] لقوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾.

وقال أبو إسحاق[١٢]: المعنى: فقد رأيتموه، وأنتم بُصَرَاء؛ كما

= ٣/ ٧٧٦، و«معاني القرآن»، للنحاس ٤٨٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٤١ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١) قوله، في: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٣٤، و«الطبري» ٤/ ١٠٩، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٤١ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٢) قوله، في: المصادر السابقة.

(٣) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٦.

(٤) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٤، والمصادر السابقة.

(٥) في (ج): (يأسفون).

(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) في (ج): (العقاب).

(٨) في (أ): (وما يتولد منه الموت منه)، وفي (ب): (وما يتولد الموت منه)، والمثبت من (ج).

(٩) انظر: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٣٦، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٠٦، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٠٨.

(١٠) قوله في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٦، وهو معنى قوله.

(١١) في (ب): (تأكيد).

(١٢) في «معاني القرآن»، له ١/ ٤٧٣. نقله عنه بنصه.

تقول: (رأيت كذا وكذا)، وليس في عينيك[١] عِلَّة[٢]؛ أي: قد رأيته رؤيةً حقيقية، وهو راجع إلى معنى التوكيد.

وقال غيره[٣]: لِئَلَّا يُتَوَهَّم رؤية القَلْبِ؛ كما يقال: (رأيته عِيَانًا)، و(سمعته بأذني)؛ لئلا يتوهم سَمْع العِلْمِ.

وقيل[٤]: ﴿وأنتم تَنْظُرُون﴾؛ أي: تَتَأَمَّلُون الحالَ في ذلك، كيف هي؟[٥]

---

(١) في (ج): (عينك).

(٢) ورد في مخطوطات «معاني القرآن» - كما ذكر محققه -: (علمه)، ورأى المحقق أنها لا تناسب ما بعدها؛ ولذا أثبتَها (عَمَه)، وفسرها في الحاشية ب(العَمَى). وليس كما قال؛ لأن (العَمَه) هو: التَّحَيُّرُ في منازعة أو طريق، والتردد في الضلال. انظر: (عمه) في: «اللسان» ٥/ ٣١١٤، و«القاموس» ١٢٥٠.
وأرى أن صوابها كما أثْبَتَ المؤلف هنا، وإنما صُحِّفت في أصول مخطوطات «معاني القرآن». وقد وردت (عِلَّة) في «بحر العلوم» ١/ ٣٠٥ حيث نقل قول الزجاج.

(٣) لم أهتد إلى القائل.

(٤) لم أهتد إلى القائل.

(٥) قال الطبري: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يعني: فقد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر؛ أي: بقرب منكم). «تفسيره» ٤/ ١٠٩.
وحكى الزجاجُ قولًا، ولم يعزه لقائل، فقال: (وقال بعضهم: وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ). «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣، وانظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٧١. وقد أورده ابنُ عطيَّة، وضَعَّفَه. انظر: «المحرر» ٣/ ٣٤٦.
وقال أبو الليث: (وأنتم تنظرون إلى السيوف التي فيها الموت). «بحر العلوم» ١/ ٣٠٥ وأورد هذا القولَ ابنُ الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٦٨، وعزاه إلى ابن عباس. وعن ابن إسحاق: (تنظرون إليهم). «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٤، و«تفسير الطبري» ٤/ ١١٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٧.

وفي الآية محذوفٌ؛ لأن المعنى: (فقد رأيتموه، وأنتم تنظرون، فَلِمَ انهزمتم)؟ وهذا موضعُ العِتَاب. وهو قول ابن عباس[(١)].

١٤٤- وقوله[(٢)] تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.

قال أهل التفسير[(٣)]: لَمَّا نُعِيَ رَسُولُ الله ﷺ يومَ أُحُد، وأُشِيعَ أنه قد قُتِل، قال بعضُ المسلمين: لَيْتَ لَنَا رَسُولًا إلى عبد الله بن أُبَيّ، فيأخذ لنا أَمَانًا مِنْ أَبِي سُفْيان!

وقال أناسٌ مِنْ أهل النِّفَاق: إنْ كان محمدٌ قد قُتِلَ، فالْحَقُوا بدينكم[(٤)] الأَوَّل؛ فأنزلَ الله هذه الآية[(٥)].

و(مُحَمَّد)[(٦)] هو المُسْتَغْرِقُ لجميع المَحَامِدِ؛ لأن الحَمْدَ لا يَسْتَوْجِبُهُ إلَّا الكامِلُ. و(التَحْمِيد) فوق[(٧)] (الحَمْدِ)[(٨)]، فلا يستحقه إلا المستولي على

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في (ج): (قوله) - بدون واو -.

(٣) ممن قال بذلك: السدِّي، وقد ورد معناه عن ابن عباس، من رواية عطية العوفي. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٣، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٢٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٧، و«أسباب النزول» للواحدي ١٢٩.

(٤) في (ج): (لدينكم).

(٥) ورد ذلك عن الضحاك، وابن جريج. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٣، ١١٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٥ ب.

(٦) من قوله: (ومحمد) إلى (في الكمال): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٦أ.

(٧) في «تفسير الثعلبي» (قول). وما أثبتُّهُ موجود - كذلك - في «تفسير البغوي» ٢/ ١١٥ حيث نقل هذا النص.

(٨) لأن التحميد أبلغ من الحمد؛ يقال: (فلان محمود: إذا حُمِدَ، ومُحَمَّد: إذا كثرت خصاله المحمودة). انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» ٢٥٦ (حمد).

قال ابن فارس: (فإذا بلغ النهاية في ذلك، وتكاملت فيه المحاسِنُ والمناقِبُ، =

الأَمَدِ[١] في الكمال.

و(الرَّسُول) - قال ابن الأنباري، فيما حكى عنه الأزهري -[٢]: معناه في اللغة: الذي يُتَابعُ أخبار مَنْ[٣] بَعَثَهُ[٤]؛ أُخِذَ مِنْ قولهم: (جاءت[٥] الإِبلُ رَسَلًا)[٦]؛ أي: متتابعة[٧].

فمعنى[٨]: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾؛ أي: إلَّا مُتَابعٌ للأخبار عن الله.

وقال الأخفش[٩]: (الرسول): هو[١٠] الرِّسَالة، وهو اسمٌ مِنْ (أَرْسَلْتُ)[١١].

= فهو (محمد).. وهذا البناء أبدًا يدل على الكثرة، وبلوغ النهاية.. وكذلك بناء اسم محمد ﷺ، دليل على كثرة المحامد وبلوغ النهاية في الحمد..). «أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها» ٣٠.

(١) في «تفسير الثعلبي»: على الأمة. وفي «تفسير البغوي»: على الأمر.

(٢) في «التهذيب» ٢/ ١٤٠٧ (رسل)، وقول ابن الأنباري في كتابه «الزاهر» ١/ ١٢٧.

(٣) في «التهذيب»، و«الزاهر» الذي.

(٤) (بعثه): مطموس في (ج).

(٥) في «الزاهر» قد جاءت.

(٦) في (ج): (رحلا).

(٧) الرَّسَلُ: القطيع من كل شيء، أو هو: القطيع من الإبل والغنم، وقيل: قطيع من الإبل، قدر عشر، يُرسل بعد قطيع، وقيل: ما بين عشر إلى خمس وعشرين. والجمع: أرسال. فإذا أوْرَدَ الرجلُ إبِلَهُ متقطعةً، قيل: أوردها أرسالًا. انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٤٣ (رسل).

(٨) من قوله: (فمعنى ..) إلى (.. الرسول هو): ساقط من (ج).

(٩) لم أهتد إلى قوله في كتابه «المعاني»، وهو في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٠٧ (رسل).

(١٠) في (ب): (من) بدلا من: (هو)، وساقطة من (ج).

(١١) وممن فَسَّرَه بذلك: يونس بن حبيب البصري، وأبو عبيدة، والزجاج. فقالوا عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]: إنه في معنى الرسالة؛ كأنه=

وقال أبو علي[(١)]: (الرسول)، جاء على ضربين: أحدهما: يراد به المُرْسَلُ، والآخر: الرِّسَالة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾؛ يريد: المُرْسَل. يُقَوِّي ذلك قولُهُ: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٣]. ومثل[(٢)] هذا في (فَعُول)، يراد به (المفعول): (الرَّكُوب)، و(الحَلُوب): لِمَا يُحْلَبُ، ويُرْكَبُ[(٣)].

والرسول بمعنى الرسالة كقوله:

لَقَدَ كَذَبَ الواشُونَ مَا[(٤)] بُحْتُ عِنْدَهُمْ
بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[(٥)]

أي: برسالة. ومِنْ هذا قولُهُ تعالى: ﴿أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ﴾[(٦)] [مريم: ١٩].

= قال: إنا رِسَالة رَبِّ العالمين.

انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٨٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٤/ ٨٥، و«الزاهر» ١/ ١٢٨.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في (ج): (وقيل).

(٣) في (ج): (لما يركب ويحلب).

(٤) في (ب): (بما).

(٥) البيت لكثيِّر عَزَّة. وهو في «ديوانه» ١١٠. وورد منسوبًا له في «مجاز القرآن» ٢/ ٨٤، و«الصحاح» ١٧٠٩ (رسل)، و«اللسان» ٣/ ١٦٤٥ (رسل).
وورد غير منسوب في: «معاني القرآن»، للزجاج ٢/ ٨٥، و«الزاهر» ١/ ١٢٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٠٧، و«المسائل العضديات» ٣٦، و«البيان» للأنباري ٢/ ٢٠٦، ٢١٢، و«اللسان» ٣/ ١٦٤٤، و«تخليص الشواهد» لابن هشام ١٧٦، و«المقاصد النحوية» ١/ ٥٠٦، و«خزانة الأدب» ١٠/ ٢٧٨.
وقد وردت روايته في بعض المصادر: (ما فُهْتُ) بدلًا من: (ما بُحت)، وفي بعضها: (بسوء)، وفي أخرى: (بِلَيْلَى)، بدلًا من: (بِسِرٍّ).

(٦) في (ج): ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [سورة طه: ٤٧]. وكذا وردت في تفسير الفخر الرازي ٩/ ٢٢، حيث نقل هذا النص.

وسنذكره[١] في موضعه إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ معناه: أنه يموت كما ماتت الرُّسُلُ قَبْلَهُ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ أَلِفُ[٢] الاستفهام دخلت على حرف الشرط؛ ومعناها: الدخول على الجزاء. المعنى: (أتنقلبون على أعقابكم؛ إن مات محمَّدٌ[٣] أو قُتِلَ)، إلّا أنَّ الشرط والجزاء مُعَلَّقٌ أحدُهُما بالآخَرِ، فانعقدا جملةً واحدةً، وخَبَرًا واحدًا؛ فدخلت أَلِفُ الاستفهام على الشرط، وأَنْبَأَت عن معنى الدخول على الجزاء؛ كما أنك إذا قلت: (هل زيدٌ قائمٌ؟)؛ فإنما تستفهم عن قيامِهِ، إلّا أنك أَدْخَلْتَ (هَلْ) على الاسم؛ لِيُعْلَمَ الذي استفهمتَ عن قيامه، مَنْ هُوَ؟ وكذلك قولك[٤]: (ما زيدٌ قائما)، إنما نَفَيْتَ القيامَ، ولم تَنْفِ زيدًا، ولكنك أدخلت (ما) على (زيد)؛ لِيُعْلَمَ مَن الذي نُفِيَ عنه القيامُ. يوضح هذا: أن هذا الاستفهام للإنكار، ولم ينكر عليهم الموت، وإنما أنكر عليهم الانقلاب.

وقوله تعالى: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي: ارْتَدَدْتُم كُفَّارًا بعد إيمانكم؛ وذلك؛ لأن الرجوع عن الحق إلى الباطل، بمنزلة رجوع القَهْقَرَى[٥]، في القُبْح والتنكيل بالنفس.

---

(١) في (أ): (سنذكر). والمثبت من (ب)، (ج).

(٢) من قوله: (ألف ..) إلى (.. نفي عنه القيام): نقله - بتصرف - عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٤. وانظر: «الصاحبي» ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) في (أ): (محمدً). وفي (ج): (محمدا). والمثبت من (ب)، وهو الصواب.

(٤) في (ج): (قول).

(٥) القَهْقَرَى: الرجوع إلى خَلْفٍ. والفعل: (قَهْقَرَ)، و(تَقَهْقَرَ): إذا رجع على عقبيه. انظر: (قهر) في: «اللسان» ٦/ ٣٧٤٦، و«القاموس» ٤٦٧.

ويُقال لكلِّ مَن عادَ إلى ما كان عليه، ورَجَعَ وراءَهُ[١]: انقَلَبَ على عَقِبِهِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ فيه معنى الوعيد؛ أي: فإنما يَضُرُّ نَفْسَهُ؛ باستحقاق العِقَاب.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ بِمَا يستحقونه مِنَ الثَّوَاب. قال ابن عباس[٣]: يريد: الطائعين لله من المهاجرين والأنصار.

١٤٥- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

قال الأخفشُ[٤]، والزجَّاجُ[٥]: اللَّام في (لِنَفْسٍ)[٦]؛ معناها: النقل؛ بتقدير: وما كانت نفسٌ لِتَموتَ إلّا بإذْنِ اللهِ[٧].

قال ابن عباس[٨]: يريد: بقضائه وَقَدَرِهِ. وفي هذا رَدٌّ على القَدَرِيَّةِ؛ حيث قالوا: إنَّ المقتول لا يكون مَيِّتًا بِأَجَلِهِ[٩].

---

(١) في (ج): (وراه).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١١٣.

ومن قوله: (على عقبه..) إلى (.. فلن يضر الله): ساقط من (ج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) لم أهتد إلى قوله في كتاب «المعاني» له، وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢٨أ.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٤. وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٠٤.

(٦) في (ج): النفس.

(٧) أي: أنَّ قوله: ﴿أَن تَمُوتَ﴾ جُعِل خبرًا لـ﴿كَانَ﴾، بعد أن كان اسمًا لها. وجُعِلَ ﴿لِنَفْسٍ﴾ اسمًا لـ﴿كَانَ﴾ بعد أن كان خبرًا لها. انظر: «الدر المصون» ٣/ ٤٠٨.

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

(٩) انظر رأيهم حول هذه المسألة في «كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية» ليحيى بن الحسين ١٥٣ وما بعدها، و«شرح جوهرة التوحيد» ١٦٠-١٦٢، =

واختلفوا في المراد بهذا: فقال بعض[١] أهل المعاني[٢]: المراد به التَّسْلِيَةُ عَمَّا يلحق النفسَ بموت النبي ﷺ إذا[٣] وَقَعَ. من جهة أنه إذا وَقَعَ كان بإذن الله.

وقال بعضهم[٤]: المراد به: الحَضُّ على الجهاد، من حيث لا يموت أحدٌ فيه إلّا بإذن الله.

وقال ابن الأنباري[٥]: عاتب اللهُ تعالى[٦] بهذا المُنْهَزِمينَ يوم أُحُد؛ رَغْبَةً في الدنيا، وَضَنًّا بالحياة، وأخبرهم أن الحياة [لا تزيد][٧] ولا تنقص، وأنَّ الموتَ بِأَجَلٍ عنده، لا يتقدم ولا يتأخر.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ انتصب ﴿كِتَٰبًا﴾ بالفعل الذي دلّ عليه ما قبله؛ وذلك أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يدل على: (كَتَبَ). وكذلك قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]؛ لأن في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] دِلاَلَةً على: (كَتَبَ هذا التحريمَ

= فقد ذكر آراء المعتزلة المختلفة في هذا الأمر، وذكر رأي أهل السنة، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٠٥، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٥١، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٢٠٢، و«روح المعاني» ٤/ ٧٦.

(١) (بعض): ساقطة من (ج).

(٢) ممن قال بذلك: ابن فورك. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٥١.

(٣) في (ج): (وإذا).

(٤) لم أقف عليهم. وقد ذكر هذا القولَ ابنُ عطية في «المحرر» ٣/ ٣٥١، ولم يعزه لقائل.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) كلمة (تعالى): ساقطة من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

عليكم). ومثله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٨٨]، و﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢٢].

و(المُؤَجَّلُ): ذو الأَجَلِ. و(الأَجَلُ): الوقت المعلوم[(١)].

[و][(٢)] قال عطاء[(٣)]، ومقاتل[(٤)]: يريد مُؤَجَّلًا إلى أجله الذي هو في اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ قال المفسرون[(٥)]: أي: من يُرِدْ بطاعته وعمله زينةَ الدنيا، وزُخْرُفَهَا؛ نُؤْتِهِ منها.

قال أهل المعاني[(٦)]: هو مُجْمَلٌ[(٧)]، ومعناه: نؤته منها ما نشاء، مِمَّا قَدَّرناه له[(٨)] كقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

يعني بهذا: الذين تركوا المَرْكَزَ يوم أُحُد طلبًا للغنيمة، ورَغْبَةً في الدنيا[(٩)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٤.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
(٣) لم أقف على مصدر قوله.
(٤) في «تفسيره» ١/ ٣٠٥.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٥-١١٦، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٥، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٨أ.
(٦) من قوله: (قال ..) إلى (.. طلبًا للغنيمة): نقله - بتصرف يسير - عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٨أ.
(٧) (هو مجمل): ساقط من (ج).
(٨) وممن قال بهذا: ابن إسحاق. انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٤، و«تفسير الطبري» ٤/ ١١٥-١١٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٩، و«الدر المنثور» ٢/ ١٤٥ وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر. وهو قول الطبري. انظر: «تفسيره» ٤/ ١١٥-١١٦.
(٩) ممن قال هذا: مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٠٥.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: مَنْ كانَ قَصْدُهُ بِعِمْلِهِ ثَوَابَ الآخرة. قال عطاء[١]: يعنى: زينَتَها ومُلْكَها وسُرُورَهَا.

﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾. يعني بهذا: أولئك الذين ثَبَتُوا يومَ أُحُد حتى قُتِلُوا[٢]. أعْلَمَ الله - تعالى - أنَّهُ يُجازي كُلًّا على قَصْدِهِ وإرادته، فَمَنْ نَصِبَ للدنيا، و[٣] عمل لها، أُعْطِيَ منها حظًّا على قَدْرِ ما قُسِمَ له، ومَن عَمِلَ للآخرة فاز بها[٤]، كما رُوِيَ عن[٥] النبي ﷺ في قوله: «**الأعمال بالنِّيَّاتِ**»[٦]، الحديث المعروف.

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) هذا قول مقاتل في: «تفسيره» ١/ ٣٠٥، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢٨ب.

(٣) في (ج): (أو).

(٤) قال الزجاج: (وليس في هذا دليل أنه يحرمه خير الدنيا؛ لأنه لم يقل: (ومن يرد ثواب الآخرة، لم نؤته إلا منها)، والله - ﷻ - ذو الفضل العظيم). «معاني القرآن» ١/ ٤٧٥.

(٥) في (ج): (قال النبي) بدلًا من: روي عن.

(٦) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» - في مواضع منها -: (١) كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي، و(٥٤) كتاب الإيمان: باب ما جاء من الأعمال بالنية، و(٢٥٢٩) كتاب العتق. باب الخطأ والنسيان في العتاق والطلاق، و(٣٨٩٨) كتاب مناقب الأنصار. باب هجرة النبي إلى المدينة.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٩٠٧) كتاب الإمارة. باب إنما الأعمال بالنيات. وأبو داود في «السنن» رقم (٢٢٠١) كتاب الطلاق. باب فيما عني به الطلاق والنيات. والترمذي رقم (١٦٤٧) كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء وللدنيا. والنسائي ١/ ٥٨ كتاب الطهارة. باب النية في الوضوء، و٦/ ١٥٨ كتاب الطلاق. باب الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه، و٧/ ١٣ في الأيمان. باب النية في اليمين. وابن ماجة في «السنن» رقم (٤٢٢٧) كتاب «الزهد». باب النية. وأحمد في «المسند» ١/ ٢٥، ٤٣، والدارقطني في «السنن» ١/ ٥٠، =

وأَنَّثَ الكِنَايةَ[١] في ﴿مِنۡهَا﴾، - وهي[٢] في المعنى راجعةٌ إلى الثواب-؛ لأن ثوابَ الدنيا، هو: الدنيا، وثوابَ الآخرة، هو: الآخرة. فرجوع الكِنَايَةِ إليها، كرجوعها[٣] إلى الثواب. ويقول القائل: (اللهم ارزقني الآخرة)؛ وهو يريد: ثوابَها.

وقوله تعالى: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قيل[٤]: إنَّه تكريرٌ للتأكيد الذي يُوجِبُ تمكين المعنى في النَّفْسِ؛ لأنه قد قال في الآية الأولى: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقال محمد بن إسحاق[٥]: فيه إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ أرادَ بِعَملِهِ الآخرةَ،

= وابن خزيمة في «الصحيح» ١/ ٧٣ رقم (١٤٢، ٢٤٣)، ١/ ٢٣٢ رقم (٤٥٥). وابن حبان في «الصحيح». انظر: «الإحسان» ٢/ ١١٣ رقم: (٣٨٨)، (٣٨٩)، و١١/ ٢١٠ رقم: (٤٨٦٨)، والبيهقي في «السنن» ١/ ٤١، ٢٩٨، و٢/ ١٤، و٤/ ١١٢، و٥/ ٣٩، و٧/ ٣٤١، والحميدي في مسنده ١/ ١٧ رقم (٢٨)، وأبو داود الطيالسي ١/ ٤١-٤٢ (٣٧)، وابن المبارك في «الزهد» ٦٢ رقم (١٨٨)، وهناد بن السري في «الزهد» ٢/ ٢٨٦ رقم (٨٨٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٩/ ٣٤٦، ٤/ ٢٤٤. وابن الجارود في: «المنتقى» انظر: «غوث المكدود» ١/ ٦٥ رقم (٦٤). وقد وردت معظم روايات الحديث بلفظ: (إنما الأعمال بالنِّيَّة)، ووردت بعض الروايات: (الأعمال بالنية)، وفي رواية: (العمل بالنية)، والرواية التي أوردها المؤلف موافِقَةٌ لِما أورده ابن حبان في: «صحيحه»، ولفظه: «**الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نَوَى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هجرتُه لدنيا يصيبُها أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

(١) أي: الضمير.

(٢) في (ج): (وهو).

(٣) في (ج): (لرجوعهما).

(٤) لم أقف على من قال بهذا القول.

(٥) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٧٩.

أُعْطِيَ ثوابَها، ولَمْ يُحْرَمْ مِن الدنيا ما يُعطَاه مِنْ عَمَلِ الدنيا[١]، مِمَّا قُسِمَ له.

١٤٦- قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾.

اجتمعوا[٢] على أنَّ معنى (كَأَيِّنْ): كم[٣]؛ وتأويلها: التكثير لعدد الأنبياء الذين هذه صفتهم. والكاف[٤] في (كَأَيِّنْ) كافُ التَّشْبِيه، دخلت على (أيٍّ)، التي هي الاستفهام -، كما دخلت على (ذا) مِن (كَذَا[٥])، و(أَنَّ) مِن (كَأَنَّ)، ولا معنى للتشبيه فيه، كما أنه لا معنى للتشبيه في (كَذَا)؛ لأنك تقول: (لي عليه كَذَا وكَذَا)؛ معناه: لي عليه عددٌ مَّا. فلا معنى للتشبيه. إلا أنها زيادةٌ لازمةٌ، لا يجوز حذفُها.

ولم يقع للتنوين صورةٌ في الخط، إلا في هذا الحرف خاصَّةً.

وكَثُرَ استعمالُ هذه الكلمة، فصارت كَكَلِمَةٍ واحدةٍ، موضوعة

---

(١) في «تفسير الطبري» مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا.

(٢) في (ج): (أجمعوا). وكذا ورد في «تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٢٧ حيث نقل هذا النص عن المؤلف.

(٣) هي (كم) الخبرية التي يُكنى بها عن معدود كثير، ولكنه مجهول الجنس والكمية. و(كأين تشترك مع (كم) - هنا - في إفادة التكثير للمعدود، وهو الغالب من استعمالها، وتستعمل في الأكثر مع (مِنْ)، ولا تأتي استفهامًا إلا في النادر، وهو رأي الجمهور، وأثبت وقوعها استفهامًا: ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك؛ كما أفاد ذلك ابن هشام. ويرى سيبويه أن معنى (كأين) معنى: (رُبَّ).
انظر: «كتاب سيبويه» ٢/ ١٧٠، و«تأويل مشكل القرآن» ٥١٩، و«الإيضاح العضدي» ١/ ١٤٣، و«المغني» لابن هشام ٢٤٦، و«النحو الوافي» ٤/ ٥٧٧-٥٨٠.

(٤) من هنا إلى نهاية: (.. لدن غدوة): نقل معناه عن «الحجة»، للفارسي ٣/ ٨٠-٨٢، مع إضافات أخرى لم أقف على مصادرها.

(٥) (كذا) من كنايات العدد المبهمة التي يكنى بها عن معدود؛ سواء كان كثيرًا أو قليلًا.

للتكثير؛ كقول الشاعر:

كَأَيِّنْ في المَعَاشِرِ مِنْ أُنَاسٍ أَخُوهُمْ فوقَهُمْ وهُمُ كِرَامُ[١]

أي: كَم مِن أُنَاسٍ.

وقرأ ابنُ كَثير[٢]: ﴿وَكَائِنْ﴾[٣]، في وزن: (كاعِنْ).

ووجه هذه القِرَاءةِ: أن[٤] (كأيِّنْ) لَمَّا جُعِلَت كلمةً واحدةً، قُلِبت قَلْبَ الكلمة الواحدة؛ كما فُعِلَ ذلك، فيما حكاه أحمد بن يحيى[٥] مِن قولهم: (لَعَمْري)، و(رَعَمْلِي)، فصارت بالقَلْبِ (كَيَّإن). فَحُذِفت[٦] الياءُ الثانيةُ تخفيفًا؛ كما حُذِفَت مِن (مَيْت) و(هَيْن) و(لَيْن)[٧]، فصارت: (كَيْإنْ)[٨] بعد

---

(١) للكميت بن زيد الأسدي في ديوانه، وأخبار أبي تمام، بلفظ (أخوهم منهم) والوساطة للجرجاني ص٣٢٩.
وقد ورد في: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٦، و«حجة القراءات» ١٧٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩أ، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٥٤، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٢٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٧٢، و«الدر المصون» ٣/ ٤٢٢. وروايته عند الثعلبي:
(وكأين من أناس لم يزالوا ....).
المَعَاشِر: جماعات الناس. والمَعْشَرُ: كلُّ جماعةٍ أمرُهُم واحد؛ نحو: مَعْشَر المسلمين، ومَعْشَر المشركين. انظر: «اللسان» ٤/ ٧٥٤ (عشر).

(٢) انظر: «السبعة» ٢١٦، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٨٠، و«الكشف» ١/ ٣٥٧.

(٣) (أ)، (ب)، (ج): (وكاين). والمُثْبَت هو الموافق للقراءة.

(٤) (أن): ساقطة من (ج).

(٥) هو ثَعْلب. وقوله في: «الحجة»، للفارسي ٣/ ٨١، و«المسائل المشكلة» له ٣٩٤، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٨.

(٦) من قوله: (فحذفت ..) إلى (.. فصارت كَيْإن): ساقط من (ج).

(٧) الأصل فيها: (مَيِّت، وهَيِّن، ولَيِّن). انظر: «المنصف» ٢/ ١٥.

(٨) في (أ)، (ب): (كَيْأنٍ). والمثبت من: «الحجة» ٣/ ٨١، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٧، و«المحتسب» ١/ ١٧١. ورُسِمَت الكلمةُ فيها: (كَيْءٍ).

الحذف، ثم أُبْدِلت من الياء الألف؛ كما أبدلت في (طَائِيٍّ)[١]، وكما أبدلت في (آيَةٍ) عند سيبويه[٢]، وكانت (أَيَّةً)[٣]، وقد حُذِفَت الياءُ مِن (أَيٍّ) في قول الفرزدق:

تَنَظَّرْتُ نَصرًا والسِّماكَيْنِ أيْهُمَا[٤]
عَلَيَّ مِنَ الغَيثِ اسْتَهَلَّتْ مَواطِرُهْ[٥]

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (طاي). والمثبت من المصادر السابقة، و«المسائل المشكلة» ٣٩٤.

والأصل في كلمة (طائي): (طَيْئِيّ)، ثم حذفوا الياء المتحركة من الياء المشددة الأولى، فصارت: (طَيْئِيّ)، ثم قلبوا الياءَ الساكنةَ ألِفًا، فصارت (طائي). انظر: «الدر المصون» ٣/ ٤٢٣، و«روح المعاني» ٤/ ٢٧، ويرى مَكيُّ بن أبي طالب أنَّ أصل (طائي): «طيِّيّ» - بياءين مشددتين -؛ لأنه ينسب إلى (طَيّ)، لكن أبدلوا من الياء الأولى الساكنةِ ألِفًا، فوقعت الياء الثانية بعد ألف زائدة، فأبدلوا منها همزة.). «الكشف» ١/ ٣٥٧. وانظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٣، ٣٠٧، ٢/ ٦٦٩.

(٢) انظر: «الكتاب» له ٤/ ٣٩٨، و«الحجة» للفارسي ١/ ٨٥، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٣، ٢/ ٦٦٩، و«الكشف» ١/ ٣٥٧.

(٣) في (ب): (أبيه).

(٤) في (ج): (الهما).

(٥) في (ب): (مواطر). والبيت في: ديوانه: ٢٤٦. وقد ورد منسوبًا له في: «الحجة» للفارسي ١/ ٩٢، ٣/ ٨١، و«المحتسب» ١/ ٤١، ١٠٨، ٢/ ١٥٢، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٥٥، و«اللسان» ٢/ ١٠٦٨ (حير). وقد ورد في: «اللسان» (تنظرت نَسْرا..).

وقوله: (نصرا) يعني: نَصْرَ بن سَيَّار، الذي قال القصيدة في مدحه.
والسِّمَاكان: نجمان نَيِّران، أحدهما: السماك الرامح، والآخر: السماك الأعزل. و(الرامح) لا نَوْء له، وهو في جهة الشمال. و(الأعزل): من منازل القمر، وهو من كواكب الأنوار، وجهتة الجنوب.
انظر: (سمك) في: «التهذيب» ٢/ ١٧٥٩، و«اللسان» ٤/ ٢٠٩٩.
والشاهد فيه: تخفيفه لـ(أيِّهما)؛ بأن حذف الياءَ الثانية.

فَلَمَّا أُبْدِلَت الألفُ مِن الياء، صارت: (كَائِنْ)، على وزن: (كاعِنْ).
وأكثر ما جاء في الشعر، على هذه اللغة.

قال جرير:

وكـايِنْ فـي الأَبَـاطِـحِ مِـن صَـدِيـقٍ يَرَانِي لَوْ أُصِيبَ[1] هُوَ المُصَابَا[2]

---

(١) هكذا جاءت في كل (أ)، (ب)، (ج): (أصيبَ). وهي خلاف ما جاء في كل المصادر التي أوردت البيت. وقد أَثْبَتُّها كذلك؛ لاتفاق النسخ عليها، ولأني وجدت ابن الحاجب أوردها كذلك. انظر: «أمَاليه» ٢/ ٦٦٢.
وجاء في جميع نسخ تفسير (الوسيط) للمؤلف: (لو أصِيب)، ولكن المحقق جعلها (لو أصِبْتُ)، وقال: (في جميع النسخ: (لو أصيب) وما أثبته هو «الصحيح». «الوسيط» (تحقيق: بالطيور) ٣٤٦.

(٢) البيت في «ديوانه» ٢١. وقد ورد منسوبًا له في أكثر المصادر التالية: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٥، و«الإيضاح العضدي»، للفارسي ١/ ١٤٣، و«شرح الأبيات المشكلة» له ٢٤٤، و«الحجة» له ٣/ ٨٠، و«حجة القراءات» ١٧٤، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٠٦، و«غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٧٢، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٥٢، و«شرح المفصل» ٣/ ١١٠، ٤/ ١٣٥، و«أمالي ابن الحاجب» ٢/ ٦٦٢، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٢٨، و«المغني» ٦٤٣، و«منهج السالك» ٤/ ٨٧، و«همع الهوامع» ١/ ٦٨، ٢٥٦، و«شرح شواهد المغني» ٨٧٥، و«الدرر اللوامع» ١/ ٤٦، ٢١٣، ٢/ ٩٢، و«خزانة الأدب» ٥/ ٣٩٧.
ورد البيت في جميع المصادر السابقة: (بالأباطح ..). وورد في الديوان وجميع المصادر السابقة - عدا أمالي ابن الحاجب -: (.. يراني لو أصِبْتُ هو المصابا).
وأشار في: «خزانة الأدب» ٥/ ٤٠١ إلى أن الأخفش رواه: (وكم في الأباطح ..)، وليس فيه موضع الشاهد.
الأباطح، جمع: أبطح، وهو: مَسِيل واسعٌ فيه دقاق الحصى. ويجمع - كذلك - على: (بِطَاح)، و(بَطَائِح). انظر: «القاموس» ص٢١٣ (بطح).
ومعنى (يراني لو أصيبَ هو المصابا) - على الرواية التي أوردها المؤلف -: يراني أنني المصابُ فيما أصِيب هو. - والله أعلم -.

وأنْشَدَ المُفَضّل(١):

وكائِنْ(٢) تَرَى(٣) في الحَيِّ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ
وغَـيْـرَان يَـدْعُـو وَيْـلَـهُ مِـنْ حِـذَارِيَـا(٤)

فإنْ وقفت على هذه الكلمة؛ فَلَكَ في الوَقْفِ على قِرَاءةِ ابن كثير، ثلاثة أوجه:

أحدها: أنْ تحذف التنوين الدَّاخِلَ الكلمة مع الجرِّ، فيقول(٥): (كاءْ). فَتُسَكِّنْ(٦) الهمزةَ المجرورةَ للوقف.

الثاني: أن يقول: (كائِيْ)(٧)؛ على لغة من يقول: (مَرَرْتُ بِزَيْدِيْ)، في الوقف، فَيُبْدِل(٨) مِنَ التَّنْوِين الياءَ.

---

(١) قوله: (وأنشد ..) إلى نهاية بيت الشعر: (.. حذاريا): ورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩أ. ويبدو أن المؤلف نقله عنه.

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): (وكاين).

(٣) في (ب): (يرى). وفي (ج): (نرى).

(٤) لم أقف على قائله. وقد ورد في المصدر السابق، وأورد شطره الأول الفخرُ الرازي في «تفسيره» ٩/ ٢٧. والحِذار: المحاذرة، والتحرز، والتأهب. انظر: «اللسان» ٢/ ٨٠٩ (حذر).

(٥) هكذا في: (أ)، (ب). وفي (ج): مهملة من النقط. وقد تكون على تقدير: فيقول الواقف، أو القارئ.

(٦) في (ب): (كائنتسكن). وفي (ج): (كافتسكن).

(٧) (أ)، (ب)، (ج): (كاي). وما أثبتُّه من «الحجة»، للفارسي ٣/ ٨٢، وهو الصواب؛ لأن الإبدال من التنوين، وليس من الهمز.

(٨) في (ج): (فتبدل).

الوجه الثالث: أنْ تَقِفَ على التنوين، وتترك الحركة[١]؛ فتقول: (كَائِنْ)[٢]؛ وذلك أنَّ التنوين - بالقَلْبِ الذي حدث في هذه الكلمة -، صارت بمنزلة النون التي من نَفْسِ الكلمة [فَتُقِرُّهُ نُونًا في الوَقْفِ][٣]، بمنزلة [ما هو من نفس الكلمة؛ كما أنهم جعلوا ما هو من نفس الكلمة][٤]، [التنوينَ][٥] الزائدَ[٦]، في قول من قال: (لَدُنْ غُدْوَةً)[٧].

فأما الوقف في القراءة[٨] الأولى، فتقف على الياء، وتترك التنوين، ولا

---

(١) في (ب): أن تترك الحركة، وتقف على التنوين.

(٢) في (ب)، (ج): (كاين).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة أضفتها ليتضح الكلام. انظر: «الحجة» ٣/ ٨٢.

(٦) في (ج): (الزائدة).

(٧) لَدُنْ: ظرف زمان ومكان، على حسب إضافتها، وهي مبنية على السكون، وتعني: (عند)، وهي تلازم الإضافة؛ إما إلى الاسم، أو الضمير. ويقال: (لُدْن، ولَدْن، ولَدِن، ولَدُ، ولَدَى). أما (لَدُنْ غُدْوَة)، فقال الأزهري عنها: (وَرَوَى أبو عمرو عن الإمامين: المبرد، وثعلب، قالا: العرب تقول: (لَدُنْ غُدْوةً) و(لَدُنْ غُدْوَةٌ)، و(لَدُنْ غُدْوَةٍ). قالا: فمن رَفَع؛ أراد: لدن كانت غُدْوةٌ [أي: (كان) - هنا - التَّامَّة:. ومَن نَصَب؛ أراد: لدن كان الوقت غُدْوَةً. ومن خفض؛ أراد: مِن عِنْد غُدْوةٍ). «التهذيب» ٣/ ٢٦٣٦ (غدا)، وانظر: «شرح المفصل» ٢/ ١٢٧، و«اللسان» ٧/ ٤٠٢٢ (لدن)، و«معجم الشوارد النحوية» ٥١١-٥١٢.

والغُدْوَةُ: البُكْرَةُ ما بين صلاة الفجر، وطلوع الشمس. فإذا كانت مِن يَوم بعينه، فهي عَلَمٌ للوقت، غير مَصْرُوفَةٍ، فلا يدخلها التَنْوِينُ؛ لأنها مَعْرِفَة، أما إذًا كانت نَكِرَةً، فإنها تُنَوَّنُ. انظر: «اللسان» ١٥/ ١١٦.

(٨) في (ب)، (ج): (القراة).

تقف على النون؛ لأنه لم يُقْلَبْ، كما ذكرنا من القَلْبِ في قراءة ابن كثير[١].

وقوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَ مَعَـهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾. ﴿قُتِلَ﴾، و﴿قَـٰتَلَ﴾[٢]. فمن قرأ: ﴿قُتِلَ﴾[٣]، احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون القَتْلُ مُسْنَدًا إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾. [وقوله: ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾][٤] صِفَة لـ ﴿نَّبِيٍّ﴾. و(الرِّبِّيُّون) - على هذا - مرتَفِعٌ بالظَّرْفِ[٥].

والثاني: أنْ يُسْنَدَ القَتْلُ إلى قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾. ويكون معنى قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾؛ أي: مَا وَهَنَ باقِيهم بَعْدُ، بِمَنْ[٦] قُتِلَ منهم في سبيل الله. فَحُذِفَ المُضَافُ، وأُقِيمَ المضافُ إليه مقامه؛ والمعنى: ما وَهَنَ مَنْ بَقِيَ

---

(١) انظر: الكلام حول (كائن) في: «كتاب سيبويه» ٣/ ١٥١، ٢/ ١٧٠-١٧١، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٨٠-٨٢، و«المسائل المشكلة» ٣٩٣-٣٩٤، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٦-٣٠٨، و«المحتسب» ١/ ١٧٠-١٧٣، و«الكشف» لمكي ١/ ٣٥٧، ٣٥٨، و«مشكل إعراب القرآن» له ١/ ١٧٥.

(٢) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع - من السبعة -، ويعقوب: ﴿قُتِلَ﴾. وقرأ باقي القراء: ﴿قَـٰتَلَ﴾.

انظر: «السبعة» ٢١٧، و«الحجة»، للفارسي ٣/ ٨٢، و«النشر» ٢/ ٢٤٢، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨٠.

(٣) من قوله: (فمن قرأ..) إلى (.. وتضمر للمبتدأ خبرا): نقله - بتصرف واختصار - عن «الحجة»، للفارسي ٣/ ٨٣.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) ويكون الضمير الذي في ﴿مَعَهُۥ﴾ يعود لـ﴿نَّبِيٍّ﴾. ويجوز أن يكون ﴿قُتِلَ﴾ في محل جَرٍّ، صِفَةً لـ﴿نَّبِيٍّ﴾، و﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ صِفَةً ثانية. أو يكون ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ في حالة إسناد القتل إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾ -: حالًا مِن الضَّمِير الذي في ﴿قُتِلَ﴾.
انظر: «الحجة» ٣/ ٨٣، و«الدر المصون» ٣/ ٤٢٧.

(٦) في «الحجة» بَعْدَ مَنْ.

منهم لِقَتْلِ[١] مَن قُتِلَ مِنَ الرِّبِّيِّينَ؛ لأن مَنْ قُتِلُوا لا يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ (ما وَهَنُوا).

وحُجّة هذه القراءة: أنَّ هذا الكلامَ، اقتصاصُ ما جرى عليه سَيْرُ[٢] أُمَمِ الأنبياء - عليهم السلام - قبلهم؛ لِيَتَأَسَّوا بهم. وقد قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومَنْ قَرَأَ: ﴿قَـٰتَلَ﴾، جاز فيه الوجهان اللذان ذكرنا في ﴿قُتِلَ﴾، مِن إسناد القِتَالِ إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾، أو إلى ﴿الرِّبِّيِّينَ﴾.

وحُجَّةُ هذه القراءة: أنَّ المُراد بهذه الآية مدح الطائفة الذين مع النَّبِيِّ، بالقتال والثَّبَاتِ على ما كان عليه نَبِيُّهُمْ. والقتال أَلْيَقُ بهذا المعنى مِنَ القَتْلِ، فَحَصَلَ مِن هذا أنَّ قوله: ﴿وَكَأَيِّن﴾، موضع الكاف الجَارَّةِ مع المجرور، رَفْعٌ بالابتداء، كما أنَّ موضعَ (لَهُ كَذَا وَكَذَا)، رَفْعٌ. وخَبَرُهُ: ﴿قُتِلَ﴾؛ إذا أسندت القَتْلَ إلى ﴿نَّبِيٍّ﴾. وإذا لم يُسنَدْ القَتلُ إليه، كان قولُه: ﴿قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾: صِفَةً لـ﴿نَّبِيٍّ﴾، وتُضْمِرُ للمبتدإ خَبَرًا؛ بتقدير: (كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ معه رِبِّيُّونَ كثيرٌ قبلكم أو مضى). وما أشبهه من التقدير.

وهذا الذي ذكرنا في هذه الآية: قولُ الفَرَّاء[٣]، والزجَّاج[٤]، وأبي علي[٥]، وجميع مَن يُوثَقُ بِعِلْمِهِ في النحو[٦].

---

(١) في (ج): (بقتل).
(٢) في «الحجة»، ضُبِطت: سِيَرُ.
(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٧.
(٤) في «معاني القرآن» له / ٤٧٦.
(٥) في «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٨٣-٨٤.
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٧، و«إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٥٨٥-٥٨٧، =

وقوله تعالى: ﴿رِبِّيُّونَ﴾.

قال الفَرّاء[١]: الرِّبِّيُّون: الألُوف. وهو قول ابن مسعود[٢]، والضحاك[٣]، والكلبي[٤].

وقال الزّجاج[٥]: هم الجماعة الكثيرة.

أخبرنا العَرُوضي[٦]، عن الأزهري، عن المنذري، عن أبي طالب، قال[٧]: الرِّبِّيُّونَ: الجماعات الكثيرة. الواحد: (رِبِّيٌّ).

= وكتاب «القطع والائتناف» ٢٣٦-٢٣٧، و«حجة القراءات» ١٧٥-١٧٦، و«التبيان»، للعكبري ص٢١٢-٢١٣.

(١) في «معاني القرآن»، له ١/ ٢٣٧.

(٢) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٣٤، و«تفسير الطبري» ٤/ ١١٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٠، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٩٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١١٦، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٤٦ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١١٩ ونصه عنده: (جموع كثيرة، قتل نبيهم). وفي «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، ونصه عند: (الرِّبِّيَّة الواحدة: ألف)، وكذا في: «تفسير البغوي» ٢/ ١١٦ .

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٤٦ ونسب إخراجه إلى سعيد بن منصور، ولفظه: (الرِّبَّة الواحدة: ألف).

(٤) قوله، في: «بحر العلوم» ١/ ٣٠٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١١٦، ونصه: (الرِّبِّيَّة الواحدة: عشرة آلاف).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٦، وأورده بلفظ: (قيل: .. إنهم الجماعات الكثيرة) واستحسنه.

(٦) هو: أحمد بن محمد، أبو الفضل. تقدمت ترجمته.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٦-١٣٣٧ (ربّ).

وهو قول ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، والرَّبِيع[٤]، والسُّدِّي[٥].

[و][٦] قال ابن قتيبة[٧] وأصله مِن (الرِّبَّةِ)؛ وهي: الجَمَاعة، يقال[٨]: (رِبِّيّ)؛ كأنه نُسِبَ[٩] إلى (الرِّبَّةِ)[١٠]، ثم يُجمَع (رِبِّيّ) بالواو[١١].

وقال الأخفش[١٢]: الرِّبِّيُّونَ: الذين[١٣] يعبدون الرَّبَّ، واحِدُهم: (رِبِّيٌّ).

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٧-١١٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٤٦-١٤٧ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر.
وفي رواية أخرى عنه فَسَّرها بـ(علماء كثير). انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٧.

(٢) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٠، و«معاني القرآن»، للنحاس: ٤٩٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٨، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٢.

(٣) قوله، في: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٣٤، و«تفسير الطبري» ٤/ ١١٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٢.

(٤) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٩ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٢.

(٥) قوله، في: المصادر السابقة، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٠.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) في «تفسير غريب القرآن» له ص١٠٦.

(٨) في «تفسير الغريب» يقال للجمع.

(٩) في (ج): (ينسب).

(١٠) (الربة): مطموس في (ج).

(١١) في «تفسير غريب القرآن» فيُقال: رِبِّيُّون.

(١٢) في «معاني القرآن»، له ١/ ٢١٧.

(١٣) (أ)، (ب): (الذي). والمثبت من (ج)، و«معاني القرآن».

قال أحمد بن يحيى(١): ينبغي أن يُفتَحَ [الرَّاءُ](٢) على قول الأخفش، فيقال: (رَبِّي)(٣)؛ لِيَكونَ منسوبًا إلى الرَّبِّ.

فقال مَنْ نَصَرَ الأخفشَ(٤): العرب تنسب الشيءَ إلى الشيء، فتغيِّر حَرَكَتَهُ؛ كما قالوا: (بِصْرِي)، في النسبة إلى البَصْرَةِ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾ جَمَعَ بين الوَهْنِ والضَّعْفِ؛ لأن (الوَهْنَ): انكسارُ الحَدِّ بالخوف(٥).

و(الضَّعْفُ): نُقْصانِ القوة. أي: لم يَهِنْوا بالخوف، ولا ضَعُفُوا بنُقْصان القُوَّة. هذا معنى قول أبي إسحاق(٦): ما جَبُنُوا عن قِتَال عَدُوِّهم،

---

(١) قوله، في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٦ (ربّ)، و«اللسان» ٣/ ١٥٤٨-١٥٤٩ (ربب).

(٢) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب)، (ج): (إلّا). وهي تخل بالمعنى، وأراها تصحيفًا من النساخ. والمثبت من: المصادر السابقة.

(٣) في (أ): رِبِّي - بكسر الراء -. وفي (ب)، (ج): مهمل من النقط. وما أثبَتُّهُ - بفتح الراء - هو الصواب.

(٤) هو الثعلبي، في: «تفسيره» ٣/ ١٢٩ب.

(٥) في (ج): (بالحذف).

لم أرَ في مصادر اللغة والتفسير التي رجعت إليها، مَن فسَّر (الوَهْن) بهذا المعنى الدقيق، وإنما فَسَّروه جميعًا بـ(الضَّعْف)، وجعلوهما مترادفين، وهما من عطف الشيء على نفسه. ومنهم من قال بأنه الضعف في الخَلْق والخُلُق، ومنهم من فَسَّره بالضعف في العمل والأمر.

انظر: «غريب القرآن»، لابن اليزيدي ٤٤، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٠٦، و«غريب الحديث» للحربي ١٠٥٦، وانظر مادة (وهن) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٦، و«الصحاح» ٢٢١٥، و«المقاييس» ٦/ ١٤٩، و«اللسان» ٨/ ٤٩٣٥، و«تخليص الشواهد» لابن هشام ٤٥٢، و«عمدة الحفاظ» ٦٤٥.

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٦.

وَمَا فَتَرُوا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾ الاسْتِكَانَةُ: الخُضُوعُ. وهو أنْ يَسْكُنَ لِصَاحِبِهِ؛ لِيَفْعَلَ[(٢)] بِهِ ما يريد؛ أي: وما خضعوا لِعَدُوِّهم[(٣)].

قال المفسرون: هذه الآية احتجاجٌ على المنهزِمِينَ يومَ أُحُد؛ وذلك أنَّ صائِحًا صاحَ: قد قُتِلَ مُحَمَّد! فاضْطَرَبَ أمرُ المسلمينَ؛ كما ذكرنا القصة في قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، الآية.

واختلفوا فيما بينهم، فأنزل الله هذه الآية، يعاتبهم على ما كان مِن فِعْلِهِم، ويَحَضُّهم على الجهاد في سبيل الله؛ لِسُلُوك طريقة العلماء مِن صَحَابَةِ الأنبياء؛ لِيَقْتَدِيَ الخَلَفُ بالسَّلَفِ في الصَّبْرِ، حتى يأتي اللهُ ﷻ

(١) نص عبارة الزجاج: (﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾: فما فَتَروا، ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾: وما جبنوا عن قتال عدوهم).
أفهم من عبارة المؤلف - والله أعلم - أن (الوَهْنَ): أقرب إلى أن يكون نقصان القوة المعنوية، ومنها خَوَر العزيمة، ودبيب اليأس إلى النفس، وحُلُول الخوف. وأما (الضعف)؛ فهو: نقصان القوى البدنية، والفشل في المقاومة. ومن الطبيعي أنه إذا عمل الخوفُ عَمَلَه في النفس، خارت العزيمةُ، وضعفت القُوَى البدنيةُ، وقلّ إثرَها اندفاعُ الإنسان، وكُسِرت حدَّتُه، فيتضعضع حينها، ويذل، ويستكين. فالوهْنُ يكون أوَّلًا ثم الضعف، ثم الاستكانة.
انظر حول هذا المعنى: «التحرير والتنوير» لابن عاشور ٤/ ١١٨، و«تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٢٨.

(٢) من قوله: (ليفعل ..) إلى نهاية قوله: (.. وقال في موضع آخر: السلطان في اللغة: الحجة): سقط من: (ج) من هذا الموضع من المخطوط، ثم عاد الناسخ وكتبه بعد تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ آية: ١٥٢، بحيث تداخل مع تفسير هذه الآية.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٦.

بالفتح[(١)].

وقال ابنُ الأنباري[(٢)] في هذه الآية: أي: وقد كان واجبًا عليكم، أنْ تُقاتِلُوا على أَمْرِ نَبِيِّكُمْ لو قُتِلَ؛ كما قَاتَلَ أُمَمُ الأنبياء بعد قَتْلِهِم، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهم.

١٤٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ قال ابن عباس[(٣)]: يريد: عند لِقَاء العدو. وهذا بعد أنْ قُتِلَ نَبِيُّهُم.

وقوله[(٤)] تعالى: ﴿وَإِسْرَافَنَا﴾ الإسْرَافُ - في اللغة -: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ. ومثله: السَّرَفُ[(٥)].

قال ابن الأعرابي[(٦)]: هو تَجَاوُزُ ما حُدَّ لك. قال ابن عباس[(٧)] - في قوله: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾-: يريد: في المَعَاصِي.

وقوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ قال ابن عباس[(٨)]: يريد: بالقُوَّةِ مِن عِندك، والنُّصْرَةِ. وعلى هذا أكثر المفسرين؛ أَنَّ المراد بهذا: سؤال

---

(١) (بالفتح): ساقط من (ج).

وانظر: التعليق على تفسير المؤلف لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ من آية: ١٤٤ سورة آل عمران، فقد وردت مصادر هذه الأقوال هناك.

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) في (ج): قوله. - بدون واو -.

(٥) انظر: (سرف) في: «مقاييس اللغة» ٣/ ١٥٣، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٤٠٧، و«بصائر ذوي التمييز» ٢/ ١٠٥.

(٦) قوله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٧٥ (سرف).

(٧) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٣.

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

[القوة و][(١)] المعونة التي تَقَوَّى[(٢)] بها قُلُوبُهم على جِهَادِ عدوهم، حتى يقع معها ثُبُوت[(٣)] أقدامهم[(٤)].

وقال[(٥)] أبو إسحاق[(٦)]: معنى ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؛ أي: ثَبِّتْنا على دينك. قال: فإذا[(٧)] ثَبَّتَهُمْ على دينهم، ثَبَتُوا في حربهم. واحتج بقوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤]؛ قال: المعنى: تَزِلَّ عن الدِّينِ.

وهذا تعليم لدعاء الاستفتاح والاستنصار على الكُفَّار، وتعريضٌ بالعِتابِ معهم، حين أخبر عن غيرهم من الأمم بهذا.

١٤٨- قوله تعالى: ﴿فَئَاتَنٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس[(٨)]: يريد: النَّصْر[(٩)] والظَّفَر والغنيمة.

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يعنى: الأجر والمغفرة، وما يَلْقَوْنَه مِنَ النَّعِيم.

١٤٩- قوله تعالى: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: اليهود؛

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).
(٢) في (ب):)تقوي).
(٣) في (ب): (ثبات).
(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٠٧، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٢١، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٠ب. وهو قول ابن عباس؛ كما في: «زاد المسير» ١/ ٤٧٣.
(٥) في (ج): (قال).
(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٧.
(٧) في (ج): (وإذا).
(٨) لم أقف على مصدر قوله.
وهو قول: الحسن، وقتادة، والربيع، وابن جريج، وابن إسحاق.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٣-٧٨٤.
(٩) في (ب): (بالنصر).

في قول ابن عباس[١]، والأكثرين.

وقال السُّدِّي[٢]: يعني: أبا سفيان، وأصحابه.

وقال علي [٣]: يعني: المنافقين؛ في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: ارجِعُوا إلى دِينِ آبائكم.

وقوله تعالى: ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ أي: يُرْجعوكم إلى أَوَّلِ أمْرِكم؛ الشركِ بالله[٤].

١٥٠- وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: ناصِرُكم ومُعِينُكم. والمعني في هذه الآية: يقول: أنا مولاكم؛ فاسْتَغْنُوا عن مُوَالاةِ الكفَّار، وناصِرُكُمْ؛ فلا تَسْتَنْصِرُوهم.

١٥١- [و][٥] قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾.

قال المفسرون: هذا وَعْدٌ مِنَ الله تعالى للمؤمنين، بِخذلان أعدائِهم بالرُّعْب[٦].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد عن ابن جريج: أنهم اليهود والنصارى، وممن قال بذلك: الطبري، والثعلبي.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٠ب.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٤.

(٣) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٠ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٤، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٢.
وبه قال مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٠٦، وأبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣٠٧.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٠٧، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٤، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٢.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٧٩.

وقال السُّدِّي[١]: لَمَّا انصَرَفَ أبو سفيان وأصحابه مِن أُحُد إلى مَكَّةَ، هَمُّوا بالرجوع لاستئصال المسلمين، فألقى اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ، فَمَضوا ولم يرجعوا.

و(الإلقاء)[٢]: أصلُهُ في الأعيان؛ كقوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ [الشعراء: ٤٤]، ﴿إِذْ يُلْقُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ويُسْتَعْمَلُ في غير الأعيان؛ تَوَسُّعًا؛ كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]، ويقال: ألقَى عليه مَسْئلةً).

ومِثْلُ (الإلقاء) - في أنه يُسْتَعْمَلُ في الأعيانِ حقيقةً، وفي غير الأعيان تَوَسُّعًا -: (القَذْفُ)، و(الرَّجْمُ)، و(الرَّمْيُ)؛ يقال: (رَمَاهُ بالزِّنَا)؛ قال الله - ﷻ -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور: ٦]؛ أي: بالزِّنَا. وهذا اتِّسَاعٌ؛ لأن هذا ليس بِعَيْنٍ، وكذلك: (القَذْفُ).

قال الشاعر:

قَذَفُوا سَيِّدَهُم في وَرْطَةٍ قَذْفَكَ المَقْلَةَ وَسْطَ المُعْتَرَكْ[٣]

---

(١) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٠ب، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٤.

(٢) من قوله: (والإلقاء ..) إلى (.. والعنق): نقله - بتصرف واختصار - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٨٥-٨٨.

(٣) البيت ليزيد بن طُعْمَة الخَطْمِيّ. وقد ورد منسوبًا له في: كتاب «المعاني الكبير» ١/ ٣٠٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٠ (مقل)، و«اللسان» ٨/ ٤٨١٣ (ورط)، ٧/ ٤٢٤٥ (مقل).

وورد غير منسوب في: «مجالس ثعلب» ٢/ ٥٤٢، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٨٧.

وقد ورد في «المعاني الكبير» (قذفوا جارهم في هُوَّةٍ..). =

فالأوَّل: على الاتِّسَاع، والثاني: على الأصل؛ ألا تَرَى أنَّ المَقْلَةَ تُلقَى للتَّصَافُنِ[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلرُّعۡبَ﴾ يُقرأ[٢] بالتَّثْقِيلِ، والتخفيف[٣]، وهما لُغَتَانِ، كـ(الطُّنْبِ[٤] والطُّنُبِ)، و(العُنْقِ والعُنُقِ)، ومثله كثير[٥].

= والوَرْطَةُ: الهَلَكَةُ، أو كلُّ غامض. وأصلها: الأرض التي لا طريق فيها. و(أوْرَطَهُ)، وَ(وَرَّطَهُ): أوقعه فيما لا خلاص له منه.
والمَقْلَةُ: هي حصاة القَسْمِ، التي توضع في الإناء، ويصب فيه الماء حتى يغمرها، فيعرف بها قَدْرُ ما يسقى كلُّ واحد؛ وذلك إذا قل الماء،وكانوا في سفر. وفي «(مجالس ثعلب»): ٢/ ٥٤٢: أنها الحجر الذي يُلقى في البئر، يُقدر به الماء.
انظر: «اللسان» ٨/ ٤٨١٢ (ورط)، ٧/ ٤٢٤٥ (مقل).

(١) يقال: (تَصَافَنَ القومُ، تَصَافُنًا): إذا اقتسموا الماء بينهم على طريقة إلقاء المَقْلَةِ في الإناء. وذلك عند قلة الماء. كما سبق بيانه في الهامش السابق. انظر: «اللسان» ١٣/ ٢٤٩ (صفن).

(٢) في (ج): (يقرى).

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة: (الرُّعْبَ) مخففة؛ أي: ساكنة العين.
وقرأ ابن عامر، والكسائي: (الرُّعُبَ) بالتثقيل؛ أي: مضمومة العين.
انظر: كتاب «السبعة» ٢١٧، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٨٥، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ١٧٦.

(٤) في (أ): كالطّنْبِ. وهي خطأ، وفي (ب): مهملة من غير شكل. والصواب ما أثبته.
الطُّنْب: الحبل الذي يُشَدُّ به الخِبَاء والسُّرَادق. أو هو - أيضا -: عِرْق الشجر، وعَصَبُ الجَسَد، وَسَيْرٌ يُوصَلُ بِوَتَرِ القَوْسِ، ثم يدار على مَحزِّهَا الذي تقع فيه حلقة الوَتَر. ويُسمَّى - كذلك -: (الإطنابة). وجمع الطُّنب: (أطْنَابٌ)، و(طِنَبَةٌ).
انظر: (طنب) في «الصحاح» ١/ ١٧٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٠٨، و«التاج» ٢/ ١٨٦-١٨٨.

(٥) انظر: «أدب الكاتب» ٥٣٦-٥٣٧.

والرُّعْبُ، بمعنى: الرَّوْع[١]. يقال: (رَعَبْتُهُ[٢] رَعْبًا، وَرُعْبًا)[٣] - لُغَتَان -، فهو (مَرْعُوبٌ)، وَ(رَعِيبٌ)[٤]. ويَجوز أنْ يكون (الرَّعْبُ)[٥] مَصْدَرًا، و(الرُّعْبُ) اسم منه[٦]. وهو: الخوف الذي يحصل [في القلب.

---

(١) الرَّوْع: الفزع. يقال: (رُعْتُه، أرُوعُهُ، رَوْعا). انظر: «إصلاح المنطق» ١٢٣ (روع).

(٢) هكذا جاءت في أ- بتشديد العين المفتوحة -. وأهملت من الشكل في (ب)، (ج).
أكثر مصادر اللغة التي بين يدي، أوردتها: (رَعَبه) - بفتح العين من غير تشديد - والمصدر منها: (رُعْبًا ورُعُبا). أما (رَعَّبه) فمصدرها: (الترعيب).
انظر: (رعب) في: «اللسان» ٣/ ١٦٦٧، و«القاموس» ص٩٠، و«التاج» ٢/ ٢٥-٢٦.
وفي «الجمهرة» لابن دريد: «رُعِبَ الرجل، يُرْعَبُ رُعْبًا، فهو (مرعوب)، و(رَعَبْتُه أنا، أرْعَبُه)، فـ(أنا راعِبٌ له. ١/ ٣١٨ (رعب).

(٣) وهكذا ورد ضبطها - بفتح الراء في الأولى، وضمها في الثانية، مع تسكين العين في الحالتين في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٢٢، و«المقاييس» ٢/ ٤١٠، و«المجمل» ١/ ٣٨٤.
وورد ضَبْطُها في أكثر المصادر اللغوية التي بين يدي، كالتالي: (رُعْبًا، ورُعُبًا). انظر: (رعب) في: كتاب «العين» ٢/ ١٣٠، و«اللسان» ٣/ ١٦٦٧، و«القاموس» ص٩٠، و«المصباح المنير» ٨٨، و«عمدة الحفاظ» ٢٠٥، و«التاج» ٢/ ٢٥-٢٦.
وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٢.

(٤) و -كذلك-: (رَعِبٌ). انظر: «عمدة الحفاظ» ٢٠٥.

(٥) في (أ): (الرَعَب). وفي (ب): (غير مشكولة). وفي (ج): ساقطة. والمثبت من: مصادر اللغة. ولتتناسب مع ما قبلها من قوله: (رَعْبا ورُعْبا).

(٦) انظر: «مقاييس اللغة» ٢/ ٤١٠.
وقال في «تاج العروس» عن الحالة الثانية، وهي: (الرُّعْب، والرُّعُب): (هما لغتان. وقيل: الأصل الضم، ولاسكون تخفيف. وقيل: العكس، والضم إتباع. وقيل: الأول مصدر، والثاني: اسم. وقيل: كلاهما اسم. وقيل: كلاهما مصدر). ١/ ٣٧١ (رعب).
وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٢، و«تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٣٣.

(رَعَبْتُ][١] الشيءَ، أَرْعَبُهُ رَعْبًا). و(سَيْلٌ راعِبٌ): يملأ الأودية والأنْهَارَ[٢]. ثم قالوا: (رَعَبْتُهُ فارْتَعَبَ)؛ أي: أَفْزَعْتُهُ فَفَزِعَ؛ كأنك قلت: ملأتُ قَلْبَهُ فَزَعًا. ومعنى الآية: يملأ قلوبَهُم فزَعًا.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ (ما) ليست بموصولة؛ لأنها للمصدر؛ أي: بإشراكهم بالله.

والباء في ﴿بِٱللَّهِ﴾، مِنْ صِلَةِ معنى الإشراك، لا لَفْظه؛ لأن لفظَ الإشراك لا يقتضي الباء.

قال الأزهري[٣]: إنَّمَا دَخَلَتْ البَاءُ في قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأن معناه: لا تَعْدِلْ به غَيْرَه، فتجعله شريكًا له، وذلك[٤] قوله - تعالى -: ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: بِمَا عَدَلُوا باللهِ، ومَنْ عَدَلَ بالله شيئًا مِنْ خَلْقِهِ، فهو كافرٌ[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

أي: حُجَّةً، وَبَيَانًا. و(السُّلْطَانُ)؛ معناه: الحُجَّةُ، في قول أكثر المفسِّرينَ، وأهلِ اللغة[٦].

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ).وساقط من (ج). والمثبت من (ب).

(٢) ويقال: (رعَبَ الحوضَ)، (يَرْعَبُهُ رَعْبا): مَلأهُ. و(رَعَبَ السيلُ الوادي): ملأه. انظر: (رعب) في: «المقاييس» ٢/ ٤١٠، و«اللسان» ٣/ ١٦٦٧.

(٣) في «تهذيب اللغة» ١٠/ ١٦ (شرك). نقله عنه بتصرف يسير.

(٤) في «التهذيب» وكذلك.

(٥) في «التهذيب» فهو مشرك. وفي نسخ أخرى منه أشار إليها محقِّقُهُ: فهو كافر مشرك.

(٦) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٠٦، و«تأويل المشكل» له ٥٠٤، و«تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٩، و«نزهة القلوب» للسجستاني ٢٧٦، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٢ (سلط)، و«المجمل» ٢/ ٤٧١ (سلط)، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٤٢٠ (سلط).

قال الزَّجَّاجُ[١]: واشتقاق (السُّلْطانِ) مِنَ (السَّلِيط)، وهو: ما يُضَاءُ بِهِ[٢] السِّرَاجُ[٣]. وقيل[٤] للأمراء: سلاطين؛ لأنهم الذين يُقامُ[٥] بهم الحُجَجُ، والحُقُوقُ.

وقال في موضع آخر[٦]: السُّلْطانُ - في اللغة -: الحُجَّةُ. وإنَّمَا قيل للخليفة والأمير: (سُلْطان)؛ لأن معناه: أنه ذو الحُجَّةِ. والعَرَبُ تُؤنِّثُ (السلطان) وتُذَكِّرُ[٧]؛ فتقول: (قَضَتْ[٨] بِهِ عَلَيْكَ السُّلْطَانُ[٩])، و(أَمَرَتْكَ السُّلْطَانُ)؛ أي: قَضَتْ بِهِ عليك الحُجَّةُ، وَقَضَتْ به عليك حُجَّةُ الوَالِي.

ومَنْ قال: (قَضَى به عليك السُّلطانُ)؛ ذَهَبَ إلى معنى: (صاحبُ السُّلطانِ)؛ أي: صاحب الحُجَّةِ. وجائزٌ أنْ يذهب بـ(السُّلطان) إلى معنى: الاحتجاج والبرهان.

---

(١) في «معاني القرآن» له ٣/ ٧٦ عند تفسير آية ٩٦ من سورة هود.

(٢) السَّلِيطُ - عند عامَّةِ العرب -: الزَّيْتُ، وعند أهل اليمن: دُهن السِّمْسِم، وقيل: هو كل دهن عُصِر من حَبٍّ. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٦٥ (سلط).

(٣) السراج: ليست في: «معاني القرآن».

(٤) من قوله: (وقيل..) على (.. الحقوق): في «معاني القرآن» للزجاج ٥/ ١٢٧ عند تفسير آية ٢٩ من سورة الحاقة.

(٥) في (ج)، و«معاني القرآن»: (تقام).

(٦) في «معاني القرآن» له ٢/ ١٢٣-١٢٤ عند تفسير آية ١٤٤ من سورة النساء. نقله عنه باختصار، وتصرف ببعض عباراته. وانظر: «المذكر والمؤنث» له ٧٤.

(٧) في (ج)، و«معاني القرآن» (وتُذَكِّره).

(٨) في (ج): (قضيت).

(٩) من قوله: (السلطان ..) إلى (.. قضت به عليك): ساقط من (ج).

قال ابن السِّكِّيت[(١)]: السُّلْطان: مؤنَّثةٌ[(٢)]؛ يُقَال: (قَضَت[(٣)] به عليهم[(٤)] السُّلْطانُ)، وقد (آمَنَتْهُ[(٥)] السُّلْطَانُ).

قال الأزهريُّ[(٦)]: ورُبَّمَا ذُكِّرَ (السُّلْطانُ)؛ لأن لفظه[(٧)] مُذَكَّرٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾[(٨)].

وقال اللَّيْثُ[(٩)]: السُّلْطان: القُدْرَةُ. يقال: (جعلت لِفُلانٍ سُلْطانا على كذا). والنُّونُ فيه زيادة؛ لأن أصل بِنَائِهِ[(١٠)] مِنَ (التَّسْلِيط). وعلى هذا: (سُلْطان المَلِكِ): قُوَّتُهُ وقُدْرَتُهُ.

والسُّلْطانُ: البُرْهان؛ لِقُوَّتِهِ على دفع الباطل. والتَّسْلِيطُ على الشيء:

---

(١) في «إصلاح المنطق» ٣٦٢. نقله عنه بتصرف يسير.

(٢) في (ج): (مؤنث).

(٣) في (ج): (قضيت).

(٤) في «إصلاح المنطق» علينا. وفي بعض النسخ منه أشار إليها محققه: (عليك)، و(عليه).

(٥) في (ج): (أمنه).

(٦) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٢ (سلط). نقله عنه بنصه.

(٧) في (ج): (لأنه لفظا).

(٨) سورة هود: ٩٦، والمؤمنون: ٤٥، وغافر: ٢٣.

وورد في: «تهذيب اللغة» ﴿بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾. وهي من سورة إبراهيم: ١٠، والنمل: ٢١، والدخان: ١٩، والذاريات: ٣٨، والطور: ٣٨.

انظر حول تذكير وتأنيث (السلطان): «المذكر والمؤنث» للفراء ٧٤، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٣٨١، و«الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٢٩-٣٠، و«المذكر والمؤنث» لابن التستري ٥١، ٨٣، و«اللسان» ٤/ ٢٠٦٥ (سلط).

(٩) قوله: في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٣ (سلط). نقله عنه بمعناه.

(١٠) في (أ): (بنايه)، وفي (ج): (بيانه)، والمثبت من: (ب)، و«التهذيب».

التَّقْوِية عليه.

وقال ابن دُرَيد[١]: سُلْطان كلِّ شيء: حِدَّتُه. مِنَ[٢] اللِّسَان السَّلِيط الحَدِيد. و(السَّلاَطَةُ)؛ بمعنى: الحِدَّة، قد جَاءَ، ومنه قول الشاعر - يَصِفُ نَصْلًا[٣] مُحَدَّدَة[٤]-:

سِلاَطٌ حِدَادٌ أَرْهَقَتْهَا المَوَاقِعُ[٥]

هذا كلام أهل اللغة في معنى (السلطان) واشتقاقه.

قال أهل التفسير: لم [يُنْزل][٦] اللهُ حُجَّةً ولا بَيَانًا في عِبَادَةِ غَيْرِهِ،

---

(١) في «الجمهرة» ٢/ ٨٣٦ (سلط). قال: (حِدَّته وسطوته). ويبدو أن المؤلف نقله عن الأزهري، نظرا لتوافق عبارة المؤلف مع عبارة التهذيب. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٢٣ (سلط).

(٢) من قوله: (من ..) إلى (.. أرهقتها المواقع): بنصه في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٢ (سلط).

(٣) في «التهذيب» نصالا.
النَّصْل: الحديدة التي توضع في رأس السهم أو الرمح، أو حديدة السيف ما لم يكن له مقبض. والجمع: أَنْصُل، ونِصَال، ونُصُول. انظر: «القاموس» ١٠٦٢-١٠٦٣ (نصل).

(٤) في (أ)، (ب): (محدودة). والمثبت من: (ج)، و«تهذيب اللغة»، وهو ما استصوبته؛ لأنه يقال: (حَدَّده، فهو مُحدَّد). «التاج» ٢/ ٣٣٢ (حدد).
أما (المحدود) - في اللغة -، فهو: المَمْنوع من الخير وغيره، أو كلُّ مَصْروفٍ عن خير أو شر.
انظر: (حدد) في: «اللسان» ٢/ ٧٩٩، و«القاموس» ص٢٧٦.

(٥) لم أهتد إلى قائله. وقد ورد غير منسوب في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٢ (سلط)، و«اللسان» ٤/ ٢٠٦٥ (سلط).

(٦) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

والإشْرَاكِ به؛ فهم يُشْرِكون بالله الأوثانَ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ ولا بُرْهان[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾. أي مرجعهم ومصيرهم.

﴿وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المَثْوَى: المكان الذي[٢] يُقِيم به؛ مِن قولهم: (ثَوَى، يَثْوِي، ثَوَاءً)[٣].

ويقال للمقتول: (ثَوَى)[٤]؛ لإقامته حيث قُتِل. وجَمْعُ الـ(مَثْوَى)[٥]: مَثَاوِي[٦].

١٥٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ الآية.

قال القُرَظِيُّ[٧]: لَمَّا رَجَعَ رسولُ الله ﷺ، وأصحابُه إلى المدينة، وقد

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٤، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٧، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٣.

(٢) (الذي): ساقطة من (ب).

(٣) يقال: (ثَوَى المكانَ)، و(ثَوَى به)، (يَثوي، ثَواءً، وثُوِيًّا). ويقال - كذلك -: (أثْوَى)؛ بمعنى: أقام. و(أثْوَيْتُه، وثَوَّيْتُه): ألزمته الثَّواءَ فيه.

انظر (ثوى) في: «التهذيب» ١/ ٥١٠، و«اللسان» ١/ ٥٢٤، و«التاج» ١٩/ ٢٦٢.

(٤) في «التهذيب» ١/ ٥١٠ (ثوى)، و«اللسان» ١/ ٥٢٥ (ثوى): (ويقال للمقتول: قد ثَوَى).

(٥) في (ج): (الثوى).

(٦) انظر: المصادر السابقة، و«القاموس» (١٢٦٨) (ثوى).

(٧) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣١أ. وقد نقله المؤلف بنصه عنه، من قوله: (لما رجع ..) إلى (.. ولقد صدقكم الله وعده).

وانظر قوله - كذلك - في: «أسباب النزول» للمؤلف (١٢٩)، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٥، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٣.

والقُرَظي، هو: أبو حمزة، محمد بن كعب بن سليم بن أسد القُرَظي. تقدمت ترجمته.

أصابهم ما أصابهم بِأُحُد، قال ناسٌ مِن أصحابه: مِنْ أين أصابَنَا هذا، وقد وَعَدَنا اللهُ النصرَ؟ [فأنزل اللهُ][1]: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾؟.

وقال بعضهم: كان رسولُ اللهِ ﷺ، رَأَى في المنام أنَّه[2] يذبح كَبْشًا، فَصَدَق رُؤْياهُ بقتل[3] طَلْحَةَ بن عثمان[4]، صاحبِ لِوَاءِ المشركين، يوم أُحُد، وقَتْلِ تِسْعَة نَفَرٍ بعده على اللواء[5]؛ فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾؛ يريد: تصديق رؤيا رسول الله ﷺ.

والصِّدق يتعدى إلى مفعولين؛ تقول: صَدَقْتُهُ الوَعْدَ، والوَعِيدَ[6].

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، والمثبت من: (ب)، (ج)، و«تفسير الثعلبي».

(٢) (أ)، (ب)، (ج): (أن). وما أثبَتُّه هو ما استصوبته.

(٣) في (ب): (فقتل).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٥-١٢٦.

وعند الواقدي: هو طلحة بن أبي طلحة، وأبو طلحة هو: عبد الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَي. انظر: «المغازي» ١/ ٢٢٠.

والذي ورد في كتب السِّيَر عن رؤيا رسول الله ﷺ: أنه رأى في منامه كأنه في دِرْعٍ حَصِينة، ورأى كأن سيفه ذا الفقار انفصم من عند ظُبَتِه، ورأى بقرا تُذبح، ورأى كأنه مردفٌ كَبْشًا. فأولَّ النبي ﷺ الدرعَ الحصينة بالمدينة، وأما انفصام سيفه من عند ظُبَته: فمصيبة في نفسه؛ بأن يُقتل رجلٌ من أهل بيته، وأما البقر المذبوح: فقتلى في أصحابه، وأما أنه مُرْدِف كَبْشا: فكبش كتيبة العدو الذي سيقتلونه، أي: حامل لواء المشركين. وفي رواية عن الواقدي: (ورأيت في سيفي فَلًّا فكرهته)، فهو الذي أصاب وجهه الشريف ﷺ.

انظر: «المغازي» ١/ ٢٠٩، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٦-٦٧، و«طبقات ابن سعد» ٢/ ٣٧-٣٨، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٢، و«إمتاع الأسماع» للمقريزي ١/ ١١٦.

(٥) انظر: «المغازي» ١/ ٢٢٦-٢٢٨، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٠-٤١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٧.

(٦) وقد يتعدى للثاني بالحرف؛ تقول: (صَدَقتك في القول).

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾.

قال اللَيْثُ[١]: الحَسُّ: القَتْلُ الذَرِيع. قال: و﴿تَحُسُّونَهُم﴾؛ أي: تقتلونهم قَتْلًا شديدًا كثيرًا.

وروى الحَرَّانيُّ[٢] عن ابن السِّكِّيت[٣]: الحَسُّ: مصدرُ (حَسَسْتُ القومَ، أَحُسُّهُمْ، حَسًّا): إذا قتلتهم.

وقال أبو عبيدة[٤]، والزَّجَّاجُ[٥]، وابنُ قُتَيْبَة[٦]: الحَسُّ: الاستئصال بالقتل؛ يقال: (جَرَادٌ مَحْسُوسٌ): إذا قَتَلَه البَرْدُ. و(سَنَةٌ حَسُوسٌ): إذا أتَتْ على كلِّ شيء[٧] ومعنى ﴿تَحُسُّونَهُم﴾: تستأصلونهم قَتْلًا[٨].

وقال أصحاب الاشتقاق: (حَسَّهُ، يَحُسُّهُ): إذا قَتَلَه؛ لأنه أبطل حِسَّهُ بالقتل، وأصابَهُ[٩]؛ كما يقال: (بَطَنَهُ): إذا أصاب بَطْنَهُ[١٠]، و(رَأَسَهُ): إذا

---

(١) قوله في: «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٦ (حسس). نقله عنه ببعض التصرف.

(٢) هو: أبو شعيب، عبد الله بن الحسن الحَرّاني. تقدمت ترجمته.

(٣) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٦ (حسس). وانظر قول ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ٢٦.

(٤) في «مجاز القرآن» ١/ ١٠٤.

(٥) في «معاني القرآن» ٤٧٨.

(٦) في «تفسير غريب القرآن» له ١١٣.

(٧) هذا قول ابن قتيبة المصدر السابق، تصرف فيه المؤلف بالتقديم والتأخير.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٧، «نزهة القلوب»، للسجستاني ١٥٥، و«الموضح في تفسير القرآن» للحدادي ٣٩.

(٩) انظر: «مقاييس اللغة» ٢/ ٩ (حسس)، و«النكت والعيون» ١/ ٤٢٩، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٥.

(١٠) (إذا أصاب بطنه): ساقط من (ج).

أصاب رَأْسَهُ[١]. والتَّحَسُّسُ: طَلَبُ الأخبار بِحَاسَّةِ السَّمْعِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بِعِلْمِهِ[٣].

قال المفسرون[٤]: كان المسلمون يوم أُحُد، يقتلون المشركين قتلا ذريعًا حتى وَلَّوْا هاربين، وانكشفوا منهزمين؛ فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾.

ثم أَخَلَّ الرُّمَاةُ[٥] بالمكان الذي ألزمهم رسولُ الله ﷺ إيَّاهُ، فَحَمَلَ - حينئذ - خالدُ بنُ الوَلِيد[٦]، مِن وَرَاء المسلمين، وتَرَاجَعَ المشركون، وقُتِلَ

---

(١) يقال: (بَطَنَه)، و(بَطَنَ له)، و(بَطَّنَه): ضرب بَطْنَه. انظر: «القاموس المحيط» ص١١٨٠ (بطن).
و(رَأَسَه، يرْأَسَه، رَأْسًا): أصاب رأسه. انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٣٣ (رأس).

(٢) انظر: «الزاهر» ١/ ٤٧٣.

(٣) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٤٧٨.
وقيل: بأمره وحكمة وقضائه. وهو قول ابن عباس، والطبري، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو الليث .
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٨، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٦، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٥.
وقيل: بلطفه، وقيل: بمعونته، وقيل: بصدق وعده. وهذه الأقوال الثلاثة ذكرها الماوردي في: «النكت والعيون» ٢/ ٩٠٦.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١١٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣١ ب، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٤٤.

(٥) في (ب): (أجل الزمان).

(٦) هو: أبو سليمان، خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي. سماه الرسول ﷺ: (سيف الله)، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وقائد خيلهم ، وشهد مع الكفار حروبهم ضد المسلمين إلى عمرة الحديبية، وأسلم سنة سبع بعد خيبر، وقيل: قبلها. وهو من أشهر قادة الجيوش عند المسلمين. توفي سنة (٢١هـ).
انظر: «الاستيعاب» ٢/ ١١، و«الإصابة» ١/ ٤١٣.

مِن المسلمين سبعونَ رجلًا، ثم هُزِمُوا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾ أي: جَبُنْتُم عن عَدُوِّكم[(٢)].

قال الليث[(٣)]: يقال: (فَشِلَ الرَّجُلُ، يَفْشَلُ) - عند الحَرْبِ والشِّدَّةِ: إذا ضَعُفَ، وذَهَبَتْ قُوَاهُ[(٤)]. ويقال: (إنه لفَشْلٌ)، و(فَشِلٌ)[(٥)].

واختلفوا في جواب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾[(٦)]:

فقال الفراء[(٧)]: جوابه: ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾، والواو فيه مُقْحَمَةٌ، معناها السقوط؛ كما قال: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾[(٨)]؛ المعنى: نَادَيْنَاه. واحتج بقول الشاعر:

حَتَّى إذا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ ورَأَيْتُمُ أبْنَاءَكُمْ شَبُّوا

(١) انظر: أخبار غزوة أحد في: «صحيح البخاري» (٤٠٤٣) كتاب المغازي. باب غزوة أحد، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٣، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٦، و«إمتاع الأسماع» ١/ ١١٦ وما بعدها، و«البداية والنهاية» ٤/ ١٠ وما بعدها.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٨، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٢٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٦.

(٣) قوله في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٢ (فشل). نقله عنه بتصرف يسير.

(٤) في (ب)، (ج): (قوته).

(٥) (فشل): ساقطة من (ج).

وفي «التهذيب» ويقال: (وإنه لَخَشْلٌ فَشْل، وإنه لَخَشِلٌ فَشِلٌ).

والفَشِلُ: الرجل الضعيف الجبان، وجمعه: أفشال. يقال: فَشِلَ فَشلا.

أما الخَشْل والخَشَلُ: فهو -هنا-: الرديء من كل شيء. والله أعلم. انظر: «الصحاح» ٤/ ١٦٨٥ (خشل)، و«اللسان» ٦/ ٣٤١٨ (فشل)، ٢/ ١١٦٧ (خشل).

(٦) (إذا): ساقطة من (ج).

(٧) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٨. نقله عنه باختصار، وتصرف.

(٨) سورة الصافات: ١٠٣، ١٠٤. وبقيتها: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾. آية: ١٠٤.

وَقَلَبْتُمُ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا   إنَّ اللَّئِيمَ العاجِزُ الخَبُّ(١)

قال: يريد: قَلَبْتُم. هذا مذهب الكوفيين.

وعند البصريين: لا يجوز زيادةُ الواو. ويتأولون هذه الآيَةَ وأمثالَها،

---

(١) البيتان للأسود بن يَعْفُر النهشلي. وهما في «ديوانه» ١٩.
وأورد البكريُّ في «معجم ما استعجم» ٢/ ٣٧٩ البيت الأول ضمن أبيات نسبها للأسود قالها في هجاء بني نَجيح من بني مجاشع بن دارم.
وقد أورَدَتْهما المصادر التالية، بدون نسبة «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٥١، و«تأويل مشكل القرآن» ٢٥٤، وكتاب «المعاني الكبير» ١/ ٥٣٣، و«المقتضب» ٢/ ٨١، و«مجالس ثعلب» ١/ ٥٩، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٥٥، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٤٧ (قمل)، ١/ ٨٤ (باب الواوات)، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٦، ٦٤٧، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٢١، و«الإنصاف» للأنباري ص٣٦٧، ٣٦٨، و«شرح المفصل» ٨/ ٩٤، و«رصف المباني» ٤٨٧، و«لسان العرب» ٦/ ٣٧٤٢ (قمل)، و«الجنى الداني» ١٦٥، و«تذكرة النحاة» ٤٥، و«خزانة الأدب» ١١/ ٤٤، ٤٥.
ورد في: «شرح القصائد السبع» (وقلبتم بطن المجن). وورد في بعض المصادر: (إن الغَدُورَ الفاحشُ الخب)، وفي بعضها: (إن اللئيم الفاجر)، وفي «سر صناعة الإعراب» (حتى إذا امتلأت بطونكم).
قَمِلَت: من (قَمِلَ القومُ): كثروا، و(قَمِل الرجلُ): سَمِنَ بعد هُزَال. ويريد -هنا-: كثرت قبائلُكم.
والمِجَنُّ: التُّرْس. وقوله: (وقلبتم ظهر المجن): كناية عن إسقاط الحياء والتنكر للمعروف، وإبداء العداوة.
والخِبُّ - بفتح الخاء وكسرها -: الخدّاع الذي يسعى بين الناس بالفساد. أما بكسر الخاء فقط - (الخِبُّ) -، فهو: الغَدْر.
والشاهد فيه عنده: أن الواو في (قلبتم) زائدة، وحقها أن تُسقط. و(قلبتم): جواب (إذا).

على حذف الجواب؛ والتقدير عندهم: (حتى إذا فَشِلْتُمْ، وتَنَازَعْتُم في الأمر، وعَصَيْتُم، امْتُحِنْتُمْ[1]؛ بأن نِيلَ منكم، وعُوقِبْتُم بِظَفَرِ أعدائكم بكم)، فحذف الجواب؛ لبيان[2] معناه؛ كما حذف في قوله - عَجَلَ -: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ٣٥]؛ معناه: فافْعَلْ. فأسقط الجواب؛ إذْ أُمِنَ[3] اللَّبْسُ[4].

والآية - عند الفراء - على التقديم والتأخير؛ لأنه يذهب إلى أن الفَشَلَ مُؤَخَّرٌ بعد التَّنازُع؛ والمعنى عنده: (حتى إذا تنازعتم في الأمر وعَصَيْتُم؛ فَشِلتم). فقدم المؤخر وأخر المقدم؛ كقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[5].

وغيره يقول: الفَشَل في موضعه، غَيْرُ مَنْوِيٍّ به التأخير. والتنازع والعصيان كانا بعد الفَشَلِ[6].

والتنازع[7]: الاختلاف. وأصله مِنْ: (نَزَعَ القومُ الشيءَ، بعضُهُم مِن

---

(١) في (أ): (امتَحَنْتم) - بالبناء للمعلوم -. وفي: (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والصواب ما أثبتُّه.

(٢) (لبيان): ساقطة من (ج).

(٣) (أ)، (ب): (أمَرَّ). والمثبت من (ج).

(٤) وقد بينَّا مذهبي البصريين، والكوفيين في زيادة الواو من عدمه، مع ذكر طرف من أدلة الفريقين على ذلك. انظر التعليق على تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ آية: ٥٠ من سورة آل عمران. والتعليق على زيادة الواو في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ آية: ٤٩، والتعليق على زيادة (إذ) في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ آية: ٣٥.

(٥) سورة آل عمران: ٥٥.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٨، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٧) من قوله: (والتنازع ..) إلى (.. من بعض): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣١ب.

بَعْضٍ). وسنذكر شرحه عند قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [النساء: ٥٩]، إن شاء الله.

وكان اختلاف القوم[١]: أن المشركين لَمَّا انكشفوا؛ قال بعضُ الرُّمَاةِ: ما مُقَامُنا هاهنا، قد انْهَزَمَ القومَ. وقال بعضُهم: لا نُجَاوِزُ أمْرَ رَسُولِ الله ﷺ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم﴾. أي[٣]: بِتَرْكِ المَرْكَزِ[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ يعني: الظَّفَرَ والنَّصْرَ والفَتْحَ، حين كان الدَّبْرَةُ[٥] على المشركين[٦].

وقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني[٧]: الذين تَرَكُوا المَرْكَزَ، وأَقْبَلُوا إلى النَّهْبِ.

---

(١) (القوم): ساقط من (ج).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٤٠٤٣) كتاب المغازي. باب غزوة أحد، و«سنن أبي داود» رقم (٢٦٦٢)، و«تفسير النسائي» ١/ ٣٣٤، و«مسند الطيالسي» ٢/ ٩٥-٩٦ رقم (٧٦١)، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٤١، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٢٨-١٢٩، و«تاريخه» ٢/ ٥٠٧، و«إمتاع الأسماع» ١/ ١٢٧، و«البداية والنهاية» ٤/ ٢٦.

(٣) من قوله: (أي ..) إلى (.. تحبون) ساقط من (ج).

(٤) يعني ترك الرماة لموقعهم الذي عينه لهم رسول الله ﷺ وأمرهم ألّا يبرحوه. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٥) الدَّبْرَةُ - بفتح الدال -: الهزيمة في القتال. أما الدِّبرة - بكسر الدال -: فهي خلاف القبلة. انظر: «القاموس» ص٣٩٠ (دبر).

(٦) وهذا قول عامة المفسرين، منهم: ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وابن إسحاق.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٨-١٢٩، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٨.

(٧) من قوله: (يعني ..) إلى (.. بالهزيمة) بنصه في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٢أ.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعني: الذين ثَبَتُوا مَعَ عبد الله بن جُبَيْر - وهو أمير الرُّمَاةِ[١] - حتى قُتِلُوا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [أي][٢]: بالهزيمة؛ على معنى: صَرَفَ وجوهَكُم عنهم[٣].

وقال عَطَاء[٤]: يريد: صرف حدكم[٥] عنهم. وهذا صريح في أن [المعصية مَخْلُوقَةٌ لله][٦] ﷻ؛ حيث أضاف انهزامهم وتَوَلِّيهم إلى نفسه؛ فقال: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾، ولم يقل: (انْصَرَفْتُمْ)[٧].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾. أي: لِيَخْتَبِرَكُمْ بِمَا جَعَلَ عليكم مِنَ الدَّبْرَةِ والهزيمةِ، فَيَتَبَيَّنَ الصابرُ[٨] مِنَ الجازِع، والمُخْلِصُ مِنَ المنافق[٩].

---

(١) وهو أمير الرماة: ليس في «تفسير الثعلبي». وفي (ب): (الرملة).
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٢٩-١٣٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٩، و«المستدرك» ٢/ ٢٩٦ كتاب التفسير. سورة آل عمران.
وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان الأوسي الأنصاري. شهد العقبة وبدرًا، واستشهد يوم أحد ﷺ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١٤، و«أسد الغابة» ٣/ ١٩٤.

(٢) ما بين المعقوفين في (أ): (إلى). والمثبت من: (ب)، (ج)، و«تفسير الثعلبي».

(٣) في (ج): (وههم).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) هكذا في: (أ)، (ب)، (ج).
ومعناها - والله أعلم -: صرف بأسكم وقوتكم عنهم؛ لأن (حَدّ الرَّجُلِ): بأسه ونفاذُهُ في نجدته. يقال: (إنه لذو حَدٍّ). انظر: «اللسان» ٢/ ٨٠١ (حدد).

(٦) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) انظر تأويل المعتزلة لها في: «تنزيه القرآن عن المطاعن» ٨٢.

(٨) (أ)، (ب): (الصابرين). والمثبت من (ج).

(٩) في (ب): (الشاك).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أي: ذَنْبَكُمْ[١]؛ حيث عصيتم رسولَ اللهِ ﷺ؛ وحيث[٢] انهزمتم، فَلَمْ يُؤاخِذْكُمْ بذَنْبِكُمْ.

وقال بعضُ المُفَسِّرِينَ[٣]: ولقد عفا عنكم، فَلَمْ يَسْتَأصِلْكُم بعد المعصية والمخالفة، نظيره: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس[٥]: يريد: بالمَغْفِرَةِ.

١٥٣- قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ (إذْ) مُتَعَلِّق بـ(عَفَا)؛ يعني: ولقد عَفَا عنكم إذْ تُصْعِدُونَ.

و(الإصْعَادُ)، قال الفَرَّاءُ[٦] والزَّجَّاجُ[٧]: هو الابتداء في كلِّ سَفَرٍ؛ يقال: (أَصْعَدْنَا مِن بَغْدادَ إلى خُرَاسانَ وإلى مَكَّةَ): إذا خرجنا إليها، وأَخَذْنا[٨] في السَّفَرِ نحوها[٩].

---

(١) في (ج): (دينكم).

(٢) في (ج): (فحيث).

(٣) ممن قال ذلك: مقاتل، والحسن، وابن جريج، وابن إسحاق، والطبري، وأبو الليث، والثعلبي.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٣١-١٣٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٨٩-٧٩٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٢أ. والعبارة له.

(٤) سورة البقرة: ٥٢. ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(٥) لم أقف على مصدر قوله بهذا النص. وقد أورد ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٧٧، عنه قولَه: (إذ عفا عنهم جميعًا).

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٩.

(٧) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٨) في (ب): (وابتدأنا).

(٩) في (ب): (يوما).

وأَقْرَأَني العَرُوضِيُّ، عن الأزهري، عن المُنْذِري، عن الحَرَّانِيِّ، عن ابن السِّكِّيت، قال[١]: يقال: (صَعِدَ في الجَبَلِ)، و(أَصْعَدَ في البلاد).

وقال الأخفش[٢]: (أَصْعَدَ في البلاد): سار ومَضَى[٣].

أبو عُبَيْد، عن أبي زيد، وأبي عمروٍ: يقال: (أَصْعَدَ الرجلُ في البلاد): حيثُ تَوَجَّهَ.[٤] قال الأعشى:

أَلاَ أَيُّهذا السَّائِلِي أينَ أَصْعَدَتْ فإنَّ لَهَا في أهلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا[٥]

---

(١) قوله في «إصلاح المنطق» ٢٥٦. ونصه: (قد أصْعَد في الأرض إصعادًا، وقد صَعِدَ في الجبل، وعلى الجبل). وأورده الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٣ (صعد)، والنص له.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٢١٨.

(٣) ونصه عنده: «أصعد»؛ أي: مضى وسار. و(أصعد في الوادي)؛ أي: انحدر فيه. وأما (صَعِد)، فإنه ارتَقَى).
وأورده الازهريُّ - كما هو عند المؤلف -. ويبدو أن المؤلف نقله عنه. انظر: «التهذيب» ٢/ ٢٠١٣ (صعد).

(٤) نقله - بنصه - عن «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٣ (صعد).

(٥) البيت في: ديوانه: ٤٥. وقد ورد منسوبًا له في المصادر التالية: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٤١٢، و«المقتضب» ٤/ ٢٥٩، و«الأضداد» لابن الأنباري ٣١٥، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٢ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٣٩، و«المقاصد النحوية» ٣/ ٦٠، ٣٢٦، و«الدرر اللوامع» ١/ ١٥٣، وأورده السيوطي في «همع الهوامع» ٣/ ٥١ ولم ينسبه.
وقد ورد البيت في الديوان، وكل المصادر السابقة - ما عدا «الأضداد» وتفسيري الثعلبي، والقرطبي -: (أين يَمَّمَت) بدلًا من: (أين أصْعَدَتْ) وليس فيها موضع الشاهد. وورد عند القرطبي: (فإن لها من بطن يثربَ موعدا).
والبيت من قصيدة طويلة يمدح فيها النبي ﷺ، وهو متوجه إلى المدينة المنورة؛ لِيُسْلِمَ، إلا أن قريشًا صرفته عن ذلك، فرجع ولم يُسْلِمْ. انظر خبره في: «سيرة ابن هشام» ١/ ٤١١.

وقال ابن قُتَيبة[١]: ﴿تُصْعِدُونَ﴾: تُبْعِدُونَ في الهَزِيمَةِ؛ يقال: أَصْعَدَ في الأرض: إذا أَمْعَنَ فيها[٢] في الذَّهَاب[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ أي: لا تُعَرِّجُونَ ولا تُقِيمون ولا تَلْتَفِتون هَرَبًا. يقال: (مَضَى ولم يَلْوِ على شيءٍ)؛ أي: لم يُعَرِّجْ. وأصله: أنَّ المُعَرِّجَ على الشيء، يَلْوِي إليه عُنُقَهُ، أو عِنَانَ[٤] دابَّتِهِ. فإذا مَضَى، ولمْ يُعَرِّج، قيل: (لم يَلْوِ). ثم استُعْمِلَ في تَرْكِ التَّعْرِيج على الشيء.

فإن قيل: أليس اللهُ قد أخبَرَ أنَّه عَفَا عنهم - إذْ هُزِمُوا -، فكيف ذلك العَفْو، مع ما ابتلاهم به مِنَ القَتْلِ والجَرْح، وإدَالَةِ العَدُوِّ عليهم؟.

قيل: لولا عَفْوُ اللهِ، ما نَجَا منهم أحدٌ[٥]، ولَصَارُوا في الآخرةِ من الخاسرين؛ حين عَصَوا رسولَهُ في تَرْكِ المَرْكَزِ والهزيمة، وهو يناديهم مِن وَرَائِهم: (إلَيَّ عِبَادَ اللهِ! إلَيَّ عِبَادَ الله!) وهم لا يَلْتَفِتُون إليهِ. وذلك قوله:

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» له ١١٤، وانظر: «أدب الكاتب» له ٢٧٨.

(٢) (فيها): ليست في (ج)، ولا في «تفسير غريب القرآن».

(٣) وبقية عبارة ابن قتيبة: (وصعِد الجبل والسطح).

قال الطبري: (قالوا: فالهرب في مستوى الأرض، وبطون الأودية والشِّعاب: (إصعاد) لا صعود. قالوا: وإنما يكون (الصُّعُود) على الجبال والسلاليم والدَّرج؛ لأن معنى (الصعود): الارتقاء، والارتفاع على الشيء عُلُوًّا). «تفسيره» ٤/ ١٣٢-١٣٣. وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٠٥، و«الأضداد» لابن الأنباري ٣١٥.

ونقل الثعلبي عن المفضل، أن: (صَعِد، وأَصْعَدَ، وصَعَّدَ، بمعنى واحد). «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٢ ب.

وكذا فسر ابنُ اليزيدي (الإصعاد) بالصعود على الجبل. انظر: «غريب القرآن» لابن اليزيدي ٤٤.

(٤) (أ)، (ب): (عِيْنان). والمُثبت من (ج).

(٥) في (ج): (أحدا).

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾.

قال ابن عباس[١]: يريد: مِن خَلْفِكُم. يقال[٢]: (جاءَ فُلانٌ في آخِرِ النَّاسِ)، و(آخِرَةِ[٣] النَّاس)، و(أُخْرَى النَّاس)، و(أُخْرَاة النَّاس)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ الإثَابَةُ: أكثر ما تُسْتَعمل[٥] في الخير، ويجوز استعمالُه في الشَّرِّ؛ لأن أصله: ما يَرْجِعُ مِنَ الجَزَاء على الفِعْل، طاعةً كان أو معصيةً، ولكنه كَثُرَ في جَزَاء الطاعة[٦]، كما تقول في (الطَّرَبِ)؛ فإنَّ أصْلَهُ: خِفَّةٌ تأخذ الإنسانَ، مِنْ فَرَحٍ أو حُزْنٍ[٧]؛ كما قال[٨]:

---

(١) لم أقف على مصدر قوله بهذا النص. والذي في «تفسير الطبري» ٤/ ١٣٣ من قوله - في تفسيرها -: (إليَّ عبادَ الله!) وقد يفهم من هذا القول أنه يناديهم مِن خَلْفهم، وهو ما فهمه الطبريُّ، حيث فسَّرها بذلك، ثم أورد قول ابن عباس - السابق - دليلًا على ذلك. انظر: «تفسيره» ٤/ ١٣٣.

(٢) من قوله: (يقال ..) إلى (.. وأخراة الناس): بنصه في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٣أ. وأورده القرطبي في «تفسيره» ٤/ ٢٤٠. وعندهما زيادة: (.. وأخرَيَات الناس).

(٣) في (ج): (احرة). وفي «تفسير الثعلبي» (أَخَرَةِ) وعند القرطبي: (أُخْرَةِ). وماورد في (أ)، (ب) مِمّا أثبَتُّه، قد ورد في مصادر اللغة. يقال: (جاء أَخَرَة، وبأَخَرَةٍ، وَأُخْرَةً، وبأَخَرَةٍ)؛ أي: جاء آخر كل شيء. ويقال: (جاء أُخُرًا، وبآخِرَةٍ)، ويقال: (وآخِرَةِ السَّرْج، أو الرَّحل).
انظر: (أخر) في: «اللسان» ١/ ٣٩، و«التاج» ٦/ ١٧.

(٤) (وأخرى الناس وأخراة الناس): ساقط من (ج). وقوله: (وأخراة الناس) ليس في «تفسير القرطبي».
و(أخراة) مثل (أخرى)؛ مؤنث (الآخر). انظر: «التاج» ٦/ ١٧ (أخر).

(٥) في (ج): (يستعمل).

(٦) انظر: (ثوب) في: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٥، و«اللسان» ١/ ٥١٩.

(٧) انظر: (طرب) في: «التهذيب» ٣/ ٢١٧٤، و«اللسان» ٥/ ٢٦٤٩.

(٨) في (ب): (يقال).

طَــرَبَ الــوَالِــهِ أوْ كـالـمُـخْـتَـبَـلْ(١)

إلا أنَّه كَثُرَ استعمالُهُ في خِفَّةِ الفَرَحِ، وَنَشَاطِ السُّرُورِ(٢).

وقال أصحابُ المعاني(٣): معنى قوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ﴾؛ أي: جَعَلَ مكانَ مَا تَرْجُونَ مِنَ الثَّوَابِ، الغَمَّ؛ كما تقول: (تَحِيَّتُكَ الضَّرْبُ)، و(عِتَابُكَ السَّيْفُ)(٤)؛ أي: تجعل هذا مكانَ ذاك. قال عَمْرو بن مَعْدِيكَرِب(٥):

وَخَــيْــلٍ قَــدْ دَلَـفْـتُ لَـهَـا بِـخَـيْـلٍ تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ(٦)

---

(١) شطر بيت للنابغة الجعدي. وصدره:

وَأَرَانِــي طَــرِبًــا فــي إثْــرِهِــمْ

وقد ورد في: شعره: ٩٣. وورد منسوبًا له في: «أدب الكاتب» ١٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٧٤ (طرب)، و«الاقتضاب» ٣/ ١٤، و«اللسان» ٥/ ٢٦٤٩ (طرب).

وروايته في شعره: (فأراني ..).

(الوالهُ): الذي ذهب عقله، أو قارب الذهاب؛ لفقد حبيبه، أو ولده، وهو (الثاكل).

و(المُختَبَل): الذي خَبَلَهُ الحُزْنُ فَجَنَّنَهُ وأفقده عقله، أو هو الذي قُطِع عضوٌ من أعضائه. وهذا التفسير الثاني، قال في: «الاقتضاب» إنه (أجود في هذا الموضع؛ ليختلف المعنيان).

انظر: «الاقتضاب» ٣/ ١٤، و«القاموس» ٩٧٢ (ثكل)، ٩٩٠ (خبل).

(٢) انظر: (مادة: طرب) في المصادر السابقة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٣٤، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٤٩٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٠٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٣ ب.

(٤) وهذا من كلام العرب السائر. كما يقول أبو زيد في: النوادر: ١٤٩.

(٥) أبو ثور الزُّبَيْدي، تقدم.

(٦) ورد البيت في: شعره ١٤٩. وقد ورد منسوبًا له في:

«كتاب سيبويه» ٣/ ٥٠، و«النوادر» لأبي زيد ١٥٠، و«العمدة» لابن رشيق ٢/ ١٠٥٦، و«الممتع في صنعة الشعر» ١٥٩. =

أي: جَعَلُوا الضربَ الوجِيعَ، مَكَانَ التَّحِيَّةَ بين القَوْمِ.

وقال الفَرّاء[1]: الإثابة - ههنا - في معنى: (عِقَاب)، ولكنه كما قال الشاعر:

أَخَافُ زِيَادًا أنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ[2] أَدَاهِمَ سُودًا أَوْ مُحَدْرَجَةً فُتْلا[3]

= وأوردته المصادر التالية غير منسوب: «كتاب سيبويه» ٢/ ٢٣٢، و«المقتضب» ٢/ ٢٠، ٤/ ٤١٣، و«الخصائص» ١/ ٣٦٨، و«مفردات ألفاظ القرآن» ١٢٦، ٨٣٥، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٧٥، و«شرح المفصل» ٢/ ٨٠، و«التصريح» ١/ ٣٥٣، و«خزانة الأدب» ٩/ ٢٥٧، ٢٦٣؛ حيث ذكر نسبته للشاعر ولم يجزم بذلك.

أراد الشاعرُ بـ(الخيل) الأولى: خيل الأعداء، وبالثانية: خيلَه. والخيل - هنا -، يعني بها: الفُرسان. و(دَلَفْتُ): دَنَوْتُ وزَحفْتُ؛ يقال: (دَلَفَ الشيخ): إذا مَشى مَشْيًا لَيِّنًا. انظر: «خزانة الأدب» ٩/ ٢٦٤.

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٣٩. نقله بنصه إلى نهاية بيت الشعر (فتلا).

(٢) (أ)، (ب): (عطآه). والمثبت من: (ج)، ومصادر البيت.

(٣) في (ج): (قتلا).

البيت، للفرزدق، وهو في: ديوانه: ١٦٩. وقد ورد منسوبًا له في: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٠٤، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٢٤٧، و«الصحاح» ١/ ٣٠٥ (حدرج)، و«اللسان» ٢/ ٨٠٤ (حدرج). وورد غير منسوب في: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٣٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٣٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٣أ، و«المدخل» للحدادي ٣٥٧، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٧٦، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٨٣.

ورواية البيت في الديوان، و«تاريخ الطبري»:

فلمَّا خشِيتُ أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سُمْرا

وفي «طبقات فحول الشعراء» (فلما خشينا ..). وورد في كل المصادر - ما عدا «تفسير الثعلبي» -: (سُمْرا) بدلا من: (فُتلا) التي لا تستقيم مع قافية القصيدة الرائية. واتفقت روايةُ المؤلف للبيت مع الثعلبي، مما يدل على أن المؤلف أخذ البيت عنه .=

يعني بـ(السُّودِ): القيود[(١)]، وبـ(المحَدْرَجَة): السِّيَاط. وأرادَ: أخافُ أنْ يَجْعَلَ[(٢)] مَكانَ عَطائِهِ، القُيُودَ والسِّيَاطَ.

قال[(٣)]: وقد يقول الرَّجُلُ [لـ][(٤)] الذي اجترم[(٥)] إليه[(٦)]: [(لَئِنْ][(٧)] أَتَيْتَنِي[(٨)]، لأُثِيبنَّكَ ثَوَابَكَ)؛ معناه: لأعاقبنَّكَ. وهذا راجعٌ إلى ما ذكرنا مِن قَوْلِ أصحابِ المعاني.

وقوله تعالى: ﴿غَمَّاۢ بِغَمٍّ﴾ أي: أثَابَكم غمًّا، وهو: الهَزِيمَة، وظَفَر

= (الأداهم): جمع: (أدْهَم)، وهو: الأسْوَد. وتُطلَقُ (الأداهمُ) على القيود - وهي المرادة - هنا - في البيت -، وسميت بذلك؛ لِسَوَادها.
و(المُحَدْرَجة): السِّياط، وأصل المُحَدْرَج: المفتول، والأملس. ويقال - كذلك -: (الحُدْرُج)، و(الحُدرُوج). انظر: «اللسان» ٤/ ١٤٤٣ (دهم)، ٢/ ٨٠٤ (حدرج).
والبيت ضمن قصيدة طويلة قالها الشاعر في زِيَاد بن أبيهِ، وكان قد تَوَعَّد الفرزدقَ، ثم أظهر عفوَهُ عنه، وأنه سيُؤَمِّنه ويَمُنُّ عليه، فلم يثق الشاعرُ في أمانه، وقال القصيدة في ذلك.

(١) في (ج): (القيود والسياط).
(٢) في (ج): (تجعل).
(٣) الفراء في: «معاني القرآن» ١/ ٢٣٩. نقله عنه بنصه.
(٤) ما بين المعقوفين زيادة لازمة لتستقيم العبارة.
(٥) في (ج): (احترم). اجْتَرَمَ، بمعنى: (جَرَم، وأجرم): تَعَدَّى، وارتكب جُرْما؛ أي: ذنبًا. يقال: (جرم إليهم، وعليهم جريمة)، و(فلان يَتَجَرَّم علينا)؛ أي: يَتَجَنَّى علينا ما لم نجْنِه. انظر: «اللسان» ١/ ٦٠٤ (جرم).
(٦) في «معاني القرآن» عليك.
(٧) ما بين المعقوفين في (أ)، (ج): (أي). وساقط من (ب). والمثبت من «معاني القرآن».
(٨) في (أ): (أثيبني)، وفي (ب): (أيثبتني)، وفي (ج): مهملة من النقط. والمثبت من «معاني القرآن».

المشركين بكم. ﴿بِغَمٍّ﴾؛ يعني: بِغَمِّكُمْ رَسول الله ﷺ؛ إذْ عَصَيْتُموهُ وَضَيَّعتم أمرَهُ. فالغَمُّ الأوّل لهم، والغَمُّ الثاني للنبي ﷺ. وهذا القول، اختيار الزجاج[1].

وقال الحسن[2]: غَمّ يومِ أُحُد للمسلمين، بغَمِّ يومِ بَدْرٍ للمشركين[3].

وقيل: الغَمُّ الأَوَّل: ما أصابهم مِنَ الهزيمة والقتل. والغم الثاني: إشْرافُ خالد بن الوَلِيد عليهم، في خَيْلِهِ، فَرَعَبَهم ذلك، وزَادَ مِنْ قَلَقِهم. وهذا قول أكثر المفسرين[4]، واختيار الفراء[5].

وقيل: الغَمّ الأوَّل: ما أصابهم مِنَ القتل والجرح. والغَمّ الثاني: ما سَمِعوا أنَّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ. وهذا قول: قَتَادَة[6]، والرَّبيع[7]، وابنِ عبَّاس - في رواية عطاء -[8] فإنَّه قال في قوله: ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾؛ يريد: الهزيمة، وحيث قال ابنُ قَمِيئَةَ[9]: قد قتلتُ محمدا.

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٩.
(٢) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٣أ، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٩، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤٠.
(٣) وأخرج عنه ابن أبي حاتم قولَه في تفسيرها: (قال غَمًّا - والله - شديد، على غَمٍّ شديد، ما منهم إنسان إلا وقد همته نفسه). «تفسيره» ٣/ ٧٩١.
(٤) ممن قال ذلك: ابن عباس. انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٧٨، ومقاتل. انظر: «تفسيره» ١/ ٣٠٧. ولم أقف على غيرهما قال به.
(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٠.
(٦) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٣٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٩١، و«زاد المسير» ١/ ٤٧٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٥٤، وزاد نسبة إخراجه لابن المنذر.
(٧) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٣٥.
(٨) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.
(٩) في (ج): (قتيبة).

والباء في قوله: ﴿بِغَمٍّ﴾ - في القولين المتأخرين -؛ بمعنى: [(مع)][1] أو بمعنى: (عَلَى)؛ كما يقال[2]: (نزلتُ بِبَنِي[3] فلان)، و(على بَنِي فلان)، و(ما زِلْتُ به حتى فَعَلَ)، و(ما زِلْتُ معه حتى فَعَل)[4].

قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ﴾.

اختلفوا[5] في اللّام في قوله: ﴿لِّكَيْلَا﴾:

فقال بعضَ النحويِّين[6]: إنها مُتَّصِلَةٌ بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ﴾ [كأنه قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ﴾][7]، ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا

= ابن قَمِيئة: اسمه عمرو، وقيل: عبد الله. وهو الذي قَتَلَ مُصْعَب ابن عُمَيْر (وكان يَظُنُّه رسولَ الله ﷺ، وكان بِيَدِ مُصْعب اللِّواء.
انظر: «المغازي» ١/ ٢٤٤-٢٤٦، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥١٦، و«إمتاع الأسماع» ١/ ١٢٩، ١٣٠، ١٣١.

(١) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).

(٢) في (ب): (قال).

(٣) في (ج): (بني).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٨١٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٣٤، و«رصف المباني» ٢٢٢، و«الجنى الداني» ٤٠، ٤٢.
و(الباء) في القول - وهو قول الحسن -: للسببية؛ أي: فأثابكم غمًّا؛ بسبب الغم الذي حلَّ بالكفار - على أيديكم - يوم بدر.
وابن عطية يسمي هذه الباء: (باء معادلة).
انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٧٦، و«البحر المحيط» ٣/ ٨٤، و«الدر المصون» ٣/ ٤٤٢.

(٥) في (ب): (واختلفوا).

(٦) لم أهتد إليهم.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

فَاتَكُمْ﴾؛ [لأن][(١)] في[(٢)] عَفْوِهِ - جلَّ وعَزَّ -، ما يُذْهِبُ كُلَّ غَمٍّ وَحُزْنٍ[(٣)].
وقال آخرون: إنها مُتَّصِلَةٌ بقوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾.
ثُمْ اختلفوا:
فَقَالَ [أبو إسحاق][(٤)]: المعنى: أثابكم غَمَّ الهزيمة، بِغَمِّكُمْ النبيَ ﷺ؛ بِمُخَالَفتِهِ[(٥)]؛ ليكونَ غَمُّكُمْ، بأن خالفتموه فقط، لا على ما فاتكم مِنْ غَنِيمة، ولا ما أصابكم من هزيمة وجِرَاحٍ؛ وذلك أنَّ غَمَّ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ، يُنْسيهم غَمَّ فَوْتِ الغَنِيمَةِ.
وقال غيره: كان أصحاب رسول الله ﷺ، يَتَأَسَّفُونَ على ما فاتهم مِنْ غَنائم المشركين، وعلى ما حَلَّ بهم مِنَ القَتْلِ والجراح، فأنزلَ اللهُ بقلوبهم غَمَّ قَتْلِ الرسول ﷺ، ثمّ أزال ذلك الغم عنهم؛ لِيَفرحوا ببقائه، ولا يحزنوا مع بقائه على شَيءٍ[(٦)] فَاتَهُمْ[(٧)].
وقولُ أبي إسحاق أَلْيَقُ بَظَاهِرِ الآية؛ لأنه ليس في الآية ذِكْرُ إزَالَةِ غَمٍّ

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، وساقط من (ب)، والمثبت من (ج).
(٢) في (ب): (من).
(٣) وقد استحسن هذا الوجه: القرطبي، واستبعده أبو حيان، والسمين الحلبي؛ وذلك لطول الفصل، ولأنه - في الظاهر - يتعلق بمجاوره، وهو: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾. انظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤١، و«البحر المحيط» ٣/ ٨٥، و«الدر المصون» ٣/ ٤٤٣.
(٤) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، والمثبت من (ب)، (ج).
وقول أبي إسحاق في «معاني القرآن» له ١/ ٤٧٩. نقله عنه بمعناه.
(٥) في (ج): (مخالفة).
(٦) في (ج): (ما) بدلا من (شيء).
(٧) لم أقف على من قال هذا القول بتمامه، إلا أن بعضه، وهو: أن الغم الأول: ما أصابهم من قتل وجراح، والغم الثاني: سماعهم قتل النبي ﷺ. قد سبق وروده عند تفسير قوله تعالى: ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾ آية: ١٥٣.

قَتْلِ النبيِّ ﷺ، إلّا بأنْ[١] يُقال: إنَّ ذلك الغَمَّ، لَمْ يتحققْ؛ لأنَّهُ لَمْ يَصْدُقْ نَعْيُ الرسول.

وحُكي عن المُفَضَّلِ[٢] أنه كان يَجْعَلُ (لا) - في هذه الآية - صِلَةً[٣]، ويقول: المعنى: لِكَيْ تَحْزَنُوا على ما فاتكم وما أصابكم؛ عُقُوبَةً لكم في خِلافِكُمْ إيَّاهُ؛ كقوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾[٤] [الحديد: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. تذكيرٌ؛ للتَّحْذِير[٥].

١٥٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية.

قال المُفسِّرون[٦]: إنَّ المشركين لَمَّا انصرفوا يوم أُحُد، كانوا يَتَوَعَّدُون المسلمينَ بالرجوع، ولم يَأْمَن المسلمون[٧] كَرَّتَهم، وكانوا تحت الحَجَفِ[٨]؛ مُتَأَهِّبِينَ للقتال، فأنزَلَ اللهُ - تعالى - [عليهم][٩] - دونَ المنافقين - أَمَنَةً؛ فأخذهم النُّعَاسُ.

---

(١) في (ج): (أن).

(٢) حكى قولَ المُفضَّل: الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٣٣ ب، والقرطبيُّ في «تفسيره» ٤/ ٢٤١.

(٣) بمعنى: (زيادة).

(٤) انظر: «تفسير البيضاوي» ٢/ ٢٥٠، و«تفسير النسفي» ٤/ ٢٢١.

(٥) في (أ)، (ب): (التحذير)، والمثبت من (ج).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٠، ١٤١، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٠.

(٧) في (ج): (المسلمين).

(٨) (الحَجَفُ)، جمعٌ، ومفردُها: (حَجَفَةٌ)، وهي: التُّرُوسُ الصغيرة، والمُتَّخَذَةُ من الجلود، وليس فيها خَشب، يُطَارَقُ بين جِلْدين، ويُجعل منها حَجَفة.
انظر: (حجف) في: «المجمل» ١/ ٢٦٥، و«القاموس» (٧٩٨)، و«المعجم الوسيط» ١/ ١٠٨.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

قال ابن عباس[١]: آمَنَهُم[٢] - يومئذ - بِنُعَاس يَغْشاهم بعد خوف، وإنَّمَا يَنْعُسُ مَنْ يَأْمَنُ، والخائف لا ينام.

قال أبو طَلْحَة[٣]: رَفَعْتُ رَأْسِي يوم أُحُد، فَجَعَلْتُ[٤] ما[٥] أرى أحَدًا مِنَ القوم، إلّا وَهُوَ يَمِيدُ تحت حَجَفَتِهِ؛ مِنَ النُّعَاس. قال[٦]: وكنت مِمَّن

---

(١) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٤أ.

(٢) عند الطبري: أمَّنهم. وعند الثعلبي: أمَنَهم.

(٣) أخرج قوله: ابن أبي شيبة في: «المصنف» ٧/ ٣٧٢ رقم (٣٦٧٨٠).
والترمذي في: «السنن» رقم (٢٠٠٧) كتاب التفسير. باب سورة آل عمران. وقال: (حسن صحيح).
والطبري في: «تفسيره» ٤/ ١٤٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٧. وقال: (صحيح على شرط مسلم)، ووافقه الذهبيُّ.
والطبراني في: «المعجم الكبير» ٥/ ٩٨ رقم (٤٧٠٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ٤٨٧ رقم (٤٢١)، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٣٤أ، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٢١.
وأبو طلحة، هو: زيد بن سهل بن الأسود، النَّجَّاري الأنصاري. من فضلاء الصحابة، اشتهر بكُنْيَتِهِ، شهد العَقَبَة، وبدرا، وأحدًا، وهو زوج أم سُلَيم بنت مِلْحان، أم أنس بن مالك، - رضي الله عنهم -، اختلف في تاريخ وفاته على السنوات التالية: (٣٢، ٣٣، ٣٤، هـ)، وقيل: (٥١هـ).
انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٢٨٩، و«الإصابة» ٤/ ١١٣.

(٤) (فجعلت): ساقطة من (ج).

(٥) في (ج): (فما).

(٦) أخرج قوله هذا: البخاري في: «صحيحه» (٤٠٦٨) كتاب المغازي. باب (ثم أنزل عليكم ..)، كتاب التفسير. سورة آل عمران. باب قوله: أمنة نعاسا..
والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٣٧، ٥١٦، والترمذي في «السنن» رقم (٣٠٠٨) كتاب التفسير. باب: (سورة آل عمران). وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٩، والطبراني في «المعجم الكبير» ٥/ ٩٦ رقم (٤٧٠٠)، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٤١، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٩٣، والثعلبي ٣/ ١٣٤أ، والبغوي ٢/ ١٢١.

أُلْقِيَ عليه النُّعَاسُ - يومئذٍ -، فكان السَّيْفُ يَسْقُطُ مِن يَدِي فَآخُذُهُ، ثم يَسْقُطُ السَّوْطُ من يدي فَآخُذُه.

وقال أبو إسحاق[1] - في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾-: أي: أعْقَبَكم - بما نالكم[2] مِنَ الرُّعْب -؛ أنْ آمَنَكم[3] أمْنًا تنامون معه؛ لأنَّ الشَّدِيدَ الخوفِ لا يكاد يَنَام.

والأَمَنَةُ: مصدرٌ، كـ(الأمْنِ). ومثله من المصادر: (العَظَمَةُ)، و(الغَلَبَةُ).

وقال اللِّحْيانيُّ[4]: يُقال: (أَمِنَ فلانٌ، يَأمَنُ، أَمْنًا، وأَمَنَةً، وأَمْنَةً[5]،

---

(١) في «معاني القرآن»، له ١/ ٤٧٩. نقله عنه بنصه.

(٢) في (ج): (أنالكم).

(٣) في «معاني القرآن» (أمنكم).

(٤) قوله، في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٩ (أمن).

(٥) (وأمْنَةً): ساقطة من (ج). وليست في «تهذيب اللغة».

ويبدو أنَّ إثبات هذه الكلمة، سبق قلم من الناسخ؛ حيث أبدلها بـ(أمنًا) التي وردت في قول اللحياني في (التهذيب)، ولم يذكرها المؤلفُ هنا، ولم أقف في مصادر اللغة التي رجعت إليها، على مجيء (أمْنَةً) مصدرًا لـ(أمِنَ)، إلا أنها وردت في قراءة ابن محيصن، ورُويت عن يحيى، وإبراهيم من القُرَّاء. وقال ابن جِنِّي: (روينا عن قطرب أنه قال: (الأمْنَةُ): الأمْنُ. و(الأمَنَة) - بفتح الميم-، أشبه بمعاقبة الأمْن). «المحتسب» ١/ ١٧٤.

وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤١، و«فتح القدير» ١/ ٥٨٩، و«القراءات الشاذة» لعبد الفتاح القاضي: ٣٠.

وورد من مصادرها: (.. إمْنًا) - بالكسر -. انظر: «القاموس» ١١٧٦.

وفي «اللسان» «ما أحسن أَمَنَتَك، وإمْنَتَك»؛ أي: دينك وخلقك. ١/ ١٤١ (أمن).

و(أَمَنَةً) - إضافةً إلى مجيئها مصدرًا - فإنها تأتي صفة؛ بمعنى: الذي يثق بكلِّ أحد، أما (الأُمَنَة) - بضم الهمزة، وفتح الميم والنون -، فإنها صفة فقط، كـ(الأمَنَة)، ولا تأتي مصدرًا. =

وأمَانًا). والنعاس: بَدَلٌ مِنَ (الأمَنَة)[١].

وقوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ قُرِئ بالياء والتَّاءِ[٢]. فمَن قرأ بالياء؛ فلأن النُّعَاسَ هو الغاشي، والعرب تقول: (غَشِيَنِي النُّعاسُ)، وقلّما تقول: (غَشِيَنِي الأمْنُ).

و-أيضًا- فإنَّ النعاسَ مذكورٌ بالغِشْيَانِ في قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]؛ ولأن النعاسَ يَلِي الفِعْلَ، وهو أقرب في اللفظ إلى ذِكْرِ الغِشْيانِ مِنَ الأمَنَة. فالتذكير أولى.

ومن قرأ بالتَّاءِ: جعل الأمَنَةَ هي الغاشِيَةَ.

والأَمَنَةُ والنُّعاسُ، أحدهما بَدَلٌ عن الثاني، فيجوز ويَحْسُن رَدُّ الكِنَايَةِ[٣] إلى أيِّهما شئت؛ كقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي﴾ [الدخان: ٤٣-٤٥]، وَ﴿تَغْلِي﴾[٤].

= انظر (أمن) في: «الصحاح» ٥/ ٢٠٧١، و«اللسان» ١/ ١٤٠، و«التاج» ١٨/ ٢٣ وما بعدها.

(١) وهو بدل اشتمال، ويكون بدلًا في حالة إعراب ﴿أَمَنَةً﴾ مفعولًا به لـ ﴿أَنزَلَ﴾. وقيل: هو عطف بيان، ويجوز أن يكون ﴿نُّعَاسًا﴾ مفعولًا، و﴿أَمَنَةً﴾ حال منه. وقيل غير ذلك.
انظر: «معاني القرآن»، للزجاج ١/ ٤٧٨، و«البيان» للأنباري ١/ ٢٢٦، و«التبيان» للعكبري (٢١٥)، و«الدر المصون» ٣/ ٤٤٤، و«فتح القدير» ١/ ٥٨٩.

(٢) قرأ ابنُ كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر ﴿يَغْشَىٰ﴾ - بالياء -. وقرأ حمزة، والكسائي ﴿وتَغْشَىٰ﴾ بالتاء.
انظر: «القراءات» للأزهري ١/ ١٢٨، و«الحجة» ٨٨، و«الكشف» ١/ ٣٦٠.

(٣) الكناية: الضمير.

(٤) قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿يَغْلِي﴾. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائي، وعاصم - في رواية أبي بكر -: ﴿تَغْلِي﴾. =

ومِمَّا يُقَوِّي القراءة بالتَّاء: أنَّ الأصل: الأَمَنَةُ، و(النُّعَاس): بَدَلٌ. وَرَدُّ الكِنَايَةِ إلى الأَصْلِ أحْسَنُ. والأَمَنَةُ هي المقصودة، فإذا حَصَلَتْ[1] الأَمَنَةُ، حَصَلَ[2] النُّعَاسُ؛ لأنها سَبَبُهُ، فإنَّ الخائفَ لا يكادُ يَنْعُسُ.

وقوله تعالى: ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ قال ابن عباس[3]: هم المهاجرون، وعامَّةُ الأَنْصَارِ[4].

وقوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هؤلاء هم المنافقون: عبد الله بن أُبَي، ومُعَتِّبُ بن قُشَيْر[5]، وأصحابُهُما، كان هَمُّهُم خَلاَصَ أنفُسِهِم[6]. يقال: (أَهَمَّنِي الشيءُ): إذا كان مِنْ هِمَّتِي وقَصْدِي.

والواو في قوله ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾، واو الحال.

= قال الفراء: (إذا كانت ﴿تغلي﴾، فهي الشجرة، وإذا كانت ﴿يَغْلِي﴾، فهو المُهْل). «معاني القرآن» ١/ ٢٤٠. وانظر: «السبعة» ٥٩٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٣٩، و«المدخل» للحدادي ١٤٧-١٤٩، و«المسائل العضديات» ١٦٦.

(١) في (ج): (حصل).

(٢) في (ج): (وحصل).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١٢١، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٠، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٥١، و«فتح القدير» ١/ ٥٩٠.

(٥) ويقال: مُعتِّب بن بشير الأوسي الأنصاري. شهد العقبة وبدرًا وأُحدًا، وقال ابن هشام بأنه ليس من المنافقين، وقيل: إنه تاب مما قاله يوم أحد.
انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٣٨، ٣٤٤، و«الاستيعاب» ٣/ ٤٨٢، و«أسد الغابة» ٥/ ٢٢٥، و«الإصابة» ٣/ ٤٤٣.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤١، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٠، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٢٢.

قال سيبويه[١]: المعنى: إذْ طائِفةٌ قد أهَمَّتْهُم أنفُسُهم، وهو[٢] رَفْعٌ بالابتداء، وخبرُهُ: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾. وجائزٌ أن يكون الخَبرُ: ﴿يَظُنُّونَ﴾، ويكون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: مِنْ صِفَةِ النَّكِرَةِ، ويكون المعنى: وطائفةٌ مُهِمَّتُهُمْ أنفُسُهم، يَظُنُّونَ.

قال أبو الفَتْحِ المَوصِلِيُّ[٣]: هذه الواو للحال، وهي وما بعدها في مَوْضِعِ نَصْب، على تقدير: يَغْشَى طائفَةً منكم، مُهِمَّةً[٤] طائفةً أخرى منكم أنفُسُهم، في وقت غِشْيَانِهِ تلكَ الطائفة[٥] الأولى. ولا بُدَّ مِن هذا التقدير؛ كما أنَّ قولك: (جاءت هند، وعمرٌو ضاحكٌ)، في تقدير: (جاءت هند ضاحكًا[٦] عمرو في وقت مجيئها)، حتى يعود من الجملة التي هي حالٌ، ضميرٌ على صاحب الحال، ولهذا شبَّهَهَا سيبويه بـ(إذ)[٧].

---

(١) في «الكتاب» ١/ ٩٠. نقله عنه بمعناه.
وانظر: «الكامل» للمبرد ١/ ٣٢٧، ٣٢٨، وكتاب «معاني الحروف» للرماني ٦٠، و«الصاحبي» ١٥٧، و«أمالي ابن الشجري» ٣/ ١١، و«تذكرة النحاة» ٦٤٨.

(٢) من قوله: (وهو ..) إلى (.. وطائفة مهمتهم أنفسهم): ساقط من (ج).

(٣) هو ابن جِنِّي في: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٤-٦٤٥. نقله عنه بعضه بتصرف، ونقل أكثره بنصه.

(٤) في (أ): مهمةٌ - بضم التاء المربوطة المُنوَّنة -. وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والمثبت من : «سر صناعة الإعراب»؛ وهو الصواب؛ لأن موقعها في الجملة حال منصوب.

(٥) في (ب): (النعاس) بدلًا من: الطائفة.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): (ضاحك)، والمثبت من: سر الصناعة؛ لأن ابن جِنِّي أراد أنها حال منصوبة.

(٧) بـ(إذ): ساقط من (ج).

قال أبو علي[١]: إنما فَعَلَ ذلك من حيث كانت (إذْ) منتصبةَ المَوْضعِ في الحال[٢]، وأنَّ ما بعد (إذْ) لا يكون إلّا جملةً، كما أنّ ما بعد واو الحال لا يكون إلّا جملةً مركَّبَةً مِن مبتدأ وخَبَر؛ كقولك: (مَرَرْتُ بزَيْد، وعمرٌو قائمٌ)[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: يظنون أنَّ أمْرَ النبي ﷺ مُضْمَحِلٌ، وأنّه لا يُنْصَر[٤].

وقوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾. الجاهلية: زَمان الفَتْرَةِ، قبل الإسلام[٥]. والمعنى: إنهم على جاهليتهم في ظنهم هذا. وتقدير الكلام: يَظنُّونَ ظَنَّ أهلِ الجاهلية[٦].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: ما لَنَا. استفهام يتضمن الجَحْدَ.

قال الحَسَنُ[٧]: يقولون: أُخْرِجْنَا كَرْهًا، ولو كان الأمرُ إلينا ما

---

(١) قول أبي الفارسي - هنا - من تتمة كلام ابن جني في: المصدر السابق: ٢/ ٦٤٥ نقله المؤلف عنه بمعناه.
وانظر رأي أبي علي الفارسي حول هذه المسألة في كتابيه: «المسائل المشكلة» ٥٩٣، و«المسائل الحلبيات» ١٥١.

(٢) عبارة أبي علي - كما نقلها ابن جني -، هي: (.. من حيث كانت (إذ) منتصبة الموضع بما قبلها، أو بعدها؛ كما أن (أو) منتصبة الموضع في الحال ..).

(٣) في (ب): (قائما).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٩، و«زاد المسير» ١/ ٤٨١.

(٥) قال النووي: (سموا بذلك؛ لكثرة جهالاتهم). «صحيح مسلم بشرح النووي» ٣/ ٨٧، وانظر: «المزهر» للسيوطي ٢/ ٢٠٢.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٢، و«معاني القرآن»، للزجاج ١/ ٤٣١.

(٧) قوله، في: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٩٥، و«النكت والعيون» ٢/ ٩٠٩، و«زاد المسير» ١/ ٤٨١.

خَرَجْنَا[١] وقال الأكثرون[٢]: أي: ليس لَنا مِنَ النَّصْرِ والظَّفَرِ شيءٌ كما وعدنا، بل هو للمشركين. يقولون ذلك[٣] على جهة التكذيب. فقال الله: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: النَّصْرُ بيد الله ﷻ.

وقال عطاء، عن ابن عباس[٤]: يريد: القضاء والقدر، والنُّصْرَةُ والشَّهادة. واختلف القرّاء[٥] في قوله: ﴿كُلَّهُۥ﴾:

فَنَصَبَهُ [أكثرُهُم][٦]؛ لأن[٧] الكُلَّ بمنزلة (أجمعين)، وجُمَعَ؛ في أنه للإحَاطَةِ والعُمُوم.

---

(١) لفظه عند ابن أبي حاتم: (.. ذلك المنافق، لما قُتِل مِن أصحاب محمد، أتَوا عبد اللهَ بن أبَي، فقالوا له: ما تَرَى؟ فقال: إنَّا والله ما نُؤامَر، لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا). وما أورده المؤلف هو معنى هذا اللفظ.

(٢) في (ب): (وقال الآخرون الأكثرون).
ولم أقف على من قال بهذا القول، وقد أوردته بعض كتب التفسير ولم تعزه.
انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٣١، و«زاد المسير» ١/ ٤٨١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤٢، و«فتح القدير» ١/ ٥٩٠.

(٣) (ذلك): ساقطة من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر هذ الرواية. وأورد الثعلبي، والقرطبي - من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس - ما نصه: (يعني: القدر خيره وشره من الله). وهي بمعنى رواية عطاء عنه.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٤ ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤٢.

(٥) في (ب): (واختلفوا القراء).

(٦) ما بين المعقوفين في (أ): غير واضح. والمثبت من (ب)، (ج).
انظر هذه القراءة في: «السبعة» ٢١٨٧، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٩٠.

(٧) من قوله: (لأن ..) إلى (.. إذا قال كله): نقله - بتصرف يسير - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٠.

ولو قيل: (إن الأمرَ أجْمَعَ)، لم يكن إلّا النَّصْبُ، - كذلك - إذا[(١)] قال ﴿كُلَّهُۥ﴾[(٢)].

وقرأ أبو عمروٍ بالرَّفعِ[(٣)]؛ وذلك أنه لم يُجْرِهِ على ما قَبْلَهُ، ورَفَعَهُ على الابتداء، و﴿لِلَّهِ﴾: الخَبَر.

قال الفَرّاءُ[(٤)]: ومثله مِمَّا قُطِعَ مِمَّا[(٥)] قبلَهُ: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[(٦)] [الزمر: ٦٠]، ومِنْ هذا - أيضًا -: ما أجازه سيبويه مِن قولِهِم: (أينَ تَظُنُّ زيدٌ ذاهِبٌ).

وقوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ أي: مِنَ الشَّكِّ والنِّفَاقِ، وتكذيب الوَعْدِ بالاستعلاء على أهل الشرك.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾

رُوي[(٧)] عن الزُّبَيْر بن العَوّام ﷺ، أنَّه قال[(٨)]: أَرْسَلَ اللهُ علينا النَّوْمَ،

---

(١) (أ)، (ب): (إذ). والمثبت من: (ج)، و«الحجة».

(٢) فنصب ﴿كُلَّهُۥ﴾ إما على التوكيد، أو النعت، أو البدل.
انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٣، و«معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢١٨، و«الأصول في النحو» لابن السراج ٢/ ٢٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٧١، و«التبيان» للعكبري ص٢١٦.

(٣) أي: ﴿كُلُّهُۥ﴾ انظر: المصادر السابقة.

(٤) في «معاني القرآن»، له ١/ ٢٤٣. نقله عنه بمعناه.

(٥) في (ج): (من).

(٦) قوله تعالى: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، جملة مكونة من: مبتدإ، وهو: ﴿وُجُوهُهُمْ﴾، وخبر، وهو: ﴿مُّسْوَدَّةٌ﴾. والجملة في محل نصب على الحال.
ويجوز من الناحية النحوية أن تُنْصبَ ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ على أنها بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.
انظر: «البيان» للأنباري ٢/ ٣٢٥.

(٧) في (أ): (رَوَي). والمثبت من: (ب)، (ج).

(٨) أخرج قوله: الواقدي في «المغازي» ١/ ٣٢٣، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٤٣، =

وإنِّي لأَسْمَعُ قولَ مُعَتِّب بن قُشَيْر - والنُّعَاس يغشاني -، ما أسمعه إلّا كالحُلم[١]، يقول: لو كان لنا من الأمر شيءٌ، ما قُتِلْنَا ههنا[٢]. يَعْنُونَ أنهم أُخْرِجُوا كُرْهًا، ولو كان الأمر بيدهم لم يخرجوا.

وقال المفسرون[٣]: إنَّ المُنافِقِينَ قال بعضُهم لِبَعضٍ: لَوْ كانَ لَنَا عُقُولٌ، لم نخرجْ مع محمد لِقِتال أهل مكة، وَلَمَا قُتِلَ رُؤَساؤُنا. وهذا منهم تكذيبٌ بالقَدَرِ؛ حين ظَنُّوا أنهم لو لم يخرجوا لم يُقْتَلوا. فَرَدَّ اللهُ - تعالى - عليهم هذا الكلام بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ أيُّها المُنافِقُونَ، وَلَمْ تَخْرُجوا إلى أُحُد.

﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ يعني: لو تَخَلَّفتم عن القتال؛ لَخَرَج منكم الذين كُتِب عليهم القَتْل، ولم يكن لِيُنْجِيهم قُعُودُهم.

ومعنى (بَرَزَ): صار إلى (بَرَاز)؛ وهو المكان المنكشف[٤].

والمضاجع: جمعُ (المَضْجَع)؛ وهو الموضع الذي يَضْجَعُ عليه الإنسانُ. ومنه قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦].

= وابن أبي حاتم ٣/ ٧٩٥، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» ٤٨٧ فصل ٢٥. رقم (٤٢٣)، وأورده السيوطي في «لباب النقول» ٥٩، و«الدر المنثور» ٢/ ١٥٦، وزاد نسبة إخراجه إلى ابن إسحاق، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل». وانظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٨.

(١) في (أ): (كالحِكم). والمثبت من: (ب)، (ج)، ومصادر الخبر.

(٢) في (أ): (هنا). والمثبت من: (ب)، (ج)، ومصادر الأثر.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٢، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٤ ب، والنَّصُّ له.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨٠، و«نزهة القلوب» للسجستاني ١٤٤، و«المقاييس» ١/ ٢١٨ (برز).

قال الهُذَلِيُّ[(١)]:

أَمْ ما لِجَنْبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعًا إلّا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ[(٢)]

ويقال: (أَضْجَعْتُ فُلانا): إذا وَضَعْت جَنْبَهُ بالأرض. و(ضَجَعَ)، فهو يَضْجَعُ بِنَفْسِهِ. ويريد بـ﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾ ههنا: مَصارِعَهم للقتل؛ أي: حيث يَسْقُطُون[(٣)] - هناك - قتلى.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال الكسائيُّ وغيرُهُ[(٤)]: وليَبْتَلِيَ اللهُ ما في صدوركم، فَعَلَ ما فَعَلَ يومَ أُحُد. فَحُذِفَ واختُصِرَ؛ لِبَيَان المعنى.

ومعنى ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليعاملكم معامَلَة المُبْتَلِي، المُخْتَبِرِ لكم.

---

(١) هو أبو ذؤيب، خويلد بن خالد الهذلي.

(٢) البيت ورد منسوبًا له في: «المفضليات» ٤٢١، و«الزاهر» ١/ ٤٧٣، و«الأمالي» ١/ ١٨٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٨٢ (قضض)، و«شرح أشعار الهذليين» ١/ ٥، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢١ (قضض)، و«جمهرة أشعار العرب» ص٢٤١، و«اللسان» ٦/ ٣٦٦٢ (قضض).

ورد في (التهذيب): (.. أقضَّ عليه ذاك..)، وفي «المقاييس» (أم ما لجسمك).
البيت من مرثيته التي يرثي بها أبناءه الخمسة الذين ماتوا في عام واحد. وقبل هذا البيت:

قالتْ أُمَيْمَةُ ما لجسمك شاحبا منذ ابْتُلِيتَ ومثل مالِكَ يَنفَع

(أم) في البيت هي المنقطعة، بمعنى: (بل) والاستفهام. وقوله: (لا يُلائِم): لا يوافق، (أقضَّ عليك ذاك المضجع)؛ أي: لم يطمئن بك النوم، كأن تحت جنبك (قَضِيضا)، وهو: الحصى الصغار.

انظر: «الزاهر» ١/ ٤٧٣، و«التهذيب» ٣/ ٢٩٨٢، و«شرح أشعار الهذليين» ١/ ٦.

(٣) (يسقطون): مطموسة في (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قول الكسائي، ولا على مصدر قول غيره ممن قال هذا القول.

وقال أبو إسحاق[(١)]: أي: لِيَخْتَبِرَ ما في صدوركم، لِيَعلَمَهُ مُشَاهدَةً، كما يعلمه غَيْبًا؛ لأن المُجَازَاةَ تَقَعُ على ما عَلِمَهُ مُشَاهَدَةً.

وقيل[(٢)]: لِيَبتلي أولياءُ اللهِ ما في صدوركم. إلّا أنه أُضِيفَ الابتلاءُ إلى اللهِ - تعالى -؛ تفخيما لشأنهم؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾[(٣)].

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٠. نقله عن بتصرف.

(٢) ممن قال ذلك: الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٤٣، وقد أورد هذا القول الماورديُّ في: «النكت والعيون» ١/ ٤٣١ ولم يعزه.

(٣) الزخرف: ٥٥. ومعنى ﴿ءَاسَفُونَا﴾: أغضبونا. وهو قول: ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، والسدي، وغيرهم من المفسرين. انظر: «تفسير الطبري» ٢٥/ ٨٤، و«تفسير ابن كثير» ٤/ ١٣٧.
والمؤلف يقصد - هنا - أن معنى الآية: فلما أغضبوا موسى ﷺ ومن معه من أولياء الله، ولكن نُسِبَ الغضبُ إلى الله تعالى؛ تفخيمًا لشأن أولياء الله.
ولا مانع من قبول هذا التأويل الذي يراه المؤلف، مع إثبات صفة الغضب لله تعالى، ولكن قد يكون الدافع لهذا التأويل هو الهرب من نسبة هذه الصفة إليه تعالى، وحينها، فإن هذا التأويل لا يُسَلَّم؛ وذلك أنَّ الأشاعرة - والمؤلف منهم - يرون أن الغضب من صفات المخلوقين التي يجب أن لا تنسب إلى الله على الحقيقة؛ حيث إن الغضبَ عندهم هو: غَلَيَانُ دَم القَلْب؛ لإرادة الانتقام، وذاك محال على الله، وإنما يُنْسَب إلى الله - ﷻ - على سبيل المجاز، ويراد به - حينها -: إرادة العقوبة، فيكون صفة ذات، أو يُراد به العقوبة ذاتها، فيكون صفة فعل.
ولكنْ سَلَفُ الأُمَّةِ - وقد سبق بيان مذهبهم الحق في صفات الباري تعالى - يرون أن الغضب من صفات الله، يُنْسبُ إليه - تعالى - على الحقيقة، بما يليق بذاته، والشأن في الصفات أن تُمَرَّ كما جاءت، دون تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل، ولا بيان لكيفيَّتها، كما أن صفة الغضب تنسب إلى المخلوق على الحقيقة، بما يتناسب مع خَلْقِهِ، وطبيعته، ومن توابع هذه الصفة، ولوازمها في المخلوق: هو ما ذكره المُؤَوِّلُونَ مِنْ غَلَيَان دَم القلب، وبذا تفترق صفة الخالق عن المخلوق. انظر: «النكت والعيون» ٥/ ٢٣١-٢٣٢، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٧/ ٢٢٠، =

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قد ذكرنا للتَّمْحِيصِ ثلاث مَعَانٍ، عند قوله - تعالى-: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤١]: التَّطْهِير، والكَشْف، والابْتِلاء. وهذ كلها مُحْتَمَلَةٌ في هذه الآية.

قال قتادة[١] - في قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ -؛ أي: يُظْهِرها[٢] مِنَ الشَّكِّ والارْتِيَاب؛ بما يُرِيكم من عجائب صُنعه في إلقاء الأَمَنَةِ، وصَرْفِ العدُوِّ، وإعلانِ سَرَائِرِ المنافقين. وهذا[٣] التمحيص خاصٌّ للمؤمنين؛ فابن عباس قال[٤]: يريد: يُمَحِّص قلوب أوليائه من الخطأ.

وقال الكَلْبِيُّ[٥]: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يُبَيِّن ما في قلوبكم. يعني: أن المؤمن يُظْهِر الرِّضَا بِقَدَرِ الله، والمنافق يُظْهر مثلَ ما أظهرَ مُعَتِّب بن قُشَيْر وأصحابُه. فَعَلَ اللهُ ما فَعَلَ يومَ أُحُد؛ لِيُبَيِّنَ ما في قلوب الفريقين.

ويَحْتَمِلُ التَّمْحِيصُ - ههنا - معنى الابتلاء، غير أن القولين الأَوَّلَيْن أجودُ؛ لِزِيَادَةِ الفائدة؛ فإنَّ الابتلاءَ قد ذُكِرَ في قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (ذاتُ الصدور)، تحتمل معنيين: أحدهما: أن (ذات الصدور) هي: الصدور؛ لأن ذاتَ الشيء

= و«لوامع الأنوار» للسفاريني ١/ ٢٢١-٢٢٣، و«روح المعاني» ٢٥/ ٩١، و«أضواء البيان» ٧/ ٢٥٦، و«العقائد السلفية» لأحمد بن حجر ١/ ٨٦.

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده ابن الجوزي في: «الزاد» ١/ ٤٨٢.

(٢) في (ب)، (ج): (يطهرها) بالطاء.
انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٠٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٤ ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٢٢، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٢.

(٣) من قوله: (وهذا ..) إلى (.. يمحص قلوب): ساقط من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

نَفْسُهُ، وعَيْنُهُ. يقال: (فَهَمْتُ ذاتَ كلامك)، كما يقال: (نَفْسَ كلامك). قال الشاعر:

نَطُوفُ بِذَاتِ البيتِ والخَيْرُ ظاهِرُ(١)

أي: البيت نفسه. وفيه معنى التأكيد. فيكون المعنى: واللهُ عليمٌ بالصدور.

والثاني: أنَّ (ذاتَ الصدور): الأشياء التي في الصدور، وهي الأسرار والضمائر، وهي (ذات الصدور)؛ لأنها فيها، تَحُلُّها(٢) وتصاحبها. وصاحب الشيء: (ذُوهُ)، وصاحبته: (ذاته)(٣).

١٥٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ هذا الخطاب للمؤمنين خاصَّةً، يعني: الذين انهزموا يوم أحد(٤).

﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: حَمَلَهُمْ على الزَّلَّةِ، وَكَسَبَهُمْ الزَّلَّةَ(٥).

---

(١) هو عمرو بن الحارث بن مضاض كما في «الأغاني» ١٥/ ١٧ بلفظ (نمشّى به والخير إذ ذاك) وفي «نهاية الأرب» للنويري بلفظ (نطوف بذاك). وصدره:

فنحن ولاة البيت من بعد نابت

وينظر: «السيرة الحلبية» (١/ ١٥)، و«البدء والتاريخ» ٤/ ١٢٦، و«أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٩٧، و«الاكتفاء» للكلاعي ١/ ٥٩، و«البداية والنهاية» ٢/ ١٨٦، و«المنتظم» ٢/ ٣٢١، و«تاريخ الطبري» ١/ ٥٢٣، و«الأنساب» ٥/ ٤٤٠، و«معجم البلدان» ٥/ ٣٦، ١٨٦.

(٢) في (ب): (وتحلها).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩-١٣٠١ (ذو)، و«اللسان» ٣/ ١٤٧٦-١٤٧٧ (ذو). وانظر: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. آية: ١١٩.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٤.

(٥) (وكسبهم الزلة): ساقط من (ج).

=

و(أَزَلَّ)، و(اسْتَزَلَّ)، بمعنى واحد. ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦][1].

وقال ابن قُتَيْبَة[2]: ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: طَلَبَ زَلَّتَهم؛ كما يقال: (استعجلته)؛ أي: طَلَبْتُ عَجَلَتَهُ، و(استعملته): طَلَبْتُ عَمَلَهُ.

وقوله تعالى: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ قال مقاتل[3]: يعني: معصيتهم النبيَّ ﷺ، وتركهم المَرْكَزَ.

وقيل: استزَلَّهم الشيطانُ بِتَذْكِيرِ خَطَايَا سَلَفَتْ لهم، فكرهوا أن يُقْتَلُوا قبلَ إخلاصِ التَّوْبَةِ. وهذا اختيار الزَّجَّاج؛ لأنه قال[4]: لَمْ يَتَوَلَّوا على جهة المُعَانَدَةِ، ولا على الفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ؛ رَغْبَةً في الدنيا، وإنَّمَا ذَكَّرَهُم الشيطانُ خَطَايَا كانت لهم، فكرهوا لقاءَ اللهِ، إلا على حَالَةٍ يَرْضَوْنَهَا[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

= يقال: (كَسَبَ هو)؛ بمعنى: أصاب. ويقال: (كَسَبْتُ زيدًا مالًا)، و(أكْسَبْتُ زيدًا مالًا)؛ أي: أعنته على كَسْبِهِ، أو جعلته يَكْسِبُهُ. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٨٧٠ (كسب)، و«القاموس» ١٣١ (كسب).

والزَّلَّة: الخطيئة. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٥، و«القاموس» ص١٠١٠ (زلل).

(١) انظر: «تفسير البسيط» عند تفسير هذه الآية.

(٢) في «تفسير غريب القرآن» له ١٠٧. نقله عنه بتصرف.

(٣) في «تفسيره» ١/ ٣٠٩.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨١. نقله عنه بتصرف يسير جدًّا. وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥٠٠.

(٥) قال أبو حيَّان عن قول الزَّجَّاج - هذا -: (ولا يَظْهَرُ هذا القول؛ لأنهم كانوا قادرين على التوبة قبل القتال، وفي حالة القتال، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له). «البحر المحيط» ٣/ ٩١.

قال الكلبيُّ[(١)]، ومقاتلُ[(٢)]: عَفَا عنهم إذْ لَمْ يُقْتَلوا جميعًا، ولم يَسْتَأصِلْهم[(٣)].

وقيل[(٤)]: عَفا عنهم؛ أي: غفر لهم تلك الخطيئة.

١٥٦- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية.

قال ابن عباس - في رواية عطاء[(٥)] -: يريد قومًا من المنافقين قالوا فيمن بعثه رسولُ الله ﷺ، مِنَ السَّرَايَا إلى بِئْرِ مَعُونَة[(٦)]، وإلى

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في «تفسيره» ١/ ٣٠٩.

(٣) وممن قال بهذا القول: الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وأبو الليث.
انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٩٧-٧٩٨، و«بحر العلوم» ١/ ٣١٠.

(٤) هذا قول الجمهور، ومنهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وابن عمر - رضي الله عنهما -، وقتادة، والربيع، والطبري.
انظر: «صحيح البخاري» (٤٠٦٦) كتاب المغازي. باب: قول الله تعالى ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان..﴾، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٤٤-١٤٦، و«بحر العلوم» ١/ ٣١٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٥أ، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٢٨٧، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٤٤-٣٤٥، و«البحر المحيط» ٣/ ٩١، و«مجمع الزوائد» ٩/ ٨٣-٨٤.

(٥) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٦) (بَعَث النبي ﷺ، سبعينَ رَجُلا؛ لِحاجَةٍ، يُقال لهم القُرَّاء، فَعَرَضَ لهم حَيَّانِ من بني سُلَيْم: رِعْلٌ وذَكْوانُ، عند بِئْر يُقال لها بئرُ مَعُونَةَ، فقال القوم: والله ما إيَّاكم أرَدْنَا، إنَّمَا نحنُ مُجْتازُون في حاجة للنبي ﷺ، فقَتَلُوهم، فَدَعَا النبي ﷺ، عليهم شهرا، في صلاة الغَدَاةِ).
«صحيح البخاري» (٤٠٨٨)، كتاب: المغازي. باب: غزوة الرجيع. وهذ إحدى الروايات التي أوردها البخاري حول هذه السَّرِية، وهناك روايات أخرى عنده، انظرها في الباب نفسه. =

الرَّجِيع[(١)]، فأُصِيبوا: ﴿لَّوۡ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾.

وقال مجاهد[(٢)]، ومحمد بن إسحاق[(٣)]: يعني بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: جميعَ المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾. أي: في النِّفَاق. وقيل: في النَّسَبِ[(٤)].

= وانظر روايات أخرى لهذه السَّرِيَّة في كتب السيرة، منها: «المغازي» ١/ ٣٤٦، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ١٨٤، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥١، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٤٥.

(١) بعث النبي ﷺ، سَرِيَّةً؛ عَيْنًا له، وقيل بعثهم استجابة لطلب عَضَل والقَارَة أن يبعث معهم من يُفَقِّههم في الإسلام ويقرؤهم القرآن، - وكان ذلك خدعة منهم، اتفقوا فيه مع بني لِحيان -، وأمَّرَ على السَّرِيَّة عاصمَ بن ثابت، وقيل: مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوِي، فخرجوا حتى إذا كانوا عند ماءٍ لهذيل، يقال له: الرَّجِيع، بناحية الحجاز، هجم عليهم بنو لِحيان، حيٌّ من هذيل، فاستل الصحابة سيوفهم، فقال لهم الأعداء: لكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم رجلًا، فرفض عاصم، وقاتل حتى قتل، مع نَفَرٍ من أصحابه، وأسِرَ البقيَّةُ، وانطلق الأعداء بِخُبَيْب بن عَدي، وزيد بن الدِّثِنَّةِ، وباعوهما بمكة، فقتلهما أهل مكة ثأرا لقتلاهم في بدر.
انظر تفصيل أخبار هذه السَّرِيَّة في: «صحيح البخاري» (٤٠٨٦). كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع، و«المغازي» ١/ ٣٥٤، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ١٦٠، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٥٥، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٨.

(٢) الذي وقفت عليه عنه: قوله: (قول المنافق؛ عبد الله بن أبي بن سلول) «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٩٩.
وقد أورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٥٨، إلا أن لفظه عنده: (هذا قول عبد الله بن أبي بن سلول، والمنافقين). ونسبه السيوطي إخراجه لهما، وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٦٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٤٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٧٩٨.

(٤) ذكر القولين: الثعلبي في: «تفسيره» ٣/ ١٣٥ ب، ولم يعزهما لقائل. ورجح ابن=

﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ساروا وسافروا فيها. وكان[١] ينبغي في العَرَبِيَّةِ أنْ يُقَال: (وقالوا لإخوانهم إذْ[٢] ضَرَبُوا في الأرض)؛ لأنه ماضٍ، كما تقول: (ضربتك إذْ قُمْتَ)، ولا تقول[٣]: (ضربتك إذا قُمْتَ). والذي في كتاب الله عَرَبِيٌّ حَسَنٌ؛ لأن القَوْلَ - وإن كان ماضيًا في اللفظ - فهو في معنى[٤] الاستقبال؛ لأن (الذين) يُذْهَبُ بها إلى معنى الجزاء، وكذلك: (مَنْ)، و(ما). فإذا وقع الماضي صِلَةً لِمُبْهَمٍ مِنْ (مَنْ) و(ما) و(الذين)، جازَ أنْ يكون بمعنى الاستقبال[٥].

فقوله[٦]: ﴿كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، في معنى: يَكْفُرُونَ، فدخلت (إذا) لِمَعْنى الاستقبال؛ والتقدير: (لا تكونوا كالذين يكفرون[٧]، ويقولون لإخوانهم

= عطية القولَ بأنها أُخُوَّةُ النَّسَبِ؛ قائلا: (لأن قَتْلَى أُحُد كانوا من الأنصار، أكثرهم من الخزرج، ولم يكن فيهم من المهاجرين إلا أربعة). «المحرر» ٣/ ٣٨٩.

(١) من قوله: (وكان..) إلى نهاية بيت الشعر: (.. ما كان في غد): نقله - بتصرف - عن «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٤٣-٢٤٤، وأضاف إليه - مُلَفِّقا - بعضًا مِن كلام ابن الأنباري الذي أورده الأزهري في «التهذيب» ١/ ١٣٧ (إذ). وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري ١٢١.

(٢) (أ)، (ب)، (ج): (إذا). وهي خطأ. والمثبت من «معاني القرآن». وهي الصواب.

(٣) (ضربتك إذ قمت ولا تقول): ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (بمعنى) بدلًا من: (في معنى).

(٥) يقول ابن عطية: (ودخلت (إذا) في هذه الآية - وهي حرف استقبال -؛ من حيث (الذين) اسمٌ فيه إبهام، ويعمُّ مَنْ قال في الماضي ومَنْ يقول في المستقبل، ومن حيث هذه النازلة تتصور في مستقبل الزمان). المحرر ٣/ ٣٨٩.

(٦) في (أ)، (ب): (بقوله). وساقطة من (ج). وليست في «معاني القرآن»، والمثبت هو ما اسْتَصْوَبْتُه.

ومن قوله: (بقوله..) إلى (.. بمعنى الاستقبال): ساقط من (ج).

(٧) في (ج): (كفروا).

إذا ضربوا في الأرض). ومثله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]؛ معناه: إنَّ الذين يكفرون. وكذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟﴾ [المائدة: ٣٤]؛ معناه: يَتُوبُون. ومثله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠]؛ معناه: إلّا مَن يَتُوب.

ومشهورٌ في كلامهم، أنْ يقول الرجلُ للرجلِ: (لا تضربْ إلّا الذي ضَرَبَكَ؛ إذا سَلَّمْتَ عليه). فيجيء بـ(إذا)؛ لأن (الذي) غير مُؤَقَّت، فلو وَقَّته، لَقَالَ: (اضربْ هذا الذي ضَرَبَكَ؛ إذْ[١] سَلَّمْتَ عليه). ولا يجوز: (إذا سَلَّمْتَ) - ههنا -؛ لأنَّ توقيت (الذي) أبْطَلَ أنْ يكونَ الماضي في معنى المستَقبَلِ. وتقول: (ما هَلَكَ امرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ)؛ لأن الفعل حديثٌ عن مَنْكُورٍ؛ يُراد به الجنس؛ كأنَّ المتكلمَ يريد: (ما يهلك كُلُّ امرئٍ إذا عرف قدره)، أو الرَّجُل وما أشبهها[٢].

هذا مذهب الفراء[٣]، وأنشد:

وإنّي لآتِيكمْ تَشَكُّرُ ما مَضَى ... مِنَ الأمرِ واستيجابَ ما كان في غَدِ[٤]

---

(١) في (أ)، (ب): (إذا). والمثبت من (ج). وهو الصواب.

(٢) في (ج): (أشبههما).

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٤.

(٤) البيت للطِّرِمّاح بن حكيم الطائي، وهو في: ذيل ديوانه ٥٧٢، وورد منسوبًا له، في: «أمالي ابن الشجري» ١/ ٦٧، ٢/ ٥٣، ٤٥٣، و«اللسان» ٧/ ٣٩٦٢ (كون). وورد غير منسوب في: «معاني الفراء» ١/ ١٨٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٤٨، و«الخصائص» ٣/ ٣٣١، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٩٠.

وردت روايته عند ابن الشجري: (من الود)، و(من البر)، و(من الأمس) بدلًا من: (من الأمر). كما وردت روايته: (.. في الغد). وفي «اللسان» (واستنجاز ما كان =

أي: ما يكون.

وأجاز[١] قُطْرُب[٢] أنْ تُوقَعَ (إذْ) على معنى (إذا)، و(إذا) على معنى (إذ)، واحتج بقول الشاعر:

ثـمَّ جَـزَاهُ اللهُ عَـنِّـي إذ جَـزَى　　جَنَّاتِ عَدْنٍ في العَلالِيِّ العُلى[٣]

معناه: إذا يجزي[٤].

قال ابن الأنباري[٥]: والاختيار: مذهب الفراء؛ لأنه لا يصلح في كلِّ موضعٍ وَضْعُ[٦] (إذ) في موضع (إذا)، ولا وَضْعُ (إذا) في موضع (إذ).

= في غد). وفي جميع المصادر السابقة - ما عدا «معاني القرآن» - ورد: (وإني)، والصواب ما ورد في الديوان، و«معاني الفراء» (فإني)؛ لأن جوابٌ للشرط الوارد في البيت الذي قبله، وهو:

مَنْ كان لا يأتيك إلا لحاجة　　يروح بها فيما يروح ويغتدي

(١) في (ج): (وأجاب).

(٢) في كتاب «الأضداد» له ١٥٠-١٥٢. وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري ١١٩ ، فقد ناقش هذا الأمر، وأورد قول الأخفش هذا .

(٣) البيت لأبي النجم العجلي. وقد ورد منسوبًا له في: المصادر السابقة، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٣٧، و«الصاحبي» ١٩٦، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٦٧، ١٥٣، و«اللسان» ٥/ ٢٧١٦ (طها)، ١/ ٥٠ (إذ) ولم ينسبه هنا. وورد غير منسوب في: «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٨. وقد ورد في كل المصادر السابقة: (.. جزاه الله عنا). (العلالي)، جمع: عُلِّيَّة - بكسر العين وضمها -، وهي الغُرْفة العالية في البيت. وأراد هنا (عِلِّيِّينَ) الواردة في القرآن. و(العُلَى)، جمع: عُلْيا. انظر: «عمدة الحفاظ» ٣٧٩، ٣٨٠ (علو).

(٤) في (ج): (إذ يجزي). وفي «الأضداد»، لقطرب، وابن الأنباري: إذا جزى.

(٥) لم أقف على مصدر قوله، وليس هو في كتابه «الأضداد» الذي تعرض فيه لهذه المسألة.

(٦) في (أ): (وضُعَ). وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. وما أثبته هو ما استصوبته.

والذي احْتَجَّ به من قولِ الراجز؛ فإن معناه: (ثم جزاه اللهُ عني؛ إذْ حَكَمَ بالجزاء وأوجبه). فـ(إذ) في بابها، غير منقولة إلى معنى غيرها[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ (الغُزَّى)[٢]: جمع (غازٍ)؛ مثل: (شاهِدٍ، وشُهَّد)، و(نائِم ونُوَّم)، و(صائِم وصُوَّم)، و(قائلٍ وقُوَّل). ومثله من الناقص: (عَافٍ وعُفًّى)[٣]. ويجوز (غُزَاة)؛ مثل: (قُضَاة)، و(دُعَاة)، و(رُمَاة). ويجوز (غُزَّاء) مثل: (حُرَّاب)[٤]، و(ضُرَّاب)[٥].

ومعنى (الغَزْوِ) - في كلام العرب -: قَصْدُ العَدُوِّ. و(المَغْزَى): المَقْصد.

روى عَمْرُو[٦] عن أبيه: (الغَزْوُ): القَصْد. و- كذلك - (الغَوْزُ). و(قد غَزَاه، وغَازَهُ، غَزْوًا، وغَوْزًا): إذا قَصَدَه.

---

(١) انظر هذه المسألة في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٤٧-١٤٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٣٨ (إذ)، و«اللسان» ١/ ٥٠ (تفسير إذ).

(٢) في (ب): (الغز).

(٣) (العُفَّى، والعافِيَةِ والعُفَاة)؛ كلها جمعُ (عافٍ) و(مُعْتَفٍ)، وهو: كلُّ مَن جاءك يطلب رزقًا أو معروفًا، ويقال: (وفلان تَعْتَفِيه الأضيافُ) أو (هو كثير العُفَّى أو العافية)؛ أي: كثير الأضياف. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠١٩ (عفا).

(٤) في (أ): (خراب) بالخاء. والمثبت من: (ب)، (ج)، و«معاني القرآن» للزجاج.

(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (١٠٧)، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨١-٤٨٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٤٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٧٢-٣٧٣، و«الدر المصون» ٣/ ٤٥٤، وقال: (ويقال: غُزَّاء - بالمد، أيضًا -، وهو شاذ).

(٦) في (أ)، (ب): (عمر). والمثبت من (ج)، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦١-٢٦٦٢؛ حيث نقل قول عمرو عنه بنصه. وعمرو هو: ابن أبي عمرو الشيباني (إسحاق بن مرار).

(٧) قوله في: المصدر السابق ٣/ ٢٦٦٢.

قال الأزهري: ويقال لِجَمْعِ (الغَازِي): (غَزِيٌّ)؛ مثل: (نَاجٍ، ونَجِيٍّ)؛ للقوم يَتَناجَوْنَ، وأنشد لِزِياد[1] الأعجم:

قُلْ لِلْقَوافِلِ والغَزِيِّ إذا غَزَوْا والباكِرِينَ ولِلْمُجِدِّ الرَّائِحِ[2]

---

(١) في (أ)، (ب): (الزياد). والمثبت من (ج)، وهو الصواب؛ لأن اسمه (زياد) في المصادر التي تَرْجَمَت له، وليس (الزياد). وفي «التهذيب» (وقال زياد الأعجم). وهو: زياد بن سَلْمَى، وقيل: زياد بن جابر بن عمرو بن عامر، من عبد القيس، وقيل له الأعجم؛ لِلُكْنَة كانت فيه، شاعر إسلامي، شهد فتح إصطخر، وتوفي في حدود المائة للهجرة.

انظر: «الشعر والشعراء» ص٢٧٩، و«معجم الأدباء» ٣/ ٣٥٢.

(٢) البيت، ورد في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦٢ (غزا)، و«إعراب القرآن»، للنحاس ص٣٧٣، و«الأمالي» لأبي عبد الله اليزيدي ١، و«ذيل الأمالي» للقالي ٣/ ٨، و«أمالي المرتضى» ٢/ ١٩٩، و«اللسان» ٦/ ٣٢٥٣ (غزا)، و«المقاصد النحوية» ٢/ ٥٠٢.

وقد اختلف في نسبته، فقال اليزيدي في «الأمالي» (وقد قال لي الأصمعي، يرويها للصلتان العبدي). وقال القالي: (وكان في كتابي للصَّلتان، فقال [يعني ابن دريد]: هي لزياد الأعجم؛ وكان ينزل إصْطَخر، ورثى بهذه القصيدة المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة. قال: وأنشدنا هذه القصيدة أبو الحسن الأخفش لزياد الأعجم). «ذيل الأمالي» ٣/ ٨.

وقال ابن منظور: (رأيت في حواشي ابن برّي أن هذا البيت للصليان [هكذا في «اللسان»، بالياء] العبدي، لا لزياد. قال: وقد غلط أيضًا في نسبتها لزياد، أبو الفرج الأصبهاني، صاحب الأغاني، وتبعه الناس على ذلك). «اللسان» ٦/ ٣٢٥٣.

والصَّلَتَان، هو: قُثَم بن خبيئة، من عبد القيس.

انظر: «الشعر والشعراء» (٣٣١)، و«معاهد التنصيص» ١/ ٧٤.

وقد ورد في بعض المصادر: (والغزاة إذا غزو) وليس فيها موضع للشاهد. وورد: (للباكرين).

و(القوافل): جمع (قافِلَةٍ)، وهي: الرُّفْقَة الراجعة من سفرها إلى وطنها. =

وفي الآية محذوفٌ، يَدُلُّ عليه الكلامُ؛ والتقدير: إذا ضَرَبُوا في الأرض، فَمَاتُوا أو كانوا غُزًى فقُتِلُوا، ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[(١)].

فقوله: ﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾؛ يَدُلُّ على موتِهم وقَتْلِهم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لِيَجْعَلَ ظَنَّهُمْ - أنَّهم لو [لَمْ][(٢)] يَحْضُروا[(٣)] الحربَ؛ لاندفع عنهم القتلُ- حَسْرَةً في قلوبهم. وحَسْرَتُهُم -في مَقَالَتِهم، التي كانوا كاذبين فيها على القضاء والقدر-؛ أشَدُّ[(٤)] عليهم مما[(٥)] نالهم في قَتْلِ إخوانهم ومَوْتِهم.

وتقدير الآية: لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول منهم؛ لِيَجْعَلَ اللهُ ذلك حسرةً في قلوبهم دونكم. فـ(اللام) في ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلقة بـ﴿لَا تَكُونُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي[(٦)]: ليس يمنع الإنسانَ تَحَرُّزُهُ مِن إتْيَانِ أجَلِهِ على ما سَبَقَ في عِلْمِ الله - ﷻ -. فهو إنكارٌ على مَن خالفَ أمْرَ اللهِ في الجهاد؛ طَلَبًا[(٧)] للحياة، وهَرَبًا من الموت. هذا قول أكثر

= و(الباكِرِين): المُسْرِعين في الذهاب من أوَّلِ النهار. و(المُجِدّ الرائح): المجتهد في رجوعه آخر النهار، أو المجتهد في السير في وقت الرواح، وهو: من الزوال إلى الليل. والشاهد في البيت قوله: (الغَزيّ)، وهي جمعُ (غازٍ).
انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٦٣ (روح)، و«الخزانة» ١٠/ ٥.

(١) (وما قتلوا): ليس في (ج).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ب)، والمُثبت من (ج).
(٣) في (ب): (حضروا).
(٤) في (أ): (اشتد). وفي (ب): (واشتد). والمثبت من (ج).
(٥) في (ب): (فيما).
(٦) من: (أي ..) إلى (.. في علم الله): نقله - بتصرف يسير جدًا - عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٨٢٤.
(٧) في (أ)، (ب)، (ج): (وطلبًا). ولم أرَ للواو وجهًا - هنا - فحذفتها.

المفسرين في هذه الآية[١].

وقال ابن عباس - في رواية عطاء[٢] - في قوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ يريد: يومَ القِيامَةِ؛ لِمَا هم فيه من الخِزْيِ والهَوَان، ولِمَا فيه أولياء[٣] الله مِنَ الكَرامَةِ والنَّعِيم. ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ يريد: الندامة على ترك الإسلام.

﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾؛ يريد: يحيي قلوبَ أوليائه وأهلِ طاعته، ويُرْشِدُهم للعمل بطاعته، ويُميت قلوبَ أعدائِهِ من المنافقين والكُفَّار. واللَّام[٤] - على هذا التفسير - في قوله ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ﴾؛ متعلق[٥] بقوله ﴿كَفَرُوا﴾؛ على [أنها][٦] لام العاقبة[٧]؛ مثل قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٨].

---

(١) انظر: المصدر السابق، و«تفسير الطبري» ٤/١٤٨.

(٢) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٣) في (ج): (لأولياء).

(٤) في (ج): (فاللام).

(٥) في (ب): (تتعلق).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة أضفتها لتستقيم بها العبارة.

(٧) وتُسمَّى لام الصيرورة، ولام المآل.

(٨) سورة القصص: ٨. وبقيتها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَٰطِـِٔينَ﴾.
وينسب القول بأن اللام - هنا - لام الصيرورة، للأخفش، وليس هو رأي أكثر النحويين. قال ابن هشام: (وأنكر البصريون ومن تابعهم، لامَ العاقبة. قال الزمخشري: والتحقيق أنها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز، دون الحقيقة؛ وبيانه: أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عَدُوًّا وحَزَنا، بل المحبةَ والتَّبنِّي، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته، شُبِّه بالداعي الذي يُفعَلُ الفعلُ لأجله. فاللام مستعارة لما يشبه التعليل، كما استعير الأسدُ لمن=

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ بالياء والتاء[١]. فمن قرأ بالتاء؛ فلأن الآية خطاب؛ وهو قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾. ومن قرأ [الياء][٢]؛ فلِلْغَيْبَةِ التي قبلها؛ وهو قوله: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾، فحمل الكلام على الغَيْبَةِ.

١٥٧- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

اللام في ﴿لَئِنْ﴾ لام القَسَم؛ بتقدير: والله لَئِنْ قُتِلتُمْ في سبيل الله - أيُّها المؤمنونَ - ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾؛ يريد: في سبيل الله؛ كقوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ يعني: فُرُوجَهم. وقال الكَلْبِيُّ[٣]: أوْ مُتُّمْ في إقامتكم، وأنتم مؤمنون.

وقرأ بعضهم: ﴿مِتُّمْ﴾ بكسر الميم[٤].

= يشبه الأسدَ). «مغني اللبيب» ٢٨٣.
وانظر: كتاب «معاني الحروف» للرماني ٥٦، و«الدر المصون» ٣/ ٤٥٤-٤٥٦، و«همع الهوامع» ٤/ ٢٠٠.

(١) قرأ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ بالياء: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقرأ الباقون: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء.
انظر: «السبعة» ٢١٧، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٩١، و«المبسوط» لابن مهران ١٤٨، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨١.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣١٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٥.

(٤) هي قراءة: نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف. وقد كسروا الميم في: ﴿مِتَّ﴾، و﴿مِتْنَا﴾، و﴿مِتُّمْ﴾ في كل القرآن. وقد كسر عاصم - في رواية حفص - هذه الكلمات في كل القرآن، ما عدا ما ورد في سورة آل عمران ﴿مُتُّمْ﴾: الآية ١٥٧، ١٥٨ فقد رفعهما.
ورفع الميم فيها في كل القرآن: ابن كثير، وعاصم - في رواية أبي بكر -، وأبو =

قال أهل اللغة[١]: الأشهر الأقْيَسُ: (مُتَّ، تَمُوتُ)، مثل: (قُلْتَ، تَقُول). والكسر شاذٌّ[٢]. ونظيره في الصحيح[٣]: (فَضِلَ يَفْضُلُ)[٤].

هذا مذهب الخليل[٥].

وحكى المُبرِّد[٦]: أنَّ (مَاتَ يَمَاتُ)، لغة، مثل: (هَابَ يَهَابُ)،

= عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

انظر: «الحجة»، للفارسي ٣/ ٩٢، و«المبسوط» لابن مهران ١٤٨، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨١.

(١) نقله باختصار عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٣، وانظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٤٣.

(٢) الشذوذ - هنا - هو الشذوذ في القياس، لا في الاستعمال. انظر: «الكشف» لمكي ١/ ٣٦٢، و«شرح الشافية» ١/ ١٣٥.

(٣) يعني بـ«الصحيح» الفعل الصحيح الذي سلمت حروفه الأصلية من حرف العلة.

(٤) (يفضل): ساقطة من (ج).

وفي (أ)، (ب): فصل، يفصل - بالصاد -. والمثبت من «الحجة» للفارسي، و«كتاب سيبويه»، و«كتاب العين»، للخليل ٧/ ٤٤ (فضل)، وهي التي وردت في كتب اللغة والتصريف، مِثالًا على الشذوذ عن القياس؛ لأن القياس في مضارع (فَعِلَ)، هو: (يَفعَل) - بفتح العين -.

ونقل ابنُ السكيت عن أبي عبيدة، أنه (ليس في الكلام حرفٌ من السالم يشبه هذا). «إصلاح المنطق» ٢١٢.

قال في «اللسان» (وفَضَلَ الشيءُ يَفْضُلُ، مثال: (دَخَلَ يدخُلُ). وفَضِلَ يَفضَلُ، كـ(حَذِر يحذَرُ). وفيه لغة ثالثة مركبة منهما: فَضِلَ - بالكسر -، يَفضُل - بالضم -، وهو شاذ لا نظير له. قال ابن سيدهْ: هو نادر). ١١/ ٥٢٥ (فضل).

(٥) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٣٤٣-٣٤٥، و«التكملة» للفارسي ٩٧٩، و«حجة القراءات» ١٧٨، و«الكشف» ١/ ٣٦٢، و«الدر المصون» ٣/ ٤٥٨-٤٥٩، و«شرح الشافية» ١/ ١٣٥-١٣٧.

ونسب الخليل (فضِل يفضُل) لأهل الحجاز. انظر: «العين» ٧/ ٤٤.

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

=

و(خَافَ يَخَافُ)، وأنشد:

عِيشِي ولا يَوْمِي بِأنْ تَمَاتِي(١)

فإن ثَبَتَ هذا، فهو لُغَةٌ.

قالَ ابنُ عباس(٢): هذه الآية رَدٌّ على المنافقين؛ حيث اختاروا الدنيا على الآخرة، وتركوا الجهاد؛ مَحَبَّةً للدنيا. فقيل للمؤمنين: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ ليغفرن لكم، وهو ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾.

﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾(٣): جواب القسم. وقد قام مقام جواب الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: من أعراض الدنيا، التي

= وقول المؤلف: (هذا مذهب الخليل، وحكى المبرد): ليس في «الحجة»، للفارسي. وما بعده إلى نهاية بيت الشعر، في «الحجة».

(١) شطر بيت من الرجز، لم أقف على قائله.
وقد ورد غير منسوب في: الجمهرة، لابن دريد ٣/ ١٣٠٨، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٩٣، و«الصحاح» ١/ ٢٦٧ (موت)، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٢٠، و«شرح الشافية» ١/ ١٣٧، و«اللسان» ٧/ ٤٢٩٥ (موت)، و«الدر المصون» ١/ ١٧٤، ٣/ ٤٥٨، و«شرح شواهد الشافية» ٥٧.
وتمام البيت:
بنيتي سيدة البنات عيشي ولا يومي بأن تماتي
وقد ورد في بعض المصادر: (بُنَيَّ يا سيدة..)، وورد: (ولا نأمن أن ..)، و(لا يُؤمَنُ أن. .). أما (يَوْمي) فقد وردت في (الجمهرة)، و«الحجة» فقط من المصادر السابقة. وورد: (بنيتي يا خِيرَة البنات). قال ابن دريد عن (مِتَّ تمات): (وأكثر ما يتكلم بها طيِّئ، وقد تكلم بها سائر العرب). «الجمهرة» ٣/ ١٣٠٨.

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

يتركون القتال[١] في سبيل الله؛ للاشتغال بجمعها.

وروي عن ابن عباس، أنه قال[٢]: ﴿تجمَعون﴾[٣]: خطاب المنافقين؛ لأنه قال: ﴿خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ﴾[٤] يا معشرَ المنافقين. ومثله، قال الكَلْبِيُّ[٥].

وقرأ حَفْصٌ، عن عاصم: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ - بالياء -. ويكون المعنى: لَمَغْفِرةٌ مِن اللهِ ورَحْمَةٌ، خيرٌ مِمَّا يجمعُهُ غَيْرُكُم، مِمَّا تَرَكوا القِتَال لِجَمْعِهِ[٦].

١٥٨- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ قال المفسرون: يريد: مقيمين عن الجهاد. ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾؛ يريد: مجاهدين[٧].

﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ يعني: في الحالين. وهذا تهديد بالحشر، وتحذير من القيامة.

واللام في ﴿لَئِنْ﴾ خلف من القسم. والثانية[٨]: جواب؛ على معنى: والله إن متم، أو قتلتم لتحشرون إلى الله.

---

(١) في (أ)، (ج): (للقتال). والمثبت من (ب). وهي الصواب. انظر: «الحجة»، للفارسي ٣/ ٩٤، فقد وردت العبارة فيه.

(٢) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «زاد المسير» ١/ ٤٨٥.

(٣) قرأ ﴿تجمعون﴾ - بالتاء - كلُّ القرَّاءِ، ما عدا عاصم في رواية حفص؛ حيث قرأها: ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالياء.

انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٤، و«الكشف» ١/ ٣٦٢.

(٤) في (ج): (يجمعها).

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٣.

(٧) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣١٠، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٥.

(٨) أي (اللام) التي في قوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال أبو عبيد: وتقول في الكلام: (لَئِن أحسنتَ إلَيَّ؛ لأحْسِنَنَّ إليك) - بالنُّونِ -. فإذا حُلْت بينهما بالصفة[1]، قلت: (لَئِن أحسنتَ إليَّ، لإليكَ أُحْسِن) - بغير نُونٍ -. كما في الآية -؛ لأن اللام قد تحولت إلى الصفة[2].

١٥٩- قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

أكثر النحويِّينَ على أنَّ (ما) - ههنا - صِلَةٌ[3]، لا تمنع الباءَ مِن عَمَلِها فيما عملت فيه، وهي مع كونها صلةً، تُحْدِثُ معنى التأكيد[4] وحُسْن النَّظْم. وهي كثيرةٌ في القرآن؛ كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و﴿جُندٌ مَّا﴾ [ص: ١١]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [النساء: ١٥٥]، ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ﴾[5] [نوح: ٢٥].

---

(١) (بالصفة): ساقطة من (ج). ويعني بـ(الصفة): حرف الجَرِّ.

(٢) انظر: «الأصول في النحو» ٢/ ١٦٦، و«البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٢/ ٩١٩.

(٣) (صلة)؛ بمعنى زيادة.

(٤) في (ب): (التوكيد).

(٥) المؤلف -هنا- أوردها على قراءة أبي عمرو: ﴿خَطَايَاهُم﴾. وقرأ الباقون: ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾. انظر: «الكشف» لمكي ٢/ ٣٣٧، و«إتحاف فضلاء البشر» (٤٢٥).

وممن ذهب إلى كون (ما) - هنا - (صِلَة):

الفراء في: «معاني القرآن» ١١٤، والمبرد في «الكامل» ١/ ٣٤٢، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٠، وكراع النمل في «المنتخب» ٢/ ٦٨٧، والزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٤٨٢، وابن شقير في «المحلى ووجوه النصب» ٢٩٠، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦١، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٣٦أ، والسفاريني في «لباب الإعراب» ٤٦٣.

قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٤٨٢: «ما» بإجماع النحويين - هنا - صِلَةٌ، لا تمنع الباء من عملها فيما عملت.

[وتكثر](١) - أيضًا - في الشعر؛ قال امرؤ القيس:

وقاهم جَدُّهُمْ بِبَني أَبيهم ... وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العِقَابُ(٢)

أراد: (وبالأشْقَيْنَ(٣) كان العِقَابُ)(٤).

وقال النابغة:

المرءُ يَهْوَى أنْ يَعِيـ ... ـشَ وطُولُ عَيْشٍ ما يَضُرُّهْ(٥)

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٢) البيت في «ديوانه» ٤٥. وورد منسوبًا له في «الأصمعيات» ١٣١، و«الشعر والشعراء» ٥٤، وكتاب «المعاني الكبير» ٢/ ٨٨٦، و«فصل المقال» للبكري ٣٨٥.
البيت من قصيدة قالها الشاعر حين غزا بني أسد فأخطأهم، وأصاب بني كنانة بدلًا منهم، وهو لا يدري. و(الجَدُّ) - هنا -: الحظ والبخت.
أي: أن بني أسد وقاهم حظهم من سطوته، بقتل بني عمهم - بني كنانة - لأن أسد وكنانة أخوان.
والشاهد في البيت زيادة (ما) في قوله: (وبالأشقين ما كان العقاب). ويجوز كون (ما) مع الفعل بتأويل المصدر؛ أي: وبالأشقَيْن كون العقاب.

(٣) في (ج): (بالأشقين). بدون واو .

(٤) (العقاب): ساقطة من (ج).

(٥) البيت نسب للنابغة الذبياني، وقد ورد في ديوانه ١٢٢. ونسبته له المصادر التالية: «الشعر والشعراء» ٨٥، و«جمهرة أشعار العرب» (٦٣)، و«الأضداد» لابن الأنباري ١٩٦. ونسب للنابغة الجعدي، وقد ورد منسوبًا له في «ديوانه» ١٩١. ونسبته إليه المصادر التالية: «الأمالي» للقالي ٢/ ٨، و«الأمالي» للمرتضى ١/ ٢٦٦، و«الأشباه والنظائر في النحو» للسيوطي ٥/ ١٦٣، و«خزانة الأدب» ٣/ ١٧٢.
وقد ورد في الشعر المنسوب لِلَبِيد. انظر «ديوانه» ٣٥٦.
وأورده ابن الشجري في «أماليه» ٢/ ٣٦٥، ونسبه لبعض المُعمِّرين.
وورد في: «المدخل» للحدادي ١٤٦، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٥ ونسباه للنابغة ولم يحددا مَنْ مِنْهما.
=

أراد: (وطول عيش يَضُرُّهْ). فأكد الكلام بـ(ما).

والعرب قد تزيد في الكلام ما يُسْتغنى عنه؛ للتأكيد؛ كقوله: (أنت فعلت كذا وكذا، يا هذا!). فأدخلوا (يا هذا)؛ للتأكيد؛ إذ كانت (أنت) دالاً على الخطاب. وكذلك قولهم: (لَمَّا أنْ زارني عبد الله، زُرْتُه). معناه: لَمَّا زارني[(١)].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [يوسف:٩٦]؛ أراد: فلَمَّا جاء. فأكّد بـ(أنْ)[(٢)]. وكذلك قولهم:

يـــا تَـيْـــمَ تَـيْـــمَ عَـــــدِيٍّ[(٣)]

= وورد غير منسوب في: «أمالي الزجاجي» ١١١، و«النكت والعيون» ٢/ ٩١١.
وورد البيت بروايات عدة منها: (المرء يرغب في الحياة)، و(المرء يأمل أن يعيش). و(المرء يهوى ما يعيش). وورد: (وطول عيش ..)، و(وطول عمر ..).
وورد: (قد يضره) بدلًا من: (ما يضره) وليس فيها موضع الشاهد.
ويجوز أن تكون (ما) في البيت بمعنى (الذي)، والتأويل: وطول عيش الذي يضره.
انظر: «الأضداد»، لابن الأنباري ١٩٦.

(١) انظر: «مغني اللبيب» ٥٠.

(٢) في (ج): (أن). بدلًا من: بأن.

(٣) في (أ)، (ب): (يتم يتم)، والمثبت من (ج)، ومصادر الشاهد.
وهذا جزء من بيت شعر لجرير، وهو في «ديوانه» ٢١٩، وتمامه:
يـا تـيـمَ تـيـمَ عَـدِيٍّ لا أبـا لـكُـمُ ... لا يُـوقِـعَـنَّـكـمُ فـي سَـوْأةٍ عُـمَـرُ
وقد ورد منسوبًا له في: «كتاب سيبويه» ١/ ٥٣، ٢/ ٢٠٥، و«الكامل» ٣/ ٢١٧، و«المقتضب» ٤/ ٢٢٩، و«اللامات» ١٠١، و«الخصائص» ١/ ٣٤٥، و«العمدة» ٢/ ٨٤١، و«شرح المفصل» ٢/ ١٠، ١٠٥، و«اللسان» ١/ ١٨ (أبي)، و«المقاصد النحوية» ٤/ ٢٤٠، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٥٥، و«خزانة الأدب» ٢/ ٢٩٨، ٣٠١، ٤/ ٩٩، ١٠٧، ٨/ ٣١٧، ١٠/ ١٩١. =

أكد الكلام بـ(تَيْم)[١] الثاني. هذا قول أكثر أهل التأويل.

وقال بعضهم[٢]: يجوز أن تكون (ما) استفهامًا للتعجب[٣]؛ تقديره: (فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لهم؟!)؛ أي: سَهُلَتْ لهم أخلاقُك، وكَثُرَ

= وورد غير منسوب في: «الأصول في النحو» ١/ ٣٤٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٠٧، و«شرح ابن عقيل» ٣/ ١٧، و«ارتشاف الضرب» ٣/ ٣١٥، و«منهج السالك» ٣/ ١٥٣، و«همع الهوامع» ٥/ ١٩٦، ٢/ ١٢٢، و«الدرر اللوامع» ٢/ ١٥٤.

وورد في أكثر المصادر: (لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سوأة ..).

والبيت من قصيدة قالها الشاعر في هجاء عمر بن لَجَأ التَيْمِي. ويعني بـ(تيم): تيم بن عبد مناة بن أدّ. و(عدي) أخو (تيم). وأضاف (تيم) إلى (عدي) تخصيصًا، وتمييزًا لهم عن بطون عدة كلها تُدْعَى تَيْمًا. وقوله: (لا أبا لكم)، أصلها: أن يُنسب المخاطبُ إلى غير أب معلوم؛ شتمًا له، ثم كثرت في الاستعمال حتى جُعلت في كل خطاب يغلظ فيه على المخاطب. و(السوأة): الفعلة القبيحة.

يريد الشاعر تحذير بني تيم، وهي قبيلة عمر بن لجأ، بأن يمنعوا عمر من التعرض للشاعر بهجاء؛ وإلّا فإن الشاعر سيتعرض لِتَيْم في شعره، ويلقيهم في بليَّة، هم في غنى عنها.

ويجوز في (تيم) الأولى الضمُّ، على أنه منادى مفرد عَلَم، ويحوز النصبُ على تقدير إضافته إلى ما بعد (تيم) الثانية، أو بتقدير إضافته إلى محذوف وهو: (عدي). (وتيم) الثاني لا يجوز فيه إلا النصب على أنه منادى مضاف، أو مفعول بإضمار (أعني)، أو عطف بيان، أو توكيد، أو بدل. انظر: «ارتشاف الضرب» ٣/ ١٣٥.

والشاهد فيه: تكرير (تيم) للتأكيد.

(١) في (أ)، (ب): يتم. والمثبت من (ج).

(٢) لم أقف على القائل.

ومن أورد هذا القول ممن سبق المؤلف: الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٣٦أ، قائلًا: (وقال بعضهم: ..) ولم يعين.

(٣) ورد في: (ج) في هذا الموضع كلمة زائدة، لا وجه لها، وهي: (قوله).

احتمالك[١].

وقوله تعالى: ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ (لانَ، يَلِينُ، لِينًا)[٢]، و(لَيَانًا) - بالفتح: إذا رَقَّ، وحَسُنَ [خُلُقُهُ][٣]، وانْقادَ[٤].

قال الشاعر:

وإنْ هي أعطتك اللَّيانَ كأنها ... لِغَيرك مِن خُلّانِها سَتَلِينُ[٥]

---

(١) وقد جوز هذا الرأي الفخر الرازي في «تفسيره» ٩/ ٦٤ قائلًا: (وقال المحققون: دخول اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين، غير جائز)، ثم ذكر هذا الرأي واستصوبه.
والذي دفع لهذا الرأي هو تنزيه كتاب الله من أن يكون فيه حرف زائد مهمل، لا معنى له. وهذا فيه نظر؛ لأن القائلين بزيادة (ما) ويغرها من الحروف، لا يقصدون جواز سقوطها، وأنها مهملة لا معنى لها، بل يقولون: إنها مَزيدة لمعنًى مقصود، وهو - هنا - في (ما): التوكيد؛ أسوة بسائر ألفاظ التوكيد الواردة في القرآن.
وكون (ما) للاستفهام التعجبي، قد رَدَّه علماءُ النحو، من ناحية الصناعة النحوية، ومنهم: ابن هشام في «المغني» ٣٩٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٩٨، والسمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٣٦٢.

(٢) ضُبطت: (لَيْنًا) بفتح اللام، في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣١٤ (لين)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٦أ، وضبطت في بقية المصادر اللغوية التالية: (لِينا) بكسر اللام.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) ورد في مصادر اللغة: اللِّين: ضد الخشونة، قال الراغب: (ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخُلُق وغيره من المعاني). «مفردات ألفاظ القرآن» ٧٥٢ (لين). أما (اللِّيان) بكسر اللام فمصدر الملاينة، يقال: (لايَنْته مُلايَنْة)، و(لِيَانا). انظر (لين) في: «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٨٩، و«الصحاح» ٦/ ٢١٩٨، و«المقاييس» ٥/ ٢٢٥، و«اللسان» ٧/ ٤١١٧، و«القاموس» (١٢٣٢).

(٥) البيت، لكُثَيِّر عَزَّة. وقد ورد منسوبًا له في: «زهر الآداب» ١/ ١٧. وليس في ديوانه، وأورده محققُ ديوانه وجعله مما نُسِب له، وأحال على المصدر السابقة =

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ الفظُّ[١]: الغليظ الجانب، السَّيِّءُ الخُلُق[٢]. يقال: (فَظِظْتَ، تَفَظُّ، فَظَاظَةً، وَفِظَاظًا)، فأنت فَظٌّ[٣]، وأصله: (فَظِظٌ)؛ كقولك: (حَذِرٌ)[٤]؛ من: (حَذِرْتَ)[٥]، و(فَرِقٌ)[٦]؛ مِنْ: (فَرِقْتَ). إلّا أنَّ ما كان مِن المضاعف على هذاالوزن، يُدْغَم؛ نحو: (رَجُلٌ صَبٌّ)[٧]. وأصله: صَبِبٌ)[٨].

= انظر «ديوانه» ١٧٦.

ورواية البيت في المصدر السابق:

وإن هي أعطتك الليان فإنها لآخر من خلانها ستلين

(١) من قوله: (الفظ ..) إلى (.. وأصله صبب): نقله - بتصرف - عن «معاني القرآن»، للزجاج: ١/ ٤٨٣.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٠٦ (فظظ)، و«الفرق بين الحروف الخمسة» ١٥٥، و«زينة الفضلاء» للأنباري ٩٨.

(٣) انظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٣٧ (فظظ). قال الراغب: (الفظُّ: الكريه الخُلُق؛ مستعار من: (الفظِّ)؛ أي: ماء الكرش، وذلك مكروه شربه، لا يتناول إلا في أشدّ ضرورة). «مفردات ألفاظ القرآن» ٦٤٠ (فظظ).

(٤) في (أ): (حَذِرَ) بفتح الراء، وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل، والصواب ما أثبت.

(٥) في (أ): (حَذَرت) بفتح الذال، وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل، والصواب ما أثبت، وهي بكسر الذال.

انظر: (حذر) في: «التهذيب» ١/ ٧٦٧، و«القاموس» ٣٧٣.

(٦) في (أ): (فَرِق) بفتح القاف. وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والصواب ما أثبت. يقال: (رجلٌ فَرِقٌ): شديد الفزع. انظر: «القاموس» ٩١٧ (فرق).

(٧) في (أ): (صبِّ)، وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والصواب ما أثبت. يقال: (رجلٌ صبٌ): بيِّنُ الصَّبَابَة. والصبابة: رِقّة الشَّوْق. انظر: «جمهرة اللغة» ١/ ٧١ (صب)، و«المخصص» ٤/ ٦١.

(٨) في (أ): (صبَبٌ) بفتح الباء الأولى، وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل، =

قال الكلبي[(١)]: ولو كنت فظًّا في القول، غليظ القَلْبِ في الفعل[(٢)].

﴿لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ أي: لَتفرَّقوا ونَفرُوا منك؛ كما تتطاير شظايا الشيء المتكَسِّر.

والفَضُّ: الكسر والتفريق[(٣)]. يقال: (فَضَضْتَ القومَ، فانْفَضُّوا). ومنه يقال: (لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ)[(٤)].

قال الزّجاج[(٥)]: المعنى: إنَّ لِينَكَ لهم، يُوجِبُ[(٦)] دخولهم في الإسلام[(٧)]؛ لأنك تأتيهم بالحُجَجِ والبراهين، مع لِينٍ وخُلُقٍ عظيم.

= والصواب ما أثبت.

قال سيبويه عن (صَبٍّ): (زعم الخليل أنها (فَعِلٌ)؛ لأنك تقول: (صَبِبْتُ صبابة)، كما تقول: (قَنِعْتُ قَناعةً)، و«قَنِعٌ». «كتاب سيبويه» ٤/ ٤١٩. وانظر: «المخصص» ٤/ ٦١.

(١) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٦ب.

(٢) قال السمين الحلبي: (وعن الغِلْظَةِ تنشأ الفظاظة، فلم قُدِّمت؟ فقيل: قدِّم ما هو ظاهر للحسِّ، على ما هو خافٍ في القلب؛ لأنه كما تقدم أن الفظاظة: الجفوة في العشرة قولًا وفعلًا. والغِلْظُ: قساوة القلب، وهذا أحسن من قَوْلِ من جعلهما بمعنًى، وجمع بينهما). «الدر المصون» ٣/ ٤٦٣.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٩ (فض)، و«الفرق بين الحروف الخمسة» ١٥٦، و«زينة الفضلاء» ٩٨.

(٤) معناه لا يكسر الله أسنانك، ويفرِّقها. والفم يقوم مقام الأسنان. وقد يقال: (لا يُفْضِ الله فاك)، ومعناه حينها: لا يجعل الله فاك فضاءً، لا أسنان فيه.

انظر: «الزاهر» ١/ ٢٧٤-٢٧٧، و«تهذيب اللغة» (فض) ٣/ ٢٧٩٩، و«الفائق» ٣/ ١٢٣، و«النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٤٥٣.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٢. نقله عنه بنصه.

(٦) في «المعاني» مما يوجب.

(٧) في «المعاني» في الدين.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾. أي: ما فعلوا يومَ أُحُد حتى أشفعك فيهم. وقال الكلبي: فاعف عنهم أي الشيء يكون منهم و﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ مِنْ ذلك الذَنْب.

وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ يقال: (شَاوَرَ مُشَاوَرَةً)، و(شِوارا)[1]، و(مَشُورَةً)[2]، و(مَشْوَرَةً)[3]. و(القوم شُورى). وهي مصدرٌ، سُمِّي القومُ بها؛ كقوله: ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾[4] [الإسراء: ٤٧].

وقد ذَكَرْنا أمْرَ هذه الكلمة وما فيها، عند قوله: ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

قال أصحاب المعاني[5]: هذه عامَّةٌ في اللفظ، خاصَّةٌ في المعنى؛ لأن المعنى: وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله[6] أَمْرٌ وَوَحْيٌ[7] وعَهْد. يدل عليه: قراءةُ ابن عباس: (وشاورهم في بعض الأمر)[8].

---

(١) في (ج): (سوارا).

(٢) قال في (لسان العرب): (والمَشُورَة بضم السين (مَفْعَلة) ولا تكون (مفعولة)؛ لأنها مصدر، والمصادر لا تجيء على مثال (مفعولة)، وإن جاءت على مثال (مفعول)، وكذلك المَشْوَرَة). ٤/ ٢٣٥٨ (شور).

(٣) (ومَشْوَرة): ساقطة من (ج).
انظر (شور) في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٠٣، و«اللسان» ٤/ ٢٣٥٨.

(٤) في (ج): (فإذا).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨٣.
ومن قوله: (قال أصحاب المعاني ..) إلى نهاية تفسير هذا المقطع: موجود في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٧أ. نقله عنه بالمعنى.

(٦) في (ب): (من الله فيه) بدلًا من (فيه من الله).

(٧) في (ج): (ورحى).

(٨) أخرج هذه القراءة عنه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٥٧)، وابن أبي =

وقال الكلبي[١]: إنما أُمِرَ بالمُشَاوَرَةِ معهم في لِقَاءِ العدُوِّ، والحربِ ومكايِدِها[٢]. فالأمر - عنده - بالمشاورة، خاصٌّ في الحرب.

وروى عَمرو بن دينار، عن ابن عباس، أنه قال[٣]: الذي أُمِرَ النبيُّ ﷺ، بمشاورته في هذه الآية: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

وقال قتادة[٤]، والربيع[٥]، ومقاتل[٦]: إنما أُمِرَ بالمشاورة مع استغنائه بوحي الله وجَزَالَةِ رأيه؛ تَطْيِيبًا لِنُفُوسِ القوم، ورَفْعًا[٧] مِن أقدارهم؛ إذْ كانت العربُ إذا لم يُشَاوروا في الأمر، شَقَّ عليهم.

= حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٠٢، وذكرها ابن جني في «المحتسب» ١/ ١٧٥، وأبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣١١، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٣٧أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٨٩، ونسبها - كذلك - إلى ابن مسعود، وذكرها السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٦٠ وقال: (بسند حسن)، وزاد نسبة إخراجها إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(١) قوله في: «تفسير الثعلبي» / ١٣٧أ.

(٢) من قوله: (ومكايدها ..) إلى (.. خاص في الحرب): ساقط من (ج).

(٣) أخرج قوله: الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٧٠ كتاب معرفة الصحابة. وقال: (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ١٠/ ١٠٩ كتاب أدب القاضي. باب: (مشاورة الوالي ..)، والنحاس في «معاني القرآن» ١/ ٥٠٢.

(٤) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٢، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٠٢، و«الثعلبي» ٣/ ١٣٧أ، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٥٩ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر.

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٢، والمصادر السابقة.

(٦) قوله في: «تفسيره» ١/ ٣١٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٣٧أ.

(٧) في (ب): (ورخصا).

قال الشافعي [(١)]: وهذا كقوله ﷺ: «والبِكْرُ تُسْتَأمَر» [(٢)]، ولو أكرهها [(٣)] الأبُ على النِّكاح، جَازَ، لكنَّها تُسْتَأْمر؛ تطييبًا لِنَفْسِها.

وقال الحَسَنُ [(٤)]، وسُفْيانُ بن عُيَيْنَة [(٥)]: إنما ذلك؛ لِيَقْتَدِيَ به غيرُهُ في المُشَاوَرَةِ، ويَصِير سُنَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾؛ أي: على ما تريد إمضاءَهُ [(٦)].

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، لا على المشاورة. ومعنى التَّوَكُّلِ: تفويضُ الأَمْرِ إلى الله؛ لِلثِّقَةِ بِحُسْنِ تدبيره.

---

(١) قوله معناه في كتاب «الأم» ٥/ ١٩.

(٢) الحديث: أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٤٢١) كتاب النكاح. باب: (استئذان الثيب في النكاح). ونصه عنده:
(الثَّيِّبُ أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستَأمَر، وإذنها سكوتها). وورد عنده بلفظ: «الأيِّم أحق.. والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صُمَاتُها).
وأخرجه الشافعي بلفظ (تستأمر) في «الأم» ٧/ ١٦٥، وبلفظ (تستأذن) في «الأم» ٢/ ١٩٠، وأخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢١٩، وانظر: «الدراية» لابن حجر ٢/ ٥٩، ٦١، ٦٢.

(٣) في (ب): أكرمها.

(٤) قوله في: كتاب «الأم» للشافعي ٧/ ١٠٠، و«أحكام القرآن» له ٢/ ١١٩، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٦٣٢، و«معاني القرآن» للنحاس ٥٠٢، و«سنن البيهقي» ١٠/ ١٠٩، كتاب «آداب القاضي»، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٨.
وأورده السيوطي في: «الدر» ٢/ ١٥٩ وزاد نسبة إخراجه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٥) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٣، و«زاد المسير» ١/ ٤٨٨.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): إمضاؤه. وما أثبت هو الصواب.

١٦٠- قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ الآية.

معنى (الخِذْلان): القعود عن النُّصْرَةِ وقت الحاجة إليها، والإسلامُ للهَلَكَةِ.

يقال: (خَذَلَ، يَخْذُلُ، خِذْلانًا، وخَذْلًا). ويقال للبقرة والظَّبْيَة، إذا تخلفت مع ولدها في المرعى، وتركت صواحباتها: (خَذُول)[1].

قال[2] طَرَفَة:

خَذُولٌ تُرَاعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ ... تَنَاوَلُ أطرافَ البَرِيرِ وترتدي[3]

---

(١) وتُسمَّى كذلك: خاذِل.
انظر هذه المعاني لـ(خذل) في: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ١٢١، و«التهذيب» ١/ ٩٩٨، و«معاني القرآن»، للنحاس ١/ ٥٠٣، و«المقاييس» ٢/ ١٦٥، و«الكليات» لأبي البقاء ٣١٠، و«اللسان» ٢/ ١١١٨.

(٢) في (ج): (وقال).

(٣) البيت من معلقته، وهو في: «ديوانه» ٢١، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ١٤١، و«جمهرة أشعار العرب» ص١٤٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٩٩ (خذل)، و«المقاييس» ٢/ ١٦٥، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني ٤٧، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي ٥٨، و«اللسان» ٢/ ١١١٨ ولم ينسبه.
قوله: (تراعي ربربا)؛ أي: ترعى مع (الرَّبْرَب)، وهو: قطيع الظباء وبقر الوحش، وقيل: أولاد البقرة.
و(الخميلة): الأرض السهلة اللينة، التي فيها شجر. والجمع: (خَمائل).
و(البَرِير): ثمر الإراك البالغ، ومفردها: (برِيرة).
وخَصَّ الخذول - هنا -؛ لأنها فَزِعةٌ بانفرادها، وَلِهَةٌ على وليدها، فهي تمد عنقها مرتاعة، فيظهر - حينها - جمالها، وحسنها، ولو كانت في قطيعها، لم يَبِنْ حسنُها، ثم وصفها بأنها ترعى أطراف شجر الأراك، وتمد عنقها، وتتطاول؛ لتنال ما علا من أغصان الشجر، فتتهَدَّل عليها الأغصان حتى تصبح كأنها رداءٌ لها.
انظر: «شرح القصائد» لابن الأنباري ١٤١-١٤٢، والتبريزي ٥٨-٥٩.

وقال ذو الرُّمَّةِ[١]:

دَعَتْ مَيَّةَ الأعداد واستبدَلت بها خَنَاطِيلَ آجالٍ[٢] مِنَ العِينِ[٣] خُذَّلِ[٤]

أي: متخلفات من الأولاد.

والخَنَاطِيل[٥]: جماعاتٌ في تَفْرِقَةٍ، لا واحد لها مِنْ لَفْظِها. وقيل: واحدها (خُنْطُول)[٦].

---

(١) هو: أبو الحارث، غَيْلان بن عُقْبَة بن بُهَيْش. شاعر إسلامي، في الطبقة الثانية من فحول شعراء الإسلام، مات سنة (١١٧هـ).

انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٥٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٤٩، و«وفيات الأعيان» ٤/ ١١.

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والمثبت من مصادر البيت.

(٣) في (أ): (العَيْن). في (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والمثبت من مصادر البيت.

(٤) البيت في: ديوانه: ١٤٥٥.

وورد منسوبًا له في: «الصحاح» ٤/ ١٦٨٦ (خطل)، و«اللسان» ٥/ ٢٨٣٥ (عدد)، و«التاج» ١٤/ ٢١٥ (خنطل).

(الأعداد): جمع (عِدٍّ)، وهو الماء الدائم الذي لا ينقطع. و(الخناطيل): القطعان من الإبل والبقر، وهي - هنا في البيت - بقر الوحش. و(آجال): جمع: (إجْل) - بكسر الهمزة، وتسكين الجيم - وهو: القطيع من بقر الوحش والظباء. و(العِين): بقر الوحش. والثور منها: (أعْيَن)، والبقرة: (عَيْناء). و(خُذل): أي: أقامت على ولدها، وتركت صواحبها.

الشاعر - هنا - يذكر امرأة تسمى (ميّة)، وهي التي كان يشبب بها ويعشقها، يقول: تركت منازلَها وظعنت عنها، بعدما نضبت الغدرانُ في القيظ، وحضرت ماءَ عِدًّا، واستبدلت الدارُ بها بقرَ الوحش، التي خالفتها إلى منازلها وأقامت فيها.

انظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٣٥ (عدد)، ٣/ ١٢٧٨ (خنطل)، ١/ ٣٢-٣٣ (أجل)، و«القاموس» ص١٢١٨ (عين).

(٥) في (أ)، (ب)، (ج): والخناظيل - بالظاء -. والمثبت من: مصادر اللغة.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): (خنظول) بالظاء.

=

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار - في هذه الآية -[(١)]: أي: إنْ يَنْصُرْكَ[(٢)] اللهُ؛ فَلاَ غالبَ لك مِنَ النَّاس، ولن يَضُرَّكَ خِذْلانُ مَنْ خَذَلَكَ، وإنْ يَخْذُلْكَ؛ فَلَنْ يَنْصُرَكَ الناسُ؛ أي: لا تترك أمري للناس، وارفض الناسَ[(٣)] لأمري.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾.

(مَنْ) - ههنا -: تقريرٌ لِلنَّفْي؛ أي: لا يَنْصُرُكُمْ أحدٌ[(٤)] مِنْ بَعْدِهِ. وإنما تضمن حرفُ الاستفهام معنى النفي؛ لأن جوابَهُ يجب أن يكون بالنفي، فصار ذِكْرُهُ يغني عن ذِكْرِ جوابه، وكان أبلغ لتقرير المخاطَبِ فيه، بما لا يتهيأ له إنكاره.

١٦١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ الآية.

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية:

فرَوَى عكرمةُ، ومِقْسَم[(٥)]، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنَّ الآية

= الوارد في كتب اللغة التي رجعت إليها، أن واحد الخناطيل: (خِنْطيلة)، و(خُنْطُولة). أما (الخنطول)، فهو يطلق على: القرن الطويل.
انظر: «التهذيب» ١/ ١١١٣ (خنطل)، و«الصحاح» ٤/ ١٦٨٦ (خطل)، و«اللسان» ٣/ ١٢٧٨ (خنطل)، و«التاج»: ١٤/ ٢١٥ (خنطل).

(١) قوله، في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٥٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٠٣.

(٢) في (ج): (ينصركم).

(٣) في «سيرة ابن هشام»: (وارفض أمر الناس ..).

(٤) (أحد): مطموسة في: (ب).

(٥) هو: أبو القاسم، مِقْسم بن بُجْرة، ويقال: نَجْدة الكِنْدي، ثم التُّجيبي النخعي. يقال له: مولى ابن عباس، من مشاهير التابعين، أسلم في حياة النبي ﷺ، وبايع =

نزلت في قَطِيفَةٍ[(١)] حمراءَ، فُقِدَت يوم بَدْر، فقال بعض الناس: لَعَلَّ النبي ﷺ أخذها[(٢)].

وقال - في رواية الضحّاك -[(٣)]: إن رسول الله ﷺ، لَمَّا وَقَعَ في يده غنائمُ هَوَازِنَ يوم حُنَيْنٍ، غَلَّهُ رجلٌ بِمِخْيَطٍ، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة - في نزول هذه الآية -[(٤)]: نزلت وقد غَلَّ طوائفُ مِن أصحابه. ورُوِي عن ابن عباس - من طريقٍ آخرَ -: أنَّ أشراف الناس

= معاذًا في اليمن، ويقال: إن له صُحبة، صَدوق وكان يُرْسل، مات سنة (١٠١هـ). انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ٣٠١، و«الإصابة» ٣/ ٤٥٥، و«تقريب التهذيب» ٥٤٥ (٦٨٧٣).

(١) القطيفة: دِثَارٌ أو كِسَاءٌ مُخَمَّلٌ؛ أي: له أهداب. وجمعها: قطائف، وقُطُف. انظر (قطف) في: «القاموس» ٨٤٥، و«المعجم الوسيط» ٢/ ٧٥٣.

(٢) الأثر عن ابن عباس - من رواية مقسم -، أخرجه: أبو داود (٣٩٧١) كتاب الحروف والقراءات، والترمذي (٣٠٠٩) كتاب التفسير. باب: (٤) من سورة آل عمران. وقال: (حديث حسن غريب)، والطبري في «تفسيره» ٧/ ٣٤٨، ٣٤٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٦١ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد.
ومن رواية عكرمة، أخرجه: الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٠٣، والطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٣٦٤ رقم (١٢٠٢٨، ١٢٠٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (١٣٠).
ومن رواية سعيد بن جبير، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٥.

(٣) من رواية جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس، أوردها الثعلبي ٣/ ١٤٠ ب، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٩٠.

(٤) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٧، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٠. وهذا القول من قتادة تفسير للآية على القراءة الثانية ﴿يُغَلَّ﴾.

استدعوا رسول الله ﷺ، [وطلبوا][١] تخصيصهم[٢] بشيءٍ مِنَ المغانم؛ فنزلت هذه الآيةُ[٣].

وقال الكلبي[٤]، ومقاتل[٥]: نزلت حين ترك الرُّمَاةُ المَرْكَزَ يومَ أُحُد؛ طَلَبًا للغنيمة، وقالوا: نخشى أنْ يقول النبي ﷺ: مَن[٦] أخَذَ شيئًا فهو له، وأنْ لا يَقْسِم الغنائمَ، كما لم يَقْسِمْ[٧] يومَ بَدْر. فقال النبي ﷺ: ظننتم أنَّا نَغُلُّ، ولا نَقْسِم لكم. فأنزل الله هذه الآية.

وفي قوله ﴿يَغُلَّ﴾ قراءتان: أحدهما: فتح الياء، وضم الغَيْن[٨]؛ ومعناه: ما كان لِنَبِيٍّ أن يَخُونَ. مِنَ (الغُلُول)، وهو: الخِيَانَةِ. يُقال: (غَلَّ، يَغُلُّ، غُلُولًا): إذا خَانَ، وأصلُهُ: أخْذُ الشيء في خُفْيَةٍ[٩].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ويجوز أن تكون: لتخصيصهم. بدلًا من الكلمة التي أضفتها قبلها.

(٣) لم أقف على مصدر هذه الرواية، وقد ذكرها ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٤٩٠.

(٤) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٠ ب.

(٥) قوله في «تفسيره» ١/ ٣١٠، والمصدر السابق. وبه قال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٦.

(٦) من قوله: (من ..) إلى (فقال النبي ﷺ): ساقط من (ج).

(٧) في (أ): (يُقَسِم). وفي: (ب)، (ج): مهملة من الشكل. وأثبَتُّ ضبطَها من «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٠ ب؛ نظرًا لتقارب سياق المؤلف لهذا القول، مع سياق الثعلبي، وهي الأليق بسياق الكلام.

(٨) القراءة بفتح الياء، وضم الغَين: ﴿يَغُلَّ﴾، قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم. وقرأ الباقون: ﴿يُغَلَّ﴾ - بضم الياء، وفتح الغين -.
انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٤، و«النشر» ٢/ ٢٤٣، و«إتحاف فضلاء البشر» ١٨١.

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٩.

(١٠) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٤، وقد نقله عنه بتصرف، واختصار. وقد ورد نص

قال الزّجاج[١]: وما[٢] كان مِنْ هذا الباب، فهو راجعٌ إلى هذا، مِنْ ذلك: (الغَالُّ): وهو الوادي الذي[٣] يُنْبِتُ الشجرَ، في مُطْمَئِن مِنَ الأرض[٤]، وجمعه: (غُلّان)، ومن ذلك: (الغِلّ): الحقد في الصدر؛ لأنه كامن[٥]، و(الغِلاَلَة): الثوب الذي يلبس تحت الثياب[٦]. و(الغَلَلُ)[٧]: الماء الذي يجري في أصول الشجر؛ لأنه مستَتِرٌ بالأشجار.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾؛ أي: أن يَخُونَ فيكم[٨]

قول الزجاج في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٩، مع اختلاف يسير عما في «معاني القرآن»، ووافق نقل المؤلف - هنا - عن الزجاج، بعضًا مما في نسخة «المعاني» المطبوعة، ووافق بعضًا مما في «التهذيب»، وليس في «المعاني». مما يدل على أن المؤلف نقل عن نسخةٍ من المعاني فيها بعض اختلاف عن النسخة المطبوعة المتداولة، أو نقل قولَ الزجاج عن كتابٍ آخر تصرف في عبارة الزجاج.

(١) في «المعاني»: فكل ما.

(٢) في (ب): (التي).

(٣) (في مطمئن من الأرض): ليست في «معاني القرآن». والعبارة في «التهذيب» (وهو الوادي المطمئن الكثير الشجر). وانظر: «المنتخب» لكراع النمل ١/ ٤٢٤.

(٤) في «المعاني»: وهو الحقد. وفي «التهذيب»: وهو الحقد الكامن.

(٥) قوله: (والغلالة: الثوب الذي يلبس تحت الثياب): أورده في «التهذيب» من قول أبي زيد، وليس من قول الزجاج.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): (الغال). وفي «المعاني»: الغل. وما أثبت من مصادر اللغة. انظر (غلل) في: «إصلاح المنطق» ٢٦، و«غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٩، و«جمهرة اللغة» لابن دريد ٢/ ٢٠١٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٩، و«المقاييس» ٤/ ٣٧٦، و«اللسان» ٦/ ٣٢٨٧.

(٧) هكذا وردت (فيكم) في (أ)، (ب)، (ج)، و«تفسير الوسيط» المؤلف ٣٧١. وأرى أن الأصوب أن تكون: (فيكتم)؛ لأنه أنسبُ للسياق الذي أراد المؤلف =

الغنيمةَ مِن أصحابه. أو أنْ يَخُونَ بأن يعطيَ البعضَ دون البعضِ، على ما روي في سبب النزول.

فإن قيل: ما معنى تخصيص النبي ﷺ - ههنا -، وغيرُهُ يساويه في أنه ليس له ذلك؟.

قلنا: (أَنْ) مع المستقبل، تكون بمعنى المصدر؛ كأنه قيل: (ما كان لِنَبي الغُلُول)؛ أراد: ما غَلَّ نَبِيٌّ. ينفي عن الأنبياء الغُلُولَ، لا أنه[1] ينهاهم بهذا اللفْظ.

وقال[2] بعض أهلِ المعاني: اللّام فيه منقولة؛ معناه: ما كان نَبِيٌّ[3] لِيَغُل، كقوله -عز وجل-: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم:٣٥]؛ أي: ما كان الله لِيَتَخِذَ [ولدا][4]، على نفي الاتخاذ، - كذلك - الآيةُ على نفي الغُلُول عن الأنبياء.

وحجة هذه القراءة: ما روي عن ابن عباسٍ - في أكثر الروايات - في سبب نزول الآية، وعن الكلبي ومقاتل، وذلك يدل على نَسَبِ الغُلُول إلى

= من خلاله أن يُدلِّل على أن معنى (الغل) - هنا - فيه كتمان وكمون وستر، وهو أنسب بسبب النزول الذي أورده المؤلف سابقًا، وأشار إليها هنا.

ويعزز هذا ما قاله في تفسيره «الوجيز»: (أي: يخون بكتمان شيء من الغنيمة عن أصحابه) ١/ ٢٤٠.

(١) في (ج): لأنه- . بدلًا من: (لا أنه).

(٢) من قوله: (وقال ..) إلى (.. ليتخذ ولدا): نقله بنصه عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤١أ. ولم أقف على من قال بهذا القول، من أصحاب المعاني.

(٣) في (ج): (النبي).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

النبي ﷺ، فَنَفى ذلك عنه. و- أيضًا - فإنَّ ما هو مِن هذا[(١)] القبيل في التنزيل، أُسْنِدَ الفعلُ فيه إلى الفاعل، نحو: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٨]، و﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ [يوسف: ٧٦]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ [التوبة: ١١٥]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ولا يكاد يجيء منه: (ما كان زيدٌ ليُضْرَبَ)، فيُسنَد الفعلُ فيه إلى المفعول به، فكذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يُسندُ[(٢)] فيه الفعلُ إلى الفاعل. يُؤَكِّدُ[(٣)] هذا الفصل، ما حكى أبو عبيد[(٤)] عن يونس[(٥)] أنه اختار (يَغُلّ) - بفتح الياء -، وقال: لا يكون في الكلام: (ما كان لك أن تُضْرَب) بضم التاء.

---

(١) من قوله: (من هذا ..) إلى (يُسند فيه الفعل إلى الفاعل): نقله - بتصرف يسير - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٦.

(٢) من قوله: (يسند ..) إلى (.. عن يونس أنه): ساقط من (ج).

(٣) في (أ): (بمؤكد). والمثبت من (ب)، (ج).

(٤) (أ)، (ب)، (ج): (أبو عبيدة). وما أثبتُّه فمن «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٨. فقد ورد فيه: (وأخبرني المنذري، عن الحسين بن فهم، عن ابن سلام، قال: كان أبو عمرو بن العلاء، ويونس يختاران ..) وذكره. وابن سَلّام، هو: أبو عبيد.
والمؤلف، كثيرًا ما ينقل عن «تهذيب اللغة» بتصرف. وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٨٦ (غلل).

(٥) هو: أبو عبد الرحمن، يونس بن حبيب الضَّبِّي بالولاء. نحوي بصري، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، وكانت له حلقة بالبصرة يحضرها أهل العلم، والأدباء وفصحاء الأعراب، توفي سنة (١٨٣هـ). انظر: «أخبار النحويين البصريين» ٥١، و«طبقات النحويين» للزبيدي ٥١، و«إنباه الرواة» ٤/ ٧٤.

وهذه القراءة اختيار ابن عباس، كان[١] يقرأ (يَغُلّ) بفتح الياء، فقيل له: إنَّ ابن مسعود يقرأ: ﴿يُغَلّ﴾، فقال ابن عباس: قد كان النبي يُقتَل، فكيف[٢] لا يُخَوَّنُ؟[٣].

والقراءة الثانية: ﴿يُغَلّ﴾ بضم الياء، وفتح الغين.

وهذه القراءة تحتملُ وجهين[٤]: أحدهما: أن يكون من (الغُلُول).

والثاني: أن يكون من (الإغلال).

فإن جعلتها من (الغُلُول) احتملت معنيين: أحدهما: أن معنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلّ﴾[٥]؛ أي: ليس لأحدٍ أن يَغُلَّهُ، فيأخذ مِنَ الغنيمة التي حازها[٦] على طريق الخيانة، وإن كان لا يجوز أن يُغَلّ غيرُ النبيِّ، مِن إمام المسلمين وأميرٍ لهم[٧].

وفائدة تخصيص النبي ﷺ بالذِّكْر: أن الغُلُول يَعْظُمُ بحضرته، ويكبر كِبَرًا لا يكبر عند غيره؛ لأن المعاصي بحضرته أعظم.

المعنى[٨] الثاني: أن تكون (أنْ) مع الفعل، بمنزلة المصدر؛ كما

---

(١) من هنا، وإلى: (.. لأن المعاصي بحضرته أعظم): نقله - بتصرف - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٦-٩٧. وهو من تتمة النقل السابق.

(٢) في (ج): (كيف).

(٣) انظر هذا الأثر عن ابن عباس في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٥، وانظر قراءة ابن عباس في «تفسير سفيان الثوري» ٨١، و«المعجم الكبير» للطبراني ١١/ ١٠١ (١١١٧٤).

(٤) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٢٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤١ ب.

(٥) (أ)، (ب): (يَغُلّ) - بفتح الياء، وضم الغين، والمثبت من (ج)، وهو الصواب.

(٦) في (أ): (جازها). والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) في (ب): (وأميرهم).

(٨) (المعنى): ساقط من (ب).

ذَكَرْنا في القراءة الأولى. ويكون المعنى: ما كان لِنَبيٍّ غُلولٌ من المُتَحقِّقِينَ بِنُبُوَّتِهِ؛ أي: لم يَخُنْهُ أصحابُهُ وأنصارُهُ، ويكون في هذا ذَمٌّ لِمَن خانَهُ.

يُؤكِّد هذا المعنى ما روى عطاءٌ عن ابن عباس [١]، في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾؛ يريد: أن يكون ممن يَصْحَبُهُ، أحدٌ يَغُلُّ ويَسْتَحِلُّ الغُلُولَ.

وإن أخذت بهذه القراءةِ مِنَ (الإغْلال)، احتَمَلَتْ - أيضا - معنيين:

أحدهما: أن يكون (الإغلالُ) بمعنى (الغُلُول). يقال: (غَلّ الرجلُ مِنَ الغنيمة، يَغُل غَلًّا، وغُلُولًا)، و(أَغَلّ إغلالًا): إذا سَرَق منها[٢]. ذكره الزّجاج في باب الوفاق[٣] ومِن هذا يقال: (أغَلّ الجازِرُ، والسَّالِخُ): إذا أبْقَى في الجِلْدِ شيئًا مِنَ اللَّحْمِ؛ على طريقِ السَّرِقَةِ والخيانة[٤].

قال النَّمِر بن تَوْلَب[٥]:

---

(١) لم أقف على مصدر هذه الرواية.

(٢) يقال: (غَلَّ، يَغُلُّ، غُلولًا): للخيانة في المغنم خاصة. و(أَغَلَّ، يُغِلُّ، إغلالًا): للخيانة في المغانم، وغيرها. و(غَلَّ، يَغِلُّ، غِلًّا): للحقد والضِّغْنِ والشحناء. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٢٤، و«إصلاح المنطق» ٢٦٥-٢٦٦، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٨ (غلل)، و«ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي ٥٧، و«اللسان» ٦/ ٣٢٨٥ (غلل).

(٣) لم أقف على مصدر قول الزجاج هذا.

(٤) انظر (غلل) في: «إصلاح المنطق» ٦٥، و«التهذيب» ٣/ ٢٦٩٠، و«اللسان» ٦/ ٣٢٨٦.

(٥) من بداية بيت الشعر، وإلى (.. أي: لا يقال له: غللت): نقله المؤلف - بتصرف، واختصار - عن: «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٥-٩٧.

والنَّمِر، هو: ابن تَوْلَب بن أُقَيْش العُكْلي، وكُنْيَته: أبو قيس، وأبو ربيعة. شاعر مُخضْرَم، أدرك الجاهلية والإسلام، وَفَدَ على النبي ﷺ، وأسلم وحسن إسلامه. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٩١، و«الإصابة» ٣/ ٥٧٢، و«الأعلام» ٨/ ٤٨.

جَزَى اللهُ عنَّا جَمْرَةَ ابْنَةَ نَوْفَلٍ جَزاءَ مُغِلٍّ[١] بالأمانَةِ كاذبِ[٢]

وقال آخر:

حَدَّثْتَ[٣] نفْسَكَ بالوَفَاءِ ولم تَكُنْ لِلْغَدْرِ خائِنَةً مُغِلَّ الإصْبَعِ[٤]

قوله: (لِلْغَدْرِ)[٥]؛ أي: لِكَراهَةِ الغَدْرِ. و(الخائِنَة): يحتمل أن تكون مصدرًا؛ كـ(العافِيَةِ)، و(العَاقِبَةِ).

---

(١) في (أ): (مُغَلٍّ). وفي (ب)، (ج): مهملة من الشكل. والمثبت من مصادر البيت.

(٢) البيت ورد في «شعره» ص ٣٨، وورد منسوبًا له في: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٢٣، و«إصلاح المنطق» ٢٦٦، و«الزاهر» ١/ ٤٦٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٩ (غلل)، و«الصحاح» ٥/ ١٧٨٤ (غلل)، و«المقاييس» ٤/ ٣٧٦ (غلل)، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٤٠١، و«اللسان» ٦/ ٣٢٨٥ (غلل).
وقد ورد في «التهذيب»، و«الصحاح»: (حمزة) بدلًا من (جمرة).
ومعنى (المُغِلِّ): الخائن.
ورد في إحدى نسخ «إصلاح المنطق» أشار إليها محقق الكتاب: (جَمرة، كانت أخيذة عنده، فسألته أن يزيرها قومها، ففعل، فلما أتتهم منعوها الرجوع ..). ص ٢٦٦.

(٣) في (ب): (حدثته).

(٤) نسبته المصادر التالية لرجل من بني أبي بكر بن كلاب:
«مجاز القرآن» ١/ ١٥٨، و«الكامل» للمبرد ١/ ٣٥٩، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٤ (خون).
وورد غير منسوب في: «إصلاح المنطق» ٢٦٦، و«تفسير الطبري» ٦/ ١٥٦، و«الجمهرة» لابن دريد ١/ ٣٤٧، و«المخصص» ٢/ ٤، و«اللسان» ٤/ ٢٣٩٥ (صبع)، ٦/ ٣٢٨٦ (غلل).
يقال: (فلانٌ مُغِلُّ الإصبع): إذا كان خائنًا. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٩٥ (صبع).
يخاطب الشاعرُ رجلًا يُسمَّى (قرين بن سُلْميّ الحنفي) قتل أخاه، وقبل هذا البيت:
أَقَرِينُ إنك لو رأيت فوارسي بعَمَايَتَيْنِ إلى جوانب ضَلْفَعِ
و(عمايتين)، و(ضلفع): مواضع في نجد. انظر مناسبة البيت في «الكامل» ١/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٥) في (ج): (الغدر).

و- حينئذٍ - يُقَدَّرُ حذفُ المضاف؛ أي: لم يكن صاحبَ خائِنَةٍ؛ أي: خِيَانَة. وإنْ شئتَ جعلته مثل: (راوِيَة).

ونَسَبَ[(١)] الإغْلالَ إلى الإصْبَع، كَمَا نَسَبَ[(٢)] الآخرُ الخيانةَ إلى اليَدِ، في قوله:

أَحَذَّ[(٣)] يَدِ القَمِيصِ[(٤)]

---

(١) في (أ): (نُسِبَ)، وفي (ب)، (ج) مهملة من الشكل. والمثبت من «الحجة» للفارسي. وهو الصواب؛ حتى تتناسب مع الكلمة المنصوبة المعمولة لها بعدها.

(٢) في (أ): نُسِبَ. وفي (ب)، (ج) مهملة من الشكل. والمثبت من «الحجة» للفارسي، ويقال فيها ما قيل في التي قبلها.

(٣) في (أ)، (ب): أحذ. والمثبت من (ج)، ومصادر البيت.

(٤) جزء من بيت شعر، للفرزدق. وتمامه:

أأطعَمْتَ العراقَ ورافِدَيْه فَزَاريًّا أحَذَّ يَدِ القميصِ

وهو في «ديوانه» ٣٣٨، وورد منسوبًا له في: «الحيوان» للجاحظ ٥/ ١٩٧، ٦/ ٥١٠، و«الشعر والشعراء» ١/ ٩٤، و«المعارف» ٤٠٨، و«الكامل» ٣/ ٨٣، و«اللسان» ٣/ ١٦٨٨ (رفد)، ٢/ ٨٠٩ (حذذ).

وورد غير منسوب في: «المخصص» ٢/ ٤، و«همع الهوامع» ١/ ١٧٢، و«الدرر اللوامع» ٢٥.

جاء في بعض المصادر: (أوَلَّيْت العراق)، وورد: (فَوَلَّيت)، وورد: (بَعَثت إلى العراق)، وفي الهمع: (لأطعمت ..) وهي خطأ بلا شك.

ومعنى (أحذَّ يدِ القميص)؛ أي: خفيف اليد. يصفه بالغلول والسرقة، وأراد: أحذ اليد، وأضاف اليد إلى القميص؛ لحاجته.

و(الحَذَذ): السرعة، وقيل: السرعة والخفة، و - كذلك -: خفة الذنَب، واللحية. و(فرسٌ أحَذّ): خفيف شعر الذنب، و(رجل أَحَذّ): سريع اليد خفيفها، وهذا التفسير هو الذي أراده المؤلف أعلاه. وقيل: (الأحَذّ): المقطوع؛ أي: أنه قصير اليد عن نيل المعالي، فجعله كالأحذ، الذي لا شعر لذنبه. انظر: «اللسان» ٢/ ٨٠٨ (حذذ).

قال: جعلت (الإغلالَ) بمعنى (الغُلول). فقد ذكرنا للغُلُول معنيين في هذه القراءة.

المعنى الثاني: أنْ يكون (الإغلالُ) بمعنى النسبة إلى الغُلُول. وقد يَرِدُ[1] (الإفْعَال) بمعنى النسبة، شاذًّا، وإن كان الأكثر فيه التَفْعِيل؛ كقولهم: (أسْقاهُ)، أي: قال له: سَقَاكَ اللهُ[2].

ومنه قول ذي الرُّمَّةِ:

وأُسْقِيهِ حتى كاد[3] ... البيت.

= والبيت، ضمن أبيات، يهجو بها الشاعرُ عمرَ بن هبيرة الفزاري، ويخاطب - معاتبًا - يزيدَ بن عبد الملك، الذي وَلَّى ابنَ هبيرة العراقَ.

(١) في (ج): (ترد).

(٢) في «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٧: (.. كقولك: أسقيْتُهُ؛ أي: قلت له: سقاك الله).

(٣) وتمامه:

وأسقِيهِ حتى كاد مما أَبُثُّهُ ... تكلِّمني أحجارُه ومَلاعبُه

وقبل هذا البيت:

وقفت على رَبْعٍ لِمَيَّة ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وهو في «ديوانه» ٨٢١. وورد البيتُ - الشاهد - منسوبًا له، في: «كتاب سيبويه» ٤/ ٥٩، و«النوادر» ٢١٣، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٥٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٥٧، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ٢٩٧، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٤٠٤، و«لسان العرب» ٤/ ٢٠٤٢ (سقى)، ٤/ ٢٣١٤ (شكا)، و«المقاصد النحوية» ٢/ ١٧٦، و«التصريح» للأزهري ١/ ٢٠٤، و«شرح شواهد الشافية» ٤١، و«الدرر اللوامع» ١/ ١٠٨.

وورد غير منسوب في: «منهج السالك» ١/ ٢٦٣، و«همع الهوامع» ٢/ ١٤٤.

ورد في بعض الروايات: (وَأُشْكِيهِ ..)، وورد: (.. أَبِثُّهُ) -بضم الهمزة، وكسر الباء-.

ومعنى (أبُثُّه): أظهر له البَثَّ، وهو: الحزن والغم. انظر: «اللسان» ١/ ٢٠٨ (بثث).

يخاطب الشاعرُ - هنا - منزلَ معشوقته (مية).

و(أسقيه): أدعو له بالسُّقْيا. والماضي: أسْقاهُ.

ويقال (أَكْفَرَهُ): إذا نَسَبَهُ إلى الكفر .
قال الكُمَيْت[١]:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أكفَرُونِي بِحُبِّكُمْ[٢]

فيكون المعنى: وما كان لِنَبِيٍّ أن يُنْسَبَ إلى الغُلُول؛ أي: لا يُقَال له غَلَلْتَ.

قال الفرّاءُ، في[٣] هذه الآية[٤]: وقرأ[٥] أصحاب عبد الله[٦]: ﴿يُغَلّ﴾؛ يريدون: أنْ يُسَرَّقَ ويُخَوَّنَ[٧]، وذلك جائزٌ، وإنْ لم يَقُل: (يُغَلَّل)، فيكون مثل قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، و﴿ويُكْذِبُونَكَ﴾[٨] [الأنعام: ٣٣].

---

(١) هو: أبو المُسْتَهِلّ، الكُمَيت بن زيد بن حُبَيْش، من بني أسد. شاعر إسلامي، عاش في أيام الدولة الأموية، ولم يدرك الدولة العباسية، وكان متشيعًا لبني هاشم، وُلِد سنة (٦٠هـ)، ومات سنة (١٢٦هـ).
انظر: «الشعر والشعراء» ٢/ ٣٨٥، و«جمهرة أشعار العرب» ٣٥١، و«أمالي الزجاجي» ١٣٧، و«الخزانة» ١/ ١٤٤.

(٢) صدر بيت، وعجزه:

وطائفةٌ قالوا مسيءٌ ومذنب

ورد في: «شرح هاشميات الكميت» ٥٣، وورد منسوبًا له في «خزانة الأدب» ٤/ ٣١٤.
وورد فيه: (.. قد أكفرتني بحبهم..).
قال في «شرح الهاشميات»: (و(طائفة)؛ يريد: الحرورية. (وطائفة)؛ يريد: المرجئة).

(٣) في (ج): (وفي).

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٦، نقله عنه بتصرف يسير.

(٥) في (ج): (وقال).

(٦) أي: ابن مسعود ﷺ. وقال الطبري: (وهي قراءة عُظْم قَرَأة أهل المدينة والكوفة). «تفسيره» ٤/ ١٥٧.

(٧) أي: ينسب إلى السرقة والخيانة.

(٨) القراءة الأولى: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾، لابن كثير، وعاصم، وأبي عمرو، وابن عامر

ومِن حُجَّةِ هذه القراءة: ما رُوي عن ابن عبّاس، من طريق الضّحاك، وما روي عن قتادة، في سبب نزول هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

أي: يأتي به حاملًا له على ظهره، كما روي أن النبي ﷺ، خَطَبَ يومًا، فذَكَرَ الغُلُولَ، وعَظَّمَه، وعَظَّمَ أَمْرَهُ، فقال: **«لا أُلْفِيَنَّ[٢] أحدَكُمْ يجيء على رقبته يوم القيامة بَعِيرٌ له رُغاء[٣]، يقول: يا رسولَ الله! أعِنِّي»[٤].**

= والقراءة الثانية: ﴿يُكْذِبُونَكَ﴾، لنافع، والكسائي.

انظر: «السبعة» ٢٥٧، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٣٠٢، و«المبسوط» لابن مهران ٦١٨.

أي: أن (كَذَّبه، وأكْذَبه)، بمعنًى واحد، وهو: نسبته إلى الكذب، وكذلك: (غَلَّ، وأغَلَّ) تتواردان على معنى واحد، وهو: النسبة إلى الغلول.

انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٥٨، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٣٠٢.

وحول رأي الفراء - هذا -، قال الأزهري: (وقال أبو العباس: جَعَلَ (يَغُل)، بمعنى: (يُغَلَّل)، وكلام العرب على غير ذلك في (فعَلت)، و(أفْعَلْت). و(أفعلته): أدخلت ذاك فيه، و(فعَّلتُ): كثَّرت ذاك فيه). «التهذيب» ٣/ ٢٦٨٨. وانظر: «الحجة» للفارسي ٣٠٢-٣٠٤.

(١) انظر ما سبق ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) في (ج): (لألفين).

وهذه توافق رواية الإمام أحمد في «المسند»: (لألفِيَنَّ يجيء أحدكم يوم القيامة ..) وسيأتي تخريجه.

وفي بعض الروايات: (لا ألفِينَّ ..) انظر: «فتح الباري» ٦/ ١٨٦.

ألفى الشيء: وجده. يقال: (ألْفَيْتُ الشيء، أُلْفِيهِ، إلفاءً): إذا وجدته وصادفته ولقيته. انظر: «اللسان»: ٧/ ٤٠٥٦ (لفا).

(٣) الرُّغاء: صوت البعير. يقال: (رَغَا البعيرُ، والضَّبُعُ، والنَّعامُ، رُغاءً): صوَّتَت فَضَجَّت. انظر: «القاموس» (١٢٨٩) (رغا).

(٤) في مصادر الحديث التالية: أغثني.

فأقول: لا أملك لك مِنَ اللهِ شيئًا، قد أَبْلَغْتُك». وذَكَر في الحديث: الشاةَ والفرَسَ والصَّامِتَ[(١)].

وهذا قول: ابن عباس[(٢)]، وأبي هريرة[(٣)]، وأبي حُمَيْد الساعدي[(٤)]،

---

(١) في (ج): (والفَرَسَ الصَّامِتَ).

والصامت من المال: الذهب، والفضة، خلاف الناطق منه، وهو: الحيوان.

انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٣/ ٥٢، و«القاموس» ١٥٥ (صمت)، و«فتح الباري» ٦/ ١٨٦.

والحديث من رواية أبي هريرة، أخرجه: البخاري في «الصحيح» (٣٠٧٣) كتاب الجهاد. باب الغلول وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾.

ومسلم في «الصحيح» رقم (١٨٣١) كتاب الإمارة. باب غلظ تحريم الغلول.

وأحمد في «المسند» ٢/ ٤٢٦، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ٥٢٩، رقم (٣٣٥١٩).

والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٨، والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٠١، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤١ب.

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٦٣ وزاد نسبة إخراجه إلى البيهقي في «الشُّعَب».

(٢) قول ابن عباس ﷺ ومن بعده، هي آثار رواها المذكورون عن النبي ﷺ، بالمعنى نفسه.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما في «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٩، وأورد الأثر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٥٥ ونسب إخراجه إلى ابن جرير، وقال: (لم يروه أحد من أهل الكتب الستة).

(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٥٨، ١٦٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٠٥.

(٤) قوله في: «صحيح مسلم» رقم (١٨٣٢) كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٩، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٢٧، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٥٥ .

وأبو حميد الساعدي، اختلف في اسمه كثيرًا، فقيل: المنذر بن سعد، وقيل: عبد الرحمن بن سعد بن المنذر، وقيل غير ذلك. أنصاري، صحابي مشهور، شهد أُحدًا وما بعدها، تُوفي في آخر خلافة معاوية، وأول خلافة يزيد بن معاوية.

انظر: «الاستيعاب» ٤/ ١٩٩، و«الإصابة» ٤/ ٤٦.

وابن عمر[(١)]، وقتادة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾.

قال ابن عباس[(٣)]: يريد: تجازى ثوابَ عَمَلِها.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. قال[(٤)]: وهم لا يُنقَصُونَ مِنْ ثوابِ أعمالهم شيئًا.

١٦٢- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾.

يعني: بترك الغُلُولِ - في قول: الكلبي[(٥)]، والضحاك[(٦)] -.

﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، في فِعْلِ الغُلول.

وقيل: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالعمل بطاعته والإيمان، ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ في العملِ بمعصيته، والكفر به. وهذا القولُ يُحكَى عن محمد بن إسحاق[(٧)].

وعلى هذا المعنى دلّ كلامُ ابن عباس - في رواية عطاء -؛ لأنه قال[(٨)]: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾؛ يريد: المهاجرين والأنصار، ﴿كَمَنْ بَاءَ

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٠، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ٨٦، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قوله في: «المصنف» لعبد الرزاق ٥/ ٢٤٢ (٩٤٩٣)، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦١.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) قوله في «بحر العلوم» ١/ ٣١٢.

(٦) قوله في: «المصنف» لعبد الرزاق ٥/ ٢٤٦ رقم (٩٥٠٧)، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٠٦.

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٦٥ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر.

(٧) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٠٧.

(٨) لم أقف على مصدر قوله.

﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ يريد: المنافقين.

وقال الزّجاج[١]: يروى أن النبي ﷺ، حين أمر المسلمين يوم أحد بالحرب، اتَّبَعَهُ المؤمنون، وتَخَلَّفَ عنه جماعةٌ مِنَ المنافقين[٢].

فأعلم الله ﷻ: أنّ مَنْ اتّبَعَ نَبِيَّهُ، اتَّبَعَ رِضوانَهُ، وأنَّ مَن تَخَلّف عنه فقد باء بِسَخَطٍ مِنَ الله.

ومعنى (باءَ به)؛ أي: احتمله، ورَجَع به. وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة[٣].

١٦٣- قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ذَوُو[٤] درجات. فحذف المضاف. وحَسُن ذلك ههنا؛ لأن اختلاف أعمالهم، قد صيَّرَهم بمنزلة المختلفي الذوات، كاختلاف مراتب الدرجات؛ لتبعيدهم من استواء الأحوال، فجاء على هذا المَجَاز.

والمجاز في موضعه، أحسنُ مِنَ الحقيقة؛ لِمَا فيه [مِنَ][٥] الإيجاز مِن غيرِ إخلال، ومِنَ المُبالغة التي لا ينوبُ مَنَابها الحقيقة؛ إذْ[٦] قولك: (هو الشمسُ ضياءً)، أبْلَغُ في النفس مِن: (هو كالشمس ضياءً). فكذلك: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾[٧]، أبلغ مِنْ: (هم أهلُ درجاتٍ)[٨].

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٦. نقله عنه بتصرف.

(٢) انظر: تفسير ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ آية: ١٢٢ من سورة آل عمران.

(٣) انظر: «تفسير البسيط» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٦١ .

(٤) في (ب): (ذو).

(٥) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٦) في (أ)، (ب): إذا. والمثبت من (ج).

(٧) في (أ): (بدرجات درجات).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨٦، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥٠٦. =

وأصل الدَّرَجَةِ: الرُّتْبَةُ[1]، ومِنْهُ: (الدَّرْجُ)، لأنه يُطوَى رُتْبةً بعد رُتْبةٍ؛ يقال: (أدْرَجَني إدْرَاجًا)[2]. و(الدَّرَجَانُ)[3]: تَقارُبُ الخَطْوِ؛ كَمِشْيَة الشَّيْخ، والصَّبِيِّ؛ لتقارُبِ الرُّتَبِ[4].

فأما التفسير: فالآيةُ تحتملُ ثلاثةَ أوجه:

أحدها: أن يكون المراد بقولهم: دَرَجاتُ المؤمنين والكافرين جميعًا. والمعنى: أن المؤمنين ذَوُو[5] دَرَجةٍ رفيعةٍ، والكافرين ذَوُو

= قيل في تأويل الآية: إنهم جعلوا نفس الدرجات؛ للمبالغة؛ أي: إنهم متفاوتون في الجزاء على كسبهم، كما أن الدرجات تتفاوت. والأصل فيه: هم مثل الدرجات في التفاوت. انظر: «الدر المصون» ٣/ ٤٦٩-٤٧٠.

(١) انظر (درج) في: «جمهرة اللغة» ١/ ٤٤٦، و«التهذيب» ٢/ ١١٦٧، و«اللسان» ٣/ ١٣٥١، وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٢.
قال الراغب: (الدرجة، نحو المنزلة، لكن يقال للمنزلة: (درجة)، إذا اعتُبِرت بالصعود، دون الامتداد على البسيط؛ كدرجة السطع والسلَّم، ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة ..). «مفردات ألفاظ القرآن»: ٣١٠ (درج).

(٢) قال ابن دريد: (والدَّرْج: مصدر (دَرَجْتُ الشيء دَرْجًا)، و(أدرجته إدراجًا): إذا طويته). «جمهرة اللغة» ١/ ٤٤٦.
وأراد المؤلف، هنا والله أعلم: الدَّرْج -أو الدَّرَج-: الذي يُكتَبُ فيه. يقال: (أنفذته في دَرْج الكتاب)؛ أي: في طَيِّه. انظر: «الصحاح» ٣١٤ (درج).
وفي «مفردات ألفاظ القرآن»: ٣١١ (درج): (والدرْج: طيُّ الكتاب والثوب. ويقال للمطوي: دَرْج).

(٣) في (أ)، (ب): (والدرجات). والمثبت من: (ج)، ومصادر اللغةُ.

(٤) انظر: (درج) في: «التهذيب» ٢/ ١١٦٧، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٣١١، و«اللسان» ٣/ ١٣٥١.

(٥) في (ب): (ذو). وكذا في الموضع التالي.

درجةٍ[١] خَسِيسَةٍ.

وهذا الوجه مروي عن ابن عباسٍ، قال[٢]: يعني أنَّ مَن اتَّبَعَ رِضْوانَ الله، ومَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله، مختلِفو[٣] المَنَازِلِ عند الله فَلِمَن اتبع رِضْوانه الكرامةُ والثواب، ولِمَن باء بسخطٍ منه المَهَانةُ والعذاب.

وهذا قول الكلبي - أيضًا -، فإنه قال[٤]: هم درجاتٌ، بعضهم أشدُّ عذابًا مِنْ بعضٍ، وكلٌّ في عذابٍ وهَوَانٍ، وأهل الجَنَّةِ بعضهم أفضل من بعض، وكلٌّ[٥] في فَضْلٍ وكَرَامَةٍ[٦].

الوجه الثاني: أن تكون الآيةُ خاصَّةً في المؤمنين؛ يريد: أنَّ بعضهم أرفع درجة عند الله مِنْ بعض.

وهذا قول ابن عباس - في رواية عطاء -، قال[٧]: يريد: أصحاب النبي ﷺ، بعضهم أفضل من بعض، وهذا أيضًا اختيارُ الفرّاء، قال[٨]: يقول: هم في الفضل مختلفون، بعضهم أرفع من بعض.

الوجه الثالث: أن تكون الآية خاصة في الكافرين[٩]. وهذا قول

---

(١) (ذوو درجة): بياض في (ج).

(٢) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٣ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٢٩، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٣.

(٣) في (ب): (يختلفوا).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) من قوله: (وكل ..) إلى (.. بعضهم أفضل من بعض): ساقط من (ج).

(٦) وهو قول ابن إسحاق، واختيار الطبري. انظر: «تفسيره» ٤/ ١٦٢.

(٧) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٦. نقله عنه بتصرف.

(٩) في (ج): (المنافقين).

الحسن، يقول[١]: بعض أهلِ النار أشدُّ عذابًا مِنْ بعضٍ؛ ألا تَرَاهُ[٢] يقول: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قال: وبلغني أن النبي ﷺ قال: (إنَّ منها[٣] ضَحْضاحًا[٤]، وإنَّ منها غَمْرًا[٥]، وإني لأرجو أنْ يكون أبو طالب في ضحْضَاحِها)[٦].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. والذي وقفت عليه من قوله، الآتي:
أ- يعني أهل الخير وأهل الشر درجات.
ب- إنها درجات الجنة.
ج- للناس درجات بأعمالهم، في الخير والشر. انظر: «تفسير الحسن البصري» ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) في (ج): (تسمعه) بدلًا من: (تراه).

(٣) الضمير يعود على النار.

(٤) أصل الضحْضَاح: الماء القليل، الرقيق، أو الذي يصل إلى الكعبين. فشَبَّه قِلَّةَ النار به. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٤٠٠، و«الفائق» ٢/ ٣٣٢.

(٥) الغَمْر: الماء الكثير. وجمعه: غِمَار، وغُمُور. انظر: «القاموس» ٤٥٢ (غمر).

(٦) هذا الجزء من قول الحسن (والمتضمن حديث النبي ﷺ، - المرسل عن الحسن (إن منها ضحضاحا ..)، قد ورد بألفاظ مختلفة من طريق أخرى صحيحة، في بيان حال أبي طالب عم النبي ﷺ، يوم القيامة.
فقد أخرج البخاريُّ عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أن العباس بن عبد المطلب، قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؟ فوالله كان يحيطك ويغضب لك. قال: «**هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار**». «الصحيح» (٣٨٨٣). كتاب مناقب الأنصار. باب قصة أبي طالب، (٦٢٠٨) كتاب الأدب. باب كنية المشرك.
وأخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٠٩) كتاب الإيمان رقم (٣٥٧) باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، وورد في لفظٍ لمسلم: «**نعم وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح**».
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ وذُكِرَ عنده عَمُّهُ أبو طالب، فقال - واللفظ للبخاري -: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه أم دماغه**». =

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[(١)].

فيه تحريضٌ على العمل بطاعته؛ لأن ثوابه لا يضيع؛ إذا عَمِلَه[(٢)] مَنْ يعمل له، وتحذيرٌ مِنَ العملِ بمعصيته؛ لأن جزاءه لا يفوتُ إذا كان عالِمًا به. فهو تهديد ووعيدٌ للكافرين، وتبشيرٌ ووَعْدٌ للمؤمنين.

١٦٤- قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية.

لـ(المَنِّ)[(٣)] - في كلام العرب - مَعَانٍ:

أحدها: الذي يسقط من السماء، وقد مرّ ذكرُه في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [البقرة:٥٧]. والمَنُّ: الاعتداد بالصَّنِيعَةِ[(٤)]، وهو: أنْ تَمُنَّ بما أعطيت، وذلك في قوله: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمَنُّ: القَطْعُ. ومنه قوله: ﴿أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [فصلت:٨]؛ أي: غيرُ مَقْطُوعٍ[(٥)].

= «صحيح البخاري»: (٦٥٦٤) كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار.
و«صحيح مسلم» رقم (١٢٠) كتاب الإيمان، رقم (٣٦٠) باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب.
وانظر روايات أخرى بألفاظ أخرى في: «فتح الباري» ٧/ ١٩٣-١٩٤، و«الفائق» للزمخشري ٢/ ٣٣٢.

(١) في (أ)، (ب)، (ج): تعملون. والمثبت من رسم المصحف.

(٢) في (ج): (علمه).

(٣) في (ج): (المن) بدلا من: (للمن).

(٤) الصَّنِيعة: العَطِيَّة، والكرامة، والإحسان. والجمع: صَنائِع. انظر: (صنع) في: «اللسان» ٤/ ٢٥١٠، و«القاموس» ٧٣٩.

(٥) وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم. وحكى السُدِّي عن بعضهم، =

والمَنُّ: الإعطاء والإنعام، والإحسان إلى مَنْ لا تَسْتَثِيبه. منه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص:٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦][1]. و(المَنَّانُ) - في صفة الله - تعالى -؛ معناه: المُعْطِي ابتداءً[2].

فمعنى قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أنعَمَ عليهم، وأحسَنَ

= أن معناه: غيرُ ممنونٍ عليهم. ورُدَّ عليه؛ لأن المِنَّة لله تعالى على أهل الجنة؛ لأنهم دخلوها برحمته تعالى وفضله، لا بأعمالهم. انظر: «تفسير ابن كثير» ٤/٥١٩.

(١) معنى الآية - على هذا الوجه -: لا تُعْطِ العطيَّةَ تلتمس أكثر منها. وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاوس، وأبي الأحوص، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغيرهم، واستظهره ابن كثير. ويرى الضحاك أن هذا خاص بالنبي ﷺ، مباح للناس عامة.
وقيل: لا تعط عطاءً وتستكثره؛ لأن الكريم يستقل ما يعطي، وإن كان كثيرًا. ذكره ابن جُزي.
وهناك أقوال أخرى في الآية، هي:
- لا تمنن بعملك على ربك تستكثره. وهو قول الحسن، والربيع، واختيار الطبري.
- وقيل: لا تضعف أن تستكثر من الخير؛ على أنَّ (تَمْنُنْ) - في كلام العرب -: تضعف. وهي رواية خصيف عن مجاهد. أو لا تضعف عن تبليغ الرسالة، وتستكثر ما حملناك من ذلك. ذكره ابن جُزَي.
- وقيل: لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس، تستكثرهم به، تأخذ عليه عوضًا من الدنيا. وهو قول ابن زيد.
انظر: «تفسير الطبري» ٢٩/١٤٨-١٥٠، و«تفسير ابن جزي» ٨٠٦، و«تفسير ابن كثير» ٤/٤٦٦.

(٢) انظر هذه المعاني لـ(المن) في: «الزاهر» ٢/٣٥٥-٣٥٧، و«تهذيب اللغة» ٤/٣٤٥٩- ٣٤٦٠، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٧٧٧، و«قاموس القرآن» للدامغاني ٤٤٤، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/٥٢٧-٥٢٨.

إليهم، إذ بَعَثَ فيهم رَسُولًا.

واختلفوا في المراد بـ(المؤمنين) في قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فقال بعضهم[(١)]: هذا خاصٌّ في العرب؛ لأن النبي ﷺ، كانَ مِنَ العَرَبِ، ولم يكُنْ حَيٌّ مِن أحياء العرب، إلّا [و][(٢)] قد وَلَدَهُ، وله فيهم نَسَبٌ، غير بني تَغْلِب؛ لأنهم كانوا نَصَارَى[(٣)]، فطَهَّرَهُ[(٤)] اللهُ منهم؛ لأنهم ثَبَتوا على النصرانية[(٥)]. وعلى هذا دلّ كلام ابن عباس - في رواية عطاء-[(٦)]، فإنه قال: يعنى المهاجرين والأنصار.

وعلى هذا التفسير، معنى قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: مِنْ نَسَبِهم. قال ابن عباس[(٧)]: يريد: نَسَبه نَسَبهم، هو مِن وَلَدِ إسماعيل. وبه قال الكلبيُّ[(٨)].

---

(١) من قوله: (قال بعضهم ..) إلى (.. على النصرانية): نقله - بتصرف - عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٣ - ب.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، و«تفسير الثعلبي».

(٣) هم بنو تَغْلب بن وائل بن قاسط. ينتهي نسبهم إلى مَعَدّ بن عدنان. ومساكنهم بالجزيرة الفُرَاتية، وتعرف بديار بكر. وبينهم وبين بني بكر بن وائل دارت حرب (البَسُوس) المشهورة التي استمرت (٤٠) سنة.
انظر: «جمهرة أنساب العرب» ٣٠٣، ٤٦٩، و«صبح الأعشى» ١/ ٣٣٨، و«معجم القبائل العربية» ١/ ١٢٠.

(٤) في (أ)، (ب): (فظهره). والمثبت من (ج)، و«تفسير الثعلبي»، وكذا جاءت في «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٦٤، ١٨/ ٩٢. وهي الصواب.

(٥) أورد هذا القول القرطبيُّ في «تفسيره» ١٨/ ٩٢ ونسبه لابن إسحاق، وكذا أورده ابنُ عطية في «المحرر» ٣/ ٤٠٩ ونسبه للنقاش.

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٧) لم أقف على مصدر قوله، وقد ذكره ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٤٩٤.

(٨) لم أقف على مصدر قوله

ومعنى (المِنَّة) - على هذا التفسير -: أنه بُعِثَ واحدًا منهم؛ ليكونَ ذلك شَرَفًا لهم[١]. ففيه إنعامٌ مِنْ وجهين:

أحدهما: أنه أنقذهم به من النار، وهداهم. والثاني: أنْ جعله منهم. ودليل هذا التأويل، قولُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال آخرون[٢]: أراد المؤمنين كلَّهم، وعلى هذا معنى قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: إنه واحدٌ منهم، يعرفونه، ويعرفون نَسَبَهُ، ليس بِمَلَكٍ، ولا أحد مِن غيرِ بني آدم.

ومعنى (المِنّة) - على هذا القول -: أنّه[٣] مَنَّ على المؤمنين، بإرساله واحدًا منهم، عُرِفَ أمرُهُ، وخُبِرَ صِدْقُهُ وأمانَتُهُ، فكانَ تَنَاوُلُ[٤] الحُجّةِ والبرهانِ[٥] سَهْلًا مِنْ قِبَلِهِ[٦].

= وممن ورد عنه أن هذا خاصٌّ في العرب: عائشةُ - رضي الله عنها -. فقد أخرج عنها ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٠٨ أنها قالت - بعد أن قرأت هذه الآية -: (هذه للعرب خاصة). وأورده القرطبي في: «تفسيره» ٤/ ٢٦٤، ونسب إخراجه لأبي محمد عبد الغني، بسنده عنها.

وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٦٥ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الشعب».

وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٦٣ حيث قال: (﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نبيًا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم، فلا يفقهوا عنه ما يقول).

(١) انظر: «بحر العلوم» لأبي الليث ١/ ٣١٣، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٤.

(٢) ممن قال هذا: الزجاج - كما سيأتي -، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٣ب، ولم يعزه لقائل.

(٣) من قوله: (أنه) إلى (من قبله) نقله - بتصرف - عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٨٧.

(٤) في (أ)، (ب): (يتأول). والمثبت من (ج)، و«معاني القرآن».

(٥) في (أ): (البرهانُ) بضم النون. وفي (ب)، (ج): مهملة، وما أثبته هو الصواب.

(٦) في (ب): (قبل).

وهذا القول اختيار الزجّاج؛ لأنه قال[١]: لو كانت المنّةُ فيه [أنه][٢] مِنَ العرب؛ لكانَ[٣] العَجَمُ لا مِنَّة عليهم فيهِ، ولكن المِنَّة[٤] فيه: أنَّهُ قد خُبِرَ أمْرُه، وشأنُه، وعُلِمَ صدقُهُ، بعد أنْ عَلِمُوا أنه كان واحدًا منهم، وإذا كان واحدًا منهم، كانَ أيْسَرَ عليهم معرِفةُ أحوالِهِ مِنَ الصِّدقِ والأمانة.

وعلى هذا التفسير: خُصّ المؤمنون بالذكر، وإنْ كانَ جميعُ المُكَلَّفِينَ في هذا سواء؛ لأن المِنّة على المُؤْمِنِ في هذا أعظمُ منها على الكافر؛ لانتفاع المؤمن ببعثته، فصار كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥]، وهو كان منذرًا لجميع البَشَرِ، ولكنْ لَمَّا كان المؤمنُ يخشَى الساعةَ دون الكافرين، وكان للمؤمن الانتفاعُ بإنذاره، أُضِيفَ إليه.

وباقي الآية مفسَّرَةٌ في سورة البقرة[٥].

وقولهِ تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قيل: معناه: وقد كانوا[٦].

وقيل: معناه: وما كانوا مِنْ قَبْلِهِ؛ أي[٧]: مِنْ قبل محمد، إلَّا في

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٧. نقله عنه بتصرف يسير.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة ليستقيم بها السياق.
(٣) في (ب): (لكانت).
(٤) في (ب): (أمانته).
(٥) انظر: تفسير الآية ١٢٩، والآية ١٥١ من سورة البقرة.
(٦) لم أقف على من قال بهذا القول، إلا أنه يُخَرَّج على قول الكسائي - من الكوفيين - أنَّ (إنْ) إنْ دخلت على جملة فعلية، تكون بمعنى (قد)، واللام زائدة للتوكيد، وإن دخلت على جملة اسمية، فتكون (إنْ) هي النافية، واللام بمعنى (إلَّا).
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٣، و«اللامات» للزجاجي ١١٥، و«الجنى الداني» ٢١٤، و«الدر المصون» ٢/ ٣٣٤.
(٧) (من قبله أي): ساقط من (ج).

ضلال مبين. ومثله قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[١] [البقرة: ١٩٨].

١٦٥- قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية.

الواوُ في ﴿أَوَ لَمَّآ﴾؛ لِعَطْفِ جملةٍ على جملة. ودخل أَلِفُ الاستفهام على واو النَّسَقِ[٢]؛ لأنَّ له صدر الكلام.

قال الزجّاج[٣]: ومثله من الكلام قولُ القائل: (تكَلَّمَ فلانٌ بكذا وكذا) فيقول مجيبًا له: (أوَ هُوَ مِمَّن يقول ذلك؟).

والمعنى: أَوَ حين أصابتكم مُصيبةٌ. ويعنى بالمصيبة: ما أصابتهم يوم أحد.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾.

هو مِنْ صفة النَّكِرَةِ[٤]. ومعناه: قد أصبتم مثليها يوم بدر؛ وذلك [أنَّ][٥] المشركين قتلوا من المسلمين يوم أُحُد سبعين، [وقَتَلَ المسلمونَ منهم يوم بدر، سبعين][٦] وأسروا سبعين. هذا قول أكثرِ المفسرين: ابن

---

(١) هذا رأي الكوفيين، ومنهم: الفراء، أنَّ (إنْ) - هنا - نافية، بمعنى (ما)، واللام بمعنى: (إلا)، بينما مذهب أهل البصرة أنَّ (إنْ) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين (إنْ) النافية.
انظر: المصادر السابقة، و«الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٦٥٦، و«الجنى الداني» ٢٠٩، و«المغني» لابن هشام ٣٠٦.

(٢) النَّسَق، هو: العطف.

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٧. نقله عنه بتصرف يسير.

(٤) أي: في موضع رفع؛ صفة لـ(مصيبة).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

عباس[١]، وقتادة[٢]، وعكرمة[٣]، والربيع[٤]، والسُدِّي[٥].

وقال بعضهم[٦]: أي: أَصبتم في يوم أحد مثلها[٧]، وفي يوم بدر مثلها[٨]. فقد أَصَبتم مِثْلَيْ ما أصابكم، وقتلوا منكم في يوم أُحُد، وقتلتم منهم في يومين. وهذا اختيار الزجّاج[٩].

والأول أصح؛ لأن الكفار يوم بدر، نالوا مِنَ المسلمين - أيضًا-[١٠]؛ بقتل بعضهم[١١].

---

(١) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٠.

(٢) قوله في المصدرين السابقين.

(٣) قوله في المصدرين السابقين.

(٤) قوله في المصدرين السابقين.

(٥) قوله في المصدرين السابقين.

وانظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧١، و«عيون الأثر» ١/ ٤٣٢، ٢/ ٤٧-٤٨، و«فتح الباري» ٧/ ٣٠٧، كتاب المغازي. باب ١٠ رقم الحديث: (٣٩٨٦).

قال ابن حجر: (واتفق أهل العلم بالتفسير على أن المخاطبين بذلك أهل أحُد، وأنَّ المراد بـ ﴿أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يوم بدر، وعلى أن عدة من استشهد من المسلمين بأحد سبعون نفسًا). «الفتح» ٧/ ٣٠٧ وقد عدَّه الطبري إجماعًا. انظر «تفسيره» ٤/ ١٦٤.

(٦) لم أقف على من قال بهذا القول. إلا ما ورد عن الزجاج كما سيأتي.

(٧) حيث قتل من الكفار يوم أحد ثلاثة وعشرون رجلًا. انظر: «عيون الأثر» ٢/ ٤٨.

(٨) (وفي يوم بدر مثلها): ساقط من (ج).

حيث قَتَلَ المسلمون من الكفار سبعينَ - كما سبق -، ولا مَدْخَلَ للأسرى - هنا - على هذا القول؛ لأنهم قد تم فداؤهم، فلا تتم المماثلة بهم.

(٩) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٨.

(١٠) في (ب): (تعبا).

(١١) في (أ): (بعضُهم) برفع الضاد. وفي (ب)، (ج): مهملة. والصواب ما أثبت.

واستشهد من المسلمين في بدر: أربعة عشر رجلًا؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. انظر: «عيون الأثر» ١/ ٤٣٢.

وقوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾.

جواب الاستفهام. ومعناه: قلتم: مِنْ أينَ أصابَنَا هذا القتلُ والهزيمة، وقد تقدم الوَعْدُ بالنُّصْرَةِ، ونحن مسلمون، ورسول الله فينا، والوحي ينزل عليه [فينا][1]؟.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

فيه ثلاثة أوْجُه:

أحدهما - وهو قول أكثر أهل التأويل -: أن[2] معناه: أنّكم تركتم ما أُمِرْتُم به، وطلبتم الغنيمةَ وتركتم مراكزكم، فَمِنْ قِبَلِكُمْ جاء الشَّرُّ. وهذا قول: الكلبي[3]، وعطاء[4]، واختيار: الفرّاء[5]، والزجّاج[6].

وعلى هذا القول: أضاف إليهم المعصيةَ والهزيمةَ، وإنْ كانت مخلوقة لله - تعالى - مُرَادةً؛ لأن المعصيةَ تضاف إلى العاصي من حيث المباشرة والكَسْب[7].

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ)، والمثبت من (ب)، (ج).

(٢) (أن): ساقطة من (ج).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) لم أقف على مصدر قوله. وقد يكون قوله هو قول ابن عباس الذي أورده ابن الجوزي في: «الزاد» ١/ ٤٩٦؛ حيث إن أغلب أقوال عطاء التي يوردها المؤلف هي روايته عن ابن عباس.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٦، وقد نقل المؤلف هذا القول عنه بنصه، وهو من قوله (تركتم ما أمرتم) إلى (.. جاء الشر).

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٨. وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣١١، وأبي الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣١٣.

(٧) (الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع، أو خير؛ كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]). «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٨/ ٣٨٧ =

والثاني: أن معنى قوله: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: بخروجكم مِنَ المدينة، وخلافكم على رسولكم؛ وذلك أنه دعاهم إلى التَّحَصُّنِ بالمدينة، وكان[١] قد رأى في المنام أنَّ عليه درْعًا حَصِينَةً، فأوَّلَها: المدينة. فقالوا: كنا نَمْتَنِع في الجاهلية، ونحن اليوم أحقُّ بالامتناع، فأكرهوا رسولَ الله على الخروج. وهذا قول: قتادة[٢]، والربيع[٣]، وابن عباس - في رواية عطاء -[٤]؛ لأنه قال: يريد: حيث اختلفوا على النبي ﷺ[٥].

الوجه الثالث[٦]: ما روي عن علي ﷺ، أنه قال: جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ، يوم بَدْر، فقال[٧]: يا محمدُ: إنَّ الله - تعالى - قد كَرِهَ ما صَنَعَ

= وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ص٤٤٨.
وقد نقل السفاريني بعض اصطلاحات المتكلمين حول الكسب، فقال: (الكسب في اصطلاح المتكلمين: ما وقع من الفاعل مقارنًا لقدرة محدثة واختيار، وقيل: هو ما وجد بقدرة محدثة في المكتسب.
وقال العلَّامَةُ ابنُ حمدان - من علمائنا -: الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق إرادته في كسبه ..). «لوامع الأنوار» ١/ ٢٩١. وانظر ما بعدها.
وانظر للتوسع في موضوع الكسب: «شفاء العليل» ١٢١ وما بعدها، و«شرح العقيدة الطحاوية» ص٤٣٨ وما بعدها، و«المعتزلة وأصولهم الخمسة» ١٦٩-١٨٤، و«أفعال العباد في القرآن الكريم» لعبد العزيز المجذوب ٣٢٥ وما بعدها، و«الكليات»، لأبي البقاء ١٦١.

(١) (وكان): ساقطة من (ج).
(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٤، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٦، و«الدر المنثور» ٢/ ١٦٦، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد.
(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٥، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٦.
(٤) لم أقف على مصدر قوله.
(٥) انظر ما سبق عند تفسير الآية: ١٥٢ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.
(٦) في (ج): (الثاني).
(٧) في (ج): (وقال).

قومُكَ في أخذهم الفداءَ من الأُسارى، وقد أمرك أن تُخَيِّرَهم بين أن يُقَدِّمُوا الأُسارى فَيَضْرِبُوا أعناقَهم، وبين أن يأخذوا الفداء، على أن يُقْتَلَ منهم عِدَّتُهُم. فَذَكَرَ ذلك رسولُ الله ﷺ لِقَومِهِ، فقالوا: يا رسول الله: عشائرُنا وإخوانُنا، لا؛ بل نأخذ فِدَاهم[1]، فنقوى[2] به على قتال العدوِّ، ويُستشهد منّا بعددهم[3].

فقُتِلَ منهم يوم أحد سبعون رجلًا، عدد[4] أُسارى أهلِ بَدْر. فهو معنى قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: بأخْذِكُم الفداء، واختياركم القَتْلَ[5].

---

(١) هكذا جاءت في: (أ)، (ب)، (ج). على التخفيف. والأصل فيها أن تكون: (فداءهم). كما هي في «تفسير الطبري». وقد وردت في بعض ألفاظ الحديث: (.. بل نفاديهم)، ووردت: (قالوا الفداء).

(٢) هكذا في: (أ)، (ب)، (ج) . وجاءت في المصادر التالية: (فنتقوّى).

(٣) الحديث أخرجه: الترمذي في «السنن» رقم (١٥٦٧. كتاب السير. باب ١٨ (ما جاء في قتل الأسارى والفداء) وقال الترمذي: (حديث حسن غريب)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ١٦٦، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٤أ، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٢٩، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٥٩ وزاد نسبة إخراجه للنسائي، ولم أهتد إليه في (سننه) المطبوعة.
وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٣٦٨ وزاد نسبة إخراجه لابن أبي شيبة، وابن مردوية.

(٤) في (ج): (بعدد).

(٥) قال الشوكاني - بعد إيراده لهذا الأثر عن علي ﷺ -: (ولكنه يشكل على حديث التخيير السابق؛ ما نزل من المعاتبة منه ﷺ لمن أخذ الفداء، بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنفال: ٦٧]، وما رُوي من بكائه ﷺ، هو وأبو بكر؛ ندمًا على أخذ الفداء. ولو كان أخذ ذلك بعد التخيير لهم من الله - سبحانه -، لم يعاتبهم عليه، ولا حصل ما حصل من النبي ﷺ، ومن معه من الندم والحزن، ولا صوَّب النبي ﷺ رأي عمر ﷺ؛ حيث أشار بقتل الأسرى، وقال ما معناه: لو نزلت عقوبة لم ينج منها إلا عمر). «فتح القدير» ١/ ٥٩٨-٥٩٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ يعني: مِنَ النَّصْرِ؛ مع طاعتكم النبي ﷺ، وترك النصر؛ مع مخالفتكم ما أُمرتم به. وقال ابن عباس[١]: يريد: على نَصْرِكُم، وعلى اتِّخاذِ الشهداءِ منكم، وتعجيلِ أوليائِهِ إلى الجَنَّةِ، قديرٌ.

١٦٦- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ دَخَلَتْ الفاءُ في ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[٢]؛ لأن خبر (ما) التي بمعنى (الذي)، يشبه جواب الجزاء؛ مِنْ جهة أنه مُعَلَّقٌ[٣] بالفعل الذي في الصِّلَةِ، كتعلُّقِهِ بالفعل الذي في الشَّرْط. وقد شرحنا هذه المسألة عند قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

ومعنى قوله: ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: قيل: بِعِلْمِ الله[٤]. وقال ابن عباس[٥]: يريد: فبقضاء الله. وهذا أَوْلَى؛ لأن الآية تَسْلِيَةٌ للمؤمنينَ مما أصابهم[٦]، ولا تَقَعُ التسليةُ إذا كان واقعًا بِعِلْمِهِ، وإنما تقع؛ إذا كان واقعًا بقضاء الله وقدره، فحينئذٍ يرضون بما قضى عليهم. وفي هذا دليلٌ على أن الكائنات كلَّها تقع على ما قضاه الله في الأزَلِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

١٦٧- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾ أي: لِيظْهرَ إيمان [المؤمنين][٧]،

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.
(٢) في (ج): (بإذن).
(٣) في (ج): (متعلق).
(٤) ممن قال ذلك الزجاج، في «معاني القرآن» ١/ ٤٨٨.
(٥) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده ابن الجوزي في: «زاد المسير» ١/ ٤٩٧.
(٦) في (أ): (أصابكم). والمثبت من: (ب)، (ج).
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

بِثُبُوتِهِمْ[١] على ما نالَهم، ويظْهرَ نفاق المنافقين، بِفَشَلِهم، وقِلَّةِ صبرِهِمْ على ما ينزلُ بهم.

وقد مضت نظائرُ لهذه الآية، وذكرنا معنى عِلْمِهِ فيما لا يزال، مع سبقِ عِلْمِهِ بالكائنات فيما لم يزل[٢].

وقوله تعالى: ﴿نَافَقُواْ﴾.

يقال: (نافق الرجلُ)، فـ(هو منافقٌ): إذا أظهر كلمةَ الإيمانِ، وأضمَرَ[٣] خِلاَفَهَا. و(النِّفَاقُ): اسمٌ إسْلامِيٌّ[٤].

واختلفوا في اشتقاقه:

---

(١) في (ب): (ثبوتهم).

(٢) انظر: «تفسير البسيط»، عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وانظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وتفسير: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

(٣) في (ج): (وأظهر).

(٤) يعني أن (النفاق) اصطلاح جاءت به الشريعة الإسلامية، ولم يكن معروفًا من قبل، وإن كان أصله في اللغةِ معروفًا. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٠٨ (نفق)، و«المزهر» ١/ ٣٠١.

وقد ذكر د. عودة أبو عودة في كتابه «التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن» ٢٦٦ أن (النفاق) بمعنى التَّلَوُّنِ والمخادعة قد عرف في الجاهلية، واستدل ببيت شعرٍ منسوب إلى طرفة، وهو:

وأما رِجَالٌ نافَقُوا في إخائِهم ولستُ إذا أحبَبْتُ حُرًّا أنافِقُه

ويفيد د. عودة أنَّ هذا البيت لم تتأكد نسبتُه لطرفة؛ كما يفيد شارح ديوانه، وإنْ ثَبَتَ فيدل على استخدام مصطلح (النفاق) في الجاهلية، ولكن لا على سبيل الشيوع والانتشار، ولا ينفي ذلك إسلامية هذا المصطلح.

قال أبو عبيد[(١)]: يقال (نافق اليَرْبُوعُ)[(٢)]، و(نَفَقَ)[(٣)]. وَ(نَافِقَاءُ اليربوع): أحَدُ جُحْرَيْهِ. وله جُحْرٌ آخر يقال له: (القاصِعَاء)، فإذا طُلِبَ مِنَ النافقاء، خرج[(٤)] من القاصعاء، وإذا طُلِبَ مِنَ القاصعاء، خَرَجَ[(٥)] مِنَ النافقاء، فقيل للمنافق: (مُنافِقٌ)؛ لأن يخرجُ مِنَ الإسلامِ مِنْ غير الوجه الذي دَخَلَ فيه؛ وذلك أنه دَخَلَ عَلاَنِيَةً وخرج سِرًّا.

وَحَكَى ابنُ الأنباري[(٦)] عن بعضهم: أن المنافقَ مِنَ (النَّفَق)، وهو: السَّرَبُ. ومعناه: أنَّه يَتَستَّرُ بالإسلام، كما يتستر[(٧)] الرجلُ في السَّرَبِ.

وقال قوم[(٨)]: هو مأخوذ من (النافقاء)، على غير الوجه الذي ذكره أبو عبيد، وهو: أن [النافقاء][(٩)] جُحْرٌ يَحْفِرُه اليَرْبُوعُ مِن داخلِ الأرض، فإذا بَلَغَ إلى جِلْدَةِ[(١٠)] الأرض، رَقَّقَ التُّرَاب، ولم يُتِمّ الحَفْرَ، حتى إذا رَابَهُ

---

(١) في «غريب الحديث» له ١/ ٣٨٢. نقله عنه بتصرف.

(٢) اليَرْبُوع: حيوان صغير على هيئة الجُرَذِ الصغير، وله ذنب طويل ينتهي بِخُصْلة من الشعر، وهو قصير اليدين، طويل الرجلين. والجمع: يَرَابيع. انظر (ربع) في: «الصحاح» ٢/ ١٢١٥، و«المعجم الوسيط» ١/ ٣٢٥.

(٣) يقال: (نَفَقَ، ونفَّق، وانتفق). انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٠٧ (نفق).

(٤) في (ب): أخرج.
وفي «غريب الحديث» قَصَّعَ فخرج من القاصعاء.

(٥) في (ب): (أخرج).

(٦) في «الزاهر»: ١/ ٢٣٠. نقله عنه بتصرف.

(٧) (بالإسلام كما يتستر): ساقط من (ج).

(٨) ذكر هذا ابن الأنباري في: «الزاهر» ١/ ٢٣٠ ونقله عنه المؤلف بتصرف.
وقائل هذا القول هو ابن الأعرابي، وقد نقل معنى قوله هذا الأزهري، في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٣٥ (نفق).

(٩) ما بين المعقوفين في (أ) (النا)، والمثبت من: (ب)، (ج)، ومصادر القول.

(١٠) في (ج): (جلد).

رَيْبٌ، دَفَعَ الترابَ بِرَأْسِهِ، فَخَرَجَ.

فقيل للمنافق: منافقٌ؛ لأنه يُضمر غير ما يُظهر؛ بمنزلة النافقاء، ظاهِرُهُ[1] غير بَيِّن، وباطِنُه محفور في الأرض.

قال ابن عباس[2]: ويريد[3] بـ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾: عبد الله بن أُبَي وأصحابه.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

قال السدّيُّ[4]، ومحمدُ بن إسحاق[5]: هذا حين انصرف عبد الله بن أُبَي، قبل أن يبلغ أُحُد، بثلاثمائة مِنْ جُمْلَةِ الأَلْفِ الذين خرج بهم رسولُ الله ﷺ، فقال لهم عبد الله بن عَمْرِو بن حرام - أبو جابر بن عبد الله -[6]: أُذَكِّرُكُم اللهَ أنْ تَخْذلوا نبيّكم وقومَكم، عندما حضر[7] عَدُوُّهُم[8]! ودعاهم إلى القتال في سبيل الله، فذلك قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، يعنى: قولَ عبد الله بن عمرو: تَعَالوا قاتلوا في سبيل الله.

---

(١) (ظاهره): ساقط من (ج).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) في (ج): (يريد) بدون واو.

(٤) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٨.

(٥) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧١-٨٢، والمصدر السابق: ٤/ ١٦٧-١٦٨.

(٦) الأنصاري. الصحابي الجليل، شهد العقبة وكان نقيبًا، وشهد بدرًا، واستشهد في أُحد، وصلى عليه النبي ﷺ.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٢٦ (١٦٣٣)، و«الإصابة» ٢/ ٣٥٠ (٤٨٣٨).

(٧) في (ب): (خبر).

(٨) في (ج): (عدوكم).
انظر خبر انصراف ابن أُبَيّ بمن معه في: «المغازي» للواقدي ١/ ٢١٩، ٣٢٥، و«الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٠٤، و«حدائق الأنوار» ٢/ ٥٢١.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾.

قال السدّي[١]، وابنُ جُرَيْج[٢]: ادفعوا عنّا العدُوّ[٣]؛ بِتَكثير[٤] سَوَادِنَا، إنْ لَمْ تُقَاتِلُوا معنا. وهذا اختيار الفرّاء؛ لأنه قال[٥]: لأنهم إذا كثروا دفعوا القومَ عنهم بكثرتهم.

وقال جماعةٌ من المفسرين[٦]: معناه: أو ادفعوا عن أهلكم وبلدكم وحرِيمكم. يعنى: إنْ لم تقاتلوا في سبيل الله، لأجلِ دِينِهِ[٧]، فقاتِلُوا للدَّفْع عن الأهل والمال. يقول: فافعلوا هذا، أو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾.

هذا جواب المنافقين لعبد الله بن عَمرو بن حَرَام.

قال محمد بن إسحاق[٨]: لَمَّا قال لهم عبد الله ما قال، قالوا: لو

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٦٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٤ب، و«زاد المسير» لابن الجوزي ١/ ٤٩٧.

(٢) قوله في المصادر السابقة.

وزاد ابن الجوزي نسبة هذا القول لابن عباس، والحسن، وعكرمة، والضحاك، وهو قول ابن قتيبة في: «تفسير غريب القرآن» ص١٠٨، والنحاس في: «معاني القرآن»: ١/ ٥٠٨.

(٣) في (ج): (العذاب).

(٤) في (ج): (وبتكثير).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٦. نقله عنه بتصرف.

(٦) منهم مقاتل في: «تفسيره» ١/ ٣١٢، ونسبه ابن الجوزي لابن عباس، من رواية أبي صالح عنه. انظر: «زاد المسير» ١/ ٤٩٨، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٤٧٤، والقرطبي ٤/ ٢٦٦.

(٧) في (ج): (دينكم).

(٨) قوله، في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٨٢. نقله عنه بتصرف.

نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكِنَّا لا نَرَى أنْ يكون قتال؛ يعنون: لا يكون اليوم قتالٌ، ولو نعلم أنه يكون لاتَّبعناكم؛ وأرادوا: أن انصرافَنَا؛ لِعِلْمِنَا بِأنَّ[1] الفريقين لا يقْتَتِلان. ونافقوا بهذا القول؛ لأنه كان في قلوبهم خلاف ما تكلموا به.

قالَ الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ يريد: أنَّهم [بما][2] أظهروا من خذلان المؤمنين عند الحرب، صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان؛ وذلك[3] أنهم قبل هذا، كانوا - بظاهر حالهم - أقرب إلى الإيمان، حتى هتكوا أنفسَهم عند مَنْ تخفى عليه حالُهم مِنَ المؤمنين، الذين كانوا يحسنون الظنَّ بهم. وفي هذا دليلٌ على أنَّ مَنْ أَتَى بكلمة التوحيد لم يكفر، ولم يُطْلَق القولُ بتكفيره؛ لأن الله تعالى لم يُطْلق القول بتكفيرهم، مع أنهم كانوا كافرين؛ لإظهارهم القولَ بـ(لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

وقوله تعالى[4]: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال المفسِّرون[5]: يعني: بإظهار الإيمانِ وإضمار الكفر.

وقال بعضهم[6]: يعني[7] قولَهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَٰكُمْ﴾، ولو

---

(١) في (ج): (أن).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ب). والمثبت من (ج).

(٣) من قوله: (وذلك ..) إلى (.. إلى الإيمان): ساقط من (ج).

(٤) (وقيل): بدلًا من: (وقوله تعالى).

(٥) لم أقف على من قال بهذا القول. وقد أورده الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤٣٥.

(٦) ممن قال ذلك الطبريُّ في «تفسيره» ٤/ ١٦٩.

(٧) في (ب) وردت هنا عبارة وهي: (إظهار الإيمان). وهي زيادة لا وجه لها.

عَلِمُوا ما اتَّبعوهم.

وذِكْرُ الأفواه - ههنا - زيادة للتوْكيد[١]؛ لأن القولَ قد يضاف إلى الإنسان، إذا كَتَبَ أو أشار به.

فأعْلَمَ اللهُ أنهم يقولون بألسنتهم؛ لِيُفَرِّقَ بين قول[٢] اللسان وقول الكتابة[٣].

١٦٨- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾.

في محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ثلاثةُ أوْجُهٍ:

أحدها: النصب على البدل من ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾[٤].

و[٥]**الثاني**: الرفع على البدلِ من الضمير في ﴿يَكْتُمُونَ﴾[٦].

الثالث: الرفع على خبر الابتداء، بتقدير: (هم الذين)[٧].

---

(١) في (ب): (للتأكيد).

(٢) قول: ساقط من (ج).

(٣) وذكر الماوردي فائدة للتقييد - هنا - بـ(أفواههم)، وهي: أنه (رُبما نُسِب القولُ للساكت مجازًا؛ إذا كان به راضيًا). «النكت» ١/ ٤٣٦.
وقال الزمخشريُّ: (وذكر الأفواه مع القلوب، تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود في أفواههم، معدوم في قلوبهم). «الكشاف»: ١/ ٤٧٨.
وقال السمين الحلبي - معلقًا على قول الزمخشري -: (وبهذا الذي قاله الزمخشري، ينتفي كونه للتأكيد؛ لتحصيله هذه الفائدة). «الدر المصون» ٣/ ٧٨.

(٤) وهناك وجهان آخران للنصب، هما: النصب على الذمِّ؛ أي: أذم الذين قالوا ..، أو بإضمار (أعني)، أو النصب على الصفة لـ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾.

(٥) الواو زيادة من (ج).

(٦) في (ج): (بلتون).

(٧) وهناك وجه ثالث، للرفع، وهو: أنه مبتدأ. والخبر: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ على تقدير: قل لهم فادرءوا.

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾: عبد الله بن أُبَيّ، وأصحابه[١].

وقوله: ﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾، أكثر المفَسِّرينَ[٢] على أنَّ المرادَ بِهِ شهداءُ أُحُد، قالوا فيهم: لو أطاعونا في القعود بالمدينة، والانصراف عن رسول الله ﷺ، بعد الخروج، ما قُتِلوا. وعلى هذا؛ المراد بـ(الأُخُوَّةِ) - ههُنا -: أُخُوَّةُ النَّسَبِ، لا أخوَّةُ الدِّين[٣].

أو نقول: يجوز هذا في إطلاق اللفظ، من حيثُ إنهم كانوا يظهرون المَوَدَّةَ والمؤاخَاةَ للمؤمنين.

فالمراد[٤] بقوله: ﴿قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾[٥]: قالوا في إخوانهم الذين قُتِلوا،

= ويجوز - كذلك - الجرُّ في موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾، إما على أنه بدل من الضمير في ﴿بِأَفْوَٰهِهِم﴾، أو من الضمير في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾.
انظر هذه الوجوه في: «إعراب القرآن» للنحاس ٣٧٧، و«مشكل إعراب القرآن»، لمكي ١/ ١٧٨، و«البيان» للأنباري ١/ ٢٣٠-٢٣١، و«التبيان» للعكبري ص٢١٩، و«الفريد في إعراب القرآن المجيد» ١/ ٦٥٨، و«الدر المصون» ٣/ ٤٧٩.

(١) هذا قول: جابر بن عبد الله، وابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن جريج، والربيع، ومقاتل، والماوردي.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣١٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦٩-١٧٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١١، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٨، و«الدر المنثور» ٢/ ١٦٧.

(٢) منهم: مقاتل، وابن إسحاق، والطبري، والثعلبي.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣١٢، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٤ ب.

(٣) قال مقاتل: (كقوله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١]، ليس بأخيهم في الدين ولا في الولاية، ولكنْ أخوهم في النسب والقرابة). «تفسيره» ١/ ٣١٣.

(٤) في (ج): (والمراد).

(٥) (قالوا): ساقطة من (ج).

لَوْ أطاعونا؛ لأنهم بعد أنْ قُتِلوا لا يُخَاطَبُون. ومثل هذا، قولُه: ﴿لَا[(١)] تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٥٦]. الآية. وقال الكلبي[(٢)]: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾][(٣)]؛ يعني: من[(٤)] المنافقين[(٥)].

وعلى هذا التفسير: لا إشكال؛ فإن أصحابَ عبد الله بن أُبَي قالوا لقرنائهم مَنَ المنافقين: لو أطاعنا[(٦)] هؤلاء - الذين خرجوا مع محمد - في القعود؛ ما قُتِلوا.

وقوله تعالى: ﴿وَقَعَدُواْ﴾ يعني: المنافقين، قعدوا عن الجهاد. والواو للحال[(٧)].

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾؛ يعنون: شهداء أُحُد. ﴿مَا قُتِلُواْ﴾.

فَرَدَّ الله عليهم، وقال: قل لهم يا محمد: ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ إنْ صَدَّقْتُم أنَّ الحَذَرَ ينفع مِنَ القَدَرِ.

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (ولا). والمثبت من رسم المصحف.
(٢) لم أقف على مصدر قوله.
(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).
(٤) (من): ساقطة من (ج).
(٥) ممن قال بهذا: ابن عباس، كما في «زاد المسير» ١/ ٤٩٨، وإليه ذهب أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣١٤.
(٦) في (ج): (أطاعونا).
(٧) قال السمين الحلبي: (و(قد) مرادة؛ أي: (وقد قعدوا). ومجيء الماضي حالًا بالواو و(قد)، أو بأحدهما، أو بدونهما، ثابت من لسان العرب)، ثم ذكر وجهًا آخر لإعراب جملة ﴿وَقَعَدُواْ﴾ وهي أنها معطوفة على ﴿قَالُوٓاْ﴾، فتكون جملة اعتراضية بين ﴿قَالُوٓاْ﴾ ومعمولها ﴿أَطَاعُونَا﴾. «الدر المصون» ٣/ ٤٨٠.

وفي هذا دليل على أن المقتول يُقْتَلُ بِأَجَلِهِ، وأنَّ[1] المُنَافِقِينَ كَذَبُوا في أنَّهم لو قعدوا ما قُتِلُوا.

ومعنى (الدَّرْء) - في اللغة -: الدَّفْعُ. ومنه قوله: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨]؛ أي: يدفع[2] وقوله ﷺ: «ادرءُوا الحُدُودَ بالشُّبُهاتِ»[3].

---

(١) في (ج): (فإن).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٠٨، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٦٩.

(٣) الحديث من الأحاديث المشهورة، وقد أورده السيوطي في «جمع الجوامع» ١/ ٢٨٤ رقم (٨٧٤) (٨٧٥)، وفي «الجامع الصغير» انظر: «فيض القدير» ١/ ٢٩٣ (٣١٤) ونسب إخراجه إلى ابن عدي في جزء له من حديث أهل مصر والجزيرة، من رواية ابن لهيعة عن ابن عباس، ونسب إخراجه كذلك إلى أبي سعد، عبد الكريم السمعاني، في «ذيل تاريخ بغداد»، بسنده عن عمر بن عبد العزيز، عن النبي ﷺ، مُرسلًا، ونسبه - كذلك - لأبي مسلم الكجِّي في سننه، عن عمر بن عبد العزيز مرسلًا.

وأورده الزركشي في: «المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر» ٣٦ رقم (٧٦)، وابن حجر في «التلخيص الحبير» ٤/ ٥٦ رقم (١٧٥٥)، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» ٥٠ رقم (٤٦) ونسبوا إخراجه للحارثيِّ، في «مسند أبي حنيفة» له، بسنده عن مِقْسم، عن ابن عباس، مرفوعًا.

ونقل المُناوي - في «فيض القدير» - قولَ الحافظ ابن حجر، عن رواية ابن عدي: (إن كان بين ابن عدي وابن لهيعة مقبولٌ، فهو حسن).

وقال الزركشي عن رواية أبي مسلم الكجي: إنها معضلة. ونقل السخاوي عن شيخه ابن حجر، أن في سنده من لا يعرف. وضعفه الألباني في: ضعيف «الجامع الصغير» ١/ ١١٧ رقم (٢٥٨).

وقد ورد الأثر موقوفًا على ابن مسعود من رواية سفيان الثوري، عن عصام، عن أبي وائل عنه، وكذا رواه مسدد في مسنده موقوفًا عليه، بلفظ: (ادرءوا الحدود بالشبهة). وقال عنه ابن حجر: (وهو موقوف حسن الإسناد). انظر: «فيض القدير»: ١/ ٢٩٤.

=

١٦٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾.

أكثر أهل التفسير على أن هذه الآية نزلت في شهداء أحد[1].

= وورد بلفظ: (ادرءوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم ..) أخرجه - من رواية يزيد بن زياد الدمشقي عن الزهري عن عروة عائشة -:

الترمذيُّ في «السنن» رقم (١٤٢٤) كتاب الحدود. باب: (ما جاء في درء الحدود)، وصحح الترمذيُّ وقفَهُ على عائشة، من رواية وكيع عن يزيد بن زياد، وقال: (وقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، أنهم قالوا مثل ذلك، ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣٨٤. وحكم عليه بالصحة. وتعقبه الذهبيُّ بأن فيه يزيد بن زياد، شامي متروك.

وأخرجه الدارقطني في «السنن» ٣/ ٨٤، والبيهقي في «السنن» ٨/ ٢٣٨، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٣١، والديلمي في «مسند الفردوس» ٨٢ رقم (٢٥٦).

وورد عن علي، بلفظ: (ادرءوا الحدود ..)، أخرجه الدارقطني في: «السنن»: ٣/ ٨٤، والبيهقي في «السنن» ٨/ ٢٣٨ وفيه المختار بن نافع منكر الحديث.

وورد عن أبي هريرة، بلفظ: (ادرءوا الحدود ما استطعتم ..) أخرجه: أبو يعلى في: مسنده. انظر: «نصب الراية» للزيلعي ٣/ ٣٠٩، و«الدراية» لابن حجر ٢/ ٩٥. قال الغماري: (وفيه إبراهيم بن الفضل، ضعيف). «الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج» للغماري ٢٥٦.

وانظر في الكلام على هذا الحديث بألفاظه المختلفة - إضافة إلى ما ورد من مصادر -: «كشف الخفاء»، للعجلوني ١/ ٧٣ رقم ١٦٦.

(١) ممن قال ذلك: ابن عباس، وابن مسعود، وجابر بن عبد الله، وقتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو الضحى، والربيع.

انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٠-١٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٢-٨١٣، و«زاد المسير» ١/ ٤٩٩، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٦٨-٢٦٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٦٠-٤٦٣.

وقيل: نزلت في شهداء بدر. وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣١٣.

وقيل: نزلت في شهداء بئر معونة. روى ذلك عكرمة عن إسحاق بن أبي طلحة عن =

روى ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: «**لَمَّا أُصِيبَ إخوانُكم يومَ أُحُد، جَعَلَ اللهُ أرواحَهم في أجواف طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجَنَّة، وتأكل مِنْ ثِمَارِها، وتَسْرَحُ مِنَ الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب تحت العرش، فَلَمَّا رأوا طِيبَ مَقِيلِهم[1] ومطعمهم ومشربهم، قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله ﷻ بنا؛ كي يرغبوا في الجهاد، فقال الله عز وجل: أنا مُخْبِرٌ عنكم، ومُبَلغ إخوانكم، فَفَرِحوا بذلك واستبشروا؛ فأنزل الله هذه الآية**»[2].

= أنس بن مالك. انظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ١٨٤-١٨٧، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٧٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٦أ، و«أسباب النزول»، للواحدي ص١٣٤، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٠، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٦٩.
وقيل: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا على الشهداء وقالوا: نحن في النعمة والسرور، وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور. فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ تنفيسًا عنهم، وإخبارًا عن حال قتلاهم. ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٧ب، والواحدي في «أسباب النزول» ص١٣٤ ولم يعزواه لقائل.
وانظر الروايات في أسبابها في: «الدر المنثور» ٢/ ١٦٩، و«فتح القدير» ١/ ٦٠٠-٦٠١، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٦٣.

(١) المقيل: هو النوم وقت القائلة، وهو: نصف النهار. يقال: (قال قَيْلا، وقائلة، وقَيْلُولة، ومَقَالا، ومَقِيلا). انظر: «القاموس» ١٣٥٩ (قيل).

(٢) الحديث، أخرجه: أبو داود في «السنن» رقم (٢٥٢٠) كتاب الجهاد. باب فضل الشهادة، وأحمد في «المسند» (شرح الشيخ شاكر) ٤/ ١٢٣، ١٢٤ رقم (٢٣٨٨، ٢٣٨٩)، وهنّاد بن السري في «الزهد» ١/ ٢٣٤ رقم (١٥٦)، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٧٠-١٧١، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٧-٢٩٨. وقال: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٥أ، والواحدي في «أسباب النزول» ص١٣٢، والبيهقي في «السنن» ٩/ ١٦٣، وأورده التبريزي في «مشكاة المصابيح» ٢/ ١١٣١ رقم (٣٨٥٣)، وابن كثير في «تفسيره» =

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: (بل هم أحياءٌ)، فهو رَفْعٌ بالابتداء. وخبره: قوله[1]: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2]. قال أبو إسحاق[3]: ولو قُرِئ: (أحياءً)[4] - بالنصب -، لجاز[5]؛ على معنى: بل احسبهم أحياءً[6].

قال أبو علي الفارسي[7]: لا يجوز ذلك؛ لأنه أَمْرٌ بالشَّكِّ، ولا يجوز أنْ يَأْمُرَ[8] الله[9] بالشك، ولا يجوز أن نتأول[10] في (الحِسْبَانِ)

= ١/ ٤٢٧ وزاد نسبة إخراجه لسفيان الثوري، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (انظر: «صحيح الجامع الصغير» للألباني ٢/ ٩٢٤ رقم (٥٢٠٥) وصححه)، وأورده في «الدر المنثور» ٢/ ١٦٨ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل».

(١) (قوله): ساقط من (ب).

(٢) ف ﴿أَحْيَآءٌ﴾ خبر لمبتدأ مقدر هو (هم)، وجملة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر ثانٍ للمبتدأ المقدر. وقيل: إنها في محل رفع صفة لـ ﴿أَحْيَآءٌ﴾، وقيل في إعرابها غير ذلك. انظر: «الدر المصون»: ٣/ ٤٨٣، و«روح المعاني» ٤/ ١٢٢.

(٣) في «معاني القرآن»، له ١/ ٤٨٨ . نقله عنه بمعناه.

(٤) في (ج): (أحيا). وهكذا رسمت في (ج) فيما بعدها مما سيأتي منها. وقد قرأها بالنصب ابن أبي عبلة. انظر: «البحر المحيط» ٣/ ١١٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٨أ، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٤١٧.

(٥) أي: لجاز من الناحية النحوية، لا من ناحية جواز القراءة بها.

(٦) وإليه ذهب الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٤٧٩.
وهناك توجيه آخر للنصب، وهو: العطف على ﴿أَمْوَٰتًاۢ﴾، كما تقول: (ما ظننت زيدًا قائمًا بل قاعدًا). انظر: «التبيان» للعكبري ١/ ٣٠٩.

(٧) في «الإغفال» ١/ ٥٠٩. نقله عنه بمعناه.

(٨) في (ج): (يأمرك).

(٩) (لفظ الجلالة): ليس في (ج).

(١٠) ورد في (ب) بعد قوله: (نتأول) عبارة: (هذا أن). وهي زيادة لا وجه لها.

معنى العِلْم، على أن يكون معنى (احسبهم أحياء): اعلمهم؛ لأن ذلك لم يذهب إليه [أحدٌ من أهل][١] اللغة[٢].

واختلفوا في كيفية حياة الشهداء: فالأصح ما ذكرنا عن النبي ﷺ، أن أرواحهم في أجواف طير خضر، وأنهم يُرزقون ويأكلون ويتنعمون.

وقال جماعة من أهل العلم[٣]: معنى قوله: ﴿أَحْيَآءٌ﴾: أن أرواحهم أُحْضِرَتْ دارَ السَّلام، وأرواح غيرهم لا تشهدها[٤] إلى يوم البعث.

وقال آخرون[٥]: لا تحسبهم أمواتًا في الدين والإيمان؛ بل هم[٦] أحياء، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]. [وهذا الوجه][٧] اختيار أبي إسحاق[٨].

---

(١) ما بين المعقوفين مطموس في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج).

(٢) قال أبو حيان - بعد أن ذكر قول الفارسي -: (وهذا الذي ذكره هو الأكثر، وقد يقع (حسب) لليقين؛ كما تقع (ظن)، لكنه في (ظن) كثير، وفي (حسب) قليل). ثم ذكر شواهد شعرية على ذلك. «البحر المحيط» ٣/ ١١٣، وانظر: «الدر المصون» ٣/ ٤٨٢.

(٣) لم أقف عليهم.

(٤) في (ج): (يشهدها).

(٥) ممن قال ذلك: الأصم البَلْخي؛ كما في «تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٩٥ .
والأصم، هو: حاتم بن عنوان الأصم، زاهد اشتهر بالورع والتقشف، من أهل بَلْخ، زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل، توفي ٢٣٧هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي ٢/ ١٥٢.
وقد ذكر هذا القول الزجاج في «المعاني» ١/ ٤٨٨، والثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٨أ، ولم يعزواه لقائل.

(٦) (هم): ساقط من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين: مطموس في (أ). وفي (ج): (في هذا). والمثبت من (ب).

(٨) سياق أبي إسحاق لهذا القول لا يدل على اختياره له؛ حيث أورده مصدِّرًا له بقوله: (قال بعضهم: ..) ولم يعقب عليه. وأتبعه بأقوال أخر في الآية.

وقيل[١]: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش، إلى يوم القيامة، كأرواح الأحياء من المؤمنين الذين باتوا على الوضوء[٢].

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: بحيث لا يملك لهم أحدٌ نفعًا ولا ضرًّا؛ إلّا[٣] الله ﷻ.

---

(١) لم أقف على القائل. وقد أورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٤٨أ، وأورد الأقوال السابقة وغيرها، ولم يعزها لقائل. وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٧٠.

(٢) (أ)، (ب): (تابوا على الوضو)، وفي (ج): (ماتوا على الوضو). والمثبت من: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٨ أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٧٠؛ حيث ورد فيهما هذا القول.

والأثر في هذا المعنى أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» ٤٤١ رقم (١٢٤٥) بسنده المتصل من طريق ابن لهيعة (قال: حدثنا عثمان بن نعيم الرعيني، عن أبي عثمان الأصبحي، عن أبي الدرداء، قال: إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها إلى العرش، فإن كان طاهرًا أذن لها بالسجود، وإن كانت جنبًا لم يؤذن لها بالسجود).

وأورد هذا الأثر الحكيمُ الترمذي في «نوادر الأصول» ٢/ ٣٥٦، موقوفًا على أبي الدرداء، ولفظه: (إن النفوس تعرج إلى الله - تعالى - في منامها، فما كان طاهرًا سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر تباعد في سجوده، وما كان جنبًا لم يؤذن لها في السجود).

وأورده ابن القيِّم في كتاب «الروح» ٤٤ موقوفًا على أبي الدرداء من طريق ابن لهيعة. وأورد الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٢/ ٣٥٥ عن عبد الله بن عمرو، قال: (تعرج الأرواح إلى الله - تعالى - في منامها، فما كان طاهرًا يسجد تحت العرش، وما لم يكن طاهرًا يسجد قاصيًا، فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر).

وذكر المعنى الغزاليُّ في «الإحياء» ١/ ٣٤٣ وزاد العراقي في «تخريج الإحياء» نسبته إلى البيهقي في «الشُّعَب» موقوفًا على عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٣) في (ج): (لأن).

والثاني: هم أحياء عند ربهم؛ أي: في عِلْمِهِ بِعَمَلِهِم، - كذلك - كما تقول: (هذا عند الشافعي كذا)؛ أي: في عِلْمِهِ وقولِه.

وقيل[١]: معنى ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أنهم أحياء في دار كرامته، فمعنى (عند): معنى القرب والإكرام، بحضور دار السلام.

١٧٠- وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ الاستبشار: السرور بالبِشَارَةِ[٢] يُبَشَّرُ بها. وأصل الاستفعال: طَلَبُ الفعل. فالمستَبْشِر بمنزلة الذي طَلَبَ السُّرُورَ فوجده بالبِشَارَةِ[٣].

وفي هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء، يقولون: إخواننا يُقْتَلُونَ كما قُتِلْنَا، فَيُصِيبونَ مِنْ كَرَامَةِ الله ما أَصَبْنَا. وهذا قول:

---

(١) لم أقف على القائل.

(٢) في (ج): (بمنزلة البشارة). بدلًا من (السرور بالبشارة).

(٣) يرى ابن عطية أن (استفعل) - هنا - ليس بمعنى: طلب البشارة، بل بمعنى الفعل المجرد، مثل: (استغنى الله) أي: غَنيَ.
وقد ورد في اللغة: (بَشِرَ، واستبشر)، بمعنى واحد، وهو: فَرِح.
إلا أن أبا حيان يرى أن هذا المعنى لا يتعين، وأجاز أن يكون (استبشر) فعلًا مطاوعًا لـ (أبشر)؛ أي: أبشره الله، فاستَبْشَر؛ كقولهم: (أكانه الله فاستكان)، و(أراحه فاستراح). واستظهر أبو حيان هذا؛ لأن المطاوعة تدل على الانفعال عن الغير، فحصلت له البشرى بإبشار الله له بذلك، ولا يلزم المعنى إذا كان بمعنى الفعل المجرد لعدم دلالته على المطاوعة.
انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٢١، و«لسان العرب» ١/ ٢٨٧ (بشر)، و«البحر المحيط» ٣/ ١١٥.

الحَسَن[١]، وابن جريج[٢]، وقتادة[٣]، واختيار الفرّاء[٤]؛ فإنَّهُ قال: وَيَسْتَبْشِرُونَ بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، للذي[٥] رَأَوا مِنْ ثوابِ الله، فهم يستبشرون بهم.

والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم في الفضل؛ لأنهم لم يُقْتَلُوا في سبيل الله، إلا أنّ لهم فضلًا عظيمًا بتصديقهم النبي [ﷺ][٦]، وإيمانهم بالله، عَلِمُوا ذلك بإعلام الله إيَّاهم، [أن][٧] أولئك الإخوان الذين خَلَّفُوهم في الدنيا، هم مرحومون عند الله، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فالشهداء يفرحون بذلك ويستبشرون. وهذا القول، اختيار أبي إسحاق[٨].

القول الثالث: ما قاله السُدِّي[٩]: وهو أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٤، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٧.

(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٤، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٢.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٧. نقله عنه بتصرف يسير.
وهو - كذلك - قول: الربيع، وابن إسحاق، وابن زيد. أخرجه عنه الطبري وذهب إليه. انظر: «تفسيره» ٤/ ١٧٤-١٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٤-٨١٥.

(٥) في (ج): للذين.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٩. ونسبه الفخر الرازي - كذلك - لأبي مسلم الأصفهاني. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٩/ ٩٧.

(٩) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٤٩ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٧، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٢.

ذِكْرٌ[١] مَنْ يَقْدَمُ[٢] عليه من إخوانه، فَيُقَال: يَقْدَمُ[٣] عليك فلانٌ يومَ كذا، وفلانٌ يوم كذا، فَيَسْتَبْشِرُ[٤] بهم حين يقدمون عليه، كما يستبشر أهلُ الغائب بقدومه في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[٥] موضع (أنْ): خفض؛ لأن المعنى: بأنْ لا خوفٌ عليهم. هذا قول الخليل[٦]، والكسائي[٧]، والزجاج[٨].

---

(١) من قوله: (فيه ذكر ..) إلى (.. عليك فلان): ساقط من (ج).

(٢) في (ب): (تقدم).

(٣) في (ب): (تقدم).

(٤) في (ج): (فيستبشرون).

(٥) (ألا): كتب في (أ)، (ب)، (ج): (أن لا). وأثبتُّها وفق رسم المصحف.

(٦) انظر مذهبه في «معاني القرآن»، للزجاج ١/ ٣٠٩ عند تفسير ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ [البقرة: ٢٣].

(٧) انظر مذهبه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤٨، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٩.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٩.

وقد ذكر الزجاج - موضحًا مذهب الكسائي والخليل - عند قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: ٢٣]، أن موضع ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ خفض على إسقاط (في)، ومعنى إرادتها في الكلام.. ثم قال: والحذف مع (أن) سائغ؛ فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضع جرٍّ على إرادة (في). «المعاني» ١/ ٣٠٩.

وعلى غرار هذا المثال يأتي قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ على إرادة الباء، فتصير: (بأن لا خوف ..) كما ذكر المؤلف.

وتعرب - كذلك - بدل اشتمال من (الذين)؛ أي: يستبشرون بعدم خوفهم وحزنهم، لأنه هو المستبشر به في الحقيقة، أما الذوات فلا يستبشر بها.

انظر: «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج ٢/ ٥٨١، و«البحر المحيط» ٣/ ١١٥، و«الدر المصون» ٣/ ٤٨٦.

ويجوز أن يكون نصبًا، على أنَّه لَمَّا حُذف الجارُّ، نُصبَ بالفعل، كما قال:

أمـرتـك الـخـيـرَ ....(١).

أي: بالخير. وهذا هو القياس(٢). وقد مضت هذه المسألة فيما تقدم.

١٧١- قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية.

---

(١) مقطع من بيت شعر، وتمامه:

أمَرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أمِرْتَ به   فقد تَرَكْتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَبِ

وقد اختلف في نسبته، فنسب لعمرو بن معديكرب، ولخُفاف بن نُدْبة، ولزرعة بن خفاف، وللعباس بن مرداس، ولأعشى طرود. فقد ورد في: «شعر عمرو بن معديكرب» ٦٣. ونسبته له المصادر التالية: «كتاب سيبويه» ١/ ٣٧، و«الأصول في النحو» ١/ ١٧٨، و«المخصص» ١٤/ ٧١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٥٥٨، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٢٧، و«الخزانة» ٩/ ١٢٤.

وورد في: «شعر خفاف بن ندبة السُّلمي» ١٢٦.

ونسب لزرعة بن خفاف. انظر: «خزانة الأدب» ١/ ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣.

وورد في «ديوان العباس بن مرداس» ١٣١.

ونسب لأعشى طرود في: «المؤتلف والمختلف» للآمدي ١٧، و«الخزانة» ١/ ٣٤٢، ٣٤٣.

وروايته عند الآمدي: (أمرتك الرُّشْد ..) وقال الآمدي: (ويروى: بالسين المهملة)؛ أي: (وذا نسب).

وورد غير منسوب في: «الكامل» للمبرد ١/ ٣٣، و«المقتضب» ٢/ ٣٦، ٨٦، ٣٢١، و«اللامات» ١٣٩، و«المحتسب» ١/ ٥١، ٢٧٢، و«الإفصاح» للفارقي ١٢٧، ٢٧٠، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٣٣، و«شرح المفصل» ٢/ ٤٤، ٨/ ٥٠، و«البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٤٢٦، و«شرح شذور الذهب» ٤٤٣.

والنشب: المال الأصيل، المنقول منه والثابت. انظر (نشب) في: «القاموس» ١٣٧، و«المعجم الوسيط» ٩٢٨.

(٢) أو إنها مفعول لأجله، بتقدير: لأنهم لا خوف عليهم. انظر: «التبيان» ص ٢٢٠.

يُقرأ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتح والكسر[(١)]. فمن فتحها[(٢)]: جعلها خفضًا، على معنى: (وَبِأَنَّ الله)، فـ(أَنَّ) معطوفة على الباء في ﴿بِنِعْمَةٍ﴾؛ والمعنى: يستبشرون بتوفير نِعْمَةِ الله عليهم، ووصول أجرهم إليهم؛ لأنه إذا لم يُضِعْهُ[(٣)]، وَصَلَ إليهم.

ومَنْ[(٤)] كَسَرَها: استأنف، وهو يَؤُولُ إلى معنى القراءةِ الأولى؛ لأنه إذا لم يُضِعْهُ وَصَلَ إليهم. والأول أشد إبانة لهذا المعنى.

١٧٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية.

[قال المفسرون[(٥)]: لما انصرف أبو سفيان][(٦)] وأصحابه من أحد، ندموا على انصرافهم، وتلاوموا فيما بينهم، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا [لم يَبْقَ إلا الشَّرِيدَ تركتموهم؟][(٧)] ارجعوا فاستأصِلُوهم. فَبَلَغَ ذلك رسول الله ﷺ، فأراد أن يرهب العَدُوَّ، ويريهم من نفسه وأصحابه [قُوَّةً؛ فَنَدَبَ][(٨)] أصحابَهُ للخروج

---

(١) قراءة ﴿وَإِنَّ﴾ - بكسر الهمزة - للكسائي. وقرأ الباقون: بفتحها ﴿وَأَنَّ﴾. انظر: كتاب «القطع والائتناف» للنحاس ٢٤٠، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٩٨، و«النشر» ٢/ ٢٤٤، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨٢.

(٢) قوله: (فمن فتحها ..) إلى (.. لهذا المعنى): نقله بتصرف واختصار عن «الحجة» للفارسي ٣/ ٩٨-٩٩.

(٣) (يضعه): غير واضحة في (أ). والمثبت من: (ب)، (ج)، و«الحجة».

(٤) من قوله: (ومن..) على (.. وصل إليهم): ساقط من (ج).

(٥) منهم: عكرمة، وابن إسحاق، وقتادة، والسدي، وابن جريج، والحسن. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٧٦-١٧٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٥-٨١٧، و«أسباب النزول»، للواحدي: ص١٧٢-١٧٣.

(٦) ما بين المعقوفين: بياض في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٧) ما بين المعقوفين: بياض في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

(٨) ما بين المعقوفين: بياض في (أ). والمثبت من (ب)، (ج).

في طلب أبي سفيان، فانتدب عِصَابَةٌ منهم، مع ما[(١)] بهم من الجرح الذي أصابهم يوم أحد، فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، حتى بلغوا حَمْرَاءَ الأسد - وهي مِنَ المدينة على ثمانية أميال[(٢)] -، وألقى[(٣)] الله ﷻ الرعبَ في قلوب المشركين، فانهزموا من غير حَرْبٍ؛ فذلك قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(٤)].

ومحل ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خَفْضٌ، على النعت للمؤمنين[(٥)]. قال الزجّاج[(٦)]: والأحسن أن يكون في موضع رَفْعٍ، على الابتداء، و[(٧)] يكون خبر الابتداء[(٨)]: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ على آخر الآية[(٩)].

و﴿ٱسْتَجَابُواْ﴾؛ بمعنى: أجابوا[(١٠)]. وقد مَرَّ[(١١)].

---

(١) في (ج): (معما).

(٢) قال ابن سعد في: «الطبقات الكبرى» ٢/ ٤٩: (وهي من المدينة على عشرة أميال، طريق العقيق، متياسرة عن ذي الحُليفة، إذا أخذتها من الوادي).

(٣) في (ج): (فألقى).

(٤) انظر: «المغازي» للواقدي ١/ ٣٣٤-٣٤٠، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٤-٧٥، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد ٢/ ٤٨-٤٩، و«تاريخ الطبري» ٢/ ٥٣٤، و«البداية والنهاية» ٤/ ٥٠٤.

(٥) في (ب): (من للمؤمنين).

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٩، نقله عنه بتصرف.

(٧) (أ)، (ب): (أو). وساقط من (ج). والمثبت من: «معاني القرآن».

(٨) (ويكون خبر الابتداء): ساقط من (ج).

(٩) وفيه وجوه أخرى من الإعراب:
أنه خبر لمبتدأ مضمر، تقديره: (هم الذين)، أو إنه منصوب بإضمار أعني، أو أنه بدل من ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو من ﴿الذين لم يلحقوا لهم﴾. انظر: «الدر المصون»: ٣/ ٤٨٨.

(١٠) في (أ)، (ب): (جابوا). والمثبت من (ج). وهو الصواب؛ لأن (جابوا) لا وجه لها - هنا - لأنها بمعنى: خرقوا. يقال: (جاب الشيء جَوْبا)، و(اجتابه): خرقه. و(جاب يجوب جَوْبا): قطع وخرق انظر: «اللسان» ٢/ ٧١٧ (جوب).

(١١) انظر: تفسير الآية ١٨٦ سورة البقرة.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ أي: بطاعة رسول الله، وإجابته إلى ما دعاهم إليه، واتَّقوا معصيتَهُ ومخالفته.

١٧٣- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية.

قال المفسِّرُون: إنَّ أبا سفيان يوم أحد، حين أراد أن ينصرف، قال: يا محمد! موعِدُ ما بيننا وبينك موسمُ بَدْرٍ الصُّغْرَى[1]، لِقابِل، إنْ شِئْتَ.

فقال[2] رسول الله ﷺ[3]، (ذلك بيننا [وبينك][4]، إن شاءَ الله). فَلَمَّا كان العام المقبل، خرج أبو سُفيان في أهل مَكَّةَ، حتى نزل [مَجَنَّة][5]، ثم ألقى اللهُ الرُّعْبَ في قَلْبِهِ. فَبَدَا له الرجوع، فلقي نُعَيْمَ بنَ مَسْعُود الأشجَعِي[6]، فبعثه أبو سفيان، وقال: ثَبِّطْ[7] عنّا مُحَمَّدًا، وخَوِّفْهُ حتى

---

(١) وتسمى هذه الغزوة - كذلك - بغزوة بدر الثانية، والآخرة، والموعد.
و(بدر) هو نفسه المكان الذي وقعت فيه معركة بدر الكبرى، أو الأولى. وقد حدد المشركون هذا المكان للقاء رسول الله ﷺ؛ انتقامًا لقتلاهم الذين قتلهم المسلمون في هذا الموضع في معركة بدر الأولى.
انظر أخبار هذه الغزوة في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٢١-٢٢٢، و«المغازي» ١/ ٣٨٤.

(٢) في (ج): (وقال).

(٣) (رسول الله ﷺ): ليس في: (ج).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وفي (ب): (جنة). والمثبت من (ج)، ومصادر الخبر.
ومَجَنَّة: موضعٌ، كان سوقًا للجاهلية، يقع بناحية مرِّ الظهران، قرب جبل يقال له الأصفر، على بعد مسافة من مكة. وقيل في تحديد موقع مجنة غير ذلك.
انظر: «معجم ما استعجم» ٤/ ١١٨٧، و«معجم البلدان» ٥/ ٥٨.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) في (ج): (نسط).

لا[1] يلقانا ببدر الصغرى. ولأن يكونَ الخُلْفُ مِنْ قِبَلِهِم، أحبّ إليّ مِنْ أنْ يكون مِنْ قِبَلي. فأتاهم نُعَيْمُ [وخَوَّفَهم][2]، فوجدهم يتجهزون لميعاد أبي سفيان، فقال: قد أَتَوْكُم في بلدكم، وصنعوا بكم ما صنعوا، فكيف بكم إذا وَرَدْتُم عليهم في بَلْدَتِهِم، وهم أكثر، وأنتم أقل؟

وهذا قول: مجاهد[3]، ومقاتل[4]، وعكرمة[5]، والواقدي[6]، والكلبي[7].

فـ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على قول هؤلاء، في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: هو نُعَيم ابن مسعود. وهو من العَامِّ الذي أريد به الخاصُّ. وهذا[8] اختيار الفرّاء[9] والزجّاج[10] أن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ - في هذا الموضع[11]-: واحدٌ. وجاز ذلك؛

---

(١) (لا): ساقطة من (ج).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٣) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨١، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٣أ، و«الدر المنثور» ٢/ ١٨١ وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) قوله في «تفسيره» ١/ ٣١٥.

(٥) قوله في: «تفسير سفيان بن عيينة» ٢٣٠، و«تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٠، و«سنن سعيد بن منصور» ٢/ ٣٢٧ رقم (٢٩١٤)، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٨١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٣أ، و«الدر المنثور» ٢/ ١٨١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٦) قوله في «المغازي» ١/ ٣٢٧.

(٧) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره القرطبي في «تفسيره» ٤/ ٢٧٩.

(٨) من قوله: (وهذا..) إلى (.. وجاز ذلك): ساقط من (ب).

(٩) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٧.

(١٠) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٨٩. وبه قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ٢٨٢.

(١١) في (ج): (القول).

لأن هذا القول[١] جاء من قِبَل الناس، فوُضِعَ كلامٌ موْضِعَ كلامٍ؛ للإيجاز[٢]؛ وذلك أن نُعَيْمًا[٣] ابتدأ بقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾، ثم انتشر هذا القولُ، وخاضَ فيه الناسُ، وتكلم به كلُّ[٤] أَحَدٍ، و- أيضًا - فقد يُطْلَقُ لفظُ (الناس) على الواحد، كما تقول - إذا انتظرت قومًا، فجاء واحدٌ منهم -: (قد جاءَ الناسُ)؛ إمَّا لتفخيم الشَّأْنِ، وإمَّا لابتداء الإتيان.

وقال ابن عباس[٥]، ومحمد بن إسحاق[٦] - في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ -: هم[٧] رَكْبٌ مِنْ عَبْد القيس، مَرُّوا بِأَبِي سفيان، فَدَسَّهم[٨] على المسلمين لِيُجَبِّنُوهم[٩] عنه، وَضَمن على ذلك لهم جُعْلًا[١٠].

---

(١) (واحد وجاز ذلك لأن هذا القول): ساقط من (ج).

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): الإيجاز. والمثبت هو ما استصوبته.

(٣) في (ب): (فيهما).

(٤) كل: ساقطة من (ج).

(٥) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٠.

(٦) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٥، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٨٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٨.

(٧) هم: ساقطة من (ج).

(٨) هكذا في (أ)، (ب)، (ج). وقد تكون (فندبهم)، وهي أولى وأنسب للمعنى.

(٩) في (ب): (ليجيبوهم).

(١٠) الجُعْل، والجِعال، والجُعالة، والجَعالة، والجعيلة: هو ما جُعل من عطاءٍ على عملٍ، وهو أعم من الأجرة والثواب. والجمع: جُعُل، وجعائل. انظر: (جعل) في: «اللسان» ٢/ ٦٣٧، و«التاج» ١٤/ ١٠٩.

وما ذكره ابن عباس، وابن إسحاق - هنا - يعنيان به ما حدث عند خروج النبي ﷺ، وأصحابه في طلب أبي سفيان والمشركين، بعد انصرافهم من أحد إلى حمراء الأسد، وكان المشركون قد عزموا على الكَرَّة على المسلمين لاستئصالهم، فلما أن علموا بخروج رسول الله ﷺ، في إثرهم، فَتَّ ذلك في عَضُدِهِم، وحينها =

وقال السُّدِّي[(١)]: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ههنا هم: المنافقون؛ قالوا للمسلمين حين تجهزوا للمسير إلى بدر، لميعاد أبي سفيان: قد أتوكم في دياركم، فقاتلوكم[(٢)] وظَفَرُوا[(٣)]؛ فإنْ أتيتموهم في ديارهم لا يَرْجِعُ منكم أَحَدٌ.

ومحل ﴿ٱلَّذِينَ﴾: رَفْعٌ أو خَفْضٌ، على ما ذكرنا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ [آل عمران: ١٧٢] لأن هذا بدل منه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابَه.

وقوله[(٤)]: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ أي: زادهم قولُ الناس لهم إيمانًا. أضمر المصدر، وأسند الفعل إليه. ومثله: قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]؛ أي: ما زادهم[(٥)] مجيءُ النذيرِ. ومثله: قوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]؛ أي: ما زادهم رؤيتُهم لهم.

= طلبوا من الركب من (عبد القيس) الذين مروا بهم مبتغين المدينة للمِيرَة أن يهوِّلوا من أمر جيش المشركين، ويثَبِّطوا المسلمين عن لقائهم.
وهذا ما رجحه الطبري في «تفسيره» ٤/ ١٨٢، وقال ابن عطية: (وهذا هو تفسير الجمهور لهذه الآية، وأنها في غزوة أحد في الخرجة إلى حمراء الأسد)، واستصوبه. «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٢٦. ورجحه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٦٣.
وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ١٣٤-١٣٥.

(١) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٤ ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٧٩، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٥.

(٢) (فقاتلواكم): ساقطة من (ج).

(٣) في (ج): (فطفروا).

(٤) (أ)، (ب): (وقولهم)، والمثبت من (ج).

(٥) في (ج): (ما جاهم).

ومثله مِنْ إضمار المصدر لِدِلالَةِ الفعلِ عليه كثيرٌ.

ومعنى قوله: ﴿إِيمَـٰنًا﴾: قال ابن عباس[١]: أي: تصديقًا ويقينًا.

وقال أبو إسحاق[٢]: أي: فزادهم ذلك التخويف ثبوتًا في دينهم، وإقامة على نُصْرة نبيهم.

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [أي: الذي[٣] يكفينا أمرَهم: اللهُ.

قال ابن الأنباري[٤]: معنى قوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾][٥]: كافينا الله، وأنشد:

إذا كانت الهيجاءُ وانْشَقَّتِ العَصَا   فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ[٦]

قال: معناه: يكفيك ويكفي الضحاكَ[٧].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٠، نقله عنه بنصِّه.

(٣) (الذي): ساقطة من (أ)، (ب). وفي (ج): الذي. والمثبت هو ما استصوبته.

(٤) في «الزاهر» ١/ ٩٦. نقله عنه باختصار.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) البيت، نُسِب لجرير في «ذيل الأمالي» ١٤٠. ولم أقف عليه في ديوانه.
ونُسِب لِلَبِيد في: «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج ٣/ ٨٧٠، ولم أقف عليه في ديوانه. وورد غير منسوب في: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤١٧، و«الأصول في النحو» ٢/ ٣٧، و«جمهرة اللغة» ٢/ ١٠٤٧، و«الزاهر» ١/ ٩٦، و«التهذيب» ١/ ٨١٠، و«التكملة» للفارسي ٣٢٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٢٩ (عصا)، و«المخصص» ١٦/ ١٤، و«سمط الآلىء» ٨٩٩، و«شرح المفصل» ٢/ ٥١، و«اللسان» ٢/ ٨٦٥ (حسب)، ٨/ ٤٧٣٢ (هيج)، ٥/ ٢٩٨١ (عصا)، و«مغني اللبيب» ٧٣١، و«المقاصد النحوية» ٣/ ٨٤، ٢/ ١٣٦.
الهَيْجاء، والهَيْجا، والهَيْج، والهِياج: الحرب. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٣٢ (هيج).
(انشقت العصا): أي: وقع الخلاف. انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٤٢٨ (عصا).

(٧) نقل في «لسان العرب» عن ابن بَرِّي معنًى آخر، فقال: (الواو في قوله: =

ومثله[١] قولُ امرىء القَيْسِ:

وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ ورِيٌّ[٢]

أي: يكفيك الشِبَعُ والرِيُّ.

ويقال: (أَحْسَبَني الشيءُ، إحْسابًا): إذا كفاني[٣]. فـ(حَسْبُ) مأخوذٌ من (الإحْساب)، وهو: الكِفَايَة. وهو اسمٌ فيه معنى الفعل؛ ألا ترى أنه يُعْطَفُ على المَكْني المتصل به بالنصب، كقوله: (فَحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ)، على معنى: يكفيك. ومثله: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أي: الموكول إليه الأمور. (فَعِيل)

= (والضحاك) بمعنى الباءَ، وإن كانت معطوفة على المفعول، كما تقول: (بعت الشاءَ شاةً ودرهمًا)؛ لأن المعنى: أن الضحاك نفسه هو السيف المُهنَّد، وليس المعنى: يكفيك ويكفي الضحاك سيفٌ مهنَّدٌ كما ذكر). «اللسان» ٥/ ٢٩٨١ (عصا). ولكن المعنى الأوَّل الذي ذكره المؤلفُ هو الأوضح والأشهر.

(١) في (ج): ومنه. وفي «الزاهر»: (ومن ذلك).

(٢) عجز بيت، وصدره:

فَتُوسِعُ أهلَها أقِطًا وَسَمْنًا

وهو في «ديوانه» ص١٧١. وقد نسب له - كذلك - في: «الزاهر» ١/ ٩٦، و«الأمالي» للقالي ٢/ ٢٦٢، و«اللسان» ٨/ ٤٨٣٥ (وسع)، ٤/ ٢١٠٤ (سمن). وورد غير منسوب في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٧أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٢. وقد ورد في بعض المصادر: (فتملأ بيتنا أقطًا ..).

والأقِط: شيء يصنع من اللبَن المخيض، على هيئة الجبن.

والشاعر - هنا - يتحدث عن (مِعْزى)، تَدُرُّ الحليب، وتوسع أهلها بالأقط، والسَّمِن.

(٣) يقال: (أحسبني الشيءُ إحسابًا)، وهو (مُحسِبٌ): إذا كفاني. انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ٤٩، و«الزاهر» ١/ ٩٦، و«الأمالي» للقالي ٢/ ٢٦٢. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤١٧.

بمعنى: (مَفْعُول)[١].

قال ابن الأنباري[٢]: والعربُ تتكلم بالوكيل، بمعنى: الكَفِيل. فتقول: (هو وكيلٌ بكذا وكذا)؛ يريدون: كفالته به. قال الشاعر:

ذَكَرْتُ أبا أرْوَى فَبِتُّ كَأَنَّنِي بِرَدِّ[٣] الأُمورِ الماضيات وَكِيلُ[٤]

أراد: كأنني برد الأمور كفيلُ.

وقال الفرّاء[٥]: الوكيل: الكافي. قال الله - ﷻ -: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٢]؛ أي: كافيا.

قال أبو بكر[٦]: والذي أختاره: مذهب الفرّاء؛ لأن (نِعْمَ) سبيلها أن يكون الذي بعدها موافقًا للذي قبلها؛ كما تقول: (رازقُنا اللهُ؛ ونِعْمَ الرّازق). و(خالقُنا الله؛ ونعم الخالق). فيكون أحسنَ مِنْ قولك: (رازقنا الله؛ ونِعْمَ الخالق)، وكذلك الآية: يكفينا[٧] الله، ونِعْمَ الكافي.

وأصلُه في اللغة: ما ذكرنا؛ أنه الموكول إليه، ثم الكافي[٨].

---

(١) انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ٥٤.

(٢) في «الزاهر» ١/ ١٠٠، نقله عنه بتصرف.

(٣) في (أ)، (ب): (بود). والمثبت من (ج)، ومصادر البيت.

(٤) البيت، ورد منسوبًا لشقران السلامي، في «بهجة المجالس» ٣/ ١١٢.
وورد غير منسوب في: «البيان والتبيين» ٣/ ١٦٤، و«الزاهر» ١/ ١٠٠.
وقد ورد في المصادر السابقة: (.. برد أمورِ الماضيات).

(٥) في «معاني القرآن» له ٢/ ١١٦. وقول الفراء - هنا -، هو من تتمة نقل المؤلف عن «الزاهر» ١/ ٩٩-١٠٠.

(٦) هو ابن الأنباري، في «الزاهر» ١/ ١٠٠. نقله عنه بالمعنى.

(٧) في (ج): (ويكفينا).

(٨) أنكر الزجاج أن يكون (الوكيل) بمعنى (الكافي)؛ فقال - بعد أن ذكر رأي =

والكفيل؛ يجوز أنْ يُسَمَّى: وَكيلًا؛ لأن الوكيل يكفي الأمور. والكفيلُ - أيضًا - موكولٌ إليها الأمر.

١٧٤- قوله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ وذلك أنَّ رسولَ الله ﷺ، خرج في أصحابه حتى وافوْا بدرَ الصُّغْرَى، وهي ماءٌ لِبَني كِنَانَة[(١)]، وكانت موضع سُوقٍ لهم، يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام. فلم يَلْقَ رسولُ الله ﷺ، وأصحابُه، أحدًا من المشركين، ووافقوا السُّوقَ، وكانت معهم نفقاتٌ وتجارات، فباعُوا واشتَرَوْا أُدُمًا[(٢)] وزَبِيبًا، وربحوا وأصابوا للدرهم درهمَيْنِ، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين[(٣)]؛ فذلك قوله: ﴿فَانقَلَبُوا﴾؛ أي: وخرجوا فانقلبوا. فحذف الخروجَ؛ لأن الانقلابَ يَدُلُّ عليه؛ كقوله: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء:٦٣]؛ أي: فَضَرَبَهُ[(٤)] فانْفَلَقَ.

وقوله تعالى: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ قال السُّدِّي[(٥)]، ومجاهد:

= الفراء -: (ونحن لا نعرف في الكلام: (وَكَلْتُ) ولا (وكَلْتُ إليه): إذا كَفَيْت. فلا ندري من أين له هذا القول). «تفسير أسماء الله الحسنى» ٥٤.

(١) انظر: «معجم البلدان» ١/ ٣٥٧، وانظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آية: ١٢٣].

(٢) الأُدُم: جمعٌ، ومفردها: (أُدْم)، و(إدام)، وهو: ما يُستمرأ به الخبز؛ من سائل: كالخل، والزيت، واللبن، وما أشبهه؛ أو من جامد. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٨٦، و«المصباح المنير» ٤ (أدم)، و«المعجم الوسيط» ١/ ١٠ (أدم).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٢-١٨٣، و«تفسير النسائي» ١/ ٣٤٣-٣٤٥.

(٤) في (ج): (فضرب).

(٥) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨١٩، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٥-٥٠٦.

النِّعْمَةُ - ههنا -: العافية. والفَضْلُ: التجارة[١].

وقوله تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾. لم يُصِبْهُم قَتْلٌ وَلاَ جِراحٌ. في قول الجميع.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ في طاعةِ رَسُولِه.

١٧٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (ذلك) إشارةٌ إلى التخويف؛ أي[٢]: ذلك التخويفُ الذي كان، فِعْلُ الشيطان؛ لأنه سَوَّلَهُ للمُخَوَّفِين. قاله[٣] الزجاج[٤].

وعلى هذا[٥]؛ الآيةُ مِنْ باب حذف المضاف، على تقدير: إنما ذلكم فِعْلُ الشيطان[٦]، أو كَيْدُ الشيطان، أوتخويفُ الشيطان؛ لأَنَّه سبب ذلك؛ بالدعاء[٧] إليه والإغواء فيه.

وقوله تعالى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ مذهب النحويين في هذا[٨]: أنَّ ﴿يُخَوِّفُ﴾ قد حُذِف معه مفعولٌ[٩] يقتضيه؛ تقديره: يخوفكم[١٠]، أو:

---

(١) ورد قولُه في المصادر السابقة، ولكنه فسَّر فيها (النعمة) و(الفضل) بما أصابوا من التجارة والأجر، ولم يَرِدْ فيها أنه فسَّرَها بالعافية.

(٢) في (ج): (إلى).

(٣) في (ج): (قال).

(٤) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٠. نقله عنه بنصه.

(٥) في (ج): (هذه).

(٦) في (ج): (الشيد).

(٧) في (ب): (الدعاء).

(٨) في (ب): (في هذه الآية).

(٩) من قوله: (يقتضيه ..) إلى (.. حذف منه): ساقط من (ج).

(١٠) في (ب): (خوفكم).

يخوفُ المؤمنينَ.

وقوله تعالى ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ حُذِف منه الجارُّ، أي: بأوليائِه، أو: مِن أوليائه، فَلَمَّا حُذِفَ الجارُّ، وَصَلَ الفعلُ إلى المفعول الثاني فَنَصَبَهُ.

ومثله - مِن حذفِ المفعول منه -، قولُه: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص:٧] المعنى: إذا خِفْتِ عليه فِرْعَونَ أو الهلاكَ.

والجارُّ المُظْهَرُ في قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾، بمنزلة المحذوف مِن قوله: ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾.

والتقديرُ عندهم: يُخَوِّفُكم بأوليائِهِ.

قال الفَرّاءُ[1]: ومِثْلُهُ، قولُهُ: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥]؛ معناه: لِيُنْذِرَكُمْ بِيَومِ التَّلاقِ. وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف:٢]؛ معناه: لِيُنْذِرَكُم بِبأسٍ.

هذا الذي ذَكَرْنَا: مذهب الفرّاء، والزّجاج[2]، وأبي علي[3].

والذي يدلّ عل هذا: قراءةُ أُبَيٍّ بن كعب: (يُخوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ)[4].

وللمفسِّرينَ في هذه الآية مذهبان، سِوَى ما ذكرنا:

أحدهما: أنَّ هذا، على قول القائل: (خَوَّفْتُ زَيْدًا عَمْرًا). ومعنى الآية: يُخَوِّفكم أولياءَهُ. فحذف المفعول الأول؛ كما تقول: (أعطيتُ

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٨، نقله عنه بمعناه.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٠.

(٣) لم أقف على مصدر مذهبه.

انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٢١، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٠٨، و«تأويل المشكل» له ٢٢٢، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥١٢.

(٤) أخرج القراءة عنه بسنده: الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٥٨أ، وذكرها البغويُّ في «تفسيره» ٢/ ١٣٩، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٢٩، وأبو حيان في «البحر» ٣/ ١٢٠.

الأموالَ)؛ أي: أعطيتُ القومَ، أو الناسَ الأموالَ.

قال ابن الأنباري[(١)]: وهذا أشْبَه مِن ادِّعاءِ جارٍّ[(٢)] ما عليه دليلٌ.

قال: وقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف: ٢]؛ معناه: لِيُنْذِرَكمْ بأسًا. وكذلك قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]. [معناه: لِيُنْذِرَكُم يومَ التَّلاقِ][(٣)].

والتخويفُ يتعدَّى إلى مفعولين، من غير حرف جَرٍّ؛ تقول[(٤)]: (خافَ زَيْدٌ القِتَالَ)، و(خَوّفْتُهُ القتالَ)؛ كما تقول: (عَرَفَ زيدٌ أخاكَ)، و(عَرَّفْتُهُ أخاكَ).

وهذا مذهب ابن عباس[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، وقتادة[(٧)]. ويَدلُّ على هذا

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد - بنصه - في «زاد المسير» ١/ ٥٠٧، وورد - كما هو عند المؤلف - في: «تفسير الفخر الرازي» ٩/ ١٠٥.

(٢) في (ج): (جاز). وفي «زاد المسير»: (وهذا أشبه من ادِّعاء (باء) ما عليها دليل، ولا تدعو إليها ضرورة).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) (تقول): ساقطة من (ب).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٣-١٨٤، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٨، وقد ورد عنه من رواية عطاء، أنه كان يقرأها: (يخوفكم أولياءه). انظر: «المصاحف» لابن أبي داود ٧٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٠، و«المحتسب» ١/ ١٧٧، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٢٨، وأوردها عنه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٨٢ وزاد نسبة إخراجها إلى الفريابي: وعبد بن حميد، وابن الأنباري في «المصاحف».
وأورد عنه ابن عطية في «المحرر» ٣/ ٤٢٨ أنه قرأ: (يخوفكم أولياؤه)؛ أي: يخوفكم قريش ومن معهم.

(٦) انظر: «تفسيره» ١٣٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٨٣، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٠، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٨، و«الدر المنثور» ٢/ ١٨٢ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد ابن حميد، وابن المنذر.

(٧) انظر: «الطبري» ٤/ ١٨٣، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢١، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٨.

قراءةُ ابن مسعود: (يُخوِّفُكُم أولياءَهُ)[١].

المذهب الثاني: أنَّ معنى الآية: يُخَوِّفُ أولياءَهُ [المنافقين[٢]؛ لِيَقعدوا عن قتال المشركين. كأنَّ المعنى: يُخَوِّف أولياءَه][٣] الذين يُطِيعونَهُ، ويُؤْثِرُونَ أمرَهُ، ويَعْصون رَبَّهم، ويُقِيمونَ على خِلافِهِ. فأمَّا أولياءُ اللهِ، فَإنَّهُمْ لا يَخَافُونَهُ إذا خَوَّفهم، ولا يَنْقادُون لِمُرَادِهِ منهم. وهذا قولُ: الحَسَن[٤]، والسدِّي[٥]، وابنِ عباس في رواية عطاء[٦].

فالمذهب الأول: فيه محذوفان، والثاني: فيه محذوفٌ واحد، والثالث: لا حَذْفَ فيه.

ومعنى (الأوْلِيَاء) - في القولين الأوَّلَيْنِ -: المشركون والكفار.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ الكناية[٧] تعود إلى الأولياء في القولين الأوَّلَيْنِ. وفي الثالث: تعود إلى المشركين؛ وهم قد ذُكِروا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) ذكر الثعلبي القراءة - بسنده عن عطاء - في «تفسيره» ٣/ ١٥٨أ، وأوردها أبو حيان في «البحر» ٣/ ١٢٠.

(٢) أي: أولياءه من المنافقين. فالمنافقين - هنا - بدل من (أولياءه).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في: «النكت والعيون» ١/ ٤٣٨، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٧، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٢.

(٥) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٠، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٨، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٧، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٢.

(٦) لم أقف على مصدر هذه الرواية عنه.

(٧) الكناية: هي الضمير.

وقوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: خافونِ[١] في تركِ أمري؛ إنْ كنتم مصدِّقِينَ بوعدي، وقد أعلمتكم أنِّي أنصركم عليهم[٢]، فقد سقط عنكم[٣] الخوف.

١٧٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

أكثر القُرّاءِ على ﴿يَحْزُنكَ﴾ - مِنَ الثلاثي -. وقرأ نافع: ﴿يُحْزِنك﴾ - بِضَمِّ الياء -[٤].

واختلف أهل اللغة في هذا: فقال قومٌ: (حَزَنَ، وأحْزَنَ)، بمعنى واحد[٥].

قال الزّجاج - في باب الوفاق -[٦]: (حزَنَني الأمْرُ، وأَحْزَنَنِي).

---

(١) في (أ)، (ج): (خافوني)، والمثبت من (ب).

(٢) في (ج): (عليكم).

(٣) في (ج): (عنهم).

(٤) وقد قرأ نافع هذه الآية، وقرأ ﴿ولِيُحْزِن﴾ في الآية ١٠ من سورة المجادلة، و﴿لِيُحْزِنني﴾ في الآية ١٣ من سورة يوسف، بضم الياء وكسر الزاي في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [آية: ١٠٣] من سورة الأنبياء، فقد قرأها كباقي القراء الذين فتحوا الياءَ وضمُّوا الزايَ في كل القرآن.
انظر: «السبعة» ٢١٩، و«القراءات»، للأزهري ١/ ١٣١، و«الحجة» للفارسي ٣/ ٩٩.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٠٧ (حزن)، و«المقاييس» ٢/ ٥٤ (حزن)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٨أ، و «ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي ٣٤.
قال ابن دريد: (و(حَزَنني الأمر)، و(أحْزَنَنِي)، لغتان فصيحتان، أجازهما أبو زيد وغيره. وقال الأصمعي: لا أعرف إلا حزنني يحزنني، والرجل (محزون) و(حزين)، ولم يقولوا: (مُحْزَن). «الجمهرة» ١/ ٥٢٩.
وفي «الصحاح» للجوهري، ينقل عن اليزيدي قوله: (حزَنه)، لغة قريش، و(أحْزَنَهُ) لغة تميم. ٥/ ٢٠٩٨ (حزن).

(٦) لم أقف على هذا المصدر.

و(أمرٌ حازِنٌ ومُحْزِنٌ).

وقال ابن المُظَفَّر[(١)]: تقول[(٢)]: (حَزَنَنِي)، و(هو يَحزُنُني حُزْنًا)، (فأَنَا مَحْزُونٌ)، و(هو حازِنٌ)[(٣)] و(أَحْزَنَنِي، فأنا مَحْزون)[(٤)]، و(هو مُحزِنٌ).

وحكى - أيضًا - سيبويه[(٥)] - عن بعض العرب -: أنهم يقولون: (أَحْزَنْت الرجلَ): إذا جعلته حزينًا.

وحكى أبو زيد - في كتاب (خُبَأة)[(٦)]: (أَحْزَنَنِي الأمرُ إحزانًا)، و(هو

---

(١) ورد القول التالي - مع اختلاف يسير - في: «تهذيب اللغة»: ١/ ٨٠٧ (حزن)، من قول أبي عمرو، برواية يونس عنه، وليس من قول الليث بن المظفر، فالمؤلف ينقل هنا عن «العين» للخليل وينسب الكلام لابن المظفر.
وانظر هذا المعنى في «العين» للخليل ٣/ ١٦٠ (حزن).

(٢) في (ج): (يقول).

(٣) (وهو حازن): لم ترد في «تهذيب اللغة».

(٤) في «التهذيب»: (وأنا مُحْزَن)، وكلا الكلمتين واردتان في اللغة. انظر: «اللسان» ٢/ ٨٥١ (حزن).

(٥) في «الكتاب» ٤/ ٥٧.

(٦) لم أقف على هذا المصدر، ولم أعثر في ترجمة أبي زيد فيما رجعت إلي من مصادر على كتابٍ له بهذا الاسم. انظر: «معجم الأدباء» ٣/ ٣٧٨.
والخُبَأة - في اللغة -: هي المرأة التي تلزم بيتها، وتستتر. والتي تَطَّلِع ثم تختبئ. انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٨٥ (خبأ).
وكأن الكتاب في الكلمة الغريبة المهمة، وهو ما يتناسب مع المعنى اللغوي له. وقد يكون الاسم محرفًا عن كتاب آخر له، يحتمل رسمُ اسمِهِ التحريفَ في الخط، وهو: كتاب (حِيلَة ومَحالة)؛ حيث أن رسم (حيلة) قريب من (خبأة)، فحصل فيه التحريف. والله أعلم. انظر: المصدر السابق.
ومعنى (حيلة) و(مَحالة): الحِذْق وجودة النظر، والقدرة على التصرف. انظر: «القاموس» ص٩٨٩ (حول).

يُحْزِنُنِي) بضم الياء.

وقال الخليل[١]: إذا أردت تغيير[٢] (حَزِنَ)، قلت: (أحزنته). فهذا قولُ مَن سَوَّى بينهما، وجعلهما لُغَتَيْن. وهو حُجَّةٌ لِقِرَاءةِ نافع.

وروى أبو عُبَيد، عن أبي زيد، قال[٣]: لا يقولون: (حَزَنه الأمرُ). ويقولون: (يَحْزُنُه). فإذا صاروا[٤] على الماضي، قالوا: [أَحْزَنَهُ][٥].

يستعمل الماضي مِنَ الرُّبَاعي، والمضارع مِنَ الثلاثي. وهذا شاذٌّ؛ لأنه استعمل (أحزَنَ)، وأهمل (يُحْزِن)، واستعمل (يَحْزُنُ)، وأهمل (حَزَنَ). فمن قرأ بقراءة العامَّة، فَحُجَّته: أنه أشهر اللغَتَيْنِ، وأكثرهما استعمالًا.

قال الأزهري[٦]: اللغة الجَيِّدة: (حَزَنَهُ، يَحْزُنُه)، على ما قرأ به أكثر القرّاء.

وحجّة نافع: قولُ مَن زَعم أنهما لُغَتَان، وما حكاه سيبويه[٧] عن الخليل، أنَّك حيث قلت: (حَزَنْتُه)، لم تُرِدْ أن تقول: [جعلتُه حزينًا، كما

---

(١) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٥٦.

(٢) في (ب): (تعيين).

(٣) قوله، في: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٠٧ (حزن). نقله عنه بتصرف.

(٤) في (ب): (صيروا).

(٥) ما بين المعقوفين في (أ)، (ب)، (ج): (حزنه) والمثبت هو الصواب.
وقد جاء في «التهذيب»: (.. ويقولون: يَحْزُنُهُ. فإذا قالوا أفْعَلَهُ الله؛ فهو بالألف).
وهو يتناسب مع ذكره المؤلف بعده من استعمال الماضي من الرباعي.

(٦) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٠٧ (حزن). نقله عنه بتصرف.
وانظر: قريبًا من عبارة الأزهري هذه في كتابه: «القراءات» ١٣١.

(٧) في «الكتاب» له ٤/ ٥٦. نقله عنه بتصرف واختصار يسيرين.

أنك حيث قلت: (أدْخَلته)، أردت: (جعلته داخلًا). ولكنك أردت أن تقول:][1] جعلت فيه حُزْنًا.

كما تقول: (كحَلْتُهُ)؛ أي: جعلت فيه كُحْلًا، و(دَهَنْته)؛ جعلت[2] فيه دُهنًا، و(فَتَنْتُه): جعلت فيه فِتْنة. فجئت بـ(فَعَلْتُهُ) على حَدِّهِ[3]، ولم[4] تُرِد بـ(فَعَلْتُهُ) - ههنا - تغيير قوله: (حَزِنَ)، و(فَتِنَ)[5]. ولو أردت ذلك، لقلت: (أحزنته)، و(أفتنته).

وهذا الذي حكاهُ، حُجَّةُ نافع؛ لأنه أرادَ تغيير (حَزِنَ)، فنقله بالهمز. قال الخليل[6]: ومثله: (شَتِرَ[7] الرجلُ)، و(شَتَرْتُ عَيْنَه). فإذا أردت

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). وهي في المصادر السابقة.

(٢) في (ب): (أي جعلت). ولم أثبت (أي)؛ لأنها لم ترد في بقية النسخ، ولا في مصادر النص.

(٣) ضبطت في «كتاب سيبويه»: (حِدَةٍ). وقد ورد النصُّ في كتاب «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٠، وضُبطت فيه كالتالي: (حَدِّه) كما هي مثبتة أعلاه.

(٤) في (ج): (لم) بدون واو.

(٥) هكذا ضُبِطت - هنا - بكسر التاء، وكذا عند الفارسي في «الحجة». وضَبطت في (كتاب سيبويه): (فَتَنَ) - بفتح التاء -. وأكثر مصادر اللغة التي رجعت إليها لم تشر إلى (فَتِن) بالكسر، وإنما ذَكَرَتْها بفتح التاء، إلا ما وجدته في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩ (فتن)؛ حيث نقل عن أبي زيد قوله: (فَتِنَ الرجلُ، يفْتَنُ، فُتُونًا: إذا وقع في الفتنة، أو تحول من حال حسنة إلى حال سيئة).

(٦) قوله في «كتاب سيبويه» ٤/ ٥٧. نقله عنه بمعناه.

(٧) في (ج): (شتر) مهملة من النقط والشكل. وهذا جاءت فيا بعدها مهملة من النقط والشكل.
والشَّتْرُ: القطع. و(شَتَرَ ثَوْبَه): مزَّقه. و(الشَّتَرُ): الانقطاع، وانقلابٌ في جَفْنِ العين، وانشقاقُهُ، وانشقاقُ الشَّفَةِ السفلى. يقال: (شَتِرَت عينُهُ شَتَرًا)، و(شَتَرها يشْتُرُها شَتْرا)، و(أشْتَرها وشَتَّرها)، و(شَتِرَ يَشْتَرُ شَتَرًا).
انظر (شتر) في: «اللسان» ٤/ ٢١٩٣، و«القاموس» ٤١٣.

تغيير (شَتِرَ الرجلُ)، قلت: (أشْتَرْتُ؛ كما تقول: (فَزِعَ)[١] [و][٢] (أفزَعْتُهُ).

وأراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: المنافقين، وقُرَيْظَة والنّضير - في قول ابن عباس -[٣].

ومعنى مسارعتهم في الكفر: مُظَاهَرَتُهم[٤] الكفَّارَ على محمد ﷺ. وتأويله: يُسارِعُون في نُصْرةِ الكفر. وقال الضَّحَّاكُ[٥]: يعني: كفّار قريش.

فإذا قيل: معنى قوله: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: لا تحزن لِكفرِهم. والحزن على كفر الكافر، ومعصيةِ العاصي، طاعةٌ، فكيف نهى عنهُ؟.

قيل: إنما نهى عنه النبيَّ ﷺ، لأنه كان يُفرطُ ويُسْرِفُ في الحُزْنِ على كُفْر قومِهِ، حتى كان يؤدّي ذلك إلى أن يَضُرَّ[٦] به، فنُهِي[٧] [عن][٨] الإسراف فيه؛ ألا ترى إلى قوله -عَلَا-: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

---

(١) في (ج): (فزع) - مهملة من النقط ولاشكل -. وكذا التي بعدها.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: كتاب سيبويه.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد هذا القول عن الكلبي. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣١٧.

وورد عن مجاهد، وابن إسحاق: أنهم المنافقون. انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٣٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٨٥.

(٤) المُظاهَرَةُ: المُعَاوَنَة. و(ظاهَرَ فلانٌ فلانًا): عاوَنَه. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٧٦٨ (ظهر).

(٥) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٨أ، و«زاد المسير» ١/ ٥٠٨.

(٦) في (ج): (نصر).

(٧) في (ج): (نهى).

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ يعنى: أنَّ عائِدَ الوَبَالِ في ذلك عليهم، لا على غيرهم. وقال عطاء[1]: يريد: لن يضروا أولياءَ اللهِ شيئا.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى: نصيبًا في الجنة. وفي هذا رَدٌّ على القَدَرِيّة، وبيان أنَّ الخيرَ والشرَّ بإرادة الله -جلَّ وعزَّ-[2].

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره ابن الجوزي في «الزاد» ١/ ٥٠٨.

(٢) إنَّ الله - تعالى - خالق الخير والشر، ولكنَّ الشرَّ في بعض مخلوقاته، وليس في خلق الله وفعله؛ لأن خلقَ الله وفعلَه، وقضاءَهُ وقَدَرَه، خيرٌ كلُّه؛ لأنه - تعالى - وضع الأمور في مواضعها، وذلك هو الخير والعدل، أما الشر؛ فهو: وضع الأمور في غير مواضعها، وذلك هو الظُّلْم، واللهُ مُنَزَّهٌ عن الظلم. فأفعاله كلها تدور بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، ولا تخرج عن ذلك، فالله - تعالى - لا ينسب إليه الشرُّ، بل ينسب إليه الخير، وإنما صار الشرُّ شرًا، لانقطاع نسبته وإضافته إلى الله تعالى، وفي الحديث: (.. والخير كله في يديك، والشر ليس إليك ..).
أخرجه النسائي في «السنن» ٢/ ١٣٠ كتاب الصلاة. باب: الدعاء بين التكبيرة والقراءة.
فلو أضيف إليه، لم يكن شرًا. انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ١٧٩. وقال: (فإن قلت: لِمَ خَلَقَه وهو شر؟ قلت: خَلْقُهُ له وفِعْلُه، خيرٌ لا شرٌّ، فإن الخلق والفعلَ قائمٌ به - سبحانه -، والشر يستحيل قيامه به واتصافه به. وما كان في المخلوق من شر؛ فلعدم إضافته ونسبته إليه، والفعل والخَلْق يضاف إليه، فكان خيرًا، والذي شاءه كله خير، والذي لم يشأ وجوده بقي على العدم الأصلي، وهو الشر، فإن الشر كلَّه عَدَمٌ، وإنْ سبَّبه جهل وهو: عدم العِلْم، وظلمٌ وهو: عدم العدل. وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل، وقبوله لأسباب الخيرات واللذات). ١٨١. المصدر السابق، وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٥٣) وما بعدها.

١٧٨- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ الآية.

﴿ٱلَّذِينَ﴾[1] - في قراءة من قرأ: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء[2]-، رَفْعٌ؛ بأنه فاعل (يَحْسَبُ)[3].

وإذا كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعلًا؛ اقتضى (يَحْسَبُ) مفعولين؛ لأنّه يتعدى إلى مفعولين، أو إلى مفعولٍ يَسُدُّ مَسَدَّ مفعولين، وذلك إذا جَرَى - في صلة

---

(١) من قوله: (الذين ..) إلى (.. اللذين يقتضيهما ﴿يَحْسَبَنَّ﴾): نقله - بتصرف - عن: «الحجة»، للفارسي: ٣/ ١٠١-١٠٢.

(٢) القراءة الواردة في قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ في الآية: ١٧٨، ١٨٠ و﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، و﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ في آية: ١٨٨ كالتالي:
قرأها ابن كثير، وأبو عمرو، كلّها بالياء، في كل القرآن.
وقرأها نافع،وابن عامر (لا تحسبن) و(فلا تحسبنهم).
وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ في الآية: ١٧٨، ١٨٠ بالياء. وقرأوا ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ و﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾ في الآية: ١٨٨، بالتاء. وكَسَرَ الكسائيُّ السينَ، وفتحها عاصم. وقرأها حمزة كلّها بالتاء.
ومن قرأ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بالتاء، فتح الباءَ، ومن قرأها بالياء، ضم الباء.
انظر: «السبعة» ٢١٩، ٢٢٠، و«القراءات» للأزهري ١/ ١٣١، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٠-١٠١، و«الكشف» ١/ ٣٦٤-٣٦٨.

(٣) يقال: «حَسِبْتُ الشيءَ»: ظَنَنْتُه، (أحْسِبُه، وأحْسَبُه)، والكسر أجْوَدُ اللغتين). «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٠ (حسب).
قال الجوهري: (ويقال: (أحْسِبُه) - بالكسر -، وهو شاذٌّ؛ لأن كلَّ فِعْلٍ كان ماضيه مكسورًا، فإن مستقبله يأتي مفتوح العَيْنِ؛ نحو: (عَلِمَ، يَعْلَمُ)، إلا أربعة أحرف جاءت نوادر؛ قالوا: (حسِب يحسِب ويحسَبُ)، و(بَئِس يبأس ويَبْئِسُ)، و(يَئِس يَيْأَسُ ويَيْئِسُ)، و(نَعِمَ يَنعَمُ ويَنْعِم) فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح. ومن المعتَلِّ ما جاء ماضيه ومستقبله جميعًا بالكسر؛ نحو: (ومِقَ يمِق)، و(وفِقَ يَفِق)، و(وثِقَ يَثِقُ)، و(وَرِعَ يَرِعُ)، و(ورِمَ يَرِمُ)، و(ورِث يَرِث)، و(ورِيَ الزندُ يَرِي)، و(وَلِي يَلِي». «الصحاح» ١/ ١١٢ (حسب).

ما يتعدى إليه الحِسْبانُ -، ذِكْرُ الحديثِ والمُحَدَّث عنه؛ نحو: (حَسِبْتُ أنّ زيدًا منطلقٌ)، و(حَسِبتُ أنْ يقومَ عمرٌو)[١].

فجرى[٢] فيما تَعَدَّى إليه (حَسِبْتُ) الحديثُ، وهو: الانطلاقُ والقيامُ. والمُحَدَّثُ عنه، وهو: زيدٌ أو عَمْرُو. فقام المفعولُ الواحدُ مقامَ المفعولين. وفقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ قد سَدَّ مسَدَّ المفعولين اللَّذَيْن يقتضيهما ﴿يَحْسَبَنَّ﴾.

وقرأ حمزة: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذين كفروا﴾ بالتاء. و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - في هذه القراءة - في موضع نَصْبٍ؛ بأنّه المفعول الأول.

واختلفوا في وجه هذه القراءة:

فقال الفرّاء[٣]: هو على التكرير. المعنى: ولا تَحْسَبَنَّ يا محمدُ الذين كفروا، ولا تَحْسَبَنَّ أنَّما نمْلِي لهم خيرٌ[٤] لأنفسهم. قال: وهذا كقوله - تعالى -: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾[٥] [محمد:١٨]؛ يعنى: فهل ينظرون إلا الساعة، هل يَنْظُرونَ[٦] إلا أنْ تأتيهم بَغْتةً؟.

وقال الزّجاج[٧]: هذه القراءة عندي، يجوز على البدل من

---

(١) في (ج): (أن عمرو يقوم) وفي «الحجة»: وحسبت أن تقومَ.

(٢) في (أ)، (ب): (جرت). والمثبت من (ج).

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٨. نقله عنه بالمعنى.
وهو رأي الكسائي - كذلك -. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٨٠، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٧.

(٤) في (ج): (خيرا).

(٥) في (ج)، و«معاني القرآن»: (هل).

(٦) في (ج): (ينتظرون).

(٧) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩١. نقله عنه بتصرف يسير.

﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ المعنى: ولا تَحْسَبَنَّ ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾[١]. وأنشد:

فَمَا كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ[٢]

جعل (هُلكُهُ) بدلًا من (قَيس)؛ المعنى: فما كان هُلْكَ قيسٍ هُلْكَ واحِدٍ.

---

(١) في «معاني القرآن»: (لا تحسبن إملاءنا للذين كفروا خيرًا لهم).

(٢) صدر بيت، وعجزه:

ولـكـنَّـه بـنـيـانُ قـومٍ تَـهَـدَّمـا

وهو لعبدة بن الطبيب السعدي التميمي، وهو في «شعره» ٨٨. وورد منسوبًا له في: «كتاب سيبويه» ١/ ١٥٦، و«البيان والتبيين» ٢/ ٣٦٣، و«الشعر والشعراء» (٤٨٧)، و«عيون الأخبار» ١/ ٢٨٧، و«الأصول في النحو» ٢/ ٥١، و«الأغاني» ٢١/ ٢٥، ٢٦، و«شرح القصائد السبع»، لابن الأنباري ٩، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (تصحيح: كرنكو، ن: مطبعة القدسي، القاهرة، ١٣٤٢هـ): ٢/ ١٧٥، و«أمالي المرتضى» ١/ ١١٤، و«بهجة المجالس» ١/ ٥١٤، و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (ن: دار القلم) ١/ ٣٢٨، و«شرح المفصل» ٣/ ٦٥. ونسبه في «الأغاني» ١٤/ ٨٦ لمرداس بن عبدة.

وورد غير منسوب في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٨ ب، و«شرح المفصل» ٨/ ٥٥، و«البسيط في شرح جمل الزجاجي» ٢/ ١٩٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٨٠، و«الإغفال» للفارسي ١/ ٥٩٣.

وقد ورد في بعض المصادر: (فلم يك قيس ..).

قال الشاعر البيت في رثاء قيس بن عاصم المنقري، سيد بني تميم.

والشاهد في البيت: رفع (هلكُه) على أنه بدل من (قيس) اسم (كان) ويكون حينها (هلكَ) منصوبًا على أنه خبر (كان). ويجوز أن يكون (هلكُه) مرفوعًا على الابتداء، وحينها تكون (هلك) مرفوعة على أنها خبر المبتدأ.

قال ابن الأنباري: (والرواية الجيدة: (هلكُه هلكُ واحد) برفعهما جميعًا). «شرح القصائد السبع» ٩.

ومثلُه - مما جُعِلَ (أنَّ) مع الفعل بدلًا من المفعول -، قولُه: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[١] [الكهف: ٦٣]، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[٢] [الأنفال: ٧]، بَدَلًا مِنْ إحْدَى الطائفتين.

قال أبو علي الفارسي[٣]: هذه القراءة على تقدير البدل، لا يصح إلا بنصب (خيْر)[٤]؛ لأن (أنّ) تصير بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، وإذا صار بدلًا منه، فكأنه قال: لا تَحْسَبَنَّ إملاءَ الذين كفروا خيرًا. فيلزم انتصاب (خير)[٥] من حيثُ كان المفعول الثاني لـ(حَسِبْتُ).

ألا ترى أنه أبدل[٦] ﴿أَنَّمَا﴾ كما[٧] أبدل الشاعرُ (هلكُهُ) من (قيس)، فصار التقدير: وما كان هُلْك قَيْسٍ هُلْكَ واحدٍ، انتصب (هلكَ واحدٍ)[٨] على أنه خبرُ (كان)، ولو[٩] لم يبدل (هلكُه) من (قيس)؛ لارتفع بالابتداء، وصار (هُلْكُ واحدٍ) خَبَرَه. والجملة في موضع نصب على خبر (كان). كما أنه لو لم يُبْدِلْ (أنّ) من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ لكسرها ولم يَفْتَحْها، ولو كسرها لصارت (أنّ) واسمها وخبرها، في موضع نصب؛ لأنه مفعول ثانٍ لـ﴿تَحْسَبَنَّ﴾.

(١) انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٧، و«التبيان» للعكبري (٥٤٢).
(٢) انظر: «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٧، و«التبيان» للعكبري ٢/ ٤٠٤.
(٣) في: «الإغفال» ١/ ٥٩٣. نقله عنه بتصرف. وانظر: «الحجة» له ٣/ ١٠٧.
(٤) في (ج): (خبر).
(٥) في (ج): (خبر).
(٦) (أبدل): ساقطة من (ج).
(٧) في (ج): (كان).
(٨) (انتصب هلك واحد): ساقط من (ج).
(٩) (ولو): ساقطة من (ج).

وكما انتصب (هُلْكَ واحد) في البيت، لَمّا أبدل الأول مِنْ (قيس) بأنه خَبَرُ (كان)؛ كذلك ينتصبُ ﴿خيرٌ لهم﴾ في الآية، إذا أبدل الإملاء من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بأنه مفعول ثانٍ لـ﴿تَحْسَبَنَّ﴾.

فإذًا، قد جاء أنَّه لا يجوز أن يُقرأ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء، إلّا أن يُكسر (إنَّ) في ﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾، أو يُنصب ﴿خَيْرٌ﴾[(١)]، مع فتح ﴿أَنَّمَا﴾، فيقرأ: (أنَّما نُمْلي لهم خيرًا لأنفسهم).

ولم يُرْوَ عن حمزةَ كسْرُ (أنّ)، ولا نَصْبُ (خَيْرٌ)، فلا تصح القراءة بالتاء، على ما قرأ به حمزةُ، عند أبي عليّ[(٢)].

قال ابن عباس[(٣)]: أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: المنافقين، وقُرَيْظَةَ والنَّضِير. وقال مقاتل[(٤)]: يعنى: مشركي مكة.

وقوله: ﴿أَنَّمَا﴾، (ما) تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يَكون بمعنى (الذي)[(٥)]، فيكون التقدير: لا يحسبن

---

(١) في (ج): (خبر).
وقد جاء في (ج) بعد (خير) العبارةُ التالية: (فلا يصح بالياء إنما). وهي عبارة مقحمة لا وجه لها.

(٢) قال النحاس، عن قراءة حمزة لقوله تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ [الآيتان: ١٧٨، ١٨٠] (وزعم أبو حاتم أنه لحنٌ لا يجوز، وتابعه على ذلك جماعةٌ). «إعراب القرآن» ١/ ٣٧٩.
وعَقَّب القرطبيُّ على زعم أبي حاتم، قائلًا: (قلت: وهذا ليس بشيء؛ لما تقدم بيانه من الإعراب، ولصحة القراءة وثبوتها نقلًا). «تفسيره» ٤/ ٢٨٨.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في: «زاد المسير» ١/ ٥٠٥.

(٤) في «تفسيره» ١/ ٣١٧. نصه عنده - بعد أن ذكر الآية -: (أبا سفيان وأصحابه، يوم أحد).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٠٨.

الذين كفروا أن الذي نمليه خيرٌ لأنفسهم، وحَذَفَ (الهاء) مِنْ ﴿نُمْلِي﴾؛ لأنه يجوز حذفُ الهاء مِنْ صِلَةِ (الذي)؛ كقولك: (الذي رأيتُ زيدٌ).

والآخر: أن يَكون (ما) بمنزلة الإملاء، فيكون مصدرًا، وإذا كان مصدرًا[1]، لم تقتض راجعًا إليها[2].

وقوله تعالى: ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾.

معنى ﴿نُمْلِي﴾ - في اللغة -: نُطِيل، ونُؤَخِّر. والإملاء: الإمهال والتأخير. واشتقاقه[3] من (المِلْوَة)، وهي: المُدَّة من الزمان. يقال: (مِلْوَةٌ مِنَ الدَّهْرِ)، و(مُلْوَةٌ، ومَلْوَةٌ، ومِلاَوَةٌ[4]، ومَلاَوَةٌ[5]، ومُلاَوَةٌ)، بمعنًى[6].

قال العَجَّاج:

وقد أُرَانِي لِلغَوَانِي[7] مِصْيَدا مُلاوَةً كأنَّ فَوْقِي جَلَدا[8]

---

(١) (وإذا كان مصدرًا): ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (إليهما).

(٣) من قوله: (واشتقاقه ..) إلى نهاية بيت الشعر: (.. من طريف وتالد): هو من قول ابن الأنباري؛ حيث ورد بعض النص في: «زاد المسير» ١/ ٥٠٩، و«اللسان» ٧/ ٤٢٧٢ (ملا). ونسباه لابن الأنباري، ولم يبينا المصدر.

(٤) (أ)، (ب): وملاؤة. والمثبت من: (ج)، ومصادر اللغة.

(٥) في (ج): (ومَلاوة، ومِلاوة).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤، و«غريب القرآن» لابن اليزيدي ٤٥، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١١٦، و«غريب الحديث» للحربي ١/ ٣٤١، و«تحفة الأريب» ٣٨٨، وانظر مادة (ملا) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩٦، و«اللسان» ٧/ ٤٢٧٢.

(٧) في (ج): (الغواني).

(٨) البيت في «ديوانه» (تح: د. عزة حسن): ٣٤٠. وورد منسوبًا له في: «إصلاح المنطق» ٤٧، ومادة (جلد) في: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٣٤، و«الصحاح» ٢/ ٤٥٨. =

ومنه قولُ العَرَبِ: (الْبَسْ جَدِيدا، وتَمَلَّ حبيبًا)[(١)]؛ أي: لِتطل أيَّامك معه. وقال مُتَمِّم[(٢)]:

بِـودِّيَ أَنّـي لـو تَـمَـلَّـيْـتُ عُـمْـرَهُ   بِمَالِيَ مِنْ مالٍ طَريفٍ وتَالِدِ[(٣)]

= و«المقاييس» ١/ ٤٧١، و«اللسان» ٢/ ٦٥٤.

وورد غير منسوب في: «جمهرة اللغة» ١/ ٤٤٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٩أ.

وروايته في الديوان والجمهرة: (فقد أكونُ ..).

و(الغواني): جمع غانية، وقيل في معناها: التي غَنِيَت بالزوج. وقيل: التي غَنِيَت بحُسْنها عن الزينة. وقيل: التي تُطلَب، ولا تَطلُب. وقيل: الشابَّة العفيفة؛ كان لها زوجٌ أو لم يكن. وقيل: كلُّ امرأة، فإنها تُسمَّى غانية. وقيل غير ذلك. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٣٠٩ (غنا).

و(المِصْيَد) - بكسر الميم، وفتحها -: ما يُصاد به. «اللسان» ٤/ ٢٥٣٤ (صيد).

و(الجَلَد)، فيه قولان: أحدهما: أن يُسلخ جِلْدُ البعيرِ وغيره، ويُلْبَس غيرَه من الدواب، ويُسمَّى هذا (جَلَدا). والقول الثاني: أن يُسلخ جِلْدُ الحُوار، ثم يُحشى ثُمامًا، أو غيره من الشجر، ثم يُعطف عليه أمُّه، فترأمه. انظر: (جلد) في: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٣٤، و«المقاييس» ١/ ٤٧١.

ومعنى البيت: إنَّهنَّ يَرأمْنَني ويَعْطِفْنَ عليَّ، كما ترأم الناقةُ الجَلَدَ.

(١) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩٧ (ملا)، و«اللسان» ٧/ ٤٢٧٢ (ملا). وقد ورد المثل فيه: (أبليت جَدِيدًا، وتَمَلَّيتَ حبيبًا). أي: عشت معه ملاوتَكَ من دهرك، وتمتعت به.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) البيت في «شعره» ٨٦.

وقد ورد منسوبًا له، في: «الزاهر» ١/ ٢٥٦. وورد غير منسوب في: «اللسان» ٧/ ٤٢٧٢ (ملا) وردت روايته في المصادر السابقة: (بودي لو أني ..).

قال في «الزاهر»: (الطريف، والطارف)، وهما: المال المستحدث الذي كَسَبه الرجلُ، وجَمَعَهُ. و(التَّليد، والتالِدُ): ما ورثه عن آبائه ولم يكتسبه) ١/ ٢٥٦.

وقال الأصمعي[(١)]: (أمْلَى عليه الزمانُ)[(٢)]؛ أي: طال عليه. و(أملَى له)؛ أي: طَوَّل له، وأمهله.

قال أبو عبيدة: ومنه: (المَلاَ)[(٣)]: الأرض الواسعة الطويلة[(٤)].

قال ابن عباس[(٥)] - في قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ -: يريد[(٦)]: تماديهم في معاصي الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًاۚ﴾ قال ابن الأنباري[(٧)]: قال جماعة من أهل العلم[(٨)]: أنزل الله ﷻ هذه الآية في قوم يعاندون الحق، سَبَقَ في علمه أنهم لا يؤمنون، فقال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْـمًاۚ﴾ بمعاندتهم الحقَّ، وخِلاَفِهِم الرسولَ.

وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيتَ اللهَ يُعْطِي على المعاصي، فإنَّ

---

(١) قوله - بنصه -، في: «تهذيب اللغة» (٣٤٣٨) (ملو).

(٢) في «التهذيب»: الزمن.

(٣) وهي غير مهموزة، وتكتب بالألف والياء، والبصريون يكتبونها بالألف. وقال الفراء: (والألف أجود). وكذا قال ابن الأنباري.
انظر: «المقصور والممدود» للفراء ٤٣، ٦١، و«المنتخب» لكراع ٢/ ٤٣٨، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٤٦٥، ومادة (ملا) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩٧، و«اللسان» ٧/ ٤٢٧٢.

(٤) لم أقف على مصدر قول أبي عبيدة، والذي ورد في «مجاز القرآن»: (ويقال للخرق الواسع في الأرض: مَلًا، مقصور) ١/ ٣٣٣.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) في (ج): (مريد).

(٧) لم أقف على مصدر قوله.

(٨) لم أقف عليهم.

ذلك استدراجٌ مِنَ اللهِ لِخَلْقِهِ)، ثم تلا هذه الآية[(١)].

ونحو هذا، قال الزّجاج[(٢)]: إن هؤلاء قومٌ، أعلَمَ اللهُ نبيَّه أنهم لا يؤمنون أبدًا، وأن بقاءهم يزيدهم كفرًا وإثما.

والآية حجّة ظاهرة على القَدَريّة[(٣)]؛ حيث أخبر الله - تعالى -، أنه يُطِيل أعمارَ قومٍ ويُمْهِلُهُم؛ لِيَزدادوا غَيًّا وكُفْرا.

---

(١) الحديث أخرجه: أحمد في «المسند» ٤/ ١٤٥، وابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» ٨٠ رقم (٣٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٧/ ١٣٣، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٥.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٠، ١٠/ ٢٤٥، وقال: (رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه، الوليد بن العباس المصري، وهو ضعيف).

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٢٢ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب».

وأورده في «الجامع الصغير» ورمز له بالحسن. انظر: «فيض القدير» ١/ ٤٥٥.

وأورده الخطيب التبريزي في: «مشكاة المصابيح» ٣/ ١٤٣٥ رقم (٥٢٠١).

وحَسَّن الحافظ العراقي سنده (انظر: «تخريج الإحياء» بهامش «إحياء علوم الدين» ٤/ ١٣٢).

وصححه الألباني في: صحيح «الجامع الصغير» ١/ ١٥٨ رقم (٥٦١)، وفي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٤١٤).

ولفظ الحديث - كما عند أحمد، من رواية عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ -: «**إذا رأيت الله - عز وجل - يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يُحب، فإنما هو استدراج**»، ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤]. فليس في الأثر - عند من رواه - أنه ﷺ قرأ هذه الآية من سورة آل عمران.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩١. نقله عنه بتصرف يسير.

(٣) سبق بيان أن المراد بـ (القَدَريَّة) هم المعتزلة، الذين وافقوا القَدَرية القُدامى في نفي القدر.

والقَدَرِيّة، تأولوا الآية على وجهين:

أحدهما: على التقديم والتأخير؛ فقالوا: التقدير: (ولا يحْسَبَنَّ الذين كفروا إنما نُملي لهم لِيَزدادوا إثما؛ إنَّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم). وهذا[١] إنما كان يُحتمل لو قُرِئ بِكَسْرِ ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾، وفتح ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ﴾. ولم يقرأ به أحدٌ يُعرَف. ولا يجوز حملُ الآية على وجْهٍ لا يجوز أن يُقرأ به[٢].

والوجه الثاني: قالوا[٣]: معنى قوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾: إنما نُمْلي لهم، على أنَّ عاقبةَ أمْرِهم ازديادُ الإثم. وهذه لام العاقبة؛ كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. وهذا[٤] الذي قالوه، خِلافُ ما ذَكَرَهُ المفسرون وأهل العلم، وعُدُولٌ عن ظاهرِ الخِطَاب، فلا يُقْبَلُ.

على أن لام العاقبة يشَاكِل ما قبله؛ كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾، الآية، وهم ما التقطُوهُ لِهذا؛ ولكنْ كان الالتقاطُ سببَ كونِهِ عَدُوًّا لهم، كذلك في الآية، يجب أنْ يكونَ إمْلاءُ اللهِ إيَّاهم، سَبَبَ ازديادِهم الإثم[٥]،

---

(١) من قوله: (وهذا ..) إلى (.. خير لأنفسهم): ساقط من (ج).

(٢) قال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٣٨٠ (قال أبو حاتم: سمعت الأخفش يذكر كسر (إنَّ) يحتج لأهل القَدَر؛ لأنه كان منهم، ويجعله على التقديم والتأخير .. قال: ورأيت في مصحفٍ في المسجد الجامع، قد زادوا فيه حرفًا؛ فصار: (إنما نملي لهم ليزدادوا إيمانًا)، فنظر إليه يعقوب القارئ، فتَبيَّنَ اللَّحَق، فحكَّه). وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٨.

(٣) انظر: «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار ٨٣.

(٤) (أ)، (ب): (وهو)، والمثبت من: (ج)؛ وهو أولى وأصوب.

(٥) في (ج): (الكفر).

وهو ما نقول: إن الله - تعالى - يُمْلِي لهم؛ لِيَزدادوا إثمًا.

١٧٩- قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية.

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية:

فقال الكَلْبيُّ[(١)]: قال المشركون للنبي ﷺ: ما بَالُكَ تَزْعُمُ أن الرَّجلَ مِنْ أهلِ النار، حتى يَدْخُلَ في دِينِكَ، فإذا انتقل إلى دينك، ادَّعَيْتَ أنه من أهل الجَنَّةِ، فينبغي أنْ تُعَرِّفَنَا الذي يَنتَقِلُ، قبل أن ينتَقِلَ.

فأنزل الله - تعالى - مجيبًا لهم -: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ما كانَ اللهُ لِيَدَعَ المؤمِنَ[(٢)]، على ما عليه الكافرُ[(٣)]. وأَعْلَمَ أنَّ حُكْمَ مَنْ كَفَر، أن يقال: أنه مِن أهل النار، ومَنْ آمَنَ: فهو من أهل الجَنَّة.

ومعنى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ - على هذا التفسير -: حتى يُفَرِّقَ بين المؤمن والكافر؛ بالحُكْمِ لِلْمُؤْمِنِ بالجَنَّةِ، ولِلكافر بالنار.

والخِطاب في قوله: ﴿أَنتُمْ﴾ - على هذا الوجْهِ -، للمشركين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي[(٤)]: وما كان اللهُ لِيُخْبِركم بإسلامِ مَنْ يُسْلِم قبل أن يُسْلِم؛ فَيَدُلكم على غَيْبِهِ؛ وذلك أنهم

---

(١) قوله في: «بحر العلوم» ١/ ٣١٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٥٩أ، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٣٦، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٤٠، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٨.
وأورد هذا القول ابنُ الجوزي في «الزاد» ١/ ٥١٠ ونسبه لابن عباس.
ونحو هذا القول، قال السُّدِّي. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٨، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٤.

(٢) في (ج): (المؤمنين).

(٣) في (ج): (الكافرين).

(٤) أي: ساقطة من (ج).

سألوا أن يُعرَّفوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يختارُ مِنَ الرُّسُل مَن يشاء بالغيب، فيُطْلِعُه على بعض عِلْم الغيب؛ كقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، الآية.

قال الزّجاج[١]: وإنما يُطْلِعُ الرسلَ على الغيب؛ لإقامة البرهان في أنهم رُسُلٌ، وأنَّ ما أتَوا به مِن عند الله.

ومعنى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: بالغيب. فَحذف ذلك للعلم به؛ وذلك لاستثناء الرسولِ مِمَّن لا يُطلَعُ على الغيب.

وهذا[٢] قول جماعةٍ مِنَ المفسرين[٣]، واختيار الفرّاء[٤] والزّجاج[٥]. والآية مطَّرِدَة على هذا التفسير.

وقال مجاهد[٦]، ومحمد بن إسحاق[٧]: نزلت الآية في المنافقين، وتمييزهم عن المؤمنين، و- على هذا التفسير - الخطابُ للمؤمنين في قوله: ﴿أَنتُمْ﴾، رَجَعَ من الخَبَر عن المؤمنين إلى مخاطبتهم.

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٢. نقله عنه بتصرف يسير.

(٢) يعني بـ(هذا): ما قاله الكلبيُّ في سبب نزول الآية، وما يترتب عليه في كون الخطاب فيها للمشركين.

(٣) منهم: مقاتل، في «تفسيره» ١/ ٣١٧-٣١٨.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٤٨.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٢.

(٦) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٤، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٩.

(٧) قوله في: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٧٥، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٨٧.

ومعنى الآية: ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين، على ما أنتم عليه مِن التباسِ المنافقِ بالمؤمنِ، والمؤمن بالمنافق، حتى يُمَيِّزَ الخبيثَ من الطَّيِّب؛ أي: المنافقَ مِنَ المُؤمِنِ.

قال مجاهد[١]: فَمَيَّزَ اللهُ المؤمنين يومَ أحد مِنَ المنافقين؛ حيث أظهروا النفاقَ، وتَخَلَّوا عن رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ فتعرفوا المنافقَ من المؤمنِ قبل التمييز، ولكنَّ اللهَ يختار بمعرفة[٢] ذلك مَنْ يَشاء مِنَ الرُّسُلِ.

قال ابن عباس[٣]: يريد: أنت يا محمد ممن اصطفيتُهُ وأطلعته على هذا لغيب.

وهذا معنى قول السُّدِّي في هذه الآية، فإنه قال في سبب نزولهما ما يُشاكِل هذا التفسير، وهو أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْلِمْتُ مَنْ يُؤْمِنُ بي وَمَنْ لا يُؤمِنُ**» فَبَلَغَ ذلك المنافقينَ، فاستهزؤوا، وقالوا: كيف، ونحن معه لا يعرفنا؟! فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٨٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٤، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣٩.

(٢) في (ج): (بمعرفته).

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) الحديث أورده - غير مسند -: الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٥٩ ب. ونَصُّه عن الثعلبي: (قال السدي: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضت علي أمتي في صورها، كما عُرِضت على آدم، وأعلِمتُ مَن يُؤمِنُ بي ومن يكفر**». فبلغ ذلك المنافقين، فاستهزؤوا، وقالوا: زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ممن لم يُخلَق بعد، ونحن معه ولا يعرفنا. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقام على المنبر خطيبًا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**ما بال أقوام جهَلوني، وطعنوا في علمي، لا** =

= تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به» فقام عبد الله بن حذافة السهمي، فقال: يا رسول الله. من أبي؟ قال: «حذافة». فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ﷺ، رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا وبك نبيًا، فاعف عنا، عفا الله عنك. فقال النبي ﷺ: «فهل أنتم منتهون؟ هل أنتم منتهون؟» ثم نزل عن المنبر. فأنزل الله - تعالى - هذه الآية..).

والأثر طويل، وله عنده بقية، وأورده - كذلك - المؤلف في «أسباب النزول» ١٣٦، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٤١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٥١٠، وكلهم نسبه للسدي، عن رسول الله ﷺ.

ولم أقف عليه في مصادر أخرى بهذا النص، وإنما ورد بنص آخر - من رواية حذيفة بن أسيد - «عُرضت علي أمتي البارحة، لَدُنْ هذه الحجرة، حتى إني لأعْرَفُ بالرجل منهم، من أحدكم بصاحبه». فقال رجل من القوم: يا رسول الله، هذا عُرِض عليك مَنْ خُلِق منهم، أرأيت من لم يُخلَق؟. فقال: «صُوِّروا لي، فوالذي نفسي بيده، لأنا أعْرَفُ بالإنسان منهم بصاحبه».

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣/ ١٨١ رقم (٣٠٥٤، ٣٠٥٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ٦٦ رقم (٤١٨٥)، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» وزاد نسبته للضياء المقدسي، ورمز له بالصحة. (انظر: «فيض القدير» ٤/ ٤١٤).

وقال الهيثمي: (رواه الطبراني، وفيه زياد بن المنذر، وهو كذاب). «مجمع الزوائد» ١٠/ ٦٩. وحكم عليه الألباني بالضعف في ضعيف «الجامع الصغير» ٤/ ٢٩ رقم (٣٧٠٣).

وهذه الرواية تختلف عما أورده الثعلبي في تفسيره، وليس فيه أنه سبب نزول الآية، ولا متعلق له بهذه الآية.

كما أخرج البخاريُّ حديثًا آخر من رواية أنس، نحو ما أورده المؤلف، ونصه: «سألوا النبي ﷺ حتى أحفَوْهُ بالمسألة، فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبرَ، فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم، فجعلت أنظر يمينًا وشمالًا فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة. ثم أنشأ عمرُ فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا. نعوذ بالله من سوء الفتن، فقال النبي ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قطُ، إنما صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط). قال =

وهذا[١] وجهان من التفسير لهذه الآية.

وقيل فيه وجه ثالث من التفسير، وهو: إن الخطاب للمشركين والمنافقين واليهود[٢] في قوله: ﴿أَنتُمْ﴾[٣]؛ والمراد بـ(المؤمنين)[٤] في قوله: ﴿لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: الذين هم[٥] في أصلاب الرجال من المشركين، وأرحام النساء من المشركات، ممن يؤمنون.

ومعنى الآية: ما كان الله لِيَدَعَ أولادَكُمْ الذين جرى لهم الحكمُ بالإيمان، على ما أنتم عليه من الشِّرْك، حتى يُفَرِّق بينكم وبين مَن في أصلابكم، وأرحام نسائِكم من المؤمنين.

وهذا قول الضّحاك[٦]، وابن عباس في رواية عطاء[٧].

= قتادةُ: يُذكر هذا الحديث عند هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. [١٠١ سورة المائدة]. «فتح الباري» ١٣/ ٤٣، كتاب الفتن. باب التعوذ من الفتن، ١٣/ ٢٦٥، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال.

(١) هكذا في (أ)، (ب)، (ج) . والأصوب أن يكون (هذان) إلا أني أبقيت (هذا) لاحتمال أن يريد بـ(هذا): ما سبق من قول في الآية.

(٢) في (ج): (ولليهود).

(٣) (أنتم): ساقطة من (ج).

(٤) (المؤمنين): ساقطة من (ج).

(٥) (هم): ساقطة من (ج).

(٦) قوله، في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٠ ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٤١.
وورد في «بحر العلوم»، عنه: (إن المنافقين أعلنوا الإسلام، وأسروا الكفر، وصلوا وجاهدوا مع المؤمنين، فأحب أن يُمَيِّز بين الفريقين، وأن يَدُلَّ رسول الله على سرائر المنافقين، فقال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾. يعني: المنافق من المؤمن) ١/ ٣١٩.
ورد في: «زاد المسير» ١/ ٥١٠ عن الضحاك، أن المخاطب في هذه الآية: الكفار والمنافقون.

(٧) لم أقف على مصدر قوله وفق سياق المؤلف. والذي ورد عن ابن عباس - من =

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾، لا يتعلق بأوَّلِ الآية في المعنى - على هذا التفسير -، ولكن معناه: إنه أَخْبَرَ ابتداءً، أنه لا يُطلِعُ أحدًا على عِلْمِ الغيب؛ لأنه لا يعلمه أحدٌ غيرُه، ولكن يجتبي مِن رُسُلِهِ مَنْ يَشاء، فَيُطْلَعَ على بعض عِلْمِ الغَيْب.

وقيل في سبب نزول قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: إنّ المشركين أنكروا نُبُوَّةَ محمد ﷺ، وقالوا: ما بالنا نحن لا نكون أنبياء، فإنَّا أكثرُ أموالًا وأولادًا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: لم يكن ليوحي إليكم فيجعلكم بمنزلة الرُّسُل، بظنِّكُم عند أنفسكم أنكم مستحقون ذاك[١]، بل يُنَبِّئ[٢] مَنْ يَراهُ أهلًا للخصوصية والتشريف.

وهذا معنى قولِ أبي إسحاق[٣]، وابنِ الأنباري[٤]. قال ابن

= رواية علي بن أبي طلحة -، قال: (يقول للكفار: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الكفر، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فيميز أهل السعادة من أهل الشقاوة). «تفسير ابن أبي حاتم»: ٣/ ٨٢٤-٨٢٥.

وكون الخطاب في الآية للكفار والمنافقين - وفق المعنى الذي ذكرته عن ابن عباس سابقًا -، قال عنه الثعلبي: (هو قول: ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي، وأكثر المفسرين). «تفسيره» ٣/ ١٦٠أ.

(١) في (ج): (ذلك).

(٢) في (ج): (ينبأ).

(٣) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٢. ولكن هذا القول، ليس مما تبناه الزجاج، وإنما أورده بصيغة (قيل)؛ فقد ذكر أولا قول الكلبي - الذي ذكره المؤلف -، وصدره بقوله: (يروى في التفسير)، ثم ذكر هذا القول، قائلًا: (وقد قيل في التفسير ..) وذَكَره.

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

الأنباري: وأوَّلُ الآية يدل على هذا، ويمكن حمله على هذا التفسير؛ وهو: أنهم أنكروا نُبُوَّةَ محمد، وما يدعوا إليه مِنْ تَرْكِ دينِ الآباءِ والأجداد. فأعلم الله - تعالى - أنه لم يكن لِيَدَعَ المؤمنين على ما عليه الكفارُ مِنَ العَمَى والحَيْرة؛ حتى يَنْتاشَهم[1] ويستنقذهم من المهالك، بإرساله محمدًا ﷺ، وإعطائه[2] إيَّاه مِنَ الدَّلائِلِ ما يكون عَلَما لِصِدْقِهِ، وسببًا لانقياد[3] [الناس][4] إلى متابعته.

فهذه أربعة أوجُهٍ مِنَ التفسير، في هذه الآية.

فقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾، هذه اللام يُسمِّيها بعضُ أهل النحو، لامَ الجَحْد؛ كما تقول: (ما كنت لأفعل ذلك)[5]. وهي في تأويل (كي)؛ ولذلك نَصَبَتْ ما بعدها.

وذكرنا الكلام في (يَذَر) عند قوله: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾[6].

---

(١) ينتاشهم؛ أي: يستخرجهم. وأصلها من: (النَّتْش)، وهو: نتف اللحم، وجذبه قرصًا، واستخراج الشوكة ونحوها. ويقال للمنتاش: استخرجه.
انظر (نتش) في: «اللسان» ٧/ ٤٣٣٦، و«القاموس» (٦٠٦).

(٢) في (أ)، (ب)، (ج): وأعطاه. والمُثْبَت هو ما استصوبته.

(٣) في (ب): (للانقياد).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٥) انظر: «اللامات»، للزجاجي ٦٨، و«المحلى» لابن شقير ٢٢٨.
وهي عند الكوفيين حرف زائد، يدخل لتقوية النفي، ويرى النحاس أن الصواب تسميتها (لام النفي)؛ لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه، لا مطلق الإنكار.
انظر: «المغني» لابن هشام ٢٧٨.

(٦) سورة البقرة: من الآية: ٢٣٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، والآية: ٢٤٠ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾.

فيه[١] قراءتان: التشديد والتخفيف[٢]. وهما لغتان. يقال: (مِزْتُ الشيءَ بَعْضَهُ عن بَعْض)، فأنا (أمِيزُهُ مَيْزًا)، و(مَيَّزْتُهُ تمييزًا)[٣]. ومنه الحديث: «مَن مَازَ أذًى عن طريق، فهو له صدقة»[٤].

---

(١) (فيه): ساقطة من (ج).

(٢) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: ﴿يَمِيزَ﴾ بفتح الياء الأولى، وكسر الميم مع التخفيف.
وقرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: ﴿يُمَيِّزَ﴾ - بضم الياء الأولى، وفتح الميم مع التشديد.
انظر: «السبعة» ٢٢٠، و«الحجة»، للفارسي ٣/ ١١٠، و«المبسوط» لابن مهران ١٤٩-١٥٠.

(٣) أي: عزلته، وفرزته، وخلصته.
انظر: «علل القراءات» للأزهري ١/ ١٣٣، و«المجموع المغيث» ٣/ ٢٤٨، و«اللسان» ٧/ ٤٣٠٧ (ميز).

(٤) الحديث من رواية أبي عبيدة بن الجراح، أخرجه: أحمد في «المسند» ١/ ١٥٩-١٩٦، والخطابي في «غريب الحديث» ٣/ ١٢٧.
وأورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٣٨٠، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٠٠، وزاد نسبة إخراجه لأبي يعلى، والبزار، وقال: (وفيه يسار بن أبي سيف، ولم أر من وَثَّقه، ولا من جرحه، وبقية رجاله ثقات).
قال البنا في: «الفتح الرباني» ١٩/ ١٩٧ - معلقًا على كلام الهيثمي -: (الظاهر أن النسخة التي وقعت للحافظ الهيثمي فيها يسار - بالياء التحتية، والسين المهملة -، وهو خطأ؛ ولذلك لم يجد له ترجمة، والصواب بشار بالباء الموحدة، والشين المعجمة -، كما جاء في نسختنا. وفي «تقريب التهذيب»: بشار بن أبي سيف الجَرمي - بفتح الجيم - الشامي، نزل البصرة، مقبول).
ولفظه - عند أحمد -: (مَن أنفق نَفَقَة فاضلَة في سبيل الله، فبسبعمائة، ومن أنفق على نفسه وأهله، أو عاد مريضًا، أو مَازَ أذًى، فالحسنة بعشر أمثالها، الصوم =

وقال الشاعر:

تَنْفِي رُضَاضَ الحَصَا مَنَاسِمُها كَمَا يَمِيزَ الزُّيُوفَ مُنْتَقِدُ[١]

و(التمييز)[٢] ليس بمنقول بالتشديد عن (المَيْز)؛ كـ(التَّغْرِيم) مِنَ (الغُرْم)؛ لأنه لو كان منقولًا لَتَعدَّى إلى مفعولين؛ كـ(التغريم)؛ فإنه [يقال][٣]: غَرَّمْتُ زيدًا مالًا. و(التمييز) لا يتعدّى إلى مفعولين إلّا بحرف جرٍّ؛ نحو قولك: (مَيَّزت مَتَاعَكَ بعضَه مِن بعضٍ).

ومثل[٤] (مَيَّز) - في أنَّ التضعيف فيه ليس للنقل والتعدّي - قولُهم: (عَوَّض)، فهو بمعنى (عاض). ولو كان التضعيف فيه للنقل؛ لَتَعدّى إلى ثلاثة مَفْعولِينَ[٥]؛ لأن (عاض) يَتَعدَّى إلى مَفْعولَيْنِ، فـ(عَوّضَ) و(عاض) لُغَتَان.

وحجّة مَن قَرَأ بالتخفيف: أنَّه يَصْلُح للقليل والكثير؛ لأن (المَيْز) كـ(التمييز)، سَوَاء، وهو - مع ذلك - خفيف في اللفظ. وإذا اجتمعت خِفَّةُ اللفظ مع استيعاب المعنى، كان المصير إليه أَوْلى.

= جُنَّة ما لم يَخرْقها، ومَن ابتلاه ببلاءٍ في جَسَدِهِ فَهو له حِطَّة).

ومعنى (مَازَ): نحَّى وأزال.

(١) لم أهتد إلى قائله.

رُضَاض الحصا: فُتَاتُه. انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٥٩ (رضض).

المناسم: جمع (مَنْسِم)، وهو: طرف الخُفِّ من: البعير والنعامة والفيل والحافر.

انظر: «اللسان» ٧/ ٤٤١٥ (نسم).

والمُنْتَقِد: الصيرفي الحاذق، الذي يميز الدراهم الصحيحة من الزائفة.

(٢) من قوله: (والتمييز ..) إلى (.. فعوض وعاض لغتان): نقله - بمعناه - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ١١١-١١٣.

(٣) ما بين المعقوفين غير مقروء في (أ). وساقط من (ب). والمثبت من (ج).

(٤) في (ج): (ومثلى).

(٥) في (ب): (مفاعيل).

وحكى أبو زيد، عن أبي عمرٍو، أنه كان يقول[١]:

التشديد للكثرة، فأما واحدٌ مِن واحدٍ فـ(يَمِيز) - بالتخفيف -. والله - تعالى - يقول: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾، فَذَكَر شيئين. و- هذا - كما قال بعضهم[٢] في (الفَرْق) و(التَّفرِيق)[٣].

وحجّة من قرأ بالتشديد: أن التشديد للتكثير والمبالغة، ويكثر المؤمنون والمنافقون. فالتمييز - ههنا - أَوْلى، والله - تعالى - ذَكَرَ الجِنْسَيْنِ بلفظ ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ و﴿ٱلطَّيِّبِ﴾، وهما للجِنْس؛ فالمراد بهما: جميع المؤمنين والمنافقين، لا اثنان منهما. وقد قال الله - تعالى -: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]. وهذا مُطَاوِع [(التَّمييز). والذي يدل على[٤] أن التخفيف أولى، قولُه: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ [يس: ٥٩]، وهو مُطاوِع][٥] (المَيْز).

وقوله تعالى: ﴿لِيُطْلِعَكُمْ﴾.

الإطْلاعُ: أن تُطلِعَ إنسانًا على أمرٍ، لم يكن عَلِمَ[٦] به. فيقال[٧]:

---

(١) لم أقف على مصدر قوله. وقد ذكره - بمعناه - ابنُ زنجلة في: «حجة القراءات» ١٨٢.

(٢) ذكر الثعلبي والقرطبي هذا القائل، وهو: أبو معاذ، الفضل بن خالد المروزي، أحد كبار علماء النحو، قال السيوطي: (وذكره ابن حبان في الثقات، وصنف كتابًا في القرآن). توفي سنة (٢١١هـ). انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٠ أ - ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٩، و«بغية الوعاة»، للسيوطي ٢/ ٢٤٥.

(٣) في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٠ أ، (ومثله، إذا جَعلتَ الواحدَ شيئين، قلت: (فَرَقْتُ بينهما)؛ ومنه: (فَرْقُ الشَّعْرِ). فإن جعلته أشياء، قلت: (فَرَّقْتُه تفريقًا). وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٢٨٩.

(٤) وردت العبارة في (ج): (والذي يدل من التميين على ..). ولم أر لها وجهًا. والعبارة ساقطة من: (أ)، (ب). وما أثبتُّه هو ما استصوبته.

(٥) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٦) في (ج): (يعلم). (٧) في (ج): (فيقال).

(أطلعته على كذا)؛ أي: أعلمته. ويقال: (أَطْلِعْنِي طِلْعَ أمْرِكَ)؛ أي: أعلمني بما خَفِيَ منه عَلَيَّ[(١)].

ويقال: (طَلَعْتُ على كذا)، و(اطَّلَعتُ)، و(أَطْلَعْتُ عليه)[(٢)]، و(أطْلَعْتُ غيري)[(٣)]. فـ(الاطلاع)، واقعٌ ومُطاوع[(٤)].

١٨٠- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية.

قُرِئ: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء[(٥)].

فمن قَرَأ بالياء؛ فـ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾: فاعل [﴿يَحْسَبَنَّ﴾][(٦)]، والمفعول الأول محذوفٌ؛ لدلالة اللفظ عليه؛ معناه: لا يَحسَبَنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ، البُخْلَ خيرًا لهم. فدلّ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ على البخل، فَحُذِفَ؛ كقولهم: (مَنْ كَذَبَ كان شَرًّا له)؛ أي: الكذب[(٧)]. ومثلُه:

إذا نهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليه[(٨)]

---

(١) في (ج): (خفي علي منه).

(٢) (وأطلعت عليه): ساقطة من (ج).

(٣) انظر (طلع) في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٦، و«اللسان» ٥/ ٢٦٨٩.

(٤) سبق بيان أن الفعل الواقع، هو: المتعدِّي إلى مفعول به أو أكثر. وسُمِّي بذلك؛ لأنه يقع على المفعول به.
أما الفعل المُطَاوِع، فيعني به - هنا - الفعل اللازم؛ لأن المطاوعة سبب من أسباب لزوم الفعل المتعدي لواحد.
انظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» د. أحمد اللبدي ١٤١.

(٥) قرأ حمزةُ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء. وقرأ الباقون بالياء.
انظر: «حجة القراءات»، لابن زنجلة: ١٨٣، و«التبصرة» لمكي ٤٦٨.

(٦) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

(٧) انظر: «الأصول في النحو» لابن السراج ١/ ٧٩، ٢/ ١٦٧.

(٨) صدر بيت، وعجزه:

وَخَالَفَ والسَّفِيهُ إلى خِلافِ

أي: إلى السَّفَهِ. وأنشد الفَرّاء[(١)]:

هُمُ المُلوكُ وأبناءُ المُلوكِ هُمُ والآخِذُونَ بِهِ والسَّاسَةُ الأُوَلُ[(٢)]

قوله: (به)؛ يريد: بالمُلْكِ. فاكتَفَى منه بِذِكْرِ (المُلُوك).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

﴿هُوَ﴾ - ههنا - فَصْلٌ[(٣)]، وهو الذي يُسَمِّيه الكوفيون:

= وقد نُسب في «إعراب القرآن»، المنسوب للزجاج ٣/ ٩٠٢ إلى أبي قيس الأسلت الأنصاري. وورد غير منسوب في: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٤، ٤٢٩، و«تأويل مشكل القرآن» ٢٢٧، و«مجالس ثعلب» ١/ ٦٠، و«تفسير الطبري» ٧/ ٤٣١، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٤٨، ٤٢٢، و«الخصائص» ٣/ ٤٩، و«المحتسب» ١/ ٧٠، ٢/ ٣٧٠، و«شرح الحماسة»، للمرزوقي ٢٤٤، و«أمالي المرتضى» ١/ ٢٠٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦١أ، و«العمدة» لابن رشيق ٢/ ١٠٣٤، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٠٣، ١٦٩، ٢/ ٣٦، ٣٨٥، ٥٠٧، و«البيان» للأنباري ١/ ١٢٩، ٢٨٥، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي ٥/ ١٧٩، و«خزانة الأدب» ٤/ ٣٦٤، ٥/ ٢٢٦.

وروايته في «شرح الحماسة»: (.. إذا زُجِرَ السفيهُ..).

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ١٠٤.

(٢) البيت للقطامي. وقد ورد في «ديوانه» ٣٠.

وورد منسوبًا له في: «جمهرة أشعار العرب» ٨١١، و«أمالي المرتضى» ١/ ٢٠٣، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٠٣، ٢/ ٣٦، ٣/ ١٠٣، و«خزانة الأدب» ٥/ ٢٢٧، ٢٢٨، ٦/ ٤٨٣، ٤٨٥.

وقد ورد في المصادر السابقة - عدا ديوانه -: (.. وأبناء الملوك لهم ..). ويعني بها: وأبناء الملوك منهم.

البيت من قصيدة قالها في مدح عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وقيل: هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وكان يكنى أبا عثمان. وقد ورد اسمُ عبد الواحد وكنيتُه في القصيدة.

(٣) في (ج): (فضل). وضمير الفَصْل، تَسْمِيَةٌ بَصْرِيَّةٌ؛ (لأنه فَصَل بين المبتدإ والخبر. وقيل: لأنه فصل بين الخبر والنعت. وقيل: لأنه فصل بين الخبر والتابع؛ لأن الفصل به يوضح كون الثاني خبرًا تابعًا). «همع الهوامع» ١/ ٢٣٦. وانظر: «دراسة في النحو الكوفي» ٢٣٩.

عِمَادًا[١]؛ وذلك أنّ تَقَدُّمَ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بمنزلة تقدم (البُخل)؛ فَكَأنَّه قيل: ولا يَحْسَبَنَّ الذين يَبخَلُونَ البُخْلَ - هو - خَيْرًا لهم.

ومَن قَرَأ بالتَّاء فَقَال الزّجَّاجُ[٢]: معناه: ولا تَحْسَبَنَّ بُخْلَ الذين يبخلون، فَحذف المُضَاف؛ كأنه قيل: ولا تَحسَبَنَّ بُخْلَ الباخلين [هو][٣] خيرًا.

وأمَّا التفسير فقال ابنُ عباس - في رواية عطاء -[٤]، وأكثر أهل التفسير - ابن مسعود[٥]، والشعبي[٦]، والسُّدِّي[٧]، وغيرهم[٨] -: نزلت

---

(١) لأنه يعتمد عليه في الفائدة. وبعض الكوفيين يسميه: دِعَامة؛ لأنه يُدعَم به الكلام؛ أي: يُقوى به ويؤكد. وبعضهم سماه: صفة. انظر: المراجع السابقة، و«شرح المفصل» ٣/ ١١٠، و«الإنصاف» للأنباري ص٥٦٧.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٣. نقله عنه بمعناه.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٤) قوله، في: «بحر العلوم» ١/ ٣١٩، و«تفسير الثعلبي»: ٣/ ١٦١ ب. إلا أنهما أطلقا العزو إليه، ولم يقيداه برواية عطاء.
وفي «زاد المسير» ١/ ٥١٢ أنه من رواية أبي صالح.
وورد عنه قول آخر - من رواية عطية العوفي -: إن المراد بالآية: أهل «الكتاب»، بخلوا أن يبينوه للناس. وهو قول مجاهد.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٦.

(٥) ورد قوله هذا في أثر يرفعه النبي ﷺ، في: «سنن الترمذي» رقم (٣٠١٢). كتاب التفسير. ومن سورة آل عمران. وقال: (حسن صحيح)، وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» ٤/ ١٢ رقم (٢٢٥٦)، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٤٧ رقم (١٠٤)، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٩٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٢٦.

(٦) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦١ ب.

(٧) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦١ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٠.

(٨) انظر: المصادر السابقة.

الآية في الباخلين بالزكاة الواجبة(١) عليهم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ قال ابن عباس(٢): يريدون: الذهبَ والفِضَّةَ والحيوان والثِّمَارَ. فَفَسَّرَهُ(٣) بالأشياء التي تَجِبُ فيها الزكاةُ.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۡۖ﴾ قال الحَسَن(٤): لأنهم نالوا بهِ عَذَابَ الله.

وقوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ أكثرُ المفسِّرينَ على أنَّ معناه: يُجْعَلُ ما بَخِلَ به مِنَ المَالِ حَيَّةً، يُطَوَّقها يومَ القيامة(٥) في عُنُقِهِ، تَنْهَسُهُ(٦) مِنْ قَرْنِهِ(٧) إلى قَدَمِهِ(٨).

يَدُلُّ على هذا ما روى ابن مسعود عن النبي ﷺ، [قال](٩): «ما مِن

---

(١) انظر: (الموجبة).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.

(٣) في (ج): (يفسره).

(٤) لم أقف على مصدر قوله.

(٥) (يوم القيامة): ساقط من (ج).

(٦) في (ب)، (ج): (تنهشه).
(تَنْهَسُهُ، وتَنْهَشُه)، بمعنى واحد. ولكن (النَّهَس): أن يأخذه بمقدم الأسنان، و(النَّهْش): أن يأخذه بأضراسه.
انظر: «القاموس المحيط» ٥٧٩ (نهس)، ٦٠٨ (نهش).

(٧) (القَرْنُ) من الإنسان: الجانب الأعلى منه.
انظر (قرن) في: «القاموس» ١٢٢٣، و«المعجم الوسيط» ٢/ ٧٣٧.

(٨) ممن قال ذلك: أبو مالك العبدي، وابن مسعود، وأبو وائل، والسُّدِّي، ومقاتل.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣١٨، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٩١-١٩٣.

(٩) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).

رَجُلٍ لا يُؤدِّي زكاةَ مالِهِ إلاَ جُعِلَ[١] له شُجاعٌ[٢] في عنقِهِ يومَ القيامة»، ثُمَّ قَرَأ علينا رسول الله ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كتاب الله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾[٣] وقال إبراهيم النَّخَعِي: معناه: يُجعَل يوم القيامة في أعناقهم، طَوْقٌ مِن نارٍ.

أخبرنا إسماعِيل بن أبي القَاسِم الصوفي[٤]، أَبَنَا[٥] أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن علَّك الجَوْهري[٦]، بِمَرْو[٧]، ثنا عبد الله بن محمود

---

(١) في (ج): (جعل الله).

(٢) الشجاع - بضم الشين وكسرها -: الحَيَّةُ الذَّكَر. وقيل: الحيةُ مطلقًا. انظر: «الفائق في غريب الحديث» ٢/ ٢٢٢، و«النهاية في غريب الحديث» ٢/ ٤٤٧.

(٣) الحديث أورده المؤلف بالمعنى، وقد أخرجه: الترمذي في «سننه» رقم (٣٠١٢). وقال: (حسن صحيح). والنسائي في «سننه» ٥/ ١١ رقم (٢٤٤١). وأخرجه في «تفسيره» ١/ ٣٤٦-٣٤٧. وابن ماجه في «سننه» رقم (١٧٨٤)، وأحمد في «المسند» (شرح شاكر): رقم (٣٥٧٧) وقال شاكر: (إسناده صحيح). والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩ كتاب التفسير. باب: سورة آل عمران. وابن خزيمة ٢/ ١٢ رقم (٢٢٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٩/ ٢٦٢ رقم (٩١٢٣-٩١٢٦). والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٩٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٢٧.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) (أبنا): اختصار لـ(أخبرنا). وفي «تدريب الراوي»: (ويكتبون من (أخبرنا): (أنا)؛ أي: الهمزة والضمير. ولا تحسن زيادة الباء قبل النون، وإنْ فعله البيهقيُّ وغيره؛ لأنها تلتبس برمز (حدثنا)). ٢/ ٨٧.

(٦) ويقال المروزي. أحد الحفاظ المتفق على جلالتهم، ويعد من نقاد أئمة الحديث بـ(مرو). توفي سنة (٣٦٠هـ).

انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١٦٨، و«تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩٢٩، و«شذرات الذهب» ٣/ ٣٧.

(٧) مَرْوُ، وتسمى: (مرو الشاهِجَان). وهي أشهر مدن خراسان، وقصبتها. والنسبة =

السَّعْدِي[(١)]، ثنا موسى بن بحر[(٢)]، ثنا عَبِيدة بن[(٣)] حُمَيْد[(٤)]، حدَّثني منصور[(٥)]، عن إبراهيم[(٦)] - في قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾-، قال: (يُطَوَّقون بِطَوْقٍ[(٧)] مِنْ نار)[(٨)].

= إليها: (مرْوَزي) على غير قياس. ويقال عن الثوب (مَرْوِي) على القياس. وهناك مدينة أخرى تسمى (مرو الرُّوذ). والنسب إليها: (مرْوَرُوذي) و(مرُّوذي). وهي أصغر من (مرو الشاهِجان). انظر: «معجم البلدان» ٥/ ١١٢.

(١) هو: أبو عبد الرحمن، السعدي المروزي. الشيخ العالم الحافظ الثقة المأمون. توفي سنة (٣١١هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٤٩٩، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٧١٨، و«شذرات الذهب» ٢/ ٢٦٢.

(٢) أبو عِمْران، المروذي، أصله عراقي، مقبول، عده ابن حجر من الطبقة العاشرة، ممن لم يَلْقَوا التابعين، وإنما رَوَوْا عن أتباع التابعين، مات سنة (٢٣٠هـ). انظر: الثقات، لابن حبان: ٩/ ١٦٢، و«الجرح والتعديل» ٨/ ١٣٧، و«تقريب التهذيب» ص٥٥٠ (٦٩٥٠).

(٣) في (ج): (عن) بدلًا من (بن).

(٤) هو: عَبِيدة بن حُمَيد التيمي، وقيل: الليثي، وقيل: الضبِّي، أبو عبد الرحمن الحذَّاء. قال ابن المديني: ما رأيت أصح حديثًا منه، وأحسن الإمام أحمد الثناء عليه جِدًّا، ورفع أمره. وكان صاحب نحو وعربية وقراءة للقرآن. مات سنة: ١٩٠هـ. انظر: «الجرح والتعديل»: ٦/ ٩٢، و«تاريخ بغداد» ١١/ ١٢٠، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٢٢، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٣.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) هو النخعي.

(٧) في (ج): (يطوق).

(٨) أخرج الأثر عنه - كذلك -: سفيان الثوري في «تفسيره» ٨٢، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤١، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٩٢-١٩٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٢٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨٥ وزاد نسبة إخراجه لسعيد ابن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وعلى هذا التَّفْسِير؛ يُجعَلُ ما بَخِلُوا به مِنْ المال، طَوْقًا مِنْ نارٍ، كما جُعِلَ في التفسير الأوَّلِ حَيَّة.

وقال المُؤَرج[١]: معناه[٢]: يُلْزَمُون أعمالَهم، مِثْل ما يَلْزم الطوقُ العنقَ. والعربُ تكني بالتطويق[٣] عن الإلْزام؛ ومنه قراءة مَن قرأ: ﴿وعلى الذين يُطَوَّقُونَه﴾ [البقرة: ١٨٤][٤]؛ أي: يَتَكَلَّفُونه، ويُلْزَمُونَه. يُقال: (طُوِّقَ فلانٌ عَمَلَهُ، مثلَ طَوْقِ الحَمَامَةِ).

قال ابنُ الأنباري[٥]: معناه - على هذا التفسير -: سَيُطَوَّقُونَ جَزَاءَ ما بَخِلُوا به. وذِكْرُ التَّطْوِيق - ههنا - علىٰ جهة المَثَلِ، كِنَايَةً عن الإلزام، لا على أنَّ ثَمَّ أطواقًا.

وقال ابن عباس - في رواية العَوْفي -[٦]: نزلت هذه الآية في اليهود الذين كتموا صِفَةَ محمد ﷺ، وأراد بـ(البخل): كِتْمان العِلْم الذي آتاهم الله.

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) (معناه): ساقط من (ج).

(٣) في (ج): (بالطريق).

(٤) القراءة التي ذكرها المؤلف: ﴿يُطَوَّقونه﴾، هي قراءة: عائشة، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وطاوس، وعطاء.
انظر: «صحيح البخاري» (٤٥٠٥) كتاب التفسير. باب: ٢٥ فقد رواها عن ابن عباس. و«مصنف عبد الرزاق» ٤/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣ رقم (٧٥٧٣-٧٥٧٥)، (٧٥٧٧) رواها عن ابن عباس، ورقم (٧٥٧٦) عن عائشة، ورقم (٧٥٨٣) رواها عن ابن جبير. و«الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد بن سلام ٤٦، ٤٧، و«تفسير الطبري» ٢/ ١٣٢، و«الدر المنثور» ١/ ٣٢٦، فقد أخرجوها عمن سبق.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) هذه الرواية في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٢-ب، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٣٦-١٣٧.

يَدُلُّ على هذا التفسير: قولُه - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧].

وعلى هذا، معنى قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾؛ أي: يُحَمَّلُون وِزْرَهُ وإثْمَهُ. وهذا القول اختيار: ابنِ كَيْسان[١]، وأبي إسحاق[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال المفسرون كلُّهم[٣]: يعني أنه يَفْنى أهلُها، وتبقى الأملاكُ والأموالُ، ولا مالكَ لها إلا اللهُ. فجرى هذا مجْرى الوِراثَةِ؛ إذْ كانَ الخَلْقُ قبل ذلك يَدّعُونَ المُلْكَ، فَلَمَّا ماتُوا عنها، ولم يُخَلِّفُوا أحدًا، كانَ هو الوارث لها - جل وعَزَّ -.

قال أبو إسحاق[٤]: خُوطِبَ القومُ بِمَا يَعْقِلُون؛ لأنهم يَجْعَلُون ما رَجَعَ إلى الإنسانِ ميراثًا، [إذا كان ملكًا له.

وتأويله: بُطلانُ مُلْكِ جميع المَالِكين، إلّا مُلْك الله -جَلَّ وعَزَّ-][٥]، فيصير كالميراث.

قال ابن الأنباري[٦]: والعرب تقول: (وَرِثَ فلانٌ عِلْمَ فلانٍ): إذا

---

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) هو الزجاج، في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٩، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٩٣، و«تفسير الطبري» ٧/ ٤٤٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣١٩، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٤٣، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٩٣.

(٤) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٣. نقله عنه بنصه.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده الفخرُ الرازي في «تفسيره» ٩/ ١١٩، والنيسابوري في: «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» ٤/ ١٣٧.

تَفَرَّد به[١] بعد أن كان مشاركًا فيه[٢].

وقد قال الله - تعالى -[٣]: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، [فَذَهَبَ إلى وِراثَتِهِ عِلْمَهُ، بعد أنْ كانَ داودُ][٤] مشاركًا فيه[٥]، أو[٦] غالبًا عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

مَنْ قَرَأَ بالياءِ[٧]، فلأنَّ ما قَبْلَهُ على الغَيْبَةِ، وذلك قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَهُ﴾[٨]، ﴿والله بِمَا يَعملون[٩] خبير﴾ مِنْ مَنْعِهِم الحقوقَ، فيُجَازِيهم عليه.

ومَن قرأ بالتاء؛ فَلأنَّ قبل هذه الآية خِطابًا، وهو قوله: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، فَيُجازِيكم عليه.

---

(١) في (ب): (انفرد). وكذا وردت في «تفسير الفخر الرازي».

(٢) في «غرائب القرآن»: (مشاركًا له فيه).

(٣) في «غرائب القرآن»: (ومثله). بدلًا من (وقد قال الله تعالى).

(٤) ما بين المعقوفين: زيادة من (ج).
والعبارة في «تفسير الفخر الرازي»: (وكان المعنى: انفراده بذلك الأمر، بعد أن كان داود ..).

(٥) في «غرائب القرآن»: (مشاركًا له فيه).

(٦) في (ج) و«تفسير الفخر الرازي»: (و) بدلًا من (أو).

(٧) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بالياء في ﴿يَعۡمَلُونَ﴾. وقرأ الباقون: بالتاء ﴿تَعۡمَلُونَ﴾. انظر: «السبعة» ٣٢٠، و«القراءات» للأزهري ١/ ١٣٣، و«الحجة»، للفارسي ٣/ ١١٣.
ومن قوله: (من قرأ ..) إلى (.. أقرب إلى الصواب): نقله - بتصرف - عن: «الحجة» للفارسي ٣/ ١١٣.

(٨) هكذا في (أ)، (ب)، (ج). وفي «الحجة»: (سيطوقون).

(٩) في (ج): (تعملون).

والغَيْبَةُ أقرب إليه مِنَ الخطاب.

١٨١- وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ الآية.

قال ابن عباس[١] والمفسِّرون[٢]: نزلت هذه الآية في اليهود، حين قالوا - لَمَّا نَزَلَ قولُه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾[٣] -: إنَّ الله فقيرٌ يَسْتَقرِضُنا، ونحن أغنياء.

ويُروى أن قائل هذا رجلٌ من اليهود، يقال له فِنْحاص، قال: لو كان الله غنيًّا ما استَقْرَضَنَا أموالَنَا[٤]، وأنه[٥] يَنهَى عن الرِّبَا، ويعطينا، ولو كان غنيًّا ما أعطانا الرِّبا. وقيل: إن قائِلَه: حُيَيُّ بن أَخْطَب[٦].

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ أي: نأمر[٧] الحَفَظَةَ بإثبات قولهم

---

(١) قوله، في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٢٨.
وأورده السيوطي في: «الدر» ٢/ ١٨٦ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر. وذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٢٣١، والسيوطي في «لباب النقول» ٦١، ٦٢ وحسَّنا إسناده.

(٢) منهم: السُّدِّي، ومجاهد، وابن جريج، والحسن، وقتادة، وعكرمة، وابن إسحاق. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٤-١٩٥، و«أسباب النزول»، للواحدي ص١٣٧-١٣٨.

(٣) في (أ): (ذي). والمثبت من رسم المصحف، وبقية النسخ.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) في (ج): (فإنه).

(٦) قال بذلك: قتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٨٧ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر. ونُسِب القولُ بهذا للحَسَن. انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٣أ، و«زاد المسير» ١/ ٥١٥. ويرى ابنُ عطيَّة أنَّ هذا القول (صدر أولا عن فنحاص، وحُيَي، وأشباههما من الأحبار، ثم تقاولها اليهود..)، ويستدل ابن عطية بقوله تعالى: ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾؛ حيث إنهم جماعة. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٤١.

(٧) في (ب): (نأمن).

في صحائف أعمالهم؛ وذلك أظهر في الحُجَّةِ عليهم. وهذا كقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقرأ[(١)] حمزة[(٢)]: ﴿سيُكتَبُ ما قالوا﴾ اعتبارًا بقراءة عبد الله[(٣)]: (وَيُقالُ ذُوقوا عذابَ الحَرِيق)[(٤)]؛ ولأنَّه مِنَ التَّصرُّف في وجوه الكلام.

وقراءة العامَّة أحسنُ؛ لِجَرْيِ الكلامِ فيها على تَشَاكل[(٥)].

و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾: اسمٌ للنار الملتهبة، وهوبمعنى المُحْرِق[(٦)].

١٨٢- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

أي: ذلك[(٧)] العذاب بما سلف من الإجرام، وأضيف التقديم إلى أيديهم -وهو لهم في الحقيقة-؛ لِيَكون أَدَلّ على تَوَلِّي الفِعْلِ؛ لأنه قد يُضافُ الفِعْلُ إلى الإنسان على أنه أَمَرَ به، وَدَعَا إليه؛ نحو قوله: ﴿يُذَبِّحُ

---

(١) في (ج): (وقال).

وانظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٩ فقد ورد فيه معنى ما ذكره المؤلف.

(٢) وقد قرأ حمزة: ﴿سيُكتَبُ﴾ - بالياء -، و﴿قَتْلُهُم﴾ - بضم اللام -، و﴿يقُولُ﴾ - بالياء -. وقرأ الباقون: ﴿سَنَكْتُبُ﴾ - بالنون -، و﴿قَتْلَهُمُ﴾ - بفتح اللام -، و﴿نَقُولُ﴾ - بالنون -.

انظر: «القراءات» للأزهري ١/ ١٣٤، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١١٥، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨٣.

(٣) هو ابن مسعود ﷺ.

(٤) انظر: قراءته، في «المصاحف» لابن أبي داود ٦٠، وهي فيه: (ويقال لهم ذوقوا)، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٩، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٩٦، و«زاد المسير» ١/ ٥١٥، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٩٥.

(٥) في (ب): (مشاكل).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٩٤.

(٧) (ذلك): ساقطة من (ج).

﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، فإذا ذُكِرَت اليَدُ، دَلَّ على تَوَلِّي الفعل؛ نحو قوله - تعالى -: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ ابتداءٌ. وخَبَرُهُ: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾. أي: وبأن الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

وموضع (أنَّ)[١]: جَرٌّ[٢].

١٨٣- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ الآية.

قال أبو إسحاق[٣]: هذا مِن نَعْتِ (العبيد)[٤].

ويجوز أن يكون رفعًا بالابتداء؛ على معنى: هم الذين قالوا. ويجوز أن يكون بدلًا مِنَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأوَّل[٥].

قال السدِّي[٦]: إن الله أمَرَ بني إسرائيلَ في التوراة: مَن جاءَكم[٧] يَزْعُمُ أنه رسول الله، فلا تُصَدِّقوه حتى يأتيكم بِقُرْبانٍ تأكله النار، حتى يأتيكم المسيحُ ومحمد، فإذا أتَيَاكم، فآمنوا بهما، فإنهما يأتيان بغير قُرْبان.

وقوله تعالى: ﴿بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾.

---

(١) في (ج): (أجر) بدلًا من: (أن).

(٢) لأنها معطوفة على (ما) المجرورة بالياء، من قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ﴾.

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٤. نقله عنه بنصه.

(٤) قال ابن عطية عن هذا الإعراب: (وهذا مفسد للمعنى والرصف). «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٤٣.

(٥) ويجوز أن يكون صفة لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾.
ويجوز فيها النصب بإضمار فعل، مثل: (أَذُمُّ)؛ أي: أذم الذين. انظر: «الدر المصون» ٣/ ٥١٦.

(٦) قوله - بنصه - في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٤ ب.

(٧) في المصدر السابق: (من جاءكم من أحد يزعم).

القُرْبان: البِرُّ الذي تتقرب به إلى الله[١]. وأصلُهُ المَصْدَر؛ من قولك: قَرُبَ قُرْبانًا[٢]. كالكُفْران والرُّجْحان، والخُسْران، ثم يُسَمَّى[٣] به نَفْسُ المُتَقَرَّب به. ومنه قوله ﷺ، لكَعْبِ بن عُجْرَة[٤]: «**يا كعبُ: الصوم جُنَّة، والصلاة قُرْبان**»[٥]؛ أي: بها يُتَقَرَّبُ إلى الله، ويُسْتَشفَعُ في الحاجة

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» ١/ ٣٢٥، و«الكُلِّيَّات» ٧٠٢، ٧٣٣، و«التوقيف على مُهِمَّات التعاريف» ٥٧٨.

(٢) قُرْبانًا، وقِرْبانا، وقُرْبًا. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٠٦٦ (قرب).

(٣) في (ج): (سمي).

(٤) كعب بن عجرة القُضاعي، حليف الأنصار، صحابي، مدني، شهد عمرة الحديبية، وسكن الكوفة، مات بالمدينة سنة (٥١ أو ٥٢، أو ٥٣هـ).
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٣٧٩، و«الإصابة» ٣/ ٢٩٧.

(٥) مقطع من حديث طويل، أخرجه: عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٤٥ رقم (٢٠٧١٩).
وابن حبان في صحيحه (انظر: الإحسان: ٥/ ٩ رقم (١٧٢٣)، و١٠/ ٣٧٢ رقم (٤٥١٤).
والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٤٢٢. وقال: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي.
والبزار (انظر: «كشف الأستار» ٢/ ٢٤١ رقم ١٦٠٩، وفيه: «.. الصلاة برهان، والصوم جنة») .
وورد من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن كعب، أخرجه: ابن حبان في صحيحه (انظر: الإحسان: ١٢/ ٣٧٨ رقم ٥٥٦٧).
والطبراني في «المعجم الكبير» ١٩/ ١٦٢ رقم (٣٦١)، ولفظه عنده: (الصلاة برهان، والصوم جنة)، وأخرجه من طرق أخرى عن كعب، في: ١٩/ ١٠٥ رقم (٢١٢)، ١٣٥ رقم (٢٩٨)، و١٤١ رقم (٣٠٩)، و١٤٥ رقم (٣١٨)، ولفظ بعضها: (الصلاة نور)، وبعضها: (الصلاة برهان).
وأخرجه الإمام أحمد في: المسند، عن جابر: ٣/ ٣١٢ ، انظر: «الفتح الرباني» ٢٣/ ٢٦-٢٧)، واقتصر على بعض ألفاظه، وليس فيه هذا المقطع، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن جابر ٥/ ٢٤٧، وقال: (رواه أحمد والبزار، =

لَدَيْهِ[١].

قال عَطَاءٌ[٢]: كانت بنو إسرائيل يَذْبَحُون لله، فيأخذون الثُّرُوبَ[٣] وأطايِبَ اللَّحْمِ، يضعونها في وسْطِ بَيْتٍ، والسَّقْفُ مكشوفٌ، فيقومَ النبيُّ في البيت، ويُناجي رَبَّهُ، وبنو إسرائيل خارجون حول البيت، فتنزل نارٌ[٤] بيضاء لها دَويٌّ وحَفِيفٌ، ولا دُخانَ لها، فتأكل ذلك القربان، فقال الله - تعالى - إقامةً للحُجَّةِ عليهم:

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾، إلى آخرها.

وخُوطِب [بهذا][٥] اليهودُ الذين كانوا في عهد النبي ﷺ؛ لأنهم يجرون مجرَى أسلافهم؛ لِرِضاهم بمذاهبهم، وكونهم على طريقتهم.

وقد مضى مثل هذا في أوائل سورة البقرة[٦].

١٨٤- قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية.

= ورجالهما رجال الصحيح ..)، وفي: ١٠/ ٢٣٠ وقال: (رواه أبو يَعلى، ورجاله رجال الصحيح، غير أبي إسحاق بن أبي إسرائيل، وهو ثقة مأمون).

وأورده المتقي الهندي في: «كنز العمال»: ٦/ ٧١-٧٢ رقم (١٤٨٩٣)، وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد، والدارمي، وابن زنجويه، وسعيد بن منصور، والطبري، والطبراني، وأبي نعيم في: الحلية، والبيهقي في: الشعب.

(١) في (ج): (إليه).

(٢) قوله، في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٥ أ، و«زاد المسير» ١/ ٥١٦.

(٣) الثُّرُوب، جمع: ثَرْب، وهو: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. انظر: «القاموس» ٨٠ (ثرب).

(٤) في (ج)، و«تفسير الثعلبي»: (نارا).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. من الآية: ٦١ من سورة البقرة، في «تفسير البسيط».

قال ابن عباس[١]، والحسن[٢]، والضحّاك[٣]، وابن جريج[٤]: هذه الآية تعزِيَةٌ للنبي ﷺ، في تكذيب اليهود إيَّاه، وجوابٌ لقائلٍ يقول: لو كان ما جاء به حقًّا لَصَدّق به مَن أتاه من العقلاء، وبيان أنهم إن كَذَّبوهُ، فالتكذيب عادة للأمم، وسائر الرُّسُل قد كُذّبوا كما كُذِّب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾.

معناه: الكُتُب. وهو جَمْعُ (زَبُور). والزَّبُور: الكتاب؛ بمعنى: المَزْبُور؛ أي: المكتوب. يقال: (زَبَرْتُ الكِتَابَ)؛ أي: كتبته. وكُلُّ كِتَابٍ زُبُورٌ[٥].

قال امرؤ القيس:

لِمَنْ طَلَلٌ أبْصَرْتُهُ فَشَجانِي ... كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ[٦]

(١) لم أقف على مصدر قوله.
(٢) لم أقف على مصدر قوله.
(٣) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٨.
(٤) قوله في المصدر السابق.
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٠٦ (زبر)، و«تفسير الطبري» ٤/ ١٩٨.
(٦) قوله: (عسيب) في (أ)، (ب)، (ج) لم تضبط بالشكل.
البيت في «ديوانه» ص١٦٥. وورد منسوبًا له في: «تفسير الطبري» ٤/ ١٩٨، و«اللامات» ٦٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٤ ب، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٩٦، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٤٤٥، و«اللسان» ٤/ ٢٤٣٤ (صرع).
الطَّلَل: ما بقي من آثار الدار. وجمعها: (أطلال)، و(طُلُول).
وقوله: (فشجاني) - هنا -: أحزنني، وترد بمعنى: أطربني؛ لأنها من الأضداد.
والعَسِيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة، يُكْشَطُ خوصُها.
ويريد الشاعر: أنه نظر إلى هذا الطَّلَل، فأحْزَنَه؛ حيث خفيت آثارُه واندَرَست، فأصبحت في خفائِها كخط كتابٍ في عَسِيب النخلة. =

وقال الزّجاج(١): الزَّبُور: كلُّ كِتَابٍ ذي(٢) حِكْمَةٍ. وعلى هذا، يُشْبِهُ أنْ يكونَ معنى الزَّبُورِ، مِنَ: (الزَّبْرِ)، الذي هو: الزَّجْر. يقال: (زَبَرْتُ الرجلَ، أزْبُرُهُ زَبْرًا): إذا زَجَرْتُه مِنَ(٣) الباطل(٤). وسمّي الكتاب: (زَبُورًا)؛ لما فيه من الزَّبْر عن خلاف الحق. وبه سُمِّي زَبُورُ داود؛ لِكثرة ما فيه من المَزَاجِرِ، والمواعظ.

وقرأ(٥) ابنُ عامر(٦):

﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾(٧)، ووجهه أنه أعاد الباءَ، وإنْ كانَ مُسْتَغْنًى عنه؛ لِضَرْبِ

= قال شارح ديوانه عن البيت: (وقوله في (عسيب يَمَان): كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخلة، عهودهم وصِكاكَهِم).
وقيل أيضًا (في عسيبِ يَمان): فهي بمعنى: في عسيب رجلٍ يَمَانٍ.
انظر: «المجمل» لابن فارس ٥٢٢ (شجو)، و«اللسان» ٥/ ٢٩٣٥ (عسب).

(١) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٥.

(٢) في «معاني القرآن»: ذو.

(٣) في (ج): (عن).

(٤) انظر: (زبر) في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٠٦، و«اللسان» ٣/ ١٨٠٤.
وقال الأزهري - ناقلًا عن أبي الهيثم -: (وأصل (الزَّبْر): طيُّ البئر؛ إذا طُوِيت تماسكت واستحكمت. والزَّبْرُ: الزجر؛ لأن من زبرته عن الغَيِّ، فقد أحكمته؛ كَزَبْرِ البِئْرِ بالطِّين).

(٥) من قوله: (وقرأ ..) إلى (.. حَسَن عربي): نقله - بمعناه - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ١١٤.

(٦) هو: أبو عمران، عبد الله بن عامر بن تميم اليَحْصَبي. إمام أهل الشام في القراءة، أحد القراء السبعة، توفي سنة (١١٨هـ).
انظر: «الفهرست» ص٤٩، و«معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٢، و«النشر» ١/ ١٤٤.

(٧) انظر قراءة ابن عامر في: «إعراب القراءات السبع» لابن خالويه ١/ ١٢٥، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١١٣.

من التأكيد. ومما جاء على قياس هذه القراءة، قولُ رُؤبَة:

يـا دارَ عَـفْـراءَ وَدَارَ الـبَـخْـدَنِ(١)

فَكَرَّرَ الدارَ، والدار واحدةٌ لهما(٢). يدلك(٣) على ذلك: قوله:

فـيـكِ الـمَـهَـا مِـنْ مُـطْـفِـلٍ ومُـشْـدِنِ(٤)

---

(١) في (أ): (النجدو). وفي (ب): (النجدر). والمثبت من (ج)، ومصادر البيت.
وهذا شطر بيت من الرجز، وقد ورد في: ديوانه (ضمن مجموعة أشعار العرب: ١٦١).
تصحيح: وليم بن الورد. ط ليبسغ سنة: ١٩٠٣م). وقد ورد منسوبًا له، في: «كتاب سيبويه» ٢/١٨٨، و«شرح أبيات سيبويه» للنحاس (تح: زهير غازي) ١٣١، و«المخصص» ٣/٢٩، و«إعراب القرآن» المنسوب للزجاج ٤٥٣.
وورد غير منسوب، في «اللسان» ١/ ٢٢٠ (بخدن). وقال في «اللسان»: (وبَخْدَن، وبِخْدِن، كل ذلك اسم امراة)، ثم ذكر البيت، وضَبَطَها فيه: (البِخْدِنِ).

(٢) (لهما): ساقطة من (ج).

(٣) في (ج): (يدل).

(٤) في (ج): (ومشدّن) بتشديد الدال. وهي خطأ.
والبيت تكملة للبيت السابق. انظر: ديوانه (ضمن مجموعة أشعار العرب: ١٦٠)، و«شرح أبيات سيبويه» للنحاس ١٣١.
المَها: بقر الوحش. وتجمع على (مَهَوَات)، و(مَهَيَات)، ومفردها: مَهَاة. انظر: «القاموس المحيط» ص١٣٣٦ (مهو).
و(المَهَا المُطْفِل): التي لها أولادٌ صِغار. و(المها المُشْدِن): التي شَدَن ولدها؛ أي: قوي جسمُه وترَعْرَعَ، وطَلَع قرناه، واستغنى عن أمِّه. يقال: (شَدَنَ، يَشْدُن، شُدُونًا)، فـ(هو شَادِن). انظر: «اللسان» ٤/ ٢٢١٧ (شدن)، و«القاموس» ص١٣٣٦ (مهو)، ص١٠٢٥ (طفل).
ولم يورد الفارسي، في «الحجة» هذا المقطع من البيت، وإنما أورد بدلًا منه بيتًا آخر من نفس القصيدة، وهو:

أَمَا جَزَاءُ العارف المُسْتَيْقِنِ عندكِ إلّا حاجة التَّفَكُّنِ

ولم يقل: فيكما. فكذلك كرَّرَ ابنُ عامر الباءَ، وكلا[١] الوجهين - مِن تكرير الباءِ وحَذْفِهِ - حَسَنٌ عربيٌّ.

ومعنى[٢] قوله: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ إلى آخرها؛ أي: بالمعجزات، وكتب المَزَاجِرِ، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الهادي إلى الحق.

و﴿ٱلْمُنِيرِ﴾؛ مِنْ قولك: (أَنَرْتُ الشيءَ، أُنِيرُه، إنَارَةً)؛ أي: بَيَّنْتُه، وأوضحته؛ وفي الحديث: (فَرَض عمرُ بن الخطاب لِلجَدِّ، ثم أنارها زيدُ ابن ثابت)[٣]؛ أي: أوضحها. ويقال[٤]: (نارَ الشيءُ وأنَارَ، ونَوَّرَ، واستنار) بمعنى واحد. كما[٥] يقال: (أَبَانَ الشيءُ[٦]، وبَيَّنَ، وتَبَيَّنَ، واستَبَان) بمعنى واحدٍ. وعلى ما ذكرنا؛ (أنَارَ) يكون واقعًا ومُطاوعًا[٧].

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (وكلي). والمثبت من: «الحجة»، للفارسي، وهو الصواب.

(٢) (معنى): ساقط من (ج).

(٣) ورد الأثر بهذا النص في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٧٩ (نور)، و«غريب الحديث»، لابن الجوزي ٢/ ٤٤٠، و«النهاية» لابن الأثير ٢/ ١٢٥، و«اللسان» ٨/ ٤٥٧١ (نور). وأخرج نحوه عبد الرزاق، عن الزهري، قال: (إنما هذه فرائض عمر، ولكن زيد أثارها بعده، وفشت في الناس). «المصنف» ١٠/ ٢٦٦، رقم (١٩٠٦٠)، وانظر رقم (١٩٠٦١). وهكذا جاءت في «المصنف» (أثارها)، وأشار محققُه إلى ورودها في نسخة أخرى (أنارها).

(٤) من قوله: (ويقال ..) إلى (.. واستبان بمعنى واحد): نقله -بنصه- عن «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٨٢ (نور). وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٧١ (نور).

(٥) من قوله: (كما ..) إلى (بمعنى واحد): ساقط من (ج).

(٦) في «التهذيب» و«اللسان»: (بان الشيء، وأبان ..).

(٧) يعني بـ(الواقع): الفعل المتعدي، و(المطاوع): الفعل اللازم. انظر تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُطْلِعَكُمْ﴾ من الآية: ١٧٩ من هذه السورة.

١٨٥- قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ الآية.

﴿ذَآئِقَةُ﴾: فاعِلَة، مِنَ: (الذَّوْقِ). واسم الفاعِلِ إذا أضيف إلى اسمٍ، وأُرِيدَ[١] بِهِ المُضِيّ، لم يَجُزْ إلّا الجَرُّ، نحو:

(زَيْدٌ ضارِبُ عمروٍ أمسِ)، فإنْ أردت به الحالَ والاستقبالَ، جازَ الجَرُّ والنَصْبُ؛ تقول: (هو ضاربُ زيدٍ غدًا)، و(ضاربٌ زيدًا[٢] غدًا). قال الله - تعالى -: ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٨]. و﴿كاشفاتٌ ضُرَّه﴾[٣]، قُرِئ بالوجهين[٤]؛ لأنه الاستقبال.

وروي عن الحسن أنه قرأ: (ذائقةٌ الموتَ)[٥] - بالتنوين، ونصب الموت -، واستقصاء الكلام في هذه المسألة يأتي عند قوله: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سورة النساء.

---

(١) في (ج): (أريد) بدون واو.

(٢) في (أ)، (ب): (زيد). والمثبت من (ج)، وهو الصواب.

(٣) ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: ليس في: (ج).

(٤) ﴿كاشفاتٌ ضُرَّه﴾ - بالتنوين، ونصب الراء المشددة من ﴿ضُرَّهُۥٓ﴾ - هي قراءة أبي عمرو، ورواية الكسائي عن أبي بكر عن عاصم. وقرأ الباقون: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ على الإضافة.
انظر: «السبعة» ٥٦٢، و«التبصرة» لمكي ٦٦٠، و«الكشف» له ٢/ ٢٣٩، وكتاب «الإقناع» ٢/ ٧٥٠.

(٥) لم أقف على مصدر قراءة الحسن. وقد قرأ بها: الأعمشُ، واليَزِيدي، وأبو حَيْوَة، ويحيى، وأبي إسحاق.
انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٥أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٢٩٧، و«البحر المحيط» ٣/ ١٣٣.
وذكر الزمخشريُّ، عن الأعمش، أنه قرأ: (ذائقةُ الموتَ) - بدون التنوين، مع النصب -. انظر: «الكشاف» ١/ ٤٨٥.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾. الفَوْزُ؛ معناه: الظَّفَرُ بالخير، والنجاةُ من الشَّرِّ[١]. ألا ترى أن الله - تعالى - حَكَمَ بالفوز لِمَن أُبْعِدَ مِنَ النار، فَنَجا مِنْ شَرِّها، وأدْخِلَ الجَنَّةَ، فَظَفِرَ بنعيمها؟.

قال الزّجاج[٢]: يقال لِكُلِّ مَنْ نَجا من هَلَكَةٍ، ولَقِيَ ما يَغْتَبِطُ به[٣]: (فَازَ). فتأويل[٤] ﴿فَازَ﴾: تَبَاعَدَ مِنَ المكروه، ولَقِيَ ما يُحِب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ يريد: العيش في هذه الدار الفانية، تَغُرُّ الإنسان بما تُمَنِّيهِ مِنْ طولِ البقاء، وسينقطع عن قريب. فَوُصِفت بأنها متاعُ الغرُور؛ لأنها بمنزلة مَنْ يَغُرّ ببذل المحبوب، والتخييل [إليك][٥] أنه يَدُوم.

و﴿المَتَاع﴾ قد ذكرنا أنه كل ما يُنْتَفَع به، ويُسْتَمتَعُ[٦]. وأضافَهُ إلى ﴿ٱلْغُرُورِ﴾؛ لأنه يَغُرّ.

١٨٦- قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

اللّام، لام القَسَمِ. والنونُ دخلت مُؤَكِّدَةً. وضُمَّت الواوُ لِسُكُونها وسكون النون. ولم تكسر لالتقاء الساكنين؛ لأنها واو جمع، فحركت بما

(١) ورد هذا التعريف بنصه عن الليث بن المظفر، في «تهذيب اللغة» ١٣/ ٢٦٤ (فوز).

(٢) في: «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٥. نقله عنه بتصرف.

(٣) الغِبْطَة: حسن الحال، والنعمة والسرور؛ يقال: (فلانٌ مُغْتَبِطٌ)؛ أي: في غِبْطَةٍ. وجائز أن تقول: (مُغتَبَط) - بفتح الباء -، و(قد اغْتَبَطَ، فهو مُغْتَبِط)، و(اغْتُبِطَ، فهو مغتَبَطٌ). انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٠٨ (غبط).

(٤) في (ج): (وتأويل)، وفي «معاني القرآن»: فتأويله.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) انظر: «تفسير البسيط» تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾. [سورة البقرة: ٣٦].

كان يَجِبُ لِمَا قبلها مِنَ الضَمِّ. ومثله: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة:١٦]. وقد مَرّ مُستقصًى فيه.

ومعنى ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾: لَتُخْتَبَرُنَّ. ولا يجوز في وصف الله تعالى الاختبار؛ لأنه طلب المعرفة، لِيُعْرَفَ الجَيِّدُ مِنَ الرَّدِيء، ولكنَّ معناه - في وصف الله -: أنه يُعامِلُ العبدَ مُعامَلَةَ المُخْتَبِرِ.

واختلفوا في معنى هذا الابتلاء:

فقال ابن عباس - في رواية عطاء -[(١)]: الخطاب للمهاجرين؛ أَخَذَ المشركون أموالَهم، وباعوا رِبَاعَهم، وعَذَّبوهم.

وقال الحَسَنُ[(٢)]: يعني: بالفرائض التي أَوْجَبَها في الأموال، وعلى الأنفس؛ كالصوم والصلاةِ والزكاةِ والحجِّ والجهاد[(٣)].

وقال مقاتل[(٤)]:

يعني: بالحوائِجِ[(٥)]، والخسران في الأموال، والأمراض في الأنفس.

قال[(٦)]: ونزلت الآية في النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) أورد هذا القولَ الثعلبيُّ، في: «تفسيره» ٣/ ١٦٧ ب، قائلًا: (قال عطاء ..).

(٢) قوله، في: «تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٣، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٧ - ب.

(٣) ولفظه عند ابن أبي حاتم: (قال نُبْتلى - والله - في أموالنا وأنفسنا).

(٤) لم أقف على مصدر قوله، وليس هو في تفسيره. وقد أورد هذا القول - مع اختلاف يسير - الثعلبيُّ، في «تفسيره» ٣/ ١٦٧ ب، ولم يعزه لقائل.

(٥) هكذا في (أ)، (ب). وفي (ج): (بالحوائح) بدون إعجام. وفي «تفسير الثعلبي»: (بالجوائح). وهي أولى بسياق الكلام والمعنى المراد؛ لأن الجوائح، هي: الشدائد التي تجتاح المال. ومفردها: جائحة.
انظر: «القاموس المحيط» ٢٧٦ (جوح).

(٦) في: «تفسيره» ١/ ٣٢٠.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾.

قال عكرمة[(١)]، ومقاتل[(٢)]، والكلبي[(٣)]، وابن جريجٍ[(٤)]: بعث رسولُ اللهِ أبا بكرٍ الصدِّيقَ إلى فِنْحاص، يَسْتَمِدُّه. فقالَ فِنْحاصُ: قد احتاجَ رَبُّكُم إلى أن نُمِدَّه؟ فَهَمَّ أبو بكر أنْ يضرِبَهُ بالسيف، وقد كان رسول الله قال له - حين بَعَثَهُ -: لا تَفْتَاتَنَّ[(٥)] عليّ بشيء حتى ترجع. فتذكر أبو بكرٍ ذلك، فَكَفَّ عن الضرب، ونزلت هذه الآية[(٦)].

---

(١) من قوله: (قال عكرمة ..) إلى (.. ونزلت هذه الآية): نقله - باختصار وتصرف - عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٥ ب.
وقول عكرمة في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٠، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤١.

(٢) في «تفسيره» ١/ ٣١٩.

(٣) لم أقف على مصدرٍ آخر لقوله، سوى «تفسير الثعلبي».

(٤) لم أقف على مصدر قوله.
وقد ورد عنه في الآية قولُه: (يعني اليهود والنصارى، ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾، فكان المسلمون يسمعون مِنَ اليهود قولَهم .﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، ومِنَ النصارَى قولَهم: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، فكان المسلمون ينصبون لهم الحربَ إذْ يَسْمَعُون إشراكَهم ..). أخرجه: الطبريُّ في: «تفسيره»: ٤/ ٢٠٠-٢٠١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٨٣٥، وأورده الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤٤١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٨٩ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر.

(٥) يقال: (افْتَاتَ عليكَ فِيهِ، وفَاتَكَ بِهِ)؛ أي: أحدث شيئا دون أمرك. والمصدر: (الافتِيَات)، وهو من: (الفَوْت)، وهو: السبق إلى الشيء دون ائتمار مَنْ يُؤْتَمَر. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٨١ (فوت).

(٦) انظر تفسير الآية: ١٨١ والتعليق على قول ابن عباس في الهامش.
وقد ورد في سبب نزولها، ما رواه الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه: (أن كعب بن الأشرف اليهودي، كان شاعرًا، وكان يهجو النبي ﷺ، =

= ويُحرِّض كفارَ قريش في شعره، وكان النبي ﷺ، قدم المدينة، وأهلها أخلاطٌ: منهم المسلمون، ومنهم المشركون، ومنهم اليهود، فأراد النبي ﷺ، أن يستصلحهم كلَّهم، وكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الأذى، فأمر اللهُ النبيَّ ﷺ، بالصبر على ذلك، وفيهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ الآية.). «أسباب النزول»، للمؤلف: ص١٣٨-١٣٩ .

وقد أخرجه: أبو داود في «السنن» رقم (٣٠٠٠) كتاب الخراج، باب: كيف كان إخراج اليهود من المدينة، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤٢، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٣، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٠١ عن الزهري مرسلا، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٣٤ أخرجه متصلًا.

وأورده الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٦٦أ، والسيوطي في «لباب النقول» ٦٢. وانظر: الصحيح المسند من «أسباب النزول» ص٦٥.

وورد - كذلك - في سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ، مرَّ - وهو على حمار - على مجلس فيه عبد الله بن أبَيّ - وذلك قبل إسلامه - وفي المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عَجَاجة الدابَّةِ، خَمَّرَ ابن أبَيّ أنفَهُ بردائه، ثم قال: لا تُغَبِّروا علينا. فسلم رسول الله ثم وقف، فنزل، ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أبَيّ: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقًا فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال ابن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك. واستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتساورون، فلم يزل ﷺ، يخفضهم حتى سكتوا. ففي فِعْل ابن أبَيّ نَزَلَ قولُه تعالى ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾. انظر: السبب بالتفصيل في: «أسباب النزول» للمؤلف: ص١٣٩-١٤٠. وقد أخرج هذه القصة: البخاريُّ في «صحيحه» (٤٥٦٦) كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، ولكن ليس فيه النص على أن هذه القصة سبب لنزول الآية. وإنما ذكر البخاريُّ القصةَ، ثم ذكر عقبها: (قال الله - ﷻ -: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]). =

وقوله تفالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ أي: على الأذى الذي ينالالام(١) منهم لمكترك المفارضة. ولاان هذا قبل نزول آية السَّيْفِ(٢).

قوله تفالى: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

قالللن عباس(٣): مِنْ حقيقة الإيمان. ومفنى الفَزم: تَوْطِينُ النفس على الأمر. ومفنى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾؛ أي: ذل بـ مِمَّا يُفْزَم عليه مِنَ الأمْرِ(٤)؛

= ومسلمٌ عي «صحيحه» رقم (١٧٩٨). لاتاب الجهادلكاب عي دعاء النبي ﷺ، وصبره على أذى المنلعقين. وليس عيه لملار الآية، و ك أن القصة سبب لنزولها.

(١) عي (ج): (الذين أنا للام لمكدكَ من: (الأذى الذي ينالالام).

(٢) آية السيف، هي -عي أصح الأقوال-: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٥].

ودعوى النسخ على هذه الآية، ك يُسلم؛ حيث إننا مأمورونلكالصبر على أذى أعداء الله على لال حال، قبل القتال وأثناءهلوفدهلكل إن الصَّبرَ أثناء القتال أحوج ما نلاون إليه، علايف ينسخه الأملكالقتال؟

لاما أن الآية لملارت المكتكء عي الأموال والأنفس، قبل لملار أذى أعداء الله للمسلمين، عنحن مأمورونلكالصبر على جميط أنواع المكتكء، عك يفقل أن يُنسَخ لكفضُ الصبر، ويبقىلكفضُه محلالمًا غير منسوخ.

لاما أن الآية أمرتلكالتقوى مطالصبر، عقالت: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، وجُفِل الأمران مِفَلَّيْنِ للشرط، وأشارت الآية إليهما عي جواب الشرطكاسم الإشارة، عقالت: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، عك يُفْقَلُ أنْ يُنْسخلكفضُ الشرط، ويَبقَى الآخرُ مُحْلاَمًا غير منسوخ.

انظر: «النسخ عي القرآن» د. مصعفى زيد ٢/ ٥١٦.

(٣) أورده هذا القول، الثفلبيُّ عي «تفسيره» ٣/ ١٦٧ ب، وعزاه لفعاء. ويبدو أنه من رواية عفاء عنللن عباس.

(٤) عي (ج): (الأمور).

لِظُهُورِ رُشْدِهِ، وموضع الحظِّ[1] فيه، فيجب التَّمَسُّكُ به[2].

ومعنى قول ابن عباس: (مِنْ حقيقة الإيمان)؛ أي: مِمَّا عَزَمْتُم عليه مِنَ الأمر، وهو الإيمانُ والتصديق لِوَعْدِ الله بالنُّصْرةِ.

١٨٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية.

قال ابن عباس[3]، والسدّي[4]، والكلبي[5]، والمفسِّرون[6]: نَزَلت في يهود المدينة، اخَذَ اللهُ ميثاقهم في التوراة، لَيُبَيِّنُنَّ شأن محمد ﷺ، ونَعْتِهِ، وَمَبْعَثِهِ، ولا يُخْفُونَه، فَنَبَذوا الميثاقَ، ولم يَعْمَلُوا به[7].

---

(١) في (ج): (الخط).

(٢) العَزْمُ - في اللغة -: الجِدُّ، وما عَقَد عليه قلْبُك مِنْ أنك فاعله. و(عَزَمَ الأمْرُ): جَدَّ الأمر. و(عزائم الأمور، وعَوازِمُها): فرائضها التي عَزَمَ اللهُ علينا بفعلها، أو التي يُؤَكَّد الرأي أو النية والعزم عليها. و(عزائم الله): فرائضه التي أوجبها علينا.
انظر (عزم) في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٥، و«اللسان» ٥/ ٢٩٣٢، و«الكُلِّيَات» لأبي البقاء ٦٥٠، و«المصباح المنير» ١٥٥.

(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٥، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤١، و«زاد المسير» ١/ ٥٢١، و«الدر المنثور» ٢/ ١٨٩.

(٤) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٦، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤١، و«زاد المسير» ١/ ٥٢١.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) منهم: سعيد بن جبير، وابن جريج، ومقاتل.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٢٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٥-٨٣٦، و«زاد المسير» ١/ ٥٢١، و«الدر المنثور» ٢/ ١٩٠.

(٧) وذهب قتادة إلى أن الآية مَعنِيٌّ بها كل من أوتي علمًا بأمر الدين.
انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٤٦١، و«ابن أبي حاتم» ٩٤٨، و«الثعلبي» ٣/ ١٦٨أ، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٠٢، وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
وهو قول محمد بن كعب، والحسن. انظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٨أ، و«تفسير =

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١] يُقرأ بالياء والتاء[٢]. فَمَن قرأ بالياء؛ فلأنهم غَيْبٌ. ومن قرأ بالتاء؛ حَكَى المخاطبةَ التي كانت في وقت أخذ الميثاق.

ومثل[٣] هذه الآية: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:٨٣]، بالياء والتاء[٤]. وقد تقدم القول في ذلك.

= القرطبي» ٤/ ٣٠٤.

ولا تعارض بين القولين؛ لأن الآية وإن كانت خاصة في اليهود، إلا أنَّ العِبْرَة بعموم لفظها، فيدخل فيها هم وغيرُهم مِنْ أصحابِ العِلْمِ، ولذا قال ابن عَطِيَّة: (الآية توبيخ لِمُعاصِرِي النبي ﷺ، ثم هو مع ذلك خبر عامٌّ لهم ولغيرهم)، ثم تابع قائلًا: (وقال جمهورٌ من العلماء: الآية عامَّةٌ في كلِّ مَنْ عَلَّمه اللهُ عِلْمًا، وعلماءُ الأمَّةِ داخلون في هذا الميثاق).

«المحرر الوجيز» ٣/ ٤٤٩-٤٥٠، وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٣٠٤، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٧٢.

(١) (أ)، (ب)، (ج): ﴿ولا يكتمونه﴾. والمثبت وفق رسم المصحف الشريف.

(٢) قرأ بالياء فيهما - على الغيبة -: ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ﴾، ﴿ولا يَكْتُمُونَه﴾: ابنُ كثير، وأبو عمرو، وعاصم - في رواية أبي بكر عنه -.

وقرأ الباقون - نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص- بالتاء فيهما -على الخطاب-.

انظر: «السبعة» ٢٢١، و«القراءات»، للأزهري ١/ ١٣٤، و«إعراب القراءات السبع» لابن خالويه ١/ ١٢٥، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٦، و«الإقناع» ٢/ ٦٢٥.

(٣) في (ج): (وميث) بدلًا من: (ومثل).

(٤) قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: ﴿لا يَعبدون﴾ - بالياء -. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ - بالتاء -.

انظر: «الحجة» للفارسي ٢/ ١٢١، و«الكشف» لمكي ١/ ٢٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١] ولم[٢] يقل: ولا تكتُمُنَّه[٣]؛ كما قال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾[٤]؛ لأنه في معنى الحال[٥]، لا في معنى الاستقبال المعطوفِ على ما قبله.

كأن المعنى: لَتُبيِّنُنَّه للناس غيرَ كاتِمِينَ[٦]. و(الهاء) في ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾، يعود[٧] على محمد ﷺ، في قول أكثر المفسرين[٨]. فهو عائدٌ على معلوم، ليس بمذكور.

وفي قول الحسن، وقَتَادة[٩]: يعود على الكتاب، في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، [ويدخُلُ فيه بَيانُ أمرِ النبي ﷺ؛ لأنه في الكتاب][١٠].

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): ﴿ولا يكتمونه﴾. والمثبت وفق رسم المصحف الشريف.

(٢) في (ج): (فلم).

(٣) في (ج): (ولاي كتمنه).

(٤) في (أ): (ليبيننه)، والمثبت من (ب)، ورسم المصحف الشريف.
ومن قوله: (لتبيننه ..) إلى (.. كأن المعنى): ساقط من (ج).

(٥) أي: أن الواوَ واوُ الحال. والفعل بعدها منصوب على الحال.

(٦) واستحسن أبو حيان أن تكون الواو للعطف، وأن الفعل بعدها من جملة المقسم عليه، ولكنه لم يُؤَكَّد؛ لأنه منفيٌّ؛ كما تقول: (والله لا يقوم زيد). وقال: (وهذا الوجه - عندي - أغْرَب وأفصح). «البحر المحيط» ٣/ ١٣٦.

(٧) في (ج): (تعود).

(٨) منهم: السدي، وسعيد بن جبير، ومقاتل. وإليه ذهب الطبري. وقال ابن الجوزي: (وهذا قول من قال: هم اليهود)؛ أي: المَعْنِيِّينَ بالآية.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٢٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٢، و«زاد المسير» لابن الجوزي ١/ ٥٢١، و«الدر المنثور» ٢/ ١٩٠.

(٩) انظر قولهما في: «النكت والعيون» ١/ ٤٤٢، و«زاد المسير» ١/ ٥٣١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٣٠٤.

(١٠) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

قال الحسن[١]: هذا ميثاق الله على علماء أهل الكتاب، أن يُبيِّنوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ، والإسلام، فَنَبذُوه وَرَاءَ ظُهورهم.

وقال قتادة[٢]، والقُرَظِيُّ[٣]: كلّ مَنْ أوتي عِلْمَ شيءٍ مِنْ كُتُبِ[٤] الله - جل وعز -[٥]، فقد أخذَ ميثاقَهُ: أنْ يُبيِّنَه للناس ولا يكتُمَه.

وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

قال[٦] ابن عباس[٧]: يريد: ألقوا ذلك الميثاقَ خَلْفَ ظهورهم.

وقال أهل المعاني[٨]: تركوا العَمَلَ[٩] به[١٠]، وقد كانوا

= قال ابن الجوزي عن هذا الرأي: (وهو أصح؛ لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن مِنْ ضرورة تَبْيِينِهم ما فيه، إظهار صفة محمد ﷺ). «زاد المسير» ١/ ٥٢١.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٦، و«معاني القرآن»، للنحاس ١/ ٥٢٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٨أ، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٩٠ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٦٨أ، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٣٠٤.

(٤) في (ب): (كتاب).

(٥) (جل وعز): ليس في (ج).

(٦) من قوله: (قل ..) إلى (.. خلف ظهورهم): ساقط من (ج).

(٧) لم أقف على مصدر قوله.

(٨) ممن قال بذلك: الشعبي. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٣٧.

وقال به أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١١١، وأبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣٢٢.

(٩) في (ج): (العلم).

(١٠) (به): ساقطة من (ج).

يقرأونَهُ[١]، فصاروا بترك العمل به، كأنهم قد ألقوه وراء ظهورهم.

قال الزجّاج[٢]: يقال للذي يطرح الشيء، لا[٣] يَعْبَأ به: قد جعلت هذا الأمر بِظَهْرٍ[٤].

وأنشد للفرزدق[٥]: تميم بن قيس:

لا يكونن حاجتي بظهر فلا يعبأ على جوابها

أي لا يتركنها تعبأ بها.

وقوله تعالى ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني ما كان يأخذونه من سفلتهم من المآكل التي كانوا يصيبونها منهم برياستهم في العلم.

وقوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال ابنُ عبَّاس[٦]: يريد: قَبُحَ شراؤُهم وخَسِروا.

١٨٨- قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية.

قال أبو سعيد الخُدْرِي[٧]: نزلت في رجالٍ من المنافقين، كانوا

---

(١) في (أ)، (ب)، (ج): (يقرونه). وأثبَتُّها وفق الرسم الإملائي الحديث.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٧. نقله عنه بنصه.

(٣) في (المعاني): (ولا).

(٤) في (ج): (يظهر).

(٥) في (ج): (الفرزدق).

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) أخرج قوله - في هذا المعنى -: البخاري في «الصحيح» (٤٥٦٧) كتاب: تفسير القرآن. سورة آل عمران. باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾.
ومسلم في «الصحيح» ٤/ ٢٠٥ رقم (٢٧٧٧) كتاب: صفات المنافقين.
والطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٣٩، والمؤلف في «أسباب النزول» ١٤٠.
وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٦٨ ب، والسيوطي في: «الدر المنثور» ٢/ ١٩١ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الشعب».

يتخلفون عن رسول الله في الغَزْوِ، ويفرحون بقعودهم عنه. فإذا قدم اعتذروا إليه، فيقبل عُذْرَهم[١]، وأَحَبُّوا أنْ يُحْمَدوا بما ليسوا عليه مِنَ الإيمان.

وقال عكرمة[٢]: هم اليهود، فرحوا بإضلال الناس، وبنسبة الناس إيَّاهم إلى العِلْمِ؛ وليسوا كذلك.

وقال بعضُهم: نزلت في الذين ذَمَّهم الله - تعالى -: بِكِتْمان الحَقِّ، كتموه وفَرِحوا بذلك، وأَحَبُّوا أنْ يُحْمدوا بالتمسك بالحق، وقالوا: نحن أصحاب التوراة، وأولوا العِلْمِ القديم، وكلُّ ما[٣] قلناه واجبٌ على الناس قَبُولُهُ، واتِّباعنا فيه. وهذا يُروَى عن ابن عباس[٤].

---

(١) (فيقبل عذرهم): ساقطة من (ج).

(٢) قوله في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٥-٢٠٦، وقد ورد فيه: (عن مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير)، وذكره بمعناه، وأخرجه من طريق آخر، وفيه: (عن مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك ..).
وأخرجه - منسوبًا إليه -: ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٣٨.

(٣) في (ج): (كلما) بدلًا من: (كل ما).

(٤) أخرج قوله - بهذا المعنى -: البخاري في «صحيحه» (٤٥٦٨) كتاب التفسير. تفسير سورة آل عمران. باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾.
ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٧٧٨) كتاب صفات المنافقين. والترمذي في «سننه» رقم (٣٠١٤) كتاب تفسير القرآن. باب: من سورة آل عمران. وقال: (حسن صحيح غريب).
والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٩٩ وصححه، ووافقه الذهبي.
والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٥٢، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٠/ ٣٦٤ رقم (١٠٧٣٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤١، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٠٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٣٨، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٥٠، والمؤلف في «أسباب النزول» ١٤١.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٩١ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد.

واختلف القرّاء في هذه الآية:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو - كلاهما -: بالياء وضمِّ الباء، مِنْ ﴿يَحْسِبُنَّهم﴾[١].

ووجه[٢] هذه القراءة: أنهما لم يُعَدِّيا (حَسِبْتُ) إلى مفعوليه اللذين[٣] يقتضيهما؛ لأنهما جعلا قولَهُ - تعالى -[٤]: ﴿فَلا يَحْسِبُنَّهُم﴾[٥] بدلًا مِنَ

= وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب».

وقد ورد حول سبب النزول أقوال أخرى. انظرها في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٥-٢٠٨، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٥٠، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٤٠-١٤٢، و«الدر المنثور» ٢/ ١٩١-١٩٣ .

قال ابن حجر عن الأثر الوارد عن أبي سعيد وابن عباس والآخرين: (ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معًا، وبهذا أجاب القرطبيُّ وغيره). وقال - عن هذين الأثرين، وعن بقية الآثار الواردة في سبب نزولها -: (ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، أحب أن يحمده الناس، ويثنوا عليه بما ليس فيه. والله أعلم).

«فتح الباري» ٨/ ٢٣٣، وانظر: «تفسير القرطبي» ٤/ ٣٠٦-٣٠٧، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٧٣.

(١) أي: قرآ: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ﴾، و﴿فلا يَحْسِبُنَّهم﴾ بكسر السين فيهما. انظر: «السبعة» ٢١٩، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٠-١٠١، و«حجة القراءات» ١٨٦-١٨٧.
وضبطت الكلمتان بفتح السين في: «إعراب القراءات السبع» لابن خالويه ١/ ١٢٥.

(٢) من قوله: (ووجه ..) إلى (.. فيستقيم فيه تقدير العطف): نقله - بتصرف - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٣) في (ج): (الذين).

(٤) (تعالى): ليست في: (ج).

(٥) (أ)، (ب): (تَحْسِبُنَّهم) - بالتاء وكسر السين -. ولم ترد قراءة بهذه الصورة.
وفي (ب): (تَحسَبَنهم). وفي (ج): مهملة من النقط والشكل. ولكنَّ المؤلفَ - هنا -- يتحدث عن توجيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو، فالصواب ما أثبَتُّه، والله أعلم.

الأوَّلِ. ولَمَّا جعلاه بَدَلًا، وعُدِّي إلى مفعوليه، استُغنِيَ عن تَعْدِيَة الأولى إليهما، كما استغنى في قوله:

بِـأيِّ كـتـابٍ أم بِـأيَّـة سُـنَّـةٍ تَرىَ حُبَّهُمْ عارًا عليَّ وتَحْسَبُ[١]

بتعديةِ أحد الفعلين إلى مفعوليه، عن تعدية الآخر إليهما.

فإن قيل: لا[٢] يستقيم تقدير البَدَلِ في قوله: ﴿لا يَحْسِبَنّ[٣] الذين يَفْرَحُون بِمَا أتَوْا فَلا يَحْسِبُنَّهم[٤] بِمَفَازَةٍ﴾، وقد دخلت الفاءُ بينهما، ولا يدخل بين البدل والمُبْدَلِ منه، الفاءُ[٥].

قيل: إن الفاء زائدة[٦]؛ يَدُلُّك[٧] على ذلك: أنها لا يجوز أن تكون

---

(١) البيت للكُمَيت. وقد ورد منسوبًا له في: «شرح هاشميات الكميت» ٤٩، و«المحتسب» ١/ ١٨٣، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٦٩٢، و«المقاصد النحوية» ٢/ ٤١٣، ٣/ ١١٢، و«منهج السالك» ٢/ ٣٥، و«التصريح»، للأزهري ١/ ٢٥٩، و«خزانة الأدب» ٤/ ٣١٤، ٩/ ١٣٧.

وورد غير منسوب في: «إعراب القرآن»، المنسوب للزجاج ٢/ ٤٣٢، و«أوضح المسالك» ص٧٧، و«شرح ابن عقيل» ٢/ ٥٥.

والشاهد فيه: أنه لم يذكر مفعوليْ (تحسبُ)؛ اكتفاءً بدلالة الفعل السابق عليهما، وهو: (ترى).

(٢) في (ج)، و«الحجة»: (كيف) بدلًا من (لأن).

(٣) (يحسبن) في (أ)، (ج): الياء غير منقوطة، والكلمة غير مشكولة. وفي (ب): (تحسبن)، والمثبت من: «الحجة» للفارسي؛ لأن المؤلف - هنا - يتحدث عن توجيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) في (أ)، (ب): (تَحْسِبُنَّهم). ولم ترد قراءة بهذه الصورة. وفي (ج): مهملة من النقط والشكل. والمثبت من «الحجة» للفارسي.

(٥) (الفاء): ساقطة من (ج).

(٦) انظر: «معاني القرآن»، للأخفش: ١/ ٢٢٢.

(٧) في (ج): (بذلك).

عاطفة؛ لأن المعنى: لا يَحْسِبَنَّ الذين يفرحون بما أتوا، أَنْفُسَهم بمفازةٍ مِنَ العَذَابِ.

وإذا كان كذلك، لَمْ يَجُزْ تقديرُ العطف؛ لأن الكلام لم يستقل بعدُ، فيستقيم فيه تقديرُ العَطْفِ. ولا يجوز[1] - أيضًا - أن تكون للجزاء، كالتي في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[2]، ونحوها؛ لأن هذا ليس من مواضع الجزاء. وإذا لم يجز أنْ تكون للعطف [و][3] لا لِلْجَزَاء، ثَبَتَ أنها زائدة؛ كقوله:

وإذا هَلَكْتُ[4] فَعِنْدَ ذلك فاجْزَعِي[5]

---

(١) من قوله: (ولا يجوز ..) إلى نهاية بيت الشعر (.. فاجزعي): نقله - بتصرف واختصار - عن: «الحجة»، للفارسي ٣/ ١٠٨-١٠٩.

(٢) سورة النحل: ٥٣ وبقيتها: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، و«الحجة».

(٤) في (ب): (جزعت).

(٥) عجز بيت للنَّمِر بن تَوْلَب. وصدره:

لا تَجْزَعي إنْ مُنْفِسًا أهلكته

وهو في «شعره» ٧٢ . وورد منسوبًا له في: «كتاب سيبويه» ١/ ١٣٤، و«الكامل»، للمبرد ٣/ ٣٠٠، و«شرح الأبيات المشكلة» ٩٠، ٣٦١، و«سمط اللآلئ» ٤٦٨، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٤٨، ٣/ ١٢٩، و«اللسان» ٨/ ٤٥٠٣ (نفس)، ٢/ ١٢٤٨ (خلل)، و«المقاصد النحوية» ٢/ ٥٣٥، و«شرح شواهد المغني» ١/ ٤٧٢، ٢/ ٨٢٩، و«خزانة الأدب» ١/ ٣١٤، ٣٢١، ٣/ ٣٢، ٩/ ٤١، ٤٣، ٤٤، ١١/ ٣٦.

وورد غير منسوب في: «المقتضب» ٢/ ٧٦، و«الحجة» للفارسي ١/ ٤٤، ٣/ ١٠٩، و«شرح المفصل» ٢/ ٣٨، و«شرح ابن عقيل» ٢/ ١٣٣، و«الأزهية» ٢٤٨، و«منهج السالك» ٢/ ٧٥، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي ٢/ ١٨١. ويروى: (لا تجزعي إنْ منفسٌ ..). انظر توجيه هذه الرواية في «خزانة الأدب» ١/ ٣١٤.

البيت ضمن أبيات يخاطب فيها الشاعرُ زوجَه التي لامته على إسرافه وتبذيره في=

وكما أنشد[١] قُطْرُب[٢]:

وحِينَ تَركتُ العائداتِ يَعُدْنَهُ يَقُلْنَ فلا تَبْعَدْ وقلتُ لَه ابْعَدِ[٣]

وذكرنا وجْهَ زيادة الفاء في الكلام، فيما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ يَحْسِبُنَّهم﴾ قد[٤] تَعَدّى فيه فعلُ الفاعل إلى ضميرِهِ. وفِعْلُ الفاعل في هذا الباب، يَتعدَّى إلى ضمير نفسه؛ نحوَ (ظَنَنْتُني أخاه)، و(حَسِبْتُني ذاهبًا).

= إكرامه لأضيافه.

الجَزَع: نقيض الصبر. و(المُنْفِسُ): المال النفيس الذي له قدر. ومعنى (أهلكتُه): أفنَيتُه، وأذهبتُه. انظر: «اللسان» ١/ ٦١٦ (جزع)، ٨/ ٤٥٠٣ (نفس).

والشاهد في البيت: زيادة الفاء. قال الفارسي: (ألا ترى أن إحدى الفاءين لا تكون إلا زائدة؛ لأن (إذا) إنما يقتضي جوابًا واحدًا).

وانظر حول زيادة إحدى الفاءين - هنا -: «الخزانة» ١/ ٣١٥.

(١) في (ج): (أنشده).

(٢) انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) البيت لحاتم الطائي. وهو في «ديوانه» ٣٠.

وقد ورد منسوبًا له، في: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٦٩، و«الأزهية» ٢٤٧.

وورد في المصادر السابقة: (حتى تركت ..). وفي الديوان: (وحتى ..*ينادين لا تبعد).

يتحدث عن شخص طعنه الشاعرُ طعنةً، تركه بين الحياة والموت. و(العائدات): اللاتي يَزُرْن المريض. انظر: «القاموس» ٣٠٣ (عود).

و(لا تَبْعَد): لا تهلك؛ من: (البُعْد)، وهو: الهلاك والموت؛ يقال: (بَعِدَ، بَعَدًا)، و(بَعُدَ): هلك. ومن العرب من يقول: (بَعُدَ) - في المكان -، و(بَعِد) - في الهلاك -. وقيل: (بَعِد)، و(بَعُد) فيكون مضارعها: (يَبْعَدُ) - بفتح العين -، وهكذا ضَبطتُها في البيت. انظر: «المزهر» ١/ ٢٠٨-٢٠٩.

والشاهد فيه: زيادة الفاء في (فلا ..).

(٤) من قوله: (قد ..) على (.. لا يحسبن زيدًا ذاهبًا): نقله - بتصرف واختصار - عن: «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٥-١٠٦.

يدل على ذلك: قُبْحُ دخولِ النَفْسِ عليها. ولو قلت: (حَسِبتُ نفسي تفعل كذا). لم يَحْسُنْ، كما يَحْسُنُ: (حَسِبْتُنِي)، و(أَحْسِبُنِي)[١].

وحُذِفَتْ واوُ الضميرِ في ﴿يَحْسِبُنَّهم﴾[٢]؛ لِدُخول النون الثقيلة، واجتماع الساكنين[٣]. و- كذلك - يُحذف عند دخول النونِ الخفيفة؛ كما تقول: (لا يَحْسِبُنْ زيدًا ذاهبًا).

وقوله تعالى: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

في موضع المفعول الثاني. وقرأ حمزة، وعاصم والكسائي - كلاهما-[٤]: بالتَّاء، وفتحوا الباءَ من ﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾[٥].

ووجه هذه القراءة: أنه حذف[٦] المفعولَ الثاني الذي يقتضيه ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ الأول؛ لأن ما يجيء بَعدُ من قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾؛ يدل عليه.

---

(١) يجوز في مضارع (حَسِبَ) كسر السين وفتحها. انظر: «المزهر» ١/ ٢٠٩.

(٢) في (أ): (تَحْسُبُنهم) بالتاء وضم السين. وهي خطأ واضح. وفي (ب): (تحسبنهم)، وفي (ج): مهملة من النقط والشكل. والمثبت هو ما استصوبته؛ لاتساقه مع ما سبق.

(٣) أي: سكون الواو، وأول النون المشددة.

(٤) هكذا جاءت في: (أ)، (ب)، (ج): (كلاهما) - على الرفع للمثنى -، والأصل فيها أن تكون: (كلهم)، وتعود على القراء الثلاثة. أو (كليهما) -بالنصب بالياء -، وتعود على القراءتين القرآنيتين ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، و﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾، وقد ترجع (كلاهما) على عاصم والكسائي.

(٥) أي: ﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾ - بالتاء وفتح الباء والسين -. إلا أن الكسائي كَسَر السين. انظر: «السبعة» ٢٢٠، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١٠١، و«حجة القراءات» ١٨٦، و«إتحاف فضلاء البشر» ص١٨٣.

(٦) من قوله: (حذف ..) إلى (.. لاتفاق الفعلين): نقله - بتصرف - عن: «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٨.

ويجوز أن تجعل[١] ﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾ بدلًا من ﴿تَحْسَبَنَّ﴾؛ كما جاز أن تجعل (يَحسِبُنَّهم[٢]) بدلًا من (يَحْسِبَنَّ[٣]) في قراءة ابن كثير وأبي عمرو، لاتِّفاق[٤] الفعلين.

قال أبو إسحاق[٥]: ووقعت (فَلا[٦] تحسَبَنَّهم) مُكَرَّرةً؛ لِطُول القِصَّة. والعربُ تُعيد إذا طالت القصّة (حَسِبت) وما أشبهها؛ إعلامًا أن الذي جرى متصل بالأوَّل، وتوكيد[٧] له، فتقول: (لا تظنَنَّ زيدًا إذا جاءك وَكلَّمَكَ في كذا وكذا، فَلاَ تظُننَّه صادقًا)، فتكرره إيضاحًا للقصة.

وهذا - الذي ذكره أبو إسحاق - سائغٌ في القراءتين: قراءةِ أبي عمرو، وقراءةِ حمزة.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر: الأوَّل بالياء، والثاني بالتاء وفتح الباء[٨].

ووجه هذه القراءة: أن المفعولَيْن[٩] اللَّذَيْن يقتضيهما الحِسْبانُ في

---

(١) في (ب): (يجعل).

(٢) (أ)، (ب): (تحسبنهم)، وفي (ج): غير معجمة. والمثبت من «الحجة» للفارسي.

(٣) (أ)، (ب): (تحسبن)، وفي (ج): غير معجمة. والمثبت من «الحجة».

(٤) (أ)، (ب): (ولاتفاق)، ولا وجه للواو - هنا -. والمثبت من (ج)، و«الحجة»، للفارسي.

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٤٩٨. نقله عنه بتصرف واختصار يسيرين.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): (لا). والمثبت وفق رسم المصحف الشريف. وكذا جاءت في «معاني القرآن»..

(٧) في (ج): (وتأكيد)، وفي المعاني: وتوكيدًا.

(٨) أي: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ و﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾، وكسرَ نافعٌ السينَ وفتحها ابنُ عامر. انظر: «السبعة» ٢١٩-٢٢٠، و«علل القراءات» ١/ ١٣١، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١٠١.

(٩) من قوله: (المفعولين ..) إلى (.. من بعد عليهما): نقله - بتصرف - عن «الحجة» للفارسي ٣/ ١٠٧.

قوله: ﴿لا يَحْسَبَنَّ الذين يفرحون﴾ محذوفان[١]؛ لِدَلالَةِ ما ذُكِرَ من بَعْدُ عليهما[٢]. فَلَمَّا كان قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ متَّصلًا بمفعولَيْن ظاهِرَيْنِ، جُعِلا مفعولَي قولِهِ[٣]: ﴿لا يَحْسَبَنَّ[٤] الذين يَفْرَحُون﴾؛ بتقدير: لا يَحْسَبَنَّ[٥] الذين يفرحون أَنْفُسَهُمْ، بمفازةٍ من العذاب، ولا تَحْسَبَنَّهم أنت - أيضًا - كذلك.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَتَوا﴾ قال الفرّاء[٦]: يريد: [ما][٧] فعلوه؛ كما قال ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم:٢٧]؛ أي: فَعَلْتِ. وكقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء:١٦].

وقوله تعالى: ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ أي[٨]: بِمَنْجَاةٍ؛ مِنْ قولهم: (فَازَ فلانٌ): إذا[٩] نَجَا. وقال الفرّاء[١٠]: أي: بِبُعْدٍ[١١] من العذاب؛ لأن الفَوْزَ معناه:

---

(١) في (ج): (محذوفًا).
(٢) في (ج): (عليها).
(٣) في (ج): (لقوله).
(٤) (أ)، (ب): ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ - بالتاء -. وفي (ج): غير معجمة. والمُثْبَت يتناسب مع السياق؛ لأن المؤلف يوجِّهُ قراءةَ نافع وابن عامر وهي بالياء.
(٥) في (أ)، (ب): ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ - بالتاء -. وفي (ج): غير معجمة. والمثبت يتناسب مع السياق.
(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٥٠. نقله عنه بتصرف.
(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج). وفي «معاني القرآن»: بما فعلوا.
(٨) من قوله: (أي ..) إلى (.. نجا): نقله - بنصه - عن «تفسير غريب القرآن»، لابن قتيبة ١/ ١٠٩.
(٩) في «تفسير الغريب» أي.
(١٠) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٥٠.
(١١) في (أ): (يبعد)، وفي (ب)، (ج): رسمت كالتي في (أ)، إلا أنَّ النقط غير =

التباعد من المكروه[١].

وذكرنا ذلك في قوله: (﴿فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١٨٩- قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بِمُلْكِ تدْبيرِهما[٢]، وتصريفهما[٣] على ما يشاء. وهذا تكذيبٌ لِلَّذِين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[٤].

١٩١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ الآية.

رُوي عن علي، وابن عباس، وقتادة[٥]: أنهم قالوا: يعني[٦] [أنهم][٧] يُصَلُّون على هذه الأحوال: قِيَامًا، فإن لم يستطيعوا فقُعُودا، فإن لم يستطيعوا فَعَلَى جُنُوبِهم.

وهذا اختيار الزجاج، قال[٨]: يصلون في[٩] جميع هذه الأحوال،

واضحة. والمثبت هو ما استظهرت صوابه. وهي أقرب إلى رسمها في «معاني القرآن» (ببعيد)، وكذا وردت في: «إعراب القراءات السبع» لابن خالويه ١/ ١٢٥ (ببعد من النار).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٩٥.

(٢) في (ج): (سرها).

(٣) في (ج): (وتصريفها).

(٤) سورة آل عمران: ١٨١. وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٠٩.

(٥) ذكر قولهم الثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٧٠ ب، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٥٢٧.

(٦) في (ج): (معنى).

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٨) في «معاني القرآن»، له: ١/ ٤٩٩. نقله عنه بنصه. ولكن ليس هذا اختيار الزجاج، وإنما أورده وعزاه لبعض المفسرين، فقال: (وقال بعضهم ..) ثم ذكره، وأعقبه بقوله: (وحقيقته عندي - والله أعلم -: أنهم موحدون الله على كل حال). وقال قبلها: (.. وإنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم). ١/ ٤٩٨. وهذا هو اختياره.

(٩) في «معاني القرآن»: على.

على قَدْرِ إمْكانِهِم، في صحتهم وسَقَمِهم.

وقال آخرون[١]: يريد: أنهم يذكرون الله على كل حال.

وجاز[٢] أن يعطف بـ(على) على ﴿قِيَـٰمًا﴾ و﴿وَقُعُودًا﴾؛ لأن معناه يُنْبِئ عن حالٍ مِنْ أحوال تَصَرُّفِ الإنسان؛ كما تقول: (أنا أصِيرُ إلى زيدٍ ماشِيًا، وعلى الخيل). المعنى: ماشِيًا وراكِبًا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

لِيَكُون[٤] ذلك أزيد في بَصِيرتهم؛ لأن فكرهم يُرِيهم عِظَمَ شأنهما، فيكون تعظيمُهم للهِ ﷻ على حسب ما يقفون عليه من آثار حكمته.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾.

أي: و[٥]يقولون: رَبَّنا ما خلقت هذا[٦]. الإشارة بـ﴿هَٰذَا﴾ راجعةٌ إلى

---

(١) ممن قال به: قتادة، وابن جريج، ومجاهد.
انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٠، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٢.

(٢) من قوله: (وجاز ..) على (.. وراكبًا): نقله - بتصرف - عن: «معاني القرآن»، للزجاج: ١/ ٤٩٨.

(٣) أي أنَّ ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ في معنى الاسم؛ أي: (ونِيَامًا)، أو (مُضْطجِعين على جنوبهم). فحسن حينها عطفها على ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾، كما قال في موضع آخر: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [سورة يونس: ١٢]. فقوله: ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾؛ أي: (مضطجعا)، فعطف على الأسماء بعدها.
انظر: «معاني القرآن»، للفراء ١/ ٢٥٠، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢١٠.

(٤) من قوله: (ليكون ..) إلى (.. آثار حكمته): نقله - بتصرف - عن «معاني القرآن»، للزجاج: ١/ ٤٩٩.

(٥) (الواو): زيادة من (ج).

(٦) في (ج): (هذه).

الخَلْقِ. و﴿خَلَقْتَ﴾ يدل على الخَلْقِ[1].

وقوله تعالى: ﴿بَٰطِلًا﴾.

أي: خلقته دليلًا على حكمتك، وكَمَالِ قُدرتِك.

ومعنى الباطل: الزائِل الذاهب، الذي لا يَثْبُتُ[2]. ولَمَّا كان خَلْقُ السَّموات والأرض خَلْقًا مُتقَنًا، وصُنْعًا مُحْكمًا دالًا على قدرة الصانع، لم يكن باطلًا.

وكثير من المفسرين يذهبون إلى أن المعنى: (ما خلقتهما لِغَيرِ شيءٍ)[3]؛ لأنه خلقهما لِيَبْلُوَ العِبَادَ بينهما بالأمر والنهي، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي[4]، وانتصب قولُه ﴿بَٰطِلًا﴾ على أنه نَعْتُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: خَلْقًا باطلًا[5].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٠. وقال مُعلِّلًا ذلك: (يدل على ذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ورغبتهم إلى ربِّهم أنْ يُقِيهم عذابَ الجحيم. ولو كان المعنِيَّ بقوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، معنًى مفهومٌ؛ لأن السمواتِ والأرضَ أدلةٌ على بارئها، لا على الثواب والعقاب، وإنما الدليل على الثواب والعقاب الأمر والنهي).

(٢) قال ابن فارس (الباء والطاء واللام، أصلٌ واحدٌ، وهو: ذهاب الشيء، وقِلَّةُ مُكْثِهِ ولُبْثِهِ؛ يقال: (بَطَلَ الشيءُ، يَبْطُلُ بُطْلًا وبُطُولًا». «مقاييس اللغة» ١/ ٢٥٨ (بطل).

(٣) وممن قال بهذا المعنى: مقاتل، والطبري، وأبو الليث السمرقندي، والثعلبي، والعز بن عبد السلام.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٢١، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢١٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣٢٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧١أ، و«فوائد في مشكل القرآن» لابن عبد السلام ١٠٩.

(٤) قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [سورة الجاثية: ٢٢].

(٥) وهذا وجه واحد من وجوه نصبه، وفيه وجوه أخرى، ذكرها أبو حيان في «البحر =

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾.

أي: تنزيهًا لك، ببراءتك عما لا يجوز في وصفك[1].

﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

أي: قد اعترفنا بوحدانيَّتِك، وصدَّقنا أنَّ لك جَنّةً ونارًا، فقِنا عذابَ النار.

١٩٢- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾.

الإخزاء - في اللغة - يَرِدُ على معانٍ، يَقْرُبُ بعضُها مِنْ بَعْضٍ.

قال الزجاج[2]: (أخزى اللهُ العَدُوَّ)؛ أي: أبْعَدَهُ. وقال غيرُه[3]: الخِزْيُ: الهَوَانُ، و(أخزاهُ الله)؛ أي: أهانه.

وقال شَمِر[4]: أخزيته: فضحته. وفي القرآن: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ [هود:٧٨].

= المحيط» ٣/ ١٤٠، والسمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٥٣٢-٥٣٣ واستحسنا كونها حالًا من ﴿هَٰذَا﴾.

(١) التسبيح: تنزيه الله - تعالى - من كلِّ سُوء. والتنزيه: التبعيد. فقولهم: (سبحانك)؛ أي: تنزيهًا لك يا ربنا.. أي: نَزَّهناك.
انظر: «الزاهر» ١/ ١٤٤، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٢٥ (سبح)، و«اللسان» ٤/ ١٩١٤ (سبح).

(٢) لم أقف على مصدر قوله.
وورد عنه في: «معاني القرآن» - عند هذه الآية -: (والمَخْزِيُّ - في اللغة -: المُذَلُّ المَحقور بأمرٍ قد لَزِمَهُ بِحُجَّة، وكذلك (أخزيته)؛ أي: ألزمته حجة أذْلَلْتهُ معها).

(٣) أورد هذا القول الأزهري في: «التهذيب» ١/ ١٠٢٧ (خزى) ولم ينسبه لقائل؛ حيث أورد قولَ الليث بن المظفر أولًا، ثم قال: (وقال غيره ..) وذكر القول.

(٤) قوله في: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧ (خزى). ونصه في «التهذيب»: (قال شمر: قال بعضهم ..) ثم ذكره.

وقال[١] المُفَضَّلُ[٢] - في قوله: ﴿أَخْزَيْتَهُ﴾ -: أي: أهْلَكته.

وقال ابن الأنباري[٣]: معنى الخِزْي - في اللغة -: الهلاك بتَلَفٍ أو انقطاع حُجّةٍ، أو بوقوعٍ في بلاء[٤]. قال جرير:

تَمَّتْ تَمِيمٌ يا أُخَيْطِلُ فانْجَحِرْ خَزِيَ الأُخَيْطِلُ حين قُلتُ وقالا[٥]

أي: هَلَكَ بانقطاع حُجّتِهِ. ويحتمل: استحيا بانقطاعه. يقال[٦]: (خزِيَ، يَخْزَى، خِزْيًا): إذا هلك. و(خَزِي، يَخْزى[٧]، خَزَايةً): إذا استحيا[٨].

وتعلقت الوَعِيدِيَّةُ بهذه الآية، وقالوا: قد أخبر الله - تعالى -: أنه لا يُخزي النبيَّ والذين آمنوا معه، فوجب أن كلّ مَنْ يدخل النارَ لا يكون مؤمنًا؛ لِقَولِه: ﴿أَخْزَيْتَهُ﴾. والجواب عن هذا، من وجوه:

---

(١) في (ج): (قال) بدون واو.

(٢) قوله في «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢أ.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) تعرض ابن الأنباري لهذه الكلمة في «الزاهر» ١/ ٣٧٤ فقال عن قولهم (أخزى الله فلانًا): (معناه: أذله الله وكسَره وأهلكه. قال أبو العباس: الأصل فيه: أن يفعل الرجل فَعْلَةً، يستحي منها وينكسر لها، ويذل من أجلها ..).

(٥) البيت في: ديوانه: ٣٦٢. وهو من قصيدة يهجو فيها الأخطل، الشاعر النصراني. وروايته في الديوان: (تمت تميمي يا أخيطل فاحتجز ..).
ومعنى (فانْجَحِرْ): ادخل جُحرك. من: (جَحَرَ الضبُّ): دخل جُحره. و(جَحَرَ فلانٌ الضَبَّ): أدخله في جحره. انظر: «القاموس» ص٣٦٢ (جحر).

(٦) من قوله: (يقال ..) إلى (.. إذا استحيا): موجود في: «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٣٧٤.

(٧) قوله: (خزيًا: إذا هلك وخزي يخزى) ساقط من (ج).

(٨) ونصه عند ابن الأنباري: (يقال: (خَزِي يخزَى خزايَةً): إذا استحيا. و(خزِي يخزَى خِزْيا): إذا انكسر وهلك وذل).

أحدها: ما رَوَى قتادة، عن أنسٍ[(١)] - في قوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ -، قال: إنك مَنْ تُخَلِّدْ في النار.

وقال الثَّوْريُّ: بَلَغَنِي عن سعيد بن المسيب[(٢)]، أنه قال في هذه الآية: هي خاصَّةٌ في قومٍ لا يخرُجونَ مِنَ النَّارِ بعد دُخُولِهم إيَّاها.

ورُوي هذا المعنى - أيضًا - عن قتادة[(٣)] نفسِهِ. فمذهب هؤلاء الثلاثة: أنَّ الآية خاصَّةٌ فيمن يدخلها للخلود فيها. يدل عليه آخرُ الآية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾؛ يريد: الكفار.

والثاني: أن المُدخَل في النار مَخْزِيٌّ في حال دُخُولِهِ، وإن كانت عاقبتُهُ أن يخرج منها، فإن الدخول لا يقع إلّا بخزيٍ في ذلك الوقت. وهذا مذهب جابر بن عبد الله، واختيار ابن الأنباري.

يَدُلُّ عليه ما روي عن عَمْرُو بن دينار، أنه قال: قَدِم علينا جابر - في عُمْرةٍ -، فسألته عن هذه الآية، فقال: وما أخزاهُ[(٤)] حين أحرقه بالنار! إنّ دون ذا[(٥)] لَخِزْيًا[(٦)].

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٢، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥٢٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢أ.

(٢) قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٢، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢١١، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢أ، وفيها: (أخبرنا الثوري، عن رجل، عن ابن المسيب ..).
وأورده ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٩٦٤ بدون إسناد.

(٣) قوله في «تفسير ابن أبي حاتم» ٤/ ٨٤٢، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢أ.
وهو قول: سعيد بن جبير، وابن جريج، ومقاتل. انظر: «زاد المسير» ١/ ٥٢٨.

(٤) (أ)، (ب): (اخزاؤه). ولا وجه لها - هنا -. والمثبت من (ج)، ومصادر الخبر التالية.
وقوله: (وما أخزاه) أي: ما أشد وأكثر خزيه! أو: يا لخزيه!.

(٥) في (ب): (ذلك) وكذا وردت في مصادر الخبر.

(٦) أخرج الخبر: الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٠٠، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٢١١،=

قال ابن الأنباري[١]: وحَمْلُ الآية على العموم أولى من نقلها إلى خصوصٍ لا دليل عليه.

والجواب الثالث: ما قال أهلُ المعاني، وهو: أنّ الإخزاءَ يحتمل معنيين: أحدهما: الإهانة والإهلاك والإبعاد، كما ذكرنا. وهذا للكفّار. والثاني: الإخجال؛ يقال: (خَزِيَ خَزَايَةً): إذا استحيا، و(أخزاه غَيْرُهُ): إذا عَمِلَ بِهِ عَمَلًا يُخْجِلُه، ويستحيي منه.

ومنه حديث يزيد بن شَجَرَة[٢]: (ولا تُخزُوا الحورَ العِين)[٣]؛ كأنهن

= وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ١٩٦.

وقد رجح الطبريُّ هذا القول. انظر: «تفسيره» ٤/ ٢١١.

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) هو: يزيد بن شَجَرة بن أبي شجرة الرُّهاوي. شامي من مذحج، مُخْتَلَفٌ في صُحبته، وكان معاوية (يستعمله على الجيوش، وكان أميرًا حازمًا، قتل في إحدى الغزوات سنة (٥٥هـ)، وقيل: (٥٨هـ).

انظر: «الاستيعاب» ٤/ ١٣٨، و«الكامل» ٣/ ١٩٠، ٢٢٧، و«أسد الغابة» ٥/ ٤٩٥، و«الإصابة» ٣/ ٦٥٨.

(٣) الأثر، مِنْ خُطبة لِيَزيد بن شجرة، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٤٣ رقم (١٣٣)، موقوفًا على يزيد، قال: (أخبرنا زائدة عن منصور عن مجاهد، قال: كان يزيد بن شجرة مما يُذَاكرنا فيبكي ..) وذكره.

وأخرجه أبو عبيد بن سلام في «غريب الحديث» ٤/ ٣٥٨-٣٥٩، موقوفًا.

وأورده الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧ نقلًا عن أبي عبيد، وأورده الزمخشري في «الفائق» ١/ ٣١٧، وابن الجوزي في «غريب الحديث» ١/ ٢٧٧.

وقد أورده - كذلك -: ابنُ الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ٤٩٥، بنحوه، مرفوعًا عن يزيد، وكذا أورده ابن حجر في «الإصابة»: ٣/ ٦٥٨، مرفوعًا عن يزيد. وعزاه ابن حجر للخرائطي في: مكارم الأخلاق، وابن أبي شيبة، وعزاه للبغوي من طريق خالد الواسطي، ولأبي نعيم من طريق مسعود بن سعد، عن يزيد، ونسب ابن =

يَتَطلَّعْنَ مَنْ يَصيرُ إليهن بالشهادة؛ يقول: فلا تُخْجِلُوهُنَّ بِفِرَارِكُم.

فعلى هذا، خِزْيُ المؤمنين: الحياءُ مِنْ سائِرِ أهلِ الإيمان، بدخول النار إلى أن يخرجوا منها، وخِزْيُ الكافرين: الهلاكُ بالخلود[1] فيها.

١٩٣- قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ الآية.

المنادي: محمد ﷺ، في قول ابن عباس[2]، وابن مسعود[3]، وابن جريج[4]، وابن زيد[5]، والأكثرين[6].

وقيل: عين[7] المُنادِي: القرآنُ؛ حِكايَةً عن مؤمني الإنس، كما حكى عن مؤمني الجنّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]. الآية.

وهذا قول القُرَظِيّ[8]، قال: لأنه ليس كلُّ أحدٍ لَقِيَ النبي ﷺ. والذين

= حجر إخراجه لآخرين غيرهم من طرق مختلفة، ونقل عن البغوي أنه موقوف، وقال ابن حجر: (وهو الصواب).

(١) في (ب): (في الخلود).

(٢) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢ ب، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٥٣، و«زاد المسير» ١/ ٥٢٨.

(٣) قوله في: المصادر السابقة، ما عدا «زاد المسير».

(٤) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٣، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٣، و«زاد المسير» ١/ ٥٢٨، و«الدر المنثور» ٢/ ١٩٦ وزاد نسبة إخراجه إلى ابن المنذر.

(٥) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٢، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٣، و«زاد المسير» ١/ ٥٢٨.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٢١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٣١٧، وقال: (وهذا صحيح معنى)، و«تفسير ابن جزي» ١٠٤، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٧٦.

(٧) هكذا في: (أ)، (ب). وفي (ج): (عنى).

(٨) قوله في: «تفسير سفيان الثوري» ٨٣، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢١٢، و«ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٣، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥٢٧، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٢ب، =

قالوا: إنه النبي؛ قالوا: إن من سَمِع القرآنَ، فكأنه رأى النبي وأدركه وسمع منه؛ لأن القرآن معجزته، لم يأت به غيره، فهو دليل عليه، وكل مَن بَلَغه القرآنُ، فقد أنذره رسول[1] الله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ قال أبو عبيدة[2]: هذا على التقديم والتأخير، أي: سمعنا مناديًا للإيمان ينادي. وقيل[3]: اللام؛ بمعنى: (إلى)؛ كقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة:٨]، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ [المجادلة:٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة:٥]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، ومثله كثير. وهذا قول أكثر النحويين[4].

وقيل: هي[5] لام (أَجْل)[6].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ معنى (التكفير) في اللغة: التغطية. و(رجلٌ مُكَفَّرٌ بالسلاح)؛ أي: مُغَطّى[7].

= و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٢، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٥٣، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٦، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١١ وزاد نسبة إخراجه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والخطيب في «المتفق والمفترق».

وهو قول قتادة. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٢، ورجحه الطبري، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٢.

(١) في (ب): (النبي).

(٢) في «مجاز القرآن» له ١/ ١١. نقله عنه بمعناه.

(٣) قال بذلك: الفرّاءُ في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٠، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٢١٣.

(٤) انظر - إضافةً على ما سبق -: «تأويل مشكل القرآن» ٥٧٢، و«اللامات» ١٤٣، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٣.

(٥) في (ج): (هو).

(٦) ذكره الثعلبي بلفظ (قيل: ..) ولم ينسبه لقائل.

(٧) (كَفَر) و(كَفَّر) بمَعنى، وأصله يدل على التغطية والستر. ويقال: (فارسٌ مُكَفَّرٌ) و(مُتَكَفِّرٌ بالسلاح). =

والكُفْر، منه[١] - أيضًا -، وقد[٢] ذكرناه.

ومعنى ﴿كَفِّرْ عنا سَيِّآتنا﴾؛ أي: غَطِّها عَنّا[٣]، حتَّى لا نراها[٤]؛ كما تقول: (اغفر لي خطيئتي).

و(الغَفْرُ) - في اللغة -: السَّتْر[٥]. وجَمَعَ بين غُفْران الذنوب، وتكفير السَّيئات؛ لأن غفرانَ الذنوبِ، تَفَضُّلُه ورحمتُه؛ وتكفيرَ السيئات بالطاعات؛ كما تقول في الأشياء الموجبة للكفَّارة، فإنها إذا كُفِّرت، صارت مُكفَّرةً بتلك الطاعةِ التي هي كفَّارةٌ لها، كالصوم في الظِّهار، وإعتاق الرَّقبة في القتل الخطأ، والإطعام في الحِنْث[٦]. فالمغفرة بفضله من غير سبب، والتكفير، بسببِ[٧] طاعة.

والسَّيِّئات جَمْعُ: سَيِّئَة. قال الليث[٨]: يقال: (ساءَ الشَيءُ، يَسُوءُ)، فهو (سَيِّءٌ): إذا قَبُحَ.

= انظر: (كفر) في: «إصلاح المنطق» ١٢٦، ١٢٧، ٢٤٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦١، و«المقاييس» ٥/ ١٩١، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/ ٣٦١.

(١) منه: ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (قد) بدون واو.

(٣) (عنا): ساقطة من (ج).

(٤) في (ج): (نريها).

(٥) انظر: (غفر) في: «جمهرة اللغة» ١/ ٧٧٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٧٩، و«الزاهر» ١/ ١٩٢، و«معجم المقاييس» ٤/ ٣٨٥، و«بصائر ذوي التمييز» ٤/ ١٣٦.

(٦) الحِنْثُ - هنا -: الخُلْف في اليمين.

(٧) في (ج): (سبب).

(٨) قوله في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣ (سوأ)، وقد دمج المؤلف - هنا - بين قول أبي زيد، وقول الليث. فمن قوله: (السيء ..) إلى (.. للأنثى): هو نص قول الليث. ومن قوله: (سوأت ..) إلى (.. بما صنع): من قول أبي زيد، تصرف فيه المؤلف.

وقال أبو زيد: (السَّيِّئُ)، و(السَّيِّئة)، عملان قبيحان. يصير (السيِّئُ)[١] نعتًا للذَّكَرِ مِنَ الأفعال[٢]، و(السَّيِّئَةُ) للأنثى؛ ومِنْ هذا يقال: (سَوَّأتُ على فلان فعلَه)؛ أي: قَبَّحْتُهُ عليه، وعِبْتُهُ بما صَنَع.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

قال ابن عباس[٣]: يريد: مع[٤] الأنبياء؛ والمعنى: تَوَفَّنا في جُمْلَتِهِم. وكلُّ مَنْ أُخِذَ في جُمْلَةِ قومٍ صار معهم؛ فلذلك قال: ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

١٩٤- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ الآية.

قالوا: معناه: على ألسُنِ رُسُلِك. فهو من باب حذف المضاف[٥].

وقال الكَلْبيُّ - عن ابن عباس -[٦]: يقولون: على لِسان رُسُلِك.

ومعنى الدعاء - ههنا - مع العِلْم أنه مُنْجِزٌ وَعْدَهُ لا محالة -: التَّعَبُدُ؛ لِمَا في ذلك من الخُضُوع لله، وإظهار الحاجة إليه؛ وذلك أن (الدعاء مُخُّ العِبَادةِ)[٧].

---

(١) في (ج): (الشيء).

(٢) في «التهذيب»: الأعمال.

(٣) لم أقف على مصدر قوله. وقد ورد في «زاد المسير» ١/ ٥٢٩.

(٤) (مع): ساقطة من (ج).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٣، و«بحر العلوم» ١/ ٣٢٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٣أ، و«زاد المسير» ١/ ٥٢٩.

(٦) لم أقف على مصدر قوله.

(٧) هذا نص حديث، أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي في «السنن» ٥/ ٤٥٦ رقم (٣٣٧١). كتاب: الدعاء. باب: (من فضل الدعاء)، عن أنس بن مالك، من طريق ابن لهيعة، وقال الترمذي: (حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة).

وورد بلفظ: (الدعاء هو العبادة)، أخرجه: الترمذي في «السنن» رقم (٢٩٦٩) =

ومثلُهُ - مِمَّا لا يجوز غيرُه، وقد تعبدنا بالدعاء به -: قولُهُ[١] - تعالى -[٢]: ﴿قَلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقوله: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧][٣]. الآية.

وقيل[٤]: معناه: اجعلنا مِمَّن وَعَدته بالثواب، دون الخِزْي والعِقَاب. فمعنى (آتِنَا ذلك): اجعلنا مِنْ أهلِهِ. وقيل[٥]: معناه: و[٦] آتِنا ما

= كتاب: «التفسير»: باب (من سورة البقرة). وقال: (حسن صحيح)، رقم (٣٢٤٧) كتاب: التفسير. باب (ومن سورة المؤمن)، رقم (٣٣٧٢) كتاب: الدعاء. باب: (ما جاء في فضل الدعاء).

وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٧١، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٤٩١. وقال: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي.

وابن ماجه في «السنن» رقم (٣٨٢٨) كتاب: الدعاء باب (فضل الدعاء).

وأبو داود في «السنن» رقم (١٤٧٩) كتاب: الصلاة. باب (الدعاء).

وابن حبان في صحيحه -انظر: «الإحسان» ٣/ ١٧٢ رقم: (٨٩٠).

وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٦/ ٢١-٢٢ رقم (٢٩١٥٨).

والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٤)، والطيالسي في «مسنده» ٢/ ١٤٦ (٨٣٨)، والبغوي في «شرح السنة» ٥/ ١٨٤ رقم (١٣٨٤).

(١) في (ج): (وقوله).

(٢) (تعالى): ليست في (ج).

(٣) وانظر: «روح المعاني» ٤/ ١٦٧.

(٤) ذكر معنى هذا القول: الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢١٤، والثعلبيُّ في «تفسيره» ٣/ ١٧٣أ، ولم ينسباه لقائل.

(٥) ممن قال به: ابن جريج. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٣، ٢١٤، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٣.

واختاره الطبري في: «تفسيره» ٤/ ٢١٤. وقال الآلوسي: (وكلام أبي القاسم البلخي يشير إلى هذا أيضًا). «روح المعاني» ٤/ ١٦٧.

(٦) (الواو): زيادة من (ج).

وعدتنا مِنَ النصْرِ لنا، والخِذْلان لِعَدُوِّنا، عاجِلًا. فهم سألوا تعجيل ما وُعِدوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ قد ذكرنا معاني (الإخزاء)، عند قوله: ﴿مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

١٩٥- قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى﴾ أي: بِأنِّي.

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي: في الدِّينِ والنُّصْرَةِ، والمُوَالاة. معناه: بعضكم يوالي بعضًا؛ كما ذكرنا في قوله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]. هذا قولُ الكَلبيِّ[١] وغيرِه[٢].

وقيل[٣]: معناه: حُكْمُ جَمِيعِكم حُكْمُ واحِدٍ منكم؛ فيما أفْعَلُ بكم؛ مِنْ مُجازاتِكم على أعمالكم، وتَرْكِ تضييعها لكم. يستوي في ذلك ذُكْرانُكم وإناثكم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾. أحسنُ[٤] وجوهِ القِراءَةِ: تقديمُ ﴿قَـٰتَلُوا۟﴾ على ﴿قُتِلُوا۟﴾[٥]؛ لأن القتال قبل القتل. وقرأ ابنُ عامر، وابنُ

---

(١) قوله، في: تفسير «بحر العلوم» ١/ ٣٢٤، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٤أ.

(٢) وهو قول: ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختيار الطبري. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٦، و«النكت والعيون» ١/ ٤٤٣، و«زاد المسير» ١/ ٣٧٥.

(٣) هذا القول، أورده الطبري في تفسيره؛ مِن تتمة القول الأول، ولم يفصل بينهما. انظر: «تفسيره» ٤/ ٢١٦. وأورده الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٧٤أ، وصَدّره بـ(قيل)، ولم ينسبه لقائل.

(٤) من قوله: (أحسن ..) إلى (.. للقتل الذي وقع بهم): نقله - بالمعنى - من «الحجة» للفارسي ٣/ ١١٧.

(٥) هي قراءة نافع، وعاصم، وأبي عمرو.
انظر: «السبعة» ٢٢١، و«القراءات» للأزهري ١/ ١٣٥، و«الحجة» للفارسي ٣/ ١١٧، و«الكشف» لمكي ١/ ٣٧٣، و«التيسير» للداني ٩٣.

كَثِير: ﴿وَقُتِّلُواْ﴾ - مُشَدَّدَة -[١]؛ لِتَكَرُّرِ القتلِ فيهم، فهو مثل: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص٥٠]، ومَنْ خَفَّفَ؛ فإن التخفيف يقع على القليل والكثير.

وقرأ حمزة، والكسائيُّ[٢]: ﴿وَقُتِلُوا وقاتَلُوا﴾، ولها وجهان:

أحدهما: أن المعطوف بالواو، هو الأوَّلُ في المعنى، وإنْ كان مُؤَخَّرًا في اللفظ؛ لأن[٣] الواوَ لا يُوجِبُ[٤] ترتيبًا.

والثاني: أن المُرادَ بقوله: ﴿وَقُتِلُواْ﴾؛ أي: قُتِلَ بعضُهم، ثم قاتل مَنْ بَقِيَ منهم، ولم يَهِنُوا، ولم يَضْعُفوا؛ لِلْقَتْلِ الذي وَقَعَ بهم[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال الزَّجَّاجُ[٦]: هو مصدرٌ مؤكِّدٌ لِمَا قبله[٧]؛ لأن معنى ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: لأُثِيبَنَّهُمْ.

قال: ومثله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾[٨]، و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾[٩]؛ لأن ما قبله

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: المصادر السابقة، و«النشر» ٢/ ٢٤٦.

(٣) في (ج): (فإن). (٤) في (ج): (لا توجب).

(٥) استشهد الفارسي في هذا الموضع بقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. [الآية: ١٤٦. سورة آل عمران].

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠٠. نقله عنه بتصرف واختصار.

(٧) المصدر المؤكِّد، هو المفعول المطلق. وفي نصبه وجوه أخرى؛ منها: أنه منصوب على التميز، الذي يسميه الفراء (التفسير). وقيل: منصوب على القطع؛ أي: الحال. وقيل غير ذلك.
انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥١، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٨٧، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٨٥، و«الدر المصون» ٣/ ٥٤٣-٥٤٤.

(٨) سورة النساء: ٢٤. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ لأن قبلها جاء قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ إلى آخر الآية ٢٣ من سورة النساء.

(٩) سورة النمل: ٨٨. ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

بمنزلة: (كَتَبَ اللهُ)، و(صَنَعَ اللهُ)[(١)].

١٩٦- قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

قال المفسرون: نزلت[(٢)] في مشركي مَكَّة؛ وذلك أنهم كانوا يَتَجَبَّرُون[(٣)] ويَتَنَعَّمُون. فقال بعض المؤمنين: إن[(٤)] أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هَلَكْنَا من الجُوعِ والجَهْدِ؛ فنزلت هذه الآية.

وقال الفراء[(٥)]: كانت اليهود تضرب في الأرض فَتُصِيبُ الأموالَ، فأنزل[(٦)] الله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾[(٧)].

---

(١) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٣٨١، و«المسائل الحلبيات» ٣٠٣، وانظر: تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [الآية: ١٤٥].

(٢) من قوله: (نزلت ..) إلى (.. فأنزل الله ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾): نقله - بتصرف يسير - عن «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٥أ.

وممن قال بذلك: مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٢٣، وذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ٣٢٥ على أنه معنى الآية، ولم ينص على كونه سببًا في نزولها.

وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ١٤٣، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ١٥٤، ولم ينسباه لقائل. وذكره الآلوسي، واستظهره. انظر: «روح المعاني» ٤/ ١٧٢.

(٣) في (ج)، و«تفسير الثعلبي»: (يتَّجرون)، وكذا هي في: «روح المعاني»، حيث نقل الآلوسيُّ نَصَّ هذه العبارة عن الواحدي، وفيها (يتجرون). وهي أصوب وأليق بالمعنى المراد. والمثبت من (أ)، (ب)، وله وجه كذلك.

(٤) (إن): ساقطة من (ج).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٥١.

(٦) في «معاني القرآن»: (فقال الله عز وجل).

(٧) ذكر هذا السببَ ابنُ الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٥٣١، ونسبه لابن عباس.

وذكر ابن الجوزي عن أبي سليمان الدمشقي، أن النبي ﷺ، أراد أن يستلف من بعض اليهود شعيرًا، فأبى إلا على رَهْنٍ، فقال النبي ﷺ: «**لو أعطاني لأوفيته، إني لأمينٌ في السماء، أمينٌ في الأرض**» فنزلت هذه الآية.

قال الزجاج[١]: خطاب النبي ﷺ، خطاب الخَلْقِ في هذا الموضع؛ المعنى: لا يَغُرَّنَّكم أيها المؤمنون. وهذا قول قتادة[٢]. قال: والله ما غرُّوا نَبِيَّ اللهِ، حتى قبضه الله. والخطاب له، والمراد غيره[٣].

وقال بعض النَحْوِيِّين[٤]: هذا خطابٌ لكل من سمعه من المكلفين؛ كأنه قيل: لا يَغُرَّنك أيُّها السامِعُ.

ويُبْنى المضارعُ مع النون الشديدة؛ لأن النون لحقت حرفَ الإعراب، على جهة التأكيد، فصار بمنزلة ضَمِّ الاسم إلى الاسم في (خَمْسَةَ عَشَرَ)، ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَـرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾.

يعني: تَصَرُّفهم للتجارات[٥].

أعلَمَ[٦] اللهُ أن ذلك مما لا ينبغي أن يُغْبَطوا به؛ لأن مصيرهم - بكفرهم - إلى النار، ولا خير[٧] في نَعِيمٍ[٨] بعده النار.

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠٠. نقله عنه بنصه.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٧، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٥.

(٣) (الخطاب له والمراد غيره): العبارة للثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٧٥أ.

(٤) لم أقف عليهم.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥١، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١١٧، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٠٠، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٥أ، و«زاد المسير» ١/ ٥٣٢.

(٦) من قوله: (أعلم ..) إلى (.. نعيم بعده النار): نقله - بتصرف يسير - عن: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٠٠-٥٠١.

(٧) في (ج): (وأخبر).

(٨) في «معاني القرآن»: (بخير) بدلًا من (في نعيم).

١٩٧- فقال: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: تَقَلُّبُهُم مَتَاعٌ قَلِيلٌ. وقال الفراء[١]: ذلك متاعٌ قليل.

وقال الزجاج[٢]: ذلك الكَسْبُ والرِّبْحُ الذي يربحونه، مَتَاعٌ قليل. وإنما وصفه[٣] بالقِلَّةِ؛ لأنه فانٍ مُنْقَطِعٌ؛ ولأنَّهُ[٤] - بالإضافة إلى نعيم الآخرة - قليلٌ.

١٩٨- قوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ الآية. قد ذكرنا التخفيف والتشديد في ﴿لَٰكِنِ﴾[٥] عند قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾[٦]، ومعناه[٧] - ههنا -: الاستدراك بها، خلاف المعنى المتقدم؛ وذلك أن[٨] قوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ تَضَمَّنَ: ما لَهُم كثيرُ انتفاع؛ فجاء على ذلك: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ لَهُمْ[٩] الخلود في النعيم المقيم.

---

(١) قد يُفْهم قولُ الفراء هذا، من عباراته التي يقول فيها: (كانت اليهود تضرب في الأرض فتصيب الأموال، فقال الله ﷻ: لا يغرنك ذلك. وقوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا). «معاني القرآن» ١/ ٢٥١. معنى قوله: (ذلك)؛ أي: ضَرْبُ اليهود في الأرض، متاع قليل.

(٢) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠١. نقله عنه بنصه.

(٣) في (ب): (وصف).

(٤) في (ج): (وإنه).

(٥) قرأ أبو جعفر بتشديد النون المفتوحة. وقرأ الباقون بالتخفيف.
انظر: «المبسوط» لابن مهران ١٥١، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٥ ب، و«زاد المسير» ١/ ٥٣٢، و«النشر» ٢/ ٢٤٧.

(٦) سورة البقرة: ١٠٢. وانظر: «الحجة» للفارسي ٢/ ١٦٩-١٨٠.

(٧) في (ج): (معناه) بدون واو.

(٨) (أن): ساقطة من (ج).

(٩) (لهم): زيادة من (ب).

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾. المعنى: مِنْ تحتِ أشجارِهَا وقصورها وأبْنِيَتِها.

وقوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ النُّزُلُ[١]: ما يُهيّأ لضيف أو لقوم إذا نزلوا موضعًا.

ويقال: (أقمت لهم نُزُلَهم)؛ أي: أقمت لهم غذاءَهم[٢]، وما يصلح معه أن ينزلوا[٣] عليه. هذا معناه في اللغة[٤].

وقال الكَلْبيُّ في تفسيره[٥]: جزاءً وثوابًا[٦]. وانتصابه على المصدر[٧]، في قول الزجاج، قال[٨]: هو مصدرٌ مُؤَكِّدٌ[٩]؛ لأنْ خلودهم فيها: إنزالهم فيها أو نزولهم[١٠].

---

(١) النُّزُل، والنُّزْل - بضم الزاي وتسكينها. انظر: «القاموس المحيط» (١٠٦٢) (نزل).

(٢) في (ج): (عداوهم).

(٣) من قوله: (أقمت ..) إلى (.. ينزلوا عليه): هو نص قول الزجاج في: «معاني القرآن» له ٤/ ٣٠٦ عند تفسير الآية ٦٢ من سورة الصافات ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾.

(٤) انظر هذا المعنى، وبقية المعاني لـ(نزل) في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٥، و«المقاييس» ٥/ ٤١٧، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٨٠٠، و«اللسان» ٧/ ٤٤٠٠ .

(٥) في (أ)، (ب): (تفسير)، والمثبت من (ج).
وقد أورد قوله هذا: الثعلبي في: «تفسيره»: ٣/ ١٧٥ ب وورد في: «زاد المسير» ١/ ٥٣٢، ونسبه إلى ابن عباس. ويبدو أنه من رواية الكلبي عنه.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٢٥، و«تفسير البغوي» ٢/ ١٥٤.

(٧) أي: المفعول المطلق.

(٨) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠١. نقله عنه بنصه.

(٩) مؤكد: ليس في «معاني القرآن».

(١٠) (أو نزولهم): ليس في «معاني القرآن».

وقال الفرّاء[١]: هو نصبٌ على التفسير[٢]؛ كما تقول: (هو لك: هِبَةً وبَيْعًا وَصَدَقَة).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ أي: مما يَتَقَلَّبُ[٣] فيه الكفّار في دار الدنيا. و(الأبرار)[٤] يجوز أن يكون واحده (بارٌّ)، مثل: صاحِبٌ وأصحاب. ويجوز أن يكون واحده (بَرٌّ)، وأصلُهُ: (بَرَرٌ)[٥]، فأدْغِمَ[٦] للتضعيف[٧].

١٩٩- وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية.

---

(١) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٥١. نقله عنه بتصرف.

(٢) (التفسير) من مصطلحات الكوفيين. وهو (التمييز) عند البصريين، ويقال له كذلك: التبيين. وقد يُطلِقُ الفراءُ (التفسير) على المفعول لأجله، أو على بدل المطابقة. ولكنهما ليسا مرادان في هذا الموضع.
انظر: «همع الهوامع» ٣/ ٦٢. و«دراسة في النحو الكوفي» ٢٦٦-٢٢٨، و«النحو وكتب التفسير» ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٣) في (أ): (ينقلب). وفي (ج): غير معجمة. والمثبت من (ب)؛ لأنها أولى وأليق بالمعنى. وكذا وردت في: «الكشاف» ١/ ٤٩١، و«تفسير القرطبي» ٤/ ٣٢٢، و«تفسير البيضاوي» ١/ ٨٣.

(٤) من قوله: (والأبرار ..) إلى (للتضعيف) نقله عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٥٠١.

(٥) (وأصله برر): ساقط من (ج).

(٦) في (ج): (وأدغم).

(٧) في «الصحاح»، و«اللسان»، و«المصباح المنير»، و«التاج»: أن (الأبرار) جمع (بَرٍّ). و(بَرَرَة) جمع (بارٍّ). انظر: (بر) في: «الصحاح» ٢/ ٥٨٨، و«اللسان» ١/ ٢٥٣، و«المصباح» ١٧، و«التاج» ٦/ ٧٠١.
وعند الراغب: أن (أبرار) جمع (بارٍّ). و(بَرَرَة) جمع (بَرٍّ). انظر: «مفردات ألفاظ القرآن»: ١١٥. وتبعه الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» ٢/ ٢١٣. وانظر: «البرهان» للزركشي ٤/ ١٨، و«عمدة الحفاظ» ٤٥.

اختلفوا في نزولها؛ فقال ابن عباس[١]، وجابر[٢]، وقتادة[٣]: نزلت في النَّجَاشيِّ[٤] حينَ مات، وصلّى عليه النبيُّ ﷺ بالمدينة. فقال المنافقون: إنه يُصَلِّي على نصرانيٍّ لم يَرَهُ قَطُّ[٥].

---

(١) قوله في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٧٦، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٤٣.

(٢) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٨، و«تفسير الثعلبي» ١٧٦أ، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٤٣، ١٤.

(٣) قوله، في: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٤، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢١٨-٢١٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٦أ، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٤٣، ١٤٤.

(٤) هو: أصحمة بن أبحر، والنجاشي، لقبه. قال ابن عيينة عن (أصحمة)، (هو بالعربية: عطية). وهو ملك الحبشة، وقد أكرم المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده من مكة المكرمة، وأحسن استقبالهم، وأسلم ولم يهاجر.
انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٤، و«الإصابة» ١/ ١٠٩.

(٥) وبه قال ابن جريج في رواية عنه أخرجها الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢١٩١.
وقال به أنس بن مالك، أخرجه عنه النسائي في «تفسيره» ٣٥٦ رقم (١٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٨٤٦، والمؤلف في: «أسباب النزول» ١٤٤، والبزار (انظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار» ١/ ٣٩٢ رقم: ٨٣٢).
وذكره الهيثميُّ في «مجمع الزوائد» ٣/ ٣٨ وزاد نسبة إخراجه للطبراني في «الأوسط»، وقال: (ورجال الطبراني ثقات)، وذكره ابن حجر في «الإصابة» ١/ ١٠٩، وزاد نسبة إخراجه لابن شاهين والدارقطني في: الأفراد.
وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٨١، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٠٠.
وبه قال الحسن البصري. ذكر ذلك ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٨١، ونسب إخراج الأثر عنه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
وصلاة الرسول على النجاشي، أخرجها الشيخان، ولكن ليس فيها اعتراض المنافقين، ولا أنه سبب نزول الآية.
انظر: «صحيح البخاري» (٣٨٧٧) كتاب: مناقب الأنصار. باب: موت النجاشي، و«صحيح مسلم» رقم (٩٥١-٩٥٣) كتاب الجنائز. باب: في التكبير على الجنازة.
وانظر: «مجمع الزوائد» ٣/ ٣٨-٣٩.

وقال ابنُ جُرَيْج[(١)]، وابن زيد[(٢)]: نزلت في عبد الله بن سَلامٍ وأصحابه.

وقال مجاهد[(٣)]: نزلت في مؤمِني أهلِ الكتابِ، كلِّهم.

و[(٤)] قال الزجاج[(٥)]: لَمَّا ذكر الذين كفروا من أهل الكتاب في قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ ذكر حال مَنْ آمَنَ مِنْ أهلِ الكتاب، وأخبر أنهم صَدَقُوا في حال خُشُوعٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عَرَضًا مِنَ الدُّنياَ، كفعل اليهود الذين غَيَّروا التوراة بِثَمَن.

ومعنى: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ - ههنا -: أنه لا يُؤَخِّرُ الجزاءَ عَمَّن استحقه؛ لِطُول الحِسَابِ والاشتغال به؛ كما يتأخر[(٦)] لذلك الحقوقُ في الدنيا. ومضى الكلام في معنى سرعة حساب الله[(٧)].

---

(١) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٦ ب، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٤٤.

(٢) قوله في: المصادر السابقة. وبه قال مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٢٣.

(٣) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢١٩، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٦، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٦ ب، و«أسباب النزول» للمؤلف ١٧٣، وهو قول ابن عباس من رواية أبي صالح عنه. انظر: «زاد المسير» ١/ ٥٣٣. وإلى هذا القول، ذهب الطبري في تفسيره، في الموضع السابق.

(٤) (الواو): زيادة من (ج).

(٥) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠١. نقله عنه بالمعنى.

(٦) في (أ)، (ب)، (ج): (يتأخر). والأصل أن يقول: تتأخر. إلا أن المُثْبَتَ على معنى: يتأخر قضاء الحقوق.

(٧) انظر: تفسير الآية: ٢٠٢ من سورة البقرة.

٢٠٠- وقوله[١] تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾

قال الحسن[٢]: اصبروا على دينكم فلا تَدَعُوه لِشِدَّةٍ. وهذا اختيار الزجّاج[٣].

وقال زيد بن أسلم[٤]: أي: على الجهاد. وهو اختيار ابن الأنباري[٥].

وقال الفرّاء[٦]: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ مع نَبِيِّكم[٧]، ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ عدُوَّكم، فلا

---

(١) في (ج): (قوله) بدون واو.

(٢) قوله في: «تفسيرالطبري» ٤/ ٢٢١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٩، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٦ ب، و«زاد المسير» ١/ ٥٣٤.

(٣) في «معاني القرآن» له ١/ ٥٠١.

وهو قول محمد بن كعب القرظي. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٧.

وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٢٢ وعلله بقوله: (وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئًا، فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل، فلذلك قلنا: إنه عنى بقوله: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾: الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله، فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها، وسهلها وخفيفها).

(٤) قوله في: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٢، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٣/ ٨٤٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٠١، ٢٠٢. وزاد نسبة إخراجه لعبد بن حميد، والبيهقي في «الشعب».

وأخرجه الحاكم بنفس سند الطبري وابن أبي حاتم، إلا أنه زاد فقال: (.. عن زيد ابن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) وفيه أن عمر بلغه أن أبا عبيدة حضر بالشام، وتألب عليه الأعداء، فكتب إليه يُصبِّره، وأنهى كتابه بهذه الآية.

انظر: «المستدرك» ٢/ ٣٠٠. وصححه، ووافقه الذهبي.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.

(٦) في «معاني القرآن» له ١/ ٢٥١. نقله عنه بنصه.

(٧) في المعاني: (مع نبيكم على الجهاد).

يكونن[١] أصْبَرَ منكم.

﴿وَرَابِطُواْ﴾؛ أي: أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب والحُجَّةِ. قاله الزجّاج[٢]. وأصلُهُ - عند أهل اللغة -: مِن (مُرابَطَةِ الخَيْل)، وهو ارتباطها بإيزاء العَدُوِّ في بعض الثُّغُور[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: أصل (المُرَابَطَةِ) و(الرِّباط): أن يَرْبِطَ هؤلاء خيولَهم في الثَّغْرِ، ويَربط الكفارُ خيولَهم، كلٌّ يُعِدُّ لِصَاحبه، ثم سُمِّيَ المُقامُ بالثغور (رِباطًا)؛ لوجود هذا المعنى[٥].

وكلام ابن عباس - في رواية عطاء - يَدُلُّ على هذه الجملة، فإنه قال في قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾؛ يريد: عَدُوِّي وعدوَّكم. حتى يرجع عن دينه إلى دينكم[٦].

وهذا اللفظ يتضمن معنى[٧] ملازمة الجهاد. وهذا قول أكثر أهل

(١) في (ج): (فلا يكون).

(٢) في: «معاني القرآن»، له: ١/ ٥٠١-٥٠٢. نقله عنه بنصه.

(٣) هذا نص قول الأزهري في: «تهذيب اللغة»: ٢/ ١٣٤٦ (ربط).

(٤) في: «تفسير غريب القرآن»، له: ١/ ١٠٩. نقله عنه بتصرف.

(٥) قال ابن فارس عن الرباط: هو (ملازمة ثَغْرِ العدو، كأنهم رُبطوا هناك، فثبتوا به، ولازموه). «المقاييس» ٢/ ٤٧٨ (ربط). وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٢، و«معاني القرآن» للنحاس ١/ ٥٣٠، و«مفردات ألفاظ القرآن» ٣٣٨-٣٣٩ (ربط)، و«أساس البلاغة» (٣١٦) (ربط).

(٦) ورد معنى قول ابن عباس في: «زاد المسير» ١/ ٥٣٤، وأورد الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٧٧أ قول عطاء، دون أن يرفعه لابن عباس، وفيه: (﴿وَرَابِطُواْ﴾: يعني: المشركين).

(٧) (معنى): ساقط من (ج).

التفسير[١].

وقال أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن[٢]: معنى ﴿وَرَابِطُواْ﴾: انتظروا الصلاة بعد الصلاة. واحتج[٣] بقوله ﷺ - في حديث أبي هريرة، حيث ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة - قال: (فَذلِكُمُ الرِّبَاط)، ثلاث مرّات[٤].

وأصل هذا من الرَّبْط، وهو: الشَّدُّ[٥]. ويقال لِكُلِّ مَنْ صَبَرَ على أمْرٍ: (رَبَطَ قَلْبَه عليه)، و(ربط نفسه)[٦].

قال لَبِيد:

---

(١) هو قول: قتادة، وابن جريج، والضحاك، ومحمد بن كعب القُرَظي، ومقاتل. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢١، ٢٢٢، و«تفسير مقاتل» ١/ ٣٢٤.
وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٢٣؛ مُعَلِّلًا بأنه: (هو المعنى المعروف من معاني (الرباط)، وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه، دون الخفي، حتى يأتي بخلاف ذلك - مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه - حُجةٌ يجب التسليم لها، مِن كتاب، أو خبر من الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل) ٤/ ٢٢٣.

(٢) قوله في: «المستدرك» للحاكم ٢/ ٣٠١، و«تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٢، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٨١.

(٣) من قوله: (واحتج ..) إلى (.. الصلاة بعد الصلاة): ساقط من (ج).

(٤) الحديث من رواية أبي هريرة. أخرجه مسلم في «الصحيح» رقم (٢٥١). كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء، والترمذي رقم (٥١، ٥٢) أبواب الطهارة. باب ما جاء في إسباغ الوضوء، وقال: (حسن صحيح)، ومالك في «الموطأ» ص١١٨ (٥٨) كتاب قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها.

(٥) في (ج): (الشدة).

(٦) انظر: (ربط): «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٦، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٧٨، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٧أ.

رابطُ الجَأْشِ على كُلِّ وَجَلْ[١]

أي: صابرٌ ثابت. فقيل للصبر على الصلاة وربط النفس عليها: (رِبَاط).

وقال أبو عبيدة[٢]، وابنُ الأنباري[٣]: معنى ﴿وَرَابِطُوا﴾؛ أي: اثْبُتُوا، وداوموا[٤].

وأنشد ابنُ الأنباري قولَ الأخْطَل[٥]:

---

(١) في (ب): (رجل).

وهذا عجز بيت، وصدره:

يُسْئِدُ السَّيْرَ عليها راكبٌ

البيت في: «ديوانه» ١٧٦. وورد منسوبًا له في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩١ (سأد)، و«الصحاح» ٢/ ٤٨٢ (سأد)، و«تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٧أ، و«اللسان» ٣/ ١٩٠٥.

ومعنى (يُسْئِد): يُغِذُّ ويسرع السَّيْرَ. يقال: (أسْأَدَ الرجلُ السَّيْرَ): أدْأبَهُ. و(الإسآد): الإسراع والإغذاذُ في السير، وأكثر ما يستعمل ذلك في سير الليل. وعن أبي عمرو: الإسآد: أن تسير الإبلُ الليل مع النهار. و(الوَجَلُ): الخوف.

انظر (سأد) في: «الصحاح» ٢/ ٤٨٢، و«اللسان» ٣/ ١٩٠٥، و«القاموس» (١٠٦٧) (وجل).

(٢) في: «مجاز القرآن» ١/ ١١٢.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) في «مجاز القرآن»: ودوموا. وورد قول أبي عبيدة في: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٧٧أ، وفيه: (داوموا)، كما هي عند المؤلف.

(٥) هو: غياث بن غوث بن الصلت، أبو مالك التغلبي. شاعر نَصْراني، ومات على نَصْرانِيَّتِه، كان مُقَدَّمًا عند خلفاء بني أمية، لكثرة مدحه لهم وانقطاعه إليهم. توفي سنة (٩٠هـ).

انظر: «شرح شواهد المغني» ١/ ١٢٣، و«الأعلام» ٥/ ١٢٣.

ما زال فينا رِباطُ الخَيْلِ مُعْلِمَةً

وفي كُلَيْبٍ رِباطُ اللُّؤْمِ والعَارِ[(١)]

قال: إنما[(٢)] أراد بـ(الرِّبَاط): اللزوم والثبات. وهذا المعنى راجع إلى ما ذكرنا من الصبر ورَبْطِ النفس.

ثم هذا الثبات والدوام يجوز أن يكون على جهاد العدو، ويجوز أن يكون على الصلاة[(٣)].

---

(١) البيت في «شعره» ٦٣٥. وورد منسوبًا له في: «الصحاح» ٥/ ١٩٩٠ (علم)، و«اللسان» ٥/ ٣٠٨٤ (علم).

وورد غير منسوب في: «أساس البلاغة» ١/ ٣١٦.

قوله: (مُعْلِمة) -بكسر اللام، وهكذا ضبطت في شعره، والصحاح، و«اللسان»-: هي من قولهم: (أعْلَمَ الفارِسُ): جعل لنفسه علامة الشجعان. فهو مُعْلِم. والخيل المُعلِمة: المشهورة التي لها علامة في الحرب.

وفي «مجاز القرآن»: (مُعْلَمَة) -بفتح اللام-: وهي للبناء للمجهول؛ من قولهم: (أعْلَمَ الفَرَسَ): عَلَّق عليه صوفًا أحمر أو أبيض في الحرب. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٨٤ (علم).

وكُلَيب: هم رهط جرير، الذي يهجوه الأخطلُ في هذا البيت.

(٢) (إنما): ساقط من (ج).

(٣) والراجح أن (الرباط) -المذكور في الآية- معنيٌّ به المرابطة في الجهاد. وهو ما رجحه ابن جرير، وأكثر المفسرين. وقول رسول الله ﷺ: (فذلكم الرباط ..) إنما هو تشبيه المحافظة على الصلاة؛ بملازمتها والدوام عليها، والرباط في سبيل الله؛ بجامع ما في الأمرين من دوام ولزوم وانتظار. انظر: «المحرر الوجيز» ٣/ ٤٧٧.

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

سورة النساء من أول السورة إلى آية (٨٣)

تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ قال ابن عباس: الخطاب لأهل مكة(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أنثها على لفظ النفس وإن عَنَى به مُذَكَّرا كما قال:

أَبُـوكَ خَـلِـيـفَـةٌ وَلَـدَتْـه أُخْـرى وأَنْـت خَـلِـيـفَـةٌ ذَاكَ الـكَـمـاَل(٢)

وعنى بالنفس الواحدة آدم(٣).

---

(١) لم أجد هذا القول بنصه لابن عباس في تفسير هذه الآية، لكن قال ابن الجوزي: اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس. «زاد المسير» ٢/ ١، وقد ذهب كثير من العلماء والمفسرين -ومنهم ابن عباس- إلى أن كل شيء نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو بمكة، وكل شيء نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فهو بالمدينة. انظر «البرهان» ١/ ١٨٩، ١٩٠. فلعل المؤلف ساق هذا الرأي لابن عباس بمعناه. هذا وقد رجح المحققون من العلماء أن سورة النساء مدنية. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١، «الإتقان» ١/ ١٦، ٢٢. قال القرطبي: ومن تبين أحكامها علم أنها مدنية لا شك فيها. وأما من قال: إن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مكي حيث وقع فليس بصحيح فإن البقرة مدنية وفيها قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في موضعين، والله أعلم.

(٢) لم أعرف قائله، وهو غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٠٨، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٤، «لسان العرب» (خلف) ٢/ ١٢٣٥. والشاهد من البيت أن التأنيث يقع على اللفظ. قال الفراء: فقال (أخرى) لتأنيث اسم الخليفة، والوجه أن يقول: ولده آخر. «معاني القرآن» ١/ ٢٠٨.

(٣) هذا تفسير ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، وهو ظاهر.

انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٤، «تفسير البغوي» ٢/ ١٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٦.

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء[١]، خلقت من (ضلع[٢] من أضلاع آدم، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن المرأة خلقت من ضلع، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها**»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ يريد فرّق ونشر[٤]. قال ابن المُظَفَّر[٥]: البث تفريقك الأشياء، يقال بثّوا الخيلَ في الغارة، وبثّ الصياد كِلابه، وخلق الله الخلق فبثّهم في الأرض، بثثت البسط إذا نشرتها[٦]، قال الله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[٧] [الغاشية: ١٦].

قال الفراء، والزجاج: وبعض العرب يقول أَبَثّ[٨] الله الخلق. وبثّ الحديث إذا نشره وأفشاه، وكذلك أبثه[٩]، قال ذو الرمّة:

---

(١) عن مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٤، والبغوي ٢/ ١٥٩، و«ابن كثير» ١/ ٤٨٧، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٠٦.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (د).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣١) بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته (٦٣٥)، ولفظه: «**استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلِقت من ضِلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**». ومسلم (١٤٦٨) كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (١١١)، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٥.

(٥) يعني الليث كما في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٧٣ (بث). وكلما أتى بهذه الكنية فإنما يعني: الليث. وتقدمت ترجمته ضمن مصادر الواحدي.

(٦) في «التهذيب» ومثبت البسط إذا بسطت.

(٧) انتهى من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٧٣ بتصرف، وانظر: «مقاييس اللغة» ٨٦-٨٧ (بث).

(٨) عند الفراء والزجاج: (بث).

(٩) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٢ بنصه، «معاني الزجاج» ٣/ ٥ بتصرف.

وأُسْقِيهِ حتَّى كَادَ مما أبثُّه
تُكلِّمُني أحْجَارُه وَملاعِبُه[١]

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ قُرئ (تساءلون) بالتخفيف والتشديد[٢]؛ فمن شدّد أراد: تتساءلون، فأدغَم التاء في السين لاجتماعهما في أنهما من حروف طرفِ اللسان وأصول الثنايا واجتماعِهما في الهمس.

ومن خفف، حذف تاء تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة فأعلَّها بالحَذْف، كما أعلَّ الأول بالإدغام[٣]، وإذا اجتمعت المتقاربة خففت بالحذف أو بالإدغام أو بالإبدال[٤]، (فالحذف والإدغام، كالقراءتين في

(١) البيت في «ديوان ذي الرمة» بشرح الباهلي ٢/ ٨٢١، «الكتاب» ٤/ ٥٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٠٨ (شكا)، «اللسان» ٤/ ٢٣١٤، وفيهما: وأشكيه بدل: وأسقيه. انظر «معجم شواهد العربية» ص٤٢٣. وهذا البيت ثاني بيت في القصيدة هو كما في الديوان والكتاب:

وقفتُ على رَبعٍ لمَيَّة ناقتي فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبُه

قال الباهلي: قوله: أبثه أي أُخْبِره بكل ما في نفسي، وقوله: وأسقِيه أي أدعو له بالسقيا، وملاعبُه مواضيع يلعب بها. واستشهد به المؤلف على أن أبث يأتي بمعنى: أفشى ونشر.

(٢) قراءة التخفيف (تساءلون) خفيفة السين لعاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقراءة التشديد (تسّاءلون) مشددة السين لأبي عمرو ونافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب. انظر: «السبعة» ص٢٢٦، «الحجة» ٣/ ١١٨، «المبسوط» ص١٥٣، «النشر» ٢/ ٢٤٧، «البدور الزاهرة» (٩٣). وتوجيه المؤلف للقراءة بعد ذلك من «الحجة» لأبي علي الفارسي.

(٣) انظر: «الحجة في القراءات السبعة» لابن خالويه ص١١٨، «حجة القراءات» ص١٨٨، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ٣٧٥.

(٤) في «الحجة»: أو الإدغام والإبدال.

هذا الحرف)[١]. والإبدال كقولهم: طست (للطس)[٢] أُبدِلَ من السين الثانية التاء لتقاربهما، قال العجّاج:

أَإِنْ رأيتِ (هَامَتِي)[٣] كالطَّسْتِ[٤]

وأنشد المازني في الطسّ:

لو عَرَضَت لأَيْبُلِي قَسّ ... أشعثَ في هيكلِه مُنْدَسّ

حَنَّ إِلَيهَا كحَنِينِ الطَّسّ[٥]

ومعنى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أي تتساءلون فيما بينكم حوائجكم

---

(١) ما بين القوسين ليس في «الحجة».

(٢) هذه الكلمات ليست في «الحجة»، ويبدو أنها ساقطة.

(٣) في (ب): (متى) ولعله تحريف.

(٤) نسبه المؤلف للعجاج تبعًا لأبي علي في «الحجة» ٣/ ١٢٠، والواقع أنه ليس له وإنما هو لابنه رؤبة كما في ديوانه في «مجمع أشعار العرب» ص٢٣، وهو عجز بيت صدره:

ويحكِ إن أسلم فأنتِ أنتِ

والطست: من آنية الصفر. «اللسان» ٥/ ٢٦٧٠ (طست).

(٥) إلى هنا انتهى أخذ المؤلف من «الحجة» ٣/ ١١٨-١٢٠. والرجز في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩١ (طس)، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٥٦، «اللسان» ٥/ ٢٦٧١ (طس) بدون نسبة، ونسبه أبو حيان للعجاج في «البحر المحيط» ٣/ ١٥٦، لكن في «البحر»: لأسقُفي بدل: لأيبُلي، ولم أجده في «ديوانه». والأيبلي والأيبل هو الراهب عند النصارى أو صاحب الناقوس الذي يدعوهم به إلى الصلاة. والقس هو القسيس رئيس من رؤساء النصارى، والهيكل معبدٌ للنصارى فيه صنم على صورة مريم وعيسى -عليهما السلام- فيما يزعمون، ومُندسّ أي داخلٌ ومختفي، والحنين الشديد من البكاء والطرب، والطس والطسة لغة في الطست. انظر «اللسان» ٣/ ١٣٧٢-١٣٧٣، ٥/ ٢٦٧١ (طسس)، ١/ ١١ (أبل)، ٨/ ٤٦٨١ (هكل)، ٢/ ١٠٢٩ (حنن).

وحقوقكم به فتقولون: أسألُك بالله والرحِم، وأنشدك اللهَ والرحم[١].

قال ابن عباس: يريدون أن أهل مكة لم يكونوا يؤمنون بالبَعْث، وكانوا يتواصلون بالأرحام، فإذا ناشد الرجلُ الرجلَ، قال: أنشدك الله والرحم، وكذلك كان يكتب المشركون إلى رسول الله ﷺ: نناشدك الله والرحم (إلَّا)[٢] بعثت إلينا فلانًا وفلانًا[٣].

وعلى هذا التفسير انتصب ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ بالعطف على موضع ﴿بِهِۦ﴾، كأنه قيل: وتذكرون الأرحامَ؛ لأن معنى ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾: تذكرونه في سؤالكم ومناشدتكم، فالأرحام عطف على موضع الجار والمجرور.

قال أبو علي[٤] وعلي بن عيسى[٥]: ويكون كقوله:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٦، «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٦.

(٢) في (د): (أن لا).

(٣) لم أقف له على تخريج في تفسير هذه الآية عن ابن عباس.

(٤) ما نسبه المؤلف إلى أبي علي أحد الوجهين الذين ذكرهما في نصب الأرحام، والوجه الآخر أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾، التقدير: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾، واتقوا الأرحام أي اتقوا حقَّ الأرحام فصلوها ولا تقطعوها. «الحجة» ٣/ ١٢١.
وسيأتي نحوه عند المصنف قريبًا.

(٥) لعله أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي، وهو إمام في اللغة والنحو، صنف كتبًا كثيرة منها: «شرح كتاب سيبويه»، «معاني الحروف». وكان متهمًا بالاعتزال. توفي سنة ٣٨٤هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٣٥٥، «البلغة» ص١٥٤، «بغية الوعاة» ٢/ ١٨٠، ولم أقف على قوله.

فَلَسْنَا بِالجِبَالِ وَلا الحَدِيدَا[١]

وقال أكثر المفسرين: معنى ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. قاله: قتادة[٢]، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وابن زيد[٣]، والربيع[٤][٥]، والفراء[٦]، والزجاج[٧].

---

(١) عجز بيتٍ صدره:

مُعَاوِيَ إنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ

ومعنى أسجح: سهل علينا حتى نصبر، «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٣٠١.
وقد نسب هذا البيت إلى عُقَيبة بن هبيرة الأسدي كما نسب إلى عبد الله ابن الزبير وهو من «شواهد الكتاب» ١/ ٦٧، ٢/ ٢٩٢، ٣٤٤، ٣/ ٩١٢، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٤٨، «المقتضب» ٢/ ٣٣٧، ٤/ ١١٢، ٣٧١، «الجمل» للزجاجي ص٥٥، «الإنصاف» للأنباري ص٢٨٤. وقد استشهد به المؤلف عند تفسير البسملة في أول الكتاب.
والشاهد منه نصبه الحديدا عطفًا على موضع المجرور بالجبال، وقد أنكر بعضهم على سيبويه استشهاده بهذا البيت لأنه من قصيدة القافية فيها مجرورة، لكن رد ذلك السيرافي بأن البيت له روايتان النصب والبحر، وكل رواية في قصيدةٍ مشاكلةٍ لها. انظر «شرح السيرافي» ١/ ٣٠٠-٣٠٣.

(٢) هو أبو الخطاب، قَتادة بن دِعَامة السَّدوسِي الشيباني، ولد سنة ٦٠ وهو أعمى، وعني بالعلم حتى صار من حفاظ التابعين وأعلمهم بالقرآن والسنة وهو من أخص تلامذة ابن عباس، توفي -رحمه الله- سنة ١١٧هـ، وقيل بعدها. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص٩٦، «وفيات الأعيان» ٤/ ٨٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن زَيد بن أَسْلم العَمري.

(٤) هو الرَّبيع بن أنس البَكري، تقدم.

(٥) أخرج أقوالهم: ابن جرير ٤/ ٢٢٧-٢٢٨. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣، و«ابن كثير» ١/ ٤٨٧.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٢٥٢.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

وعلىٰ هذا التفسير انتصب الأرحام بالعطف على قوله أي: اتقوا اللهَ واتقوا الأرحامَ، أي: اتقوا حقَّ الأرحامِ فصلوها ولا تقطعوها[١].

ويجوز على هذا التفسير أنْ يكون منصوبًا بالإغراء، أي: والأرحامِ فاحفظوها وصلوها، كقولك: الأسدَ الأسدَ[٢].

وهذا التفسير يدل على تحريم قطيعة الرحم، وينبئ بوجوب صلتها.

وقرأ حمزة ﴿والأرحامِ﴾ جرًا[٣] بالعطف على المَكْنِيّ في ﴿بِهِۦ﴾ كما يقال: سألتك باللهِ والرحمِ، ونشدتك باللهِ والرحمِ، وإنما حَملَه على هذه القراءة ما ورد في التفسير أن المشركين كانوا يقولون: نناشدك بالله والرحم، ونسألك بالله والرحم إلّا فعلت كذا[٤].

وضعف النحويون كلُّهم هذه القراءة واستقبحوها[٥]، فقال أبو علي[٦]: هذا ضعيف في القياس قليل في الاستعمال، وما كان كذلك فَتركُ الأخذ به أحسن[٧]؛ وضعفه أنَّ المشاكلة تُراعَى في باب العطف حتى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٠، «الحجة» ٣/ ١٢١.

(٢) القول بنصب ﴿الأرحامَ﴾ على الإغراء لم أره عند غير المؤلف.

(٣) هذه القراءة لحمزة وحده من العشرة، انظر «السبعة» ص٢٢٦، «المبسوط» ص١٥٣، «الحجة» ٣/ ١٢١، «النشر» ٢/ ٢٤٧، «البدور الزاهرة» ص٩٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٢.

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٢، «معاني الأخفش» ١/ ٤٣٠، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩١، «معاني الزجاج» ٢/ ٦، «الإنصاف» ٣٧٣-٣٧٩، «إملاء ما من به الرحمن» بهامش الفتوحات الإلهية ٢/ ١٨٢، «البحر المحيط» ٣/ ١٥٨، «الدر المصون» ٣/ ٥٥٤.

(٦) في «الحجة» ٣/ ١٢١.

(٧) إلى هنا نص كلامه أبي علي، وما بعده إلى قوله: قال: ويدلك.. بمعناه. انظر «الحجة» ٣/ ١٢١، ١٢٢.

يعطف الشك على الشكلِ، والمعطوف ينبغي أنْ يكون مُشاكلًا للمعطوف عليه، والمضمرُ المجرور قد خرج عن شبه الاسم وصار بمنزلة الحرف بدلالةَ أنه لا ينفصل، وذلك أن الكاف والهاء في قولك: (بِهِ وبِكَ)[١] (ألا)[٢] ترى واحدًا منهما منفصلًا عن الجار، فصار كالتنوين؛ فلأن المضمر المجرور أيضًا قد صار عِوَضًا من التنوين إذا اتصل باسمٍ، نحو: غلامك، وغلامه، وغلامي، وأيضًا فإنه على حرف كما أن التنوين على حرف .

قال[٣]: ويدلك على أنه قد جرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المُنَادَى المضاف[٤] (في الاختيار)[٥] كحذفهم التنوين (من المفرد)[٦] وذلك قولهم: يا غلام، وهو أكثر في الاستعمال[٧] من: يا غلامي، فشابه المضمرُ المجرور التنوينُ من هذه الوجوه. وإذا كان كذلك خرج عن حدّ الاسم وصار بمنزلة الحرف، فلم يعطف على المضمر المجرور لخروج المعطوف عليه عن شَبَه الاسم إلى شَبَه الحرف، وقد ذكرنا شأن التشاكل، يُرَاعى في باب العطف فلا يُعطف الاسم على الحرف.

وقال الزجاج[٨]: إجماع النحويين أنه يقبح أن يُنْسقَ باسمٍ ظاهر على اسم مُضمَر في حال الخفض إلا بإظهار الخافض[٩]، كقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا

---

(١) في (د): (بك وبه).

(٢) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: لا وليس ألا.

(٣) أي: أبو علي.

(٤) في «الحجة» المضاف إليه.

(٥) ليس في «الحجة».

(٦) ليس في «الحجة».

(٧) انتهى كلام أبي علي من «الحجة» ٣/ ١٢١، ١٢٢.

(٨) في «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٩) دعوى الإجماع فيها نظر، لأن ذلك رأي البصريين وأنه لا يجوز إلا في الشعر، =

بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١][1]، ويستقبح النحويون: مررت به وزيد[2]، لأن المكني المخفوض حرف متصل غير منفصل، فكأنه كالتنوين في الاسم، فقبح أن (يعطف)[3] باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. هذا كلامه[4]. وقد ذكر أبو علي وجه الشبه بينهما كما حكينا.

وقال علي بن عيسى[5]: ومما يزيد هذا الفصل بيانًا أنهم لم يستحسنوا عطف الظاهر المرفوع على المضمر المرفوع حتى يؤكد، فينفع[6] العطف في اللفظ على المضمر المنفصل الذي يجري مَجرى الأجنبي، وذلك نحو: اذهب وزيد، وذهبت وزيد، لا يستحسنون ذلك حتى يؤكدوه، فيقولوا: اذهب أنت وزيد، وذهبت أنا وزيد[7]؛ لأنه لما اختلط الاسم بالفعل حتى صار كبعض أجزائه لوقوع إعرابه بعده في نحو: تفعلين، وتفعلان، وتفعلون، ولإسكانهم الآخر منه إذا اتصل بالضمير مع تحريكهم نحو:

= وأما الكوفيون فقد أجازوا ذلك. انظر «المقتضب» ٤/ ١٥٢، «الأصول في النحو» ٢/ ٧٩، «الإنصاف» ص٣٧١، «شذور الذهب» ص٥٣٣.

(١) هذا الشاهد القرآني ليس في «معاني الزجاج».

(٢) بعد هذا المقال كلام للزجاج هو: وبك وزيد، إلا مع إظهار الخافض، حتى يقولوا: بك وبزيد، فقال بعضهم: لأن المخفوض... «معاني الزجاج» ٢/ ٦ .

(٣) ليس في (د).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٦ بتصرف.

(٥) هذا الكلام في «الحجة» ٣/ ١٢٥، لكن دون نسبة إلى علي بن عيسى هذا، وعلي هذا لعله الرماني وقد تقدمت ترجمته.

(٦) في «الحجة»: فيقع.

(٧) هذا عند البصريين، لكن إذا طال الكلام حسن حذف التوكيد، أما الكوفيون فلا قُبح في الحالين. انظر «المقتضب» ٣/ ٢١٠، ٢٧٩، «الإنصاف» ص٣٨٠-٣٨١، «شذور الذهب» ص٥٣١-٥٣٢.

(عَلَيْطِ)[١]، (لم يستجيزوا العطف عليه إلا بالتأكيد)[٢] ليقع العطف عليه في اللفظ، فلا يكون كأنه عطف اسمًا على فِعل[٣]، كما يصير في المجرور، كأنه عطف اسمًا على تنوين[٤]. وإذا ضَعُف في المرفوع مع أن له ضميرًا منفصلًا نحو: أنت وهو، امتنع في المجرور؛ لأن المضمَر المجرور لا منفصل له، وليس بعد الضعف إلا الامتناع.

فأما الضمير المنصوب نحو: ضربته، لا يستقبح العطف عليه؛ لأنه ظاهر لم يختلط بالفعل حتى صار كبعض أجزائه، كضمير المرفوع، ولا يقوم مقام التنوين في موضع ما كضمير المجرور، وذلك أن ضمير المنصوب لا يتصل إلا بالفعل نحو: منعته وقتلته، ولا ينون الفعل قط.

وضمير المجرور إما أن يَتَّصِل باسمٍ فيقوم فيه مقام التنوين، أو بحرفٍ نحو: به وبك، واتصالُه بالحرف كاتصالِهِ بالاسم، ألا ترى أنه لا ينفصل من الاسم، ولا يفصل بينهما كما يفصل بين الجار والمجرور الظاهر في باب المضاف والمضاف إليه نحو:

كأن أصواتَ -مِن إيغالِهِنَّ بنا- أَوَاخِرِ المَيْس إِنْقَاض الفَراريجِ[٥]

وإذا اتّصَلَ بالحرف لم ينفَصِل منه ولم يُفصَل أيضًا بينهما بشيء، فلا فصل إذًا بين اتصاله بالاسم وبين اتصاله بالحرف.

---

(١) في (د): (غليط)، بإعجام الغين.

(٢) في «الحجة» لم يستجيزوا العطف عليه في حال السعة إلا بالتأكيد.

(٣) انظر: «الإنصاف» ص٣٨١.

(٤) إلى هنا نفس الكلام في «الحجة» ٣/ ١٢٥، وما بعده يحتمل أن يكون من زيادة المؤلف.

(٥) البيت لذي الرمة: «ديوانه» ص٧٦، وهو من شواهد سيبويه ١/ ١٧٩، ٢/ ١٦٦، ٢٨٠، «المقتضب» ٤/ ٣٧٦، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٤٨ (نقض)،=

ولأبي عثمان المازني[1] تفسير لهذا الفصل مُقنِع، وهو أنه قال: الثاني في العطف شريكٌ للأول، فإنْ كان الأول يصلح أَنْ يكون شريكًا للثاني وإلا لم يصلح أَنْ يكون الثاني شريكًا له. (بيان هذا أنك لا تقول)[2]: مررت بزيدٍ وبك كذلك لا تقول: مررت بك وزيد.

وقال سيبويه: لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة الشعر[3]، وأنشد:

فاليَومَ قرَّبت تهجُونا وتشتُمُنا ... فاذْهَب فَمَا بِكَ والأيامِ من عَجَبِ[4]

وأنشد الفراء أيضًا:

= «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٠، «اللسان» ٨/ ٤٥٢٥ (نفض).

قال الأزهري: وفي تقديم وتأخير، أراد كأن أصوات أواخر الميس إنقاض الفراريج من إيغال الرواحل بنا، أي من إسراعها السير بنا. والفراريج جمع فروج وهو الفتيّ من ولد الدجاج. «اللسان» ٦/ ٣٣٧١ (فرج)، وإنقاضها أصواتها، ففي «سر صناعة الإعراب» أصوات الفراريج وبين ابن جني فيه أن الميس خشب الرحل. والشاهد منه أنه فصل بين المضاف أصوات والمضاف إليه أواخر.

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٦.

(٢) في «معاني الزجاج» قال: فكما لا تقول....

(٣) معنى كلام سيبويه. انظر «الكتاب» ٢/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٤) الظاهر أن هذا البيت من الأبيات الخمسين عند سيبويه التي لم يُعرف لها قائل. انظر: «الكتاب» ٢/ ٣٨٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٠، «الإنصاف» ص٣٧٧. وقد استشهد بالبيت الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٧، وقال محققه: البيت للأعشى وينسب لعمرو بن معد يكرب، ولم أجده في ديوان الأعشى. قال عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب: قرَّبت: أخذت وشرهت. يقول: إن هِجاءك الناس وشتمَهم صار أمرًا معروفًا لا يتعجب منه. كما لا يتعجب الناس من فعل الدهر. والشاهد فيه أنه عطف الأيام على الكاف الخطاب دون إعادة حرف الجر.

نُعَلِّقُ في مثلِ السَّواري سُيوفَنَا ... وما بَينَها والكَعْبِ غَوطٌ نَفَانِفُ[(١)]

قال أبو إسحاق[(٢)]: وقراءة حمزة مع ضَعفِها وقُبحِها في العربية خطأ في أمر الدين عظيم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم**[(٣)]» **فكيف يكون: تتساءلون بالله (والرحم)**؟[(٤)(٥)].

يعني أن الحَلِفَ بغير الله لا يجوز، وإذا عطفت الأرحام (كالمَكْنِيّ)[(٦)] عن اسم الله أوجب جواز الحَلِف بالأرحامِ، وذلك غير جائز.

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٣.والبيت نسبه الجاحظ في «الحيوان» ٦/ ٤٩٤ لمسكين الدارمي، وانظر «الإنصاف» ص٣٧٨، «معجم شواهد العربية» ص٢٣٧. واختلفت الروايات لأول البيت بين نُعَلِّق بالنون والبناء للمعلوم فيكون سيوفَنا منصوبًا على أنه مفعول به، وبين تُعَلَّق بالتاء والبناء للمفعول ويكون سيوفُنا مرفوعًا على أنه نائب فاعل. كما أن قافيته جاءت على روايتين: نفانف، وتنائف. قال عبد السلام هارون في شرحه للحيوان: مثل السواري، عنى بها أعناق الرجال. والسارية: الأسطوانة من أساطين البيوت ونحوها. التنائف جمع تنوفة وهي المفازة، وهذه مبالغة ظاهرة أن يجعل ما بين أعناقهم وكعوبهم تنائف. والشاهد منه أنه عطف الكعب على الضمير في بينها دون إعادة الخافض.

(٢) أي الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٣) طرف حديث أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- رقم (٢١٠١) كتاب الكفارات، باب: من حُلِف له بالله فليرض ١/ ٦٧٩، والحاكم في كتاب الأيمان من «مستدركه» ١/ ٥٢، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» ٦/ ١٣٦ (٧٢٤٧). كما أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ أبو داود (٣٢٤٧) في الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء، والنسائي ٧/ ٥ في الأيمان والنذور، باب: الحلف بالأمهات ٧/ ٥، وابن حبان ١٠/ ١٩٩ رقم (٤٣٥٧).

(٤) في (أ): (والأرحام)، وما أثبته هو الموافق لما في «معاني الزجاج» إلا أن فيه: وبالرحم.

(٥) انتهى من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٦.

(٦) هكذا في (أ)، و(د)، ولعل الصواب: على المكنى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .الرقيب: الحافظ، يقال: رَقَبَ يرقُبُ رِقْبَةً وُرقُوبا[١]. ومعناه: أنه يرقُب عليكم أعمالكم فاتقوه فيما نهاكم.

٢- قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾. قال المفسرون: الخطاب للأوصياء وأولياء اليتامى[٢]. أي أعطوهم أموالهم. وإنما يُعطى إذا بلغ، ولا يُتْمَ بعد البلوغ[٣]، ولكن قد يُستَصحب الاسم وإن زال معناه، كقوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الشعراء: ٤٦] أي: الذين كانوا سحرة قبل السجود. وقد كان يقال للنبي ﷺ يتيمُ أبي طَالِب[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

يقال: تبدل الشيء بالشيء إذا أخذه مكانَه[٥]، قال العجّاج:

مَـن إنْ تَـبَـدَّلـتُ بِـلادِي آدُر[٦]

قال أكثر المفسرين: كان ولي اليتيم يأخذ الجيّد من ماله ويجعل

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/١٤٤٨ (رقب)، «مقاييس اللغة» ٢/٤٢٧ (رقب) والمصدر فيهما: رُقْبانًا.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٤/٢٢٨، «تفسير البغوي» ٢/١٥٩.

(٣) اليتيم هو الذي مات أبوه ويسمى بذلك حتى يبلغ فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم. هذا من ناحية الأحكام الشرعية، أما من الناحية اللغوية فيبقى الاسم لمن مات أبوه وإن كان بالغًا، لأن اليتيم لغة مأخوذ من الانفراد ومنه الدرة اليتيمة: أي المنفردة. انظر «تهذيب اللغة» ٤/٣٩٧٣، ٣٤٠ (يتم).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/٧، «تهذيب اللغة» ٤/٣٩٧٣ (يتم)، «تفسير القرطبي» ٥/٨،٩، والمقصود أنه كان يقال ذلك بعدما كبر ﷺ.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/٢٩٤ (بدل).

(٦) لم أجده في «ديوان العجاج» برواية الأصمعي وشرحه.

مكانَه الرديء، بجعل الزائف بدل الجيد، والمهزول بدل السمين، فنهى الله تعالى عن ذلك[١].

قال مجاهد وبَاذَان[٢]: أي: لا تجعل بدل رِزقك الحلال حرامًا تتعجّله، فتأخذه عن مال اليتيم[٣].

ومعنى هذا ما قال الفراء والزجاج: يقول: لا تأكلوا أموالَ اليتامى بدل أموالكم، وأموالهُم عليكم حرام، وأموالكم حلال[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾. قال أكثر المفسرين: لا (تضيفوا)[٥] أموالهم في الأكل إلى أموالكم، إن احتجتم إليها فليس لكم أن تأكلوها مع أموالكم[٦].

قال عطاء: يريد تَربَح على يتيمك، بأن يَهوَى دابة عندك أو ثوبًا فتبيعه منه بأكثر من ثمنه، وهو غِرّ[٧] صغير السن[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٢٩-٢٣٠، «زاد المسير» ٢/ ٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٨٧، «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) باذان ويقال: باذام -بالميم- هو أبو صالح مولى أم هانئ، تقدمت ترجمته.

(٣) في «تفسير مجاهد» ١/ ١٤٣ يقول: لا تتبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم.
وأخرج الأثر عن مجاهد وباذان (أبي صالح) ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٣١ بنحوه، انظر «الكشف والبيان» ٤/ ٤ب، «تفسير القرطبي» ٥/ ٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٨.

(٤) هذا نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٣، ونحو كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٧.

(٥) في (د): (تضيعوا) بالعين.

(٦) نص كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٧، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١١، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٠.

(٧) كأنها في النسختين: (عن) والمُرجَّح ما أثبته لما عند الثعلبي في الحاشية التالية.

(٨) من «الكشف والبيان» ٤/ ٤ب بتصرف، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٥، «القرطبي» ٥/ ١٠.

وهذا الذي ذكره عطاء هو نوع من أكل مال اليتيم، ولا يجوز ذلك بأي وجهٍ كان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]. الكناية تعود إلى الأكل، ودل (تأكلوا) على المصدر(١). والحُوب الإثم الكبير، وكذلك الحَوب والحَاب، ثلاث لغات في الاسم والمصدر، يقال: حَاب يحُوب حُوبا، وحَوبا وحَابًا وحيابَة، إذا أَثِم(٢).

قال الفراء: الحُوب لأهل الحجاز، والحَوب لتميم، ومعناهما الإثم(٣).

وقال أمية بن الأسكر الليثي(٤) -وكان ابنه قد هاجر بغير إذنه(٥)-:

وإنَّ مُهَاجِرَينِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتَئِذٍ لَقَد خَطِئَا وَحَابَا(٦)

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٠، «الدر المصون» ٣/ ٥٥٧.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٣، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٣، «تفسير ابن جرير» ٤/ ٢٣٠، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٢، «مقاييس اللغة» ٢/ ١١٣، «اللسان» ٢/ ١٠٣٦ (حوب).

(٣) ليس في «المعاني»، فقد يكون في كتابه المصادر، وهو مفقود.

(٤) هو أمية بن حُرثان بن الأسْكَر -بالسين المهملة على الصحيح- الكناني الليثي، شاعر مخضرم، له صحبة، كان سيدًا في قومه، توفي ﷺ سنة ٢٠هـ. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٩٠، «الإصابة» ١/ ٦٤-٦٥، «الأعلام» ٢/ ٢٢.

(٥) ابن أمية هو كلاب، وقصته أنه خرج وأخٌ له في زمن عمر بن الخطاب ﷺ وتركا أباهما أمية وهو شيخ كبير وكان لا يصبر عن كلاب، فاشتكى أمية إلى عمر وأنشده قصيدةً كان البيت التالي منها، فكتب عمر إلي سعد بن أبي وقاص أن رحل كلاب ابن أمية فرحله، فلما قدم المدينة جمعه عمر بأبيه فجعل أمية يشَمُّ ابنَه ويبكي. انظر: «ذيل الأمالي والنوادر» للقالي ص١٠٨، ١٠٩، «الإصابة» ١/ ٦٤-٦٥.

(٦) البيت في «مجاز القرآن» ١/ ١١٣، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٠، ٧/ ٥٢٩ لكن عجزه في الموضع الأول: لعمرِ الله قد خطئا وحابا، «ذيل الأمالي والنوادر» ص١٠٩، =

وحكى الفراء، عن بني أسد أنهم يقولون للقتال: حَائِب[١]. وقال النبي ﷺ: «**رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي**»[٢]، قال أبو عبيد[٣]: حَوْبَتي يعني: المآثم، قال: وكل مأثم حُوب وحَوب، والواحدة حَوبة، ومِن هذا قوله: ألك حوبة؟ قال: نعم[٤].

وهو عندي: كل حرمة تأثم الإنسان بتركها وتضييعها من أُمّ أو أُخت أو بِنت أو غيرهن[٥].

ويقال[٦]: تَحوَّب فلان إذا تعبّد، كأنه يُلقي الحُوب عن نفسه بالعبادة، مثل: تأثم[٧].

= وعجزه فيه:

ليترك شيخه خطئا وخابا

«الإصابة» ١/ ٦٥ وجل ألفاظه مغايرة، حيث إنه جاء:

أتاه مهاجران فرنَّخاه عباد الله قد عَقَّا وخَابا

والشاهد: حابا أي أثما.

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٣.

(٢) جزء من دعاء للنبي ﷺ في حديث أخرجه أحمد من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- ١/ ٢٢٧، وأبو داود (١٥١٠) كتاب الوتر، باب: ما يقول الرجل إذا سَلَّم، والترمذي (٣٥٥١) كتاب الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ.

(٣) في «غريب الحديث» ١/ ٢٢٠ وقد أخذ عنه المؤلف بتصرف.

(٤) جزء من حديث اختصره المؤلف وسياق أبي عبيد: أن رجلًا أتى إلى النبي ﷺ فقال: إني أتيتك لأجاهد معك. فقال: «**ألك حوبة؟**» فقال: نعم. قال: «**ففيها فجاهد**». يُروى عن أشعث ابن عبد الرحمن عن الحسن يرفعه. «غريب الحديث» ١/ ٢٢٠. ولم أقف على هذا الحديث في دواوين السنة.

(٥) «غريب الحديث» ١/ ٢٢٠، ٢٢١ بتصرف.

(٦) الظاهر أنه من قول أبي عبيد، وليس في «غريب الحديث» وإنما في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٠ (حاب)، وفي «الغريب» ١/ ٢٢١: وقد يكون التحوب التعبد والتجنب للمأثم.

(٧) انتهى أخذه عن أبي عبيد، وانظر «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٠-٦٩١ (حاب).

قال الكُميت:

وصُبَّ له شَولٌ من الماء غَائرٌ[١] به كَفَّ عنه الحِيبَةَ المُتَحَوِّبُ[٢]

والحِيبَة ما يُتأثم منه، يصف ذِئبًا سقاه وأطعمه[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ الآية.

الإقساط: العَدل، يقال أَقسط الرجل إذا عدل[٤]، قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

والقسط: العدل والنصفة[٥]، قال الله تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الزجاجي: وأصل قَسَط وأَقْسَط جميعًا من القِسط، وهو النصيب، فإذا قالوا: قسط بمعنى: جار، أرادوا أنه ظلم صاحبه في قِسطه الذي يصيبه. ألا ترى أنهم قالوا: قاسطته فقسطتُه إذا غلبته على قِسطه، فبني قَسَط على بناء ظلم وجار وعسف وغلب، وإذا قالوا: أقسط، فالمراد به أنه صار ذا قسط وعدل، فبُني على بناء أنصف، إذا أتى بالنَّصف والعدل في قوله، وفعله، وقسمه[٦].

---

(١) في النسختين: (عابر) بالباء، ولعلها تصحفت عن: غابر.

(٢) البيت في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩١ (حاب)، «اللسان» ٢/ ١٠٣٦. والشَّول: هو الماء القليل. انظر «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٣٠. والشاهد: المُتَحوَّب أي المتعبَّد.

(٣) من «تهذيب اللغة» ١٣/ ٦٩١ (حاب).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٥٤١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩ (قسط) .

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩، «مقاييس اللغة» ٥/ ٨٥ (قسط).

(٦) الظاهر أن هذا نهاية كلام الزجاجي، ولم أعثر عليه فيما بين يديّ من مصنفاته. انظر «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٣٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩ (قسط).

واختلف أقوال أهل التأويل في هذه الآية، فرُوي عن عروة أنه قال: قلت لعائشة: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾؟ فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حَجرِ وليّها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من صداقها، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأُمِروا أن يَنكحوا ما سِواهن من النساء(١).

وعلى هذا التفسير تقدير الآية: وإن خفتم ألا تُقسطوا في نكاح اليتامى، أي: الإناث منهم، فحذف المضاف؛ لأن قوله بعد: ﴿فَانكِحُوا﴾ يدل على النكاح(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ أي: من غيرهن، وذلك أن قوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ بعد ذكر خوف الحَرج مِن نِكاح اليتامى، يدل على أن المراد به من غيرهن(٣).

هذا وجه ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي(٤) وعطاء، يقول: فكما خِفتم ألا تُقسطوا في اليتامى وَهمَّكم ذلك، فكذلك فخافوا في النساء ألا تعدلوا فيهن ولا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم إمساكهن والقيام بحقهن؛ لأن النساء كاليتامى في الضعف، والعجز(٥).

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه (٢٤٩٤) كتاب الشركة، باب: شركة اليتيم وأهل الميراث، ومسلم (٣٠١٣) كتاب التفسير، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤٥، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٣٦٠، ٣٦١، والطبري ٧/ ٥٣١، وغيرهم.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٨.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٢، «تفسير البغوي» ٢/ ١٦٠.

(٤) هو أبو الحسن علي بن أبي طلحة، تقدمت ترجمته.

(٥) من «الكشف والبيان» ٤/ ٥ب، ٦أ، وأشار الثعلبي إلى أن هذه رواية الوالبي عن =

وهذا قول سعيد بن جبير، وقتادة، والربيع، والضحاك، والسدي[١]، واختيار الفراء[٢].

وشرح ابن قتيبة هذا القول، فقال: المعنى: أن الله -جل وعز- قال لنا: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا أكلفتموهم[٣]، فخافوا أيضًا أنْ لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين، وثلاثًا، وأربعًا، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل[٤].

وقال ابن عباس: قُصِر الرجالُ على أربع، مِنْ أجل اليتامى[٥].

= ابن عباس، ولم أجد رواية عطاء، وقد أخرجه ابن جرير بمعناه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٣، وانظر «أسباب النزول» للمؤلف ١٤٦-١٤٧، «زاد المسير» ٢/ ٦، «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٩.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٣، «الكشف والبيان» ٤/ ٥ب، ٦أ، «أسباب النزول» ١٤٦-١٤٧، «زاد المسير» ٢/ ٦، «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٩ .

(٢) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٥٣، واختار القول أيضًا ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٣٣.

(٣) هكذا في (أ)، (د) والظاهر أن هذه الكلمة مُصحّفة من (كفلتموهم) بتقديم الفاء على اللام كما عند ابن قتيبة في «مشكل القرآن» ص٧٢ على أن المعنى يصح على ما هو مذكور في المتن، أي: كلفتم أمرهن والقيام على مصالحهن .

(٤) انتهى من «مشكل القرآن» ص٧٢، والواقع أن المؤلف حذف جملة مهمة من صدر الكلام وذلك أن ابن قتيبة قال: والمعنى: أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة وحرّم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن، لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون.. إلى آخر ما نقله المؤلف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» من رواية طاوس ٤/ ٢٣٣، وفيه: من أجل أموال اليتامى، والثعلبي ٤/ ٥ب، وانظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٠٩.

وكان[١] العدل في اليتامى شديدًا على كافِلِهم، قصر الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يُطلَق لهم ما فوق ذلك لئلا يميلوا.

وقال مجاهد: معنى الآية: إن تحرجتم من ولاية اليتامى وأموالهم إيمانًا وتصديقًا فكذلك تحرجوا مِن الزنا، فانكحوا النساء الحلال نكاحًا طيبًا ثم بين لهم عددًا محصورًا، وكانوا يتزوجون ما شاءوا من غير عدد[٢]، وهذا القول اختيار الزجاج[٣].

وهذه أوجهٌ صحيحةٌ من التأويل لهذه الآية[٤].

---

(١) هكذا العبارة، ولعل الصواب: ولما كان العدل ..

(٢) الأثر بنحوه في «تفسير مجاهد» ١/ ١٤٤.
وأخرجه ابن جرير ٤/ ٢٣٦، والأثر عنده إلى (نكاحًا طيبًا) وقد أخذه المؤلف من الثعلبي ٤/ ٦أ، وانظره في: «معاني الزجاج» ٢/ ٨، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦١، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٢/ ٢١٠.

(٣) لم أر اختيارًا للزجاج لهذا القول الأخير الذي ذهب إليه مجاهد، وإنما ساق أقوالًا وذكر هذا القول في مقدمتها.
انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨.

(٤) هذا رأي المؤلف، وبعض المفسرين ساق هذه الأقوال دون ترجيح كالزجاج في المصدر السابق، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ٣٩١، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٢، مما يؤيد احتمال الآية لهذه الأوجه. لكن ابن جرير -كما تقدم- اختار القول الثاني حيث قال: وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال: تأويلها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى، فكذلك فخافوا في النساء فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن..
«تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٥، وقد علل لاختياره كعادته.

(٥) انظر: «المقتضب» ٣/ ٦٣، ٤/ ٢١٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٨، «حروف المعاني»

وقوله تعالى: ﴿مَا طَابَ﴾ ولم يقل: (من) الأصل أن (من) لما يعقل، و(ما) لما لا يعقل[(١)].

ولأهل العربية في هذا قولان: **أحدهما**: أن (ما) ههنا عبارة عن المصدر، فقال الفراء: معناه فانكحوا الطيب لكم من النساء[(٢)].

وقال مجاهد: فانكحوا النكاح الذي طاب لكم من النساء[(٣)].

قال الفراء: وهذا كما تقول في الكلام: خُذ من عبيدي ما شئت، أي: مشيئتك فإن قلت: مَن شئت، فمعناه: خذ الذي شئت[(٤)].

فعلى هذا (ما طاب) بمنزلة الطيب.

والقول الثاني: أن (ما) و(من) ربما يتعاقبان، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، وقال: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾[(٥)] [النور: ٤٥].

للزجاجي ٥٤، ٥٥، «شرح شذور الذهب» ١٨٩-١٩٠.

(١) هذا مُؤدَّى رأي الفراء، وليس بنصه. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) الذي ظهر لي أن هذا معنى كلام مجاهد في الأثر المتقدم عنه قريبًا ص٨٨ من قوله: (فانكحوا النساء الحلال نكاحا طيبا) لأني لم أجد له هذا الكلام الذي أورده المؤلف هنا بنصه، وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٦-٢٣٧ ففيه ما يؤيد أن هذا معنى كلامه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٤ -بتصرف-، وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٦- ٢٣٧، «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٤.

(٤) انظر: «المقتضب» ٤/ ١٨٥، ٢١٨، «معالم التنزيل» ١/ ١٦١، «الإملاء بهامش الفتوحات» ٢/ ١٨٥، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٢، «الدر المصون» ٣/ ٥٦١. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ١٦٢: وقرأ ابن أبي عبلة (من طاب) وقرأ الجمهور (ما طاب) فقيل (ما) بمعنى من، وهذا مذهب من يُجَوِّز وقوع ما على آحاد العقلاء، وهو مرجوح.

وحكى أبو عَمْرو بن العلاء[١]، عن العرب: سبحان ما سبح له الرعد[٢].

ومعنى قوله (طاب) أي: حلّ[٣]، وإنما أباح النكاح من اللاتي تحل دون المحرمات اللواتي ذُكِرن في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخر الآية[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾. بدل مما طاب، ومعناه: اثنتين، وثلاثًا (ثلاثًا[٥]) وأربعًا (أربعًا)[٦].

قال أبو إسحاق[٧]: إلا أنه لم ينصرف لجهتين لا أعلم أحدًا من النحويين ذكرهما؛ وهي أنه اجتمع فيه علتان: أنه معدول عن اثنتين اثنتين[٨] وثلاث ثلاث، وأنه عُدِل عن تأنيث.

قال أصحابنا[٩]: إنه اجتمع علتان: أنه عَدْل[١٠]، وأنه نكرة، والنكرة أصل الأشياء[١١]، وهذا[١٢] كان ينبغي أنْ يخفّفه[١٣]؛ لأنّ النكرة

---

(١) هو زبان بن العلاء بن عمار التميمي البصري أحد القراء السبعة، تقدمت ترجمته.
(٢) من «الكشف والبيان» ٤/ ٦ب. وقد نسب المبرد في «المقتضب» ٤/ ٢٨٥ هذا القول لأبي زيد. وانظر: «تفسير القرطبي» ٥/ ١٣.
(٣) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٣٦، «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٨، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦١.
(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٨، ٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٣.
(٥) هذا التكرير ليس في (د). والكلام من أوله للزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٩.
(٦) هذا التكرير ليس في (د). والكلام من أوله للزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٩.
(٧) أي الزجاج في «معانيه» ٢/ ٩.
(٨) عند الزجاج في «المعاني»: اثنين اثنين بالتذكير.
(٩) لا يزال الكلام لأبي إسحاق الزجاج، والظاهر أنه يقصد البصريين من النحاة.
(١٠) في «معاني الزجاج» أنه عُدِل عن تأنيث.
(١١) عند الزجاج: الأسماء. (١٢) عند الزجاج: بهذا.
(١٣) عند الزجاج: نخففه وهو أولى.

تخفف ولا تعد (فرعًا[١]) هذا كلام أبي إسحاق[٢].

وقد أخطا لي[٣] في موضعين من هذا الفصل أصلحهما أبو علي وذكر معنى العدل فقال[٤]: اعلم أنّ العدل ضرب من الاشتقاق، فكل معدول مشتق، وليس كل مشتق معدولًا، وإنما صار العدل ثقلًا.

وثانيًا: لأنك تلفظ بكلمة وتريد بها كلمة على لفظ آخر، ألا ترى أنك تريد بعُمَر وزُفَر (عَامِرًا وَزافِرًا)[٥]، فأنت تلفظ بكلمة وتريد أخرى، وليس كذلك سائر المشتقات، لأنك تريد بها نفس اللفظ المسموع، ولست تُحيل بها على لفظ آخر، نحو: ضارب ومضروب؛ فإنهما اشتقا من الضرب، ولا تريد بلفظ واحد منهما لفظًا غيره، كما تريد بُعمَر عامرًا، وبزُفَر زَافِرًا، وبمثنى اثنين اثنين، فصار المعدول بمخالفته سائر المشتقات ثقيلًا؛ إذ ليس في جنس الاشتقاق شيءٌ على حِدِّهِ.

وقول أبي إسحاق: إن مثنى لا ينصرف لجهتين: وهو أنه معدول عن اثنتين اثنتين، وأنه عُدِل عن تأنيث، مراده بهذا أنه لما عدل عن التأنيث كان ذلك ثقلًا آخر لما لم يكن المعدول عنه هو الأول المذكر، فزاد بذلك ثقلًا انضم إلى المعنى الأول فلم ينصرف.

إلى هذا الوجه ذهب أبو إسحاق، ولو سُلِّم له أنه عُدِل عن تأنيث لم يكن ثقلًا مانعًا من الصرف يدل على ذلك أن التعريف ثانٍ، كما أن التأنيث

---

(١) في (د): (نوعًا)، وما أثبته هو الموافق لما في «معاني الزجاج».

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩.

(٣) قد تكون: (لي) زيادة من الناسخ.

(٤) كلام أبي علي من كتابه «الإغفال» فيما أغفله الزجاج ٢/ ل٦٣.

(٥) في (د): (زافرًا وعامرًا).

كذلك، ولم يكن العدل عن التعريف ثقلًا معتدًا في منع الصرف، ألا ترى أنه لو كان مُعتَدًا به لوجب أن لا ينصرف (عُمر) في النكرة في قول جميع الناس، دلالة على أن العدل عن التعريف غير معتد به ثقلًا، على أنا لا نسلم أنه معدول عن تأنيث.

وقوله في ذلك دعوى لا دلالة عليها، ألا ترى أنه لا يجد فصلًا بينه وبين من قَلَب هذا عليه، فقال: إنه معدول عن التذكير هو أقرب إلى الصواب؛ لأن الأصل التذكير حتى يُعلم التأنيث، ولم نعلم التأنيث هنا. فإن قال: عَلِمنا التأنيث بقوله: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ﴾ فجرى على النساء وهي مؤنثة، قيل: لا يدل هذا على أنّ العدل عن التأنيث، بل العدل يكون عن التذكير، وإنما جرى على النساء، من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع، وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي، ألا ترى أنك تقول: هي الرجال، كما تقول: هي النساء، فلما كان تأنيث النساء تأنيث الجمع جرى عليه هذه الأسماء كما جرى على غير النساء مما تأنيثه تأنيث جمع؛ لأنّ تأنيث الجمع ليس بحقيقي، إنما هي من أجل اللفظ، فهو مثل: الدار، والنار، وما أشبه ذلك.

ولو جاز لقائل أن يقول: مثنى وبابُه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء وواحدتهن مؤنثة، لجاز لآخر أن يقول: إنه مذكر؛ لأنه جرى صفة على الأجنحة في قوله: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ﴾ [فاطر: ١]، وواحدها مُذكّر.

وهذا هو القول والوجه لما بينّا أنّ تأنيث الجمع ليس بحقيقي، على أن هذه الأسماء قد جرت المذكر الحقيقي، قال:

ولقد قتلتُكم[١] ثناءَ وَموحَدًا وتركتُ مُرَّة مثل أمسِ الدَّابِرِ[٢]

فأما ما ذكره في قوله: قال: إنه اجتمع فيه علتان، أنه عَدْل وأنه نكرة، الفصل إلى آخره، فاعلم أنه غلط بين في الحكاية عنهم، وإنما يذهبون في امتناعه من الانصراف إلى أنه معدول، وأنه صفة. وهذا لفظ سيبويه، قال[٣] عن الخليل في (أحاد، ومثنى): إنما كان حده واحدا واحدا، واثنين واثنين، فجاء (معدولًا[٤]) عن وجهه فتُرِك صرفه. قلت: أتصرفه في النكرة؟ قال: لا؛ لأنه نكرة يوصف به نكرة.

وحكى الخليل، عن أبي عمرو أنه قال في قوله: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١]: أنها صفة[٥].

فقد نصوا على الصفة كما ترى، ونحو هذا قال أبو الحسن[٦] وغيره من أصحابنا. انقضى كلام أبي علي[٧].

---

(١) في النسختين: (قبلتكم) بالموحدة التحتية، وما أثبته حسب «الإغفال» والمصادر الآتية.

(٢) البيت لصَخر بن عمرو بن الشّريد السُلمي.
انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١١٥، «أدب الكاتب» ص٤٥٨، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٣٧، لكن عند أبي عبيدة وابن جرير قافيته: كأمس المدبر، ومال إلى ذلك محمود شاكر في حاشيته على ابن جرير. والشاهد منه كما في «مجاز القرآن» أنه اخرج اثني مخرج ثلاث.

(٣) أي سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٢٢٥.

(٤) في «الكتاب» محدودًا.

(٥) انتهى أخذ أبي علي من سيبويه في «الكتاب» ٢/ ٢٢٥، وانظر: «الطبري» ٤/ ٢٣٧.

(٦) إن كان يريد الأخفش -وهو الظاهر- فإن رأيه مغاير لما ذكر كما سيأتي.

(٧) من «الإغفال» ٢/ ل٦٣-٦٧ بتصرف.

ومن النحويين[١] من يذهب إلى أن العلّة المانعة للصرف في (مثنى) وبابه، أن العدل تكرر فيه؛ لأنه عُدِل لفظ (اثنين)، وعُدِل عن معناه أيضًا، وذلك لا يستعمل في موضع يستعمل[٢] فيه الأعداد غير المعدولة. ألا ترى أنك تقول: جاءني اثنان وثلاثة، ولا يجوز أن تقول: جاءني مثنى وثلاث، حتى يتقدم قبله جمع؛ لأن هذا الباب جُعِل بيانًا لترتيب الفعل، فإذا قال القائل: جاءني القوم مثنى مثنى، أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين.

وأما الأعداد غير المعدولة، فإنما الغرض فيها الإخبار عن مقدار المعدود (دون[٣]) غيره، فقد بان بما ذكرنا اختلافهما في المعنى، فلذلك جاز أنْ تقوم العلة مقام العلتين، لإيجابها حكمين مختلفين[٤].

والواو في قوله: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ دالة على تفرّق الأنواع، وتجنيس المُباح من الزوجات، فمن تزوج مثنى لم يضم إليهما ثلاثًا، وكذلك من تزوج ثلاثًا لم يضم إليهن أربعًا.

قال الشاعر:

ولَـكِـنَّـمَـا أَهْـلِـي بـوادٍ أَنـيـسُـه ذئابٌ تَبَغَّى الناس مثْنَى وَموْحَدا[٥]

---

(١) كالأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٤٣١، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٣٩٣-٣٩٤، وقد تبعهم في ذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ١٥١، والسمين الحلبي في «الدر المصون» ٣/ ٥٦٣، وعبارة الأخيرين لا تختلف عن عبارة المؤلف إلا يسيرًا فيحتمل إفادتهما منه.

(٢) في «البحر»، و«الدر» (تستعمل) بالتاء.

(٣) في (د): (عن)، وما أثبته مطابق لـ «البحر»، و«الدر».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٣١، ٤٣٢، «البحر المحيط» ٣/ ١٥١، «الدر المصون» ٣/ ٥٦٣.

(٥) البيت لساعدة بن جُؤيّة الهذلي كما في «ديوان الهذليين» ١/ ٢٣٧، «الكتاب» =

فعَنى مثنى في حال، وموحد في حال أخرى، وليس (موحد) مضمومًا إلى (مثنى) في المعنى.

وقال ابن الأنباري: الواو هنا معناها التفرّق، وليست واوًا جامعة، فإذا كانت بهذه الصفة قُدِّر الفعل بعدها، وكان التأويل: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثلاثًا في غير الحال الأول، وانكحوا رباع في غير الحالين[1].

وهذا معنى قول النحويين: أن الواو ههنا للبدل[2]، كأنه قيل: وثلاث بدلا من مثنى، ورُباع بدلًا من ثلاث[3].

= ٣/ ٢٢٦، «اللسان» ١/ ٣٢١ (بغا). وهو من شواهد «مجاز القرآن» ١/ ١١٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٣٢، «المقتضب»، «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٠. وقد اختلفت الرواية في قافية البيت بين الرفع والنصب، فجاءت: موحدا كما عند المؤلف في «مجاز القرآن»، «معاني القرآن» للأخفش، «اللسان». وجاءت موحد في «الديوان»، «الكتاب»، «المقتضب»، «معاني القرآن» للزجاج، ولعل هذه أرجح لموافقتها قوافي القصيدة، انظر «ديوان الهذليين» ١/ ٢٣٦-٢٤٢. أما معنى البيت فجاء في شرحه في «الديوان»: يقول: أهلي بواد ليس به أنيس: هم مع السباع والوحش في بلد مقفر. مثنى: اثنان اثنان. وموحد: واحد واحد، ومعنى تبغّى: تطلب. كما في «اللسان».

(١) لم أقف على كلام ابن الأنباري فيما بين يديّ من مصنفاته.

(٢) إذا كان المؤلف -وهو الظاهر- يقصد أن (مثنى وثلاث ورباع) بدل مما قبلها، فهي في موضع نصب على البدل من (ما) في (ما طاب) عند بعض النحاة. انظر «إعراب القرآن» للنحاس (٣٩٣)، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٨٩، «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٨١، «الدر المصون» ٣/ ٥٦٢. وإن كان غير ذلك فإني لم أجد -فيما اطلعت عليه من كتب التفسير وإعراب القرآن ومعاني الحروف- أن الواو تأتي بمعنى البدل، والله أعلم.

(٣) انظر: «القرطبي» ٥/ ١٧.

وقال صاحب النظم[(١)]: الواو في هذا الفصل بمنزلة (أو)؛ لأنه لما كانت (أو) بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة (أو)[(٢)].

ولا تدل هذه الآية على إباحة التسع[(٣)]؛ لأن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات وأبلغها، وليس من شأن الخطيب البليغ أَنْ يُفرِّق العدد في مثل هذه الحال، يقول: أعط زيدًا درهمين وثلاثة وأربعة؛ لأنه يصير أعيا كلام[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، أي: في الأربع، بالحب والجماع[(٥)].

---

(١) أي مصنف كتاب «نظم القرآن» وهو أبو علي الجرجاني.

(٢) انظر: الطبري ٤/ ٢٣٨، «الكشف والبيان» للثعلبي ٤/ ٦ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦١، «غرائب التفسير» ١/ ٢٨٢، واستبعد أبو حيان أن تكون أو بمنزلة الواو، لأن أو لأحد الشيئين أو الأشياء، والواو لمطلق الجمع فيأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها على طريق الجمع. انظر: «البحر» ٣/ ١٦٣. وما ذكره المؤلف حول الواو هنا أقوال متقاربة من حيث المعنى.

(٣) يشير المؤلف إلى بطلان رأي الشيعة الرافضة في ذلك. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٠، والبغوي ٢/ ١٦١، والقرطبي ٥/ ١٧، و«البحر المحيط» ٣/ ١٦٣، وابن كثير ١/ ٤٨٨.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٠ بتصرف. وانظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٢٨٢.

(٥) هذا رأي الضحاك كما عند الطبري ٤/ ٢٣٩، والفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٥. انظر: القرطبي ٥/ ٢٠. والظاهر أن العدل إنما هو بالنفقة والقسمة ونحوهما، وليس الزوج مُطالبًا بالعدل في الأمور القلبية والنفسية كالحب، ويدل على ذلك أن الله -ﷻ- يقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. قال الطبري ٥/ ٣١٣ في معناه: لن تطيقوا أيها الرجال أن تسووا بين نسائكم وأزواجكم في حبهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهن في ذلك، فلا يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثل ما لصواحبها؛ لأن ذلك مما لا تملكونه وليس إليكم.=

﴿فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فلينكح كل واحد منكم واحدة(١).

ومن قرأ بالرفع(٢) أراد: فواحدةٌ مقنَع، أو فواحدةٌ رضا(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾. يريد من الجواري(٤)؛ لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق كالذي يلزم في الحرائر، ولا قسمة فيهن باليوم والليلة(٥).

ومعنى الأيمان ههنا بيان، تقديره: أو ما ملكتم(٦).

= وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك. قال أبو داود: يعني القلب أخرجه أبو داود (٢١٣٤) كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء، والنسائي ٧/ ٦٤ كتاب: عشرة النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه، والترمذي (١١٤٠) كتاب النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وابن ماجه (١٩٧١) كتاب النكاح، باب: القسمة بين النساء، وابن حبان في «صحيحه» ١٠/ ٥ (٤٢٠٥).

وأشار ابن حجر إلى أن فيه مقالًا، انظر: «التلخيص الحبير» ٣/ ١٣٩.

(١) هذا التقدير على قراءة النصب وهي قراءة الجمهور من العشرة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٤، «المبسوط» / ١٥٣، «النشر» ٢/ ٢٤٧، «إتحاف فضلاء البشر» ص١٨٦.

(٢) وهو أبو جعفر وحده من العشرة. انظر: «المبسوط» / ١٥٣، «النشر» ٢/ ٢٤٧، «الإتحاف» / ١٨٦.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٥، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٤، «الإتحاف» ص١٨٦.

(٤) أخرج الطبري ٤/ ٢٣٩ عن السدي أنه قال: السراري؛ وانظر: القرطبي ٥/ ٢٠.

(٥) من «الكشف والبيان» ٤/ ٧ أ بتصرف. وهذا ما دلت عليه الآية أنه لا يجب للإماء ما يجب للحرائر، ولكن الظاهر أنه يستحب. انظر: البغوي ٢/ ١٦٢، القرطبي ٥/ ٢٠، ابن كثير ١/ ٤٩٠.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ٧ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١٦٢.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣]. الإشارة في ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود إلى قوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ﴾[١] أي: نكاحكم هؤلاء النسوة على قلة عددهن أقرب إلى العدل وأبعد من الظلم والجور.

ومعنى ﴿تَعُولُواْ﴾: تميلوا (وتجورا)[٢]، عن جميع أهل التفسير واللغة[٣]، وروي ذلك مرفوعًا.

روت عائشة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ قال: «**لا تجوروا**». ورُوي: «**أن لا تميلوا**»[٤]. كلا[٥] اللفظين مرويّ.

قال ابن المظفر: العَول المَيل في الحكم إلى الجور[٦].

وقال أبو عبيدة، عن الأصمعي: وعال الميزان إذا مال، وإنما هو مأخوذ من الجور[٧]، وأنشد لأبي طالب[٨]:

---

(١) لعل هذا وهم من المؤلف، فالذي يظهر أنّ اسم الإشارة يعود إلى قوله: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾، يؤيد هذا بقية كلامه. وانظر: الطبري ٤/ ٢٣٨.

(٢) هكذا في (أ)، (د). والصواب: (تجوروا).

(٣) سيأتي تفصيلٌ وتعدادٌ لمن ذهب إلى ذلك من أهل التفسير والعربية قريبًا عند المؤلف، وارجع إلى مظانه هناك.

(٤) أخرج الحديث بالروايتين الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٧، قال ابن أبي حاتم: قال أبي: هذا حديث خطأ، الصحيح، عن عائشة موقوف، «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم ٣/ ٨٦٠ بتحقيق حكمت بشير بابين (رسالة دكتوراه في أم القرى)، وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٠.

(٥) في (أ): (كلى).

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٨ (عال)، وابن المظفر هو المعروف بالليث، وتقدمت ترجمته.

(٧) من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٨ (عال)، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١١٧ .

(٨) هو عبد مناف بن قصي بن هاشم القرشي، ابن عم النبي ﷺ تقدمت ترجمته.

بِمِيزانِ قِسطٍ لا يُعِلّ شَعيرةً
ووزَّانُ صِدقٍ وزنُه غيرُ عائلِ[(١)]

وقال الفراء: عال الرجل يعول عَولًا وعِيالةً، إذا مال وجار[(٢)].

وعلى هذا القول ابن عباس، والحسن، وإبراهيم، وقتادة، والربيع، والسدي، وأبو مالك[(٣)]،

وعكرمة[(٤)]، والفراء[(٥)]، والزجاج[(٦)]، وابن قتيبة[(٧)]، وابن الأنباري[(٨)].

---

(١) البيت من قصيدة طويلة مشهورة بيّن فيها أبو طالب وقوفه مع النبي ﷺ لما خشي قومه ودهماء العرب كما في «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٨٦-٢٩٨، وهو في الطبري ٤/ ٢٤٠، «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ١٤١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٨ (عال)، وابن كثير ١/ ٤٩٠. وقوله: «لا يعل» يبدو أنه بالغين (يغل) كما عند الطبري، وفي «السيرة»: يخس بدل يغل، والمعنى كما في حاشية الطبري: أي: لا ينقص. و(وزان) عند الطبري وابن الأنباري بلفظ (ووازن). وعجز هذا البيت في «السيرة»، «تهذيب اللغة»، و«ابن كثير»:

له شاهد من نفسه غير عائل

قال ابن الأنباري: معناه: غير مائل، وهذا هو الشاهد من البيت هنا.

(٢) ليس في «معاني القرآن»، وإنما الذي فيه: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: ألا تميلوا، وهو أيضًا في كلام العرب: قد عال يعول.

(٣) هو: غَزوان الغِفاري الكوفي، تقدمت ترجمته.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٠، و«البغوي» ١/ ١٦٣، و«ابن كثير» ١/ ٤٩٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١١.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٥.

(٦) في «معاني القرآن» وإعرابه ٢/ ١.

(٧) في «غريب القرآن» ص١١٩.

(٨) انظر: «غريب القرآن» لابن عزيز ص٣٣.

وأخبرني العروضي قراءةً، وسعيد بن العباس القرشي كتابةً، عن الأزهري، قال: أخبرني عبد الملك[١]، عن الربيع[٢]، عن الشافعي ﷺ[٣] أنه قال: معناه ألّا يكثر عيالكم[٤].

وإلى هذا القول ذهب من المفسرين عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٥]، وليس قول من خطّأ الشافعي في هذا بشيءٍ، فقد روى لنا الفسوي أبو الحسين، عن حَمْد بن محمد الفقيه، عن أبي عمر[٦] محمد بن عبد الواحد، عن أحمد بن يحيى، عن سَلَمة[٧]، عن الفراء، عن الكسائي[٨]، أنه قال: ومن العرب الفُصَحاء من يقول: عال يعول، إذا كثر عياله[٩].

قال الكسائي: وهي لغة فصيحة سمعتُها من العرب[١٠].

---

(١) لم أعرفه.

(٢) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المُرادي المَصري المُؤَذِّن، صاحب الشافعي وراوي كتبه، ثقة، أخرج له أصحاب السنن، توفي - رحمه الله- سنة ٢٧٠هـ. انظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٠٩، «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٥٨٧، «التقريب» ص٢٠٦ رقم (١٨٩٤).

(٣) السند من الأزهري إلى الشافعي في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال)، وانظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١٦٢، «تفسير القرطبي» ٥/ ٢١.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٢٤١ بلفظ: أهون عليك في العيال. وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال)، «زاد المسير» ٢/ ١٠، «الدر المنثور» ٢/ ٢١١.

(٦) السند من أبي عمر إلى آخره في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال).

(٧) أبو محمد سلمة بن عاصم النحوي، تقدمت ترجمته عند تفسير [البقرة: ١٠٢].

(٨) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي.

(٩) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال).

(١٠) هذا القول للكسائي ليس في «تهذيب اللغة».

قال الأزهري[1]: وهذا يدل على أن الشافعي لم يخطئ من جهة اللغة؛ لأن الكسائي ثقة مأمون[2].

قال[3]: والمعروف من كلام العرب: عال الرجل يعول، إذا جار ومال[4]، وأعال[5]، إذا كثر عياله[6].

وقال ابن الأنباري: وهذا القول -على قلة القائلين به- له مخرج في اللغة، وهو أن العرب تقول: قد عالت الفريضة، إذا زادت سهامها، وأعلتها أنا (إذ أردت[7]) في سهامها[8]. فكذلك قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ معناه ألا يزداد عيالكم فتضيعوا الواجب والمفترض لهم[9].

وهذا القول وإن صح، فالاختيار القول الأول[10]، لقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ فأطلق الآية من ملك اليمين، والأقل والأكثر منها[11]، وهن كلهن عيال تتصل بهن المؤونة، وسواء كثر العيال من الحرائر أو الإماء،

---

(١) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال).

(٢) معنى كلام الأزهري وليس نصه.

(٣) أي الأزهري، وهو في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال) متقدم على قوله السابق.

(٤) ومال ليس في «التهذيب». (٥) في «التهذيب»: وأعال يعيل.

(٦) انتهى من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٧ (عال). وانظر: «الزاهر» ١/ ١٤٠، ١٤١.

(٧) هكذا في (أ)، (د). ولعل الصواب: إذا زدت.

(٨) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٣٩٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٧٨ (عال).

(٩) لم أقف على قول ابن الأنباري هذا، لكن قال في «الزاهر» ١/ ١٤٠: ويقال: قد أعال الرجل يعيل فهو معيل: إذا كثر عياله.

(١٠) هذا الأسلوب من الترجيح حسن من المؤلف، لما فيه من التأديب مع أئمة علم الشريعة والعربية، كالشافعي والكسائي، عكس ما نهج الزجاج - رحمه الله- في هذا؛ حيث رد هذا القول بشدة، بل وتجاهل القائلين به فلم يصرح بأسمائهم. انظر «معاني القرآن» وإعرابه ٢/ ١١.

(١١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١١.

فلا معنى إذًا أن يقول: ذلك أدنى أن لا يكثر عليكم[(١)] بعد إباحة الكثير من السراري.

ودليل آخر، وهو أنه قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ ولم يقل: أن تفتقروا، فكان الجواب معطوفًا على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل وهو الجور، لا لكثرة العيال. ذكر هذا صاحب النظم[(٢)].

ورُوي عن مجاهد أنه قال: معنى قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ ألا تضلوا[(٣)]. وهذا راجع إلى الأول[(٤)]، لأن الميل عن الحق ضلال.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن هذا خطاب لأولياء النساء، وذلك أنّ العرب كانت في الجاهلية لا تُعطي النساء من مهورها شيئًا، ولذلك كانوا يقولون لمن وُلدت له ابنة: هنيئًا لك النافجة. ومعناه أنك تأخذ مهرها إبلًا فتضمها إلى إبلك فتنفج مالك، أي تعظمه[(٥)].

وقال ابن الأعرابي: النافجة ما يأخذه الرجل إذا زَوّج ابنته من الحُلوان فنهى الله ﷻ عن ذلك، وأمر بدفع الحق إلى أهله[(٦)].

(١) هكذا ولعل الصواب: عيالكم.
(٢) أي «نظم القرآن» وهو الجرجاني، تقدمت ترجمته.
(٣) رواه الثوري في «تفسيره» ص٨٧ بسنده عن مجاهد، وأورده الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٧ب. انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١٦٢، «زاد المسير» ٢/ ١٠.
(٤) أي: تميلوا وتجوروا، قال الهواري لما ذكر القولين: وهو واحد، «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٣٤٧.
(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٥، ١٢٠، «تهذيب اللغة» (نفج) ٤/ ٣٦٢٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٨أ.
(٦) لم أقف عليه.

وهذا قول الكلبي[(١)]، وأبي صالح[(٢)]، واختيار الفراء[(٣)]، وابن قتيبة[(٤)].

القول الثاني: أن الخطاب للأزواج، أُمِروا بإيفاء النساء مهورهن.

وهذا قول إبراهيم[(٥)]، وعلقمة، وقتادة[(٦)]، وابن زيد[(٧)]، واختيار الزجاج؛ قال: لأنه لا ذكر للأولياء ههنا، وما قبل هذا خطاب للناكحين وهم الأزواج[(٨)].

والصدقات والمهور، واحدتها صَدُقَة، وفيها لغات هذه أعلاها وهي لغة أهل الحجاز[(٩)].

وذكرنا أن موضوع (ص د ق) على هذا الترتيب، للإكمال والصحة في قوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾[(١٠)] [البقرة: ٢٦٤]، وعلى هذا الأصل سُمي المهر: صداقًا وصَدُقة؛ لأن عقد النكاح يتم ويكمل.

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٢.

(٢) أخرج قوله ابن جرير ٤/ ٢٤١. (٣) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٦.

(٤) في «غريب القرآن» ص١١٥.

(٥) لم أقف على قول إبراهيم وهو النخعي.

(٦) انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢١٣.

(٧) أخرج ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٤١، عن قتادة في معنى (نخلة): يقول فريضة، يعني على الزواج.

(٨) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٤١ بنحو قول قتادة.

(٩) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٢. وهذا ما اختاره ابن جرير - رحمه الله- كما في «تفسيره» ٤/ ٢٤٢، والبغوي ٢/ ١٦٣، وهناك قول ثالث: وهو أن المراد النهي عن نكاح الشِّغار وهو رأي الحضرمي. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٨أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٣.

(١٠) انظر: «معاني القرآن» للزجاج، ٢/ ١٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٩٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٨ ب.

وقوله تعالى: ﴿نِحۡلَةٗ﴾. قال ابن عباس[١]، وقتادة، وابن جريج، (وأبي زيد)[٢]: فريضة[٣]. وإنما فسروا النحلة بالفريضة؛ لأن النحلة معناها في اللغة: الديانة والمِلّة والشِرعة والمَذهب.

قال الزجاج، عن بعضهم في قوله: ﴿نِحۡلَةٗ﴾ أي: ديانة[٤]، ومثله رُوي[٥] عن ابن الأعرابي: نحلة: أي: دينًا وتدينًا[٦]. يقال: فلان ينتحل كذا، إذا كان يتدين به، ونِحْلَتُه كذا أي: دينه ومذهبه[٧].

فقوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ أي آتوهن مهورهن، فإنها نِحلة، أي دين وشريعة ومذهب في الدين، وما هو ديانة فهو فريضة.

قال ابن الأنباري: يقال: فلان (مُنْتَحِلٌ[٨]) كذا، إذا كان يتدين به ويجعله فَرضًا على نفسه[٩].

وقال الكلبي: أي: عطية وهبة[١٠]، يقال نحلت فلانًا شيئًا أنحله

(١) أخرجه ابن جرير بسنده من طريق ابن أبي طلحة ٤/ ٢٤١. وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢١٢.

(٢) هكذا في (أ)، (د) وقد يكون تصحيفًا كما هو ظاهر، والصواب: وابن زيد.

(٣) أخرج أقوالهم الطبري ٤/ ٢٤١، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨ب، والبغوي ٢/ ١٦٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٢.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ١٢.

(٥) الراوي الأزهري، عن ثعلب، عن ابن الأعرابي. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٣٢ (نحل).

(٦) «تهذيب اللغة» ٥/ ٦٥ (نحل).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٢، «تهذيب اللغة» ٥/ ٦٤ (نحل).

(٨) في (د): (ينتحل).

(٩) انظر: «الزاهر» ٢/ ٢٥٤.

(١٠) «الكشف والبيان» ٤/ ٨ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٣، «البحر المحيط» ٣/ ١٦٦، «تنوير المقباس» بهامش المصحف الشريف ص٧٧.

نِحلة ونُحلًا. قاله الفراء، والنحلة العطية(١).

ومعنى هذا القول: أن الله تعالى جعل الصداق نِحلةً للنساء، بأن جعل على الرجال الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئًا من الغُرم، فتلك نِحلة من الله -عَجَّلَ- للنساء. وهذا القول اختيار الفراء(٢).

وقال أبو عبيدة: معنى قوله: ﴿نِحۡلَةً﴾ أي: عن طيب نفس(٣)، وذلك أن النِحلة في اللغة العطية من غير أخذ عوض، كما يَنحَل الرجلُ ولدَه شيئًا من ماله، وما أعطي من غير طلب عوض لا يكون إلا عن النفس، فأمر الله تعالى بإعطاء مهور النساء من غير مُطالبة منهن ولا مُخاصمة فيه؛ لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نِحلة(٤).

قال ابن الأنباري: وهذا القول هو المختار؛ لأن النَّحلة بالهبة أشهر منها بالفريضة، وحمل الشيء على الأشهر والأعرف فيه أولى(٥).

وانتصابها على المصدر في قوله(٦) من جعلها مصدرًا بمعنى: الهبة(٧)، وفي قول الآخرين على أنه مفعول له(٨)، كما تقول: افعل هذا أجرًا واحتسابًا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٥٦.

(٢) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٦، وقد حكى الفراء هذا القول ولم يذكر غيره.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ١١٧، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٥ .

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٥، «الزاهر» ٢/ ٢٥٤.

(٥) هذا الترجيح من ابن الأنباري لم أقف عليه، بل وقفت على خلافه حيث قال - بعد أن أشار إلى القولين-: والقولان متقاربان، «الزاهر» ٢/ ٢٥٤.

(٦) هكذا ولعل الصواب: (قول).

(٧) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٨٨، «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٢٤٢، «البحر المحيط» ٣/ ١٦٦، «الدر المصون» ٣/ ٥٧١.

(٨) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ١٦٦، «الدر المصون» ٣/ ٥٧١.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾. قال الفراء[١] والزجاج: المعنى فإن طابت أنفُسهن لكم عن شيء من الصداق[٢]، فنقل الفعل من الأنفس إليهن، فخرجت النفس مُفسّرة كما قالوا: أنت حسنٌ وجهًا، والفعل في الأصل للوجه، فلما حُوّل إلى صاحب الوجه خرج الوجه مفسّرًا لموقع الفعل. (ومثله: قررتُ به عينًا، وضقتُ به ذرعًا)[٣].

ووحد النفس[٤]؛ (لأن المراد به بيان موقع الفعل وتفسير له، وذلك يعرف بالواحد دون الجميع. ومثله: عشرون درهما)[٥].

قال الفراء: ولو جمعت كان صوابًا[٦]، كقوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾ (مِن) ليست ههنا للتبعيض، بل هي للتجنيس، والتقدير: عن شيء من هذا الجنس الذي هو مهر، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، وذلك أن المرأة لو طابت نفسُها عن جميع المهر حل للزوج أخذه كله.

والخطاب في: ﴿لَكُمْ﴾ يجوز أن يكون للأولياء، ويجوز أن يكون للأزواج، على ما ذكرنا من القولين في قوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾[٧].

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٦.

(٢) من الصدقات زيادة على الفراء.

(٣) ما بين القوسين زيادة على ما عند الفراء.

(٤) عبارة الفراء: ووحد النفس، ولو جمعتَ لكان صوابًا، وقد جاء بقية العبارة عند المؤلف في آخر كلامه كما سيأتي.

(٥) ما بين القوسين زيادة على ما عند الفراء.

(٦) انتهى من «معاني الفراء» ١/ ٢٥٦، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٢، والشاهد بعد ذلك إضافة من المؤلف، والله أعلم. وانظر «الكشف والبيان» ٤/ ٢٩.

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٣ بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ . قال الفراء[١]: يقال هَنَأني الطعام، ومَرَأني (يهيئني[٢]) ويمرئني هَنأً وَمرءًا. ومنهم من يقول: هنئني ومرئني - بالكسر- وهي قليلة، يَهْنَأني وَيْمَرأني فإذا أفردوا قالوا: أمرأني هذا الطعام[٣]، ولا يقولون: أهنأني. وقد مَرُؤ هذا الطعام مَرْأَاة، وهنؤ هُنْأة. الليث[٤]: ما كان مريئًا، ولقد مرؤ، واستمرأته، وهذا يُمرئ الطعام.

وقيل: إن أصل الهنيء من الهناء وهو معالجة الجَرَب بالقَطِران[٥]، فالهنيء شفاء من المرض كالهناء شفاء من الجرب[٦].

قال المفسرون: معنى الهنيء: الطيب المَساغ الذي لا يُنغِّصه شيء، والمريء: المحمود العاقبة التامّ الهضم الذي لا يضر ولا يُؤذي. يقول: لا تخافون في الدنيا به مطالبة، ولا في الآخرة تبعة[٧].

ورُوي عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «**إذا جادت لزوجها بالمهر طائعة، غير مُكرَهة لا يَقْضي به عليه سلطان، ولا يؤاخذه الله به في الآخرة**»[٨].

---

(١) ليس في «معاني القرآن».

(٢) هكذا ويبدو أن الصواب: يهنئني.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» للطبري ٤/ ٢٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٣ (هنا)، «الكشف والبيان» ٤/ ٩أ.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٣ (هنأ).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٣ (هنأ)، «مقاييس اللغة» ٦/ ٦٨ (هنأ)، «الكشف والبيان» ٤/ ٩أ.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٤، «النكت والعيون» للماوردي ١/ ٤٥١.

(٧) ما نسبه للمفسرين هو ما حكاه شيخه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٩أ، ب.

(٨) من «الكشف والبيان» ٤/ ٩ب، وقد أورده الثعلبي بسنده، ولم أقف عليه عند غيره.

قال الحضرمي[(١)]: إن ناسًا كانوا يتأثَّمون أنْ يرجع أحدُهم في شيء مما ساق إلى امرأته، فقال الله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[(٢)].

٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ الآية. قال ابن عباس في هذه الآية: لا تَعمَد إلى مالك الذي خَوَّلك الله وجعله لك معيشةً؛ فتعطيه امرأتك وبنيك، فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أَمْسِك مالك وأَصْلِحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في كِسوتهم ورِزقهم ومؤنتهم[(٣)].

والسفهاء: هم النساء والصبيان في قول ابن عباس[(٤)]، والحسن وقتادة، وسعيد بن جبير، والسدي[(٥)]، واختيار الفراء[(٦)]، وابن قتيبة[(٧)].

وقال الكلبي: إذا علم الرجل أنّ امرأته سفيهةٌ مُفْسِدةٌ، وأن ولدَه سفيهٌ مُفسِد فلا ينبغي له أن يُسلِّط واحدًا منهما على ماله فيفسد[(٨)].

---

(١) لعله أبو بحر عبد الله بن زيد الحضرمي، انظر التعليق الآتي ص ٣٤٧.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٤٣، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩أ.

(٣) هذا الأثر ثابت، عن ابن عباس فهو من طريق ابن أبي طلحة كما في تفسير ابن عباس ص١٣٤.
وقد أخرجه منها ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٤٩. انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٤، «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٩١، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٣.

(٤) يدل عليه الأثر المتقدم عنه، وأثر آخر أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٤٦.

(٥) أخرج أقوال هؤلاء ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٤٥، وانظر: «ابن كثير» ٢/ ٤٩١، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٣-٢١٤.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٢٥٦.

(٧) «غريب القرآن» ص١٢٠.

(٨) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٤ .

وقال مجاهد، وجويبر، عن الضحاك: أراد بالسفهاء ههنا النساء فقط[١].

وقال مجاهد: هن سفهاء من كُنّ؛ أزواجًا أو بناتٍ أو أمهاتٍ[٢]. وهذا مذهب ابن عمر[٣].

ويدل على هذا ما رَوى أبو أمامة[٤] أن النبي ﷺ قال: **«ألا إنّما خُلِقت النار للسفهاء، -يقولها ثلاثًا- ألا وإن السفهاء النساء إلا امرأة أطاعت قيّمها»**[٥]. فإن قيل: لو كان المراد بالسفهاء النساء لقال: السفائه أو السفيهات في جميع السفيه[٦]، نحو غرائب وغريبات في جمع: الغريبة. فالجواب ما قال الزجاج، وهو أن السفهاء يجوز في جمع السفيهة نحو: فقيرة وفقراء[٧].

---

(١) أخرج الأثر، عن مجاهد بن جبير من عدة طرق، وأخرجه عن الضحاك من طريق جويبر. «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٧.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ١٤٤، وأخرجه ابن جرير ٤/ ٢٤٧، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٩ب.

(٣) أخرج ابن جرير، عن مُوَرِّق قال: مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة، فقال لها ابن عمر: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾. «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٧، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤.

(٤) هو صُدَيّ بن عَجْلان بن الحارث الباهلي -مشهور بكنيته- صحابي جليل يُروى أنه شهد أحدًا، وصفين مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما- سكن الشام ومات بها سنة ٨٦هـ. انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢٩٨، «أسد الغابة» ٣/ ١٦، «الإصابة» ٢/ ١٨٢، «التقريب» ص٢٧٦ رقم (٢٩٢٣).

(٥) من «الكشف والبيان» ٤/ ٢١٠، وقد أورده الثعلبي بسنده، وأخرج آخره ابن أبي حاتم كما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٩١، والسيوطي في «الدر» ٢/ ٢١٣.

(٦) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: جمع السفيهة.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ١٣.

وقال الزُّهري، وأبو مالك، وابن زيد: عَنى بالسفهاء ههنا السفهاء من الأولاد، يقول: لا تُعط مالك الذي هو قيامك ولدَك السفيه فيفسده(١).

وفي الآية قول رابع، وهو أن السفهاء: الأيتام وكل من يستحق صفة سفيه من محجور عليه في المال. وهو مذهب الشافعي(٢)، وعكرمة(٣)، واختيار الزجاج(٤).

قال عكرمة: هو مال اليتيم يكون عندك، يقول: لا تُؤتِه إيّاه وأنفِق عليه حتى يبلُغ(٥).

فإن قيل على هذا القول: كيف أضاف الأموال إلى الأولياء وهي للسفهاء؟ قلنا: إنما أضاف إليهم؛ لأنها الجنس الذي جعله الله أموالًا للناس، فصار كقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، ردها إلى الجنس(٦).

---

(١) هذا القول عن أبي مالك وابن زيد خاصة. أخرجه بنحوه ابن جرير ٤/ ٢٤٧، وأورده الثعلبي عن الثلاثة في «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، وعن الزهري البغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٤.

(٢) مذهب الشافعي في جواز الحجر على الرجل البالغ إذا كان مُبَذِّرًا مفسدًا لماله، كما سيأتي عند المؤلف في الصفحة التالية، وانظر: «الأم» ٣/ ١٩٤-١٩٥.

(٣) سيورد المؤلف أثرًا عنه، وهذا القول ورد عن سعيد بن جبير، انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٣-٢١٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ١٣، وهذا القول اختيار ابن جرير أيضًا، انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٧.

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢١٣.

(٦) ما بين علامات التنصيص من قول: فإن قيل، إلى هنا: نقله المؤلف من الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٠ب، ١١أ، مع أنه لم يعزُه إليه!.

قال أبو إسحاق[١]: إنما قيل أموالكم؛ لأن معناها الشيء الذي به قِوام أمركم، كما قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه، ولكن كان بعضهم يقتل بعضًا، أي: تقتلون الجنس الذي هو جنسكم[٢].

وقال بعض النحويين: إذا اختلط المخاطب مع الغائب غُلِّب المخاطب، لذلك أضاف الأموال إليهم وهي للسفهاء، وهذا التفسير دليل على ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله من جواز الحجر على الرجل البالغ إذا كان مُبذِّرًا مُفسدًا لماله[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾. قال ابن عباس: يريد قيامًا لمعايشكم وصلاح دنياكم[٤].

قال أبو عبيدة[٥]: (قِيام) مصدر، ويجيء في معناه (قِوام)، وهو الذي يقيمك، وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف كما قالوا: صِوار وصِيار[٦].

---

(١) هو الزجاج في «معانيه» ٢/ ١٣.
(٢) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ١٣، ١٤.
(٣) انظر: «الأم» ٣/ ١٩٤-١٩٥، «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٩١.
(٤) ثابت عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة كما في «تفسير ابن عباس» ص١٣٤، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٤٩.
وتحقيق المروي عن ابن عباس لسور النساء والمائدة والأنعام ١/ ١٥٣، ١٥٤، لكن بلفظ بمعنى قِوامكم في معايشكم.
(٥) في «مجاز القرآن» ١/ ١١٧.
(٦) انتهى من «مجاز القرآن» ١/ ١١٧، ولعل فيه تصحيفًا في آخره؛ لأن آخر العبارة في «المجاز»: كما قالوا: ضيَاء للناس وضوءًا للناس.

وبنو ضبة[١] تقول في جمع طويل: طِيال، والعامّة على: طِوال[٢].

وإنما أعل القيام؛ لأنه مصدر قد اعتل فعله، فاتّبع الفعل في الإعلال، ومثله من المصادر الصِّيام والعِياذ والحِياكة، ونحو ذلك فيما[٣] قلبت الواو فيه ياء؛ لأنها مصادر جارية على الفعل في الإعلال[٤].

قال أبو علي: وأما القِوام الذي حكاه أبو عبيدة فإنه ينبغي أن يكون اسمًا غير مصدر، كالقَوام فيمن فَتح، ويجوز أن يكون مصدر قَاوم، كما أن (الغِوار مصدر غاور)[٥][٦].

وقرأ نافع، وابن عامر: (قِيَمًا)[٧].

قال الأخفش: قِيامًا وقِوامًا وقِيمًا وقِومًا واحِد[٨].

---

(١) ضبة: حي من العرب يشمل عدة قبائل كصُرَيم وعائذة وبجالة وغيرها، وهذا الاسم مشتق من الضبة أي الأنثى، أو من الضبة الحديث. انظر: «الاشتقاق» لابن دريد ص١٨٩، «اللسان» ٤/ ٢٥٤٥ (ضبب).

(٢) من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٣٠.
وقال الأزهري: وجمع الطويل: طِوال وطِيال، وهما لغتان، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٦ (طال). وانظر: «مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٤ (طول)، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٢٥ (طول).

(٣) في (د): (معًا).

(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ١٣٣، «المُمتِع في التصريف» ١/ ٦٤.

(٥) كأنها في (أ) بالعين المهملة.

(٦) «الحجة» ٣/ ١٣٣.

(٧) «السبعة» ص٢٢٦، «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٢٩، «الكشف» ١/ ٣٧٦، «النشر» ٢/ ٢٤٧.

(٨) لم أجده في «معاني القرآن»، ولعله أخذه من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣.

فالقِيَم عنده مصدر في معنى القِيام، وفِعَل يجيء في المصادر كالشِّبَع والرِّضَا[١].

فإن قيل[٢]: كيف اعتلّ وهو على وزنٍ ينبغي أن يصح معه ولا يعتلّ، كما لم يعتلّ العِوض والحِول، ونحو ذلك؟

والجواب: أن هذا الوزن لما جاء في الجمع مُتَّبعًا واحدَه في الإعلال، نحو: دِيمَةٍ ودِيَم، وحِيلَةٍ وحيَل، جاء أيضًا في المصدر متّبعًا للفعل فأعِلّ كما يعل الفعل؛ لأن (المصادر[٣]) أشد اتّباعًا لأفعالها في الإعلال[٤] من الجمع للواحد. ولا يلزم على هذا (الوعد) و(الوزن) وبابه، فإنه لم يعل الواو فيه كما أعل في (بعد)؛ لأنه على بناء فِعَل، ولا طريق للإعلال عليه، وليس كذلك فِعَل؛ لأن الكسرة توجب الإعلال في الواو، ولا سيما إذا انضم إليها الإعلال[٥] في الفعل. ويمكن أن يحمل القِيَم على الشذوذ كما قُلبت الواو في (ثِيَرَة[٦])، وكما قالوا: طويل وطيال. في لغة بني ضبة، وكما قالوا: جِياد في جمع جواد، وكان حكمه أن تصح عينُه في الجمع، فكما شذّت هذه الأشياء عما عليه الاستعمال كذلك شذ قولهم: قِيَما[٧].

(١) انظر «الحجة» ٣/ ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣.

(٢) إيراد هذا الاستشكال والجواب عليه من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٣٢، ١٣٣ بتصرف.

وقول من قال إن (القِيَم) ههنا جمع (قِيمَة) لا وجه له[(١)].

والدليل على أن قِيَما ههنا مصدر بمعنى القِيام وليس بجمع قوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، ولا وجه لجمع القِيمة في وصف الدين به[(٢)]، ونبين ذلك إذا انتهينا إليه إن شاء الله[(٣)].

وذهب الكسائي إلى أن القِيام ههنا اسم بمعنى القِوام، وهو ما يقوم به الشيء، وجعلهما لغتين بمعنى[(٤)].

واختاره ابن قتيبة، وقال: يقال: هذا (قِوام[(٥)]) أمرك وقيام أمرك: أي ما يقوم به أمرك[(٦)].

ويقارب قول الزجاج هذا؛ فإنه قال: المعنى في هذه الآية: التي جعلها الله تقيمكم فتقومون بها قيامًا[(٧)].

ومن قرأ (قِيَما) فهو راجع إلى هذا، والمعنى: جعلها الله قيمةً للأشياء، فيها (تقوم أموركم[(٨)])[(٩)]. ولم يرتض أبو علي هذا القول في القيم كما ذكرنا.

---

(١) انظر: «الحجة» ٣/ ١٣٣.

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ١٣١.

(٣) انظر: «البسيط» نسخة شستربتي ٢/ل، ١٣٨/أ.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١ب.

(٥) في النسختين: (أقوام)، وهو تحريف ظاهر.

(٦) «غريب القرآن» ص١٢٠.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤.

(٨) في «معاني الزجاج»: يقوم أمركم.

(٩) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ١٤ بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾. قال ابن عباس: يريد أنفقوا عليهم منها[(١)].

ومعنى الرزق من العباد هو الإجراء الموظف لوقت معلوم، يقال: رَزَق فلانٌ عيالَه كذا وكذا، أي: أجرى عليهم. وإنما قال: (فيهَا) ولم يقل: منها؛ لأنه أراد (جعلوا[(٢)]) لهم فيها رزقًا، كأنه أوجب ذلك لهم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء: ٥]. قال ابن جريج ومجاهد: أي: عِدةً جميلةً من البر والصلة[(٤)].

وقال ابن عباس: يريد عدة حسنة، يقول: إذا رَبحتُ في سفري هذه فعلت[(٥)] بك ما أنت أهله، وإن غنمتُ في غزاتي أعطيتُك[(٦)].

قال ابن زيد: هو الدعاء. يقول: عافانا الله وإياك، بارك الله فيك[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٥٠، من طريق ابن جريج وإسناده ضعيف. انظر «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ١٥٤.

(٢) هكذا في النسختين ولعله تصحيف، والصواب: اجعلوا كما في «الكشف والبيان» ٤/ ١١ب.

(٣) «الكشف والبيان» ٤/ ١١ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٤.

(٤) هذا معنى ما أخرجه ابن جرير عن مجاهد وابن جريج، انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٥١، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤.

(٥) في الأصل: (فقلت) وهو تصحيف ظاهر.

(٦) لم أجده عن ابن عباس، لكن رُوي نحوه عن عطاء. انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٤٥.

(٧) طرف أثر عن ابن زيد أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٥١، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤.

وكل ما سكنت إليه النفوس وأحبته من قول أو عمل فهو معروف، وما أنكرته وكرهته ونفرت منه فهو منكر[(١)].

وقال الزجاج: أي علموهم مع إطعامكم وكسوتكم إياهم أمر دينهم[(٢)].

٦- قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية. قال المفسرون: نزلت في ثابت بن رفاعة[(٣)]، وفي عمه[(٤)]، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتًا وهو صغير، فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري، فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله؟ فأنزل الله -عز وجل-: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[(٥)].

قال الحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وابن زيد: اختبروهم في عقولهم وأديانهم[(٦)].

---

(١) كأنّ هذا من المؤلف -رحمه الله- جمع بين الأقوال وتفسير للآية بعمومها فإن العبرة بعموم اللفظ، وقد تَبع في ذلك شيخه الثعلبي كما في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢أ.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤.

(٣) هو ثابت بن رفاعة الأنصاري، ترجموه ضمن الصحابة ﷺ لهذه القصة. انظر: «أسد الغابة» ١/ ٢٦٨، «الإصابة» ١/ ١٩٢.

(٤) لم أقف على ترجمته.

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده عن قتادة مطولًا، وليس فيه التصريح بأنه سبب نزول الآية. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٥٩، وأورده الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢أ، والمؤلف في «أسباب النزول» ص١٤٣، والبغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٤، وانظر «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤، وعزاه ابن حجر إلى ابن منده وقال: هذا مرسل رجاله ثقات. «الإصابة» ١/ ١٩٢.

(٦) ذكر هذا القول عنهم ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٤، وانظر: =

ومعنى هذا الابتلاء وكيفيته -على ما ذكره الفقهاء-: أن يُردّ إليه الأمر في نفقته عند مراهقة الحلم، ويعطى شيئًا نزرًا يتصرف فيه، ليعرف كيف تدبيره وتصرفه. وإن كانت جاريةً يرد إليها ما يرد إلى النساء من أمر البيت وتدبير الغزل والقطن(١).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾. قال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد: يريد الحلم(٢).

وتقديره: حتى إذا بلغوا حال النكاح من الاحتلام.

وقال آخرون: أي بلغوا مبلغ الرجال والنساء من القدرة على النكاح(٣). قال ابن قتيبة: أي بلغوا أن ينكحوا النساء(٤).

= «تفسير الحسن البصري» جمع د. محمد عبد الرحيم ١/ ٢٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٥. أما السدي وابن زيد فقد اقتصرا على العقول دون الأديان. كما أخرج ذلك عنهما ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٥١-٢٥٢، وأخرج عن مجاهد كقولهما، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤.

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٥.

(٢) هذه الرواية ثابتة عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة كما في «تفسير ابن عباس» ص١٣٥، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٥٢، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٤-٢١٥، «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ١٥٤.
أما عن مجاهد ففي «تفسيره» ١/ ١٤٥، وأخرجه الطبري عنه ٤/ ٢٥٢، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٣٤٩، «الدر المنثور» ٤/ ٢١٤. وأما عن السدي فلم أقف عليه. وأما عن ابن زيد فقد أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٥٢.

(٣) هذا قول الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢أ، وابن قتيبة كما سيذكر المؤلف. والظاهر أن القولين متقاربان أو متلازمان في الأعم الأغلب من الناس، فإن من احتلم فقد قدر على النكاح من هذه الناحية، ومن قدر على النكاح فقد احتلم، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤلف -رحمه الله- من التقدير للقول الأول، والله أعلم.

(٤) «غريب القرآن» ص١٢٠.

ومعنى النكاح هو إنزال الماء، فإذا أنزل الغلام أو الجارية فقد بلغ، سواءٌ كان عن جماع أو احتلام.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾. معنى (آنستم) قال ابن عباس: عرفتم[١]، وقال عطاء عنه: يريد رأيتم[٢].

وقال الفراء: وجدتم[٣]. وقال الزجاج: علمتم[٤].

وأصل الإيناس في اللغة: الإبصار[٥]، ومنه قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وقال ابن حلزة[٦]:

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفزَعَها القَـ ـنَّاصُ عَصرًا وقد دَنا الإمساءُ[٧]

أي أحسَّت ووجدت.

---

(١) هذه الرواية ثابتةٌ عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة، كما في «تفسير ابن عباس» ص١٣٥، وأخرج ذلك ابن جرير ٤/ ٢٥٢، وانظر: «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ١٥٥.

(٢) لم أقف علي رواية عطاء هذه، وهي بمعنى الأولى الثابتة عن ابن عباس.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٥٧.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢١٦ (أنس)، «الكشف والبيان» ٤/ ١٢ أ، «اللسان» ١/ ١٥٠ (أنس).

(٦) هو الحارث بن حلزة بن مكروه اليشكري الوائلي شاعر جاهلي وأحد أصحاب المعلقات السبع وقد ارتجلها ارتجالًا بين يدي ملك الحيرة، توفي سنة ٥٠ قبل الهجرة تقريبًا. انظر: «الشعر والشعراء» ص١١١، «طبقات الشعراء» ١/ ١٥١، «الأعلام» ٢/ ١٥٤.

(٧) هذا البيت من معلقة ابن حلزة -وهي المعلقة السابعة- كما في «شرح المعلقات» للزوزني ص١٥٦. قال الزوزني في شرح البيت: النبأة الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله، والقناص جمع قانص، وهو الصائد.

وقوله تعالى: ﴿رُشْدًا﴾ قال ابن عباس والسدي: هو الصلاح في العقل وحفظ المال[١]. وقال عطاء عنه: يريد صلاحًا ومعرفة وعقلًا[٢].

وقال الزجاج: معنى الرشد: الطريقة المستقيمة التي تثقون[٣] معها بأنهم يحفظون أموالهم[٤].

وقال الشافعي ﷺ: الرشد: من يكون صالحًا في دينه، مصلحًا لماله[٥]. ولا يجوز دفع مال اليتيم إليه إلا بعد البلوغ وتبين العفاف وإصلاح المال منه[٦].

= يقول: أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك.
وقد استشهد بالبيت الثعلبي ٤/ ١٢أ، والألوسي ٤/ ٢٠٥.

(١) الأثر عن ابن عباس ثابت من طريق ابن أبي طلحة كما في «تفسير ابن عباس» ص١٣٥، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٤/ ٢٥٢ لكن بلفظ: (رُشدًا) في حالهم والإصلاح في أقوالهم. وانظر «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٢، «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٥٥. أما عن السدي فأخرجه ابن جرير ٤/ ٢٥٢ أيضًا، لكن بلفظ: عقولًا وصلاحًا.

(٢) رواية عطاء هذه بمعنى رواية ابن أبي طلحة الثابتة، ولم أقف عليها .

(٣) في النسختين: يثقون بالتحتية للغيبة، والأولى بالفوقية الخطاب؛ لأن في الآية الخطاب، ولموافقة ذلك ما في معاني الزجاج.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤.

(٥) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٣ب، وعبارة الشافعي: والرشد -والله أعلم- صلاح في الدين حتى تكون الشهادة جائزة وإصلاح المال. «الأم» ٣/ ٢١٥، وانظر «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٥-١٦٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٢. قال الثعلبي: فالرشد عنده -أي: الشافعي- شيئان: جواز الشهادة وإصلاح المال وهذا قول الحسن وربيعة ومالك، «الكشف والبيان» ٤/ ١٣ب، وانظر «تفسير الحسن البصري» ١/ ٢٥٩.

(٦) انظر: «الأم» ٣/ ٢١٨، «الكشف والبيان» ٤/ ١٢ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٥.

وأبو حنيفة وأصحابه اعتبروا صلاح المال، ولم يعتبروا صلاح الدين[(١)].

وهذا الاختلاف يعود إلى الاختلاف في معنى الرشد، فمن جعل معنى الرشد حفظ المال وإصلاحه يزيل الحجر عن اليتيم بالبلوغ وحفظ المال، دون الصلاح في الدين، ومن جعل معنى الرشد صلاح الدين وحفظ المال اعتبرهما في زوال الحجر عن اليتيم، وهذا هو الأولى[(٢)]؛ فإن أهل اللغة قالوا في معنى الرشد: إنه إصابة الخير[(٣)]، والمفسد في دينه لا يكون مصيبًا للخير. وأيضًا فإن الرشد نقيض الغي، قال الله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والغي: هو الجهالة والبطالة والفساد. قال طرفة:

أرى قبرَ نَحَّامٍ بَخيلٍ بمالِه
كقبرِ غويٍّ في البَطَالة مُفْسِدِ[(٤)]

فجعل المفسد غويًا[(٥)]، فدل هذا على أن المفسد في دينه لم يبلغ الرشد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾.

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣ب، ١٤أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٦، والقرطبي ٥/ ٣٧، ٣٨.

(٢) انظر: «البغوي» ٢/ ١٦٧، «القرطبي» ٥/ ٣٧، ٣٨.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤١١ (رشد)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٩٨ (رشد)، «اللسان» ٣/ ١٦٤٩ (رشد).

(٤) «ديوانه» ص٢٦، «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص٦٢. والنَحّام: البخيل.

(٥) في (د): (غوي).

قال ابن عباس: يريد لا تبادروا في أموال اليتامى بالسرف قبل أن يبلغ الحلم والرشد[١].

وقال المفسرون: يريد[٢]: لا تبادروا بأكل مالهم كبرهم ورشدهم حذرًا أن يبلغوا فيلزمكم تسليم المال إليهم[٣].

و(أن) في محل النصب؛ لأنه مفعول المصدر، على تقدير: مبادرة كبرهم[٤]. ثم بين ما يحل لهم فقال: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾. قال ابن عباس: يريد: من كان غنيًّا من الأوصياء فليستعفف عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئًا[٥].

معنى: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: ليترك ذلك ولا يأكل. يقال: استعفف عن الشيء وعف إذا امتنع منه وتركه[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾. اختلفوا في الأكل بالمعروف: ما هو؟ فقال قوم: هو أن يأخذ بقدر ما يحتاج إليه من

---

(١) «تفسير ابن عباس» ص١٣٥، وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة أيضًا ٤/ ٢٥٤، لكن بلفظ: يعني أكل مال اليتيم مبادرًا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله. انظر «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٥٥.

(٢) في (أ): (يقول).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٥٤، «الكشف والبيان» ٤/ ١٥أ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٥٤، «معاني الزجاج» ٢/ ١٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٧، «الكشف والبيان» ٤/ ١٥أ، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٠.

(٥) أخرجه ابن جرير بمعناه من أكثر من طريق كما في «تفسيره» ٤/ ٢٥٥، وانظر: «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٥٦-١٥٧، وقد صحح المحقق إسنادًا من أسانيد ابن جرير وحسن آخر.

(٦) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٥، «الصحاح» ٤/ ١٤٠٥ (عف)، «تفسير الثعلبي» ٤/ ١٥ أ، «اللسان» ٥/ ٣٠١٥ (عف).

مال اليتيم قرضًا، ثم إذا أيسر قضاه، فإن مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه.

وهذا قول سعيد بن جبير(١)، وعبيدة(٢)(٣)، ومجاهد(٤)، وأبي العالية(٥)، وأكثر الروايات عن ابن عباس(٦).

والدليل على صحة هذا التأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ [النساء: ١١٤]، قالوا: يعني القرض(٧). وما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (ألا)(٨) إني أنزلت نفسي من مال الله ﷻ بمنزلتي من مال اليتيم، إن

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤٧، والطبري ٤/ ٢٥٦ بأكثر من طريق، وانظر الثعلبي ٤/ ١٥ أ.

(٢) هو أبو عمرو عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، مخضرم، ومن كبار أئمة التابعين فقيه مقرئ فاضل، وحديثه عند الجماعة. توفي -رحمه الله- قبل السبعين من الهجرة. انظر: «تاريخ الثقات» ١٢٤-١٢٥، «مشاهير علماء الأمصار» ص٩٩، «التقريب» ص٣٧٩ رقم (٤٤١٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤٧، ١٤٨، والطبري ٤/ ٢٥٥، وانظر: الثعلبي ٤/ ١٥أ.

(٤) «تفسيره» ١/ ١٤٦، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ١٤٧، والطبري ٤/ ٢٥٦-٢٥٧ من عدة طرق.

(٥) أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي، تقدمت ترجمته.

(٦) ومنها رواية ابن أبي طلحة، انظر: «تفسير ابن عباس) ص١٣٥، والطبري ٤/ ٢٥٥، والثعلبي ٤/ ١٥ أ، و«زاد المسير» ٢/ ١٦، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٥-٢١٦، و«تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٥٨، ١٥٩ .

(٧) رُوي عن ابن عباس ومقاتل بن حيان، وقيل إن المعروف في هذه الآية عام يشمل جميع أنواع البر. وهو أولىٰ. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٠، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٨٦، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٦.

(٨) ما بين القوسين غير موجود في (د).

استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإذا أيسرتُ قضيت[(١)].

وقال بعضهم: معنى الأكل بالمعروف هو أن يقتصد ولا يسرف، ثم لا قضاء عليه فيما يأكل. فهذا قول عطاء[(٢)]، وعكرمة[(٣)]، والسدي[(٤)].

وقال إبراهيم: هو ما سد الجوعة ووارى العورة[(٥)].

وذهبت عائشة وجماعة من العلماء[(٦)] إلى أن المعروف هو أن يأخذ من جميع المال إذا كان يلي ذلك بقدر قيامه وعمله وأجرته، وإن أتى على جميع المال، ولا قضاء عليه، وهذا طعمة من الله له[(٧)]. ودليل صحة هذا ما روي عن ابن عباس، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن في حجري يتيمًا أفاضربه؟ قال: «**مما كنت ضاربًا منه ولدك**»، قال: يا رسول الله أفآكل من ماله؟ قال: «**غير متأثل مالًا، ولا واقٍ مالك بماله**»[(٨)].

---

(١) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٥٥، والثعلبي ٤/ ١٥ب. انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٦، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٨، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٣، «الكافي الشاف» ص٣٩.

(٢) هو ابن أبي رباح أخرج ذلك عنه الطبري ٤/ ٢٥٩.

(٣) أخرجه الطبري ٤/ ٢٦٠.

(٤) انظر الثعلبي ٤/ ١٥ب، «زاد المسير» ٢/ ١٦.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٤٧، والطبري من طرق ٤/ ٢٦٠ كلاهما بلفظ الجوع بدل الجوعة.

(٦) منهم ابن عباس ﷺ والإمام أحمد -رحمه الله- كما في «زاد المسير» ٢/ ١٦.

(٧) أخرج البخاري عن عائشة ﷺ كتاب: التفسير، باب: (من كان غنيًا فليستعفف) رقم (٤٥٧٥) أنها قالت في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرًا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بالمعروف البخاري كتاب التفسير سورة النساء، باب: ٢﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ٥/ ١٧٧.

(٨) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٦أ، ب، وانظر «الكافي الشاف» ص٣٨.

وعلى هذا الحكم اليوم، فالقيم ممنوع من الإسراف، وإنما له أجر مثل عمله؛ لأنه أجير بالشرع. والغني يستعف كما أمره الله، وإن أخذ الأجرة حلت له في الحكم في مقابلة عمله(١).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ﴾. هذا وصية من الله تعالى للأولياء بالإشهاد على دفع المال إذا دفعوه إلى الأيتام، لكن إن وقع اختلاف أمكن للولي أن يقيم البينة على أنه رد المال إليه(٢). وفي هذا دليل على أن القول قول اليتيم عند التنازع، وذلك أن القيّم خير(٣) مؤتمن من جهة اليتيم، وإنما هو مؤتمن من جهة الشرع، ولذلك أمر بالإشهاد(٤)، وليس بفريضة(٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ قال ابن الأنباري والأزهري: يكون بمعنى محاسبًا، ويكون بمعنى كافيًا(٦).

فمن الأول قولهم للرجل عند التهدد: حسيبه الله. ومعناه: محاسبه الله

---

(١) هذا يدل على أن ما ذهبت إليه عائشة -رضي الله عنها- ومن وافقها هو المعمول به عند الشافعية.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٦ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٩.

(٣) المعنى يقتضي أنها: (غير) بالغين.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٤٤، ٤٥.

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١٦ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٦٩، «زاد المسير» ٢/ ١٧. وقصد المؤلف تبعًا للثعلبي بقوله: ليس بفريضة أي: الإشهاد ليس بفريضة. وقيل بفرضيته .

انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ٥٠٢، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٤٤.

(٦) هذا نص ما ذكره الأزهري عن أبي إسحاق النحوي في «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٠ (حسب)، ونحو ما ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٦، وانظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٢٩.

على ما يفعل من الظلم[١].

وأنشد ابن الأنباري[٢] قول قيس المجنون[٣]:

دعا المحرمون اللهَ يستغفرونه ... بمكةَ يومًا أن تُمَحَّا ذُنوبُها
ونـاديـتُ يـا ربّـاه أولُ سـؤلـتـي ... لنفسي لَيلَى ثم أنت حسيبُها[٤]

قال[٥] فمعناه: ثم أنت محاسبها على ظلمها.

قالوا: فالحسيب هو المحاسب بمنزلة قول العرب: الشريب. للمشارب[٦].

وأنشد[٧] أيضًا قول المخبل السعدي[٨]:

فلا تُدخِلَنَّ الدهر قبرك حَوبَةً ... يقوُم بها يومًا عليك حسيبُ[٩]

معناه محاسبك عليه الله تعالى[١٠].

ومن الكفاية قولهم: حسيبك الله. ومعناه: كافي إياك الله[١١].

---

(١) من «الزاهر» ١/ ٦ بتصرف. (٢) في «الزاهر» ١/ ٦.

(٣) هو قيس بن الملوح العامري، شاعر غزل ويعرف بمجنون ليلى بسبب أنه حجب منها مع حبه لها فهام على وجهه ينشد الأشعار، وله ديوان وأخبار. توفي سنة ٦٥ أو ٦٨هـ. انظر: «ديوانه» ص٧ المقدمة، «الأعلام» ٥/ ٢٠٨.

(٤) «ديوانه» ص٣١، لكن في البيت الأول: شعثًا بدل يومًا، وفي الثاني: يا رحمن بدل يا رباه.

(٥) أي ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٦.

(٦) «الزاهر» ١/ ٦، وانظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٢٩.

(٧) أي ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٥.

(٨) تقدم ترجمته.

(٩) البيت في اللسان ٢/ ١٠٣٦ (حوب) لكنه فيه: يدخلن بالتحتية ورفع حوبة.

(١٠) في «الزاهر» ١/ ٥: محاسب عليها عالم بها.

(١١) من «الزاهر» ١/ ٦.

وقد ذكرنا في اللغة في هذا[١] قوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: يريد مجازيًا للمحسن والمسيء[٢]، وهذا يعود إلى المحاسب؛ لأن الحساب إنما هو للجزاء.

والباء في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ [الإسراء: ١٧، ٦٥]، [الفرقان: ٣١] في جميع القرآن[٣] زائدة[٤].

قال الزجاج: المعنى: كفى الله، كفى ربُك[٥]. واستقصاء هذا مذكور في هذه السورة عند قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥][٦].

---

(١) هكذا في النسختين والعبارة ركيكة، ويحتمل أن الناسخ قدم حرف الجر.

(٢) لم أقف عليه لا عند ابن جرير ولا الثعلبي ولا غيرهما، وذكره المؤلف في «الوسيط» بتحقيق بالطيور ٢/ ٤٥٠، وقد ذكر ابن الجوزي أن قول ابن عباس هو أن الحسيب بمعنى الشهيد كما في «زاد المسير» ٢/ ١٧.

(٣) انظر: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» ص٦١٣، ٦١٤ (كفى).

(٤) وتفيد التوكيد عند بعض العلماء. انظر «الكتاب» ١/ ٤١، ٩٢، ٢/ ٢٦، «معاني الحروف» للرماني ص٣٧، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٦. وتعبير المؤلف بقوله: زائدة غير مناسب؛ فإن المحققين من العلماء يتحاشون مثل ذلك. قال ابن هشام: وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف في كتاب الله تعالى إنه زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلام الله سبحانه منزّه عن ذلك، والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة وبعضهم يسميه مؤكدا وبعضهم يسميه لغوًا، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب. «الإعراب عن قواعد الإعراب» ص١٠٨، ١٠٩، وانظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٣٠٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٨، «الدر المصون» ٥/ ٢٦٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥٧.

(٦) تفسير هذه الآية من القسم المفقود.

وحسيبًا منصوب على وجهين: أحدهما الحال. المعنى: وكفى بالله في حال الكفاية والحساب، الثاني: يكون منصوبًا على التمييز، على معنى: كفى الله من الكِفاء والمحاسبين[١].

٧- قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية. قال المفسرون: كانت العرب في الجاهلية لا تورث النساء ولا الصغار شيئًا وإن كانوا ذكورًا، وإنما كانت تورث الكبار ومن طاعن بالرماح وحاز الغنيمة، فأبطل الله ﷻ ذلك، وأعلم أن حق الميراث على ما ذُكر من الفرض[٢].

وقوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾. قد ذكرنا معنى الفرض فيما تقدم[٣]. واختلفوا في انتصاب قوله: ﴿نَصِيبًا﴾، فقال الفراء[٤]: لأنه اسم في موضع المصدر، كقولك: قسمًا واجبًا وحقًّا لازمًا[٥].

ولو كان اسمًا (ليس في معنى المصدر)[٦] لم ينصب (نحو: لك عندي حق درهمًا)[٧]، ومثله مما ينصب قولك: لك عندي درهمان هبة

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ١٧٤، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٧، ورجح السمين الوجه الثاني.

(٢) ذكر السيوطي نحوه عن ابن عباس من طريق الكلبي في «لباب النقول» ص٦٤، «الدر المنثور» ٢/ ٢١٧، وانظر: «الطبري» ٤/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٤/ ١٦ب، «الوسيط» بتحقيق بالطيور ٢/ ٤٥١، و«أسباب النزول» للمؤلف ص١٤٨، والبغوي ٢/ ١٦٩، و«زاد المسير» ٢/ ١٨، وابن كثير ٢/ ٤٩٤، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٨

(٣) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ل١٢٢.

(٤) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٧.

(٥) هذا المثال ليس في معاني الفراء -حسب المطبوع.

(٦) في «معاني الفراء» جاءت كلمة: (صحيحًا) بدل ما بين القوسين هنا.

(٧) ما بين القوسين عند الفراء: ولكنه بمنزلة قولك: لك على حق حقًا، ولا تقول: لك علي حق درهمًا فكأن المؤلف تصرف في العبارة.

مقبوضة. فالمفروض في هذا الموضع بمنزلة قولك: فريضة وفرضًا[١].

وقال الزجاج: هذا منصوب على الحال، المعنى: لهؤلاء أنصبة على ما ذكرناها في حال الفرض[٢].

وقال الأخفش: هو نصب على معنى: جعل لهم نصيبًا[٣]. والآية تدل على [هذا؛ لأن قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ يدل على[٤]] معنى جعل لهم نصيبًا[٥].

٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ عنى قسمة المال بين الورثة، يقال: قسمت المال قسمًا و[قسَّمته] تقسيمًا، والقسم اسم للمقسوم، والقسيم الذي يقاسمك (. . .)[٦] المقسوم أيضًا، يقال: أخذ قسمه وقسيمه ومقسمه[٧]. وهذا قد ذكره ثعلب عن ابن الأعرابي، وهو صحيح.

قال الخليل: (القِسْم[٨]) الحظّ والنصيب من الخير[٩]، ومنه سمي

---

(١) انتهى من «معاني الفراء» ١/ ٢٥٧، وانظر: «الكشاف» ١/ ٢٤٩، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥، وانظر «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٠، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٩.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٢، ٤٣٤، وانظر «الدر المصون» ٣/ ٥٨٩.

(٤) ما بين القوسين ليس في (أ).

(٥) هذا ترجيح من المؤلف للوجه الأخير في إعراب (نصيبا) وأنه منصوب بفعل مقدر، وانظر «الإملاء بهامش الفتوحات» ١/ ٣٥٨.

(٦) ما بين القوسين بياض في (أ)، (د). وهذه الكلمة جاءت في «العين» للخليل ٥/ ٨٦: القسم.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦١ (قسم).

(٨) في (أ): المقسم بالميم، وما أثبته هو الموافق لما في «العين» ٥/ ٨٦ (قسم)، «الجمهرة» ٢/ ٨٥١ (قسم)، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦١ (قسم)، «الصحاح» ٥/ ٢٠١٠ (قسم)، «اللسان» ٦/ ٣٦٢٨ (قسم).

(٩) «العين» ٥/ ٨٦ (قسم)، وانظر: «التهذيب» ٣/ ٢٩٦١، «الصحاح» ٥/ ٢٠١٠، =

الرجل: مقسما. وأنشد النضر:

فـمـا لـك إلا مِـقـسـمٌ لـيـس فـائـتًـا
بـه أحـدٌ فـاسـتـأْخِـرَن أو تَـقَـدَّمَ[١]

ويقال: قاسمت فلانًا المال مقاسمةً، وأقسمنا، وتقاسمنا المال فيما بيننا[٢].

قال النابغة[٣]:

إنّـا اقْـتَـسَـمْـنـا خُـطَّـتَـيـنـا بـيـنـنـا
فـحَـمَـلـتُ بَـرَّةَ واحـتـمـلـتَ فَـجَـارِ[٤]

و(القسمة)[٥] الاسم من الاقتسام، لا من القسم[٦]، كالخبرة من

= «اللسان» ٦/ ٣٦٢٩.

(١) لم أعرف قائله، وهو من شواهد «أساس البلاغة» ٢/ ٢٥١ (قسم) لكن عجزه:

بـه أحـد فـاعـجـل بـه أو تـأخـر

وهو أيضًا في «لسان العرب» ٦/ ٣٦٢٩ (قسم) كما عند المؤلف، لكن قافيته: (تقدما) بألف مد بعد الميم.

(٢) انظر: «العين» ٥/ ٨٦ (قسم)، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٣ (قسم)، «اللسان» ٦/ ٣٦٢٩ (قسم).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) «ديوان النابغة الذبياني» ٨٦، «الكتاب» ٣/ ٢٧٤، «الكامل» ٢/ ٧٠، «الجمل» للزجاجي ص٢٢٩، «الخصائص» ٢/ ١٩٨. والنابغة يخاطب بهذا البيت زُرعة بن عمرو الكلابي، وكان قد عرض زُرعةُ على النابغة وعشيرته أن يغدروا ببني أسد فأبى، فجعل النابغة خطته في الوفاء برة من البر، وجعل خطة زرعة فجار من الفجور لأنه أراد نقض العهد.

(٥) في (د): (القسيمة).

(٦) انظر: «الصحاح» ٥/ ٢٠١١ (قسم)، «اللسان» ٦/ ٣٦٣٠ (قسم).

الاختبار.

ولا يكاد الفصحاء يقولون: قَسمت بينهم قِسمة. وقد ذكر ذلك في كتاب الليث[١]، وليس ذلك بصحيح. وقسْمَتك ما أخذته من الأقسام، والجمع قِسَم.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] يعني: الذين يحزنون ولا يرثون[٣].

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ﴾ الآية. اختلفوا في حكمها، فقال ابن عباس في رواية عطاء وعطية[٤]: هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وإباحة الثلث للميت يجعله حيث يشاء من القرابات واليتامى والمساكين[٥].

---

(١) في «اللسان» ٦/ ٣٦٣٠ (قسم): الليث: يقال: قسمت الشيء بينهم قسمًا وقسمة، والقسمة مصدر الاقتسام.

(٢) في (أ)، (د): (أولي)، وهو خطأ ظاهر.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٧ب، و«معالم التنزيل» ٢/ ١٧٠، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٥٠٤.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه بنحو منه من طريق عطاء عن ابن عباس أبو داود في «الناسخ والمنسوخ»، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢١٩ .

ومن طريق عطية العوفي -وهي طريق ضعيفه- أخرجه بمعناه ابن جرير ٤/ ٢٦٤، وابن أبي حاتم في «الدر المنثور» ٢/ ٢١٩ .

وقد أشار الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٢٤٢، إلى ضعف ما رُوي عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة .

وسيأتي قريبًا ما يبين ثبوت الرواية عن ابن عباس بأنه محكمة، وانظر: «الوسيط» بتحقيق بالطيور ٢/ ٤٥٣ .

وورد عن ابن عباس من طريق مجاهد أن هذه الآية نسخت بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، لكنه ضعيف. انظر: «الناسخ والمنسوخ» بتحقيق د. سليمان اللاحم ٢/ ١٥٦.

وهذا مذهب سعيد بن المسيب[١]، وأبي مالك، والضحاك[٢].

وقال في رواية عكرمة ومِقْسَم[٣]: الآية محكمة غير منسوخة[٤].

وهذا مذهب أبي موسى، وإبراهيم، والشعبي، والزهري، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، وعبيدة، وقتادة[٥].

ثم اختلف هؤلاء، فذهب بعضهم إلى أنه يجب على الوارث أن يرضخ لمن حضر القسمة شيئًا من المال بقدر ما تطيب به نفسه.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله» لقتادة ص٣٨، والطبري ٤/ ٢٦٤-٢٦٥، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ١٥٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٧ ب، وابن كثير ١/ ٤٩٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢١، و«فتح الباري» ٨/ ٢٤٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٩.

(٣) هو أبو القاسم مِقسَم بن بجرة - وقيل نجدة- من الموالي، ولزم ابن عباس وهو من مشاهير التابعين وحُكم عليه بأنه صدوق يُرسل، مات -رحمه الله- سنة ١٠١هـ.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ١٠٣، «التقريب» ص٥٤٥ رقم (٦٨٧٣).

(٤) أخرجه من طريق عكرمة البخاري رقم (٤٥٧٦) في كتاب التفسير سورة النساء، باب: ٣ ﴿إذا حضر القسمة....﴾، وقال البخاري: تابعه سعيد بن جبير عن ابن عباس. وكذلك أخرجه ابن جرير ٢/ ٢٦٣، وعن طريق مِقسَم أخرجه ابن جرير ٢/ ٢٦٤ بمعناه.
وانظر «الكشف والبيان» ٤/ ١٧ ب، وابن كثير ١/ ٤٩٤، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٨.
قال ابن حجر عن طريق عكرمة وسعيد: وهذان الإسنادان الصحيحان عن ابن عباس هما المعتمدان.

(٥) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٦٣-٢٦٤، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ١٥٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٧ب، ١٨ أ، وابن كثير ١/ ٤٩٩، و«الدر المنثور» ٢/ ٢١٨-٢١٩.

هذا إذا كان الوارث كبيرًا، فإن كان صغيرًا تولى إعطاء هؤلاء وليه[(١)].

قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات[(٢)]، والمساكين، واليتامى من العين، فإذا قُسِم الذهب والورق وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولًا معروفًا، كانوا يقولون: بُورك فيهم[(٣)].

وقال ابن عباس والسدي وغيرهما: إذا حضر القسمة هؤلاء؛ فإنْ كان الميت أوصى لهم بشيء أُنفِذ، وإن لم يوص[(٤)] وكان الورثة كِبارًا رَضَخُوا لهم، وإن كانوا صغارًا اعتذر إليهم الولي، ويقول: إني لا أملك هذا المال، وإنما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون ما عليهم من الحق، وإن يكبروا فسيعرفون حقكم. فهذا هو القول المعروف[(٥)].

وقال بعضهم: هذا على الندب والاستحباب، لا على الفرض والإيجاب؛ يستحب للوارث أن يقسم لهؤلاء شيئًا من التركة، فإن ترك ذلك لم يُحَرَّج[(٦)].

---

(١) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٦٥.

(٢) في (أ): (القربات).

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ١٦. وذكره بنحوه عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٢٠، وانظر «تفسير الحسن» ١/ ٢٦٣.

(٤) في (د): يوص لهم.

(٥) هذا معنى قول ابن عباس والسدي وغيرهما كسعيد بن جبير.
انظر الطبري ٤/ ٢٦٧-٢٦٨، «زاد المسير» ٢/ ٢٠، وما ساقه المؤلف نص ما ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٧ب، ١٨أ.

(٦) أشار ابن عطية إلى أن ممن ذهب إلى الندب الحسن وسعيد بن جبير. انظر «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٠٤-٥٠٥. ولم أجد ذلك صريحًا عنهما.

وهذا هو الذي عليه الناس اليوم[1].

وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ أي: من الميراث، رَدّ الكناية إلى معنى القسمة لا إلى اللفظ، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ [يوسف: ٧٦]، والصُّواع مذكر لا يُكنى عنه بالتأنيث، لكن أريد به المَشْربة والسِّقاية، فعادت الكناية إلى المعنى لا إلى اللفظ[2].

وقال أبو علي: القسمة ههنا يراد بها المقسوم؛ لأنه إنما يُرزق من التركة المقسومة[3].

٩- قوله تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الآية. اختلفوا في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أن معنى الآية: وليخش من لو كان له ولد صغار خاف عليهم بعده الضيعة، أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامى المساكين وأقاربه الذين لا يورثون، فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كان هو الميت.

قال ابن عباس في رواية عطاء: كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد

---

(١) قد رجح القول الأخير وهو القول بالاستحباب النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ١٥٩، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٣٢٩، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٤٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٣٤، «البيان» ١/ ٢٤٤، «الدر المصون» ٣/ ٥٨٩.

(٣) قول أبي علي لم أقف عليه وهو بمعنى ما ذكر المؤلف قبله، وانظر -إضافة إلى ما سبق-: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٠، «غرائب التفسير» ١/ ٢٨٥، «الإملاء» ١/ ٣٥٨.

عنده أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: انظر لنفسك فإنّ ولدك لا يُغنون عنك من الله شيئًا، فيُقدِّم جل ماله وَيحجب ولده، وهذا قبل أن تكون الوصية في الثلث، فكره الله ذلك منهم وقال: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، يريد: من بعدهم. ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ يريد: صغارًا. ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الفقر. ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يريد: فليخافوا الله إذا تَعدَّوا عند أحد من إخوانهم وهو في الموت. ﴿وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يريد بالسديد من القول العدل، وهو أن يأمره أن يُخَلِّف ماله لولده ويتصدق ما دون الثلث[1].

وهذا قول أكثر المفسرين، سعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد[2].

والقول الثاني: أن هذا وعظ لولاة اليتامى، وعظوا في تَوليَتِهم أمرهم بأن يفعلوا كما يحبون أن يُفعل بأولادهم من بعدهم. يقول: وليخش من لو ترك ولدًا صغارًا خاف عليهم الضَّيعة، فليُحسن إلى من كفله من اليتامى، وليفعل بهم ما يحب أن يفعل بولده من بعده.

وهذا قول تحتمله الآية، ولم أر أحدًا من المفسرين ذكره[3]، وبعض

---

(١) أورده عن عطاء عن ابن عباس الهواري في «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٣٥١، وأخرجه بمعناه عن ابن عباس الطبري ٤/ ٢٦٩-٢٧٠ لكن من طريق ابن أبي طلحة -وهي أصح- وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٠، أيضًا إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. وانظر: «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ١٧٥.

(٢) انظر: «تفسير القرآن» لعبد الرازق ١/ ١٥٠، والطبري ٢٧٠-٢٧١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢، وابن كثير (٤٩٥)، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٢٠.

(٣) بل ذكره غير واحد، وهو مروي عن ابن عباس وابن زيد، واستحسنه ابن كثير. انظر «تأويل مشكل القرآن» ص٣٢٣، والطبري ٤/ ٢٧٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢، وابن كثير ٢/ ٢١٠.

المتأخرين حكاه، وعزاه إلى الكلبي[١]. وليس هو في تفسيره المعروف بطريق يوسف بن بلال[٢].

وقرأ[٣] حمزة: ﴿ضِعَـٰفًا خَافُوا۟﴾ بالإمالة فيهما[٤]. ووجه إمالة (ضعاف) أنّ ما كان على وزن فِعال، وكان أوله حرفًا مستعليًا مكسورًا، نحو: صِفات[٥]، وقِفاف[٦]، وخِباث وغِلاب، يحسن فيه الإمالة، وذلك أنه تصعّد بالحرف المستعلي ثم انحدر بالكسر، فيستحب أن لا يتصعّد بالتفخيم بعد التصوّب[٧] بالكسر، فيجعل الصوت[٨] على طريقة واحدة فلا يتصعّد بالتفخيم بعد التصوّب بالكسرة[٩] التي في خفت فينحوا نحوها بالإمالة.

قال سيبويه: بلغنا عن ابن أبي إسحاق[١٠] أنه سمع كثير عزة يقول: صار مكان كذا[١١]، بالإمالة[١٢].

---

(١) يقصد بمن حكاه وعزاه شيخه الثعلبي كما في «الكشف والبيان» ٤/ ١٨ب.

(٢) لم أقف له على ترجمته.

(٣) الكلام في القراءة من «الحجة» ٣/ ١٣٣.

(٤) أي بإمالة العين والخاء. انظر: «الحجة» ٣/ ١٣٣.

(٥) في «الحجة»: ضعاف.

(٦) في «الحجة»: قباب.

(٧) في «الحجة»: التصويب.

(٨) في (أ)، (ب): الصوب بالباء الموحدة، والتصحيح من «الحجة».

(٩) في «الحجة»: بالكسر.

(١٠) لعله أبو بحر عبد الله بن زيد الحضرمي العلامة المقرئ النحوي المتوفى سنة ١١٤هـ. انظر: «أخبار النحويين» للسيرافي ص٤٢، «نزهة الألباء» ص٢٦، «بغية الوعاة» ١/ ٤٠١.

(١١) في «الكتاب» ٤/ ١٢١ لكن فيه: صار بمكان كذا وكذا، وانظر: «الحجة» ٢/ ٣٠.

(١٢) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٣٣-١٣٥ بتصرف، وانظر: «معاني القراءات» للأزهري ١/ ٢٩٢، «الكشف» لمكي ١/ ٣٧٧، «النشر» ٢/ ٢٤٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ السديد: العدل والصواب من القول[١]. قال ابن المظّفر[٢]: يقال قل قولا سَدَدًا وسدَادًا وسدِيدًا[٣]. والسدَد مقصور من السداد[٤]، وأنشد[٥] لكعب[٦]:

ماذا عليها وماذا كان ينقصها يوم الترّحل لو قالت لنا سدَدَا[٧]

قال الأزهري: وقرأت بخط شَمِر: يقال سدّ عليك الرجل يسدّ سدًّا إذا أتى السداد. وما كان هذا الشيء سديدًا. ولقد سد يسد سدادًا وسدودا. وقال أوس:

فـمـا جَـبُـنـوا أنّـا نَـسُـدّ عـلـيـهِـمُ
ولـكِـن لَـقُـوا نـارًا تـحُـسُّ وتَـسْـفَـعُ[٨]

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ١٩ أ.

(٢) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٥٦ (سدد).

(٣) في «تهذيب اللغة»:... وسديدًا أي: صوابًا.

(٤) انتهى من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٥٦ (سدد) بتقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى. وانظر: «العين» ٧/ ١٨٤، «اللسان» ٤/ ١٩٧٠ (سدد).

(٥) ليس في «التهذيب».

(٦) لم أعرفه.

(٧) نسبه إلى كعب -كالمؤلف- الزمخشري في «أساس البلاغة» ١/ ٤٣٠ (سدد) ولم أجده في «ديوان كعب بن زهير» غير أن الجوهري في «الصحاح» ٢/ ٤٨٥ (سدد) نسبه إلى الأعشى، وكذا في «لسان العرب» ٤/ ١٩٧٠ (سدد) ولم أجده في «ديوان الأعشى الكبير» -ميمون بن قيس-. والشاهد منه: أن السدد مقصور من السداد.

(٨) البيت منسوب لأوس في «التهذيب» ٢/ ١٦٥٥ (سد)، «اللسان» (١٩٦٩) (سدد)، ٦/ ٥٢ (حسس). غير أنه نسب إلى فروة بن مسيك المرادي في «مجالس العلماء» للزجاجي ص١٤٣، «الخصائص» ٣/ ٢٩٢، ولعل الراجح الأول. والشاهد منه: نسد بالسين المهملة، وهي كذلك في «التهذيب»، وبقية المراجع بالشين المعجمة، ومعنى تَحُسّ: تُحْرِق، وتَسفَع لعل المراد: تُسَوِّد من الإحراق. انظر: «التهذيب» ٢/ ١٧٠٤-١٧٠٥ (سفع)، ١/ ٨١٦ (حس)، «اللسان» ٤/ ٢٠٢٨ (سفع).

يقول لم يجبنوا من الإنصاف في القتال، ولكنا جُرنا عليهم فلقونا ونحن كالنار التي لا تُبقي شيئًا[1].

ويقال: إنه لَيَسد في القول، إذا كان يأتي القول السديد، وقد أسددت ما شئت، أي: طلبت السداد، أصبته أو لم تصبه. ويقال: سدده الله، أي: وفقه للسداد[2].

١٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾.

سماه بما يؤول إليه في العاقبة، والعرب تُسمي الشيء باسم ما يؤول إليه عاقبته، كقوله: ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، يعني: العنب، فسماه خمرًا بما يؤول إليه[3]. ويقولون للأمر الشديد: هو الموت، ومنه قول ابن الدُّمَينة الخثعمي[4]:

قـليـل قـذى الـعـيـنـين نـعـلُـم أنّـه
هـو الـموتُ إن لَـم يـلق عَـنّـا بـوائقه[5]

(١) انتهى قول الأزهري من «التهذيب» ٤/ ١٩٦٩ (سد).

(٢) انظر: «التهذيب» ٢/ ١٦٥٧ (سد)، «مقاييس اللغة» ٣/ ٦٦ (سد)، «الصحاح» ٢/ ٤٨٥ (سدد)، «أساس البلاغة» ١/ ٤٣٠ (سدد).

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٩أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٧١، «غرائب التفسير» ١/ ٢٨٥، «زاد المسير» ٢/ ٢٣.

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله -والدُّمَينة أمه- من خثعم، يعد من الشعراء المجيدين. انظر «الشعر والشعراء» ص٤٨٩.

(٥) في «الشعر والشعراء» ص٤٨٩، ومن شواهد «مغني اللبيب» ص٤٧١، ونسبه عبد السلام هارون إلى «ديوانه» ص٥٣، انظر: «معجم شواهد العربية» ص٢٤٧.

أي: السبب المؤدي إلى الموت، وعلى هذا قوله ﷺ في الشارب من آنية الذهب والفضة: «**إنما يُجرجِر في بطنه نار جهنم**»(١).

قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم ظُلمًا يوم القيامة ولَهَبُ النار ودُخانه يخرج من فيه وأذنيه وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ وقرئ بضم الياء(٣).

قال أبو زيد: يقال: صلي الرجل النارَ يصلاها صليّ وصَلاءً، وهو صالي النار من قوم صالين وصِليّ(٤). قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]. قال الشاعر:

والله لولا النار أن يصلاها(٥)

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- رقم (٥٦٣٤) في كتاب الأشربة، باب: ٢٨ آنية الفضة، ومسلم (٢٠٦٥) في كتاب اللباس والزينة، باب: آنية الذهب والفضة، وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٧٣، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٩ب، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٢٣، وابن كثير ١/ ٤١١٩، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢١، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) قراءة الضم لابن عامر وأبي بكر عن عاصم، وقراءة الفتح للباقين من العشرة. انظر: «السبعة» ص٢٢٧، «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٣٦، «المبسوط» ص١٥٤، «الكشف» ١/ ٣٧٨، «النشر» ٢/ ٢٤٧.

(٤) انتهى قول أبي زيد، وقد أخذه المؤلف من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٣٦، إلا أنه حذف جملة من أثناء الكلام وهي بعد قوله: صلاء حيث جاء في «الحجة» بعدها: وهما واحد، وأصلاه الله حر النار إصلاء، وهو صالي... إلخ. وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٤٩ (صلى)، «اللسان» ٤/ ٢٤٩١ (صلا).

(٥) هذا من الرجز. قال ابن منظور: وقال العجاج. قال ابن بري، وصوابه الزفيان:

تالله لولا النار أن نصلاها أو يدعو الناس علينا الله

«اللسان» ٤/ ٢٤٩١ (صلا)، ولم أجده في «ديوان العجاج» ولا في غير «اللسان».

وقال تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: ٢٩، ٥٦]، [المجادلة: ٨].
قال الفراء: الصَّلاء اسم للوقود، وهو الصَّلا، إذا كسرت مددت، وإذا فتحت قصرت[١]. قال ابن حلزة:

فتنوّرت نارها[٢] من بعيدٍ بخَزازَى هيهات منك الصَّلاء[٣]

ومن ضم[٤] الياء فهو من قولهم: أصلاه الله حر النار إصلاءً، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

وأما السّعير فهو النار المُستعرة. يقال (سعرت[٥]) النار أسعَرُها سَعرًا، وهي مسعورة وسعيرة، فالسعير معدول عن: مسعورة كما عُدِل: كف خضيب. عن: مخضوبة، وكذلك سعرت الحرب سعرًا. واستعرت النار إذا استوقدت.

والسعير: النار نفسها. (وسُعار النار)[٦] حرّها[٧].

---

(١) انظر: «المقصور والممدود» للفراء ص٣٦، ٣٧، ٦٢، «اللسان» ٤/ ٢٤٩١ (صلا).
(٢) في (د): (ناها)، وقد يكون وقع سهوًا من الناسخ.
(٣) البيت من معلقة الحارث بن حلزة اليشكري كما في «شرح القصائد المشهورات» للنحاس: ٢/ ٥٥، «شرح المعلقات» للزوزني ص١٥٦. قال النحاس: تنورتُ النار إذا نظرتها بالليل.. وخزازى اسم موضع. والشاهد منه: الصلاء كسرت الصاد فجاءت الكلمة ممدودة.
(٤) من قوله: ومن ضم إلى آخر الكلام على القراءة من «الحجة» بلفظ مقارب، انظر «الحجة» ٣/ ١٣٧.
(٥) في (د): (أسعرت)، وما أثبته هو الصواب. انظر: «الجمهرة» ٢/ ٣١٤ (رسع)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٩٣ (سعر).
(٦) في (د): (وسعارها).
(٧) انظر: «جمهرة اللغة» ٢/ ٧١٤ (رسع)، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٣-٢٧٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٩٣ (سعر)، «مقاييس اللغة» ٣/ ٧٥، ٧٦.

١١- قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية. فقد ذكرنا معنى الإيصاء والتوصية في اللغة. ومعنى ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ههنا: قال الزجاج: أي: يفرض(١) عليكم؛ لأن الوصية من الله ﷻ فرض، والدليل على ذلك: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ١٥١] وهذا من الفرض المحكم علينا(٢).

وقوله تعالى: ﴿فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، اسم الولد يقع على ولد الصلب وعلى ولد الولد وإن سَفَل(٣)، ثم ثبتت على هذا ميراث ولد الولد بهذه الآية(٤).

فإن قيل: بماذا يتعلق قوله: ﴿يُوصِيكُمُ﴾، ولا يقال في الكلام: أوصيك لزيد كذا؟ والجواب ما قال الفراء، وهو أن الوصية قول، فمعنى قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾(٥): يقول الله لكم، وعلى هذا أيضًا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [المائدة: ٩]، أي: قال الله لهم مغفرة؛ لأن الوعد قول(٦).

---

(١) في (أ): (نفرض)، وما أثبته هو الموافق لـ «معاني الزجاج».

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٨، وانظر: «غرائب التفسير» ١/ ٢٨٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢أ، «المحرر الوجيز» ٣/ ٥١١، «الفتوحات الإلهية» ١/ ٣٦٠.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٣، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٥٩، وبعض العلماء يفرق فيقول: إنه حقيقةٌ في ولد الصلب مجازٌ في غيره، وبعضهم لا يفرق. وعقب القرطبي -رحمه الله- على مثل ذلك بقوله: ومعلوم أن الألفاظ لا تتغير بما قالوه.

(٤) قوله: (ثم ثبتت)، وفي هذه الجملة اضطراب أو سقط.

(٥) في (د) زيادة: (في أولادكم).

(٦) لم أقف على رأي الفراء هذا في «معاني القرآن»، وقد أشار إليه أبو حيان في «البحر» ٣/ ١٨١، والسمين في «الدر المصون» ٣/ ٣٥٦.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال الكسائي: قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ بيان لما أوصى به وحكاية له؛ لأن الذي أوصاهم به هو هذا، ومثله قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩] ثم ذكر ما وعدهم فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ولهم مغفرة هو الذي وعدهم به، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ [يوسف: ٣٥].

ويقول: بدا لي أن لعبد الله مالًا، فإذا (ألقيت)[1] أن قلت: بدا لي لعبد الله مالٌ[2]، وأنشد الكسائي على ذلك:

إنـي سـأُبـدِي لـك فـيـمـا أُبـدي
لـي شـجـنـانِ شَـجَـنٌ بِـنَـجْـدِ[3]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً﴾، يعني: فإن كن[4] المتروكات؛ وذلك أن اسم الولد يطلق على الإناث والذكور[5]، فلما فرض فريضة الذكور

---

(١) في الأصل بالفاء، والتصحيح من (د).

(٢) لم أقف على قول الكسائي مفصلًا، وقد أشار إليه أبو حيان في «البحر» ٣/ ١٨١. انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٠، «الدر المصون» ٣/ ٥٩٧.

(٣) هذا البيت من الرجز، ولم أعرف قائله، وهو من شواهد «معجم مقاييس اللغة» ٣/ ٢٤٩ (شجن)، «الصحاح» ٥/ ٢١٤٢ (سجن)، «اللسان» ٤/ ٢٢٠٢ (شجن)، والشجن: الحاجة. ولعل الشاهد منه أن: شجن بنجد تفسير وبيان لـ: لي شجنان، حيث جاء في «الصحاح»، «اللسان» بعد هذا: وشجن لي في بلاد السند، لكن في «اللسان»: الهند بدل السند. والله أعلم.

(٤) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: فإن كان، انظر: الطبري ٤/ ٢٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٩، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩١.

(٥) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٧٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٥١ (ولد)، «المحرر الوجيز» ٣/ ٥١٢.

وأراد تبيين حال الإناث كنى عنهن بكناية جمع أسمائهن في الأولاد، وتقديره: الأولاد إن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك[١].

واجتمعت الأمة على أن للبنتين الثلثين[٢]، إلا ما روي عن ابن عباس أنه ذهب إلى ظاهر الآية، وقال: الثلثان فرض الثلاث من البنات؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾[٣]:

---

(١) قال الطبري ٤/ ٢٧٦: واختلف أهل العربية في المَعنِي بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا: فإن كان المتروكات نساء، وهو أيضًا قول بعض نحويي الكوفة. وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك، فإن كان الأولاد نساء، وقال: إنما ذكر الله الأولاد فقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ ثم قسم الوصية فقال: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾، وإن كان الأولاد نساء، وإن كان الأولاد واحدة، ترجمة منه بذلك عن الأولاد. قال أبو جعفر: والقول الأول الذي حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي؛ لأن قوله: ﴿فَإِن كُنَّ﴾ لو كان معنيا به ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ لقيل: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ﴾؛ لأن الأولاد تجمع الذكور والإناث، وإذا كان كذلك فإنما يقال: (كانوا)، لا (كن). هذا ما وضحه ابن جرير في تقدير اسم كان هنا، فالظاهر أن المؤلف قد خلط بين القولين، والله أعلم.

(٢) انظر «الإجماع» لابن المنذر ص٣٢، «المغني» لابن قدامة ٩/ ١١، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٣١/ ٣٥٠. هذا؛ وقد تعقب القرطبي الإجماع في هذه المسألة لخلاف ابن عباس منها. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٦٣، لكن العلماء الذين حكوا الإجماع حكموا على ما روي عن ابن عباس بالشذوذ كما في «المغني»، «الفتاوى».

(٣) لم أقف على من خرجه، لكنه قول مشتهر عن ابن عباس وصححه عنه النحاس في: «إعراب القرآن» ١/ ٤٣٩، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٦٣، وانظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٤٥٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٦، «المغني» ٩/ ١١، «مجمع الفتاوى» ٣١/ ٣٥٠، «أضواء البيان» ١/ ٣٧٢، «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية» للدكتور صالح الفوزان ص٧٨. وقد قال الفوزان: وقيل: المشهور عنه مثل قول الجمهور.

فجعل الثلثين للنساء إذا زده[١] على الثلثين[٢]، وعنده أن فرض البنتين النصف كفرض الواحدة.

وهذا غير مأخوذ به[٣].

ووجه الآية أن (فوق) ههنا صلة لا معنى له، أراد: فإن كن نساء اثنتين، كقوله: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] يريد: فاضربوا الأعناق[٤] وسمى البنتين نساء؛ لأن الابنين جماعة عند العرب. ونبين ذلك في آخر الآية[٥].

وقال أكثر المفسرين: إنما أعطينا البنتين الثلثين بتأويل القرآن لا بنص فرض، وذلك أن الله تعالى [جعل للبنت الواحدة النصف في قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾، وجعل للأخت الواحدة النصف أيضًا في قوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]، ثم جعل للأختين الثلثين، علمنا أن للبنتين][٦] الثلثين قياسًا على الأختين، كما

(١) هكذا في (أ)، وفي (د): (رده)، ولعل الصواب: (زدن).

(٢) هكذا في (أ)، (د) والظاهر أن الصواب: الثنتين.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ٢/ ١٤٠-١٤١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٦، «المغني» ٩/ ١١، «مجموع الفتاوى» ٣١/ ٣٥٠، «أضواء البيان» ١/ ٣٧٢، «التحقيقات المرضية» ص٨٢، ٨٣.

(٤) هذا قول في إعراب الآية، لكن خطَّأه النحاس بقوله: وهو خطأ؛ لأن الظروف ليست مما يزاد لغير معنى «إعراب القرآن» ١/ ٣٤٩، كما ضعفه الكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ٢/ ١٤٤، وابن عطية في «المحرر» ٣/ ٥١٣، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٩٨. قال ابن كثير: وهذا غير مسلم، لا هنا ولا هناك، فإنه ليس في القرآن شيء زائد لا فائدة فيه، وهذا ممتنع. وقد تقدم مثل ذلك.

(٥) انظر ص٣٦١ .

(٦) يُحتمل أن في الكلام سقطًا، واستقامته: وذلك أن الله تعالى لما جعل للبنت الواحدة.. علمنا أن لبنتين فسقطت لما من الكلام قبل جعل.

أن للأخوات الثلثين بما نص في البنات في قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ الآية[١].

وحرر الحسن بن يحيى[٢] هذا الفصل فقال: (إن الله تعالى)[٣] أمسك في هذه الآية عن ذكر البنتين، وذكر الواحدة والثلاث وما فوقها، وذكر في (قوله[٣]): ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في آخر النساء الأخت الواحدة والبنتين[٤]، وأمسك عن ذكر الثلاث وما فوقها، فتضمن كل واحدة من هاتين الآيتين ما كف عن ذكره في غيرها، ويحتمل كل واحد منهما فيما أمسك عنه فيها على ما ذكره في غيرها ليأتلف المعنى على (ما يجب[٥]) إن شاء الله[٦].

قال أبو إسحاق: جعل الله ﷻ كتابه يدل بعضه على بعض تفقيهًا للمسلمين وتعليمًا؛ ليعملوا فيما يحزبهم[٧] في الأمور على هذه الأدلة، وقال بعضهم[٨]: في الآية دليل على أن للبنتين الثلثين؛ لأنه قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وكان أول العدد ذكرًا وأنثى، فللذكر الثلثان وللأنثى الثلث. فلما دل هذا على أن للذكر الثلثين وللبنت الواحدة الثلث، عُلم أن

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٤٥٨، «أحكام القرآن» للهراسي ٢/ ١٤٠-١٤١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٧، القرطبي ٥/ ٦٣، «أضواء البيان» ١/ ٣٧١، «التحقيقات المرضية» ص٨٠.

(٢) هو صاحب «نظم القرآن» وكثيرًا ما يأخذ عنه المؤلف، لكنه لم يصل إلينا.

(٣) ما بين القوسين ليس في نسخة (د).

(٤) هكذا في (أ)، (د) والظاهر: والثنتين.

(٥) في (أ): (يحب) بالحاء المهملة.

(٦) انتهى أخذ المؤلف من صاحب النظم، وانظر: «أحكام القرآن» للهراسي ٢/ ١٤١-١٤٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٧، القرطبي ٥/ ٦٣، «فتح القدير» ١/ ٤٣١.

(٧) يحز بهم: ينزل بهم ويهمهم. انظر: «اللسان» ٢/ ٨٥٤ (حزب).

(٨) صرح أبو إسحاق الزجاج بالقائل في «معانيه» ٢/ ١٩، وأنه: أبو عباس محمد بن يزيد [وهو المبرد]، وكذا قال إسماعيل بن إسحاق.

للبنتين الثلثين من حيث علم أن للذكر الثلثين.

وأما مذهب ابن عباس فهو محال في القياس، حيث يجعل البنتين كالواحدة. والبنتان كالجماعة؛ لأن منزلة الاثنين منزلة الجمع[١]، في كثير من الأحكام، فصلاة الاثنين جماعة، والأخوان كالإخوة في حجب الأم من الثلث إلى السدس، ويجيء ذلك في آخر الآية، فالجمع بالجمع أولى أن يقاس من الجمع بالواحد[٢]. وأيضًا فإن الآية في قول مقاتل، والكلبي نازلة في أم كجّة[٣]، وكانت لها ثلاث بنات، فنزلت في جواب ما استفتت وأجيبت في بناتها خصوصًا، وكن ثلاثًا[٤]، ولذلك ما خصت الثلاث بالذكر في الآية دون الثنتين.

---

(١) في (أ): (الجميع)، وإلى هنا انتهى أخذ المؤلف من الزجاج في «معانيه» ٢/ ١٩ بتصرف في العبارة، وما ذكر بعد ذلك من الأمثلة ونحوها زائد عليه.

(٢) انظر: «غرائب التفسير» ١/ ٢٨٥.

(٣) هي أم كجّة -بالجيم كما ضبطها ابن حجر- الأنصارية من الصحابيات -رضي الله عنهن- زوجة أوس بن ثابت الأنصاري، ولم تذكر سنة وفاتها. انظر: «تجريد أسماء الصحابة» ٢/ ٣٣٢، «الإصابة» ٤/ ٤٨٧.

(٤) لم أجد من أخرجه بلفظ ثلاث في تفسير هذه الآية، وقد أشار إليه الثعلبي عن مقاتل والكلبي في تفسير هذه الآية، وذكره مطولًا في تفسير قوه تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٧].
انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٦ب، ١٧أ، ٢٢أ. وقد أخرجه الطبري عن السدي بلفظ: يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين، كان أهل الجاهلية لا يرثون الجواري ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أبو حسان الشاعر، وترك امرأة يقال لها: أم كجة، وترك خمس أخوات، فجاءت الورثة يأخذون ماله، فشكت أم كجة إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٥. وأورد السيوطي أثر السدي وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم. انظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً﴾ وقرأ نافع (واحدةٌ) بالرفع[١] على معنى: إن وقعت واحدة، أي: إن حدث حكم واحدة، أو إرث واحدة؛ لأن[٢] المراد حكمها والقضاء في إرثها، لا ذاتها.

والاختيار قراءة العامة؛ لأن التي قبلها لها خبر منصوب، وهو قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾، وكما أن الضمير هناك: إن كن المتروكات أو الوارثات نساء، كذلك ههنا: وإن كانت المتروكة واحدة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ يعني: ولأبوي الميت، كناية عن غير مذكور[٤]، وهما والداه. والأصل أن يقال: أبة[٥]، ولكن استغنى عنها بأم، فأبوان تثنية أب وأبة، وكذلك لو ثنيت ابنًا وابنَة ولم تخف اللبس لقلت: ابنان[٦].

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾. أو ولد ابن، واسم الولد يقع على ولد الابن[٧].

---

(١) انظر: «السبعة» ص٢٢٧، «الحجة» ٣/ ١٣٥، «الكشف» ١/ ٣٧٨.

(٢) في (د): (فان).

(٣) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٣٦ بتصرف، وانظر «معاني الزجاج» ٢/ ١٨، «إعراب القراءات السبع» ١/ ١٢٩، «الكشف» ١/ ٣٧٨. وممن اختار قراءة النصب ورجحها على الرفع الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٢٩٣، وابن خالويه في «الحجة» ص١٢٠، وكثير من أئمة القراءات لم يتعرضوا للموازنة أو الترجيح بين القراءتين، فهما صحيحتان، وقد قرأ بالرفع اثنان من العشرة هما نافع وأبو جعفر. انظر: «المبسوط» ص١٥٤، «النشر» ٢/ ٢٤٧.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢أ.

(٥) من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣، لكن فيه: والأصل في أم، أن يقال: أبة.

(٦) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣.

(٧) انظر: «الكشف» ٤/ ٢٢أ، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٣٥.

والأب يرث من جهة التسمية السدس، ويرث بغير تسمية على جهة التعصيب.

مثال ذلك: لو مات عن ابنة وأبوين، كان للابنة النصف وللأم السدس، وكذلك للأب بالتسمية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، وههنا ولد وهو البنت، والسدس الباقي للأب أيضًا بحق التعصيب[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾.

أكثر القراء على ضم الهمزة من (أم) في جميع المواضع. وقرأ حمزة والكسائي بكسر الألف إذا وليتها كسرة أو ياء[2]، (نحو هذا)[3] ونحو قوله: ﴿يَطُوفُونَ﴾[4]، ﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩].

فأما إذا كان ما قبل الهمزة غير كسر فالضم لا غير، مثل ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٥٠][5].

وإنما جاز كسر همزة (أم) لأن الهمزة حرف مستثقل، بدلالة تخفيفهم لها، فأتبعوها ما قبلها من الياء والكسرة، ليكون العمل فيها من

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٢١، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٧١.

(٢) في «الحجة» ٣/ ١٣٧: وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالكسر إذا وصلا وما ذكره المؤلف أوضح وهو الموافق لما في «السبعة» ص٢٢٨.

(٣) ما بين القوسين ليس في (د).

(٤) هكذا في (أ)، (د) وهو تحريف، والظاهر أن الصواب: ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾ [الزمر: ٦]، كما في «الحجة» ٣/ ١٣٧.

(٥) ما بين القوسين زائد على ما في «الحجة» لأبي علي وإن كان من لازم كلامه.

وجه واحد[١].

قال أبو إسحاق: إنهم استثقلوا الضمة بعد الكسرة في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ﴾، وليس في كلام العرب مثل: فِعُل بكسر الفاء وضم العين، فلما اختلطت اللام [بالاسم][٢] شبه بالكلمة الواحدة، فأبدل من الضمة كسرة[٣].

وأيضًا فإن الهمزة لما يتعاورها من القلب والتخفيف تشبه الياء والواو، فتتغير كما تتغير الياء والواو، وتقارب الهاء في المخرج، والهاء قد اتبع الكسرة في نحو: بهم، وبهي[٤]. كذلك الهمزة.

فإن قيل: وهلا فعلوا ذلك بغير هذا الحرف، مما فيه الهمزة، نحو: أتّ وأسّ وأدّ من أسماء الرجال؟

قيل: إن هذا الحرف قد كثر في كلامهم، والتغيير إلى ما كثر أسرع، وقد يختص الشيء في الموضع بما لا يكون في أمثاله، كقولهم: أسطاع وأهراق، ولم يفعل ذلك بما أشبهه، كذلك هذا التغيير في الهمزة مع الكسرة والياء اختص به هذا الحرف، ولم يكن فيما أشبهه[٥].

---

(١) من «الحجة» ٣/ ١٣٧ بتصرف يسير، وسيرجع المؤلف إلى الإفادة منه بعد أخذه من الزجاج. وانظر: «السبعة» ص٢٢٨، «المبسوط» ص١٥٤، «الكشف» ١/ ٣٧٩.

(٢) الزيادة من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣ لكي يستقيم الكلام.

(٣) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣، وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، «الكشف» ١/ ٣٧٩.

ويرجع المؤلف بعده إلى أبي علي في «الحجة» فكان كلام الزجاج اعتراضًا أثناء كلام أبي علي، وانظر: «الحجة» ٣/ ١٣٧، ١٣٨.

(٤) هكذا الكلمة في «الحجة» ٣/ ١٣٧، ولعل الأصل: به فأشبعت الكسرة في الهاء فأشبهت الياء.

(٥) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٣٧، ١٣٨.

و(أما)[١] من ضم الهمزة فإنه أتى بها على الأصل، ألا ترى أن الهمزة في: أد وأف وبابه مضمومة على جميع أحوالها، ولا يؤدي إلى استعمال فِعُل، لأن اللام ليست من أصل الكلمة، واللام[٢] من (فلأمه) تقديرها تقدير الانفصال[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾. أجمعت الأمة على أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس كرجل مات عن أبوين وأخوين، كان للأم السدس، والباقي للأب. فالأخوان فما فوقهما يحجبان الأم عن الثلث إلى السدس. والأخ الواحد لا يحجب.

وابن عباس يخالف في هذه المسألة: فلا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثة إخوة. وقال لعثمان[٤] ﷺ: بم[٥] صار الأخوان يردان الأم إلى السدس، وإنما قال الله ﷻ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ والأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة؟ فقال عثمان: يا بني إن قومك حجبوها

---

(١) ليس في (د).

(٢) في (أ) و«الأم»، وما أثبته هو الصواب.

(٣) انظر «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣، «معاني القراءات» ١/ ٢٩٥، «الحجة» ٣/ ١٣٧، «الكشف» ١/ ٣٨٠.

(٤) هو أمير المؤمنين أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي سبق إلى الإسلام ولقب بذي النورين وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، اتصف -ﷺ- بالحلم وصلة الرحم وكثرة العبادة والإحسان ولين الجانب، استشهد على يد جماعة غاشمة ظالمة سنة ٣٥هـ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقد قضى في الخلافة أكثر من إحدى عشرة سنة رَضِيَ الله عَنْه وأرضاه.
انظر: «تاريخ خليفة» /١٦٨-١٨٠، «الاستيعاب» ٣/ ١٥٥-١٦٥، «الإصابة» ٢/ ٤٦٢-٤٦٣.

(٥) في (أ)، (د): (ثم)، والصواب ما أثبته، انظر: الطبري ٤/ ٢٧٨.

بأخوين، ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي[١]. مقابلة بالإجماع.

قال علماء اللغة: قول ابن عباس: الأخوان في لسان قومك ليسا بإخوة غلط منه؛ لأن الأخوين جماعة كالإخوة، وذلك أنك إذا جمعت واحدًا إلى واحد فهما جماعة ويقال لهما إخوة[٢].

وحكى سيبويه أن العرب تقول: قد وضعا رحالهما. يريدون: رحلي راحلتيها[٣].

قال ابن الأنباري: التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، وهو يريد داود وسليمان، ومنه قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] يريد قلبيكما[٤]. والعرب تقول: لطمت أوجه الرجلين، وضربت أرؤسهما، وشققت بطونهما، فيجمعون في موضع التثنية[٥].

---

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير ٤/ ٢٧٨، وعزاه إلى البيهقي كل من ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٩٩، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٣، وضعفه ابن كثير وكذلك الشيخ ناصر العمار في «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ١٨١.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٢ بتصرف.
وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢ب، «الدر المصون» ٣/ ٦٠٢، «تفسير ابن كثير» ١/ ٤٩٩.

(٣) «الكتاب» ٣/ ٦٢٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢.

(٤) في (د): (قلبكما).

(٥) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٣٦، «مشكل إعراب القرآن» لابن قتيبة ص٢٨٣، الطبري ٤/ ٢٧٨-٢٧٩، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢ب، «الدر المصون» ٣/ ٦٠٢ .

قال قتادة: وإنما حجب الإخوة الأم من غير أن يرثوا مع الأب (لمعونة الأب)[1]؛ لأنه يقوم بشأنهم وينفق عليهم دون الأم[2].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾، أي: هذه الأنصبة إنما تقسم بعد قضاء الدين وإنفاذ وصية الميت في ثلثه، وذكر الوصية مقدمةً على الدين، وذلك تقديم في اللفظ لا في الحكم؛ لأن (أو) لا توجب ترتيبًا، وإنما هي لأحد الشيئين؛ كأنه قيل: من بعد أحد هذين[3] مفردًا أو مضمومًا إلى الآخر[4].

قوله تعالى: ﴿يُوصِي بِهَآ﴾ قرئ بكسر الصاد وفتحها[5].

فمن كسر[6] فلأنه تقدم ذكر الميت المفروض فيما ترك، يبين ذلك قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ أي: لأم الميت ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ﴾ يوصيها الميت. ومن فتح الصاد فإنه يؤول في المعنى إلى يوصي، ألا ترى أن الموصي هو الميت، والذي[7] حسن فتح الصاد أنه ليس

---

(١) في (د): (معونة للأب).

(٢) أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٨٠ بمعناه، وقال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٤٩٩، عندما ساق هذا الأثر: وهذا كلام حسن وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٣، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٣) في (د): (مدبن).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣، ٢٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٤٣، «الدر المصون» ٣/ ٦٠٣.

(٥) بالفتح لابن كثير وعاصم -في رواية أبي بكر- وابن عامر، وبالكسر للباقين من العشرة. انظر: «السبعة» ص٢٢٨، «الحجة» ٣/ ١٣٩، «المبسوط» ص١٥٤، «النشر» ٢/ ٢٤٨.

(٦) توجيه القراءتين من «الحجة» ٣/ ١٤٠.

(٧) في «الحجة»: وكأن الذي.

لميت[١] إنما هو شائع في الجميع، فلذلك حسن يوصى[٢][٣].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ دَيْنٍۗ﴾ إن قيل: ما معنى (أو) هاهنا، وهلا كان من بعد وصية يوصي بها (ودين)[٤]؟. والجواب: ما قاله الزجاج، وهو أن معناه الإباحة، كما لو قال قائل: جالس الحسنَ أو الشعبي، المعنى: أن كل واحد منهما[٥] أهل أن يجالس، فإن جالست الحسن فأنت مصيب، (أو الشعبي فأنت مصيب، وإن جمعتهما فأنت مصيب)[٦]، ولو قال: جالس الرجلين، فجالست واحدًا منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أمرت به. كذلك في الآية لو كان: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ (و) دَيْنٍۗ﴾ احتمل اللفظ أن يكون هذا (الحكم المذكور في الآية)[٦] إذا اجتمعت الوصية والدين، فإذا انفرد كان حكم آخر، فإذا كانت «أو» دلت على أن أحدهما إن كان فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما[٧].

وقوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ﴾. في هذا قولان:

---

(١) في «الحجة»: ليس لميت معين.

(٢) في (أ)، (د) يوصا بألف ممدودة، وهو مخالف لقواعد الإملاء المتبعة، وما أثبته هو الموافق لـ «الحجة».

(٣) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٤٠.

(٤) في (أ)، (د): أو دين، والتصويب من «معاني الزجاج».

(٥) في «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤: هؤلاء.

(٦) ما بين القوسين ليس في «معاني الزجاج».

(٧) انتهى من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣، ٢٤ بتصرف يسير، وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٨١، «معاني الحروف» للرماني ص٧٧، «رصف المباني» ص٢١٠، وإيضاح الجملة الأخيرة عند المؤلف أنه عبر بأو هنا للدلالة على أن الحكم بالنسبة للدين والوصية في الميراث واحد لا يتغير سواء وجدا منفردين أو مجتمعين.

أحدهما: أن هذا فصل معترض بين ذكر الورّاث وأنصبائهم، وبين قوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية، ومعنى هذا الفصل في قول ابن عباس والكلبي: أن الله تعالى يُشَفِّع المؤمنين بعضهم في بعض، فأطوعكم لله ﷻ من الآباء والأبناء أرفعكم درجة[١]. فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة من ولده رفع الله إليه ولده بمسألته[٢]، ليقرّ بذلك عينه، وإن كان الولد أرفع درجة من والديه، رفع الله إليه والديه، فقال الله ﷻ: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾؛ لأن أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة، وسبقه إلى منزلة عالية تكون سببًا لرفعه إليها[٣].

القول الثاني: أن هذا فصل معترض بينهما، ومعناه متعلق بمعنى الآية.

يقول: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعًا في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق، ولكن الله تعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فأفسدتم وضيعتم وأعطيتم من لا يستحق ومنعتم من يجب له الميراث، وهذا قول الزجاج[٤]، وابن الأنباري، وجماعة من أهل المعاني[٥]، وإليه أشار ابن عباس في

---

(١) أخرجه عن ابن عباس ابن جرير بنحوه ٨/ ٤٩، وسنده حسن. انظر: «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٨٤، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢٣أ.

(٢) في (أ): (بمسلته).

(٣) ذكر الهواري معنى ذلك من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقريبًا منه قولًا للكلبي. انظر «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٣٥٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢٣أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٧٨.

(٤) ساق الزجاج القولين من دون اختيار لأحدهما. انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٤.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٨١-٢٨٢، «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٥٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٣ ٢٢٤.

رواية عطاء[١].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على التوكيد من قوله: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾، أي لهؤلاء الورثة ما ذكرنا مفروضًا، (ففريضة)[٢] مؤكدة لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. قال الحسن: كان عليمًا بالأشياء قبل خلقها، حكيمًا فيما يقدر[٤].

وقال عطاء: كان عليمًا بخلقه قبل أن يخلقهم، حكيمًا حيث فرض للصغار مع الكبار، ولم يخصّ الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل[٥].

وحكى الزجاج عن سيبويه، قال: كأن القوم شاهدوا علمًا وحكمة ومغفرة وتفضلًا، فقيل لهم: إن الله كان كذلك، أي: لم يزل على ما شاهدتم[٦].

---

(١) لم أقف على هذه الرواية.

(٢) في (أ)، (د): بفريضة، والتصويب من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥.

(٣) من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥، وتوضيح قول المؤلف -تبعًا للزجاج- بأن فريضة منصوب على التوكيد أي: أنها مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة من الوصية، وقد أطلق كل من ابن جرير والنحاس ومكي أنها منصوبة على المصدرية. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٨٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٨، «مشكل إعراب القرآن» لمكي ١/ ١٩٢، «الدر المصون» ٣/ ٦٠٦.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، «زاد المسير» ٢/ ٢٩، «تفسير الحسن» ١/ ٢٦٤.

(٥) لم أقف عليه عن عطاء، وانظر: الطبري ٤/ ٢٨٢، «الوسيط» ٢/ ٤٦٧.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، «زاد المسير» ٢/ ٢٩، ولم أقف على قول سيبويه في كتابه.

وقال الخليل: الخبر عن الله ﷻ بمثل هذه الأشياء، كالخبر بالاستقبال والحال؛ لأن صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾. قد أكثروا في الكلالة، والذي عليه الأكثرون وهو الصواب أن الكلالة ما عدا الوالد والولد[(٢)].

وهو قول أبي بكر، وعمر، وابن عباس، وابن زيد، وقتادة، والزهري، وابن إسحاق[(٣)].

وأخبرني موسى بن الفضل[(٤)]، حدثنا الأصم[(٥)]، عن محمد بن الجهم[(٦)]، عن الفراء، قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد[(٧)].

وأقرأني العروضي، عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري[(٨)]، عن

---

(١) من «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥ بتصرف ودون نسبة للخليل، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٠.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٧، «مجاز القرآن» ١/ ١١٨، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٦، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٨٣، «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٣٥٦، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٣ب، «زاد المسير» ٢/ ٣٠، ٣١، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٠٠.

(٣) انظر: «الطبري» ٨/ ٥٣-٧٥.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) هو أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي النيسابوري، تقدمت ترجمته.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن الجهم السمري، تقدمت ترجمته.

(٧) قول الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٧، وانظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦-٣١٧٧ (كل) حيث جاء بسند آخر.

(٨) هو أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي، تقدمت ترجمته.

الحسين ابن فهم(١)، عن سلمة، عن أبي عبيدة، أنه قال: الكلالة كل من لم يرثه (ولد أو أب)(٢). ونحو ذلك قال الأخفش(٣).

قال المنذري: وسمعت أبا العباس(٤) يقول: الكلالة من القرابة ما خلا الوالد والولد. سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت من تكلله النسب أي أحاط به واشتمل عليه(٥). فهم بمنزلة العصبة، كالإخوة والأخوات والأعمام وأبنائهم.

قال: وسمعته(٦) مرة يقول: الكلالة من سقط عنه طرفاه، وهما أبواه (وولداه(٧))، فصار كلا وكلالة، أي: عيالًا على الأصل. يقول: سقط

---

(١) في (أ) كأنها: (الجهين) أو: الجهز بن فهيم، ولعل ما أثبته من (د) هو الصواب لموافقته «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦-٣١٧٧ (لكل). والحسين هذا هو أبو علي الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي، إمام علامة عالم بالحديث والتاريخ والأدب من الفصحاء، توفي -رحمه الله- سنة ٢٨٩هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤٢٧.

(٢) في (د): (ولد ولا أب)، وما أثبته هو الموافق لـ «التهذيب»، أما «المجاز» لأبي عبيدة ١/ ١١٨ ففيه: (كلالة) كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلالة اهـ، وإدخال أبي عبيدة الأخ مع الأب والابن هنا لا يوافق عليه. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٧٧.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦ (كل)، ولم أر الأخفش في «معاني القرآن» تعرض لتفسير الكلالة.

(٤) هو أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، تقدمت ترجمته.

(٥) قول المنذري من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦-٣١٧٧ (كل) بتصرف يسير، وانظر: «الصحاح» ٥/ ١٨١١ (كلل)، «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ (كلل).

(٦) القائل المنذري والمسموع أبو العباس ثعلب.

(٧) في «التهذيب»: وولده.

(من[1]) الطرفين فصار عيالًا عليهم[2]. وقيل: لأن من لا يكون والدًا ولا ولدًا كلّت قرابته عن أن تكون قرابة ماسة. يقال: هو أكَلُّ من هذا، أي: أبعد نسبًا[3].

وحديث جابر يفسر الكلالة، وأنه الوارث (غير الوالد والولد)؛ لأنه يقول: مرضت مرضًا أشفيت منه على الموت، فأتيت النبي ﷺ، فقلت: إني رجل ليس يرثني إلا كلالة[4].

أراد أنه لا والد له ولا ولد، فكل من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلالة ورثته، وكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد له فهو كلالة موروثه[5].

فالكلالة اسم يقع على الوارث والموروث إذا كانا بالصفة التي ذكرنا[6].

ويقال: رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة، لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه مصدر كالدلالة والوكالة، يقال: كل الرجل يكل كلالة، أي صار

---

(١) في (د): (عن)، وما أثبته هو الموافق لـ «التهذيب».

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦ (كل)، وانظر «اللسان» ٧/ ٣٩١٩ (كلل).

(٣) هذا القول في توجيه هذه الكلمة ليس في «تهذيب اللغة»، ولم أقف عليه، وانظر: «العين» ٥/ ٢٧٩ (كل)..

(٤) الكلام من قوله: وحديث جابر من «تهذيب اللغة» ٩/ ٢٤٧، أخرجه ابن جرير ٤/ ٢٨٦ بنحوه، وذكره -بنصه- السمين في «عمدة الحفاظ» ص٥٠١ (كلل)، وعبارة (غير الوالد والولد) ليست في «التهذيب».

(٥) انتهى من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦ (كل) بتصرف.

(٦) هناك خلاف: هل الكلالة اسم يقع على الوارث؟ أو المورث؟ أو عليهما «معاني الآثار» للطحاوي، كما نصّ عليه المؤلف؟ انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٨٦، ولعل الراجح ما أشار إليه المؤلف. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٧ (لكل)، «اللسان» ٧/ ٣٩١٨-٣٩١٩ (كلل)، «عمدة الحافظ» ص٥٠١ (كلل).

كلًا، وهو الذي لا ولد له ولا والد. ذكره الليث[١]، وهو صحيح.

والدليل على أن الوارث يُسمى كلالة حديث جابر أنه قال: ليس يرثني إلا كلالة، والدليل على أن الموروث الميت يُسمى كلالة قول الفرزدق:

وَرِثْتُم قَنَاةَ المُلْكِ لا عن كَلالَةٍ
(عن ابنَي منافٍ: عبدِ شمسٍ وهاشم)[٢][٣]

وقول الشاعر:

يَهُزُّ سلاحًا لم يرِثه كلالةً
يَشُكُّ بِهِ منهَا جلودَ المَغَابِنِ[٤]

يصف ثورًا وقرنه وأنه ورثه من أبيه، وجعل القرن له كالرمح من الأسلحة، وأنه يشق به مغابن الكلاب. فالكلالة في هذا البيت يحتمل أنه الوارث، ويحتمل أنه الموروث.

---

(١) لم أقف على ما نسبه المؤلف لليث لا في «العين» ولا في «تهذيب اللغة» ولا غيرهما، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٧٨.

(٢) هذا الشطر الثاني من البيت ليس في (د)، وإنما اكتفى الناسخ بقوله: البيت.

(٣) البيت في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤أ، «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ (كلل) فيه الشطر الأول، «عمدة الحفاظ» ص٥٠١ (كلل)، «الدر المصون» ٣/ ٦٠٧، وقد ذكر د. أحمد الخراط في تحقيقه للأخير أن البيت ليس في «ديوان الفرزدق»، هذا مع أني لم أجده في «معجم شواهد العربية» رغم اتفاق من عزوت إليهم على نسبته إلى الفرزدق، فقد يكون سقط من «ديوان الفرزدق» و«منتهى الطلب»، والله أعلم.

(٤) البيت للطرماح كما في «ديوانه» ص١٣٣، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٥٢، و«أساس البلاغة» (كلل) و«الصحاح» (سلح)، و«المحكم» (سلح) و«اللسان» (سلح): (بزغ). والمغابن جمع مَغبِن، وهو الإبط والرُّفغ (باطن الفخذ)، وتطلق المغابن على معاطف الجلد أيضًا. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢١١ (غبن).

قال الأزهري: ودل قول الشاعر[1] أن الأب ليس بكلالة، وأن سائر الأولياء من العصبة بعد الولد كلالة، وهو قوله:

فـإنَّ أبـا الـمـرءِ أحْـمَـى لـه وَمـولـى الـكَـلالـةِ لا يَـغْـضَـبُ[2]

أراد أن أبا المرء أغضب له إذا ظُلم، وموالي الكلالة وهم الإخوة والأعمام وبنو الأعمام وسائر القرابات لا يغضبون للمرء غضب الأب[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ الكلالة في هذه الآية الميت، وهو الموروث، والمراد به الأخ للأم إذا مات. ويورث ههنا من: وُرِثَ يُورث، لا من: أُورِثَ يُورَث[4].

وانتصب كلالة من وجهين: **أحدهما**: أنه خبر كان[5].

والثاني: على الحال. المعنى يورث في حالٍ مكللةٍ نسب ورثته، أي لا ولد له ولا والد. وهذا الوجه هو الاختيار، وهو قول الزجاج، والكلالة مصدر وقع موقع الحال، تقديره: يورث متكلل النسب[6].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ إن قيل: قد سبق ذكر الرجل والمرأة

---

(١) في البيت اللاحق لا السابق.

(٢) لم أعرف قائله وهو من «شواهد الزجاج في معانيه» ٢/ ٢٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤أ، «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ (كلل) إضافة إلى الأزهري حيث أفاد المؤلف منه كما سيأتي العزو إليه.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٧ (كلل)، وانظر «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦، «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ (كلل).

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٧٦ (كلل)، وانظر: «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ (كلل).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٣٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٢.

(٦) انظر: «معاني الأخفش» ١/ ٤٣٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٠، واقتصر الزجاج على ذكر هذا القول فقد يكون اختاره دون غيره.

في قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ ثم قال: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ﴾ فأضاف إلى الرجل وكنى عنه دون المرأة؟

قال الفراء: وذلك جائز، إذا جاء حرفان في معنى واحد بـ(أو) أسندت التفسير إلى أيهما شئت، وإن شئت أسندت إليهما[(١)]، تقول في الكلام: من كان له أخ أو أخت فليصله تذهب إلى الأخ، وفليصلها تذهب إلى الأخت، وإن قلت: فليصلهما، فذلك جائز، (وإن شئت قلت: فليصلهم)[(٢)]، كقراءة من قرأ ﴿إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهم﴾ [النساء: ١٣٥][(٣)] ذهب إلى الجميع لأنهما اثنان غير مؤقتين[(٤)].

وأجمع المفسرون على أن المراد (بالأخ والأخت ههنا من الأم)[(٥)(٦)]، وكذلك في قراءة سعد بن أبي وقاص[(٧)]: (وله أخ أو أخت من أم)[(٨)].

---

(١) في «معاني الفراء» ١/ ٢٥٧: وإن شئت ذكرتهما فيه جميعًا.

(٢) ما بين القوسين ليس في «معاني الفراء».

(٣) نُسبت هذه القراءة لأبيّ ﷺ وليست في المتواتر. انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٧٠.

(٤) انتهى من «معاني القرآن» ١/ ٢٥٧-٢٥٨، وانظر: الطبري ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤أ، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٧٨.

(٥) في (د): (بالأخ والأخت أولاد الأم).

(٦) انظر «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٣٥٦، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٤٩، «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٠٠.

(٧) هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أُهيب القرشي صحابي مشهور، أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتًا. روى عن النبي ﷺ كثيرًا. كان فارسًا شجاعًا، وهو أحد الستة أهل الشورى وعرف بإجابة الدعوة، توفي ﷺ على الأشهر سنة ٥٦هـ. انظر: «الاستيعاب» ٢/ ١٧١-١٧٤، «الإصابة» ٢/ ٣٣-٣٤.

(٨) أخرج ابن جرير بسنده عن سعد أنه كان يقرأ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ قال سعد: لأمه وذكر هذه القراءة الثعلبي في «الكشف =

قال ابن عباس في رواية عطاء: وله أخ أو أخت من أمه[(١)].

﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ (وفرض)[(٢)] الواحد من ولد الأم السدس، فإن كانوا أكثر من واحد اشتركوا في الثلث، الذكر والأنثى فيه سواء. هذا لا خلاف فيه بين الأمة[(٣)].

قال أبو إسحاق: وإنما استُدِل على أن المراد بالأخ والأخت ههنا أولاد الأم بأن ذكر في آخر هذه السورة في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء: ١٧٦][(٤)] أن للأختين الثلثين، وأن للإخوة كل المال، فعُلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث، ولم يزادوا على الثلث شيئًا ما كانوا، أنه يعني بهم الإخوة لأم[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ أي: مدخل الضرر على الورثة[(٦)]. قال المفسرون: هو أن يوصي الرجل بدين ليس عليه[(٧)]، يريد بذلك ضرر

= والبيان» ٤/ ٢٤ أ، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٤.

(١) لم أقف على هذا الأثر إلا عند المؤلف نفسه في «الوسيط» ٢/ ٤٧٢، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش القرآن الكريم ص٧٩.

(٢) في (أ): (وفوّض).

(٣) انظر: الطبري ٤/ ٢٧٧، «الإجماع» لابن المنذر ص٣٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٤٩، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٧٩.

(٤) سياق الآية ليس في «معاني الزجاج».

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ب.

(٧) ذكر ذلك الثعلبي عن الحسن في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ ب، والبغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٠، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٨٠، «البحر المحيط» ٣/ ١٩٠.

الورثة، فمنع الله منه.

وانتصب ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ على الحال، المعنى: يُوصَى بها غير مضار[1].

وقوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد فريضة من الله[2]. وهذا مثل ما ذكرنا في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١].

وانتصابه على المصدر من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾[3].

وقال الفراء: يريد: فلكل واحد منهما السدس وصية من الله، كما تقول: لك درهمان نفقة إلى أهلك[4]. وذكرنا هذا الوجه في قوله: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: بمن يجور في وصيته[5]. وقال الزجاج: ﴿عَلِيمٌ﴾[6] بما دبّر من هذه الفرائض، حليم عمّن عصاه بأن أخّره وقبل توبته[7].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ الآية.

ذكرنا معنى الحدود فيما تقدم. قال ابن عباس: يريد ما حد الله من

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٢، «البيان» لابن الأنباري ١/ ٢٤٦، القرطبي ٥/ ٨٠، «البحر المحيط» ٣/ ١٩١ .

(٢) لم أقف على من خرّجه عنه، وانظر: «تنوير المقباس» ص٧٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٣٩٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٢، «البيان» ١/ ٢٤٦.

(٤) قول الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٧٥.

(٥) لم أقف له على تخريج.

(٦) في (أ): (عليهم)، والصواب ما أثبته كما في «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧ .

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٢.

فرائضه[١]. وقال ابن كيسان[٢]، والزجاج: أي: هذه التي تليت في أمر الفرائض وأمر اليتامى في أول السورة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾[٤].

وقرأ نافع وابن عامر بالنون، والمعنى فيه كالمعنى في الياء، ومثله قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٠] ثم قال: ﴿سَنُلْقِى﴾ بالنون [آل عمران: ١٥١][٥].

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ قال أبو إسحاق: أي: ندخلهم مقدرين الخلود فيها، وهذا كما تقول في الكلام: مررت برجل معه صقرٌ صائدًا به غدًا، أي: مقدرًا الصيد غدًا؛ لأن الحال لا يكون إلا ما أنت فيه[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

قال الضحاك: المعصية ههنا الشرك[٧].

---

(١) «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، وأخرجه ابن جرير بمعناه من طريق ابن أبي طلحة ٨/ ٦٩، ٧٢، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٣ بلفظ المؤلف. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٨، «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٩٧ .

(٢) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان، تقدمت ترجمته.

(٣) الذي في «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: الأمكنة التي لا ينبغي أن تُتجاوز، ولم أقف على قول ابن كيسان.

(٤) (يدخله) ليست في (د).

(٥) «الحجة» ٣/ ١٤٠، ١٤١، وانظر: «السبعة» ص٢٢٨، وهذا القراءة عشرية قرأ بها أبو جعفر أيضًا من العشرة. انظر: «المبسوط» ص١٥٤، «النشر» ٢/ ٢٤٨.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧ بتصرف.

(٧) لم أقف عليه، وهذا القول مرجوح؛ لأن الآية عامة ولا مخصص لها، وأصوب من هذا القول الثاني لابن عباس لموافقته السياق.

وقال عكرمة عن ابن عباس: من لم يرض بقسم الله، ويتعدى ما قال الله يدخله نارًا[(١)]، وقال الكلبي: يعني: يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالًا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤][(٣)]. في نصب خالد وجهان: **أحدهما**: أنه حال من الهاء في ﴿يُدْخِلْهُ﴾، على تقدير: يدخله خالدًا في النار، إلا أنه لما تقدم ذكر النار كنى عنها[(٤)].

الثاني: أنه من نعت النار. في قول الزجاج[(٥)]، وهذا كما يقول زيد: مررت بدار ساكن فيها، ومثله: ﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

١٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الآية. اللاتي جمع التي، وللعرب في جمع التي لغات، يقال: اللاتي، واللات، واللواتي، واللوات، واللوا، واللائي، واللاء، واللآت، واللاآت[(٦)]. قال الشاعر:

---

(١) لم أجد قول ابن عباس هذا بنصه هذا ومن نفس الطريق إلا عند المؤلف هنا وفي «الوسيط» ٢/ ٤٧٣، لكن جاء عنه من طريق علي بن أبي طلحة أنه فسر هذه الآية بقوله: في شأن المواريث التي ذكر من قبل. «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، والطبري ٤/ ٢٩١ وانظر «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: «تنوير المقباس بهامش القرآن الكريم» ص٧٩.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ليس في (أ).

(٤) انظر «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٢، «البيان في غريب القرآن» ١/ ٢٤٦، «الكشاف» ١/ ٢٥٦.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٢، وقد منع الزمخشري صحة هذا الوجه. انظر: «الكشاف» ١/ ١٩٢، «الدر المصون» ٣/ ٦١٥.

(٦) انظر «مجاز القرآن» ١/ ١١٩، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨، «الصحاح» ٦/ ٢٤٧٩ (لتى)، «اللسان» ٧/ ٣٩٩٤-٣٩٩٥ (لتا)، «الدر المصون» ٣/ ٦١٦.

من اللَّواتي والّتي واللّاتي زَعَمنَ أنَّي كَبِرَت لِداتي(١)

فجمع بين ثلاثة أحرف للمبالغة في التوكيد، وكل واحد منها يكفي من الآخر.

والعرب قد تقول في جمع النساء: التي، فتقول: ما فعل الهندات التي أمرها كذا، وقال الآخر:

اللَّات كالبِيض لَّما تَعْدُ أن دَرَسَتْ
صُفرُ الأَنَامل من قَرع القَوَاقِيزِ(٢)

وقال آخر:

من اللاء لم يَحجُجْن(٣) يَبغِين حِسبةً
ولكنْ لِيَقْتُلن البَريء المُغَفَّلا(٤)

وقال آخر:

أولئك أخْداِني وأخلال شِيمَتي
وأخدانُك اللَّآت زُيِّنَّ بالكَتمِ(٥)

---

(١) قائله غير معروف، ومعنى لداتي أي: أسناني. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١١٩، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨، «الصحاح» ٦/ ٢٤٧٩، «اللسان» ٧/ ٣٩٩٥ (لتا).

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر حسب ما في «اللسان» ٧/ ٣٩٩٥ (لتا). لكن فيه: اللأت كالبيض، قال: ويُروى: اللاء كالبيض، واللواتي، واللات بلا ياء، وقافيته في «اللسان»: القوارير.

(٣) في (أ)، (د): (يحجن).

(٤) نسبه إلى عمر بن أبي ربيعة أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١١٩، ١٢٠، وهو في «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٥ (التى)، «زاد المسير» ٢/ ٣٤، بدون نسبة، ونُسب في «زهر الآداب» ١/ ١٦٨، إلى الحارث المخزومي.

(٥) البيت في «اللسان» ٧/ ٣٩٩٥، «الدر المصون» ٣/ ٦١٧ بدون نسبة.

قال ابن الأنباري: العرب تقول في الجمع من غير الحيوان: التي، ومن الحيوان: اللاتي، كقوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]، وقال في هذه الآية: ﴿وَٱلَّـٰتِي﴾. والعِلّة في ذلك أن الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد. وتأويله قوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ التي (عدتكم[١]) التي جعل الله لكم قيامًا. وجمع الحيوان لا يُجرى مجرى الواحد، ألا ترى أنك تقول: الأموال أخذتها، والأثواب اشتريتها. وتقول في جميع الحيوان: ما فعلت الهندات اللاتي رأيتهن. فتنعتهن بالجمع[٢]؛ لأن كل واحدة منهن يقع على عين معروفة، ولا يجري مجرى شيء كما يجري الجمع من الموات مجرى شيء و(عدّه)[٣]. ومن العرب من يُسَوِّي بين الموات وغيره في هذا المعنى، فيقول: ما فعلت الهندات التي من أمرها كذا، وما فعلت الأثواب اللاتي من قصتهن كذا وكذا.

والأول هو المختار[٤]. وأنشد في جمع النساء:

مـن الـلَّـواتـي والّـتـي والـلَّاتـي[٥]

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ أي: يفعلنها، يقال: أتيت أمرًا قبيحًا، أي فعلته. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، وقال: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩][٦].

والفاحشة: الفِعلة القبيحة، وهي مصدر عند أهل اللغة؛ كالعافية

(١) هكذا في (أ)، (د)، وقد تكون: من ربكم.

(٢) في (أ): (بالجميع).

(٣) هكذا في (أ)، وفي (د): (عدة)، ولم تظهر.

(٤) لم أقف على كلام ابن الأنباري، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠١.

(٥) سبق قريبًا.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٨، «عمدة الحافظ» ص٧ (أتى).

والعاقبة، يقال: فَحَش الرجل يفحش فحشًا وفاحشةً، وأفحش إذا جاء بالقبيح من القول أو الفعل(١). ذكره الزجاج في باب الوفاق(٢).

وأجمعوا على أن الفاحشة ههنا الزنا(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾. أي: من المسلمين(٤) ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ بالزنا(٥) ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾: أي: فاحبسوهن في السجون(٦).

قال المفسرون: هذا أمر كانوا يستعملونه في أول الإسلام إذا كان الزانيان ثيبين حبسا ومنعا من مخالطة الناس، وإذا كانا بِكْرَين أُوذِيا بالتعنيف والتوبيخ، فيقال لهما: انتهكتما حُرماتِ الله وعصيتماه، واستهدفتما لعقابه، هذا وما أشبهه من الكلام، ثم نَسخ الله الحبس والأذى بِرَجْم الثيِّبين وجلد البِكرين(٧).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٦، «الصحاح» ٣/ ١٠١٤ (فحش).

(٢) ليس في «معاني الزجاج» حول تفسير الآية، ولم يتبين مقصود المؤلف في إحالته هذه.

(٣) انظر: «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٦، «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٣٥٨، الطبري ٤/ ٢٩١-٢٩٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ب، البغوي ٢/ ١٨١، القرطبي ٥/ ٨٣، ابن كثير ١/ ٥٠٣.

(٤) «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ب.

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ ب.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠١-٤٠٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٧) هذا معنى قول ابن عباس وقتادة وابن زيد والحسن وغيرهم. انظر: «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٣٥٨، الطبري ٤/ ٢٩٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٤ ب.

أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج[١] رحمه الله، أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن الكارزي[٢]، أخبرنا علي بن عبد العزيز[٣]، أخبرنا أبو عُبَيد، حدثنا حجاج بن محمد[٤]، عن ابن جريج، وعثمان بن عطاء[٥]، عن عطاء الخراساني[٦]، عن ابن عباس في هذه الآية قال: نسخها قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ﴾ الآية [النور: ٢][٧].

قال أبو عبيد: وحدثنا عبد الله بن صالح[٨]، عن معاوية بن صالح[٩]،

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القرشي النيسابوري، انظر: «العبر» ١/ ١٨٨

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن. انظر: «الإكمال» ٧/ ١٤١

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي، حافظ صدوق، صنف «المُسند الكبير» وأخذا القراءات عن أبي عبيد وغيره، انتقل في آخر عمره إلى مكة حتى مات بها سنة ٢٨٦هـ وقيل بعدها بسنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٣٤٩، «غاية المنتهى» ١/ ٥٤٩.

(٤) هو أبو محمد حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أحد العلماء والرواة الثقات إلا أنه اختلط في آخر عمره لمّا قدم بغداد، وقد توفي -رحمه الله- بها سنة ٢٠٦هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ٤٦٤، «التقريب» ص١٥٣ رقم (١١٣٥).

(٥) هو أبو مسعود عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ضعيف في رواية الحديث. توفي -رحمه الله- سنة ٥٥هـ، وقيل قبلها. انظر: «ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٨.

(٦) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، تقدمت ترجمته، وروايته عن ابن عباس مُرسلة.

(٧) في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص١٣٢ بنحوه مطولًا.

(٨) هو أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني، كاتب الليث بن سعد، صاحب حديث وعلم صدوق في الرواية ثبت في الكتابة. توفي -رحمه الله- سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة. انظر: «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٤٠-٤٤٥، «التقريب» ص٣٠٨ رقم (٣٣٨٨).

(٩) هو أبو عمرو معاوية بن صالح الحضرمي الحمصي، من مشاهير العلم والرواية وقد وثقه غير واحد من الأئمة وحكم عليه ابن حجر بأنه صدوق. ولي القضاء =

عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ قال: كانت المرأة إذا زنت حُبست في البيت حتى تموت، وكان الرجل إذا زنا أوذي بالتعيير[١]، والضرب بالنّعال، فنزلت: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور: ٢]، قال: وإن كانا محصنين رجما بسنة رسول الله ﷺ قال: فهو سبيلهما الذي جعله الله لهما يعني: قوله: ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[٢].

قال أبو عبيد: حدثنا أبو النضر[٣]، عن شعبة[٤]، عن قتادة، عن الحسن[٥]، عن حِطَّان بن عبد الله الرقاشي[٦]، عن عُبادة بن

= وتوفي -رحمه الله- بمصر سنة ١٥٨هـ، وقيل بعدها. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٢٨٤، «مشاهير علماء الأمصار» ص١٩٠، «التقريب» ص٥٣٨ رقم (٦٧٦٢).

(١) في (د): (بالتغيير)، بالغين المعجمة.

(٢) من «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص١٣٢، ١٣٣، والأثر في «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، وأخرجه الطبري ٤/ ٢٩٢-٢٩٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ١٦٧، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٠.

(٣) هو هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي بالولاء، البغدادي -وكان من مفاخر بغداد- صاحب سنة ومتفق على توثيقه في الرواية وقد توفي -رحمه الله- سنة ٢٠٧هـ. انظر «تاريخ الثقات» ٢/ ٣٢٣، «التقريب» ص٥٧٠ رقم (٧٢٥٦).

(٤) هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ قال عنه الثوري: أمير المؤمنين في الحديث من العلماء بالرجال ومن العباد الفضلاء، توفي -رحمه الله- سنة ١٦٠هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ١/ ٤٥٦، «مشاهير علماء الأمصار» ص١٧٧، «التقريب» ص٢٦٦ رقم (٢٧٩٠).

(٥) في النسختين: (الحسين)، والتصويب من الطبري ٤/ ٢٩٣-٢٩٤، والبغوي ٢/ ١٨١، وابن كثير ١/ ٥٠٣.

(٦) هو حِطَّان بن عبد الله الرقاشي البصري، من التابعين الثقات وكان رجلًا صالحًا، توفي -رحمه الله- بعد السبعين للهجرة في ولاية بشر على العراق. انظر «تاريخ الثقات» ١/ ٣٠٨، «التقريب» رقم (١٣٩٩).

الصامت[١]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خُذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا، البِكر يُجلد ويُنفى، والثيّب يُجلد ويُرجم**»[٢].

وخص النساء بالذكر في هذه الآية، والحد في الزنا على النساء والرجال واحد؛ لأن المرأة أحرص على الزنا من الرجل، فخصها بالذكر، كما قدم اسمها في آية الزنا، وهو قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[٣] [النور: ٢]. وقدم اسم الرجل في آية السرقة في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨] من حيث كان الرجل أحرص على السرقة من المرأة[٤].

قال المفسرون: بعض الآية منسوخ، وهو الإمساك في البيوت، وبعضها ثابت، وهو استشهاد الأربعة[٥]. واقترن بناسخ الوحي[٦] وحيٌ غير

---

(١) هو أبو الوليد عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي من الصحابة الفضلاء، وقد شهد بدرًا والمشاهد بعدها وهو من النقباء في البيعة ليلة العقبة، كان من علماء الصحابة وله مناقب وقد ولي القضاء، توفي ﷺ بالرملة سنة ٣٤هـ، وقيل بعدها. انظر: «تاريخ خليفة» ص١٦٨، «الاستيعاب» ٢/ ٣٥٥، «الإصابة» ٢/ ٢٦٨.

(٢) «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٣٣، وأخرجه الطبري ٤/ ٢٩٣-٢٩٤.

(٣) الحكم على جنس المرأة بأنها أحرص على الزنا من الرجل فيه نظر، ولعل الأولى أن يقال إن تخصيص المرأة بالذكر هنا وتقديم اسمها في آية النور؛ لأن الزنا في حق المرآة أشد؛ إذ إن العار يلحقها مدى حياتها بخلاف الرجل، ولأن الفتنة في النساء أضر كما قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**» أخرجه مسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ٢٦ أكثر أهل الجنة الفقراء...، وباب: الفتنة بالنساء ٤/ ٢٠٩٧ (ح٩٧).

(٤) انظر «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٣٣١.

(٥) انظر «الكشف والبيان» ٤/ ٢٥ ب.

(٦) ناسخ الوحي هنا هو قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾ [النور: ٢].

متلوّ على لسان الرسول وهو التغريب والرجم[١].

وجلد الثيب منسوخ أيضًا، فعله رسول الله ﷺ، ثم تركه[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾. قرأ ابن كثير[٣]: (اللّذانّ)، (هَذَانّ)، (هاتَينّ)، (فَذَانِّك) مشددة النون، ووافقه أبو عمرو في: (فَذَانِّك). وإنما شدد نون التثنية لأنه جعل التشديد عِوضًا من الحذف الذي لحق الكلمة، ألا ترى أن قولهم: إذًا قد حذف لامها، وقد حذفت الياء من: (اللَّذانِّ) في التثنية. فإن قلت: إنّ الحذف في: (اللّذانّ)، إنما هو لالتقاء الساكنين، وما حذف لالتقاء الساكنين فهو في تقدير الثبات بدلالة قوله:

ولا ذاكر الله إلا قليلا[٤]

ألا ترى أنه نصب مع الحذف كما ينصب مع الإثبات؟ قيل: إن المحذوف[٥] في (اللَّذانّ) لمّا لم يظهر في التثنية التي كان يلزم أن يثبت فيها ويتحرك، أشبه ما حُذف حذفًا، لغير التقاء الساكنين، فاقتضى العوض،

---

(١) لعله يشير إلى حديث عبادة المتقدم.

(٢) حكى الطبري الإجماع على ذلك في «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٤، وقال البغوي: وعامة العلماء على أنّ الثيب لا يُجلد مع الرجم لأن النبي ﷺ رجم ماعزًا والغامدية ولم يجلدهما «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٢، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٥٠٣.

(٣) هو أبو مَعبَد عبد الله بن كثير بن المطلب، أحد القراء السبعة، تقدمت ترجمته.

(٤) عجز بيت لأبي الأسود الدؤلي، وصدره:

فألفيته غير مستعتب

«الكتاب» ١/ ١٦٩، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٠٢، «المقتضب» ٢/ ٣١٢، «الحجة» ٢/ ٤٥٤، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٣٤. والشاهد منه: ذاكر الله، حيث نصب لفظ الجلالة مع حذف التنوين من ذاكر.

(٥) في «الحجة» ٣/ ١٤٢: إن اللام.

وكذلك القول في: (هذان) التشديد فيه عوض من المحذوف عنه في التثنية، وكان حقهما في التثنية: اللّذيان وهذيان. واتفقت هذه الأسماء من (اللذان وهذان) في هذا التعويض، كما اتفقتا في التحقير في فتح الأوائل منهما، مع ضمها في غيرهما، وفي إلحاق الألف أواخرها[١]، وذلك نحو: اللذيّا، واللتيّا، وهاتيّا، وهاذيّا[٢].

فأما تخصيص أبي عمرو التعويض في المُبهمة ألزم[٣]، فبحسب لزومها الحذف ألزمها العوض، ألا ترى أن اللذين[٤] إذا قلت: اللذيّا، فحقّرت أظهرت اللام المحذوفة في التثنية في التحقير، وإذا حقّرت المُبهمة[٥] قلت: ذيّا[٦]، فالحذف قائم؛ لأنه كان ينبغي: ذَيِيّا[٧]، الياء الأولى عين الفعل، والثانية للتحقير، والثالثة لام الفعل، فُحذفت التي هي عين الفعل، ولم يجُز أنْ تحذف التي هي لام، لأنك لو حذفتها لتحركت ياء التحقير لمجاورتها الألف، وهذه الياء لا تُحّرك أبدًا، فلما لم يُتَم المُبهم في التحقير لمجاورتها الألف، وأُتِم الموصول، خص المبهم بالعوض دون الموصول. فإن قيل: هلا وجب العوض من المنقوص في التثنية نحو: دم، ويد، وغد؟

(١) في «الحجة» ٣/ ١٤٢ -والكلام من أوله في الآية منه- هذه الكلمة: أواخرهما.

(٢) لعل المراد التصغير.

(٣) قد يكون هنا سقط أو اختصار، ففي «الحجة» ٣/ ١٤٢: فأما تخصيص أبي عمرو التعويض في المبهمة في نحو قوله: (فذانِّك) وتركه التعويض في اللذان، فيشبه أن يكون ذلك لما رآه من أن الحذف للمبهمة ألزم، فبحسب إلخ.

(٤) في (أ)، (د): الذي، ولعل الصواب ما أثبته، كما في «الحجة» ٣/ ١٤٢.

(٥) في «الحجة»: المبهم.

(٦) في «الحجة»: هاذيا.

(٧) في «الحجة»: هاذييا.

قيل: هذا لا يلزم، ألا ترى أنهم عوضوا في: أسطاع، وأهراق، ولم يعوضوا في: أجاد، وأقام، ونحو ذلك. وأيضًا فإن الحذف لَمَّا لم يلزم هذه الأساء المتمكنة كان الحذف كلا حذف، ألا ترى أنّ منه ما يتم في الواحد نحو:

إن مع اليوم أخاه غدوًا[(١)]

ومنه ما يتم في التثنية نحو: يديان بيضاوان[(٢)].

ونحو:

جرى الدميان بالخبر اليقين[(٣)]

وفي الجمع نحو: أيد، ودماء، وفي التحقير نحو: دُميّ، ويُديّة، وليست المبهمة كذلك.

ويمكن أن يكون أبو عمرو قَدّر (ذَانِّك) تثنية ذلك، فعوض الحرف في التثنية من الحرف الزائد الذي كان في الإفراد، والأول أشبه[(٤)].

---

(١) صدره:

لا تقلواها وادلواها دلوا

وانظر: «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٨٤، و«المستقصى في الأمثال» ١/ ٤١٤، و«مجمع الأمثال» ١/ ٣٠٤، و«الزاهر» ١/ ٣٣٨، و«اللسان» (دلو)، و«جمهرة اللغة» (فلو - قلو - دغن - دمو).

(٢) جزء من شطر بيت هو:

يَدَيان بَيضَاوان عند مُحَلِّم قد تَمْنَعَانِك أَنْ تُضام وتُضهدا

ولم يعرف قائله. انظر «الحاشية في تحقيق الحجة» ٣/ ١٤٣.

(٣) عجز بيت صدره:

فَلَو أنّا عَلى حَجَرٍ ذُبِحنا

وينسب لعلي بن بدال بن سليم وقيل لغيره. انظر: «مجالس العلماء» للزجاجي بتحقيق هارون ص٢٥١، «الإنصاف» ص٣٠٠، «معجم شواهد العرب» ص٤٠٨.

(٤) الكلام من أوله في «القراءات» لأبي علي الفارسي في «الحجة» ١/ ١٤١-١٤٤، =

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيَـٰنِهَا﴾ أي الفاحشة[1]. قال المفسرون: هذا في البِكرين يزنيان[2].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ قال عطاء وقتادة والسدي: يعني التَّعيير باللسان والتوبيخ، كما ذكرنا[3].

وقال ابن عباس: يؤذيان بالتعيير ويضربان بالنعال[4].

﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة، ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل فيما بعد، فاتركوا أذاهما[5].

وقد ذكرنا حكم هذه الآية في الآية التي قبلها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٦]. معنى التَّواب أنه يعود على عبده بفضله ومغفرته إذا تاب إليه من ذنبه[6].

وذكرنا قول سيبويه والخليل في مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وما أشبه هذا.

= بتصرف في العبارة وحذف لا أثر لهما في المعنى. انظر: «معاني القراءات» ١/ ٢٩٦، «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه ص١٢١، «حجة القراءات» ص١٩٣.

(١) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٢، والطبري ٤/ ٢٩٤.

(٢) انظر: الطبري ٤/ ٢٩٤-٢٩٥، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٥أ.

(٣) قول قتادة والسدي عند الطبري ٤/ ٢٩٦، ونسبه لعطاء الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٥ أ. انظر «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٥.

(٤) هذا الأثر عن ابن عباس ثابت، فهو من طريق ابن أبي طلحة كما في «تفسير ابن عباس» ص١٣٨، والطبري ٤/ ٢٩٦، وعزاه السيوطي أيضًا إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣١، وانظر: «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ٢٠١.

(٥) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٩٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٥ أ، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣١.

(٦) انظر: «الطبري» ٤/ ٢٩٨.

وكان أبو عبيدة يتأول في كان معنيين: المُضِيّ والاستقبال، وينشد قول جرير:

فأدركتُ من قَد كان قبلي ولم أَدَع ... لمَن كان بَعدي في القصائدِ مَصْنَعَا(١)

وقال ابن الأنباري: معنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ وأشباه هذا: وكان الله أبدًا ولم يزل كذلك، وصَلحَ وضعُ الماضي في موضع الدائم؛ لأن المعنى كان مفهومًا غير مُلبِس، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وهو يريد: ويُنادي؛ لأن المعنى مفهوم، وإنما (عبرنا للماضي)(٢)؛ لأن الذي هو في علم الله كونه لا بد من وقوعه، فكأنه قد وقع، ولا يجوز: قام عبد الله، بمعنى: يقوم؛ لأنه يُشكل.

وذهب المبرد وابن قتيبة إلى أن (كان) في مثل هذا صلة في جميع القرآن(٣)، وأنشد المبرد:

فكيف إذا مررتُ بدارِ قوم(٤) ... وجيرانٍ لَنا كانوا كِرام(٥)

فألغى كان. قال ابن الأنباري: ولا وجه لهذا عندي؛ لأنه لا يُلغى(٦) الكونُ وهو عامل، والكون في البيت الذي أنشده المبرد غير عامل.

---

(١) لم أقف على ما نسبه المؤلف لأبي عبيدة، لا في «المجاز» ولا في غيره، وأما البيت فهو في «ديوان جرير» ص٢٦٣، لكن أوله: (وأدركت) بالواو. والشاهد منه: أن (كان) الأولى للمُضي، و(كان) الثانية للاستقبال.

(٢) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: عبر بالماضي.

(٣) انظر: «المقتضب» ٤/ ١١٦ وما بعدها.

(٤) في «المقتضب»: فكيف إذا رأيت ديار قوم.

(٥) نسبه المبرد للفرزدق في «المقتضب» ٤/ ١١٦، وهو في «ديوانه» ٢/ ٢٩٠، وغير منسوب في «مجاز القرآن» ٢/ ٧، ١٤٠، و«اللسان» ٧/ ٣٩٦١ (كون).

(٦) في (أ): (يلقي).

١٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾. قال الحسن: يعني: التوبة التي يقبلها الله[١]، فتكون (على) بمعنى عند.

وقال أهل المعاني: إن الله تعالى وعَد قبول التوبة من المؤمنين في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤]، وإذا وعد الله تعالى شيئًا صدّق ميعاده ولم يجز الخلف فيه، فمعنى (على الله) أنه أوجب ذلك على نفسه بفضله[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾. اتفقوا على أنه لم يُرِد بالجهالة ههنا أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاصي[٣]؛ لأن من عمل ذنبًا وهو لا يعلم أنه ذنب لم يستحق عقابًا؛ لأن الخطأ مرفوع عن هذه الأمة.

قال الكلبي: لم يَجهل أنه ذنب، ولكنه جهل عقوبته[٤]، ومثل هذا قال الفراء[٥].

وهذا لا يصح؛ لأنه يوجب أن من علم عقوبته وكان عالمًا بالتهديد فيه وكنه العقوبة لم تكن له توبة.

والصحيح في هذا ما قال المفسرون أن المعاصي كلها جهالة، ومن

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ٢٦ ب، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦، «تفسير الحسن البصري» ١/ ٢٦٦.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣١، ٢٥٤.

(٣) أخرج ابن جرير بسنده عن قتادة -رحمه الله- أنه قال في هذه الآية: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة، عمدًا كان أو غيره، «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٨، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٢٦ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٤.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ٢٦ ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ١٨٤.

(٥) قال في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٩: لا يجهلون أنه ذنب، ولكن لا يعلمون كنه ما فيه كعلم العالم.

عصى ربه فهو جاهل[١]، يدل عليه قوله ﷻ إخبارًا عن يوسف: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] أي من العاصين[٢].

قال ابن عباس في هذه الآية: يريد أن ذنب المؤمن بجهل[٣] منه[٤].

وقال الزجاج: معنى الجهالة ههنا؛ أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جُهّال[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾. قال ابن عباس: يريد ولو قبل موته بفواق[٦]، وهو قول أبي موسى الأشعري[٧][٨].

---

(١) كما تقدم عن قتادة ونقله الإجماع من الصحابة على ذلك.

(٢) انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٢.

(٣) في (د): (جهل)، واللفظان متقاربان، وما أثبته يصح بتقدير: أن ذنب المؤمن يقع بجهل منه.

(٤) أخرج الطبري من طريق الكلبي عن ابن عباس: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال: من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء. «تفسير الطبري» ٤/ ٢٩٩، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٨، ابن كثير ٢/ ٥٠٤، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٢.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩.

(٦) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٧٩، ونسبه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٢٧ أ بنصه إلى أبي موسى الأشعري، ولم أجده عن ابن عباس، لكن ثبت من طريق ابن أبي طلحة عنه أنه قال: القريب فيما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت. «تفسير ابن عباس» ص١٣٩، والطبري ٤/ ٣٠٠. والمراد بالفواق فواق الناقة وهو رُجوع اللبن في ضَرعها أو ما بين الحَلبتين. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٨٨ (فوق).

(٧) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار الأشعري، مشهور باسمه وكنيته أسلم مبكرًا واستعمله النبي ﷺ على اليمن، كان حسن الصوت بالقراءة فقيهًا مكثرًا من رواية الأحاديث مجاهدًا. توفي ﷺ سنة ٤٢هـ، وقيل بعدها. انظر: «تاريخ خليفة» ص٩٧، ١٣٥، ٢١١، «أسد الغابة» ٣/ ٣٦٧، «الإصابة» ٢/ ٣٥٩.

(٨) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٢٧ أ.

وقال عكرمة وابن زيد: ما قبل الموت فهو قريب(١)، وكذلك قال الزجاج، أي: يتوبون قبل الموت؛ لأن ما بين الإنسان والموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. قال ابن عباس: يريد علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق واليقين فحكم لهم بالتوبة قبل الموت بقدر فَوَاق ناقة(٣).

١٨- قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ الآية. تعلقت الوعيدية(٤) بهذه الآية، وقالت: أخبر الله تعالى أن عصاةَ أهل الصلاة إذا أهملوا أمرهم إلى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار؛ لأنه جمعهم في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٥).

والجواب: ليس الأمر على ما زعمتم، فقد قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ يريد الشرك(٦).

---

(١) أخرج قولهما بنحوه الطبري ٨/ ٣٠١، وبنصه من «الكشف والبيان» ٤/ ٢٧/أ، وانظر: البغوي ٢/ ١٨٥، وابن كثير ١/ ٥٠٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٩.

(٣) راجع ما سبق من التعليق على الأثر المتقدم عن ابن عباس.

(٤) هم قوم من المعتزلة وغيرهم غلبوا جانب الوعيد في النصوص الشرعية وأغفلوا جانب الوعد. انظر «مقالات الإسلاميين» ص٢٧٤، ٢٧٦.

(٥) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٥٧.

(٦) لم أجده عن ابن عباس من رواية عطاء، لكن ثبت معناه عنه من طريق علي ابن أبي طلحة قال: قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ الآية قال: فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة. «تفسير ابن عباس» ص١٣٩، =

وقال عكرمة عنه في هذه الآية: هم أهل الشرك[١].

أخبرناه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا محمد بن الحسن الكارزي، أخبرنا على بن عبد العزيز، أخبرنا أبو عبيد[٢]، حدثنا مُحمد بن ربيعة[٣]، عن النّضر بن عمران[٤]، عن عكرمة، عن ابن عباس.

وقال الربيع بن أنس: ﴿إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ هو المنافق، ألا ترى يتلوه الكافرون[٥].

وقال سعيد بن جبير: نزلت الأولى في المؤمنين، يعني قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية، والوسطى في المنافقين، يعني قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾، والأخرى في الكافرين، يعني قوله: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾[٦].

= والطبري ٤/ ٣٠٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨، ابن كثير ١/ ٥٠٤-٥٠٥، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٣.

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٣، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢) السند إلى أبي عبيد تقدم قريبًا.

(٣) هو محمد بن ربيعة الكلابي بن وكيع، صدوق، توفي -رحمه الله- بعد سنة ١٩٠هـ (هذا ما وجدته عنه مما يناسب المقام). انظر: «ميزان الاعتدال» ٣/ ٥٤٥، «التقريب» ص٤٧٨ رقم (٥٨٧٧).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) أخرج الطبري بإسناده عن الربيع: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾، قال: نزلت الأولى في المؤمنين، ونزلت الوسطى في المنافقين، يعني: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، والأخرى في الكفار، يعني: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾. «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠٣.

(٦) لم أقف على من أخرجه عن سعيد بن جبير، وقد تقدم قريبًا أن الطبري أخرجه عن الربيع بن أنس ٤/ ٣٠٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨.

وإذا كانت الآية نازلة إما في الكفار أو المنافقين، على قول الصحابة والتابعين الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، فلا وجه لحملها على أهل الصلاة.

وبهذا الإسناد الذي ذكرنا عن أبي عبيد قال: حدثنا ابن صالح، -يعني: عبد الله-، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال: ثم أنزل الله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر، وأرجى أهل التوحيد إلى مشيئته، ولم يُؤيسهم من المغفرة(١).

فإن قيل: هذا على ما رَوَيتم نسخٌ للأول، ونسخ الخبر لا يجوز. قلنا: لا نَدعي(٢) النسخ، ولفظ النسخ لم يُنقل عن ابن عباس، ولكن الآية الأولى اقتضت العموم بظاهرها، فلما نزلت الآية الثانية علمنا أن المراد بالأولى غير أهل التوحيد، من المنافقين والكافرين(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾. الذين في موضع الخفض بالعطف على الأول(٤). ومعناه: لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم في الآخرة(٥)، وإنما لم تقبل التوبة في الآخرة لرفع التكليف ومعاينة

(١) «تفسير ابن عباس» ص١٣٩، وأخرجه الطبري بنفس الإسناد ٤/ ٣٠٤، وانظر: «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ٢٠٣.

(٢) في (د): (يدعى) بالياء.

(٣) أي: أن الآية الثانية مخصصة لعموم الأولى.

(٤) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٩، والطبري ٤/ ٣٠٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٢-٤٠٣، والثعلبي ٤/ ٢٨ أ.

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٩، والطبري ٤/ ٣٠٤.

ما وعدوا في الدنيا من الثواب والعقاب، ولهذا لم تقبل توبة المُحتَضر لمعاينة أحكام الآخرة.

قال الزجاج: ولأنه تاب في وقت (لا يُمكنه التصرف[١]) فيما يُحقق التوبة[٢].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا وأعددنا. يقال: أعتدت الشيء فهو معتد وعتيد، وقد عتد الشيء عتادة وهو عتيد حاضر. قاله الليث، قال: ومن هنالك سميت العتيدة، التي فيها طيب الرجل وأدهانه، والعتاد ما أعده الرجل من السلاح والدواب والآلة للجهاد، ويُجمع: أعْتُدَةً، وأعتُدًا. ويقال: فرس عَتِدٌ وعَتَدٌ، وهو المُعَدّ للركوب[٣].

واختلفوا في هذا الحرف، فقال قوم: عَتَد، بناء على حدة وأصل بنفسه[٤] ثم تُدغم التاء في الدال فيقال: أعدّ، والعدّة إنما هي العتدة ولكن أُدغمت التاء في الدال، الذي يدل على هذا قولهم: العدّان، في جمع: عتود، وأصله عتدان، فعلى هذا الأصل أعتد، وأعدّ مدغم منه.

وقال آخرون بناء أَعدّ من عين ودالين؛ لأنهم يقولون: أعددنا، فيظهرون الدالين، وأنشدوا قول امرئ القيس[٥]:

---

(١) في «معاني الزجاج»: لا يمكن الإقلاع بالتصرف.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٨ أ، «اللسان» ٥/ ٢٧٩٤ (عتد).

(٤) لعلها هكذا.

(٥) تقدمت ترجمته.

أعـددتُ لـلـحـرب صـارمًـا ذَكـرًا مُـجرَّب الـوَقـع غيـر ذي عَـتَـبِ[١]

ولم يقل أَعَتَدْت[٢].

قال الأزهري: جائز أن يكون الأصل أعددت، ثم قلبت إحدى الدالين تاء، فعلى هذا الأصل أعدّ، وأعتد مقلوب[٣] منه[٤].

قال الأزهري: وجائز أن يكون عتد بناء على حدة، وأعدّ بناء مضاعفًا، وهذا هو الأصوب عندي[٥].

١٩- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ الآية.

قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية[٦] إذا مات جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على المرأة، فصار أحقَّ بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها بغير صَداق، إلا الصَّداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوَّجها غيره وأخذ صَداقها، ولم يُعطِها منه شيئًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأعلم أن ذلك حرام، وأن الرجل لا يرث المرأة من الميت[٧].

---

(١) البيت غير منسوب عند الأزهري في «التهذيب» ٣/ ٢٣١٦، ولا في «اللسان» ٥/ ٢٧٩٥ (عتد) ولم أجده في «ديوان امرئ القيس» الذي بين يدي.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٦-٢٣١٧ (عتد) بتصرف، وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٧٩٤ المادة نفسها.

(٣) في (د): (مقارب).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٦ (عتد) بتصرف، وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٧٩٥ المادة نفسها.

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٧ (عتد) بتصرف، وانظر «اللسان» ٥/ ٢٧٩٥ المادة نفسها.

(٦) في «أسباب النزول» للمؤلف (١٥١)، كان أهل المدينة في الجاهلية، وكذلك عند الثعلبي ٤/ ٢٨ أ.

(٧) انظر: «تفسير القرآن» لعبد الرزاق ١/ ١٥١، والطبري ٤/ ٣٠٥-٣٠٨، «معاني =

وقال بعضهم: الوراثة تعود إلى المال، وذلك أن وارث الميت كان له أن يمنعها من الأزواج إلى أن تموت فيرثها ما ورثت من الميت، فقال الله تعالى: لا يحل لكم أن ترثوهن أموالهن وهن كارهات(١).

وقوله تعالى: ﴿كَرۡهٗا﴾ قرئ بفتح الكاف وضمها(٢)، وهما لغتان، كالفَقْر والفُقر، والضَّعف والضُّعف، والشَّهد والشُّهد(٣). قال أحمد بن يحيى(٤): ولا أعلم بين الأحرف التي ضمها (بعض القراء(٥)) وفتحها بعضهم من: الكَره والكُره فرقًا في العربية، ولا في سُنَّة تُتّبع، ولا أرى الناس اتفقوا على الحرف الذي في سورة البقرة خاصة، وهو قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إلا أنه اسم وبقية القرآن مصادر(٦).

= الزجاج» ٢/ ٣٠، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٨ أ، «أسباب النزول» للمؤلف ص١٥١، «زاد المسير» ٢/ ٣٩، ابن كثير ١/ ٥٠٦-٥٠٧، «لباب النقول» ص٦٥، ٦٦.

(١) ممن ذهب إلى ذلك ابن عباس والزهري. انظر: الطبري ٤/ ٣٠٦-٣٠٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٤-٢٣٥.
وقد اختار الطبري القول الأول وأن المراد بوراثة النساء وراثة نكاحهن. انظر: «تفسير الطبري» ٤/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) قراءة الضم لحمزة والكسائي، والفتح لبقية العشرة. انظر: «السبعة» ص٢٢٩، «الحجة» ٣/ ١٤٤، «المبسوط» ص١٥٥، «النشر» ٢/ ٢٤٩.

(٣) «الحجة» ٣/ ١٤٤.

(٤) هو ثعلب وقوله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٦.

(٥) في (د): بدون (بعض).

(٦) انتهى قول ثعلب من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٦ (كره)، وانظر: «اللسان» ٧/ ٣٨٦٥ نفس المادة.

قال الأزهري: وقد أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَره والكُره لغتان، فبأي لغة قرئ فجائز، إلا الفراء[١].

وقد ذكرنا قوله في سورة البقرة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ ذكرنا معنى العضل في سورة البقرة[٣].

قال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك: المَنهيّ عن العضل ههنا الأزواج، فهو أن يُمسكوهن إذا لم يكن لهم فيهن حاجة إضرارًا بهن حتى يَفتدين ببعض مُهورهن[٤].

وهذا القول اختيار الزجاج، قال: هؤلاء المُخاطَبون غير أولئك.

وكان الرجل منهم إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها لتفتدي منه، فأَعلمَ الله ﷻ أنّ ذلك لا يَحلّ[٥].

وقوله تعالى: ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ يَصلح أن يكون نصبًا وجزمًا[٦]. أما النصب على أن المعنى: لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن[٧]،

---

(١) انتهى من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٦ (كره)، ووجهة نظر الفراء كما في «التهذيب» بقول الأزهري: فإنه زعم أن الكَره ما أكرهت نفسك عليه، والكُره ما أكرهك غيرك عليه، جئتك كَرها، وأدخلتني كُرها، وانظر: الثعلبي ٤/ ٢٨ ب.

(٢) انظر: «البسيط» [البقرة: ٢١٦].

(٣) انظر: «البسيط» [البقرة: ٢٣٢].

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٥١، الطبري ٤/ ٣٠٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٢٩ب، البغوي ٢/ ١٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٠، ابن كثير ١/ ٥٠٧، «تحقيق المروي» عن ابن عباس ١/ ٢٠٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٠.

(٦) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٩، و«الطبري» ٤/ ٣٠٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٠.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠، و«الطبري» ٤/ ٣٠٩.

قال الفراء: وكذا هو في قراءة عبد الله[١]. وأما الجَزْم فعلى النهي[٢].

قال الأزهري[٣]: العَضل في هذه الآية من الزوج لامرأته، وهو أن يُضارّها ولا يُحسن معاشرتها، ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها، سماه الله عَضلًا؛ لأنه يمنعها حقها من النفقة وحسن العشرة، كما أن الولي إذا منع أَيِّمه[٤] من التزويج فقد منعها (الحق الذي يجب لها عليه)[٥][٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء، والحسن وأبو قلابة[٧] والسدي: الفاحشة ههنا الزنا[٨].

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٢٥٩، وانظر: «الطبري» ٤/ ٣٠٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٤.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٥٩، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٧٥ (عضل).

(٤) في «تهذيب اللغة»: حريمته.

(٥) في «التهذيب»: الحق الذي أبيح لها من النكاح، ولعل تعبير الواحدي أدق.

(٦) انتهى من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٧٥ (عضل)، وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٩٨٨-٢٩٨٩ المادة نفسها

(٧) هو عبد الله بن زيد الجرمي البصري من مشاهير علماء التابعين وثقاتهم إلا أنه يدلس وفيه نصب يسير، وقد أخرج حديثه الجماعة. توفي -رحمه الله- سنة ١٠٤هـ وقيل بعدها. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٣٠، «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٢٥، «التقريب» ص٣٠٤ رقم (٣٣٣٣).

(٨) أخرج قول الحسن وأبي قلابة والسدي الطبري ٤/ ٣١٠، وأما ابن عباس فإن الثابت عنه من رواية علي ين أبي طلحة كالقول الثاني، أن المراد: هو البغض والنشوز. «تفسير ابن عباس» ص١٤٠، وأخرجه الطبري ٤/ ٣١٠.
وانظر في ذلك: «تفسير الهواري» ١/ ٣٦٠، ٣٦١، البغوي ٢/ ١٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٤١، ابن كثير ١/ ٥٠٧، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٥.

وهو اختيار الزجاج[١].

وقال ابن مسعود وقتادة والضحاك: هي النشوز[٢].

ثم اختلفوا في حُكم الآية؛ فقال الأكثرون: إذا زنت امرأة تحتَ رجُلٍ، أو نَشزَت عليه، حلّ له أن يَسْألها الخُلع، وأن يُضارَّها ويُسيء معاشرتها لتفتدي منه بالمهر.

قال أبو قلابة: إذا رأى الرجل من امرأته فاحشةً فلا بأس أنْ يُضارّها حتى تَخَتلِع منه[٣]. قال الأزهري: فجعل الله ﷻ اللواتي يأتين الفاحشة مُستَثنيات من جُملة النساء اللواتي نهى الله أزواجهن عن عضلهن ليذهبوا ببعض ما آتوهن من الصداق[٤].

وذهب بعضهم إلى أن هذا كان يجوز ثم نُسخ.

قال عطاء الخراساني: كان الرجل إذا أصابت امرأته فاحشةً أَخذ منها ما ساق إليها وأخرجها[٥]، فنَسخ ذلك الحدود[٦].

وهذا الاختلاف على قول من يجعل الفاحشة الزنا، ومن جعلها النشوز فلا نَسخ عنده، وللزوج إذا نَشزت المرأة أن يُسيء[٧] عِشرتها لترغب في الفدية.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠.

(٢) نص قول قتادة والضحاك ومعنى قول ابن مسعود حسبما أخرج الطبري ذلك عنهم في «تفسيره» ٤/ ٣١١، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٢٩ أ، «زاد المسير» ٢/ ٤١، وابن كثير ١/ ٥٠٧، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٦.

(٣) أخرجه الطبري ٤/ ٣١٠، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٧٥ (عضل).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٧٥ (عضل).

(٥) في (د): (ثم أخرجها).

(٦) أخرجه الطبري ٤/ ٣١١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤١، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٦.

(٧) في (أ): (بشى) بالشين المعجمة، ولعله تصحيف.

واختلف[١] القراء في المبيّنة والمبيّنات، فقرئت بفتح الياء وكسرها[٢].

قال سيبويه: يقال: أبان الأمر وأبنته واستبان، واستبنته، وبيّن وبيّنته[٣]، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم. فمن فتح الياء فالمعنى عنده: يُبيَّن فحشها فهي مبينة، ومن كسر فحجته ما جاء في التفسير: فاحشة ظاهرة، فظاهرة حجة لمبيِّنه[٤]. ثم قال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال ابن عباس: يريد اصْحبها بما يَجِب لها عليك من الحق[٥]. وقال الزجاج: هو النُّصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول[٦]. وهذا قبل أن يأتين بالفاحشة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. قال ابن عباس[٧]: يريد فيما كرهتم مما هو لله رضا. ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٨] يريد ثوابًا عظيمًا[٩].

---

(١) في (د): (واختلاف).

(٢) قراءة الفتح لابن كثير وأبي بكر عن عاصم، والكسر للباقين. انظر: «السبعة» ص٢٣٠، «الحجة» ٣/ ١٤٥، «الكشف» ١/ ٣٨٣، «النشر» ٢/ ٢٤٨ .

(٣) قول سيبويه في «الكتاب» ٤/ ٦٣، وقد أخذه المؤلف من «الحجة» ٣/ ١٤٥.

(٤) انظر: الطبري ٤/ ٣١٢، «الحجة» ٣/ ١٤٦، «حجة القراءات» ص١٩٦، «الكشف» ١/ ٣٨٣.

(٥) لم أقف على من خرجه عن ابن عباس، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٠، وانظر «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٤٧.

(٧) في «الوسيط» ٢/ ٤٨٤: قال عطاء.

(٨) في (أ): (خير كثير).

(٩) لم أقف عليه.

قال المفسرون: الخير الكثير في المرأة المكروهة أن يرزقه الله منها ولدًا صالحًا ويعطفه عليه[١].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾ الكناية تعود إلى قوله: ﴿شَيْئًا﴾، ويجوز أن تعود إلى الكراهة والكُره؛ لأن الفعل يدل على المصدر[٢].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية. قال المفسرون: لما ذكر الله تعالى في الآية الأولى مُضارّة الزوجات إذا أتين بفاحشة، بَيّن في هذه الآية تحريم المضارة في غير حال الفاحشة، ونهى عن بَخس[٣] حقَّها من المهر إذا أراد الرجل طلاقها وأن يتزوج غيرها، فليس المهر للمرأة موقوفًا على التمسك بها، حتى إذا أراد الاستبدال جاز له أخذه، بل هو تَمليكٌ صحيح لا يجوز الرجوع فيه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾. فيه دليل على جواز المُغالاة في المهر[٥]، فقد رُوي أنّ عمر ﷺ قال على المنبر: ألا لا تُغالوا في مُهور نسائكم. فقامت امرأة وقالت: يا ابنَ الخطاب: الله يُعطينا وأنت تمنع، وتلت هذه الآية، فقال عمر: كُلّ الناس أفقه من عمر، ورجع عن

---

(١) روى نحوه عن ابن عباس، وقال به كثير من المفسرين. انظر: الطبري ٤/ ٣١٣، و«تفسير الهواري» ١/ ٣٦١، والثعلبي ٤/ ٢٩ أ، والبغوي ٢/ ١٨٦، و«زاد المسير» ٢/ ٤٢، وابن كثير ١/ ٥٠٨، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٦.

(٢) انظر: الطبري ٤/ ٣١٣، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٤، «الدر المصون» ٣/ ٦٣٢.

(٣) في (د): (يحسن).

(٤) هذا من اهتمام المؤلف -رحمه الله- ببيان التناسب بين الآيات، وقليل من المتقدمين من اهتم بذلك. انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٢٠٥.

(٥) زيادة المهر وكثرته شيء، والمغالاة بمعنى التنافس في زيادته شيء آخر، والآية دلت على جواز الأول دون الثاني، والله أعلم.

كراهة المُغالاة[١].

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾.

البهتان في اللغة الكذب الذي يواجه به صاحبه على جهة المُكابرة له، وأصله من قولهم: بُهِت الرجل، إذا تحيّر، فالبهتان كذب يُحيِّر الإنسان لعِظَمه، ثم جُعل كل باطل يتحيّر من بطلانه بهتانًا، وهو اسم من البَهت، يقال: بَهَته، أي[٢]: استقبله بأمر يقذفه به وهو منه بريء[٣]، ومنه الحديث: إذا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته[٤].

قال الزجاج: البهتان ههنا مصدر وضع موضع الحال، المعنى: أتأخذونه مباهتين وآثمين[٥].

وقال ابن عباس في هذه الآية: يريد أن أخذك إياه بعدما دخلت بها بهتان وإثم عظيم[٦]. وفُسر البهتان في هذه الآية بالظلم[٧].

---

(١) أخرجه بنحوه أبو يعلى بإسناد جيد قوي، وابن المنذر، انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٠٨، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٧.

(٢) في (د): (إذا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٤٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٠٠، «مقاييس اللغة» ١/ ٣٠٧، «الصحاح» ١/ ٢٢٤، «اللسان» ١/ ٣٦٨ (بهت).

(٤) لعله يريد حديث الغيبة، وفيه: «وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٢٣٠، عن أبي هريرة ﷺ وكذلك مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر، باب: تحريم الغيبة، وغيرهما، انظر: «المعجم المفهرس» ١/ ٢٢٦ (بهت).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١ بتصرف، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٠٠ (بهت).

(٦) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤١٥، ولم أقف على من خرّجه.

(٧) ممن فسره بذلك ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص١٢٢، والهواري في «تفسير» ١/ ٣٦١، والطبري في «تفسيره» ٤/ ٣١٤، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٤٣، إلى ابن عباس ولم أقف عليه عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾. استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لأخذ المهر بغير حِلّه[١]. ومضت نظائره والكلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾. الإفضاء في اللغة معناه الوصول، يقال: أفضى إليه، أي: وَصل إليه بالملابسة معه قال الشاعر:

بِلًى[٣] وَثأى أفضَى إلى كُل كُثْبَةٍ[٤]
بَدا سَيرُها مِن ظَاهِرٍ بعد ظَاهِرِ[٥]

أي: البلىٰ والفساد وصل إلى الخرز[٦].

وأصله من الفضاء، الذي هو السعة، يقال: فَضا يفضو، فُضُوّا وفَضاءً، إذا اتسع. والفاضي المكان الواسع. فالإفضاء الوصول باتساع المذهب[٧].

---

(١) انظر الطبري ٤/ ٣١٤، والثعلبي ٤/ ٢٩ ب.

(٢) الظاهر أنه في الكلام حذف وتصحيف، ولعل التمام والصواب: ومضى نظائره والكلام عليه.

(٣) عند الطبري ٤/ ٣١٤: بلى، ولعله هو الصواب.

(٤) عند الطبري ٤/ ٣١٤: كتبه بالتاء المثناة، ولعله هو الظاهر كما سيظهر في الحاشية التالية.

(٥) البيت للطرماح كما في «ديوانه» ص١٢٧، وآخره «من ظاهر بعد باطن»، و«المحرر الوجيز» ٢/ ٣٠. وقد أثبته محمود شاكر في تحقيقه للطبري كالتالي: [بلين] بِلًى أفضى إلى [كل] كُتبة، بدا سيرها من باطن بعد ظاهر، وقال محمود في حاشي: والكُتبة (بضم فسكون) هي الخَرَزَة المضمومة التي ضم السير كلا وجهيها من المزادة والسقاء والقربة، يقال: كتب القربة، خرزها بسيرين. وهذا بيت يصف مَزادًا أو قربًا قد بليت خرزها بلى شديدًا فقطر الماء منها، فلم تعد صالحة لحمل الماء. «تفسير الطبري» بتحقيق شاكر ٨/ ١٢٥.

(٦) الطبري ٤/ ٣١٤ بتصرف.

(٧) انظر «العين» ٧/ ٦٣ (فضو)، «جمهرة اللغة» ٣/ ٢٦١، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٦-٢٧٩٧، «الصحاح» ٦/ ٢٤٥٥ (فضا)، «أساس البلاغة» ٢/ ٢٠٥ (فضو)، =

وقال ابن المظفر: أفضى فلان إلى فلان، أي: وصل إليه. وأصله أنه صار في فُرجته وفَضائه[١].

وللمفسرين في الإفضاء في هذه الآية قولان: **أحدهما**: أن الإفضاء ههنا كناية عن الجماع. قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريد الجماع[٢]. وهو قول مجاهد والسدي[٣]، واختيار الزجاج[٤]، وابن قتيبة[٥]، ومذهب الشافعي؛ لأنْ عنده للزوج أن يرجع في نصف المهر إذا طلق قبل المسيس وإن خلا بها[٦].

القول الثاني: أن الإفضاء أن يخلو بها وإن لم يُجامعها.

= «اللسان» ٦/ ٣٤٣٠ (فضا).

(١) قول ابن المظفر في «العين» ٧/ ٦٣ (فضو)، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٦-٢٧٩٧ (فضا). وانظر «اللسان» ٦/ ٣٤٣٠-٣٤٣١ (فضا).

(٢) ثبت عن ابن عباس ﷺ أنه فسر الإفضاء ههنا بالجماع، لكن من طريق آخر، رواه عنه بكر بن عبد الله المزني، أخرجه ابن جرير في «تفسير الطبري» ٤/ ٣١٤، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨، «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ٢٠٨. ولم أقف على رواية عطاء.

(٣) أخرج ذلك عنهما الطبري ٤/ ٣١٥، والأثر عن مجاهد في «تفسيره» ١/ ١٥٠، ١٥١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٣، وابن كثير ١/ ٥٠٩، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨.

(٤) ليس للزجاج تصريح باختيار هذا القول دون غيره. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣١.

(٥) «غريب القرآن» ص١١٧.

(٦) انظر: «الأم» ٥/ ٢١٥.

وهذا القول اختيار الفراء في الإفضاء[١]، ومذهب أبي حنيفة[٢]؛ لأن الخلوة عنده تمنع من الرجوع في شيء من المهر بالطلاق[٣].

واللغة تحتمل المذهبين، روى ثعلب، عن ابن الأعرابي: أفضى الرجل: دخل على أهله، وأفضى: إذا جامعها[٤]. قال[٥]: والإفضاء في الحقيقة الانتهاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾ أي: انتهى وأوى[٦].

وابن عباس والأكثرون على القول الأول[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]. قال الحسن وابن سيرين[٨] والضحاك وقتادة والسدي وعكرمة والفراء: هو قولهم عند العقد: زَوجتُكها على ما أخذ الله للنساء على الرجال من إمساك

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٩.

(٢) هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، الإمام الكبير المشهور العلامة الثقة، إمام الرأي والمذهب الحنفي، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة ورأى أنس بن مالك. توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ص٣١٤، «تاريخ خليفة» ص٤٢٥، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٩٠، «التقريب» ص٥٦٣ رقم (٧١٥٣).

(٣) انظر: «الاختيار» لابن مودود الحنفي ٣/ ١٠٣.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٦(فضا).

(٥) أي ابن الأعرابي.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٦ (فضا)، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٢٦ المادة نفسها.

(٧) هذا يفيد بأن القول الأول قول الجمهور، ولعل هذا ترجيح من المؤلف له.

(٨) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصاري البصري التابعي، إمام ثقة ثبت في الحديث وكان لا يرى الرواية بالمعنى، عابد كبير القدر، وقد أخرج حديثه الجماعة. توفي -رحمه الله- سنة ١١٠هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ص٢٤٠، «مشاهير علماء الأمصار» ص٨٨، «التقريب» ص٤٨٣ رقم (٥٩٤٧).

بمعروف أو تسريح بإحسان[١].

قال الزجاج: التسريح بإحسان لا يكون بأن يأخذ مهرها، هذا تسريح بإساءة لا تسريح بإحسان[٢].

وقال مجاهد وابن زيد: الميثاق الغليظ كلمة النكاح التي يُستحل بها فروج النساء[٣]، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: الميثاق الغليظ: يريد الشهادة والخُطبة التي فيها ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ والنكاح[٤]. وقد قال النبي ﷺ: **«اتقوا الله في النساء، فإنكم (أخذتموهن بأمان)[٥] الله، واستحللتم فُروجهن بكلمة الله»**[٦]. والصحيح أن هذه الآية

---

(١) أخرج أقوال المتقدمين إلى عكرمة ابن جرير في «جامع البيان» ٤/ ٣١٥. وقد ذكر السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨ أن قول عكرمة كقول مجاهد الآتي عند المؤلف، وعزاه إلى ابن أبي شيبة. وقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٢ قول قتادة خاصة. وقد نسب نحو هذا القول لابن عباس. انظر في ذلك كله: الثعلبي ٤/ ٣٠ أ، «زاد المسير» ٢/ ٤٣، ابن كثير ١/ ٥٠٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨. وأما قول الفراء ففي «معانيه» ١/ ٢٥٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٢.

(٣) الأثر عن مجاهد بنحوه في «تفسيره» ١/ ١٥١، وأخرجه الطبري ٤/ ٣١٦، وأما عن ابن زيد فقد أخرجه الطبري بلفظ: الميثاق النكاح. «جامع البيان» ٤/ ٣١٦. وانظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٣٦١، والثعلبي ٤/ ٣٠ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٤٤، وابن كثير ١/ ٥٠٩، و«الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨ .

(٤) لم أقف عليه، لكن أورد السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٨ أن ابن أبي حاتم أخرج عن ابن عباس: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ قال: هو قول الرجل: ملكت.

(٥) المثبت من صحيح مسلم، وورد في الأصل (أخذتم بأمانة).

(٦) جزءٌ من حديث طويل صحيح أخرجه مسلم رقم (١٢١٨) كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ، انظر: «المعجم المفهرس» (حل).

غير ناسخة لجواز الخُلع[١]، وأن للزوج أن يأخذ من المُختلعة[٢]؛ (لأن النشوز منها، فهو في حكم المُكره، لا المريد للاستبدال[٣].

وذهب بكر بن عبد الله[٤] إلى أنه ليس للزوج أن يأخذ من المُختلعة[٥]) شيئًا بظاهر هذه الآية[٦].

٢٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ الآية. قال ابن عباس وجميع المفسرين: كانت العرب يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه من بعده التي ليست بأمه، وكان نكاحًا جائزًا في العرب، فنهى الله عنه وحرمه[٧].

---

(١) انظر: الطبري ٤/ ٣١٦-٣١٧.

(٢) يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وانظر: الطبري ٤/ ٣١٦، وابن كثير ١/ ٢٩٢-٢٩٧.

(٣) انظر: «الطبري» ٤/ ٣١٦.

(٤) هو أبو عبد الله بكر بن عبد الله المُزني البصري، إمام تابعي ثقة ثبت جليل كان من المتعبدين وأهل الفضل والتواضع، توفي -رحمه الله- سنة ١٠٦هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ص٢٥١، «مشاهير علماء الأمصار» ص٩٠، «التقريب» ص١٢٧ (٧٤٣).

(٥) ما بين القوسين ليس في (د).

(٦) أخرج الطبري بسنده عن أبي الصَّبهاء قال: سألت بكرًا عن المُختلعة، أيأخذ منها شيئًا؟ قال: لا، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ «جامع البيان» ٤/ ٣١٧. وقد رد العلماء رأي بكر هذا. انظر: الطبري ٤/ ٣١٧، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٥٤٩، والقرطبي ٥/ ١٠٢.

(٧) أخرج الطبري بسند صحيح عن ابن عباس، قال: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين. قال فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. «جامع البيان» ٤/ ٣١٨، وانظر: «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ٢٠٩. وبنحو هذا القول قال قتادة وعكرمة وعطاء، وغيرهم. انظر: «الطبري» ٤/ ٣١٨، «الدر المنثور» ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.

فقوله: ﴿مَا نَكَحَ﴾ يحتمل أن تكون (ما) بمعنى: مَن، فيكون المعنى: ولا تنكحوا مَن نكح. ويحتمل أن تكون (ما) بمعنى المصدر، فيكون المعنى: ولا تنكحوا نكاح آبائكم، أي: كنكاح آبائكم، يعني: أن آباءهم كانو ينكحون أزواج آبائهم، فنهاهم الله أن يكون نكاحهم كنكاح آبائهم، فيكون في التقدير الأول النهي عن التزوج بمنكوحات الآباء، وفي التقدير الثاني النهي عن أن يكون نكاحهم كنكاح آبائهم في البطلان والفساد[١].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ عام في الحرائر والإماء، أما الحر فتحرم بنفس العقد[٢]، دخل بها الأب أو لم يدخل[٣]؛ لإطلاق النهي عر نكاحها من غير تقييد، والأمَة يحرم نكاحها بوطء الأب[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. سلف في اللغة معناه: تقد ومضى، يقال: سَلَفَ يَسلُفُ سُلُوفا[٥] فهو سَالِف. وكل مال قدمته في ثم سلعة اشتريتها بصفة معلومة فهو سَلَفٌ وسَلَم[٦].

---

(١) انظر: «الطبري» ٤/ ٣١٨-٣١٩، «الدر المصون» ٣/ ٦٣٥.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٣ أ.

(٣) ثبت عن ابن عباس ﷺ أنه قال في هذه الآية: كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو يدخل، فهي عليك حرام «تفسيره» ص١٤١، وأخرجه الطبري ٤/ ٣١٨، وما ذ المؤلف مُجمع عليه بين العلماء. انظر: «الإجماع» لابن المنذر ص٤٠، و«بد المجتهد» ٢/ ٣٤، «المغني» ٩/ ٥٢٤، ٥٢٥، والقرطبي ٥/ ١١٣، وابن كثير ١/ ٠٩

(٤) انظر «الكشف والبيان» ٤/ ٣٣ أ. وقيل تحرم الأمَة بمجرد اللمس والتقبيل، و بالنظر دون اللمس. انظر: القرطبي ٥/ ١١٤، وابن كثير ١/ ٥١٠.

(٥) جاء في «الصحاح» ٤/ ١٣٧٦ (سلف): سلف يسلف سلفًا أي: مضى. وانظ الطبري ٤/ ٣١٩، «مقاييس اللغة» ٣/ ٩٥ (سلف)، الثعلبي ٤/ ٣٣ ب، «اللس ٤/ ٢٠٦٨ (سلف) وفيه المصدر: سلوفًا كما عند المؤلف.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٥ (سلف).

ويقال: سَلَفَ له عمل صالح، أي: تقدم، والسلف أيضًا من تقدم من آبائك وذوي قرابتك.

ومنه قول طفيل[(١)]:

مضوا سلفًا قصدُ السَّبيلِ عليهمُ وصرفُ المنايا بالرجالِ تَقَلَّبُ[(٢)]

أراد أنهم تقدمونا، وقصد سبيلنا عليهم[(٣)].

واختلفوا في هذا الاستثناء بعد إجماعهم على أن هذا ليس بمُخرِجٍ من التحريم؛ لأنه لو كان استثناءً مُخرِجًا من التحريم لوجب أن يُقرّ ما قد مضى منه في النكاح قبل نزول الآية إذ كانوا أحياء[(٤)]، وأكثرهم على أنه استثناء منقطع؛ على معنى: لكن ما قد سلف فإن الله قد تجاوز عنه[(٥)].

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[(٦)]، والكلبي[(٧)]، وأبي عبيدة[(٨)]،

---

(١) هو أبو محمد طُفَيل بن كَعْبٍ الغَنَوي، من فحول الشعراء في الجاهلية ومن أحسنهم شعرًا وأكثرهم وصفًا للخيل. توفي نحو سنة ١٣ قبل الهجرة.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٢٩٥، «الأعلام» ٣/ ٢٢٨، «معجم الشعراء في لسان العرب» ص٢١٤.

(٢) استشهد بالبيت -إضافة إلى الأزهري- ابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٠٦٩ (سلف).

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٥ (سلف) بتصرف، وانظر: «الصحاح» ٤/ ١٣٧٦، «اللسان» ٤/ ٢٠٦٩ نفس المادة.

(٤) المؤلف يقصد الإجماع على حُرمة بقاء عقد الزوجية على من كان فعل ذلك قبل نزول هذه الآية. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٦٩.

(٥) انظر: «الطبري» ٤/ ٣١٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٤، والثعلبي ٤/ ٣٣ب، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٦٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٢٠.

وقُطْرُب[(١)(٢)]، وابن الأنباري[(٣)]، إلا أن بعض هؤلاء قالوا: لكن ما قد سلف فدعوه واجتنبوه[(٤)].

وقد ذكرنا معنى الاستثناء المنقطع عند قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقال المفضل: إلا ههنا بمعنى بَعْد، يعني: بعدما قد سلف فإن ذلك معفو عنه[(٥)]. وهذا اختيار الحسن بن يحيى الجرجاني، واحتج بقول الله ﷻ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، أي: بعد الموتة الأولى؛ لأن أحدًا لا يدخل الجنة إلا بعد أن يذوق الموت[(٦)].

وقال الأخفش: في الآية محذوف استثني هذا عنه[(٧)]، كأنه قيل: لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء؛ فإنكم تؤاخذون به إلا ما قد سلف، أي: فليس عليكم جناح فيما مضى قبل التحريم، وحُذفت المؤاخذة؛ لأن النهي يدل عليه[(٨)].

---

(١) هو أبو علي محمد بن المُستنير بن أحمد، اشتهر بلقبه (قُطْرُب) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٣ ب، «زاد المسير» ٢/ ٤٥.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٥.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ٣٣ ب.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٣ ب.

(٦) اختيار الجرجاني قد يكون في «نظم القرآن» وهو مفقود.

(٧) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: منه بالميم.

(٨) عبارة الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٤٤٠: وقال: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾؛ لأن معناه: فإنكم تؤخذون به، فلذلك قال: ﴿إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾، أي: فليس عليكم جناح، فكأن في كلامه سقطًا، أو أن المؤلف تصرف في العبارة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾. الكناية تعود إلى النكاح، أي: ذلك النكاح، والفعل دلّ على المصدر[١].

والمقت أشد البُغض[٢]، مَقَته يمقُته مقتًا، فهو ممقوت ومقيت[٣].

وفي هذا قولان:

أحدهما: أن هذا إخبار عما كان في الجاهلية، أُعلِمُوا أن هذا الذي حُرّم عليهم لم يزل مُنكرًا في قلوبهم، ممقوتًا عندهم، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه مقيت ومقتي[٤]، والمقت عندهم بُغضٌ عن أمر قبيح ركبهُ صاحبه.

وهذا الوجه اختيار الزجاج[٥]، وابن الأنباري، قال أبو بكر: يريد أنهم لم يزالوا يستسمجونه[٦]، وإن أتوه، ويسمونه المَقت؛ لبغضهم إياه فخبّر الله ﷻ بكان عما مضى من شنآنهم له قبل الإسلام الذي حَظَره.

القول الثاني: أن المعنى: أنه فاحشة في الإسلام، أي: زنًا ومقت من الله لمن فعله[٧].

---

(١) انظر: «الطبري» ٨/ ١٣٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٥، «البحر المحيط» ٣/ ٢٠٩.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٥٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢٨ (مقت)، والثعلبي ٤/ ٣٣ ب.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢٨، «الصحاح» ١/ ٢٦٦ (مقت).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢٨ (مقت).

(٥) في «معاني القرآن» ٢/ ٣٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٥.

(٦) أي يستقبحونه. قال الجوهري: سمُج الشيء بالضم سماجة: قبُح، فهو سمج، مثل ضخم فهو ضخم، وسمج، مثل خشن فهو خشن، واستسمجه عده سمجًا. «الصحاح» ١/ ٣٢٢ (سمج).

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٦.

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[١]، واختيار المبرد، ويذهب إلى أن (كان) زائدة، والمعنى: إنه فاحشة ومقت[٢].

وأنكر ذلك عليه الزجاج وابن الأنباري[٣]، وقالا: كيف تكون زائدة وهي عاملة، وقد مر هذا، وبعض النحويين[٤] نصر أبا العباس[٥] وقال المعنى: هو فاحشة، وأُدْخلت كان لِيَدُل أنه عند الله قبل هذه الحال كذا كان.

وقوله تعالى: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾. قال الليث: سَاء يَسُوء فعلٌ للذم ومجاوز، يقال: ساء الشيء يسوء، فهو سيء، إذا قَبُح، ويقال: سَاء ما فعل صنيعًا، أي: قبح صنيعُه صنيعًا[٦].

قال ابن قتيبة: أي: قبح هذا الفعل فعلًا وطريقًا، كما تقول: ساء هذا مذهبًا، وهو منصوب على التميز[٧]، كما قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩][٨].

---

(١) قال السيوطي وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾ قال: يمقت الله عليه.
«الدر المنثور» ٢/ ٢٤٠، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٥١٠. هذا ما وجدته عن عطاء حول هذا القول.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢، «معاني النحاس» ٢/ ٥١.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣.

(٤) لعله النحاس، انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٥١، ٥٢، «إعراب القرآن» ١/ ٤٠٤.

(٥) في (د): (أبو)، وهو تصحيف.

(٦) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣، وانظر: «العين» ٧/ ٣٢٧ (سوء).

(٧) عند ابن قتيبة: على التمييز.

(٨) «غريب القرآن» ص١١٧.

٢٣- قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾ الآية. الأُمَّهات جمع أمّ، وأم في الأصل أُمَّهَة، مثل: قُبَّرة وحُمَّرة، وأسقطت الهاء في التوحيد[(١)]، قال الشاعر في اللغة الأصلية:

أُمَّـهَـتـي خِـنْـدِفُ (وإلـيَـاسُ[(٢)]) أَبِـي[(٣)]

وقد يُجمع الأم: أمات[(٤)]، بغير هاء، وأكثر ما يُستعمل في الحيوان غير الآدمي[(٥)]، قال الراعي[(٦)]:

كـانَـتْ نَـجَـائِـبَ مُـنـذِرٍ ومُـحَـرِّقٍ   أُمَّـاتُـهُـنّ وطَـرْقُـهُـنّ فَـحِـيـلا[(٧)]

وقولهم أمهات، بالجمع، الهاء فيها زيادة، ووزنها فعلهات، وقول الشاعر:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢ (أم).

(٢) في (أ)، (د): والدَّوس، والتصويب من مصادر عدة ستأتي في عزو البيت وإيضاحه.

(٣) البيت لقُصَيّ بن كِلاب جد النبي ﷺ كما في «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣٠٨ (له)، وصدر هذا الرجز عنده:

عِـنْـد تَـنَـاديـهـم بِـهـالٍ وهَـبِـيـج

وهال كلمة زجر للخيل. وإلياس هو ابن مضر أحد أجداد قُصَيّ، وخِنْدِفُ زوجته أم مُدركة، وهذا لقب لها من الخندفة، وهو المشي بسرعة، واسمها ليلى بنت حلوان ابن عمران ابن الحاف من قضاعة. انظر «الاشتقاق» لابن دريد ص٣٠، ٤٢.

وقد استُشْهِد بالبيت دون نسبة في «الأمالي» للقالي ٢/ ٣٠١، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢ (أم)، «المحتسب» ٢/ ٢٢٤.

(٤) في (د): (أمهات).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢ (أم)، «الصحاح» ٥/ ١٨٦٣ (أمم).

(٦) هو أبو جَندل عُبيد بن حُصين النميري، والراعي لقبه.

(٧) البيت في «جمهرة اللغة» ٢/ ١٧٦ (حفل). قال ابن دريد: أي الذي طرق أمهاتهن كان فحلًا نجيبًا، والطرق الفحل، وكذلك في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٧ (فحل)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٥.

أُمّـهَـتـي خِـنـدِفُ وإِلـيَـاسُ أَبِـي[1]

أي: أمي، والهاء زائدة[2].

وأجاز أبو بكر أن تكون الهاء أصلية، وتكون أمَّهة وزنها فُعَّلَة، وهو في هذا القول بمنزلة: تُرهَة، وأُبَّهَة، وعُلّفة، وقُبَّرة.

ويقول[3] هذا القول ما رواه صاحب العين من قولهم: تأمّهت[4] أمّا، فتأمهَت يبين أنه تفعّلت، بمنزلة: تفوّهت وتنبّهت، إلا أن قولهم في المصدر -الذي هو الأصل- أمومة يقوي زيادة الهاء؛ لأن العرب تقول: أمّ بينة الأمومة، فهذا يقوي أن وزنها فُعْلَهَة .

ويزيد في قوة ذلك قول الشاعر:

إذا الأُمَّـهـاتُ قَـبَـحْـنَ الـوُجـوهَ

فَـرجْـتَ الـظَّـلامَ[5] بِـأُمَّـاتِـكَـا[6][7]

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٣، ٥٦٤ بتصرف.

(٣) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: ويُقوّي كما في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٤.

(٤) في (د) (أمهت) وما أثبته هو الموافق لـ «سر صناعة الإعراب»، ومعنى تأمهت: اتّخذت.

(٥) في (أ)، (د) الكلام، والتصويب من «العين» ٨/ ٤٣٤، «التهذيب» ١/ ٢٠٢ (أم)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٤ وهو الأصل.

(٦) البيت منسوب لمروان بن الحكم كما ذكر في «معجم شواهد العربية»، «شرح شواهد الشافعية» ص٣٠٨، وهو من «شواهد العين» ٨/ ٤٣٤، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢، «اللسان» ١/ ١٣٦ (أمم). معنى البيت: إذا قَبحت الأمهات بفجورهن وجوه أولادهن عند الناس كشفت الظلام بضياء أفعال أمهاتك وطهارتهن.

(٧) الكلام من قوله: وأجاز أبو بكر إلى هنا من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٤ بتصرف يسير. ولم أجد ما ذكره في «العين» سوى البيت كما مر في عزوه.

إلا أن غالب الأمر يقال فيمن يَعقل بالهاء، وفيمن لا يعقل بغير هاء، أرادوا الفرق بينهما[١]، والقول بزيادة الهاء أولى من اعتقاد حذفها؛ لأن الهاء أحد الحروف العشرة التي تُسمى حروف الزيادة، لا حروف النقص، فلا ينبغي أن يعتقد أن الهاء هي الأصل، وأن أُمًّا محذوف من أُمَّهَة.

فأما قول من قال: تأمّهت أمًّا، فيظهره مما يعارضه قولهم: أمّ بيّنة الأُمومة، بحذف الهاء، فرواية برواية، وبقي النظرة[٢] الذي قدمناه وهو أن الهاء كثيرًا ما تُزاد في الكلام، وقلّ ما يوجد حذفها، على أن قولهم: تأمّهت، إنما حكاها صاحب العين، وفي ذلك الكتاب من الخَطَل والاضطراب مالا يدفعه نظّار[٣]، وذاكرت بكتاب العين يومًا شيخَنا أبا علي، فأعفى[٤] عنه ولم يرضه، لما فيه من القول المرذول والتصرف الفاسد[٥].

وذهب ابن الأنباري إلى أن الأصل: أُمّ، ثم يقال في النداء: يا أُمّاه، فيدخلون هاء السكت. ثم إن بعض العرب يُسقط الألف وُيَشبَّه هاء السكتة بتاء التأنيث وتقدير بالإضافة بعدها، فيقول: يا أمّت كما قالوا: يا أَبَت، ثم قد تُستعمل التاء في أمّ في غير النداء، ولم يُستعمل ذلك في الأب، وهو قوله:

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٥، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢، «الصحاح» ٥/ ١٨٦٣ (أم).

(٢) قد يكون الصواب: النظر بدون هاء كما في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٨.

(٣) في «سر صناعة الإعراب» نظار جلد.

(٤) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: فأعرض كما في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٨.

(٥) انتهى من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٦٦-٥٦٨ بتصرف بالحذف لا باللفظ، وهذا من العجيب حيث أتى المؤلف بكلام أبي الفتح ابن جني الذي لقي أبا علي الفارسي وذاكره، وكأنه هو المذاكر حيث لم يعز الكلام لقائله!

تَـقَـبّـلـتَـهـا مـن أُمَّـةٍ لـك طَـالَـمَـا

(بت[١]) في الأسْواق عَنها خِمَارُها[٢]

وقالت العرب: هؤلاء أُمَّات زيد، وأُمّهات زيد، فأَجْرَوا الهاء الأصلية، وأصل زيادتها في باب النداء، وقد قال بعضهم: هذه أمّهتك، قال:

أُمَّـهَـتِـي خِـنْـدَفُ وإلـيـاسُ أَبِـي

فزيدت ههنا دخولها للسكت، ثم شُبِّهت بالأصلية، وزيدت بعدها؛ لأنها شبهت بتاء التأنيث.

وكل امرأة رجع نسبُك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك بدرجة أو بدرجات، وبإناث رَجَعتَ إليها أو ذكور، فهن أمك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾. قد ذكرنا الكلام في أصل البنت والأخت عند قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩][٤]. وُكلّ أنثى رجع نسبُها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث أو ذكور فهن بنتك.

وتحريم هاتين مؤبد لم تَزالا، ولم تَحِلا قط لأحد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾. كل أنثى وَلَدَها شخصٌ وَلَدَك في الدرجة الأولى فهي أُختُك.

---

(١) هكذا في (أ)، (د)، ولعلها: تُنوزع، كما في «التهذيب» ١/ ٢٠٢، «اللسان» ١/ ١٣٦ (أم).

(٢) لم أعرف قائله وهو من شواهد الأزهري في «التهذيب» ١/ ٢٠٢.

(٣) لم أجد من ذكر هذه القاعدة من المفسرين أو اللغويين، ولعل هذا من براعة المؤلف في التقصيد والتعبير، فإن هذه قاعدة تبين وتحدد الأمهات.

(٤) ذكر المؤلف فيما أشار إليه أصل اشتقاق لفظ بنت وأخت، ووزنهما وجمعهما، وعلامة التأنيث في كلام طويل.

وقوله تعالى: ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾. هي جمع العمَّة، وكل ذَكَرٍ رجع نسبُك إليه فأخته عمّتك، وقد تكون العمة من جهة الأم، وهي أخت أبي أمك.

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾. مضى الكلام في الأخ والأخت عند قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]. والتحديد في بنات الأخ وبنات الأخت كالتحديد في بنت الصلب، وهؤلاء محرمات بالأنساب والأرحام.

قال المفسرون وأهل العلم: كل امرأة حرّم الله نِكاحها للنسب والرحم فتحريمها مُبهم، والمُبهمة لا تحلّ بوجهٍ من الوجوه. والتي كانت تحلّ ثُمّ حُرمت بسبب حَدَث، وهن اللواتي ذكرن في باقي الآية، فليست مُبهمة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾. هؤلاء سمين أمهات للحُرمة، كأزواج النبي ﷺ سماهن الله تعالى أمهات المؤمنين في قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وكل أنثى انتسبتَ باللبن إليها فهي أمك، فالتي أرضَعَتْكَ أو رجلًا[(٢)] أُرضِعت بِلبانه من زوجته أو أمّ ولده فهي أمك، وكذلك كل امرأة ولدت امرأة أرضعتك أو رجلًا أرضعك فهي أمك.

وإنما يحرم الرضاع بشرطين: أحدهما: أن يكون خمس رضعات[(٣)].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣، «معاني النحاس» ٢/ ٥٢، ولعل الإبهام هنا بمعنى: التأبيد، فالمُبهمة المحرمة على الأبد، وعكسها غير المبهمة.

(٢) أي: أو أرضعت رجلًا.

(٣) هذا مذهب الشافعي -رحمه الله- وأصحابه، والصحيح في مذهب أحمد؛ يدل عليه ما ثبت عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان فيما أُنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرّمن. ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي النبي ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن. أخرجه مسلم (١٤٥٢) كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس =

والثاني: أن يكون في الحولين[١]، وما بعد الحولين من الرضاع لا يُحَرِّم[٢]، لقوله ﷺ: **«لا رضاع بعد الحولين»**[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. وأخوات الرضاعة ثلاث الأولى: أختك لأبيك وأمك وهي الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلِبان أبيك، سواءٌ أرضعَتها معك أو مع ولدٍ قبلك أو بعدك. والثانية: أختك لأبيك دون أمك، وهي التي أرضعَتها زوجةُ أبيك بلِبان أبيك. والثالثة: أختك لأمك دون أبيك، وهي التي أرضَعَتها أمك بلبان رجل آخر.

وهاتان المرأتان -أعني: أمَّ الرضاعة وأخت الرضاعة- لولا الرضاعة لم يَحرُما، وكان الرضاع تحريمها[٤] فصارتا في حكم المبهمات؛ إذ تأبّد تحريمها[٥] بعد الرضع.

= رضعات وغيره. انظر: «المغني» ٣١٠، ٣١١، «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٣٤/ ٣٣، ٣٤، «تفسير ابن كثير» ٥١١-٥١٢.

(١) هذا الشرط عند جمهور العلماء. انظر: «مجموع الفتاوى» ٣٤/ ٣٥، «تفسير ابن كثير» ٥١١-٥١٢.

(٢) أفاد المؤلف هذين الشرطين من الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٤ب.

(٣) لم أجده مرفوعًا، وإنما جاء نحوه موقوفًا على ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم كما في «موطأ مالك» ص٣٧٣ (٤) كتاب الرضاع، باب: رضاعة الصغير، وباب: الرضاعة عند الكبر ص٣٧٥ (ح ١٤)، وقد جاء في معناه حديث مرفوع، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام»**. أخرجه الترمذي (١١٥٢) كتاب الرضاع، باب: ما جاء ما ذكر أن الرضاعة لا يحرم إلا في الصغَر دون الحولين، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم. أن الرضاعة لا تُحَرِّم إلا ما كان دون الحولين وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يُحَرِّم شيئًا.

(٤) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: يحرمهما.

(٥) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: يحرمهما.

وروت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**يحرمُ من الرضاعةِ ما يحرمُ من النسبِ**»[١].

فعلمنا من هذا أن السبع المحرمات بالنسب على التفصيل والبيان الذي ذكرنا محرمات باللبن، وقال أولو التحقيق من ذوي العلم: إن الحد الذي ذكره رسول الله ﷺ في حديث عائشة معلوم من الآية ومستنبط عنها؛ وذلك أن الله تعالى لما ذكر حُرمة الرَّضاع ذكر طريقة الوِلادة بذكر الأمهات، وطريقة الأخُوّة بذكر الأخوات، وكل امرأة حُرمَت بالنَسَب حُرمَت بإحدى هاتين؛ لأن الأم والبنت حرمتا بالولادة، والخمس الباقيات من المحرمات بالنسب حَرُمْنَ بطريق الأخُوّة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾. حد أم امرأتك كحد أمك، سواءٌ كانت من اللبن أو من النسب، فهي حرام عليك بنفس العقد على ابنتها؛ لأن الله تعالى أطلق التحريم ولم يُقيِّده بالدخول. هذا إجماع الأمة اليوم[٢].

وكان جماعة من الصحابة يذهبون إلى أن المرأة إنما تحرم بالدخول بالبنت، كالربيبة إنما تحرم بالدخول بأمها، وهو قول علي وزيد[٣][٤] وابن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري رقم (٢٦٤٤) كتاب الشهادات، باب: الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض، ومسلم بنحو رقم (١٤٤٤) كتاب الرضاع، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة وغيرهما.

(٢) انظر: «الطبري» ٤/ ٣٢٠-٣٢١.

(٣) هو أبو سعيد أو أبو ثابت، زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد، استُصغر يوم بدر وشهد أحدًا، وكان رأسًا في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. توفي -رضي الله عنه- سنة ٤٥هـ وقيل قبلها. انظر «الاستيعاب» ٢/ ١١١، «أسد الغابة» ٢/ ٢٧٨، «الإصابة» ١/ ٥٦١.

(٤) انظر: «الطبري» ٨/ ١٤٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥ ب، «زاد المسير» ٢/ ٤٧.

عمر وابن الزُّبَير[(١)]، وجابر[(٢)] ﷺ، ورُوي ذلك عن ابن عباس[(٣)]، وقال علي ﷺ: الأمّ والابنة بمنزلة، إن لم يدخل بهذه تزوج هذه، وإن لم يدخل بهذه تزوج هذه[(٤)].

وهؤلاء يجعلون قول: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ منتظمًا للربائب وأمهات النساء، ويقول: أمهات النساء اللاتي لم يُدخَل بهن غيره[(٥)] محرمة.

والصحيح ما عليه الجماعة، روى عَمرو بن شُعَيب[(٦)]، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: «**إذا نكح الرجلُ المرأةَ فلا يَحلّ له أن يتزوج أمها، دخل بالبنت أو لم يدخل، وإذا تزوج الأم فلم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج البنت**»[(٧)] ففصل بين الربيبة وأم المرأة.

---

(١) هو أبو بكر أو أبو خبيب عبد الله بن الزُّبيرُ بن العوام القرشي الأسدي، أحد العبادلة، ومن كبار فقهاء الصحابة، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل ﷺ سنة ٧٣هـ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٣٩، «أسد الغابة» ٣/ ٢٤٢، «الإصابة» ٢/ ٣٠٨، «التقريب» ص٣٠٣ رقم (٣٣٢٠).

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥ ب. (٣) انظر المرجع السابق.

(٤) عند ابن جرير من طريق قتادة عن خلاس بن عمرو عن علي ﷺ في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها، أيتزوج أمها؟ قال: هي بمنزلة الربيبة. «جامع البيان» ٤/ ٣٢١. لكن تكلم في ثبوت هذا القول عن علي، انظر تعليق أحمد شاكر على «جامع البيان»، «تفسير القرطبي» ٥/ ١١٢.

(٥) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: غير بدون الضمير.

(٦) هو أبو إبراهيم عَمرو بن شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، تقدمت ترجمته.

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ١٤٦، وقال عَقِبه: وهذا خبر وإن كان في إسناده ما فيه، فإن إجماع الحجة على صحة القول به، مُستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره، وحسن الحديث أحمد شاكر في تحقيقه للطبري. =

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: الرجل ينكح المرأة ثم[١] لا يراها ولا يجامعها حتى يطلقها، أتحل له أمها؟ قال: لا هي مُرسلة، دخل بها أو لم يدخل[٢].

وكان عبد الله بن مسعود أفتى بنكاح أم المرأة إذا طلّق بنتها قبل المسيس، وهو يومئذ بالكوفة، فاتفق له دخول المدينة فصادفهم مجتمعين على خلاف فتواه، فلما رجع إلى الكوفة لم يدخُل داره حتى حضر ذلك الرجل وقرع عليه الباب، وأمره بالنزول عن تلك المرأة[٣].

وقال صاحب النظم: في نظم هذه الآية دليل على أن الشرط بالدخول مختص به الربائب دون أمهات النساء؛ لأن قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ لفظ قائم بنفسه في المعنى المعقود في ظاهره، وليس من نظم العرب في كلامها الجاري المستعمل بينهم أن يقال: أمهات نسائي من نسائي اللاتي دخلت بهن، كما لا يقال في واحدتها: أمّ امرأتي من امرأتي التي دخلت بها، وعادتهم الجارية بينهم في هذا أن يقولوا: أم امرأتي التي دخلت بها، وأمهات نسائي اللاتي دخلت بهن.

= وقد أورد الحديث الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥، وابن كثير ١/ ٥١٣، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٢، وعزاه أيضًا إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في «سننه».

(١) في (د): بدون (ثم).

(٢) أخرجه ابن جرير ٤/ ٣٢٢ إلى قوله: مرسلة، وذكره الثعلبي كاملًا في «تفسيره» ٤/ ٣٥، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٢.

(٣) أخرجه بنحوه مالك في كتاب النكاح، باب: مالا يجوز من نكاح الرجل امرأته ص٣٣٠ (ح٢٣)، وانظر: «الدر المنثور» ٢٤٢.

فقولك في هذا: من نسائي ومن امرأتي زيادة لا حاجة بقيام المعنى إليها، فلما لم يَجز أن يكون قوله: ﴿مِن نِّسَآئِكُمُ﴾ طِبقًا لقوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ لم يَجز أن يكون شرطًا مُرصَدًا، ولا معطوفًا عليه، وصار هذا الشرط مخصوصًا بذكر الربائب ومقصورًا عليه، دون ذكر أمهات النساء.

وقال محمد بن يزيد بن عبد الأكبر[1]: قوله: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ نعت للنساء اللواتي من أمهات الربائب لا غير، والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحلّ إذا لم يدخل بأمها، فمن أجاز أن يكون قوله تعالى: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ نعتًا لقوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ بقيت الربائب مطلقة، وخرج أن يكون ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ لأمهات الربائب، وحينئذٍ لا يجوز تَزوُّج الربيبة إذا لم يدخل بأمها.

قال الزجاج: والدليل على أن ما قال أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدًا. لا يجيز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات. على أن يكون الظريفات نعتًا (للفريقين من النساء)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾. الربائب جمع الربيبة، وهي بنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها: مربوبة؛ لأن الرجل هو يربّيها. يقال: رَبَبْتُ فلانًا أربُّه، وربّبته أُرَبِّبُه، وربّيته أُربِّيه، وربته فأنا أربته. كله بمعنى واحد، قاله الأصمعي[3]. قال الشاعر:

(١) هو المبرِّد تقدمت ترجمته رحمه الله، وكلامه هذا في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤.

(٢) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤، وما بين القوسين عند الزجاج: لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء.

(٣) لم أقف على قول الأصمعي بنصه كاملًا، وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٣٨، «الصحاح» ١/ ١٣١، ١٣٢، «اللسان» ٣/ ١٥٤٩ (ربب).

وذاكَ لَـه إذا الـعـنـقَـاءُ صـارت مُـربَّـبَـة وشـبّ ابـن الـخَـصِـيّ[١]

وقال الراجز:

والـقـبُـر صِـهـر ضَـامـنٌ زِمِّـيـتُ لـيـس لـمـنَ ضُـمِّـنَـه تَـربـيـتُ[٢]

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾. قال المفسرون: يقول: اللاتي ربيتموهن في حجوركم. وهي جمع حِجر، وفيه لغتان، قال ابن السكيت: حَجْرُ الإنسان وحِجْرُه بالفتح والكسر[٣].

قال أهل المعاني: المراد بقوله: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ أي في ضمانكم وتربيتكم، ويقال: فلان في حِجر فلان، إذا كان يلي تربيته[٤]، وذلك أن كل من ربّى صبيًّا أجلسه في حِجره، فصار الحِجر عبارة عن التربية، كما يقال: فلان في حضانة فلان، وأصله من الحِضن الذي هو الإبط[٥].

وقال أبو عبيدة: ﴿فِي حُجُورِكُم﴾ أي: في بيوتكم[٦]. قال الأزهري: ويقال: فلان في حجر فلان، أي: في كنفه ومنعه[٧].

وحد الربيبة في رجوعها إلى زوجتك مثل حد بنتك في رجوعها إليك، وهي لا تَحرُم بمجرد العقد على الأم، وإنما تحرم بالدخول،

---

(١) البيت لأبي تمام: في «ديوانه» ص٤٠٥، و«ثمار القلوب» ص٢٦٧، و«دلائل الإعجاز» ص٣٠٩، و«محاضرات الراغب» ٢/ ٧٠٩ بلفظ «مرتعة».

(٢) من «شواهد الصحاح» ١/ ٢٤٩ (ربت)، «اللسان» ٣/ ١٥٥٢ (ربت، زمت)، وزميت -في «اللسان»- بمعنى: الساكن، وتربيت من التربية.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٧ (حجر).

(٤) من الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥ ب.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٥٠ (حضن).

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ١٢١.

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٧ (حجر).

والدخول هو الجماع ههنا بالإجماع[١].

وقوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾. قال الليث: الحليل والحليلة الزوج والمرأة، سميا به[٢] لأنهما يحلان في موضع واحد، والجميع[٣] الحلائل[٤].

وقال أبو عبيدة[٥]: سميا بذلك؛ لأن كل واحد منهما يُحالّ صاحبه، قال: وكل من نَازَلك أو جاورك[٦] فهو حليلك، وأنشد:

ولستُ بأطلس الثوبين يُصْبِي حليلتَه إذا هَدَأ النِّيَامُ[٧]

قال: لم يُرِد بالحليلة ههنا امرأته، إنما أراد جارته؛ لأنها تُحالّه في المنزل. قال: ويقال: إنما سميت الزوجة حليلة؛ لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه، على معنى أنه يَحِلُّ له[٨]. يقال: حلّ فهو حليل، مثل: صح

---

(١) دعوى الإجماع هنا لا تتم، فقد قيل: إن المراد بالدخول التجريد. انظر «جامع البيان» ٤/ ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) في (د): (بها).

(٣) في (د): (والجمع)، وما أثبته هو الموافق لما في «العين».

(٤) «العين» ٣/ ٢٧ (حل).

(٥) في (أ): هكذا، والصواب: أبو عبيد. انظر: «غريب الحديث» ١/ ٣٤٣، «اللسان» ٢/ ٩٧٣ (حلل).

(٦) في (د): (جاز لك).

(٧) البيت لأوس بن حجر في «ديوانه» ص٧٥، وبغير عزو في «الزاهر» ١/ ١٨٥، و«غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٢٤٧، و«أمالي القالي» ١/ ٢٠، و«مقاييس اللغة» (حل)، وهو من شواهد «اللسان» ٥/ ٢٦٨٩ (طلس). ومعنى أطلس الثوبين أي: وسخهما وهو كناية عن الفاحشة والقبح، ويُصبي حليلته أي: يريد جارته التي تُحالّه في جِلته بسوء.

(٨) الظاهر أن هذا نهاية كلام أبي عبيد. انظر «غريب الحديث» ١/ ٣٤٤.

فهو صحيح. وقال الزجاج: حليلة: يعني[1]: محلة، من الحلال[2].

وقيل: لأن كل واحد منهما يحل إزاره صاحبه[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾. فيه احتراز عن المُتبنَّى، وكان المتَبنّى في صدر الإسلام بمنزلة الابن.

قال عطاء: وليس يحرم عليك حليلة ابن ادعيته وليس هو من صُلبِك، ونكح رسول الله ﷺ امرأة زيد بن حارثة[4]، فقال في ذلك المشركون: إنه تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٧][5].

قال أهل العلم: وحليلة الابن من الرضاع ملحقةٌ في التحريم بحليلة

---

(١) عند الزجاج: بمعنى.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥.

(٣) «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ.

(٤) هو زيد بن حارثة بن شَراحيل الكَعْبي، كان مولى وَهَبته خديجة للنبي ﷺ ويُدعى زيد بن محمد حتى نزلت: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ وكان حبّ رسول الله هو وابنه أسامة، وقد روى عنه الحديث جماعة من الصحابة. توفي -رضي الله عنه- سنة ٨هـ. انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٢٨١، «الإصابة» ١/ ٥٦٣، «الأعلام» ٣/ ٥٧.

(٥) عند الطبري من طريق حجاج، عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ قال: كنا نحدث والله أعلم أنه نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك، فنزلت ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ونزلت: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾ [الأحزاب: ٤]، ونزلت: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب ٤٠]، «جامع البيان» ٤/ ٣٢٣.

وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ.

ابن الصلب بالسنة[(١)]، وهي قول رسول الله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[(٢)].

وهذا التحريم يحصل بنفس العقد، كحليلة الأب لا خلاف في هذا[(٣)].

فأما ما رُوي أن ابن عباس سئل عن قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ولم يبين أدخل بها الابن أم لا؟ فقال ابن عباس: أبهموا ما أبهم الله[(٤)]، فإن هذا ليس من إبهام الأمر، ولكن قوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾[(٥)] هذا كله يسمى التحريم المُبْهم؛ لأنه لا يحل بوجه ولا سبب، ولما سئل ابن عباس عن قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ وعن قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ ولم يبين أنهن مدخول بهن أم لا، أجاب فقال: هذا من المبهم، أي: مما لا وجه فيه غير التحريم، سواء دخل بهن أو لم يدخل بهن.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾. أن في محل الرفع؛ لأنه بمعنى: والجمع بين الأختين، عطف على ما قبله[(٦)].

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٧٩، والقرطبي ٥/ ١١٦، وقد حكى القرطبي الإجماع في هذه المسألة.

(٢) تقدم تخريجه، وهو صحيح.

(٣) انظر: «الطبري» ٤/ ٣٢٣، و«البغوي» ٢/ ١٩١، و«القرطبي» ٥/ ١١٣.

(٤) لم أقف على شيء من ذلك عن ابن عباس، لكن قال السيوطي: وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، عن الحسن ومحمد قالا: إن هؤلاء الآيات مبهمات﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾، ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾، ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾. «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٣.

(٥) في (د): ﴿وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٦٠، والطبري ٤/ ٣٢٣، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥، «إعراب النحاس» ١/ ٤٠٥.

ويحرم على الرجل أن يجمع في النكاح أختين بالنسب أو باللبن. ويجوز الجمع بين أختين أمتين بملك اليمين، فإذا وطئ إحداهما حَرُمَت الثانية عليه، ولا يحل له ما لم يزل ملكه عن الأولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. فيه قولان: قال عطاء: يريد إلا ما قد مضى في الأمم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما مضى، ﴿رَّحِيمًا﴾ بمن أطاعه. قال: ويذكرون أن يعقوب ﷺ جمع بين ليا أم يهوذا(٢) وراحيل أم يوسف(٣)، وكان فيما مضى حلالًا لجميع الأمم فحرمه(٤) الله على هذه الأمة رحمة منه عليهم لما علم من شدة غَيرةِ النِّساء، بعضهن على بعض(٥).

وهذا قول السدي في رواية أسباط(٦) عنه(٧).

وقال الكلبي: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مضى منكم في الجاهلية فلا تؤاخذون به بعد الإسلام(٨).

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ، «أحكام القرآن» للهراسي ٢/ ٢٥٠، و«البغوي» ٢/ ١٩١.

(٢) في (د): (يهود).

(٣) في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ: وكانتا أختين.

(٤) في (أ): (فحرم).

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ مختصرًا، وكذلك البغوي ٢/ ١٩٢.

(٦) هو أبو يوسف أو أبو نصر أسباط بن نصر الهمذاني، مفسر، واختلفوا في توثيقه، قال ابن حجر: صدوق، كثير الخطأ يغرب، من الثامنة، وحديثه عند مسلم والأربعة. انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ١٥٧، «التقريب» ص٩٨ رقم (٣٢١) «الأعلام» ١/ ٢٩٢.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٩٢.

(٨) لم أقف عليه.

وهو قول مقاتل[١]، واختيار أبي إسحاق[٢]. قال مقاتل في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قال: لأنهم كانوا يجمعون بينهما[٣].

قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين[٤].

وقال أبو إسحاق: المعنى: سِوى ما سلف فإنه مغفور لكم[٥].

قال أبو بكر: وهذا من الاستثناء المنقطع ﴿إِلَّآ﴾ بمعنى: لكن، كأنه قيل: لكن ما قد سلف فأنتم غير مؤاخذين به[٦]. وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٠].

واعلم أن المحرمات بالنسب سبعة أصناف، ذُكِرت نسقًا في أول الآية. والمحرمات بالسبب صنفان: صنف يحرم بالرضاع، وهو الأمهات والأخوات، على ما ذكرنا من التفصيل، وصنف يحرم بسبب المصاهرة، وهو أم المرأة وحليلة الأب وحليلة الابن والربائب، على التفصيل الذي ذكرنا، وحليلة الأب لم تُذكر في هذه الآية، إنما ذكرت في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النساء: ٢٢].

---

(١) هو مقاتل بن سليمان، ويأتي تخريج قوله بعد الحاشية التالية.

(٢) الزجاج كما سيأتي.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٥، مطولًا، وانظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٦٦.

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥١٥، وذكر السمرقندي والقرطبي نحوه عن محمد بن الحسن. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٤٤، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١١٩.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥.

(٦) الظاهر أنه يقصد أبا بكر بن الأنباري، ولم أقف على كلامه، وقد أشار غير واحد من الأئمة أنه من الاستثناء المنقطع. انظر: الطبري ٤/ ٣٢٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٥.

فأما الجمع بين الأختين فإنه تحريم الجمع[١]؛ لأنه يجوز نكاح الثانية بعد طلاق الأولى، ويُلحق بهذا الصنف عمة المرأة وخالتها، فكما لا يجوز الجمع بين المرأة وأختها لا يجوز الجمع بين المرأة على عمتها، وخالتها[٢]؛ لما رُوى أن النبي ﷺ قال: «**لا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها لا**[٣] **الصغرى على الكبرى، ولا الكبرى على الصغرى**»[٤]، أراد الدرجة في النسب لا صِغَرَ السن وكِبَرَه.

وقال أهل العلم في حد ما يَحْرُم الجمع بينه: كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن لو كان ذلك بينك وبين امرأة لم يَجُز لك نكاحُها لم يجز لك الجمع بينهما. فأما ملك اليمين فكل امرأة حَرُم عليك نكاحها بنسب أو لبن أو صهر، فإذا وجد ذلك المعنى في مملوكة حَرُم عليك وطؤها بملك اليمين، وكل امرأتين حرم عليك الجمع بينهما بقرابة موجودة بينهما أو بلبن، فإذا ملكت أمَتَين وبينهما مثل ذلك المعنى حَرُم عليك وطؤهما بملك اليمين، فإذا وَطِئت إحداهما لم يكن لك وطء الثانية ما لم تُحَرِّم الأولى على نفسك بإزالة الملك عنها بِبَيع أو عِتق أو هِبَة، أو بإزالة الملك عن بعضها[٥] بكتابة

---

(١) انظر: الطبري ٤/ ٣٢٣.

(٢) لفظ (د): (لا تنكح المرأة على خالتها أو عمتها ولا على خالتها لا) وفيه اضطراب.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠٨) كتاب النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم (١٤٠٨) كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح.

(٤) هذه رواية أبي داود (٢٠٦٥) والترمذي (١١٢٦)، وأحمد (٩٥٠٠) من حديث أبي هريرة، وقد علقه البخاري في الباب نفسه (٥١٠٨).

(٥) في (أ): (بضعها).

أو تزويج.

واعلم أن التحريم الحاصل بالمُصاهرة يحصل بنكاح صحيح، فلو زنى بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها، ولا تحرم المزنيّ بها على آباء الواطئ، ولا أبنائه، وإنما تتعلق هذه الحُرمة بنكاح صحيح، أو فاسد يجب به الصَّداق والعِدّة ويُلحق به الولد، ولا يتعلّق بالسفاح الصريح.

وهذا قول عُروة، وسعيد، ومجاهد، والزهري، ومذهب مالك، والشافعي وفقهاء الحجاز[١].

وقال أهل العراق: الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة، حتى لو زنى الأب بامرأة ابنِه انفسخ نكاحها، وكذلك نكاح الأب إن زنى الابن بامرأته. وقالوا: لو قَبّل الأب امرأة الابن ولمسها بالشهوة انفسخ نكاح الابن، ولو قبّل أجنبية أو لمسها أو وطئها فيما دون الفرج حصل تحريم المصاهرة. وهذا قول الشعبي والنخعي ومذهب أبي حنيفة[٢].

والآية حجة ظاهرة عليهم؛ لأن الله تعالى حرم أمهات النساء والربائب وحلائل الأبناء، وهذه الأسماء لا تثبت بوجود الزنا، فإنّ أم المزنيّ بها لا تكون أم امرأته، ولا بنتها ربيته، وإذا زنى الابن بامرأةٍ لم تَصِر حليلته حتى تحرم على الأب[٣].

وقد قال ابن عباس: الحرام لا يحرم الحلال[٤].

---

(١) انظر: «الأم» ٥/ ٢٥، والقرطبي ٥/ ١١٤، ١١٥.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥ أ، والقرطبي ٥/ ١١٤، ١١٥.

(٣) انظر: «الأم» ٥/ ٢٦، والقرطبي ٥/ ١١٥.

(٤) لم أجده عن ابن عباس، وانظر «الكشف والبيان» ٤/ ٣٥ أ.

٢٤- وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية. الإحصان في اللغة أصله المَنع، وكذلك الحَصَانة، ولذلك قيل: مدينة حصينة، ودرعٌ حصينة، أي: مانعة صاحبها من الجَرح. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] معناه: لتمنعكم وتُحرِزَكم(١)، والحصن الموضع الحَصين لمنعه من بغاه من الأعداء(٢). والحِصَان: الفرس لمنعه صاحبه من الهلاك، والحَصَان المرأة العفيفة لمنعها فرجها من الفساد، قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [مريم: ١٢] أي: منعته من الزنا، ويقال: حَصَنَت المرأة تحصُن: إذا عفّت عن الريبة حُصنا وهي حَصان، مثل: جبنت جُبنًا وهي جبان(٣).

قال سيبويه: وقالوا أيضًا: حِصنا كما قالوا: عِلما(٤).

وقال أبو عبيد والزجاج والكسائي: حصانة أيضًا(٥).

وقال شمر: امرأة حصَان وحاصِن، وهي العفيفة، وأنشد:

وحاصِنٍ من حاصِنات ملسِ ... من الأذى ومن قِراف الوَقْسِ(٦)

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٣-٨٤٤ (حصن) بتصرف.

(٢) انظر: «الطبري» ٥/ ٧.

(٣) انظر: «جمهرة اللغة» ٢/ ٥٤٣-٥٤٤ (حصن)، والطبري ٥/ ٧، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن).

(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ١٤٧.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن).

(٦) قول شمر وما أنشد في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن)، وقال الأزهري: الوقس: الجرب. ملس: لا عيب بهن. وانظر «اللسان» ٢/ ٩٠٢، والرجز منسوب للعجاج في «مجاز القرآن» ١/ ١٢٢، «جمهرة اللغة» ٢/ ٥٤٣-٥٤٤ (حصن)، و«تفسير الطبري» ٥/ ٧.

فقد حصل من هذا أنه امرأة حَاصِن وحَصَان بينة الحِصن والحَصَن والحَصانة، ثلاث مصادر .

وأنشد ابن السكيت[١]:

الـحِـصـن أدنـى لـو تـأيـيـتـه من حثيِك التُّرب على الراكِب[٢]

وقال الزجاج: يقال: امرأة حصان بيِّنة الحصن، وفرس حصان: بيِّن التحصن والتحصين، وبناء حصين: بيِّن الحصانة، ولو قيل في كله: الحصانة، لجاز بإجماع[٣].

وأما الإحصان فإنه يقع على معان كلها ترجع إلى معنى واحد، منها الحرية، يدل على ذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤] يعني: الحرائر[٤]، ألا ترى أنه إذا قذف غير حرة لم يُجلد ثمانين، وكذلك قوله: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] يعني الحرائر، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] أي: الحرائر[٥].

ومنها[٦] العفاف، وهو قوله: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: ٢٥][٧]، وقوله تعالى: ﴿مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ [النساء: ٢٤]، [المائدة: ٥]،

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: «اللسان» ٢/ ٩٠٢ (حصن).

(٣) ليس في «معاني الزجاج» عند تفسيره لهذه الآية.

(٤) انظر: «الطبري» ٥/ ٢٤.

(٥) هذا رأي ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد وغيرهم. انظر «تفسير ابن عباس» ص١٤٣، والطبري ٥/ ١٧.

(٦) أي من المعاني التي يقع عليها لفظ الإحصان.

(٧) انظر «تفسير ابن عباس» ص١٤٣، والطبري ٥/ ١٩.

وقوله: ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [مريم: ١٢] أي: أعفته.

ومنها الإسلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] قيل في تفسيره: أسلمن[١].

ومنها كون المرأة ذات زوج، يقال: امرأة محصنة، إذا كانت ذات زوج، والمحصنات: المتزوجات، بدلالة قوله: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ يعني: ذوات الأزواج[٢]. ونذكر ذلك عند التفسير.

وليس تبعد هذه المعاني عما عليه موضوع اللغة، فإن الإحصان هو أن يُحمى الشيء ويُمنع، والحرّة تُحَصِّن نفسها وتَحصُن هي، وليست كالأمة. والعفة أيضًا مانعة من الزنا، والعفيفة تمنع نفسها، وكذلك الإسلام مانع من الفواحش، والمحصنة ذات الزوج؛ لأن الزوج أحصنها ومنع منها.

واختلف القراء في: ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ فقرأوا بفتح الصاد وكسرها في جميع القرآن[٣]، إلا التي في هذه الآية، فإنهم اجتمعوا على الفتح فيها[٤].

فمن قرأ بالكسر جعل الفعل لهن، ومن قرأ بالفتح جعل الفعل لغيرهن[٥].

قال أبو عبيد[٦]: اجتمع القراء على نصب الصاد في الحرف الأول

---

(١) ممن قال بذلك ابن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي والسدي. انظر: الطبري ٥/ ٢٠، «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٥.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦ ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) قراءة الكسر للكسائي، والفتح لبقية العشرة. انظر: «السبعة» ص٢٣٠، «الحجة» ٣/ ١٤٦، «المبسوط في القراءات العشر» ص١٥٥، «النشر» ٢/ ٢٤٩.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) انظر: «حجة القراءات» ص١٩٦، ١٩٧.

(٦) أخذ قول أبي عبيد من «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن).

من النساء؛ لأن تأويلها ذوات الأزواج يُسبَين فيُحلهن السِباء[١] تُوطأ بملك اليمين، ويَنتقض نكاحهن.

فأما ما سوى الحرف الأول فالقراء مختلفون، فمنهم من يكسر الصاد، ومنهم من يفتحها، فمن نصب، ذهب إلى ذوات الأزواج، ومن كسر ذهب إلى أنهن أسلمن فأحصنّ أنفسهن فهن محصنات[٢].

وقال الليث: أُحصِنت المرأة فهي محصنة، وهي التي أحصنها زوجها، وهن المُحصنات، والمعنى أنهن أُحصِنّ بأزواجهن[٣].

أخبرني العروضي، عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري، عن ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: كلام العرب كله على: أفْعَل فهو مُفْعِل، إلا ثلاثة أحرف: أَحصَن فهو مُحصَن، وألفَج فهو ملفَج[٤]، وأَسهَب فهو مُسهَب[٥].

---

(١) في (أ)، (د): النساء، والتصويب من «تهذيب اللغة».

(٢) انتهى من «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن).

(٣) انظر: «العين» ٣/ ١١٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٤ (حصن).

(٤) في النسخة (أ) وعند هذا اللفظ كتب هامش بغير خط النسخة وهو بحدود سطرين أو ثلاثة، بعضه غير واضح، وقد تبين لي منه ما يلي: ألفج بالجيم المعجمة أفلس قال رؤبة:

أحسابكم في العسر والإلفاج ... شِيبت بعذبٍ طيّب المزاج

وقال:

جارية شبت شبابًا عَسلجا ... في حجر من لم يك عنها ملفجا

يقال: عسلجت الشجرة: أخرجت عساليجها، وهي ما لان واخضر من قضبانها. وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٣ (سهب)، ٤/ ٣٢٨٠ (لفج)، «الصحاح» ١/ ٣٢٩ (عسلج)، ٢/ ٣٣٩ (لفج)، «اللسان» ٧/ ٤٠٥٢-٤٠٥٣ (لفج).

(٥) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٣ (سهب) لكن رواية الأزهري، عن طريق شمر، عن ابن الأعرابي، وفيه تقديم أسهب على أحصن.

وأما التفسير فالمحصنات في هذه الآية ذوات الأزواج[١]، وهن محرمات على كل أحد إلا على أزواجهن، لذلك عُطِفن على المحرمات في الآية التي قبلها[٢].

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يريد: إلا ما ملكتموهن بالسبي من دار الحرب، فإنها تحل لمالكها ولا عِدّة عليها، فتُستبرأ بحيضة وتوطأ.

وهذا قول ابن مسعود[٣]، وابن عباس، وأبي قلابة، وابن زيد، وأبيه[٤]، ومكحول[٥]، والزهري[٦].

قال أبو سعيد الخُدري: لما كان يوم أوْطَاس أَصَبْنا نساءً لهن أزواج في المشركين، فكرههنّ رجال منا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٧].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ١٢٢، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٧، والطبري ٥/ ١، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٦/ب، «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٥.

(٣) قول ابن مسعود أن المراد بقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ هي المشتراة بالمال، لا المسبيّة. انظر: «الطبري» ٥/ ٣، «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٧.

(٤) هو الإمام أبو عبد الله زيد بن أسلم، له تفسير يرويه عنه ابنه عبد الرحمن هذا.

(٥) هو أبو عبد الله مَكْحول الشامي، فقيه، كان مفتي دمشق وعالمها، من مشاهير علماء التابعين، وقد وثقه كثير من أهل العلم وأخرج له مسلم والأربعة. توفي -رحمه الله- سنة ١١٣هـ وقيل غير ذلك. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص١١٤، «ميزان الاعتدال» ٤/ ١٧٧، «تقريب التهذيب» ٤/ ١٤٨.

(٦) أخرج الآثار عن ابن عباس، وأبي قلابة، وابن زيد، وأبيه، ومكحول، والزهري. الطبري ٥/ ١-٢٠٦، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٧- ٢٤٨.

(٧) أخرجه مسلم بنحوه (١٤٥٦) كتاب الرضاع، باب: جواز وطء المسبية بعد =

ولا يمكن حمل المحصنات في هذه الآية على الحرائر، ولا على المسلمات، ولا على العفائف؛ لأن التحريم مُحالٌ في هذه الأجناس، فتعين حملها على الوجه الرابع وهو المنكوحة.

وإذا وقع السبا على الزوجين الحربيّين أو على أحدهما انقطع منادي رسول الله ﷺ: **«ألا لا تُوطأ حاملٌ حتى تضع، ولا حائلٌ حتى تحيض»**[(١)].

فأباح وطأهن بعد الاستبراء، لانفساخ نكاحهن.

وذهب جماعة من الصحابة -بظاهر هذه الآية- إلى أن الأَمَة المنكوحة إذا بيعت وقع عليها الطلاق، وبانت من الزوج بالبيع.

واحتجوا بقوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ قالوا: فإذا ملكها البائع وجب أن يحل له وطؤها.

وهذا يحكى عن ابن عباس وابن مسعود وأُبَيّ[(٢)]، وجابر، وأنس، وسعيد بن المسيب، والحسن[(٣)].

= الاستبراء ٢/ ١٠٧٩ (ح٣٥) وغيره، وكذلك المؤلف في «أسباب النزول» ص١٥٢-١٥٣ من طرق.

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ٦٢، وأبو داود (٢١٥٥) كتاب النكاح، باب: في وطء السبايا، والحاكم ٢/ ١٩٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي، وعندهم أن هذا الحديث في سبي أوطاس.

(٢) هو أبو المُنذِر أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجي الأنصاري، من رواة الأحاديث وقُرَّاء الصحابة وكتاب الوحي ومن أصحاب العقبة الثانية وقد شهد بدرًا وما بعدها وتوفي ﷺ سنة ٣٠هـ. انظر: «الاستيعاب» ١/ ١٦١-١٦٢، «الإصابة» ١/ ١٩، «الأعلام» ١/ ٨٢.

(٣) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٣-٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٠، «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٧.

وليس الأمر على ما ذهبوا إليه؛ فإن هذه الآية مخصوصة بملك اليمين في الحربية إذا سبيت من دار الحرب، بدليل حديث بريرة[١]، فإن عائشة اشترتها وأعتقتها، ثم خيّرها النبي ﷺ، وكانت مزوجة، فاختارت الفراق[٢]، ولو وقع الطلاق بالبيع ما خيرت.

وهذا الذي ذكرنا من أن البيع لا يكون طلاقًا مذهب عمر[٣]، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف[٤]، وإجماع الفقهاء اليوم.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾. قال ابن عباس: يريد: هذا ما حرم الله عليكم[٥]. يعني: كتب تحريم ما ذكر من النساء عليكم.

وانتصابه على مصدر جرى الفعل من غيره، كأنه قيل: حرمت هذه النساء كتابًا من الله عليكم، أي: كتابة[٦].

---

(١) هي مولاة عائشة -رضي الله عنهما- كانت مولاة لقوم من الأنصار، وقيل لآل بني هلال، وقيل لآل عتبة بن أبي إسرائيل، وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها، وقد عتقت تحت زوجها فخيرها النبي ﷺ، فكانت سنّة. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٥٧، «أسد الغابة» ٧/ ٣٩، «الإصابة» ٤/ ٢٥١-٢٥٢.

(٢) أخرجه بمعناه البخاري (٢٥٣٦) كتاب العتق، باب: بيع الولاء وهبته، وانظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ٥١٧.

(٣) عند ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٥٠: ابن عمر.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٠.

(٥) لم أجده عن ابن عباس، وقد أخرجه الطبري، عن إبراهيم التيمي، «جامع البيان» ٥/ ٩، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» عن إبراهيم وعزاه -إضافة إلى الطبري- إلى عبد الله بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٩.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٦٠، و«الطبري» ٥/ ٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٦.

ومعنى الكتابة ههنا التحريم؛ لأنه كتابة التحريم، أي: إثباته وتأكيده.

ومثله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ﴾ [النمل: ٨٨]، وقد مر كثير من هذا، (وهذا)[١] معنى قول الفراء والزجاج[٢].

وقد كشف أبو علي عن هذا فقال: ليس انتصابه على: عليكم كتاب الله، ولكن كتاب مصدر، دل ما تقدم على الفعل الناصب له، وذلك أن قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة على أن ذلك مكتوب عليهم فانتصب ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ بهذا الفعل الذي دل عليه ما تقدمه من الكلام[٣]. وعلى ذلك قول الشاعر:

[ما[٤]] إنْ يـمـسّ الأرض إلاَ مـنْـكِـبٌ
مِـنْـه وحـرفُ الـسّـاقِ طَـيَّ الـمِـحْـمَـلِ[٥]

قال الزجاج: ويجوز أن يكون منصوبًا على جهة الأمر، ويكون: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مُفسرًا له، فيكون المعنى: الزموا كتاب الله[٦].

---

(١) ليس في (د).

(٢) انظر: «معاني الفراء» ٢/ ٢٦٠، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦.

(٣) انظر: «الحجة» ٢/ ٣٥٣، «المسائل الحلبيات» ص٢٠٣.

(٤) ما بين القوسين المعقوفين ليس في النسخ واستدركته من مصادر التوثيق الآتية.

(٥) البيت لأبي كبير الهُذلي يصف شابًا جلْدًا خفيف الجسم إذا نام لا يمس الأرض إلا منكبه وحرف ساقه دون بطنه. والمقصود بالمِحمَل: محمل السيف.
انظر: «الكتاب» ١/ ٣٥٩، «الشعر والشعراء» ص٤٤٧، «المقتضب» ٣/ ٢٠٤، «الخصائص» ٢/ ٣٠٩، «ديوان الهذليين» ٢/ ١٣. والشاهد منه: أن طي نصب بفعل مقدر، تقديره: طوي طيّ المِحْمَل.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٣٦.

قال الفراء: وقد قال بعض النحويين: معناه: عليكم كتاب الله، واحتج بقول الشاعر:

يـا أيـهـا الـمـائـح دلـوى دونـكـا[1]

فالدلو عِنْده في موضع نصب، كما يقال: دونك زيدًا، وهذا لا يصح عند النحويين؛ لأن الإغراء لا يجوز فيه تقديم المنصوب على حرف الإغراء، لا تقول العرب: زيدًا عليك، أو زيدًا دونك. إنما تقول: عليك زيدًا، ودونك زيدًا[2].

قال الزجاج[3]: لأن قولك: عليك زيدًا ليس له ناصب في اللفظ متصرف، فيجوز تقديم نصبه[4]، وقول الشاعر:

. . . . دلـوى دونـكـمـا[5]

الدلو في موضع رفع، على معنى: هذه دلوي دونك، كقولك: زيدٌ فاضربوه، وإن نصبت الدلوَ أضمرت في الكلام شيئًا، كأنك تقول: خذ دلوي، أو دونك دلوي دونك[6]. وعلى هذا يجوز أن تقول: زيدًا عليك،

---

(١) حذف المؤلف عجز البيت، وهو عند الفراء:

إنـي رأيـت الـنـاس يـحـمـدونـكـا

«معاني القرآن» ١/ ٦٠، ونسب في الحاشية إلى شاعر جاهلي من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وقد ورد البيت في «الأمالي للقالي» ٢/ ٢٤٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٢٢ (ماح)، «الإنصاف» للأنباري ص١٨٧. والمائح: هو الذي ينزل في البئر إذا قلّ الماء فيملأ الدلو.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٦٠.

(٣) في «معانيه» ٢/ ٣٦.

(٤) في «معاني الزجاج»: منصوبه، ولعله هو الصواب.

(٥) تقدم البيت قريبًا.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦، ٣٧.

فيكون منصوبًا بشيء مضمر قبله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾. وقرئ: ﴿وَأُحِلَّ﴾ بضم الألف[١]، والفتح[٢] أشبه بما قبله؛ لأن معنى ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: كتب الله عليكم كتابًا وأحلّ لكم فبناء الفتح للفاعل ههنا أحسن.

ومن بين[٣] الفعل للمفعول به فقال: وأحل لكم، فهو في المعنى يؤول إلى الأول، وفي ذلك مراعاةُ مُشاكلةِ ما بعد بما قبل[٤]، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾، فلما كان التحريم مبنيًّا للمفعول به كذلك الإحلال.

وقوله تعالى: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ قال الفراء وغيره: يقول ما سوى ذلك، كقوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة: ٩١] يريد: سواه[٥].

وقال الزجاج: ومعنى: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أي: ما بعد هذه النساء التي حُرّمت حلال[٦].

وهذا الإحلال مخصوص بالسنة، وهو ما ذكرنا من تحريم تَزَوُّج المرأة على عمتها وعلى خالتها[٧].

قال أبو إسحاق: لم يقل الله ﷻ: لا أحرم عليكم غير هؤلاء، وقال:

---

(١) وكسر الحاء، وهذه القراءة لعاصم برواية حفص وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف. انظر: «المبسوط» ص١٥٦، «الحجة» ٣/ ١٥٠، «النشر» ٢/ ٥٤٩.

(٢) أي فتح الألف والحاء (أَحَلّ) وهذه القراءة للباقين من العشرة. انظر المصادر السابقة.

(٣) هكذا هذه الكلمة في (أ)، ولعل الصواب: بَنَى، لما في «الحجة» ٣/ ١٥٠.

(٤) التعقيب على القراءتين من «الحجة» ٣/ ١٥٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٦١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٧.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧، وقد تقدم الحديث في ذلك.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] قال: وآتاهم أن الخالة كالوالدة، وأن العمة بمنزلة الوالد في وجوب الحق كالوالدة.[١] فإذًا العمة والخالة كالوالدة، وتَزَوج المرأة على عمتها وخالتها كتزوجها على أمها.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾. محل ﴿أَن﴾ رفع على البدل من (ما) في قراءة من قرأ ﴿وأُحلَّ﴾ بضم الألف، ومن قرأ بالفتح كان محل (أن) نصبًا. قالوا: ويجوز أن يكون محلّه نصبٌ على القراءتين بفقد الخافض، كأنه قيل: لأن تبتغوا، ثم حذف الخافض[٢].

والمعنى: أحلّ لكم أن تطلبوا بأموالكم، إما بنكاح وصداق،أو بملك وثمن، وفي هذا دليل على أن الصداق لا يَتَقدّر بشيء؛ لإطلاق قوله: ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾، فمن ابتغى بقدر جاز أن يكون ثمنًا في بيعٍ أو أجرة في إجارة فقد استحل.

وقوله تعالى: ﴿مُّحْصِنِينَ﴾. أي: متعففين عن الزنا، وهو قول ابن عباس[٣].

وقال مجاهد: ناكحين[٤]، وهو اختيار الزجاج؛ لأنه (قال)[٥]:

---

(١) انتهى كلام أبي إسحاق الزجاج من «معاني القرآن» ٢/ ٣٧.

(٢) انظر «معاني الفراء» ١/ ٢٦١، الطبري ٥/ ١١، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٤٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٧/أ.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكر المؤلف هذا القول دون نسبة لأحد في «الوسيط» ٢/ ٥٠١، وانظر الطبري ٥/ ١١.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ١٥٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٥/ ١١، وهو فيهما بلفظ: متناكحين. وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٤٩.

(٥) ما بين القوسين ليس في (أ).

عاقدين التزويج[١].

وقال الفراء: يقول: أن تبتغوا الحلال[٢].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾. أي: غير زانين. عن مجاهد[٣]، والسدي[٤].

وقال ابن عباس: السفاح الزنا[٥].

قال الليث: السفاح والمسافحة: أن تقيم امرأة مع رجل على فجور من غير تزويج صحيح، والمُسافِحة: الزانية[٦]. وروي أن النبي ﷺ قال: قال لي جبريل: «**ما بينك وبين آدم نكاح لا سفاح فيه**»[٧].

وأصله في اللغة: من السَّفح وهو الصَّبّ، يقال: سفح الدمع مسفوحًا، وسفح الدم: صبّه، وفلان سفّاحٌ للدماء: أي: سفّاك[٨].

وسمي الزنا سِفاحًا؛ لأنه ليس ثم حرمةُ نكاح ولا عقد تزويج[٩]، وإنما يسفح كل واحد من الزانيين نطفته، أي: يصبها ويريقها، فسمي سفاحًا لهذا المعنى. كما سمي مِذَاء من المذي، وكان الرجل في الجاهلية

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٧.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٦١.

(٣) «تفسيره» ١/ ١٥٢، وأخرجه الطبري ٥/ ١١ بدون لفظ غير.

(٤) أخرجه الطبري ٥/ ١١ بلفظ: غير زناة.

(٥) لم أجده إلا في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٢ بلفظ مجاهد.

(٦) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٠، وهو في «العين» ٣/ ١٤٧ (سفح).

(٧) انظر: «العين» ٣/ ١٤٧، ولم أقف عليه في المصادر الحديثية.

(٨) انظر: «العين» ٣/ ١٤٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٩٩ «الصحاح» ١/ ٣٧٥ (سفح).

(٩) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٠ (سفح).

إذا أراد أن يفجر بالمرأة يقول لها: سافحيني، أو ماذيني[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾. قال الحسن ومجاهد وابن زيد وأكثر المفسرين: يعني: فما انتفعتم وتلذّذتم من النساء بالنكاح الصحيح[٢]. قال أبو إسحاق: يريد فما استمتعتم به منهن على عقد التزويج الذي جرى ذكره[٣].

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾. أي: مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها آتى[٤] المهر تامًا، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر[٥].

والاستمتاع في اللغة: الانتفاع، وكل ما انتفع به فهو متاع[٦]. هذا التفسير هو الذي عليه إجماع الفقهاء وعلماء الأمة[٧].

وسُمي المهر في هذه الآية أجرًا لأنه أجر الاستمتاع[٨].

وانتصاب الفريضة ههنا على الحال، أي: مفروضة[٩].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٧-١١٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٦ (سفح).

(٢) أخرج الآثار عن الحسن ومجاهد وابن زيد الطبري ٥/ ١١-١٢ بلفظ النكاح، وقد أفاد المؤلف لفظه من «الكشف والبيان» ٤/ ٣٧/ب، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٨ بتصرف.

(٤) في (د): (إلى).

(٥) من «معاني الزجاج» بنصه ٢/ ٣٨، وانظر: «الطبري» ٥/ ١٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٩ (متع). «الكشف والبيان» ٤/ ٣٩/أ.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٩ (متع) .

(٧) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٨، و«الطبري» ٥/ ١٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٩ أ.

(٨) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي ٤/ ٣٩ أ.

(٩) وقيل: مصدر في موضع الحال. انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٦، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٥.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ﴾. قال عطاء: يريد: إذا سميت المهر بعدّة من الدنانير أو الحيوان، فلا حرج بعد ذلك أن تحطّ من عدة الدنانير أو الحيوان، إذا كان ذلك برضا المرأة[١]. ففسر هذا التراضي بالحطّ من المهر والإبراء.

وقال الزجاج: أي: لا إثم عليكم في أن تَهب المرأة للزوج مهرها، أو يهب الرجل للمرأة تمام المهر إذا طلقها قبل الدخول[٢].

وقيل: هذا في الخُلع، يقول: لا جناح عليكم فيما تَفتدي به المرأة نفسها[٣].

وذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بالاستمتاع في هذه الآية المُتعة[٤] التي كانت مُباحَة في ابتداء الإسلام، وهو ما رُوي أن النبي ﷺ، لما قدم مكة في عمرته، تزين نساء أهل مكة، فشكا أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) لم أقف عليه، وقد ورد بمعناه عن ابن عباس وابن زيد. انظر: «الطبري» ٥/ ١٤، «زاد المسير» ٢/ ٥٤.

(٢) العبارة في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩: أي لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب إلا لمن دخل بها، وهذه العبارة مشكلة؛ لأن غير المدخول بها يجب لها نصف الصداق بلا هبة لقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، إلا أن يكون المراد بعبارة الزجاج هذه: نصف المهر الآخر، ويحتمل التصحيف من النساخ، وعلى كلٍّ فعبارة الزجاج عند المؤلف أوضح وأصوب وقد ذكرها في تفسيره الآخر «الوسيط» ٢/ ٥٠٢.

(٣) نحوه مَرويّ عن ابن عباس. انظر: «الطبري» ٥/ ١٤، «زاد المسير» ٢/ ٥٢.

(٤) هذا قول لابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم. انظر: الطبري ٥/ ١٢-١٣، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٧ ب.

إليه العُزبة[١]، فقال: «**استمتعوا من هذه النساء**»، وروي أنه قال: «**تمتعوا منهن**»[٢].

وكان الرجل في صدر الإسلام يعطي المرأة دينارًا أو دراهم، أو ما كان، مما يتراضيان به، على أنْ يستمتع بها يومًا أو أسبوعًا، على ما يتراضيان عليه من الأجل، فإذا انقضى الأجل فليس له عليها سبيل، وهي منه بريئة، وعليه أن يستبرئ رحمها فإن قال لها: زيديني في الأيام وأزيدك في الأجر كانت المرأة بالخيار، إن شاءت فَعَلت ذلك، وإنْ شاءت لم تفعل[٣].

قالوا: وذلك قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ أي: من زيادة الأجل والأجر[٤]. ثم أجمع أكثر هؤلاء على أن هذا الحكم منسوخ[٥]، إلا ابن عباس وعمران بن حصين[٦]، فإنهما كانا يريان جواز نِكاح المُتعة[٧]. كان ابن عباس يُفتي بها.

---

(١) العُزبة: من العُزوبة، أي البعد عن النكاح والتجرد عن النساء. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٣/ ٢٢٨.

(٢) أخرجه بلفظه الأول أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٣، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ ب.

(٣) انظر: «الطبري» ٥/ ١٣-١٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ ب، «النكت والعيون» ١/ ٤٧١.

(٤) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٧١، «زاد المسير» ٢/ ٥٥.

(٥) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٨٠.

(٦) هو أبو نُجيد عِمران بن حُصين بن عُبيد الخُزاعي أسلم عام خيبر وغزا مع النبي ﷺ، كان من فضلاء الصحابة ومجابَ الدعوة، مرض فكان على سريره ثلاثين عامًا حتى توفي ﷺ سنة ٥٢هـ وكانت الملائكة تسلم عليه. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٢٨٤-٢٨٥، «أسد الغابة» ٤/ ٢٨١، «الإصابة» ٣/ ٢٦-٢٧.

(٧) سيورد المؤلف ما يدل على ذلك عن ابن عباس وعمران بن حصين.

قال عمارة[١] مولى الشريد[٢]: سألت ابن عباس عن المُتعة، أسِفاح هي أم نكاح؟ قال: لا سفاح ولا نكاح. قلت: فما هي؟ قال: هي المُتعة كما قال الله. قلت: هل لها من عدة؟ قال نعم، عدتها حيضة. قلت: هل يتوارثان؟ قال: لا[٣].

وروى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[٤]: أن ابن عباس كان يُفتي بها، ويغمصُ[٥] ذلك أهلُ العراق، وأَبَى أن ينكل عن ذلك، حتى طفق بعض الشعراء يقول:

أقـول لـلـركـب إذْ طَـالَ الـثَّـواءُ بـنـا
يـا صَـاحِ هَـلْ لَـكَ فـي فُـتيـا ابـن عبـاسِ
هـل لـك فـي رَخـصـة الأطـرافِ نـاعـمـة
تـكـون مَـثـواكَ حـتـى رجـعـة الـنـاس[٦]

---

(١) هكذا في (أ)، وفي «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٣: عمار، بدون تاء.
(٢) تابعي ثقة كما في ثقات العجلي.
(٣) أخرجه أبو عُبيد في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص٨٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٣ بلفظه، وعزاه لابن المنذر.
(٤) هو أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود الهُذلي المدني تابعي ثقة ثبت أحد كبار فقهاء المدينة في عصره، جامع بين العلم والصلاح وهو معلم عمر بن عبد العزيز رحمهما الله كان ضرير البصر، وتوفي سنة ٩٤هـ وقيل غير ذلك. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ١١١، «مشاهير علماء الأمصار» ص٦٤، «التقريب» ص٣٧٢ رقم (٤٣٠٩).
(٥) غَمِصَ -بفتح الميم وكسرها- يَغمِص غمصًا، وهو الاستصغار أو العيب، انظر «الصحاح» ٣/ ١٠٤٧ (غمص). وفي النسخة (أ) تعليق في الحاشية كلمتين أو ثلاث، لم يتبين، والظاهر أنه شرح لهذه الكلمة الغربية.
(٦) انظر: «عيون الأخبار» ٤/ ٥٩، و«تفسير القرطبي» ٥/ ١٣٣، و«الدر المنثور» =

قال: فازداد لها أهل العلم قَذرًا وبُغضًا، حين قيل فيها الأشعار[(١)].

وقال عمران بن حُصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله ﷻ ولم ينزل آية بعدها تنسخها، وأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتعنا معه، ومات ولم يَنهنا عنه. قال رجلٌ بَعْدُ برأيهِ ما شاء[(٢)].

وجميع الصحابة على أن المتعة منسوخة حرام[(٣)].

روى الربيع بن (سَبرة)[(٤)] الجهني[(٥)]، عن أبيه قال: غدوت على رسول الله ﷺ فإذا هو قائم بين الركن والمقام، مسندٌ ظهره إلى الكعبة، يقول: «**يا أيها الناس إني كنتُ أمرتُكم بالاستمتاع من هذه النساء، ألا وإن الله قد حرَّم عليكم إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليُخَلِّ سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا**»[(٦)].

= ٢/ ٤٨٧، و«السنن الكبرى» للبيهقي ٧/ ٢٠٥، و«التمهيد» لابن عبد البر ١٠/ ١١٧، و«أخبار مكة» للفاكهي ٣/ ١٢.

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٨١، ٨٢، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ أ، «الدر المنثور» ٢/ ٤٧١.

(٢) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ أ.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ أ.

(٤) في (د): (سبر) بالتذكير، والصواب ما أثبته. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٧٣.

(٥) هو الربيع بن سبرة بن معبد الجهني المدني تابعي ثقة، وثقه النسائي وابن حبان وأخرج حديثه مسلم وأهل السنن، عده ابن حجر من الطبقة الثالثة. ولم تذكر سنة وفاته. انظر: «تاريخ الثقات» ١/ ٣٥٤، «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٩٢، «التقريب» ص٢٠٦ رقم (١٨٩١).

(٦) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٣، ومسلم في «صحيحه» كتاب النكاح، باب: ٣ نكاح المتعة ٢/ ١٠٢٥ (ح٢١)، وفيهما: «.. **ألا وإن الله قد حرم عليكم ذلك**..» بزيادة اسم الإشارة، وهو الأصوب.

وروى الحارث بن غُزَيّة[(١)] أن رسول الله ﷺ قال: «مُتعة النساء حرام»[(٢)].

وقال عمر ﷺ: لَنْ أُوتَى برجلٍ منكم نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة[(٣)].

وروي عن ابن الحَنفيّة[(٤)]: أن عليًا -ﷺ- مر بابن عباس وهو يفتي بنكاح المتعة أنه لا بأس بها، فقال: إن رسول الله ﷺ نهى عنها وعن لحوم الحُمُر الأهلية يوم خيبر[(٥)].

قال أبو عبيد: هذا التوقيت يرجع إلى النهي عن لحوم الحُمُر؛ لأن الرخصة في المتعة كانت في عمرة النبي ﷺ، وهي بعد خيبر، والنهي عن المتعةُ مطلق غير مُؤَقت[(٦)].

---

(١) هو الحارث بن غُزَيّة، وقيل: غزية بن الحارث الأنصاري المدني، صحابي جليل روى عن رسول الله ﷺ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٣١٨، «أسد الغابة» ١/ ٤١٠، «الإصابة» ٣/ ١٨٥.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٥.

(٣) جزء من أثر أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٦، ومسلم (١٢١٧) كتاب الحج، باب: في المتعة بالحج والعمرة.

(٤) هو أبو القاسم أو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي من أفاضل أهل البيت، ومن العلماء الثقات، عرف بابن الحنفية نسبة إلى أمه من بني حنيفة. توفي ﷺ سنة٧٣هـ وقيل بعد الثمانين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص٦٢، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١١٠، «التقريب» ص٤٩٧ رقم (٦١٥٧).

(٥) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٥، والبخاري (٥١١٥) بنحوه في كتاب النكاح، باب: نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرا ٦/ ١٢٩، ومسلم (١٤٠٧) كتاب النكاح، باب: نكاح المتعة.

(٦) انظر: «الناسخ والمنسوخ» ص٧٥.

وكانت عائشة إذا ذُكِر لها المتعة قالت: والله ما نجد في كتاب الله إلا النكاح والاستِسرار، ثم تتلو هذه الآيات الثلاثة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] إلى آخرها[١].

وقال ابن مسعود: المتعة منسوخة، نسخها الطلاق والصَّداق والعِدّة والميراث[٢].

قال أبو عبيد: فالمسلمون اليوم مُجمعون على أن متعة النساء قد نُسخت بالتحريم، نسخها الكتاب والسنة[٣].

هذا قول أهل العلم اليوم جميعًا من أهل العراق، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأصحاب الأثر، وأصحاب الرأي: أنه لا رُخصة فيها لمضطر ولا غيره.

وقد رُوي عن ابن عباس شيء شبيه بالرجوع عنها، وهو ما روى عطاء الخرساني، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ قال: نسختها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١][٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بما يُصْلِح أمر العباد (حكيمً) فيما بين[٥] لهم من عقد النكاح الذي به حُفظت الأموال والأنساب[٦].

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٨٧، وذكره الثعلبي بمعناه في «الكشف والبيان» ٤/ ٣٩ أ.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٧٩.

(٣) «الناسخ والمنسوخ» ص٨٠، وانظر: «البغوي» ٢/ ١٩٣.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٨٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ١٩١، ١٩٢، وضعفه المحقق إسناده.

(٥) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩: فرض.

(٦) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩.

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ الآية. قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد: الطَّول: الغنى والسعة(١).

وقال الفراء: الطَّول: الفضل، يقال: طال عليه يطول طَولًا في الإفضال. ولفلان على فلان طَول، أي: فضل(٢).

وقال ابن المظفر والزجاج: الطول: القُدرة(٣). يقال: فلان ذو طول، أي: ذو قدرة في ماله(٤)، وقيل في تفسير قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] ذي القدرة. وهذه الأقوال كلها في المعنى واحد.

ويُراد بالقدرة ههنا القدرة على المهر(٥)، وأصل الطَّول من الطُّول خِلاف القِصَر(٦)، وذلك أن الغني يُنال به معالي الأمور، كالطول في أنه يُنال به ما لا ينال بالقِصَر. واشتقاق الطائل من الطول، يقال للشيء إذا لم يكن ذا مَنٍّ يُرغب فيه: هذا شيء غير طائل(٧).

ومنه:

---

(١) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ١٥. والأثر عن ابن عباس في «تفسيره» من طريق علي بن أبي طلحة ص١٤٢، وعن مجاهد في «تفسيره» ١/ ١٥٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٥، «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٢) لم أجده في «معاني القرآن» للفراء، فلعله في كتابه «المصادر» وهو مفقود، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٦.

(٣) «العين» ٧/ ٤٥٠ (طول)، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٠، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٦.

(٤) في «العين» ٧/ ٤٥٠ دون لفظ: ماله.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٦.

(٦) انظر: «العين» ٧/ ٤٥٠ (طول)، والطبري ٥/ ١٥-١٦.

(٧) انظر: «العين» ٧/ ٤٥٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٦.

لقد زادني حُبًّا لنفسيَ أَنَّني   بغيضٌ إلى كُلِّ امرئ غيرِ طائلِ[١]

وقوله تعالى: ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. قال ابن عباس وغيره: يريد الحرائر[٢].

فمن فتح الصاد[٣] أراد أنهن أُحصِنّ لحريتهن، ولم تُبتذل كالأَمَة، فهن محصَنات، ومن كسر الصاد[٤] أراد أنهن أحصَن أنفسهن لحريتهن، ولم يبرُزْن بروزَ الأمة، فهن مُحصِنات[٥].

وتقييد المحصنات ههنا بالمؤمنات، ووصفهن بالإيمان يفيد عند من يقول بالمفهوم أن من وجد طول حرة كتابية لم يكن ممنوعًا عن نكاح الأمَة[٦]، وإنما يُمنع إذا وجد طَول حرة مؤمنة كما ذكر الله تعالى. هذا مذهب أكثر أصحابنا[٧].

ومنهم من يقول: إذا قدر على طَول حرّة كتابية منع من نكاح الأَمَة، كما لو قدر على طول حرة مؤمنة[٨].

---

(١) البيت للطرماح في «ديوانه» ص١٠٠، و«الأغاني» ١٢/ ٥٠، و«الحيوان» ٣/ ١١٢، و«الشعر والشعراء» ص٥٨٥، و«ديوان الحماسة» ١/ ٧٦، و«عيون الأخبار» ٣/ ١١٢، و«الوساطة» ص٢٤٧، و«المثل السائر» ٢/ ٣٥٣، و«الكشاف» ١/ ٥٣١، و«البحر» ٣/ ٢٠٤.

(٢) «تفسير ابن عباس» ص١٤٣، وأخرجه الطبري ٥/ ١٧.

(٣) أي من: المحصنات، وهذه قراءة الجمهور.

(٤) قراءة الكسائي.

(٥) في توجيه القراءتين ينظر الطبري ٥/ ١٧-١٨.

(٦) أي: المؤمنة.

(٧) انظر «المجموع شرح المهذب» ١٧/ ٣٤٤، وقد رجح هذا القول ابن العربي من المالكية في تفسيره «أحكام القرآن» ١/ ٣٩٣، وانظر: القرطبي ٥/ ١٣٨.

(٨) هذا ما رجحه الشيرازي، انظر: «المجموع» ١٧/ ٣٤٤، والقرطبي ٥/ ١٣٨.

ويُحتمل هذا التقييد على غالب الحال؛ لأنّ الغالب من نكاح المسلمين مناكحة المسلمات، والخطاب ربما يأتي مقيدًا بغالب الحال، فلا يكون له مفهوم يُخالف المنظوم، كقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]، ثم لم يكن الخوف مشروطًا في جواز القصر، ولكنه نزل على الغالب، وكان الغالب من أسفارهم الخوف، ولهذا نظائر(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾. أي: فليتزوج مما ملكت أيمانكم. قال ابن عباس: يريد جارية أخيك في الإسلام(٢).

ولا يجوز للإنسان أن يتزوج جاريةَ نفسِه بالإجماع(٣)، ومعنى قوله: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم﴾ هو أن يتزوج الرجل ما يملك غيره ممّن يكون على مثل حاله من الإسلام. فأباح أن ينكح بعضنا فتاة بعض، كما فسره ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾. الفتيات: المملوكات والإماء. جمع فتاة، تقول العرب للأَمَة: فتاة، وللعبد: فتى(٤).

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقولن أحُدكم: عبدي، ولكن لِيَقُل: فتاي وفتاتي**»(٥).

---

(١) هذا الاحتمال يرجح القول الأول.

(٢) بمعناه في «تفسير ابن عباس» ص١٤٣، وأخرجه الطبري ٥/ ١٩-٢٠، وانظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٣.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٣٩.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٠.

(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٢٤٩) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: حكم إطلاق لفظة العبد.

وقال ابن السكيت: يقال: (تفتّت)[١] الجارية، إذا راهقت فخُدِرت[٢] ومُنِعت من اللعب مع الصبيان. وقد فتيت تفتيةً.

ويقال للجارية الحَدثة: فتاة، وللغلام: فتى[٣].

أبو عبيد: الفتاء ممدود مصدر الفِتيّ في السن. وأنشد:

إذا عاش الفتى مائتين عامًا فقد ذهب اللذاذة والفَتَاء[٤]

فالفتاة الشابة، والفتاة الأمَة، عجوزًا كانت أو شابة[٥]؛ لأنها كالشابة في أنه لا تُوقر توقير الكبير.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أفاد هذا التقييد أنه لا يجوز التزوّج بالأَمَة الكِتابية، سواءٌ كان الزوج حرًا أو عبدًا. وهذا قول مجاهد[٦]، وسعيد[٧]، والحسن[٨]، ومذهب مالك[٩]، والشافعي[١٠].

---

(١) في النسختين: لفتت، والتصويب من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٠ («فتح الوهاب» للأنصاري).

(٢) أي: ألزمت الخِدر وسُتِرت في البيت. حاشية ٢ من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٠ (فتا).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٠ (فتا).

(٤) «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٣٣٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٠ (فتا)، والبيت للربيع بن ضبع الفزاري كما عند سيبويه ١/ ٢٠٨، «اللسان» ٦/ ٣٣٤٧ (فتا)، ونسبه سيبويه مرة أخرى إلى يزيد بن ضبة. انظر: «الكتاب» ٢/ ١٦٢.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ١٨.

(٦) «تفسيره» ١/ ١٥٢، والطبري ٥/ ١٨.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) أورد الأثر عنه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٤، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٩) خرج قوله الطبري ٥/ ١٨، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ١٩٥، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٤٠.

(١٠) «الأم» ٥/ ٦، وانظر: «أحكام القرآن» للهراسي ٢/ ٢٨٩، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٤٠.

ومذهب أهل العراق أنه يجوز التزّوج بالأمَة الكِتابية[١]. والآية حجة عليهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمۚ﴾. قال الزجاج: أي: اعملوا على الظاهر في الإيمان فإنكم متعبدون بما ظهر، (والله يتولى السرائر والحقائق)[٣].

وقوله تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ﴾. ذكر أهل المعاني الزجاج وابن الأنباري وغيرهما، فيه وجهين:

أحدهما: كلكم بنو آدم وولده، فلا يتداخلنكم شموخ وأنفَة من تزّوج الإماء عند الضرورة، فإنكم تتساوون في أنكم بنو آدم. فعلى هذا قوله: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ﴾ أي: في النسَب[٤].

والثاني: أن المعنى: بعضكم يوالي بعضًا، ويُلابس بعضًا في ظاهر الحكم، من حيث شملكم الإسلام، فاجتمعتم فيه، وصرتم متكافئين متماثلين بجمع الإسلام لكم، واستوائكم في حكمه. قال الراعي:

فقُلت ما أنا مِمَّن لا يواصِلُني ولا ثَـوائِـي إلا ريـثَ أَحْـتَـمِـل[٥]

أي: لا ألابس من لا يواصلني ولا أواليه. والمعنى: دينكم واحد فأنتم متساوون في هذه الجهة، فمتى وقع لأحدكم الضرورة جاز له تزّوج الأمَة[٦].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٨، والقرطبي ٥/ ١٤٠.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٨-١٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٠، وما بين القوسين زيادة على ما فيه.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤١، «زاد المسير» ٢/ ٧٥.

(٥) «ديوانه» ص١٩٧، «أساس البلاغة» ص١٨٦ (ريث)، وقافيته في الأساس: أرتحل. ومعنى يواصلني: يوافقني.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤١.

قال الزجاج: ويُقَوِّي هذا الوجه أنه ذكر ههنا المؤمنات من العبيد[١].

وإلى هذا أشار ابن عباس في تفسير هذه الآية، فقال: يريد: المؤمنون بعضهم أكفاء لبعض[٢].

قالوا: وإنما قيل لهم ذلك؛ لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفتخر بالأحساب، وتُعَيِّر بالهُجنة، وتُسمي ابن الأَمَة الهَجِين، فأعلمَ الله أن أمر العبيد وغيرهم مستوي[٣] في باب الإيمان.

وإنما حرم التزّوج بالأمة إذا وُجد إلى الحرة سبيل لمعنيين:

أحدهما: أن ولد الحُرّ من المملوك[٤] مملوك لسيدها، فلا يجوز له إرقاق ولده ما دام مستغنيًا.

والثاني: أنّ الأَمَة مُستَخدمةٌ في الحاجات، مُمتهنة بكثرة عِشرة الرجال وذلك شاق على الزوج[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: مهورهن[٦].

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: من غير مَطْل وضِرَار[٧]. والإجماع على أن المهر إنما يدفع إلى مولاها؛ لأنه ملكه، وإنما أضيف الإيتاء إليهن؛ لأنه ثمن بُضعهن، وإذا آتى المولى فقد آتاها؛ لأنه وإن آتاها كان لمولاها انتزاعه منها.

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٤١، دون لفظ: ويقوي هذا الوجه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: مستوٍ بحذف الياء.

(٤) هكذا في (أ)، ولعل الصواب: المملوكة.

(٥) من قوله: (قالوا:..) من «معاني الزجاج» ٢/ ٤١ بتصرف يسير.

(٦) الطبري ٥/ ١٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٠ أ.

(٧) «الكشف والبيان» ٤/ ٤٠ أ.

وقوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: يريد عفائف[(١)]. وهو الحال من قوله: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ﴾[(٢)].وظاهر هذا يوجب أن نكاح الزواني من الإماء حرام.

واختلف الناس في نكاح الزواني من الحرائر، وسنذكر ذلك عند قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ والأكثرون على أنه يجوز نكاح الزانية، وأن قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور: ٣] منسوخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢][(٣)]. والذي في هذه الآية محمول على الندب والاستحباب.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ﴾ أي: غير زواني[(٤)].

﴿وَلَا مُتَّخِذَ ٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خِدْن، والخِدنْ والخَدِين الذي يُخادنك يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن، وخِدْن الجارية مُخَدَّنها[(٥)].

قال قتادة والضحاك وأهل التفسير: المُسافِحة التي تؤاجر نفسها مُعلِنَةً بالزنا. يزنين بمن لقيهن من غير ميعاد، ويَسفحن[(٦)] مياههن. والتي تتخذ الخِدْن هي التي تزني سرًّا[(٧)].

(١) من أثر في «تفسير ابن عباس» ص١٤٣، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٠.
(٢) أي: من الهاء والنون هن. انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٥.
(٣) ممن قال بالنسخ سعيد بن المسيب من التابعين. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٠٠.
(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٠ أ.
(٥) «العين» ٤/ ٢٣٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٩٩٦ (خدن)، وآخر كلمة جاءت فيهما: مُحدثها، ولعله هو الصواب.
(٦) في (د): (يسفح).
(٧) هذا نحو قول قتادة والضحاك، وقد أخرج الأثرين عنهما الطبري ٥/ ٢٠، وانظر: ابن كثير: ١/ ٥١٨-٩٩.

وكانت العرب في الجاهلية يعيبون الزنا العلانية، ولا يكادون يعيبون اتخاذ الأخدان فجاء الله بالإسلام فهدم ذلك، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[1] [الأعراف: ٣٣]، وقال: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾.

وقال الشعبي: الزنا على نحوين خبيثين، أحدهما أخبث من الآخر، فأما الذي هو أخبثهما فالسفاح، وهو الفجور بمن أتاها، والثاني: اتخاذ الخدن، وهو الزنا في السر[2].

قال قتادة: ونهى الله عن نكاح المُسَافِحة وذات الخِدْن[3].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾. قرئ بالوجهين؛ فمن ضم الألف[4] فمعناه: أُحصنّ بالأزواج، على معنى: تَزوجْن[5]. قاله ابن عباس، وسعيد ابن جبير والحسن ومجاهد وقتادة[6].

ومن فتح الألف[7] فمعناه: أَسلَمْن[8].

---

(١) هذا معنى قول لابن عباس أخرجه الطبري ٥/ ١٩-٢٠، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٤.

(٢) أخرجه الطبري بنحوه ٥/ ٢٠، وانظر: ابن كثير ١/ ٥١٨.

(٣) بمعناه عن قتادة، وهو جزء من الأثر المتقدم عنه، وقد أخرجه الطبري ٥/ ٢٠.

(٤) هذه القراءة لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم، وأبي جعفر ويعقوب. انظر «السبعة» ص٢٣١، «الحجة» ٣/ ١٥١، «المبسوط» ص١٥٦.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٢١، «الحجة» ٣/ ١٤٨، ١٥١.

(٦) أخرج أقوالهم الطبري ٥/ ٢٣-٢٤، وابن كثير ١/ ٥١٩، وقد رجح ابن كثير هذا المعنى.

(٧) هذه القراءة لحمزة والكسائي وخلف. انظر: «السبعة» / ٢٣١، «الحجة» ٣/ ١٥١، «المبسوط» ص١٥٦.

(٨) انظر: الطبري ٥/ ٢١، «الحجة» ٣/ ١٤٨.

كذلك قال عمر، وابن مسعود، والشعبي وإبراهيم والسدي[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ يريد: زنا[(٢)].

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: عليهن نصف الحدّ[(٣)].

والمحصنات ههنا الأبكار اللاتي أحصنهن العفاف[(٤)]، وحَدُّهن مائة، ويتنصف ذلك في حق الأمَة إذا زنَت[(٥)]. وإن حملنا المحصنات على ذوات الزوج لم يَسْهُل؛ لأن حدّهن الرجم، ولا يتنصف الرجم، ولا مدخل له في هذا العبيد[(٦)]. ويقال لم شرط الإحصان في حد الإماء، والإحصان في قوله: ﴿أُحْصِنَّ﴾، و﴿أَحصنَّ﴾ على اختلاف القراءتين فُسر بالتزوج والإسلام وليس واحد منهما شرطًا في وجوب الحد على الأَمَة إذا زنت؛ فإن الكافرة إذا زنت كان حدها خمسين جلدة، وكذلك الخالية عن الزوج؟

والجواب: أن من فسر الإحصان ههنا بالإسلام قال: إنها إذا كانت كافرة لم يكن عليها سبيل، إلا بأن ترضى بحكمنا. وإذا كانت مسلمة أقمنا عليها الحد، ففائدة ذكر الإسلام راجعة إلى أصل إقامة الحد مع بيان قَدرِه.

---

(١) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٢٢-٢٣.

(٢) الطبري ٥/ ٢٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٠ أ.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٢٣، والطبري ٥/ ٢٤.

(٤) لعل قصد المؤلف: الأبكار الحرائر. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٤، والطبري ٥/ ٢٤، «معاني الزجاج» ٢/ ٤١، والثعلبي ٤/ ٤٠ أ.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٢٤، والثعلبي ٤/ ٤٠ أ.

(٦) انظر «معاني الزجاج» ٢/ ٤١.

ومن فسر الإحصان بالتزوّج قال: فائدة ذكره ههنا أن الحرة المحصنة بالزوج حدها الرجم، فقيد الله تعالى حكم الأَمَة عند ذكر الحد بالإحصان، إذ لو نص على غير حالة الإحصان بالنكاح لم يبعد أن يَتوهّم مُتوهِّم وجوب الرجم عليها إذا زنت وهي متزوجة، من حيث لم يكن للرجم نصف، كما استوت الحُرّة والأَمَة في قطع السرقة لَمّا لم يكن للقطع نصف(١).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾. الإشارة تعود إلى نكاح الأمَة عند عدم الطول(٢).

وذكرنا معنى العنت والإعنات في اللغة عند قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وقوله: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]. وفسر العنت ههنا: الزنا في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وعطية والضحاك وابن زيد(٣). وبيان هذا ما ذكره المُبرَّد: ذلك لمن خاف أن يحمله شدة الشبَق، والغُلمة على الزنا، فيلقى العذاب العظيم في الآخرة، والحد في الدنيا(٤). وإنما سمي الزنا العَنَت من المشقة في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٨.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٤، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٢، والثعلبي ٤/ ٤٠ ب.

(٣) الأثر عن ابن عباس في «تفسيره» ص١٤٣، وأخرجه عنه وعن الباقين إلا ابن زيد الطبري ٥/ ٢٤-٢٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٨، وقد ذكر أن هذا قول ابن زيد.

(٤) الظاهر أن هذا الكلام ليس للمبرد، فقد قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٤٢: قال أبو العباس -وهو المبرد-: (العنت) ههنا الهلاك، وقال غيره: معناه: ذلك لمن خشي أن تحمله الشهوة.. إلخ نحو ما ذكره المؤلف هنا. والله أعلم. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٥ (عنت).

وقال عطاء: العَنَت المشقة في شدة الغُربة[١]. وهذا اختيار الزجاج، قال: العنت في اللغة المشقة الشديدة، يقال: أَكَمةٌ عنوت، إذا كانت شاقّة المَصعد[٢].

قال الأزهري: وهذا الذي قاله أبو إسحاق صحيح، فإذا شقّ على الرجل الغربة[٣] وغلبته الغُلمة، ولم يجد ما يتزوج به حرة، فله أن ينكح أَمَة؛ لأن غلبة الشهوة واجتماع الماء في صُلب الرجل ربما آذى[٤].

وحكى أبو إسحاق، عن بعضهم: قال: معناه أن يعشق الأمَة. قال[٥]: وليس في الآية ذكر العشق، ولكن ذا العشق يلقى عنتًا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ﴾. أباح الله تعالى نكاح الأمَة بشرطين: **أحدهما**: في أول الآية، وهو عدم الطَّول.

والثاني: في آخرها، وهو خوف العنت. ثم قال مع ذلك: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ﴾ يريد: عن تزوج الإماء. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة[٧].

---

(١) هكذا هذه الكلمة في (أ)، (د) بالغين المعجمة والراء، وقد تكون: العُزبة، بالعين المهملة والزاي. انظر «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٥ (عنت).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٢، إلا أنه ليس فيه كلمة (المصعد)، وقد أثبتها الأزهري في «التهذيب» ٣/ ٢٥٨٥ (عنت)، فقد يكون الواحدي أخذ عن الأزهري، ويؤيده ما بعده.

(٣) هكذا هذه الكلمة في (أ)، (د) بالغين المعجمة والراء، وقد تكون: العُزبة، بالعين المهملة والزاي. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٥ (عنت).

(٤) في (د) أدى. لعل في الكلام سقطًا أو حذفًا، فالظاهر أنه لم يتم الكلام، وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٨٥ (عنت) -والكلام للأزهري- ربما أدى إلى العلة الصعبة.

(٥) أي: أبو إسحاق الزجاج.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٢.

(٧) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٢٥-٢٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٥٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٦.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ألا يصير الولد عبدًا[(١)].

٢٦- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الآية. اختلفت النحوية[(٢)] في وجه اللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

فقال الفراء: العرب تجعل اللام التي بمعنى (كي) في موضع (أن) في: أردت وأمرت، فتقول: أردت أن تذهب، وأردت لتذهب، وأمرتك أن تقوم، وأمرتك لتقوم. قال الله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف: ٨]، و﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾ [التوبة: ٣٢].

وإنما صلحت اللام في موضع أن في: أمرت وأردت؛ لأنهما يطلبان المستقبل، ولا يصلحان مع الماضي، ألا ترى أنك تقول: أمرتك أن تقوم، ولا يصلح: أمرتك أن قمت. (وكذلك: أردت أن تقوم، ولا يصلح: أردت أن قمت)[(٣)]. فلما رأوا (أن) في غير هذين تكون للماضي وللمستقبل استوثقوا لمعنى الاستقبال بكَي وباللام التي على[(٤)] معنى كي، (وربما جمعوا بين اللام وكي)[(٥)] وربما جمعوا بين ثلاثتهن، وأنشد[(٦)]:

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤٢.

(٢) هكذا في (أ)، (د). ومراده النُّحاة.

(٣) ما بين القوسين ليس في «معاني القرآن» المطبوع لديّ، فقد يكون ساقطًا منه، وهذا يدل على أهمية «البسيط» في تكميل لبعض الناقص من المصادر المتقدمة.

(٤) في «معاني الفراء» ١/ ٢٦٢ بدل على: في.

(٥) ما بين القوسين ليس في «معاني الفراء» المطبوع لديّ.

(٦) عند الفراء: وأنشدني أبو ثروان.

أردت لِكَيما لَا ترى لي عَثرة
ومن ذا[1] الذي يُعطى الكَمال فيكمُلُ[2]

فجمع بين اللام و(بين)[3] كي.

وقال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال الآخر[4] في الجمع بينهن:

أردتَ لِكَيمَا أنْ تَطِير بِقِربتي
فتتركُها شنًّا ببَيْداءَ بَلْقَعِ[5]

وإنما جمعوا بينهما[6] لاتفاقهما في المعنى، واختلاف لفظهما[7].

وأنكر الزجاج أن تقع اللام في معنى (أن)، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

---

(١) في (أ)، (د): (ذى).

(٢) ينظر: «همع الهوامع» ٢/ ٣٧١، و«خزانة الأدب» ٨/ ٤٨٦، و«اللسان» (أثل)، و«الأمالي» ٢/ ٤٦.

(٣) ليس في (د).

(٤) في (أ)، (د) الآ، فقد يكون سقط آخر الكلمة سهوًا من الناسخ.

(٥) البيت غير منسوب في الطبري ٥/ ٢٧، «الإنصاف» للأنباري ص٤٦٦. وجاء في حاشيته:.. وشنًا: أي يابسة متخرقة، والبيداء: الصحراء التي يبيد سالكها. أي يهلك، والبلقع الخالية. والشاهد منه أن الشاعر أظهر أن بعد: كي.

(٦) في «معاني الفراء» (بينهن) بالجمع، وكذلك بقية الضمائر.

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٢٦١، ٢٦٢، وانظر: «تفسير الطبري» ٥/ ٢٦-٢٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢، ٤٣،، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٠ ب.

أردت لِكَيما يعلمُ الناس أنها سراويل سعدٍ[١] والوُفود شهوُد[٢]

فلو كانت بمعنى أن لم تدخل على كي، كما لا يدخل عليها أن.

(ومذهب سيبويه وأصحابه أن اللام دخلت في هذا وأشباهه على تقدير المصدر، أي: الإرادة للبيان)[٣]، كما قال: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] أي: إن كانت عبارتكم للرؤيا، وكذلك قوله: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] أي: الذين هم رهبتهم لربهم[٤].

وأنشدوا لكُثَيِّر:

أُريد لأنْسى ذِكرَها فكأنما تَخَيَّل لي ليلى بكل سبيلِ[٥]

أي: إرادتي لهذا.

فأما التفسير، فقال ابن عباس: يريد الله ليبين لكم ما يبعدكم منه ويقربكم إلى طاعته[٦].

---

(١) في «معاني الزجاج» ٢/ ٤٣: قيس بدل: سعد، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٩. وهو الصواب كما سيأتي في الكلام على البيت.

(٢) البيت لقيس بن سعد بن عُبادة في قصةٍ أوردها المُبَرِّد في «الكامل» ٢/ ١٥٢. خلاصتها: أن ملك الروم بعث رجلًا طويلًا إلى معاوية ﷺ يتحداه أن يجد أطول منه، وكان قيس بن سعد آيةً في الطول، فبعث إليه معاوية، فلما حضر وعلم الخبر خلع سراويله وأمر الرومي بلبسها فبلغت ثندوته، فخجل الرومي وضحك القوم، لكن قيسًا ليم على ذلك، فقال أبياتًا هذا مطلعها.

(٣) ما بين القوسين ليس في «معاني الزجاج».

(٤) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٤٣ بتصرف.

(٥) «ديوانه» ص١٠٨، «المحتسب» ٢/ ٣٢، والبيت غير منسوب في «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ.

(٦) لم أقف عليه، وقد ذكر الثعلبي معناه عن عطاء. انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ١٩٨.

وقال الكلبي: يريد الله ليبين لكم أن الصبر عن نكاح الإماء خير لكم[١].

وقال غيره: يريد الله أن يبين لكم شرائع دينكم ومصالح أمركم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد دين إبراهيم وإسماعيل، دين الحنيفية[٣].

وقال الزجاج: أي: يدلكم على طاعته، كما دل الأنبياء والذين اتبعوهم من قبلكم[٤].

وقال مقاتل[٥]: ويهديكم سنن الذين من قبلكم من تحريم الأمهات والبنات وكذلك كانت سنّة الذين من قبلكم[٦].

وقال الكلبي: يقول: هكذا حرمت على مَن كان قبلكم من أهل التوراة، والإنجيل، و(الزبور)[٧]، وسائر الكتب[٨]. فالبيان على قول هذين خاص في المحرمات وإن عم اللفظ؛ لأن الشرائع مختلفة.

---

(١) من «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٤٨، «معالم التنزيل» ٢/ ١٩٨، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٢.

(٢) قال ذلك الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ، لكن فيه: أموركم بدل: أمركم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣.

(٥) هو مقاتل بن حيان كما في «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٦.

(٦) ذكره بمعناه السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٤٨، وأورده السيوطي بلفظه في «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٦، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ.

(٧) في (أ) كأنها: (الربيون).

(٨) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٢.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. قال ابن عباس: حتى لا تعرفوا غيره ولا تدعوا معه إلهًا آخر[١].

وبيان هذا المعنى ما قاله محمد بن جرير: يعني: يرجع بكم من معصيته التي كنتم عليها[٢] قبل هذا إلى طاعته التي أمركم بها. وإذا فعل بهم ذلك لم يعرفوا غيره إلهًا[٣].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يُصلحكم في تدبيره فيكم[٤].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد أن يُخرجكم من كل ما يكره إلى ما يُحِب ويرضى[٥].

وقال ابن كيسان: والله يأمركم بما فيه المغفرة لذنوبكم. وقال الزجاج: أي: يدلكم على ما يكون سببًا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾. قال ابن عباس: يريد الزنا وما لم يحلّ لكم[٧]. وكذلك قال مجاهد: هم الزناة، يريدون أن يزني أهل الإسلام، وهو قوله: ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[٨].

---

(١) لم أقف عليه. وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٢.
(٢) في (أ): (عليه).
(٣) انتهى من «تفسير الطبري» ٥/ ٢٧ بمعناه.
(٤) انظر: الطبري ٥/ ٢٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ ب.
(٥) لم أقف عليه، وقد أورد المؤلف هذا التفسير دون نسبة لابن عباس في كتابه «الوسيط» ٢/ ٥٠٨.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣.
(٧) أخرجه ابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٧.
(٨) الأثر في «تفسير مجاهد» ١/ ١٥٣ مختصرًا، وأخرجه الطبري بنحوه من طرق. «جامع البيان» ٥/ ٢٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٦٠، «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٧.

وقال السدي: هم اليهود؛ تقول: نكاح الأخت من الأب حلال[١].

وهو قول مقاتل[٢].

وقال ابن زيد: هم جميع أهل الباطل في دينهم[٣]. وهذا هو الأظهر من هذه الأقاويل؛ لأنه على معنى العموم الموافق لظاهر اللفظ[٤].

وفي هذا دلالة على أن من اتبع شهوته فيما يحل لا يوصف باتباع الشهوة، ولا يُطلق عليه هذا الوصف؛ لأن الله تعالى أطلق على المُبطِلين ممن يتبعون شهواتهم (فيما)[٥] لا يحل.

والشهوات جمع شهوة، والشهوة في الأصل مصدر شهَيت الشيء أشهى شهوةً فهو شهيّ. ورجل شهوات[٦]، ورجال شَهاوى[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٢٧]. أي: عن الحق وقصد السبيل بالمعصية مخصوصة[٨]، بشّرهم الله بأن إرادته فيهم التوبة. وليس فيها دليل على أنه لا يريد كفر الكافر[٩].

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ٢٩ بلفظ: هم اليهود والنصارى. وكذلك ابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٧.

(٢) مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٣٦٨، وانظر «زاد المسير» ٢/ ٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ٢٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٦٠.

(٤) هذا هو اختيار ابن جرير. انظر: «تفسيره» ٥/ ٢٩.

(٥) في (أ): (فيها) بالهاء.

(٦) هكذا في (أ)، (د): بالتاء، ولعل الصواب بالنون (شهوان)، انظر: «تهذيب اللغة» ٦/ ٣٥٥، «اللسان» ٤/ ٢٣٥٤ (شها).

(٧) في (د): (شهاون)، والصواب ما أثبته. انظر المصادر السابقة.

(٨) يبدو أن في الكلام سقطًا. والله أعلم.

(٩) الله سبحانه يريد كفر الكافر قدرًا ولا يريده شرعًا. انظر «مجموع الفتاوى» ٨/ ١٥٩.

٢٨- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ﴾. خص بعضهم التخفيف في هذه الآية، فقال: المراد به نكاح الأمَة عند الضرورة. وهو قول مجاهد[١] ومقاتل[٢].

والباقون قالوا: هذا عام في كل أحكام الشرع، وفي جميع ما يَسّره لنا وسهّله علينا إحسانًا منه إلينا، ولم يُثَقِّل التكليف علينا كما ثَقّل على بني إسرائيل بفضله ولُطفه. وعلى العموم دل كلام ابن عباس في تفسيره هذا التخفيف فقال: يريد شدة المئونة يخففها عنكم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. قال ابن عباس: يَضعُف عن الصبر عن الجِماع[٤]. وبهذا قال أكثرهم.

قال الكلبي وطاوس: لا يصبر عن النساء[٥]. وقال ابن كيسان والزجاج: أي: يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك[٦].

وقال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين[٧].

---

(١) «تفسيره» ١/ ١٥٣، وأخرج الأثر عنه الطبري ٥/ ٣٠، وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٧.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٣٦٨.

(٣) لم أقف عليه، وانظر «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٣.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ٨٣.

(٥) ذكر قول الكلبي الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ ب. وأخرج الأثر عن طاوس عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٤، والطبري ٥/ ٣٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٥٧.

(٦) انظر «معاني الزجاج» ٢/ ٤٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ ب، ٤٢ أ، «زاد المسير» ٢/ ٦٠.

(٧) من «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ ب، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٦٠، وانظر: «تفسير الحسن» ١/ ٢٧١.

٢٩- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾. قال أهل المعاني: خص الله تعالى الأكل بالنهي عنه تنبيهًا على غيره؛ لأنه أيضًا لا يجوز جمع المال من الباطل، ولا هِبتُه، ولا التصرف فيه. ولكن المعظم والمقصود من المال الأكل والإنفاق، فنص عليه تنبيهًا على غيره، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية [النساء: ١٠]، وكما يحرم أكل مال اليتيم بالظلم يحرم إنفاقه في غير الأكل.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال ابن عباس: يريد بما لم يحله لكم[(١)].

وقال الكلبي: يقول: لا تأكلوها إلا بحقها[(٢)].

قال أصحاب المعاني: الباطل اسم جامع لكل ما لا يَحلّ في الشرع كالربا والغصب والسرقة والخيانة وكل محرم محظور.

نهى بهذه الآية عن جميع المكاسب الباطلة بالشرع.

قال الزجاج: حرم الله ﷻ المال، إلا أن يُؤخذ[(٣)] على السبيل[(٤)] الذي ذكر من الفرائض في المواريث والمهور والتسري[(٥)] والبيع والصدقات التي ذُكِرت وجوهها[(٦)].

ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وأجمعوا على أن هذا

---

(١) لم أقف عليه، وقد ذكر المؤلف نحوه في «الوسيط» ٢/ ٥١٠ دون نسبة لأحد.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في «معاني الزجاج» (يوجد) ولعل المثبت هنا أصوب.

(٤) في «معاني الزجاج» (السبل) بالجمع.

(٥) في (أ)، (د) والشرى، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤٤.

(٦) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٤٤.

استثناء منقطع؛ لأن التجارة عن تراض ليست من أكل المال بالباطل[(١)].

واختلف القراء في التجارة فرفعها بعضهم[(٢)]، على معنى إلا أن يقع تجارة[(٣)].

ومن نصب[(٤)] فعلى تقدير: إلا أن تكون التجارةُ تجارة[(٥)]، كما قال:

أعينَيّ هَلّا تبكيان عِفاقًا[(٦)] إذا كان طَعنًا بينهم وعناقًا[(٧)]

أو يكون على حذف المضاف بتقدير: إلا أن تكون الأموال أموال تجارة، ثم تحذف المضاف وتُقيم المضاف إليه مقامه[(٨)].

والاختيار الرفع لمعنيين: **أحدهما**: أن الرفع أدل على انقطاع الاستثناء، وأن الأول محرّم على الاطلاق، **والثاني**: أن من نصب أضمر التجارة، فقال: معناه: إلا أن تكون التجارة تجارة. والإضمار قبل الذكر ليس بقوي، وإن كان جائزًا[(٩)]، ومعنى قوله: ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ هو أن يكون عليه، فذلك باطل لم يدخل فيما أباحه الله من البيع[(١٠)].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥١٠، «الحجة» ٣/ ١٥٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٤١ أ.

(٢) هذه القراءة لأبي جعفر ونافع وابن كثير وأبي عمرو ابن عامر ويعقوب، انظر: «الحجة» ٣/ ١٥٢، «المبسوط» ص١٥٦.

(٣) انظر: «الطبري» ٥/ ٣١.

(٤) قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف، انظر «الحجة» ٣/ ١٥٢، «المبسوط» ص١٥٦.

(٥) «الحجة» ٣/ ١٥٢، والطبري ٥/ ٣١.

(٦) في (د): (عباقا).

(٧) انظر: «جامع البيان» ٣/ ١٣٢.

(٨) «الحجة» ٣/ ١٥٢.

(٩) هكذا في (أ).

(١٠) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥١٠. وابن جرير الطبري اختار خلاف رأي المؤلف ومال إلى قراءة النصب، هذا وإن كان كل من القراءتين صوابًا جائزًا القراءة بهما. انظر: الطبري ٥/ ٣١-٣٢.

وقال عطاء في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ يعني: ليس فيها شيء من الربا[١].

وذلك أن البيع إذا قُصد به الربا قلّ ما يقع التراضي به، وإذا لم يوجد التراضي لم يحلّ.

وذهب كثير من أهل التأويل إلى أن التراضي في التجارة أن يكون خيار المتبايعين باقيًا إلى أن يتفرقا عن المجلس[٢].

وهذا قول شريح[٣]

وابن سيرين والشعبي[٤]، ومذهب الشافعي[٥]، ويدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قال: «ألا لا يتفرقَنّ بيعان إلا عن رضى»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾. أي: لا يقتل بعضكم بعضًا.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر الطبري ٥/ ٣٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٢ ب.

(٣) هو أبو أمية شُرَيح بن الحارث بن قيس الكوفي القاضي الشهير، يقال إنه حكم سبعين سنة وهو ثقة، وقيل إن له صحبة، وكان قائفًا شاعرًا، مات سنة ٧٨هـ وقيل بعدها. انظر «مشاهير علماء الأمصار» ص٩٩، «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٠٠، «التقريب» ص٢٦٥ رقم (٢٧٧٤).

(٤) أخرج قول شريح والشعبي الطبري ٥/ ٣٢-٣٣، أما ابن سيرين فهو الراوي عن شريح كما في الطبري.

(٥) انظر: «الأم» ٣/ ٤، «سنن الترمذي» ٣/ ٥٣٩.

(٦) أخرجه الطبري من حديث أبي قلابة ٥/ ٣٤ وهو مرسل؛ لأن أبا قلابة تابعي كما نبه على ذلك أحمد شاكر -رحمه الله- وعزاه أيضًا للبيهقي في «السنن الكبرى» وقد أخرج أبو داود (٣٤٥٨) كتاب البيوع، باب: في خيار المتبايعين حديث أبي هريرة ولفظه: لا يفترقن اثنان إلا عن تراض ٣/ ٧٣٧، وأخرج الترمذي (١٢٤٨) كتاب البيوع، باب: ٢٧، وقال: حيث غريب، والطبري ٥/ ٣٤ .

وهذا قول عطاء[(١)]، والحسن[(٢)]، والكلبي[(٣)]، والزجاج[(٤)]، والأكثرين[(٥)].

وإنما قال: (أنفسكم) لأنهم أهل دين واحد، فهم كالنفس الواحدة، فجرى على قول العرب: قتلنا وربِّ الكعبة. إذا قتل بعضهم؛ لأن قتل بعضهم كالقتل لهم[(٦)].

وذهب قوم إلى أن هذا نهي للإنسان عن قتل نفسه، فقال أبو عبيدة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ لا تهلكوها[(٧)].

ويؤيد هذا حديث عمرو بن العاص[(٨)]، وهو أنه احتلم في بعض أسفاره، وخاف الهلاك على نفسه من الاغتسال، فتيمم وصلى بأصحابه، فلما رجع ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيممت وصليت، فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئًا[(٩)].

---

(١) هو عطاء بن أبي رباح وقد أخرج الأثر عنه الطبري ٥/ ٣٥.

(٢) من «الكشف والبيان» ٤/ ٤٢ ب، وانظر «زاد المسير» ٢/ ٦١، «تفسير الحسن» ١/ ٢٧٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٣.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤.

(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٩، والطبري ٥/ ٣٥، و«بحر العلوم» ١/ ٢٤٩، والثعلبي ٤/ ٤٢ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٦١.

(٦) انظر: «الطبري» ٥/ ٣٥، «بحر العلوم» ١/ ٣٤٩.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ١٢٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٦١.

(٨) هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، تقدمت ترجمته.

(٩) أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٢٠٣، والبخاري تعليقًا بصيغة التمريض ١/ ٤٥٤ كتاب التيمم، باب: ٧ إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت.....، وأبو داود =

والقول الأول أظهر، وهذا الثاني يدخل تحت دلالة الأول؛ لأنه إذا حرم عليه قتل غيره من أهل دينه؛ لأنه بمنزلة نفسه، فقد حرم عليه قتل نفسه.

٣٠- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ الآية. كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نُهي عنه من أول سورة النساء إلى هذا الموضع[١]. فعلى هذا الوعيد راجع إلى جميع المحرمات السابقة في هذه السورة.

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أفي كل ذلك؟ قال: لا، ولكن في قتل النفس[٢]. فالوعيد على قول عطاء خاص في قتل النفس المُحرمة، ووجهه أنه يرده إلى أقرب مذكور إليه[٣].

وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة، فالوعيد بكل واحدة من الخصلتين. وهذا اختيار الزجاج، قال: وعد الله ﷻ على أكل المال ظلمًا، وعلى القتل عدوانًا النار. قال: ومعنى العدوان أن يعدوا ما أُمِر به[٤].

والأظهر هذا القول؛ لاتصال الوعيد بذكر النهي عن الأمرين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ يقال: يسر الشيء فهو

= (٤٣٤) كتاب الطهارة، باب: إذا خاف الجنب البرد، أيتيمم؟ والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤٢/ب، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٣.

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٦٢، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٣.

(٢) أخرجه بمعناه الطبري ٥/ ٣٦، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٠.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٤. لكن آخر كلام الزجاج: وعلى القتال النار.

يسير، وهو ضد عسير[١]. ومعناه أنه قادر على المتوعد لا يتهيأ له الامتناع منه ولا الهرب عنه فيتعذر الإيقاع به[٢].

٣١- قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية.

الاجتناب والتجنّب والمجانبة المُباعدة عن الشيء وتركه جانبًا[٣]، قال:

وقالت تَجَنَّبنا ولا تَقْرَبنَّنا فكَيف وأنتم حاجَتِي أَتَجَنَّبُ[٤]

وسنذكر هذا ملخصًا عند قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] إن شاء الله.

واختلفوا في الكبائر ما هي؟ فروى عبد الله بن عمرو[٥] أن رسول الله ﷺ قال: **«الكبائر: الإشراك بالله، واليمين الغموس، وعقوق الوالدين، وقتال النفس»**[٦].

وروى أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: **«الكبائر أولهن الإشراك بالله، وقتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بِدارًا أن يكبَروا، وفرارٌ يوم الزحف، ورمي المحصنة، والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة»**[٧].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤٥.

(٢) انظر: «الطبري» ٥/ ٣٦.

(٣) انظر: «اللسان» ٢/ ٦٩٢ (جنب).

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري في «ديوانه» ص٤٤، وبلا نسبة في «الأغاني» ١٨/ ٢٧٨، و«الحماسة» ٢/ ١٠٣، ومنسوبًا في «وفيات الأعيان» ٦/ ٣٥٢.

(٥) هو أبو محمد أو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي صحابي فاضل، أسلم قبل أبيه وكان عالمًا بالقرآن والكتب المتقدمة ومن كتاب رسول الله ﷺ ويعد من العبادلة الفقهاء، توفي -رحمه الله- سنة ٦٥هـ. انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٤٨، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٨٠، «الإصابة» ٢/ ٣٥١.

(٦) أخرجه البخاري (٦٦٧٥) كتاب الإيمان والنذور، باب: اليمين الغموس.

(٧) أخرجه بمعناه البخاري (٢٧٦٦) كتاب الوصايا، باب: ٢٣ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ ٣/ ١٩٥، ومسلم (٨٩) كتاب الإيمان، باب: =

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: كل شيء عُصِي اللهُ فيه فهو كبيرة، فمن عمل منها شيئًا فليستغفر الله، فإن الله لا يُخلّد في النار من هذه الأمة إلا راجعًا عن الإسلام، أو جاحد فريضة، أو مكذبًا بقدر(١).

وقال في رواية علي بن أبي طلحة: هي كل ذنب ختمه الله ﷻ بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب(٢).

وهذا قول الحسين(٣) وسعيد بن جبير والضحاك. قالوا: كل ما جاء في القرآن مقرونًا بذكر الوعيد فهو كبير، نحو قتل النفس المحرمة، وقذف المحصنة، والربا، والزنا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف(٤).

وروى السدي، عن أبي مالك، قال: ذكروا الكبائر عند عبد الله بن مسعود، فقال عبد الله بن مسعود: افتتحوا سورة النساء، فكل شيء نهى الله عنه حتى ثلاث وثلاثين آية(٥) فهو كبيرة.

= بيان الكبائر ١/ ٩٢ (ح١٤٥). وأخرجه بهذا اللفظ الثعلبي -شيخ المؤلف- في «الكشف والبيان» ٤/ ٤٤، ٤٥.

(١) أخرجه من أوله إلى قوله: فهو كبيرة الطبري ٥/ ٤١. وقد ضعف هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٦٦.

(٢) «تفسير ابن عباس» ص١٤٤، وأخرجه ابن جرير ٥/ ٤١.

(٣) هكذا والظاهر أن الصواب: الحسن. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٦٦، وابن كثير ١/ ٥٣١.

(٤) أخرجه عن سعيد بن جبير والضحاك بمعناه دون التمثيل بقتل النفس وما بعده من الطبري ٥/ ٤٢، وانظر «زاد المسير» ٢/ ٦٢.

(٥) في (أ): (أنه)، ولعله تصحيف، فهو مخالف للآثار الواردة.

ثم قال: مصداق ذلك: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية[١]. وإلى هذا القول ذهب مقاتل[٢].

والصحيح أنه ليس لها حدّ يعرفه العباد وتتميّز به من الصغائر تميُّزَ إشارة، ولو عُرف ذلك لكانت الصغائر مباحة، ولكن الله تعالى يعلم ذلك وأخفاه عن العباد، ليجتهد كل أحد في اجتناب ما نهى عنه رجاء أن يكون مجتنب الكبائر. ونظير هذا في الشريعة إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة.

يؤكد هذا ما رُوي عن ابن جبير أنه قال: سأل رجل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ قال: هي إلى السّبعمائة أقرب، إلا أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[٣].

وقال السدي: الكبائر ما رآه الناس بينهم فاحشة قبيحة. وذهب في هذا إلى معنى اللفظ، وذلك أن حقيقة الكبائر ما كَبُر وعظُم من الذنوب. قاله الزجاج[٤].

وقوله تعالى: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾. السيئات المكفّرة باجتناب الكبائر هي ما دون الكبائر، والمعاصي مما يجتمع في عمله أهل الصلاح وأهل الفسق، مثل النظرة والكذبة واللمسة والقُبلة، وأشباه ذلك. وهذه تقع

(١) أخرجه من طريق السدي الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤٥ أ، ب، وأخرجه من طرق أخرى بنحوه الطبري ٥/ ٣٧، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد بلفظ قريب من هذا اللفظ. انظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٦٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» بن سليمان ١/ ٣٦٩، «بحر العلوم» ١/ ٣٤٩.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ٤١، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٦١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥.

مكفّرةً بالصلوات الخمس، فقد قال ﷺ: «**الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت**[١] **الكبائر**»[٢][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾. وقرئ (مَدخلا)[٤] بفتح الميم. وهو بعد قوله: ﴿وَنُدْخِلْكُم﴾ محتمل أمرين: **أحدهما**: أن يكون مصدرًا وتضمر له فعلًا دلّ عليه الفعل المذكور، وانتصابه بذلك الفعل المضمر. والتقدير: وندخلكم فتدخلون مَدْخَلًا.

والثاني: أن يكون مكانًا، كأنه قال: وندخلكم مكانًا. وهو على هذا التقدير منتصب بهذا الفعل المذكور[٥].

ومن قرأ بضم الميم جاز أن يكون مكانًا، وأن يكون مصدرًا، فإن جعلته مصدرًا جاز أن تريد مفعولًا محذوفًا من الكلام، كأنه: وندخلكم الجنة مدخلًا كريمًا، أي إدخالًا كريمًا[٦].

والأشبه على القراءتين أن يكون مكانًا؛ لأن المفسرين قالوا في قوله: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: هو الجنة[٧]، ولأنا رأينا المكان وصف بالكريم،

---

(١) في (أ): (ما اجتنب).

(٢) هذه الكلمة ليست في (د).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**» (٢٣٣) كتاب الطهارة، باب: ٥ الصلوات الخمس..

(٤) هذه القراءة لأبي جعفر ونافع. انظر: «الحجة» ٣/ ١٥٣، «المبسوط» ص١٥٦، «النشر» ٢/ ٢٤٩.

(٥) الوجهان لهذه القراءة من «الحجة» ٣/ ١٥٣، ١٥٤ بتصرف.

(٦) انظر: «الحجة» ٣/ ١٥٤.

(٧) انظر: «الطبري» ٥/ ٤٥-٤٦.

وهو قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦] فوصف المكان بالكريم، فكذلك يكون قوله: ﴿مُّدْخَلًا﴾ يردا به المكان مثل المقام.

ويجوز أن يكون المراد به الدخول أو الإدخال؛ فإن[1] كان قد وصف بالكريم، ويكون المعنى: دخولًا تكرمون فيه، خلاف من قيل فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤] الآية[2].

ومعنى الكريم: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٣] أي أفضلكم، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] أي شرفناهم وفضلناهم، ومنه قوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] أي فضلت. وزدنا بيانًا لمعنى الكريم في سورة الأنفال، عند قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. التمني في اللغة: تقدير ما يحب على جهة الاستمتاع به. وقد مضى القول فيه عند قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٧].

قال مجاهد: قالت أم سلمة: يا رسول الله: يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فليتنا كنا رجالًا، فجاهدنا وغزونا، وكان لنا مثل أجر الرجال. فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) في «الحجة» ٣/ ١٥٤ -والكلام من قوله: والأشبه- له وجاء هذا الحرف (وإن) وهو أصوب.

(٢) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٥٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٦، والترمذي (٣٠٢٢) كتاب تفسير القرآن، باب: ٥ من سورة النساء، وقال: هذا حديث مرسل، والطبري ٥/ ٤٦-٤٧، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٠٥، والمؤلف في «أسباب النزول» ص١٥٤.

وهذا قول أكثر المفسرين. قالوا: وفي هذه الآية: أن يتمنى أحد مال غيره ومنزل غيره، فإن ذلك هو الحسد. وقد جاء: لا يتمنين أحدكم مال أخيه، ولكن ليقل: اللهم ارزقني، اللهم أعطني مثله(١).

وهذا النهي نهي تحريم عند أكثر العلماء. وليس لأحد أن يقول: ليت مال فلان لي، وإنما يجوز أن يقول: ليت مثله لي(٢).

وقال الفراء: هذا نهي أدب وتنزيه، دون تحريم(٣).

والصحيح هو الأول؛ لأنه لا يُعدل بصيغة النهي عن معناه إلا بقرينة.

وقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يريد الجهاد، وما لا يصلح للنساء. ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ يريد حفظ فروجهن، وطاعة (زوجهن)(٤)، وحفظه إذا غاب، وترقع وتصنع في بيتها، نظرًا منها لزوجها مثل العجين والطبيخ وما يصلح في معايشه، ولها في ذلك ثواب عظيم(٥). فالنصيب على هذا معناه الثواب، أي لكل واحد من الفريقين حظ من الثواب.

---

(١) ذكر هذا الأثر الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٦٥، وقد ورد بلفظ مقارب منسوبًا لابن عباس والكلبي. انظر: الطبري ٨/ ٢٦١، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٠، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٨ ب.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٨ ب.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٦٤.

(٤) في (د): (أزواجهن) بالجمع.

(٥) لم أقف عليه، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٤ دون نسبة، وثبت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: يعني ما ترك الوالدان والأقربون: يقول: للذكر مثل حظ الأنثيين. «تفسير ابن عباس» ص١٤٥، والطبري ٥/ ٤٩.

وقال قتادة ومقاتل والسدي: قالت الرجال: إنا لنرجو أن نُفَضَّل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فُضِّلنا عليهن في الميراث، فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء. وقالت النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا.

فأنزل الله ﷻ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ من الثواب والعقاب ﴿وَلِلنِّسَآءِ﴾ كذلك[١]. فسوى بين الفريقين في الثواب والعقاب، واستحقاقهم إياهما بالاكتساب.

ولأصحاب المعاني في هذا وجه آخر: يقول: لكل فريق من الرجال والنساء نصيب مما اكتسب من نعيم الدنيا، فينبغي أن يقنع به رضًى بما قسم الله له، ولا يتمنى مال غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

أي إن احتجتم إلى ما لغيركم (وأجبكم)[٢] أن يكون لكم مثل ما له فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يُسأل**»[٤].

---

(١) أخرج الأثر عن قتادة الطبري ٤٧-٤٨ بنحوه وذكر الأثر عنه وعن السدي الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤٨ ب، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٣٦٩، «الدر المنثور» ٢/ ٢٦٧.

(٢) ورد في الأصل، ولعله تصحيف من الناسخ والصواب (أحببتم).

(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٧٨.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧١) كتاب الدعوات، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، وتكلم في إسناده، والطبري ٥/ ٤٩، وفيه ضعف. وانظر: «ضعيف الجامع» ٣/ ٢٢١.

قال أبو علي: (من) في قوله: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ في موضع المفعول الثاني في قول أبي الحسن، ويكون المفعول الثاني محذوفًا في قياس قول سيبويه، والصفة قائمة مقامه[(١)]؛ كأنه قيل: واسألوا الله نعمه وفضله.

٣٣- وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ الآية. أراد: ولكل واحد من الرجال والنساء، جعلنا موالي.

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: أي عصبة[(٢)].

وقال السدي: أي ورثة[(٣)].

ومضى الكلام في المولى، واشتقاقه في اللغة.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن (من) في قوله (مما) متعلق بمحذوف، ذلك المحذوف من صفة المولى، كأنه قيل: لكل جعلنا ورثة يرثون، أو يُعطَون مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له. والوالدان والأقربون على هذا هم الذين ماتوا وورثهم المعني بقوله .﴿وَلِكُلٍّ﴾، والألف واللام في الوالدان والأقربون بدل عن الكناية، كأنه قيل: مما ترك والداه وأقربوه، كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] أي مأواه.

---

(١) «الحجة» ٢/ ٢١٤.

(٢) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٥٠-٥١، وأخرج قولًا لابن عباس كقول السدي الآتي وأن المراد الورثة، ونسب هذا القول لهم جميعًا الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤٧٩، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥٠٩.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ٥١ بلفظ: هم أهل الميراث، وورد نحوه عن ابن عباس انظر: الطبري ٥/ ٥٠، والقولان متقاربان، وقد رجح الماوردي الثاني، انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٧٩.

الثاني: أن قوله: ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾ في صفة (موالي)[١]، أي: موالي ممن تركهم وخلّفهم الميت، ثم فسر الموالي فقال: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ أي هم هؤلاء. و(ما) على هذا القول بمنزلة (مَن)، والوالدان والأقربون هم الوارثون. وعلى هذا القول يحتمل أن يكون المعنى: ولكل شخص جعلنا ورثةً ممن تركهم والداه وأقربوه، أي: تشعبت العصبة والورثة عن الوالدين والأقربين[٢].

والوالدان والأقربون[٣] مرتفعة بالفعل الذي هو الترك.

وعلى القولين اللذين ذكرنا يجوز أن يُعنى بقوله: (ولكل) المال والميراث فيكون المعنى على القول الأول: ولكل مال وميراث مما ترك الوالدان والأقربون جعلنا موالي، أي عصبة وورثة يرثونه، وعلى هذا يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾. وعلى القول الثاني يكون المعنى: ولكل مال مما ترك الميت جعلنا ورثة، ثم ابتدأ (فقال)[٤]: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ أي هم هؤلاء، وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ فاصل أيضًا، وجملة هذا أنك إذا فسرت الكل بالشخص كان (من) في قوله (مما) متعلقًا بمحذوف، أو صفة لموالي، وإن (فسرته) بالمال كان في صفة (لكل)، مفصولًا بينه وبين الموصوف بقوله: ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾، فتدبّره تفهم إن شاء الله.

---

(١) في (أ): (موال).

(٢) انظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٢، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٩ أ، «غرائب التفسير» ١/ ٢٩٤، «البيان» ١/ ٢٥٢.

(٣) في (د): (والأقربين).

(٤) ليس في (د).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾. هم الحلفاء[١] في قول الجميع[٢]. ويجوز أن يُعطف على: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[٣] فيكون حكم الحُلفاء كحكم الوالدين والأقربين، في كونهم وارثين أو موروثين، على ما بينّا.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾. الكناية تعود إما إلى الموالي، أو إلى الوالدان والأقربون والحلفاء إذا جعلناهم وارثين، إلا أن المفسرين يحملون قوله: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ على الابتداء، ولا يعطفونه[٤] على ما قبله.

قالوا: وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل، ويقول له: دمي دمك، ويرثني وارثك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسِلمي سِلمك فلما قام الإسلام جعل للحليف السدس[٥].

واختلف القراء في قوله: ﴿عَاقَدَت﴾، فقرأ أهل الكوفة (عَقَدَتْ)[٦] بالتخفيف من غير ألف.

---

(١) في (د): (الخلفاء)، وما أثبته هو الصواب.

(٢) انظر «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٩، الطبري ٥/ ٥١-٥٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٦، «بحر العلوم» ١/ ٣٥١، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٩ ب .

(٣) ممن قال بجواز العطف العكبري في «إملاء ما من به الرحمن بهامش الفتوحات الإلهية» ٢/ ٢٣٩، وقد استبعد أبو حيان هذا الوجه. انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٢٣٨، «الدر المصون» ٣/ ٦٦٩.

(٤) في (أ): (ولا يعطونه).

(٥) انظر: «جامع البيان» ٥/ ٥١-٥٦، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٦، «بحر العلوم» ١/ ٣٥١، «الكشف والبيان» ٤/ ٤٩ ب.

(٦) لعاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: «الطبري» ٥/ ٥١، «الحجة» ٣/ ١٥٦، «المبسوط» ص١٥٦، «النشر» ٢/ ٢٤٩.

والباقون (عَاقَدَتْ) بالألف(١). وهذا أشبه بهذا المعنى؛ لأن لكل نفر من المعاقدين يمينًا على المُخالفة(٢)، وجعل الأيمان في اللفظ هي المعاقدة، والمعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان، فالمعنى: والذين عاقدت حلفهم أيمانُكم. حذف الذكر للعائد(٣) من الصلة إلى الموصول. وهؤلاء الذين قرأوا في المفاعلة حملوا الكلام على المعنى، حيث كان من كل واحد من الفريقين يمين.

ومن قرأ (عَقَدَتْ) كان المعنى: عقدت حلفَهم أيمانُكم، كالأول، إلا أنهم حملوا على لفظ الأيمان؛ لأن الفعل لم يُسند إلى أصحاب الأيمان في اللفظ، إنما أُسنِد إلى الأيمان(٤).

والأيمان ههنا يحتمل أنْ يكون جمع يمين من اليد، ويحتمل أن يكون من القَسَم، وذلك أنهم كانوا يضربون صفقة البيعة بأيمانهم ويأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ويتحالفون عليه أيضًا(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾. أي حظهم من الميراث. عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وعامر والضحاك(٦). ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) في (د): (المحالفين).

(٣) في (د): (العائد).

(٤) انتهى توجيه القراءتين من «الحجة» ٣/ ١٥٦، ١٥٧ بتصرف، وانظر: الطبري ٥/ ٥١.

(٥) من «الكشف والبيان» ٤/ ٤٩ أ - ب بتصرف.

(٦) أخرج الآثار عنهم إلا عامرًا الطبري ٥/ ٥٢-٥٣، وعامر هذا لعله الشعبي، وقد يكون تصحف عن عكرمة، فقد أخرج له الطبري أثرًا يدل على قوله بذلك. وانظر: ابن كثير ١/ ٥٣٤- ٥٣٥.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد السراج، أخبرنا أبو الحسن الكارزي، أخبرنا علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، وعثمان بن عطاء، عن عطاء الخرساني، عن ابن عباس: ﴿والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ قال: كان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل، يقول: يرثني وارثك، نسختها ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥][(١)].

وقال مجاهد في هذه الآية: كان حلف في الجاهلية، فأُمِروا أن يُعطوهم نصيبهم من المشورة والنصر والرفد، ولا ميراث[(٢)].

وعلى هذا لا يكون في الآية نَسخٌ لقوله ﷻ: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ولما رُوي أنه ﷺ قال يوم فتح مكة: «**ما كان من حِلف في الجاهلية فتمسّكوا به؛ فإنه لم يزده الإسلام إلا شِدّة. ولا تُحدثوا حلفًا في الإسلام**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**شهدت حلف المطيبين**[(٤)] **وأنا غلام مع عمومتي،**

(١) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٢٦، وجاء نحوه عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة في «تفسيره» ص١٤٥، وأخرجه الطبري ٥/ ٥٢.

(٢) بنحوه في «تفسيره» ١/ ١٥٤، وأخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٢٥، والطبري ٥/ ٥٤ بلفظ قريب من هذا اللفظ، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٤٩ ب.

(٣) هذا حديث مركب من حديثين أخرجهما الطبري، الأول -عن طريق قيس بن عاصم- قال ﷺ: «**ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، ولا حلف في الإسلام**» .والثاني -من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم فتح مكة: «**فوا بحلف، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا تحدثوا حِلفًا في الإسلام**» «جامع البيان» ٥/ ٥٥-٥٦.

(٤) هو حلف اجتمع فيه بنو هاشم وبنو زهرة وتيم في دار ابن جدعان وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم. «المستدرك» ٢/ ٢٢٠ حاشية (١).

فما أحب أن لي حُمر النَّعم وأني أنكثُه»(١).

وقال سعيد بن المسيب في هذه الآية: إنما أنزل الله ذلك في الذين كانوا يتبنّون أبناء غيرهم ويُوَرِّثونهم، فأنزل الله فيهم أن يُجعل لهم نصيب من الوصية، ورد الميراث إلى الموالي من ذوي الرحم والعصبة، وأبى الله أن يجعل للمدّعَين(٢) ميراثًا ممن(٣) ادعاهم، ولكن جعل لهم نصيبًا من الوصية مكان ما تعاقدوا عليه في الميراث الذي رد عليهم فيه أمرهم(٤).

وبمثل هذا قال الحسن(٥)، واختار(٦) ابن كيسان، فقال في قوله: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾: هم(٧) الأدعياء، وكان لهم ميراث الأولاد، فلما نزلت المواريث لم يذكروا فيها، فأوصى الله بهم(٨).

فقد حصل في قوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ ثلاثة أقوال؛ الأول: من الميراث، ثم نُسخ. والثاني: من النصر، والثالث: من الوصية، ولم ينسخ على هذين.

---

(١) الحديث من رواية عبد الرحمن بن عوف ﷺ أخرجه الإمام أحمد ١/ ١٩٠، والطبري ٥/ ٥٦، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٢٠، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: «صحيح الجامع» ٣/ ٢٣٠.

(٢) في (د): (للموصين).

(٣) في (د): (من).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٢٧، والطبري ٥/ ٥٥، وأورده الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠ أ، وانظر: «المسير» ٢/ ٧٢.

(٥) لم أقف عليه، وقد أخرج الطبري عن الحسن خِلافه وأن المراد بالآية الحُلفَاء الذين يتوارثون في الجاهلية فنسخ الله ذلك. انظر: الطبري ٥/ ٥٢.

(٦) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: واختاره.

(٧) في (د): (هي).

(٨) لم أقف على قول ابن كيسان هذا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾. قال عطاء: يريد: لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ[(١)].

٣٤- قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾. قال المفسرون: لطم رجل امرأته فجاءت إلى النبي ﷺ تطلب القصاص فنزلت هذه الآية[(٢)].

ومعنى ﴿قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: متسلطون[(٣)] على تأديبهن والأخذ فوق أيديهن[(٤)].

قال ابن عباس: يعني أمِّروا عليهن، فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله[(٥)].

والقوّام المبالغ في القيام، يقال: هذا قَيِّم المرأة وقوّامها، الذي يقوم بأمرها ويحفظها[(٦)]. أنشد الزجاج:

اللهُ بيني وبين قيِّمها ... يفرّ مني بِهَا وأَتَّبِعُ[(٧)]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ورد في ذلك آثار عن التابعين كالحسن وقتادة، ومن بعدهم كالسدي وابن جريج ومقاتل والكلبي. انظر: «الطبري» ٥/ ٨٥، «بحر العلوم» ١/ ٣٥١، «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠، «أسباب النزول» للمؤلف ص١٥٥-١٥٦، وذكر السيوطي بعض هذه الآثار في «لباب النقول» ص٦٨، وقال عَقِبها: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا. وانظر «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٠.

(٣) هذه الكلمة غير واضحة تمامًا، وكأنها: يُسَلّطون والمعنى واحد، وفي «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٥٢٧، جاءت هذه الكلمة: مُسلطون.

(٤) انظر: «الطبري» ٥/ ٥٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠ ب.

(٥) بنحوه ثابت عن ابن عباس في «تفسيره» ص١٤٦، وأخرجه الطبري ٥/ ٥٧، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» (٢٧١)، «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ٢٤٦.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠ ب.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٧، والبيت للأحوص بن محمد الأنصاري كما في «الشعر =

قالوا: وليس بين الزوج والمرأة قصاص إلا في النفس والجرح.

وقال الزهري: لا قصاص بينهما إلا في النفس، فأما في الجِراحة فالدية ولا قِصاص[(١)].

وكان النبي ﷺ أوجب القصاص على الزوج باللّطْم، فلما نزلت هذه قال: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا، والذي أراد الله خير» ورفع القصاص[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. قال ابن عباس: يريد الله بما فضل الله الرجال على النساء[(٣)].

قالوا: بالعقل والعلم والعزم والقوة في التصرف والجهاد والشهادة والميراث[(٤)].

= والشعراء» لابن قتيبة ص٣٤٥، وقد استشهد به ابن جني في «الخصائص» ٢/ ١٢٨ دون نسبة، والبيت في الغزل. وانظر: «غرائب التفسير» ١/ ٢٩٥ .

(١) معنى الأثر عنه أخرجه الطبري ٥/ ٥٨، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧١.

(٢) أخرجه بنحوه من حديث علي ﷺ ابن مردويه.
انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٠، وابن جرير عن الحسن مرسلًا ٥/ ٥٨، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٠-٢٧١، وذكره بهذا اللفظ عن مقاتل الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠ أ، والمؤلف في «أسباب النزول» ص١٥٥-١٥٦.

(٣) الأثر الوارد عن ابن عباس: فضله عليها بنفقته وسعيه، أخرجه الطبري ٥/ ٥٩ من طريق ابن أبي طلحة، أي فضل الرجل على المرأة، فلعل المؤلف أراد معنى قول ابن عباس. وأخرج هذا الأثر ابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧١.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٤٧، «بحر العلوم» ١/ ٣٥١، «الكشف والبيان» ٤/ ٥٠ ب، «زاد المسير» ٢/ ٧٤.

وقوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾. يريد المهور والإنفاق عليهن، فالرجل له الفضل على امرأته بما ساق إليها من المهر وبما أنفق عليها من ماله(١).

وقوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾. قال المفسرون: مطيعات لأزواجهن(٢). وأصل القنوت دوام الطاعة(٣).

وقال الزجاج: قيمات بحقوق أزواجهن(٤).

وظاهر هذا إخبار، وتأويله الأمر لها بأن تكون طائعة(٥). ولا تكون المرأة صالحة إلا إذا كانت مُطيعةً لزوجها؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: الصالحات من اللواتي يُطِعنَ أزواجهن.

والقنوت لفظ الطاعة. وهو عام في طاعة الله، وطاعة الزوج(٦).

وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾.

قال ابن عباس: يعني لا تدخل منزله من يكره، ولا تُوطئ فراشه أحدًا غيره، وتحفظه في نفسها وفيما يحق له بما استودعها الله(٧).

وقال قتادة وعطاء وسفيان(٨): أي حافظاتٌ لما غاب عنه أزواجهن

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٥٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٧.

(٢) انظر: «تفسير ابن عباس» ص١٤٦، «تفسير مجاهد» ١/ ١٥٥، الطبري ٥/ ٥٩، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢، «الكشف والبيان» ٤/ ٥١/ أ.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٥٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٥٤، «مقاييس اللغة» ٥/ ٣١ (قنت).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٧٠.

(٦) انظر: «الطبري» ٥/ ٥٩، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢.

(٧) لم أقف عليه.

من المال، وما يجب من ضيافة[(١)] نفسها له[(٢)].

وقال أبو روق[(٣)]: يعني يحفظن فروجهن في غيبة أزواجهن[(٤)].

والغيب ههنا مصدر بمعنى المفعول، وهو المَغِيب عنه.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾. قال المفسرون: أي بما حفظهن الله في إيجاب المهر والنفقة لهن، وإيصاء الزوج بهن. ومعنى هذا أن الله راعاهن في حقوقهن وأوصى بهن إلى الأزواج، فعليهن في مقابله الحفظ للغيب وطاعة الله والزوج[(٥)].

وما في قوله: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الذي، والعائد (إليه)[(٦)] من الصلة محذوف، على تقدير: بما حفظ الله لهن، ويكون (ما) عبارة عما راعى الله لهن من حقوقهن .

ويحتمل أن يكون (ما) غير موصول، بمعنى المصدر، أي بحفظ الله[(٧)]، وعلى هذا التقدير يحتمل معنيين آخرين: أحدهما: أنهن حافظات

= أعلام النبلاء» ٧/ ٢٣٥، ٨/ ٤٥٦.

(١) هكذا في (أ)، (د) بالضاد المعجمة والفاء الموحدة، ولعل الصواب: صيانة (بالصاد والنون) كما في «زاد المسير» ٢/ ٧٥.

(٢) أخرج أقوال الثلاثة بنحو ذلك الطبري ٥/ ٥٩-٦٠، وانظر «زاد المسير» ٢/ ٧٥، وابن كثير ١/ ٥٣٧، «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٢.

(٣) هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، مفسر مشهور، تقدم.

(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٠، ولم أقف عليه، وهو نحو قول السدي وغيره كما أخرج ذلك الطبري ٥/ ٦١، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٠٧ .

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٦٥، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٠٧.

(٦) في (د): (إلى الله).

(٧) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٦٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٣-٤١٤، =

للغيب بحفظ الله إياهن، أي لا يتيسر لهن حفظ الغيب إلا بتوفيق الله، وأن يحفظهن الله حتى لا يضيعن، فيكون هذا من باب إضافة المصدر إلى المفعول[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾. قال ابن عباس: يريد تعلمون نشوزهن[٢].

قال الفراء: وهو كالظن؛ لأنّ الظانّ كالشاكّ والخائف قد يرجو، فلذلك ضارع الخوف الظن والعلم، ألا ترى أنك تقول للخبر يبلغك: أما والله لقد خِفت ذاك، وأنشد:

أتاني كلامٌ عن نُصيبٍ يَقولُه وما خِفْت يا سلَّام أنك عائِبِي[٣]

كأنه قال: وما ظننت أنك عائبي[٤].

ومضى الكلام في الخوف بمعنى العلم.

ويحتمل أن يكون الخوف ههنا الذي هو ضد الأمن، كأنه قيل: تخافون نشوزهن لعلمكم بالأحوال المؤذية[٥] به[٦].

= «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٩٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٥١ أ، «الدر المصون» ٣/ ٦٧١.

(١) الوجه الثاني من قوله: وأن يحفظهن الله..، وقد أشار إلى الوجهين السمين في «الدر المصون» ٣/ ٦٧١.

(٢) أشار إلى قول ابن عباس هذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٧٥. وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٦٥، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢.

(٣) البيت لأبي الغول -علباء بن جوشن من بني قطن بن نهشل- انظر: «النوادر في اللغة» لأبي زيد ص٤٦، «الشعر والشعراء» ص٢٧٨، وهو في «الطبري» ٥/ ٦١ غير منسوب.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٦٥، ٢٦٦، وانظر: «الطبري» ٥/ ٦١، «زاد المسير» ٢/ ٧٥.

(٥) هكذا في (أ)، وفي (د) بدون إعجام الياء، فقد تكون: (المؤذنة)، وهو الأرجح.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٦٢.

قال محمد بن كعب[(١)(٢)]: والنشوز ههنا معصية الزوج في قول الجميع[(٣)].

قال عطاء: هو أن لا تتعطّر له وتمنعه من نفسها، وتتغيّر عن أشياء كانت تفعلها به وعما كان يستلذ منها[(٤)].

وأصل النشوز الترفع على الزوج بالخلاف، من قولهم: نشز الشيء، أي ارتفع، ومنه يقال للمرتفع من الأرض نشز[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾. قال الكلبي: فعظوهن بكتاب، وذكروهن اللهَ وما أمرهن به[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾. قال أبو زيد: هَجر الرجل هجرًا إذا تباعد ونأى[(٧)].

وقال ابن المظفر: الهَجْر من الهجران وهو ترك ما يلزمك تعاهدُه[(٨)].

---

(١) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القُرَظي المدني من ثقات وعلماء التابعين، وهو من الصالحين والمشاهير في التفسير ومن المكثرين منه، وقد أخرج حديثه الجماعة، توفي -رحمه الله- سنة ١٢٠هـ.
انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٢٥١، «التقريب» ص٥٠٤ رقم (٦٢٥٧).

(٢) أخرج الأثر عنه الطبري ٥/ ٦٤.

(٣) انظر: «الطبري» ٥/ ٦٢-٦٣.

(٤) الذي عند الطبري ٥/ ٦٣ عن عطاء: النشوز أن تحب فراقه، والرجل كذلك.

(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٩، الطبري ٥/ ٦٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٤٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧٢ (نشز).

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣١ دون نسبة للكلبي، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٤.

(٧) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧١٧ (هجر).

(٨) انظر: «التهذيب» ٤/ ٣٧١٨ (هجر).

قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي: المراد بالهجر ههنا أن يهجر كلامها، فلا يكلمها في المضجع[(١)].

قال ابن عباس: الهَجر أن لا يجامعها، ويوليها ظهره على الفراش، (ولا يكلمها)[(٢)(٣)].

وقال الشعبي ومجاهد وإبراهيم: المراد به هجر المضاجعة[(٤)]، يقول: فرِّقوا بينكم وبينهن في المضاجع.

وهذا اختيار أبي إسحاق؛ لأنه قال في قوله: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: أي في النوم معهن والقرب منهن، فإنهن إن كن يحببن أزواجهن شق عليهن الهجران في المضاجع، وإن كن مبغضات وافقهن ذلك، فكان ذلك دليلًا على أن النشوز منهن[(٥)].

وروى أبو الضحى[(٦)] ومسروق عن ابن عباس، قال: هذا كله في

---

(١) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/٦٣-٦٤، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/٢٠٨، «زاد المسير» ٢/٧٦، «الدر المنثور» ٢/٢٧٧.

(٢) تكررت هذه الكلمة في (د).

(٣) أخرجه الطبري ٥/٦٣ بمعناه.

(٤) الأثر عن مجاهد في «تفسيره» ١/١٥٦، وأخرجه عن الثلاثة الطبري ٥/٦٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/٧٦.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/٤٧.

(٦) هو مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي العطار، مشهور بكنيته، تابعي ثقة فاضل، أخرج له الجماعة، توفي -رحمه الله- سنة مائة للهجرة.

انظر: «تاريخ الثقات» ٢/٢٧٣-٢٧٤، «سير أعلام النبلاء» ٥/٧١، «التقريب» ص٥٢٨ رقم (٦٦٠١).

المضجع، إذا هي عصت أن تضطجع معه[(١)]. والمعنى على هذا: واللاتي تخافون نشوزهن في المضاجع فعظوهن واهجروهن واضربوهن.

والمضاجع جمع المضجَع، وهو الموضع الذي يُضطجع عليه. وذكرنا ذلك فيما تقدم.

وذهب الكلبي وسعيد بن جبير إلى أنّ قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾ من الهجر الذي هو بمعنى القبيح من الكلام، يريد عنّفوهن وغلّظوا في القول لهن[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾. يعني ضربًا غير مبرح بإجماع[(٣)].

قال ابن عباس: أدبًا بمثل اللكزة[(٤)].

قال القُرخي، عن علي ﷺ: يعظُها بلسانه، فإنْ انتهت فلا سبيل له عليها، وإن أَبَت هَجَر مضجعًا، فإنْ أَبَت ضربها، فإن أبت أن تتّعظ بالضرب بُعِثَ الحكمان[(٥)]. فللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذِنَ الله له

---

(١) الأثر عن أبي الضحى أخرجه الطبري ٥/ ٦٤، وسنده صحيح. انظر: «تحقيق المروي عن ابن عباس» ١/ ٢٧٠. لكن لفظه: أنها لا تترك في الكلام ولكن الهجران في أمر المضجع فكأنه مناقض لنص المؤلف، لا سيما عند النظر إلى ما وجه المؤلف المعنى بعد هذا الأثر. وأخرج الأثر أيضًا ابن أبي شيبة. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٧، أما عن مسروق فلم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه، وانظر: «القرطبي» ٥/ ١٧١.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٦٧-٧٠، والقرطبي ٥/ ١٧٢، ١٧٣.

(٤) أخرج ابن جرير ٥/ ٦٨ عن عطاء قال: قلت لابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: السواك وشبهه يضربها به، وفي إسناده ضعف، انظر: «تحقيق المروي» عن ابن عباس، أما بهذا اللفظ عند المؤلف فلم أقف عليه. وانظر: القرطبي ٥/ ١٧٢.

(٥) لم أقف عليه.

فيه. وكان رسول الله ﷺ قال: «لا تضربوا إماءَ الله»[(١)].

ونهى عن ضرب النساء حتى ذَئِر النساء على أزواجهن[(٢)]، فشكوا إلى رسول الله ﷺ، ونزلت الآية في ضربهن[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾. أي فيما يُلتَمس منهن. وقال السدي: أتينَ فُرشَكم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾. قال ابن عباس: لا تتجنّوا عليهن العِلَل[(٥)].

وقال عطاء: يريد ليس لك عليها سبيل في هجرها في المضجع، ولا في ضربها[(٦)].

وقال الكلبي وسفيان بن عيينة: لا تُكلِّفوهن الحبّ لكم[(٧)].

وقال الزجاج: لا يطلب عليهن طريق عنت[(٨)]. وهذا جامع للأقوال

---

(١) أخرجه الشافعي في «الأم» ٥/ ١٩٣، وأبو داود (٢١٤٦) كتاب النكاح، باب: في ضرب النساء، وابن ماجة (١٩٨٥) كتاب النكاح، باب: ضرب النساء.

(٢) أي نَشزن ونَفرن وتغير خُلقهن واجْتَرأن عليهم. انظر «اللسان» ١٤٨١ (ذَئِر).

(٣) هذا نحو كلام لعمر بن الخطاب عقب الحديث المرفوع المتقدم. انظر «الأم» ٥/ ١٩٣، «سنن أبي داود» (٢١٤٦)، «سنن ابن ماجة» (١٩٨٥) .

(٤) لم أقف عليه، وأخرج الطبري ٥/ ٧٠ نحوه عن الثوري.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٧٦، وأخرجه الطبري عن قتادة ٥/ ٧٠. والمعنى: لا تتعدوا عليهن بنسبة علل لهن ليست فيهن، فإن ذلك جناية.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) عن الكلبي انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٤، أما عن سفيان فأخرجه الطبري ٥/ ٧٠ بنحوه، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٥١ ب، والبغوي ٢/ ٢٠٨، و«زاد المسير» ٢/ ٧٦.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٨.

كلها.

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾. قال ابن عباس: يريد علمتم[١]. وذكرنا الخوف بمعنى العلم آنفًا.

قال الزجاج: (خفتم) ههنا بمعنى: (أيقنتم) خطأ[٢]؛ لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم يُحتج[٣] إلى الحكمين، وإنما يُخاف الشقاق[٤].

وليس الأمر على ما قال أبو إسحاق؛ فإن الخوف ههنا بمعنى العلم صحيح، وكذلك يجب أن يكون؛ لأن بعثة الحكمين إنما تكون إذا علمنا شقاقًا بينهما، ولكن لا نعلم أيهما المتعدي الظالم، فيُبعث الحكمان ليتعرفا ذلك، وقبل وقوع الشقاق ليس حاله بعثة الحكمين. فقول أبي إسحاق: (لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم يُحتج إلى الحكمين) وهم؛ لأنا نحتاج إلى الحكمين في هذه الحالة، وحيث نعلم المُشَاقّ بين الزوجين من هو لم يُحتج إلى الحكمين.

ولم يفصل الزجاج بين الحالتين، والذي في الآية إذا علمنا شقاقًا بينهما، ولم نعلم من أيهما ذلك الشقاق، وكلام ابن عباس شديد[٥]

---

(١) لم أقف عليه، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٢، دون نسبة لابن عباس ونسبه ابن الجوزي إلى أبي سليمان الدمشقي.
انظر: «زاد المسير» ٢/ ٧٧.

(٢) عبارة الزجاج في «معانيه» ٢/ ٤٨: قال بعضهم: (خفتم) ههنا في معنى: أيقنتم، وهذا خطأ.

(٣) عند الزجاج في «المعاني»: لم يجنح.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٤٨.

(٥) هكذا في (أ)، (د)، ولعل الصواب: سديد بالسين المهملة.

والمنِكر وَاهِم.

والشقاق: العداوة والخلاف، كالمشاقّة. واشتقاقه من أن المشاقين[(١)] كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه[(٢)].

والمعنى: شقاقًا بينهما، فأضيف المصدر إلى الظرف، وإضافة المصادر إلى الظروف جائزة، لحصولها فيها، كقولك: يعجبني صوم يوم عرفة، وسير الليلة المقمرة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ﴾. قال سعيد بن جبير والضحاك: المأمور ببعث الحكمين السلطان الذي يترافع الزوجان فيما شجر بينهما إليه[(٤)].

والحكم بمعنى الحاكم، وهو المانع من الظلم[(٥)]، ومنه المثل السائر: في بيته يُؤتى الحكم[(٦)].

قال ابن عباس: يريد من أهل الفضل[(٧)].

يعني أن الحكم يجب أن يكونَ فاضلًا، يعرف ما لأحد الزوجين على

---

(١) في «معاني الزجاج» ٢/ ٤٨ المتشاقين.

(٢) من «معاني الزجاج» ٢/ ٤٨ بتصرف يسير، وانظر الطبري ٥/ ٧٠.

(٣) انظر: «الطبري» ٥/ ٧٠، «الدر المصون» ٣/ ٦٧٣.

(٤) أخرج الأثر عنهما الطبري ٥/ ٧١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٧٧، «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٩-٢٨٠.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٧ (حكم).

(٦) «الأمثال» لأبي عبيد ص٥٤، «مجمع الأمثال» للميداني ٢/ ٤٤٢ .

(٧) لم أقف عليه، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢، و«القرطبي» ٥/ ١٧٥، و«ابن كثير» ٢/ ٥٣٩.

الآخر، ويعرف أحكام العِشرة[١].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾، و﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾. أي من أقارب هذا وأقارب تلك.

قال ابن عباس: فإذا التقى الحكمان قال أحدهما للآخر: ادخل على قريبتك، فقل لها تخبرك الذي نقمت على زوجها، وقل لها: ألك فيه حاجة؟، وإلا فنحن ندخل فيما بينكما حتى يفارقك، وإن كان لك به حاجة فنحن نرده إلى ما تحبين.

ويقول الآخر لصاحبه: القَ قريبَك، فقل له: ألك في أهلك حاجة؟. فيخلو حَكَمُ الرجل بصاحبه، فيقول[٢]: أخبرني ما في نفسكَ، أتهواها أم لا؟ فإني لا أدري ما أقول في أمركَ، حتى أستطلع رأيكَ. فإن كان الرجل كارهًا قال: لا حاجة لي فيها، خُذ لها مني ما استطعت وفرِّق بيني وبينها. فيعرف عند ذلك أن النشوز جاء من قبله. وإن قال: إني أهواها، فأرضِها من مالي بما أرادت، ولا تفرِّق بيني وبينها، علم أنه ليس بناشز.

ويخلو حكم المرأة بالمرأة، فيقول: أعلميني ما في نفسك، أتهوَين زوجكِ أم لا؟ فإني لا أدري ما أقول في أمركِ حتى أستَطلع رأيكِ فيه، فإن كانت هي الناشزة، قالت: أنشدك الله أنْ تُفرِّق بيني وبينه، أعطه ما أراد من مالي، فلا حاجة لي فيه. فإذا قالت ذلك علم أنها ناشزة. وإن لم تكن ناشزة، قالت: إني أهواه، ولكني أستزيده في نفقتي، فعِظه وحُثّه عليّ بخير، فإنه إليّ مسيء.

فإذا كان النشوز من قبل المرأة أقبلا عليها، فقالا لها: يا عدو الله،

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) في (د): (فيقول له).

أنتِ العاصية الظالمة لزوجك، المسيئة لنفسكِ، فوالله لا ينفق عليكِ أبدًا ولا يجامعك، حتى ترجعي عن فعلك وتفيئي إلى الله، فلا يأتيها زوجها ولا ينفق عليها حتى ترجع إلى الحق. وإن كان النشوز من قبل الرجل أقبلا عليه، فقالا: أنت العاصي لله المبغض لامرأتك، الظالم لنفسك، نفقتها عليك أبدًا ما دامت، ولا تدخل لها بيتًا، ولا ترى لها وجهًا، حتى تفيء إلى أمر الله وترجع عما أنت عليه. ثم يأخذانه بنفقتها ما دام على حاله حتى يرجع، فإذا رجع جَمَعَا بينه وبينها[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَـٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ﴾ بين الزوج والمرأة.

فالكناية في ﴿بَيۡنَهُمَآ﴾ تعود على الزوجين. وأجاز بعضهم فيما حكاه ابن حبيب[(٢)] أن تعود الكناية على الحكمين[(٣)]. فيكون المعنى: يوفق الله صلاحًا للزوجين بين الحكمين[(٤)].

ومذهب عمر ﷺ أيضًا هذا، وهو أن المعني بإرادة الإصلاح الحكمان.

وقد رُوي أنه بعث حكمين بين زوجين فرجعا وأخبراه أن الزوجين لم يصطلحا، فعلاهما بالدرّة وقال: لو أردتما إصلاحًا وفق الله بينهما.

---

(١) أخرجه بمعناه مختصرًا الطبري ٥/ ٧٣ من طريق ابن أبي طلحة وهو في «تفسير ابن عباس» / ١٤٧. وقد ذكره السمرقندي في «بحر العلوم» دون نسبة لابن عباس بلفظ مقارب. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٥٢، القرطبي ٥/ ١٧٥. وقد جاء نحوه عن السدي. انظر: الطبري ٥/ ٧١.

(٢) الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٤٨٤.

(٣) هذا رأي جمهور المفسرين، انظر: الطبري ٥/ ٧٦-٧٧، «زاد المسير» ٢/ ٧٧.

(٤) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٨٤.

فرجعا وأخلصا، فإذا الزوجان قد أغلقا الباب دونهما واصطلحا[١]. وهذه القصة تُقوي عود الكناية إلى الزوجين. هذا إذا أراد الحكمان إصلاحًا ورأيا ذلك.

فإن أدى اجتهادهما إلى التفريق، فقد اختلف العلماء في ذلك:

فمذهب عثمان وعلي رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والشعبي والسدي وإبراهيم وشريح: أن لهما التفريق بينهما بالطلاق إن رأياه؛ لأن التحكيم توكيل[٢].

قال عبيدة السلماني: شهدت عليًا ﷺ وجاءته امرأة وزوجها، مع كل واحد منهما فِئَامٌ من الناس، فقال: ما شأنهما؟ فأُخْبِرَ بالشقاق بينهما، فقال: ابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها، ثم قال للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما. فقالت المرأة: رضيتُ بما في كتاب الله عليّ ولي[٣]. وقال الزوج: أما الفُرقة فلا. فقال علي: كذبتَ حتى تُقِرّ بمثل الذي أقرت[٤] به[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «الطبري» ٥/ ٧٣-٧٥، و«القرطبي» ٥/ ١٧٦.

(٣) هنا عبارة (وقال ولي) وهي زياجة من الناسخ على الأغلب.

(٤) في (أ): أقرب بالباء الموحدة وهو تصحيف ظاهر. والصواب بالتاء المثناة كما في (د)، «الكشف والبيان» يأتي.

(٥) أخرجه الشافعي في «الأم» ٥/ ١٩٥، وقال الشافعي -رحمه الله-: حديث علي ثابت عندنا، والطبري ٥/ ٧١، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٨، والثعلبي ٤/ ٥١ ب، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق في «المصنف» وسعيد بن جبير وعبد=

والظاهر من هذا الكلام أن عليًا ﷺ رأى الفُرقة من غير رضا الزوج، ولذلك قال: كذبت، ولم يقل: فلا أبعث الحكمين حتى ترضى.

وإذا تعذر تنفيذ العقد بأحكامه فالوجه رفعه، وهذا هو الظاهر الصحيح من مذهب الشافعي -رحمه الله- الذي نص عليه في كتاب الطلاق من أحكام القرآن[(١)]، وهو اختيار المزني[(٢)(٣)].

وقال الحسن: الحكمان يحكمان في الاجتماع ولا يحكمان في الفرقة إلا بأمرهما[(٤)]. وهذا أحد قولي الشافعي، وقد نص عليه في «المُختصر»، وقال: لا بد من توكيل الزوج في الطلاق؛ لأنّ الطلاق إلى الأزواج[(٥)].

قال الزجاج: وحقيقة أمر الحكمين أنهما[(٦)] يقصدان الإصلاح،

= بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٧٩.

(١) انظر: «الأم» ٥/ ١٩٥، و«أحكام القرآن» للشافعي جمع البيهقي ١/ ٢١٢، و«ابن كثير» ١/ ٥٣٩.

(٢) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو المزني المصري، تلميذ الإمام الشافعي، إمام علامة رأس في الفقه الشافعي وله المختصر مشهور متداول، قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، توفي -رحمه الله- سنة ٢٦٤هـ. انظر «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٠٩، «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٤٩٢، «طبقات الشافعية» للأسنوي ١/ ٢٨.

(٣) «مختصر المزني» ص١٨٦.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٩، والطبري بمعناه ٥/ ٧٢، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٨.

(٥) انظر: «مختصر المزني» ص١٨٦.

(٦) في (د): (أن).

وليس لهما طلاق، وإنما عليهما أن يُعَرِّفا الإمام حقيقة ما وقفا عليه؛ فإن رأى الإمام أن يُفرِّق فرّق، وإن رأى أنْ يجمع جمع، وإن وكّل الحكمين بتفريق أو جمع فهما بمنزلته.

والذي فعله عليّ رحمه الله من قوله: وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما، تولية منه إياهما ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾[٢] معنى التوفيق في اللغة هو تيسير. وَفق الشيء، وهو ما يوافقه، أي يساوي حَالَته، ويقال: حَلوبَة فلان وَفق عياله، أي يخرج من لبنها ما يكفي عياله، على معنى أن ذلك مساوٍ لقدر حاجته[٣].

قال الراعي:

أما الفقير الذي كانت حَلُوبته
وَفقَ العِيَال فلم يُترك له سَبَدُ[٤]

فالموافقة المواساة[٥] في أمر من الأمور. والتوفيق بين النفسين إصلاحُ بينهما لمساواة فيه. وقوله تعالى: ﴿جزاء وفاقا﴾ [النبأ: ٢٦]، أي: على وَفق أعمالهم.

(١) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ٤٩ بتصرف يسير.
(٢) (بينهما) ليست في (أ).
(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٧، «اللسان» ٨/ ٤٨٨٤ (وفق).
(٤) «ديوانه» ص٦٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٧، «اللسان» ٨/ ٤٨٨٤(وفق). ومعنى: حلوبته: قيل: معيشته وقيل حمولته، والسَّبَدَ يطلق على المال وعلى ذوات الشعر من البهائم. انظر «اللسان» ٤/ ١٩١٨ (سبد). والشاهد أن وفق الشيء ما يساوي حالته أو يكفيه.
(٥) لعلها المُساواة.

الليث يقول: لا يتوفق عبدٌ حتى يوفقه الله، وإن فلانًا موفّق رشيد[١].

ووَفق كل شيء ما يكون متفقًا معه، كقوله:

يَهوِين شَتَّى ويقَعن وفْقًا[٢]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾. قال ابن عباس: يريد: عليمًا بما في قلوبهم من المودة، وخبيرًا بما يكون إذا هو طلّقها من وُجْدِه عليها، أو وُجدِها عليه[٣].

٣٦- وقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾. قال الزجاج المعنى: أوصاكم الله بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحسانًا[٤].

وقال الفراء: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا. أمرهم بالإحسان[٥].

قال ابن عباس: يريد البِرّ بهما مع اللطف ولين الجانب، ولا يُغلظ لهما الجواب، ولا يُحدّ إليهما النظر، ولا يرفع صوته عليهما، كما قال الله: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] يكون بين أيديهما ذليلًا مثل العبد بين يدي السيد الفظّ الغليظ، تَذلّلًا لهما مع المحبة[٦].

---

(١) «العين» ٥/ ٢٢٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٧ (وفق).

(٢) «العين» ٥/ ٢٢٦، وانظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٨٨٤ (وفق).

(٣) لم أقف عليه، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٤.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٩.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٦٦، وعبارته: أمرهم بالإحسان إلى الوالدين. وفي «زاد المسير» ٢/ ٧٩: قال الفراء: أغراهم بالإحسان إلى الوالدين.

(٦) لم أقف عليه.

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، القربى مصدر كالقرابة[١]، ومثله البُشرى والرُّجعى. قال ابن عباس: يصله ويعطف عليه[٢]. وقال الزجاج: أمر الله ﷻ بالإحسان إلى ذوي القرابة بعد الوالدين[٣].

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، قال ابن عباس: يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رأسهم.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، قال: يريد: بَذْلُ يسر، أو ردّ جميل[٤].

﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال عامة المفسرين: يعني القريب في النسب، الذي بينك وبينه قرابة، وله حقوق؛ حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام[٥].

ودل كلام الزجاج على أنه أراد بالقُربى ههنا قرب الدار والمعرفة والاختلاط؛ لأنه قال: هو الذي يقاربك ويعرفك[٦]. ويُقوي هذا أنه قابله بالجار الغريب في قوله: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾، فكما أن الغريب لا يعرفك لبعد داره فالجار ذي القربى هو الذي يعرفك لقرب داره وأرضه من دارك وأرضك[٧].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٧٧.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص٨٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥٠.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٧٨، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٣، «الكشف والبيان» ٤/ ٥٢/أ، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥٠.

(٧) عبارة الزجاج في «معانيه» ٢/ ٥٠: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ والجار القريب المتباعد. واستشهد على ذلك بيت من الشعر هو:

فلا تحرمنّي نائلًا عن جَنَابة فإني امرؤٌ وسط القباب غريبُ

وسيأتي.

والذي عليه المفسرون هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾.

الجنب نعت على فعل، مثل: (أُحُد) في: ناقةٌ أُحُد، وبابٌ غُلُق[١]، وقارورةٌ فُتُح. وأصله من الجنابة ضدّ القرابة، وهو البُعد[٢].

قال علقمة بن عبدة[٣]:

فَـلا تَـحْـرِمـنِّـي نَـائِـلًا عـن جَـنَـابـةٍ
فـإنـي امـرؤٌ وَسْـط الـقِـبَـاب غَـريـبُ[٤]

وقال الأعشى[٥]:

أتـيـتُ حُـريـثًـا زائـرًا عـن جـنـابـةٍ
وكـان حُـرَيـثٌ عـن عَـطَـائِـيَ جَـامِـدًا[٦]

---

(١) في (أ): (علق) بالعين المهملة.

(٢) انظر: «الطبري» ٥/ ٨٠، «الحجة» ٣/ ١٥٨.

(٣) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس التميمي، شاعر جاهلي مجيد، كان يلقب بالفحل لحادثة جرت بينه وبين امرئ القيس. توفي قبل الهجرة بنحو عشرين سنة. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٢٥، «طبقات الشعراء» ٥٨، «الأعلام» ٤/ ٢٤٧.

(٤) «ديوانه» ص٣١، «الكامل» ٣/ ١٦، والاختيارين للأخفش الأصغر ص٦٥٦، وفيه: الديار بدل القباب، «الزاهر» ١/ ٤٣٠. والجَنابة: البعد والغربة وهو الشاهد. والمعنى: لا تحرمني بعد غربة وبعد عن دياري. والبيت من قصيدة في فكاك أسر أخ له.

(٥) هو ميمون بن قيس بن جندل الوائلي -الأعشى الكبير- تقدمت ترجمته.

(٦) «ديوانه» ٤٣، «الكامل» ٣/ ١٥، «الطبري» ٥/ ٨٠، «معاني الزجاج» ٢/ ٥٠، الثعلبي ٤/ ٢٥ ب.

وجاء في حاشية «ديوانه»: حُرَيث: تصغير لكلمة حارث، وهو ذم للحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي. الجنابَة: البعد. وانظر «الكامل» ٢/ ٩٠٢، ٩٠٣.

وقال آخر:

كِرامٌ إذا ما جئتَهم عن جنابةٍ أعفّاءُ عن جار الخليطِ المجاور[(١)]

ورجل جُنُب، إذا كان غريبًا متباعدًا عن أهله. وقوم أجناب، ورجل أجنَب وأجنبي، وهو البعيد منك في القرابة[(٢)]. وأصل الجنب التنحية والإبعاد، ومنه قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. والجانبان الناحيتان لتنحّي كل واحدة[(٣)] عن الأخرى[(٤)].

وروى المفضّل عن عَاصِم[(٥)]: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجَنْبِ﴾ بفتح الجيم وسكون النون[(٦)]، وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يريد بالجنْب الناحية، ويكون المعنى على هذا: ذي الجَنْب، فحذف المضاف؛ لأن المعنى مفهوم، ألا ترى أن الناحية لا يكون الجار إياها، والمعنى: ذي ناحية ليس هو الآن بها، أي: هو غريب[(٧)].

---

(١) البيت للراعي النميري في «ديوانه» ص١٠٨، و«تاريخ دمشق» ٣٨/ ١٩٠.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٦٣، «اللسان» ٢/ ٦٩٢ (جنب).

(٣) في (أ): (واحد) بالتذكير.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٤٦، «الحجة» ٣/ ١٥٨.

(٥) هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود -بهدلة- الأسدي الكوفي الإمام المقرئ وأحد القراء السبعة المشاهير الحجة، وقد أخرج حديثه الجماعة، توفي -رحمه الله- سنة ١٢٠هـ. انظر: «السبعة» ص٦٩، «مشاهير علماء الأمصار» ص١٦٥، «التقريب» ص٢٨٥ رقم (٣٠٥٤).

(٦) «السبعة» ص٢٣٣، «الحجة» ٣/ ١٥٧. وقال ابن مجاهد وأبو علي -رحمهما الله: ولم يأت بها غيره.
وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٠٧.

(٧) في «الحجة» ٣/ ١٥٨: هو غريب عنها، والكلام في توجيه القراءتين لأبي علي.

والآخر: أن يكون وصفًا، مثل: ضرب وندب وفسل[١]، فهذا وصف يجري على الموصوف، كما أن الجنب كذلك[٢].

قال ابن عباس وعامتهم: الجار الجنب هو الذي ليس بينك وبينه قرابة[٣]. وله حق الجوار، فإن كان من أهل دينك فله حق الإيمان[٤].

ومعنى وصفه بالبُعد ههنا أنه ليس من قومك، ونَسبُه بعيد عنك، ألا ترى أن مجاهدًا وقتادة قالا: هو جارك من قوم آخرين[٥].

ويحتمل أنْ يُراد بهذا البُعد بُعد الدار، وهو الغريب من بلد غير بلدك يجاورك، فهو متباعد عن أهله وبلده.

وإلى هذا ذهب الزجاج، فإنه قال: هو الجار الغريب[٦] المتباعد[٧].

وحكى ابن جرير عن نَوفٍ البِكَالي[٨] أنه ذهب إلى أن المراد بهذا

---

(١) هكذا بالفاء عند أبي علي في «الحجة»، وفي النسختين من المخطوط كأنها بالنون (نسل).

(٢) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٥٨.

(٣) «تفسير ابن عباس» ص١٤٨.
وأخرجه الطبري ٥/ ٧٩-٨٠ عن ابن عباس، وهو قول قتادة والسدي ومجاهد وابن زيد والضحاك كما أخرجه الطبري، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٥٢ ب، «زاد المسير» ٢/ ٧٩.

(٤) انظر: «الطبري» ٥/ ٧٩، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٣.

(٥) أخرجه عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٩، والطبري ٥/ ٧٩.

(٦) في (د): (القريب)، وكذا في «معاني الزجاج»، ولعل ما أثبته هو الأولى.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٥٠.

(٨) هو أبو عمرو نَوف بن فضالة البكالي، تابعي صالح، شامي مستور، أخرج له البخاري ومسلم، وأما تكذيب ابن عباس له فلِمَا رواه عن أهل الكتاب، مات -رحمه الله- بعد سنة ٩٠هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص١٢١.

البُعد بُعد الدين، فقال في الجار الجنب: إنه الكافر[١]. وقد قال النبي ﷺ في المشرك الجار: «له حق الجِوَار وإن كان مشركًا»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾. قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك: هو الرفيق في السفر[٣].

قال عطاء عن ابن عباس: يريد صاحبك في السفر، وهو جارك إلى جانبك، فله حق الجوار وحق الصحبة[٤].

وهذا اختيار الفراء[٥] والزجاج[٦] وابن قتيبة[٧].

وقال علي وابن مسعود وابن أبي ليلى[٨] وإبراهيم: هو زوجتك تكون معك إلى جنبك[٩].

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ٨٠ بلفظ: اليهودي والنصراني، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٧٩، و«ابن كثير» ١/ ٥٤٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البزار بنحوه مطولًا، كما في «كشف الأستار» ٢/ ٣٨٠. وانظر: ابن كثير ١/ ٥٤١، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٥٣ أ، وهذا لفظه، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٦٤ بقوله: رواه البزار عن شيخه عبد الله ابن محمد الحارثي وهو وضاع.

(٣) قول ابن عباس في «تفسيره» ص١٤٨ بلفظ: الرفيق فقط، وأخرجه عن جميعهم الطبري ٥/ ٨٠-٨١، إلا الحسن، فانظر: ابن كثير ١/ ٨٤٠.

(٤) الذي وقفت عليه نحو ذلك من طريق علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في «تفسيره» ص١٤٨، وأخرجه الطبري ٥/ ٨٠.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٢٦٧.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥٠.

(٧) في «غريب القرآن» ص١١٩.

(٨) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني، تقدمت ترجمته.

(٩) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٨١-٨٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٨٠ .

وقال ابن جريج وابن زيد: هو الذي يلزمك ويصحبك رجاء خيرك ونفعك[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾. هو الضيف،يجب قِراه إلى أن يبلغ حيث يريد.

قال ابن عباس ومجاهد والربيع: يريد عابر السبيل، تُروِيه وتُطعِمه حتى يرحل عنك[(٢)].

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني المماليك.

قال ابن عباس: يريد المملوك، تُحسن رزقَه وتحتمل مساوئه وتعفو عنه فيما يُخطئ، فإن لاءمك فاحسبه وأنت مُحسن، وإن خالفك في الملاءمة فبعه لعله يوافق غيرك وتبرأ من إثمه[(٣)].

وروى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «**من ابتاع شيئًا من الخدم فلم يوافق شيمته شيمته فليبع ويشتر حتى يوافق شيمته شيمته، فإن الناس شِيمَ، ولا تعذبوا عباد الله**»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦] المختال: ذو الخيلاء والكبر[(٥)].

---

(١) ابن جرير روى نحو ذلك عن ابن عباس، وهذا لفظ ابن زيد أخرج ذلك الطبري ٥/ ٨٢، وانظر «زاد المسير» ٢/ ٨٠.

(٢) أخرجه عن مجاهد عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٥٩، وذلك عنه وعن الربيع، «الطبري» ٥/ ٨٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ١١٩، وانظر الطبري ٥/ ٨٤، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٤.

قال ابن عباس: يريد بالمختال العظيم في نفسه، الذي لا يقوم بحقوق الله[(١)].

قال الزجاج: وإنما ذكر الاختيال ههنا؛ لأنَّ المختال يأنف من ذوي قراباته إذا كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحسن عشرتهم[(٢)].

وذكرنا اشتقاقه في اللغة عند قوله: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ومعنى الفخر في اللغة هو البذخ والتطاول، والفخور الذي يعدِّد مناقبه كبرًا وتطاولًا[(٣)].

قال ابن عباس: هو الذي يفخر على عباد الله بما خوّله الله من كرامته وما أعطاه من نعمته[(٤)].

٣٧- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾. جائز أن يكون موضع (الذين) نصبًا على البدل[(٥)]. المعنى: أنَّ الله لا يحب من كان مختالًا فخورًا، ولا يحب الذين يبخلون.

وجائز أن يكون رفعه على الابتداء ويكون الخبر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، أي لا يظلمهم مثقال ذرة. قاله الزجاج[(٦)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٨١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٠، «أساس البلاغة» ٢/ ١٨٩، «اللسان» ٦/ ٣٣٦١ (فخر).

(٤) لم أقف عليه، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٨٩ .

(٥) على البدل من من قوله: (من كان مختالًا). انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٦.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥١، بتصرف، وانظر: الطبري ٥/ ٨٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٦-٤١٧، «الدر المصون» ٣/ ٦٧٦.

والأولى أن يكون مستأنفًا؛ لأنَّ الآية نازلة في اليهود[١]. ومعنى البُخل في كلام العرب منع الإحسان، وفي الشريعة منع الواجب[٢].

وفيه أربع لغات: البَخْل مثل الفَقْر، والبَخَل مثل الكَرَم، والبُخْل مثل الفُقر، والبُخُل بضمتين. ذكره المبرِّد، وقال: ونظيره أرض جرز، وفيه اللغات الأربع[٣].

وأجمعوا على أن الآية نازلة في اليهود[٤].

واختلفوا في معنى هذا البخل، فذكر فيه قولان: **أحدهما**: أن المراد به البخل بالعلم. وهو قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل.

قال سعيد: هذا في العلم ليس في الدنيا منه شيء[٥].

وقال الكلبي: هم اليهود، بخلوا أن يصدقوا من أتاهم صفة محمد ﷺ ونعته، وأمروا قومهم بالبخل، وهو كتمان أمره[٦].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٨٥، «النكت والعيون» ٢/ ٥١، «الكشف والبيان» (٤/ ٥٤ أ)، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٧.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ٥٤ أ، وانظر: «المفردات» ص (٣٨)، «عمدة الحفاظ» ص (٤٠)، (بخل).

(٣) لم أقف على كلام المبرد فيما بين يدي من مصنفاته، وقد ذكر نحو كلامه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٤/ ٥٤ ب)، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٥١، «بحر العلوم» ١/ ٣٥٤، «عمدة الحفاظ» ص (٤٠) (بخل).

(٤) دعوى الإجماع غير مسلمة، فقد اختلف في نزولها، لكن كونها في اليهود هو قول الأكثر. انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٥٤ أ، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٧.

(٥) أخرج الأثر عنه: الطبري ٥/ ٨٦، والثعلبي (٤/ ٥٤ أ).

(٦) أورده المؤلف بنحوه في «أسباب النزول» ص١٥٦، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص (٨٤).

وقال مقاتل: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ رؤوس اليهود، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ كانوا يأمرون سفلتهم بكتمان نعت محمد ﷺ[(١)].

واختار الزجاج هذا القول، فقال: هم اليهود بخلوا بعلم ما كان عندهم من مبعث النبي ﷺ[(٢)].

القول الثاني: أن هذا البخل معناه البخل بالمال. وهو قول ابن عباس وابن زيد[(٣)].

قال ابن عباس في رواية عطاء: ثم ذكر اليهود فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ يريد يبخلون بأموالهم عمن هو دونهم من المؤمنين في المال، وهو أكرم على الله منهم[(٤)].

وقال في رواية غيره[(٥)]: نزلت في رؤساء اليهود؛ كانوا يأتون رجالًا من الأنصار ينتصحونهم[(٦)]، ويقولون لهم: لا تُنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر، ولا تدرون ما يكون[(٧)].

وروي مثل هذا القول عن مجاهد والسدي، قالا: هم اليهود بخلوا

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٣٧٢، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٥٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥١.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٨٢.

(٤) لم أقف على رواية عطاء، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٨٩.

(٥) رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. انظر: الطبري ٥/ ٨٦.

(٦) عند الطبري ٥/ ٨٦: «وينتصحون لهم» وكذا في «زاد المسير» ٢/ ٨١، وفي «الدر المنثور» ٢/ ٢٨٩: «وينتصحون لهم».

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ٨٦ بأطول من ذلك، وكذا ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٨٩، وذكره الثعلبي (٤/ ٥٤/ ب)، وابن الجوزي ٢/ ٨١.

بما أعطوا من الرزق[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: يريد العلم بما في التوراة مما عظم الله به أمر محمد ﷺ وأمته[٢].

وقال مقاتل: يعني ما في التوراة من أمر محمد ونعته[٣].

وهذا قول عامة المفسرين، فالفضل ههنا هو ما أوتوا من العلم، برسالة النبي ﷺ.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية. إن شئت عطفت الذين في هذه الآية على الذين في الآية التي قبلها، وإن شئت جعلته في موضع الخفض عطفا على قوله: ﴿لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٤].

قال السدي: نزلت في المنافقين[٥]. واختاره الزجاج[٦]، وهو الوجه؛ لذكر الرياء ههنا، وهو ضرب من النفاق، وقال بعضهم: نزلت في مشركي مكة المتفقين على عداوة رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) المأثور عن مجاهد والسدي أن المراد كتمان صفة النبي ﷺ ونبوته. انظر: الطبري ٥/ ٨٥، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٧، «زاد المسير» ٢/ ٨٢.

(٢) أخرج معناه في الأثر المتقدم عن ابن عباس من رواية سعيد بن جبير: الطبري ٥/ ٨٦.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٥٤.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ٨٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٥١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٦- ٤١٧، «الكشف والبيان» (٤/ ٥٤ ب)، «معالم التنزيل» ٢/ ٢١٤.

(٥) «الكشف والبيان» (٤/ ٥٤ ب)، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢١٤، «زاد المسير» ٢/ ٨٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥١.

(٧) «الكشف والبيان» (٤/ ٥٤ ب)، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢١٤، «زاد المسير» ٢/ ٨٣.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾

معنى القرين في اللغة هو الذي يقارنك ويُصاحبك[١]، من قولهم: قرنت الشيء بغيره إذا شددته إليه[٢].

وقيل: إنما اتصل الكلام ههنا بذكر الشيطان تقريعًا لهم على طاعة الشيطان. وعلى هذا دل كلام أبي إسحاق؛ لأنه قال: أي من يكن عمله بما يُسول له الشيطان فبئس العمل عمله[٣].

وقال الكلبي: هذا في الآخرة، يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار، يقرن مع كل كافر شيطان في سلاسل النار[٤]. يقول الله: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا﴾ صاحبا ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ يقول: بئس الصاحب الشيطان.

وقوله تعالى: ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ قد ذكرنا معنى ساء في هذه السورة. وانتصب (قرينًا) ههنا على التميز والتفسير[٥]؛ لأن (ساء) معناه (بئس)، و(بئس) تنصب النكرة، كقولك: بئس رجلًا زيد؛ لأنك إذا قلت: بئس، جاز أن تذكر رجلًا أو حمارًا، فإذا ذكرت نوعًا ميزته من سائر الأنواع[٦]،

---

(١) انظر الطبري ٥/ ٨٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٧، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٧، «اللسان» ٦/ ٣٦١١ (قرن).

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة» ٥/ ٧٦، «أساس البلاغة» ٢/ ٢٤٨، «زاد المسير» ٢/ ٨٣، «اللسان» ٦/ ٣٦١١ (قرن).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٥١.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٥٤، «زاد المسير» ٢/ ٨٣، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٦٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٥٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٧، «الكشف والبيان» (٤/ ٥٥ أ).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٦٧.

وفيه ضمير فاعل لأنه فعل، والفعل لا يخلو من الفاعل، فصار المميِّز[١] كالمفعول فلهذا نصب. وقد استوفينا (القول)[٢] في (نعم، وبئس).

٣٩- قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ الآية. هذا احتجاج على هؤلاء الذين ذكرهم الله بأنهم لا يؤمنون بالله، والمعنى أن الإنسان يُحاسب نفسه فيما عليه وله، فإذا ظهر له ما عليه في فعل شيء من استحقاق العقاب، وما له في تركه من استحقاق الثواب عمل على ذلك في تركه والانصراف عنه.

ومعنى الآية كأن الله تعالى يقول: ليتفكروا ولينظروا ماذا عليهم في الإيمان لو آمنوا؟ وهو استفهام في معنى الإنكار.

ويصلح أن يكون (ما) و(ذا) اسمًا واحدًا، فيكون المعنى: وأي شيء عليهم[٣]، ويجوز أن يكون (ذا) في معنى الذي، وتكون (ما) وحدها اسمًا، ويكون المعنى: وما الذي عليهم لو آمنوا[٤].

وقد بسطنا الكلام في تفسير (ماذا) في موضعين في سورة البقرة[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ .

قال ابن عباس: يريد بنية صادقة، يصدِّق القلبُ اللسان، ويصدق اللسانُ القلب[٦].

---

(١) في (أ): (المييز).

(٢) ليس في (د).

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٨٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٧.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤١٧، «الكشف والبيان» (٤/ ٥٥ أ).

(٥) انظر: «البسيط» بتحقيق د. الفوزان [البقرة: ٢١٥].

(٦) لم أقف عليه.

﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يريد: يصدقوا مما تفضل الله به عليهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ . تأويله: لا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الرياء؛ لأن الله بهم عليم مجاز لهم بما يسرون من قليل أو كثير[٢].

٤٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾ الآية. قد ذكرنا أن الظلم يستعمل في معان كثيرة. وهو ههنا بمعنى النقص.

قال ابن عباس: يريد لا ينقص مثقال ذرة[٣].

والمثقال مقدار الشيء في الثِّقل. وهو مفعال من الثقل، يقال: هذا على مثقال هذا، أي وزن هذا. ومعنى ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾: أي ما يكون وزنه وزن الذرة[٤].

وأما الذرة فهي النملة الحميراء الصغيرة في قول أهل اللغة[٥]، وهو قول ابن عباس[٦] وابن زيد[٧].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٥٠، «زاد المسير» ٢/ ٨٣.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٨٨، «الوسيط» ٢/ ٥٥٠، «زاد المسير» ٢/ ٨٣.

(٣) أورده المصنف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٠ من رواية عطاء ولم أقف عليه، وانظر: «الكشف والبيان» (٤/ ٥٥/ أ).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١١٩، والطبري ٥/ ٨٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٥٢، «النكت والعيون» ١/ ٤٨٨.

(٥) انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٩٤ (ذرر).

(٦) أخرج الأثر عنه- الطبري ٥/ ٨٩، وذكره الثعلبي (٤/ ٥٥ أ)، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٨٥، «الدر المنثور» ٢/ ٢٩٠.

(٧) لم أقف على قوله، وقد خرج الطبري مثل هذا القول عن يزيد بن هارون كما في «تفسير الطبري» ٥/ ٨٩، فيحتمل أن «يزيد» تصحف من النساخ إلى «ابن زيد» والله أعلم.

وروى يزيد بن الأصم[1] عن ابن عباس في هذه الآية قال: أدخل ابن عباس يده في التراب، ثم رفعها، ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرَّة[2].

والمراد من هذا: لا يظلم قليلًا ولا كثيرًا، ولكن الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه الناس، يدل على هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

قال ابن عباس: نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في المنافقين، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ في المؤمنين. يقول: لا ينقص ﴿مِثْقَالَ﴾[3] ذرة من عمل منافق إلا جازاه بها رواه عطاء عنه[4].

وقال آخرون: هذا على العموم[5]. ثم اختلفوا؛ فذهب بعضهم في تأويله إلى ما رواه أنس أن النبي ﷺ قال: «**وإن الله لا يظلم حسنة، أما المؤمن فيثاب عليها الرزق في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة. وأما الكافر فيُطعم بها في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة لم تكن له حسنة**»[6].

---

(١) هو أبو عوف يزيد بن عمرو (الأصم) بن عبيد البكائي المدني، من ثقات التابعين، وهو ابن خالة ابن عباس رضي الله عنهما توفي -رحمه الله- سنة ١٠٣هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٣٦٠، «التقريب» رقم (٧٦٨٥).

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٨٥.

(٣) ليس في (د).

(٤) لم أقف عليه، وانظر: «تنوير المقياس» بهامش المصحف ص ٨٥.

(٥) أي عموم المؤمنين والكافرين.

(٦) أخرجه مسلم (٢٨٠٨) كتاب صفات المنافقين باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا.

وذهب بعضهم إلى تأويل هذه الآية: إن الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على الخصم، بل يأخذ له ومنه، ولا يظلم مثقال ذرة تبقى للخصم، بل يثيبه عليها ويُضعفها له. واحتجوا بما روي عن ابن مسعود أنه قال: يُؤتى بالعبد يوم القيامة وينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان بن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه. ثم يقال له: آت هؤلاء حقوقهم. فيقول: يا رب من أين وقد ذهبت الدنيا. فيقول الله لملائكته في أعماله الصالحة: فأعطوهم منها، فإن بقي مثقال ذرة من حسنة ضعّفها الله تعالى لعبده وأدخله الجنة بفضل رحمته.

ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ﴾. الأصل: وإن تكن (بالنون) كقوله: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٥]، وذلك أن النون إذا سكنت[2] للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون فصار (تكن)، ويجوز حذف النون من تكن؛ لأنها ساكنة وهي تشبه حروف اللين، وحروف اللين إذا وقعت طرفًا سقطت، كقولك: لم أدر، وإن تدع. كذلك حُذفت هذه النون استخفافًا لكثرة الاستعمال كما قالوا: لا أدرِ ولم أبل، والأصل: لم أبال ولا أدري.

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٥/ ٨٩-٩٠ بأكثر من طريق، وابن أبي حاتم ونقله ابن كثير ١/ ٥٤٤ عنه بإسناده ثم قال: «ولبعض هذا الأثر شاهد في الحديث الصحيح» وصحح إسناد ابن أبي حاتم أحمد شاكر في تحقيقه للطبري، وقال عن هذا الأثر: «والحديث أثر موقوف على ابن مسعود، ولكني أراه من المرفوع حكمًا، فإن ما ذكره ابن مسعود مما لا يعرف بالرأي، وما كان ابن مسعود ليقول هذا من عند نفسه، وليس هو ممن ينقل عن أهل الكتاب ولا يقبل الإسرائيليات». وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٩٠.

(٢) في (د): (سقطت).

ووجه شبه النون بحروف اللين أنَّ الغنة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين، وأيضًا فإنها تحذف لالتقاء الساكنين، كما حذفوهن كذلك في نحو: غزا القوم، وتغطي ابنك وتصبو[١] المرأة. ألا ترى أنك لم تظهر الألف ولا الباء[٢] ولا الواو في اللفظ، بل حذفتهن لاجتماع الساكنين. وكذلك يفعلون في النون فيقولون: مِلآن، أي: من الآن[٣]، وأنشد سيبويه:

فلست بآتيه ولا أستطيعه
ولكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فضل[٤]

وأنشد قُطرب:

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفى بالسِّرر[٥]

يريد بالأول: ولكن، والثاني: لم يكن، فلم يحرِّكا وحذفا.

جعلوا النون أيضًا علمًا للرفع في نحو: يقومان ويقومون وتقومين، كما جعلوا الواو والألف علمًا له، نحو: أخوك وأبوك، والزيدان،

---

(١) هكذا في: (أ) ولعل الصواب بدون ألف.
(٢) هكذا في: (أ) بالباء الموحدة، ولعل الصواب: «ولا الياء» بالمثناة التحتية، وهو كما في (د).
(٣) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٤٠، ٥٤٠، «الخصائص» ١/ ٩٠، «عمدة الحفاظ» ص (٥٠٥) (كون).
(٤) الكتاب ١/ ٢٧، وعزا البيت للنجاشي (قيس بن عمرو الحارثي) وهو يصف ذئبًا. انظر: «الخصائص» ١/ ٣١٠، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٤٠، ٥٤١ بتحقيق هنداوي «الإنصاف» ص٥٤٦ بتحقيق عبد الحميد.
(٥) البيت لحسيل بن عرفطة (شاعر جاهلي) والضمير في «هاجه» يعود على عائق في بيت قبله، «السرر» اسم موضع قرب مكة. انظر: «النوادر» لأبي زيد ص (٧٧)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٤٠، ٥٤٠ بتحقيق هنداوي، «الخصائص» ١/ ٩٠.

والزيدون، إلى غير ذلك مما يطول ذكره(١).

وقرئ قوله: (حسنةٌ) بالرفع والنصب(٢)؛ فمن رفع فهي اسم كان ولا خبر لها ههنا، وهي في مذهب التمام. على معنى: وإن تحدث حسنة، أو إن تقع حسنة. ومن نصب كان المعنى: وإن تكن فعلتُه حسنةً.

والنصب حسن، لتقدم ذكر (مثقال ذرة)، فتجعل الذرة اسمًا وحسنة الخبر، على تقدير: وإن تكن الذرة حسنةً يضاعفها الله(٣).

قال ابن عباس: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ يريد: من مؤمن ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ يريد: عشرة أضعافها(٤).

وقال السدي: هذا عند الحساب والقصاص (فمن بقي له من الحسنات شيء يضاعفه بسبع مائة، وإلى الأجر العظيم(٥).

ولهذا كان يقول بعض الصالحين: فُضلت(٦) حسناتي سيئاتي بمثقال ذرة أحب إلي من الدنيا وما فيها(٧))(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ قال عطاء: يريد من عنده

(١) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٤٠، وانظر: «الكتاب» ١/ ١٩.

(٢) بالرفع لأبي جعفر ونافع وابن كثير، وبالنصب لبقية العشرة. انظر: «السبعة» ص ٢٣٣، «الحجة» ٣/ ١٦٠، «المبسوط» ص (١٥٦)، «النشر» ٢/ ٢٤٩ .

(٣) انظر: «الحجة» ٣/ ١٦٠، «إعراب القراءات السبع» ١/ ١٣٣، «معاني القراءات» ١/ ٣٠٨.

(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥١، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف

أجرًا عظيمًا يتفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف[١].

وقال الكلبي: الأجر العظيم الجنة[٢].

وقال الحسن: هذا أحب إلى العلماء؛ أن لو قال: الحسنة بمائة ألف وهو كقوله: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] ولم يقل مثل ألف شهر[٣].

وقال أبو عثمان النهدي[٤]: بلغني عن أبي هريرة[٥] أنه قال: إن الله ﷻ يُعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة. فقضي أن انطلقت حاجًا أو معتمرًا، فلقيته فقلت: بلغني عنك أنك تقول: إن الله ﷻ يُعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة. قال أبو هريرة: لم أقل ذلك، ولكني قلت: إن الحسنة تضاعف ألفي ألف[٦] حسنة ثم تلا هذه الآية وقال: إذا قال الله عز جل: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فمن يقدر قدره[٧].

وسنذكر اللغات في لدن والكلام فيه في سورة الكهف إن شاء الله.

---

(١) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢ دون نسبة لعطاء، ولم أقف عليه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٥، وقد ورد هذا التفسير عن ابن مسعود، وسعيد بن جبير وابن زيد. أخرج ذلك عنهم الطبري ٥/ ٩١-٩٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هو عبد الرحمن بن مل- بميم مثلثة ولام ثقيلة- النهدي، مشهور بكنيته، من كبار الرواة الثقاة وهو من المخضرمين، وكان من العباد. توفي- رحمه الله- سنة ٩٥هـ. وله من العمر ١٣٠ سنة أو أكثر. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٧٥، «تقريب التهذيب» ص (٣٥١) (٤٠١٧).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) في (د): (ألف ألف).

(٧) أخرجه بنحوه وآخره مرفوعًا الإمام أحمد ٢/ ٢٩٦، والطبري ٥/ ٩١، والثعلبي ٤/ ٥٧. وعزاه ابن كثير ١/ ٥٤٥ إلى ابن أبي حاتم والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٩١ إلى ابن أبي شيبة أيضًا.

٤١- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾. قال الزجاج والأكثرون: أي فكيف تكون حال هؤلاء القوم الذين ذكرهم الله من المنافقين والمشركين يوم القيامة، وحذف (تكون) لأنَّ في الكلام دليلًا على ما حذف.

وكيف (لفظها)[1] لفظ الاستفهام، ومعناها ههنا التوبيخ[2].

والاستفهام كثيرًا ما يرد بمعنى التوبيخ، وقد (ذكرنا)[3] لم أجاز أن يتضمن الاستفهام التوبيخ والإنكار في مواضع مما مضى[4].

وقال صاحب النظم: هذا فصل منسوق فيه (على ما)[5] قبل من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وتوكيدٌ لما تقدم من الخبر، وتحقيق لما بعده، على تأويل: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، فكيف يظلمه إذا كان يوم القيامة؟ ففي قوله: (فكيف) طرف من الإنكار، أي أن ذلك لا يكون في وقت من الأوقات[6].

فعلى القول الأول[7] في (كيف) توبيخ للقوم الذين مضى ذكرهم، وعلى القول الثاني[8] فيه إنكار لظلم الله أحدًا.

---

(١) ليس في (د).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٥٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٨٥.

(٣) ما بين القوسين ليس في (د).

(٤) انظر مثلًا [البقرة: ٢٨، ٧٥، ١٣٣].

(٥) ما بين القوسين غير واضح في (أ).

(٦) الظاهر أنه انتهى كلام صاحب النظم.

(٧) الظاهر أنه يريد قول الزجاج.

(٨) أي قول صاحب النظم.

ومعنى قوله: ﴿جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: أتيناهم[(١)].

قال المفسرون: يُؤتى بنبي كل أمة يشهد عليها ولها[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. أي على هؤلاء المنافقين والمشركين الذين ذكرهم يشهد عليهم بما فعلوا[(٣)].

٤٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. يوم في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف لـ «يود»، وهو مضاف إلى إذ، وذلك نحو قولهم: ليلتئذ، وساعتئذ، وحينئذ. ودخل التنوين في إذ بدلًا من الإضافة، وذلك أنَّ أصل هذا أن تكون إذ مضافة إلى جملة، إما من مبتدأ وخبر، نحو: جئتك إذ زيد أمير، وقصدتك إذ الخليفة عبد الملك، قال الله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١]، وقال القطامي[(٤)]:

إذا الفوارسُ من قيس بشكَّتها حولي شهودٌ وما قومي بشهاد[(٥)]

وإما من فعل وفاعل نحو: قمت إذ قام[(٦)] زيد، وجلست إذ سار محمد. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢] ثم اقتطع المُضاف إليه إذ في مثل هذا، ومثله قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ

(١) لم أقف عليه، وعليه علامات الغرابة؛ لأن النص واضح.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٩٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٥٤.

(٣) الأولى عدم تخصيص الإشارة، فشهادة الرسول ﷺ على أمته جميعًا. انظر الطبري ٥/ ٩٢، وابن كثير ١/ ٥٤٦-٥٤٧.

(٤) هو أبو سعيد عُمير بن شييم بن عمر التغلبي، والقطامي لقبه؛ تقدمت ترجمته.

(٥) «ديوان القطامي» ص (٨٦)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٠٤ بتحقيق د. هنداوي، والشكة: السلاح.

(٦) في (أ): (أقام) وما أثبته هو الموافق «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٠٤.

﴿يَوۡمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١] و﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

والتقدير في هذه الآية وفي غيرها: يوم إذ ذاك كذلك، فلما حذف المضاف إليه إذ عوّض منه التنوين، فدخل وهو ساكن على الذال وهي ساكنة، فكسرت الذال لالتقاء الساكنين فقيل: يومئذ. وليست هذه الكسرة في الذال كسرة إعراب، وإن كانت إذ في موضع جر بالإضافة ما قبلها إليها، وإنما الكسرة فيها لسكونها وسكون التنوين بعدها، كما كسرت الهاء في صهٍ ومهٍ لسكونها وسكون التنوين بعدها، وإن اختلفت جهتا التنوين فيهما، فكان في إذ عوضًا من المضاف إليه، وفي صه علمًا للتنكير، ويدل على أن الكسرة في ذال (إذ) إنما هي حركة التقاء ساكنين: (هي)[1] والتنوين قول الشاعر:

نهيتُك عن طلابك أمَّ عمرو ... بعاقبة وأنت إذ صحيح[2]

ألا ترى أن إذ في هذا البيت ليس قبلها شيء[3].

ومضى القول في (يود) عند قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ﴾[4]

---

(١) غير واضحة في (أ)، وفي «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٠٤ «وهما هي..».

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يخاطب قلبه وأنه نصحه عن حب هذه المرأة أم عمرو حتى لا يتورط فيصعب عليه الخلاص، وقوله: «بعاقبة» أي أن النصيحة كانت حتى آخر الكلام ولم يغفل عنها.

انظر: «ديوان الهذليين» ١/ ٦٨، «سر صناعة الإعراب» بتحقيق هنداوي ٢/ ٥٠٤، «الخصائص» بتحقيق النجار ٢/ ٣٧٦.

(٣) انتهى من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٠٤، ٥٠٥، والكلام من أول توجيه إعراب الظرف يوم وإضافته لإذ إلى هنا مستفاد منه. وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) (لو يعمر): ليس في (د).

[البقرة: ٩٦][1].

وأما النقير[2] فقال ابن السكيت: النقير النكتة في ظهر النواة[3].

وقال أبو الهيثم: النقير نقرة في ظهر النواة، منها تنبت النخلة[4].

وذكرنا طرفًا منه عند ذكر الفتيل[5]. وأصله أنه فعيل من النقر وهو النكت، ومن هذا يقال للخشب الذي ينبذ[6] فيه نقير لأنه ينقر[7]. والنقر ضرب الرحى[8] والحجر وغيره بالمنقار. والمنقار حديدة كالفأس يُقطع بها الحجارة[9]. ومنه منقار الطائر؛ لأنه ينقر به[10].

وقول أهل التفسير موافق لقول أهل اللغة في تفسير النقير، وقول أبي الهيثم مثل قول ابن عباس حرفًا بحرف[11].

---

(١) إلى هنا تنتهي نسخة (أ)، (د) وفي نهايتها كتب الناسخ ما يلي في (د): «تم الجزء الثاني من «تفسير البسيط» للواحدي بحمد الله ومنّه والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين، ويتلوه في الثاني قوله تعالى: ﴿وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٤٢] تم سنة ١٢٧٠». أما النسخة (أ) فقد كتب في آخرها: «كتب في مسلخ شهر ربيع الثاني من شهور سنة ست وثلاثين وستمائة». ويبدو أن كاتبه رجل يُدعى: ابن القزويني.

(٢) هذا بداية ما بعد السقط من أثناء الآية (٤٢) إلى أثناء الآية (٥٣) وهو بداية نسخة (ش) شستربتي.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٤٤، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٥١٨-٤٥١٩ (نقر) .

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٤٤، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٥١٩ (نقر).

(٥) الظاهر أنه عند قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]، وهذا من القسم الساقط والمفقود.

(٦) في «اللسان» ٨/ ٤٥١٩ (نقر): «ينتبذ».

(٧) انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥١٨ (نقر). (٨) في «ش»: «بالألف الممدودة».

(٩) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٤٤ (نقر).

(١٠) انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥١٧ (نقر).

(١١) انظر: «تفسير ابن عباس» ص ١٥٠، والطبري ٥/ ١٣٦.

قال الزجاج: وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى: لضنُّوا بالقليل[(١)].

٥٤- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية. (أم) ههنا كالتي في الآية التي قبلها.

والمراد بالناس هنا النبي ﷺ في قول ابن عباس والأكثرين[(٢)] وإنما جاز أن يقع عليه لفظ الناس وهو واحد لأنه اجتمع عنده من خلال (الخير)[(٣)] ما يكون مثله في جماعة، ومن هذا يقال: فلان أمَّة وحده، أي: هو يقوم مقام أمة، قال الله تعالى-: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠][(٤)].

قال المفسرون: إن اليهود حسدت النبي ﷺ نكاح تسع نسوة، وقالوا: لو كان نبيًا لشغله أمر النبوة عن النساء، فأكذبهم الله تعالى وقال: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾[(٥)] قال عطاء: يريد الفقه والعلم[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾. قال ابن عباس في رواية العوفي: يعني ملك سليمان[(٧)].

والمعنى على هذا: يحسدون (محمدًا كثرة)[(٨)] نسائه ويعيبونه بهن بقولهم: لو كان نبيًا لشغله أمر النبوة. أو فليحسدوه إن كانوا حسدوا محمدًا.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ص ٦٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٠٩.
(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٠.
(٣) هنا كلمة غير واضحة، واستوضحتها من «الوسيط» ٢/ ٥٨٨.
(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٨٨.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٥، الطبري ٥/ ١٣٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٦٤.
(٦) لم أقف عليه عن عطاء، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١١.
(٧) أخرجه الطبري ٥/ ١٤٠، وإسناده ضعيف، انظر: «زاد المسير» ٢/ ١١١، وتحقيق المروي عن ابن عباس ١/ ٣٢٥. وقد رجح هذا القول على غيره الطبري ٥/ ١٤١.
(٨) قد تكون العبارة: «محمدًا لكثرة».

وقال السدي: يعني بالملك العظيم ما أحل لداود من النساء، وهن تسع وتسعون. ولسليمان ألف، بين حرة ومملوكة[1].

وقال الحسن وابن جريج وقتادة: الفضل في هذه الآية النبوة وكانت اليهود حسدت محمدًا ما آتاه الله من النبوة، وقد علموا أنَّ النبوة في آل إبراهيم فقيل لهم: أتحسدون النبي ﷺ وقد كانت النبوة في آله، وهم آل إبراهيم[2].

وهذا الوجه اختيار أبي إسحاق[3]. والحكمة في هذا القول النبوة.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾: النبوة[4].

لأن الملك لمن له الأمر والطاعة، والأنبياء لهم الطاعة والأمر.

وليس يحتاج في تصحيح معنى الآية إلى إضمار، ومثله من الكلام أن نقول: أتحسدون زيدًا ما أعطاه الله من المال، فعند عمرو أكثر من ذلك، أو فقد آتى عمرًا أكثر من ذلك. وتأويل هذا: فلا تحسدوا زيدًا، ولتحسدوا عمرًا. وهذا مفهوم من فحوى الكلام وإن لم يذكر.

٥٥- وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾.

قال ابن عباس والأكثرون: من أهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ،

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ١٤٠ بنحوه لكن فيه: «وينكح سليمان مائة»، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٠٩.

(٢) أخرجه عن قتادة بنحوه وعن ابن جريج مختصرًا: الطبري ٥/ ١٣٩-١٤٠، أما الحسن فقد فسر الملك بالنبوة، لا الفضل، كما أخرج ذلك ابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٠٩، «تفسير الحسن» ١/ ٢٨٤.

(٣) الزجاج في «معانيه» ٢/ ٦٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٠.

(٤) «تفسيره» ١/ ١٦٢، وأخرجه الطبري ٥/ ١٤٠، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٠٩، وهو قول الحسن كما تقدم.

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن(١).

وتأويل الآية: أن اليهود مهما ذُكر منهم من البُخل والجهل والحسد، فقد آمن به بعضهم.

ومن قال: إن الوعيد المذكور في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ٤٧](٢) إنما أوعدوا به في الدنيا، قال: ذلك الوعيد صرف عنهم بإيمان هذا الفريق الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ ولذا قال: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: إن كان صرف بعض العقاب فكفى بجهنم عذابًا لمن لا يؤمن(٣).

وقال السدي وجماعة: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي من أمة إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من صدّ عنه كما أنكم في أمر محمد ﷺ كذلك(٤).

وفائدة هذا الكلام ههنا أنَّ تأويله ليس في ترك بعضكم الإيمان بمحمد ﷺ توهين لأمره، كما لم يكن في ذلك توهين لأمر إبراهيم.

وقال الفراء: لما تليت على اليهود قوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الآية كذب بذلك بعضهم وصدق بعضهم، وهو قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي بالنبأ عن سليمان وداود وما أبيح لهما من النساء ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ بالتكذيب والإعراض(٥).

---

(١) هذا قول مجاهد ومقاتل والكلبي، انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٦٢، الطبري ٥/ ١٤١، «بحر العلوم» ١/ ٣٦١، «زاد المسير» ٢/ ١١١، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٢) من القسم الساقط.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٤١.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٦، «زاد المسير» ٢/ ١١٢، «الدر المصون» ٤/ ٧.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٢٧٥ بتصرف.

وحكى الزجاج هذا الوجه أيضًا[١].

(...)[٢] ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ مضى الكلام في هذه الباء وفي انتصاب ما بعد كفى عند قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥][٣]. (.....)[٤] السعير في أول السورة[٥].

والسعير لا يدخله هاء التأنيث؛ لأنه مصروف من مسعورة، كما قالوا: كف خضيب ولحية (...)[٦]، وذلك أنَّ نقله عن لفظ المفعول المبني على الفعل إلى فعيل يأخذه عن حيّز الأفعال فيُقرّبه من الأسماء، وذلك يوجب حذف علامة التأنيث لتقدير الفعل، وقد ارتفع.

٥٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ .

قال سيبويه: سوف أداة تنفيس وتهديد ووعيد، يقال: سوف أفعل وسو أفعل (بغير فاء)[٧].

وقال غيره: هي أداة التسويف، كأنها مأخوذة منه، ألا ترى أنك تقول: سوف أعطيك، معناه أعطيك وقتًا آخر لا في هذا الوقت[٨]، وينوب

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٦٤، ٦٥.

(٢) بياض في (ش) يحتمل أن يكون أصله: وقوله تعالى.

(٣) من القسم.

(٤) بياض في (ش) بقدر كلمتين تقريبًا، يحتمل أن يكون: «معنى تفسير...» أو نحوه.

(٥) عند تفسيره للآية ١٠.

(٦) كلمة غير واضحة وقد تكون «دهين» أو «خضيب» مثل كف.

(٧) في «الكتاب» ٤/ ٢٣٣ «وأما (سوف) فتنفيس فيما لم يكن بعد» وانظر: «عمدة الحفاظ» ص (٢٥٥) (سوف)، والتنفيس هو التأخير، انظر: «اللسان» ٤/ ٢١٥٢ (سوف).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٧-١٥٩٨ (ساف)، «عمدة الحفاظ» ص (٢٥٥) (سوف).

عنها حرف السين، كقوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦﴾ [المدثر: ٢٦]، وفي هذه الآية قال: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾، ويحقق ما ذكرنا قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥] أي في الآخرة[١].

وقال بعضهم: سوف كلمة تعليل، وهي أيضًا كلمة العقبى كهي في هذه الآية، وكلمة تحقيق أيضًا كقوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] قيل أخَّرهم إلى وقت السحر تحقيقًا للدعاء[٢].

وذكرنا ما في الإصلاء عند قوله: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

قال ابن عباس: يبدَّلون جلودًا بيضًا كأمثال القراطيس[٣].

وقال معاذ بن جبل[٤]: يبدل في ساعة مائة مرة. وروى ذلك مرفوعًا عمر عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) انظر: الطبري ط. دار الفكر ٣٠/ ٢٣٢.

(٢) انظر: ابن كثير ٢/ ٥٣٧.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٧، وأخرجه عن ابن عمر: الطبري ٥/ ١٤٢، وابن أبي حاتم، انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٦٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣١١. والقراطيس جمع قرطاس وهي الصحيفة التي يُكتب عليها. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٩٢ (قرطس).

(٤) هو أبو عبد الرحمن مُعاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، أحد السبعة الذين شهدوا العقبة من الأنصار وقد شهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان من قراء الصحابة وعلمائهم وأمرائهم. توفي رضي الله عنه سنة ١٧هـ أو بعدها. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص (٣٥٨)، «أسد الغابة» ٥/ ١٩٤، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٤٤٣، «الإصابة» ٣/ ٤٢٦-٤٢٧.

(٥) الأثر عن عمر ومعاذ رضي الله عنهما أخرجه ابن عدي والطبراني في «الأوسط» وابن أبي حاتم وابن مردويه، وسنده ضعيف، انظر البغوي ٢/ ٢٣٧، «الكافي الشاف» ص (٤٥)، «الدر المنثور» ٢/ ٣١١.

وأما كيفية تبديل الجلود فقال جماعة من أهل المعاني: إن جلودهم إذا نضجت واحترقت جددت، بأن ترد إلى الحال التي كانت عليها غير محترقة. وذلك أن (غير) على ضربين: غير تضادٍ وتنافٍ، كقولك: الليل غير النهار والذكر غير الأنثى.

وغير تبدل، كقولك للصائغ: صغ لي من هذا الخاتم خاتمًا غيره، فيكسره ويصوغ لك منه خاتمًا، فالخاتم المصوغ هو الأول، إلا أن الصياغة غير والفضة واحدة، وتقول للإنسان: جئتني بغير ذلك الوجه، إذا تغيرت حالتُه، وجاء بغير ذلك اللباس إذا غيّر قميصه بأن جعله (...)[1]. وهذا الوجه ذكره الزجاج[2] وابن كيسان وابن الأنباري.

ويزيدك بهذا تأنيسًا ما قال أبو العباس[3] أحمد بن يحيى: قال الفراء: بدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه، وبدلت الخاتم بالحلقة إذا أذبته وسويته حلقة، وبدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتمًا.

قال أبو العباس: وحقيقته أن التبديل تغيير صورة إلى صورة أخرى، والجوهرة[4] بعينها، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى، ومنه قول أبي النجم:

---

(١) بياض في (ش) ولعلها: بأن جعله (أبيض)، أو نحو ذلك.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٦٥، وانظر: الطبري ٥/ ١٤٣، «زاد المسير» ٢/ ١١٣، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٤.

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٥ (بدل)، وقد نقل عن الأزهري نصًا طويلًا فيه أقوال.

(٤) جوهرة الشيء أصله، قال ابن منظور: «وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته» «اللسان» ٢/ ٧١٢ (جهر).

عـزلُ الأمـيـر لـلأمـيـر الـمـبـدل[١]

ألا ترى أنه نحى جسمًا وجعل مكانه جسمًا غيره.

قال أبو عمر[٢]: فعرضت هذا على المبرِّد فاستحسنه، وزاد فيه فقال: قد جعلت العرب بدلت بمعنى أبدلت، وهو قوله تعالى-: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها الحسنات. قال: وأما ما شرط أحمد بن يحيى فهو معنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، قال: وهذه هي الجوهرة بعينها باقية، وتبديلها تغيير صورتها إلى غيرها؛ لأنها كانت ناعمة فاسودت بالعذاب، فردت صورة جلودهم الأولى لمَّا نضجت تلك الصورة، فالجوهرة واحدة والصورة مختلفة. انتهى الحكاية[٣].

ويؤكد هذا البيان الذي ذكره المبرد[٤] وما حكينا من قول ابن عباس.

وقال أبو علي الفارسي: ليس ينفصل (بَدَّل) من (أبدل) بشيء، فقد يقال: تبدل في الشيء، ويكون قائمًا وغير قائم، كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍۙ﴾ [النحل: ١٠١]، فقد تكون الآية المبدلة قائمة التلاوة، وربما رفعت من التلاوة. وقال: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦] والجنتان قائمتان.

ومنهم من أجرى الآية على ظاهرها، وقال: إن الله ﷻ يجدد لهم

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٤، «اللسان» ١١/ ٤٨ (بدل).

(٢) قد يكون الزاهد، ومرت ترجمته.

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٤، وانظر: «الصحاح» ٤/ ١٦٣٢، «اللسان» ١/ ٢٣١ (بدل).

(٤) لعل هذِه الواو زائدة.

جلودًا غير الجلود التي احترقت، ويعدم المحترقة، ولا يلزم (....)[١] كيف جاز أن يعذِّب جلدًا لم يعصه؟ لأن الجلد لا يألم وإنما الألم هو الإنسان، فالجلد وإن بدِّل (...)[٢] والألم واحد. والدليل على أن القصد تعذيب أصحاب الجلود لا الجلود قوله: ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] ولم يقل: لتذوق[٣].

و(غير) على هذا التأويل غير تنافٍ وتضادٍ.

واعتمد أبو بكر[٤] هذا القول فقال: إن الله تعالى يُلبسهم جلودًا تؤلمهم ولا تألم هي في ذاتها، فتكون جلودًا توصل الآلام والأوجاع إلى أرواحهم وقلوبهم من غير أن يلحقها هي شيء من ذلك، كما قال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أراد بالسرابيل القمص، وهي قولهم: ولا تجد ألمًا[٥].

ومنهم من أبعد في التأويل فقال: أراد بالجلود السرابيل في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] سميت السرابيل جلودًا للزومها جلودهم على المجاورة، كما يسمى الشيء الخاص بالإنسان جلدة ما بين عينيه ووجهه[٦]، ومنه قوله:

---

(١) بياض بقدر كلمتين أو ثلاث، ويمكن أن تقدر: [عليه أن يقال] كيف جاز...

(٢) بياض بقدر كلمتين أو ثلاث، ويمكن أن يقدر: [فالإنسان لم يتغير]...

(٣) انظر: «الطبري» ٥/ ١٤٢-١٤٣، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٨، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٤.

(٤) لعله يقصد ابن الأنباري.

(٥) لم أقف عليه، وانظر: الطبري ٥/ ١٤٣.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ١٤٣، والقرطبي ٥/ ٢٥٤، وقد استبعد هذا القول كالمؤلف ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٥٦٤.

وجلدة بين العين والأنف سالم(١)

فالتبديل للسرابيل، كلما احترقت السرابيل أعيدت، وينشد على هذا قول الشاعر:

كسا اللؤم تيمًا خضرة في جلودها فويلٌ لتيمٍ من سرابيلها الخضر(٢)

أراد بالسرابيل جلودهم.

وللسدي في هذا مذهب آخر، هو أنه قال: تبدل الجلود جلودًا غيرها من لحم الكافر، يُعيد الجلد لحمًا ويُخرج من اللحم جلدًا آخر. لا يبدل بجلدٍ لم يعمل بخطيئة(٣).

ومعنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ أي لانت، والنُّضج هو اللين بالحرارة، وهو دون الاحتراق(٤). ولفظ النضج ههنا أبلغ في التعذيب من لفظ الإحراق؛ لأنها إذا احترقت لم تحس بألم، ووقع بين فنائه وإنشاء غيره مهلة؛ إذ الجمع بين المحترق وغير المحترق محال، وفي تلك المهلة ترفيه للكافر، والله تعالى يقول: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢](٥).

---

(١) هذا عجز بيت لعبد الله بن عمر - رضي الله عنهما- وصدره:

يلومونني في سالم وألومهم

ولعله يقصد ابنه سالمًا. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٤.

(٢) البيت لجرير في «ديوانه» ص١٦٢، والكتاب ١/ ٣٣٣، ودون نسبة في «المقتضب» ٣/ ٢٢٠، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٤. والسرابيل جمع سربال وهو القميص كما تقدم عند المؤلف.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٨.

(٤) الظاهر والذي عليه المفسرون أن معنى: (نضجت): احترقت. انظر: الطبري ٥/ ١٤٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٦١، «زاد المسير» ٢/ ١١٣. وعلى ما ذكر المؤلف يلزم بأن يفسر تبديل الجلود بتغيير حالتها، لا تغييرها هي. والله أعلم.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ١٤٣، والقرطبي ٥/ ٢٥٤.

وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾. استعمل لفظ الذوق ههنا مع عظم ما نالوا من شدة العذاب إخبارًا بأن إحساسهم به في كل حال كإحساس الذائق في تجديد الوجدان من غير نقصان في الإحساس، كما يكون في الذي يستمر به الأكل فلا يجد الطعم[(١)].

ويقال: ذاق يذوق ذوقًا ومذاقًا وذواقًا، والذواق والمذاق يكونان مصدرين ويكونان طعمًا، كما تقول: ذواقه ومذاقه طيب[(٢)].

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الذوق يكون بالفم وبغير الفم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي هو قوي لا يغلبه شيء، وهو مع ذلك حكيم فيما دبر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾. أصل الظل الستر من الشمس، والليل يسمى ظلًا لأنه كالستر من الشمس[(٥)]، ومنه:

فـي ظـل أخـضـر يـدعـو هـامـه الـبـومُ[(٦)]

---

(١) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٧٥.

(٢) «العين» ٥/ ٢٠١، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٠٢ (ذوق).

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٠٢ (ذوق).

(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٤٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٢.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٥-٢٢٤٦، «اللسان» ٥/ ٢٧٥٤ (ظلل).

(٦) عجز بيت لذي الرمة في «ديوانه» ص (٥٧٤)، «الأضداد» لابن الأنباري ص (٣٤٨)، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٦ (خضر)، «الصحاح» ٥/ ١٧٥٥، «معجم مقاييس اللغة» ٣/ ٤٦١ (ظلل)، «المفردات» ص (١٥٠)، «شرح العكبري لديوان المتنبي» ٢/ ١٥٣، «اللسان» في أكثر من موضع منها: ٥/ ٢٧٥٤ (ظلل). وصدره: «قد أعسف النازح المجهول معسفه» وفي «الديوان»: «أغضف» بدل «أخضر» في الشطر الثاني. وجاء في «شرحه»: أعسف: أسير على غير هداية، والنازح: البعيد. والمجهول: الذي ليس له علم، أغضف: يعني الليل، وأغضف أي =

ومضى القول في هذا عند قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧].

واختلفوا في معنى الظليل، فقال ابن عباس: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائمًا[١]. ونحو ذلك قال الضحاك[٢]. ومعنى قوله: دائمًا أنَّ الشمس لا تنسخه كما تنسخ ظلال الدنيا[٣]. فهذا قول.

وقال الحسن: ظل ظليل لا يدخله الحر والسمائم[٤]. وهذا اختيار ابن كيسان والزجاج.

قال ابن كيسان: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ من الرياح والحر[٥]، وكم من ظلٍّ لا يكون ظليلًا، ولذلك وصف ظل الجنة بأنه ظليل.

وقال الزجاج: معنى ظليل: يظل من الريح والحر، وليس كل ظل كذلك. أعلم الله ﷻ أن ظل الجنة ظليل لا حر (معه)[٦] ولا برد[٧].

وقال بعضهم: معنى الظليل أنه لا خلل فيه ولا فرجة، والمراد بهذا الظل هو الجنة وهو ظل لا حر فيه ولا برد[٨].

= أسود، والهام: ذكر البوم [وهو نوع من الطيور] انتهى من الديوان بتصرف.

(١) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٩٢ دون نسبة إلى ابن عباس، ولم أقف عليه عنه، وروى ابن أبي حاتم معناه عن الربيع بن أنس، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣١١.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٥.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٨.

(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٩٢، «الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ٢٥٥، «البحر المحيط» ٣/ ٢٧٥، وفيهما: «السموم» بدل «السمائم».

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٨ (ظلل).

(٦) في المخطوط: «معد» والتصويب من «معاني الزجاج».

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٦٦.

(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٦٦، «البحر المحيط» ٣/ ٢٧٥.

وقال مقاتل: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ يعني أكنان القصور لا فرجة فيها[١].

وهذا غير الأول لأنه خص الظل بأكنان القصور.

والظليل ليس بمبني على الفعل حتى يقال: إنه بمعنى فاعل أو مفعول، بل هو مبالغة في نعت الظل، ولم يسمع من الظل تصرف، وهذا كما يقال: رجل رجيل.

٥٨- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ الآية.

أجمعوا على أنها نازلة في شأن مفتاح الكعبة[٢] (..[٣]..) وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طلب المفتاح، فقيل له: إنه مع عثمان بن طلحة الحجبي[٤]، وكان من بني عبد الدار، وكان يلي سدانة الكعبة. فوجه إليه عليًا، فأبى دفعه إليه، وقال: لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه المفتاح. فلوى عليّ يده، وأخذ منه قسرًا، حتى دخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه، فلما خرج قال له العباس: بأبي أنت اجمع لي السّدانة مع السقاية. وسأله أن يعطيه المفتاح. فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله عليًا أن يرده إليه، فرده إليه علي، وألطف له في القول، فقال: أخذته مني قهرًا. ورددته علي باللطف. فقال: لأن الله أمرنا برده عليك، وقرأ عليه الآية، فأتى النبي ﷺ وأسلم[٥].

---

(١) «تفسيره» ١/ ٣٨١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٢.

(٢) انظر: ابن كثير ١/ ٥٦٥. (٣) هنا كلمة غير واضحة.

(٤) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة (عبد الله) العبدري، الحجبي (حاجب البيت) أسلم يوم الحديبية على الصحيح، وشهد الفتح مع النبي ﷺ، وقد سكن المدينة إلى أن مات بها رضي الله عنه سنة ٤٢هـ. انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٥٧٨، «الإصابة» ٢/ ٤٦٠.

(٥) أخرجه الطبري بمعناه ٥/ ١٤٥، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣١٢، كلاهما من طريق ابن جريج، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٩٣، «أسباب =

وهذا قول محمد بن إسحاق[(١)(٢)] وسعيد بن المسيب[(٣)].

وقال أبو روق: قال النبي ﷺ لعثمان: أعطني المفتاح فقال: هاك بأمانة الله، فلما أراد أن يتناوله ضمّ يده، فقال رسول الله ﷺ: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فأعطني المفتاح، فقال: هاك بأمانة الله. فلما أراد أنَّ يتناوله ضمَّ يده، فقال في الثالثة: هاك بأمانة الله. ودفعه إلى النبي ﷺ وقام النبي يطوف ومعه المفتاح، وأراد أن يدفعه إلى العباس.

قال عطاء: فقال رسول الله ﷺ: يا عثمان، هذا المفتاح على أن للعباس معك نصيبًا فأنزل الله هذه الآية، فقال النبي ﷺ لعثمان: هاك خالدةً تالدةً، لا ينزعها عنك إلا ظالم[(٤)].

قال ابن يسار: ثم إن عثمان هاجر ودفع إلى أخيه[(٥)] شيبة[(٦)]، فهو في ولده إلى اليوم[(٧)].

= النزول» ص١٦٢ وأنكره ابن حجر لأن عثمان الحجبي أسلم قبل الفتح. انظر: «الإصابة» ٢/ ٤٦٠.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: ابن كثير ١/ ٥٦٥.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) نحو هذا الأثر ورد من طريق الكلبي عن ابن عباس وهو سند واه، أخرجه ابن مردويه انظر: ابن كثير ١/ ٥٦٥، «الدر المنثور» ٢/ ٣١٢، «لباب النقول» ص٧١، ولم أقف عليه عن أبي روق.

(٥) قد يكون الصواب: ابن عمه كما سيأتي في الترجمة الآتية.

(٦) هو أبو عثمان شيبة بن عثمان (الأوقص) بن أبي طلحة العبدري الحجبي، أسلم يوم الفتح وكان ممن ثبت يوم حنين، وقد ولي الحجابة بعد والده عثمان فاستمرت في ولده، توفي رضي الله عنه سنة ٥٩هـ. انظر: «تاريخ خليفة» ص ٢٢٦، «أسد الغابة» ٢/ ٥٣٤، «الإصابة» ٢/ ١٦١.

(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٣٨، «الإصابة» ٢/ ١٦١.

قال ابن عباس: هذه الآية عامة في كل أمانة، البر والفاجر يؤدِّي الأمانة إلى البر والفاجر، والرحم توصل برةً كانت أو فاجرةً[(١)].

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية يوم فتح مكة، ثم صارت عامة للناس[(٢)].

وقال ابن عمر[(٣)]: أول ما خلق اللهُ من الإنسان فرجه، ثم قال: هذه أمانة خبأتها عندك، فلا تسأل منها شيئًا إلا بحقها، فالفرج أمانة (والبصر)[(٤)] أمانة، واللسان أمانة، والقلب أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له[(٥)].

وقال ابن مسعود: إنَّ الأمانة في كل شيء؛ في الوضوء، والصلاة، والزكاة، والجنابة، والصوم، وفي الكيل والوزن، وأعظم من ذلك الودائع[(٦)].

فالخطاب بأداء الأمانات إلى أهلها متوجهٌ على كل مؤتمن على شيء في قول ابن عباس، والكلبي، وأبي بن كعب، والحسن وقتادة[(٧)].

وقال عبد الرحمن بن زيد: الخطاب بأداء الأمانات لولاة الأمر[(٨)].

---

(١) ذكره بمعناه ابن كثير ١/ ٥٦٥، وأخرج البيهقي نحوه عن ميمون بن مهران، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣١٤.

(٢) لم أقف عليه، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٢.

(٣) لعله ابن عمرو كما في «مسند الفردوس» ١/ ١٣.

(٤) في «مسند الفردوس»: «والسمع».

(٥) أخرجه في «مسند الفردوس» ١/ ١٣ بنحوه.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١١٤، وانظر القرطبي ٥/ ٢٥٦.

(٧) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٠٠، «زاد المسير» ٢/ ١١٤، والقرطبي ٥/ ٢٥٦.

(٨) أخرجه الطبري ٥/ ١٤٥-١٤٦، عن ابن زيد عن أبيه وانظر «زاد المسير» ٢/ ١١٤.

وقال ابن جريج: هذه الآية في رد مفاتيح الكعبة إلى عثمان[(١)].

والصحيح ما عليه الجمهور، أنها عامة في جميع الأمانات[(٢)]، فمن كانت عنده أمانة فعليه تأديتها إذا طالبه صاحبها. وليس عليه مؤونة نقلها إلى صاحبها؛ لأن الله تعالى لم يوجب عليه سوى التأدية.

والأمانة مصدر سمي به المفعول، ولذلك جُمع لأنه أخلص اسمًا[(٣)]، قال الشاعر:

فأخلفن ميعادي وخن أمانتي وليس لمن خان الأمانة دينُ[(٤)]

يريد ما أمنهن عليهن.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[(٥)]. الكناية في (به) تعود إلى ما في (نعما) وهو اسم بمنزلة: نعم شيئًا يعظكم به، أو وعظًا يعظكم به. وذكرنا وجوه القراءات في (نعما) في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. أي هو سميع لما تقولون في الأمانة والحكم، بصير بما تعملون فيها[(٦)]، فيكون بصير ههنا بمعنى: عليم، ويجوز أن يكون بمعنى راءٍ ذلك.

وذكر فرق لطيف بين السامع والسميع، فقيل: لفظ السامع يدل على وجود المسموع؛ لأنه فاعل من قولك: سمعتُ كلام فلان فأنا سامعٌ له. ومعنى سميع أنه إذا وجد المسموع سمعه. وكذلك الفرق بين مُبصر وبصير.

---

(١) تقدم الأثر عنه.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٤٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ٦٦، و«بحر العلوم» ١/ ٣٦٢، و«أحكام القرآن» للهراسي ٢/ ٤٧١، والقرطبي ٥/ ٢٥٦.

(٣) انظر: القرطبي ٥/ ٢٥٦.

(٤) نسب إلى كثير عزة في «العقد الفريد» ٦/ ١٨٤، ينظر: «ديوانه» ص٢٣٠، و«الأغاني» ٥/ ١٠٨.

(٥) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٧٧.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ١٤٦.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

اختلف الرواية عن ابن عباس في تفسير أولي الأمر، فقال في رواية عطاء: يريد الولاة من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان[١].

وقال في رواية الوالبي: هم الفقهاء والعلماء، أهل الدين الذين يعلِّمون الناس معالم دينهم أوجب الله طاعتهم[٢]. وهذا قول مجاهد[٣] والحسن[٤] والضحاك[٥].

وقال في رواية سعيد بن جبير: نزلت في عبد الله بن حذافة[٦] [بن قيس بن عدي][٧]، بعثه النبي ﷺ في السرية[٨].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤١. وقد أخرج الخطيب البغدادي في كتاب «الفقيه والمتفقه» ص ٢٧ من رواية عطاء عن ابن عباس قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ قال: «العلماء حيث كانوا وأين كانوا».

(٢) «تفسير ابن عباس» ص ١٥١، وأخرجه الطبري ٥/ ١٤٩، لكنه فيهما بلفظ «يعني أهل الفقه في الدين».

(٣) في «تفسيره» ١/ ١٦٢، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٦٦، والطبري ٥/ ١٤٩ والخطيب في الفقيه والمتفقه ص (٢٧، ٢٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٦٦، والطبري ٥/ ١٤٩، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» ص ٢٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٧.

(٥) أورده السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٧.

(٦) هو أبو حذافة أو أبو حذيفة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي القرشي السهمي من قدماء المهاجرين ومن المهاجرين، وقد ثبت أمام فتنة ملك الروم لما أسر وصار سببًا في فكاك أسارى المسلمين، توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان. انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٢١١، «الإصابة» ٢/ ٢٩٦، «التقريب» ص ٣٠٠ رقم (٣٢٧٢).

(٧) بياض في (ش) والتسديد من البخاري ٨/ ٢٥٣، «أسباب النزول» للمؤلف ص١٦٣.

(٨) أخرجه البخاري (٤٥٨٤) كتاب «التفسير» سورة النساء، باب: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ ومسلم (١٨٣٤) كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، والطبري ٥/ ١٤٨، والمؤلف في «أسباب النزول» ص ١٦٣-١٦٤.

وفي رواية باذان عن ابن عباس: أنها نزلت في خالد بن الوليد[١]، بعثه رسول الله ﷺ أميرًا على سرية، وفيها عمار بن ياسر[٢]، فجرى بينهما اختلاف في شيء، فنزلت هذه الآية، وأمر بطاعة أولي الأمر[٣].

وقال الكلبي ومقاتل والسدي: أولو الأمر أمراء السرايا[٤].

وقال ابن زيد: هم الأمراء والسلاطين، أمروا بأداء الأمانة بقوله: بحسن الطاعة لهم[٥].

---

(١) هو أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو القرشي المخزومي، سيف الله، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ومقدما في الحروب، أسلم سنة سبع وشهد الفتح وحنين والفتوحات وطلب الشهادة لكنه توفي رضي الله عنه على فراشه سنة ٢١هـ. انظر: «أسد الغابة» ٢/ ١٠٩، «الإصابة» ١/ ٤١٣.

(٢) هو أبو اليقظان عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم، من السابقين هو وأبوه وأمه إلى الإسلام وكانوا يعذبون فيحثهم النبي ﷺ على الصبر، من المهاجرين وشهد المشاهد، وقد قتلته الفئة الباغية كما أخبر النبي ﷺ يوم صفين سنة ٨٧هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص (٤٣)، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٤٠٦، «الإصابة» ٢/ ٥١٢.

(٣) أخرجه ابن مردويه كما ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٢٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٦.

(٤) قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٣٨٣. وعن الكلبي انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٣، «زاد المسير» ٢/ ١١٦، والقرطبي ٥/ ٢٦٠. أما عن السدي فقد أخرج الأثر المتقدم عن ابن عباس عنه مرسلًا. الطبري ٥/ ١٤٨، وابن أبي حاتم. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٦٦-٥٦٧، «الدر المنثور» ٢/ ٣١٤.

(٥) أخرج ابن جرير الطبري ٥/ ١٤٨ بسنده عن ابن زيد قال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ قال: قال أبي: هم السلاطين. قال: وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ «قال أبي: قال رسول الله ﷺ: الطاعة الطاعة، وفي الطاعة بلاء...» الحديث.

هذا ما وجدته عن ابن زيد، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٦.

ولهذا قال علي ﷺ: حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا[١].

وقال الزجاج: وجملة أولي الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى إلى صلاحهم[٢].

قال العلماء: طاعة السلطان عن الكتاب والسنة فلا طاعة له، وإنما تجب طاعتهم فيما وافق الحق[٣].

وروي أن مسلمة بن عبد الملك[٤] قال لأبي حازم[٥]: ألستم أمرتم بطاعتنا حيث قيل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾؟ فقال أبو

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣١٧، وذكره في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٦٧.

(٣) هكذا جاءت هذه العبارة في (ش) ولعل في الكلام سقطا بعد كلمة السلطان، كما هو ظاهر. والصواب: طاعة السلطان [واجبة بالمعروف، فإن خرج أمره] عن الكتاب والسنة.. وانظر: نحو هذا الكلام في الطبري ٥/ ١٥٠، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٣، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٠، «الدر المنثور» ٢/ ٣١٦-٣١٧.

(٤) هو أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من أمراء بني أمية وقادتهم وكان شجاعًا من أبطال عصره، وله فتوحات كثيرة، كان أهلًا للخلافة ولم يتمكن منها. توفي رحمه الله سنة ١٢٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٤١، «التقريب» ص (٥٣١) رقم (٦٦٦٠)، «الأعلام» ٧/ ٢٢٤.

(٥) لعله سلمة بن دينار الأعرج التَّمار المدني المخزومي القاص الواعظ العابد الزاهد، من علماء التابعين وفضلائهم، وله كلمات مأثورة في الوعظ والحكمة، وهو ثقة أخرج حديثه الجماعة. مات في خلافة المنصور رحمه الله. انظر: «تاريخ الثقات» ١/ ٤٢٠، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٩٦، «التقريب» ص (٢٤٧) رقم (٢٤٨٩).

حازم: أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؟[١].

قالوا: والإمام الأعظم الذي تجب طاعته على الرعية يجب أن يكون مستجمعًا لأوصاف أربعة: **أحدها**: العلم.

والثاني: الأمانة.

والثالث: الكفاية.

والرابع: النسب، وهو أن يكون قرشي النسب[٢].

والإمام في الدين الذي يقتدى به ويجب قبول قوله، على ما قاله مجاهد والحسن والضحاك كان أولي[٣] الأمر هم الفقهاء يجب أن يكون جامعًا لخلال؛ وهي العلم بكلام العرب، والعلم بكتاب الله، والعلم بسنة رسول الله ﷺ والعلم بأقاويل السلف، والعلم بالقياس، والورع في الدين.

وأولو الأمر معناه: ذوو الأمر، وواحده (ذو) على غير قياس كالنساء والإبل والخيل، اسم للجمع لا واحد له من لفظه[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾. قال الزجاج: أي اختلفتم وتجادلتم، وقال كل فريق: القول قولي. قال: واشتقاق المنازعة من انتزاع الحجة، وهو أن كل واحد منهما ينتزع الحجة[٥].

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي ص ٦، «الأحكام السلطانية» للقاضي الفراء الحنبلي ص ٢٠.

(٣) هكذا في المخطوط، والصواب «أولو».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٣٠، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠١، القرطبي ٥/ ٢٦١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٦٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٧.

وقال غيره: أصل المنازعة والتنازع في الخصومات من النزع الذي هو الجذب. والمنازعة في الخصومة مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. قال ابن عباس في رواية باذان، حيث قال: إن هذه الآية نزلت في خالد بن الوليد وعمار بن ياسر، وقد حكينا ذلك، فقال في هذه الرواية في قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ (وأمراؤكم)[(٢)] فردوا الأمر إلى الرسول، وهو بين أظهركم، فما أمركم به الرسول فافعلوا[(٣)].

وقال المفسرون: معنى الآية قول[(٤)] مجاهد والكلبي وقتادة والسدي وميمون بن مهران[(٥)(٦)]. قال سعيد بن جبير: ما بيَّن الله في الكتاب فذلك أمر الله وقضاؤه، والسنة ما سن النبي في الدين مما لم ينزل به كتاب، يقال: كتاب الله وسنة نبيه[(٧)].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٢، والقرطبي ٥/ ٢٦١.
(٢) كأن هذِه الكلمة في المخطوط: «وأمر لكم»، وما أثبته هو الموافق للوسيط ٢/ ٦٠١.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) يبدو أن في الكلام سقطًا، ويحتمل: «معنى الآية على قول مجاهد...».
وقد ساق المؤلف أقوالهم بعد ذلك.
(٥) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري الكوفي الأسدي بالولاء، من ثقات التابعين وكان فقيهًا فاضلًا دينًا، ولد سنة ٤٠هـ، وولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ومات رحمه الله سنة ١١٧هـ وقيل بعدها. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص ١١٧، «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٧١، «التقريب» ص ٥٥٦ رقم، (٧٠٤٩).
(٦) انظر في ذلك: الطبري ٥/ ١٥١، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٠، «زاد المسير» ٢/ ١١٧، وابن كثير ١/ ٥٦٨، «الدر المنثور» ٢/ ٣١٥.
(٧) لم أقف عليه.

وقال قتادة: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى كتاب الله ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ إلى سنة الرسول[(١)].

وقال ميمون بن مهران: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى كتابه وإلى ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ ما دام حيًا، فإذا قُبض فإلى سنته[(٢)].

وقال ابن مسلم[(٣)]: ردُّه إلى الله أنْ يرده إلى كتابه، ورده إلى الرسول أن يرده إلى سنته[(٤)].

قال علماء الأمة: هذه الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب متابعة السنة والحكم بالأخبار الواردة عن النبي ﷺ لا يعتقد الإيمان بالله ورسوله؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩][(٥)].

والمفسرون أجمعوا على أن رد المختلف فيه إلى الله والرسول رده إلى الكتاب والسنة[(٦)].

ولهذا كان علماء السلف يجعلون ما بين النبي ﷺ في سنته وما فعله خلفاؤه بعده مما لم ينكروا عليهم كالمنطوق به في القرآن؛ لأن الله أوجب طاعة الرسول كما أوجب طاعته، فمن أخذ بقول الرسول كان كالآخذ بما

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ١٥١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٧.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٥١، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣١٥.

(٣) يعني ابن قتيبة.

(٤) «غريب القرآن» ص١٢٧.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٦٨، وابن كثير ١/ ٥٦٨.

(٦) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١/ ٢٩، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٦٧، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٧، والطبري ٨/ ١٥٠-١٥١، «معاني الزجاج» ٢/ ٦٨، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٣، «الماوردي» ١/ ٥٠٠.

نص عليه الله تعالى في القرآن، ألا ترى أن ابن مسعود قال: إن الله تعالى لعن في كتابه المرأة التي تصلُ شعرها بشعر غيرها. فقال بعض من سمع ذلك منه بعد زمان: لقد تدبرت الكتاب فلم أجد لعنها في موضع من الكتاب. فقال: أما قرأت قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] الآية، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»(١).

ومثل هذا ما روي عن عكرمة أنه قال: أمهات الأولاد أحرار بالقرآن. قيل: أي القرآن؟ قال: أعتقهن عمر بن الخطاب. ألم تسمع قول الله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وإن عمر من أولي الأمر، وإن عمر قال: أعتقها ولدها وإن كان سقطًا(٢).

فجعل ما حكم به عمر كما حكم به الكتاب.

وردُّ المختلف فيه إلى الكتاب والسنة إنما يجب إذا كان الاختلاف قائمًا. فأما إذا وقع عليه إجماع الصحابة، أو إجماعُ يؤثر في رفع الخلاف فذلك حق، ولا نحتاج بعد ذلك إلى نظر في الكتاب والسنة؛ لأن ذلك الإجماع مستند إلى الكتاب والسنة(٣).

قال أبو إسحاق: ويحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي قولوا فيما لم تعلموه: الله ورسوله أعلم(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦) كتاب التفسير سورة الحشر باب: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، ومسلم بنحوه (٢١٢٥) كتاب اللباس- باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، وغيرهما.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، انظر: «الدر المنثور» ٢/٣١٦.

(٣) انظر: «الرسالة» للإمام الشافعي ص ٣٢٢، ٤٧٠، ٤٧٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/٦٨، وانظر: القرطبي ٥/٢٦١.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. أي ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. التأويل تفعيل من آل يؤول إذا رجع وعاد. وقال أبو عبيد: التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا، أي: صار إليه، وأولته صيرته إليه[٢].

وقال ابن المظفر: التأول والتأويل: تفسير الكلام الذي يختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه. وأنشد:

نحنُ ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله[٣]

وسئل أحمد بن يحيى عن التأويل، فقال: التأويل والتفسير المعنى واحد[٤].

قال الأزهري: اشتقاق التأويل من ألت الشيء أؤوله: إذا جمعته وأصلحته. فكأن التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا إشكال فيه. تقول العرب: أوَّل الله عليك أمرك. أي: جمعه. وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك[٥].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٥١، «معاني الزجاج» ٢/ ٦٨.

(٢) من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٣.

(٣) «العين» ٨/ ٣٦٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٣، وانظر: «اللسان» ١/ ١٧٢ (أول).
والبيت من الرجز، وهو لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وقد قال بعده:
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
«أساس البلاغة» ١/ ٢٥ (أول).

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٢، وانظر: «اللسان» ١/ ١٧٢ (أول).

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٢ (أول)، وانظر: «اللسان» ١/ ١٧٢ (أول)، والقرطبي ٥/ ٢٦٣.

هذا كلام أهل اللغة في معنى التأويل. وقول المفسرين غير خارج عن معاني قول أهل اللغة.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: يريد أصدق تفسيرا[١].

وقال قتادة والسدي وابن زيد: وأحمد عاقبة[٢].

وهذا على قول من يجعل التأويل مشتقًّا من الأَوْل بمعنى الرجوع. والعاقبة تسمى تأويلًا؛ لأنها مآل، بمنزلة ما تفرقت عنه الأشياء ثم رجعت إليه، يقال: إلى هذا مآل هذا الأمر: أي عاقبته[٣].

وهذا القول اختيار الزجاج[٤] وابن قتيبة[٥]. قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: وأحسن من تأولكم أنتم، دون ردكم إياه إلى الكتاب والسنة[٦].

وذكرنا طرفًا من الكلام في معنى التأويل في أول سورة آل عمران.

٦٠- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية. الزَّعم والزُّعم لغتان. وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول فيما لا يتحقق[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرج ذلك عنهم الطبري ٥/ ١٥٢، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٠٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٣، والبغوي ٢/ ٢٤٢، وابن كثير ١/ ٥٦٩، «الدر المنثور» ٢/ ٣١٨.

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» ١/ ١٦٢، «أساس البلاغة» ص ١/ ٢٥ (أول).

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٦٨.

(٥) انظر: «غريب القرآن» ص١٢٧.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٦٨.

(٧) انظر: «العين» ١/ ٣٦٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٤ (زعم)، «زاد المسير» ٢/ ١٢٠.

قال ابن المظفر: أهل العربية يقولون: زعم فلان. إذا (شك فيه)[١] فلم يدر لعله كذب أو باطل، وكذلك تفسير قوله: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٦] أي بقولهم الكذب[٢].

قال شمر: روي عن الأصمعي أنه قال: الزعم الكذب وأنشد للكميت:

إذا الإكام اكتست مآليها وكان زعم اللوامع الكذب[٣]

يريد السراب. قال شمر: والعرب تقول: أكذب من يلمع[٤].

وقال شريح: زعموا كنية الكذب[٥]. قال[٦] شمر: الزَّعم والتزاعم أكثر ما يقال فيما يشك فيه ولا يحقق[٧].

أبو عبيد عن الأصمعي: الزعوم من الغنم التي لا يُدرى أبها شحم أم لا[٨]. ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الزعم القول يكون حقًا ويكون باطلًا[٩].

وأنشد في الزعم الذي هو حق يذكر نوحًا:

نودي قم واركبن بأهلك إن الله موف للنَّاس ما زعما[١٠]

---

(١) في «العين» ١/ ٣٦٤ (زعم): «شك في قوله».

(٢) «العين» ١/ ٣٦٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٢ (زعم).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣، «اللسان» ٣/ ١٨٣٤ (زعم).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٨٣٦ (زعم).

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣ (زعم).

(٦) في (ش): قاله، ولعله تصحيف، انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣ (زعم).

(٧) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٨٣٦ (زعم).

(٨) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣ (زعم).

(٩) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٢ (زعم).

(١٠) البيت للجعدي. «ديوانه» ١٣٦. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣، «اللسان» ٣/ ١٨٣٥ (زعم)، «خزانة الأدب» ٩/ ١٣٣، «الجمهرة» ٢/ ٨١٦.

وهذا بمعنى التحقيق[(١)].

والذي في هذه الآية المراد به الكذب؛ لأن الآية نزلت في المنافقين.

قال الكلبي وغيره من المفسرين[(٢)]: نازع رجل من المنافقين رجلًا من اليهود، فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم، وقال المنافق: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وهو الذي يسمى الطاغوت. فأبى اليهودي أنْ يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ، وصار إليه، فحكم لليهودي على المنافق، فقال المنافق: لا أرضى، انطلق بنا إلى أبي بكر، فحكم أبو بكر لليهودي، فلم يرض المنافق، وقال: بيني وبينك عمر، فصارا إلى عمر، فأخبره اليهودي أنَّ المنافق قد حكم عليه النبي ﷺ وأبو بكر، فلم يرض بحكمهما، فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: اصبرا، إن لي حاجة أدخل فأقضيها وأخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج إليهما، فضرب به المنافق حتى برد، وهرب اليهودي. فجاء أهل المنافق، فشكا عمر إلى النبي ﷺ، فسأل عمر عن قصته، فقال عمر: إنه رد حكمك يا رسول الله. فقال ﷺ: أنت الفاروق[(٣)].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٣ (زعم).

(٢) كابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس. انظر الطبري ٥/ ١٥٤-١٥٥، والكلبي في هذا الأثر يروي عن أبي صالح عن ابن عباس وهو سند واه. وانظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص١٦٦.

(٣) ذكره الزجاج في «معانيه» ٢/ ٦٩» بصيغة التمريض، يُروى، بلفظ المؤلف وأخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨١ أ، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وكذلك المؤلف في «أسباب النزول» ص١٦٦، وهذا الطريق من الأسانيد الواهية كما هو مشتهر، وانظر: «تفسير القرطبي» ٥/ ٢٦٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٠. وأخرجه بنحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود، =

وروي أن عمر لما قتل المنافق أتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: إنَّ الفاروق فرق بين الحق والباطل فدعا رسول الله ﷺ عمر وقال: أنت الفاروق(١).

وقال ابن عباس في رواية عطاء: الطاغوت ههنا حيي بن أخطب(٢).

وقال السدي: الطاغوت ههنا كاهن يقال له أبو بردة هلال بن عويمر(٣)، وذلك أنه وقعت خصومة في دم بين أناس من قريظة والنضير، كانوا قد آمنوا ونافق بعضهم، واختصموا إلى النبي ﷺ، ولم يرضوا بحكمه، وقالوا: حتى يحكم بيننا أو بردة الكاهن، ونزلت الآية في شأنهم(٤).

وسنذكر هذه القصة عند قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ الآية [المائدة: ٤٥]، وعند قوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] إن شاء الله.

= وسنده ضعيف. انظر: «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» ص ٤٥، «لباب النقول» ص ٧٣.

(١) «الكشف والبيان» (٤/ ٨١/ب)، وانظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص٦٦٦.

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» ٢/ ١١١ مرويًا عن ابن عباس، وذكره بغير نسبة الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٩٦ (طغا)، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ أ. وقد أخرج الطبري من رواية عطية العوفي عن ابن عباس أن الطاغوت هنا هو كعب بن الأشرف. «تفسير الطبري» ٥/ ١٥٤، وأخرجه ابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٠.

(٣) هو أبو بردة الأسلمي، دعاه النبي ﷺ فأبى، ثم كلمه أبناؤه في ذلك فأجاب، وكان كاهنًا يقضي بين اليهود. انظر: «الإصابة» ٤/ ١٩.

(٤) ذكر الكلام عن السدي بطوله الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨١ ب، ٨٢ أ، وأشار إليه ابن الجوزي ونسبه لابن عباس من طريق عكرمة. انظر: «زاد المسير» ٢/ ١١٩.

والطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة. ومضى الكلام فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم[١]. ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ قال: يريد ضلالًا لا يرجعون عنه إلى محبة الله أبدًا، وهو النفاق[٢].

وجملة معنى الآية تعجيب النبي ﷺ من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت، مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله وما أنزل إليه، تفحيشًا لفعله، وتحذيرًا من مثل حاله.

٦١- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يريد في القرآن من الحكم[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾. أي يعرضون عنك إلى غيرك.

وذكر المصدر للتأكيد وبيان وقوع الصدود على الحقيقة، كما قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أي ليس ذلك على بيان كالكلام، بل كلمه في الحقيقة[٤].

قال أهل العلم: وإنما صد المنافقون عن حكم رسول الله، لأنهم

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٢) لم أقف عليه، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٢٠، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٠٤، دون نسبة إلى ابن عباس، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٤) من «الكشف والبيان» (٤/ ٨٢ أ، ب بتصرف، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٤، والقرطبي ٥/ ٢٦٤.

كانوا ظالمين وعلموا أنه لا يأخذ الرشا[١] على الحكم، وأنه يحكم بمرِّ الحق[٢]. وقيل: لعداوتهم للدين[٣].

٦٢- قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية في تأويل هذه ووجه نظمها طريقان: **أحدهما**: أن المراد بالمصيبة ههنا نقمة من الله تنالهم عقوبة لهم بصدودهم.

وفي الكلام إضمار واختصار، معناه: فكيف يصنعون ويحتالون إذا أصابتهم مصيبةٌ مجازاةً لهم على ما صنعوا. ويتم الكلام عند قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثم عطف قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ على معنى ما تقدم، لا على ظاهر اللفظ. وقد بينا في مواضع أنه يجوز العطف على ما يمكن في المعنى كقوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٨٦]، وقد سبقت الآيتان بما فيهما من القول.

والتقدير في هذه الآية: أنه لما أخبر عنهم بالتحاكم إلى الطاغوت، (وصدُّوا عنك صدودًا) ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ وذلك أن المنافقين أتوا نبي الله ﷺ وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة إلا توفيقًا بين الخصوم، أي جمعًا وتأليفًا وإحسانًا بالتقريب في الحكم، دون الحمل على مرِّ الحق. وكل ذلك كذب منهم وإفك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] أي من الكذب والخيانة.

---

(١) جمع رشوة، وجاءت في المخطوط هكذا بالممدودة، والصواب «الرشى» بالمقصورة. انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٥٣ (رشا).

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٥٥، «النكت والعيون» ١/ ٥٠١-٥٠٢.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٢١، «التفسير الكبير» للرازي ١٠/ ١٥٨.

وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ كلام معترض. وقد يفعل ذلك العرب، يدخلون بين كلام متصل فصلًا يقرب منه في المعنى، وليس هو إياه، وهو كثير في الشعر، من ذلك قول الشاعر:

وقد أدركتني والحوادث جمة ... أسنة قوم لا ضعافٍ ولا عزل[(١)]

أراد: أدركتني أسنة قوم، فأدخل بينهما جملة معترضة، وهي من قبيل معنى كلامه؛ لأن إدراك الأسنة إياه من جملة الحوادث.

ويسمي الرواة مثل هذا التفاتًا. وهذه طريقة صحيحة[(٢)].

الثاني: أن المراد بالمصيبة التي أصابتهم قتل عمر صاحبهم الذي أظهر أنه لا يرضى بحكم رسول الله ﷺ. ومعنى قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ هو أنهم طالبوا عمر بدم صاحبهم، وحلفوا: ما أردنا (بهذه)[(٣)] المطالبة إلا إحسانًا وطلبًا لما يوافق الحق.

وهذا المعنى الثاني اختيار أبي إسحاق[(٤)].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٥٧٥، و«الخصائص» ١/ ٣٣١، و«المحكم» و«اللسان» (فشل)، و«سر الصناعة» ١/ ١٤٠، و«مغني اللبيب» ٢/ ٣٨٧، ونسبه في «الدرر اللوامع» ٤/ ٢٥ لجويرية بن زيد ولرجل من بني عبد الدار في «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٠٧.

(٢) الظاهر أن هذا الكلام من كتاب «نظم القرآن» وهو مفقود ويؤكد هذا كلام المؤلف، وانظر: «تفسير الطبري» ٥/١٥٦، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ ب، «زاد المسير» ٢/ ١٢٠، «التفسير الكبير» للرازي ١٠/ ١٥٨، والقرطبي ٥/ ٢٦٤.

(٣) كلمة غير واضحة، ولا يبعد ما أثبته.

(٤) الزجاج في «معانيه» ٢/ ٦٩، وقد أشار إليه بإيجاز. وانظر: «الكشف والبيان» ٨٢/ ب، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٢، «زاد المسير» ٢/ ١٢١، «الرازي» ١٠/ ١٥٨.

وقيل: معناه ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحسانًا وتوفيقًا[(١)]. فيكون هذا كما ذكرنا في الوجه الأول.

ونظم الآية على هذا المعنى أن قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ فصل منسوق على ما قبله من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ و﴿أَلَمْ تَـرَ﴾ معناه ههنا تعجيب، و(كيف) أيضًا استفهام معناه التعجيب، كما تقول في الكلام: كيف رأيت فلانًا فعل كذا وكذا، إذا أردت أن تعجب المخاطب من فعله. والله تعالى عجب نبيه مما قد هم المنافقون[(٢)] من التحاكم إلى الطاغوت، ثم نسق عليه خبرًا آخر عجبه مما كان منهم عند قتل صاحبهم، وتهتك أستارهم بظهور نفاقهم.

والتقدير: ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك كَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بالله إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا. إلا أن الفاء دخلت في أول (كيف) لأنه نسق على ما قبله ومعطوف. وكذلك دخلت ثم في قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ للنسق. وهذا الوجه ذكره الحسن بن يحيى الجرجاني[(٣)].

والطريقة الأولى أعجب إلي وأقوى في نفسي؛ لأنه ليس يظهر وجه دخول الفاء في (فكيف) ودخول ثم في قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ على ما ذكره صاحب النظم، وعلى ما ذكره المتعجب منه مجيئهم حالفين، ولا يحسن

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ ب، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٠٢، «زاد المسير» ٢/ ١٢١.

(٢) هكذا جاءت هذه العبارة. والمراد: مما قد همّ به المنافقون. وقد تكون «به» ساقطة من النسخ.

(٣) صاحب كتاب «نظم القرآن».

دخول ثم على المتعجب منه إذا لم يكن قبله ما ينسق عليه، كقولك: كيف رأيت زيدًا ثم ضربك. إلا أنه قد لاح لي أن قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ منسوق على المتعجب منه في قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ ويكون ﴿جَآءُوكَ﴾ بمعنى: يجيئونك. ومثله في الكلام: ألم تر إلى زيد يهجوك ويشتمك فكيف إذا نزلت به نازلة ثم يأتيك؟ فيصح هذا الكلام على تقديم وتأخير كأنك قلت: يهجوك ويشتمك ثم إذا نزلت به نازلة فكيف ذلك. كذلك تقدير الآية: ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، ويصدون عنك صدودًا، ثم يجيئونك يحلفون بالله ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا، إذا أصابتهم مصيبة فكيف؟ أي فكيف ذلك.

والتقديم والتأخير كثير في الكلام، وكل هذا من مذاهب العرب وافتنانهم في مخاطباتهم، وإيقاع الماضي موقع المستقبل كثير في كلامهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ﴾ [الروم: ٥١]. قال الخليل: معناه ليظلن. فأوقع الماضي موقع المستقبل[(١)]، ومنه قول الحطيئة[(٢)]:

شهد الحطيئة عند يلقى ربه   أن الوليد أحقُّ بالعذر[(٣)]

(١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨.

(٢) هو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، تقدمت ترجمته.

(٣) «ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني» ص ٢٣٣، وجاء في شرحه أن المراد بالوليد هو الوليد بن عقبة بن معيط وذلك أنه لما كان واليًا على العراق شرب الخمر فصلى بالناس الغداة فلما فرغ قال: أأزيدكم، فعلم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بذلك فضربه الحد.

أي يشهد(١). فهذا ما يحضرني في هذه الآية.

٦٣- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الآية.

قال أبو إسحاق: الله ﷻ يعلم ما في قلوب أولئك وقلوب غيرهم، إلا أن تخصيصهم بالذكر هنا يفيد أن المعنى أولئك الذين قد علم الله أنهم منافقون، فكأنه قيل لنا: اعلموا أنهم منافقون(٢).

وقال غيره: معنى قوله: ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي لا يُغني عنهم كتمان ما يضمرونه، ولا يدفع عنهم شيئًا من العقاب؛ لأن الله تعالى يعلم ما في قلوبهم(٣).

فهذا كلام أهل المعاني، وقد عُلم النظم وظهرت الفائدة من غير إضمار.

وأما أهل التفسير فقال الحسن ومقاتل: أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من الشرك والنفاق(٤).

وقال عطاء: كذبهم الله تعالى بهذه الآية. يريد أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم(٥).

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٥، و«تفسير القرطبي» ٥/ ٢٦٥.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٠٢، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٥٨.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٣٨٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ ب، ولم أقف عليه عن الحسن.

(٥) ذكر ابن الجوزي معناه عن ابن عباس في «زاد المسير» ٢/ ١٢٢، ولم أقف عليه عن عطاء.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد: فاصفح عنهم. قال: وهذا منسوخ يعني بآية السيف[(١)].

وقال بعض أصحاب المعاني: معناه فأعرض عن قبول الاعتذار منهم[(٢)].

وقال مقاتل: معنى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعاقبهم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد ذكرهم[(٤)].

وقال مقاتل: وعظهم بلسانك[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يقال: قول بليغ، وقد بلغ القول بلاغةً، أي صار بليغًا وجيدًا وكذلك: بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ، إذا كان يبلغ بعبارة [لسانه كنه ما في قلبه][(٦)]، ويقال: أحمق بلغٌ

---

(١) ذكر نحو ذلك غير منسوب لابن عباس كثير من المفسرين، وبعضهم ينسب القول بالنسخ إلى مقاتل.
انظر: الطبري ٥/ ١٥٦، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ ب، «الوسيط» ٢/ ٦٠٥، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤، «زاد المسير» ٢/ ١٢٢.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٠٣، والبغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤، والقرطبي ٥/ ٢٦٥، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٥٨.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٢ ب، «زاد المسير» ٢/ ١٢٢.

(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٠٥، بلفظ: «خوفهم بالله». وذكره بنحو ما في «الوسيط» البغوي غير منسوب لأحد. انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤.

(٥) «تفسيره» ١/ ٣٨٥، وذكره في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٥، والبغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٢٢.

(٦) بياض في (ش) بقدر أربع كلمات تقريبًا، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ٧٠ لأنه نقل الكلام منه. وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٤٣٠، «زاد المسير» ٢/ ١٢٢، والقرطبي ٢/ ٢٦٥.

وبلغٌ[١]، ومعناه أنه يبلغ مع حمقه حاجته.

وقيل: إنه الذي (بلغ النهاية في الحماقة)[٢].

وأما التفسير فقال ابن عباس: يريد خوفهم بالله[٣].

وقال الحسن: أي قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق (قتلتم)[٤]: فهذا القول البليغ؛ لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ[٥].

وقال الزجاج: أعلمهم إن ظهر منهم رد لحكمك وكفر، فالقتل حقهم[٦].

وقال بعضهم: أي قل لهم في أنفسهم من الغيب بما أطلعك الله عليه من غشهم قولًا بليغًا، شديدًا باللسان، يعني: فازجرهم عما هم عليه بأبلغ الزجر، كي لا (يستمروا)[٧] الكفر، وعظهم كي لا يغتروا بطول الإمهال[٨].

---

(١) يحتمل أن تكون «بلغ ملغ» بالميم أي خبيث. انظر: «الصحاح» ٤/ ١٣١٦ (بلغ).

(٢) ما بين القوسين غير واضح. ويبدو أن ذلك بسبب الرطوبة التي تصيب المخطوطات مع الزمن. وقد استوضحته وأثبته بالرجوع إلى «معاني الزجاج» ٢/ ٧٠، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٠، وانظر القرطبي ٥/ ٢٦٥.

(٣) تقدم الكلام على أثر عن ابن عباس نحوه.

(٤) هذه الكلمة في المخطوط: «قتلتكم»، وكذا عند القرطبي ٥/ ٢٦٥، وعند الماوردي: «قتلكم»، وما أثبته هو الموافق «للوسيط» للمؤلف ٢/ ٦٠٥، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٠٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٠٥، لكن محققه اعتبر كلام الحسن إلى قوله: «قتلتم»، ولا أراه صوابًا.
وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤، والقرطبي ٥/ ٢٦٥، «البحر المحيط» ٣/ ٢٨١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠.

(٧) كأن هذه الكلمة: «يستيسروا».

(٨) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٠٣، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٥٩، «البحر المحيط» ٣/ ٢٨١.

والأظهر أن قوله: (﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ حقه)[1] التأخير؛ لأن المعنى: قولًا بليغًا في أنفسهم[2].

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية. (من) دخلت مؤكدة، المعنى: وما أرسلنا رسولًا. قاله الزجاج[3].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ الذي اقتضى ذكر طاعة الرسول ههنا إعراض المنافقين ،لذين تحاكموا إلى الطاغوت.

ومعنى: ﴿لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ قال الكلبي: بأمر الله[4].

يعني أن طاعة الرسول وجب[5] بأمر الله الذي دل على وجوب طاعته. ونحو هذا قال الزجاج، أي إلا ليطاع؛ لأن الله قد أذن في ذلك وأمر[6].

وقال مجاهد: يطيعهم من شاء الله، ولا يطيعهم أحد إلا بإذن الله[7].

يريد أن الله قد بعث الرسل ليطاعوا، ولا يطيعهم إلا من شاء الله

---

(١) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط، وما أثبته هو الأقرب.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٥٩، «الدر المصون» ٤/ ١٨.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٠، «معاني القرآن» له ٢/ ١٢٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨، وقد ذكره غير واحد من المفسرين غير منسوب للكلبي. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٥، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤.

(٥) لعل الصواب: «وجبت»، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٢٨، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٤.

(٧) «تفسيره» ١/ ١٦٥، وأخرجه الطبري ٥/ ١٥٧، وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢١.

وأراد ذلك منه، وهذا خلاف مذهب القدرية. ومحل قوله: ﴿لِيُطَاعَ﴾ نصب؛ لأن المعنى: وما أرسلنا رسولًا إلا مفروضًا له الطاعة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد بعصيانهم إياك وموالاتهم الكفار حتى يُحكِّموهم ويتحاكموا إليهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ قال: يريد نزعوا وتابوا إلى الله[٣].

وقال الزجاج: المعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى آخر الآية: ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أنفسهم مع استغفارهم ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٤].

٦٥- قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية. دخول (لا) في أول الكلام يحتمل معنيين:

أحدهما: أن (لا) ردّ لكلام سبق، كأنه قيل: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك. ثم استؤنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾[٥].

الثاني: أن (لا) توطيدٌ للنفي الذي يأتي فيما بعد، لأنه إذا ذكر في أول الكلام وآخره كان أوكد وأحسن؛ لأن النفي يتصدر الكلام وقد اقتضى

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٨.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٠٦، دون نسبة لابن عباس، وذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٢٣.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠.

(٥) «تفسير الطبري» ٥/ ١٥٨، «الكشف والبيان» (٤/ ٨٣ ب، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ١٩.

القسم أن يذكر في الجواب[١].

واختلفوا في هذه الآية، فذهب عطاء مجاهد والشعبي، أن هذه الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق، وأن هذه الآية متصلة بما قبلها[٢].

وهو اختيار الزجاج[٣].

وقال آخرون: هذه مستأنفة، نازلة في قصة أخرى، وهي ما روي عن عروة بن الزبير: أن رجلًا من الأنصار[٤] خاصم الزبير في شراج الحرّة[٥] التي يسقي بها (كلاهما)[٦]، فقال رسول الله ﷺ للزبير: **«اسق أرضك، ثم أرسل الماء إلى أرض جارك»** وقضى للزبير على الأنصاري، فقال الأنصاري: إنك تُحابي ابن عمتك. فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٢٨٤، «الدر المصون» ٤/ ١٩.

(٢) أخرج الأثر عن مجاهد والشعبي الطبري ٥/ ١٥٩-١٦٠، وابن المنذر عن مجاهد. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٢. وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٣ ب، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٣، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٥، «الرازي» ١٠/ ١٦٣ ونسبه الرازي إلى عطاء. واختاره ورجحه الطبري ٥/ ١٦٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٤٥٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠.

(٤) قيل: هو: حاطب بن أبي بلتعة، وقيل: ثعلبة بن حاطب. انظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص١٥٥، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٥.

(٥) الشراج: جمع شرج وهو مجرى الماء، والحرة: موضع بالمدينة، أرض ذات حجارة سوداء. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ١٦٠، «اللسان» ٢/ ٨٢٨ (حرر).

(٦) غير واضحة في (ش)، وانظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص١٦٧-١٦٨. وقد رجح محمود شاكر في تحقيقه للطبري ٨/ ٥١٩ أن تكون هذِه الكلمة: «كلاهما» وهو العشب.

للزبير: «**اسق، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر**»[١]. قال الزبير: والله إن هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية[٢].

واعلم أن الحكم في هذا أن من كانت أرضه أقرب إلى فم الوادي فهو أولى بأول الماء، وحقه تمام السقي، وتمامه أن يبلغ الماء الجدر[٣]، وأقل السقي ما سمي سقيًا. قال الزهري (...)[٤] ماء الأنهار قول النبي ﷺ: «**حتى يبلغ الماء الجذر**» فكان ذلك إلى الكعبين.

وأمر رسول الله ﷺ الزبير (....)[٥] على المسامحة، فلما أساء خصمه الأدب، ولم يعرف حق ما أمره به النبي من المسامحة (لأجل)[٦] أمره النبي ﷺ باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق[٧].

وقوله تعالى: ﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. يقال: شجر بينهما من خصومة (أي اختلف واختلط)[٨].

---

(١) «الجدر: بفتح الجيم وكسرها... والمراد بالجدر أصل الحائط، وقيل أصول الشجر والصحيح الأول».
«صحيح مسلم» ٤/ ١٨٣٠ حاشية (٤)، وانظر: «النهاية في غريب الحديث» ١/ ٢٤٦.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨٥) في التفسير سورة: النساء، باب: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ . .﴾ ٥/ ١٨٠، ومسلم (٢٣٥٧) في الفضائل، باب: وجوب اتباعه ﷺ، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٠٧، «أسباب النزول» ص١٦٧-١٦٨.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٣.

(٤) كلمة غير واضحة في (ش) ويمكن أن تقدر بـ: [وذلك في] ماء الأنهار .

(٥) غير واضح بقدر كلمتين، ويبدو أنها «أن يسقي» أو نحوها، انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٣.

(٦) هكذا في المخطوط، وفي «التفسير الكبير» للرازي ١٠/ ١٦٣: «لأجله» وهو أصوب.

(٧) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٣.

(٨) ما بين القوسين غير واضح تمامًا، وانظر: «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٦٠٩ .

قال الفراء: يشجر[١] شجورًا وشجرًا. وشاجره في الأمر إذا نازعه في الأمر مشاجرة وشجارًا. وتشاجروا تشاجرا واشتجروا، وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض، (ومنه)[٢] يقال لخشبات الهودج شجارٌ لتداخل بعضها في بعض[٣].

قال ابن عباس في هذه الآية: يريد بالمشاجرة: المنازعة[٤].

وقال الضحاك و(............)[٥]. وقال الكلبي: فيما التبس بينهم[٦] وذلك أن الاختلاط والتداخل يؤدي إلى الالتباس.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾.

أصل الحرج في اللغة الضِّيق، ويقال للشجر الملتف الذي لا يكاد يوصل إليه: حرج، وجمعه حراج[٧]، ومنه قول العجاج:

عاين حيًّا كالحراج نعمه[٨]

---

(١) في «الوسيط» ٢/ ٦٠٩: (شجر يشجر).

(٢) غير واضحة تمامًا، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٣.

(٣) كلام الفراء ليس في «معاني القرآن»، فقد يكون في كتابه المفقود: «المصادر»، وانظر: الطبري ٥/ ١٥٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٣٠، «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٤٦ (شجر)، «الوسيط» ٢/ ٦٠٩، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٣.

(٤) لم أقف عليه، وقد قال السيوطي: أخرج الطستي عن ابن عباس ...﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ قال: «فيما أشكل عليهم»، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٣.

(٥) ما بين القوسين بياض في (ش)، ولم أقف على قول للضحاك في تفسير هذِه الآية.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٧) انظر: الطبري ٥/ ١٥٨، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٢٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٥، «الصحاح» ١/ ٣٠٦ (حرج)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٤.

(٨) نسبه في «الصحاح» ١/ ٣٠٦ (حرج) لرؤبة بن العجاج، وفي «اللسان» ٢/ ٨٢٢ (حرج). وهو صدر بيت من الرجز، عجزه:

يكون أقصى شدِّه محر نجمه

وسنذكر هذا بأبلغ من هذا الشرح عند قوله: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] إن شاء الله.

قال ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾: يريد ضيقًا مما قضيت، يريد: يرضوا بقضائك(١). وكذا قال أبو العالية: حرجًا أي ضيقًا(٢).

وقال مجاهد: شكا(٣)، أي لا تضيق صدورهم عن قضيتك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ التسليم تفعيل من السلامة، يقال: سلم فلان، أي: عوفي ولم تنشب به بلية. وسلم هذا الشيء لفلان، أي: خلص له من غير منازع ولا مشارك. فإذا ثقلته بالتشديد فقلت: سلّم له، فمعناه أنه خلصه له ولم يدع فيه(٤).

هذا هو الأصل في اللغة. وجميع معاني التسليم راجع إلى هذا الأصل، فقولهم: سلّم عليه، أي دعا له بأن يسلم. وسلم إليه الوديعة، أي أخلصها له وخلى بينها وبينه. وسلّم له، أي: بذل الرضا بحكمه، على معنى: ترك السخط والمنازعة. وكذلك: سلم لفلان ما قال، أي أخلصه له

= والشاهد أن النعم وهي الإبل كالحراج وهي الشجر الملتفة الكثيرة.

(١) في «زاد المسير» ٢/ ١٢٤ أن ابن عباس فسر الحرج هنا بالشك كقول مجاهد الآتي وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨، وعنه أيضًا: (هما وحزنًا). انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٢٨٤.
وممن فسر الحرج بالضيق أبو عبيدة في «مجازه» ١/ ١٣١، والطبري ٥/ ١٥٨، والزجاج في «معانيه» ٢/ ٧٠.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تفسيره» ١/ ١٦٤، وأخرجه الطبري ٥/ ١٥٨.

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» ٣/ ٩٠، «المفردات» للراغب ص ٢٣٩-٢٤٠.

من غير معارضة فيه. وكذلك: سلم إلى الله أمره، أي فوض إليه على معنى أنه لم ير لنفسه في أمره أثرًا ولا شركة وعلم أن المدبر والصانع هو الله وحده لا شريك له. هذا معنى التسليم.

وأما التفسير: قال ابن عباس: ويسلموا الأمر إلى الله وإلى رسوله[1].

وقال الزجاج: أي يسلِّمون لما يأتي من حكمه[2]، ولا يعارضونه بشيء[3].

و(تسليمًا) مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانيًا فإذا قلت: سلمت تسليمًا، فكأنك قلت: سلمت سلمت. وحق التوكيد أن يكون محققًا لما تذكره في صدر كلامك، فإذا قلت: ضربت ضربًا، فكأنك قلت: أحدثت ضربًا أحقه ولا أشك فيه، فكذلك ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ أي: يسلِّمون لحكمك تسليمًا لا يدخلون على أنفسهم شكًا[4].

وقد أخبر الله تعالى أنه لا يتم إيمانهم حتى يعتقدوا وجوب المراجعة في خصوماتهم وتحكيمه والرضا بحكمه من غير ضيق صدر ولا كراهة، وأن من تسخط حكم النبي ﷺ، وارتاب (....)[5] أو عدل إلى غيره رغبة عنه، غير مسلم له، فهو كافر[6].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص (٨٨).

(٢) في «معاني الزجاج» ٢/ ٧١: حكمك.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٧١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٧١، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٢٩، «المحرر الوجيز» ٤/ ١٢١، القرطبي ٥/ ٢٦٩، «البحر المحيط» ٣/ ٢٨٤.

(٥) هنا بياض بقدر حرفين، فقد يكون السقط: «فيه» والله أعلم.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٥.

٦٦- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس والكلبي وغيرهما: يريد فرضنا وأوجبنا عليهم[١].

قال مجاهد: يعني: على اليهود والعرب[٢].

قال المفسرون: كتب الله على بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، وكتب على المهاجرين أن يخرجوا من ديارهم، فقال الله: ولو كتبنا على هؤلاء ما كتبنا على غيرهم لما فعله إلا قليل منهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾. قال الحسن: أخبر عن علمه فيهم، كقوله عن نوح: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦][٤].

يعني: ما يفعل ذلك إلا من قد علم الله منه ذلك وهم قليل.

وقال عطاء: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ يريد الأنصار[٥].

وقال مقاتل: كان من القليل عمار بن ياسر، وابن مسعود، وثابت بن قيس بن شماس[٦]. ونحو ذلك قال الكلبي، فقال: نزلت في ثابت بن قيس؛ لأنه قال: إن الله يعلم لو أمرني بأمرٍ أقتل نفسي لقتلت، فكان ثابت من القليل الذين استثنى[٧].

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦١٠ دون نسبة لأحد وكذا السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٦، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٨.

(٢) أخرج الطبري ٥/ ١٦٠، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٣.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٤ أ، «الوسيط» ٢/ ٦١٠، «الرازي» ١٠/ ١٦٧.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تفسيره» ١/ ٣٨٧، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٦، والقرطبي ٥/ ٢٧٠.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص (٨٨)، «الكشف والبيان» (٤/ ٨٤ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٦.

والظاهر في هذه الآية ما قال الحسن؛ لكون المستثنى من المكتوب عليهم، والمهاجرون والأنصار وهؤلاء الذين ذكرهم فقال: ﴿مِّنۡهُمۡ﴾، وإنما أريد بقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ المنافقون والذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ هذا هو ظاهر (....)[1] عطاء ومقاتل، فيمكن أن يحمل على وجهين: أحدهما: أن قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يريد اليهود والمنافقين والمؤمنين جميعًا، ثم استثنى الصحابة الأنصار والمهاجرين والمؤمنين بقوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾، ويكون قوله بعد هذا: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ اليهود والمنافقين.

وقد ورد في التنزيل آي حمل بعضها على العموم وبعضها على الخصوص. وعليه (....)[2] أن يُحمل على قراءة من قرأ ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ بالنصب[3]؛ لاختلاف جنسي المستثنى منه والمستثنى، وذلك أنه في هذه الآية قبيلان: مكتوب عليهم وهم المنافقون، ومستثنى وهم الأنصار، فصار كالجنسين المختلفين، وإذا اختلف الجنسان فالاختيار النصب[4]، كقوله:

وما بالرَّبع من أحدٍ إلا أواري[5]

---

(١) بياض في (ش) بقدر كلمتين أو ثلاث، ويمكن أن تقدر بـ: [ما قاله] أو [ما ذهب إليه].

(٢) كلمة غير واضحة في (ش)، ويمكن أن تقدر بـ: [يحتمل].

(٣) هذه قراءة لابن عامر خاصة وكذا هي في المصحف الشامي. انظر: «الحجة» ٣/ ١٦٨، «النشر» ٢/ ٢٥٠.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٠، «شرح المعلقات العشر» للنحاس ٢/ ١٥٨.

(٥) جملة مستفادة من بيتين من الشعر للنابغة الذبياني هما:

وقفت فيها أصيلالا أسائلها ... عيت جوابًا وما بالربع من أحد

إلا الأواري لأيًا ما أبينها ... والنؤيُ كالحوض بالمظلومة الجلد

ويحتمل أن يكون هذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، على أن تكون إلا بمعنى لكن، كأنه قيل: لكن قليلًا منهم، وهم الأنصار.

وذكرنا معنى الاستثناء المنقطع بأبلغ الاستثناء عند قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ في سورة البقرة [الآية: ١٥٠].

وقوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ على هذا الكنايةُ تعود إلى المنافقين، ويقال ذلك لأن القبيلين وإن اختلفا من حيث الإيمان والكفر، فقد اتفقا بالنسب والجوار والحلف واللغة، وكونهم أهل عصر[(١)] واحد، في زمن نبي واحد، وكل هذا من الملابسة بين الفريقين، ولأن المنافقين أيضًا ادعوا الإيمان وأظهروا شعاره، فقاسمُ الإيمان يشملهم.

ومثل هذا من التنزيل قوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] يعني المنافقين، وهو يخاطب المؤمنين، فجعلهم منهم. وسنذكر الوجه منه إذ انتهينا إليه.

ولهذا المعنى الذي ذكرنا أن القليل غير مستثنى من المنافقين اختار جماعة من القراء (....)[(٢)] الوقف على قوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ إشعارًا أن هذا الاستثناء منقطع من الأول[(٣)].

= «معاني الزجاج» ٢/ ٧٠، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ٢/ ١٥٨. والأواري التي يحبس بها الخيل من وتد أو حبل، الواحد: آري، واللأى: البطء، والنؤي: حاجز من تراب حول الخيمة يحول دون وصول الماء إليها. وقال: بالمظلومة الجلد، لأنهم مروا في برية فحفروا فيها حوضًا وليست موضع حوض فجعل الشيء في غير موضعه.

(١) قد تكون هذه الكلمة: «مصر».

(٢) غير واضح في (ش)، ولعل الكلمة تكون: [ترجيح] الوقف...

(٣) ممن اختار هذا الوقف يعقوب. انظر: «القطع والائتناف» ص ٢٥٦.

واختلف القراء في قوله: ﴿أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ﴾ و﴿أَوِ ٱخۡرُجُواْ﴾ فكسرهما عاصم وحمزة[١] لالتقاء الساكنين[٢] ولم يضماهما وإن ضمت الهمزة لضم الحرف الثالث في الفعل؛ لأنهما (..[٣]..) المنفصل في حكم المتصل[٤].

ومن قرأ بالضم فيهما[٥] فلأنهما حلّا محل الهمزة المضمومة كما ضمت هي، وإن كانتا منفصلتين[٦].

قال أبو إسحاق: للكسرة والضمة في هذه الحروف وجهان جيدان[٧].

وأبو عمرو كان يختار الكسر في: ﴿أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ﴾، والضم في: ﴿أَوُ ٱخۡرُجُواْ﴾. قال الزجاج: ولست أعرف لفصل أبي عمرو بين هذين الحرفين خاصية إلا أنْ يكون رواية[٨].

وقال غيره[٩]: فصل أبو عمرو بين النون والواو لأن الضمة في الواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير، والجمهور في واو الضمير على الضم [نحو][١٠] ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [البقرة: ١٦، ١٧٥] ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وهذا قول أبي علي الفارسي[١١].

---

(١) انظر: «السبعة» ص ٢٣٦، «الحجة» ٣/ ١٦٧.
(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٦.
(٣) بياض في (ش)، ولعله: مع كونهما من ... المنفصل...
(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ١٦٨.
(٥) هذه القراءة لابن عامر وابن كثير ونافع والكسائي. انظر: «السبعة» ص ٢٣٤، «الحجة» ٣/ ١٦٧.
(٦) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٠.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٢.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٢.
(٩) أبو علي في «الحجة» ٣/ ١٦٧.
(١٠) بياض في (ش)، والتسديد من «الحجة» ٣/ ١٦٧.
(١١) «الحجة» ٣/ ١٦٧.

وقال الأخفش: الضم في هذه الحروف لغة حسنة، [وهي][١] أكثر في الكلام وأقيس؛ لأن ما أجروه في كلامهم من المنفصل مجرى المتصل أكثر من أن يُقتص[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ الكناية تعود إلى القتل والخروج كلاهما، وذلك أن الفعل جنس واحد وإنْ اختلف ضروبه[٣].

واختلف القراء في قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ فمن ضم وهو الوجه جعله بدلًا من الواو في ﴿فَعَلُوهُ﴾، وكذلك كل مستثنى من مجحود، كقولك: ما أتاني[٤] أحد إلا زيد، ترفع زيدًا على البدل من أحد، فتحمل إعراب ما بعد إلا على ما قبلها. وكذلك في النصب والجر، كقولك: ما رأيت أحدًا إلا زيدًا، وما مررت بأحد إلا زيد.

قال أبو علي: الرفع هو الأكثر والأشيع في الاستعمال والأقيس، فقوته من جهة القياس أن معنى: ما أتاني أحد إلا زيد واحد[٥]، فكما اتفق[٦] على: ما أتاني إلا زيد، على الرفع، وكان: ما أتاني أحد إلا زيد، بمنزلته وبمعناه، اختاروا الرفع مع ذكر أحد.

وأما من نصب فقال: ما جاءني أحد إلا زيدًا، فإنه جعل النفي بمنزلة

---

(١) بياض في (ش)، والتسديد من «الحجة» ٣/ ١٦٧.

(٢) من «الحجة» ٣/ ١٦٧، ١٦٨، وكلام الأخفش ليس في كتابه «معاني القرآن».

(٣) من «الكشف والبيان» ٤/ ٨٤ ب بتصرف، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٧. وقد استبعد أبو حيان والسمين كون الضمير راجعًا إلى الأمرين، وإنما لأحدهما انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٢٨٥، «الدر المصون» ٤/ ٢٢.

(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ١٦٨.

(٥) يبدو أن في الكلام حذفًا أو سقطًا، ففي «الحجة» ٣/ ١٦٨: «فقوته من جهة القياس أن معنى: ما أتاني أحد إلا زيد، وما أتاني إلا زيد، واحد».

(٦) في «الحجة» ٣/ ١٦٨: «اتفقوا» وهو الأنسب بالسياق.

الإيجاب، وذلك أن قوله: ما جاءني أحد، كلام تام، كما أن: جاءني القوم كذلك، فنصب مع النفي، كما نصب مع الإيجاب، من حيث اجتمعا في أن كل واحد منهما كلام تام[١]. وذكرنا للنصب وجها آخر في معنى الآية.

قال أصحاب المعاني: (....)[٢] تجهيل من خالف ما يلزمه من التكليف مع تسهيله، ولو شدد نهاية التشديد لم يجز إلا (......)[٣] من الحظ الجزيل. يقول الله تعالى: ولو كتبنا عليهم القتل والخروج ما فعلوه للمشقة فيه، مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه (...[٤]..) وقد سهلنا تكليفهم غاية التسهيل ويسرناه نهاية التيسير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾. قال مقاتل: ما يوعظون به من القرآن[٥]. وقال الكلبي: ما يُؤمرون به[٦].

وقوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ في الآخرة[٧].

وقال مقاتل: لكان خيرًا لهم في دينهم[٨].

وقال الحسن: لكان خيرًا له في العصمة وأمنع من الشياطين[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]. قال عطاء عن ابن عباس: أشد تثبيتًا في دينهم[١٠].

---

(١) انتهى من «الحجة» ٣/ ١٦٨، ١٦٩، بتصرف. وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦١١ .

(٢) غير واضح في (ش) بسبب طمس بعض الحروف.

(٣) بياض في (ش).

(٤) كلمة غير واضحة، ويمكن أن تكون الكلمة: (سيما) وقد سهلنا.

(٥) «تفسيره» ١/ ٣٨٧.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٧) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٨) «تفسيره» ١/ ٣٨٧.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) لم أقف عليه، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦١١.

وقال مقاتل: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تصديقًا بأمر الله[١]. فمعنى قول عطاء أنهم لو أطاعوا الرسول كان ذلك أشد تثبيتًا منهم لأنفسهم في الدين.

وقال أبو روق: ﴿تَثْبِيتًا﴾ تحقيقًا[٢].

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قد استوفينا الكلام في أحكام (إذن) في قوله: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣][٣].

ومعنى ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا[٤]. وإنما ذكر من لدنا لتأكيد الاختصاص[٥]، بأنه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ لأنه قد يؤتي ما يُجريه على يد بعض عباده، وقد يؤتي ما يختص بفعله، وذلك أشرف له وأعظم في النعمة به، ولأنه ينحتم[٦] بما لا يقدر عليه غيره[٧].

يؤكد ما ذكرنا أن الأجر العظيم ههنا فُسر بالجنة في قول مقاتل وغيره[٨].

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أرشدناهم إلى دين مستقيم[٩]. يريد دين الحنيفية لا دين اليهودية.

---

(١) «تفسيره» ١/ ٣٨٧.

(٢) في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٤ ب جاء هذا الوجه من التفسير بلفظ: «تحقيقًا وتصديقًا لإيمانهم» دون نسبة لأحد، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٦.

(٣) هنا جزء مفقود من الكتاب.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٦.

(٥) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٩.

(٦) هكذا في (ش)، وقد تكون: (تفخيم)، والله أعلم.

(٧) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٢.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٣٨٧، «الوسيط» ٢/ ٦١٢.

(٩) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٦، «تنوير المقياس» بهامش المصحف ص ٨٩.

وقال غيره: ولأدمنا لهم اللطيفة التي يثبتون بها على الطاعة في لزوم الطريق المستقيم. كأنه يقول: ولأثبتناهم على الطريق المستقيم كقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥](١). وقيل: ولهديناهم في الآخرة طريق الجنة(٢).

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية. اختلفوا في سبب نزولها؛ فقال جماعة من أهل التفسير: إنها نزلت في ثوبان(٣) مولى رسول الله ﷺ، وكان بلغ من حبِّه لرسول الله ما شجاه وأثر فيه، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله، فقال: إني لا أكاد أصبر عنك، وأذكر الآخرة وأنت تُرفع في درجة النبيين، وأنا مع العبيد، فلا ألقاك، فنزلت الآية. وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي(٤).

وقال السدي: إن ناسًا من الأنصار قالوا: يا رسول الله إنك تسكن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ١٢٥، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٦٩.

(٣) هو أبو عبد الله ثوبان بن بجدد، وقيل: ابن جحدر، من حمير اليمن، أصابه السِّباء فاشتراه الرسول ﷺ وأعتقه وخيره بين البقاء معه واللحاق بأهله فاختار البقاء معه وخدمته حتى توفي الرسول ﷺ فارتحل إلى مصر والشام ومات رضي الله عنه بحمص سنة ٥٤هـ. انظر: «أسد الغابة» ١/ ٢٩٦، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٥، «الإصابة» ١/ ٢٠٤.

(٤) ذكره أبو الليث السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، وأورده غير منسوب لابن عباس الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٤ ب، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ١٦٨-١٦٩، وقال الحافظ ابن حجر: «حكي ذلك عن جماعة من الصحابة» «الكافي الشاف» ص ٤٦، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩، وقد أخرج الطبراني وابن مردويه من طريق الشعبي عن ابن عباس: «أن رجلًا أتي النبي ﷺ..» الحديث بمعناه. انظر: ابن كثير ٢/ ٣٣٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٥.

الجنة في أعلاها، ونحن نشتاق إليك، فكيف نصنع؟ فنزلت الآية[١].

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله، فقال: لأنت أحبّ إليّ من نفسي وأهلي ومالي وولدي، ولولا أني آتيك فأراك، فظننت أني سأموت وبكى. فقال له النبي ﷺ: ما أبكاك؟ فقال: ذكرت أنك تُرفع مع النبيين، ونحن إن دخلنا الجنة كنا دونك، فلم يُخبره النبي ﷺ بشيءٍ، فأنزل الله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمًا﴾، فقال له النبي: أبشر[٢].

وقال الحسن: إن المؤمنين قالوا للنبي: ما لنا منك إلا الدنيا، فإذا كانت الآخرة رُفعت في الأعلى (فحزن النبي ﷺ)[٣] وحزنوا، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿عليمًا﴾[٤].

وقال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار، قال للنبي ﷺ: إذا خرجنا من عندك إلى أهالينا اشتقنا إليك، فما ينفعنا شيء حتى نرجع إليك، وذكرتُ درجتك في الجنة، فكيف لنا برؤيتك إن دخلنا الجنة؟ فأنزل هذه الآية، فلما توفي النبي ﷺ أتى الأنصاريَّ ابنه وهو في حديقة له، فأخبره بموت النبي ﷺ، فقال: اللهم أعمني فلا أرى شيئًا أبدًا بعد حبيبي، حتى

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٤، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، وسعيد بن منصور وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٥. وورد نحوه مرفوعًا من طريق الشعبي عن ابن عباس وعائشة وبعض التابعين. انظر: الطبري ٥/ ١٦٣-١٦٤ «أسباب النزول» للمؤلف ١٦٩-١٧٠، وابن كثير ١/ ٥٧٣-٥٧٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٥، «لباب النقول» ص (٧٤).

(٣) ما بين القوسين بياض في (ش)، والتسديد من «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٠.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٠.

ألقى حبيبي. فعمي مكانه، وكان يُحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، فجعله الله معه في الجنة[١].

قال الكلبي وغيره: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في الفرائض ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ في السنن[٢].

قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي المطيعون. قاله الزجاج[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

أي أنه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم، فلا يتوهمن من أجل أنهم في أعلى عليين أنه لا يراهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾. قال ابن (المظفر: هو من)[٥] صدّق بكل ما أمر الله، لا يتخالجه في شيء منه شك، وصدق الأنبياء، فهو صديق. وهو قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩][٦].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٣٨٧، ٣٨٨، وانظر: «والتفسير الكبير» ١٠/ ١٧٠، وهذا الأثر غريب لوروده من طريق مقاتل وهو مطعون فيه، ولأن سؤال الرجل العمى لا يتفق وورود النهي عن مثله والأمر بسؤال الله العافية، ولأن فيه ما يحتاج إلى توقف وقد انقطع الوحي.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ أ، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٢٦، إلى ابن عباس.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٣، وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣ (رفق).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٧، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧١، والقرطبي ٥/ ٢٧٢.

(٥) ما بين القوسين غير واضح في (ش)، وأثبته حسب الرجوع إلى «العين» ٥/ ٥٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٩٠-١٩٩١ (صدق).

(٦) «العين» ٥/ ٥٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٩٠-١٩٩١ (صدق)، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٢.

وقال الكلبي: الصديقون أفاضل أصحاب النبي ﷺ[(١)]. وقال مقاتل: الصديقون [أول][(٢)] من صدّق بالأنبياء (حين عاينوهم)[(٣)][(٤)].

وقال الزجاج: الصديقون أتباع الأنبياء[(٥)].

قد ذكرنا مستقصى ما قيل في الشهيد عند قوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وأما تفسير الشهداء ههنا فقال الكلبي ومقاتل: هم القتلى في سبيل الله[(٦)]. وقال الزجاج: هم القائمون بالقسط[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾. قال الكلبي: هم سائر المسلمين[(٨)]. وقال مقاتل: أهل الجنة[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾. قال الزجاج: أي حسن الأنبياء وهؤلاء رفيقًا[(١٠)].

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ أ، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٢، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٢) بياض في (ش) والتسديد من «الوسيط» ٢/ ٦١٤.

(٣) ما بين القوسين غير واضح، وما أثبته استعانة «بالوسيط» ٢/ ٦١٤ .

(٤) «تفسيره» ١/ ٣٨٨.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣ (رفق).

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٣٨٨، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٧، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٧) ليس في «معاني القرآن وإعرابه».

(٨) في «تنوير المقباس» ص ٨٩: «صالحي أمة محمد»، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥، «الوسيط» ٢/ ٦١٤.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٣.

ومعنى الرفيق[١] في اللغة: لين الجانب ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق، وقد رفق يرفق[٢]. هذا معناه في اللغة. والصاحب يسمى رفيقًا لارتفاقك به وبصحبته، ومن هذا قيل للجماعة في السفر رفقة، لارتفاق بعضهم ببعض[٣].

قال الفراء: وإنما وحد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع، ولا يجوز أن تقول: حسن أولئك رجلًا، وإنما يجوز ذلك إذا كان اسمًا مأخوذًا من فعل[٤]، ولم يكن اسمًا مصرحًا مثل: رجل وامرأة[٥]، ألا ترى أن الشاعر قال:

وإذا هم طعموا فألأم طاعمٍ[٦]

قال أبو إسحاق: لا فرق بين رفيق ورجل؛ لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة، وكذلك في المواضع التي لا تكون إلا جماعة نحو:

---

(١) هكذا في (ش) ولعل الصواب: الرفق (بدون ياء على المصدر) وسياق الكلام يدل عليه. وانظر: «العين» ٥/ ١٤٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣ (رفق)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٥.

(٢) من «العين» ٥/ ١٤٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣ (رفق).

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) هكذا الحركة فوقية على الفاء، وقد تكون تحتية لاختلاف المصطلحات الإملائية عبر العصور.

(٥) كلام الفراء ليس في «معاني القرآن»، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣-١٤٤٤، «اللسان» ٣/ ١٦٩٦ (رفق).

(٦) صدر بيت وعجزه:

وإذا هم جاعوا فشر جياع

وانظر: «نوادر أبي زيد ص١٥٢، والطبري ١/ ٦٥٢، و«البحر المحيط» ١/ ٣٣٢، و«معاني الفراء» ١/ ٣٣، و«المحرر الوجيز» ١/ ١٣٤، و«الاشتقاق» لابن دريد ص٤١٧.

أجمل فتى وأحسنه، المعنى: هو أجمل الفتيان وأحسنهم. ولو قلت حسن القوم مجاهدًا في سبيل الله، وحسن القوم رجلًا، كان واحدًا. فقوله ﴿رَفِيقًا﴾ منصوب على التمييز، وينوب عن رفقاء[١].

وعند الفراء لا يجوز أن ينوب الواحد عن الجميع إلا أن يكون من أسماء الفاعلين، لا يجوز حسن أولئك رجلًا[٢]، وأجازه الزجاج كما ذكرنا، قال: وهو مذهب سيبويه[٣].

وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ حسن كل واحد منهم رفيقًا، كما قال: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧][٤].

وانتصاب ﴿رَفِيقًا﴾ على الحال، معنى: حسن كل منهم مرافقًا[٥].

٧٠- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾. أي ذلك الثواب، وهو الكون مع النبيين والصديقين فضلٌ من الله، تفضل به على من أطاعه، وكل ما يفعله الله ﷻ من منافع العباد فهو فضل وتفضّل وإفضال؛ لأنه زائد على مقدار الاستحقاق؛ لأن العبد لا يستحق على مولاه بطاعته شيئًا[٦]. بخلاف ما قالت القدرية[٧] أن ثواب المطيع فرض على الله، فلا فضل. وقد

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٧٣، ٧٤ بتصرف. وانظر: «تهذيب اللغة»٢/ ١٤٤٣ (رفق).

(٢) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٦٩٦ (رفق).

(٣) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٣، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٦٩٦ (رفق)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٥. وفي رأي سيبويه، انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٨٢، ٦٢٤.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ أ، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٥، والقرطبي ٥/ ٢٧٢.

(٥) وقيل: على التمييز، ورجحه ابن جرير. انظر: «تفسير الطبري» ٥/ ١٦٣، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٢.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ١٦٤، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، «الوسيط» ٢/ ٦١٥، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٥.

(٧) ومنهم المعتزلة. انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ ب، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٦.

صرحت الآية بتكذيبهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾. قال ابن عباس: يريد بخلقه[(٢)].

قال أهل المعاني: تأويل هذا يعود إلى أنه لا يضيعُ عنده عملُ عامل؛ لأنه عالم لا يخفى عليه شيء[(٣)].

٧١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ الآية. هذا حث من الله تعالى عباده المؤمنين على الجهاد.

والحذر في اللغة يعني الحذر، وهو كالمثل والمثَل والعدْل والعدَل[(٤)]، (والعرب تقول: فخذ حذر)[(٥)].

قال أهل المعاني في هذا قولين: أحدهما: أن المراد بالحذر ههنا السلاح، والمعنى: خذوا سلاحكم[(٦)]، فيسمى السلاح حذرًا؛ لأنه يتقي به ويحذر.

والثاني: أن يكون ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ بمعنى احذروا عدوكم[(٧)]، إلا أن هذا الأمر بالحذر مضمن بأخذ السلاح؛ لأن أخذ السلاح هو الحذر من

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ ب، والقرطبي ٥/ ٢٧٣.

(٢) لم أقف عليه. وانظر: «الطبري» ٥/ ١٦٤.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٦٤.

(٤) انظر: «الصحاح» ٢/ ٦٢٦ (حذر)، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ ب، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٦، «اللسان» ٢/ ٨٠٩-٨١٠ (حذر).

(٥) هكذا في المخطوط، وفي «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٦١٥: «وتقول العرب: خُذ حذرك، أي أحذر».

(٦) «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨، «زاد المسير» ٢/ ١٢٩، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٦، ابن كثير ١/ ٥٧٥.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٥ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨، «زاد المسير» ٢/ ١٢٩، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧.

العدو. فالتأويل يعود إلى الأول[١].

فعلى القول الأول الأمر مصرح بأخذ السلاح، وعلى القول الثاني أخذ السلاح مدلول عليه بفحوى الكلام[٢].

وأما التفسير فقال ابن عباس: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ يريد عند لقاء العدو[٣]. وهذا يقوي القول الأول. وقد صرح مقاتل[٤] بالقول الأول فقال: خذوا حذركم من السلاح[٥].

وقال الكلبي: خذوا حذركم من عدوكم[٦].

وهذا التفسير على القول الثاني، وكأنه اختيار أبي إسحاق؛ لأنه قال في هذه الآية: أمر الله أن لا يلقي المؤمنون بأيديهم إلى التهلكة، وأن يحذروا عدوهم، وأن يجاهدوا حق الجهاد[٧].

وهذه الآية لا تدل على أن الحذر يرد شيئًا من القدر، ولكنا تعبِّدنا في الشريعة بالحذر من (..[٨]..) والتوقِّي من الشر، والقدر جارٍ على ما قضي. وكان رسول الله ﷺ إذا مر عدُّوا له أسرع المشي، وقد قال الله تعالى له: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:

---

(١) انظر: : «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧، وابن كثير ١/ ٥٧٥.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٤) هو مقاتل بن حيان. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٦.

(٥) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم بلفظ: «عدتكم من السلاح». انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥٩١.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٤.

(٨) كلمة غير واضحة، ويمكن أن تكون: (الخطر)، أو (العدد).

٥١].[1]

وقوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ﴾. قال الفراء: يقال: نفر القوم ينفرون نفرًا ونفيرًا[2] إذا هم نهضوا لقتال عدو وخرجوا لحرب[3].

واستنفر الإمام الناس لجهاد العدو فنفروا ينفرون، إذا حثهم على النفير ودعاهم إليه. ومنه قول النبي ﷺ: وإذا استنفرتم فانفروا[4]. والنفير اسم للقوم الذين ينفرون[5]، ومنه فلان (لا في العير ولا في النفير)[6].

وقال أصحاب العربية: أصل هذا الحرف من النُّفور والنِّفار، وهو الفزع، نفر ينفر نفورًا إذا فزع إليه[7]. والمعنى انفروا إلى قتال عدوكم.

وقوله تعالى: ﴿ثُبَاتٍ﴾. قال جميع أهل اللغة: الثُّبات جماعات متفرقة واحدها ثبة[8]، وأنشدوا لزهير:

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ أ، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧، القرطبي ٥/ ٢٧٤.

(٢) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٨ (نفر).

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٦.

(٤) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٨ (نفر). وحديث: «إذا استنفرتم» أخرجه البخاري من حديث ابن عباس (١٨٣٤) كتاب: جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، ومسلم (١٣٥٣) كتاب: الحج، باب: تحريم مكة.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٨، «أساس البلاغة» ٢/ ٤٦٣- ٤٦٤ (نفر)، القرطبي ٥/ ٢٧٤.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٨ (نفر)، «جمهرة الأمثال» للعسكري ٢/ ٣٩٩، «مجمع الأمثال» للميداني ٣/ ١٦٨.

(٧) انظر: القرطبي ٥/ ٢٧٤.

(٨) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٧، الطبري ٨/ ٥٣٦، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، «تهذيب اللغة» (٤٦٥) (ثاب)، «اللسان» ١/ ٥١٩، (ثوب)، «عمدة الحفاظ» ص ٨٥.

وقــد أغــدو عــلــى ثــبــة كــرامٍ نــشــاوى واجــديــن لــمــا نــشــاء[١]

وأما أصلها واشتقاقها فقال علماء اللغة والنحو: ثبة أصلها من ثبيت الشيء، أي جمعته. ويقال: ثبيت على الرجل، إذا أثنيت عليه في حياته، وتأويله: جمع محاسنه[٢]. وأنشدوا للبيد:

يُثَبِّي ثـنـاءً مـن كـريـمٍ وقـولُـه ألا انعم على حسن التحيَّة واشربِ[٣]

وقال آخر:

كـم لِـيَ مـن ذي تُـدْرأٍ مـذبٍّ أشـوس أبَّـاءٍ عـلـى الـمُـثَـبِّـي[٤]

أي الذي يعذله ويكثر لومه ويجمع له العذل من هنا وهنا. فقولهم: يثبِّي، يدل على أن اللام معتلة، وأن الثاء والباء فاء عين الفعل، وأصلها ثبوة. وثبيت لا يدل على أن المحذوف من ثبة الياء دون الواو، لقولهم: خليت، وعديت، من: خلا يخلو، وعدا يعدو، كما قالوا: قضيت وسقيت والقبيلان إذا صارا إلى هنا متساويان.

---

(١) البيت في «ديوان زهير» ص ١٧، «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢، والطبري ٥/ ١٦٤، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٥ (ثاب)، «اللسان» ١/ ٥١٨-٥١٩، «عمدة الحفاظ» ص ٨٥ (ثوب). ومعنى «نشاوى» جمع نشوان وهو السكران، «واجدين» أي قادرين على ما يريدون من طعام وشراب.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، «معاني النحاس» ٢/ ١٣١، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٥ (ثاب)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٠٢، وانظر: «مقاييس اللغة» ١/ ٤٠١ (ثبي)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧.

(٣) «ديوانه» ص ٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٥ (ثاب)، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٠٢، «مقاييس اللغة» ١/ ٤٠١ (ثبي)، وانظر: «معجم شواهد العربية» ص ٥٥.

(٤) البيت غير منسوب في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٠٢، «اللسان» ١/ ٥١٩ (ثوب). ومعنى «ذي تدرأ»: ذي قوة وعدة على دفع أعدائه في نفسه، «مذب»: من الذب وهو الدفع والمنع، «أشوس»: جريء على القتال الشديد.

والذي ينبغي أن يُقضى به في ثبة أن تكون من الواو، وذلك أن أكثر ما حذفت لامه إنما هو من الواو نحو: أبٍ وأخٍ وغدٍ وحمٍ(١).

قال الزجاج: وتصغيرها ثبية، وتصغير ثبة الحوض: ثويبة؛ لأن المحذوف من هذه عين الفعل، لأنه من ثاب، (وثبة الحوض حيث)(٢) يثوب الماء إليه، أي يرجع(٣).

ويجمع الثبة التي هي الجماعة ثبين(٤)، قال عمرو:

وأما يوم خشيتنا عليهم ... فتُصبح خيلنا عصمًا(٥) ثبينا(٦)

وسنذكر لم جمع بالياء والنون عند قوله: ﴿عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] لأن هذه نظرة عضة- إن شاء الله.

وأما التفسير فقال المفسرون في الثبات نحو قول أهل اللغة، فقال مقاتل: عصبا متفرقين(٧).

وقال ابن عباس: سرايا متفرقين(٨).

---

(١) من الكلام على البيت الأخير إلى هنا أخذه المؤلف من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٠٢، ٦٠٣ بتصرف يسير، وانظر: «الممتع في التصريف» ٢/ ٦٢٣.

(٢) في «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥: «وثبة الحوض وسطه» وهذا أولى.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢، والطبري ٥/ ١٦٤، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٥٨، وابن كثير ١/ ٥٧٥.

(٥) في القرطبي ٥/ ٢٧٤، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧ «عصبا» ولعله أولى.

(٦) أخرج الطستي عن ابن عباس عن مسائل نافع بن الأزرق المشهورة، وفيها هذا البيت. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧، وأورده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢، والقرطبي ٥/ ٢٧٤، وفيها نسبته لعمرو بن كلثوم.

(٧) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٦، ولعله مقاتل بن حيان. انظر ابن كثير ١/ ٥٧٥.

(٨) «تفسيره ص ١٥١، وأخرجه الطبري ٥/ ١٦٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٦.

وقال قتادة: الثبات الفرق[١].

وأما معنى الآية فقال العلماء: هذه الآية تدل على أن الجهاد من فروض الكفاية؛ لأن الله تعالى خيرهم بين أن يُقاتلوا جميعًا، وبين أن يقاتل بعضهم دون بعض بقوله: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ فدل أنه ليس من فروض الأعيان[٢]. وهذا مذهب جماعة من المفسرين في الآية.

وقال قوم: الآية لا تدل على ذلك؛ لأن قوله: ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ ﴿أو انفروا﴾ محمول على حالين مختلفين، فقوله: ﴿انفروا ثباتٍ﴾ إذا لم ينفر معهم رسول الله ﷺ، (أو انفروا جميعًا) مع الرسول. نظيره قوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] إذا نفر رسول الله: و﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] إذا لم ينفر رسول الله. وهذا قول عبد الرحمن بن زيد والكلبي[٣].

وقد ذكرنا في سورة البقرة ابتداء وجوب الجهاد، ومذاهب العلماء في وجوبه اليوم عند قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٦].

ومنهم من قال: التخيير في قوله: ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ (أو انفروا) يعود إلى صفة الخروج للقتال، يقول: انفروا جماعات متفرقة، أو انفروا جميعًا بعضكم إلى بعض، أي على أي صفة كانت من الاجتماع في النفر والوقوف ليتلاحق الآخر والأول والمبادرة وترك التفريج للتلاحق. ولهذا المعنى أراد الشاعر لما قاله:

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٥، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٣١، وابن كثير ١/ ٥٧٥.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٧، والقرطبي ٥/ ٢٧٥.

(٣) انظر: القرطبي ٥/ ٢٧٥، «تنوير المقياس» بهامش المصحف ص ٨٩.

طـاروا إلـيـه زرافـات ووحـدانـا[١]

ومثله قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩] أي على أي الحال كنتم فصلوا[٢].

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾. قال المفسرون: نزلت الآية في عبد الله بن أبيّ[٣] المنافق، كان يتخلف عن رسول الله ﷺ إذا خرج لغزو[٤]. والخطاب في هذه الآية للمؤمنين، ومعنى ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾ والمعنى كان من المنافقين يحتمل وجهين:

أحدهما: أن هذا من باب حذف المضاف، والمراد: وإن من دخلائكم، أو من عدادكم، فحذف المضاف.

والثاني: أنه جعل المُبَطِّئ منهم في الحال الظاهرة من حكم الشريعة

---

(١) عجز بيت صدره:

قـوم إذا الـشـر أبـدى نـاجـذيـه لـهـم

وهو لقريط بن أنيف كما في «الحماسة» ١/ ٤، وانظر: «الصناعتين» ص٢٨٥، و«خزانة الأدب» ٧/ ٤١٣، و«الخصائص» ٢/ ٢٧٠، و«بصائر ذوي التمييز»، وهو في «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧، و«اللسان» ٨/ ٤٧٧٩ (وحد).

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٧.

(٣) هو أبو الحباب عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي المشهور بابن سلول (وهي جدته، نسب إليها، رأس المنافقين، وكان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، توفي قبحه الله سنة ٩هـ.

انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ٣٥٤، «الأعلام» ٤/ ٦٥.

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧، وأورده الثعلبي ٤/ ٨٦ أ، والبغوي ٢/ ٢٤٨، وابن كثير ١/ ٥٧٥ .

والقول بأنها نازلة في المنافقين لعموم المفسرين. انظر: «تفسير الطبري» ١٦٥-١٦٦ «بحر العلوم» ١/ ٢٦٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨، «زاد المسير» ٢/ ١٣٠.

وهو حقن الدم والموارثة والمواكلة ونحو ذلك، وجعله منهم من حيث الجنس والنسب[١].

وقال الزجاج: أي ممن أظهر الإيمان[٢]. وقد ذكرنا مثل هذا في قوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦][٣].

وقوله: ﴿لَمَن﴾ اللام فيه لام الابتداء، وإنما دخلت مكان إن، كما تقول: إن فيها لأخاك[٤].

قال الفراء: دخلت اللام في: ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ وهي صلة لمن على إضمار شبيه باليمين، كما تقول في الكلام: هذا الذي ليقومن، وأرى رجلًا ليفعلن ما يريد[٥]. فتدخل اللام في صلة النكرة، كما تدخلها في صلة الموصول.

وقال الزجاج: (من) في هذه الآية موصولة بالجالب للقسم، كأن هذا لو كان كلامًا لقلت: إن منكم لمن أحلف والله ليبطئن[٦].

وهذا الذي قاله الزجاج معنى قول الفراء: وهي صلة لمن على إضمار شبيه باليمين.

قال[٧]: والنحويون يُجمعون على أن: من وما والذي لا يوصلن

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٧، «المحرر الوجيز» ٤/ ١٢٩، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٥.

(٣) انظر تفسير الآية.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٥، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٥٠، الطبري ٥/ ١٦٦، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٠، «التفسير» ١٠/ ١٧٩، «الدر المصون» ٤/ ٢٩.

(٧) أي الزجاج.

بالأمر والنهي إلا بما يضمر معها من ذكر الخبر، وأن لام القسم إذا جاءت مع هذه الحروف فلفظ القسم وما أشبه لفظه مضمر معها[١]. هذا كلام الزجاج.

وبيان هذا: أنه يجوز أن تقول: مررت بمن تضربه، ولا يجوز: مررت بمن أضربه؛ لأن الخبر يصح أن يكون صلة والأمر والنهي لا يكونان صلة لموصول، والفرق بينهما أن الخبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف في قولك: مررت برجل لتكرمنه؛ لأنه قد خصصه وقوع الإكرام به في المستقبل، وليس ذلك الأمر في قولك: مررت برجل اضربه؛ لأنه لا يتخصص بالضرب في الأمر كما يتخصص في الخبر، فلذلك جاز أن يعرف بالضرب في الخبر ولم يجز في الأمر.

وأما معنى التبطئة في اللغة فقال الفراء في كتاب المصادر: بطؤ بطأ مثل قبح قبحًا، وأبطأ بطأ وأبطأ فيه يبطئ إبطاء، بمعنى واحد.

وقال الليث: البطء الإبطاء[٢].

فأما التَّبطئة فأكثرهم على أنه يعني الإبطاء أيضًا[٣].

ومعناها التأخر، والتشديد فيه على تكرار الفعل منه[٤].

وحكى أهل اللغة أن العرب تقول: ما أبطأ بك يا فلان عنا[٥].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٢) «العين» ٧/ ٤٦٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٥٢.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، و«التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٨، والقرطبي ٥/ ٢٧٥.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، و«بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، و«التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٨، والقرطبي ٥/ ٢٧٥.

(٥) «العين» ٧/ ٤٦٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٥٢، «الصحاح» ١/ ٣٦ (بطؤ).

وإدخالهم الباء يدل على أنه مطاوع[(١)]، وأجاز بعضهم أن يكون التَّبطئة واقعًا[(٢)]، فتقول بطأت فلانًا عن كذا، أي أخرته عنه.

وكلام المفسرين يدل على الوجهين فيه، فإن جعلته مطاوعًا لم يقتض مفعولًا وإن جعلته واقعًا اقتضى مفعولًا، وهو محذوف، والتقدير فيه: لَيُبطئن غيره، أو ليبطئن بغيره، إن كان المعنى أنه يحبس غيره عن القتال[(٣)].

وأكثر المفسرين على أن المراد أنه يحتبس بنفسه ويتأخر بقعوده عن الغزو[(٤)]، فقال مقاتل: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتخلفن عن الجهاد[(٥)].

وقال الكلبي: وإن منكم لمن يتثاقل[(٦)].

وقال قتادة: ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ عن الجهاد والغزو في سبيل الله[(٧)].

وهذا يحتمل أن يكون معناه ليبطئن غيره عن الجهاد.

---

(١) أي: لازم لا يتعدى إلى مفعول، كما سيأتي من كلام المؤلف، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٩، «الدر المصون» ٤/ ٢٩.

(٢) أي: متعديًا إلى مفعول، كما سيأتي من كلام المؤلف، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٨، ١٧٩، «الدر المصون» ٤/ ٢٩.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٦٥، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ أ، «زاد المسير» ٢/ ١٣٠، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٩، القرطبي ٥/ ٢٧٥، «الدر المصون» ٤/ ٢٩.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٥، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦/ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨، «زاد المسير» ٢/ ١٣٠ .

(٥) ابن حيان، وأخرج الأثر عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٧.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص (٨٩)، انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٤٨.

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٦، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.

وجماعة من المفسرين فسروا التبطئة ههنا بالتثبيط، وذلك يدل على أنه واقع[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾. قال ابن عباس: يريد من القتل[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ من العدو، وجهد من العيش.

وقال الكلبي: نكبة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾. أي قال هذا المبطئ قد أنعم الله علي بالقعود.

﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ يريد: حيث لم أحضر فيصيبني ما أصابهم من البلاء والشدة. قال[(٥)] ابن عباس[(٦)] ومقاتل[(٧)].

وقال الزجاج: أي إذ لم أشركهم في مصيبتهم[(٨)].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩، وأخرج الطبري ٥/ ١٦٦ نحوه عن ابن جريج.

(٣) هو ابن حيان، وأخرج الأثر عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.

(٤) لم أقف عليه عن الكلبي، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٣٠، عن ابن عباس.

(٥) هكذا، والصواب: «قاله». انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٧) هو ابن حيان، وأخرج الأثر عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٦.

وقال أهل المعاني: هذا القول من هذا المنافق على إظهار الشماتة بالمؤمنين، إذا أصابهم قتل وهزيمة(١).

٧٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: يريد إذا ظفرتم بعدوكم وغنمتم شيئًا. وقال الكلبي: فتح، أو غنيمة، أو نصر وظهور(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أي هذا المنافق، قول نادم حاسد(٣). ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾؛ لأسعد مثل ما سعدوا به من الغنيمة(٤).

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾. قرئ (يكن) بالياء والتاء(٥)، وكلا القراءتين قد جاء التنزيل به، فمن التذكير قوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقال في آية أخرى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، فالتأنيث هو الأصل، والتذكير يحسن إذا كان التأنيث غير حقيقي، سيما إذا وقع فاصلٌ بين الفعل والفاعل(٦).

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٦٥-١٦٦، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧. وكأن في كلام المؤلف سقطًا وذلك أن التعبير يحتاج إلى كلمة: «يدل» في أول كلام أهل المعاني، أو في أثنائه، قبل: «على إظهار...».

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٣) «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦١٨.

(٤) انظر: الطبري ١٦٦-١٦٧، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، والمصدرين السابقين.

(٥) القراءة بالتاء: (تكن) لابن كثير وحفص عن عاصم ويعقوب، وبالياء (تكن) للباقين من العشرة. انظر: «السبعة» ص ٢٣٥، «الحجة» ٣/ ١٧٠، ١٧١، «المبسوط» ص ١٥٧.

(٦) انظر: «الحجة» ٣/ ١٧١، «حجة القراءات» ص ٢٠٨، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١/ ٣٩٢.

واختلف أهل العربية في موضع قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾؛ فالأكثرون على أن هذا اعتراض بين المفعول وفعله؛ لأن المعنى: ليقولن: يا ليتني كنت معهم، فكما أن قوله ﴿قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ﴾ ﴿لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ في موضع نصب، يقال كذلك قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ﴾ في موضع نصب بقوله: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾، وقوله ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ﴾ متصل في النظم بقوله: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ﴾ ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾[(١)].

وعلى هذا الزجاج[(٢)] وابن الأنباري وأبو علي[(٣)] وصاحب النظم وكثير من أصحاب المعاني[(٤)].

ومعنى قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ قال الكلبي: أي معرفة وود في الدين[(٥)].

وقال مقاتل[(٦)]: يقول: كأنه ليس من أهل دينكم في المودة.

هذا قولهما في تفسير هذه الآية. والله تعالى يعلم أنه لم يكن بين هذا المنافق وبين المؤمنين مودة خالصة، ولكن أراد بهذه المودة المذكورة ههنا

---

(١) من «الحجة» ٣/ ١٧١ بتصرف يسير.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٦.

(٣) في «الحجة» ٣/ ١٧١.

(٤) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٨٠، «المحرر الوجيز» ١٣٠- ١٣٢، «زاد المسير» ٢/ ١٣١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٧٩، «البحر المحيط» ٣/ ٢٩٣، «الدر المصون» ٤/ ٣٢.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب.

(٦) ابن حيان، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٧، ٣٦٨، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.

مودة في الظاهر؛ لأن المنافقين كانوا يظهرون المودة للمؤمنين.

قال ابن الأنباري: أي كأن لم يُعاقدكم على الإسلام ويبايعكم على الصبر والثبات فيه، على ما ساء وسر و(....)[1].

ونحو هذا قال أبو علي: أي لا يعاضدكم قتال عدوكم، ولا يرعى الذِّمام الذي بينكم[2].

وقال الزجاج: أي كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم، ولم يعاقدكم على الإيمان، أي كأنه لم يُظهر لكم المودة[3].

فهذه الأقوال عن أهل المعنى تبيِّن أن المودة المذكورة في الآية يراد بها ما أظهره من المودة.

وأجاز ابن الأنباري وغيره أن يكون قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ مؤخرًا إلى آخر الآية، والتقدير: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة.

والمعنى على هذا التقدير أن الله تعالى لما أخبر عن هذا المنافق أنه يشمت بمصيبة المؤمنين، فيقول: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدًا، أو يحسدهم لما يصيبون من الغنيمة فيندم على التخلف، ويقول يا ليتني كنت معهم، قال بعد الإخبار عنه بهاتين الخلتين: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ

---

(١) غير واضح في المخطوط بقدر كلمتين، ولعلها (ونفع وضر) أو نحو ذلك.

(٢) «الحجة» ٣/ ١٧١.

(٣) هكذا هذِه العبارة وفيها ركاكة بالتكرار، وعبارة الزجاج في «معانيه» ٢/ ٧٦: «ومعنى المودة ههنا، أي كأنه لم يعاقدكم على الإيمان، أي كأنه لم يظهر لكم المودة، وجائز أن يكون والله أعلم: ليقولن: يا ليتني كنت معهم كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، أي كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم». وانظر: القرطبي ٥/ ٢٧٦.

﴿مَوَدَّةٌ﴾ أن يحسدكم ويشمت بكم[(١)].

وأجاز آخرون أن يكون موضع قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ حيث ذكر في النظم والمعنى؛ لأن معنى هذا الفصل لائق بمعنى هاتين الآيتين فأينما ذكر حسن ولم يكن أجنبيًا، وعلى هذا التقدير يكون قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ في موضع الحال من القائل الذي قال: يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ كما تقول: مررت بزيد، كأن لم يكن بينك وبينه معرفة، فتكون هذه جملة في موضع الحال، أي مررت به وهذه حالك[(٢)].

وقال بعض أهل المعاني على هذا التقدير: يجوز أن يكون قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ من كلام المنافق بقوله للذين أقعدهم عن الجهاد: كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة فيخرجكم لتأخذوا من الغنيمة. وإنما يقول هذا ليبغض لهم رسول الله ﷺ[(٣)].

وهذا وجه بعيد، وأصحاب العربية والنحو على الوجهين الأولين.

وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ قال مقاتل: أي فآخذ نصيبًا وافرًا[(٤)]. وذكرنا معنى الفوز فيما تقدم.

وهذا القول من هذا المنافق ليس على طلب المثوبة، وتمنيه الحضور

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/١٧٩، ١٨٠، «البحر المحيط» ٣/٢٩٣، «الدر المصون» ٤/٣٣.

(٢) انظر: «إملاء ما من به الرحمن بهامش الفتوحات الإلهية» ٢/٢٨٣، «الدر المصون» ٢/٣٤.

(٣) نسب نحو هذا القول لمقاتل وأبي علي الفارسي في «البحر المحيط» ٣/٢٩٣، «الدر المصون» ٤/٣٣.

(٤) هو ابن حيان، وأخرج الأثر عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/٣٢٧.

إنما هو على وجه الحسد للمؤمنين، عن قتادة وابن جريج[١].

قال أبو بكر: لم يقله رغبةً في الجهاد ولا حرصًا على طاعة النبي ﷺ، وإنما قاله حرصًا على فتنة الدنيا وميلًا إلى الازدياد منها، فلذلك نعى الله عليه هذا القول وليم به.

وانتصب قوله: ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنه جواب التمني بالفاء، والعلة في انتصابه عند أهل الكوفة أنَّ في التمني معنى: يسرني أن تفعل فافعل، فهذا نصب كأنه منسوق، كقولك في الكلام: وددت أن أقوم فيتبعني الناس. والتقدير في الآية: يسرني أن أكون معهم فأفوز. وهذا قول الفراء[٢].

وعند أهل البصرة انتصبت هذه الجوابات بالفاء بإضمار أن، ولا يجوز إظهارها. قالوا: وجميع ما انتصب بالفاء في الجواب إنما انتصب لمخالفة الثاني الأول، فلم يمكن عطفه عليه، فجعلت الأول بتقديره مصدره، وأضمرت بعد الفاء أن فنصبت بها الفعل، لتكون قد عطفت مصدرًا على مصدر؛ لأن أن والفعل بتقدير مصدر، وذلك قولك: ما زرتني فأحسن إليك، تقديره: ما كانت منك زيارة فإحسانٌ مني، هذا تقدير جميعه وتمثيله.

والتقدير في الآية: ليت لي كونا معهم ففوزًا عظيمًا. قالوا: وإنما لم يجز إظهار أن لأن ما قبلها فيه تقدير المصدر من غير إظهار للفظه، فلما كان المعطوف عليه مقدرًا غير مظهر، اختاروا أن يكون مضمرًا بعد الفاء ليشاكل ما قبلها[٣].

(١) أخرج الأثر عنهما الطبري ٥/ ١٦٦-١٦٧، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧.
(٢) في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٦، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٤، «الحروف» للمزني ص ٦٦.
(٣) انظر: «معاني الحروف» للرماني ص ٤٣، ٤٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٢، «رصف المباني» ص ٣٦٨، ٤٤٣، ٤٤٦.

٧٤- قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية. لما ذم الله تعالى المنافق بالتثبيط عن الجهاد، أمر المؤمنين بالقتال في سبيل الله، فكأنه قال: فلا تلتفتوا إلى تثبيط المنافقين وقاتلوا في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ﴾. معناه يبيعون[1]. يقال:

وشريت بردًا ليتني من بعد بردٍ كنت هامه[2]

وأصله الاستبدال والاختبار، فلذلك كان بالمعنيين.

وقال الشماخ:

فلما شراها فاضت العين عبرةً وفي الصدر حزاز من اللوم حامز[3]

والشرى في البيتين بمعنى البيع.

قال ابن عباس والحسن والسدي وابن زيد: ﴿يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي يبيعونها[4].

---

(١) الطبري ٥/ ١٦٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٦٩، (شرى)، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب.

(٢) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري كما في: ديوانه ٢١٣، «مجاز القرآن» ١/ ٤٨، ٣٠٤، «الكامل» ١/ ٣٧٣، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، «اللسان» ٤/ ٢٢٥٢ (شرى).
و«برد» كان عبدًا ليزيد وكان يحبه، فباعه فندم على ذلك، وتمنى أن لو كان بعد برد ميتًا، والهامه: الصدى يسمع على قبر الميت. انظر: «معاني الزجاج» ١/ ٢٧٨ [حاشية ٣].

(٣) هو من «ديوانه» ص١٩٠، و«تفسير القرطبي» ٩/ ١٥٥، و«جمهرة أشعار العرب» ص٢٤٨، و«الزاهر» ١/ ٢٦٩، و«غريب الحديث» لأبي عبيد ٤/ ٢٣٣، و«غريب الحديث» للحربي ٢/ ٤٨٠، و«العين» و«المحكم» و«اللسان» و«التهذيب» و«الجمهرة» (حزز).

(٤) عن ابن عباس. انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩. وعن السدي =

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ قال ابن عباس: يريد بالآخرة في هذا الموضع الجنة كأن المعنى يختارون الجنة على البقاء في الدنيا فيُجاهدون طلبًا للشهادة والقتل في سبيل الله[1].

وقال أهل المعاني: تقدير الآية يشترون الحياة الدنيا بالحياة الآخرة. كأنه قيل: يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية، فالآخرة صفة محذوفة الموصوف[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾ فيستشهد ﴿أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾ فيظفر. قاله الكلبي[3].

وقال ابن عباس: يريد كلاهما سواء[4].

وقوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ قال ابن عباس: يريد ثوابًا لا صفة له[5].

٧٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قال المفسرون: هذا حض من الله تعالى على الجهاد في سبيله؛ لاستنقاذ المؤمنين من أيدي أعدائهم[6]، والمعنى: أيُّ شيء لكم تاركين القتال[7]؟

= وابن زيد أخرجه الطبري ٥/ ١٦٧، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٧. أما عن الحسن فلم أقف عليه، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٣٩٨.

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٨٩.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص ٨٩.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص ٨٩.

(٦) انظر الطبري ٥/ ١٦٧-١٦٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٦ ب، والقرطبي ٥/ ٢٧٩.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، وانظر: الطبري ٥/ ١٦٧.

أي: أي شيء لكم في ما لو ترك القتال، مع هذه الأمور التي تقتضي الحرص على الجهاد؟ وهي قوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ﴾ الآية[1]، أي لا عذر لكم فيه.

قال أبو إسحاق: و﴿لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ في موضع نصب على الحال، كقوله: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٩][2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾. قال ابن عباس: يريد قومًا بمكة استضعفوا، فحبسوا وعذبوا[3].

قال: وكنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان[4].

وقال الكلبي: كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذًى شديدًا، وكان أهل مكة قد اجتهدوا أنْ يفتنوا قومًا من المؤمنين عن دينهم بالأذى لهم، وكانوا مستضعفين في أيديهم، لم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين، ولم يقدروا أن يهاجروا إلى المدينة[5].

واختلفوا في وجه خفض المستضعفين، فذكر المبرِّد فيه وجهين: **أحدهما**: أن يكون عطفًا على السبيل، المعنى: ما لكم لا تقاتلون في سبيل

---

(١) هي الآية التي تليها هذِه الآية المفسرة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٧، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٤، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٢.

(٣) أخرجه بنحوه من طريق العوفي: الطبري ٥/ ١٦٩، وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٨.

(٤) أخرجه عن ابن عباس: البخاري (٤٥٨٧) كتاب التفسير، باب: قوله ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، لكن بدون لفظ: «من النساء والولدان».

(٥) هو بمعنى الأثر المتقدم عن ابن عباس، ومر تخريجه، وأخرج الطبري ٥/ ١٦٩ نحوه عن ابن زيد. وروي عن الضحاك، انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٣٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨. ولم أقف عليه عن الكلبي.

الله وسبيل المستضعفين[١]. ثم اختار الوجه الأول، قال: لأنَّ القوم خرجوا إلى القتال في سبيل الله وخلاص المستضعفين، لا إلى القتال في سبيل المستضعفين؛ لأن القتال في سبيل الله أن يقاتل رجاء ثواب الله في طاعة الله، ولا يجوز القتال في سبيل المستضعفين على هذا المعنى، وإذا كان كذلك فالأولى أن يكون العطف على ما عملت فيه (في)[٢].

وذكر أبو إسحاق هذا وأشار إلى نحو ما ذكرنا فقال: وقول أكثر النحويين كما اختار أبو العباس، لاختلاف السبيلين؛ لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه: وخلاص المستضعفين، وإذا اختلف معنى السبيلين فالاختيار الأول. والوجه الثاني عند أبي إسحاق أشبه بالمعنى؛ لأن سبيل المستضعفين في سبيل الله، على معنى أن خلاصهم من سبيل الله[٣].

وأما التفسير: فقال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: معناه عن المستضعفين[٤]. وكذلك قاله مجاهد[٥] ومقاتل[٦].

---

(١) الظاهر أن هنا سقطًا أو حذفًا، وكل منهما مخل بالكلام، لأنه لم يأت بالوجه الثاني. وقد ذكر الزجاج الوجه الثاني عند المبرد بقوله: «قال: وجائز أن يكون عطفًا على اسم الله، أي في سبيل الله وسبيل المستضعفين» «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٧، ٧٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٤، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٣، «زاد المسير» ٢/ ١٣٢.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧١.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ. وأخرج الطبري ٥/ ١٦٨ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قال: «وفي المستضعفين».

(٥) عن مجاهد أنه قال في تفسير هذه الآية: «أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفي المؤمنين» تفسيره ١/ ١٦٥، وأخرجه الطبري ٥/ ١٦٨ وهذا رأي الحسن أيضًا. انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٣٩٩.

(٦) «تفسيره» ١/ ٣٨٩.

وقال أصحاب العربية: قولهم: (عن المستضعفين) معنى، وليس بتفسير للفظ، وذلك أن المراد بالقتال صرف الأذى عنهم، فيعود التأويل إلى ما ذكرنا أن التفسير: في سبيل الله وسبيل المستضعفين.

والولدان جمع الولد، ونظيره مما جاء على فعل وفعلان خرب وخربان[١] وورل وورلان[٢]، كذلك ولد وولدان[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ أخبر الله تعالى أن هؤلاء لما صدوا عن الهجرة كانوا يدعون الله تعالى ويقولون: ربنا أخرجنا .

قال ابن عباس: يريد إلى دار الهجرة وهي المدينة[٤].

﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يريدون مكة، في قول جميع المفسرين[٥].

﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم جعلوا لله شركًا[٦][٧].

قال الفراء: وخفض الظالم لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل على

---

(١) «الخرب»: ذكر الحُبارى، والجمع الخِرْبان «الصحاح» ١/ ١١٩ (خرب) وقد جاءت هذِه الكلمة عند الرازي في «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٢ «حزب وحزبان» بالزاي، ولعله تصحيف.

(٢) «الورل»: دابة مثل الضبّ، والجمع: ورلان «الصحاح» ٥/ ١٨٤١ (ورل) وجاءت في «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٢: «ورك وركان» بالكاف، ولعله تصحيف.

(٣) انظر: «أساس البلاغة» ص٥٢٦ (ولد)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٢، «الدر المصون» ٤/ ٣٨.

(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٢٠ دون نسبة لابن عباس، ولم أقف عليه.

(٥) الطبري ٥/ ١٦٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، «النكت والعيون» ٥٠٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ، «زاد المسير» ٢/ ١٣٢.

(٦) هكذا جاءت بالتنوين، وفي «الوسيط» ٢/ ٦٢٠: «شركاء» بالمد .

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠، وقد أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٢٠ دون نسبة لابن عباس.

القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها، كما تقول: مررت بالرجل الواسعة داره، ومررت برجل حسنة عينه[(١)].

وقال أبو إسحاق: ﴿ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾ نعت للقرية، وحدد الظالم لأنه صفة تقع موقع الفعل، يقال: مررت بالقرية الصالح أهلها: أي التي صلح أهلها[(٢)].

وهذه مسألة محتاج فيها إلى شرح وبيان، والنحويون يسمُّون ما كان من مثل هذا الصفة المشبهة باسم الفاعل، والأصل في هذا الباب أنك إذا أدخلت الألف واللام في الأخير أجريته على الأول في تذكيره وتأنيثه وعدده، نحو قولك: مررت بامرأة حسنة الزوج كريمة الأب، ومررت برجل جميل الجارية. وإذا لم تُدخل اللام في الأخير حملته على الثاني في التذكير والتأنيث والعدد، كقولك: مررت بامرأة كريم زوجها، ومن هذا قوله: ﴿مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾، ولو أدخلت الألف واللام على الأهل لقلت: من هذه القرية الظالمة الأهل[(٣)]، ومما أجري على الأول لما لم يكن في الثاني الألف واللام قول طرفة:

ومكان زَعِلٍ ظُلْمانه كالمخاض الجُرْب في اليوم المطر[(٤)]

(١) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٧، وانظر: الطبري ٥/ ١٦٨، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٤، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٠، «زاد المسير» ٢/ ١٣٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٧.

(٣) انظر: «الكتاب» ١/ ١٩٤-٢١٠، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٣، «الدر المصون» ٤/ ٣٩.

(٤) ديوان طرفة ص٤٢، و«العين» ١/ ٣٥٥، ٤/ ٢٢٩، و«تهذيب اللغة» (خدر)، و«مقاييس اللغة» (زعل)، و«أساس البلاغة» (خدر)، و«الشعر والشعراء» ص١٩٠، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيار الشنتمري ٢/ ٦٧. لكن قافيته فيهما: «الخدر» وأوله: «وبلاد» بدل: (ومكان)، وجاء في شرحهما: «بلاد»: رب بلاد، وزعل: =

ولو كان في الثانية والألف واللام لقال: زعلة الظلمان.

وإنما جاز أن يكون الظالم نعتًا للقرية، وهو من صفة أهلها، لأن الأهم قد يوصف بصفةٍ لسببه، كقولك: مررت برجل قائم أبوه، فالقيام للأب، وقد أجريته صفة للرجل، وكذلك: مررت برجل حسنة أمه، وإنما نعت بفعل سببه لأنه يخصه، ويُخرجه من إبهام إلى تخصيص، كما يُخرجه فعله المحض، فلما ساوى فعل سببه فعله نعت به، فقوله: من القرية الظالم نعت للقرية[(١)].

والهاء في ﴿أَهۡلُهَا﴾ يرجع إلى القرية[(٢)]، والأهل فاعل الظلم[(٣)]، ولذلك ارتفع، فإن ثنيت القرية أو جمعته لم يتغير لفظ الظالم؛ لأن الأهل واحد في اللفظ، والظالم بمنزلة فعل مقدم، والفعل إذا كان مقدمًا على الفاعل لم يثنَّ ولم يُجمع[(٤)]، ولهذا لم يؤنث الظالم؛ لأن الفعل إنما يؤنث إذا كان فاعله مؤنثًا، ولما كان فاعل الظلم مذكرًا لم يلحقه علامة التأنيث[(٥)].

= نشيط، وظلمان: جمع ظليم: وهو ذكر النعام، والمخاض: الحوامل النوق، أو ساعات الولادة، والجرب: جمع جرباء وهي الناقة المعيبة، واليوم الخدر: الشديد البرد أو المطر والريح، وخص اليوم الخدر لأن المخاض تنضم فيه وتجتمع. ولم أجد هذا البيت في كتب النحو والأدب، مما يدل على توسع المؤلف في العربية.

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٦٨، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٤٣، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٦٨.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٧٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٤٣، «الدر المصون» ٤/ ٣٨.

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٣، «الكشاف» ١/ ٢٨١.

(٥) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٨١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٢، «الدر المصون» ٤/ ٣٨.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾. قال ابن عباس: يريد ولِّ علينا رجلًا من المؤمنين (يوالينا)[(١)] على عدونا ويقوم بشرائعك وحدودك[(٢)].

وقال الكلبي: واجعل لنا من لدنك وليًا في ديننا، يعنون النبي ﷺ[(٣)].

وقال بعضهم: الولي ههنا القيم بالأمر لهم حتى يستنقذهم من أيدي أعدائهم؛ لأنه يتولى الأمر بنفسه ولا يكله إلى غيره[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥]. قال ابن عباس: يريد ينصرنا على عدوك وعدونا[(٥)].

وقال الكلبي: يريد مانعًا يمنعنا من المشركين[(٦)].

وقال الزجاج: أي تولنا بنصرك[(٧)].

قال الكلبي: فلما فتحت مكة جعل الله لهم النبي ﷺ وليًا[(٨)].

وقال ابن عباس: فاستجاب الله دعاءهم، وولى عليهم رسول الله عتَّاب بن أسيد[(٩)]، فكان عتاب يُنصف الضعيف من الشديد، والمظلوم من

---

(١) الكلمة غير واضحة تمامًا، وما أثبته هو الموافق لما في «الوسيط» ٢/ ٦٢١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٤) انظر القرطبي ٥/ ٢٨٠.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٧.

(٨) «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، وتنوير المقباس بهامش المصحف ص ٩٠.

(٩) هو أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد بن أبي العيص الأموي. أسلم يوم الفتح، =

الظالم، وأعانهم (...)[١]. فكانوا أعز بها من الظلمة قبل ذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٦]. قال ابن عباس: يريد في طاعة الله[٣] وتأويل ذلك أنها تُؤدي إلى ثواب الله في جنته التي أعدها لأوليائه، فلذلك سُميت طاعة الله: سبيل الله.

وقيل: معنى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في دين الله الذي شرعه ليؤدي إلى ثوابه ورحمته، فيكون التقدير على هذا: في نصرة دين الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾. قال ابن عباس: يعني المشركون واليهود والنصارى[٥].

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ قال: يريد في طاعة الشيطان[٦].

= واستعمله النبي ﷺ على مكة لما سار إلى حنين وكان رضي الله عنه صالحًا فاضلًا، توفي يوم مات أبو بكر رضي الله عنهما. انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٥٥٦، «الإصابة» ٢/ ٤٥١.

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٤٥١: أورده العقيلي في ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده إليه عن أميه عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ. وأورده السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨ عن الكلبي، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ دون نسبة، وذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٣٣، والرازي في «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٣، والأثر في «تنوير المقباس» بهامش المصحف» ص (٩٠).

(٣) ذكر في «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨)، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ أ، والقرطبي ٥/ ٢٨٠ غير منسوب لابن عباس، ولم أقف عليه عنه.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٦٩، «الوسيط» ٢/ ٦٢٢.

(٥) في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠: «أبو سفيان وأصحابه».

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

والطاغوت ههنا الشيطان في قول ابن عباس والحسن والشعبي[١]، والدليل على صحة ذلك قوله في هذه الآية: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾.

قال ابن عباس: يريد عبدة الأصنام[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ معنى الكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال، يقال: كاده يكيده كيدًا، إذا عمل في إيقاع الضرر به على جهة الحيلة عليه[٣].

وأما معنى ضعف كيد الشيطان، فقال ابن عباس: يعني خذلانه إياهم يوم بدر، قتلوا ببدر[٤].

وقال أصحاب المعاني: إنما وصف كيده بالضَّعف لضعف نُصرته لأوليائه بالإضافة إلى نصرة الله للمؤمنين[٥].

وقال الحسن: لما أخبر الله عن ضعف كيد الشيطان دلَّ ذلك على أنه يُظهر المؤمنين على أولياء الشيطان. فكأنه قيل: فقاتلوا أولياء الشيطان فإنكم منصورون عليهم. هذا معنى قول الحسن[٦].

---

(١) لم أقف على أثر عنهما أو نسبة لهذا القول إليهما. والقول بأن الطاغوت ههنا هو الشيطان قول عامة المفسرين، انظر: الطبري ٥/ ١٦٩، «تفسير الهواري» ١/ ٣٩٩، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٠، «زاد المسير» ٢/ ١٣٣.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص (٩٠) بلفظ: «جند الشيطان». وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٠.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٦٩-١٧٠، «الصحاح» ٢/ ٥٣٣ (كيد)، «بحر العلوم» ١/ ٣٦٩، «الكشف والبيان ٤/ ٨٧ ب.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٥) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٨١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٤.

(٦) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٤٠٠.

وفائدة إدخال كان في قوله: ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ التأكيد لضعف كيده، وذلك أنَّ كان يدلُّ على لزوم الضعف كيده، خلاف العارض الذي لم يكن ثم كان، وكيده مما يلزمه صفة الضعف، وليس عارضة فيه، بدلالة كان على هذا المعنى[(١)].

٧٧- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية.

يقال: كففت فلانًا عن السوء فكف يكف كفًّا، سواء لفظ اللازم والمجاوز[(٢)]. وأكثر المفسرين على أنَّ هذه الآية نازلة في قوم من المؤمنين، استأذنوا النبي ﷺ وهم بمكة في قتال المشركين، فلم يأذن لهم، فلما كتب عليهم القتال بالمدينة قال فريق منهم ما أخبر الله عنهم. وهذا قول ابن عباس[(٣)] والحسن[(٤)] وعكرمة[(٥)] وقتادة[(٦)] والكلبي[(٧)] والسدي[(٨)].

قال الكلبي: نزلت في عبد الرحمن بن عوف والمقداد[(٩)] وقُدامة بن

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٤.

(٢) «العين» ٥/ ٢٨٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٦ (كف).

(٣) أخرجه عنه من طريق عكرمة النسائي في «تفسيره» ١/ ٣٩٤، والطبري ٥/ ١٦٩- ١٧٠، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٨.

(٤) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١.

(٥) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٩-١٧٠.

(٦) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٩-١٧٠، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥٩٤.

(٧) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٨) أخرجه الطبري ٥/ ١٦٩-١٧٠، وابن أبي حاتم، انظر: ابن كثير ١/ ٥٧٦، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٨.

(٩) هو أبو الأسود أو أبو عمر المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني، اشتهر بابن =

مظعون[١] وسعد بن أبي وقاص، كانوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يُهاجروا إلى المدينة، يلقون من المشركين الأذى، فيشكون ذلك إلى رسول الله ويقولون: ائذن لنا في قتالهم، ويقول لهم رسول الله: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ فإني لم أؤمر بقتالهم، فلما هاجر رسول الله إلى المدينة وأمر بالقتال أمرهم أن يسيروا إلى بدر، فكرهه بعضهم، وهو طلحة[٢] بن عبيد الله، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وقال السدي: نزلت هذه الآية في أهل الإيمان بمكة[٤].

= الأسود، لأن الأسود بن عبد يغوث قد تبناه، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها وكان من الشجعان ومن أول من أظهروا الإسلام، توفي رضي الله عنه سنة ٣٣هـ. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٤١، «أسد الغابة» ٥/ ٢٥١، «الإصابة» ٣/ ٤٥٤.

(١) هو أبو عمرو قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجُمحي، من السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها، توفي رضي الله عنه سنة ٣٦هـ، وقيل بعدها .
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ٢٩٤، «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٦١، «الإصابة» ٣/ ٢٢٨.

(٢) هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي من السابقين إلى الإسلام، أحد أصحاب الشورى، ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، شهد أحدًا وما بعدها وبايع بيعة الرضوان وأبلى يوم أحد بلاء عظيمًا، واستشهد يوم الجمل سنة ٣٦هـ رضي الله عنه. انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٨٥، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣، «الإصابة» ٢/ ٢٢٩.

(٣) بنحوه في «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٠، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠، وهو بمعنى الأثر عن ابن عباس ومن قال به من التابعين، وتقدم تخريج ذلك.

(٤) أخرجه بمعناه الطبري ٥/ ١٧٠، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٨.

وقال عطاء: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ عن قتال عبدة الأصنام؛ لأنَّ الله لم يأمر بقتالهم[١]. وقال ابن إسحاق: كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي ﷺ: لو أذنت لنا أن نقاتل المشركين. فأمروا بالكف، وأداء ما افترض عليهم غير القتال، وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾. قال ابن عباس: فرض عليهم القتال بالمدينة.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ﴾. قال: يعني عذاب الناس القتل ﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾[٣]. وهو مصدر مُضاف إلى المفعول[٤].

﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾. قال ابن عباس: أو أكثر خشية[٥].

وقال الحسن: من صفة المؤمنين لما طُبع عليه البشر من المخافة، لا على كراهة أمر الله بالقتال[٦].

ودخلت ﴿أَوۡ﴾ ههنا من غير شك، ومعناه الإبهام على المخاطب بمعنى أنهم على إحدى الأمرين من المساواة أو الشدَّة -وهذا أصل ﴿أَوۡ﴾[٧]- وهو بمعنى أحد الأمرين على الإبهام[٨].

---

(١) لم أقف عليه. (٢) لم أقف عليه.

(٣) بنحوه في الأثر المتقدم من طريق عكرمة عن ابن عباس، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٥.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٦) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٧، «الوسيط» ٢/ ٦٢٤، القرطبي ٥/ ٢٨١.

(٧) انظر: «معاني الحروف» للرماني ص ٨٠.

(٨) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ١٣٦، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٦.

وقيل: دخلت أو للإباحة، على معنى: أنك إن قلت: يخشون الناس كخشية الله، فأنت مُصيب، وإن قلت: يخشونهم أشدَّ من خشية الله، فأنت مصيب(١)؛ لأنه حصل لهم مثل تلك الخشية وزيادة(٢).

وقال أهل العلم: في هذه الآية دلالة على أنَّ العبد إذا خاف غير الله استحق مذمة الله تعالى، ألا ترى أن هذا خرج مخرج المذمة لهؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾. إنما قالوا هذا جزعًا من الموت وحصرًا على الحياة، لا إنكارًا على الله سبحانه(٣) ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾.

قال ابن عباس: يريد: أفلا أخرتنا إلى الموت. أي هلَّا تركتنا حتى نموت بآجالنا وعافيتنا من القتل. قاله السدي(٤).

ثم أعلم الله ﷻ أنَّ متاع الدنيا قليل، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد(٥) ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ قال الكلبي: أجل الدنيا قريب(٦).

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ١٣٦.

(٢) خلاصة ما قيل -على ما ذكر المؤلف- في: (أو) هنا: أنها إما للإبهام أو للتخيير وهناك قول ثالث لم يذكره المؤلف -وهو للجمهور- أنها بمعنى (الواو) فتكون عاطفة. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٦، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٧ ب، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٣، «الكشاف» ١/ ٢٨٢، «المحرر الوجيز» ٤/ ١٣٦، «زاد المسير» ٢/ ١٣٥.

(٣) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٨٦.

(٤) روى معناه عن السدي مقطوعًا الطبري ٥/ ١٧٠، وابن أبي حاتم. انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٦، «تنوير المقباس» ص ٩٠، «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٩.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ١٧١، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٨ أ.

(٦) في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠، بلفظ: «منفعة الدنيا». انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٨ أ.

وقال الضحاك: عيش الدنيا قليل[١].

وقال ابن زيد: يسير ينقطع[٢]. وقيل: كل ما تمتعون به من الدنيا قليل.

﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: يريد الجنة خير لمن اتقى الله ولم يُشرك به شيئًا[٣].

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يريد لا ينقصون من ثواب أعمالهم مثل فتيل النواة. قال[٤] عطاء عن ابن عباس[٥]، ورُوي عنه أيضًا أنه قال: هو ما تفتله بيدك ثم تُلقيه احتقارًا[٦].

ومضى الكلام في هذا[٧]، هذا مذهب المفسرين في هذه الآية.

وقال مجاهد: هذه الآية في اليهود، إلى قوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٨] [النساء: ٨٣].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٦٢٤. (٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٤) هكذا في المخطوط، والظاهر الموافق للسياق: «قاله».

(٥) أخرج نحوه عن عطاء مقطوعًا الطبري ٥/ ١٧٢، ٦/ ١٢٩، ومن طريق علي ابن أبي طلحة في «تفسير ابن عباس» ص١٤٩، وأخرجه الطبري ٥/ ١٧٢، ٦/ ١٢٩، وأخرجه الطستي وابن الأنباري في الوقف والابتداء عن ابن عباس من مسائل نافع ابن الأزرق، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٩. وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد. انظر: «تفسير عبد الرزاق ١/ ١٦٤، والطبري ٥/ ١٢٩، ٥/ ١٧٢.

(٦) أخرجه الطبري ٥/ ١٧١، ٥/ ١٢٩ بنحوه من طرق، وكذا عبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٩. وهذا قول أبي مالك والسدي. انظر: الطبري ٥/ ١٧٢، ٥/ ١٢٩.

(٧) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]. وهذه الآية في القسم الساقط.

(٨) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٤ وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

قال: وهؤلاء الذين قيل لهم: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ هم الذين ذكروا في قوله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قرئ بالياء والتاء[١]، فمن قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة، وهو قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ﴾ ومن قرأ بالتاء فكأنه ضمَّ إليهم في الخطاب المسلمون[٢]، فغلَّب الخطاب على الغيبة، ويؤكد التاء قوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٌ﴾، وما في ﴿قُلۡ﴾ من الخطاب[٣].

٧٨- قوله تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾. هذه الآية عند الزجاج متصلة بالأولى إلى قوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ﴾؛ لأنه قال: وأعلمهم أنَّ آجالهم لا تخطئهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون، فقال: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾[٤].

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في المنافقين حين قالوا لما استشهد من المسلمين ممن استشهد بأحد: لو كان (إخواننا قتلوا)[٥] عندنا ما قتلوا، فأنزل الله هذه الآية[٦].

---

(١) قرأ بالياء أبو جعفر وابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «الحجة» ٣/ ١٧٢، «المبسوط» ص ١٥٦، «البدور الزاهرة» ص ٨٢.

(٢) في «الحجة» ٣/ ١٧٢: «النبي ﷺ والمسلمون».

(٣) من «الحجة» ٣/ ١٧٢، وانظر: «حجة القراءات» ص ٢٠٨، «الكشف» ١/ ٣٩٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٩.

(٥) هكذا في (ش)، وفي «أسباب النزول» للمؤلف ص١٧١: «إخواننا الذين قتلوا» وهو الصواب.

(٦) ذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص١٧١ عن ابن عباس من رواية أبي صالح، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٧، والقرطبي ٥/ ٢٨٢.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يا معشر المنافقين ولو كنتم في بُروج مشيَّدة[(١)]. والبروج في كلام العرب القصور والحصون.

وقال ابن المظفر: البروج بيوتٌ تُبنى على سور المدينة[(٢)].

وبروج الفلك اثنا عشر، كل برج فيها ثلاثون درجة[(٣)].

وأصلها في اللغة من الظهور، ومنه يقال: تبرجت المرأة، إذ أظهرت محاسنها[(٤)]. والبرج سعة العين لظهورها بالاتساع[(٥)].

وأما قول أهل التفسير في البروج فقال ابن عباس في رواية عطاء ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ يريد الحصون، أي لا تُرام[(٦)]. وقال في رواية الضحاك البروج الحصون والآطام والقلاع[(٧)].

وقال مجاهد وابن جريج: هي القصور[(٨)].

وقال الربيع والسدي وقتادة: يعني بروج السماء بأعيانها[(٩)].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٢) ذكر ذلك عن الليث (ابن المظفر) ابن منظور في «اللسان» ١/ ٢٤٤ (برج).

(٣) انظر: «الصحاح» ١/ ٢٩٩، «اللسان» ١/ ٢٤٤ (برج)، «معاني القرآن» لابن العربي ١/ ٤٦١.

(٤) «مقاييس اللغة» ١/ ٢٣٨، «الصحاح» ١/ ٢٩٩ (برج).

(٥) «مقاييس اللغة» ١/ ٢٣٨، وانظر: «اللسان» ١/ ٢٤٣ (برج) .

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٧، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٧) من الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ٨٨ ب.

(٨) أخرج نحو ذلك عنهما الطبري ٥/ ١٧٢، ١٧٣.

(٩) أخرج ذلك عن الربيع والسدي: الطبري ٥/ ١٧٣، وابن أبي حاتم عن السدي انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٢٩. أما قول قتادة فأنه كالأقوال المتقدمة، فقد أخرج الطبري ٨/ ٥٥٢ عنه أنه قال: «في قصور محصنة» وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٢٩

وأما المشيَّدة فقال الفراء في المصادر: شاد بناءه يشيد شيدًا، وأشاد بناءه أيضًا إشادة، وشيد بناءه يشيده تشييدًا، إذا رفعه[١].

وقال في المعاني[٢]: ما كان من جمع مثل: بروج مشيدة، ومثل قولك: مررت بثياب مصبغة، وأكبش مذبحة، فجاز التشديد لأن الفعل متفرق في جمع، فإذا أفردت الواحد من ذلك، فإن كان الفعل يتردد في الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك: مررت برجل مشجج، وثوب مخرق[٣]. جاز فيه التشديد لأن الفعل قد تردد فيه وكثر. وتقول: مررت بكبش مذبوح، ولا تقل: مذبح؛ لأن الذبح لا يتردد كتردد التخرق[٤].

وقال الزجاج في المشيد والتشييد والإشادة مثل قول الفراء[٥].

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة: المشيدة المطولة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ قال المفسرون: هذا موقف اليهود والمنافقين عند مقدم النبي ﷺ المدينة، وكان قد بسط عليهم الرزق، فلما كفروا أمسك عنهم بعض الإمساك، كما مضت سنة الله في الأمم، قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ٩٤]، فقالوا: ما رأينا أعظم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٧٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٧٩، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٠٢ (شاد).

(٢) أي الفراء في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٢٧٧.

(٣) في «معاني القرآن»: «ممزّق» والمعنى متقارب.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٧، وانظر: الطبري ٥/ ١٧٣.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٩.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٧.

شؤمًا من هذا، نقصت أثمارنا وغلت أسعارنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه. فقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يعني الخصب ورخص السعر وتتابع الأمطار، قالوا: هذا من عند الله، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جدب وغلاء الأسعار، قالوا: هذا من شؤم محمد.

وهذا كقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]. هذا قول الكلبي(١) وأكثر المفسرين(٢)، واختيار الفراء(٣) والزجاج(٤).

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ من النصر والغنيمة يقولوا هذه من عند الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ من القتل والهزيمة(٥).

وهذا قول الحسن(٦) وابن زيد(٧).

وعلى هذا المعنى فقوله: ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ قال ابن زيد: بسوء تدبيرك(٨).

وقال ابن الأنباري: إذا أصابهم الخصب ونالوا ما يحبون من الغنائم والأموال قالوا: هذا من عند الله، لم نزل نعرفه، لا شيء لمحمد فيهن،

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٠.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٧٤، «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١، «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٨ ب، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٦-٥٠٧ «زاد المسير» ٢/ ١٣٧.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٨.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٩.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٨.

(٦) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠١، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٦-٥٠٨.

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٤-١٧٥، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٠٦-٥٠٨، «زاد المسير» ٢/ ١٣٨، «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠.

(٨) المرجع السابق.

وإذا أصابهم الجدب والبلاء والشر قالوا: هذا الشقاء بشؤم محمد ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي النصر والهزيمة[١].

وقال أهل المعاني: جملة المعنى الذي تضمنته هذه الآية الحض على الجهاد، بأن الموت لا بد منه، فلا تجزعوا من الموت جزع المُعرض عن ذكره، ولا تجهلوا بإضافة المصيبة فيه إلى غير الله[٢].

وقال ابن عباس في بعض الروايات: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أما الحسنة فأنعم الله بها عليك، وأما السيئة فابتلاك بها[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لا يفهمون القرآن[٤].

والفقه في اللغة: الفهم، يقال: أوتي فلان فقهًا في الدين، أي فهمًا[٥]، ومنه قوله ﷺ لابن عباس: «**وفقهه في التأويل**»[٦] أي فهمه تأويله.

---

(١) مثل هذا مروي عن ابن زيد، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠-٣٣١، ولم أقف عليه عن عطاء.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٦٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٨٨ ب.

(٣) هذا الأثر من رواية على بن أبي طلحة عن ابن عباس في «تفسيره» ص ١٥١، والطبري ٥/ ١٧٤-١٧٥، والبيهقي في «الاعتقاد على مذهب السلف» أهل السنة والجماعة ص (٦٧، ٦٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠-٣٣١ أيضًا إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «زاد المسير» ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٤٤، «الصحاح» ٦/ ٢٢٤٣ (فقه).

(٦) أخرجه البخاري (١٤٣) كتاب: الوضوء، باب: (١٠) وضع الماء عند الخلاء ١/ ٤٥ بلفظ: «**اللهم فقهه في الدين**»، ومسلم (٢٤٧٧) في كتاب: فضائل الصحابة، باب: (٣٠) فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ٤/ ١٩٢٧ (ح ١٣٨) بلفظ: «اللهم فقهه» وأحمد في «مسنده» ١/ ٢٩٩ بلفظ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

٧٩- قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ يوم بدر، من النصر والغنيمة، فمن الله، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ﴾ يوم أُحد من القتل والهزيمة، ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾، يريد: فبذنبك. وهذا من الله مخاطبة للنبي ﷺ والمراد به أصحابه، والنبي من ذلك بريء، وذلك أن الله تعالى حين بعثه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وعصمه فيما يستقبل حتى يموت، فهو معصوم. انتهى كلام ابن عباس(١).

وهذا الذي ذكره مذهب أكثر أهل التفسير والمعاني(٢).

قال أبو إسحاق: هذا خطاب للنبي ﷺ يُراد به الخلق، ومخاطبة النبي ﷺ قد يكون للناس جميعًا؛ لأنه ﷺ لسانهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] فنادى النبي ﷺ وحده، وصار الخطاب شاملًا له ولأمته، فمعنى ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي ما أصبتم من غنيمة، أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله جل وعز، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي من جدب وغلبةٍ في حرب ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: أصابكم ذلك بما كسبت أيديكم(٣).

---

(١) ورد نحوه من طريق علي بن أبي طلحة في تفسير ابن عباس ص ١٥٢، وأخرجه الطبري ٥/ ١٧٥-١٧٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٣٨. ولم أقف على رواية عطاء، وانظر: «تنوير المقباس» ص ٩٠، وأخرج ابن أبي حاتم نحوه من طريق عطية العوفي عن ابن عباس. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣١-٣٣١ .

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٧٥-١٧٧، «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٦-٥٠٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٩، ٨٠، وانظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٧، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٣٥.

وقال الكلبي: ما أصابك من خير فالله هداك له وأعانك عليه، وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك، عقوبة للذنب[١].

وقال قتادة: ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ عقوبة لذنبك يا ابن آدم[٢]. وكذلك قال الحسن[٣] والسدي وابن جريج[٤] والضحاك في تفسير قوله: ﴿فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ فبذنبك. ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

وقال أبو بكر بن الأنباري: ما أصابك من خصب فمن تفضل الله، وما أصابكم من جدب وغم فمن أجل ذنوبكم، فخوطب النبي ﷺ والمعني الأمة.

وهذا القول هو اختيارنا لموافقته الآثار واللغة، ودلالة الآية الأولى على صحته، ولأن الحسنة معلوم أنها تكون بمعنى الخصب، والسيئة بمعنى الجدب، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] أراد: واختبرناهم بالخصب والجدب. ونحو هذا قال ابن قتيبة[٥].

---

(١) لم أقف عليه، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٥-١٧٦، وعبد بن حميد، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٧-٥٠٩، «زاد المسير» ٢/ ١٣٩.

(٤) أخرجه عن السدي وابن جريج: الطبري ٥/ ١٧٥-١٧٦.

(٥) في «تفسير غريب القرآن» ص١٢٧.

ولا تعلق للقدرية بهذه الآية؛ لأن الحسنة والسيئة المذكورتين هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية وأكساب العباد بحالٍ، ولا يجوز ذلك[(١)] قال ابن الأنباري: لأن الحسنة التي يُراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتني، إنما يقال: أصبتها، وليس في كلام العرب: أصابت فلانًا حسنةٌ على معنى: عمل خير، وكذلك: أصابته سيئة، على معنى عمل معصية، غير موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئة، إذا عملها واكتسبها، واللغة تُروى، ولا تُعمل عملًا، فانفساخ قول القدرية واضح بين.

وأكد الحسين بن الفضل هذا المعنى فقال: لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال: ما أصبت، ولم يقل: ما أصابك؛ لأن العادة جرت بقول الناس: أصابني بلاء ومكروه، وأصابني فرح ومحبوب، ولا يكاد يسمع: أصابني الصلاة والزكاة، والطاعة والمعصية، فالحسنة والسيئة في هذه الآية ماستان مصيبتان، ولا ممسوستان مصابتان، وإذا كانتا بهذه الصفة لم يكن بيننا وبين أهل القدر خلاف أنهما تكونان من فعل الله تعالى وخلقه، كالخصب والجدب، والنصر والهزيمة.

وإذا صح هذا كان معنى قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ على ما ذكره المفسرون وأرباب المعاني، وبطل تعلقهم بالآية.

ومن المفسرين من أضمر في الآية شيئًا، وهو ما يُروى عن أبي صالح أنه قال: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ وأنا قدَّرتُها عليك[(٢)].

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٩ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، «التفسير الكبير» ١٠/ ٩٠-١٩٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٥-١٧٦، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠-٣٣١ أيضًا إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقد ورد =

ونحو هذا روي عن زيد بن علي. وهذا لا يكاد يستقيم، لأنه إضمار ليس عليه دليل[١]، ولأنا قد بينا أنه لا يجوز حمل الحسنة والسيئة في هذه الآية على الطاعة والمعصية، فاستغنينا عن هذا التكلف.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾. قال ابن عباس: يريد أنك قد بلغت رسالاتي ونصحت عبيدي[٢]. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ما بلغت من رسالة ربك.

٨٠- قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

قال ابن عباس: يريد أن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعة لله[٣].

وقال الزجاج: أي من قبل ما أتى به الرسول فإنما قبل ما أمر الله جل وعز[٤] به.

وقال الحسن: جعل الله طاعة رسوله ﷺ طاعته، وقامت به الحجة على المسلمين[٥].

وذكر الشافعي رحمه الله في الرسالة في فرض طاعة الرسول[٦] هذه الآية، وقال: إن كل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه، كالحج والصلاة

= «وأنا كتبتها عليك» قراءة عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم انظر: «إعراب القرآن» لنحاس ١/ ٤٧٤، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٣، «البحر المحيط» ٣/ ٣٠١، «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٠-٣٣١.

(١) بل عليه دليل وهو القراءة الواردة عن الصحابة، وتعتبر تفسيرية. وتقدم قريبًا عزو ذلك عند الأثر عن أبي صالح.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٧٠.

(٥) «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٤٠٢.

(٦) أي: في باب فرض الله طاعة رسول الله من «الرسالة» ص ٧٩.

والزكاة، لولا بيان رسول الله ﷺ ما كنَّا نعرف كيف نأتيها، ولا يمكننا أداء شيء من العبادات، وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة، كانت طاعته على الحقيقة طاعةً الله. هذا معنى كلام الشافعي[(١)].

وقال مقاتل في هذه الآية: إن النبي ﷺ كان يقول: «**من أحبني أحب الله، وما أطاعني فقد أطاع لله**»[(٢)] فقال المنافقون: لقد قارف هذا الرجل الشِّرك، وهو ينهى أن يُعبد غير الله، وما يريد إلا أن نتخذه[(٣)] ربًا كما اتخذت النصارى عيسى، فأنزل الله تصديقًا لقول نبيه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾. قال ابن عباس: يريد عن طاعة محمد[(٥)]، وقال مقاتل: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعته[(٦)].

ومعنى التولِّي في اللغة الإعراض، وقد أعطينا حقه عند قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

من المفسرين من يجعل التولِّي في هذه الآية إعراضًا جهارًا[(٧)]،

---

(١) انظر: «الرسالة» ص ٧٩- ١٠٤، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٣.

(٢) «تفسيره» ١/ ٣٩١، وآخره أخرجه البخاري (٢٩٥٧) في الجهاد، باب: يقاتل من وراء الإمام، ومسلم (١٨٣٥) في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء.

(٣) في (ش): (يتخذه) بالياء، ولعل الصواب: (نتخذه) بالنون، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٣.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٣، «زاد المسير» ٢/ ١٤١.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٦) «تفسيره» ١/ ٣٩٢ ولفظه: «أعرض عن طاعتهما».

(٧) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «المحرر الوجيز» ٤/ ١٤٤، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٤.

ويقول: هذا في أول ما بُعث، ويقول في معنى قوله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي حافظًا لهم من التولي والإعراض كما قال جل وعز: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨] ثم أمر فيما بعد بالجهاد والإكراه بالسيف، ونُسخ هذا وأمثاله.

وهذا معنى قول ابن زيد(١)، واختيار ابن قتيبة(٢).

ومنهم من يجعل التولي ههنا إضمار العداوة للرسول، والإعراض عنه في السر؛ كتولي المنافقين، ويقول في قوله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي حافظًا لهم من المعاصي حتى لا تقع، حافظًا لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها؛ لأن الله هو المُجازي بها. وإلى هذه الطريقة مال أبو إسحاق؛ لأنه يقول في قوله: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: تأويله والله أعلم أنك لا تعلم غيبهم، وإنما لك ما ظهر منهم(٣).

ومعنى جواب الجزاء في قوله: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ كأنه يقول: ومن تولى فليس عليك بأس لتوليه؛ لأنك لم ترسل عليهم حفيظًا من المعاصي حتى لا تقع، أو حفيظًا لأعمالهم التي يقع الجزاء عليها، فتخاف ألا تقوم بها على ما ذكرنا(٤). وعلى هذه الطريقة لا موضع للنسخ في الآية.

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٧، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣١.

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٢٧، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ ب، والقرطبي ٥/ ٢٨٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٠، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٤.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٧٧، «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٢، «الكشاف» ١/ ٢٨٤، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٤.

٨١- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ يعني المنافقين، في قول الحسن[١] والسدي[٢]، والضحاك[٣]، وأكثر المفسرين[٤].

قال ابن عباس: كانوا يقولون للنبي ﷺ: طاعة، يريدون أطعناك[٥].

وقال الكلبي: كانوا يقولون للنبي ﷺ: طاعة، يريدون: أطعناك.

وقال الكلبي: كانوا يقولون طاعة لأمرك[٦].

وقال مقاتل: كانوا يقولون طاعةٌ لأمرك[٧].

وقال مقاتل: كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ قالوا: مرنا بما شئت، فأمرك طاعة[٨].

وقال النحويون: معناه: أمرُنا طاعة[٩]، أي أمرنا وشأننا أن نُطيعك.

---

(١) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٨، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٢ أيضًا إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٩، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٣٩.

(٤) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٥٠٩، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ ب، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٤، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٦) هذان القولان للكلبي متقاربان، ويحتمل أنه تكرار في النسخ، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٧) ليس في «تفسير مقاتل»، وإنما فيه قوله التالي، ويحتمل أن هذا تكرار لقول الكلبي السابق.

(٨) «تفسيره» ١/ ٣٩٢، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٠، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

(٩) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٥١، «معاني الزجاج» ٢/ ٨١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٧.

وقال بعضهم: منا طاعة[(١)]. وقال أبو إسحاق: والمعنى أنَّ إضمار أمرنا أجمع في القصة وأحسن[(٢)].

وقال الفراء: الرفع على قولك: منا طاعة، وأمرك طاعة[(٣)]. قال: والطاعة اسم من أطاع، يقال: أطعته إطاعة وطاعة، كقولك: أطقته إطاقه وطاقة، وأجبته إجابة وجابة. ذكر ذلك في المصادر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ﴾. قال الكلبي: خرجوا من عندك[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾. قال الزجاج: كل أمر فكر فيه (أو خيض)[(٦)] فيه بليل فقد بيت، يقال: هذا أمر قد بيت بليل، ودبر بليل، بمعنى واحد. قاله في قوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨][(٧)].

وقال في هذه الآية: كل أمر قضي بليل قيل: بيت[(٨)]، وهو قول أبي عبيدة[(٩)] وأبي العباس[(١٠)] وجميع أهل اللغة، وأنشدوا:

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٨، الطبري ٥/ ١٧٧، «معاني الزجاج» ٢/ ٨١، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٨.

(٤) أي الكلام على اشتقاق «طاعة» ووزنه، وقد أشار إلى أنه من ذوات الواو في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٦) في المخطوط: «وأخيض» والتصويب من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠١.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠١، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٠ (بيت)، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٥.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١.

(٩) في «مجاز القرآن» ١/ ١٣٣.

(١٠) أي المبرد في «الكامل» ٣/ ٣٠.

أتـونـي فـلـم أرض مـا بـيـتـوا وكـانـوا أتـونـي لأمـر نـكـر[١]

وحُكي عن الأخفش أنه قال: العرب تقول للشيء إذا قدّر: قد بيت، يشبهونه بتقدير بيوت الشعر[٢].

وقال أهل اللغة: إنما قيل للتدبير بالليل تبييت لأنه تدبير في البيوت وقت البيتوتة[٣]، وذلك الوقت أخلى للأفكار. هذا كلام أهل اللغة في هذا الحرف.

فأما كلام المفسرين، فقال عطاء عن ابن عباس في قوله: بيت طائفة منهم غير الذي تقول: «**يريد أضمروا في قلوبهم غير الذي تقول**»[٤].

وقوله راجع إلى معنى التقدير؛ لأن إضمارهم الشيء تقدير منهم مع أنفسهم.

قال عبد الله بن مسلم[٥]: (ويقولون طاعة) بحضرتك، (فإذا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) أي قالوا وقدروا ليلًا غير ما أعطوك نهارًا[٦].

---

(١) البيت لعبيدة بن همام العدوي في «مجاز القرآن» ١/ ١٣٣، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ ب، وغير منسوب في «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٢٧، «الكامل» ٣/ ٣٠، «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ٩١ أ، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٤، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٥. وينسب نحو هذا الكلام لأبي عبيدة، انظر: «مقاييس اللغة» ١/ ٣٢٥ (بيت) وقد تكون آخر كلمة: «الشعر» بكسر الشين وسكون العين.

(٣) انظر: «معجم مقاييس اللغة» ١/ ٣٢٥ (بيت).

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩١ أ، «الوسيط» ٢/ ٦٣٣، «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٤، «زاد المسير» ٢/ ١٤٣، «البحر المحيط» ٣/ ٣٠٤.

(٥) أي: ابن قتيبة.

(٦) «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٢٧، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٤، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

وقال الكلبي: (بيت) غير طائفة منهم[١].

وقال قتادة: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يغيرون ما عاهدوا عليه النبي ﷺ[٢].

وكذلك قال الفراء في معنى التبييت، أنه بمعنى التغيير[٣].

وهذا التفسير راجع أيضًا إلى معنى التقدير؛ لأن: من قدّر شيئًا غير الأول فقد غير وبدل، وإنما يكون التبييت بمعنى التغيير إذا استعمل مع غير، يقال: بيت فلان غير ما قال إذا غيره ورجع عنه بتدبير وتقدير في نفسه.

وبعضهم يقول: إن التبييت في لغة طيّ يكون بمعنى التغيير[٤]، وينشدون:

وبيت قولي عبد المليك قاتلك الله عبدًا كفورًا[٥]

معنى بدلت وغيرت. وهذا لا يستقيم في معنى الآية؛ لأنك لو حملت الآية عليه كان المعنى غير طائفة أو النبي، على ما تذكر في تفسير: ﴿نَقُولَ﴾، وليس كذلك معنى الآية، لأنهم غيروا ما قالوه أو قاله النبي ﷺ لا غير ذلك، فقد بان لك أن التبييت إنما يستعمل بمعنى التغيير إذا كان مع غير.

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ٩١ ب، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٨، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٨٠ ب، وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ ب.

(٥) البيت للأسود بن عامر الطائي كما في «تفسير الطبري» ٥/ ٢٧١ وهو غير منسوب في «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٢٨، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٠ ب، «زاد المسير» ٢/ ١٤٣، القرطبي ٥/ ٢٨٩.

وهذا ظاهر بحمد الله. والمفسرون فسروا ﴿بَيَّتَ﴾ بمعنى: غير، ذهابًا إلى المعنى، كما بينا.

وأما قوله: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ فيدل كلام بعض المفسرين على أن ﴿تَقُولُ﴾ من فعل الطائفة، ويدل كلام بعضهم على أنه مخاطبة للنبي ﷺ وأنه القول له.

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد أضمروا في قلوبهم غير الذي تقول[١].

وهذا التفسير محتمل لوجهين: أضمروا غير ما قلت لهم يا محمد. وأضمروا غير ما قالوا هم، على معنى أنهم أسروا غير ما أظهروا وأضمروا الخلاف عليك.

وقال الكلبي في قوله: ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾: غير ما أتيتهم به[٢].

وهذا يدل على أن القول للنبي ﷺ.

وقال الحسن في معنى قوله: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾: على وجه التكذيب[٣]. وهذا أيضًا يدل على أن القول للنبي ﷺ؛ لأن المعنى أنهم كذبوا ما يقول لهم.

وقال قتادة في هذه الآية: يغيرون ما عاهدوا عليه النبي ﷺ[٤] وهذا يدل على أن القول للطائفة.

وقال الفراء: غير ما قالوا وخالفوا[٥].

---

(١) تقدم الأثر وعزوه، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٣.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٣) «النكت والعيون» ١/ ٥١٠.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.

وقال عبد الله بن مسلم[١]: قدروا ليلًا غير ما أعطوك نهارًا[٢].

وهذه الآية تقوي الطريقة الثانية في الآية الأولى، وهي أن معنى التولي في قوله: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ إضمار العداوة والخلاف للنبي ﷺ.

وقال أبو إسحاق: هذا ونظائره في كتاب الله جل وعز من أبين آيات النبي ﷺ؛ لأنهم ما كانوا يخفون عنه أمرًا إلا أظهره الله ﷻ[٣].

وأكثر القراء قرأوا ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ بفتح التاء والإظهار[٤]، لانفصال الحرفين واختلاف المخرجين[٥].

وقرأ حمزة (بيت طائفة) جزمًا مُدغمًا[٦]. قال الفراء: جزمها لكثرة الحركات، فلما سكنت التاء اندغمت في الطاء[٧].

وقال غيره[٨]: إن الطاء والتاء والدال من حيز واحد، فالتقارب الذي بينها يُجريها مجرى الأمثال[٩] في الإدغام[١٠] الأنقص صوتًا من الحروف

---

(١) ابن قتيبة.

(٢) «غريب القرآن» ص١٢٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١.

(٤) هذِه قراءة السبعة غير أبي عمرو وحمزة. انظر: «السبعة» ص ٢٣٥، «الحجة» ٣/ ١٧٣.

(٥) «الحجة» ٣/ ١٧٣، وانظر: «الكشف» ١/ ٣٩٣، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

(٦) وقراءة أبي عمرو أيضًا. انظر: «السبعة» ص ٢٣٥، «الحجة» ٣/ ١٧٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.

(٨) أبو علي في «الحجة» ٣/ ١٧٣.

(٩) في الحجة: «المثلين».

(١٠) ذهب هنا كلام من الحجة حذفًا أو سقطًا، وهو: «ومما يحسن الإدغام أن الطاء تزيد على التاء بالإطباق، فحسن إدغام الأنقص..» إلخ.

في الأزيد بحسب قبح[١] إدغام الأزيد في الأنقص، ألا ترى أن الضاد لا تُدغم في مقاربها، ويدغم مقاربها فيها؟ وكذلك الصاد والسين والزاي لا يُدغمن في مقاربها، ويدغم مقاربها فيها، ويدغم بعضها في بعض[٢].

وذُكر في تخصيص طائفة من جملة المنافقين بالتبييت وجهان: **أحدهما**: أنه ذكر من علم أنه يبقى على كفره ونفاقه، فأما من علم أنه يرجع عن ذلك فإنه لم يذكرهم.

والثاني: أن هذه الطائفة كانوا قد أسهروا ليلهم في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا، فلم يذكروا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾. ذكر أبو إسحاق فيه وجهين: أحدهما أن معناه ويُنزله إليك في كتابه.

والثاني يحفظ عليهم ليُجازوا به[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد فاصفح عنهم[٥] وذلك أن الله تعالى نهى عن قتل المنافقين[٦].

وقال أبو إسحاق: أي لا تسم هؤلاء بأعيانهم، لما أحب الله من ستر

---

(١) في المخطوط: «فتح» وما أثبته من الحجة، وهو أولى لمقابلته الحسن في إدغام الأنقص في الأزيد.

(٢) «الحجة» ٣/ ١٧٣، وانظر: «الكشف» ١/ ٣٩٣، «زاد المسير» ٢/ ١٤٢.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩١ أ، «زاد المسير» ٢/ ١٤٣، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٣ .

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٣، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٦) وذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالأمر بقتالهم وذكر ذلك عن ابن عباس. انظر «زاد المسير» ٢/ ١٤٣.

أمر المنافقين إلى أن يستقيم أمر الإسلام(١).

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال عطاء: يريد: واصبر على خلافهم(٢).

وقال ابن كيسان: اعتمد بأمرك عليه(٣).

وقال أهل اللغة: معنى (توكل على الله) أي علم أن الله كافل أمره فركن إليه وحده(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ الوكيل في اللغة معناه الموكول إليه، وهو فعيل بمعنى مفعول(٥).

وقال ابن كيسان: وكفى بالله معتمدًا وملجأ.

وقال عطاء: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يريد لمن توكل عليه(٦).

وقال بعضهم: الوكيل القائم بما يُفوض إليه من التدبير.

قال المفسرون: كان الأمر والمعاني [...](٧).

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٧ (وكل).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٧، «اللسان» ٨/ ٤٩١٠ (وكل).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) حصل سقط وخلط في المخطوط فقد بتر الكلام وأتي مباشرة بتفسير وسط الآية ٨٣- ٨٦ من هذه السورة، وقد وجدت بعد ذلك بلوحة كثيرًا من تفسير الآية ٨٢ أو أكثره أو كله، فقدمت تفسير الآية ٨٢ في الصفحة هنا وأخرت ما قدم في المخطوط من تفسير الآية ٨٣ وما بعده.

٨٢- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ معنى التدبير والتدبر في اللغة النظر في العواقب[١]، ومنه قول الأكثم[٢] ألا[٣] تتدبروا أعجز[٤] الأمور قد ولت صدورها[٥].

ويقال لمن نظر في أمر قد أدبر: استدبر فلان أمره، ويقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، أي: لو عرفت في صدره ما عرفت في عاقبته[٦].

وقال الزجاج: معنى تدبرت الشيء: نظرت في عاقبته، وسمي النحل دبرًا لأنه يعقب ما ينتفع به. والمال الكثير دبر، لأنه يبقى للأعقاب والأدبار[٧].

ومعنى الآية: أفلا يتأملون القرآن ويتفكرون فيه.

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٣، «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٢٤، «الصحاح» ٢/ ٦٥٥ (دبر).

(٢) في المخطوط: «الأكثر» والتصويب من «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٣ (دبر) وأكثم هو بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي الحكيم المشهور، أحد المعمرين، أدرك الإسلام وقصد المدينة ليسلم فمات في الطريق في نحو سنة ٩هـ. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص (٢١٠)، «أسد الغابة» ١/ ١٣٤، «الإصابة» ١/ ١١٠، «الأعلام» ٢/ ٦.

(٣) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٣، «اللسان» ٣/ ١٣٢١ (دبر): «لا»، ولعله هو الصواب كما سيأتي من بيان لقول أكثم.

(٤) في «التهذيب»: «أعجاز».

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٣، «اللسان» ٣/ ١٣٢١ (دبر)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٦، وقال الأزهري مبينًا قول أكثم: «يقول: إذا فاتكم الأمر لم ينفعكم الرأي، وإن كان محكمًا».

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٣ (دبر)، «التفسير الكبير» ١٠/ ١٩٦، «اللسان» ٣/ ١٣٢١ (دبر).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٤ .

قال ابن عباس: وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي[١].

وقال الزجاج: يعني به المنافقون[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وباطل[٣].

وقد بين الزجاج وكشف عن هذا المعنى فقال: لو كان ما يُخبرون به مما بينوا وما يسرون فيوحى إلى النبي ﷺ لولا أنه من عند الله لكان الإخبار به مختلفًا؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ[٤]. فالاختلاف على هذا التفسير معناه الكذب.

وقال قتادة وابن زيد في قوله: ﴿ٱخْتِلَٰفًا﴾: أي تناقضًا من جهة حق وباطل[٥]. وهذا القول معناه كالأول؛ لأنَّ تأويله: أنه لو كان من عند غير الله لكان ما فيه من الإخبار عن الغيب بعضه حقًا وبعضها باطلًا.

وقال بعض أهل المعاني: قوله: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾ أي من جهة بليغ ومرذول[٦]. يعني أنه لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٤، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٢.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩١ ب، «زاد المسير» ٢/ ١٤٤، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٢.

(٥) هذا معنى قولهما، وقد أخرجه ابن جرير ٥/ ١٧٩-١٨٠، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٤٠، «النكت والعيون» ١/ ٥١٠، «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٢.

(٦) «النكت والعيون» ١/ ٥١٠، ونسبه الماوردي لبعض البصريين، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٥.

العباد، بعضه بليغ حسن وبعضه مرذول فاسد، فلما كان جميع القرآن بليغًا عرف أنه من عند الله.

ومعنى الاختلاف في اللغة: أن يذهب أحد الشيئين خلاف ما ذهب إليه الآخر، والأقوال المختلفة أن يذهب بعضها إلى الخطأ وبعضها إلى الصواب، أو بعضها إلى الحسن البليغ وبعضها إلى المرذول القبيح.

وليس بحمد الله في القرآن اختلاف تناقض، ولا اختلاف تفاوت، بأن يكون بعضها حسنًا وبعضه قبيحًا.

فأما اختلاف القراءات، واختلاف مقادير الآيات والسور، واختلاف الأحكام في الناسخ والمنسوخ فكلٌّ صواب وكله حق، وليس ذلك اختلافًا يؤدي إلى فساد وتناقض، بل هو اختلاف يوافق بعضه بعضًا في الحسن(١).

---

(١) ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد يوضح هذا المعنى ويؤكده، فمما قال حول ذلك: «الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وذلك صنفان: أحدهما: أن يُعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبة تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمَّى... كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند، وذلك مثل أسماء الله الحسنى وأسماء رسوله ﷺ وأسماء القرآن.

الصنف الثاني: أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه....

ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملًا للأمرين، إما لكونه مشتركًا في اللفظ كلفظ (قسورة) الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد. ولفظ (عسعس) الذي يراد به إقبال الليل وإدباره...» «مجموع الفتاوى» ١٣/ ٣٣٣- ٣٤٠، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٠٥.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي عنه في هذه الآية: أفلا يتفكرون في القرآن فيرون بعضه يُشبه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، وأن أحدًا من الخلائق لم يكن يقدر عليه، فيسلمون بذلك أنه من عند الله، إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا أي تفاوتًا وتناقضًا كثيرًا[١].

فجعل الاختلاف في هذا القول اختلاف التناقض.

٨٣- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ الآية[٢]. المفسرون وأرباب المعاني فوضى مختلفون في هذه الآية، ولا تكاد ترى لأحدهم متفق الصدر والعجز في معناها، وسأبين ما هو الأوفق والأليق إن شاء الله.

قال أبو بكر محمد بن القاسم[٣]: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يُرجفون بسرايا رسول الله ﷺ ويُخبرون بما وقع بها وبما أدركت ولحقت، قبل أن يُخبر به النبي ﷺ فيضعفون قلوب المؤمنين ويؤذون النبي ﷺ سبقهم إياه بالأخبار، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أي أبدوه وأظهروه قبل إبداء الرسول إياه إلا قليلًا منهم ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي أولي أمر السرايا، حتى يكون النبي ﷺ والأمراء هم الذين يُخبرون به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ كل طالب علمه، واستغنوا بذلك عن الإخبار بما يغم رسول الله ﷺ ويؤذي المسلمين[٤].

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٢) جعلت هنا تفسير الآية (٨٣) الذي كان مقدمًا في المخطوط على تفسير الآية (٨٢).

(٣) ابن الأنباري.

(٤) لم أقف عليه عن ابن الأنباري.

وهذا الذي قاله أبو بكر معنى صحيح عليه كثير من المفسرين[١]، وأذكر من أقوالهم ما وافق هذا المعنى.

قال ابن عباس: هذا في الأخبار، إذا غزت السرية من المسلمين أخبروا الناس عنها، فقالوا: أصاب المسلمين من عدوهم كذا وكذا، فأفشوه بينهم[٢].

وقال (السدي)[٣]: نزل هذا في أصحاب الأخبار والأراجيف كانوا إذا سمعوا من النبي خبرًا أفشوه حتى يبلغ العدو فيأخذ حذره، وكذلك كانوا يصنعون إذا كانوا غزاةً في السرايا[٤].

وقال الكلبي: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ حديث فيه أمن ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ يعني الهزيمة ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أفشوه، ولو سكتوا عنه حتى يكون الرسول هو الذي يُفشيه، أو أولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعلي، ويقال أمراء السرايا ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتبعونه، ويقال: يطلبون علم ذلك[٥].

قال: وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغلبت أو غُلبت تحدثوا بذلك وأفشوه، ولم يقفوا في ذلك حتى يكون رسول الله يخبرهم، فأنزل

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٩، والطبري ٥/ ١٨٢، «معاني الزجاج» ٢/ ٨٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٧١، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٣ أ، «زاد المسير» ٢/ ١٤٥.

(٢) أخرجه بمعناه من طريق العوفي ومن طريق ابن جريج الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٥، «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) الكلمة بين القوسين غير واضحة تمامًا في المخطوط، وما أثبته محتمل.

(٤) أخرجه بمعناه الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٥) بنحوه في «بحر العلوم» ١/ ٣٧١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

الله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾. ونحو هذا قال مقاتل(١).

فهذه الأقوال التي ذكرنا توافق المعنى الذي ذكره أبو بكر وتقاربه.

فأما سوق الألفاظ على هذا التفسير، فقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ يعني المنافقين في قول أكثرهم(٢).

قال الزجاج: وكان ضعفة من المسلمين يُشيعون ذلك معهم من غير علم منهم بالضرر في ذلك(٣). وهذا قول الحسن أيضًا(٤).

والسدي أبهم الأمر فقال: نزل في أصحاب الأخبار(٥).

فاحتمل أن يكونوا من المنافقين وأن يكونوا من المسلمين.

ومعنى ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ﴾ إذا وقع إليهم وانتهى إليهم هذا الخبر الذي هو أمر ﴿مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ من جهة استخبار وتجسس في معنى قول المفسرين إلا في قول السدي، فإنه قال: كانوا إذا سمعوا من النبي ﷺ خبرًا(٦). فعلى قوله يجيئهم الخبر بالسماع عن النبي ﷺ، وعلى قوله لا يجوز أن يكونوا كاذبين بأن كان ما وقع إليهم من الخبر كذبًا، فقد قال ابن عباس: أفشوه بينهم من غير أن يكون شيء من ذلك(٧).

---

(١) في «تفسيره» ١/ ٣٩٣.

(٢) هذا قول ابن زيد والضحاك وغيرهما. انظر: الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، «بحر العلوم» ١/ ٣٧١، «الكشف والبيان» ٤/ ٩٢ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥١١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٣.

(٤) «النكت والعيون» ١/ ٥١١.

(٥) انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٦) انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، من طريق ابن جريج، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

وقوله: ﴿أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾. مضى فيه كلام المفسرين.

وقال الحسن: من السلم أو الحرب[١].

وقوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾. الذيع أن يشيع الأمر[٢]. قال الفراء: يقال: ذاع الشيء يذيع ذيعانًا وذيعًا وذيوعًا[٣].

وقال أبو زيد: أذعتُ الأمر وأذعت به[٤]. ونحو ذلك قال الكسائي وأبو عبيدة[٥] وأنشد:

أذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار أوقدت بثقوب[٦]

قال قتادة: ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أظهروه[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾.

أي ردوا الأمر من الأمن أو الخوف[٨]. وتأويله: فوضوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر[٩].

---

(١) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» للهواري ١/ ٤٠٤.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٢ (ذاع)، وانظر: «الصحاح» ٣/ ١٢١١ (ذيع).

(٣) ليس في «معاني القرآن»، ويحتمل وجوده في كتابه «المصادر»، وهو مفقود.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٢ (ذاع).

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ١٣٣، وانظر: الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣.

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي كما في «المجاز» ١/ ١٣٣، والطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٨٣ دون نسبة.
قال أبو عبيدة عقبه: «يقال: أثقب نارك، أي أوقدها حتى تضيء» ويقصد أبو الأسود بهذا البيت صديقًا له أفشى له سرًا، والمعنى: أشاع هذا السر وأظهره حتى صار كالنار الموقدة في مكان عال يراها كل مار.

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، لكن بلفظ: «سارعوا به وأفشوه».

(٨) انظر: الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، و«زاد المسير» ٢/ ١٤٦.

(٩) انظر: الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٨٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٢ أ.

وفي أولي الأمر قولان ذكرتهما[١] في حكاية قول الكلبي، أحدهما اختيار الزجاج؛ لأنه قال: إلى ذوي العلم والرأي منهم[٢].

والثاني اختيار الفراء؛ لأنه قال: لو ردوه إلى أمراء السرايا[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني من هؤلاء المرجفين. وجعل أمراء السرايا وذوي العلم منهم من حيث الظاهر. وقد مضى مثل هذا في آيتين، وذكرنا الكلام هناك، إحدى الآيتين قوله: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢] والثانية قوله معنى[٤] ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

معنى الاستنباط في اللغة الاستخراج، يقال: استنبط الفقيه، إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه. وأصله من النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما يُحفر. يقال من ذلك: أنبط في غضراء[٥] أي استنبط الماء في طين حر.

قال: والنبط[٦] إنما سموا نبطًا لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين. هذا كلام الزجاج[٧].

---

(١) كأن هذِه الكلمة في المخطوط: «ذكرهما».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٣.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.

(٤) لعل الصواب: «تعالى».

(٥) الغضراء: «طينة خضراء علكة» «الصحاح» ٢/ ٧٧٠ (غضر).

(٦) «النبط والنبيط: قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين، والجمع أنباط». «الصحاح» ٣/ ١١٦٢ (نبط).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٣، وانظر: الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٩٧، و«الصحاح» ٣/ ١١٦٢ (نبط) و«زاد المسير» ٢/ ١٤٧، و«اللسان» ٧/ ٤٣٢٥ (نبط).

وقال الفراء: ينبطونه مثل يستنبطونه، ونبط الماء ينبط وينبط نبوطًا والأنباط الذين استنبطوا الماء من الأرض[(١)].

وقال ابن الأعرابي: يقال للرجل إذا كان يعدُ ولا يُنجز: فلان قريب الثرى بعيد النبط[(٢)].

وقال غيره: يقال ذلك إذا وصف بالعز والمنعة، حتى لا يجد عدو سبيلًا إلى أن يهضمه[(٣)]. قال كعب بن سعد الغنوي[(٤)]:

قريب ثراه ما ينال عدوُّه ... له نبطًا آبي الهوان قطوبُ[(٥)]

وأنشده الفراء في المصادر. هذا كلام أهل اللغة.

فأما قول أهل التأويل، فقال الضحاك: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يتبعونه[(٦)].

وقال عكرمة: الذين يحرصون عليه ويسألون عنه[(٧)].

---

(١) ليس في «معاني القرآن»، فيحتمل وجوده في كتابه المفقود: المصادر.

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٩٧ (نبط). (٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٩٧ (نبط).

(٤) هو كعب بن سعد بن عمرو بن عقبة الغنوي، شاعر جاهلي مجيد، وقيل أدرك الإسلام، وهو من أصحاب المراثي.
انظر: «طبقات الشعراء» ص ٤٨، و«الأعلام» ٥/ ٢٢٧.

(٥) البيت في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٩٧، و«الصحاح» ٣/ ١١٦٢ (نبط) دون نسبة. ونسب لكعب في «أساس البلاغة» ٢/ ٤١٦، و«اللسان» ٧/ ٤٣٢٥ (نبط)، وفي «الصحاح» و«اللسان»: «عند» بدل قوله: «آبي».
ومعنى: قريب ثراه: أي قريب خبره، انظر: «اللسان» ١/ ٤٨٠ (ثرا).
وقطوب: من القطوب وهو كناية عن الغضب والعبوس.
انظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٦٧ (قطب).

(٦) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٢ بلفظ: «يتتبعونه» وذكره في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢ و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٥.

(٧) «الكشف والبيان» ٤/ ٩٢ أ، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٥.

وقال مجاهد: هو قولهم: ماذا كان؟، وماذا سمعتم[١]؟.

وقال أبو العالية: يتحسسونه[٢].

وكل هذه أقوال في معاني الاستنباط.

وقال عطاء: يريد يستيقنونه ويعلمونه[٣].

وهذا مرتب على الاستنباط، أي يعلمونه بعد الاستنباط الذي هو السبب المؤدي إلى العلم.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من صلة الاستنباط، يقال: استنبطت من فلان أمرًا. والكناية تعود على المرجفين، وهي كقوله: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾[٤].

والمعنى: لو سكتوا وفوضوا ذلك إلى (نبي، ذكرهم الله تعالى)[٥] لعلم ذلك الخبر كل طالب من المسلمين من غير إذاعة المنافقين، ولم يكونوا قد آذوا رسول الله بإذاعة ما يكره إذاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.

قال ابن عباس: فضل الله الإسلام ورحمته القرآن[٦].

وقال أبو روق: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾

---

(١) «تفسيره» ١/ ١٦٧، وأخرجه الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٢-١٨٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٨.

(٥) هكذا في المخطوط وهو غير واضح.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ٩٢ ب، وانظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٥، و«زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

واختلفوا في وجه هذا الاستنباط:

فقال ابن عباس في رواية الوالبي عنه: تَمَّ الكلام عند قوله ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ ثم استثنى القليل. قوله: ﴿أَذَاعُوا﴾ أي أذاعوا به إلا قليلًا، يعني بالقليل المؤمنين[2]. وهذا قول ابن زيد[3] والكسائي[4] والفراء[5].

وقال الحسن وقتادة: الاستثناء من قوله ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أجود[6]؛ لأن ما علم بالاستنباط فليس الأكثر يعرفه، وإنما يستنبط القليل؛ لأن الفضائل والاستخراج في القليل من الناس[7].

قال الزجاج: وهذا في هذا الموضع غلط من النحويين؛ لأن هذا الاستنباط ليس من شيء[8] يُستخرج بنظر وتفكر، وإنما هو استنباط خبر، فالأكثر يعرف الخبر إذا أخبر به، وإنما القليل ههنا المبالغ في البلادة، الذي لا يعلم ما يُخبر به. فاستثناء القليل من قوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٥، و«زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

(٢) بنحوه في تفسير ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة وهو المراد بقول المؤلف: الوالبي. وأخرجه الطبري ٥/ ١٨٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٣، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٤٢.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩.
وهذا القول اختيار الطبري، انظر: «تفسير الطبري» ٥/ ١٨٣، و«زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

(٦) أخرجه بمعناه عن قتادة الطبري ٥/ ١٨٣، وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.
وذكره عنهما الماوردي ١/ ٥١١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

(٧) هذا التعليل للنحويين، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٤.

(٨) في «معاني الزجاج» ٢/ ٨٤: «ليس بشيء» والصواب ما في المعاني، ويحتمل حصول تصحيف هنا.

صحيح[١].

وقال الفراء: استثناء (قليل) مما في ﴿أَذَاعُواْ﴾ أوضح وأبين معنى؛ لأنهم لا يجتمعون في الإذاعة كما يجتمعون في الاستنباط ومعرفة الخبر المظهر لهم. هذا معنى قوله. ولفظه أنه يقول: الاستثناء من ﴿أَذَاعُواْ﴾ أجود لوجهين: لأن علم السرايا إذا ظهر علمه المستنبط وغيره، والإذاعة قد تكون في بعض دون بعض، فلذلك استحببت[٢] الاستثناء من الإذاعة[٣]؛ لأنه جعل القليل المستثنى البليد الذي لا يعلم ما يخبر به.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لاتبعتم الشيطان إلا قليلًا ممن (عصم)[٤] الله[٥].

قال ابن الأنباري: قال أصحاب هذا القول: الذين وقع عليهم الاستثناء هم الذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان والإشراك بالله ﷻ وأقاموا على التوحيد بغير رسول ولا كتاب، نحو زيد بن عمرو بن نفيل ورقة بن نوفل[٦]، وطلاب الدين[٧]. قال: والقولان الأولان

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٤ -بتصرف-.

(٢) عند الفراء: «استحسنت».

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٢ ب.

(٤) هذِه الكلمة في المخطوط: «عظم» بالظاء، والتصويب من «الوسيط» ٢/ ٦٣٧.

(٥) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٣٧، ولم أقف عليه.

(٦) هو ورقة بن نوفل بن عبد العزى القرشي، من الحكماء، اعتزل عبادة الأصنام، ولم يأكل مما ذبح عليها، واعتنق النصرانية، وقد أدرك أوائل عصر النبوة وقصته في بدء الوحي مشهورة في البخاري وغيره، وقد آمن وعد من الصحابة.
انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٤٤٧، و«الإصابة» ٣/ ٦٣٣، و«الأعلام» ٨/ ١١٤.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٤، و«النكت والعيون» ١/ ٥١١، ٥١٢، و«الوسيط» ٢/ ٦٣٧، و«زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

(أثبت)[١] من هذا القول؛ لأن ورقة وزيدًا وغيرهما ممن ثبته[٢] بفضل الله ورحمته أدرك الدين (أدرك)[٣] فنعمة الله لازمة له.

ونصر الزجاج هذا القول الثالث، وأجاب عن ترجيح ابن الأنباري القولين الأولين، فقال: قبل أن ينزل القرآن على النبي ﷺ وقبل أن يُبعث قد كان في الناس القليل ممن لم يشاهد القرآن ولا النبي ﷺ مؤمنًا، فإن قال قائل: إن من كان قبل ذلك مؤمنًا فبفضل الله ورحمته آمن، قيل: إن المقصود بالفضل والرحمة في هذا الموضع النبي ﷺ والقرآن، وإيمان هؤلاء القليل كان قبلهما[٤].

فيصح الاستثناء إذا خصصت الفضل والرحمة بالنبي ﷺ والقرآن.

هذا الذي ذكرنا في هذا الآية قول أكثر المفسرين[٥].

وفي الآية قول آخر، وهو ما قال ابن عباس في رواية الضحاك في قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ يعني المنافقين، كانوا إذا أمروا بالقتال لم يطيعوا الله فيما أمرهم به، وإن نهاهم عن محارمه لم ينتهوا، وإن أفضى الرسول إليهم سرًا أذاعوا عند العدو، فأنزل الله ﷻ

---

(١) تكررت هذه الكلمة في المخطوط.

(٢) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: «ثبت».

(٣) هكذا هذه الكلمة في المخطوط، ولعل الصواب: «أم لم يدركه».

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٤.

(٥) إلى هنا في المخطوط انتهى الكلام عن تفسير الآية ٨٣، وأتى الناسخ بتفسير للآية ٨٦ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ الآية، وكان قد قدم في المخطوط تفسير للآية ٨٣ من أثنائها، ويحتمل أنه بعد هذا الكلام مباشرة فجعلته بعده في الصفحة التالية.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ يعني أمورهم في الحلال والحرام، ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ في التصديق به، ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ يعني حملة الفقه والحكمة، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ يعني الذين يفحصون عن العلم[١].

فعلى هذا القول قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ معناه كما ذكرنا في القول الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾. الكناية لا تعود إلى الأمر كما عادت إليه في القول الأول، لكنها عائدة إلى غير مذكور، وهو ما يعرض لهم من أمر يحتاجون فيه إلى بيان الرسول وأولي العلم من الصحابة، كأنه قيل: ولو ردوا ذلك الذي عرض لهم إلى الرسول وإلى حملة الفقه لعلموه وأخبروا بما فيه من الصواب[٢].

والكناية عن غير مذكور كثيرة إذا كان في الكلام دليل على ما لم يذكر.

ونحو هذا قال الحسن وقتادة وابن جريج وابن أبي نجيح في ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ أنهم أهل العلم والفقه[٣]. وهذا اختيار ابن كيسان، فإنه يقول في قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾: أي لو طلبوا علمه من الرسول وعلمائهم الراسخين في العلم، لعلموا صواب ذلك وخطأه[٤].

---

(١) أخرج طرفه الطبري ٥/ ١٨٣ من طريق العوفي عن ابن عباس، وابن أبي حاتم انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٤.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ١٨١-١٨٢.

(٣) أخرج الأثر عن ابن جريج وعن قتادة بمعناه الطبري ٥/ ١٨٢، وذكره عن الحسن الهواري في «تفسيره» ١/ ٤٠٣، وقد ذكره عن جميعهم الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥١١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٧، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣.

(٤) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ الاستنباط على هذا القول هو استخراج ما خفي من العلم، كما ذكره ابن عباس(١).

وقال قتادة في قوله: ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ «أي يفصحون(٢) عنه ويهمهم ذلك»(٣).

وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذا القول للتبعيض، وليس صلة للاستنباط خاصٍ لبعضهم.

واستثناء قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ صحيح سائغ حسن، ولا يرد عليه ما ورد من الاعتراض في القول الأول، ويكون أحسن من الاستثناء من ﴿أَذَاعُواْ﴾ على هذا القول(٤).

والذي ذهب إليه الحسن وقتادة من استثناء القليل من قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾(٥) إنما قالا ذلك لأنهما ذهبا إلى هذا القول الثاني.

وهذا التفسير يدل على وجوب القول بالاجتهاد عند عدم النص؛ لأن

---

(١) الأثر من طريق العوفي عن ابن عباس: «﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ يقول: لعلمه الذين يتحسسونه منهم» أخرجه الطبري ٥/ ١٨٢.

(٢) هكذا في المخطوط الصاد قبل الحاء، وقد أثبتها محمود شاكر عند الطبري: «يفحصون» بتقديم الحاء على الصاد، واعتبر ما في المخطوط تصحيفًا، وهذا وجيه. وهكذا في «الدر المنثور». انظر: الطبري ٥/ ١٨٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٠، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٤٢ .

(٥) قول الحسن ذكره الهواري في «تفسيره» ١/ ٤٠٤.

أما قول قتادة فأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٦٦، والطبري ٥/ ١٨٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤، ونسبه لهما ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٤٨.

الاستنباط ليس بتلاوة، بل هو اعتبار وقياس وحكم بالمعاني المودعة في النصوص[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ إلى آخرها. فيه تذكير للمؤمنين بنعمة الله ﷻ في لطفه لهم، حتى سَلِموا من النفاق وما ذُم به المنافقون.

وذكر صاحب النظم وجهًا آخر في الاستثناء، فزعم أن الاستثناء متصل بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ دون قوله: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ على تأويل: ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلًا ممن لم يُدخله في رحمته وفضله، فاتبعوا الشيطان، لاتبعتم أنتم الشيطان، فيكون الممتنع من اتباع الشيطان بفضله ورحمته، وغير الممتنع منه من لم يصبه فضل الله ورحمته، وهذا هو الصواب إن شاء الله انتهى كلامه.

فإن قيل على هذا: الذين اتبعوا الشيطان كانوا أكثر من الذين امتنعوا من اتباعه فكيف يجعلهم قليلًا؟ قيل: هذا خطاب للذين أظهروا الإيمان من المخلص والمنافق، والذين نافقوا واتبعوا الشيطان كانوا أقل من المخلصين، فلذلك جعلهم قليلًا.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود — أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء السابع

النساء ٨٤ - آخر المائدة

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

سورة النساء من آية (٨٤) إلى آخر السورة
وسورة المائدة

٨٤- قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية. ذكر أبو إسحاق[(١)] في الفاء في قوله: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ وجهين:

أحدهما: - أنها جواب لقوله: ﴿وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٧٤] فقاتل[(٢)].

قال علي بن عيسى النحوي: ووجه ذلك أنه محمول على المعنى، لأنه قد دل على معنى: إن أردت الفوز فقاتل[(٣)].

الوجه الثاني: - أن يكون متصلًا بقوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٥] فقاتل في سبيل الله[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾.

قال مقاتل: «ليس عليك ذنب غيرك»[(٥)].

وقال الزجاج: أمره الله ﷻ بالجهاد ولو وحده؛ لأنه قد ضمن له النصر[(٦)].

قال أصحاب المعاني: معناه لا تكلف إلا فعل نفسك، على معنى أنه لا ضرر عليك في فعل غيرك، ولا تهتم بتخلف من يتخلف عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك[(٧)].

---

(١) أي الزجاج في «معانيه» ٢/ ٨٤.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٤، ٨٥.

(٣) كلام علي بن عيسى النحوي ليس في «معاني الزجاج» حسب المطبوع.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٥.

(٥) «تفسيره» ١/ ٣٩٣، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٥.

(٧) انظر: الطبري ٥/ ١٨٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٣ ب.

وانتصاب قوله: ﴿نَفْسَكَ﴾ على خبر ما لم يسم فاعله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الكلبي: حضض المؤمنين على القتال[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ .

(عسى): حرف من حروف المقاربة، وفيه ترج وطمع، وهي من الله واجب، ومن العباد شك[٣].

وقد قال ابن مقبل -فجعله يقينا- أنشده أبو عبيدة:

ظَنِّي بهم كعسى وهم بِتَنُوفَةٍ[٤] . . .البيت.

وقد تكلمنا في هذا الحرف في سورة البقرة.

وقال الزجاج: (عسى) معناها معنى الإطماع، والإطماع من الله واجب[٥].

وقال غيره: إطماع الكريم إيجاب.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٩.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٣) من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٧ (عسا).
وانظر: الطبري ٥/ ١٨٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٣٩، و«معانيه» ٢/ ١٤٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٣ أ، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٦.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١/ ١٣٤، و«الأضداد» لابن الأنباري ص ٢٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٧، و«اللسان» ٥/ ٢٩٥٠ (عسا). وعجزه كما في «المجاز»:
يتنازعون جوائز الأمثال
والتنوفة: الصحراء، ومعنى «يتنازعون جوائز الأمثال»: يتجاذبون الأمثال السائرة.
والشاهد أن «عسى» بمعنى اليقين.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٥، ١٨١.

والبأس: الشدة في كل شيء[(١)].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٤]: «يريد شدة حربهم في القتال»[(٢)] يسمى بأسًا لما فيه من الشدة.

والكلبي فسر البأس في قوله: ﴿بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: بالقتال[(٣)].

وقد أنجز الله وعده بكف بأس هؤلاء الذين ذكرهم في قوله: ﴿بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قال الكلبي: إن أبا سفيان[(٤)] لما انصرف من أحد واعد رسول الله ﷺ موسم بدر الصغرى، فلما جاء الميعاد، خرج إليها رسول الله ﷺ في سبعين راكبًا، فلم يوافهم أبو سفيان، ولم يكن قتال، وكفاهم الله بأس عدوهم[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾.

قال ابن عباس والكلبي: أشد عذابًا[(٦)].

والعذاب يسمى بأسًا لما فيه من الشدة، ومنه قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبياء: ١٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٥، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٥، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٦، ٩٠٧، و«اللسان» ١/ ١٩٩ (بأس).

(٢) لم أقف عليه، ونحوه في «الوسيط» ٢/ ٦٣٨ دون نسبة لابن عباس.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٣ أ، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٥٦، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٤٩، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١. =

وقوله تعالى: ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

يقال: نكلت بفلان، إذا عاقبته في شر أتاه، عقوبةً تنكل غيره عن ارتكاب مثله، من قولهم: نكل الرجل عن الشيء إذا جبن عنه وامتنع[(١)].

وقد ذكرنا هذه الحرف في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ [البقرة: ٦٦].

قال الحسن وقتادة في قوله: ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: عقوبة[(٢)]. ونحو ذلك قال الكلبي[(٣)].

وقال عطاء: أشد نقمة[(٤)]. وقال ابن كيسان: أشد انتقامًا[(٥)].

وذلك أن العقوبة نقمة وانتقام، فالانتقام معنى التنكيل لا تفسيره.

٨٥- قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾. اختلفوا في هذه الشفاعة، ما هي، وما معناها، فقال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد من يوحد الله مخلصًا يكن له نصيب منها، يريد الجنة»[(٦)].

وتفسير هذا القول ما قال الضحاك: من آمن بالتوحيد، وقاتل أهل الكفر، فقد شفع شفاعة حسنة. وقال: نزلت في أبي جهل[(٧)]، فإنه لم

= وهذا القول لكثير من المفسرين، انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٤ و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٥.

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٥ (نكل)، وانظر: الطبري ٥/ ١٨٥، و«البسيط» بتحقيق الفوزان ٣/ ١٠٢٣، و«اللسان» ٨/ ٤٥٤٤ (نكل).

(٢) قول الحسن في «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٤.
وأخرج قول قتادة: الطبري ٥/ ١٨٥، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٥، وقد عزاه له ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٤٩.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه. وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٧) تقدمت ترجمته.

يزل يُعين المشركين على المسلمين، وهو قوله: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾[١].

قال ابن عباس: يريد الشرك بالله[٢].

قال الضحاك: يعني من آمن بالشرك، وكفر بالتوحيد، فقد شفع شفاعة سيئة[٣].

فقول الضحاك تفسير لقول ابن عباس.

والأصل في الشفاعة الشفع الذي هو ضد الوتر، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة، فمعنى الشفاعة على ما ذكر الضحاك[٤] أن يشفع إيمانه بالله تعالى بقتال أهل الكفر، وهو الشفاعة الحسنة. والشفاعة السيئة أن يشفع إيمانه بالشرك بكفره بالتوحيد. وابن عباس ذكر في تفسيره أحد الشفعين في كل واحد من الجانبين، حتى ذكر الضحاك الشفع الثاني.

ويؤكد هذا التفسير أيضًا ما رواه المنذري عن أبي الهيثم في قوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾: أي يزيد عملًا إلى عمل. قال: والشفع الزيادة[٥]. وذهب مقاتل إلى أن معنى الشفاعة ههنا الشفاعة إلى الله تعالى بالدعاء[٦].

---

(١) لم أقف عليه، وقد فسر ابن جرير الآية بنحو ذلك. انظر: «تفسير الطبري» ٥/ ١٨٥، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في المخطوط: (للضحاك)، والظاهر أن لا مكان لحرف الجر.

(٥) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٩٧ (شفع)، وانظر: «اللسان» ٤/ ٢٢٩٠ (شفع).

(٦) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٢، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠، وفي «تفسير مقاتل» ١/ ٣٩٤ «﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء: ٨٥] لأخيه بخير» فليس فيه تخصيص الدعاء.

واعتمد في ذلك على ما رواه أبو الدرداء[١]، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له، وقال له الملك: ولك مثل ذلك**»[٢] فذلك النصيب، ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ هي الدعوة عليه بضد ذلك.

ويؤكد هذا التفسير ما روي عن بعضهم أنه قال: كانت اليهود تدعو على المسلمين، فتوعدهم الله تعالى بهذه الآية[٣].

وقال الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد: هذه الشفاعة بين الناس بعضهم لبعض[٤].

قال الكلبي: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ يصلح بين اثنين يكن له أجرٌ منها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ يمشي بالنميمة وبالغيبة يكن له إثمٌ فيها[٥].

---

(١) هو الصحابي الجليل عويمر بن عامر (وقيل: ابن مالك أو ثعلبة أو عبد الله أو زيد) ابن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، شهد أحدًا وما بعدها، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي. توفي سنة ٣٢هـ أو ٣٣هـ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٢٩٨، و«أسد الغابة» ٤/ ٣١٨، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٣٥، و«الإصابة» ٣/ ٤٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٧٣٢)، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٠، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢٠٧.

(٤) أخرج الأثر عن الحسن، ومجاهد، وابن زيد، الطبري ٥/ ١٨٦.
وأخرجه أيضًا عن الحسن، ومجاهد، ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٥، وهو في «تفسير مجاهد» ١/ ١٦٧.
أما الكلبي فيرى أن المراد بالشفاعة: الإصلاح بين اثنين. كما سيأتي عند المؤلف.

(٥) «بحر العلوم» ١/ ٣٧٢، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

وقال مجاهد: (شفاعة حسنة) و(شفاعة سيئة): شفاعة الناس بعضهم لبعض[١].

قال الحسن: ويجوز في الدين أن يشفع فيه، فهو شفاعة حسنة كان له فيها أجران، وإن لم يشفع، لأن الله تعالى يقول: ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ ولم يقل: (من يُشَفَّع)[٢].

يؤيد[٣] هذا قوله ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»[٤].

وأما الكفل فقال أبو عبيدة والفراء وجميع أهل اللغة: الكفل الحظ، ومنه قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] معناه: حظَّين[٥].

وقال الزجاج: الكفل في اللغة النصيب، أخذ من قولهم: أكفلت البعير إذا أدرت على سنامه كساءً وركبتُ عليه، وإنما قيل له كفل، واكتفل البعير، لأنه لم يستعمل الظهر كله، إنما استعمل نصيبًا من الظهر[٦].

---

(١) «تفسيره» ١/ ١٦٧، وأخرجه الطبري ٥/ ١٨٦، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٥.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٨٦، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٥.

(٣) كأن هذه الكلمة في المخطوط: «ويزيد» والصواب ما أثبته. انظر: «الوسيط» ٢/ ٦٤٠.

(٤) الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ الآية ٧/ ٨٠، ومسلم في كتاب: (٢٦٢٧) البر والصلة، باب: استحباب الشفاعة ولفظه: «اشفعوا فلتؤجروا» الحديث.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ١٣٥، وفسر الكفل بالنصيب، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٦ (كفل)، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠.

وقال ابن المظفر: الكفل من الأجر والإثم الضِّعف، يقال: له كفلان من الأجر، ولا يقال: هذا كفل فلان، حتى تكون هيَّأت لغيره مثله، كالنصيب، فإذا أفردت فلا تقل: كفل ولا نصيب، ولكن: حظ(١).

فأما المفسرون فقال مجاهد: الكفل: النصيب(٢). وهو قول السدي والربيع وابن زيد(٣).

وقال الحسن والكلبي وقتادة ومقاتل: الكفل الوزر والإثم(٤).

فالقول الأول مثل قول أهل اللغة، والقول الثاني معناه: حظ من الإثم والوزر، والحظ من الإثم والوزر وزر وإثم، فلذلك قيل في تفسير الكفل: الإثم والوزر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥].

اختلفوا في معنى المقيت، فقال الفراء: المقيت المقتدر، والمقدِّر أيضًا، كالذي يُعطي كل رجل قوته(٥).

ونحو ذلك قال عبد الله بن مسلم: المقيت المقتدر، أقات على الشيء، إذا اقتدر عليه، وأنشد:

---

(١) «العين» ٥/ ٣٧٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٦٦ (كفل).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ١٨٦، ١٨٧، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٢، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٦.

(٤) أخرجه عن قتادة: الطبري ٥/ ١٨٦، ١٨٧، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور»، وعن الحسن انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٤، و«النكت والعيون» ١/ ٥١٢، وعن الكلبي، انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١، وعن مقاتل انظر «تفسيره» ١/ ٣٩٤.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٠.

وذي ضِغْنٍ كففتُ النفس عنهُ   وكُنتُ على مساءتِه مُقِيتًا[١]

قال أبو بكر: على هذا أهل اللغة، قال بعض فصحاء المعمرين:

ثم بعد الممات ينشر من   على النشر يا بني مُقيتُ[٢]

معناه: من هو مقتدر.

ويقوي هذا القول ما قاله ابن عباس في رواية عطاء في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾: «يريد قادرًا»[٣]، وهو قول السدي وابن زيد: المقيت: المقتدر[٤]، واختيار الكسائي[٥] والنضر بن شميل، وأنشد النضر:

تجلَّد ولا تجزع وكن ذا حفيظةٍ   فإني على (...) لمقيت[٦]

أي: قادر.

وقال آخرون: المُقيت الحفيظ. وهو قول ابن عباس[٧] وقتادة[٨].

---

(١) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٢٩. ونسب البيت للزبير بن عبد المطلب كما في الطبري ٥/ ١٨٨، و«النكت والعيون» ١/ ٥١٣، والقرطبي ٥/ ٢٩٦، وجاء في «زاد المسير» ٢/ ١٥٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٦ أنه لأحيحة الأنصاري، وفي «اللسان» ٦/ ٣٧٦٩ (قوت) نسب لأبي قبيس بن رفاعة.
و«ضغن» من الضغن وهو الحقد. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٥٩٢ (ضغن).

(٢) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٦٩ (قوت) وفي الشطر الأول: «ينشرني من» وفي الشطر الثاني: «هو على النشر...»، وكذا في «اللسان» ٦/ ٣٧٦٩ (فوت)، ولم أقف على قائله.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٥١، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٦.

(٤) أخرج ذلك بنحوه: الطبري ٨/ ٥٨٤، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٢، و«زاد المسير» ٢/ ١٥١، و«الدر المنثور» ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٤٧.

(٦) لم أقف عليه، وما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

(٧) «تفسيره» ص ١٥٢، وأخرجه الطبري ٥/ ١٨٧.

(٨) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٥١.

واختيار أبي إسحاق[١]، لأنه مشتق من القُوت، يقال: قُتُّ الرجل أقوتُه قَوْتًا، إذا حفظت نفسه بما تقوته. والقوت اسم للشيء الذي يحفظ نفسه ولا فضل فيه، على قدر الحفظ. فمعنى المقيت -والله أعلم- الحفيظ الذي يُعطي للشيء قدر الحاجة من الحفظ[٢].

وقال الكلبي في قوله: ﴿مُقِيتًا﴾ مجازيًا بالحسنة والسيئة[٣]. وهذا أيضًا راجع إلى معنى الحفظ؛ لأنه إنما يحفظ أعمال العباد ليجازي عليها .

وحُكي بعضهم أن هذا من القوت، ومعنى المقيت الذي عليه قوت كل دابة ورزقها[٤].

قال الفراء: يقال: أقات الشيء إقاتة، وقات أهله يقوتهم قياتة وقوتًا، والقوت الاسم، وجاء في الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» و«يقيت»[٥].

قال أبو بكر: وعلى هذا القول قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على زائدة للتوكيد، ومن شأنهم أن يزيدوا ﴿عَلَىٰ﴾ للتوكيد، وأنشد لحميد[٦]:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٥، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٦٩ (قوت)، و«زاد المسير» ٢/ ١٥١.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٣، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٣.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٠.
والحديث أخرجه أحمد في «مسنده» ٢/ ١٦٠، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وكذا الحاكم في «مستدركه» ١/ ٤١٥، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٦) هو أبو المثنى حميد بن ثور بن حزن الهلالي، تقدمت ترجمته.

أبـى الله إلَّا أنَّ سَـرْحَـة مـالـكٍ
علـى كُـلِّ أفـنـانِ الـعِـضَـاهِ تَـروقُ[(١)]

قال: أراد كل أفنان العضاه تروق، وأكد الكلام بعلى. وقال: المقيت الشهيد، وهذا عائد إلى معنى الحفيظ[(٢)].

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ الآية. التحية تفعلةٌ من حيَّيتُ[(٣)]، وكان في الأصل تَحيية، مثل التوصية والتسمية. والعرب تؤثر التفعلة على التفعيل في ذوات الأربعة، نحو قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤]، ولا يكاد يأتي على: تفعيل، إلا أن ينطق بجوازه شعر[(٤)]، كما قال[(٥)]:

فـهـي تُـنَـزي دلـوهـا تَـنـزيًّـا[(٦)]

أي تنزية.

---

(١) البيت في «أدب الكاتب» ص ٤١٨، و«المسائل الحلبيات» ص ٢٧٠، و«أسد الغابة» ٢/ ٦٠.
و«سرحة مالك» امرأته. والسرحة في الأصل نوع من شجر العضاه، والأفنان: الأنواع، والعضاه: نوع من الشجر له شوك عظيم، وتروق: تفوق كل الأنواع.

(٢) لم أقف على قول ابن الأنباري.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٦، وانظر: «اللسان» ٢/ ١٠٧٨ (حيا).

(٤) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٥٧.

(٥) حصل في المخطوط نسخة شستربتي هنا خلط بالتقديم والتأخير، فقد بتر الكلام هنا من تفسير الآية ٨٦ وأتى بعده بتفسير الآية ٨٢ وذلك في لوحة ١٤ ب، وقد وجدت تتمة تفسير الآية ٨٦ في لوحة ١٦ أ فأثبته هنا بعد قوله: «كما قال:».

(٦) هذا صدر بيت، وعجزه: «كما تنزي شهلةٌ صبيًّا».
ولم أهتد إلى قائله، وهو في «الخصائص» ٢/ ٣٠٢، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧ وفيها: «باتت» بدل «فهي».

وكذلك التحية، كان: تحييه، فأدغموا الياء في الياء[١]، «كما استحبوا ادغام: حيّ وعيّ[٢]، للحركة اللازمة في الياء الأخيرة، وإذا سكنت الياء الأخيرة لم يجز الإدغام بمثل: يحيي ويعيي، وقد جاء في بعض الشعر الإدغام، وليس بالوجه، وهو قوله:

تمشي بسدة بيتها فتعيّ[٣]

وهذا الإدغام منكر عند البصريين»[٤]. وسنذكر هذا مشروحًا عند قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] إن شاء الله.

وأما معنى التحية في اللغة: فهو السلام[٥]، وأشعار العرب ناطقة بهذا المعنى. قال عنترة[٦]:

حُييت من طلل تقادم عهده... البيت[٧]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٨٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٥١، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٨ (حيا)، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧.

(٢) من عيي يعيا عن حجته، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٠١ (عيا).

(٣) عجز بيت صدره:

وكأنها بين النساء سبيكة

أورده الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٦٥١ (حي) لكن بلفظ: «فتحي» بدل «فتعي» وهو أقرب للحرف هنا. وأورده كما عند المؤلف في «اللسان» ٢/ ١٠٧٦ (حيا). قال الأزهري: لا يعرف قائله.

وسدة البيت: بابه، انظر: «الصحاح» ٢/ ٤٨٦ (سدد).

(٤) من «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥١ (حي) بتصرف يسير، وانظر: «اللسان» ٢/ ١٠٧٦ (حيا)، ٦/ ٣٢٠١ (عيا)، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٤٨، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٣، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٩ (حيا).

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) صدر بيت، وعجزه:

أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

وقال الآخر:

إنا محيوك يا سلمى فحيينا[(١)]

ومعنى قول المصلي: «التحيات لله» أي السلام من الآفات لله[(٢)].

ومن هذا قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

هذا هو (..[(٣)]..) في التحية.

ويسمى الملك أيضًا تحية[(٤)]، لأن الملك يحيا بتحية الملك المعروفة للملوك التي يباينون فيها غيرهم، وهي قولهم في الجاهلية: أنعم صباحًا، وأبيت اللعن، وقول عمرو[(٥)]:

[.............] حتى أُنيخَ على تحيَّته بجُندي[(٦)]

معناه: على ملكه[(٧)].

= ديوان عنترة ص ١٦. الطلل: ما شخص من آثار الديار، «اللسان» ٥/ ٢٦٩٧ (طلل).

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٥ (حي)، وانظر: «اللسان» ٢/ ١٠٧٩ (حيا)، والقرطبي ٥/ ٢٩٧.

(٣) كلمة غير واضحة في المخطوط، وقد تكون: الكلام.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (حي)، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٩ (حيا) .

(٥) هو أبو ثور عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي، تقدمت ترجمته.

(٦) عجز بيت، وصدره:

أسيرها إلى النعمان حتى

«غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٧٤، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (حي)، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٩ (حيا).

وعند المؤلف في المخطوط القافية بدون ياء، وأثبتها لإجماع المصادر عليها .

(٧) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٧٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (حي).

وأما قول زهير بن جناب[١]:

مـن كـل مـا نـال الـفـتـى قـد نـلـتُـه إلا الـتـحـيـهْ[٢]

فقيل فيه أنه المُلك[٣]، وقيل البقاء[٤]، والبقاء له تحية، لأن من سلم من الآفات بقي. وقال أبو الهيثم: يريد إلا السلام من المنية والآفات، فإن أحدًا لا يسلم من الموت على طول البقاء[٥].

قال الأزهري: (والعرب تسمي)[٦] الشيء باسم غيره إذا كان منه أو من سببه.

فالتحية بمعنى المُلك، وبمعنى البقاء صحيح. وقولهم: «حياك الله» أي أبقاك الله صحيح، من الحياة وهو البقاء[٧].

نجد من هذا أن معنى التحية في الأصل الدعاء بالحياة، ثم صار بمعنى السلام، ثم صار أيضًا اسمًا للملك والبقاء، على ما بينا. هذا كلام أهل اللغة في معنى التحية.

فأما التفسير: فقال ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: ٨٦]: «يريد السلام»[٨].

---

(١) هو زهير بن جناب الكلبي الكناني، تقدمت ترجمته.

(٢) البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٧٥، و«الشعر والشعراء» ص ٢٤٠، و«طبقات الشعراء» ص٣٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (حي)، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٩ (حيا).

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٧٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٥ (حي)، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٨ (حيا).

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٥ بتصرف، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٨ (حيا).

(٦) ما بين القوسين ليس واضحًا في المخطوط، والتسديد من «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٦ (حي).

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٥ (حي) بتصرف، وانظر: «اللسان» ٢/ ١٠٧٨ (حيا).

(٨) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾

اختلفوا في هذا: فمنهم من ذهب إلى أن هذا التخيير في أهل الإسلام خاصة، وليس لأهل الكفر مدخل في رد التحية عليهم(١).

والأكثرون والجمهور على أن قوله: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ المراد بها المسلمون، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ إذا كان المسلم من غير أهل الإسلام(٢).

قال الكلبي: أمر الله المسلمين برد السلام على من سلم عليهم بأحسن مما سلم عليهم، وهو الزيادة على التحية إن كان المسلم من أهل دينهم، أو بمثل الذي سلم إن كان من غير أهل دينهم، وهو أن يقول: عليكم. ولا يزيد على ذلك(٣).

وقال أبو روق: أما (أحسن منها) فعلى أهل دينك، وأما ﴿رُدُّوهَآ﴾ فعلى أهل الكتاب(٤).

وقال الزجاج: عن عطاء: (أحسن منها) في أهل الإسلام ﴿رُدُّوهَآ﴾ على أهل الشرك(٥).

وقال ابن عباس: و (أحسن منها) أن يرد: ورحمة الله وبركاته، يرد

---

(١) تفرد بهذا القول عطاء، أخرج قوله الطبري ٥/ ١٨٩، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٣، والقرطبي ٥/ ٣٠٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٧.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٠، والطبري ٥/ ١٨٩، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٤، و«النكت والعيون» ١/ ٥١٣ .

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٤) لم أقف عليه، وورد نحوه عن قتادة والحسن، انظر: الطبري ٥/ ١٨٩-١٩٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٧.

(٥) ليس في «معاني القرآن وإعرابه»، وهو خلاف المعروف عن عطاء كما مر قريبًا حيث تفرد بأن هذه الآية في أهل الإسلام خاصة.

على المؤمنين خاصة[١].

وقال: (الضحاك)[٢]: إذا قال: السلام عليكم، فقلت: عليكم السلام ورحمة الله، وإذا قال: السلام عليكم ورحمة الله، فقلت: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقد حييته بأحسن منها. وهذا منتهى السلام[٣].

قال الحسن: دخل رجل على النبي ﷺ فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال النبي ﷺ: وعليك. ودخل آخر فقال: السلام عليكم، فقال رسول الله ﷺ وعليكم السلام ورحمة الله، ودخل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال رسول الله ﷺ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقام الأول فقال: يا رسول الله: سلمت عليك فلم تزدني على: «وعليك» وقال هذا: السلام عليكم. فزدته، وقال هذا: السلام عليكم ورحمة الله، فزدته. فقال رسول الله ﷺ: إنك لم تترك من السلام فرددت عليك، وهذان تركا شيئًا منه فزدتهما[٤].

فدل هذا الحديث على أن السلام انتهى إلى البركات[٥].

ثم أعلم أن السلام في الأصل سنة، والرد فريضة[٦] على الكفاية،

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٢) غير واضح تمامًا في المخطوط.

(٣) في «الوسيط» ٢/ ٦٤٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٥٢.

(٤) لم أجد هذا الحديث عن الحسن إلا في «النكت والعيون» ١/ ٥١٣، وقد أخرج نحوه من حديث سلمان الفارسي -رضي الله عنه- الطبري ٥/ ١٩٠، وأحمد في «الزهد» وابن المنذر والطبراني وابن مردويه، وسنده حسن. انظر: ابن كثير ١/ ٥٨٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٣٦.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٦، والبغوي ٢/ ٢٥٧، وابن كثير ١/ ٥٨٣ .

(٦) قال ابن كثير ١/ ٥٨٤: «هو قول العلماء قاطبة، أن الرد واجب» وانظر: الطبري ٥/ ١٩١.

فإذا سلم رجل على جماعة فالأحسن أن يرد جميعهم جوابه، فإن رد واحد منهم أسقط الفرض عن الآخرين كسائر فروض الكفايات[(١)].

والسنة أن يستتبع شيئًا من كلمات السلام. والسنة في الجواب الزيادة[(٢)]، ولو رد كالابتداء سقط عنه الفرض، لقوله تعالى: ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾.

والسنة أن يسلِّم الراكب على الماشي والقائم على القاعد، كذا قال رسول الله ﷺ[(٣)].

والسنة في السلام الجهر والإفشاء، وكذلك في الجواب[(٤)]، والاقتصار على الإشارة ليس من السنة[(٥)]. والمصافحة عادة رسول الله ﷺ وإذا تصافح المسلمان عند السلام تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر، كذا في الخبر عن رسول الله ﷺ[(٦)].

---

(١) هذا مذهب مالك والشافعي، أن الرد من فروض الكفاية، وذهب آخرون إلى أن الرد من الفروض المتعينة.
انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤، والقرطبي ٥/ ٢٩٨.

(٢) كما دل عليه الحديث المتقدم.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير**». أخرجه مسلم (٢١٦٠) كتاب: السلام، باب: يسلم الراكب... (٤/ ١٧٠٣) ح١ .

(٤) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٣، والقرطبي ٥/ ٣٠٣.

(٥) هذا مذهب الشافعية، وعند بعض العلماء تكفي الإشارة إذا كان على بعد.
انظر: القرطبي ٥/ ٣٠٣.

(٦) المأثور أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**». أخرجه أبو داود من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه (٥٢١٢) كتاب: الأدب، باب: في المصافحة، والترمذي (٢٧٢٧) كتاب الاستئذان، باب: ما جاء في المصافحة وقال: «هذا حديث حسن غريب» وابن ماجه (٢٧٠٣) كتاب: الأدب، باب: المصافحة وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» ٥/ ١٨٢.

ومن ورد عليه سلام في كتاب فجوابه فرض عليه في الجواب[١].

ولو قال المبتدئ: عليكم السلام فقد سلم وتحتم الجواب وإن قلت العادة في اللفظ[٢].

وإن قال المبتدئ: السلام عليكم، فقال المجيب: السلام عليكم، فقد أجاب. وأنت في اللفظ بالخيار، وكذلك في تعريف السلام وتنكيره، وعند التحلل من الصلاة لابد من الألف واللام.

وإذا استقبلك رجلٌ واحد فقل: سلام عليكم، واقصد الرجل والملكين، فيردان عليك[٣].

وإذا دخلت بيتًا خاليًا فسلّم على نفسك من الله تعالى[٣].

وليس للمسلم أن يسلِّم على الكافر، فإن سلَّم الكافر فليقل: وعليكم، ولا يزيد على هذا[٤]، وقد روي أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم -يعنون الموت-، فقال رسول الله ﷺ: وعليكم، ففطنت عائشة فقالت: وعليكم السام والذام[٥] والداء واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة قد رددت عليهم، وإني استجاب فيهم ولا يُستجابون**»[٦].

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٥.
وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يؤيد هذا. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٣٩.

(٢) انظر: القرطبي ٥/ ٣٠٠، ٣٠١، و«المجموع شرح المهذب» ٤/ ٤٦١.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٣.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٩٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٣، و«النكت والعيون» ١/ ٥١٣، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤.

(٥) الذام: أي الذم والعيب. انظر: «الفائق» ٢/ ١٢٤، و«اللسان» ٣/ ١٥١٦ (ذمم).

(٦) أخرجه بنحوه البخاري (٦٠٢٤) كتاب: الأدب، باب: الرفق، في الأمر كله =

ومن وضع السلام غير موضعه لم يستحق جوابًا، مر رجل برسول الله ﷺ وهو يقضي حاجته، فسلم عليه، فقام رسول الله إلى جدارٍ فتيمم ورد الجواب ثم قال: لولا أني خشيت أن تقول: سلمت عليه فلم يرد علي، لما رددتُ عليك، إذا رأيتني على مثل هذه الحالة فلا تُسلِّم علي، فإنك إن سلمت علي لم أرد عليك(١).

وفي هذا دليل على أن الطهارة مستحبة لجواب السلام والابتداء بالسلام وفي جميع الأحوال، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(٢).

وإذا دخل يوم الجمعة والإمام يخطب، فلا ينبغي أن يُسلِّم لاشتغال الناس بالاستماع، فإن سلَّم فرد بعضهم عليه فلا بأس، ولو اقتصروا على الإشارة كان أحسن(٣). لما روي أن رسول الله ﷺ كان يصلي في مسجد الخيف والناس يدخلون ويسلِّمون عليه فيرد عليهم، فقيل: كيف كان يرد عليهم؟ فقال: إشارة(٤).

= ٧/ ٨٠، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

(١) هذا الحديث ذكره الرازي في «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤، والقرطبي ٥/ ٣٠٤، دون عزوٍ لأحد، ولم أجد من خرجه.
وقد جاء في كراهة السلام على من يقضي الحاجة: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا سلم على النبي ﷺ وهو يبول، فلم يرد عليه «يعني السلام». أخرجه الترمذي (٢٧٢٠) كتاب: الاستئذان، باب ما جاء في كراهية التسليم على من يبول ٥/ ٧١، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧) كتاب: الطهارة، باب المحافظة على الوضوء وغيره، وقال الألباني في «صحيح الجامع» ١/ ٣٢٢: «صحيح».

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤.

(٤) لم أقف عليه.

وقال بعض السلف. من دخل الحمام فرأى الناس متَّزرين سلَّم عليهم، وإن لم يكونوا متزرين لم يُسلِّم عليهم(١).

والأولى ترك السلام على القارئ لاشتغاله بالتلاوة، فإن سلَّم عليه إنسان كفاه الإشارة، وإن أراد أن يرد الجواب رده ثم استأنف الاستعاذة وعاود التلاوة(٢).

ولا ينبغي أن يسلم على المؤذن عند اشتغاله بالأذان.

ورد السلام يكون على الفور، فإن أخر انقضى الوقت وأثم بترك الفرض، فإذا أجاب بعد فوت الوقت كان ذلك ابتداء سلام لا جوابًا(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦] قال ابن عباس: «يريد مجازيًا»(٤) ومثله قال الحسن في الحسيب(٥).

وقال مجاهد وقتادة وأبو العالية حفيظًا(٦). وذلك أنه يحصي العمل إحصاء الحافظ له الذي لا يشذ(٧) عنه شيء.

ويكون الحسيب بمعنى المُحاسب، وقد ذكرنا هذا في أول السورة.

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٤. وقال النووي: «وهذا الذي قاله ضعيف، والمختار أن يُسلم عليه ويجب الرد باللفظ». «المجموع» ٤/ ٤٧٠.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٥، و«الأذكار» للنووي ص ٢٧٩ .

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩١.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) عن مجاهد في «تفسيره» ١/ ١٦٨ وأخرجه عنه الطبري ٥/ ١٩١، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٢، و«الدر المنثور» ٦/ ٣٣٩.
وأما عن قتادة، وأبي العالية، فلم أقف عليه.

(٧) في المخطوط: «يشد» بالدال المهملة.

وقال الزجاج: أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه، أي يكفيه(١).

وهذا الذي قاله جامع للأقوال، لأنه بمعنى يعلم كل شيء ويحفظ كل شيء ويجازى على كل شيء، علمًا كافيًا، وحفظًا كافيًا، وجزاء كافيًا.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ هذه لام القسم، كأنه قيل: والله ليجمعنكم(٢)، ومعنى ليجمعنكم: أي: في الموت، أو في النشور إلى يوم القيامة، أي: ليضمنكم إلى ذلك اليوم ويجمعن بينكم وبينه بأن يجمعكم فيه(٣).

قال أبو إسحاق: جائز أن تكون سميت القيامة؛ لأن الناس يقومون من قبورهم، وجائز أن تكون سميت القيامة؛ لأنَّ الناس يقومون للحساب، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦](٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

قال ابن عباس: «يريد موعدًا»(٥). أي: لا يخلف لوعده.

وقال مقاتل: لا أحد أصدق من الله في أمر البعث(٦).

وإنما جاء النفي ههنا بأداة الاستفهام؛ لأن جوابه يكون على معنى النفي فيما تقتضيه حجة العقل، فجاء هذا على المظاهرة برد الإنسان فيه إلى

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٦.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٧، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٣، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٢.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٩١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٨٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٧ بتصرف، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥١٤، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٢.

(٥) أورده المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٤٥، ولم أقف عليه.

(٦) «تفسيره» ١/ ٣٩٤، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣١٢.

حجة عقله، وكان ذلك أبلغ من إخباره به، وهذا كما يقول القائل: ومن أفضل منّي؟ فيقول من يصدقه ويعرف صدقه في ذلك: لا أحد أفضل منك. فكان هذا أبلغ من أن يقول: أنا أفضل الناس. ومضى مثل هذا فيما تقدم.

والحديث ما يُحَدَّث به المحدث، والحديث الجديد من الأشياء[١] الذي لم يكن فحدث، وبه سمي حديثًا لأنه ذكرٌ لم يكن ثم حدث، وما يخبر الله تعالى به يجوز أن يسمى حديثًا على معنى حدوثه بالإخبار عنه، فقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ كقولك: ومن أصدق من الله إخبارًا أو خبرًا وقلًا وقيلًا، كلها متقارب.

ومن هذا المعنى سمي القرآن حديثًا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] لحدوث تلاوته فيما بيننا، فأما نفس كلام الله تعالى فقديم، لم يزل الباري تعالى ذكره متكلمًا.

٨٨- قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ .

قال ابن عباس وأكثر المفسرين: نزلت في قوم قدموا على النبي ﷺ مسلمين، فأقاموا بالمدينة ما شاء الله، ثم قالوا: يا رسول الله إنا اجتوينا المدينة، فأذن لنا حتى نتبدا[٢]. فإذن لهم رسول الله ﷺ، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة، حتى لحقوا بالمشركين، فتكلم المؤمنون فيهم، فقال بعضهم: لو كانوا مسلمين مثلنا لأقاموا معنا وصبروا كما نصبر، وقال قوم: هم مسلمون حتى نعلم أنهم بدّلوا. فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية. وهذا معنى قول الحسن ومجاهد[٣].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٦، وانظر: «الصحاح» ١/ ٢٧٨ (حدث).

(٢) أي: نلحق بالبادية، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٧.

(٣) عن مجاهد بمعناه في «تفسيره» ١/ ١٦٨، وأخرجه الطبري ٦/ ١٩٣. =

وإنما وصفوا بالنِّفاق وقد أظهروا الارتداد عن الإسلام واللحوق بالمشركين؛ لأنهم نُسبوا إلى ما كان عليه قبل من إضمار الكفر.

وانتصاب فئتين على الحال عند البصريين(١). قال سيبويه: إذا قلت: ما لك قائمًا، فإنما معناه لم قمت، ونصبته على تأويل: أي شيء يستقر لك في هذه الحال(٢).

وقال الفراء: نصبه على معنى خبر كان، إذا قلت: مالك قائمًا، كأنك قلت: لم كنت قائمًا. قال: ولا تُبال أكان المنصوب معرفةً أو نكرة، يجوز في الكلام أن تقول: مالك الناظر في أمرنا. وعنده يجوز: مالك القائم(٣).

قال الزجاج: ما لك القائم. خطأ؛ لأن القائم معرفة، لا يجوز أن تقع حالًا، و«ما» حرف من حروف الاستفهام لا يعمل عمل كان. قال: ولو جاز: ما لك القائم، لوجب أن يجوز: ما عندك القائم، وما بك لقائم، وبإجماع لا يجوز: ما بك القائم، فما لك القائم مثله لا فرق في ذلك(٤).

ومعنى الآية: ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين.

= وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٥٨٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٤٠-٣٤١.
وقد نسب هذا القول لكل من الحسن، ومجاهد: الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥١٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٥٤.

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٤٥١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٨٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٤٢.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٨.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨١ بتصرف، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٨ .

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٨.

قال الزجاج: أمر الله جل وعز أن يتَّفق المسلمون على تكفير من احتال على رسول الله ﷺ وخالفه فقال: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] أي: أيّ شيء لكم في الاختلاف في أمرهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾.

قال الفراء: يقول ردهم إلى الكفر[٢]، قال: وركسهم لغة[٣].

قال أبو عبيد[٤]: يقال: ركست الشيء وأركستُه لغتان، إذا رددته[٥].

والرَّكس قلب الشيء على رأسه، (أَوْرَدُّ)[٦] أوله إلى آخره، والارتكاس الارتداد[٧]، وقال أمية[٨]:

فاركسوا في حميم النار إنهم
كانوا عصاةً وقالوا الإفك والزورا[٩]

ومن هذا يقال للرَّوث الركس، لأنه رد إلى حال النجاسة، ولهذا المعنى سمي رجيعًا[١٠].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٧، ٨٨.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٨١، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٥٣.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٢٨١: «وهي في قراءة عبد الله وأبي ﴿وَٱللَّهُ رَكَسَهُم﴾ وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٥٣.

(٤) في المخطوط: «أبو عبيدة» وهو خطأ.

(٥) «غريب الحديث» ١/ ١٦٦، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٠ (ركس).

(٦) في المخطوط: «أورده» والصواب ما أثبته لاستقامة الكلام، وكما في المصادر التالية.

(٧) «العين» ٥/ ٣١٠، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٠-١٤٦١ (ركس)، وانظر: «الصحاح» ٣/ ٩٣٦ (ركس)، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٩.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) «ديوانه» ص ٤٠٨، والطبري ٥/ ١٩٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٤٢.

(١٠) انظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٩.

وإجماع أهل اللغة أن الركس والإركاس بمعنى، وأن تأويله النَّكس والرد، والمنكوس والمركوس واحد[١].

قال الزجاج: تأويل ركسهم في اللغة[٢]: نكسهم وردهم[٣]، والمعنى: أنه ردهم إلى حكم الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ أي بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق، وذلك أن المنافق ما دام متمسكًا في الظاهر بالشهادتين لم يكن لنا سبيل إلى دمائهم، وكذلك فعل رسول الله ﷺ، وكان قد أعلم بنفاق المنافقين، وذكر عددهم لحذيفة[٤]، وعاش خلق بعد رسول الله ﷺ، فإذا أظهروا الارتداد عادوا إلى حكم الكفار، وهذا معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾.

قال ابن عباس: «يريد تُرشدوا من لم يرشده الله»[٥].

ومعنى هذا أنه ليس إليكم هداية من أضل الله، وهؤلاء ممن ضلهم الله فلا يرشدهم أحد.

وقال الزجاج: [أي أتقولون][٦] إنَّ هؤلاء مهتدون والله جل وعز قد أضلهم[٧].

---

(١) انظر: «العين» ٥/ ٣١٠، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٠-١٤٦١، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٥ ب و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢١٩.

(٢) تكررت في (ش): (في اللغة) وهو سهو من الناسخ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٨.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٢.

(٦) طمس هذا الموضع في (ش)، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ٨٨.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٨.

فمعنى ﴿تَهۡدُواْ﴾ على هذا تسموا[(١)] مهتدين وتجعلوهم مهتدين (..[(٢)]..) وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٨٨] قال ابن عباس: «يريد دينا»[(٣)]. وقال الزجاج والسدي: أي (....)[(٤)].

والمعنى أنه لا ينفعه هداية هاد له.

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾.

معنى هذه الآية صرف المؤمنين الذين كانوا يُحسنون الظنَّ بهم عما هم عليه، وإخبار بما يوجب العداوة لهم والبراءة منهم.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ رفع بالنسق على تكفرون، لأن المعنى: ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون، فالفاء عاطفة، ولم يقصد بها جواب التمني، ولو أراد أن تكونْ جوابًا، على تأويل إذا كفروا استووا، لكان نصبًا[(٥)].

ومثل هذا قوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩][(٦)].

ولو قيل: فيدهنوا، على الجواب لكان صوابًا في العربية[(٧)]، ومثله قوله: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ﴾ [النساء: ١٠٢] ونذكره في موضعه.

---

(١) هكذا في المخطوط ولعل الصواب: «تسموهم».

(٢) في المخطوط طمس يمثل كلمة أو كلمتين.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٢.

(٤) بياض في (ش) وعند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٨٨: «أي طريقًا إلى الحجة».

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ بتصرف، وانظر: «التفسير الكبير» ١٠/ ٢٢١، و«البحر المحيط» ٣/ ٣١٤، و«الدر المصون» ٤/ ٦٢.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ.

(٧) انظر: «الكشاف» ١/ ٢٨٨، و«الدر المصون» ٤/ ٦٢، ٦٣.

ومعنى قوله: ﴿فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ أي في الكفر، والمراد: فتكونون وهم سواءً[(١)]، فاكتفى بذكر المخاطبين عن غيرهم؛ لوضوح المعنى بتقدم ذكرهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾. نهى عن مباطنة هؤلاء وموالاتهم، وهذا الحكم جارٍ في جميع المشركين، والمنافقين، والمستسرِّين الزندقة والإلحاد، لا يجوز نُسلِّم موالاة أحدٍ منهم.

وحكم المستسر بنوع من أنواع الكفر حكم المنافق، لا يُقتل ما دام يُظهر كلمة الشهادتين. ولو ثبت إلحاد أحد بإقراره ثم تاب قبلت توبته وحقن دمه بظاهر الشهادة، ولا سبيل إلى ما في قلبه، كما قال رسول الله ﷺ للمقداد: «**هلا شققت عن قلبه**»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾.

ابن عباس والأكثرون قالوا: المراد بالهجرة ههنا الرجوع إلى المدينة ودار الهجرة ثانيًا، ومهاجرة دار الشرك[(٣)].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٩٦.

(٢) إنما قال الرسول ﷺ ذلك لأسامة بن زيد، حيث كان في سرية بعثه فيها رسول الله ﷺ يقول: «فأدركت رجلًا. فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك. فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: - «أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟! قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!». الحديث أخرجه مسلم (٩٦) كتاب «الإيمان»، باب: تحريم قتال الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ح١٥٨ ١/ ٩٦. أما عن المقداد فقد ورد عن مسلم في هذا الباب بمعناه.

(٣) أخرج الأثر عن ابن عباس عن طريق العوفي عنه الطبري ٥/ ١٩٦، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٢٧٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٦، وابن كثير ١/ ٥٨٥.

ونحو ذلك قال الزجاج: حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ[(١)]. وهذا هو الظاهر. وقال قوم: معناه حتى يخرجوا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ صابرًا محتسبًا، وهو هجرة المنافقين[(٢)].

والهجرة أنواع: فأعلاها وأفضلها هجرة المهاجرين دورهم ومساكنهم بمكة إلى المدينة، وهم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] وذكرهم في القرآن كثير[(٣)]. وهجرة المنافقين ما ذكرنا.

وهجرتان ثابتتان إلى يوم القيامة[(٤)]، وهي هجرة من أسلم من الكفار في دار الكفر، يلزمه أن يهاجر إلى المسلمين، ولا يحل له المساكنة بين أظهرهم والاستسرار بالدين[(٥)]، لقوله ﷺ: «**أنا بريء من كلِّ مسلم مع مشرك**»[(٦)]. وهجرة المسلم عما نهى الله عنه[(٧)]، لقوله ﷺ:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٥٥ .

(٢) من «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ، ولم ينسبه الثعلبي لأحد، وانظر: البغوي ٢/ ٢٦٠، والقرطبي ٥/ ٣٠٨.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ، و«البغوي» ٢/ ٢٦٠، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢٢١، و«القرطبي» ٥/ ٣٠٨.

(٤) انظر: القرطبي ٥/ ٣٠٨.

(٥) انظر: «الطبري» ٥/ ١٩٦، و«البغوي» ٢/ ٢٦٠، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢٢١، والقرطبي ٥/ ٣٠٨.

(٦) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) كتاب: الجهاد، باب: النهي عن قتل من اعتصم بالسجود، والنسائي واللفظ له (٤٧٨٠) كتاب: القسامة، باب القود بغير حديدة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» ٢/ ١٦.

(٧) «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ، وانظر: البغوي ٢/ ٢٦٠، و«التفسير الكبير» ١٠/ ٢٢١، والقرطبي ٥/ ٣٠٨.

«والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه»[١].

ومعنى ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: «في طاعة الله»[٢].

قال أهل المعاني: وسبيل الله هو الطريق الذي أمر بسلوكه، وهو العمل بطاعة الله[٣]، وإنما جُعل كالطريق لأنه يُستمر عليه في الطريق، ويؤدي إلى البغية كما يؤدي الطريق[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، أي: عن الهجرة ولزموا الإقامة على ما هم عليه[٥]، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: «يريد لا تتولوهم ولا تستنصروا بهم على عدوكم»[٧].

٩٠- قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ الآية. الاستثناء راجع إلى القتل[٨]، لا إلى الموالاة، لأن موالاة المشركين والمنافقين حرام بكل حال.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (١٠) كتاب: الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده بلفظ: «والمهاجر من هجر» الحديث.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٢.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٨٣، ١٦٩.

(٤) انظر: «المفردات» ص ٢٢٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٨٨، وانظر: الطبري ٥/ ١٩٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ أ، والبغوي ٢/ ٢٦٠، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٦.

(٧) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٢.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨١، و«مجاز القرآن» ١/ ١٣٦، والطبري ٥/ ١٩٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٨٩.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَصِلُونَ﴾، فالأكثرون قالوا: معنى قوله: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي يتصلون بهم ويدخلون فيما بينهم بالحِلْف والجوار والالتجاء.

وبه قال الفراء[١] والزجاج[٢]، وعليه تفسير ابن عباس فإنه قال في رواية عطاء: «يريد يلجؤون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق»[٣].

وقال أبو عبيدة: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي ينتسبون، ووصل واتصل إذا انتسب[٤]، قال الأعشى:

إذا اتصلتْ قالتْ: أبكرَ بنَ وائلٍ... البيت[٥]

وبه قال ابن الأعرابي[٦] وعبد الله بن مسلم[٧].

وكلا القولين صحيح، وإن قال بعض الناس[٨] منكرًا قول أبي عبيدة

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٢٨١. (٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٨٩.

(٣) ذكره البغوي ٢/ ٢٦٠، وأخرجه بمعناه من طريق عكرمة عن ابن عباس ابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٤٢، وقد عزاه السيوطي أيضًا لابن جرير، ولم أجده عنده.

(٤) من «مجاز القرآن» ١/ ١٣٦ كما يدل عليه مضمون سياقه لبيت الأعشى في تفسير هذِه الآية وكلامه عليهن وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٠، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦/ ب.

(٥) عجز هذا البيت هو:

وبكرٌ سَبتها والأنوفُ رواغمُ

وهو في ديوان الأعشى الكبير ص ١٨٠، و«مجاز القرآن» ١/ ١٣٦، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٠، والطبري ٥/ ١٩٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ ب. والشاهد منه قوله: «إذا اتصلت» أي: انتسبت.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٣٥ (وصل). (٧) ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص١٣٠.

(٨) لعله يريد الطبري كما في «تفسيره» ٦/ ١٩٨، فقد رد هذا القول بشدة وتبعه في ذلك ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٤/ ١٦٤

إن الانتساب لا يحقن الدم؛ لأنَّ الميثاق إذا عقد لقوم دخل في ذلك العهد كل من عد منهم في النسبة وانتسب إلى أبيهم.

واختلفوا في القوم الذين بينهم وبين (....)[١] فقال الحسن: هم بنو مُدْلِج[٢].

وقال ابن عباس في رواية الضحاك: هم بنو بكر بن زيد مَناة[٣].

وقال مقاتل: هم خزاعة وخزيمة بن عبد مناف، وبنو مُدلج[٤].

وقال الكلبي: هم قوم هلال بن عويمر الأسلمي[٥].

وزاد عكرمة: وسراقة بن مالك بن جُعْشُم[٦]، وكان سيد بني مُدلج[٧].

---

(١) طمس في المخطوط بمقدار كلمتين تقريبًا، ولعله: «وبينكم ميثاق» أو «المؤمنين ميثاق».

(٢) «تفسير الهواري» ١/ ٤٠٧، و«النكت والعيون» ١/ ٥١٦، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٤، و«زاد المسير» ٢/ ١٥٦، و«تفسير ابن كثير» ١/ ٥٨٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٤٢.

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٦١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٥٨.

(٤) «تفسيره» ١/ ٣٩٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٥٨.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ ب، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٦٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٢.

(٦) هو أبو سفيان سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك المدلجي الكناني، صحابي شاعر وكان قائفًا، وقصته حين أرسله أبو سفيان في طلب الرسول ﷺ مشهورة. توفي رضي الله عنه سنة ٢٤هـ.
انظر: «الاستيعاب» ٢/ ١٤٨، و«أسد الغابة» ٢/ ٣٣١، و«الإصابة» ٢/ ١٩.

(٧) أي: زاد عكرمة على قولي مقاتل والكلبي، والأثر أخرجه الطبري ٥/ ١٩٨، عن عكرمة بلفظ: «قال: نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عبدبن عبد مناف».

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هذا وصف ثان معطوف على الوصف الأول للنكرة، وهو قوله: ﴿قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[1].

وحصرت معناه: ضاقت[2]، وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر ومنه قول لبيد:

جَرداء يَحصُر دونَها جُرَّامُها[3]

يصف نخلة طويلة، يضيق قلبُ صارم ثمرها إذا نظر إلى أعلاها أن يرقى فيها لطولها[4].

وذكرنا ما في هذا الحرف عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦][5].

واختلفوا في موضع قوله: ﴿حَصِرَتْ﴾ فالأكثرون قالوا: إنه في موضع الحال بإضمار قد[6]، وذلك أن قد تقرِّب الماضي من الحال حتى

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ ب، و«الكشاف» ١/ ٢٨٨، و«المحرر الوجيز» ٤/ ١٦٣، و«الدر المصون» ٤/ ٦٤.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٣٦، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٠، والطبري ٥/ ١٩٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ٩٦ ب.

(٣) عجز بيت للبيد وصدره كما في شعره ص (٤٣)، و«اللسان» ٢/ ١٩٥:

أعرضت وانتصبت كجذع منيفة

وقافيته في «اللسان»: «صرامها» بالصاد، ومعنى جرداء: انجرد عنها سعفهان ويحصر: يتعب ويكل. وجرامها: قطاعها.

(٤) من «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٧-٨٣٨، وانظر: «اللسان» ٢/ ١٩٥ (حصر).

(٥) انظر: «البسيط» (النسخة الأزهرية) ١/ل ١١٩، ١٢٠.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٨٩، و«معاني الحروف» للرماني ص ٩٨، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤١، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٥، و«المحرر الوجيز» ٤/ ١٦٥، و«البحر المحيط» ٣/ ٣١٧، و«الدر المصون» ٤/ ٦٦.

وقد أشار كل من أبي حيان والسمين الحلبي إلى عدم الاحتياج إلى إضمار «قد» لكثرة ما جاء بدونها.

تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها وعلى هذا قول الشاعر:

أمُّ صبيٍّ قد حبا أو دارج[١]

فكأنه قال: «أم صبي حاب أو دارج»[٢]، ولذلك عطف الاسم على الفعل.

فتأويل قوله: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قد حصرت، والعرب كثيرًا ما تجعل الفعل الماضي حالًا. قال الفراء: العرب تقول: أتاني فلان ذهب.

[.. الآيات من ٩١- ٩٣...][٣].

(..[٤]..) وخلف الوعيد كرم، والله تعالى أكرم الأكرمين، وعندنا يجوز أن يخلف الله تعالى وعيد المؤمنين[٥]. وقد ذكرنا هذا فيما مضى من

---

(١) هذا شطر من الرجز وقبله:

«يا ليتني علقت غير خارج قبل الصباح ذات خلق بارج»

وهو في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢١٤، و«اللسان» ٣/ ١٣٥١ (درج)، إضافة إلى الآتي، وهو الذي أخذه منه المؤلف.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤١.

(٣) إلى هنا نهاية صفحة: (أ) من لوحة (١٨) في نسخة: (ش)، وفي صفحة (ب) تكميل لتفسير الآية (٩٣) قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]، فالظاهر وجود سقط هنا، وقد جعلت تفسير الآية (٩٣) في الصفحة التالية. وهذِه الجملة كاملة عند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٨٢: «أتاني فلان ذهب عقله، يريدون: قد ذهب عقله...

(٤) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط.

وهذا الكلام للمؤلف بعد سقط في المخطوط أشرت إليه آنفًا وهذا السقط من تفسير الآية (٩٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(٥) في هذا القول نظر لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩] بعد قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾. =

هذا الكتاب. على أن هذا التغليظ إنما هو (..[١]..) في الردع والزجر عن إقدام على قتل (..[٢]..).

وإلى هذا أشار الزجاج فقال: «هذا وعيد شديد في القتل، حرم الله ﷻ به وحظر الدماء»[٣].

وفي هذا يحمل (..[٤]..) ابن عباس وغيره من السلف، أنهم قالوا: لا توبة للقاتل[٥]؛ لأن[٦] الأولى لأهل الفتوى سلوك سبيل التغليظ، [سيما في القتل][٧] يدل على هذا ما روي أن سفيان[٨] سئل عن توبة القاتل،

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الآية: «دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده... لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد، وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها». «مجموع الفتاوى» ١٤/ ٤٩٨ .
وانظر: «أصول الدين» للبغدادي ص ٢٤٣.

(١) كلمة غير واضحة، وأظنها: «للمبالغة» أو نحو ذلك.

(٢) كلمة غير واضحة، والظاهر أنها: «مؤمن».

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩١.

(٤) غير واضح في المخطوط، والظاهر أنه: «ما قاله» أو «ما ذهب إليه».

(٥) قال بهذا القول إضافة إلى ابن عباس: زيد بن ثابت والضحاك بن مزاحم، وروي عن ابن عمر وأبي هريرة. انظر: الطبري ٥/ ٢٢٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣٧٦، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٠ .
قال البغوي -رحمه الله-: «والذي عليه الأكثرون، وهو مذهب أهل السنة: أن قاتل المسلم عمدًا توبته مقبولة لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]. «... وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل». «معالم التنزيل» ٢/ ٢٦٧، وانظر: ابن كثير ١/ ٥٨٩ .

(٦) في «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٦٦٥: «فان» بالفاء.

(٧) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط، والتسديد من «الوسيط» للمؤلف ٢/ ١٦٥.

(٨) هو ابن عيينة.

فقال: كان أهل العلم إذا سئلوا، قالوا: لا توبة له، وإذا ابتلي (الرجل قالوا له)[١]: تُب[٢].

وسئل مسروق عن توبة القاتل فقال: «لا أغلق بابًا فتحه الله»[٣].

٩٤- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[٤] الضرب في الأرض معناه السير فيها بالسفر للتجارة والجهاد[٥].

قال ابن السكيت: يقال: ضربت في الأرض أبتغي الخير[٦].

قال الزجاج: ومعنى ضربتم في الأرض أي سرتم وغزوتم[٧].

قال ابن عباس في رواية الكلبي، وغيره من المفسرين: نزلت الآية في أسامة[٨] بن زيد وأصحابه، بعثهم رسول الله في سرية، فلقوا رجلًا كان قد انحاز بغنم له إلى جبل، وكان قد أسلم، فقال لهم: السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبدر إليه بعضهم فقتله، قيل: إنه أسامة بن زيد،

---

(١) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط، والتسديد من «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٦٦٥.

(٢) أورده البغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٦٧، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣٥٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) بدأ تفسير هذه الآية في صفحة (ب) لوحة (١٨) من المخطوط في أثناء الصفحة وقبله خمسة أسطر لتفسير الآية (٩٣).

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٢٢١.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٢ (ضرب).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩١.

(٨) هو أبو محمد أو أبو زيد، أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي حب رسول الله ﷺ وابن حبه، ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة، كان عمر يجله ويكرمه. توفي رضي الله عنه سنة ٥٤هـ.
انظر: «الاستيعاب» ١/ ١٧٠، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٩٦، و«الإصابة» ١/ ٣١.

واستاقوا غنمه، فلما أتوا رسول الله ﷺ قال لأسامة: «لم قتلته وقد أسلم؟» قال: إنما قالها متعوذًا، فقال: «**هلَّا شققت عن قلبه؟**» ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله، ورد عليهم غنمه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾. وقرئ (فتثبتوا)[(٢)].

«يقال: تبينت الأمر، أي تأملته وتوسمته، وقد تبين الأمر، يكون لازمًا وواقعًا»[(٣)].

قال أبو عبيد في قوله ﷺ: [«ألا إن التبين من الله -جل ثناؤه-][(٤)]

---

(١) من طريق الكلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٠٤، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٦٨، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٣ بمعناه، وأخرجه من طريق العوفي عن ابن عباس الطبري ٥/ ٢٢٤، وعن السدي ٩/ ٧٨. واسم هذا الرجل المقتول مرداس بن نُهيك. وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٨، و«أسباب النزول» للمؤلف ص١٧٧.

ولهذا الحديث أصل في «صحيح مسلم» (٩٦) كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله عن أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقان من جيهنة فأدركت رجلًا فقال: لا إله إلا الله. فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: - «أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!» قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ.

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالأولى: «فتبينوا» انظر: «الحجة» ٣/ ١٧٣، و«المبسوط» ص ١٥٧، و«النشر» ٢/ ٢٥١، و«تحبير التيسير» ص ١٠٥.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٦٤ (بان).

(٤) ما بين القوسين قد طمست حروفه، والتسديد من «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٧، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٦٥ (بان).

والعجلة من الشيطان فتبينوا»[١] قال الكسائي: [وغيره: التبين مثل التثبت في الأمور][٢] والتأني [فيها، وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ][٣] قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ وبعضهم: (فتثبتوا) (.........)[٤] لأن التبين غاية الاحتياط الذي (.........)[٥] بالتبيين أبلغ. ومن قرأ بالثاء فحجته أن التثبت هو خلاف الإقدام [والمراد التأني][٦] وخلاف التقدم، والتثبت أشد اختصاصًا بهذا الموضع[٧]، وهو حسن أيضًا على طريق الأمر بسبب التبين (..[٨]..) والإرشاد بذكر سبب البيان.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٢) في كتاب: البر، باب: ما جاء في التأني والعجلة بلفظ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان». قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس ابن سهل [أحد رجال سند الحديث] وضعفه من قبل حفظه.

(٢) ما بين القوسين قد طمس حروفه في المخطوط، والتسديد من «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٢٧، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٦٥ (بان).

(٣) ما بين المعقوفين حصل عليه طمس، والتسديد من أبي عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٢٢٧.

وقد مر عزو القراءتين لمن قرأ بهما من العشرة.

(٤) هنا لم تتضح بعض الكلمات في المخطوط بحدود نصف سطر تقريبًا، وعند أبي عبيد في «الغريب» ١/ ٢٢٧ بعد قوله: «وبعضهم فتثبتوا» قال أبو عبيد: «والمعنى قريب بعضه من بعض».

(٥) غير واضح في المخطوط بسبب التآكل وغيره بحدود ثلثي سطر.

(٦) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط، والتسديد من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٧٤ لأن الكلام منه.

(٧) «الحجة» ٢/ ١٧٤.

(٨) كلمة غير واضحة في المخطوط.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾. وقرئ (السلام)[١]، فمن قرأ بالألف فله معنيان:

أحدهما: أن يكون السلام الذي هو تحية المسلمين، أي لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية: إنما قالها تعوذًا، فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله، ولكن كفوا عنه، واقبلوا منه ما أظهره[٢].

والثاني: أن يكون المعنى: لا تقولوا لمن اعتزلكم (وكف يده عنكم فلم يقاتلكم)[٣]:

﴿لست مؤمنًا﴾[٤]. قال الأخفش: يقال إنما فلان سلام، إذا كان لا يخالط أحدًا، فكأن المعنى: لا تقولوا لمن اعتزلكم، ولم يخالطكم في القتال: لست مؤمنًا[٥].

وأصل هذا من السلامة؛ لأن المعتزل طالب للسلامة. ومن قرأ (السَّلَم) أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين ومنه قوله: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ [النحل: ٨٧] أي: استسلموا، ولما يراد منهم[٦].

---

(١) قرأ بإثبات الألف ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب، وقرأ الباقون بحذفها. انظر: «السبعة» ص ٢٣٦، و«الحجة» ٣/ ١٧٥، ١٧٦، و«المبسوط» ص ١٥٨، و«النشر» ٢/ ١٥١.

(٢) «الحجة» ٣/ ١٧٦، ١٧٧، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٩٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٣ (سلم)، و«حجة القراءات» ص ٢٠٩، و«الكشف» ١/ ٣٩٥.

(٣) ما بين القوسين جاء في «الحجة» ٣/ ١٧٧ هكذا: «وكفوا أيديهم عنكم، ولم يقاتلوكم» ولعل ما عند المؤلف أصوب، لأن نهاية الكلام جاء بالإفراد.

(٤) «الحجة» ٣/ ١٧٧، وانظر: «الكشف» ١/ ١٩٥.

(٥) قول الأخفش من «الحجة» ٣/ ١٧٧ ولم أقف عليه في كتابه «معاني القرآن». وانظر: «الكشف» ١/ ٣٩٥.

(٦) «الحجة» ٣/ ١٧٧، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٩٢، و«حجة القراءات» ص =

فأعلم الله ﷻ أن حق من ألقى السلام أن يُتبين أمره[١]، وأن يتثبت في أمره.

وكذا الحكم اليوم إذا دخل جيش المسلمين بلاد الحرب أن لا يتعرضوا لمن يُرى عليه سيما الإسلام، في سلام أو كلام (..[٢]..) وأن لا يتسارعوا إلى قتله إلا بعد التبين.

وقوله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

قال أبو عبيد: جميع متاع الدنيا عرَض، بفتح الراء، يقال: «إن الدنيا عرَض حاضر، يأخذ منها البر والفاجر[٣]».

والعرْض- بسكون الراء- ما سوى الدراهم والدنانير، فصار العرض من العرض، وليس كل عرض عرضًا[٤].

قال بعض أهل اللغة: إنما سمي متاع الدنيا عرضًا؛ لأنه عارض زائل غير باق ثابت[٥]، ومنه سمَّى المتكلمون ما خالف الجوهر من الحوادث عرضًا لقلة لبثه[٦].

= ٢٠٩، و«الكشف» ١/ ٣٩٥.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٩٢، و«حجة القراءات» ص ٢٠٩.

(٢) غير واضح بسبب تآكل في المخطوط بقدر كلمة أو كلمتين، ولعلها: (بالأذى) أو (بالأخذ).

(٣) أشار في «اللسان» ٥/ ٢٨٨٧ (عرض) إلى أن هذا القول يروى حديثًا. ولم أقف عليه.

(٤) كلام أبي عبيد من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٦ (عرض) بتصرف يسير، وانظر: القرطبي ٥/ ٣٤٠، و«اللسان» ٥/ ٢٨٨٥ (عرض).

(٥) انظر: «المفردات» ص (٣٣١)، والقرطبي ٥/ ٣٣٩، و«عمدة الحفاظ» ص ٣٥٣ (عرض).

(٦) انظر: المرجع السابق.

قال ابن عباس في هذه الآية: «يريد الغنائم»(١).

وقوله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ﴾.

يعني: ثوابًا كثيرًا لمن ترك قتل من ألقى إليه السلم(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

قال الحسن وابن زيد: كنتم كفارًا مثلهم، فمن الله عليكم فهداكم(٣).

وهذا اختيار الزجاج، لأنه قال: أعلم الله أن كل من أسلم ممن كان كافرًا فبمنزلة هذا الذي تعوذ بالإسلام، فقال جل وعز ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام، وبأن قبل ذلك منكم على ما أظهرتم(٤). هذا كلامه.

وظاهر قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ يوهم أن المقتول كان كافرًا، وليس الأمر على هذا، وإنما التشبيه وقع لحال كفرهم بحال كفر المقتول قبل إسلامه، ثم منَّ الله عليهم بالإسلام كما من على المقتول وقَبِلَ منه ظاهر الإسلام، فيجب أن يقبلوا هم بظاهر

---

(١) جاء معناه في أثر طويل عن ابن عباس أخرجه الطبري ٥/ ٢٢٣ من طريق العوفي، وأخرجه ابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٥٦.

(٢) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٠٥ ب، وانظر: الطبري ٥/ ٢٢١.
وقيل: غنائم كثيرة في الدنيا مما أذن الله فيه وأباحه. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٧٩، و«زاد المسير» ٢/ ١٧٢.

(٣) أخرجه بنحوه عن ابن زيد الطبري ٥/ ٢٢٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٧٢، وأما عن الحسن فقد ذكره الهواري في «تفسيره» ١/ ٤١٣.
وقد ورد مثل هذا القول عن قتادة، ومسروق. انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٧٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٢.

الإسلام، وفي هذا تبكيت بهم وتعيير لهم، حيث لم يقبلوا ما أظهره الذي قتلوه من الإسلام، إذ قيل لهم: أنتم كنتم مثله في الكفر، ثم قبل ظاهر الإسلام منًا من الله عليكم. هذا قول واحد.

وقال سعيد بن جبير: «كذلك كنتم من قبل تستخفون بإيمانكم عن قومكم كما استخفى هذا الراعي بإيمانه عن قومه، فمنَّ الله عليكم بإعزازكم حتى أظهرتم دينكم»(١).

والقول هو الأول، لأنه لا شك أنهم أسلموا بعد أن لم يكونوا مسلمين، فأما الاستخفاء فلم يكن عامًا فيهم كعموم الإسلام بعد أن لم يكونوا عليه.

وقال مقاتل: (كذلك كنتم من قبل(٢) (. . . . .)(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٩٤].

قال عطية العوفي: يقول: إنكم قتلتموه على ماله(٤).

وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ تحذير وزجر عن الإضمار بخلاف الإظهار.

قال ابن عباس وغيره: ثم استغفر رسول الله ﷺ لأسامة، وأمره بعتق رقبة(٥).

---

(١) أخرجه الطبري ٥/٢٢٦، وأخرجه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/٣٥٩.

(٢) قول مقاتل في «تفسيره» ١٥/ ٤٠٠: «(كذلك) يعني هكذا (كنتم من قبل) الهجرة.

(٣) طمس وبياض بمقدار أربعة أسطر في المخطوط.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) تقدم تخريج الأثر، لكن ليس فيه الأمر بالعتق.

٩٥- قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ الضرر النقصان، وهو كل ما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة. تقول: دخل عليه ضرر في ماله، أي نقصان.

فمعنى قوله: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ أي: غير من به علة تضره وتقطعه عن الجهاد. كذا قال أهل اللغة[(١)]، وهو موافق لما قاله المفسرون؛ فإن ابن عباس قال في رواية عطاء، في قوله: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾: يريد ابن أم مكتومٍ الأعمى[(٢)]، وقومًا من الأنصار، كان فيهم ضر من عرج ومرض، فعذرهم الله تعالى، وجعل لهم ثوابًا وافيًا[(٣)].

وقال الزجاج: الضرر: أن يكون ضريرًا، أي أعمى وزمنًا ومريضًا[(٤)].

وقرئ ﴿غَيْرُ﴾ رفعًا ونصبًا[(٥)]، فمن رفع الراء فهو صفة للقاعدين، والمعنى على هذا: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: لا يستوي القاعدون الأصحاء والمجاهدون، وإن كانوا كلهم مؤمنين[(٦)].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٨.

(٢) هو عمرو وقيل عبد الله بن زائدة- وقيل: ابن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي الأعمى، اشتهر بكنيته (ابن أم مكتوم)، من المهاجرين الأولين، وخليفة رسول الله ﷺ على المدينة في كثير من غزواته. انظر: «أسد الغابة» ٤/ ٢٢٣، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٦٠، و«الإصابة» ٢/ ٣٥١.

(٣) أخرجه من طريق العوفي بمعناه الطبري ٥/ ٢٢٩.

(٤) عند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٩٣: «والضرر أن يكون ضريرًا أو أعمى أو زمنًا أو مريضًا».

(٥) قراءة الرفع لابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «الحجة» ٣/ ١٧٨، و«المبسوط» ص ١٥٨، و«النشر» ٢/ ٢٥١.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٩٢.

وهذا مذهب سيبويه[١] وقول الفراء[٢] وأبي إسحاق[٣] في رفع ﴿غَيْرُ﴾ وأنشد أبو علي على كون (غير) صفة، قول لبيد:

وإذا جوزيتَ قرضًا فاجزِه   إنما يَجزي الفتى غيرُ الجَمل[٤]

ف (غيرٌ) صفة للفتى[٥]. واحتج الفراء أيضًا على هذا بقوله: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ [النور: ٣١][٦]. وذكرنا جواز كون ﴿غَيْرِ﴾ صفة للمعرفة في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] مستقصى مشروحًا[٧].

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون (غير) رفعًا على جهة الاستثناء، المعنى: لا يستوي [القاعدون والمجاهدون][٨] إلا أولو الضرر، فإنهم يساوون المجاهدين، لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر[٩].

والكلام في رفع المستثنى بعد (..[١٠]..) قد مضى في قوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ

---

(١) من «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٧٩.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٣.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٢.

(٤) شعر لبيد ص ٩٧، و«الحجة» ٣/ ١٨٠، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٣٠.
وجاء في شرح شعره: «الجمل: لعل الكلمة جاءت متممة للقافية، وإنما أراد جنس البهيمة. والمعنى: فإذا عاملك أحد بالخير أو الشر فرد له مثل عمله سواء كان حسنًا أو قبيحًا، إنما يجزى العمل بمثله الإنسان العاقل، لا البهيمة.

(٥) «الحجة» ٣/ ١٨٠.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٣.

(٧) انظر: تفسير الفاتحة (٧) في «البسيط» بتحقيق الفوزان.

(٨) بياض في المخطوط والتسديد من «معاني الزجاج».

(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٩٢، ٩٣.

(١٠) بياض ويحتمل أن يكون الساقط: «المستثنى منه»، أو بعد «إلا».

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٦٦][1].

ومن نصب (غيرَ) جعله استثناء من القاعدين، لا يستوي القاعدون إلا أولي الضرر، على أصل الاستثناء[2].

وهذا الوجه اختيار الأخفش، وهو أن ينتصب (غيرَ) في القراءة على الاستثناء. قال: لأنه لا يُستثنى بها قومٌ لم يقدروا على الخروج[3].

كما رُوي في التفسير: أنه لما ذكر الله فضيلة المجاهدين على القاعدين، جاء قوم من أولي الضرر، وقالوا للنبي ﷺ: حالنا على ما ترى، ونحن نشتهي الجهاد، فهل لنا من رخصة؟، فنزل: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] واستثنوا من جملة القاعدين[4].

وقال الفراء: الوجه فيه الاستثناء والنصب، إلا أن اقتران غير بالقاعدين يكاد يوجب الرفع؛ لأن الاستثناء ينبغي له أن يكون بعد التمام، فيقول في الكلام: لا يستوي المحسنون والمسيئون إلا فلانًا وفلانًا[5].

وقال بعض النحويين من المتأخرين: الاختيار الرفع، لأن الصفة أغلب على (غير) من الاستثناء، وليس قول من ذهب إلى اختيار النصب

---

(١) انظر: ٦/ ٥٢٥ فيما سبق.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٩٣، و«الحجة» ٣/ ١٨٠، و«معاني القرآن» ١/ ٣١٦.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٣.

(٤) أخرج البخاري (٤٥٩٢) في كتاب: التفسير (سورة النساء)، باب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، ومسلم (١٨٩٨) كتاب: الإمارة، باب: حرمة نساء المجاهدين عن البراء رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾. وانظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص١٧٩-١٨٠، و«لباب النقول» ص ٧٨.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٣، ٢٨٤.

بسبب نزوله للاستثناء بشيء، لأن غيرًا وإن كانت صفةً فهي تدل على معنى الاستثناء، لأنها في كلا[١] الحالين قد خصصت القاعدين عن الجهاد بانتفاء الضرر، ففي الوجهين جميعًا الرفع والنصب إنما وقع التفضيل بين القاعدين الأصحاء والمجاهدين[٢].

قال الزجاج: ويجوز أن تكون (غير) منصوبة على الحال، المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون، كما تقول: جاءني زيد غير مريض، أي جاءني زيد صحيحًا[٣].

ونحو ذلك قال الفراء، قال: وهو كقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١][٤].

هذا هو الكلام في وجه القراءتين.

فأما حكم الزَّمنى ففرض الجهاد موضوع عنهم، كما ذكر الله في سورة الفتح، وهو قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية [الفتح: ١٧].

(. . . . .)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥] عطف على قوله: ﴿ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، لأن (. . . . . المؤمنون)[٦]

---

(١) في (ش): كلي، وهو خطأ؛ لأن هذا الحرف لا يعرب إلا إذا أضيف إلى ضمير.

(٢) لم أعرف من قال بذلك، وكأن الفراء قد مال إلى الرفع. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٨٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٣.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٤.

(٥) غير واضح في المخطوط.

(٦) نصف سطر في المخطوط غير واضح بسبب بعض التآكل، ويمكن أن يقدر بـ: ... لأن (الآية توجه إلى أنه لا ينبغي أن يكون) المؤمنون القاعدون... أو: لأن (ما يفهم من الآية ويراد التنبيه إليه أنه لا ينبغي أن يكون المؤمنون.. والله أعلم.

القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنون المجاهدون سواء [إلا أولي الضرر فإنهم يساوون المجاهدين لأن الضرر][(١)] أقعدهم عنه، فهم والمجاهدون سواء، إذا أتوا بشرط شرطه الله تعالى في سورة التوبة، وهو قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١].

ويدل على هذا حديث النبي ﷺ: **«لقد خلفتم بالمدينة أقوامًا، ما سرتم من مسير، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، أولئك أقوام حبسهم العذر»**[(٢)].

صاحبه استوى بالعامل، إذا صدقت نيَّته، وصحت نصيحته لله ولرسوله.

وقال بعض أهل المعاني: الآية لا تُحمل على مساواة أولي الضرر للمجاهدين في سبيل الله[(٣)]، لأن هذه الآية حض لغير[(٤)] أولي الضرر على الجهاد، ولم يدخل في الحض (....)[(٥)] أولوا الضرر.

وقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾. قال الكلبي: يقول: فضيلة في الآخرة[(٦)].

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط بسبب التآكل، والتسديد من «الوسيط» ٢/ ٦٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٣) بنحوه من حديث أنس بن مالك في كتاب: المغازي، باب: (٨١)، ومسلم (١٩١١) حديث جابر في كتاب: الإمارة، باب: ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» ٤/ ١٨٦. (٤) في المخطوط: لغيره.

(٥) كلمة غير واضحة في المخطوط ويبدو أنها: «عليه».

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٢٨٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٤.

وقال مقاتل: فضل الله المجاهدين على القاعدين من أهل العذر درجة يعني فضيلة[(١)]. ونحو ذلك قال ابن جريج، قال: التفضيل الأول بدرجة واحدة على أولي الضرر، والتفضيل الثاني بدرجات على غير أولي الضرر[(٢)].

وهذا يُقوي ما حكينا عن بعض أصحاب المعاني، عن أن الآية لا تدل على مساواة أولي الضرر للمجاهدين، وذلك أن المعذورين بالقعود وإن كانوا في النية والهمة على قصد الجهاد، فالمجاهدون مباشرون، ومباشرة الطاعة فوق قصد الطاعة، وأما القاعدون غير المعذورين فالمجاهدون مفضلون عليهم درجات؛ لأنهم قعدوا من غير عذر.

وتفسير الدرجة مضى عند قوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

وانتصاب الدرجة ههنا [بحذف الجار][(٣)]، لأن التقدير: بدرجة، فلما حذف الجار وصل الفعل فعمل، وهو كثير[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قال مقاتل: يعني: المجاهد والقاعد المعذور[(٥)].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٠١، و«الوسيط» ٢/ ٦٧٨، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٧١.

(٢) قول ابن جريج جاء في أثرين عنه أخرجهما الطبري ٥/ ٢٣١.
وأخرج الجزء الأول منه- إضافة إلى ابن جرير: ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٦٢.

(٣) غير واضح بسبب الرطوبة والخرم بمقدار كلمتين، والظاهر ما أثبته.

(٤) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٧٧.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٠١، و«الوسيط» ٢/ ٦٧٨، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٧١.

والحسنى: الجنة في قول ابن عباس[١]، ومقاتل[٢]، وغيرهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يريد: القاعدين غير المعذورين، وقد سبق ذكر المعذورين.

قاله ابن جريج[٤].

٩٦- قوله تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً﴾ قال أبو إسحاق: درجات نُصب[٥] بدلا من قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: وهو مفسر للأجر، المعنى: فضل الله المجاهدين درجات، ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ قال: وجائز أن يكون منصوبًا على التوكيد لقوله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة[٦].

وتفسير الدرجات ههنا: منازل بعضها أعلى من بعض من منازل الكرامة.

روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «**في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»[٧].

قال السدي: فضلوا سبعمائة درجة[٨].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٠١.
(٣) كقتادة والسدي، انظر: الطبري ٦/ ٢٣١، و«زاد المسير» ٢/ ١٧٤.
(٤) أخرجه الطبري ٥/ ٢٣١ بمعناه.
(٥) في «معاني الزجاج»: «في محل نصب».
(٦) «معاني القرآن» وإعرابه ٢/ ٩٣، ٩٤.
(٧) أخرجه البخاري (٢٧٩٠) حديث أبي هريرة مطولًا في كتاب: الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله.
(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٦٨٠، ولم أقف عليه.

وقال ابن مُحيريز[(١)]: هي سبعون درجة، ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المُضَمَّر سبعين خريفًا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. يريد للفريقين جميعًا، للمجاهدين والقاعدين.

٩٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ ماضيًا، ولم تضمر تاء مع التاء فيكون مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠]، وإن شئت كان على الاستقبال، تريد: إن الذين تتوفاهم، وكل موضع اجتمع فيه تاءان جاز فيه إضمار إحداهما[(٣)]. ونحو هذا قال الكسائي والزجاج[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في محل نصب على الحال، المعنى تتوفاهم الملائكة في حال ظلمهم أنفسهم، وهو نكرة وإن أضيف إلى معرفة؛ لأن المعنى على الانفصال، كأنه قيل: ظالمين أنفسهم، إلا أن النون حُذفت استخفافًا، والمعنى معنى ثبوتها، هذا قول الزجاج[(٥)].

---

(١) هو أبو محيريز عبد الله بن محيريز بالتصغير، ابن جنادة القرشي، المكي نشأ يتيمًا في حجر أبي محذورة، كان ثقة من فضلاء التابعين، وشبه بابن عمر في العبادة والفضل، توفي رحمه الله سنة ٩٩هـ، وقيل قبلها.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص ١١٧، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٩٤، و«التقريب» ص ٣٢٢ رقم (٣٦٠٤).

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ٢٣٤، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٠٧ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ١٧٥ وغيرهما.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٤.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٤.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٤.

(.... قال أبو الفتح[١]: الإضافة في [كثير من كلامهم][٢] في تقدير الانفصال والانفكاك، كما تقول [باب الحسن الوجه، والكريم الأب، كله منوى في الانفصال، وإنما تقديره: الحسن وجهه، والكريم أبوه. وكذلك اسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال، فهو وإن أضيف في اللفظ مفصول في المعنى، وذلك نحو قوله تعالى ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] و﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] و﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] و﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحج: ٩] و﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ [القمر: ٢٧] و﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧]

وعلى هذا قول جرير:][٣].

يا[٤] رُبَّ سائلنا لو كان يطلُبكم لاقى مباعدةً منكم وحِرْمانا[٥]

إنما هو ممطر لنا، وبالغًا الكعبة، وثانيًا عطفه، ورب سائل لنا، لولا ذلك لم تدخل رب عليه، ولا أجري ممطرنا وصفًا على النكرة، ولا نصب ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ على الحال. وعلى هذا: ناقةٌ عبر الهواجر، وفرس قيد الأوابد، فالإضافة في هذا كله لفظية غير معنوية[٦].

---

(١) ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٧.

(٢) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط، والتسديد من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٧.

(٣) ما بين المعقوفين طمس في المخطوط، والتسديد من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٧.

(٤) الكلام لا يزال منقولًا من «سر صناعة الإعراب».

(٥) البيت لجرير في «ديوانه» ص٤٩٢، وأوله: «يا رب غابطنا» وكذا في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٧.

(٦) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٧، ٤٥٨ (بتصرف).

فأما التفسير: فقال ابن عباس وغيره من المفسرين: نزلت في قوم كانوا قد أسلموا، ولم يُهاجروا حتى خرج المشركون إلى بدر، فخرجوا معهم، فقتلوا يوم بدر، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي الملائكة قالت لهؤلاء: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي كنتم في المشركين أم في أصحاب محمد ﷺ؟. وهذا سؤال توبيخ، وإنما توجه السؤال إلى التوبيخ لأنه مما لا يصلح لصاحبه جواب عليه، ولذلك لما اعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك في دارهم حاجتهم الملائكة بالهجرة إلى غير دارهم[(٢)].

وخبر إنْ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ والتقدير: قالوا لهم، بحذف (لهم)، لدلالة الكلام عليها[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «يريد مصيرهم إلى النار»[(٤)] وذلك أن الله تعالى لم يرض بإسلام أهل مكة حتى يهاجروا، فقال في سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٣] فنهاهم الله عن موالاتهم

---

(١) أخرجه بنحوه: الطبري ٥/ ٢٣٣-٢٣٤، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٠، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٠٧ أ، و«أسباب النزول» للمؤلف ص١٨٠، و«لباب النقول» ص (٧٩).

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٣٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٩٥، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٠٧ ب.

(٣) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٧٨. وذهب النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٤٤٨، إلى أن الخبر جملة ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٧].

(٤) لم أقف عليه.

ومناكحتهم وكل ما يكون بين المسلمين. وإذا أسلم الأخوان (..[١]..) أحدهما، وبقي الآخر، لم يكن يرث واحد منهما حتى فتحت مكة، فرد الله المواريث إلى الأرحام فقال[٢] [. . .الآيات ٩٨- ١٠٢ . . .] خفيفة[٣] والتحقت بالإمام في تشهده الطويل فتشهدوا وخففوا وسلم بهم.

وهذا الذي ذكرنا من صفة صلاة الخوف هو مذهب ابن عباس في رواية الوالبي، ذكره في تفسير هذه الآية[٤].

وبمثله ورد حديث ابن أبي حَثْمَة[٥] في صلاة الخوف[٦].

(١) بياض في المخطوط بقدر كلمتين، ويمكن أن يقدر (ثم هاجر).

(٢) حصل هنا سقط حيث جاء الكلام أثناء تفسير الآية (١٠٢) قوله: (وإذا كنت فيهم).

(٣) هذا الكلام جاء مباشرة بعد السقط في تفسير الآية (٩٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وهو بيان لصفة صلاة الخوف المذكورة في الآية (١٠٢) ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ الآية.

(٤) سياق الأثر تامًا عن ابن عباس قال: «قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ فهذا عند صلاة الخوف، يقوم الإمام وتقوم معه طائفة منهم، وطائفة يأخذون أسلحتهم ويقفون بإزاء العدو، فيصلي الإمام بمن معه ركعة، ثم يجلس على هيئته، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية والإمام جالس، ثم ينصرفون حتى يأتوا أصحابهم فيقفون موقفهم، ثم يُقبل الآخرون فيصلي بهم الإمام الركعة الثانية، ثم يسلم، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية. فهكذا صلى رسول الله ﷺ يوم بطن نخلة». تفسير ابن عباس ص ١٥٦، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٥٣ من نفس الطريق، لكن في هذه الرواية لم ينتظر الآخرين بالسلام.

(٥) هو سهل بن أبي حثمة (عبد الله أو عامر) بن ساعدة بن عامر الأنصاري الأوسي من صغار الصحابة حيث كان عمره عند وفاة النبي ﷺ سبع أو ثمان سنين، وقد روى أحاديث، هذا أحدها. توفي رضي الله عنه في أول خلافة معاوية.

انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢٢١، و«أسد الغابة» ٢/ ٤٦٨، و«الإصابة» ٢/ ٨٦.

(٦) أخرجه البخاري (٤١٣١) كتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، و«مسلم» (٨٤١) كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الخوف.

وما سوى هذا المذهب من المذاهب في صلاة الخوف لا يُوافق الآية.

واختاره[(١)] الزجاج أيضًا هذا الذي وصفنا، وزعم أنه مذهب أبي حنيفة في صلاة الخوف[(٢)]، فإنه ذهب إلى حديث ابن عمر، أنه صلاها مع النبي ﷺ، قال: «فصف وراءه طائفةٌ منا، وأقبلت طائفة على العدو، فركع رسول الله ﷺ ركعة وسجدتين مثل نصف صلاة الصُّبح، ثم انصرفوا فأقبلوا على العدو، فجاءت الطائفة الأخرى فصلَّوا مع النبي ﷺ ففعل مثل ذلك، ثم سلم النبي ﷺ، فقام كل رجل من الطائفتين فصلى لنفسه ركعة وسجدتين»[(٣)].

فعنده الطائفة الأولى إذا انصرفت عن الإمام إلى القتال لا تقطع الصلاة، ويكونون في حكم المصلين إلى أن يفرغ الإمام مع الطائفة الثانية، ثم يقضون بأجمعهم ركعة واحدة، واحتج على هذا من الآية بقوله: ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] قال: وهذا دليل على أن الطائفة الأولى لم يفرغوا من الصلاة، ولكنهم يصلون ركعة، ثم تكون من وراء الطائفة الثانية للحراسة[(٤)].

---

(١) لعل الصواب: «واختار».

(٢) الكلام هنا فيه اضطراب، لأن الذي اختاره الزجاج ووصفه المؤلف خلاف مذهب أبي حنيفة- كما سيأتي عند المؤلف؛ ولأن الزجاج إنما ذكر رأي الإمام مالك. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٩٧، ٩٨.

(٣) أخرجه بهذِه اللفظ الإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ١٥٠.
وأخرجه بمعناه البخاري (٤١٣٢، ٤١٣٣) في كتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، و«مسلم» (٨٣٩) في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الخوف، والثعلبي بلفظه في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٣ أ.

(٤) هذا اختيار أبي حنيفة وأصحابه في صفة صلاة الخوف. انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٣ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٤، ٥٢٥، والبغوي ٢/ ٢٧٨، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٦، و«المغني» لابن قدامة ٣/ ٣٠١.

والتفسير بخلاف هذا؛ لأن قوله: ﴿سَجَدُواْ﴾ يراد به الطائفة الأولى، ومعنى السجود: ههنا الصلاة، أي: إذا صلوا هم ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ أي الطائفة الثانية الذين لا يصلون[1]، فجعل أبو حنيفة السجود والكون من ورائكم لطائفة أخرى . . . . .)[2].

بأنهم لم يصلوا فائدة، وأيضًا فإن قوله: ﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ﴾ ظاهره يدل على أن يكون جميع صلاة الطائفة الثانية مع الإمام؛ لأن مطلق قولك: صليت مع الإمام، أنك أدركت جميع الصلاة معه، وعنده ليس كذلك.

فأما حمل السلاح في الصلاة فهو فرض عند بعض العلماء[3]، وسنة مؤكدة عند بعضهم[4]، والشرط أن لا يحمل سلاحًا نجسًا إن أمكنه[5]،

---

(١) هذا ما يدل عليه حديث ابن عباس المتقدم، وكذلك سهل بن أبي حَثْمَة، وإليه ذهب الشافعي، وهو مذهب مالك وأحمد وإسحاق، واختاره الطبري. انظر: «الأم» ١/ ٢١٠، ٢١١، والطبري ٥/ ٢٥٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ل ١١٠، ١١١، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٤، ٥٢٥، والبغوي ٢/ ٢٧٧، و«المغني» لابن قدامة ٣/ ٢٩٩- ٣٠١، والقرطبي ٥/ ٣٦٥، ٣٦٦، و«شرح صحيح مسلم» للنووي ٦/ ١٢٥.
قال البغوي: «وكلتا الروايتين صحيحة، فذهب قوم إلى أن هذا من الاختلاف المباح».
وقال ابن قدامة: «وإن صلى بهم كمذهب أبي حنيفة جاز. نص عليه أحمد، ولكن يكون تاركًا للأولى والأحسن. وبهذا قال ابن جرير، وبعض أصحاب الشافعي».

(٢) طمس في المخطوط بقدر أربعة أسطر.

(٣) عند عدم المرض الذي يشق معه حمل السلاح أو التأذي بالمطر، وهذا أحد قولي الشافعي. انظر: «الأم» ١/ ٢١٩، و«أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٩٤، و«المغني» ٣/ ٣١١، وابن كثير ١/ ٦٠٤.

(٤) هذا قول أكثر أهل العلم. انظر: «المغني» لابن قدامة ٣/ ٣١١، والقرطبي ٥/ ٣٧١. و«شرح صحيح مسلم» للنووي ٦/ ١٢٥.

(٥) انظر: «الأم» ١/ ٢١٩ و«المغنى» ٣/ ٣١١

ولا يحمل الرمح إلا في طرف الصف أو في الصف الأول لئلا يؤذي به من أمامه[(١)]، ولا حرج على المريض، وفي حالة المطر إن وضعوا أسلحتهم طلبًا للتخفيف، وفي المطر إنما يتعذر حمل السلاح؛ لأنه يصيبه بلل المطر فيسود بالطبع، وأيضًا فإن من الأسلحة ما يكون مبطنًا فيثقل على لابسه إذا ابتل بالماء[(٢)].

قال الشافعي: «وإن كانت صلاة المغرب فصلى ركعتين بالطائفة الأولى، ثم ثبت قائمًا، وأتموا لأنفسهم، فحسن، وإن ثبت جالسًا في التشهد الأول، وأتموا لأنفسهم، فجائز»[(٣)]. قال: «وإن كانت صلاة حضر فلينتظر جالسًا في الثانية أو قائمًا في الثالثة»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ قال أبو علي الجرجاني: في قوله: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ إطلاق، له أن يأتي بصلاة الخوف على جهة يكون بها حاذرًا، غير مغفلٍ للحذر؛ بحسب ما يكون حالهم مع العدو. والذي نزل به الكتاب كان وجه الحذر؛ لأن العدو يومئذ (....)[(٥)] كان مستقبل القبلة

---

(١) انظر: «الأم» ١/ ٢١٩، و«المغني» ٣/ ٣١١.

(٢) انظر: «الأم» ١/ ٢١٩، والبغوي ٢/ ٢٨٠، والقرطبي ٥/ ٣٧٢.

(٣) «الأم» ١/ ٢١٢، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١١ ب بتصرف يسير، وهذا مذهب أحمد ومالك أيضًا. انظر: «المغني» لابن قدامة ٣/ ٣٠٩.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ١١١ ب، وانظر: «الأم» ١/ ٢١٣.
وتمام الكلام عند الثعلبي: «حتى تتم الطائفة التي معه، ثم تأتي الطائفة الأخرى فيصلي بها كما وصفت في الأخرى».

(٥) غير واضح، وأظنه: «بذات الرقاع».
وسميت هذه الغزوة بذلك لما كانوا يعصبون من الخرق على أرجلهم من الجراح وكانت هذه الغزوة سنة خمس من الهجرة. انظر: «صحيح البخاري» (٤١٢٩، ٤٢٣٠)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (٢. ٨٤٢، ٨٤٣).

والمسلمون مستدبروها، وفي استقبالهم القبلة يومئذ استدبار منهم لعدوهم، فأمروا بأن يصيروا طائفتين، طائفة تجاه العدو، وطائفة مع النبي ﷺ مستقبل القبلة[١].

والحال الثانية والثالثة بعُسْفان[٢] وبذي قَرَد[٣]، كانوا بخلاف هذه الحال؛ لأن العدو كان مستدبرًا للقبلة والمسلمون مستقبلوها، وكان المسلمون على (..[٤]..) القبلة والعدو في وجوههم فأتى بالصلاة كما أطلق له من أخذ الحذر[٥]، ولو أتى بها في هاتين الحالتين كما أمر به يوم ذات الرقاع من تصييرهم طائفتين كان تاركًا للحذر ومغررًا بنفسه وأصحابه. هذا كلامه.

---

(١) جاءت صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع في عدة أحاديث أخرجها البخاري (٤١٢٩، ٤١٣٠) في كتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، ومسلم (٨٤٢، ٨٤٣) في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الخوف.

(٢) قرية بين مكة والمدينة على بعد مرحلتين من مكة. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» الجزء الثالث، القسم الثاني ص ٥٦.

(٣) بفتح القاف والراء اسم لماء على بعد ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر، وسمي به غزوة ذي قرد، وهي الغزوة التي أغار فيها قوم من غطفان على لقاح النبي ﷺ فاستردها، وهي قبل خيبر بثلاث. انظر: «صحيح البخاري» (٤١٩٤)، و«معجم البلدان» ٤/ ٣٢٢، و«اللسان» ٦/ ٣٥٧٧.

(٤) كلمة غير واضحة، وأظنها: (مستقبل).

(٥) الأثر في صلاة الخوف بعسفان أخرجه النسائي ٣/ ٧٤ في كتاب: صلاة الخوف حديث رقم (١٦) عن أبي هريرة، والطبري ٥/ ٢٥٧-٢٥٨ عن ابن عباس ومجاهد وهو في «تفسير مجاهد» ١/ ١٧٢، وذكره الثعلبي ٤/ ١١٢ أ وصفتها بنحو ما في حديث جابر الآتي.

أما بذي قرد فقد قال ابن عباس: «صلى النبي ﷺ يعني صلاة الخوف بذي قرد». أخرجه البخاري (٤١٢٥) (سبق تخريجه)، وأخرجه مطولًا عنه النسائي حيث =

وفيما ذكره تسوية من جميع الروايات الواردة في صلاة الخوف، لأنه يقول: العلة في اختلافها اختلاف الحال. وليس هذا الذي ذكره بعيدًا عن الصواب، فإن النبي ﷺ بعُسْفان وببطن النخل[١] لم يفرق أصحابه طائفتين، لأنهم كانوا في الصلاة متوجهين للعدو مستقبلي القبلة، فكانوا يرون العدو وهم في الصلاة، فلم يحتاجوا إلى الاحتراس إلا عند السجود، وفي السجود سجد الصف الأول، والثاني يحرسونهم، فلما فرغوا من السجود انحدر الصف المؤخر بالسجود[٢]. وكذا روى جابر بن عبد الله[٣].

= وصف ابن عباس الصلاة بقوله: «إن رسول الله ﷺ صلى بذي قرد، وصف الناس خلفه صفين، صفا خلفه، وصفا موازي العدو، فصلي بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة ولم يقضوا». «سنن النسائي» ٣/ ١٦٩ كتاب: صلاة الخوف حديث رقم (٥) وأخرجه بنحوه الثعلبي ٤/ ١١٣ ب.

(١) قرية في الحجاز من أرض غطفان. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»، الجزء الثالث، القسم الأول ص ٣٨.

(٢) تقدم قريبًا تخريج الأثر الوارد في الصلاة بعسفان، أما ببطن النخل فإنه سيأتي في الأثر عن جابر.

(٣) قال جابر رضي الله عنه: «غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جهينة، فقاتلونا قتالًا شديدًا، فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم. فأخبر جبريل رسول الله ﷺ ذلك. فذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ قال: وقالوا: أنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. فلما حضرت العصر، قال: صفينا صفين، والمشركون بيننا وبين القبلة. قال فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّرنا، وركع وركعنا، ثم سجد وسجد معه الصف الأول، فلما قاموا سجد الصف الثاني. ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الثاني، فقاموا مقام الأول. فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّرنا، وركع فركعنا. ثم سجد وسجد معه الصف الأول وقام الثاني، فلما سجد الصف الثاني، ثم جلسوا جميعًا، سلم عليهم رسول الله ﷺ».
أخرجه «مسلم»، وقد سبق تخريجه.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. يعني صلاة الخوف، قاله مقاتل[١] والكلبي[٢] والزجاج[٣].

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾. قال الكلبي: فصلوا لله (قيامًا) للصحيح، (وقعودًا) للمريض الذي لا يستطيع القيام، (وعلى جنوبكم) للمرضى الذين لا يستطيعون الجلوس[٤].

وقال مقاتل: فاذكروا الله باللسان[٥].

وقال ابن عباس: «يريد أنه ليس شيء أفضل من الذكر لله»[٦].

وقال الزجاج: أي: اذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه بكل ما يمكن أن يتقرب منه[٧].

= وهذِه الغزوة كانت بنخل كما أشار إليه المؤلف، وجاء ذلك في حديث جابر هذا عند الطبري ٥/ ٢٥٧.

(١) «تفسيره» ١/ ٤٠٣.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٩.

وهذا القول هو قول عامة المفسرين، ويؤيده النظر في سياق الآيات.

انظر: الطبري ٥/ ٢٥٩، ٢٦٠، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٦، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٨١، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٧.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٥، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥.

(٥) «تفسيره» ١/ ٤٠٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٩، وانظر: الطبري (٢٥٩)، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ ب، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٧.

وهذا القول أولى من قول الكلبي؛ لأنه ذكر بعد هذا حكم صلاة الحضر، فقال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. قال أبو إسحاق: أي إذا سكنت قلوبكم، يقال: اطمأن الشيء، إذا سكن، وطأمنته وطمأنته، إذا سكنته[١].

ويقال: طأمنت الشيء فتطامن، إذا خفضته فانخفض (. . .)[٢].

قال الكلبي في تفسير الاطمئنان: (....[٣]....) الخوف.

والأصح (. . .)[٤] المراد به المقام في (البلد)[٥] وزوال حركة السفر، وهو قول ابن عباس، قال: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ يريد في أهليكم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني أتموها[٦].

ونحو هذا قال الحسن[٧] ومجاهد[٨]، أن معنى الطمأنينة ههنا الرجوع إلى الوطن في دار الإقامة.

وذكرنا عن أبي علي الجرجاني أن الطمأنينة ضد الضرب في الأرض لا ضد الخوف، وضد الخوف الأمن، وهذا يدل على أن الخوف غير

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٩، وانظر: الطبري ٥/ ٢٦٠، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٨.

(٢) طمس لأكثر الحروف في المخطوط بمقدار سطر ونصف.

(٣) طمس ما بين القوسين في المخطوط، وفي «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥: «رجعتم إلى منازلكم وذهب عنكم الخوف».

(٤) كلمتان غير واضحتين، وأظنهما: «والأولى أن».

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في المخطوط، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦٩٥.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥.

(٧) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤١٩، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٨.

(٨) أخرجه عنه: الطبري ٥/ ٢٦٠، وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٠.

مشروط في جواز القصر، حيث جعل نهاية جوازه الطمأنينة في الأهل.
والذين قالوا: المراد بالطمأنينة زوال الخوف، قالوا في معنى قوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: فأتموا ركوعها، غير مشاة ولا ركبان فيها، كما كنتم تفعلون في صلاة الخوف. وبه قال السدي[1] وابن زيد[2].

١٠٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ أي فرضا موقوتًا[3].

قال ابن عباس: «فريضة بأوقاتها»[4].

والمراد بالكتاب ههنا: المكتوب، كأنه قيل: مكتوبة موقوتة، ثم حذفت الهاء من الموقوتة، لما[5] جعل المصدر موضع المفعول، والمصدر مذكر، ومعنى الموقوت أنها كتبت عليهم في أوقات مؤقتة، يقال: وقَّته، ووقَته، مخففًا[6]. وقرئ: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ وقِتَتْ﴾[7] [المرسلات:

---

(١) أخرجه عنه: الطبري ٥/ ٢٦٠، وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٠.

(٢) أخرجه عنه: الطبري ٥/ ٢٦٠، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٠.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٢٦١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٩٩، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٤.

(٤) «تفسير ابن عباس» ص ١٥٧، بلفظ: «موقوتًا: مفروضًا» وأخرجه كذا الطبري ٥/ ٢٦١، لكن من طريق العوفي، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٨، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٨٠.

(٥) كأنها: كما.

(٦) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٠، والطبري ٥/ ٢٦٢، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ ب.

(٧) قراءة أبي جعفر وحده بواو مضمومة وكسر القاف مخففة. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٨ (وقت)، و«المبسوط» ص ٣٩١، و«النشر» ٢/ ٣٩٧.
وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «وقّتت» بواو مضمومة وتشديد القاف. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٨ (وقت).

١١]. قال أبو عبيدة: وإن شئت قلت: أوقته[(١)].

وقال الزجاج في قوله: ﴿موقوتا﴾: أي مفروضًا موقتًا فرضه[(٢)].

١٠٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾. الخطاب للمؤمنين، وذكرنا معنى الوهن[(٣)] في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والمراد بالقوم ههنا: أبو سفيان وأصحابه، لما انصرفوا عن أحد منهزمين، وقد قذف الله في قلوبهم الرعب، أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيام، فندب النبي ﷺ الناس لذلك، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله هذه الآية[(٤)]. وقد مضت هذه القصة في سورة آل عمران[(٥)]. قال ابن عباس: «يريد لا تضعفوا في طلب العدو»[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾. الألم الوجع، وقد ألم يألم، فهو آلم[(٧)]. قال ابن عباس: «يريد يوجعون كما توجعون الجراح»[(٨)].

---

(١) ليس في «مجاز القرآن».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٩٩.

(٣) «الوهن: الضعف»؛ «الصحاح» ٦/ ٢٢١٥، و«اللسان» ٨/ ٤٩٣٤ (وهن).

(٤) ذكره الطبري ٥/ ٢٦٣ عن عكرمة، كما ذكره دون عزو السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٨٤، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ ب، والبغوي في «معالم التنزيل» ٢/ ٢٨٢.

(٥) ذكر جميع ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨١.

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٨ (ألم) وفيه: «فهو ألم» بدون مد.
وانظر: «الصحاح» ٥/ ١٨٦٣، و«اللسان» ١/ ١١٣ (ألم).

(٨) بنحوه في «تفسير ابن عباس» ص (١٥٧)، وأخرجه أيضًا من طريق علي بن أبي طلحة: الطبري ٥/ ٢٦٣، وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨١.

ونحو هذا قال غيره من المفسرين(١)، وهذا يحتمل تأويلين:

أحدهما: أن المؤمنين كانت بهم جراحات، يجدون لها ألمًا يوهنهم عن المسير في آثار المشركين، والمشركون أيضًا بهم جراحات، كما بالمسلمين، فقيل للمسلمين: إنَّ ألمتم جراحكم، فهم أيضًا في مثل حالتكم من أثر الجراح. وعلى هذا دل كلام المفسرين أن المراد بالألم ههنا ألم جراح واقعة بالفريقين(٢).

والآخر: أن هذا استدعاء إلى الجهاد مما يوجب الصبر عليه والجد فيه لرجحان حالهم على حال أعدائهم، بأنهم يرجون من الله ما لا يرجونه، فقد ساووهم في الصارف عن القتال، وهؤلاء انفردوا بداعٍ ليس لهم من ثواب الله على ذلك وكرامته التي هي (أوكد وكد داع)(٣) إلى إتباع مرضاته، فالمراد بالألم ههنا ألم جرح يقع ويحصل في أحد الفريقين، يقول: إنْ ألمتم جرحًا يوقعونه فيكم فهم أيضًا يألمون بما توقعونه فيهم، فلا تضعفوا ولا تجنبوا(٤) عنهم، فقد تساويتم في وجود الآلام.

وعلى هذا الثاني دل كلام أبي إسحاق، فإنه قال: أي أن تكونوا توجعون فأنهم يجدون من الوجع فيما ينالهم من الجراح والتعب كما تجدون(٥).

---

(١) كمجاهد وقتادة والسدي وابن زيد. انظر: الطبري ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٢٧.

(٣) هكذا ما بين القوسين في المخطوط، وقد يكون فيه تكرار، فتكون العبارة: «أوكد داع».

(٤) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: ولا تجبنوا، بباء ثم نون بعد الجيم.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٠، وانظر: الطبري ٥/ ٢٦٢، و«زاد المسير» ٢/ ١٨٩.

وهذا المعنى أراد الشداخ بن يعمر الكناني(١) في قوله يحض قومه على الحرب:

القوم أمثالكم لهم شعر في الرأس لا ينشرون إن قتلوا(٢).

يقول: هم مثلكم إن قتلتم منهم لم يجيء قتيلهم، كما لا يجيء منكم من قتل.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.

قال الحسن وقتادة وابن جريج وأكثر أهل العلم: وتؤملون من ثواب الله ما لا يؤملون(٣).

وقال الزجاج: أي أنتم ترجون النصر الذي وعدكم الله جل وعز وإظهار دينكم على [سائر](٤) أديان الملل المخالفة [لأهل الإسلام](٥)

---

(١) هو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر الليثي الكناني و«الشداخ» لقبه، سمي بذلك لشدخه الدماء بين قريش وخزاعة، أي وضعها تحت قدميه وإصلاحه بينهم فهو من حكام العرب، ويبدو أنه شاعر جاهلي.
انظر: «المحبر» ص ٣٣، و«الاشتقاق» ص ١٧١، و«جمهرة أنساب العرب» ص ١٨٠، و«الأعلام» ٨/ ٢٠٥.

(٢) البيت في «الحماسة الكبرى» لأبي تمام ١/ ١١٣.

(٣) أخرجه بمعناه عن قتادة وابن جريج: الطبري ٥/ ٢٦٢-٢٦٣، أما عن الحسن فذكره الهواري في «تفسيره» ١/ ٤٢٠ .
وقد قال بهذا القول أيضًا الضحاك. انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ١٨٤، واختاره الطبري ٥/ ٢٦٢، ٢٦٤، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٥ ب.

(٤) طمست ما بين المعقوفين هذه الكلمة في المخطوط حيث لم يبق من كلماتها إلا السين، والتسديد من الزجاج في «معانيه» ٢/ ١٠٠.

(٥) طمس ما بين المعقوفين في المخطوط والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٠.

وترجون مع ذلك الجنة، وهم لا يرجون؛ لأنهم كانوا غير مقرين [بالبعث، فأنتم ترجون من الله ما لا يرجون][١].

وذهب بعض المفسرين إلى أن (. . .)[٢].

وأنكر الفراء والزجاج ذلك، فقال: [وأجمع أهل اللغة الموثوق بعلمهم على أن الرجاء][٣] ههنا على معنى الأمل[٤].

وقال الفراء: «لا يعرف الرجاء بمعنى الخوف إلا مع (. . .)[٥]. كقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون له عظمة. كقول أبي ذؤيب[٦]:

إذا لسعَتْه النَّحلُ لم يَرْجُ لسعَها وحالفَها في بيتِ نوبٍ عواملِ[٧]

وإنما كان كذلك لأن الرجاء لما أخرج عن أصله لم يتصرف في جميع الوجوه بمعنى الخوف، إلا في النفي خاصة.

قال الزجاج: وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف؛ لأن الرجاء أمل قد يخاف أنْ لا يتم[٨]. يريد: إنما يُرجى كونه يخاف فوته.

---

(١) طمس ما بين المعقوفين في المخطوط، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٠.

(٢) طمس ما بين القوسين في المخطوط، والظاهر أنه: «الرجاء هنا بمعنى الخوف» أو قريب من ذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٦، والطبري ٥/ ٢٦٤.

(٣) طمس ما بين المعقوفين في المخطوط، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٠.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٠.

(٥) طمس، وفي «معاني الفراء» ١/ ٢٨٦: «ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد».

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٦، والبيت في ديوان الهذليين ١/ ١٤٣ وقافيته «عواسل» بالسين، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٧٦، و«الصحاح» ١/ ٢٢٩، و«اللسان» ٨/ ٤٥٧٠ (نوب). والشاهد منه: أن الرجاء بمعنى الخوف لما اقترن بنفي.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٠.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه[١].

﴿حَكِيمًا﴾ فيما حكم لأوليائه من الثواب، ولأعدائه من العقاب.

١٠٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية.

أجمعوا على أن هذه الآية وما بعدها من آي كثير نزلت في قصة طعمة ابن أُبيرق[٢]، سرق درعًا ثم رمى بها يهوديًا فلما طلبت عنده الدرع أحال على اليهودي، فرماه بالسرقة، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي، وأتوا رسول الله ﷺ، فسأل قوم طعمة النبي ﷺ أن يُجادل عن صاحبهم، وأن يبرأه، وقالوا: إنك إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح، وبرئ اليهودي، فهمّ النبي ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي.

وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه[٣]، والضحاك والسدي والحسن وابن زيد أن طعمة سرق الدرع[٤].

وقال مجاهد ومقاتل: إن طعمة استُودع درعًا، ولم تكن عليه بينة،

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٢٦٤.

(٢) هو طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر الخزرجي الأنصاري، ذكر في الصحابة وأنه شهد المشاهد كلها إلا بدرًا، وقد تكلم في إيمانه.
انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٧٥، و«الإصابة» ٢/ ٢٢٤.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥، وقد أخرجه بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي: الطبري ٥/ ٢٦٧، وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٤.

(٤) أخرج الآثار عنهم: الطبري ٥/ ٢٦٧-٢٧٠ إلا الحسن فأخرجه عنه ابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٥.
وقد أخرج القصة مطولة الترمذي في كتاب: التفسير، باب: (٥) ومن سورة النساء ٥/ ٢٤٤ عن قتادة بن النعمان. وقال: حديث غريب، وكذا الطبري ٥/ ٢٦٥ وذكرها المؤلف في «أسباب النزول» ص١٨٣، والسيوطي في «لباب النقول» ص ٨٢.

فجحدها، وكانت الدرع ليهودي. وهذا قول مقاتل وقول مجاهد، وأنه استودع درعًا، فرمى بسرقتها يهوديًا، [فنزلت][(١)] الآية في هذه الخصومة[(٢)].

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ المعنى: على وجه الحق دون الباطل، لأنه لو (......... عدى)[(٣)] في الحكم لم يكن قد أنزل بالحق، فالحق ههنا إنما هو ما كان لأجله الكتاب حقًا، وقد يوصف بالحق على معنى: ذو الحق، كما يوصف بعدل، كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، قال ابن عباس: «بما علمك الله»[(٤)].

ونحو ذلك قال غيره[(٥)]، ومثله قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ الآية [سبأ: ٦][(٦)] أي: ويعلم.

وهذا يدل أن رأيه ﷺ كله وحيًا[(٧)].

---

(١) ما بين المعقوفين لم تتضح بعض حروفه في المخطوط.

(٢) قول مجاهد كالقول السابق أن طعمة سرق الدرع ورمى بذلك غيره.
انظر: قول مجاهد في «تفسيره» ١/ ١٧٣، والطبري ٥/ ٢٦٥، وقول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٤٠٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٦ ب.

(٣) طمس ما بين القوسين في المخطوط، وهو بقدر كلمتين لم يتبين منهما إلا هذان الحرفان اللذان أثبتهما، والظاهر أن العبارة: «لو كان التعدي» أو «لو قصد التعدي». انظر: «الوسيط» ٢/ ٦٩٧.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٥.

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ٤٩٩.

(٦) تمام الآية: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وسقتها كاملة ليتضح تفسير المؤلف لها.

(٧) هكذا ولعل «كله» مصحفة عن «كان أو أنه» سقط (كان) من الكلام.

وكان عمر ﷺ يقول: «لا يقولن أحدكم: [قضيت][١] بما أراني الله، فإن الله تعالى لم يفعل ذلك إلا لنبيه». وكان يقول: «إنَّ رأي النبي ﷺ كان مصيبًا، لأن الله تعالى كان يريه إياه، وهو منّا ظن وتكلف»[٢].

وقال الحسن: «رأي الأنبياء عليهم السلام وحي» ثم تلا هذه الآية[٣].

قال أبو علي: لا يخلو (أراك) من أن يكون منقولًا بالهمزة من رأيت، التي يراد بها رؤية البصر، أو رأيت، التي تتعدى إلى مفعولين، ورأيت الذي بمعنى الرأي الذي هو الاعتقاد، فلا يجوز أن يكون من الرؤية التي معناه: أبصرت بعيني؛ لأن الحكم في الحوادث بين الناس ليس مما يدرك بالبصر، ولا يجوز أن يكون من: رأيت، التي يتعدى إلى مفعولين؛ لأنه كان يلزم بالنقل أن يتعدى إلى ثلاثة، مفعولين[٤]، وفي تعديه إلى مفعولين، أحدهما الكاف التي للخطاب، والآخر: المفعول المقدر حذفه من الصلة، تقديره: بما أراكه الله، ولا مفعول ثالثًا في الكلام، وذلك دلالة على أنه من رأيت، التي معناها الاعتقاد والرأي، وهو يتعدى إلى مفعول واحد، فإذا نقل بالهمزة تعدى إلى مفعولين، كما ذكرنا في التقدير[٥].

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح وضوحًا تامًّا، وما أثبته قريب.

(٢) قال السيوطي: «أخرج ابن المنذر عن عمرو بن دينار أن رجلًا قال لعمر: (بما أراك الله) قال: مه، إنما هذِه للنبي ﷺ خاصة» «الدر المنثور» ٢/ ٣٨٦.
هذا ما وقفت عليه عن عمر رضي الله عنه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لعل هذِه الكلمة زائدة، أو مصحفة عن «مفاعيل».

(٥) من «المسائل الحلبيات» لأبي علي ص ٧٠، ٧١ بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ قال الزجاج: أي لا تكن مخاصمًا ولا دافعًا عن خائن[(١)].

وخصيمك الذي يُخاصمك، وجمعه خصماء، وأصله من الخصم وهو ناحية الشيء وطرفه، والخصم طرف الراوية[(٢)]، وطرف الفراش، وقيل للخصمين خصمان؛ لأخذ كل واحد منهما في ناحية من الحجج والدعوى وخصوم السحابة جوانبها[(٣)]، قال الأخطل[(٤)]:

إذا طعنتْ فيها الجنوبُ تحاملتْ
بأعجازِ جرّارٍ تداعى خُصومُها[(٥)]

أي: تجاوب جوانبها بالرعد، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه. والجرّار الثقيل ذو الماء، تحاملت بأعجازه: دفعت أواخره[(٦)].

١٠٦- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾. قال مقاتل: من جدالك عن طعمة[(٧)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٢.

(٢) في المخطوط: «الرواية» وهو تصحيف، انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٢، و«اللسان» ٢/ ١١٧٧ (خصم).
والراوية هي المرادة. انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٣٦٤ (روي).

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٢ (خصم) بتصرف، وانظر: «اللسان» ٢/ ١١٧٧ (خصم).

(٤) هو أبو مالك غياث بن غوث شاعر مسيحي من شعراء الدولة العباسية، توفي سنة ٩٠ تقريبًا. انظر: «طبقات الشعراء» ص١٤٧، و«الشعر والشعراء» ص ٣١٩، و«الأعلام» ٥/ ١٢٣.

(٥) ديوان الأخطل ص ٣١٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٢، و«اللسان» ٢/ ١١٧٧ (خصم)، والجنوب: ريح الجنوب.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٢ (خصم).

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٠٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ أ.

وقال السدي: (مما أردت من جدالك عنه)[١].

وقال [....][٢]: («من همك بقطع اليهودي»[٣] ونحوه روي عن ابن عباس)[٤].

وقال الكلبي: من همك باليهودي أن (....)[٥].

فإن قيل: فهل كان للنبي ﷺ في هذه القصة ذنب حتى أمر بالاستغفار؟

قيل: الأصل في هذا أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون عن الكبائر، وذلك بإجماع العلماء[٦]. فأما الصغائر: فمن العلماء من قال: كانوا معصومين عنها[٧]، ومنهم من قال: ما كانوا معصومين عنها[٨].

وكذلك الخلاف في جواز السهو والنسيان عليهم[٩]، مع إجماعهم على أن السهو غير جائز عليهم في تبليغ الوحي، وأن السهو إن وقع فهو في غير الوحي، فإنَّ الله لا يقررهم على السهو، بل ينبهم، والصحيح أن السهو

---

(١) ما بين القوسين لم يتضح جيدًا في المخطوط، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٦٩٨، ولم أقف على من خرجه.

(٢) لم يتضح اسم القائل، وكأنه مجاهد.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ أ.

(٥) ما بين القوسين كلمة غير واضحة في المخطوط، وأظنها: «تقطعه». انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ أ، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.

(٦) انظر: «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة مع شرحه ص ٨٨، ٨٩، و«أصول الدين» للبغدادي ص ١٦٧، ١٦٨.

(٧) انظر: «الفقه الأكبر مع شرحه» ص ٨٨، ٨٩.

(٨) انظر: «أصول الدين» ص ١٦٨، والقرطبي ٥/ ٣٧٧.

(٩) انظر: «أصول الدين» ص ١٦٨.

والنسيان جائز عليهم، وعلى هذا دلت الأخبار(١).

فأما ذنب النبي ﷺ في هذه القصة فقد قيل: إنه همّ بقطع اليهودي(٢).

وقيل: إنَّه جادل عن طعمة، حتّى قال للمدعي: عمدت إلى رجل مسلم ورميته بالسرقة من غير بينة(٣).

وهذا مما يؤمر بالاستغفار عنه.

والذين قالوا: لا تجوز الصغائر عليهم قالوا: إنه أمر بالاستغفار على طريق التسبيح، كما يقول القائل: «اسْتَغْفِرِ اللَّهِ» مكررًا له مرات كثيرة، على جهة التسبيح من غير أن يقصد بذلك إلى التوبة من ذنبٍ كره(٤).

وقال بعض أهل العلم: استغفار الرسل إما أن يكون للأمة، وإما أن يكون لذنب قبل النبوة، وإما أن يكون لزيادة الدرجة(٥). وقد رُوي عن رسول الله أنه قال: «إن الله تعالى ليغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة»(٦) معناه زيادة الدرجات.

قال أبو إسحاق: عرّف الله تعالى نبيه ﷺ قصة طعمة، وأعلمه أنه خائن، ونهاه أن يحتج له، وأمره بالاستغفار مما هم به، وأن حكم بما أنزل

---

(١) قال البغدادي: «وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب، فلذلك ساغا عليهم. وقد سهى نبينا ﷺ في صلاته، حتى سلم من الركعتين، ثم بني عليها وسجد سجدتي السهو». «أصول الدين» ص (١٦٨)، وانظر: «شرح الفقه الأكبر» ص ٩٢، ٩٣.

(٢) تقدم هذا القول عن ابن عباس وغيره.

(٣) أخرجه الطبري في الأثر الطويل عن قتادة بن النعمان ٥/ ٢٦٦.

وتقدم قريبًا نحوه عن السدي ومقاتل. انظر ص ٤٠١.

(٤) هكذا هذِه الكلمة في المخطوط ولعل الصواب: ذكره، فسقطت الذال من الناسخ.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ ب.

(٦) لم أقف عليه.

الله في كتابه فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ يعني طعمة ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق[١]. والاختيان كالخيانة، يقال: خانه واختانه. وذكر ذلك عند قوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ومعنى (يختانون أنفسهم): يخونوها[٢] بالمعصية، والعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه.

ويجوز أن يكون المعنى: أن وبال خيانتهم راجع إليهم بالفضيحة في الدنيا والعقوبة في الآخرة، فكأنهم خانوا أنفسهم وإن خانوا غيرهم في الظاهر (بالسرقة كما يقال لمن ظلم غيره: إنه قد ظلم نفسه.

وقد صرحت الآية بالنهي)[٣] عن المجادلة عن الظالمين في القليل والكثير، ألا ترى أن رسول الله ﷺ جادل عن طعمة على غير بصيرة، (..[٤]..) الله تعالى بهذا، وأمره بالاستغفار، ونهاه عن المعاودة إلى مثله، فما ظنك بمن يعلم ظلم الظالم، ثم يستجيز معاونته؟!

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ قال ابن عباس: «يريد خوانًا فاجرًا»[٥].

قال المفسرون: إن طعمة خان في الدرع، وأثم في رميه اليهودي، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٦].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ١٠١.

(٢) هكذا في المخطوط، والصواب: «يخونونها» بالرفع.

(٣) ما بين القوسين متكرر في المخطوط، ولعله سهو من الناسخ.

(٤) ما بين القوسين كلمة غير واضحة في المخطوط، والظاهر أنها: فعاتبه.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٥.

(٦) من الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ ب بتصرف.

١٠٨- قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الاستخفاء في اللغة معناه: الاستتار، يقال: استخفيت عن فلان، أي: تواريت عنه واستترت[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ﴾ [الرعد: ١٠] قال الفراء: أي مستتر[(٢)].

ونحو هذا قال أبو العالية في تفسير: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون[(٣)].

وقال ابن عباس: يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله[(٤)].

وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الاستحياء من الناس كان سبب الاستخفاء منهم، ففسر الاستخفاء بما أوجبه الله من سببه.

قال مجاهد: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ يعني: قوم طعمة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يقول علمه معهم»[(٦)]. قال عطاء عنه: يريد عالم بما يُخفون وما يُعلنون[(٧)].

قال أهل المعاني: معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ مشاهدته إياهم كمشاهدة من يكون معهم في الظاهر[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾. قال مجاهد:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٣٠ (خفي)، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٧ ب، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٣.
(٢) لم أجده في «معاني القرآن» بل في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٠ (خفي).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.
(٥) لم أقف عليه عن مجاهد. وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٥، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٣.
(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.
(٧) لم أقف عليه.
(٨) انظر: الطبري ٥/ ٢٧١.

يُهيئون[١]. وقال عطاء: يُضمرون[٢]. وقال أبو عبيدة: يُقدرون[٣].

وذكرنا معنى التبييت مشروحًا في قوله: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ٨١].

والذي لا يرضاه الله تعالى من القول الذي بيتوه هو أنَّ طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع [وأحلف أنني لم أسرقها فتقبل يميني، لأني][٤] على دينهم، ولا تقبل يمين اليهودي. قاله الزجاج[٥].

وهو قول الحسن[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[٧]

(..[٨]..) ابن عباس: «أحاط بسرائر العباد وما (. . .)»[٩].

(محيطٌ) ههنا عليم بأعمالهم على إحاطة، لأنها ظاهرة له، لا تخفي عليه من وجه من الوجوه. وذكرنا هذا فيما تقدم[١٠].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قال الكلبي: ثم أقبل على قوم طعمة فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[١١].

---

(١) لم أقف عليه. (٢) لم أقف عليه.

(٣) فسر أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١]. بقوله: «أي قدروا ذلك ليلًا «مجاز القرآن» ١/ ١٣٢. هذا ما وجدت عند أبي عبيدة.

(٤) طمس ما بين المعقوفين في (ش)، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٢.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٢.

(٦) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٢٢.

(٧) طمس آخر الآية في المخطوط ولم يبق إلا آخر كلمة فاهتديت بها إلى ما قبلها.

(٨) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط، ويحتمل أنه: «قال عطاء عن» لأنه كثيرًا ما يورد عن ابن عباس من طريقه.

(٩) طمس في المخطوط، ولم أقف على الأثر عن ابن عباس.

(١٠) انظر: «البسيط» [البقرة: ١٩].

(١١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.

قال الزجاج: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ههنا بمعنى الذين، المعنى: ها أنتم الذين جادلتم، لأن هؤلاء وهذا يكونان في الإشارة للمخاطبين إلى أنفسهم بمنزلة الذين، وقد يكون لغير المخاطبين بمنزلة الذين، نحو قول الشاعر:

عدس: ما لعبَّاد عليك إمارةٌ أمنت وهذا تحملين طليق[1]

أي الذي تحملين طليق[2].

وقال غيره: هؤلاء إشارة إلى نفس المخاطبين على جهة البيان والتأكيد، كما تقول: فعلت أنت، وفعل هو[3]:

وذكرنا في هذا بيانًا شافيًا في قوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

ومعنى الجدل في اللغة: شدّة المخاصمة، والجدْلُ: شدة الفتل، ورجل مجدول، كأنه قد فتل[4]. والأجدَلُ: الصقر؛ لأنه من أشد الطيور قوة. هذا قول أبي إسحاق[5].

وقال غيره: سمي المخاصمة جدالًا؛ لأن كل واحد من الخصمين يريد فتل صاحبه عما هو عليه وصرفه عن رأيه[6].

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. وهو في «الشعر والشعراء» ص ٢٢٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٧ (عدس)، و«المحتسب» ٢/ ٩٤، و«اللسان» ٥/ ٢٨٣٧ (عدس). وعدس كلمة زجر للبغل.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٢، بتصرف، وانظر: القرطبي ٥/ ٣٧٩.

(٣) نحو قول الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٤.

(٤) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٢: «قتل» بالقاف.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٢، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ أ، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٣.

(٦) لم أقف على قائله.

قال ابن عباس في قوله: ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يريد الذين جادلوا من الأنصار، من قرابته[١]. وفي حرف عبد الله (عنه)، يعني السارق وحده[٢]، وفي قراءتنا: (عنهم)[٣] يعني السارق وذويه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ خرج الكلام ههنا مخرج الاستفهام والمراد النفي، وجاز ذلك لأن جوابه لا يصح إلا بالنفي[٤]. ومضت نظائر كثيرة لهذا.

والمراد بهذا الاستفهام التقريع والتوبيخ لمن جادل عن الخائنين.

قال أبو إسحاق: كأنه قيل لهم: إن يقع[٥] الجدال في الدنيا عن أمر هذا السارق فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة[٦]؛ لأنه اليوم الذي يؤخذ [فيه][٧] بالحقائق.

وقوله تعالى: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ معنى الوكيل في اللغة هو الذي جُعل له القيام بالأمر، ووكل إليه الأمر[٨].

وقوله: ﴿أَم مَّن يَكُونُ﴾ عطف على استفهام معناه النفي، فهذا أيضًا

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.
(٢) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٤٥، ونسب الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ أ، هذه القراءة إلى أُبي.
(٣) هذه هي القراءة المتواترة الموافقة لرسم المصحف.
(٤) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٢، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٤٥.
(٥) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٢: «إن يقم» بالميم.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٢.
(٧) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط، وما أثبته قريب.
(٨) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٢، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٣٦، و«أساس البلاغة» ٢/ ٥٢٥-٥٢٦، و«اللسان» ٨/ ٤٩٠٩-٤٩١٠ (وكل).

يكون بمعنى النفي، أي لا يكون يوم القيامة عليهم وكيل يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم[١].

١١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ قال ابن عباس: «عرض التوبة على طعمة بقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾ الآية[٢].

قال الزجاج: أعلم الله أن التوبة مبذولة في كل ذنب[٣].

وقال المفسرون: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا﴾ بالسرقة[٤] ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ بالشرك[٥].

والأولى أن يقال: هذا عام في كل معصية. وذكر ظلم النفس مع عمل السيئة -وكلاهما بمعنى واحد- توكيدًا وزيادةً للبيان.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾.

هذا ورد مطلقًا كما ترى من غير ذكر التوبة، وهو عند أهل العلم مقيد

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٤٥.

(٢) روي من طريق أبي صالح عن ابن عباس. انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٤ .
وقد ثبت عن ابن عباس ما يفيد عموم الآية لكل من تاب من ذنبه واستغفر منه، كما في الأثر عنه من طريق علي بن أبي طلحة قال: «أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال. «تفسير ابن عباس» ص ١٥٨، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٧٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٢.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٤.

(٥) لم أجد من فسر الظلم هنا بالشرك إلا الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٢٩٧، وقد قال غير واحد إنه ما دون الشرك، انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ أ، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٤.

بالتوبة[١]؛ لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

معناه: غفورًا رحيمًا له[٣]، لأن الله غفور رحيم، استغفر هذا الظالم أو لم يستغفر، فحذف له لدلالة الكلام عليه، وتلك الدلالة أنه لا معنى للترغيب في الاستغفار إلا أن يكون على هذا الوجه.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ الآية الذين جادلوا عن طعمة[٤].

١١١- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

معنى الكسب: هو الفعل الذي يجتر به إلى النفس نفع، ويدفع به عنها ضر، ولذلك لم يجز في وصف الباري ﷻ.

والإثم: هو القبيح الذي يوجب تبعة، والذنب: هو القبيح من الفعل، وقد يكون من غير تبعة، ولذلك يقال للصبي أذنب، ولا يقال: أثم.

ومعناه: الرذل في الفعل، كالذنب الذي هو [إهلاك][٥] صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ قال المفسرون: بين الله تعالى لما رغب العاصي في الاستغفار أن ضرر المعصية يلحقه، ولا يلحق الله تعالى من معصية العاصي ضرر، وأن ترغيبه إياه في الاستغفار (....)[٦].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ١٧٢، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٠٣، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ أ، والبغوي ٢/ ٢٨٥، و«الكشاف» ١/ ٢٩٧.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٣.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ١٧٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ أ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ما بين المعقوفين غير واضح، وما أثبته قريب.

(٦) ما بين القوسين غير واضح في المخطوط بسبب تآكل أو نحوه، ويمكن أن يقدر =

قال عطاء عن ابن عباس في قوله: «﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ يريد [طعمة][(١)] خاصة، لأن هؤلاء القوم الذين جادلوا عنه كانوا يظنون به خيرًا»[(٢)].

ومعنى هذا: أن الآثم إنما ضر بما فعل نفسه، لأنه لا يؤخذ غير الآثم بإثم الإثم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: بالسارق[(٤)].

﴿حَكِيمًا﴾ بالقطع على طُعمة بالسرقة. قاله المفسرون[(٥)].

١١٢- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾ قال الكلبي: لما نزلت هذه الآيات التي تقدمت عرف قوم طعمة الظالم، فأقبلوا عليه وقالوا: بؤ بالذنب واتق الله، فقال: لا والذي يُحلف به ما سرقها إلا اليهودي، فأنزل الله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ يقول يمينه الكاذبة، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ سرقته الدرع، ورميه بها اليهودي، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا﴾ برميه البريء ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ يعني: يمينه الكاذبة[(٦)].

وعلى هذا التفسير عادت الكناية في (به) إلى الإثم الذي هو رمي البريء لا إلى الخطيئة؛ لأنه رمى البريء بالسرقة لا بإثم اليمين الفاجرة.

= بـ (استدعاء لما فيه مصلحته أو خيره) أو نحو ذلك، والله أعلم.

(١) هذه الكلمة ما بين المعقوفين غير واضحة في المخطوط، وما أثبته قريب.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب.

(٥) يقصد شيخه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٥، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٤٦، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.

وأما البهتان: فهو من البَهْت، وهو استقبالك أخاك بأمر تصفه به، وهو منه بريء. والاسم: البهتان[1]، قال:

أإن رأيتَ هامتي كالطَّستِ
ظَلِلْتَ ترمين بقولٍ بُهتِ[2]

وذكرنا ما في هذا الحرف عند قوله: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا﴾ [النساء: ٢٠].

قال أبو علي الفارسي: «الخطيئة: تقع على الصغيرة والكبيرة، فالصغيرة: قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ [الشعراء: ٨٢]، والكبيرة: قوله: ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]»[3].

فإن قلت: فكيف تقدير قوله: (خطيئةً أو إثمًا)، والخطيئة قد وقعت على الصغيرة والكبيرة، والإثم كذلك، فكأنه بمنزلة: ومن يكسب صغيرًا أو صغيرًا، أو: من يكسب كبيرًا، أو كبيرًا؟

قيل: الإثم قد وقع في التنزيل على ما يقتطعه الإنسان من مال لا يجوز له أن يقتطع من ماله[4]، كقوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [المائدة: ١٠٧] أي اقتطعوا بشهادتهما إثما، وإنما وقع اسم الإثم على ما يقتطعه الإنسان من غيره لوجهين: إما أن يكون أريد وذا إثم، أي ما اقتطعه مما أثم فيه من مال صاحبه أثم فيه، أو يكون سمي المقتطع إثمًا لما كان يؤدي آخذه إلى الإثم، كما سمي مظلمة لأنه يؤدي إلى الظلم.

---

(١) «العين» ٤/ ٣٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٤٠٠ (بهت).

(٢) مر هذا الرجز في بداية السورة .

(٣) «الحجة» ٢/ ١١٦.

(٤) قد يكون في الكلام سقط، وتمامه: «ما يقتطعه الإنسان من مال أحد لا يجوز له أن يقتطع من ماله».

فوقع الإثم في هذه الآية على المسروق، كما وقع عليه في قوله: ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ [المائدة: ١٠٧]، فإذا كان كذلك جاز أن يكون التقدير: ومن يكسب ذنبًا فيما بينه وبين الله سبحانه، أو ذنبًا هو من مظالم العباد. فهما جنسان، فجاز دخول (أو) في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ﴾: فلان، المعنى: ثم يرم بأحد هذين، أو يكون عاد الذكر إلى الإثم وحده، كما عاد إلى التجارة في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

وهذا الذي ذكره أبو علي موافق لما ذكرنا من تفسير الآية.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يعود الذكر إلى الكسب، أي: يرم بكسبه بريئًا. فدل يكسب على الكسب فكنيَّ عنه .

قال: ويجوز أن تكون الهاء راجعة إلى معنى الخطيئة والإثم، فكأنه قال: ومن يكسب ذنبًا ثم يرم به بريئًا(١).

وذكرنا معنى الخطيئة في قوله: ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١].

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: بالنبوة والعصمة(٢).

وقال الكلبي: بالنبوة، وبنصرك بالوحي، لهمَّت(٣).

وقال الفراء والزجاج: المعنى: لقد همَّت فأضمرت(٤).

---

(١) لم أقف على قول ابن الأنباري.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٦.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٦.

(٤) هذا نص قول الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٨٧، أما الزجاج فهذا معنى كلامه في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٤، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب.

وقوله تعالى: ﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ يعني قوم طعمة، هذا السارق، لأن بعضهم قد كان وقف على أنه سارق، ثم سألوا النبي ﷺ أن يجادل عنه، ويرمي بسرقته اليهودي[1].

ومعنى: ﴿يُضِلُّوكَ﴾ يخطئوك في الحكم. قاله الزجاج[2] وغيره[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾. بتعاونهم على الإثم والعدوان، وشهادتهم بالزور والبهتان.

وقال الزجاج: لأنهم يعملون عمل الضالين[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾. لأن الضر على من شهد بغير حق[5].

وقال الزجاج: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ مع عصمة الله إياك، ونصرة[6] دين الحق[7].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يجوز أن يكون قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾ ابتداءً في ذكر المنة، ويجوز أن تكون الواو للحال، مع إضمار قد، كما ذكرنا في قوله: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٥، «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٣، «الكشف والبيان» ٤/ ١١٨ ب.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٤.

(٣) كالفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٨٧، والنحاس في «معاني القرآن» ٢/ ١٨٨، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٧ .

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ أ.

(٦) في المخطوط (ويضره)، وهو تصحيف ظاهر، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٤.

والمراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة القضاء بالوحي(١).

وقال أبو إسحاق: أي بيّن لك في كتابه ما فيه من الحكمة [التي لا يقع لك معها ضلال](٢).

١١٤- قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ الآية.

النجوى في اللغة سر بين اثنين(٣).

قال الفراء: يقال: ناجيت الرجل مناجاةً ونجاءً، والقوم ينتجون ويتناجون، ويقال: نجوت الرجل نجوًا نجوًا، بمعنى ناجيته، وأنشد:

فقال فريق القوم لا إذ نجوتُهم وقال فريق أيمن الله ما ندري(٤)

ومن هذا قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] أي سرهم.

وقد يكون النجوى مصدرًا بمنزلة المناجاة(٥)، والنجوى أيضًا القوم المنتجون اسم لهم، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ [الإسراء: ٤٧](٦).

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ أ.

(٢) ما بين القوسين طمس في (ش)، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٤ .

(٣) قال الجوهري: «النجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجوًا، إذا ساررته، وكذلك: ناجيته» «الصحاح» ٦/ ٢٥٠٣ (نجا)، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٤.

(٤) هذا المستفاد من الفراء لم أجده في «معاني القرآن» عند تفسيره هذِه الآية فقد يكون في كتابه المفقود: «المصادر».
والبيت لنصيب بن رباح وهو من شواهد سيبويه في الكتاب ٣/ ٥٠٣، ٤/ ١٤٨، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ١٠٦، ١١٥، و«الإنصاف» ص٣٤٤.
وفي أكثرها «لما نشدتهم» بدل: «إذ نجوتهم» وفي جميعها: «ليمن» بدل: «أيمن».

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٠٩ (نجو).

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٥٠٣ (نجا).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ذكر النحويون في محل ﴿مَنْ﴾ وجوهًا، تلك الوجوه مبنية على معنى النجوى في هذه الآية، فإن جعلنا معنى النجوى ههنا السر فيجوز أن تكون ﴿مَنْ﴾ في موضع النصب، لأنه استثناء الشيء من خلافه، فيكون نصبًا كقوله: إلا أواري[1].

ويجوز أن يكون رفعًا في لغة من يرفع المستثنى من غير الجنس[2] كقوله:

إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ[3]

وأبو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف، فقال: التقدير: إلا في نجوى من أمر بصدقة، ثم حذف المضاف[4].

وعلى هذا التقدير يكون من في محل النجوى، لأنه أقيم مقامه، ويجوز فيه وجهان: أحدهما: أن الخفض بدلًا من نجواهم، كما تقول:

---

(١) من بيت للنابغة الذبياني يقول فيه:

«وقفت فيها أصيلًا لا أسائلها ... عيت جوابًا وما بالربع من أحد
إلا الأواريَّ لأيًا ما أبينها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد»

«الكتاب» ٢/ ٣٢١، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٨، والطبري ٥/ ٢٧٦-٢٧٧، و«أشعار الستة الجاهلين» ١/ ١٨٨.

والأواري جمع: آري، وهو محبس الدابة ومعلفها.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٨، والطبري ٥/ ٢٧٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٠٦.

(٣) عجز بيت لجران العود النميري، وصدره: «وبلدة ليس بها أنيس».

«الكتاب» ٢/ ٣٢٢، و«معاني الفراء» ١/ ٢٨٨، والطبري ٥/ ٢٧٧.

واليعافير: جمع يعفور وهو ولد الظبية، والعيس: بقر الوحش.

(٤) لعل المقصود أن هذا رأي الزجاج، حيث وجدت نحوه في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٦، ولم أجد في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة شيئًا من ذلك.

ما مررت بأحد إلا زيد، والثاني: النصب على الاستثناء، كما تقول: ما جاءني أحدًا[١] إلا زيدًا، فهذا استثناء الجنس من الجنس[٢].

وإن جعلت النجوى اسمًا للقوم المنتجين كان منصوبًا على الاستثناء، لأنه استثناء الجنس من الجنس.

ويجوز أن يكون في محل الخفض من وجهين: **أحدهما**: أن تجعله تبعًا لكثير، على معنى: لا خير في كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة، كقولك: لا خير في القوم إلا نفر منهم .**والثاني**: أن تجعله تبعًا للنجوى، كما تقول: لا خير في جماعة من القوم إلا زيدًا، إن شئت أتبعت زيدًا لجماعة، وإن شئت أتبعته القوم.

وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفراء[٣] والزجاج[٤] وغيرهما من النحويين[٥].

فأما التفسير: فقال ابن عباس فيما روى عنه أبو صالح: المراد بالنجوى: نجوى قوم طعمة[٦].

قال مقاتل: تناجوا في شأن طعمة، فأنزل الله هذه الآية[٧].

ومعنى الآية: أن الله تعالى لم يجعل فيما يتسارون بينهم خيرًا إلا فيما استثنى من الأمر بالصدقة والحث عليها[٨].

---

(١) هكذا في المخطوط بالنصب، والظاهر أنه بالرفع على الفاعلية.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٥٢.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٢٨٨.

(٤) في «معاني القرآن» ٢/ ١٠٦.

(٥) انظر: الطبري ٩/ ٢٠٢، ٢٠٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٥٢، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٨، و«الدر المصون» ٤/ ٨٩.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ ب، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٨، و«تنوير المقباس» ص ٩٧.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٠٦، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٨.

(٨) «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ ب، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ١٩٩.

﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد صلة رحم وبطاعة الله[١]. وقال فيما روى الكلبي عن أبي صالح عنه: يقول: أقرض إنسانًا[٢].

ونحو ذلك قال مقاتل، يعني بالمعروف القرض[٣].

ويقال لأعمال البر كلها معروف؛ لأن العقول تعرفها، وأهل الصلاح والدين يعرفونها، لملابستهم لها، وعملهم بها[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الأنصاري[٥]: «**ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم؟**» قال: نعم يا رسول الله. قال: «**تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا**» ذكره ابن عباس في تفسير هذه الآية[٦].

قال مجاهد: «هذه الآية عامة للناس»[٧]. يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ١١٩ ب، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٨٨، وقد عزاه السيوطي إلى كل من ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: البغوي ٢/ ٢٨٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٠.

(٥) هو الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، وقد اشتهر بكنيته، من كبار الصحابة، شهد بدرًا، ونزل النبي ﷺ عليه حين قدم المدينة مهاجرًا، وقد مات رضي الله عنه غازيًا الروم سنة ٥٠هـ وقيل بعدها.
انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٩٤- ٩٦، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٠٢، و«الإصابة» ١/ ٤٠٥ (٢١٦٣)، و«التقريب» ص ١٨٨ رقم (١٦٣٣).

(٦) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٧٩، ٨٠، بنحوه، وعزاه لكل من الطبراني والبزار، وذكر أن في كل من سنديهما متروكًا، وانظر: ابن كثير ١/ ٦١٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٢.

(٧) انظر: البغوي ٢/ ٢٨٦، و«زاد المسير» ٢/ ١٩٨.

يدل على هذا ما روت أم حبيبة[١] أن النبي ﷺ قال: «**كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله**»[٢].

وروي أن رجلًا قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث؟ فقال سفيان: ألم تسمع الله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ فهو هذا بعينه؟ أو ما سمعت الله يقول: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] فهو هذا بعينه[٣].

ثم أعلم الله أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾؛ لئلا يُتوهم أن من يفعله للناس (......[٤]) عليهم داخل في هذا الوعد.

قال الزجاج: ونصب ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾. قال: وهو راجع إلى تأويل المصدر [كأنه قال: ومن يبتغ ابتغاء مرضات الله][٥].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ الآية. ذكرنا معنى الشقاق والمشاقة في سورة البقرة.

---

(١) هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية، تزوجها رسول الله ﷺ بعدما تنصر زوجها عبد الله بن جحش وهما في الحبشة، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا، وماتت سنة ٤٤هـ.
انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٤٠١، و«أسد الغابة» ٧/ ١١٥، و«الإصابة» ٤/ ٣٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٤) كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، وابن مردويه. انظر: ابن كثير ٢/ ٣٩٢.

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧٠٧، و«التفسير الكبير» ١١/ ٤٢.

(٤) طمس في المخطوط بقدر ثلاث أو أربع كلمات. ويمكن أن يقدر: (مراءاةً لهم وتمويهًا) عليهم...

(٥) طمس في (ش) بمقدار ما بين المعقوفين، والتسديد من «معاني الزجاج» ٢/ ١٠٦.

قال ابن عباس: «ثم حكم رسول الله ﷺ على طعمة بالقطع، فخاف على نفسه الفضيحة، فهرب إلى مكة ولحق بالمشركين، ونزل قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يخالفه»[١].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ قال ابن عباس: «يريد الإيمان بالله ورسوله»[٢].

وقال الزجاج: لأن طعمة هذا كان قد تبين له بما أوحى الله ﷻ في أمره، وأظهر من سرقته، من الآية ما فيه بلاغ، فعادى النبي ﷺ، وصار إلى مكة[٣].

وقال غيره: قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ تفحيش لحال طعمة، وبيان أنه معاند للرسول ومخالف بعد ثبوت الحجة وقيام الدليل[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: «يريد غير دين الموحدين». وذلك أن طعمة ترك دين الإسلام، وخالف المسلمين، واتبع دين أهل مكة، عبادة الأوثان[٥].

قال العلماء: هذه الآية من أقوى الحجج على صحة الإجماع[٦]،

---

(١) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٠ أ، و«الوسيط» ٢/ ٧٠٧، والبغوي ٢/ ٢٨٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٦، وانظر: الطبري ٥/ ٢٧٧، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٠ أ، والبغوي ٢/ ٢٨٧.

(٤) لم أقف بعد البحث على قائله.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٧، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ أ، و«الإحكام» للآمدي ١/ ٢٠٠، والقرطبي ٥/ ٣٨٦، وابن كثير ١/ ٦١١.

واحتج به[١] الشافعي رحمه الله، وكان قد سئل عن دليل من كتاب الله على صحة الإجماع، فتلا هذه الآية[٢].

ووجه الاحتجاج هو أن الله تعالى أوعد على اتباع غير سبيل المؤمنين (كما أوعد على مشاقة الرسول ﷺ، فسوى بين مخالفة سبيل المؤمنين)[٣] وبين مشاقة الرسول بعد تبين الهدى[٤]. والآية وإن نزلت في خائن الدرع فهي عامة لكل من لزمه هذا الوصف.

وقوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ قال الزجاج: ندعه وما اختار لنفسه[٥].

وقال غيره: نكله إلى ما انتصر به واتكل عليه[٦].

وقال بعض المفسرين: هذا منسوخ بآية السيف، لأنه لا يقرُّ الآن عابد لوثن على ما هو عليه، ولا يولى ما تولَّى[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ تأويله: نلزمه جهنم[٨]، وأصله

---

(١) هكذا في المخطوط، فلعل الصواب: «بها».

(٢) ورد في «الرسالة» ص ٤٧١ - ٤٧٦، سؤال للشافعي عن حجية الإجماع، وأجاب الشافعي رحمه الله عن ذلك محتجًا بالسنة والنظر، لكن لم يرد ذكر لهذِه الآية. وقد ذكر احتجاج الشافعي بهذِه الآية على الإجماع: الآمدي في الأحكام ١/ ٢٠٠، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٣٥٠، وابن كثير في «تفسيره» ١/ ٦١١.

(٣) ما بين القوسين تكرر في المخطوط، ولعله سهو من الناسخ.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٧، ٣٨٨، و«الإحكام» للآمدي ١/ ٢٠٠، وابن كثير ١/ ٦١١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٧.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٠ أ.

(٧) لم أجد هذا القول في كتب التفسير ولا «الناسخ والمنسوخ».

(٨) قال الطبري ٥/ ٢٧٧: («ونصله جهنم» يقول: ونجعله صلاء نار جهنم، يعني: نحرقه بها).

الصِّلا، وهو لزوم النار للاستدفاء[١]. ذكرنا هذا فيما تقدم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ انتصب (مصيرًا) على التمييز[٣]، كقولك: هند طابت نفسًا، وكذلك ساءت جهنم موضعًا يصار إليه[٤].

١١٦- قال المفسرون: ثم إن طعمة نقب منزل الحجاج بن عُلاط[٥] بمكة ليسرق مالًا له مدفونًا، قد عرف موضعه، فأخذ ليُقتل، ثم قيل: دعوه فإنه قد لجأ إليكم، فتركوه، وأخرجوه من مكة، فنزل في حرة بني سليم، فكان يعبد صنمًا لهم إلى أن مات، وأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦][٦].

قال ابن عباس: «يريد طعمة بن أبيرق، حيث أشرك بالله»[٧].

وهذه الآية نص صريح في أنَّ الله تعالى لا يغفر الشرك ما أقام المشرك عليه.

---

(١) وقال الفراء: الصِّلاء اسم للوقود، وهو الصلا.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٥٣، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٨.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٨.

(٥) هو أبو كلاب الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة السلمي، قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فأسلم وسكن المدينة واختط بها دارًا ومسجدًا، وقد توفي رضي الله عنه في خلافة عمر، وقيل بعدها.
انظر: «الاستيعاب بحاشية الإصابة» ١/ ٣٨٥، و«أسد الغابة» ١/ ٤٥٦، و«الإصابة» ١/ ٣١٣.

(٦) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٠ أ، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٨، والبغوي ٢/ ٢٨٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٠ ونسب هذا القول لمقاتل.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٢، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

فإن قيل: أليس يغفرها بالتوبة؟ فلم أطلق القول بأنه لا يغفر أن يُشرك به؟ قيل: إنه بمعنى أنَّ الله لا يغفر للمشرك به، وإذا تاب المشرك زال عنه هذا الوصف، ويُسمى مشركًا ما أقام على الشرك، ويقول(١) هذا الإطلاق مقيد بالآيات الدالة على قبول التوبة، كقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ الآية [الأنفال: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: ٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ إلى قوله: ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢].

قال أهل العلم: وكل كافر فهو مشرك، وإن لم يعبد مع الله غيره، وكل من حكمنا بكفره جاز أن نسميه مشركًا، لأنه قد بلغ بعظم جرمه مبلغ جرم المشرك في عبادة الله ﷻ، كما أن من تكبر على النبي ﷺ ولم يخضع لنبوته كافر، وإن لم يجحد نبوته.

قال الزجاج: إنَّ كل كافر مشرك بالله، لأن الكافر إذا كفر بنبي فقد زعم أن الآيات التي أتى بها ليست من عند الله، فيجعل ما لا يكون إلا لله ﷻ لغير الله، فيصير مشركًا(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

قال ابن عباس: «يغفر ما دون الشرك لأهل التوحيد»(٣).

قال العلماء من أهل التفسير: لما أخبر الله تعالى أنه يغفر الشرك بالتوبة، علمنا يقينًا أنه يغفر أيضًا ما دون الشرك بالتوبة، فهذه المشيئة في

---

(١) هكذا هذِه الكلمة في المخطوط، ولعل الصواب: «ويكون» وتكون كلمة «مقيد» بعد ذلك منصوبة خبر يكون.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٧.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

ذنوب لم يتب منها صاحبها[١]. وإنما أبهم الله فيما دون الشرك، وقيد بالمشيئة، لئلا يأمن صاحب الكبيرة.

ثم أنزل الله في أهل مكة:

١١٧- قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾[٢].

(إن) ههنا معناه النفي[٣]، وهو كثير في القرآن بمعنى النفي، كقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وأشباه هذا كثير.

ويدعون ههنا معناه: يعبدون.

(........)[٤] ابن عباس في تفسيره: «يريد: إن يعبدون»[٥].

قال الزجاج: وكذلك قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أي اعبدوني، يدل على ذلك قوله في عقبه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠][٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ قال ابن عباس: يعني: عبادتهم الأوثان، اللات والعزى ومناة وأشباهها من الآلهة التي كانوا يعبدونها[٧].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٦٠.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٧٨، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٩١، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٩ .

(٤) ما بين القوسين غير واضح بقدر كلمتين، ويحتمل: «وقد قال» أو «وروي عن».

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/١٠٨، وانظر: البغوي ٢/ ١٨٨.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

والثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في «تفسيره» ص ١٥٨ قال: «وقوله (إناثًا) يقول: ميتًا، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٧٩ من طريق ابن أبي طلحة أيضًا وكذا ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

وهذا قول السدي(١) ومجاهد(٢) والكلبي(٣) والفراء(٤) وعبد الله بن مسلم(٥)، وكثير من أهل التأويل(٦).

قال الحسن: لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه، يسمونه: أنثى بني فلان، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾(٧).

يدل على هذا التأويل قراءة ابن عباس: (إلا أُثُنًا) جمع وثن(٨)، مثل: أسَدَ وأسْدْ، ثم أبدل من الواو المضمومة همزة، نحو: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١](٩).

قال الزجاج: وجائز أن يكون: أُثُن، وأصلها: أُثْن، فأتبعت الضمة(١٠).

وقيل في معنى قوله: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾: إلا أمواتًا. وهو قول مقاتل(١١)

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ٢٧٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(٢) فسر مجاهد الإناث بالأوثان كما في «تفسيره» ١/ ١٧٤، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٨٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٤) في «معاني القرآن» ١/ ٢٨٨.

(٥) ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص١٣٠.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ ب.

(٧) أخرجه الطبري ٥/ ٢٧٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

(٨) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٨، والطبري ٥/ ٢٨٠.

(٩) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٨٨، والطبري ٥/ ٢٨٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٠٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٢، ٢٠٣.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٨ وفيه: «فأتبعت الضمة الضمة»، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(١١) «تفسيره» ١/ ٤٠٧.

وقتادة(١) والضحاك(٢).

واختلفوا لم سمي الموات إناثًا؟ فقال أبو عبيدة: الموات لا روح فيه كالخشبة والحجر والمدر ونحوها(٣).

«وكانت آلهتهم مواتًا، والموات كلها يُخبر عنها كما يخبر عن المؤنث، تقول: من ذلك الأحجار تعجبني، كما تقول: المرأة تعجبني ولا تقول: تعجبونني، فلهذا أطلق اسم الإناث على آلهتهم إذ كانت مواتًا»(٤).

وقال غيره(٥): لأنها لا تضر ولا تنفع، فهي في القناع المنزلة تسمى إناثًا، لأن الإناث من كل شيء أرذله(٦).

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾: «زعموا أن الملائكة بنات الله، وهم شفعاؤنا عنده»(٧).

وقال ابن زيد: «﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ بزعمهم، وذلك أنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن الأصنام بنات الله، فزعموا أنها إناث»(٨).

---

(١) أخرجه الطبري ٥/ ٢٧٩، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

(٢) ما وقفت عليه عن الضحاك هو أن المراد «الملائكة». أخرجه الطبري ٥/ ٢٧٩، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ١٤٠ بنحوه، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ ب.

(٤) من «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ١١٠ بتصرف يسير، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(٥) الضمير يعود إلى أبي عبيدة أو الزجاج، وهو وإن لم يذكر الزجاج إلا أن النص الأخير منه. ولعل هذا القائل هو الطبري. انظر: «تفسير الطبري» ٥/ ٢٨٠.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٢٨٠. (٧) لم أقف عليه.

(٨) ما وقفت عليه عن ابن زيد كالقول الأول أن المراد الأصنام خاصة، فقد أخرج الطبري عنه قال: قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ [النساء: ١١٧] قال: =

نظيره: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧].

وقوله: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ قال المفسرون: كان في كل واحدة من آلهتهم شيطان يترايا[١] للسدنة والكهنة يكلمهم[٢].

والمعنى: ما يعبدون بعبادتهم لها إلا شيطانًا مريدًا، لطاعتهم له في عبادتها، فتلك العبادة ليست للأوثان، بل هي للشيطان.

وقال الزجاج: يعني بالشيطان ههنا إبليس، لأنهم إذا أطاعوه بما سول لهم فقد عبدوه[٣].

وهذا هو القول، لأن ما بعد هذه الآية يدل على أن المراد بالشيطان في هذه الآية إبليس، ويحتمل أن ما قاله المفسرون من ترائي الشيطان للسدنة أرادوا به إبليس.

وقوله تعالى: ﴿مَّرِيدًا﴾. قال ابن عباس: «يريد يتمرد على الله بالعصيان مرة بعد مرة»[٤].

قال ابن الأعرابي: التمرد[٥] التطاول بالكبر والمعاصي[٦].

= آلهتهم، اللات والعزى ويساف ونائلة، إناث يدعونهم من دون الله». «تفسير الطبري» ٥/ ٢٧٩.

(١) هكذا في المخطوط يترايا، ولعل الصواب: «يتراءى».

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٩، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢١ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٨.

(٤) لم أقف عليه، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.
وقد قال بنحو هذا القول قتادة. انظر: الطبري ٥/ ٢٨٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٤.

(٥) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٧٣ (مرد): المرد.

(٦) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٧٣ (مرد).

وقال الليث: المرادة مصدر المارد، والمريد من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد علينا أي عتا ومرد على الشر[١]، وتمرد أي عتا وطغى[٢].

والمريد الخبيث، المتمرد الشرِّير، وشيطان مارد ومريد، واحد[٣].

وقال أبو إسحاق: معنى مريد خارج عن الطاعة متملص منها، يقال: حائط ممرَّد، أي مملس، ويقال شجرة مرداء، إذا تناثر ورقها، ولذلك سُمي من لم تنبت له لحية أمرد، أي أملس موضع اللحية، ومرد الرجل يمرد مرودًا ومرادة، إذا عتا وخرج عن الطاعة[٤].

١١٨- قوله تعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: يريد [دحره][٥] الله وأخرجه من الجنة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني: إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ قد ذكرنا معنى الفرض عند قوله: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال ابن السري[٧] في هذه الآية: أصل الفرض في اللغة القطع،

---

(١) في «العين» ٨/ ٣٧: الشيء.

(٢) «العين» ٨/ ٣٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٧٣ (مرد).

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٧٣، وانظر: «اللسان» ٧/ ٤١٧٢ (مرد).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٣.

(٥) في المخطوط: «دحر الله» وهو خطأ ظاهر. وقد جاءت العبارة كما أثبتها في «الوسيط» ٢/ ٧١٠.

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ أ، دون نسبة لابن عباس، إلا أن ابن الجوزي نسبه إليه في «زاد المسير» ٢/ ٢٠٤.

(٧) هو الزجاج، انظر: «معانيه» ٢/ ١٠٩.

والفُرْضة الثُّلمةُ تكون في النهر، تقول: سقاها بالفِراض والفُرض، والفرضُ: الحز الذي يكون في (المسواك)[١]، والفرض في القوس الحز الذي يشد فيه الوتر، والفريضة ما افترض الله ﷻ فجعله أمرًا حتمًا عليهم قاطعًا، وكذلك قوله: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي جعلتم لهن قطعة من المال. قال: ومعنى مفروض في هذه الآية: أي أفترضه على نفسي[٢].

وقال الفراء: ما جعل له عليه السبيل فهو كالمفروض[٣].

وقال ابن عباس: يريد من اتبعه وأطاعه[٤].

وقال الكلبي والضحاك: [نصيبً مفروضًا][٥] أي معلومًا[٦].

قال أهل العلم: إنما اتخذ الشيطان من العباد النصيب المفروض بإغوائهم[٧] إياهم، وتزيينه لهم الفواحش حتى يرتكبوها، فيكونوا بذلك من نصيبه المفروض وحظه المقسوم، فعلى هذا كل من أطاع إبليس فهو من مفروضه[٨].

---

(١) غير واضحة في المخطوط، والاعتماد على «معاني الزجاج».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٩، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ١٣٢، و«معاني القرآن» للنحاس ٢/ ١٩٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٤.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٩، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ أ.

(٤) في «تنوير المقباس» ص ٩٧: «فما أطيع فيه فهو مفروضه مأموره».
وقد أورد المؤلف قول ابن عباس هذا في «الوسيط» ٢/ ٧١٠.

(٥) ما بين المعقوفين قد طمس في المخطوط، والتسديد من «الوسيط» ٢/ ٧١٠.

(٦) قول الكلبي في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.
أما عن الضحاك فأخرجه الطبري ٥/ ٢٨١ من طريق جويبر وهو ضعيف جدًا.

(٧) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: بإغوائه. انظر: الطبري ٥/ ٢٨١.

(٨) انظر: الطبري ٥/ ٢٨١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ أ.

١١٩- قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾. قال ابن عباس: «يريد من[١] سبيل الهدى»[٢]. وقال الكلبي: لأضلنهم عن الحق[٣].

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد تسويف التوبة وتأخيرها[٤].

وقال الكلبي: أمنينهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث[٥].

الزجاج: أي أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون من الآخرة حظا[٦].

وقال غيره: ولأمنينهم ركوب الأهواء الداعية لهم إلى العصيان[٧].

وقيل: ولأمنينهم طول البقاء في نعيم الدنيا؛ ليؤثروها على الآخرة[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

البتك: القطع[٩]، وسيف باتك: قاطع، وسيوف بواتك: قواطع، والتبتيك: التقطيع[١٠].

---

(١) هكذا في المخطوط: «من» بالميم، وفي «الوسيط» ٢/ ٧١٠: «عن» بالعين وهو أصوب.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٤، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٧.

(٣) لم أقف عليه، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٢٢ ب.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص ٩٧، ونسب هذا القول لابن عباس.
انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٠٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥ .

(٧) انظر: الطبري ٥/ ٢٨١.

(٨) هذا قول الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٣٠.

(٩) الطبري ٥/ ٢٨١، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٧١ (بتك).

(١٠) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٧١، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٩٥، و«اللسان» ١/ ٢٠٦ (بتك).

وهو في هذا الموضع: قطع آذان البحيرة عند جميع أهل التفسير[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: يريد دين الله[(٢)].

وهو قول إبراهيم ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والسدي وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير[(٣)].

ومعنى تغيير دين الله على ما ذكره أهل العلم: هو أن الله تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم، وآمنوا، فمن كفر فقد غيّر فطرة الله التي فطر الناس عليها[(٤)].

وهذا معنى قوله ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، ويُنصرانه، ويمجسانه»**[(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٧٣، والطبري ٥/ ٢٨١، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٠٩، و«بحر العلوم» ١/ ٣٨٩، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٠، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٦.

(٢) «تفسيره» ص ١٥٨، وأخرجه الطبري ٥/ ٢٨٣ من طريق ابن أبي طلحة أيضًا.

(٣) أخرج الأقوال عنهم الطبري ٥/ ٢٨٣-٢٨٥، إلا الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، أما الحسن فإنه فسره بالوشم كما سيأتي.
وانظر: الطبري ٥/ ٢٨٥، وأما سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير فقد ذكره عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٩، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ ب، والبغوي ٢/ ٢٨٩.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ٢٨٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ ب.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٨) كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه؟، وفيه: «أو ينصرانه أو يمجسانه».

وقال بعضهم: معنى تغيير دين الله هو تبديل الحرام حلالًا، والحلال حرامًا[١].

وروي عن أنس وشهر بن حوشب[٢] وعكرمة وأبي صالح، أن معنى تغيير خلق ههنا: هو الخصاء، وقطع الآذان، وفقء العيون، لهذا كان أنس يكره خصاء الغنم[٣].

وكانت العرب إذا بلغت إبل أحدهم ألفًا، عوروا عين فحلها.

وروى يونس[٤] عن الحسن قال: هو الوشم[٥]. يعني ما لعن رسول الله ﷺ من الواشمة والمستوشمة[٦].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرج الآثار عنهم الطبري ٥/ ٢٨٢-٢٨٣، لكن فيها الاقتصار على الإخصاء، دون قطع الآذان وفقء العيون، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥.
ولعل المؤلف زاد قطع الآذان وفقء العيون من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ ب .

(٤) هو أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري، من صغار التابعين وفضلائهم، كان إمامًا قدوة ثبتًا فاضلًا، توفي رحمه الله سنة ١٣٩هـ.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص ١٥٠، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٢٨٨، و«التقريب» ص ٦١٣ رقم (٧٩٠٩).

(٥) أخرجه الطبري ٥/ ٢٨٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٦.
والوشم هو: «أن يغرز الجلد بإبرة، ثم يحشى بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر» «النهاية في غريب الحديث» ٥/ ١٨٩.

(٦) أخرج البخاري (٥٩٤٧) كتاب: اللباس، باب: المستوشمة عن ابن عمر رضي الله عنها قال: «لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة». وأخرجه مسلم (٢١٢٤) كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.
والواشمة التي تقوم بفعل الوشم بغيرها. والمستوشمة التي تطلب ذلك.

وقال أبو زيد: هو التحنت[١].

وقال أبو إسحاق: معناه أنَّ الله ﷻ خلق الأنعام ليركبوها ويأكلوها، فحرموها على أنفسهم، كالبحائر والسوائب والوصائب، وخلق الشمس والقمر سخرةً للناس ينتفعون بها، فعبدها المشركون، فغيروا خلق الله[٢].

والأظهر هو القول الأول، لأنه يدخل فيه كل ما نهى الله عنه، وكل من ارتكب محظورًا، أو أتى منهيًّا، فقد غير دين الله[٣].

قال العلماء من أهل التأويل: إن إضلال إبليس تمنية وتزيين ووسواس، ليس له من الضلالة شيء[٤]، كما قال رسول الله ﷺ: «**خلق إبليس مزينًا، وليس إليه من الضلالة شيء**»[٥].

ولما علم أن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلًا، وخلق النار وخلق لها أهلًا قال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨] يريد أهل النار[٦]، وقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ الآية، ولو كان شيء من الضلالة إليه سوى الدعاء إليها لأضل جميع الخلق عن الهدى[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يريد من يُطعه فيما يدعو إليه من الضلال، فكل من أطاعه فهو ولي له وإن لم يقصد

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٥٣. وهكذا هذِه الكلمة جاءت في المخطوط، وعند أبي حيان، ولم أجد لها معنى، وقد يكون الصواب: «التخنث».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٠، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ ب.

(٣) وهذا ما اختاره الطبري ٥/ ٢٨٥، والزجاج في «معانيه» ٢/ ١١٠ .

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٤.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٧.

(٧) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ أ.

أن يتولاه، كما يكون مطيعًا له وإن لم يقصد أن يطيعه، بموافقته لإرادته، وإجابته إلى ما دعاه إليه، فهو يعمل عملًا يُعينه عليه الشيطان، وكان الشيطان له وليًا ناصرًا معينًا.

١٢٠- قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ﴾ قال أهل المعاني: معنى وعد الشيطان ما يصل مفهومه إلى قلب الإنسان، من نحو ما يجده من أنه سيطول عمرك، وتنال من الدنيا لذتك، وستعتلي على أعدائك، فإنما الدنيا دول، فستدور لك كما دارت لغيرك(١). وكل هذا غرور وتمنية وتطويل للأمل، وسيهجم عن قريب علي(٢) الأجل، وقد أبطل أيام عمره في رجاء ما لم يدرك منه شيئًا، فالعاقل من لم يعرج على هذا، وجدَّ في الطاعة ما أمكنه، وعلم أنه سينقطع عن الدنيا قريبًا، وعدّ نفسه من الموتى [وصدق](٣) الله في قوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: إلا ما يغرهم بإيهام النفع فيما فيه الضر(٤).

وذكر في عدة من كتب التفسير ﴿يَعِدُهُمْ﴾ ألا يلقون خيرًا، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الفقر، فلا ينفقون في خير(٥).

وهذا صحيح في المعنى، من حيث إن الشيطان قد يخوف الإنسان بالفقر، فيمسك عن الإنفاق في الطاعة، ولكنه باطل من حيث اللغة؛ لأن

(١) انظر: «معالم التنزيل» ٢/ ٢٨٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٠٧، والقرطبي ٥/ ٣٩٥.
(٢) هكذا في المخطوط بالياء، ولعلها: «على» بدون ياء، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٧١٣.
(٣) بياض في المخطوط، والتسديد من «الوسيط» ٢/ ٧١٣.
(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧١٣.
(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٢ ب، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٨٩، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٨٩، والقرطبي ٥/ ٣٩٥.

الوعد إنما يستعمل في الخير، وما يكون في الشر قيل فيه: يوعد، هذا هو الصحيح، وإن كان يستعمل الوعد في الشر نادرًا[(١)].

والتمنية معناه: تسويل المنية، وهي ما يتمناه الإنسان، ولا يتمنى الفقر، إنما يتمنى الغنى وكثرة المال في غالب العادة.

١٢١- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. يعني: الذين اتخذوا الشيطان وليًا من دون الله[(٢)].

﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾. مرجعهم ومصيرهم[(٣)].

﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾. يحتمل وجهين: **أحدهما**: لابد لهم من ورودها.

والثاني: التخليد الذي أوعد به الكفار، فلا يخرجون عنها، ولا يجدون منها ملجأ[(٤)].

والمحيص: المعدل، حاص عن الأمر إذا عدل عنه[(٥)].

قال الفراء: يحيص حيوصًا ومحاصًا وحيصًا وحيصانًا[(٦)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١٥، و«الصحاح» ٢/ ٥٥١ (وعد).

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٨٦.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٢٨٧.

(٤) الوجه الأول هو قول عامة المفسرين، وأن المعنى لا معدل لهم عنها، أما الوجه الثاني بأن المعنى التخليد في النار فهو حسب اطلاعي من تفرد المؤلف به، وإن كان يدخل في الوجه. انظر: الطبري ٥/ ٢٨٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١١، و«معاني النحاس» ٢/ ١٩٧.

(٥) انظر: الطبري ٥/ ٢٨٧، و«معاني النحاس» ٢/ ١٩٧.

(٦) ليس في «معاني القرآن»، وانظر: الطبري ٥/ ٢٨٧.

١٢٣- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[١].

اختلفوا في نزول هذه الآية: فقال مجاهد وابن زيد: نزلت في كفار قريش وأهل الكتاب، قالت قريش: لا نُبعث ولا نُحاسب، وقالت اليهود: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة[٢].

وقال مسروق والسدي وقتادة والضحاك: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب[٣].

قال أهل المعاني: معنى الآية: ليس الثواب الذي تقدم ذكره والوعد به في قوله: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾ الآية، ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي ليس يُستحق بالأماني، إنما يُستحق بالإيمان والعمل الصالح[٤]. وهذا معنى قول الزجاج[٥]، قال: اسم ليس مضمر، المعنى

(١) هذِه هي الآية الثالثة والعشرون بعد المائة من سورة النساء، وقد ذُكرت هكذا في المخطوط بعد الآية (١٢١) وتركت الآية (١٢٢)، ويحتمل أن المؤلف لم يتعرض لها، فقد قال في «الوسيط»: «قوله ﷻ:- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٢٢] ظاهر إلى قوله: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ...﴾ «الوسيط» ٢/ ١١٤.

(٢) أخرجه بنحوه عن مجاهد وبمعناه عن ابن عباس وابن زيد: الطبري ٥/ ٢٨٩- ٢٩٠، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ أ.

(٣) أخرجه بمعناه عنهم الطبري ٥/ ٢٨٨-٢٩١، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ ب واختار الطبري القول الأول معللًا لذلك بقوله: «لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم، ذكر فيما مضى في الآي قبل قوله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ وإنما جرى ذكر أماني نصيب الشيطان المفروض، وذلك في قوله: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٩] وقوله: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾...» «تفسير الطبري» ٥/ ٢٩١.

(٤) كأن هذا ترجيح للقول الأول في المراد بالضمير في «أمانيكم»، وهو قوي.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١١، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ١٩٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٠.

ليس ثواب الله بأمانيكم(١).

وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ اختلفوا في معناه: فقال الحسن وابن زيد: هذا في الكفار خاصة؛ لأنه يجازون بالعقاب على الصغير والكبير(٢).

وقال الضحاك في هذه الآية: يقول: ليس لكم ما تمنيتم، وليس لأهل الكتاب ما تمنوه، من عمل سوءًا شركًا فمات عليه يُجز به النار(٣).

وقال مقاتل بن حيان: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بلغنا أنه الشرك(٤).

وقال الحسن في قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال: هو الكافر، لا يجزي الله المؤمن يوم القيامة عمله، ولكن المؤمن يُجزى بأحسن عمله، ويتجاوز عن سيئاته، ثم قرأ: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥]، وقرأ أيضًا: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧](٥).

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ بغير الشرك(٦).

ويدل على أن المراد بهذه الآية الكفار دون المؤمنين قوله تعالى:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١١، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ١٩٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٠، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ ب.

(٢) أخرجه عنهما بمعناه الطبري ٥/ ٢٩٣، وسيأتي عند المؤلف سياق لأقوالهما.

(٣) أخرجه بمعناه الطبري من طرق ٥/ ٢٩٣، وانظر: «الدر» ٢/ ٣٩٩.

(٤) لم أقف عليه عن مقاتل بن حيان. وهذا القول لابن عباس وسعيد بن جبير، أخرج ذلك الطبري ٥/ ٢٩٣.

(٥) أخرجه بنحوه من طرق: الطبري ٥/ ٢٩٢، وذكره بلفظه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٤ب، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٩.

(٦) الوارد عن سعيد بن جبير كما في الطبري ٥/ ٢٩٣ أنه فسر السوء بالشرك. =

﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ومن يكن[١] له في القيامة ولي ولا نصير كان من جملة الكفار؛ لأنَّ المؤمنين وعدوا النصر في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١].

وقال آخرون: هذه الآية عامة في كل من عمل سوءًا من مسلم وكافر، فقال عكرمة عن ابن عباس: منْ يعمل سوءًا يُجز به إلا أن يتوب قبل موته فيتوب الله عليه[٢].

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة، وقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يعمل سوءًا؟ فكيف الجزاء؟ قال: منه ما يكون في الدنيا، فَمَنْ يعمل حسنةً فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة، وقضيت له حسنات، فويل لمن غلب آحاده أعشاره، وأما ما كانْ جزاء في الآخرة، فإنه يؤخر إلى يوم القيامة، فيقابل من حسناته وسيئاته، فيُلقى مكان كل سيئة حسنة، وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة[٣].

وقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال: غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تمرض؟ أليس تصيبك

= وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٠٥، والظاهر أن كلمة «بغير» زائدة من النساخ؛ لأن كلام المؤلف في سياق أقوال الذين يرون أن الآية في الكفار خاصة.

(١) هكذا في المخطوط والصواب: ومن لم يكن.

(٢) لم أقف عليه، والثابت والمشهور عن ابن عباس كالقول الأول أن المراد بالآية الكفار والمشركين خاصة. انظر: «تفسيره» ص ١٥٩، والطبري ٥/ ٢٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٣٩٩.

(٣) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ ب.

اللأواء[١]؟ -قال: بلى- قال: فهو ما تجزون به[٢].

وقال أبو هريرة: لما نزلت هذه الآية بكينا، وحزنا، وقلنا: يا رسول الله، ما أبقت هذه الآية من شيء فقال: إنها لكم أنزلت، ولكن أبشروا، إنه لا يصيب أحدًا منكم مصيبة في الدنيا إلا كفَّرَ اللهُ بها خطيئة، حتى الشوكة يُشاكها أحدكُم في قدمه[٣].

وهذا الذي ذكرنا من أن الجزاء يراد به مصائب الدنيا مذهب أبي بن كعب وعائشة ومجاهد. وقالوا: إن الآية عامة لجميع الناس[٤].

واختاره محمد بن جرير[٥].

وقال أبو إسحاق: قد أعلم الله ﷻ أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، فعامل السوء ما لم يكن كافرًا مرجو له العفو والرحمة، والنبي ﷺ شافع لأمته مشفَّع[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد وليًا يمنعه، ولا نصيرًا ينصره[٧].

---

(١) اللأواء: الشدة والمشقة وضيق العيش. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩٧٨ (لأى).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ١/ ١١، والطبري ٥/ ٢٩٤، والحاكم في «المستدرك»، كتاب: معرفة الصحابة ٣/ ٧٤، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كما أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٣ ب، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٧١٥. وذهب أحمد شاكر إلى أن في إسناده انقطاعًا وذلك في تحقيقه للطبري.

(٣) أخرجه مسلم بنحوه (٢٥٧٤) كتاب: البر والصلة، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه... وغيره. وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٠٠.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٠. (٥) في «تفسير الطبري» ٥/ ٢٩٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٢.

(٧) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧١٨، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٨.

وتأويل هذا ظاهر في الكفار، وأما في المسلمين فإنه لا ناصر لأحد في القيامة دون الله، ولا ولي للمسلمين غير الله. وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله، فليس يمنع أحدٌ أحدًا غير الله تعالى.

١٢٤- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال المفسرون: بيّن الله بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم(١).

وقال مسروق لما نزل قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ قال أهل الكتاب للمسلمين: نحن وأنتم سواء، فنزل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وما بعده من قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ [النساء: ١٢٥] الآية(٢).

ودخلت من في قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للتبعيض؛ لأن أحدًا لا يطيق أنْ يستوعب جنس الصالحات بالعمل، فإذا عمل بعضها استحق الثواب(٣).

وقوله تعالى: ﴿يُدْخَلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقرئ بفتح الياء(٤)، لقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ [الزخرف: ٧٠] وقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦].

ومن ضم فلأنهم لا يَدخُلونها حتى يُدخلوها(٥).

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٢٩٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ أ.

(٢) أخرجه بنحوه من أكثر من طريق الطبري ٥/ ٢٨٨-٢٢٩، وأورده الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ أ، والمؤلف في «أسباب النزول» ص ١٨٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٠٩، ٢١١، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٠٦.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٢٩٦، و«الكشاف» ١/ ٣٠٠.

(٤) قراءة الضم لأبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو وعاصم برواية أبي بكر ويعقوب، وقرأ الباقون بالفتح. انظر: «السبعة» ص ٢٣٧، و«الحجة» ٣/ ١٨٢، و«المبسوط» ص ١٥٨، و«النشر» ٢/ ٣٥٢.

(٥) «الحجة» ٣/ ١٨٢، وانظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١/ ٣٩٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قال ابن السكيت: النقير النكتة التي في ظهر النواة[١].

وقال أبو الهيثم: النقير نقرة في ظهر النواة، منها تنبت النخلة[٢].

ونحو هذا قال المفسرون، قال ابن عباس: يريد لا ينقصون قدر منبت النواة[٣].

قالوا: وهذا مبالغة في نفي الظلم، ووعد تبوءٍ فيه جزاء أعمالهم من غير نقصان[٤].

١٢٥- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ ذكرنا معنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ في سورة البقرة [: ١١٢].

وقال ابن كيسان في هذه الآية: يعني من توجه بعبادته إلى الله خاضعًا له[٥].

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا بكر الصديق ﷺ[٦]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: موحِّد[٧].

قال ابن عباس: يريدُ وهو يوحِّدُ الله لا يُشْرِكُ بِهِ شيئًا[٨].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٤٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) لم أجده عن ابن عباس في تفسيره هذِه الآية إلا ما جاء بنحوه في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٨، لكن ثبت عنه تفسير النقير عند قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣] قال: «نقيرًا»: «النقطة التي في ظهر النواة» «تفسيره» ص ١٥٠، وأخرجه الطبري ٥/ ١٣٦.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ٢٩٧.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ أ.

(٨) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١١، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٨.

وهذا كما ذكرنا في سورة البقرة[١]، وإنما شرط في إسلام الوجه لله أن يكون محسنًا، لأن اليهود والنصارى يقرُّون بالانقياد لأمر الله وهم غير محسنين، فلا يستحقون الأجر.

قال العلماء: وإنَّما صارَ الإسلامُ أحسنَ الأديانِ، لأنَّ طاعةَ الله أحسن الأعمالِ التي تكونُ من العباد، لما فيها من عبادة من لا يضيع عنده مثاقيل الذَّرِّ، ومَنْ لا يضيق ملكه عن شيء، فلهذا كان لا أحد أحسن دينًا ممَّنْ أسلَمَ وجهَهُ لله بطاعته والانقيادِ لأمره.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾.

يجوز أن يكون ﴿حَنِيفًاۗ﴾ حالًا لإبراهيم، ويجوز أن يكون حالًا للمتَّبع[٢]، كما تقول: رأيته راكبًا، جاز أن يكون الراكب حالًا للمرئي والرائي.

وملة إبراهيم داخلة في ملتنا، وفي ملتنا زيادة على ملة إبراهيم، فمن ملة إبراهيم الكلمات العشر في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤][٣].

---

(١) انظر: «البسيط» (النسخة الأزهرية) ١/ل ٨١.

(٢) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٨، و«الكشاف» ١/ ٣٠١، و«الدر المصون» ٤/ ٩٨.

(٣) قال المؤلف في «الوسيط» ١/ ٢٠١: «وأكثر المفسرين قالوا في تفسير الكلمات: إنها عشر خصال عن السنة، خمس في الرأس وخمس في الجسد، فالتي في الرأس: الفرق، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. والتي في الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، ونتف الرفغين» ا.هـ. والفرق لشعر الرأس، والرفغين: الأبطين. وانظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٦، و«أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٣٦، وابن كثير ١/ ٦١٦.

قال ابن عباس: «ومن دينِ إبراهيمَ: الصَّلاة إلى الكعبةِ، والطواف بها، والسَّعي، والرَّمي، والوقُوف، والحلق»[١]. فمن أقرَّ بهذا مع الزيادة التي أتى بها نبينا صلوات الله عليه فقد اتبع دينَ إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ قال أبو بكر بن الأنباري: الخليلُ معناه في اللغة المُحب الكامل المحبَّةِ، والمحبوب الموفي حقيقة المحبة، اللذان ليس في حبِّهما نقصٌ ولا خللٌ، فتأويل قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ واتخذ الله إبراهيم محبًا له خالص الحب ومحبوبًا له[٢]، وشرّفه بلزوم هذا الاسم له الذي لا يستحق مثله إلا أنبياؤه ومن يشرف الله ويرفع قدره.

قال[٣]: وقال بعض أهل العلم: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي فقيرًا إليه لا يجعل فقره وفاقته إلى غيره، ولا ينزل حوائجه بسواه[٤].

فالخليلُ على هذا القولِ فعيلٌ من الخلّة بمعنى الفقر، قال [زهير][٥]:

وإنْ أتــاه خــليــلٌ يــومَ مــســألــةٍ
يــقــولُ لا غــائــبٌ مــالــي ولا حَــرِمُ[٦]

أراد بالخليل: الفقير[٧].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) من «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٤٩٣- بتصرف-.
(٣) أي ابن الأنباري.
(٤) من «الزاهر» ١/ ٤٩٣، ٤٩٤ بتصرف، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٢.
(٥) ما بين المعقوفين في المخطوط: «ابن نمير» والتصويب من «الزاهر» ١/ ٤٩٣، والبيت لزهير بن أبي سلمى كما سيأتي تخريجه.
(٦) شعر زهير بن أبي سلمى ص ١٠٥، و«الزاهر» ١/ ٤٩٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٢.
(٧) «الزاهر» ١/ ٤٩٤.

ونحو هذا قال الزجاج، (. . .)[١] والمحب الذي ليس في محبته خلل، فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليل الله؛ لأنه الذي أحبه محبة تامة، وأحب الله هو محبة تامة[٢]. قال: وقيل: الخليل الفقير، فجائز أن يكون سمي فقير الله، أي الذي يجعل فقره وفاقته إلى الله جل وعز مخلصًا في ذلك[٣].

والخلة: الحاجة، من الإخلال الذي يلحق الإنسان، والخُلّة الصداقة، لأن كل واحد من الخليلين يسد خلل صاحبه في المودة والحاجة إليه.

فهذان القولان ذكرهما جميع أهل المعاني[٤]، والاختيار هو الأول[٥]، لأن الله جل وعز خليل إبراهيم، وإبراهيم خليل الله، ولا يجوز أن يقال: الله خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة، ولأن ابن عباس قال في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا بالرسالة والنبوة[٦]؛ ولأن جميع أهل المعاني ذكروا في سبب تسمية إبراهيم خليل الله: أنه لما صار الرمل الذي أتى به غلمانُه دقيقًا، قالت له امرأته: هذا من عند خليلك المصري؛ قال إبراهيم: هذا من عند خليلي الله. والقصة مشهورة[٧].

---

(١) ما بين القوسين غير واضح، ويبدو أنه: «الخليل الولي» والمحب... وفي «معاني الزجاج» ٢/ ١١٢: «الخليل المحب...».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٢، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ ب.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٢، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٦ أ.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٦ أ.

(٥) انظر: البغوي ٢/ ٢٩٢.

(٦) في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ ب من رواية الكلبي، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٨.

(٧) حاصل هذه القصة: أنَّ إبراهيم ﷺ أصابته حاجة فذهب يطلب الطعام عند خليل =

وقال شهر بن حوشب: إن الله قال للملائكة: إن لي في الأرض عبدًا يقال له: إبراهيم، إني أريد أن أتخذه خليلًا. (فقالت الملائكة: نحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلا تتخذ منا خليلًا)(١) وتتخذ من ابن آدم خليلًا. فقال الله: اختاروا منكم. فاختاروا، وأهبطه الله إلى الأرض، وقال: اذكرني بين يدي عبدي إبراهيم. وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي، فقال إبراهيم: اذكره مرة أخرى، قال: لا أذكره مجانًا. قال: لك مالي كله فاذكره. فقال الملك بصوت أشجى من الأول: الله. فقال إبراهيم: اذكره مرة ثالثة ولك أولادي. فقال الملك: أبشر فإني ملك لا أحتاج إلى مالك وولدك، وقص عليه القصة، وعرج إلى السماء، وأخبر الملائكة، فقال الملائكة: حق له أن يتخذه الله خليلًا(٢).

وقال طاوس عن ابن عباس: إن جبريل والملائكة لما دخلوا على إبراهيم في صورة غلمان وضاء الوجوه، فظن الخليل أنهم أضياف، وحنذ لهم عجلًا سمينًا، وقربه إليهم وقال: كلوا على شرط أن تسموا الله في أوله

= له في مصر فلم يجد عنده شيئًا، فرجع إلى أهله فمر بأرض ذات رمل فملأ أوعيته من هذا الرمل لكي لا يغتم أهله برجوعه وليس معه شيء، فتحول هذا الرمل دقيقًا، فلما صار إلى أهله فتحوا الأوعية فعجنوا وخبزوا من ذلك الدقيق، فلما استيقظ سألهم عن ذلك، فقالت له امرأته: هذا من عند خليلك المصري.
ذكرها الطبري ٥/ ٢٩٧-٢٩٨، و«الزجاج» ٢/ ١١٣، والسمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٩١، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٥ ب.
وهذِه القصة من رواية الكلبي عن ابن عباس وهو متروك. انظر: البغوي ٢/ ٢٩٢، قال ابن كثير ١/ ٦١٧: «وفي صحة هذا ووقوعه نظر، وغايته أن يكون خبرًا إسرائيليًا لا يُصدَّق ولا يُكذب».

(١) تكرر ما بين القوسين في المخطوط.

(٢) لم أقف عليه.

وتحمدوه في آخره، فقال جبريل: حق لك أن تتخذ خليلًا[١].

وقال أهل المعاني: قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ حث على اتباع ملته، لذلك ذكر عقيب قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾.

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ قال أصحاب المعاني: لما دعا الله الخلق إلى طاعته والانقياد لأمره، بيّن سعة قدرته وكثرة مملوكاته، ليُرغب إليه بالطاعة له[٢].

وقال بعضهم: لما قال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ بيّن أن ذلك إنما هو لحسن الطاعة، لا لحاجةٍ إلى الطاعة والمخالة، ولكن لمجازاة المحسن بإحسانه، وبين أنه مع ذلك عبد له. وهذا معنى قول الزجاج[٣].

وإنما قال: ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ ولم يقل: (من)، لأنه ذهب به مذهب الجنس، والذي يعقل إذا ذكر، وأريد به الجنس ذكر بـ (ما)، كقول الشاعر:

وما جرم وما ذاك السَّويق[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ أي عالمًا علم إحاطة، وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع من علمه.

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٩١، والقرطبي ٥/ ٤٠١.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٩٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٥٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٤.

(٤) عجز بيت لزياد بن الأعجم، وصدره:

تكلفني سويق الكرم جرم

والبيت من شواهد سيبويه في الكتاب ١/ ٣٠١ دون نسبة، ونسبه لزياد بن قتيبة في «الشعر والشعراء» ص ٢٨١، كما استشهد به دون نسبة المبرد في «الكامل» ١/ ٣٢٣، والزجاجي في «الجمل في النحو» ص ١١٨. وجرم: قبيلة، والسويق: الخمر.

ويجوز أن يكون محيطًا بالقدرة عليه، كما قال جل وعز: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١].

وقد ذكرنا معنى المحيط فيما تقدم(١).

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الآية.

الاستفتاء طلب الفتوى، يقال: أفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فأفتاني، إفتاء، وفتيا وفتوى اسمان من: أفتى، يوضعان موضع الإفتاء، ويقال: أفتيت فلانًا في رؤياها(٢)، إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته، إذا أجبته عنها(٣). ومعنى الإفتاء والفتيا: تبيين المشكل من الأحكام(٤)، وأصله من الفتي، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوي، فكأنه يقويّ ببيانه ما أشكل، فيشب ويصير فتيا قويا.

وذكر عن المفسرين في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أن العرب كانت لا تورث والصبيان(٥). وهذا قول ابن عباس في ما روي الكلبي عن أبي صالح عنه(٦)، وقول مجاهد(٧) والضحاك

---

(١) انظر: [البقرة: ١٩].

(٢) هكذا في المخطوط، والصواب: رؤياه.

(٣) انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٤٥٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٧٤ (فتى).

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٥.

(٥) هكذا في المخطوط ولعل الصواب كما يدل عليه حرف العطف وبقية الكلام، أن هناك كلمة ساقطة وهي: (النساء)، وذلك بعد قوله: لا تورث.
انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٦ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٥.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٦ أ، والبغوي ٢/ ٢٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٥، وأخرجه بنحوه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: الطبري ٥/ ٢٩٩.

(٧) في «تفسيره» ١٥/ ١٧٥، وأخرجه الطبري ٥/ ٣٠٠، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٣٩٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٠٨.

وقتادة وإبراهيم وابن زيد[١].

والثاني: إن الآية نزلت في توفية الصداق لهن، وكانت اليتيمة تكون عند الرجل، فإن هواها تزوجها وأكل مالها، وإن كانت دميمةً لم يتزوجها ومنعها الرجال حتى تموت، فيرثها، فأنزل الله هذه الآية. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي[٢]، وقول سعيد بن جبير والسدي[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الفراء: موضع (ما) رفع، كأنه قال: يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم. قال: وإن شئت جعلت (ما) في موضع خفض، كأنه قيل: يفتيكم فيهن ما يتلى عليكم[٤].

وقال الزجاج: الرفع أبين، لأن المعنى: الله يفتيكم، والكتاب يفتيكم، فالخفض بعيد جدًا، لأن الظاهر لا يُعطف على المضمر، ولأن المعنى: أن ما يتلى في الكتاب هو الذي مبين ما سألوا عنه، وليس المعنى: أنه يفتي فيهن وفي الكتاب[٥].

وقال غيره: ويجوز أن تكون (ما) رفعًا بالابتداء، والخبر محذوف،

---

(١) أخرجه عن قتادة وإبراهيم الطبري ٥/ ٢٩٩-٣٠٠، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٦ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) في «تفسيره» ص ١٥٩، وأخرجه الطبري ٥/ ٣٠٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٣، ٢١٤.

(٣) قولهما كالأول وأن القصد المنع من الميراث دون التعرض للنكاح، كما أخرجه عنه الطبري ٥/ ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١ وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٣.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٤ بتصرف.

على تقدير: وما يُتلى في الكتاب مبين له[١].

قال المفسرون: والذي يُتلى في الكتاب قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، وآية الميراث في أول السورة، وعلى قول من يقول: الآية نزلت في توفية الصداق قال: الذي يُتلى في الكتاب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣][٢].

والله تعالى إنما يحيل بالبيان على وحي سبق نزول، كقوله تعالى:- ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨]، وكقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ [النساء: ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾.

قال بعضهم: معناه في النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم، كما تقول: كتاب الكامل، ويوم الجمعة، وحق اليقين. فتضيف الشيء إلى نفسه وإلى صفته، كذلك تضيف اليتامى إلى النساء، وهن اليتامى، وهذا جائز عند الكوفيين[٣].

وعند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته؛ لأن الصفة هي الموصوف عند النحويين في المعنى، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائز، ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت أخاك الظريف، فالأخ هو الموصوف، والظريف هو الصفة، والأخ هو الظريف في المعنى. وإنما امتنع إضافة الشيء إلى نفسه؛ لأن الغرض في الإضافة إنما هو التخصيص والتعريف،

---

(١) انظر: «الكشاف» ١/ ٣٠١، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٦٠، و«الدر المصون» ٤/ ١٠٠.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٢٩٨-٣٠١، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٥.

(٣) انظر: «الإنصاف» للأنباري ص٣٥٢، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٦٢، و«الدر المصون» ٤/ ١٠٤.

والشيء لا يُعرف نفسه؛ لأنه لو كان معرفة بنفسه لما احتيج إلى إضافته، وإنما يضاف إلى غيره ليعرفه، ألا ترى أنك تضيف المصدر إلى الفاعل تارة، نحو: عجبت من قيام زيد، وإلى المفعول أخرى، نحو: عجبت من أكل الخبز، وإنما جازت إضافة المصدر إليهما لأنه في المعنى غيرهما، ولا يجيزون: سررت بطالعة الشمس، كما تقول: سررت بطلوع الشمس، لأنَّ طلوعها غيرها، فجازت إضافته إليها، والطالعة هي الشمس فلا تضيفها إلى نفسها. هذا مذهبهم(١).

وعلى هذا النساء في الآية غير اليتامى، والمراد بالنساء: أمهات اليتامى، أضيف إليهن أولادهن اليتامى(٢).

يقول(٣) هذا أن الآية نزلت في قصة أم كحة، وكانت لها يتامى(٤).

وكذلك ما روى موسى بن عُبيدة(٥) عن أخيه عبد الله بن عبيدة(٦)، قال: جاءت امرأة من الأنصار، يقال لها: خولة بنت حكيم(٧)، إلى

---

(١) انظر: المراجع السابقة..

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧٢٥.

(٣) هكذا في المخطوط، فيحتمل التصحيف، ولعل الصواب: يقوي هذا.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هو أبو عبد العزيز موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي، المدني، ضعفه العلماء، وكان من العباد الفضلاء، توفي رحمه الله سنة ١٥٣هـ.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٢١٣، و«التقريب» ص٥٥٢ رقم (٦٩٨٩).

(٦) هو عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي، ضعفه بعض العلماء وحكم عليه ابن حجر بأنه ثقة، قتلته الخوارج سنة ١٣٠هـ.
انظر: «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٥٩، و«التقريب» ص٣١٣ رقم (٣٤٥٨).

(٧) هي أم شريك خولة بنت حكيم بن أمية السلمية، صحابية مشهورة، يقال إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٩١، و«الإصابة» ٤/ ٢٩٠، و«التقريب» ص٧٤٦ رقم (٨٥٧٥).

النبي ﷺ، فقالت: أخي توفي وترك بنات ليس عندهن من الحُسن ما يُرغِّب فيهن الرجال، ولا يقسم لهن من ميراث أبيهن شيء، فنزلت فيها هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾.

قال ابن عباس: «يريد ما فُرض لهن من الميراث»[٢].

وهذا على قول من يقول: نزلت الآية في ميراث اليتامى والصغار، وعلى قول الباقين المراد بقوله: ﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ الصداق.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾.

قال أبو عبيد يحتمل هذا الرغبة والزهد، فإن حملته على الرغبة كان المعنى: وترغبون في أن تنكحوهن، وإن حملته على الزهد كان المعنى: وترغبون عن أن تنكحوهن لدمامتهن[٣].

والمفسرون أيضًا مختلفون على هذين الوجهين اللذين ذكرهما أبو عبيد.

روى ابن عون[٤] عن الحسن وابن سيرين: ﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: قال: أحدهما: ترغبون فيهن، وقال الآخر: ترغبون عنهن[٥].

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/١٢٦ ب.

(٢) أخرجه بمعناه من طرق: الطبري ٥/٢٩٩، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/١٢٧ أ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) هو أبو عون عبد الله بن عون بن أرطبان، المزني، البصري، إمام قدوة حافظ من الفضلاء، ويعدّ من التابعين. توفي رحمه الله سنة ١٥١هـ.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص ١٥٠، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٦٤، و«التقريب» ص٣١٧ (٣٥١٩).

(٥) أخرجه ابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١٠.

ولم يبين ابن عون من الذي قال هذا والذي قال ذاك، وبيّنه غيره، قال ابن سيرين: ترغبون فيهن لما لهن، وقال الحسن: وترغبون عن أن تنكحوهن لدمامتهن[١].

وقال ابن عباس وعبيدة: «وترغبون في أن تنكحوهن رغبة في مالهن أو جمالهن»[٢].

وروي عن عائشة رضي الله عنها الوجهان جميعًا، رُوي عنها أنها قالت: «في اليتيمة تكون في حجر وليها يرغب في مالها وجمالها، ولا يؤتيها سنّة نسائها»[٣].

وروي عنها أنها قالت: «نزلت في اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها، ولا ينكحها، فيعضلها طمعًا في ميراثها، فنهي عن ذلك». رواه مسلم في «الجامع» عن عائشة، في هذه القصة، فقالت: «ترغبون عنهن»[٤].

ففي أحد الوجهين أنكر على الأولياء عضل اليتيمة، وفي الثاني أنكر حبس صدقها[٥].

وهذه الآية تعلق بها أصحاب أبي حنيفة، في الاحتجاج على جواز نكاح اليتيمة الصغيرة[٦].

---

(١) أخرج الطبري ٥/ ٣٠٣ هذا الأثر عن الحسن من رواية ابن عون حيث قال الحسن: «ترغبون عنهن» فيتبين بذلك أن القول الآخر لابن سيرين. وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢١٦.

(٢) أخرجه بمعناه من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس وعن عبيدة: الطبري ٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٣) أخرجه مسلم بنحوه (٣٠١٨) كتاب: التفسير.

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٤٦٠٠) كتاب: التفسير سورة النساء، باب: ويستفتونك في النساء، ومسلم (٣٠١٨) كتاب: التفسير.

(٥) الوجه الأول اختيار الطبري ٥/ ٣٠٤.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٩٢، و«بداية المجتهد» ٢/ ٦.

وعند الشافعي: ليس لغير الأب والجد تزويج الصغيرة[١].

وعنده[٢] يجوز للعم وابن العم وسائر الأولياء تزويجها، ثم يتوقف النكاح على اختيارها إذا بلغت[٣].

واحتجوا بقوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ ولا حجة لهم في الآية؛ لأنَّه يحتمل أن يكون المراد: وترغبون أن تنكحوهن إذا بلغن وجاز نكاحهن، بدليل ما رُوي أن قدامة بن مظعون (تزوج)[٤] بنت أخيه عثمان بن مظعون[٥] من عبد الله بن عمر، فخطبها المغيرة بن شعبة[٦]، ورغب أمها في المال، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ، فقال قدامة: أنا عمها ووصي أبيها، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها صغيرة، وإنها لا تزوج إلا بإذنها**» وفرق بينها وبين ابن عمر[٧].

---

(١) وقد اعتبر الشافعي رحمه الله الجد أبًا إذا لم يكن ثَمَّ أب. انظر: «الأم» ٥/ ٢٠، و«بداية المجتهد» ٢/ ٦.

(٢) أي أبي حنيفة.

(٣) انظر: «بداية المجتهد» ٢/ ٦، و«الاختيار» ٣/ ٩٤.

(٤) هكذا في المخطوط، والظاهر أن الصواب: «زوج».

(٥) هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن حذافة الجُمحي صحابي فاضل من السابقين إلى الإسلام، وقد توفي رضي الله عنه في حياة الرسول ﷺ فذرفت عيناه ﷺ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ١٦٤، و«أسد الغابة» ٣/ ٥٩٨، و«الإصابة» ٢/ ٤٦٤.

(٦) هو أبو عيسى أو أبو محمد المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أسلم قبل الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان، وقد ولي فيما بعد إمرة البصرة والكوفة، توفي رضي الله عنه سنة ٥٠هـ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٣٦٨، و«الإصابة» ٣/ ٤٥٢، و«التقريب» ص ٥٤٣ رقم (٦٨٤٠).

(٧) أخرجه بمعناه أحمد في «مسنده» ٢/ ١٣٠، وابن ماجه في كتاب: النكاح، باب: (١٤) نكاح الصغار يزوجهن غير الآباء (١٨٧٨). قال في «الزوائد»: إسناده موقوف، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر متفق على تضعيفه.

ولأنه ليس في الآية أكثر من ذكر رغبة الأولياء في نكاح اليتيمة، وذلك لا يدل على الجواز.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾. يعني: الصغار من الصبيان.

قال ابن عباس: يريد أنهم لم يكونوا يورثون صغيرًا من الغلمان ولا الجواري[(١)].

وهو عطف على يتامى النساء، والمعنى: يفتيكم الله في المستضعفين أن تعطوهم حقوقهم، لأن ما يتلى عليهم في باب اليتامى من قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٢] يدل على الفتيا في إعطاء حقوق الصغار من الميراث.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾.

قال الفراء: (أنْ) في موضع خفض على: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط[(٢)].

ونحو ذلك قال الزجاج، قال: المعنى: وما يُتلى عليكم في يتامى النساء، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط[(٣)].

قال ابن عباس: يريد العدل في أمورهن وفي مواريثهن[(٤)].

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ يريد من حسن فيما أمرتكم به.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ يجازيكم عليه، ولا يضيع لكم شيء منه.

---

(١) بنحوه في «تفسيره» ص ١٥٩، وأخرجه الطبري من طريق ابن أبي طلحة أيضًا ٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٠.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٤.

(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٦.

قال الكسائي: هذا على تأويل الجزاء، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾، كل هذا جزاء، غير أنه على وجه: فَعَل، ولو كان على: يفعل، لكان جزمًا[١].

وقال أبو إسحاق: (إن) أمُّ حروف الجزاء، ولا يجوز الفصل بينها وبين ما يجزم إلا في ضرورة الشعر، نحو: إن زيد يأتك أكرمه، هذا لا يجوز إلا في الشعر، وكذلك الحكم في جميع حروف الجزاء، وذلك نحو قول الشاعر:

فمتى واغلٌ يُنبهُم يُحيُّوهُ ويُعطَفْ عليه كأسُ السَّاقي[٢]

ففصل بين متى وبين ما عمل فيه.

فأما الماضي فإن غيرّ عامله في لفظه، فجاز الفصل بينه وبين إن.

وارتفعت امرأة بفعل مضمر، يدل عليه ما بعدها، والمعنى: وإن خافت امرأة خافت[٣].

١٢٨- وقوله تعالى: ﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ قال ابن عباس ومقاتل: أي علمت[٤].

وقال الزجاج: خافت[٥] الإقامة من بعلها على الإعراض والنشوز،

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٠٧.

(٢) نسبه الزجاج في «معانيه» ٢/ ١١٦، لعدي بن زيد، وكذا في الكتاب ٣/ ١١٣، و«المقتضب» ٢/ ٧٦، و«الإنصاف» ص٤٩١، و«الدر المصون» ٤/ ١٠٧.
والواغل: الداخل على الشرب من غير أن يدعوه، وينبهم: ينزل بهم.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٦، ١١٧ بتصرف.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩، و«تفسير مقاتل» ١/ ٤١٢.

(٥) في «معاني الزجاج»: «إن خافت».

وليست تخاف ذلك إلا وقد بدا منه شيء(١). وقد ذكرنا مثل هذين الوجهين في قوله: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وأما البعل فقال الليث: البعل: الزوج، يقال: بعل يبعل بعولة، فهو باعل(٢) مستعلج(٣).

قال الأزهري: وهذا من أغاليط الليث، إنما سُمي زوج المرأة بعلًا لأنه سيدها ومالكها، وليس من باب الاستعلاج في شيء(٤).

وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية(٥): والبعل السيد في كلام العرب(٦).

ويقال للرجل: هو بعل المرأة، وللمرأة: بعله، وبعلته. ويجمع البعل: بعولة(٧). وقد مر في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ يقال: نشزت المرأة، تنشُزُ وتنشِزُ نشوزًا، إذا استعصت على زوجها، وأصله من قولهم: نشز الشيء، إذا ارتفع، وقد مر(٨).

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٦.

(٢) في «العين» ٢/ ١٤٩: «فهو بعل» وهذا اللفظ عند المؤلف من «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).

(٣) «العين» ٢/ ١٤٩، وفيه: «مستبعل» بدل «مستعلج» وما ذكره المؤلف من «التهذيب»، و«مستعلج» غير واضح المعنى، فقد يكون ما في العين هو الصواب، لا غير.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).
ولم يرد في «العين» الاستعلاج كما تقدم، وإنما ورد الاستبعال، فليتنبه.

(٥) يحتمل أن هذا الكلام من ابن عباس أو من المصنف والثاني أقرب.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).

(٧) انظر: «الصحاح» ٤/ ١٦٣٥ (بعل).

(٨) انظر فيما سبق عند تفسير الآية ٣٤.

قال أبو إسحاق: النشوز يكون من الزوجين، وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه، واشتقاقه من النشز وهو ما ارتفع من الأرض[(١)].

قال المفسرون: ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعًا لبغضها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها لموجدة وأثرة[(٢)].

قال الكلبي: يعني ترك مجامعتها، وإِعْرَاضًا بوجهه عنها[(٣)].

وقال مقاتل: ﴿نُشُوزًا﴾ عصيانًا -يعني: الأثرة، وهو قول ابن عباس ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها، لما به من الميل إلى أخرى[(٤)].

وقال الزجاج: النشوز من بعل المرأة أن يسيء عشرتها، وأن يمنعها نفسه ونفقته[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾. جعل الله ﷻ الصلح (جائزًا)[(٦)] بين الرجل والمرأة، إذا رضيت منه بإيثار غيرها عليها.

قال جميع المفسرين: هذا الصلح في القسمة والنفقة، وهو أن يقول الرجل لامرأته: إنك دميمة، أو قد دخلت في السن وأريد أن أتزوج عليك شابة جميلة، وأوثرها عليك في القسمة بالليل والنهار، فإن رضيت بهذا

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧، وقد ذكر الزجاج ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٣٠٥، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٢، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٣.

(٣) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤١٢، ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٥.

(٦) في المخطوط: جائز (بدون نصب).

فأقيمي، وإن كرهت خليت سبيلك. فإن رضيت بذلك (كانت الواجب)[(١)] على الزوج أن يوفيها حقها من المقام عندها والنفقة، أو يسرحها بإحسان ولا يحبسها على [الحيف][(٢)]، (وليس يُجبر)[(٣)] الزوج على الوطء إذا عدل في المقام والنفقة، وكل ما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز، وهو أن تترك له من مهرها، أو بعض أيامها[(٤)].

روى خالد بن عرعرة[(٥)]، قال: سأل رجل عليًّا عن قوله: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾ الآية. قال: «تكون المرأة عند الرجل، فتنبو عينه عنها من دمامة أو كبر، فتفتدي منه بكره فرقته، فإن أعطته من مالها فهو له حل، وإن أعطته من أيامها فهو له حل»[(٦)].

واختلف القراء في قوله: (يَصّالَحَا) فقرئ: (يُصْلِحَا)[(٧)] أيضًا، فمن

---

(١) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: «كان الواجب»، انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب.

(٢) ما بين المعقوفين في المخطوط: «الخسف»، والتصويب من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب.

(٣) هكذا في المخطوط، والأولى: «ولا يجبر»، انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب بتصرف يسير، وانظر: «تفسير ابن عباس» ص ١٦٠، والطبري ٥/ ٣٠٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٦، و«بحر العلوم» ١/ ٢٩٣، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٣.

(٥) هو خالد بن عرعرة التيمي، سمع عليًّا وروى عنه سماك بن حرب والقاسم بن عوف الشيباني.
انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري ٣/ ١٦٣، و«الجرح والتعديل» ٣/ ٣٤٣.

(٦) أخرجه بنحوه من طرق الطبري ٥/ ٣٠٦، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١١.

(٧) قراءة: «يصّالَحا» بتشديد الصاد المفتوحة بعدها مد لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وأبي يعقوب، وقرأ الباقون «يُصْلحا» بضم الياء وسكون الصاد. انظر: «السبعة» ص ٢٣٨، و«الحجة» ٣/ ١٨٣، و«المبسوط» ص ١٥٨.

قرأ، (يَصّالحا) أراد: يتصالحا، فأدغم التاء في الصاد، وحجته أنّ الأشهر في الاستعمال في هذا النحو: تصالحا(١).

وفي حرف عبد الله: (فلا جناح عليهما أن أصَّالَحا)(٢).

وانتصب (صلحًا) في هذه القراءة على المصدر، ولكنه بحذف الزوائد كما قال:

وإنْ يَهلِكْ فذلكَ كان قَدْري(٣)

أي: تقديري. وقد يوضع الاسم موضع المصدر، كقول القطامي:

وبعد عطائِكَ المائة الرِّتاعا(٤)

قال أبو حاتم(٥): كأن المصدر على القياس: يصالحا اصالحًا وتصالحًا، ولكن هذا كقوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] مما يخالف المصدر المصدر(٦).

«ومن قرأ: ﴿يُصۡلِحَا﴾ فإن الإصلاح عند التنازع والتشاجر أيضًا قد استعمل، كما استعمل: تصالحا، قال الله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣١٠، و«الحجة» ٣/ ١٨٣.

(٢) «الحجة» ٣/ ١٨٣، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٦٣.

(٣) عجز بيت ليزيد بن سنان، وصدره:

فإن يبرأ فلم أنفث عليه

«الحجة» ٢/ ١٢٩، و«حاشيته» ٣/ ١٨٤.

(٤) عجز بيت للقطامي، وصدره:

أكفرًا بعد رد الموت عني

والمئة الرتاع من الإبل. «الحجة» ١/ ١٨٢، ٣/ ١٨٤، و«الخصائص» ١/ ٢٢١.

(٥) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم النحوي السجستاني، تقدمت ترجمته.

(٦) لم أقف على قول أبي حاتم، وقد أشار إليه مكي في «الكشف» ١/ ٣٩٩.

﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقال: ﴿أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء: ١١٤].

والصلح على هذه القراءة اسم تعدى الفعل إليه كتعدِّيه إلى الأسماء. فقوله: (يُصلحا صلحًا) كقولك: «أصلحت ثوبًا»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

قال ابن عباس: «يريد أعظم لثوابه وثوابها»[٢].

وقال الكلبي: والصلح خير من النشوز والإعراض والإقامة عليهما[٣].

وقال الزجاج: الصلح خير من الفرقة[٤].

قال أهل المعاني: يقول: إنْ يصالحا على شيء خير من أنْ يتفرقا، أو يُقيما على النشوز والإعراض[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾.

الشح: البُخل، والشحيح: البخيل، وجمعه: أشحّة[٦].

قال الفراء: يقال: شح يشِحُّ، بكسر الشين. قال: وكذلك كل فعيل من النعوت إذا كان مضاعفًا، مثل: خفيف وذفيف[٧]، فهو على فَعَل يَفْعِل، ومثله: ضنين، وقد قالوا: ضنَّ يضنُّ، واللغة العالية: يَضَنُّ[٨].

---

(١) «الحجة» ٣/ ١٨٣، ١٨٤، وانظر: «الكشف» ١/ ٣٩٩.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٦.
(٥) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٨.
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٣٥ (شح).
(٧) ذفيف بمعنى: خفيف سريع. انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٠٥ (ذفف).
(٨) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٣٦ (شح).

قال ابن عباس: «يريد والغالب على نفس المرأة الشح على نصيبها من زوجها ومالها»[(١)]. وهو قول سعيد بن جبير[(٢)].

وقال الفراء: ضن الرجل بنصيبه من الشابة، وضنت الكبيرة بنصيبها منه[(٣)].

وهو قول جماعة من المفسرين، قالوا: شحت المرأة بنصيبها من زوجها، وشح الرجل بنصيبه من الأخرى[(٤)].

وقال الحسن وابن سيرين: أُحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة والشح[(٥)] بحقه قبل صاحبه، فالمرأة تشحّ على مكانها من زوجها، والرجل يشحّ على المرأة بنفسه، إذا كان غيرها أحب إليه منها[(٦)]. وهذا قول الزجاج[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾.

قال ابن عباس: يريد حسن المعاشرة والصحبة، وتتقوا الله فإنها أمانة[(٨)].

---

(١) أخرجه بنحو الطبري ٥/ ٣١٠، وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١٢.

(٢) أخرجه عنه من طرق الطبري ٥/ ٣١١، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٣.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٩١.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٨ ب، وانظر: الطبري ٥/ ٣١١-٣١٢، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٣، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢١٩.

(٥) هكذا في المخطوط، ولعل الواو زائدة من الناسخ.

(٦) ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٣٣، ولم أقف عليه عن ابن سيرين.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٦.

(٨) لم أقف عليه.

وقال الكلبي: «يعني تُصلحوا وتتقوا الجوز والميل»[١].

١٢٩- وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.

قال المفسرون: يقول: لن تقدروا على التسوية بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع؛ لأنَّ ذلك مما لا تقدرون عليه ولو اجتهدتم[٢].

قال الضحاك: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ﴾ يعني: في الحب والجماع[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾.

إلى التي تحبون في النفقة والقسمة[٤]. يقول: لا تقدرون على العدل في الحب، ولكن قربوا حالهن من العدل في القسم، وما تملكون من الأمر.

قال أبو عبيد: لا يقدر أحد على العدل بين الضرائر بقلبه، وليس يُؤاخذ به؛ لأنه لا يستطيعه ولا يملكه، ولكن عليه أن لا يميل بنفسه، وهو الذي وقع عليه النهي[٥].

وقال مجاهد: ولن تستطيعوا العدل بينهن فلا تتعمدوا الإساءة[٦].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.

(٢) انظر: الطبري ٥/ ٣١٢-٣١٣، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ٢١٨ ب.

(٣) أخرجه الطبري ٥/ ٣١٣-٣١٤ ولفظه: «في الشهوة والجماع»، وفي لفظ آخر: «في الجماع».

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٨ ب.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تفسيره» ١/ ١٧٨، وأخرجه الطبري ٥/ ٣١٥، وابن المنذر والبيهقي. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١٣.

قال الشافعي ﷺ: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقسم فيقول: «**اللهم هذا قسمي فيما أملك، وأنت أعلم بما لا أملك**»(١).

يعني- والله أعلم- قلبه وفرط محبته لعائشة رضي الله عنها.

وكان عمر ﷺ يقول: اللهم أما قلبي فلا أملك، وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ قال ابن عباس: يريد لا أيمًا، ولا ذات بعل(٣).

وهو قول جميع أهل التفسير(٤)، يقول: لا تميلوا إلى الثانية كل الميل، فتدعوا الأخرى كالمنوطة مثلًا، لا في الأرض ولا في السماء، كذلك هذه، لا تكون مخلية فتتزوج، ولا ذات بعل يُحسن عشرتها ونفقتها.

﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟﴾ بالعدل في القسم. ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الجور.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما ملت إلى التي تحبها بقلبك، بعد العدل في القسمة(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٤) كتاب: النكاح، باب: القسمة بين النساء، وقال أبو داود يعني القلب، والنسائي (١١٤٠) كتاب عشرة النساء، باب: (٢) ميل الرجل إلى بعض نسائه ٧/ ٦٣، والترمذي في كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر ٣/ ٤٣٧، وحكم عليه النسائي والترمذي بالإرسال، لكن آخره: «فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

(٢) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٩ أ، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٦٥ .

(٣) «تفسيره» ص ١٦١، وأخرجه الطبري ٥/ ٣١٦، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١٣.

(٤) انظر: الطبري ٥/ ٣١٦-٣١٧، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٩ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥١١.

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١٢٩ أ.

١٣٠- قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ ذكر الله جواز الصلح بين الزوجين إن أحبا أن يجتمعا ويتآلفا، فإن أبت الكبيرة الصلح، وأبت إلا التسوية بينها وبين الشابة، فتفرقا بالطلاق، فقد وعد الله تعالى لهما أن يغني كل واحد منهما عن صاحبه -بعد الطلاق- من فضله الواسع، كما أغنى كل واحد بصاحبه قبل الطلاق. وهذا تسلية لكل واحد منهما، وهذا معنى قول الكلبي وغيره[١].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾: يريد يُعوض للرجل ما يحب، ويعوض المرأة ما تُحب، ويوسع عليهما[٢].

وقال الكلبي: (يُغني الله من رزقه) المرأة بزوج، والزوج بامرأة[٣].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ [النساء: ١٣٠].

قال ابن عباس: «يريد لجميع خلقه»[٤].

وقال الكلبي: واسعًا لهما في النكاح[٥] يعني: حيث أباح لهما الاستبدال.

وقال أصحاب المعاني: إنما جاز وصف الله بأنه واسع لما فيه من المبالغة في الصفة، وذكر أنه واسع الرزق، وواسع الفضل، وواسع الرحمة، وواسع القدرة. ولو ذكر على الأصل لاقتصر على واحد منها، وإذا أطلق ذهب الوهم إلى جميعها، فكان أبلغ في الصفة من هذه الجهة[٦].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.
(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.
(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.
(٦) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٦٦.

وقوله تعالى: ﴿حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]. قال ابن عباس: يريد فيما حكم ووعظ(١).

وقال الكلبي: حكم على الزوج إمساكها بمعروف أو تسريحها بإحسان(٢).

١٣١- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ الآية.

قال أصحاب المعاني: لما ذكر الله أنه يُغني من سعته، أشار إلى ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير منه، لأنه الذي يملك السموات والأرض، ولا تفنى خزائنه(٣).

ثم ذكر الوصية بتقوى الله مُجملة فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد اليهود والنصارى(٤).

﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أوصى. ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ﴾.

قال الأخفش: أي: بأن اتقوا الله(٥)، كقوله:

أمرتك الخير... البيت(٦)

قال الكسائي: يقال أوصيتك أن أفعل كذا، وأن تفعل كذا، كلٌّ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.

(٣) انظر: الطبري ٥/٣١٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٠، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٦٦.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٥٩، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٠٩، و«الدر المصون» ٤/ ١١٢.

(٦) لعل البيت كما أشار إلى ذلك فضيلة المشرف كما يلي:

أمرتك الخير لكن ما أتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم

ولم أقف عليه.

عربي، ويقال: ألم آمرك أن ائت زيدًا، وأن تأتي زيدًا؟ قال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ ثم قال ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] على النهي بعد قوله: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ وهي قراءة أُبي: (ولا أكون من المشركين)، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى﴾ [النمل: ٩١] ولو كان على الأمر: أن أعبد -جزمًا-، لكان صوابًا[(١)].

ثم بيّن أن نفع التقوى عائد إلى العباد، بأنه جل وعز غني عنهم وعن جميع الأشياء فقال:

﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ أي: بما أوصيكم به.

قال المفسرون: يعني: أن له ملائكة في السموات والأرض هم أطوع له منكم[(٢)].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾. معنى الغني: الذي لا حاجة له[(٣)]، والله تعالى غني بذاته، لا بشيء، ولهذا قال أصحابنا: الغني هو القادر على ما يريد؛ لأنه إنما يستغني بقدرته على ما يريد[(٤)].

والحميد: المحمود على نعمه[(٥)].

١٣٣- قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. قال أهل المعاني: في الآية محذوف، على تقدير: إن يشأ يذهبكم يُذهبكم[(٦)]؛ لأنه

---

(١) لم أقف على كلام الكسائي.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٠ ب. (٣) انظر: الطبري ٥/ ٣١٨.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٠ ب.

وهذا من تأويل الأشاعرة للصفات، حيث أول الغنى بالقدرة.

(٥) انتهى المؤلف من تفسير الآية (١٣١)، وأتى بعدها بتفسير الآية (١٣٣) وترك ما بينهما.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٣١٩٥.

ليس على معنى إن كانت له مشيئة ما أذهبكم، ولكن مشيئته الإذهاب.

قال ابن عباس: يريد المشركين والمنافقين[(١)].

﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ قال: يريد قومًا من قريش،لم يكونوا هاجروا ثم أسلموا بعد الفتح[(٢)].

وقال مقاتل: يخلق غيركم، أمثل وأطوع لله منكم[(٣)].

وروى عن النبي ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية ضرب بيده على ظهر سلمان[(٤)]، فقال: «**قوم هذا**» يعني: عجم الفرس[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ عند أهل المعاني، أن المعنى: ولم يزل الله على ذلك قديرًا، ولا يزال كذلك، لأن كل صفة استحقها القديم فهي لازمة، لا يحدث ما يوجب تغيُّرها، فبهذا عرفنا أنَّ المعنى: كان ويكون قديرًا، إلا أنه وكل إلى الاستدلال لرياضة الأفهام، فذكر بلفظ: كان[(٦)].

١٣٤- قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: يريد متاع الدنيا[(٧)].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢١، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٦٧.

(٢) لم أقف عليه. (٣) «تفسيره» ١/ ٤١٣.

(٤) هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، ويعرف بسلمان الخير، صحابي جليل، مولى رسول الله ﷺ وقصة إسلامه مشهورة، وكان من المعمرين، توفي رضي الله عنه سنة ٣٤هـ. انظر: «الاستيعاب» ٢/ ١٩٤، و«أسد الغابة» ٢/ ٤١٧، و«الإصابة» ٢/ ٦٢، و«التقريب» ص٢٤٦ رقم (٢٤٧٧).

(٥) أخرجه الطبري ٥/ ٣١٩ وبين أحمد شاكر أن في إسناده ضعفًا. وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٣-٥٣٤.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ٩٩.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعائكم، ﴿بَصِيرًا﴾ بكم، حيث جعل فيكم دينه، واستودعكم فرائضه(١).

وقال مجاهد: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ فإن الله تعالى يُعطي على نية الآخرة ما شاء من الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا شيئًا من الآخرة(٢).

وقال أبو إسحاق: كان مشركوا العرب لا يؤمنون بالبعث، وكانوا مقرين بأن الله خالقهم، فكان تقربهم إلى الله ﷻ إنما هو ليعطيهم من خير الدنيا، ويصرف عنهم شرها، فأعلم الله جل وعز أن خير الدنيا والآخرة عنده(٣). وهذا هو القول.

وقال غيره: ثواب الدنيا: الغنيمة والمنفعة التي ينالها المجاهد، وثواب الأخرة: النعيم الذي (يعطه)(٤) الله في الآخرة(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: فليطلب المجاهد الثوابين، فإنهما عند الله، لا يضيق ولا يمتنع بأحدهما إعطاء الآخر.

وتأويل قوله ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ فينبغي أن يطلب من عنده ثواب الدنيا والآخرة.

عند: جواب الشرط، لأن عنده ثواب الدنيا والآخرة، وقعت هذه الإرادة أو لم تقع.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢١.

(٤) هكذا في المخطوط، والصواب: «يعطيه».

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣١ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٤.

١٣٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ .

القسط: العدل[١]، ومضى الكلام فيه[٢].

وقوّام مبالغة من قائم، كأنه قيل: كونوا قائمين بالقسط[٣].

والقائم بالشيء معناه الكفيل به الذي يأتي به على وجهه.

قال ابن عباس: معناه: كونوا قوَّالين بالعدل في الشهادة، على من كانت، ولو على أنفسكم[٤].

وانتصب قوله: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ على الحال من ﴿قَوَّٰمِينَ﴾، ويجوز أن يكون خبر ﴿كُونُوا۟﴾، على أن لها خبرين بمنزلة خبر واحد، ونحو هذا: حلو حامض، وجائز أن يكون صفة لقوامين[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، قال عطاء: يريد وقولوا الحق، ولو على أنفسكم، وإن كان فيه مضرة عليكم[٦].

وشهادة الإنسان على نفسه: هو إقراره بما عليه من الحق[٧]، وذلك الإقرار شهادة منه على نفسه، فكأنه قيل: ولو كانْ لأحد عليكم حق فأقروا به على أنفسكم.

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٢٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٢) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣] .

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٣٢١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٤) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٣١، والأثر بمعناه في تفسير ابن عباس ص ١٦١، وأخرجه الطبري ٥/ ٣٢٢، من طريق علي بن أبي طلحة أيضًا.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٠، و«الدر المصون» ٤/ ١١٣، وقد رجّح كل منهما القول الأول.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «النكت والعيون» ١/ ٥٣٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

وقال أبو إسحاق: المعنى: قوموا بالعدل واشهدوا الله[١] بالحق، وإن كان الحق على نفس الشاهد، أو على والديه، أو أقربيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ اسم كان مضمر، على تقدير: إن يكن المشهود عليه ومن يخاصم غنيًا أو فقيرًا[٣].

قال ابن عباس: يقول: لا تُحابوا غنيًا لغناه، ولا ترحموا فقيرًا لفقره[٤].

قال عطاء: يريد يكونون عندكم سواء، لا تحيفوا على الفقير، ولا تُعظِّموا الغني، وتمسكوا عن القول فيه[٥].

يريد: يكون شأنكم العدل والصدق في القريب والبعيد، والغني والفقير.

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ ولم يقل به وكان الغنى والفقر صفة مشهود عليه واحد، لأن المعنى: فالله أولى بكل واحد منهما.

قال الزجاج: أي: إن يكن المشهود عليه غنيًّا فالله أولى به، وكذلك إن يكن المشهود عليه فقيرًا فالله أولى به[٦]. فجمعهما في الكناية لهذا المعنى.

ومعنى: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ أي: أعلم بهما منكم؛ لأنه يتولى علم أحوالهما من الغنى والفقر.

وهذا معنى قول الحسن: الله أعلم بغناهم وفقرهم[٧].

---

(١) في «معاني الزجاج»: لله، وهو الأظهر.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢ .

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٣٢٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٠، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣١ ب. (٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٧) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٤٣٠، و«معالم التنزيل» ٢/ ٢٩٨.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾، أكثر المفسرين على أن هذا من العدول الذي هو الميل والجور، على معنى: واتقوا أن تعدلوا[١]، فحذف؛ لأن في النهي عن اتباع الهوى دليلًا على الأمر بالتقوى.

وهذا معنى قول مقاتل، لأنه قال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في الشهادة، واتقوا الله ﴿أَن تَعْدِلُوا﴾ عن الحق إلى الهوى[٢].

وقال ابن عباس: يريد أنْ تميلوا عن العدل، وهو قول الكلبي أيضًا[٣].

وعند الفراء والزجاج: يجوز أنْ يكون ﴿تَعْدِلُوا﴾ من العدل على معنى: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا، كما تقول: لا تتبعن هواك لترضي ربك، أي: أنهاك عن هذا كيما[٤] ترضي ربك. قاله الفراء[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ يجوز أن يكون من لوي بمعنى المدافعة[٦]، ويجوز أن يكون من لوى الشيء إذا فتله[٧]، وكلاهما قريب.

قال مجاهد: ﴿وَإِن تَلْوُوا﴾ تبدِّلوا الشهادة ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ تكتموها فلا تقيموها[٨].

---

(١) دعوى أن أكثر المفسرين على هذا القول فيها نظر، فلم أجد من ذهب إلى ذلك غير الطبري مع أنه أشار إليه إشارة في «تفسير الطبري» ٥/ ٣٢٣، وقد عزاه في «زاد المسير» ٢/ ٢٢٢، إلى مقاتل، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ١١٧.

(٢) «تفسيره» ١/ ٤١٤، وانظر: و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٢.

(٣) لم أقف عليهما.

(٤) في المخطوط «كما»، وهو تصحيف ظاهر، انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩١.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٩١، وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ١١٨.

(٦) انظر: الطبري ٥/ ٣٢٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٨.

(٧) انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٠٧ (لوى).

(٨) «تفسيره» ١/ ١٧٨، وأخرجه الطبري ٥/ ٣٢٣ من طرق، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤١٤ إلى البيهقي.

وهذا من ليّ اللسان، كأنه لواها من الحق إلى الباطل. ونحو ذلك قال السدي: اللي: الدفع والإعراض: الجحود[١]. وهو من قولهم: [لوى][٢] حقه، إذا مطله ودفعه[٣].

وقال مقاتل: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ يعني التحريف للشهادة، يلجلج بها لسانه فلا يقيمها، ليبطل شهادته، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عنها فلا تشهدوا بها[٤].

وقال عطية العوفي: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ تَلجلجوا في الشهادة فتفسدوها، ﴿تُعْرِضُوا۟﴾ بتركها»[٥].

وفي قوله: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ قراءتان: إحداهما- بواوين.

والأخرى تلُوا اللام[٦].

فمن قرأ بواوين فحجته: ما رُوي عن ابن عباس أنه فسر هذا بأنه القاضي، ليُّهُ وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر[٧].

---

(١) أخرجه بمعناه الطبري ٥/ ٤٢٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٣.

(٢) ما بين المعقوفين في المخطوط: «لوا» وهو خطأ في «الإملاء».

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٤٢٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ١١٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣١ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٤.

(٤) «تفسيره» ١/ ٤١٤.

(٥) أخرجه الطبري ٥/ ٣٢٤.

(٦) هكذا في المخطوط، ولعل في الكلام سقطًا، فإن استقامة الكلام: «بواو واحدة وضم اللام» انظر: «الحجة» ٣/ ١٨٥، وهذِه القراءة لحمزة وابن عامر، والقراءة الأولى للباقين. انظر: «السبعة» ص ٢٣٩، و«الحجة» ٣/ ١٨٥، و«المبسوط» ص ١٥٩، و«تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة» ص ١٠٦.

(٧) «الحجة» ٣/ ١٨٥، والأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ٥/ ٣٢٣، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٢ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٣.

قال الزجاج: وجاء في التفسير أن لوى الحاكم في قضيته: أو أعرض[(١)].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] قال[(٢)]: ويقال: لويت فلانًا حقه، إذا دافعته به ومطلته.

وكذلك جميع ما حكينا عن المفسرين في هذا الحرف يدل على صحة هذه القراءة.

قال الزجاج: وهذا هو الأشبه على ما جاء في التفسير[(٣)].

وحجة من قرأ: ﴿تلوا﴾ بواو واحدة أن يقول: إن ﴿تلوا﴾ في هذا الموضع حسن، لأن ولاية الشيء إقبال عليه، وخلاف الإعراض عنه، فالمعنى: إن تقبلوا أو تعرضوا، فلا تلوا، فإن الله كان بما تعملون خبيرًا، فيجازي المحسن المقبل بإحسانه، والمسيء المعرض بإعراضه[(٤)].

وقال المبرد: إن للولاية ههنا وجهًا حسنًا، يقول: إن تلوا إقامتها أو تعرضوا عن إقامتها[(٥)].

وقال قطرب: (إن تلوا) من الولاية، يريد: إن تلوا القيام بالحق وتتولوه، أو تعرضوا عنه فلا تقوموا به[(٦)].

وذكر أبو إسحاق والفراء جميعًا لهذه القراءة وجهًا آخر: وهو أنه يجوز أن يكون (تلُوا) أصله: تَلْوُوا، فأبدل من الواو المضمومة همزة، ثم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٨ لكن فيه: «أنَّ» لوى الحاكم في قضيته: «أعرض». فلعل الصواب. أي أعرض.

(٢) أي: الزجاج.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٨.

(٤) «الحجة» ٣/ ١٨٥، وانظر: «إعراب القراءات السبع» لابن خالويه ١/ ١٣٨.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه.

طرحت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام، فصار تلوا، كما قيل في أدؤُرٍ: أدُورٍ، ثم طرحت الهمزة فصار آدرٌ(١). والوجه الأول أجمعا عليه أيضًا.

١٣٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قال ابن عباس: فيما روى الكلبي عن أبي صالح عنه: نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل(٢).

قال الضحاك: الخطاب لليهود والنصارى، يقول: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة، وعيسى والإنجيل، آمنوا بمحمد والقرآن(٣).

وقال أبو العالية وجماعة من المفسرين: الآية خطاب للمؤمنين، وتأويل: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: أقيموا واثبتوا ودوموا عليه(٤).

قال الزجاج: وهذا كما قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩] المعنى: وعد الله من أقام على الإيمان من أصحاب محمد ﷺ(٥).

وقال مجاهد: الآية خطاب للمنافقين، وذلك أنهم أمنوا في الظاهر بألسنتهم، وكفروا في السر بقلوبهم، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) من «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ١١٨، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٩١.

(٢) أخرجه الثعلبي ٤/ ١٣٢ أ، وانظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص ١٨٦، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٤-٤١٥ .

(٣) أخرجه ابن المنذر بمعناه مطولًا كما في «الدر المنثور» ٢/ ٤١٤-٤١٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٤.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٢ ب، وقد قال بهذا القول الحسن، انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٩.

ءَامَنُوٓاْ﴾ يعني: بالألسنة في العلانية ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ بقلوبكم في السر[١]. ويدلك على هذا أن الله تعالى أخبر عنهم فقال: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ [المائدة: ٤١].

وهذان القولان ذكرهما الزجاج، ثم قال: والأول أشبه، والله أعلم[٢].

وأبو بكر[٣] الوراق اختار أيضًا أن الآية في المؤمنين، وأن معنى الأمر بالإيمان: الثبات عليه، واحتج بأن العرب تقول للقائم: قم، وللقارئ: اقرأ، يريدون الثبات على ذلك العمل، وقال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] أي: اثبت على عملك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ قال ابن عباس: «يريد القرآن وما فيه من الأحكام»[٥].

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ﴾ قال: «يريد كل كتاب أنزله على النبيين»[٦]. وذلك أنه اسم الجنس، فصلح للعموم.

واختلفوا في قوله: (نزل) و(أنزل)، فقرئ بالضم والفتح[٧]، فمن

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١١٩.

(٣) لم يتبين لي من هو، حيث إني وجدت اثنين يطلق عليهما (أبو بكر الوراق). انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٧٩، ١٦/ ٣٨٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٢ ب، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٠.

(٦) المرجع السابق.

(٧) أي بضم النون والألف وكسر الزاي فيهما، وبفتحهما مع فتح الزاي، وقرأ بالأولى ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، وبالثانية الباقون. انظر: «السبعة» ص ٢٣٩، و«الحجة» ٣/ ١٨٦، ١٨٧، و«المبسوط» ص ١٥٩، و«النشر» ٢/ ٢٥٣.

ضم: فحجته قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١] فأضيف المصدر إلى المفعول به، فالكتاب على هذا منزل. وحجته في قوله: (أَنْزَل) قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

ومن قرأ بالفتح: فحجته قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤](١).

١٣٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ الآية.

اختلفوا في هذه الآية، فذهب الأكثرون إلى أن المراد به اليهود.

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: «هم قريظة والنضير»(٢).

ونحو ذلك قال الكلبي وقتادة: آمنت اليهود بالتوراة، ثم كفرت بمخالفتها، ثم آمنت بالإنجيل، ثم كفرت بمخالفته(٣).

وقال بعضهم: إن اليهود آمنوا بالتوراة وموسى، ثم كفروا بعزير، ثم آمنوا بداود، ثم كفروا بعيسى(٤).

وكيف ما كان الأمر فقد أخبر الله عنهم بترددهم في الكفر.

وقال مجاهد وابن زيد: نزلت في المنافقين، آمنوا، ثم ارتدوا، ثم آمنوا، ثم ارتدوا(٥).

---

(١) «الحجة» ٣/ ١٨٧ بتصرف يسير، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٢٠- وقد قال الأزهري: «والمعنى واحد»، و«الكشف» ١/ ٤٠٠.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) المأثور عن قتادة كما في الطبري ٥/ ٣٢٧ أن المراد اليهود والنصارى. وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ أ، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٥.

(٤) نسب هذا القول لابن عباس. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٥، و «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠.

(٥) أخرج القول عنهما الطبري ٥/ ٣٢٧، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٣٦-٥٣٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٥.

واختيار أبي علي أن هذا يُعني به المنافقون، قال: فالإيمان الأول دخولهم في الإسلام، وحقنُهم الدماء والأموال به، وكفرهم بعد نفاقهم، وأنَّ باطنهم على غير ظاهرهم. (وإيمانهم بعد نفيهم نفاقهم)[١] بقوله: ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]، في قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤، ٧٦]، فهذا بعد الإظهار منهم للإيمان ثانية، يدخلون به في حكم الإسلام بعد الكفر، كما أن من جاء من المؤمنات مظهرات للإسلام داخلات في حكمه، لقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] فعُلِمن مؤمنات بما أظهرنه من ذلك، فكذلك هؤلاء، يكونون مؤمنين بإظهارهم الإيمان، بعدما علم منهم النفاق، وكفرهم بعد هذا الإيمان الثاني، قولهم إذا خلوا إلى شياطينهم، أي أصحابهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤][٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال الكلبي وقتادة: بمحمد ﷺ والقرآن[٣].

وقال مجاهد والسدي والحسن: ماتوا على كفرهم[٤].

---

(١) في «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٢٤: «وإيمانهم بعد يقيهم نفاقهم».

(٢) «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٣٤.

(٣) عن الكلبي انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠، أما عن قتادة فأخرجه الطبري ٩/ ٣١٥.

(٤) أخرجه عن مجاهد: الطبري ٥/ ٣٢٧.

وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ أ، وذكره عن الحسن الهواري في «تفسير كتاب الله العزيز» ١/ ٤٣١. ولم أقف عليه عن السدي. وقد أخرج ابن أبي حاتم مثله عن ابن عباس. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٦٢٤، و «الدر المنثور» ٢/ ٤١٥.

وقال أبو العالية: ثم ازدادوا كفرًا بذنوب أصابوها في كفرهم[١].

قال أبو عبيد: جعل أبو العالية إصابة الذنوب زيادة في الكفر، كما أن أعمال البر زيادةٌ في الإيمان[٢].

وقال أبو علي: ما ازدادوه من الكفر إنما هو بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فهذا زيادة في الكفر. ويدل على أنَّ المستهزئ[٣] باستهزائه كافر، فيزداد به كفرًا إلى كفره قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فإذا كان المجالس مثلهم وإن لم يُظهر ذلك ولم يعتقده، فالقاتل لذلك أشد ذهابًا في الكفر[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إن قيل: إن الله ﷻ لا يغفر الكفر وقد أخبر به، فلم قال ههنا فيمن آمن ثم كفر، ثم آمن ثم كفر: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؟

فالجواب: أن الله تعالى يغفر للكافرين[٥] كفره إذا آمن، فإن كفر بعد إيمانه لن يغفر له الكفر الأول، لأنه إذا كفر بعد إيمانٍ قبله كفر، كان مُطالبًا بجميع كفره.

وهذا جواب ذكره الزجاج[٦]، وبه قال بعض الأصوليين[٧].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المخطوط: «المستهزئين»، والتصويب من «الحجة» ١/ ٢٣٤.

(٤) «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٥) هكذا في المخطوط، والإفراد أظهر.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٠.

(٧) لم أقف عليه.

وكذلك قالوا في الذنوب: أن من تاب من ذنب ثم عاد في مثله، فقال القاضي أبو بكر من أصحابنا[١]: إن توبته الأولى انتقصت[٢] حتى يلقى الله مؤاخذًا بحكم الزلة الأولى التي تاب عنها[٣].

وقال الآخرون -وهو الاختيار-: إنَّ حكم ما تاب عنه بات على الصحة، وإنْ عاد إلى مثل ما تاب عنه[٤].

وعلى هذا فالجواب أن يقال: إن هذا إخبار عن قوم انتقلوا عن الكفر إلى الإيمان، وعن الإيمان إلى الكفر (...و....[٥]) لحالهم، وأفردوا بذكر نفي المغفرة عنهم، وإن كان الله تعالى لا يغفر كفرًا مرة واحدة، تخصيصًا بالوعيد، كتخصيص جبريل وميكائيل من جملة الملائكة بالذكر تشريفًا وتعظيمًا، كذلك جاء هذا في نقيضه، ولا فرق بين أن يقول: إن اليهود لا يغفر الله لهم، وبين أن يقول: إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا لا يغفر الله لهم، لأنهم هم المعينون[٦] بهذا الوصف.

---

(١) لعله شيخ الواحدي: أبو بكر الحيري.

(٢) هكذا في المخطوط بالصاد المهملة، ولعلها بالضاد المعجمة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) الراجح- حسب ما ورد به الدليل- هو القول الأول كما قال ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**». أخرجه البخاري (٦٩٢١) كتاب: استتابة المرتدين، باب: إثم من أشرك بالله، ومسلم (١٢٠) كتاب: الإيمان، باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٥، والقرطبي ٥/ ٤١٥.

(٥) هنا كلمة غير واضحة، ولعلها: «وتفحيش» أو «تقبيح».

(٦) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: «المعنيون» بتقديم النون.

وأما من قال: إنه إذا كفر ثانيًا أخذ بالأول، فقد غلط[(١)]، لأنه صار بالإيمان كمن لم يكفر، كما أن التائب من الذنب صار كمن لا ذنب له، فلا يؤاخذ به بعد أن ارتفع حكمه، كما لا يؤاخذ بما لم يعمله وإن عزم على عمله.

وقال الكلبي: «لم يكن الله ليغفر لهم ما أقاموا على ذلك»[(٢)].

وذلك أن الله تعالى أخبر أنه يغفر كفر الكافر إذا انتهى، فإذا أطلق القول بأنه لا يغفر لهم على[(٣)] أن المراد به ما أقاموا عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ قال الكلبي وغيره: سبيل هدى[(٤)]. وقال الزجاج: معنى ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين[(٥)].

وفي هذا دليل على أن الله تعالى لم يهد الكافر إلى الإيمان، خلافًا لقول القدرية[(٦)].

١٣٨- قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قال المفسرون: إن المنافقين كانوا يتولون اليهود فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب[(٧)].

---

(١) هذا الحكم فيه نظر؛ لأنه تقدم الحديث الصحيح الذي يدل على أن من كفر بعد إسلامه، أخذ بالأول والآخ.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٥، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠ .

(٣) هكذا في المخطوط، ولعلها: عُلم.

(٤) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ أ، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠ .

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٠.

(٦) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ ب، والقرطبي ٥/ ٤١٦.

(٧) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٣١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ ب.

ومعنى بشرهم: أخبرهم، وذكرنا هذا في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال أبو حاتم والزجاج: معناه: اجعل وضع إخبارهم بالعذاب الأليم موضع البشارة لهم، كقول عمرو:

وخيلٍ قد دَلْفتُ لهم بخيلٍ
تحية بينهم ضرب وجيع[١]

قال: والعرب تقول: تحيتك الضرب، وعتابك السيف[٢].

وقال بعضهم في وجه اتصال هذه الآية: أنَّ الذين ترددوا في الكفر هم كالمنافقين في التحير في الدين[٣].

١٣٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا من صفة المنافقين الذين تقدم ذكرهم.

قال الكلبي: المراد بالكافرين ههنا: اليهود[٤].

وقول عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾: يريد بني قينُقاع[٥].

---

(١) البيت في الكتاب ٢/ ٣٢٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٠، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ ب والخيل: الفرسان، ودلفت: زحفت، ورجيع: موجع. ووجيع.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٠، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٣ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٦.

(٣) لم أقف على هذا القول. وقد قال ابن عطية: «في هذِه الآية دليل على أن التي قبلها إنما هي في المنافقين» «المحرر الوجيز» ٤/ ٢٦٢، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٧٣.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٠.

(٥) لم أقف عليه.

وأصل العزة في اللغة: الشدة، ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة: عزاز، ويقال: استعز عليّ المرض، إذا اشتد مرضه وكاد أن يهلك، وتعزز اللحم، إذا اشتد، ومنه: عز عليّ أن يكون كذا، بمعنى: اشتد، وعز الشيء، إذا قل حتى لا يكاد يوجد، لأنه اشتد مطلبه، واعتز فلان بفلان، إذا اشتد ظهره به، وشاة عزوز، تحلب بشدة لضيق أحاليلها. والعزة: القوة، منقولة عن الشدة لتقارب معنييهما. والعزيز القوي المنيع، خلاف الذليل[(١)].

والكلبي فسر العزة في قوله: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ بالظهور على محمد وأصحابه[(٢)]. وهو راجع إلى معنى القوة، يعني: أيطلبون أن يتقووا بهم فيظهرون على المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي الغلبة والقوة، والمعنى أنه لا تطلق صفة العزة إلا لله -عز وجل-[(٣)]، لأنه لا يُعتد بعزة أحد مع عزته، لصغرها واحتقارها في صفة عزته؛ ولأنه المقوِّي لجميع من له القوة من خلقه، فجميع العزة له؛ لأنه عزيز بعزة، ومعز من عز من عباده بما خلق له من العزة، فله العزة جميعًا من كل وجه.

١٤٠- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ الآية.

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٢٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٠، ١٢١، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، ٢٤٢١ (عز)، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٧.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٦.

(٣) لعل المراد أن العزة على وجه الإطلاق لا تكون إلا الله .

قال المفسرون: الذي نزّل في النهي عن مجالستهم ما نزل بمكة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٦٨] وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن ويكذبون به فنهى الله ﷻ المسلمين(١).

وقوله تعالى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، ولكن أوقع فعل السماع على الآيات والمراد بالسماع الاستهزاء(٢).

قال الكسائي: وهو كما تقول العرب: سمعت عبد الله يُلام، وأتيت عبد الله يُلام، إنما سمع اللوم فأوقع على الملوم(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾.

أي يأخذوا في حديث غير الكفر والاستهزاء، فكنى عنه لأن الفعل يدل على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد إنكم كافرون مثلهم»(٤).

وهذا دليل على الوعيد لمن رضي بحالهم وما هم عليه من الكفر والاستهزاء(٥)، أو من رضي بالكفر فهو كافر، ويدل على أن من رضي بمنكر وخالط أهله وإن لم يباشر ذلك كان في الإثم والمعصية بمنزلة

(١) من «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ أ بتصرف، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٩٨، والبغوي ٢/ ٣٠١، و«الكشاف» ١/ ٣٠٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٨، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٥.
(٢) انظر: القرطبي ٥/ ٤١٧، ٤١٨.
(٣) لم أقف عليه عن الكسائي، وانظر: القرطبي ٥/ ٤١٨.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٠.

المباشر، ألا ترى أن الله ذكر لفظ المماثلة في هذا الموضع[١]، وقد قال ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾: «يريد وأنتم تسمعون وتجالسونهم ولا تغضبون»[٢] فدل هذا أن النهي عن القعود معهم على الرضا بما هم عليه. فأما إذا قعد ساخطًا منكرًا لفعلهم فإنه لا يكون مثلهم[٣].

وقال ابن عباس في قوله في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية [الأنعام: ٦٨]: «دخل فيها كل مُحدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة»[٤]. يريد أنْ من أحدث في الدين فقد خاض في آيات الله بالباطل.

وقد ورد النهي في هذه الآية التي نحن فيه[٥] عن القعود مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل، فلا يجوز القعود عند كل صاحب بدعة وإحداث في الدين، سيما في القرآن وتفسيره[٦].

وقال أهل العلم: إنما ورد النهي عن القعود مطلقًا، لأن (المجالسة)[٧] مع قوم يقتضي المؤانسة والمشاركة فيما يجرى من المحادثة، هذا هو الغالب في العادة، وقل من يُجالس قومًا منكرًا عليهم بأخطاء لما يجري بينهم.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٢، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٨، والبغوي ٢/ ٣٠١، والقرطبي ٥/ ٤١٨.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) لم أجد مثل هذا القول عند المفسرين، وهو خلاف ظاهر الآية.
(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ أ، وانظر: البغوي ٢/ ٣٠١.
(٥) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: «فيها».
(٦) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٠.
(٧) هذِه الكلمة غير واضحة في المخطوط، وما أثبته قريب.

وكل من تمكن من إزالة منكر يرى قومًا عليه كان واجبًا عليه الإزالة وإذا لم يتمكن فالأولى أن يتباعد عنهم[١]، فإن لم يتباعد مع سخطه لما يرى لم يضره إن شاء الله[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ يريد أنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات يجتمعون في جهنم على العذاب.

وأراد (جامعٌ) بالتنوين، لأنه لم يجمعهم قبل، ولكن حذف التنوين استخفافًا من اللفظ: وهو مراد في المعنى[٣]، وقد تقدمت نظائره.

١٤١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ الآية.

وهذا أيضًا من صفة المنافقين.

والتربص بالشيء أن ينتظر به يومًا[٤]، قال الشاعر:

تربَّص بها ريبَ المنونِ لعلها
تُطَلَّق يومًا أو يموتُ حَليلُها[٥]

قال الكلبي: ينتظرون بكم الدوائر.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ظهور على اليهود.

﴿قَالُوٓا۟﴾ للمؤمنين.

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٩٨، والقرطبي ٥/ ٤١٨.

(٢) هذا مخالف لظاهر هذِه الآية من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٢.

(٤) «العين» ٧/ ١٢٠، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٤ (ربص)، وفي الأخير: «يومًا ما».

(٥) في المخطوطة: «أخليلها»، والظاهر أنه تصحيف، انظر: «لسان العرب» ٣/ ١٥٥٨ (ربص). ولم أقف على قائل هذا البيت.

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي أعطونا من الغنيمة. قاله المفسرون[١].

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني اليهود. قاله الكلبي[٢].

﴿نَصِيبٌ﴾ قال ابن عباس: يريد ظفر على المسلمين[٣].

﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الفراء: استحوذ عليهم، أي: غلب عليهم[٤].

وقال الليث: استحوذ عليه الشيطان، إذا غلب عليه[٥].

وقال أبو طالب: يقال أحوذ الشيء، إذا جمعه وضمه، ومنه يقال: استحوذ على كذا، إذا حواه[٦]، قال لبيد:

إذا اجتمعت وأحوذَ جانبيها
وأورَدَها على عُوجٍ طِوَالِ[٧]

هذا هو الأصل، ثم جعلوا الاستحواذ بمعنى الاستيلاء على الشيء، لأن المستولي على الشيء بمنزلة المحيط به، وكذلك يقال: حاز الحمار أتنه إذ استولى عليها وجمعها[٨]، ومنه قول العجاج:

يحُوذُهن وله حُوذِيُّ[٩]

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١.
(٢) الطبري ٥/ ٣٣١، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ ب.
(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١.
(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ)، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ ب.
(٥) «العين» ٣/ ٢٨٤، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ).
(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ) ولم يتبين من هو أبو طالب القائل .
(٧) شعره ص ٨٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ).
(٨) «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤.
(٩) «ديوانه» ص ٥٢٤، والطبري ٥/ ٣٣٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ).

قال النحويون: هذا الحرف خرج على الأصل من بين نظائره إشعارًا بالأصل إذا استمر بالإعلال في نظائره، نحو استعاروا، واستطاروا، واستقام، وما أشبه ذلك. ويجوز: استحاذ يستحيذ على قياس: أطاب، وهو لغة[١].

فأما معنى قوله: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ فقال فيه كثير من أهل المعاني والتفسير، الزجاج وغيره: ألم نغلب عليكم بالموالاة لكم والإخبار بعورة محمد، ونطلعكم على سر المسلمين[٢].

وهذا لا يظهر في تفسير هذا الحرف، إلا أن يقال: إن المنافقين غلبوا عليهم بهذا، حيث لم يقدروا هم على الاطلاع على عورة المسلمين ومعرفة أسرارهم إلا من جهة المنافقين، فهذا وجه لا يبعد.

وأظهر من هذا ما قاله المبرد، وهو أنه قال: معناه ألم نغلبكم على رأيكم ونصرفكم عن الدخول في جملة لمؤمنين[٣]؟

وقوله تعالى: ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: (بتخذيلهم) عنكم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم.

قال أهل المعاني: ومراد المنافقين بهذا الكلام إظهار المنّة على الكافرين، أي: فاعرفوا لنا الحق في هذا عليكم[٤].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٤ (حوذ)، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٤ ب.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٢، وانظر: الطبري ٥/ ٣٣٢، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٩، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٧.

(٣) انظر: البغوي ٢/ ٣٠٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢٢٩.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٢٩.

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ يريد المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباس: يريد أنه أخّر عقاب المنافقين إلى الموت ووضع عنهم السيف في الدنيا(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

أي حجة يوم القيامة. قاله ابن عباس والسدي، وهو قول علي ﷺ، أن المراد بهذا في القيامة(٢)؛ لأنه عطف على قوله: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾.

قال أهل المعاني: وذلك أن الله تعالى يُظهر ثمرة إيمان المؤمنين ويصدّق موعودهم، ولم يشركهم الكفار في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم، حتى يعلموا أنَّ الحق معهم دونهم(٣).

١٤٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ قال ابن عباس: «يريد في الدنيا»(٤). والمعنى: أنهم يعملون عمل المُخادع بما يظهرونه ويبطنون خلافه من النفاق.

وقال الزجاج: أي: يخادعون (النبي)(٥) بإظهارهم الإيمان وإبطانهم

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣٠.

(٢) أخرج الآثار عن الثلاثة: الطبري ٥/ ٣٣٣، ٣٣٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣٠.

(٣) جاء عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما، أن ذلك كائن يوم القيامة وفي الآخرة. انظر: الطبري ٥/ ٣٣٣، ٣٣٤، و«بحر العلوم» ١/ ٣٩٩، و«النكت والعيون» ١/ ٥٣٧-٥٣٨، والبغوي ٢/ ٣٠٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المخطوط: «الشيء»، وهو تصحيف ظاهر كما يدل عليه باقي الكلام، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٢٢.

الكفر، فجعل الله ﷻ مخادعة النبي مخادعة (الله)[(١)]، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ أي مجازيهم بالعقاب على خداعهم[(٣)].

وقال ابن عباس والمفسرون: وهو خادعهم في الآخرة، وذلك أنهم يُعطون نورًا كما يُعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط طفى نورهم وبقوا في الظلمة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قال ابن عباس: «يريد مع المؤمنين»[(٥)].

﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ أي: متثاقلين متباطئين[(٦)]. وهو معنى الكسل في اللغة.

قال ابن عباس: «أي لا يرجون لها ثوابًا، ولا يخافون على تركها عقابًا»[(٧)].

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ معنى الرياء: إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر الله.

---

(١) هكذا في المخطوط، والصواب: له، أو لله، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٢٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٢، ١٢٣.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ أ، والبغوي ٢/ ٣٠٢.

(٤) عن ابن عباس بمعناه في «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١. وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي وعامة المفسرين.
انظر: الطبري ٥/ ٣٣٤، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ أ، والبغوي ٢/ ٣٠٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣١.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١.

(٧) لم أقف عليه، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣١.

قال المفسرون: يراؤون الناس بصلاتهم لكي يراهم الناس مصلين، لا يريدون بها وجه الله[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: «يقول إذا سمع الذاكر لله ومن يخافه ذكره معه، وأما وحده فلا يذكر الله»[2].

وقال الحسن: «إنما قل ذلك؛ لأنهم يعملونه رياءً وسمعة، ولو أرادوا به وجه الله لكان كثيرًا»[3].

وقال قتادة: إنما قل لأن الله لم يقبله، وما رد الله فهو قليل، وما قبله فهو كثير[4].

وقال بعض أهل المعاني: أي: إلا يسيرًا من نحو التكبير وما يظهر، دون القراءة والتسبيح، لأنهم يعملونه للناس[5].

١٤٣- قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الآية.

يقال: ذبذبه فتذبذب، أي: حركه فتحرك، وهو كتحريك شيء معلق بين السماء والأرض، ولهذا تسمى معاليق الهودج ذباذب[6]، ويسمى الفرج ذبذبًا (لتحرك لا يتذبذب)[7]، يقال: ذبذبه، أي: جعله يضطرب،

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ ب، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٧.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) أخرجه بمعناه الطبري ٥/ ٣٣٥، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٧.
(٤) أخرجه الطبري ٥/ ٣٣٥، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ ب، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤١٧.
(٥) «النكت والعيون» ١/ ٥٣٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣٢.
(٦) انظر: «العين» ٨/ ١٧٨، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٥، و«اللسان» ٣/ ١٤٨٥ (ذبب).
(٧) هكذا في المخطوط، ولعله تصحيف، وقد جاء في «العين» ١٨/ ١٧٨ (ذب): «الذباذب ذكر الرجل، لأنه يتذبذب أي يتردد»، وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٦، و«اللسان» ٣/ ١٤٨٥ (ذبب).

فتذبذب أي: اضطراب[(١)]، قال النابغة:

ألـم تـرَ أن الله أعـطـاكَ سـورةً تـرى كُـلَّ مَـلْـكٍ دونَـهـا يـتـذَبْـذَبُ[(٢)]

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

أي: بين الكفر والإيمان، أو بين الكافرين والمؤمنين[(٣)].

وذلك يشار به إلى الجماعة. وقد ذكرنا الكلام فيه عند قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بأبلغ شرح[(٤)].

وذكر الكافرين والمؤمنين قد جرى في هذه القصة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النساء: ١٣٩] الآية، وإذا جرى ذكر الفريقين فقد جرى ذكر الكفر والإيمان.

قال ابن عباس: «يريد لا كافر ولا مؤمن»[(٥)].

وإنما أراد ابن عباس لا كافر ظاهر الكفر، بدليل قول السدي: ليسوا بمشركين مُصرِّحين الشرك[(٦)]، وليسوا بمؤمنين[(٧)].

وقول قتادة: ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين الشرك[(٨)].

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٢.

(٢) «ديوانه» ص ٦٥، والطبري ٥/ ٣٣٥.

(٣) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٦.

(٤) انظر: البقرة: ٦٨].

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١.

(٦) هكذا، وقد تكون: «بالشرك».

(٧) أخرجه بنحوه الطبري ٥/ ٣٣٦.

(٨) أخرجه الطبري ٥/ ٣٣٦، وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤١٨ وفيه: «مصرحين بالشرك».

قال أهل المعاني: معنى ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ مترددين بين الكفر والإيمان، لا إلى المؤمنين بإخلاص الإيمان، ولا إلى المشركين فيخلصوا الشرك على الإظهار والإبطان(١).

والمُذبذب المتردد المتحرك، ويكون ذلك بتحريك الغير، ولا أحد فعل ذلك إلا الله تعالى فهو قد ذبذبهم، وصيّرهم مترددين يتذبذبون.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى الفريقين الذين تقدم ذكرهما، وهما الكافرين والمؤمنين(٢).

وقد ذكرنا أنَّ المراد بالكافرين في هذه القصة اليهود.

فإن قيل: كيف يجوز أن يُذموا بأنهم لا إلى الكافرين، وهم لا يستحقون المدح، وإن صاروا إليهم بإظهار الكفر.

والجواب: أنهم تركوا ذلك الكفر بكفر أشر منه وأوضع لصاحبه، وذلك أن المنافق أشرّ من المجاهر بالكفر، والمجاهر أحسن حالًا منه، لأن المجاهر يُرجى(٣) فلاحه بالاستدعاء إلى الحق، والمنافق ميئوس منه، فجاز أن يُذموا بترك كفر إلى كفرٍ أوضع منه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ قال ابن عباس: «يريد من أضله الله فلن تجد له دينًا»(٤).

---

(١) انظر: الطبري ٥/ ٣٣٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ أ.

(٢) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٥ ب.

وهكذا جاء التعبير بالنصب «الكافرين والمؤمنين» والظاهر الرفع: «وهما الكافرون والمؤمنون» على أنه مبتدأ وخبر.

(٣) في المخطوط (يرجا) بالمحدودة.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠١.

١٤٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية. قال المفسرون: لما ذم الله المنافقين بأنهم مرة إلى الكفار ومرة إلى المسلمين من غير أن يقرُّوا مع أحد الفريقين، نهى المسلمين في هذه الآية أن يصنعوا كصنيع المنافقين فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني[(١)] اليهود من قريظة والنضير[(٢)]. وذلك أنَّ الأنصار بالمدينة كان لهم رضاع وحلف ومودة، فقالوا لرسول الله ﷺ: من نتولى[(٣)]؟ فقال: «**المهاجرين**»، ونزلت هذه الآية.

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[(٤)].

وقال مقاتل: «كانوا يظهرون المودة للمشركين الذين بمكة، فنهاهم الله (ذلك)[(٥)]»[(٦)].

فعلى هذا المراد بالكافرين المشركون، والقول الأول أظهر.

ومعنى الولي الذي يتولى صاحبه بالنُّصرة.

وقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾

قال ابن عباس: «يريد حجة بينة»[(٧)].

وقال قتادة: «عذرًا مبينًا»[(٨)].

---

(١) في المخطوط معنى، بالميم بدل الياء.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٣٩٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٣.

(٣) في المخطوط: يتولى.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: عن ذلك.

(٦) هذا الأثر عن مقاتل لم أقف عليه.

(٧) عزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «الدر المنثور» ٢/ ٤١٨.

(٨) أخرجه الطبري ٥/ ٣٣٧.

والمعنى: أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لله عَلَيْكُمْ في عقابكم حجة بموالاة الكفار، أي: أنكم إذا واليتموهم صارت الحجة عليكم في العقاب.

١٤٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

اختلفوا في معنى الدرك، فقال شمر: الدَّرك أسفل كل شيء ذي عمقٍ، كالرَّكيَّة ونحوها[١].

وقال أبو عدنان[٢]: درك الرّكيَّة: قعرها الذي أُدرك فيه الماء[٣].

وقال الليث: الدَّرك: أقصى قعر الشيء، كالبحر ونحوه[٤].

فعلى هذا المراد بالدرك الأسفل أقصى قعر جهنم.

وبهذا قال ابن عباس، فقال: معناه في أسفل النار[٥]. وكذلك قال عكرمة[٦].

وقال آخرون: الدَّرك: الطبق من أطباق جهنم. رواه ثعلب عن ابن الأعرابي[٧]. وقال الليث: الدَّرك: واحد من أدراك جهنم من السبع[٨].

وأصل هذا من الإدراك، بمعنى اللحوق، ففيه إدراك الطعام وإدراك الغلام، فالدرك ما يلحق من الطبقة[٩].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧٦ (درك).

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) «تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ (درك).

(٤) «العين» ٥/ ٣٢٧، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ (درك).

(٥) «تفسيره» ص (١٦٣)، وأخرجه من طريق علي: الطبري ٩/ ٣٣٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ (درك).

(٨) «العين» ٥/ ٣٢٧، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ (درك).

(٩) انظر: «العين» ٥/ ٣٢٨، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ (درك).

والظاهر أن جهنم طبقات، السفلى أشدها.

قال الأخفش وأبو عبيدة: جهنم أدراك، أي منازل، وكل منزلة منها درك[١]. وقال الضحاك: (الدَّرج) إذا كان بعضها فوق بعض، و(الدَّرك) إذا كان بعضها أسفل من بعض[٢].

وقال ابن جُريج: «سمعنا أنْ جهنم أدراك»[٣].

وقال الفراء: ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ أي: في أسفل درج النار[٤].

واختلف القراء في (الدَّرك)، فقرئ بفتح الراء وجزمه[٥].

قال الفراء: هما لغتان، وجمعهما أدراك[٦].

وقال الزجاج: اللغتان جميعًا حكاهما أهل اللغة، إلا أن الاختيار فتح الراء، لأنه أكثر في الاستعمال[٧].

وقال أبو حاتم: جمع الدَّرَك: أدراك: كقوله: أجمال وأفراس، في جمع جمل وفرس. وجمع الدَّرْك: أدْرُك، مثل: أفلُس وأكلب[٨].

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٢، ولم أجده عن الأخفش.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري بسنده ٥/ ٣٣٨، ولكن بالسياق واللفظ التالي:
«... عن ابن جريج قال: قال لي عبد الله بن كثير: قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. قال: سمعنا أن جهنم أدراك، منازل».

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٢، وانظر: «الزاهر» ١/ ٥١٨، و«تهذيب اللغة» ١٠/ ١١٠ درك.

(٥) قرأ بسكون الراء عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «الحجة» ٣/ ١٨٨، و«المبسوط» ص ١٥٩.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٩٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧٧ (درك).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٤ بتصرف، وانظر: «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١/ ٤٠١.

(٨) لم أقف عليه.

قال أبو علي: هما لغتان في الكلمة، مثل: الشَّمَع والشّمْع -في الصحيح-، والقصّ والقصص -في المضاعف-، والعيب والعاب، والذيم والذَّام- في المعتل[(١)].

قال أبو بكر ابن الأنباري: قد قال الله تعالى في المنافقين: إنهم في الدرك الأسفل من النار، وقال في آل فرعون: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فأيهما أشد عذابًا، المنافقون أم آل فرعون؟ قيل: الدرك الأسفل يجوز أن يكون هو أشد العذاب، فسمي باسمين مختلفين، كما يقول القائل: أدخل فلانًا المطبق، ثم يقول بعد ذلك: أدخله أضيق المجالس وأشدها، فيكون هذا موافقًا للأول، غير مخالف له[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ أي مانعًا يمنعهم من عذاب الله، من جهة شفاعة أو غير ذلك من وجوه النصر المتوهم أنه ينفعهم. قاله الزجاج وغيره[(٣)].

١٤٦- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ قال المفسرون: من النفاق، ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ العمل[(٤)].

﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ وثقوا به والتجأوا إليه[(٥)].

﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من شائب رياء الناس[(٦)].

---

(١) «الحجة» ٣/ ١٨٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٤.

(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٦ ب، وانظر: الطبري ٥/ ٣٣٩.

(٥) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٦ ب، وقال بعض المفسرين أن معنى ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي تمسكوا بدينه ووفوا بعهده. انظر: الطبري ٩/ ٣٤١، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٠.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣٥.

قال علي ﷺ: «إن المنافقين أشر من كفر بالله، وأولاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه، لأنه شرط عليهم في التوبة الإصلاح والاعتصام، ولم يشرط ذلك على غيرهم، ثم شرط الإخلاص، لأنَّ النفاق ذنب القلب، والإخلاص توبة القلب»[١].

ثم قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن قتيبة: حاد عن كلامهم غيظًا[٢]، ولم يُقل: فأولئك المؤمنون، أو من المؤمنين[٣].

قال ابن عباس في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: «يريد أدنى منهم»[٤].

ثم أوقع أجر المؤمنين، لانضمام المنافقين إليهم فقال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

١٤٧- قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ الآية.

ههنا استفهام، معناها التقرير على معنى أنه لا يُعذِّب الشاكر المؤمن[٥].

قال قتادة: «لا يعذب الله شاكرًا ولا مؤمنًا»[٦].

---

(١) لم أقف عليه عن علي، وجاء نحوه في «تأويل مشكل القرآن» ص ٧، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٠.

(٢) في «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٦ ب: «غيظًا عليهم».

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ص ٧، ٨، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٦ ب.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ١/ ٢١١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٥، و«الدر المصون» ٤/ ١٣٣.

(٦) أخرجه الطبري ٥/ ٣٤٠.

قال الكلبي: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ يعني المنافقين[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ما يريد الله بعذاب خلقه[٢].

وقوله تعالى ﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾ أي: إن عرفتم[٣] بإحسانه وإنعامه.

﴿وَءَامَنتُمْ﴾ قال ابن عباس: «يريد يثيبه[٤]»[٥].

قال أهل العلم: هذا على التقديم والتأخير، أي: إن آمنتم وشكرتم؛ لأنَّ الإيمان يُقدَّم على سائر الطاعات، ولا تنفع طاعة دون الإيمان[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ معناه أنه يزكو عند[٧] القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء. من قول العرب: دابة شكور، إذا كانْ يكفيه للسِّمن العلف القليل[٨].

وقوله تعالى: ﴿عَلِيمًا﴾ قال ابن عباس: «أي: بنياتكم»[٩].

وقال الكلبي: وكان الله شاكرًا للقليل من أعمالكم، عليمًا بأضعافها لكم[١٠]. وقال أبو روق: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ مجازيًا، يجازي على القليل الجزيل[١١].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هكذا هذِه الكلمة في المخطوط، والظاهر: «اعترفتم».

(٤) هكذا في المخطوط ولا معنى له، والظاهر أنها: «بنبيه».

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٦ ب.

(٧) هكذا في المخطوط، والظاهر: «عنده».

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩١١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٧ أ.

(٩) لم أقف عليه، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٠.

(١٠) لم أقف عليه، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٠، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٧ أ.

(١١) لم أقف عليه.

١٤٨- قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ قال أهل المعاني: ولا غير الجهر أيضًا، ولكن يشبه أن تكون الحال أوجبت هذه القضية، كقوله: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ [النساء: ٩٤] والتبيُّن واجب في الظعن والإقامة، ولكن الحال أوجبت ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

اختلفوا في وجه هذا الاستثناء: فأبو عبيدة ذهب إلى أن هذا من باب حذف المضاف، على تقدير: إلا جهر من ظلم، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه(١).

وذهب الزجاج إلى أن المصدر ههنا بمعنى الفعل، على معنى: لا يحب الله أن يُجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم، فيكون (من) رفعًا بدلًا من معنى أحد، المعنى: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم.

ويجوز: إلا المظلوم أيضًا بالنصب، كقولك: ما جاءني أحد إلا زيد رفعًا، وهو الأجود، و: إلا زيدًا جائز(٢).

والذي ذكره الزجاج من أن المراد بالمصدر الفعل، هو قول الفراء أيضًا(٣)، وذكرا جميعًا وجهًا آخر، وهو أن يكون: (إلا من) استثناء منقطعًا من الأول، ويكون موضعه نصبًا؛ لأنه استثناء ليس من الأول، والمعنى: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيًا(٤).

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٤٢.
(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٦.
(٣) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٢٩٣.
(٤) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٥، ١٢٦.

وقرأ جماعة من الكبار -الضحاك وزيد بن أسلم وسعيد بن جبير-: إلا من ظَلم، بفتح الظاء[١]، ويكون الاستثناء منقطعًا، ويكون قوله: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨] كلامًا تامًا، ثم قال: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ على معنى: لكن من ظلم فدعوه وخلوه. قاله الفراء[٢].

وقال الزجاج: لكن من ظلم فإنه يجهر بالسوء من القول ظلمًا واعتداءً.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: لكن من ظلم اجهروا له بالسوء من القول[٣].

قال الفراء: ومثله مما يجوز أن يُستثنى الأسماء وليس قبلها شيء ظاهر قولك: إني لأكره الخصومة والمراء، اللهم إلا رجلًا، يريد بذلك الله، فجاز استثناء الرجل ولم يذكر قبله شيء من الأسماء، لأن الخصومة والمراء لا يكونان إلا من الآدميين[٤].

فأما التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد الضيافة، ينزل الرجل بالرجل عنده سعةٌ فلا يضيفه، فإن تناوله بلسانه فقد عذره الله»[٥].

وهذا قول مجاهد[٦] وسعيد بن المسيب[٧] وجميع أهل المعاني[٨].

---

(١) انظر: الطبري ١/ ٣، والقرطبي ٦/ ٣.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٤.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: الطبري ٦/ ٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٧ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٤٣١، والقرطبي ٦/ ٢.

(٧) لم أقف على قوله.

(٨) أهل المعاني يقولون بعموم الآية في الظلم دون خصوصها بنقص حق الضيف. انظر: الطبري ٦/ ٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٥، ١٢٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٢٧ ب.

وزعم مجاهد أن ضيفًا تضيف قومًا فأساءوا قراه، فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصةً في أن يشكو[(١)].

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن هذه الآية عامة في كل مظلوم، وله أن ينتصر من ظالمه بالدعاء عليه. يُروى ذلك عن ابن عباس[(٢)] وقتادة والحسن والسدي[(٣)] وابن زيد[(٤)] ويمان بن رئاب[(٥)].

قال العلماء: للمظلوم أن يشكو من ظالمه إذا صدق في شكايته، وله أن يدعو عليه بما لا يعتدي فيه، مثل أن يقول: اللهم استخرج حقي منه، اللهم حِلْ بينه وبين ما يريد من الظلم، اللهم اكفني شره[(٦)].

فإن قذف إنسانٌ غيره، فليس للمقذوف، أن يقابله بمثل ذلك[(٧)]، وإنما يحل له الانتصار منه بالتعزير ورفع الصوت عليه بالتظلم منه، وقد قال رسول الله ﷺ: **«المستبان[(٨)] شيطانان»**[(٩)].

---

(١) أخرجه الطبري ٦/ ٢.

(٢) «تفسيره» ص ١٦٣، وأخرجه من طريق ابن أبي طلحة أيضًا: الطبري ٦/ ١.

(٣) أخرج الآثار عنهم: الطبري ٦/ ١، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٣١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أخرج الطبري ٦/ ١ عن الحسن أنه قال في هذِه الآية: «هو الرجل يظلم الرجل فلا يدْع عليه، ولكن ليقل: «اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد».

(٧) انظر: القرطبي ٦/ ٢.

(٨) في المخطوط: «المستبان».

(٩) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٤/ ١٦٢، وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» ٦/ ١٥ (٦٦٩٦).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ قال ابن عباس: «سميعًا لقول المظلوم الضيافة، عليمًا بما في قلبه»[١].

قال أهل المعاني: معنى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ التحذير من التعدي في الجهر الذي أذن فيه بما يظهر أو يضمر، فليتق الله ولا يقل إلا الحق، ولا يقذفه مستورًا فإنه عاص بذلك، والله سميع لما يقوله، عليم بما يضمره[٢].

١٤٩- قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا﴾ قال ابن عباس: «يريد من أعمال البر، مثل: الصدقة والضيافة والصلة»[٣].

﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ قال: «يريد يأتيك من أخيك المسلم، أو من قريبك، أو من ولدك، أو من زوجتك»[٤]. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ لمن عفا، متجاوزًا لذنوبه. ﴿قَدِيرًا﴾ على ثوابه[٥].

وقال الحسن: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عن ذنوب العباد، إذ لم يُعجِّل عليهم بالعقوبة، ﴿قَدِيرًا﴾ على العفو»[٦].

وقال الكلبي: معناه: أن الله أقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك[٧].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) انظر: الطبري ٦/ ٤، و«زاد المسير» ٢/ ٢٣٩، والقرطبي ٦/ ٤، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٨٥.
(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣٩، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٨٥.
(٤) لم أقف عليه، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٧٥٤.
(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٣٨ أ.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) لم أقف عليه.

١٥٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني اليهود، آمنوا بموسى وعزير والتوراة، وكفروا بعيسى والإنجيل ومحمد ﷺ والقرآن[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ معناه: يريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله ورسله، وذلك لا يصح لهم؛ لأن الإيمان برسله إيمان به من حيث دعوا إلى طاعته (..[٢]..) وحاولوا من ذلك ما لا يمكنهم، لأنه[٣] لا يصح الإيمان بالله والتكذيب برسله، أو ببعض منهم، وإنما لم يصح التصديق ببعض الأنبياء دون بعض؛ لأن كل نبي قد دعا إلى تصديق من بعده من الأنبياء، فإذا كذبوهم فقد كذبوا من تقدم منهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي بين إيمان بعض الرسل وكفر بعض دينًا يدينون الله به.

وقال أهل المعاني: يريدون أن يتخذوا مذهبًا يذهبون إليه، ويحملون الناس عليه تآمرًا وتراميًا عليهم[٥].

١٥١- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ معنى ذكر حق ههنا التأكيد لكفرهم، إزالة لتوهم أنَّ إيمانهم ببعض الرسل يزيل عليهم[٦] إطلاق

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٢.
وهو نحو قول قتادة والسدي. انظر: الطبري ٦/ ٦.

(٢) ما بين القوسين كلمة غير واضحة، وقد تكون: «ودينه».

(٣) هكذا في المخطوط، ولعلها: «ولأنه».

(٤) انظر: الطبري ٦/ ٥، و«الوسيط» ٢/ ٧٥٤.

(٥) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧٥٤، و«زاد المسير» ٢/ ٢٤٠.

(٦) هكذا في المخطوط، والظاهر أنها: «عنهم».

اسم الكفر على الحقيقة(١).

وانتصب (حقًّا) على مثل قولك: زيد أخوك حقًّا، وهو تأكيد للخبر، لأنك إذا قلت: زيد أخوك، فقد أخبرت بأخوة زيد، فإذا قلت: حقًّا، أكدت ما أخبرته، فكأنك قلت: أخبرتك بأخوة زيدٍ إخبارًا حقًّا(٢).

ولا يجوز أن ينتصب على معنى: كفروا كفرًا حقًّا، لأن الكفر لا يكون حقًّا على وجه من الوجوه(٣).

١٥٢- ثم نزل في المؤمنين قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ إلى آخر الآية.

١٥٣- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال المفسرون: إنَّ اليهود قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقًا أنك نبي ائتنا بكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى، فأنزل الله هذه الآية(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعني السبعين الذين ذكرنا قصتهم عند قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ يعني الذين خلفهم موسى مع هارون حين خرج لميقات ربه(٥).

---

(١) انظر: «زاد المسير» ١/ ٢٤٠، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٨٥.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٦، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٨٥.

(٣) قال أبو حيان على هذا القول للمؤلف: «ولا يلزم ما قال أنه لا يراد بـ(حقا) الحق الذي هو مقابل الباطل، وإنما المعنى أنه كفر ثابت متيقن». «البحر المحيط» ٣/ ٣٨٥.

(٤) انظر: الطبري ٦/ ٧، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠١٤، و«الكشف والبيان» ٢/ ١٣٨ أ، و«أسباب النزول» للمؤلف ص١٨٩، و«لباب النقول» ص ٨٥.

(٥) انظر: الطبري ٦/ ٩.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ يريد: العصا، واليد، وفلق البحر(١).

﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ أي: لم يستأصل عبدة العجل(٢).

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾ أي: حجةً بينة، قوي بها على من ناوأه(٣).

١٥٤- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ معناه: بأخذ ميثاقهم، وذلك أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة، فرفع الله جبلًا فوقهم حتى قبلوا، وأخذ ميثاقهم، والجبل فوقهم.

وقد بينا هذا في سورة البقرة بيانًا شافيًا(٤).

وتأويل قوله: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ أي: بأخذ ميثاقهم، فالمعنى: بسبب أخذ ميثاقهم، ثم حذف المضاف(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ مضى بيانه في سورة البقرة(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ أي: لا تعتدوا باقتناص السمك فيه، قاله المفسرون(٧).

يقال: عدا عليه أشدَّ العُدْوِّ والعَدْوِ والعَدَاء والعُدْوَان، أي: ظلمه وجاوز الحد، ومنه قوله: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾ [الأنعام: ١٠٨](٨).

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٧٥٦.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٢، و«الوسيط» ٢/ ٧٥٦، وفيه: «لم نستأصل...» بالنون.

(٣) ناوأه أي عاداه.

(٤) انظر: [البقرة: ٦٣].

(٥) انظر: «الكشاف» ١/ ٣١٠، و«الدر المصون» ٤/ ١٢٠.

(٦) انظر: [البقرة: ٥٨].

(٧) انظر: الطبري ٦/ ٩، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٨ ب، و«البحر المحيط» ١/ ٤٠٢.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤٧ (عدو).

واختلف القراء في هذا الحرف، فقرأ (ابن كثير)[١] (تَعْدُوا) ساكنة العين خفيفة[٢]، وحجتهم قوله في هذه القصة: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] وقال: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧][٣].

وقرأ نافع (لا تعْدُّوا) ساكنة العين، مشددة الدال[٤]، أراد: لا تعتدوا، وحجته قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥] فجاء في هذه القصة بعينها: افتعلوا، ثم أدغم التاء في الدال، لتقاربهما، ولأن الدال تزيد على التاء في الجهر[٥].

وكثير من النحويين يُنكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني منهما مُدغمًا، ولم يكن الأول حرف لين، نحو: دابةٍ، وشابةٍ، وتُمُودَّ الثوبُ، وقيل لهم. ويقولون: إن المد يصير عوضًا عن الحركة، وقد قالوا: ثوبْ بكر، وجيبْ بكر، والمد الذي فيهما أقل من المد الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منهما[٦]، وساغ فيه[٧]، ومعنى قولنا: إذا كان حركة ما قبلهما منهما هو أن دابة حركة ما قبل حرف اللين الفتح، والفتحة من الألف وليس كذلك في ثوب بكر، لأن حرف اللين الواو والفتحة ليست من الواو،

(١) هكذا في المخطوط، والصواب: «الكثير» لأن هذِه القراءة لجميع السبعة غير نافع. انظر: «السبعة» ص ٢٤٠، و«الحجة» ٣/ ١٩٠.

(٢) «السبعة» ص ٢٤٠، و«الحجة» ٣/ ١٩٠، و«الكشف والبيان» ١/ ٤٠٢.

(٣) «الحجة» ٣/ ١٩٠، وانظر: «الكشف والبيان» ١/ ٤٠٢.

(٤) برواية قالون. «السبعة» ص ٢٤٠، و«الحجة» ٣/ ١٩٠، و«الكشف والبيان» ١/ ٤٠١.

(٥) «الحجة» ٣/ ١٩١.

(٦) في المخطوط أفراد الضمير، وما أثبته هو الموافق لما في «الحجة» ٣/ ١٩١.

(٧) في «الحجة»: وساغ فيه وفي نحو: «أصيم ومديق ودويبة».

وجاز: ثوب بكر، بالإدغام، كما جاز: دابة، وشابة، وإن لم يكن في: ثوب بكر، من المد ما في: دابة، وشابة. وكذلك قولهم في تصغير صم: أُصَيْمّ ومدْيقّ، ودويبة[(١)].

فإذا جاز ما ذكرنا مع نقصان المد الذي فيه، لم يمتنع أن يجمع بين ساكنين في نحو: (تعدُّوا)، و(تَخْطّف) لأنَ الساكن الثاني لما كانَ يرتفع اللسان عنه وعن المدغم فيه ارتفاعةً واحدةً، صار بمنزلة حرف متحركٍ[(٢)].

وروى ورش[(٣)] عن نافع: (لا تَعَدُّوا) بفتح العين[(٤)]، وذلك أنه لما أدغم التاء في الدال نقل حركتها إلى العين[(٥)].

وذهب بعض المتأولين إلى أن قوله: ﴿لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ من العدو بمعنى الحضر[(٦)]، والمراد به النهي عن العمل والكسب يوم السبت، كأنه قيل لهم: اسكنوا عن العمل في هذا اليوم، وقد قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: «يريد لا تعملوا شيئًا من الأعمال يوم السبت صغيرًا ولا كبيرًا، اقعدوا في منازلكم فأنا الرزاق أرزقكم رغدًا»[(٧)].

---

(١) «الحجة» ٣/ ١٩٠ بتصرف، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٢٢ و«الكشف» ١/ ٤٠٢.

(٢) «الحجة» ٣/ ١٩١.

(٣) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر القبطي القرشي، مولى آل الزبير، أحد الرواة عن نافع، وقد لقبه نافع بورش لشدة بياضه. كان شيخ الإقراء بالديار المصرية، ولد سنة ١١٠هـ، ومات رحمه الله سنة ١٩٧هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٦٣، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٢٩٥، و«البداية والنهاية» ١٠/ ٢٤٠، و«غاية النهاية» ١/ ٥٠٢.

(٤) «السبعة» ص ٢٤٠، و«الحجة» ٣/ ١٩٠.

(٥) انظر: «الكشف» ١/ ٤٠٢، و«البحر المحيط» ٣/ ٣٨٨.

(٦) هكذا بالضاد، ولعل الصواب: «الحظر» بالظاء.

(٧) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ قال ابن عباس: «يريد عهدًا مؤكدًا في النبي ﷺ»(١).

١٥٥- قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ (ما) ههنا صلة مؤكدة، ومعنى التأكيد بها: تفخيم شأن ما دخلت عليه بتكثير اللفظ بها.

قال الزجاج: ومعنى (ما) التوكيد، أي: فبنقضهم ميثاقهم حقًّا. قال: الجالب للباء والعامل فيها قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] المعنى: بنقضهم ميثاقهم والأشياء التي ذكرت بعده حرمنا عليهم طيبات(٢).

وهذا القول حسن؛ لأنَّ هذه القصة امتدت إلى قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بدل وتفسير لما ذكر من قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ و﴿وَكُفْرِهِم﴾ و﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ﴾ و﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ وهذا كله ظلم من اليهود(٣).

وقال بعضهم: الجالب للباء محذوف، على تقدير: فبما نقضهم وكفرهم وقتلهم لعناهم وسخطنا عليهم. وهذا يُروى عن قتادة(٤). ويكون الدليل على هذا المحذوف قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾؛ لأن الطبع على قلوبهم قد دل على معنى اللعن لهم والسخط عليهم. والقول هو الأول.

وباقي الآية إلى قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ قد سبق تفسيره فيما مضى من الكتاب(٥).

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٧.

(٤) أخرجه الطبري ٦/ ١١.

(٥) تقدم في مواضع من سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس: «يريد ختم الله عليها»[١]. قال أبو إسحاق: معنى طبع في اللغة وختم واحد[٢].

ومضى الكلام في ختم[٣]، ويقال: طبع الله على قلب الكافر، أي: ختم عليه فلا يعي وعظًا ولا يوفق لخير[٤].

قال الحسن: إن بين الله وبين العبد حدًا، إذا بلغه طبع على قلبه، فلم يوفق لخير[٥].

وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ قال الزجاج: جعل الله مجازاتهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم[٦].

وهذا كقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨] وقد مرّ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: «يريد الذين آمنوا منهم»[٧]. وقد استقصينا هذا عند قوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٨٨]. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

١٥٦- قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ يعني: بالمسيح، جحدوا أنه نبي. قاله ابن عباس[٨]. ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حين «رموها بالزنا»[٩].

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٣.
(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٦١ (طبع).
(٣) انظر: [البقرة: ٧].
(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٦١، و«مقاييس اللغة» ٣٢/ ٤٣٨ (طبع).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٧.
(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٣، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٣.
(٨) انظر: «تنوير المقباس» ص ١٠٣.
(٩) «تفسير ابن عباس» ص (١٦٣)، وأخرجه الطبري ٦/ ١٢، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ٣٩ أ.

وزعموا أن عيسى لغير رشده(١).

وذكرنا معنى البهتان في قوله: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ [النساء: ١١٢].

١٥٧- قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ الآية.

اليهود تدعى أنهم قتلوا عيسى بن مريم، وقد كذبوا في ادعائهم ذلك، واستحقوا على هذه الدعوى ما يستحقه قاتل عيسى، لأنهم أتوا ذلك الأمر على أنه قتل نبي. قاله الزجاج وغيره(٢).

قال المفسرون: إنَّ عيسى ﷺ لما أراد الله ﷻ رفعه إليه قال لأصحابه: «أيكم يرضى أن يُلقى عليه شبهي، فيقتل ويصلب، ويدخل الجنة؟. فقال رجل منهم: أنا. فألقي عليه شبهه، فقُتل وصُلب، وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى، فقال الله تعالى تكذيبًا لليهود: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾»(٣).

قال ابن السكيت: يقال: صَلَبَه يَصْلُبُه صَلبًا، وأصله من الصليب وهو الودك، وأنشد:

تـرى لِـعظـامِ مـا جَـمـعـت صَـلـيـبًـا(٤)

---

(١) من قوله: «وزعموا» ليس من الأثر عن ابن عباس، ويحتمل أن المراد به أنه لما تكلم عيسى ﷺ وهو في المهد زعموا أنه لم يرشد ولم يعقل بعد، والله أعلم.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٤٤ .

(٣) انظر: الطبري ٦/ ١٢-١٣، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٢، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٩أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٤٤، و«ابن كثير» ١/ ٦٣٣.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٣٧ (صلب)، والصيب: ودك العظام.

وما أنشده عجز بيت لأبي خراش الهذلي، وصدره:

جـريـمـة نـاهـض فـي رأس نـيـق

انظر -إضافة إلى «التهذيب»- «ديوان الهذليين» ٢/ ١٣٣، و«الحجة» ٣/ ١٩٦ وسيأتي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: ألقي شبهه على غيره حتى ظنوا لما رأوه أنه المسيح. وهذا قول الحسن وقتادة ووهب[(١)] ومجاهد[(٢)].

وقال غير هؤلاء: إنَّ الله جل وعز لما رفعه إليه خاف رؤساؤهم فتنة عامتهم بأن الله منعهم منهن، فعمدوا إلى إنسان فصلبوه ولبسوا على الناس، وذلك أنهم رأوا قتيلًا مصلوبًا من بعيد، قد أرجف بأنه المسيح، فتواطؤوا على ذلك وحكموا به[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في قتله[(٤)]، وكان اختلافهم فيه أنهم لما قتلوا الشخص المشبَّه به، كان الشبه قد ألقي على وجهه ولم يلق عليه شبه جسد عيسى، فلما قتلوه ونظروا إليه قالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره[(٥)].

وقال السدي: إن اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في بيت، فدخل عليهم رجل منهم، فألقى الله ﷻ شبه عيسى عليه، ورفع عيسى إلى السماء من كوة في البيت، فدخلوا البيت وقتلوا ذلك الرجل على أنه عيسى، ثم إنهم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فذلك اختلافهم فيه[(٦)].

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: الطبري ٦/ ١٢-١٧، و«تفسير الهواري» ١/ ٤٣٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٣٩ أ، وابن كثير ٢/ ٤٣٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٢٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: الطبري ٦/ ١٢، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٢.

(٥) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٠ أ.

(٦) أخرجه بمعناه الطبري ٦/ ١٤، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٠ أ .

وقال أبو إسحاق: الذين اختلفوا في قتله شاكُّون؛ لأن بعضهم زعم أنه إله ما قُتل، وبعضهم زعم أنه قُتل، وهم في ذلك شاكُّون[١].

وقال الكلبي: اختلافهم فيه هو أن اليهود قالت: نحن قتلناه وصلبناه، وقال بعضهم: ما قتلناه ولكن رأيناه يُرفع إلى السماء ونحن ننظر إليه[٢].

قال الله ﷻ: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ منصوب على أنه استثناء ليس من الأول، المعنى: ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن[٣].

والكناية في قوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ تعود إلى القتل، والمعنى: وإن الذين اختلفوا في قتل عيسى لفي شك من قتله، ما لهم بعيسى من علم قُتل أو لم يقتل[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ يجوز أن تكون الهاء راجعة إلى المسيح، كما قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، والمعنى: ما قتلوا المسيح على يقين من أنه المسيح[٥].

وقال الحسن: معنى (يقينًا) ههنا حقًّا[٦]. فيجعله من تأكيد الخبر، وعلى هذا يتم الكلام عند قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ أي يقينًا ما قتلوه، على: حقًّا ما قتلوه.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٨.

(٢) «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٠ أ.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٦٨، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٢.

(٤) انظر: الطبري ٦/ ١٢، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٢.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٩. وهذا الوجه رجحه السمين الحلبي، وذكر أن عليه جمهور المفسرين. انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٤٧ .

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٦.

وقال ابن الأنباري: ويجوز أن يعود معنى اليقين إلى رفع الله تعالى إياه، أي: رفعه الله إليه يقينًا بغير شك. والنصب ليقين جواب مضمر، كأنه قيل: يقينًا لقد رفعه الله إليه باليقين، ومذهب القسم ينتصب بجوابه المضمر، فحذف الجواب واكتفى بما دل عليه من قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨].

ولا يجوز أن تنصب يقينًا بالفعل الذي بعد (بلْ)، لأن بل أداة مانعة، فلم يعمل ما بعدها فيما قبلها(١).

ويجوز أن تكون الهاء عائدة إلى الظن(٢)، يريد: ما قتلوا ذلك الظن يقينًا، أي لم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبهة في قتله، وهذا قول ابن عباس والسدي(٣).

ويزيد هذا بيانًا ما قاله الفراء والزجاج: إنَّ الهاء ههنا للعلم، كما تقول: قتلته علمًا، وقتلته يقينًا، أي علمته علمًا تامًّا(٤).

قال ابن قتيبة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ يعني العلم، لم يتحققوه ويستيقنوه. وأصل ذلك أنَّ القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علمًا أحيط به، وإنما كان ظنًّا(٥).

١٥٨- وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ أكثر القراء على إدغام اللام في الراء، لقرب مخرج اللام من الراء والراء متمكنة فيها، كالتكرير، ولهذا

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٦، و«الدر المصون» ٤/ ١٤٨.

(٢) هذا هو الوجه الثاني.

(٣) «تفسير ابن عباس» ص ١٦٤، وأخرج قولهما الطبري ٦/ ١٧، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٩١.

(٤) «معاني الفراء ١/ ٢٩٤، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٢٨.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص١٣٣، وانظر: «غريب القرآن» له ص ١٣٧.

لم يُجز إدغام الراء في اللام؛ لأن الأنقص يدغم في الأفضل.

ويجوز الإظهار في: ﴿بَل رَّفَعَهُ﴾، لأن اللام والراء من كلمتين.

ومعنى ﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ أي إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سوى الله فيه حكم، وكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعًا إليه، لأن رفع عن أن يجري عليه حكم أحد من العباد، كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠][(١)] ولم تخرج الأمور اليوم من حكمه فترجع إليه، ولكن المعنى أنَّ الأمور تصير بحيث لا يجري لأحد حكم فيها حقيقة ولا مجازًا سوى الله تعالى يوم القيامة.

يؤكد ما قلنا أنَّ الحسن قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ إلى السماء[(٢)]. كما قال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] وكانت الهجرة يومئذٍ إلى المدينة، وكذلك ما أخبر به عن (إبراهيم)[(٣)] في قوله: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [الصافات: ٩٩] وكان ذاهبًا إلى الشام، فجعل ذهابه إلى الموضع الذي أمره ربه ذهابًا إلى ربه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في اقتداره على نجاة من يشاء من عباده.

﴿حَكِيمًا﴾ في تدبير في النجاة.

١٥٩- قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية. (وَإِن) بمعنى: ما النافية.

قال الزجاج: والمعنى: وما فيهم أحدٌ إلا ليؤمنن به، وكذلك قوله:

---

(١) وقد وردت هذه الجملة في أكثر من آية.
انظر: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» ص ٣٠١ (رجع).

(٢) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٣٦، و«النكت والعيون» ١/ ٥٤٤.

(٣) طمست الكلمة في المخطوط، والآية في إبراهيم- عليه السلام-.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] المعنى: وما منكم أحد إلا واردها. وكذلك: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1] [الصافات: ١٦٤]، وأنشد:

لو قلتَ ما في قومها لم تيثَم[2] يفضُلُها في حَسَبٍ وميسَمِ[3]

أي: أحد يفضلها[4].

وقد ذكرنا فيما تقدم جواز حذف الموصول أو الموصوف من الكلام والخلاف فيه عند قوله في النساء: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية [النساء: ٤٦].

وقال الكسائي: تقول العرب: إن منهم ليقومَن- بفتح الميم-، وليقومُن- بضم الميم-، وفي قراءة أبيّ: (إلا ليُؤمنُن) بضم النون الأولى.

قال: وتقول العرب: إن منهم إلا يصلح، وإن منهم إلا ليصلح، المعنى: إلا من يصلح[5].

واختلفوا في معنى الآية: فقال ابن عباس في رواية عطاء، وعطية وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع وابن زيد: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ عيسى. وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، حتى تكون الملة واحدة (...)[6] الإسلام[7].

---

(١) في المخطوطة زيادة كلمة (أحد) بعد (منا)، وهو خطأ.

(٢) أي: تأثم، وكذا هو في بعض روايات البيت.

(٣) البيت لحكيم بن معية كما في «خزانة الأدب» ٢/ ٣١١، وفي «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٧٠ دون نسبة.

والميسم يطلق على أثر الجمال. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٣٨ (وسم).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٢٩. (٥) لم أقف عليه.

(٦) كلمة غير واضحة في المخطوط، ويحتمل أن تكون: هي.

(٧) انظر: الطبري ٦/ ١٨.

قال عطاء: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله إلا آمن به، وصدقه، وشهد[١] أنه روح الله وكلمته وعبده ونبيه[٢]. واستبعد هذا القول قوم، وقالوا: الآية عامة في جميع أهل الكتاب والذين يبقون منهم إلى وقت نزول عيسى حتى يؤمنوا به شرذمة قليلة.

والأمر على ما قالوا، ولكن لا يُنكر أن يحمل هذا على العموم والمراد به الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله يؤمنون به ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾[٣].

وقال ابن عباس في رواية الوالبي وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي: المعنى: وإن من أهل الكتاب أحدٌ إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته إذا عاين الملك، ولا ينفعه حينئذ إيمانه؛ لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه[٤].

فالهاء في ﴿مَوْتِهِۦ﴾ تعود إلى الكتاب[٥]، قالوا: لا يموت يهودي

---

(١) غير واضحة تمامًا في المخطوط، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٨.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٤٨.

(٣) رجح ابن جرير -رحمه الله- القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. انظر: الطبري ٦/ ٢١-٢٣. قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٣٥: «ولا شك أن هذا الذي قال ابن جرير هو الصحيح، لأن المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك...».

(٤) انظر: «تفسير ابن عباس» ص ١٦٤، والطبري ٦/ ١٩-٢٣، و«النكت والعيون» ١/ ٥٤٤.

(٥) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: «أهل الكتاب».

ولا صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى وإن احترق أو غرق أو تردى أو سقط عليه جدار أو أكله السبع[١].

قال عكرمة: امتحنت ابن عباس فقلت: أرأيت إن خرّ من فوق بيت؟ قال: يتكلم في الهواء، فقلت: أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يُلجلج بها لسانه[٢].

ويدل على صحة هذا التأويل قراءة أُبيّ: (قبل موتهم)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة وابن جريج: شهيدًا على أن قد بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه[٤].

١٦٠- قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ إلى آخر الآيتين.

قال مقاتل: كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس بالباطل، وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد ﷺ، فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ الآية[٥] .[الأنعام: ١٤٦].

وقال قتادة: «عوقبوا على ظلمهم وبغيهم بتحريم أشياء عليهم»[٦].

---

(١) «الكشف والبيان» ٤/ ١٤١ أ. وقد ورد نحو هذا القول عن مجاهد كما أخرجه الطبري ٦/ ٢٠.

(٢) أخرج معناه من طريق عكرمة عن ابن عباس الطبري ٦/ ٢٠، وانظر: ابن كثير ١/ ٦٣٦. وبنحو هذا اللفظ جاء عن ابن عباس لكن من طريق سعيد بن جبير، في المرجع نفسه.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٢٩٥، والطبري ٦/ ٢٠ في الأثر عن ابن عباس من طريق سعيد ابن جبير.

(٤) أخرجه الطبري ٦/ ٢٣، وهذا لفظ قتادة ومعنى كلام ابن جريج.

(٥) انظر: «تفسيره» ١/ ٤٢١، ٤٢٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢٥٠.

(٦) أخرجه الطبري ٢/ ٢٤، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٣٤.

وقوله تعالى: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ قال مجاهد: وبصدهم أنفسهم وغيرهم عن الحق(١).

١٦١- وقوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يعني: ما أخذوه من الرّشى في الحكم، وغير ذلك مما يؤخذ على جهة الخيانة، وكل وجه يؤخذ به المال مما هو محظور في الدين(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: أعتدنا لهم، لأنه علم أن منهم من يؤمن؛ فيأمن العذاب(٣).

وأما وجه تحريم الطيبات عليهم، كيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى لسان من حرم عليهم؟ فلم أجد فيه شيئًا أنتهي إليه فتركته، وذكرت اختلاف المفسرين في كيفية تحريم الإبل وألبانها عليهم عند قوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [آل عمران: ٩٣].

١٦٢- قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ قال قتادة ومقاتل: (لكن) ههنا بمعنى: استدراك، والاستثناء لمؤمني أهل الكتاب(٤).

قال ابن عباس: يعني: المبالغين(٥) في علم الكتاب منهم. يريد عبد الله ابن سلام(٦) وعدة نفر(٧).

---

(١) «تفسيره» ١/ ١٨١، وأخرجه الطبري ٢/٢٤، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٣٤.

(٢) انظر: الطبري ٢/٢٤، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٣، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٢ ب.

(٣) انظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٢ ب.

(٤) أخرجه عن قتادة عبد بن حميد وابن المنذر، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٣٤، و«تفسير مقاتل» ١/ ٤٢٢.

(٥) هكذا في المخطوط، وقد يكون الصواب: «البالغين».

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٠، ٢٥١، وابن كثير ١/ ٦٤٦، و«تنوير المقباس» = =

قال الزجاج: يعني: أنهم لعلمهم وثبوتهم وبصيرتهم في علمهم آمنوا بالنبي ﷺ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: والمؤمنون من أصحاب محمد ﷺ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اختلفوا في وجه نصب المقيمين: فقال أبو زيد: هو نسق على الهاء والميم في (منهم)، المعنى: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين[٣].

قال الزجاج: وهذا عند النحويين رديء؛ لأنه لا يُنسق الظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في اضطرار[٤].

وذهب بعضهم إلى أن هذا وهم من الكتاب.

رُوي ذلك عن عائشة[٥] رضي الله عنها، وأبان[٦] بن عثمان[٧].

بهامش المصحف ص ١٠٣، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٣٤.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٣.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٠، ٤٧١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٣ أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣١.

(٥) أخرج الأثر عنها: الطبري ٦/ ٢٥، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٣ أ.

(٦) هو أبو سعيد أو أبو عبد الله أبان بن عثمان بن عفان الأموي، من كبار الثقات التابعين. مات رحمه الله سنة ١٠٥هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ١/ ١٩٩، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٣٥١، و«التقريب» ص٨٧ رقم (١٤١).

(٧) أخرجه الطبري ٦/ ٢٥، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٣/ أ.
ومثل هذا القول لا يثبت عن الصحابة، وقد رده المحققون من العلماء كما سيأتي قريبًا.

ورُوي أيضًا أنَّ عثمان قال: أرى في المصحف لحنًا، وستقيمه العرب بألسنتها[١].

وقال أبو حاتم والزجاج وغيرهما: وهذا القول بعيد، لأن الذين جمعوا القرآن من الصحابة كانوا أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئًا يصلحه غيرهم، وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجمعوه، ولم يكونوا ليُعلِّموه الناس على الغلط، فهذا مما لا ينبغي أن يُنسب إليهم، والقرآن محكم لا لحن فيه، ولا فيه شيء تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب[٢].

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه: باب المدح، وقد بينوا فيه صحة هذا وجودته. قالوا: إذا قلت: مررت بزيد الكريم، فإن أردت أن تُخلِّص زيدًا من غيره، فالخفض وجه الكلام حتى يعرف زيد الكريمُ من غير الكريم، وإن أردت المدح والثناء نصبت، فقلت: الكريمَ، كأنك قلت: أذكُرُ الكريمَ، وإن شئت على: هو الكريمُ. وجاءني قومك المطعمين في المَحْل والمُغيثون في الشدائد، على معنى: أذكر المطعمينَ وهم المغيثون، وكذلك هذه الآية، معناها: أذكر المقيمين وهم المؤتون للزكاة[٣]، وأنشدوا قول خرنق[٤]:

---

(١) لا يصح هذا الخبر عن عثمان، بل قال ابن تيمية: إنه باطل. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٢، و«مجموع الفتاوى» ١٥/ ١٥٣، و«شرح شذور الذهب» ص ٥٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣١.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ١٣١، ١٣٢، وانظر: «الكتاب» ١/ ٢٠١، ٢/ ٦٢- ٦٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٠-٤٧١.

(٤) هي الخرنق بنت بدر بن هفان البكرية القيسية، من الشعراء في الجاهلية، وهي أخت لطرفة بن العبد لأمه، وكانت زوجة عبد عمرو بن بشر سيد قومه، ولها =

لا يَبْعَدن قومي الذين هُمُ سُمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازِلين بِكُلِّ مُعْتَركٍ والطيبونَ معاقِدَ الأُزْرِ[(١)]

على معنى: أُذكر النازلين وهم الطيبون، رفعه ونصبه على المدح، وبعضهم برفع النازلين وينصب الطيبين، وهذا قول جميع البصريين[(٢)]، وعلى هذا القول المؤرِّج والفراء[(٣)] وأبو العباس[(٤)].

وقد ذكرنا شرح هذا الباب عند قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧][(٥)].

وقال أبو علي: نص سيبويه على أن قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصب على المدح[(٦)].

وكان الكسائي يذهب إلى أن (المقيمين) في محل الخفض بالعطف على ما في قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٢] والمعنى عنه: ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، وتفاؤل في المقيمين الصلاة أنهم الأنبياء، وينكر أن

= ديوان مطبوع. انظر: «الشعر والشعراء» ص (١٠٣)، و«الكامل» ٣/ ٤٠، و«الأعلام» ٢/ ٣٠٣، ومقدمة ديوانها.

(١) «ديوانها» ص ٤٣، و«الكتاب» ١/ ٢٠٢، ٢/ ٦٤، و«مجاز القرآن» ١/ ١٤٣، و«الكامل» ٣/ ٤٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٣٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٠٧.
ومعنى «لا يبعدن»: لا يهلكن، والعداة: جمع عاد، و«آفة الجزر»: الآفة العلة، والجزر جمع جزور، أي المكثرين لنحر الإبل. والمعترك: موضع القتال.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لعله المبرد. انظر: «الكامل» ٣/ ٤٠.

(٥) انظر: الكتاب ٢/ ٦٣- ٦٦.

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٠-٤٧١، و«الدر المصون» ٤/ ١٥٤.

يكون منصوبًا على المدح، قال: لأنه لا ينصب الممدوح إلا عند تمام الكلام، ولم يتم الكلام ههنا، ألا ترى أنك حين قلت ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كأنك تنتظر الخبر، وخبره في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقول البصريين في هذا هو الصحيح الظاهر[١]، وقوله: إن الكلام لم يتم، إذ الخبر قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لا يصح، لأن الخبر إنما هو: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع أنه قد يجوز الاعتراض بالمدح بين الاسم والخبر، كما يجوز الاعتراض بالقسم، لأنه في تقدير جملة تامة.

قال الفراء: والعرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص والتام واحد[٢].

وذهب قطرب إلى أن المعنى: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين[٣]. وهذا القول في الفساد كقول أبي زيد.

١٦٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ الآية.

قال ابن عباس: إن جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ ما أوحى الله إليك ولا إلى أحد بعد موسى، فكذبهم الله تعالى وأنزل: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٤].

قال أبو عبيد عن الكسائي: وحي إليه الكلام يحي به وحيًا، وأوحى إليه، وهو أن يكلمه بكلام يُخفيه من غيره[٥].

---

(١) وهذا ما رجحه أيضًا النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٤٧٠-٤٧١ .

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٣٩٦، و«الدر المصون» ٤/ ١٥٥.

(٤) أخرجه بمعناه الطبري ٦/ ٢٨، وانظر: ابن كثير ١/ ٦٤٧، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٣٥.

(٥) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٢ (وحى).

قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا[١].

قال غيره[٢]: وكذلك الإشارة والإيماء والكتابة يسمى وحيًا[٣]. فالإشارة قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١] أي أشار إليهم. والإلهام قوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

وذكر في تقديم نوح على غيره من النبيين أنه أول نبي شرع الله تعالى على لسانه الأحكام والحلال والحرام[٤].

وسمى بعض النبيين بعد أن ذكرهم جملةً في قوله: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ تخصيصًا وتفضيلًا، كقوله: ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ الزبور كتاب داود.

قال ابن عباس: وكان (ما ....)[٥] وخمسين سورة، ليس فيها حد ولا حكم ولا فريضة ولا حلال ولا حرام[٦].

قال أهل اللغة: الزبور الكتاب، وكل كتاب زبور، وهو فعول بمعنى مفعول، كالرسول والركوب والحلوب، وأصله من: زبرت، بمعنى كتبت[٧].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٢ (وحى). (٢) هو الأزهري.
(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٢ (وحى).
(٤) «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٣ ب.
(٥) طمس باقي الكلمة في المخطوط، وقد تكون: «مائتين».
(٦) لم أقف عليه.
(٧) «العين» ٧/ ٣٦٢ (زبر)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص (٣٧)، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٠٦ (زبر).

وذكر ما فيه عند قوله: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقرأ حمزة: (زُبُورًا) بضم الزاي[1] على أنه جمع زَبْر، أوقع على المزبور الزبر[2]، كقولهم: ضَرْبُ الأمير، ونسج اليمن، كما يسمى المكتوب كتابًا، ثم جمع الزُّبر على زبور، وجمعه -وإن كان مصدرًا- لوقوعه موقع الأسماء، كما جمع الكتاب على كتب، لما استعمل استعمال الأسماء[3].

١٦٤- قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ﴾ الآية.

قال ابن عباس: قالت اليهود: ذكر محمد الأنبياء ولم يذكر موسى فنزلت هذه الآية متضمنة ذكر موسى[4].

قال الزجاج: (ورسلًا) منصوب من جهتين: أجودهما: أن يكون منصوبًا بفعل مضمر، يفسره الذي ظهر، المعنى: وقد قصصناهم، كما تقول: رأيت زيدًا وعمرًا كلمته[5]، على معنى: وكلمت عمرًا كلمته.

الثاني: أن يحمل على معنى الفعل الأول؛ لمقاربة معنى: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ لمعنى: أرسلنا، فكأنه قيل: أرسلناك والنبيين ورسلًا[6].

---

(١) «السبعة» ص ٢٤٠، و«الحجة» ٣/ ١٩٣.

(٢) «الحجة: «اسم الزبر».

(٣) «الحجة» ٣/ ١٩٤، وانظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٢٣، و«الكشف عن وجوه القراءات السبع» ١/ ٤٠٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) عند الزجاج: أكرمته.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٢ بتصرف.

قال ابن عباس: ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يريد في القرآن في غير سورة[١].

قال بعض المفسرين: يعني في سورة الأنعام، فإنها نزلت من قبل[٢].

قال الكلبي في هذه الآية: يقول: من الرسل من قد سميناهم لك في القرآن، وعرفناكهم إلى من بعثوا، وما رد عليهم قومهم، ومنهم من لم نُسمه لك، ولم نعرفكهم[٣].

قال أهل المعاني: الذين نوه بذكرهم ههنا من الأنبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر بأسمائهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقد ذكرنا معنى القص والقصص في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ أي مخاطبة من غير وسيطة، وتأكيد ﴿كَلَّمَ﴾ بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأنه سمع كلام الله تعالى؛ لأن أفعال المجاز لا تؤكد بذكر المصادر، لا يقال: أراد الحائط أن يسقط إرادة. وهذا رد على من يقول: إن الله خلق كلامًا في محل فسمع موسى ذلك الكلام؛ لأنه حينئذ لا يكون كلام الله[٤].

قال أحمد بن يحيى: لو جاءت ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ مجردة لاحتمل ما قلنا وما قالوا، فلمَّا جاءت ﴿تَكْلِيمًا﴾ خرج الشك الذي كان يدخل في

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢٥٦.

الكلام وبطل الاحتمال للشيئين[١].

والتكليم في اللغة معناه: المخاطبة، وهو متعد يقتضي مفعولًا، والتكليم[٢] لا يقتضيه. ومعنى تكلم: نطق وأوجد الكلام، وقال أهل اللغة: أصل هذه اللفظة التأثير في الشيء، ألا ترى أنك إذا كلمت غيرك أسمعته كلامك يؤثر فيه ما قلته، ولهذا استعملوا هذه اللفظة في الجراحة فقالوا: كلمته أكلمه، إذا جرحته وأثرت فيه[٣].

١٦٥- قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ انتصب رسلًا على البدل من قوله: (ورُسُلًا)[٤]، وإن شئت قلت: أوحينا إليهم رسلًا، فيكون منصوبًا على الحال والقطع[٥].

وفي قوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ دليل على أنهم بُعثوا ببيان الطاعة والمعصية؛ لأنهم إنما يبشرون بالثواب على الطاعة، وينذرون بالعقاب على المعصية، ولا يصح ذلك إلا بعد الكشف عنهما.

وفي قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة، وقد قال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٨٠ (كلم).

(٢) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: التكلم.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٨٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٣١، و«اللسان» ٢/ ٣٩٢٢ (كلم).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٤، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٣.

(٥) انظر: الطبري ٦/ ٣٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٤، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٣.

أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤] فبين أنهم كانوا يحتجون بعدم الرسول لو لم يبعث إليهم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي عزيزًا في اقتداره على إنجاز موعوده على ألسنة رسله، حكيمًا في إرساله وجميع تدبيره.

١٦٦- قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ الآية.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد سألنا اليهود عنك وعن صفتك، فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم. فقال رسول الله ﷺ لليهود: «**إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله**»، فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله هذه الآية(٢).

قال أهل المعاني: «لكن» لا يبتدأ به، لأنه لاستدراك ما سبق ومضى، وإنما يجيء بعد نفي لشيء فيثبت ذلك الشيء به، وهذه الآية من باب الحذف والاختصار، وذلك أن اليهود لما جحدوا نبوته وأنكروا ما أنزل الله عليه قالوا: ما نشهد لك بهذا، فمن يشهد لك به؟ فترك ذكر قولهم، وأنزل: (لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إليك)(٣).

قال الزجاج: ومعنى ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ أنَّ الشاهد هو المبين لما يشهد به، فالله ﷻ يبين ما أنزل إليه، ويعلم مع إبانته أنه حق(٤).

---

(١) انظر: الطبري ٦ ٣٠.

(٢) انظر: الطبري ٦/ ٣١، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٥ أ، وابن كثير ١/ ٦٥١ .

(٣) أخرجه الطبري ٦/ ٣١، وذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٥ب، والمؤلف في «أسباب النزول» ص١٨٩، وابن كثير ١/ ٦٥١-٦٥٢، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٣٩، وعزاه إضافة إلى الطبري إلى كل من ابن إسحاق وابن المنذر والبيهقي.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٣١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، و«الكشاف» ١/ ٣١٤، و«رصف المباني» ص ٣٤٧، و«الدر المصون» ٤/ ١٦٢.

ومعنى إبانة الله تعالى ذلك نصب المعجزة له.

ووجه الاحتجاج بشهادة الله على اليهود أنهم أبوا أن يشهدوا بما شهد الله به، وكفى بهذا خزيًا بهم، وأيضًا فإن الله تعالى شهادته تبين صدق نبيه بما يغني عن بيان أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنزله وهو يعلم أنك أهل لإنزاله عليك، لقيامك به وعملك بالحق فيه. وفي هذا إثبات العلم لله، لأن المعنى: أنزله بعلمه الذي هو عالم به[(١)].

الثاني: ما ذكره الزجاج، وهو أنه قال: معنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي أنزل القرآن الذي فيه علمه[(٢)].

قال أبو علي: (أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أنزله وفيه علمه. والجار في موضع الحال، كما أن: خرج بعدته، معناه: خرج وعليه عدته. والعلم المعلوم، أي أنزله وفيه معلومه، كما أن الصيد يراد به المصاد في قوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤]. والأيدي[(٣)] والرماح إنما تلحق الأعيان، ولا تلحق الأحداث. هذا كلامه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ إنما تعرف شهادة الملائكة بقيام المعجزة ووضوحها، ومن قامت له المعجزة شهدت الملائكة بصدقه، ولا نحتاج مع شهادة الله تعالى في تصحيح المشهود به إلى شهادة غيره، لكن ذكرت شهادة الملائكة الذين هم عباد الله في مقابلة جحود اليهود الذين هم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٤.

(٣) في «الحجة»: «فالأيدي».

(٤) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٠.

عباد الله، على جهة الاعتياض بهذه من ذاك. ذكره بعض أهل المعاني(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ دخلت الباء مؤكدة، المعنى: وكفى الله شهيدًا، ويجوز أن يكون المعنى: اكتفوا بالله في شهادته(٢). وقد سبق الكلام في مثل هذا(٣).

وهذه الآية تسلية للنبي ﷺ عن شهادة أهل الكتاب، فشهادة الله ﷻ والملائكة (مع ما)(٤) فيه من الحجة على جهل من قعد عن هذه الشهادة(٥).

١٦٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال عطاء والكلبي: يريد اليهود(٦). وقوله تعالى: ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن دين الله الإسلام بقولهم: ما نعرف صفة محمد في كتابنا، وإنما النبوة والمبشر بها في ولد هارون، وما أشبه ذلك مما يصرفون به الناس عن اتباع النبي ﷺ(٧).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد: أبعدهم الله من سبل الخيرات، فلا يهتدون، مثل قوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٨٨](٨).

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٠.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ٣/ ٣٩٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٧.

(٤) في المخطوط جاءت هكذا: «معما».

(٥) يكون في الكلام سقط، ولعل الصواب: «دليل على جهل من قعد عن هذه الشهادة».

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٧) الطبري ٦/ ٣١-٣٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٨، والقرطبي ٦/ ١٩ .

(٨) لم أقف عليه.

١٦٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: اليهود[١].

﴿وَظَلَمُواْ﴾ قال ابن عباس: يريد ظلموا محمدًا ﷺ بكتمان نعته[٢].

وقال مقاتل: أشركوا بالله[٣].

والأول أجود، لأن الكفر ينبئ عن الشرك.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ يدل على أنَّ الهداية إلى الله، لا إلى قدرة البشر، وعلى أنه يحسن منه أن يُخص قومًا بالهدى دون قوم.

١٦٩- وفسر الطريق ههنا: بدين الإسلام[٥]، فاستثنى ما يهديهم فقال: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: يعني اليهودية، وهو طريق جهنم[٦].

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ خالدين على الحال[٧]، والعامل فيه معنى: (ولا ليهديهم)، لأنه بمنزلة: يعاقبهم خالدين.

وانتصب (أبَدًا) على الظرف، وهو في المستقبل نظير قط في الماضي، نحو: لا أراه أبدًا، وما رأيته قط.

---

(١) انظر: الطبري ٦/ ٣٢، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٥ ب، والبغوي ٢/ ٣١٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٣) «تفسيره» ١/ ٤٢٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٨.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، والبغوي ٢/ ٣١٣، و«زاد المسير» ٢/ ٢٥٨، والقرطبي ٦/ ٢٠.

(٥) الطبري ٦/ ٤٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٥ ب.

(٦) «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٥، وانظر: البغوي ٢/ ٣١٣.

(٧) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٦٣.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لأنه لا يتعذر عليه ولا يضره، ولأنه قادر على أن يخلق لهم العذاب والألم شيئًا بعد شيء إلى ما لا يتناهى، وذلك أنه لما وصف أنه لا نهاية لخلودهم في جهنم بين أنه لا يتعذر ذلك عليه.

١٧٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين[(١)]. ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال: يريد بالهدى والصدق[(٢)]. وقال الكلبي: بشهادة أن لا إله إلا الله[(٣)].

والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ معناه التعدية، وهو في موضع الحال على معنى: جاء ومعه الحق[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ قال الفراء: ﴿خيرًا﴾ منصوب باتصاله بالأمر، لأنه من صفة الأمر، ويستدل على ذلك بجواز الكناية عن الأمر قبل الخبر، كقولك: اتق الله هو خير لك، أي الاتقاء خير لك، فإذا سقطت (هو) اتصل (خير) بما قبله وهو الأمر، والأمر معرفة فنصب. هذا معنى كلامه[(٥)].

مفهوم هذا أنه انتصب على القطع لأنه كان يجب أن يكون مرفوعًا بهو، فلما حذفت نصب باتصاله بالمعرفة، كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٥٩، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٩.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، والقرطبي ٦/ ٢٠.

(٤) انظر: القرطبي ٦/ ٢٠، و«الدر المصون» ٤/ ١٦٤.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٢٩٥، ٢٩٦ بتصرف.

[النحل: ٥٢] كان يجب أن يكونَ الواصب، فلما منع الألف واللام وهو نعت لمعرفة نُصب[١].

وقال أبو عبيدة: هو نصب على ضمير جواب، تقديره: يكن خيرًا لكم[٢].

ونحو ذلك قال قطرب، فإنه قال: فآمنوا يكن الإيمان خيرًا لكم[٣].

قال الفراء: ليس نصبه بإضمار (يكن)، ألا ترى أنك تقول: اتق الله تكن محسنًا، ولا يجوز أن تقول: اتق الله محسنًا فأنت تضمر (تكن)، ولا يصلح أن تقول: انصرنا أخانا، وأنت تريد: تكن أخانا[٤].

قال الزجاج: قال الخليل وجميع البصريين: إن هذا محمول على المعنى، لأنه إذا قلت: آمن خيرًا لك، وانته خيرًا لك، فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره، (كأنك)[٥]: انته وائت خيرًا، وادخل فيما هو خير لك.

فكأن معنى قوله: (آمنوا خيرًا لكم): ائتوا خيرًا لكم، وأنشد جميع البصريين قول عمر بن أبي ربيعة[٦]:

فواعِديهِ سَرْحَتَيْ مالِكٍ أو الرُّبا بينهما أسْهَلَا[٧]

---

(١) ذكر السمين في «الدر المصون» ٤/ ١٦٤ رأي الفراء ضمن أربعة أوجه في إعراب «خيرًا» فقال: «الثاني- وهو مذهب الفراء- أنه نعت لمصدر محذوف، أي: فآمنوا إيمانًا خيرًا لكم». ثم قال مضعفًا لهذا الوجه: «وفيه نظر، من حيث إنه يفهم أن الإيمان منقسم إلى خير وغيره..».

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٤٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٦.

(٥) يحتمل أن هنا سقطًا، وتمامه: «كأنك قلت».

(٦) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، تقدمت ترجمته.

(٧) «ديوانه» ص ٣٤١، والكتاب ١/ ٢٨٣، والطبري ٦/ ٣٤.

كأنه قال: ائتي مكانًا سهلًا[١].

قال ابن عباس: يريد إن تكذبوا محمدًا ﷺ وتكفروا نعمة الله عليكم[٢].

﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لا تضروا إلا أنفسكم، لأن الله غني عنكم بأن له ما في السموات والأرض ملكًا له واقتدارًا عليه، فذكر ما يدل على غناه بنفسه، لأنَّ هذا مما يدل على استحقاق صفات التعظيم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما تصيرون إليه من إيمان أو كفر.

﴿حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠] في تكليفكم مع علمه ما يكون منكم[٣].

١٧١- قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال ابن عباس وغيره من المفسرين: يريد النصارى[٤].

ومعنى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ لا تتجاوزوا حد الحق في دينكم، يقال: غلا يغلو غلوًا، إذا جاوز الحق، ومنه يقال: غلا السعر، إذا جاوز الحد في الزيادة[٥].

والنصارى غلت في المسيح فجاوزوا به منزلة الأنبياء حتى جعلوه إلهًا.

قال ابن عباس: ﴿لَا تَغْلُوا﴾ لا تشددوا فتفتروا[٦].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٤، ١٣٥، وانظر: الطبري ٦/ ٣٣-٣٤.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٤.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٥٩.

(٤) انظر: الطبري ٦/ ٣٤، و«بحر العلوم» ١/ ٤٠٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٦ أ، و«زاد المسير» ٢/ ٢٦٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٣، والطبري ٦/ ٣٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٢ (غلا)، و«المفردات» ص ٣٦٤.

(٦) انظر: «زاد المسير ٢/ ٢٦٠، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فليس لله ولد ولا زوجة ولا شريك. وهذا هو الحق.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ ذكرنا تفسير الكلمة في سورة آل عمران(١).

وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ اختلفوا فيه: فقال أبي بن كعب: خلق الله تعالى أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق، وكان روح فيهم، ثم ردها إلى صُلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى، فكان روح عيسى عنده إلى أن أراد خلقه، ثم أرسل ذلك الروح إلى مريم، فدخل في فيها فكان منه عيسى(٢). ومعنى قوله: ﴿مِّنْهُ﴾ أي من عنده.

ويدل على هذا التأويل قول السدي: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي مخلوق منه أي من عنده(٣).

ويجوز أن يكون معنى ﴿مِّنْهُ﴾ على هذا القول: من خلقه وإحداثه وإنشائه، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] أي من خلقه وإيجاده.

وقال جماعة من أهل المعاني: معنى الروح ههنا النفخ، ويسمى النفخ في كلام العرب روحًا؛ لأنه ريح تخرج من الروح(٤)، ومنه قول ذي

---

(١) ذكر ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ٦/ ٣٦.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: الطبري ٦/ ٣٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٦ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٤٦- ٥٤٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٦١.

الرمة في نار اقتدحها وأمر صاحبه بالنفخ فيها فقال:

فقلتُ له ارفَعْها إليك وأحْيِها بروحِكَ واجعله لها قيتةً قَدْرًا[(١)]

أحيها بروحك أي: بنفخك[(٢)].

وروي أن جبريل عليه السلام نفخ في درع مريم فحملت بإذن الله[(٣)].

ومعنى قوله: ﴿مِنْهُ﴾ على هذا التأويل: بأمره، لأن نفخ جبريل كان بأمر الله تعالى وإذنه، فهو منه. وهذا كقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١، والتحريم: ١٢][(٤)].

وقيل: الروح الرحمة، وعيسى كان رحمة من الله لمن اتبعه وأطاعه[(٥)].

وقيل في تفسير قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: برحمة كذلك قال المفسرون[(٦)].

وكذلك قراءة من قرأ: ﴿فَرُوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾[(٧)] [الواقعة: ٨٩] أي: فرحمة، وهذا كما قال ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[(٨)].

وقيل: الروح ههنا جبريل، وهو عطف على الضمير في ﴿أَلْقَاهَا﴾، وتأويله ألقاها الله إلى مريم وجبريل.

---

(١) «ديوانه» ص ١٧٦، والطبري ٦/ ٣٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٦ ب، ومعنى «اجعله لها قيتةً قدرًا» أي اجعل فوقها من الحطب قليلًا قليلًا، فالشاعر يتحدث عن نار موقدة.

(٢) الطبري ٦/ ٣٦، و«ديوان ذي الرمة» ص ١٧٦.

(٣) انظر: الطبري ٦/ ٣٥، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٦ ب، و«النكت والعيون» ١/ ٥٤٦.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الطبري ٦/ ٣٦، و«الكشف والبيان» ٤/ ١٤٦ ب.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٠٠.

(٧) القراءة بضم الراء من (روح) وهي ليعقوب من العشرة. انظر: «المبسوط» ص ٣٦١، و«النشر» ٢/ ٢٨٣.

(٨) صححه الألباني، وعزاه إلى ابن سعد والحكيم الترمذي عن أبي صالح مرسلًا، كما عزاه إلى الحاكم، ولم أجده عنده. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٢٣٤٥).

معنى ﴿مِنْهُ﴾ أي: بإذنه وأمره، كقولك: قلت لفلان منك قولًا، أي بإذنك في ذلك[(١)].

وهذه أوجه صحيحه في تأويل قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ قال ابن عباس: يريد قولهم: الله وصاحبته وأبيه[(٣)].

قال الفراء: معناه (ولا تقولوا): هم ثلاثة، كقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢][(٤)].

وقال الزجاج: (ولا تقولوا) آلهتنا ثلاثة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١][(٥)].

وقوله تعالى: ﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾.

قد ذكرنا وجه انتصابه عند قوله: ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ قال ابن عباس: نزه نفسه أن يكون له ولد[(٦)].

وقال الفراء: يصلح في (أن) من وعن، فإذا أُلقيتا كانت (أن) في موضع نصب. وكان الكسائي يقول: هو[(٧)] في موضع خفض، في كثير من أشباهها[(٨)].

---

(١) انظر: الطبري ٦/ ٣٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٦١.

(٢) قال الطبري ٦/ ٣٦: «ولكل هذِه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب».

(٣) هكذا في المخطوط، والصواب: وابنه. انظر: «تنوير المقباس» ص ١٠٥.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٥.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

(٧) هكذا في المخطوط، وعند الفراء: «هي».

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٦.

وذكرنا هذه المسألة قديمًا.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فيه حجة على بطلان قول النصارى، لأن تأويله: أن ذلك له ملكًا وخلقًا من غير شريك في ذلك، إذ لو كان له شريك لم يبعد وجود التمانع بينهما، فيفسد ملك السموات والأرض، وإذا استحال الشريك في وصفه استحال الولد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: مفوضًا إليه القيام بتدبير ملكه الذي لا ملك أوسع منه.

١٧٢- قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا﴾ الآية.

قال أبو إسحاق: معنى (لن يستنكف): لن يأنف، وأصله في اللغة من نكفت الدمع، إذا نحيته بأصبعك عن خدك، وأنشد:

فبانوا فلولا ما تذكر منهم
من الخُلفِ لم يُنكَف لعينيكَ مدمعُ[1]

فتأويل: (لن يستنكف): لن ينقبض، ولم يمتنع[2].

قال الأزهري: سمعت المنذري يقول: سمعت أبا العباس، وسئل عن الاستنكاف فقال: هو أن يقول: لا. وهو من النكف والوكف. يقال: ما عليه في ذلك الأمر نكف ولا وكف، والنكف أن يقال له سوء، واستنكف، إذا دفع ذلك السوء وقال: لا. والمفسرون يقولون: الاستنكاف والاستكبار واحد[3].

---

(١) البيت في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٤، و«اللسان» ٩/ ٣٤٠ (نكف) دون نسبة ولم أقف على قائله.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٦، وانظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٤ (نكف).

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٤ (نكف).

وقال الكلبي: (لن يستنكف): لن يتعظم[١].

وقال الأخفش ومقاتل: لن يأنف[٢].

وقال الزجاج: أي ليس يستنكف الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبدًا لله، ولا الملائكة المقربون وهم أكثر من البشر[٣].

ومعنى قوله: ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي من كرامة الله وثوابه والمواطن التي شرفها لإكرام عباده[٤].

١٧٤- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٥].

قال ابن عباس: «يريد يا أهل مكة وجميع الخلق. ويريد بالبرهان النبي ﷺ وما جاء به من البيان والبرهان»[٦].

هذا كلامه، وإنما قيل للنبي ﷺ برهان؛ لما معه من المعجزة التي تشهد بصدقه، والبرهان شاهد حق في نفسه، وذلك يوجب أن يكون المشهود به حقًّا، فالنبي ﷺ حق في نفسه بدلالة المعجزة عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

يريد القرآن، عن ابن عباس[٧] والحسن وقتادة وابن جريج[٨].

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٨، ولم أقف عليه عن الكلبي.

(٢) هذا كقول الزجاج المتقدم، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش وعن مقاتل في «تفسيره» ١٥/ ٤٢٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٥، وانظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٤ (نكف).

(٤) انظر: الطبري ٦/ ٣٨.

(٥) لم يتعرض صاحب الكتاب للآية (١٧٣) بشيء.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

(٨) انظر: الطبري ٦/ ٣٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٦٤.

وشبه القرآن بالنور؛ لأنه يُتبين به الأمور كما يُتبين بالنور.

١٧٥- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ الظاهر أن الكناية في (به) تعود على اسم الله.

وقال ابن جريج: الكناية تعود على النور الذي هو القرآن(١).

وهذا قريب من الأول في المعنى، لأن الاعتصام بالقرآن اعتصام بالله تعالى.

قال ابن عباس: ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ يريد امتنعوا به(٢).

قال أهل المعاني: الاعتصام بالقرآن: الامتناع به من معاصي الله، والاعتصام بالله: الامتناع به من زيغ الشيطان وهوى الإنسان بطاعته وطلب مرضاته(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾.

قال ابن عباس: يريد الجنة(٤). ﴿وَفَضْلٍ﴾ قال: يريد يتفضل عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا ما يوصف(٥).

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥] قال: يريد دينًا مستقيمًا(٦).

١٧٦- قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية.

قد بينا معنى الكلالة واشتقاقها في اللغة في أول السورة.

---

(١) أخرجه الطبري ٦/ ٣٩، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٤٧، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٤١.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٥٤٧.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٦٤، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٠٥.

قال العلماء: إن الله تعالى أنزل في الكلالة آيتين، إحداهما في الشتاء وهي التي في أول هذه السورة، والأخرى في الصيف، وهي هذه الآية، ولهذا تسمى هذه الآية آية الصيف[١].

ونزلت هذه الآية والنبي ﷺ مُتجهز للحج، فهي من آواخر ما نزل من القرآن[٢]. فقد نزلت في الكلالة آيتان.

والمراد بالكلالة في الآية الأولى: الموروث، والمراد في هذه الآية بالكلالة الوارث، وكل وارث سوى الوالد والولد كلالة، وكذلك كل موروث سواهما.

وعند ابن عباس وأكثر المفسرين نزلت هذه الآية في جابر بن عبد الله، مرض بالمدينة فأتاه النبي ﷺ عائدًا، فقال: «يا رسول الله: إني كلالة، ولا أب لي ولا ولد، فكيف أصنع في مالي؟». فأنزل الله هذه الآية[٣].

وفي رواية أخرى: «فقلت: إني رجل ليس يرثني إلا كلالة» وكان له تسع أخوات[٤]. قال ابن عباس في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ يريد من ليس له ولد ولا والد.

فعلى هذا المراد بالكلالة: الموروث، وهو الظاهر؛ لأنه قال بعد هذا: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ وهذا ابتداء الفتوى في الكلالة، وقد بدأ بذكر الموروث.

---

(١) تسمية هذِه الآية بآية الصيف جاء في أكثر من أثر. انظر: الطبري ٦/ ٤٣-٤٤.

(٢) انظر: الطبري ٦/ ٤١-٤٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٤٥.

(٣) أخرجه بمعناه البخاري (٤٦٠٥) كتاب: التفسير سورة النساء، باب: يوصيكم الله في أولادكم ٥/ ١٧٧، ومسلم (١٦١٦) كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلالة والمؤلف في «أسباب النزول» ص١٩٠.

(٤) سبق تخريجه.

ويجوز أن يكون المراد بالكلالة: الوارث، ثم بين من هُم بذكر الأخت والأختين والأخوة.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾. قد ذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ قال أهل المعاني: أراد ليس له ولد ولا والد، فاكتفى بذكر أحدهما من الآخر، ودل على المحذوف أنَّ الفتيا في الكلالة. وقد بينا أن الكلالة من ليس له والد ولا ولد، فإن كان له أحدهما لم يسم كلالة[1].

وزعم أبو علي الجرجاني أنَّ الوالد يجوز أن يكون داخلًا في لفظ الولد، قال: وكل من اتصل به ذكر الولادة احتمل أن يقال له: ولد، فالوالد يسمى والدا، لأنه ولد، والمولود يسمى ولدًا، لأنه ولد، وهذا مثل قولهم: الذرية، وهي اسم من (ذرا) ثم الولد يسمى ذرية، والأب أيضًا يسمى ذرية، لأن الولد ذريء منه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[2] [يس: ٤١] أي وآية لقريش أنا حملنا آباءهم مع نوح. قال: ووجدنا أيضًا الأسماء التي اشتقت من الأفعال جاء فعل منها بمعنى الفاعل أكثر مما جاءت بمعنى المفعول، كقولهم: حرض، من حارض، ودنف، من دانف، وضرع، من ضارع، وطلب، بمعنى طالب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ﴾ أراد من أبيه وأمه وأبيه، لأنه سبق ذكر أولاده الأم في أول السورة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ هذا بيان فرضها عند انفرادها، ولها نصف المال بالتسمية. ثم لمن باقي المال؟

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٦٦. (٢) انظر: القرطبي ٦/ ٢٨.

عند زيد بن ثابت يكون لبيت المال إذا لم يكن هناك عصبة، وهو مذهب الشافعي[١]. وعند أهل العراق يرد عليها الباقي[٢].

فإن قيل: الله تعالى سمى لها النصف إذا لم يكن هناك ولد، فلم أعطيت النصف مع البنت الواحدة وهي ولد؟

قيل: هذا إجماع سنة[٣] رسول الله ﷺ، وهي مع البنت كالذكر من العصبة يأخذ ما أبقت الفرائض، فهي في هذه المسألة لا بالتسمية، ولكن بأنها معها عصبة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ يعني أن الأخ يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن للأخت ولد، وهذا أصل في العصبيات واستغراقهم المال.

وهذا الأخ من الأب والأم، أو من الأب، وقد بينا هذا لأن الأخ من الأم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ﴾ ظاهر.

وروي أن أبا بكر الصديق ﷺ قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء من شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والأخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزها في الأخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله

(١) وبه قال مالك، انظر: «الأم» ٤/ ٧٦، و«المغني» ٩/ ٤٩.
(٢) وهو مذهب أحمد، انظر: «المغني» ٩/ ٤٩.
(٣) هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: بسنة.
(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٠٩، والقرطبي ٦/ ٢٩.

مما جرت به الرحم من العصبة(١).

وقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ اختلفوا في هذا، فعند الكوفيين (لا) مضمرة ههنا، على تقدير: لئلا تضلوا، أو ألا تضلوا. قالوا: ومثل هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] أي: لئلا تزولا، ومثله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢].

وهذا قول الفراء والكسائي(٢).

وقال البصريون: المحذوف ههنا مضاف، على تقدير: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، فحذف المضاف كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وبابه، قالوا: و(لا) حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز حذفه، ولكن قد تزاد في الكلام مؤكدة، كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] ونحوه(٣).

وهذا القول يبعد، لأنه لم يدل على الاجتناب شيء.

والله أعلم(٤).

(١) أخرجه الطبري ٦/ ٤١، وانظر: «الكشف والبيان» ٤/ ١٤٩ أ، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٤٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٩٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٧، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٦، و«الدر المصون» ٤/ ١٧٦.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٣٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٤٧٧، و«الدر المصون» ٤/ ١٧٦.

(٤) انتهى تفسير سورة النساء بحمد الله.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ اعصمني من الزلل[(١)]

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

العقد في اللغة معناه الجمع بين الشيئين بما يعسر انفصال أحدهما عن الآخر، كعقدة الحبل بالحبل، ثم يسمى العهد وما يؤكده الناس بينهم من الأمانات والمواثيق عقدًا لإحكامه[(٢)].

قال أبو إسحاق: والعقود أوكد العهود، يقال: عقد فلان اليمين، إذا وَكّدها[(٣)].

واختلفوا في معنى العقود ههنا: فقال ابن عباس في رواية عطاء[(٤)]،

---

(١) الظاهر أن البسملة والدعاء هنا لابتداء هذا الجزء (نسخة ج) وقد صدر بـ: «الجزء الثالث من البسيط في التفسير -تأليف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي -رحمه الله- فيه: سورة المائدة والأنعام والأعراف سبعة أحزاب» في جامعة الإمام تحت رقم ٥١٠٥/ف له صورة ميكروفيلم.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٦-٤٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٥١١، و«الصحاح» ٢/ ٥١٠ (عقد)، و«التعريفات» ص١٥٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٣٩.

(٤) ثبت ذلك من طريق علي بن أبي طلحة كما في «تفسير ابن عباس» ص١٦٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٧.

ومجاهد والربيع والضحاك والسدي: هي العهود[١].

قال ابن عباس: العقود: ما أحل الله، وما حرم الله، وما فْرض الله، وما حدّ في القرآن كله[٢].

فعلى هذا العقود جمع العقد بمعنى المَعْقُود، وهو الذي أحكم، وما فرضه الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نَقْضِه بِحَال. وهذا رواية أبي الجوزاء[٣] عن ابن عباس[٤].

وقال الكلبي: يقول: أتموا الفرائض ما افترض الله على العباد مما أحل لهم وحرم عليهم، والعهود التي بينكم وبين الناس[٥].

والعهود تسمى عقودًا؛ لأنك تقول: عهدت إلى فلان كذا وكذا، تأويله ألزمته، كذا[٦] باستيثاق كما يعقد الشيء[٧].

والعقود التي بين الناس على ضربين: لازمة، وجائزة.

واللازمة كالنكاح والبيع والإجارة[٨]، فهذه يجب الوفاء بها على

---

(١) أخرج الآثار عنهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٧.

(٢) «تفسير ابن عباس» ص١٦٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٨.

(٣) هو أوْس بن عبد الله الربعي البصري، تابعي ثقة، يرسل كثيرًا، وحديثه عند الجماعة، مات -رحمه الله- سنة ٨٣هـ.
انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ٢٧٨، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٣٧١، و«التقريب» ص١١٦ رقم (٥٧٧).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٧٨٦ دون نسبة ولم أقف عليه.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٦.

(٦) في (ش): (ذلك).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٠٧ (عهد).

(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٤٨-٤٩.

معنى القيامِ بمقتضاها.

وما كان جائزًا: فالعاقد مندوب إلى الوفاء به، ولا يجب، لقوله ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه**»(١).

فأباح له ترك ما حلف عليه بشرط التكفير إذا رأى غير ما حلف عليه خيرًا، ففي الذي له يحلف عليه أولى أن يَجُوز(٢) له تركه.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

الأكثرون على أن ها ابتداء كلام آخر(٣).

وقال بعضهم: هذا متصل بالكلام الأول، على معنى: أوفوا بعقود من عاهدتم وتعففوا عن أموالهم بما أحل لكم من بهيمة الأنعام(٤).

والبهيمة اسم لكل ذي أربع من ذوات البَرّ والبَحر(٥).

قال ابن الأنباري: البهيمة معناها في اللغة: المُبهَمَة عن العقل والتمييز(٦).

وقال أبو إسحاق نحو هذا، فقال: كل حي لا يُمَيِّز فهو بهيمة، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه (٦٦٢٢) كتاب: الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ ومسلم بلفظه (١٦٥٠) كتاب الأيمان، باب: ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها.

(٢) في (ش): (يكون)، والمعنى واحد.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٢، و«الكشاف» ١/ ٣٢٠.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٤٠٩ (بهم)، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ١٧٧، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٤.

(٦) لم أقف عليه.

قيل له بهيمة لأنه أبهم عن أن يميز[١].

والأنعام جمع النَّعَم، وهي الإبل والبقر والغنم وأجناسها، في قول جميع أهل اللغة والتأويل[٢]، ولا يدخل فيها الحافر[٣]؛ لأنه (أخذ[٤] من (نَعمة الوطء[٥].

واختلفوا في المَعْنِي بـ (بهيمة الأنعام)، فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الضأن والمعز والإبل والبقر[٦].

وهذا قول الحسن وقتادة والربيع والضحاك والسدي، قالوا: هي الأنعام كلها[٧].

وعلى هذا القول قال ابن الأنباري: إنما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد والإطناب في المعنى، ولو قال: أحلت لكم الأنعام لم يسقط بسقوط البهيمة إلا زيادة التوكيد، وهذا كما يقال: نفس الإنسان[٨].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤١.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٥١، و«معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٢٤٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦١٦-٣٦١٧ (نعم)، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٢.
وابن قتيبة والسمرقندي زادا (الوحوش)، وهو غريب.

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥١.

(٤) زيادة في (ش).

(٥) نَعمة الوطء، بفتح النون، ولعل المراد تشبيه غير ذات الحافر بمن يمشي حافيا من قولهم: تنعم الرجل: إذا مشى حافيًا.
انظر: «اللسان» ٦/ ٤٤٨٤ (نعم).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٢٤٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٦٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٤.

(٨) لم أقف عليه.

وقال الكلبي: بهيمة الأنعام (وحشيها[١] كالظِّباء وبقر الوحش وحمر الوحش[٢].

وهو اختيار الفراء[٣]، والزجاج[٤].

وعلى هذا القول قال أبو بكر: أضاف البهيمة إلى الأنعام؛ لأنه[٥] لو أفردها فقال: البهيمة، أو البهائم وقعت على الأنعام وعلى غيرها مما حظر وحرم، فأضافها إلى الأنعام ليعرف جنس البهيمة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: إلا ما يُقرأ عليكم في القرآن مما حرم عليكم، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي[٦].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

انتصب (غيرَ) على الحال من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾[٧] كما تقول: أحل لكم الطعام غير مفسدين فيه.

---

(١) في (ج): (وحشها) بدون ياء.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٦.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٠.

(٥) في (ج): (لأنها).

(٦) «تفسير ابن عباس» ص١٦٦، وأخرج الآثار عن الجميع إلا الحسن والطبري في «تفسيره» ٩/ ٤٥٨.

وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٤٣ن «زاد المسير» ٢/ ٢٦٩.

(٧) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٧، و«الكشاف» ١/ ٣٢٠، و«الدر المصون» ٤/ ١٧٨.

وقال الفراء: هو مثل قولك: أحل لك هذا الشيء لا مفرطًا فيه ولا متعديًا، فإذا جعلت (غيرَ) مكان (لا)، صار النصب الذي بعد (لا) في (غير)[١].

والمعنى: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا أن تحلوا الصيد في حال الإحرام، فإنه لا يحل لكم إذا كنتم محرمين.

ويقال: رجل حرام، وقوم حُرُم، أي: محرمون[٢].

والإضافة في قوله تعالى: ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ على تقدير الانفصال؛ لأن ما كان من هذا الباب للاستقبال وللحال أثبتت فيه النون والتنوين، نحو: ضارب زيدًا، وضاربون زيدًا[٣]. وقد أحكمنا هذا الفصل عند قوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ قال أبو إسحاق: أي الخلق له جل وعز يُحل منه ما يشاء لمن يشاء، ويُحرم ما يريد[٤].

٢- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية.

الشعائر واحدتها: شعيرة، وهي فعيلة بمعنى مُفْعَلَة، والمُشْعَرة: المُعْلَمة، والإشعار: الإعلام من طريق الإحساس، والشعر: العلم من طريق الحس. ذكرنا ذلك في أول البقرة.

وكل شيء أُعلِم فقد أشعر، ومنه السنّة في إشعار الهدي، هذا معنى

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤١، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٩٤ (حرم)، و«زاد المسير» ٢/ ٢٦٩.

(٣) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٢.

الشعائر في اللغة[١]، ثم كل شيء جُعل علمًا على شيء، أو أعلم بعلامة جاز أن يُسمّى شعيرة.

والهدي التي تهدى إلى مكة تسمى شعائر؛ لأنها مُشعَرةٌ بالدم[٢]، ومنه قول الكميت:

نُقَتِّلهم جيلًا فجيلًا تراهم   شعائرَ قُربانٍ بهم يُتَقرَّبُ[٣]

فأما التفسير فقال ابن عباس في رواية عطاء: أن (الحَطيم بن ضبيعة -واسمه شريح[٤]، والحطيم لقب، ويقال الحُطَم[٥]- أتى النبي ﷺ من اليمامة[٦] إلى المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فلم يسلم، فلما خرج مرّ بسّرح المدينة فاستاق الإبل، فطلبوه فعجزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال لأصحابه: «**هذا الحطيم وأصحابه، فدونكم**» وكان قد قلّد ما نهب من سرح النبي ﷺ وأهداه إلى الكعبة، فلما توجّهوا في طلبه أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ يريد (ما)[٧] أُشْعِرَ (لله)[٨]، وإن كانوا على غير دين الإسلام[٩].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٧، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٨٤ (شعر).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٨٤ (شعر).

(٣) استشهد به في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦.

(٤) ما بين القوسين سقط من (ش).   (٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) اليمامة: مدينة من اليمن تقع على بعد مرحلتين من الطائف وأربع مراحل من مكة. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» الجزء الثالث، القسم الثاني ص٢١٠.

(٧) ساقطة من (ش).   (٨) في (ج): (الله).

(٩) جاء ذلك مقطوعًا عن السدي وعكرمة كما في الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٨، و«أسباب النزول» للمؤلف ص١٩١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥، «اللباب =

وهذا قول جماعة من أهل المعاني.

قال أبو عبيدة: الشعائر في كلام العرب: الهدايا المُشعرة[(١)].

وقال الزجاج: هي ما أشعر، أي أُعلم ليهدى إلى بيت الله الحرام[(٢)].

وقال جماعة: هي جميع متعبدات (الله)[(٣)] التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا[(٤)].

قال ابن عباس ومجاهد: هي مناسك الحج[(٥)].

وقال عبد الله بن مسلم: هي كل شيء جعل علمًا من أعلام طاعته[(٦)].

فالشعائر: العلامات والمعالم للحج نحو الصفا والمروة والمواقيت وعرفة وما أشبهها، فإن قلنا: المراد بالشعائر في هذه الآية الهدايا كان المعنى: لا تحلوها بإباحة نهبها والإغارة، وإن قلنا: إنها معالم الحج كان المعنى: لا تحلوها بتجاوز حدودها والتقصير فيها والتضييع لها.

وقال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من شعائر الحج، ولا يطوفون بينهما فأنزل الله: لا تستحلوا ترك ذلك[(٧)].

= النقول» ص٨٦. ولم أقف على رواية عطاء.

وانظر: «الناسخ والمنسوخ في القرآن» لهبة الله بن سلامة ص٦٢.

(١) «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٥، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٣.

(٥) «تفسير ابن عباس» ص١٦٦، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٤، و«تفسير مجاهد» ١/ ١٨٣.

(٦) «غريب القرآن» ص١٣٧.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٨.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: يقول: لا تستحلوا شيئًا من ترك المناسك كلها التي أمر الله بالطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، ومسح الركن، والإفاضتين، من عرفات ومن جَمْع ورمي الجمار؛ لأن عامة العرب كانوا لا يرون الصفا والمروة من شعائر الله والحُمس[١] وعامر ابن صعصعة[٢] وثقيف[٣]

لا يرون عرفات من شعائر الله[٤].

وقال في رواية أخرى: كان المشركون يحجون البيت الحرام، ويهدون الهدايا، ويعظمون حرمة المشاعر، ويتّجرون في حجهم، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فأنزل الله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾[٥].

وقال الكلبي: أي لا تستحلوا ترك شيء من المناسك[٦].

وزعم بعضهم أن هذا ورد في النهي عن مجاوزة الميقات بغير إحرام[٧].

---

(١) الحُمس بضم الحاء وسكون الميم: قبائل من العرب تشددوا في دينهم. «الاشتقاق» ص٢٥٠.

(٢) قبيلة من العرب وتعد من الحُمس وتضم بطونًا كثيرة، نسبة إلى جدهم الجاهلي عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس علان من العدنانية. انظر: «الاشتقاق» ص٢٩٣، و«جمهرة أنساب العرب» / ٢٧٢، و«الأعلام» ٣/ ٢٥١.

(٣) عبارة عن قبائل من العرب منهم: بنو الحُطيط وبنو غاضره وغيرهم، وينتسبون إلى قسي بن منبه. انظر: «الاشتقاق» ص٣٠١-٣٠٧، و«جمهرة أنساب العرب» / ٢٦٦.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تفسير ابن عباس» ص١٦٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٤ من طريق ابن أبي طلحة أيضًا.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٦.

(٧) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٢.

وهذا معنى يحتمله اللفظ؛ لأن تقدير الآية على القول الذي يقول: إن الشعائر المعالم: لا تحلوا شعائر الله بتركها على ما بينا، والمواقيت من شعائر الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

بالقتال فيه. عن ابن عباس[١] وقتادة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡىَ﴾.

الهدي ما أُهدِي إلى بيت الله تعالى من ناقة وبقرة أو شاة[٣]، واحدها هَدْيَةٌ، ويقال أيضًا: هَدِيّة، وجمعها هَدْيٌ[٤]، قال:

حلفت بربَّ مكة والمُصَلَّى   وأعناق الهديَّ مُقَلَّدَات[٥]

وقد مضى الكلام فيه[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾.

هي جمع قلادة، وهي: ما جُعل في العنق، سواء جعل في عنق الإنسان أو البدنة أو الكلب[٧].

واختلفوا في تفسير القلائد ههنا، فقال أكثر المفسرين: هي الهدايا المُقلَّدة[٨].

(١) في «تفسيره» ص١٦٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٥.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٥.
(٣) الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٥، ٥٦.
(٤) انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٥٣٣، و«اللسان» ٨/ ٤٦٤٢ (هدى).
(٥) البيت للفرزدق في «ديوانه» ١/ ١٠٨، و«اللسان» ٨/ ٤٦٤٢.
(٦) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ل١٢٠.
(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٢٩ (قلد).
(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٦.

وعلى هذا المراد: ولا ذوات القلائد، ثم حذف المضاف، وذكر ذوات القلائد بعد ذكر الهدي؛ لأنهم نهوا عنها مقلدة وغير مقلدة، أو أراد المقلدة مما لا يكون هديًا، ولكنها قلدت ليأمنوا بها[١]، على ما نذكر بُعَيد هذا.

وقال ابن عباس: يقول لا تعترضوا الهدي ولا تُخيفوا من قلّد بعيره[٢].

وهذا يدل على أن المراد بالقلائد أصحابها، وهو أيضًا من باب حذف المضاف.

قال المفسرون: كانت الحرب في الجاهلية قائمة بين العرب طول الدهر، يتغاورون ويتناهبون إلا في الأشهر الحرم، فمن وُجد في غير هذه الأشهر أصيب منه إلا أن يكون مشعرًا بدنة أو سائقًا هديًا أو مقلدًا نفسه وبعيره من لحاء شجر الحرم، أو مُحرِمًا بعمرة إلى البيت، فلا يُتعرض لهؤلاء، فأمر الله المسلمين بإقرار هذه الأَمَنَة على ما كانت في الجاهلية لضرب من المصلحة إلى أن نسخها[٣].

وقال ابن الأنباري: إن الرجل من العرب كان إذا خاف على نفسه عدوا، أو مُطالبا بثأر، وأراد سفرًا تقلد بشيء من لحاء شجر الحرم، فلا يلقاه أحد فيعرض له، وكان إذا خاف على بعيره قلده أيضًا فلا يتعرض له

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩٩، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٧-١٣٨، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٢.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٦ من طريق العوفي عن ابن عباس قال: (القلائد مقلدات الهدي، وإذا قلد الرجل هديه فقد أحرم، فإن فعل ذلك وعليه قميصه فليخلعه). هذا ما وجدته عن ابن عباس.

(٣) هذا معنى قول عطاء وقتادة ومجاهد. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٦، ٥٧، و«زاد المسير» ١/ ٤٤١.

من يراه من أعدائه، وإن تعرض له عُيِّر بذلك وسُبَّ ولم يزل مأثورًا عليه، قال الشاعر يعيب رجلين [قتلا رجلين][1] معهما شيء من لحاء شجر الحرم:

أَلَـم تَقْتُـلا الـحِرجَيـنِ إذ أعـوَرَا لـكـم
يُـمِرَّانِ بـالأيـدي الـلِّـحـاءَ الـمُـضَـفَّـرَا[2]

يريد باللحاء: شجر الحرم[3].

وقال مُطَرِّف بن الشخير[4] وعطاء: أراد بالقلائد نفس القلائد، وذلك أن المشركين يأخذون من لحاء سَمْر مكة وشجرها فيقلدونها ويتقلدونها فيأمنون بها في الناس، فنهى الله ﷻ أن ينزع شجرها فيقلدوه كفعل أهل الجاهلية[5].

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي كما في «ديوان الهذليين» ٣/ ١٩، و«المعاني الكبير» ٢/ ١١٢٠، و«اللسان» ٢/ ٨٢٣ (حرج)، وعند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٧، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧ دون نسبة.
والحرجان: رجلان أبيضان، وقد يكون ذلك لقبًا لهما. ومعنى أعورا لكم: أمكناكم من عورتهما، ويمران من أمر الحبل إذا فتله واللحاء: قشر الشجر، والمضفر: المجدول ضفائر.
والشاهد منه عيب من قتل المتقلدين بلحاء شجر الحرم.

(٣) لم أقف عليه عن ابن الأنباري، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٧، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧.

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، ثقة عابد فاضل، مات سنة ٩٥هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص٨٨، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٨٧، و«التقريب» ٥٣٤ رقم (٦٧٠٦).

(٥) أخرج نحوه عن عطاء: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٥٧، وذكره عن مطرف وعطاء ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦.

والظاهر القول الأول، وهو اختيار الفراء والزجاج[(١)].

قال الفراء: كانت العرب إذا أرادت أن تسافر في غير الأشهر الحرم قلد أحدهم بعيره فيأمن بذلكن فقال لا تخيفوا من قلد، وكان أهل مكة يقلدون بلحاء الشجر، وسائر العرب تقلد بالوبر والشعر[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾. قال الفراء: يقول: ولا تمنعوا من أمّ البيت الحرام أو أراده من المشركين[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

قال ابن عباس: يريد التجارة[(٤)].

وقال ابن عمر: الربح في التجارة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾.

قال ابن عباس: يعني: أنهم يترضون الله بحجهم[(٦)]. وقال في رواية عطاء في قوله: ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: يريد وإن كانوا مشركين[(٧)].

قال أهل العلم: إن المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله، وإن كانوا لا ينالون ذلك فغير بعيد أن يثبت لهم بذلك القصد نوع من الحرمة[(٨)].

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٢.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٩. (٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٩٩.
(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٦.
(٥) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٢، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٧.
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٢.
(٧) لم أقف عليه.
(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٢.

وقال أهل المعاني: معنى قوله: ﴿وَرِضْوَانًا﴾ أي: على زعمهم وفيما يظنون؛ لأن الكافر لا ينال الرضوان[١]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وذلك على حكاية قولهم: نطلب الرضوان[٢].

وقد جاءت هذه الحكاية عن العرب مجيئًا متبعًا، قال زهرة اليمن[٣] يهجو جريرًا:

أبلغ كُلَيبا وأبلغ عنكَ شاعَرها
أني الأغرّ وأني زُهرةُ اليمنِ[٤]

وقال جرير:

ألم يَكنْ في وُسوم قَد وُسِمتَ بها
مَن حَان موعظةً يا زُهرةَ اليَمنِ[٥]

قال أكثر[٦] أهل العلم: هذه الآية من أولها إلى ههنا[٧] منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٧٤.
(٢) انظر: «الخصائص» ٢/ ٤٦١، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٤٠٥.
(٣) لم أقف على ترجمة له.
(٤) البيت في «الحجة» ٢/ ١٨٣، و«المسائل الحلبيات» ص٨٢، ١٦١، و«الخصائص» ٢/ ٤٦١.
(٥) «ديوان جرير» ص٤٦٧، وفيه: (يا حارث اليمن)، و«الحجة» ٣/ ١٨٣، و«المسائل الحلبيات» ص٨٢، و«الخصائص» ٢/ ٤٦١.
والشاهد من البيتين أن جريرًا دعا هذا الرجل بزهرة اليمن بناء على زعمه وقوله، الوسوم: جمع وسم، وهو أثر الكي، والمراد: أذى الهجاء، وحان: هلك.
(٦) لعل الصواب: بعض؛ لأن المؤلف ذكر رأي الأكثرية عقب هذا.
(٧) في (ش): (هنا).

وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة(١).

وأكثر أهل العلم قالوا: نسخت هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فلا يجوز أن يحج مشرك، ولا يأمن الكافر بالأشهر الحرم والهدي والقلائد والحج(٢).

وقال الشعبي: لم ينسخ من المائدة إلا آية واحدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾(٣).

وذهب جماعة إلى أنه لا منسوخ في هذه السورة، وأن هذه الآية محكمة(٤).

قال أبو بكر ابن الأنباري: فمن ذهب إلى أن هذه الآية محكمة قال: ما ندبنا الله تعالى إلى أن نُخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره، وفصل الشهر الحرام من غيره بالذكر تعظيمًا له وتفضيلًا، وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله، وحرم علينا القلائد، أي إخافة المستجيرين بالبلد الحرام.

---

(١) هذا هو المشهور عن ابن عباس وقتادة، كما في «تفسير ابن عباس» ص١٦٧، و«الناسخ والمنسوخ» لقتادة ص٤٠، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٨٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٠، ٦١، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٣٥، و«النكت والعيون» ٢/ ٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٨.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٠، ٦١، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٨.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦١، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٨.

(٤) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٠: اختلف أهل العلم فيما نسخ من هذه الآية، بعد إجماعهم على أن منها منسوخًا، ونحو ذلك في «النكت والعيون» ٢/ ٦، وقد =

هذا كلامه[١]، والظاهر ما عليه الجمهور.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾.

قال أبو إسحاق: هذا لفظ أمر، معناه الإباحة؛ لأن الله ﷻ حرم الصيد على المحرم وأباحه له إذا حل من إحرامه، ليس أنه واجب عليه إذا حلّ أن يصطاد، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا﴾ [الجمعة: ١٠] تأويله: أنه قد أبيح لك ذلك بعد الفراغ من الصلاة، ومثل ذلك في الكلام: لا تدخلن هذه الدار حتى تؤدي ثمنها، فإذا أديت ثمنها فادخلها، تأويله: فإذا أديت فقد أبيح لك دخولها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾.

قال ابن الأعرابي: الجَرْم مصدر الجارم الذي يجرم نفسه وقومه شرًا[٣].

والمفسرون يقولون في هذا: لا يحملنكم بغض قوم[٤].

وهو قول ابن عباس وقتادة[٥]، وقول الكسائي ويونس[٦].

قال أبو العباس: يقال: جرمني زيد على بغضك، أي: حملني عليه[٦].

وأكثر أهل اللغة والمعاني يقولون: لا يُكْسِبَنَّكم[٧].

= نسب ما ذكره المؤلف من أنها محكمة إلى الحسن.
انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٣٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٧.

(١) لم أقف عليه.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٣.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٧ (جرم).

(٤) الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٧ (جرم).

(٥) «تفسير ابن عباس» ص١٦٨، وأخرجه عنهما الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٣.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٨ (جرم).

(٧) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٢٩٩، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٨. قال الفراء: والمعنى متقارب.

قال الفراء: سمعت العرب تقول[١]: فلان جريمة أهله، وخرج يجرم أهله أي: يكسبهم. قال: فالمعنى: لا يكسبنكم بغض قوم أن تعتدوا[٢].

وقال في قول الشاعر:

جَرَمَتْ فَزَارَةَ بعدَها أنْ يَغْضَبُوا[٣]

(فزارة) منصوبة في البيت، المعنى: جرمتهم الطعنة الغضب، أي: أكسبتهم[٤].

ومثل ذلك قال ابن الأنباري في: ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾، وأنشد:

نَصَبنا رأسه في رأس جِذْعٍ بما جَرَمَت يداه وما اعتَدَيْنَا[٥]

وقال أبو علي: تأويل: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم، وهو فعل متعدٍّ إلى مفعولين، كما أن (يكسبنكم) كذلك، وأما قول الشاعر في صفة عقاب:

جَرِيمَةُ نَاهِضٍ .... البيت[٦].

يحتمل تأويلين:

---

(١) في (ش): (يقولون)، وما أثبته موافق لما في «معاني الفراء».

(٢) من «معاني القرآن» ١/ ٢٩٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٨ بتصرف.

(٣) عجز بيت لأبي أسماء بن الضريبة الفزاري، وصدره: ولقد طعنت أبا عيينة طعنة «الكتاب» ٣/ ١٣٨، و«مجاز القرآن» ١/ ١٤٧، و«المقتضب» ٢/ ٣٥١، و«اللسان» ١/ ٦٠٥ (جرم).

(٤) من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٨ (جرم).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) جزء من شطر بيت لأبي خراش الهذلي كما في «ديوان الهذليين» ٢/ ١٣٣، و«الحجة» ٣/ ١٩٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٩ (جرم)، وتمام:

جريمة ناهض في رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا

وجريمة: أي كاسبة. والناهض: فرخ العقاب، والنيق: أرفع موضع في الجبل. والصليب: ودك العظام.

أحدهما: جريمة قوتِ ناهضٍ، أي: كاسبُ قوته، وجريم وجارم، كما قالوا: ضاربُ قداحٍ، وضريبُ قداحٍ، وعريفٌ وعارفٌ.

والآخر: أن لا يقدر حذف المضاف، وتضيف جريمة إلى ناهض، والمعنى: كاسب ناهض، كما تقول: بديعٌ كاسبُ مولاهُ، أي يسعى له ويردّ عليه. فَجَرمَ يستعمل في الكسب وما يُردُّ سعيُ الإنسان عليه، وأما أجرم فيقال في اكتساب الإثم[(١)].

ومعنى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ﴾ لا تكتسبوا لبغض قوم عدوانًا ولا تقترفوه.

ولفظ النهي واقع على الشنآن، والمعنى بالنهي المخاطبون، كما قالوا: لا أرينك ههنا، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وكذلك: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم﴾ [هود: ٨٩] (أن يصيبكم) المفعول الثاني، وأسماء المخاطبين المفعول الأول، ولفظ النهي واقع على الشقاق، والمعنيّ بالنهي المخاطبون. كذلك في هذه الآية، المفعول الأول: المخاطبون، والثاني قوله: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾، والمعني بالنهي المخاطبون، وإن كان لفظ النهي واقعًا على الشقاق، أي: لا تكتسبوا أنتم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿شَنَئَانُ قَوْمٍ﴾.

قال أبو زيد: شنئت الرجل أشْنؤه شنْأً، وشنآنًا، وشُنأً، ومشنأةً، إذا أبغضتَه[(٣)].

---

(١) «الحجة» ٣/ ١٩٦، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٧-٥٨٨ (جرم).

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ١٩٥-١٩٧.

(٣) «الحجة» ٣/ ١٩٧.

وزاد الفراء وأبو عمرو: شِنْأ، بالكسر[١]، وأبو عبيدة: شنآنا بالجزم[٢]، وأبو الهيثم: شنأة، ومشنئا[٣].

وقال أبو زيد: رجل شنآنٌ، وامرأة شنآنةٌ، مصروفان. قال: وقد يقال: رجل شنآنُ بغير صرف، لأنك تقول: امرأة شَنْأى[٤]. وفعلان قد جاء وصفًا وقد جاء مصدرًا، وهما جميعًا قليلان، فمما جاء مصدرًا قولهم: لويته حقه ليّانًا، وشنآن في قول أبي عبيدة[٥]، وأنشد للأحوص[٦]:

وإنْ عَابَ فيه ذُو الشنَانِ وفَنَّدا[٧]

قوله: (ذو الشنانِ) على التخفيف القياسي، كقولك في تخفيف ظمآن، وملآن: ظمان، وملان. تحذف الهمزة وتلقي حركتها على ما قبلها.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤١ (شنأ).

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٤٨، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٠٠، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٩٤١ (شنأ).

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤١ (شنأ).

(٤) «الحجة» ٣/ ١٩٩.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٤٧، و«الحجة» ٣/ ١٩٩.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، شاعر هجاء لقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه، كان معاصرًا لجرير والفرزدق، وقد نفي إلى اليمن من قبل بني أمية لمبالغته في التسيب. توفي سنة ١٠٥هـ.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٤٥، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٩٣، و«الأعلام» ٤/ ١١٦.

(٧) عجز بيت للأحوص في «ديوانه» ص٥٨ وصدره: وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي
والبيت في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٧، و«الشعر والشعراء» ص٣٤٤، و«الحجة» ٣/ ١٩٩.
والشاهد أن شنان جاء مخففًا، ومعناه: البغض والكره، وفندا: من التفنيد وهو التكذيب.

وأما فعلان في الوصف فليس بالكثير إذا لم يكن له فعلى، ومن ذلك: شيحان[١].

وفعلان قد جاء أيضًا مصدرًا ووصفًا، فالمصدر كالنَّقَزان، والنّغَران، والغَلَيَان، والنَّفَيَان، والغَثَيَان. والشنآن جاءت على ما جاءت عليه هذه المصادر.

والوصف نحو: الزَّفَيان، والصَّمَيان، والقَطَوان من (قولك[٢]): قطايقطو، إذا قاربَ بينَ خطوه، وكبش أَلْيَانٍ، ونعجة أليانة[٣]، وأنشد أبو زيد:

وقبلك ما هاب الرجالُ ظلامَعي وفقَّأت عَينَ الأشوسِ (الأبيان[٤])

وقد يجيء الاسم الذي لا يكون صفة على فَعَلان نحو: الوَرَشَان، والعَلَجَان، وهو شجر يستاك به[٥].

واختلف القراء في هذا الحرف، فالأكثرون قرءوا على: فَعَلَان[٦]، وحجتهم أنه مصدر، والمصدر يكثر على فعلان.

ومن أسكن النون فإن المصدر قد جاء أيضًا على: فعلان، كما ذكرنا.

وإذا كان كذلك فالمعنى في القراءتين واحد وإن اختلف اللفظان،

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٠١.

(٢) في (ج): (ذلك).

(٣) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) في «النوادر» لأبي زيد ص١٤٨، ونسبه لأبي المجشر الضبي شاعر جاهلي، و«الحجة» ٣/ ٢٠٩، والأشوس هو الرافع رأسه كثيرًا. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٥٩ (شوس).

(٥) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٠٢.

(٦) هذه قراءة السبعة غير أبي عمروا وابن عامر ورواية عن عاصم ونافع. انظر: «الحجة» ٣/ ١٩٥، و«التيسير» ص٩٨.

والمعنى: لا يجرمنكم بغض قوم -أي بغضكم قوما بصدهم إياكم ومن أجل صدهم أياكم- أن تعتدوا، فأضيف المصدر إلى المفعول وحذف الفاعل، كقوله تعالى: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤] ونحو ذلك[١].

واختلفوا في قوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ فقرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة، والباقون بفتحها[٢].

وحجة من كسر الهمزة أنه جعل (أنْ) للجزاء وإن كان الصد ماضيًا؛ لأن المراد: بالصد ههنا: ما كان من المشركين من صدهم المسلمين عن البيت في الحديبية، والماضي لا يكون فيه الجزاء، غير أنه قد يقع في الجزاء لا على أن المراد بالماضي الجزاء، ولكن المراد بالماضي ما كان مثل هذا الفعل؛ كأنه يقول: إن وقع مثل هذا الفعل لا يقع منكم كذل، وعلى ذلك قول الشاعر:

إذا ما انتَسَبْنا لم تَلِدني لَئِيمةٌ
ولم تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بِه بُدّا[٣]

فانتفاء الولادة أمر ماض وقد جعله جزاء، فكأن المعنى: إن (أنتسب[٤]) لا تجدني (مولود لئيم[٥])، وجواب (إن) قد أغنى عنه ما تقدم

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢١١.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢١٢، و«التيسير» ص٩٨.

(٣) البيت لزائدة بن صعصعة يعرّض فيه بزوجته وكانت أمها سرية. انظر: «شرح أبيات المغني» ١/ ١٢٥.

(٤) في (ش): (تنسب) وهو الموافق لما في «الحجة» ٣/ ٢١٣.

(٥) في (ش): (مولودًا لئيمًا)، وفي «الحجة» ٣/ ٢١٣: (مولود لئيمة)، ولعله هو الأرجح.

من قوله: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ المعنى: إن صدوكم[١] قوم عن المسجد الحرام فلا تكسبوا عدوانا.

وأما قول من فتح فبين لا مؤونة فيه، وهو أنه مفعول له، التقدير: لا يجرمنكم شنآن قوم؛ لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا. فأنْ الثانية في موضع نصب لأنه المفعول الثاني، والأولى منصوبة لأنه مفعول له[٢].

قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾ الآية: يقول لا يحملنكم بغض كفار مكة أن صدوكم يوم الحديبية عن المسجد الحرام أن تعتدوا على حجاج اليمامة فتستحلوا منهم محرمًا، وتمنعوهم عن المسجد الحرام كما منعكم كفار مكة، أو تعرضوا للهدي[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

قال الفراء: لِيعُن بعضكم بعضًا.

(قال): وهو في موضع جزم؛ لأنه أمر وليس بمعطوف على (تعتدوا)[٤].

وقال الزجاج: ما مضى من هذه الآية: كله منسوخ إلا تعاون (المسلمين[٥]) على البر والتقوى[٦].

---

(١) هكذا في (ش)، (ج)، وفي «الحجة» ٣/ ٢٩٣: (صدكم)، وهو الأولى.
(٢) انتهى من «الحجة» ٣/ ٢١٢-٢١٤.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٤٩، ٤٥٠.
(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٠.
(٥) تكررت في (ج).
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٤، وانظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٤٢، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٨.

قال ابن عباس: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو ما أمرت به، (والتقوى) ترك ما نهيت عنه[١]. ونحو ذلك قال أبو العالية[٢].

وقال عطاء في البر والتقوى: يريد كل ما كان لله فيه رضى[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

قال عطاء: يريد معاصي الله والتعدي في حدوده[٤].

قال مقاتل ثم حذرهم فقال:

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فلا تستحلوا مُحَرّمًا .﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ إذا عاقب[٥].

٣- قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية.

قد شرحنا هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ في سورة البقرة[٦].

فأما المنخنقة يقال: خنقه فاختنق (وانخق[٧]) والانخناق انعصار الحلق[٨].

قال ابن عباس: المنخنقة التي تنخنق فتموت[٩].

---

(١) «تفسيره» ص١٦٨، وأخرجه الطبري في «تفسيره» من طريق ابن أبي طلحة أيضًا ٦/ ٦٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٧.

(٣) في (ج): (رضا) بالألف، ولم أقف عليه عن عطاء.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٧٧.

(٥) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٤.

(٦) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ل١٠٥، ١٠٦.

(٧) في (ش): (والخنق).

(٨) «تهذيب اللغة» ١/ ١١١٦، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٢٨٠ (خنق).

(٩) «تفسيره» ص١٦٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٨ من طريق علي أيضًا.

ورُوي عنه قتادة أنه قال: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها(١).

وقال في رواية عطاء: يريد التي تخنق حتى تموت(٢).

وقال الحسن وقتادة والضحاك: هي التي تخنق بحبل الصائد أو غيره حتى تموت(٣).

وقال السدي: هي التي تدخل رأسها بين عودين في شجرة فتخنق فتموت(٤).

وقال الزجاج: هي التي تختنق برقبتها، أي بالحبل الذي تشد(٥) به، وبأي وجه اختنقت فهي حرام(٦).

فهذه ألفاظ المفسرين في تفسير المنخنقة، وقد أجملها الزجاج بقوله: وبأي وجه اختنقت فهي حرام(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾.

قال الفراء: هي المضروبة حتى تموت ولم تُذكَّ(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٨ مقطوعًا على قتادة.

(٢) لم أقف على هذه الرواية، وقد ثبت عن ابن عباس نحوها كما تقدم قريبًا.

(٣) أخرجه بمعناه عن قتادة والضحاك: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٨، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ١١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٧٩.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٨.

(٥) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٥ تشك، ولعله تصحيف.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٥.

(٧) المرجع السابق.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣٠١، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٠ (وقذ).

وقال أبو إسحاق: هي التي تقتل ضربًا، يقال: وقذتُها أقِذُها وقْذًا وقذة، وأوقذتُها إيقاذًا، إذا أثخنتها ضربًا[١].

وذكر اللغتين أيضًا في باب الوفاة من: (فعلت، وأفعلت) أبو عبيد عن الأحمر: الموقودة والوقيذة: الشاة تُضرب حتى تموت ثم تؤكل[٢]، وأنشد:

... إذا وَقَذ النُّعاس الرُّقَّدا[٣]

أي صاروا كأنهم سُكارى من النوم. ويقال: ضربه على موقذ من مواقذه[٤].

أبو سعيد: الوَقْذ الضرب بالفأس[٥] على القفا فتصير هدتها إلى الدماغ فيذهب العقل، يقال: رجل موقوذ. وقد وقذه الحِلم، أي سكنه[٦].

قال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي: هي المضروبة بالخشب ونحوه حتى تموت[٧].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٥.

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٠، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٨٩ (وقذ).

(٣) البيت للأعشى في «ديوانه» ص٥٤، وتمامه:

يلوينني دَيني النهار واجتزي ترى لعظام ما جمعت صليبا

(٤) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٠، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٨٩ (وقذ) .

(٥) في (ش): (على فأس)، وانظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٠، و«لسان العرب» ٨/ ٤٨٨٩ (وقذ). وأبو سعيد هذا لعله الأصمعي.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٠، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٨٩ (وقذ).

(٧) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٦٩، ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾.

معنى التردي في اللغة التهور في مهواة[١]. وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١] أي سقط في النار[٢].

أبو زيد: يقال: ردى فلان في القليب يردى، وتردّى من الجبل تردّيا[٣].

فالمتردية: هي التي تقع من جبل، أو تطيح في بئر، أو تسقط من مُشْرِف فتموت. كذلك قال ابن عباس والحسن والضحاك والسدي[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾، قال ابن عباس: يريد التي تنطحها شاة أو كبش فتموت قبل أن تُذَكَّى[٥].

وكذلك قال الحسن وقتادة والضحاك والسدي[٦].

وأما دخول الهاء في هذه الحروف إلى: (النطيحة) فإنما دخلت لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة، كأنه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية[٧]. وخصت لأنها من أعم ما يأكله الناس للحمه، والكلام يخرج على ما هو الأغلب والأعم ثم يلحق به غيره.

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٧ (ردأ)، وانظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١١، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٨، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠ .

(٢) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٨، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٧ (ردأ).

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٧، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٦٣٠.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٤، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٠.

(٥) بنحوه في «تفسيره» ص١٦٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠، ٧١.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠، ٧١.

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠، ٧١.

وأما النطيحة فقال ابن السكيت: إذا كان فَعِيل نعتًا للمؤنث وهو في تأويل المفعول كان بغير هاء، نحو: لحية دهين، وكف خضيب؛ لأنها في تأويل: مخضوبة مدهونة[١].

هذا كلامه وقد انتهى، وإنما كان كذلك لأن نقله عن لفظ المفعول المبني على الفعل إلى: فعيل يأخذه عن حيّز الأفعال فيقربه من الأسماء وذلك يوجب حذف علامة التأنيث، إذ التأنيث لتقدير الفعل وقد ارتفع، فعلى هذا كان يجب أن يقال: النطيح بغير هاء، وعلة دخول الهاء ما ذكره ابن السكيت، وهو أنه قال: وقد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعول بها، تخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو: النطيحة، والذبيحة، والفريسة، وأكيلة السبع، ومررت بقبيلة بني فلان[١]. انتهى كلامه.

قال العلماء من النحويين: إنما تحذف الهاء من الفعيله إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها، فإذا لم تذكر الموصوف وذكرت الصفة موضع الموصوف فقلت: رأيت قبيلة بني فلان بالهاء؛ لأنك إن[٢] لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة، فعلى هذا إنما أدخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لمؤنث غير مذكور وهي الشاة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾.

قال قتادة: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئًا فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقي منه، فحرمه الله تعالى[١].

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٠، ٧١.

(٢) في (ش): (اذً).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٢، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٣.

والسبُعُ: اسم يقع على ما له ناب ويَعْدُو على الناس والدواب فيفترسها، مثل الأسد والذئب والنمر والفهد، ومنه يقال: سبَعَ فلانًا، إذا عضه بسنه، وسبع الذئب الشاة، إذا فرسها، وهذا هو الأصل، ثم يقال: سبعه، إذا وقع فيه وعابه(١).

ويجوز التخفيف في السبع فيقال: سَبْع(٢).

وفي الآية تقديره: وما أكل منه السَّبعُ؛ لأن ما أكله السبع قد فُقِد ولا حكم له، وإنما الحكم للباقي منه.

وكل هذه الأشياء المحرمة حكمها حكم الميتة، واسم الميتة يعمها، إلا أنها ذُكِرَت بالتفصيل؛ لأن العرب كانت لا تعدّ الميت إلا ما مات من مرض. قاله السدي(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.

الظاهر أن هذا الاستثناء من جميع هذه المحرمات التي ذكرت من قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾. وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة(٤).

قال ابن عباس: يقول: ما أدركت من هذا كله وفيه روح، فاذبح، فهو حلال(٥).

---

(١) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٨ (سبع) بتصرف، وانظر: «مقاييس اللغة» ٣/ ١٢٨، و«اللسان» ٤/ ١٩٢٥ (سبع)، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٣.

(٢) انظر: «اللسان» ٤/ ١٩٢٦ (سبع).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٤.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٢، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٣.

(٥) «تفسيره» ص١٦٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٢.

وقال الكلبي: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثنى من ذلك كله، أي إلا ما ذبحتم[(١)].

وحكى أبو العباس عن بعضهم أن الاستثناء مما أكل السبع خاصة[(٢)].

والقول هو الأول[(٣)].

وأما كيفية إدراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين: إن أدركت ذكاته بأن يوجد له عين تطرف أو ذَنَب متحرك، فأكله جائز[(٤)].

قال ابن عباس وعُبَيد بن عُمَير[(٥)]: إذا طرفت بعينها، أو مصعت بذَنَبِها أو ركضت برجلها، أو تحركت، فاذبح، فهو حلال[(٦)].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه إذا أخرج السبع الحشوة أو قطع الجوف قطعًا تؤس معه الحياة فلا ذكاة لذلك، وإن كان به حركة ورمق؛ لأنه صار إلى حالة لا يؤثر في حياته الذبح[(٧)].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٠، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٢٤، و«الدر المصون» ٤/ ١٩٦.

(٣) وهذا أيضًا اختيار الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٣ وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٠.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٢-٧٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٠.

(٥) لعله أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي ﷺ ويعد من كبار التابعين، وكان قاص أهل مكة ومن العباد، وقد أُجْمِع على توثيقه. مات رحمه الله قبل ابن عمر رضي الله عنه. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ١٣٤ (٥٩٢)، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٥٦، و«التقريب» ص٣٧٧ (٤٣٨٦).

(٦) أخرجه عنهما الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٢-٧٣.

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٣ «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٨٦ (ذكا).

وهو مذهب مالك[١] واختيار الزجاج[٢] وابن الأنباري[٣].

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، فقال أبو إسحاق: معنى التذكية: أن يدركها وفيها بقية تشخُبُ معها الأوداج، وتضطرب اضطراب المذبوح.

قال: وأصل الذكاء في اللغة: تمام الشيء، فمن ذلك الذكاء في السن والفهم، وهو تمام السن، (قال الخليل[٤]): الذكاء في السن أن يأتي على قروحه[٥] سنة، وذلك تمام استكمال القوة، وأنشد لزهير:

يُفَضَّله إذا اجتَهَدا عليه تَمامُ السِّنِّ منهُ والذَّكاء[٦]

وقيل: جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ[٧]، أي جري المسانّ التي قد أسنّت. وتأويل تمام السن النهاية في الشباب، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذَّكاء. والذكاء في الفهم أن يكون تامًا سريع القبول، وذكّيت النار إنما هو من هذا، تأويله: أتممت إشعالها، فكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾

---

(١) أخرج قوله الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٥.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ش): (قال: وقال الخليل)، ولا يؤثر ذلك في المعنى.

(٥) قال الجوهري: وقرح الحافر قروحًا، إذا انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين؛ لأنه في السنة الأولى حولي، ثم جذع، ثم ثنى، ثم رباع، ثم قارح. «الصحاح» ١/ ٣٩٥ (قرح).

(٦) «ديوانه» ص٦٩، و«الكامل» ١/ ٣٨٦، وفي الديوان: يفضله إذا اجتهدت، والتفضيل في السرعة لتمام السن، والذكاء حدة القلب، ويقال الذكاء في السن.

(٧) أي أن المذكي يغالب مجاريه لقوته. وهذا مثلٌ يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل. «مجمع الأمثال» ١/ ٢٨١.

أدركتم ذبحه على التمام[1].

قال الأزهري: وقد جود أبو إسحاق فيما فسر، وشفى وبالغ في الشفاء، ولقد كان له حظ من البيان موفور[2].

وقال ابن الأنباري: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ معناه: إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه بقيّة من الحياة حسنة تشخب معها أوداجه عند الذبح وينهر دمه، فإذا قطع السبع بطنه وأخرج حشوته بطلت التذكية؛ لأنه بعد أن يقع به هذا لا يضطرب اضطراب المذبوح ولا ينهر ولا تشخب أوداجه.

ومعنى التذكية: تتميم الشيء، فإذا قال القائل: قد ذكى فلان الشاة، فمعناه قد ذبحها الذبح التام الذي يجوز معه الأكل ولا يحرم، وإذا قيل: فلان ذكيّ، فمعناه تام الفطنة، وذكت النار تذكو، إذا استحكم وقودها، وأذكيتها أنا، والتذكية بلوغ غاية الشباب وتمام القوة، يقال: جريُ المُذكِّيات غِلابُ، أي جري المسانّ مغالبة، وذلك أن الفرس الذي يبلغ نهاية الشباب والقوة يُحمل[3] على السهل والحزن للثقة به[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

النصب: جمع نِصاب مثل: حِمار وحُمُر، وجائز أن يكون واحدًا وجمعه: أنصاب، مثل: طُنُب وأطناب. قاله الزجاج[5] وابن الأنباري[6].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٥-١٤٦.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في النسختين (ج)، (ش) بدون إعجام، وكأنها: محمل -بالميم-.

(٤) لم أقف على كلام ابن الأنباري.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٦.

(٦) لم أقف عليه.

(قال أبو بكر)[١]: ويجوز أن يكون النصب جمع نَصْب في الواحد، مثل: سَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن[٢].

وقال الليث: النصب جماعة النصيبة، وهي علامة تنصب للقوم[٣].

الأزهري: وقد جعل الأعشى النصب واحدًا فقال:

وذا النُّصُبَ المنصوبَ (لا تَنْسُكَنّه)[٤]

لـعـاقـبـةٍ والله ربَّـكَ فـاعـبُـدا[٥]

هذا قول أهل اللغة.

وأما التفسير: فقال ابن عباس: يريد الأصنام التي تنصب وتعبد من دون الله تعالى[٦].

وقال الكلبي: النصب: حجارة كانوا يعبدونها[٧].

وقال الفراء: النصب: الآلهة التي كانت تُعبد من أحجار[٨].

وقال الزجاج: النصب: حجارة كانت لهم يعبدونها، وهي الأوثان[٩].

---

(١) ليس في (ج).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «العين» ٧/ ١٣٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨١ (نصب).

(٤) في (ج): (لا تعبدنه)، وما أثبته هو الموافق لما في «الديوان»، و«تهذيب اللغة».

(٥) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨١ نصب، والبيت في «ديوان الأعشى» ص٤٦، وعجزه في «الديوان»: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا.

(٦) بمعناه في «تفسيره» ص١٦٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٣.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٨) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨١ (نصب)، وانظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٠١، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٣.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٣.

وقال مجاهد وقتادة وابن جريج: كانت حول البيت أحجار كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، ويُشَرِّحُون اللحم عليه، وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها[١].

قالوا: وليست هي بأصنام، إنما الصنم ما يُصوَّر ويُنقَش[٢].

فإذا أخذنا بهذا وهو أنهم كانوا يذبحون على هذه الحجارة ف (على) في قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ بمعناه، وإن قلنا: إنْ النُّصُب أوثان كانوا يتقربون إليها بالذائح عندها فمعنى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي على اسمها.

وقال قطرب: معناه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ (على) بمعنى اللام: وهما يتعاقبان في الكلام، قال الله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧] أي فعليها[٣].

قال ابن زيد: (وما ذبح على النصب) (وما أهل لغير الله به)[٤] واحد[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ﴾.

معناه: وأن تطلبوا على ما قُسِم لكم بالأزلام[٦].

قال المفسرون: وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا أراد أحدهم سفرًا

---

(١) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٤.

(٢) هذا ما ذهب إليه ابن جريج وقرره الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٢٤.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٣.

(٤) في (ش): (أهل به لغير الله).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥.

أو غزوًا أو تجارة أو غير ذلك من الحاجات أجال القداح، وهي سهام مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإن خرج السهم الآمر مضى لحاجته، وإن خرج الناهي لم يمض في أمره[١].

قال أبو عبيدة[٢]: (الاستقسام طلب القسمة، وكانوا يسألون الأزلام بأن تقسم لهم[٣].

وقال المبرد)[٤]: الاستقسام: أخذ كل واحد قسمه. وقال: الاستقسام إلزام أنفسهم ما تأمرهم به القِداح كقَسَم اليمين[٥].

وقال الأزهري: معنى قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا﴾ أي: تطلبوا من جهة الأزلام ما قسم لكم من أحد الأمرين[٦]. وهذا أشفى العبارات.

وقال ابن السكيت: يقال قسم فلان أمره يقسمه قسمًا، أي يقدره، ينظر كيف يعمل فيه[٧]، وأنشد للبيد:

فـقُـولا لـهُ إن كَـانَ يَـقْـسِـمُ أمـره
أَلَـمَّـا يَـعِـظْـك الـدهُـر أمُّـك هَـابِـلُ[٨]

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٦، ومعاني الزجاج ٢/ ١٤٦.
(٢) في (ج): (أبو عبيد).
(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٢.
(٤) ما بين القوسين ساقط من (ش).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦١، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٢٩ (قسم).
(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٢ (قسم).
(٨) «ديوانه» ص٢٥٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٢ (قسم).
والبيت من قصيدة يرثي فيها النعمان بن المنذر، والمراد بـ (أمك هابل): الدعاء، يقال: هبلته أمه، أي ثكلته.

وقالوا: فلان جيد القسم، أي جيد الرأي، ومعنى: قسم أمره إذا ميّل فيه الرأي: أيفعله أم لا[١]. ويقال: تركت فلانًا يستقسم، أي يفكر ويروّي بين أمرين، ومنه الاستقسام بالأزلام، وهو طلب الرأي الذي ميل فيه من جهة الأزلام، ولذلك بني على الاستقسام.

وأما الأزلام فهي أسماء هذه القداح التي كانت لقريش في الجاهلية، وقد زُلّمت أي سويت ووضعت في الكعبة يقوم بها سدنة البيت، فإذا أراد الرجل أمرًا أتى السادن فقال له: أخرج إلي زَلمًا، فيخرجه، فإن خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهي قعد عما أراده، وربما كان مع الرجل زَلمان قد وضعهما في قرابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما[٢]. قال الحُطَيئة:

لا يزْجُرُ الطيرُ إنْ مرَّت بِه سُنُحًا
ولا يُفِيض على قِسْمٍ بأزلامِ[٣]

وقال طَرَفه:

أخذ الأزلامَ مقتسمًا فأتى أغواهُما زُلَمُه[٤]

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٢ (قسم).

(٢) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥ (زلم)، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٢، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٥-٧٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٤.

(٣) «ديوانه» ص٢٢٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢ (زلم).
ومعنى لا يزجر: لا يتطير، وسنحا جمع سانح وهو ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.
انظر: «اللسان» ٤/ ٢١١٢، ويفيض من الإفاضة وهي الضرب بالقداح، وقوله: قسم من قولك: يقسم أمره إلي: ينظر فيه ويحيله أيفعله أم لا.

(٤) «ديوانه» ص٧٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢ (زلم).

ويقال للرجل إذا كان مخففًا رجل مُزَلَّم، وامرأة مزلّمة. ويقال: قدح مُزَلَّم وزليم، إذا طرّ وأجيد قده وصنعته، وعصا مزلّمة، وما أحسن ما زلم سهمه[١]. قال ذو الرُّمَّة:

كـأرحـاءِ رقـطٍ زَلَّـمَـتْـهـا الـمَـنَـاقِـرُ[٢]

أي سوَّتها وأخذت من حروفها[٣].

ويقال لقوائم البقر أزلام، شبهت بالقداح للطافتها[٤]، ومنه قول لَبِيد:

بَـكَـرَت تَـزِلّ عـن الـثـرى أزلامُـهـا[٥]

وواحد الأزلام زَلَم، وزُلَم. ذكره الأخفش[٦].

وكل ما ذكرنا في الأزلام هو قول أهل اللغة[٧] وابن عباس[٨]

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢ (زلم).

(٢) عجز بيت لذي الرمة في «ديوانه» ص٢٥٠، وصدره:

تفض الحصى عن مجمرات وقيعة

واستشهد به في «الصحاح» ٥/ ١٩٤٣ (زلم). وأرحاء جمع رحى، والمناقر: المعادل. انظر: «اللسان» ١٢/ ٢٧٠ (زلم).

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٨٥٧ (زلم).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢، وانظر: «اللسان» ٣/ ١٨٥٨ (زلم).

(٥) عجز بيت للبيد في معلقته وصدره:

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت

«ديوان لبيد» ص٣١٠، و«شرح المعلقات السبع» ص٩٠.

ومعنى بكرت: غدت بكره، وأزلامها: قوائمها، شبهها بالقداح أي لم تعد تثبت قوائمها على الثرى لأن الطين زلق.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٤٦١.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٥٢، و«اللسان» ٣/ ١٨٥٧-١٨٥٨ (زلم).

(٨) انظر: «تفسيره» ص١٦٩.

والمفسرين[١].

وقال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن الاستقسام بالأزلام حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المُنَجِّمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، واخرج من أجل طلوع نجم كذا؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ولذلك دخول في علم الله ﷻ الذي هو غيب، فهو حرام كالأزلام التي ذكرها الله[٢].

وقد روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة»**[٣].

وذهب المؤرج وكثير من أهل اللغة إلى أن الاستقسام ههنا هو في معنى الميسر المنهي عنه، وأن الأزلام قداح الميسر.

وليس الأمر كذلك عند أهل العلم الموثوق بعلمهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

قال الزجاج: أي الاستقسام هنا بالأزلام فِسق، وهو كل ما يخرج به عن الحلال إلى الحرام[٥].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ١٥٢، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٦، ١٤٧.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» ٥/ ١٧٤، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ١١٨، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٢ (قسم).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٧، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٨.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾.

قال المفسرون: يئسوا أن ترتدوا راجعين إلى دينهم[(١)].

وقال الكلبي: نزلت لما دخل رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع ييئس أهل مكة أن ترجعوا إلى دينهم[(٢)].

وقال الزجاج: يئسوا من بطلان الإسلام، وجاءكم ما كنتم توعدون من قوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة ٣٣][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾.

قال ابن عباس: فلا تخشوهم في اتباع محمد واخشوني في عبادة الأوثان[(٤)].

وقال الزجاج: أي فليكن خوفكم لله ﷻ، فقد أمنتم في أن يظهر دين على الإسلام[(٥)].

وهو قول ابن جريج، قال: فلا تخشوهم أن يظهَروا عليكم[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

أجمعوا على أن المراد باليوم ههنا: يوم غرفة، وأن هذه نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء. قاله ابن عباس وغيره[(٧)].

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٤٨.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ١٨٥، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٣) هكذا بالياء في النسختين، وفي رسم المصحف: (واخشون) بدونها.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٨.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٦ .

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٠٢٧٩، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٨٧.

وأما معنى إكمال الدين في ذلك: فقال عطاء عن ابن عباس: اليوم أكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك، وخلا الموسم لله ولرسوله ولأوليائه[(١)]، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة[(٢)].

وقال آخرون: أكملت لكم دينكم ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض.

وهذا معنى قول ابن عباس[(٣)]، والسدي[(٤)]، وهو الاختيار؛ لأن كمال الدين يكون ببيان الأحكام.

قال أرباب المعاني: والكمال على وجهين: كمال مشروح وهو بيان الرسول، وكمال مُبهَم وهو اجتهاد أهل العلم إلى قيام الساعة، (فما عُدِم نصه)[(٥)] لم يُعدَم دليله من الكتاب والسنة[(٦)].

وقال بعضهم: كمال دين هذه الأمة أن لا يزول ولا يُنسخ، وأن شريعتهم باقية (إلى يوم[(٧)]) القيامة[(٨)].

وقيل: الكمال هو أن هذه الأمة آمنوا بالكُلّ ولم يفرقوا، ولم يكن هذا لغيرهم[(٩)].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٧.
(٣) في «تفسيره» ص١٧٠، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٩.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٧٩.
(٥) لم تظهر في (ش).
(٦) لم أقف عليه.
(٧) لم تظهر في (ش).
(٨) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٨.
(٩) لم أقف عليه.

وقال الزجاج: معنى قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي الآن أكملت دينكم بأن كفيتكم خوف عدوكم، وأظهرتكم عليه، كما تقول: الآن كمل لنا الملك (وكمل لنا[١]) ما نريد، بأن كُفِينا من كنا نخافه. قال: وقد قيل: (المعنى[٢]) أكملت لكم فرض ما تحتاجون إليه في دينكم، وذلك جائز (حسن)[٣].

وقد شرح ابن الأنباري هذين القولين شرحًا حسنًا فقال في القول الأول للزجاج: المعنى أكملت لكم (نصر دينكم[٤]) بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه عليه. وقال في القول الثاني: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم من غير نقصان قبل (هذا[٥]) الوقت، وذلك أن الله ﷻ يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر، فيكون الأمر الأول تامًا في وقته وكذلك الثاني، كما يقول القائل: عندي عشرة كاملة، ومعلوم أن العشرين أكمل منها، و(الشرائع[٦]) التي تعبد الله بها عباده في الأوقات المختلفة مختلفة، وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها، (فكمل[٧]) الله الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة، ولم يوجب ذلك أن الدين كان ناقصًا في وقت من الأوقات[٨].

---

(١) غير ظاهر في (ش).
(٢) ليست في (ج).
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٩، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٨ .
(٤) غير ظاهر في (ش).
(٥) غير واضح في (ش).
(٦) غير ظاهر في (ش).
(٧) غير ظاهر في (ش).
(٨) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد أنه حكم لهم بدخول الجنة[(١)].

وقال (المفسرون[(٢)]): يريد أنه أنجز لهم ما وعدهم في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وكان من تمام (نعمته أن دخلوا مكة[(٣)]) آمنين، وحجوا (مطمئنين[(٤)])، لم يخلطهم أحد من المشركين[(٥)].

وقال السدي: يعني أظهرتكم على العرب[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

قال ابن عباس: (فمن اضطر) إلى ما حرّم مما سمي في صدر هذه السورة في مجاعة[(٧)].

ومعنى ﴿اضْطُرَّ﴾ أصيب بالضر الذي لا يمكنه الامتناع معه من الميتة.

وقال الزجاج: فمن دعته الضرورة في مجاعة[(٨)].

والمخمصة: المجاعة في قول ابن عباس وجميع المفسرين[(٩)].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) غير ظاهر في (ش).

(٣) طمس في (ج).

(٤) غير ظاهرة في (ش).

(٥) هذا قول الحكم وقتادة وسعيد بن جبير واختيار الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٨.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٨.

(٧) بنحوه في «تفسيره» ص١٧٠، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٥ .

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٨.

(٩) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٣، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٥.

وقال أهل اللغة: الخَمْص والمَخْمَصَة: خلاء البطن من الطعام جوعًا[١]، وأنشدوا:

يرى الخُمص تعذيبًا وإن يلق شِعبةً يَبِتْ قلبُه من قلة الهمّ مُبْهَمَا[٢]

وأصله من الخَمص الذي هو ضمور البطن، يقال: رجل خَميص وخُمصان، وامرأة خَمِيصة وخُمصانة، والجمع[٣] خمائص وخُمصانات[٤]، قال الأعشى:

تبيتُون في المشتَى مِلاءً بُطونُكم وجاراتكم غَرثَى يَبِتْن خَمَائِصا[٥]

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾.

يجوز أن ينتصب (غير لمحذوف مقدر على معنى: فتناول غير متجانف و[٦]) يجوز أن ينتصب بقوله (اضطرّ) ويكون المقدر متأخرًا، على معنى: فمن اضطر غير متجانف لإثم (فتناول ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٧].

ومعنى غير متجانف لإثم)[٨] غير متعمد، في قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن زيد[٩].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٧/ ١٥٥.

(٢) البيت لحاتم الطائي في «ديوانه» ٨٢، و«النوادر» لأبي زيد ص١١١.

(٣) في (ش): (الجميع).

(٤) انظر: «الصحاح» ٣/ ١٠٣٨، و«اللسان» ٣/ ١٢٦٦ (خمص).

(٥) «ديوانه» ص١٠٠، و«مجاز القرآن» ١/ ١٥٣.
وفي الديوان: جوعى بدل غرثى والمعنى واحد.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٠١، و«الدر المصون» ٤/ ٢٠٠ .

(٨) ما بين القوسين ليس في (ش).

(٩) انظر: «تفسير ابن عباس» ص١٧٠، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٦، و«النكت والعيون» ٢/ ١٣.

وروى عن قتادة: غير مُتعرّض لمعصية[١].

وأصله في اللغة: من الحيف الذي هو: الميل[٢].

قال الزجاج: غير مائل[٣].

وقال أبو عبيدة: غير مُنحرف[٤].

ومعنى الإثم ههنا في قول أهل العراق: أن يأكل فوق الشبع تلذذًا[٥].

وفي قول أهل الحجاز أن يكون عاصيًا بسفره[٦] على ما بينا في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن عباس: يريد غفر له ما أكل مما حرم عليه حين اضطر إليه، رحيم (بأوليائه[٧]) حيث أحل لهم ما حرم عليهم في المخمصة إذا اضطروا إلى أكلها[٨].

٤- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٦.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٦، و«الصحاح» ٤/ ١٣٣٩ (جنف).

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ١٥٣.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٩، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٦.

(٦) هذا معنى قول مجاهد كما في الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٦، ورجحه أبو يعلى انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٨٩.

(٧) غير ظاهر في (ش).

(٨) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

قال سعيد بن جبير: إن عديَّ بن حاتم[١] وزيدَ الخَيْل[٢] جاءا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة، وقد حرم الله ﷻ الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت هذه الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَاذَآ﴾ إن جعلته اسمًا فهو رفع بالابتداء وخبره (أُحِلّ)، وإن شئت جعلت (ما) وحدها اسمًا (ويكون خبرها[٤]) (ذا) أحل من صلة ذا؛ لأنه بمعنى: أي شيء (الذي[٥]) أحل لهم[٦].

ومضى الكلام مستقصى في (ماذا)[٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

---

(١) هو أبو طريف عدي بن حاتم بن سعد بن الحشرج الطائي ولد الجواد المشهور، أسلم سنة تسع أو عشر وكان نصرانيًا وحسن إسلامه وثبت على إسلامه في الردة، وقد شهد بعض الفتوحات وتوفي رضي الله عنه سنة ٦٧هـ وقيل بعدها.
انظر: «أسد الغابة» ٤/ ٨، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٦٢، و«الإصابة» ٢/ ٤٦٨.

(٢) هو أبو مكنف زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي، وفد على النبي ﷺ وكان يسمى زيد الخيل، فسماه ﷺ زيد الخير كان شاعرًا خطيبًا شجاعًا من أجمل الناس، ومات رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ.
انظر: «الاستيعاب» ٢/ ١٢٧، و«أسد الغابة» ٢/ ٣٠١، و«الإصابة» ١/ ٥٧٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، انظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٨، وإسناده ضعيف.
انظر: «تهذيب التهذيب» ٧/ ١٩٨، وله شاهد عن عدي عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩١، وذكر الأثر المؤلف في «أسباب النزول» ص١٩٤.

(٤) ساقط من (ش) بسبب طمس.

(٥) غير ظاهر في (ش).

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٩، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢١٩.

(٧) انظر: [البقرة: ٢١٥].

قال ابن عباس: يريد من جميع الحلال[١].

قال أهل العلم: كانت العرب تستقذر أشياء كثيرة فلا تأكلها، وتستطيب أشياء فتأكلها، فأحل الله لهم ما استطابوا مما لم ينزل بتحريمه (تلاوة)[٢]، مثل لحوم الأنعام كلها وألبانها، ومثل الدواب التي كانوا يأكلونها من الضباب[٣] واليرابيع[٤] والأرانب وغيرها[٥].

وهذا أصل كبير في التحليل والتحريم، فكل حيوان استطابته العرب فهو حلال، وكل حيوان استخبثته العرب فهو حرام[٦]، وهو في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧][٧].

والطيب في اللغة: المُستَلَذّ، والحلال المأذون فيه، يسمى أيضًا طيبًا تشبيها بما هو مُستَلذ؛ لأنهما اجتمعا بانتفاء المضرة.

وقال مقاتل والكلبي: المراد بالطيبات الذبائح[٨].

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٢) غير ظاهر في (ش).

(٣) جمع ضب، وهو دويبة معروفة يشبه الوَرَل، والأنثى: ضبة. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٥٤٣ (ضبب).

(٤) جمع يربوع: دويبة فوق الجُرَذ. انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٦٢ (ربع).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٤٧، وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٧٣١ (طيب).

(٦) هذا إذا وافق التشريع عند نزول القرآن وجاء على لسان الرسول ﷺ الحلال والحرام في هذا الشأن، وليس المراد أن استطابة العرب مصدر للتشريع في التحليل والتحريم في هذا المضمار، والله أعلم.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩١.

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٥٤، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

والقول الأول أولى؛ لأنه أعم في التحليل، وعليه أكثر العلماء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾.

قال الزجاج وغيره: يريد: وصيد ما علمتم من الجوارح، فحذف الصيد وهو مراد في الكلام؛ لدلالة الباقي عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ولأنهم سألوا عن الصيد[(١)].

هذا قول جميع أهل المعاني[(٢)].

ويجوز أن يقال: قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ ابتداء كلام وخبره: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ فيصبح الكلام من غير حذف وإضمار، وهو قول حسن.

وأما الجوارح: فهي الكواسب من الطير والسباع ذوات الصيد، والواحدة جارحة، والكلب الضاري جارحة، سميت جوارح؛ لأنها كواسب أنفسها، من: جرح واجترح، إذا اكتسب[(٣)].

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد الطير تصيد، والكلاب، والفهود، وعناق الأرض[(٤)]، وسباع الطير، مثل: الشاهين والباشِق[(٥)]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٩.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٨، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٧٢ (جرح)، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٤، و«معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٦٤، و«غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٨.

(٤) عناق الأرض: دابة من السباع أصغر من الفهد تصيد الطيور. انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٣٦ (عنق).

(٥) الباشق: بفتح الشين اسم طائر جارح. انظر: «اللسان» ١/ ٢٨٩.

والعقاب والزُّمَّج(١)، فما اصطادت هذه الجوارح فقتلته فهو حلال(٢).

وقال ليث(٣)(٤): سئل مجاهد عن الصقر والبازي والفهد وما يَصطاد من السباع؟ فقال: هذه كلها جوارح(٥).

وهذا قول جميع المفسرين(٦) إلا ما روي عن ابن عمر(٧) والضحاك أنهما قالا: الجوارح الكلاب دون غيرها، وما صاد غير الكلاب فلم يدرك ذكاته لم يحل أكله(٨).

ومثل هذا يُروى عن السدي أيضًا(٩)، وهو قول غير معمول به(١٠).

---

(١) الزُّمَّج: -بضم الزاي وتشديد الميم المفتوحة طائر جارح دون العقاب يصاد به، وقيل: هو ذكر العقبان. انظر: «اللسان» ٣/ ١٨٦٠ (زمج).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ج): الليث.

(٤) هو أبو بكر ليث بن أبي سليم أيمن أو أنس بن زنيم الكوفي الليثي، من أوعية العلم وكان صاحب سنة، صدوق في الرواية لكنه اختلط وحديثه عند مسلم والأربعة، توفي رحمه الله سنة ١٤٨هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٧٩، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٢٠، و«التقريب» ٤٦٤ رقم (٥٦٨٥).

(٥) أخرجه بنحوه من عدة طرق عن مجاهد: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٩، وانظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٨٦.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٨٩-٩٠، و«النكت والعيون» ٢/ ١٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

(٧) في (ج): ابن عمرو.

(٨) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٠، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ١٥.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٠، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

(١٠) قال الطبري في «تفسيره»: وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: كل ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح، وأن صيد جميع ذلك حلال إذا صاد بعد التعليم؛ لأن الله جل ثناؤه عمّ بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ كل جارحة، ولم يخصص منها شيئًا. «جامع البيان» ٦/ ٩٠-٩١، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

وقوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾.

المُكَلِّب: الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد، ويقال للصائد مكلب؛ لأنه يعلم الكلب الصيد[(١)]، قال الشاعر:

فبادَره عند الصَّبَاح مُكَلّبٌ أزلّ كَسِرحَان الهَزِيمة أَغْبرُ[(٢)]

قال أهل المعاني: وليس في قوله: (مكلبين) دليل على أنه إنما أبيح صيد الكلاب خاصة؛ لأنه بمنزلة قوله: مؤدبين[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال الكلبي: تؤدبونهن[(٤)] لطلب الصيد أن لا يأكلن الصيد كما أدبكم الله[(٥)].

قال العلماء: وصفة الكلب المعلم الذي يحل صيده هو أن يكون إذا أرسله صاحبه وأشلاه استشلى[(٦)]، وإذا أخذ الصيد أمسك ولم يأكل، وإذا دعاه أجابه، وإذا أراده لم يفرّ منه، فإذا فعل ذلك مرات فهو معلم[(٧)].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٤٩، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٧، و«النكت والعيون» ٢/ ١٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦، و«اللسان» ٧/ ٣٩١١ (كلب).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ١٥، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٢.

(٤) في (ج): (تؤدبوهن).

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

(٦) أشلاه: أي أغراه. انظر: «اللسان» ١٤/ ٢٣١٩ (شلا).

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٢، و«النكت والعيون» ٢/ ١٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾.

(قال النحويون[١]): دخلت (من) في قوله (مما) للتبعيض؛ لأنه إنما أحل أكل بعضه وهو اللحم دون الفرث والدم[٢].

وقال الأخفش: من ههنا زائدة، (والمعنى: فكلوا[٣]) ما أمسكن عليكم[٤].

وقال غيره: هذا خطأ؛ لأن مِنْ لا تزاد في الواجب، وإنما تزاد في النفي والاستفهام. ومعنى (مِن) في: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٧١][٥] ابتداء الغاية، أي: يكفر (عنكم أعمالكم[٦]) التي تحبون أن تستر عنكم من سيئاتكم[٧].

قال العلماء: إذا كان الضاري وهو الكلب معلمًا كما وصفنا، ثم صاد صيدًا (فجرحه[٨]) وقتله وأدركه الصياد ميتًا: فهو حلال وجرح

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٨-٩٩، و«الدر المصون» ٤/ ٢٠٤ .
وقد رجح الطبري في «تفسيره» والسمين هذا القول.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٤) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٦٤، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٤، و«الدر المصون» ٤/ ٢٠٤.

(٥) سياق هذه الآية في مقام الرد على الأخفش؛ لأنه قد اعتبر من في آية النساء هذه كما في آية البقرة.
انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٦٤.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٩/ ٥٦٩، ٥٧٠ن والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٧٣، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٣٠.

(٨) ساقط من (ش).

الجارحة كالذبح[١]، وكذلك الحكم في سائر الجوارح (المُعلَّمة، والسهم، والرمح، والمعراض[٢] وما جَرَح[٣]) تجده، فإن أصابه المعراض بعَرضه (فقتله ولم تدرك[٤]) ذكاته فهو حرام[٥]، (وإن صاده الكلب فجثم عليه[٦]) فغمّه وقتله بالغم[٧] من غير جُرح (لم يجز أكله عند كثير من العلماء، والقياس أنه حلال؛ لأنه مما أمسكه على صاحبه)[٨]، والكلب لا يتعلم الجرح، (والذي يُتَصوّر عنده أنّ تسليمه إلى مرسله سليمًا[٩]) عن الجرح أحسن (في الاصطياد)[١٠].

هذا كله إذا لم يأكل، فإن أكل منه فقد اختلف فيه العلماء.

فعند ابن عباس وطاوس والشعبي وعطاء والسدي: أنه لا يحل ولا يؤكل[١١].

قال ابن عباس: إذا أرسلت الكلب فأكل من صيده فهو (ميتة، لا يحل

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٧، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٧١، ٧٢.
(٢) المعراض: السهم الذي لا ريش عليه «الصحاح» ٣/ ١٠٨٣ (عرض).
(٣) غير واضح في (ش).
(٤) غير واضح في (ش).
(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٧، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٧١، ٧٢.
(٦) غير واضح في (ش).
(٧) الظاهر أن المراد بغمه أن يضيق عليه أنفاسه بثقله فيموت الصيد بالغم.
(٨) غير واضح في (ش).
(٩) غير واضح في (ش).
(١٠) غير واضح في (ش).
(١١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٢-٩٨، و«النكت والعيون» ٢/ ١٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦.

أكله)[١]؛ لأنه أمسكه (على نفسه[٢]) ولم يمسك عليك، ولم يتعلم ما علمته، فاضربه ولا تأكل من صيده[٣].

وهذا (هو الأشهر[٤]) والأظهر من مذهب الشافعي[٥]، ويدل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال لعدي بن حاتم: «**إذا أرسلت كلبك (فاذكر اسم الله[٦]) فإن أدركته لم يقتل (فاذبح[٧]) واذكر اسم الله، وإن أدركته قد قتل ولم يأكل فكل، فقد أمسك عليك، وإن وجدته (وقد أكل[٨]) منه فلا تطعم منه (شيئًا فإنما[٩]) أمسك على نفسه**»[١٠].

وعند سلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة أنه يحل وإن أكل[١١] (وهو أحد[١٢]) قولي الشافعي[١٣].

---

(١) غير ظاهر في (ش).

(٢) غير ظاهر في (ش).

(٣) أخرجه بمعناه من طريق العوفي: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٨، وقد ثبت نحو هذا القول لابنه في «صحيح البخاري» (٥٤٨٣) كتاب الذبائح والصيد، باب (٧): إذا أكل الكلب ٦/ ٢٢٠.

(٤) غير واضح في (ش).

(٥) انظر: «الأم» ٢/ ٢٢٦، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٩، وذكره ابن كثير في «تفسيره» أنه رأي الجمهور واختار هذا القول الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٦.

(٦) غير واضح في (ش).

(٧) طمس في (ش).

(٨) غير واضح في (ش).

(٩) طمس في (ش).

(١٠) أخرجه البخاري (٥٤٨٤) كتاب الذبائح والصيد، باب (٨): الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة ٦/ ٢٢٠، ومسلم (١٩٢٩) كتاب الصيد والذبائح، باب (١): الصيد بالكلاب المعلمة ٣/ ١٥٢٩ (ح١).

(١١) وهذا رأي الإمام مالك أيضًا. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٥-٩٦، و«النكت والعيون» ٢/ ١٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧.

(١٢) ما بين القوسين بياض في (ش).

(١٣) انظر البغوي في «تفسيره» ١/ ١٧.

ولا فرق فيما ذكرنا بين الطيور المعلمة والسباع المعلمة.

وقال سعيد (بن جبير[١]): إذا أكل الكلب (من صيده[٢]) فلا تأكل منه، فإنما أمسك على نفسه، وأما البازي والصقر فكل وإن أكلا؛ فإنما تعليمه إذا دعوته يجيبك، ولا تستطيع ضربه حتى يدع الأكل[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾.

يعني إذا أرسلتم الكلاب. قال الكلبي وغيره من المفسرين[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ إذا أطلقت، فإن نسيت حين تطلق كلبك اسم الله فلا بأس أن تأكله، فإن المؤمن مؤمن واسم الله المؤمن، والمسلم مسلم، واسم الله السلام[٥].

وقال الحسن: إذا أرسل المؤمن كلبه (ونسي[٦]) أن يسمي الله فإنه يأكل؛ لأن اسم الله من دينه، وهو بمنزلة شفرته إذا نسي أن يذكر اسم الله[٧].

---

(١) غير واضح في (ش).

(٢) بياض في (ش).

(٣) أخرج صدره الخاص بالكلب: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٣، وذكره بطوله الهواري في «تفسيره» ١/ ٤٥٠.

(٤) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٧، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٥) لم أقف عليه، وقد ثبت عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة أنه قال: إذا أرسلت جوارحك فقل: بسم الله، وإن نسيت فلا حرج، و«تفسيره» ص١٧١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٩، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٩٩.

(٦) في (ش): (فنسي).

(٧) لم أقف عليه، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٠.

قال العلماء: الأولى الذبح على اسم الله، وإرسال الجوارح على اسم الله، فمن ترك اسم الله فذبيحته؛ حلال لما قال رسول الله ﷺ: «المؤمن يذبح على اسم الله، سمّى أو لم يُسمّ»[(١)].

وهو ما فسر ابن عباس والحسن.

وقالت عائشة لرسول الله ﷺ: إن الأعراب يأتوننا بلحوم الصيد، ولا ندري سموا الله عليها أم لا. فقال رسول الله ﷺ: «سموا أنتم وكلوا»[(٢)].

قال أهل المعاني: الهاء في قوله: (عليه) تعود إلى الإرسال[(٣)]، كنّى عنه وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الكلام يدل عليه، ومثله كثير.

٥- قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

قال أهل المعاني: إنما ذكر إحلال الطيبات تأكيدًا، كأنه قيل: اليوم أحل لكم الطيبات التي سألتم عنها[(٤)].

وقد فسرنا الطيبات في الآية الأولى.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾.

الطعام عند العرب: (اسم لما يُؤكل[(٥)])، كما أن الشراب اسم لما

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٥٥٠٧) كتاب الذبائح والصيد، باب (٢١): ذبيحة الأعراب ونحوهم ٦/ ٢٦٦، وابن ماجة (٣١٧٤) كتاب الذبائح، باب: التسمية عند الذبح.

(٣) هذا معنى قول ابن عباس والسدي. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٩٩، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٤.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩٥.

(٥) غير واضح في (ش).

يشرب، والذبائح داخلة في اسم الطعام على مقتضى اللغة.

قال ابن عباس: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] ثم استثنى ذبائح أهل الكتاب فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ يعني: (ذبائح اليهود[١]) والنصارى وإن لم يذكروا اسم الله وذكروا عيسى وعزير[٢].

وقال الشعبي وعطاء في النصراني (يذبح فيقول: باسم[٣]) المسيح. قالا: تَحلّ، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم (ما يقولون[٤])[٥].

ومثل هذا رُوي عن الزهري[٦] ومكحول[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾.

يريد أن ذبائحنا لهم حلال، فإذا اشتروها (منا كان[٨]) الثمن لنا حلالًا، (واللحم لهم حلالًا)[٩]، وهذا يدل على أنهم مخاطبون بشريعتنا.

---

(١) غير واضح في (ش).

(٢) لم أقف عليه، وما وجدته عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: كلوا من ذبائح بني تغلب وتزوجوا من نسائهم. أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠١، ويريد نصارى بني تغلب.

(٣) غير واضح في (ش).

(٤) غير واضح في (ش).

(٥) أخرجه عنهما بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠١، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٥.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩٥ .

(٧) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨.

(٨) غير واضح في (ش).

(٩) غير واضح في (ش)، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩٦.

وقال الزجاج: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ (تأويله حل لكم أن تُطعِمُوهم[1])[2]. فجعل الزجاج الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود إلى إطعامنا إياهم، لا إليهم. ثم قال: لأن (الحلال والحرام والفرائض بعد[3]) عقد التوحيد[4]، إنما يعقد على أهل الشريعة[5].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.

قال مجاهد: يعني الحرائر[6].

وقال ابن عباس: يريد العفائف من المؤمنات[7] وهو قول الحسن والشعبي وسفيان وإبراهيم والسدي[8].

فإن حملنا الإحصان على الحرية وهو قول مجاهد لم تدخل الأَمَة

---

(١) غير واضح في (ش).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٦.

(٣) غير واضح في (ش).

(٤) علق محقق «معاني الزجاج» عند هذا الموضع ما يأتي: أي الإيمان والعقيدة أولًا ثم التكليف بعد ذلك، وهؤلاء لا إيمان عندهم فليأكلوا ما يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤١٧ .

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٤، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٦.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٦، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٦،«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٠٦-١٠٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩.

المسلمة في هذا التحليل، وذلك ان هذا تحليل مطلق، والتحليل المطلق إنما يستمر في الحرائر المسلمات؛ فأما الأمة المسلمة فنكاحها إنما يجوز بشرطين، على ما بينا في سورة النساء، فهي غير مطلقة النكاح.

وإن حملنا الإحصان على العِفّة وهو قول ابن عباس والباقين قلنا في هذه الآية إن المراد بها بيان الأولى من النكاح، كما قال رسول الله ﷺ: **«عليك بذات الدين تربت يداك»**(١) فالأولى أن يتزوج عفيفة، فإن تزوج زانية كُرِهَ وجاز، وسنذكر المذاهب في تزوجّ الزانية عند قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ الآية [النور: ٣] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

قال ابن عباس: يريد الحرائر، وأما أهل الكتاب حرام نكاحهن(٢).

هذا كلامه، وقد بينا هذا في سورة النساء.

واختلفوا في قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هل هو عام أم لا؟

فقال ابن عباس: هذا خاص في الذميات منهن، فأما الحربيات منهن فلا. روى مِقسَم عنه أنه قال: من نساء أهل الكتاب من يحل لنا، (ومنهم(٣)) من لا يحل لنا. ثم قرأ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩] فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه، ومن لم يُعطِ لم يحل(٤).

---

(١) أخرجه بنحوه من حديث أبي هريرة البخاري (٥٠٩٠) كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٧.

(٣) في (ش): منهن وما أثبته هو الموافق لما عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٧.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٧، و«زاد المسير» ٢/ ٢٩٧.

قال ابن الجوزي معلقًا على رأي ابن عباس هذا: والجمهور على خلافه.

وقال الحسن وسعيد بن المسيب: هذا عام في جميع الكتابيات حربية كانت أو ذمية[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

قال ابن عباس: يريد الصداق والمهور[٢].

قال أهل المعاني: تقييد التحليل بإيتاء الأجور يدل على تأكد وجوبه، وأن من تزوج امرأة واعتقد أن لا يعطيها صداقها كان في صورة الزاني. وقد روي هذا المعنى عن النبي ﷺ[٣].

وتسمية المهر بالأجر يدل على أن أقل الصداق لا يتقدر، كما أن أقل الأجر في الإجارات لا يقدر.

وقوله تعالى: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾.

قال ابن عباس: يريد حلالًا غير حرام[٤].

﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾. قال: يريد التي يهواها فيضمها إليه من غير تزويج، هذا حرام[٥]. وقال غيره: ﴿مُحْصِنِينَ﴾ يعني تنكحوهن بالمهر والبينة، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ معالنين بالزنا، ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ يعني تُسرون الزنا[٦].

وقال الشعبي: الزنا ضربان خبيثان: السفاح وهو أخبثهما، وهو

---

(١) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩٦.

(٢) «تفسيره» ص١٧٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٨.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) بمعناه في «تفسيره» ص١٧٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٨ .

(٥) بمعناه في «تفسيره» ص١٧٢ن وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٨ .

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩ .

المعالنة بالزنا، والآخر: اتخاذ الخدن، وهو الزنا في السر[(١)].

قال الزجاج حرم الله ﷻ الجماع على جهة السفاح، وعلى جهة اتخاذ الصديقة، وأحله على جهة الإحصان، وهو التزوج[(٢)(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي بالله[(٤)].

ووجه هذا القول: هو أن الله تعالى يجب الإيمان به، ومن آمن به فهو مؤمن به، والله تعالى مؤمن به، والمؤمن به يجوز أن يسمى إيمانًا كما يسمى المضروب ضربًا، كقولهم: نسج اليمن، وصيد البر.

وحكى عن بعضهم أنه قال: معنى هذا القول: ومن يكفر برب الإيمان[(٥)]. فجعله من باب حذف المضاف.

والأول الوجه.

قال العلماء: وليس هذا على الإطلاق؛ لأنه قيد في آية أخرى فقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فأما من كفر ثم آمن ومات على الإيمان لا يقال حبطت أعماله.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في «معاني الزجاج»: التزويج.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٢.

(٤) هذا لفظ مجاهد كما عند الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٩، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥١، أما لفظ ابن عباس فإنه قال: أخبر الله أن الإيمان هو العروة الوثقى وأنه لا يقبل عملًا إلا به، ولا يحرم الجنة إلا على من تركه. «تفسيره» ص١٧٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٠٩-١١٠.

(٥) لم أقف عليه.

وقال الكلبي: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بشهادة أن لا إله إلا الله[١].
فجعل كلمة التوحيد إيمانًا.

وروى حِبان[٢] عنه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ يقول: بما أنزل على محمد ﷺ[٣].

وعلى هذا سُمي القرآن إيمانًا؛ لأنه يجب الإيمان به، وأنه من عند الله.

قال مقاتل: المراد بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ نساء أهل الكتاب، يقول: ليس إحصان المسلمين إياهن بالذي يخرجهن من الكفر أو يغني عنهن في دينهن شيئًا، وجعلهن ممن كفر بالإيمان وحبط عمله، وهي بعدُ للناس عامة، من كفر بالإيمان فقد حبط عمله[٤].

وقال أبو إسحاق: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ أي من بدّل شيئًا مما أحل الله فجعله حرامًا، أو أحل شيئًا مما حرم الله فهو كافر بالإجماع، وقد حبط جميع ما تقرب به إلى الله ﷻ[٥].

وهذا دليل لمن جعل الطاعات إيمانًا؛ لأن تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرمه طاعة.

---

(١) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٠، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٨.

(٢) هو أبو عبي حبان -بكسر الحاء- بن علي العنزي الكوفي، له فقه وفضل، لكنه ضعيف. توفي سنة ١٧١هـ.
انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٢٧٠، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٤٤٩، و«التقريب» ص١٤٩ رقم (١٠٧٦) رقم (١٠٧٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٥٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٢.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن عباس: يريد الثواب[١].

٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن (في[٢]) الكلام والاستعمال دليلًا على معنى الإرادة، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] المعنى: إذا أردت أن تقرأ[٣].

قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: إذا اتجرت فاتجر في البزّ، وإذا آخيت فآخ أهل الحسب. تريد إذا أردت التجارة، وإذا أردت مؤاخاة الناس.

قال: ويجوز أن يكون المعنى: إذا قمتم إلى الطهور، فذكر الصلاة وهو يريد الطهور؛ لأن الصلاة لا تكون إلا بطهور وهو مقدمتها التي لا تكون صلاة مُجازَةً إلا بها. قال: والأول هو المختار[٤].

وقال أبو الفتح الموصلي[٥]: معنى قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: إذا عزمتم الصلاة[٦] وأردتموها، وليس الغرض والله أعلم في (قمتم) النهوض والانتصاب؛ لأنهم قد أجمعوا على أنه لو غسل أعضاءه قبل

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٨.

(٢) ليست في (ج).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٢، وانظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٨، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٨، و«رصف المباني» ص٤٤١.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٩٨.

(٥) هو ابن جني كما في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٣.

(٦) في «سر صناعة الإعراب»: (عزمتم على الصلاة).

الصلاة قاعدًا أو نائمًا[(١)] لكان قد أدى فرض هذه الآية[(٢)].

ونظير قمتم في هذا الموضع قوله سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وليس يراد هنا -والله أعلم- القيام الذي هو المثول، وإنما هو من: قمت (بأمرك[(٣)])، وعليّ القيام بهذا الأمر، فكأنه[(٤)] قال: الرجال متكلِّفون لأمر النساء ومعنيون بشؤونهن، فكذلك قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾ (أي[(٥)]) إذا هممتم بأمر الصلاة، وتوجهتم إليها بالعناية، وكنتم غير متطهرين فافعلوا كذا، فقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ يريد: إذا قمتم إلى الصلاة ولستم على طهارة، فحذفُ ذلك للدلالة عليه، وهذا أحد الاختصارات التي في القرآن، وهو كثير جدًّا.

ومثل ذلك قول طَرَفَة:

فإن مُتُّ فانعِيني بما أنا أهلُه
وشُقِّي عليَّ الجَيبَ يابنة مَعْبَدِ[(٦)]

تأويله: فإن مُتُّ قبلك. لابد من أن يكون الكلام معقودًا على هذا؛ لأنه معلوم أنه لا يكلفها نعيه والبكاء عليه بعد موتها[(٧)].

---

(١) في «سر صناعة الإعراب»: (قائمًا أو قاعدًا)، وهو أولى.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٤) في (ج): (وكأنه).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) «ديوانه» ص٢٩، والبيت من معلقته كما في «شرح القصائد المشهورات» ص٩٢، و«شرح المعلقات السبع» ص٦٨، ومعنى انعيني: أشيعي خبر موتي، ويقصد بابنة معبد ابنة أخيه معبد بن العبد.

(٧) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٤، ٦٣٥.

وقوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾.

قال أبو الفتح: كان أبو سهل بن زياد القطان[١] يحتج بهذه الآية على وجوب الترتيب في الطهارة. قال: لأن الفاء للترتيب، وقد قال: ﴿فَٱغْسِلُواْ﴾ فوجب أن يُرتب الغَسل على القيام، يبدأ به دون غيره.

فقال أبو الفتح: قد بينا أن المراد بالقيام ههنا: العزم والإرادة، فالفاء إذًا إنما (رتب[٢]) الغسل والمسح عَقِيب الإرادة والعزم، ولم يجعل للغسل مزية في التقدم على المسح؛ لأن المسح معطوف على الغسل بالواو[٣].

والواو لا توجب الترتيب، وليس فيها دليل على (المبدوء به[٤]) في المعنى؛ لأنها ليست مرتبة، ألا ترى إلى قول لبيد:

أُغْلي السِّباءَ بكُلِّ أدكنَ عاتقٍ أو جَونةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها[٥]

قوله قدحت (أي غُرِفَت[٦])، وإنما يُفَضّ الخَتم قبل الغرف، فقد

---

(١) هو أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان البغدادي، الإمام المحدث الثقة مسند العراق، وكان كثير التلاوة حسن الانتزاع لمعانيه، توفي رحمه الله سنة ٣٥٠هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٢١، و«البداية والنهاية» ١١/ ٢٣٨، و«شذرات الذهب» ٣/ ٢.

(٢) في «سر صناعة الإعراب»: (رتبت)، وهو أصوب.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٣ بتصرف.

(٤) في (ش): (البدء به)، وما أثبته هو الموافق لـ «سر صناعة الإعراب».

(٥) «ديوانه» ص٣١٤، والبيت من معلقته كما في «شرح القصائد المشهورات» ١/ ١٦٢، و«شرح المعلقات السبع» ص٩٤.

ومعنى: أغلي: أشتري غاليًا، والسباء: اشتراء الخمر، والأدكن: الذي فيه دكنة كالخز الأدكن، والعاتق: الخالصة، والجونة: الخابية السوداء، وقدحت: غرفت، والفض: الكسر.

(٦) بياض في (ش).

علمت أن قُدِحَت مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى، وعلى هذا يتوجه قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ الآية [آل عمران: ٤٣] فبدأ بالسجود قبل الركوع لفظًا وهو مؤخر عنى[١].

وإذا كان كذلك جرى قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ ﴿وَٱمْسَحُوا۟﴾ مجرى قولك: فاضرب زيدًا واشتم جعفرًا، فلو بدأ بالشتم قبل الضرب كان جائزًا، فالفاء لم ترتب الغَسل قبل المَسح، ولا الضرب قبل الشتم، ولم ترتب أيضًا نفس المغسول؛ لأن المغسول معطوف بعضه على بعض بحرفٍ لا يوجب الترتيب وهو الواو.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾.

المِرفق مكسور من اليد والمتكأ، ومن الأمر كقوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، والارتقاء التوكؤ بمِرفقك على مَرفَق[٢].

(فأما قوله: ﴿إِلَى﴾ فإن أبا العباس[٣])[٤] وجماعة من النحويين جعلوا (إلى) ههنا بمعنى: مع، وأوجبوا غسل المرافق[٥]، وهو مذهب الشافعي وأكثر العلماء[٦].

---

(١) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٣٢، ٦٣٣ بتصرف.

(٢) «العين» ٥/ ١٤٩، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٤٤ (رفق).

(٣) لعله المبرد.

(٤) في (ج): (فأما قوله فإن العباس).

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٣، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٧، و«الدر المصون» ٤/ ٢٠٨.

(٦) انظر: «الأم» ١/ ٢٥، والطبري ٦/ ١٢٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٥٣، و«بحر العلوم» ١/ ٤١٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٠، =

وقال المبرد: وهو قول الزجاج: اليد من أطراف الأصابع إلى الكتف، والرجل من الأصابع إلى أصل الفخذين، فلما كانت المرافق والكعبان داخلة في تحديد اليد والرجل كانت داخلة فيما يغسل وخارجةً مما لا يغسل، ولو كان: مع المرافق، لم يكن في ذكر المرافق فائدة، وكانت اليد كلها يجب أن تغسل، ولكن لما قيل: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ اقتطعت في الغسل من حد المرفق[1].

قال الزجاج: والمرفق في الحقيقة في اللغة ما جاوز الإبرة[2]. وهو المكان الذي يرتفق به، أي يتكَّأ عليه، فالمرافق هي في الحقيقة حد ما ينتهي إليه في الغسل، وليس يحتاج إلى تأويل (مع). انتهى كلامه[3].

وقد حصل من قوليهما أن الحد إذا كان من جنس المحدود كان داخلًا في جملة المحدود، وهو قولهما: لما كانت المرافق والكعبان داخلة في تحديد اليد والرجل كانت داخلة فيما يغسل، ومثل هذا قولك: بعتك الثوب من هذا الطرف إلى ذاك الطرف، دخل الطرفان في البيع إذا كان من جنس المبيع.

وحصل من قول الزجاج: أن المِرفق ما جاوز الإبرة، وأنه حد ما ينتهي إليه الغسل. وما جاوز الإبرة لا يجب غسله بالإجماع.

= و«المغني» لابن قدامة ١/ ١٧٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٨٦، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٧.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٣.

(٢) الإبرة بالكسر: عظم وترة العرقب، وطرف الذراع من اليد، وما انحدّ من عرقوب الفرس. «مختار القاموس» ص١١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٣.

وقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُواْ[١] بِرُؤُوسِكُمْ﴾.

المسح مسحك شيئًا بيدك كمسحك الرشح عن جبينك، وكمسحك رأسك في وضوئك. قاله الليث[٢].

والظاهر[٣] من مقتضى الآية أن التعميم لا يجب في مسح الرأس، وأنه غير محدود أيضًا، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه؛ لأنه إذا مسح البعض وإن قل، فقد حصل من طريق اللسان ماسحًا[٤]، ولا يلتفت إلى قول من قال: إن الباء توجب التعميم؛ لأن ذلك لا يعرفه أهل النحو، بل الباء للإلصاق، كما بينا في أول الكتاب عند قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

في الأرجل قراءتان: النصب والخفض[٥].

أما النصب فهو ظاهر؛ لأنه عطف على المغسول، لوجوب غسل الرجلين بإجماع، لا يقدح فيه قول من خالف.

وأما الكسر فقد اختلفوا في وجهه: فقال أبو حاتم وابن الأنباري

---

(١) في (ش): (فامسحوا).

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٨، وانظر: «اللسان» ٧/ ٤١٩٦ (مسح).

(٣) في (ش): (فالظاهر).

(٤) انظر: «الأم» ١/ ٢٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢، وقد قال بقول الشافعي الحسن والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وهو رواية عن الإمام أحمد، والرواية الأخرى عن أحمد أنه يجب مسح جميعه، وهو مذهب مالك.
انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٢٤-١٢٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢، و«المغني» ١/ ١٧٥.

(٥) قراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص، وقرأ الباقون بالخفض، انظر: «الحجة» ٣/ ٢١٤، و«النشر» ٢/ ٢٥٤.

وأبو علي: الكسر بالعطف على الممسوح، غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل[١]. روي ذلك عن أبي زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل. قالوا: تمسّحت للصلاة، وهات ما أتمسّح به للصلاة في معنى: أتوضأ[٢].

قال أبو حاتم: وذلك أن المتوضئ لا يرضى بصبّ الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل، فسمي الغسل مسحًا[٣].

فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان؛ لأن المسح في أحدهما وهو الرأس، دون المسح في الرجل.

والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل: ذكر التحديد وهو قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ والتحديد إنما جاء في المغسول، ولم يجئ في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد. ذكره الزجاج[٤] وابن الأنباري[٥] (وأبو[٦] علي)[٧].

فإن قيل: إن كان المراد بالمسح الغَسل فهلا عطفت على المغسول فيكون أظهر في إيجاب الغسل؟

---

(١) انظر: «الحجة» ٣/ ٢١٥، و«معاني القراءات» ١/ ٣٢٧.
(٢) من «الحجة» ٣/ ٢١٥ بتصرف، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٢٧، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠١.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٤ بنحوه.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (ج).
(٧) «الحجة» ٣/ ٢١٥.

قيل: إن من قرأ بالكسر وجد في الكلام عاملين، أحدهما: الغسل والآخر الباء الجارة، ووجد العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن يحمل على الأقرب منهما دون الأبعد، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، ونحو قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][1]، ونحو قوله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، فلما رأى العاملين إذا اجتمعا حُمِل الكلام على أقربهما إلى المعمول حمل في هذه الآية أيضًا على أقربهما وهو الباء، ولم يُخَف الالتباس لشيوع الغسل في الآثار، وقيام الدلالة على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل[2]. وهو ما قدمنا ذكره.

وقال الجماعة من أهل المعاني: إن الأرجل معطوفة على الرؤوس في الظاهر، والمراد فيها الغسل، وقد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف، كما قال الشاعر:

يا ليتَ بَعلَك قد غَدا
مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمحًا[3]

المعنى: وحاملًا رمحًا، وكذلك قول الآخر:

---

(١) لعل الشاهد في الآية الأولى أن يكون التقدير: وأنهم ظنوا أن لن يبعث الله أحدًا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدًا وفي الآية الثانية: ﴿يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم في الكلالة﴾، وهكذا في بقية الآيات.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢١٤، ٢١٥.

(٣) البيت لعبد الله بن الزبعري كما في «الكامل» ١/ ٣٣٤، وبلا نسبة في «معاني الفراء» ١/ ١٢١، و«معاني الأخفش» ٢/ ٤٦٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٥٤.

عـلّـفـتُـهـا تِـبـنًـا ومـاءً بـاردًا[١]

المعنى: وسقيتُها مَاء باردًا. ذكره الزجاج[٢].

قال أبو بكر: وكما قالوا: أكلت خبزًا وماء، وهم يريدون: وشربت ماء، فحذفوا شربت، كذلك المعنى في الآية: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ واغسلوا ﴿أَرۡجُلِكُمۡ﴾، فلما لم يذكر الغسل عطفت الأرجل على الرؤوس في الظاهر، واكتفى بقيام الدليل أن الأرجل تغسل من الآية والخبر[٣].

وهذا الذي ذكرنا مذهب أبي عبيدة[٤] والأخفش[٥] في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ قد مضى الكلام في كيفية التحديد.

وأما تفسير الكعبين فقال الليث: كعب الإنسان ما أشرف فوق رُسْغِه عند قدمه[٦].

وقال أبو عبيد عن الأصمعي: الكعبان الناشزان من جانبي القدم. وأنكر قول الناس أنه في ظهر القدم[٧].

---

(١) عجز هذا البيت:

حـتـى شـتـت هـمـالـة عـيـنـاهـا

وفي رواية: غدت همالة، ومعنى شتت: أي أقامت في الشتاء والمراد: صارت. والبيت من شواهد «تأويل مشكل القرآن» ص٢١٣، و«الخصائص» ٢/ ٤٣١، و«الإنصاف» ص٤٨٨، و«شذور الذهب» ص٢٤٠.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٤، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٤٦٦، و«تأويل مشكل القرآن» ص٢١٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠١.

(٣) لم أقف على قول ابن الأنباري.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦.

(٦) «العين» ١/ ٢٠٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥٢ (كعب).

(٧) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥٢ (كعب).

وروى الأزهري أن واحدًا[١] سأل أحمد بن يحيى عن الكعب، فأومأ إلى المَنْجَمَين[٢]. وقال: هذا قول أبي عمرو بن العلاء والأصمعي[٣].

ولا يعرج على قول من يقول: إن الكعب في ظهر القدم، فإنه خارج من اللغة والأخبار وإجماع الناس[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾.

قال الزجاج: معناه فتطهروا، إلا أن التاء تدغم في الطاء؛ لأنهما من مكان واحد، فإذا أدغمت التاء في الطاء (سكن[٥]) أول الكلمة، فتزيد فيها ألف الوصل فابتدأت فقلت: اطهروا[٦].

قال مقاتل: يقول: فاغتسلوا[٧].

ومضى الكلام في هذا الحرف عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] في الآية مشروح في سورة النساء إلى قوله تعالى:

---

(١) في «تهذيب اللغة» أنه: ابن جابر.

(٢) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥٢ (كعب): فأومأ ثعلب إلى رجله إلى المفصل منها بسبابته فوضع السبابة عليه ... قال: ثم أومأ إلى المنجمين.
قال ابن منظور: والمَنْجِمَان والمِنْجَمَان: عظمان شاخصان في بواطن الكعبين يقبل أحدهما على الآخر إذا صفت القدمان. ومنجما الرجُل: كعباها. «اللسان» ٧/ ٤٣٥٨ (نجم)، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٣٦.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٢٥ (نجم).

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» عن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال: (الكعب) الذي يجب الوضوء إليه هو الكعب الملتصق بالساق المحاذي العقب، وليس بالظاهر في ظهر القدم. «جامع البيان» ٦/ ١٣٦.

(٥) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٥: سقط.

(٦) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٠٤.

(٧) «تفسيره» ١/ ٤٥٥.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[١].

ومعنى (منه) ههنا استعمال بعض تراب الصعيد في التيمم، خلافًا لمن جوز في التيمم ضرب اليد على موضع لا يعلق بيده منه غبار؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يمسح بوجهه من الصعيد، وإنما مسح بوجهه كفًّا فارغة من الصعيد وترابه، وذلك عبث[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾.

يعني: من ضيق في الدين[٣]، ولكن جعله واسعًا حين رخص في التيمم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.

قال الزجاج: دخلت اللام لتبيين الإرادة، المعنى: إرادته (لتطهيركم[٤])[٥].

قال المفسرون: يريد ليطهركم من الأحداث والجنابات والذنوب والخطيئات؛ لأن الوضؤ يكفر الذنوب[٦].

---

(١) الظاهر أنه عند تفسير الآية (٤٣) من سورة النساء، وهو ضمن القسم المفقود.

(٢) هذا على القول بأن الصعيد لا يقع إلا على التراب ذي غبار، وهو قول الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة ومالك يجوز بكل ما كان من جنس الأرض.
انظر: «الأم» ١/ ٥٠، والطبري في «تفسيره» ٥/ ١٠٨-١٠٩، و«المغني» ١/ ٣٢٤، والقرطبي في «تفسيره» ٥/ ٢٣٦، و«زاد المسير» ٢/ ٩٤.

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٨٧، و«معاني النحاس» ٢/ ٢٧٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٥.

(٤) في «معاني الزجاج»: ليطهركم.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٠٤.

(٦) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٤.

روى أبو أمامة أن النبي ﷺ قال: «**الطهور يكفر ما قبله ويصير الصلاة نافلة**»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾. أي تبيان الشرائع(٢).

وقال القرطبي: أي: بغفران الذنوب، بيانه قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢] فلم يتم عليه النعمة حتى غفر له(٣).

وفسر النبي ﷺ تمام النعمة بدخول الجنة والنجاة من النار(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

قال عطاء: يريد لكي تشكروا نعمتي، وتطيعوا أمري(٥).

٧- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

قال مجاهد: نعمة الله: النعم(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٥١، ٢٦١ بلفظ: الوضوء يكفر .. الحديث، وحسنه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» (٧١٥٦).

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٠٦.

(٣) أخرجه بمعناه ابن المبارك في الزهد وابن المنذر والبيهقي في «شعب الإيمان». انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٥، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٦٨.

(٤) أخرج الترمذي عن معاذ بن جبل قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة. فقال: «**أي شيء تمام النعمة؟**» قال: دعوة دعوت بها أرجو بها الخير. قال: «**فإن من تمام النعمة دخول الجنة، والفوز من النار**» الحديث.
أخرجه الترمذي (٣٥٢٧) كتاب الدعوات، باب (٩٩): ٥/ ٥٤١، وقال: هذا حديث حسن. وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٦٨.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ١٨٧، وانظر: «الدر المنثور» ٤٦٩.

قال أهل المعاني: إنما لم تجمع للإشعار بعظمها من غير جهة تضاعفها[١]. ولأن جملة النعم نعمة على طريقة الجنس، كما أن جملة الماء ماء، وجملة المنافع منفعة.

وقال مقاتل: يعني: بالإسلام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾.

معنى المواثقة: المعاهدة التي قد أحكمت بالعقد على ثقة[٣].

واختلفوا في هذا الميثاق، فقال ابن عباس: هو الميثاق الذي أخذ على بني إسرائيل حين قالوا: آمنا بالنبي، وأقررنا بما في التوراة، فذكّرهم الله ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء[٤].

فعنده الآية خطاب لليهود.

وقال مجاهد والكلبي ومقاتل: هو ما أخذ عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى[٥].

فإن قيل على هذا: إن بني آدم لا يذكرون ذلك الميثاق، فكيف (أُمِروا[٦]) بحفظه

قيل: إن الله تعالى إذ[٧] أخبر أنه أخذ ذلك الميثاق علينا لم يبق لنا شك في أنه كان كذلك، وليس التذكر شرطًا في خبر الصادق، فجاز أن

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٠٦.
(٢) «تفسيره» ١/ ٤٥٦.
(٣) انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٦٤ (وثق).
(٤) «تفسير ابن عباس» ص١٧٣، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٠ .
(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ١٨٧، وانظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٥٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٦.
(٦) ساقط من (ش).
(٧) في (ش): (إذا) بالمد.

يكلفنا الوفاء به بعد انتفاء الشك بإخبار الصادق عنه، كما لو انتفى الشك بالتذكر، وغير بعيد أن يذكرنا الله ذلك الميثاق يوم القيامة.

وقال جماعة من المفسرين: يعني بالميثاق: حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في كل أمر ونهي، في اليسر والعسر، والرضا والكره، والأيمان التي أخذت عليهم يوم بيعة العقبة، ويوم بيعة الرضوان(١).

قال السدي: هذا ميثاق قبول التوحيد والإقرار بالطاعة والاستسلام لأمره، أخذ الله ميثاقنا فقلنا: سمعنا وأطعنا على الإيمان بالله، والإقرار به وبرسله، فكل مؤمن أقر بالله ورسله، فهو داخل في هذا الميثاق، وهذا كان ميثاق الذين بايعوا محمدًا على السمع والطاعة، فيما أحبوا وكرهوا(٢).

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧].

قال ابن عباس: بخفيات القلوب، والضمير، والنيات(٤).

وقال الكلبي: بما في القلوب من النقض والوفاء(٥).

وذكرنا الكلام في معنى (ذات الصدور) في موضعين من سورة آل عمران.

---

(١) انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٢٧٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٦.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٠ بمعناه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٨.

٨- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد يقومون لله بحقه(١)، هذا كلامه.

ومعنى القيام لله: هو أن يقوم له(٢) بالحق في كل ما يلزمه القيام به من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنبه(٣).

واللام في (لله) أجل.

وقوله تعالى: ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾. قال عطاء: يريد يشهدون بالعدل، يقول: لا تُحابِ في شهادتك أهل ودك وقرابتك، ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأعدائك(٤).

وقال الزجاج: أي: تبيّنون عن دين الله؛ لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾.

أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل(٦)، وأراد: أن لا تعدلوا فيهم، فحذف للعلم.

وقال الزجاج: لا يحملنكم بغض المشركين على ترك العدل(٧).

فإن قيل: ما وجه ظلم المشركين وقد أمر بقتلهم وسبي أولادهم وأخذ أموالهم؟

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) في (ج): (لله).
(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٠.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٦.
(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤١، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٥٦.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٦.

قيل: إنه قد يمكن أن يظلموا بضروب كثيرة، منها: المُثلة، وقتل الأولاد صبرًا لاغتمام الآباء، وترك قبول الإسلام منهم، ونحو ذلك مما هو محرم في الدين(١). وقد ذكرنا ما في هذا في أول السورة.

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ أي: في الولي والعدو(٢).

﴿هُوَ أَقۡرَبُ﴾ أي العدل، ودل عليه الفعل كقولهم: من كذب كان شرًا، أي كان الكذب شرًا.

ومعنى ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي: أقرب إلى أن تكونوا متقين باجتناب جميع السيئات، وأقرب لاتقاء النار(٣).

٩- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾. موضع (لهم) يجوز أن يكون نصبًا لوقوعه مع المغفرة موقع المفعول الثاني للوعد، كما قال:

وَجَدنا الصَّالِحِين لهم جزاءٌ وجناتٍ وعينًا سلسبيلا(٤)

فوقع: لهم جزاء موقع المفعول الثاني، ولذلك عطف عليه بالنصب.

ويجوز أن يكون الموعود به محذوفًا على تقدير: وعدهم الحسنى، ثم استأنف (لهم)، فيكون موضعه رفعًا بالاستئناف، وهو مع ذلك دال على

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٠، و«الكشاف» للزمخشري ١/ ٣٢٦.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٧.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٠٧.

(٤) البيت لعبد العزيز بن زرارة الكلابي كما في «الكتاب» ١/ ٢٨٨، وهو من «شواهد المقتضب» ٣/ ٢٨٤.

ومعنى سلسبيلا: قال الراغب: أي سهلا لذيذًا سلسا، وقيل: هو اسم عين في الجنة. وذكر بعضهم أن ذلك مركب من قولهم: سل سبيلا، نحو الحوقلة والبسملة ونحوهما. «المفردات» / ٢٣٧ (سل).

المحذوف ومفسر له[١].

وقد ذكرنا قولين آخرين في هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ﴾ [النساء: ١١].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

قال عطاء: يريد بني النضير[٢] خاصة[٣].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: ١٠].

هذا اللفظ ينبئ عن التخليد فيها؛ لأن المصاحبة تقتضي الملازمة، كما يقال: أصحاب الصحراء، أي اللازمون لها.

١١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس والكلبي ومقاتل وغيرهم: كان النبي ﷺ قد بعث سرية إلى بني عامر فقُتِلوا ببئر معونة[٤] إلا ثلاثة نفر، أحدهم عمرو بن أمية الضَّمْري[٥]، ثم انصرف هو وآخر معه إلى النبي ﷺ ليخبروه خبر القوم، فلقيا رجلين من بني سليم معهما أمان من النبي ﷺ فقتلاهما، ولم يعلما أن

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٦٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٥٦، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢١.

(٢) طائفة من اليهود كانت بالمدينة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) بئر معونة: اسم لموضع في أرض بني سليم بين مكة والمدينة. وأطلق هذا الاسم على وقعة بين المسلمين والمشركين، وقد أشار المؤلف إليها بهذا الأثر.

(٥) هو أبو أمية عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، صحابي مشهور له أحاديث، وكان شجاعًا، وأول مشاهده بئر معونة، وكان من أهل النجدة، مات رضي الله عنه قبل الستين.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٢٤٨، و«أسد الغابة» ٤/ ١٩٣، و«الإصابة» ٢/ ٥٢٤.

معهما أمانًا، فجاء قومهما يطلبون الدية، فخرج النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حتى دخلوا على بني النضير، وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات، فقال النبي ﷺ: **«رجل من أصحابي أصاب رجلين معهما أمان مني، فلزمني ديتهما، فأريد أن تعينوني»**، فقالوا: نعم، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا. وهموا باغتيالهم والفتك بهم، فآذن[1] الله به رسوله حتى فاتُوا بأنفسهم، فخرجوا من المكان الذي كانوا فيه، فأعلمتهم اليهود أن قدورهم تغلي، فأعلمهم ﷺ أنه قد نزل عليه الوحي بما عزموا عليه[2].

قال عطاء: توامروا أن يطرحوا عليهم رحًا أو حجرًا[3].

وقال بعض أهل العلم: بل ألقوا فأخذه جبريل[4].

١٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

قال ابن عباس: ثم أخبر الله عن نقض إسرائيل عهد الله كما نقضت هذه الطبقة فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[5].

---

(١) فآذن: أي فأعلم.

(٢) أخرجه عن ابن عباس بنحوه من طريق الضحاك أبو نعيم في «الدلائل»، كما أخرجه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٠، وذكره المؤلف عن الكلبي في «أسباب النزول» ص١٩٦. وأخرج الأثر بمعناه عن قتادة ومجاهد ويزيد بن أبي زياد وعكرمة: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٤-١٤٥. وانظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٥٨-٤٦٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٨، و«زاد المسير» ٢/ ٣٠٩، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٦.

(٣) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٨.

(٤) في جميع الروايات أن جبريل عليه السلام أعلمه بما عزموا عليه، وليس فيها أنه أخذ الحجر.

(٥) لم أقف عليه.

قال الكلبي ومقاتل: أخذ الله ميثاقهم على أن يعملوا بما في التوراة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

اختلفت عبارات المفسرين في تفسير النقيب: فقال ابن عباس والحسن: الضمين[٢].

وقال قتادة: الشهيد على قومه[٣].

وقال الكلبي: ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ يعني ملكًا[٤].

وقال مقاتل: يعني شاهدًا على قومهم[٥].

وقال أبو عبيدة: النقيب: الأمين الكفيل[٦].

وقال الأخفش: النقباء: الكفلاء على قومهم[٧].

وقال المؤرج: النقباء: الأمناء[٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٦١، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد نسبه ابن الجوزي للحسن، وقال: ومعناه: أنه ضمين ليعرف أحوال من تحت يده.
«زاد المسير» ٢/ ٣١٠، ونحو هذا «تفسير أبي عبيدة» النقيب بالضامن. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٦ن والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٨. هذا، وقد أخرج الطستي ضمن «مسائل ابن الأزرق» أن ابن عباس فسر النقيب بالوزير، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٢.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٨ بلفظ: من كل سبطٍ رجل شاهد على قومه. وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٠.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

(٥) «تفسيره» ١/ ٤٦٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢١.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ١٥٦، وعبارته: أي ضمانًا ينقب عليهم، وهو الأمين والكفيل على القوم.

(٧) ليس في «معاني القرآن».

(٨) لم أقف عليه.

وقال أبو إسحاق: النقيب في اللغة كالأمين[(١)] والكفيل[(٢)]. ثم بين حقيقة الباب واشتقاقه فقال: يقال: نقب الرجل على القوم ينقُبُ نقابة فهو نقيب، إذا صار نقيبًا عليهم، وما كان الرجل نقيبًا، ولقد نقُبَ، وفي فلان مناقب جميلة، أي أخلاق، وهو حسن النقيبة، أي جميل الخليقة[(٣)]، وإنما قيل للنقيب: نقيب؛ لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعلم مناقبهم وهو الطريق إلى معرفة أمورهم.

وهذا الباب كله أصله التأثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك: نقبت الحائط، أي بلغت في النقب آخره، ومن ذلك: النقبة من الجَرب؛ لأنه داء شديد الدخول، وذلك أنه يطلى البعير بالهناء فيوجد طعم القطران في لحمه، والنُّقْبة السراويل بغير رجلين، لما قد بولغ في فتحها ونقبها، ويقال: كلب نقِيب، وهو أن تنقب حنجرته لئلا يرتفع صوت نباحه، وإنما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف[(٤)]. هذا بيان الزجاج.

واختلفوا في معنى بعث النقباء: فقال الحسن: أخذ من كل سبط منهم نقيب ضامن بما عقد عليهم بالميثاق في أمور دينهم[(٥)].

ونحو هذا قال ابن عباس في رواية عطاء، فقال في قوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: يريد ضامنين عن قومهم لله الميثاق وأن يؤمنوا بمحمد[(٦)] ﷺ ويصدقوه وينصروه[(٧)].

---

(١) في «معاني الزجاج»: كالأمير. (٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٧.
(٣) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٨: حسن الخليقة.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٧-١٥٩ بتصرف.
(٥) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٠.
(٦) في (ش): (لمحمد).
(٧) لم أقف عليه.

ومعنى البعث في هذا القول إقامتهم بذلك الأمر كبعث الرسل، فقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ كقوله لو قال: بعثنا منهم اثني عشر نبيا.

وقال مجاهد والكلبي والسدي: إن النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذين أمر موسى بالقتال معهم؛ ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى نبيهم موسى عليه السلام، فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم، وكانوا قد تواثقوا فيما بينهم أن لا يفعلوا، فنكثوا العهد، وجعل كل واحد منهم ينهى سِبطه عن قتالهم إلا رجلين منهم: كالِب، ويوشَع، وهما اللذان قال الله تعالى: (فيهما)[١]: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الآية [المائدة: ٢٣][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾.

أي: قال الله لهم، فحذف ذلك لاتصال الكلام بذكرهم.

واختلفوا في المعنيّ بهذا القول، فقال الربيع: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾ أي: للنقباء[٣].

وعلى هذا دل كلام ابن عباس، فقال في قوله: ﴿إِنِّى مَعَكُمْ﴾ أي مع النقباء، ومن أوفى بميثاق الله وعهده[٤].

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١٨٨، ١٨٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٤٩-١٥٠، و«تفسير الهواري» ١/ ٤٥٦، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، والبغوي في «تفسيره» ٢/ ٢٨-٣٠.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٠ مطولًا، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٣.

(٤) لم أقف عليه.

وقال غيرهما: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ لبني إسرائيل ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾(١).

ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالعون والنصر والدفع عنكم. قال الكلبي(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

ذكر أبو علي الجرجاني في تقدير الآية ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ جزاء مقدمًا على شرط، والشرط قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وما انعطف عليه، وما انعطف عليه، ويكون قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ جوابا لقوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٣)، وكأنه ابتدأ شرطًا آخر بقوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ وجعل جوابه ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾، فيحصل من هذا أن يكون قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ جزاءً لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ويكون مبتدأ وشرطًا لقوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾. فمرة من وجه يكون جزاء، ومرة من وجه آخر يكون مبتدأ وشرطًا، وصار قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ مرة جزاء للشرط الأول، (ومرة شرطًا للجزاء الآخر)(٤)، (فاشترك)(٥) فيه الجزاء والشرط.

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٢، وقد نسبه ابن الجوزي للجمهور.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.
وهذا القول لجمهور المفسرين. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٢.

(٣) انظر: «الكشاف» ١/ ٣٢٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٤٥، و«الدر المصون» ٤/ ٢٢٠.

(٤) في (ج): (ومرة جزاء للشرط الآخر).

(٥) في (ج): (فاشترط).

والوجه الآخر: أن تجعل قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ جزاء تقدم شرطًا، ثم جاء الشرط بعده وهو قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ إلى ما اتصل به، ثم تضمر شرطًا لقوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ على تقدير: إن فعلتم ذلك لأكفرن، كما قال في سورة الصف ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف: ١٠] ثم بين تلك التجارة ما هي فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، ثم ابتدأ شرطًا آخر مضمرا وأظهر جزاءه، فدل الجزاء الظاهر على الشرط المضمر(١)، وهو قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ على تأويل: إن تفعلوا ذلك يغفر لكم، وهذا كقوله ﷻ: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ [محمد: ١٥] وهذه الكاف تدل على مبتدأ قبله ولم يجر له ذكر، وإنما جرى ذكر الجنة وصفتها، وكأنه قيل: أفمن هو في هذه الجنة كمن هو خالد في النار، فدل الجواب على الابتداء.

الوجه الثالث: أن الكلام قد تم عند قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ثم ابتدأ فصلًا آخر بقوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ فجعله شرطًا، ثم أتى بجزائه في قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ فيكون هذا الشرط والجزاء بما يتضمنان من القصة ترجمة لقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ لأن قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ كلمة جامعة مجملة فصار ما بعده كالتفسير له.

وقوله تعالى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾.

قال أبو إسحاق: العَزْر في اللغة الردّ، وتأويل عزَّرت فلانًا أي أدَّبته، إنما تأويله: فعلت به ما يرده عن القبيح ويردعه، كما أن نكلتُ به: فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاودة. فتأويل ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم بأن تردوا عنهم أعداءهم، ولو كان التعزيز هو التوقير لكان الأجود في اللغة

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٤٥.

الاستغناء عن التوقير في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، والنصرة إذا وجدت فالتعظيم داخل فيها؛ لأن نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم والذب عن دينهم وتعظيمهم[١].

أبو العباس عن ابن الأعرابي: العزر: النصر بالسيف، والعزر: المنع، وقال أيضًا: التعزير: التوقير، والتعزير: النصر باللسان والسيف[٢].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ يريد وقّرتموهم[٣].

وقال السدي: نصرتموهم بالسيف[٤].

وقال مقاتل والكلبي: أعنتموهم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

قال ابن عباس: يريد الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل[٦].

وقال مقاتل: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ محتسبة، طيبة بها أنفسكم[٧].

وقال الضحاك: تبتغون به وجه الله[٨].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ١٥٩، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤١٩.
وقول الزجاج: ولو كان التعزير هو التوقير، فيه رد على أبي عبيدة قال: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم «مجاز القرآن» ١/ ١٥٦. وقد ذكر الزجاج معنى قوله. وما ذهب إليه الزجاج قد اختاره الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥١.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤١٩، وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٩٢٤ (عزر).

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد نسب لعطاء، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٢، وقد تقدم استبعاد الزجاج لمثل هذا القول قريبًا. ثم إنه ورد عن ابن عباس أن المراد الإعانة والنصر. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٣.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٦١، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

(٦) لم أقف عليه، وانظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤.

(٧) «تفسيره» ١/ ٤٦١.

(٨) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤.

وقال ابن المبارك[١]: حلالًا من طيب أموالكم[٢].

قال الفراء: القرض مصدر، ولو قيل: إقراضًا كان صوابًا، وربما أخرج المصدر على بنية الفعل الأول قبل أن يزاد فيه، وهذا من ذاك؛ لأن أصل الإقراض: قرضت، ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] ولم يقل: بتقبل، وقوله: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] ولم يقل: إنباتا[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾. أي: بعد العهد والميثاق[٤].

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

أخطأ قصد الطريق، يعني الهدى والدين الذي شرعه لهم[٤].

١٣- قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ الآية.

قد مضى الكلام في مثل هذا في سورة النساء.

قال قتادة: ونقضهم أنهم كذّبوا الرسل بعد موسى، وقتلوا الأنبياء، ونبذوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه[٥].

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي، إمام عالم مجاهد، جواد فقيه، محدث شهير، توفي رحمه الله سنة ١٨١هـ.
انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ١٧٩، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٧٤، و«تهذيب الكمال» ١٦/ ٥ (٣٥٢٠).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٣٢ ولم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه عن الفراء، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٣، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢.

(٥) ذكره عن قتادة: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، وأورد السيوطي نحوه في «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٣، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

قال أهل المعاني: تقدير الكلام: فنقضوا فلعناهم بنقضهم؛ لأنه لما ذكر أخذ الميثاق عليهم اقتضى ذكر الوفاء به (أو[1]) النقض، فلما ذكر أن اللعن سببه النقض دل على وقوعه منهم[2].

وقوله تعالى: ﴿لَعَنَّهُمْ﴾.

قال ابن عباس: عذبناهم بالجزية[3].

وقال مقاتل: عذبناهم بالمسخ[4] وهو قول الحسن[5].

وقال عطاء: أخرجناهم[6]. وهو اختيار الزجاج، قال: باعدناهم من الرحمة[7].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾.

القسوة: الصلابة، والشدة في كل شيء، يقال: قسا: يقسو[8] فهو قاس[9]، يقال: حجر قاس، وأرض قاسية لا تنبت شيئًا[10].

---

(١) في (ش): (و).
(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٤.
(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٣، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.
(٤) «تفسيره» ١/ ٤٦١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٣.
(٥) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٦، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٣.
(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٣.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٥٩.
(٨) في (ش)، (ج): (يقسوا).
(٩) علق هنا في هامش (ج) بـ: (قسوا). والمراد المصدر.
(١٠) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٨، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٤، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٦٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٥ (قسو).

وقرأ حمزة والكسائي: (قَسِيَّة) على وزن، فعيلة، وقد يجيء فاعل وفعيل، مثل: شاهد وشهيد، وعالم وعليم، وعارف وعريف(١).

وقال شَمر: العام القسِيّ الشديد لا مطر فيه(٢).

وذهب بعضهم: إلى أنْ هذا من الدراهم القسَيّة وهي الفاسدة الردية(٣).

قال الأصمعي: درهم قسِيّ، مخفف السين مشدد الياء، على مثال: شقيّ(٤)، وهو في شعر أبي زبيد(٥) يذكر المَساحي:

لـهـا صـواهِـلُ فـي صُـمِّ الـسِّلام كَـمـا
صاح القَسِيَّاتُ في أيدي الصياريفِ(٦)

---

(١) من «الحجة» ٣/ ٢١٦، ٢١٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٢٧، و«الكشف» ١/ ٤٧٠.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٥، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٣٣ (قسو).

(٣) انظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٢٧، و«الكشف» ١/ ٤٠٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، و«اللسان» ٦/ ٣٦٣٣ (قسو).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٥، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٣٣ (قسو).

(٥) هو المنذر بن حرملة، وقيل حرملة بن المنذر، الطائي، شاعر جاهلي معمر، أدرك الإسلام ولم يسلم، ومات نصرانيًا بعد الستين للهجرة.
انظر: «الشعر والشعراء» ص١٨٥، و«طبقات الشعراء» ص١٨٠، و«الأعلام» ٧/ ٢٩٣.

(٦) «الأمالي» ١/ ٢٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٥ (قسو) واستشهدوا به الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٥ ونسبه الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٢٨ن إلى الشامخ، وليس في «ديوانه». وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٣٣ (قسو).
والشاهد أن قسي جاء على وزن: شقي.
والسلام: الحجارة، والصيارف: الصيارفة، أي للمساحي أصوات إذا وقعت على الحجارة كأصوات الدراهم إذا انتقدها الصياريف.

وأنشد ابن السكيت:

وما زوَّدوني غيرَ سَحقِ عِمامَةٍ وخَمس مِئي منها قَسِيٌّ وزائِفُ[(١)]

قال الأصمعي: وكأنه إعراب قاس.

قال أبو علي: إذا كان القَسِيّ من الدراهم معربًا لم يكن من القَسِيّ العربي، ألا ترى أن قابوس وإبليس وجالوت وطالوت، ونحو ذلك من الأسماء الأعجمية التي من ألفاظها يوجد العربي لا تكون مشتقة من باب القبس والإبلاس، يدل على ذلك منعهم الصرف[(٢)].

قال ابن عباس: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ يابسة عن الإيمان[(٣)].

وقال الحسن: طبع عليها[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

قال ابن عباس: يغيرون كلام الله عن مواضعه من صفة محمد ﷺ في كتابهم[(٥)].

ونحو ذلك قال مقاتل[(٦)].

وقال السدي: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ آية الرجم[(٧)].

وقال الزجاج: تأويل ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يفسرون على غير ما أنزل، وجائز أن يكون: يلفظون به على غير ما أنزل[(٨)]. انتهى كلامه.

---

(١) نسبه في «اللسان» ٦/ ٣٦٣٣ (قسو) لمزرد.

(٢) «الحجة» ١/ ٣١٧، ٣١٨.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) بمعناه في «تفسيره» ص١٧٣، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٥.

(٦) «تفسيره» ١/ ٤٦١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٣.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٠.

وتحريفهم يحتمل تأويلين على ما قال: أحدهما: سوء التأويل، والآخر: التغيير والتبدل، وهذا مما فسرنا في سورة النساء[١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾.

قال ابن عباس: تركوا نصيبًا مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد[٢].

وقال عطاء عنه: تركوا حظًا مما وعظوا به[٣].

ونحوه قال مقاتل، وزاد: من إيمان بمحمد، ولو آمنوا به لكان ذلك لهم حظًا[٤].

وقال قتادة: نسوا عهد الله الذي عهد إليهم، وأمر الله الذي أمرهم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾.

يقال: لا زال يفعل كذا، كقولك: ما ينفك، وما زلت أفعل، والمضارع لا يزال لا غير، وقل ما يتكلم به إلا بحرف نفي.

وأما الخائنة، يقال: رجل خائنة، إذا بالغت في وصفه بالخيانة[٦] ومنه قوله:

---

(١) لعله عند الآية ٤٦ من سورة النساء وتفسيرها من القسم المفقود.

(٢) انظر: «تفسيره» ص١٧٣، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٥، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٦١.

(٥) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٤ بنحوه، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧٠ (خون)، وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٤ (خون).

ولـم تـكـن
لـلـغـدرِ خـائـنـةً مُـغِـلَّ الإصْـبَـعِ[١]

وقد تكون الخائنة مصدرًا على فاعلة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ [غافر: ١٩]، وكثير من المصادر في القرآن جاء على: فاعله، نحو قوله: ﴿لاغية﴾[٢] [الغاشية: ١١] أي لغوًا، وتقول العرب: سمعت (راغية الإبل) و(ثاغية الشاء)، يعنون: رغاءها وثُغاءها[٣].

قال الزجاج: وفاعلة في أسماء المصادر كثيرة نحو: عافاه الله عافية، و﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، و﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٥][٤].

وعلى هذا دل كلام المفسرين، فقال[٥] ابن عباس: ولا تزال تطلع على معصية منهم[٦]. فهذا يدل على أنه أراد بالخائنة الخيانة.

---

(١) جزء من بيت لرجل من بني كلاب يخاطب قرينا أخا عمير الحنفي، وكان له عنده دم وتمام البيت:

حدَّثت نفسك بالوفاء ولم تكن لـلـغـدر خـائـنـة مـغـل الإصـبـع

«مجاز القرآن» ١/ ١٥٨، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٦٠، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٤ (خون).

ومغل الإصبع: كناية عن الخيانة والسرقة.

(٢) من قوله تعالى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١].

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧١، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٥ (خون).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٠.

(٥) في (ش): (وقال).

(٦) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٦، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

وقال مقاتل: يعني بالخائنة الغش للنبي ﷺ وقال: إيمان على كذب وفجور[(١)].

وقال عطاء: ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ مثل ما خانوك حين هموا بقتلك[(٢)].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون والله أعلم ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ على فرقة خائنة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

قال ابن عباس: يعني من أسلم منهم، عبد الله وأصحابه، ولم ينقضوا العهد[(٤)].

وقال مقاتل: والقليل أيضًا منهم كفار[(٥)].

وعلى هذا القليل مستثنى من الخيانة، يريد إلا قليلًا منهم لم يخونوا، والظاهر أن المراد بالمستثنى: مؤمنو أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾. منسوخ بآية السيف[(٦)].

---

(١) بلفظه الأول في «تفسيره» ١/ ٤٦١، وبنحو هذا القول قال مجاهد وقتادة، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٦، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٤.

(٢) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٧، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٦. وهذا معنى قول مجاهد، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٦، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٢١.

(٤) انظر البغوي في «تفسيره» ١/ ٣١، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٤، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٠٩.

(٥) ليس في «تفسيره»، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٤.

(٦) هذا قول ابن عباس وقتادة وكثر من المفسرين.

انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٩١، والطبري في «جامع البيان» ٦/ ١٥٧، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٧٣، و«تفسير الهواري ١/ ٤٥٧،=

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. قال عطاء: يريد المتجاوزين[(١)].

وقال ابن عباس: فإذا عفوت فأنت محسن[(٢)].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾.

ولم يقل: من النصارى، ليدل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسمَّوا لها. وهذا يُروى عن الحسن[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾.

قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ويتبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل[(٤)].

قال الأخفش: وهذا كما تقول: من عبد الله أخذت الدرهم[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾.

قال الكلبي ومقاتل: فتركوا ما أُمِروا به من الإيمان بمحمد ﷺ فكان ذلك الحظ[(٦)].

= و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٣، و«النكت والعيون» ٢/ ٢١، والبغوي في «معالم التنزيل» ٣/ ٣٢، وقد استبعد الطبري في «تفسيره» والنحاس النسخ، وانظر: «البرهان» للزركشي ٢/ ٤٣، ٤٤.

(١) لم أقف عليه. (٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٥.
وقيل سموا بذلك نسبة إلى قرية كانوا بها اسمها: ناصرة.
انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٧، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٥.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٦٢.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٤٦٧، وانظر: القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ١١٧

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٦٢، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

وتنكير الحظّ في الآية: يدل على أن المراد به حظ واحد، وهو ما ذكره المفسرون من الإيمان بمحمد، وإنما خص هذا الواحد مع كثرة ما تركوا مما أمروا به؛ لأن هذا هو المُعظم[١]، ولو وفوا بهذا الواحد ولم يتركوه لم يضرهم ترك سائر ما تركوا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

يقال: غرِيتُ بالشيء أغرى به غرًى وغراءً ممدودًا أي أُولِعت به[٢].

وقال شَمر: يقال لما يلصق به الأشياء الغِراء والغَرى بفتح الغين مقصور، وأغرى فلان بفلان إغراءً، إذا أولع به، كأنه ألصق به، فأصل الباب هو اللصوق والإلصاق؛ لأن المولع بالشيء كالملصق به. ذكره الزجاج وغيره[٣]. ثم يقال: أغريت الكلب، إذا آسدته[٤]؛ لأنك تولعه بالصيد[٥].

فأما التفسير: فقال المؤرج: (أغرينا): حرشنا بعضهم على بعض[٦].

وقال الكسائي: سلطنا[٧].

وقال النضر: هيجنا[٨].

---

(١) في (ش): (العظيم).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦١، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٥٠ (غرى).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٥، و«اللسان» ٦/ ٣٢٥٠ (غرى).

(٤) في (ج): (أسددته)، وما أثبته هو الموافق لـ «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦١ (غرى).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦١، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٥٠ (غرى).

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٥، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٤٣.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٥، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٤٣.

وقال الكلبي: ألقينا بينهم العداوة والبغضاء[١].

فقوله: ﴿بَيْنَهُمُ﴾ ظرف للعداوة والبغضاء، أي العداوة التي بينهم أغريت بأن حرشت وهيجت، ويجوز أن يكون ﴿بَيْنَهُمُ﴾ بمنزلة بالصيد في قولك: أغريت الكلب بالصيد، فيكون المعنى: أغرينا العداوة والغضاء بالحالة التي بينهم.

واختلفوا في الضمير الذي في ﴿بَيْنَهُمُ﴾، فقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد: الضمير[٢] يعود على اليهود والنصارى[٣].

وقال الربيع: يعود على النصارى خاصة[٤]. وذلك لما بين فرق النصارى من الاختلاف والعداوة.

وهذا اختيار الزجاج[٥]، قال: وتأويل ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أي صاروا فرقًا يكفر بعضهم بعضًا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ وعيد لهم.

١٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال ابن عباس: يريد الجميع[٧] وهذا على تقدير: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ووحد الكتاب؛ لأنه أخرج مخرج الجنس.

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٢) تكررت الكلمة في (ج).

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٩، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٥.

(٤) الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٥٩-١٦٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٥.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١، وقد اختاره الطبري في «تفسيره» أيضًا. انظر: «جامع البيان» ٦/ ١٦٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١.

(٧) لم أقف عليه، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦١، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٦.

وقال قتادة: لما ذكر نقضهم العهد وتركوا ما أمروا به دعاهم على إثر ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ[١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد تكتمون مما في التوراة والإنجيل[٢].

وقال ابن عباس: أخفوا منه الرجم وأمر محمد وصفته[٣].

قال أهل المعاني: وهذا بيان لإعجاز النبي ﷺ حيث اطلع على أسرارهم وبين ما أخفوه من غير قراءة كتبهم، فوجب الإيمان به[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾. قال ابن عباس: يتجاوز عن كثير، فلا يخبرهم بكتمانه[٥].

فإن قيل على هذا: ما وجه بيان بعضه وترك بعضه؟

قيل: إنه بين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به، وما يحتاج إلى علمه من غير ذلك مما تتفق له الأسباب التي يحتاج معها إلى استعلام ذلك، كالذي اتفق له في الرّجم، وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة فيكفي ذكره في الجملة[٦].

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٥.

(٢) لم أقف عليه من رواية عطاء، وانظر: «الوسيط» ٣/ ٨٣٨، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٣) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦١، والحاكم ٤/ ٣٥٩، وقال: هذا صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٥.

(٤) انظر: «الكشاف» ١/ ٣٢٩، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٨.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٦، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٨.

وفي قوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ إعجاز للنبي ﷺ كالإعجاز فيما بينهم؛ لأنهم يعلمون بهذا أنه عالم بما يخفونه: وإن لم يبينه على التفضيل[١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾. قال ابن عباس: يعني ضياء من الضلالة[٢].

وقال عطاء: يريد هدى[٣]. فعلى هذا أراد بالنور: الإسلام[٤].

وقال قتادة: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ يعني النبي[٥]. وهو اختيار الزجاج، قال: النور محمد ﷺ، وهو الذي يبين الأشياء[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]. قال ابن عباس: يريد القرآن، فيه بيان لكل ما يختلفون فيه[٧].

١٦- قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾. أي بالكتاب المبين.

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾. اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأثنى عليه، وهو دين الإسلام، يدل على هذا قول ابن عباس: يريد من صدق

---

(١) هكذا جاءت هذه الكلمة في النسختين (ش)، (ج) والظاهر أنها مصحفة، والصواب: التفصيل بالصاد المهملة.

(٢) في «الوسيط» ٣/ ٨٣٨، دون نسبة لابن عباس، ولم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) قد فسر النور هنا: بالإسلام، انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٦.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٦. والاختلاف هنا اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فإن النبي محمد ﷺ قد جاء بالإسلام.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٢٢.

(٧) في «الوسيط» ٣/ ٨٣٨، دون نسبة لابن عباس، ولم أقف عليه.
وانظر: «تفسير البغوي» في «تفسيره» ٣/ ٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٦ .

النبي ﷺ لما جاء به[١] ففسر (رضوان الله) بتصديق[٢] النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾. قال ابن عباس: يريد دين الإسلام، دين الله[٣].

وهو قول الحسن[٤] والسدي، أن معنى ﴿ٱلسَّلَٰمَ﴾ ههنا الله ﷻ، والسلام من أسمائه تعالى[٥].

قال الزجاج: والسبل الطرق، فجائز أن يكون والله أعلم: طريق السلام طرق السلامة التي من سلكها سلم في دينه[٦].

قال أبو علي: ويجوز أن يكون على حذف المضاف؛ كأنه: سبل دار السلام، كما قال: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٧] ويراد بها طرق الجنة؛ لأن من اتبع رضوانه فقد أوتي الهداية التي هي الإستدلال، فتكون الهداية في هذه الآية مثل التي في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤، ٥] في أنه ليس بهداية الاستدلال، ولكن الهداية إلى طرق الجنة للثواب[٧].

---

(١) لم أقف عليه، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٧، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٢) في (ش): (بصدق).

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٧، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٤) «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٨، و«النكت والعيون» ٢/ ٢٢، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٤٨.

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٧، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٤٨.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦١.

(٧) من «المسائل الحلبيات» لأبي علي الفارسي ص٢٠، ٢١، وانظر: «الحجة» ١/ ١٨٤.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

قال ابن عباس: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان[١] وذلك أن الكُفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويُهتدى بالإيمان إلى النجاة كما يُهتدى بالنور.

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾. أي: بتوفيقه وإرادته[٢].

والجار من صلة الاتباع، أي: يتبع رضوانه بإذنه، ولا يجوز أن يتعلق بالهداية، ولا بالإخراج؛ لأنه لا معنى له، فدل على[٣] أنه لا يتبع رضوان الله إلا من أراد الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]. قال الحسن: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة[٤].

وقال ابن عباس: يعني: الإسلام[٥].

والقولان سواء.

١٧- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾. قال أهل المعاني: إنما حكم بكفرهم؛ لأنهم قالوا هذا القول على جهة التدين به، ولو قالوه على جهة الحكاية منكرين له لم يكفروا[٦].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٧، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٧.

(٣) في (ش): (فدل هذا على).

(٤) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٨، وذكر عن الحسن أنه قال: طريق الحق، من «النكت والعيون» ٢/ ٢٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٧، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٤٨.

(٥) لم أقف عليه، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٧.

(٦) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٩.

فإن قيل: إنهم قالوا: هو ابن الله؟

قيل: هذا القول منهم كالقول إنه إله؛ لأنهم اتخذوه مع قولهم إنه ابن الله ربًا وجعلوه إلهًا(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾. قال الكلبي: فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئًا(٢).

وهذا من قولهم: ملكت على فلان أمره، إذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه إنفاذ شيء من أمره إلا بك، وتقديره: من يملك من أمره شيئًا(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾.

قال الكلبي: إن أراد أن يعذب المسيح ابن مريم(٤).

ووجه الاحتجاج بهذا على النصارى: أنه لو كان المسيح إلهًا لقدر على دفع أمر الله إذا أتى بإهلاكه وإهلاك غيره(٥).

وفي هذه رد على القدرية، وبيان أنه لو أراد إهلاك النبيين وأهل طاعته أجمعين كان له ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

أراد ما بين هذين الصنفين والنوعين(٦)، كقول الراعي:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٤٩.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٩.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٠.

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٣، و«تفسير الهواري» ١/ ٤٥٨، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٧.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٩، ١٦٠، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٩.

طَرَقَا فتلِك هَمَاهِمي أقْرِيهما   قُلُصًا لواقحَ كالقِسِيّ وحُولا[١]

فقال: (طرقا)، ثم قال: (فتلك هماهِمي)، ولم يقل: طرقن.

١٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ الآية. أمال اليهود فقال السدي: إنهم زعموا أن الله ﷻ أوحى إلى إسرائيل أن ولدك بكري من الولد، وكذَبُوا فيما زعموا[٢].

وقال الحسن: إنما قالوا ذلك على معنى قرب الولد من الوالد[٣].

وهو اختيار ابن قتيبة، قال: يعنون أنه من حدبه وعطفه علينا كالأب المشفق[٤].

---

(١) البيت من قصيدة للراعي في «جمهرة أشعار العرب» ٣/ ٩٣٠ وقبله:

أخليد إن أباك ضاف وساده   همان باتا جنبة ودخيلا

طرقا ....

وقد استشهد به في «مجاز القرآن» ١/ ١٦٠، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١١٩، ومعنى هماهم: الهموم، وقلصا: جمع قلوص وهي الفتية من الإبل، ولواقح: أي حوامل، والحول: جمع جائل وهي الناقة لم تحمل. والشاهد منه أن الشاعر ذكر همين في البيت الذي قبله، ثم ذكر همومًا بقوله: فتلك هماهمي، مع أنه ثنى في قوله: باتا وطرقا وأقربهما .....

(٢) الأثر في «زاد المسير» ٢/ ٣١٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٠، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٩. وقد عزاه ابن كثير في «تفسيره» إلى ابن أبي حاتم والطبري في «تفسيره»، لكن وجدته عند الطبري في «تفسيره» بلفظ: إنهم قالوا: إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولدًا من ولدك أدخلهم النار فيكون فيها أربعين يومًا .... فأخرجهم فذلك قوله ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وأما النصارى، فإن فريقًا منهم قال للمسيح: ابن الله. الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٤.

(٣) «النكت والعيون» ٢/ ٢٣، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٥٠.

(٤) لم أقف عليه عن ابن قتيبة، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٣٣، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٥٠.

وأما النصارى فقال سعيد بن المسيب: إنهم قالوا: المسيح ابن الله[١].

ووجه هذا القول أنهم لما قالوا: المسيح ابن الله وادعوا أن المسيح منهم فكأنهم قالوا: نحن أبناء الله،كقول العرب: هذيل[٢] شعراء، أي: منهم شعراء، وقولهم في رهط مسيلمة: قالوا: نحن أنبياء، أي قال قائلهم وتابعوه (عليه[٣])، وذلك أنهم إذا قالوا: الواحد منهم أنه نبي، ثم افتخروا به وانتسبوا إليه، صح في اللفظ أن يقال: إنهم أنبياء[٤].

وهذا وجه ثالث في قول اليهود: نحن أبناء الله؛ لأنهم أيضًا قالوا: عُزَير ابن الله، كما قالت النصارى: المسيح ابن الله، ذكره سعيد بن المسيب[٥].

وقيل: إنهم تأولوا قول عيسى. أذهب إلى أبي وأبيكم، وقوله: إذا صليتم فقولوا: يا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك[٦].

وتأويل هذا: أنه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده[٧].

وذهب بعضهم إلى أن معنى قوله: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ معناه: نحن أبناء

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) قبيلة ينتسبون إلى هذيل بن مدركة بن الياس، نبع منهم شعراء كثيرون.
انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص١٩٦-١٩٨.

(٣) تكرر في (ج).

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٤، ١٦٥، و«الكشاف» ١/ ٣٢٩.

(٥) تقدم قريبًا.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٥٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣ .

رسله. فهو من باب حذف المضاف[(١)].

قال ابن عباس: إنما قالوا هذا حين حذرهم النبي ﷺ عقوبة الله[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾.

يحلمه[(٣)] المفسرون على قولهم: إنما نعذب أربعين يومًا، قدر الأيام التي عبد آباؤنا فيها العجل، فقيل لهم: إن كان الأمر كما زعمتم فلم يعذبكم الله؟ هل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار؟ وهل تطيب نفس حبيب بتعذيب حبيبه في النار؟

هذا معنى قول المفسرين[(٤)].

وقال أهل المعاني: (هذا التعذيب)[(٥)] مطلق غير محمول على الأيام الأربعين؛ لأنهم مقرون أنهم معذبون بذنوبهم ولو لم يقولوا بهذا[(٦)]، كذبوا بكتبهم، وأباحوا للناس ارتكاب الفواحش، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ فجعل التعذيب بسبب ذنوبهم.

وقال الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾: لم

---

(١) انظر: «الوسيط» ٣/ ٨٤١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٠، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٥٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» بمعناه ٦/ ١٦٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٨٦، وعزاه إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الدلائل».

(٣) هذه الكلمة غير واضحة، والأقرب أنها هكذا.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٥، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٤، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٨.

(٥) في (ش): (في هذا التعذيب).

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٠.

مسخكم؟[(١)].

قال صاحب النظم: تأويل: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ لم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى الذين كانوا أمثالكم في الدين بذنوبهم؛ لأنه تعالى لم يكن ليأمر نبيه -ﷺ- بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد، يقولون: فإنا لا نعذب، ولكن أمره بأن يحتج عليهم بما كان وعرفوه. وكثير ما يذكر لفظ المستقبل والمراد به الماضي، كقول عنترة:

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يسبُني .. البيت[(٢)]

أي: مررت.

وقد بينا هذا في مواضع[(٣)] من هذا الكتاب.

ثم كذبهم في زعمهم فقال تعالى: ﴿بَلْ[(٤)] أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

قال ابن عباس: لحم ودم[(٥)].

وقال المفسرون: كسائر بني آدم، مجزيون بالإحسان والإساءة[(٦)].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٩.

(٢) لم أجده في «ديوان عنترة»، وقد نسبه لمولد من بني سلول. سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٢٤، وعجزه:

فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

واستشهد به دون نسبه: ابن جني في «الخصائص» ٣/ ٣٣٠، والسمين في «الدر المصون» ٢/ ٢٨٨.

(٣) في (ش): (موضع) بالإفراد.

(٤) سقطت (بل) من: (ج).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٤، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٩.

وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾. قال ابن عباس: لمن تاب من اليهودية ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من مات عليها[(١)].

وقال عطاء: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من يوحد الله ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من لا يوحد الله[(٢)].

وقال السدي: يهدي منكم من يشاء فيغفر له، ويميت منكم من يشاء على كفره فيعذبه[(٣)(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

أي أنه يملك ذلك، لا شريك له فيعارضه، وهو يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء[(٥)].

قال أهل المعاني: دل بهذا على أنه لا ولد له؛ لأن (من[(٦)]) ملك ذلك استحال أن يكون له شبيه أو شريك أو قسيم[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وإليه المصير﴾ أي: وإليه يؤول أمر العباد في الآخرة[(٨)]؛ لأنه لا يملك الضر والنفع غيره، كما يملك في الدنيا بتمليكه.

١٩- وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾. قال ابن عباس: يريد على

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١١.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣١٩.

(٣) في (ج): فيعذبه الله وما أثبته هو الموافق للمصادر في التخريج الآتي.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٥-١٦٦، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٨٦.

(٥) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢١.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢١.

(٨) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢١.

انقطاع من الأنبياء[١].

قال الزجاج: لأن النبي ﷺ بُعِث بعد انقطاع الرسل؛ لأن الرسل كانت إلى وقت رفع الله عيسى متواترة بعضها في أثر بعض[٢].

ويقال: فتر الشيء يفتر فتورًا، إذا سكنت حدّته وانقطع عما كان عليه[٣]. وسميت المدة التي بين النبيين فترة لانقطاع العمل عما كان عليه من الجد فيه، من قولهم: فتر عن عمله.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾. أي: لئلا تقولوا، وهو قول ابن عباس[٤].

وقال بعضهم: تأويله: كراهة أن تقولوا[٥].

وقد استقصينا شرح هذا في آخر سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦].

٢٠- قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾.

(أنبيآء) لا ينصرف في معرفة ولا نكرة؛ لأنها مبنية على علامة التأنيث، وهي الألف الممدودة كألف حمراء، فلما بنوا الاسم على علامة التأنيث حتى صارت كبعض حروفه، صار كأن التأنيث قد تكرر فيه فلم ينصرف في النكرة[٦].

---

(١) «زاد المسير» ٢/ ٢٣٠ عن ابن عباس من طريق أبي صالح، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١١.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٢، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٦، ١٦٧.

(٣) «العين» ٨/ ١١٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٥، وانظر: «الصحاح» ٢/ ٧٧٧ (فتر)، و«زاد المسير» ٢/ ٣١٩.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢١، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢١.

(٦) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٣.

قال الكلبي: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾ على عهد موسى بن عمران، وهم السبعون (الذين)[١] اختارهم موسى من قومه، فانطلقوا معه إلى الجبل[٢].

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة يُكْتَبُ ملكًا[٣].

وقال ابن عباس: جعل لكم الحشم والخدم[٤].

وقال مجاهد: كل من لا يُدخل عليه إلا بإذنه فهو ملك[٥] وهو اختيار الزجاج، قال: جعلكم ذوي منازل تأمرون فيها، لا يدخل عليكم فيها داخل إلا بإذن[٦].

وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة، فيها مياه جارية، فمن كان مسكنه واسعًا وفيه ماء جار فهو ملك[٧].

---

(١) في (ش): (الذي).

(٢) «بحر العلوم» ١/ ٤٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢١. وقد أشار إليه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٨.

(٣) أخرجه المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٤٥، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٥ بصيغة التمريض وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٢، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٧٨، وعزاه كل منهما إلى ابن أبي حاتم، وفي «سنده» ابن لهيعة. قال ابن كثير في «تفسيره»: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٩، بمعناه، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٢، و«الدر المنثور» ٢/ ٤٧٧.

(٥) في «تفسير مجاهد» ١/ ١٩١: قال: جعل لهم أزواجًا وخدمًا وبيوتًا، ومن كان كذلك فهو ملك، ونحوه في الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٦٩، بلفظ المؤلف عزاه إلى ابن عباس السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ٤٢٦، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٢.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٢.

وقال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم، وسُخِّر لهم الخدم من بني آدم[(١)].

وقال السدي: يعني: وجعلكم أحرارًا تملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القِبْط بمنزلة أهل الجزية فينا[(٢)].

قال الزجاج: ومعناه: جعلتم تملكون أمركم لا يغلبكم عليه غالب[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد ما آتاهم في الدنيا من النعمة والكرامة، حيث فلق لهم البحر، وأغرق عدوهم، ونصرهم على جميع من عاداهم[(٤)].

وقال مجاهد: يعني: المنّ والسلوى والحجر[(٥)] والغمام[(٦)].

٢١- قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٢. وهذا القول انفرد به قتادة، وقد يكون فيه نظر؛ لأن القول بأن بني إسرائيل أول من ملك الخدم يحتاج إلى تثبت واستقراء تاريخي ما لم يرد دليل سمعي بذلك، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٢.

(٤) لم أقف على هذا الأثر، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٠-١٧١ من طريق عطاء عن ابن عباس قال: الرجل يكون له الدار والخادم والزوجة، وضعف أحمد شاكر وإسناده.

(٥) أي: الذي ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا.

(٦) «تفسيره» ١/ ١٩١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٠.

المقدسة معناها في اللغة: المُطهّرة[١]، طهرت تلك الأرض من كثير من الشرك، وجعلت مسكنًا وقرارًا للأنبياء[٢].

قال قتادة: هي الشام كلها[٣]. ومعنى المقدسة في قول قتادة المباركة[٤]، وبه قال ابن الأعرابي من أهل اللغة[٥].

وقال عكرمة والسدي وابن زيد: هي أريحا[٦].

الكلبي: دمشق وفلسطين وبعض الأردن[٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: يريد فرض عليكم دخولها[٨].

وبه قال قتادة، قال: أمروا بها كما أمروا بالصلاة[٩]. ونحو منه قول السدي: أمركم الله بدخولها[١٠].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٢، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٧.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٣.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٢، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٣.

(٤) جاء هذا القول صريحًا عن مجاهد، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٢.

(٥) انظر: «لسان العرب» ٦/ ٣٥٥٠ (قدس).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٢ عن ابن زيد والسدي، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٥. وأريحا مدينة في الأردن بينها وبين بيت المقدس يوم. انظر «معجم البلدان» ١/ ١٦٥.

(٧) البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٥، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١١. وبهذا القول قال الزجاج. انظر: «معاني القرآن» ٢/ ١٦٢، و«النكت والعيون» ٢/ ٢٥.

(٨) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٤.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٣، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٦.

(١٠) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٣، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾.

يحتمل تأويلين:

أحدهما: لا ترجعوا إلى دينكم الشرك بالله وإلى معصيته[١].

وإلى هذا أشار ابن عباس فقال[٢]: يريد لا تعصوا ربكم[٣].

والثاني: لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها[٤].

٢٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.

قال المفسرون: هم العمالقة فرقة من عاد[٥].

وللجبار ههنا معنيان: قال الأخفش: أراد الطُّول والقوة والعظم[٦]. وكأنه ذهب في هذا إلى الجَبَّار من النخل، وهو الطويل الذي فات الأيدي، ويقال: رجل جَبَّار، إذا كان طويلًا عظيمًا قويًا، تشبيهًا بالجبار من النخل[٧].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٢٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٦.

(٢) في (ش): (قال).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٣، و«النكت والعيون» ٢/ ٢٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٦.

وقال القرطبي في «تفسيره» بعد أن ذكر الوجهين: والمعنى واحد.

(٥) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٦، القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٦ .

(٦) ليس في «معاني القرآن» للأخفش، وقد نسبه الأزهري إلى أبي الحسن اللحياني. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٣٢ (جبر).

(٧) من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٣٢ (جبر)، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٦، و«اللسان» ١/ ٥٣٥ (جبر).

وهذا معنى قول قتادة: كانت لهم أجسما وخلق عجيب ليس لغيرهم[(١)]. ويحتمل أن يكون معنى الجَبّار ههنا من أجبره على الأمر، إذا أكرهه عليه.

قال الأزهري: وهي لغة معروفة، وكثير من الحجازيين يقولونها، وكان الشافعي -رحمه الله- يقول: جبره السلطان[(٢)].

وجائز أن يكون الجبّار من: أجبره على الأمر، إذا أكرهه عليه.

قال الفراء: لم أسمع فعَّالا من أفْعَل إلا في حرفين، وهما: جبّار من أَجْبَر، ودرَّاك من أدْرَك[(٣)].

وهذا الوجه اختيار الزجاج، قال في هذه الآية: تأويل الجبّار من الآدميين العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد[(٤)].

قال المفسرون: وبلغ من جبرية هؤلاء، أن موسى لما بعث النقباء ليتحسسوا[(٥)] له أخبار هؤلاء رآهم واحد من الجبارين، فأخذهم وحملهم في كُمِّه مع فاكهةٍ كان حملها من بستانه، وأتى بهم الملك، فنثرهم بين يديه، وقال معُجّبًا للملك: هؤلاء يريدون قتالنا. فقال الملك: ارجعوا إلى صاحبكم فأخبروه خبرنا[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٤، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٤.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٣٣، وانظر: «اللسان» ١/ ٥٣٦ (جبر).

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٣٢، وانظر: «اللسان» ١/ ٥٣٤ (جبر).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٣، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٧، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٤.

(٥) في (ش): (ليتجسسوا) بالجيم.

(٦) أخرج الأثر مطولًا الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٤، ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٣، وقال: وفي هذا الإسناد نظر.

وللجبار معانٍ نذكرها في مواضعها إن شاء الله.

٢٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾. قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع: هما يوشَع بن نون، وكالب بن يوفنا[(١)].

﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾. قال عطاء وقتادة: يخافون الله في مخالفة أمره بقتال الجبارين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾. قال الحسن: الإسلام[(٣)]. وقال عطاء: يريد بالصلاح والفضل واليقين[(٤)].

﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

قال المفسرون: إنهما قالا لبني إسرائيل: نحن أعلم بالقوم، إنهم قد مُلِئُوا منا رعبًا، وإنا رأيناهم وكانت[(٥)] أجسامهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة[(٦)].

قال[(٧)] أهل المعاني: إنما قالا هذا القول؛ لأن الله كان قد أنعم عليهما باليقين، فعلما أن الله ينجز وعده مع حكمه بأنه كتبها لهم وما تقدم

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٤-١٧٥، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٧، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٦، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٤.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٨، و«النكت والعيون» ٢/ ٢٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٦.

(٣) «النكت والعيون» ٢/ ٢٦، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٢٦ إلى ابن عباس.

(٤) «زاد المسير» ٢/ ٣٢٦.

(٥) في (ج): (فكانت).

(٦) فانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٨-١٧٩، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٦، و«زاد المسير» ٢/ ٣٢٦.

(٧) في (ش): (وقال).

من وعد موسى إياهم، فلذلك قالا: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾[(١)].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي عليه توكلوا في نصره إياكم على الجبارين إن كنتم مصدقين به وبما أتاكم به رسوله.

٢٤- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾.

قال المفسرون: إن عشرة من النقباء نقضوا العهد، وقالوا لبني إسرائيل: إن الرجل الواحد من هؤلاء الجبارين يدخل المائة منا في كُمِّه، ورأينا حصونًا ممتنعة وجبابرة، فلا يدان لنا بهم، فَجَبُن القوم وخافوا ولم يثقوا بنصر الله، وقالوا: إنا لسنا نقبل مشورةً في دخولها ولا أمرًا وفيها هؤلاء الجبارون، ولما أمرهم يوشع وكالب بدخول القرية عصوهما وأرادوا أن يرجموهما بالحجارة، وقالوا: يا موسى نكذب عشرة ونصدق اثنين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾.

قال أبو إسحاق: كلام العرب: اذهب أنت وزيد، ويستقبح النحويون: اذهب وزيد؛ لأنه يقبح العطف على المضمر والمضمر (في النية)[(٣)]، فكان الاسم يصير معطوفًا على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له[(٤)].

وقال الفراء: ولو ألقيت (أنت) فقيل: اذهب وربك، كان صوابًا؛ لأنه في إحدى القراءتين: ﴿إنه يراكم وقبيلُه﴾ [الأعراف: ٢٧]، واذهب

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٨، و«النكت والعيون» ٢/ ٢٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٧.

(٢) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٧٩-١٨٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٧.

وقد سبق قريبًا كلام ابن كثير في «تفسيره» على مثل هذا الخبر.

(٣) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٤: في النية لا علامة له.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٤.

أنت وربك أكثر في كلام العرب، وذلك أنه يقبح العطف على الاسم المضمر المرفوع؛ لأن المرفوع خفي في الفعل وليس كالمنصوب؛ لأن المنصوب يظهر، فتقول: ضربته وزيدًا، وضربتك وزيدًا. وتقول في المرفوع: قام، وقاما، فلا ترى اسمًا منفصلًا في الأصل من الفعل، فلذلك أوثر إظهاره[١]، (فقيل: قام هو وعمرو)[٢]. قال[٣]: وإذا فرقت بين الاسم المعطوف بشيء قد وقع عليه الفعل حسن بعض الحسن، من ذلك قولك: (ضربت زيدًا وعمرًا[٤])، فلو لم يكن (زيد)[٥] لقلت: (ضربت أنا وعمرو)[٦]. ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] وقوله تعالى: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل: ٦٧].

قال الزجاج: وإنما جاز لأن المفعول يقوي الكلام كما يقوي الكلام دخول لا، قال الله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨][٧]. فصار ذِكرُ لا وذكرُ المفعول عوضًا من المنفصل.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾، فقال أصحاب المعاني:

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٤.

(٢) ما بين القوسين زيادة على «معاني القرآن».

(٣) أي الفراء.

(٤) في «معاني القرآن»: ضربت زيدا وأنت.

(٥) في (ج): (زيدا).

(٦) في «معاني القرآن» ١/ ٣٠٤: قمت أنا وأنت، وقمت وأنت قليل. وقد انتهى إلى هنا كلام الفراء، وما بعده من أمثله لعله من المؤلف.

(٧) انتهى من «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٤.

إن كانوا قالوه على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر؛ لأنه على وجه الجهل بالله ﷻ[(١)]، وإن قالوه على وجه الخلاف لأمره ولنبيه فهو فسق[(٢)].

وقال الحسن: هذا القول كفر منهم بالله[(٣)].

وإنما أخبر عنهم بهذا إنكارًا عليهم، وتعجيبًا من جهلهم.

وقال بعضهم: إنهم قالوه على المجاز، على تأويل: اذهب أنت وربك معينٌ لك، فأضمر خبر الابتداء[(٤)].

والأول أظهر لقيام قوله: ﴿فَقَـٰتِلَآ﴾ مقام خبر الابتداء.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٠: وكان بعضهم يقول في ذلك: ليس معنى الكلام: اذهب أنت وليذهب معك ربك فقاتلا، ولكن معناه: اذهب أنت يا موسى وليُعِنْك ربك، وذلك أن الله عز ذكره لا يجوز عليه الذهاب، ولعل الطبري في «تفسيره» يقصد بهذا القائل أبا عبيدة. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٠، ثم رد هذا القول بقوله: وهذا إنما كان يحتاج إلى طلب المخرج له لو كان الخبر عن مؤمنين، فأما قوم أهل خلاف على الله عز ذكره ورسوله، فلا وجه لطلب المخرج لكلامهم فيما قالوا في الله ﷻ، وافتروا عليه إلا بما يشبه كفرهم وضلالتهم. وقد ذكر عن المقداد أنه قال لرسول الله ﷺ خلاف ما قال قوم موسى لموسى: حدثنا سفيان، عن طارق: أن المقداد بن الأسود قال للنبي ﷺ: إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إن معكم مقاتلون. «جامع البيان» ٦/ ١٨٠، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٥.

(٢) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨.

(٣) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٥٠، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٤٥٦.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٢٨، و«زاد المسير» ٢/ ٤٢٧، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٥٦ .

وحكى بعض المفسرين أنهم أرادوا بقولهم: ﴿وَرَبُّكَ﴾ أخاه هارون، قال: وكان أكبر من موسى[(١)].

والظاهر أنهم قالوا هذا جهلًا منهم، وفسقوا بذلك؛ لأن الله تعالى قال في هذه القصة: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، يريدهم[(٢)].

قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن أهل الكتاب لم يزالوا غير قابلين من الأنبياء قبل النبي ﷺ وأن الخلاف شأنهم[(٣)].

٢٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾. يقول: لم يطعني منهم إلا نفسي وأخي.

قال أهل المعاني: تأويله أنه لا يملك إلا تصريف نفسه في طاعة الله؛ لأن نفسه (لا تكون[(٤)]) في حكم المملوك له[(٥)].

وذكر أبو إسحاق في إعراب قوله: ﴿وَأَخِى﴾ وجهين:

أحدهما: أن يكون رفعًا من جهتين: الأولى: أن يكون نَسَقًا على موضع (إني)، المعنى: أنا لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، والثانية: أن يكون عطفًا على الضمير في (أملك) وهو: أنا، والمعنى: لا أملك أنا وأخي إلا أنفسنا.

والوجه الثاني: أن يكون (أخي) في موضع نصب من جهتين: إحدهما: أن يكون نسقًا على الياء، المعنى: إني وأخي لا نملك إلا

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٥٦.

(٢) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٣.

(٤) لعل الصواب: تكون بدون لا، مع أن لا غير واضحة في (ج).

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٠.

أنفسنا، وجائز[١] أن يكون (أخي) معطوفًا على (نفسي) فيكون المعنى: لا أملك إلا نفسي ولا أملك إلا أخي؛ لأن أخاه إذا كان مطيعًا له فهو مالك طاعته[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قال الكلبي: فاقض بيننا وبين القوم العاصين[٣].

٢٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ الآية.

قال عطاء عن ابن عباس: حرم الله على الذين عصوا دخول بيت المقدس فماتوا في التيه أجمعون، ولم يدخل بيت المقدس ممن خرج من مصر أحد، لا موسى ولا هارون ولا أحد منهم، إلا الرجلان اللذان قالا: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ يوشع وكالب، دخلا بأبناء الذين خرجوا من مصر بعدما تاهوا أربعين سنة[٤].

قال الكلبي: قيل لموسى: أما إذ سميتهم فاسقين فإنها محرمة عليهم، فكانوا في التيه أربعين سنة في ستة فراسخ، وقُبِضَ هارون وموسى في التِّيه[٥].

---

(١) لعل هذا الجائز هو الجهة الثانية من الوجه الثاني.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٤، ١٦٥، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٨.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٢.
ونسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٢٩.

(٤) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٣ لكن من طريق عكرمة عن ابن عباس، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٣٠، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٠، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٤٤.
وهذا قول، وسيأتي أن الراجح أن موسى ﷺ هو الذي فتح مدينة الجبارين.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٢.

وقال الحسن: لم يمت موسى في التِّيه[١].

واختلفوا: أيضًا هل دخل مدينة الجبارين أم لا؟، فقال قوم: كان الفتح على يديه.

وقال قوم إنما قاتل الجبارين يوشع، ولم يَسِر إليهم إلا بعد موت موسى[٢].

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ وقد قال: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؟

قيل: قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ المراد به من دخلها من أولادهم وذراريهم، فأما من مات في التيه ولم يدخلها فإنها لم تكتب لهم.

والمراد: بهذا التحريم تحريم منع لا تحريم تعبد، كما تقول: حرام عليك دخول داري، أي أني أمنعك ذلك فلا تدخل، ليس أنه يحرم عليه بالشرع.

وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

قال الفراء: هي منصوبة بالتحريم، ولو نصبتها بـ (يتيهون) كان صوابًا[٣].

قال الزجاج: أما نصبه بـ (محرمة) فخطأ؛ لأن التفسير جاء بأنها

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رجح الطبري في «تفسيره» وغيره القول الأول وأن موسى ﷺ هو الذي فتح مدينة الجبارين. انظر: «جامع البيان» ٦/ ١٨٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٨، و«زاد المسير» ٢/ ٣٣٠، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣١.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٥، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٤، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢٣.

محرمة عليهم أبدًا[١]، كذلك قال ابن عباس في رواية عطاء وسائر المفسرين[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

يقال: تاه يتيه تَوْهًا وتِيها، والتِّيه أعمهما، ويقال: توهّتُه، وتيّهتُه، والواو أعم، والتَّيهاء: الأرض التي لا يُهتدى فيها، يقال: أرض تِيهٌ وتيهًا ومتيهة، يتيه فيها الإنسان[٣].

قال مجاهد والحسن: كانوا يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا[٤].

قال الزجاج: عذبهم الله ﷻ بأن مكثوا في التيه أربعين سنة سيارة، لا يقرّ بهم القرار، إلى أن مات البالغون الذين عصوا الله ونشأ الصغار.

فإن قيل: التيه عذاب، والأنبياء لا يعذبون، فكيف عذب موسى وهارون بالتيه؟

قيل: إن الله ﷻ سهّل عليهما ذلك كما سهل على إبراهيم النار فجعلها بردًا وسلامًا وشأنها الإحراق[٥].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٥، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٣٣. وقد فصل مكي في «الإعراب» بما فيه جمع بين القولين.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، وأخرجه الطبري في «تفسيره» عن قتادة ٦/ ١٨٤. ونحوه عن غيره. انظر: «جامع البيان» ٦/ ١٨١-١٨٢.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢٣ (تيه)، وانظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٩.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٥ عن مجاهد، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٦٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٥، ١٦٦ بتصرف يسير.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد لا تحزن على القوم الذين عصوك وعصوني[(١)].

وقال مقاتل: إنهم قالوا لموسى: ما صنعت بنا؟ وندم موسى على ما دعا عليهم، فأوحى الله إليه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[(٢)].

يقال: أسي يأسى أسًى، أي: حزن[(٣)].

وقال الزجاج: وجائز أن يكون خطابًا لمحمد ﷺ أي لا تحزن على قومٍ لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل[(٤)].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد، يريد على قومك، ﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ كما كان، يريد هابيل وقابيل. وكان هابيل له ضأن، وقابيل له زرع، ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ فنظر هابيل إلى خير كبش في ضأنه فتقرب به إلى الله، ونظر قابيل إلى شر قمحه، فتقرب به إلى الله، فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل، ولم تحمل قربان قابيل، فعلم أن الله قد قَبِلَ من أخيه ولم يقبل منه فحسده، قال الله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ يريد هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ يريد قابيل. ويقال إن قربان هابيل هو الكبش الذي فدى الله به إسماعيل[(٥)] ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ هابيل ﴿إِنَّمَا

---

(١) «تفسيره» ص١٧٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٦ بلفظ: لا تحزن لا غير.

(٢) بنحوه في «تفسيره» ١/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٣٩، والطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٢٣١.

(٥) كأن هذا القول اعتراض ضمن قول ابن عباس، فإنه نُسِب إلى سعيد بن جبير. انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٤.

﴿يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. انتهى كلامه[١].

وهذا قول جميع أهل التفسير إلا الحسن والضحاك فإنهما قالا: إن ابني آدم اللذين قربا قربانًا لم يكونا ابني آدم لصلبه، إنما كانا رجلين من بني إسرائيل[٢].

ومضى الكلام في معنى القربان في سورة آل عمران.

وتقديره قوله ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ قرب كل واحد منهما قربانا، فجمعهما في الفعل وأفرد الاسم؛ لأنه يستدل بفعلها على أن لكل واحد قربانًا.

وقيل: إن القربان اسم جنس، فهو يصلح للواحد وللعدد، على أن القربان مصدر كالرُّجحان والعُدوان والكُفران، يقال: قَرَّبْت الرجل[٣] أقربه قُربًا وقُربانًا[٤].

وكان الرجل فيما مضى إذا رفع إلى الله حاجة قدم أمامها نسيكة، وكانت تلك الذبيحة تسمى: قربانا، إذ[٥] كان صاحبها يتقرب إلى الله،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» بمعناه من طريقين: أحدهما طريق العوفي عن ابن عباس، والثاني طريق أبي صالح عنه.
انظر: «جامع البيان» ٦/ ١٨٦-١٨٩، وذكره البغوي في «تفسيره» ٦/ ٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٣٣.

(٢) أخرجه عن الحسن الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٨٩، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٢٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٣١، ورجح كل من الطبري في «تفسيره» وابن الجوزي القول الأول، وأنهما ابني آدم لصلبه.

(٣) قربت الرجل: أي أدنيته، من القرب ضد البعد. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٥ (قرب).

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٢.

(٥) في (ج): إذا).

فسمي المتقرب به قربانًا، والمصادر لا تثنى ولا تجمع.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾.

مختصر، أي قال الذي لم يتقبل منه للثاني: لأقتلنك، فحذف لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل بحسده لأخيه: لأقتلنك. قاله الفراء[(١)]. ومثله في الكلام أن تقول إذا اجتمع السفيه والحليم: حمد، تنوي بالحمد الحليم. وإذا رأيت الظالم والمظلوم: أعنت، وأنت تنوي المظلوم، للمعنى الذي لا يُشكل[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قُرۡبَانٗا﴾.

ليس معناه من القريب الذي هو ضد البعيد، ولكنه من قولهم قرّب قربانًا، إذا تقرب بمال له[(٣)] إلى الله تعالى، وليس معنى ﴿قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ قربه إلى موضع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ .

أي المتقين للمعاصي[(٤)]، فأطلق للعلم بأن المراد أنها أحق ما يجب أن يُخَاف منه.

قال ابن عباس: قال له هابيل: إنما يتقبل الله ممن كان زاكيَ القلب، ورد عليك لأنك لست بزاكي القلب[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٥، ولا يزال الكلام له.

(٢) انتهى من «معاني القرآن» ١/ ٣٠٥، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٤.

(٣) في (ش): (لنا).

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٣٤.

(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٢.

٢٨- قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ﴾ الآية.

يقال في هذا: لِمَ لَمْ يدفع ابن آدم أخاه عن نفسه وإن أدّى إلى قتله؟

قيل: معناه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا الذي أبدؤك بالقتل(١).

وهذا يُروى عن ابن عباس(٢) وحُذيفة(٣).

وقال الحسن ومجاهد: إنه كتب عليهم: إذا أراد الرجل قتل رجل تركه، ولم يمتنع منه(٤).

وقال أهل العلم: الدافع عن نفسه يدفع بالأيسر فالأيسر، وليس له أن يقصد القتل، بل يقصد الدفع، ثم إن أتى الدفع على القاتل ولم يمكنه الدفع إلا بقتله جاز ذلك، فمن قصد قتل رجل ظُلمًا فالمقصود إن أراد أن يستسلم للقتل جاز له ذلك(٥).

وكذلك فعل عثمان -رضي الله عنه-(٦)، وكذلك أمر رسول الله ﷺ(٧) محمد بن مسلمة(٨)، فقال له: «**أَلْقِ كُمَّك على وجهك وكن عبد الله**

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٣٤.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» من طريق العوفي عنه في هذه الآية ما أنا بمنتصر، ولأمسكن يدي عنك. «جامع البيان» ٦/ ١٩١-١٩٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٢، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٦.

(٥) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٦، وقال القرطبي في «تفسيره»: وفي وجوب ذلك [أي الدفع] عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر.

(٦) حينما ترك الدفاع عن نفسه في فتنة قتله -رضي الله عنه- انظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٠.

(٧) الصلاة على النبي ﷺ ليست في (ج).

(٨) هو أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي الأنصاري =

المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»(١).

وإن أراد أن يدفع القاتل وجب أنْ يَقصد الدفع ولا يقصد القتل، ألا ترى أن ابن آدم قال: ﴿مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾، فبان أن بسط اليد لقتل القاصد للقتل لا يجوز.

وقال عبد الله بن عمرو في هذه الآية: والله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أنْ يبسط يده لأخيه(٢).

٢٩- قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾.

قد مضى الكلام في معنى: باء(٣).

قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن مسعود: تحتمل إثم قتلي وإثمك الذي كان منك قبل قتلي(٤).

= صحابي فاضل، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها إلا تبوك، واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان -رضي الله عنه- مات بالمدينة سنة ٤٦هـ وقيل بعدها.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٣٣، «أسد الغابة» ٥/ ١١٢، «الإصابة» ٣/ ٣٨٣ .

(١) لم أقف عليه عن محمد بن مسلمة -رضي الله عنه- بهذا اللفظ. وقد أخرج معناه عنه ابن الأثير في «أسد الغابة» ٥/ ١١٣، وانظر: «الإصابة» ٣/ ٣٨٣.
والحديث له شاهد من حديث خالد بن عرفطة -رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل»**.
أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ٥/ ٢٩٢، والحاكم في «مستدركه» ٤/ ٥١٧، وله شاهد آخر من حديث خباب -رضي الله عنه- عند أحمد ٥/ ١١٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩١، وانظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٠، «الدر المنثور» ٢/ ٤٨٤.

(٣) عند **قوله تعالى**: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٢-١٩٣، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٥.

وقال الزجاج: ترجع إلى الله بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك[(١)].

قال ابن الأنباري: وإنما فصل الإثمين وهما على واحد لاختلاف سببهما[(٢)].

فإن قيل: كيف قال ابن آدم: إني أريد أن تبوء بالإثمين فجاز أن يريد منه الإثم، وليس للإنسان أن يريد معصية الله من غيره كما ليس له أن يريدها من نفسه؟

والجواب: عن هذا من وجوه: أحدها ما ذكره ابن الأنباري، وهو أن قابيل لما قال لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه، وقال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية، فلما رآه هابيل قد صمم وأخذ له الحجارة يرميه بها، قال له عند الضرورة: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ أي إذا قتلتني ولم يندفع قتلك إياي إلا بقتلي إياك فمحبتي أن يلزمك إثم قتلي إذا قتلتني، فكان هذا عدلًا من هابيل[(٣)].

وإلى هذا أشار الزجاج فقال: أي إن قتلتني فأنا مريد ذلك[(٤)].

فهذه الإرادة منه بشرط أن يكون قاتلا له، والإنسان إذا تمنى أن يكون إثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٧، وانظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف على قول ابن الأنباري، وقد ذكر ابن الجوزي له قولا خلافه.
انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٧.

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣ .

وهذا التأويل قال بعضهم معناه: إني أريد أن تبوء بعقاب إثمي وإثمك، ثم حذف المضاف، ومن باء بإثم باء بعقاب ذلك الإثم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال عطاء: يريد إن جهنم جزاء من قتل أخاه وظلمه[٢].

٣٠- قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾.

قال الفراء: فتابعته نفسه وطاوعته[٣].

وقال المبرد: (طوعت[٤]) فعّلت، من الطَّوع[٥].

وقال أبو عبيد: قال حدثنا يزيد[٦]، عن ورقاء[٧]، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾ قال: شجعته[٨].

---

(١) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في «معاني القرآن» ١/ ٣٠٥: فتابعته، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣ (طاع)، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٧، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣ (طاع). وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٣٧.

(٦) يزيد بن هارون بن زاذان السلمي الواسطي، تقدمت ترجمته.

(٧) هو أبو بشر ورقاء بن عمر بن كليب اليشكري الكوفي الإمام الثقة الحافظ العابد المقرئ، قال ابن معين: تفسير ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أحب إلي من تفسير قتادة. مات -رحمه الله- بعد سنة ١٦٠هـ.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص١٧٥، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ٤١٩، «غاية النهاية» ٢/ ٣٥٨.

(٨) الأثر بسنده من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣ (طاع)، وهو في «تفسير مجاهد» ١/ ١٩٣، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٥.

قال أبو عبيد: عنى مجاهد أنها أعانته على ذلك وأجابته إليه. ولا أرى أصله إلا من الطواعية[١].

قال الأزهري: والأشبه عندي أن يكون معنى: (طوعت) سمحت وسهّلت له نفسه (قتل أخيه) أي جعلت نفسه قتل أخيه سهلًا وهوّنته[٢].

وتقدير الكلام: فصورت له نفسه أن قتل أخيه طوعٌ له سهلٌ عليه، فينتصب القتل على هذا من غير إضمار ولا حذف[٣] خافض.

واختار الزجاجي هذا الوجه فقال: طوّع فعل من طَاع الشيء يطوع إذا سهُل وانقاد، و﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ أي سهلت الأمر فيه عليه[٤].

وأما قول[٥] الفراء والمبرد فانتصاب قوله: ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ على إفضاء الفعل إليه بعد حذف الخافض، كأنه قيل[٦]: فطوعت له نفسه أن انقادت في قلت أخيه ولقتل أخيه، فحذف الخافض وأفضى الفعل إليه فنصبه[٧]. هذا كلام أهل اللغة.

وأما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عطاء: فسولت له نفسه قتل أخيه[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣ (طاع).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣، (طاع)، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣.

(٣) في (ش): (حرف).

(٤) لم أقف عليه. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٣ (طاع)، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣.

(٥) في (ش): (وأما على قول).

(٦) في (ش): (قتل).

(٧) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٨.

(٨) لم أقف عليه.

وقال قتادة: زينت له نفسه[١].

وقال يمان[٢]: سهلت له ذلك[٣].

وقال عبد العزيز بن يحيى[٤]: أجابته إلى ذلك[٥].

وقال الكلبي: تابعته نفسه على قتل أخيه[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَقَنَلَهُۥ﴾.

قال المفسرون: لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل، فتمثل له إبليس وأخذ طيرًا فوضع رأسه على حجر ثم شدخ رأسه بحجر آخر، وقابيل ينظر فعلّمه القتل، ثم وجد قابيل أخاه هابيل يومًا نائمًا، فرفع صخرة، فشدخ رأسه فمات[٧].

وروى مسروق عن عبد الله[٨] عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقتل نفس

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٥، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٩ .

(٢) يمان بن رئاب، تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: «الوسيط» ٣/ ٨٥٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣، وهذا اختيار الأزهري كما تقدم، مع أن الأقوال متقاربة من حيث المعنى.

(٤) لعله عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي الذي ناظر بشرًا المريسي في نفي خلق القرآن، وينسب إليه كتاب «الحيدة» في ذلك واستبعد الذهبي هذه النسبة، كان من فقهاء الشافعية، وذكر أنه صَحِب الشافعي مدة ولم يذكر تاريخ وفاته. انظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٤، «ميزان الاعتدال» ٣/ ٣٥٣، «طبقات الشافعية» للإسنوي ١/ ٤١.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه. وقد نسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٣٧ إلى ابن عباس.

(٧) أخرجه بنحوه عن ابن جريج: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٥، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٢٩، «النكت والعيون» ٢/ ٣٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٧، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥١.

(٨) ابن مسعود رضي الله عنه.

ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل من دمها، وذلك أنه أول من سن القتل»[١].

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين من اللذان يقول الله لهما: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [فصلت: ٢٩]؟ فقال علي: هو إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه، كانا أول من عمل بالمعصية[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

قال ابن عباس: يريد خسر دنياه وآخرته، أما الدنيا فأسخط والديه وبقي بلا أخ، وأما الآخرة فأسخط ربه وصار إلى النار[٣].

قال المفسرون: إن قابيل لما قتل أخاه هرب إلى عدن من أرض اليمن، فأتاه إبليس وقال له: إنما أكلت النار قربان هابيل؛ لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصب أنت أيضًا نارًا تكون لك ولعقبك، فبنى[٤] بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها[٥].

٣١- قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

قال المفسرون: إن قابيل لما قتل أخاه تركه بالعراء، ولم يدر ما يصنع؛ لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فقصده السباع، فحمله في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٥) كتاب الأنبياء، باب (١): خلق آدم وذريته ٤/ ١٠٤، ومسلم (١٦٧٧) كتاب القسامه، باب (٧): بيان إثم من سن القتل ٣/ ١٣٠٣ (ح٢٧) والمؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٥٨.

(٢) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٥ (الطبعة غير المحققة)، والحاكم ٢/ ٣١٢، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٨٨.

(٣) انظر: «الوسيط» ٣/ ٨٥٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٨، «البحر المحيط» ٣/ ٤٦٥.

(٤) في (ج): (فبنا).

(٥) جاء ذلك في أثر طويل رُوي عن ابن عباس. انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩.

جراب على ظهره حتى أَرْوح، فبعث الله غُرابًا يبحث في الأرض[١].

قال ابن عباس: وكان غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، وقابيل ينظر، ثم بحث في الأرض حتى جعل له حفْرة فدفنه فيها، ففعل قابيل مثل ما فعل الغراب[٢].

قال ابن قتيبة: وهذا مختصر، والتقدير: فبعث الله غُرابًا يبحث في الأرض على غراب ميت[٣].

قال الضحاك: ﴿يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يثير التراب من الأرض[٤].

﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾. أي: جيفته، وقيل: عورة أخيه[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾.

قال الزجاج: المعنى يا ويلتا تعالي، فإنه من إبّانك[٦]، أي: قد لزمني الويل، وكذلك: يا عجبًا، المعنى: يا أيها العجب هذا وقتك. قال: والوقت في غير القرآن: يا ويلتاه[٧].

---

(١) أخرجه بمعناه عن ابن عباس وغيره: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٧، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٤، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٢.

(٢) بمعناه في «تفسيره» ص١٧٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٧ من طرق، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٨٩.

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٣١، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٨، «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٧.

(٤) لم أقف عليه، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٨.

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٩٩، «النكت والعيون» ٢/ ٣٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٨.

(٦) أي من وقتك أو زمن حاجتك.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٧، ١٦٨ بتصرف.

وذكرنا زيادة بيان في قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ﴾ [هود: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأُوَٰرِيَ﴾، عطف على: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

حقيقة معنى الندم أنه وضع للزوم، ومنه سمي النديم نديمًا لأنه يلازم المجلس، ويقوي هذا قولهم: نادم سادم، والسدم اللهج بالشيء، يقال: سدم به، إذا أغري به ولزمه، ويقال[١] لمن اهتم بالشيء الفائت: نادم سادم؛ لأن هذا الهّم ألزم للقلب من الهّم لأجل الشيء الحادث؛ لأن هذا يزول بزوال ما حدث، والفائت لا سبيل إلى رده[٢].

قال كثير من المفسرين: ﴿من النادمين﴾ على حمله والتطواف به[٣].

وقال آخرون: ﴿من النادمين﴾ على فوات أخيه؛ لأنه لم ينتفع بقتل أخيه، وسخط عليه بسببه أبواه وإخوته، فندم لأجل ذلك، لا لأجل أنه جنى واقترف ذنبًا بقتله، فلم يكن ندمه على الوجه الذي يكون ندم التوبة[٤].

٣٢- قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا﴾ الآية.

الأجل في اللغة: الجناية، يقال: أَجَلَ عليهم شرًّا بأجله أجْلًا، إذا جنى عليهم جناية. ذكره ابن السكيت[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والزجاج[٧]،

---

(١) في (ج): (وقال).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٣، «اللسان» ٧/ ٤٣٨٦ (ندم).

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٣٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٤، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٩.

(٤) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٦٤، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٠، «النكت والعيون» ٢/ ٣١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٤، «زاد المسير» ٢/ ٣٣٩.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٥ (أجل).

(٦) في «مجاز القرآن» ١/ ١٦٢.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٨.

وجميع أهل اللغة، وأنشدوا:

وأهلِ خِباءٍ[(١)] صالحٍ ذات بينهم قد احتَربُوا في عَاجلٍ أنا آجِلُه[(٢)]

أي: أنا جانيه[(٣)]. وفي هذا المعنى أيضًا يقال: جر عليهم جريرة، ثم يقال: فعلت ذلك من أجلك، أي من جنايتك وجريرتك؛ كأنه يقول: أنت جررتني إلى ذلك، وأنت جنيت علي هذا[(٤)].

قال الزجاج: من جنايته ذلك[(٥)].

وقال ابن الأنباري: من سبب ذلك. قال: ويقال: فعلت ذلك من أجلك ومن جلالك ومن جلك وجرّاك وجرائك[(٦)].

واختلفوا في قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾، فقال بعضهم: إنه من صلة النادمين، على معنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك، أي من أجل أنه حين قتل أخاه لم يواره[(٧)].

ويُروَى عن نافع أنه كان يقف على قوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ ويجعله من

---

(١) في (ش): جناء.

(٢) البيت لزُهير بن أبي سُلمى. انظر: «أشعار الستة الجاهليين» ص٣٠٣، «الدر المصون» ٤/ ٢٤٧، وينسب لخوات بن جبير كما في «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٨، «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٥، واستشهد به أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٦٣، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٠.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ١٦٤، «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٨، «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٥ (أجل)، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٠.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٢، ١٦٤، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٨.

(٦) لم أقف عليه عن ابن الأنباري، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٥ (أجل).

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٨، «النكت والعيون» ٢/ ٣١، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٠، «البحر المحيط» ٣/ ٤٦٨.

تمام الكلامِ الأول[١].

وعامة المفسرين وأصحاب المعاني على أن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ ابتداء كلام، وليس بمتصل بما قبله[٢].

واحتج ابن الأنباري لهذا بأن قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ رأس آية، ورأس الآية فصل. قال: ولأنه قد تقدم ما كشف علة الندم فاستغنى النادمون عن: (من أجل ذلك). قال: ولأن من (جعله من صلة للندم أسقط العلة للكتابة، ومن[٣]) جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم، إذ قد تقدم ما كشف سببه، فكان هذا أولى[٤].

وأما التفسير: فقال ابن عباس في رواية عطاء: بسبب قابيل قضينا على[٥] بني إسرائيل[٦].

وقال الكلبي: من أجل ابني آدم حين قتل أحدهما صاحبه فرضنا على بني إسرائيل[٧].

---

(١) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس ص٢٨٦، والمُكتفى في «الوقف والإبتداء» ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) وهذا هو الراجح. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٠، «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٨، «إيضاح الوقوف والابتداء» ٢/ ٦١٧، ٦١٨، «القطع والائتناف» ص٢٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٠، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٦، «البحر المحيط» ٣/ ٤٦٨، «الدر المصون» ٤/ ٢٤٨.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٤) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٦١٧، ٦١٨.

(٥) في (ج): (إلى).

(٦) لم أقف عليه، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٧) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣، وورد نحوه عن الضحاك، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٠.

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾. قال ابن عباس: بغير قود[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال الكلبي: أو شرك في الأرض[٢].

وقال غيره: يعني بالفساد في الأرض أن يكون محاربًا لله ورسوله، كالذين ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية[٣].

قال الزجاج: ﴿أَوۡ فَسَادٖ﴾ منسوق على نفس، المعنى: أو بغير فساد في الأرض[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾.

قال مجاهد: من قتل نفسًا محرمة يَصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعًا[٥].

ونحو هذا قال الكلبي فقال: يعذب عليها كما أنه لو قتل الناس كلهم[٦].

وقال الحسن وابن زيد: يعني أنه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج الطبري عنه في تفسير هذه الآية: يقول من قتل نفسًا واحدة حرمتها. «جامع البيان» ٦/ ٢٠٠.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٠، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٨.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٢، وذكره بلفظه البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٠.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعًا[١].

وحكى الزجاج: عن بعضهم أن المعنى فيه أن المؤمنين كلهم خصماء للقاتل، وقد وَتَرهم وَتر من قصد لقتلهم جميعًا[٢]. وأوصل إليهم من المكروه مثل ما يشبه القتل الذي أوصله إلى المقتول، فأذاه إياهم كأذى رجل قتلهم كلهم.

وهذا اختيار ابن الأنباري، وزاد من عنده وجهًا آخر فقال: المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعًا معلوم عند الله ﷻ محدود، (فالذي يقتل الواحد يلزمه الله ذلك الإثم المعلوم)[٣]، والذي يقتل الاثنين يلزمه الله مثل ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾.

قال الكلبي: من عفا عن رجل قتل رجلًا خطأ وجبت له الجنة، كم لو عفا عن الناس جميعًا، وذلك أنه كتب عليهم في التوراة: أيما رجل قتل رجلًا خطأ فهو له قود إلا أن يشاء الولي أن يعفو[٥].

وقال الحسن: عفا عن دمها وقد وجب القود عليها[٦].

---

(١) أخرجه عن ابن زيد: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٢-٢٠٣، وذكره عنه الماورد في «النكت والعيون» ٢/ ٣٢، أما الحسن فذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٧ وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٠، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٤ .

(٢) انتهى من «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٨، ١٦٩ حسب المطبوع، فبقية الكلام يحتمل له أو للمؤلف.

(٣) ما بين القوسين مكرر في (ش).

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤١.

(٥) انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٦٥، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٣

(٦) «تفسير الهواري» ١/ ٤٦٦، وأخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٣، وانظ «النكت والعيون» ٢/ ٣٢، «زاد المسير» ٢/ ٢٤٣.

وهذا كقول الكلبي، وهو قول ابن زيد أيضًا[١].

وقال الزجاج: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي من استنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو ما يميت لا محالة، أو استنقذها[٢] من ضلال ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي أجره على الله ﷻ أجر من أحياهم أجمعين؛ (لأنه في إسدائه[٣]) إليهم المعروف بإحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيا كل واحد منهم[٤].

وروى ابن الأنباري هذا القول عن مجاهد بإسناد له[٥].

وقال سعيد بن جبير: في هذه الآية: من استحل قتل نفس فهو كذلك في دماء الناس لا يتحرم لها، ومن أحياها مخافة من الله وتحرجًا من قتلها فكذلك يرى دماء الناس كلهم حرامًا[٦].

وهذا كما يُروى عن قتادة والضحاك أنهما قالا في هذه الآية: عظم الله أجرها وعظم وزرها، فمن استحل قتل مسلم بغير حقه، فكأنما قتل الناس أجمعين؛ لأنهم لا يَسْلمون منه، ومن أحياها فحرمها وتورّع عن

---

(١) أخرج الأثر عنه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٣، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٢.
وقال بهذا أيضًا ابن قتيبة، انظر: «غريب القرآن» ص١٤٠.

(٢) في (ج): (واستنقذها)، وما أثبته موافق لما في «معاني الزجاج» ٢/ ١٦٩، وهو أولى.

(٣) عند الزجاج: وجائز أن يكون في إسدائه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٩، وذكر نحو هذا القول عن الحسن. انظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٦٦.

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: من أنجاها من غرق أو حرق أو هلكة، وفي رواية: من غرق أو حرق أو هدم. «جامع البيان» ٦/ ٢٠٣، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٢.

(٦) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٦٢، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٥.

قتلها: فكأنما أحيا الناس جميعًا لسلامتهم منه[(١)].

قال أهل المعاني: قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ على المجاز؛ لأن المعنى: ومن نجا بها من الهلاك، والفاعل للحياة هو الله عز وجل[(٢)] لا يقدر عليها غيره[(٣)].

وسئل الحسن عن هذه الآية فقيل: أهي كما كانت لبني إسرائيل؟ قال: إي والذي لا إله غيره وما جعل دماء بني إسرائيل (أكرم[(٤)]) على الله من دمائنا[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

قال ابن عباس: بان لهم صدق ما جاءوهم به من الفرائض والحلال والحرام[(٦)].

وقال الكلبي: أي بالبيان في أن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ الآية[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

أي: مجاوزون حد الحق[(٨)].

---

(١) أخرج الأثر بمعناه عنهما الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٣-٢٠٤، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٧.

(٢) في (ش): (تعالى).

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٤.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٤، وأورده البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٧، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٤.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٢.

(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٥.

قال الكلبي: بالشرك[١].

وقال غيره: بالقتل[٢]. وهذا عام في كل ما هو تجاوز عن الحق.

٣٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية.

قال الزجاج: المعنى في: ﴿إِنَّمَا﴾ ما جزاؤهم إلا هذا؛ لأن القائل إذا قال: (جزاؤك دينار، فجائز أن يكون معه غيره، وإذا قال[٣]): إنما جزاؤك دينار، كان المعنى: ما جزاؤك إلا دينار[٤].

قال ابن عباس في رواية عطاء وسعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في قصة العُرَنِيّين[٥] وهي معروفة[٦].

فإن قيل: فكيف[٧] لم يعذبوا بما في الآية، وفي حديثهم أنهم سُمِل

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٢) انظر: «التفسير الكبير» ١١/ ٢١٣.

(٣) ما بين القوسين ليس في «معاني الزجاج» حسب المطبوع.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٩.

(٥) أخرج ذلك عن سعيد بن جبير ١٠/ ٢٤٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٣، ولم أجد شيئًا في ذلك عن ابن عباس. وقد قال بهذا القول انس وجرير والزبير والسدي وقتادة. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٦-٢٠٨، «النكت والعيون» ٢/ ٣٢.

(٦) أخرج مسلم (١٦٧١) كتاب القسامة، باب (٢): حكم المحاربين والمرتدين ٣/ ١٢٩٦ (ح٩) عن أنس -رضي الله عنه- أن ناسًا من عرينة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فاجتووها. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها**» ففعلوا، فصحوا. ثم مالوا إلى الرعاة فقتلوهم وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذود رسول الله فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث في أثرهم. فأتي بهم. فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم. وتركهم في الحرة حتى ماتوا.
وأخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ص١٩٦-١٩٧.

(٧) في (ش): (كيف).

أعينهم وقُطِّعت أيديهم وأرجلهم، وليس في الآية سمل الأعين وقطع جميع الأيدي والأرجل؟

والجواب: ما حكي عن الليث بن سعد[١] أنه قال: نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله ﷺ وتعليمًا إياه عقوبتهم، فقيل: إن جزاءهم ما ذكر في الآية، لا المُثلة، فلذلك ما قام رسول الله ﷺ خطيبًا إلا نهى عن المُثلة[٢].

ويمكن أن يقال: ما فعله رسول الله ﷺ كان هو الحد فيهم بالسنة، فلما نزلت الآية صارت تلك السنة منسوخة بالقرآن[٣]. هذا إذا جوزنا نسخ السنة بالقرآن[٤].

وإن قلنا: لا تُنسخ السنة بالقرآن -وهو الأصح من مذهب الشافعي[٥]

---

(١) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة ثبت إمام مشهور، كان ورعًا فاضلًا سخيًا، مات -رحمه الله- سنة ١٧٥هـ.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار» ص١٩١، «سير أعلام النبلاء» ٨/ ١٣٦، «التقريب» ص٤٦٤ (٥٦٨٤).

(٢) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٨-٢٠٩، وأورده بلفظ المؤلف البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٨.
وقد ذكر الطبري في «تفسيره» عن الأوزاعي أنه أنكر أن يكون نزول هذه الآية معاتبة، ونقل عنه قوله: بلى، كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم، ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم، فرفع عنهم السمل، والله أعلم.
وسيأتي قريبًا تخريج الحديث في النهي عن المثلة.

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٦-٢٠٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٨.

(٤) هذا رأي جمهور العلماء، وهو الراجح لتظاهر الأدلة عليه.
انظر: «الناسخ والمنسوخ في كتاب الله ﷻ» للنحاس ١١٨، «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي ٣/ ١٥٠، «إرشاد الفحول» للشوكاني ص٣٢٦.

(٥) انظر: «الرسالة» ص١١٠، «الإحكام» للآمدي ٣/ ١٥٠، ١٥١، «إرشاد الفحول» ص٣٢٦.

رضي الله عنه- فتلك إنما نُسِخت بسنة أخرى من عنده، فنسخت الثانية الأولى(١). وهذا أيضًا قول سعيد بن المسيب والسدي في نزول الآية(٢).

قال عبد الله بن مسلم(٣): المحاربون لله ورسوله هم الخارجون على جماعة المسلمين، يخيفون السبل، ويسعون في الأرض الفساد(٤).

فمعنى: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي يعصونهما ولا يطيعونهما، وكل من عصاك فهو حرب كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

قال مجاهد: هو الزنا والسرقة وقتل النفس وإهلاك الحرث والنسل(٥).

وقال الكلبي: يعني بالقتل وأخذ الأموال(٦).

قال العلماء: وكل من أخذ السلاح على المسلمين في أي موضع كان وكيف ما كان، في البلد أو الصحراء، أو للقتل اغتيالًا، فهو محارب لله ورسوله، فدخل المكابر في البلد في هذه الجملة.

وهذا قول مالك والأوزاعي ومذهب الشافعي(٧) -رضي الله عنه-،

---

(١) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٨.

(٢) أخرج الأثر عن السدي: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٨.

(٣) ابن قتيبة.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١١، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٤، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٧) انظر: «الأم» ٦/ ١٥٢، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٠، «النكت والعيون» ٢/ ٣٣، «الوسيط» ٣/ ٨٦٥، ٨٦٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧.

وقال ابن الجوزي: ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر.

وذكر الشافعي قُطّاع الطريق ثم قال: وأراهم في المصر إن لم يكونوا أعظم ذنبًا فحدودهم واحدة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ﴾ اختلفوا في حكم (أو) ههنا، فقال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: إن (أو) دخلت للتخيير، ومعناها الإباحة، أي: إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، أي شيء من هذه الأشياء شاء فعل[(٢)]. وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد[(٣)].

وقال في رواية عطية: (أو) ليست للإباحة، وإنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجناية، فمن قتل وأخذ المال صُلِب، وقُتِل، ومن أخذ المال ولم يقتل قُطِع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قُتِل، ومن أخاف السبيل ولم يأخذ الأموال ولم يقتل نفي[(٤)]، وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والسدي والقرظي والربيع[(٥)]، ورواية عطاء عن ابن عباس أيضًا[(٦)].

قال الشافعي -رضي الله عنه-: ويحدد كل واحد بقدر فعله فمن وجب

---

(١) «الأم» ٦/ ١٥٢، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٠.

(٢) بمعناه في «تفسير ابن عباس» ص١٧٧، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٤.

(٣) أخرج الآثار عنهم: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٤، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٣، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٨.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٢، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٩، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٨ .

(٥) أخرجه أقوالهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٣.

(٦) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٣ وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٨. وقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٢ عن عطاء كالقول الأول: أن الإمام مخير فيها.

عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه، ويصلب ثلاثًا ثم ينزل[١].

قال أبو عبيد: سألت محمد بن الحسن[٢] عن قوله: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ فقال: هو أن يصلب حيًا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل، وهو رأي أبي حنيفة. فقيل: هذا مُثلة. قال: المُثلةَ يراد به[٣]. قال أبو عبيد: والذي أختار أن يكون الصلب بعد القتل؛ لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة[٤].

قال الشافعي: ومن وجب عليه القتل دون الصلب: قتل ودفع إلى أهله يدفنونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل: قطعت يده اليمنى ثم حسمت[٥]، ثم رجله اليسرى ثم حسمت في مكان واحد، ثم خُلّي، وذلك

---

(١) انظر: «الأم» ٦/ ١٥٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٩، «المحرر والوجيز» ٤/ ٤٢٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥١، ١٥٢، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٨.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني العلامة صاحب أبي حنيفة، أخذ بعض الفقه عن أبي حنيفة وأكمل على أبي يوسف وأخذ الحديث عن مالك، وله مؤلفات كثيرة، وقد أخذ عنه الشافعي، توفي -رحمه الله- سنة ١٨٩هـ.
انظر: «المعارف» ص٥٠٠، «الفهرست» ص٢٨٤، «طبقات الفقهاء» للشيرازي ص١٤٢، «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٤.

(٣) لم أقف عليه، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٩، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥١.

(٤) لم أقف على قول أبي عبيد، وأما النهي عن المثلة فقد قال عبد الله بن يزيد الأنصاري -رضي الله عنه-: نهى رسول الله ﷺ عن النُّهبى والمثلة. أخرجه البخاري (٢٤٧٤) كتاب المظالم، باب (٣٠): النهبى بغير إذن صاحبه ٣/ ١٠٧.
والنُّهبى: بمعنى النَّهْب وهو الغارة والسلب والاختلاس، انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٥/ ١٣٣ (نهب).

(٥) الحسم قطع الدم بالكي. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٣٤٩.

معنى قوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾[(١)].

واختلفوا: في معنى النفي في قوله: ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾، فقال ابن عباس: هو أن يُهْدِر الإمام دمه فيقول: من لقيه فليقتله[(٢)].

وقال بعضهم: هو أن يقاتَلُوا حيث توجهوا من الأرض، ويُطلبوا في أي أرض كانوا بها حتى تضيق عليهم الدنيا.

حكى هذا القول أبو إسحاق[(٣)] وأبو بكر وابن قتيبة، ثم قال ابن قتيبة: هذا إنما يكون فيمن لم يقدر عليه؛ لأنه لا يجوز أن يظفر الإمام به فيدع عقوبته ثم يقول: من لقيه فليقتله، أو يجده فيتركه ثم يطلبه في كل أرض[(٤)]. وهو على ما قال.

فأما المقبوض عليه ممن حقه النفي فقال ابن عباس في رواية عطاء: ينفوا من الأرض إلى بلاد الكفر[(٥)].

وهذا قول جماعة المفسرين، وهو أنهم قالوا: ينفى من بلدته إلى بلدةٍ أخرى[(٦)].

وقال آخرون: المراد بالنفي في هذه الآية: الحبس والسجن[(٧)].

---

(١) «الأم» ٦/ ١٥٢، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٣.
(٢) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٦-٢١٧، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٤، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٦.
(٣) أي الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٠.
(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص١٤١.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٧-٢١٨، «النكت والعيون» ٢/ ٣٤ .
(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٨، «النكت والعيون» ٢/ ٣٤، «زاد المسير» ٢/ ٢٤٦.

قال ابن الأنباري: وأكثر اللغويين يختارون هذا القول في تفسير الآية، واحتجوا بأن المسجون بمنزلة المخرج من الدنيا إذا كان ممنوعًا من التصرف وَمحولًا بينه وبين أهله وأولي أُنسِه، مع ممارسته صنوف المكاره والأذى في السجن[١].

وقال ابن قتيبة: ولا أرى شيئًا من هذه التفاسير أشبه بالنفي في هذا الموضع من الحبس؛ لأنه إذا حُبس ومُنع من التصرف والتقلب في البلاد فقد نفي منها كلها وأُلجئ إلى مكان واحد، وأنشد هو وأبو بكر قول بعض المسجنين[٢]:

خرجنا من الدنيا ونحنُ من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجَّان يومًا لحاجةٍ عَجِبْنا وقلنا جاء هذا من الدنيا[٣]

وقال الوليد بن عبيد[٤] يذكر قومًا سجنوا:

غابوا عن الأَرْضِ أَنْآى غيبةٍ وهُم فيها فلا وَصلَ إلا الكتبُ والرسلُ[٥]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) عند ابن قتيبة: المسجونين. «تأويل مشكل القرآن» ١/ ١٤١.

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ١/ ١٤١، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٣٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٣، «البحر المحيط» ٣/ ٤٧١، وجاء فيها الشطر الثاني من البيت الأول:

فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء

وقد ذكر الرازي أن هذا الشعر لصالح بن عبد القدوس حين حبس بتهمة الزندقة في سجن ضيق مدة طويلة. انظر: «التفسير الكبير» ١١/ ٢١٧.

(٤) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الملقب بالبحتري، شاعر وقته في الدولة العباسية، وله ديوان، توفي -رحمه الله- سنة ٢٨٣هـ وقيل بعدها. انظر: «الفهرست» ص١٢٦، «سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤٨٦، «البداية والنهاية» ١١/ ٨١.

(٥) «ديوان البحتري» ٣/ ١٧٦٠.

فصرح بغيبتهم عن الأرض مع كونهم فيها، والمُحدَثُون يُحتَجّ بهم في المعاني، ولا يحتج بهم في الألفاظ.

قال أبو محمد: وليس نفي الخارب[١] من بلده إلى غيره عقوبةً له، بل هو إهمال وتسليط وبعث على التزيد في العبث والفساد[٢].

ومذهب الفقهاء في هذه الآية أيضًا أن المراد بالنفي: الحبس.

قال الشافعي: ومن حضر منهم وكثر أو هِيب أو كان رِدءًا[٣] عُزِّر وحبس[٤].

وهو مذهب أبي حنيفة أيضًا[٥]. قال[٦]: ومن قتل وجرح أقص لصاحب الجرح ثم قتل، ولو أخذ المال وجرح أقص صاحب الجرح ثم قطع، لا يمنع حق الله حق الآدميين، ومن عفا عن الجراح كان له، ومن عفا عن النفس لم يحقن بذلك دمه، وعلى الإمام قتله إذا بلغت جنايته القتل، ولا يقطع منهم إلا من أخذ ربع دينار فصاعدا، قياسًا على السنة في السارق[٧].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ أي: فضيحة وهوان. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهذا للكفار الذين نزلت في العُرَنِيّين

---

(١) الخارب: اللص. «الصحاح» ١/ ١١٩ (خرب).

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٠١.

(٣) في «الأم» ٦/ ١٥٢: ردءا للصوص أي: مساعدًا.

(٤) «الأم» ٦/ ٥٢، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٠.

(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢١٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٢، «النكت والعيون» ٢/ ٣٤، «زاد المسير» ٢/ ٢٤٦.

(٦) أي الشافعي.

(٧) «الأم» ٦/ ١٥٢ بتصرف، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٩.

فإنهم ارتدوا عن الإسلام[١].

وبعض المفسرين يقول: نزلت في قوم هلال بن عويمر الأسلمي، وكانوا مشركين[٢]، وبعضهم يقول نزلت في قوم من أهل الكتاب[٣].

ثم بالسنة أجري حكم هذه الآية على المحاربين من المسلمين، فبقي العذاب العظيم في الآخرة للكافرين، والمسلم إذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له.

٣٤- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾.

قال الزجاج: جائز أن يكون موضع (الذين) رفعًا بالإبتداء، وخبره قوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، والمعنى: لكن التائبون من قبل أن تقدروا عليهم (فالله[٤]) غفور رحيم (لهم[٥]) وجائز ان يكون موضع

---

(١) تقدم تخريج قصة العرنيين قريبًا.

(٢) قال السمرقندي: وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: وَادَع رسول الله ﷺ أبا بُردة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين فهو آمن، ومن أتى المسلمين منهم فهو آمن، فمر أناس من بني كنانة يريدون الإسلام فمروا بأصحاب أبي بردة، ولم يكن أبو بردة حاضرًا يومئذ، فخرج أصحابه إليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية. «بحر العلوم» ١/ ٤٣١. ونسب هذا القول للكلبي: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٤٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٤.

(٣) قال ابن عباس: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فخير الله رسوله: إن شاء أن يقتل. وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. أخرجه من طريق علي: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٠٦، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٣.

(٤) في (ش)، (ج): والله، والتصويب من «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٠ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ج)، وما أثبته هو الموافق لـ «معاني الزجاج».

(الذين) نصبًا فيكون المعنى: جزاؤهم الذي وصفنا إلا التائبين[(١)].

قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: يريد آمنوا من قبل أن تعاقبوهم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٤] به إذا رجع عما يُسخط الله[(٢)].

وهذا قول عُظْم[(٣)] أهل التفسير، أن المراد بهذا الإستثناء المشرك المحارب، إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله في هذه الآية، ولا يطالب بشيء مما أصاب لا مال ولا دم[(٤)].

قال أبو إسحاق: جعل التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك أدعى إلى الدخول في الإيمان[(٥)].

هذا حكم المشرك المحارب، وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يُطالب أيضًا بشيء بالإجماع[(٦)]. فأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي: هو كالكافر إذا آمن لا يطالب[(٧)] بشيء إلا إذا أصيب عنده مال بعينه، فإنه يرد على أهله[(٨)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٠، ١٧١ بتصرف، وانظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢٥ «الدر المصون» ٤/ ٢٥٢.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٣) عظم بمعنى: معظم. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٠٥ (عظم).

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٠، «النكت والعيون» ٢/ ٣٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧١.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٠-٢٢١.

(٧) في (ش): (لا يطلب).

(٨) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٠.

وهذا مذهب مالك والأوزاعي[١]، غير أن مالكًا قال: يؤخذ بالدم إذا طالب به وليه، فأما ما أصاب من الدماء والأموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الإمام بشيء من ذلك[٢]، وبهذا حكم علي -رضي الله عنه- في حارثة ابن بدر[٣]، وكان قد خرج محاربًا[٤]، وحكم بمثله أيضًا أبو موسى الأشعري في إمرة عثمان[٥].

---

(١) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا وزهدًا، مات -رحمه الله- سنة ١٥٩هـ.
انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٨٣، «مشاهير علماء الأمصار» ص١٨٠، «سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٠٧-١٣٨.

(٢) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٥، ١٥٨، و«البحر المحيط» ٣/ ٤٧١.

(٣) هو حارثة بن بَدْر بن حُصَين بن قطن التميمي الغداني، تابعي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، له أخبار في الفتوح ومع عمر، وقاتل الخوارج فهزموه وأرهقوه، فدخل سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة ٦٤هـ.
انظر: «الإصابة» ١/ ٣٧١، «الأعلام» ٢/ ١٥٨.

(٤) وذلك أنه جاء إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تائبًا، فأمّنه وكتب له بذلك أمانًا.
أخرج الأثر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢١، وانظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٥، «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٤-٤٩٥.

(٥) ذلك أن أبا موسى -رضي الله عنه- كان على الكوفة في إمرة عثمان -رضي الله عنه- فجاءه رجل من مراد حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادًا، جاءه تائبًا، فقام أبو موسى فقال: هذا فلان بن فلان، وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادًا، وإنه تاب قبل أن يُقدر عليه، فمن لقيه فلا يعرض له إلا بخير.
أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٢ ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٩، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٤-٤٩٥.

وقال الشافعي -رضي الله عنه-: يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله، ولا يسقط به حقوق بني آدم ما كان قصاصًا، أو مظلمة في المال[١].

وأما إذا تاب بعد القدرة عليه، فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه وتقام الحدود عليه. قال الشافعي: ويحتمل أن يسقط كل حد لله بالتوبة[٢].

وإنما قال ذلك لقول رسول الله ﷺ بعد رجم ماعز[٣]: **«هلا رددتموه إلي لعله يتوب»**[٤].

٣٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

معنى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أينما ذكر: اتقوا عقابه بالطاعة؛ لأن أصل الإتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين -قد ذكرناه قديمًا-[٥]، يقال: أتقي السيف بالترس، وأتقي الغريم بحقه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

الوسيلة فعيلة من: وسل إليه، إذا تقرب إليه[٦]، قال لبيد:

---

(١) «الأم» ٦/ ١٥٢، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٠.

(٢) لم أجده في «الأم»، وقد ذكره القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٨، والنووي في «شرح صحيح مسلم» ١١/ ١٩٤، وقال القرطبي في «تفسيره» عقبه: والصحيح من مذهبه أن ما تعلق به حق الآدمي قصاصًا كان أو غيره فإنه لا يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه.

(٣) هو ماعز بن مالك الأسلمي، وقيل: إن اسمه: عريب، وماعز لقبه، له صحبة، وقصة رجمه في عهد النبي ﷺ ثابتة في الصحيحين وغيرهما، وهي مشهورة. انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٨، «الإصابة» ٢/ ٤٧٩، ٣/ ٣٣٧.

(٤) أخرج هذه الرواية أبو داود (٤٤١٩) كتاب الحدود، باب: رجم ماعز بن مالك، وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي ١١/ ١٩٤.

(٥) انظر: «البسيط» البقرة: ١٨٩.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٦.

بَلَى كُلّ ذي رأيٍ[١] إلى الله وَاسِلُ[٢]

ومعنى الوسيلة: الوصلة والقربى[٣]. قال ابن عباس: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يريد بطاعتكم له[٤].

وقال قتادة: يقول تقربوا إليه بطاعته[٥].

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ العدو، ﴿فِي سَبِيلِهِۦ﴾ في طاعته، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥] كي تسعدوا وتبقوا في الجنة. قاله ابن عباس وغيره[٦].

٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية. خبر (إن) الجملة المذكورة مع جوابها[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٦].

---

(١) في «ديوان لبيد» ص٢٥٦: لب.

(٢) «شرح ديوان لبيد بن ربيعة» ص٢٥٦، وجاء صدره:

أرَى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم

والواسل: الطالب، أي يتوسل إلى الله بالطاعة والعمل الصالح.

وقد جاء بعد هذا البيت بيت لبيد المشهور:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

(٣) جاء نحو ذلك عن كثير من التابعين. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٦.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٨، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٠.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٨، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٠.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٣٢، «الوسيط» ٣/ ٨٧٢، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

(٧) تمام الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾. فالجملة المذكورة جملة لو، وجوابها: ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ﴾.

يحتمل أن يكون في موضع الحال، ويحتمل أن يكون عطفًا على الخبر[(١)].

٣٧- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

يحتمل إرادتهم الخروج وجهين:

أحدهما: أنهم قصدوا ذلك وطلبوا المخرج، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

والثاني: أنهم تمنوا ذلك وأرادوه بقلوبهم، كقوله في موضع آخر: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ المؤمنون: ١٠٧][(٢)]، ويؤكد هذا الوجه قراءة من قرأ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بضم الياء[(٣)].

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ الآية.

اختلف النحويون في وجه رفعها: فقال سيبويه والأخفش وكثير من البصريين: ارتفع (السارقُ والسارقةُ) على معنى: ومما نقُصّ عليك ونوحي إليك السارق والسارقة. قالوا: ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ﴾ [النور: ٢] وقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

قال سيبويه: والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول: زيدا أضربه.

وأبت العامة القراءة إلا بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر[(٤)]: ﴿وَٱلسَّارِقَ

---

(١) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٢٥٦، وقد ضعف السمين الوجه الأول.

(٢) انظر الاحتمالين عند البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥١، وفي «البحر المحيط» ٣/ ٤٧٤.

(٣) بالبناء للمفعول، وهذه القراءة ليست في المتواتر، إنما هي للنخعي وابن وثاب وأبي واقد.

انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٧٥.

(٤) هو أبو عمر عيسى بن عمر الهمداني الكوفي الأعمى القارئ الثقة، قرأ على =

وَٱلسَّارِقَةَ﴾ بالنصب، ومثله: ﴿ٱلزَّانِيَةَ وَٱلزَّانِيَ﴾ [النور: ٢] أيضًا[(١)].

فالاختيار عند سيبويه النصب في هذا.

قال أبو إسحاق: والجماعة أولى بالاتباع، والدليل على أن القراءة الجيدة بالرفع قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ﴾ [النساء: ١٦] لم يقرأه أحد: واللذين[(٢)].

قال المبرد[(٣)]: وأختار أن يكون ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ رفعًا بالابتداء؛ لأن قصد ليس إلى أحد بعينه، فليس هو مثل قولك: زيدًا أضربه، إنما هو كقولك: من سرق فاقطع يده، ومن زنا فاجلده[(٤)].

وهذا قول الفراء؛ لأنه قال: وإنما يختار العرب الرفع في: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ لأنهما غير مؤقتين، فوجها توجيه الجزاء، كقولك: من سرق فاقطعوا يده، و(من) لا يكون إلا رفعا، ولو أردت سارقًا بعينه وسارقة بعينها كان النصب وجه الكلام[(٥)].

قال الزجاج: وهذا القول هو المختار[(٦)].

= عاصم بن أبي النجود وغيره وقرأ عليه الكسائي وغيره، وكان مقرئ الكوفة بعد حمزة توفي -رحمه الله- سنة ١٥٦هـ.

انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١١٩، «غاية النهاية» ١/ ٦١٢، «التقريب» ص٤٤٠ (٥٣١٤).

(١) «الكتاب» ١/ ١٤٢-١٤٤، «معاني الزجاج» ٢/ ١٧١، ١٧٢، بتصرف، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٢.

(٣) لا يزال المؤلف ينقل من «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٢.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٠٦، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٨.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٢.

وقوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾.

دخلت الفاء في خبر السارق للشرط المنوي؛ لأن المعنى: من سرق فاقطعوا يده[(١)]، وعلى هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦]، ومثله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور: ٢].

والمراد بالأيدي في هذه الآية: الأيمان، قاله الحسن والسدي والشعبي[(٢)].

وكذلك هو في قراءة عبد الله: (فاقطعوا أيمانهما)[(٣)].

وإنما قال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؛ لأنه أراد يمينًا من هذا، أو يمينًا من هذه[(٤)]، فجمع إذ ليس في الجسد إلا يمين واحدة.

قال الفراء: وكل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع، فقيل: هُشّمت رؤوسهما، ومُلِئَت ظهورهما وبطونهما ضربًا، ومثله قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. قال: وإنما اختير الجمع على التثنية؛ لأن أكثر ما تكون عليه الجوارح اثنين اثنين[(٥)] في الإنسان، كاليدين والرجلين والعينين، واثنان من اثنين جمع، لذلك[(٦)] تقول قطعت أرجلهما وفقأت عيونهما، فلما جرى الأكثر

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٤٩، «البحر المحيط» ٣/ ٤٨٢.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٣.

(٣) أخرج ذلك الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٨، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٣٣، و«النكت والعيون» ٢/ ٣٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥١.

(٤) في (ش): (هذا).

(٥) في (ش): (اثنان اثنان)، وما أثبته هو الموافق لـ «معاني القرآن».

(٦) في (ش): (كذلك).

على هذا ذهب بالواحد إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين[(١)]. قال: ويجوز التثنية كقول الهُذَلي[(٢)]:

فتخَالَسَا نفسَيهِمَا بنَوافذٍ[(٣)]

لأنه الأصل، ويجوز هذا أيضًا فيما ليس من خلق الإنسان، كقولك للاثنين: خليتما نساءكما، وأنت تريد امرأتين، وخرقتما قمصكما. قال: ويجوز التوحيد أيضًا لو قلت في الكلام: السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما، جاز؛ لأن المعنى: اليمين من كل واحد منهما، كما قال الشاعر:

كُلُوا في نِصفِ بَطنِكم تَعِيشُوا[(٤)]

ويجوز في الكلام أن تقول: ائتني برأس شاتين، وبرأسي شاة، فمن قال: برأس شاتين، أراد الرأس من كل شاة، ومن قال: برأسي شاة، أراد رأسي هذا الجنس[(٥)].

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٣٠٧ التثنية.

(٢) هو أبو ذؤيب، تقدمت ترجمته.

(٣) عجز البيت كما عند الفراء: كنوافذ العبط التي لا ترقع
وهو في «ديوان الهذليين» ١/ ٢٠.
والبيت في وصف فارسين يتنازلان، وتخالسا نفسيهما أراد كل واحد منهما اختلاس نفس الآخر وانتهاز الفرصة للقضاء عليه، والنوافذ الطعنات النافذة، والعبط جمع عبيط وهو ما يشق.

(٤) عجزه كما عند الفراء:

فـان زمـانـكـم زمـن خـمـيـص

وهو في «الكتاب» ١/ ٢١٠ ولا يعرف قائله.
والخميص من المخمصة وهي الجوع. والشاهد منه أنه استعمل المفرد للجمع: بطنكم والمراد: بطونكم.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٣٠٦-٣٠٨ بتصرف، وانظر: «الكتاب» ١/ ٢١٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٤٩.

وقال الزجاج: إنما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الإضافة إلى اثنين؛ لأن الإضافة تبين أن المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع، وذلك أنك إذا قلت: أشبعت بطونهما، علم أن للاثنين بطنين فقط، وأصل التثنية الجمع؛ لأنك إذا ثنّيت الواحد فقد جمعت واحدًا إلى واحد، (وربما كان لفظ الجمع أخف من لفظ الاثنين، فيختار لفظ الجمع ولا يشتبه ذلك بالتثنية عند الإضافة إلى اثنين[(١)])؛ لأنك إذا قلت: قلوبهما، فالتثنية في (هما) قد أغنتك عن التثنية في (قلب). قال: وإن ثُنِّي ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين، وأنشد:

ظَهْراهُما مِثْل ظُهُور التُّرسَيْنْ[(٢)]

فجاء باللغتين[(٣)]. وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي: فتخالسا نفسيهما[(٤)].

(قال[(٥)]) وحكى سيبويه أنه قد يجمع المفرد الذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية، كقول العرب: وضعا رحالهما، يريد رَحلَي راحلتيهما[(٦)]. وهذا كما حكى الفراء: فرقتما قمصكما.

---

(١) ما بين القوسين ليس في «معاني الزجاج».

(٢) رجز لخطام المجاشعي أو لهميان بن قحافة وهو في «الكتاب» ٢/ ٤٨، «معاني الفراء» ٣/ ١٧، يصف فيه فلاتين، وقبله:

وَمَهْمَهين قَذِفين مَرْتَين جِبتُهما بالنَّعت لا بِالنَّعتَين

ظهرهما ....

(٣) وشبه الفلاتين بالترسين في الاستواء. والشاهد منه أنه ثَنَّى وجَمَع المضاف للمثنى.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٣، وانظر: «الكتاب» ٢/ ٤٨، ٤٩ .

(٥) ساقط من (ش).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٣، وانظر: «الكتاب» ٢/ ٤٨، ٤٩ .

قال أبو علي: ( )[١] اليد اليمنى وتركهم لقطع اليد اليسرى دلالة على أن اليد اليسرى لم ترد بقوله تعالى[٢]: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ألا ترى أنها لو أريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نص القرآن إلى غيره.

وهذا يدل على أن جمع اليد في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

ودلت قراءة عبد الله على أن المراد بالأيدي الأيمان[٣].

فإن قيل: إن قراءة عبد الله لا تُعلم اليوم قراءة، لانقطاع النقل، فلا يلزم به حجة.

قيل: قراءته تكون حجة في إيجاب العمل، كما أنه لو روى خبرًا أن المراد بالأيدي التخصيص والقصر على الأيمان وجب المصير إليه، فكذلك إذا رُوي عنه على أنه قرآن وجب قبوله والعمل به، وكان أولى من الخبر الذي يرويه.

قال أهل العلم: هذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق، وتفصيل ذلك مأخوذ من السنة[٤].

أما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل[٥] العالم بتحريم السرقة، فأما من كان حديث العهد بالإسلام لا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه.

---

(١) ما بين القوسين بياض في النسختين.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) تقدم تخريج هذه القراءة قريبًا، ولم أقف على قول أبي علي.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٥٠.

(٥) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٧.

والمسروق يجب أن تكون قيمته ربع دينار[(١)]، والاعتبار بالمضروب.

فإذا أخرجه من حرز مثله، بعد أن لا يكون له شبهة فيه وجب القطع، والشبهة مثل شبهة المملوك في مال السيد، والولد مع الوالد، والوالد مع الولد، وكذلك شبهة المضطر عند المخمصة، وخوف التلف.

ولذلك رفع عمر -رضي الله عنه- القطع عام الرمادة[(٢)].

هذا جملة مذهب الشافعي -رضي الله عنه-[(٣)].

وعند أبي حنيفة -رضي الله عنه- لا يجب القطع فيما دون عشرة دراهم[(٤)].

وعند مالك -رضي الله عنه- يقطع في ثلاثة دراهم فصاعدا[(٥)].

ودليل الشافعي ما روى الزهري عن عمرة[(٦)]، عن عائشة أن النبي ﷺ:

---

(١) هذا ما عليه أكثر العلماء، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٠، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٠، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٣.

(٢) قال ابن منظور: سمي بذلك لأن الناس والأموال هلكوا فيه كثيرًا، وقيل: هو لجدب تتابع فصير الأرض والشجر مثل لون الرماد، والأول أجود. «اللسان» ٣/ ١٧٢٧ (رمد).

(٣) انظر: «الأم» ٦/ ١٤٧-١٤٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢، و«التفسير الكبير» ١١/ ٢٢٦، ٢٢٧، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٣.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٩، و«بحر العلوم» ١/ ٤٣٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٢، و«زاد المسير» ٢/ ٣٥١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٣-٦٤.

(٥) انظر: «المدونة» ٤/ ٤١٣، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٥١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٠، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٣.

(٦) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية، أكثرت من الرواية عن عائشة -رضي الله عنها-، وهي فقيهة ثقة أخرج حديثها الجماعة، ماتت =

كان يقطع في ربع دينار فصاعد(١).

وهذا مذهب الأوزاعي وإسحاق(٢).

وذهب ابن عباس وابن الزبير إلى ظاهر الآية، فأوجبا القطع في القليل.

قال ابن عباس: في دانِق(٣)، وقال ابن الزبير: في دِرهَم(٤).

والقطع يكون من المفصل بين الكف والساعد(٥)، وهو الكوع والرُّسغ ويقطع في المرة الأولى يده اليمنى، وفي المرة الثانية رجله اليسرى، وفي المرة الثالثة يده اليسرى، وفي المرة الرابعة رجله اليمنى، ثم يحبس في المرة الخامسة(٦)، والقتل منسوخ(٧).

= -رحمها الله- قبل سنة ١٠٠هـ، وقيل بعدها.

انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٠٧، «التقريب» ص٧٥٠ (٨٦٤٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٩) كتاب الحدود، باب: قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ٨/ ١٦، ١٧، ومسلم (١٦٨٤) كتاب الحدود، باب: حد السرقة ونصابها ٣/ ١٣١٢ (ح١).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٦١ عن إسحاق.

(٣) لم أقف عليه.

وقد أخرج الطبري في «تفسيره» عن نجدة الحنفي قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ أخاص أم عام؟ فقال: بل عام. «جامع البيان» ٦/ ٢٢٩.

وهذا يحتمل أنه أراد القلة أو هو موافق لما تقدم من أقوال العلماء، انظر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٣.

(٤) قال السمرقندي: ورُوي عن ابن الزبير أنه قطع في نَعلٍ ثمنه درهم «بحر العلوم» ١/ ٤٣٣. هذا ما وجدته عن ابن الزبير.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٥٤.

(٦) هذا قول مالك والشافعي. انظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٤.

(٧) هذا إذا كان القتل ثابتًا، مع أنه لم يثبت، انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٧٢.

وعند أبي حنيفة لا يقطع في الثالثة[١]، وعند الشافعي يغرم قيمة السرقة مع القطع، وعند أبي حنيفة لا غرم مع القطع، ولكن إذا وجد المسروق عنده أخذ وردّ إلى صاحبه[٢].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾.

قال الزجاج: نصب؛ لأنه مفعول له[٣]. المعنى: فاقطعوهم لجزاء[٤] فعلهم، وكذلك ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾، وإن شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ لأن المعنى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ جازوهم ونكلوا بهم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ أي: (عزيز) في انتقامه، (حكيم) فيما أوجبه من قطع يده[٦].

قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة وبجنبي أعرابي فقرأت هذه الآية، فقلت: (نكالًا من الله والله غفور رحيم) سهوًا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعِد. فأعدت: والله غفور رحيم. فقال: ليس هذا كلام الله. فتنبهت وقرأت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا، عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما

---

(١) وهو قول أحمد أيضًا. انظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٤، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٤.

(٢) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٥.

(٣) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٤: به.

(٤) عند الزجاج: بجزاء.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٤، وانظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٧٤.

(٦) أي: يد السارق.

قطع[١].

٣٩- قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ (قال ابن عباس)[٢] يريد إن تاب بنية صادقة، وحرم ما حرم الله، وترك ظلم الناس، فإن الله يتجاوز عنه[٣].

والصحيح من مذهب العلماء وأهل التأويل، أن القطع لا يسقط عنه بالتوبة[٤].

قال مجاهد: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ تاب الله عليه، والحد كفارة له[٥].

وقال الكلبي: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ﴾ العمل بعد السرقة والقطع، فإن الله يتجاوز عنه[٦].

وروى أن النبي ﷺ أُتِي بسارق سرق شملةً فقال: «**اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه**[٧]**، ثم ائتوني به**» ففُعِل، فقال: «**ويحك تب إلى الله**»، فقال: تبت إلى الله. فقال: «**اللهم تب عليه**»[٨].

---

(١) ذكره في «الوسيط» ٣/ ٨٧٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٥٤.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٤.

(٤) انظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٧٤، ١٧٥.

(٥) «تفسيره» ١/ ١٩٥، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٧ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٤.

(٧) الحسم في اللغة: القطع، والمراد به هنا: قطع الدم بالكي. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٣٤٩.

(٨) ذكره بنحوه أبو عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٣٤٩، وأورده ابن كثير في «تفسيره» =

وقال عامر[١] وعطاء: إذا رد السرقة قبل القدرة عليه سقط عنه القطع، فيتوب الله عليه[٢].

٤٠- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

قال ابن عباس: يريد على الذنب اليسير ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ الذنب العظيم[٣].

وبيان هذا ما قال الضحاك: (يعذب من يشاء) على الصغير إذا أقام عليه، (ويغفر لمن يشاء) الكبير إذا نزع عنه[٤].

وقال الكلبي: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من مات على كفره، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من تاب من كفره[٥].

وقال السدي: يهدي من يشاء فيغفر له، ويعذب من يشاء، فيميته على كفره[٦].

= وعزاه إلى الدارقطني من حديث أبي هريرة، وقال عقبة: وقد رُوي من وجه آخر مرسلًا، ورجح إرساله علي بن المديني وابن خزيمة رحمهما الله. ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٤، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٧.

(١) الشعبي.

(٢) لم أقف عليه. قال البغوي: فأما القطع فلا يسقط بالتوبة عند الأكثرين. «معالم التنزيل» ٣/ ٥٤.

(٣) ذكره بمعناه البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٥.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٧٨ ولم أقف عليه، وقد ذكر أبو حيان له قولًا، كقول الكلبي بعده، انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٤٨٥.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٥، ونسبه للسدي أيضًا.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٧٨، ولم أقف عليه.

والآية بإطلاقها فاضحة للقدرية في التعديل والتجويز، وقولهم بوبجوب الرحمة على الله للمطيع، ووجوب العذاب للعاصي، حيث فوض الأمر فيهما إلى المشيئة.

٤١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلۡكُفۡرِ﴾ (قال أبو إسحاق: أي لا يحزنك مسارعتهم في الكفر)[١]، إذ كنت موعود النصر عليهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾. قال ابن عباس: هم المنافقون[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾. قال ابن عباس: يريد بني قينقاع[٤].

وقال مقاتل: يعني: يهود المدينة[٥].

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾.

لو شئت جعلت تمام الكلام عند قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ ثم ابتدأت فقلت: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾، أي: هم سماعون للكذب أي: المنافقون واليهود سماعون للكذب.

وإن شئت كان رفع ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ على معنى: ومن الذين هادوا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٤.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٧٩، وابن الجوزي ٢/ ٣٥٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٤٩٨، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) لم أقف عليه، وفي «الوسيط»: يعني يهود المدينة، كقول مقاتل الآتي.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٧٤.

سماعون، فيكون المعنى: أن السماعين منهم، ويرتفع (منهم) كمال تقول: من قومك عقلاء.

والوجهان ذكرهما الفراء[١]، والزجاج[٢]، واختار أبو علي الوجه الثاني، وقال: هو على تقدير: ومن الذين هادوا فريق سماعون للكذب[٣]، وذكر أبو إسحاق في معنى قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ وجهين:

أحدهما: وهو قول أهل التفسير[٤] أن معناه: قابلون للكذب، والسمع يستعمل والمراد منه: القبول، كما يقال: لا تسمع من فلان، أي: لا تقبل منه، ومنه: (سمع الله لمن حمده)، وذلك الكذب الذي يقبلونه، وهو ما يقول لهم رؤساؤهم مما كذبوا فيه.

والوجه الثاني: وهو اختيار أبي علي[٥]: أن معناه: أنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك، أي: إنما يجالسونك ويسمعون منك ليكذبوا عليك، ويقولوا إذا خرجوا من عندك: سمعنا منه كذا وكذا، ولم يسمعوا ذلك منك[٦].

وهذا قول الحسن[٧] واختيار أبي حاتم، وكان يقول اللام في الكذب لام كي، أي: يسمعون لكي يكذبوا عليك[٨].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٥.

(٣) «الحجة» ٢/ ٣٦.

(٤) جملة اعتراضية من الواحدي. وانظر في ذلك: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٥.

(٥) انظر: «الحجة» ٢/ ٣٦.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٤ بتصرف، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣٠٦، ٣٠٧، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٥٦ (سمع)، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٥، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٧.

(٧) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٨. (٨) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾.

قال ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وابن زيد: إن رجلًا وامرأة من أشراف أهل خيبر[1] زنيا، وكان حدهما الرجم، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فارسلوا إلى بني قريظة ليسألوا محمدًا ﷺ عن قضائه في الزانيين إذا أحصنا ما حدهما؟ وقالوا: إنْ أمركم بالجلد فاقبلوا منه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه، فاقبل نفر من قريظة والنضير إلى رسول الله ﷺ يسألونه، فنزل جبريل بالرجم، فأخبرهم به، فأبوا أن يأخذوا به، فذلك قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾[2].

والمراد بالقوم الآخرين: أهل خيبر.

وقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ من صفة قوله: ﴿لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

قال الزجاج: هم عيون لأولئك الغُيَّب[3].

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾.

أي: من بعد أن وضعه الله مواضعه، أي: فرض فروضه، وأحل حلاله وحرم حرامه.

قال المفسرون: وذلك أن رسول الله ﷺ لما أفتى بالرجم لم يقبلوا ذلك وأنكروه وأبوا أن يأخذوا به، فقال جبريل للنبي ﷺ: اجعل بينك

---

(١) خيبر: موضع بالحجاز يقع شمال المدينة على مسافة ثمانية برد، فيها سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، فتحها النبي ﷺ سنة ٧هـ، وقيل سنة ٨هـ.
انظر: «الصحاح» ٢/ ٦٤٢ (خبر)، «معجم البلدان» ٢/ ٤٠٩.

(٢) أخرجه بمعناه عن السدي: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٥، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٥، واختاره ابن كثير في «تفسيره» سببًا لنزول الآية. انظر: «تفسيره» ٢/ ٦٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٥.

وبينهم ابن صُوريا[١] -وكان أعلمهم بالتوراة- فأُحضِر وأقسم عليه رسول الله ﷺ، فقال: «**أسألك بالذي أنزل التوراة على موسى، هل في التوراة أنْ يرجم المحصنان إذا زنيا؟**» قال: نعم[٢]. وكانت اليهود قد ترخصت في حد الزنا، وجعلت بدل الرجم الجلد والتحميم[٣]، فذلك تحريفهم الكلم عن مواضعه. هذا قول أهل التفسير.

وقال أهل المعاني: يعني: تحريف كلام النبي ﷺ بعد سماعهم منه، يحرفونه للكذب عليه[٤].

قال أبو علي: قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ من صفة قوله[٥]: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾[٦] أي فريق سماعون يحرفون الكلم.

---

(١) هو عبد الله بن صوريا، ويقال: ابن صور، الإسرائيلي، كان من أحبار اليهود، ويقال إنه أسلم، لكنه ارتد بعد ذلك.
انظر: «الإصابة» ٢/ ٣٢٦.

(٢) أخرجه بنحوه من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، أبو داود (٤٤٥٢) كتاب الحدود، باب: في رجم اليهوديين، وابن ماجه (٢٣٧٤) كتاب الأحكام، باب (٣٣): شهادة أهل الكتاب بعضهم على بعض مختصرًا والحميدي في «مسنده» ٢/ ٥٤١، ٥٤٢. قال في «الزوائد»: في إسناده مجالد بن سعيد، وهو ضعيف. وقد أورده الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٥، ٥٦، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٦٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥٠٠.

(٣) هو: أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم يسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين، ويطاف بهما. البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٦، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٣٦ فالتحميم: تسويد الوجه.

(٤) نسب هذا القول للحسن: الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٩، وانظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٦.

(٥) في «الحجة» ٢/ ٣٦: لقوله.

(٦) «الحجة» ٢/ ٣٦.

فيكون موضعه رفعًا على قول أهل التفسير، ويجوز على قول أهل المعاني: أن يكون ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ حالًا من الضمير في اسم الفاعل؛ كأنه: سماعون محرفين للكلم، أي: مقدرين تحريفه، يعني: أنهم يسمعون كلام النبي ﷺ ويقدرون مع[1] أنفسهم تحريف ما يسمعون، فيكون كقولهم: معه صقر صائدًا به غدًا، وكقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥][2].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

من باب حذف المضاف؛ لأن التقدير: من بعد وضعه مواضعه، أي: وضع الله، على قول أهل التفسير[3].

وعلى قول أهل المعاني[4]: من بعد وضع النبي كلامه مواضعه.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾.

يقول ذلك يهود خيبر ليهود المدينة: إن أمركم محمد بالجلد فاقبلوه، ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ يعني: الجلد فاحذروه[5].

قال الزجاج: أي إن أُفتيتم بهذا الحكم المحرف فخذوه، وإن أفتاكم النبي ﷺ بغير ما حددنا لكم فاحذروا أنه تعملوا به[6].

قال المفسرون: وذلك أنهم كانوا بعثوا الزانيين إلى يهود المدينة ليسألوا النبي ﷺ عن حدهما، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه[7] واجلدوا

---

(١) لعل الصواب: في.
(٢) «الحجة» ٢/ ٣٦.
(٣) تقدم هذا القول قريبًا.
(٤) تقدم قريبًا.
(٥) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٦-٢٣٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٧ .
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٥.
(٧) في (ش): (فخذوا).

الزانيين، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا بذلك، ثم لما افتضحوا بقول ابن صوريا، أمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند باب مسجده، وقال: «**أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾. قال ابن عباس ومجاهد: ضلالته(٢).

وقال الحسن وقتادة: عذابه(٣). وقال الضحاك: هلاكه(٤).

وقال الزجاج: قيل فضيحته، وقيل كفره، قال: ويجوز أن يكون اختباره بما يظهر به أمره(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا﴾.

ذكرنا معناه عند قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾ الآية [المائدة: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

قال ابن عباس: أن يخلص نياتهم(٦). وقال الزجاج: أي أن

---

(١) بمعناه في «تفسير ابن عباس» ص١٧٨، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٢، وأورده بنحو لفظ المؤلف البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٦، ٥٧، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٥٨.

(٢) أورده عن ابن عباس السيوطي في «الدر المنثور» وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في «الأسماء والصفات». وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٥٩.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٩.

(٤) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٦، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٥٩.

(٦) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٢، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٣.

يهديهم[١].

قال أهل العلم: قد دلت هذه الآية على أن الله تعالى غير مريد إسلام الكافر، وأنه لم يطهر قلبه من الشك والشرك، ولو فعل ذلك لآمن. وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾. قالوا: خزي المنافقين هتك سترهم بإطلاع النبي ﷺ على كفرهم وخوفهم القتل، وخزي اليهود فضيحتهم بظهور كذبهم في كتمان الرجم وأخذ الجزية منهم[٣].

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١]. وهو الخلود في النار[٤].

٤٢- قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ مضى الكلام فيه[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

قال الليث: السحت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار[٦].

وأجمعوا على أن المراد بالسحت ههنا: الرشوة في الحكم، وقالوا: نزلت الآية في حكام اليهود، كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم[٧].

---

(١) في «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٦: أي أن يهينهم.
(٢) انظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨.
(٣) انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣٠٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨، و«زاد المسير» ٢/ ٣٥٩.
(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨.
(٥) تقدم قريبًا.
(٦) «العين» ٣/ ١٣٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٣٧ (سحت).
(٧) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٤١، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٧٧، و«بحر العلوم» ١/ ٤٣٨، و«معاني النحاس» ٢/ ٣٠٩، و«النكت والعيون» ٢/ ٤٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨ .

وقال الحسن في هذه الآية: تلك الحكام يسمعون الكذب ممن يكذب في دعواه عندهم، ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونه، فسمعوا كذبه وأكلوا رشوته[(١)].

فأما اشتقاق السُّحت: فقال الزجاج: إن الرِّشَا التي يأخذونها يعاقبهم الله بها أن يسحتهم بعذاب، أي يستأصلهم[(٢)].

وذكر عن الفراء أنه قال: (أصله[(٣)]) كَلَبُ الجوع، يقال: رجل مسحوتُ المعدة، إذا كان أكولا، لا يُلقى إلا جائعًا أبدًا، قال رؤبة[(٤)] في قصة يونس (عليه السلام[(٥)]) والحوت:

يدفع عنه جوفُه المَسْحوتُ[(٦)]

أي: الجائع[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٣٩، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٠.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٧، «معاني النحاس» ٢/ ٣٠٩.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ج)، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤١ .

(٤) هو رؤبة بن العجاج عبد الله بن رؤبة التميمي، من الشعراء الرجاز. كان رأسًا في اللغة، قيل إنه توفي سنة ١٤٥هـ.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٣٩٤، «طبقات الشعراء» ٣٣، «سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٦٢.

(٥) ساقطة من (ج).

(٦) عجز بيت من الرجز وصدره:

والليل فوق الماء مستميت

«ديوان رؤبة» ص٢٧، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٣٨.
ويدفع رُوي بالبناء للمفعول، والمعنى: نحى الله جل وعز جوانب جوف الحوت عن يونس، وجافاه عنه فلا يصيبه منه أذى. ورُوي بالبناء للفاعل يدفع والمعنى: أن جوف الحوت صار وقاية له من الغرق، وإنما دفع الله جل وعز عنه.

(٧) لم أقف على قول الفراء، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤١.

فالسحت حرام يحمل عليه الشره كشره المسحوت المعدة، وعلى ما قال الليث، إنه حرام يلزم منه العار، يمكن أن يقال: سمي سُحْتا؛ لأنه يسحت مروءة الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

هذا تخيير للنبي ﷺ في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، إن شاء حكم، وإن شاء ترك[(١)].

واختلفوا في ثبوت هذا التخيير: فقال إبراهيم والشعبي وعطاء وقتادة: إنه ثابت اليوم لحكام المسلمين، إنْ شاءوا حكموا بينهم بحكم الإسلام، وإن شاءوا أعرضوا[(٢)].

وقال آخرون: إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

وهو قول الحسن ومجاهد والكلبي وعكرمة والسدي[(٣)]، ورُوي ذلك عن ابن عباس[(٤)].

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٢، «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٨.

(٢) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٣-٢٤٤، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٩٣، «معاني النحاس» ٢/ ٣١٠، «النكت والعيون» ٢/ ٤١، البغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٩، وبهذا القول قال الإمام أحمد -رحمه الله- انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦١، ورجحه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٦.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص١٣٤، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٥-٢٤٦، و«معاني النحاس» ٢/ ٣١٠، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٩٤، ١٩٥، و«النكت والعيون» ٢/ ٤٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٥٩.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص١٣٤، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٢٩٤ بإسناد صحيح، وانظر المصادر السابقة.

ومذهب الشافعي أنه يجب على الحاكم منا أن يحكم بين أهل الذمة إذا تحاكموا إليه؛ لأن في إمضاء حكم الإسلام عليهم صغارًا لهم[(١)].

فأما المُعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد إلى مدة، فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم، بل يخير في ذلك، وهذا التخيير الذي في هذه الآية إنما يثبت للحاكم بين المعاهدين[(٢)].

قال الشافعي: لما دخل رسول الله ﷺ المدينة وادع اليهود كافة[(٣)]، فالتخيير بهذا السبب.

فأما إذا قبلوا الجزية ورضوا بجريان أحكامها عليهم، فليس للحاكم أنْ يُعرض عنهم إذا تحاكموا إليه[(٤)].

قال أبو عبيد: وهذا هو الأولى عندنا؛ لأن في ردهم إلى أحكامهم معونةً على جورهم وأخذهم الرشا في الحكم[(٥)].

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ الآية.

هذا تعجب من الله تعالى نبيه ﷺ من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم الزاني وحده، ثم إعراضهم وتركهم القبول لحكمه وإنكارهم ذلك، فعدلوا عما يعتقدونه حكمًا إلى ما يجحدون أنه من عند الله طلبًا للرخصة، فظهر جهلهم وعنادهم في هذه القصة من وجوه: أحدها:

---

(١) انظر: «الأم» ٤/ ٢١٠، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٢٩٦.

(٢) انظر: «الأم» ٤/ ٢١٠، والشافعي -رحمه الله- اعتبر هؤلاء: الموادعين، أما المعاهدون فلا خيار في حقهم وسيأتي قريبًا.

(٣) «الأم» ٦/ ٢١٠.

(٤) انظر: «الأم» ٤/ ٢١٠، وهؤلاء هم المعاهدون.

(٥) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٤٢.

عدولهم عن حكم كتابهم، والثاني: رجوعهم إلى حكم من يجحدون أن يكون حكمه من (عند)[1] الله، والثالث: إعراضهم عن حكمه بعدما حكّموه[2].

فبين الله تعالى حالهم في جهلهم وعنادهم؛ لئلا يغتر بهم مغتر أنهم أهل كتاب الله، ومن الحافظين على أمر الله.

وهذا قول ابن الأنباري وجماعة من أهل المعاني[3].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: يريد الرجم[4]، وكذلك قال مقاتل[5]، والكلبي[6].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

مذهب المفسرين أن (ذلك) إشارة إلى حكم الله الذي في التوراة[7]، ويجوز أن يعود إلى التحكيم[8].

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٧-٢٤٨، البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٢، «التفسير الكبير» ١١/ ٢٣٦.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» ١١/ ٢٣٦.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٥.
وقد ثبت عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: يعني حدود الله، «تفسيره» ص١٧٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٨.

(٥) ابن حبان. وقد أورد قوله السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥٠٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٥.

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٩، «النكت والعيون» ٢/ ٤١.

(٨) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤١، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (قال الكلبي: وما أولئك الذين يعرضون عن الرجم بالمؤمنين[(١)])[(٢)].

قال أهل المعاني: ويحتمل أن يكون المعنى: وما هم بالمؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدهم نبوتك[(٣)].

وفي هذا تجهيل لهم في تحكيم من لم يؤمنوا بحكمه كما بينا.

٤٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾. قال ابن عباس: فيها بيان لكل شيء وضياء لكل ما تشابه عليهم[(٤)].

وقال الزجاج: ﴿فِيهَا هُدًى﴾ بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ ﴿وَنُورٌ﴾ بيان أن أمر النبي ﷺ حق[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

قال ابن عباس: يريد النبيين الذين كانوا بعد موسى، وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفًا من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة، أن يحدوا حدودها، ويقوموا بفرائضها، ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها[(٦)]. انتهى كلامه.

ومعنى قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ أي: الذين انقادوا لحكم

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٧ دون نسبة، ولم أقف عليه.
(٢) ساقط من (ش).
(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤١، البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٢.
(٤) لم أقف عليه.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٨.
(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٥.

التوراة، فإن من الأنبياء من لم تكن شريعته شريعة التوراة[١].

وهذا معنى قول مقاتل؛ لأنه قال: يحكم بما في التوراة الأنبياء من لدن موسى إلى عيسى -عليهما السلام-[٢].

وقال الحسن وقتادة وعكرمة والزهري والسدي: محمد ﷺ داخل في جملة هؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله؛ لأنه حكم على اليهوديين بالرجم، وكان هذا حكم التوراة[٣].

وقال أهل المعاني: فعلى هذا يمكن أن يقال: المراد بقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ محمد ﷺ، فذكره بلفظ الجمع[٤]، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [النساء: ٥٤] يعني بالناس محمدًا وحده، وجاز ذلك لأنه اجتمع فيه من الفضل والخصال الحميدة ما يكون في جماعة من الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] على هذا المعنى[٥].

وقال ابن الأنباري: هذا رد على اليهود والنصارى في دعواهم؛ لأن بعضهم كانوا يقولون: إن الأنبياء كانوا يهودًا، وبعضهم يقولون: إنهم كانوا نصارى. فقال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ الذين ليسوا على ما

---

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٩، «بحر العلوم» ١/ ٤٣٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٣.

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥٠٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٣) هذا معنى قولهم، وأخرج الآثار عنهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٩.
وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤١، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٣.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٨، «النكت والعيون» ٢/ ٤١، البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٤.

(٥) انظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٠، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٤.

تصفونهم به من اليهودية والنصرانية(١).

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾. قال ابن عباس: يريد تابوا، يعني من الكفر(٢).

واللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ من صلة قولهم: ﴿يَحْكُمُ﴾ أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم(٣).

قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير، على معنى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون(٤).

ومضى تفسير الربانيين(٥).

فأما الأحبار فقال ابن عباس: هم الفقهاء(٦).

واختلف أهل اللغة في واحده واشتقاقه، فقال أبو عبيد: بعضهم

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» ١٢/ ٣.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦٤.

(٣) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٢٧٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٨، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣١٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٠.

(٥) ذكر ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، حيث إن هذه الكلمة: الربانيون أول ما وردت في القرآن في هذا الموضع. انظر: «البسيط» نسخة دار الكتب ٢/ ل٧٠. قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٤٩: والربانيون جمع رباني، وهم العلماء الحكماء البصراء بسياسة الناس وتدبيرهم أمورهم والقيام بمصالحهم. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٨.

(٦) لم أقف عليه، وقال بهذا مجاهد وعكرمة. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٠ ٢٥١.

يقول: حَبْر، وبعضهم يقول: حِبْر[١]. قال: وقال الفراء: إنما هو حِبْر، يقال ذلك للعالم، وإنما قيل: كعب الحِبر، لمكان هذا الحِبر الذي يُكتب به، وذلك أنه كان صاحب كتب[٢]. وقال الأصمعي: لا أدري أهو الحَبْر أو الحِبْر، للرجل العالم[٣].

وكان أبو الهيثم يقول: حَبر، بالفتح لا غير[٤]. وقال ابن السكيت عن ابن الأعرابي: حَبْر وحِبْر للعالم[٥].

وقال الليث: هو حَبْر وحِبْر، للعالم ذميًا كان أو مسلمًا بعد أن يكون من أهل الكتاب[٦].

وقال الزجاج: الأحبار هم العلماء الخيّار[٧].

وأما اشتقاقه فقال قوم: أصله من التحبير وهو التحسين، فالعالم[٨] يُحَسِّن الحَسَن ويُقَبِّح القبيح[٩]. وحاله مع ذلك حسنة، بخلاف حال الجاهل.

---

(١) «غريب الحديث» ١/ ٦٠، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (حبر).

(٢) «غريب الحديث» ١/ ٦٠، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٠، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (حبر).

(٣) «غريب الحديث» ١/ ٦٠، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (حبر).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (حبر).

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (جبر).

(٦) «العين» ٣/ ٢١٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١ (جبر).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٩.

(٨) في (ش): (والعالم).

(٩) «النكت والعيون» ٢/ ٤٢، وانظر: «العين» ٣/ ٢١٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٢١، «اللسان» ٢/ ٧٤٩ (جبر).

وقال آخرون: هو من الحِبر الذي يكتب به. وهو قول الكسائي وأبي عبيد[١].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: يريد بما استودعوا من كتاب الله[٢].

في (ما) يجوز أن يكون من صلة الأحبار[٣]، على معنى العلماء بما استحفظوا، ويجوز أن يكون المعنى: يحكمون بما استحفظوا. وهو قول الزجاج[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: وكانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله وحده لا شريك له[٥].

ورُوي عن ابن عباس أيضًا: أنهم كانوا شهداء على حكم النبي ﷺ أنه في التوراة[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٦٠، وتقدم قوله، وانظر: «اللسان» ٢/ ٧٤٨ (حبر).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦٥.

(٣) الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦٥.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٨.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٨ دون، ولم أقف عليه.

(٦) رواه أبو صالح عن ابن عباس. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٦٥.

وأخرج الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥١ عن ابن عباس من طريق عطية أنه قال: يعني الربانيين، والأحبار هم الشهداء لمحمد ﷺ بما قال أنه حق من عند الله، فهو نبي الله محمد، أتته اليهود فقضى بينهم بالحق.

قال الكلبي ومقاتل: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد والرجم، واخشوني في كتمان ذلك[١]. والخطاب لعلماء اليهود[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي﴾.

قال ابن عباس: يريد بأحكامي وفرائضي، ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ يريد متاع الدنيا قليل؛ لأنه ينقطع ويذهب[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

اختلفوا (في[٤]) هذا وفي الآيتين اللتين بعد هذه: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

فقال جماعة من المفسرين: إن الآيات الثلاثة نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود، وليس في أهل الإسلام منها شيء؛ لأن المسلم وإن ارتكب كبيرة لا يقال: إنه كافر.

وهذا قول الضحاك وقتادة وأبي صالح[٥]، ورواية أبي الجوزاء عن ابن عباس[٦].

---

(١) عن مقاتل في «تفسيره» ١/ ٤٧٩، وأورده في «الدر المنثور» ٢/ ٥٠٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
أما عن الكلبي ففي «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٥.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥١، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٥، وقد ذكر ابن الجوزي قولًا آخر وهو أن الخطاب للمسلمين، قيل: لا تخشوا الناس كما خشيت اليهود الناس.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٨ دون نسبة، ولم أقف عليه.

(٤) سقط هذا الحرف من (ج).

(٥) أخرج الآثار عنهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٢-٢٥٣، وانظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦١، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٦.

(٦) لم أقف على هذه الرواية، وقد جاء عن ابن عباس أن المراد كفر دون كفر. انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٦، وثبت عنه قوله: من جحد ما أنزل الله فقد كفر «تفسيره» ص١٧٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٧.

ورواه البراء عن النبي ﷺ، أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن يحيى[(١)]، أخبرنا أبو الهيثم أحمد بن محمد بن غَوث[(٢)]، حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان[(٣)]، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة[(٤)]، حدثنا أبو معاوية[(٥)]، عن الأعمش[(٦)]، عن عبد الله بن مرة[(٧)]، عن البراء بن عازب

---

(١) جاء اسمه هكذا: محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى -فيحيى جد أبيه- المُزَكِّي النيسابوري المحدث الصادق المعمر، من شيوخ الواحدي، توفي -رحمه الله- سنة ٤٢٧هـ. انظر: «المنتخب من السياق» ص٣٢، «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٥١، «شذرات الذهب» ٣/ ٢٣٣.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) الحضرمي الملقب بـ: مُطَيّن، محدث الكوفة، شيخ حافظ ثقة جبل، يقول في سبب تلقيبه بمطين: كنت صبيًا ألعب مع الصبيان وكنت أطولهم فنسبح ونخوض فيطينون ظهري فلقبه أبو نعيم بذلك. صنف «كتاب التفسير»، «المسند»، «التاريخ»، توفي -رحمه الله- سنة ٢٩٧هـ وقيل ٢٩٨هـ. انظر: «الفهرست» ص٣١٦، «سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٤١، ٤٢، «ميزان الاعتدال» ٣/ ٦٠٧.

(٤) عبد الله بن محمد بن القاضي العبسي الكوفي، الإمام العلم المشهور، من أقران الإمام أحمد وابن المديني وغيرهما، وصاحب الكتب الكبار: «المسند»، «المصنف»، «التفسير»، توفي -رحمه الله- سنة ٢٣٥هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٥٧، «سير أعلام النبلاء» ١١/ ١٢٢، «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٩٠.

(٥) هو محمد بن خازم مولى بني سعد بن مناة بن تميم، تقدمت ترجمته.

(٦) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي، ثقة حافظ ورع لكنه يدلس وقد أخرج حديثه الجماعة، وكان عارفًا بالقراءات. توفي -رحمه الله- سنة ١٤٧هـ. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٤٣٢، «طبقات القراء» لابن الجزري ١/ ٣١٥، «التقريب» ص٢٥٤ (٢٦١٥).

(٧) عبد الله بن مرة الهمداني الخارفي الكوفي، من ثقات التابعين، وحديثه عند الجماعة، توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل قبلها. انظر: «تاريخ الثقات» ٢/ ٥٩، «تهذيب

عن النبي ﷺ أنه رجم يهوديًا ويهودية، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قال: «**نزلت كلها في الكفار**» رواه مسلم في «الصحيح»(١) عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية.

وقال آخرون: ومن لم يحكم بما أنزل الله ردًّا للقرآن، وتكذيبًا للنبي ﷺ، فقد كفر(٢).

قال مجاهد في الآيات الثلاث: من ترك الحكم بما أنزل الله ردًا لكتاب الله، فهو كافر ظالم فاسق(٣).

وقال عكرمة: ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق(٤).

وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي(٥)، واختيار أبي إسحاق؛ لأنه قال: من زعم أن حكمًا من أحكام الله التي أتت بها الأنبياء باطل فهو

التهذيب» ٢/ ٤٣٠، «التقريب» ص٣٢٢ (٣٦٠٧).

(١) «صحيح مسلم» (١٧٠٠)، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود، وأخرجه المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٨٩.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٧.

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكر نحوه غير منسوب. النحاس في «معاني القرآن» ٢/ ٣١٥.

(٤) لم أقف عليه عن عكرمة، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» عنه قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ لأهل الكتاب كلهم، لما تركوا من كتاب الله. «جامع البيان» ٦/ ٢٥٣.

(٥) «تفسيره» ص١٧٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٧.

كافر[١].

قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلًا يضاهي أفعال الكفار، ويشبه من أجل ذلك الكافرين[٢].

وروى معنى هذا عن ابن عباس، قال طاوس: قلت لابن عباس: أكافر من لم يحكم بما أنزل؟ فقال: به كَفَرة[٣]، وليس كمن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله[٤].

ونحو هذا رُوي عن عطاء في هذه الآية، قال: هو كُفر دون كفر[٥].

وقال عبد العزيز بن يحيى الكِنَاني: إنها تقع على جميع ما أنزل الله لا على بعضه، فكل من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، فأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع، فليس هو من أهل هذه الآية[٦].

وقال ابن مسعود والحسن وإبراهيم: هذه الآيات عامة في اليهود وفي هذه الأمة، وكل من ارتشى، وبدل الحكم، فحكم بغير حكم الله، فقد

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في المصادر التي ستأتي عند تخريجه: كفر.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٦، والحاكم بمعناه في «المستدرك» ٢/ ٣١٣، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩١، وانظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧٠.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٦، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦١.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩١، وانظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦١، «البحر المحيط» ٣/ ٤٩٣.

كفر[١]، وإليه ذهب السدي أيضًا[٢].

وهؤلاء ذهبوا إلى ظاهر الخطاب.

٤٥- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ الآية.

قال ابن عباس: يريد وفرضنا عليهم في التوراة[٣].

﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ يريد من قتل نفسًا بغير، قود قتل به[٤].

قال الضحاك: لم يجعل لهم دية في نفس ولا جرح، إنما هو العفو أو[٥] القصاص[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾.

اختلفوا في رفع العين ونصبها، فقرأ الأكثرون بالنصب، وكذلك ما بعد العين[٧]، جعلوا الواو للإشراك في نصب (أنّ)، ولم يقطعوا الكلام مما قبله[٨].

---

(١) هذا معنى الآثار عنهم وقد أخرجها الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٦-٢٥٧، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٦.

(٢) أخرج قوله الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٧.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٥.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٨.

(٥) في (ش): (و).

(٦) لم أقف عليه عن الضحاك، وورد نحوه عن ابن عباس. أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٩، وأورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩٣.

(٧) قرأ بالنصب العشرة إلا الكسائي فإنه قرأ بالرفع، ووافقه في (الجروحُ) خاصة ابن كثير في «تفسيره» وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر.
انظر: «الحجة» ٣/ ٢٢٣، «النشر» ٢/ ٢٥٤.

(٨) «الحجة» ٣/ ٢٢٣.

ومن رفع العين فإنه عطف جملة على جملة، ولم يجعل الواو للإشراك في العامل كما كان كذلك في قول من نصب، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى؛ لأن معنى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ قلنا لهم: (ٱلنَّفْسُ بِٱلنَّفْسِ)، فحمل (وَٱلْعَيْنُ بِٱلْعَيْنِ) على هذا[١].

والحمل على المعنى كثير في التنزيل والشعر، من ذلك قوله:

بـادَتْ وغَـيَّـرَ آيَـهـنّ مـع الـبِـلَـى إلا رواكـدَ جَـمْـرُهـن هَـبَـاءُ

ومُـشَـجَّـعٌ أمـا سـواءُ قَـذالِـه فَـبَـدا وغَـيَّـر سـارَهُ الـمِـعْـزَاءُ[٢]

لما كان المعنى في قوله: إلا رواكد بها رواكد، حمل مشجّجًا عليه، فكأنه قال: هناك رواكد ومشجّج[٣].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون: (العينُ) عطفًا على المضمر في قوله: (بالنفس[٤])، لأن المضمر في: (بالنفس[٥]) في موضع رفع، المعنى: أن النفس مأخوذة هي بالنفس، والعين معطوفة على: هي[٦].

---

(١) من «الحجة» ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) البيتان بدون عزو في «الكتاب» ١/ ١٧٣، ١٧٤، «شرح أبيات سيبويه» للنحاس ص٨٤، «الحجة» ٣/ ٢٢٥.

ومعنى بادت تغيرت وبليت، وآيهن: آثارهن، والرواكد: الأثافي، والهباء: الغبار، أي صار الجمر كالغبار لقدمه وانسحاقه، والمشجج، وتد الخباء، وتشجيجه ضرب رأسه لتثبيته، وسواء قذاله: أعلى الوتد، وساره: سائره، والمعزاء: الصلبة.

(٣) «الحجة» ٣/ ٢٢٥، وانظر: «الكتاب» ١/ ١٧٤.

(٤) في (ج): (أن النفس)، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٩: النفس.

(٥) في «معاني الزجاج» النفس.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٧٩، وانظر القرطبي في «تفسيره» ٦/ ١٩٣.

وأما من قرأ الجميع بالنصب ورفع (الجروحُ)[١] فالكلام في رفع (الجروحُ) كما ذكرنا في رفع العين.

قال العلماء في هذه الآية: كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والأنف والأذن والسن وجميع الأطراف، إذا تماثلا في السلامة من الشلل، وإذا امتنع القصاص في النفس امتنع أيضًا في الأطراف[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ وهو كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل: الشفتين والذكر والأنثين والألسن والقدمين واليدين وغيرها[٣].

فأما ما لا يمكن القصاص من رضة لحم، أو هيضة عظم أو جراحة في البطن يُخاف منها التلف ففيه أرش[٤] حكومة[٥].

والقصاص ههنا مصدر يراد به المفعول، أي والجروح مُتقاصّة بعضها ببعض.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾.

---

(١) هذه قراءة ابن كثير في «تفسيره» وأبي عمرو وأبي جعفر وابن عامر. انظر: «الحجة» ٣/ ٢٢٣، «معاني القراءات» ١/ ٣٢٩، «النشر» ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر: «الأم» ٦/ ٥، ٥٠، والطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٣.

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٥٨-٢٥٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٨.

(٤) الأرش: هو اسم للمال الواجب على ما دون النفس. «التعريفات» للجرجاني ص١٧، وانظر: «اللسان» ١/ ٦٠ (أرش).

(٥) انظر: «الأم» ٦/ ٨٠-٨٣، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٠٤.

أي: أعطى وبذل وترك، من الصدقة، وكل ما يعطيه الإنسان من ماله أو بدنه أو عرضه فرضًا كان أو نفلًا، ومنه قوله ﷺ: «**أيعجزْ أحدكم أن يكونَ كأبي ضَمْضَم**[١]**؟ كانَ إذا خرج من بيته تصدق بعرضه على الناس**»[٢].

والكلام في أصل الصدقة قد مضى عند قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقصاص الذي وجب له.

﴿فَهُوَ﴾ أي: التصدق، ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ أي: للمتصدق الذي هو المجروح، أو ولي الدم. وهذا قول أكثر أهل التأويل[٣].

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد فمن عفا فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم[٤].

وهذا قول ابن عمر والحسن والشعبي وقتادة[٥].

---

(١) هذا الرجل غير مسمى ولا منسوب، عدّ من الصحابة ويحتمل أنه ممن تقدم. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٢٥٧، «أسد الغابة» ٦/ ١٧٧، «الإصابة» ٤/ ١١٢.

(٢) أخرجه بنحوه أبو داود (٤٨٨٧) كتاب الأدب، باب (٤٣): ما جاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه ٥/ ١٩٩، من طرق، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٤/ ٢٥٧، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٦/ ١٧٧، وابن حجر في «الإصابة» ٤/ ١١٢.

(٣) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٠-٢٦٢، «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٩، «معاني النحاس» ٢/ ٣١٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٠.

(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩٥ ولم أقف عليه، وقد ثبت عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة أنه قال: فمن عفا عنه وتصدق عليه فهو كفارة للمطلوب وأجر للطالب.
«تفسير ابن عباس» ص١٨٠، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧٢ من هذه الطريق أيضًا.

(٥) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٠-٢٦٢، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣١٧، «النكت والعيون» ٢/ ٤٣-٤٤.

وروى عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**من تصدق من جسده بشيء كفر الله -عز وجل- عنه بقدره من ذنوبه**»(١).

وقال آخرون: الكناية في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ تعود على المتصدق عليه، أي كفارة للمتصدق عليه؛ لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه(٢).

قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير في قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ قال: فهو كفارة للجارح، وأجر المتصدق على الله(٣).

وهذا قول إبراهيم ومجاهد وزيد بن أسلم(٤).

وعلى هذا فالجاني إذا عفا عنه المجني عليه كان العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة، كما أن القصاص كفارة له.

والقول الأول أظهر؛ لأن العائد فيه يرجع إلى مذكور وهو (من)، وفي القول الثاني يعود إلى مدلول عليه وهو المتصدق عليه، دل عليه قوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾(٥).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ٥/ ٣١٦، والمؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩٥ من طريق شيخه الثعلبي، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٣، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع» (٦١٥١)، وأخرج الترمذي نحوه من حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- (١٣٩٣) كتاب الديات، باب: ما جاء في العفو، وابن ماجة (٢٦٩٣) كتاب الديات، باب: العفو في القصاص.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦١، «النكت والعيون» ١/ ٤٧٠ .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٢، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣١٧، «النكت والعيون» ٢/ ٤٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٤.

(٤) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦١-٢٦٢، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٤.

(٥) وهذا أيضًا اختيار الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٢.

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾. مضى الكلام في: قفينا[1].

قال الزجاج: أي جعلناه يقفوهم[2].

والكناية في: (آثارهم) عائدة إلى (النبيين الذين أسلموا).

وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

ليس بتكرير للأول في المعنى؛ لأنه يدل أن في الإنجيل ذكر التصديق في التوراة، كما أن عيسى -عليه السلام- جاء يدعو الناس إلى التصديق بها[3].

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾.

قال الفراء: متبع للمصدّق في نصبه[4].

يريد أن: (مصدقًا) حال من الإنجيل[5]، والعامل فيه: (آتيناه) وعطف بالواو على قوله: (فيه هدى) لأن معناه: آتيناه الإنجيل هاديًا، وإن شئت قلت: تقديره: وآتيناه الإنجيل مستقرًّا فيه هدى ونور ومصدقًا، فقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ معناه: وهاديًا وواعظًا، فلذلك نصبا[6].

---

(١) ذكر ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة: ٨٧].

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ١٦٨، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٤٧.

(٣) يوضح ذلك سياق الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

ف: ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأول لعيسى، والثاني للإنجيل، وانظر: «الوسيط» ٣/ ٨٩٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٩.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣١٢.

(٥) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٠٩.

(٦) انظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٠٩، «الدر المصون» ٤/ ٢٨٤.

والآية تدل على أن شرع عيسى كان شرع موسى[(١)].

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.

قال أهل المعاني: قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون التقدير: وقلنا: ليحكم أهل الإنجيل[(٢)]، فيكون هذا إخبارًا عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل. ثم حذف القول؛ لأن ما قبله من قوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ [المائدة: ٤٦] يدل عليه. وحذف القول كثير كقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤][(٣)].

والثاني: أن يكون قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ ابتداء أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم[(٤)].

فإن قيل على هذا: كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن؟

قيل: إن أحكام الإنجيل كانت موافقة لأحكام القرآن[(٥)].

وقيل: إن المراد من هذا الحكم الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأنه كان في الإنجيل ذكر وجوب التصديق به، فهذا الأمر راجع إلى ذلك[(٦)].

---

(١) وذلك فيما لم ينسخه شرع عيسى، انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٤ .

(٢) انظر: «الكشاف» ١/ ٣٤٢.

(٣) انظر: «المسائل الحلبيات» ص٢٤٠، قال أبو علي في آية الرعد: أي يقولون.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٥، «الحجة» ٣/ ٢٢٨، البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥، «زاد المسير» ٢/ ٣٦٩.

(٥) ليس هذا على إطلاقه، بل الكثير من الإنجيل، أو الأكثر -خاصة في الفروع- منسوخ بالقرآن. انظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٠٩.

(٦) انظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢٠٩.

والقول الأول أظهر.

وقرأ حمزة: ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بكسر اللام وفتح الميم[١]، جعل اللام متعلقة بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦] لأن إيتاءه الإنجيل إنزال ذلك عليه، فصار ذلك بمنزلة قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١٠٥][٢]، وكأن المعنى: آتيناه الإنجيل ليحكم[٣].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾. قال مقاتل: يعني القرآن، لم ينزله عبثًا[٤].

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله على الأنبياء[٥].

قال مقاتل: يعني: شاهدًا أن الكتب التي أنزلت قبله أنها من الله[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

اختلفت الروايات عن ابن عباس في تفسير المهيمن، فقال في رواية الوالبي: شاهدًا عليهم[٧].

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٢٧، «التيسير في القراءات السبع» ص٩٩.

(٢) في «الحجة» ٣/ ٢٨٨: فكأن.

(٣) «الحجة» ٣/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٤٨١.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٠.

(٦) «تفسيره» ١/ ٤٨١.

(٧) «تفسيره» ص١٨١ بلفظ: شهيدًا، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٦، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٣.

وهو قول السدي[١] والكسائي[٢]، ورواية عطاء عنه أيضًا: شاهدًا على جميع الكتب[٣].

وقال فيما روى عنه أبو عبيدة بإسناد له: مؤتمنًا[٤] وهو قول سعيد بن جبير[٥].

وقال في رواية عطية (عنه)[٦]: أمينًا[٧] وهو قول قتادة[٨] ومجاهد[٩].

وقال الحسن[١٠]: مصدقًا لهذه الكتب أمينًا عليها[١١].

هذا كلام المفسرين[١٢].

فأما أهل اللغة فقال المبرد: إن الهاء بدل من الهمزة، وأن أصله:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٦، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ (همن)، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥ .

(٣) انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥١٣.

(٤) أخرج هذا القول لابن عباس: الطبري في «تفسيره» من طرق كثيرة في «جامع البيان» ٦/ ٢٦٦-٢٦٧، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٨، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٢.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٧.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (ش).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٧، وانظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥١٣.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٧.

(٩) قول مجاهد أن المعنى: مؤتمن، «تفسيره» ١/ ١٩٨، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٦.

(١٠) في الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٧: الحسين، ولعله تصحيف.

(١١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٧، وأبو علي في «الحجة» ١/ ٢٢٩، وانظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥، و«زاد المسير» ٢/ ٣٧١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٧٤- ٧٥.

(١٢) وهي متقاربة من حيث المعنى.

مؤيمن، فجعلت الهاء بدلًا من الهمزة، كما قالوا: هَرَقْت وأَرَقْت، وإياك وهياكَ[١].

قال أبو إسحاق: وهذا على مذهب العربية حسن وموافق لبعض ما جاء في التفسير؛ لأن معناه مؤتمن[٢].

وقال ابن الأنباري[٣] -وحكى قول أبي العباس- ثم قال: ومهيمن وزنه مفيعل، وقد جاء في كلام العرب حروف على مثاله، منها: المسيطر، وهو المسلّط، والمبيطر، وهو البيطار[٤]، والمبيقر[٥] من قوله:

بأنَّ امرأ القَيسِ بنَ تَملكَ بَيْقَرا[٦]

والمديبر من الإدبار والتخلف، والمجيمر اسم جبل في قوله:

كأن ذُرَى رأسِ المُجَيمر غُدْوَةً[٧] ....[٨]

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٠، «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٨٦، «معاني النحاس» ٢/ ٣١٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ (همن).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٠، وقد قال الأزهري مثل قول الزجاج في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ (همن).

(٣) في «الزاهر» ١/ ٨٦، ٨٧.

(٤) المبيطر والبيطار: معالج الدواب. انظر: «اللسان» ١/ ٣٠١ (بطر).

(٥) في «الزاهر» ١/ ٨٧: والمبيقر من قولهم: قد بيقر الرجل يبيقر بيقرة، إذا فسد.

(٦) عجز بيت لأمرئ القيس، وصدره: ألا هل أتاها والحوادث جمة

«ديوانه» ص٦٢، «الزاهر» ١/ ٨٧.

(٧) صدر بيت لأمرئ القيس من معلقته، وعجزه: من السيل والأغثاء فلكة مغزل

«ديوانه» ص١٢٢، «الزاهر» ١/ ٨٧، «شرح القصائد المشهورات» ١/ ٤٨، ٤٩.

والأغثاء: ما يحمله السيل من الأشياء، وفكلة مغزل: أي أن الماء استدار حوله فصار كفلكة المغزل.

(٨) «الزاهر» ١/ ٨٦، ٨٧، وانظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٣٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٥.

وقال الأزهري: الذي قاله المبرد في المهيمن أنه في الأصل: مؤيمن له مخرج من العربية حسن[١]. وذلك أن آمن يؤمن كان في الأصل: آمن مؤيمن، وكذلك يفعل في الأصل: يوفعل، فاستثقلوا هذه الهمزة وحذفوها، كما حذفوا الهمزة الأصلية من: أرى ويرى، فأما المهيمن فإنهم ردوا الهمزة إلى الكلمة، ثم قلبت هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة؛ لأن للهمزة ضغطة في الحلق ليست للهاء.

فالمهيمن على هذا التأويل بمعنى: المؤمن، وهو المصدق، وهو الأمين، كما قال المفسرون.

وقال ابن جريج: (ومهيمنًا) أمينًا على الكتب قبله، فما أخبر أهل الكتاب بأمر، فإن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا[٢].

هذا طرق أهل اللغة في معنى المهيمن وأصله، فالمهيمن عندهم بمنزلة الأمين.

قال الأزهري: وكان النبي ﷺ يسمى الأمين، يعرف به قبل الإسلام، فقال العباس فيه يمدحه:

حتى احتوى بيتُك المُهَيمنُ مِن خِندِفَ عَلياءَ تحتَها النُّطُقُ[٣]

وبيته شرفه ومجده، أراد: حتى احتويت أنت أيها المهيمن من خِندِفَ علياء، أي: الشرف[٤].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ (همن)، وما بعد ذلك فهو من تعليق المؤلف على ما يظهر، حيث إنه لا وجود له في «التهذيب»، والله أعلم.

(٢) لم أقف عليه، وقد تقدم قريبًا عن ابن عباس وغيره نحوه.

(٣) البيت في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠، «اللسان» ٨/ ٤٧٠٥ (همن)، والنطق أوساط الجبال العالية.

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ بتصرف، وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٠٥ (همن).

فجعل العباس المهيمن في بيته صفة للنبي، أراد به الأمين.

وقال جماعة من أهل اللغة: المهيمن: الرقيب الحافظ، يقال: قد هيمن الرجل يهيمن هيمنة، إذا كان رقيبًا على الشيء. وهو قول الخليل وأبي عبيد[1].

وقال أبو عبيدة: المهيمن: الشاهد المصدق[2]، واحتج بقول حسان[3]:

إن الكتاب مهيمنٌ لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب[4]

وقوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾. يعني: بين اليهود بالقرآن، والرجم على الزانيين.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾. قال ابن عباس: يريد ما حرفوا وبدلوا، يعني: من أمر الرجم[5].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾.

يقول: لا تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم، كما تقول: لا تتبع زيدًا عن رأيك، يعني لا تترك رأيك وتتبعه.

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٧٩، «معاني النحاس» ٢/ ٣١٨، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٠٠ (همن)، «زاد المسير» ٢/ ٣٧١، «اللسان» ١٣/ ٤٣٧ (همن).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٨.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) في «ديوانه» ص٣٥، لكن صدره: أخوات أمك قد علمت مكانها

(٥) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٦.
وقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: بحدود الله، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾. «تفسيره» ص١٨١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٩.

ويجوز أن تكون (عن) في قوله: (عما) من صلة معنى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وذلك أن معناه: لا تَزِغ، فكأنه قيل: لا تزغ عما جاءك (من الحق)[1] باتباع أهوائهم.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾[2].

الشِّرعة والشريعة واحدة، وأصلها من الشرع وهو البيان والإظهار، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣][3]. قال ابن الأعرابي: شرع أي أظهر. قال: وشرع فلان، إذا أظهر الحق وقمع الباطل[4].

قال الأزهري: معنى (شرع) بين وأوضح، مأخوذ من شَرَع الإهاب[5].

قال ابن السكيت: الشرع مصدر شَرَعت الإهاب إذا شققت ما بين الرِّجلين وسلختَه[6].

وقال غيره: الشارع والشرعة والشريعة: الطريقة الظاهرة. وتسمى معالم الدين شريعة لوضوحها[7].

وقال قوم: أصل الشريعة من الشروع، وهو الدخول في الأمر[8]، والشرعة والشريعة في كلام العرب المَشْرَعَة التي يشرعها الناس فيشربون

---

(١) في (ج): (بالحق).

(٢) في (ج): بعد (ومنهاجا): ومنها، ولعلها زائدة أو تكرار لبعض كلمة: (منهاجا).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٦٨، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٣، الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٩، «معاني النحاس» ٢/ ٣١٩.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٨.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٨.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٨، وانظر: «الصحاح» ٣/ ١٢٣٦ (شرع).

(٧) انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣١٩، «النكت والعيون» ٢/ ١٨٥٧.

(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٩، «تهذيب اللغة» ٣/ ١٨٦٠، «الصحاح» ٣/ ١٢٣٦ (شرع).

ويسقون بها[(١)].

قال الليث: شرعت الواردةُ الشريعةُ، إذا تناولت الماء بفيها، والشريعة: المَشْرَعة. قال: وبها سُمّي ما شرع الله للعباد: شريعةً، من الصلاة والصوم والنكاح والحج وغيره[(٢)].

فعلى هذا معنى الشِّرعة والشَّريعة: الطريقة لشروع الناس فيها.

والمنهاج: الطريق الواضح، ومنهج الطريق: وَضَحه، ونهج الأمر وأنهج، لغتان، (إذا وضح)[(٣)]. قاله الليث[(٤)].

وقال ابن بُزُرج[(٥)]: استَنْهَج الطريقُ: صار نهجًا، ويقال: نهجت لك الطريق وأنهجته، لغتان، فهو منهوج ومُنهَج، وهو نَهجٌ ومُنهج[(٦)].

وأما الكلام في الجمع بين الشرعة والمنهاج فقال الأكثرون: إنها بمعنى واحد، وجمع بينهما للتأكيد في اللفظ. وهذا قول مجاهد[(٧)] والزجاج.

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٨ (شرع).

(٢) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٨، وانظر: «العين» ١/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) في (ش): (إذا أوضح)، وما أثبته هو الموافق لـ «العين» ٣/ ٣٩٢.

(٤) «العين» ٣/ ٣٩٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٧٢ (نهج)، وانظر: الطبري في «تفسيره» ١٠/ ٣٨٤.

(٥) هو عبد الرحمن بن بزرج -بضم الباء- عالم لغوي له مؤلفات وتعليقات أفاد منها الأزهري في «تهذيب اللغة»، وقد عده الأزهري من متأخري الطبقة الثانية من علماء اللغة الذين اعتمد عليهم في كتابه، ولم تذكر سنة وفاته.
انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٧٢ المقدمة، «إنباه الرواة» ٢/ ١٦١، «الإكمال» لابن ماكولا ١/ ١٥٥، ١٥٦.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٧٢، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٦٩.

(٧) قال مجاهد في تفسيرهما: الشرعة: السنة. والمنهاج السبيل.
«تفسيره» ١/ ١٩٨، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧١ من طرق، وانظر: «النكت=

قال الزجاج: الشرعة والمنهاج جميعًا: الطريق، والطريق ههنا: الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى به بألفاظ تؤكد بها القصة والأمر. قال: وقال بعضهم: الشرعة: الدين والمنهاج: الطريق[1].

وقال ابن الأنباري: الشرعة: ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق الواضح كله المستمر، فصح النسق للمخالفة بينهما[2].

وهذا قول محمد بن يزيد. حكاه الزجاج عنه[3].

وأما التفسير: فقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سبيلًا وسنة[4]، ورُوي: سنة وسبيلًا[5].

وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك في تفسير الشرعة والمنهاج[6].

وأما معنى الآية فقال قتادة في قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾ الخطاب للأمم الثلاث، أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد (عليهم

= والعيون» ٢/ ٤٥.
وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٣ عن مجاهد أنه قال: الشرعة والمنهاج دين محمد ﷺ.

(١) قول الزجاج في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٧، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤١، ولم أجد في «معاني القرآن» له شيئًا من ذلك.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٢، «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٣، «الدر المصون» ٤/ ٢٩٣.

(٣) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٧ (شرع)، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٩١٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٧٢، «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٣، «الدر المصون» ٤/ ٢٩٣.

(٤) «تفسيره» ص١٨١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٠-٢٧١ من طرق، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٥.

(٥) أخرج هذه الرواية الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٠-٢٧١ من طرق.

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧١-٢٧٢، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٥.

السلام)[١] ولا يعنى به قوم كل نبي؛ لأن الشريعة[٢] لم تختلف من لدن موسى إلى عيسى، وإنما اختلفت على لسان عيسى،ثم لم تختلف إلى زمن محمد، ثم اختلفت على لسانه، ألا ترى أن ذكر هؤلاء الثلاثة قد تقدم في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ الآية [المائدة: ٤٤]، ثم قال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ثم قال: ﴿لكلٍ[٣] جَعَلْنا مِنكُم شِرْعَةً ومنهَاجًا﴾ يعني: شرائع مختلفة، للتوراة[٤] شريعة، وللإنجيل[٥] شريعة، وللقرآن[٦] شريعة، والدين واحد لا يقبل الله إلا الإخلاص[٧].

وقال مجاهد: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ السبيل الجادة[٨]، من دخل في دين محمد فقد جعل له شرعة ومنهاجًا، والقرآن له شرعة ومنهاج[٩].

وعلى هذا القول المراد (بالشرعة)[١٠] والمنهاج: القرآن، ودين محمد ﷺ وهو الذي جعل منهاجًا للكل وندب إليه الجميع، وليس المراد

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ش): (الشرائع).

(٣) في (ج): (ولكل).

(٤) في (ش): (التوراة).

(٥) في (ش): (الإنجيل).

(٦) في (ش): (القرآن).

(٧) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٨٩٩ مختصرًا، وأخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٠، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٦، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٣.

(٨) الجادة أي الطريق. انظر: «اللسان» ١/ ٥٦١-٥٦٢ (جدد).

(٩) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٣.

(١٠) في (ج): (بالشرع).

الإخبار عن اختلاف الشرائع، واختصاص كل أمة بشريعة، كما ذكره قتادة.

والقول الأول أظهر وعليه المفسرون، فقد قال مقاتل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ يعني: من المسلمين وأهل الكتاب[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. قال الحسن: لو شاء لجمعكم على الحق[٢].

وقال الكلبي: ولو شاء (الله)[٣] لجعلكم أمة واحدة على أمر واحد ملة الإسلام[٤].

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾. ليختبركم فيما أعطاكم من الكتاب والسنن.

ومضى الكلام في ابتلاء الله ﷻ عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. قال مقاتل: (يقول)[٥]: سارعوا في الأعمال الصالحة[٦].

وقال الكلبي: يقول: سابقوا الأمم الماضية إلى السنن والفرائض والصالحات من الأعمال[٧].

والاستباق في اللغة بين اثنين، يجتهد كل واحد منهما أن يسبق

---

(١) «تفسيره» ١/ ٤٨١، ٤٨٢.
(٢) «النكت والعيون» ٢/ ٤٥، وانظر: «تفسير الهواري» ١/ ٤٧٨.
(٣) ساقط من (ج).
(٤) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٩٠٠ غير منسوب، ولم أقف عليه.
(٥) ساقط من (ج).
(٦) «تفسيره» ١/ ٤٨٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٧٤.
(٧) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٦.

صاحبه كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥] يعني يوسف وصاحبته تبادر إلى الباب؛ فإن سبقها يوسف فتح الباب وخرج، وإن سبقت هي أغلقت الباب لئلا يخرج يوسف(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾.

قال مقاتل: أنتم وأهل الكتاب ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين والفرائض والسنن(٢). وقاله الكلبي(٣).

وقال أهل المعاني: يعني أن الأمر سيؤول إلى ما تزول معه الشكوك بما يحصل من اليقين عند مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء باساءته(٤).

٤٩- قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

قد ذكرنا أن هذا ناسخ للتخيير في قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢].

وموضع (أن) من الإعراب نصب، بمعنى: أنزلنا إليك (أن احكم بينهم)(٥).

وأعيد ذكر الأمر بالحكم بعد ذكره في الآية الأولى: إما للتأكيد، وإما لأنهما حُكمان أمر بهما جميعًا؛ لأنهم احتكموا إليه في زنا المحصنين(٦) ثم احتكموا إليه في قتيل كان فيهم، في قول جماعة من المفسرين(٧).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٢٠ (سبق).

(٢) بنحوه في «تفسيره» ١/ ٤٨٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٦.

(٤) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٢، «التفسير الكبير» ١٢/ ١٣ .

(٥) انظر: «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٢٢٨.

(٦) في (ش): (المحصن).

(٧) احتكامهم إلى النبي ﷺ في زنا المحصنين ظاهر، وقد تقدم. أما احتكامهم إليه في قتيل كان فيهم فلم أقف عليه. وقد خالف في الأمر الثاني ابن الجوزي فقال:=

قال ابن عباس: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: بحدود الله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

قال ابن عباس: يريد يردوك إلى أهوائهم[٢].

قال أبو عبيد: كل من صُرِف عن الحق إلى الباطل، وأميل عن القصد فقد فُتِن[٣]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣].

وقال قطرب: واحذرهم أن يستزلوك[٤].

قال ابن الأنباري: وقولهم[٥]: فتنت فلانةٌ فلانًا، قال بعضهم: أمالته عن القصد. والفتنة[٦] معناها في كلامهم المميلة عن الحق والقصد[٧].

وقال النضر في قوله ﷺ: «**أعوذ بك من فتنة المحيا**»[٨]. هو أن يعدل

= وإنما نزلتا في شيئين مختلفين، أحدهما في شأن الرجم، والآخر في التسوية في الديات، حتى تحاكموا إليه في الأمرين. «زاد المسير» ٢/ ٢٧٥، وانظر: «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٤، وما ذكره ان الجوزي من التسوية في الديات سيأتي له ذكر عند المؤلف في الآية ٥٠ من هذه السورة.

(١) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- ذلك في تفسير الآية التي قبلها: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ «تفسيره» ص١٨١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٣.

(٢) أورده المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٩٠١، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٦.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٩٠١ ولم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه عن قطرب، وقد قال بذلك أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٦٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٤.

(٥) في (ش): (فقولهم).

(٦) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨ (فتن): الفتينة.

(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨، وانظر: «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥ (فتن).

(٨) جزء من الحديث المشهور في الدعاء قبل السلام، وأخرجه البخاري (٨٣٢) =

عن الطريق[١].

قال مقاتل: إن رؤساء اليهود قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه ونرده عما هو عليه، فإنما هو بشر. فأتوه وقالوا[٢] له: قد علمت أنا إن اتبعناك اتبعك الناس، وإن لنا خصومة فاقض لنا على خصومنا إذا تحاكمنا إليك، ونحن نؤمن بك ونصدقك. فأبى ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله هذه الآية[٣].

فمعنى فتنتهم (إياه)[٤] عن بعض ما أنزل الله إضلالهم إياه وإمالته عن ذلك إلى ما يهوون من الأحكام، إطماعًا منهم في الاستمالة إلى الإسلام في قول مقاتل وابن عباس[٥] وغيرهما.

قال أهل العلم: هذه الآية تدل على أن الخطأ والنسيان جائز على الرسل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ والتعمد في مثل هذا غير موهوم على رسول الله، فتحقيق تكليف الحذر عائد إلى النسيان والخطأ[٦].

= كتاب الأذان، باب: الدعاء قبل السلام ١/ ٢٠٢، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة.

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨.

(٢) في (ش): (فقالوا).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٤٨٢، ٤٨٣، «الوسيط» ٣/ ٩٠١ .

(٤) ساقط من (ش).

(٥) قال ابن عباس بنحو قول مقاتل المتقدم فيما أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٣، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٠٠، وانظر البغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٦، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٤.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ١٢/ ١٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢١٣ .

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾. قال ابن عباس: يريد إن لم يقبلوا منك[١]. وقال مقاتل: أبوا حكمك[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾. قال ابن عباس: يريد أن يبتليهم، ويسلطك عليهم[٣].

وقال مقاتل: أي: يعذبهم في الدنيا بالقتل والجلاء[٤].

قال أهل المعاني: وخصص بعض الذنوب لأنهم جوزوا[٥] في الدنيا ببعض ذنوبهم، وكان مجازاتهم بالبعض كافيًا في إهلاكهم والتدمير عليهم، يقول: فإن أعرضوا عن الإيمان والحكم بالقرآن فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يُعَجِّل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]. يعني: اليهود[٧].

٥٠- قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

قال المفسرون: أي أتطلب اليهود في الزانيين حكما لم يأمر الله ﷻ به وهم أهل الكتاب، كما يفعل أهل الجاهلية[٨].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١١٦.

(٢) «تفسيره» ١/ ٤٨٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «تفسيره» ١/ ٤٨٣ وفي: والجلاء من المدينة إلى الشام.

(٥) في (ش): (جوزيوا).

(٦) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٣، «التفسير الكبير» ١٢/ ١٤، القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢١٤.

(٧) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٦٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢١٤.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٠، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٦، «التفسير الكبير» ١٢/ ١٥.

قال ابن عباس: يعني بحكم الجاهلية ما كانوا من الضلالة والجور في الأحكام، وتحريفهم إياها عما كانت عليه[١].

وقال بعضهم: إنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه، وإذا وجب على أقويائهم لم يأخذوهم به، فقيل لهم: أفحكم عبدة الأوثان تبغون وأنتم أهل كتاب؟ وكفى بذلك خزيًا أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم[٢].

وقال مقاتل: كانت بين قريظة والنضير دماء قبل أن يبعث الله محمدًا، فلما بعث تحاكموا إليه، فقالت بنو قريظة: إخواننا بنو النضير أبُونا واحد، وديننا وكتابنا واحد، فإن قتل أهل النضير منا قتيلًا أعطونا سبعين وسقا من تمر، وإن قتلنا منهم واحدًا أخذوا منا مائة وأربعين وسقًا، وأرش جراحاتنا على النصف من أرش جراحاتهم، فاقض بيننا وبينهم، قال رسول الله ﷺ: **«فإني أحكم دم القُرَظي وفاءٌ من دم النُضَيري، ودم النُضَيري وفاءٌ من دم القُرَظي، ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة»**، فغضب بنو النضير وقالوا: لا نرضى بحكمك، فإنك لنا عدو، وإنك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يعني حكمهم الأول[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٤، «التفسير الكبير» ١٢/ ١٥، القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٢١٤.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٧٩، ٤٨٠ بنحوه، وانظر: «التفسير الكبير» ١٢/ ١٥.
وقد جاء نحو ذلك عن ابن عباس من طريق أبي صالح -وهي ضعيفة- عنه ذكر ذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٧٦، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٧٤ .

وقرأ ابن عامر (تَبغُون[١]) بالتاء[٢]، على معنى: قل لهم يا محمد: أفحكم الجاهلية تبغون[٣].

والقراءة بالياء أظهر، لجري الكلام على ظاهره واستقامته عليه من غير تقدير إضمار، على أن نحو هذا الإضمار لا ينكر لكثرته[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال الزجاج: أي من أيقن تبين عدل الله في حكمه[٥].

وقال[٦] بعض أصحاب المعاني: معناه: عند قوم يوقنون بالله وبحكمته، فأقيمت اللام مقام عند، وهذا جائز في اللغة إذا تقاربت المعاني[٧].

فإذا قيل: الحكم لهم فلأنهم يستحسنونه، فكأنه إنما جعل لهم خاصة، وإذا قيل: عندهم؛ فلأن عندهم العلم بصحته.

٥١- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية، قال عطية: جاء عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ فتبرأ عنده من موالاة اليهود، فقال عبد الله بن أبي: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، لأني أخاف

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) «الحجة» ٣/ ٢٢٨، «التيسير» ص٩٩.

(٣) «الحجة» ٣/ ٢٢٨.

(٤) «الحجة» ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩ بتصرف.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٣٢١، «زاد المسير» ٢/ ٣٧٦.

(٦) في (ش): (قال).

(٧) ذكر هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ٣/ ٥٠٥، لكنه قال: وهذا ضعيف، وانظر «الدر المصون» ٤/ ٢٢٩.

الدوائر، فنزلت هذه الآية[١] في النهي عن موالاتهم، ومعنى: (لا تتخذوهم أولياء) لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم، وأولياء مثل أنبياء في الامتناع عن الصرف، وذكرنا العلة المانعة عن الصرف في «أنبياء» في هذه السورة[٢].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، أي: في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين[٣] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد كافر مثلهم»[٤]، وقال أبو إسحاق: أي: من عاضدهم على المسلمين فإنه مع من عاضده[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، قال ابن عباس: «يريد لا يرشد الكافرين ولا المشركين ولا المنافقين»[٦]، روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قلت لعمر بن الخطاب ﷺ: إن لي كاتباً نصرانياً. فقال: مالك قاتلك الله؟! ألا اتخذت حنيفاً، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾. قلت: له دينه ولي كتابته. قال: لا أكرمهم إذا أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم»[٧].

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٦/ ٢٧٥، وذكره البغوي ٣/ ٦٧، والسيوطي في «لباب النقول» ص ٩٢.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء﴾ الآية (٢٠) من هذه السورة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٠/ ٣٩٩، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١.

(٦) لم أقف عليه، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٧) بمعناه عند ابن كثير ٢/ ٧٧، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٦.

٥٢- قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

قال ابن عباس: «يعني عبد الله بن أبي وأصحابه»[١] وهو قول مجاهد[٢] ومقاتل[٣] وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد يسارعون إلى مودتهم»[٤]، وقال الكلبي: «يسارعون في ولاية اليهود، ونصارى نجران؛ لأنهم كانوا أهل ريف يميرونهم ويقرضونهم»[٥].

وقال مجاهد: يسارعون في مصانعة اليهود ومواخاتهم[٦]، وقال أبو إسحاق: يسارعون في معاونتهم على المسلمين[٧].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، الدائرة من دوائر الدهر كالدولة، وهي التي تدور من قوم إلى قوم، والدائرة التي تخشى كالهزيمة والدبرة والقحط والحوادث المخوفة[٨]، قال عبد الله بن مسلم[٩]: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه فلا يميروننا[١٠]. وقال أبو عبيدة: الدوائر

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٧٨-٢٧٩، «زاد المسير»٢/ ٣٧٩، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٦.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٨٥، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٨.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٥) لم أقف عليه، انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٣، «زاد المسير»٢/ ١٧٩.

(٦) أخرجه بنحوه الطبري ٦/ ٢٧٩.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١ ، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ١٠/ ٤٠٤، ٤٠٥، «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٢٩ مادة (دار).

(٩) ابن قتيبة.

(١٠) «غريب القرآن» ص١٤٣.

تدور، والدوائل تدول[1]، وذكر قول حُميد الأرقط[2]:

[كنت حسبت الخندق المحفورا][3]

ودائراتِ الدَّهر أن تدورا[4]

قال الكلبي: ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي سنة جدبة، وقال مقاتل: «نخشى أن تصيبنا دائرة اليهود على المسلمين، وذلك أنهم قالوا، إنا نكره قتال اليهود ومفارقتهم، فإنا لا ندري ما يكون ونخشى أنْ لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا من الميرة والقرض»[5].

وقال أبو روق: «يعنون نخشى أن ينصر محمد»[6].

ونحو ذلك قال الزجاج: أي نخشى أن لا يتم الأمر للنبي ﷺ، قال: ومعنى (دائرة): أي: يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها[7].

وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾، قال أهل المعاني: وعسى من الله واجب[8]. لأن الكريم إذا طمّع في خير يفعله، فهو

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ١٦٩.

(٢) هو حميد بن مالك بن ربعي بن فحاش بن قيس ، من بني ربيعة ، شاعر إسلامي. «معجم الأدباء» ٣/ ٢٦٧.

(٣) ما بين المعقوفين ليس في «المجاز».

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ١٦٩.

والرجز في: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٧٩، «تفسير القرطبي» ٦/ ٢١٧.

(٥) بمعناه في تفسير مقاتل ١/ ٤٨٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨.

وانظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٣، «زاد المسير»٢/ ٣٧٩.

(٦) لم أقف عليه، وهو بمعنى ما تقدمه وما تلاه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١.

(٨) المرجع السابق.

بمنزلة الوعد به لتعلق النفس به ورجائها له، ولذلك حق لا يضيع، قال الكلبي والسدي: (أن يأتي بالفتح) يعني: فتح مكة[١]، وقال الضحاك: فتح قرى اليهود[٢]، وقال قتادة: «بالقضاء الفصل»[٣]، وقال مقاتل: «يعني نصر محمد الذي أيسوا منه»[٤]، وقال الزجاج: فعسى الله أن يظهر المسلمين[٥].

وجمع ابن عباس هذه الأقوال في قوله فقال: «يريد بفتح الله تعالى لمحمد ﷺ على جميع من خالفه»[٦]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾، قال الكلبي والضحاك: خصب وسعة لمحمد ﷺ وأصحابه[٧]. وهو اختيار الزجاج[٨] وابن قتيبة[٩].

وقال السدي: «الجزية»[١٠]، وقال مقاتل: «القتل والجلاء لليهود»[١١]، وهذا معنى قول ابن عباس في قوله: (أو أمر من عنده)

---

(١) أخرجه عن السدي: الطبري ٦/ ٢٨٠ وذكره عنهما البغوي ٣/ ٦٨.
وانظر: «زاد المسير»٢/ ٣٧٩، «ابن كثير» ٢/ ٧٨.
(٢) البغوي ٣/ ٦٨.
(٣) «تفسير الطبري» ٦/ ٢٨٠، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨.
(٤) «تفسيره» ١/ ٤٨٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١.
(٦) انظر: «الوسيط»٢/ ١٩٧، «تفسير القرطبي» ٦/ ٢١٨، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.
(٧) انظر: «الوسيط»٢/ ١٩٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٨، «زاد المسير»٢/ ٣٧٩.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١.
(٩) «غريب القرآن» ص ١٤٤، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٩.
(١٠) أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ١٠١، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٩، «ابن كثير» ٢/ ٧٨.
(١١) «تفسيره» ١/ ٤٨٤، «الوسيط» ٢/ ١٩٨، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٩.

يريد فيه هلاكهم[١] فهذا يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين[٢]، وقال الحسن: «هو إظهار أمر المنافقين مع الأمر بقتلهم»[٣]. وهو اختيار أبي إسحاق[٤] وقوله تعالى: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.

قال ابن عباس: «يريد ندامة على نفاقهم»[٥].

وقال الكلبي: ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ يعني أهل النفاق على ما كان منهم من ولايتهم لليهود، ودس الأخبار إليهم (نادمين)[٦].

وقال قتادة: ﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من مودتهم وغشهم الإسلام ﴿نَٰدِمِينَ﴾[٧].

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، اختلفوا في إدخال الواو في (يقول) فقرأ أهل الحجاز والشام: (يقول) بغير واو[٨]، وقرأ أهل العراق: (ويقول) بالواو[٩]، وحذف الواو ههنا كإثباتها، وذلك أن في الجملة المعطوفة ذكراً من المعطوف عليها، وهو أن الذين وصفوا بقوله:

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٢) واختيار الطبري القول بالعموم. انظر: «تفسيره» ٦/ ٢٨٠.

(٣) لم أقف عليه. انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٧٩.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١.

(٥) انظر: «الوسيط» ٢/ ١٩٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٧٩، «ابن كثير» ٢/ ٧٨، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٧) أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٠، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٧٨.

(٨) قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٢٩، «النشر» ٢/ ٢٥٤.

(٩) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر، انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٢٩، «النشر» ٢/ ٢٥٤.

(يسارعون فيهم) إلى آخر الآية، هم الذين قال فيهم المؤمنون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ الآية، فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى، حسن العطف بالواو وبغير الواو، كما أن قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو؛ لأنها بملابسة بعضها ببعض ترتبط إحداهما[1] بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف، ويدلك على حسن دخول الواو قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

فحذف الواو من قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كحذفها من قوله: ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ وقوله: ﴿سَادِسُهُمْ﴾ وإلحاقها كإلحاقها في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾، وقد جاء التنزيل بالأمرين في غير موضع[2]، واختلفوا أيضاً في إعراب: (ويقول) فقرأ أبو عمرو: ﴿وَيَقُولَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نصباً على معنى: وعسى أن يقول الذين آمنوا[3]، وأما من رفع فإنه جعل الواو لعطف جملة على جملة، ولم يجعلها عاطفة على مفرد.

ويدل على قوة الرفع قولُ من حذف الواو فقال: (يقول الذين آمنوا)[4].

قال الزجاج: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، أي: في وقت يظهر الله نفاقهم[5].

---

(١) في (ج) و(ش): (إحديهما).

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٣١.

(٤) «الحجة» ٣/ ٢٣١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٢، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٦٩.

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعني: المنافقين، قاله ابن عباس، والكلبي[(١)]، ﴿أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، قال عطاء: حلفوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بأغلظ الأيمان[(٢)]، ونصب ﴿جَهۡدَ﴾ لأنه مصدر، أي: جهدوا جهد أيمانهم، وقال أبو إسحاق: أي: يقول المؤمنون للذين باطنهم وظاهرهم واحد: أهؤلاء الذين حلفوا وأكدوا أيمانهم أنهم مؤمنون، وأنهم معكم وأعوانكم على من خالفكم .﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي: ذهب ما أظهروه من الإيمان، وبطل كل خير عملوه بكفرهم وصدهم عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١][(٣)]، وقال الكلبي: «بطلت حسناتهم»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣]، قال عطاء عن ابن عباس: «خسروا الدنيا والآخرة، أما الدنيا فليس هم من الأنصار، وأما الآخرة فقرنهم الله مع الكفار»[(٥)].

وقال الكلبي: ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ مغبونين بأنفسهم ومنازلهم في الجنة، وصاروا إلى النار، وورثها المؤمنون[(٦)].

---

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧ ، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨١.

(٢) ساقه المؤلف في الوسيط ٢/ ١٩٨ ابتداء دون نسبة. وكذا البغوي ٣/ ٦٩، ونسبه ابن الجوزي «زاد المسير» ٢/ ٣٨٠ لابن عباس.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨١ ، ١٨٢ ، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٣ ، «تفسير البغوي» ٣/ ٦٩.

(٤) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) لم أقف عليه، انظر: «الوسيط»٢/ ١٩٨.

٥٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾، وقرأ أهل الحجاز والشام: (يرتدد) بإظهار الدالين[١]. قال الزجاج هو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ظهر التضعيف نحو: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ويجوز في اللغة: إن يمسكم[٢].

قال أبو علي[٣]: من أظهرهما[٤] أن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً، ولا يمكن إدغام الحرف الذي يدغم حتى يسكن، لأن اللسان يرتفع عن المدغم والمدغم فيه ارتفاعة واحدة، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعة واحدة، وإذا لم يرتفع لم يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام في الساكن؛ لأن المدغم إذا كان ساكناً والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان، والتقاء الساكنين في الوصل من هذا النحو ليس من كلامهم، فلهذا أظهر من أظهر، وهو لغة أهل الحجاز[٥]، وأما من أدغم فإنه أسكن الحرف الأول للإدغام، فاجتمع ساكنان، فحرك بالفتح، ويجوز في اللغة التحريك بالكسر، فيقال: من يرتدِّ[٦].

قال أبو إسحاق: ويجوز في العربية في هذا الحرف ثلاثة أوجه «يرتدد» بدالين، و«يرتدَّ» بفتح الدال، و«يرتدِّ» بكسر الدال[٧].

(١) قراءة نافع وابن عامر، انظر: «الحجة» ٣/ ٢٣٢، «النشر» ٢/ ٢٥٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٢.

(٣) الفارسي في «الحجة للقراء السبعة».

(٤) في الحجة: «حجة من أظهرهما».

(٥) «الحجة» ٣/ ٢٣٢ ، ٢٣٣.

(٦) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٣٣.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٢.

قال أبو علي: وهذا لغة تميم، وإنما أدغموا لأنهم شبهوا حركة البناء بحركة الإعراب، وذلك أنهم قد اتفقوا على إدغام المعرب نحو: يرتد، فلما وجدوا ما ليس بمعرب مشابهاً للمعرب في تعاور الحركات عليه تعاورها على المعرب، جعلوه بمنزلة المعرب فأدغموه كما أدغموا المعرب بيانْ هذا أن المعرب يتحرك أيضاً بحركتين (الرفع والنصب)[١] نحو: يرتَدُّ ويرتَدَّ، فشبهوا حركة البناء بحركة الإعراب، وهذا يدل على صحة ما ذهب إليه سيبويه من تشبيه حركة الإعراب بحركة البناء في التخفيف، نحو: أشربْ غير مستحقبٍ[٢].

شبه ر بْ غَ[٣] بفخذ وعضد وسبع، فخفف كما يخفف الفخْذ والسبع، ألا ترى أن بني تميم شبهوا حركة البناء بحركة الإعراب في إدغامهم في الساكن المحرَّك بغير حركة إعراب، كذلك شبهوا حركة الإعراب بحركة البناء في نحو: أشربْ غير مستحقب ...[٤].

وقد جاء التنزيل بالأمرين فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥] وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣][٥].

---

(١) ليس في: (ج).

(٢) من قول امرىء القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

المستحقب: المتكسب، والواغل الداخل على القوم يشربون ولم يدع، يقول هذا حين أخذ بالثأر من قتلة أبيه يزعم أن الخمر حلت له فلا يأثم بشربها وقد نذر ألا يشرب حتى يأخذ بالثأر. انظر كتاب سيبويه ٤/ ٢٠٤، وحاشية «الحجة للقراء السبعة» ١/ ١١٧.

(٣) (ر ب غ) من قوله: (أشربْ غير) من الشاهد.

(٤) سبق قريبًا.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٣٣، ٢٣٤ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

فأما التفسير فقال الحسن: علم الله تعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه(١).

واختلفوا في ذلك القوم من هم: فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج: هم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومنكري الزكاة(٢).

قالت عائشة: مات رسول الله ﷺ، وارتدت العرب، واشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها(٣).

قال المفسرون: وذلك أن أهل الردة قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فلا نُغصَبُ أموالنا، فقال أبو بكر: لا أفرق بين ما جمع الله، قال الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. والله لو منعوني عقالاً مما أدوا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه(٤).

والمناظرة التي جرت بينه وبين عمر في هذا معروفة(٥).

قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة، وقالوا: أهل

---

(١) الأثر في الوسيط ٢/ ١٩٩، البغوي ٣/ ٦٩، «زاد المسير»٢/ ٣٨٠.
وأخرج الطبري ٦/ ٢٨٢-٢٨٣ من طرق عن الحسن أنه قال: نزلت في أبي بكر وأصحابه.

(٢) أخرج الآثار عنهم: الطبري ٦/ ٢٨٣-٢٨٤، وذكرهم البغوي ٣/ ١٦٩، وابن الجوزي في «زاد المسير»٢/ ٣٨١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥١٧.

(٣) ذكره البغوي ٣/ ٧١.

(٤) أخرج الأثر بنحوه البخاري (١٤٠٠) كتاب الزكاة / باب: وجوب الزكاة.
ومسلم (٢٠) كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.

(٥) جاء منصوصًا عليها في الأثر السابق في البخاري ومسلم.

القبلة . فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بُدّاً من الخروج على أثره[(١)].

وقال ابن مسعود: كرهنا ذلك، وحمدناه في الانتهاء ورأينا ذلك رشداً[(٢)].

وقال ابن عباس: فجاهدهم أبو بكر بالسيف[(٣)]، فإن قيل: إن قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول هذا الخطاب، وأبو بكر ممن كان في ذلك الوقت؟

قيل: إن من قاتل أبو بكر بهم[(٤)] أهل الردة لم يكونوا في ذلك الوقت.

قال قتادة: «بعث الله عصائب مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله، حتى سَبى وقتل وأحرق بالنار ناساً ارتدوا من الإسلام ومنعوا الزكاة»[(٥)].

وقال الكلبي: «أتى الله بخير من الذين ارتدوا فشدد بهم (الدين)[(٦)]، وهم أحياء من كندة وبجيلة خمسة ألاف[(٧)]، وألفان من النَخَع، وثلاثة آلاف من أفناء[(٨)] الناس»[(٩)].

---

(١) ذكره البغوي ٣/ ٦٩ وابن الجوزي «زاد المسير» ٢/ ٣٨١.
(٢) ذكره البغوي ٣/ ٧٠.
(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٣، ٤٤٤.
(٤) في (ج) بعد «بهم» زيادة: «هم»، وهذه الزيادة تقلب المعنى رأسًا على عقب.
(٥) أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٣.
(٦) في (ج): (الذين).
(٧) في النسختين: (ألف).
(٨) هكذا في النسختين بالنون، وفي البغوي ٣/ ٧١ بالياء (أفياء) وقد يكون أصوب جمع فئة تجوزًا، وإن كانت فئة تجمع على «فئون وفئات». انظر: «الصحاح» ١/ ٦٣ (فيأ).
(٩) ذكره البغوي ٣/ ٧١.

فهؤلاء قاتلوا أهل الردة بأمر أبي بكر، فحمدوا بطاعتهم له وانتهائهم إلى أمره، فليس يخرج أبو بكر عن أن يكون منهم، ثم الآية تتناول بعمومها كل من يكون منهم، ثم الآية تتناول بعمومها كل من يكون بعدهم إلى قيام الساعة، ممن يجاهد أهل الشرك والكفر والردة في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، بدأ بمحبته لأنها الجالبة والموجبة لمحبتهم، ولا يحب الله إلا من أحبه الله، ولولا محبة الله إياهم ما أحبوه، فهذا طريق في تفسير هذه الآية، وروي مرفوعاً أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية (أومأ)[١] إلى أبي موسى الأشعري فقال: «هم قوم هذا»[٢].

أخبرناه الأستاذ أبو إبراهيم إسماعيل بن أبي القاسم النصر اباذي، أخبرنا الإمام أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، حدثنا أبو عَمرو الحوضي، حدثنا شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال رسول الله ﷺ: **«هم قوم هذا»**. يعني أبا موسى الأشعري. أخرجه الحاكم في المستدرك[٣] عن ابن السماك، حدثنا عبد الملك بن محمد، حدثنا وهب بن جرير عن شعبة، وتفسير النبي ﷺ أولى بالاتباع، وإذا كان

---

(١) في (ج): (اومى).
قال ابن منظور: «وأومأ تومأ، ولا تقل: أوميت. الليث: الإيماء أن تومئ برأسك أو بيدك... »اللسان ١/ ٢٠١ (ومأ).

(٢) الطبري ١٠/ ٤١٥، وسيأتي تخريج الحديث.

(٣) ٢/ ٣١٣ وصححه على شرط مسلم، كما أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٤، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥١٨ إلى ابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

قد فسر الآية وبين أن المراد بالقوم المذكور فيها الأشعرية، فليست إلا الفرقة المعروفة بالأشعرية الذين ينتسبون في مذهبهم إلى أبي الحسن الأشعري[١].

وكان -رحمه الله- من صُلْبَيِهِ[٢] نسب أبي موسى، فإنه علي بن إسماعيل ابن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري[٣]، أتى الله به فجاهد أهل البدع الذين ارتدوا عن سنن الصحابة وسنة النبي ﷺ في المسائل المشهورة من أصول الدين التي لم يقع فيها خلاف زمن الصحابة كمسألة القدر[٤]، وخلق الأعمال[٥]، ورؤية الله تعالى في الجنة[٦]، وما أشبهها، فنصرها وأوضح أدلتها، ونفى الشبه وأبطلها، فكل من انتحل مذهبه فهو من جملة قومه الذين قال النبي ﷺ في إشارته إلى أبي موسى: «هم قوم هذا»[٧]، لأن قوم

(١) الجزم بذلك فيه نظر، فإن قوم أبي موسى لاينحصر في ذريته وأصل ذريته قبل نشأة أبي الحسن رحمه الله، والأشعرية فرقة خالفت أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة كالتأويل في الصفات وغير ذلك، على أن الأشاعرة لم يتابعوا الأشعري في جميع المسائل وإنما اشتهروا بالانتساب إليه!

(٢) هكذا في النسختين ، وقد جاءت مشكولة في: (ش)، وفيها إشكال.

(٣) هكذا نسبه الذهبي وأن مولده سنة ٢٦٠هـ وقيل٧٠هـ ،وقال عنه العلامة ،إمام المتكلمين، توفي سنة ٣٢٤هـ. كان على مذهب المعتزلة ثم رجع عنه ورد عليهم. وله مصنفات كثيرة.

انظر: «سير أعلام النبلاء»١٥/ ٨٥- ٩٠، والبداية والنهاية ١١/ ١٨٧.

(٤) انظر: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري ص ٢٢٧ - ٢٤٠.

(٥) انظر: «مقالات الإسلاميين» ص ١٩٥ ، ٢٣٨.

(٦) انظر: «مقالات الإسلاميين» ص ١٥٧ ، ٢١٧.

(٧) سبق تخريجه قريبًا.

الرجل أتباعه المقتدون به، لا أنسباؤه وأقاربه، ألا ترى أن في التنزيل كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به أتباعهم الذين آمنوا بهم، لا أنسباؤهم، كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قال ابن عباس: «تراهم للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته»(١).

وهذا كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال ابن الأعرابي فيما روى عنه أبو العباس(٢): معنى قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ رحماء رفيقين بالمؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ غلاظ شداد عليهم(٣).

وقال ابن الأنباري: أثنى الله تعالى على هؤلاء المؤمنين بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم، ويعنفون بالكافرين ويلقونهم بالغلظة والفظاظة، وقال أبو إسحاق في هذه الآية: الفاء في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ﴾ جواب الجزاء، أي إن ارتد أحد عن دينه الذي هو الإيمان فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين(٤).

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي جانبهم لين على المؤمنين، ليس أنهم أذلة مهانون(٥).

---

(١) في «بحر العلوم» ١/ ٤٤٤ نسبه لعلي بن أبي طالب، في البغوي ٣/ ٧٢ لكن نسبه لعطاء! ولم أقف عليه عن ابن عباس.

(٢) الظاهر أنه المبرد، محمد بن يزيد.

(٣) من «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٠ مادة (ذل).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٢، ١٨٣.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٣، والكلام متصل للزجاج.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: جانبهم غليظ على الكافرين[(١)]، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفار، ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله ﷻ أن صحيح الإيمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولسانه لومة لائم، ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتسديده وتوفيقه فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي محبتهم لله ﷻ ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين، تفضل من الله ﷻ عليهم، لا توفيق لهم إلا به[(٢)].

٥٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، اختلفت الروايات عن ابن عباس في نزول هذه الآية، فقال في رواية العوفي: إنها نازلة في قصة عبد الله بن أبيّ حين تولى اليهودَ، وعبادةَ بنِ الصامت حين تبرأ منهم وقال: أنا أبرأ إلى الله من حلف قريظة والنضير، وأتولى الله ورسوله والذين آمنوا[(٣)].

وقال جابر بن عبد الله: إن اليهود هجروا من أسلم منهم، لم يجالسوهم، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء[(٤)]، فعلى

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٣، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٨٢.

(٣) سبق تخريج سبب النزول عند تفسير الآية (٥١)، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٢.

(٤) أخرجه المؤلف في أسباب النزول.

وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٣٨٢.

هذا الآية عامة في جميع المؤمنين، فكل مؤمن ولي لكل مؤمن، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

والذي ذكر من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى آخر الآية صفة لكل مؤمن، وهو قول الحسن في هذه الآية والضحاك[١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

قال الزجاج: إقامتها: إتمامها بجميع فروضها، وأول فروضها صحة الإيمان بها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. [المائدة: ٥٥].

قال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ يعني صلاة التطوع بالليل والنهار[٣]، وعلى هذا إنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له[٤]، وقال بعض أهل المعاني: إنهم كانوا في وقت نزول الآية على هذه الصفة، منهم (من)[٥] قد أتم الصلاة، ومنهم من هو راكع في الصلاة[٦]، فهذا على قول من جعل الآية عامة في كل مؤمن، ومنهم من قال: الآية خاصة.

قال ابن عباس في رواية عكرمة: نزل قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

---

(١) نسبه الماوردي للحسن والسدي «النكت والعيون» ٢/ ٤٨، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨٤، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨٤.

(٥) ليست في (ج).

(٦) انظر «النكت والعيون» ٢/ ٤٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٨٤.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في أبي بكر ﵁»[(١)].

وقال في رواية عطاء: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يريد علي بن أبي طالب[(٢)].

وعلى هذا قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ قال عبد الله بن سلام[(٣)]: يا رسول الله: إنا رأينا علياً تصدق بخاتمه وهو راكع على محتاج، فنحن نتولاه[(٤)]، وقال أبو ذر: «أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل السائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم أُشهدك أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً. وعلي كان راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي ﷺ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «**اللهم إن أخي موسى سألك فقال:** ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥-٣٢] **فأنزلت فيه قرآناً ناطقاً:** ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ [القصص: ٣٥] **اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشدد به ظهري**»، قال أبو ذر:

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس من رواية عكرمة، لكن من رواية الكلبي، وهو متروك.
انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٧.
وقد نسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٨٣ لعكرمة.

(٢) وكذا هذا الأثر من رواية عطاء لم أقف عليه! لكن جاء من طرق أخرى كما في: «لباب النقول» ص ٩٣، «الدر المنثور» ٢/ ٥١٩-٥٢٠، وسيأتي الكلام على هذا الأثر عند آخر سياق المؤلف له.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٤) لم أقف عليه.

فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبريل فقال: يا محمد اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى آخرها[١].

وهذا قول مجاهد والسدي وعتبة بن أبي حكيم[٢] والكلبي.

قال الكلبي: أذن بلال فخرج رسول الله ﷺ والناس بين ساجد وراكع، فإذا هو بسائل يطوف ومعه خاتم، فقال: «من أعطاك هذا» فأشار إلى علي وهو راكع، فنزلت هذه الآية، فلما قرأها رسول الله ﷺ قالوا: كلنا يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، فلما قرأ: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ علموا أنه خاص لعلي[٣].

وقال أهل العلم في هذه الآية: إنها تدل على أن العمل القليل لا يقطع الصلاة، وأن دفع الزكاة إلى السائل في الصلاة جائز مع نية الزكاة، ونية الزكاة لا تنافي الصلاة[٤].

---

(١) لم أقف عليه، حتى المؤلف لم يذكره في أسباب النزول وفيه غرابة.

(٢) الآثار عن مجاهد والسدي وعتبة أخرجها الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) أخرجه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٠.
وانظر: «بحر العلوم» للسمرقندي ١/ ٤٤٥.
وهذا الأثر في سبب نزول الآية جاء بأسانيد ضعيفة بل بعضها واه كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق هذا الأثر:
وهذا إسناد لا يفرح به؛ لأنه من رواية الكلبي ثم رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ نفسه، وعمار بن ياسر، وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها وجهالة رجالها «تفسير ابن كثير» ٢/ ٨١.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: وأما قوله: ﴿وهم راكعون﴾ فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي في حال ركوعهم، ولو كان كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوح، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء مما نعلمه من أئمة الفتوى... «تفسير ابن كثير» ٢/ ٨١.

وقال المفسرون: هذا وإن كان نزوله وافق عليًّا، فإنه عام في كل مؤمن، كما روى هشام، عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي[(١)] عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من هم؟ قال: هم المؤمنون. قلت: فإن ناساً يقولون: هو علي. قال: فعليٌّ من الذين آمنوا[(٢)].

٥٦- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

معناه: من يتول القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين.

قال ابن عباس: «يريد المهاجرين والأنصار والذين آمنوا من بعدهم»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، جملة واقعة موقع خبر المبتدأ، والعائد إلى الابتداء معناها، لأن المعنى: فهو غالب، وفيها جواب للشرط ولذلك دخلت الفاء[(٤)]، ومعنى الحزب في اللغة: أصحاب الرجل الذين معه على رأيه، فالمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان[(٥)]، وقال الفراء: الحزب: الصنف من الناس[(٦)].

وقال ابن الأعرابي: الحزب: الجماعة[(٧)]، هذا قول أهل اللغة في

---

(١) زين العابدين، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.
(٢) أخرجه الطبري ٦/ ٢٨٨، وذكره ابن كثير ٢/ ٨١.
(٣) انظر: «الوسيط»٢/ ٢٠٢، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٣، «زاد المسير»٢/ ٣٨٣.
(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٠٦.
(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٠٠ (حزب) ونسبه لليث، انظر: «الصحاح» ١/ ١٠٩ (حزب).
(٦) من «تهذيب اللغة» نقلًا عن الفراء ١/ ٨٠١ (حزب).
(٧) «تهذيب اللغة» عنه ١/ ٨٠١ (حزب).

معنى الحزب، وقال الحسن: ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ جند الله[١]، وقال غيره: أنصار الله[٢]، وقال أبو روق: «أولياء الله»[٣]، وقال أبو العالية: «شيعته»[٤]، وقال الأخفش: حزب الله الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم[٥].

وقال الكلبي في قوله: ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ «فقتلوا اليهود وأجلوهم من ديارهم، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله والذين آمنوا»[٦].

٥٧- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، قال ابن عباس: «كان رجال من اليهود آمنوا ثم نافقوا، وكان ناس من المسلمين يوادونهم، فأنزل الله هذه الآية»[٧]، فعلى هذا معنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم: إظهارهم ذلك باللسان، واستبطانهم الكفر، كما وصف المنافقون بمثل هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

ويجوز أن يكون استهزاؤهم من غير هذا الوجه، وهو تكذيبهم واستخفافهم به كاستهزاء الكفار، وهذا فيمن لم يظهر الإيمان باللسان، ذكرنا معنى الهزء عند قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧]، والمراد

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٠٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٨٤.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٣، «زاد المسير» ٢/ ٣٨٤.

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٠٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ليس في «معاني القرآن»، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٥.

(٦) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٠٢.

(٧) أخرجه بمعناه الطبري ٦/ ٢٩٠، وابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ. انظر: تفسير «الدر المنثور» ٢/ ٥٢١.

بالمصدر ههنا: المفعول، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾، قرىء جراً ونصباً، فمن جر فلأن لغة التنزيل الحمل على أقرب العاملين، وقد بينا ذلك، فحمل على عامل الجر من حيث كان أقرب من عامل النصب[١]، فهذا من طريق الإعراب.

وأما من طريق المعنى فإن من جر (الكفار) عطفه[٢] على الصلة، وحَسُنَ ذلك، لأن فرق الكفار الثلاث: المشرك، والمنافق، والكتابي الذي لم يسلم، قد كان منهم الهزء جميعاً، فساغ لذلك أن يكون الكفار تفسيراً للموصول وموضحاً له، والدليل[٣] على استهزاء المشركين قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦]. وذكرنا استهزاء المنافقين[٤]، والدليل على استهزاء الكتابي الذي لم يسلم هذه الآية، ولو فسر الموصول بالكفار لعم الفرق الثلاث، لأن اسم الكفر يشملهم بدليل قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ١١]، ولكن (الكفار)[٥] كأنه على المشركين أغلب، فلذلك فصل ذكر الكتابي من الكافر.

وحجة هذه القراءة من التنزيل قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٣٤. ونسب القراءة لأبي عمرو والكسائي.

(٢) في (ج): (وعطفه).

(٣) في الحجة: «فالدليل».

(٤) تقدم قريبًا عند الكلام على أول تفسير الآية هذه، واستدلال المؤلف بآية البقرة. وقد ساقها في الحجة.

(٥) أي إطلاق لفظ «الكفار».

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٠٥] اتفقوا على جر (المشركين) عطفاً على أهل الكتاب، ولم يعطف على العامل الرافع، إن جاز ذلك[١].

وأما من نصب فحجته قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران: ٢٨] فكما وقع النهي عن اتخاذ الكفار في هذه الآية كذلك ههنا عطف الكفار على معمول الاتخاذ، فكأنه قال: لا تتخذوا الكفار أولياء[٢]، والمراد بالكفار كل كافر من غير أهل الكتاب، قال عطاء: «هم كفار مكة وغيرهم»[٣]، وقال الحسن: «هم مشركو العرب»[٤].

فالقول الأول عموم، وقول الحسن يدل على أن مشركي العرب هم المقصود بالكلام خصوصاً[٥]، ولكن يدخل غيرهم في حكمهم بما صحب الكلام من الدليل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، أي إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده فاتقوا الله، ولا تتخذوا منهم أولياء. هذا قول ابن عباس فيما روى عنه عطاء[٦]، قال في قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إذ يأمر الله سبحانه أولياءه وأهل طاعته بتركهم[٧]، وقال أهل المعاني: المعنى

---

(١) من «الحجة» ٣/ ٢٣٤- ٢٣٦ بتصرف- ولا يزال ينقل منه في الكلام على قراءة النصب الآتية.

(٢) من الحجة ٣/ ٢٣٦ بتصرف يسير.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) اختار الطبري أنهم المشركون من عبدة الأوثان، واحتج بقراءة لابن مسعود ﷺ. انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩١.

(٦) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٥، «زاد المسير» ٢/ ٣٨٥.

(٧) لم أقف على الأثر عن ابن عباس.

فيه أن من كان مؤمناً غضب لإيمانه على من طعن فيه، وكافأه بما يستحقه من المقت له(١).

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾.

أي: دعوتم الناس إليها بالأذان(٢).

والنداء: الدعاء برفع الصوت، وندى الصوت: بعد مذهبه(٣)، ومنه قوله ﷺ لصاحب الرؤيا بالأذان: «**ألقها على بلال، فإنه أندى صوتاً منك**»(٤).

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، ذكر أهل المعاني فيه قولين: أحدهما: أنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون، تجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها(٥).

وهذا معنى قول الكلبي قال: كان إذا نادي منادي رسول الله ﷺ إلى الصلاة وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، فإذا رأوهم سجدوا أو ركعوا استهزؤوا وضحكوا منهم(٦).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩١.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩١ ، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٥.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٣٨ (ندأ).

(٤) هذا الحديث في كيفية الأذان ورؤيا عبد الله بن زيد ﷺ في ذلك. أخرجه ، وأبو داود (٤٩٩) كتاب الصلاة، باب: كيف الأذان، والترمذي (١٨٩)، كتاب: الصلاة، باب: بدء الأذان، وابن ماجه (٧٠٦) كتاب: الأذان، باب: بدء الأذان، وأحمد في «مسنده» ٤/ ٤٣.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩١، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٦.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٤، «زاد المسير»٢/ ٣٨٥، ٣٨٦، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» إلى البيهقي في الدلائل من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ،هي طريق واهية «الدر المنثور» ٢/ ٥٢١.

القول الثاني: أنهم كانوا يرون المنادي إليها بمنزلة اللاعب الهازي الكاذب، جهلاً عنهم بها.

وهذا معنى قول السدي في هذه الآية: «أن رجلاً من النصارى بالمدينة كلما سمع المؤذن يقول: أشهد أنْ محمداً رسول الله. يقول: حُرِّق الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة، فتطايرت منها شرارة في البيت، فاحترق هو وأهله[(١)].

وقوله تعالى: ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ مصدران يراد بهما المفعول.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] أي: لا يعقلون ما لهم في إجابتهم لو[(٢)] أجابوا إليها، وما عليهم في استهزائهم بها[(٣)]، وقيل: إنهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه من القبائح، ويردعه عن الفواحش، وقال الكلبي: لا يعقلون أمر الله[(٤)].

٥٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ الآية. قال ابن عباس: «إن نفراً من اليهود أتوا رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: «أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [١٣٦ البقرة] فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم،

---

(١) أخرجه الطبري ٦/ ٢٩١، وعزاه السيوطي أيضًا إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ. «الدر المنثور» ٢/ ٥٢١. وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٤، «زاد المسير»٢/ ٣٨٦، «تفسير ابن كثير» ٢/ ٨٢.

(٢) في (ج): (ولو).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩١، «زاد المسير»٢/ ٣٨٦.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٨.

ولا ديناً شرًّا من دينكم ،فأنزل الله هذه الآية وما بعدها»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ يقال: نَقَمتُ على الرجل أَنْقِمُ ونَقِمْتُ عليه أَنْقَمُ، والأجود فتح الماضي، وهو الأكثر في القراءة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البروج: ٨].

ومعنى نقَمت: بالغت في كراهة الشيء[(٢)]، فمعنى (تنقمون) أي: تكرهون وتنكرون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]، فقال كيف ينقم اليهود على المسلمين فسق أكثرهم.

قال أبو إسحاق: المعنى: هل تكرهون إلا إيماننا وفسقكم، أي إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أنا على حق؛ لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة وكسبكم بها الأموال[(٣)].

وهذا معنى قول الحسن: لفسقكم نقمتم علينا ذلك[(٤)].

قال صاحب النظم[(٥)]: فعلى هذا يجب أن يكون موضع «أنّ» في قوله: (وأن أكثركم) نصباً بإضمار اللام، على تأويل: ولأن أكثركم

---

(١) أخرجه الطبري ٦/ ٢٩٢ بنحوه ، وعزاه السيوطي أيضًا إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ كما في «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٢.
وذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٠٣.

(٢) هذا الكلام من أوله للزجاج في: «معاني القرآن» ٢/ ١٨٦، ونقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٤ (نقم).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٦ ، ١٨٧ ، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥ ، «زاد المسير»٢/ ٣٨٧.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨٧.

(٥) أبو علي الجرجاني تقدمت ترجمته.

فاسقون، أي: تنقمون منا ذلك لأن أكثركم فاسقون. والواو زائدة[١] كما زيدت في غيرها من المواضع[٢].

وقال غيره: إنما نقموا على المسلمين فسقهم؛ لأنهم لم يتابعوهم عليه.

وقال بعضهم: لما ذكر ما نقم اليهود عليهم من الإيمان بجميع الرسل، وليس هو مما يُنقم، ذكر في مقابلته فسقهم وهو مما يُنقم، ومثل هذا حسن في الازدواج، يقول القائل: هل تنقم مني إلا أني عفيف وأنك فاجر، وإلا أني غني وأنت فقير، فحسن ذلك لإتمام المعنى بالمقابلة.

ومعنى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسداً على منزلة النبوة[٣].

والمراد بالأكثر: من لم يؤمن منهم؛ لأن قليلاً من أهل الكتاب آمن.

وذكر أبو علي الجرجاني قولاً آخر في قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ قال: تجعله منظوماً بقوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ على تأويل: آمنا بالله وبأن أكثركم فاسقون، فيكون موضع (أن) خفضاً بالياء.

٦٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾، هذا جواب لليهود حين قالوا: ما نعرف ديناً شراً من دينكم. كما حكينا[٤]، يقول الله تعالى لنبيه قل لليهود: هل أخبركم بشر مما نقمتم من إيماننا ثواباً، أي:

---

(١) في (ج): (والوا زائدة).

(٢) تقدم أن بعض المحققين كالحافظ ابن كثير رحمه الله نبهوا على خطأ مثل هذا التعبير، فلا ينبغي أن يقال: إن في القرآن زائدًا.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٧.

(٤) في سبب نزول الآية السابقة.

جزاءً[1]، وقيل: شر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين[2]، و(مثوبةً) نصب على التمييز[3]، ووزنها: مفعولة، كقولك: مَقُولة، ومَجُورة[4]، وهي بمعنى المصدر، وقد جاءت مصادر على مفعول، كالمعقول والميسور. وقيل: هي مَفْعُلة مثل: مَكْرُمة.

مضى الكلام في المثوبة في غير هذا الموضع[5]، وقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾، (من) يجوز أن يكونْ في موضع خفض بدلاً من (شر) والمعنى: أنبئكم بمن لعنه الله.

ويجوز أن يكون رفعاً بالاستئناف. قاله الفراء[6]، وقال الزجاج: من رفع رفع بإضمار «هو» كأن قائلاً قال: من ذلك؟ فقيل: هو من لعنة الله، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] كأنه قال: هو النار[7].

وقال الفراء: لو نصبت (من) بوقوع الإنباء عليه، كما تقول: أنبأتك خبراً، وأنبأتك زيداً قائماً، جاز، والوجه الخفض[8].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾، قال المفسرون: يعني بـ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٧، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩٢، «إعراب القرآن للنحاس» ١/ ٥٠٧.

(٥) يحتمل عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ (١٠٣) سورة البقرة.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٣١٤، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٧.

(٧) «معاني القرآن» وإعرابه» ٢/ ١٨٧.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣١٤.

(القِردة) أصحاب السبت وبـ(الخنازير) كفار مائدة عيسى[١]، وروى الوالبي عن ابن عباس أن المسخين من أصحاب السبت؛ لأن شبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾، قال الفراء: تأويله وجعل منهم القردة ومَن عبد الطاغوت[٣]، فعلى هذا الموصول محذوف، وذلك لا يجوز عند البصريين، وقال الزجاج: (عَبَدَ) نسق على (لعنه الله)، المعنى: منْ لعنه الله وعبد الطاغوت[٤].

قال ابن الأنباري: وتأخره بعد القردة والخنازير لا يُزيله عن معناه المعروف له، والعرب تقول: قد جعل منكم زيدٌ من بنى[٥] الدور، واتخذ الأموال والعقار، وعَلِمَ فنون العلم، فيردون «علم» على الفعل الملاصق لِمَنْ وإن تطاول الكلام.

وقال أبو علي: قوله (عبد الطاغوت) عطف على مثال الماضي الذي في الصلة وهو قوله: (لعنه الله وغضب عليه)، وأفرد الضمير في (عَبَدَ) وإن كان المعنى على الكثرة؛ لأن الكلام محمول على لفظ (مَنْ) دون معناه[٦]، قال ابن عباس في قوله: (وعبد الطاغوت): «يريد كفرهم بالله، وطاعنهم للشيطان، وهو الطاغوت»[٧]، قال الزجاج: تأويل (عبد الطاغوت) أطاعة

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥، «زاد المسير»٢/ ٣٨٧.

(٢) «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٨٧.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣١٤.

(٤) «معاني القرآن» وإعرابه» ٢/ ١٨٩.

(٥) في (ج)، (ش): (بنا).

(٦) الحجة ٣/ ٢٣٨.

(٧) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥.

فيما سول له وأغواه (به)[١]. فلما أطاعوه طاعة المعبود جُعِلَ ذلك عبادة[٢]، وقرأ حمزة (وعَبُدَ) بضم الباء (الطاغوتِ) بالكسر[٣].

قال الفراء: وكان أصحاب عبد الله يقرأون: (وعَبُدَ الطاغوتِ) على (فَعَل) ويضيفونها إلي الطاغوت، ويفسرونها: خدم الطاغوت[٤].

قال الزجاج: وهذه القراءة ليس بالوجه، لأن (عَبُدَ) على: فَعُلَ، وليس هذا من أمثلة الجمع[٥]، وقال أبو بكر: عَبُدَ معناه عَبْدٌ، فضمت الباء للمبالغة، كقولهم للفَطِن فَطُنٌ، وللحَذِر: حَذُرٌ. يضمون العين للمبالغة.

قال أوس بن حُجْر:

أبني لُبَينَى إنَّ أُمَّكُمُ أَمةٌ وإن أباكُمُ عَبُدُ[٦]

أراد عبداً فضم الباء[٧]، قال الفراء: وذلك إنما يجوز في ضرورة الشعر، فأما في القراءة فلا[٨].

وقال نُصيَر الرازي[٩]: عَبُدَ وهم ممن قرأه، ولسنا نعرف ذلك في العربية[١٠]، قال أبو إسحاق: ووجه قراءة حمزة: أن الاسم على: فَعُلَ،

---

(١) ليس في (ش).

(٢) «معاني القرآن» وإعرابه» ٢/ ١٨٧.

(٣) الحجة ٣/ ٢٣٦، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٧.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣١٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٧ ، ١٨٨.

(٦) البيت في: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١٥، و«تفسير الطبري» ٦/ ٢٩٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٠٢ (عبد)، «اللسان» ٥/ ٢٧٧٨ (عبد).

(٧) «الزاهر» لأبي بكر بن الأنباري ١/ ٣٧٤ ، انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٨٨.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٣١٥.

(٩) لم أقف على ترجمة له.

(١٠) من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٠٢ (عبد).

كما تقول: رجل حَذُر، وتأويله أنه مبالغ في الحذر، فتأويل: (عَبُدَ) أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكأن اللفظ لفظ واحد يدل على الجميع، كما تقول للقوم: منكم عَبُدُ العصا، تريد عَبِيدُ العصا(١).

وتتبع أبو علي هذا القول فشرحه وزاده بيانًا فقال: حجة حمزة أنه يحمله على ما عمل فيه جعل، كأنه: وجعل منهم عَبُدَ الطاغوت، وليس عَبُدَ لفظ جمع؛ لأنه ليس في أبنية الجموع شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد، ومعناه الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ﴾ [النحل: ١٨] كذلك قوله: (وعبُدَ الطاغوت) جاء على: فَعُلَ، لأن هذا البناء يراد به المبالغة نحو: يَقُظ ونَدُس، فكأن تأويله أنه قد ذهب في عبادة الطاغوت والتذلل له كل مذهب، وجاء هذا البناء في (عبُدَ) لأنه في الأصل صفة وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء، وذلك لا يزيل عنه كونه صفة، كالأبرق والأبطح، فإنهما استعملا استعمال الأسماء حتى جمعا جمعها وهو: الأبارق والأباطح، كالأجادل في جمع الأجدل، ونحوه، ثم لم يُزِل عنه ذلك حكم الصفة، يدلك على ذلك تركهم لصرفه كتركهم صرف«أحمر»، إذ لم يخرج «العبد» عن أن يكون صفة لم يمتنع أن يُبنى بناء الصفات على: فَعُل، نحو: لَقُظ(٢)(٣).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، أي: أهل هذه الصفة(٤).

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٨.

(٢) هكذا في (ج) و(ش)، وفي الحجة: «يقظ».

(٣) الحجة ٣/ ٢٣٦ - ٢٣٨ بتصرف.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩٠، «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٩.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من المؤمنين[(١)]. قال ابن عباس: «لأن مكانهم سقر»[(٢)].
ولا شر في مكان المؤمنين حتى يقال: اليهود شر مكانًا منهم، ولكن هذا على الإنصاف في الخطاب، والمظاهرة في الحجاج، كأنه مبني على كلام الخصم، وكذلك قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً﴾ لأنهم قالوا: لا نعرف أهل دين شرًا منكم، فقيل لهم: شر منهم من كان بهذه الصفة، ومن كان بهذه الصفة فهو شر مكانًا ممن جعلتموهم شرًّا، ووصفتموهم به[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة ٦٠] قال الزجاج: أي: عن قصد السبيل[(٤)]. وقال ابن عباس: «يعني دين الحنيفية»[(٥)] .قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون أهل الكتاب وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير، فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا .

٦١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الآية، قال الكلبي: «يعني اليهود، يقولون: صدقنا أنك رسول الله إذا دخلوا عليه، وهم يسرون الكفر»[(٦)].

وقال ابن زيد: هؤلاء هم الذين قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢][(٧)]، ومعنى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٠.
(٢) انظر: «تفسير الوسيط»٢/ ٢٠٥.
(٣) انظر: «تفسير الوسيط»٢/ ٢٠٥ ، «زاد المسير»٢/ ٣٩٠.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٩.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ذكره في «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٥ ، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٨.
(٧) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥.

و﴿خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كلتي حاليهم[(١)]، وهذا كما تقول: خرج زيد بثيابه، أي: وثيابه عليه، وركب البعير بسيفه، أي: وسيفه معه، وكما أنشده الأصمعي:

ومُستنةٍ كاستِنَانِ الخروف قد قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ[(٢)]

أي: قد قطع الحبل ومروده فيه، وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ: ﴿تُنْبِتُ[(٣)] بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي تنبت ما تنبته والدهن فيه. وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية[(٤)]، والجار في موضع نصب على الحال في هذا التقدير، أي يدخلون ويخرجون والكفر في قلوبهم[(٥)]، ومعنى قد في قلوبهم: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾ تقريب الماضي من الحال، يريد أنهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ أكد الكلام بالضمير تعيينًا إياهم بالكفر، وتمييزًا لهم عن غيرهم بهذه الصفة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١]، أي: من نفاقهم إذا أظهروا[(٧)] بألسنتهم خلاف ما أضمروا في قلوبهم، فبين

---

(١) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥، «زاد المسير» ٢/ ٣٩١.

(٢) البيت لرجل من بني الحارِث، وهو في الكامل للمبرد ٢/ ١٣٥، و«المحتسب» ٢/ ٨٨، و«اللسان» ٢/ ١١٤٠ (خرف) وفيه: "وقوله: مستنة يعني طعنة فاردمها باستنان. والاستنان والسن: المر على وجهه، يريد أن دمها مر على وجهه كما يمي المُهرُ الأرِن". والمرود: "حديدة توتد في الأرض يشد بها حبل الدابة، كما في حاشية الكامل.

(٣) بضم التاء (تُنبِتُ) قراءة ابن كثير وأبي عمرو، انظر: «حجة القراءات» ص ٤٨٤.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٠٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٢/ ٣٣٣، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٧.

(٧) في (ج): (أظهروه).

أمرهم[١]. قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، قال الكلبي: لم يكن كلهم يفعل ذلك، كان بعضهم يسارع في ذلك، وبعضهم يستحي فيكف[٢]، ومعنى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾ يبادرون إليه كالمبادرة إلى الحق، قال أهل المعاني: أكثر ما تستعمل المسارعة في الخير، كقوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقوله: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥٦]، وفائدة لفظ المسارعة ههنا وإن كان لفظ العجلة أدل على الذم أنهم يعملونه[٣] كأنهم محقون فيه، وقال ابن عباس في تفسيره: يجترفون على الخطأ[٤]، وجمع بين الإثم والعدوان؛ لأن الإثم الجرم كائنًا ما كان، والعدوان الظلم والتعدي على الناس بما لا يحل[٥]، وذكرنا معنى أكل السحت[٦].

٦٣- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾، معنى لولا ههنا التحضيض والتوبيخ، وهو بمعنى: هلا[٧]، ومضى الكلام في الربانيين عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٥٦]، والكلام في الأحبار قد ذكرناه[٨] في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ [التوبة:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩٦.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) في (ج): (يعلمونه).
(٤) نسبه محقق «تفسير الوسيط»٢/ ٢٠٥ إلى تفسير ابن عباس ص ٩٧.
(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٩١.
(٦) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (٤٢) من هذه السورة.
(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩١.
(٨) في (ج): (ذكرنا) دون هاء الضمير.

٣١][(١)، قال الحسن: الربانيون: علماء أهل الإنجيل، والأحبار: علماء أهل التوراة(٢)، وقال غيره: كله في اليهود؛ لأنه متصل بذكرهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، قال العلماء وأصحاب المعاني: أنزل الله العلماء بترك النكير على سفلتهم فيما صنعوا منزلتهم، لأنه ذم أولئك بقوله: ﴿ولبئس ما كانوا يعملون﴾ وذم هؤلاء بمثل تلك اللفظة، فالآية تدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه(٤)، والفرق بين الصنع والعمل من حيث اللغة أن الصنع بالجودة، يقال: سيف صنيع، إذا جود عمله، وصنع الله لفلان: أي أحسن، وفلان صنعة فلان، إذا استخلصه وأحسن إليه(٥).

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد الإمساك عن الرزق»(٦)، وقال في رواية الوالبي: «ليسوا يعنون بذلك أن يده موثقة، ولكن يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده»(٧).

---

(١) قد يكون هذا سبقًا أو وهمًا، لأن هذه الآية متأخرة ولأن المؤلف رحمه الله تكلم عن الأحبار بالتفصيل عند قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ الآية ٤٤ من هذه السورة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٦.

(٣) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٥.

(٤) قال الطبري رحمه الله: «وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها» ثم ساق ما يؤيد ذلك بسنده عن ابن عباس والضحاك، «تفسير الطبري» ٦/ ٢٩٨، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٧، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٤.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٦٦ (صنع).

(٦) «زاد المسير» ٢/ ٣٩٢، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٥.

(٧) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٠١، وعزاه في «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٥ أيضًا إلى ابن أبي حاتم.

قال المفسرون: إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالًا وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في محمد وكذبوا به، كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة، فعند ذلك قالت اليهود: يد الله مغلولة، أي مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل، وهذا قول الضحاك وعكرمة وقتادة والكلبي[1] واختيار الفراء والزجاج وابن الأنباري.

قال الفراء: أرادوا ممسكة عن الإنفاق، والإسباغ علينا[2].

وقال الزجاج: أخبر الله ﷻ بعظيم فريتهم فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أي: يده ممسكة عن الإسباغ علينا، كما قال الله جل وعز: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء ٢٩]، تأويله: لا تمسكها عن الإنفاق[3].

وقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، أي جعلوا بخلاء وألزموا البخل، فهم أبخل قوم، فلا يُلقى يهودي أبدًا غير لئيم راضع بخيل. وهذا قول الزجاج[4] وابن الأنباري، قال أبو بكر: وهذا خبر أخبر الله تعالى به ودل على أن هذين الأمرين وهما الغل واللعن قد نزلا بهم، والتقدير: فغلت أيديهم، أو وغلت أيديهم، فأضمر حرف العطف لأن كلامهم تم، وكان هذا كلامًا مستأنفًا يشبه أول الفصول، والعرب تحذف حروف العطف من رؤوس الآيات ومواضع الفصول نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ﴾ [البقرة: ٦٧] أراد: فقالوا، فأضمر

---

(١) «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٧، «النكت والعيون» ٢/ ٥١، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٩١، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٥.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣١٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٨٩.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٠.

الفاء، وقد ذكرنا مثل هذا فيما تقدم.

وقال الحسن: «غلت أيديهم في نار جهنم على الحقيقة»[١] أي شدت إلى أعناقهم، وتأويله أنهم جوزوا على هذا القول بأن غلت أيديهم في جهنم، قال أبو بكر: ويجوز أن يكون قوله: (غلت أيديهم) دعاءً عليهم، معناه من الله تعالى التعليم لنا، فكأنه عز[٢] ذكره وقفنا على الدعاء عليهم، كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع حين قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧] فجرى الدعاء من الله مجرى الاستثناء منه، وكلاهما توقيف وتأديب، كما علمنا الدعاء على أبي لهب بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وقد علا وعز أن يكون فوقه مدعو.

وقوله تعالى: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾، قال الحسن: عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار[٣].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، حكى الزجاج عن بعض أهل اللغة أن هذا جواب لليهود، أجيبوا على قدر كلامهم فقيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي هو جواد ينفق كيف يشاء. انتهى كلامه[٤]، وفي هذا يحتاج إلى شرح وإيضاح، اعلم أن اليد تذكر في اللغة على خمسة أوجه: الجارحة، والنعمة، والقوة، والمِلك، وتحقيق إضافة الفعل[٥]، تقول:

---

(١) «النكت والعيون» ٢/ ٥١، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٦، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٢، وتفسير الحسن البصري ١/ ٣٣٣.

(٢) في (ج): (عن).

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥١، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٦، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٠.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٧٥ (يدي).

لفلان عندي يد أشكره عليها، أي نعمة، قال عدي بن زيد[١]:

ولن أذكُرَ النعمانَ إلا بصالحٍ   فإن لهُ عِندي يَدِيًّا وأنعُما[٢]

جمع يدًا على: يديٍّ، كالكلِيْبِ والعبيد. فقوله: (يَدِيًّا وأنعُمًا) اليدي هي الأنعم في المعنى، وحسن التكرير لاختلاف اللفظين، كقوله:

أقوى وأقْفَرَ بعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ[٣]

ويستعمل اليد للقوة[٤] وتُعنَى بها، قال الله تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥] فسروه: ذوي القوى والعقول[٥]، وعلى هذا ما أنشده الأصمعي للغنوي:

اعمِد لما تعلُو فما لَكَ بالذي   لا تستطيعُ من الأمورِ يَدَانِ[٦]

يريد ليس لك به قوة، ألا ترى أنه لا مذهب للجارحة ولا للنعمة هنا، وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم: (لا يدينِ بها لك)، ومعنى هذه التثنية: المبالغة في نفي الاقتدار والقوة على الشيء، وليس المراد بالتثنية الاثنين الناقص عن الثلاثة، إنما هو الكثرة، ويستعمل بمعنى الملك،

---

(١) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: أبو زيد، فإن البيت في النوادر لأبي زيد ص ٥٣ منسوبًا لضمرة النهشلي كما سيأتي في عزوه.

(٢) البيت في «النوادر في اللغة» لأبي زيد ص ٥٣ نسبه لضمرة بن ضمرة النهشلي. وأفاد منه في «المسائل الحلبيات» ص ٣٠، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٤٠، و«اللسان» ٣/ ١٨٧٤ (زنم).

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) انظر: «المسائل الحلبيات» ص ٢٧- ٩٧.

(٥) «النكت والعيون» ٢/ ٥١.

(٦) البيت في «الأضداد» للأصمعي (ثلاثة كتب في «الأضداد» ص ٧)، و«المسائل الحلبيات» ص ٢٨.

يقال: هذه الضيعة في يد فلان، أي في ملكه[١]، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ويستعمل بمعنى التولي للشيء وتحقيق إضافة الفعل، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ﴾ [ص: ٧٥] أي لما توليت خلقه[٢] تخصيصًا لآدم وتشريفًا بهذا، وإن كان جميع المخلوقات هو خالقها لا غير، ويقال: يدي لك رهن بالوفاء، إذا ضمنت له شيئًا[٣]، وكأن معنى هذا اجتهادي وطاقتي، ويستعمل أيضًا حيث يراد النصرة، وذلك فيما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**وهم يد على من سواهم**»[٤] أي نصرتهم واحدة وكلمتهم مجتمعة على من شق عصاهم[٥].

وكذلك قوله ﷺ: «**أنا وبنو**[٦] **المطلب يدٌ واحدةٌ، لم نفترق في جاهلية ولا إسلام**»[٧] كأنه أهل نصرة واحدة وكلمة واحدة، وقال أحمد بن يحيى: اليد الجماعة، ومنه الحديث: «**وهم يد عَلَى مَنْ سواهم**»[٨]، وتستعمل اليد

---

(١) انظر: «المسائل الحلبيات» ص ٢٩.

(٢) هنا تعسف ظاهر، والتثنية لليدين تدل على إثبات صفة اليد لله ﷻ، بل تؤكد ذلك!

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٥ (يدي).

(٤) أخرجه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ الإمام أحمد في مسنده ١/ ١٢٢، وأبو داود (٤٥٣٠) كتاب: الديات، باب: أيقاد المسلم بالكافر؟.
وأخرجه ابن ماجه (٢٦٨٣) كتاب: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم من حديث ابن عباس ومعقل بن يسار ﷺ.

(٥) انظر: «المسائل الحلبيات» ص ٣٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٧ (يدي).

(٦) في (ج): (بني).

(٧) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٨١ من حديث جبير بن مطعم، والنسائي ٧/ ١٣٠-١٣١ كتاب قسم الفيء.

(٨) تقدم تخريجه قريبًا.

للشيء الذي لا يد له تشبيهًا بمن له اليد، قال ابن الأعرابي: يد الدهر: الدهر كله، يقال: لا آتيه يد الدهر، ويد المسند، وكقول ذي الرمة:

أَلاَ طَرَقَتْ ميٌّ هَيُومًا بِذكرِها وأيدي الثُّريا جُنَّحٌ في المَغَارِبِ(١)

فقوله: «أيدي الثُّريا» استعارة واتساع، وذلك أن اليد إذا مالتَ نحو الشيء ودنت إليه، دلل على قربها منه، ودَنوِّها نحوه، وإنما أراد قرب الثريا من المغرب لأفولها، فجعل له يدِيًّا جُنَّحًا نحوها، وأصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صُعَير(٢) في قوله:

أَلقت ذُكَاءُ يمِينَهَا في كافِرِ(٣)

فجعل للشمس يدًا في المغيب لما أراد أن يصفها بالغروب. ثم للبيد في قوله: حتى إذا ألقت يدًا في كافر

يعني الشمس بدأت في المغيب، واعلم أن يدًا وزنها: (فَعْلٌ)، يدل على ذلك قولهم: أَيْدٍ، وجمعهم على أفعُل يدل على أنه: (فَعْلٌ)، لأنه أفْعُلًا جمع فَعْل المختص(٤) به كأَفلُس وأكلُب، كما دل آباء وآخاء على وزن: أخٍ وأبٍ فَعَلٌ لجمعهم لهما على: أفعال، نحو: أجبال وأجمال، وأفعال جمع فَعَل في الأمر الشائع وإن كان قد جاء نادرًا في جمع فَعْل، نحو: زيد وأزياد، وأنف وآناف، والدال التي هي عين الفعل في يد وإن

(١) «ديوانه» ص ٥٥.

(٢) ثعلبة بن صُعَير بن خزاعي المازني المري، شاعر جاهلي من شعراء المفضليات، «الأعلام» ٢/ ٩٩.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ج): (المختصر).

كانت متحركة بالكسر فأصلها الضم، كما أنها في أكلب وأكعُب[(١)] كذلك (.......)[(٢)] حركت بالضم لانقلبت الياء التي هي لام الفعل واوًا لانضمام ما قبلها، فأبدل من الضمة كسرة، فقالوا: حقوٍ وأحقٍ، وظبي وأضبٍ، وجِرْوٍ وأجر، والياء التي هي لام تحذف لالتقاء الساكنين هي والتنوين، واللام من يَديًا، يدل على ذلك قولهم: يديت إليه يدًا وأيديت. قال بعض بني أسد:

يديت على حُسحَاس بن وَهْبِ[(٣)]

فيد في الأصل يَدْيٌ[(٤)]، والفاء واللام من جنس واحد، وهو من باب سلس وقلق، قال أبو علي: ولا نعلم لذلك في الكلام نظيرًا. هذا قوله في أصل يدٍ[(٥)]، وقال أبو الهيثم: أصله يدًا مثل قفًا ورحًا ،ثم ثَنَّوا على الأصل فقالوا: يديان، وأنشد:

يديان بيضاوان عند مُحُلَّم قد تمنعانك بينهم أن تهضما[(٦)]

وقال آخر في الواحد:

يا رُبَّ سارٍ سار ما توَسَّدَا إلا ذراع العنس أو كف اليدا[(٧)]

هذا هو الكلام في أصل هذا الحرف ومعانيه في اللغة على حد الاختصار، وقد تستعمل اليد وتستعار في مواضع كثيرة يطول بذكرها

---

(١) في (ج): (ألعب).

(٢) بياض في (ج)، (ش).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «الممتع في التصريف» ٢/ ٦٢٤.

(٥) لم أقف على كلام أبي علي، وانظر: «الممتع في التصريف» ١/ ٦٠، ٤٠٩، ٢/ ٥٦٢، ٦٢٤.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم أقف عليه.

الكلام، ولما كان الجواد يفرق المال وينفقه بيده، والبخيل يمسك اليد عن الانفاق أسندوا الجود والبخل إلى اليد والبنان والكف والأنامل، فقيل للجواد: فيَّاض الكف، مبسوط اليد، سبط البنان، ثرة الأنامل، في ألفاظ كثير معروفة في أشعارهم. ويقال في ضد ذلك للبخيل: كزّ الأصابع، مقبوض الكف، جعد الأنامل في أشباه لهذا كثيرة.

واليهود لعنهم الله وصفوا الله تعالى بالبخل فقالوا: يد الله مغلولة. على ما بينا في تفسيره في أول الآية، فأجيبوا[1] على قدر كلامهم، ورد عليهم بضد ذلك فقيل: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ أي ليس الأمر على ما وصفتموه به من البخل، بل هو جواد، فليس لذكر اليد في الآية على هذا المعنى معنًى إلا إفادة معنى الجود والبخل[2]، ومعنى التثنية في قوله: ﴿بَلۡ

---

(١) سقطت بعض أحرف هذه الكلمة في (ج).

(٢) المؤلف عفا الله عنه أول اليد هنا بالجود، والذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة إثبات صفة اليد لله ﷻ حسبما دلت عليه هذه الآية وغيرها على ما يليق بجلال الله وعظمته، قال الطبري رحمه الله في تفسيره: «ففي قول الله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ مع إعلامه عباده أن نعمه لا تحصى، مع ما وصفنا من أنه غير معقول في كلام العرب أن اثنين يؤديان عن الجميع ما ينبيء عن خطأ قول من قال: معنى اليد في هذا الموضع النعمة وصحة قول من قال: إن «يد الله» هي له صفة... وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ وقال به العلماء وأهل التأويل «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٢، وقال البغوي في «تفسيره» ٣/ ٧٦، ٧٧: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ويد الله صفة من صفاته كالسمع والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين» والله أعلم بصفاته فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم».

وسيأتي في سياق المؤلف كلام أبي عبيد والزجاج وأبي بكر بن الأنباري في إثبات صفة اليد والرد على من أولها، وإن كان المؤلف لم يأبه بتقريرهم، وتعلق بما عليه الأشاعرة من التعسّف في التأويل.

﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ المبالغة في الجود والإنعام، وهذا طريق في معنى الآية صحيح.

وذهب بعض أهل اللغة أن معنى اليد في هذه الآية النعمة(١) فقال في قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ معناه: نعمة الله مقبوضة، وأنكر أبو عبيد والزجاج وابن الأنباري هذا القول، فقال أبو عبيد: من قال هذا فقد زعم أنه ليس لله على العباد إلا نعمتان، لأنه يلزمه أن يقول في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: نعمتاه.

وقال الزجاج: هذا القول خطأ، ينقضه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فيكون المعنى: نعمتاه مبسوطتان، ونعم الله أكثر من أن تحصى.

وقال أبو بكر: هذا القول محال في هذه الآية، لأن نعم الله تعالى لا يحاط بعددها، وآلاؤه تفوق الإحصاء، فكيف يقول: نعمتاه مبسوطتان، فيوقع التثنية في الشيء الذي يُقَصِّر كل جمع عنه. الدليل على ما نَصِف قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [ابراهيم: ٣٤، النحل: ١٨](٢). انتهت الحكاية عنهم.

فهؤلاء الأئمة أنكروا هذا القول، وهو صحيح، وإن أنكروا وذهب عليهم وجه صحته.

قال أبو علي فيما أصلح علي أبي إسحاق: قد دل كلام أبي إسحاق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ على أن المراد به الإمساك، لأنه شبه ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾

---

(١) هذا مذهب الأشاعرة !! وسبق من كلام الأئمة كالطبري، والبغوي ما يبين ضعفه ورده.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٣.

[الإسراء: ٢٩]، وإذا كان ما حكى عن اليهود من هذا المراد به تبخيل الله تعالى عن ذلك فقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ رد لم افتروه وإبطال لما بهتوا فيه ونفي له، يدلك على ذلك عطفه بالحرف الدال على الإضراب عما قبله والإثبات لما بعده، فإذا كان المراد بالأول التبخيل والإمساك وكان هذا الثاني نفيًا للأول، وجب أن يكون المراد به إثبات النعمة التي أنكروها وادعوا أنها مقبوضة عنهم، فإنكاره على من قال: إن معنى ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ نعمته مقبوضة عني[1] هو الإنكار لما اعترف به، وقوله: وهذا القول خطأ ينقضه ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فيكون المعنى: نعمتاه مبسوطتان، ونعم الله أكثر من أن تحصى، فقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لا يدل على تقليل النعمة وعلى أن نعمته نعمتان ثنتان ليس غيرهما، ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة، وقد جاء التثنية يراد بها الكثرة والمبالغة وتعداد المَثْنَى، لا المعنى الذي يشفع الواحد المفرد، ألا ترى أن قولهم: «لبّيك» إنما هو إقامة على طاعتك بعد إقامة، وكذلك: «سعديك» إنما هو مساعدة بعد مساعدة ، وليس المراد بذلك طاعتين ثنتين، ولا مساعدتين ثنتين[2]، فكذلك الآية، المعنى فيها أن نعمته متظاهرة متتابعة، ليست كما ادعى من أنها مقبوضة ممتنعة، وهذا الذي ذكرناه في: «لبيك وسعديك» وأن المراد به الكثرة قول الخليل وسيبويه ومن وراءهما، فهذا وجه.

وإن شئت حملت المثنى على أنه تثنية جنس، لا تثنية واحد مفرد، ويكون أحد جنسي النعمة نعمة الدنيا والآخر نعمة الآخرة ونعمة الدين، فلا

---

(١) في النسختين: (عنا).

(٢) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥١، «تفسير القرطبي» ٦/ ٢٣٩.

تكون التثنية على هذا مرادًا بها اثنتين، وقد جاء تثنية اسم الجنس في كلامهم مجيئًا واسعًا[١]، قال الفرزدق:

وكُلُّ رفيقي كُلِّ رحلٍ وإن هُما تعاطَى القَنَا قوماهما أخوَانِ[٢]

فتأويل الرفيقين في البيت العموم والإشاعة، ألا ترى أنه لا يجوز أنْ يكون رفيقان اثنان لكل رحل.

وبعد، فإذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي على بناء الكثرة كقوله:

لأصْبَحَ القومُ أوتادًا ولم يجِدوا عندَ التفرُّق في الهيجَا جمَالينِ

وكقول أبي النجم:

بين رماحي مالك ونهشل

ونحو ما حكاه سيبويه من قولهم: «لقاحان سوداوان» فأن يجوز تثنية اسم الجنس أجدر، لأنه على لفظ الواحد، فالتثنية فيه أحسن، إذ هو أشبه بألفاظ الأفراد، فإذا بان أن هذه التثنية لا تقتضي قول هذا القائل: نعمة الله مقبوضة ولا تنافيه، ولم ينكر اليد في اللغة بمعنى النعمة صح قوله الذي أنكره أبو إسحاق[٣]، وبان تحامله عليه[٤]، انتهى كلام أبي علي[٥]،

(١) انظر: «المسائل الحلبيات» ص ٦٨، «تفسير القرطبي» ٦/ ٢٣٩.

(٢) البيت في «المسائل الحلبيات» ص ٦٨ ونسبه المحقق إلى: «ديوان الفرزدق» ٢/ ٣٢٩.

(٣) يعني الزجاج، وقد تقدم إنكاره لتفسير اليد هنا بالنعمه، وأن الزجاج ذهب مذهب أهل السنة وهو منهم في إثبات صفات اليد لله ﷻ على ما وصف به نفسه كما في هذه الآية، ووصفه بها رسوله ﷺ.

(٤) بل إن المؤلف ومن أخذ عنه كأبي علي الفارسي هم المتحاملون على أهل السنة في تفسير هذه الآية الجلية في إثبات صفة اليد لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته.

(٥) لم أقف عليه فيما بين يدي من مؤلفات لأبي علي الفارسي، وكذا ما نسبه لسيبويه والخليل.

وذهب إلى هذا القول من المفسرين محمد بن مقاتل الرازي[(١)] فقال: أراد: نعمتاه مبسوطتان، نعمته في الدنيا ونعمته في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، أي: يرزق كما يريد، إن شاء قتر وإن شاء وسع[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾، قال أبو إسحاق: أي كلما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا به فيزيد كفرهم[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، أي بين اليهود والنصارى عن الحسن[(٤)] ومجاهد[(٥)]، لأنه قد جرى ذكرهم في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١][(٦)].

وقيل: أراد طوائف اليهود[(٧)]، وهو اختيار الزجاج، قال: جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال جل وعز: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤] وهو أحد الأسباب التي أذهب الله بها جَدَّهم

---

(١) المتوفى سنة ٢٤٢ هـ، وهو حنفي فاضل، حدث عن وكيع لكنه غير مشهور، ولم أقف له على تفسير، انظر: «ميزان الاعتدال» ٥/ ١٧٢، «معجم المؤلفين» ٣/ ٧٣٠.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٩٠، «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٠.

(٤) «النكت والعيون» ٢/ ٥٢، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧.

(٥) أخرجه عن مجاهد «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٢، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٧، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٤.

(٦) «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٢، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٤.

(٧) «النكت والعيون» ٢/ ٥٢، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧.

وشوكتهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾، أي لحرب محمد ﷺ[(٢)]، وقال ابن عباس: «يريد كلما أرادوا محاربتك ردهم الله وألزمهم الخوف منك ومن أصحابك»[(٣)]، وهو قول الحسن ومجاهد[(٤)]، واختيار أبي إسحاق، قال: هذا مثل، أي: كلما جمعوا على النبي ﷺ والمسلمين، وأعدوا لحربهم، فرق الله جمعهم وأفسد ذات بينهم[(٥)].

قال قتادة: هذا عام في كل حرب طلبته اليهود، فلا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾، قال ابن عباس: «يريد سفكوا الدماء، واستحلوا المحارم»[(٧)].

وقال الزجاج: أي يجتهدون في دفع الإسلام، ومحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم[(٨)].

٦٥- قوله[(٩)] تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾، قال ابن

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٠.
(٢) «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٤.
(٣) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٧، ونسبه محققه إلى تفسير ابن عباس ص ٩٧، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٤.
(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٦.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٠.
(٦) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٣، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٣٦، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧.
(٧) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٤، و«تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٨.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩١.
(٩) في (ش): (وقوله).

عباس: صدقوا محمدًا ﷺ واتقوا اليهودية والنصرانية[١].

وقال عطاء: واتقوا من الله[٢]، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، وقال عطاء: يريد كل ما كانوا صنعوا قبل أن تأتيهم[٣]، ومعنى التكفير: تغطية السيئة بالحسنة حتى تصير بمنزلة مالم يُعْمَل[٤].

٦٦- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾، قال ابن عباس: «يريد عملوا بما فيهما من التصديق بك، والوفاء لله بما عاهدوا فيهما»[٥].

وقال أهل المعاني في معنى ﴿أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ قولين:

أحدهما: أقاموا أحكامهما وحدودهما، كما يقال: أقام الصلاة، إذا قام بحقوقها، ولا يقال لمن لم يوف شرائطها: أقامها.

والثاني أقاموها نصب أعينهم؛ لئلا يزلوا في شيء من حدودها[٦]، والأول الوجه، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يعني القرآن في قول ابن عباس وغيره[٧].

وقيل: يعني كتب أنبيائهم[٨]، أي لو عملوا بما في هذه الكتب

---

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٨، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لأن الكُفْر بمعنى الستر.

(٥) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٩.

(٦) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٢.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٨، «النكت والعيون» ٢/ ٥٢، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٨) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

وأظهروا ما فيها من ذكر النبي ﷺ، ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾، قال ابن عباس: يريد لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم من نبات الأرض كل ما أرادوا(١)، وهذا قول المفسرين(٢).

وقال أهل المعاني: هذا على وجه التوسعة، لا على أن هناك فوق أو تحت، والمعنى: لأكلوا أكلًا متصلًا كثيرًا، فذكر فوق وتحت للمبالغة فيما ينالون وما يفتح عليهم من الدنيا، كما يقول القائل: فلانٌ في خير من قرنه إلى قدمه، يريد تكاثف الخير وكثرته عنده(٣)، وهذا قول الفراء(٤)، والزجاج(٥)، وابن الأنباري.

قال الزجاج: قد دل الله تعالى بهذا على ما أصابهم من الجدب مما عاقبهم به حتى شكوا ذلك بقولهم: يد الله مغلولة. وأعلم أن التقى سبب التوسعة في الرزق، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ الآية [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية [الطلاق: ٢]، وقال في قصة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ [نوح: ١٠، ١١](٦).

---

(١) أخرجه بمعناه الطبري ٦/ ٣٠٥، «تفسير الوسيط»٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير»٢/ ٣٩٥.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٣) ذكر الطبري ٦/ ٣٠٦، هذا القول واستبعده قائلًا: «وتأويل أهل التأويل بخلاف ما ذكرنا من هذا القول، وكفى بذلك شهيدًا على فساده».

(٤) معاني القرآن ١/ ٣١٥، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩١، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩١، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾، قال عطاء: يريد قومًا أسلموا من اليهود والنصارى[(١)].

وقال السدي: ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ مؤمنة[(٢)].

وقال ابن عباس: هم العادلة غير الغالية ولا الجافية»[(٣)]، ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير[(٤)]، وأصله من القصد، وذلك أن القاصد إلى الشيء الذي يعرف مكانه، خلاف الطالب المتحير في طلبه، فهو يمر على الاستقامة إليه، وليس كالمتحير فيه، فالاقتصاد الاستواء في العمل المؤدي إلى الغرض[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾، يقول: بئس شيئًا عملهم[(٦)]، قال ابن عباس: «عملوا القبيح وما لا يرضي الله مع التكذيب بالنبي ﷺ»[(٧)].

٦٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية، روى الحسن أن النبي ﷺ قال: «**إن الله بعثني برسالته، وضقت به ذرعًا، وعرفت أن الناس مكذّبي**» وكان يهاب قريشًا واليهود والنصارى، فأنزل الله هذه

---

(١) لم أقف عليه عن عطاء، وهو قول كثير من المفسرين كمجاهد وابن زيد، انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٦، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٨، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٢) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٦، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٣، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٧.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٣، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٥.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٢ (قصد)، «اللسان» ٦/ ٣٦٤٢ (قصد).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٢.

(٧) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨.

الآية[١]، قال ابن الأنباري: كان النبي ﷺ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة، ويخفي بعضه إشفاقًا على نفسه من تسرع المشركين إليه وإلى أصحابه، فلما أعزه الله وأيده بالمؤمنين قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢].

وقال أبو إسحاق: أي لا تراقبن أحدًا ولا تتركن شيئًا مما أنزل إليك تخوفًا من أن ينالك مكروه[٣]، قالا[٤]: والمعنى في قوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك مجاهرًا به، فإن أخفيت منه شيئًا في وقت لخوف يلحقك فما بلغت رسالته، فذلك قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٥].

قال ابن عباس: يقول إن كتمت آية مما أنزلت عليك لم تبلغ رسالاتي[٦]، يعني: إنه إن ترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ، لأن تركه البعض محبط لإبلاغ ما بلغ، وجرمه في كتمان البعض كجرمه لولم يبلغ شيئًا مما أنزل الله، في أنه يستحق العقوبة من ربه[٧]، وحاشا لرسول الله أن

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للمؤلف ص٢٠٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٦، «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٨، وعزاه السيوطي لأبي الشيخ عن الحسن.

(٢) انظر: «تفسير الوسيط»٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٢، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٣٩٧.

(٤) أي الزجاج وابن الأنباري.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٢، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٩.

(٦) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٧، وانظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٧.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٩، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٩، «النكت والعيون» ٢/ ٥٣، «تفسير البغوي» ٣/ ٧٩.

يكتم شيئًا مما أوحي إليه، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من الوحي، فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ﴾ ولو كتم رسول الله شيئًا من الوحي لكتم قوله تعالى: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]»[١].

قال مقاتل بن حبان: هذا تحريض من الله نبيه على تبليغ الرسالة[٢].

وقال مجاهد: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ قال: «**يا رب كيف أصنع؟ أنا واحد، أخاف أن يجتمعوا علي**» فأنزل الله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[٣].

فكل هذه الأقوال في تفسير هذه الآية تدل على أن النبي ﷺ كان يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفار، فكان لا يجاهرهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، حتى أمنه الله تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، واختلفوا في قوله: ﴿فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فقرىء (رسالته)[٤] على[٥] واحدة، و(رسالاته) على الجمع[٦]، فمن جمع قال: إن الرسل يبعثون بضروب من الرسالات وأحكام في الشريعة مختلفة، وكل آية أنزلها[٧] الله على رسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦١٢) كتاب التفسير، باب: يا أيها الرسول بلغ، بنحوه، وبلفظه مسلم (١٧٧) كتاب الإيمان: باب ٧٧ معنى قول الله ﷻ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾، ولكن دون: «ولو كنتم...»، «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٩.

(٢) بمعناه في تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٩٢.

(٣) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٧.

(٤) قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي «ابن كثير» وحفص عن عاصم. انظر: «الحجة» ٣/ ٢٣٩.

(٥) تكرر هذا الحرف في (ج).

(٦) قراءة نافع وابن عامر وأبي بكر عن عاصم. انظر: «الحجة» ٣/ ٢٣٩.

(٧) في (ج): (أنزله) بالتذكير.

فهي رسالة، فحسن لفظ الجمع(١)، ومن أفرد قال: القرآن كله رسالة واحدة، وأيضًا فإن لفظ الواحد قد يدل على الكثرة وإنْ لم يجمع كقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٤] فوقع الاسم الواحد على الجمع كما يقع على الواحد، فكذلك الرسالة(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، أي: يمنعك أن ينالوك بسوء من قتل أو أسر أو قهر(٣)، وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ وكان سعدٌ وحذيفة يحرسانه، فأخرج رسول الله رأسه من قبة أدم وقال: «**انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله**»(٤).

وقال الزجاج في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾: أي يحول بينهم وبين أنْ يصيبك منهم مكروه(٥)، فإن قيل: أليس قد شج جبينه وكسرت رباعيته؟، قلنا: كان هذا قبل نزول الآية، لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولا، أو نقول: المراد بالعصمة: أن يعصمه من قتله وأسره على ما ذكرنا أولًا(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، قال

---

(١) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٤٥.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٣.

(٤) أخرجه بنحوه الترمذي (٣٠٤٦) كتاب: التفسير، باب: من تفسير سورة المائدة، «تفسير الطبري» ٦/ ٣٠٨، وعزاه في «الدر المنثور» ٢/ ٥٢٩ أيضًا إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٢.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٩، «زاد المسير» ٢/ ٣٩٧.

ابن عباس: يريد لا يرشد من كذبك وأعرض عن ذكري[(١)]، وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ مثل ما روى الحسن، وهو أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثني الله برسالاته، فضقت بها ذرعًا، فأوحى إلي: «إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك، وضمن لي العصمة**»[(٢)].

٦٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾، ذهب بعض المفسرين إلى أن الذي أُمر رسول الله بتبليغه هذه الآية[(٣)]، قال مقاتل: لما نزل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أمن النبي ﷺ فأخبره الله ما يبلغ فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[(٤)].

قال ابن عباس: يقول لستم على شيء من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد، وبيان صفته ونعته، تبينونه للناس ولا تكتمونه[(٥)]، وقد سبق في هذه السورة تفسير هذه الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[(٦)]، وفي قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ وَأَلْقَيْنَا﴾[(٧)] الآية.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة ٦٨]، تسلية

---

(١) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٠، وانظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٤٩، «النكت والعيون» ٢/ ٥٤، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١١٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٤٩٢.

(٥) أخرجه بمعناه الطبري ٦/ ٣٠٩، وانظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٠.

(٦) الآية ٦٦ من هذه السورة.

(٧) الآية ٦٤ من هذه السورة.

للنبي ﷺ يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك[(١)].

٦٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، قد مضى تفسير هذه الآية مشروحًا مستقصًى في البقرة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، اختلفوا في وجه ارتفاعه، فقال الكسائي: هو نسق على ما في ﴿هَادُوا۟﴾ كأنه قيل: هادوا هم والصابئون[(٣)]، قال الزجاج: وهذا خطأ من جهتين: إحداهما أن الصابىء على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك، فإن الصابىء غير اليهودي، وإن جعل ﴿هَادُوا۟﴾ بمعنى: تابوا، من قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] لا من اليهودية، ويكون المعنى: تابوا هم والصابئون، فالتفسير قد جاء بغير ذلك، لأن معنى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في هذه الآية إنما هو إيمان بأفواهم، لأنه يعنى به المنافقون؛ لأنه وصف الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال: من آمن منهم بالله فله كذا، فجعلهم يهودًا ونصارى، فلو كانوا مؤمنين لم يُحتج أن يقال: (من آمن منهم فلهم أجرهم)[(٤)]، وهذا قول الفراء[(٥)] والزجاج في الإنكار عليه، وقال الفراء: ارتفع الصابئون بالنسق على الذين، وإنما نُسِقَ على المنصوب بالمرفوع؛ لأنْ (إن) ضعيفة العمل، وضعفه أنه يقع على

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٤٩، «تفسير البغوي» ٣/ ٨١.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ الآية (٦٢) البقرة

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٤.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٤ بتصرف.

(٥) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٢، ١٩٣.

الاسم ولا يقع على خبره، يعني أنها تغير الاسم ولا تغير الخبر، وأيضًا فإن (الذين) حرف على جهة واحدة في الرفع والنصب والخفض، فلما لم يبين فيه عَملُ (إن) وكان عملها أيضًا ضعيفًا[1] رفع الصابئين بأن يرجع إلى أصل الكلام وهو الرفع قبل دخول (إن).

أجاز الكسائي: «إنّ عبد الله وزيد قائمان» لضعف إن[2].

قال الفراء: ولا أستحب ذلك لتبيين الإعراب في عبد الله، وأجازا معًا: (أنك نفسُك عالمٌ)، (وأنا أنفسنا عالمان)، (وأنه نفسه متكلم)، (وأنهم أجمعون منطلقون)، (وأنك ومحمد في الدار)، وعند الفراء إذا دخلت (إن) على اسم لم يتبين عملها فيه يجوز أن ينسق عليه بالرفع والنصب جميعًا، وكذلك التوكيد، من ذلك أن تقول: إن قطام وهندٌ عندنا، وإن هؤلاء وإخوتُك يكرموننا، وإن هذا نفسه عالم، وذلك أن هذه الأسماء لا يتغير إعرابهنَّ ولا يظهر فيها عمل (إن)، فإذا دخلت إن على اسم يتبين عملها فيه وولي الاسم التوكيد والنعت والنسق، لم يكن فيها إلا النصب عند الفراء، كقولك: (إن زيدًا نفسه عالم)، (وإن محمدًا وأخاك منطلقان)، (وإن القوم وعبد الله عندنا)، ويجوز الرفع عند الكسائي، ومما جاء في أشعار العرب يشهد لمذهب الفراء قول بشر بن أبي خازم[3]:

وإلا فاعلموا أنَّا وأنتم
بُغاةٌ ما حيينا في شِقَاقِ[4]

---

(١) في (ج): (ضعيف).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٢، ١٩٣.

(٣) هو: بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، شاعر جاهلي شجاع من أهل نجد، توفي سنة ٢٢ قبل الهجرة. «الأعلام» ٢/ ٥٤.

(٤) البيت في الكتاب ٢/ ١٥٦، «معاني الزجاج» ٢/ ١٩٣.

رفع أنتم بالنسق على النون والألف، إذ لم يتبين عمل (إن) فيهما، ولو نصب لقال: وإياكم. وقال آخر:

يا ليتني وأنتِ بالميسُ ببلدةٍ ليس بها أنيسُ[١]

رفع (أنتِ) وهو نسق على الياء إذ لم يتبين فيها الإعراب، وقال آخر:

يا ليتنا وهما نخلوا بمنزلة حتى يرى بعضنا بعضًا ويأتلف[٢]

وأنشدوا أيضًا لضابىء البرجُمي[٣] على هذا المذهب:

فمن يكُ أمسى بالمدينة رحلُهُ فإني وقَيَّارٌ بها لغريبُ[٤]

هذا كله مذهب الكوفيين، وأنكر البصريون جميع ذلك، أما قول الكسائي فقد ذكرنا وجه بطلانه، وأما قول الفراء: نصب (إن) ضعيف، لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر «فقال أبو إسحاق: هذا غلط، لأن (إن) قد عملت عملين: النصب والرفع، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع؛ لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يُسَمَّ فاعله، وكيف يكون نصب (إن) ضعيفًا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو قولك: إن أمامك زيدًا، وإن عندك عمروًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] ونصب (إنَّ) من أقوى المنصوبات[٥]، ومذهب الخليل وسيبويه في هذا التقديم والتأخير، ويكون

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هو ضابئ بن الحارث بن أرطأة التميمي البُرجمي شاعر جاهلي أدرك الإسلام، حبسه عثمان رضي الله عنه حتى مات نحو سنة ٣٠ هـ. «الأعلام» ٣/ ٢١٢.

(٤) البيت في الكتاب ١/ ٧٥، «الإنصاف» لابن الأنباري ص٨٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٣.

(الصابئون) مرتفعًا بالابتداء، المعنى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله» إلى آخر الآية، والصابئون والنصارى كذلك أيضًا[١].

إن عبد الله ومحمد قائم، تريد: إن عبد الله قائم ومحمد كذلك أيضًا[٢]، وأنشدوا:

عقاب عقبناه كأن وظيفها وخرطومُها الأعلى بنار مُلَوّح[٣]

أراد كأنَّ وظيفها مُلوِّح وخرطومها كذلك أيضًا، وعلى هذا حملوا أيضًا ما أنشده الكوفيون، أما قول بشر فالمعنى فيه: فاعلموا أنا بغاة ما بغينا في شقاق وأنتم أيضًا كذلك، وكذلك سائر الأبيات.

وأما قوله: فإني وقيّارٌ فإن رواية البصريين: «وقَيّارًا» بالنصب، وإن رفع كان محمولًا على التقدير الذي ذكرنا، وأما ما أجازه الفراء من قولهم: إنهم أجمعون ذاهبون، فحمله سيبويه على الغلط، وقال: إن قومًا من العرب يغلطون فيقولون إنك وزيدٌ ذاهبان، وإنهم أجمعون منطلقون، فجعله غلطًا[٤].

وحكى أبو بكر بن الأنباري في الآية قولًا رابعًا لأبي عبد الله هشام بن معاوية[٥]، وهو أن يضمر خبر (إن) ويبتدأ (الصابئون) والتقدير: إن الذين

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٣.

(٢) هذا تمثيل، وليس عند الزجاج.

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٣.

(٥) هو أبو عبد الله هشام بن معاوية الكوفي الضرير، نحوي، صحب الكسائي وأخذ عنه كثيرًا من النحو، وله تصانيف، توفي سنة ٢٠٩ هـ انظر: «الفهرست» ص١٠٥، «معجم المؤلفين» ٤/ ٦٤.

آمنوا والذين هادوا يُرحَمون على قول من قال هم مسلمون، ويعذبون على قول من قال هم كفار، فيحذف الخبر إذا عرف موضعه، كما حذف من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾ [فصلت: ٤١] (والمعنى: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم)(١) يعذبونَ ويعرضون على ربهم، فحذف استغناء بمعرفة المخاطبين به. ثم يرتفع (الصابئون) بمن وما بعدها، ومن حرف جزاء يرتفع بما عاد إليه (منْ آمن) والفاء جواب الجزاء، وهذا القول قريب من قول البصريين، غير أنهم يضمرون خبر الابتداء، ويجعلون (من آمن) خبر (إن)، وهذا على العكس من ذلك، لأنه جعل (من آمن) خبرًا للابتداء وأضمر خبر (إن)(٢).

٧٠- قوله تعالى: ﴿فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾، إن قيل: لم عطف المستقبل على الماضي؟، الجواب: ليدل على أن ذلك من شأنهم، ففيه معنى: كذبوا وقتلوا، ويكذبون ويقتلون، مع أن قوله: (يقتلون) فاصلة يجب أن يكون موافقًا لرؤوس الآي. ويمكن أن يقال التقدير فيه: فريقًا كذبوا لم يقتلوه، وفريقًا كذبوا يقتلون، فيكون (يقتلون) صفة للفريق، فلم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي، وفي الجواب الأول لم يكن (كذبوا) ولا (يقتلون) صفة للفريق، لأن التقدير كذبوا فريقًا ويقتلون فريقًا، والفريق غير موصوف، وفي الجواب الثاني الفريق موصوف، وذكرنا تفسير الفريقين في البقرة عند قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٨٧].

٧١- قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، قال عطاء عن ابن

---

(١) ما بين القوسين متكرر في النسختين.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ٣/ ٥٣١- ٥٣٣.

عباس: «يريد وظنوا أن الله لا يعذبهم»[١].

وقال الكلبي: «أي ألا يُبْتَلَوا بقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل»[٢].

وقال قتادة: «وحسب القوم أن لا يكون بلاء»[٣].

وقال مقاتل: «وحسبوا أن لا يكون بلاء، وقحط المطر»[٤]، فحصل في الفتنة ههنا: العقوبة والعذاب عن ابن عباس، والبلية عن الكلبي وقتادة، والشديدة والقحط عن مقاتل، وقال الزجاج: وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم، وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه[٥].

وقال ابن الأنباري: قدروا أن لا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر، وظنوا أن ذلك لا يكون موبقًا لهم[٦].

واختلفوا في إعراب: (ألا تكون) فنصبه بعضهم، ورفعه آخرون، والأصل في هذا الباب أن تعرف أن الأفعال على ثلاثة أضرب:

فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره، نحو: العلم والتيقن والتبين، فما كان مثل هذا وقع بعده (إنّ) الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل، وذلك أن الثقيلة معناها ثبات الشيء واستقراره، والعلم كذلك أيضًا، فإذا وقع على الثقيلة واستعمل معه كان وفقه وملائمًا له، وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [النور: ٢٥] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾

---

(١) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١١، ونسبه المحقق إلى تفسير ابن عباس ص ٩٨.

(٢) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٥، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١١، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٢، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٠.

(٣) أخرجه الطبري ٦/ ٣١٢.

(٤) تفسيره ١/ ٤٩٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٥.

(٦) انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٠١.

[التوبة: ١٠٤] و﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] والباء زائدة[١]، وكذلك ما كان معناه العلم كالتبين والتيقن، وهذا ضرب.

والضرب الثاني: فعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات نحو: أطمع وأخاف وأخشى وأشفق وأرجو، فهذا ونحوه لا يستعمل بعده إلا الخفيفة الناصبة للفعل، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ [٨٢ الشعراء] و﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ [المجادلة: ١٣].

والضرب الثالث: فعل يجذب مرة إلى ذاك القبيل، ومرة إلى هذا القبيل، نحو: حسبت وظننت وزعمت، وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة: أرجو وأطمع، من حيث كان أمرًا غير مستقر، ومرة يجعل بمنزلة العلم، من حيث استعمل استعماله، وفي هذه الآية أجري مجرى العلم، لأنهم عملوا عليما حسبوا، فكأنه أجري مجرى العلم، (ويمكن)[٢] أن يقال: إنما جعل بمنزلة العلم من حيث كان خلافه، والشيء قد يجري مجرى الخلاف في كلامهم، نحو: عطشان وريان، وكلا[٣] الأمرين قد جاء به القرآن، فمثل قول من نصب وأوقع بعده الخفيفة قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا۟﴾ [العنكبوت: ٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟﴾ [العنكبوت: ٢]. ومثل قراءة من رفع: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا

(١) سبق التنبيه أن مثل هذا التعبير غير لائق في جانب كلام الله ﷻ، لئلا يتوهم أن في القرآن زائدًا.

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (ج).

(٣) في (ج): (وكلي).

نُمِدُّهُم﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ﴾ [القيامة: ٣].

فهذه مخففة من الثقيلة، لأن الناصبة للفعل لا يقع بعدها (أن)، ومثل المذهبين في الظن قوله تعالى: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ [القيامة: ٢٥] ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا﴾ [البقرة: ٢٣٠]. ومن الرفع قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ [الجن: ٥] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧] فأنْ ههنا الخفيفة من الشديدة كقوله: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠] لأن (أن) الناصبة للفعل لا تجتمع مع (لن) ومع السين؛ لاجتماع الحرفين في الدلالة على الاستقبال، كما لا يجتمع الحرفان لمعنى واحد، فمن رفع قوله: (أن لا تكون) كان المعنى: أنَّه لا تكون، ثم خففت المشددة وجعلت (لا) عوضًا من حذف الضمير، ولو قلت: علمت أن يقول، بالرفع، لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضًا من حذف الضمير، نحو قد والسين وسوف، كما قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠] ووجه النصب ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾، أي عن الهدى فلم يعقلوه[(١)]، قال الزجاج: هذا مثل، تأويله أنهم لم يعملوا بما سمعوا ولا ما رأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، قال الحسن: «فاستنقذهم بمحمد فكذبوه»[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٢، «بحر العلوم» ١/ ٤٥١، «النكت والعيون» ٢/ ٥٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٥، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٥١.

(٣) لم أقف عليه عن الحسن، انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٤١، «بحر العلوم» ١/ ٤٥١، «زاد المسير» ٢/ ٤٠١.

قال[١] أبو إسحاق: أي أرسل إليهم محمدًا ﷺ يعلمهم أن الله ﷻ قد تاب عليهم إن آمنوا وصدقوا[٢].

وقال أبو بكر: ثم تاب الله عليهم بإرساله محمدًا ﷺ داعيًا إلى الصراط المستقيم، فكانوا بذلك معرضين للتوبة وإن لم يتوبوا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ﴾، أي بعد تبيّن الحق لهم بمحمد ﷺ عمي كثير منهم، خص الله تعالى بعضهم بالفعل الآخر من العمى والصمم، إذ لم يكونوا أجمعوا على خلاف النبي ﷺ[٣]، وارتفع ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ﴾ بإضمار فعل مقدر يدل عليه: ﴿عموا وصموا﴾، كأنه قيل: عمي وصم كثير منهم. قاله الفراء[٤] وابن الأنباري. وأجازاهما والزجاج أيضًا أن يكون جمع الفعل متقدمًا، كما حكي عن العرب أكلوني البراغيث[٥].

وذكر الزجاج وجهين آخرين: أحدهما: أن يكون ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ﴾ بدلًا من الواو، كأنه لما قال: ﴿عموا وصموا﴾ أبدل الكثير منهم، والثاني أن يكون ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْۚ﴾ خبر ابتداء محذوف، والمعنى: والعمي والصم كثير منهم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾، أي: من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل، قاله مقاتل[٧].

---

(١) في (ج): (فقال).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٥.
(٣) انظر: «النكت والعيون» ١/ ٤٧٨.
(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣١٦.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١٦، «معاني الزجاج» ٢/ ١٩٥، ١٩٦.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٥، ١٩٦.
(٧) تفسيره ١/ ٤٩٤.

٧٣- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، (قال الفراء: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾)[1] لا يكون إلا مضافًا، ولا يجوز التنوين في (ثالث) فتنصب الثلاثة، وكذلك قوله: (ثاني اثنين) لا يكون (اثنين إلا)[2] مضافًا، لأن المعنى مذهب اسم[3]، كأنك قلت: واحد من اثنين، وواحد من ثلاثة، ولو قلت: أنت ثالث اثنين، جاز الإضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين، وكذلك: رابعُ ثلاثةٍ، ورابعٌ ثلاثةً، لأنه فعل واقع[4].

وزاد أبو إسحاق لهذا بيانًا فقال: لا يجوز في (ثلاثةٍ) إلا الخفض؛ لأن المعنى: أحد ثلاثة، فإن قلت: زيد ثالث اثنين، أو: رابع ثلاثة، جاز الخفض والنصب، أما النصب فعلى قولك: كان القوم ثلاثة فربعتهم وأنا رابعهم غدًا، ومن خفض فعلى حذف التنوين، كما قال الله ﷻ: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥][5]، وذكرنا هذه المسألة مشروحة عند قوله تعالى: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].

فأما معنى قول النصارى لعنهم الله: (ثالث ثلاثة) ففيه طريقان: الأظهر والأوفق للفظ طريق المفسرين، وهو أنهم قالوا: أرادت النصارى بقولهم: (ثالث ثلاثة) الله ومريم وعيسى، زعموا أن الإلهية بين الثلاثة، وأن كل واحد من هؤلاء إله، يؤكد هذا القول من مذهبهم قوله تعالى للمسيح: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ﴾ [المائدة: ١١٦]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ج).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ج)، وهكذا هو في (ش)، ولعل الصواب: «ثاني».

(٣) هكذا في النسختين، ولم يتضح الأسلوب لهذه اللفظة.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣١٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٦.

ففي هذا بيان أنهم كانوا يشركون مريم وعيسى في الإلهية[(١)]، وهذا القول اختيار الزجاج، لأنه قال في معنى قوله: (ثالث ثلاثة): أنهم قالوا: الله أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة. هذا كلامه[(٢)].

وعلى هذا المعنى لا بد من أن يكون في الآية إضمار واختصار، لأن المعنى أنهم قالوا: إن الله ثالث ثلاثة آلهة، أو ثالث ثلاثة من الآلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد الآلهة، ومطلق ثالث ثلاثة لا يكون كفرًا، فإنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧][(٣)]، والذين يحقق أنهم أرادوا بالثلاثة الآلهة قوله تعالى في الرد عليهم: ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ هذا طريق في الآية.

والمتكلمون حكوا عن النصارى في قولهم التثليث أنهم يقولون إن الباري سبحانه جوهر واحد، وأنه ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، وهذه الثلاثة إله واحد، قالوا: واسم الإله يتناول هذه الثلاثة الأشياء، كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة. وعنوا بالأب: الذات وبالابن الكلمة وبالروح القدرة، فأثبتوا الذات والكلام والقدرة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله، وهو إله

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٥١، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٢، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٣.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٦.
(٣) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٠٨، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٢.

واحد[١]، وكل هذا فاسد لأنه يعرف ببديهة العقل فساد أن يكون ثلاثة واحدًا، ولو جاز هذا، لجاز أن يكون الواحد أربعة، والأربعة واحدًا.

وليس هذا موضع بسط الكلام في الرد عليهم، وعلى هذا فالذي أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ هو معنى مذهبهم، لأنهم وإن لم يصرحوا بأنه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم، وإنما يمتنعون من العبارة، لأنهم إذا قالوا: إن كل واحد[٢] من الأقانيم إله، فقد جعلوه ثالث الآلهة، وقولهم بعد هذا وهو إله واحد مناقضة لما قالوا، وإذا كان كذلك صح أن يُخْبَر عنهم من مذهبهم ما يلزمهم، وذهب من المفسرين إلى هذا الطريق: الكلبي[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (مِنْ) دخلت مؤكدة، المعنى: وما إله إلا إله واحد[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي الذين أقاموا على هذا الدين، وعلى هذا القول. قاله الزجاج[٥].

٧٤- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾، قال الفراء: هذا أمر في لفظ الاستفهام، وقد يرد الأمر بلفظ الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١][٦]، في آية تحريم الخمر. وإذا انتهينا إليها ذكرنا هذا إن شاء الله.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٣-٣١٤، «ابن كثير» ٢/ ٩٢.

(٢) في (ج): (واحدة) بالتأنيث.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٦، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٠٣.

(٦) ليس في معاني القرآن، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٨٢، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٣.

٧٥- قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾، أي أنه رسول ليس بإله، كما أنهم رسل ليسوا آلهة، وإنما أتى بالمعجزات من قبل ربه كما أتوا بها من قبل ربهم، فمن ادعى له الإلهية فهو كمن ادعى لهم الإلهية؛ لتساويهم في المنزلة. وهذا معنى قول أبي إسحاق(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾، ذكرنا معنى الصديق فيما سبق(٢)، وقيل لمريم (صديقة) لتصديقها بآيات ربها، ومنزلة ولدها، وتصديقها ما أخبرها. قال الله تعالى في صفتها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢](٣).

وقال الفراء: ووقع عليها التصديق(٤) كما وقع على الأنبياء، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] فلما كلمها جبريل وصدقته وقع عليها اسم الرسالة، فكانت كالنبي(٥).

وقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾، قال أهل المعاني: هذه الآية احتجاج على النصارى بأن من ولَده النساء وهو يأكل الطعام لا يكون إلهًا للعباد؛ لأن سبيله سبيلهم في الحاجة إلى الصانع المدبر، والمعنى أنهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يكون إله لا

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٦.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(٣) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٥٦، «تفسير البغوي» ٢/ ٨٣.

(٤) في (ج): (الصديق).

(٥) معاني القرآن ١/ ٣١٨.

يقيمه إلا أكل الطعام؟[١]، وكل هذا معنى قول ابن عباس في تفسير قوله: ﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ يريد هما لحم ودم، يأكلان ويشربان، ويبولان ويتغوطان[٢].

قال عبد الله بن مسلم[٣]: هذا ألطف مايكون من الكناية، لأنه عبر عن الحدث بالطعام، لأن من أكل الطعام لا بد له من أن يحدث[٤]، فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الإلهية، وأنكر عمرو بن يحيى[٥] أن يكون هذا كناية عما ذكر، وقال: كأنه لم يعلم أن في الجوع وما ينال أهله من الذلة والعجز والفاقة أدل دليل على أنهم مخلوقون، حتى ادعى على الكلام شيئًا قد أغناه الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾، قال ابن عباس: نفسر لهم أمر ربوبيتي[٦].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]، يقال: أفكه يأفكه أفكًا، إذا صرفه. والإفك: الكذب؛ لأنه صرف عن الحق، وكل مصروف عن شيء مأفوك عنه[٧]، وأنشد ابن السكيت:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٥، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٣.

(٢) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٣.

(٣) ابن قتيبة.

(٤) «غريب القرآن» ص ١٤٤، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٠٤.

(٥) لم يتبين من عمرو بن يحيى هذا، ويحتمل أن عمرو تصحفت عن: (أحمد)، فيكون المقصود: أحمد بن يحيى المعروف بثعلبَ، والمؤلف كثير ما ينقل عنه. والله أعلم.

(٦) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٣.

(٧) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٤، «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٥، «معاني=

إن تكُ عن أحسنِ المروءة مأ فوكًا ففي آخرين قد أُفِكُوا[١]

وقد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر، وأرض مأفوكة لم يصبها مطر[٢]، ومعنى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي يصرفون عن الحق الذي يؤدي إليه تدبر الآيات[٣].

وقال أبو عبيدة: أي يحرمون الحق، من قولهم: أرض مأفوكة، إذا حرمت[٤] المطر[٥]، وهذا كالأول، لأن الأرض التي حرمت المطر فقد صرف عنها المطر، وفي هذا دليل أنهم صدوا عن الإيمان وصرفوا عنه بصرفٍ لا من قبلهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ﴾، في هذه الآية إلزام النصارى على اتخاذ المسيح إلهًا عبادة ما لا ينفع ولا يضر، لأنه لا يملك ذلك إلا الله تعالى[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، قال ابن عباس: يريد سميع لكفركم، عليم بضميركم[٧]، وفي هذا تحذير من الجزاء بالسيئة، لأنه يعلم

= الزجاج» ٢/ ١٩٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٢، و«الصحاح» ٤/ ١٥٧٣ (أفك)، «النكت والعيون» ٢/ ٥٧.

(١) البيت لعروة بن أذينة كما في الصحاح ٤/ ١٥٧٣ (أفك)، و«معجم شواهد العربية» ص ٢٥٧، ونسبه في «اللسان» ١/ ٩٧ (أفك) لعمرو بن أذينة، ولعل الأول أقرب.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٥، «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٤ (أفك)، «النكت والعيون» ١/ ٤٧٩.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٥٧. (٤) في (ج): (حرم) بالتذكير.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٧٤، ١٧٥، «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٤ (أفك).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٥-٣١٦.

(٧) في «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٤ دون نسبة لابن عباس، وانظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص١٢٠.

الأعمال، ويعلم الإسرار والإعلان.

٧٧- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، ذُكر معنى الغلو في النساء[١]، وهو نقيض التقصير، ومعناه الخروج عن الحد[٢]، قال ذو الرمة:

وما زال[٣] يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما يزيدها[٤]

قال الحسن: ودين الله بين الغلو والتقصير[٥]، واختلفوا في المعني بأهل الكتاب ههنا: فقال عطاء عن ابن عباس: يريد اليهود والنصارى[٦]، وغلو اليهود في عيسى: تكذيبهم إياه، ونسبته إلى أنه لغير رشدة، وغلو النصارى: ادعاؤهم الإلهية له[٧]، وقال آخرون: الخطاب للنصارى دون اليهود[٨]، وانتصاب (غيرَ الحق) من وجهين: أحدهما[٩] على الحال والقطع من الدين، كأنه قيل: لا تغلوا في دينكم مخالفًا للحق؛ لأنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه، والثاني أن يكون منصوبًا على الاستثناء، بمعنى: لا تغلوا في دينكم إلا الحق، فيكون الحق مستثنى من المنهي عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق، على معنى اتباعه والثبات

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ (١٧١) النساء.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٦.
(٣) في (ج): (وما زاد)، وفي ديوان ذي الرمة: فما زال.
(٤) «ديوانه» ص ١٦٤.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٦.
(٨) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٩٦، «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٥.
(٩) في (ج): (أحدها) بالإفراد.

عليه، قال مقاتل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أي في عيسى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ الأهواء جمع هوى، وهوى فَعَلٌ، وجمعه أفعال[1]، ومعنى الأهواء هنا: المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة، وقد يشق على الإنسان النظر ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده فيكون ذلك هوى[2]، قال الشعبي: ما ذكر الله تعالى هوى في القرآن إلا ذمَّهُ[3] كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾ [ص: ٢٦] ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٦] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]، ومثله كثير[4].

قال أبو عبيد: لم نجد الهوى يوضع إلا في موضع الشر، لا يقال: فلان يهوى الخير، إنما يقال في الخير: يريد ويحب، وقال بعضهم: الهوى إله يعبد من دون الله، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقيل: سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، وأنشدوا في ذم الهوى:

إن الهوان هو الهوى حرم اسمه   فإذا هويت فقد لقيت هوانا

ومثل ذلك أيضًا:

نون الهوان من الهوى مسروقة   وأسير كل هوى أسير هوان

وقال رجل لابن عباس: الحمد لله الذي هواي على هواك. فقال ابن عباس: كل هوى ضلالة[5]، ويعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ١٩٧.

(٢) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٤، ٣/ ٨٣.

(٣) في (ج): (ذمة) بالتاء.

(٤) لم أقف عليه عن الشعبي، معناه في «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٤٦.

(٥) لم أقف عليه.

الضلالة من فريقي اليهود والنصارى.

والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ، نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم، وأن يقلدوهم فيما هووا[(١)]، وقال الحسن ومجاهد: (الذين ضلوا من قبل) هم اليهود[(٢)]، وعلى هذا (الخطاب)[(٣)] للنصارى فقط، يقول: لا تؤثروا الشهوات على البيان كما فعلت اليهود حين كذبوا الرسل ونقضوا العهد، والمراد بالنهي عن اتباع اهوائهم: النهي عن اتباع (أهواء)[(٤)] مثل أهوائهم في التكذيب والمخالفة على الرسل، ففي القول الأول وقع النهي على اتباع غير ما هووا، وفي هذا الثاني وقع النهي على اتباع مثل أهوائهم، والتقدير في اللفظ: لا تتبعوا مثل أهواء قوم، أي أهواء مثل أهوائهم، ثم حذف الأهواء الأول وأقيم الثاني مقامه؛ لأنه هوى مثله. والأول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، إن قيل: أي فائدة لهذا بعد قوله ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾؟، قيل: معناه: ضلوا عن سواء السبيل بإضلالهم الكثير، فالمعنى: أنهم ضلوا بإضلال غيرهم، فيكون معنى هذا الثاني[(٥)]، «[(٦)]غير معنى الأول، وهذا معنى قول الزجاج[(٧)]، ويجوز أن يكون معنى: ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ تفسيرًا

---

(١) انظر: «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٣، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٥.

(٢) أخرجه عن مجاهد الطبري ٦/ ٣١٦، انظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٠٥.

(٣) سقطت هذه الكلمة من (ج).

(٤) في (ج): (هوا).

(٥) بعد هذه الكلمة وجد سقط في نسخة (ج) بمقدار لوحتين تقريبًا.

(٦) بداية السقط.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٨.

لقوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾ لأنه بين في الثاني أن ضلالهم عمَّاذا كان.

٧٨- قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ﴾، قال أكثر المفسرين: يعني: أصحاب السبت وأصحاب المائدة، أما أصحاب السبت: فإنهم لما اعتدوا قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية ومثلًا لخلقك، فمسخوا قردة، وأما أصحاب المائدة: فإنهم لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا، قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، وأصبحوا خنازير. وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة(١).

وقال ابن عباس: يريد في الزبور من يكفر من بني إسرائيل، وكذلك في الإنجيل(٢).

وقيل: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى﴾؛ لأن الزبور لسان داود، والإنجيل لسان عيسى، وقال الزجاج: وجائز أن يكون عيسى وداود أعلما أن محمدًا نبي مبعوث، وأنهما لعنا من يكفر به(٣)، والقول هو الأول.

٧٩- قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ الآية، للتناهي ههنا معنيان: أحدهما: وهو الذي عليه الجمهور، أنه مفاعل من النهي، أي كانوا لا ينهى بعضهم بعضًا(٤)، قال عطاء عن ابن عباس: «كان بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة اعتدوا في السبت، وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مؤاكلتهم، وفرقه لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٧-٣١٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٢، ٤٥٣، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٤، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) أخرجه الطبري ٦/ ٣١٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٨، انظر: «بحر العلوم» ٢/ ٤٥٣.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٦/ ٣١٩، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٦.

وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة، فلعنوا جميعًا»[(١)] ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم**»[(٢)].

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**من رضي عمل قوم فهو منهم، ومن كثر سواد قوم فهو منهم**»[(٣)].

والمعنى الثاني للتناهي أنه بمعنى الانتهاء، يقال: انتهى عن الأمر وتناهى عنه، إذا كف عنه. وهو قول ابن عباس في هذه الآية: «ليس ينتهون، ولكن كانوا قومًا يعتدون»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي لبئس شيئًا فعلهم[(٥)]، ويجوز أن تكون (ما) ههنا كافة لبئس كما تكف في: إنما وبعدما وربما ولكنما وكأنما وليتما ولعلّما، واللام في (لبئس) لام القسم، كأنه قيل: أقسم لبئس ما كانوا يفعلون[(٦)].

٨٠- قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: من اليهود يتولون كفار مكة، يعني كعب بن الأشرف وأصحابه حين

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه من حديث ابن مسعود ﷺ أبو داود برقم ٤٣٣٦، ٤٣٣٧ ومن حديث حذيفة بنحوه أخرجه الإمام أحمد ٥/٣٨٨، والترمذي وحسنه برقم ٢١٦٩.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/١٩٨.

(٦) انظر «معاني القرآن وإعرابه» ٢/١٩٩، «زاد المسير» ٢/٤٠٧.

استجاشوا المشركين على رسول الله ﷺ، وذكرنا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١][١].

وقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾، أي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾، محل (أن) رفعٌ، كما تقول: بئس رجلًا زيدٌ، ورفعه كرفع زيد، وفي رفع زيد وجهان: **أحدهما**: الابتداء، وتكون بئس وما عملت فيه خبره، **والثاني**: أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه لما قال: بئس رجلًا، قيل: من هو؟ فقال: زيد، أي هو زيد[٣]، وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن إلى أن هذه الآية في المنافقين، والكناية في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ﴾ عائدة إلى المنافقين[٤]، وهذا القول يؤكده ما بعد هذه الآية.

٨١- قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾، إن قلنا: نزلت هذه الآية في المنافقين فالأمر ظاهر، ويجب أن يكون في المنافقين من اليهود؛ لاتصالها بما قبلها، وقبلها في ذكر اليهود لا المشركين، ويكون في هذا جمعًا بين القولين في نزول الآية الأولى، وإن قلنا: إنها

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ٦/ ٣٢٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٣، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٤، ٨٥.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٥٣، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٧.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٩، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٠/ ٤٩٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٣، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢١٦، «تفسير البغوي» ٣/ ٨٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٧.

نزلت في الذين جاهروا من اليهود بالعداوة لرسول الله ﷺ والتولي للمشركين، فمعنى قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ فالمراد بالنبي: موسى عليه السلام ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ كتابه، أي: لو آمنوا بموسى وما أنزل إليه ما اتخذوا الكافرين أولياء.

٨٢- قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ الآية، اللام في (لتجدن) لام القسم، والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال، عند الخليل وسيبويه(١)، قال المفسرون: إن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدًا للنبي ﷺ، وكان ينبغي أن يكونوا أقرب إلى المؤمنين، لأنهم يؤمنون بموسى والتوراة، والكفار كانوا يكذبون بهما، لكنهم حسدوا المؤمنين ومحمدًا عليه السلام(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي: يعني: النجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ فآمنوا به، ولم يُرِد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للدين والمسلمين، وهذا قول مجاهد والكلبي ومقاتل(٣)، وقال قتادة: هؤلاء قوم من أهل الكتاب كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام، فلما جاء محمد ﷺ آمنوا به(٤).

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٩، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٨.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٩٩، «الوسيط» ٢/ ٢١٦.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٤٩٧، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١٨، والطبري ٧/ ٢، و«بحر العلوم» ١/ ٤٥٣، و«النكت والعيون» ٢/ ٥٨، والبغوي ٣/ ٨٥، و«زاد المسير» ٢/ ٤٠٨.
(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٣، «النكت والعيون» ٢/ ٥٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٨.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا﴾، قال الزجاج: القس والقسيس رؤساء النصارى[١].

وقال الفراء في كتاب «الجمع»: يجمع القسيس قسيسين كما قال الله، ولو جمع قسوسًا كان صوابًا؛ لأنهما في معنى واحد ،يعني القس والقسيس، قال: ويجمع القسيس قساوسة، جمع على مثال مَهَالبَة، وكان قساسية، فكثرت السينات فأبدلوا إحداهن واوًا[٢]، والقسوسة مصدر القس والقسيس، وقد تكلمت العرب بالقس والقسيس، أنشد المازني:

لـو عَـرضـتْ لأيـبُـلـيٍّ قَـسٍّ أشـعـثَ فـي هـيـكـلِـه مُـنْـدسٍّ
حَـنَّ إلـيـهـا كـحـنـيـنِ الـطَّـسِّ[٣]

وقال أمية:

لو كان مُنفَلتٌ كانت قساوسةٌ يُحييهم اللهُ في أيديهم الزُّبُرُ[٤]

وقساوسة جمع قسيس، على ما ذكرنا، هذا كلام أهل اللغة في القسيس، وقال ابن زيد: «القسيسين: العُبَّاد»[٥].

وقال عروة بن الزبير: ضيعت النصارى الإنجيل، وأدخلوا فيه ما ليس منه، وبقي واحد من علمائهم على الحق والاستقامة وهو قسّيسا، فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس»[٦].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٥٤، و«الصحاح» ٣/ ٩٦٣ (قس).

(٢) كلام الفراء من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩ (قس)، و«تفسير الطبري» ٧/ ٣.

(٣) الرجز منسوب للعجاج، وقد سبق ذكره عند تفسير المؤلف للآية الأولى من سورة النساء.

(٤) البيت في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٥٩ (قس).

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٣.

(٦) لم أقف عليه.

وقال قطرب: القس والقسيس: العالم بلغة الروم[١].

وقال ورقة[٢]:

بـمـا خـبَّـرتـنـا مِـن قـولِ قَـسٍّ ... مـن الـرهـبـانِ أكـرهُ أنْ يـعـوجـا

وعلى هذا فالقس والقسيس مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين، وأما الرهبان فهو جمع راهب، مثل راكب وركبان، وفارس وفرسان، قال الليث: الرهبانية مصدر الراهب، والترهب التعبد في صومعة[٣]، وقال أبو الهيثم: الرهبان يكون واحدًا وجمعًا، فمن جعله واحدًا جعله بناء على فُعلان[٤]، وأنشد:

لـو عـايـنـت رُهبان دَيْرٍ في القُلَلْ ... لأقـبـلَ الـرُّهـبـانُ يـعْـدُو ونَـزَلْ[٥]

قال: ووجه الكلام: أن يكون جمعًا بالنون، قال: وإن جمع الرهبان الواحد رهابين ورهابنة جاز، وإن قلت: رهبانيون، كان صوابًا، ينسبه إلى الرهبانية[٦]، وأصل الرهبانية من الرهبة بمعنى المخافة[٧].

وقال جرير:

رهـبـانُ مـديَـن لـو رأوك تـنـزَّلـوا ... والعُصمُ من شَعَفِ العَقُول الفادِرِ[٨]

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢١٧، والبغوي ٣/ ٨٧، و«زاد المسير» ٢/ ٤٠٨.

(٢) الظاهر أنه ورقة بن نوفل المشهور، من أهل الكتاب. وتقدمت ترجمته.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٨ (رهب)، «اللسان» ٣/ ١٧٤٩ (رهب).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٨٣ (رهب)، «اللسان» ٣/ ١٧٤٨ (رهب).

(٥) البيت دون نسبة في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٨٣ (رهب)، «اللسان» ٣/ ١٧٤٨ (رهب).

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٨٣ (رهب)، «اللسان» ٣/ ١٧٤٨ (رهب).

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٨٣ (رهب)، «تفسير الطبري» ٧/ ٣.

(٨) البيت في الطبري ٧/ ٣، و«اللسان» ٣/ ١٧٤٨ (رهب)، وقال موضحًا البيت: "وعِلٌ عاقل: صعد الجبل، والفادر: المسن من الوعول.

فهذا جمع، ويقال: كيف مدحهم الله ﷻ بأن منهم قسيسين ورهبانًا وليس هذان من أمور المسلمين، وقد نهى النبي ﷺ عنهما فقال: «**إني لا آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهبانًا**»[(١)]؟، والجواب عن هذا ما ذكره أبو بكر محمد بن القاسم[(٢)] رحمه الله فقال: إنما مدحهم الله تعالى بالتمسك بدين عيسى، وبأنهم استعملوا في أمر محمد ﷺ ما أخذ عليهم في التوراة والإنجيل، وكانت الرهبانية مستحسنة في دينهم، ولذلك كانوا يسمون الرئيس في دينهم قسًا وقسيسًا، فذكر الله تبارك وتعالى أسماءهم وألقابهم على سبيل ما يُعرف لهم، ومدح منهم تصديق النبي ﷺ[(٣)]، فكان تأويل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾، ذلك بأن منهم عليما أوصاه عيسى ﷺ، الدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلما دخلوا في الإسلام [...][(٤)] ما كان قبله وألزمهم الأخذ بما يأمر رسول الله ﷺ ورفض ما كانوا يستعلمونه في شريعتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي عن اتباع الحق والإذعان به كما يستكبر اليهود وعبدة الأوثان)[(٥)][(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٩ بسنده عن أبي عبد الرحمن (وقد يكون ابن مسعود). وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٢٦ من حديث عائشة في قصة عثمان بن مظعون قوله ﷺ: "**يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا**"، والدارمي في كتاب النكاح/ باب ٣ النهي عن التبتل ٣/ ١٣٨٦-١٣٨٧ برقم (٢٢١٥) من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: (يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية).

(٢) ابن الأنباري.

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢١٧، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٤) بياض في (ش) بمقدار كلمة.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ٤، و«زاد المسير» ٢/ ٤٠٩.

(٦) إلى هنا نهاية السقط الذي سبقت الإشارة إلى بدايته من نسخة (ج).

٨٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾، قال ابن عباس: يريد النجاشي وأصحابه، قرأ عليهم جعفر الطيار في الحبشة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فأخذ النجاشي شيئًا من الأرض فقال: والله ما زاد على ما قال الله في الإنجيل هذا. فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة، ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يريد الذي نزل على محمد ﷺ وهو الحق ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ يريد مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق من قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] هذا كله كلام ابن عباس وتفسيره[(١)].

وقال أبو إسحاق: أي: مع من شهد من أنبيائك ومؤمني عبادك بأنك لا إله غيرك[(٢)].

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾، قال المفسرون: إن هؤلاء الوفد لما رجعوا إلى قومهم لاموهم على ترك دينهم، فأجابوهم بهذا[(٣)].

قال أبو إسحاق: موضع (لا نؤمن) نصب على الحال، المعنى أي شيء لنا تاركين للإيمان؟[(٤)]، وأراد بالقوم الصالحين أمة محمد ﷺ[(٥)]، دليله قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥][(٦)].

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٥-٦، «الوسيط» ٢/ ٢١٧، ٢١٨، البغوي ٣/ ٨٧، «زاد المسير» ٢/ ٤٠٩، وابن كثير ٢/ ٩٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٠.

(٣) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٤، «الوسيط» ٢/ ٢١٩، البغوي ٣/ ٨٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٠.

(٥) هذا تفسير ابن زيد أخرجه الطبري ٧/ ٧، «زاد المسير» ٢/ ٤١٠.

(٦) «تفسير البغوي» ٣/ ٨٨، «الوسيط» ٢/ ٢١٩، «زاد المسير» ٢/ ٤١٠.

٨٥- قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾، قال الكلبي: أي بالتوحيد[(١)]، وعلى هذا إنما علق الثواب بمجرد القول؛ لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا، وهو المعرفة في قوله: (مما عرفوا من الحق) والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص واستكانة القلب ومعرفته، والقول إذا اقترن به المعرفة والإخلاص فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب[(٢)].

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: (بما قالوا): "يريد بما سألوا" يعني قولهم: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، وقولهم: ﴿وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا﴾ الآية وهذا يدل على مسألتهم الجنة[(٣)]، فعلى هذا التفسير، القول معناه: المسألة.

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، قال ابن عباس: الموحدين[(٤)]، وقال الكلبي: المؤمنين[(٥)].

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾، قال أهل المعاني: لما ذكر الله الوعد لمؤمني أهل الكتاب، ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب[(٦)]، وأطلق اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر.

٨٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، الطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب[(٧)]،

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٢.
(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ٥-٦، والبغوي ٣/ ٨٨.
(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢١٩.
(٤) «تفسير البغوي» ٣/ ٨٨، و «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٢.
(٥) نسبه لابن عباس في زاد المسير ٢/ ٤١٠، «الوسيط» ٢/ ٢١٩.
(٦) هذا وجه المناسبة لهذه الآية وما قبلها، وذكره في الوسيط ٢/ ٢١٩.
(٧) الطبري ٧/ ٨، «الوسيط» ٢/ ٢١٩، البغوي ٣/ ٩٠.

قال المفسرون. هم قوم من أصحاب النبي ﷺ أن يرفضوا[(١)] الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة، وأن يصوموا النهار ويقوموا الليل، وأن لا يناموا على الفرش، ويخصوا أنفسهم[(٢)]، فأُخبِر النبي ﷺ بذلك فقال: «**إن لأنفسكم عليكم حقًا، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا؛ (فإني)[(٣)] أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني**» فأنزل الله ﷻ هذه الآية[(٤)].

واعلم أنْ شريعة نبيه ﵇ غير ذٰلك، وأن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب، وسمى الخصاء اعتداء فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ أي لا تجبوا أنفسكم، وهذا

---

(١) هكذا في النسختين، ولعل الكلام ناقص، فقد يكون الصواب : أرادوا أن يرفضوا.

(٢) من الخصاء وهو وجاء الخصيتين وجبهما.

(٣) ساقط من (ج).

(٤) بهذا السياق وهذه التفاصيل الواردة في القصة وأنها سبب لنزول هذه يروى هذا الأثر مرسلًا فقد أخرجه الطبري من طرق عن التابعين كقتادة وغيره.«تفسير الطبري» ٧/ ٨-١٢، وذكره المؤلف في أسباب النزول ص٢٠٧-٢٠٨، والسيوطي في كتاب: النقول ص ٩٦، ٩٧، قال محقق أسباب النزول : " ما أخرجه ابن جرير عن عكرمة وقتادة وأبي قلابة بمعناه، وهي مراسيل صحيحة الإسناد، إلا أن تفصيل القصة والأشخاص وما رد عليهم الرسول ﷺ عليهم لم يذكر في أثر مسند صحيح وكذا أصلها، والله أعلم.

قلت: لكن لهذه القصة أصل في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس ﵁ في أمر الثلاثة الذين سألوا عن عبادته ﷺ فكأنهم تقالوها فعزموا على القيام والصيام واعتزال النساء فقال ﷺ: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

أخرجه البخاري واللفظ له رقم (٥٠٦٣)، ومسلم برقم ١٤٠١.

قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وإبراهيم(١).

٨٨- قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، قال ابن عباس: يريد من طيبات الرزق، اللحم وغيره(٢)، وقال عبد الله بن المبارك: الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غَذَّا ونَمَّا(٣).

٨٩- قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: إن القوم لما حرموا الطيبات من المآكل والمناكح والملابس حلفوا على ذلك، فلما نزل: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ قالوا: يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا؟ فأنزل الله هذه الآية(٤).

وقد مضى الكلام في معنى لغو اليمين وحكمه مستقصى في سورة البقرة(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾، اختلف القراء في (عقدتم) فقرؤوا مخففًا، ومشددًا، وبالألف من عاقد(٦)، يقال: عقد فلان

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٠-١١، «الوسيط» ٢/ ٢١٩، البغوي ٣/ ٩٠، «زاد المسير» ٢/ ٤١٢، «الدر المنثور» ٢/ ٥٤٤-٥٤٨.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٠، وعزاه المحقق للترمذي في كتاب التفسير من سورة المائدة ولم أجده.

(٣) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٠.

(٤) أخرجه الطبري عن ابن عباس ٧/ ١٣، «الوسيط» ٢/ ٢٢٠، البغوي ٣/ ٩٠، «زاد المسير» ٢/ ٤١٢.

(٥) الظاهر أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (٢٢٥) سورة البقرة.

(٦) قال أبو علي: "... فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (بما عقَّدتُمْ) بغير ألف مشددة القاف، وكذا روى حفص عن عاصم. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (بما عَقَدتُمْ) بغير ألف خفيفة، وكذلك قرأ حمزة والكسائي".
وقرأ ابن عامر: (عاقدتم) بألف. «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥١.

اليمين والعهد والحبل عقدًا، إذا وكده وأحكمه، ومثل ذلك أيضًا عقَّد بالتشديد إذا وكَّد، وعاقد بالألف[(١)]، قال الحطيئة:

وإن عاهدوا أوفوا وإن عاقدوا شدوا[(٢)]

وقال في عقد:

قومٌ إذا عَقَدوا عقدًا لجارِهُم[(٣)]

فقال في بيت: عاقدوا، وفي بيت: عقدوا، فمن قرأ بالتشديد احتمل أمرين: أحدهما أن يكون لتكثير الفعل، لأنه خاطب بهذا الجماعة، فصار كقوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والآخر أن يكون عَقَّد مثل عقد في أنه لا يراد به التكثير[(٤)]، وزيَّف أبو عبيد هذه القراءة فقال: التشديد للتكرير مرة بعد مرة، ولست آمن أن توجب هذه القراءة سقوط الكفارة في اليمين الواحدة، لأنها لم تكرر، ووهم فيما قال؛ لأن معنى تعقيد اليمين أن يعقدها في قلبه ولفظه، ولو عقد عليها في أحدهما دون الآخر لم يكن تعقيدًا، ومتى ما جمع بين اللسان والقلب في قصد اليمين فقد عَقَّد اليمين، ومن قرأ بالتخفيف فإنه صالح للكثير والقليل، يقال: عقدوا أيمانهم، وعقد زيد يمينه[(٥)].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٢ (عقد).

(٢) «ديوانه» ص١٤٠ وصدره:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنى

وهو في تهذيب اللغة ٣/ ٢٥١٢ (عقد).

(٣) صدر بيت للحطيئة في ديوانه ص ١٢٨، وعجزه:

شدوا العِنَاج وشدوا فوقه الكربا

وهو في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٢ (عقد)، و«الحجة» ٣/ ٢٥٢.

(٤) «الحجة للقراءة السبعة» ٣/ ٢٥١.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥٢.

قال أبو عبيد: على هذا وجدنا الآثار كلها، يقال: الأيمان ما عُقِدتَ عليه القلوب، وأما من قرأ بالألف فإنه من المفاعلة التي تختص بالواحد مثل: عافاه الله، وطارقت النعل، وعاقبت اللص، فتكون هذه القراءة كقراءة من خفف[١]، و(ما) مع الفعل بمنزلة المصدر، وليست الموصولة التي تقتضي راجعًا، والتقدير: ولكن يؤاخذكم بعقدكم أو بتعقيدكم أو بمعاقدتكم الآيمان[٢].

وأما التفسير قال عطاء: "هو أن يضمر الأمر، ثم يحلف بالله لا إله إلا هو، فيعقد عليه اليمين[٣].

وقال مجاهد: ما عقد عليه قلبك وتعمدته، يعني كفارة عقدكم (...)[٤] العقد[٥].

قال الكلبي: هو أن يحلف على اليمين، وهو يعلم أنه فيها كاذب[٦].

وقال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن اليمين يؤاخذ بها العبد، ويجب في بعضها الكفارة، وهو ما جرى على عقد[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾، أي: كفارة ما عقدتم يكون حنثًا، فلا

(١) «الحجة» ٣/ ٢٥٢.
(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) بياض في (ج) فقط بمقدار كلمة.
(٥) أخرجه بمعناه الطبري ٧/ ١٤، «الوسيط» ٢/ ٢٢١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٣.
(٦) لم أقف عليه، وفي هذا نظر لأن اليمين الكاذبة، وهي الغموس، لا تكفر. انظر: بحر العلوم ١/ ٤٥٦ وما نقله عن وهب بن منبه، «الدر المنثور» ٢/ ٥٥١ وما رواه عن أبي مالك.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠١، ٢٠٢.

يحتاج إلى الإضمار، وقد يكون موقوفًا على الحنث والبر فيحتاج إلى إضمار إذا حنثتم، ويستغنى عنه أنه مدلول عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾، نصيب كل مسكين مُدّ، وهو ثلثا منٍّ[(١)]، وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والقاسم والحسن[(٢)]، ومذهب الشافعي[(٣)]، وعند أبي حنيفة يطعم نصف صاع من حنطة، وصاعًا من غير الحنطة كالشعير والتمر والزبيب[(٤)]، وهو قول مجاهد، قال: كل إطعام في القرآن للمساكين فهو على نصف صاع[(٥)]، وإن كان المساكين ذكورًا وإناثًا جاز ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه مغلب في كلام العرب.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾، قال ابن عباس: كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة، وقوتًا وسطًا، وقوتًا دون ذلك، فأمر بالوسط[(٦)]، وهذا يعود إلى ما ذكرنا من قدر المد، لأنه وسط في طعام الواحد، وليس بسرف ولا تقتير.

---

(١) الصاع أربعة أمداد، مقدارها بالوزن الحاضر كيلوان ونصف تقريبًا، فيكون المد أقل من الكيلو.

(٢) انظر: الطبري ٧/ ١٨-٢١، والبغوي ٣/ ٩١، وابن كثير ٢/ ١٠١.

(٣) «الأم» للشافعي ٧/ ٦٤، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٦١، والوسيط ٢/ ٢٢١، وابن كثير ٢/ ١٠٢.

(٤) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٦، «النكت والعيون» ٢/ ٦١، والبغوي ٣/ ٩١، وابن كثير ٢/ ١٠١.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ أو قريب منه، والذي أخرج الطبري ٧/ ١٩ عن مجاهد بلفظ: مدان من طعام لكل مسكين. والمدان: نصف صاع، فهو بمعناه.

(٦) أخرجه الطبري بمعناه ٧/ ٢٢، وانظر: زاد المسير ٢/ ٤١٤.

ومثل هذا قال سعيد بن جبير: كان أهل المدينة يفرضون للصغير على قدره، وللكبير على قدره، وللوسط على قدره، فأمروا بأوسط ما يطعمون[(١)]، وهذا وسط في الشبع، لا يكون فوق الحاجة ولا دون المغني من الجوع، ويحتمل أن يريد بالأوسط ما هو أوسط في القيمة، لا يكون غاليًا كالسكر وما يغلو ثمنه من المطعومات، ولا يكون خسيس الثمن كالنخالة والذرة. والأوسط على هذا: الحنطة والتمر والزبيب والخبز، وهذا قول الأسود وعبيدة وشريح[(٢)]، ويحتمل أن يريد الأوسط في الجنس، وهذا كالأوسط في القيمة، قال ابن عباس في رواية عطاء: كل شيء في كتاب الله أوسط فهو أفضل[(٣)]، فعلى هذا يريد: من خير قوت عيالكم، فلو أنه يطعم عياله الحنطة ويقتاتها، لم يجز له أن يعطي الشعير.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾، الكسوة في اللغة معناها: اللباس، وهي كل ما يكتسي به[(٤)]، وأما الذي يجزيء في الكفارة، فهو أقل ما وقع عليه اسم الكسوة: إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة، ومقنعة، ثوب واحد لكل مسكين، وهو قول ابن عباس، والحسن ومجاهد، وعطاء، وطاوس، وإبراهيم[(٥)]، ومذهب الشافعي ﷺ[(٦)].

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٧/ ٢٢، انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٦١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٣.

(٢) «تفسير البغوي» ٣/ ٩١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٤.

(٣) لم أقف عليه، وانظر: القرطبي ٦/ ٢٧٦.

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٣٩ (كسو).

(٥) انظر: الطبري ٧/ ٢٣-٢٤، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٦، «النكت والعيون» ٢/ ٦١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٤.

(٦) «النكت والعيون» ٢/ ٦١، والبغوي ٣/ ٩١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٤.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، قيل: (رقبة) والمراد الجملة؛ لأنه مشبه بالأسير الذي يفك عن رقبته ويطلق[١]، والرقبة المحررة في الكفارة: كل رقبة سليمة من عيب وعاهة تمنع من العمل، صغيرة كانت أو كبيرة، ذكرًا أو أنثى، بعد أن تكون مؤمنة، ولا يجزئ إعتاق الكافرة في شيء من الكفارات[٢].

قال ابن عباس في رواية عطاء: (أو تحرير رقبة) يريد مؤمنة[٣].

وهو قول الحسن أيضًا ومذهب الشافعي[٤]، واحتج بأن الله تعالى قيد بالإيمان في كفارة القتل، وأطلق في غيرها، والمطلق يحمل على المقيد[٥].

قال أبو إسحاق: خُيِّر الحالف بين هذه الثلاثة، وأفضلها عند الله أكثرها نفْعًا وأحسنها موقعًا من المساكين أو من المعتق، فإن كان الناس في جدب لا يقدرون على المأكول إلا بما هو أشد تكلفًا من الكسوة والإعتاق فالإطعام أفضل؛ لأن به قوام الحياة، وإلا فالإعتاق والكسوة أفضل[٦].

وهذا إجماع من العلماء أن المكفر مخير بين هذه الثلاث[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾، قال الحسن: من كان عنده عشرة دراهم

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٢٦.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ٢٨-٢٩، البغوي ٣/ ٩٢، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.

(٣) أخرج الطبري ٧/ ٢٧ عن عطاء قال: يجزئ المولود في الإسلام من رقبة.

(٤) «الأم» ٧/ ٦٥.

(٥) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٢، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٢.

(٧) حكى الإجماع هنا الطبري ١٠/ ٥٥٥.

فعليه أن يطعم في الكفارة[١].

وقال عطاء الخراساني: عشرون درهما[٢].

وقال قتادة: من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته فهو غير واجد، وجاز له الصيام[٣]، وهو مذهب الشافعي[٤]، وعليه دل كلام ابن عباس فيما روى عنه عطاء ،لأنه قال: فمن لم يجد من هذه الثلاثة شيئًا[٥].

وقال الزجاج: من كان لا يقدر على شيء مما حد في الكفارة[٦].

قال الشافعي: إذا كان عنده قوته وقوت عياله، يومه وليلته، ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين، لزمته الكفارة بالإطعام، وإن لم يكن عنده هذا القدر فله الصيام[٧].

وعند أبي حنيفة: يجوز له الصيام إذا كان عنده من المال ما لا تجب فيه الزكاة[٨]، فجعل من لا زكاة عليه عادمًا[٩].

---

(١) المروي عن الحسن درهمان، كما أخرجه الطبري ٧/ ٢٩، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٦٢، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.
(٤) «الأم» ٧/ ٦٦، الطبري ٧/ ٢٩، «النكت والعيون» ٢/ ٦٢، «الوسيط» ٢/ ٢٢١، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.
(٥) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٢.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٢.
(٧) «الأم» ٧/ ٦٦، «الوسيط» ٢/ ٢٢١، ٢٢٢، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.
(٨) «النكت والعيون» ٧/ ٦٣، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.
(٩) وهذا القول مخالف لظاهر الآية، وما عليه جمهور العلماء.

وقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾، أي: فعليه، أو فكفارته ثلاثة أيام، قال ابن عباس والحسن: متتابعات[١]، وهو قول قتادة وأبي بن كعب والثوري، ومذهب أبي حنيفة[٢]، وقال مجاهد: يخير فيهن[٣].

وقال عطاء وإبراهيم: ما لم يذكر في كتاب الله متتابعًا فصمه كيف شئت[٤]، وهو مذهب مالك[٥]، وللشافعي فيه قولان[٦]:

أحدهما: أن التتابع يجب قياسًا على الصيام في كفارة الظهار، ولأن في قراءة عبد الله وأُبي: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٧].

والثاني: أنه مخير، إن شاء فرق، وإن شاء تابع[٨].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، يعني: أيمانكم الكاذبة، التي حنثتم بها، فحذف النعت لأنه مدلول عليه، وإن شئت قلت: ذلك كفارة

---

(١) أخرجه عن ابن عباس الطبري ٧/ ٣٠-٣١، «الوسيط» ٢/ ٢٢٢.
أما الحسن فقد نسب إليه ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٤١٥ القول بجواز التفريق بين صيام الأيام، والله أعلم.

(٢) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٦، والبغوي ٣/ ٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٤١٥، وزاد ابن الجوزي: وهو قول أصحابنا -يعني الحنابلة-.

(٣) هكذا نسب المؤلف لمجاهد رحمه الله القول بالتخيير وكذا في الوسيط ٢/ ٢٢٢ إلا أن المعروف عن مجاهد عند عامة المفسرين القول بلزوم التتابع، كما أخرج ذلك عنه الطبري ٧/ ٣٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٦، «النكت والعيون» ٢/ ٦٣، «زاد المسير» ٢/ ٤١٥.

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠.

(٥) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٤١٥، وابن كثير ٢/ ١٠٣.

(٦) «الأم» ٧/ ٦٦، والبغوي ٣/ ٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٤١٥، وابن كثير ٢/ ١٠٣.

(٧) «الأم» ٧/ ٦٦، والبغوي ٣/ ٩٣، وابن كثير ٢/ ١٠٣.

(٨) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٣، وابن كثير ٢/ ١٠٣.

حنث أيمانكم، ثم حذف المضاف، وقال أبو إسحاق: أي ذلك الذي يغطي على آثامكم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد لا تحلفوا[(٢)]، وقال غيره: واحفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا[(٣)]، وحفظ اليمين يحتمل الأمرين[(٤)].

٩٠- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾، قد ذكرنا في سورة البقرة معنى الخمر والميسر وأصلهما واشتقاقهما[(٥)]، وقد قال ابن عباس في هذه الآية: «يريد الخمر من جميع الأشربة التي تخمر حتى تشتد وتسكر»[(٦)].

وقد قال ﷺ: **«الخمر من تسع: من البِتْع وهو العسل، ومن العنب، ومن الزبيب، ومن التمر، ومن الحنطة، ومن الذرة، والشعير، والسُلت»**[(٧)]، وقال في الميسر: **«يريد القمار، وهو في أشياء كثيرة»**[(٨)]. انتهى كلامه،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٣.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٢، ونسبه محققه لتفسير ابن عباس ص ١٠٠، والبغوي ٣/ ٩٣، و«زاد المسير» ٢/ ٤١٦.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٣١، «النكت والعيون» ٢/ ٦٣، «زاد المسير» ٢/ ٤١٦.

(٤) «النكت والعيون» ٢/ ٦٣. ورجح البغوي ٣/ ٩٣ القول الثاني.

(٥) الظاهر أن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

(٦) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٣، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٣.

(٧) أخرجه بمعناه أبو داود (٣٦٧٦-٣٦٧٧) في الأشربة، باب الخمر ما هي؟ من حديث النعمان بن بشير، والترمذي (١٨٧٢) في الأشربة، باب ما جاء في الحبوب التي يتخذ منها الخمر، وابن ماجه (٣٣٧٩) في الأشربة، باب ما يكون منه الخمر.

(٨) انظر: «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٣.

وقال الزجاج: (والميسر: القمار)[١] كله، وأصله أنه كان قمارًا في الجزور، وكانوا يقسمون الجزور في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءًا، وفي قول أبي عمرو الشيباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة: لا أعرف عدد الأجزاء . وكانوا يضربون عليها بالقداح[٢].

فهذا أصل الميسر، والقمار كله كالميسر[٣]، ويطول الكلام في كيفية قمار العرب على الجزور، فتركت ذلك، قال أبو إسحاق: وقد بينتها على حقيقتها في كتاب «الميسر».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾، قال ابن عباس: يريد أنصبتهم التي نصبوها يعبدونها، وواحدها نَصْبٌ[٤]، وقال في الأزلام: إنها سهام مكتوب عليها خير وشر[٥]، ومثل ذلك قال الفراء والزجاج وغيرهما في الأنصاب والأزلام[٦].

وقد ذكرنا معنى الأنصاب والأزلام في أول السورة عند قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣] .

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالأزلام ههنا: قداح الميسر، قال

---

(١) في (ج): (والميسر والقمار).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٧٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٣، وانظر : «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٦.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص١٤٥، «النكت والعيون» ٢/ ٦٤، «الوسيط» ٢/ ٢٢٦، ونسبه المحقق لتفسير ابن عباس ص ٨٨ ، والبغوي ٣/ ٩٤.

(٥) «النكت والعيون» ٢/ ٦٤، «الوسيط» ٢/ ٢٢٦، وعزاه المحقق لتفسير ابن عباس ص ٨٨، والبغوي ٣/ ٩٤.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣١٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٥، «معاني القرآن» وإعرابه» للزجاج ٢/ ٢٠٣.

الأزهري: ومن قال ذلك فقد وهم.

وقوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، الرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل، يقال: رَجِسَ الرجل رَجَسًا ورَجُسَ، إذا عمل عملًا قبيحًا، وأصل من الرَّجْس بفتح الراء وهو شدة الصوت، يقال: سحاب رجاس، إذا كان شديد الصوت بالرعد، قال الراجز:

وكـل رجَّـاس يَـسُـوق الـرُّجَّـسَـا[1]

فكان الرجس العمل الذي يقبح ذكره جدًا ويرتفع في القبح[2]، قال الزجاج[3]: بالغ الله في ذم هذه الأشياء فسماها رجسًا، وأعلم أن الشيطان يسول ذلك لبني آدم[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، أي: كونوا جانبًا منه[5]، والهاء عائدة على الرجس[6]، والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها، وقد قرن الله تعالى تحريم الخمر بتحريم عبادة الأوثان تغليظًا وإبلاغًا في النهي عن شربها، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«مدمن الخمر كعابد الوثن»**[7].

---

(١) هذا الرجز منسوب للعجاج كما في حاشية «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٦٧ (رجس).

(٢) الكلام من أوله من «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٦٧ (رجس)، «زاد المسير» ٢/ ٤١٧.

(٣) في (ج): (الزجاجي)، وهو تصحيف لأن الكلام للزجاج.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٦، «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٥٦.

(٦) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٤.

(٧) أخرجه البخاري في تاريخه ١/ ١٢٩، ٣/ ٥١٥، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٥/ ١٢، وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع الصغير» ٥/ ٢٠٥ برقم ٥٧٣٧.

وقال ﷺ: «أكثر ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال»[١]. يعني: عداوة الرجال.

٩١- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، قال ابن عباس: يريد سعد بن أبي وقاص ورجلًا من الأنصار كان مواخيًا لسعد، فدعاه إلى طعام فأكلوا وشربوا نبيذًا مسكرًا، فوقع بين الأنصاري وسعدٍ مراءٌ ومفاخرة، فأخذ الأنصاري لَحي بَعير فضرب به سعدًا حتى أثر في وجهه، فأنزل الله ذلك فيهما[٢].

قال أهل المعاني: إن الشيطان يزين لهم ذلك، حتى إذا سكروا وزالت عقولهم أقدموا من المكاره والمقابح على ما كانت تمنعه منه عقولهم[٣]، وأما العداوة في الميسر فقال قتادة: كان الرجل يقامر في أهله وماله، فيقمر فيبقى[٤] حريبًا[٥] سليبًا، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر والقمار ألهاه ذلك عن ذكر الله جل وعز بالتعظيم، والشكر على آلائه، وعن عبادته.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، قال ابن عباس:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) القصة من حديث سعد في صحيح مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص، والطبري ٧/ ٣٣-٣٤ من طرق، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٠٩.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٢.

(٤) في (ج): (ويبقى).

(٥) في ش: (حربيًا).

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٣٥، «الوسيط» ٢/ ٢٢٧.

قالوا ﷺ انتهينا ربنا[١]، وكان عمر ﷺ يقول: اللهم بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا حتى نزلت هذه الآية فقال: انتهينا انتهينا[٢].

قال ابن الأنباري: بُيِّن تحريم الخمر في قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ إذ كان معناه: فانتهوا[٣].

قال الفراء: ردد علي أعرابي: هل أنت ساكت؟ هل أنت ساكت؟ وهو يريد: سكت[٤]؟.

وقال غيره: إنما جاز في صيغة الاستفهام أن يكون على معنى النهي؛ لأن الله تعالى ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها، وإذا ظهر قبح الفعل للمخاطب، ثم استفهم عن تركه، لم يسعه إلا الإقرار بالترك، فكأنه قيل: أتفعله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر، فصار المنهي بقوله: (فهل أنتم منتهون) في محل قد عقد عليه ذلك بإقراره، فكان هذا أبلغ في باب النهي من أن لو قيل: انتهوا ولا تشربوا[٥].

ولما ذكر الأمر باجتناب الخمر وما بعدها، أمر بالطاعة فيه وفي غيره من أمر الله ﷻ[٦] فقال:

٩٢- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾، أي: المحارم والمناهي[٧]،

---

(١) الأثر عن بريدة أخرجه الطبري ٧/ ٣٤، «الوسيط» ٢/ ٢٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٧٠) كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، والترمذي (٣٠٤٩) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة، والطبري ٧/ ٣٣-٣٤.

(٣) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٧.

(٤) ليس في «معاني القرآن»، «الوسيط» ٢/ ٢٢٧، «زاد المسير» ٢/ ٤١٩.

(٥) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٤، «زاد المسير» ٢/ ٤١٩.

(٦) وجه المناسبة للآية وما بعدها.

(٧) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٤.

وقال عطاء: يريد احذروا سخطي[(١)]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، معناه: الوعيد، كأنه قيل: فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب لتولّيكم عما أدى رسولنا من البلاغ المبين، فوضع كلامَ موضع كلام للإيجاز، ولو كان على غير هذا التقدير لم يصح؛ لأنْ عليهم أنْ يعلموا ذلك تولوا أو لم يتولوا، وإنما صار هذا وعيدًا لأنهم إذا علموا أن الرسول قد بلغ ولم يطيعوه استحقوا العقاب[(٢)].

وأجراه بعضهم على ظاهره، وقال: معناه فاعلموا أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، فأما توفيق الطاعة والخذلان للمعصية، والثواب والعقاب فذلك ما لا يملكه الرسول[(٣)].

٩٣- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ الآية، قال ابن عباس: لما نزل تحريم الخمر والميسر، قالت الصحابة: يا رسول الله ما نقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله هذه الآية[(٤)].

وقال عطاء: قالوا في أنفسهم: ليت شعرنا ما فعل الله في أصحابنا الذين قتلوا في سبيل الله وهي في بطونهم، وهم شهداء بدر وأحد وغير ذلك.

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٥-٣٦.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٧، «زاد المسير» ٢/ ٤١٩.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٥-٣٦.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٣٧، ونحوه في الصحيحين عن أنس وسيأتي تخريجه قريبًا.

ونحو هذا من القول في سبب النزول، قال أنس[١] والبراء بن عازب[٢] ومجاهد وقتادة[٣] والضحاك[٤].

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾، يعني: من الخمر والميسر[٥]، وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعًا.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾، يعني: المعاصي والشرك[٦]، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ الخمر والميسر بعد تحريمها[٧]، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ يعني: جميع المحرمات، هذا قول المفسرين[٨].

وقال أصحاب المعاني: الأول: عمل الاتقاء، والثاني: دوام الاتقاء والثبات عليه، والثالث: اتقاء ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه[٩].

وقال ابن كيسان: لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار؟ وكيف بالقتلى في سبيل الله؟ وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون أن الله حرم الخمر

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: المظالم، باب: ٢١ صب الخمر في الطريق، ومسلم (١٩٨٠) كتاب الأشربة، باب: تحريم الخمر، والمؤلف في أسباب النزول ص٢١١-٢١٢.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٠) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة، والطبري ٧/ ٣٧، والمؤلف في أسباب النزول ص٢١٢.

(٣) أخرجه عن مجاهد وقتادة الطبري ٧/ ٣٧، وعن قتادة المؤلف في الوسيط ٢/ ٢٢٨.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٣٩.

(٥) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٧، والبغوي ٣/ ٩٦.

(٦) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨، «الوسيط» ٢/ ٢٢٧، البغوي ٣/ ٩٦.

(٧) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٩.

(٨) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٩، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٠.

(٩) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٦، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٨.

وهم يطعمونها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأموات والأحياء في البلدان ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم فيما طعموا من الخمر والقمار ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ما حرم الله عليهم ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ بالله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في إيمانهم ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ﴾ إن أحدث الله لهم تحريم شيء مما أحل لهم ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾ فيما تعبدهم الله به[1].

٩٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ الآية، قد ذكرنا معنى ابتلاء الله في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، والواو في ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ مفتوحة لالتقاء الساكنين، ومعناه: ليختبرن طاعتكم من معصيتكم، أي: ليعاملنكم معاملة المختبر[2]، قال مقاتل بن حيان[3]: كان هذا عام الحديبية، كانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم كثيرة وهم محرمون، لم يروها قط فيما خلا، فنهاهم الله عنها ابتلاء[4].

وقوله تعالى: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ إنما بَعَّض لأنه عنى صيد البر دون صيد البحر[5]، وهو قول الكلبي، قال: أراد صيد البر خاصة[6].

---

(١) هذا الأثر بمعنى ما تقدم عن أنس والبراء وابن عباس وغيرهما، وسبق تخريجها، ولم أقف عليه بهذا السياق.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ٣٩، «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٦، «النكت والعيون» ٢/ ٦٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٢١.

(٣) قد يكون مقاتل بن سليمان، فإن نحو هذا القول في تفسيره، كما سيأتي في عزوه.

(٤) «تفسير مقاتل» بن سليمان ١/ ٥٠٣ بنحوه.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٦.

(٦) «النكت والعيون» ٢/ ٦٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٢١، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٣.

قال الزجاج: ويحتمل التبعيض أن ينصرف إلى صيد الإحرام دون صيد الإحلال، فكان ذلك بعض الصيد، وجائز أن يكون قوله: ﴿بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ للتجنيس، فتكون (من) ههنا تُبيِّن جنسًا من الأجناس، كما تقول: لأمتحنَنَّك بشيء من الوَرِق، أي بالجنس الذي هو وَرِق، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، والأوثان كلها رجس، والمعنى: اجتنبوا الرجس الذي هو وثن[(١)]، وأراد بالصيد المفعول بدليل قوله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ والصيد إذا كان بمعنى المصدر يكون حدثًا، وإنما يوصف بنيل اليد والرماح ما يكون عينًا، والذي تناله الأيدي من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش، والذي تناله الرماح الكبار، وهذا قول ابن عباس والكلبي ومجاهد[(٢)] والفراء[(٣)] والزجاج[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾، قال المفسرون: ليرى الله[(٥)]، وقد مضى بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾، قال الكلبي: أي من يخاف الله ولم يره[(٦)]، والجار في محل النصب بالحال، والمعنى: من يخافه غائبًا عن رؤية الله تعالى، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [ق: ٣٣]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٦.

(٢) أخرجه عن ابن عباس ومجاهد: الطبري ٧/ ٣٩، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٩، «النكت والعيون» ٢/ ٦٦، البغوي ٣/ ٩٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٢١.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٣١٩.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٦.

(٥) «النكت والعيون» ٢/ ٦٦، و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٦، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١١٠.

(٦) هذا قول مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٥٠٣، ٥٠٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وقد أحكمنا هذا ومعنى الغيب في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، قال ابن عباس: يريد بعد نهي(١)، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

قال ابن عباس: يوسع ظهره وبطنه جلدًا، ويسلب ثيابه(٢).

هذا قول أكثر أهل التفسير في هذه الآية(٣)، وقال عطاء: ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ يريد حمام مكة ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ يريد أنها تفرخ في بيوت أهل مكة في الكِواء(٤) على الطرق وقدر القامة وأدنى من القامة وأكثر من القامة وقدر رمح، فنُهي من أخذها وأكلها ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ يريد يأخذها سرًّا عن السلطان، وعن أهل الفضل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٥).

٩٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ الآية.

حرم الله تعالى قتل الصيد على المحرم، فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرمًا، لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطير، سواء كان الصيد صيد الحل أو صيد الحرم(٦)، وأما الحلال فله أن يصيد في الحل

---

(١) «النكت والعيون» ٢/ ٦٦.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٢٨، وعزاه المحقق «لتفسير ابن عباس» ص١٠١، و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٠، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨، «النكت والعيون» ٢/ ٦٦، و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.

(٤) الكِواء: جمع كوَّة وهي الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩٦٤ (كوي)

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٤، «النكت والعيون» ٢/ ٦٦.

وليس له أن يصيد في الحرم، والآية هل تدل على هذا أم لا ؟

أما عند المفسرين فالآية واردة في المحرمين[(١)]، وعند أهل المعاني يجوز حمل الآية على الحكمين جميعًا، فإن قوله ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ يصلح للمحرمين وللداخلين في الحرم، وإذا شمل اللفظ المعنيين جميعًا فهما منه[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾، قال مجاهد والحسن وابن جريج وإبراهيم وابن زيد: هو الذي يتعمد القتل ناسيًا لإحرامه، وعليه الجزاء، فأما إذا تعمد القتل ذاكرًا لإحرامه فلا جزاء عليه، لأنه أعظم من أن يكون له كفارة[(٣)]، وقال ابن عباس وعطاء والباقون: يحكم عليه بالجزاء وإن تعمد القتل مع ذكر الإحرام[(٤)]، وهذا مذهب عامة الفقهاء[(٥)]، فأما إذا قتل الصيد خطأ، بأن قصد غيره بالرمي فأصابه، فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عند عامة أهل التفسير والفقه، وذلك أنهم ألحقوا المخطىء بالعامد في وجوب الكفارة، كما ألحقوا العامد بالمخطىء في كفارة القتل[(٦)]، وقال سعيد بن جبير: لا أرى في الخطأ شيئًا[(٧)]، وهذا قول شاذ لا يؤخذ به، وقال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾، ارتفع ﴿فجزاءٌ﴾ بإضمار:

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٤، «النكت والعيون» ٢/ ٦٦.
(٢) «النكت والعيون» ٢/ ٦٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.
(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٣، «النكت والعيون» ٢/ ٦٧، البغوي ٣/ ٩٧.
(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٢، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.
(٥) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٧، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٢.
(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٢، «الوسيط» ٢/ ٢٢٩، البغوي ٣/ ٩٧.
(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٤٣ بمعناه.
(٨) أخرجه الطبري ٧/ ٤٣، «الوسيط» ٢/ ٢٢٩.

فعليه[١]، أو: فاللازم له، أو: فالواجب عليه.

وقال الزجاج: ويجوز أن يُرفَع (جزاء) على الابتداء، ويكون (مثل ما قتل) خبر الابتداء، ويكون المعنى: فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل[٢]، واختلف القراء في هذا، فقرأ بعضهم بالتنوين ورفع المثل[٣]، لأن المعنى: فعليه جزاء مماثلٌ للمقتول من الصيد، فمثل مرفوع لأنه صفة لقوله: (فجزاء) ولا ينبغي إضافة جزاء إلى المثل، ألا ترى أنه ليس عليه جزاء مثل ما قتل في الحقيقة، إنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله. وإذا كان كذلك علمت أن الجزاء لا ينبغي أن يضاف إلى (مثل) لأنه يوجب جزاء المثلِ، والموجَبُ جزاءُ المقتول من الصيد، لاجزاءُ مثله الذي ليس بمقتول[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾، يجوز أن يكون صفة للنكرة التي هي (فجزاء) والمعنى: فجزاء من النعم مثلٌ لما قتل، ويجوز أن يكون متعلقًا بمثل، أي: مثلٌ لما قتل من النعم[٥].

وأما من أضاف الجزاء إلى مثل فقال: فجزاء مثل ما قتل، فإنه وإن كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، فإنهم قد يقولون: أنا نكرم مثلك، يريدون: أنا أكرمُك، وإذا كان كذلك كانت الإضافة في المعنى كغير

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٧٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٧.

(٣) قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فجزاءُ مثلِ ما) مضافة بخفض مثل.«الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥٤.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٥٥، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨.

الإضافة، لأن المعنى: فعليه جزاءُ ما قتل، ومما يؤكد أن المثل وإن كان قد أضيف إليه الجزاء فالمعنى: فعليه جزاء المقتول لا جزاءُ مثله الذي لم يقتل قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] والتقدير: كمن هو في الظلمات، والمِثْلُ والمَثَلُ والشِّبْهُ والشَبَهُ واحدٌ، فإذا كان مَثلُه في الظلمات فكأنه هو أيضًا فيها[١].

واختلفوا في هذه المماثلة أهي في القيمة أو بالخلقة: فالذي عليه عُظْم أهل العلم والتأويل: أن المماثلة في الخِلقَه، ففي النعامة بدنة، ، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الضبع كبش، وفي الظبي شاة، وفي الغزال والأرنب حَمَل، وفي الضب سخلة، وفي اليَربُوع جَفْرة[٢].

قال الشافعي بعدما ذكر هذا الفصل: ينظر إلى أقرب ما يقتل من الصيد شبهًا من النعم بالخلقة لا بالقيمة[٣]، وكل دابة من الصيد لم يسمها ففداؤها ما يقرب منها في الخِلقَة من النَعَم قياسًا على ما سميناه، هذا في الدواب، فأما في الطائر: فقال الشافعي: الطائر صنفان: حمام، وغير حمام، فكل ما عَبّ وهدر كالفواخت وذوات الأطواق والقُمري والدُّبسي فهو حمام، وفيه شاة، وما سواه من الطير ففيه قيمته في المكان الذي أصيب فيه[٤]، وهذا قول عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس

(١) الحجة ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨.
(٢) «الأم» للشافعي ٢/ ٢٠٦، والطبري ٧/ ٤٤-٥٠، و«النكت والعيون» ٢/ ٦٧، والبغوي ٣/ ٩٧، ٩٨، والقرطبي ٦/ ٣١٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٥٧٩-٥٨١.
(٣) «الأم» ٢/ ٢٠٦، ٢٠٧.
(٤) «الأم» ٢/ ٢٠٧، و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٧.

وابن عمر والسدي ومجاهد وعطاء والضحاك[(١)].

وقال إبراهيم النخعي: يُقوم الصيد المقتول بقيمة عادلة، ثم يشترى بثمنه مثله من النعم[(٢)] فاعتبر المماثلة بالقيمة.

والصحيح القول الأول[(٣)]، لأن أولئك القوم حكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي هناك بدنه، وفي حمار الوحش ببقرة (وهو لا يساوي)[(٤)] هناك بقرة.

وعند أبي حنيفة لا يجوز أن يهدى (في)[(٥)] جزاء الصيد إلا ما يجوز أن يضحى به، فإذا لم يبلغ قيمة الصيد هديًا أطعم أو صام[(٦)]، وهذا خلاف قول الإجماع من الصحابة.

وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان (منكم) أي من أهل ملتكم ودينكم، فقيهان عدلان، فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به[(٧)].

قال ميمون بن مهران: جاء أعرابي إلى أبي بكر ﷺ فقال: إني أصبت من الصيد كذا وكذا، فسأل أبو بكر أبي بن كعب، فقال الأعرابي: أتيتك

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٤٤-٥٠، والبغوي ٣/ ٩٧، ٩٨، و«الدر المنثور» ٢/ ٥٧٩-٥٨١.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٥٠.

(٣) وهو اختيار الطبري ٧/ ٥٠.

(٤) في (ج): (وهي لا تساوي).

(٥) ليس في (ج).

(٦) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٨، «النكت والعيون» ٢/ ٦٧، القرطبي ٦/ ٣١٠.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٧، «النكت والعيون» ٢/ ٦٧، «الوسيط» ٢/ ٢٢٩، ونسبه المحقق لتفسير ابن عباس ص ١٠١، والبغوي ٣/ ٩٧، و «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٣.

أسألك وأنت تسأل غيرك، فقال أبو بكر: وما أنكرت من ذلك ؟ قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فشاورت صاحبي، فإذا اتفقنا على شيء أمرناك به[١].

وأخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم رحمه الله، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري، أخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا علي بن عبد العزيز، حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثني ابن أبي أمية، عن أبي عوانة، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: خرجنا حُجاجًا، فكنَّا إذا صلينا الغداةَ اقتدنا رواحلنا نتماشى ونتحدث، فبينا نحن ذات غداة إذ[٢] سنح لنا ظبي فابتدرنا، فابتدرته ورميته فأصاب خُشَّاءَه[٣] فركب رَدْعَهُ[٤] فمات، فلما قدمنا مكة سألنا عمر بن الخطاب، وكان حاجًا وكان جالسًا إلى جنبه عبد الرحمن بن عوف، فسألته عن ذلك، فقال عمر لعبد الرحمن: ما ترى؟ قال: عليه شاة، قال: وأنا أرى ذلك، فقال: اذهب فاذبح[٥] شاة، فخرجت إلى صاحبي فقلت: إنْ أمير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره، قال: فلم يفجأنا إلا عمر ومعه الدِّرة فعلاني بالدرة وقال: أتقتل في الحرم وتُسَفِّه الحكم؟ قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بإسناد جيد. انظر: ابن كثير ٢/ ١١٢، كما أخرجه عبد بن حميد أيضًا.«الدر المنثور» ٢/ ٥٨١.

(٢) في (ش): (إذ).

(٣) بضم الخاء وتشديد الشين، والخشاء: هو العظم الدقيق العاري من الشعر الناتىء خلف الأذن (تحقيق شاكر للطبري).

(٤) ركب ردعه: إذا خر لوجهه على دمه، وأصل الردع ما تلطخ به الشيء من زعفران وغيره، وهو أثر دمه (تحقيق شاكر للطبري).

(٥) في (ش): (فاهد).

﴿عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ :أنا عمر وهذا عبد الرحمن[١].

وجوز عمر ﷺ أن يكون الجاني على الصيد أحد الحكمين فيما روي أن أربد[٢] أوطأ فرسه[٣] ففزر ظهر، فسأل عمر بن الخطاب فقال له عمر: احكم، فقال: أنت أعدل يا أمير المؤمنين فاحكم، فقال: إنما أمرتك بأن تحكم وما أمرتك بأن تزكيني، فقال: أرى فيه جَدْيًا جمع الماء والشجر، فقال: افعل ما ترى[٤].

قال العلماء: في هذه الآية دلالة على صحة الاجتهاد في الأحكام، لأن الله تعالى جعل الحكم إلى العدلين ،وقد يقع في ذلك الاختلاف، فيحكم عدلان في جزاء صيد بشيء، ويحكم عدلان آخران لإنسان آخر في جزاء مثله من الصيد بشيء آخر، وكله حق وصواب.

وقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ﴾، قال الزجاج: (هديًا) منصوب على الحال، المعنى يحكم به مقدّرًا أن يهدي[٥]، قال أبو علي: ومثله قولك: معه صقر صائدًا به غدًا، أي مقدرًا الصيد[٦]، وقد سبق بيان هذا في مواضع من الكتاب، و﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ لفظه لفظ معرفة، ومعناه النكره، لأن المعنى:

---

(١) أخرجه من طريق عبد الملك بن عمير عن قبيصة. الطبري ٧/ ٤٥-٤٨، وكذا ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه. «الدر المنثور» ٢/ ٥٨١.

(٢) هو أربد بن عبد الله البجلي، أدرك الجاهلية، ترجمه ابن حجر في الإصابة من القسم الثالث، وذكر قصته هذه. انظر : «الإصابة» ١/ ١٠١.

(٣) أي حمل دابته حتى وطئت الضب، أي داسته (تحقيق شاكر للطبري).

(٤) أخرجه الشافعي في «الأم» ٢/ ٢٠٦، والطبري ٧/ ٤٩، وقال ابن حجر: إسناده صحيح.الإصابة ١/ ١١١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٨، انظر : «الطبري» ٧/ ٥٠.

(٦) «الحجة للقراء السبعة» ١/ ٢٦٨.

بالغًا الكعبة، إلا أن التنوين حذف استخفافًا[١]، ومثله قوله تعالى: ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾[٢] [الأحقاف: ٢٤]، وقد شرحنا هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سورة النساء [٩٧]، والكعبة: البيت الحرام، سمي كعبة لارتفاعه وتربيعه، والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة[٣]، قال ابن عباس: يريد إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾، اختلف القراء ههنا، فنون بعضهم الكفارة ،ولم يضف الكفارة إلى الطعام؛ لأن الكفارة ليست للطعام وإنما الكفارة لقتل الصيد[٥]، وأضاف الآخرون الكفارة إلى الطعام[٦]؛ لأنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدي والطعام والصيام، استجاز الإضافة لذلك، فكأنه قيل: كفارة طعام، لا كفارة هدي ولا كفارة صيام، فاستقامت الإضافة لكون الكفارة من هذه الأشياء[٧].

واختلفوا في (أو) في هذه الآية هل هي للتخيير أم لا؟ فقال ابن عباس في بعض الروايات ومجاهد وعامر وإبراهيم والسدي: إن (أو) ليس

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٨، «تفسير الطبري» ٧/ ٥٠.

(٢) في (ج): (ممكرنا).

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥٢ (كعب)، والصحاح ١/ ٢١٣ (كعب).

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٥١.

(٥) «الحجة» ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨، ونسب القراءة هذه لابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحمزة والكسائي.

(٦) بعد هذه الكلمة وجد زيادة في (ج) وهي: " لأن الكفارة ليست للطعام وإنما الكفارة لقتل الصيد"، ولعل هذا سهو من الناسخ؛ لأن هذه الجملة من الكلام تقدمت في تعليل القراءة الأولى، فليتنبه.

(٧) «الحجة» ٣/ ٢٥٧، ٢٥٨ ونسب هذه القراءة لنافع وابن عامر.

على التخيير ولكن على الترتيب، لأنه لا يخرج حكم الجزاء عن أحد الثلاثة، إن لم يجد الجزاء بالهدي إما لعدم (الثمن)[١] أو لعوز النعم فالإطعام، وإن لم يجد الإطعام فالصيام، وقال ابن عباس في بعض الروايات وعطاء والحسن وإبراهيم: إن (أو) للتخيير[٢]. وإليه ذهب الشافعي[٣].

قال الزجاج: الذي يوجبه اللفظ التخيير، وهو الاختيار على مذهب اللغة[٤]، قال الشافعي: إذا قتل صيدًا فإن شاء جزاه بمثله، وإن شاء قوم المثل دراهم، ثم الدراهم طعامًا، ثم يتصدق به، وإن شاء صام عن كل مُدٍّ يومًا[٥]، واختلفوا كيف يقوم الصيد طعامًا، فمذهب الشافعي ما ذكرنا وهو أن يقوم مثله من النعم دراهم، ثم الدراهم طعامًا، وهو قول عطاء[٦].

وقال قتادة: يقوم نفس الصيد المقتول حيًّا، ثم يجعل طعامًا[٧]، واختلفوا في أي موضع يعتبر قيمة الصيد، فمذهب الشافعي وأكثر الفقهاء أنه يقوم بالمكان الذي أصابه فيه، وهذا مذهب إبراهيم وحماد وأبي حنيفة[٨].

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ٥٣، «الدر المنثور» ٢/ ٥٨٣.

(٣) «الأم» ٢/ ٢٠٧.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٨.

(٥) «الأم» ٢/ ٢٠٧.

(٦) «الأم» ٢/ ٢٠٧، والطبري ٧/ ٥٣ عن عطاء.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٥٤.

(٨) «تفسير الطبري» ٧/ ٥٤.

وقال الشعبي: يقوم بمكة بثمن مكة لأنه يكفر بها[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾، قال الفراء: العدل ما عادل الشيء من غير جنسه، والعِدْل المثل، تقول: عندي عِدلُ غلامك وشاتك، إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلامًا، وإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين فقلت: عَدْل، وربما قال بعض العرب: عِدْله وكأنه منهم غلط، لتقارب معنى العَدْل من العِدْل ولفظه[٢].

وقال أبو الهيثم: العِدلُ المثل، هذا عِدْلُه أي مثله، والعَدْل القيمة، تقول: خُذ عَدْله منه كذا، أي قيمته. قال: والعِدل اسم حمْلٍ معدول بحمل، أي مَسَوَّى به، والعَدْل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلًا[٣].

وقال الزجاج: العَدْل والعِدلُ واحد في المعنى، وهما بمعنى المثل، كان المثل من الجنس أو من غير الجنس، ولا تقول: إن العرب غلطت وليس إذا أخطأ مخطىء وجب أن تقول: إن العرب غلطت[٤].

وقال ابن الأعرابي: عَدْل الشيء وعِدله سواء، أي مثله[٥].

قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿صِيَامًا﴾ منصوب على التمييز. المعنى: ومثل ذلك من الصيام[٦].

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٥٥.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٢٠، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٨، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٨.

وقال الفراء: ونصبك الصيام على التفسير، كما تقول: عندي رطلان عسلًا، وملء بيت قَتًا. قال: والأصل فيه أن تنظر إلى (مِنْ)، فإن حسنت فيه ثُمَّ أُلقيت نصبت، ألا ترى أنك تقول: عليه عَدْل ذلك من الصيام، وكذلك قوله تعالى: ﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [آل عمران: ٩١][(١)]، قال عطاء: يصوم لكل مُدٍّ يومًا[(٢)]، وهو مذهب الشافعي[(٣)]، وعند أبي حنيفة يصوم لكل نصف صاع يومًا[(٤)].

قال الشافعي: ولا يجزئه أن يتصدق بشيء من الجزاء إلا بمكة أو بمنى، وأما الصوم حيث شاء؛ لأنه لا منفعة فيه لمساكين الحرم[(٥)]، واعلم أن الجزاء إنما يجب فيما يؤكل لحمه من الدواب، وأما السباع غير المأكولة فلا جزاء في قتلها[(٦)]، وكذلك الفواسق وهن خمس.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يزيد، حدثنا إبراهيم شريك، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: **«خمسٌ من الدوابِّ ليس على المحرم في قتلهن جناح، الغُرابُ والحِدَأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»**[(٧)].

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٣٢٠، «تفسير الطبري» ٧/ ٥٧، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨ (عدل).

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٥٧.

(٣) «الأم» ٢/ ٢٠٧، «النكت والعيون» ٢/ ٦٨.

(٤) «بحر العلوم» ١/ ٤٥٩، والبغوي ٣/ ٩٨.

(٥) «الأم» ٢/ ٢٠٧.

(٦) «الوسيط» ٢/ ٢٣٠.

عموم السباع فيها خلاف وتفصيل.ذكره القرطبي ٦/ ٣٠٣، ٣٠٤ فلينظر إليه.

(٧) أخرجه البخاري (١٨٢٦) كتاب: جزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من =

وقوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريد جزاء ما صنع وعاقبته[١]، والوبال في اللغة: ثقل الشيء في المكروه، يقال: مرعى وبيل، إذا كان يستوخم، وماء وبيل، إذا لم يستمرأ. يقال: رعينا كلأً وبيلًا، وقال أبو زيد: استوبلت الأرض إذا لم يستمرىء بها الطعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾، قال الحسن وعطاء والسدي: عما مضى في الجاهلية[٣]، وقال آخرون: عما سلف قبل التحريم في الإسلام[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾، اختلفوا في حكم من عاد: فقال عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير: إذا عاد إلى قتل الصيد محرمًا بعدما حُكِمَ عليه في المرة الأولى حكم عليه ثانيًا وهو بصدد الوعيد لقوله تعالى: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[٥]، وعلى هذا مذهب الفقهاء، وهو قول مجاهد[٦]، وقال ابن عباس وشريح والحسن: إن عاد لم يلزم الجزاء، ويقال له: اذهب فسينتقم الله منك[٧].

قال ابن عباس: إذا عاد في المرة الثانية لقتل الصيد لم يحكم عليه،

= الدواب ٢/ ٢١٢، ومسلم (١١٩٨) كتاب: الحج، باب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب وغيرهما.

(١) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٨، و«اللسان» ٨/ ٤٧٥٥ (وبل).

(٣) أخرجه عن عطاء الطبري ٧/ ٥٨، و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٦ ورجح ابن الجوزي هذا القول.

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٥٨-٥٩، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٩، «النكت والعيون» ٢/ ٦٨.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ٥٩.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٦١، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٩، «النكت والعيون» ٢/ ٦٨.

(٧) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٠-٦١، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٩.

ولكن يملأ بطنه وظهره بالسياط ضربًا وجيعًا[(١)]، وكذلك حكم رسول الله ﷺ في «وج» وهو وادٍ بالطائف، جعله حرامًا كحرمة البلد الحرام، فمن قتل صيده ملىء ظهره وبطنه جلدًا وسلب ثيابه[(٢)].

والفاء في قوله تعالى: ﴿فَيَنتَقِمُ﴾ جواب الشرط، والتقدير: ومن عاد فإن الله ينتقم منه[(٣)]، قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] إن في هذه الآي إضمارًا مقدرًا، كأنه: ومن عاد فهو ينتقم الله منه، ومن كفر فأنا أمتعه، ومن يؤمن فهو لا يخاف، لأن الفاء لا تدخل في جواب الشرط على الفعل إذا كان مستغنًى عنه مع الفعل، وإنما يحتاج إلى الفاء مثل قولك: إن تأتني فأنت مكرم[(٤)].

قال أبو علي: وموضع الفاء مع ما بعدها جزم، وعلى هذا قرأ بعض القراء: ﴿مَن يُضْلِلِ الله فَلَا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرْهُم﴾ [الأعراف: ١٨٦] بالجزم، بحمل إياه على موضع: (فلا هادِي)[(٥)]، ويقال: انتقمت منه إذا كافأه عقوبة بما صنع والنِّقَمَة والنَّقْمة العقوبة والإنكار[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، قال عطاء: منيع ذو انتقام من

---

(١) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٧.

(٢) أخرج أبو داود (٢٠٣٢) كتاب: المناسك، باب: ٩٧ عن الزبير ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن صيد وج وعضاهه حرام محرم لله». و«تفسير البغوي» ٣/ ٩٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٩.

(٤) انظر: «الكتاب» ٣/ ٦٩.

(٥) «الحجة» ٤/ ١٠٩، ١١٠.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٣، «النكت والعيون» ٢/ ٦٨.

أهل معصيته»[١].

٩٦- قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد بصيده ما أصاب من داخل البحر[٢].

وجملة ما يصاد من البحر ثلاثة أجناس: الحيتان وأنواعها، وكلها حلال، والضفادع وأنواعها، وكلها حرام[٣].

واختلفوا فيما سوى هذين، فقال بعضهم: إنه حرام وهو مذهب أبي حنيفة[٤]، وقال بعضهم: حلال[٥]، وعنى بالبحر جميع المياه، والأنهار داخلة في هذا، والعرب تسمي النهر بحرًا، والقرية التي فيها ماء جارٍ عندهم بحر، ومنه قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١][٦]، وهذا الإحلال عام لكل أحد، محرمًا كان أو محلًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾، اختلفوا في طعام البحر ما هو، فقال عطاء عن ابن عباس: هو ما لفظه البحر، وقال أيضًا: هو ما حسر عنه الماء وألقاه إلى الساحل[٨]، ونحو ذلك قال الكلبي[٩] وعكرمة[١٠].

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٣٠.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٦٣ بمعناه من طرق أخرى.

(٣) «تفسير البغوي» ٣/ ١٠٠، ١٠١، وعند مالك يباح كل ما فيه من ضفدع وغيره.«زاد المسير» ٢/ ٤٢٨.

(٤) «تفسير البغوي» ٣/ ١٠١، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٨.

(٥) وهذا قول الجمهور. «تفسير البغوي» ٣/ ١٠١.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٤.

(٧) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٤.

(٨) أخرجه بنحوه من طرق : الطبري ٧/ ٦٥، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٠٠، و«الدر المنثور» ٢/ ٥٨٦.

(٩) «النكت والعيون» ٢/ ٦٩، و «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري ٧/ ٦٦.

وقال أبو بكر الصديق: طعامه ميتته[١]، وعلى هذا فالصيد ما صيد بعلاج حيًا، والطعام ما يؤخذ مما لفظه البحر، أو نضب عنه الماء، أو طفا ميتًا من غير معالجة في أخذه، واختلفوا في السمك الطافي، فعند أهل الكوفة لا يحل أكله، لأنه مات حتف أنفه[٢]، وعند غيرهم يجوز أكله[٣]، لقوله ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان ودمان**»[٤]، وقوله في البحر: «**هو الطهور ماؤُه الحل ميتته**»[٥].

وقال سعيد بن جبير وإبراهيم وابن المسيب ومقاتل وقتادة: (صيد البحر) الطري (وطعامه) المليح منه[٦]، فسمى الطري صيدًا لأنه صيد، وسمي المليح طعامًا؛ لأنه لما ملح وصار عتيقًا سقط عنه اسم الصيد، وحكى الزجاج عن بعضهم: (وطعامه) قال: هو كل ما يسقي الماء فنبت

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٦٥، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ. «الدر المنثور» ٢/ ٥٨٥.

(٢) «تفسير البغوي» ٣/ ١٠٠، والقرطبي ٦/ ٣١٨.

(٣) هذا هو المرجح. وانظر: البغوي ٣/ ١٠١، والقرطبي ٦/ ٣١٩، وابن كثير ٢/ ١١٤-١١٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٩٧،وابن ماجه (٣٢١٨) كتاب: الصيد، باب: صيد الحيتان والجراد ولفظه " أحلت لنا ميتتان : الحوت والجراد "، والبغوي في «شرح السنة» ١١/ ٢٤٤.

(٥) أخرجه أبو داوود (٨٣) كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، والترمذي (٦٩) كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، (٣٨٦) كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر. وصححه الألباني : «صحيح الجامع» ٦/ ٦١ رقم ٦٩٢٥.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٦-٦٨، «النكت والعيون» ٢/ ٦٩، البغوي ٣/ ١٠٠.

عن ماء البحر فهو طعام البحر. أعلمهم الله أن الذي أُحِلّ لهم كثير في البر والبحر، وأن الذي حُرِّمَ عليهم هو صيد البر في حال الإحرام، وصيد الحرم بسنة النبي ﷺ ليكون قد أعذر إليهم في الانتقام ممن عاد فيما حرم (عليه)[١] مع كثرة ما أحل له[٢]، والاختيار أن المراد بالطعام ما نضب عنه الماء ولم يُصَد؛ لأن المملح صيد وإن عتق[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، قال عطاء: يريد منافع لكم تأكلون وتبيعون ويتزود عابر السبيل[٤]، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: منفعة للمقيم والمسافر، فالطري للمقيم، والمالح للمسافر[٥].

قال أبو إسحاق: و(مَتَاعًا) منصوب مصدر مؤكد، لأنه لما قيل: (أحل لكم) (كان دليلًا على متعتم به)[٦]، كما أنه لما قال ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]، كان دليلًا على أنه كتب عليهم ذلك فقال: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾،

ذكر في هذه السورة تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع: قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[٧]. وقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ

---

(١) ساقطة من (ج).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٠٩، «زاد المسير» ٢/ ٤٢٨.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٤) «الوسيط» ٢/ ٢٣١.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ٦٩، «النكت والعيون» ٢/ ٦٩.

(٦) هكذا في النسختين، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٩: (كان دليلًا على أنه قد متعهم به).

(٧) الآية الأولى من السورة.

حُرُمٌ﴾[(١)] وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾[(٢)]، فكل صيد صاده المحرم أو صيد له بأمره لم يحل له أكله، فإن صاده حلال بغير أمره ولا له، ولم يوجد من المحرم سبب في إتلافه بإشارة أو دلالة أو إعانة أو دفع سلاح، حل أكله عند عامة الفقهاء[(٣)]، لما روي عن جابر أن النبي ﷺ قال: «**صيد البحر حلال لكم ما لم تصيدوه أو يُصَد لكم**»[(٤)].

وكرهه بعضهم لحديث الصَّعْب بن جَثَّامة، حيث أهدى للنبي ﷺ رِجْلَ حمار وحشي، فرده وقال: إنا محرمون[(٥)]، وهذا يحمل على أنه صيد لأجله، فلذلك رده، وفي هذا مسائل كثيرة يذكرها الفقهاء في أماكنها، وشرطنا أن نشرح ما دل عليه لفظ الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦]، قال عطاء: يريد خافوا الله الذي إليه تبعثون[(٦)]، وقال غيره: (واتقوا الله) فلا تستحلوا الصيد في الإحرام[(٧)]، ثم حذرهم بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ

---

(١) الآية السابقة (٩٥).
(٢) هذه الآية التي يفسرها.
(٣) «تفسير البغوي» ٣/ ٩٩.
(٤) أخرجه أبو داود (١٨٥١) كتاب: المناسك، باب: لحم الصيد للمحرم، والترمذي (٨٤٦) كتاب: الحج، باب: ما جاء في أكل الصيد للمحرم، كتاب: الحج، باب: ٢٥ ما جاء في أكل الصيد للمحرم ٣/ ١٩٥ رقم ٨٤٦، والنسائي ٥/ ١٨٧، كتاب: الحج، باب: إذا أشار المحرم إلى الصيد.
(٥) أخرجه البخاري (١٨٢٥) كتاب: جزاء الصيد، باب: إذا أهدى للمحرم حمارًا وحشيًا ولفظه: "**إنا لم نرده إلا أنا حرم**"، وكذا مسلم (١١٩٣)، كتاب: الحج، باب: تحريم الصيد للمحرم وغيرهما.
(٦) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٣١.
(٧) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٥.

﴿تُحۡشَرُونَ﴾ أي: فيجزيكم بأعمالكم.

٩٧- قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ الآية.

قال مجاهد: سمي البيت كعبة لتربيعها(١)، وقال مقاتل: سميت الكعبة كعبة لانفرادها من البنيان(٢)، والقولان يرجعان إلى أصل واحد وهو الكعوبه بمعنى النتوّ والخروج، ويقال للجارية إذا نتا ثديها وخرج كَعَبَ وكَعاب، وكعب الإنسان سمي كَعبًا لنتوه من موضع . فالمربع كعبة لنتو زوايا التربيع، والمنفرد من البنيان كعبة لنتوه من الأرض(٣).

والبيت الحرام معناه: أن الله تعالى: حرم أن يصاد عنده وأن يختلى ما عنده من الخلا، وأن يعضد شجره وما عظم من حرمته(٤)، واختلف المفسرون وأصحاب المعاني في هذه الآية: فقال ابن عباس في بعض الروايات في قوله: ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ قيامًا لدينهم، ومعالم لحجهم(٥).

وقال سعيد بن جبير: ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ صلاحًا لدينهم(٦)، فعلى هذا القيام مصدر قولك: قام قيامًا، والمعنى أن الله تعالى جعل الكعبة سببًا لقيام الناس إليها للحج وقضاء النسك، فيصلح بذلك دينهم، لأنه تحط عنهم الذنوب والأوزار عندها، ويغفر لهم ما اقترفوه قبل حجها، ويكون

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٧٦ عن مجاهد وعكرمة، «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٠.

(٢) «تفسيره» ١/ ٥٠٧.

(٣) «النكت والعيون» ٢/ ٦٩،والبغوي ٣/ ١٠٣، ١٠٤، و«اللسان»١/ ٧١٨،٧١٩ (كعب).

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٦، «النكت والعيون» ٢/ ٦٩.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٧٧، و«الدر المنثور» ٢/ ٥٨٨.

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٧٧، و«النكت والعيون» ٢/ ٦٩.

هذا من باب حذف المضاف على معنى: جعل الله نَصبَ الكعبة قيامًا للناس، أي نصبها ليقوموا إليها لزيارتها[١].

ويؤكد هذا التفسير قول عطاء في هذه الآية: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ ولو تركوا عامًا واحدًا لا يحجونه ما نوظروا أن يهلكوا[٢]، فهذا يدلك على أن معنى الآية: أن الله تعالى حث الناس على القيام إليها، وحكى أبو إسحاق هذا المعنى عن بعضهم فقال: أي مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه[٣].

وقال جماعة من المفسرين وأكثر أصحاب المعنى: القيام ههنا يراد به القِوام، وهو العماد الذي يقوم به الشيء، والتقدير فيه: جعل الله حج الكعبة البيت الحرام قيامًا لمعاش الناس ومكاسبهم، فاستتبت معايشهم به واستقامت أحوالهم لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وأنواع البركة[٤]، ولهذا قال سعيد بن جبير: من أتى هذا البيت يريد شيئًا للدنيا والآخرة أصابه[٥]، فالقيام على هذا يجوز أن يكون بمعنى القوام، قلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها، وقد ذكرنا هذا مستقصى في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ في سورة النساء[٦]، ووجه اختلاف القراء هناك، ويجوز

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٦-٧٨، «النكت والعيون» ٢/ ٦٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٠.

(٤) انظر: الطبري ٧/ ٧٦، «بحر العلوم» ١/ ٤٦٠، «الوسيط» ٢/ ٢٣١، «زاد المسير» ٢/ ٤٣٠.

(٥) انظر: «الوسيط» ٢/ ٢٣١.

(٦) الآية رقم (٥) من النساء.

أن يكون مصدر القيام، أي قام به معاشهم قيامًا[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾، ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت؛ لأنها من أسباب حج البيت، فدخلت في جملته وذكرت معه. وهذا طريق في تفسير الآية، وقال كثير من المفسرين: هذا إخبار عما جعله الله تعالى في الجاهلية من أمر الكعبة[٢].

قال ابن عباس: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي أمنًا للناس، وكان أهل الجاهلية يأمنون فيه، فلو لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم ما قتله ولا هيَّجه، وكانوا لا يغزون في الشهر الحرام، وكانوا ينضلون فيه الأسنة، ويبذعز[٣] الناس فيه إلى معايشهم، وكان الرجل يقلد بعيره أو نفسه قلادة من لحا شجر الحرم فلا يخاف، وكانوا توارثوه من دين إسماعيل، فبقوا عليه رحمة من الله لخلقه إلى أن قام الإسلام، فحجزهم عن البغي والظلم[٤].

وقال قتادة: وكان هذا في الجاهلية، لو جنى الرجل كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتَنَاول ولم يُطْلب، ولو لقي قاتل أبيه في الحرم ما مسه، ولو لقي الهدي مقلدًا وهو يأكل العصب من الجوع ما مسه[٥]، ونحو هذا قال مقاتل[٦].

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٦.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ٧٧.

(٣) هكذا هذه الكلمة في النسختين.وقد تكون : وينبعث.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٧٨ نحوه عن قتادة وابن زيد، «زاد المسير» ٢/ ٤٣٠.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٧٧-٧٨ بمعناه.

(٦) تفسيره ١/ ٥٠٧.

وعلى هذا التفسير القيام مصدر، والمعنى أن الكعبة جعلها الله أمنًا للناس، بها يقومون أي يأمنون، ولولاها لفنوا وهلكوا وما قاموا. ذكره أبو إسحاق(١).

وشرح عبد الله بن مسلم(٢)، هذا التفسير الثاني في معنى الآية، وأوضحه بأبلغ بيان، فقال: إن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون، ويسفكون الدماء بغير حقها، ويأخذون الأموال بغير حلها، ويخيفون السبيل(٣)، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله، ويصيب غير الجاني عليه، ولا يبالي من كان بعد أن يراه كفؤًا لوليه، ويسميه الثأر المُنِيم، فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم والشهر الحرام والهدي والقلائد قيامًا للناس أي أمنًا لهم، فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحرم فأمن، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، وإذا دخل الشهر الحرام تقسمتهم الرِّحَل وتوزعتهم النُّجَعُ وانبسطوا في متاجرهم فأمنوا على أموالهم وأنفسهم. وإذا أهدى الرجل هديًا أو قلد بعيره من لحاء شجر الحرم أمن كيف تَصَرَّف(٤) وحيث سلك، ولو تُرِكَ الناس على جاهليتهم وتغاورهم في كل موضع وكل شهر لفسدت الأرض، وفَنِيَ الناس، وتقطعت السبل، وبطلت المتاجر(٥)، ونحو هذا قال أبو بكر بن الأنباري، فقد حصل في الآية

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٠.

(٢) ابن قتيبة في المشكل.

(٣) في المشكل: السبل.

(٤) في (ش): يصرف. وما أثبته من (ج) موافق لما في المشكل.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ٧٣، ٧٤.

طريقان:

أحدهما: أن الله امتن على المسلمين بأن جعل الكعبة صلاحًا لدينهم ودنياهم، وقيامًا لهما بها.

والثاني: أنه أخبر عما فعله من أمر الكعبة في الجاهلية، قال أبو بكر: والقيام يقال في تفسيره غير وجه: منها: الأمن، لأن الناس يقومون بالأمن ويصلح شأنهم من جهته، ويقال للقيام: العصمة، من قولهم: فلان يقوم على القوم إذا كان يكفل بمؤوناتهم، وهذا قول الربيع بن أنس في قوله: ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ قال: عصمة لهم(١)، قال: والقيام: إصلاح، من قوله ﷻ: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: ٥] أي صلاحًا ومعاشًا(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، أراد الأشهر الحرم الأربعة، وخرج مخرج الواحد؛ لأنه ذهب به مذهب الجنس، وهو عطف على المفعول الأول لجعل، ومثل ذلك: ظننت زيدًا منطلقًا وعمرًا، وذكرنا معنى الهدي والقلائد في أول السورة(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ إلى آخرها، لم أر للمفسرين فيه شيئًا، وذكر أصحاب المعاني فيه قولين:

أحدهما: أن الإشارة في قوله: (ذلك) إلى ما ذُكِر في هذه الآية من جعل الكعبة صلاحًا وأمنًا وقوامًا للناس، وهو قول ابن قتيبة(٤)، وأبي

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «زاد المسير» ٢/ ٤٣٠، ٤٣١.

(٣) عند تفسير الآية الثانية من هذه السورة (المائدة).

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٧٣، ٧٤.

علي[١]، وأحد قولي الزجاج[٢]، وابن الأنباري، أما ابن قتيبة فقال: جعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شؤونهم، وليعلموا أنه كما علم ما فيه من الخير لهم، أنه يعلم أيضًا ما في السماوات وما في الأرض من مصالح العباد ومرافقهم[٣]، وأنه بكل شئ عليم[٤].

وقال أبو علي: أي فعل ذلك ليعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السماوات والأرض، وما يجري عليه شأنهم ومعايشهم، وغير ذلك مما يصلحهم، وأن الله بكل شيء يصلحهم، ويقيمهم عليه[٥].

وقال الزجاج في أحد القولين: إن الله جل وعز لما آمن من الخوف في البلد الحرام، والناس يقتل بعضهم بعضًا وجعل الشهر الحرام يُمتنع فيه من القتل، والقوم أهل جاهلية، دل بذلك أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض إذ[٦]، جعل في أعظم الأوقات فسادًا ما يؤمن به[٧]، وأراد الزجاج بقوله: أعظم الأوقات فسادًا إذا اجتمعوا بالموسم للحج.

وقال أبو بكر: جعل الله هذا الوقت يؤمن فيه، وهذا البلد لا يسفك فيه دم عند المشركين الذين لا يقرؤون كتابًا ولا يدينون بدين، فيعظمونهما غير عابدين لله ﷻ ولا مصدقين لأنبيائه، يدل على أنه يعلم ما في السموات

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٦٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٠.

(٣) في (ش): (ومنافعهم) وما أثبته هو المطابق لما في «تأويل مشكل القرآن».

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٧٤.

(٥) «الحجة» ٣/ ٢٦٠.

(٦) في (ج): (إذا).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٠.

وما في الأرض، وأنه لا يخفى عليه خافية في أرض ولا في سماء[١]، فهذه أقوالهم باختلاف ألفاظها مع اتفاق معانيها.

والقول الثاني: أن الإشارة في قوله: (ذلك) يعود إلى ما ذكر في هذه السورة من الأنباء والقصص، قال ابن الأنباري: إن الله تعالى خبرٌ في هذه السورة من أخبار الأنبياء وتُبَّاعهم بغيوب كثيرة، وأطلع نبيه ﷺ والمسلمين على أشياء من أحوال المنافقين واليهود كانت مستورة عنهم، مثل قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١] وغير ذلك، فلما دل على غيوب لم تكن تُعلَم قبل نزول السورة قال: (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) أي: ذلك الغيب الذي أنبأتكم عن الله تعالى، ويدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، وأنه لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه عازبة[٢]، ونحو هذا قال الزجاج، وحكاية قوله يطول، قال: وهذا القول عندي أبين[٣].

٩٩- قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾، لما أنذر الله تعالى في قوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الآية، بشدة العقاب، وبشر بالعفو والغفران قال: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾، والبلاغ: اسم من التبليغ كالسراح والأداء.

١٠٠- قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾، قال بعض أهل المعاني: لما ذكر الله تعالى أن على الرسول البلاغ، بين على لسانه أنه لا يستوي عند الله تعالى الحلال والحرام.

وقال المفسرون: نزلت الآية في الحجاج من المشركين الذين أراد

---

(١) «زاد المسير» ٢/ ٤٣١.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٠، «زاد المسير» ٢/ ٤٣١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٠.

المؤمنون أن يغيروا عليهم، شريح بن ضبيعة وأصحابه[(١)]، وقد ذكرنا ذلك في أول السورة عند قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٢]، ويقدم عليه حديث عقبة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ قال عطاء والحسن والكلبي: الحرام والحلال[(٣)]، وسمي الحرام خبيثًا؛ لسوء عاقبته، وذكرنا لما سمي الحلال طيبًا في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾ [سورة المائدة: ٤]، وقال السدي: الخبيث المشركون، والطيب المؤمنون[(٤)].

١٠١- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس وأنس وأبو هريرة والحسن وطاوس وقتادة والسدي وعلي بن أبي طالب وأبو أمامة الباهلي ﷺ دخل كلام بعضهم في بعض: أن رسول الله ﷺ سئل حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا إلا أخبرتكموه**» فقام رجل من بني سهم كان يُطعن في نسبه، والرجل عبد الله بن حذافة، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: «**أبوك حذافة بن قيس**»، وقام آخر فقال: يا رسول الله أين أنا؟ ويروى: «أين أبي؟» فقال: «**في النار**»[(٥)].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٠٧، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦١، «زاد المسير» ٢/ ٤٣٢.

(٢) «البحر الرائق» ١/ ٤٣٤.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦١، «النكت والعيون» ٢/ ٧٠، «تفسير البغوي» ٣/ ١٠٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٣٣، ونسبه لابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٧٩.

(٥) أخرجه بنحوه من حديث أنس البخاري (٧٠٨٩) كتاب الفتن، باب: التعوذ من الفتن، (٧٢٩٤) وكتاب: الاعتصام، باب: ما يكره من كثرة السؤال، ومسلم (٢٣٥٩) كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ، والطبري ٧/ ٨٠.

وقال سراقة بن مالك، ويروى عكاشة بن محصن: يا رسول الله الحج علينا في كل عام» فأعرض عنه رسول الله، حتى عاد مرتين أو ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «**ويحك، وما يؤمنك أن أقول: نعم؟! والله لو قلتُ نعم لوجبتْ، ولو وجبتْ ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فاتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» فأنزل الله هذه الآية(١).

هذا قول المفسرين في سبب نزول الآية، وقال أصحاب المعاني: أما سؤال من سأل عن موضعه أو موضع أبيه فقال رسول الله: «**في النار**» فهو مما يسوء السائل بيانه، وأما من سأل عن أبيه من هو، فإنه لم يأمن أن يلحقه النبي ﷺ بغير أبيه فيفتضح، ويكون قد جنى على نفسه بسؤاله فضيحةً تبقى عليه أبداً في أمر لم يكلف ذلك، ولم يؤمر بالسؤال عنه، فقد عرض نفسه بهذا السؤال لما سكوته عنه خير له، فهو منهي بهذه الآية عن مثل سؤاله في المؤتنف، إذ لا يأمن أن يكون الجواب بما يسوءه(٢).

وأما السائل عن الحج فقد كاد أن يكون ممن قال النبي ﷺ: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من كان سبباً لتحريم حلال**»(٣)، إذ لم

---

(١) أصل الحديث في الصحيح، دون إشارة إلى أنه سبب لنزول الآية فقد أخرجه مسلم (١٣٣٧)، كتاب: الحج، باب: فرض الحج من حديث أبي هريرة، وأخرجه على أنه سبب نزول للآية الترمذي (٣٠٥٥) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة وحسنه، والطبري في «تفسيره» من طرق ٧/ ٨ والمؤلف في «أسباب النزول» ص٢١٣-٢١٤.

(٢) «فتح الباري» ١٣/ ٢٧٠.

(٣) أخرجه البخاري حديث سعد بن أبي وقاص (٧٢٨٩) كتاب: الاعتصام، باب: ما=

يؤمن أن ينزل في الحج إيجاب في كل عام لتكلف السؤال عما كان مرفوعاً عنه وغير مكلف إياه؛ لأنه كان له في ظاهر ما نزل من فرض الحج كفاية، ولو كان العدد في الوجوب مراداً لبُيِّن في التنزيل، أو على لسان الرسول، فسؤاله عن شيء كان عفا الله عنه[1].

قالوا: وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ مؤخر في النظم مقدم في المعنى، لأن التقدير: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم عفا الله عنها، وإن شئت قلت: لا تسألوا عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسؤكم[2]، فقوله: ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡۖ﴾ وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ جملتان صفتان لأشياء، وهي نكرة، ومعنى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾ أي كف وأمسك عن ذكرها فلم يوجب فيها حكماً، وكلام أبي إسحاق دل على هذه الجملة التي ذكرنا، لأنه قال: أعلم الله ﷻ أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإنه إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك، ولا إن ظهر وجه في المسألة عما عفا الله عنه، وفيه إن ظهر فضيحةٌ على السائل[3].

وكان عبيد بن عمير يقول: إن الله أحل وحرم، فما أحل الله فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه، وترك بين ذلك أشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله، ثم يتلو هذه الآية[4]، وقال مجاهد: كان ابن عباس إذا سئل عن

= يكره من كثرة السؤال بلفظ: «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته» وكذا مسلم (٢٣٥٨) في كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ.

(١) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٤.

(٢) «بحر العلوم» ١/ ٤٦٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١١.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٨٥، وقد قالت عائشة رضي الله عنها لجبير بن نفير: هل تقرأ =

الشيء لم يجىء فيه أمر يقول: هذا من العفو، ثم يقرأ هذه الآية[١].

وقال أبو ثعلبة الخشني[٢]: إن الله تعالى فرض فرائض فلا تستبقوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها[٣].

وأجمع النحويون على أنْ (أشياء) جمع شيء، وأنها غير مُجراة، واختلفوا في العلة، فقال الكسائي: هو على وزن أفعال، ولكنها كثرت في الكلام فأشبهت: فَعْلاء، فلم تصرف كما لم تصرف حمراء، قال: وجمعوها أشاوَى، كما جمعوا عَذْراء عذارى، وصَحْراء صحارى، وأشياوات، كما قيل: حَمْراوات[٤]، واعترض عليه الفراء والزجاج، فقال

= سورة المائدة؟ قال: قلت: نعم. قالت: فإنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه..» أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١٨٨.

(١) لم أقف عليه. وقد أخرج الطبري ٧/ ٨٥ عن ابن عباس أنه قال: «لا تسألوا عن أشياء إن نُزِّل القرآن فيها بتغليظ ساءكم، ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم بيانه».

(٢) صحابي مشهور، قيل اسمه: جرهم، وقيل: جرثم، وقيل غير ذلك، وأبوه قيل: عمرو وقيل: قيس، وقيل غير ذلك. منسوب إلى بني خشين. روى أحاديث. انظر: «الإصابة» ٤/ ٢٩، ٣٠.

(٣) هكذا أخرجه الطبري ٧/ ٨٥، ونسبه كالمؤلف لأبي ثعلبة موقوفاً، وقد أخرجه مرفوعاً الدارقطني في «سننه» ضمن الموسوعة الحديثية بإشراف د. التركي ٥/ ٣٢٦ برقم ٤٣٩٦، وكذا ساقه القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٣٤ مرفوعاً، وصححه ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٢٠ مرفوعاً حيث قال: «وفي الحديث الصحيح» ثم ساقه وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر والحاكم الذي صححه مرفوعاً. انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٥٩٣، فالأقرب والله أعلم أنه مرفوع.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للفراء ١/ ٣٢١، ومعاني الزجاج ٢/ ٢١٢.

الفراء: لو كان كما قال لكان أملك الوجهين أنْ يُجرَى، لأن الحرف[١] إذا كثر به الكلام خف، وجاز أن يُجرَى كما كثرت التسمية بيزيد فأجروه في النكرة، وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء[٢]، وقال الزجاج: أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا، وألزموه ألا يصرف أبناء وأسماء.

وقال الأخفش والفراء: أشياء جمعت على أفعلاء، كما يقال: هَيْن وأهونا، ولَيْن وأليناء، وكان في الأصل أشيئاء على وزن أشبعاع، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فحذفت الهمزة الأولى وفتحت الياء لتبقى ألف الجمع صحيحة فصار: أشياء، ووزنه عندهما: أفعِلاء[٣]، قال الزجاج: وهذا القول أيضاً غلط، لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْلٌ لا يجمع أَفِعلاء، فأما هَيِّن ولَيِّن فأصله: هَيين ولَيين، فجُمع أفعِلاء كما يُجمع فعيل على أفْعلاء، مثل: نصيب وأنصباء.

(وقال الخليل: (أشياء) اسم للجمع كان أصله فعلاء شيئاء، فاستثقلت الهمزتان فقلبت الهمزة الأولى التي هي لام الفعل إلى أول الكلمة فجعلت لفعاء، كما قلبوا أَنْوق فقالوا أنيق، وكما قلبوا قُووس فقالوا: قِسي)[٤]، قال الزجاج: وهذا مذهب سيبويه والمازني وجميع

---

(١) في (ج): (الحروف).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٢ بتصرف. وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥١ (شيء).

(٤) جاء قول الخليل في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج مقتضباً جداً، فيحتمل السقط، أو أن المؤلف اعتمد على واسطة وهو «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥١ (شيء).

البصريين، وحكي[١] أن المازني ناظر الأخفش في هذا فسأله في هذا فسأله عن تصغير أشياء فقال: أقول أُشَيّاء، فقال المازني: ولو كانت أفعلاء لردت في التصغير إلى واحدها فقيل: شُيَيْئات مثل: شعيعات، وإجماع البصريين أن تصغير أصدقاء إن كان للمؤنث: صُدَيِّقات، وإن كان للمذكر صُدَيّقون[٢]، فقطع المازني الأخفش، هذا ما ذكره النحويون في هذا الحرف، وحكى الزجاج أكثره في كتابه.

ويُحتاج في هذا الحرف إلى بيان أكثر من هذا، فالذي ذهب إليه الخليل وسيبويه وأبو عثمان أن أشياء مقلوبة من شيئاء على وزن فعلاء نحو حمراء، ووزنه الآن لفعاء، والعلة المانعة للصرف بناء الحرف على همزة التأنيث، فلحق الحرف بصفراء وحمراء وبابه، والذي ذهب إليه أبو الحسن[٣] أن وزنه أفعلاء، ثم حذفت الهمزة الأولى استخفافاً، والذي قوّى عزمه على هذا دون أن يجعله أفعالاً ترك العرب صرفها نكرة، فلما رآها غير مصروفة جعل همزتها للتأنيث كما هي في صفراء، وأفعلاء لا ينصرف نحو أصدقاء وبابه، كذلك أشياء، فمذهب الخليل القلب، ومذهب الأخفش الحذف، والأشياء عند وزنه بعد الحذف أَفْعاء، والعلة المانعة عنده أيضاً همزة التأنيث المبني عليها الكلمة، وفي القولين جميعاً أشياء جمع على غير لفظ الواحد، لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْلٌ لا يجمع على فعلاء ولا على أفعلاء، والجمع كثيراً ما يأتي على غير لفظ الواحد، كما قالوا في

---

(١) لا يزال الكلام للزجاج.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٢، ٢١٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥١ (شيء).

(٣) الظاهر أنه الأخفش، وليس في «معاني القرآن وإعرابه» له كلام حول هذه الآية.

جمع شاعر: شعراء، وليس قياس فاعل أن يجمع على فُعَلاء، وكذلك قالوا في جمع جمل وبقر: جامل وباقر.

ويمكن أن يقال: إن أشياء لفظ وضع للجمع لا على بناء الواحد، وأما الكسائي فإنه يقول: أشياء أفعال، ولكنها لما جمعت أشياوات أشبه فعلاء التي تجمع على فعلاوات نحو: صحراء وصحراوات، ونظير أشياء في أنها أفعال أحياء في جمع حي، كذلك أشياء أفعال في جمع شيء، والعلة المانعة لصرفها شبهها بفعلاء من حيث جمعت جمعها، ويلزم على هذا القول ترك صرف أبناء وأسماء، لأنهم قالوا في جمعها: أسماوات وأبناوات، وذهب الفراء في هذا الحرف مذهب الأخفش غير أنه خلط حين ادعى أنها (كهَيّن ولَيّن)(١) حين جمعا أهوناء وأليناء(٢)، وهَيْن تخفيف هَيِّن، فلذلك جاز جمعه على أفعلاء، وشيء ليس بتخفيف عن شيِّءٍ حتى يجمع على أفعلاء، وإنما زدت في البيان عن هذا الحرف؛ لأن علمه من غامض النحو ومشكله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾، لم أر للمفسرين في هذا بياناً، وقال صاحب النظم: الكناية في (عنها) ليست تعود على أشياء المذكورة في قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ ولكنها تعود على أشياء وأُخَر سواها لا هي، وجاز ذلك لأن المذكورة دلت عليها من حيث اجتمعتا في اللفظ، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] يعني: آدم، ثم قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ

---

(١) في (ج): (لهين لين).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للفراء ١/ ٣٢١.

مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] يعني: ابن آدم؛ لأن آدم لم يجعل نطفة في قرار، ولكنه لما ذكر الإنسان والمراد به آدم دل ذلك على إنسان مثله وعرف ذلك بفحوى الكلام، والمعنى: (وإن تسألوا عنها) أي: عن أشياء حين ينزل القرآن فيها من فرض أو إيجاب أو نهي أو حكم أو ندب، ومست حاجتكم إلى ما هو من جملة ما نزل فيه القرآن، وليس في ظاهر ما نزل ولا في باطنه دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتم عنها حينئذٍ تبد لكم[(١)]، ومثال هذا: أن الله تعالى لما بين عدة المطلقة، والمتوفى عنها زوجها، والحامل لم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست بذات قرءٍ ولا حامل فسألوا عنها، فأنزل الله تعالى[(٢)] قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ﴾ [الطلاق: ٤]، فأما ما سوى هذا وأشباهه فما لم ينزل فيه قرآن وكان مرفوعاً عنهم، ولم يكلفوه، ولم تكن بهم حاجة إليه، فالسؤال عنه محظور بحكم هذه الآية، هذا معنى كلامه وبعض لفظه.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾، قد ذكرنا أنه على التقديم، وقال بعضهم: ليس على التقديم، والمعنى: قد عفا الله عن مسألتها، أي عن مسألتكم عنها، فيكون العفو عن مسألتهم التي سلف منهم مما كرهه النبي ﷺ نهاهم الله أن يعودوا إلى مثلها، وأخبر أنه عفا عما فعلوا[(٣)]، وجازت الكناية عن المسألة لأن (لا تسألوا) دليل عليها. وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[(٤)].

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٨٤.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٨٥، «النكت والعيون» ٢/ ٧١.

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ٨٥، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٤.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾، قال عطاء: يريد لما كان في الجاهلية (حليم) عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم[(١)]، وقال أهل العلم في هذه الآية: الذي يجوز أن يسأل عنه هو ما يجوز أن يعمل عليه في أمر دين أو دنيا، والذي لا يجوز أن يسأل عنه هو ما لا يجوز أن يعمل عليه في أمر دين أو دنيا، ولهذا لم يجز أن يسأل: من أبي؟ لأنه لا يجوز أن يعمل في هذا إلا على أن الولد للفراش.

١٠٢- قوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يعني قوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها، وقوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها[(٢)].

فالكناية على هذا التفسير في قوله (سألها) تعود إلى الآيات. وهذا السؤال في هذه الآيات يخالف معناه معنى السؤال في قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ وقوله: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا﴾، ألا ترى أن السؤال في الآية الأولى قد عدي بالجار، وههنا عدي بغير الجار، لأن معنى السؤال ههنا طلب لعين الشيء، كما تقول: سألتك درهما، أي: طلبته منك، والسؤال في الآية الأولى سؤال عن حال الشيء، كما تقول: سألتك عن شيء، أي عن حاله وهيئته وكيفيته. وإنما عطف ﷻ بقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾ على ما قبلها وليست بمثل نظمها في التأويل؛ لأنه ﷻ إنما نهاهم عن تكلف ما لم يكلفوا وهو مرتفع عنهم، وأعلمهم أنهم في هذا التكلف مثل أولئك على موسى وعيسى في تكلف[(٣)] ما لم يكلفوا، وطلب ما لم يغْنِهم مما كان الإعراض

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٨٥، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٣٦.

(٣) في (ج): (تكليف).

عنه أولى بهم، وأصلح لهم[1]، وذلك مثل سؤال قوم موسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وقول بني إسرائيل: ﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ألا تراهم قد سألوا ثم كفروا، وهذا معنى كلام أبي علي الجرجاني[2] وبعض لفظه.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾، روى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الجعل له معان في اللغة، يقال: جعل: صير، وجعل: أقبل، وجعل: خلق، وجعل: قال، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣][3]، وقال غيره: صيرناه. ويكون الجعل بمعنى القول والحكم على الشيء، تقول: قد جعلت زيداً على الناس، أي: قد وصفته بذلك وحكمت به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

وقال بعض أصحاب المعاني: جعل أحد الكلمات المشتركات التي هن أمهات الأحداث مثل: فعل وعَمِل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل، إلا أن بعضها أعم من بعض، وأكثرها عموماً «فعل»، لأنه يقع على كل حركة من الإنسان قولاً أو عملاً أو هماً يهم به، والدليل على أنه يقع على القول قوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ثم قال:

---

(١) «تفسير الطبري» ٨٦/٧.

(٢) صاحب كتاب النظم، يأخذ عنه المؤلف كثيراً، وهو غير متوفر.

(٣) «تهذيب اللغة» ٦١٦/١ (جعل).

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[١] [الأنعام: ١٤٨] فهذا حكاية عن القول، وعَمِلَ دون فَعَل في العموم؛ لأنه لا ينتظم معنى النية والهم والعزم والقول، ولا يقع إلا على عمل البدن، وأما (جعل) فله أحوال، منها: (جعل): صير مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٥] أي صيرناه، ومنها: (جعل): أوجب، كقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: وما أوجبنا القبلة التي أنت عليها، ومنها: (جعل): خلق، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] أي خلق، وأما قوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أي: صيرناه؛ لأنْ من القرآن العبراني والسرياني، فما نقل منه إلى العرب صار عربياً (بالتصيير والنقل)[٢]، ومنها: (جعل): صلة لما بعده، مثل قوله: جعل يصرفه، نحو: طفق وأنشأ وأقبل، كلٌ منها صلة لما بعده من الفعل، فقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ أي: ما أوجبها ولا أمر بها، والبحيرة: فعيلة من البحر وهو الشق، يقال: بحر ناقته، إذا شق أذنها، وهي بمعنى المفعولة، وخرجت مخرج النطيحة والذبيحة والنسيكة. وقد مضى الكلام في النطيحة[٣].

قال أكثر أهل اللغة والتفسير: البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن،

---

(١) في (ج)، (ش): (فعل) والظاهر أنه تصحيف، فإن هذه آية الأنعام، أما (فعل) ففي سورة النحل الآية ٣٣ وتختلف عن هذه حيث قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾.

(٢) في (ج): (لتصييره النقل).

(٣) عند تفسير الآية الثالثة من هذه السورة.

(٤) السقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة.. وقيل: هو سقبٌ ساعة تضعه

وكان آخرها سَقْباً[١] ذكراً شقوا أذن الناقة، وامتنعوا من ركوبها وذبحها وسيبوها لآلهتهم، لا يجز لها وبر، ولا يحمل على ظهرها، ولا تطرد من ماء، ولا تمنع من مرعى، ولا ينتفع بها، إذا لقيها المُعْيي لم يركبها تحرجاً، وهذا قول أبي عبيدة[٢] والزجاج[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾، قال أبو عبيد[٤]: كان الرجل إذا مرض أو قدم من سفر ونذر نذراً أو شكر نعمة سيَّب بعيراً، فكان بمنزلة البحيرة في جميع ما حكموا لها، وهذا القول اختيار القتيبي[٥] والزجاج[٦].

وقال الفراء: قال بعضهم: السائبة: إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلهن إناث سُيِّبت، فلم تركب، ولم يُجَزّ لها وبر، ولم يشرب لبنها إلا ولد أو ضيف[٧]، والسائبة في اللغة: فاعلة من: ساب، إذا جرى على وجه الأرض، يقال: ساب الماء، وسابت الحية، وقيل: هي بمعنى المسَّيبة، لأنها تُسيَّب، ومنه قولهم للعبد أعتقتك سائبة، أي سيبتك فلا ولاء لي عليك[٨].

أمه. «اللسان» ٤/ ٢٠٣٥-٢٠٣٦ (سقب).

(١) «مجاز القرآن» ١/ ١٧٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.

(٣) هكذا في النسختين، وفي الوسيط للمؤلف ٢/ ٢٣٥ (أبو عبيدة). والظاهر أن الكلام لأبي عبيدة كما في «مجاز القرآن» ١/ ١٨٠ ونحوه في «النكت والعيون» ٢/ ٧٣.

(٤) في «غريب القرآن» ص ١٤٧.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣، وانظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٥ (ساب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٢.

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٥ (ساب).

(٨) أخرجه الطبري ٧/ ٩٠ مختصرًا من طريق علي بن أبي طلحة، وانظر: «بحر

وقال ابن عباس في السائبة: هي التي تسيب للأصنام، أي تعتق لها، وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء، فيجيء إلى السدنة وهم خدم آلهتهم فيُطِعْمون من لبنها أبناء السبيل[1]، ونحو ذلك قال ابن مسعود[2]. وقال سعيد بن المسيب: السائبة: من الإبل، كانوا يسيبونها لطواغيتهم[3].

وقال عكرمة في السائبة: كان الرجل إذا طلب الضالة، أو تبع النادّة، وأراد الحاجة قال: كذا وكذا[4] من مالي سائبة إن أدركت حاجتي[5].

وقال علقمة: السائبة: من العبيد والنَّعَم وما نذر الرجل لئن عافاه الله من مرض أوْ ردَّه من سفر سالماً ليسيبن ناقة أو جملاً أو شاة للأصنام، فإذا سيبها حرم أكلها، لا يجز وبرها ولا يركب ظهرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف، وما ولدت فهو بمنزلتها، شقت أذنها وسميت بحيرة[6].

العلوم»١/ ٤٦٢، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٥ وعزاه المحقق لتفسير ابن عباس ص ١٠٢، «تنوير المقباس بهامش المصحف» ص ١٢٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٣٧، وعزاه السيوطي إضافة إلى ابن جرير إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. «الدر المنثور» ٢/ ٥٩٦ بمعناه.

(١) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٥.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٦٢٣) كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المائدة، باب: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾، والطبري ٧/ ٩٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٠٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٣٨.

(٣) في (ج): (كذى وكذى).

(٤) لم أقف عليه، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٣٨.

(٥) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٧، والطبري في «تفسيره» ٧/ ٨٩-٩١، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦٢، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧١، «النكت والعيون»١/ ٤٦٣، «تفسير البغوي» ٣/ ١٠٧.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» للفراء ١/ ٣٢٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٥ (ساب)، «زاد

وقال محمد بن إسحاق في السائبة مثل ما قال الفراء في قوله: قال بعضهم، ثم قال محمد: والبحيرة ولد السائبة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: الوصيلة: من الغنم[٢]، وقال مقاتل: إذا ولدت الشاة سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان جدياً ذبحوه للآلهة، ولحمه للرجال دون النساء، وإن كان عناقاً استحيوها فكانت من عرض الغنم، وإن ولدت في البطن السابع جدياً وعناقاً قالوا: إن الأخت وصلت أخاها فحرمته علينا، فحرما جميعاً، فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء[٣]، ونحو ذلك قال ابن مسعود[٤]، وقال الزجاج في الوصيلة: كانت الشاة إذا ولدت انثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم[٥].

فالوصيلة بمعنى الموصولة، كأنها وصلت بغيرها، ويجوز أن تكون بمعنى الواصلة لأنها وصلت أخاها. وهذا أظهر الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَامٍ﴾، قال ابن عباس وابن مسعود: إذا نُتِجَت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حُمِيَ ظهره وسيب لأصنامهم، فلا

المسير» ٢/ ٤٣٩.

(١) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٤٧، و«تفسير الطبري» ٧/ ٩٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢١٣.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥١٠.

(٣) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ٩٠، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦٢، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٥.

يحمل عليه[1]، وهذا قول أبي عبيدة[2] والزجاج[3] وأكثر أهل التفسير[4]، ونحو ذلك قال سعيد بن المسيب: كان الفحل يضرب الضراب المعدود، فإذا بلغ ذلك قالوا: قد حمي ظهره فترك[5]، وقال الفراء: الحامي الفحل من الإبل: كان إذا لقح ولد ولدِه حمى ظهره فلا يركب[6]، أعلم الله ﷻ أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً.

قال ابن عباس والمفسرون، وروي ذلك عن النبي ﷺ: إن عمرو بن لُحي الخزاعي كان قد ملك مكة، وكان أول من غير دين إسماعيل، فاتخذ الأصنام، ونصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحامي، قال رسول الله ﷺ: «**فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قُصْبِه**» ويروى «**يجرّ قُصْبه في النار**»[7]، وقال قتادة: كان هذا كله تشديداً شدده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وتغليظاً[8]، وأنشد

«تفسير البغوي» ٣/ ١٠٨، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٢٢.

(١) في «مجاز القرآن» ١/ ١٧٩.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٨٦-٩٣.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٢٣)، كتاب: التفسير، من تفسير سورة المائدة باب: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ﴾، والطبري ٧/ ٩٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٢.

(٦) أخرجه من حديث أبي هريرة مختصرًا: البخاري (٤٦٢٣)، كتاب: التفسير، من تفسير سورة المائدة، ومسلم (٢٨٥٦) كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون. لكن في البخاري جاءت تسميته: عمرو بن عامر، وكذا عند الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٧٥، وأخرجه الطبري ٧/ ٨٨ وغيرهم.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٩٠.

(٨) في (ش): (وإن).

أهل اللغة في هذه الأنواع من النعم، فأنشدوا في البحيرة:

مُحرَّمةٌ لا يأكلُ الناسُ لحمَها ولا نحن في شيءٍ كذلك البحائِرُ

وأنشدوا في الوصيلة لتأبط شرًا:

أجِدَّك أمَّا كنت في الناس ناعقًا تراعي بأَعْلى ذي المجازِ الوصائلا

وأنشدوا في السائبة:

وسائبةٍ مالي تشكُّرا إن[1] اللهُ عافا[2] عامرًا ومجاشعًا

وأنشدوا في الحامي:

حَماها أبو قابُوسَ في عزٍّ مُلْكه كما قد حَمَى أولادَ أولادِه الفحلُ

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، قال ابن عباس: يريد عمرو بن لُحي وأصحابه، يتقولون على الله الأباطيل في تحريمهم هذه الأنعام، وهم جعلوها محرمة لا الله تعالى[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، قال الشعبي وقتادة: يعني الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب وافتراء على الله من الرؤساء الذين حرموا هذه الأنعام[4][5].

١٠٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية،

(١) في (ج): (عافى).

(٢) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٦، وعزاه المحقق لتفسير ابن عباس ص ١٠٢، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٥.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٩٣، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٣، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٤٠، «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٢٣.

(٤) من: " وقوله تعالى: (وأكثرهم لا يعقلون).. " إلى هنا ليس في نسخة (ش).

(٥) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٢، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٣٦، «تفسير البغوي» ٣/

قال ابن عباس: يعني: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرمتم على أنفسكم ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين والمنهاج[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، مضى الكلام في نظيره في سورة البقرة[(٢)].

١٠٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، قال النحويون: قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أمر من الله، تأويله: احفظوا أنفسكم عن ملابسة المعاصي والإصرار على الذنوب. قاله الفراء[(٣)] وابن الأنباري[(٤)].

ونحو ذلك قال الزجاج، لأنه قال: إذا قلت: عليك زيدًا، فتأويله الزم زيدًا، و﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ معناه: الزموا أنفسكم فإنما ألزمكم الله أمرها[(٥)]، وهذا موافق لما قال ابن عباس في تفسيره؛ لأنه قال في قوله

١٠٩، «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٥.

(١) الظاهر أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٢.

(٣) أبو بكر، وقد وهم محقق «الوسيط» ٢/ ٢٣٧ فنسب هذا «القول للبيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٣٠٧، وهذا الكتاب لأبي البركات بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ وهو متأخر عن المؤلف بقرن تقريبًا

وكلام ابن الأنباري أبي بكر هنا بمعنى ما عند أبي بركات في البيان، ولم أجده في الزاجر لأبي بكر، والذي يعتمد عليه المؤلف كثيرًا.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.

(٥) لم أقف عليه.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: يقول: أطيعوا أمري، واحفظوا وصيتي[(١)]، والعرب تأمر من الصفات بعليك وعندك ودونك، فتعديها إلى المفعول، وتقيمها مقام الفعل، فتنصب بها على الإغراء[(٢)]، تقول: عليك زيدًا[(٣)]، كأنه قيل: خذ زيدًا فقد عداك وأشرف عليك، وعندك زيدًا، أي حضرك فخذه، ودونك، أي: قرب منك.

فهذه الأحرف الثلاثة لا اختلاف بين النحويين في إجازة النصب بها، وقد تقيم العرب غير هذه الأحرف مقام الفعل، ولكن لا تعديه إلى مفعول، وذلك نحو قولهم: إليك عني[(٤)]، أي تأخر، كما يقولون، وراءك وراءك، بهذا المعنى.

قالوا: لا يجوز أن يأمر بهذه الظروف إلا المخاطب، لو قلت عليك زيدًا، لم يحسن، وإنما كان كذلك لأن المخاطب لا يحتاج في الأمر بالفعل إلى أكثر من حروف ذلك الفعل الذي يأمره به نحو: قم واذهب، وفي الأمر للغائب يحتاج إلى إدخال اللام نحو: ليقم فلان، فكرهوا أن يقيموا هذه الظروف مقام الفعل واللام، فتكون نائبة عن شيئين، وفي المخاطبة تكون نائبة عن شيء واحد وهو الفعل وحده، وقد حكى عن العرب سماعًا: عليه رجلًا، ليس إغراءً للغائب، وهو شاذ لا يقاس عليه، وأجاز الكسائي وحده الإغراء بالظروف كلها.

قال الفراء: زعم الكسائي أنه سمع: بينكما البعيرَ فخذاه، فأجاز ذلك

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٩٧.

(٢) انظر: كتاب سيبويه ١/ ١٣٨.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ٩٤.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٢٣.

في كل الصفات، وسمع العرب تقول: كما أنت زيدًا، ومكانك زيدًا، قال الفراء: وسمعت بعض بني سليم يقول: مكانكني، يريد انتظرني في مكانك[(١)]، ولا يجوز تقديم ما نصبته حروف الإغراء عليها نحو: زيدًا عليك، لأنها طروف أقيمت مقام الأفعال وليست أفعالًا، فلا تقوى على العمل فيما قبلها[(٢)].

وأما سبب نزول الآية: فروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما قبل من أهل الكتاب الجزية وأبى من العرب إلا الإسلام أو السيف، عيَّر المؤمنين منافقوا مكة قبول رسول الله ﷺ الجزية من بعض دون بعض، فنزلت هذه الآية[(٣)]، يقول: لا يضركم ملامة اللائمين إذا كنتم على هدى، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أهل الكتاب، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، قال الزجاج: الأجود أن يكون رفعًا على جهة الخبر، والمعنى: ليس يضركم من ضل، قال: ويجوز أن يكون موضع ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ جزمًا على الجواب لقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ لأنه أمر، ويكون الأصل: لا يضرركم إلا أن الراء الثانية أدغمت فيها الأولى وضمت لالتقاء الساكنين[(٥)]، وشبه الفراء هذا بقوله

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٣.

(٢) ذكره المؤلف في «أسباب النزول» ص٢١٤، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦٣، و«تنوير المقباس» - الذي هو من رواية الكلبي ورواياته منكرة بهامش المصحف ص ١٢٥.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٩٤، و«معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٤.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٣، ولا تخف ولا تخافُ، قراءتان سبعيتان.

تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (لا تَخَفْ) ولا تخافُ [طه: ٧٧] جائزان[١].

ويقال: هل تدل هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قيل: في هذا وجوه:

أحدها: وهو الذي عليه أكثر الناس أن الآية لا تدل على ذلك، بل توجب أن المطيع لربه لا يكون مؤاخذًا بذنوب العاصي، فأما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعقول بالآيات في ذلك[٢]، وخطب أبي بكر الصديق ﷺ فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ وتضعونها غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب»**[٣].

الوجه الثاني في تأويل الآية: ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما قالا: قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ يكون هذا في آخر الزمان، قال ابن مسعود وقرئت عليه هذه الآية: ليس هذا بزمانها ما

انظر: «حجة القراءات» ص ٤٥٨، ٤٥٩، و«النشر» ٢/ ٣٢١.

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ٩٩، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٣، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦٣.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٧) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة وقال: حديث حسن صحيح، والطبري ٧/ ٩٨ من طرق، قال ابن كثير ٢/ ١٢٣. وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم، من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة.. متصلًا مرفوعًا ومنهم من رواه موقوفًا على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره، وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولًا في مسند الصديق رضي الله عنه".

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٩٦، وذكره ابن كثير ٢/ ١٢٤، وعزاه إخراجه إلى أبي جعفر

دامت قلوبكم واحدة، ولم تُلبَسوا شِيَعًا، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وأُلبستم شِيعًا، فامرؤٌ ونفسُه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية قال: ومن الآيات آيٌ وقع تأويلهن في آخر الزمان(١).

وروي عن ابن عمر أنه قال: "هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا، إن قالوا لم يقبل منهم"(٢)، ويؤكد هذا الوجه: ما روي أن أبا ثعلبة الخشني سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامهم(٣).

الوجه الثالث في تأويل الآية: ما ذهب إليه عبد الله بن المبارك، فقال: هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين جميعًا، وأغراهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: عليكم أهل دينكم ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من الكفار، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] يعني:

الرازي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥٩٩ إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٩٦ وأخذه عنه ابن كثير ٢/ ١٢٤، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٥٩٩ إلى ابن مردويه أيضًا.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة وقال حسن غريب، وأبو داود (٤٣٤١)، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، والطبري ٧/ ٩٧، البغوي في «شرح السنة» ١٤/ ٣٤٧.

(٣) «تفسير القرطبي» ٦/ ٣٤٤.

أهل دينكم، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] بهذا المعنى[١]، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء عنه، قال في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: يريد يعِظُ بعضكم بعضًا، وينهى بعضكم بعضًا، ويعلّم بعضكم بعضًا ما يقربه إلى الله ويبعده من الشيطان، و﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من غيركم، يريد من المشركين وأهل الكتاب، والمنافقين[٢].

الوجه الرابع: أن الآية نازلة في أهل الأهواء، لأنه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون هواهم بالأمر بالمعروف، فإذا رأيتهم أو كنت فيهم فعليك نفسك وذرهم وما اختاروه لأنفسهم، فلن يضرك ضلالهم. وهذا الوجه يروى عن صفوان بن مُحْرِز[٣]، ونحو ذلك قال الضحاك[٤].

والذي ذكرنا من سبب النزول يدل على أن الآية نازلة فيمن لا يؤمر بالمعروف ولا يُنْهى عن المنكر، وهم المنافقون واليهود والنصارى، فأما المسلمون فليسوا من هذا في شيء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فيما بينهم.

قال أبو عبيد: والذي أذن الله في إقراره والإمساك عن تغييره بقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ إنما هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يدينون بها، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل في هذه الآية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هو صفوان بن مُحْرز المازني البصري، العابد، أحد الأعلام، أخذ عن الصحابة وروى عنه جماعة. كان واعظًا قانتًا، توفي سنة ١٧٤هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٨٦، «تقريب التهذيب» ص ٢٧٧ (٢٩٤١).

(٣) لم أقف عليه، «تفسير الطبري» ٧/ ٩٧١، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٠.

(٤) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» في القرآن العزيز - لأبي عبيد (القاسم بن

واجبان في أهل المعاصي من المسلمين على الأبد، كذلك وجدنا أكثر أهل الحديث بلا توقيت[١]، وكان[٢] ابن شبرمة[٣]، يحد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، وذلك أنه حدث بحديث ابن عباس في الجهاد: من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة فلم يفر[٤]، فقال: (أما أنا)[٥] فأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا، لا يعجز الرجل عن اثنين أن يأمرهما وينهاها[٦]، قال أبو عبيد: ولا أعلم هذا يوجد فيه أصل أحسن من الذي ذهب إليه ابن شبرمة[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، قال عطاء: يريد مصيركم ومصير من خالفكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يريد يجازيكم بأعمالكم[٨].

١٠٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية، قال المفسرون كلهم في سبب نزول هذه الاية وما بعدها: أن تميمًا الداري[٩]

سلام) ص ٢٩٠.

(١) لا يزال الكلام لأبي عبيد في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ٢٩٤.

(٢) لم يتبين من هو.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٣ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ (٦٥) سورة الأنفال.

(٤) في (ج): (أنا) بدون (أما).

(٥) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص ٢٩٤.

(٦) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ٢٩٤.

(٧) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٦٠، «زاد المسير» ٢/ ٤٤٣.

(٨) هو أبو رقية، تميم بن أوس الداري، مشهور في الصحابة، كان نصرانيًا فأسلم سنة ٩هـ، كان كثير التهجد، قام ليلة بآية حتى أصبح وهي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] انظر: «الإصابة» ١/ ١٨٦.

(٩) هو عدي بن بداء، قال ابن حبان: له صحبة، وأنكر أبو نعيم ذلك، وجاء في «تفسير

وأخاه عديًّا[١] وكانا نصرانيين خرجا إلى الشام ومعهما بُدَيْل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلمًا مهاجرًا، خرجوا تجارًا، فلما قدموا الشام مرض بُدَيْل، فكتب كتابًا فيه نسخة جميع ما معه وطرحه في جوالقه، ولم يخبر صاحبيه بذلك، وأوصى إليهما، وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل فأخذا من متاعه إناء من فضة منقوشًا بالذهب، ودفعا باقي المتاع إلى أهله لما قدما، ففتشوا، فأصابوا الصحيفة بذكر ما كان معه، وفيها ذكر الإناء، فقالوا لتميم وعدي: إنا فقدنا من متاعه إناء من فضة فيها ثلاثمائة مثقال، قالا: ما ندري، إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم، فدفعناه، وما لنا بالإناء من علم، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وهذه الآية وما بعدها من أعوص ما في القرآن من الآيات معنًى وإعرابًا، وسأسوقهما بعون الله مشروحتين مُبَيَّنتين إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾، اختلف النحويون في تقديره، فقال الفراء: وقوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾ رفع الاثنين بالشهادة، أي ليشهدكم اثنان[٣]، وذكر الزجاج فيه قولين: أحدهما: مثل قول الفراء، والثاني: انفرد فقال: (شهادةُ) مرتفع بالابتداء

مقاتل» أنه مات نصرانيًا. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥١٤، و«الإصابة» ٢/ ٤٦٧.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨٠) كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ مختصرًا، والترمذي (٣٠٥٩) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة، وأبو داود (٣٦٠٦) كتاب: الأقضية، باب: شهادة أهل الذمة في الوصية في السفر، والطبري ٧/ ١٠١-١١٢ من طرق والمؤلف في «أسباب النزول» ص٢١٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٤.

وخبرها (اثنان)، والمعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فحذف المضاف، قال: ويجوز أن يكون المعنى فيما فَرضَ عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع (اثنان) بشهادة والمعنى أن يشهد اثنان[1]، واختار أبو علي القول الأول من قولي الزجاج[2].

وقال صاحب النظم: (شهادة) مصدر وضع موضع الأسماء، يريد بالشهادة الشهود، كما يقال: رجل عدلٌ ورضا، ورجال عدل ورضا وزَوْرٌ، وإذا جعلت الشهادة بمعنى الشهود قدرت معه حذف المضاف، ويكون المعنى: عدد شهود بينكم اثنان، واستشهد على هذا بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة: ١٩٧] أراد وقت الحج، ولولا هذا التأويل لكان قوله: (أشهر) منصوبًا على تأويل: الحج في أشهر معلومات، فقدر صاحب النظم حذف المضاف من الابتداء، وقدره الزجاج من الخبر.

وقوله تعالى: ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾، قال أبو علي: اتسع في (بين) وهي ظرف فجعل اسمًا، وأضيف إليه المصدر، وهذا يدل على أنه يجوز الاتساع في الظروف بجعلها اسمًا في غير الشعر، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قول من رفع، فجاء في غير الشعر، كما جاء في الشعر نحو قوله:

فصادفَ بين عَيْنَيه (الجنونا)[3][4]

---

(١) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٦٢.

(٢) هكذا في النسختين (ج)، (ش) بالنون، وفي «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٦٢ (الجبوبا) وكذا في اللسان ١/ ٥٣٢ (جبب) قال في شرحه: " الجبوب وجه الأرض ومتنها " ولعل ما في «الحجة» هو الأصوب فهو الأصل، وقد نسب البيت في اللسان لأبي خراش الهذلي.

(٣) «الحجة» ٣/ ٣٦٢.

(٤) قد تكون: يشهد أن، لأن الفاعل: اثنان.

وقال أبو علي الجرجاني في قوله: ﴿بَيْنِكُمْ﴾ بمعنى: لما بينكم، وما بينكم كناية عن التنازع والتشاجر، ثم أضاف الشهادة إلى التنازع، لأن الشهود إنما يحتاج إليها في التنازع الواقع في ما بين القوم، والعرب تضيف الشيء إلى الشيء إذا كان منه بسبب كقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: مقامه بين يدي ربه. ثم حذف (ما) من قوله: ما بينكم، والعرب تحذف كثيرًا ذكر (ما) و(من) في الموضع الذي يحتاج إليهما فيه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما ثَمّ، وكما قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] على معنى: ما بيني وبينك، ومثله قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قول من نصب، وهذا الذي ذكره الجرجاني شرح ما أجمله أبو علي، لأنه إذا حُذف (ما) وأضيف إليه فقد جعل الظرف اسمًا متسعًا فيه، فأبو علي أجمل، والجرجاني فسر.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾، (إذا) ظرف يتعلق بالشهادة، وهو معمولها على تقدير: يشهدان[1] إذا حضر أحدكم الموت اثنان، ولا يجوز أن يتعلق بالوصية على تقدير: حين الوصية إذا حضر، أي الوصية تكون عند حضور الموت لأمرين:

أحدهما: أن الوصية مصدر، ولا يتعلق بالمصدر ما يتقدم عليه، لأنه ليس له قوة الفعل، فلا يجوز: زيدًا ضربًا، بمعنى: اضرب زيدًا، كما يجوز: ضربًا زيدًا.

والثاني: أن الوصية مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف، لأنه لو عمل فيما قبله لجاز تقديره في ذلك الموضع، وإذا قُدر

---

(١) أي ظرف زمان.

ذلك لزم تقديم المضاف إليه على المضاف، بيان هذا: أنك لو قدرت أن يكون (إذا) متعلقًا بالوصية جعلت التقدير: الوصية إذا حضر أحدكم الموت، فيحتاج أن تقدم الوصية على ما أضيف إليه وهو حين[1]، ومن ثَمّ لم يجز أن تقول: القتال زيدًا حين تأتي، على معنى أن يكون (زيدًا) منصوبًا بتأتي، لأنه مضاف إليه، فلا يعمل فيما قبل المضاف وهو حين. هذا معنى كلام أبي علي الفارسي[2]، وقد أديت المعنى وشرحت بعض ألفاظه.

وقال في قوله: ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾: لا يجوز أن يتعلق حين بالشهادة، لأن الشهادة قد عمل في ظرف من الزمان، فلا يعمل في ظرف آخر منه، وكان تحمله على أحد ثلاثة أوجه: أحدها: أن تعلقه بالموت، كأنه: الموت في ذلك الحين، والآخر: أن تحمله على حضر، أي: إذا حضر في هذا الحين، ويراد بالموت: حضوره في الوجهين قربه لا نزوله، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] ولا يسند إليه القول بعد الموت، الوجه الثالث: أن تحمله على البدل من (إذا) لأن ذلك الزمان في المعنى هو ذلك الزمان، فتبدله منه كما تبدل الشيء من الشيء إذا كان إياه[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱثْنَانِ﴾، ذكرنا أنه خبر المبتدأ.

وقوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، جملة مرتفعة لأنها صفة لقوله: ﴿ٱثْنَانِ﴾[4].

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٦٣.

(٢) «الحجة» ٢/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) «الحجة» ٣/ ٢٦٤.

(٤) أخرج معناه عنه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٠١، وهذا قول الجمهور «بحر العلوم»

وقوله تعالى: ﴿مِنكُمْ﴾، قال ابن عباس وعامة أهل التفسير: منكم يا معشر المؤمنين، أي من أهل دينكم وملتكم[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، تقديره: أو شهادة آخرين من غيركم، أي: من غير أهل ملتكم في قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وشريح وإبراهيم وعَبِيدة وابن سيرين ومجاهد وابن زيد[٢].

قال شريح: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلمًا يُشهِده على وصيته، فأشهد يهوديًا، أو نصرانيًا، أو مجوسيًا، أو عابد وثن، أو أي كائن كان، فشهادتهم جائزة[٣]، ولا تجوز شهادة الكافرين على المسلمين إلا في هذا الموضع الواحد، وهو في الوصية في السفر، فإن شهد مسلمان بخلاف شهادتهما، أُجيزت شهادة المسلمين، وأُبطلت شهادة الكافرين.

وقال الشعبي: حضر رجلًا من المسلمين الموت وهو بدَقُوقَا[٤]، فلم يجد أحدًا من المسلمين يُشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري وكان عليها فأخبراه، وقدما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول

١/ ٢٦٤، «النكت والعيون» ٢/ ٧٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٤٦.

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٠٣، «بحر العلوم» ١/ ٤٦٤، «النكت والعيون» ٢/ ٧٥، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٢، «زاد المسير» ٢/ ٤٤٦.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٠٤، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٢.

(٣) قال محقق الطبري: «دَقُوقا: مدينة بين إربل وبغداد معروفة، لها ذكر في الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج» «تفسير الطبري» ١١/ ١٦٢ (ط. شاكر).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٥٧، ١٥٨ رقم

الله ﷺ فأحلفهما في مسجد الكوفة بعد العصر بالله ما بدلا ولا كذبا، وأجاز شهادتهما[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، الشرط متعلق بقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ والمعنى: أو شهادة آخرين من غيركم إن أنتم سافرتم، قال أبو علي: وهو وإن كان على لفظ الخبر، فالمعنى على الأمر، تأويله: ينبغي أن تُشْهِدوا إذا ضربتم في الأرض آخرين من غير أهل ملتكم[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مع قوله: ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فصلان معترضان بين الصفة والموصوف، لأن قوله: (تحبسونهما) من صفة قوله: (أو آخران)، والفاء في قوله: (فأصابتكم) لعطف جملة على جملة[٣].

وقوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال صاحب النظم: أي تقيمونهما وتقفونهما، كما يقول الرجل: مر بي فلان على فرس فحبس على دابته، أي: وقفه، وحبست الرجل في الطريق أكلمه، أي: وقفته. قال: ويقال إن معنى قوله: (تحبسونهما) تعبرونهما على اليمين، وهو أن يحمل الإنسان على اليمين وهو غير متبرع بها.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، أي من بعد صلاة أهل دينهما، عن

---

٢٩٠ مختصرًا، وأبو داود (٣٦٠٥) كتاب: الأقضية، باب: شهادة أهل الذمة وفي الوصية في السفر، والطبري ٧/ ١٠٥، وانظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص٣٧٩.

(١) «الحجة» ٣/ ٢٦٥.

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٦٤.

(٣) أخرجه عن السدي: الطبري ٧/ ١٠٩، وعزاه لهما الماوردي في «النكت والعيون»

ابن عباس والسدي[١]، وقال عامة المفسرين: من بعد صلاة العصر[٢]، وعلى هذا قال ابن قتيبة: خص هذا الوقت؛ لأنه قبل وجوب الشمس، وأهل الأديان يعظمونه، ويذكرون الله فيه، ويَتوقَّون الحلف الكاذب وقول الزور، وأهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها[٣].

وقال ابن الأنباري: قالوا: إنما أمرنا باستحلاف الشاهِدَين بعد صلاة العصر، لأنه وقت تعظمه اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل، فندبنا الله إلى استحلافهم في الوقت الذي يشرفونه، ويعظمونه، ويتجنبون فيه الأكاذيب.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾، الفاء لعطف جملة على جملة، قال أبو علي: وإن شئت جعلت الفاء للجزاء كقول ذي الرُّمة:

وإنسانُ عيني يَحْسِرُ الماءُ مرَّةً ... فيبدو وتاراتٍ يَجُمُّ فَيَغْرَقُ[٤]

تقديره إذا حَسَرَ بدا، وكذلك إذا حبستموهما أقسما[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾، أي في قول الآخرين الَّذين ليسا من أهل من ملتكم، وغلب على ظنكم خيانتهما.

قال أبو بكر[٦]: والشرط متعلق بـ (تحبسونهما)، كأنه قال: إن ارتبتم

٢/ ٧٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٤٤٨، وقد استبعد الطبري هذا القول.

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١١١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢١٦، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٨، و«بحر العلوم» ١/ ٤٦٥، «النكت والعيون» ٢/ ٧٦، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٢، ١١٣.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص ٣٧٨، وانظر: «زاد المسير» ٢/ ٤٤٨.

(٣) «ديوانه» ص٣٩١، وفيه (تارة) بدل (مرةً). وانظر: «المحتسب» ١/ ١٥٠.

(٤) «الحجة» ٣/ ٢٦٥.

(٥) ابن الأنباري .

(٦) «الحجة» ٣/ ٢٦٦.

وقدرتم أن الرجلين الذين أوصى إليهما كذبا وخانا حبستموهما بعد صلاة العصر.

وقوله تعالى: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾، قال أبو علي: (لا نشتري) جواب ما يقتضيه قوله: (فيقسمان بالله) لأن أقسمُ ونحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان[١].

وقال صاحب النظم: تأويله فيقسمان بالله ويقولان هذا القول في أيمانهما. والعرب تضمر القول كثيرًا كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أي: يقولون: سلام.

وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ ثَمَنًا﴾ قال أبو علي: المعنى: لا نشتري بتحريف شهادتنا ثمنًا، فحُذِفَ المضاف وذُكِّر الشهادةُ لأن الشهادة قول. قال: وتقدير لا نشتري به ثمنًا: لا نشتري به ذا ثمنٍ، ألا ترى أن الثمن لا يُشترى وإنما يُشترى ذو الثمن. قال: وليس الاشتراء ههنا بمعنى البيع وإن جاز في اللغة، لأن بيع الشيء إبعاد له من البائع، وليس المعنى ههنا على الإبعاد، وإنما هو على التمسك به والإيثار له على الحق[٢].

وقال غيره: معنى: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ أي لا نبيع عهد الله بعرض نأخذه[٣]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فمعنى ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ أي لا نأخذ ولا نستبدل، ومن باع شيئًا فقد اشترى ثمنه، ومعنى الآية: لا نأخذ بعهد الله ثمنًا بأن نبيعه بعرض من الدنيا، ونستغني في هذا عن كثير من تكلف أبي علي. وهذا معنى قول

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٦٦.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ٣٧٨.

(٣) أي ابن قتيبة. انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص ٣٧٨، ٣٧٩.

القتيبي[١] والجرجاني.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، التقدير: ولو كان المشهود له ذا قربى، وخص ذو القربى بالذكر لميل الناس إلى قراباتهم ومن يناسبونه[٢]، وهذا مقتص من قوله ﷻ: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾، أضيفت الشهادة إلى الله سبحانه لأمره بإقامتها والنهي عن كتمانها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢][٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ أي: إنا إن كتمناها كنا من الآثمين، وهذا الذي ذكرنا في الآية قول أكثر المفسرين واختيار أعظم أصحاب المعاني[٤].

قال عبد الله بن مسلم وذكر معنى الآية على الوجه: أراد الله ﷻ أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية عند حضور الموت فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: رجلان عدلان من المسلمين تشهدونهما على الوصية، وعلم جل ثناؤه أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من

---

(١) من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٦٦.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢٦٦.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨١، الطبري ٧/ ١١١، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٨، «بحر العلوم» ١/ ٤٦٥.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٣٧٧، ٣٧٨.

المسلمين فقال: (أو آخران من غيركم) أي: من غير دينكم، إذا (ضربتم في الأرض) أي: سافرتم (فأصابتكم مصيبة الموت) وتم الكلام، فالعدلان من المسلمين للحضَر والسفَر إن أمكن إشهادهما في السفر، والذميان في السفَر خاصة إذا لم يوجد غيرهما.

ثم قال: ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾ من بعد صلاة العصر ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ في شهادتهما وشككتم وخشيتم أنْ يكونا قد غيرا و بدلا وكتما وخانا، ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾ أي: لا نبيعه بعرض، ولا نحابي في شهادتنا أحدًا ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة علمناها، فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شهدا به قبلت شهادتهما: وأمضي الأمر على قولهما[١].

وقال ابن الأنباري: تلخيص الآية: يا أيها الذين آمنوا ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وأردتم الوصية، اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غير دينكم.

فإن قيل: إن أهل الذمة لا يكونون عدولًا ولا تقبل شهادتهم، قيل: هذا من مواضع الضرورات التي يجوز فيها ما لا يجوز في مواضع الاختيارات، وقد أجاز الله تعالى في الضرورة التيمم وقصر الصلاة في السفر والجمع، والإفطار في شهر رمضان، وأكل الميتة في حال الضرورة، ولا ضرورة أعظم من ضرورة تبطل حقوقًا وتضيع أمورًا على الميت من زكوات وكفارات أيمان وودائع للناس من ديون وحقوق، متى لم يبينها بطلت، فجاز[٢] عند الضرورة الإيصاء إلى أهل الذمة، كما جاز في الأشياء التي وصفناها، وكما يجوز شهادة نساء لا رجل معهن في الحيض،

---

(١) في (ج): (فجازت).

(٢) ينظر: «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٥٥ - ١٦٥ .

والحبَل، والولادة، والاستهلال.

وقال أبو عبيد[١]: مما يدل على صحة هذا القول قوله في أول الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فعم في خطابه المؤمنين، فلما قال بعد ذلك ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ لم يغلب عليه إلا معنى: من غير أهل دينكم، إذ كان لم يخصص في أول الآية، ولم يخاطب قومًا مختصين من المؤمنين دون قوم[٢].

وذهب آخرون، إلى أنه لا يجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم، فقالوا في قوله تعالى: ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾ أي: من حَيِّكم وقبيلتكم ورفقتكم ﴿أو آخران من غيركم﴾ أي: من غير قبيلتكم ورفقتكم، وهو قول الحسن والزهري وأبي موسى، قالوا: ولا يجوز شهادة كافر في سفر ولا حضر[٣]، واختاره الزجاج فقال: قال الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] وقال: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والشاهد إذا عُلِمَ أنه كذاب لم تقبل شهادته، وقد علمنا أن النصارى زعمت أن الله تعالى: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وأن اليهود قالت: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] فعلمنا أنهم يكذبون، فكيف تجوز شهادة من هو مقيم على الكذب؟[٤].

فهؤلاء جعلوا الآية في المسلمين.

---

(١) ينظر: «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص ١٦٣، ١٦٤ .

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٠٦، «معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٧٧، «النكت والعيون» ١/ ٤٩٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٤٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٦.

(٤) ينظر: «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٥٥ - ١٦٥.

وذهب جماعة إلى أن الآية كانت في شهادة أهل الذمة ثم نسخت، وقد بين أبو عبيد هذه المذاهب[١] وذكر أقواها فقال: في هذه الآية ثلاثة أقاويل: فجلّ العلماء وعظمهم يتأولونها في أهل الذمة ويرونها محكمة، وقالت طائفة أخرى: في أهل الذمة غير أنها قد نسخت، وقالت طائفة أخرى: هي لأهل الإسلام جميعًا، ولا حظ لأهل الذمة فيها[٢].

ثم ذكر بإسناده إجازة شهادة أهل الذمة، وأن الآية نزلت في ذاك عن أبي موسى وشريح والشعبي ومجاهد وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإبراهيم[٣].

وقال: هذا مذهب الذين رأوا الآية محكمة، ومما يزيد قولهم قوة تتابع الآثار في سورة المائدة بقلة المنسوخ وأنها من محكم القرآن وآخر ما نزل[٤].

وأما الآخرون[٥] الذين رأوا الآية منسوخة، احتجوا بقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال: ولست أدري إلى من يسند هذا القول؟ غير أنه قول مالك بن أنس وأهل الحجاز وكثير من أهل العراق غير سفيان، فإنه أخذ بالقول الأول، وأما الذين تأولوا الآية في أهل الإسلام وأخرجوا المشركين منها فشيء يروى عن أبي موسى والحسن وابن شهاب. روى خالد عن أبي قلابة عن أبي موسى في قوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدۡلٍ

---

(١) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص ١٥٥.
(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٥٥ - ١٦٠.
(٣) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص ١٦٠.
(٤) لا يزال الكلام لأبي عبيد.
(٥) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» لأبي عبيد ص ١٦٢، ١٦٣.

﴿مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ قال: كلهم مسلمون.

وقال الحسن: ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ من قبيلتكم ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ من غير قبيلتكم.

وقال ابن شهاب في هذه الآية: هي في الرجل يموت في السفر فيحضره بعض ورثته ويغيب بعضهم[١].

قال أبو عبيد: أما حديث أبي موسى فلا أراه حَفِظَ، لأن الشعبي حدث عنه إجازة شهادة أهل الذمة على الوصية. وقد ذكرناه[٢] قبل، وأما تأول الحسن: من قبيلتكم ومن غير قبيلتكم، فقد بينا أنه لا يحتمل لعموم المؤمنين بالخطاب في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فلم يبق أحد منهم إلا وقد خوطب بها، وكيف يجوز أن يقال ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ إلا من كان خارجًا منهم، وأما قول ابن شهاب: إنها في أهل الميراث، فأنى يكون هذا؟ وإنما (سما الله بشهادة)[٣] ثم أعاد ذكرها في الآية مرارًا فقال: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾. وهو تناولها[٤] في الادعاء من بعض الورثة على بعض، وإنما هم مدعون ومدعى عليهم، فأين الشهادة من هذه الدعوى؟ وكيف يقال للمدعي شاهد؟

فهذان نوعان من التأويل لا أعرف لهما وجهًا، مع أن فيهما أمرين لا يجوزان في أحكام المسلمين، قال: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ فهل يُعرف في حكم الإسلام أن يُحَلَّف الشاهدان أو يجب عليهما يمين؟ أم هل يعرف في حكم الإسلام أن لا يقبل الحاكم شهادتهما ولا

---

(١) في (ج): (وقد ذكرنا).
(٢) في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز»: (سماها الله لنا شهادة).
(٣) في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز»: وهذا يتأولها.
(٤) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٦٣.

ينفذها إلا بعد صلاة العصر؟ هذا ما لا يجب على شهود المسلمين، وليس الأمر عندنا إلا القول الأول عن من سمينا من الصحابة والتابعين[١] مع ما يروى عن ابن مسعود[٢] أن رجلًا من المسلمين خرج في سفر فمر بقرية، فمرض ومعه رجلان من المسلمين فدفع إليهما ماله ثم قال: ادعوَا من أشهده على ما قبضتما، فلم يجدوا أحدًا من المسلمين في تلك القرية، فدعوا أناسًا من اليهود والنصارى فأشهدهم على ما دفع إليهما، ثم إن المسلِمَيْنِ قدما بالمال إلى أهله فقالوا: لقد كان معه من المال أكثر مما أتيتمونا به، قال: فاستحلفوهما بالله ما دفع إليهما غير هذا، ثم قدم ناس من اليهود والنصارى فسألهم أهل المتوفى فأخبروهم أنه هلك بقريتهم، وترك كذا وكذا من المال، فعلم أهل المتوفى أن قد عُثِروا على أن المسلمين قد استحقا إثمًا، فانطلقوا إلى ابن مسعود فأخبروه بالذي كان، فأمر المسلمين أن يحلفا بالله ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ إلى آخر الآية، ثم أمر اليهود والنصارى أن يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا، ولشهادتنا أحق من شهادة هذين المسلِمَيْنِ، ثم أمر أهل المتوفى أن يحلفوا بالله ما شهدت به اليهود والنصارى، فحلفوا، فأمرهم ابن مسعود أن يأخذوا من المسلِمَيْنِ ما شهدت به اليهود والنصارى. قال: وكان ذلك في خلافة عثمان. انتهى كلام أبي عبيد[٣].

والذين يتأولون الآية في غير أهل الذمة يقولون إنما استُحلِف

(١) هذا الأثر متقدم في «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» على ما نقله المؤلف فهو في ص ١٥٧.

(٢) «الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز» ص ١٥٧ - ١٦٣.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ١١٧، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٣.

الشاهدان لأنهما صارا مدَّعى عليهما، ادَّعى الورثة انهما خانا في المال، وأما الحبس بعد الصلاة فهو من تغليظ الأيمان، ومذهب أهل الحجاز أن الأيمان تغلَّظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان واللفظ، أما الزمان: فهو ما قال الله تعالى في هذه الآية، وهي صلاة العصر، وكان الناس يكثرون في المساجد بالحجاز بعد صلاة العصر.

وأما المكان: فعند المقام بمكة، وعلى المنبر بالمدينة، وسائر البلاد.

وأما الألفاظ: فما يؤدي إليه اجتهاد القضاة، رجعنا إلى حديث تميم وعدي وقصتهما: ولما رفعوهما إلى رسول الله ﷺ، ونزلت الآية، أمرهم رسول الله ﷺ أن يستحلفوهما بالله الذي لا إله إلا هو ما قبضا له غير هذا ولا كتما، فحلفا على ذلك، وخلى رسول الله ﷺ سبيلهما، فكتما الإناء ما شاء الله أن يكتما، ثم اطُّلِعَ على إناء من فضة منقوش من ذهب معهما، فقالوا هذا من متاعه، فقالا: اشتريناه منه فارتفعوا إلى النبي ﷺ.

١٠٧- فنزل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ الآية[(١)].

قال الليث: عثر الرجل يعثرُ عُثُورًا: إذا هجم على أمرٍ لم يهجُم عليه غيره، وأعثرت فلانًا على أمري، أي: أطلعته، وعَثَر الرجل يَعْثُر عَثْرة، إذا وقع على شيء[(٢)].

قال أهل اللغة: وأصل عثر بمعنى اطلع، من العثرة التي هي الوقوع، وذلك أن العاثر إنما يعثر بشيء كان لا يراه، ثم إذا عثر به اطلع عليه ونظر

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٢٧ (عثر).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

ما هو، فقيل لكل من اطلع على أمر كان خفيًا عنه: قد عثر عليه. وأعثر غيره إذا أطلعه عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] أي: أطلعنا عليهم، ومعنى الآية: فإن ظُهِر أنهما أتيا خيانة واستحقا الإثم أي: استوجباه بقصدهما في شهادتهما إلى غير الاستقامة، ولم يتحريا الحق وحنثا في اليمين، ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، أي: مقام الشاهدين الذين هما من غيرنا.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَانِ﴾، قال الزجاج: هذا موضع من أصعب ما في القرآن من الإعراب قوله ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾ صفة للآخرين، وقوله: ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ صلة الذين. ومعنى ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: استحقت الوصية عليهم، أو استحق الإيصاء عليهم، وهم ورثة الميت. ويجوز أن يكون المعنى من الذين استحق عليهم الإثم، كأن المعنى من الذين جنى عليهم الإثم[1]، وقال بعضهم: معنى (على) ههنا معنى (في) والمعنى: من الذين استحق فيهم الإثم، أي: بسببهم استحق الحالفان اللذان من غيرنا فيهم الإثم بيمينهما الكاذبة. وقامت (على) مقام (في) كما قامت (في) مقام (على) في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وقال بعضهم: معنى (على) معنى (من) كأنه قيل: من الذين استحق منهم الإثم، وكانت (على) بمنزلة (من) كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطففين: ٢] أي: من الناس[2].

قال صاحب النظم مختارًا لهذا القول: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: نيل منهم ظلم بالخيانة وهم ورثة المتوفى الموصي. انتهى كلامه، والمسند إليه

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٧.

(٢) في (ج): (بالأمر).

استحق الإيصاء والإثم على ما بينا، وحذف ذلك لتقدم ذكر الوصية والإثم في قوله: ﴿حين الوصية﴾ وقوله: ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثمًا﴾، وقوله تعالى: ﴿الأوليان﴾ لا يخلو ارتفاعه من أن يكون على الابتداء، وقد أُخِّر كأنه في التقدير: فالأوليان بأمر(١) الميت آخران من أهله يقومان مقام الخائنين الذين عُثِر(٢) على خيانتهما، كقولك: تميمي أنا، أو يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه: فآخران يقومان مقامهما هما الأوليان، أو يكون بدلًا من الضمير الذي في (يقومان)، فيصير التقدير: فيقوم الأوليان(٣).

وقد أجاز أبو الحسن الأخفش أن يكون (الأوليان) صفة لقوله (فآخران) لأنه لما وُصف (آخران) اختص بما وُصِفَ به فوصف من أجل الاختصاص الذي صار له بما يوصف به المعارف(٤).

وقال صاحب النظم: النكرة إذا تقدم ذكرها ثم أعيد عليها الذكر صارت معرفة كقوله ﷻ: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] فمصباح نكرة، ثم قال: ﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾ ثم قال: ﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾ ثم قال ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ وهذا مثل قولك: رأيت رجلًا، فاستفهمك إنسان فقال: من الرجل؟ فصار العود إلى ذكره معرفة، قال: ويجوز أن يكون (الأوليان) بدلًا من قوله: (آخران) وإبدال المعرفة من النكرة سائغ كثير، ومعنى الأوليان: أي: الأقربان إلى الميت. ويجوز أن يكون المعنى: الأوليان باليمين(٥)، وإنما كانا أوليين

---

(١) في (ج): (عثرا).

(٢) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٦٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢١٦، ٢١٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للأخفش ٢/ ٤٧٩، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٦٧.

(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٦٨.

(٥) في (ش): (الجازم) والأقرب ما أثبته. «تفسير الطبري» ٧/ ١١٥، و«الإصابة» ١/

باليمين؛ لأن الوصيين ادعيا أن الميت باع الجام[١] فانتقل اليمين إلى الوليين؛ لأنهما صار مُدَّعًى عليهما أن مورثهما باع الإناء، وهذا كما لو أقر إنسان لآخر بدين وادعى قضاءه حُكِمَ برد اليمين إلى الذي ادعى الدين، لأنه صار مُدَّعى عليه أنه استوفى، وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: (الأوَّلِينَ) على الجمع[٢]، وهو نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ وتقديره :من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء أو الإثم. وإنما قيل لهم: الأولين فمن حيث كانوا أولين في الذكر، ألا ترى قد تقدم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ وكذلك: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ذكرا في اللفظ قبل قوله : (أو آخران من غيركم)[٣]، وكان ابن عباس يختار هذه القراءة ويقول: أرأيت إنْ كان الأوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما[٤]، أراد أنهما إذا كانا صغيرين لم يقوما في اليمين مقام الجانبين، وقرأ حفص وحده (اسْتَحَقَ) بفتح التاء والحاء، (الأوليان) على

.١٨٤

والمقصود بالجام ما أخذه تميم وأخوه من مال الميت وهو الإناء، والجام قال الأزهري في تعريفه: "عن ابن الأعرابي: الجام الفاثور من اللجين". «تهذيب اللغة» ١/ ٥٢٥ (جام).

والفاثور: الخوان أو المائدة. قال محقق الطبري ١١/ ١٨٥: (ط. شاكر) " الجام إناء من فضة، وهو عربي فصيح مخوص بالذهب ".

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١١٤، و«الحجة» ٣/ ٢٦٠، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٦.

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ١٦٩، و«حجة القراءات» ص ٢٣٨.

(٣) أخرجه الفراء في «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٤، و«معاني القرآن وإعرابه» للنحاس ٢/ ٣٨١، و«حجة القراءات» ص ٢٣٨.

(٤) في رواية حفص عنه، «الحجة» ٣/ ٢٦٠، ٢٦١، و«حجة القراءات» ص ٢٣٨،

التثنية[(١)]، واستحق ههنا: بمعنى حق، أي: وجب، والمعنى: فآخران من الذين وجب عليهم الإيصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾، قال ابن عباس: يريد ليميننا أحق من يمينهما[(٢)].

وهذا ملتقى به ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ لأن معناه: فيقولان: والله لشهادتنا، وسميت اليمين ههنا شهادة؛ لأن اليمين كالشهادة على ما يحلف أنه كذلك، وقد يقول القائل: أشهد بالله، أي: أقسم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾، قال ابن عباس: أي: فيما طلبنا من حقنا[(٣)]، وقيل: وما اعتدينا فيما قلناه من أن شهادتنا أحق من شهادتهما[(٤)]، وكل ما ذكرنا في هذه الآية أكثره قول أبي علي[(٥)] وأبي إسحاق[(٦)].

وقال عبد الله بن مسلم في ذكر معنى هذه الآية على سياق واحد موافق لما قدمنا: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ بعدما حلف الوصيان ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: حنثًا في اليمين بكذبٍ في قولٍ أو خيانةٍ في وديعةٍ، قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت، فيحلفان بالله لقد ظُهِر على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما، وما اعتدينا عليهما[(٧)].

و«النشر» ٢/ ٢٥٦.

(١) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٥، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٤.

(٢) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٥.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٥، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٤.

(٤) انظر: «الحجة» ٣/ ٢٦١ - ٢٧٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٤ - ٢١٧.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص ٣٧٩، ٣٨٠ باختصار.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ١١٥-١١٦ عن عكرمة، وكذا ابن المنذر، انظر: «الدر المنثور»

رجعنا إلى قصة تميم وعدي، قالوا: فلما نزلت هذه الآية قام عمرو ابن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله أنهما خانا وكذبا، فدفع الإناء إليهما وإلى أولياء الميت، وغرم تميم وعدي ما أخذاه من ثمنه، فكان تميم الداري بعدما أسلم وبايع النبي ﷺ يقول: صدق الله ورسوله، أنا أخذت الإناء، فأتوب إلى الله وأستغفره[1]، وروى عن عمر ﷺ أنه قال هذه الآية أعضل ما في هذه السورة من الأحكام[2].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾، أشار بقوله: (ذلك) إلى ما حكم به في هذه القصة وبيّنه من رد اليمين، والمعنى: ذلك الذي حكمنا به أدنى إلى الإتيان بالشهادة وأقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على ما كانت، يعني تميمًا وصاحبه وكل من قام مقامهما من الخصوم، ولهذا المعنى جمع.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟﴾، أي: أقرب إلى أن يخافوا[3]، ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾ على أولياء الميت[4] ﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويُغرّموا، فربما لا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم[5]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، أن تحلفوا أيمانًا كاذبة وتخونوا أمانة[6]، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾،

٢/ ٦٠٣.

(١) «القرطبي» ٦/ ٣٥٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٧، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٥.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥١٤، الطبري ٧/ ١٢٢، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٢-١٢٣، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٥.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٣، «بحر العلوم» ١/ ٤٦٦، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٥.

(٦) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٣، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٣.

الموعظة[١]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد لا يرشد من كان على معصيته[٢].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، انتصاب اليوم يجوز أن يكون بفعل محذوف وهو: احذروا أو اذكروا، وقال الزجاج: وهو محمول على قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ﴾[٣]، ثم قال: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ﴾ أي: واتقوا ذلك اليوم، فدل ذكر الاتقاء في الآية الأولى على الاتقاء في هذه الآية، ولم ينصب اليوم على الظرف للاتقاء؛ لأنهم لم يؤمروا بالتقوى في ذلك اليوم، ولكن على المفعول به كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾، قال الكلبي: ماذا أجابكم قومكم في التوحيد[٤].

قال أهل المعاني: ومعنى المسألة من الله للرسل التوبيخ للذين أرسلوا إليهم كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [التكوير: ٨، ٩] وإنما تُسأل ليُوبَّخ قاتلوها[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: إن للقيامة زلازل وأهوالًا حتى تزول القلوب من مواضعها، فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها، شهدوا لمن صدقهم وشهدوا على من كذبهم، يريد

(١) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٨.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٦.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٨، «النكت والعيون» ٢/ ٧٨، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

(٥) أخرجه الخطيب في تاريخه كما في «الدر المنثور» ٢/ ٦٠٧-٦٠٨، «تفسير البغوي»

أنه عزبت عنهم أفهامهم من هول يوم القيامة فقالوا: لا علم لنا[١]، وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، قالوا: من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم[٢]، واختارالفراء هذا القول[٣].

ونحو هذا قال الكلبي: من شدة هذه المسألة وهول ذلك الموطن، قالوا: لا علم لنا، ثم رجعت إليهم عقولهم، فشهدوا على قومهم أنهم بلغوهم الرسالة، وكيف ردوا عليهم[٤].

ومثل هذا قال مقاتل[٥]، وسفيان الثوري[٦].

قال ابن عباس في رواية الوالبي[٧]: إنهم قالوا: لا علم لنا كعلمك، لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا[٨]، وعلى هذا إنما نفوا العلم عن أنفسهم؛ لأن علمهم كلا علم عند علم الله تعالى، وحكى ابن الأنباري عن جماعة أنهم قالوا: معنى الآية: لا حقيقة لعلمنا، إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت

٣/ ١١٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٥، «بحر العلوم» ١/ ٤٦٦، «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٤، «تفسير البغوي» ٣/ ١١٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٣٢٤.

(٣) «تنوير المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٦.

(٤) في «تفسيره» ١/ ٥١٥.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) علي بن أبي طلحة وهي من أصح الطرق عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ١٢٦ بمعناه، «النكت والعيون» ٢/ ٧٨، البغوي ٣/ ١١٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

(٨) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٣.

حياتنا، ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا. وإنما الجزاء والثواب يُستحقان بما تقع به الخاتمة مما يموتون عليه، فلما خفي عليهم الذي ماتت عليه الأمم لم يكن لعلمهم حقيقة، فقالوا: لا علم لنا[١].

وذكر الزجاج هذا القول فقال: وقال بعضهم: معنى قول الرسل: لا علم لنا، أي: لا علم لنا بما غاب عنا ممن أُرسِلنا إليه، وأنت تعلم باطنهم، فلسنا نعلم غيبهم، أنت علام الغيوب[٢]، فعلى هذا معنى قولهم: (لا علم لنا) أي: بباطن أمرهم.

يدل على صحة هذا التأويل:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، أي: أنت تعلم ما غاب، ونحن نعلم ما نشاهده، ولا نعلم ما في البواطن[٣].

١١٠- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ الآية، موضع (إذ) يجوز أن يكون رفعًا بالابتداء على معنى: ذاك إذ قال الله، ويجوز أن يكون المعنى: اذكر إذ قال الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ يجوز أن يكون (عيسى) في محل الرفع[٥] لأنه منادى مفرد وصف بمضاف، فيكون كقول الشاعر:

يا زبرقانُ أخا بني خَلفٍ

ويجوز أن يكون في محل النصب؛ لأنه في نية الإضافة، ثم جعل

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٨.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٦.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٢٨.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٢٨.

الابن توكيدًا له[١]، وكل ما كان مثل هذا جاز فيه الوجهان، نحو: يا زيدُ ابن عمروٍ، ويا زيدَ بن عمروٍ، وأنشد النحويون:

يا حَكَمُ بنُ المنذرِ بن الجارودْ

برفع الأول ونصبه على ما بينا، وقوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ أراد الجمع كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٨، إبراهيم: ٣٤]، وإنما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس، ثم فسر نعمته عليه بقوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾، قال ابن عباس: يريد إذ أنبتها نباتًا حسنًا وطهرتها واصطفيتها على نساء العالمين، وكان يأتيها رزقها من عندي وهي في محرابها[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ (تكلم) في موضع الحال، أي: أيدتك به مكلمًا الناس في المهد، قاله الزجاج[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف على موضع (تكلم)، كأن المعنى: وأيدتك به مخاطبًا الناس في صغرك ومخاطبًا الناس كهلًا[٤]. وجائز أن يكون عطفًا على موضع ﴿الْمَهْدِ﴾ فيكون المعنى: وأيدتك به مكلمًا الناس صغيرًا وكهلًا[٥].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٩.
(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٩.
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٢٨.
(٥) هكذا في النسختين، ولعل الصواب: الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: الكتابة[١] يعني الخط، وقيل: أراد الكتب، فيكون الكتاب اسم الجنس ثم فصل بذكر التوراة والإنجيل، وأما الحكمة فالعلم بما في تلك الكتب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِى﴾ وقرأ نافع: (فتكون طائرًا)[٣]، وأما الطير فواحده طائر، مثل: ضائن وضأن، وراكب وركب، والطائر كالصفة الغالبة.

ولو قال قائل: إن الطائر قد يكون جمعًا مثل الحامل والباقر والسامر كان ذلك قياسًا[٤]، ويكون على هذا معنى القراءتين واحدًا. ويقوي هذا الوجه ما حكاه أبو الحسن الأخفش: طائرة فيكون طائرة وطائر من باب شعيرة وشعير.

وأما قوله تعالى: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ وفي آل عمران: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، والقول في ذلك أن الضمير في قوله: ﴿فِيهَآ﴾ يعود إلى الهيئة وتجعلها مصدرًا في موضع المهيأ، كما يقع الخلق موضع المخلوق، وذلك لأن النفخ لا يكون في الهيئة، إنما يكون في المهيأ ذي الهيئة[٥]. ويجوز أن يعود إلى الطير؛ لأنها مؤنثة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك: ١٩]، وأما تذكير الضمير في آل عمران فقد مضى الكلام فيه مستقصى.

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٧.

(٢) انظر: «السبعة» ص ٢٤٩.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٠ (طار)، «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٧، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٤، ٤٥٥.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٨، و«تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٤، والبغوي ٣/ ١١٦، «تنوير

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾.قال ابن عباس: يريد عن قتلك[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقرأ حمزة والكسائي: (ساحر) بالألف[(٢)]، فمن قرأ ﴿سِحْرٌ﴾ جعله إشارة إلى ما جاء به، كأنه قال: ما هذا الذي جئت به إلا سحر، ومن قرأ: (إلا ساحر) أشار إلى الشخص لا إلى الحدث الذي أتى به، وكلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدم[(٣)]، غير أن الاختيار ﴿سِحْرٌ﴾ لجواز وقوعه على الحدث والشخص، أما وقوعه على الحدث فسهل كثير، ووقوعه على الشخص تريد به: ذو سحر، كما جاء: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: ذا البر، وقالوا: إنما أنت سيرٌ وما أنت إلا سيرٌ، وإنما هي إقبال وإدبار، فيجوز أن يريد بسحر ذا سحر، ولا يجوز أن تريد بساحر السحر . وقد جاء فاعل يراد به المصدر في حروف ليست بالكثير، نحو: عائذ بالله من شره، أي: عياذًا، ونحو العافية[(٤)]، ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يسوغ القياس عليها[(٥)].

١١١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ قد ذكرنا طرفًا من معاني الوحي والإيحاء في قوله: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال

المقباس» بهامش المصحف ص ١٢٦.

(١) «الحجة» ٣/ ٢٧٠.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢٧١.

(٣) في «الحجة» ٣/ ٢٧٢ (العاقبة).

(٤) من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٧١، ٢٧٢ بتصرف.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٩، الطبري ٧/ ١٢٨، «معاني القرآن» للنحاس

عامة المفسرين في ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ ألهمتهم، كما قال جل وعز: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أي: ألهمها وقذف في قلوبها[١]، ومضى الكلام في الحواريين[٢]، وتفسير الآية ظاهر.

١١٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، قال أهل المعاني: هذا على المجاز كما يقول القائل: هل تستطيع أن تنهض معنا، أي: هل تفعل، وذلك أن المانع من جهة الحكمة قد يُجعَل بمنزلة المنامي للاستطاعة.

وقال ابن الأنباري: لا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله ﷻ، ولا يدل قولهم ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على أنهم شكوا في استطاعة الله[٣]، إذ كان العربي يقول لصحابه: هل تستطيع أن تقوم معي؟ وهو يعلم أنه مستطيع للقيام، إنما يقصد بتستطيع معنى: هل يسهل عليك ويخف عليك، فكذلك هو في الآية هل يقبلُ ربُّك دعاءَك، وهل يسهل لك إنزال هذه المائدة علينا[٤]، وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفراء[٥].

وقال أبو علي الفارسي: ليس هذا على أنهم شكوا في قدرة القديم[٦]

٢/ ٣٨٣، «بحر العلوم»١/ ٤٦١.

(١) الظاهر أنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٢٩.

(٣) «زاد المسير» ٢/ ٤٥٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٣٢٥.

(٥) القديم: مما أدخله المتكلمون في أسماء الله تعالى، وليس هو من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة. انظر: «الطحاوية» ص٦٧.

(٦) «الحجة» ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤ بتصرف.

سبحانه على ذلك، لأنهم كانوا مؤمنين عارفين، ولكن كأنهم قالوا: نحن نعلم قدرته على ذلك، فليفعله بمسألتك إياه؛ ليكون علَمًا لك ودلالةً على صدقك، وكأنهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقة وصحة أمره بحيث لا يعترض عليهم منه إشكال ولا ينازعهم فيه شبهة؛ لأن علمَ الضرورة لا تعترض فيه الشبه التي تعترض في علم الاستدلال، فأرادوا علم أمره من هذا الوجه، ومن ثم قالوا: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣]، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] بأن أعلمُ ذلك، من حيث لا يكون لشبهة ولا إشكال عليّ طريقٌ[1].

وقرأ الكسائي: (تَسْطِّيع)[2] بالتاء مدغمًا (رَبَّكَ) نصبًا، أما الإدغام فإن التاء قريب المخرج من اللام، لأنهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا، وبحسب قرب الحرف من الحرف يحسن الإدغام، وإذا جاز إدغام اللام في الشين مع أنها أبعد منها من التاء، فأن يجوز في التاء ونحوها من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا أجدر، وأنشد سيبويه:

تقولُ إذا استهلكتُ مالًا للذَّةٍ ... فُكَيهَةُ هشَّئٌ بكفَّيك لائقُ[3]

وأنشد أيضًا:

فذَرْ ذا ولكن هتُّعينُ مُتَيَّمًا ... على ضوء برقٍ آخِرَ الليلِ ناصِبِ[4]

أي هل تعين، فأدغم[5].

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٧٥.

(٢) في الكتاب ٤/٤٥٨، ونسبة لطريف بن تميم العنبري، قال سيبويه: يريد: هل شيء؟ فأدغم اللام في الشين.

(٣) في «الكتاب» ٤/ ٤٥٩ ونسبه لمزاحم العقيلي.

(٤) «الكتاب» ٤/ ٤٥٨، ٤٥٩، «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٧٣ بتصرف.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٥.

وأما معنى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل تستطيع سؤال ربك[(١)]، وذكر الاستطاعة في سؤاله لا لأنهم شكوا في استطاعته، ولكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم، كأنهم قالوا: إنك مستطيع فما يمنعك ؟ومثل ذلك قولك لصحابك: أتستطيع أن تذهب عني فإني مشغول، أي: اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك[(٢)].

و(أنْ) في قوله: ﴿يُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ متعلق بالمصدر المحذوف على أنه مفعول[(٣)]، واختار أبو عبيد هذه القراءة[(٤)]؛ لأن الأولى تشبه أنْ يكون الحواريون شاكين، وهذه القراءة لا توهم ذلك، والمعنى في الاستفهام عن استطاعة عيسى السؤال طلب المعجزة منه، أرادوا هل تستطيع بسؤالك إظهار هذه المعجزة التي نطلبها؟

ويحتمل أن يكون مرادهم بالاستفهام التلطف في استدعاء السؤال كما تقول لصحابك: هل تستطيع أن تفعل كذا ؟ وأنت عالم أنه يستطيع، ولكن قصدك بالاستفهام التلطف[(٥)]، وهذه القراءة[(٦)] قراءة ابن عباس، وعائشة[(٧)] يروى عنها أنها قالت: كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا: (هل يستطيع ربك)[(٨)].

---

(١) «الحجة» ٣/ ٢٧٣.
(٢) «الحجة» ٣/ ٢٧٣.
(٣) أي قراءة نصب "رَبَّكَ" وهي للكسائي كما تقدم قريبًا.
(٤) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٠.
(٥) أي نصب "ربك".
(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٥.
(٧) أخرجه بمعناه الطبري ٧/ ١٣١، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٥.
(٨) أخرجه الطبري ٧/ ١٣١.

وقال السدي في معنى القراءة الأولى: هل يطيعك ربك إن سألته[١]، وهذا على أن استطاع بمعنى أطاع على زيادة السين.

وقال أبو إسحاق في معنى القراءة الثانية: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل تستدعي طاعته وإجابته فيما تسأله من هذا[٢]، قال: ويحتمل وجه مسألة الحواريين عيسى المائدة ضربين:

أحدهما: أن يكونوا أرادوا أن يزدادوا تبيينا[٣] كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

والثاني: أن يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى[٤]، وأما معنى المائدة فقال الزجاج: الأصل عندي أنها فاعلة من ماد يميد إذا تحرك، فكأنها تميد بما عليها[٥]، وقال ابن الأنباري: ويقال: إنما سميت مائدة؛ لأنها غياث وعطاء من قول العرب: ماد فلان فلانًا يميده ميدًا، إذا أحسن إليه وأفضل عليه، وأنشد:

إلى أمير المؤمنين المُمتاد[٦]

أراد الذي يميد الناس أي: يعطيهم ويحسن إليهم[٧]، فالمائدة على هذا القول فاعلة من الميد بمعنى: معطية، وقال أبو عبيدة: المائدة فاعلة

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٠.

(٢) في «معاني الزجاج»: تثبيتًا.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٠ .

(٥) لرؤبة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٥٩، ١٨٢، ١٨٣.

(٦) «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ١٤٩، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٧.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ١٨٢.

في معنى مفعولة مثل: عيشة وراضية، وأصلها مَمْيَدة، مِيدَ بها صاحبُها أي: أُعطيها وتُفضل عليه بها، وتقول العرب: مادَني فلان يميدني، إذا أحسن إليه[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال المفسرون: اتقوا الله أن تسألوه شيئًا لم تسأله الأمم قبلكم[٢]، وقال بعض أصحاب المعاني: أمرهم عيسى بالتقوى مطلقًا، كما أمر الله المؤمنين بها في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] ونحوها من الآي. قاله أبو علي، وقول المفسرين أشبه لتعلقه بما قبله من المعنى.

١١٣- قوله تعالى ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: نريد السؤال من أجل هذا الذي ذكرناه[٣]، ويحتمل أن تكون الإرادة ههنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع، أي: نحب ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ قال عطاء: نزداد يقينًا[٥] وذلك أن الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس.

وقوله تعالى: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: لله بالتوحيد لأجل الدليل الذي نراه في المائدة، ولك بالنبوة من جهة ذلك الدليل أيضًا، وقال

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٠، «معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٣٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٧.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣١.

(٣) «زاد المسير» ٢/ ٤٥٧.

(٤) انظر: البغوي ٣/ ١١٨.

(٥) في (ش): (شهودًا لك).

عطاء: يريد شهودًا[١] على بني إسرائيل[٢].

١١٤- قوله تعالى: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ (تكون) صفة للمائدة وليس بجواب الأمر[٣]، وفي قراءة عبد الله: (تكن) لأنه جعله جواب الأمر[٤].

قال (الفراء)[٥]: وما كان من نكرة قد وقع عليها أمر جاز في الفعل بعده الجزم والرفع[٦]، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى﴾ [سورة مريم: ٥-٦] بالجزم والرفع[٧] و﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤] بالجزم والرفع[٨].

وقوله تعالى: ﴿عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي: نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدًا نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا وهذا قول السدي وقتادة وابن جريج[٩]، قال كعب: نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدًا[١٠].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: يقول عطية: (لأولنا) يريد من معه،

---

(١) «زاد المسير» ٢/ ٤٥٨.
(٢) انظر: القرطبي ٦/ ٣٦٧.
(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٥.
(٤) سقط من (ج).
(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٢٥، وما بعده ليس عند الفراء في المطبوع.
(٦) بجزم "يرث" ورفعه. قراءتان سبعيتان، انظر: «حجة القراءات» ص ٤٣٨.
(٧) بجزم (يصدق) ورفعه. قراءتان سبعيتان أيضًا، انظر: «حجة القراءات» ص ٥٤٥، ٥٤٦.
(٨) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٢، «النكت والعيون» ٨٤، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٨.
(٩) «زاد المسير» ٢/ ٤٥٨.
(١٠) أخرجه بمعناه من طريق آخر: الطبري ٧/ ١٣٢.

(وآخرنا) يريد من يأتي بعده[١]، وعلى هذا التفسير معناه عائدة فضل من الله علينا ونعمة لنا، والعيد في اللغة: اسم لما عاد إليك من شئ في وقت معلوم، حتى قالوا للخيال: عيد، ولما يعود إليك من الحزن عيد، قال الأعشى:

فواكبدي من لا عجِ الحُبِّ والهَوَى إذا اعتاد قَلْبي من أُمَيمَةَ عِيدُها

قال الليث: العيد كل يومِ مَجْمَع، قال: واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إليه، وقال العجاج:

كما يعود العيد نصراني[٢]

قال: وتحولت الواو في العيد ياء لكسرة العين.

وقال المفضل: يقال: عاد في عيدي، أي: عادتي، وأنشد:

عاد قلبي من الطويلة عيد

وقول تأبط شرًّا:

يا عيد مالك من شوق وإيراق[٣]

فإنه أراد الخيال الذي يعتاده.

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: يسمى العيد عيدًا؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد.

---

(١) عجز بيت يصف فيه الثور الوحشي، وصدره:

واعتاد أرباضها لها آريّ

انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٧٠-٢٢٧١ (عاد).

(٢) صدر بيت له، وعجزه:

ومرَّ طيف من الأهوال طَرأَق

(٣) ابن الأنباري كما في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٧١ (عاد).

وقال أبو بكر[(١)]: قال النحويون: يوم العيد معناه اليوم الذي يعود فيه الفرح والسرور. والعيد عند العرب الذي يعود فيه الفرح والحزن، قال: وكأن الأصل في العيد العود؛ لأنه من عاد يعود، فلما سكنت الواو انكسر ما قبلها صارت ياء[(٢)] كقولهم: ميزان، وميقات وميعاد[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي: دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك[(٤)]. وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ قال ابن عباس: وارزقنا عليها طعامًا نأكله[(٥)].

١١٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وقرئ بالتشديد[(٦)]، فمن خفف فلقوله: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فقال: ﴿إنّي مُنزِلها﴾ ليكون الجواب كالسؤال، ومن شدد فلأن نَزَّل وأنزل في القرآن قد استعمل كل واحد منهما موضع الآخر[(٧)]؛ ولأنها نزلت مرات كما يروى في القصة، فكأن التشديد دل على التكرير.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ بعد إنزال المائدة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ إلى أخر الآية قال، ابن عباس:

---

(١) إلى هنا انتهى كلام ابن الأنباري حسب ما في «تهذيب اللغة».

(٢) الكلام من قوله: " قال الليث.." إلى هنا من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٧٠-٢٢٧١ (عاد).

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٨.

(٤) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٦.

(٥) قرأ بالتشديد نافع وعاصم وابن عامر، وقرأ الباقون بالتخفيف. «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٨٢، و«حجة القراءات» ص ٢٤٢.

(٦) «الحجة» ٣/ ٣٨٢.

(٧) «زاد المسير» ٢/ ٤٦٢.

يعني: مسخهم خنازير[(١)]، وقال قتادة: إنهم مسخوا قردة[(٢)].

وقيل: أراد جنسًا من العذاب لا يعذب به غيرهم[(٣)]، وقيل في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني عالمي زمانهم[(٤)].

قال الزجاج: جائز أن يكون هذا العذاب يعجل لهم في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة[(٥)].

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟: فقال الحسن: والله ما نزلت المائدة، وإن القوم لما سمعوا الشرط في قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ استعفوا وقالوا: لا نريدها ولا حاجة لنا فيها. ولو نزلت لكانت عيدًا لنا إلى يوم القيامة[(٦)]، وهذا أيضًا قول مجاهد أن الآية لم تنزل[(٧)]، وابن عباس والباقون من العلماء على أنها نزلت[(٨)]، ولكنهم مختلفون في كيفية نزولها والطعام الذي كان عليها، والذي نقتصر عليه هنا ما روى عمار ابن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: **«نزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا، وأمروا أن لا يخونوا ولا يُخبّئوا ولا يدّخروا، فخان القوم وخبأوا وادّخروا**

---

(١) أخرج ابن جرير عنه كقول ابن عباس: حولوا خنازير، الطبري ٧/ ١٣٦. «النكت والعيون» ٢/ ٨٦.

(٢) «النكت والعيون» ٢/ ٨٦، «زاد المسير» ٢/ ٤٦٢.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٦، «النكت والعيون» ٢/ ٨٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٧/ ١٣٦.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ١٣٦، «النكت والعيون» ٢/ ٨٥.

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ١٣٥.

(٧) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٣، «النكت والعيون» ٢/ ٨٥، «زاد المسير» ٢/ ٤٥٩، ونسب هذا القول للجمهور.

(٨) أخرجه الترمذي (٣٠٦١) كتاب: التفسير، باب: من سورة المائدة مرفوعًا وموقوفًا

فمسخوا قردة وخنازير»[١]، والصحيح المختار قول من قال إنها نزلت، لتظاهر الآثار بذلك، ولكثرة من قال بها من العلماء[٢].

قال أبو بكر بن الأنباري: والذي نختاره تصحيح نزول المائدة لتتابع الأخبار بذلك، ولأن قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ كلام تام وليس بجواب لشرط، وجواب الشرط قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾، ولا يلزم قول الحسن: أنها لو نزلت لكانت عيدًا لنا إلى يوم القيامة، لأن وجه السؤال أن يكون يوم نزولها عيدًا لهم ولمن بعدهم ممكن كان على شريعتهم.

١١٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ الآية. قال النحويون: هذا عطف جملة على جملة، والجملة الأولى قوله: (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر)[٣].

وعامة المفسرين على أن هذا القول لعيسى إنما يكون في القيامة؛ إلا السدي[٤] وقطرب، فإنهما ذهبا إلى أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وتعلقا بظاهر قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ وإذ تستعمل لما مضى.

والصحيح ما عليه العامة؛ لأن الله تعالى عقب هذه القصة بقوله

ورجح الوقف ثم قال: "ولا نعلم للحديث المرفوع أصلًا"، وأخرجه الطبري ١١/ ٢٢٨، ٢٢٩.

(١) وهذا اختيار الطبري ٧/ ١٣٥، والبغوي ٣/ ١١٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٤٦٢، وابن كثير ٢/ ١٣٥ وغيرهم.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٦-١٣٨.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ١٣٧، «زاد المسير» ٢/ ٤٦٣.

(٤) ما رجحه المؤلف اختيار أكثر المفسرين، انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٩، «النكت

تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ وأراد به يوم القيامة، وإنما خرج هذا مخرج المضي وهو للمستقبل؛ تحقيقًا لوقوعه كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ولم ينادوا بعد، ولكنه بمنزلة ما قد مضى وفعلوا ذلك، من حيث أنه لا يعترض الشك في وقوعه(١).

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ﴾ هذا الاستفهام معناه: التوبيخ لمن ادعى ذلك على المسيح ﷺ، قال الزجاج: وذلك أن النصارى مجمعون على أنه صادق الخبر، وإذا كذبهم الصادق كان ذلك أوكد للحجة عليهم، وأبلغ في توبيخهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من غير الله، كقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] و(من) زائدة مؤكدة للمعنى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد جل جلالك وتعظمت وتعاليت(٣). وقال الزجاج: أي: برأتك من السوء(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ قال أبو علي: المعنى إن أكن الآن قلته فيما مضى. وليس كان فيه على المضي؛ لأن الشرط والجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل، والحروف في الجزاء تحيل معنى المضي إلى الاستقبال لا محالة، قال: وهذا الذي ذكرناه من هذا التأويل كان أبو بكر(٥) يذهب إليه ويحكيه عن أبي عثمان.

والعيون» ٢/ ٩٠، البغوي ٣/ ١٢١، «زاد المسير» ٢/ ٤٦٣.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٢

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٣.

(٤) لعله أبو بكر الأنباري.

(٥) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٧، والبغوي ٣/ ١٢٢.

وقوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ قال ابن عباس: تعلم ما في غيبي، ولا أعلم ما في غيبك[1].

وقال عبد العزيز بن يحي[2]: تعلم سري ولا أعلم سرك؛ لأن السر من صفة الأنفس[3].

وقال أهل المعاني: تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي، إلا أنه ذكرت النفس على مزواجة الكلام، لأن ما تخفيه كأنه إخفاء في النفس، وهذا شرح قول ابن عباس وعبد العزيز، لأن ما يخفيه الإنسان يكون في نفسه كالسر الذي يكتمه فقال عيسى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ أي: ما أخفيه من سري وغيبي أي: ما غاب ولم أظهره ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ أي: ما تخفيه أنت ولم تطلعنا عليه، فلما كان سر عيسى يخفيه في نفسه، جعل أيضًا سر الله مما يخفيه الله تعالى في نفسه؛ ليزدوج الكلام ويحسن النظم. هذا طريق في شرح هذا اللفظ.

وقال الزجاج: النفس في اللغة: تقع عبارة عن حقيقة الشيء، فمعنى ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾ أي: تعلم ما أضمر ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ أي: لا أعلم ما في حقيقتك وما عندك علمه، والتأويل أنك تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم، ويدل على هذا قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾، قال: وهذا راجع إلى توكيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله[4].

وروى ثعلب عن أبي الأعرابي في معاني النفس في اللغة: أن النفس

(١) لعله الكناني، تقدمت ترجمته.

(٢) انظر: البغوي ٣/ ١٢٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) انظر «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٢٩ (نفس).

تكون بمعنى (عند) فقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أي: ما عندي ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: ما عندك(١).

والنفس عند المتكلمين في صفة الله تعالى عبارة عن ذاته وحقيقة وجوده، والموجود يقال له: عين وذات ونفس، وهذا لا يوجب تشبيهًا(٢).

١١٧- قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكر أبو إسحاق في محل (أن) وجوهًا: النصب على البدل من ما، والخفض على البدل من الضمير في (بِهِ)، قال: ويجوز أن يكون بمعنى (أي) مفسِّرة لما أمره به في قوله: ﴿إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: اعبدوا الله، وعلى هذا لا موضع لها من الإعراب(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيمًا فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قال ابن عباس والحسن والقرظي: رفعتني(٤)، يعنون وفاة الرفع إلى السماء من قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

---

(١) اختلف أهل السنة في إثبات النفس لله هل هي صفة للذات؟ أم أنها الذات؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه.. وقد قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].. فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه، التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد ذاتًا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات. وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ. «مجموع الفتاوى» ٩/ ٢٩٢، ٢٩٣، وانظر: «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للمغراوي ١/ ٣٩٣ - ٣٩٦.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٣ بتصرف.

(٣) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٩، البغوي ٣/ ١٢٢، «النكت والعيون» ٢/ ٨٩.

(٤) أخرجه عن السدي وابن جريح الطبري ٧/ ١٣٩، وعن ابن عباس ابن المنذر وعن

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾ قال ابن عباس والسدي وابن جريج وقتادة: الحفيظ عليهم[(١)].

وقال الزجاج: أي: الحافظ عليهم[(٢)]، وقال عطاء: يريد القاهر لهم[(٣)] وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن الحافظ على الشيء قاهر له، ولو لم يكن قاهرًا لم يصح الحفظ منه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد شهدت مقالتي فيهم وبعدما رفعتني إليك شهدت ما يقولون بعدي[(٤)]، فالشهيد على هذا معناه: المشاهد لما يكون، ويجوز أن يكون الشهيد في هذه الآية بمعنى العليم، فيكون معنى ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد عليه لعلمك به[(٥)].

١١٨- قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية، تفسير هذه الآية واضح على قول من يقول إن هذه المخاطبة جرت بين الله تعالى وبين عيسى حين رفعه إلى السماء، يقول عيسى لله تعالى: (إن تعذبهم) على كفرهم ومعصيتهم (فإنهم عبادك وإن تغفر لهم) بتوبة تكون منهم، وهذا مذهب السدي، وقال في هذه الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ فتميتهم بنصرانيتهم فإنهم عبادك، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فتخرجهم من النصرانية وترشدهم إلى الإسلام[(٦)]، وتفسير

قتادة عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم، انظر: «الدر المنثور» ٢/ ٦١٦.

(١) ليس في معانيه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تفسير الوسيط» ١/ ٢٤٨ وعزاه المحقق لتفسير ابن عباس ص ١٠٥.

(٤) «النكت والعيون» ٢/ ٨٩.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٠، وكذا ابن حاتم وأبو الشيخ، «الدر المنثور» ٢/ ٦١٦.

(٦) انظر: البغوي ٣/ ١٢٢.

ابن عباس لهذه الآية في رواية عطاء موافق لهذا المذهب؛ لأنه قال في قوله: ﴿إن تُعَذِّبْهُمْ﴾ يريد تدعهم على المعاصي ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يريد تعصمهم فلا يتخذوا من دونك وليًّا ولا إلهًا ولا ربًا[(١)].

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] (العزيز) في ملكه (الحكيم) في أوليائه وأعدائه بالثواب والعقاب[(٢)]، وسقط بهذا التفسير سؤال من اعترض على نظم هذه الآية بأن العزيز الحكيم لا يليق بهذا الموضع، إنما يليق به الغفور الرحيم كالذي في مصحف ابن مسعود[(٣)]، وهذا التفسير الذي ذكره ابن عباس إنما يصح فيما يستقبل من الشرط على تقدير: إن تعذبهم تعذب عبادك، وإن تغفر لهم تغفر فإنك العزيز الحكيم. والشرط يكون في المستقبل دون الماضي، وإذا كان كذلك دل على أن هذه المخاطبة تكون قبل القيامة.

وأما الذين قالوا إن هذه المخاطبة تكون يوم القيامة يُسأَلُ عليهم فيقال: كيف جاز لعيسى أن يقول: (وإن تغفر لهم) والله تعالى لا يغفر الشرك؟ والجواب عن هذا ما قال الحسن وأبو العالية: إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم[(٤)]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية أبي الجوزاء عنه[(٥)].

وأما أهل المعاني فإنهم مختلفون في الجواب عن هذا: فقال أبو بكر

---

(١) «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٠.

(٢) انظر: «بحر العلوم» ١/ ٤٦٩، والبغوي ١/ ١٢٣.

(٣) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٨.

(٤) عزاه في «الدر المنثور» ٢/ ٦١٦ لأبي الشيخ، «زاد المسير» ٢/ ٤٦٥.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٣.

الأنباري: لما قال الله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لم يقع له إلا أن النصارى حكت عنه الكذب فقال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الحكاية ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ لأنه ليس الحاكي للكفر كافرًا إذا لم يأخذ به، وليس في الآية أنهم اتخذوا عيسى وأمه إلهين، إنما هو استفهام عن عيسى هل أمر بذلك؟ وهل قال ذلك أم لا؟ وظاهر هذا الاستفهام يوجب أن النصارى حكوا عنه أنه أمر بذلك، فقال عيسى على اقتضاء هذا السؤال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما حكوه كذبا[(١)]، وهذا قول المبرد، وقد حكاه الزجاج عنه فقال: قال بعضهم: إن تغفر لهم كذبهم عليّ، ثم قال: وهذا قول المبرد، ولا أدري أسمعه أم استخرجه؟[(٢)].

وقال ابن الأنباري أيضًا: هذا على التبعيض، أي: إن تعذب بعضهم الذين أقاموا على الكفر فهم عبادك، وإن تغفر لبعضهم الذين انتقلوا عن الكفر إلى الإسلام، فأنت في ذلك قاهر غالب عادل، لا يعترض عليك فيه معترض[(٣)].

والقول بالتبعيض في هذه الآية مذهب جماعة من المفسرين واختيار أبي إسحاق، لأنه قال: والذي عندي أن عيسى قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جملتهم: إن تعذب من كفر بك فإنهم عبادك، أنت العادل عليهم، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن أقلع منهم وآمن فأنت في مغفرتك لهم (عزيز) لا يمتنع عليك ما تريد (حكيم) في ذلك[(٤)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٤.

(٤) «زاد المسير» ٢/ ٤٦٥، ونسب نحو هذا القول لابن الأنباري.

وذهب جماعة من أصحاب المعاني أن هذا على طريق تفويض الأمر إلى الله، إذ هو العالم بباطن أمرهم وظاهره، ومن أخلص التوبة منهم ومن أقام على كفره، ولم يشك عيسى في أنه يعذب الكفار، ولكن رد الأمر إلى مالكهم وإلههم، وتبرأ مما كان منهم؛ ليخرج نفسه من حالات المعترضين المقترحين، أي: إن عذبتهم يا رب لم يكن لي ولا لأحد الاعتراض عليك، وإن غفرت لهم ولست فاعلًا فذلك غير مردود عليك[١]، ولهذا المعنى قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ دون الغفور الرحيم؛ لأنه ليس قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ على معنى مسألة الغفران لهم، وإنما هو على تسليم الأمر إلى من كان أملك بهم، ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم؛ لأوهم أنه دعا بالمغفرة، وهذا الذي ذكرنا من أن هذا على معنى التفويض مذهب الكلبي، فقد روى حبان عنه في هذه الآية قال: غبت عنهم وتركتهم على الحق فما أدري ما أحدثوا[٢].

١١٩- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا ﴿صِدْقُهُمْ﴾ في الآخرة، لأنه يوم الإثابة والجزاء، وما تقدم في الدنيا من الصدق إنما يتبين نفعه في هذا اليوم الذي نيل فيه جزاؤه[٣].

والدليل على أن المراد بالصادقين الذين صدقوا في الدنيا لا الصادقين في ذلك اليوم، أن الكفار لا ينفعهم الصدق في ذلك اليوم بما يكون من الإقرار على أنفسهم بالمعصية.

قال المفسرون: هذا تصديق لعيسى بما يقول من قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ الآية، وذلك أنه كان صادقًا في الدنيا ولم يقل للنصارى اتخذوني إلهًا،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تفسير الطبري» ٧/ ١٤١.

(٣) معنى قول السدي عند الطبري ٧/ ١٤١.

فنفعه صدقه[١]، وأما إبليس فإنه يصدق أيضًا في ذلك اليوم في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] فلم ينفعه صدقه؛ لأنه كان كاذبًا في الدنيا. وهذا معنى قول قتادة[٢].

والذي ذكرنا من أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة قول عامة المفسرين إلا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: يريد يومًا من أيام الدنيا، لأن الآخرة ليس فيها عمل، إنما فيها الثواب والجزاء[٣]، وذهب في هذا القول إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع يكون في الدنيا، فلما وصف اليوم بأنه ينفع فيه الصدق جعله من أيام الدنيا، ويكون معنى الآية: (قال الله هذا) أي: هذا الكلام الذي جرى ذكره (يوم ينفع الصادقين)، أي: في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وهذا القول يوافق مذهب السدي في أن هذه المخاطبة جرت مع عيسى حين رفع إلى السماء[٤]، واختلف القراء في نصب ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ﴾ ورفعه، فقرأ الأكثرون بالرفع، وقرأ نافع بالنصب[٥]، واختاره أبو عبيد.

فمن قرأ بالرفع قال الزجاج: فعلى خبر هذا، المعنى: قال الله تعالى اليوم يوم منفعة الصادقين[٦]. هذا كلامه، وشرحه أبو علي فقال: من رفع اليوم جعل الخبر المبتدأ الذي هو ﴿هَٰذَا﴾ وأضاف يومًا إلى ﴿يَنفَعُ﴾ والجملة التي هي المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول، كما تقول: قال زيد: عمرو أخوك، وما بعد القول حكاية، ومن نصب ﴿يَوْمَ

---

(١) انظر: البغوي ٣/ ١٢٤.

(٢) انظر: البغوي ٣/ ١٢٤.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ١٤١.

(٤) النصب قراءة نافع وحده، والرفع للباقين.«الحجة» ٣/ ٢٨٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٤.

(٦) «الحجة» ٣/ ٢٨٣.

يَنفَعُ﴾ فعلى أن (يومَ) منصوب على الظرف، المعنى: قال الله هذا، وهو إشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، في ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: ما قال الله هذا في القيامة، وجاء على لفظ المضي وإن كان المراد به الآتي كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠][(١)]، وقد مر قُبَيْل، وليس ما قبل القول حكاية في هذا الوجه كما كان في وجه القراءة الأولى، وهذا في موضع نصب يقال: واليوم منصوب على الظرف، والعامل فيه قال، كما تقول: قال زيد هذا يوم الخميس، أي: قال زيد هذا القول في يوم الخميس.

وهذا معنى قول الزجاج[(٢)] وابن الأنباري وأبي علي[(٣)]، وعلى هذا اليوم ظرف للقول، وأجاز أبو علي أن يكون ظرفًا لفعل مضمر غير القول، ويكون التقدير: قال الله هذا يقع أو يحدث يوم ينفع الصادقين، فيكون هذا المبتدأ وخبره يوم ينفع وإن كان منصوبًا على الظرف، لأن ظروف الزمان يجوز أن تكون أخبارًا من الأحداث كما تقول: القتال يوم السبت، والحج يوم عرفة، أي: واقع في ذلك اليوم، وقوله: (هَذَا) إشارة إلى حدث يحدث في ذلك اليوم، وتكون الجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول، قال: ويكون المعنى على الحكايةّ كما ذكرنا في قراءة من قرأ بالرفع[(٤)]، وأجاز الفراء والكوفيون وجهًا آخر في القراءة بالنصب.

قال الفراء: ويجوز أن تنصبه؛ لأنه مضاف إلى غير اسم، كما قالت العرب: مضى يومئذٍ بما فيه، ويفعلون ذلك به في موضع الخفض،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.
(٢) «الحجة» ٣/ ٢٨٣.
(٣) «الحجة» ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

وأنشد:

رددنا بشعثاء[١] الرسول ولا أرى كيومئذ شيئًا ترد رسائله[٢]

قال: وكذلك وجه القراءة في قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ [المعارج: ١١]، و﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] قال: وما أضيف إلى كلام ليس فيه مخفوض فافعل به هكذا، كقول الشاعر:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا

وقلتُ ألمَّا تَصحُ والشيبُ وازعُ[٣][٤]

وشرح أبو بكر بن الأنباري هذا المذهب فقال: يجوز أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ رفعًا بهذا، ولا يتبين الرفع في لفظ اليوم لأن إضافته غير محضة، والعرب إذا أضافت أسماء الزمان إلى الأفعال الماضية والمستقبلة فتحوها في حال إضافتها لبعدها عن معنى الاسم، وأشبه الزمان عندهم الأداة فجعلوا اليوم مع الفعل بمنزلة الشيء الواحد، واختاروا له الفتحة لأنها أخف الحركات، فيقولون: أعجبني يوم قام أخوك، ويوم يقوم أخوك، لأن الإضافة إلى الفعل غير صحيحة فألزم الوقت الفتح، فعلى هذا القول ﴿يَوْمَ﴾ رفع لأنه خبر المبتدأ، ولكنه نُصِب لأنه مضاف إلى الفعل، فنصب كما يضاف إلى ما هو مبني مثل: يومئذ، وهذا لا يصح عند البصريين.

قال الزجاج: زعم بعضهم: يعني: الفراء، أن يوم منصوب بأنه مضاف إلى الفعل، وهو في موضع رفع بمنزلة: يومئذٍ، مبني على الفتح في

---

(١) البيت لجرير في «شرح ديوانه» ص٣٨٥.

(٢) البيت للنابغة الذبياني كما في «الكتاب» ص٥٣ وهو من «شواهد الإنصاف» لأبي البركات ابن الأنبازي ٢/ ٢٩٢ «شذور الذهب» ص١١٢ رقم (٢٥).

(٣) «معاني القرآن للفراء» ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

كل حال، وهذا خطأ عند البصريين، لا يجيزون: هذا يومَ آتيك، يريدون هذا يومُ آتيك، لأن آتيك فعل مضارع، فالإضافة إليه لا تزيل الإعراب عن جهته، ولكنهم يجيزون: ذلك يومَ نفعَ زيدًا صدقه، لأن الفعل الماضي غير مضارع، فهي إضافة إلى غير متمكن وإلى غير مضارع[١].

وقال أبو علي منكرًا على الكوفيين: لا يجوز أن يكون ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾ في موضع رفع وقد فتح، لإضافته إلى الفعل، لأن المضاف إليه مُعَرب وإنما يكتسي المضاف البناء من المضاف إليه، إذا كان المضاف إليه مبنياً والمضاف مبهمًا، كما يكونُ في هذا الضرب من الأسماء إذا أضيف إلى ما كان مبنياً نحو: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ [هود: ٦٦] وصار في المضاف البناء للإضافة إلى المبني كما صار فيه الاستفهام للإضافة إلى المستفهم به، نحو: غلامُ من أنت؟ وكما صار فيه الجزاء نحو: غلامُ من تضربْ أضرِبْ. وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو:

على حين عاتبتُ المشيبَ[٢]

لأن الماضي مبني والمضارع معرب، فإذا كان معربًا، لم يكن شيء يحدث من أجله البناء في المضاف[٣].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ قال عطاء ومقاتل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه وما تفضل به عليهم من الكرامة سوى الثواب[٤].

---

(١) صدر بيت النابغة المتقدم قريبًا.

(٢) «الحجة» ٣/ ٢٨٣، ٢٨٥.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٢٢، و«تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٩، والبغوي ٣/ ١٢٤، و«زاد المسير» ٢/ ٤٦٧.

(٤) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٩.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] قال الحسن: فازوا بالجنة ونجوا من النار[١].

١٢٠- قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال مقاتل: عظَّم نفسه عما قالت النصارى من البهتان أن معه إلهًا فقال: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ دون كل من سواه لقدرته عليه وحده[٢]، وقيل: إن هذا جواب (لسؤال مضمر)[٣] في الكلام، كأنه قيل: من يعطيهم ذلك الفوز العظيم؟ فقيل: الذي له ملك السموات والأرض، قال الحسن: يريد خزائن السموات: وهي المطر، وخزائن الأرض: وهي النبات[٤]، وجمع السموات ووحد الأرض تفخيمًا لشأن السموات على الأرض، والجمع قد يدل به على تفخيم الشأن كقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾ [الحجر: ٩] و﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [سورة القمر: ٤٩]، والآية تشير إلى أن الآمال يجب أن تتعلق بالله تعالى لعظم ملكه وسعة مقدرته[٥].

---

(١) «تفسيره» ١/ ٥٢٢.
(٢) في (ج): (مضمن).
(٣) «تفسير الوسيط» ٢/ ٢٤٩.
(٤) هذا آخر تفسير سورة المائدة، وقد أعقبه المصنف مباشرة بتفسير سورة الأنعام، وذلك في نسخة (ج) (جامعة الإمام) لوحة ٩٧ ب، ونسخة (ش) (شستربني) لوحة ٨٨ ب.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثامن

الأنعام

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: على كل فعال، وبكل لسان، وعلى نعم الإسلام، وعلى صحة الأبدان)[١]. قال أهل المعاني: (هذا في لفظ الخبر ومعناه الأمر، أي: احمدوا الله، وإنما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر؛ لأنه أبلغ في البيان من حيث إنه جمع الأمرين، ولو قيل: احمدوا الله، لم يجمع الأمرين)[٢]. وقد ذكرنا في[٣] معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في الفاتحة ما فيه مقنع.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، قال الزجاج[٤]: (ذكر أعظم الأشياء المخلوقة؛ لأن السماء[٥] بغير عمد ترونها، والأرض غير مائدة بنا)[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥، وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٥٨ بسند ضعيف عنه قال: (الحمد: هو الشكر والاستحذاء لله، والإقرار بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك) ا.هـ.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٣، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٩١، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٥٨٤، وذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ١١٧، عن أهل المعاني.

(٣) لفظ (في): ساقط من (ش).

(٤) الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري البغدادي، إمام أكثر الواحدي من النقل عنه، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٧.

(٦) في (أ): (مائدة بناها)، وعند الزجاج: (مائدة بنا).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، قد ذكرنا معاني جعل[١] في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، و﴿جَعَلَ﴾ هاهنا بمعنى خلق، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. قال ابن عباس: (﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمة الشرك، وظلمة النفاق، وظلمة الكفر، وظلمة العصيان؛ ﴿وَٱلنُّورَ﴾ يريد: نور الإسلام، ونور الإيمان، ونور النبوة، ونور اليقين)[٢]. وقال الحسن: (يعني الكفر والإيمان)[٣]. وقال السدي: (يعني الليل والنهار)[٤] وهو اختيار الزجاج[٥]، والأولى أن يكون هذا عامًّا في كل ظلمة ونور؛ لأن جميع ذلك مخلوق لله تعالى[٦].

---

(١) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية جامعة الإمام ٣/ ٧٩ أ.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٦٨، وفي «الدر» للسيوطي ٣/ ٦. أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (الكفر والإيمان).

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٥- ٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٨٦، والخازن في «تفسيره» ٢/ ١١٧.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٠، بسند جيد.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٧.

(٦) ذكر قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥١، وقال: (هذا مشكل؛ لأنه حمل للفظ على مجازه، واللفظ الواحد بالاعتبار الواحد لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معًا) اهـ. والظاهر حمل الآية على ظاهرها، والمراد أنار النهار وأظلم الليل، وهو اختيار الجمهور، قال الإمام أحمد في كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة» ص ١٠٧؛ (يعني خلق الظلمات والنور)، وقال ابن عطية ٥/ ١٢١: (قالت فرقة: الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، وهذا غير جيد؛ لأنه أخرج لفظ بيّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه، والنور أيضًا هنا للجنس فإفراده بمثابة جمعه) اهـ. وانظر «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٣، والسمرقندي ١/ ٤٧٣، والماوردي ٢/ ٩٢، و«البحر» ٤/ ٦٨.

قال المفسرون: (الظلمة أقدم من النور، وهي مخلوقة قبل؛ فلذلك قدمت في الذكر، وكذلك السموات خلقت قبل الأرض)[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يعني: عبدة الأوثان في قول عامة المفسرين[٢]. قال ابن عباس: (يريد: عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بربوبيتي وبنعمتي)[٣]، وقال الزجاج: (أعلم الله تعالى أنه خالق ما ذكر في هذه الآية، وأن خالقها لا شيء مثله، وأعلم أن الكفار يجعلون له عديلًا، فيعبدون الحجارة [الموات[٤]]، وهم مقرون بأن الله خالق ما وصف[٥]، وقوله: ﴿يَعْدِلُونَ﴾، العدل: التسوية؛ يقال: عدل الشيء بالشيء إذا سواه[٦]. ومعنى ﴿يَعْدِلُونَ﴾: يشركون به

(١) هذا قول قتادة أخرجه الطبري ٧/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٥٩، بسند جيد، وقال السمين في «الدر» ٤/ ٥٢٤: (قدمت الظلمات لأنه موافق في الوجود؛ إذ الظلمة قبل النور عند الجمهور) ا.هـ. والراجح عند الجمهور أن خلق الأرض قبل خلق السماء. قال ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٣: (هذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء إلا ما نقله الطبري عن قتادة وتوقف في ذلك القرطبي) ا.هـ ملخصًا. وانظر «تاريخ الطبري» ١/ ٣٢- ٣٦، وتفسيره ١/ ١٩٢- ١٩٤، و«الكشاف» ١/ ٢٧١، و«زاد المسير» ١/ ٥٧، و«تفسير القرطبي» ١/ ٢٥٥، و«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشنقيطي ص١٤- ١٦.

(٢) انظر الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٤، والسمرقندي ١/ ٤٧٣، وابن كثير ٢/ ١٣٩، والظاهر أنها عامة في سائر أصناف الكفار، وهو اختيار الطبري في «تفسيره»، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٢٢.

(٣) في تنوير المقباس ٢/ ٣، قال: (يعدلون به الأصنام).

(٤) لفظ: (الموت) ساقط من (أ)، وفي (ش): (والموات).

(٥) معاني الزجاج ٢/ ٢٢٧.

(٦) انظر: «العين» ٢/ ٣٨، و«الجمهرة» ٦٦٣، و«الصحاح» ٥/ ١٧٦١، و«المجمل» ٣/ ٦٥١، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٤٦، و«المفردات» ص٥٥١، و«اللسان» ٥/ ٢٨٤٠ (عدل).

غيره، قاله[١] مجاهد. وقال الأحمر[٢]: (عدل الكافر بربه عدلًا وعدولًا إذا سوى به غيره فعبده)[٣].

وقال الكسائي[٤]: (عدلت الشيء أعدله عدولًا إذا ساويته [به][٥]، وعدل الحاكم في الحكم عدلًا)[٦]. والآية توجب أنه لا تجوز العبادة إلا لمن له القدرة على خلق السموات والأرض، وهو الله وحده لا شريك له[٧].

وقال صاحب النظم[٨]: (دخول ثم في قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دليل على معنى لطيف، وهو أنه ﷺ دل به على إنكاره على الكفار العدل به وعلى تعجب المؤمنين من ذلك، مثال[٩] أن تقول: أكرمتك وأحسنت إليك

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٢١١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٠من طرق جيدة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٦٠ (عدل).

(٤) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، تقدمت ترجمته.

(٥) لفظ: (به) ساقط من (ش).

(٦) «معاني النحاس» ٢/ ٣٩٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٦٠ (عدل).

(٧) قال الشنقيطي في «تفسيره» ٢/ ١٨٠: (في قوله تعالى: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ وجهان للعلماء، أحدهما: أنه من العدول عن الشيء بمعنى الانحراف والميل عنه، وعلى هذا فقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿كَفَرُواْ﴾ ...
والثاني: أن الباء متعلقة بـ «يعدلون» والمعنى يجعلون له نظيرًا في العبادة، وهذا الوجه هو الذي يدل عليه القرآن). وهذا اختيار ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٣٩.

(٨) صاحب النظم هو: الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، أبو علي، له كتاب «نظم القرآن» مفقود.

(٩) في (ش): (مثل).

ثم تشكوني وتشتمني، منكرًا لذلك عليه ومتعجبا منه[(١)]، ومثل هذا في المعنى قوله فيما بعد هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[(٢)] [الأنعام: ٢].

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾، قال ابن عباس[(٣)] والمفسرون: (يعنى آدم والخلق من نسله، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، يعني أجل الحياة إلى الموت وأجل الموت إلى البعث وقيام الساعة)، وهو قول الحسن[(٤)]، وسعيد بن المسيب[(٥)]، وقتادة[(٦)]،

---

(١) أفاد الجمهور أن (ثم) تفيد الإنكار والتوبيخ والاستبعاد والتراخي بين الرتبتين، فهي تفيد الإنكار والتوبيخ على قبح الكفر واستبعاد أن يعدلوا به غيره بعد وضوح آيات قدرته، إذ يبعد من العاقل الناظر بعد إقامة الأدلة اختيار الباطل، ولو كان العطف بالواو لم يلزم ذلك كلزومه بثم.
انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٢٦، وابن عطية ٥/ ١٢٢، والرازي ١١/ ١٥١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٨٧، و«البحر» ٤/ ٦٨، و«الدر المصون» ٤/ ٥٢٤.

(٢) لم أقف عليه.
وقال الكرماني في «غرائب التفسير» ١/ ٣٥١: (ثم) تتضمن الإنكار على الكفار والتعجب للمؤمنين، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾) ا.هـ. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٤: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد؛ لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم) ا.هـ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٥٧/أ -بسند جيد- قال: (وروي عن مجاهد والسدي والضحاك وقتادة مثل ذلك) ا.هـ. وهذا هو قول الجمهور، ورجحه ابن عطية ٥/ ١٢٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٨٧، وانظر «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٦، والسمرقندي ١/ ٤٧٣.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٣، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٦، بسند ضعيف.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧، وابن الجوزي ٣/ ٣.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٣، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٢، من طرق جيدة.

والضحاك[١]، ومقاتل[٢]، واختيار الزجاج[٣]، ونحو ذلك قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾، قال: يريد: من مولده إلى مماته، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: يريد: من الممات إلى المبعث، لا يعلم ميقاته أحد سواه.

وقال: وذلك أن الله تعالى قضى لكل نفس أجلين من مولده إلى موته ومن موته إلى مبعثه، فإذا كان الرجل صالحًا واصلًا لرحمه، زاد الله في أجل الحياة من أجل الممات إلى المبعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة وزاد في [أجل][٤] المبعث، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[٥] [فاطر: ١١].

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ١٤٦ بسند لا بأس به.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٤٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٨، واختاره الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٧، وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٤/ ٤٨٩: (قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: الأجل الأول وهو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره. والأجل المسمى عنده هو أجل القيامة العامة) ا.هـ.

(٤) لفظ: (أجل) ساقط من (أ).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٧، و«الخازن» ٢/ ١١٨، و«البحر المحيط» ٤/ ٧١، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٢، بسند جيد عنه قال: (﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ يعني: أجل الموت، والأجل المسمى: أجل الساعة والوقوف عند الله) ا.هـ. وأخرج الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٥ عنه في الآية قال: (هما أجلان: أجل في الدنيا، وأجل في الآخرة، مسمى عنده لا يعلمه إلا هو). قال الحاكم: (حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) ا.هـ. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

وقال أهل المعاني: (في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: يجوز أن يكون الحكم بهذا الأجل كان بعد خلق آدم، ويجوز أن يكون قبله لسبق علمه[١] بذلك قبل أن يخلق الخالق، وعلى هذا يحمل قوله: ﴿ثُمَّ﴾ لسبق الخبر الثاني على الخبر الأول، كقول الشاعر[٢]:

قُـلْ لِـمَـنْ سَـادَ ثـم سَـادَ أَبُـوهُ
ثُـمَّ قَـدْ سَـادَ قَـبْـلَ ذَلِـكَ جَـدُّهْ

والجد سابق للأب، والأب سابق للممدوح)[٣].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٤/ ٤٩٠-٤٩٢ في الآية: (إن الله يكتب للعبد أجلًا في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب، والمحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا محو فيه ولا إثبات) ا.هـ ملخصًا.

(٢) الشاهد لأبي نواس في «ديوانه» ص٢٢٢. وبلا نسبة في «رصف المباني» ص٢٥٠، و«الدر المصون» ٣/ ٢٢٠، و«المغني» لابن هشام ١/ ١١٧، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٣٩، وفي الديوان:

قُـلْ لِـمَـنْ سَـادَ ثـم سَـادَ أَبُـوهُ   قَـبْـلَـه ثـم قَـبْـلَ ذَلِـكَ جَـدُّهْ

قال السمين عن الشاهد: (الترتيب يعود إلى الخبر لا إلى الوجود). وحكى ابن هشام: (أن الجد أتاه السؤدد من قبل الأب، والأب من قبل الابن) ا.هـ وظاهر كلام ابن القيم في «مختصر الصواعق» ٢/ ١٣٠: أن البيت لشاعر لا يحتج به. وقال في ص١٢٩ (القول بأن (ثم) تأتي لترتيب الخبر لا لترتيب المخبر، فيجوز أن يكون ما بعدها سابقًا على ما قبلها في الوجود وإن تأخر عنه في الإخبار لا يثبت ولا يصح به نقل، ولم يأت في كلام فصيح، ولو قدر وروده فهو نادر، لا يكون قياسًا مطردًا تترك الحقيقة لأجله).

(٣) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٣٥، وقال ابن فارس في «الصاحبي» ص٢١٦: (قوله جل ثناؤه: ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ وقد كان قضى الأجل، فمعناه أخبركم أني خلقته من طين، ثم أخبرك أني قضيت الأجل، كما تقول: كلمتك اليوم ثم قد كلمتك أمس، أي: أني أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا) ا.هـ.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ أي: بعد هذا البيان تشكون يا معشر المشركين وتكذبون بالبعث. والمرية[١] والامتراء: الشك. والآية حجة على منكري البعث بأن الذي ابتدأ الخلق يصح أن يعيده كما ابتدأه وقدر الأجلين له[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ الآية، (الله) إذا جعلت هذا الاسم علمًا ثم وصلته بالمحل أوهم أن يكون الباري سبحانه في محل، كما تقول: زيد في البيت وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وتكلم أهل المعاني في هذا فقال أبو بكر[٣]:

(إنْ وإن كان اسمًا علمًا ففيه معنى ثناء وتعظيم المعظم)[٤] ونحو هذا، قال أبو إسحاق: فقال: (﴿فِي﴾ موصولة في المعنى بما يدل عليه اسم الله ﷻ، والمعنى: هو المنفرد بالتدبير في السموات والأرض، كما تقول: هو الخليفة في الشرق والغرب)[٥].

---

(١) المرية والامتراء: الشك في الأمر، وقال الراغب في «المفردات» ص٧٦٦: (المرية: التردد في الأمر وهو أخص من الشك، والامتراء والمماراة: المحاجّة فيما فيه مرية) ا.هـ. وانظر: «العين» ٨/ ٢٩٥، و«الجمهرة» ٢/ ٨٠٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٨٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩١، و«المجمل» ٣/ ٨٢٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣١٤، و«اللسان» ٨/ ٤١٨٩ (مرى).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٧، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٧٣، والماوردي ٢/ ٩٣.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩، وابن الجوزي ٣/ ٤.

(٥) انظر «معاني القرآن» ٢/ ٢٢٨، وهذا القول رجحه الجمهور كما أفاده السمين في «الدر» ٤/ ٥٢٩، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٢٧: (هذا عندي أفضل الأقوال وأكثرها إحرازًا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى) ا.هـ. وقال القرطبي في «تفسيره» =

وقال أبو على: (الظرف منتصب الموضع عندي بِيَعْلَمُ، وهو عندي إضمار القصة والحديث، كأن معناه الأمر لله بـ ﴿يعلم﴾ في السموات وفي الأرض سركم وجهركم، قال: وإذا جعلت الظرف متعلقًا باسم الله جاز عندي في قياس قول من جعل اسم الله أصله إلا له؛ لأن المعنى يكون وهو المعبود في السموات والأرض. [يعلم[1]] أي الآمر المعبود يعلم سركم وجهركم، قال: ومن ذهب بهذا الاسم مذهب الأسماء الأعلام وجب ألا يجوز على قوله تعلق الظرف به، إلا أن يقدر فيه ضربًا من معنى الفعل)[2]. وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ معنى: (الكسب)[3] الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضرر، ولهذا لم يوصف فعله القديم [جل ثناؤه][4] بأنه كسب[5].

= ٦/ ٣٩٠: (هذا القول أسلم وأبعد من الإشكال) ا.هـ. وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٠: (المعنى: وهو الإله وهو المعبود في كل واحدة من السموات، ففي كل واحدة من هذا الجنس هو المألوه المعبود، فذكر الجمع هنا أبلغ وأحسن من الاقتصار على لفظ الجنس الواحد، وهذا قول محققي أهل التفسير) ا.هـ. واختاره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٣٩، والشنقيطي في «أضواء البيان» ٢/ ١٨١-١٨٣، وانظر «الفتاوى» ٢/ ٤٠٤.

(١) لفظ: (يعلم) ساقط من (أ).

(٢) «الإغفال» لأبي علي ص٧٠٣- ٧٠٤.

(٣) انظر: «العين» ٥/ ٣١٥، و«الجمهرة» ١/ ٣٣٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٤٠، و«الصحاح» ١/ ٢١٢، و«المجمل» ٣/ ٧٨٥، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٧٩، و«المفردات» ص٧٠٩، و«النهاية» لابن الأثير ٤/ ١٧١، و«اللسان» ٧/ ٣٨٧ (كسب).

(٤) لفظ: [جل ثناؤه] ساقط من (ش).

(٥) انظر: الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٠.

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ لاستغراق الجنس الذي يقع في النفي، كقولك: ما أتاني[١] من أحد، والثانية: للتبعيض، فالأول خرج مخرج عموم الآيات كأنه قيل: أي آية أتتهم هي بعض آيات ربهم[٢]، والمراد بالآيات: الدلالات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله وصدق نبيه ﷺ من خلق السموات والأرض وما بينهما مع المعجزات التي أتى بها محمد ﷺ، قال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: (مثل الشمس والقمر والنجوم)[٣]. قال ابن عباس: (ومن الآيات[٤] انشقاق القمر بمكة). وقال عطاء: (﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾: يريد القرآن)[٥].

---

(١) في (ش): (ما أبالي من أحد).

(٢) انظر: «الكشاف» ٢/ ٥، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٢٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٠، و«الدر المصون» ٤/ ٥٣٣- ٥٣٤، ونقل قول الواحدي والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في «تنوير المقباس» ٢/ ٤، نحوه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٧٥ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٨ بلا نسبة.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٨، والأولى العموم فتشمل الآيات الشرعية والكونية، الآية من القرآن والمعجزة كانشقاق القمر ونحوه، وهو اختيار الجمهور. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٨، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٧٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٥٧، وقد أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٦٣٦)، كتاب «المناقب»، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين، فقال النبي ﷺ: «اشهدوا» ا.هـ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي: تاركين التفكر فيها. ومعنى الإعراض[١]: الانصراف بالوجه عن الشيء، ثم يبنى عليه الانصراف بالفكر عنه.

٥- قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، قال ابن عباس: (بما جاءهم [به][٢] الصادق الأمين[٣]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أخبار استهزائهم وجزائه. قاله ابن عباس[٤] والحسن[٥]. وقال الزجاج: (المعنى: سيعلمون ما يؤول إليه استهزاؤهم)[٦]. ومعنى الاستهزاء: إيهام التفخيم في معنى التحقير[٧].

٦- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ الآية.

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» ٢/ ٧٤٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٤، و«الصحاح» ٣/ ١٨٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٧١، و«المفردات» ص٥٥٩، و«اللسان» ٥/ ٢٨٩٤ (عرض).

(٢) لفظ: (به) ساقط من (أ).

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠.

(٤) في «تنوير المقباس» ٢/ ٤ نحوه.

(٥) لم أقف عليه بنصه، ولكن معناه موجود في عامة كتب التفسير.
انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ٢٩٢، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٢٨، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٢٨، و«زاد المسير» ٣/ ٤، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩١، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٤٠.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢٨.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٥٥، و«الصحاح» ١/ ٨٣- ٨٤، و«مجمل اللغة» ٣/ ٩٠٤، و«مقاييس اللغة» ٦/ ٥٢، و«المفردات» ص ٨٤١، و«اللسان» ٨/ ٤٦٥٩ (هزأ).

قال أبو إسحاق: (موضع ﴿كَمْ﴾ نصب بأهلكنا لا بقوله: ﴿يَرَوْا﴾؛ لأن لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله)[١]. والقرن: الأمة من الناس، وأهل كل مدة قرن؛ قال النبي ﷺ: «خيركم قرني»[٢]. واشتقاقه من الاقتران[٣]، فالقرن: القوم المقترنون في زمان من الدهر[٤]، وقال ابن عباس في تفسير قوله: ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: (يريد: (من جيل ومن أمة)[٥]، وقوله ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد: أعطيناهم ما لم

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢٩، وانظر: «إعراب النحاس» ٢/ ٥٦، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٤٦، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ٣١٤، و«التبيان» للعكبري ١/ ٣٢٢، و«الفريد» للهمداني ٢/ ١٢٠، و«الدر» للسمين ٤/ ٥٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٦٥١)، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ومسلم رقم ٢٥٣٥، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. الحديث.
وانظر شرحه في «فتح الباري» ٧/ ٥.

(٣) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٩٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٤٧، و«الصحاح» ٦/ ٢١٨٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٧٦، و«المجمل» ٣/ ٧٤٩، و«المفردات» ص ٦٦٧، و«النهاية» لابن الأثير ٤/ ٥١، و«اللسان» ٦/ ٣٦٠٨ (قرن).

(٤) الجمهور على أن القرن مائة سنة، وأكثر المحققين على أنه غير مقدر بزمن معين لا يقع فيه زيادة ولا نقصان، بل المراد أهل كل عصر، فإذا انقضى أكثرهم قيل: قد انقضى القرن، وهو اختيار الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٢٩، والنحاس ٢/ ٤٠٠، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٣١، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩١، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٢٨، و«مجاز القرآن» ١/ ١٨٥، و«تفسير غريب القرآن» ص١٥١، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٢٨، وابن عطية ٥/ ١٢٩، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٥، و«البحر» ٤/ ٦٥، و«الدر المصون» ٤/ ٥٣٩.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٤.

نعطكم)[١]. يعني: وسعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والثمار والأنعام. ومعنى التمكين[٢] من الشيء: إعطاء ما يصح به الفعل من الآلات والعدد والقوى، وهو أتم من الإقدار؛ لأن الإقدار: إعطاء القدرة خاصة، والقادر على الشيء قد يتعذر عليه الفعل بعدم الآلة، والتمكن ينافي التعذر[٣] والانتقال من الخبر إلى الخطاب من الاتساع والتصرف في[٤] الكلام، كما تقول: قلت لعبد الله -وقد كان شكره زيد-: ما أكرمك، أي: واجهته بهذا الخطاب، وإن شئت قلت: ما أكرمه، على الإخبار[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَكَّنَّٰهُمۡ﴾ ثم قال: ﴿مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾ ولم يقل: نمكنكم، وهما لغتان، تقول العرب: مكنته ومكنت له، كما تقول: نصحته ونصحت له. قال صاحب «النظم»: (العرب تتسع في الأفعال التي تتعدى

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠، وابن الجوزي ٣/ ٦.

(٢) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٩٨٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٠٥، و«المجمل» ٣/ ٨٣٧، و«المفردات» ص٧٧٣، و«اللسان» ٧/ ٤٢٥٠ (مكن).

(٣) هذا قول أبي هلال العسكري في «الفروق اللغوية» ص ٩٠، وانظر: «البحر» ٤/ ٦٦.

(٤) قال بعض أهل التفسير: في الآية رجوع من الغيبة في قوله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ إلى الخطاب في قوله ﴿لَكُمۡ﴾ للاتساع وتلوين الخطاب، قال السمين في «الدر المصون» ٤/ ٥٣٨: (فيكون على هذا التفاتًا فائدته التعريض بقلة تمكن هؤلاء ونقص أحوالهم عن حال أولئك، ومع تمكينهم وكثرتهم فقد حل بهم الهلاك، فكيف وأنتم أقل منهم تمكينا وعددًا) ا.هـ. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٦٩، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٣٦، و«غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٣٥٢، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٢٨، وابن الجوزي ٣/ ٦، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩١.

(٥) أي يجوز. قلت لزيد: ما أكرمك أو ما أكرمه. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٤٩، وابن عطية ٥/ ١٣٠، و«البحر» ٤/ ٧٥.

بحروف[١] الصفات فربما عدوها[٢] بغيرها كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] المعنى: فإلى أين؛ وربما زادوها فيما يتعدى بغيرها كقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾)[٣] [النمل: ٧٢] ونحو هذا. قال أبو علي في قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١] وقوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٨٤] قال: (يجوز أن تكون اللام هاهنا على حد التي هي في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾، ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ قال ابن عباس: (يريد بالغيث والبركة)[٥].

---

(١) في: (ش): (بحرف)، والصواب ما أثبته.

(٢) في: (أ): (أعدوها)، والصواب ما أثبته.

(٣) قال السمين في «الدر» ٤/ ٥٣٧: قال أبو علي الجرجاني: (مكناهم ومكنا لهم لغتان) ا.هـ.

(٤) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٤٢٩، وقال العسكري في «الفروق» ص٩٠: (الصحيح أن مكنت له: جعلت له ما يتمكن به، ومكنته: أقدرته على ملك الشيء في المكان) ا.هـ. وقال السمين في «الدر» ٤/ ٥٣٦- ٥٣٧: (الفرق بينهما أن مكنه في كذا أثبته فيها، وأما مكن له فمعناه جعل له مكانًا) ا.هـ ملخصًا. وانظر «المسائل العضديات» ص٦٧، و«الكشاف» ٢/ ٥، والأكثر على التسوية بينهما، ويتعدى مكن بنفسه وبحرف الجر، والأكثر تعديته باللام. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٦، و«نزهة القلوب» ص٣٩٩، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٥٣، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٢٨، وابن الجوزي ٣/ ٦، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٢٩، و«البحر» ٤/ ٧٦.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٤ بسند جيد عنه قال: (يتبع بعضها بعضا) ا.هـ. وأخرج أبو عبيد في كتاب «اللغات» ص ٩٤، وابن حسنون ص٢٤، والوزان ص٣/ ب بسند جيد عنه قال: (متتابعًا بلغة هذيل =

والسماء [معناه][(١)]: المطر هاهنا، والمدرار: الكثير الدر وأصله من قولهم: درّ اللبن إذا أقبل على الحالب منه[(٢)] شيء كثير فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب[(٣)] ويجوز أن يكون من نعت المطر، ويقال: سحاب مدرار إذا تتابع إمطاره ومفعال يجيء في نعت يبالغ فيه. قال مقاتل: (مدرارًا: متتابعًا)[(٤)] وقال المؤرج[(٥)]: (مرة بعد أخرى)[(٦)]. ويستوي في المدرار المذكر والمؤنث[(٧)]

وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد بكفرهم وجرأتهم عليَّ)[(٨)]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ معنى الإنشاء ابتداء الإيجاد من

= وذكر البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٨ عنه أنه قال: (متتابعًا في أوقات الحاجات) ا.هـ.

(١) لفظ: (معناه) ساقط من (أ). وانظر: «الزاهر» لابن الأنباري ١/ ٢٣٨.

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» ١/ ١١، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧١، و«الصحاح» ٢/ ٦٥٥، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٥٥، و«المفردات» ص٣١٠، و«اللسان» ٣/ ١٣٥٧ (در).

(٣) مثله قال الرازي ١٢/ ١٥٩، والأكثر على أن ﴿مِّدْرَارًا﴾ حال من السماء، وهو الظاهر؛ لأنه بعد معرفة. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٣٧، و«المشكل» ١/ ٢٤٦، و«البيان» ١/ ٣٨١، و«الفريد» ٢/ ١٢١، و«البحر» ٤/ ٧٦، و«الدر المصون» ٤/ ٥٤١، ولعل مراد الواحدي بالنعت الحال؛ لأن أصله صفة. انظر «الأصول» لابن السراج ١/ ٢١٣، و«شرح شذور الذهب» ص٢٤٤.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٠.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) ذكره الرازي ١٢/ ٧٦، عن مقاتل، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٦، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٤، و«تفسير غريب القرآن» ص١٥٠، و«نزهة القلوب» ص٤٤٠.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٩، والنحاس ٢/ ٤٠١.

(٨) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٤.

غير سبب[١] تقدم. والآية احتجاج على منكري البعث، من جهة أن الذي أهلك من قبلهم وأنشأ بعدهم قرنًا آخرين قادر على أن يهلك العالم بأسره وينشئ بعده عالمًا آخر، وقادر على الإعادة بعد الإهلاك.

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ قال الكلبي: (قال مشركو مكة: يا محمد، لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعةَ من الملائكة يشهدون أنه من عند الله، وأنك رسوله، فنزلت هذه الآية)[٢]. والقرطاس[٣]: كاغدٌ[٤] يتخذ من بردي[٥] يكون بمصر، وكل كاغدٍ قرطاس، سواء كان من جنس القراطيس المصرية أو من غيرها، وإن كان قد غلب هذا الاسم عليها، وأراد بالكتاب المصدر[٦].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٧، و«الصحاح» ١/ ٧٧، و«المفردات» ص٨٠٧ (نشأ).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٦، و«الوسيط» ١/ ١١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٩، وابن الجوزي ٣/ ٧.
وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ١٣٢، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩٣، و«البحر» ٤/ ٧٧.

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٥١، و«جمهرة اللغة» ٣/ ١٢٧٥، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٣٥، و«الصحاح» ٣/ ٩٦٢، و«المفردات» ص٦٦٦، و«اللسان» ٦/ ٣٥٩٢ (قرطس).
والقرطاس: الصحف التي يكتب فيها، وهو بكسر القاف أكثر استعمالا وأشهر من ضمها.
انظر: «البحر المحيط» ٤/ ٧٧، و«الدر المصون» ٤/ ٥٤٣.

(٤) الكاغد، بالفتح: القرطاس. انظر: «تاج العروس» ٥/ ٢٢٥.

(٥) قوله: (من بردى) عليه طمس في (أ)، والبردي، بفتح الباء وسكون الراء: نبات معروف. انظر: «اللسان» ١/ ٢٥١ (برد).

(٦) أي: بمعنى الكتابة: انظر: «تفسير القرطبي» ٦/ ٣٩٣، و«الدر المصون» ٤/ ٥٤٣.

قال ابن عباس[١] والسدي[٢] وقتادة[٣] ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾: (يعني: الصحيفة)، وروي عن ابن عباس أنه قال: (﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ معلقًا من السماء إلى الأرض)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال قتادة: (فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم)[٥]. وقال أهل المعاني: (اللمس[٦] باليد أبلغ في الإحساس من المعاينة، لذلك قيل: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ دون أنْ يقال: «لعاينوه»[٧]؛ لأنْ اللمس باليد يتضمن[٨] المعاينة وزيادة)[٩].

وقوله تعالى: ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أخبر الله تعالى أنهم يدفعون الدليل، حتى لو أتاهم الدليل مدركًا بالحس لنسبوه إلى السحر. قال أبو إسحاق: (لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا: سحر،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١، بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١، بسند جيد.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٣، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٤، بسند جيد، قال ابن أبي حاتم: (وروي عن السدي نحو ذلك).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٢.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٤، بسند جيد. وأخرج الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٥، عن ابن عباس في الآية قال: (مسوه ونظروا إليه لم يؤمنوا به).

(٦) في (أ): (المس).

(٧) في النسخ: لعاينوه، والأولى «فعاينوه».

(٨) في (ش): (تضمن).

(٩) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٩٥، وتفسير البغوي» ٣/ ١٢٩، والزمخشري ١٢/ ١٦٠، و«تفسير الرازي» ١٢/ ١٣٣، و«البحر» ٤/ ٧٧.

كما [أنهم][١] قالوا في انشقاق القمر: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، وكذلك يقولون في كل آية يعجز عنها المخلوقون[٢])[٣].

٨- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال المفسرون[٤]: (طلبوا ملكًا يرونه [يقول[٥]]: إنه رسول الله، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: لأهلكوا بعذاب الاستئصال)، وهو معنى قول الحسن[٦] وقتادة[٧] والسدي[٨]؛ وقال مجاهد[٩] وعكرمة[١٠]: (لقامت الساعة)[١١]؛ وقال الزجاج: (معنى قضى الأمر: أُتم إهلاكهم[١٢] وقضى

(١) لفظ: (أنهم) ساقط من (ش).

(٢) في (ش): (الخلوقات)، وهو تحريف.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٢٩- ٢٣٠، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٠٢ .

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٥١.

(٥) في (أ): (يقولون).

(٦) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٩٥، والقرطبي في «تفسير» ٦/ ٣٩٣، عن الحسن وقتادة.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٠٤، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١- ١٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٥، من طرق جيدة عن قتادة.

(٨) أخرجه الطبري ٧/ ١٥١، بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٥ عن السدي.

(٩) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٥ من طرق جيدة.

(١٠) عكرمة بن عبد الله البربري، أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس، تقدمت ترجمته.

(١١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥١، بسند ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٥، وذكر هذا القول ابن عطية ٥/ ١٣٢ عن مجاهد وضعفه، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٠٢، عن مجاهد وقال: (والمعنى عند أهل اللغة: لحتم بهلاكهم، وهو يرجع إلى ذلك القول) ا.هـ.

(١٢) في (ش): (أتم هلاكهم) وفي «معاني الزجاج»: ٢/ ٢٣٠: (لتم هلاكهم).

على ضروب كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء في تمامه)[١]. وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة.

قال أهل العلم: (إنما لم ينظروا ولو نزل الملك؛ لأنه يجب أن يجروا على سنة من قبلهم ممن طلب الآيات فلم يؤمنوا، فأهلكوا بعذاب الاستئصال كثمود وعاد، لحكم الله في خلقه بذلك؛ لأنه أزجر عن التحكم بطلب الآيات، وأدعى إلى الإيمان خوفا من الإهلاك)[٢].

وقال الضحاك: (لو أتاهم ملك في صورته لماتوا)[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ قال ابن عباس: (لا يؤخرون لتوبة ولا لغير ذلك)[٤].

٩- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكًا أو الذي ينزل عليه ليشهد له بالرسالة كما يطلبون ذلك.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[٥] قال ابن عباس[٦] والمفسرون[٧]: (لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته؛ لأن

---

(١) كذا في النسخ، وعند الزجاج: (انقطاع الشيء وتمامه).

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٩٧، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٢٩.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٢٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٢، بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٦ بسند ضعيف، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢، وابن الجوزي «تفسيره» ٣/ ٨.

(٥) لفظ: (لجعلناه) عليه طمس في (أ).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٢-١٥٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٦٦ بسند ضعيف.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٥٢، وذكره ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٣٣، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد.

أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة)[(١)].

قال الزجاج: (قيل: إن الملك لو نظر إليه ناظر على هيئته لصعق، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس، كجبريل عليه السلام[(٢)] يأتي النبي ﷺ[(٣)] في صورة دحية[(٤)] الكلبي، وكقصة نبإ الخصم إذ تسوروا[(٥)] المحراب، وكما أتوا إبراهيم[(٦)] ولوطًا - عليهما السلام - في صورة

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٣: (أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة؛ لأن كل جسم يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه) ا.هـ. وقال ابن عطية ٥/ ١٣٣: (أهل التأويل مجمعون أنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته، فالأولى في قوله: ﴿لقضي الأمر﴾ أي لماتوا من هول رؤيته) ا.هـ ملخصًا وانظر: «البحر المحيط» ٤/ ٧٨.

(٢) في (ش): (كان يأتي).

(٣) أخرج البخاري (٣٦٣٣)، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم رقم ٢٤٥١، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: (إن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام. فقال النبي لأم سلمة: «من هذا؟» قالت: هذا دحية) الحديث. وقال ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٤٧٣، والمناوي في «الفتح السماوي» ٢/ ٦٠٠: (أخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عمر قال: (كان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي). وانظر: «الكافي الشافي» لابن حجر ٦٠-٦١.

(٤) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صاحب النبي ﷺ ورسوله بكتابه إلى قيصر الروم ليوصله إلى هرقل، وهو صحابي جليل مشهور، وكان جميلًا يضرب به المثل في حسن الصورة، أسلم قبل بدر، وتوفي في خلافة معاوية. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤٧٢، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٥٠، و«الإصابة» ١/ ٤٧٣، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥٧٣، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٥/ ٢٢١.

(٥) قصة دواد عليه السلام مع الخصم مذكورة في سورة ص الآية ٢١ وما بعدها.

(٦) قصة إبراهيم عليه السلام مع الرسل مذكورة في مواضع من القرآن منها: في (سورة هود الآية: ٦٩ وما بعدها)، وفي (سورة الحجر الآية ٥١ وما بعدها)، وفي (سورة الذاريات الآية: ٢٤ وما بعدها).

الضيفان من الآدميين[١])[٢]، وكذلك قصة جبريل مع النبي ﷺ حين أتاه يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان والقدر. والخبر صحيح مشهور[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

يقال: لبست الأمر على القوم ألبسه لبسًا إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلًا[٤]. قال ابن السكيت[٥]: (يقال: لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته)[٦].

قال أهل اللغة[٧]: (معنى اللبس: منع النفس من إدراك المعنى كما هو[٨] كالستر له، وأصله من الستر بالثوب ومنه لبس الثوب؛ لأنه ستر النفس به).

قال الضحاك[٩] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

---

(١) قصة لوط ﷺ مع الرسل مذكورة في مواضع من القرآن منها: في (سورة هود الآية: ٧٧ وما بعدها) وفي (سورة الحجر ٦١ وما بعدها).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣١، وانظر: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» للمبرد ص٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٠)، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل، ومسلم رقم (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه.

(٤) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٨.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) «إصلاح المنطق» ص ٢٠٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٨.

(٧) انظر: «العين» ٧/ ٢٦٢، و«الجمهرة» ١/ ٣٤١، و«الصحاح» ٣/ ٩٧٣، و«المجمل» ٣/ ٨٠١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٣٠، و«المفردات» ص٧٣٤، و«اللسان» ٧/ ٣٩٨٧ (لبس).

(٨) في (ش): (بما هو).

(٩) ذكره في «الوسيط» ١/ ١٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٣١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٦، بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس نحوه.

(ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي).

قال الزجاج[١]: (وكانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هو بشر مثلكم، فقال[٢] الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ فرأوا الملك رجلاً لكنا قد لبسنا عليهم؛ لأنه كان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم) أي: فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان. وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه من إنزال الملك لا يزيدهم بيانًا، بل يكون[٣] الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة بإعمالهم الشبهة.

وذكر صاحب «النظم» في هذه الآية وجهًا آخر فقال: (إنهم خلطوا على أنفسهم في التماس ما التمسوا، وتكلفوا منه ما لم يحتاجوا إليه، فالتمسوا نزول ملك يخبرهم أنه نبي، وقد كان لهم فيما مع النبي ﷺ من الآيات والدلائل[٤] كفاية وغنية عن نزول ملك، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ الآية.

يقول: لو أجبناهم إلى ما سألوا من ذلك فأنزلنا ملكًا لجعلناه رجلًا مثلهم في الخلقة والصورة، فيكون نزوله مثل طلوع الشمس من مغربها أو قيام الساعة، فلا يقبل مع ذلك إيمان، ولكن يجعله[٥] على صورة رجل، فلبس بذلك[٦] عليهم، أي: يعمى[٧] عليهم؛ معاقبة لتكلفهم ما لم يكلفوا

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣١.
(٢) في (ش): (وقال)، وهو تحريف.
(٣) في (ش): (بل يكون في الأمر في ذلك)، وهو تحريف.
(٤) في (ش): (والدلالات).
(٥) في (ش): (لجعله).
(٦) في (ش): (فلبس في ذلك).
(٧) في (ش): (لعمى معاقبة لهم).

ولم تكن بهم حاجة إليه، وهذا كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣] وكان[١] الطبع معاقبة لهم على الكفر بعد الإيمان، فكذلك قوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: نعاقبهم باللبس بما لبسوا على أنفسهم، فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال[٢].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية. قال المفسرون[٣]: (هذه الآية تعزية للنبي ﷺ وتسلية له عما يرى من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به؛ إذ جعل إسوته في ذلك بالأنبياء الذين كانوا قبله، وتحذير المشركين الذين فعلوا بنبيهم ما فعل من قبلهم من مكذبي الرسل فحل بهم العذاب).

وقوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ قال النضر[٤]: (يقال: حاق بهم العذاب كأنه وجب عليهم. قال: يقال: حاق العذاب يحيق، فهو حائق)[٥].

وقال الليث[٦]: (الحيق: ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء بعمله

---

(١) في (ش): (فكان).

(٢) لم أقف عليه. وانظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٩٧، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٣٣، و«بدائع التفسير» ٤/ ١٤٢.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٥٣، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٧٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣١، والزمخشري في «تفسيره» ٢/ ٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٣٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٤، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٤١.

(٤) النضر بن شميل المازني، أبو الحسن البصري، توفي سنة ٢٠٤هـ. تقدمت ترجمته.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨.

(٦) الليث بن نصر بن سيار الخراساني، ويقال: الليث بن المظفر بن نصر بن سيار، إمام لغوي، صاحب نحو وغريب وشعر، ومن أصحاب الخليل، ويقال: إنه هو الذي ألف كتاب «العين». انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٧، و«إنباه الرواة» ٣/ ٤٢، =

فنزل ذلك به. كقول: أحاق الله بهم مكرهم وحاق بهم مكرهم)[١] سلمة[٢] عن الفراء في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ [الأحقاف: ٢٦] هو في كلام العرب عاد عليهم)[٣].

قال ابن عباس في رواية[٤] عطاء في قوله تعالى: ﴿فَحَاقَ﴾ (يريد: فحَلّ).

وقال الربيع[٥]: (نزل)[٦].

وقال الفراء[٧]: (يقال: حاق بهم يحيق حيقًا وحيوقًا وحيقانًا، بفتح الحاء والياء)[٨].

= و«معجم الأدباء» ١٧/ ٤٣، و«إشارة التعيين» ص ٢٧٧، و«لسان الميزان» ٤/ ٤٩٤، و«البلغة» ص١٧٨.

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨، وانظر: «العين» ٣/ ٢٥٦ (حاق).

(٢) سلمة بن عاصم البغدادي، أبو محمد، إمام لغوي نحوي، تقدمت ترجمته.

(٣) «معاني الفراء» ٣/ ٥٦، وزاد فيه: (وجاء في التفسير نزل بهم).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٥ ب والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٠ عن عطاء فقط.

(٥) الربيع بن أنس بن زياد البكري البصري نزيل خراسان، تقدمت ترجمته.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٥ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٠.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣ دون (وحيقانا)، ولم أقف عليه في معناه، ولعله من كتاب المصادر المفقود.

(٨) انظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٤، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٤، و«البحر» ٤/ ٨٠، و«الدر المصون» ٤/ ٥٤٦، وفي «القاموس» ص٨٧٧. قال: (حاق به يحيق حيقًا وحيوقًا وحيقانًا أحاط به). وانظر: «الصحاح» ٤/ ١٤٦٦، و«المجمل» لابن فارس ١/ ٢٥٩، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٢٥، و«المفردات» ص٢٦٦، و«اللسان» ٢/ ١٠٧٢ (حاق).

قال الضحاك: ﴿فَحَاقَ﴾: (أي: أحاط)[١]، وهو اختيار الزجاج؛ لأنه قال في قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [هود: ٨]: أي: أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء ما كانوا[٢] يستهزئون به، كما تقول: أحاط بفلان عمله وأهلكه كسبه، أي: أهلكه جزاء كسبه)[٣].

قال الأزهري: (جعل أبو إسحاق حاق بمعنى أحاط، وكأن مأخذه من الحوق[٤]، وهو ما استدار بالكمرة[٥]. قال: وجائز أن يكون الحوق فعلًا من حاق يحيق كأنه كان في الأصل حيقًا فقلبت الياء واوًا لانضمام ما قبلها)[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٥ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٨٠.

(٢) في (ش): (ما كانوا به).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣١-٣/ ٤١، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨، وفي «معاني الزجاج» ٤/ ٢٧٥- قال: (يحيق: يحيط). والأقوال متقاربة، وأكثرهم على أنه بمعنى نزل وأحاط بهم العذاب، قال الرازي ١٢/ ١٦٣: (في تفسيره وجوه كثيرة وهي بأسرها متقاربة) ا.هـ وانظر «مجاز القرآن» ١/ ١٨٥، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٥٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٠٣، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٢٧٥، و«الكاشف» ٢/ ٧، وابن عطية ٥/ ١٣٤.

(٤) قال السمين في «الدر» ٤/ ٥٤٦: (حاق ألفه منقلبة عن ياء، بدليل يحيق كباع يبيع، والمصدر حيق وحيوق وحيقان، وزعم أنه من الحوق وهو المستدير بالشيء، وهذا ليس بشيء؛ لاختلاف المادة، إلا أن يراد الاشتقاق الأكبر، وأيضًا هو دعوى مجردة من غير دليل) ا.هـ ملخصًا. ونحوه قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٨٠، وانظر: «روح المعاني» ٧/ ١٠٢.

(٥) الكمرة، بالفتح: رأس الذكر. انظر: «القاموس» ص٤٧١.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨ (حاق).

وأكثر المفسرين جعلوا الآية من باب حذف المضاف؛ لأنهم قالوا: نزل وأحاط بهم عقوبة ما كانوا به يستهزئون وجزاء ما كانوا به يستهزئون. قال الزجاج: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] أي: لا يرجع عاقبة مكرهم إلا عليهم)[١]، وهذا إذا جعلت ﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ عبارة عن القرآن والشريعة وما جاء به النبي ﷺ، وإن جعلت ﴿مَآ﴾ عبارة عن العذاب الذي كان[٢] يوعدهم به النبي ﷺ إن لم يؤمنوا استغنيت عن تقدير حذف المضاف، ويكون المعنى: فحاق بهم الذي كانوا يستهزئون به من العذاب وينكرون وقوعه[٣].

١١- قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: (سافروا في الأرض، ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾: فاعتبروا، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: مكذبي الرسل)[٤].

قال قتادة[٥]: (دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار). قال مقاتل:

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣١، وفيه: (أي لا ترجع عاقبة مكروهة إلا عليهم) ا.هـ.

(٢) في (أ): (الذي كانوا).

(٣) انظر: الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٣، وذكر قول الواحدي السمين في «الدر» ٤/ ٥٤٧، و(ما) في قوله: ﴿مَّا كَانُوا۟﴾ موصولة ولا حاجة إلى الإضمار والمعنى، نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به وهو ظاهر كلام الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٣، والزمخشري ٢/ ٧، ورجحه أبو حيان ٤/ ٨٠، وذكر الألوسي في «روح المعاني» ٧/ ١٠٢، أن هذا اختيار الواحدي، وقال بعضهم: (ما) مصدرية، والمعنى: نزل بهم عاقبة أو جزاء أو وبال استهزائهم. «إعراب النحاس» ١/ ٥٣٧، و«المشكل» ١/ ٢٤٦، و«البيان» ١/ ٣١٤، و«التبيان» ص٣٢٣، و«الفريد» ٢/ ١٢٤.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٦، ففيه نحوه.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٨، بسند جيد.

(يحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية)[١].

قال أهل المعاني: (والمكذب قد صار صفة ذم، وإن كان يجوز أن يكذب بالباطل فلا يكون ذمًّا؛ لأنه من أصل فاسد، وهو الكذب، فصار الذم أغلب عليه، كما أن الكفر صفة ذم، مع أنه قد يكفر[٢] بالطاغوت؛ لأنه من أصل فاسد، وهو كفر النعمة)[٣].

١٢- قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال أهل المعاني: (هذا أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بسؤال قومه، وذلك أن السؤال يبعث النفس على طلب الجواب وتبين ما سئل عنه)[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ قال صاحب النظم: (جاء السؤال والجواب من جهة واحدة، وهو محمول على أنه لما أنزل: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل لهم ذلك كما أمر به وأنهم أجابوا وقالوا: فلمن هو؟ فجاء الجواب: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾، فهذا جواب عن سؤال مضمر دل عليه الكلام)[٥].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥١.

(٢) في (أ): (تكفر) وهو تصحيف.

(٣) لم أقف على من ذكر مثل هذا المعنى، وفي القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٥، قال: (والمكذبون هنا من كذب الحق وأهله لا من كذب بالباطل) ا.هـ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٥٤، و«الرازي» ١٢/ ١٦٤.

(٥) ذكره الكرماني في «غرائب التفسير» ١/ ٣٥٤، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٤٩، عن صاحب النظم، وهو قول أحمد بن فارس في «الصاحبي» ص٣٩١، وقال السمين: (هذا قول بعيد؛ لأنهم لم يكونوا يشكون في أنه هو الله، وإنما هذا سؤال تبكيت وتوبيخ، ولو أجابوا لم يسعهم أن يجيبوا إلا بذلك) ا.هـ. وأكثرهم على أن ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ أمر بالجواب عقيب السؤال نيابة عنهم تقريرًا لهم وتنبيهًا على أن الجواب متعين بالاتفاق، ولأنه أبلغ في التأثير، وآكد في الحجة. انظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٠، والزمخشري في «تفسيره» ٢/ ٧، وابن =

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال ابن عباس: (قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين)[١].

وقال أهل المعاني: (لما أخبر عن عظم ملكه بأن له ما في السموات والأرض ذكر أنه أوجب على نفسه الرحمة؛ تلطفًا في الاستدعاء إلى الإنابة، واستعطافًا للمتولين عنه إلى الإقبال إليه)[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، الأكثرون على أن هذا ابتداء كلام، واللام فيه لام قسم مضمر، كأنه: والله ليجمعنكم[٣]، وجعل الزجاج ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ متصلًا بما قبل فقال في معنى قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: (الله ﷻ تفضل على العباد بأن أمهلهم عند كفرهم به وإقدامهم على كبائر ما نهى عنه، بأن أنظرهم وعمَّرهم وفسح لهم ليتوبوا، فذلك كتبه على نفسه الرحمة)[٤]. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ يكون موضعه [نصبا][٥] بدلًا من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾، وذلك أنه مفسر للرحمة بالإمهال ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾. وذكر الفراء المذهبين[٦] جميعًا فقال: (إن شئت جعلت

= عطية في «تفسيره» ٥/ ١٣٦، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٤، و«البحر» ٤/ ٨١.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤، وابن الجوزي ٣/ ٩.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٥٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣١، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٣٠.

(٣) أي جواب قسم محذوف، والجملة لا تعلق لها بما قبلها من حيث الإعراب، وإن تعلقت به من حيث المعنى، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٧، وابن عطية ٥/ ١٣٩، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٥٠، وابن هشام في «المغني» ٢/ ٤٠٧.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣١-٢٣٢.

(٥) لفظ: (نصبا)، ساقط من (أ).

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٢٨، ونحوه قال الزجاج ٢/ ٢٣٢، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٣٨، و«التبيان» ١/ ٣٢٥، و«الفريد» ٢/ ١٢٥.

﴿ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ غاية الكلام ثم استأنفت بعدها ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾، وإن شئت [جعلته][(١)] في موضع نصب كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤]. وعلى هذا يكون قوله: ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ جوابًا لقوله: ﴿كَتَبَ﴾؛ لأنه بمعنى أوجب، والقسم يوجب كما يوجب ﴿كَتَبَ﴾، فلما كان معنى قوله: ﴿كَتَبَ﴾، مثل معنى القسم حمل الجواب على معنى القسم؛ قاله الجرجاني[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [قال الزجاج][(٣)]: (معناه: ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه، كما تقول: قد جمعت هؤلاء إلى هؤلاء، أي: ضممت بينهم في الجمع)[(٤)].

وقال صاحب النظم: (التأويل: ليؤخرن جمعكم إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿إِلَىٰ﴾ دليل على معنى التأخير في الجمع إلى هذا اليوم)[(٥)]، وهذا القول غير ما قال الزجاج في ﴿إِلَىٰ﴾.

---

(١) (جعلته)، ساقط من (ش).

(٢) لم أقف عليه، وهذا القول هو ظاهر كلام الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٦١، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣١٥، وانظر: «المشكل» ١/ ٢٤٦، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٥، و«البحر» ٤/ ٨٢.

(٣) (قال الزجاج): ساقط من (ش).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٢.

(٥) لم أقف عليه. و(إلى) لها عدة معانٍ، كما في «حروف المعاني» للزجاجي ص٦٥، و«معاني الحروف» للرماني ص١١٥، و«المغني» لابن هشام ١/ ٧٤، والأظهر هنا قول الجمهور أنها على بابها للغاية، أي: ليجمعنكم منتهين إلى يوم القيامة. وقيل: هي بمعنى في، وقيل: بمعنى اللام، وقيل: زائدة. انظر: البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣١، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٣٩، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٥، و«البحر» ٤/ ٨٢، و«الدر المصون» ٤/ ٥٥٠.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بالشرك بالله أوبقوا أنفسهم، وكانوا كمن خسر شيئًا يهلكه. واختلفوا في إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾، فزعم الأخفش[1]: (أن موضعه نصب على البدل من الضمير في: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، والمعنى: ليجمعن هؤلاء المشركين ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾)[2].

قال أبو إسحاق: (والذي عندي أنْ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ في موضع رفع على الابتداء، وخبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ لأن قوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مشتمل على الجميع، على ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وغيرهم[3].

---

(١) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٦٩، وهو قول الطبري في «تفسيره» ١١/ ٢٨١.

(٢) هنا وقع اضطراب في نسخة (أ) ص١٠٢ حيث جاء باقي التفسير في ١٠٣ ب.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٢، وهو اختيار أكثرهم.
انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٣٨، و«المشكل» ١/ ٢٤٧، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٥٤، و«البيان» ١/ ٣١٥، و«التبيان» ١/ ٣٢٥.
وقال الهمداني في «الفريد» ٢/ ١٢٦: (هذا فيه تأخير السبب وتقديم المسبب، فالأحسن كونه خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين، والفاء على هذا للعطف) ا.هـ بتصرف.
وأكثرهم ضعف الوجه الأول؛ لأن القاعدة العامة عند النحاة ألا يبدل مظهر من مضمر بدل كل من غير إحاطة وشمول، وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم، فلا وجه لاختصاصه بهم، ولا يقال: رأيتك زيدًا على البدل؛ لأن ضمير المخاطب في غاية الوضوح، فلا حاجة إلى البدل منه، أفاده الهمداني في «الفريد» ٢/ ١٢٦، و«السمين» ٤/ ٥٥١.
وانظر: «الكتاب» ٢/ ٣٨٥- ٣٨٩، و«المقتضب» ٤/ ٢٩٥-٢٩٨، و«الأصول» ٢/ ٣٠٤-٣٠٥، و«المقرب» ١/ ٢٤٢، و«البحر» ٤/ ٨٢.

والفاء في قوله ﴿فَهُمْ﴾[(١)] تضمن[(٢)] معنى الشرط والجزاء كقولهم: الذي يكرمني فله درهم، دخلت الفاء؛ لأن الدرهم وجب بالإكرام، فكأن الإكرام شرطًا والدرهم، جزاء، كما تقول: من يأتني فله درهم[(٣)]. ويجوز أن يقال: إن الفاء زائدة، فإنها تزاد في مواضع، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم[(٤)]. من ذلك قولهم: زيدًا فاضرب، وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٤: ٥] الفاء هاهنا زائدة[(٥)].

١٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال الكلبي: (إن

---

(١) ذكر هذا القول كل من رجح قول الزجاج. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٦/ ١٣، والرازي ١٢/ ١٦٦.

(٢) في (ش): (يتضمن).

(٣) الفاء تربط شبه الجواب بشبه الشرط، فيجوز دخول الفاء في خبر الموصول. انظر: «معاني الأخفش» ١/ ١٨٧، و«الأصول» ٢/ ٢٧٢، و«المغني» ١/ ١٦٥.

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١٧١ ب و١/ ٢٢٣ أ.

(٥) هذا قول ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٥٨-٢٦٠، بتصرف واختصار، وأكثرهم على أن الفاء في ﴿فَهُمْ﴾ رابطة وليست زائدة، وقد اختلف في زيادة الفاء فأجازه الرماني في «معاني الحروف» ص٤٣-٤٧ وابن هشام في «المغني» ١/ ١٦٥-١٦٦.

وقال ابن هشام في «الإعراب عن قواعد الإعراب» ص١٩٨-١٠٩: (وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف في كتاب الله تعالى إنه زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك، والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤت به إلا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة، وبعضهم يسميه لغوًا، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب) ا.هـ.

وانظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٣٠٥، و«الدر المصون» ٥/ ٢٦٣، و«موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب» لخالد الأزهري ص١٦٧-١٧٠.

كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه ما يحملك على ما تفعل إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا حتى تكون من أغنانا فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾[(١)].

قال ابن الأعرابي[(٢)]: (وله ما حل في الليل والنهار)[(٣)]، وهذا موافق لقول ابن عباس: (وله ما استقر في الليل والنهار من خلق)[(٤)].

قال أبو العباس أحمد[(٥)]: (أراد الساكن من الناس والبهائم خاصة، وسكن: هدأ بعد تحرك، وإنما معناه -والله أعلم- الخلق)[(٦)]؛ وهذا مذهب جماعة أن المراد بهذا ما كان من ذي روح، وبه قال مقاتل: (وله ما استقر في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر)[(٧)].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٦ أ، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٦، عن الكلبي عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٩-١٠، عن ابن عباس.

(٢) ابن الأعرابي: محمد بن زياد الهاشمي مولاهم، أبو عبد الله الأعرابي الكوفي، إمام ورع ثقة كثير السماع والرواية عالم باللغة والنحو والأدب والتاريخ والنسب، له كتب منها: «النوادر»، و«معاني الشعر»، و«تاريخ القبائل»، و«تفسير الأمثال». توفي سنة ٢٣١هـ. وله ٨٠سنة. «طبقات الزبيدي» ص١٩٥، و«تاريخ بغداد» ٥/ ٢٨٢، و«إنباه الرواة» ٣/ ١٢٨، و«معجم الأدباء» ١٨/ ١٨٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٦٨٧.

(٣) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٢٤ (سكن).

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٢٤ (سكن).

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٢.

قال أبو روق: (من الخلق ما يستقر نهارًا وينتشر ليلًا، ومنها ما هو على الضد)[(١)].

وقال بعضهم: (هذا عام في جميع المخلوقات؛ لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنهار، على معنى أنهما يشملانه ويمران عليه)[(٢)]، وهذا مذهب عبد العزيز بن يحيى[(٣)] ومحمد بن جرير[(٤)(٥)]؛ قال عبد العزيز: (كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكني الليل والنهار)[(٦)]؛ وعلى هذا ليس المراد بالسكون في الآية الذي هو ضد الحركة، بل المراد به الحلول، كما قاله ابن الأعرابي من قولهم: فلان[(٧)] يسكن بلد كذا إذا كان يحله[(٨)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٦ أ، وهو قول مقاتل ١/ ٥٥٢.

(٢) (عليه) ساقط من (أ)، وقال القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٦: (هذا أحسن ما قيل؛ لأنه يجمع شتات الأقوال) ا.هـ.

(٣) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي، إمام فاضل فقيه مناظر من تلاميذ الشافعي، يُنسب له كتاب «الحيدة» مطبوع. توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٤٤٩، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٦٣٩، و«طبقات السبكي» ٢/ ١٤٤، و«طبقات الأسنوي» ١/ ٤١، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٩٨، و«الأعلام» ٤/ ٢٩.

(٤) محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير.

(٥) «تفسير الطبري» ٧/ ١٥٨.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٦ أ.

(٧) انظر: «العين» ٥/ ٣١٢، و«الجمهرة» ٢/ ٨٥٥، و«الصحاح» ٥/ ٢١٣٦، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٨٨، و«المفردات» ص٤١٧، و«اللسان» ٤/ ٢٠٥٢ (سكن).

(٨) هذا القول هو الراجح عند أكثر المفسرين. انظر: الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٨، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٤١، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٨، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٦، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٤١.
وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦، عن أهل المعاني.

وقال جماعة من أصحاب المعاني: (في الآية محذوف، والتقدير: وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار، كقوله تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد: الحر والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأنه يعرف ذلك بقرينته، كذلك هاهنا حذف ذكر الحركة واقتصر على السكون؛ لأن ما يعمه السكون أكثر مما تعمه الحركة[1].

قال أبو إسحاق: (هذا أيضًا احتجاج على المشركين؛ لأنهم لم ينكروا أنْ ما استقر في الليل والنهار لله الذي هو خالقه ومدبره، والذي هو كذلك قادر على إحياء الموتى)[2].

١٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما، ابتدأ على غير مثال سبق، والفطرة ابتداء الخلقة. قال ابن عباس: (كنت ما أدري ما فاطر السموات حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر، قال أحدهما: أنا فطرتها، وأنا ابتدأت حفرها)[3].

---

(١) لم أجده بنصه في كتب المعاني ولكن معناه عند أكثرهم. انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٩٧، و«غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٣٥٤، و«تفسير البغوي» ١/ ١٣١، و«زاد المسير» ٣/ ١٠، و«البحر المحيط» ٤/ ٨٣-٨٤، و«الدر المصون» ٤/ ٥٥٣-٥٥٤، و«تفسير البيضاوي» ١/ ١٣٤.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٣٢، وذكر نحوه النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٠٥.

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٠٦، وفي «غريب الحديث» ٢/ ٣٨٨، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٥٩، قال ابن حجر في «الكافي الشافي» ص٦١، والمناوي في «الفتح السماوي» ٢/ ٦٠٢: إسناده حسن ليس فيه إلا إبراهيم بن مهاجر. ا.هـ. وإبراهيم بن مهاجر البجلي الكوفي مختلف فيه، قال ابن حجر في «التقريب» (٢٥٤): صدوق لين الحفظ. ا.هـ. وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٤٤ من طريق آخر ضعيف، ومن طريق إبراهيم بن مهاجر أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٦٩ عن ابن عباس قال: فاطر السموات والأرض، =

وقرأت على أبي الفضل العروض -رحمه الله[١]- فقلت: أخبركم الأزهري قال: أخبرني المنذري[٢] عن أبي العباس أنه سمع ابن الأعرابي يقول: (أنا أول من فطر هذا، أي: ابتدأه)[٣]. وقال ابن الأنباري[٤]: (أصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه)[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد: خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يكون فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الأشياء إلى بعض، فلما كان الأصل للشق جاز أن يكون في حال شق إصلاح وفي حال أخرى شق إفساد، ففاطر السموات من الإصلاح لا غير، وقوله: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] من

= أي: بديع السماوت والأرض. ا.هـ. وذكر الأول أكثرهم. انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٥٥، و«الصحاح» ٢/ ٧٨١، (فطر)، و«تفسير الثعلبي» ص ١٧٦/أ، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٩٧، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٤١، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ١١، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٨.

(١) أبو الفضل العروضي: أحمد بن محمد بن عبد الله الصفار، إمام تقدمت ترجمته.

(٢) المنذري: محمد بن أبي جعفر المنذري، أبو الفضل الهروي، تقدمت ترجمته.

(٣) «تهذيب اللغة» ١٣/ ٣٢٦ (فطر).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٨.

(٥) أهل اللغة والتفسير على أن الفطر بمعنى الشق والخلق والإنشاء. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٧، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٤، و«الجمهرة» ٢/ ٧٥٥، و«المجمل» ٣/ ٧٢٣، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٥١٠، و«اللسان» ٦/ ٣٤٣٢ (فطر). وقال السمين في «الدر» ٤/ ٥٥٦: (الفطر: الشق مطلقًا، وقيده الواحدي بشق الشيء عند ابتدائه) ا.هـ. وأكثرهم قيده بذلك. انظر: «العين» ٧/ ٤١٧، و«تفسير غريب القرآن» ص ١/ ١٥١، والطبري في «تفسيره» ١/ ١٥٩، و«نزهة القلوب» ص٣٥٢، و«الصحاح» ٢/ ٧٨١، (فطر) «تفسير الماوردي» ٢/ ٩٨، و«النهاية» لابن الأثير ٣/ ٣٥٧.

الإفساد، وأصلهما واحد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ قال السدي: وهو يرزق ولا يُرْزَق.[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي ذلك وصارت ﴿أُمِرْتُ﴾[٣] بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: ﴿أُمِرْتُ﴾ أخبر أنه قيل له ذلك، فقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معطوف على ما قبله في المعنى؛ لأن معنى ﴿أُمِرْتُ﴾: قيل لي[٤]. والآية حجة على المشركين من جهة أن من يُطْعَم هذا العالم الذي فطره، ولا يُطْعَم لغناه عن كل شيء، فواجب أن يستنصر منه ويؤمل النفع منه لا من غيره[٥].

١٦- قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ وقرأ[٦] حمزة والكسائي ﴿يَصْرِفْ﴾ بفتح الياء وكسر الراء، وفاعل الصرف على هذه القراءة الضمير

---

(١) ذكر نحوه الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٣٣، والراغب في «المفردات» ص٦٤٠، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٦٩.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٥٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٧٠ بسند جيد.

(٣) (أمرت) ساقط من: (ش).

(٤) هذا قول الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٧٠، والطبري في «تفسيره» ٤/ ١٥٩، وذكره أكثر أهل التفسير. انظر: «غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٣٥٤، والزمخشري في «تفسيره» ٢/ ٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٢، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٤٣، و«زاد المسير» ٣/ ١١، و«التبيان» للعكبري ١/ ٣٢٦، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٧، و«البحر المحيط» ٤/ ٨٦، و«الدر المصون» ٤/ ٥٥٨.

(٥) هذا معنى قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٣٣.

(٦) قرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم (يَصْرِفْ) بفتح الياء وكسر الراء، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الراء. انظر: «السبعة» ص٢٥٤، و«المبسوط» ص١٦٦، و«التذكرة» ٢/ ٣٧٥، و«التيسير» ص ١٠١، و«النشر» ٢/ ٢٥٧.

العائد إلى ﴿رَبِّى﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾، على تقدير: من يصرف هو يومئذ عنه العذاب. وحجة هذه القراءة قوله فيما بعده: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، فلما كان ما بعده فعلًا مسندًا إلى ضمير اسم الله سبحانه، وجب أن يكون هذا أيضًا مسندًا إليه، ليتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير، والضمير العائد إلى العذاب محذوف، والمعنى: من يصرف عنه كما هو في قراءة أُبيّ (من يصرفه)[1] بإثبات الهاء، وليس حذف هذا الضمير بالسهل؛ لأن ﴿مَّن﴾ هاهنا جزاء وليس بموصول، فيحسن حذف العائد من الصلة، على أن الضمير إنما يحذف من الصلة إذا عاد إلى الموصول نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩] أي: بعثه واصطفاهم، ولا يعود الضمير المحذوف هاهنا إلى موصول ولا إلى ﴿مَّن﴾ التي للجزاء، إنما يرجع إلى العذاب من قوله: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، والذي يحمل عليه حذف هذا الضمير من يصرفه أنه لما كان في حيز الجزاء، وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز تسلطه على الموصول، فحسن حذف الهاء منه، كما حسن حذفها من الصلة.

ومن قرأ ﴿يُصْرَفْ﴾[2] فالمسند إليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره. ويقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ

---

(١) ذكرها أكثرهم، ففي «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٨٦: (من يصرفه عنه)، وفي «مختصر الشواذ» ص٤٢، و«الكشف» لمكي ١/ ٤٢٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٧، (من يصرفه الله عنه)، وفي «الكشاف» ٢/ ٩، و«البحر» ٤/ ٨٦، و«الدر المصون» ٤/ ٥٥٩، (من يصرف الله عنه)، وذكر ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٤٤، (من يصرفه الله عنه. وقيل: من يصرف الله عنه) ا.هـ.

(٢) أي بضم الياء وفتح الراء.

مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨]، ألا ترى أن الفعل بُني للمفعول به[١]. قال أهل المعاني في هذه الآية: (من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد أوجب الله له الرحمة بالثواب لا محالة، فذكر الرحمة مع صرف العذاب؛ لئلا يتوهم أنه ليس [له][٢] إلا صرف العذاب عنه فقط)[٣].

١٧- وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [إن][٤] قيل: إن المس من صفة الأجسام فكيف قال: ﴿يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾؟ والجواب: أنْ يقال: الباء في بالضر للتعدية، والباء والألف يتعاقبان في التعدية، والمعنى: إن أمسك ضرًا أي: جعله يمسك، فالفعل للضر، وإن كان في الظاهر قد أسند إلى اسم الله تعالى كما أنك إذا قلت: ذهب عمر وزيد، كان الذهاب فعلًا لزيد غير أن عمرًا[٥] هو المسبب له والحامل عليه. كذلك هاهنا المس للضر، والله تعالى جعله ماسًّا[٦].

---

(١) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٢٨٥- ٢٨٧، مع بعض التصرف والاختصار. وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٣٩، و«معاني القراءات» ١/ ٣٤٦، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٢، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٦، ولابن زنجلة ص٢٤٣، و«الكشف» ١/ ٤٢٥، و«الدر المصون» ٤/ ٥٥٩.

(٢) (له) ساقط من (ش).

(٣) لم أقف على من ذكر هذا المعنى. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ١٤٤، و«الفخر الرازي» ١٢/ ١٧٠.

(٤) (إن) ساقط من (ش).

(٥) في (أ): (أن عمروًا).

(٦) رجح أبو حيان في «البحر» ٤/ ٨٧، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٦٤، أن الباء هنا للتعدية، وذكر قول الواحدي «السمين»، وانظر: القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٨.

والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر ومرض[١] وزمانة، كما أن الخير جامع لكل ما ينتفع به الإنسان[٢].

١٨- وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ قال الليث: (القهر: الغلبة والأخذ من فوق، والله القاهر القهار، قهر[٣] خلقه بقدرته وسلطانه، فصيرهم على ما أراد طوعًا وكرهًا. يقال: أخذت الشيء قهرًا إذا أخذته دون رضا صاحبه). ومعنى ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ في صفة الله تعالى يعود إلى أنه القادر الذي لا يعجزه شيء[٤].

ومعنى ﴿فَوْقَ﴾ هاهنا أن قهره قد استعلى عليهم، فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار الذي لا ينفك منه أحد[٥].

---

(١) قال أهل اللغة: الضر، بالضم: سوء الحال، وبالفتح: ضد النفع. وبعضهم قال: هما لغتان. انظر: «العين» ٧/ ٦، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٨، و«الصحاح» ٢/ ٧١٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٦٠ «مجمل اللغة» ٢/ ٥٦١، و«المفردات» ص ٥٠٣، و«اللسان» ٥/ ٢٥٧٣ (ضر).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٩٦٠، و«الصحاح» ٢/ ٦٥١، و«مجمل اللغة» ٢/ ٣٠٨، و«المفردات» ص ٣٠٠، و«اللسان» ٣/ ١٣٠٠ (خير).

(٣) في النسخ: -وهو خلقه- وهو تحريف، والصواب ما أثبته من نص قول الليث في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٨، وانظر: «الجمهرة» ٣/ ٧٩٧، و«الصحاح» ٢/ ٨٠١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٥، و«المجمل» ٣/ ٧٣٦، و«المفردات» ص٦٨٧، و«اللسان» ٦/ ٣٧٦٤ (قهر).

(٤) انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٣٨، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص ٨٢، وص٥٢٥- ٥٣٠، و«المقصد الأسنى» للغزالي ص ٧٧، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص ٢٢٠، و«الحق الواضح المبين» للسعدي ص٧٥، و«شرح أسماء الله الحسنى» للقحطاني ص ١٢٨.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦١، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٧، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٩٩، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٤٧، والقرطبي ٦/ ٣٩٩. وما ذكره =

و﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ العالم بالشي. وتأويله: أنه العالم بما يصح أن يخبر به، والخبر[(١)] علمك بالشيء، تقول: لي به خبر، أي: علم، وأصله[(٢)] من الخبر؛ لأنه طريق من طرق العلم.

١٩- قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ الآية، قال المفسرون: (قال أهل مكة للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة، فإن اليهود والنصارى ينكرونك[(٣)]، فنزلت هذه الآية[(٤)].

قال أصحاب المعاني: (في هذه الآية دلالة أن (شيئًا) من أسماء الله[(٥)] ﷻ، وأنه يجوز أن يسمى شيئًا؛ لأن قوله: ﴿أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ﴾ جاء

= الواحدي مجاز وهو قول المؤولة الذين ينفون عن الله تعالى العلو الذي أثبته لنفسه، ومذهب أهل السنة والجماعة أن حقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره، فالحق أنه تعالى مستعل على كل شيء بذاته وقدرته وقهره. انظر: «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» ٢/ ٢٠٥- ٢١٧.

(١) جاء في «اللسان» ٤/ ١٠٩٠: (خِبر) بكسر الخاء وضمها: العلم بالشيء). وانظر: «العين» ٤/ ٢٥٨، و«الجمهرة» ١/ ٢٨٧، و«الصحاح» ٢/ ٦٤١، و«المجمل» ٢/ ٣١٠، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣٩، و«المفردات» ص٢٧٣ (خبر).

(٢) قال أبو علي الفارسي في «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٤٥ (الخبير عندنا من الخبر الذي يسمع؛ لأن معنى الخبير العالم) ا.هـ. وانظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٢٧، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص١/ ١٢٥، و«المقصد الأسنى» للغزالي ص٩٣، و«شرح أسماء الله الحسنى» ص٣٤٨.

(٣) في (ش): (ينكرون)، وهو تحريف.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٧، و«تفسير الثعلبي» ١٧٦ أ و«تفسير الماوردي» ٢/ ١٠٠، و«أسباب النزول» للواحدي ص٢١٦، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٣، و«تفسير الرازي» ١٢/ ١٧٥، وأكثرهم ذكره عن الكلبي، وبعضهم عن ابن عباس والحسن.

(٥) في (ش): (الله تعالى).

جوابه ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾[(١)]، ومعنى الشهادة البينة من طريق المشاهدة، ونظم هذه الآية مثل نظم قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأنعام: ١٢]، وقد ذكرناه[(٢)]. وقال مجاهد: (أمر أن يسأل قريشًا، ثم أمر أن يخبرهم فيقول: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾)[(٣)].

وقال أبو إسحاق: (أمر الله ﷻ نبيه بأن يحتج عليهم ويعلمهم أن شهادة الله ﷻ بأنه واحد، وإقامة البراهين في توحيده ونبوة نبيه أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له أنه رسول الله، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي :الله الذي اعترفتم بأنه خالق السموات والأرض والظلمات والنور)[(٤)].

---

(١) انظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٣٥٥- ٣٥٦، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٥٠، و«تفسير الرازي» ١٢/ ١٧٦، وقال البخاري في «صحيحه»، و«كتاب التوحيد»، باب ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾، وسمى الله تعالى نفسه شيئًا ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾) ا.هـ. وانظر: شرحه في «فتح الباري» ١٣/ ٤٠٢، وحكى الغزالي في «المقصد الأسنى» ص١٤٨، والرازي في «شرح أسماء الله الحسنى» ص٣٥٤، الاتفاق على ذلك.

(والظاهر أنه من باب الإخبار فيصح أن يخبر عنه بالشيء لكنه شيء كامل، ولا يقال شيء على سبيل الإطلاق فقط، فهو ليس من أسماء الله تعالى؛ لأنه لا بد أن تتضمن أسماء الله معاني حسنى، لكن يصح أن يخبر عن الله بأنه شيء، ولكن لا يدعى به ولا يسمى به): أفاده ابن تيمية في «الفتاوى» ٦/ ٧٣، وابن القيم في «بدائع الفوائد» ١/ ١٦٢، ومحمد بن صالح العثيمين في «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» ص١٠١.

(٢) جاء في النسخ (وقد ذكرنا) ثم صحح في أعلى السطر من (أ).

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٢، وأخرجه الطبري ٧/ ١٦٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٧١، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٢/ ٤٣، من طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٢.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٤.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾، هذا احتجاج للنبي ﷺ على من أنكر نبوته؛ لأنه لم يأت أحد بمثله في إخباره عما سيكون وكان حقًّا، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فعصمه حين لم يقتل مع تظاهر أعدائه عليه، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] ثم أظهر دين الإسلام على سائر الأديان، وقال لليهود -وكانوا أعز قوم في وقتهم-: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [البقرة: ٦١]، فهم أذلاء إلى يوم القيامة(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ قال ابن عباس: (يريد من أمتي إلى يوم القيامة)(٢).

قال الفراء: (والمعنى: ومن بلغه القرآن من بعدكم. و﴿بَلَغَ﴾: صلة لمن، ونصبت ﴿مَن﴾ بالإنذار)(٣)، والعائد إلى الموصول محذوف(٤)، كقولك: الذي رأيت زيد، ومن ضربت عمرو، وقد مرَّ قبيل، والعلماء على أن من بلغته آية من كتاب الله فهو ممن بلغته الدعوة(٥).

---

(١) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٣٤.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٢٠، بلا نسبة، وأخرج الطبري ٧/ ١٦٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٧١، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٤ بسند جيد عنه في الآية قال: (يعني أهل مكة ومن بلغه هذا القرآن فهو له نذير) ا.هـ.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٢٩.

(٤) هذا قول الجمهور والتقدير: ولأنذر الذي بلغه القرآن، حذف العائد لاستعمال العرب ذلك ولدلالة الكلام عليه. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٣، و«إعراب النحاس» ٢/ ٥٨، و«المشكل» ١/ ٢٤٧، ابن عطية ٥/ ١٥١، و«البحر» ٤/ ٩١، و«الدر المصون» ٤/ ٥٦٨.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٣، والبغوي ٣/ ١٣٣، وابن كثير ٢/ ١٤٢.

وكان مجاهد يقول: (حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير)، ثم يقرأ هذه الآية[١].

وقال القرظي[٢]: (من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ وسمع منه)[٣]. وقال النحاس[٤]: ([و][٥] فيه قول آخر: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: [و][٦] من احتلم)[٧]، فلا يكون إضمار الهاء. والعلماء[٨] والمفسرون على القول الأول [وهو منفرد بهذا القول[٩]].

وقوله تعالى: ﴿[أَئِنَّكُمْ][١٠] لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ هذا استفهام معناه الجحد والإنكار.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٣، بسند ضعيف، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٦ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٣.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧١ من طرق يقوي بعضها بعضًا، وهو في «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣١، عن محمد بن كعب. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٣.

(٤) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، أبو جعفر المصري المشهور بالنحاس.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٧) «معاني النحاس» ٢/ ٤٠٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٣٩، و«القطع والائتناف» ١/ ٢٢١، وذكر هذا القول مكي في «المشكل» ١/ ٢٤٧، وابن عطية ٥/ ١٥٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩٩.

(٨) انظر: الطبري ١٦٣١٧، والسمرقندي ١/ ٤٧٧، والماوردي ١/ ٥١٤، والرازي ١٢/ ١٧٨، و«البحر» ٤/ ٩١.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(١٠) جاء في النسخ (قل أئنكم) بزيادة قل، وهو تحريف.

وقال الفراء: (ولم يقل أُخر؛ لأنَّ الآلهة جمع، والجمع يقع عليه التأنيث، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١]، ولم يقل: الأول، ولا الأولين؛ وكل ذلك صواب)[١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ إلى آخر الآية، قال العلماء: (المستحب لمن أسلم ابتداء أنْ يأتي بالشهادتين، ويتبرأ من كل دين سوى دين الإسلام)[٢].

ونص الشافعي على استحباب ضم التبرؤ إلى الشهادة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ عقيب أمره نبيه ﷺ بالتوحيد[٣].

٢٠- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، نصف هذه الآية مفسر في سورة البقرة، والنصف الثاني مفسر في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: يعرفونه بالنبوة والصدق، بما يجدونه[٤] مكتوبًا عندهم في صفته ونعته، والمراد بهؤلاء الذين يعرفونه: اليهود والنصارى، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: التوراة والإنجيل، وهذا قول ابن

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٢٩، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٣، و«البحر المحيط» ٤/ ٩٢.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ١٧٩، و«الخازن» ٢/ ١٢٥.

(٣) ذكره في «روضة الطالبين» ٧/ ٣٠١، عن الشافعي، وزاد: (وقال في موضع: إذا أتى بالشهادتين صار مسلمًا، وليس هذا باختلاف قول عند جمهور الأصحاب، بل يختلف الحال باختلاف الكفار وعقائدهم) ا.هـ.
وانظر: «المغني» لابن قدامة ١٢/ ٢٨٨- ٢٩١، و«نيل الأوطار» ٧/ ٢٣٠-٢٣٥.

(٤) في (أ): (لما يجدونه).

عباس[١] والحسن[٢] وقتادة[٣] وابن جريج والسدي[٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قال الزجاج: (﴿ٱلَّذِينَ﴾ يجوز أن يكون رفعًا على نعت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وجائز أن يكون على الابتداء، ويكون ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره، قال: والأشبه أن يعنى بالذين خسروا أنفسهم أهل الكتاب، وجائز أن يُعنى به جملة الكفار)[٥].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٩، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ١٥٨.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ١٠٠، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٠.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٠٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧٢ بسند جيد.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٦٤، من طرق جيدة عن قتادة وابن جريج والسدي. وهذا هو قول الجمهور ورجحه أكثرهم. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٢٩، و«النحاس» ٢/ ٤٠٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٤، والزمخشري ٢/ ١٠، وابن الجوزي في «تفسيره» ١٢/ ١٤، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٧٩، وبعضهم حمله على العموم أي يعرفون التوحيد والقرآن ونبوة محمد ﷺ. وهو اختيار الطبري ٧/ ١٦٤، وابن كثير ٢/ ١٤٣، وأفاد ابن عطية ٥/ ١٥٤، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٧٠، صحة عودة الضمير على الكل دون تخصيص، كأنه قيل: يعرفون ما ذكرنا وقصصنا. وانظر: الماوردي ٢/ ١٠٠، و«البحر» ٤/ ٩٢.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٥، ومثله ذكر النحاس في «إعرابه» ١/ ٥٣٩، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٧٩، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٠، ورجح الطبري ٧/ ١٦٤، الوجه الأول، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٧٠، الوجه الثاني، وانظر: «المشكل» ١/ ٢٤٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٥٥، و«التبيان» ١/ ٣٢٧، و«الفريد» ٢/ ١٣٣، و«البحر» ٤/ ٩٣، وأفاد أبو حيان والسمين (أن الفاء في قوله ﴿فَهُمْ﴾ على الوجه الأول لعطف جملة اسمية على مثلها، والمراد بالذين خسروا أهل الكتاب خاصة، وعلى الوجه الثاني الفاء رابطة لما عرف من شبه الموصول بالشرط، والمراد بالذين خسروا جملة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم).

٢١- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابن عباس: (ومن أكفر ممن اختلق على الله كذبًا فأشرك به الآلهة)[١].

وقال أهل المعاني: (هذا استفهام معناه الجحد، أي: لا أحد أظلم منه؛ لأن جوابه كذلك، فاكتفى من الجواب بما يدل عليه، والمراد بالمفتري على الله الكذب الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾[٢] [الأعراف: ٢٨].

وقوله تعالى ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: (يعني القرآن ومحمدًا)[٣]. وقال أصحاب المعاني: (المكذّب بآيات الله الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوة محمد ﷺ كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن ومعجزاته)[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد لا يسعد من جحد بربوبية ربه وكذب رسله)[٥].

وقال أهل المعاني: (معنى ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: لا يظفر بطلبه من النجاة في آخرته، ومن لم يظفر بالنجاة هلك بالعذاب)[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٩-١٠، نحوه.

(٢) انظر: الطبري ٧/ ١٦٥، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٧٨، و«المشكل» ١/ ٢٤٧، و«البيان» ١/ ٣١٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٥، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٥٦.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٥، و«القرطبي» ٦/ ٤٠١، و«تفسير الخازن» ٢/ ١٢٥.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١.

(٦) الفلاح في اللغة: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير. انظر: «العين» ٣/ ٢٣٣، و«الجمهرة» ١/ ٥٥٥، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٢٦، و«الصحاح» ١/ ٣٩٢، =

والمراد بالظالمين الذين وصفوا بالافتراء على الله والتكذيب بآياته، بين أنهم ظالمون لأنفسهم بإهلاكهم إياها.

٢٢- وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ محذوف على معنى: واذكر يوم نحشرهم. وقيل[١]: (إنه معطوف على محذوف، كأنه قيل: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أبدًا ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾).

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ اختلفوا في وجه هذا السؤال فقال مقاتل: (إن المشركين في الآخرة لما رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: إذا سئلتم فقولوا: إنا موحدون، فلما جمعهم الله قال [لهم][٢]: (﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾)[٣]، فعلى هذا إنما سئلوا ليعلموا أن الله تعالى يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا، وأنه لا ينفعهم الكتمان.

وقال غيره من المفسرين: (إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، فقيل لهم يوم القيامة: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

= و«المجمل» ٣/ ٧٠٥، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٥٠، و«المفردات» ص٦٤٤، و«اللسان» ٢/ ٥٤٧ (فلح).

(١) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٥، وعليه يكون الكلام متصلا، وقال الكرماني في «غرائبه» ١/ ٣٥٦: (هذا قول غريب)، وأكثرهم على أن قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ كلام مستأنف.

وانظر: «القطع والائتناف» ١/ ٢٢١، و«المكتفي» للداني ص ٢٤٨، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٥٦، و«التبيان» ١/ ٣٢٧، و«الفريد» ٢/ ١٣٣، و«البحر» ٤/ ٩٤، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧١.

(٢) لفظ: (لهم) ساقط من (ش).

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٥.

أنها تشفع لكم)، فكأن معنى هذا السؤال التوبيخ[١]؛ لأنه سؤال في وقت الحاجة إلى الإغاثة عمن كان يدعي أنه يغيث، وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنهم اتخذوها وافتعلوها من عند أنفسهم، ومعنى ﴿تَزْعُمُونَ﴾: تكذبون[٢].

قال ابن عباس: (وكل زعم في كتاب الله كذب)[٣]. والعائد إلى الموصول من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ محذوف، والتقدير ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شفعاء، فحذف مفعول الزعم، لدلالة الكلام، وإحالة[٤] السؤال عليه[٥].

٢٣- وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾[٦] قرئ ﴿يَكُنْ﴾ بالياء والتاء، و(فتنتهم) رفعًا ونصبًا[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٥، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٧٨، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٦، والقرطبي ٦/ ٤٠١.

(٢) الزَّعْم: القول من غير صحة ولا يقين، وقال الراغب في «المفردات» ص٣٨٠ (الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به ا.هـ. وانظر: «العين» ١/ ٣٦٤، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٣٢، و«الصحاح» ٥/ ١٩٤١، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٠، و«اللسان» ٣/ ١٨٣٤ (زعم).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٨١، والقرطبي ٦/ ٤٠١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٩٤.

(٤) في (ش): (وحاله)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٣٥٦، و«التبيان» ١/ ٣٢٧، و«الفريد» ٢/ ١٣٣، و«البحر» ٤/ ٩٤، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٢.

(٦) في (أ): (ثم لم يكن فتنتهم) قرئ (تكن) الأولى بالياء والثاني بالتاء.

(٧) قرأ حمزة والكسائي (يكن) بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث، وقرأ ابن عامر وابن كثير وحفص عن عاصم (فتنتهم) برفع التاء، وقرأ الباقون =

وجملة القول في هذا أنه يجوز تذكير الفتنة؛ لأنه بمعنى الافتتان، ويجوز تأنيث ﴿أَن قَالُواْ﴾ لوجهين: أحدهما: أنه بمعنى المقالة، والثاني: أن قوله: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ هو الفتنة في المعنى؛ لأن ذلك القول هو فتنتهم، فإذا أسند الكون إليه جاز تأنيثه، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأنث الأمثال وواحدها مثل، حيث كانت الأمثال هاهنا في المعنى[١] الحسنات، ومثل هذا في الشعر قول لبيد:

مـنـهُ إذا هِـيَ عَـرَّدَتْ إقْـدامُـهـا[٢]

فأنث الإقدام لما كان[٣] العادة في المعنى، وإذا كانت الفتنة مؤنثة وجاز تذكيرها، وإن قالوا: مذكر وجاز تأنيثه، وهما[٤] معرفتان، كان لك

= بالنصب. انظر: «السبعة» ص ٢٥٤- ٢٥٥، و«المبسوط» ص ١٦٧، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٥، و«التيسير» ص١٠١- ١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٧

(١) في (ش): (في معنى).

(٢) «ديوان لبيد بن ربيعة» ص ١٧٠، و«جمهرة أشعار العرب» ١٣٢، و«الخصائص» ٢/ ٤١٥، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٣٠٥، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٩٧، و«الإنصاف» ٢/ ٦٢٠، و«اللسان» ٥/ ٢٨٧٢ (عرد)، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٣، وصدره:

قـمـضـى وقـدمـهـا كـانـت عـادة

وقوله: قمضى أي: حمار الوحشي، وقدمها أي: الآتان، وعردت: حادث عن الطريق، وأصل التعريد: الفرار، وإقدامها: تقدمها.

والشاهد: وكانت عادة إقدامها، حيث أنث كانت مع أن المسند إليه إقدمها، وهو مذكر؛ لأنه ذهب إلى تأنيث العادة، أو لأن الإقدام بمعنى التقدمة. انظر: «شرح القصائد» للنحاس ١/ ٣٩٢.

(٣) لفظ: (لما كان)، مكرر في (أ).

(٤) انظر: «الكتاب» ١/ ٥١.

أن تقرأ ﴿يَكُن﴾ بالتاء والياء، وتجعل أيهما شئت من الفتنة. و﴿أَن قَالُواْ﴾ الاسم أو الخبر، إلا أن الاختيار قرأه من جعل ﴿أَن قَالُواْ﴾ الاسم دون الخبر؛ لأن ﴿أَن﴾ إذا وصلت بالفعل لم توصف، فأشبهت بامتناع وصفها المضمر، فكما أن المضمر إذا كان مع المظهر كان أن يكون الاسم أحسن، كقولك: كنت القائم، كذلك إذا كانت (أن) مع اسم غيرها كانت أن يكون الاسم أولى(١).

واختلفوا في معنى الفتنة هاهنا، فالأكثرون على أن معناه: ثم لم يكن جوابهم، وذلك لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار(٢) إلا هذا القول، وهذا قول أبي العالية والقرظي(٣) واختيار عبد الله بن مسلم(٤). قال أبو العالية: ﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾: مقالتهم، وقال القرظي: (إجابتهم)، وقال قتادة(٥): ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن﴾ معذرتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾، وهذا راجع إلى معنى الجواب، وروي هذا

---

(١) هذا معنى قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٢٨٨- ٢٩٠.
وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١٥/ ١٨٨، و«معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣٥، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٦٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٤٠، و«معاني القراءات» ١/ ٣٤٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٣، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٦، ولابن زنجلة ص٢٤٣، و«الكشف» ١/ ٤٢٦، و«المشكل» ١/ ٢٤٨، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٢.

(٢) في (ش): (الاختيار) بالياء، وهو تصحيف.

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٩٥ عن أبي العالية ومحمد بن كعب القرظي.

(٤) «تفسير غريب القرآن» ص١٥٢، و«تأويل مشكل القرآن» ص٤٧٢.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٧، من طرق جيدة، وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٦، والطبري في «تفسيره» بسند جيد عنه قال: (مقالتهم).

القول عن ابن عباس، [ثم قال][١]: ﴿لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ (يعني معذرتهم حين يسألون عن آلهتهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾)[٢].

وقال أبو إسحاق: (تأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك، وذلك أن الله تعالى ذكر في هذه الأقاصيص التي جرت [من][٣] أمر المشركين، وأنهم مفتنون بشركهم، ثم أعلم أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرأوا منه وانتفوا منه، فحلفوا[٤] أنهم ما كانوا مشركين. قال: ومثل ذلك أن ترى إنسانًا يحب غاويًا فإذا وقع في هلكة بسببه تبرأ منه، فيقال له: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه)[٥].

فالفتنة هاهنا بمعنى: الشرك والافتتان بالأوثان، ويؤيد هذا الوجه ما روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ قال: (يريد شركهم في الدنيا)[٦] وهذا القول في التأويل راجع إلى حذف المضاف؛ لأن المعنى: لم تكن عاقبة فتنتهم إلا البراءة، ومثله قولك: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتفيت منه، أي: عاقبة محبتك[٧].

---

(١) (ثم قال): ساقط من (ش)، ولعل الصواب: قال.

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير: ٨/ ٢٨٦ «الفتح». في تفسير سورة الأنعام. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٧٣ بسند ضعيف، وفي رواية أخرى ضعيفة قال: (حجتهم). وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٦ بسند ضعيف عنه قال: (قولهم)، وفي أخرى ضعيفة قال: (كلامهم).

(٣) (لفظ): (من) ساقط من (أ).

(٤) في (ش): (فحلوا)، وهو تحريف.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٥- ٢٣٦.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٨٢، وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٤: (أي: لم تكن عاقبة شركهم إلا أن تبرأوا منه وأنكروه) اهـ.

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ١٨٢.

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ فقرئ ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب والخفض[١]، فمن خفض جعل الاسم المضاف وصفًا للمفرد، كقولك: رأيت زيدًا صاحبنا، وبكرًا جاركم؛ ومن نصب جعله منادى مضافًا، وفصل به بين القسم والمقسم عليه، والفصل بالنداء كثير في كلامهم، وذلك لكثرة النداء في الكلام، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨]. والمعنى: آتيتهم أموالاً ليضلوا فلا يؤمنوا، ففصل بالمنادي بين فعله ومفعوله[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤] قال قتادة: (باعتذارهم بالباطل)[٣].

وقال عطاء: (بجحد شركهم في الآخرة)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ عطف على قوله: ﴿ٱنظُرْ﴾ تقديره: وكيف، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٥] بعبادته من الأجسام والأوثان فلم

---

(١) قرأ حمزة والكسائي (ربنا) بنصب الباء، والباقون بجرها.
انظر: «السبعة» ص٢٥٥، و«المبسوط» ص١٦٧، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٦، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٧.

(٢) هذا معنى قول الفارسي في «الحجة» ٣/ ٢٩١، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٠، والأخفش ٢/ ٢٧٠، والزجاج ٢/ ٢٣٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٤١، و«معاني القراءات» ١/ ٣٤٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٣، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٧. ولابن زنجلة ص٢٤٤، و«الكشف» ١/ ٤٢٧، و«التبيان» ١/ ٣٢٨، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٤.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٨، بسند جيد.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢.

(٥) أكثرهم على أن (وضل عنهم) معطوف على جملة (كذبوا)، فيكون داخلًا في حيز النظر، ويجوز أن يكون استئنافًا فلا يندرج في حيز المنظور إليه. انظر: الرازي =

تغن عنهم شيئًا، وذلك أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم.

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ قال المفسرون[١]: (إن نفرًا من مشركي مكة -منهم النضر بن الحارث[٢] وغيره- جلسوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، فأنزل الله هذه الآية)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾، الأكنة: جمع كنان، وهو ما وقى شيئًا وستره، مثل عنان وأعنة[٤].

قال الليث: (كل شيء وقي شيئًا فهو كِنانة وكِنَّة، والفعل من ذلك كننتُ وأكننت)[٥]. وأنشد أبو عبيدة لعمر بن أبي ربيعة:

= في «تفسيره» ١٢/ ١٨٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٢، و«البحر» ٤/ ٩٦، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٥.

(١) انظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٦٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٥ .

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، شيطان قريش وصاحب لواء المشركين ببدر، مشرك مجاهر بالعداوة والأذي لرسول الله ﷺ. قتل في بدر سنة ٢هـ. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٢/ ٢٨٦، و«جوامع السير» ص٥٢، ١٤٧- ١٤٨، و«الكامل» لابن الأثير ٢/ ٤١٤، و«الأعلام» ٨/ ٣٣.

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٣٣٧، ٣٣٨، و«وتفسير الثعلبي» ١٧٦/أ، والماوردي ٢/ ١٠٣، و«الزمخشري» ٢/ ١١. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٧، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٨، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٨٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٩٧ عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٦، عن الكلبي.

(٤) انظر: «العين» ٥/ ٢٨١، و«المجمل» ٣/ ٧٦٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٢٣، و«المفردات» ص٤٤٢ (كن).

(٥) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٦ (كن).

أَيــنــا بـــاتَ لـيـلـــةً بَـيْـنَ غُـصْـنَـيـنِ يُـؤبَـلُ[١]
تَـحــتَ عَـيْـنِ كِـنَـــانُ[٢] ظِـــلُّ بُـــرْدٍ مُــرَحَّـــلُ

يعني: غطاهم الذي يكنهم[٣]. فأما ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ فقال[٤] الزجاج: (موضع ﴿أَن﴾ نصب على أنه مفعول له، والمعنى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ لكراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، فلما حذفت اللام نصبت الكراهة، ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى ﴿أَن﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، قال ابن السكيت: (الوقر[٦]: الثقل في الأذن، يقال: قد وقرت أذنه توقر، فهي موقورة. ويقال: اللهم قِر أذنه، ويقال أيضًا: قد وقرت أذنه توقر وقرًا)[٧].

وأنشد الزجاج[٨]:

(١) ليس في ديوانه، وهما في «اللسان» ٧/ ٣٩٤٣، (كنن) وبلا نسبة في «الجمهرة» ١/ ١٦٦، والبيت الأخير في «الصحاح» ٦/ ٢١٨٨، و«تاج العروس» ١٨/ ٤٨٤، وبلا نسبة في «تفسير الطبري» ٧/ ١٦٩.

(٢) في (ش): (كناننا)، وهي رواية أكثرهم.

(٣) «مجاز القرآن» ٨/ ١٨٨.

(٤) في (ش): (قال).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٦، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٤١، و«البيان» ١/ ٣١٧، و«التبيان» ١/ ٣٢٨، و«الفريد» ٢/ ١٣٥، و«البحر» ٤/ ٩٧، و«الدر المصون» ٤/ ٥٧٧.

(٦) قال الطبري ٧/ ١٧٠: (الوقر عند العرب بفتح الواو: الثقل في الأذن، وبكسرها: الحمل) ا.هـ انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٩، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٢، و«الجمهرة» ٢/ ٧٩٦، و«الصحاح» ٢/ ٨٤٨، و«المجمل» ٣/ ٩٣٣، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٣٢، و«المفردات» ص٨٨٠، و«اللسان» ٨/ ٤٨٨٩، (وقر).

(٧) «إصلاح المنطق» ص٣-٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣١ (وقر).

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٧.

وَكَـلَامٍ سَـيِّـئٍ قَـدْ وُقِـرَتْ أُذُنِـي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمْ[(١)]

فأما التفسير فقال ابن عباس: (﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ (يعني القرآن، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ غطاء كي لا يعوه)[(٢)].

وقال السدي: (يعني الغطاء يكن قلوبهم فلا يعرفون الحق)[(٣)].

وقال الحسن: (﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لئلا يقبلوه، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، أي: لا يقبلون عن الله تعالى)[(٤)].

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ قال ابن عباس: (صممًا)[(٥)].

وقال الضحاك: (ثقلًا)[(٦)].

وقال قتادة: (يسمعون[(٧)] بآذانهم فلا يفقهون منه شيئًا، كمثل البهيمة تسمع القول ولا تدري ما يقال[(٨)] لها)[(٩)].

قال أبو إسحاق: (وإنما فعل بهم[(١٠)] ذلك مجازاة لهم بإقامتهم على

---

(١) الشاهد للمثقب العبدي في «ديوانه» ص٢٣٠، و«المفضليات» ص٢٩٤، وبلا نسبة في «العين» ٥/ ٢٠٦، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٢، و«الصاحبي» ص ٤٣٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٦٢، وابن الجوزي ٣/ ١٩.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١١، نحوه.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٦٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧٥ بسند جيد.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١١، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣.

(٧) في (أ): (يستمعون).

(٨) في (ش): (ما يقول).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢٠٩، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٧٦، بسند جيد.

(١٠) في (ش): (وإنما فعل ذلك بهم).

كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يسمعوا ولم يفقهوا، ولكنهم[(١)] حرموا الانتفاع به لما عدلوا عنه وحرفوا فكرهم عما عليهم[(٢)] في سوء العاقبة، فكانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع). قال أصحابنا: (وهذه الآية دلالة صريحة على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح[(٣)] بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا يفقه صاحبه كلام الله تعالى ولا يؤمن، كما جعل على قلوب القدرية أكنة فلم يفقهوا آيات القدر، كما لم يفقه قلوب المشركين الإيمان)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد كل عبرة)[(٥)].

---

(١) في (ش): (ولكن حرموا).

(٢) كذا في النسخ، ومثله عند ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٩، وعند الزجاج ٢/ ٢٣٧ (عماهم عليه).

(٣) في (ش): (فيشرح الصدر للهدى).

(٤) انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤١٠، و«تفسير البغوي» ٥/ ١٦٣، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٦٣، والرازي ١٢/ ١٨٦، و«البحر» ٤/ ٩٧.

وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٤، في تفسير الآية:

(هذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والنفرة والإعراض معها سمعًا لا عقلًا، والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنة والوقر فهو موجب ذلك مقتضاه، فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرها بموجبها ومقتضاها، وبكل حال فتلك النفرة والإعراض والبغض من أفعالهم وهي مجعولة لله سبحانه، كما أن الرأفة والرحمة وميل الأفئدة إلى بيته هو من أفعالهم، والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإرادتها واعتقادتها، فذلك كله مجعول مخلوق له، وإن كان العبد فاعلًا له باختياره وإرادته) ا.هـ.

(٥) ذكر الرازي ١٢/ ١٨٧، عن ابن عباس في الآية قال: (وإن يروا كل دليل وحجة) ا.هـ.

وقال الزجاج: (أي: علامة تدلهم على نبوتك)(١).

﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ قال ابن عباس: (لا يصدقوا بها؛ وذلك لأن الله تعالى جعل على قلوبهم أكنة)(٢).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ إلى آخر الآية، فصل آخر متصل بما قبله، والمعنى: إن حالهم في البعد عن الإيمان ما ذكره الله تعالى من منعهم وصدهم عن تصديق محمد، حتى إذا جاؤوه مجادلين إياه فيقول من كفر منهم لما يسمع من القرآن: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، قال الزجاج: (أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم لا يعارضون ما احتج به عليهم من الحق، حيث قيل لهم: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] إلا بأن يقولوا: هذا أساطير الأولين، ويقولون: ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [المؤمنون: ٣٨](٣).

فأما معني الأساطير وتفسيرها: فأصلها من السطر، وهو أن يجعل شيئًا ممتدًا مؤلفًا، ومن ذلك سطر الكتاب وسطر من شجر مغروس ونحو ذلك(٤).

قال ابن السكيت: (يقال: سَطْر، وسَطَر فمن قال: سَطْر فجمعه في القليل أَسْطر والكثير سُطُور، ومن قال: سَطَر جَمَعَه أسطارًا)(٥). ثم أساطير

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٧.

(٢) ذكره الرازي ١٢/ ١٨٧.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٧، والنحاس ٢/ ٤١٠، و«تفسير الرازي» ١٢/ ١٨٨.

(٤) انظر: «العين» ٧/ ٢١٠، و«الجمهرة» ٢/ ٧١٣، ١١٩٣، و«الصحاح» ٢/ ٦٨٤، و«المجمل» ٢/ ٤٦٠، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٧٢، و«المفردات» ص٤٠٩ (سطر).

(٥) «إصلاح المنطق» ص٩٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٨٣، وأفاد أكثرهم: (أن سطر بسكون الطاء جمعه في القلة أسطر وفي الكثرة سطور، وبفتح الطاء جمعه =

جمع الجمع، قاله اللحياني. [قال][(١)]: (وواحد الأساطير أسطور وأسطورة وأسطير وأسطيرة إلى العشرة، ثم أساطير جمع الجمع)[(٢)].

واختار الزجاج أن يكون واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث، قال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: ٥][(٣)]، وهو قول أبي عبيدة[(٤)]، وذهب الأخفش[(٥)] وأبو زيد[(٦)] إلى أنه لا واحد لها مثل عباديد[(٧)] وأبابيل[(٨)]، قال أبو زيد: (لا أرى الأساطير إلا من الجمع الذي لا واحد له مثل عباديد، ولا يكون هذا المثال إلا جمعًا)[(٩)].

= أسطار؛ لأن فعل بالسكون يجمع في القلة على أفعل وبالفتح على أفعال).
انظر: «البيان» ١/ ٣١٧، و«التبيان» ٣٢٨، و«الفريد» ٢/ ١٣٥، و«البحر» ٤/ ٩٨.

(١) (قال) ساقط من (ش).

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٨٣، وليس فيه -أسطيرة- وهي في «اللسان» ٤/ ٢٠٠٧ (سطر) عن اللحياني.

(٣) «معاني الزجاج» ٤/ ٥٨، انظر: ٢/ ٢٣٧.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ١٨٩.

(٥) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٢.

(٦) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري أبو زيد البصري، تقدمت ترجمته.

(٧) في (أ): (عناديد)، ولم أقف عليها، والذي في أكثر المراجع (عباديد)، والعباديد لا واحد لها من لفظها، وهي الفرق من الناس والخيل الذاهبين في كل وجه. والعباديد أيضًا: الأكام والطرق البعيدة. انظر: «القاموس» ص٢٩٦، (عبد).

(٨) الأبابيل جمع لا واحد له، وقيل: جمع إبيل وإبول، وهي الفرق والجماعات المتفرقة والفرق التي يتبع بعضها بعضًا. انظر: «اللسان» ١/ ١١ (أبل).

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٨٨، وهو نص كلام الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٧٢، وحكاه ابن دريد في «الجمهرة» ٣/ ١٢٧١ عن الأصمعي، وأكثرهم على أن أساطير جمع أسطورة، ويحتمل أنه جمع أسطارة أو أسطار. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٧١، و«نزهة القلوب» ص٧١، و«إعراب =

ومعنى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره الأولون[١].

قال ابن عباس: (أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها، أي: يكتبونها)[٢].

فأما قول[٣] من فسر الأساطير بالتُّرَّهات[٤] والبسابس[٥] فهو معنى وليس بتفسير، وتفسيره ما ذكرنا[٦]. ولما كانت أساطير الأولين مثل حديث رستم[٧] وإسفنديار[٨] كلامًا لا فائدة فيه ولا طائل تحته فسرت أساطير الأولين هاهنا بالتُّرَّهات والبسابس[٩].

= النحاس» ١/ ٥٤١، و«الألفات» لابن خالويه ص٧٦، و«العضديات» ص٥٥ و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦١٠، و«المشكل»١/ ٢٤٨، و«عمدة الحفاظ» ص٢٤١، و«تاج العروس» ٦/ ٥٢٠ (سطر).

(١) انظر: «غريب القرآن» ص٢٤٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧١ بسند جيد.

(٣) هذا قول أبي عبيدة في «المجاز» ١/ ١٨٩، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٩.

(٤) التُّرَّهات بالضم وفتح الراء المشددة جمع ترهة: وهي الأباطيل، وفي الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٣٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٢٩، و«اللسان» ١/ ٤٣١ (تره).

(٥) البَسَابس، بالفتح: الباطل، ويقال: ترهاتُ البسابسِ، بالإضافة. انظر: الصحاح ٣/ ٩٠٩، واللسان ١/ ٢٨٢ (بسس).

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٠٤، وقال الرازي ١٢/ ١٨٨ (الأول قول الجمهور وتفسيرها بالترهات معنى وليس بتفسير) ا.هـ. بتصرف.

(٧) رستم الشديد بن دستان بن بريمان من ملوك الفرس. انظر أخباره في: «تاريخ الطبري» ١/ ٥٠٤، و«الروض الأنف» ٢/ ٥٢، و«الكامل في التاريخ» ١/ ١٣٧.

(٨) إسفنديار بن بشتاسب: من ملوك الفرس. انظر أخباره في: «تاريخ الطبري» ١/ ٥٦٢، و«الروض الأنف» ٢/ ٥٢، و«الكامل في التاريخ» ١/ ١٥٤.

(٩) أفاد أكثرهم: (أن النضر بن الحارث صاحب أسفار وقصص، فسمع بالحيرة وغيرها قصص الأعاجم وأحاديث رستم واسفنديار، وكان يحدث بها ويقول: =

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني: المشركين ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ؛ عن ابن عباس[١] والحسن[٢] والسدي[٣]، فالكناية على هذا تعود إلى النبي ﷺ، وكذلك في ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يتباعدون عنه فلا يؤمنون به، وهو قول الكلبي[٤] قال: ينهون عن محمد ﷺ من سألهم عنه[٥] أن يقربوه ويتبعوه)، ونحو هذا قال الضحاك[٦] ومحمد بن الحنفية[٧].

وقال قتادة[٨] ومجاهد[٩]: (ينهون عن القرآن ويتباعدون عن سماعه

= أنا أحسن حديثًا من محمد، أحاديثه أساطير الأولين).
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٣٢٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٩، وابن عطية ٥/ ١٦٤، والقرطبي ٦/ ٤٠٥.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧١ بسند جيد، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥.
(٢) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٢١، والماوردي ٢/ ١٠٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٥.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧١ بسند جيد.
(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥.
(٥) لفظ: (من سألهم عنه) ساقط من (ش).
(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٧٦ ب، والواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٦، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٦٥، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢١.
(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧١، بسند ضعيف، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥.
(٨) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٥، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٢، من طرق جيدة عنه، قال: (ينهون عنه القرآن وعن النبي ﷺ ويتباعدون عنه) ا.هـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦.
(٩) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٢ بسند جيد، عن مجاهد وابن زيد، وهو اختيار الرازي ١٢/ ١٨٩.

لئلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته).

والنأي: البعد، ويقال: نأى ينأى إذا بعد، وأنأيته إذا أبعدته، ويقال أيضاً[(١)]: نأيته بمعنى نأيت عنه[(٢)]، وأنشد المبرد:

أعـاذِلُ إنْ يُـصْـبِـح صـداي بِـقَـفْـرةٍ
بَـعِـيـدًا نـآنِـي زائِـري وَقَـرِيـبـي[(٣)]

بمعنى نأى عني. وحكى الليث: (نأيت الشيء أي أبعدته، وأنشد:

إذا مـا الـتـقـيـنـا سـالَ مِـنْ عَـبَـرَاتِـنـا
شـآبِـيـبُ يُـنْـأى سَـيْـلُـهـا بـالأصـابِـعِ[(٤)]

أي: يُنحى ويبعد)[(٥)].

---

(١) لفظ: (أيضًا) ساقط من (أ).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٩، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٣، و«غريب القرآن» ص١٥٢، و«الجمهرة» ١/ ٢٤٩، و«نزهة القلوب» ص٤٨٧، و«المفردات» ص٨٣٠ (نأى).

(٣) الشاهد للنمر بن تولب العكلي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٦١، و«الكامل» للمبرد ١/ ٤٧٩، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٧٥، و«اللسان» ٧/ ٤٣١٤ (نأى)، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٢.
والصدى هنا ما يبقى وهو جسده الملقى والشاهد: نآني: أصله نأى عني، أي: بعد، فأخرجه مخرج المتعدي، قال المبرد ١/ ٤٨٢- ٤٨٣: (وقوله: «نآني» أي: أبعدني، والأحسن أنآنى لأن الوجه في فَعَل أفْعَلته، وهو المطرد، ويكون نآني: نأى عني) ا.هـ. بتصرف.

(٤) لم أقف على قائله وهو في: «العين» ٨/ ٣٩٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩٩، و«المجمل» ٣/ ٨٥١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٧٧، و«اللسان» ٧/ ٤٣١٤ (نأى)، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٢.

(٥) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٧٥.

وقال عطاء[(١)(٢)] ومقاتل: (نزلت في أبي طالب، كان ينهى قريشًا عن أذى النبي ﷺ، ويتباعد عنه فلا يتبعه على دينه)[(٣)].

قال الزجاج: (والقول الأول أشبه بالمعنى؛ لأن الكلام متصلٌ بذكر جماعة أهل الكتاب والمشركين)[(٤)]، والقول الثاني عدول عن الظاهر، وما

---

(١) عطاء هنا هو: عطاء بن دينار الهذلي مولاهم أبو الريان المصري، إمام مفسر صدوق، أخذ صحيفة في التفسير عن سعيد بن جبير ولم يسمع منه. توفي سنة ١٢٦هـ.
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٣٢، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٦٩، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ١٠٠، و«تقريب التهذيب» (٤٥٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٣ بسند جيد، عن عطاء بن دينار الهذلي.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٥، وهذا قول جماعة منهم سعيد بن جبير وعمر بن دينار والقاسم بن مخيمرة كما في «الوسيط» ١/ ٢٥، و«الدر المنثور» ٣/ ١٥، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٧، وقال: (رواه الطبراني عن ابن عباس، وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة وغيره، وضعفه يحيى بن معين وغيره) ا.هـ. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣١٥، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٨ من طريق واحد عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الحاكم: (حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وعليه يكون هذا تمثيلًا، وهو داخل في جملة الكفار، ولعل الرواية عن ابن عباس لا تصح؛ لأن السند فيه عبد الله بن منده الأصبهاني رواه عن بكر بن بكار القيسي، وبكر ضعيف كما في «لسان الميزان» ٢/ ٤٨٥، وابن منده ضعفه بعضهم، ولم يسمع من بكر كما يظهر من «الجرح والتعديل» ٨/ ١٠٨، و«اللسان» ٥/ ٧٠، ولأن روايته بسند منقطع أقوى، فقد أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» ص١٠٦، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٦، والطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٣، والحاكم ٢/ ٣١٥، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٤٠، من طرق صحيحة عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥.

(٤) معاني الزجاج ٢/ ٢٣٨- ٢٣٩، وهو الأظهر والأشبه بالمعنى واختيار الجمهور.

يقتضيه الكلام الأول، والوجه أن يقال: أبو طالب من هؤلاء الذين ذكرهم الله[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد بتماديهم في معصية الله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكون أنفسهم ويذهبونها إلى النار بما يرتكبون من المعاصي)[(٢)].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الآية. قال أصحاب العربية: (المراد بقوله: ﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ الاستقبال، وإن كان بلفظ المضي؛ لأن هذه القصة كائنة، ولما تكن بعد، وجاز لفظ المضي؛ لأن كل ما هو كائن يومًا مما لم يكن بعد، فكأنه عند الله ﷻ قد كان، لسبق علمه ونفوذ قضائه وقدره به؛ إذ علمه موجب لكونه لا محالة)[(٣)]. وأنشدوا في مثل هذا النظم[(٤)]:

= انظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٣، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٠، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٤٤.

(١) انظر: ابن عطية ٥/ ١٦٦، و«البحر» ٤/ ١٠٠.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩٠، وانظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٢.

(٣) انظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٢، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٧٤، و«الأضداد» لابن الأنباري ص١١٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٧، و«المغني» لابن هشام ١/ ٨١، ٩٥، وقال ابن فارس في الصاحبي ص١٩٦: (إذ تكون للماضي ... فأما قوله جل ثنائه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فـ (ترى) مستقبل وإذ للماضي، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله جل ثناؤه قد كان؛ لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ، فهو كائن لا محالة، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب) ا.هـ. ملخصًا.

(٤) لم أعرف قائله، وهو في: «الصاحبي» ص١٩٦، و«المجمل» ١/ ١٧٠، =

سَتَنْدم إِذْ يَأْتِي عَلَيْكَ رَعِيلُنَا ... بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلُه

فوضع إذ في موضع إذا. وقد[1] يوضع إذا في موضع إذ كقول الشاعر[2]:

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيبًا ... سَقَيْتُ إِذا تَعَرَّضَتِ[3] النُّجُومُ

وقد سبق لهذا[4] نظائر[5].

وقوله تعالى: ﴿وُقِفُواْ﴾. يقال: وقفته[6] وقفًا فوقف وقوفًا، كما يقال: رجعته رجعًا فرجع رجوعًا[7].

= و«مقاييس اللغة» ١/ ٤١١، والرعيل: القطعة المتقدمة من الخيل، والأرعن: الجيش العظيم، والجرار: الثقيل السير لكثرته، والصواهل: شدة الصوت والصيال.

(١) انظر: «الأضداد» لقطرب ص١٥٠، و«المدخل» للحدادي ص٥٧٥.

(٢) البيت: لبرج بن مسهر الطائي في «مجاز القرآن» ١/ ٢١، والطبري في «تفسيره» ١/ ٥٨، و«اللسان» ٧/ ٤٣٨٦، (ندم)، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ١/ ٢٨٠، وبلا نسبة في «الأضداد» لقطرب ص١٥٢، ولابن الأنباري ص١٩٩، و«الصاحبي» ص١٩٧، و«المدخل» للحدادي ص٥٧٦، و«المغني» لابن هشام ١/ ٩٥.

(٣) جاء في (أ): علامة ضرب على (تعرضت)، ولعلها تحريف عن تغورت كما في جميع المراجع السابقة، ويروى (سقيت وقد تَغَوَّرَت). وندمان: أي نديم: وتغورت أي غارت، وتعرضت: أي أبدت عرضها للمغيب.

(٤) في (ش): (سبق لها نظائر).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «العين» ٥/ ٢٢٣، و«الجمهرة» ٢/ ٩٦٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٧، و«الصحاح» ٤/ ١٤٤٠، و«المجمل» ٣/ ٩٣٤، و«المفردات» ص٨٨١، و«اللسان» ٨/ ٤٨٩٨ (وقف).

(٧) الفعل (وقف) متعدٍّ ولازم، وفرق بينهما بالمصدر اللازم وقوف على فعول ومصدر المتعدي وقف على فعل، وسمع في المتعدي أوقف، يقال: أوقفت عن الأمر =

قال أبو إسحاق: (ومعنى ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه: جائز أن يكون عاينوها، وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم. قال: والأجود أن يكون معنى: ﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها. كما تقول في الكلام: قد وقفت على ما عند فلان، تريد: قد فهمته وتبينته)[١]، هذا كلامه.

وشرح هذا أن قوله: (جائز أن يكون عاينوها) معناه: (أنهم وقفوا عندها وهم يعاينونها، فهم موقوفون على أن يدخلوا النار، وقوله: (وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم) معناه: أنهم وقفوا فوق النار على الصراط، وهو جسر بين ظهري جهنم، والوجه الثالث معناه: أنهم عرفوا حقيقتها تعريفًا من قولك: وقفت فلانا على كلام فلان، أي: علمته معناه وعرفته. وجماعة يقولون ﴿عَلَى﴾ هاهنا بمنزلة[٢] (في)، والمعنى: وقفوا في النار، كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] -أي في ملك[٣].

= إذا أقلعت عنه. انظر: «إعراب النحاس» ٢/ ٦١، و«التبيان» ص٣٢٨، و«الفريد» ٢/ ١٣٦، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٤.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٩.

(٢) قال ابن هشام في «المغني» ١/ ١٤٤، والسيوطي في «الاتقاق» ١/ ٢١٤: (على) تكون ظرفية كـ (في) نحو قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥] أي في حين) ا.هـ.

(٣) هذا قول الطبري ٧/ ١٧٤، البغوي ٣/ ١٣٧، ضعفه السمين في «الدر» ٤/ ٥٨٤، والظاهر أن ﴿عَلَى﴾ -على بابها، أي: حبسوا عليها. والنار طبقات فيصح معنى الاستعلاء، وهذا هو قول الجمهور. انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤١٢، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٧٩، و«تفسير الماوردي» ٢/ ١٠٥، و«الكشاف» ٢/ ١٢، وابن عطية ٥/ ١٦٨ وابن الجوزي ٣/ ٢٢، والرازي ١٢/ ١٩١، والقرطبي ٦/ ٤٠٨، و«البحر» ٤/ ١٠١، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٤.

قال أبو إسحاق: (والإمالة[١] في ﴿ٱلنَّارِ﴾ حسنة جيدة؛ لأن ما بعد الألف مكسور[٢]، وهو حرف كأنه مكرر في اللسان، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يقتضي ﴿لَوْ﴾ جوابًا، وقد حذف؛ تفخيمًا للأمر وتعظيمًا، وجاز حذفه لعلم المخاطب بما يقتضي. وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر، ولو قدرت الجواب كان على تقدير: لرأيت سوء منقلبهم أو لرأيت أسوأ حال[٤]. ومن هذا قول امرئ القيس[٥]:

فَلَوْ أنها نَفْسٌ تَمُوتُ سويةً ولكنَّها نَفْسٌ تَساقَطُ أَنْفُسا[٦]

ولم يقل: لفنيت ولا لاستراحت[٧]، وكذلك قول جرير:

---

(١) الأمالة لغة فصيحة صحيحة، وهي تقريب الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء، وهي مذهب لبعض القراء كما في «السبعة» ص١٤٩، و«المبسوط» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٣٠، وانظر: «التكملة» للفارسي ص٥٢٧، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٥٢، ص٦٣، و«المشكل» ١/ ١٦٨.

(٢) في (أ): (مكسورة).

(٣) معاني الزجاج ٢/ ٢٣٩، وانظر: ١/ ١٢٣، و«معاني الأخفش» ١/ ٣٩.

(٤) حذف جواب (لو)، لدلالة المعنى عليه جائز فصيح، وهو أبلغ في التخويف؛ لأن السامع يترك مع غاية تخيله، ولو صرح له بالجواب وطّن نفسه عليه. انظر: «الكتاب» ٣/ ١٠٣، و«البغوي» في «تفسيره» ٣/ ١٣٧، وابن عطية ٥/ ١٦٧، و«البحر» ٤/ ١٠١، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٢.

(٥) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو الكندي شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٦) «ديوانه» ص٨٧، و«سر صناعة الإعراب» ص/ ٦٤٨، و«اللسان» ٢/ ٦٧٩، (جمع) و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٣، وفي المراجع -جميعة بدل سوية- والمعنى. أنه مريض لا تخرج نفسه مرة ولكنها تموت شيئًا بعد شيء.

(٧) في النسخ: (ولا لاسترحت).

كَذَبَ العَوَاذِلُ لَوْ رَأَينَ مُنَاخَنَا بَحزِيزِ رَامَةَ والمَطِيُّ سَوَامِي[(١)]

ولم يقل: لرأين ما يشجيهن ويسخن أعينهن.

قال أبو الفتح الموصلي[(٢)]: (ذهب أصحابنا إلى أن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره، ألا ترى أنك إذا قلت لغلامك: والله لئن قمت إليك، وسكتَّ عن الجواب، ذهب تفكره[(٣)] إلى أنواع المكروه من الضرب والقتل والكسر وغير ذلك، فتمثلت في فكره أنواع العقوبات، وتكاثرت عليه، وعظمت الحال في نفسه، ولم يدر أيها يتقي. ولو قلت: والله لئن قمت إليك لأضربنك. فأتيت بالجواب، لم يتق شيئًا غير الضرب، ولا خطر بباله نوع من المكروه سواه، وكان ذلك دون حذف الجواب؛ لأنه يوطن نفسه على المتوعّد به في الجواب إذا عرفه، ومن وطن نفسه على شيء هان. ألا ترى قول كثير[(٤)]:

فَقُلْتُ لها: يا عَزَّ كُلُّ مُلمةٍ إذا وُطِنَتْ يومًا لها النَّفسُ ذلَّتِ[(٥)]

---

(١) «ديوان جرير» ص٥٤٢، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٨، و«الدر المصون» ٤/ ٢٨٣، الحزيز: المكان الغليظ، وهو اسم لعدة أماكن في بلاد العرب. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٥٦، وفيه ذكر البيت وصدره عنده:

ولقد نظرت فرد نظرتك الهوى

والسوامي: الرافعة أبصارها وأعناقها.

(٢) عثمان بن جني النحوي اللغوي إمام مشهور، تقدمت ترجمته.

(٣) في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٩ (وذهب بفكره).

(٤) «ديوان كثير عزة» ص٥٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١١، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٣، وفيها: مصيبة بدل ملمة، وقد جاء ملمة في بعض نسخ «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٩.

(٥) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٩، بتصرف يسير، وانظر: «معاني الأخفش» ١/ ١٣٦، و«المدخل» للحدادي ص٢٣٩.

وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف القراء في قوله: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ و﴿وَنَكُونَ﴾ فقرئ رفعًا ونصبًا[١].

وللرفع وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفًا على ﴿نُرَدُّ﴾ ﴿ولا نُكَذِّبُ﴾، ﴿وَنَكُونَ﴾ داخلا في التمني دخول ﴿نُرَدُّ﴾ فيه، فعلى هذا قد تمنوا الرد، وأن لا يكذبوا، والكون من المؤمنين. [و][٢] الوجه الثاني: أن تقطع ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ وما بعده من الأول، فيكون التقدير على هذا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ ونحن ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ضمنوا أنهم لا يكذبون، والمعنى: يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أو لم نردّ: ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي قد: عاينا وشاهدنا ما لا نكذب معه أبدًا.

قال سيبويه: (هو على قولك: فإنا لا نكذّب كما تقول: دعني ولا أعود، أي: فإني ممّن لا يعود، فإنما[٣] يسألك الترك، وقد أوجب على نفسه أن لا يعود، تُرك أو لم يُترك، ولم يُرد أن يسألك أن يجمع له الترك وأن لا يعود)[٤].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم: ﴿نُكَذِّبَ﴾ -﴿وَنَكُونَ﴾ بنصب الباء والنون فيهما، وقرأ الباقون بالرفع فيهما، وقرأ ابن عامر ﴿نُكَذِّبُ﴾ بالرفع و﴿نَكُونَ﴾ بالنصب.
انظر: «السبعة» ص٢٥٥، و«المبسوط» ١٦٧، و«التذكرة» ٢/ ٢٩٦، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٧.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٣) في (أ): (وإنما).

(٤) «الكتاب» ٣/ ٤٤، وزاد فيه: (الرفع على وجهين: فأحدهما أن يشرك الآخر الأول، والآخر على قولك: دعني ...) ا.هـ.

والوجهان ذكرهما الزجاج[1]، وشرح أبو علي[2] كما حكيت.

والوجه الثاني أقواهما[3] وهو أن يكون[4] الرد داخلا في التمني، ويكون ما بعده إخبارًا عنهم أنهم قالوا ذلك على ما بينا. وذلك لأن الله تعالى كذبهم في الآية الثانية فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وهذا يدل على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم ولم يتمنوه[5]؛ لأن التمني لا يقع فيه الكذب، إنما يقع في الخبر دون التمني. وهذا اختيار أبي عمرو[6]، وهو استدل بقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] على خروج التكذيب والكون من التمني[7]. ومن قرأ ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾، ﴿وَنَكُونَ﴾ نصبا، قال الزجاج: (نصب على الجواب بالواو في التمني، كما تقول: ليتك تصير إلينا ونكرمك، والمعنى: ليت مصيرك يقع وإكرامنا، ويكون المعنى: ليت ردّنا

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٩، والوجهان ذكرهما أكثرهم. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٤٢، و«التذكرة» لابن غلبون ٢/ ٣٩٦، و«البيان» ١/ ٣١٨، وابن عطية ٥/ ١٦٨.

(٢) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٩٣.

(٣) وهو اختيار الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٧٣، و«الطبري» في «تفسيره» ٧/ ١٧٥-١٧٦، و«النحاس في معانيه» ٢/ ٢٧٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٣٧، وانظر: «الخاطريات» لابن جني ص١٣٢، و«المحتسب» ١/ ٢٥٢.

(٤) في (أ): (وأن لا يكون) وكأن لا ملحقة وعليها علامة تصحيح، ولعله تحريف من الناسخ؛ لأن سياق الكلام يرده.

(٥) في (ش): (ولم يتمنوا).

(٦) أبو عمرو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري، تقدمت ترجمته.

(٧) ذكره عنه أكثرهم. انظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٩٣، و«الكشف» ١/ ٤٢٨، و«المشكل» ١/ ٢٤٩، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٠٩، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٧.

وقع وأن لا نكذب)[١].

قال ابن الأنباري: (في نصب ﴿نُكَذِّبَ﴾ وجهان، أحدهما: أن تكون الواو مبدلة من الفاء، والتقدير: يا ليتنا نُرد فلا نكذب ونكون، فتكون الواو هاهنا بمنزلة الفاء في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]، يؤكد هذا الوجه ما روي أن ابن مسعود وابن أبي إسحاق[٢] كانا يقرآن (فلا نكذب) بالفاء منصوبًا[٣]. قال: والوجه الآخر في نصب ﴿نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ الصرف[٤] ومعناه الحال، أي يا ليتنا نرد غير مكذبين، كما تقول العرب[٥]: لا نأكل السمك ونشرب اللبن، أي: لا يأكل السمك شاربًا للبن)[٦].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٣٩- ٢٤٠.

(٢) ابن أبي إسحاق: عبد الله بن زيد بن الحارث الحضرمي أبو بحر البصري، تقدمت ترجمته.

(٣) ذكر قراءة ابن مسعود أكثرهم. انظر: الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٥، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٤٢، والحجة لابن خالويه ص١٣٨، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٦٨- ١٦٩، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩٢، والقرطبي، و«البحر» ٤/ ١٠٢، وذكرها السمين في «الدر» ٤/ ٥٩٠، عن ابن مسعود، وابن أبي إسحاق، وحكى أكثرهم عن ابن أبي إسحاق أنه يقرأ: (نكذب ونكون) بالنصب بلا فاء. انظر: «الكتاب» ٣/ ٤٤، و«طبقات ابن سلام» ١/ ١٩- ٢٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٤٢، و«طبقات الزبيدي» ص٣٣.

(٤) يسمي الكوفيون هذه (الواو) واو الصرف؛ إرشادًا بصرفه عن سنن الكلام إلى أنها غير عاطفة، وشرط هذه الواو أن يتقدمها نفي أو طلب. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣- ٣٤، ٢٣٥، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٥٥، و«المغني» لابن هشام ٢/ ٣٦١.

(٥) انظر: «الكتاب» ٣/ ٤٢.

(٦) ذكره السمين في «الدر» ٤/ ٥٩٠، وقال الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٧٦: (المعروف من كلام العرب النصب على الجواب بالفاء والصرف بالواو)، ونحوه قال ثعلب كما في «معاني القراءات» ١/ ٣٤٩، وانظر: «المدخل» للحدادي ص٣٣٣.

وشرح أبو علي كلام أبي إسحاق في هذه القراءة، فقال: (من نصب ﴿نُكَذِّبَ﴾ ﴿وَنَكُونَ﴾ أدخل ذلك في التمني؛ لأن التمني غير موجب، فهو كالاستفهام والأمر والنهي والعرض في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها الفاء على تقدير ذكر مصدر الفعل الأول، كأنه في التمثيل: يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب وكون من المؤمنين)(١)، فإن قيل على هذه القراءة: كيف أكذبهم الله، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، والتمني لا يدخله الكذب؟ قال ابن الأنباري: (أكذبهم في معنى التمني؛ لأنْ تمنيهم رجع إلى معنى نحن لا نكذب إذا رددنا، فغلّب ﷺ تأويل الكلام، فأكذبهم ولم يستعمل لفظ التمني؛ لأن القائل إذا قال: ليت لي مالًا فأتصدق به، يريد أنا أتصدق بالمال إذا وجدته وقدرت عليه، فمتى كذب أو صدق في حال التمني؛ فلأن الكلام راجع إلى معنى الإخبار)(٢).

وكان ابن عامر يرفع ﴿ولا نُكَذِّبُ﴾ وينصب ﴿وَنَكُونَ﴾، وقد ذكرنا

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٩٤، وانظر: «المسائل المنثورة» ص١٤٩، وهذا قول أكثر البصريين، انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤١٣، و«الجمل» للزجاجي ص١٩٤، و«المشكل» ١/ ٢٥٠، و«البيان» ١/ ٣١٨، و«الفريد» ٢/ ١٣٧، و«الدر المصون» ٤/ ٥٨٧- ٥٩٠.

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٤، و«السمين في الدر» ٤/ ٥٨٨ مختصرًا وأكثرهم قال: (إن القول بأن التمني لا يدخله الكذب ليس بقوي؛ لأن هذا تمن تضمن معنى العدة، فجاز أن يدخله التكذيب، أو يكون قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ إخبار عن سجية الكفار وحكاية عن حالهم في الدنيا، فلا يدخل الكذب في التمني). قال السمين في «الدر» ٤/ ٥٨٦: (هذان الجوابان واضحان، وثانيهما أوضح) ا.هـ. وانظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٩٤، و«الكشاف» ٢/ ١٣، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٦٨-١٦٩، الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩١-١٩٢، و«الفريد» ٢/ ١٣٨، و«البحر» ٤/ ١٠٢.

وجهين في رفع ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾، وذكرنا وجه من قرأ بالنصب فيهما، فيحتمل أن ابن عامر أدخل ﴿ولا نُكَذِّبُ﴾ [في التمني](١)، وإن كان رفعًا على ما بينا والكون داخل فيه إذا نصب، ويحتمل أنه أراد الإخبار في ﴿ولا نُكَذِّبُ﴾، وأدخل الكون في التمني(٢).

٢٨- قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ معنى ﴿بَلْ﴾ هاهنا رد لكلامهم وإضراب عن توهم صحة عزيمتهم على الإنابة التي كان(٣) تمني الرجعة لأجلها، يقول الله تعالى -ليس على ما قالوا-: ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾، فلذلك اعتذروا وتمنوا الرد، أي: إنما اعتذروا حين افتضحوا(٤). واختلفوا في معني: ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾، فقال أبو روق: إن المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر وذلك حين ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾)(٥)، وعلى هذا أهل التفسير(٦). وحكى عن المبرد أنه قال: (بدا لهم وباله وسوء عاقبته، وكأن كفرهم لم يكن باديًا لهم إذ خفي مضرته، وهذا كما تقول لمن وقع فيما

---

(١) لفظ: (في التمني) ساقط من (أ).

(٢) انظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٤٩، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٨، ولأبي علي الفارسي ٣/ ٢٩٣، ولابن زنجلة ص٢٤٥، و«الكشف» ١/ ٤٢٧، و«المشكل» ١/ ٢٤٩.

(٣) في (أ): (كانت يتمنى).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٧٦- ١٧٧.

(٥) ذكره الثعلبي ١٧٦ ب، والرازي ١٢/ ١٩٣، والقرطبي ٦/ ٤١٠، و«البحر» ٤/ ١٠٣.

(٦) انظر: الطبري ٧/ ١٧٦- ١٧٧، السمرقندي ١/ ٤٨٠، الرازي ١٢/ ١٩٣.

كنت حذرته قبل ظهر لك الآن ما قلت لك، وقد كان ظاهرًا له ذلك القول قبل هذا)[١]. وقال الزجاج: (بدا للأتباع ما أخفاه الرؤساء عنهم من أمر البعث والنشور، قال: لأن المتصل بهذا: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٢]، وهذا قول الحسن قال: (بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض)[٣]، وكل هذا بمعنى: ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت أستارهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ قال ابن عباس: (يريد إلى ما نهوا عنه من الشرك)[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي ص١٧٦ ب، والبغوي ٣/ ١٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٣، و«القرطبي» ٦/ ٤١٠، وابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٥- ١٤٦.

(٢) «معني الزجاج» ٢/ ٢٤٠، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤١٤.

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ١٠٦، وابن عطية ٥/ ١٧٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٣، والرازي ١٢/ ١٩٤، والقرطبي ٦/ ٤١٠، و«البحر» ٤/ ١٠٣.

(٤) قال الرازي ١٢/ ١٩٤: (اللفظ محتمل لوجوه كثيرة، والمقصود منها بأسرها أنه ظهرت فضيحتهم في الآخرة وانتهكت أستارهم) ا.هـ. ومعنى الآية -والله أعلم-: ظهرت في الآخرة فضيحتهم وعاقبة أعمالهم وما كانوا يخفون من علمهم أنهم على باطل وأن الرسل على حق، فعاينوا ذلك عيانًا بعد أن كانوا يخفونه ويتواصون بإخفائه. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٤٢، و«الكشاف» ٢/ ١٣، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٤٥، وابن كثير ٢/ ١٤٤-١٤٥.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٤، وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٧٩ بسند جيد عنه قال: (أخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى فقال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾) ا.هـ. وفي «الدر المثور» ٣/ ١٦، قال: (أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال: (أي لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا) ا.هـ.

قال أبو إسحاق: (المعنى: إن أكثر أهل الكتاب والمشركين عاندوا بعد أن علموا أن أمر الله حق[١]، فركنوا إلى الرفاهية، وأن الشيء متأخر عنهم إلى أمدٍ، كما فعل إبليس الذي قد شاهد من براهين الله ما لا غاية بعده، فأعلم الله ﷻ أن هؤلاء لو ردوا لعادوا كما أنهم كفروا في الدنيا بعد قيام الدليل ووجوب الحجة عليهم)[٢].

وهذه الآية من الأدلة الظاهرة على تكذيب القدرية، وذلك أن الله تعالى أخبر عن قوم جرى عليهم قضاؤه في الأزل بالشرك، فقال: لو أنهم شاهدوا النار والحساب وسألوا الرجعة وردوا، لعادوا إلى الشرك، وذلك للقضاء السابق فيهم، وإلا فالعاقل لا يكاد يرتاب فيما شاهد[٣].

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ كان ابن زيد[٤] يقول: (هذا عطف على قوله: ﴿لَعَادُواْ﴾، والمعنى: لعادوا إلى الشرك، لقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا، وأنكروا البعث)[٥]. والآخرون: (على أن هذا ابتداء، إخبار عنهم أنهم كذلك كانوا يقولون في الدنيا)[٦].

---

(١) في (أ): (أن الأمر لله حق).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٠، انظر: الطبري ٧/ ١٧٦- ١٧٧، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٤ «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٦.

(٣) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٤، وأبو حيان ٤/ ١٠٤، عن الواحدي.

(٤) ابن زيد: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ١٧٧، ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٠، بسند جيد، وذكره أكثرهم، وهو ظاهر كلام الزمخشري ٢/ ١٣، و«البيضاوي» ١/ ١٣٦، وقال القرطبي ٦/ ٤١١،: (يحمل هذا على المعاند ... أو على أن الله يلبس عليهم بعد ما عرفوا، وهذا شائع في العقل) ا.هـ.

(٦) هذا قول الجمهور واختيار الطبري ٧/ ١٧٧، والجمع بينهما حسن، فيقال: لما كان ديدنهم في الدنيا هو التكذيب بالآخرة الذي كانوا يعبرون عنه بتلك المقولة: =

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾ ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] إلا وجهًا واحدًا، وهو أن المعنى هاهنا: عرفوا ربهم ضرورة كما تقول: وقفته على كلام فلان، أي: عرفته إياه[(١)].

وقال أصحاب المعاني في هذه الآية: (وقفوا على مسألة[(٢)] ربهم لتقريرهم بما فيه توبيخ لهم على ما سلف من جحودهم، فخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده، لما في ذلك من البلاغة بإخراج المعنى على ما جرت به العادة)[(٣)].

= ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ فإنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى ديدنهم ذلك ولقالوا نفس المقولة.

انظر: ابن عطية ٥-١٧٢-١٧٣، الرازي ١٢/ ١٩٤، و«الفريد» ٢/ ١٣٨، و«البحر» ٤/ ١٠٥، و«الدر المصون» ٤/ ٥٩٢.

(١) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٦، وفيه نظر؛ لأنه تحصيل حاصل والكفار يعرفون ربهم ويقرون بوجوده. وإنما ينكرون توحيد العبادة حيث يعبدون مع الله غيره، فالأولى حمل الآية على ظاهرها، أي: حبسوا على الله تعالى في الآخرة للفصل والقضاء، وأن هذا حق وليس باطلًا كما يظنون. قال السمرقندي ١/ ٤٨٠: (أي: عرضوا وسيقوا وحبسوا عند ربهم وعند عذابه) ا.هـ. وقال ابن كثير ٢/ ١٤٥: (أي: أوقفوا بين يديه) ا.هـ.

(٢) أكثرهم على أن المعنى: (حبسوا على ربهم، أي: على حكم الله وقضائه فيهم ومسألته).

انظر: الطبري ٧/ ١٧٨، والبغوي ٣/ ١٣٨، وابن عطية ٥/ ١٧٣، والقرطبي ٦/ ٤١١.

(٣) انظر: «الكشاف» ٢/ ١٣، والرازي ١٢/ ١٩٦، و«الفريد» ٢/ ١٣٩، و«البحر» ٤/ ١٠٥، و«الدر المصون» ٤/ ٥٩٤، و«البيضاوي» ١/ ١٣٦.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾، أي: هذا البعث، فيقرون حين لا ينفعهم ذلك، ويقولون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾، فيقول الله تعالى[١]: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، وخص لفظ الذوق[٢]؛ لأنهم في كل حال يجدونه وجدان الذائق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا إلى حال من يشم الطعام في نقصان الإدراك. وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٠] أي: بكفركم[٣].

٣١- قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ الآية. قال أصحاب المعاني: (إنما وصفوا بالخسران؛ لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم في ذلك البيع؛ لأنهم خسروا أنفسهم بإهلاكها بالعذاب، وأعظم الخسران في العمل هلاك النفس، كما أن أعظم الخسران في التجارة ذهاب رأس المال)[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: (يريد بالبعث والثواب والعقاب والمصير إليه)[٥]، وقد أحكمنا شرح هذا عند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، وقال بعضهم: (المعنى ها هنا كذبوا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٧٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٠، والبغوي ٣/ ١٣٨.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٠٢، و«المفردات» ص٣٣٢، و«اللسان» ٣/ ١٥٢٧ (ذوق) وقال بعضهم: (الذوق في العذاب استعارة بليغة، والمعنى: باشروه مباشرة الذائق، إذ هي أشد المباشرات). انظر: ابن عطية ٦/ ٢٥، والرازي ١٢/ ١٩٦، و«البحر» ٤/ ١٠٦.

(٣) انظر: الطبري ٧/ ١٧٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٠، و«الدر المصون» ٤/ ٥٩٥.

(٤) انظر نحوه في: الطبري ٧/ ١٧٩، و«المفردات» ص٢٨١ (خسر)، والبغوي ٣/ ١٣٨، وابن عطية ٥/ ١٧٥، و«البحر» ٤/ ١٠٦.

(٥) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٣ نحوه، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٧ بلا نسبة، وهو قول أكثرهم. انظر: الطبري ٧/ ١٧٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٠، والبغوي ٣/ ١٣٨، وابن الجوزي/ ٣/ ٢٤، الرازي ١٢/ ١٩٧.

بلقاء جزاء الله، إلا أنه قحم اللقاء بإضافته إلى الله، وهذا كما يُقال للميت: لقي فلان عمله، أي: لقي جزاء عمله)[١].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾، معنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنا بيان أن منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة، والمعنى: كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة[٢]، والمراد بالساعة[٣]: القيامة، وقيل: (يوم القيامة الساعة؛ لسرعة الحساب للجزاء فيها، كأنه قيل: ما هي إلا ساعة الحساب للجزاء حتى يجعل أهل المنزلين في منازلهم من الجنة والنار)، هذا قول بعض أهل المعاني[٤].

---

(١) ذكر أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢٦ نحوه قال في الآية: (المعنى بالبعث يقوي ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٣١] أي: ملاقو ثواب ربهم وملاقو جزائه إن ثوابًا وإن عقابًا)، وذكر نحوه أكثرهم.
انظر: «الكشاف» ٢/ ١٣، وابن عطية ٥/ ١٧٥، والقرطبي ٦/ ٤١١، و«البحر» ٤/ ١٠٦.
وهذا التقدير في الآية محتمل، وإن قصد به نفي الرؤية فهو مردود، والأولى حمل الآية على ظاهرها وعدم صرفها عنه.

(٢) وعلى هذا تكون حتى غاية لكذبوا، والمعنى: منتهى تكذيبهم الحسرة، ولا يجوز أن تكون غاية لخسر؛ لأن خسرانهم لا غاية له، أفاده أكثرهم. انظر: «الكشاف» ٢/ ١٣، والرازي ١٢/ ١٩٧، و«الفريد» ٢/ ١٣٩، و«البحر» ٤/ ١٠٦، البيضاوي ١/ ١٣٦.

(٣) هذا قول أكثرهم. انظر: الطبري ٧/ ١٧٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٠، والبغوي ٣/ ١٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٤.

(٤) هذا قول الراغب في «المفردات» ص٤٣٤، والقرطبي ٦/ ٤١٢، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٦، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٩٥، و«عمدة الحفاظ» ص٢٥٤.

وقال غيره: (الساعة[١]: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة)[٢]، وهذا القول أصح. ألا ترى أنه قال: ﴿بَغْتَةً﴾ والبغت والبغتة[٣]: الفجأة.

قال ابن عباس: (يريد أن الساعة لا يعلمها أحد إلا هو)[٤]- يعني: أنها تأتي فجأة- لأنه لا يعلم أحد متى إبانها فينتظرها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَحَسْرَتَنَا﴾ قال الزجاج[٥] وابن الأنباري[٦]: (معنى دعاء الحسرة: تنبيه الناس على ما وقع بهم من الحسرة، والعرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم يقع فيه جعلته نداء، كقوله تعالى: ﴿يَحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]، و﴿يَحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ

---

(١) جاء في (أ): تكرار لفظ: (الساعة).

(٢) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٧، وابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢١٥١ (سوع) والقاسمي في تفسيره ٦/ ٢٢٨٥، والأقوال متقاربة. قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٤٦، ٣/ ٢١٤: (الساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم). وانظر الرازي ١٢/ ١٩٧، والخازن ٢/ ١٢٨.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣، الطبري ٧/ ١٧٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٤١، ٣/ ١٣١، الزاهر ٢/ ٥، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٤، و«اللسان» ١/ ٣١٧ (بغت).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أطال الزجاج في تقرير هذا الوجه في مواضع من معانيه ٣/ ٣٥٤، ٤/ ٢٨٤، وقال: (معنى الحسرة: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى حسرًا، والفائدة من مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل؛ لأن النداء باب تنبيه، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبها، إذا قال القائل: يا حسرتاه ويا ويلاه فتأويل الحسرة والويل قد حلا به، وإنهما لازمان له غير مفارقين). وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٤- ٨١٥.

(٦) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في مظانه.

اللَّهِ﴾[1] [الزمر: ٥٦]، و﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾[2] [هود: ٧٢]، وهذا أبلغ من أن يقول: الحسرة علينا في تفريطنا)[3]، ومثله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]؛ تأويله: يا أيها الناس تنبهوا على ما وقع في زمان الأسف، فوقع النداء على غير المنادي في الحقيقة؛ لاتساع العرب في مجازها[4]، وهذا كقولهم: لا أريتك هاهنا، وقع النهي على غير المنهي في الحقيقة.

وقال سيبويه: (إنك إذا قلت: يا عجباه[5]، فكأنك قلت: احضر وتعالى يا عجب، فإنه من أزمانك، وتأويل يا حسرتاه: انتبهوا على أنّا قد خسرنا)[6]، فقد حصل للنداء هاهنا تأويلان أحدهما: أنّ النداء للحسرة، والمراد به تنبيه المخاطبين على قول الزجاج وأبي بكر، وعلى قول سيبويه دُعيت الحسرة على معنى أن هذا وقتك فتعالي[7].

---

(١) في النسخ: (يا حسرتا ..)، وهو تحريف.

(٢) في النسخ: (يا ويلتا ..)، وهو تحريف.

(٣) معاني الزجاج ٢/ ٢٤١.

(٤) هذا من كلام الواحدي، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩٧، انظر: «معاني الزجاج» ٣/ ٢٣٥.

(٥) جاء في (أ): (يا عجبا).

(٦) النص عند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٤١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٥، والرازي في «تفسيره» ١٢/ ١٩٨، و«الفريد» للهمذاني ٢/ ١٤٠، وقال سيبويه في «الكتاب» ٢/ ٢١٧: (وقالوا: يا للعجب لما رأوا عجبًا؛ كأنه يقول: تعال يا عجب، فإنه من أيامك وزمانك) ا.هـ ملخصًا. وانظر: «معاني الفراء» ٢/ ٤٢١، و«معاني الأخفش» ١/ ٢٠٤، و«المقتضب» للمبرد ٤/ ٢٠٢- ٢٠٣.

(٧) والظاهر أن الجميع مراد في ذلك، فنداء الحسرة للتنبيه وتعظيم الأمر وتشنيعه، وكأنه يقول: اقربي واحضري فهذا وقتك وزمانك، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه وهو المقصود بنداء ما لا يعقل. وهذا ظاهر كلام أكثرهم. انظر: المدخل للحدادي ص٥٨٨، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٣٨، ابن =

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ قال أبو عبيد: (يقال: فرطت في الشيء، أي: ضيعته)[(١)].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾، أي: تركنا وضيعنا فيها. وهو قول أبي عبيدة[(٢)] وأكثر أهل اللغة[(٣)]، وبه قال الحسن، فقال: (على ما ضيعنا)[(٤)]، والتأويل: يا حسرتنا على ما تركنا من عمل الآخرة.

= عطية ٥/ ١٧٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٥، و«التبيان» ص٣٢٩، والقرطبي ٦/ ٤١٢، و«البحر» ٤/ ١٠٧، و«الدر المصون» ٤/ ٥٩٥، و«روح المعاني» ٧/ ١٣٢، و«التحرير والتنوير» ٧/ ١٩٠ .

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧٢-٢٧٧٣، وفي «غريب الحديث» ١/ ٣٦، قال أبو عبيد: (قال الأصمعي: الفرط والفارط: المتقدم في طلب الماء ... ويقال: أفرطت الشيء، أي: نسيته) ا.هـ. ملخصًا.

(٢) مجاز القرآن ١/ ١٩٠، وهو قول أكثرهم. انظر: «معاني الفراء» ٢/ ١٠٨، و«غريب القرآن» ص١٦٣، والطبري ٧/ ١٧٩، السمرقندي ١/ ٤٨٠، و«العمدة» لمكي ص١٢٦، و«التحرير والتنوير» ٧/ ١٩١، وقال بعضهم: (التفريط هو التقصير في الشيء مع القدرة على فعله). وهو قريب من المعني الأول. انظر: «الكشاف» ٢/ ١٤، و«البغوي» ٣/ ١٣٨، ابن عطية ٥/ ١٩٤، والخازن ٢/ ١٢٨، و«البحر» ٤/ ١٠٧، والبيضاوي ١/ ١٣٦، والثعالبي ١/ ٥١٤، والقاسمي ٦/ ٥٠٢.

(٣) قال أهل اللغة: (فرط بفتح الراء المخففة سبق وتقدم، وفرط بتشديد الراء المفتوحة، في الشيء، وفرطه: ضيعه وقدم العجز في التقصير، وأكثرهم. على أنه بمعنى: تقدم. ومنهم من قال: هو بمعنى قصر وضيع).
انظر: «العين» ٧/ ٤١٨، و«الجمهرة» ٢/ ٧٥٤، و«الصحاح» ٣/ ١١٤٨، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٩٠، و«المجمل» ٣/ ٧١٦، و«المفردات» ص٦٣١، و«النهاية» لابن الأثير ٣/ ٤٣٤، واللسان ٦/ ٣٣٨٩، والتاج ٥/ ١٩٥ (فرط).

(٤) ذكر الماوردي ٢/ ١٠٦، عن الحسن في قوله: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢] قال: (مضيعون). وانظر: ابن الجوزي ٧/ ١٩٢، القرطبي ١٥/ ٢٧١، أخرجه الطبري ٧/ ١٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١، بسند جيد عن السدي، وذكره =

وقال الزجاج: (﴿فَرَّطْنَا﴾: قدمنا العجز)[١]، جعله من قولهم: فرط فلان إذا سبق وتقدم، وفرط الشيء إذا قدمه، فالتفريط عنده تقديم التقصير[٢].

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ قال ابن عباس: (في الدنيا)[٣].

وروي عن الحسن أنه قال: (في الساعة)[٤]، والمعنى: على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها.

= السيوطي في «الإتقان» ١/ ١٥١، عن ابن عباس، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٥٧.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢ وقال في ٣/ ٢٠٧: (الفرط في اللغة: التقديم) ا.هـ. وهو قول السجستاني في «النزهة» ص٣٥٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٥.

(٢) والمعاني كلها متقاربة، فيقال: فرط أي ضيع وقدم العجز والتقصير فيما يقدر عليه. وانظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام ص٣١٨، و«الأضداد» لقطرب ص ١١٤، و«ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ص ١٨٣، و«ثلاثة كتب في الأضداد» للأصمعي والسجستاني وابن السكيت وبذيلها أضداد الصاغاني ص١٤١، وص ٢٤١، و«الزاهر» ١/ ٣٠٩، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٧١، و«الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى» للرماني ص٧٧، و«تفسير الرازي» ١٢/ ١٦٤، والقرطبي ٦/ ٤١٣، و«عمدة الحفاظ» ص٤٢٠.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤، وذكره الرازي ١٢/١٩٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٧، والألوسي ٧/ ١٣٢، وهو قول بعضهم. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٧، والسمرقندي ١/ ٤٨٠، والزمخشري ٢/ ١٤، و«الخازن» ٢/ ١٢٨، والبيضاوي ١/ ١٣٦، وظاهر كلامهم عودة الضمير على الدنيا.

(٤) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٩، والقرطبي ٦/ ٤١٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٧، ورجحه ابن عطية ٥/ ١٧٦، والعكبري في «التبيان» ١/ ٣٢٩، والقرطبي ٦/ ٤١٣، وقال الهمداني في «الفريد» ٢/ ١٤٠: (هذا هو الوجه لجري ذكرها مع صحة المعنى، وإذا صح العائد إلى مذكور فلا وجه للعدول عنه إلى غيره بغير دليل) ا.هـ.

وقال السدي (في الجنة)[١] أي: في طلبها والعمل لها، ويحتمل أن تعود الكناية إلى معنى ﴿مَآ﴾، وفي قوله ﴿مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي: يا حسرتنا على الأعمال والطاعات التي فرطنا فيها[٢].

وروي عن ابن جرير أنه قال: (الكناية تعود إلى الصفقة؛ لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفقة)[٣]، فعنده الكناية تعود إلى مدلول عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾، الأوزار: الأثقال من الإثم، قال ابن عباس: (يريد آثامهم وخطاياهم)[٤].

قال أهل[٥] اللغة: (الوزر الثقل، وأصله من الحمل، يُقال: وزرت

---

(١) أخرج الطبري ٧/ ١٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١، بسند جيد عنه قال: (ضيعنا من عمل الجنة) ا.هـ وقال أبو حيان ٤/ ١٠٧، والسمين في «الدر» ٤/ ٥٩٦، والألوسي ٧/ ١٣٢: (لا يخفى بعده) ا.هـ.

(٢) هذا قول ابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣١٩، وقال الكرماني في «الغرائب» ١/ ٣٥٧: (العجيب (ما) موصولة (وفيها) كناية عن (ما) وأنث حملًا على الأعمال وهذا حسن) ا.هـ.

(٣) «تفسير الطبري» ٧/ ١٧٩، وزاد: (معلوم أن الخسران لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرت) وعده الكرماني في «غرائبه» ١/ ٣٥٧، من الغريب، والظاهر -والله أعلم- عودة الضمير على الدنيا؛ لأنه ظاهر الآية، ولكونها معلومة، والمعنى يقتضيها، وهي موضع التقصير، والظرفية فيها أمكن، وعودته على الساعة قوي، إلا أنه لا بد فيه من تقدير مضاف، أي: في شأنها والإيمان بها.
انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ١٧٥، و«البحر» ٤/ ١٠٧، و«الدر المصون» ٤/ ٥٩٦.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٧، والرازي ١٢/ ١٩٩، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٠، وأخرج الطبري ٧/ ١٧٩، بسند ضعيف عنه قال: (ذنوبهم) وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٤: (آثامهم).

(٥) قال أهل اللغة: (الوزر، بكسر الواو وسكون الزاي: الإثم والحمل والثقل على الظهر؛ وبفتح الواو: الملجأ). =

الشيء، أي: حملته أزره وزرًا، ثم قيل للذنوب: أوزار؛ لأنها تثقل ظهر من يحملها). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: لا تحمل نفس حاملة.

وقال أبو عبيد: (يقال للرجل إذا بسط ثوبه فجعل فيه المتاع: احمل وزرك)[١].

وأوزار الحرب: أثقالها من السلاح، ووزير السلطان: الذي[٢] يزر عنه أثقال ما يسند إليه من تدبير الولاية، أي: يحمل، وقال الزجاج: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: (أي: يحملون ثقل ذنوبهم)[٣].

واختلفوا في كيفية حملهم الأوزار، فقال المفسرون[٤]: (إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحًا، فيقول: أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، قالوا: ركبانًا. وإن

= انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧١٢، ١٠٦٤، و«الصحاح» ٢/ ٨٤٥، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٠٨، و«المجمل» ٣/ ٩٢٤، و«المفردات» ص ٨٦٧، و«النهاية» لابن الأثير ٥/ ١٧٩، و«اللسان» ٨/ ٤٨٢٤، (وزر).

(١) ذكره الثعلبي ص١٧٧، والقرطبي ٦/ ٤١٣، ولم أقف عليه عند غيرهما عن أبي عبيد، وجعله الرازي ١٢/ ١٩٩، والشوكاني ٢/ ١٥٩، عن أبي عبيدة، ولعله الصواب؛ لأنه في «مجاز القرآن» ١/ ١٩٠.

(٢) هذا قول الأزهري في «تهذيبه» ٤/ ٣٨٨٣، وانظر: «معاني الزجاج» ٣/ ٣٥٧، و«الاشتقاق» لابن دريد ص٣٩٦.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢، وانظر: «غريب اليزيدي» ص ١٣٥، و«تفسير غريب القرآن» ص١٥٢، و«نزهة القلوب» ص٧١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٦.

(٤) ذكره أكثرهم. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٧، والسمرقندي ١/ ٤٨١، والبغوي ٣/ ١٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٦، والرازي ١٢/ ١٩٩، و«الدر المنثور» ٣/ ١٧.

الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحًا فيقول: أنا عملك السيء، طالما ركبتني في الدنيا، فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾)، [و][١] هذا قول قتادة[٢] والسدي[٣].

وقال الزجاج: (هذا مثل جائز أن يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل[٤] ما يتحمل؛ لأن الثقل كما يستعمل في الوزن[٥] يستعمل في الحال أيضًا، كما تقول: ثقل على خطاب فلان تأويله: كرهت خطابه كراهة اشتدت عليّ)[٦]. فعلى هذا المعنى: أنهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة يثقل عليهم ذلك. وقال أهل العربية: (معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾: لا تزايلهم أوزارهم، كما تقول: شخصك نصب عيني، أي ذكرك ملازم لي)[٧].

---

(١) لفظ (الواو) ساقط من (ش).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٨، والرازي ١٢/ ١٩٩، والخازن ٢/ ١٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ١٧٨-١٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨١ من طرق جيدة عن السدي وعمرو بن قيس الملائي، وأخرجه الطبري ١٥/ ٩٦، طبعة الحلبي، بسند ضعيف عن زيد بن أسلم العدوي.

(٤) في (ش): (الثقل)، وهو تحريف.

(٥) كذا في النسخ، وعند الزجاج ٢/ ٢٤٢ الوزر، ولعله تحريف.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢، وزاد: (فتأويل الوزر الثقل من هذه الجهة) ا.هـ. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤١٦، وفيه: (الوزر: الإثم، وهو تمثيل) ا.هـ.

(٧) ذكره الثعلبي ١٧٧ أ، عن الزجاج، وذكره بعضهم عن فرقة. انظر: الرازي ١٢/ ١٩٩، الخازن ٢/ ١٢٩، والصواب حمل الآية على الحقيقة؛ لأن كلام الله تعالى يحمل على حقيقته ولا يصرف عنها إلا بدليل، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ١٧٧، والثعالبي ١/ ٥١٤، والألوسي ١/ ١٣٢.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ذكرنا معنى ﴿سَآءَ﴾[(١)] عند قوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ في [النساء: ٢٢]، قال ابن عباس: (يريد بئس الحمل حملوا)[(٢)]، وقال الزجاج: (بئس الشيء شيئًا[(٣)] يزرونه، أي: يحملونه)[(٤)].

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، قال المفسرون: (هذا رد لقول الكفار: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[(٥)(٦)]، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾)[(٧)(٨)]، قال ابن عباس: (يريد حياة المشركين وأهل النفاق وأهل الكفر بالله: ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يريد: باطل وغرور)[(٩)]، وإنما خص ابن عباس هذا بحياة الكافر؛ لأن حياة المؤمن فيها أعمال صالحة لا تكون[(١٠)] لعبًا ولهوًا.

---

(١) انظر: البسيط النسخة الأزهرية ١/ ٢٣٧ أ.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ١/ ٢٨، والبغوي ٣/ ١٣٩، والخازن ٢/ ١٢٩.

(٣) في النسخ: (شيء).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢، وهو قول أكثرهم. انظر: «إعراب النحاس» ٢/ ٦٣ والسمرقندي ١/ ٤٨١، والبغوي ٣/ ١٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٦.

(٥) في النسخ (ما هي) بدلًا من (إن)، وهو تحريف، وفي الجاثية الآية ٢٤، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ الآية.

(٦) في (أ): (حيوتنا) بدلًا من (حياتنا).

(٧) في (أ): (الحيوة) حسب رسم المصحف.

(٨) ذكره عامة المفسرين أن الآية رد على منكري البعث.
انظر: الطبري ٧/ ١٨٠، وابن عطية ٥/ ١٧٩، والرازي ١٢/ ٢٠٠، والقرطبي ٦/ ٤١٤، و«الخازن» ٢/ ١٢٩، و«البحر» ٤/ ١٠٨.

(٩) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٠٠، والقرطبي ٦/ ٤١٥، و«الخازن» ٢/ ١٢٩، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٨.

(١٠) في (ب): (يكون). وانظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٠٠.

وقال مقاتل في قوله: (﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يلهون في الدنيا)(١).

وهذا يؤكد أن المراد بهذا حياة الكافر؛ لأن المؤمن لا يشتغل باللهو في الدنيا عن عمل الآخرة.

وقال آخرون: (هذا عام في حياة المؤمن والكافر، والمراد بقوله: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أنها تنقضي وتفنى ولا تبقى كاللعب واللهو، يكون لذة فانية عن قريب)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ قال ابن عباس: (يريد الجنة)(٣)، وهو قول الكلبي(٤). ﴿وَالآخِرَةُ﴾ صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ وسميت ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ لأنها بعد الدنيا(٥). وقرأ ابن عامر: (ولدار الآخرة) بالإضافة(٦).

قال الفراء: (يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقولهم: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحق اليقين؛ فإذا اتفقا لم تقل العرب: هذا حق الحق ولا يقين اليقين، وذلك أنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنهما

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٨، وفيه قال: (﴿إِلَّا لَعِبٌ﴾ إلا باطل، ﴿وَلَهْوٌ﴾ يكون في الدنيا) ا.هـ.

(٢) انظر: «الطبري» ٧/ ١٨٠، والرازي ١٢/ ٢٠٠، والقرطبي ٦/ ٤١٤.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٠٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٩.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤، وهو قول السمرقندي ١/ ٤٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٧، والقرطبي ٦/ ٤١٥، وغيرهم.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ٦/ ٤١٥.

(٦) قال ابن الجزري في «النشر» ٢/ ٢٥٧: (قرأ ابن عامر: (ولدار) بلام واحدة وتخفيف الدال. (الآخرة) بخفض التاء على الإضافة، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون بلامين مع تشديد الدال للإدغام وبالرفع على النعت، وكذا هو في مصاحفهم) ا.هـ. وانظر: «السبعة» ص٢٥٦، و«المبسوط» ص١٦٧. و«التذكرة» ٢/ ٣٩٧، و«التيسير» ص١٠٢.

مختلفان في المعنى، ولا يتوهمون ذلك إذا اتفق اللفظ)[١].

وعند البصريين[٢] لا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه وإن اختلف اللفظ، وقالوا في قراءة ابن عامر: (لم يجعل ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾؛ لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه، ولكنه جعلها صفة الساعة، وكأنه قال: ولدار الساعة الآخرة، وجاز وصف الساعة بالآخرة كما جاز ذلك في اليوم في قوله تعالى: ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، فإن قيل: على هذا التقدير الذي ذكرتم يكون قد أقام ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ التي هي الصفة مقام الموصوف الذي هو الساعة، وذلك قبيح! قيل: لا يقبح ذلك إذا كانت الصفة قد استعملت استعمال الأسماء و﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ صارت كالأبطح[٣] والأبرق[٤] في استعمالهما[٥] أسماء. ألا ترى أنه قال تعالى ذكره: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، فليست ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ كالصفات التي لم تستعمل استعمال الأسماء[٦]، ومثل ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ في أنها استعملت

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٠-٣٣١، وقال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٥١: (من قرأ: (ولدار الآخرة) فإنه أضاف الدار إلى الآخرة، والعرب تضيف الشيء إلى نعته، وهو كثير فصيح جيد) ا.هـ. بتصرف. واختار هذا التوجيه البغوي ٣/ ١٣٩.

(٢) انظر: «الأصول» ٢/ ٨، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٦٧، و«الإنصاف» ص٣٥٣، و«المغني» لابن هشام ٢/ ٦٢٦، واختار هذا التوجيه أكثرهم. انظر: «المشكل» ١/ ٢٥١، و«البيان» ١/ ٣١٩، و«الفريد» ٢/ ١٤١.

(٣) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. انظر: «القاموس» ص٢١٣، (بطح).

(٤) الأبرق: كثير التهديد والتوعد. انظر: «القاموس» ص٨٦٦. (برق).

(٥) في (أ): (استعمالها).

(٦) قال السمين في «الدر» ٤/ ٦٠٠، في توجيه كلام البصريين: (وحسن ذلك أيضًا في الآية كون هذه الصفة جرت مجرى الجوامد في إيلائها العوامل كثيرًا. وكذلك كل ما جاء مما توهم فيه إضافة الموصف إلى صفته، وإنما احتاجوا إلى ذلك لئلا =

استعمال [الأسماء][١] الدنيا.

والاختيار قراءة العامة[٢]؛ لأن الأولى أن تجعل ﴿ٱلْأَخِرَةُ﴾ صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾، وإذا كانت صفة لها وجب أن يجري عليها في الإعراب ولا يضاف إليها، والدليل على كونها صفة ﴿وَلَلدَّارُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ فقد علمت بإقامتها مقامها أنها هي وليست غيرها فيستقيم أن يضاف إليها[٣].

قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد اتقوا الله ولم يشركوا به شيئًا)[٤].

وقال مقاتل: (للذين اتقوا الشرك)[٥].

وقال الكلبي: (للذين يتقون الكفر والشرك والفواحش)[٦].

= يلزم إضافة الشيء إلى نفسه وهو ممتنع، لأن الإضافة إما للتعريف أو للتخصيص، والشيء لا يعرف نفسه ولا يخصصها) ا.هـ. وانظر: «التبيان» للعكبري ١/ ٣٣٠.

(١) لفظ: (الأسماء) ساقط من (أ).

(٢) واختار قراءة العامة أيضًا الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٥١، ومكي في «الكشف» ١/ ٤٣٠.

(٣) هذا معنى قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٠٠-٣٠٢، لكنه لم يذكر اختيار قراءة العامة. وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٢٤٦، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ١٧٩، والرازي ١٢/ ٢٠٣، والقرطبي ٦/ ٤١٥، و«البحر المحيط» ٤/ ١٠٩.

(٤) ذكر الرازي ١٢/ ٢٠٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٠٩، عنه نحوه بلفظ: (خير لمن اتقى الكفر والمعاصي)، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٥: (خير لمن اتقى الكفر والشرك والفواحش).

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٨.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٥، والمعاني متقاربة، وهي من باب التنبيه على بعض أجزاء التقوى، فأول ما يتقى الكفر، ثم الشرك، ثم الفواحش والمعاصي. انظر: الطبري ٧/ ١٨٠، والسمرقندي ١/ ٤٨١، والبغوي ٣/ ١٣٩، والقرطبي ٦/ ٣١٥.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1] معناه: أفلا يعقل الذين يتقون أن الدار الآخرة خير لهم من هذه الدار، فيعملوا لما ينالون به الدرجة الرفيعة والنعيم الدائم، فلا يفترون في طلب ما يوصل إلى ذلك[2].

وقرئ: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء[3] على معنى قل لهم[4]: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، أو يكون قد وجه الخطاب في ذلك إلى الذين خوطبوا، أي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أيها المخاطبون أن ذلك خير[5].

٣٣- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾. معنى ﴿قَدْ﴾ هاهنا التوقع[6]، كقولك: قد ركب الأمير، لقوم يتوقعون ذلك، كأن

---

(١) في (ش): (تعقلون)، وهي قراءة سبعية.

(٢) هذا قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٢٩٧، في توجيه القراءة بالياء. وانظر: الطبري ٧/ ١٨٠، والبغوي ٣/ ١٣٩.

(٣) قرأ ابن عامر ونافع وحفص عن عاصم: (تعقلون) بالتاء، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» ص٢٥٦، و«المبسوط» ص١٦٧، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٧، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٧.

(٤) في (أ): (على معنى وقل لهم).

(٥) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٢٩٧-٣٠٠، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٥٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٨، ولابن زنجلة ص٢٤٦، و«الكشف» ١/ ٤٢٩، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ٣٨، و«البحر» ٤/ ١١٠، و«الدر المصون» ٤/ ٦٠٠، ونقل قول الواحدي الرازي ١٢/ ١٦٧.

(٦) قد: للتوقع مع المضارع، وكذلك مع الماضي عند الأكثر، وقال ابن هشام في «المغني» ١/ ١٧١: هي مع الماضي للتقريب؛ لأنها تدخل على ماضٍ متوقع. وانظر: «المقتضب» ٢/ ٣٣٤، و«حروف المعاني» للزجاجي ص١٣، و«معاني الحروف» للرماني ص٤٤٥، و«رصف المباني» ص٤٤٥، وقال السمين في «الدر» ٤/ ٦٠١: (قد هنا حرف تحقيق) ا.هـ. وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٤، وابن عطية ٥/ ١٨٠، و«البيان» ١/ ٤٩١، و«الفريد» ٢/ ١٤١، و«البحر» ٤/ ١١٠.

النبي ﷺ لما سمع تكذيب قومه إياه توقع ما يخاطبه الله تعالى في ذلك فقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ ذلك تسلية وتعزية عما يواجه به قومه[(١)].

قال ابن عباس في هذه الآية: (يريد تعزية النبي ﷺ وتصبيره فيما تقول[(٢)] قريش من تكذيبهم إياه)[(٣)].

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾. دخلت الفاء[(٤)] في (إنهم) لاقتضاء الكلام الأول هذا[(٥)]، كأنه قيل: إذا كان قد يحزنك الذي يقولون فاعلم أنهم لا يكذبونك. واختلفوا في معنى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فقال ابن عباس: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر قد علموا أنك صادق: ﴿وَلَكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بمحمد والقرآن في العلانية)[(٦)]، وهذا قول أكثر المفسرين: أبي صالح[(٧)] وقتادة[(٨)] والسدي[(٩)] ومقاتل، قالوا: (هذا في المعاندين الذين عرفوا صدق محمد ﷺ، وأنه غير كاذب فيما يقول، ولكن عاندوا وجحدوا).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٨.

(٢) في (أ): (يقول): بالياء.

(٣) لم أقف عليه. وانظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٥.

(٤) لم أقف على من تكلم عن الفاء هنا. وفي الجدول في «إعراب القرآن» ٤/ ٧/ ١٠٠، قال في الآية: (الفاء للتعليل؛ لأن القول السابق يفيد النهي، أي: لا تحزن إنهم لا يكذبونك) ا.هـ.

(٥) في (ش): (هذه).

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٩.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ١٨١، بسند جيد، وذكره أكثرهم.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٠٧، والطبري ٧/ ١٨١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٣ بسند جيد.

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٩، عن ابن عباس وقتادة والسدي ومقاتل.

يدل على هذا ما قال مقاتل: (نزلت في الحارث بن عامر[١]، كان يكذب النبي ﷺ في العلانية، فإذا خلا مع أهله قال: ما محمد من أهل الكذب نعلم أن الذي يقوله حق، ولا يمنعنا من أن نتبعه إلا المخافة من أن يتخطفنا الناس من أرضنا -يعني: العرب- فإنا أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ في العلانية أنك كذاب ومفترٍ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر يعلمون أنك صادق، وقد جربوا منك الصدق فيما مضى، ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بالقرآن بعد المعرفة)[٢]. ونحو هذا قال الكلبي[٣] سواء.

وقال السدي[٤] وأبو ميسرة[٥][٦] ....

---

(١) الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي. مشرك كان يؤذي النبي ﷺ وأصحابه بمكة وقتل في بدر مع المشركين. انظر: «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٥٧، و«جوامع السير» ص١٤٧، و«عيون الأثر» ١/ ٢٨٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٨.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٥، وذكره الماوردي ٢/ ١٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩، و«البحر» ٤/ ١١١، وذكره ابن الجوزي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٢، بسند جيد، وذكره أكثرهم.
انظر: «الثعلبي» ص١٧٧ أ، و«أسباب النزول» للواحدي ص٢١٩، والبغوي ٣/ ١٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٨.

(٥) أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة الكوفي مشهور بكنيته، إمام تابعي عابد جليل صالح ثقة مخضرم. وقال بعضهم: له صحبة. توفي سنة ٦٣ هـ
انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ١٠٦، و«الجرح والتعديل» ٦/ ٢٣٧، و«الحلية» ٤/ ١٤١، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٣٥، و«الإصابة» ٤/ ١١٤، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٩٦.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٩، وأسباب النزول ص٢١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨، وقال: (أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه» ا.هـ.

وأبو يزيد[١] المدني[٢] وناجية بن كعب[٣][٤]: (نزلت الآية في أبي جهل قال: يا محمد ما نكذبك ولا نتهمك وإنك عندنا لمصدق، ولكنا نكذب ما جئتنا به، ولا نكون تبعًا لعبد مناف، فأنزل الله هذه الآية).

---

(١) أبو يزيد المدني نزل البصرة لا يعرف اسمه وهو تابعي ثقة، روى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وغيرهم، وروى عنه أيوب السختياني وغيره، وأخرج له البخاري والنسائي، توفي بعد المائة.
انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ٤٥٨، و«الكاشف» ٢/ ٤٧٢ (٦٩٠٢)، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٦٠٩، و«تقريب التهذيب» (٨٤٥٢) ص٦٨٥.

(٢) أخرجه ابن حاتم ٤/ ١٢٨٣، بسند رجاله ثقات سوى بشر بن مبشر الواسطي فقد قال ابن حجر في «اللسان» ٢/ ٣٢ (ضعفه الأزدي وذكره ابن حبان في الثقات» ا.هـ. وانظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ٣٢٤، و«المغني للذهبي» ١/ ١٠٧، وذكر الرواية عن أبي يزيد: ابن كثير ٢/ ١٤٦، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٨، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ.

(٣) ناجية بن كعب الأسدي الكوفي، تابعي ثقة، روى عن علي وعمار رضي الله عنهما وغيرهما، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وغيره. أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي، توفي بعد المائة.
انظر: «تاريخ الثقات» للعجلي ٢/ ٣٠٨ (١٨٣٠)، و«الجرح والتعديل» ٨/ ٤٨٦، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٢٣٩، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٢٠٤، و«التقريب» (٧٠٦٥) ص٥٥٧.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، والطبري ٧/ ١٨٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٢، من طرق جيدة عن ناجية، وأخرجه الترمذي وابن أبي حاتم، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤١٨، والحاكم ٢/ ٣١٥، عن ناجية عن علي رضي الله عنه، قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ا.هـ. ووافقه الذهبي وقال: (لم يخرجا لناجية شيئًا). وصححه الشيخ أحمد شاكر في حاشية «عمدة التفسير» ١/ ٧٧٠، وقال: (حديث علي صحيح؛ لأن الوصل زيادة من ثقتين، فهي مقبولة على اليقين) ا.هـ. وقال الترمذي: =

وقال قتادة: (يعلمون أنك رسول، ولكن يجحدون)[١].

وقال ابن جريج: (لا يكذبونك بما تقول، ولكن يجحدون بآيات الله).

وقال عطاء: (لا يكذبونك، ولكن جحدوا ربوبيتي وقدرتي وسلطاني)[٢].

ومعنى الجحد: إنكار المعرفة. وهو ضد الإقرار[٣]. كانوا[٤] قبل عرفوا ذلك ولم يقروا، وهذا مذهب هؤلاء المفسرين وعليه أكثر[٥] أهل المعاني.

وذكر الزجاج وجهين يوافقان هذا التفسير الذي ذكرناه: (أحدهما ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم، أي: يعلمون أنك صادق، وإنما جحدوا براهين الله جل وعز، قال: وجائز أن يكون ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: أنت عندهم صدوق؛ لأنه ﷺ كان يسمى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم بكذبهم فيه)[٦].

= (الموقف على ناجية أصح) ا.هـ. وضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» ص٣٥٤-رقم ٥٩٠-٥٩١، وفي «المشكاة» ٣/ ١٦٢٢- رقم (٥٨٣٤)، وقال: (الموقوف أصح). وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٨.

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أقف على من ذكره عن ابن جريج وعطاء.

(٣) انظر: «العين» ٣/ ٧٢، و«الجمهرة» ٢/ ٤٣٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٥٤١، و«الصحاح» ٢/ ٤٥١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٢٥، و«المفردات» ص١٨٧، و«اللسان» ١/ ٥٤٧ (جحد).

(٤) في (ش): (كأنه قيل).

(٥) جاء في (أ): تكرار لفظ: (أكثر).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢.

وقال أبو علي الفارسي: (﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة، ولذلك سمي الأمين، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بألسنتهم ما يعلمونه يقينًا؛ لعنادهم وما يؤثرونه من ترك الانقياد للحق، وقد قال جل وعز في صفة قوم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾) [النمل: ١٤][1].

ونحو هذا قال ابن الأنباري[2]، وهذا الذي ذكرنا مذهب الجمهور في هذه الآية[3].

وقال الضحاك: (﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ (لا يقدرون على أن تكون رسولًا[4]، ولا على أن لا يكون القرآن قرآنا، وإنما يكذبونك بألسنتهم)[5]، فعلى هذا معنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ لا يستطيعون أن يجعلوك كذابًا، [وحرر أبو بكر هذا القول فقال: معناه فإنهم لا يصححون عليك كذابًا][6]، إذا كان الذي يظهر منك يدل الناس على صدقك، وإن كذبوا

---

(١) «الحجة» ٣/ ٣٠٣.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١١٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٩، وابن منظور في «اللسان» ٧/ ٣٨٤١ (كذب).

(٣) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١/ ١٥٧، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٨١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٧-٤١٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٤٤، و«معاني القراءات» للأزهري ١/ ٣٥٢.

(٤) في (ش): (يكون) بالياء.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٢، بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ والطبراني، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٧، وقال: (رواه الطبراني عن ابن عباس، وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف) ا.هـ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

كمن لم يكذب، ألا ترى أنك تقول لمن يقول ولا يجيد القول: لم يقل هذا اليوم شيئًا، لما لم يُجد كأن قوله كلا قول)[١].

وقال غيره ما يؤكد هذا المعنى، فقال: معناه: (﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بحجة، أي: فلا يعتد بتكذيبهم، فإنه لا حقيقة له)[٢].

واختلف القراء[٣] في قوله: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ فقرؤوا مشددًا ومخففًا. قال الفراء: (معنى التخفيف -والله أعلم-: لا يجعلونك كذابًا، ولكن يقولون: إن ما جئت به باطل؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبًا فيكذبوه، وإنما أكذبوه، أي: قالوا: إن ما جئت به كذب. قال: والتكذيب أن يقال: كذبت)[٤].

وقال الزجاج: (معنى كذبته: قلت له: كذبت، ومعنى أكذبته: أُريت[٥] أن ما أتى به كذب. قال: ومعنى التخفيف: لا يقدرون أن يقولوا لك كذبت)[٦].

---

(١) لم أقف عليه، وقريب منه ما نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١١٤، وابن منظور في «اللسان» ٧/ ٣٨٤١، عن ابن الأنباري في معنى الآية أنه قال: (ويمكن أن يكون ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بمعنى لا يجدونك كذابًا عند البحث والتدبر والتفتيش) ا.هـ.

(٢) ذكر هذا القول الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٠٧، عن أبي صالح وقتادة والسدي، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٢٩.

(٣) قرأ نافع والكسائي (لا يكذبوك) بسكون الكاف وتخفيف الذال من أَكْذَبَ، وقرأ الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من كذَّب. انظر: «السبعة» ص٢٥٧، و«المبسوط» ص١٦٨، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٧، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٧.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٣١.

(٥) كذا في النسخ، وعند الزجاج ٢/ ٢٤٢: (ادعيت).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٢، بتصرف يسير. ولم يشر الزجاج إلى أن ذلك معنى التخفيف.

وكان الكسائي يقرأ بالتخفيف ويحتج: (بأن العرب تقول: كذبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب وإلى صنعة الأباطيل من القول[١]، وأكذبته إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب ليس هو الصانع له)، حكاه ابن الأنباري عنه[٢].

ونحو هذا حكى عنه أحمد بن يحيى، وقال: (كان الكسائي يحكي عن العرب: أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بكذب لم يضعه هو، كأنه حكى كذبًا، وكذبته إذا أخبرت أنه كذاب)[٣].

وقال أبو علي: (لا يجوز أن يكون معنى القراءتين واحدًا؛ لأن معنى التثقيل النسبة إلى الكذب، بأن تقول له: كذبت، كما تقول: زنيته وفسقته وخطأته، أي: قلت له: فعلت هذه الأشياء، وسقيته ورعيته قلت له: سقاك الله ورعاك الله، وقد جاء في المعنى أفعلته قالوا: أسقيته قلت له: سقاك الله[٤]. قال ذو الرمة:

وأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ ومَلاعِبُهْ[٥]

أي: أنسبه إلى السقيا بأن أقول: سقاك الله. فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدًا وإن اختلف اللفظان، إلا أن فَعَّلْتَ إذا أرادوا أن

---

(١) لفظ: (من القول) ساقط من (ش).

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١١٥.

(٣) «مجالس ثعلب» ٢٧١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٩، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٠٤.

(٤) جاء في (ش): تكرار: (ورعاك الله -إلى سقاك الله).

(٥) «ديوانه» ص٢٨٨، و«الكتاب» ٤/ ٥٩، و«النوادر» لأبي زيد ص٢١٣، و«أدب الكاتب»ص٣٥٦، و«الممتع في التصريف» ١/ ١٨٧، و«اللسان» ٤/ ٢٠٤٢ (سقى)، وقال الخطيب التبريزي في «شرحه» ٢٨٩: (أبثه، أي أخبره بكل ما في نفسي، وأسقيه، أي: أدعو له بالسقيا، وملاعبه: مواضع يلعب فيها) ا.هـ.

ينسبوا إلى أمر أكثر من أَفْعَلْتَ[١]. قال: ويجوز أن يكون معنى ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: لا يصادفونك كاذبًا؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة، كما تقول: أحمدت الرجل إذا أصبته محمودًا، وأجبنته وأبخلته وأفحمته إذا صادفته على هذه الأحوال)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قد مضى تفسيره[٣]، ودخلت الباء في الآيات، والجحد تعدى بغير الجار؛ لأنه أريد بالجحد التكذيب، وبهذا يطابق المعنى الأول، كأنه قيل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ولكن يكذبون بآيات الله.

وقال أبو علي: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، أي: برد آيات الله أو إنكار[٤] آيات الله، ﴿يَجْحَدُونَ﴾، أي: يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك، ومن ذلك[٥] قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩]، أي: ظلموا بردها أو الكفر[٦] بها، فكما أن الجار في قوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ من صلة ظلموا، كذلك يكون من صلة الظلم في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، و﴿يَجْحَدُونَ﴾ محذوف

---

(١) انظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٥٨.

(٢) «الحجة» ٣/ ٣٠٢-٣٠٥، ولم يذكر قوله: «وأجبنته وأبخلته وأفحمته ...» وانظر: «الحجة» لابن خالويه ص١٣٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٥، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٤٧، و«الكشف» ١/ ٤٣٠، و«المشكل» ١/ ٢٥١، و«الدر المصون» ٤/ ٦٠٣.

(٣) هي آية لم ترد قبل، ولعله يريد ص١٧٤ من هذا البحث.

(٤) في (ش): (وإنكار).

(٥) في (أ): (ذلك قوله).

(٦) في (أ): (بردها والكفر بها).

المفعول للدلالة عليه)[١].

٣٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية. قال الزجاج: (عزى الله نبيه ﷺ وصبره[٢] بأنْ أخبره أن الرسل قبله قد كذبتهم أمم من قبله)[٣]، قال ابن عباس: (من لدن نوح إليك ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ﴾ رجاء ثوابي، ﴿وَأُوذُواْ﴾ حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار)[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ معنى النصر: المعونة على العدو[٥]، قال المفسرون: (معنى النصر هاهنا: تعذيب الأمم المكذبة وإهلاكهم)[٦].

---

(١) «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٣٩، وقال السمين في «الدر» ٤/ ٦٠٤-٦٠٥: (يجوز في هذا الجار وجهان: أحدهما: أنه متعلق بيجحدون، وهو الظاهر الذي لا ينبغي أن يعدل عنه، وجوز أبو البقاء أن يتعلق بالظالمين قال: كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾، وهذا الذي قاله ليس بجيد؛ لأن الباء هناك سببية أي: ظلموا بسببها، والباء هنا معناها التعدية، وهنا شيء يتعلق به تعلقًا واضحًا فلا ضرورة تدعو إلى الخروج عنه) ا.هـ. وانظر: «التبيان» ١/ ٣٢٠، و«الفريد» ٢/ ١٤٢.

(٢) في (ش): (فصبره).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٣، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٣، والسمرقندي ٣/ ٢٢٣.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٠، وابن الجوزي ٣/ ٣٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١١٢.

(٥) انظر: «العين» ٧/ ١٠٨، و«الجمهرة» ٢/ ٧٤٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٤، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٩، و«المجمل» ٣/ ٨٧٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٣٥، و«المفردات» ص٨٠٨، و«اللسان» ٧/ ٤٤٤٠ (نصر).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٣، والسمرقندي ١/ ٤٨٢، والبغوي ٣/ ١٤٠، وابن الجوزي ٣/ ٣٠، وكلهم اقتصر على هذا المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ قال الكلبي[١] وعكرمة: (يعني الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء على أعدائهم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] الآيات، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١][٢]، قال ابن عباس: (يريد لا ناقض لحكمي)[٣]، يعني: أنه قد حكم في كتابه بنصر أنبيائه، فليس ينقضه أحد، ولهذا قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿[و][٤] لا مبدل لكلمات الله﴾: (أي: لا يخلف وعده، ولا يغلب أحد أولياءه)[٥]. وتفسير ابن عباس يدل على أن قوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ معناه: لا ناقض لحكمه في كل ما حكم به من وعد ووعيد وثواب وعقاب، فليس يخص هذا الحكم الواحد، وهو نصر المرسلين، وإذا كان كذلك فالتقدير عند النحويين في الكلمات: ذوي الكلمات أي: يخبر بها عنه. يقول: لا مبدل لما أخبرت عنه بكلماتي ليس يريد أنه لا مبدل للكلمات التي هي عبارات؛ هذا معنى قول أبي علي[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي ١٧٧ أ، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٥ نحوه.

(٢) لم أقف عليه. وانظر: «الماوردي» ١/ ١٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٣١، وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٤٧: (أي: لا مبدل لعذاب الله أو لا مبدل لمقتضى عذاب الله) ا.هـ. والظاهر العموم، وحمل الكلمات على الحقيقة أي لا مبدل لكلام الله تعالى الذي به يأمر وينهى ويشرع، وهو صفة من صفاته العلية التي لا تتناهى كسائر صفاته ﷻ.

(٣) ذكر ابن الجوزي ٣/ ٣١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١١٢، عنه في الآية قال: (لا خلف لمواعيده)، وانظر: ابن عطية ٥/ ١٨٥، والقرطبي ٦/ ٤١٧.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٣، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٤٤.

(٦) «الحجة» ٢/ ٣٤، وفيه قال: (والكلمات تقديرها: ذوي الكلمات، أي: ما عبر=

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: خبرهم في القرآن كيف نجيناهم ودمرنا قومهم[١].

قال الأخفش: (﴿مِن﴾ هاهنا صلة كما تقول: أصابنا من مطر)[٢].

وقال غيره[٣]: (لا يجوز ذلك؛ لأنها لا تزاد في الواجب[٤]، وإنما تزاد مع النفي، كقولك: ما أتاني من أحدٍ[٥]. و﴿مِّن﴾ هاهنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر، أضمر لدلالة المذكور عليه، تقديره: ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ[٦].

= عنه بها من وعد ووعيد وثواب وعقاب) ا.هـ. وانظر: تفسير ابن عطية ٥/ ١٨٥.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٣، والسمرقندي ١/ ٤٨٢.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٤، وفيه: (كما تقول: قد أصابنا من مطر، وقد كان من حديث) ا.هـ. وانظر: المصدر نفسه ١/ ٩٨-٩٩، ٢٢٣، واقتصر على هذا القول البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٤٠.

(٣) انظر: «الكتاب» ٢/ ٣١٥-٣١٦، ٤/ ٢٢٥، و«المقتضب» ٤/ ١٣٦-١٣٨، و«الأصول» ١/ ٤٠٩-٤١١، و«حروف المعاني» للزجاجي ص٥٠.

(٤) الواجب ما تقع له حالة الوجوب، والموجب الكلام المثبت غير المنفي، وهو المراد هنا. انظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» للدكتور محمد اللبدي ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٥) انظر: «معاني الحروف» للرماني ص٩٧، و«الصاحبي» ص٢٧١، و«المغني» ١/ ٣٢٢-٣٢٥، وقال المالقي في «رصف المباني» ص٣٩١: (وقد تكون من زائدة عند الكوفيين في الواجب، وحكوا: قد كان من مطر وهو عند البصريين غير الأخفش مؤول، أي: حادث من مطر أو كائن من مطر، وبعد فهو قليل لا يقاس) ا.هـ. وحكى ابن فارس في «الصاحبي» زيادتها في الواجب عن أبي عبيدة أيضًا.

(٦) انظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٣٥٧، و«البيان» ١/ ٣٢٠، و«التبيان» ص٣٣٠، و«الفريد» ٢/ ١٤٣، و«البحر» ٤/ ١١٣، و«الدر المصون» ٤/ ٦٠٦، وعندهم التقدير: (ولقد جاءك نبأ من نبأ المرسلين).

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾، قال المفسرون: (كان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه ومتابعتهم إياه أشد الحرص، وكان إذا سألوه آية أراد أن يريهم الله ذلك؛ طمعًا في إيمانهم، فقال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾)[١]، قال ابن عباس: (أي: عن الإيمان بك وبالقرآن)[٢].

وقال الزجاج: (عظم عليك أن أعرضوا إذ طلبوا منك أن ينزل عليك[٣] ملك فلم ينزل)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، النفق[٥]: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٤ بسند جيد عن ابن عباس.
وانظر: «البغوي» ٣/ ١٤٠.

(٢) لم أقف عليه، وهذا معنى ظاهر، ولم يختلف فيه.
انظر: الطبري ٧/ ١٨٣، والسمرقندي ١/ ٤٨٢، والبغوي ٣/ ١٤٠، والقرطبي ٦/ ٤١٧.

(٣) لفظ: (عليك) ساقط من (ش).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٣، وفيه تصرف واختصار.

(٥) انظر: «العين» ٥/ ١٧٧، و«الجمهرة» ٢/ ٩٦٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٣٥، و«الصحاح» ٤/ ٥٦٠، و«المجمل» ٣/ ٨٧٧، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٥٤، و«المفردات» ص٨١٩، و«اللسان» ٨/ ٤٥٠٨ (نفق).

(٦) هذا قول أهل اللغة والتفسير، وقد أخرجه الطبري ٧/ ١٨٤، من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة والسدي.
وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٠، و«غريب القرآن» ص١٣٦، و«تفسير غريب القرآن» ص١٥٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٤، و«الزاهر» ١/ ١٣٢، و«معاني النحاس» ٢/ ٤١٩.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ﴾، وجواب ﴿أَن﴾ مضمر تقديره ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ ذلك فافعل(١).

قال الفراء: (وإنما تفعله العرب في كل موضع يُعرف فيه معنى الجواب، ألا ترى أنك تقول للرجل: إن استطعت أن تتصدق. إن رأيت أن تقوم معنا. تترك الجواب لمعرفتك بمعرفته [به](٢)، فإذا جاء ما لا يُعرف جوابه إلا بظهوره أظهرته، كقولك للرجل: إن تقم تُصِبْ خيرًا لابد في هذا من جواب؛ لأن معناه لا يعرف إذا طرح)(٣).

وقال الزجاج: (أعلم الله ﷻ أنه بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلا بإذن الله تعالى)(٤)، وفي تعجيزه عن الإتيان بما سألوه أمر له بالصبر إلى أن يدخل وقت الآيات ووقت العقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾ أخبر الله تعالى نبيه ﷺ أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه بمشيئة الله ونافذ قضائه فيهم، وأنه لو شاء [الله](٥) لاجتمعوا على الإيمان، كما قال الله تعالى(٦): ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾(٧) [يونس: ٩٩].

---

(١) انظر: الطبري ٧/ ١٨٤، والسمرقندي ١/ ٤٨٢، والبغوي ٣/ ١٤١، وابن عطية ٥/ ١٨٨، و«التبيان» ١/ ٣٣١، و«الفريد» ٢/ ١٤٣، و«الدر المصون» ٤/ ٦٠٧.

(٢) لفظ: (به) ساقط من (ش) وكذا في بعض نسخ «معاني الفراء» ١/ ٢٣١ كما في حاشيته.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٣١-٣٣٢.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٤، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٢٠.

(٥) لفظ (الجلالة) ساقط من (أ). (٦) في (أ) كما قال تعالى.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٨٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٢٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٨٢.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، قال أهل التفسير: (أي: فإنه يؤمن بك بعضهم دون بعض، وأنهم لا يجتمعون على الهدى)(١).

وقال أهل المعاني: (معناه: لا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من إعراضهم عنك، فتقارب حال الجاهل، وغلظ الخطاب تبعيدًا وزجرًا له عن هذه الحال)(٢).

٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ قال مجاهد وقتادة: (يعني: المؤمنين الذين يسمعون الذكر فينتفعون به)(٣). قال قتادة: (المؤمن حي القلب سمع كتاب الله فعقله ووعاه وانتفع به، والكافر لا يصغي إلى الحق؛ لأن الله تعالى ختم على سمعه)(٤). وقال الزجاج: يعني: الذين يسمعون سماع قابلين)(٥). وقال بعض أهل اللغة: (الاستجابة: الجواب بما يوافق الداعي، والإجابة قد تكون بالمخالفة، ولا يقال: استجاب إلا لمن قبل ما دُعي إليه)(٦)، ويؤكد هذا أن ابن عباس -رحمه الله- فسر

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ١٨٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٣.

(٢) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٠٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٣.

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥، من طرق جيدة عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ بسند جيد، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٩.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٥، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٢٠-٤٢١.

(٦) ذكره الرازي ١٢/ ٢٠٩، وأبو حيان ٤/ ١١٧، عن علي بن عيسى الرماني، وهو قول الهمداني في «الفريد» ٢/ ١٤٤، وقال العسكري في «الفروق» ص١٨٤: (أجاب معناه فعل الإجابة، واستجاب طلب أن يفعل الإجابة؛ لأن أصل الاستفعال لطلب الفعل، وصلح استجاب بمعنى أجاب؛ لأن المعنى فيها يؤول إلى شيء واحد، وذلك أن استجاب طلب الإجابة بقصده إليها، وأجاب أوقع=

الاستجابة هاهنا بالإيمان[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال الحسن[٢] ومجاهد وقتادة[٣]: (يعني الكفار)، وهو قول مقاتل قال: (يعني: كفار مكة يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ للحق المؤمنون، وأما[٤] ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهم الكفار فإن الله يبعثهم في الآخرة ثم إليه يردون فيجزيهم بأعمالهم)[٥].

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: رؤساء قريش، ﴿لَوْلَا﴾: هلا، ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني: نزول الملك يشهد لمحمد بالنبوة وصحة ما أتى به[٦]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال المفسرون[٧]: (لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلناها ولا ما وجه ترك إنزالها). وقال بعض أصحاب المعاني: (لا يعلمون أن الله قادر على إنزالها لا يقدر سواه عليها)[٨].

= الإجابة بفعلها) ا.هـ. وقال الراغب في «المفردات» ص٢١٠، والسمين في «العمدة» ص١٠٥: (الاستجابة قيل: هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له، لكن عُبر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها) ا.هـ. وفي «اللسان» ٢/ ٧١٦ (جوب): (هما بمعنى واحد) ا.هـ.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٦.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥، بسند جيد، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٩.

(٣) سبق تخريج قول مجاهد وقتادة.

(٤) في (ش): (فأما).

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٥٩.

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٨٣، والبغوي ٣/ ١٤١، وابن الجوزي ٣/ ٣٤.

(٧) انظر: الطبري ٧/ ١٨٧، والماوردي ٢/ ١١٠، والمراجع السابقة.

(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٥، والمراجع السابقة.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ الآية، قال ابن عباس: (يريد: كل ما دب وجميع البهائم فهو دابة)[١].

قال الزجاج: وجميع ما خلق الله جل وعز لا يخلو من هاتين المنزلتين: إما أن يدب، وإما أن يطير)[٢].

وقال غيره من أهل المعاني: (خص ما في الأرض هاهنا بالذكر دون ما في السماء، احتجاجًا بالأظهر، وإحالة بالدليل على ما هو ظاهر؛ لأن ما في السماء -وإن كان مخلوقًا له مثلنا- فغير ظاهر)[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قال الفراء والزجاج: (ذكر الجناح هاهنا تأكيد[٤]، كقولك: نعجة أنثى، وكلمته بفي، ومشيت برجلي)[٥]. وقال الزجاج: (وقد تقول للرجل: طرفي حاجتي، وأنت تريد أسرع)[٦]، وأراد بهذا أن الطيران قد يستعمل لا بالجناح كقول العنبري[٧]:

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٢، وابن الجوزي ٣/ ٣٤.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤٥.

(٣) ذكره الرازي ١٢/ ٢١٢.

(٤) في (ش): (توكيد)، وهذا هو قول قطرب كما في «الزاهر» ١/ ٥٨-٥٩، ونقل عن أبي العباس أنه قال: (ليس يطير بجناحيه توكيدًا، ولكنه دخل؛ لأن الطيران يكون بالجناحين ويكون بالرجلين، فطيران الطائر من البهائم بجناحيه، ومن الناس برجليه ألا ترى أنك تقول: زيد طائر في حاجته، معناه: مسرع برجليه) ا.هـ.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٣٢، وهو قول عامة أهل التفسير ومنهم الطبري ٧/ ١٧٩، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٢، والسمرقندي ٣/ ٢٢٧، والبغوي ٣/ ١٤١، وابن عطية ٥/ ١٩٣.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤٥.

(٧) العنبري: قُرَيط بن أنيف العنبري التميمي شاعر جاهلي. انظر: «الأعلام» ٥/ ١٩٥.

طـاروا إلـيـه زَرَافَـاتٍ وَوُحْـدَانَـا[١]

فذكر الجناح ليتمحض[٢] في الطير.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ قال الفراء: (يقال: إن كل صنف من البهائم أمة)[٣].

وجاء في الحديث: «**لولا[٤] أن الكلاب أمة تنبح لأمرت بقتلها**»[٥]، فجعل الكلاب أمة.

واختلفوا في أن البهائم والطير في ماذا شبهت بنا وجُعلت أمثالنا، فقال ابن عباس في رواية عطاء يريد: (يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني، مثل ما قال تعالى في سبحان: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾

---

(١) «الحماسة» لأبي تمام ١/ ٤، وفي «عيون الأخبار» ١/ ١٨٨ لرجل من بلعنبر، وبلا نسبة في «مجالس ثعلب» ص٤٠٥، و«الصناعتين» ص٢٨٥، والرازي ١٢/ ٢١٢، و«الدر المصون» ٤/ ١١٢، و«روح المعاني» ٧/ ١٤٣، وصدره:

قَـوْمٌ إذا الـشـرُّ أبْـدَى نَـاجِـذَيْـهِ لَـهُـمْ

وهو من قصيدة تُعد من عيون الشعر، اختارها أبو تمام أول مقطوعة في «الحماسة»، والزرافات، بالفتح: الجماعات، والوحدان، بالضم، جمع واحد. وفي الحماسة فقط: قاموا، بدل طاروا.

(٢) قوله: ليتمحض غير واضح في النسخ، واللفظ نفسه عند الرازي ١٢/ ٢١٣، والقرطبي ٦/ ٤١٩.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٢.

(٤) في (أ): (ولولا).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ٥٤، ٥٦، وأبو داود (٢٨٤٥) كتاب: الضحايا، باب: في اتخاذ الكلب للصيد وغيره، والترمذي (١٤٨٦) كتاب: الصيد، باب: ما جاء في قتل الكلاب، والنسائي ٧/ ١٨٥، كتاب: الصيد، باب: صفة الكلاب التي أمر بقتلها، وابن ماجة (٣٢٠٥)، كتاب: الصيد، باب: النهي عن=

[الإسراء: ٤٤]، وكقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾(١) [النور: ٤١]، فعلى هذا جُعلت أمثالنا في التوحيد والمعرفة والتسبيح.

وقال مجاهد ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: (أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها)(٢)، يريد: أن كل جنس من الحيوان [أمة](٣) تعرف باسمها كالطير والظباء والذئاب والأسود، وكل صنف من السباع والبهائم مثل بني آدم يعرفون بالإنس والناس.

وقال أبو هريرة في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾: (يحشر الله تعالى الخلق يوم القيامة: البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذٍ أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا)(٤)، وعلى هذا

= اقتناء الكلب إلا كلب صيد أو حرث أو ماشية، والدارمي ٢/ ١٢٧٧ (٢٠٥١) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها، ولكن اقتلوا كل أسود بهيم» ا.هـ. أي: خالص السواد. قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

(١) ذكره عن الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢١٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٢٠، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٧، نحوه، وذكر الرازي بعده أن هذا قول طائفة عظيمة من المفسرين.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٥ بسند جيد، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٠.

(٣) لفظ: (أمة). ساقط من (أ).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢٠٦، والطبري ٧/ ١٨٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٦، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٣، وقال الحاكم: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وأخرج أحمد ٢/ ٢٣٥-٣٦٣، من طرق جيدة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة» ا.هـ. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٣٥٢، وقال: (رواه أحمد، ورجاله رجال =

إنما جُعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص؛ واختار الزجاج هذا، قال: (يعني: أمثالكم في أنهم يبعثون؛ لأنه قال ﷻ: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦]، ثم أعلم أنه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في الخلق والموت والبعث)[١].

واختار الأزهري قول ابن عباس فقال: (معنى قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في معنى دون معنى -يريد والله أعلم- أنه تعبدهم بما شاء أن يتعبدهم [به][٢] من تسبيح وعبادة علمها منهم، ولم يفقهنا ذلك)[٣].

وقال ابن الأنباري في هذه الآية: (يسأل السائل عن هذا فيقول: ما في هذا من الاحتجاج على المشركين؟ فيُقال له: الاحتجاج أن الله ﷻ قد ركب في الناس عقولًا، وجعل لهم أفهامًا، ألزمهم بها، تدبر أمر الأنبياء، والتمسك بطاعته، وأنه تعالى قد أنعم على الطير والدواب بأن جعل لها[٤] فهمًا يعرف بعضها به إشارة بعض، فهدى الذكر منها لإتيان الأنثى، فصح التشبيه[٥]؛ لأن الأمم من غير الناس يفهم[٦] بعضها عن بعض، كما يفهم

= الصحيح)، وله شواهد انظر: «المسند» ١/ ٧٢، ومجمع «الزوائد» ١٠/ ٣٥٢-٣٥٣، والقرناء: ذات القرون، والجماء: التي لا قرون لها.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٤٥.

(٢) لفظ: (به) ساقط من (ش).

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٥، وهذا قول أبي عبيدة أيضًا في «مجاز القرآن» ١/ ١٩١، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢١: (وأكثر أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى: أنهم يخلقون كما يخلقون ويبعثون كما يبعثون) ا.هـ. ورجحه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٨٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وابن عطية ٥/ ١٩٢، والقرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٢٠، و«التذكرة» ص٣٢٩.

(٤) في (أ): (جعل لهم).

(٥) في (ش): (أن الأمم).

(٦) في (أ): (تفهم).

الناس بعضهم عن بعض، ويلزمهم بما يتبينونه من فهمها وهدايتها أن يستدلوا على نفاذ قدرة خالقها المركب ذلك الفهم فيها، وعلى هذا جُعلت أمثالنا في فهم البعض عن البعض)[١].

وقال بعض أهل التأويل:

(إنما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة وشدة الفاقة إلى مدبر يدبرهم في أغذيتهم وكِنهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم إلى مراشدهم، إلى ما لا يحصى[٢] كثرة من أحوالهم ومصالحهم، وقد تقدم في الآية الأولى أن الله قادر على أن ينزل [كل][٣] آية، فجاء في هذه الآية ببيان أنه القادر على تدبير كل أمة وسد كل خلة)[٤]. وإلى قريب من هذا ذهب ابن قتيبة فقال: (يريد أنها مثلنا في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك)[٥].

فهذه أقوال المفسرين وأهل التأويل في هذه الآية. وبعد هذا كله فقد أخبرونا عن أبي سليمان البستي الفقيه -رحمه الله- أنبأ[٦] ابن الزئبقي[٧] نبأ

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١١٨-١١٩، عن ابن الأنباري.

(٢) في (ش): (فيما لا يحصى).

(٣) لفظ: (كل) ساقط من (ش).

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢١١- ٢١٣، و«البحر المحيط» ٤/ ١٢٠.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٤٥.

(٦) في (ش): (أخبرنا).

(٧) ابن الزئبقي: محمد بن أحمد بن عمرو الزئبقي البصري، روى عن يحيى بن أبي طالب، وحدث عنه غير واحد من البصريين، قاله ابن ماكولا في «الإكمال» ٤/ ٢٢٨: لم أجد له ترجمته عند غيره. والزئبقي، بكسر الزاي وسكون الياء وفتح الباء وبعدها قاف: نسبة إلى الزئبق وبيعه، انظر: اللباب ٢/ ٨٥.

موسى بن زكريا(١) التستري نبأ أبو حاتم(٢) نبأ العُتبي(٣) قال: (كنا عند سفيان بن عيينة فتلا هذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ فقال: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم، فمنهم من يهتصر اهتصار(٤) الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس(٥) كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي إذا قدم(٦) لها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن

---

(١) موسى بن زكريا التستري أبو عمران متروك، توفي قبل ٣٠٠هـ.
انظر: «سؤالات الحاكم» للدارقطني ص١٥٦، و«ميزان الاعتدال» ٥/ ٣٣٠، و«المغني في الضعفاء» ٢/ ٦٨٣، و«لسان الميزان» ٧/ ١٠٥، و«التُّسْتَري» نسبة إلى بلدة تستر من كور الأهواز من خوزستان.
انظر: «اللباب» ١/ ٢١٦.

(٢) أبو حاتم: سهل بن محمد السجستاني، تقدمت ترجمته.

(٣) العتبي: محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي، أبو عبد الرحمن البصري، إمام علامة فصيح راوية للأخبار والأدب وشاعر مشهور، توفي نحو سنة ٢٢٨هـ.
انظر: «المعارف» ص٥٣٨، و«تاريخ بغداد» ٢/ ٣٢٤، و«فيات الأعيان» ٤/ ٣٩٨، و«سير أعلام النبلاء» ١١/ ٩٦، و«الأعلام» ٦/ ٢٥٨.
والعتبي بالضم وسكون التاء وبعدها باء: نسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان الأموي.
انظر: «اللباب» ٢/ ٣٢٠.

(٤) المهتصر: الأسد. والهصر، بالفتح: الجذب والإمالة وعطف شيء رطب وكسره من غير بينونة، واهتصر النخلة: ذلل عذوقها وسواها. انظر: «القاموس» ص٤٩٨ (هصر).

(٥) تطوست المرأة: تزينت، والمطوس: الشيء الحسن. انظر: «القاموس» ص٥٥٥ (طوس).

(٦) في (ش): (التي ألقى إليها الطعام)، وفي العزلة للخطابي ص٧٥: (التي لو ألقي لها الطعام).

رجيعه[١] ولغت[٢] فيه، فكذلك[٣] تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يتحفظ[٤] واحدة منها وإن أخطأ رجل أو حكى خطأ غيره ترواه وحفظه)[٥].

قال أبو سليمان: (ما أحسن ما تأول أبو محمد هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة، وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمه مطاوعًا لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة بيننا وبين كل طائر ودابة، وذلك ممتنع من جهة الخلقة والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة، فوجب أن يكون منصرفًا إلى المماثلة في الطباع والأخلاق[٦]، وإذا كان الأمر كذلك فاعلم يا أخي أنك إنما تعاشر[٧] البهائم والسباع، فليكن حذرك منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك)[٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم)[٩].

---

(١) الرجيع: الروث. انظر: «القاموس» ص٧٢١ (رجع).
(٢) ولغ السبع في الإناء، أي: شرب ما فيه بأطراف لسانه. انظر: «القاموس» ص٧٩٠ (ولغ).
(٣) في (ش): (وكذلك).
(٤) في (ش): (يحفظ).
(٥) في (ش): (يرويه ويحفظه).
(٦) في (ش): (بلا خلاف)، وهو تحريف.
(٧) في (ش): (يعاشر) بالياء.
(٨) «العزلة» للخطابي ص٧٦، وروايته عن سفيان بن عيينة ضعيفة لمكان موسى التستري كما سبق. وذكره عن سفيان الرازي ١٢/ ٢١٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٢٠، وقال القرطبي ٦/ ٤٢٠، بعد ذكر قول سفيان: (استحسنه الخطابي، وهو أيضًا حسن، فإنه تشبيه واقع في الوجود) ا.هـ. بتصرف.
(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٣٥.

قال العلماء: (هذا من العام الذي أريد به الخاص؛ لأن المعنى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه إما نصًا، وإما دلالة، وإما مجملًا، وإما مفصلًا، فالمجمل كقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، والمفصل ما فصل بيانه مما لا يحتاج فيه إلى بيان الرسول، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[١] [النحل: ٨٩]، أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين وما خفي على الناس فلم يعرفوا فيه دلالة من الكتاب فذاك[٢]، لقصور علمهم، وإخراج كل ما يحتاج إليه في أمر الدين من كتاب الله، كما يروى عن ابن مسعود أنه قال: (ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه) يعني: الواشمة والمستوشمة[٣] والواصلة والمستوصلة[٤]، فروى أن امرأة[٥] قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت: (يا ابن أم عبد[٦]، تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم

---

(١) في (أ)، (ش): (وأنزلنا)، وهو تحريف.

(٢) في (ش): (فذلك).

(٣) في (ش): (والموشومة)، قال ابن الأثير في «النهاية» ٥/ ١٨٩: (الوشم: أن يغرز الجلد بإبرة ثم يحشى بصبغ فيظهر أثره. والمستوشمة والموتشمة التي يفعل بها ذلك) ا.هـ بتصرف.

(٤) قال ابن الأثير في «النهاية» ٥/ ١٩٢: (الواصلة: التي تصل شعرها بشعر آخر زور، والمستوصلة: التي تأمر من يفعل بها ذلك)ا.هـ.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠/ ٣٧٣ -عند كلامه على هذا الحديث-: (المرأة هي أم يعقوب من بني أسد بن خزيمة، ولم أقف لها على ترجمة) ا.هـ.

(٦) ابن أم عبد، هو: الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قد ينسب إلى أمه أم عبد بنت عبد بن سواء من هذيل صحابية رضي الله عنها. انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ٤٣١.

أجد فيه لعن [الله][١] الواشمة). فقال: (لو تلوته[٢] لوجدته، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، وأن مما أتانا رسول الله ﷺ أن قال: «لعن الله الواشمة والمستوشمة»[٣].

و[٤] كما يروى أن الشافعي ﷺ قال ذات يوم وهو جالس في المسجد: (لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه عن كتاب الله، فقال له رجل: ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبور[٥]، فقال: لا شيء عليه، فقال: أين هذا في كتاب الله؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية [الحشر: ٧]، وأخبرنا[٦] فلان ... وذكر الإسناد إلى رسول الله ﷺ [أنه][٧] قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»[٨]، وأخبرنا

---

(١) لفظ: (الجلالة) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (لو تلوتيه لوجدتيه)، وقال ابن حجر في «الفتح» ١٠/ ٣٧٣) -عند كلامه على الحديث-: (روى مسلم: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه بإثبات الياء، وهي لغة، والأفصح حذفها في خطاب المؤنث في الماضي) ا.هـ.

(٣) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٩٣١)، في كتاب: «اللباس»، باب المتفلجات للحسن، ومسلم ٢/ ١١٨٠، ١١٨١ حديث رقم (٢١٢٤-٢١٢٥)، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، وانظر: شرحه في «فتح الباري» ١٠/ ٣٧٢-٣٨٠، ٨/ ٦٣٠.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٥) الزنبور -بضم الزاي المشددة وسكون النون وضم الباء-: ذباب لساع. انظر: «القاموس» ص٤٠١ (زنبور).

(٦) في (أ): (وأخبر فلان).

(٧) لفظ: (أنه) ساقط من (ش).

(٨) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦-١٢٧، والدارمي ١/ ٢٢٩- ٢٣٠، وأبو داود رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجة رقم (٤٢-٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٩-٣٠، والحاكم ١/ ٩٥-٩٧ من طرق عن العرباض =

فلان ... وذكر الإسناد إلى عمر[١] رضي الله عنه أنه قال: للمحرم قتل الزنبور[٢]، فأجابه عن كتاب الله مستنبطًا بثلاث درجات[٣].

= بن سارية رضي الله عنه، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وقال الحاكم: (حديث صحيح على شرطهما، ولم أعرف له علة)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم.

(١) الأثر عن عمر رضي الله عنه أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٤٤٣، رقم ٨٣٨٠-٨٣٨١، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٣٤، والبيهقي في سننه ٥/ ٢١١، بسند جيد عن سويد بن عفلة الجعفي، وانظر: «المغني» لابن قدامة ٥/ ١٧٥-١٧٧.

(٢) روى هذه القصة البيهقي في سننه ٥/ ٢١٢ عن عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي قال: (سمعت الشافعي بمكة يقول: سلوني ما شئتم أجبكم من كتاب الله ﷻ ومن سنة رسول الله ﷺ قال: فقلت له: أصلحك الله! ما تقول في المحرم بقتل زنبورًا؟ قال: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر المحرم بقتل الزنبور) ا.هـ.
وحديث: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**» حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ٣٥٢ (٣١٩٣٣)، والترمذي في «المناقب» ٥/ ٦٠٩-٦١٠، حديث ٣٦٦٢-٣٦٦٣، وحسنه، وابن ماجة في «المقدمة» ١/ ٣٧، حديث ٩٧، وابن أبي عاصم في كتاب: السنة ٢/ ٥٤٥-٥٤٦، وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة».

(٣) نقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢١٦، وقال: (وأما الطريق الذي ذكره الشافعي فهو تمسك بالعموم على أربع درجات:
أولها: التمسك بعموم قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، وأحد الأمور الداخلة تحت هذا أمر النبي عليه السلام بمتابعة الخلفاء الراشدين.
وثانيها: التمسك بعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**». =

ومن هذا ما روي في حديث العسيف[١] الزاني وأن أباه قال للنبي ﷺ: اقض بيننا بكتاب الله وأذن لي فأقول، قال: «قل»، قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا ... وذكر القصة، فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله»**[٢]، ثم قضى بالجلد والتغريب على العسيف، وبالرجم على المرأة إن اعترفت، وليس للرجم والتغريب ذكر في نص الكتاب، فجعلهما النبي ﷺ من الكتاب لما حكم هو بهما، وهذا يبين لك أن كل ما يحكم به النبي ﷺ كان ذلك كما لو حكم به الكتاب نصًا)[٣].

= وثالثها: أن عمر رضي الله عنه كان من الخلفاء الراشدين.
ورابعها: الرواية عن عمر أنه لم يوجب في هذه المسألة شيئًا) ا.هـ.

(١) العسيف: الأجير سمي لأن المستأجر يعسفه في العمل. انظر: «النهاية» ٣/ ٢٣٦، و«فتح الباري» ١٢/ ١٣٩.

(٢) حديث العسيف حديث متفق عليه أخرجه البخاري (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم حديث (١٦٩٧-١٦٩٨)، كلاهما في كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني قالا: (إن رجلا من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي، فقال رسول الله ﷺ: **«قل»**. قال: إن ابني كان عسيفًا على هذا فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني إنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»** قال: فغدا عليها، فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ) ا.هـ. لفظ مسلم.
وانظر: شرح الحديث في «فتح الباري» ١٢/ ١٣٧-١٤٢.

(٣) ذكر قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢١٧، والقاسمي في «تفسيره» ٦/ ٥١٧-٥٢١.
وانظر البحث في هذا الموضوع في «الموافقات» للشاطبي ٢/ ٧٩، ٣/ ٣٣٦.

والكتاب على هذا التأويل المراد به القرآن[1].

ومعنى ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾: ما ضيعنا وما تركنا وما قصرنا[2]، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾ أي: شيئًا و﴿مِن﴾ زائدة[3]، كقولك: ما جاءني من أحد، وتقديره: ما تركنا في الكتاب شيئًا لم نبينه؛ لأن معنى التفريط يعود إلى التقصير عن التقدم فيما يحتاج إلى التقدم فيه.

وقيل: (المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله ﷻ المشتمل على ما كان ويكون، وهو اللوح المحفوظ)، وهو قول[4] ابن عباس في

---

(١) وهو قول الجمهور ورجحه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٤٦، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٩٤، لأنه هو الذي يقتضيه سياق الآية والمعنى، قال الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢١٥: (هذا أظهر؛ لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن) ا.هـ.
وانظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١١٢، و«البحر المحيط» ٤/ ١٢٠، و«تفسير القاسمي» ٦/ ٥١٥-٥١٦.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩١.

(٣) انظر: «التبيان» ١/ ٣٣١، و«الفريد» ٢/ ١٤٥-١٤٦، و«البحر» ٤/ ١٢٠-١٢١، و«الدر المصون» ٤/ ٦١٢، ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢١٨، وقال: (من للتبعض، فكأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب بعض شيء يحتاج المكلف إليه، وهذا هو نهاية المبالغة في أنه تعالى ما ترك شيئًا مما يحتاج المكلف إلى معرفته في هذا الكتاب) ا.هـ.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ١٨٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٨٦ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٠٧، بسند جيد عن قتادة، وأخرجه الطبري بسند جيد عن ابن زيد، وهو اختيار مقاتل ١/ ٥٦٠، والطبري والسمرقندي ١/ ٤٨٣، والبغوي ٣/ ١٤٢، والزمخشري ٢/ ١٧، =

رواية الوالبي[1]، والآية على هذا التأويل عامة، وتدل على أن كل ما في الدنيا من حادث قد سبق به القضاء، وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ كما قال ﷺ: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[2].

= وابن كثير ٢/١٤٧، وهو الظاهر -والله أعلم- قال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/١٤٧-١٥٠: (هو أظهر القولين وأظهر في الآية، والسياق يدل عليه) ا.هـ.

(١) (تقدم أنه علي بن أبي طلحة: والوالِبِي: نسبة إلى والب بن الحارث بن ثعلبة بطن من بني أسد، ينسب إليه جماعة منهم: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، أبو محمد الكوفي، تابعي إمام عابد، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ. ولم يكمل ٥٠ سنة.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/٢٥٦، و«الجرح ولاتعديل» ٤/٩، و«الحلية» ٤/٢٧٢، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/٢١٦، و«سير أعلام النبلاء» ٤/٣٢١، و«تهذيب التهذيب» ٢/٩، هذا هو المشهور في الوالبي كما في «اللباب» ٣/٣٥٠، ولكن مراد الواحدي كما في «أسباب النزول» ص٣٩، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في «الفتاوى» ٨/١٥٠، ١٤/٢٣٨، وابن كثير في «تفسيره» ٢/١٤٧، أن الوالبي هو علي بن أبي طلحة ولم أجد في ترجمته من نسبه إلى ذلك؛ وهو: علي ابن سالم بن مخارق الهاشمي مولاهم أبو الحسن ابن أبي طلحة الحمصي، أصله من الجزيرة، إمام صدوق مشهور برواية التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يسمع منه، ولكنه أخذه عن الثقات من أصحاب ابن عباس، وقد أشاد العلماء بصحيفته في التفسير واعتمدوها في كتبهم، توفي سنة ١٤٣هـ.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/٤٥٨، و«الجرح والتعديل» ٦/١٨٨، و«مشاهير علماء الأمصار» ص١٨٢، و«تاريخ بغداد» ١١/٤٢٩، و«ميزان الاعتدال» ٣/١٣٤، و«تهذيب التهذيب» ٣/١٧١، ومقدمة «معجم غريب القرآن» لمحمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) أخرج الإمام أحمد ٤/٢٨٦-٢٨٨، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/١٣٧-١٣٩، حديث طويل عن ابن عباس، وفيه: قال النبي ﷺ: «قد جف القلم بما هو كائن ...»، الحديث. وصححه أحمد شاكر، والألباني في تخريجهما لذلك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: للجزاء إما ثواب وإما عقاب)[١]، وهذا وقول المفسرين[٢] (أن هذه الأمم يحشرون مع الخلق إلى الموقف يوم القيامة للحساب والجزاء).

كما روينا عن أبي هريرة[٣] وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، ومعنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: إلى حيث لا يملك النفع والضر إلا الله جل[٤] وعز، إذا لم يُمكن منه كما مكنهم في دار الدنيا.

٣٩- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما جاء به محمد ﷺ: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ قال: يريد ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يسمعونه، ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن القرآن لا ينطقون به)[٥] وقد أحكمنا شرح هذا في أول سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ إلى آخر الآية، دليل على أن هؤلاء صاروا صمًّا بكمًا بمشيئة الله إضلالهم، وأنه من شاء أضل، ومن شاء هدى[٦].

---

(١) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢١، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٧، نحوه.

(٢) هذا قول الجمهور كما في «البحر» ٤/ ١٢١، ورجحه القرطبي ٦/ ٤٢١، وانظر: الطبري ٧/ ١٧١، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وابن عطية ٥/ ١٩٣.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ش): (إلا الله تعالى).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٨، وأخرج الطبري ٧/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٥٣، تحقيق الغماري، بسند جيد عنه قال: (﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه)، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩١، و«زاد المسير» ٣/ ٣٦.

(٦) انظر: الطبري ٧/ ١٩٠، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وابن عطية ٥/ ١٩٥، والقرطبي ٦/ ٤٢٢، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٥٠.

٤٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ الآية، قال الفراء: (للعرب في أرأيت لغتان ومعنيان، أحدهما: رؤية العين فإذا أردت هذا عدّيت الرؤية بالضمير إلى المخاطب وتصرف سائر الأفعال تقول للرجل: أرأيتك على غير هذه الحال، تريد هل رأيت نفسك، ثم تثنى وتجمع فتقول: أرأيتما كما، وأرأيتموكم[١]، وللنسوة أرأيتنكن[٢][٣].

والمعنى الآخر: أن تقول: أرأيتك وأنت تريد أخبرني كما تقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل، أي: أخبرني، وتترك[٤] التاء إذا أردت هذا المعنى موحدة على كل حال تقول: أرأيتك، أرأيتكما[٥]، أرأيتكن[٦]؛ وإنما تركت العرب التاء واحدة؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعل واقعًا من المخاطب على نفسه، فاكتفوا من علامة المخاطب بذكره في الكاف، وتركوا التاء على المذكر والتوحيد إذ لم يكن الفعل واقعًا.

قال: والرؤية من الأفعال الناقصة التي يُعدّيها المخاطب إلى نفسه بالمكنى مثل: ظننتني وحسبتني ورأيتني، ولا يقولون ذلك في الأفعال التامة، لا يقولون للرجل: قتلتك بمعنى قتلت نفسك، ولا أحسنت إليك

---

(١) في (ش): (وأريتموكم)، وهو تحريف.

(٢) في (أ): (أريتنكن)، وهو تحريف.

(٣) زاد الفراء في «معانيه» ١/ ٣٣٣: (وللمرأة -أرأيتك- فهذه مهموزة تخفض التاء والكاف، لا يجوز إلا ذلك) اهـ.

(٤) في (ش): (ويترك).

(٥) في (أ): (أريتكما)، وهو تحريف.

(٦) زاد الفراء في هذا الوجه: (وتهمزها وتنصب التاء منها، وتترك الهمز إن شئت، وهو أكثر كلام العرب، وتترك التاء موحدة مفتوحة للواحد والواحدة والجميع في مؤنثه ومذكره) اهـ.

كما يقولون: متى تظنك خارجًا ومتى تراك. وذلك أنهم أرادوا الفصل بين الفعل الذي قد يُلغى وبين الفعل الذي لا يجوز إلغاؤه، ألا ترى أنك تقول: أنا أظن خارج فتلغي أظن، وقال الله تعالى: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٧]، ولم يقل: رأى نفسه، وجاء في ضرورة الشعر إجراء الأفعال التامة مجرى النواقص، قال جران العود[١]:

لَقَدْ كَانَ لي في ضَرَّتَيْنِ عَدِمْتُني ... وما كنت ألقى من رزينة أبرحُ[٢]

والعرب تقول: عدمتني ووجدتني وفقدتني، وليس بوجه الكلام)[٣] وهذا كله صحيح، ولم يخالف إلا في الكاف التي في أرأيتك بمعنى أخبرني، فإنه قال: [(موضع الكاف نصب وتأويله رفع؛ لأن الفعل محول عن التاء إليها، وهي بمنزلة الكاف في دونك إذا أُغري بها، كما تقول: دونك زيدًا، فتجد الكاف][٤] في اللفظ خفضًا وفي المعنى رفعًا؛ لأنها

---

(١) جِران العَوْد، هو: عامر بن الحارث بن كلدة النُّمَيري، شاعر إسلامي وصاف. وجران العود لقب غلب على اسمه، وهو بالكسر وفتح الراء: جلد عُنُق الدابة، سمي به؛ لأنه اتخذ منه سوطًا، وأورده في شعره.
انظر: «كنى وألقاب الشعراء» لابن حبيب ص٣٥، و«الشعر والشعراء» ص٤٨٠، و«المبهج» لابن جنى ص١٦٩، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٩١ (جرن)، و«اللباب» لابن الأثير ١/ ٢٦٩، و«تاج العروس» ١٨/ ١٠٦ (جرن)، و«الأعلام» ٣/ ٢٥٠.

(٢) «ديوانه» ص٣٩، ٤٠، و«الدر المصون» ٤/ ٦٢٢، وهذه هي رواية الفراء في «معانيه» ١/ ٣٣٤، وفي المراجع:
لقد كان لي عن ضرتين عدمنني ... وعَمَّا أُلاقي منهما مُتَزَحْزِحُ
والشاهد: عدمتني: حيث جمع بين ضمير الفاعل والمفعول.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٣-٣٣٤، بتصرف واختصار، ونص الواحدي عند السمين في «الدر» ٤/ ٦٢١-٦٢٢ عن الفراء.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

مأمورة، فكذلك هذه الكاف موضعها نصب وتأويلها رفع)[١]، قال الزجاج: (وهذا القول لم يقله النحويون القدماء وهو خطأ؛ لأن قولك: رأيتك زيدًا ما شأنه لو تعدت الرؤية إلى الكاف وإلى زيد لصار المعنى: أرأيت[٢] نفسك زيدًا ما شأنه وهذا محال. قال: والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى: أرأيت زيدًا ما حاله، وإنما الكاف زيادة وهي المعتمد عليها في معنى الخطاب)[٣].

قال أبو علي: (قولهم: أرأيتك زيدًا ما فعل، بفتح التاء في جميع الأحوال، فالقول في ذلك أن الكاف في أرأيتك لا يخلو من أن يكون[٤] للخطاب مجردًا ومعنى الاسم مخلوع منه[٥]، أو يكون دالًّا على الاسم مع دلالته على الخطاب، فالدليل على أنه للخطاب مجردًا من علامة الاسم أنه لو كان اسمًا وجب أن يكون الاسم الذي بعده في نحو قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقولهم: أرأيتك زيدًا ما صنع لو كان الكاف اسمًا ولم يكن حرفًا للخطاب لوجب أن يكون الاسم الذي بعده الكاف في المعنى، ألا ترى أن أرأيت يتعدى[٦] إلى مفعولين يكون الأول منهما هو الثاني في المعنى، وفي كون المفعول الذي بعده ليس الكاف، وإنما هو غيره دلالة على أنه ليس باسم، وإذا لم يكن اسمًا كان

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٣.
(٢) أي يصير لها فاعلان هما التاء والكاف.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤٦.
(٤) في (أ): (لا تخلو من أن تكون).
(٥) في (ش): (منها)، وهي في بعض نسخ الحجة لأبي علي ٣/ ٣٠٨.
(٦) في (ش): (تعدى).

حرفًا للخطاب مجردًا من معنى الاسمية، كما أن الكاف في ذلك وفي هنالك وأبصرك زيدًا للخطاب، [وكما أن التاء في أنت كذلك، فإذا ثبت أنه للخطاب][1]، معرى من الأسماء، ثبت أن التاء لا يجوز أن يكون بمعنى الخطاب، ألا ترى أنه لا ينبغي أن يلحق الكلمة علامتان للخطاب، كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام، فلما لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لابد له من فاعل، وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد؛ لأن ما يلحق الكاف في معنى الخطاب يبين الفاعلين، فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع، ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمع علامتان للخطاب مما كان يلحق التاء وما كان يلحق الكاف، فلما كان ذلك يؤدي إلى ما لا نظير له رفض وأجري على ما عليه سائر كلامهم في هذا النحو)[2].

واحتج ابن الأنباري لمذهب الفراء بأن قال: (لو كانت الكاف توكيدًا لوقعت التثنية والجمع بالتاء كما يقعان بها عند عدم الكاف، فلما فتحت التاء في خطاب الجمع، ووقع ميسم الجمع لغيرها، كان ذلك دليلًا على أن الكاف غير توكيد، ألا ترى أن الكاف لو سقطت لم يصلح أن يقال لجماعة: أرأيت، فوضح بهذا انصراف الفعل إلى الكاف، وأنها واجبة لازمة مفتقر إليها)[3].

والصحيح مذهب البصريين، وهذا الذي قاله يبطل بكاف ذلك وأولئك؛ لأن ميسم الجمع يقع عليها، وهي حرف للخطاب مجرد من

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٠٨-٣١٠، وانظر: «الحلبيات» لأبي علي ص٤٢-٩٦.

(٣) ذكره السمين في «الدر» ٤/ ٦٢١، وانظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٢٢.

معنى الاسمية[١].

واختلف القراء في هذا الحرف وما كان من بابه ودخل عليه ألف الاستفهام، مثل ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] و﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠] و﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الكهف: ٦٣] و﴿أَفَرَءَيْتُمْ﴾[٢] [الشعراء: ٧٥] فحذف الكسائي همزة الرؤية، فقرأ: (أريتكم)[٣] كأنه حذفها للتخفيف، كما قالوا: ويلمه[٤]، وكما أنشده أحمد بن يحيى:

إن لـم أُقَـاتِـلْ فـالْـبِـسُـونـي بُـرْقُـعـا[٥]

---

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٤، و«تفسير الطبري» ٧/ ١٩٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٤٧، و«معاني القراءات» للأزهري ١/ ٣٥٣، و«المشكل» لمكي ١/ ٣٥١، و«البيان» ١/ ٣٢١، و«التبيان» ١/ ٣٣٢، و«الفريد» ٢/ ١٤٦، و«المغني» لابن هشام ١/ ١٨١.

(٢) (قرأ نافع: (أرأيتكم) وما أشبهه مما قبل الراء همزة وبعدها همز، بهمز الأولى وتسهيل الثانية بين الهمز والألف لتكون كالمدة في اللفظ حيث وقع، وقرأ الكسائي بهمز الأولى وإسقاط الثانية، وقرأ الباقون بهمزها جميعًا).
انظر: «السبعة» ص٢٥٧، و«المبسوط» ص١٦٨، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٨، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ١/ ٣٩٧.

(٣) في (أ): (أرأيتكم).

(٤) وَيْلِمِّه: بفتح فسكون وكسر اللام أو ضمها وكسر الميم المشددة وبعدها هاء لفظ مركب يقال للمستجاد ويلمه أي ويل لأمه، أدغمت لام ويل في اللام الجارة ثم حذفت لكثرة الاستعمال فصار: وي لأمه، ثم حذفت الهمزة فصار ويلمه.
انظر: «الحلبيات» ص٤٣، و«اللسان» ٨/ ٤٩٣٩ (ويل).

(٥) لم أعرف قائله وهو في: (الحجة» لأبي علي ٣/ ٢١١، ٦/ ٣٤٠، و«كتاب الشعر» لأبي علي ١/ ٣٠٣، و«المحتسب» ١/ ١٢٠، و«الخصائص» ٣/ ١٥١، والرازي ١٢/ ١٨٤، والقرطبي ٥/ ١٠١، و«البحر» ٣/ ٢٠٦، و«الدر المصون» ٣/ ٦٣٣، وهو رجز آخره: =

[أراد][١] فألبسوني بقطع الهمزة ثم حذفها.

وكقول أبي[٢] الأسود[٣]:

يَـا بَـا الـمُـغِـيـرَةِ رُبَّ أَمْـرٍ مُـعْـضِـلٍ[٤]

ومما يقوي هذا المذهب قول الشاعر:

وَمَـنْ رَأ مـثـلَ مَـعْـدَان بْـنِ لَـيْـلَـى إذا ما النسْعُ طالَ على المَطِيَّةْ[٥]

فَـتَـخَـاتٍ فِـي الـيَـدَيْـنِ أَرْبَـعَـا.

والشاهد: فالبسوني، حيث حذف الهمزة، والأصل: فألبسوني. والفتخات، بفتح فسكون أو بفتحتين: خاتم يكون باليد والرجل.

(١) لفظ: (أراد) ساقط من (ش). (٢) في (ش): (ابن)، وهو تحريف.

(٣) أبو الأسود: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي أبو الأسود البصري مشهور بكنيته وفي اسمه ونسبه خلاف، وهو إمام تابعي عابد فاضل نحوي مقرئ فقيه، ثقة، شاعر فارس شجاع، واضع علم النحو، وأول من نقط المصحف، توفي سنة ٦٩هـ. وله ٨٥ سنة.

انظر: «طبقات الزبيدي» ص٢١، و«إنباه الرواة» ١/ ٤٨، و«معجم الأدباء» ٣/ ٤٣٦، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٨١، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٤٩، و«الأعلام» ٣/ ٢٣٦.

(٤) ديوانه ص١٣٤، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٢١١، ٣٠٧، ٦/ ٣٤٠، و«الشعر» لأبي علي ١/ ١٤٢، ٣٠٣ و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٩٩، و«المقرب» ص٥٥٩، و«الممتع» ٢/ ٦٢٠، و«رصف المباني» ص١٣٤، و«البحر» ٥/ ٥٢، و«الدر المصون» ٤/ ٦١٧، وعجزه:

فَـرَّجْـتَـهُ بـالـمَـكْـرِ مِـنّـي والـدَّهَـا

والشاهد يا با، حيث حذف الهمزة من أيا.

(٥) لم أعرف قائله، وهو في: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٠٧، ٦/ ٤٢٤، و«الحلبيات» ص٤٧، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٩١، و«اللسان» ٣/ ١٥٣٧، (رأى)، و«الدر المصون» ٤/ ٦١٨، والنسع بالكسر: سير مضفر تشد به الرحال، انظر «اللسان» ٧/ ٤٤١٠ (نسع)، و«الشاهد» (من رأ) حيث حذف، والأصل رأى.

فهذا على أنه قلب الهمزة [ألفا][١] كما قلبها في قوله:

لاَ هَـنــــــاك الـمَـرْتَــــعُ[٢]

واجتمعت مع المنقلبة عن اللام فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين.

وقرأ نافع بتليين همزة الرؤية فجعلها بين الهمزة والألف على التخفيف القياسي والباقون قرؤوا بتحقيق الهمزة؛ لأن الهمزة عين الفعل، ومذهب الكسائي حسن، وبه قرأ[٣] عيسى بن ....

---

(١) لفظ: (ألفا) ساقط من (ش).

(٢) «الشاهد» للفرزدق في «ديوانه» ١/ ٤٠٨، و«الكتاب» ٣/ ٥٥٤، و«المقتضب» ١/ ٣٠٣، و«الكامل» ٣/ ٨٢، و«الأصول» ٣/ ٤٦٩، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٢٠، ٢/ ٤٦٤، وبلا نسبة في: أضداد ابن الأنباري ص٢٠٩، و«الحجة» لأبي علي ١/ ٣٩٨، و«العضديات» ص١٧٤، و«الشعر» ١/ ١٤٥، و«الخصائص» ٣/ ١٥٢، و«المحتسب» ٢/ ١٧٣، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٦٦، و«المقرب» ص٥٣٨، وأوله:

وَمَضَتْ لمسْلَمَة الرِّكابُ مُوَدِّعًا فَـارْعَـيْ فَزَارَةُ لا هَـنـاك الـمَـرْتَـعُ

وهو من قصيدة قالها حين عُزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وتولاها عمر بن هبيرة الفزاري، فدعا ألا يهنأ قومه بولايته. والشاهد: لا هناك، والأصل: هنأك، حيث أبدل الهمزة ألفًا ضرورة.

(٣) لم أستطع تحديده، وهناك: أ- عيسى بن عمر الأسدي الهمداني أبو عمر الكوفي، إمام فاضل ثقة، مقرئ أهل الكوفة في زمانه، أخذ عن عاصم، وأخذ عنه الكسائي، توفي سنة ١٥٦هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢٨٢، و«معرفة القراء» ١/ ١١٩، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٩٩، و«غاية النهاية» ١/ ٦١٢، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٦٣.

ب- عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمر البصري. إمام صدوق نحوي، مقرئ من أئمة اللغة، ومن أول من هذب النحو ورتبه، أخذ عنه الخليل وسيبويه وأبو عمر بن العلاء، توفي بعد سنة ٣/ ٣٦٤.

=

عمر[١]، وهو كثير في الشعر، قد[٢] تكلمت العرب في مثله بحذف الهمزة قال عمر[٣]:

أَرَيْتُكَ إذْ هُنّا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ رَقِيبا وَحَوْلي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ[٤]

وأنشد أبو علي[٥]:

أَرَيْتَ إنْ جِئْتُ بِهِ أُمْلُودًا مُرَجَّلًا وَيَلْبَسُ البُرُودا[٦]

فأما[٧] معنى الآية فقال ابن عباس: (﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ أَتَنكُمْ

= انظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٣٧٤، و«معجم الأدباء» ١٦/ ١٤٦، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٤٨٦، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٠٠، و«غاية النهاية» ١/ ٦١٣، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٦٤.

(١) ذكرها عنه: أبو علي في «الحجة» ٣/ ٣٠٧، والنحاس في «إعرابه» ١/ ٥٤٧، والرازي ١٢/ ٢٢٣، والقرطبي ٦/ ٤٢٣.

(٢) في (ش): (وقد).

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص١٢٥، و«الدر المصون» ٤/ ١٦٦. وأريتك: أي أخبرني. وحضر: أي حاضرون. والشاهد: (أريتك) حيث خفف، والأصل: أرأيتك.

(٤) في الديوان (وقيت) بدل (رقيبا).

(٥) «الحجة» ٣/ ٣٠٨، و«الحلبيات» ص٤٦، و«العسكريات» ص١٠٧.

(٦) الشاهد لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٧٣، ولرجل من هذيل في «شرح أشعار الهذليين» للسكري ٢/ ٦٥١. وذكر السيوطي في «شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٥٩، أنه لامرأة مجهولة، وهو بلا نسبة في: «المحتسب» ١/ ١٩٣، و«الخصائص» ١/ ١٣٦، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٤٧، و«اللسان» ٣/ ١٥٣٨ (رأى) و«الدر المصون» ٤/ ٦١٦. والأملود بالضم: الناعم اللين. والمرجل بالضم: المُزيَّن. ورجل شعره، أي: سرحه، والبرود بالضم: ثوب فيه خطوط من برود العصب والوشي. انظر: «اللسان» ١/ ٢٥٠ (برد).

والشاهد: تخفيف أريت، والأصل أرأيت.

(٧) انظر: في توجيه القراءات «إعراب القراءات» ١/ ١٥٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٩، ولابن زنجلة ص٢٥٠، و«الكشف» ١/ ٤٣١.

عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ يريد: الموت ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾[١] يريد: القيامة ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ يريد: إلى من تتضرعون[٢] إلى هذه الأصنام، يريد: أنكم عند العذاب وعند الموت والشدائد تخلصون وتوحدون وأنتم اليوم لا تصدقوني)[٣]، انتهى كلامه.

وقال أبو إسحاق: (﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد، فالمعنى: ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ التي وُعِدتم فيها البعث والفناء؛ لأن قبل البعث موت الخلق كله ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ أي: أتدعون هذه الأصنام والأحجار التي عبدتموها[٤] من دون الله ﷻ، فاحتج الله عليهم بما لا يدفعونه[٥]؛ لأنهم كانوا إذا مسهم الضّر دعوا الله)[٦].

وقال غيره[٧]: (الآية حجة على من عبد غير الله بأنه إن أتاه عذاب من قبل الله جل وعز لم يلجأ في كشفه إلا إليه دون كل أحد سواه؛ لأنه لا يملك كشف عظيم البلاء إلا هو).

---

(١) في (أ): (أتيكم)، وهو تحريف.

(٢) في (ش): (يتضرعون).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٦، والبغوي ٣/ ١٤٣، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٧.

(٤) في (أ): (التي عبد من دون الله)، وهو تحريف.

(٥) في (ش): (بما لا يدفعون).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٦.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩١، والسمرقندي ١/ ٤٨٣، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٢-٤٢٣: (في هذه الآية أعظم الاحتجاج؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام، فإذا وقعوا في شدة دعوا الله) ا.هـ.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ...[١]. [قوله ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾؛ لأنه بمعنى أخبروا كأنه قيل لهم: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾][٢] أخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم.

٤١- قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ . (بل) هاهنا نفي دعائهم غير الله في الشدائد وإثبات دعائهم إياه[٣].

وقوله. تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ ، أي: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتم[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: تتركونهم فلا تدعونهم؛ لأنه ليس عندهم ضر ولا نفع)[٥] قال أبو إسحاق: (وجائز أن يكون المعنى: أنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم)[٦]، وهذا

---

(١) السياق يظهر أن فيه سقطًا، وفي «الوسيط» ١/ ٣٦، ما يبين ذلك حيث قال: (وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ جواب قوله: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ لأنه بمعنى أخبروا..).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩١، والسمرقندي ١/ ٤٨٤، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٤٧: (بل استدراك وإيجاب بعد نفي، أعلمهم الله جل وعز أنهم لا يدعون في حال الشدائد إلا إياه، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم؛ لأنهم قد عبدوا الأصنام) ا.هـ. ملخصًا.

(٤) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٤٧، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٣، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٢٨٤، والبغوي ٣/ ١٤٣.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٢٣، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٨-١٩ نحوه، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٨٤، والبغوي ٣/ ١٤٣.

(٦) قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٤٧: (﴿وَتَنسَوْنَ﴾ ههنا على ضربين: جائز أن يكون تنسون تتركون، وجائز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من يسهون) ا.هـ. ونحوه ذكر النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٤٨.

قول الحس؛ لأنه قال: (تعرضون[١] عنه إعراض الناسي، أي: لليأس في النجاة من مثله)[٢].

وقال أبو علي: (التقدير: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ دعاء ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾][٣]، فحذف المضاف أي: تتركون دعاءه[٤] والفزع إليه، إنما تفزعون إلى الله سبحانه، قال: ويجوز أن يكون من النسيان خلاف الذكر كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، أي: تذهلون فلا تذكرونه)[٥]، انتهى كلامه، والعائد إلى الموصول محذوف على تقدير: ما تشركون به، وحذف به للعلم[٦].

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ قال ابن عباس: (فكفروا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾)[٧]، قال أهل المعاني: (في الآية محذوف تقديره: رسلًا فخالفوهم فأخذناهم، وحسن الحذف للإيجاز به من غير إخلال للدليل المفهوم من الكلام)[٨].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: الفقر[٩]

---

(١) في (ش): (يعرضون).
(٢) ذكره الرازي ١٢/ ٢٢٣، والقرطبي ٦/ ٤٢٣.
(٣) لفظ: (تشركون) ساقط من (ش).
(٤) في (ش): (تركون الفزع إليه).
(٥) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٩١، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ٦٣٢.
(٦) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٦٣٢.
(٧) لم أقف عليه.
(٨) هذا قول عامة أهل التفسير. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩٢، والسمرقندي ٣/ ٢٣٠، وابن عطية ٥/ ١٩٨، وابن الجوزي ٣/ ٣٨، والرازي ١٢/ ٢٢٤، والقرطبي ٦/ ٤٢٤.
(٩) في (ش): (الفقرا)، وهو تحريف.

والأسقام)[١].

وقال الحسن: (البأساء: شدة الفقر من البؤس، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الأمراض والأوجاع)[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ قال الزجاج: (لعل ترج، وهذا الترجي للعباد، والمعنى: فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع، كما قال في قصة فرعون: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] قال سيبويه: «المعنى:[٣] اذهبا أنتما على رجائكما، والله ﷻ عالم بما يكون

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٨٨ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (البأساء: الفقر، والضراء: السقم»، قال ابن أبي حاتم: (وروي عن ابن عباس وأبي العالية والحسن ومرة الهمذاني وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك) اهـ. وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٨، عن ابن عباس أنه قال: (البأساء: الزمانة والخوف، والضراء: البلاء والجوع) اهـ. وذكر السيوطي في «الدر» ١/ ٣١٥ عن ابن عباس أنه قال: (البأساء: الخصب، والضراء: الجدب).
وذكر أيضًا في «الدر» ١/ ٤٣٧ عنه أنه قال: (البأساء: الفتن، والضراء: السقم). وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ١٩٨: (البأساء: المصائب في الأموال؛ والضراء: في الأبدان، هذا قول الأكثر وقيل: قد يوضع كل واحد بدل الآخر) اهـ. وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩١، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٦، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٨، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٢٣.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٢٤، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٨٨ عن الحسن قال: (البأساء: البلاء، والضراء: هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك)، وقال ابن أبي حاتم: وروي عن الحسن أنه قال: (البأساء: الفقر، والضراء: السقم).

(٣) في (أ): (والمعنى).

وراء ذلك»[(١)]، ومعنى التضرع: التخشع وهو حال ظاهرة[(٢)] تنبئ عن الانقياد للطاعة، وأصله من الضراعة وهي الذلة، يُقال: ضرع الرجل يضرع ضراعة، وهو ضارع، ورجل ضرع: ذليل ضعيف[(٣)].

قال أبو إسحاق: (أعلم الله نبيه أنه قد أرسل قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا)[(٤)]، وهذا يكون كالتسلية لنبيه ﷺ، فإن قيل: أليس قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤١] يدل على أنهم تضرعوا وهاهنا يقول: ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣] ولم يتضرعوا؟ قلنا: حال أولئك [كانت][(٥)] بخلاف حال هؤلاء في التضرع، وأولئك الذين تضرعوا عند نزول الشديدة غير هؤلاء الذين وصفوا بالقسوة وترك التضرع. أو نقول:[(٦)] المراد [بالتضرع][(٧)] في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ تضرعًا بالإنابة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٤٨، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٢٤، وتفسير ابن عطية ٥/ ١٩٩، ولم أقف عليه في الكتاب، وفيه ٢/ ١٤٨، ٣/ ٢٣٣: (لعل طمع وإشفاق)، وانظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٣٠، و«معاني الحروف» للرماني ص١٢٣، و«المغني» لابن هشام ١/ ٢٨٦.

(٢) في (أ): (ظاهر).

(٣) قال أهل اللغة: (ضَرَعَ الرجل يضرَع ضَرَعًا وضَرَاعَة إذا استكان وذل، فهو ضارع بين الضَّراعة، وتَضَرَّع إلى الله، أي: ابتهل، والضَّرَعُ بالتحريك: الضعيف). انظر: «العين» ١/ ٢٦٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٤٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١١٥، و«الصحاح» ٣/ ١٢٤٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٩٥، و«المفردات» ٥٠٦، و«اللسان» ٥/ ٢٥٨٠ (ضرع).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٨.

(٥) لفظ: (كانت) ساقط من (أ).

(٦) في (أ): (أو يقول).

(٧) لفظ: (بالتضرع) ساقط من (أ).

[وإخلاص الطاعة، لا[١]] تضرعًا بالدعاء في كشف البلية دون إخلاص الإيمان[٢].

٤٣- وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ الآية. لولا[٣]: إذا دخلت على الاسم كان تعليلًا كقولك: لولا زيد لأتيتك. جعلت العلة المانعة من الإتيان مكان زيد، وإذا دخلت على الفعل كان تخصيصًا بمنزلة هلا، كقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [سورة المنافقون: ١٠]، والتقدير في الآية: لولا تضرعوا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾؛ وهذا معنى قول الفراء[٤]. قال ابن عباس[٥] والحسن[٦] في هذه الآية: (لولا بمنزلة هلا).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال صاحب «النظم»: (قوله ﴿وَلَٰكِن﴾ معطوف على تأويل الكلام الأول دون اللفظ، وذلك أن في قوله: هلا تضرعوا طرفًا من الجحد، وذلك أنهم لو كانوا قد تضرعوا، ما قيل: هلا تضرعوا، فكأنه قال: فلما جاءهم بأسنا لم يتضرعوا ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٢٤، و«الفريد» للهمداني ٢/ ١٤٨، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٤٢٥.

(٣) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٣-٥، و«معاني الحروف» للرماني ص١٢٣، و«المغني» لابن هشام ١/ ٢٧٢.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٣٤، وفيه قال: (معنى ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا..).

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٩، وأخرجه ابن حسنون ص٣٦، والوزان ص١/ب في «لغات القرآن» بسند جيد عنه.

(٦) لم أقف عليه عن الحسن، وهو معنى ظاهر وموجود في عامة كتب التفسير. انظر: الطبري ٧/ ١٩٢، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٢٤، والسمرقندي ١/ ٤٨٤، وابن عطية ٥/ ١٩٩.

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فأقاموا على كفرهم، ومعنى ﴿تَضَرَّعُوا﴾ تخشعوا وتذللوا وخضعوا)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ معنى تزيين الشيطان: إغراؤه بالمعصية بما فيها من المتعة واللذة[٢]. قال ابن عباس: (يريد زين لهم الشيطان الضلالة التي هم عليها فأصروا على معاصي الله)[٣].

٤٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: (تركوا ما وعظوا به)[٤]، وتأويله: تركوا العمل به. وقال مقاتل: (تركوا ما دعاهم إليه الرسل)[٥].

وقال أصحاب اللغة: (وإنما كان النسيان بمعنى الترك؛ لأن التارك للشيء إعراضًا قد صيره بمنزلة ما قد نُسي)[٦].

---

(١) لم أقف عليه، وكتاب «نظم القرآن» للجرجاني مفقود، وعلى هذا تكون لكن استدراكًا على المعنى، ويكون التخصيص في معنى النفي، وهو ظاهر كلام الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٩، والعكبري في «التبيان» ١/ ٣٣٣، والهمداني في «الفريد» ٢/ ١٤٩، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ٦٣٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩٣، وابن عطية ٥/ ١٩٩.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٣٧.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٣٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٩، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (يعني: تركوا ما ذكروا به).
وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦١.

(٦) انظر: «العين» ٧/ ٣٠٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٥، و«الصحاح» ٦/ ٢٥٠٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٢١، و«المفردات» ص٨٠٣، و«اللسان» ٧/ ٤٤١٦ (نسى).

وقوله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: (بركات من السماء والأرض، يريد النعمة والسرور)(١).

وقال مقاتل: (﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخير بعد الضر الذي كانوا فيه)(٢).

(٣)وقال الزجاج: (﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كان مغلقًا عنهم من الخير، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ أي: حتى إذا ظنوا أنه ما كان نزل بهم لم يكن انتقامًا من الله، وأنهم لما فتح عليهم ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أي: فاجأهم عذابنا من حيث لا يشعرون)(٤). قال الحسن: في هذه الآية (مكر بالقوم، ورب الكعبة)(٥).

---

(١) قال الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٧: (قال ابن عباس ومقاتل والسدي: رخاء الدنيا ويسرها وسرورها) ا.هـ. وجاء في «تنوير المقباس» ٢/ ١٩ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الزهرة والخصب والنعيم) ا.هـ. وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٣ بأسانيد جيدة عن مجاهد قال: (رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى)، وعن قتادة قال: (يعني الرخاء وسعة الرزق)، وعن السدي قال: (يقول من الرزق)، واللفظ عام يشمل الجميع.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦١.

(٣) هنا حصل اضطراب في ترتيب نسخة (ش) حيث وقع ص١٠٠ ب في ص١١٩ ب.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٨، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٤: (التقدير عند أهل اللغة: فتحنا عليهم أبواب كل شيء مغلقًا عنهم. ا.هـ. وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩١ بسند ضعيف، وذكره أكثرهم.
انظر: «الوسيط» ١/ ٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٣٩، والرازي ١٢/ ٢٢٦، وابن كثير ٢/ ١٤٩، والبيضاوي ١/ ٣٠١، و«الفتح السماوي» للمناوي ٢/ ٦٠٥، وفيه (أن البيضاوي جعله من قول النبي ﷺ وقال السيوطي: لم أقف عليه مرفوعًا، وإنما هو من قول الحسن). ا.هـ.

وقال ﷺ: «إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله» ثم تلا هذه الآية[(١)].

قال أهل المعاني: (إنما أخذوا في حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة إلى حال البلية والنقمة)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ قال ابن عباس: (آيسون من كل خير)[(٣)]، وهو قول مقاتل[(٤)].

وقال الفراء: (المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته أو لا يكون عنده جواب: [قد][(٥)] أبلس[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/ ١٤٥، و«الزهد» ص١٨، وابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» ص٨٠، رقم (٣٢)، والطبري ٧/ ١٩٥، والدولابي في «الكنى» ١/ ٢١٧، وابن أبي حاتم ٤/١٢٩١، والطبراني في «الكبير» ١٧/ ٣٣١، رقم (٩١٣)، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٨، من طرق جيدة يقوي بعضها بعضا، وصححه أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٠، وحسنه محقق مرويات أحمد في «التفسير» ٢/ ١٠٣، وقال الألباني في «الصحيحة» ١/ ٥/ ١٣، رقم (٤١٤): (هو عندي صحيح بالمتابعة) ا.هـ. وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٤٩، و«مجمع الزوائد» ٧/ ٢٠، ١٠/ ٢٤٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٢.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٢٦.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٩، وابن كثير ٢/ ١٤٩، وروى أبو عبيد ص٩٥، وابن حسنون ص٣٦، والوزان ص٦ أ، كلهم في اللغات في القرآن، بسند جيد عنه قال: (آيسون بلغة كنانة)، وفي «البحر» ٤/ ١٣١، عنه قال: (متحيرون).

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦١.

(٥) لفظ: (قد) ساقط من (ش).

(٦) في (ش): (أبليس)، وهو تحريف.

قال العجاج:

يا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا قَـالَ نَـعَـمْ أَعْـرِفُـه وأَبْـلَـسَـا[(١)]

أي لم يُحر إليَّ جوابًا)[(٢)].

وقال الزجاج: (المبلس: الشديد الحسرة اليائس الحزين)[(٣)].

فالإبلاس في اللغة[(٤)] يكون بمعنى: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة، ويكون بمعنى: انقطاع الحجة، ويكون بمعنى: الحيرة بما يرد على النفس من البلية، وهذه المعاني متقاربة[(٥)].

وقال ابن الأنباري: (في قوله ﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عم وجمع تأكيدًا وتشديدًا. كما يقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء وكنا عنده في كل سرور. يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه ومثله قوله تعالى:

---

(١) «ديوانه» ١/ ١٨٥، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«الكامل» للمبرد ٢/ ١٩١، والطبري ٧/ ١٩٥، ١١/ ٣٦٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٥، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٩، والماوردي ٢/ ١١٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٠، والقرطبي ٦/ ٤٢٧، و«اللسان» ١/ ٣٤٣ (بلس) وص٧/ ٣٨٥٤ (كرس)، والمكرس، بكسر فسكون: المتلبد من آثار الأبوال والأبعار حتى صار طرائق بعضه على بعض. وأبلس: سكت.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٠، والرجز فيه غير منسوب.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٩.

(٤) انظر: «العين» ٧/ ٢٦٢، و«الجمهرة» ١/ ٣٤٠، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٥، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٩، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٠٠، و«مجمل اللغة» ١/ ١٣٥، و«المفردات» ص١٤٣، و«اللسان» ١/ ٣٤٣ (بلس).

(٥) هذا معنى كلام الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٥، والسجستاني في «نزهة القلوب» ص٤٢٢، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٦، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٤، وذكر مثل كلام الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٢/ ٢٢٦.

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣][(١)].

٤٥- قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ الدابر: التابع[(٢)] [للشيء من خلفه كالولد للوالد.

قال الليث: (الدبر التابع[(٣)]] يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبرًا ودبورًا إذا كان آخرهم)[(٤)].

قال أمية بن أبي[(٥)] الصلت:

فَاستؤصلُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ ... فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلا انْتَصَرُوا[(٦)]

وقال أبو عبيدة: (﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾: آخرهم الذي يدبرهم[(٧)]، وأنشد:

آلُ المُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دابِرَهُمْ ... أَضْحَوْا رَمَادًا فلا أصْلٌ ولا طَرَفُ)[(٨)]

وقال الأصمعي وغيره: (الدابر: الأصل، يقال: قطع الله دابره، أي:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٩.

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» ١/ ٢٩٦، و«الصحاح» ٢/ ٦٥٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٢٤، و«مجمل اللغة» ٢/ ٣٤٥، و«المفردات» ص٣٠٧، و«عمدة الحفاظ» ص١٧٣ (دبر).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) النص في «العين» ٨/ ٣٢، والرازي ١٢/ ٢٢٦، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٥، بلا نسبة، ولعل الواحدي تأثر برأي الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٢ حيث زعم أن العين لليث وليس للخليل.

(٥) لفظ: (أبي) ساقط من (ش).

(٦) «ديوانه» ص٣٨٩، والطبري ٧/ ١٩٦، والرازي ١٢/ ٢٢٦، والقرطبي ٦/ ٤٢٧، و«البحر» ٤/ ١٤١، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٥، وحص أي: لم يبق شيئًا، والحص بالفتح: حلق الشعر، انظر: «اللسان» ٢/ ٨٩٩ (حص).

(٧) «مجاز القران» ١/ ١٩٢.

(٨) «الشاهد» لجرير في ديوانه ص٣٠٨، و«مجاز القرآن» ٢/ ٤٠، و«الكامل» للمبرد ٣/ ١٣٥، والجذ، بالفتح: القطع المستأصل. انظر: «اللسان» ١/ ٥٩١ (جذ).

أذهب الله أصله، وأنشده[١]:

فِدًى لكُمَا رِجْلَيَّ رحلي وناقتي غَداةَ الكُلاَّبِ إذ تُحَزُّ الدَّوابِرُ

أي: يقتل القوم فتذهب[٢] أصولهم ولا يبقى لهم أثر)[٣].

وقال ابن بزرج[٤]: (دابر الأمر: آخره. ودابر الرجل: عقبه، وقولهم: قطع الله دابرهم: دعاء عليه[٥] بانقطاع العقب حتى لا يبقى أحد يخلفه).[٦]

فأما التفسير: فقال الكلبي: (﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ غابرهم الذي يتخلف في آخر القوم)[٧]، ونحو ذلك قال قطرب[٨][٩].

وقال السدي وابن زيد: (﴿دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾: أصل القوم)[١٠]، والمعنى:

---

(١) الشاهد لوعلة بن الحارث الجرمي شاعر جاهلي. في «اللسان» ٣/ ١٣١٨، و«التاج» ٦/ ٣٨٨ (دبر)، وهو للحارث بن وعلة الجرمي في «المفضليات» ص١٦٥، وبلا نسبة في «الزاهر» ١/ ٤٦٥، و«تهذيب اللغة» ١٤/ ١١١ (دبر)، وفي هذه المراجع: أمي وخالتي، بدل: رحلي وناقتي، وفي «الزاهر»: رجلاي، بدل: رجلي، والكلاب بالضم هو يوم كلاب الثاني بين تميم واليمن حيث أكثرت تميم من قتلهم وحز عراقيبهم، وتحز أي: تقطع، والدوابر الأصول، أي: يقتل القوم فتذهب أصولهم ولا يبقى لهم أثر. انظر: حاشية المفضليات.

(٢) في (ش): (فيذهب).

(٣) النص عن الأصمعي في المراجع السابقة سوى المفضليات.

(٤) عبد الرحمن بن بزرج اللغوي، تقدمت ترجمته .

(٥) في (ش): (عليهم).

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٢.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٣٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٠-٤١.

(٨) قطرب: محمد بن المستنير بن أحمد اللغوي النحوي أبو علي البصري، تقدمت ترجمته.

(٩) ذكره الثعلبي ١٧٧ ب.

(١٠) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٣ بسند جيد عن السدي، ولفظه: (قطع أصل الذين ظلموا)، وعن عبد الرحمن بن زيد، ولفظه: قال: (استؤصلوا)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣.

قُطع خلفهم من نسلهم وغيرهم، فلم تبق[1] لهم باقية؛ لأنهم استؤصلوا بالعذاب. وأحسب الذين فسروا الدابر بالأصل ذهبوا إلى أن الأصل يبقى ببقاء النسل، فإذا انقطع النسل[2] انقطع الأصل وذهب، ففي قطع الدابر قطع الأصل، وحقيقة تفسير الدابر الآخر[3] والعقب والأصل معنى وليس بتفسير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الزجاج[4]: (حمد الله ﷻ نفسه على أن قطع دابرهم واستأصل شأفتهم)[5]، ومعنى هذا: أن قطع دابرهم نعمة على الرسل الذين أرسل إليهم فكذبوهم، فذكر الحمد هاهنا تعليم لهم ولمن آمن بهم ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شر الذين ظلموا، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذ أهلك المشركين المكذبين[6].

---

(١) في (ش): (فلم يبق).

(٢) في (ش): (فإذا انقطع الأصل وذهب ففي قطع الدابر).

(٣) هذا قول أكثر أئمة اللغة والتفسير. انظر: المراجع السابقة في دبر، وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٧، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٢/ ٤٢٥، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٠١.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٩، وجاء بعده: (لأنه جل وعز أرسل إليهم الرسل، وأنظرهم بعد كفرهم، وأخذهم بالبأساء والضراء، فبالغ جل وعز في إنذارهم وإمهالهم فحمد نفسه؛ لأنه محمود في إمهاله من كفر به وانتظاره توبته).

(٥) الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب. أي: إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل الله شأفته: أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو أزاله من أصله. انظر: «القاموس» ص٨٢٢ (شأفه).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩٦، والبغوي ٣/ ١٤٤، والرازي ١٢/ ٢٢٦.

٤٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ قال ابن عباس: (يريد: فلا يسمعون القرآن[١]، ولا يبصرون[٢] سبل الهدى، ولا يفهمون[٣] ثوابًا، ولا يخافون عقابًا)[٤].

وقال الكلبي: (أي ﴿أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلا تسمعوا موعظة، ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلا تبصروا الحق، ﴿وَخَتَمَ﴾ وطبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعرفوا[٥] الحق ولم تعقلوا الهدى)[٦]، ونحو هذا قال مقاتل[٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾) ﴿مَّنْ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿إِلَٰهٌ﴾ و﴿غَيْرُ﴾ صفة له[٨].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ قال الزجاج: (هذه الهاء تعود على معنى الفعل المعنى ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم﴾ ما أُخذ منكم، قال: ويجوز أن يعود

---

(١) في (أ): (فلا تسمعوا القرآن).

(٢) في (أ): (ولا تبصرون سبيل الهدى).

(٣) في (أ): (ولا تفهمون).

(٤) جاء في «تنوير المقباس» ٢/ ٢٠، قال: (﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ فلم تسمعوا موعظة ولا هدى ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلم تبصروا الحق ﴿وَخَتَمَ﴾ طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعقلوا الحق والهدى) ا.هـ.

(٥) في (ش): (يعرفوا الحق).

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٠، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٢.

(٧) قال مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٦١ (﴿قُلْ﴾ لكفار مكة يا محمد ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ فلم تسمعوا شيئًا ﴿وَخَتَمَ﴾ يعني: وطبع، ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلم تعقلوا شيئًا) ا.هـ.

(٨) انظر: «التبيان» ٣٣٤، و«الفريد» ٢/ ١٥٠، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٦. وفيها: (﴿مِن﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء و﴿إِلَهٌ﴾ خبر، و﴿غيرُ الله﴾ صفة الخبر) ا.هـ.

على السمع ويكون ما عطف على السمع داخلًا في القصة معه إذ كان معطوفًا عليه)[١].

قال الحسين[٢] بن الفضل[٣]: (المخاطبة للمؤمنين؛ لأن الكفار كانوا صمًا بكمًا عميًا لا يعقلون؛ لأن[٤] الله قد أخذها منهم، وكأنه يقول للمؤمنين: أرأيتم إن أخذها الله منكم فمن يردها عليكم)[٥].

واختلفوا في قوله: ﴿بِهِۗ ٱنظُرۡ﴾ فروى المسيبي[٦] عن نافع ﴿بهُ انظُرْ﴾

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٤٩، ولم يذكر إلا الوجه الأخير فقط، وذكر الوجه الأول عن الزجاج ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١، وقد ذكر الوجهان الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٧٥، و«النحاس» في معانيه ٢/ ٤٢٦، وذكر الفراء في «معانيه» ١/ ٣٣٥: (أنها تعود على الجميع السمع والبصر والختم على الأفئدة، وقال: وقد يقال: إن الهاء التي في «به» كناية عن الهدى، وهو كالوجه الأول) ا.هـ. وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ١٩٦-١٩٧، و«الفريد» ٢/ ١٥٠، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٦.

(٢) في (ش): (الحسن)، وقد ورد كذلك في بعض المصادر. انظر: مقدمة كتاب «الأمثال» له ص١١-١٤.

(٣) الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي، تقدمت ترجمته.

(٤) في (أ): (كان الله).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) المسيبي هو: إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المخزومي أبو محمد المدني، إمام جليل صدوق عالم بالحديث، قيم في قراءة نافع ضابط لها، محقق فقيه، ورمي بالقدر، توفي سنة ٢٠٦هـ.
انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٢٣٤، و«معرفة القراء» ١/ ١٤٧، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٢٠٠، و«غاية النهاية» ١/ ١٥٧، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٢٧، والمسيبي بالضم وفتح السين والباء المشددة وبعدها ياء نسبة إلى الجد الأعلى. انظر: «اللباب» ٢/ ٢١٤.

بضم الهاء[١] هو على لغة من يقرأ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١][٢] فحذف الواو لالتقاء الساكنين فصار ﴿بِهِ ٱنظُرْ﴾، والباقون يكسرون الهاء[٣].

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ (أي: لا يقدر هؤلاء الذين تعبدون أن يجعلوا لكم أسماعًا وأبصارًا وقلوبًا تعقلون[٤] بها وتفهمون)[٥] وهذا يدل على أن الآية في الكفار، وكذلك باقي الآية يدل على هذا، وحينئذٍ يحمل أخذ هذه الأعضاء على إذهابها أصلا يقول: إن أخذها حتى لا تبصروا ولا تسمعوا بتة من يردها عليكم[٦].

---

(١) روى المسيبي عن نافع ﴿بهُ انظُر﴾ بضم الهاء، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: «السبعة» ص٢٥٧-٢٥٨، و«إعراب القراءات» ١/ ٧٢، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٨.

(٢) القراءة المشهورة بكسر الهاء من ﴿بِهِۦ وَبِدَارِهِ﴾، وقرأ شيبة بن نصاح المدني المقرئ -بالضم فيهما، انظر: «إعراب القرءات» ١/ ٧٣، وذكر القراءة بالواو أبو علي في الحجة ٣/ ٣١٠ بلا نسبة.

(٣) ما تقدم قول أبي علي في الحجة ٣/ ٣١٠، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٥٤، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٧.

(٤) في (ش): (يعقلون بها ويفهمون).

(٥) جاء في تنوير المقباس ٢/ ٢٠ نحوه، قال: (﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ (يعني: الأصنام) ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذ الله منكم) ا.هـ.

(٦) الأولى العموم، وهو قول الجمهور، وأول ما يدخل في ذلك الكفار، إلا أن ظاهر الآية والسياق يدل على أن المراد الكفار والله سبحانه يخبرهم أنه كامل القدرة ولا أحد يأتي بما أخذ منهم، فيجب إفراده بالعبادة وقد يذهب الله تعالى المعاني القائمة في هذه الجوارح أو يذهب الجوارح والأعراض جميعًا فلا يبقي شيئًا. وهو قول الأكثر. انظر: الطبري ٧/ ١٩٧، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، والبغوي ٣/ ١٤٤، وابن عطية ٥/ ٢٠٢، والقرطبي ٦/ ٤٢٨.

وقوله تعالى: ﴿أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ قال الكلبي: (يبين لهم في القرآن الآيات)[١].

وقال أهل المعاني: (معنى تصريف الآيات: توجيهها في الجهات التي تظهرها أتم الإظهار).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ قال الليث: (الصدوف: الميل عن الشيء)[٢]، وقال أبو عبيد: (صدف، ونكب: عدل)[٣].

وقال ابن عباس[٤] والحسن[٥] ومجاهد[٦] وقتادة[٧] والسدي[٨]:

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٠.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٩٠، وانظر: «العين» ٧/ ١٠٢.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٩٠، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٥٥، والصحاح ٤/ ١٣٨٤، والمجمل ٢/ ٥٥٢، و«المفردات» ص٤٧٨، و«اللسان» ٤/ ٢٤١٦ (صدف).

(٤) أخرجه أبو عبيد ص ٩٦، وابن حسنون ٢٤، والوزان ص٣/ب؛ كلهم في اللغات بسند جيد، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ص١١٣، و«الوسيط» ١/ ٤٠، والقرطبي ٦/ ٤٢٨- «البحر المحيط» ٤/ ١٣٢، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد عن ابن عباس قال: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ (يعدلون) وذكره ابن كثير ٢/ ١٥٠، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣.

(٥) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٢، عن الحسن البصري.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٤، وأخرجه الطبري ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٤.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢٠٦- ٢٠٧، والطبري ٧/ ١٩٧ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٩٤ عن قتادة وأبي مالك، وذكره أيضًا الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٠، والقرطبي ٦/ ٤٢٨، وابن كثير ٢/ ١٥٠.

(٨) ذكره القرطبي ٦/ ٤٢٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٢، وأخرج الطبري ٧/ ١٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٤ بسند جيد عن السدي قال: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ يصدون). وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٥٠.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: (يعرضون)[١] قال عدي بن الرقاع:

إِذَا ذَكَرْنَ حَدِيثًا قُلْنَ أَحْسَنَهُ وهُنَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُف[٢]

قال أبو إسحاق: (أعلم الله ﷻ أنه يُصرف لهم الآيات، وهي العلامات التي تدل على توحيده وصحة نبوة نبيه ﷺ، ثم هم يعرضون عما وضح لهم وظهر عندهم)[٣].

٤٧- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ قال ابن عباس والحسن: (ليلًا أو نهارًا)[٤] وقال الكلبي: (فجأة أو علانية)[٥].

قال أهل المعاني: (نقيض الجهرة الخفية، وهاهنا قوبل بالبغتة؛ لأن البغتة متضمنة معنى الخفية؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون، فخفى[٦] سببه)[٧].

---

(١) هذا قول أكثر أهل اللغة والتفسير، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٧، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١/ ١٦٤، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٨٦، وابن عطية ٥٢/ ٢٠٢.

(٢) «ديوانه» ص٦٣، والطبري ٧/ ١٩٧، وابن عطية ٥/ ٢٠٢، والقرطبي ٦/ ٤٢٨، و«البحر» ١/ ١١٧، و«الدر المصون» ٤/ ٦٣٦، وصدف أي: معرض.

(٣) «معاني القرآن للزجاج» ٢/ ٢٤٩.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤١، والبغوي ٣/ ١٤٥، عن ابن عباس والحسن، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٢٦، وابن عطية ٥/ ٢٠٣، والقرطبي ٦/ ٤٢٩، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٢، عن الحسن فقط، وذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٣٤ عن ابن عباس فقط.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٠.

(٦) في (ش): (فيخفى).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٢٨.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: الذين جعلوا لله شركاء)[١]، قال الزجاج: (أي: ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ إلا أنتم ومن أشبهكم؛ لأنكم كفرتم وأنتم معاندون وقد علمتم أنكم ظالمون)[٢].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: (أي: ليس إرسالهم أن يأتوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات إنما يأتون من الآيات بما يبين براهينهم، وإنما قصدهم التبشير والإنذار)[٣]، ثم ذكر ثواب المصدّق في باقي الآية وعقاب المكذب في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الأنعام: ٤٩] ومعنى المسّ[٤] في اللغة: التقاء الشيئين من غير فصل، وقيل: ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ لأنه يحل فيهم وكأنه مماس لهم والفرق[٥] بينه وبين اللمس: أن اللمس مماسه بحاسّة والمسّ قد يكون بحاسّة وبغير حاسّة؛ لأن الحجر يماسّ الحجر ولا يلمسه[٦].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٤٥، و«تنوير المقباس» ٢/ ٢٠.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٠.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٠، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٢٧.

(٤) المَسُّ أصله: جَسُّ الشيء باليد ومسكه بها. انظر «العين» ٧/ ٢٠٨، و«الجمهرة» ١/ ١٣٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٨، و«الصحاح» ٣/ ٩٧٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٧١، و«المفردات» ص٧٦٦، و«اللسان» ٧/ ٤١٩٥ (مس).

(٥) في (أ): (في الفرق)، وهو تحريف.

(٦) اللمس: الجس أيضًا. وأصله: المس باليد ليعرف مَسَّ الشيء ثم كثر حتى صار كل طالب مُلتمِسا. انظر: «العين» ٧/ ٢٦٨، و«الجمهرة» ٢/ ٨٥٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٩٦، و«الصحاح» ٣/ ٩٧٥، و«المجمل» ٣/ ٧٧٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢١٠، و«المفردات» ص٧٤٧، و«اللسان» ٧/ ٤٠٧٢ (لمس).

قال العسكري في «الفروق» ص٢٤٩-٢٥٠: (الفرق بينهما أن اللمس يكون باليد =

٥٠- قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآية

الخزائن[١]: جمع الخِزانة وهي اسم المكان الذي يُخزن فيه الشيء. وخَزْنُ الشيء إحرازُه بحيث لا تناله[٢] الأيدي، والخزانة أيضًا عمل الخازن[٣]، قال ابن عباس[٤]: (يريد: خزائن رحمة الله).

وقال الكلبي[٥]: (أي: رزق الله).

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: عاقبة ما يصيرون إليه)[٦]، وقال الكلبي[٧]: (يعني: نزول ذلك الرزق على ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[٨] فتنكروا قولي وتجحدوا أمري).

= خاصة للتعرف على الشيء، والمس يكون باليد وبالحجر وغير ذلك، ولا يقتضي أن يكون باليد) اهـ. بتصرف.

(١) انظر: «العين» ٤/ ٢٠٩، و«الجمهرة» ١/ ٥٩٦، و«الصحاح» ٥/ ٢١٠٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٧٨، و«المفردات» ص٢٨٠، و«اللسان» ٢/ ١١٥٤ (خزن).

(٢) في (ش): (يناله).

(٣) هذا قول الأزهري في «تهذيبه» ١/ ١٠٢٧.

(٤) في «تنوير المقباس» ٢/ ٢١: (مفاتيح خزائن الله من النبات والثمار والمطر والعذاب) اهـ.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ١١٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٣. والأولى العموم، ويحمل ما ورد على بيان بعض الأنواع، فالخزائن لفظ عام يشمل الغيب والرحمة والقدرة والعذاب وغيره.

انظر: الطبري ٧/ ١٩٩، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، والبغوي ٣/ ١٤٥، والقرطبي ٦/ ٤٣٠.

(٦) في «تنوير المقباس» ٢/ ٢١: (أي: من نزول العذاب ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ من السماء) اهـ.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) في النسخ: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾، وهو تحريف.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما أخبركم إلا بما أنزله الله إلي)[١].

وقال الكلبي[٢]: (أي: ما أعمل إلا بما ينزل عليّ).

وقال أبو إسحاق: (أعلمهم النبي ﷺ أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي ولا يعلم الغيب فيخبركم بما غاب عنه مما مضى ومما سيكون إلا بوحي من الله ﷻ وليس بملك يشاهد من أمور الله ﷻ ما لا يشاهده البشر: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٣]، (أي: ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله ﷻ)[٤].

وقال أهل العلم[٥] قوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ (يدل بظاهره على[٦] أن الرسل لا يجتهدون ولا يقيسون، والصحيح من مذهب الشافعي أنهم يقيسون ويجتهدون، وعنده أن القياس على النصوص بالوحي اتباع للوحي)[٧].

---

(١) لفظ: (إلي) ساقط من (أ)، والأثر لم أقف عليه.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٢١.

(٣) في (أ): (﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ أي: إلى ما أنبأتكم به) وهو تحريف.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٠، وهذا قول الأكثر. انظر: الطبري ٧/ ١٩٩، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٢٧، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، والماوردي ٢/ ١١٦، والبغوي ٣/ ١٤٥.

(٥) في (ش): (المعاني).

(٦) في (ش): (إلى)، وهو تحريف.

(٧) انظر: «الرسالة» للشافعي ص٣٩-٤٠، ص٥٠٣-٥١١، و«تفسير الرازي» ١٢/ ٢٣١، وقال القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٣٠: (والصحيح أن الأنبياء يجوز منهم الاجتهاد والقياس على النصوص، والقياس أحد أدلة الشرع) اهـ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ قال ابن عباس: (يريد: بالأعمى: الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الذي قد أبصر دينه)[١].

وقال قتادة: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: (الكافر والمؤمن)[٢].

وقال سعيد ابن جبير[٣] ومجاهد[٤]: (الضالّ، والمهتدي)، وقيل: (الجاهل، والعالم)[٥].

(أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ) قال ابن عباس: (يريد: يعتبرون[٦])[٧].

وقال مقاتل: ((أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)[٨] أنهما لا يستويان)[٩].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢١، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٣، و«البحر» ٤/ ١٣٤.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ١٩٩ وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦ بسند جيد، وذكره أكثرهم، انظر: «الوسيط» ١/ ٤٢، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٤، وهو قول مجاهد كما ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٨، والقرطبي ٦/ ٤٣٠.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٢، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٤.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٥، وأخرجه الطبري ٧/ ١٩٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٦ من طرق جيدة، وذكره أكثرهم. انظر: «الوسيط» ١/ ٤٢، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٤.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ١١٧، والبغوي ٣/ ١٤٥، والقرطبي ٦/ ٤٣٠، والظاهر العموم إلا أن السياق يرجح المؤمن والمهتدي والكافر والضال، وهو اختيار أكثرهم. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٢ والطبري ٧/ ١٩٩، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، وابن عطية ٥/ ٢٠٥.

(٦) في (ش): (تعتبرون).

(٧) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٢١، والسمرقندي ١/ ٤٨٦.

(٨) في (أ): (يفكرون)، وهو تحريف.

(٩) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٢.

٥١- قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الآية، معنى الإنذار[١]: الإعلام بموضع المخافة، وهو مما تقدم[٢] بيانه[٣]، وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: (يقول: خوِّف بالقرآن)[٤].

وقاله الزجاج[٥]، وقال الضحاك: (بالله)[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ قال ابن عباس[٧] والحسن[٨]: (يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الأهوال).

وقال الضحاك[٩]: (يعلمون ﴿أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾).

---

(١) انظر: «العين» ٨/ ١٨٠، و«الجمهرة» ٢/ ٦٩٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٧، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٥، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤١٤، و«المفردات» ص٧٩٧، و«اللسان» ٧/ ٤٣٩٠ (نذر).

(٢) في (ش): (يقدم)، وهو تحريف.

(٣) انظر «البسيط» ٢/ ٤٦٤-٤٦٥، تحقيق الدكتور محمد الفوزان.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٢، والرازي ١٢/ ٢٣٢.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥١.

(٦) ذكره الثعلبي ١٧٧ ب، والرازي ١٢/ ٢٣٢، والأول أولى وهو قول الأكثر، وقال الرازي: (هو أولى لأن التخويف إنما يقع بالقول وبالكلام لا بذات الله تعالى)، وهو اختيار مقاتل ١/ ٥٦٢، والطبري ٧/ ٢٠٠، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٢٨، والسمرقندي ١/ ٤٨٦، والبغوي ٣/ ١٤٥، وابن عطية ٥/ ٢٠٦. وانظر: القرطبي ٦/ ٤٣٠، و«البحر» ٤/ ١٣٤.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٢.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٦/ ٤٣١.

(٩) لم أقف عليه، وذكر الطبري ٧/ ٢٠٠، هذا القول وقال: (وضعت المخافة موضع العلم؛ لأنه خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم في ذلك) ا.هـ. وقال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص١٩١: (تأتي خاف بمعنى علم. وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لأن في الخشية =

قال الفراء: ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (علمًا بأنه سيكون، ولذلك فسر المفسرون ﴿يَخَافُونَ﴾: يعلمون)[١].

وقال الزجاج: (المراد بالذين ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي. قال[٢]: وإنما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ﷺ كان ينذر جميع الخلق؛ لأن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الحشر الحجة عليهم أوجب؛ لاعترافهم بالمعاد)[٣]. وقال غيره من أهل المعاني: (هم الكفار؛ لأنهم يشكّون في الحشر، ولذلك قال: ﴿يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾)[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: إلى المكان الذي جعله ربهم لمجتمعهم[٥].

= والمخافة طرفًا من العلم) ا.هـ. وقال ابن عطية ٥/ ٢٠٦: (يخافَون على بابها وكونها بمعنى العلم غير لازم) ا.هـ. وانظر البغوي ٣/ ١٤٥.

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٦.

(٢) لفظ: (قال) ساقط من (ش).

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥١، و«النحاس» ٢/ ٤٢٨.

(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٠٦، والرازي ١٢/ ٢٣٢، قال ابن عطية: (الآية تعم بنفس اللفظ كل مؤمن بالبعث من مسلم وكتابي والنبي ﷺ مأمور بإنذار جميع الخلائق، وإنما وقع التخصيص هنا بحسب المعنى الذي قصد، ذلك أن فيما تقدم من الآيات نوعًا من اليأس في الأغلب عن هؤلاء الكفرة. فكأنه قيل له هنا: قل لهؤلاء الكفرة المعرضين كذا، ودعهم ورأيهم لأنفسهم، وأنذر هؤلاء الآخرين الذين هم مظنة الإيمان وأهل للانتفاع، ولم يرد أنه لا ينذر سواهم، بل الإنذار العام ثابت مستقر) ا.هـ. ملخصًا.

(٥) انظر «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٣٣.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ موضع ﴿لَيْسَ﴾ نصب بوقوعها موقع الحال، كأنه قيل: متخلّين من ولي أو شفيع والعامل فيه ﴿يَخَافُونَ﴾[(١)]، قال الضحاك: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ (أي: غير الله ﴿وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾)[(٢)].

وقال أبو إسحاق: (إن النصارى واليهود ذكرت أنها أبناء الله وأحباؤه فأعلم الله ﷻ أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع)[(٣)]، وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر.

والمفسرون على أن الآية في المؤمنين، ويكون معنى قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ على قولهم: إن شفاعة الرسل والملائكة للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وذلك راجع إلى الله لما كان بإذن الله[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: (كي يخافون في الدنيا وينتهوا عما نهيتهم)[(٥)].

---

(١) واختار هذا الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١.
وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٠٦، و«الفريد» ٢/ ١٥٢، و«البحر» ٤/ ١٣٥، وذكر هذا القول الرازي ١٢/ ٢٣٣٠، عن الزجاج.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٥١.

(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٠٦، والرازي ١٢/ ٢٣٣.

(٥) ذكره الرازي ١٢/ ١٩٣، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٣ نحوه.

٥٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية.

أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد الحارثي، أنبا أبو محمد عبد الله بن محمد[1] بن جعفر، حدثنا أبو يحيى عبد الرحمن[2] بن محمد الدارمي[3]، حدثنا سهل بن عثمان[4] العسكري، حدثنا أسباط[5] بن محمد، عن

(١) عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري أبو محمد الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ، إمام ورع ثقة محدث مفسر له تصانيف جيدة توفي سنة ٣٦٩ هـ. وله ٩٥ سنة. انظر: «ذكر أخبار أصبهان» ٢/ ٩٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٢٧٦، و«تذكرة الحفاظ» ٣/ ٩٤٥، و«غاية النهاية» ١/ ٤٤٧، و«طبقات الداودي» ١/ ٢٤٦.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن سَلْم الرازي أبو يحيى الأصبهاني، إمام ثقة كثير السماع، وهو إمام جامع أصبهان، وكان من أوعية العلم، صنف التفسير والمسند، وتوفي سنة ٢٩١هـ. وله نحو ٨٠ سنة. انظر: «طبقات المحدثين لأبي الشيخ» ٣/ ٥٣٠، وذكر «أخبار أصبهان» ٢/ ١١٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٥٣٠، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٩٠، و«طبقات الحافظ» ص٣٠٣، و«طبقات الداودي» ١/ ٢٨٨ .

(٣) في (أ): (ابن الدارمي). وهو: بفتح الدال وسكون الألف وكسر الراء وبعدها ميم، نسبة إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم. انظر: «اللباب» ١/ ٤٨٤، ولم أجد من نسبه إلى ذلك، وقد جاء السند نفسه عند الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢٠، وفيه: (أبو يحيى الرازي عن سهل).

(٤) سَهْل بن عثمان بن فارس الكندي أبو مسعود العسكري نزيل الري، إمام حافظ ثقة كثير الفوائد وله غرائب. توفي سنة ٢٣٥هـ وله نحو ٨٠ سنة. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٢٠٣، و«طبقات المحدثين» ٢/ ١١٩، و«أخبار أصبهان» ١/ ٣٣٨، و«سير أعلام النبلاء» ١١/ ٤٥٤، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٤٥٢، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٢٥.

(٥) أسباط بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد القرشي أبو محمد الكوفي، إمام ثقة محدث، توفي سنة ٢٠٠هـ. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٩٣، و«الجرح والتعديل» ٢/ ٣٣٣، و«تاريخ بغداد» ٥/ ٤٦، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٣٥٥، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٠٩.

الأشعث[١] بن سوار عن كردوس[٢]، عن عبد الله بن مسعود قال: (مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب[٣] وخبّاب[٤] وبلال[٥] وعمار وغيرهم[٦] من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء

---

(١) أشعث بن سوار الكندي النجار القاص، أحد العلماء، على لين فيه، وقد ضعفه أكثر أئمة الجرح والتعديل، توفي سنة ١٣٦هـ. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٥٨، و«الجرح والتعديل» ٢/ ٢٧١، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٢٧٥، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٢٦٣، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٧٨.

(٢) كُرْدُوس بن عباس الثعلبي الكوفي القاص، اختلف في اسم أبيه، وهو تابعي مقبول، توفي بعد المائة.

انظر: «التاريخ الكبير للبخاري» ٧/ ٢٤٢، و«الجرح والتعديل» ٧/ ١٧٥، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٦٧، و«تقريب التهذيب» ١٧٣٤ .

(٣) صُهَيْبُ بن سِنان بن مالك النَّمِري، أبو يحيى الرُّومي، صاحبي جليل، تقدم.

(٤) خَبَّابُ بن الأَرَتِّ بن جَندلة بن سعد التميمي، أبو عبد الله، نزيل الكوفة، صحابي جليل فاضل عابد ورع شجاع، شهد المشاهد، وكان من كبار السابقين البدريين والمعذبين بمكة، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي سنة ٣٧هـ. وله ٧٣ سنة.

انظر: «طبقات ابن سعد» ٣/ ١٦٤، و«الجرح والتعديل» ٣/ ٣٩٥، و«الاستيعاب» ٢/ ٢١، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٢٣، و«الإصابة» ١/ ٤١٦، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥٣٩.

(٥) بلال بن رباح التيمي أبو عبد الله الحبشي، صحابي جليل فاضل عابد ورع شجاع، شهد المشاهد، وكان من كبار السابقين البدريين والمعذبين بمكة، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي سنة ١٧هـ. أو بعدها، وله أكثر من ٦٠ سنة.

انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٩٥، و«الاستيعاب» ١/ ٢٥٨، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٤٧، و«الإصابة» ١/ ١٦٥، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٢٥٣، و«تهذيب ابن عساكر» ٣/ ٣٠٤.

(٦) في (ش): (وخباب وعمار وبلال).

عن قومك، أفنحن نكون تبعًا لهؤلاء[١] الذين مَنَّ الله عليهم! اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، فأنزل الله هذه الآية)[٢].

وقال خباب بن الأرت: (كنا مع النبي ﷺ أنا وعمار، وصهيب، إذ جاء عيينة بن[٣] حصن[٤] والأقرع[٥] بن حابس. فقالا له: إنه[٦] لا يحسن بنا الجلوس مع هؤلاء العبيد الفقراء، فأقمهم عنك حتى نخلو بك، فإن

---

(١) في (ش): (نكون تبعًا لهؤلاء أهؤلاء الذين من الله عليهم).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٣٦ (٣٩٨٥)، تحقيق أحمد شاكر، والطبري ٧/ ٢٠٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص٢١٩-٢٢٠، كلهم من هذا الطريق وصحح إسناده أحمد شاكر في «حاشية المسند»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢١: (رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير كردوس، وهو ثقة) ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٥، وزاد نسبته إلى: (أبي الشيخ وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»)، وانظر: «كشف الأستار للهيثمي» ٣/ ٤٨.

(٣) في (ش): (ابن)، وهو تحريف.

(٤) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك من الأعراب الجفاة المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وارتد وتبع طليحة الأسدي، وقاتل معه وأسر وحمل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأسلم وترك فعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٣١٦، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٤٨، «الإصابة» ٣/ ٥٤.

(٥) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد المجاشعي التميمي، واسمه فراس، والأقرع لقب لقرع في رأسه، وهو من المؤلفة قلوبهم، أسلم وحسن إسلامه وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف واليمامة والعراق وكان من الأشراف وسادات العرب، استشهد في خراسان، نحو سنة ٣١هـ.
انظر: «الاستيعاب» ١/ ١٩٣، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ١٢٤، و«الإصابة» ١/ ٥٨، و«تهذيب ابن عساكر» ٣/ ٨٩، و«الأعلام» ٢/ ٥.

(٦) في (ش): (إنا لا يحسن).

وفود العرب تأتيك، فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبُد، ثم إذا انصرفنا فإن شئت فأعِدهم إلى مجلسك، فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك فقالا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتابًا فدعا بصحيفة وأحضر عليًّا ﷺ ليكتب، فأنزلت هذه الآية وما بعدها، فنحّى رسول الله ﷺ الصحيفة، وأقبل علينا، ودنونا منه)(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٤١٢٧) كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، والطبري في «تفسيره» ١١/ ٣٧٦-٣٧٧، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٢/ب، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٤٦، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٥٢- ٣٥٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٢-٤٤، وفي «أسباب النزول» ص٢٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه ا.هـ. وذكر الحديث ابن حجر في «المطالب العالية» ١٤/ ٦٥١، ونقل الأعظمي في «حاشيته» عن الإمام البوصيري أنه قال: (رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند صحيح) ا.هـ.

والسند هنا فيه أبو سعد الأزدي مقبول كما في «التقريب» ص٦٤٣ (٨٨١٧)، وفيه أبو الكنود الأزدي مقبول أيضًا كما في «التقريب» ص٦٦٩ (٨٣٢٨)، وعليه يحتاج إلى متابعة، ولم أقف له على متابعة، وقد ذكره ابن عطية ٥/ ٢٠٧، وقال: (هذا تأويل بعيد في نزول الآية؛ لأنها مكية، وهؤلاء لم يفدوا إلا في المدينة، ويمكن أن يكون هذا وقع بعد نزول الآية بمدة، اللهم إلا أن تكون الآية مدنية) ا.هـ. بتصرف، وقال ابن كثير ٢/ ١٥١: (هذا حديث غريب، فالآية مكية والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر) ا.هـ. وذكر قول ابن كثير الشيخ أحمد شاكر في «حاشية الطبري»، وقال: (هذا هو الحق إن شاء الله) ا.هـ.

وأصل القصة ثابتة ولكن بدون تعيين الأقرع وعيينة، فقد أخرج مسلم (٢٤١٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل سعد بن أبي وقاص، ابن ماجه (٤١٢٨)، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٤٦٩- ٤٧٠، و«الحاكم» ٣/ ٣١٩، عن سعد بن أبي وقاص قال: (كنا مع النبي ﷺ ستة نفرٍ، منهم أنا وابن مسعود وبلال، فقال المشركون: تدني هؤلاء، اطردهم لا يجتزون علينا فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء أن يقع فحدث نفسه فنزلت الآية) ا.هـ. ملخصًا. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٧٤.

قال ابن الأنباري: (عظم الأمر في هذا على النبي ﷺ وخوف الدخول في جملة الظالمين؛ لأنه كان قد همّ بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء وذوي المسكنة، مقدّرًا أنه يستجر بإسلامهم إسلام قومهم وحلفائهم ومن يلوذ بهم، وكان ﷺ لا يقصد في ذلك إلا قصد الخير، ولا ينوي ازدراء بالفقراء ولا احتقارًا، فأعلمه الله تبارك وتعالى أن ذلك غير جائز)[١].

وأما التفسير فقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ (يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر)[٢].

فالدعاء هاهنا العبادة في قول ابن عباس والحسن[٣] ومجاهد[٤] وقتادة[٥] والضحاك[٦] قالوا: (يعبدون الله بالصلاة المكتوبة).

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٦، وابن الجوزي في «المسير» ٣/ ٤٧، وانظر: هذا المعنى عند الرازي ١٢/ ٢٣٥، والقرطبي ٦/ ٤٣١.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٧٨/ أ، والبغوي ٣/ ٤٦، والرازي ١٢/ ٢٣٥، وأخرج الطبري ٧/ ٢٠٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٣، بسند ضعيف، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٢٧، والثعلبي ص١٧٨/ أ، والرازي ١٢/ ٢٣٥، والقرطبي ٦/ ٤٣٢، وابن كثير ٢/ ١٥١ .

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٥، وأخرجه الطبري ١١/ ٧/ ٢٠٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤ بسند جيد، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٦، وابن كثير ٢/ ١٥١.

(٦) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٩٨.

وقال إبراهيم[1]: (الدعاء هاهنا الذكر، أي: يذكرون ربهم طرفي النهار)[2]. وروي عن إبراهيم بخلاف هذا، وهو أنه قال: (هذا في الصلوات الخمس)[3]، وهو قول جميع أهل التأويل[4] قالوا: (هذا في الصلوات المكتوبات).

وقرأ ابن عامر: (بِالْغُدْوةِ)[5] بالواو[6]، وقال أبو علي: (الوجه قراءة العامة ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ﴾؛ لأنها تستعمل نكرة وتتعرف[7] باللام، فأما (غدوة) فمعرفة وهو علم صيغ له واسم موضوع[8] للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أنْ يُدخل عليه الألف واللام كما لا يُدخل على سائر الأعلام، وإنْ كانت قد كتبت في المصحف بالواو لم تدل على ذلك ألا ترى أنهم قد كتبوا

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٨ بسند جيد وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٤ بسند جيد وذكره الماوردي ٢/ ١١٧ وابن الجوزي ٣/ ٤٦.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٠٣-٢٠٤، بسند جيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري وعن عامر الشعبي وغيرهم، والظاهر عموم ذكر الله ﷻ، وأول ذلك الصلاة المكتوبة والنوافل وذكره تعالى طرفي النهار، وهو اختيار الطبري ٧/ ٢٠٥-٢٠٦، وابن عطية ٥/ ٢٠٩.

(٥) جاء في (أ): (بالغداة)، والرسم القرآني (بِالْغَدَوةِ) بالواو.

(٦) قرأ ابن عامر (بِالْغُدْوةِ) بضم الغين وسكون الدال وواو بعدها من غير ألف، وقرأ الباقون بفتح الغين والدال وألف بعدها من غير واو.
انظر: «السبعة» ص٢٥٨، و«المبسوط» ص١٦٨، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٨، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٨.

(٧) في (ش): (ويتعرف)، ووضع عليها في (أ) طمس، والتصحيح من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣١٩.

(٨) في (أ): (موضع)، وهو تحريف.

(الصلوة) بالواو وهي ألف فكذلك (الغداة).

قال سيبويه: (غدوة وبكرة جُعل كل واحد منهما اسمًا للحين، كما جعلوا أم حُبين[١] اسمًا لدابة معروفة. قال: وزعم يونس عن أبي عمرو أنك إذا قلت: لقيته يومًا من الأيام غدوة أو بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون)[٢]، وهذا يقوي قراءة العامة، ووجه قراءة ابن عامر أن سيبويه[٣] قال: (زعم الخليل أنه يجوز أن يقول: أتيتك اليوم غدوةً وبكرةً، فجعلهما بمنزلة ضحوة[٤]).

وأيضًا فإن بعض أسماء الزمان جاء معرفة بغير ألف ولام ثم أجازوا دخول اللام فيه نحو ما حكاه أبو زيد من: (قولهم: لقيته فَيْنة[٥] غير معروف والفينة بعد الفينة)[٦] فألحق لام المعرفة، ما استعمل معرفةً ووجه ذلك أنه يقدر فيه التنكير والشيوع كما يقدر فيه[٧] ذلك إذا ثني، [وذلك مستمر في جميع المعارف)[٨] انتهى كلامه. قوله: (يقدر فيه التنكير كما يقدر فيه ذلك

---

(١) أم حُبين: دويبة على خلقة الحرباء، عريضة الصدر عظيمة البطن، وقيل: هي أنثى الحرباء. انظر: «اللسان» ٢/ ٧٦٤ (حبن).

(٢) «الكتاب» ٣/ ٢٩٣، وفيه: (وهو قوله أيضًا وهو القياس .. وكذلك تقول العرب) ا.هـ.

(٣) «الكتاب» ٣/ ٢٩٤.

(٤) الضحوة -بفتح الضاد المشددة وسكون الحاء-: كعشية ارتفاع النهار، ولا تستعمل إلا ظرفًا إذا عنيتها من يومك فإن لم تعن بها ذلك صرفتها. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٥٥٦ (ضحا).

(٥) الفينة -بفتح فسكون-: الحين، والساعة، والوقت من الزمان، عرف بالعلمية والألف واللام. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٠٤ (فين).

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٢٧ (فان).

(٧) في (ش): (كما يقدر ذلك فيه).

(٨) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣١٩، ٦/ ١٤٠، مجموع منهما بتصرف واختصار. =

إذا ثني)[١]] كلام يُحتاج إلى شرحه فنقول: اعلم أن المعرفة: [لا يصح تثنيتها من قبل أن حدّ المعرفة[٢]] أنها ما خص الواحد من جنسه ولم يشع في أُمته، فإذا شورك في اسمه فقد خرج عن أن يكون علمًا معروفًا، وصار مشتركًا فيه شائعًا، وإذا كان الأمر كذلك فلا تصح التثنية إلا في النكرات دون المعارف، وإذا صح هذا فإنك لم تُثَنّ زيدًا حتى سلبته تعريفه وأشعته في أمته فجعلته من جماعة كل واحد منهم زيد، فجرى لذلك[٣] مجرى فرس ورجل في أن كل واحد منهما شائع لا يخص واحدًا بعينه، وصار كأنه بعد نزع التعريف عنه يجوز أن يقال: الزيد والعمر كما قال ابن ميادة[٤]:

وجدنا الَولِيدَ بْنَ اليَزِيدِ مُبَارَكًا   شَدِيدًا بأعْبَاءِ الخِلاَفَةِ كَاهِلُهْ[٥]

= وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٥٩، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٠، ولابن زنجلة ص٢٥١، و«الكشف» ١/ ٤٣٢.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ). (٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (ذلك).

(٤) ابن مَيَّادة هو: الرَّمَّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبَان بن سُرَاقَة المُرِّيُّ الغطفاني، أبو شُرَحْبِيل، مشهور بنسبته إلى أمه مَيَّادة، وهو شاعر مجيد هجَّاء. عاصر الدولة الأموية والعباسية، ومدح الخلفاء، توفي سنة ١٤٩هـ أو قبلها.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٢٠، و«طبقات الشعراء» لابن المعتز ص١٠٥، و«معجم الأدباء» ١١/ ١٤٣، و«تهذيب ابن عساكر» ٥/ ٣٣١، و«الأعلام» ٣/ ٣١.

(٥) «ديوانه» ص١٩٢، و«معاني الفراء» ٢/ ٤٠٨، وليس في «كلام العرب» لابن خالويه ص٧١، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٥٨٠، و«الإنصاف» ١/ ٣١٧، و«اللسان» ٣/ ١٨٩٨ (زيد)، وهو يمدح الوليد ابن يزيد بن عبد الملك، والأعباء جمع عبء بالكسر وسكون العين، وهو الثقل وأراد أمور الخلافة الشاقة، والكاهل ما بين الكتفين. والشاهد: (الوليد - واليزيد) حيث أدخل (أل) فيهما للمح الأصل وتقدير التنكير، وهي في الحقيقة زائدة. انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ١/ ١٦٤.

وكما أنشد ابن السكيت(١):

يـا لـيـتَ أُمَّ الـعـمـرو(٢) كـانـت صـاحـبـي

ويدلك(٣) على أنه لا يثنى إلا بعد خلع التعريف عنه دخول اللام عليه بعد التثنية في قولك: الزيدان والعمران(٤)، ولو كان التعريف الذي كانا يدلان عليه مفردين باقيًا فيهما لما جاز دخول اللام عليهما بعد التثنية، كما لا يجوز ذلك قبل التثنية في وجه الاستعمال وغالب الأمر، وكما نزعوه التعريف بالتثنية نزعوه أيضًا بالإضافة قال الشاعر(٥):

---

(١) «إصلاح المنطق» ص٢٦٢، الشاهد لحميد بن ثور الهلالي، شاعر مخضرم، في «اللسان» ٥/ ٢٥٦٩ (ضرب) وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٠٦، و«الحلبيات» ص٢٨٨، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٦٦، و«المنصف» ٣/ ٢٣٤، وهو رجز آخره:

مـكـان مـن أنـشَـأ عـلـى الـرَّكـائـب

تمنى أن تكون مصاحبة له في سفره معينة في رفع الأحمال على الجمال، وأنشأ أي: ابتدأ السير، والركوب والركائب من الركْب أصحاب الإبل. انظر شرحه في: «تهذيب إصلاح المنطق» ٢/ ٧٢.

(٢) في (ش): (أم عمر)، بالعين المهملة وكذلك في «المخصص» ١/ ١٦٨، ١٣/ ٢١٦، و«اللسان» ٣/ ١٥٦٣ (ربع) وفي «إصلاح المنطق والمخصص» ١١/ ٢٢٠: (أم الغَمْر) بالغين، قال ابن سيدة: (هكذا رواه ابن السكيت، وعليه لا شاهد فيه على زيادة أل) ا.هـ. وفي «أمالي القالي» ١/ ١٤٦: (أم الفَيْض) وأكثر المراجع السابقة (أم العمرو) بالعين المهملة، والشاهد دخول أل على عمرو، وهو علم.

(٣) في (ش): (ويدل).

(٤) في (أ): (العمروان).

(٥) الشاهد لزيد الطائي من ولد عروة بن زيد الخيل في «الكامل» للمبرد ٣/ ١٥٧، وبلا نسبة في «البصريات» ٢/ ٤١٤، و«الحلبيات» ص٢٩٨، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٢، و«اللسان» ٣/ ١٨٩٨ (زيد)، و«مغني اللبيب» ١/ ٥٢، والنقا: الرمل الكثيب، ويوم النقا: الوقعة التي كانت عند النقا، والأبيض: السيف، ويمان: =

لَا زَيْدُنَا يَوْمَ النَّقَا رأْسَ زَيْدِكُمْ
بِأَبْيَضَ مِنْ ماءِ الحَدِيدِ يَمَانِ

فإضافة الاسم يدل على أنه قد كان خلع عنه ما كان فيه من تعريفه وكساه التعريف بإضافته إياه إلى الضمير(١) فهذا معنى قول أبي علي: (يقدّر فيه التنكير والشيوع كما يقدّر فيه ذلك إذا ثنّى) وكل هذا يقوي قراءة ابن عامر.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء عنه: (يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله، لا يعدلون بالله شيئًا)(٢).

وقال أهل المعاني: (في هذا قولين: أحدهما: أن معناه: يريدون طاعته(٣)، كأنه بمعنى الوجه الذي وجههم فيه وهو طاعتهم له). ونحو من هذا قال الزجاج فقال: (أعلم الله أنهم يريدون ما عنده، وشهد لهم بصدق النيات، وأنهم مخلصون في ذلك له، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، أي: (يريدون وجه الله ﷻ ويقصدون الطريق الذي أمرهم بقصده)(٤)، وكان الزجاج ذهب في معنى الوجه إلى الجهة والطريق -وذكرنا هذا مشروحًا في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]- وعلى هذا ﴿وَجْهَهُۥ﴾: جهته

= منسوب إلى اليمن. والشاهد: زيدنا، زيدكم، حيث أجرى زيدًا مجرى النكرات فأضافه. انظر: «شرح شواهد المغني للسيوطي» ١/ ١٦٥.

(١) ما تقدم قول ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٤٥٠-٤٥٢، بتصرف واختصار.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٥، والبغوي ٣/ ١٤٧، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٦، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٣، قال: (يريدون بذلك وجه الله ورضاه) ا.هـ.

(٣) هنا وقع اضطراب في نسخة (ش) فوقع تفسير هذه الآية في ١٠٠ ب.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٥١.

التي أمر بقصدها. [و][١] القول الثاني: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي: يريدونه إلا أنه يؤتى بلفظ الوجه للتعظيم بتفخيم الذكر، كما يقال: هذا وجه الرأي، وأشار أبو إسحاق إلى هذا المعنى فقال في سورة الكهف: (أي: لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه)[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: (ما عليك من حساب المشركين من شيء ولا على المشركين من حسابك من شيء إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذب أعداءه، وأنت وأصحابك قد غفر الله لهم وصاروا إلى رحمته)[٣]، انتهى كلامه. وعلى هذا الكناية في ﴿حِسَابِهِم﴾ و﴿عَلَيْهِم﴾ تعود إلى المشركين[٤] الذين قالوا

---

(١) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

(٢) «معاني القرآن» ٣/ ٢٨١، وأكثرهم ذكر هذه الوجوه، قال الطبري ٧/ ٢٠٥: (أي: يلتمسون بذلك القربة إلى الله والدنو من رضاه) ا.هـ. وانظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٢٥٤، والماوردي ٢/ ١١٨، والبغوي ٣/ ١٤٧، وابن عطية ٥/ ٢١٠، وابن الجوزي ٣/ ٤٧، والرازي ١٢/ ٢٣٦، والقرطبي ٦/ ٤٣٢، وهذا مجاز وتأويل والأولى الحمل على الحقيقة، قال السمرقندي ١/ ٤٨٧: (يعني: يريدون بصلواتهم وجه الله تعالى) ا.هـ. وقال ابن كثير ٢/ ١٥١: (أي: يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم) ا.هـ. وقال ابن القيم في «مختصر الصواعق» ٣/ ٩٩٢-١٠٢٣: (وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسنة فليس بمجاز بل على الحقيقة، وصرفه عن هذا خروج عن الأصل والظاهر بلا موجب، وحمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل، فإن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهًا للمُجازى) ا.هـ ملخصًا، وانظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في «آيات الصفات» للمغراوي ص٥٩-٧٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٨٧، و«الكشاف» ٢/ ٢٢، ابن عطية ٥/ ٢١٠. ورجح عودة الضمير في: ﴿حِسَابِهِم﴾ و﴿عَلَيْهِم﴾ على المشركين والضمير في =

للنبي ﷺ أن يطرد عنه الفقراء، ومعناه: الإبعاد بينه وبينهم، ونهي النبي ﷺ عن استمالتهم بتقريبهم. يقول: ليس عليك من حسابهم من شيء إن كفروا وكذبوا فتطرد الفقراء لتدني مجلسهم منك ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ليس ثوابك عليهم حتى تلين لهم وهو معنى قول ابن عباس: (إنما الله الذي يثيب أولياءه ويعذب أعداءه) فهذا وجه، والمفسرون[١] يردون الكناية إلى ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ وهم الفقراء وذلك أشبه بالظاهر؛ لأن الكناية في قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ عائدة على الفقراء لا محالة، فكذلك ما قبله من الكناية أشبه أنْ تعود عليهم، وعلى هذا ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [قولين][٢]:

أحدهما: ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء، وهذا يروى عن الحسن[٣] وابن عباس[٤].

قال أهل المعاني: (هذه القصة شبيهة بقصة[٥] نوح عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فأجابهم نوح: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢، ١١٣]، وعنوا بقولهم: ﴿ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ الحاكة والمحترفين

= ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ على الضعفاء من المؤمنين، ويؤيده أن ما بعد الفاء سبب لما قبلها.

(١) ورجح هذا القول الرازي ١٢/ ٢٣٦، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٧، والسمين في «الدر» ٤/ ٦٤٤-٦٤٥.

(٢) لفظ: (قولين) ساقط من (ش).

(٣) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٧، وذكره ابن عطية ٥/ ٢١١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٦ عن الحسن والجمهور.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٥١-٢٥٢، وانظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٣٧.

بالحرف الوضيعة، فقال نوح: ﴿وَمَا عِلْمِي﴾ بعملهم، أي: وجه مكاسبهم، [ما حساب][١] عملهم إلا على الله، فوض دناءة مكاسبهم إلى الله تعالى أي: أنه أعلم بعملهم وما لي ولذلك، وكذلك في هذه الآية كان هؤلاء الفقراء يعملون بالنهار لقوتهم ويرجعون إلى مسجد رسول الله ﷺ فازدراهم المشركون لفقرهم وحاجتهم إلى الأعمال الخسيسة لقوتهم، وهمّ النبي ﷺ برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [أي: لا يلزمك عار بعملهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾][٢] ذكر تأكيدًا للمطابقة وازدواج الكلام، وإن كان مستغنًى عنه بالأول)، وإلى هذا المعنى أشار الزجاج[٣].

القول الثاني: ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم، ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، أي: ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك وإنما يرزقك وإياهم الله الرازق، فدعهم يدنون منك ولا تطردهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب لقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ في أول الآية[٥]، ومعناه: فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية؛ قاله ابن عباس[٦].

---

(١) لفظ: (ما حساب) ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من أصل (أ)، وملحق بالهامش.

(٣) لم أقف عليه في «معانيه»، وفي «الكشاف» ٢/ ٢٢ نحوه.

(٤) هذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٠٦.

(٥) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٠٦، والزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٥٢، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٠، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٥٣، وانظر: «الدر المصون» ٤/ ٦٤٦.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٣.

وهذا الظُّلمُ معناه: النقصان، أي: ينقص ثوابك بطردهم لو طردتهم، والظلم بمعنى: النقص معروف في اللغة[١] يقال: ظلم حقه، وهو كثير في القرآن -وقد ذكرنا ذلك-. وقال ابن زيد[٢]: (﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (لهم بطردهم)، وهذا قول حسن) أي: إنهم لم يستحقوا منك الطرد فإذا طردتهم فقد ظلمتهم[٣].

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية، قال المفسرون[٤]: (أي: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير كما ذكرنا في قصة نوح وكما قال في قوم صالح: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ لِلَّذِينَ[٥] اسْتُضعِفُوا ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦]، ابتلينا أيضًا هؤلاء بعضهم ببعضٍ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾) [الفرقان: ٢٠]، وهذا معنى قول ابن عباس[٦] في رواية عطاء.

---

(١) الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه. والظلم: الميل عن القصد ومجاوزة الحق. انظر: «العين» ٨/ ١٦٢، و«الجمهرة» ٢/ ٩٣٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٨، و«الصحاح» ٥/ ١٩٧٧، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٦٨، و«المجمل» ٢/ ٦٠١، و«المفردات» ص٥٣٧، و«اللسان» ٥/ ٢٧٥٦ (ظلم).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٩ بسند جيد.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٢/ ٢٣٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٠٦، والسمرقندي ١/ ٤٨٧، والماوردي ٢/ ١١٨، وأخرجه الطبري بسند جيد عن قتادة.

(٥) هكذا جاء سياق الآية ولعله وهم، فليس فيها: للذين استضعفوا.

(٦) أخرج الطبري ٧/ ٢٠٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٢٩٩ بسند جيد عنه قال: (جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، فقال الأغنياء للفقراء: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ أي: هداهم الله، وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية) اهـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٦، ومعاني الفتنة في «تأويل مشكل القرآن» ص٤٧٢-٤٧٤.

وقال الكلبي: (ابتلينا الشريف بالوضيع، وابتلى هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي، فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله حمي[١] آنفًا أن يسلم، ويقول: سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم)[٢]. قال أهل المعاني: (وإنما قال: ﴿فَتَنَّا﴾ وهو تعالى لا يحتاج إلى الاختبار؛ لأنه عاملهم معاملة المختبر)[٣].

وقوله تعالى ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ هذه اللام تسمى لام العاقبة[٤]، كأن المعنى: فعلنا هذا ليؤول أمرهم إلى هذا القول[٥].

---

(١) حمى بفتح الحاء وكسر الميم من الشيء حَمِيَّة، ورجل حمي الأنف، أي: أنف أن يضام، وفلان ذو حمية أي: غضب وأَنَفَة: انظر: «اللسان» ٢/ ١٠١٤ (حمى)، وأَنِف بفتح الهمزة والنون: استنكف وكره، ويقال: هو أنف بسكون النون للعضو أي: اشتد غضبه وغيظه من طريق الكناية، والمراد هنا أخذته الحِمِيَة من الغيرة والغضب. انظر: «اللسان» ١/ ١٥٢ (أنف).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٧٨/ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٧، وابن الجوزي ٣/ ٤٧، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٣ (نحوه).

(٣) انظر: «المفردات» ص٦٢٣ (فتن)، و«بدائع التفسير لابن القيم» ٢/ ١٥٠ .

(٤) أي: لبيان عاقبة الشيء ومآله، ويسميها الكوفيون لام الصيرورة، وبعضهم يسميها لام العلة؛ لأنها مستعارة لما يشبه التعليل، قال ابن هشام في «المغني» ١/ ٢١٤: (ومن معاني اللام الصيرورة وتسمى لام العاقبة ولام المآل. وأنكر البصريون ومن تابعهم لام العاقبة) ا.هـ. وانظر: «اللامات للزجاج» ص١١٩، و«معاني الحروف للرماني» ص٥٦، و«الصاحبي» ص١٥٢، و«اللامات للهروي» ص١٨٢، و«رصف المباني» ص٣٠١.

(٥) قال السمين في «الدر» ٤/ ٦٤٧: (الأظهر - وعليه، أكثر المعربين والمفسرين- أنها لام كي، والتقدير: ومثل ذلك الفتون فتنا ليقولوا هذه المقالة ابتلاءً وامتحانًا. وقيل: إنها لام الصيرورة، أي: العاقبة، ويكون ما بعدها صادرًا على سبيل الاستخفاف) ا.هـ ملخصًا، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٤٩، و«المشكل» ١/ ٢٥٣، و«التبيان» ١/ ٣٣٥، و«الفريد» ٢/ ١٥٤، ورجح كونها لام العاقبة ابن عطية ٥/ ٢١١.

وقوله تعالى: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ يعني: الضعفاء والفقراء والاستفهام معناه: الإنكار[١] كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصّوا بمنة، فقال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منّ عليهم بالهداية أي: إنما يهدي إلى دينه من يعلم أنه يشكر نعمته، هذا معنى قول المفسرين[٢]، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ تقرير: أي أنه كذلك[٣]، كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا[٤]

٥٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الآية قال ابن عباس: (نزلت في أصحاب النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم[٥].

---

(١) انظر: «الفريد» ٢/ ١٥٤.

(٢) انظر: الطبري ٧/ ٢٠٧، والسمرقندي ١/ ٤٨٧، وابن عطية ٥/ ٢١٢، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٥١.

(٣) انظر: «الفريد» ٢/ ١٥٥.

(٤) «ديوانه» ص٧٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٦، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٧٩-٤١٠، ٤١٨، ٤٩٤، و«الشعر والشعراء» ص٣٠٧، و«الخصائص» ٣/ ٢٦٩، و«اللسان» ٨/ ٤٥٢٤ (نقص)، و«المغني لابن هشام» ١/ ١٧، وبلا نسبة في «المقتضب» ٣/ ٢٩٢، الخصائص ٢/ ٤٦٣، و«رصف المباني» ص١٣٦، وتكملته:

وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

والمطايا: جمع مطية، وهي الدابة، وأندى: أسخى، وراح: جمع راحة، وهي الكف.

والشاهد: (ألستم) حيث جاءت همزة الاستفهام للإيجاب والتقرير وتحقق الكلام، أي: أنتم خير من ركب المطايا، انظر: «شرح شواهد المغني) للسيوطي ١/ ٤٣.

(٥) ذكره القرطبي ٦/ ٤٣٥، عن ابن عباس، وذكره الثعلبي ١٧٨ أ، والبغوي ٣/ ١٤٨، وابن الجوزي ٣/ ٤٨، والخازن ٢/ ١٣٨ عن عطاء.

وقال عكرمة[(١)] والحسن[(٢)]: (نزلت في الذين سأل المشركون طردهم). قال عكرمة: (وكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، ويقول: «**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام**»[(٣)]، وقوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ﴾ ﴿إِذَا﴾ ظرف للقول أي: قل سلام عليكم إذا جاؤوك، و﴿جَآءَكَ﴾ في موضع جر؛ لأن ﴿إِذَا﴾ مضاف إليه بمنزلة[(٤)] حين ﴿جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: يصدقون [بحججنا][(٥)] وبراهيننا.

---

(١) ذكره الثعلبي ١٧٨ أ، والواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢١، والبغوي ٣/١٤٨.

(٢) لفظ: (الحسن) ساقط من (ش)، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٨، وابن الجوزي ٣/ ٤٨، عن الحسن وعكرمة، وذكره هود الهواري ١/ ٥٢٥، عن الحسن، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٣٩: (هذا هو قول الجمهور، والظاهر أنه يراد به المؤمنون من غير تخصيص) ا.هـ.

(٣) الحديث بهذا اللفظ لم أقف على سنده، وفي «الدر المنثور» ٣/ ٢٥، قال: (أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: أخبرت أن قوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال: كانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ بدأهم فقال: «**سلام عليكم**» وإذا لقيهم فكذلك أيضًا) ا.هـ. وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢١: في الآية (أن النبي ﷺ قال: «**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم**» قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) ا.هـ.

(٤) قال السمين في «الدر» ٤/ ٦٤٨: (﴿إِذَا﴾ منصوب بجوابه، أي: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وقت مجيئهم أي: أوقع هذا القول كله في وقت مجيئهم إليك، وهذا معنى واضح) ا.هـ. وقال العكبري في «التبيان» ٣٣٥، والهمداني في «الفريد» ٢/ ١٥٥: (العامل في ﴿إِذَا﴾ معنى الجواب، أي: إذا جاؤوك سلم عليهم)، وذكر هذا القول السمين في «الدر» وقال: (لا حاجة تدعو إلى ذلك مع فوات قوة المعنى؛ لأن كونه يبلغهم السلام والإخبار بأنه كتب على نفسه الرحمة وأنه من عمل سوءًا بجهالة غفر له لا يقوم مقامه السلام فقط وتقديره: يفضي إلى ذلك) ا.هـ.

(٥) في (أ): (بحجتنا).

قال الزجاج[(١)]: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ (السلام[(٢)] هاهنا يحتمل تأويلين أحدهما: أن يكون مصدر سلمت تسليمًا وسلامًا مثل: السراح من التسريح والأداء من التأدية، ومعنى سلمت عليه سلامًا [أي][(٣)]: دعوت له بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، فالسلام بمعنى التسليم. الثاني: أن يكون السلام جمع السلامة، فمعنى قولك: السلام عليكم [السلامة عليكم[(٤)]]، ويؤكد هذا الوجه قول الشاعر[(٥)]:

تُحَيِّي بالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ ... وَهَلْ لَكِ بَعْدَ قَومِكِ مِنْ سَلَامِ)

والوجهان ذكرهما الزجاج وابن الأنباري، قال أبو بكر: (قال قوم: السلام الله[(٦)] تعالى، ومعنى السلام عليكم: الله عليكم، أي: على حفظتكم)[(٧)]، وهذا الوجه يبعد في هذه الآية لتنكير السلام في قوله:

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٢.

(٢) انظر: «العين» ٧/ ٢٦٥، و«الجمهرة» ٢/ ٨٥٨، و«الصحاح» ٥/ ١٩٥١، و«المجمل» ٢/ ٤٦٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٩٠، و«المفردات» ص٤٢١ (سلم).

(٣) لفظ: (أي) ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (السلامة عليكم) ساقط من (ش).

(٥) الشاهد لأبي بكر بن الأسود بن شعوب الليثي، وهو شداد بن الأسود في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٤٠٠، و«الروض الأنف» ٣/ ١١٧، ولعمرو بن سُمي بن كعب الليثي، وقد ينسب إلى أمه شعوب الخزاعية في كتاب «من نسب إلى أمه لابن حبيب» ٤٩، وبلا نسبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٧٠، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٢١٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٢، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٤-٢٨، و«اللسان» ٤/ ٢٠٧٧ (سلم).

(٦) السلام اسم من أسماء الله تعالى مأخوذ من السلامة، فهو سبحانه السالم من كل ما ينافي كماله ومن مماثلة أحد من خلقه. انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي ص٥٣، و«المقصد الأسنى» للغزالي ص٦٧، و«شرح أسماء الله» للرازي ص١٨٧

(٧) «الزاهر» ١/ ٤٦.

﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[١]، ولو كان معرفًا لصح هذا الوجه[٢].

وقال أبو الهيثم: (السلام والتحية بمعنى واحد معناهما: السلامة من جميع الآفات)[٣]، فأما اللغات في السلام فقد ذكرنا ذلك في سورة هود في قوله: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: قضى [لكم][٤] ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾)[٥].

قال أبو إسحاق: (معنى ﴿كَتَبَ﴾: أوجب ذلك إيجابًا مؤكدًا، وإنما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون أنّ توكيد الشيء المؤخّر إنما يحفظ بالكتاب قال: وجائز أن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ)[٦] وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة.

---

(١) في (ش): ﴿قل سلام ....﴾، وهو تحريف.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٣.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٢، و«اللسان» ٤/ ٢٠٧٧ (سلم)، وقال أبو علي في «الحجة» ٢/ ٢٩٨، ٤/ ٣٥٩- ٣٦٣: (السلام مصدر سَلَّمْتُ، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، والسلام شجر، والسلام البراءة، وأكثر استعماله بغير (أل) وذاك أنه في معنى الدعاء حمل غير المعهود، وجاء بأل محمول على المعهود) ا.هـ.

(٤) لفظ: (لكم) ساقط من (ش).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٤٨، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٤، قال في الآية: (أوجب ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ لمن تاب) ا.هـ.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٤، وقال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ١٥٢: (أي: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا) ا.هـ.
انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢١٤، و«الفتاوى» ١٨/ ١٤٨-١٥١، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٤٢.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: إن ذنوبكم جهل، ليس بكفر ولا جحود)[١].

وقال الحسن[٢] ومجاهد[٣] والضحاك[٤]: (كل من عمل بخطيئة فهو جاهل).

قال أبو إسحاق: (معنى الجهالة هاهنا يحتمل أمرين أحدهما: أنه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه، أي: لم يعرف أن فيه مكروهًا، والآخر: أنه علم أن عاقبته مكروهة، ولكنه آثر العاجل فجُعل جاهلًا بأنه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة)[٥]؛ هذا كلامه، والوجه الثاني[٦] أقواهما، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ الآية [النساء: ١٧]، وقد ذكرنا ما فيه هناك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: رجع عن ذنبه ولم يصرّ على ما فعل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٩٩، بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (من عمل السوء فهو جاهل ومن جهالته عمل السوء)، وذكر القرطبي في «تفسيره» ٥/ ٩٢، نحوه عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد والسدي.

(٢) قال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٢٠: (قال الحسن ومجاهد والضحاك: الجهالة الخطيئة) ا.هـ. وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٣٧: (قال الحسن وعطاء وقتادة والسدي في آخرين: إنما سموا جهالًا لمعاصيهم، لا أنهم غير مميزين) ا.هـ. وذكر قول الحسن الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٥.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ١٤٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٤/ ٢٩٩، ٧/ ٢٠٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠١، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦-٢٧.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٠٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠١ بسند ضعيف.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٤.

(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢١٦، والرازي ١٣/ ٥.

واختلف القرّاء[١] في قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ فـ ﴿أَنَّهُۥ﴾ فقرأ بعضهم بالفتح فيهما أما فتح الأولى فعلى التفسير للرحمة، كأنه قيل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ﴾.

وأما فتح الثانية فعلى أن تجعله بدلًا من الأولى كقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ [الحج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣]، وهذا معنى قول الفراء[٢] والزجاج[٣]. قال أبو علي: (من فتح الأولى جعلها بدلًا من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾، وأما التي بعد الفاء فعلى أنه أضمر له خبرًا تقديره: فله أنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: فله غفرانه، أو أضمر مبتدأ يكون أن خبره كأنه فأمره أنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[٤] [التوبة: ٦٣] تقديره: فله أن ﴿لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وإن شئت قدّرت، فأمره أن ﴿لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر.

---

(١) (قرأ نافع (أَنَّهُ) بفتح الهمزة: (فَإِنَّهُ) بكسر الهمزة، وفتحهما جميعًا عاصم وابن عامر، وكسرهما الباقون).
انظر: «السبعة» ص٢٥٨، و«المبسوط» ص١٦٨، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٨، و«التيسير» ص١٠٢، و«النشر» ٢/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن للفراء» ١/ ٣٣٦-٣٣٧.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، و«الأخفش» ٢/ ٢٧٥-٢٧٦، و«النحاس» ٢/ ٤٣١-٤٣٢، و«إعراب القرآن للنحاس» ١/ ٥٣٨.

(٤) في (أ): (تعلموا) بالتاء.

قال: ومن ذهب في هذه الآية إلى أن التي بعد الفاء تكرير للأولى لم يستقم قوله، وذلك أن ﴿مَنْ﴾ لا تخلو من أن [تكون][١] للجزاء الجازم الذي اللفظ عليه أو [تكون][٢] موصولة فلا يجوز أن يقدر التكرير مع الموصولة؛ لأنها لو كانت موصولة لبقي المبتدأ بلا خبر ولا يجوز ذلك أيضًا في الجزاء الجازم؛ لأن الشرط يبقى بلا جزاء فإذا لم يجز ذلك ثبت أنه على ما ذكرنا من تقدير: فله أو فأمره وتكون الفاء جواب الشرط، وأيضًا فإن ثبات الفاء في قوله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ يمنع من أن يكون بدلًا، ألا ترى أنه لا يكون بين البدل والمُبدل منه الفاء العاطفة ولا التي للجزاء، فإن قلت: إنها زائدة بقي الشرط بلا جزاء فلا يجوز إذن تقدير زيادتها هنا وإن جاءت زائدة في غير هذا الموضع)[٣]، وأما من كسرهما جميعًا فعلى مذهب الحكاية كأنه لما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قال: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ودخلت الفاء جوابًا للجزاء وكُسِرت إن لأنها على ابتداء وخبر، كأنك قلت: فهو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، إلا إنْ الكلام بإنْ أوكد؛ هذا قول الزجاج[٤].

---

(١) في (ش): (يكون).

(٢) في (ش): (يكون).

(٣) «الحجة لأبي علي» ٣/ ٣١١-٣١٣.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٥/ ٢٧٦-٢٧٧: (الأحسن في هذا أن يقال: كل واحدة من هاتين الجملتين جملة مركبة مؤكدة، فهما تأكيدان مقصودان لمعنيين مختلفين، ألا ترى تأكيد قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بإن غير تأكيد (مَن عَمِلَ سُوء) له بأن، وهذا ظاهر لا خفاء به، وهو كثير في القرآن وكلام العرب) اهـ. ملخصًا.

وقال أبو علي: (أما كسر إن في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن ثم حمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ [المائدة: ٩٥] على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه، وقرأ نافع الأولى بالفتح والثانية بالكسر أبدل الأولى من الرحمة واستأنف ما بعد الفاء)(١). قال الفراء: (والكسر بعد الفاء حسن؛ لأنه يحسن في موضع إن بعد الفاء هو ألا ترى أنه لو قيل: ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ﴾ فهو ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لكان صوابًا، فإذا حسن دخول هو حسن الكسر)(٢).

٥٥- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ الآية، يقول: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلائلنا وأعلامنا على المشركين كذلك نميّز ونبيّن لك حجتنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل(٣)، ومعنى التفصيل(٤): التمييز للبيان، ولهذا فسر بالتبيين وهو قول ابن عباس(٥)

---

(١) «الحجة لأبي علي» ٣/ ٣١١-٣١٣.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٣٣٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٥٥-٣٥٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٧-١٥٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٣٩-١٤٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٥٢-٢٥٣، و«الكشف» ١/ ٤٣٣، و«الدر المصون» ٤/ ٦٥٠-٦٥٤.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٤٨، الرازي ١٣/ ٦، القرطبي ٦/ ٤٣٦.

(٤) الفَصْل: إبانة أحد الشيئين من الآخر حتى يكون بينهما فُرجة، ويستعمل في الأقوال والأفعال، فهو أصل يدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته وتمييزه عنه، ويقال: تفصيل الآيات بيانها، وتفصيلها بالفواصل.
انظر: «العين» ٧/ ١٢٦، و«الجمهرة» ٢/ ٨٩١، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٤، و«الصحاح» ٥/ ١٧٩٠، و«المجمل» ٣/ ٧٢٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٥٠٥، و«المفردات» ص٦٣٨، و«اللسان» ٦/ ٣٤٢٢ (فصل).

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٤.

وقتادة وابن زيد[1] قالوا في تفسير ﴿نُفَصِّلُ﴾: (نبيّن).

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق [وليستبين][2]، فترك ذكر ما هو بيّن من المعلوم وذكر ما يحتاج إلى بيانه[3].

واختلف القراء في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ فقرأ بعضهم[4] بالتاء، ورفع السبيل على أنها فاعل الاستبانة، والسبيل[5] يؤنث ويذكر، فالتأنيث كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٨] والتذكير كقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦] ويقال: استبان الشيء[6] واستبنته، ومن قرأ بالياء ورفع السبيل كان الفعل أيضًا مسندًا إلى السبيل إلّا أنه ذكّر السبيل وقرأ نافع ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء (سَبِيلَ) نصبًا، والتاء

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢١٠ بسند جيد عن قتادة وابن زيد. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٦.

(٢) في (ش): ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٦.

(٤) قرأ نافع: (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء، و(سَبِيلَ) بالنصب. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية: (وليستبين) بالياء، و(سبيلُ) بالرفع. وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء، و(سبيلُ) بالرفع.
انظر: «السبعة» ص٢٥٨، و«المبسوط» ص١٦٩، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٩، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٨.

(٥) انظر: «المذكر والمؤنث للفراء» ص٨٧، ولابن الأنباري ١/ ٤٢٣، ولابن التستري الكاتب ص٨١.

(٦) هذه القراءات دائرة على تعدي استبان ولزومه وتذكير سبيل وتأنيثه، وكل ذلك لغة فصيحة، وتذكيره لغة تميم ونجد، والتأنيث لغة الحجاز، ويقال: استبان الصبح واستبنت الشيء، والخطاب للنبي ﷺ ولأمته، أي: لتستبينوا ﴿سَبِيلَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.
انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٧، والأخفش ٢/ ٢٧٦، والزجاج ٢/ ٢٥٤، والزاهر ٢/ ١٧٩، و«الدر المصون» ٤/ ٦٥٥.

في هذه القراءة للخطاب أي: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ أيها المخاطب[١].

قال أهل المعاني: (وخص ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بالذكر، والمعنى: ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وسبيل المؤمنين فحذف؛ لأن ذكر أحد القبيلين يدل على الآخر، كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ولم يذكر البرد لدلالة الفحوى عليه. وهذا قول الزجاج[٢] وأبي علي[٣].

ودل كلام الزجاج على وجه آخر وهو: (أن يكون سبيل المؤمنين مضمنا به الكلام؛ لأن ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إذا بانت فقد بانت معها سبيل المؤمنين كما تقول: زيد ضاربٌ، تضمن هذا الكلام ذكر المضروب)[٤]. قال ابن عباس: (﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ يا محمد ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد: ما جعلوا لله في الدنيا من الشرك وما بيّنت من سبيلهم يوم القيامة ومصيرهم إلى الخزي)[٥].

٥٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنام، ومعنى ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون، ويجوز أن يكون المعنى: تدعونهم[٦] في مهمّات أموركم على معنى العبادة، ومعنى ﴿مِن﴾ في قوله

---

(١) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣١٤-٣١٦، بتصرف واختصار، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ١٥٨، و«الحجة لابن خالويه» ص١٤١، ولابن زنجلة ص٢٥٣، و«الكشف» ١/ ٤٣٣.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٥. (٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣١٦.

(٤) وذكر هذا الوجه أيضًا النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، واقتصر عليه الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٥٨.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠.

(٦) أي: الأصنام، وقد ذكر الوجهين ابن عطية ٥/ ٢١٨، وابن الجوزي ٣/ ٥١، والقرطبي ٦/ ٤٣٧.

﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ إضافة الدعاء إلى ﴿دُونِ﴾ بمعنى: ابتداء الغاية؛ لأن كل عبادة كانت لغير الله فهو من جملة عبادة من يُعبد من دون الله فجعل ﴿مِن دُون﴾][1] على جهة ابتداء الغاية[2].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد: دينكم)[3].

قال أبو إسحاق: (إنما عبدتموها [على طريق الهوى لا][4] على طريق البينة والبرهان)[5].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ معنى ﴿إِذًا﴾ الشرط، المعنى: قد ضللت إن عبدتها[6]، وهو معنى قول ابن عباس (﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ إن أنا فعلت[7]، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: من الذين سلكوا سُبَلَ الهدى)[8].

٥٧- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ الآية. معنى البينة: الدلالة التي تفصل الحق من الباطل[9] قال ابن عباس: (يريد: على يقين من ربي)[10].

---

(١) لفظ: (دون) ساقط من (ش).

(٢) ذكر هذا الوجه الهمداني في «الفريد» ٢/ ١٥٨.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٠، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥ نحوه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ). (٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٥.

(٦) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٥٥، وذكره ابن عطية ٥/ ٢١٨، وابن الجوزي ٣/ ٥١.

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥، وفيه: (﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾ عن الهدى ﴿إِذًا﴾ إن فعلت ذلك).

(٨) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٤٩.

(٩) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥١.

(١٠) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٠، وقال في «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥: (على بيان من ربي وبصيرة من أمري وديني) ا.هـ.

وقال أبو إسحاق: (أنا على أمر بيّن لا متّبع لهوىً)[١].

وقال بعض أهل المعاني: (البيّنة هاهنا المعجزة يعني: القرآن)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ﴾ هذه الهاء كناية عن البيان، أي: وكذبتم بالبيان، لأن البيّنة والبيان بمعنى واحد، ويجوز أن تكون الكناية عن معنى البيّنة، وهو ما أتاهم به من القرآن؛ لأنه هو البيّنة، فيكون المعنى: وكذبتم بما أتيتكم به، هذا قول الزجاج[٣].

وقال غيره: (معناه: وكذبتم بربي؛ لأنه قد جرى ذكره)[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ﴾ قال ابن عباس[٥] والحسن[٦] (يعني: العذاب، كانوا يقولون: يا محمد، ائتنا بالذي تعدنا، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾) الآية [الأنفال: ٣٢].

قال أبو إسحاق: (وجائز أن يكون الذي استعجلوا به الآيات التي اقترحوها عليه، فأعلم الله أن ذلك عنده فقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾)[٧].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢١٨. (٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٦.

(٤) هذا قول الطبري ٧/ ٢١١، ورجحه أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٤٢، والسمين في «الدر» ٤/ ٦٥٧، وانظر: ابن الجوزي ٣/ ٥١، والقرطبي ٦/ ٤٣٨.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥١، وابن الجوزي ٣/ ٥١، عن ابن عباس والحسن.

(٦) ذكره الماوردي ١/ ١٢١.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٦، وأكثرهم على أن المراد العذاب والظاهر العموم من العذاب والآيات، انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٤، والطبري ٧/ ٢١٣، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٣٢، والسمرقندي ١/ ٤٨٩، وابن عطية ٥/ ٢١٩، والقرطبي ٦/ ٤٣٩، و«البحر» ٤/ ١٤٢، وابن كثير ٢/ ١٥٣.

قال ابن عباس: (يريد: أن ذلك عند ربي)(١).

قال أهل المعاني: قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (أي: الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب أو الحكم الذي يفصل كل حق من باطل لا يكون على هذا الإطلاق إلا لله جل وعز)(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾، أي: يقول الحق، ومعناه: أن جميع ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق(٣)، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، هذه قراءة أهل الحجاز(٤) وقرأ الباقون ([يَقْضِ] الْحَقَّ)(٥) وكتب (﴿[يَقْضِ](٦) الْحَقَّ﴾) في المصاحف بغير ياء؛ لأنها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين(٧) كما كتبوا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] و﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾(٨) قال أبو إسحاق: (فيه وجهان: جائز أن يكون ﴿ٱلْحَقَّ﴾ صفة للمصدر، المعنى: يقضي القضاء الحق، ويجوز أن يكون ﴿يَقْضِ الحَقَّ﴾: يصنع الحق؛ لأن كل شيء صنعه الله ﷻ فهو

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥ وفيه: (ما الحكم بنزول العذاب إلا لله) ا.هـ.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٧.

(٣) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٥٧.

(٤) (قرأ ابن كثير وعاصم ونافع: (يَقُصُّ) بضم القاف وصاد مهملة مشددة مرفوعة، من القصص، وقرأ الباقون بسكون القاف وضاد معجمة مخففة مكسورة من القضاء، ولا خلاف أنه بغير ياء في الوصل). انظر: «السبعة» ص٢٥٩، و«المبسوط» ص١٦٩، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٠، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٨.

(٥) في النسخ (يقضي) بالياء، وهو خلاف الرسم.

(٦) في (أ): (يقضي) بالياء، وهو خلاف الرسم.

(٧) انظر: «الحجة» لابن خالويه ص١٤٠، و«الكشف» ١/ ٤٣٤.

(٨) في النسخ (يقضي) بالياء.

حق)[١]، وعلى هذا يكون (الحق) مفعولًا به وقضى بمعنى: صنع، كقول الهذلي[٢]:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتانِ قَضَاهُمَا
داوُدُ ....[٣]

أي: صنعهما داود، واحتج أبو عمرو لهذه القراءة[٤] بقوله ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ قال: (والفصل في القضاء ليس في القصص)[٥]، قال أبو علي: (القصص هاهنا بمعنى القول، وقد جاء الفصل في القول أيضًا في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق: ١٣]، وقال: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] وقال: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأنعام: ٥٥] فقد حمل الفصل على القول واستعمل معه كما جاء مع القضاء)[٦].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٥٦، وفيه زاد: (فهو حق وحِكمةٌ، إلا أن ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ يدل على معنى القضاء الذي هو الحكم، فأما قضى في معنى صنع فمثله قول الهذلي ...) ا.هـ. وبمثل قول الزجاج قال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٥٩-٣٦٠، وأبو علي في «الحجة» ٣/ ٣١٩.

(٢) الهذلي: خُوَيْلد بن خالد بن مُحرّث الهذلي، أبو ذؤيب، تقدمت ترجمته.

(٣) «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩، و«مجاز القرآن» ١/ ٥٢-٢٧٥، و«معاني القراءات» ١/ ٣٥٩، و«الحجة لأبي علي» ٣/ ٣١٩، ٤/ ٢٥٤، و«اللسان» ١/ ٤١٨ (تبع)، و«الدر المصون» ٢/ ٨٦، وتكملته: (أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ) وهو من قصيدة من عيون المراثي قالها في رثاء أبنائه الذين أصابهم الطاعون، المسرودتان: درعان، وأصل السَّرْد الخرز في الأديم، والصنع: الحاذق بالعمل، وتبع، بالضم: ملك تصنع له الدروع، انظر: «جمهرة أشعار العرب» ٢٤٧.

(٤) ذكره أبو علي في «الحجة» ٣/ ٣١٨، وابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٥٩، وابن زنجلة في «الحجة» ص٢٥٤.

(٥) «معاني القرآن للنحاس» ٢/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٦) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣١٨-٣١٩.

٥٨- قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ الاستعجال: المطالبة بتعجيل الشيء قبل وقته، ولذلك كانت العجلة مذمومة[١]؛ والإسراع: تقديم الشيء في وقته، ولذلك كانت السرعة محمودة[٢] [و][٣] قال ابن عباس: (يقول لمحمد: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب لم أناظركم [ساعة][٤]، ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل لعجلتكم)[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لانفصل ما بيني وبينكم من مطالبتي لكم بإخلاص عبادة الله ومطالبتكم بتعجيل العقوبة، فلو كان الأمر بيدي لأتيتكم [بما][٦] تستعجلون به من العذاب[٧]، فلا يبقى بيننا مطالبة، هذا معنى قوله: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، وقد ذكرنا معنى ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ عند قوله ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨].

وقال أهل المعاني[٨]: (في هذه الآية علم الله تعالى أن بعضهم يؤمن من هؤلاء الذين كانوا يستعجلون العذاب، فلذلك أخر العذاب عنهم، والنبي ﷺ كان لا يعلم باطن أمرهم فلهذا كان يعجل عليهم بالعقوبة [لو][٩] كان الأمر بيده).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤٢، و«المفردات» ص٥٤٨ (عجل).

(٢) «المفردات» ص٤٠٧ (سرع).

(٣) لفظ (الواو): ساقط من (ش).

(٤) لفظ (ساعة) ساقط من (أ).

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٥١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢، وانظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٢٥.

(٦) في (أ): (ما).

(٧) لفظ: (من العذاب) ساقط من (أ).

(٨) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥٢.

(٩) في (ش): (إذا).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: لا أحد أظلم منكم ما جهلتم شيئًا من أمري ولا كنت عندكم منذ ولدت إلى اليوم كاذبًا ولا ساحرًا ولا كاهنًا ولا مفتريًا)[١]؛ هذا كلامه. يعني: أنهم ظلموه إذ كذبوه وقالوا: إنه كاذب وساحر بعد علمهم بصدقه وأمانته، فيكون في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [ضرب][٢] من الوعيد لهم.

وقال بعض أصحاب المعاني قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (متصل المعنى بالذي قبله كأنه قال: أنا لا أعلم وقت عقوبة الظالمين، والله ﷻ يعلم ذلك، فهو يؤخره إلى وقته)[٣].

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ الآية. المفاتح جمع مِفْتح وَمَفْتحٍ، فالمفتح بالكسر: المفتاح الذي يفتح به، والمفتح بفتح الميم الخزانة، وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهو مَفْتح[٤].

قال الفراء في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] (يعني: خزائنه)[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ش): (ذر).

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٤/ ١٤٣.

(٤) انظر: «العين» ٣/ ١٩٤، و«الجمهرة» ١/ ٣٨٦، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٢، و«الصحاح» ١/ ٣٨٩، و«مجمل اللغة» ٣/ ٧١٠، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٦٩، و«المفردات» ص٦٢١، و«اللسان» ٦/ ٣٣٣٩ (فتح).

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣١٠.

قال السدي[(١)] والحسن[(٢)]: (و﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائن الغيب)، ونحو ذلك قال ابن عباس[(٣)] [والضحاك[(٤)] ومقاتل[(٥)] (في المفاتح أنها الخزائن).

واختلفوا في معنى ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ هاهنا، فقال ابن عباس][(٦)] في رواية عطاء: (يريد: ما غاب عنكم من الثواب والعقاب، وما يصير إليه أمري وأمركم)[(٧)].

وقال مقاتل: (يعني: خزائن غيب العذاب متى ينزل بكم ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾)[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٧.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٢، عن ابن عباس والضحاك ومقاتل والسدي والحسن. وقال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٧: (قيل: المراد بالمفاتح خزائن الرزق، عن السدي والحسن) ا.هـ.

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ١٢١، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٢، وابن الجوزي ٣/ ٥٣، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٣ بسند ضعيف عن عطاء الخرساني عن ابن عباس ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قال: هن خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٨.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٧٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٢، والبغوي ٣/ ١٥٠، والقرطبي ٧/ ٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٤.

وروي عن ابن عباس: (خزائن الأرض والرزق ونزول العذاب)[١]، وهو قول الضحاك[٢].

وقال أبو إسحاق: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ (أي: عنده الوصلة إلى علم الغيب قال: وكل ما لا يعلم إذا استعلم يقال فيه: افتح عليَّ)[٣]، فعلى هذا المفاتح جمع [المفتح][٤] بمعنى الفتح، كأن المعنى عنده فتوح الغيب أي: هو يفتح الغيب على من يشاء من عباده بذكره والبيان عنه والدلالة عليه، فيفتح لعباده ما [يشاء][٥] من ذلك بإعلامهم إياه ويغلق عنهم ما شاء منه بترك دلالتهم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال مجاهد: (البر: القفار،

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ١٢١، وابن الجوزي ٣/ ٥٣، وأبو حيان ٤/ ١٤٤، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٦ نحوه.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٧٨ ب، والبغوي ٣/ ١٥٠، والقرطبي ٧/ ٢ .

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٧، ونحوه ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٥ .

(٤) في (أ): (المُفتح)، بالضم، وفي (ش): (المَفتَح)، بسكون ثم فتح، وقال السمين في «الدر» ٤/ ٦٦٠، وابن حجر في «الفتح» ٨/ ٢٩١: (جوز الواحدي أنه جمع مفتح بفتح الميم على أنه مصدر) ا.هـ. زاد ابن حجر: (وهو بمعنى: الفتح، أي: عنده فتوح الغيب، أي: يفتح الغيب على من يشاء من عباده، ولا يخفى بعد هذا التأويل للحديث المذكور في الباب، وأن مفاتح الغيب لا يعلمها أحد إلا الله ﷻ) ا.هـ. والحديث المقصود هو ما أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٢٧)، كتاب التفسير باب (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾» [لقمان: ٣٤]، وانظر: الأحاديث في هذا الباب في مرويات الإمام أحمد في «التفسير» ٣/ ٣٧١-٣٧٤.

(٥) في (أ): (ما شاء).

والبحر: كل قرية فيها ماء)[١] وهذا عام في كل ما في المياه والأرضين من البوادي والقفار، لا يحدث فيها شيء إلا بعلم الله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال أبو إسحاق: (المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، فليس تأويله إلا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ تقديره: ولا من ﴿حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ قالوا: يعني: في الثرى تحت الأرض[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾، قال ابن عباس: (يريد: ما ينبت وما لا ينبت)[٤]، وروي عنه أنه قال: (الرطب: الماء، واليابس: البادية)[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قال صاحب «النظم»[٦]: (تم

---

(١) ذكره الثعلبي ١٧٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٥٤. وقال الماوردي ٢/ ١٢١: (الجمهور وهو الظاهر أن: ما في البر ما على الأرض، وما في البحر ما على الماء. وقال مجاهد: البر: القفر، والبحر: القرى لوجود الماء فيها، فلذلك سميت بحرًا) اهـ. بتصرف.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٥٧، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٦.

(٣) انظر: «الدر المصون» ٤/ ٦٦١.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٣، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٧٨ ب، والبغوي ٣/ ١٥١، عن عطاء فقط.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٢، وذكره الثعلبي ١٧٨ ب، والبغوي ٣/ ١٥١، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٥٤.

(٦) كتاب «نظم القرآن» للجرجاني مفقود، وذكر قوله السمين في «الدر» ٤/ ٦٦٢، ورجح الزمخشري ٢/ ٢٤-٢٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٤٦، كونه استثناء بعد استثناء للتأكيد قال أبو حيان: (هذا الاستثناء جار مجرى التوكيد؛ لأن قوله: =

الكلام عند قوله ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ ثم استأنف خبرًا آخر بقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بمعنى: وهو ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أيضًا؛ لأنك لو جعلت قوله ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ متصلًا بالكلام الأول فسد المعنى)، وبيان فساده[١] في فصل طويل ذكرناه في سورة يونس في قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢] [يونس: ٦١]، [ومعنى قوله ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٣]] قال أبو إسحاق: (يجوز أن يكون الله ﷻ أثبت ذلك في كتاب من قبل أن يخلق كما قال جل وعز: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]، فأعلم جل وعز أنه قد أثبت ما خلق من قبل خلقه)[٤].

قال ابن الأنباري وغيره[٥]: (وفائدة كتب الله ذلك في اللوح

= ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ معطوف على قوله: ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾ والاستثناء الأول منسحب عليها كما تقول: ما جاءني من رجل إلا أكرمته ولا امرأة، أي: إلا كرمتها، ولكنه لما طال الكلام أعيد الاستثناء على سبيل التوكيد وحسنه كونه فاصلة) ا.هـ ملخصًا، وجعل بعضهم الاستثناء الثاني بدلًا من الأول. انظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٣٦٣، و«البيان» ١/ ٣٢٤، و«التبيان» ١/ ٣٣٧، و«الفريد» ٢/ ١٦١.

(١) قال السمين في «الدر» ٤/ ٦٦٢: (فساد المعنى من حيث اعتقد أنه استثناء آخر مستقل، ولو جعله استثناء مؤكدًا للأول لم يفسد المعنى، وكيف يتصور تمام الكلام على قوله: ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ ويبتدأ بإلا، وكيف تقع إلا هكذا؟) ا.هـ ملخصًا.

(٢) لفظ: ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ ساقط من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٧، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٧: (أي: إلا يعلمه علمًا يقينًا، ويجوز أن يكون المعنى: إلا قد كتبه قبل أن يخلقه، والله أعلم بما أراد) ا.هـ.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢١٣، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٣٧، و«تفسير الرازي» ١٣/ ١٠-١١.

المحفوظ مع علمه وأنه لا يفوته شيء هو أنه ﷻ كتب هذه الأشياء وأحصاها قبل أن تكون[١] لتقف[٢] الملائكة على نفاذ علمه، وأنه لا يغيب عنه مما في السموات والأرض شيء، فيكون في ذلك عبرة للملائكة الموكلين باللوح؛ لأنهم يقابلون به ما يحدث من الأمور فيجدونه موافقًا له، قال أبو بكر: ويجوز أن يقال: إن الله تبارك وتعالى ذكر ما ذكر من الورقة والحبة تعظيمًا على خلقِهِ أمر الحساب، وإعلامًا أنه لا يفوته من جميع ما يصنعون في الدنيا شيء؛ لأن الذي يثبت ويكتب مما لا ثواب فيه ولا عقاب كان ما فيه الثواب والعقاب أولى بالكتب.

فذكر ما ذكر تبارك وتعالى: [من هذا[٣]] معظمًا ومخوفًا ودالًا على أنه لا يغيب عنه من أعمال العباد شيء)[٤]، وهذا معنى قول الحسن: (يكتبه الله رطبًا، ويكتبه يابسًا، لتعلم يا ابن آدم أن عملك أولى بالإحصاء)[٥].

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ قال ابن عباس: (يقبض أرواحكم في منامكم)[٦]. قال أبو إسحاق: (معنى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: ينيمكم فيتوفى نفوسكم التي بها تميزون[٧] كما قال جل وعز: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر:

---

(١) في النسخ (يكون) بالياء، والأولى تكون بالتاء.

(٢) في (ش): (ليقف).

(٣) لفظ: (من هذا) ساقط من (أ).

(٤) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٥٤-٥٥.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٤، وابن الجوزي ٣/ ٥٥.

(٧) في (ش): (يميزون).

٤٢])[1]، فالله جل وعز يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما كسبتم من العمل بالنهار)[2]، ومضى الكلام في معنى الجرح عند ذكر الجوارح[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ قال ابن عباس: (يرد عليكم أرواحكم في النهار)[4]، وقال قتادة: (البعث هاهنا: اليقظة)[5]، وقال الزجاج: (أي: ينبهكم في نومكم في النهار)[6].

وقوله تعالى: ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: أعماركم المكتوبة، وهو قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢].

قال السدي: يعني: أجل الحياة إلى الموت)[7]، وهو قول المفسرين[8] قال الزجاج: (أي: يبعثكم من نومكم إلى أن تبلغوا

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٧، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٣٧ .

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٤، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٥ بسند جيد عن ابن عباس قال: (ما اكتسبتم من الإثم)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠.

(٣) انظر: «البسيط» نسخة جامعة الإمام ٣/ ١١ ب.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٤.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢٠٨، والطبري ٧/ ٢١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٨.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٥ بسند جيد.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢١٥، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٣٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٩٠.

آجالكم)[١]، ومعنى القضاء: فصل الأمر على تمام، ومعنى قضاء الأجل: فصل مدة العمر من غيرها بالموت[٢]، وفي هذه الآية حجة على النشأة الثانية؛ لأن منزلتها بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن من قدر على أحدهما فهو قادر على الآخر[٣].

٦١- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الآية. ﴿فَوْقَ﴾ يستعمل في كل ما يستحق أن يوصف بأفعل، ولا يراد به المكان العالي، كما يقال: هو فوقه في القدرة، أي: أقدر منه، و[هو][٤] فوقه في العلم، أي: أعلم [منه][٥]، و[هو][٦] فوقه في الجود[٧]، أي: أجود يعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾، قال ابن عباس: (من الملائكة يحصون أعمالكم كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠])[٩].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٨٦ (قضى).

(٣) ذكر هذا المعنى الثعلبي في «الكشف» ١٧٨ ب، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ٦.

(٤) لفظ: (هو) ساقط من(أ).

(٥) لفظ: (منه) ساقط من (ش)، وتكرر فيها لفظ (هو فوقه في العلم أي أعلم).

(٦) لفظ: (هو) ساقط من (أ).

(٧) في (ش): (الجيد)، وهو تحريف.

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٢٤ (فوق)، وابن عطية ٥/ ٢٢٥، والقرطبي ٧/ ٦، وهذا تأويل وقول نفاة العلو، والحق أنها تستعمل في فوقية المكان والمكانة، والله ﷻ مستعل على كل شيء بذاته وقدره وقهره، وقد سبق الكلام على ذلك.

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٥، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٢٧ نحوه.

وقال قتادة: (يحفظون عليك أجلك ورزقك)[١]، وروي عن السدي: (يحفظون العبد من أمر الله الذي لم يُقدر له إلى الأمر الذي قُدر له)[٢].

قال الزجاج: (الحفظة: الملائكة، واحدهم حافظ)[٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يعني: أعوان ملك الموت، عن ابن عباس[٤] والحسن[٥] وقتادة[٦] وإبراهيم[٧] والربيع[٨].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠.

(٢) لم أقف عليه. وقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٦ بسند جيد عن السدي قال: (هي المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله) وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٣١٢.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٨، وفيه: (والجمع حفظة مثل: كاتب، وكتبة، وفاعل، وفعلة) ا.هـ.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧ بسند جيد، عن إبراهيم النخعي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠، وفي «تهذيب التهذيب» ١/ ٩٢ (النخعي لم يسمع من ابن عباس لكن مراسيله جيدة) ا.هـ.

(٥) قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٤٨-١٤٩ (قال الحسن: إذا احتضر الميت احتضره خمسمائة ملك يقبضون روحه فيعرجون بها) ا.هـ. وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٢٢٥. قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ يريد به على ما ذكر ابن عباس وجميع أهل التأويل ملائكة مقترنين بملك الموت يعاونونه ويأتمرون له) ا.هـ.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢٠٩، والطبري ٧/ ٢١٧، وأبو الشيخ في «العظمة» ص٢١١، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠.

(٧) أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» ص١٠٨، وعبد الرزاق ٢/ ١/ ٢٠٩، والطبري ٧/ ٢١٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧، وأبو الشيخ في «العظمة» ص٢١١، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٧، وأبو الشيخ في «العظمة» ص٢٠٠-٢٠١، بسند لا بأس به، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٠٠.

وقال أبو إسحاق: (﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: هؤلاء الحفظة؛ لأنه قال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾)[١]، فجعل أبو إسحاق رسل الموت من الحفظة المرسلة للحفظ، وعلى هذا يجب أن يكون؛ لأن تقدير اللفظ: وهو الذي يرسل الحفظة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ توفوه، يريد: أنه يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيء الممات[٢]، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هاهنا هي التي يقع بعدها الابتداء[٣] والخبر، وقد بينا شرح[٤] ذلك عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباس[٥] والسدي[٦]: (لا يضيعون). وقال الزجاج: (لا يغفلون ولا يتوانون، قال: ومعنى التفريط: تقدمة العجز، والمعنى: أنهم لا يعجزون)[٧].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٨.

(٢) قال الفخر الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦: (الأكثرون أن الذين يتولون الحفظ غير الذين يتولون أمر الوفاة، ولا دلالة في لفظ الآية تدل على الفرق) ا.هـ. وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٤٨: (الأكثرون على أن ﴿رُسُلُنَا﴾ عين الحفظة يحفظونهم مدة الحياة، وعند مجيء أسباب الموت يتوفونهم) ا.هـ.

(٣) انظر: «الفريد» ٢/ ١٦٣.

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٨٠ ب.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٧ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣١٠.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٨ بسند جيد.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٨، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ١٩٤: (أي: لا يتوانون ولا يتركون شيئًا ولا يخلفونه ولا يغادرون) ا.هـ. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٣٩، وقد تقدم بحث معنى فرط.

٦٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: العباد يردون بالموت إلى الله ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾. قد مضى الكلام في معنى المولى عند قوله: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: القضاء فيهم، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ يقول: إذا حاسب فحسابه سريع، ومضى الكلام في معنى سرعة حساب الله تعالى عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] في سورة البقرة.

٦٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الآية. قرئ[١] قوله: ﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد، وكذلك قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [(والتشديد والتخفيف لغتان منقولتان من نجا، فإن شئت نقلت بالهمز، وإن شئت نقلت بتضعيف العين نحو: أفرحته وفرحته وأغرمته وغرمته وما أشبه ذلك، وفي التنزيل: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ [العنكبوت: ٢٤] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الأعراف: ٦٤] وفيه[٢]: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [فصلت: ١٨]، فإذا جاء التنزيل باللغتين جميعًا تبيّنت استواء القراءتين في الحسن)[٣].

---

(١) قرأ أبو عمرو في رواية ويعقوب: (قُلْ مَن يُنْجِيكُم) مخففة الجيم ساكنة النون، وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الجيم، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (قُلِ الله يُنَجِّيكُم) بفتح النون وتشديد الجيم، وقرأ الباقون بإسكان النون مع تخفيف الجيم.
انظر: «السبعة» ٢٥٩، و«المبسوط» ص١٦٩، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٠، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٨.

(٢) لفظ: (فيه) ساقط من (ش).

(٣) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٢٢-٣٢٣، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٢، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤١، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ١٥٩-١٦٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٥٥.

غير أن الاختيار التشديد؛ لأن ذلك كان لهم من الله غير مرةٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿مَن يُنَجِّيكُم﴾ سؤال توبيخ لهم وتقرير أن الله يفعل ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: (من أهوالهما وكرباتهما قال: وكانت قريش تسافر في البر والبحر فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم)[٣].

قال أبو إسحاق[٤]: (﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ شدائد البر والبحر، والعرب تعبّر عن الشدة بالظلمة، يقولون لليوم الذي يلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى أنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل، وأنشد[٥]:

بَنِي أسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلاَءَنا   إذَا كَانَ يَوْمَ ذَا كَواكِبَ مظلم)

---

(١) قال مكي في «الكشف» ١/ ٤٣٦: (القراءتان متعادلتان، غير أن التشديد فيه معنى التكرير للفعل على معنى نجاة بعد نجاة) اهـ. وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٨، و«تفسير الفخر الرازي» ١٣/ ٢٠.

(٢) انظر: «الفريد» ٢/ ١٦٤، «الدر المصون» ٤/ ٦٦٩.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٨، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢١٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٠٨ بسند ضعيف من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: (يقول: إذا أضل الرجل الطريق دعا الله: ﴿لَّئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٩.

(٥) البيت لعمرو بن شأس الأسدي شاعر مخضرم، في «الكتاب» ١/ ٤٧، وبلا نسبة في «معاني النحاس» ٢/ ٤٤٠، و«الكشاف» ١/ ٤٠٤، والقرطبي ٧/ ٨، و«البحر» ٤/ ١٢٢، ورواية الأكثر: أَشْنَعَا: مكان مظلم، ويروى: أشهب، وانظر: «المعاني الكبير» ٢/ ٩٧٣.

وقال غيره: (أراد ظلمة الليل وظلمة الغيم في البر والبحر، فجمع لفظه ليدل على معنى الجميع)(١).

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ تقديره: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ داعين ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢) وقرئ ﴿وخِفْيَةً﴾(٣) وهما لغتان(٤)، قال ابن عباس(٥) والحسن(٦): (﴿تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخِيفَةً﴾ سرًّا بالنية).

قال أبو إسحاق: (المعنى: تدعونه مظهرين الضراعة، وهو شدة الفقر إلى الشيء والحاجة، وتدعونه خفية أي: في أنفسكم تضمرون(٧) فقركم وحاجتكم إليه كما تظهرون)(٨).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٥، والطبري ٧/ ٢١٩، والأولى العموم، قال ابن عطية ٥/ ٢٢٨: (التخصيص لا وجه له، وهو لفظ عام لأنواع الشدائد) اهـ. ملخصًا، وانظر: «البحر» ٤/ ١٥٠.

(٢) أي في محل نصب على الحال من مفعول ﴿يُنَجِّيكُم﴾ و﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدر في موضع الحال. انظر: «الفريد» ٢/ ١٦٥، و«الدر المصون» ٤/ ٦٦٩.

(٣) قرأ عاصم في رواية أبي بكر (خِفْيَة) بكسر الخاء، وقرأ الباقون بضمها. انظر: «السبعة» ص٢٥٩، و«المبسوط» ص١٧٠، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٠، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٩.

(٤) انظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤١، ولأبي علي ٣/ ٣١٧، ولابن زنجلة ص٢٥٥، و«الكشف» ١/ ٤٣٥.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٧، وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ٣١، أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] قال: (السر).

(٦) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣١٧، قال: (روي عن الحسن: التضرع العلانية والخفية بالنية) ا.هـ.

(٧) في (ش): (يضمرون).

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥٩، ونحوه ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٠.

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ وقرأ الكوفيون[١]: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ حملوه على الغيبة لقوله قبله: ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾[٢]، وقوله بعده: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [الأنعام: ٦٤] ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥] فأنجانا أولى من ﴿أَنجَيْتَنَا﴾ لكونه على ما قبله وما بعده [من لفظ الغيبة، وفيه إضمار على تقدير: يقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ وهو في موضع الحال مثل ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾، ومن قرأ: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾ فالتقدير عنده: داعين وقائلين ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا﴾، فواجه بالخطاب، ولم يراع ما راعاه الكوفيون من المشاكلة بما قبله وما بعده][٣].

ويقوي هذه القراءة قوله في آية أخرى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]. وأمال[٤] حمزة والكسائي ﴿أَنجَىٰنَا﴾ وهو مذهب حسن؛ لأن هذا النحو من الفعل إذا كان على أربعة أحرف استمرت فيه الإمالة لانقلاب الألف إلى الياء في المضارع[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال ابن عباس: (من

---

(١) قرأ: عاصم وحمزة والكسائي (لَئِنْ أَنجَانَا) بألف بعد الجيم من غير تاء ولا ياء وأمال الجيم، حمزة والكسائي، وفتح عاصم، وقرأ الباقون (لَئِنْ أَنجَيْتَنَا] بالياء والتاء من غير ألف.

انظر: «السبعة» ص٢٥٩، و«المبسوط» ص١٦٩، و«التذكرة» ٢/ ٤٠١، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٩.

(٢) جاء في (ش): تكرار قوله: (حملوه على الغيبة؛ لقوله قبله ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) في (أ): (وأما حمزة)، وهو تحريف.

(٥) هذا قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٢٣-٣٢٤، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٢، و«إعراب القراءات وعللها» ١/ ١٦٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤١/ ١٤٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٥٥، و«الكشف» ١/ ٤٣٥، وانظر: «تعريف الإمالة» ومراجعها فيما سبق.

المؤمنين)[١]، وقال عطاء عنه: (يريد: من الطائعين)[٢]،

٦٤- وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (الكَرْبُ: الغم الذي يأخذ بالنفس[٣]، يقال: كَرَبه الغم، وإنه لمكروب، والكربة: الاسم، والكريب: المكروب، وأمر كارب، ذكر ذلك الليث)[٤].

قال أبو إسحاق: (أعلمهم الله تعالى أن الله الذي دعوه وأقروا به هو ينجيهم ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها من صنعتهم [و][٥] أنها لا تضر ولا تنفع ولا تقدر أن تنجي من كربة ويله[٦]. ثم أعلمهم أنه قادر على تعذيبهم فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥])[٧].

قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: من السماء كما حُصب قوم لوط وكما رمي أصحاب الفيل، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يريد: كما خُسف بقارون)[٨].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٧-٢٨، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٨.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ش): (يأخذ النفس).

(٤) ذكره عن الليث الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١١٩، وهو في «العين» للخليل ٥/ ٣٦٠، وانظر: «جمهرة اللغة» ١/ ٣٢٧، و«الصحاح» ١/ ٢١١، و«مجمل اللغة» ٣/ ٧٨٣، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٧٤، و«المفردات» ٧٠٦، و«اللسان» ٧/ ٣٨٤٥ (كرب).

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٦) (ويله) غير واضحة في النسخ ولم ترد عند الزجاج.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٩ بتصرف.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٨، وابن الجوزي ٣/ ٥٩.

وهو قول السدي[(١)] وابن جريج[(٢)] ومجاهد[(٣)] ومقاتل[(٤)]، قالوا: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الصيحة والحجارة والريح والغرق بالطوفان وكل عذاب من السماء، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الرجفة والخسف.

وقال في رواية عكرمة: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الأمراء ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ السفلة[(٥)]، وهو قول الضحاك: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ (من قبل كباركم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: من أسفل منكم)[(٦)]، ونحو هذا روى عبد الوهاب بن مجاهد[(٧)] عن أبيه: (﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: السلاطين الظلمة، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: العبيد السوء)[(٨)].

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٥٨.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٨٣، وأخرج الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد عنه قال: (﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الخسف).

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٥.

(٥) ذكره الرازي ١٣/ ٢٢، عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج الطبري ٧/ ٢٢٠ بسند جيد عنه قال: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني: من أمرائكم ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني: سفلتكم) اهـ، وأخرج الطبري وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٠- ١٣١١ بسند جيد عنه قال: (﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: أئمة السوء، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: خدم السوء) ا.هـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣١.

(٦) ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٠، والثعلبي ١٧٩ أ، والبغوي ٣/ ١٥٣.

(٧) عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المخزومي القرشي، روى عن أبيه وعطاء، وروى عنه عبد الرزاق وغيره، وهو متروك، وقيل: لم يسمع من أبيه، انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٦٩، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٦٨٢، و«تهذيب التهذيب» ٦/ ٤٥٣، و«تقريب التهذيب» ص٣٦٨ (٤٢٦٣).

(٨) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ، والبغوي ٣/ ١٥٣، والقرطبي ٧/ ٩، والظاهر: أن المراد بالعذاب من فوق الرجم وما أشبهه، ومن تحت الخسف وما أشبهه؛ لأنه =

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ الشيع[١]: جمع شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجمع شِيع وأشياع، قال الله ﷻ: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥]، وأصله من التشييع، وهو التتبع، ومعنى الشيعة: الذين يتتبع بعضهم بعضًا.

قال الربيع بن أنس: (يخلطكم[٢] فرقًا)[٣] وقالوا[٤] جميعًا: (يعني: يبث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقًا يقاتل بعضكم بعضًا ويخالف بعضكم بعضًا)، وهو قول ابن عباس[٥] ومجاهد[٦]

= هو المعروف عند العرب من معنى فوق وتحت، فحمله على الأغلب والأشهر أولى، وإن كان غيره له وجه من الصحة، وهذا اختيار أكثرهم، وقال ابن عطية ٥/ ٢٣١: (الأقوال في الآية كلها أمثلة لا أنها هي المقصودة؛ إذ هي وغيرها داخلة في عموم اللفظ) ا. هـ. بتصرف. وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٨، و«تفسير غريب القرآن» ص١٦٤، والطبري ٧/ ٢٢٠، وابن كثير ٢/ ١٥٩، و«البحر» ٤/ ١٥١.

(١) انظر: «العين» ٢/ ١٩٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٨، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٠٨، و«الصحاح» ٣/ ١٢٤٠، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٣٥، و«المفردات» ص٤٧٠، و«اللسان» ٤/ ٢٣٧٧ (شيع).

(٢) في (أ): (يخلكم)، ثم كتب فوقها: يجعلكم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) يعني المفسرين، قال ابن عطية ٥/ ٢٣١: (قال المفسرون: هو افتراق الأهواء والقتال بين الأمة) ا. هـ.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١١ بسند جيد، قال: (يعني بالشيع: الأهواء المختلفة). وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢ .

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٦-٢١٧، قال: (يعني: ما فيهم من الاختلاف والفتن)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١١ بسند جيد، وفي رواية عند الطبري قال: (الأهواء المفترقة).

ومقاتل(١) والسدي(٢).

قال أبو إسحاق: (معنى ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق، فيجعلكم فرقًا لا تكونون فرقة واحدة، فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾)(٣).

وقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين لهم الآيات في القرآن، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون(٤).

٦٦- قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ قال ابن عباس(٥) والحسن(٦) والسدي(٧): (يريد: بالقرآن)، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ قال الحسن: (لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعمالكم، إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم)(٨).

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٥، قال: (يعني: فرقًا أحزابًا أهواء مختلفة كفعله بالأمم الخالية) ا. هـ.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٢ بسند جيد، قال: (يفرق بينكم).

(٣) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٠، وفيه زيادة قال: (يقال: لبَسْت الأمر ألبسه: لم أبينه، وخلطت بعضه ببعض. ويقال: لبِستُ الثوب ألبَسه) اهـ، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٤، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤١.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٤٩٢، وابن عطية ٥/ ٢٣٢، والقرطبي ٧/ ١١ .

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٨.

(٦) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٢٨، والهمداني في «الفريد» ٢/ ١٦٦ .

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٧.

(٨) ذكره الماوردي ٢/ ١٢٨، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٠، وابن الجوزي ٣/ ٦١٢.

وقال [أبو][١] إسحاق: (أي إنما أدعوكم إلى الله وإلى شريعته، ولم أؤمر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره)[٢]، وقيل: (لست[٣] عليكم بحفيظ: يمنعكم من أن تكفروا كما يمنع الوكيل على الشيء من إلحاق الضرر به)[٤]. قال ابن عباس[٥] والمفسرون[٦]: (نسختها آية[٧] القتال).

---

(١) لفظ: (أبو) ساقط من (أ).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٠. (٣) في (ش): (ليست)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٢٨ عن بعض المتأخرين، وانظر: «البحر المحيط» ٤/ ١٥٢.

(٥) أخرجه النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣١٧ بسند ضعيف، وذكره مكي في «الإيضاح» ص٢٤٢، وابن العربي في «ناسخه» ٢/ ٢١١، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٢٤، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٣٧.

(٦) وهو قول مقاتل ١/ ٥٦٦، وابن سلامة في «ناسخه» ص٦٧، وابن العربي ٢/ ٢١١، وحكاه الرازي ١٣/ ٢٤، عن ابن عباس والمفسرين. وقال ابن عطية ٥/ ٢٣٣: (النسخ متوجه؛ لأن اللازم من اللفظ لست الآن، وليس فيه أنه لا يكون في المستأنف) ا.هـ. وانظر: القرطبي ٧/ ١١.

(٧) آية السيف عند الجمهور وهو أصح الأقوال في سورة التوبة آية (٥) قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية، انظر: «النسخ في القرآن» لمصطفى زيد ٢/ ٥٠٤، والظاهر عدم النسخ؛ لأن المعنى: لست عليكم حفيظًا إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل لا بالإسرار، فهي خبر محكم، والخبر لا يجوز نسخه، ولعدم التعارض فهذه الآية تحصر وظيفة الرسول ﷺ في التبليغ والإنذار، وآية السيف تبين الوظيفة الأخرى وهي القتال إذا تعين وسيلة للدعوة، وهذا قول الأكثر، انظر: «ناسخ النحاس» ٢/ ٣١٨، و«الإيضاح» لمكي ص٢٤٢، و«النواسخ» لابن الجوزي ص٣٢٤، و«المصفى» لابن الجوزي ص٣١، و«تفسير الرازي» ١٣/ ٢٤، و«النسخ» لمصطفى زيد ١/ ٤٢٦-٤٢٩.

وينبغي التنبيه على أن النسخ عند السلف رضي الله عنهم في الإطلاق أعم منه عند=

٦٧- قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ المستقر: يجوز أن يكون موضع الاستقرار[١]، ويجوز أن يكون نفس الاستقرار؛ لأن ما زاد على الثلاثي كان المصدر منه على زنة اسم المفعول نحو المدخل والمخرج بمعنى: الإدخال والإخراج كقول الشاعر:

إنَّ المُوَقَّى مِثْلُ مَا وُقِّيتُ[٢]

يعني: التوقية، قال المفسرون: (يقول: لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خُلف ولا تأخير، وإذا جعلت المستقر مصدرًا كان المعنى: لكل وعدٍ ووعيدٍ من الله وقوع واستقرار لابد ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل)[٣].

= الأصوليين، فالسلف يسمون كل رفع نسخًا، سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة، فيستعملونه فيما يظن دلالة الآية عليه من عموم أو إطلاق أو غير ذلك، ويطلقون على تقييد المطلق وتخصيص العموم وبيان المبهم والمجمل ورفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر نسخًا، سواء كان ذلك بدليل متصل أو منفصل كل ذلك عندهم عام ومجمل ومشترك في معنى واحد، وهو مطلق التغيير، وهو في كلام الأصوليين رفع حكم شرعي بدليل شرعي آخر متأخر عنه، أفاده شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٣/ ٢٧٢-٢٧٣، ١٤/ ١٠١، والشاطبي في «الموافقات» ٣/ ١٠٨، والدكتور مصطفى زيد في «النسخ في القرآن» ١/ ٧٣.

(١) المستقر: يكون مصدرًا بمعنى: الاستقرار، واسم مكان، أي: موضع الاستقرار، واسم زمان، أي: وقت الاستقرار. انظر: الرازي ١٣/ ٢٤، و«الفريد» ٢/ ١٦٧، و«الدر المصون» ٤/ ٦٧٤.

(٢) هذا رجز لرؤبة بن العجاج في «ديوانه» ص٢٥، و«الكتاب»٤/ ٩٧، و«المخصص» ١٤/ ٢٠٠، وتكملته: (أَنْقَذَنِي مِنْ خَوْفِ مَا خَشِيتُ)، والشاهد مجيء الموقى بمعنى: التوقية، انظر: «شرح أبيات سيبويه» للنحاس ص١٨٦.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٢٧، والسمرقندي ٤/ ١٣١٤، وابن عطية ٦/ ٧٢، والرازي ١٣/ ٢١.

قال الكلبي: (لكل قول حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم)[١].

وقال الضحاك: (لكل حديث وخبر منتهى وأجل يتبين فيه صدقه عند وقوعه)[٢] يعني: العذاب الذي وعدهم في الدنيا [و][٣] الآخرة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

وقال الحسن: (لكل عمل جزاء فمن عمل عملًا من الخير جوزي به الجنة، ومن عمل عمل سوء جوزي به النار، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يا أهل مكة)[٤]، وقال السدي: (استقر بهم القرار [يوم][٥] بدر بما كان[٦] يعدهم من العذاب)[٧].

قال أبو إسحاق: (يقول: لا آخذكم بالإيمان على جهة الحرب واضطراركم إليه ومقاتلتكم عليه، فلكل ﴿نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: وقت معلوم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ جائز أن يكون وعدهم بعذاب الآخرة، وجائز أن يكون

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٨-٢٩، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٧٩ أ، والبغوي ٣/ ١٥٤، وأخرج الطبري ١١/ ٤٣٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٧٩ ب بسند جيد عن مجاهد مثله.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٧/ ٣٧٠ عن بعضهم.

(٣) لفظ: (الواو)، ساقط من (أ).

(٤) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٣٤، والثعلبي في «الكشف» ١٧٩ ب، والماوردي في «النكت والعيون» ١/ ٥٣٤، وشيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٧/ ٣٧١.

(٥) لفظ (يوم): ساقط من (ش).

(٦) في (أ): (بما هو يعدهم).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٧.

وعدهم بالحرب وأخذهم بالإيمان إن شاؤوا أو أبوا)[١]، هذا الذي ذكرنا قول جماعة المفسرين[٢].

وقال ابن عباس في رواية عطاء ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: (يريد: خبري وخبركم سوف يستقر عند رب العالمين، فيحكم بيني وبينكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من له الحجة على صاحبه)[٣].

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا﴾ الآية، قال المفسرون[٤]: (كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله والقرآن، فشتموا واستهزؤوا، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾).

وهذا قول ابن عباس[٥] وسعيد بن جبير والسدي[٦] ومقاتل[٧]

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٠، وفيه: (وأخذهم بالإيمان شاؤوا أو أبوا، إلا أن يعطي أهل الكتاب الجزية) ا.هـ.

(٢) انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٤٢.

(٣) لم أقف عليه، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٢٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٣ بسند جيد عنه قال: (﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ يقول: حقيقة)، وأخرج الطبري بسند ضعيف عنه قال: (فعل وحقيقة ما كان منه في الدنيا وما كان منه في الآخرة)، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٢٨، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٢، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٤٩٢، و«الكشف» للثعلبي ١٧٩ أ، و«أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٧٣٩.

(٥) سوف يأتي تخريجه.

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ٢٢٨، من طرق جيدة عن سعيد بن جبير والسدي ومجاهد وأبي مالك غزوان الغفاري، وقتادة، وابن جريج، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٤-١٣١٥، من طرق جيدة عن سعيد بن جبير والسدي، وأبي مالك ومقاتل بن حيان.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٧.

وغيرهم[(١)]، قالوا: (ومعنى: ﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: بالتكذيب والاستهزاء)، قال ابن عباس: (أمر الله رسوله فقال: إذا رأيت المشركين يكذبون بالقرآن وبك ويستهزئون فاترك مجالستهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ يقول: حتى يكون خوضهم في غير القرآن)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وقرأ ابن عامر[(٣)]: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بالتشديد، وفعّل وأفعل يجريان مجرى واحدًا كما بيّنا ذلك في مواضع [و][(٤)] من التنزيل ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧]، والاختيار قراءة العامة لقوله تعالى[(٥)]: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣] قال ابن عباس: (يريد: إن نسيت فقعدت ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ وقم إذا

---

(١) وهو قول مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢١٧، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٢ بسند جيد عن قتادة، وذكره عن عامة المفسرين، السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٩.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦١.

وأخرج الطبري ٧/ ٢٢٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٤/ ١٣ بسند جيد عنه قال: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله) ا.هـ.

وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٧.

(٣) (قرأ ابن عامر: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ بفتح النون الأولى وتشديد السين، وقرأ الباقون: بسكون النون الأولى وتخفيف السين.

انظر: «السبعة» ص٢٦٠، و«المبسوط» ص١٧٠، و«التذكرة» ٢/ ٤٠١، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٩.

(٤) لفظ: (الواو)، ساقط من (ش).

(٥) انظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٣، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٢، ولأبي علي ٣/ ٣٢٤، ولابن زنجلة ص٢٥٦، و«الكشف» ١/ ٤٣٦.

ذكرت)[١]، و﴿ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: اسم للتذكرة، قاله الليث[٢].

وقال الفراء: (الذكرى يكون بمعنى: الذكر، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ يكون بمعنى: التذكير، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ٦٩])[٣]، والكلام في الذكرى موضعه في سورة هود[٤] عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس: (يعني: المشركين)[٥].

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ قال ابن عباس: (قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فرخص للمؤمنين في القعود معهم

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦١، وابن الجوزي ٣/ ٦٢.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٨٧، وانظر: «العين» ٥/ ٣٤٦ (ذكر)، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٤.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٨٧، وفيه: (يكون بمعنى: الذكر، وبمعنى: التذكر) ا.هـ. ولم أقف عليه في «معانيه» والذِّكْر والذِّكْرى بالكسر خلاف النسيان، وكذلك الذُّكْرَة بالضم، والذِّكر بالكسر: الصيت والثناء، وقال الراغب في «المفردات» ص٣٢٩ (الذِّكرى كثرة الذِّكر وهو أبلغ من الذِّكر. والتَّذكِرة: ما يُتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة) اهـ، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٩٤، و«الصحاح» ٢/ ٦٦٤، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٥٨، و«اللسان» ٣/ ١٥٠٧ (ذكر).

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٤٨ ب.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٦٢.

يذكرونهم ويفهمونهم، قال: ومعنى الآية ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والكبائر والفواحش، ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: من آثامهم ﴿مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ يقول: ذكّرهم بالقرآن وبمحمد ﷺ، فرخص لهم في مجالستهم على ما أمروا به من المواعظ لهم)[1].

وقال أبو إسحاق: (أي[2]: وما عليك أيها النبي وعلى المؤمنين ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: من كفرهم ومخالفتهم أمر الله ﷻ ﴿مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾، ولكن عليكم أن تذكروهم[3]، قال: و﴿ذِكْرَىٰ﴾ يجوز أن تكون في موضع رفع من وجهين أحدهما: ﴿وَلَٰكِن﴾ عليكم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ أي: أن تذكروهم، وجائز أن يكون ﴿وَلَٰكِن﴾ الذين[4] تأمرونهم به ﴿ذِكْرَىٰ﴾) وعلى هذا التأويل الذكرى يكون بمعنى الذكر، وعلى الوجه الأول[5] يكون بمعنى: التذكير. قال: (يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: ذكروهم ﴿ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليرجى منهم التقوى)[6].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٩، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٧٩ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٦١-٦٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٦٢، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٦، والقرطبي ٧/ ١٥.

(٢) لفظ: (أي) ساقط من (أ).

(٣) في (ش): (يذكروهم).

(٤) في (ش): (الذي)، وما في (أ) هو الموافق لما عند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٦١.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٣/ ٢٦.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦١، وقال الفراء في «معانيه» ١/ ٣٣٩: (قوله ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ في موضع نصب بفعل مضمر، ولكن نذكرهم ذكرى، أو رفع على قوله: ولكن هو ذكرى) ا.هـ. بتصرف، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٥٥، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٥٦، و«البيان» ١/ ٣٢٥، و«التبيان» ١/ ٣٣٩، و«الفريد» ٢/ ١٦٧-١٦٨، و«الدر المصون» ٤/ ٦٧٦.

قال ابن عباس: (تعظونهم لعلهم يخافوني)[(١)].

وقال مقاتل: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (يقول: لعلهم إذا قمتم منعهم ذلك من الخوض والاستهزاء)[(٢)]، فعلى هذا يكون المعنى: ذكروهم ذكرى بترك المجالسة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض، ونحو هذا قال مجاهد في معنى هذه الآية فقال: (﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (إن قعدوا ولكن لا يقعدون)[(٣)]، وهذان[(٤)] جعلا قوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ترك القعود.

قال مقاتل[(٥)] وسعيد بن جبير[(٦)] وابن جريج والسدي[(٧)]: (هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية التي في النساء؛

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٧.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٧، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٣٠ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٩.

(٤) في (ش): (وهذا إن جعلا)، والصواب ما أثبته، والمراد: مجاهد ومقاتل.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٧.

(٦) أخرجه ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٢٥ بسند جيد عن أبي مالك وسعيد ابن جبير.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٠ بسند جيد عن ابن جريج، والسدي وأخرجه النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣١٩ بسند ضعيف عن الضحاك، وذكره ابن كثير ٢/ ١٦١ عن مجاهد، وهو قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٧، وابن سلامة ص٦٧، وأبي منصور البغدادي ١٠٢، وابن العربي ٢/ ٢١١، قالوا: (هذا صريح أمر، وليس بخبر، وهو مأمور أن يقوم عنهم إذا استهزؤوا بآيات الله، ثم أمر بقتلهم وإقامة الحد عليهم في ذلك، فهي منسوخة بأمره بالقتال).
وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٨.

لأن الله تعالى خوفهم فقال: إن قعدتم معهم ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] وقال غيرهم: (ليست بمنسوخة، ولكن المعنى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ إذا قعدوا معهم بشرط التذكير والموعظة)[١].

٧٠- قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ الآية، قال ابن عباس[٢] والمفسرون[٣]: (يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها).

وقال الفراء: (يقال: ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم[٤] يلهون في أعيادهم إلا أمة محمد، فإن أعيادهم برّ وصلاة وتكبير وخير)[٥]، وهذا قول الكلبي[٦]، فعلى القول الأول معنى قوله ﴿دِينِهِمْ﴾: الذي شرع لهم، وعلى قول الفراء المراد بالدين: العيد؛ لأنه مما يتدين[٧] به فصار داخلًا في جملة الدين.

---

(١) هذا هو الظاهر، واختيار النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣١٩، ومكي في «الإيضاح» ص٢٤٣، وابن الجوزي في «النواسخ» ص٣٢٥، ومصطفى زيد في «النسخ في القرآن» ١/ ٤٤٠، قالوا: (الآية خبر ومحال نسخه، والمعنى فيه بين، أي: ما عليكم شيء من آثامهم إنما يلزمكم الإنذار والنهي عن المنكر، ولا يقعد معه راضيًا بقوله وفعله وإلا كان مثله) وانظر: ابن عطية ٥/ ٢٣٥، والقرطبي ٧/ ١٥، وانظر: «مفهوم النسخ عند السلف» في ص٢٦٧.

(٢) ذكر نحوه بدون نسبة البغوي ٣/ ١٥٥، وابن الجوزي ٣/ ٦٤.

(٣) انظر: الطبري ٧/ ٢٣١، والماوردي ٢/ ١٢٩.

(٤) في (ش): (عيد فلهم)، وهو تحريف.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٩.

(٦) ذكره السمرقندي ١/ ٤٩٣، والقرطبي ٧/ ١٦، وذكره الرازي ١٣/ ٢٧ عن ابن عباس.

(٧) في (ش): (مما تدين به).

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: (يريد: وَعِظْ بالقرآن[١] ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ قال: يريد ترتهن في جهنم بما كسبت في الدنيا)[٢]، وهو قول[٣] الفراء قال: (﴿تُبْسَلَ﴾: ترتهن).

وقال الحسن[٤] ومجاهد[٥] وعكرمة[٦] والسدي: (تُسلم للهلكة)، قال الليث[٧]: (الإبسال: أن يُبسل الرجل فيخذل، واستبسل الرجل للموت: إذا وطن نفسه عليه، من هذا).

وقال أبو الهيثم[٨]: (يقال: أبسلته بجريرته، أي: أسلمته بها) وينشد على هذا قول الشَّنْفَرَى:

سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالجَرَائِرِ[٩]

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٠، وهو بلا نسبة في «الوسيط» ١/ ٦٢، والبغوي ٣/ ١٥٥، وابن الجوزي ٣/ ٦٤.

(٢) ذكره الرازي ١٣/ ٢٨، وهو قول مقاتل ١/ ٥٦٨، والأخفش كما ذكره السمرقندي ١/ ٤٩٣.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٩.

(٤) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣١، من عدة طرق جيدة عن الحسن ومجاهد وعكرمة، وأخرجه الأزهري في «تهذيبه» ١/ ٣٣٦ بسند جيد عن الحسن.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٧-٢١٨.

(٦) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ، والماوردي ٢/ ١٣٠، عن الحسن وعكرمة والسدي وغيرهم، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٨، بسند ضعيف عن ابن عباس، وقال بعده: (وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن والسدي مثل ذلك) ا.هـ. وهو اختيار ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٦٤.

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٦، وانظر: «العين» ٧/ ٢٦٣ (بسل).

(٨) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٦، و«اللسان» ١/ ٢٨٥ (بسل)، وزاد: (ويقال: جزيته بها).

(٩) «ديوانه» ص٤٨، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٥، و«الحماسة» لأبي تمام ١/ ١٨٨، و«إصلاح المنطق» ص٣٩٤، و«الشعر والشعراء» ص٣١، و«الزاهر» ٢/ ٢١٣، =

وقال آخر[١]:

وَإِبْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدمٍ مُرَاقِ

أي: إسلامي وتركي إياهم، وهذا الوجه اختيار الزجاج، قال: (معنى ﴿تُبْسَلَ﴾: تسلم بعملها غير قادرة على التخلص، والمستبسل المستسلم الذي يعلم أنه لا يقدر على التخلص)[٢].

وقال قتادة: (أن تحبس)[٣] وهو قول ابن الأعرابي، قال في قوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٤] (أي: تحبس في جهنم)[٥].

= والطبري ٧/ ٢٢٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٦، والثعلبي ١٧٩ أ، و«اللسان» ١/ ٢٨٥ (بسل)، وصدره:

هُنَالِكَ لا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي

وسجيس: أي أبد الليالي وطولها، ومبسلا أي: مسلما ومرتهنا، أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم، والجرائر: الجرائم والذنوب.

(١) الشاهد لعوف بن الأحوص الكلابي، شاعر جاهلي، في المراجع السابقة سوى الحماسة والشعر، وإصلاح المنطق، وهو في «النوادر» لأبي زيد ص١٥١، و«المعاني الكبير» ٢/ ١١١٤، و«الصحاح» ٤/ ١٦٣٤، و«المجمل» ١/ ١٢٥، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٤٨، والماوردي ٢/ ١٣١، وبلا نسبة في «تفسير غريب القرآن» ص١/ ١٦٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٦١، و«الجمهرة» ١/ ٣٣٩، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٤، و«المخصص» ١٣/ ٧٩، وبعوناه: أي جنيناه، والبعو: الجرم والجناية. يقول: رهنت بني في الحرب وأسلمتهم من غير جرم.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦١، وفيه أيضًا: أي: تسلم، وقيل: ترتهن، والمعنى واحد. اهـ.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٢، وابن أبي حاتم ٤/١٣١٨ من طرق جيدة بلفظ: (تؤخذ فتحبس).

(٤) لفظ: (أن) ساقط من (ش).

(٥) «تهذيب اللغة» ١٢/ ٤٣٩، و«اللسان» ١٢/ ٥٤ (بسل).

وروى عن ابن عباس: (﴿تُبْسَلَ﴾: (تُفضح (وأُبسلو): أُفضحوا)[1].

ومعنى الآية: وذكرهم[2] بالقرآن إسلام الجانيين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون، وليس قول من قال: معناه: وذكرهم كيلا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ بشيء البتة[3].

---

(١) ذكره البخاري في «صحيحه» ٨/ ٢٨٦، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأنعام، وأخرجه الطبري ٧/ ٣٣٢، وابن أبي حاتم ٣/ ٨١ ب و ٨٢ أ بسند جيد بلفظ: (تفضح- وفضحوا).

وقال ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٢٨٧: (أفضحوا من الرباعي، وهي لغة، يقال: فضح وأفضح، وروى عنه: فضحوا) ا.هـ. ملخصًا.

وفي «مسائل نافع بن الأزرق» ص١١٤، قال: (تبسل تحبس) ا.هـ.

وهذه الأقوال متقاربة، وأكثرهم على أنه بمعنى: تسلم وترتهن، ولعل تفسيره بتفضح تفسير باللازم؛ لأن من لازم أخذهم بالعذاب بما كسبوا أن يفضحوا.

وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٣: (تُسلم حسن، أي: تسلم بعملها لا تقدر على التخلص؛ لأنه يقال: استبسل فلان للموت، أي: رأى ما لا يقدر على دفعه) ا.هـ. ملخصًا.

وقال ابن كثير ٢/ ١٦٢: (الأقوال متقاربة في المعنى، وحاصلها الإسلام للهلكة والحبس عن الخير والارتهان عن درك المطلوب) اهـ.

وانظر: المراجع المذكورة في الحواشي، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٧، و«الوسيط» ١/ ٦٢، و«الكشاف» ٢/ ٢٧، والبغوي ٣/ ١٥٦، وابن عطية ٥/ ٢٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٦٥، والقرطبي ٧/ ١٦، و«البحر» ٤/ ١٥٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٩، وفيها ذكر عامة الأقوال، وانظر: «الفتاوى» ١٣/ ٣٤٣.

(٢) لفظ: (الواو): ساقط من (ش).

(٣) لم أقف على هذا القول بنصه.

وفي الطبري ٧/ ٢٣٣، قال: (ذكرهم كيلا تبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله) ا.هـ. ملخصًا.

وانظر: الرازي ١٣/ ٢٨، و«البحر» ٤/ ١٥٥، و«الدر المصون» ٤/ ٦٧٩.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾ قال ابن عباس[(١)] وقتادة[(٢)] والسدي[(٣)] وابن زيد[(٤)]: (وإنْ تفد كل فداء)، وذكرنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾[(٥)] [البقرة: ١٢٣]، وهؤلاء قالوا: (إن تفد كل فداء من جهة المال) قال ابن عباس[(٦)]: (إن تفتد بالدنيا وما فيها لا يؤخذ منها)[(٧)].

وقال قتادة[(٨)]: (لو جاءت بملء الأرض ذهبًا لم يقبل منها). [و][(٩)] روي عن الحسن أنه قال: (هذا الفداء من جهة الإسلام والتوبة ولا ينفعهم ذلك في الآخرة)[(١٠)].

---

(١) أخرج الطبري ١/ ٢٦٨ بسند جيد عنه قال: (العدل: البدل، والبدل: الفدية)، وانظر: ابن كثير ٢/ ١٦٢، و«الدر المنثور» ١/ ١٦٦.

(٢) ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٥، والماوردي ٢/ ١٣١، وابن كثير ٢/ ١٦٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٩، و«تحقيق الغماري» بسند جيد عن أبي العالية، قال: (العدل: الفداء).

قال ابن أبي حاتم: (وروي عن أبي مالك والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والربيع نحوه) اهـ.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٣ بسند جيد عن السدي وابن زيد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٨ بسند جيد، وذكره الماوردي ٢/ ١٣١، عن السدي وابن زيد.

(٥) لفظ: (الواو): ساقط من النسخ.

(٦) في (أ): (قال ابن عباس: قال): وهو تحريف.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٢، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٣٠ نحوه.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١/ ٢/ ٢١٢، والطبري ٧/ ٢٣٣، ٢/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٩، من عدة طرق جيدة.

(٩) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

(١٠) ذكره الماوردي ٢/ ١٣١.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ يقول: أسلموا للهلاك. وقال العوفي: (أسلموا إلى خزنة جهنم)[(١)].

وقال ابن عباس[(٢)]: (ارتهنوا بما كسبوا)، ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾ وهو الماء[(٣)] الحار.

قال المفسرون[(٤)]: قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾[(٥)] [التوبة: ٥]، وقال مجاهد[(٦)]: (ليست بمنسوخة؛ لأنَّ قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ معناه: التهديد، كقوله: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]).

---

(١) ذكره الثعلبي ١٧٩ أ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: الطبري ٧/ ٢٣٤، والسمرقندي ١/ ٤٩٣، وابن الجوزي ٣/ ٦٦.

(٤) هذا قول قتادة في «ناسخه» ص٤٢.
وأخرجه عبد الرزاق في التفسير، والطبري ٧/ ٢٣١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٧، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٢١، وابن الجوزي في «النواسخ» ص٣٢٦ عنه من طرق جيدة، وذكره ابن الجوزي في «النواسخ» ص٣٢٦، عن السدي، وهو قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٧، وابن سلامة ص٦٨، وأبي منصور البغدادي ص١٠٢، وابن العربي ٢/ ٢١٢.

(٥) في النسخ: (اقتلوا)، وهو تحريف.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٨، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٣١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٧ من طرق جيدة، وهذا هو الظاهر، وإن كان النسخ جائزًا، لكن أكثرهم على أنه غير منسوخ؛ لأنه تهديد ووعيد للكفار، وليس هو بمعنى الإلزام، والمعنى: ذرهم فإن الله معاقبهم، وهو اختيار النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٢١، ومكي في «الإيضاح» ص٢٤٤، وابن الجوزي في «النواسخ» ص٣٢٦، ومصطفى زيد في «النسخ» ١/ ٤٨٠، وانظر: الطبري ٧/ ٢٣١، وابن عطية ٥/ ٢٢٧، والقرطبي ٧/ ١٧، وانظر: مفهوم النسخ عند السلف ص٢٦٧.

٧١- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ الآية ﴿أَنَدْعُوا﴾][1] هاهنا يجوز أن يكون معناه: نطلب النجاح كالعبد إذا دعا الله تعالى بطلب نجاح حاجته[2]. ويجوز أن يكون معناه: نعبد وهو الذي عليه المفسرون[3].

قال ابن عباس: (يقول: أنعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ ما ليس عنده لنا منفعة، وإن عصينا لم يكن عنده لنا مضرة)[4]، قال أهل المعاني: (المعنى: ما لا يملك لنا نفعًا ولا ضرًا؛ لأنه جماد لا يقدر على فعل شيء أصلًا)[5]،

وقوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ﴾ قال الكلبي: (أي: نرد وراءنا إلى الشرك بالله)[6]، قال أبو إسحاق: (ويقال لكل من أدبر: رجع إلى خلف، ورجع على عقبيه)[7].

---

(١) لفظ: ﴿أَنَدْعُوا﴾ ساقط من (أ).

(٢) قال ابن عطية ٥/ ٢٤١، في الآية: (الدعاء يعم العبادة وغيرها لأن من جعل شيئًا موضع دعائه فإياه يعبد وعليه يتكل).

(٣) انظر: الطبري ٧/ ٢٣٥، والسمرقندي ١/ ٤٩٣، والبغوي ٣/ ١٥٦.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٣، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٣٠ نحوه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٦٦ بدون نسبة.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٣٦، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٥، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٤١.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٣.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٢، والنص فيه: (أي: نرجع إلى الكفر، ويقال لكل من أدبر: قد رجع إلى خلف، ورجع القَهْقَرى) اهـ.
وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٦، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٣٨، و«تفسير الطبري» ٧/ ٢٣٥- ٢٣٦، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٥، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٤١.

وقوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ اختلف أهل اللغة في معنى[١] ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ فقال الزجاج: (أي: كالذي زينت له الشياطين هواه)[٢]، فعلى هذا معنى الاستهواء: الدعاء إلى الأمر بالهوى من هوى النفس. وقال أبو عبيدة[٣]: (﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ استمالته).

وقال الليث[٤]: (يقال للمستهام الذي يستهيمه الجن: استهوته الشياطين، فهو حيران هائم).

وقال غيره: (﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ بمعنى استغوته ودعته إلى الضلال واستتبعته[٥]، فهوى، أي: أسرع، والعرب تقول: استهوى فلان فلانًا، واستغواه، إذا دعاه إلى الغي، وهو من قولهم: هوى يهوي إلى الشيء إذا أراده وأسرع إليه[٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: تنزع إليهم وتقعدهم)[٧].

---

(١) هوى أصل يدل على خُلُوٍّ وسقوط، والهَوَى بالفتح مقصور: هوى النفس؛ وهَوِيَ، بكسر الواو: أَحَبَّ، وهَوَى، بالفتح أيضًا: سقط، واستهواه الشيطان: اسْتَهَامه، انظر: «البارع» ص١٦٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٥٣٧، و«المجمل» ٤/ ٨٩٣، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٥، وقال الراغب في «المفردات» ص٧٤٩ معنى الآية: (حملته على اتباع الهوى) اهـ.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٢، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٦.

(٣) ذكره أبو علي في «الحجة» ٣/ ٣٢٥، وهو قول اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٣٨، وقال أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ١٩٦: (هو الحيران الذي يشبه له الشياطين فيتبعها حتى يهوى في الأرض فيضل) اهـ.

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨١٤، وانظر: «العين» ٤/ ١٠٥ (هوى).

(٥) في (ش): (فاستتبعته).

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ١٨.

(٧) هذا قول الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٢٣٤، وفي «تفسير غريب القرآن» ص٢٣٧ قال: (هوت به وذهبت).

قال أبو علي الفارسي: (أرى قولهم: استهواه كذا، إنما هو من قولهم: هوى من حالق[١] إذا تردى منه، ويشبه به الذي يزل عن الطريق المستقيم كما أن زل إنما هو من العثار في المكان، ثم يشبه به المخطئ في طريقته، وتقول: أزله غيره، كما قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦]، وكذلك هوى هو وأهواه غيره، وتقول[٢]: أهويته واستهويته، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]، كما تقول: أزله واستزله؛ قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فكما أن استزله بمنزلة أزله، كذلك استهواه بمنزلة أهواه، كما أن استجاب بمنزلة أجاب)[٣]. فأكثر أهل[٤] اللغة على أن: استهوى من هوى يهوى، وعلى هذا يدل[٥] كلام ابن عباس؛ لأنه قال: (كالذي استفزته[٦] الغيلان[٧] في الهامة)[٨].

---

(١) في (ش): (خالق)، وهو تصحيف.
(٢) في (ش): (ويقول).
(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٢٥-٣٢٦ بتصرف يسير. وقال ابن عطية ٥/ ٢٤٢، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٥٧: (ذهب أبو علي إلى أنه بمعنى: أهوى من هوى يهوي إذا سقط من علو، أي: ألقته الشياطين في هوة) ا.هـ. بتصرف.
(٤) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٩٩٨، و«اللسان» ٨/ ٤٧٢٨ (هوى) والمراجع السابقة.
(٥) في (أ): (وعلى هذا كلام ابن عباس: يدل).
(٦) في (ش): (استغوته).
(٧) غيلان: جمع غول بالضم، وهو شيطان يأكل الناس، وسحرة الجن، والداهية. انظر: القاموس ص١٠٤٠ (غول).
(٨) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب بلفظ: (استفزته)، والبغوي ٣/ ١٥٦. بلفظ: (استهوته)، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٤٠ بلفظ (أضلته) وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٣١ بلفظ (استزلته).

وانفرد أبو إسحاق بقوله[١].

وقوله تعالى ﴿حَيْرَانَ﴾، قال الأصمعي[٢]: (يقال: حار يحَار حيرة وحيرًا)[٣]، وزاد الفراء: (حيرانًا وحيرورة)[٤].

ومعنى الحيرة[٥]: هي التردد في الأمر لا يهتدي إلى مخرج منه ولا يتوجه له طريق، ومنه يقال: الماء يتحيّر في الغيمِ أي: يتردد، وتحيّرت الروضة بالماء إذا امتلأت فتردد فيها الماء.

ومنه قول لبيدٍ[٦]:

---

(١) قال الأزهري في «تهذيبه» ٤/ ٣٨١٣: (جعله الزجاج من هوِي بفتح الهاء وكسر الواو يَهْوَى بالفتح) اهـ. فيكون من هوى النفس، وليس من هَوَى بالفتح يَهْوِي بكسر الواو إلى الشيء إذا أسرع إليه.
وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٥٥: (جعله الزمخشري من الهوى، وهو الميل والمودة، أي: أمالته الشياطين عن الطريق الواضح إلى المهمه القفر) ا.هـ. بتصرف، وانظر: «الكشاف» ٢/ ٢٨، والقرطبي ٧/ ١٨.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٥ (حار).

(٣) في (ش): (يحار، حيرة وحيرة)، ولعل حيرة الثانية تحريف عن: وحيرًا .

(٤) ذكره الرازي ١٣/ ٣٠، والمصدر: حيرورة، ذكره القرطبي ٧/ ١٨، والشوكاني ٢/ ١٨٨، وفي «البحر» ٤/ ١٤٤ قال: (حارَ يحَارُ حَيْرَة وحَيْرًا وحيرانًا وحيرورة) ا.هـ. والنص عن الفراء لعله من كتاب المصادر المفقود.

(٥) انظر: «العين» ٣/ ٢٨٨، و«الصحاح» ٢/ ٦٤٠، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣، و«المفردات» ص٢٦٣، و«عمدة الحفاظ» ص١٤٥ (حير).

(٦) «ديوانه» ص١٥٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٩٨، و«اللسان» ٢/ ١٠٦٧ (حار)، وتحيرت: امتلأت وأقام فيها الماء ولم يشرب، والدبار: جمع دبرة، وهي الساقية ومجاري الماء في المزرعة، والزلف: جمع زلفة، وهي مصانع الماء، والقِتْبُ -بالكسر-: السانية وأدواتها، والمحزوم: المربوط بالحزام. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٢٤ (قتب).

حَتّى تَحَيَّرَتِ الدَّبَارُ كأنَّها زَلَفٌ وأُلْقَى قِتْبُها المَحْزُومُ(١)

يقول: امتلأت ماءً فتردد على جوانبها.

قال ابن عباس: (هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله، كمثل رجل تائه ضال عن الطريق له أصحاب يدعونه إلى الطريق: هلم يا فلان إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في هلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الطريق اهتدى. يقول: مثل من يعبد هذه الآلهة مثل من دعاه الغيلان في المفازة باسمه واسم أبيه فيتبعها، ويرى أنه في شيء، فيصبح وقد ألقته في هلكة أو في مضلة من الأرض يهلك فيها عطشًا، فهذا مثل من أجاب الآلهة التي تعبد من دون الله)(٢).

وقال مجاهد(٣): (هذا مثل من ضل بعد الهدى)، وقال ابن عباس في رواية عطاء: (يعني بهذه الآية: عبد الرحمن(٤) بن أبي بكر الصديق ﷺ،

---

(١) في النسخ الديار. وفي (ش): (المخزوم)، وهو تصحيف وخلاف ما في المراجع.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣١٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٩.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٨، وأخرج الطبري ٧/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢ من طرق جيدة نحوه، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤١.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي أبو محمد صحابي جليل، أكبر ولد الصديق، وشقيق عائشة رضي الله عنهما، أسلم قبيل الفتح، وكان فارسًا من أشجع قريش وأرماهم بسهم، شهد اليمامة والفتوح. وتوفي سنة ٥٣هـ أو بعدها.

انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري ٥/ ٢٤٢، و«الاستيعاب» ٢/ ٣٨٢، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٢٩٤، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٧١، و«الإصابة» ٢/ ٤٠٧، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٢٥.

كان يدعو أباه إلى الكفر وأبوه يدعوه إلى الإسلام)[1] فقوله: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ يريد: عبد الرحمن بن أبي بكر، قال الكلبي: (استفزّته الشياطين فعمل بالمعاصي ﴿حَيْرَانَ﴾: ضال عن الهدى ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ يعني أبويه وأصحاب محمد ﷺ)[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ هذا جواب لعبد الرحمن حين دعا أباه إلى دين آبائه، قال ابن عباس في رواية عطاء: (وأبو بكر يقول: اتبع ديني، ويخبره أن دين الله الهدى الذي هو عليه)[3].

قال أهل المعاني: (الآية من أولها إلى قوله ﴿ائْتِنَا﴾ إنكار على من دعا إلى الضلال وعبادة الأصنام، من آمن بالله وسلك طريق الهدى، وتشبيه حاله لو أجاب داعي الضلال بتشبيه حال التائه بسلوكه غير المحجة).

وقوله بعد هذا: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ رد على من دعا إلى عبادة الأصنام، وكأنه بمنزلة: لا تفعل[4] ذلك؛ لأن ﴿هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٣١، وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٤، والماوردي ٢/ ١٣٢، وابن الجوزي ٣/ ٦٧، والقرطبي ٧/ ١٨، وذكره أكثرهم بلا نسبة.
انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٦٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٢، والثعلبي ١٧٩ ب، و«الكشاف» ٢/ ٢٩، والرازي ١٣/ ٣٠، وضعف هذا القول ابن عطية ٥/ ٢٤٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٥٧ لما في «صحيح البخاري» (٤٨٢٧) كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحقاف عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عُذري) ا.هـ. وانظر: شرحه في «فتح الباري» ٨/ ٥٧٦.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٣١، وفي «معاني الفراء» ١/ ٣٣٩، قال: (كان أبو بكر الصديق وامرأته يدعوان عبد الرحمن ابنهما إلى الإسلام فهو قوله: ﴿إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ أي: أطعنا) اهـ.

(٣) سبق تخريجه في الفقرة السابقة.

(٤) في (ش): (يفعل).

لا هدى غيره[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال أبو إسحاق[(٢)]: (العرب تقول: أمرتك لتفعل، وأن تفعل، وبأن تفعل، فمن قال: بأن تفعل، فالباء للإلصاق، والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: أن تفعل، فعلى حذف الباء، ومن قال: لتفعل، فقد أخبر بالعلة التي وقع لها الأمر)[(٣)].

٧٢- وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال الفراء: (﴿وَأَنْ﴾ مردودة على اللام التي في قوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾، والعرب تقول: أمرتك لتذهب وأن تفعل كذا، فإن في وضع نصب بالرد على الأمر)[(٤)].

وقال الزجاج[(٥)]: (موضع ﴿أَن﴾ نصب؛ لأن الباء لما سقطت أفضى

---

(١) انظر: «الطبري» ٧/ ٢٣٨، والبغوي ٣/ ١٥٦، و«البحر المحيط» ٤/ ١٥٧-١٥٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٢، وزاد: (أي: يدعونه ويقولون له: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أمرنا للإسلام...) اهـ.

(٣) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٣٩، والأخفش ٢/ ٢٧٧، والطبري ٧/ ٢٣٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٥٦، و«الدر المصون» ٤/ ٦٨٦.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٩، وهو قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٣٨، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٨.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٣. والنص فيه قال: (فيه وجهان أحدهما: أن تكون أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة، ويجوز أن يكون محمولًا على المعنى لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة، وموضع أن نصب لأن الباء لما سقطت أفضى الفعل فنصب، وفيه وجه آخر: يجوز أن يكون محمولًا على قوله ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يدعونه أن أقيموا الصلاة) ا.هـ. وقد ذكر هذه الأوجه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٦، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٥٦، والعكبري في «التبيان» ١/ ٣٤٠.

الفعل)[١]، فعنده كأن التقدير: وبأن أقيموا ثم حذفت الجارّة، وهو قريب من قول الفراء.

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بكمال قدرته وشمول علمه وإتقان صنعه[٢]، وكل ذلك حق[٣]، وذكرنا وجهين آخرين في قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ في سورة يونس [٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ذكر الزجاج في نصب ﴿يَوْمَ﴾ أوجهًا: (أحدها: أن يكون منسوقًا على الهاء في قوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ [الأنعام: ٧٢] في الآية الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ [البقرة: ٤٨] والثاني[٤]: أن يكون منصوبًا بإضمار: واذكر. قال: ويدل على هذا قوله بعده: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنعام: ٧٤] والمعنى: اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾، واذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾، والوجه الثالث: أن يكون معطوفًا على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، والمعنى: وخلق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾، ويكون هذا إخبارًا عن وقوعه وكونه؛ لأن ما أنبأ الله تعالى بكونه فهو واقع لا محالة، فجاز أن يقال: المعنى وخلق يوم يقول. وإن لم يأت يوم القيامة)[٥].

---

(١) وهذا قول ابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٢٦، وانظر: تفسير ابن عطية ٥/ ٢٤٦-٢٤٧، و«الفريد» ٢/ ١٧١، و«البحر» ٤/ ١٥٩، و«الدر المصون» ٤/ ٦٨٧ .

(٢) في (ش): (صنعته).

(٣) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٤٧.

(٤) وفيه ذكر أنه الأجود.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٣، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٧٨، وقد ذكر الأوجه الثلاثة النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٧، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٥٦ .

قال ابن عباس: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يريد: يوم القيامة)[١]، وذكر غير الزجاج من النحويين: (أن قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ ينتصب بإضمار: وقدر أو قضى، والكلام دل على هذا، فيكون ذلك المقدّر معطوفًا على خلق[٢]، وهذا أحسن من القول الثالث الذي ذكره الزجاج.

واختلفوا في أن الخطاب في قوله ﴿كُن﴾ لماذا، فقال الفراء[٣] وحكاه الزجاج[٤]: (المخاطبة للصورة خاصة، المعنى: ويوم يقول[٥] للصور كن فيكون)، وقد ذكر الصور في هذه الآية وكان ذكره فيما بعد دليلًا على أن الخطاب له. ويذكر الاختلاف[٦] في الصور.

وقال الزجاج وحده: (وقيل: إن قوله: ﴿كُن﴾ فيه إضمار جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى: و[٧]يوم يقول[٨] للشيء كن فيكون، وهذا ذكر ليدل على سرعة أمر البعث والساعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون، وانتشروا فينتشرون، كأنه يأمر الحياة فتكون[٩] فيهم

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٢.

(٢) انظر: «البيان» ١/ ٣٢٦، و«التبيان» ١/ ٣٤٠، و«الفريد» ٢/ ١٧٢، و«الدر المصون» ٤/ ٦٩٠، وقال البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٥٧: (قيل: هو راجع إلى خلق السموات والأرض، والخلق بمعنى: القضاء والتقدير، أي: كل شيء قضاه وقدره قال له: كن فيكون) اهـ.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٠ وفيه: (يقال: إنه خطاب للصور خاصة) ا.هـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٣.

(٥) في (أ): (نقول) بالنون بدل الياء.

(٦) يريد الخلاف في معناه كما سيأتي.

(٧) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

(٨) في (أ) (نقول).

(٩) في (ش): (فيكون).

والموت فيحل بهم)[١]، وعلى هذين القولين يكون قوله بعد هذا[٢]: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ رفع بالابتداء. وقال معًا[٣]: (يجوز أن يكون الخطاب لقوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ والمعنى: أنه يأمر فيقع أمره، فيرتفع ﴿قَوْلُهُ﴾ باسم كان و﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته). قال الزجاج: (وهذا كما تقول: قد قلت فكان قولك، ليس المعنى: فكان الكلام إنما المعنى أنه كان ما دل عليه القول)[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يجوز أن يكون نصب ﴿يَوْمَ﴾ على[٥] ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ﴾ كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ويجوز أن يكون قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ بدلًا من[٦] قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾، ويجوز أن يكون منصوبًا بقوله الحق؛ المعنى: وقوله الحق يوم ينفخ في الصور.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٣-٢٦٤، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٧، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٥٦.

(٢) هذا قول النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٧، قال: (وعلى هذين الجوابين ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ ابتداء وخبر) اهـ.

(٣) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٠.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٤، وخلاصة ما ذكره الواحدي رحمه الله تعالى: (أن كان تامة، وفي فاعلها أوجه: الأول: ضمير جميع ما يخلق الله تعالى. والثاني: ضمير الصور، وعلى هذا يكون ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ، وخبر، أو ﴿قَوْلُهُ﴾: مبتدأ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾: نعته، والخبر: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾، أو: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾. والوجه الثالث: الفاعل، هو: ﴿قَوْلُهُ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفته، والواحدي عبر عن ذلك بقوله (يرتفع باسم كان). وانظر: «التبيان» ٣٤٠، و«الفريد» ١/ ١٧٣، و«الدر المصون» ٤/ ٦٩١.

(٥) أي ظرف لقوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: وله الملك في ذلك اليوم. قال الهمداني في «الفريد» ١/ ١٧٣: (وهو المختار للقرب ولسلامته من الاعتراض) اهـ.

(٦) في (أ): (عن) بدل (من).

فإن قال قائل: لله الملك في كل يوم وقوله الحق في كل وقت، فلم خص ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ ؟ والجواب: أنه اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد نفع لأحد ولا ضر، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] والأمر في كل وقت لله ﷻ؛ ذكر هذا كله أبو إسحاق[١].

وأما الصور فقال الفراء والزجاج: (يقال: إن الصور قرن ينفخ فيه، ويقال: الصور جمع صورة ينفخ في صور الموتى -والله أعلم-)[٢]، قال الزجاج: (وكلاهما جائز، وأثبتهما في الحديث والرواية أن الصور قرن)[٣].

وقال أبو عبيدة: (الصور جمع صورة مثل سورة البناء وسور)[٤].

وأخبرني أبو الفضل العروضي قراءة وسعيد بن العباس القرشي كتابة قالا: أنبأنا الأزهري قال: عن أبي الهيثم أنه قال: اعترض قوم فأنكروا[٥]

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٤، ولم يذكر الوجه الثاني، وهو كونه بدلًا. وقد ذكر الأوجه الثلاثة النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٧، وانظر: «المشكل» ١/ ٢٥٧، و«التبيان» ١/ ٣٤١، و«الدر المصون» ٤/ ٦٩٢.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٠، وفيه: (ويقال: هو جمع للصور ينفخ في الصور في الموتى. والله أعلم بصواب ذلك) اهـ.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٤، وقال بعده: (والصور جمع صورة، أهل اللغة على هذا) اهـ. وانظر: «العين» ٧/ ١٤٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٤٥، و«الصحاح» ٢/ ٧١٦، و«المجمل» ٢/ ٥٤٥، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٢٠، و«المفردات» ص٤٩٨، و«عمدة الحفاظ» ص٣٠٣، و«التاج» ٧/ ١١٠، وأكثرهم قال: (الصور بالضم: القَرْن، ويقال: هو جمع صُورَة، والصِّوَر بالكسر لغة في الصُّوَر جمع صُورة).

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ١٩٦ (٤١٦)، ٢/ ١٦٢-١٦٣، وهو قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» ٥/ ١٩٢ في «كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام»، وحكاه البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٥٧ عن قتادة، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٦٩، عن الحسن، وانظر: «الزاهر» ١/ ٤١٦.

(٥) في (أ): (وأنكروا).

أن يكون الصور قرنًا، كما أنكروا[1] العرش والميزان والصراط، وادعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة، ورووا ذلك عن أبي عبيدة، قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلم الله عن مواضعه؛ لأن الله قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩] فمن قرأها[2]: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّوَرِ﴾ وقرأ[3]: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبارٍ وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو.

قال الفراء[4]: كل جمع على لفظ الواحد المذكر سبق جمعه واحدته فواحده بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصوف والوبر والشعر والقطن والعشب، فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، فإذا أفردت واحدته[5] زيدت فيها هاء؛ لأن جمع هذا الباب سبق واحدته، ولو أن الصوفة كانت سابقة للصوف لقالوا: صوفَةٌ وصُوَف وبُسْره وبُسَر كما قالوا:

---

(١) جاء عند القرطبي ٧/ ٢٠ عن أبي الهيثم قال: (من أنكر أن يكون الصور قرنًا فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط وطلب لها تأويلات) اهـ، وهذا الكلام عن أبي الهيثم فيه مبالغة ونظر، خاصة وأن إمام الحفاظ قد ارتضاه في «صحيحه». قال السمين في «الدر» ٤/ ٦٩٤: (ولا ينبغي أن ينسب ذلك إلى هذه الغاية التي ذكرها أبو الهيثم) اهـ.

(٢) يعني بفتح الواو، وهي قراءة الحسن، ومعاذ القارئ، وأبي مجلز وأبي المتوكل، وحكاها عمرو بن عبيد عن عياض، وقراءة الجمهور بسكونها. انظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٤٨، و«مختصر الشواذ» ص٣٨، و«زاد المسير» ٣/ ٦٩.

(٣) يعني بسكون الواو: صُورَكم.

(٤) انظر: «المذكر والمؤنث» للفراء ص٦٩، ١٠١، و«المذكر والمؤنث» لابن التستري ص٥٢، و«الإغفال» لأبي علي الفارسي ص١١١٣.

(٥) في (ش): (واحد)، وهو تحريف.

غُرْفة وغُرَف وزُلْفَة وزُلَف. وأما الصور: القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال: واحدتها صورَة، وإنما تَجمع صورة الإنسان صورًا لأن واحدته سبقت جمعه)(١).

قال الأزهري: (قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل السنة والجماعة، والدليل على صحة ما قال أن الله تعالى إذا بعث الأموات ينشئهم كيف شاء، ومن ادعى أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان)(٢)، انتهى كلامه.

وقد ذكرنا من كلام أبي الهيثم مثل ما ذكرها هنا في جمع السور في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، واحتج أهل التفسير(٣) على أن المراد بالصور هاهنا القرن بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] ولم يقل: فيها، وأيضًا فإنه لا ينفخ في الصور للبعث مرتين إنما ينفخ مرة واحدة، وبما ورد في الأخبار من ذكر النفخ في القرن كقوله ﷺ: **«كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه»**(٤)

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٦٠، و«اللسان» ٤/ ٢٥٢٤- ٢٥٢٥ (صور)، وذكره عن الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٣٣.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٦٠، وهذا القول هو الظاهر عند أكثر أهل العلم. وقال الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص٢٤٣-٢٤٤: (أهل اللغة على أن الصّور جمع صورة، وقيل: إنه قرن، ومذهب أهل العربية غير فاسد؛ لأنه جائز أن يُنفخ في القرن ثم يمتد النفخ بإرجاع تلك الأرواح إلى الصور فتحيا بإذن الله) ا.هـ. بتصرف.

وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٣٩ وما بعدها، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٧، وابن عطية ٥/ ٢٤٩، و«النهاية» لابن الأثير ٣/ ٦٠، والقرطبي ٧/ ٢٠، وابن كثير ٢/ ١٦٣، وكلهم رجح أنه قرن، وحكى السمرقندي ١/ ٤٩٤، إجماع المفسرين عليه.

(٣) انظر: «الإغفال» ص١١١٣.

(٤) الحديث روي من طرق يقوي بعضها بعض عن جماعة من الصحابة عن =

الحديث، قال الفراء: (والعرب[1] تقول: نفخ الصور ونفخ في الصور وأنشد[2]:

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ   وَلاَ خُرَاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ)[3]

= النبي ﷺ، فقد أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٧٧ (٢٩٥٨)، وأحمد ١/ ٣٢٦، ٣/ ٧٣، ٤/ ٣٧٤، والترمذي (٢٤٣١) كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور، (٣٢٤٣)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، والنسائي في «التفسير» ١/ ٣٤٠، والحاكم ٤/ ٥٥٩، وقال الترمذي: (حديث حسن)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٢: (وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني في «الأوسط» وأبي نعيم في «الحلية» والبيهقي في «البعث».)، وأخرج أبو داود (٤٧٤٢)، كتاب: السنة، باب: في ذكر البعث والصور، والترمذي (٢٤٣٠)، كتاب: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور) (٣٢٤٤)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، وأحمد ١٠/ ٩، ١١/ ٥٨، والدارمي ٣/ ١٨٤٤ (٢٨٤٠)، والحاكم ٢/ ٤٣٦، ٥٠٦، ٤/ ٥٦٠، والنسائي في «التفسير» ٢/ ٢٤٤ من طرق جيدة عن عبد الله بن عمرو، أن أعرابيًّا سأل النبي ﷺ عن الصور؟ فقال: «قرن ينفخ فيه»، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في «حاشية المسند»، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٢، وزاد نسبته إلى ابن المبارك في «الزهد» وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «البعث»، وهذا الحديث يُعَدُّ نصًّا في أنّ الصور قرن.

(١) في (أ): (والعرب تقول والعرب)، وهو تحريف.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في «تفسير الطبري» ٧/ ٢٤١، و«الزاهر» ١/ ٤١٦، و«المعرب» للجواليقي ص٥١٢، و«الأنساب» للسمعاني ٤/ ٥٦٦، و«الدر المصون» ٤/ ٦٩٤.

وقهندز: بالضم، وقيل: بالفتح: كلمة أعجمية معربة تعني القلعة أو الحصن. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٤١٩، و«التاج» ٨/ ١٣٣، وابن جعدة هو عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومي، انظر: «حاشية الطبري».

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٠.

٧٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ قال محمد بن إسحاق[(١)] والضحاك[(٢)] والكلبي: (آزر: أبو إبراهيم، وهو تارح[(٣)] مثل إسرائيل ويعقوب)، وهو قول الحسن[(٤)] والسدي[(٥)] قالوا جميعًا: (آزر: اسم أبي إبراهيم)، وقال مقاتل بن حيان[(٦)]: (هو لقب [له][(٧)]).

وقال سليمان[(٨)] التيمي[(٩)]: (هو سبّ وعيب، ومعناه في كلامهم: المعوّج).

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٥ بسند جيد.

(٢) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب، والبغوي ٣/ ١٥٨، والقرطبي ٧/ ٢٢ عن الضحاك وابن إسحاق والكلبي.

(٣) في (ش): (تارخ) وأكثر المصادر تذكره بالحاء المهملة، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٤٢: (ابن عباس والجمهور على أن اسم أبيه تارح، وأهل الكتاب يقولون: تارخ بالخاء المعجمة) ا.هـ. بتصرف، وانظر: «عرائس المجالس» ص٧٢، و«تفسير مبهمات القرآن» ١/ ٤٣١.

(٤) ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٨، وذكره الماوردي ٢/ ١٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٧٠ عن الحسن والسدي.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٢ بسند جيد، وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٥ عن السدي والكلبي.

(٦) ذكره الثعلبي ١٧٩ ب، والبغوي ٣/ ١٥٨، وابن الجوزي ٣/ ٧١، والقرطبي ٧/ ٢٢.

(٧) لفظ: (له) ساقط من (ش).

(٨) سليمان بن طرخان القيسي التيمي أبو المعتمر البصري، إمام عابد تابعي محدث علامة، وثقه وأثنى عليه العلماء، توفي سنة ١٤٣هـ، وله ٩٧ سنة.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٥٢، و«الجرح والتعديل» ٤/ ١٢٤، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٩٥، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٥٠، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٩٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٥ بسند ضعيف، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٤٨، والثعلبي ١٧٩ ب، والبغوي ٣/ ١٥٨.

قال أبو إسحاق[١]: (وليس بين النسّابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح[٢]، والذي في القرآن يدل على [أن][٣] اسمه آزر فكأن آزر لقب له، وقيل: آزر عندهم ذمّ في لغتهم، كأنه قيل: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ، كأنه عابه بزيغِه وتعوّجِه عن الحق)، ونحو هذا قال الفراء[٤] سواء.

وقال ابن الأنباري: (قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه، فيمكن أن يكون آزر اسم أبي[٥] إبراهيم الصحيح وتارح[٦] لقب له، وجائز أن يكون آزر لقبًا أبطل الاسم لشهرة الملقّب به، فخبّر الله تعالى بأشهر اسميه؛ لأن اللقب مضارع للاسم)[٧].

٧٥- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال الزجاج: (أي: ومثل ما وصفنا من قصة إبراهيم من قوله لأبيه ما قال نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٨] يعني: كما أريناه استقباح ما كان عليه أبوه وقومه من عبادة الأصنام نريه الملكوت للاعتبار.

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٥ بتصرف، وزاد: (وقيل: آزر: اسم صنم).

(٢) في (ش): (تارخ)، بالخاء المعجمة، وعند الزجاج بالمهملة.

(٣) لفظ: (أن) ساقط من (أ). (٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٠.

(٥) جاء في (أ): (أب)، في كل المواضع السابقة.

(٦) في (ش): (تارخ)، في كل المواضع السابقة.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٧١، والراجح أن آزر اسم أبي إبراهيم، وهو علم وليس لقب؛ لأن ظاهر القرآن والمحفوظ عن أهل العلم وغيره مجرد احتمالات ودعوى تحتاج إلى دليل، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٤٢- ٢٤٣، وابن كثير ٢/ ١٦٨، وغيرهما، وانظر: «المعارف» لابن قتيبة ص٣٠، وابن عطية ٥/ ٢٥١، و«المعرب» للجواليقي ص١٣٤، والرازي ١٣/ ٣٧، والقرطبي ٧/ ٢٢.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٥.

والملكوت: بمنزلة الملك، إلا أن[1] التاء زيدت للمبالغة، كالرَّغَبُوت[2] والرهبوت[3]، ووزنه من الفعل فعلوت[4]. كذلك قال أهل اللغة[5].

واختلفوا في: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما هو؟ فقال ابن عباس في رواية[6] عطاء: (يريد: أن الله أراه ما يكون في السموات من عجائب خلق ربه من عبادة الملائكة ومن طاعتهم ومن خشوعهم وخوفهم من الله ﷻ، وما في جميع الأرض من عصيان بني آدم وجرأتهم على الله، فكان يدعو على كل من يراه في معصية فيهلكه الله، فأوحى الله إليه: [يا إبراهيم][7] أمسك عن عبادي، أما علمت أنه من أسمائي أنا الصبور)[8].

---

(١) في (أ): (لأن التاء).

(٢) الرغبوت، بفتح الراء والغين وضم الباء: من رغب بمعنى أراد. انظر: «القاموس» ص٩٠ (رغب).

(٣) الرَّهَبُوت، بفتح الراء والهاء، وضم الباء: من رهب بمعنى خاف. انظر: «القاموس» ص٩٢ (رهب).

(٤) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٦٥، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٩٧-١٩٨، و«تفسير الطبري» ٧/ ٢٤٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٤٩.

(٥) انظر: ملك في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٤٩، و«الصحاح» ٥/ ١٦١٠، و«اللسان» ٧/ ٤٢٦٧.

(٦) أخرج الطبري ٧/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٦ بسند ضعيف عنه نحوه، وأخرج الطبري ٧/ ٢٤٧ بسند ضعيف عن عطاء نحوه، وأخرج الطبري ٧/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٦ بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني به: الشمس والقمر والنجوم) اهـ. وفي رواية عند الطبري بسند جيد قال: (خلق السموات والأرض)، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٤٥.

(٧) لفظ: (يا إبراهيم) ساقط من أصل (أ) وملحق بالهامش.

(٨) الصبور صفة لله ﷻ ومعناه: الذي يملي ويمهل ولا يعجل بالعقوبة، وأكثرهم عده=

وقد روى علي ﷺ، عن النبي ﷺ[١] في تفسير: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مثل هذا الذي ذكره ابن عباس.

وهو قول مجاهد[٢] وسعيد[٣] بن جبير قالا: (إنه كشف له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين).

وقال قتادة[٤] والضحاك[٥]: (﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: الشمس والقمر

= اسمًا من أسماء الله تعالى، ولم يثبته محمد العثيمين في «القواعد المثلى» ص٢١-٢٢. وانظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٦٥، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص٤٨١، و«المقصد الأسنى» للغزالي ص١٣٣، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص٣٥٢، و«الحق الواضح» للسعدي ص٥٧؛ وكلهم عده من الأسماء.

(١) ذكره البغوي ٣/ ١٥٨، والقرطبي ٧/ ٢٣، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٤٥، وقال ابن كثير ٢/ ١٦٨: (روى ابن مردويه في ذلك حديثين مرفوعين عن معاذ وعلي، ولكن يصح إسنادهما) اهـ. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٠١ (روى الطبراني في «الأوسط» عن جابر عن النبي ﷺ نحوه وفيه علي بن أبي علي اللهبي متروك) ا.هـ. بتصرف.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٧ من طرق جيدة، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٨ قال: (الملكوت: الآيات)، وأخرجه الطبري من طرق جيدة، وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» ص٢٩٧ بسند جيد عنه قال: (الشمس والقمر)، وقال ابن أبي حاتم: (وروي عن مجاهد أنه قال: يعني الشمس والقمر والنجوم) اهـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٤٤.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٧ من طرق جيدة عن سعيد بن جبير وقتادة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٢-٢١٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٢٧ من طرق جيدة

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٤٧ بسند ضعيف بلفظ: (الشمس والقمر والنجوم) اهـ، وهذه الأخبار لا حجة فيها وتحتاج إلى مستند، والأولى حمل الآية على ظاهرها، فالملكوت بمعنى الملك أراه الله سبحانه عظيم سلطانه، وجلى له بواطن الأمور وظاهرها، ويحتمل أن يكون كشف له عن بصره حتى رأى ذلك عيانًا، =

والنجوم، وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار، وذلك أن الله تعالى أراه هذه الأشياء حتى نظر إليها معتبرًا مستدلًا بها على خالقها).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قال أهل المعاني: (هو معطوف على المعنى؛ لأن معنى الآية: نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[(١)]، وقيل: (هو عطف جملة على جملة بتقدير: وليكون من الموقنين أريناه)[(٢)]. قال أبو علي الفارسي: (اليقين[(٣)] والتيقن: ضرب من العلم مخصوص، فكل علم ليس تيقنًا وإن كان كل تيقن علمًا؛ لأن التيقّن هو العلم الذي قد كان عرض لعالمه إشكال فيه، يبين[(٤)] ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾)[(٥)].

= ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة، وهذا اختيار الطبري ٧/ ٢٤٧، وابن كثير ٢/ ١٦٨، وانظر: السمرقندي ١/ ٤٩٥، وابن عطية ٥/ ٢٥٥.

(١) هذا ظاهر قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٦٥، قال: (أي نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لما فعل وليثبت على اليقين).

(٢) هذا قول النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٥٨، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٥٨، وانظر: «البيان» ١/ ٣٢٨، و«التبيان» ٣٤٢، و«الفريد» ٢/ ١٧٧، و«الدر المصون» ٥/ ٧.

(٣) اليقين في اللغة: العلم وتحقق الأمر وزوال الشك. وقال العسكري في «الفروق» ص٦٣: (هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم) ا.هـ. وقال الراغب في «المفردات» ص٨٩٢: (هو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم) اهـ، وانظر «العين» ٥/ ٢٢٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٢١٩، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٥٧، و«اللسان» ٨/ ٤٩٦٤ (يقن).

(٤) في (أ): (تبين) بالتاء، وهو تصحيف.

(٥) «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٥٦، وزاد: (اليقين كأنه علم يحصل بعد استدلال ونظر لغموض المعلوم أو لإشكال ذلك على الناظر، فليس كل علم يقينًا؛ لأن من المعلومات ما يعلم ببداءة العقول والحواس) ا.هـ. ملخصًا.

٧٦- [و][1] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ الآية. يقال: جنّ عليه الليل وأجنَّه الليل، ويقال لكل ما ستر: قد جنّ وأجن، ويقال أيضًا: جَنت الليل[2]، ولكن الاختيار جنّ عليه الليل، وأجنه الليل[3]، هذا قول جميع أهل اللغة، ومعنى ﴿جَنَّ﴾: ستر، ومنه الجَنَّة[4] والجِنُّ والجُنُون

---

(١) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

(٢) (جن يستعمل لازمًا ومتعديًا، وهو مما اتفق فيه أفعل وفعل، إلا أن الأجود جن عليه الليل وأجنه الليل، فيكون الثلاثي لازمًا وأفعل متعديًا). انظر: «الدر المصون» ٥/ ٨.

(٣) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٦٦.

(٤) هذه كلمات تحتاج إلى ضبط وهي على الترتيب كما يلي:
الجَنَّة: بفتح الجيم والنون المشددة. البستان كثير الشجر.
والجِنّ: بكسر الجيم وتشديد النون: خلاف الإنس والواحد، جِنّيٌّ.
والجُنُون: بضم الجيم والنون، يقال: جُنَّ الرَّجُلُ جُنُونًا، وأَجَنَّه الله، فهو مَجْنُون.
ويقال: جن عليه الليل يُجنُّ جُنونًا، أي ستره، وجن النباتُ جُنُونًا أي طال والتف.
والجَنَانُ، بالفتح: القَلْبُ، والرُّوحُ، وظَلامُ الليل.
والجنين، بفتح الجيم وكسر النون: الولد في البطن، وكل مستور.
والمِجَنُّ، بكسر الميم وفتح الجيم: التُّرْس، وكل ما استتر به من السلاح.
والجَنَنُ، بالفتح: القبر، والميت، والكفن.
والجُنُنُ، بالضم: الجُنُونُ، حذفت منه الواو.
والمُجَنُّ، ضبط في النسخ بضم الميم وفتح الجيم، ولم أقف على أنه المقبور، وفي «الصحاح»: (جُنَّ الرجل جنونًا وأجنَّه الله فهو مجنون ولا يقال مُجَنٌّ).
والجُنَّة، بضم الجيم وفتح النون المشددة: ما استتر به من السلاح، وكل ما وَقَى.
والجِنَّة، بكسر الجيم: الجنون، وذلك أن يغطي العقل.
انظر: «العين» ٦/ ٢٠، و«الجمهرة» ١/ ٩٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٧٣، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٩٣، و«المجمل» ١/ ١٧٥، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٢١، و«المفردات» ص٣٠٣، و«اللسان» ٢/ ٧٠٢، و«القاموس» ص١١٨٧ (جن).

والجَنان والجنين، المجنُ والجنن والمُجن وهو المقبور، والجُنَّة والجِنّة، كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار، ويقال في مصدره: جَنّ جَنًّا وجنونًا وجنانًا[١].

ويروى بيت دُريد[٢] بالوجهين:

وَلَوْلَا جَنونُ اللَّيلِ أَدْرَكَ رَكْضُنَا
بِذِي الرِّمْثِ والأَرْطَى عِياضَ بنَ ناشِبِ[٣]

ويروى[٤]: (جنان الليل). قال بعض النحويين: ﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي: أظلم عليه الليل[٥] ولهذا دخلت على، كما تقول في أظلم، فأما جنّه فستره من غير تضمين معنى أظلم)[٦].

---

(١) انظر: المراجع السابقة. وقال الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٤٧: (المصدر من جن عليه: جنًّا وجُنُونًا وجَنَانًا، ومن أجن إجنانًا ...) اهـ. وقال السمين في ٥/ ٨: (مصدره جَنٌّ وجَنان وجُنون) اهـ.

(٢) دُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشمي من هوازن، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٣) «ديوانه» ص٢٩، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٨، و«الأصمعيات» ص١١٢، و«إصلاح المنطق» ص٢٩٥، و«الجمهرة» ١/ ٩٣، و«الأغاني» ١٠/ ١٦، و«المجمل» ١/ ١٧٥، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٢٢، و«اللسان» ٢/ ٧٠١، وهو لخفاف بن ندبة السُّلَمي في «ديوانه» ص١٣٠، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٩٤.
والرمث والأرطى: نبتان معروفان، وذو الرمث: وادٍ لبني أسد. يقول: لولا أن الليل سترنا لأدركنا عياض بن ناشب الفزاري بذلك المكان فقتلناه.
انظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ٢/ ١٢٩، و«معجم البلدان» ٣/ ٦٨، و«اللسان» ٢/ ٧٠١ (جن).

(٤) ذكره أكثرهم، وهو في «الديوان» وأكثر المراجع، (ولولا جنان)، وهما بمعنى واحد، وفي «الأغاني»: (ولولا سواد) بدل (جنان).

(٥) لفظ: (الليل) ساقط من (ش).

(٦) انظر: «الفريد» ٢/ ١٧٧.

وقوله ﴿رَءَا﴾ فيه ثلاثة أوجه[١] من القراءة، فتح الراء والهمزة. [وفتح الراء وكسر[٢] الهمزة نحو الإمالة. وكسر الراء والهمزة][٣] للإمالة، فأما من فتحهما جميعًا فعلّته واضحة؛ وهي ترك الألف على الأصل نحو: رَعَى ورمى لمَّا لم يُمِل الألف لم يمل الفتحة التي قبلها، كما يميلها من يرى الإمالة ليميل الألف نحو: الياء.

وأمّا من فتح الراء وكسر الهمزة فإنه أمال الهمزة نحو الكسرة لتميل الألف التي في رأى نحو الياء، كما تمال الفتحة التي على الدال في هدى والميم من رمى لتميل الألف، وترك الراء مفتوحة على الأصل.

وأمّا من كسرهما جميعًا فإنه كسر الراء من رأى؛ لأن المضارع منه على يفعل، وإذا كان المضارع على يفعل كان الماضي على فَعِل، ألا ترى أن المضارع في الأمر العام إذا كان على يفعل كان الماضي على فَعِلَ، وإنما فتحوا الماضي في حروف ذوات عددٍ اختص موضع العين منها واللام بأحد حروف الحلق، وهي متسفلة المخارج، فشابوا ذلك منها بشيء من التصعّد وهو الفتحة في العين، ليعتدل الكلام، وإذا كان الماضي كأنه على فِعِلَ كسر[٤] الراء التي هي فاء؛ لأن العين همزة، وحروف الحلق إذا جاءت

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (رأى) بكسر الراء والهمزة. وقرأ ابن كثير وعاصم: (رأى) بفتح الراء والهمزة. وقرأ أبو عمرو: بفتح الراء وكسر الهمزة. وقرأ نافع: بين الفتح والكسر. انظر: «السبعة» ص٢٦٠، و«المبسوط» ص١٧٠، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٢، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٩.

(٢) في (ش): (وكسرة)، وهو تحريف.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) كذا في النسخ، وفي «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٢٨: (كسرة الراء)، وهو الصواب، وقد ورد في بعض نسخ «الحجة» كسر الراء كما في «الحاشية».

في كلمة على زنة فِعِل كسرت فيها الفاء لكسرة العين في الاسم والفعل، وذلك نحو قولهم في الاسم: حمار نِعِرٌ[١] ورجل محك[٢] وماضغ لهم، وفي الفعل نحو: شِهِدَ ولِعِبَ ونِعِمَ، فكسرة الراء على هذا كسرة مخلصة محضة، وليست بفتحة مُمالة، وأما كسرة الهمزة فإنه يراد بها إمالة فتحتها إلى الكسرة لتميل[٣] الألف نحو الياء، فإنْ قلت: إن الفاء إنما تكسر لتتبع الكسرة في نحو: شهد، والهمزة في رأى مفتوحة، فكيف أجيز كسره، مع أن بعدها حرفًا مفتوحًا؟.

قيل: إنه فيما نزلناه وبينّاه بمنزلة الكسرة، فأتبع الفتحة الكسرة المقدرة، فإن لقي رأى ساكن نحو: ﴿رَءَا ٱلْقَمَرَ﴾ و﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ﴾ ففيه أيضًا ثلاثة أوجه من القراءة[٤]:

أحدهما: فتح الراء والهمزة معًا، وهو قراءة العامة، ووجه ذلك أنه الأصل على قراءة من فتحهما إذا لم يلقه ساكن، وأما من كان يكسرهما إذا لم يلقه ساكن ثم فتحهما عند الساكن مثل الكسائي، فوجه ذلك: أن إمالة الفتحة في الهمزة إنما كانت لتميل الألف نحو الياء، فلما سقطت الألف بطلت إمالتها لسقوطها، ولما بطلت إمالتها لسقوطها بطلت إمالة الفتحة نحو الكسرة لسقوط الألف التي كانت الفتحة الممالة تميلها نحو الياء، وأما

(١) النُّعَر: داء يأخذ الإبل في رؤوسها، وحمار نَعِرٌ، بفتح النون وكسر العين: أي لا يستقر في مكان.
انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٨٥، و«اللسان» ٧/ ٤٤٧٢ (نعر).

(٢) رجل محك، بفتح الميم وكسر الحاء، أي: لجُوج عسر الخُلق. انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٤٧ (محك).

(٣) في (ش): (ليميل).

(٤) انظر: المراجع السابقة في قراءة (رأى).

فتح الراء هاهنا وقد كسره في ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ فلأنه أخذ باللغتين فكسر هناك لما ذكرناه[١] وفتح هاهنا؛ لأنه جعله بمنزلة الراء في رمى[٢] ورعى.

الوجه الثاني في القراءة: كسر الراء وفتح الهمزة، وهي قراءة حمزة وعاصم في رواية أبي بكر[٣]، أما كسر الراء فإنما هو للتنزيل والتقدير الذي ذكرنا، وهو معنى منفصل عن إمالة فتحة الهمزة، ألا ترى أنه يجوز أن يُعمل هذا المعنى من لا يرى الإمالة، كما يجوز أن يُعمله من يراها، فإذا كان كذلك كان انفصال أحدهما عن الآخر سَائغًا غير ممتنع.

وروى يحيى بن[٤] آدم عن أبي بكر[٥]: ﴿رِإِى القمر﴾: بكسر الراء والهمزة معًا، أما وجه كسر الراء فقد ذكرنا، وأما إمالة فتحة الهمزة مع

---

(١) في (ش): (ذكرنا).

(٢) في (أ): (رما، ورعا). وكذلك جاء في بعض نسخ «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٣٠.

(٣) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الحناط الكوفي، مشهور بكنيته، مختلف في اسمه، فقيل: كنيته هي اسمه، وقيل: اسمه شعبة، وهو إمام فاضل عابد ثقة مقرئ أتقن قراءة عاصم وعرض القرآن عليه ثلاث مرات، توفي سنة ١٩٤هـ، أو قبلها، وله نحو ١٠٠ سنة.
انظر: «الحلية» ٨/ ٣٠٣، و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ٤٩٥، و«معرفة القراء» ١/ ١٣٤، و«ميزان الاعتدال» ٦/ ١٧٣، و«غاية النهاية» ١/ ٣٢٥، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٩٢.

(٤) يحيى بن آدم بن سليمان الأموي أبو زكريا الكوفي إمام فاضل حافظ ثقة مقرئ فقيه من أوعية العلم، وله كتب جيدة. توفي سنة ٢٠٣هـ، وله نحو ٧٣ سنة.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٤٠٢، و«الجرح والتعديل» ٩/ ١٢٨، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٥٢٢، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٥٩، و«غاية النهاية» ٢/ ٢٦٣، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٧.

(٥) في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٣١: (روى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم).

زوال ما كان يوجب إمالتها من حذف الألف فلأن الألف محذوفة لالتقاء الساكنين، وما يحذف لالتقاء الساكنين فقد ينزّل تنزيل المثبت، ألا ترى أنهم قد أنشدوا:

وَلاَ ذَاكِـرِ اللهِ إلَّا قَـلِـيـلا[١]

فنصب الاسم بعد ذاكر، وإن كانت النون محذوفة لمّا كان الحذف لالتقاء الساكنين، والحذف لذلك في تقدير الإثبات من حيث كان التقاؤهما غير لازم، ومن ثم لم يرد الألف في نحو: رمت المرأة[٢].

فأما قصة الآية ومعناها، فقال السدي[٣]، ومحمد بن إسحاق[٤]

---

(١) «الشاهد» لأبي الأسود الدؤلي في «ديوانه» ص٥٤، و«الكتاب» ١/ ١٦٩، و«معاني الفراء» ٢/ ٢٠٢، و«المقتضب» ٢/ ٣١٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٩٣، عتب، وبلا نسبة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٧، و«معاني الأخفش» ١/ ٨٦، و«مجالس ثعلب» ص١٢٣، و«الأصول» ٣/ ٤٥٥، و«الشعر» لأبي علي ١/ ١١٤، و«الخصائص» ١/ ٣١١، و«المنصف» ٢/ ٢٣١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٦٤، وصدره:

فَـأَلْـفَـيْـتُـهُ غَـيْـرَ مُـسْـتَـعْـتِـبٍ

الشاهد: حذف التنوين من ذاكر لالتقاء الساكنين أو ضرورة. انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٩٣٤.

(٢) هذا قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٢٦-٣٣٢، وانظر: «معاني القراءات» للأزهري ١/ ٣٦٤، و«إعراب القراءات» لابن خالويه ١/ ١٦١، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٥٦، و«الكشف» ١/ ٤٣٦.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» ١/ ٢٣٦ عن السدي وابن إسحاق، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٢٩ عن السدي، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» ص٧٤، عن السدي وابن إسحاق.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٤٦- ٣٤٧ عن ابن إسحاق وقتادة، وانظر: نحوه في «تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٢/ ١٣٧، وهذا من الإسرائيليات، والآية ظاهرة =

والعلماء بأخبار الماضين: (لما شب إبراهيم في السرب [الذي ولد فيه، قال لأبويه: أخرجاني فأخرجاه، من السرب][1] وانطلقا به حين غابت الشمس، فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم، فقال: ما لهذه بُدّ من أن يكون لها رب وخالق، ثم نظر وتفكر في خلق السموات والأرض، وقال: إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي إله غيره، ثم نظر فإذا المشتري قد طلع، ويقال: الزهرة، وكانت تلك الليلة في آخر الشهر، فرأى الكوكب قبل القمر فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾).

واختلفوا في معنى قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فقال أهل التحقيق من العلماء: (إن إبراهيم ﷺ لم يكن قط في ضلال وحيرة، وكيف يتوهم ذلك على من عصمه الله وطهّره في مستقره ومستودعه؟ وما زال في حكم الله نبيًّا والله تعالى يقول: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤] أي: لم يشرك به قط، كذلك قال المفسرون، ويقول[2]: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآية. [الأنعام: ٧٥] أفترى الله أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على الحقيقة والاعتقاد! هذا ما لا يكون أبدًا، وإنما معنى قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أن قومه كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها ويحكمون بها.

= واضحة، وليس تفسيرها في حاجة إلى هذه المرويات قال ابن كثير في «تاريخه» ١/ ١٤٣: (الظاهر أن الموعظة لأهل حران، فإنهم يعبدون الكواكب، وهذا يرد قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السرب، لما كان صغيرًا، كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها، ولا سيما إذا خالفت الحق ..) اهـ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) لفظ: (الواو): ساقط من (أ).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ رأى الزهرة فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ يريد: أن يستدرجهم بهذا القول، ويعرفهم خطأهم، وجهلهم في تعظيمهم شأن النجوم وقضائهم على الأمور بدلالاتها، فأراهم أنه معظِّم ما عظَّموا، وملتمس الهدى من حيث التمسوا، وكل من تابعك على هواك وشايعك على أمرك كنت به أوثق وإليه أسكن وأركن، فأنِسوا واطمأنوا ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أراهم النقص الداخل على النجم بالأفول؛ لأنه ليس [ينبغي](١) [لإله](٢) أن يزول ولا أن يغيب فقال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ أي: لا أحب من كانت حالته أن يطلع ويسير على هيئة يتبين معها أنه محدث منتقل من مكانٍ إلى مكانٍ، أي: لا أتخذ ما هذه حاله إلها، كما أنكم لا تتخذون كل ما قد يجري مجرى هذا من سائر الأشياء آلهة.

وقيل: إنه قال: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ على جهة الاحتجاج على قومه لا على معنى الشك كأنه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ عندكم وفيما تظنون وفي زعمكم، كما قال الله ﷻ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢] فأضافهم إلى نفسه حكاية لقولهم، وكقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي: عند نفسك.

وجائز أن يكون هاهنا إضمار القول كأنه قال: [تقولون](٣): ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ وإضمار القول كثير كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولان: ربنا، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] معناه: يقولون ما نعبدهم،

(١) في (أ): (يتبغى)، وهو تصحيف.
(٢) في (أ): (للاله).
(٣) في (ش): (يقولون).

فكأن إبراهيم قال لقومه: [تقولون][(١)] ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: هذا الذي يدبّرني؛ لأنهم كانوا أصحاب نجوم يرون التدبير في الخليقة لها، فاحتج عليهم بأن الذي [تزعمون][(٢)] أنه مُدَبِّر فيه أثر أنه مُدبّر لا غير).

فهذه ثلاثة أوجه صحيحة في تأويل الآية، ذكرها أهل المعاني، الوجه الأول: قول الفراء[(٣)]، واختيار عبد الله بن مسلم[(٤)]، والثاني والثالث: ذكرهما الزجاج[(٥)] وابن الأنباري[(٦)] وفي قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ دلالة على أن ما غاب بعد ظهوره فليس برب، وفيه حجة على

(١) في (ش): (يقولون).

(٢) في (ش): (يزعمون).

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٤١.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٣٥-٣٣٨، وقد نقل المؤلف نص كلامه.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٧ وفيه قال: (والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تقولون هذا ربي، أي: هذا يدبرني؛ لأنه فيما يروى أنهم أصحاب نجوم فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مدبر إنما يرى فيه أثر مُدبر لا غير) اهـ. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٥٠.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٦٨-٦٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٧٤، والصحيح في معنى الآية ما ذهب إليه الجمهور من أن هذا القول كان في مقام المناظرة لقومه؛ لإقامة الحجة عليهم في بطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب والشمس والقمر؛ لأن الموافقة في العبارة على طريق إلزام الخصم من أبلغ الحجج وأوضح البراهين، ولأن الله تعالى قال في نفس القصة: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ [الأنعام: ٨٠].
وهو اختيار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره» ٢/ ١٦٩.
وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٦٠، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٦١، وابن عطية ٥/ ٢٦١، والفخر الرازي ١٣/ ٥٩، و«البحر المحيط» ٤/ ١٦٦.

أن ما تغير[(١)] بالظهور تارة والأفول[(٢)] تارة كان حادثًا مدبرًا مسخرًا مصرفًا[(٣)]، وذلك ينافي صفة الإله المعظم.

٧٧- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ يقال: بزغ القمر: إذا ابتدأ في الطلوع، وبزغت الشمس إذا بدا منها[(٤)] طلوع، ونجوم بوازغ[(٥)].

قال الأزهري[(٦)]: (كأنه مأخوذ من البزغ، وهو الشقّ، كأنه يشق بنوره الظلمة شقًّا، ومن هذا يقال: بزغ البيطار[(٧)] أشعار الدابة إذا شق ذلك المكان منها [بمبزغه][(٨)]). قال الطرماح:

كَبزْغِ البِيَطْرِ الثَّقْفِ رَهْصَ الكوادِنِ[(٩)]

---

(١) في (ش): (يغبر)، وهو تصحيف.

(٢) في (ش): (وبالأفول). وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٥/ ٥٤٧، ٦/ ٢٨٤: (اتفق أهل اللغة والتفسير على أن الأفول هو: التغيب والاحتجاب).

(٣) في (ش): (ومدبرًا مسخرًا ومصرفًا).

(٤) في (ش): (فيها).

(٥) انظر: «العين» ٤/ ٣٨٥، و«الجمهرة» ١/ ٣٣٣، و«البارع» ص٣٦٤، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٤٤، و«المجمل» ١/ ١٢٤، و«المفردات» ص١٢٢ (بزغ).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٨.

(٧) البَطْر: الشق، وبه سمى البَيْطار بَيْطارًا. انظر: «اللسان» ١/ ٣٠١ (بطر).

(٨) في (ش): بمبزعه: بالعين المهملة، وهو تصحيف، وعند الأزهري [بمبضعه]، وفي «اللسان» ١/ ٢٧٦ (بزغ): (يقال للحديدة التي يشترط بها: مبزغ ومبضع) اهـ.

(٩) الشاهد في «ديوانه» ص١٧٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٨، و«اللسان» ١/ ٣٠١ (بطر)، وهو في «الصحاح» ٤/ ١٣١٥ (بزغ) للأعشى وليس في «ديوانه» وأوله:
يُساقطُها تَتْرَى بِكُلِّ خَميلَة.
قال ابن منظور في «اللسان» ١/ ٢٧٦ (بزغ): (هو للطرماح يصف ثورًا طعن الكلاب بقرنيه، والرَّهْص جمع رَهْصة وهي أن يَدْوَى حافِر الدابة من حجر تطؤه، والكوادن البراذين) اهـ.

فأما معنى الآية: فإن إبراهيم عليه السلام اعتبر في القمر والشمس مثل ما اعتبر في النجم، وكانت حجته فيهما على قومه كالحجة في الكواكب[١].

وقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ لا يوجب أنه لم يكن مهتديًا؛ لأن معناه: لئن لم يثبتني على الهدى، والأنبياء لم تزل تسأل الله ذلك وتعلم أنه لولا هداية الله[٢] ما اهتدت، وإبراهيم يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

٧٨- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ قال أبو بكر ابن الأنباري: (إنما قال: هذا والشمس[٣] مؤنثة؛ لأن الشمس بمعنى: الضياء والنور، فحمل الكلام على تأويلها فذكر وأعان على التذكير أيضًا أن[٤] الشمس ليست فيها علامة التأنيث، فلما أشبه لفظها المذكر وكان تأويلها تأويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين)[٥]، وأنشد قول الأعشى[٦]:

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٧.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٨، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٦٢-١٦٣.

(٣) انظر: «المذكر والمؤنث» للفراء ص٩٦، ولابن الأنباري ١/ ١٤٥، ٢١٩، ولابن التستري ص٨٧. وقال ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» ١/ ٣٦٢: (قال الفراء: العرب تجتري على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء) ثم أنشد الشاهد وهو في «المذكر والمؤنث» للفراء ص٨١، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٧ مع الشاهد.

(٤) (أن): كأنها في النسخ، (إذ)، والأولى ما أثبته.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٦٩، وابن الجوزي ٣/ ٧٦. وذكر ابن الأنباري الشاهد في «المذكر والمؤنث» ١/ ٣٦٦ ونسبه للأعشى وليس في «ديوانه».

(٦) تقدمت ترجمته.

وَلاَ أَرْضَ أَبْـقَـلَ إِبْـقَـالَـهَـا[١]

فذكر أبقل إذ كانت الأرض عارية من علامة التأنيث، وقيل: أراد هذا الطالع وهذا الذي أراه ربي[٢].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ أي: من الكواكب[٣] والقمر، فلما توجّهت الحجة على قومه[٤] قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

٧٩- قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ قال أبو إسحاق: (أي: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله ﷻ)[٥]، وباقي الآية مفسر فيما تقدم[٦].

---

(١) الشاهد لعامر بن جوين الطائي شاعر جاهلي، في: «الكتاب» ٢/ ٤٦، و«مجاز القرآن» ٢/ ٦٧، و«الكامل» للمبرد ٢/ ٣٧٩، ٣/ ٩١، و«الأصول» ٢/ ٤١٣، و«اللسان» ١/ ٦١ (أرض)، ١/ ٣٢٨ (بقل)، ٨/ ٤٨٠٠ (ودق) وبلا نسبة في: «معاني الأخفش» ١/ ٥٥، ٢/ ٣٠٠، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٣٨، و«المحتسب» ٢/ ١١٢، و«الخصائص» ٢/ ٤١١، و«المخصص» ١٦/ ٨٠، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٤٢، و«المقرب» ١/ ٣٠٣ وصدره:

فَـلاَ مُـزْنَـة وَدَقَـتْ وَدْقَـهـا

والمزن: السحاب، والودق: المطر، وأبقلت: أخرجت البقل. والشاهد: حذف التاء من أبقلت للضرورة ولأن الأرض مؤنث مجازي.

(٢) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٠، والطبري ٧/ ٢٥١، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٥٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٤.

(٣) في (أ): (الكوكب).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٥١.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٨.

(٦) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٩٠ أ.

٨٠- قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ قال ابن عباس: (خاصمه وجادله في آلهتهم وخوفوه بها)[١].

وقال أبو إسحاق: (ومحاجتهم إياه كانت -والله أعلم- فيما عبدوا مع الله جل وعز من الكواكب والشمس والقمر والأصنام فقال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في توحيد الله ﷻ ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾ [أي][٢] بيّن لي ما به اهتديت)[٣]، وهذا الاستفهام معناه الإنكار للمحاجة في الصرف عن الهداية، والتشديد على النون لاجتماع النونين وإدغام أحدهما[٤] في الآخر. وقرأ[٥] نافع مخففة النون حذف إحدى النونين تخفيفًا، والتضعيف يكره فيتوصل[٦] إلى إزالته تارة بالحذف[٧] نحو: علماء بنو فلانٍ، وتارة بالإبدال نحو: ديوانٍ[٨] وقيراطٍ[٩] والمحذوف الثانية؛ لأن الاستثقال يقع

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٧٦.

(٢) لفظ: (أي) ساقط من (ش).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٨.

(٤) أي: إدغام نون الرفع في نون الوقاية.

(٥) قرأ ابن عامر ونافع (أتحاجوني) بتخفيف النون، وشددها الباقون.
انظر: «السبعة» ٢٦١، و«المبسوط» ص١٧١، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٣، و«التيسير» ص١٠٤، و«النشر» ٢/ ٢٥٩.

(٦) في (ش): (فتوصل).

(٧) في (ش): (وبالحذف)، وهو تحريف.

(٨) ديوان، بالكسر: مجتمع الصحف والدفتر الذي يكتب فيه، وأصله دوَّان بتشديد الواو عوض من إحدى الواوين ياء؛ لأنه يجمع على دواوين. انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٦١ (دون).

(٩) القيراط: وحدة وزن معروفة، وأصله قرط بتشديد الراء، أبدل من إحدى حرفي تضعيفه ياء؛ لأن جمعه قراريط. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٩١ (قرط).

بها، ولأن الأولى دلالة الإعراب، وقول عمرو:

تَـرَاهُ كَـالـثَّـغَـامِ يُـعَـلُّ مِـسْـكًـا
يَـسُـوءُ الْـفَـالِـيَـاتِ إذَا فَـلَـيْـنِـي[1]

فالمحذوفة المصاحبة للياء، ولا يجوز أن يكون الأولى؛ لأن الفعل يبقى بلا فاعل.

وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال[2]:

أَبِـالْـمَـوتِ[3] الَّـذِي لابُـدَّ أَنِّـيَ
مُـلاقٍ لا أَبَـاكِ تُـخَـوِّفِـيـنِـي[4]

---

(١) «ديوان عمرو بن معد يكرب» ص١٨٠، و«الكتاب» ٣/ ٥٢٠، و«معاني الفراء» ٢/ ٩٠، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٥٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٥٧، و«اللسان» ٦/ ٣٤٧٠، (فلا). وبلا نسبة في: «معاني الأخفش» ١/ ٢٣٥، و«الجمهرة» ١/ ٤٥٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٣، «المنصف» ٢/ ٣٣٧، و«المغني» ٢/ ٦٢١، والثغام: نبات أبيض، ويعل: يطيب، والفاليات من الفلي، وهو إخراج القمل. والشاهد: حذف النون من فلينني.

(٢) الشاهد لأبي حَيّة النميري الهَيْثم بن الربيع، شاعر أموي عباسي. في «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٢، و«معاني الأخفش» ١/ ٢٣٥، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٥٧، و«اللسان» ٢/ ١٢٠٧ (خعل)، ١/ ١٨ (أبى)، ٦/ ٣٤٧٠ (فلا)، وبلا نسبة في: «المقتضب» ٤/ ٣٧٥، و«الكامل» للمبرد ٢/ ١٤٢، ٣/ ٢١٨، و«الأصول» ١/ ٣٩٠، و«إعراب النحاس» ٢/ ١٩٧، و«اللامات» للزجاجي ص١٠٣، و«الخصائص» ٢/ ١٤٢، ٣/ ٢١٨، و«المنصف» ٢/ ٣٣٧، وهو في «أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٢٨ للأعشى وليس في «ديوانه»، والشاهد: حذف النون من تخوفينني.

(٣) جاء في هامش (أ) تصحيح: (أبا الموت) إلى (أبي الموت).

(٤) ما سبق قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٣٣-٣٣٥، بتصرف. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٥٧، و«الكشف» ١/ ٤٣٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ قال ابن جريج: (خوفوه آلهتهم أنْ يصيبه منها خبل فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾)[1]، وقال أبو إسحاق: (أي: هذه الأشياء التي تعبدونها[2] لا تضر[3] ولا تنفع ولا أخافها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾، أي: إلا أن يشاء أن يعذبني، وموضع (أن) نصب، أي: لا أخاف إلَّا مشيئة الله)[4]، والتقدير: لكن أخاف مشيئة ربي يعذبني[5] و(إلا) هاهنا بمعنى: لكن، والاستثناء[6] منقطع، وهو كما تقول: لا أخاف من السلطان شيئًا إلا أن يظلمني غيره.

وقال ابن عباس[7]: (يريد: أن المشيئة والأسقام والأمراض إليه)، وهذا يدل على أنهم قالوا له: أما تخاف أنْ تمسَّك آلهتنا بسوءٍ.

٨١- قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ﴾ معناه: الإنكار للخوف، وهو سؤال تعجيز عن تصحيح الخوف بالبرهان.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ يعني: الأصنام[8]: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٩.

(٢) في (أ): (يعبدونها).

(٣) في (ش): (لا يضر ولا ينفع).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٨-٢٦٩، وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ١٥٢-١٥٦ .

(٥) في (ش): (تعذبني).

(٦) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٦١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٥٣، وابن عطية ٥/ ٢٦٦، و«التبيان» ص٢٤٤، و«الفريد» ٢/ ١٨٠، و«الدر المصون» ٥/ ١٩.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٥٣، وابن عطية ٥/ ٢٦٦.

ليس لكم فيه حجة)[١]، والسلطان قوة وحجة يتمكن بها ويتسلط، وقد سبق القول فيه[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ أي: أحق بأن يأمن العذاب الموحّد أم المشرك[٣].

٨٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ قال ابن عباس: (هذا من قول إبراهيم لقومه)[٤] يريد: أن هذا من تمام كلام إبراهيم في المحاجة، كما يسأل العالم ويجيب نفسه.

وقال ابن زيد[٥]: (هذا من قول[٦] قوم إبراهيم لإبراهيم أجابوه لما سألهم أي الفريقين أحق بالأمن؟ بما فيه حجة عليهم).

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧١، وابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٧١، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٣٢ بسند جيد عن ابن عباس قال: (كل سلطان في القرآن حجة)، قال ابن أبي حاتم بعده: (وروي عن أبي مالك ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي مثله) اهـ.

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٢١٢ أ، ونسخة تشستربتي ٢/ ٣٢ أ، ٣٣/ ب.

(٣) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٦٩، والنحاس ٢/ ٤٥٣، وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ١٥٣.

(٤) ذكره القرطبي ٧/ ٣٠، وهو اختيار الرازي ١٣/ ٦٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧١، وحكاه النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٣ عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٥ بسند جيد عن ابن جريج، وذكره ابن عطية ٥/ ٢٦٧، والقرطبي ٧/ ٣٠، ولم أقف عليه عن ابن زيد.

(٦) لعله يريد المشركين منهم، قال الطبري ٧/ ٢٥٥: (لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد) اهـ.

وقال ابن جريج: (هذا من قول الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين إبراهيم ومن خالفه)(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال ابن عباس: (لم يخلطوا إيمانهم بشرك)(٢).

وقال سعيد بن جبير: (﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بكفر وشرك)(٣).

وروى علقمة عن ابن مسعود: (قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله! وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول (: «ليس ذلك، إنما هو [الشرك](٤)، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])(٥)».

---

(١) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٤ بسند جيد عن ابن زيد وابن إسحاق. وذكره ابن عطية ٥/ ٢٦٧، ولم أقف عليه عن ابن جريج، وأخشى أن يكون الناسخ أو الواحدي وهم في نسبة الأقوال، فالقول الأول مشهور عن ابن جريج. والثاني عن ابن زيد، والظاهر أن الآية خبر من الله ﷻ وهو اختيار الطبري ٧/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٢٦٨، وابن كثير ٢/ ١٧٠، قال ابن عطية: (هذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها) اهـ.
وقال ابن القيم، كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٥٣: (في هذه الآية حكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا حكم أصلح منه) اهـ.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٥٧ من طرق جيدة، انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٤٩، وانظر: معنى الظلم في «الزاهر» ١/ ١١٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٣ بسند جيد وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٠.

(٤) في (ش): (شرك).

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة لقمان، ومسلم (٤٧٧٦)، (١٩٧-١٩٨)، مع بعض الاختلاف، وانظر: شرحه في «شرح مسلم» للنووي ٢/ ١٨٧-١٨٨، و«الفتاوى» لشيخ الإسلام ٧/ ٧٩-٨٠، و«فتح الباري» ١/ ٨٧-٨٩.

وقال ابن جريج: (لم يختلفوا في أن الظلم هاهنا الشرك)[(١)]، وهذه الآية دليل أن من مات لا يشرك بالله وجب أن يكون عاقبته الأمن من النار[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ قال ابن عباس: (يريد: من العذاب، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ يريد: أرشدوا إلى دين الله)[(٣)].

٨٣- قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾ الآية، أشار إلى ما جرى بينه وبين قومه من المجادلة وإلزامه إياهم الحجة حتى أفحمهم بها. قال الفراء: (وذلك أنهم قالوا له: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لسبك إياها؟ فقال لهم: [أفلا][(٤)] تخافون أنتم ذلك منها إذ سويتم بين الصغير والكبير أن يغضب الكبير إذا سويتم به الصغير؟ ثم قال لهم: أمن يعبد إلهًا واحدًا أحق أن يأمن أمّن يعبد آلهة شتّى؟ فقالوا: من يعبد إلهًا واحدًا. فقضوا على أنفسهم، فذلك.

---

(١) لم أقف عليه. وهو قول مشهور عن عامة السلف، قال ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٣: (روي عن أبي بكر الصديق وعمر وسلمان وحذيفة وأبي بن كعب وابن عمر وعمرو ابن شرحبيل وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد والنخعي وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي أنهم قالوا: (الظلم هاهنا الشرك) اهـ. وأخرجه الطبري ٧/ ٢٥٧/ ٢٥٨ من طرق عن هؤلاء وغيرهم، ورجحه الطبري.
وانظر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام ٧/ ٩٧-٨٢، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٥٣-١٥٧، و«البحر» ٤/ ١٧١.

(٢) لعل المراد الأمن من الخلود في النار. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٥٩، والرازي ١٣/ ٦٠، والخازن ٢/ ١٥٤.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٣.

(٤) في (ش): (ألا).

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾) قال ابن عباس: (يريد: ألهمناها إبراهيم [وأرشدناه][1] إليها)[2].

وقوله تعالى ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قال الحسين بن الفضل: (يعني: مراتبهم بالعلم والفهم والفضيلة والعقل)[3].

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ قال عطاء عن ابن عباس[4]: (يريد: من ذرية إبراهيم).

وقال الفراء[5] وغيره[6]: (الهاء في ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوح).

قال الزجاج: (كلا القولين جائز؛ لأن ذكرهما جميعًا قد جرى)[7].

قال العلماء بالنسب: (الأولى[8] أن تعود الكناية إلى نوح؛ لأنه ذكر في جملة من عُدّ من[9] هذه الذرية يونس ولوط، ولا شك أنهما لم يكونا

---

(١) في (ش): (وأرشده).

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٥.

(٣) لم أقف عليه. وما ذكره هو اختيار البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦٤، والقرطبي ٧/ ٣٠، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٧٨، و«تفسير الرازي» ١٣/ ٦٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٦ بسند جيد، وذكره القرطبي ٧/ ٣٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٣، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٥٢، وهو في «تنوير المقباس» ٢/ ٣٨، وقول عطاء كما في «الوسيط» ١/ ٧٥، و«زاد المسير» ٣/ ٧٩ وذكره السمرقندي ١/ ٤٩٩، عن الضحاك.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٢.

(٦) وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٧٣، والكلبي، كما ذكره السمرقندي ١/ ٤٩٩، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٧٩ (عن أبي صالح عن ابن عباس).

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٩.

(٨) في (أ): (الألى)، وهو تحريف.

(٩) في (ش): (في هذه). ويونس ولوط عليهما السلام ذكرا في الآية ٨٦ من سورة الأنعام.

من ذرية إبراهيم)[١].

٨٦- وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ وقرأ حمزة[٢] والكسائي (والليسع) بتشديد اللام، والمعنى واحد في أنه اسم لنبي معروف، واللام الواحدة أشهر في اسمه.

قال الزجاج: (يقال فيه: اليسع والليسع بتشديد اللام وتخفيفه)[٣].

قال الفراء[٤]: (والتشديد أشبه بأسماء العجم من الذين يقولون: اليسع ولا تكاد العرب تُدخل الألف واللام فيما لا يجري مثل: يزيد ويعمر، فإن أدخلت أدخلت للمدح بتفخيم الاسم على طريق النادر، وأنشد:

وَجَدْنَا الوليد بن اليزيد مباركا
شديدًا بأعباء الخِلافِة كاهِله)[٥]

---

(١) هذا اختيار الجمهور ومنهم الطبري ٧/ ٢٦٠، والبغوي ٣/ ١٦٥، وابن عطية ٥/ ٢٦٩، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٧٣: (عود الضمير إلى نوح لأنه أقرب مذكور ظاهر لا إشكال فيه، وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل عليه لوط فإنه ليس من ذرية إبراهيم، اللهم إلا أن يقال: إنه داخل في الذرية تغليبًا) ا.هـ. ملخصًا، وانظر: ابن الجوزي ٣/ ٧٩، والرازي ١٣/ ٦٤، والخازن ٢/ ١٥٥.

(٢) قرأ حمزة والكسائي (والليسع) بلامين الأولى ساكنة والثانية مفتوحة مشددة وسكون الياء، وقرأ الباقون بلام واحدة ساكنة وفتح الياء.
انظر: «السبعة» ص٢٦٢، و«المبسوط» ص١٧١، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٤، و«التيسير» ص١٠٤، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦٩.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٢.

(٥) البيت لابن ميادة الرماح بن أبرد، وقد سبق الكلام عليه.

قال أبو علي: (الأسماء الأعلام لا تدخل[١] عليها الألف واللام، وذلك أن تعليقها على من تُعلق عليه وتخصيصها يغني عن الألف واللام، فإنهما يدخلان للتعريف ولا حاجة إلى التعريف هاهنا، فأما العباس والحارث[٢] والقاسم والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تقدير أنها صفات جارية على موصوفين، فإن لم يقدر[٣] هذا التقدير لم يلحقوه الألف واللام، وقالوا: حارث وعباس وقاسم على المذهبين، جاء [ذلك][٤] في كلامهم، وقد جمع الأعشى الأمرين في بيت واحد فقال[٥]:

أَتَانِي وَعِيدُ الحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا

فجمع الأحوص على ضربين، حيث جعله نعتًا جمعه على فُعْل نحو: أحمرِ وحمرٍ، وحيث جعله [اسما][٦] محضا جمعه على أفاعَل نحو:

(١) في النسخ: (يدخل) بالياء والأولى، بالتاء كما في «الحجة» ٣/ ٣٣٨ .
(٢) في (ش): (الحرث والقسم).
(٣) في (ش): (تقدر).
(٤) لفظ: (ذلك) ساقط من (أ).
(٥) «ديوانه» ص٩٩، و«إصلاح المنطق» ص٤٠١، و«الاشتقاق» ص٢٩٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٥، و«المبهج» ص٦٥، و«الصحاح» ٣/ ١٠٣٤، و«المخصص» ١/ ١٠٢، و«اللسان» ٢/ ١٠٥١ (حوص)، والحوص: هم قوم علقمة بن علاثة بن الأحوص، والأحاوص: أولاده. وعبد عمرو بن الأحوص: زعيمهم. انظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ٢/ ٣١٣.
والشاهد: جمع الأحوص على الحوص بالنظر إلى كونه في الأصل وصفًا، وعلى الأحاوص بالنظر إلى الاسمية.
(٦) لفظ: (اسما) ساقط من (أ).

الأفاكل[١] والأرامل[٢]، وكذلك في الحارث والعباس الوجهان جميعا، فأما قول ابن مقبل[٣]:

والـتَّيـمُ أَلأَمُ مَـنْ يَـمْـشـي وأَلأَمُـهُـمْ
ذُهْلُ بنُ تَيْمٍ بَنُو السُّودِ المَدانِيسِ[٤]

فإنه يحتمل أمرين: يجوز أنْ يكونْ بمنزلة العباس، وذلك أن التيم مصدر، والمصادر قد أجريت مجرى أسماء الفاعلين، ألا ترى أنه قد وصف بها كما وصف بأسماء الفاعلين نحو قولهم: رجل عدل، بمنزلة عادل، وجمع جمعها نحو: نور ونوار، وكما يقولون: مانع ومَنَّاع، وقالوا

(١) الأفاكِل: أولاد أفكل أبو بطن من العرب، والأفْكَل عمرو بن جُعَيد الدَّيل سيد ربيعة في الجاهلية، ولَقَب للشاعر الجاهلي الأفوه الأوْدِيِّ لِرِعْدة كانت فيه.
انظر: «الاشتقاق» ص٣٢٥، و«اللسان» ٦/ ٣٤٥٣ (فكل).

(٢) الأرامل: المساكين. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٣٥ (رمل). وجاء في (ش): (الأزامل).

(٣) تميم بن أُبَيِّ بن مُقْبل العجلاني، شاعر جاهلي مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم وعُمِّر طويلًا، تميز شعره بالمفردات الغريبة والأوصاف الجاهلية، وتوفي سنة ٢٥هـ، وله نحو ١٢٠ سنة.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٤٣، و«الشعر والشعراء» ص٢٩٧، و«الإصابة» ١/ ١٨٧، و«الأعلام» ٢/ ٨٧، و«معجم شعراء لسان العرب» ص٣٤١.

(٤) الشاهد لجرير في «ديوانه» ص٢٥٢، و«كتاب الشعر» ١/ ٣٨، و«المخصص» ١٦/ ١٠٢، و«اللسان» ٥/ ٢٥٩٠ (ضغبس)، والمدانيس جمع مدناس، وهو كثير الدنس أي الوسخ في الثوب والعِرض.
والشاهد: والتيم، وابن تيم: فألحق مرة ولم يلحق أخرى، وفي «الديوان» (أوْلاد ذُهْلٍ بَنُو السود)، وعليه فلا شاهدًا فيه. ونسبته إلى ابن مقبل لعلها سبقة نظر في النقل من «الحجة» للفارسي ٣/ ٣٤١ حيث ذكر فيها شاهد لابن مقبل ثم آخر لجرير فذكرِ الواحدي ابن مقبل ثم انتقل نظره إلى بيت جرير. والله أعلم.

أيضًا: سيل وسوائل، كما يقال في جمع سائلة، فلما كان مثلها أجراه مجراها، وعلى هذا قالوا: الفضل في اسم رجل، كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص. والآخر: أن يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج ويهوديّ ويهودٍ، وفي التنزيل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [البقرة: ١١٣] فاليهود إنما هو جمع يهودي ولو لم يكن جمعًا لم تدخل(١) اللام؛ لأن يهود جرت عندهم اسمًا للقبيلة، وعلى هذا ينشد(٢):

فَرَّتْ يَهُودُ وأَسْلَمَتْ جِيرانَها ... صَمِّي لِمَا فَعَلَتْ يَهُودُ صَمَامِ

وفي حديث القسامة(٣): «تقسم(٤) يهود»(٥).

---

(١) في (ش): (يدخل).

(٢) الشاهد: للأسود بن يعفر النهشلي شاعر جاهلي. في «ديوانه» ص٦١، و«مجالس ثعلب» ص٥٢١، و«كتاب الشعر» ١/ ٤، و«العسكريات» ص١٤٤، و«المستقصى» للزمخشري ٢/ ١٤٤، و«اللسان» ٤/ ٢٥٠٢ (صمم)، وصمى: زيدي، وصمام: اسم للداهية الشديدة، وهو مثل يضرب للداهية تقع فتستفظع. انظر: «جمهرة الأمثال» ١/ ٤٧٥، و«مجمع الأمثال» ١/ ٤٩٨.

(٣) القسامة: مصدر أقْسَمَ بمعنى حَلَف، وهي الأيمان المكررة في دعوى القتل. انظر: «المغني» لابن قدامة ١٢/ ١٨٨.

(٤) في (ش): (يقسم) بالياء.

(٥) حديث القسامة متفق عليه، أخرجه البخاري (٦٨٩٨)، كتاب الديات، باب: القسامة، ومسلم (١٦٦٩-١٦٧٠)، بألفاظ مختلفة، وملخص الحديث: (أن عبد الله بن سهل الأنصاري وجد مقتولًا في خيبر فاتهموا اليهود في قتله، فقال رسول الله ﷺ: «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم» قالوا: لا. قال: «فتحلف لكم يهود» قالوا: ليسوا بمسلمين، فكره النبي ﷺ أن يبطل دمه فعقله من عنده).
والشاهد في الحديث والبيت: لفظ: يهود، حيث لم يصرف على أنه علم للقبيلة، وانظر: شرح الحديث في «شرح مسلم» للنووي ١١/ ١٤٣، و«فتح الباري» ١٢/ ٢٣١.

ومن الصفات الغالبة التي تجري مجرى[(١)] الحارث والقاسم قولهم: النابغة، فالنابغة وصف جرى مجرى الأعلام وغلب هذا الوصف حتى جرى مجرى العلم وسدّ مسدّه فصار يعرف به كما يعرف بالعلم مثل الحَارث ونحوه، قد نزل منزلة الاسم العلم لما غلب هذا الوصف على المسمى به فجرى الوصف الغالب مجرى العلم، ولما سدّ مسدّه وكفى منه أجري مجراه في طرح الألف واللام منه كما قال:

ونـابِـغـةُ الـجَـعْـدِيٍّ بـالـرَّمْـلِ بَـيـتُـهُ[(٢)]

فأما لام اليسع فهي زائدة)[(٣)] -وقد ذكرنا زيادة هذه اللام في الذي والتي وبابهما- وفي الآن عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾[(٤)] [البقرة: ٧١]، ومما جاءت اللام فيه زائدة قولهم: اللات والعزّى، وسنذكر[(٥)] ذلك إذا انتهينا إليه إن شاء الله. وقولهم: الخَمْسَةَ العَشَرَ درهمًا،

---

(١) في (أ) تكرار لفظ: (مجرى).

(٢) الشاهد لِمِسْكِين الدارمي، شاعر أموي، في «ديوانه» ص٤٩، و«الكتاب» ٣/ ٢٤٤، و«المقتضب» ٣/ ٣٧٣، و«كتاب الشعر» ٢/ ٥٣٢، و«التكملة» ص٢٥٥، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٦٠، و«اللسان» ٧/ ٤٨٣٤ (وسط)، وعجزه: عليه صَفِيحٌ مِنْ رُخامٍ مرصَّع. والشاهد: ونابغة؛ حيث حذف أل؛ لأنها كانت للمح الأصل، وهو الوصف بالنبوغ، فلما نظر إلى الأصل نزل منزلة الأعلام وغلبت عليه الاسمية فلم تدخل عليه أل.

(٣) «الحجة» للفارسي ٣/ ٣٣٧-٣٤٥ بتصرف واختصار. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٦٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٣، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٤، ولابن زنجلة ص٢٥٩، و«الكشف» ١/ ٤٣٨.

(٤) (لفظ قالوا): ساقط من (أ).

(٥) ورد ذلك في سورة النجم آية ١٩، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قال الواحدي في «البسيط»: (اللام فيهما زائدة، وهو قول الأخفش وابن جني) اهـ.

حكاه الأخفش[١]، ألا ترى أنها اسم واحد، ولا يجوز أن يتعرف اسم واحد تعريفين، وإذا كان كذلك علمت زيادة اللام في الخمسة العشر درهما، ومما جاءت اللام فيه زائدة أيضًا ما أنشده الفراء[٢]:

وجدنا الوليد بن اليزيد

وقد ذكرناه آنفًا، فأما (الليسع) فإنه ليسع أدخلت عليه الألف واللام وهما فيه كهما في اليسَع، ألا ترى أنه لم يجئ في الأسماء الأعجمية في حال التعريف نحو: إسماعيل[٣] وإبراهيم شيء على هذا النحو، وإذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع في أنه خارج عما كانت عليه الأسماء الأعجمية المعربة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾ قال ابن عباس: (وهو ابن أخيه)[٥] يعني: ابن أخي إبراهيم صيره في هذا الموضوع ابنه.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: وكل الأنبياء، على هذا دل كلام ابن عباس فقال: (يريد: المرسلين)[٦]، وقيل: وكلًّا من

---

(١) حكاه الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٤٨، ولم أقف عليه في «معانيه». وجزم الفارسي في «الحلبيات» ص٢٨٩-٢٩٠، بزيادة اللام في (اللات والعزى)؛ لأنهما علم، وكذلك اللام في الخمسة العشر درهما؛ لأنهما اسمان جعلا اسما واحدًا، وانظر: «الأصول» ٢/ ٣١٢، و«التكملة» ص٢٦٢، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٦٥.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٣٤٢.

(٣) في (ش): نحو (إبراهيم وإسماعيل).

(٤) ما تقدم قول الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٤٨-٤٥٠.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٣١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٣ .

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٨، وفيه قال: (كل هؤلاء الأنبياء فضلنا بالنبوة والإسلام) ا.هـ.

المذكورين هاهنا فضَّلنا على عالمي زمانهم[١].

٨٧- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَنِهِمْ﴾، قال أبو إسحاق: (أي: هدينا هؤلاء الذين ذكرناهم وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم)[٢]، فمن هاهنا للتبعيض[٣]، وأعاد ذكر الهداية في[٤] قوله: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ بعد ما عطف على الهداية في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾؛ لأنه إذا طال الكلام حسن أن يذكر المعنى الذي عليه الاعتماد[٥].

٨٨- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ذلك دين الله الذي هم عليه، ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يريد: يرشد إليه من يشاء، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يريد: من أوليائه، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ يريد: ولو[٦] عبدوا غيري، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ولكني عصمتك وعصمتهم، واخترتك واخترتهم[٧])[٨].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٦٥، وابن الجوزي ٣/ ٨٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٩.

(٣) هذا قول الجمهور، وهو الظاهر؛ لأن آباء بعضهم كانوا مشركين. وهو قول البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦٥، وابن عطية ٥/ ٢٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٨٠، والقرطبي ٧/ ٣٤، وانظر: «الفريد» ٢/ ١٨٦، و«الدر المصون» ٥/ ٣٠.

(٤) في (أ): (وأعاد ذكر الهداية وقوله ...).

(٥) قال السمين في «الدر» ٥/ ٣٠: (كرر لفظ الهداية توكيدًا ولأن الهداية أصل كل خير..).

(٦) لفظ (الواو): ساقط من (أ).

(٧) في (أ): (واخترهم)، وهو تحريف.

(٨) في «تنوير المقباس» ٢/ ٣٩ نحوه، وذكر الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٠، عن ابن عباس نحوه.

٨٩- قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قال ابن عباس: (يعني: الكتب التي أنزلها الله عليهم التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكتبًا أنزلها الله تعالى كثيرة، وهو أعلم بها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ قال: يعني: العلم والفقه)[(١)]، ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ أي: بآياتنا؛ قاله الفراء[(٢)] والزجاج[(٣)].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة، في قول ابن عباس[(٤)] وغيره[(٥)]، وقال عطاء عنه: (يريد: الذي كذّبوك)[(٦)].

﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا﴾ قال عبد العزيز بن يحيى: (يعني: أرصدنا لها قومًا وفقناهم لها، وفي هذا دليل على أنهم خلقوا للإيمان بها مخصوصين دون من كفروا فهم آمنوا بتوفيق الله؛ لأنه قال: ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ ولم يقل:

---

(١) ذكر في «تنوير المقباس» ٢/ ٣٩ نحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٦٦، و«زاد المسير» ٣/ ٨١.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٠.
ولم يصرح بأنْ المراد الآيات، ولكن يظهر من كلامه ذلك فقد قال: (أي: قد وكلنا بالإيمان بها).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣١٢.

(٥) منهم مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٧٤، الفراء في «معانيه» ١/ ٣٤٢. وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٤، عن قتادة والضحاك وابن جريج. وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٣٩ عن سعيد بن المسيب. وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٥ عن مجاهد. واقتصر على هذا القول السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٤٩٩، والبغوي ٣/ ١٦٦.

(٦) لم أقف عليه.

فقد قام بها، فأضاف ذلك إلى نفسه لا إليهم)[١]، واختلفوا في المعنى بقوله: (قومًا) فقال ابن عباس[٢] والضحاك والسدي وابن جريج[٣] والكلبي[٤]: (يعني: أهل المدينة الأنصار)، وهو اختيار الفراء[٥].

وقال عطاء عن ابن عباس: (﴿وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾: اختصصنا بها المهاجرين والأنصار)[٦].

[وقال الحسن[٧] وقتادة[٨]: (هم الأنبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم)][٩]، وهذا القول اختيار أبي إسحاق قال: (يعني بذلك: الأنبياء الذي ذكروا، آمنوا بما أتى به النبي في وقت مبعثهم؛ لقوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي: اصبر كما صبروا، فإن قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كُذبوا وأوذوا فاقتدِ بهم)[١٠].

---

(١) لم أقف عليه. وذكر نحوه الرازي ١٣/ ٦٨ بلا نسبة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٤ من طرق جيدة عن ابن عباس والسدي وابن جريج، وبسند ضعيف عن الضحاك. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٢.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٣٩. (٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٢.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨١، والقرطبي ٧/ ٣٥ بدون نسبة.

(٧) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٤٠، وابن عطية ٥/ ٢٧٤، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٣٩ عن الحسن قال: (الأنبياء والصالحون).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٣، والطبري ٧/ ٢٦٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٢.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(١٠) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٠، وهذا أيضًا اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٦، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٦.

وقال أبو رجاء: (يعني الملائكة)[١]، وهذا كالمستبعد؛ لأن اسم القوم قل ما يقع على غير بني آدم[٢].

وقال مجاهد: (هم الفرس)[٣].

وقال الزهري: (هم العجم)[٤]، وقال أبو روق: (هم علماء أهل الكتاب الذين آمنوا)[٥]، وقال ابن زيد: (كل من لم يكفر فهو منهم ملكًا كان أو نبيًّا، ومن الصحابة كان أو من التابعين)[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٣٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٢.

(٢) ونحو هذا قال الرازي ١٣/ ٦٨، وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٥٨: (هذا قول ضعيف جدًّا لا يدل عليه السياق وتأباه لفظه (قوما)، إذ الغالب في القرآن بل المطرد تخصيص القوم ببني آدم دون الملائكة) اهـ. وانظر: «اللسان» ١٢/ ٥٠٥ (قوم).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره الرازي ١٣/ ٦٨، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٩ قال: (النبيين والصالحين)، وحكى البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦٦ عن مجاهد قال: (يعني: الأنصار وأهل المدينة)، وذكره ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٦١ عن ابن عباس ومجاهد، وقال الإمام أحمد كما في مروياته في «التفسير» ٢/ ١٢٠: (هم أهل المدينة) اهـ.

(٦) ذكره الرازي ١٣/ ٦٨، والخازن ٢/ ١٥٦، والظاهر أن الآية عامة فيمن كفر ومن آمن إلى يوم القيامة، ويحمل ما ورد على التمثيل، وأول من يدخل كفار مكة ومن آمن من المهاجرين والأنصار، وهو اختيار ابن عطية ٥/ ٢٧٤، وابن كثير ٢/ ١٧٤، وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٥٨-١٦٢: (الإشارة بقوله: (هؤلاء) إلى من كفر به من قومه أصلًا ومن عداهم تبعًا، فيدخل فيها كل من كفر بما جاء به من هذه الأمة، والقوم الموكلون بها هم الأنبياء أصلًا، والمؤمنون بهم تبعًا فيدخل كل من قام بحفظها والذب عنها والدعوة إليها، ولا ريب أن هذا للأنبياء أصلًا وللمؤمنين بهم تبعًا، وأحق من دخل فيها من أتباع الرسول خلفاؤه في أمته وورثته، فهم الموكلون بها وهذا ينتظم في الأقوال التي قيلت في الآية) اهـ.

قال أهل المعاني: (هذه الآية تتضمن البيان عن أن الله تعالى سيحوط نبيه ﷺ وينصر دينه بهؤلاء المؤمنين الذين أرصدهم للإيمان به حتى يستعلي على كل من عاداه وناوأه، ولا يضرّه كفر هؤلاء، وفيه تقريظ للمؤمنين وتقريع لهؤلاء الكافرين)(١).

٩٠- قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ الآية، هذه الآية متصلة بالأولى على قول الحسن وقتادة والزجاج؛ لأنه في ذكر النبيين الذين تقدم ذكرهم إذ هم الموكلون بآيات الله، وعلى قول الباقين رجع إلى ذكر النبيين(٢)، وفي قوله ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ دليل على أنهم مخصوصون بالهدى؛ لأنه لو هدى جميع المكلفين لم يكن لقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ فائدة وتخصيص(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، قال الكلبي: (فبشرائعهم وبسنتهم اعمل)(٤)، وذكرنا قول أبي إسحاق(٥) في هذا، ومعنى الاقتداء في(٦) اللغة: طلب موافقة الثاني للأول في فعله.

قال الليث: (القدو(٧) أصل البناء الذي [ينشعب](٨) منه تصريف

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٦٩، والخازن ٢/ ١٥٦.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٦٦.
(٣) ذكره الرازي ١٣/ ٧٠ عن الواحدي.
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨١.
(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٠.
(٦) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٧٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٥٩، و«مجمل اللغة» ٣/ ٧٤٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٦٦، و«اللسان» ٦/ ٣٥٥٦ (قدا).
(٧) القدو: بفتح القاف، وسكون الدال وبعدها واو.
(٨) في (ش): (يتشعب).

الاقتداء ويقال: قِدوة[١] وقُدوة لما يُقتدى[٢] به)[٣]، اللحياني عن الكسائي[٤]: (يقال: لي بك قُدْوة وقِدْوة وقِدَة)[٥].

واختلف القراء[٦] في الهاء من قوله: (اقتده)، فالأكثرون أثبتوها في الوصل والوقف ساكنة، والوجه الإثبات في الوقف والحذف في الوصل؛ لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن، فكما لا تثبت[٧] الهمزة في الصلة فكذلك ينبغي أن لا تثبت[٨] الهاء، إلا أن هؤلاء الذين أثبتوا راموا[٩]

---

(١) قدوة: بكسر القاف وضمها، وسكون الدال.

(٢) في (ش): (ولما يقتدى به)، وهو تحريف.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٩٣ (قدا).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٩٣.

(٥) جاء في (ش): (يقال: لي بك قدوة وقدوة وقدوة)، وهو تحريف والصواب: قدوة، بكسر القاف وضمها، وقدة: بكسر القاف وفتح الدال بعدها هاء، كما ورد في المراجع السابقة.

(٦) قرأ حمزة والكسائي: (اقتد قل) بغير هاء في الوصل. وقرأ ابن عامر: (اقتده قل) بكسر الدال ويشم الهاء الكسر في الوصل من غير بلوغ ياء، وروي عنه: (اقتدهي قل) بياء بعد الهاء في الوصل. وقرأ الباقون: (اقتده) بهاء ساكنة في الوصل والوقف. ولا خلاف بينهم أنه بهاء ساكنة في الوقف.
انظر: «السبعة» ص٢٦٢، و«المبسوط» ص١٧١، و«الغاية» ص٢٤٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٤، و«التيسير» ص١٠٥.

(٧) في (ش): (لا يثبت)، بالياء.

(٨) في (ش): (لا يثبت)، بالياء.

(٩) نقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٧١، وهذا القول فيه نظر؛ لأن القراءة سبعية مأخوذة بالرواية، وقد ذكر هذا القول عن الواحدي القاسمي في «تفسيره» ٦/ ٦١٩، وذكر عن الخفاجي أنه قال: (إن هذا مما لا ينبغي ذكره؛ لأنه يقتضي أن القراءة بغير نقل تقليد للخط، فمن قاله فقد وهم) اهـ.

موافقة المصحف، فإن الهاء ثابتة في الخط فكرهوا مخالفة الخط في حالتي الوقف والوصل فأثبتوا.

والاختيار عند النحويين(١) الوقف على قوله (اقتده) لتمام الكلام هاهنا ولكون(٢) الهاء ثابتة للاستراحة، لأنك إن أدرجت بالهاء(٣) خالفت القياس المستمر في حذف حرف الاستراحة، وإن أسقطت الهاء في الإدراج خالفت خط المصحف، وأما حمزة والكسائي فإنهما يقفان بالهاء ويصلان بغير هاء.

قال أبو علي: (وقول حمزة والكسائي القياس، وفي ترك قول الأكثر ضرب من الاستيحاش وإن كان الصواب والقياس ما قرأ)(٤).

وقرأ ابن عامر (اقتدِه) بكسر الدال وبشمِّ الهاء الكسر من غير بلوغ ياء، قال أبو بكر بن مجاهد(٥): (وهذا غلط لأن هذه الهاء هاء وقفٍ لا تعرب في حال من الأحوال وإنما تدخل لتتبين(٦) بها حركة ما قبلها)(٧).

---

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٦٤.

(٢) في (أ)، (ش): (وليكون) والصواب: ولكون.

(٣) في (ش): (أدرجت، الهاء).

(٤) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٥٢.

(٥) أبو بكر بن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي، تقدمت ترجمته.

(٦) في (ش): (يدخل لتبيين). وانظر: «البغداديات» ص١٥٢.

(٧) «السبعة» ص٢٦٢، ونحوه قال النحاس في «إعرابه» ١/ ٥٦٤، وابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٦٤، وفي «الحجة» لابن خالويه ص١٤٥ قال: (وهذا قول ضعيف مردود؛ لأنها قراءة سبعية)، قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٦: (تغليط ابن مجاهد غلط) اهـ، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٢.

قال أبو علي: (ليس بغلط، ووجهها أن تجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق[١] للوقف، وحَسُن إضمار المصدر لذكر الفعل الدال عليه كما أضمر في قوله تعالى: (﴿ولا تحسبن[٢] الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾ [آل عمران: ١٨٠] وعلى هذا قول الشاعر[٣]:

هَـذَا سُـرَاقَـةُ لِـلْـقُـرْآنِ يَـدْرُسُـهُ والمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَا إِنْ يَلْقَها ذِئبُ

فالهاء كناية عن المصدر، ودل يدرسه على الدرس، ولا يجوز أن يكون ضمير القرآن؛ لأن الفعل قد تعدى إليه باللام فلا يجوز أن يتعدى إليه وإلى ضميره، كما أنك إذا قلت: أزيدًا ضربته، لم تنصب[٤] زيدًا بضربت لتعديه إلى الضمير، فإذا لم يجز ذلك علمت أنه للمصدر، فكذلك قراءة ابن عامر: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ يكون اقتد الاقتداء، فتضمر[٥] الاقتداء لدلالة الفعل عليه، وقياسه إذا وقف أن يُسكن الهاء؛ لأن هاء الضمير تسكن في الوقف كما تقول: اشتره)[٦].

---

(١) في (ش): (يلحق)، وانظر: «كتاب الشعر» ٢/ ٥٠١.

(٢) قراءة المصحف بالياء، وهي قراءة الجمهور، وقرأ حمزة بالتاء. انظر: «السبعة» ص٢١٩، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ١٠٠.

(٣) لم أقف على قائله، وهو في «الكتاب» ٣/ ٦٧، و«الأصول» ٢/ ١٩٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٩١، و«المقرب» ١/ ١١٥، و«رصف المباني» ص٣٢٠، ٣٨٢، و«اللسان» ٤/ ١٩٩٩ (سرق)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٢، والرشا بضم الراء وكسرها جمع رشوة، وهو يصف مقرئًا بقبول الرشوة والحرص عليها كحرص الذئب على فريسته. والشاهد: يدرسه: حيث جاءت الهاء مفعولًا مطلقًا ترجع إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وهو مضمون الدرس، أي: يدرس الدرس. انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٥٨٧.

(٤) في (ش): (ينصب).

(٥) في (ش): (فيضمر).

(٦) «الحجة» ٢/ ٣٧٥، ٣/ ٣٥٢-٣٥٣، وانظر: «الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٠، =

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: مالًا تعطونيه)(١)، وقال [الكلبي](٢): (جعلًا على القرآن ولا رزقًا)(٣)، ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: موعظة للخلق أجمعين)(٤) فالقرآن هو المذكر بكل ما يحتاج إليه العباد في دينهم من حجة بيّنة وموعظة بليغة(٥). قال أهل المعاني: (قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مما أمر به من هدى النبيين والاقتداء بهم في ذلك، وذلك أن من الاقتداء بالنبيين ترك طلب الأجر من الناس على دعائهم إلى الله ﷻ وتبيين طريق الحق لمن التمسه، فكأنه يقول: فبهدى الأنبياء حيث لم يسألوا أجرًا اقتد و﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾(٦). كما قالوا)(٧).

= و«الكشف» ١/ ٤٣٨، وقال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٣٧٠، في توجيه قراءة ابن عامر: (جعلها اسمًا ولم يجعلها هاء السكت؛ لأنها لو كانت عنده هاء السكت ما جرها، والمعنى: فبهداهم اقتد اقتداء، وهو مذهب حسن في اللغة) اهـ.

(١) لم أقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٤٠ بسند ضعيف عنه قال: (يقول: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه عرضًا من عرض الدنيا) اهـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٣.

(٢) لفظ: (الكلبي) ساقط من (أ).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٤٠.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٩، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤٠ نحوه.

(٥) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧، والقاسمي ٦/ ٦١٩.

(٦) جاء في (ش): تكرار قوله (اقتد وقل لا أسألكم عليه أجرًا).

(٧) انظر: الرازي ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧.

وقال أهل العلم: (وهذه الآية تدل على أن شريعة محمد ﷺ وشريعة الأنبياء الماضين[١] واحد[٢] حيث أمر بالاقتداء بهم، وكل شيء ثبت عن نبي من الأنبياء ما لم ينسخ فعلينا الأخذ به).

٩١- قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: (يقول: ما عظموا الله حق تعظيمه)[٣].

وهو قول الحسن[٤] والفراء[٥] والزجاج[٦]، وروي عن ابن عباس [أيضًا (ما آمنوا أن الله على كل شيء قدير)[٧].

---

(١) أي في التوحيد، أما أعمال الشرائع فمختلفة، انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٧٦، والرازي ١٣/ ٧١- ٧٢، والقرطبي ٧/ ٣٥-٣٦، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الفتاوى» ١٩/ ٧: (وشرع من قبلنا إنما هو شرع لنا فيما ثبت أنه شرع لهم دون ما رووه لنا) اهـ.

(٢) الأولى: واحدة لأنها خبر عن الشريعة فتوافقها في التأنيث.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٣، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٦، والجوهري في «الصحاح» ٢/ ٧٨٦، وابن كثير ٢/ ١٧٤.
وقال ابن فارس في «مقاييس اللغة» ٥/ ٦٣، في الآية: (قال المفسرون: ما عظموا الله حق عظمته، وهذا صحيح، وتلخيصه أنهم لم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى) اهـ. وانظر: «مجمل اللغة» ٣/ ٧٤٥ (قدر).

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٤١، وابن الجوزي ٣/ ٨٣، والقرطبي ٧/ ٣٧.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٣.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧١.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٦٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٣.

وقال أبو العالية[(١)]: (ما وصفوه حق صفته)[(٢)]، وهو قول الليث[(٣)] من أهل اللغة، وقال الأخفش[(٤)] وأبو عبيدة[(٥)]: (ما عرفوه حق معرفته).

ويقال: قدر[(٦)] الشيء: إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره، يقدره بالضم، قَدْرًا، ومنه قوله ﷺ: «إنْ غمّ عليكم فاقدروا له»[(٧)]، أي: فاطلبوا أن تعرفوه، هذا أصله في اللغة، ثم[(٨)] يقال لكل من عرف شيئًا: هو يقدر قدره، ولا يقدر قدره إذا لم يعرفه بصفاته وما هو منعوت به، فقوله ﴿مَا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٧٩، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٨٣، والرازي ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٩٧، وانظر: «العين» ٥/ ١١٣.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٧٢، والخازن ٢/ ١٥٧، ولم أقف عليه في «معانيه».

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٠، وهو قول اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٣٩، وذكر هذا القول النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٦-٤٥٧، وقال: (هذا قول حسن؛ لأن معنى قدرت الشيء وقدرته: عرفت مقداره، ويدل عليه قوله جل وعلا: ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، أي: لم يعرفوه حق معرفته، إذ أنكروا أن يُرسل رسولًا، وقيل: المعنى: وما عظموا الله حق عظمته، ومن هذا لفلان قَدرٌ، والمعنيان متقاربان) اهـ.

(٦) قدر الشيء: بفتح القاف والدال يَقْدِرُه، قَدْرًا، انظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٣٥، و«اللسان» ٦/ ٣٥٤٧ (قدر).

(٧) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري (١٩٠٦)، كتاب الصوم، باب قول النبي: «إذا رأيتم الهلال» ومسلم (١٠٨٠) كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فاقْدِرُوا له»). وانظر: «شرح مسلم» للنووي ٧/ ٢٦٦، و«فتح الباري» ٤/ ١٢٠.

(٨) لفظ: (ثم) ساقط من (ش).

قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ صحيح في المعاني التي ذكرنا[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: (كان مالك بن الضيف[٢] رأس اليهود، وكان سمنًا، فأتى رسول الله ﷺ بمكة، فقال له رسول الله ﷺ: **«أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر[٣] السمين؟»**، قال: نعم. قال: **«فأنت الحبر السمين، قد سمنت من مأكلتك التي [يطعمك][٤] اليهود»**، فضحك القوم فغضب مالك، وقال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾)[٥]، وهذا قول

---

(١) نقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٧٢، وذكر مثل قول الواحدي الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٥٧، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٢٧٩: (هو من توفية القدر والمنزلة فهي عامة يدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك، غير أن تعليله بقولهم: (ما أنزل الله) يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته إذ أحالوا عليه بعثة الرسل) اهـ.

وانظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ١٦٨، و«الفتاوى» ١٣/ ١٦٠-١٦٤، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٦٢.

(٢) مالك بن الضَّيْف: يهودي خاصم النبي عليه السلام، ويقال فيه: ابن الصيف بالصاد المهملة، وهما روايتان فيه، ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» ٢/ ١٧٤

(٣) حديث: «إن الله يبغض الحبر السمين» تكلم فيه أهل العلم، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص١٢٥: (ما علمته في المرفوع). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي ١/ ٤٤٣، و«الكافي الشاف» ص٦٢، و«تمييز الطيب من الخبيث» ص٨٢، و«الفتح السماوي» ٢/ ٦١١، و«كشف الخفاء» ١/ ٢٨٩.

(٤) في (أ): (تطعمك).

(٥) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٢، والرازي ١٣/ ٧٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٦، وذكره أكثرهم بلا نسبة. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧١، والنحاس ٢/ ٤٥٧، والسمرقندي ١/ ٥٠٠، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٧٠، وابن عطية ٥/ ٢٨٠، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤٠: قال: (نزلت الآية في مالك بن الصيف) اهـ.

الحسن[١] وسعيد[٢] بن جبير وعكرمة[٣] وأكثر أهل التفسير[٤]، وروي عن ابن عباس: (أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نعم». قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزل الله هذه الآية)[٥].

وقوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ قال المفسرون[٦]: (أي: تكتبونه في قراطيس مقطّعة حتى لا تكون مجموعة لتخفوا منها ما شئتم ولا يشعر بها العوام). (تبدونها) يعني: القراطيس[٧]﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: تظهرون بعض ما فيها، ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾: مما لا تهوون)[٨]، قرأ

---

(١) ذكر هود الهواري ١/ ٥٤٢، والقرطبي ٧/ ٣٧ عن الحسن قال: (نزلت في اليهود).

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٢ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٤٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢٢- ٢٢٣، والرواية فيها الحديث السابق، فهو ضعيف ومرسل.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٧ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٤.

(٤) ومنهم مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٧٤، وانظر: «الرازي» ١٣/ ٧٤، والخازن ٢/ ١٥٨.

(٥) أخرجه الطبري ٧/ ٢٦٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٢ بسند جيد، وأخرج الطبري من طرق جيدة عن محمد بن كعب وقتادة والسدي أنها نزلت في اليهود، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٤، وهو قول الزجاج ٢/ ٢٧١.
وقال ابن كثير ٢/ ١٧٤: (قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش، واختاره الطبري، وهو الأصح؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد (لأنه من البشر) اهـ.

(٦) انظر: الطبري ٧/ ٢٦٩، وأخرج نحوه عن مجاهد وعكرمة.

(٧) انظر: الطبري ٧/ ٢٦٩، والسمرقندي ١/ ٥٠٠، والبغوي ٣/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٨٤.

(٨) في «تنوير المقباس» ٢/ ٤٠ نحوه.

أبو عمرو وابن كثير: (يجعلونه) بالياء[١] وكذلك: يبدون، (ويخفون)[٢]؛ لأنهم غيب، يدل على ذلك قوله[٣]: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟﴾، ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ﴾، (يجعلونه)، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب أي: قل لهم ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾.

قال أبو علي: (ومعنى ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾: تجعلونه ذوات[٤] قراطيس أي: تودعونه إياها.

وقوله تعالى: ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يحتمل موضعه ضربين: أحدهما: أن يكون صفة للقراطيس؛ لأن النكرة توصف بالجمل[٥] والآخر: أن تجعله حالًا من ضمير الكتاب من قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ على أن تجعل الكتاب: القراطيس في المعنى؛ لأنه مكتتب فيها[٦]، ومن

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يجعلون قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا) بالياء في الأفعال الثلاثة على الغيبة، وقرأ الباقون بالتاء في الثلاثة على الخطاب.
انظر: «السبعة» ص٢٦٢، و«المبسوط» ص١٧٢، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٤، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

(٢) في (ش): (تجعلونه، وتبدون، وتخفون) بالتاء. وفي (أ): (يبدون) والأولى (يبدونها).

(٣) لفظ: (قوله) ساقط من (ش).

(٤) فيكون على حذف مضاف، وقال النحاس في «إعرابه» ١/ ٥٦٥: (تجعلونه في قراطيس) اهـ، وعليه يكون منصوب بنزع الخافض، وهو قول مكي في «المشكل» ١/ ٢٦٠، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٣١، وانظر: «التبيان» ١/ ٣٤٦، و«الفريد» ٢/ ١٨٨، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥.

(٥) وهذا قول العكبري في «التبيان» ١/ ٣٤٦، وقال مكي في «المشكل» ١/ ٢٦٠: (تبدونها) نعت للقراطيس، وقوله: (وتخفون) مبتدأ لا موضع له من الإعراب. اهـ، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٦.

(٦) قال السمين في «الدر» ٥/ ٣٦: (وقد جوز الواحدي في: «تبدون»، أن يكون =

قرأ بالتاء فحجته قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٩١] فجاء على الخطاب فكذلك يكون ما قبله)(١).

وقال الفراء في هذه الآية: ([يقول]:(٢) تبدون(٣) ما تحبون وتكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم)(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الأكثرون(٥) على أن هذا خطاب لليهود، يقول: ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾، وقال الحسن في هذا: (جعل لهم علم ما جاء به محمد ﷺ فضيّعوه ولم ينتفعوا به)(٦).

وقال مجاهد: (هذا خطاب للمسلمين [يذكرهم النعمة](٧) فيما علمهم على لسان محمد ﷺ)(٨).

= حالًا من ضمير الكتاب من قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ على أن تجعل الكتاب القراطيس في المعنى؛ لأنه مكتتب فيها. انتهى. وقوله: على أن تجعل اعتذارًا عن مجيء ضميره مؤنثًا، وفي الجملة فهو بعيد أو ممتنع) اهـ.

(١) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٥٥-٣٥٦، وانظر: في «توجيه القراءة»، و«معاني القراءات» ١/ ٣٧٠-٣٧١، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٥، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٠-٢٦١، و«الكشف» ١/ ٤٤٠.

(٢) لفظ: (يقول) ساقط من (أ).

(٣) جاء في (أ): (يبدون ما يحبون ويكتمون ....) بالياء بدل التاء.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٣، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧١.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٨٤. وهو اختيار الزمخشري في «الكشاف» ١/ ٣٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٨.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦٧.

(٧) في (ش): (يذكرهم بالنعمة).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٦٧، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧٠، وابن أبي حاتم ٥/ ٢٨٢ بسند جيد عنه قال: (هذه =

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، قال الفراء: (هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: الله أنزله)[1].

قال أبو بكر: (فلما وضح معنى الإنزال لم يذكر إفراد الاسم، ألا ترى أن الرجل يقول للرجل: إذا قيل لك: من قام؟ فقل: زيد، تريد[2] فقل: زيد قام)[3].

قال الفراء[4]: (وإن شئت قلت: قل هو الله.. [5])، قال أبو بكر: (فأضمر هو في هذا الموضع كما أضمر في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وفي قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ [النساء: ٨١])[6].

وقال أهل المعاني: (هذا من حسن تعليم السؤال والجواب).

= للمسلمين»، وفي «الدر المنثور» ٣/ ٥٤ عن مجاهد قال: ((وعلمتم) معشر العرب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾).

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٣.

(٢) في (ش): (يريد)، بالياء.

(٣) لم أقف عليه. (٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٣.

(٥) في (أ): (قل هو الله أحد)، ولعل زيادة (أحد) وهم من الناسخ.

(٦) لم أقف عليه. وأكثرهم على أن المعنى: قل الله أنزله، قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٠/ ٥٥٩: (المعنى: قل الله أنزل الكتاب، وهو كلام تام وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر، حذف الخبر لدلالة السؤال على الجواب، وهو قياس مطرد كثير في كلام العرب) ا.هـ. ملخصًا. ونحوه قال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٦٣-١٦٦، وقال: (هذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره) اهـ، وقال ابن كثير ٢/ ١٧٥: (قال ابن عباس: أي: قل الله أنزله، وهذا هو المتعين، لا ما قاله بعضهم من أن المعنى لا يكون خطابك لهم إلا كلمة: الله، وهذا أمر بكلمة مفردة من غير تركيب، وهو في لغة العرب لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها) ا.هـ. بتصرف، وانظر: الطبري ٧/ ٢٧٠، والسمرقندي ١/ ٥٠٠، وابن الجوزي ٣/ ٨٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال تقديره: لاعبين[١]، يريد: عاملين ما لا يجدي عليهم، والعرب تقول لمن كان في عمل لا يجدي عليه: إنما أنت لاعب[٢]، وحقيقة هذا الكلام التهدد[٣].

قال المفسرون: وقوله: ﴿ذَرْهُمْ﴾ منسوخ بآية السيف[٤].

٩٢- وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ مُبَارَكٌ﴾ المبارك: الذي بورك فيه، ومعنى البركة: الكثرة في كل خير[٥]، الأزهري[٦]: (وأصل البركة الزيادة والنماء وثبوت الخير[٧] على الازدياد والنماء)، قال أهل اللغة[٨]: وأصله الثبوت، قال اللحياني[٩]: (يقال: بَارَكت على التجارة وغيرها،

---

(١) انظر: «المشكل» ١/ ٢٦٠، و«البيان» ١/ ٣٣١، و«التبيان» ١/ ٣٤٧، و«الفريد» ٢/ ١٨٩، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦.

(٢) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٧١.

(٣) انظر: الطبري ٧/ ٢٧١.

(٤) هذا قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٧، وابن سلامة ص٦٨، وابن العربي ٢/ ٢١٢، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٨: (ظاهر الأمر أنه موادعة فيكون منسوخًا بآيات القتال، وإن جعل تهديدًا أو وعيدًا خاليًا من الموادعة فلا نسخ) اهـ. والظاهر عدم النسخ وأنها تهديد، وهو قول الجمهور. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٢١، و«الإيضاح» لمكي ص٢٤٤، وابن عطية ٥/ ٢٨٣، و«النواسخ» لابن الجوزي ص٣٢٧، و«المصفى» ص٣٢، والرازي ١٣/ ٧٨، والقرطبي ٧/ ٣٨، و«النسخ في القرآن» لمصطفى زيد ١/ ٤٨٣.

(٥) انظر: «العين» ٥/ ٣٦٨، و«الجمهرة» ١/ ٣٢٥، و«الصحاح» ٤/ ١٥٧٤، و«المجمل» ١/ ١٢١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٢٧، و«المفردات» ص١١٩، و«اللسان» ١/ ٢٦٦ (برك).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩.

(٧) في (ش): (وثبوت الحكم).

(٨) انظر: «الزاهر» ١/ ٥٣.

(٩) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩.

أي: داومت وواظبت)، ومنه قول الشاعر[١]:

ولا يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلَّا بَرَاكَاءُ القِتَالِ[٢] أوِ الفِرَارُ

أي: الثبوت في القتال، ومنه ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: ثبت ما به استحق التعظيم فيما لم يزل ولا يزال. قال الكلبي: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ فيه مغفرة لذنوبهم، وتوبة من أعمالهم)[٣]، قال أهل المعاني: (معنى قوله (كتاب) (مبارك) أي: كثير خيره، دائم منفعته، يبشر بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية إلى ما لا يعد من بركاته)[٤]، و(مبارك): خبر الابتداء فصل بينهما بالجملة والتقدير:[٥]

---

(١) الشاهد لبشر بن أبي خازم الأسدي، شاعر جاهلي في «ديوانه» ص٦٩، و«المفضليات» ص٣٤٥، و«الاشتقاق» ص٢٤٧، وجميع كتب اللغة السابقة في (برك) سوى «المفردات»، الغمرات: بالفتح: الشدائد، والبراكاء: بفتح الباء وضمها: من البروك، وهو الثبات في الحرب.

(٢) في (أ): (للقتال)، وهو تحريف.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨١، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤١ نحوه.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٦، و«الوسيط» للواحدي ١/ ٨١، والرازي ١٣/ ٨٠.

(٥) هذا قول الثعلبي ١٨١ أ، وقال الكرماني في «غرائبه» ١/ ٣٧١، وابن عاشور في «التحرير» ٧/ ٣٦٩: (هو خبر بعد خبر) اهـ. والجمهور على أنه صفة لكتاب، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٨: (ما ذكره الواحدي لا يتمشى إلا على أن يكون خبرًا ثانيًا، لهذا وهو بعيد جدًا، وإذا سُلّم ذلك فيكون: (أنزلناه) عنده اعتراضًا على ظاهر عبارته، ولكن لا يحتاج إلى ذلك بل يجعل (أنزلناه) صفة لكتاب، ولا محذور حينئذ على هذا التقدير، وبالجملة فالوجه كونه صفة أو خبرًا لمبتدأ مضمر) ا. هـ. بتصرف.

وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٢، و«إعراب النحاس» ٢/ ٨٢، و«كتاب الشعر» ٢/ ٥٠٥، و«الإيضاح العضدي» ١/ ٢٨٧، وابن عطية ٥/ ٢٨٣، و«التبيان» ١/ ٣٤٧، و«الفريد» ٢/ ١٩٠.

و[1]هذا كتاب مبارك أنزلناه، كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: جميع الكتب)[2].

وقال الكلبي: (موافق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وسائر الكتب)[3] ونحوه قال الحسن[4] [وغيره][5].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ هو عطف[6] على معنى الكلام[7] قال أبو إسحاق: (المعنى: أنزلناه للبركة والإنذار، قال: ومعنى ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: أهل أم القرى)[8]، فعلى هذا هو من باب حذف المضاف، قال ابن عباس وغيره: (يريد: مكة)[9].

---

(١) لفظ: (الواو): ساقط من (ش).

(٢) أخرج الطبري ٧/ ٢٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٤، و«تحقيق الغماري» بسند ضعيف عنه قال: (مصدق لما قبله من الكتب التي أنزلها الله والآيات والرسل الذين بعثهم الله بالآيات).

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٤١.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٤٢.

(٥) في (ش): (وغيرهم)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧١ هذا القول عن قتادة والربيع بن أنس، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٤٤، و«تحقيق الغماري»، عن أبي العالية، ورجحه ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٢٨٤.

(٦) في (ش): (هو معطوف).

(٧) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٨-٣٩.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧١، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٥٧.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ بسند جيد، وقال الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٨١: (اتفقوا على أن هاهنا محذوفًا، والتقدير: ولتنذر أهل أم القرى؛ واتفقوا على أن أم القرى هي مكة) اهـ.

قال الزجاج: (وسميت أم القرى؛ لأنها قبلة جميع الناس يؤمونها، قال: وجائز أن تكون سميت أم القرى؛ لأنها كانت أعظم القرى شأنًا)[(١)].

وقال المفسرون: (سميت مكة أم القرى؛ لأن الأرض كلها دُحيت من تحتها، فهي أصل للأرض كلها)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَاۚ﴾ قال ابن عباس: (يريد: جميع الآفاق)[(٣)]، وقال الكلبي: (سائر الأرضين)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ قال الفراء: (الهاء تكون لمحمد وللتنزيل)[(٥)]، فإن قيل: كثير ممن يؤمن بالآخرة لا يؤمن بمحمد ولا بالقرآن، فلم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ﴾؟ قيل:

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧١، ولم يذكر إلا الوجه الثاني فقط، والوجه الأول نسبه إلى الزجاج، ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٨٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٣، والطبري ٧/ ٢٧٢ بسند جيد عن قتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ عن عطاء وعمرو بن دينار، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٥، عن ابن عباس، وهو قول مقاتل ١/ ٥٧٥، والثعلبي ١٨١/أ، والبغوي ٣/ ١٦٨، وأخرج الطبري وابن أبي حاتم بسند جيد عن السدي قال: (أم القرى مكة سميت؛ لأن أول بيت وضع بها) اهـ. وذكره ابن أبي حاتم عن جماعة من السلف، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٧٩: (سميت بذلك؛ لأنها منشأ الدين، ولدحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة وموضع الحج، ومكان أول بيت وضع للناس) اهـ.

انظر: الطبري ٧/ ٢٧٢، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٥٧، والسمرقندي ١/ ٥٠١، والماوردي ٢/ ١٤٢، و«الكشاف» ٢/ ٣٥، وابن عطية ٥/ ٢٨٤.

(٣) أخرجه الطبري ٧/ ٢٧١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٥ بسند جيد، وهذا المعنى متفق عليه. انظر: السمرقندي ١/ ٥٠١، وابن عطية ٥/ ٢٨٤، والرازي ١٣/ ٨١.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٢.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٤.

ذهب بعضهم إلى أن هذا مما أُريد به الخصوص بدليل قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢] وهذا من صفة المؤمنين، وقال بعض أهل المعاني: (لم يعتد بإيمان أولئك الذين آمنوا بالآخرة ولم يؤمنوا بمحمد، وإنما يؤمن بالآخرة حقيقة من آمن بمحمد وبكتابه، فلذلك وصف المؤمنين بالآخرة بأنهم يؤمنون بمحمد والقرآن، ألا ترى أنه قال: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فبيّن أن إيمانهم بالآخرة يدعوهم إلى الإيمان به والمحافظة على صلاتهم)[١]، وعامة القراء[٢] قرؤوا (ولتنذر) بالتاء خطاب للنبي ﷺ؛ لأن المأمور والموصوف بالإنذار هو، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]. وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء جعل الكتاب هو المنذر؛ لأن فيه إنذارًا، ألا ترى أنه قال: ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢] أي: بالكتاب، وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥] فلا يمتنع أن يسند الإنذار إليه على الاتساع[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٢، والسمرقندي ١/ ٥٠١، وابن الجوزي ٣/ ٨٥، والرازي ١٣/ ٨٣.

(٢) قرأ عاصم في رواية أبي بكر بن عياش (ولينذر) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «السبعة» ص٢٦٣، و«المبسوط» ص١٧٢، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٤، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠، ووقع في «التيسير» نسبة القراءة بالياء إلى أبي عمرو، ولعله تحريف أو وهم.

(٣) ما سبق قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٥٦، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ١٦٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٥، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦١، و«الكشف» ١/ ٤٤٠.

٩٣- قوله[١] تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية معنى ألفاظ هذه الحروف، وهذا الاستفهام ذكرناه في رأس العشرين من هذه السورة.

قال ابن عباس، والمفسرون: (نزلت في مسيلمة[٢] والأسود العنسي[٣] ادعيا النبوة)[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ قال أبو بكر بن الأنباري: (خص بعد أن عمّ؛ لأنه ليس كل من يكذب على الله يدعي أن الله ﷻ أوحى إليه وحيًا، قال: ويجوز أن يكون الأمران من صفة مدعي النبوة وصفه الله ﷻ بأمرٍ بعد أمرٍ ليدل على لعنته وجرأته على الله)[٥].

---

(١) جاء في (أ): تكرار لفظ (قوله).

(٢) مسيلمة بن حبيب الحنفي، أبو ثمامة الكذاب، مشعوذ جبار متنبئ معمر، قتله وحشي رضي الله عنه في موقعة اليمامة سنة ١٢هـ. انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٧٤، و«جوامع السيرة» ص٢٥٩، ٣٤٠، و«التعريف» للسهيلي ص٥٦، و«الأعلام» ٧/ ٢٢٦.

(٣) الأسود بن كعب بن عوف العَنْسي، يعرف بعيهلة، مشعوذ متنبئ جبار، من أهل اليمن أسلم ثم ارتد وادعى النبوة، وقتله فيروز الفارسي قبل موت النبي ﷺ بقليل، انظر: «جوامع السيرة» ص١٠، ٣٣٩، و«التعريف والإعلام» ص٥٥-٥٦، و«الأعلام» ٥/ ١١١.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٣، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٥٨، والقرطبي ٧/ ٣٩، وأخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ١٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٦ بسند جيد عن قتادة، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٧٢، عن قتادة وعكرمة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٦، عن ابن جريج، وهو قول أكثرهم.

انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٤، والزجاج ٢/ ٢٧١، والسمرقندي ١/ ٥٠١، والثعلبي ١٨١ أ، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٧١.

(٥) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٨٦.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (من): عطف على (من) في قوله: ﴿مِمَّنِ﴾[(١)] قال ابن عباس: (يريد: المستهزئين)[(٢)]، وهو قول الزجاج قال: (هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١])[(٣)].

وقال عامة أهل التفسير[(٤)]: (نزلت في ابن أبي سرح[(٥)]، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فأملَى عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فقال ابن أبي سرح: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ تعجبًا من تفضيل خلق الإنسان، فقال النبي ﷺ: «**هكذا أنزلت**» فشك وارتد، وقال: لئن

---

(١) انظر: «التبيان» ١/ ٣٤٨، و«الدر المصون» ٥/ ٤٠.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٢، والبغوي ٣/ ١٦٩، وابن الجوزي ٣/ ٨٦، ورجح السهيلي في «التعريف» ص٥٦ أنها نزلت في النضر بن الحارث من المستهزئين.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٢.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٣، فقد أخرجه عن عكرمة والسدي، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ٤٥-٤٦، عن شرحبيل بن سعد المدني، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٦: (عن موسى بن خلف البصري وابن جريج).

(٥) عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري أبو يحيى القرشي، إمام فاضل فارس صحابي جليل أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاع، أسلم قبل فتح مكة، وهاجر، وكتب الوحي للنبي ﷺ، ثم ارتد، ثم أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشارك في الفتوح، وتوفي سنة ٣٦هـ.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٤٩٦، و«الجرح والتعديل» ٥/ ٦٣، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٢٩٦، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٣، و«الإصابة» ٢/ ٣١٦، و«الأعلام» ٤/ ٨٨.

كان محمد صادقًا لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان[1] كاذبًا لقد قلت كما قال)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: الذين ذكرهم[3] ﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: جمع غَمْرَةٍ[4]، وهي شدة الموت وما يغشى الإنسان من همومه وسكراته، وغَمْرة كل شيء: كثرته ومعظمه، ومنه غَمَرة الماء وغَمَرة الحرب، ويقال: غَمَرَه الشيءُ: إذا علاه وغطاه.

قال الزجاج: (يقال: لكل من كان في شيء كثير قد غَمَره ذلك، وغَمره الدَّينُ: إذا كثر عليه)[5]، هذا هو الأصل، ثم يقال للشدائد والمكاره: الغمرات، وجواب (لو) محذوف وقد مضت هذه المسألة في هذه السورة[6] بأبلغ بيان.

---

(١) جاء في (ش): تكرار (كان).

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢٣، والقرطبي ٧/ ٤٠ من رواية الكلبي عن ابن عباس، وذكره أكثرهم بلا نسبة.
انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٤، والثعلبي ١٨١ أ، والبغوي ٣/ ١٦٩، والرازي ١٣/ ٨٤، والظاهر أن الآية عامة يدخل تحتها كل ما ذكر قاله ابن عطية ٥/ ٢٨٦، وانظر: «الفتاوى» ٤/ ٨٦، ١٢/ ٢٥، ١٥/ ١٥٦، و«الكافي الشاف» ص٦٠.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٨٧.

(٤) انظر: «العين» ٤/ ٤١٦، و«الجمهرة» ٢/ ٧٨١، و«البارع» ص٣١٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٩٣، و«الصحاح» ٢/ ٧٧٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٣٩٢، و«المفردات» ص٦١٤، و«اللسان» ٦/ ٣٢٩٤ (غمر).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٢.

(٦) قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٧٢: (الجواب محذوف، أي: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت لرأيت عذابًا عظيمًا) اهـ وانظر «الدر المصون» ٥/ ٤١.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ملائكة العذاب ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بمقامع من الحديد)(١)، وقال الحسن(٢) والضحاك: (﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالعذاب).

قال الضحاك: (﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾: يضربونهم ويعذبونهم، كما يقال: بسط إليه يده بالمكروه)(٣)، وقال مجاهد: (﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب يضربون وجوههم وأدبارهم)(٤)، قال الفراء: (ويقال: ﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ لإخراج أنفس الكفار)(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ قال الفراء والزجاج: (أي: يقولون: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾)(٦)، قال الفراء: (وإذا طرحت من مثل هذا الكلام أن ففيه القول مضمر)(٧)، وذكر أبو إسحاق في معنى: ﴿أَخْرِجُوٓاْ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٨ بسند جيد عن ابن عباس، قال: (البسط: الضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم) اهـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» ١/ ٥٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٨٧، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٨١.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٤٨ بسند ضعيف عن الضحاك نحوه، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(٤) لم أقف عليه عن مجاهد.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٥، وقال ابن عطية ٥/ ٢٨٨ في تفسير الآية: (﴿بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن مدها بالمكروه، وهو لا محالة أوائل العذاب وأماراته. وأما البسط لمجرد قبض النفس فإنه يشترك فيه الصالحون والكفرة) ا.هـ. بتصرف.

(٦) لا يوجد هذا التقدير عن الفراء في «معانيه»، ولعله مفهوم من كلامه، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٢.

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٥.

﴿أَنفُسَكُمُ﴾ وجهين: أحدهما، قال: (جائز أن يكون كما تقول للذي تعذبه: لأزهقن نفسك ولأخرجن نفسك، فهم يقولون: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ على هذا المعنى)(١)، ومعنى هذا الكلام أن قول القائل إذا أراد تعذيب إنسان [يقول](٢): لأخرجن نفسك، معناه: لأذيقنك العذاب، ولأعذبنك أشد العذاب، كذلك قول الملائكة لهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ معناه: ذوقوا العذاب، وليس المراد من هذا أمرهم بإخراج أنفسهم؛ لأن أرواحهم ليسوا [هم](٣) مخرجيها حتى يؤمروا بإخراجها، وإنما [مخرجها](٤) ملك الموت وأعوانه، وقال بعض أهل المعاني: (هذا تغليظ لحالهم أي: أنهم بمنزلة من تولى إزهاق نفسه إكراهًا له، وهو أغلظ عليه، فلذلك يؤمرون بإخراج أنفسهم)(٥).

وأما أهل التفسير فإنهم يقولون في هذا: (إن نفس المؤمن [تنشط](٦) في الخروج للقاء ربه، ونفس الكافر [تكره](٧) ذلك، ويشق عليها الخروج؛ لأنها [تصير](٨) إلى أشد العذاب(٩) كما قال رسول الله ﷺ: **«من أراد لقاء الله أراد الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله**

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٢.

(٢) لفظ: (يقول) ساقط من (ش).

(٣) لفظ: (هم) ساقط من (أ).

(٤) في (ش): (مخرجيها).

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٤٤، وابن الجوزي ٣/ ٨٧-٨٨، والرازي ١٣/ ٨٥.

(٦) في (ش): (ينشط) بالياء.

(٧) في (ش): (يكره) بالياء.

(٨) في (ش): (يصير) بالياء.

(٩) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠١، والبغوي ٣/ ١٦٩.

لقاءه»[١]، وذلك يكون عند نزع الروح، وقد بُيِّن ذلك في هذا الخبر، فهؤلاء الكفار [تُكرههم][٢] الملائكة على نزع الروح ويقولون لهم: أخرجوا أنفسكم كرهًا).

والوجه الثاني الذي ذكره أبو إسحاق قال: (وجائز أن يكون المعنى: خلصوا أنفسكم، أي: لستم تقدرون على الخلاص)[٣]، ومعنى هذا الكلام أنهم يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم من العذاب على جهة التوبيخ، وهذا قول الحسن[٤]، وجائز أن يكون هذا القول منهم للكفار في نار جهنم، وقد[٥] غشيتهم شدائد هي كغمرات الموت، والملائكة يقولون لهم على جهة التوبيخ: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ من هذا العذاب[٦]، وجواب (لو) هنا مضمر، أي: لرأيت عجبًا أو لرأيت أمرًا فظيعًا[٧].

---

(١) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٧)، ومسلم (٦٥٠٨)، (٢٦٨٣-٢٦٨٦)، البخاري في كتاب الرقاق، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، كلاهما في باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، من عدة طرق عن عبادة بن الصامت وعائشة وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: **«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»** اهـ.

(٢) في (أ): (يكرههم) بالياء.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٢.

(٤) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ١٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٨٧.

(٥) في (أ): تكرار لفظ (قد).

(٦) هذا قول الحسن البصري كما ذكرنا في المصادر السابقة، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٨٨.

(٧) أعاد المؤلف رحمه الله تعالى ذكره مرة أخرى فقد سبق بيانه في ص٣٣٣، وقال =

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، الْهُونِ[1]: هَوَان الشيء الحقير الهين، قال الله تعالى: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ [النحل: ٥٩] وقال ذو الإصبع[2]:

أَذْهَبْ إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ
تَرْعَى المَخَاضَ وَلاَ أُغْضِي عَلَى الهُونِ[3]

وقالت الخنساء:

تُهِينُ[4] النُّفُوسَ وَهوْنُ النُّفُوسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَبْقَى لَهَا[5]

= ابن عطية في «تفسيره» ٦/ ١٠٩: (جواب لو محذوف تقديره: لرأيت عجبًا أو هولًا، ونحو هذا، وحذف هذا الجواب أبلغ من نصه؛ لأن السامع إذا لم ينص له الجواب يترك مع غاية تخيله) اهـ. وانظر: «كتاب الشعر» ٢/ ٣٩١.

(١) الهون: بضم الهاء. انظر: «العين» ٤/ ٩٢، و«الجمهرة» ٢/ ٩٩٦، و«البارع» ص١٢٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٢١٨، و«المقاييس» ٦/ ٢١، و«المجمل» ٣/ ٨٩٥، و«المفردات» ص٨٤٨ (هون).

(٢) ذو الإصْبَع: حُرْثان بن الحارث بن محرث العَدْواني، شاعر جاهلي حكيم شجاع له وقائع مشهورة، لقب بذي الإصبع؛ لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، وهو معمر ترك ثروة شعرية كبيرة فيها العظة والحكم والفخر. انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٧٣، و«الإكمال» لابن ماكولا ١/ ٩٦، و«نزهة الألباب» ١/ ٢٧٨، و«الأعلام» ٢/ ١٧٣، و«معجم الشعراء في لسان العرب» ص١٤٣.

(٣) البيت في «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٧، والماوردي ٢/ ١٤٥، وابن عطية ٥/ ٢٨٨، و«اللسان» ٨/ ٤٧٢٥ (هون)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣.

والمخاض: النوق الحوامل، وأصله الطلق عند الولادة. انظر «اللسان» ٧/ ٤١٥٣ (مخض).

(٤) في النسخ: (تهّين). وفي «الديوان» بالنون وفي بعض المراجع بالياء.

(٥) «ديوانها» ص٨٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٩٩، و«اللسان» ٨/ ٤٧٢٥ (هون)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣، وهو في الطبري ٧/ ٢٧٧، لعامر بن جوين الطائي، =

تريد: وإهانة النفوس، قال الزجاج: (﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي يقع به الهوان الشديد)(١)، وقال عطاء عن ابن عباس: (يريد: الهوان والخزي)(٢)، وقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ قال: (يريد: تزعمون أن الملائكة بناته: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يريد: عن فرائضه والسجود له لا تصلون(٣)، وقد قال رسول الله ﷺ: **«من سجد لله سجدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر»**(٤).

= والمشهور أنه للخنساء. والكريهة الحرب. وأبقى لها، أي: في الذكر وجميل القول. انظر «شرح ديوان الخنساء» لثعلب ص٤٦.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٢، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٠ واليزيدي في «غريب القرآن» ص١٣٩، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٦٨، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٦٥: (﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهوان)، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٧.

(٢) في «مسائل نافع بن الأزرق» ص١٣١، قال: (الهوان) وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤٣، قال (الشديد)، وفي «الدر المنثور» ٣/ ٥٩، عن ابن عباس قال: (الهوان الدائم الشديد) اهـ.

(٣) لم أقف عليه، وقال البغوي في تفسير الآية ٣/ ١٦٩: (أي: تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه) اهـ، وقال الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٨٦: (ذكر الواحدي أن المراد لا تصلون له، قال ﷺ: **«من سجد لله سجدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر»**) اهـ.

(٤) ذكر الحديث صاحب «كنز العمال» ٧/ ٣٠٨ (١٩٠١٧)، وعزاه للديلمي من حديث ابن عباس، ولم أقف عليه في المطبوع من «مسند الديلمي»، وقد ورد نحوه من قول جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى، فقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «التواضع» (٢١٧)، (٢٢٧)، (٢٣١) من طرق جيدة عن يحيى بن أبي جعدة المخزومي، قال: **(من وضع وجهه لله ﷻ ساجدًا فقد برئ من الكبر)** اهـ، وعن الحسن البصري قال: (السُّجود يَذْهَبُ بالكِبْرِ) اهـ. وعن يونس بن عبيد العبدي قال: (لا كبر مع السجود) اهـ. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٦١ عن حبيب بن

٩٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ الآية. قال أهل المعاني: (هذا يكون على وجهين أحدهما: أنه على الحكاية أن يقال لهم في الآخرة هذا كما دلت الآية الأولى على الحكاية، والثاني: أن المعنى على الاستقبال كأنه: تجيئوننا فرادى إلا أنه جاء على لفظ الماضي؛ لأنه بمنزلة ما قد كان لتحقيق الخبر به)(١).

وأما ﴿فُرَادَىٰ﴾(٢) فقال الفراء: (﴿فُرَادَىٰ﴾ جمع، قال: والعرب تقول: قوم فرادى، وفراديا هذا، فلا يجرونها(٣) شبهت بثُلاث ورباع قال: وفرادى: واحدها فَرْد وفريد وفرد وفردان)(٤).

= أبي ثابت الأسدي قال: (من وضع جبينه لله تعالى فقد برئ من الكبر). وقد ورد في فضل السجود أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه مسلم (٤٨٨) عن ثوبان رضي الله عنه قال: (سألت النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله، وعمل يدخلني الله به الجنة فقال: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**») اهـ.

انظر: «مسند أحمد» ٥/ ١٤٧، ١٤٨، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، والدارمي (١٥٠٢) كتاب الصلاة، باب: فضل من سجد لله سجدة، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كثرة السجود (١٤٢٢-١٤٢٤).

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٧، والماوردي ٢/ ١٤٥، وابن عطية ٥/ ٢٩٠، وابن الجوزي ٣/ ٨٨، والرازي ١٣/ ٨٦، وابن كثير ٢/ ١٨٦.

(٢) انظر: «العين» ٨/ ٢٤، و«الجمهرة» ٢/ ٦٣٤-٦٣٥، و«الصحاح» ٢/ ٥١٨، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٥٠٠، و«المجمل» ٣/ ٧٢٠ (فرد).

(٣) قوله: فلا يجرونها، أي: يصرفونها.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٥، وفيه: (وفرادى واحدها فَرْد وفرد وفريد، وفراد للجمع، ولا يجوز فرد في هذا المعنى) اهـ، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود لفظ فردان في بعض النسخ، وكذلك جاء في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٦١، و«اللسان» ٦/ ٣٣٧٣ (فرد)، عن الفراء لفظ: (فردان).

وقال الليث: (الفَرْد: ما كان وحده، يقال: فَرَد يَفْرد، وأفردته: جعلته واحدًا، ويقال: جاء القوم فُرادى[(١)]، [وعددت][(٢)] الجوز [والدراهم][(٣)] أفرادًا، أي: واحدًا واحدًا).

وقال ابن قتيبة: (فرادى جمع فردان مثل: سكران وسكارى وكسلان وكسالى)[(٤)]، وقال غيره: (فرادى جمع فريد مثل رديفٍ ورُدافَى)[(٥)]؛ وذكرنا عن الفراء هذين القولين وزيادة.

وأما التفسير فقال ابن عباس: (يريد: بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا شيء قدمتموه)[(٦)]، وقال الحسن: (فرادى كل واحدٍ على حدة)[(٧)]، وقال ابن كيسان[(٨)]: (ولقد جئتمونا مفردين مما كنتم تعبدون ومن المظاهرين

---

(١) النص في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٦١، وفيه (جاء القوم فُرادًا)، بضم الفاء وفتح الراء مع التنوين.
وجاء في «اللسان» ٦/ ٣٣٧٤، عن الليث أنه قال: (ويقال: جاء القوم فرادًا وفرادى، منونًا وغير منون، أي: واحدًا واحدًا) اهـ.

(٢) في (ش): (وغدت).

(٣) في (أ): (الدرهم).

(٤) «تفسير غريب القرآن» ص١٦٨، وفيه: (فرادى فَرْد، وكأنه جمع فردان، كما قيل ...) اهـ.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٧٧- ٢٧٨، و«المفردات» ص٦٢٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٤.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٨٢.

(٧) ذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٨١ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٨٢.

(٨) ابن كيسان محمد بن أحمد بن كيسان، تقدمت ترجمته.

لكم)[١]، ونحو ذلك قال أبو إسحاق قال: (كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه)[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: حفاة عُرَاة كما خرجتم من بطون أمهاتكم)[٣]، وذكر الزجاج وجهًا آخر تحتمله اللغة: (كما بدأناكم أول مرة أي: كان بعثكم كخلقكم)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: ملكناكم، يقال: خوّله الشيء، أي: مَلَّكه إياه، والخَوَل[٥] ما أعطى الله الإنسان من العبيد والنعم، قال أبو النجم[٦]:

كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المُخَوَّلِ[٧]

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨١ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٨٢.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣، وقوله: (وشقيقه) غير واضحة في الأصل وكأنها: وشفيعه.

(٣) لم أقف عليه، وأخرجه البخاري (٦٥٢٤) كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، ومسلم (٢٨٦٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنكم ملاقو الله مشاة حُفاة عراة غُرْلًا»، والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة، وهي القلفة التي تقطع عند الختان تكون معهم. وانظر: «شرح مسلم» للنووي ١٧/ ٢٨٠-٢٨٣، و«فتح الباري» ١١/ ٣٧٧-٣٨٨.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٦٦ .

(٥) الخول: بفتح الخاء والواو. انظر: «الجمهرة» ١/ ٦٢١، و«الصحاح» ٤/ ١٦٩٠، و«المجمل» ٢/ ٣٠٧، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣٠، و«المفردات» ص٣٠٤.

(٦) أبو النَّجم: الفضْل بن قدامة بن عبيد العِجْلي الكوفي، تقدم.

(٧) «ديوانه» ص١٧٥، وهو من لاميته المشهورة في هشام بن عبد الملك، ومطلعها:

الحمدُ لله الوَهُوبِ المُجْزِلِ ... أعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَم يُبَخَّلِ

كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المخول ... تَبَقَّلَتْ مِنْ أوَلِ التَّبَقُّلِ

قال ابن عباس: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾: (يريد: من النعيم والمال والعبيد والرباع[1] والمواشي)[2]، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ قال ابن عباس: (يريد: شركاء لي)[3] و﴿شُفَعَاءَكُمْ﴾، قال المفسرون[4]: (وذلك أن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام؛ لأنهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده).

وقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قال الزجاج[5]: (الرفع[6] أجود، [و][7] معناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز، والمعنى: لقد تقطع ما

= انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٧٨، وكوم جمع كوماء، وهي الناقة عظيمة السنام، والذرى جمع ذروة السنام وأعلى كل شيء، والخول: ما أعطى من النعم، والمخول بتشديد الواو وكسرها: الله ﷻ خولهم النعم.

والشاهد في: «العين» ٤/ ٣٠٥، والطبري ٧/ ٢٧٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٦٨، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٣ (خول).

(١) الرِّباع: بالكسر جمع الرَّبْع بفتح الراء المشددة وسكون الباء، وهو المنزل، والدار بعينها، والوطن، والموضع يرتعون فيه في الربيع. انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٦٣، و«القاموس» ص٧١٨ (ربع).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٤.

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ٤٤ نحوه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٨٩.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٠ بسند جيد، عن عكرمة والسدي نحوه، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٠٢.

(٥) في (ش): تكرر (قال الزجاج: الرفع أجود ومعناه تقطع بينكم ...).

(٦) قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية (لقد تقطع بينكم) بنصب النون، وقرأ الباقون بالرفع.

انظر: «السبعة» ص٢٦٣، و«المبسوط» ص١٧٢، و«الغاية» ص٢٤٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٥، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

كنتم فيه من الشركة بينكم)[١].

قال أبو علي: (هذا الاسم يستعمل على ضربين: أحدهما: أن يكون اسمًا متصرفًا كالافتراق، والآخر: أن يكون ظرفًا، والمرفوع في قراءة من قرأ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ الذي كان ظرفًا ثم استعمل اسمًا، والدليل على جواز كونه اسمًا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] و﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] وقال[٢] مهلهل[٣]:

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ ... بِعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ[٤]

فلما استعمل اسمًا في هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو (تقطع) في قول من رفع. قال: ويدل على أن هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفًا؛ لأنه لا يخلو من أن يكون الذي هو ظرف اتسع فيه، أو يكون الذي هو مصدر، فلا يجوز أن يكون هذا القسم؛ لأن التقدير يصير: لقد تقطع افتراقكم، وهذا خلاف القصد والمعنى [المراد][٥]، ألا ترى أن المراد: لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه. فإن قلت: كيف جاز أن يكون

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣.

(٢) هذا الشاهد لا يوجد في «الحجة» لأبي علي.

(٣) مُهَلْهِل بن ربيعة التغلبي: أبو ليلى، من نجد شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٤) ليس في «ديوانه»، وهو في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠١، و«الكامل» للمبرد ١/ ٣٧٦، والطبري ٧/ ٢٨٠، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣، وبلا نسبة في «مجالس الزجاجي» ص١١٠، و«أمالي القالي» ٢/ ١٣٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٥، و«المحتسب» ٢/ ١٩٠، و«اللسان» ١/ ٤٠٣ (بين)، والأشطان جمع شطن بالتحريك: الحبال الطويلة الشديدة الفتل، والجال: الجانب، والناحية، والجرور: بعيدة القعر.

والشاهد: بين ظرف في الأصل، فصيره اسمًا ورفعه.

(٥) لفظ: (المراد) ساقط من (أ).

بمعنى الوصل، وأصله: الافتراق[١] والتباين، قيل: إنه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين في نحو: بيني وبينه شركة، وبيني وبينه رحم وصداقة، صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة، وعلى خلاف الفرقة، لهذا جاء ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بمعنى: لقد تقطع وصلكم، وحكى سيبويه: (هو أحمر بين العينين)[٢]، وهذا يدل على جواز استعماله اسمًا.

فأما من قرأ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب ففيه مذهبان أحدهما: أنه أضمر الفاعل في الفعل، ودل عليه ما تقدم من قوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾، ألا ترى أن هذا الكلام فيه دلالة على التقاطع والتهاجر، فكأنه قيل: لقد تقطع وصلكم بينكم.

وقد حكى سيبويه أنهم قالوا: (إذا كان غدًا فأتني)[٣]، [فأضمر ما كانوا فيه من رخاء أو بلاء على معنى: إذا كان الرخاء أو البلاء غدًا فأتني[٤]]، فأضمر لدلالة الحال عليه، وصار دلالة الحال بمنزلة جَرْي الذكر وتقدمه، والمذهب الآخر من انتصاب البين: شيء يراه أبو الحسن[٥]، وهو أنه يذهب إلى: (أنه وإن نُصب يكون معناه معنى المرفوع لمّا جرى في كلامهم منصوبًا ظرفًا تركوه على ما يكون عليه في أكثر

---

(١) هو من الأضداد، يكون البَيْنُ الفراق ويكون الوصال. انظر: كتاب «الأضداد» لقطرب ص١٣٨، وللأصمعي ص٥٢، ولابن السكيت ص٢٠٤، ولابن الأنباري ص٧٥، و«شرح القصائد» لابن الأنباري ص٤٣٣.

(٢) «الكتاب» ١/ ١٩٥.

(٣) «الكتاب» ١/ ٢٢٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) أبو الحسن هو سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري الأخفش الأوسط، تقدمت ترجمته.

الكلام، وكذلك يقول في قوله تعالى[(١)]: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣] أنه على معنى الرفع، وكذلك يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١] فدون: في موضع رفع عنده)[(٢)]، وإن كان منصوب اللفظ، ألا ترى أنك تقول: منا الصالحون[(٣)]، ومنا الطالحون؛ فترفع)[(٤)]، وذكر ابن الأنباري هذين الوجهين في علة النصب فقال: (التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذفت ما لوضوح معناها، ونصبت بين على طريق المحل والصفة، ومثله قول الشاعر:

ما بين عَوْفٍ وإبراهيمَ من نَسَبٍ   إلا قرابةُ بين الزنج والرومِ[(٥)]

أراد: إلا قرابة ما بين الزنج والروم، وقال آخر:

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وأُدِيرُهُمْ   وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَيْنِ وَالأنْفِ سالِمُ[(٦)]

---

(١) في النسخ: (ويوم)، وهو تحريف.

(٢) انظر: «معاني الأخفش» ١/ ٢٣٧، و«الحجة» لأبي علي ١/ ٢٥٠-٢٥١، ٣/ ٢٦٢، ٥/ ٤٢٩، ٦/ ٢٨٥، و«كتاب الشعر» ١/ ٣٠٦، و«المحتسب» ٢/ ١٩٠، وفيها كلام الأخفش وشرحه.

(٣) في (أ): (منا الطالحون ومنا الطالحون)، وهو تحريف.

(٤) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٥٧-٣٦١ بتصرف واختصار، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٧١، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٥، ولابن زنجلة ص٢٦١، و«الكشف» ١/ ٤٤٠.

(٥) لم أقف على قائله، وهو في «الدر المصون» ٥/ ٥١.

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي في «ديوانه» ص٢٥٠، و«الدر المصون» ٥/ ٥١، ولزهير في «ديوانه» ص١٢١، و«شرحه لثعلب» ص٢٥٠، وبلا نسبة في «أمالي القالي» ١/ ٥١، ونسب في «العقد الفريد» ٢/ ٢٧٣، ٦/ ١٣٧ إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقال البغدادي في «الخزانة» ٥/ ٢٧٢-٢٧٣: (هذا خطأ، والصواب أنَّه تمثَّل به لا أنه قاله، والبيت لزهير، وهو ثابت في ديوانه) اهـ.

أراد: وجلدة ما بين العين، قال: وفيه وجه آخر؛ وهو: أن يكون [بين][(١)] في موضع رفع وإن نصبت في اللفظ؛ لأن أصلها المحل، فنابت عن الفاعل المرفوع، وأُقرت على أصلها من النصب، كما قالت العرب: قد افترق بين عبد الله وزيد، فجعلوا بين نائبه عن الفاعل ومقرةً على أصلها من النصب، وقالوا أيضًا: هذا ثوب بينَ الثوبين، [وبينُ الثوبين][(٢)]، فنصب بعضهم تغليبًا للأصل وهو يحكم عليها بالرفع، وأعطاها آخرون في اللفظ ما تستحقه من جهة المعنى)[(٣)].

وأجاز الفراء هذا الوجه أيضًا فقال: (إذا جعل الفعل لبين ترك نصبًا كما قالوا: أتاني دونك من الرجال فترك نصبًا وهو في موضع رفع)[(٤)].

وأما التفسير فقال ابن عباس: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ (يريد: وصلكم ومودتكم)[(٥)]، وقال مقاتل: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ (يعني: ما تواصلتم بينكم)[(٦)]، وقال الحسن: (لقد تقطع الأمر بينكم)[(٧)]، وقال قتادة:

---

(١) لفظ: (بين) ساقط من (ش)، وانظر: «التبيان» ١/ ٣٤٩، و«الفريد» ٢/ ١٩٤.

(٢) لفظ: (وبين الثوبين) الثانية ساقط من (ش).

(٣) ذكره الواحدي ١/ ٨٥، وابن الجوزي ٣/ ٨٩، والرازي ١٣/ ٨٧-٨٨ مختصرًا.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٥، قال: (هو في موضع رفع لأنه صفة ...)، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٦٦، و«المشكل» ١/ ٢٦٢، و«البيان» ١/ ٣٣٢ .

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٥، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٧٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (يعني: الأرحام والمنازل) ا.هـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٠.

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٧٩، وفيه قال: (لقط تقطع بينكم وبين شركائكم، يعني: من الملائكة من المودة والتواصل) ا.هـ.

(٧) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٤٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٥. والسيوطي في «الدر» ٣/ ٦٠.

(ما بينكم من الوصل)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، قال ابن عباس: (ذهب عنكم ما كنتم تكذبون في الدنيا)[٢].

٩٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: بالنبات)[٣]، قال الكلبي: (الحب ما لم يكن له نوى كالبر والشعير، والنوى: ما لم يكن له حب مثل نوى التمر والخوخ وغيرهما، فلقهما الله بالنبت)[٤].

وقال الحسن[٥] وقتادة[٦] والسدي[٧] وابن زيد[٨]: (فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة).

وقال أبو إسحاق: (أي: يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢١٤، والطبري ٧/ ٢٧٩، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٠.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٥، بدون نسبة. وانظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٤٤.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٩٠.

(٥) ذكره هود في «تفسيره» ١/ ٥٤٦، والماوردي ٢/ ١٤٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٩٠، وذكره شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٧/ ٥٠٤ عن الحسن أنه قال: (الفلق: كل ما انفلق عن شيء، كالصبح والحب والنوى) ا.هـ.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢١٤، والطبري ٧/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦١.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٠ بسند جيد.

منهما ورقًا أخضر)[١]، وقال مجاهد[٢] وأبو مالك: (يعني: الشقين اللذين فيهما)[٣]، وروي عن ابن عباس[٤] وهو قول الضحاك ومقاتل: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ (أي: خالقهما)، ذهبوا بفالق مذهب فاطر.

قال مقاتل: (يعني: خالق الحب البر والشعير والذرة والحبوب كلها، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ يعني: نوى كل ثمرة لها نوى الخوخ والتين والنبق والمشمش والغبيراء[٥] والإجاص[٦] وما كان من الثمار لها نوى)[٧].

قال الليث[٨]: (النَّوى: نَوَى التمر وأشباهه من كُلٍّ[٩]، والواحدة نواة، ونَوَّت البسرة وأَنْوَت: إذا انعقدت نواتها).

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٢١٩-٢٢٠، وأخرجه الطبري ٧/ ٢٨١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦١.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦١.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥١ بسند ضعيف عن ابن عباس والضحاك.

(٥) الغبيراء: بضم الغين، وفتح الباء، وسكون الياء، شجرة معروفة من الفواكه، سميت بذلك للون ورقها وثمرتها.
انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٠٧ (غبر).

(٦) الإجاص: بكسر الهمزة، وفتح الجيم المشدودة، فاكهة معروفة. انظر: «اللسان» ١/ ٣٢، مادة (أجص).

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٧٩، وانظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٩٠.

(٨) النص في «العين» ٨/ ٣٩٤، ونقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٨٣ عن الليث قوله: (نَوَّت البُسرة وأَنْوَت إذا عقدت نواتها) ا.هـ. وانظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٩٠ مادة (نوى).

(٩) كذا في النسخ (من كُلٍّ) ولعله من أكلٍ.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال ابن عباس: (يخرج من النطفة بشرًا حيًّا ثم يخرج النطفة الميتة من الحي)[(١)]، وهو قول الكلبي ومقاتل[(٢)]، قال الكلبي: (يخرج النسمة والفروجة[(٣)] والفرخ من النطفة والبيضة، ثم يخرج النطفة والبيضة من الحي)[(٤)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: (يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والعاصي من الطائع)[(٥)]، وهو قول الحسن[(٦)]. وقال السدي: (يخرج النبات عن الحب)[(٧)]، وهذا اختيار أبي إسحاق قال: معنى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يخرج النبات: الغض الطري الخضِر من الحب اليابس، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [أي][(٨)]: ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي)[(٩)].

---

(١) ذكره النحاس في «إعرابه» ١/ ٥٦٦، وأخرج الطبري ٧/ ٢٨٢ بسند جيد عنه قال: (يخرج النطفة الميتة من الحي ثم يخرج من النطفة بشرًا حيًا) ا.هـ. وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٢، بسند ضعيف عنه قال: (﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾، أي: يخرج النطفة بشرًا) ا.هـ قال: (وروي عنه أنه قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، أي: يخرج النطفة الميتة من الرجل الحي) ا.هـ.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٧٩-٥٨٠.

(٣) الفروجة، والفروج: بفتح الفاء، وقد تضم وهي لغة، وضم الراء المشددة: فرخ الدجاج، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٣٧٠ مادة (فرج).

(٤) في «تنوير المقباس» ٢/ ٤٤ - ٤٥ نحوه.

(٥) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٧٠ عن ابن عباس والحسن وعطاء، وذكره الرازي ١٣/ ٩٢ عن ابن عباس، وهو في «الوسيط» ١/ ٨٦، عن عطاء فقط.

(٦) أخرجه الطبري ٦/ ٣٠٦ - ٣٠٨ من طرق جيدة، وذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٢ عن الحسن وقتادة.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٢٨٢ بسند جيد. (٨) لفظ: (أي) ساقط من (ش).

(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣، والآية عامة والأقوال متقاربة، قال ابن كثير ٢/ ١٧٧: =

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ قال ابن عباس[(١)]: (يريد: الله وحده لا شريك له يفعل هذا فكيف [تكذبون]؟)[(٢)].

قال الزجاج: (احتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه؛ لأنهم أنكروا البعث، فأعلمهم أنه خلق هذه الأشياء، وأنه قادر على بعثهم، ثم قال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: فمن أين تصرفون عن الحق بعد هذا البيان)[(٣)].

٩٦- قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ الآية: الفَلْق: مصدر فَلَقْتُ أفْلِق فَلْقًا، ويقال: سمعت ذاك من فَلْق[(٤)] فيه، ذكره ابن السكيت[(٥)]، وأما ﴿ٱلْإِصْبَاحِ﴾ فقال الليث[(٦)]: (الصُّبْح والصَّباح هما أول النهار، وهو

= (يخبر تعالى أنه ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أي: يشقه في الثرى فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها، ولهذا فسره بقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ أي: يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت، وقوله ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ معطوف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾، وقد عبروا عن ذلك بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى وتشملها الآية) ا.هـ بتصرف، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٠٢، وابن عطية ٥/ ٢٩٤.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٦، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٥٣ بسند ضعيف قال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (أي: كيف تكذبون).

(٢) في (ش): (يكذبون)، بالياء.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٣.

(٤) من فَلْق: بفتح الفاء، وقد تكسر. انظر: «العين» ٥/ ١٦٤، و«الجمهرة» ٢/ ٩٦٥، و«الصحاح» ٤/ ١٥٤٤، و«المجمل» ٣/ ٧٠٥، و«المفردات» ص٦٤٥، و«اللسان» ٦/ ٣٤٦٢ مادة (فلق).

(٥) «إصلاح المنطق» ص١٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٢٩، وانظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ١/ ٨٥.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٦٩، وانظر: «العين» ٣/ ١٢٦، و«الجمهرة» ١/ ٢٧٩، =

الإصباح أيضًا، قال الله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ يعني: الصبح، وقال:

أَفْنَى رِيَاحًا وذَوِي رِيَاحِ تَنَاسُخُ الإِمْسَاءِ وَالإِصْبَاحِ[1]

يريد: المساء والصباح). الفراء مثله في الإصباح[2]، وقال الزجاج: (الإصباح والصبح واحد)[3]. وأما التفسير، فقال كثير من أهل التفسير في قوله ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: (شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده)[4]، ولا أدري كيف قالوا هذا؟ فإن الليل يشق عن عمود الصبح لا الصبح عن الليل[5].

= و«الصحاح» ١/ ٣٧٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٢٨، و«المجمل» ٢/ ٥٤٨، و«المفردات» ص٤٧٣ مادة (صبح).

(١) لم أعرف قائله. وهو في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٦٩، و«الكشاف» ٢/ ٣٧، والرازي ١٣/ ٩٨، و«اللسان» ٤/ ٢٣٨٨ مادة (صبح)، (البحر) ٤/ ١٨٥، و«الدر المصون» ٥/ ٥٩، والإمساء والإصباح بالكسر مصدر، وبالفتح جمع مُسى وصُبْح، وجاء عند الأزهري (رباحًا، ورباح) بالباء بدل الياء.

(٢) هذه عبارة الأزهري في «التهذيب» ٢/ ١٩٦٩، وقال الفراء في «معانيه» ١/ ٣٤٦: (والإصباح مصدر أصبحنا إصباحًا، والإصباح صُبح كل يوم بمجموع) ا.هـ. ونحوه ذكر الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٤.

(٤) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٢، والثعلبي في «الكشف» ١٨١ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٠، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٩٥، والبيضاوي ١/ ١٤٥.

(٥) قال الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٣٨: (فإن قلت: فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد فالق ظلمة الصبح، يعني: أنه على حذف مضاف. والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره ..) ا.هـ. ملخصًا. وانظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٩٨، و«الخازن» ٢/ ١٦٣.

[وأما][(١)] ابن عباس[(٢)] والمحققون[(٣)] قالوا: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: خالق الإصباح كل يوم جديد).

وقال الكلبي: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: خالق الصباح كل يوم)[(٤)].

وقال أبو إسحاق: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾: (جائز أن يكون خالق الإصباح، وجائز أن يكون معناه: شاق الإصباح، وهو راجع إلى معنى خالق)[(٥)]، وقال في سورة الفلق: (الفلق الخلق، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق)[(٦)]، وقد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وقال الليث: (الله تعالى فلق الصبح، أي: أبدأه وأوضحه)[(٧)]، فعلى

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (أ)، ولفظ: (قالوا) بعده الأولى أن يكون فقالوا.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤ بسند ضعيف عن العوفي عن ابن عباس قال: (خلق الليل والنهار) ا.هـ، وأخرج الطبري وابن أبي حاتم بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني: بالإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل) ا.هـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٣ بسند ضعيف عن الضحاك. وبه قال مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٨٠، والسمرقندي ١/ ٥٠٢، وانظر: «الفتاوى» ١٧/ ٥٠٥، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥٧: (فسر بعضهم فالق هنا بمعنى: خالق. قيل: ولا يعرف هذا لغة، وهذا لا يتلفت إليه؛ لأن هذا منقول عن ابن عباس والضحاك، أيضًا لا يقال ذلك على جهة التفسير للتقريب؛ لأن الفراء نقل في اللغة أن فطر وخلق وفلق بمعنى واحد) ا.هـ، وانظر: «البحر المحيط» ٤/ ١٨٤.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٥.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٤.

(٦) «معاني الزجاج» ٥/ ٣٧٩.

(٧) النص في «العين» ٥/ ١٦٤.

هذا المعنى ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾: مبديه وموضحه، وذلك أن معنى الفلق راجع إلى الإبداء والإيضاح؛ لأن الفلق يتضمن الإبداء[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ السكن: معناه في اللغة ما سكنت إليه، يريد: أن الناس يسكنون في الليل سكون الراحة، بأن جعل الله تعالى ذلك لهم سكنًا[(٢)]. قال ابن عباس: (يريد: أن كل ذي روح يسكن فيه)[(٣)]، وقال الكلبي: (يسكن فيه الخلق ويرجعوا إلى أوطانهم)[(٤)]، وهو مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ[(٥)] ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧].

واختلف القراء[(٦)] في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ فقرأ الأكثرون (جَاعِلُ) بالألف؛ لأن قبله اسم فاعل وهو [قوله][(٧)]: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ﴾ و﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ و(جاعل) هاهنا حسن ليكون المعطوف [مثل المعطوف][(٨)] عليه، ألا ترى أن حكم الاسم أنْ يعطف على اسم مثله، لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم، وقرأ أهل الكوفة ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلما كان فَاعِلٌ بمنزلة فَعَلَ في المعنى عطف عليه فعل؛ لموافقته له

---

(١) في (ش): (الابتداء)، وهو تحريف، وانظر: «المفردات» ص٦٤٥.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٨٣. (٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٧.

(٥) جاء في النسخ: (وهو الذي) بالواو، وهو خطأ واضح.

(٦) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (جَعَلَ الليلَ) بفتح العين واللام من غير ألف بينهما على أنه فعل ماض و(الليل)، بالنصب على أنه مفعول به. وقرأ الباقون (جاعِلُ الليلِ) بالألف وكسر العين ورفع اللام، و(الليلِ) بالخفض على الإضافة. انظر: «السبعة» ص٢٦٣، و«المبسوط» ص١٧٢، و«الغاية» ص٢٤٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٥، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

(٧) لفظ: (قوله) ساقط من (ش).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

في المعنى، ويدلك على أنه بمنزلة فَعَل أنه نزل منزلته فيما عُطِفَ عليه، وهو قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الأنعام:٩٦]، ألا ترى أنه لما كان المعنى فعل في (جاعل) حمل المعطوف على ذلك فنصب (الشَّمْسَ [والْقَمَرَ](١)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ قال ابن عباس: (يريد: بحساب)(٣) مثل ما قال في سورة يونس ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ [يونس: ٥]، وقال الكلبي: (منازلهما بحساب لا يُجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما)(٤).

وروى شيبان(٥) عن قتادة قال: ([يدوران](٦) في حساب)(٧)، وأما

---

(١) لفظ (القمر) مكرر في (أ).

(٢) ما تقدم قول الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٦١-٣٦٣، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٧٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٢، و«الكشف» ١/ ٤٤١.

(٣) ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦١، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ٤٥، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤، بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني: عدد الأيام والشهور والسنين) ا.هـ، وعلى هذا يراد بالحسبان: الحساب، وهو قول الجمهور، كما ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٩١.

(٤) ذكره السمرقندي ١/ ٥٠٣.

(٥) شَيْبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم أبو معاوية البصري، نزل الكوفة، إمام ثقة، محدث، نحوي مقرئ، أكثر عن قتادة والحسن وغيرهما، توفي سنة ١٦٤هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٣٥٥، و«تاريخ بغداد» ٩/ ٢٧١، و«إنباه الرواة» ٢/ ٧٢، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٤٠٦، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٨٤.

(٦) في (أ): (تدوران)، وهو تحريف.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٤، والطبري ٧/ ٢٨٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٤، بسند جيد من طريق معمر عن قتادة، ولم أقف عليه من طريق شيبان عن قتادة.

معنى الحساب فإن العروضي(١) والقرشي(٢) أخبراني عن الأزهري قال: أخبرني المنذري(٣) عن أحمد بن يحيى، أنه حكى عن الأخفش أنه قال: (معناه: بحسابٍ، فحذف الباء)(٤)، والكلام مختصر تقديره: وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب كقوله: ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] أي: من طين، وقال ثعلب: (﴿حُسْبَانًا﴾ مصدر كما تقول: حَسَبْتُه أَحْسبُه حُسْبانًا وحِسَابًا)(٥)، وأنشد أبو عبيد عن أبي زيد:

على الله حُسْباني إذا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ ... على طَمَعٍ أو خافَ شيئًا ضَمِيرُها(٦)

وجعله الأخفش(٧) جمع حِسَابٍ، وهو قول أبي الهيثم(٨) قال: (الحُسبان جمع حساب مثل: رِكَابٍ ورُكْبَانٍ، وشِهَابٍ وشُهْبَانٍ، وكذلك أحسبة مثل: شهاب وأشهبة)(٩).

---

(١) العروضي: أبو الفضل أحمد بن محمد الصفار، تقدمت ترجمته ترجمته.

(٢) القرشي: أبو عثمان سعيد بن العباس الهروي، تقدمت ترجمته.

(٣) المنذري: أبو الفضل محمد بن أبي جعفر الهروي، تقدمت ترجمته.

(٤) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨١١.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٠.
وانظر: «العين» ٣/ ١٤٨، و«الجمهرة» ١/ ٢٧٧، و«الصحاح» ١/ ١٠٩، و«المجمل» ١/ ٢٣٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٥٩، و«المفردات» ص٢٣٢ مادة (حسب).

(٦) لم أقف على قائله، وهو في «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٠، و«اللسان» ٢/ ٨٦٥ مادة (حسب)، و«الدر المصون» ٥/ ٦٤.

(٧) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٢.

(٨) أبو الهيثم: خالد بن يزيد الرازي، تقدمت ترجمته.

(٩) «تهذيب اللغة» ١/ ٨١١، وفيه قال: (الحسبان جمع حساب، وكذلك أَحْسِبَةٌ مثل شِهاب وأَشْهِبة) ا.هـ.

وهو قول أبي عبيدة(١) والمبرد(٢) ذكرا ذلك في قوله تعالى: ([الشَّمْسُ](٣) وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [الرحمن: ٥]، ومن جعل الحسبان مصدرًا جعله كالرجحان والنقصان(٤).

فأما نصب ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ فقال أبو إسحاق: (النصب على تأويل وجعل الشمس والقمر؛ لأنَّ في ﴿جَاعِلُ﴾ معنى جعل، وبه نصبت ﴿سَكَنًا﴾، كما تقول: هو معطي زيدٍ درهمًا، فنصب الدرهم محمول على تأويل أعطى)(٥)، ونحو هذا قال أبو علي(٦). وقال الفراء: (الليل في قوله (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ) في موضع نصب في المعنى فرُدَّ ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ على معناه لما فرّق بقوله ﴿سَكَنًا﴾، فإذا لم تفرق بينهما بشيء آثروا الخفض، وقد يجوز أن ينصب وإن لم يحل بينهما بشيء)(٧)، وأنشد:

بَيْنَا نَحْنُ نَنظُره أَتَانَا مُعَلِّقَ شِكْوة وزِنَادَ رَاعِ(٨)

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٠١، ٢/ ٢٤٢، وانظر: «أدب الكاتب» ص٦٧، و«الزاهر» ٢/ ٧٦.
(٢) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٦٤، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٥.
(٣) في (ش): (والشمس)، وهو تحريف.
(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٦٧، و«الدر المصون» ٥/ ٦٤.
(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٤.
(٦) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٦٣.
(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٦، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠١.
(٨) الشاهد لنُصَيْب الأسود، شاعر أموي في «ديوانه» ص١٠٤، ولرجل من قيس عيلان في «الكتاب» ١/ ١٧٠- ١٧١، وبلا نسبة في «المحتسب» ٢/ ٧٨، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٣، و«الصاحبي» ص٢١٢، و«أمالي ابن الحاجب» ٢/ ٧٤، و«رصف المباني» ص١٠٥، و«اللسان» ١/ ٤٠٥، (بين) وللبيت روايات مختلفة، والشكوة: وعاء لتبريد الماء. والزناد: ما تقدح به النار. والشاهد: نصب زناد حملًا على موضع شكوة. انظر: «شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٩٨، و«الخزانة» ٧/ ٧٤.

وقد شرح ابن الأنباري هذا فقال: (العرب قد تجرى اسمًا على الخفض ثم تعطف عليه منصوبًا، وكذلك يقدمون المنصوب ثم يعطفون عليه المخفوض في باب فاعل، فيقولون: هو ضارب عبد الله في الدار ومحمدًا، وهو ضارب عبد الله في الدار ومحمدٍ، إذا نصبوا بعد الخفض قدروا أن المعطوف عليه منصوب وأن الفاعل منوّن، وذلك أن قولنا: هو ضارب عبد الله يجري مجرى ضارب عبد الله، وإذا خفضوا بعد النصب قدّروا أن المنصوب مخفوض وأن الاسم المبني على فاعل لا تنوين فيه، وأنشد:

فَبَيْنَا نَحْنُ ننظره أَتَانَا ... مُعَلِّقَ شِكوة وزِنَادَ رَاعِ

فحمل على تأويل النصب أراد: معلقًا شكوةً، وقال امرئ القيس:

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ [مِنْ بَيْنِ][(١)] مُنْضِجٍ
صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ[(٢)]

فخفض القدير وهو نسق على الصفيف تقديرًا أن الصفيف مخفوض، كأنه قال: من بين منضج صفيف)[(٣)].

---

(١) في (ش): (ما بين)، وهي رواية للبيت.

(٢) الشاهد في «ديوانه» ص١٢٠، و«معاني الفراء» ١/ ٣٤٦، و«جمهرة اللغة» ٢/ ٩٢٩، و«الاشتقاق» ص٢٣٣، و«اللسان» ٤/ ٢٤٦٣، مادة (صفف)، والطهاة: الطباخون، وصفيف شواء: شرائح لحم مشوي، وقدير، أي: مطبوخ في قدْر، انظر: «شرح المعلقات» للنحاس ١/ ٤١.

(٣) انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٩٧ - ٩٨، وفي «معاني الفراء» ١/ ٣٤٦، و«الجمل» للزجاجي ص٨٤ - ٨٥، نحوه، وقال مكي في «المشكل» ١/ ٢٦٣: (﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ انتصبا عطفا على موضع (الليل) لأنه في موضع نصب وقيل: على تقدير وجعل. وأما على قراءة ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ﴾ فهو عطف على اللفظ والمعنى) اهـ. وانظر: «البيان» ١/ ٣٣٢، و«التبيان» ١/ ٣٤٩، و«الفريد» ٢/ ١٩٨، و«الدر المصون» ٥/ ٦١.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: الذي قدر الأقوات في كل زمان وما يصلح فيه)[١]، وقال المفسرون: (يعني: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: في ملكه يصنع ما أراد، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما قدر من خلقهما)[٢].

٩٨- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: آدم)[٣]، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال ابن الأنباري: (أي: أراد: فلكم مستقر ومستودع، وبهذا الإضمار يحسن اتصال هذا الكلام بما قبله وحسن الإضمار؛ لأن الفاء يغلب على ما بعدها الاتصال بما يسبقها، فحذف ما يحذف بعد الفاء؛ إنما هو لدلالة الذي قبلها عليه للمواصلة، كقول العرب: إن تزرني فمحسن، وإن قصدتني فبار، وهم يريدون: فأنت بار، فيحذفون لوضوح المعنى)[٤].

وأما تفسير: المستقر والمستودع، فقال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: مستقر في الأرحام ومستودع في الأصلاب)[٥]، وهذا التفسير على القراءتين[٦] في المستقر، وقال في رواية سعيد بن جبير: (المستقر ما في

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٠، والطبري ٧/ ٢٨٥، والسمرقندي ١/ ٥٠٣.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٦، وذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٥ عن أكثرهم.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٨ لفظ: (أي: فلكم مستقر ومستودع) فقط، والباقي لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه من رواية عطاء، وهو في «تفسير عطاء الخراساني» ص٨٨، من قوله، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩ بسند جيد عن عطاء فقط.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فَمُسْتَقِر) بكسر القاف وفتحها الباقون. انظر: «السبعة» ص٢٦٣، و«المبسوط» ص١٧٢، و«الغاية» ص٢٤٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٥، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

الرحم، والمستودع ما في الصلب)[١]، وهذا على قراءة من كسر القاف.

وقال كريب[٢]: (كتب حبر تيماء[٣] إلى ابن عباس يسأله عن هذه، فكتب إليه المستودع: الصلب، والمستقر: الرحم، ثم قرأ: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥])[٤]، وهذا التفسير على قراءة من فتح القاف، وقال في رواية العوفي: (كل مخلوق قد فرغ من خلقه فهو المستقر، والمستودع: ما في أصلاب الرجال الذي الله خالقه)[٥]، ونحو

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٧- ٢٨٨، من عدة طرق جيدة، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٦. وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وذكره ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٢٨٩، وقال: (أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عباس بإسناد صحيح) اهـ.

(٢) كريب بن أبي مسلم، أبو رشدين المدني، الهاشمي، مولى ابن عباس، تابعي، إمام ثقة، موصوف بالخير والديانة، لازم ابن عباس رضي الله عنهما، وكان عنده عنه حمل بعير من الكتب، توفي رحمه الله تعالى سنة ٩٨هـ.

انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٩٣، و«الجرح والتعديل» ٧/ ١٦٨، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٦٦، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٧٩، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٦٨.

(٣) تَيْماء: بالفتح والمد، بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٦٦.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٨، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف وفيه قال: (المستقر: الرحم، ثم قرأ: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]، وقرأ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ﴾ [البقرة: ٣٦]، قال: مستقرة فوق الأرض، ومستقرة في الرحم، ومستقرة تحت الأرض، حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار) اهـ.

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف عن العوفي عن ابن عباس قال: (المستقر في الأرحام، والمستودع في الصلب لم يُخلق وهو خالقه) ا.هـ.

هذا روى عكرمة عنه قال: (المستقر: الذي قد خُلق واستقر في الرحم، والمستودع: الذي قد استودع في الصلب مما لم يخلق بعد)(١). وقال الوالبي(٢) والضحاك عنه: (المستقر في الرحم، والمستودع ما استودع في أصلاب الرجال والدواب)(٣).

وقال سعيد بن جبير: (﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ في بطون الأمهات ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾: في أصلاب الآباء، قال: وقال لي ابن عباس: أتزوجتَ يا ابن جبير؟ قلت: لا، وما أريد ذلك يومي هذا. قال: فضرب ظهري، وقال: أما أنه مع ذاك ما كان من مستودع في ظهرك فسيخرج)(٤).

وأكثر أهل التفسير والمعاني: على أن المستقر والمستودع في الأصلاب والأرحام(٥) وقد أحسن أبو علي شرح الحرفين كل الإحسان،

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٥ عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) الوالبي هو: علي بن أبي طلحة. والأثر عنه أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٧ بسند جيد.

(٣) لم أقف عليه من رواية الضحاك، وقد أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٩ بسند ضعيف عن الضحاك من قوله. وقال ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٥٧ روى عن الضحاك عن ابن عباس قال: (المستودع: المكان الذي تموت فيه) اهـ.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٨٨- ٢٨٩، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٨٨ من عدة طرق جيدة.

(٥) قال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٦٨: (أكثر أهل التفسير يقولون: المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب)، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٤٧، ونحوه قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٠١، واليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤٠، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٥٧، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٧٨: (وهذا القول أظهر والله أعلم) ا.هـ. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٢٩٨، والقرطبي ٧/ ٤٦.

مع ذكر اختلاف القراءتين في المستقر فقال: (قال سيبويه: "قالوا: قرَّ في مكانه واستقر"[١]، فمن كسر القاف كان المستقر بمعنى: القارّ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون خبره المضمر منكم، أي: منكم مستقر، كقولك: بعضكم مستقر، أي: مستقر في الأرحام، ومن فتح القاف فليس على أنه مفعول به، ألا ترى أن استقر لا يتعدى، وإذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعولٍ به، وإذا لم يكن مفعولًا به كان اسم مكان، فالمستقر بمنزلة المقرّ، كما كان المستقِر بمنزلة القارّ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون خبره المضمر منكم، كما جاز ذلك في قول من كسر القاف، فإذا لم يجز ذلك جعلت الخبر المضمر لكم، فيكون التقدير: لكم مَقَرٌّ.

فأما المستودع فإن استودع فعلٌ يتعدى إلى مفعولين، [تقول][٢]: استودعت زيدًا ألفًا، وأودعت مثله، فاستودع مثل أَوْدَع، كما أن استجاب بمنزلة أجاب، فالمستودع يجوز أن يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان، ويجوز أن يكون المكان نفسه، فمن قرأ (فَمُستقَر) بفتح القاف جعل المستودع مكانًا ليكون مثل المعطوف عليه، أي: فلكم مكان استقرار، ومكان استيداع، ومن قرأ (فمستقِر) فالمعنى: منكم مستقر في الأرحام، ومنكم مستودع في الأصلاب، فالمستودع اسم المفعول به ليكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان)[٣].

(١) «الكتاب» ٤/ ٧٠.

(٢) في (ش): (يقول)، بالياء.

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٦٤-٣٦٥، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٤، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٦٨، و«معاني القراءات» ١/ ٣٧٣، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٢، و«الكشف» ١/ ٤٤٢.

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال ابن عباس: (يريد: المطر الذي ينزل، ليس من نقطة إلا ومعها ملك)(١).

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يعني: بالمطر ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ذكر الفراء فيه قولين: (أحدهما يقول: رزق كل شيء، يريد: ما ينبت مما يصلح غذاء لكل شيء، قال: وكذا جاء التفسير، وهو وجه الكلام، قال: وقد يجوز في العربية أن [تضيف](٢) النبات إلى ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ وأنت تريد بكل شيء النبات أيضًا، فيكون مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ [حَقُّ](٣) اليَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] واليقين هو الحق)(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ قال أبو إسحاق: (معنى خَضِر كمعنى أَخْضَر، يقال: اخْضَرَّ فهو أخضَرُ وخَضِرٌ، مثل اعْوَرَّ فهو أَعْوَرُ وعَوِرٌ)(٥)، وقال غيره: ومثله نَمِرَ بمعنى: أنمر، تقول العرب: أَرِنيهَا نَمِرَةً أُرِكَهَا مَطِرَةً)(٦).

---

(١) ذكره الرازي ١٣/ ١٠٧ عن الواحدي.

(٢) في (ش): (يضيف).

(٣) في (ش): (الحق)، وهو تحريف واضح.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٧، وعلى القول الأول يكون النبات مخصوصًا بالمتغذى به، وعليه تكون الإضافة إضافة بين متباينين إذ يصير المعنى: غذاء كل شيء أو رزقه، وعلى القول الثاني: يكون النبات عامًّا في كل ما يتغذى بالماء من الحيوان والنبات، وعليه تكون الإضافة راجعة في المعنى إلى إضافة شبه الصفة لموصوفها، والمعنى: أخرجنا به كل شيء منبت؛ لأن النبات بمعنى المُنبت أفاد ذلك السمين في «الدر» ٥/ ٦٧-٦٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٥٦٨.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٥، وانظر: «غريب اليزيدي» ص١٤٠.

(٦) هذا مثل قائله أبو ذؤيب الهذلي كما في «اللسان» ٨/ ٤٥٤٥ مادة (نمر)، وهو بلا نسبة في «العين» ٨/ ٢٧١، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٣، و«الجمهرة»

وقال الليث: (الخضر في كتاب الله هو الزرع، وفي الكلام كل نبات من الخُضَر)[١]، قال ابن عباس: (يريد: القمح والسلت[٢] والشعير والذرة والأرز)[٣]، ويعني بهذا: ما كان رطبًا أخضر مما ينبت من هذه الحبوب.

وقوله تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يعني: من الخضر، نخرج ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال أبو عبيد: (أَطْلَعَت النخلة إذا أخرجت طَلْعَها، وطَلْعُها كُفُرَّاها[٥] قبل أن ينشق عن الإغَريض[٦]، والإغريض يسمى طَلْعًا أيضًا، قال: والطلع أول ما يرى من

= ٢/ ٨٠٢، والطبري ٧/ ٢٩٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٦٨، و«الصحاح» ٢/ ٦٤٧ مادة (خضر)، ونمرة: بفتح النون، وكسر الميم: السحابة التي فيها سواد وبياض، وهو مثل يضرب في صحة مخيلة للشيء وصحة الدلالة عليه، وإذا رأيت دليل الشيء علمت مما يتبعه. انظر: «جمهرة الأمثال» ١/ ٤٩، و«مجمع الأمثال» ١/ ٣٠٦، و«المستقصى» ١/ ١٤٤.

(١) النص في «العين» ٤/ ١٧٥ مادة (خضر)، وفي «التهذيب» ١/ ١٠٤٤ مادة (خضر)، وقال الليث: الخضِرُ في هذا الموضع الزرع الأَخْضَرُ) ا.هـ. انظر: «مقاييس اللغة» ٢/ ١٩٥، و«المفردات» ص٢٨٥، و«اللسان» ٢/ ١١١٢ مادة (خضر).

(٢) السُّلْت: بالضم، ضرب من الشعير أبيض لا قشر له. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٥٩ مادة (سلت).

(٣) قوله: (الأرز) غير واضح في (أ)، والأثر ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٠٨، والقرطبي ٧/ ٤٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٢، والسمرقندي ٣/ ٥٠٣.

(٥) كُفُرَّاها: بضم الكاف، وتشديد الراء المفتوحة، وفتح الفاء أو ضمها: وعاء الطلع، وقشره الأعلى. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩٠١ مادة (كفر).

(٦) الإغريض بكسر الهمزة وسكون الغين: كل أبيض مثل اللبن، والطلع حين ينشق عنه كافوره. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٤٢ مادة (غرض).

عذق النخلة، الواحدة طلعة)[١]، قال أبو زيد: (أَطْلَعَ النَّخْلُ الطَّلْعَ إطْلاعًا، وطَلَعَ الطَّلْع يَطْلعُ طُلوعًا)[٢].

و﴿قِنْوَانٌ﴾، قال الزجاج: (جمع قِنْو، مثل صِنْوٍ وصِنْوَانٍ، وإذا ثنيت القِنْو قلت: قِنْوانِ، بكسر النون)[٣].

قال أبو عبيدة: (ثم جاء جمعه على لفظ الاثنين مثل صنو وصنوان، والإعراب في النون للجمع، وليس لهما في كلام العرب نظير)[٤]، قال امرؤ القيس[٥]:

فَـأَثَّـتْ أَعَـالِـيـه وآدت أُصُـولُـهُ وَمَـالَ بِقِنْـوانٍ مِنَ الـبُسْـرِ أَحْـمَـرَا

---

(١) النص عن أبي عبيد في «الدر المصون» ٥/ ٧٤، ونقله الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٠٨، عن الواحدي عن أبي عبيدة، والنص عند الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٨، عن أبي زيد، وقوله: (والطلع أول ما يرى) في التهذيب من قول المفضل الضبي.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٦، وانظر: «العين» ٢/ ١٢، و«الجمهرة» ٢/ ٩١٥، و«الصحاح» ٣/ ١٢٥٤، و«المجمل» ٢/ ٥٨٥، و«اللسان» ٥/ ٢٦٩١ مادة (طلع).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٥، وفيه: (والقنو: العذق، بكسر العين) ا.هـ، ونحوه ذكر الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٣، قال: (وواحد القِنْوان قِنو، وكذلك الصنوان واحدها صِنو) ا.هـ، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦٣: (القنوان: العذُوق عند أكثر أهل اللغة).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٢، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٨.

(٥) «ديوانه» ص٦٠، والطبري ٧/ ٢٩٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٥١ مادة (قنا)، والماوردي ٢/ ١٤٩، وابن الجوزي ٣/ ٩٣، و«اللسان» ٦/ ٣٧٦٢ مادة (قنا)، و«البحر» ٣/ ٤٤٣، و«الدر المصون» ٥/ ٧٢، وفي الديوان:

سَـوامـقَ جَـبَّـار أثـيـث فـرُوعُـهُ وعـالـين قِنْوانًا مِنَ البُسْرِ أحْمَرا

والسوامق: العاليات، والجبار: الذي فات الأيدي فلم تنله، والأثيث: الكثير الملتف بعضه على بعض، وآدت، أي: تثنت ومالت.

قال أبو علي: الكسرة التي في (قنوان) ليست التي كانت في قنو، لأن تلك قد حذفت في التكسير، وعاقبتها الكسرة التي [يجلبها التكسير، وكذلك التي[1]] في هجان[2]، وأنت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد، ولكنه مثل الكسرة في ظراف[3] إذا جمعت عليه ظريفًا)[4]، وقد ذكرنا مثل هذا في الفُلك في سورة البقرة [: ١٦٤]، ونظير هذا مما يوضحه الضمة التي في آخر مَنْصُور على قول من قال: يا جارُ[5] ليست التي كانت فيه في قول من قال: يا جارِ[6]، قال ابن عباس: (يريد: العراجين[7] التي قد تدلت من الطلع، ﴿دَانِيَةٌ﴾ يريد: تدنو ممن يجتنيها)[8]، وروي عنه أيضًا أنه قال: (يعني: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض)[9].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) الهجان: بكسر الهاء من الإبل البيض الكرام الخالصة اللون. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٦٢٦ مادة (هجن).

(٣) في (ش): (في طراف إذا جمعت عليه طريفًا) بالطاء المهملة، ولعله تصحيف.

(٤) انظر: «كتاب الشعر» لأبي علي ١/ ١٢٠، و«الدر المصون» ٥/ ٧٢.

(٥) يعني: بالضمة، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ٧٢، حين نقل قول الواحدي.

(٦) يعني: بالكسرة. ويعني: أننا حين نرخم منصورًا بقولنا: منصُ، فإن الضمة فيه على لغتي الترخيم من ينتظر ومن لا ينتظر، تختلف الواحدة منهما عن الأخرى في الفرض والتقدير، أفاده الدكتور أحمد الخراط في «حاشية الدر المصون».

(٧) العرجون: بضم العين، وسكون الراء، العِذق عامة، وقيل: هو العذق إذا يبس واعوج. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٧١ مادة (عرجن).

(٨) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٠٨، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٤ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (دَانِيَةٌ: تهدل العذوق من الطلع) اهـ.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ١٩٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٨، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٧.

قال أبو إسحاق: (﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة المتناول، قال: ولم يقل: ومنها قنوان بعيدة؛ لأن في الكلام دليلًا أن البعيدة السحيقة قد كانت غير سحيقة، فاجتزأ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ولم يقل: وسرابيل تقيكم البرد؛ لأن في الكلام دليلًا على أنها تقي البرد، لأن ما ستر من الحر ستر من البرد)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ الوجه: كسر[٢] التاء؛ لأنها في موضع نصب نسقًا على قوله (خَضِرًا) أي: فأخرجنا خَضِرًا ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ وروى الأعشى[٣] عن أبي بكر[٤] [(وجنات) رفعًا[٥] قال أبو بكر[٦]] بن الأنباري: (وله مذهبان أحدهما: أن يكون الجنات مفعولة في

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٥، ونحوه ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٢.

(٢) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٣، و«الزجاج» ٢/ ٢٧٦.

(٣) الأعشى: يعقوب بن محمد بن خليفة التميمي، أبو يوسف الكوفي، إمام عابد، مقرئ، تصدر للإقراء بالكوفة، فقرأ عليه خلق كثير، وهو من جلة أصحاب ابن عياش، توفي نحو ٢٠٠هـ. انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٩، و«غاية النهاية» ٢/ ٣٩٠.

(٤) أبو بكر: هو شعبة بن عياش الأسدي، تقدمت ترجمته.

(٥) قرأ عامة القراء (وجناتٍ) بكسر التاء وموضعها نصب. وروى يعقوب الأعشى وعبد الحميد البرجمي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود (وجناتٌ) بالرفع. قال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٦٩، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ٤٩: (وهو الصحيح من قراءة عاصم) ا.هـ، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٤، و«مختصر الشواذ» ص٣٩، و«المبسوط» ص١٧٢، و«الغاية» ص٢٤٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٥، و«الإتحاف» ٢/ ٢٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

المعنى رفعت بمضمر بعدها، تأويله ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أخرجناها، فجرى مجرى قول العرب: أكرمت عبد الله وأخوه، يريدون: وأخوه أكرمته أيضًا، ومثله [قول][1]: أكلت طعامك وطعام أخيك، قال الفرزدق:

غَداةَ أحلَّتْ لابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ ... حُصَيْنٍ عَبيطَاتِ السَّدَائِفِ والخَمْرُ[2]

فرفع الخَمر، وهي مفعولة، على معنى: والخمر أحلتها الطعنة، والمذهب الآخر: رفع الجنات بالنسق على القنوان؛ تغليبًا لمعنى الجوار، كما قال الشاعر:

وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا[3]

فنسق العيون على الحواجب تغليبًا للمجاورة، والعيون لا تزجج، كما أن الجنات من الأعناب لا [يكنّ][4] من الطلع)[5].

---

(١) لفظ: (قول) ساقط من (ش).

(٢) «ديوانه» ١/ ٣٥٤، و«الكامل» ١/ ٣٧٠، و«الإنصاف» ١٦٠، و«الدر المصون» ٥/ ٧٦، وعبيطات: جمع عبيطة بفتح العين، وهي السمينة الفتية، والسدائف جمع سديف وهو السنام.

(٣) الشاهد للراعي النميري، شاعر أموي فحل في «ديوانه» ص١٥٠، و«تأويل مشكل القرآن» ص٢١٣، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص١٤٨، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٢، و«الإنصاف» ٤٨٨، و«اللسان» ٣/ ١٨١٢ مادة (زجج)، و«الدر المصون» ٥/ ٧٧، وصدره:

إِذَا مـا الـغَـانِـيـاتُ بَـرَزْنَ يَـوْمًـا

وفي «الديوان»: (وهزة نشوة من حي صدق) وزججن: أي: رققن. انظر: «الزاهر» ١/ ٥٢.

(٤) في (ش): (لا تكن)، بالتاء.

(٥) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٧٦-٧٧، عن ابن الأنباري، وذكر الواحدي بعضه في «الوسيط» ١/ ٩٠، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٧، و«معاني القراءات» =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ قال الفراء: (يريد: شجر الزيتون، وشجر الرمان، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد: أهلها)[١].

وقوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾، قال قتادة: (مشتبهًا ورقها مختلفًا ثمرها)[٢]، وهو قول مقاتل[٣] وأكثر المفسرين[٤]، وقال الزجاج: (أي: شجره، يشبه بعضه بعضًا ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطعم)[٥].

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ قال عبد العزيز بن يحيى: (نظر الاستدلال والعبرة)[٦]، وقال أبو روق: (اعتبروا واتعظوا)[٧]، ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾، قال الفراء: (يقول: انظروا إليه أول ما يعقد)[٨]، والثمر: جمع ثمرة مثل: بقرة وبقر وشجرة وشجر وجزرة وجزر، وقد كسروها على فِعال، كما قالوا: أكمة وأكام ورقبة ورقاب[٩].

= ١/ ٣٧٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٤، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٦٤.

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٤.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٥٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٧.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨١.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٣، والماوردي ٢/ ١٤٩، وابن عطية ٥/ ٣٠١، وابن الجوزي ٣/ ٩٤، والقرطبي ٧/ ٤٩.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٦، وفيه: (أي: في الطعم وفيه ما يشبه طعم بعضه طعم بعض) اهـ، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٦٤.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩١ بدون نسبة، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٦/ ١١٩، والقرطبي ٧/ ٤٩.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨.

(٩) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٨٣، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٦٦.

وقرأ حمزة والكسائي (ثُمُرِه) بضم الثاء[١] والميم، وله وجهان: الأبين أن يكون جمع ثمرة على ثُمُر، كما قالوا: خشبة وخُشُب؛ قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] وكذلك أكمة وأكم، ثم يخففون [فيقولون][٢]: أكم[٣] قال:

ترى الأكم منه[٤] سجدًا للحوافر[٥]

ونظيره من المعتل ساحَة وسُوْح[٦] وقارَة وقور، ولابة[٧] ولُوب، وناقة ونُوق. والوجه الآخر: أن يكون جمع ثمرة على ثمار، ثم جمع ثمارًا على ثُمرٍ، فيكون ثُمر جمع الجمع[٨].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي (ثُمُرِه) بضم الثاء والميم، وقرأ الباقون: بفتحهما. انظر: «السبعة» ص٢٦٢، و«المبسوط» ص١٧٢، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٦، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦٠.

(٢) في (أ): (فيقول)، وهو تحريف.

(٣) في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٦٧-٣٦٩: (وكذلك أكمة وأكُم، وتخفيف العين كما قالوا: الأكْم في جمع أَكَمَةٍ) ا.هـ.

(٤) في (ش): (فيه).

(٥) الشاهد لزيد الخيل الطائي شاعر مخضرم فحل في «المعاني الكبير» ٢/ ٨٩٠، و«الكامل للمبرد» ٢/ ٢٠١، وبلا نسبة في: «تأويل مشكل القرآن» ٤١٧، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٢٩٥، و«كتاب الشعر» ١/ ١٨٣، و«الصحاح» ٢/ ٤٨٣ مادة (سجد)، و«الصاحبي» ص٤٥٣، و«اللسان» ٤/ ١٩٤١ مادة (سجد)، وصدره:

بجَيْشٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَرَاتِهِ

(٦) في النسخ: (ساجة - وسوج) بالجيم، ولعله تصحيف.

(٧) اللَّابة: الحرة والأرض التي كسيت بحجارة سوداء. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٩٢ مادة (لوب).

(٨) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٦٦-٣٦٩ (بتصرف). وانظر: «معاني =

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ الينع: النضج[١]. قال أبو عبيدة: (يقال: يَنَع يَيْنَع بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل)[٢]، وأنشد:

حَـوْلَـهَـا الـزَّيْـتُـونُ قَـدْ يَـنَـعَـا[٣]

= القراءات» ١/ ٣٧٥، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٦، ولابن زنجلة ص٢٦٤، و«الكشف» ١/ ٤٤٣.

وقراءة الجماعة بالفتح الثمر اسم جنس مفرده ثمرة، أما قراءة الضم، فالجمهور على أنه جمع ثمرة.

انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٤- ٢٩٥، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٧٠، و«الدر المصون» ٥/ ٨٠.

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٦٤، و«الصحاح» ٣/ ١٣١٠، و«مجمل اللغة» ٤/ ٩٤٣، و«المفردات» ص٨٩٤ مادة (ينع). قال الجوهري: (يَنَع الثمر يَيْنَع ويَيْنِعُ يَنْعا ويُنْعا ويُنُوعًا، أي: نضج؛ وأَيْنَع مثله).

(٢) نقله بهذا اللفظ الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١١١ عن الواحدي عن أبي عبيدة.

وذكره السمين في «الدر» ٥/ ٨٢ عن أبي عبيد، وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٢ نحوه، لكنه ضبط بالمطبوعة بالفتح. قال: (ينعه مصدر من يَنَع إذا أينع .. واحده يانع، والجمع يَنْع، ويقال: يَنَع يَيْنَع ينوعًا، فمنه اليانع، ويقال: ينعت وأينعت لغتان) ا.هـ. ملخصًا.

(٣) الشاهد مختلف في نسبته، وهو للأحوص الأنصاري شاعر أموي، في «ديوانه» ص٩١، وليزيد بن معاوية في «الجمهرة» ٢/ ٩٥٦، ونقل المبرد في «الكامل» ١/ ٣٨٤ عن الأخفش أنه قال: (الصحيح أنه ليزيد) اهـ.

ونسب في «اللسان» ٣/ ١٣٧٥ مادة (دسكر) إلى الأخطل، وفي ٨/ ٤٩٧١ مادة (ينع) إلى عبد الرحمن بن حسان، ونسب في «التاج» ١١/ ٥٥٨، إلى أبي دهبل الجمحي، وهو بلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٢، و«معاني الزجاج) ٢/ ٢٧٧، و«تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٨ مادة (ينع)، و«زاد المسير» ٣/ ٩٥، و«الدر المصون» ٥/ ٨٢، وصدره: (فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ) والدسكرة: القرية، والبناء الضخم.

وقال الليث: (ينعت الثمرة، بالكسر، وأينعت، فهي [تينع][١] وتونع إيناعًا، ويَنعًا بفتح الياء، ويُنعًا [بضهما][٢]، والنعت يانِع وموِنع)[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يريد: يصدّقون أن الذي أخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم.

قال أبو إسحاق[٤]: (احتج الله ﷻ بتصريف ما خلق، ونقله من حالٍ إلى حالٍ بما يعلمون أنه لا يقدر عليه [المخلوقون][٥]، وأعلم أنه كذلك يبعثهم؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث فقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، أعلمهم أن فيما قصّ عليهم دليلًا [لمن صدّق])[٦].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ قال الحسن: (معناه: أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان)[٧]، وهو اختيار الزجاج قال: (المعنى: أنهم أطاعوا الجن فيما سوّلت من شركهم فجعلوهم شركاء لله)[٨].

---

(١) (تينع) غير واضحة في (أ) وكأنها (تيينع أو يينع).

(٢) في (أ): (بضمه).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١١١ عن الواحدي عن الليث، وفي «الدر المصون» ٥/ ٨٢: (قال الليث بكسرها في الماضي وفتحها في المستقبل) ا.هـ.
وفي «العين» ٢/ ٢٥٧: (يَنَعت الثمرة يُنعا ويَنَعا، وأيْنَع إيناعًا، والنعت: يانِع ومُونِع) ا.هـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٧.

(٥) في (أ): (المخلوقين)، وهو تحريف.

(٦) في (ش): (لمن صدق قوله).

(٧) ذكره الماوردي ٢/ ١٥٠، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٩٦، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ٥٣.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٧، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٦٥.

وذكر الفراء[١] وأبو إسحاق[٢] في نصب (الجن) وجهين: (أحدهما: أن يكون الجن مفعولاً فيكون المعنى: وجعلوا لله الجن شركاء، ويكون الشركاء مفعولاً ثانياً. والثاني[٣]: أن يكون الجن بدلاً من الشركاء ومفسراً للشركاء)[٤].

وقوله تعالى: (وَخَلَقَهُمْ) يجوز أن تعود الكناية على هؤلاء الذين جعلوا لله شركاء، والمعنى: وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون، ويجوز أن تعود الكناية على الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله ﷻ، المحدث الذي لم يكن ثم كان[٥].

وقوله تعالى ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾، قال المفسرون[٦]: (يعني: كفار العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله). قال ابن عباس: يريد: افتعلوا له بنين وبنات)[٧].

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٧، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٣.

(٣) جاء في (ش): (والثاني أن يكون الجن بدلًا من الشركاء، ويكون الشركاء مفعولًا ثانيًا)، ثم ذكر الوجه الثاني على الوجه الصحيح، وهو تكرار وتداخل.

(٤) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٧٥٠، و«المشكل» ١/ ٢٦٤، و«الدر المصون» ٥/ ٨٣.

(٥) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٧٧، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٦٥.

(٦) قال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٠٣: (الذين خرقوا البنين اليهود في ذكر عزير والنصارى في ذكر المسيح، وأما ذاكروا البنات فالعرب الذين قالوا للملائكة بنات الله، فكأن الضمير في (جعلوا) (وخرقوا) لجميع الكفار، إذ فعل بعضهم هذا) ا.هـ، وانظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١١٦، و«الفتاوى» ١٧/ ٢٧١.

(٧) أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٠ بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني: أنهم تخرصوا)، وأخرجا عنه بسند ضعيف قال: (جعلوا له بنين وبنات بغير علم) ا.هـ، وذكر السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٨، أنه روي عن ابن عباس أنه قال: (وصفوا لله بنين وبنات افتراء عليه) ا.هـ.

وقال قتادة[١] وابن زيد[٢] ومجاهد[٣] وابن جريج[٤]: (كذبوا).

وقال الفراء: (معنى ﴿وَخَرَقُوا۟﴾: افتعلوا ذلك كذباً وكفراً، قال: [وخَرَقوا][٥] واخترقوا وخلقوا واختلقوا وافتروا واحد[٦]، يقال[٧]: خلق فلان الكلمة واختلقها واخترقها وخرّقها إذا افتعلها وابتدعها كذباً)، الليث: (تخرّق الكذب وتخلقه)[٨].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦١ بسند جيد، وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٢١٥، والطبري ٧/ ٢٩٧ بسند جيد عن قتادة، قال: (خرصوا) ا.هـ.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦١ بسند جيد.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٠.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٠ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٨.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٥١، والقرطبي ٧/ ٥٣، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ١٩٤.

(٥) لفظ (الواو)، ساقط من (أ).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠١٦، و«اللسان» ٢/ ١١٤٢ مادة (خرق)، ولفظ: (افتراء) - لم ترد عندهما. وذكرها الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١١٦، وفي «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨، (وقوله (وخرقوا) واخترقوا وخلقوا واختلقوا يريد افتروا) ا.هـ. وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٣، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤١، و«تفسير غريب القرآن» ص١٦٩، و«تفسير المشكل» لمكي ص٧٨.

(٧) هذا قول أبي الهيثم خالد بن يزيد الرازي كما في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠١٦، و«اللسان» ٢/ ١١٤٣ مادة (خرق).

(٨) «تفسير الرازي» ١٣/ ١١٦، وفي «العين» ٤/ ١٥٠ مادة (خرق): (والاختراق كالاختلاق وتخرق الكذب كتخلقه) اهـ.

وقال الزجاج: (معنى خرقوا واختلقوا: كذبوا)[(١)]، وقرأ[(٢)] نافع: (وَخَرَّقُوا)[(٣)] مشددة، والاختيار التخفيف؛ لأنها أكثر، والتشديد للمبالغة والتكثير[(٤)]. وزعمت النصارى أن المسيح ابن الله، واليهود أن عزيزاً ابن الله، فأعلم الله ﷻ أنهم اختلقوا ذلك ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: لم يذكروه عن علم، إنما ذكروه تكذباً، قاله[(٥)] الزجاج، وقال غيره: معناه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منهم أن هذا لا يجوز على القديم جل وعز، فهو داخل في الذم لهم[(٦)].

١٠١- قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ أي: من أين يكون له ولد ولا يكون الولد إلا من صاحبه

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٨، وفيه: (معنى خرقوا: اختلقوا وكذبوا) ا.هـ. وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦٦ (قال أهل اللغة: معنى (خرقوا) اختلقوا وافتعلوا) ا.هـ، وانظر: «الجمهرة» ١/ ٥٩٠، و«الصحاح» ٤/ ١٤٦٦، و«المجمل» ٢/ ٢٨٤، و«المفردات» ص٢٧٩ مادة (خرق).

(٢) قرأ نافع: (وخرَّقوا) بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» ص٢٦٤، و«المبسوط» ص١٧٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٦، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦١.

(٣) لفظ: (الواو)، ساقط من (ش).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٧٢، و«معاني القراءات» ١/ ٣٧٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٤، و«الكشف» ١/ ٤٤٣، ونقل قول الواحدي في اختيار قراءة التخفيف، الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١١٧.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٨.

(٦) قال الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٨: (تخرصوا لله كذبًا، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلًا بالله وبعظمته) ا.هـ. وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠٤، والماوردي ١/ ١٥١.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ احتج جل وعز في نفي الولد بأنه خالق كل شيء، وليس كمثله شيء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له، وإذا نسب إليه الولد فقد جعل له مثل[1]، فالآية متضمنة للحجة على استحالة أن يكون لله ولد؛ لأن ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا مثل له، والولد لا يصح إلا مع المماثلة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: (لأنه هو الخالق لخلقه)[2].

١٠٢- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ارتفع ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على أنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل: هو خالق كل شيء، لأنه لما تقدم ذكره استغنى عن هو[3].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ قال ابن عباس: (فأطيعوه)[4]، وقيل: وحدوه[5].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ قد ذكرنا معنى الوكيل[6] في صفة الله تعالى، وقال بعض أصحاب المعاني: (إنما جاز وصف القديم

---

(١) ما تقدم هو نص كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٧٨، ونحوه ذكره الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٨، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦٦.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٣ بدون نسبة.

(٣) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٤٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٧١، و«الكشاف» ٢/ ٤١، و«التبيان» ١/ ٣٥٢، و«الفريد» ٢/ ٢٠٦، و«الدر المصون» ٥/ ٩١.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٣ بدون نسبة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٦٢ عن ابن عباس، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٨٢، وقال السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٠٥: (يعني: وحدوه وأطيعوه) اهـ.

(٦) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٢٠٦/أ، و٢١٥ أ، ٢١٨ أ، و٢١٩ أ.

بأنه وكيل فيما هو مالك، لأنه لما كانت منافع مملوكاته لغيره وجلّ عن أن تلحقه المنافع والمضار صحت هذه الصفة في هذه الجهة من حيث إن له أن يصرف ما هو مالك له، ثم التصريف فيما يدبره بمنزلة ما يدبره الوكيل فيما تعود منافعه على غيره، فهو على كل شيء وكيل بالحفظ له والتدبير)[(١)].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ الآية. احتج نفاة الرؤية[(٢)] بهذه الآية على أهل السنة[(٣)] فقالوا: أخبر الله تعالى أن الأبصار لا تدركه، وإنما قال هذا على سبيل التمدح، وما نفى عن نفسه على سبيل التمدح به وجب أن يكون ذلك على التأييد كقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٣] و﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥][(٤)].

والجواب [عن][(٥)] هذا من وجوه:

أحدها: أن الإدراك غير الرؤية لأنه يصح أن يقال: رآه وما أدركه،

---

(١) لم أقف عليه بعد طول بحث في كتب المعاني والتفسير. وانظر: «المقصد الأسنى» للغزالي ص١١٤، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص٢٩٣، و«اللسان» ٨/ ٤٩٠٩ مادة (وكل).

(٢) نفاة الرؤية: هم الجهمية والمعتزلة والخوارج، وبعض المرجئة، قالوا: (لا يُرى الله تعالى في الدنيا ولا في الآخرة). انظر: «الفتاوى» لابن تيمية ٢/ ٣٣٦-٣٣٧، و«تفسير الخازن» ٢/ ١٦٦.

(٣) أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار عيانًا وأن أحدًا لا يراه في الدنيا بعينه، كما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ. انظر: «كتاب التوحيد» لابن خزيمة ١/ ٤٣٧، و«الشريعة» للآجري ص٢٣١، و«الفتاوى» لابن تيمية ٢/ ٣٣٦، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٨٠، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ١/ ٢٠٧.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٠٤.

(٥) في (ش): (على).

ويدل على هذا قوله تعالى إخباراً عن قوم موسى ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢] وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم، [و][١] الدليل على ذلك قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الشعراء: ٦١] أي: رأى أحدهما الآخر، وكان الله تعالى قد[٢] وعد موسى أنهم لا يدركونه بقوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] يريدون أنهم قد قربوا من إدراكهم إياهم، ألا ترى أن موسى نفى ذلك بقوله: (كلّا)، وهذا مذهب جماعة من المفسرين[٣] قالوا: [معنى][٤] الإدراك: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، فالأبصار ترى الباري ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] قال سعيد بن المسيب في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: (لا تحيط به الأبصار)[٥].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: (كلت[٦] أبصار المخلوقين عن

---

(١) لفظ: الواو ساقط من (أ).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٢٩٩ وما بعدها، والبغوي ٣/ ١٧٤.

(٣) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٧/ ١١١، في شرح الآية: (الإدراك عند السلف والأكثرين: هو الإحاطة، وقال طائفة: هو الرؤية، وهو ضعيف؛ لأن نفي الرؤية عنه لا مدح فيه ..) ا.هـ، وانظر: «الفتاوى» ١٦/ ٨٧-٨٩.

(٤) في (أ): (معنا).

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٣، والبغوي ٣/ ١٧٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٩٨.

(٦) كلت: يقال: كل بصره، بفتح الكاف، أي: ثقل. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩١٨ مادة (كلل).

الإحاطة به)[١]، وقال الزجاج: (معنى إدراك الشيء: الإحاطة بحقيقته، وقد ينظر الرجل إلى الشيء ولا يدركه)، ثم احتج على أن معنى الإدراك هاهنا الإحاطة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقال: (أعلم الله تعالى أنه يدرك الأبصار، وفي هذا الإعلام دليل أن خلقه لا يدركون الأبصار، أي: لا [يعرفون][٢] [كيف][٣] حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه، فأعلم جل وعز أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ولا يحيطون بعلمه، فكيف به جل وعز والأبصار لا تحيط به)[٤]، قال أصحابنا فعلى هذا نقول: الباري يُرى ولا يُدرك؛ لأن معنى الإدراك هو: الإحاطة بالرؤية بالمرئي، وإنما يجوز ذلك على من كان محدوداً وله جهات، والقديم[٥] الذي لا نهاية لوجوده يُرى ولكن لا يُدرك، وعلى هذا القول فقد قلنا بظاهر الآية.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٣، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٢ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٤ عن عطاء من قوله، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٢٩٩ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (لا يحيط بصر أحد بالملك) ا.هـ.

(٢) في (أ): (أي: لا يدركون).

(٣) في (ش): (كنه).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٨، وفيه: (فأما ما جاء من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع، وليس في هذه دليل على دفعه، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء والإحاطة بحقيقته، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث) ا.هـ. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٤٦-٤٦٧.

(٥) أسماء الله توقيفية، ولفظ القديم لا يرتضي السلف تسمية الله تعالى به؛ لعدم ورود النص به، لكن يصح الإخبار به عن الله تعالى، لأن باب الإخبار والصفات أوسع من باب الإنشاء والأسماء، والله أعلم. انظر: «منهاج السنة» ٢/ ١٢٣-١٣١. =

الوجه الثاني: تخصيص الآية، وهو قول جماعة من المفسرين أيضاً، قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (ينقطع عنه في الدنيا)(١)، وقال مقاتل: (لا تراه الأبصار في الدنيا، وهو يُرى في الآخرة)(٢)، وعلى هذا القول لا فرق بين الرؤية والإدراك، وهو مذهب شيخنا أبي الحسن(٣)، لأنه لا يفرق بينهما، ويقول: (معنى الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في الدنيا، قال: والدليل على أن هذه الآية مخصوصة بالدنيا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وهذه الآية مطلقة، وقوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: ٢٢] مقيد، والمطلق يحمل على المقيد، فلما كان قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يوجب نفي الرؤية، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] يوجب الرؤية، ولا يجوز التضاد، قلنا: الذي نفاه أراد به في الدنيا، والذي أثبته أراد به في الآخرة)(٤).

= و«الفتاوى» ١/ ٢٤٥-١٧/ ١٦٨، ٩/ ٣٠٠ «معجم المناهي اللفظية» لبكر بن عبد الله أبو زيد ص٤٣٦.

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٣، والبغوي ٣/ ١٧٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٩٨.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٤، وفي «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٢: (يقول: لا يراه الخلق في الدنيا) ا.هـ. وأخرج الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٤، هذا القول عن الحسن البصري.

(٣) أبو الحسن شيخ الواحدي، لم أستطع تحديده، وفي «مقدمة البسيط» ذكر من شيوخ الواحدي: علي بن محمد بن إبراهيم الضرير أبو الحسن النحوي، وعمران ابن موسى المغربي أبو الحسن، وعلي بن محمد الفارسي أبو الحسن.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٩٨-٩٩، وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٢/ ٣٣٥: (وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدًا من المؤمنين =

الوجه الثالث: ما قاله السدي وهو أنه قال: (البصر بصران، بصر معاينة، وبصر علم)[١]، وكذا هو في اللغة، قال الليث: (البَصَر: العين، والبَصَر: نفاذ في القلب. قال: فمعنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا يدركه علم العلماء، ونظيره ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠][٢]، وهذا وجه حسن، وأما قولهم: إن هذا على سبيل التمدح، قلنا: ليس كذلك؛ لأنه ليس في أنْ يستحيل أنْ يرى استحقاق مدح، ألا ترى أن كثيراً من الأشياء الناقصة يستحيل أن يرى كالكفر والجهل، ثم لا يجب[٣] لها بذلك صفة مدح، فليس بأن يستحيل أن يرى تمدح؟، وإنما معنى الآية: أنه منع الرائين من رؤيته في الدنيا ولا يقدر أحد على أن يمنعه من رؤيته له، فهذا وجه التمدح، وهو معنى الآية، وعلى هذا الوجه، قال ابن عباس في قوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قال: (يرى ولا يُرى، ولا يخفى عليه شيء ولا يفوته)[٤]. وإنما خص الأبصار بإدراكه إياها مع أنه يدرك كل شيء تحقيقاً

= لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين ..) ا.هـ، وانظر: «مرويات الإمام أحمد في التفسير» ٢/ ١٢١.

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٠، وفيه: (قال الليث: البَصَرُ: العَيْن، إلا أنه مذكر. والبَصَر: نفاذ في القلب). وانظر: «العين» ٧/ ١١٧، و«اللسان» ١/ ٢٩٠ مادة (بصر).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٢٥ وما بعدها، و«الفتاوى» لابن تيمية ١٦/ ٨٧-٨٨، ١٧/ ١١١.

(٤) لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤٩: (يرى ما لم ير الخلق ولا يخفى عليه شيء ولا يفوته) اهـ.

للمعنى الذي ذكرنا، لأن غير الباري لا يجوز أن يرى البصر، ولا يراه البصر، وقد يرى غير البصر، ولا يراه البصر، فلا يبعد ذلك[١] وذكرنا قول الزجاج في معنى ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ قال الأزهري: (اللطيف من أسماء الله ﷻ [ومعناه][٢] الرفيق بعباده)[٣]، وقال عمرو بن أبي[٤] عمرو، عن أبيه[٥]: (اللطيف الذي يوصل إليك أَرَبَك في رفق)[٦]، وقال أبو العباس[٧] عن ابن الأعرابي: ([يقال][٨]: لطف فلان لفلان يلطف: إذا رفق، لطفاً، ويقال: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب برفق)[٩]، وقال الليث: (اللَّطف: البِرُّ والكرامة، وأمٌّ لطيفةٌ بولدها، وفلان لَطيفٌ

---

(١) انظر: مسألة رؤية الله ﷻ في الآخرة في: «الإبانة» للأشعري ١٣/ ٢١، و«تفسير الماوردي» ٢/ ١٥٢، والقرطبي ٧/ ٥٤-٥٧، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٦٧.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٦٧. وانظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٤٤، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٣٨، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص٨٣، و«المقصد الأسنى» للغزالي ص٩٢، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص٢٤٦.

(٤) عمرو بن أبي عمرو: هو عمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني إمام لغوي ثقة، واسع الرواية، أخذ علم أبيه، سمع منه ثعلب وأبو إسحاق الحربي. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين ٢٣١هـ أو بعدها. انظر: «مقدمة تهذيب اللغة» ١/ ٣٥، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٦٠، و«معجم الأدباء» ٤/ ٤٧٣.

(٥) هو إسحاق بن مرار الشيباني أبو عمرو الكوفي، تقدمت ترجمته.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٦٧.

(٧) أبو العباس هو ثعلب أحمد بن يحيى، تقدمت ترجمته.

(٨) لفظ: (يقال) ساقط من (ش).

(٩) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٦٧، و«اللسان» ٧/ ٤٠٣٦ مادة (لطف).

بهذا الأمر أي: رفيق)[١]، قال ابن عباس: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم)[٢].

١٠٤- قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآية. البصائر: جمع البصيرة، وهي الدلالة التي توجب إبصار النفوس للشيء، ومنه يقال للدم الذي يستدل به[٣] على القتيل: بصيرة[٤]؛ قال ابن عباس: (يريد: رشداً أو بياناً، وهدىً من ربكم)[٥]، وقال الكلبي: (يعني: بينات القرآن)[٦]، وقال الزجاج: (أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر)[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ قال ابن عباس: (يريد: فمن اهتدى فلنفسه ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ يريد: عن سبيل الهدى، فعليها)[٨]، وقال الكلبي: (﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ صدّق بالقرآن، وآمن بمحمد ﷺ ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٦٨، وانظر: «العين» ٧/ ٤٢٩، و«الصحاح» ٤/ ١٤٢٧، وقد جاء في «العين» و«التهذيب»: (اللطف البر والتَّكرمة ..) بدل والكرامة.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٤، و«الخازن» ٢/ ١٦٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٥، والماوردي ٢/ ١٥٣.

(٣) لفظ: (به) ساقط من (أ).

(٤) انظر: «الجمهرة» ١/ ٣١٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٢، و«الصحاح» ٢/ ٥٩١، و«المجمل» ١/ ١٢٧، و«المفردات» ص١٢٧، و«اللسان» ١/ ٢٩١ مادة (بصر)، وفيها: (البصيرة جمع بصائر، وهي البرهان والدلالة والعبرة).

(٥) لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٤٩، قال: (بيان من ربكم يعني: القرآن)، وهو قول السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٠٥.

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٨٢/ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٥.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩.

(٨) لم أقف عليه.

﴿ومَنْ عَمِيَ﴾ عن الحق فلم يصدّق، فعلى نفسه جنى العذاب)[١]، وقال الزجاج: (المعنى: فلنفسه نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾، أي: فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله جل وعز غني عن خلقه)[٢].

وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: ما أدفع عنكم ما يريد الله بكم)[٣]، وقال الكلبي: (﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [أي: برقيب أحصي عليكم أعمالكم[٤]] أي: إنما أنا رسول أبلغكم عن ربي، وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم)[٥]، ونحو هذا قال الحسن: (أي: برقيب على آعمالكم حتى أجازيكم بها)[٦]، قال أبو إسحاق[٧]: (أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم، والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أُمر[٨] بالقتال صار حفيظاً عليهم، ومسيطراً على كل من تولى).

---

(١) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٩٢-٩٣، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠٥، و«الوسيط» ١/ ٩٥، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٧٥، و«تنوير المقباس» ٢/ ٤٩.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩، وانظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠٥، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٦٧.

(٣) لم أقف عليه، وذكر القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٥٨ نحوه بدون نسبة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) ذكره أهل التفسير بدون نسبة. انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠٥، والبغوي ٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ٥٨.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ١٩٧.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩.

(٨) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠٥، والظاهر أن المعنى: لست رقيبًا عليكم أحصي أعمالكم، فالآية محكمة. وهو قول مكي في «الإيضاح» ص٢٤٢، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٣٤، وقال ابن حزم في «ناسخه» ص٣٧، وهبة الله بن سلامة =

١٠٥- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾، قال الزجاج: (موضع الكاف التي في أول (كذلك) نصب، المعنى: ونصرف الآيات مثل ما صرفناها فيما تلي عليكم)(١)، وقال غيره من النحويين(٢): (المعنى: نصرف الآيات في غير هذه السورة مثل التصريف في هذه السورة، فهو في موضع صفة المصدر، كأنه قيل: تصريفاً مثل هذا التصريف)(٣)، وذكرنا معنى تصريف الآيات في هذه السورة قبل.

وقال ابن عباس في هذه الآية: ((﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ﴾(٤) نبيّن الآيات في القرآن في كل وجه ندعوهم بها ونخوّفهم)(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ قال أبو بكر(٦): (دخلت الواو في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ عطفاً على مضمر، التقدير: وكذلك نصرف الآيات لنلزمهم الحجة ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ فحذف المعطوف عليه لوضوح معناه)(٧).

= في «ناسخه» ص٦٨: (أن الآية تتضمن ترك قتال الكفار ثم نسخت بآية السيف)، وانظر: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٢٧-٣٢٨.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩.

(٢) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٧١، و«المشكل» ١/ ٢٦٤، و«التبيان» ١/ ٣٥٢، و«الفريد» ٢/ ٢٠٧.

(٣) قال السمين في «الدر» ٥/ ٩٣: (الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف، فقدره الزجاج: ونصرف الآيات مثل ما صرفناها فيما تلي عليكم. وقدره غيره: نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفًا مثل التصريف في هذه السورة) اهـ.

(٤) في (ش): (وكذلك نصر)، وهو تحريف واضح.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٠٠.

(٦) أبو بكر: هو ابن الأنباري محمد بن القاسم، تقدمت ترجمته.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٠٠، والسمين في «الدر» ٥/ ٩٥، وانظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٥٨.

وأما (درست)[١]. فقال أبو زيد: (درسْت أدرس دِراسة وهي القراءة، وقال: وإنما يقال ذلك إذا قرأت على غيرك)[٢]، وقال ابن الأعرابي: (درست الكتاب أدرسُه دَرْساً ودراسةً، أي: ذللته بكثرة القراءة)[٣]. قال الأصمعي: (أصل درس الكتاب من قولهم: درس الطعام إذا داسه يدرسه دِراساً، والدِّراس الدِّياس بلغة أهل الشام. قال وأنشدني ابن ميادة[٤]:

يكفيك من بعض ازدياد الآفاق سَمْرَاءَ مما دَرَسَ ابن مِخْرَاقْ[٥]

أي: داس: يعني حنطةً سمراء، قال: ودرس السورة من هذا، أي: يدرسها، فيخف على لسانه)[٦]، وقال أبو الهيثم: (درست الكتاب، أي: ذللته بكثرة القراءة حتى خَفّ حِفظه عليّ، من قولهم: دَرَسْتُ الثوبَ أدرُسه دَرْساً فهو مَدْرُوس وَدَرِيس، أي: أَخْلَقْتُه، ومنه قيل للثوب الخَلَق: دِريس؛ لأنه قد لان. وقال كعب بن زهير[٧]:

---

(١) انظر: «العين» ٧/ ٢٢٧، و«ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ص٢٦٦، و«المفردات» ص٣١١ مادة (درس).

(٢) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٣/ ٣٧٣.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ١١٧٣ بلفظ: (دَرَسْتُ الكتاب أدرُسه دِراسة) فقط.

(٤) في النسخ: ابن أبي ميادة، وهو تحريف، والصواب: ابن ميادة الشاعر المشهور الرماح بن أبرد الغطفاني. تقدمت ترجمته.

(٥) ديوانه ص٧٥، و«الحجة» لأبي على ٣/ ٣٧٣، و«الصحاح» ٣/ ٩٢٧، و«اللسان» ٣/ ١٣٦٠ درس، بلا نسبة في «الجمهرة» ٢/ ٦٢٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ١١٧٤، و«المجمل» ٢/ ٣٢٢، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٦٧ (درس).

(٦) ذكره الرازي ١٣/ ١٣٥، عن الواحدي عن الأصمعي، وفي «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٢٧، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٧٣، بعضه عن الأصمعي، وهو في «تهذيب اللغة» ٣/ ١١٧٤ بلا نسبة.

(٧) كعب بن زُهَيْر بن أبي سلمى المزني أبو المضراب، تقدمت ترجمته.

وفي الحِلْم إدْهان وفي العَفْو دُرْسة
وفي الصِّدق مَنْجاةُ من الشرّ فاصدُق[(١)]

قال: الدُّرْسةُ: الرياضة، ومنه درست السورة حتى حفظتها)[(٢)]، وهذا القول قريب مما قاله الأصمعي بل هو نفسه، لأن المعنى فيهما يعود إلى التذليل والتليين[(٣)].

قال ابن عباس: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ (يعني: أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن ﴿دَرَسْتَ﴾ يقولون: تعلمت من يسار[(٤)] [أبي فكيهة][(٥)] وجبر[(٦)] مولى قريش، وقرأت علينا تزعم أنه من عند الله)[(٧)]، وفي قول ابن عباس تعلّمت

---

(١) «ديوانه» ص٢٥٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧٤، و«اللسان» ٣/ ١٣٦٠ مادة (درس)، وفي الديوان: (وفي العفو دربة) بدل (درسة)، وعليه فلا شاهد فيه.
(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧٤.
(٣) نقله الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٣٥ عن الواحدي.
(٤) يسار أبو فكيهة مولى صفوان بن أمية، عبد نصراني عالم بالكتب المتقدمة أسلم بمكة وزعمت قريش أن النبي ﷺ يتعلم منه.
انظر: «السيرة» لابن هشام ١/ ٤٢٠، و«تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ١/ ١١٦، ٢٦٨، و«الإصابة» ٤/ ١٥٦.
(٥) في النسخ: (يسار بن فكيهة) ثم صحح في (أ) إلى (أبي)، وهو الصواب.
(٦) جبر مولى بني عبد الدار نصراني أو يهودي قرأ الكتب المتقدمة، وأسلم بمكة وزعمت قريش أن النبي ﷺ يتعلم منه. انظر: «السيرة» لابن هشام ١/ ٤٢٠، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٥٨، و«تفسير مبهمات القرآن» ١/ ١١٦، و«الإصابة» ١/ ٢٢١.
(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٤٩-٥٠، وذكر الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٥، و«الخازن» ٢/ ١٦٩، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣٠٥-٣٠٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٥، من عدة طرق جيدة عن ابن عباس قال: (قرأت وتعلمت تقول ذلك قريش) ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٠.

دليل على أن معنى ﴿دَرَسۡتَ﴾ قرأت على غيرك. وأخبرنا سعيد بن[1] محمد -رحمه الله- أنبا ابن مقسم[2] العطار ببغداد عن أبي إسحاق[3] النحوي قال: (معناه: وليقولوا قرأت كتب أهل الكتاب)[4]، وقال الفراء: (يقولون: تعلمت من يهود)[5]، وأخبرني العروضي[6] عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري[7] عن أبي العباس[8] في قول الله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ﴾ قال: (معناه وكذلك نبين لهم الآيات من هنا وهنا لكي يقولوا إنك دَرَسْت، أي: تعلمت، أي: هذا الذي جئت به [عُلِّمتَ][9])[10].

وقرأ ابن كثير[11] وأبو عمرو (دَارَسْت) وهو قراءة ابن عباس[12]

---

(١) سعيد بن محمد الحيري أبو عثمان الزعفراني، إمام تقدمت ترجمته.

(٢) ابن مقسم: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن العطار، إمام مقرئ تقدمت ترجمته.

(٣) أبو إسحاق النحوي هو الزجاج إبراهيم بن السري، تقدمت ترجمته.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٤٩.

(٦) العروضي: أحمد بن محمد بن عبد الله السهلي أبو الفضل، تقدمت ترجمته.

(٧) المنذري: أبو الفضل محمد بن أبي جعفر الهروي إمام، تقدمت ترجمته.

(٨) أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى، تقدمت ترجمته.

(٩) في (ش): (علمته).

(١٠) (تهذيب اللغة) ٢/ ١١٧٣، وانظر: «مجالس ثعلب» ص١١٧.

(١١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (دَارَسْتَ) بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر بغير ألف وفتح السين وسكون التاء، وقرأ الباقون بغير ألف وسكون السين، وفتح التاء. انظر: «السبعة» ٢٦٤، و«المبسوط» ص١٧٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٦، و«التيسير» ص١٠٥، و«النشر» ٢/ ٢٦١.

(١٢) أخرجه الطبري ٧/ ٣٠٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٥، من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٩، ٧٠.

ومجاهد[١]، وفسرها (قرأت على اليهود وقرؤوا عليك).

وقال الزجاج[٢] وأبو علي: (أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ويقوّي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ الآية [الفرقان: ٤][٣]، وقرأ ابن عامر: (دَرَسَتْ) أي: هذه الأخبار التي تلوتها علينا قديمة، قد درست وانمحت ومضت، من الدرس الذي هو تعفي الأثر وامحاء الرسم[٤].

قال الأزهري: (من قرأ (دَرَسَتْ)[٥] فمعناه: تقادمت، أي: هذا الذي تتلوه علينا شيء قد تطاول ومرّ، من قولهم: درس الأثر يدرس درساً)[٦].

---

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢١، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٦٨: (قرأ علي بن أبي طالب (دارست)، وهو الصحيح من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وأبي عمرو وأهل مكة) ا.هـ، وانظر: «مختصر الشواذ» ص٤٠، و«المحتسب» ١/ ٢٢٥.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٩-٢٨٠، وهو قول الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٥، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٦٩، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٠٥، ومكي في «الكشف» ١/ ٤٤٤، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٧٢: (أحسن ما قيل في (دارست) أن معناه: دارستنا فيكون معناه كمعنى (دَرَسْتَ) وقيل: معناه دارست أهل الكتاب، فهذا مجاز) اهـ.

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٧٤، وانظر: «الحجة» لابن خالويه ص١٤٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٤.

(٤) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٨٥.

(٥) يعني: قراءة ابن عامر، بفتح السين، وسكون التاء.

(٦) «تهذيب اللغة» ١٢/ ١١٧٤، و«معاني القراءات» ١/ ٣٧٧، وهو قول الزجاج في =

فأما معنى اللام في قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ فقال أبو بكر: (وأما تصريف الآيات فليسعد بها قوم بفهمها والعمل بما فيها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها، فمن يقول للنبي: ((دارست) أو (درست) فهو شقي، ومن يتبين الحق فيها ويعمل [بها][١] سعيد)[٢]، ويقوي هذا الذي قاله أبو بكر قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] قال ابن عباس: (يريد: أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد)[٣]، وقال أبو إسحاق: (إن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا: (درست) هو تلاوة الآيات عليهم، وهذه اللام يسميها أهل اللغة: لام الصيرورة[٤]، وهو كقوله ﷻ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم، ولكن كانت عاقبة الأمر أن صار ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ كما [يقول][٥]: كتب فلان هذا الكتاب لحتفه، وهو لم يقصد بالكتاب أن يهلك نفسه، ولكن العاقبة كانت الهلاك)[٦]، ومعنى هذا

= «معانيه» ٢/ ٢٨٠، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٦٤، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٧٢: (أحسن ما قيل فيه أن المعنى: ولئلا يقولوا انقطعت وامحت وليس يأتي محمد بغيرها) اهـ.

(١) لفظ (بها) ساقط من (أ).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٠٠، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٥ بدون نسبة.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٥.

(٤) أي: التحول وهو من معاني اللام عند الكوفيين، وعند البصريين تسمى لام العاقبة، ويقال لها أيضًا: لام العلة والمآل والعرض. انظر: «البيان» لابن الأنباري ١/ ٣٣٤، وما سبق من هذا البحث ص٢٣٨.

(٥) في (ش): (يقولون).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٠. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٦٩-٤٧٠، وقال أبو =

الكلام يعود إلى معنى قول أبي بكر، لأن المعنى: أن تصريف الآيات صار سبباً لمقالتهم هذه، وذلك للشقاوة التي لحقتهم وقضيت عليهم، وهذا يدل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سبباً لضلالة قوم وشقوتهم بما قضى عليهم في الأزل من الضلالة، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥][1].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾، قال الزجاج: (أي: لو شاء لجعلهم مؤمنين)[2]، وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى[3].

= علي في «الحجة» ٣/ ٣٧٥: (من قال (درستْ): بسكون التاء، فالمعنى في (ليقولوا) لكراهة أن يقولوا، ولأن لا يقولوا: درست، أي: فُصِّلت الآيات وأحكمت لئلا يقولوا: إنها أخبار وقد تقدمت وطال العهد بها وباد من كان يعرفها كما قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان: ٥]، وأما من قرأ: (دارستَ) و(درستَ) أي: بفتح التاء، فاللام على قولهم كالتي في قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] ولم يلتقطوه لذلك، كما لم تفصل الآيات ليقولوا (درست) و(دارست)، ولكن لما قالوا ذلك أطلق هذا عليه في الاتساع) ا.هـ ملخصًا. وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٧١- ٥٧٢، بعد ذكر قول الزجاج: (وفي المعنى قول آخر حسن، وهو أن يكون معنى: (نصرف الآيات) نأتي بها آية بعد آية ليقولوا: (درست) علينا، فيذكرون الأول بالآخر، فهذا حقيقة، والذي قال الزجاج مجاز) ا.هـ. وانظر: «المشكل» ١/ ٢٦٤، و«الدر المصون» ٥/ ٩٣-٩٦.

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٣٨.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٠، وهذا أظهر الأقوال ورجحه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣٠٩، والبغوي ٣/ ١٧٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦ بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٣١٢، والرازي ١٣/ ١٣٨، والقرطبي ٧/ ٦٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: تمنعهم[(١)] مني)[(٢)]، ومعنى هذا الكلام أنك لم تُبعث لتحفظ المشركين عن العذاب، إنما بُعثت مبلغاً فلا تهتم لشركهم، فإن ذلك بمشية الله[(٣)]. وقال مقاتل: (﴿وَمَا جَعَلْنَكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً إن لم يوحدوا، وما أنت عليهم بمسيطر، نسختها آية السيف)[(٤)].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية قال [قتادة][(٥)(٦)] والمفسرون[(٧)]: (كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم عن ذلك لئلا يسبوا الله).

وقال الزجاج: (نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كانت يعبدها المشركون)[(٨)].

---

(١) في (ش): (يمنعهم).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٢ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٦، و«الخازن» ٢/ ١٦٩ عن عطاء فقط.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣٠٥.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٣، وهو قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٨، وهبة الله بن سلامة ص٦٨، وحكاه ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٢٨ عن ابن عباس، والظاهر أنها محكمة. ورجحه مكي في «الإيضاح» ص٢٤٢، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن العربي ٢/ ٢١٢.

(٥) لفظ: (قتادة) غير واضح في (أ).

(٦) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٥ بسند جيد.

(٧) أخرجه الطبري ٧/ ٣٠٩، وابن أبي حاتم ٥/ ٣١٢ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة والسدي، وهو قول مقاتل ١/ ٥٨٣، والسمرقندي ١/ ٥٠٦، وحكاه هود الهواري ١/ ٥٥١ عن الحسن والكلبي. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٢٢٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٧٢.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٠.

وقال أبو بكر[١] بن الأنباري: (هذه آية منسوخة أنزلها الله [عز وجل][٢] والنبي بمكة، فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرها بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟[٣] ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: فيسبوا الله ظلمًا بالجهل، يقال: عَدَا[٥] فلانٌ عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا وعَدَاء، أي: ظلم ظلمًا جاوز القدر[٦].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ش): (جل وعز).

(٣) في النسخ: (واقتلوا)، وهو تحريف.

(٤) هذا قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٨، و(ابن سلامة) ص٦٩، والظاهر عدم النسخ وأن الآية محكمة، وهو اختيار أكثرهم، قال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٢٩: (لا أر ى النسخ بل يكره للإنسان أن يتعرض بما يوجب ذكر معبوده بسوء أو نبيه) ا.هـ، وقال القرطبي ٧/ ٦١: (قال العلماء: الآية حكمها باق على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يُسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ﷻ فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية) ا.هـ. وانظر: «أحكام القرآن» للكيا الهراس ٣/ ٣٢٥، وابن عطية ٥/ ٣١٣، وابن كثير ٢/ ١٨٣.

(٥) العَدَاء: بالفتح والمد: تجاوز الحد والظلم والجور، يقال: عَدَا -بفتح العين والدال-، فلان عَدْوًا: بفتح العين وسكون الدال، وعُدُوًّا بضم العين والدال وتشديد الواو المفتوحة، وعُدْوانا، بضم العين، وسكون الدال، وعَدَاء: بفتح العين والدال. انظر: «العين» ٢/ ٢١٣، و«الجمهرة» ٢/ ٦٦٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٢٠، و«المجمل» ٣/ ٦٥٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٤٩، و«المفردات» ص٥٥٣، و«اللسان» ٥/ ٢٨٣٢ مادة (عدا).

(٦) هذا كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨١، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٣٤٧ مادة (عدا)، وانظر: «الزاهر» ١/ ٢١٦.

قال السدي: (معناه: لا تسبوا الأصنام فيسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبها)(١).

وقال آخرون: (معنى ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون، كما سببتم من تعبدون)(٢). هذا معنى ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله لأنهم كانوا يقرون أن الله خالقهم وإن أشركوا به.

قال الزجاج: (وعدوا) منصوب على المصدر؛ لأن المعنى: فيعدوا عدوًا(٣)، قال: ويكون بإرادة اللام(٤) والمعنى: فيسبوا الله للظلم)(٥).

---

(١) أخرج الطبري ٧/ ٣١٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٦، بسند جيد عنه نحوه، وذكره الماوردي ١/ ٥٥٢، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٨.
وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٧٤٣: (اتفق العلماء على أن المعنى: لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم، وكذلك هو، فإن السب في غير الحُجَّة فعل الأدنياء) ا.هـ.
وقال ابن الجوزي ٣/ ١٠٢: (المعنى: فيسبوا من أمركم بعيبها، فيعود ذلك إلى الله تعالى لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى؛ لأنهم كانوا يقرون أنه خالقهم وإن أشركوا به) ا.هـ. وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٠.

(٢) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣٠٩، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٣، و«معاني الأخفش» ١/ ٢٨٥، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤١.

(٣) عدوا: بفتح العين وسكون الدال، وتخفيف الواو المفتوحة.

(٤) وعليه يكون مفعولًا من أجله، أي: لأجل العدو.
انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٧٣، و«المشكل» ١/ ٢٦٥، و«التبيان» ١/ ٣٥٣، و«الفريد» ٢/ ٢١٠، و«الدر المصون» ٥/ ١٠٠.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨١، ومثله قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤٧ مادة (عدا).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ قال المفسرون[١]: (يعني: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام والأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر والطاعة والمعصية)، قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: زينت لأوليائي وأهل طاعتي محبتي وعبادتي، وزينت لأعدائي وأهل معصيتي كفر نعمتي وخذلتهم حتى أشركوا)[٢]، قال الزجاج: (وهذا هو القول، لأنه بمنزلة[٣]: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٩٣]، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨])[٤].

وهذه الآية بتفسير هؤلاء دليل على تكذيب القدرية[٥] حيث قالوا: لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه[٦].

---

(١) وهو الأظهر وقول الأكثر، انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣١١، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٧٢، والسمرقندي ١/ ٥٠٦، والبغوي ٣/ ١٧٧، وابن عطية ٥/ ٣١٣، وابن الجوزي ٣/ ١٠٣، وابن كثير ٢/ ١٨٤.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٨، والقرطبي ٧/ ٦١-٦٢.

(٣) في النسخ: (بل طبع الله على قلوبهم)، وهو تحريف. وفي سورة النساء آية ١٥٥ ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨١: (الأجود أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [النحل: ١٠٨]، فذلك تزيين أعمالهم، قال الله ﷻ ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾) ا.هـ.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨١.

(٥) القدرية تزعم أن العبد يخلق فعله، والكفر والمعاصي ليست بتقدير الله تعالى، وقولهم باطل. انظر مذهبهم والرد عليهم في: «الإبانة» للأشعري ص٥٦، و«الشريعة» للآجري ص١٢٨، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز ٢/ ٣٥٥.

(٦) ذكر نحوه القرطبي ٧/ ٦٢، والخازن ٢/ ١٧٠، وانظر: «الفتاوى» ١٤/ ٢٩٠، =

١٠٩- [قوله تعالى][١]: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الآية، ذكرنا معنى القسم[٢] عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: ٨] والاستقسام في سورة المائدة[٣] والإقسام من ذلك الأصل أيضًا، وذلك أن اليمين موضوعة لتوكيد الخبر الذي يخبر به الإنسان إما مثبتًا للشيء أو نافيًا. ولما كان الخبر يدخله الصدق والكذب لم يأمن المخبر بالشيء عن نفسه أن يرد خبره ولا يقبل، فأكّد خبره باليمين، ولما كان التنازع يكثر في الإقسام، والدعاوى في الأشياء لا تنقطع إلا بالتوكيد، اشتقوا لفظه من القسم، وبنوها على أَفَعَل، فقالوا: أَقْسَم[٤] فلان بالله، يقسم إقسامًا، وأرادوا أنه حاز القسم الذي وقع التنازع فيه، بذكر الله، وبنوا الفعل على أفعل، لأنهم قصدوا قصد رجل أمال الشيء إلى جانبه باليمين، واسم اليمين القَسَم، والجمع الأقسام.

= وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٠-١٧١: (يضاف التزيين إليه سبحانه خلقًا ومشيئة، وحذف فاعله تارة، ونسبه إلى سببه، ومن أجراه على يده تارة، وهذا التزيين ابتلاء واختبار للعبد، ليتميز المطيع منهم من العاصي، وعقوبة منه له على إعراضه وإيثاره سيئ العمل على حسنه، وحجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الأول، فتزيين الرب تعالى عدل، وعقوبته حكمة، وتزيين الشيطان إغواء وظلم، وهو السبب الخارج عن العبد، والسبب الداخل فيه حبه وبغضه وإعراضه، والرب سبحانه خالق الجميع، والجميع واقع بمشيئته وقدرته) ا.هـ. ملخصًا.

(١) في (أ): (قوله عز وجل).

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٢٢٩ ب.

(٣) انظر: «البسيط» صورة في مكتبة جامعة الإمام ٣/ ٩ أ.

(٤) القَسَم: بالفتح، اليَمين والحَلف، وأصله من القَسَامَة، بالفتح، وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول، ثم صار اسمًا لكل حَلِف؛ يقال: أَقْسَم بسكون القاف وفتح=

وهذا الذي ذكرنا في معنى القسم مذهب الزجاج وأبي علي الفسوي[(١)] وغيرهما ممن يوثق بعربيتهم، قال المفسرون: (لما أُنزل قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] أقسم المشركون بالله ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها الله عليهم حتى يؤمنوا، وعلم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون، فأنزل هذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾[(٢)]، قال الكلبي[(٣)] ومقاتل[(٤)]: (إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه)، وقال الزجاج: (اجتهدوا في المبالغة في اليمين)[(٥)]، وقال عطاء[(٦)]: (يريد: بأغلظ الأيمان).

= السين، يُقْسِم: بكسر السين، إقسامًا، والجمع أَقْسَام.
انظر: «العين» ٥/ ٨٦، (الجمهرة) ٢/ ٨٥٢، و«الاشتقاق» لابن دريد ص٦٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦٣، و«الصحاح» ٥/ ٢٠١٠، و«المجمل» ٣/ ٧٥٢، و«المفردات» ص٦٧٠، و«اللسان» ٦/ ٣٦٣٠ مادة (قسم).

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١١٧ عن الواحدي، ولم أقف عليه عند الزجاج وأبي علي الفارسي بعد طول بحث.

(٢) ذكره الفراء في «معانيه» ١/ ٣٤٩، و«النحاس» ٢/ ٤٧٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٦، وقال ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٠٣: (رواه أبو صالح عن ابن عباس) ا.هـ. وحكاه الماوردي ٢/ ١٥٦، عن الكلبي، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٢٢٨.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٥١، وذكره الثعلبي ١٨٢ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٩٩، والبغوي ٣/ ١٧٧، والرازي ١٣/ ١٤٣ عن الكلبي ومقاتل.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨١، وذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٧٢، نحوه، والجهد: بفتح الجيم، وسكون الهاء المبالغة والغاية، وقيل: الوسع والطاقة، وقيل: المشقة. انظر: «اللسان» ٢/ ٧٠٨ مادة (جهد).

(٦) ذكره ابن الجوزي ٢/ ٣٨٠، عن ابن عباس وذكره البغوي ٣/ ٦٩، بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إنه هو القادر على الإتيان بها[١]، وقيل: (معناه: إنها عند الله يأتي بها متى شاء، وليس لكم أن تتحكموا في طلبها)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ قال أبو علي: (ما) استفهام وفاعل ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ ضمير ما، والمعنى: وما يدريكم إيمانهم، فحذف المفعول، وحذفُ المفعول كثير، والتقدير: وما يدريكم إيمانهم، أي: هم لا يؤمنون مع مجيء الآية إياهم[٣].

ونحو هذا ذكره ابن الأنباري[٤] فقال: (كأن الكلام انقطع عند

---

(١) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣١١، والثعلبي في «الكشف» ١٨٢ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٧٧، وابن الجوزي ٣/ ١٠٤.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١١٤.

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٧٧: (وعليه تكون ما استفهامًا إنكاريًا مبتدأ، وجملة (يشعركم) خبرها. و(يشعركم) مضارع فاعله ضمير يعود على ما، وكم مفعول أول، والثاني محذوف، والتقدير: وما يدريكم إيمانهم وقت مجيئها). انظر: «البيان» ١/ ٥٣٠، و«الفريد» ٢/ ٢١٠، و«الدر المصون» ٥/ ١٠١.

(٤) لم أقف عليه وفي إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٦٤٢-٦٤٣، قال في الآية: (من قرأ (إنها) بالكسر وقف على (وما يشعركم) وابتدأ (إنها)، ومن قرأ (أنها) بالفتح كان له مذهبان أحدهما: أن يكون المعنى: وما يشعركم بأنهم يؤمنون أو لا يؤمنون ونحن نقلب أفئدتهم، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على (يشعركم)؛ لأن (أن) متعلقة به، والوجه الآخر أن يكون المعنى: وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، فيحسن الوقف على (يشعركم) والابتداء بأن مفتوحة، حكي عن العرب: ما أدرى أنك صاحبها، المعنى: لعلك صاحبها، وقرئ: (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) على خطاب الكفرة إليكم) ا.هـ. وقال في (الأضداد) ص٢١١-٢١٦: (لا جحد محض، وأن دخلت إيذانا بالقول إذ لم يتصرح لفظه، وتكون لا بمعنى الإثبات وما للتوكيد، والمعنى: أنها إذا جاءت يؤمنون) ا.هـ. ملخصًا.

﴿يُشۡعِرُكُمۡ﴾ بتقدير مفعول معه يراد به، أي شيء يشعركم إيمانهم، ويوقع في أنفسكم صحة ما حلف عليه الكفار)، وهذا معنى قول الزجاج: (أي لستم تعلمون الغيب، ولا تدرون أنهم يؤمنون)(١)، ألا ترى أنه ذكر مفعول الإشعار، وقال مجاهد: (وما يدريكم [أنكم](٢) تؤمنون، ثم استقبل يخبر فقال: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾)(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ قرأ ابن كثير(٤) وأبو عمرو (إنها) بكسر الهمزة على الاستئناف، وهي القراءة الجيدة. قال سيبويه: (سألت الخليل عن هذه القراءة، فقلت: ما منع أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع إنما قال: ﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ﴾ ثم ابتدأ فأوجب فقال: (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) ولو قال: (وما يشعركم أنها) بالفتح كان ذلك عذرًا لهم(٥)، انتهى كلامه.

ومعنى قوله: (كان [ذلك](٦) عذرًا لهم) أنك لو فتحت أن وجعلتها التي في نحو: بلغني أن زيدًا(٧) منطلق، لكان عذرًا لمن أخبر عنهم أنهم

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٢.

(٢) في (ش): (أنهم يؤمنون). وعليه يكون الخطاب للمؤمنين وهو أحد قولي مجاهد، كما في «تفسيره» ١/ ٢٢١، قال: (وما يدريكم أنهم يؤمنون، ثم أوجب عليهم أنهم لا يؤمنون) ا.هـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣١٢، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٨ من عدة طرق جيدة، وذكر السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٣.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية (إنها) بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «السبعة» ص٢٦٥، و«المبسوط» ص١٧٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٧، و«التيسير» ١٠٦، و«النشر» ٢٦١.

(٥) «الكتاب» ٣/ ١٢٣.

(٦) لفظ: (ذلك) ساقط من (أ).

(٧) انظر: «الكتاب» ٣/ ١٢٢.

لا يؤمنون، لأنه إذا قال القائل: إن زيدًا لا يؤمن، فقلت: وما يدريك أنه لا يؤمن، كان المعنى: إنه يؤمن، وإذا كان كذلك كان عذرًا لمن نفى الإيمان عنه، وليس المراد في الآية عذرهم وأنهم يؤمنون(١)، ألا ترى أن الله سبحانه قد أعلمنا في الآية الثانية أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] وقرأ الباقون (أنها) بالفتح.

قال الخليل: (هي بمنزلة قول العرب: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئًا، أي: [لعلك](٢) فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون)(٣)، انتهى كلامه. وأنْ بمعنى(٤) لعل كثير في كلامهم كقوله(٥):

---

(١) هذا شرح لأبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٧٨، وقال السمين في «الدر» ٣/ ١٠٢: (وقد شرح الناس قول الخليل وأوضحوه فقال الواحدي وغيره)، ثم ذكر هذا الشرح، وانظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٤٥.

(٢) في (ش): (لعل).

(٣) «الكتاب» ٣/ ١٢٣.

(٤) من معاني أن المشددة المفتوحة أنها تكون بمعنى لعل عند الأكثر. انظر: «حروف المعاني» ص٥٧، و«معاني الحروف» ص١١٢، و«الصاحبي» ص١٧٦، و«رصف المباني» ص٢٠٧، و«مغني اللبيب» ١/ ٤٠.

(٥) الشاهد مختلف في نسبته، وهو لحاتم الطائي في «ديوانه» ص٤٠، ولمعن بن أوس المزني في «ديوانه» ص٨٠، ولدريد بن الصمة الجشمي في «ملحق ديوانه» ص١١٦، والطبري ٧/ ٣١٣، والثعلبي ص١٨٢/ ب، ولحطائط بن يعفر النهشلي في «مجاز القرآن» ١/ ٥٥، و«الحماسة» لأبي تمام ٢/ ٣٥٨، و«عيون الأخبار» ٣/ ١٨١، و«الشعر والشعراء» ص١٤٧، ١٥٧-١٥٨، والطبري ٣/ ٧٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢٥، و«الدر المصون» ٢/ ١١٧، وذكر في «اللسان» ١/ ١٥٨، أنن، نسبته إلى هؤلاء، وهو بلا نسبة في «الإبدال» لابن السكيت ص٨٥، و«أمالي القالي» ٢/ ٧٩، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٣٦، والرازي =

أرِيني جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدا

وقال آخر(١):

هَل أَنْتُمْ عَائِجُونَ بِنَا لأنا نَرَى العَرَصَاتِ أَوْ أَثَرَ الخِيَامِ

وقال عدي(٢) بن زيد:

أعاذِل ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي

إلى ساعَةٍ في اليَومِ أو في ضُحى الغَدِ(٣)

= ١٣/ ١٤٤. والشاهد: (لأنني) أراد: لعلني، وفي الدواوين وأكثر المراجع: (لعلني) بدل (لأنني)، وعليه فلا شاهد فيه.

(١) الشاهد للفرزدق في «ديوانه» ٢/ ٢٩٠، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٧٩، و«اللسان» ٧/ ٤٠٤٩ مادة (لغن)، وهو لجرير في «ملحق ديوانه» ص١٠٣٩، و«اللسان» ١/ ١٥٨ مادة (أنن)، و«الدر المصون» ٥/ ١٠٣، وبلا نسبة في «الإنصاف» ١/ ١٨٤، والقرطبي ٤/ ١٥٤. وعائجون: أي مائلون. والعرصات: جمع عرصة، وهو وسط الدار.
والشاهد: لأنا يريد: (لعنا)، وفي ديوانه الفرزدق وأكثر المراجع، (لعلنا) بدل (لأنا) وفي بعض المراجع (لِغنا) بالغين والفتح، وهي لغة في لعل.

(٢) عَدي بن زيد بن حمار بن زيد العبادي التميمي أبو عمير، من أهل الحيرة، شاعر جاهلي فصيح، نصراني، مقدم على شعراء عصره؛ لكونه أول من كتب بالعربية والفارسية لدى كسرى، قتله النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وقال ابن قتيبة: (علماؤنا لا يرون شعره حجة).
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٣٥-١٤٠، و«الشعر والشعراء» ص١٣٠، و«معجم المرزباني» ص٧٣، و«الأعلام» ٤/ ٢٢٠.

(٣) «ديوانه» ص١٠٣، و«الشعر والشعراء» ص١٣١، والطبري ٧/ ٣١٣، و«جمهرة أشعار العرب» ص١٧٩، و«المدخل للحدادي» ص٤٤٩، والثعلبي ١٨٢ ب، والبغوي ٣/ ١٧٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٥، والرازي ١٣/ ١٤٤، والقرطبي ٧/ ٦٤، و«اللسان» ١/ ١٥٨ مادة (أنن)، والخازن ٢/ ١٧٢، و«الدر المصون» ٥/ ١٠٣، وابن كثير ٢/ ١٨٤، وفي (الديوان): (إلا تظنَّنا) بدل (أن منيتي)، وعليه فلا شاهد فيه.

وفسر علي: لعل منيتي، ويدل على صحة هذا وجودته في المعنى أنه قد جاء في التنزيل لعل بهذا[١] العلم كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وهذا الذي ذكره الخليل من أن[٢] بمعنى لعل مذهب الفراء أيضًا قال: (وللعرب لغة في لعل بأن، وهو وجه جيد أن تجعل أن في موضع لعل)[٣]، ثم ذكر وجهًا آخر لهذه القراءة: (وهو أن تجعل لا صلة قال: ومثله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] معناه: أن تسجد، فيكون التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون)[٤]، والمعنى على هذا: أنها لو جاءت لم يؤمنوا[٥].

قال الزجاج: (والذي ذكر أن لا لغوٌ[٦] غالط؛ لأن ما كان لغوًا لا يكون غير لغو، ومن قرأ (إنها) بالكسرة لم يكن لا لغوًا، فليس يجوز أن يكون معنى لفظه مرة النفي ومرة الإيجاب)[٧].

---

(١) في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٨٠ (لعل بعد العلم).

(٢) هكذا في النسخ، والأولى: (من أن - أن بمعنى لعل).

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٠، وهو قول الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٥ قال: (قرأ بعضهم (أنها) وبها نقرأ وفسر على لعلها ..) اهـ.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٠.

(٥) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٨٠ عند شرح هذا الوجه.

(٦) لغو: أي زائدة. وانظر: «الإغفال» ص٦٧٧.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٣، وحكى كونها زائد النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٧٣، عن الكسائي ثم قال: (وهذا عند البصريين غلط؛ لأن أن لا تكون زائدة في موضع تكون فيه نافية) ا.هـ، وقال الزجاج في «معانيه»: (قد أجمعوا أن معنى (أن) ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالاتباع) ا.هـ، وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٠/ ١٠-١١، ١٣/ ٢٤٦، ١٤/ ٤٩٥، في شرح الآية: (هذا استفهام نفي وإنكار، أي: وما يدريكم (إنها إذا جاءت لا يؤمنون) وأنا ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على قراءة من قرأ (إنها) بالكسر تكون جزمًا =

قال أبو علي: (يجوز أن يكون لا في تأويل زائدة، وفي تأويل غير زائدة، كقول الشاعر[١]:

أَبَى جُودُه لا البُخْلَ واستَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ مِنَ فَتًى لا يَمْنَعُ الجُودَ قاتِلَهْ

ينشد: لا البخلِ ولا البخلَ، فمن نصب البخلَ جعلها زائدة كأنه قال: أبي جوده البخل، ومن قال: لا البخلِ أضاف لا إلى البخل. ومثل هذه الآية في أن لا فيها يجوز أن يكون زائدة ويجوز أن لا يكون قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥][٢]، وسنذكر

= بأنها ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وأشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة، وليس كذلك، لكنها داخلة في خبر أن، والمعنى: إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقًا بل قد يكون كذبًا، وهو ظاهر الكلام المعروف أنها أن المصدرية ولو كان (ونقلب) إلى آخره كلامًا مبتدأ لزم أن كل من جاءته آية قُلب فؤاده، وليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم، ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال: أن (أن) بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح، بل يعلم حينئذ أنها أحسن من قراءة الكسر) ا.هـ، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٣١٦، وابن كثير ٢/ ١٨٤.

(١) لم أعرف قائله، وهو في: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٤، والطبري ٨/ ١٢٩، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٢١١، و«الإغفال» ص٦٩٠، و«كتاب الشعر» ١/ ١١٧، و«الخصائص» ٢/ ٣٥، ٢٨٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٥٣٧، ٥٤٢، وابن عطية ٥/ ٣١٦، و«اللسان» ٨/ ٤٤٨٥ مادة (نعم) و ١٥/ ٤٦٦ (لا)، و«مغني اللبيب» ١/ ٢٤٨.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٨٠-٣٨١، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٧٩، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٧، ولابن زنجلة ص٢٦٥، و«الكشف» ١/ ٤٤٤.

الوجهين في الآية إذا انتهينا إليها إن شاء الله[١].

واختلفوا في قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقرأ[٢] بعضهم بالياء، وهو وجه القراءة؛ لأن قوله: [وَ][٣] أَقْسَمُوا بالله) الآية [الأنعام: ١٠٩] إنما يراد به قوم مخصوصون يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١] وليس كل الناس بهذا الوصف، [و][٤] المعنى: وما يشعركم أيها المؤمنون لعلهم إذا جاءتهم الآية التي اقترحوا لم يؤمنوا، فالوجه الياء؛ لأن الذين نفى عنهم الإيمان هم الغُيَّب المقسمون، أي: لا يؤمنون هؤلاء الغيب المقسمون، وقرأ حمزة وابن عامر بالتاء، وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب، والمراد بالمخاطبين في (يؤمنون) هم الغُيَّب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون[٥].

وذهب مجاهد وابن زيد[٦] إلى أن الخطاب في قوله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ للكفار الذين أقسموا، قال مجاهد: (وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا

---

(١) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٢٥٠ ب.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «السبعة» ص٢٦٥، و«المبسوط» ص١٧٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٨، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦١.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٥) ما تقدم هو كلام الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٨٢-٣٨٣، إلا أنه لم يختر القراءة بالياء بل وجه القراءة فقط. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٧، ولابن زنجلة ص٢٦٧، و«الكشف» ١/ ٤٤٦.

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣١٥، والرازي ١٣/ ٢٤٥، والقرطبي ٧/ ٦٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠١.

جاءت)[١]، وهذا يقوي [قراءة][٢] من قرأ (تؤمنون) بالتاء، على ما ذكرنا أولًا الخطاب في قوله ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ للمؤمنين، وذلك أنهم تمنوا نزول الآية ليؤمن المشركون، وهو الوجه؛ لأنه قيل للمؤمنين: تمنون ذلك، وما يدريكم أنهم يؤمنون، على ما شرحنا وبينا[٣].

١١٠- قوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ قال المفسرون[٤]: (نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية فلا يؤمنون، حُلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة). قال ابن عباس في رواية عطاء: (﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾ حتى يرجعوا إلى ما سبق عليهم من علمي، قال: وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] قال: يريد: يحول بين المؤمن وبين أن يكفر به وبين الكافر وبين أن يؤمن به)[٥]، والتقليب[٦] والقلب واحد وهو تحويلك[٧] الشيء عن وجهه، ومعنى تقليب [الأفئدة والأبصار][٨] هاهنا، هو أن الواجب من مقتضى الآية أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فعرفوها بقلوبهم ورأوها بأبصارهم، فإذا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لفظ: (قراءة) مكرر في (أ).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٤٥، فقد نقل عامة الأقوال التي ذكرها الواحدي، وكذلك نص كلام الواحدي في التوجيه، دون نسبة.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣١٤، والسمرقندي ١/ ٥٠٧، والماوردي ٢/ ١٥٦.

(٥) ذكره ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٢.

(٦) القلب: بفتح القاف وسكون اللام. والتقليب -بفتح التاء وسكون القاف وكسر اللام-: الصرف، وتحويل الشيء عن وجهه. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٢٧، و«الصحاح» ١/ ٢٠٥، و«المفردات» ص٦٨١، و«اللسان» ٦/ ٣٧١٣ مادة (قلب).

(٧) (تحويلك) غير واضح في (ش).

(٨) في (ش): (الأفئدة أو الأبصار).

لم يؤمنوا كان ذلك بتقليب الله تعالى قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن يكون عليه، وهو معنى ما قاله المفسرون: (نحول بينهم وبين[١] الإيمان لو جاءتهم الآية)[٢].

وقد أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل[٣] بن أبي القاسم الصوفي - رحمه الله- [أنبا][٤] أبو عمرو محمد بن[٥] جعفر بن مطر أنبا إبراهيم[٦] بن شريك نبا شهاب[٧] نبا حماد[٨] عن

---

(١) النسخ: (وبين أهل الإيمان). وفي (أ): ضرب على - (أهل) - وهو الصواب.
(٢) ذكر ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٢، نحوه. وانظر: البغوي ٣/ ١٧٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٥، والقرطبي ٧/ ٦٥.
(٣) أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد النصراباذي الواعظ. تقدمت ترجمته.
(٤) في (أ): (أنا).
(٥) محمد بن جعفر بن محمد بن مَطَر النيسابوري، أبو عمرو الزاهد، إمام علامة عابد، كان ذا حفظ، وإتقان، متعففًا قانعًا، يحيي الليل ويجتهد في متابعة السنة، ورحل إلى الآفاق المتباعدة، وسمع الكثير، وسمع منه الحفاظ الكبار، توفي سنة ٣٦٠هـ، وله ٩٥ سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١٦٢، و«البداية والنهاية» ١١/ ٢٧١، و«شذرات الذهب» ٣/ ٣١.
(٦) إبراهيم بن شَرِيك بن الفَضل بن خالد الأسدي أبو إسحاق الكوفي نزيل، محدث ثقة، توفي سنة ٣٠٢هـ، أو قبلها. انظر: «تاريخ بغداد» ٦/ ١٠٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٤/ ١٢٠، و«تاريخ الإسلام» ص٨٤، و«شذرات الذهب» ٢/ ٢٣٨.
(٧) شهاب بن عباد العبدي أبو عمر الكوفي إمام ثقة، توفي سنة ٢٢٤هـ. انظر: «التاريخ الكبير» ٤/ ٢٣٥، و«الجرح والتعديل» ٤/ ٣٦٣، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٨١.
(٨) حماد بن زيد بن درهم الأزدي أبو إسماعيل البصري، إمام علامة، عابد فاضل، فقيه، ثقة، ثبت، أجمعوا على جلالته، روى عن جماعة من التابعين، وتوفي سنة=

أيوب[(١)] وهشام[(٢)] ومعلى[(٣)] بن زياد عن الحسن قال: (قالت عائشة رضي الله عنها: دعوة كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها: **«يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»** فقلت: يا رسول الله، دعوة كثيرًا ما تدعو بها؟ قال: **«إنه ليس من عبد إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإذا شاء أن يقيمه أقامه، [وإذا][(٤)] شاء أن يزيغه أزاغه»**[(٥)].

= ١٧٩هـ، وله ٨١ سنة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٨٧، و«الحلية» ٦/ ٢٥٧، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٤٥٦، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٨٠.

(١) أيوب بن كيسان السَّختِيَاني، أبو بكر بن أبي تميمة البصري، إمام عابد، فقيه، ثبت، متقن، أجمعوا على إمامته ووفور علمه، روى عن جماعة من التابعين، وتوفي سنة ١٣١هـ، وله ٦٥ سنة. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٦، و«الجرح والتعديل» ٢/ ٢٥٦، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٨، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٢٠٠.

(٢) هشام بن حسان الأزدي أبو عبد الله البصري القردوسي، تقدمت ترجمته.

(٣) مَعلَّى بن زياد القُرْدُوسي، أبو الحسن البصري، إمام عابد، زاهد صدوق، قليل الحديث، روى عن جماعة من التابعين، وتوفي بعد المائة. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري ٧/ ٣٩٤ (١٧١٥)، و«الجرح والتعديل» ٨/ ٣٣٠، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ١٤٨، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١٢٢، و«تقريب التهذيب» ص٥٤١ (٦٨٠٤).

(٤) في (أ): (وإن شاء).

(٥) سند الواحدي جيد لكنه مرسل، قال المزي في «تهذيب الكمال» ٦/ ٩٧: (الحسن رأى عائشة ولم يصح له سماع منها) ا.هـ، وذكر طريق الواحدي ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٣، وأخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٩١، عن الحسن، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ١٠٠، رقم٢٢٤، ٢٣٣، والآجري في «الشريعة» ص٢٦٣، ٢٦٤، من طرق عن عائشة، وأخرجه الآجري عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، وصحح طريق عائشة الألباني في تعليقه على «السنة» ١/ ١٠١ ص١٠٤، والحديث ثابت صحيح من عدة طرق أخرى، فقد روي من طرق جيدة عن أنس، والنواس بن سمعان، وجابر، وعبد الله بن عمرو، وأم=

وقوله تعالى: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ دخلت الكاف على محذوف تقديره: فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: أول مرة أتتهم الآيات، مثل انشقاق القمر، وغيره من الآيات، والتقدير: فلا يؤمنون ثاني مرة بما طلبوا من الآيات، كما لم يؤمنوا أول مرة، وهذا معنى قول ابن زيد[1] ومجاهد[2] والكلبي[3].

والكناية في (به) يجوز أن تعود على القرآن، وعلى محمد، ويجوز أن تعود على ما طلبوا من الآيات[4] وقال بعضهم: معنى الكاف في قوله

= سلمة، أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ١٧٣ ص١٦٨ و٣/ ١١٢ و١٥٧ و٤/ ١٨٢ و٦/ ٣١٥، وابن ماجه ١/ ٧٢، رقم ١٩٩ و٢/ ١٢٦٠، رقم٣٨٣٤، والترمذي وحسنه ٤/ ٤٤٨، رقم ٢١٤٠و ٥/ ٥٣٨، رقم٣٥٢٢، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٩٨-١٠٤، والآجري في «الشريعة» ص٢٦٣، ٢٦٤، و«الحاكم» وصححه ٢/ ٢٨٩و ٤/ ٣٢١، وصحح أكثر طرقه الألباني في تعليقه على «السنة». وانظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ٢١٠، وأخرج مسلم ٣/ ٢٠٤٥، رقم٢٦٥٤، عن عبد الله بن عمرو قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث شاء**»، ثم قال: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**» ا.هـ.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٩ بسند جيد عنه قال: (نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة، وقرأ (كما لم يؤمنوا به أول مرة) اهـ.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» ٧/ ٣١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦٩ بسند جيد عنه قال: (نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة) ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٢.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٥٢.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٧/ ٣١٥، والسمرقندي ٣/ ٣٠٦، وابن الجوزي ٣/ ١٠٦.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ معنى الجزاء[١]، ومعنى الآية: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على تركهم الإيمان في المرة الأولى، يعني: كما لم يؤمنوا أول مرة، فكذلك نقلب أفئدتهم وأبصارهم في المرة الثانية، وعلى هذا لا محذوف في الآية، وهو معنى قول ابن عباس[٢] والعوفي[٣] وهذه الآية حجة على القدرية الذين يكذبون بقضاء الكفر[٤].

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٣١٩، ونقل الرازي ٣/ ١٤٨، السمين في «الدر» ٥/ ١١١، هذا القول عن الواحدي، وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٢: (اختلف في قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فقال كثير من المفسرين المعنى: نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. وقال آخرون: المعنى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم، وهذا معنى حسن، فإن كاف التشبيه تتضمن نوعًا من التعليل، كقوله ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر. والتقليب: تحويل الشيء عن وجه إلى وجه، وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية وصولهم إليها كما سألوا أن يؤمنوا إذ جاءتهم لأنهم رأوها عيانًا وعرفوا أدلتها وتحققوا صدقها، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليبًا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي ينبغي أن تكون عليه ..) ا.هـ ملخصًا، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٤: (الكاف في (كما) الظاهر أنها للتعليل، وهو واضح فيها وإن كان استعمالها فيه قليلًا. وقالت فرقة: هي بمعنى المجازاة، وهو معنى التعليل إلا أن تسمية ذلك غريبة لا يعهد في كلام النحويين أن الكاف للمجازاة) ا.هـ ملخصًا.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٣١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠ بسند جيد، قال: (لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا) ا.هـ، وأخرجا بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر) ا.هـ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٤٦، ١٤٧.

وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون)[١].

١١١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية ، كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون لك بالنبوة، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل؟ والمسلمون يتمنون آية تأتيهم لعلهم يؤمنون، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما شاؤوا ورأوهم عيانًا ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فشهدوا لك بالنبوة[٢] ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ وقرئ (قِبَلا)[٣] قال أبو زيد: (يقال: لقيت فلانًا قِبَلًا ومُقَابَلة، وقَبَلاَ وقُبُلًا وقِبليًّا وقَبِيلًا، كله واحد، وهو المواجهة)[٤]، والمعنى في القراءتين على ما قاله أبو زيد واحد وإن اختلف

---

(١) ذكره ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٠، والبغوي ٣/ ١٧٩ من قول عطاء، وأخرج الطبري ٧/ ٣١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠، تحقيق أحمد الزهراني بسند جيد عن ابن عباس، قال: ﴿يعمهون﴾ يتمادون. وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٨٥.

(٢) هذا قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥٠، و«النحاس» ٢/ ٤٧٥، والسمرقندي ١/ ٥٠٧، وأخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧ بسند جيد عن مجاهد، وذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢ عن الحسن، وذكره ابن الجوزي ٣/ ١٠٦، والرازي ١٣/ ١٥٠، عن ابن عباس.

(٣) قرأ ابن عامر ونافع (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بضمهما. انظر: «السبعة» ص٢٦٥-٢٦٦، و«المبسوط» ص١٧٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٨، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٤) «النوادر» ص٢٣٥، وقبلًا: بكسر القاف وفتح الباء، ومقابلة: بضم الميم، وفتح القاف والباء، وقبلا بالفتح، وقبلًا: بالضم. وقبليًا: بالفتح وتشديد الياء. وقبيلًا: بفتح القاف وكسر الباء.

اللفظان، فأما من قرأ (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء، فقال أبو عبيدة[(١)] والفراء[(٢)] والزجاج[(٣)] وجميع أهل اللغة[(٤)]: (معناه: عيانًا، يقال: لقيته قِبَلًا أي: معاينةً).

قال ابن الأنباري[(٥)]: (قال أبو ذر[(٦)]: قلت للنبي ﷺ: أنبيًّا كان آدم؟ فقال: «**نعم كانَ نبيًّا كَلَّمَهُ اللهُ قِبَلًا**»)[(٧)].

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٤.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥١.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٣، وهو قول الأخفش ٢/ ٢٨٦، واليزيدي في «غريبه» ص١٤١، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٦٩، والطبري ٨/ ٢، مكي في «تفسير المشكل» ص٧٩.

(٤) انظر: «العين» ٥/ ١٦٦، و«الجمهرة» ١/ ٣٧٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٢٦، و«الصحاح» ٥/ ١٧٩٥، و«المجمل» ٣/ ٧٤١، و«المفردات» ص٦٥٣، و«اللسان» ٦/ ٣٥٢٠ مادة (قبل).

(٥) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١١٢.

(٦) أبو ذر: صحابي مشهور، اختلف في اسمه. والمشهور: جندب بن جنادة بن السكن الغفاري، مشهور بكنيته، صحابي فاضل جليل، أحد السابقين إلى الإسلام، رأس في الزهد والصدق، والعمل والعلم، لازم النبي ﷺ وجاهد معه، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي رضي الله عنه سنة ٣٢هـ.
انظر: «طبقات ابن سعد» ٤/ ٢١٩، و«الحلية» ١/ ١٥٦، و«الاستيعاب» ٤/ ٢١٦، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٤٦، و«الإصابة» ٤/ ٦٢، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥١٩.

(٧) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ص٤٤٩ بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٩٨، وقال: (رواه الطبراني في الأوسط، وأحمد بنحوه، وفيه المسعودي قد اختلط) ا.هـ، وأخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ١٧٨و١٧٩، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٤٤٧ بلفظ: (آدم نبي مكلم)، وفيه: المسعودي عبدالرحمن بن عبدالله بن عتبة الكوفي، إمام صدوق اختلط قبل موته كما في «التقريب» ٣٤٤ (٣٩١٩)، وعبيد بن الخشخاش، قال ابن حجر في «التقريب»=

ومن قرأ (قُبُلًا)[١] فله ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون جمع قَبِيل[٢] الذي يراد به الكفيل، يقال: قَبَلْتُ[٣] بالرجل أقْبَل قَبَالةً، أي: كفلتُ به، ويكون المعنى: لو حُشر عليهم كل شيء فكفل بصحة ما تقول ما آمنوا[٤].

فإن قيل: إذا لم يؤمنوا مع إنزال الملائكة إليهم وأن يكلمهم الموتى، مع أن ذلك مما [يبهر][٥] ظهوره، ويضطرب مشاهدته، فكيف يؤمنون بالكفالة التي هي قول لا يبهر ولا يضطر، ويجوز أن لا يصدقوا بكفالتهم، وأي أعجوبة في كفالتهم حتى تذكر مع إنزال الملائكة وكلام الموتى؟ قيل: في الأشياء المحشورة ما ينطق وما لا ينطق، فإذا نطق بالكفالة من لا ينطق كان ذلك موضع بهر الآية، ومعنى ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا[٦] ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ

= ٣٧٦ (٤٣٧١) مادة (لين)، وأبو عمر الدمشقي، قال ابن حجر في «التقريب» ٦٦٠ (٨٢٦٥) (ضعيف). وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٦٢ عن أبي أمامة بلفظ: (نبي معلم مكلم)، قال الحاكم: (حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ا.هـ، وفيه: ممطور الأسود أبو سلام الحبشي، قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» ص٢١٥: (سمعت أبي يقول: ممطور الحبشي عن أبي أمامة مرسل) ا.هـ، وانظر: «الدر المنثور» ١/ ١٠٤، وقال ابن الأثير في «النهاية» ٤/ ٨: (في حديث آدم إن الله كلمه قبلا - بكسر القاف وفتح الباء - أي: عيانًا ومقابلة، لا من وراء حجاب، ومن غير أن يولي أمره أو كلامه أحدًا من ملائكته) ا.هـ، وانظر: مرويات الإمام أحمد في «التفسير» ٢/ ١٢٤-١٢٥.

(١) أي: بالضم.

(٢) قبيل: بفتح القاف وكسر البار كَرِغيف ورُغُف - أفاده السمين في «الدر» ٥/ ١١٣.

(٣) قَبَلْتُ: بالفتح، أَقْبَل: بسكون القاف وفتح الباء، قَبالة: بالفتح. أفاده السمين في «الدر» ٥/ ١١٣.

(٤) ذكر هذا الوجه أكثرهم، وهو اختيار الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥٠.

(٥) في (ش): (يبهز)، وهو تصحيف.

(٦) في (ش): تكرر لفظ (جمعنا عليهم).

شَيْءٍ﴾ في الدنيا. الوجه الثاني: أن يكون (قُبُلًا) جمع قبيل[١] بمعنى الصنف، المعنى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [قبيلًا قبيلًا][٢]، والأعجوبة في هذا هو جمع الأشياء جنسًا جنسًا، وجمع الأشياء ليس في العرف[٣] أن تجمع وتحشر إلى موضع. الوجه الثالث: أن يكون (قُبُلًا) بمعنى (قِبَلًا)[٤] أي: مواجهة ومعاينة، كما فسره أبو زيد[٥]، وهذا في المعنى كالقراءة[٦] الأولى[٧].

---

(١) قبيل: بفتح القاف، وكسر الياء: وهم الجماعة، والصنف، وهذا الوجه قول الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٦، وأبي عبيدة في «المجاز» ١/ ٢٠٤، واليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤١، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٦٩، ومكي في «تفسير المشكل» ص٧٩، وقال الإمام البخاري في «صحيحه» ٨/ ٢٩٦، مع فتح الباري: (قُبلا جمع قبيل، والمعنى: أنه ضروب للعذاب، كل ضرب منها قبيل) ا.هـ، وقال ابن الأنباري في قصيدة في «مشكل اللغة»، وشرحها في مجلة «مجمع اللغة» ٤/ ٦٤/ ٦٤٧: (القبل، بالضم: الضروب والجماعات من العذاب، جمع قبيل) ا.هـ.

(٢) في (أ): (قبلًا قبيلًا) ولعله تصحيف.

(٣) في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٨٦، بعد ذكر ما تقدم قال: (فموضع ما يبهر هو اجتماعها مع أن ذلك ليس في العرف).

(٤) أي يكون قبلًا: بالضم، بمعنى قبلًا بكسر القاف وفتح الباء.

(٥) وكذلك المبرد كما حكاه النحاس في «إعراب القرآن» ٥٧٤ عنه.

(٦) ما تقدم: هو قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٨٤-٣٨٧، بتصرف. انظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٦٧، و«الكشف» ١/ ٤٤٦.

(٧) ذكر نحو ما تقدم أكثرهم. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٠، والزجاج ٢/ ٢٨٣، والنحاس ٢/ ٤٧٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠٧، وابن عطية ٥/ ٣٢١، وابن الجوزي ٣/ ١٠٧، والقرطبي ٧/ ٦٦، وذكره الرازي ١٣/ ١٥٠، السمين في «الدر» ٥/ ١١٢، عن الواحدي.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوٓاْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ قال الزجاج[1]: (أعلم الله جل وعز أنهم لا يؤمنون، وهو كإعلام نوح في قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، قال عكرمة[2]: (هذا في أهل الشقاء)، وقال ابن جريج[3]: (نزلت هذه الآية في المستهزئين الذين ذكروا في سورة الحجر)[4].

قال ابن عباس في هذه الآية: (أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بما سبق في علمه وقضائه وقدره من الشقوة عليهم، ليعزى رسوله ويصبره، وذلك أن حزن النبي ﷺ اشتد حين كذّبه قومه، وكفروا بالله، وصاروا إلى العذاب، ولهذا قال الله تعالى له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية [الكهف: ٦][5].

= وأظهر الأقوال توافق القراءتين بمعنى: المعاينة والمقابلة. وهو ظاهر كلام ابن كثير ٢/ ١٨٥، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٦: (هذا القول عندي أحسن؛ لاتفاق القراءتين) ا.هـ. وأخرجه الطبري ١٢/ ٤٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٢٠٥، بسند جيد عن ابن عباس، وأخرجه الطبري بسند جيد عن قتادة، وحكاه الماوردي ٢/ ١٥٧، عن ابن زيد وابن إسحاق، وأخرج ابن حسنون في «اللغات» ص٢٤، و«الوزان» ص٣/ب، بسند جيد عن ابن عباس قال: (قبلًا يعني: عيانًا؛ الضم بلغة تميم، والكسر بلغة كنانة) اهـ.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٣، ومثله ذكر السمرقندي ١/ ٥٠٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١، بسند جيد، وذكره ابن عطية ٥/ ٣٢٠، وقال: (هذا لا يثبت إلا بسند) ا.هـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٧٢.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] وانظر: سبب نزولها في «زاد المسير» ٤/ ٤١٧-٤٢١.

(٥) أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» ص١/ ٢٥٠ بسند جيد عن ابن عباس قال: (إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويبايعوه على الهدى، =

وقال ابن الأنباري: (أقسم الكافرون أن الآية متى [أنزلت][(١)] آمنوا بها، فقدر المؤمنون أن هذا القول صحيح منهم، فدلهم جل اسمه على أن قولهم ليس بحقٍّ، وأنه لو أحضرهم هؤلاء الآيات التي عددها ما كانوا ليؤمنوا ويعترفوا بصحة ما يشاهدون منها، إلا أن يهديهم إلى ذلك، ويسهل عليهم تبين الآيات وقبولها، وهو معنى قوله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾)[(٢)]، وهذا نص في تكذيب القدرية[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ قال ابن عباس: (يجهلون الحق أنه من الله)[(٤)]. وقيل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ أنهم لو أتوا بكل آية ما آمنوا[(٥)].

= فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبقت له من الله الشقاوة في الذكر الأول، ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] ا.هـ.

وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/١، وابن أبي حاتم ٣/١٠٣ أ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص١٠٥ بسند جيد عنه قال: (﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ﴾ وهم أهل الشقاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ وهم أهل السعادة الذي سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان) اهـ.

(١) في (ش): (نزلت).

(٢) لم أقف عليه. وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٥١، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٦، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٢٠: (وهذا يتضمن الرد على المعتزلة في قولهم بالآيات التي تضطر الكفار إلى الإيمان) ا.هـ

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣.

(٥) ذكره أكثر المفسرين. انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٠٨، والماوردي ٢/ ١٥٧، وابن الجوزي ٣/ ١٠٧، والرازي ١٣/ ١٥١، والقرطبي ٧/ ٦٧، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٠٦.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية [الأنعام: ١١٢] قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ منسوق على قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي: كما فعلنا ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾، وقيل[١]: (معناه: جعلنا لك عدًا، كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء) فيكون قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطفًا على معنى ما تقدم من الكلام، وما تقدم يدل على معناه على أنه جعل له أعداء، قال المفسرون[٢]: (وهذا تعزية للنبي ﷺ، يقول: كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوًا ليعظم ثوابه على ما يكابد من أذاه).

قال الزجاج[٣] وابن الأنباري: (وعدو[٤] في معنى: أعداء)، وأنشد أبو بكر:

---

(١) أكثرهم على أن الكاف في محل نصب نعتًا لمصدر محذوف، واختلفت عباراتهم في تقديره، فقال الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣ (يقول: وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم) ا.هـ. ملخصًا.
وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤، و«النحاس» ٢/ ٤٧٦، و«تفسير الماوردي» ٢/ ١٥٧، وابن الجوزي ٣/ ١٠٨، و«التبيان» ١/ ٣٥٤، و«الفريد» ٢/ ٢١٥، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٦٧.
ونقل الرازي ١٣/ ١٥٢، قول الواحدي بدون نسبة، وذكره السمين في «الدر» ٥/ ١١٥، عن الواحدي.

(٢) ذكر ذلك أكثرهم. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣، وابن عطية ٥/ ٣٢٢، والقرطبي ٧/ ٦٧.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤.

(٤) عدو: بفتح العين، وضم الدال. انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤٧، و«اللسان» ٥/ ٢٨٤٥ مادة (عدا).

إذا أنا لم أَنْفَعْ صديقي بودِّهِ فإنَّ عدوِّي لن يَضُرَّهُم بُغْضي[١]

أراد: أعدائي فأدى الواحد عن الجميع[٢] كقوله ﷻ: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤] جعل ﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وهو جمع نعتًا للضيف وهو واحد؛ لأنه أراد بالواحد الجمع) و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ منصوب على البدل من عدوٍّ ومفسرٍ له، ويجوز أنْ يكون (عدوًّا) منصوبًا على أنه مفعول ثان. المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء للأنبياء[٣].

واختلفوا في معنى ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ على قولين:

أحدهما: أنْ المعنى مردة الإنس والجن، والشيطان[٤] كل عاتٍ

---

(١) الشاهد للنابغة الشيباني في «ديوانه» ص١١٧، و«الزاهر» ١/ ٢١٦-٢١٧، وللنابغة الذبياني في «ملحق ديوانه» ص٢٣١، وبلا نسبة في الرازي ١٣/ ١٥٤، و«البحر» ٤/ ٢٠٧، و«الدر المصون» ٥/ ١١٦.

(٢) «الزاهر» ١/ ٢١٦-٢١٨، ولم يذكر الآية، وذكر ذلك الرازي ١٣/ ١٥٤ عن ابن الأنباري.

(٣) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨٤، والنحاس في «إعرابه» ١/ ٥٧٥، والأزهري في «تهذيبه» ٣/ ٢٣٤٧، وأكثرهم على أن في الآية وجهين: الأول: أن (عدوا) مفعول أول، و(لكل نبي) في موضع المفعول الثاني قدم، و(شياطين) بدل من عدو. والوجه الثاني: أن المفعول الأول (شياطين)، و(عدوًا) مفعول ثانٍ مقدم، و(لكل نبي) حال من (عدوًا) لأنه صفته، وقال الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥١، والطبري ٨/ ٣: (نصب العدو والشياطين بجعلنا)، وجوز ابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٣٥ جعل (شياطين) مفعولًا ثانيًا لجعل. وانظر: «التبيان» ١/ ٣٥٤، و«الفريد» ٢/ ٢١٥، و«الدر المصون» ٥/ ١١٥.

(٤) قال المبرد في «الكامل» ٣/ ٩٦: (زعم أهل اللغة أن كل متمرد من جنٍّ أو إنس أو سبع أو حية يقال له: شيطان، وأن قولهم: تشيطن، إنما معناه: تخبث وتنكر، وقد قال الله جل وعز: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ ا.هـ. وانظر: «العين» ٦/ ٢٣٧، و«الجمهرة» ٢/ ٨٦٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٧٨، و«الصحاح» ٥/ ٢١٤٤، =

متمرد من الإنس والجن، وهذا قول ابن عباس في[1] رواية عطاء ومجاهد[2] وقتادة[3] والحسن[4]، وهؤلاء قالوا: (إن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، وأن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن، وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمردٍ من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن ليفتنه). يدل على هذا ما روى (إن النبي ﷺ [قال][5] لأبي ذر: «**هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والإنس؟**» قال: قلت: وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم، هم شر من شياطين الجن»[6].

= و«المجمل» ٢/ ٥٠٢، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٨٣، و«المفردات» ص٤٥٤، و«اللسان» ٤/ ٢٢٦٥ مادة (شطن).

(١) ذكره الرازي ١٣/ ١٥٤، و«تنوير المقباس» ٢/ ٥٣، نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم ٣/ ٣٧١، نحوه، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٤.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٢، والبغوي ٣/ ١٧٩، والرازي ١٣/ ١٥٤، عن مجاهد والحسن وقتادة.

(٣) أخرج عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٦، والطبري ٨/ ٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧١ بسند جيد نحوه.

(٤) ذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢، والماوردي ٢/ ١٥٨، ابن الجوزي ٣/ ١٠٨.

(٥) لفظ: (قال) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ١٧٨-١٧٩، والنسائي في «سننه» ٨/ ٢٧٥ في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الجن، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧١، من عدة طرق، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٥٩-١٦٠: (رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن زيد، وهو ضعيف، ورواه أحمد والبزار والطبراني في «الأوسط» بنحوه، وعند النسائي طرف منه، وفيه المسعودي، وقد اختلط) اهـ. وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٨٦ طرقًا أخرى للحديث ثم قال: (فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم) اهـ. وانظر: «كشف الأستار» ١/ ٩٣، و«المطالب العالية» ٤/ ٢٠٧ (٣٤٤١)، و«الدر المنثور» ٣/ ٧٣، وقوله: «قال: نعم، هم شر من شياطين الجن» لم أقف عليها.

وقال مالك[١] بن دينار: (إن شيطان [الإنس][٢] أشد عليَّ من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله يذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا)[٣].

وشرح ابن عباس هذا شرحًا شافيًا فقال[٤] في رواية عطاء: (أما عدوّه من شياطين الجن، فالأبيض الذي كان يأتي في صورة جبريل[٥] يوحي إليه، وأما الإنس فالوليد بن المغيرة[٦]،

---

(١) مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، تابعي، إمام عابد، زاهد، ثقة، كان يكتب المصاحف، توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين ومائة ١٣٠هـ أو نحوها. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٤٣، و«الجرح والتعديل» ٨/ ٢٠٨، و«حلية الأولياء» ٢/ ٣٥٧، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٦٢، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١١.

(٢) لفظ (الإنس) ساقط من (أ)، وملحق بالهامش.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٣ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٠، وابن الجوزي ٣/ ١٠٩، والقرطبي ٧/ ٦٨،

(٤) ذكر أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٧، نحوه، وقوله: (أما عدوه من شياطين الجن ..) لم أقف عليه بعد طول بحث.

(٥) عن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلَم، فلا يأمرني إلا بخير**» ا.هـ، قال الإمام النووي: (فأسلم: برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه أسلم أنا من شره وفتنته، واختلفوا على رواية الفتح، قيل: أسلم من الإسلام وصار مؤمنا لا يأمرني إلا بخير، وهذا هو الظاهر. وقيل: أسلم بمعنى استسلم وانقاد. قال القاضي عياض: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه ..) ا.هـ ملخصًا. وانظر: «النهاية» لابن الأثير ٢/ ٣٩٥.

(٦) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي، أبو عبد شمس القرشي، أحد المستهزئين المجاهرين بالأذى والعداوة للرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، توفي بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وهو والد الصحابي الجليل وسيف الله المسلول=

والعاص[١] بن وائل، وأبو جهل، وعتبة[٢]، وشيبة، وأبي بن خلف، وأخوه أمية)[٣]، وذكر أسماء المستهزئين[٤].

القول الثاني: أن الجميع من ولد إبليس، وأضيف[٥] الشياطين إلى

= خالد بن الوليد رضي الله عنه. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٨٣، و«جوامع السير» ص٥٣، و«الكامل» لابن الأثير ٢/ ٤٨، و«الأعلام» ٨/ ١٢٢.

(١) العاص بن وائل بن هاشم السهمي، أحد المستهزئين والمجاهرين بالعداوة والأذى للرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، توفي بعد الهجرة بشهرين، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه. انظر: «المراجع السابقة»، و«الأعلام» ٣/ ٢٤٧.

(٢) عتبة وشيبة: ابنا ربيعة بن عبد شمس القرشي، من المستهزئين قتلا في بدر. انظر: «المراجع السابقة»، و«الأعلام» ٣/ ١٨١، ٤/ ٢٠٠.

(٣) أبي، وأمية: ابنا خلف بن وهب الجمحي، من المستهزئين وأشدهم، وأكثرهم أذى للرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، قتل أمية في بدر، ورمى النبي ﷺ يوم أحد أبيًّا بحربة فقتله. انظر: «جوامع السير» ص٥٤، و«الكامل» في التاريخ ٢/ ١٤٨، و«الأعلام» ٢/ ٢٢ .

(٤) المستهزؤون: طبقة لهم قوة ورياسة، اختلف في عددهم وأسمائهم وكيفية هلاكهم، وقد أخرج الطبري ١٤/ ٧٠-٧٣، والطبراني في «الكبير» ١١/ ١١٣، والبيهقي في «سننه» ٩/ ٨، في «الدلائل» ٢/ ٨٥-٨٦ من طرق جيدة عن ابن عباس، عددهم وأسماءهم وكيفية هلاكهم، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٤٧، وقال: (رجاله ثقات)، وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٣: (أخرجه الطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن مردويه بسند حسن، والضياء في المختارة) ا.هـ. وانظر: الماوردي ٢/ ١٥٧، والزمخشري ٢/ ٣٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٢١، والقرطبي ١٠/ ٦٢، وابن كثير ٢/ ١٨٦.

(٥) قال السمين في «الدر» ٥/ ١١٥-١١٦: (الراجح أنه من باب إضافة الصفة لموصوفها، والأصل الإنس والجن الشياطين، ويحتمل أن يكون من الإضافة التي بمعنى اللام، والمعنى: الشياطين التي للإنس والشياطين التي للجن، فإن إبليس=

الإنس، أي: الذي يغوونهم، وهذا قول عكرمة[(١)] والضحاك[(٢)] والسدي[(٣)] والكلبي[(٤)] عن أبي صالح، عن ابن عباس[(٥)]، وهؤلاء قالوا: (معناه: شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين: فبعث منهم فريقًا إلى الجن، وفريقًا إلى الإنس، فالفريقان شياطين الإنس والجن)[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يُلقي ويُسرّ[(٧)].

= قسم جنده قسمين: قسم متسلط على الإنس، وآخر على الجن، كذا جاء في التفسير) ا.هـ بتصرف.

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٤، من طرق، عن عكرمة والسدي، وذكره السمرقندي ١/ ٥٠٨، وابن الجوزي ٣/ ١٠٨، عن عكرمة.

(٢) ذكره القرطبي ٧/ ٦٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٧، عن الضحاك والكلبي.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢، وذكره الماوردي ٢/ ١٥٨، عن عكرمة والسدي.

(٤) ذكره هود الهواري ١/ ٥٥٢، وذكره البغوي ٣/ ١٧٩، عن عكرمة والضحاك، والسدي والكلبي.

(٥) أخرجه الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢، بسند ضعيف، وذكره النحاس في «إعرابه» ١/ ٥٧٥، وقال القرطبي ٧/ ٦٧: (قال النحاس وروى عن ابن عباس بإسناد ضعيف) ا.هـ.

(٦) هذا قول غريب وليس له وجه مفهوم، كما أفاده الطبراني في «تفسيره» ١٢/ ٥٢، والراجح: هو الأول عند أكثر أهل العلم، ومنهم الطبري، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ٦٨، وابن كثير ٢/ ١٨٦، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٧٥: (ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ ليجادلوكم﴾ [الأنعام: ١٢١] فهذا يبين معنى ذلك) اهـ.
وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٢٠: (قول السدي وعكرمة لا يستند إلى خبر ولا إلى نظر).

(٧) قال ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ٣٤١: (المعنى: يسر بعضهم إلى بعض، وهذا أصل الحرف) اهـ.

قال عطاء، عن ابن عباس: (يناجي بعضهم بعضًا بكذب)[١].

ومعناه على القول الأول: ما قاله مجاهد[٢] وقتادة[٣]: (وهو أن شياطين الجن الذين هم من جند إبليس يوحون إلى كفار الإنس ومردتهم فيغوونهم بالمؤمنين)، كما ذكرنا أن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن أغرى به شيطانًا من الإنس.

وعلى القول الثاني معناه: ما قاله الكلبي، وهو أنه قال: (إن إبليس جعل فرقة من شياطينه مع الإنس، وفرقة مع الجن، فإذا التقى شيطان الإنس وشيطان الجن قال: أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضل به صاحبك، ويقول له شيطان الجن مثل ذلك، فهذا وحي بعضهم إلى بعض).

قال الفراء: (حدثني بذلك حبّان[٤]، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس)[٥].

وعلى القول الأول المراد بالجن: الشياطين من ولد إبليس، والمراد بالجن في القول الثاني: [ولد][٦] الجان[٧].

---

(١) لم أقف عليه، وأخرج ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٢، عن عطاء عنه قال: (يوسوس).

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٤.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ش): حيان، وكذا في «معاني الفراء» ١/ ٣٥١، وهو تصحيف، والصواب حبان بالباء، كما في «معاني الفراء» ٣/ ٧ و٨ و٥٣ و٦٠ و٦٦ و٧٧، وهو: حِبَّان بن علي العَنَزَي، أبو علي الكوفي، إمام فاضل، صالح فقيه، ضعفه أئمة الجرح والتعديل، توفي سنة ١٧١هـ، وله ٦٠ سنة. انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٢٧٠، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٤٤٩، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٤٥، و«تقريب التهذيب» ص١٤٩ (١٠٧٦).

(٥) إسناده ضعيف، وقد سبق تخريجه.

(٦) في (ش): (والد)، وهو تحريف.

(٧) الذي يظهر أنه على القول الأول: يكون المراد بالجن: ولد إبليس والجان، =

وقوله تعالى: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾، الزخرف: الباطل[١] من الكلام الذي زين ووشي بالكذب، يقال: فلان يزخرف كلامه، إذا زيَّنه بالباطل والكذب، وكل شيء حسنٍ مموهٍ فهو زخرف كالنقوش، وبيت مُزَخْرَفٌ منقوش[٢]، ومنه الحديث: (إنْ رسول الله ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنُحِي)[٣]، يعني بالزخرف: نقوشًا، وتصاوير زينت به الكعبة

= وعلى القول الثاني: المراد بالجن: ولد إبليس؛ لأنه قسمهم إلى قسمين: قسم مع الإنس، وقسم مع الجن، والله أعلم. انظر: تفسير الرازي ١٣/ ١٥٤، فقد ذكر القول الثاني: ثم قال: (وعلى هذا القول، فالشياطين نوع مغاير للجن، وهم أولاد إبليس) اهـ.

(١) في (أ): (الباطل من الباطل الكلام)، وعلى الباطل الثانية ضرب، وهو الصواب.

(٢) الزخرف: بضم الزاي المشددة، وسكون الخاء، وضم الراء: الزِّينة. وأصله الذَّهَب، ثم سمي كل زينة زخرفًا، ثم شبه كل مُمَوه مزور به، وبيت مزخرف، أي: مزين. انظر: «العين» ٤/ ٣٣٨، و«الجمهرة» ٢/ ١١٤٤، و«المنجد» ص٢١٩، و«الصحاح» ٤/ ١٣٦٩، و«المفردات» ص٣٧٩، و«اللسان» ٣/ ١٨٢١ (زخرف).

(٣) لم أقف على سنده وهو في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٢٠، و«النهاية» لابن الأثير ٢/ ٢٩٩، و«اللسان» ٣/ ١٨٢١، و«عمدة الحفاظ» ص٢١٩، و«الدر المصون» ٥/ ١١٦، و«تاج العروس» ١٢/ ٢٤٦ (زخرف). ومن المشهور أن البيت كان فيه تماثيل وصور، فأمر النبي ﷺ بإخراج التماثيل، وطمس الصور. قال ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ١٧: (روى عمر بن شبة، عن عمرو بن دينار، بسند صحيح قال: (بلغني أن النبي ﷺ أمر بطمس الصور التي كانت في البيت) ا.هـ. وأخرج البخاري في «صحيحه» مع فتح الباري ٨/ ١٦، عن ابن عباس قال: (إن النبي ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام. فقال النبي ﷺ: «قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط») ا.هـ. وانظر: في الصور والتماثيل التي كانت موجودة في البيت عند فتح مكة، و«أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١١٩-١٢٣ و١٦٥-١٦٩، و«المصنف»=

وكانت مموهة بالذهب فأمر بها حتى حُتَّت[١] قال الزجاج: (والزخرف في اللغة: الزينة، المعنى: أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة و﴿غُرُورًا﴾ منصوب على المصدر، وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى: إيحاء الزخرف من القول معنى الغرور، فكأنه قال: [يَغُرّون][٢] غُرُورًا)[٣]، وهذا معنى قول الضحاك: (شياطين الإنس يوحون إلى الإنس، وشياطين الجن يوحون إلى الجن)[٤].

= لابن أبي شيبة ٧/ ٤٠٣ (٣٦٨٩٤)، و«مجمع الزوائد» ٦/ ١٧٦، و«المطالب العالية» ١٧/ ٤٦٩ (٤٣٠٣).

(١) هذا التوجيه ذكره أصحاب المراجع السابقة، وقوله: حُتَّت: بضم الحاء وتَشديد التاء المفتوحة، والحَتُّ بفتح الحاء: الحَكُّ والقَشْر، وفَرْكُ الشيء اليابس. انظر: «اللسان» ٢/ ٧٦٧ مادة (حتت).

(٢) في (أ): (تغرون).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٧٥، و«المشكل» ١/ ٢٦٦، و«التبيان» ١/ ٣٥٤، و«الدر المصون» ٥/ ١١٦، ونقل ذلك الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٥٥، ١٥٦ عن الواحدي.

(٤) سبق تخريجه.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في «الفتاوى» ١٨/ ٥٦ عند شرح الآية: (أخبر ﷺ أن جميع الأنبياء لهم أعداء، وهم شياطين الإنس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف، وهو المزين المحسن، يغرون به، والغرور: التلبيس والتمويه، وهذا شأن كل كلام وعمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتكلمة وغيرهم من الأولين والآخرين، ثم قال ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ فعلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان، فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم، فخالف الرسل كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وغيرها ..) ا.هـ.

وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾، الهاء تعود إلى إيحاء القول بالغرور، والمدلول عليه بقوله ﴿يُوحِى﴾ والفعل يدل على المصدر[(١)]، قال الزجاج: (أي: لو شاء لمنع الشياطين من الوسوسة للإنس والجن، ولكن الله ﷻ يمتحن بما يعلم أنه الأجزل في الثواب)[(٢)]. [وقوله تعالى][(٣)]: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما زين لهم إبليس وغرّهم به)[(٤)].

١١٣- وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ الآية. الصغو في اللغة معناه: المَيْل، صغى إلى كذا يصغى إذا مال إليه[(٥)]. أبو عبيد عن الكسائي: (صَغَوت أصْغُو، وصغيت أصْغَى [ثم وصغيت أصغِي][(٦)] وهو أكثر الثلاث)[(٧)]، ابن السكيت: (صَغَيْتُ إلى الشيء،

---

(١) انظر: «التبيان» ١/ ٣٥٤، و«الفريد» ٢/ ٢١٦.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤، وفيه: (يمتحن ما يعلم أنه الأبلغ في الحكمة، والأجزل في الثواب والأصلح للعباد) اهـ. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٧٧.

(٣) في (ش): وقوله تعالى: (لله هم وما يفترون)، وهو تحريف ظاهر.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٥٦، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٧.

(٥) انظر: «العين» ٤/ ٤٣٢، و«الجمهرة» ٢/ ٨٩٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٠٠، و«المجمل» ٢/ ٥٣٤، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٨٩، و«المفردات» ص٤٨٥ (صغا).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢٠، وفيه: (أبو عبيد عن الكسائي: صَغَوْتُ بالفتح، وصَغَيْتُ. وقال شمر: صَغَوت، وصغَيت بالفتح، وصغيت بكسر العين، وأكثره صغيت بالكسر) اهـ.
ولعل الواحدي جمع بين القولين.

أصْغى صِغيًا إذا ملت إليه، وصَغَوت أصغُو صُغُوًّا)[(١)]، الأصمعي (وصَغا)[(٢)]، وزاد الفراء: (صُغيًا مشدّدًا وصُغُوًّا)[(٣)]، أبو زيد[(٤)]: (يقال: صَغْوهُ معه، وصِغْوُهُ وصَغَاهُ، وصَاغِية الرجل الذين يميلون إليه ويغشونه، وعين صَغْواء مائلة، قال الأعشى[(٥)]:

---

(١) «إصلاح المنطق» ص٢١٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢٠، وصَغَيْت بالفتح، أَصْغَى صُغِيًّا بالكسر، وصَغَوت أصغُو صُغُوًّا بالضم.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢١، وفيه: (صَغَا يَصْغو صَغْوًا وصَغًا) بالفتح.

(٣) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١١٩، وهو ليس في معاني الفراء، ولعله من كتاب المصادر المفقود، وصُغيا بالضم، وكسر العين، وفتح الياء المشددة، وصغوا بالضم وفتح الواو المشددة.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢١، وفيه: (صَغْوه وصَغاه وصِغْوه معه) فقط، والباقي لابن السكيت، وصَاغية بكسر الغين، وصَغْواء بفتح الصاد وسكون الغين.
والخلاصة: أن الصَّغا مادة تدل على الميل، يقال: صغوت بالواو وفتح الغين، وصغيت بالياء وكسر الغين وفتحها، فاللام واو أو ياء، ومع الياء تكسر عين الماضي وتفتح، ومضارع الأفعال الثلاثة يصغى بفتح الغين، وحكى صغوت أصغو بالضم، ومصدر الأول: صَغْو، والثاني: صُغِيٌّ بكسر الغين، والثالث: صغا بالفتح، وحكى في مصدر صغا بالفتح يصغو صغا بالفتح، فهو ليس مختصًا = = بكونه مصدرًا لصغي بالكسر، وحكى صِغِيًّا بكسر الغين، وفتح الياء المشددة، وصغوا بضم الغين وفتح الواو المشددة. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٤، والقرطبي ٧/ ٦٩، و«البحر» ٤/ ٢٠٥، و«الدر المصون» ٥/ ١١٩.

(٥) ديوان الأعشى: ميمون بن قيس ص١٨٧، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٣٢٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢٠، والثعلبي ص١٨٣/ أ، و«اللسان» ٤/ ٢٤٥٤ مادة (صغا)، و«الدر المصون» ٥/ ١١٩، وهو يصف الناقة، وصغواء: مائلة، والمؤق بالضم: طرف العين مما يلي الأنف. انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٢٠ مادة (مأق)، والقطيع، بفتح القاف، وكسر الطاء: السوط يقطع من جلد، ونحوه. والقطيع المحرم: السوط الذي لم يمرن ويُليَّن بعد. انظر: «اللسان» (قطع) ٦/ ٣٦٧٨ .

تَرَى عَيْنَهَا صَغْواءَ في جَنْبِ مُؤْقِهَا تُرَاقِبُ كَفِّي والقَطِيعَ المُحَرَّمَا)

قال ابن عباس[(١)]، والسدي[(٢)]، [وابن زيد[(٣)]] وغيرهم[(٤)]: (وَلِتَصْغَى) (ولتميل هواها)، قال ابن الأنباري: (اللام في (لتصغى) متعلقة بفعل مضمر تأويله: وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدتهم وليرضوا المذموم من أجل عنادهم الحق)[(٥)]، وقال غيره من النحويين[(٦)]:

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣ بسند ضعيف بلفظ (لتميل)، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ص١٦٣، وأخرج ابن حسنون في «اللغات» ص٥٤، و«الوزان» ٩ أ بسند جيد عنه قال: (صغا مال بلغة خثعم) ا.هـ، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣ قال: (لكي تميل إلى هذا الزخرف والغرور) ا.هـ، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٧٥.

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٧ بسند جيد بلفظ: (تميل إليه قلوب الكفار) ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٤.

(٣) لفظ (ابن زيد) ساقط من (أ) والأثر أخرجه الطبري ٨/ ٧، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣، بسند جيد عنه، بلفظ: (وليهووا ذلك، يقول الرجل للمرأة: صغيت إليها: هَوِيتها) اهـ.

(٤) هو قول الأكثر. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٨٥، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٠٥، و«غريب القرآن» ص١٤٢، والطبري ٨/ ٧، والسمرقندي ١/ ٥٠٨، والماوردي ٢/ ١٥٩.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٣، ابن الجوزي ٣/ ١٠٩.

(٦) هذا ظاهر كلام الطبري ٨/ ٤، والقرطبي ٧/ ٦٩، ورجحه الرازي ١٣/ ١٥٧، وأكثرهم على أنها لام كي الجارة، وهي معطوفة على الغرور، أي: للغرور، ولأن تصغى. قال ابن عطية ٥/ ٣٢٤- ٣٢٥: (اللام في الأفعال الثالثة لام كي معطوفة على (غرورًا) أو متعلقة بفعل مؤخر تقديره: فعلوا ذلك أو جعلنا ذلك، فهي لام صيرورة، قاله الزجاج: ولا يحتمل أن تكون لام الأمر وضمنها الوعيد) ا.هـ ملخصًا، وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٧٤-١٧٥: (اللام على بابها للتعليل وإن كانت تعليلًا لفعل العدو، وهو إيحاء بعضهم إلى بعض فظاهر، =

(اللام متعلقة بقوله ﴿يُوحِي﴾ [الأنعام: ١١٢] وتقديره: يوحي بعضهم إلى بعض [ليغروهم](١) ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾)، والكناية في (إليه) تعود إلى ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ يقال: اقترف أي: اكتسب(٣). الليث(٤): (اقترف ذنبًا، أي: أتاه وفعله). ابن الأنباري(٥): (قَرَف واقْتَرَف إذا كسب،

= وعلى هذا فيكون عطفًا على قوله (غرورًا) فإنه مفعول لأجله، أي: ليغروهم بهذا الوحي ولتصغى إليه أفئدة من يلقى إليه فيرضاه ويعمل بموجبه، فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإيحاء، وهو أربعة أمور: غرور من يوحون إليه، وإصغاء أفئدتهم إليهم، ومحبتهم لذلك، وانفعالهم عنده بالاقتراف، وإن كان ذلك تعليلًا لجعله سبحانه ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة بهذا الجعل، وهي غاية وحكمة مقصودة لغيرها؛ لأنها مفضية إلى أمور هي محبوبة مطلوبة للرب سبحانه، وفواتها يستلزم فوات ما هو أحب إليه من حصولها، وعلى التقديرين، فاللام لام التعليل والحكمة) اهـ، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٣، و«الزجاج» ٢/ ٢٨٤، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٧٦، و«العسكريات» ص١٠٠، و«كتاب الشعر» ١/ ٢٠٦، و«المحتسب» ١/ ٢٢٧، و«البيان» ١/ ٣٣٥، و«التبيان» ص٣٥٥، و«الفريد» ٢/ ٢١٦، و«الدر المصون» ٥/ ١١٧.

(١) في (أ): (لتغروهم).

(٢) انظر: «الدر المصون» ٥/ ١١٨.

(٣) الاقتراف بسكون القاف، وكسر التاء وفتح الراء أصله قَشْرُ اللحاء والجلدة عن الجرح، ثم استعير للاكتساب حسنًا كان أو سيئًا، إلا أنه في السوء أغلب. انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٨٦، و«الصحاح» ٤/ ١٤١٤، و«المجمل» ٣/ ٧٤٨، و«معجم مقاييس اللغة» ٥/ ٧٣، و«المفردات» ص٦٦٧، و«اللسان» ٦/ ٣٦٠٠، و«عمدة الحفاظ» ص٤٥٣ مادة (قرف).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٤١. وانظر: «العين» ٥/ ١٤٦.

(٥) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٢٢، وفي «الزاهر» ١/ ٤٤٦، قال في معنى الآية: (أي: وليكتسبوا وليلصقوا بأنفسهم) اهـ. ثم أنشد البيت.

وأنشد(١):

وإنِّي لآتٍ مَا أَتَيْتُ وإنَّنِي لِمَا اقْتَرفَتْ نَفْسِي عليَّ لَرَاهِبُ

أي: لما اكتسبت)، ونحو ذلك قال ابن عباس(٢) وابن زيد(٣): (وليكتسبوا).

وقال الزجاج: (وليقترفوا) (أي: ليختلقوا وليكذبوا)(٤)، وهو معنى قول عطاء(٥): (ليخترقوا في القرآن مثل قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]).

قال مقاتل: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ﴾: (ولتميل إلى ذلك الزخرف ولغرور قلوب الذين لا يصدقون بالبعث، ﴿وَلِيَرۡضَوۡهُ﴾: ليحبوه، ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ﴾ ليعملوا ما هم عاملون)(٦)، وهذا الآية دليل على تكذيب القدرية، إذ قال الله تعالى:

---

(١) الشاهد للبيد في ذيل «ديوانه» ص٢٢١، و«الكشف» للثعلبي ١٨٣ أ، وبلا نسبة في «الدر المصون» ٥/ ١٢٢.

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٨ بسند جيد، وهو في «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٧٥، وهو في مسائل نافع بن الأزرق ص١٦١ مع ذكر الشاهد للبيد.

(٣) ذكره القرطبي ٧/ ٧٠، عن ابن عباس والسدي وابن زيد، وأخرج الطبري ٨/٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٣، ١٣٧٤، بسند جيد عن ابن زيد والسدي قالا: (ليعملوا ما هم عاملون) ا.هـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٥، وفيه ذكر القول الأول ثم ذكر هذا، وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٥، قال: (مجازه التهمة والادعاء) ا.هـ. وفي «غريب القرآن» لليزيدي قال: (يدعون الكذب) وفي تفسير «غريب القرآن» ص١٥٨، و«تفسير المشكل» ص٧٩: (أي: ليكتسبوا ويدعوا) ا.هـ. وذكر هذا القول الماوردي ٢/ ١٥٩، وقال: (هذا قول محتمل) ا.هـ.

(٥) لم أقف عليه. وقوله: (وليخترقوا) التَّخرُّق لغة في التخلُّق من الكذب وخَرَقَ الكذب وتَخَرَّقه اختلقه وافتعله وافتراه. انظر: «اللسان» ٢/ ١١٤٢ (خرق).

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٥.

جعلنا لهم شياطين لتصغى قلوبهم إلى وحي الشياطين وليرضوه[١].

وحكى أبو بكر[٢] مثل قول الزجاج، فقال: (وقال بعضهم: تأويله: وليختلقوا ما هم مختلقون)[٣] ثم قال: (والأول هو الأثبت في اللغة)[٤].

١١٤- قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ قال ابن عباس[٥]: (يريد [قول النبي ﷺ] يعني: أن هذا من[٦]] قول النبي ﷺ قال الكلبي: (قل لأهل مكة: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾)[٧]، والحكم[٨] والحاكم واحد عند

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٥٨.

(٢) أبو بكر هو: محمد بن القاسم بن الأنباري، تقدمت ترجمته.

(٣) لم أقف عليه، وفي «الزاهر» ١/ ٤٦٥: (وقولهم: قد قَرف فلان فلانا، معناه: قد ألصق به عيبًا وأكسبه ذمًّا) اهـ.

(٤) وهو الراجح عند الجمهور، ومنهم الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥١، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٨، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٧٨، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٠٨، والبغوي ٣/ ١٨٠، وابن الجوزي ٣/ ١٠٩، وحكى القول الثاني عن الزجاج الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٥٨، ثم قال: (والأول أصح) ا.هـ.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣، وفيه: (قل لهم يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾) ا.هـ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٣ عن الكلبي والعوفي، وذكر الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٠، وابن الجوزي ٣/ ١١٠ نحوه بدون نسبة.

(٨) مادة (حكم) بالفتح، بمعنى المنع. ومنه الحكم، بضم الحاء وسكون الكاف، والحاكم بفتح الحاء، وكسر الكاف؛ لأنه يمنع من الظلم، ومنه الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف وفتح الميم؛ لأنها تمنع من الجهل.
انظر: «العين» ٣/ ٦٦، و«الجمهرة» ١/ ٥٦٤، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٥- ٨٨٦، و«الصحاح» ٥/ ١٩٠١، و«المجمل» ١/ ٢٤٦، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٩١، و«اللسان» ٢/ ٩٥١ مادة (حكم).

أهل اللغة[١] لا فرق بينهما غير أن بعض أهل التأويل قال: (الحَكم أهل أن يتحاكم إليه، والحاكم من شأنه أن يحكم، فالصفة بالحَكم أمدح، وذلك أن صفة حاكم جارية على الفعل، فقد يحكم الحاكم بغير ما أنزل الله، فأما من يستحق صفة حكم فلا يحكم إلا بالحق؛ لأنها صفة تعظيم ومدح)[٢]، قال العوفي: (﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ قاضيًا بيني وبينكم)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: مبينًا)[٤]، وقال مقاتل: (﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن مبينًا فيه أمره ونهيه)[٥]، وقال أهل المعاني: (التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي أيضًا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المعنى، وذلك بالآيات التي تفصل المعاني بعضها من بعض)[٦].

---

(١) انظر أيضًا: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» لليزيدي ص٢٤٣، و«تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٤٣، ٥٢، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٦٠، و«النهاية» لابن الأثير ١/ ٤١٨.

(٢) ذكره أكثرهم. انظر: «الفروق» للعسكري ص١٥٧، والماوردي ٢/ ١٥٩، و«المفردات» ص٢٤٩، وابن عطية ٣٢٦، و«الفريد» ٢/ ٢١٨، والقرطبي ٧/ ٧٠، وذكره الرازي ١٣/ ١٥٩، عن الواحدي، وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٢٣: (الحكم أبلغ من الحاكم، قيل: لأن الحكم من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم فإنه يصدق غيره، وقيل: لأن الحكم لا يحكم إلا بالعدل والحاكم قد يجوز) ا.هـ، وانظر: «البحر» ٤/ ٢٠٩.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٣، عن الكلبي وعطية العوفي.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٥.

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٦٠، وابن عطية ٥/ ٣٢٦، وابن الجوزي ٣/ ١١٠، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٧٦.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: العلماء من أهل الكتابين ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعني: القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، أي: أن كل ما فيه بيانٌ عن الشيء على ما هو به كترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله، وغير ذلك [مما فيه][1] كله بهذه الصفة[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ قال الفراء: (من الشاكين أنهم ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾)[3]، ومعنى الامتراء: طلب التشكك مع ظهور الدليل، وهو من مَرْيِ الضَّرع، وهو مَسحه ليَدرَّ[4].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: مواعيد ربك لأوليائه، وأهل طاعته)[5]، وقال مقاتل: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أنه ناصر محمّد ببدرٍ)[6].

وقال الكلبي: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبَ قول ربك صدقًا لقوله وعدلًا منه)[7]، وقال أهل المعاني[8]: (الكلمة والكلمات معناها والله أعلم: ما جاء من وعدٍ ووعيدٍ وثواب وعقاب، فلا تبديل فيه ولا تغيير له،

---

(١) لفظ: (مما فيه) غير واضح في (أ).

(٢) هذا قول الأكثر. انظر: الطبري ٨/ ٨، والسمرقندي ١/ ٥٠٩، وابن الجوزي ٣/ ١١٠.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٥١.

(٤) انظر: «الزاهر» ١/ ٣٥٠-٣٥١، وقد سبق الكلام عن معنى الامتراء.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٧١، وذكر أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٠٩ نحوه عن ابن عباس.

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٥.

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٤.

(٨) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٨٨، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٠ عن أهل المعاني.

كما قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] والتقدير: وتمت ذوات الكلمات -أي: يخبر بها عنها- فمن قرأ[١] (كلمات) بالجمع قال: لأن معناها الجمع، فوجب أن يجمع في اللفظ، ومن قرأ على الواحدة فلأنهم قد قالوا: الكلمة يراد بها الكثرة، كقولهم: قال زهير في كلمته، يعنون: قصيدته، وقال قُسٌّ[٢] في كلمته، يعنون: خطبته، فقد وقع المفرد على الكثرة، فلما كان كذلك أغنى عن الجمع)[٣].

وقوله تعالى: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: لا خلف لمواعيده ولا في أهل طاعته[٤] ولا في أهل معصيته)، وقال قتادة[٥]، ومقاتل[٦]: (﴿صِدْقًا﴾ فيما وعد ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما حكم)، وقال بعض المفسرين[٧]: (كلمة الله أقضيته وعِداته تمت على معنى قوله ﷺ:

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وتمت كلمت) على التوحيد، وقرأ الباقون (وتمت كلمات) على الجمع. انظر: «السبعة» ص٢٦٦، و«المبسوط» ص١٧٤، و«الغاية» ص٢٤٨، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٨، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هذا كلام الفارسي في «الحجة» ٣/ ٣٨٨-٣٩٠، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨١، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٨، ولابن زنجلة ص٢٦٨، و«الكشف» ١/ ٤٤٧.

(٤) جاء في (أ)، (ش): (ولا في أهل طاعته) بالواو، ولعله تحريف، والأثر ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٤ بسند جيد، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٧٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨١.

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٥.

(٧) ذكر هذا القول الثعلبي في «الكشف» ١٨٣ أ، والماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٠، وابن الجوزي ٣/ ١١١ بدون ذكر الحديث.

«سبق القضاء وجف القلم[١] بالسعادة لمن آمن واتقى، والشقاوة لمن كفر وعصى»[٢]، قال أبو علي الفارسي: (و﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة، تقديره: صادقة عادلة)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: (يريد: لا راد لقضائه، ولا مغير لحكمه، ولا خلف لموعده)[٤]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لتضرع أوليائه ولقول أعدائه واستهزائهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوب أوليائه من اليقين، وبما في قلوب أعدائه من الاستهزاء والشرك[٥].

١١٦- قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. قال المفسرون: (إن المشركين جادلوا رسول الله ﷺ في أكل

---

(١) هنا في (ش): وقع اضطراب في ترتيب الأوراق، فجاء تكملة الحديث في ١٢١ب.

(٢) الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه بعد طول بحث، وفي معناه عدة أحاديث في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٨٥-٢٠١، وأخرج البخاري في «صحيحه» (٥٠٧٦)، و«كتاب النكاح»، باب ما يكره من التبتل والخصاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «جف القلم بما أنت لاق». وأخرج مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦٤٨)، عن جابر رضي الله عنه قال: (جاء سراقة بن مالك فقال: يا رسول الله! بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فِيمَ العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟ قال: «كل عامل ميسر لعمله» اهـ.

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٨٨، وانظر: «إعراب النحاس» ٢/ ٩٣، و«المشكل» ١/ ٢٢٦، و«البيان» ١/ ٣٣٦، و«التبيان» ٣٠٠، و«الفريد» ٢/ ٢١٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٢٤.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨١.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٩.

الميتة)[١]، قال الفراء: ([ذلك][٢] أنهم قالوا للمسلمين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فأنزلت هذه الآية: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾)[٣].

قال ابن عباس: (يريد: الذين هم[٤] ليسوا على دينك، وهم أكثر من المؤمنين، إن تطعهم في أكل الميتة ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يريد: عن دين الله الذي رضيه لك، وبعثك به)[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني: ظنهم في أكل الميتة، وقال عطاء: (يريد: دينهم [الذي][٦] هم عليه ظنٌّ)[٧]، وقال أبو إسحاق: (ليس عند أنفسهم أنهم على بصائر؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم، وتركوا التماس البصيرة من حيث يجب، واقتصروا على الظن والجهل)[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قال الأزهري: (أصل الخرص: التظنِّي فيما لا تستيقنه، ومنه قيل: [خرصتُ النَّخْلَ خَرْصًا إذا حَزَرْته؛ لأن الحزر فيه ظن لا إحاطة، ثم قيل[٩]] للكذب: خَرْص [لما يدخله][١٠] من

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠، والبغوي ٣/ ١٨١، وابن عطية ٥/ ٣٢٩، وابن الجوزي ٣/ ١١١.

(٢) في (ش): (وذلك) بالواو.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٢.

(٤) في (ش): (الذين ليسوا هم على دينك).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٥.

(٦) (الذي) ساقطة من (أ).

(٧) لم أقف عليه، وهو قول البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨١.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٥- ٢٨٦، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٧٨.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(١٠) في (أ): (لما تدخله)، بالتاء.

الظُّنُونِ الكاذبة)[١]. قال ابن عباس[٢]: (﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ما أحله الله ولا أنزله[٣] في كتابه)، وقال عطاء عنه: (يريد: يفترون)[٤].

١١٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال بعض الناس: (أعلم هاهنا بمعنى: يعلم)، ولا يجوز ذلك؛ لأنه يطابق[٥] ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وقال بعض البصريين: (موضع (من) نصب على حذف الباء؛ لأنه قد قال في موضع: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن [ضَلَّ][٦]﴾ [النحل: ١٢٥] بالباء وحذفت هاهنا)[٧].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٠٩، والخرص: بفتح الخاء وسكون الراء: الحزر في العدد والكيل، والكذب، وكل قول بالظن. انظر: «العين» ٤/ ١٨٣، و«الجمهرة» ١/ ٥٨٥، و«الصحاح» ٣/ ١٠٣٥، و«المجمل» ٣/ ٢٨٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٦٩، و«المفردات» ص٢٧٩، و«اللسان» ٢/ ١١٣٣ (خرص).

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٥، وأخرج ابن حسنون في «اللغات» ص٤٢، ٤٤، و«الوزان» ص٧، بسند جيد عن ابن عباس قال: (يخرصون يعني: يكذبون) اهـ.

(٣) كذا العبارة في الأصول: ولعل الصواب: (ما أحله الله وأنزله في كتابه).

(٤) لم أقف عليه. وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٦، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٢، و«تفسير غريب القرآن» ص١٦٩، و«تفسير المشكل» ص٧٩.

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠-١١، ورده بنحو ما ذكر الواحدي، وذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٢٦، عن الواحدي وقال: (على هذا أعلم ليست للتفضيل، بل بمعنى: اسم الفاعل في قوته، كأنه قيل: إن ربك هو يعلم) اهـ.

(٦) جاء في الأصول: (يضل) بالياء، وهو خطأ واضح.

(٧) هذا قول الأخفش في «معانيه» ٣/ ٢٨٢، وذكره الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠، وانظر: «المحتسب» ١/ ٢٢٩، و«المشكل» ١/ ٢٦٧، وفيه قال: (ولا يحسن تقدير حذف حرف الجر؛ لأنه من ضرورات الشعر).اهـ. وانظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٧٢.

وقال الزجاج: (موضع (من) رفع الابتداء ولفظها لفظ الاستفهام. المعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضلُّ عن سبيله، قال: وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ[١] الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ [الكهف: ١٢][٢]. وهذا قول المبرد[٣] والكسائي والفراء، قال الفراء: (إذا كانت من بعد العلم والنظر والدراية، مثل: نظرت وعلمت ودريت، كانت في مذهب أي، فإن كان بعدها فعل له رفعتها به، وإن كان بعدها فعل يقع عليها نصبتها، كقولك: ما أدري من قام، ترفع من بقام)[٤]، يريد: أنْ من ترفع بالابتداء، وقام خبره، كذلك (من) ابتداء و(يضلّ) خبره في الآية، وتقول: ما أدري من ضربت، تنصب[٥] (من) بـ (ضربت)؛ لأن بعدها [فعل][٦] يقع عليها، وقال أبو علي الفارسي: (من) معمول فعلٍ مضمر دل عليه (أعلم)، ولا يجوز أن يكون معمول (أعلم)؛ لأن المعاني لا تعمل في المعمول به، ومثل هذا في أنه لا يكون إلا محمولًا على فعل ما أنشده أبو زيد[٧]:

---

(١) في (أ): (ليعلم)، بالياء.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٦، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٧٧، والأزهري في «معاني القرآن» ١/ ٣٨١، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٦٦، والكرماني في «غرائب التفسير» ١/ ٣٨٢، وضعف هذا القول أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢١٠.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٥، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢١٠، والسمين في «الدر» ٥/ ١٢٧، عن المبرد والكسائي.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٢.

(٥) هذا المثال من كلام الفراء في «معانيه» ١/ ٣٥٢.

(٦) في (ش): (فعلًا).

(٧) أبو زيد البصري سعيد بن أوس الأنصاري تقدمت ترجمته.

وأَضْرَبَ مِنه بالسُّيُوفِ القَوَانِسا[١]

فالقوانس محمولة على مضمر دون أضرب هذه الظاهرة، قال: ولا يجوز أن يكون موضع (من) في قوله: ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ جرًّا؛ لأن أفعل[٢] لا يضاف إلا إلى ما هو بعض له كقولك: (أعلم الناس، وليس ربنا بعض من يضل)[٣].

١١٨- قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية. هذا جواب لقول المشركين: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟[٤] ودخلت

---

(١) البيت للعباس بن مرداس السُّلمي في «ديوانه» ص٦٩، و«النوادر» لأبي زيد ص٥٩، و«الأصمعيات» ص٢٠٥، و«الحماسة» لأبي تمام ١/ ٢٤٦، و«اللسان» ٦/ ٣٧٥١ (قنس)، وبلا نسبة في «البيان» ١/ ٣٣٦، و«أمالي» ابن الحاجب ٢/ ١٥٨، و«البحر» ٤/ ٢١٠، و«الدر المصون» ٥/ ١٥٧، و«مغني اللبيب» ٢/ ٦١٨، وصدره:

أكَرّ وأحْمى لِلْحَقِيقَة مِنْهُمُ

وفي المراجع: وأضرب منا، بدل: منهم. والقونس: بفتح القاف وسكون الواو وفتح النون: أعلى البيضة من السلاح. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٧٥١ (قنس).

(٢) لأنه يلزم عليه محذور عظيم، وذلك أن أفعل التفضيل لا تضاف إلا إلى جنسها، فإذا قلت: زيد أعلم الضالين، لزم أن يكون زيد بعض الضالين، فهذا الوجه مستحيل في هذه الآية الكريمة. انظر: «التبيان» ص٣٥٥، و«الفريد» ٢/ ٢١٩- ٢٢٠.

(٣) «الحجة» لأبي علي ١/ ٢٦- ٢٧. وانظر: «المسائل البصريات» ١/ ٥٤٢، و«كتاب الشعر» ٢/ ٥٤٥، و«الإغفال» ص٩٣٥- ٩٣٦، وهذا الوجه هو اختيار ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٣٠، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٣٦، وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٢٧: (والراجح من هذه الأقوال نصبها بمضمر، وهذا قول الفارسي، وقواعد البصريين موافقة له) اهـ.

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٢٨١٨- ٢٨١٩)، وابن ماجه رقم (٣١٧٣)، والترمذي =

الفاء للعطف على ما دل عليه أول الكلام، كأنه قيل: كونوا على الهدى ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي: مما ذُكي على اسم الله تعالى[1]. قال الزجاج: (معناه: كلوا مما أخلصتم ذبحه لله)[2]، وقد ذكرنا عند قوله تعالى[3]: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] إن التسمية لا تجب وأنها سنّة مستحبة[4].

= رقم (٣٠٣٦)، وقال: حسن غريب، والنسائي في «سننه» ٧/ ٢٣٧ كتاب: «الضحايا»، باب: تأويل قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وفي «التفسير» ١/ ٤٧٩، والطبري ٨/ ١١-١٣، والحاكم ٤/ ١١٣- ٢٣١، ٢٣٣، وصححه ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وأخرجه البيهقي في «سننه» ٩/ ٢٤٠، كلهم من طرق جيدة، وبألفاظ متقاربة، وأخرجه النحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٤، وقال: (هذا من أصح ما مر، وهو داخل في المسند).اهـ. وجاء في بعض الروايات أن الآية نزلت في اليهود، ويمكن الجمع بينهما بأن قول المشركين مبني على إيحاء اليهود، وذكر ابن كثير ٢/ ١٨٨، عدة طرق، وقال: (إسناده صحيح، وروي من طرق متعددة ليس فيها ذكر اليهود، وهذا هو المحفوظ؛ لأن الآية مكية، واليهود لا يحبون الميتة). اهـ.

(١) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٢٨، عن الواحدي، وقال: (الظاهر أنها عاطفة على ما تقدم من مضمون الجمل المتقدمة، كأنه قيل: اتبعوا ما أمركم الله من أكل المذكى دون الميتة فكلوا) اهـ.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٦.

(٣) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٠٥ ب.

(٤) هذا قول الشافعي، ورواية عن مالك وأحمد، فمن تركها عندهم عمدًا أو سهوًا لم يقدح في حل الأكل، وذهب الجمهور إلى أنها شرط للإباحة مع الذكر دون النسيان، فيجوز أكل ما تركت عليه التسمية سهوًا لا عمدًا، وهو قول أبي حنيفة ورواية عن أحمد ومالك، وذهب أحمد في رواية إلى أنها شرط مطلقًا، وهذا القول هو الظاهر من نصوص الكتاب والسنة؛ لأن الأدلة لم تفصل، ولأنه علق الحل بذكر اسم الله تعالى، وهو اختيار شيخ الإسلام «الفتاوى» ٣٥/ ٢٣٩، =

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ترغيب في اعتقاد صحة الإذن في أكل المذكاة على اسم الله تعالى، وتأكيد أن ما أباحه الشرع فهو طيب يحل تناوله، ولا يجوز استقذاره حتى لو استقذره إنسان كان غير مؤمن بظاهر هذه الآية، فإن عافت نفسه شيئًا بعد صحة عقيدته بكونه مباحًا غير مستقذر لم يضره ذلك[(١)].

١١٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ الآية. هذا إبلاغ في إباحة ما ذبح باسم الله.

قال الزجاج: (وموضع أن نصب؛ لأن في سقطت فوصل المعنى إلى أن فنصبها، المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا، وسيبويه[(٢)] يجيز أن يكون موضع أن خفضًا، وإن سقطت في، والنصب عنده أجود)[(٣)]، وقد ذكرنا هذا قديمًا[(٤)].

= والشيخ صالح بن فوزان الفوزان في كتاب «الذكاة الشرعية» ص١٤- ١٥، والشيخ محمد بن صالح العثيمين في «رسالة في أحكام الأضحية والذكاة» ص٨٢- ٨٦، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٥٠- ٣٥٥، و«أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٧٤٦، و«المغني» لابن قدامة ١٢/ ٢٥٧، ٣٩٠، والقرطبي ٧/ ٧٥، و«المجموع» للنووي ٨/ ٤١٠، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ١٨٩- ١٩٠، و«نيل الأوطار» ٨/ ١٥٢.

(١) انظر: «الفتاوى» ٢١/ ٥٣٤.

(٢) انظر: «الكتاب» ٣/ ١٢٦- ١٢٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٦، وفيه قال: (ولا اختلاف بين الناس في أن الموضع نصب)، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٧٨، و«المشكل» ١/ ٢٦٧.

(٤) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قرئ[1] بالضم في الحرفين وبالفتح فيهما، وفي الأول بالفتح والثاني بالضم، فمن قرأهما بالضم فحجته قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وقوله][2] ﴿حُرِّمَتْ﴾ تفصيل ما أجمل في هذه الآية، فكما أن الاتفاق هاهنا على ﴿حُرِّمَتْ﴾، كذلك يكون الذي أجمل فيه وكما وجب (حُرِّم) بضم الحاء لقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] كذلك ضم (فُصل) لأن هذا المفصل هو ذلك المحرم الذي قد أجمل في هذه الآية، [وأيضًا][3] فإنه قد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] [و(مفصلًا)][4] يدل على (فُصّل) ومن فتحهما فحجته في (فَصّل) قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ٩٧] وحجته في (حَرّم) قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويؤكد الفتح قوله تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ[5]﴾ [الأنعام: ١١٩] فينبغي أن يكون الفعل مبنيًا للفاعل لتقدم ذكر اسم الله سبحانه، ومن قرأ: (فَصّل) بالفتح فحجته قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ [الأنعام: ٩٧]، وحجته في ضَمِّ (حُرّم)، قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ

---

(١) قرأ ابن عامر، وابن كثير، وأبو عمرو (فصل) بضم الفاء وكسر الصاد، وقرأ الباقون بفتح الفاء والصاد، وقرأ نافع وعاصم في رواية: (حرم) بفتح الحاء والراء، وقرأ الباقون بضم الحاء وكسر الراء. انظر: «السبعة» ص٢٦٧، و«المبسوط» ص١٧٤، و«الغاية» ص٢٤٩، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٩، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) لفظ: (أيضًا) ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (ومفصلًا) ساقط من (ش).

(٥) لفظ: (عليكم) ساقط من (ش).

﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣][١] .

قال المفسرون[٢]: (ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ[٣] فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ هو ما فصله في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾. قال الزجاج: (أي: دعتكم الضرورة لشدة المجاعة إلى أكله)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾. قال أبو علي: (أي: يضلون باتباع أهوائهم[٥]، كما قال: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أي: يضلون[٦] بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وغير ذلك مما يتبعونه

(١) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٩٠- ٣٩١، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٨، ولابن زنجلة ص٢٦٩، و«الكشف» ١/ ٤٤٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٢-١٣، والسمرقندي ١/ ٥٠٩، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٩١، ونسب هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٦، إلى أكثر المفسرين، وذكره القاسمي في «تفسيره» ٦/ ٦٩٥- ٦٩٦، وقال: (ورد هذا بأن المائدة من آخر ما نزل بالمدينة والأنعام مكية، فالصواب أن التفصيل إما في قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥] فإنه ذكر بعدُ بيسير، وهذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد، وإما على لسان الرسول ثم أنزل بعد ذلك في القرآن) .اهـ. وانظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٦٦، وابن عاشور ٨/ ٣٤.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٧، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٢، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٩١.

(٥) في (أ): (هوائهم)، وهو تحريف.

(٦) في (الحجة) لأبي علي ٣/ ٣٩٤- ٤٩٥: (أي: يضلون في أنفسهم من غير أن يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم..).اهـ. وهذا في توجيه قراءة فتح الياء.

ويأخذون به مما لا شيء يوجبه في شرع[١] نحو السائبة[٢] والبحيرة[٣] وغير ذلك مما كن يفعله أهل الجاهلية).

ومن قرأ[٤] بضم [الياء][٥] فحجته أنه يدل على أن الموصوف بذلك في الضلال أذهب، ومن الهدى أبعد، ألا ترى أن كل مضلٍّ ضالٌّ، وليس كل ضالٍّ مضلًّا، [إذا[٦] كان] ضلاله مقصورًا على نفسه لا يتعداه إلى سواه، فالمضل أكثر استحقاقًا للذم، وأغلظ حالًا من الضال لتحمله إثم من

---

(١) في «الحجة» ٣/ ٣٩٥: (من شرع ولا عقل) اهـ.

(٢) السائبة: المهملة، كان الرجل إذا برأ من مرضه أو قدم من سفر أو نجت دابته من مشقة سيب شيئًا من الأنعام للآلهة، والبعير يدرك نتاج نتاجه فيسيب ويترك ولا يحمل عليه، والناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت، أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظمًا، وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلأ، ولا تركيب.
انظر: «اللسان» ٤/ ٢١٦٦ مادة (سيب).

(٣) البحيرة: أصل البحر الشق، وشق الأذن كانوا إذا نتجت الناقة أو الشاة عشرة أبطن بحروها وتركوها ترعى وحرموا لحمها إذا ماتت على نسائهم وأكلها الرجال، أو التي خليت بلا راع، أو التي نتجت خمسة أبطن والخامس ذكر نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى بحروا أذنها فكان حرامًا عليهم لحمها ولبنها وركوبها، فإذا ماتت حلت للنساء، أو هي ابنة السائبة، وحكمها حكم أمها، أو هي في الشاة خاصة إذا نتجت خمسة أبطن بحرت، وهي الغزيرة أيضًا.
انظر: «اللسان» ١/ ٢١٦ مادة (بحر).

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (ليضلون) بضم الياء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «السبعة» ص٢٦٧، و«المبسوط» ص١٧٤، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٩، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٥) في (أ): (بضم التاء)، وهو تصحيف.

(٦) في (ش): (إذ كان).

أضله[١]. وقول أبي علي في تفسير: ﴿لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ موافق لقول ابن عباس فإنه قال: (أراد عمرو بن لحي[٢] فمن دونه من المشركين، وهو أوّل من غيّر دين إسماعيل، واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة)[٣]، وقد ذكرنا قصته[٤] في سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [يريد][٥]: لا علم لعمرو بن لحي، وقال أبو إسحاق: (أي: الذين يحلون الميتة ويناظرونكم في إحلالها، وكذلك كل ما يضلون فيه إنما يتبعون فيه الهوى والشهوة ولا بصيرة عندهم ولا علم)[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ما تعدّى عمرو بن لحيّ حيث ملك مكة واتخذ الأصنام)[٧].

وقال المفسرون[٨]: (يعني: المجاوزين الحلال إلى الحرم).

---

(١) هذا قول أبي علي في الحجة ٣/٣٩٦- ٣٩٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/٣٨٣، و«إعراب القراءات» ١/١٦٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٨، ولابن زنجلة ص٢٦٩، و«الكشف» ١/٤٤٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/١٠٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٢، والرازي ١٣/١٦٦، بدون نسبة.

(٤) انظر: «البسيط» نسخة جامعة الإمام ٣/ ٨٠ ب.

(٥) جاء في (أ): (قال يريد) وكأن القائل هو ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٧، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٣.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٣، والسمرقندي ٣/ ٣١٥، والبغوي ٣/ ١٨٢.

١٢٠- قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ الآية. أكثر المفسرين[١]: (على أن ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ الإعلان بالزنا ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ الاستسرار به). فقال ابن عباس: (كانت العرب يحبون الزنا، وكان الشريف يتشرف أن يزني [فيسر[٢] ذلك]، وغيره لا يبالي أن يظهره، فحرم الله الزنا كله، فقال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿[وَ][٣] لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١])[٤]، وقال الضحاك: (كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالًا ما كان سرًّا فحرم الله تعالى بهذه الآية السر منه والعلانية)[٥]. وقال الكلبي[٦]: (﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ الزنا، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ المُخالَّة[٧])، وقال السدِّي: (ظاهره الزنا في الحوانيت وهم أصحاب الرايات، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ الصديقة يزني بها سرًّا)[٨].

---

(١) حكاه عن أكثر المفسرين البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٢، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٨٦، والفراء في «معانيه» ١/ ٣٥٢، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٦٩، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥١٠، ومكي في «تفسير المشكل» ص٧٩.

(٢) في (ش): (فيستر ذلك).

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من النسخ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٧، والثعلبي في «الكشف» ١٨٣ أ، عن مرة الهمذاني، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٢، بدون نسبة، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٥٥، و«زاد المسير» ٣/ ١١٣، نحوه عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٤، بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ١٨٣ أ، وابن الجوزي ٣/ ١١٤.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٥.

(٧) المخالة، بالضم: المصادقة، وأصل الخُلَّة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في باطنه. انظر: «اللسان» ١٢٥٢ مادة (خلل).

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٧ بسند جيد.

وذهب جماعة[١]: (إلى أن الآية عامة في كل إثم) وهو قول مجاهد وقتادة، وجميع أصحاب المعاني، فقال مجاهد: (يعني: ما ينوي من الإثم وما هو عامله)[٢]. وقال قتادة: (سره وعلانيته)[٣]، قال ابن الأنباري: (يريد: وذروا الإثم من جميع جهاته، كما تقول: ما أخذت من هذا المال [قليلًا[٤] ولا كثيرًا]، يريد: ما أخذته من جميع الوجوه التي يجوز أن يؤخذ منها، كذلك الذنوب كلها لا تخلو من هذين الوجهين)[٥].

وقال أبو إسحاق: (الذي يدل عليه الكلام أنْ المعنى: اتركوا الإثم ظهر أو بطن، أي: لا تقربوا ما حرم عليكم جهرًا ولا سرًّا)[٦]، وقال غيره[٧]: (معنى الآية: النهي عن الإثم مع البيان أنه لا يخرجه من معنى الإثم الاستسرار به، كما كانت الجاهلية ترى في الزنا أنه إثم

(١) وهذا القول هو الراجح وما ذكر من باب التمثيل، وهو اختيار أكثر المفسرين. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٨٠، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٣٢، وقال الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٧: (هذا نهي عام في جميع المحرمات، وهو الأصح؛ لأن تخصيص اللفظ العام بصورة معينة من غير دليل غير جائز).اهـ. وقال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٧٤: (للعلماء فيه أقوال كثيرة، وحاصلها راجع إلى أن الظاهر ما كان عملًا بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى..) اهـ.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٧، والطبري ٨/ ١٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٧ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٧٨.

(٤) في (أ): (قليلًا أو كثيرًا).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١١٤، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٧.

(٦) «معاني الزجاج» ٣/ ٢٨٧.

(٧) ذكره الرازي ١٣/ ١٦٧، وانظر: السمرقندي ١/ ٥١٠.

[إذا أعلن][(١)]، فإذا استتر به صاحبه لم يكن إثمًا، كما ذكره الضحاك[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ [إلى آخرها][(٣)] توعد على فعل الإثم بالجزاء[(٤)].

١٢١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس[(٥)]: (يريد: الميتة ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣])[(٦)]، وقال الكلبي: (يعني: ما لم يُذكّ ومات قبل أن تدرك ذكاته أو ذبح لغير الله)[(٧)]، وقال الزجاج: (أي: مما لم يخلص ذبحه لله)[(٨)]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ الهاء تعود على الأكل المدلول عليه، يعني: وإن الأكل لفسق، أي: أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة[(٩)].

---

(١) في (أ): (إذا علم). (٢) تقدم تخريجه.

(٣) في (أ): (إلى آخره).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٨١، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥١٠.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٨، والبغوي ٣/ ١٨٣، وابن الجوزي في ٣/ ١١٥، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨، ١٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٨ بسند جيد، عن ابن عباس قال: (يريد: الميتة)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٧٨.

(٦) يشير إلى الآية الثالثة من سورة المائدة، والمنخنقة هي التي تموت بالخنق، والموقوذة: هي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، والمتردية: هي التي تقع من موضع عال أو شاهق فتموت، والنطيحة: هي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، وقد كان بعض أهل الجاهلية يستحلون ذلك ويأكلونه، فحرم الله ذلك على المؤمنين. انظر: السمرقندي ١/ ٤١٤، وابن كثير ٢/ ١٣.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٨.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٧، ومثله ذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٠.

(٩) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٢، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٠، السمرقندي ١/ ٥١٠، و«الدر المصون» ٥/ ١٣٢.

قال [ابن عباس][(١)]: (يريد: عصيان)[(٢)]، ومعنى الفسق في اللغة[(٣)]: الخروج عن الحق والدين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ أي: يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل، وهو ما ذكرناه من أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة[(٥)]، وأكثر المفسرين: (على أن المراد بالشياطين هاهنا: إبليس وجنوده، وسوسوا إلى أوليائهم من المشركين وأهل الضلالة ليخاصموا محمدًا ﷺ وأصحابه في أكل الميتة)[(٦)]. وقال عكرمة[(٧)]: (﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ يعني: مردة المجوس ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾

---

(١) لفظ: (ابن عباس) ساقط من (أ)، وملحق بالهامش.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٠، وابن أبي حاتم ٣/ ١٠٦، بسند ضعيف.

(٣) الفسق، بكسر الفاء وسكون السين: الخروج عن الطاعة إلى العصيان والترك لأمر الله ﷻ والميل إلى المعصية. قال الراغب في «المفردات» ص٦٣٦: (وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيرًا، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه).اهـ. وانظر: «العين» ٥/ ٨٢، و«الجمهرة» ٢/ ٨٤٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٨٨، و«الصحاح» ٤/ ١٥٤٣، و«المجمل» ٣/ ٧٢١، و«اللسان» ٦/ ٣٤١٤ مادة (فسق).

(٤) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨٧، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٨٢.

(٥) هذا نص كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨٧.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، من عدة طرق، عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعبد الله بن كثير، وقتادة والسدي والضحاك. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٧٨-٧٩.

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٩ بسند جيد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢٦، ورجح الطبري ٨/ ٢٣- ٢٤، العموم وتعاونهم في ذلك؛ لأن الله تعالى جعل للأنبياء أعداء من شياطين الإنس والجن، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٣٥.

من مشركي قريش، قال: وذلك أن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش -وكانوا أولياءهم في الجاهلية، وكانت بينهم مكاتبة- أن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال وما ذبح الله فهو حرام، فوقع في أنفس ناس [من المسلمين][(١)] من ذلك شيء، فأنزل الله هذه [الآية][(٢)].

ثم قال: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني: في استحلال الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. قال أبو إسحاق: (وفي هذا دليل أن كل من أحل شيئًا مما حرم الله، أو حرم شيئًا مما أحل الله فهو مشرك، وإنما سمي مشركًا لأنه اتبع غير الله ﷻ، فأشرك به غيره)[(٣)].

فإن قال قائل: كيف أبحتم ذبيحة المسلم التارك للتسمية والآية كالنَّص في التحريم؟ قيل: إن جميع المفسرين فسروا الآية بالميتة، وأشباهها، مما ذكره ابن عباس ولم يحملها أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية، وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة، منها قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية بالإجماع، وإنما التفسيق في أكل الميتة مع اعتقاد التحريم، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ وهذه المناظرة إنما كانت في مسألة الميتة بإجماع من أهل التفسير، لا في هذه المسألة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، والشرك في [استحلال الميتة

(١) لفظ: (من المسلمين) مكرر في (ش).
(٢) لفظ: (الآية) ساقط من النسخ، وملحق في (أ) بأعلى السطر.
(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٧، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٢، عن أهل النظر. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥ وما بعدها، والسمرقندي ١/ ٥١٠.

لا في[1]] استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها[2].

١٢٢- قوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ . قرأ نافع[3] (مَيِّتًا) بالتشديد. قال أهل اللغة[4]: (المَيْتُ، مخففًا: تخفيف ميِّت، ومعناهما واحد ثُقِّلَ أو خُفِّفَ، والمحذوف في[5] المخفف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو، أُعلت بالحذف كما أعلت بالقلب)[6] قال ابن عباس[7]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) ذكر مثل هذا الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٩، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٣٨، وقال الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٨٥: (الصواب: إن الله عنى بذلك ما ذبح للأصنام والآلهة، وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته، وأما من قال: عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد عن الصواب؛ لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله، وكفى بذلك شاهدًا على فساده).اهـ.
وانظر: البغوي ٣/ ١٨٣، وابن عطية ٦/ ١٤٠.

(٣) قرأ نافع (ميّتًا) بتشديد الياء مع كسرها، وأسكنها الباقون.
انظر: «السبعة» ص٢٦٨، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٩، و«التيسير» ص١٠٦.

(٤) الموت: ضد الحياة، يقال: ميت بفتح الميم، وكسر الياء المشددة، وأصله ميْوت على فيعل. وقيل: أصله مويت ثم أدغم ثم خفف، فقيل: ميت بفتح الميم وسكون الياء، والمعنى واحد.
انظر: «العين» ٨/ ١٤٠، و«الجمهرة» ١/ ٤١١، و«البارع» ص٧٠٤، و«تهذيب اللغة» ١٤/ ٣٤٢، و«الصحاح» ١/ ٢٦٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٨٣، و«المفردات» ص٧٨١، و«اللسان» ٢/ ٩٠ (موت).

(٥) في (أ): (والمحذوف من المخفف في الياءين).

(٦) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٣٩٨-٣٩٩، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٣، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٨.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٩١، بسند جيد وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٥١- ٣٥٢.

ومجاهد(١) ومحمد بن كعب(٢) وجميع المفسرين(٣): (يعني: من كان كافرًا [ضالًّا](٤) فهدينا).

قال أهل المعاني: (قد وصف الكفار بأنهم أموات في قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] فلما جعل الكفر موتًا، والكافر ميتًا، جعل الهدى حياة، والهداية إحياء، وإنما جعل الكفر موتًا؛ لأنه جهل، والجهل يؤدي إلى الحيرة والهلكة، والموت كالجهل في أنه لا يدرك به حقيقة، والهدى علم وبصيرة، والعلم يهتدي به إلى الرشد ويدرك به الأمور كما يدرك الحياة)(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: (يعني: دينًا)(٦)، وقال مجاهد: (يعني: الهدى)(٧)، وقال الكلبي: (إيمانًا

---

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٢/ ٩٠-٩١ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٥٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ومنهم مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٨٧، والفراء في «معانيه» ١/ ٢٥٣، وابن قتيبة في تفسير «غريب القرآن» ص١٥٩، والطبري في «تفسيره» ١٢/ ٨٨، والسمرقندي ١/ ٥١١، ومكي في «تفسير المشكل» ص٧٩.

(٤) لفظ: (ضالًّا) ساقط من (أ).

(٥) بعضه في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٩٨، وذكره الرازي ١٣/ ١٧٣١ عن أهل المعاني، وانظر: «الفتاوى» ١٩/ ٩٤، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٧٨.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني بالنور: القرآن) اهـ. وأخرج بسند ضعيف عنه قال: (يقول: الهدى). وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ٨١: (أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (يعني بالنور: القرآن) اهـ.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨١، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٣، قال: (يعني: الإيمان) اهـ.

﴿يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ مع المسلمين)[١]، وقال ابن زيد: (يعني: الإسلام)[٢]، وهذا الأقوال سواء[٣]، قال أصحاب المعاني الزجاج[٤] وأبو علي[٥]: (المؤمن مستضيء في الناس بنور الحكمة والإيمان فيراد بالنور هاهنا: نور الحكمة التي يؤتاها المسلم بإسلامه)، وقال قتادة: (النور هاهنا كتاب الله بينة من الله مع المؤمن، بها يعمل، وبها يأخذ، وإليها ينتهي)[٦]، وهو قول الحسن قال: (هو القرآن)[٧]، قال أبو علي: (ويجوز أن يراد به النور المذكور في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣])[٨].

وقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾. قال المفسرون: (يعني: الكافر [يكون][٩] في ظلمات الكفر والضلالة)[١٠]. ومعنى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ كمن هو في الظلمات، والعرب[١١] تزيد مثل في الكلام،

---

(١) لم أقف عليه، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، بسند جيد.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٧٢، وابن كثير ٢/ ١٩٢.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨.

(٥) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٩٩.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨١.

(٧) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٣، وابن الجوزي ٣/ ١١٧.

(٨) الحجة لأبي علي ٣/ ٣٩٩.

(٩) لفظ: (يكون) ساقط من (أ).

(١٠) ومنهم الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣، وأخرجه من عدة طرق عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد.

(١١) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٢- ٣.

ولا يريدون به التشبيه، كقولهم: أنا أكرم مثلك. أي: أنا أكرمك، وعلى هذا يتوجه قوله تعالى: ﴿فجزاء مثل ما قتل [من النعم]﴾[(١)] [المائدة: ٩٥] فيمن أضاف[(٢)]؛ لأن معناه: فجزاء ما قتل، لا جزاء مثله.

ومن هذا قل[(٣)] في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ليس كهو شيء[(٤)]، والتقدير في الآية: أفمن جعلنا له نورًا[(٥)] يمشي به كمن هو في الظلمات، والمِثْل والمَثَل[(٦)] واحد.

ويجوز أن يكون المعنى: كمن مثله الذي هو شبه له في الظلمات، وإذا كان مثله في الظلمات كان هو أيضًا فيها، فأخبر عن مثله، أي: شبهه، والمراد به: الكافر لا شبيهه، وهذان القولان معنى ما ذكره أبو علي[(٧)] في هذه الآية، وقال غيره من النحويين[(٨)]: (معنى الآية: كمن في الظلمات، وزيد المثل لأنه يفيد أنه يُضرب به المثل في ذلك). وقال بعضهم: (التقدير كمن مثله مثل من في الظلمات، أي: كمن لو شبه بشيء كان شبيهه من في

---

(١) لفظ: (من النعم) ساقط من (أ).

(٢) يعني: على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر (فجزاءُ مِثْلِ ما قتل)، بضم (فجزاءُ) من غير تنوين مضافة وجر (مثل). انظر: «السبعة» ص٢٤٧، و«المبسوط» ص١٦٣، ١٦٤، و«التذكرة» ٢/ ٣٩٠.

(٣) كذا في النسخ، والأولى: (ومثل هذا قل في قوله).

(٤) انظر: «معاني الحروف» للرماني ص٤٨، ٤٩، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٩١.

(٥) في (أ): (نوران)، وهو تحريف.

(٦) المثل بكسر الميم وسكون الثاء، والمثل بالفتح، واحد، بمعنى: التسوية، انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٣٢ (مثل).

(٧) انظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٥٦-٢٥٧، وهو نص كلامه مع زيادة شرح من الواحدي.

(٨) لم أقف عليه.

الظلمات) وهذا قول الحسين بن الفضل[١]، وهو أضعف هذه الأقوال.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. قال الكلبي: (ليس بمؤمنٍ أبدًا)[٢]، واتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في مؤمن وكافر، وأجمعوا على أن الكافر أبو جهل[٣].

واختلفوا في المؤمن من هو؟

فقال ابن عباس: (يريد: حمزة بن عبد المطلب، وذلك أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث، وحمزة يومئذ لم يؤمن، فأخبره حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه، وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى [علا][٤]، أبا جهل بالفرس، وهو يتضرع إليه ويستكين، ويقول: أما ترى ما جاء به، سفه عقولنا، وسب آلهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له[٥]] وأن محمدًا رسوله، فأنزل الله هذه الآية)[٦].

وقال مقاتل: (نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وذلك أنه قال: زاحمنا

---

(١) ذكر هذا القول الثعلبي في «الكشف» ١٨٣ ب بدون نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٢، بدون نسبة، وقال مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢٢٣: (﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: الضلالة أبدًا).

(٣) حكى الاتفاق أيضًا ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٢٣٧.

(٤) لفظ (علا)، ساقط من أصل (أ)، وملحق بأعلى السطر.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٦) ذكره أكثرهم.
انظر: الثعلبي ص١٨٣ ب، و«أسباب النزول» للواحدي ص٢٢٤، والبغوي ٣/ ١٨٤، وابن الجوزي ٣/ ١١٦، والرازي ١٣/ ١٧٢، والقرطبي ٧/ ٧٨، وذكر القصة دون ذكر الآية ابن هشام في «السيرة» ١/ ٣١٢، ٣٧٦، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ١٩٢-١٩٣.

بنو[(١)] عبد [مناف][(٢)] في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان[(٣)] قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فأنزل الله هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٤])[(٤)].

قال الزجاج: (على هذا القول فالنبي ﷺ هُدى، وأعطي نور الإسلام و[النبوة][(٥)] والحكمة، وأبو جهل في ظلمات الكفر)[(٦)].

وقال عكرمة[(٧)] والكلبي[(٨)]: (نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل).

وقال الضحاك[(٩)]، ويمان: نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ وأبي جهل)[(١٠)].

---

(١) في (أ): (بني)، وهو تحريف.

(٢) لفظ: (مناف)، ساقط من (ش).

(٣) كَفَرسي رهان: أي: يتسابقان إلى غاية. وفرس بالفتح: واحد الخيل. ورهان بالكسر: المسابقة على الخيل. انظر: «النهاية» لابن الأثير ٣/ ٤٢٨-٤٢٩، و«اللسان» ٦/ ٣٣٧٨ (فرس)، ٣/ ١٧٥٨ (رهن).

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٧.

(٥) لفظ: (النبوة) ساقط من (أ).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٢ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨١، وحكاه ابن الجوزي ٣/ ١١٦ عن ابن عباس.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٦، وذكره السمرقندي ١/ ٥١١، والثعلبي ص١٨٣/ ب، والماوردي ٢/ ١٦٤، والبغوي ٣/ ١٨٥، عن الكلبي.

(٩) أخرجه الطبري ٨/ ٢٢ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨١.

(١٠) لم أقف عليه عن يمان. وحكاه النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٣، عن السدي، والماوردي ٢/ ١٦٣ عن مقاتل، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٢، عن زيد بن أسلم، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٨١ عن ابن عباس.

وقال الحسن[(١)]: (الآية عامة [في كل مؤمن وكافر، ولم تنزل في مؤمن وكافر مخصوصين)، وهو قول الزجاج: (يجوز أن تكون هذه الآية[(٢)] عامة] لكل من هداه الله، ولكل من أضله، فاعلم أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أُحيي، وجُعل مستضيئًا في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات الذي لا يتخلص منها)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: زين الشيطان لهم عبادة الأصنام)[(٤)]. وأما وجه التشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فالمعنى: زين لهم الكفر فعملوه كما زين لأولئك الإيمان، فشبهت حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه[(٥)].

وقال أبو إسحاق: (موضع الكاف رفع، المعنى: مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم)[(٦)].

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ١٦٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٢، وابن الجوزي ٣/ ١١٦.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨، وهذا القول هو الراجح، فالآية عامة يدخل فيها كل مؤمن وكافر، وهو اختيار القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٧٨، وابن كثير ٢/ ١٩٢، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٣: (الذي يوجب المعنى أن يكون عامًّا إلا أن تصح فيه رواية).اهـ. وقال الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٧٣: (الحق أن الآية عامة؛ لأن المعنى إذا كان حاصلًا في الكل كان التخصيص محض تحكم، إلا إذا قيل: إن النبي ﷺ قال: «إن مراد الله تعالى من هذه الآية العامة فلان بعينه».اهـ. ملخصًا.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٥.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٤، والسمرقندي ١/ ٥١١، وابن عطية ٥/ ٢٣٧.

(٦) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٣٤، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨٨، عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ (موضع الكاف نصب معطوفة على ما قبلها=

١٢٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ الآية، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في الآية الأولى، أي: ومثل ذلك جعلنا في كل قرية، أي: كما زينا للكافرين أعمالهم كذلك[١] جعلنا.

قال المفسرون[٢]: (يعني: كما إن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها).

قال ابن عباس: (أكابر مجرمي مكة المستهزئون المقتسمون عقاب[٣] مكة)[٤].

قال الزجاج: (إنما جعل الأكابر المجرمين؛ لأنهم بما هم فيه من الرئاسة والسعة أدعى لهم المكر والكفر، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧])[٥].

= وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ المعنى: مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم وكذلك جعلنا).اهـ. وقال الهمداني في «الفريد» ٢/ ٢٢٣: (الكاف يحتمل أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: فعلنا لهذه الأشياء المتقدم ذكرها، وهي إحياء الميت وجعل النور له، وذكرنا لمن مثله في الظلمات مثل تزييننا للكافرين عملهم، أو في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف، أي: فعلنا هذه الأشياء فعلًا مثل فعلنا للتزيين) اهـ.

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٤.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥١١، و«الثعلبي» ١٨٣ ب.

(٣) عقاب، بكسر العين: مرقى صعب من الجبال، وكل طريق بعضه خلف بعض، وعقب كل شيء: آخره. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٢٩ (عقب).

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨، وزاد أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣]. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٨٤.

والأكابر جمع الأكبر الذي هو اسم(١). والآية على التقديم والتأخير، تقديره: جعلنا مجرميها أكابر، ولا يجوز أن يكون الأكابر مضافة؛ [لأنه](٢) لا يتم المعنى، ويحتاج إلى إضمار المفعول الثاني للجعل، لأنك إذا قلت: جعلت زيدًا، وتسكت لم يُفد الكلام حتى تقول: رئيسًا أو ذليلًا، أو ما أشبه ذلك، لاقتضاء الجعل مفعولين، ولأنك إذا أضفت الأكابر فقد أضفت النعت إلى المنعوت، وذلك لا يجوز عند البصريين(٣).

وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾. قال مجاهد: (هو أنهم أجلسوا على كل طريق أربعة، واقتسموا عقاب مكة، فذلك مكرهم)(٤)، ومعنى

---

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٧، و«الطبري» ٨/ ٢٤، و«الدر المصون» ٥/ ١٣٦.

(٢) لفظ: (لأنه) ساقط من (ش).

(٣) ذكر نص كلام الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٧٤٠ بدون نسبة، وقال مكي في «المشكل» ١/ ٢٦٨، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٣٨، (مجرميها) مفعول أول لجعلنا، (أكابر) مفعول ثانٍ مقدم. اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٣٤-١٣٦: (جعل تصيير به، فتتعدى لاثنين، واختلف في تقديرهما، والصحيح أن يكون (في كل قرية) مفعولًا ثانيًا قدم على الأول، والأول (أكابر) مضافًا لمجرميها..) اهـ. ثم ذكر قول الواحدي، وقال: (هذان الوجهان اللذان رد بهما الواحدي ليسا بشيء، أما الأول فلا نسلم أنا نضمر المفعول الثاني، وأنه يصير الكلام غير مفيد، وأما ما أورده من الأمثلة فليس مطابقًا لأنا نقول: إن المفعول الثاني مذكور مصرح به، وهو الجار والمجرور السابق، وأما الثاني فلا نسلم أنه من باب إضافة الصفة لموصوفها؛ لأن المجرمين أكابر وأصاغر فأضاف للبيان لا لقصد الوصف، وانظر: «غرائب التفسير» ١/ ٣٨٣، و«التبيان» ٣٥٧، و«الفريد» ٢/ ٢٢٤.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٣، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١١٨، والقرطبي ٧/ ٧٩، وذكره البغوي ٣/ ١٨٥ بدون نسبة.

قوله: جعلناهم[(١)] ﴿لِيَمْكُرُوا﴾ بيان أنهم لم يمكروا مُعاداة لله، بل جعلهم أكابر ليمكروا تكذيبًا للقدرية في مسألة التعديل والتجوير[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ما يحيق هذا المكر إلا بهم؛ لأنهم بمكرهم يعذبون)[(٣)]، كأنه قيل: ما يضرون بذلك المكر إلا أنفسهم؛ لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يمكرون بها[(٤)]، قال ابن عباس: (لأنهم يقتلون ويصيرون إلى العذاب)[(٥)].

١٢٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ الآية، قد ذكرنا قول مقاتل في سبب نزول هذه الآية، وقال غيره من المفسرين: (إن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقًّا، لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سنًّا وأكثر منك مالًا، فأنزل الله هذه الآية)[(٦)]، وقال الضحاك: (سئل كل واحد من القوم أن يخص بالوحي والرسالة كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢][(٧)]، وظاهر الآية يدل على هذا؛ لأن الكناية في قوله:

(١) هكذا العبارة في النسخ، وهي لا تستقيم، ولعل فيه سقطًا، أو الصواب: ومعنى (ليمكروا) جعلناهم ليمكروا، وفيه بيان أنهم لم يمكروا.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٧٤.

(٣) لم أقف عليه، وهو نص كلام الزجاج في معانيه ٢/ ٢٨٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٨٤، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥١١.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٣.

(٦) ذكره أكثرهم. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٨، والسمرقندي ١/ ٥١١، والثعلبي ١٨٣ ب، والبغوي ٣/ ١٨٥، والرازي ١٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ٨٠.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٣، وابن الجوزي في «تفسيره» ١٣/ ١٧٥.

﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ﴾ تعود على الأكابر[١] الذين جرى ذكرهم، فعلى هذا أراد القوم أن تكون لهم النبوة والرسالة كما كانت لمحمد ﷺ.

وقال ابن عباس: (﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ﴾ يريد: من علم الغيب الذي أطلع الله نبيه عليه مما يخبرهم به ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾ لن نصدق ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ يريد: حتى يوحي إلينا ويأتينا جبريل فنصدق)[٢]، وعلى هذا: القوم لم يريدوا النبوة وإنما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بصدق محمد كما قالوا: ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، وكما قالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: ٨]. والأول أقوى[٣] لقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ يعني: أنهم ليسوا لها بأهل، وعلى قول ابن عباس يتوجه هذا على أن[٤] من أرسل إليه الملك وكلمه عيانًا حصلت له منزلة الرسل ومرتبة الأنبياء، وليسوا هم لهذا بأهل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ هو أعلم بمن يختص بالرسالة، قال أبو علي: (لا يجوز أن يكون العامل في ﴿حَيۡثُ﴾ ﴿أَعۡلَمُ﴾ هذه الظاهرة، ولا يجوز أن يكون ﴿حَيۡثُ﴾ ظرفًا؛ لأنه يصير التقدير: الله أعلم في هذا الموضع، ولا يوصف الله سبحانه بأنه أعلم في مواضع أو أوقات؛ لأنه علمه لا يختلف بالزمان والمكان، فإذا كان كذلك

= والرازي ١٣/ ١٤٣.

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٨-٢٨٩، و«تفسير الرازي» ١٣/ ١٧٥.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١١٨، والرازي ١٣/ ١٧٥، والخازن ٢/ ١٨٠.

(٣) وهو اختيار القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٨٠، وقال الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٧٦: (القول الأول هو المشهور، وقال المحققون: هو أقوى وأولى) اهـ. ملخصًا.

(٤) لفظ: (أن) ساقط من (أ).

كان العامل في ﴿حَيْثُ﴾ فعلًا يدل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾ و﴿حَيْثُ﴾ لا يكون ظرفًا بل يكون اسمًا، ويكون انتصابه انتصاب المفعول به [على الاتساع، ومثل ذلك في انتصاب ﴿حَيْثُ﴾ على المفعول به](١) قول الشماخ:

وَحَـلأهـا(٢) عَـنْ ذي الأَراكَـةِ عَـامِـرٌ
أَخو الخُضْرِ يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ(٣)

فحيث مفعول به، لأنه ليس يريد: أنه يرمي شيئًا حيث(٤) تكوى النواحز: إنما يريد: أنه يرمي ذلك الموضع، فحيث تكوى النواحز مفعول به)(٥).

وقال الحكماء: (الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم؛ لأن الطعن كان يتسع عليهم، فيقال: إنما كانوا أكابر

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٢) في النسخ: (وجلاهما)، وهو خلاف ما في المراجع الآتية.

(٣) «ديوانه» ص٦٥، و«المعاني الكبير» ٢/ ٧٨٣، و«جمهرة أشعار العرب» ٢/ ٨٢٨، و«البحر» ٤/ ٢١٦، و«الدر المصون» ٥/ ١٣٧. وحلأها، أي: منع الحُمر من الماء. انظر: «اللسان» ٢/ ٣٨٢ (حلا). وذو الأراكة: اسم مكان، وهو نخل وماء باليمامة. انظر: «معجم البلدان» ١/ ١٣٥. وعامر أخو الخضر، اسم وكنية لرام من أمهر الرماة وقانص مشهور يقال له: الرامي. والخضر: بضم الخاء وسكون الضاد هم ولد مالك بن مطرف المحاربي، سموا بذلك لشدة سمرتهم.
انظر: «الإصابة» ٢/ ٢٦١. والنواحز: الإبل المصابة بالنحاز، وهو داء من عوارضه سعال شديد، وعلاجه الكي في الرقاب والأجناب. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٦٦ (نحز).

(٤) في (أ): (حيث يكون تكوى)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي ١/ ٣٥، ٣/ ٢٤٤، و«كتاب الشعر» ١/ ١٧٨، و«التبيان» ٣٥٧، و«الفريد» ٢/ ٢٢٥، و«الدر المصون» ٥/ ١٣٧.

رؤساء فاتبعوا، فكان الله تعالى أعلم حيث جعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد بن المغيرة، وأكابر مكة)[١].

وقوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾، الصغار[٢] الذل الذي يصغر إلى المرء نفسه، قال الليث: (يقال من الصغر ضد الكبر: صَغُر[٣] يَصْغُر صِغَرًا، فهو صغير، وأما الصَّغار فهو مصدر الصغير في القَدْر، يقال منه: صَغِر[٤] يَصْغَر وصَغِر يَصغُر صَغَرًا وصَغَارًا، فهو صاغِرٌ، ويقال أيضًا في المصدر: صَغَرًا[٥] وهو الذل، والصاغِرُ: الراضي بالذل، والصُّغرِ)[٦].

[قال أبو إسحاق][٧] (أي: هم وإن كانوا أكابر في الدنيا فسيصبهم

---

(١) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٨٩، وحكاه الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١١٨، و«الخازن» ٢/ ١٨٠، عن أهل المعاني.

(٢) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٣٩، و«البارع» ص٢٩٣، و«الصحاح» ٢/ ٧١٣، و«المجمل» ٢/ ٥٣٤، و«المفردات» ص٤٨٥ (صغر).

(٣) صَغُر: بفتح الصاد، وضم الغين، يَصْغُر: بضم الغين. صِغَرًا: بكسر الصاد، وفتح العين. انظر: «العين» ٤/ ٣٧٢.

(٤) صَغِر: بفتح الصاد وكسر الغين. يَصْغَر: بفتح الغَين. وصَغِر: بفتح الصاد وكسر الغين. يصغرُ: بضم الغين. صُغْرًا: بالفتح. وصغارًا: بالفتح.

(٥) يقال: صغر يصغر: بضم الغين. صغرًا: بضم الصاد وسكون الغين، ويقال: صَغر يصغَر: بفتح الغين. صِغْرًا: بكسر الصاد، وسكون الغين. ويقال: صَغُر: بضم الغين وفتحها؛ من الذل. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٥٣ (صغر)، و«الدر السمين» ٥/ ١٤٠.

(٦) «تهذيب اللغة» ٨/ ٢٣- ٢٤، وفيه قال الليث: (يقال: صَغِر يَصْغَر صَغَرًا وصَغَارًا، فهو صاغر، إذا رضي بالضيم وأقرَّ به. ويقال: من الصغر ضد الكبر: صَغُر يَصْغُر صِغَرًا، وأما الصَّغار فهو مصدر الصغير في القدر) اهـ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

صغار عند الله، أي: مذلة و﴿عِندَ﴾ متصلة بـ ﴿سيصيب﴾، المعنى: سيصيبهم عند الله صغار، قال وجائز أن يكون ﴿عِندَ﴾ متصلة بصغار فيكون المعنى: سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله لهم)[١].

قال أبو علي: (يحتمل أن يكون ﴿عِندَ﴾ متصلة بـ ﴿سيصيب﴾ ومعمولًا له، كما قال[٢]، [كأنه][٣] سيصيب عند الله الذين أجرموا صغار، ويجوز أن يكون ﴿عِندَ﴾ معمولًا لصغار، والعامل فيه صغار نفسه؛ لأنه مصدر فلا يحتاج إلى تقدير محذوف في الكلام كما قدّره أبو إسحاق في قوله: صغار ثابت عند الله، لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه، والدليل على أن الصغار مصدر قوله:

وإذا تكُونُ[٤] شَدِيدَة أُدْعَى لَهَا   وإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
هَذَا لَعَمْرِكُمْ الصَّغَارُ بَعَيْنِهِ   لا أُمَّ لي إنْ كَانَ ذاكَ ولا أبُ[٥]

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٩.

(٢) قوله: (كما قال) يريد الزجاج، في تقديره السابق.

(٣) لفظ: (كأنه) ساقط من (ش). (٤) في (ش): (يكون).

(٥) البيتان مختلف في نسبتهما وهما في: «اللسان» ٢/ ١٠٦٩. (حيس) لهنى بن أحمر الكناني أو لزرافة الباهلي أو لغيرهما كما في «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٩٢١، وهما بلا نسبة في «معاني الفراء» ١/ ١٢١- ١٢٢، والأول في «الأضداد» لابن الأنباري ص١٢٠.

والشاهد في: البيت الأخير وهو: لرجل من بني مذحج في «الكتاب» ٢/ ٢٩١- ٢٩٢، و«الأصول» ١/ ٣٨٦، ولهنى الكناني في «الكتاب» ١/ ٣١٩، وبلا نسبة في: «معاني الأخفش» ١/ ٢٥، و«المقتضب» ٤/ ٣٧١، و«الجمل» للزجاجي ص٢٣٩، و«الحجة» لأبي علي ١/ ١٩٠، و«معاني الحروف» للرماني ص٨٢، و«اللمع» ص٩٩، و«رصف المباني» ص٣٣٨، و«المغني» ٢/ ٥٩٣. والحَيْسُ، بفتح الحاء وسكون الياء: الأقط يخلط بالتمر والسمن.

والتقدير فيه إذا كان مصدرًا: أن يصغروا عند الله، وعلى هذا التأويل لا وجه لتقدير ثابت في الكلام؛ لأن الفعل[1] نفسه يعمل فيه، ألا ترى أنك لو قلت: ضرب زيد خلفك عمرًا[2] حسن لكان المصدر يعمل في خلفك، ويعمل في عمرو وينتصب به، وكذلك صغار، والمعنى: صغارهم، ولم يضف المصدر إليهم؛ لأن في الكلام دليلًا عليه، كما حُذف المضاف إليه في قوله: ﴿دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] و﴿بسؤالِ[3] نعجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤] هذا إذا جعلت صغارًا مصدرًا، فإن قدرته موصوفًا لم يكن ﴿عِندَ﴾ معمولًا لصغارِ ولكن يكون متعلقًا بمحذوف، ولابد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه، وهذا كقولك وأنت تريد الصفة: هذا رجل خلفك، فالمعنى: رجل ثابت أو مستقر خلفك، وكلا الوجهين جائز، ولا يجوز على واحد منهما تقديم ﴿عِندَ﴾ على ﴿صَغَارٌ﴾ كما جاز تقدير تقديمه إذا كانْ معمولًا لسيصيب، إلا أن الوجه الأول من هذين الوجهين أعجب إليّ، وإن كان الثاني حسنًا؛ لأن صغارًا مصدر، والمصادر تعمل أعمال الفعل وتقوم مقامه، فإذا أعملت عمل الفعل وقامت مقامه، لم يحسن وصفه كما لا يحسن وصف الفعل)[4].

---

(١) في (أ): (لأن الفعل يعمل نفسه يعمل فيه)، وهو تحريف.

(٢) في (أ): (عمروًا).

(٣) في النسخ: (وسؤال)، وهو تحريف.

(٤) «الإغفال» ص٩٦٥- ٦٩٨، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٣، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٨٤، و«الفريد» ٢/ ٢٢٥، و«الدر المصون» ٥/ ١٤٠.

١٢٥- قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الآية ، قال الليث: (يقال: شرح الله صدره فانشرح، أي: وسع[١] صدره لقبول الخير فتوسع)[٢].

وقال غيره: (شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره، وشرح مسألةً إذا كانت مشكلةً فبيّنها)[٣].

وقال أبو العباس عن ابن الأعرابي: (الشرح: الفتح، والشرح: البيان)[٤]، فقد ثبت للشرح[٥] معنيان: أحدهما: الفتح، ومنه يقال: شرح الكافر بالكفر صدرًا. أي: فتحه لقبوله، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]. وقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢] أي: فتحه ووسعه له، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] .

قال الكلبي: (﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ يوسع قلبه ويلينه ليقبل الإسلام)[٦].

والذي يدل على أن الشرح معناه: الفتح والتوسيع، وصف الكافر بضده من تضييق قلبه، وهو قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. قال المفسرون: (ولما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ فقيل له: كيف يشرح صدره؟ فقال: «**بنور يقذف فيه حتى ينفسح وينشرح**»،

---

(١) في (ش): (أي: وسع الله).

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥١.

(٣) هذا في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥١، كأنه من قول الليث.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥١. وفيه أيضًا: (الشرح الحفظ والفهم).اهـ.

(٥) انظر: «العين» ٣/ ٩٣، و«الجمهرة» ١/ ٥١٣، و«الصحاح» ١/ ٣٧٨، و«المجمل» ٢/ ٥٢٨، و«المفردات» ص٤٤٩، و«اللسان» ٤/ ٢٢٢٨ (شرح).

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٥٨.

فقيل له: وهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ فقال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[١].

روي[٢] ذاك عن ابن عباس[٣] ثم قال: (وكذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ)[٤].

ويروي أن ابن مسعود[٥] كان السائل.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص١٠٦، ووكيع ١/ ٢٣٨، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٧، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٩٨ (٣٤٣٠٣)، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» ٢/ ٣٢٨، والطبري ٨/ ٢٦، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٤ وأبو الشيخ في «طبقات أصبهان» ١/ ٤٥٢، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥١٢، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٣٩٨، من طرق معلولة بالإرسال أو الضعف، وأصله مرسل يروى عن عبد الله بن المسور الهاشمي المدائني ضعيف متهم بالوضع. انظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي ٢/ ٣١٨، و«شرح علل الترمذي» لابن رجب ٢/ ٧٧٢، و«لسان الميزان» ٣/ ٣٦٠. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٣، وزاد نسبته إلى (سعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن المسور). وذكر ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٩٥، عدة طرق للحديث ثم قال: (هذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا، والله أعلم).اهـ.

(٢) لفظ: (روى) ساقط من (ش).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٤ بسند ضعيف.

(٤) هذه الزيادة لم أقف عليها.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٩٨ (٣٤٣٠٣)، والطبري ٨/ ٢٦، والحاكم ٤/ ٣١١، وسكت عنه، وقال الذهبي في «التلخيص»: (فيه عدي بن الفضل ساقط)، وقال ابن كثير ٢/ ١٩٥: (أخرجه ابن أبي حاتم)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» من طرق عن ابن مسعود.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. وقرأ ابن كثير[١]: (ضيقًا) ساكنة الياء، وهو من باب المَيِّت والمَيْت في أن المخفف مثل المشدد في المعنى.

قال أبو علي: (والياء مثل الواو في الحذف، وإن لم تعتل بالقلب كما اعتلت الواو به اتبعت الياء الواو في هذا، كما اتبعت في قولهم: اتَّسَر من الميسر فجعلت بمنزلة اتَّعدَ)[٢].

وقال أبو بكر بن الأنباري: (الذي يثقل الياء يقول: وزنه من الفعل فَعِيل، والأصل فيه ضييق على مثال: كريم ونبيل، فجعلوا الياء الأولى ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها من حيث أعلوها في ضاق يضيق، ثم أسقطوا الألف لسكونها وسكون ياء فعيل، فأشفقوا من أن يلتبس فعيل بفعْل فزادوا ياء على الياء ليكمل بها بناء الحرف ويقع بها فرق ما بين فَعِيل وفَعْل، والذين خففوا الياء قالوا: قد وضح أصل الحرف وعرف التشديد فخفف عند الثقة بأنه لا يلتبس بغيره.

قال: وقال البصريون: وزنه من الفِعل فَيْعِل فأدغمت[٣] الياء في الياء التي بعدها فوجب التشديد، ثم جاز التخفيف بعد، قال: وردّ الفراء وأصحابه هذا، وقالوا: لا يعرف في كلام العرب اسم على مثال فَيْعِل،

(١) قرأ ابن كثير (ضيقا) بسكون الياء المخففة، وقرأ الباقون بكسر الياء المشددة. انظر: «السبعة» ص٢٦٨، و«المبسوط» ص١٧٤، و«التذكرة» ٢/ ٤١٠، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٠، وزاد: (الضَّيْق والضَّيِّق مثل المَيْت والمَيِّت في أن المحذوف مثل المُتمِّ في المعنى) اهـ. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٩، ولابن زنجلة ص٢٧١، و«الكشف» ١/ ٤٥٠.

(٣) جاء في الأصول: (فاندغمت)، وهو تحريف.

إنما المعروف في كلامهم فَيْعَل[١] نحو صيقل وهيكل، فمتى ادعى مدعٍ في اسم معتلٍّ ما لا يعرف في السالم كانت دعواه مردودة غير مقبولةٍ)[٢]، والحرج: الشديد الضيق، في قول جميع[٣] أهل اللغة، ورجل حَرَج[٤] وحَرِج: ضيق الصدر، وقال:

لا حَــرِجُ الــصــدرِ ولا عــنــيــفُ[٥]

وقد حَرِج[٦] صدره أي: ضاق فلا ينشرح لخيرٍ، وقرئ[٧] (حرجًا) بكسر الراء وفتحها[٨].

---

(١) أي: بفتح العين. والتي قبلها بكسرها.
انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٤٢.

(٢) «الدر المصون» ٥/ ١٤١-١٤٢.
وانظر: «الإنصاف» ٢/ ٧٩٥.
وقال السمين: (وزن ضيِّق فَيْعِل كميت وسيد عند جمهور النحويين، ثم أدغم ويجوز تخفيفه).اهـ.
وانظر: «معجم مفردات الإبدال والإعلال» للخراط ص١٦٩.

(٣) انظر: «الجمهرة» ١/ ٤٣٦، و«الصحاح» ١/ ٣٠٥، و«المجمل» ١/ ٢٣٠، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٥٠، و«المفردات» ص٢٢٦ (حرج).

(٤) (حرج) بفتح الحاء والراء، وكسر الراء.

(٥) هذا رجز لم أهتد إلى تمامه وقائله. وهو في «العين» ٣/ ٧٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥، و«اللسان» ٢/ ٨٢١ (حرج)، و«الدر المصون» ٥/ ١٤٢.

(٦) جاء في (أ): (وقد أحرج صدره)، ولعله تحريف، وأصل العبارة من «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥ (حرج).

(٧) قرأ نافع، وعاصم في رواية: (حرجًا) بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها.
انظر: «السبعة» ص٢٦٨، و«المبسوط» ص١٧٥، و«الغاية» ص٢٤٩، و«التذكرة» ٢/ ٤١٠، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٨) في (أ): (وفتحه).

قال الفراء: (وهو في كسره ونصبه بمنزلة الوَحَد والوَحِد والفرد والفَرِد والدَنَف[١] والدَنِف)[٢].

وقال الزجاج: (الحرجُ في اللغة: أضيق الضيق، ومعناه: أنه ضيق جدًّا، فمن قال: رجل حَرَج الصدر، فمعناه: ذو حرج في صدره، ومن قال: حَرِج جعله فاعلًا، وكذلك رجل دنَف: ذو دَنَف، ودَنِفٌ نعت)[٣]، ونحو هذا قال أبو علي في القراءتين، قال: (من[٤] فتح الراء كان وصفًا بالمصدر، مثل: قَمَنٍ وحَرًى ودَنَفٍ، ونحو ذلك من المصادر التي يوصف[٥] بها، ولا يكون كبطل؛ لأن اسم الفاعل في الأمر العام من فَعِل إنما يجيء على فَعِلٍ، ومن قرأ (حَرِجًا) فهو مثل دنِفٍ وفَرِقٍ)[٦].

---

(١) الدنف: بتشديد الدال المفتوحة، وفتح النون وكسرها، المرض. انظر: «اللسان» ٣/ ١٤٣٢ (دنف).

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٣- ٣٥٤، ومثله ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٩، وانظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٥٨٠، و«الزاهر» ص٢٣٦.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣٤، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٠، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٧٩، نحوه، وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٤٢: (فرق الزجاج والفارسي بينهما فقالا: المفتوح مصدر، والمكسور اسم فاعل) اهـ.

(٤) قَمِنٌ بمعنى: حَرِيّ، يقال: هو قمن أن يفعل ذلك بفتح الميم أي: حَرِيٌّ وجدير، فمن قال بالفتح أراد المصدر، ومن قال بالكسر أراد النعت. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٧٤٥ (قمن).

(٥) في (أ): (توصف).

(٦) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠١، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٤، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٩، ولابن زنجلة ص٢٧١، و«الكشف» ١/ ٤٥٠، والفرق، بالتحريك: الخوف، ورجل فرق، أي: فزع شديد الفَرَق. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٤٠١ (فرق).

وقال عبيد بن عمير(١): (قرأ ابن عباس(٢) هذه الآية فقال: هل ها هنا أحد من بني بكر؟ قال رجل: نعم، قال: ما الحَرَجَة فيكم؟ قال: الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه، فقال ابن عباس: كذلك قلب الكافر)(٣). وقال(٤) أبو الصلت الثقفي(٥): (قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية فقال: ابغوني رجلًا من كنانة، واجعلوه راعيًا؟ فأتوه به، فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تحدق بها الأشجار فلا تصل إليها راعية ولا وحشية، فقال عمر: كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير)(٦).

---

(١) عبيد بن عمير: مبهم، ولعله: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي إمام واعظ مفسر مجمع على ثقته ولد في حياة النبي ﷺ وروى عن أبيه وعمر وعلي وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، توفي سنة ٧٤هـ، أو قبلها.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٥٦، و«غاية النهاية» ١/ ٤٩٦، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٨، و«تقريب التهذيب» (٤٣٨٥).

(٢) أخرج أبو عبيد في كتاب «اللغات» ص٩٨، وابن حسنون ص٢٤، والوزان ٣/ب بسند جيد عنه في الآية قال: (يعني: شاكًا بلغة قريش).

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٣/ب، والسمين في «الدر» ٥/ ١٤٣، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٧٩ عن الواحدي.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٥) أبو الصلت الثقفي: تابعي مقبول، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وروى عنه عبد الله بن عامر اليمامي. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري، و«الكنى» ٩/ ٤٤، و«الجرح والتعديل» ٩/ ٣٩٤، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٤٠.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٨، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٦، ومكي في «الكشف» ١/ ٤٥٠، والثعلبي في «الكشف» ١٨٣/ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٦، وذكره الرازي ١٣/ ١٨٣ عن الواحدي، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٤، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ).

وقال علماء اللغة[١]: (الأصل في الحرَج من الحرَجة: وهي شجرة تحف بها الأشجار حتى يمنع الراعي من أن يصل إليها، وجمع الحَرجة: حِرَجٌ، وجمع الحِرَجِ: حِرَاجٌ)[٢]. وقال العجاج:

عَايَنَ حَيًّا كالحِرَاجِ نَعَمُهْ[٣]

حكاه ابن الأنباري[٤].

وقال أبو الهيثم: (الحِرَاجُ: غِيَاض من شجر السَّلَم ملتفة، واحدتها حَرَجَةٌ، والحَرَجَةُ من شدة التفافها لا يقدر أحد أن يدخل فيها أو ينفذ)، وأنشد بيت العجاج[٥] ومعناه: عَايَنَ حَيًّا نعمة كالحراج لكثرتها وانضمام بعضها إلى بعض، وقال الليث: (أَحْرَجْتُ فلانًا صيرته إلى الحَرَج، وهو الضِّيق)[٦].

---

(١) انظر: «الاشتقاق» ص٤١٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٤٣، ومراجع اللغة السابقة في معنى حرج.

(٢) قال السمين في «الدر» ٥/ ١٤٣، (الحِراج: بكسر الحاء، جمع حِرْج: بكسر الحاء، وحرج: جمع حَرَجَة، بالفتح) اهـ.

(٣) الشاهد للعجاج في «ديوانه» ٢/ ١٤٢، و«أمالي القالي» ١/ ٦٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥، و«المجمل» ١/ ٢٣٠، و«اللسان» ٢/ ٨٢٢ (حرج)، و«الدر المصون» ٥/ ١٤٣، وصدره:

حَتَّى إذا اللَّيْلُ تَجَلَّتْ ظُلَمُهْ

وهو لرؤبة في «ديوانه» ص١٨٦، و«الصحاح» ١/ ٣٠٦، وأوله: (فَصارَ إِذْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شِرْذِمُهْ). قال القالي في «شرحه»: (يقول عايَنَ هذا الجيشُ الذي أتانا حَيًّا، ويعني بالحيِّ: قومه بني سَعْد، والنَّعَمُ: الإبل) اهـ. «شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي ٢/ ٩٥، و«الخزانة» ٧/ ٢٥٠.

(٤) انظر: «المذكر المؤنث» لابن الأنباري ١/ ٢٥٨-٢٦١.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥. (٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٧٥.

قال ابن عباس في رواية عطاء: (﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ يريد: ضيقًا إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه ونفسه، وإذا ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح إلى ذلك)[1].

وقال أهل المعاني: (لما كان القلب محلًّا للعلوم والاعتقادات، ووصف[2] قلب الكافر بالضيق، وأنه على خلاف الشرح والانفساح، دلَّ أن الله تعالى صيره بحيث لا يعي علمًا ولا استدلالًا على توحيد الله والإيمان به؛ لأنه أضاف التضييق إلى نفسه فقال: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ وهذا كما أن العرب إذا وصفت إنسانًا بالجبن قالت: لا قلب له، لما أريد به من المبالغة في وصفه بالجبن؛ لأن الشجاعة محلها القلب، فإذا لم يكن القلب الذي يكون محل الشجاعة لو كانت، فإن لا يكون الشجاعة أولى، وأنشد أبو زيد:

لَقَدْ أَعْجَبْتُمُونِي مِنْ جُسُومٍ ... وَأَسْلَحَةٍ وَلَكِنْ لا فُؤَادَا[3]

وأنشد أيضًا:

وَلاَ وَقَّافَةٍ والخَيْلُ تَرْدِي ... وَلَا خَالٍ كَأُنْبُوبِ اليَرَاعِ[4]

وقال حسان:

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٦، والخازن ٢/ ١٨١.

(٢) في (ش): (وصف).

(٣) «الشاهد» لبرج بن مسهر الطائي كما في «النوادر» لأبي زيد ص٧٨، ولعامر بن جوين الطائي في «الوحشيات»، و«الحماسة الصغرى» لأبي تمام ص٢٣٣.

(٤) الشاهد لمرداس بن حصين الكلابي، شاعر جاهلي في «النوادر» لأبي زيد ص٥-٦، وللطفيل بن عوف الغنوي، شاعر جاهلي في «الحماسة الصغرى»، و«الوحشيات» لأبي تمام ص١٢٥.

=

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[١]

فلما وصف الجبان بأنه لا قلب له وأنه مجوف هواء؛ لأنه إذا كان كذلك بعد من الشجاعة لعدمه القلب، كذلك وصف الكافر بأنه ضيق صدره على معنى: أنه غير مشروح للإيمان)[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يتصعد[٣] فأدغمت التاء في الصاد، ومعنى يتصعد: يتكلف ما يثقل عليه، وقرأ[٤] أبو بكر[٥] (يَصَّاعَد) وهو مثل يتصعد في المعنى، وقرأ ابن كثير (يصْعد) من الصعود[٦] والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف[٧]

= واليَراع: القصب، ثم سمي به الجبان والضعيف. واليراع: أولاد بقر الوحش. والنعامة، وطائر صغير، ويقال لمزمار الراعي: يَراعة.
انظر: «اللسان» ٨/ ٤٩٥٥ (يرع).

(١) «ديوانه» ص٢٠. والمجوف والنخب والهواء: الجبان لا قلب له.

(٢) لم أقف على من ذكر هذا فيما لدي من مراجع. وانظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٣.

(٣) لفظ: (أي: يتصعد) ساقط من (أ).

(٤) قرأ عاصم في رواية: (يَصَّاعَد) بتشديد الصاد وألف بعدها وتخفيف العين. وقرأ ابن كثير: (يصعد) بإسكان الصاد، وتخفيف العين من غير ألف. وقرأ الباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف.
انظر: «السبعة» ص٢٦٨، و«المبسوط» ص١٧٥، و«الغاية» ص٢٤٩، و«التذكرة» ٢/ ٤١٠، و«التيسير» ص١٠٦، و«النشر» ٢/ ٢٦٢.

(٥) أبو بكر بن عياش أحد الرواة عن عاصم، تقدمت ترجمته.

(٦) انظر: «إعراب القراءات» ١/ ١٦٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٩، ولابن زنجلة ص٢٧١.

(٧) في (أ): (يكلف) بالياء، وأصل النص من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٢.

ما لا يطيقه، كما أن صعود السماء لا يستطاع، كذا قال المفسرون[١] وأهل المعاني[٢].

قال مجاهد[٣]: (﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من شدة ذلك عليه)[٤]، وقال عطاء[٥]: (مثله كمثل الذي لا يستطيع الرقي إلى السماء)[٦].

وقال أبو بكر: (إذا كان ممن[٧] أضله الله ﷻ أبغض الحق وعانده حتى يضيق منه صدره فكأنه يكلف بالشيء منه صعودًا إلى السماء يجد من ثقل ذلك عليه مثل ما يجد من الصعود إلى السماء)[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣٠، والسمرقندي ١/ ٥١٢، و«الكشف» لمكي ١/ ٤٥١.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٨٧، و«معاني القراءات» ١/ ٣٨٥.

(٣) في (أ): (قال المجاهد)، وهو تحريف.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٤، وقال: (أخرجه أبو الشيخ عن مجاهد).اهـ.

(٥) عطاء هو: عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو عثمان، واسم أبيه ميسرة، إمام محدث مفسر واعظ عابد مجاهد، صدوق، يهم ويدلس. توفي سنة ١٣٥هـ، وقد أفاد الحافظ في مقدمة «فتح الباري» ص٣٧٥-٣٧٦، إن الرواية إذا جاءت عن ابن جريج، عن عطاء في سورة البقرة وآل عمران، فالمراد به عطاء بن أبي رباح، وإذا جاء في غير ذلك فالمراد عطاء الخراساني. وابن جريج لم يسمع من عطاء الخراساني وإنما أخذ التفسير من ابنه عثمان بن عطاء. وانظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٧٩، و«الجرح والتعديل» ٦/ ٣٣٤، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٤٠، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ١٠٨، و«تقريب التقريب» ص٣٩٢ (٤٦٠٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٨، الطبري ٨/ ٣٠، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٦ بسند جيد. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٤.

(٧) لفظ: (ممن) كذا جاء، ولعل الصواب: (من).

(٨) لم أقف عليه.

وقال أبو إسحاق: (كأنه قد كلف بأن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه، قال: ويجوز أن يكون كأنَّ قلبه يصاعد في السماء نبوًا[1] عن الإسلام والحكمة)[2].

وعلى هذا إنما شُبّه بالذي ﴿يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لبعده عن الإسلام ونفور قلبه، كما جرت العادة أن يقال لمن تباعد عن أمر ولم يلن له: فلان يَنْزُو[3] في اللوح ويذهب في السماء من هذا الأمر، وقال أبو علي: (من قرأ (يصَّاعد) و(يصَّعَّد) فهو من المشقة وصعوبة الشيء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، ومن ذلك قول عمر ﷺ[4]: «ما تصعَّدني شيء كما تصَعَّدنِي خِطْبَةُ النكاح»[5]، أي: ما شق عليّ مشقتها، وكأن ذلك لما يتكلفه الخطيب من مدحه وإطرائه لِلْمُمْلِكَ، فربما لم يكن كذلك، فيحتاج إلى تطلب المَخْلَص، فلذلك يشق، ومن ذلك قول الشاعر[6]:

---

(١) في (ش): (تبرأ).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٠.

(٣) ينزو: أي ينزع. وأصل النَّزْو: الوثب. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٤٠٢ (نزا).

(٤) في (أ): (رحمه الله).

(٥) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ١٠٣، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٣١، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٧، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٤، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٤٥، وابن الجوزي ٣/ ١٢١، وابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٣٠.

(٦) الشاهد للأعلم الهذلي حبيب بن عبد الله الهذلي.
في «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٣٢٣، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٥، وبدون نسبة في «عيون الأخبار» ١/ ٢٢٦، و«جمهرة اللغة» ٢/ ٦٥٤، و«اللسان» ٤/ ٢٤٤٦ (صعد).

وإنَّ سِيَادةَ الأَقْوَامِ فاعْلَمْ لَها صُعَدَاءُ مَطلَبُها شَديدُ[(١)]

فكأن معنى (يصعد): يتكلف مشقة في ارتقاء صُعُدًا، ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للأرض، ولكن المراد به الارتفاع والسمك، ويستعمل السماء في الارتفاع كما قال سيبويه: (القيدود: الطويل في غير سماء)[(٢)]، يريد [به][(٣)] في غير ارتفاع)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] قال بعض أصحاب المعاني: (وجه التشبيه في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أن جعله الرجس عليهم كجعله ضيق الصدر في قلوبهم)[(٥)] وقال الزجاج: (أي: مثل ما قصصنا عليك ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾)[(٦)].

---

(١) جاء في المراجع السابقة:

لَهَا صُعَداءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

وفي بعضها: (وإن سياسة) بدل: (وإن سيادة).

(٢) «الكتاب» ٤/ ٣٦٥. والقيدود: بفتح القاف وسكون الياء وضم الدال: الناقة الطويلة الظهر، وأصله من قاد يَقُود. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٤٤ (قدد).

(٣) لفظ: (به) ساقط من (ش).

(٤) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٣- ٤٠٥، ولقد أثبت العلم الحديث أن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود كلما ارتفع لنقص الأوكسجين، وهذا هو الوصف الدقيق لمعنى الآية الكريمة، فإن قلب الكافر والمنافق يضيق وينفر حين يدعى إلى الإسلام، أو يتأمل فيه كما يضيق صدر من يصعد نحو السماء. وانظر: «تفسير ابن عاشور» ٨/ ٦٠، وكلام الصابوني في «حاشية معاني النحاس» ٢/ ٤٨٧.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣١، والسمرقندي ١/ ٥١٢، والرازي ١٣/ ١٨٤.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٠، وذكر قول الزجاج السمين في «الدر» ٥/ ١٤٦، وقال: (أي: فيكون مبتدأ أو خبرًا أو نعت مصدر محذوف، فلك أن ترفع مثل وأن تنصبها بالاعتبارين عنده، والأحسن أن يقدر لها مصدر مناسب، كما قدره الناس وهو =

قال ابن عباس: (هو الشيطان أي: نسلطه[١] عليهم)[٢]، وقال مجاهد: (الرجس ما لا خير فيه)[٣]، وقال عطاء[٤] عن ابن عباس، وابن زيد[٥]: (الرِّجْسُ: العذاب). وقال الزجاج: (الرِّجْسُ: اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة)[٦].

قال أصحابنا: (انقطع كلام أهل القدر عند هذه الآية وخرست ألسنتهم، فإنها قد صرحت بتعلق إرادة الله تعالى بالأمرين جميعًا الهداية والإضلال وتهيئته أسبابهما)[٧].

= مثل ذلك الجعل، أي: جعل الصدر ضيقًا حرجًا يجعل الله الرجس..).اهـ. وانظر: «المشكل» ١/ ٢٦٩.

(١) في (ش): (هو الشيطان يسلطه عليهم).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣١ بسند جيد، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٧، وهذا القول هو اختيار الطبري.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٣.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٦ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٤.

(٤) ذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٨٢ عن ابن عباس، وذكره الواحدي في الوسيط ١/ ١١٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٧، وابن الجوزي ٣/ ١٢١، والرازي ١٣/ ١٨٤ من قول عطاء.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣١ بسند جيد، وهذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٦.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٠، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٨: (الرِّجْس عند أهل اللغة هو النَّتْن، فمعنى الآية -والله أعلم-: ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون).اهـ.

(٧) ذكر نحو هذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٢١، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٨٥.

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾. قال ابن عباس: (يعني: التوحيد)[١]، وقال ابن مسعود: (يعني: القرآن)[٢].

وقال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك مستقيمًا)[٣].

وقال بعض أهل المعاني: (الإشارة وقع إلى البيان الذي جاء في القرآن)[٤] وانتصب ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ على الحال والعامل فيه معنى (هذا) وذلك أن ذا[٥] يتضمن معنى الإشارة، كقولك: هذا زيد قائمًا، معناه: أشير إليه في حال قيامه، وإذا كان العامل في الحال معنى الفعل لا الفعل لم يجز تقديم الحال عليه، لا يجوز قائمًا هذا زيد[٦]، ويجوز ضاحكًا جاء زيد،

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٢١، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٢، بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (يعني: الإسلام).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٢١.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٨٧، عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٢٢، من قول عطاء فقط، وجميع ما سبق معانٍ متقاربة، وقد أخرجها الطبري في «تفسيره» ١/ ٧١-٧٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠، بأسانيد مختلفة عن هؤلاء الأئمة وغيرهم في «تفسير سورة الفاتحة».

(٤) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٢.

(٥) في (ش): (وذلك إذ ذا)، وهو تحريف.

(٦) لأنها حال مؤكدة، وصراط الله تعالى لا يكون إلا مستقيمًا، بخلاف الحال المنتقلة نحو: جاء زيد راكبًا، ونحو هذا زيد قائمًا فيجوز أن يفارق زيد الركوب أو القيام. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٧٩، و«المشكل» ١/ ٢٧٠، و«غرائب التفسير» ١/ ٣٨٤، و«البيان» ١/ ٣٣٩، و«التبيان» ٣٥٨، و«الفريد» ٢/ ٢٢٧، و«الدر =

ومعنى استقامة صراط الله أنه يؤدي بسالكه إلى دار الخلود في النعيم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ قال عطاء: (يريد: أصحاب النبي ﷺ قبلوا مواعظ الله وانتهوا عما نهاهم الله)[(٢)].

١٢٧- قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني: الجنة في قول جميع المفسرين[(٣)] قال الحسن[(٤)] والسدي[(٥)]: (السلام هو الله تعالى، وداره الجنة)، ومعنى السلام في أسماء الله تعالى: ذو السلام، أي: السلامة من الآفات والنقائص[(٦)]، فعلى هذا أضيف الدار إلى السلام الذي هو اسم الله تعالى على وجه التعظيم، كما قيل للكعبة: بيت الله، وللخليفة: عبد الله .

= المصون» ٥/ ١٤٧، وقد نقل هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٨٧- ١٨٨، عن الواحدي.

(١) انظر: «تفسير الخازن» ٢/ ١٨٢.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، والخازن في «تفسيره» ٢/ ١٨٢.

(٣) حكاه الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٨٢، عن جميع المفسرين. وانظر: «تفسير المقاتل» ١/ ٥٨٨، والطبري ٨/ ٣٢، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٧.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٨، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٢٢، والخازن ٢/ ١٨٢ عن الحسن والسدي.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٤، وقال الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٧: (هذا قول أكثر المفسرين) اهـ.

(٦) انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٣٠-٣١، و«الزاهر» ١/ ٦٤، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٢، و«الأسماء والصفات» ص٥٣، و«المقصد الأسنى» ص٦٧، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص١٨٧، وقال السعدي رحمه الله تعالى في «الحق الواضح المبين» ص٨١: (السلام: السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقصان، ومن كل ما ينافي كماله) اهـ.

قال الزجاج: (ويجوز أن يكون الجنة سميت دار السلام؛ لأنها دار السلامة [الدائمة التي لا تنقطع)[١]. وعلى هذا السلام جمع سلامة أو بمعنى السلامة[٢]]. كما قيل: لَذاذ ولَذاذة ورضاع ورضاعة[٣]، كأنه دار السلام التي لا يلقون في حلولها عنتًا ولا تعذيبًا، وسنذكر زيادة بيان في معنى السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عند ربهم حتى يوصلهم[٤] إليها[٥].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١، وذكر نحوه النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) قال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص٦: (يرى أهل النظر من أصحاب اللغة أن السلام بمعنى السلامة، كما يقال: الرَّضاع والرضاعة واللَّذاذُ واللَّذاذة، فسمى نفسه جل ثناؤه: سلامًا؛ لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء والموت).اهـ.
ومثله ذكر الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص٢١٥. وقال ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ١٨٠- ١٨١: (في إضافتها إلى السلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها إضافة إلى مالكها السلام سبحانه. الثاني: أنها إضافة إلى تحية أهلها، فإن تحيتهم فيها سلام. الثالث: أنها إضافة إلى معنى السلامة، أي: دار السلامة من كل آفة ونقص وشر. والثلاثة متلازمة، وإن كان الثالث أظهرها، فإنه لو كانت الإضافة إلى مالكها لأضيفت إلى اسم من أسمائه غير السلام، ولم يعهد ذلك في القرآن، فالأولى حمل الإضافة على المعهود في القرآن، وإضافتها إلى معنى السلامة أولى؛ لأنه أكمل أوصافها المقصودة على الدوام التي لا يتم النعيم إلا به).اهـ. ملخصًا.

(٤) في (ش): (توصلهم)، وهو تصحيف.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ١٢٢، والرازي ١٣/ ١٨٩.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ أي: يتولى إيصال المنافع إليهم ودفع المضار عنهم، وهذا يوجب إخبارًا عن كونه وليهم في الآخرة؛ لأنه قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا، وإن كان هو اليوم أيضًا ولي المؤمنين، وعلى هذا دل كلام ابن عباس؛ لأنه قال في قوله: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: (أنزل بهم المحبة والكرامة والرضوان وما[(١)] لا يوصف من النعيم)[(٢)]، وكل هذا يكون في الآخرة[(٣)].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الآية. قال المفسرون[(٤)]: (يعني: الجن والإنس يجمعون في موقف [يوم][(٥)] القيامة).

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: هم وقرناؤهم من الشياطين)[(٦)].

﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ﴾. قال الزجاج: (المعنى: فيقال لهم: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ﴾[(٧)]، ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: من إغواء الإنس وإضلالهم، عن ابن عباس[(٨)]، والحسن[(٩)]، وقتادة[(١٠)].

---

(١) في (أ): (ومما لا يوصف).

(٢) في «تنوير المقباس» ٢/ ٥٩ نحوه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٧، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٧.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣٣، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٨.

(٥) لفظ: (يوم) ساقط من (ش). (٦) في «تنوير المقباس» ٢/ ٥٩ نحوه.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٩.

(٨) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٨، وابن عطية ٥/ ٣٥٢، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٩) أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣، عن الحسن نحوه، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٥٩، والماوردي ٢/ ١٦٨، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(١٠) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٨، والطبري ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد عن قتادة نحوه.

وروي عن ابن عباس في «تفسيره»: (يعني: أضللتم منهم كثيرًا)[١]، وهو قول الفراء[٢].

وقال مجاهد: (كثر من أغويتم منهم)[٣].

وقال أبو إسحاق: (﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم﴾ ممن أضللتموه من الإنس)[٤].

وقال غيره: (﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بالإغواء والإضلال)[٥]، وهذه الأقوال معناها واحد، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ يعني: الذين أضلوهم من الإنس.

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ قال[٦]: (معنى هذا الاستمتاع: هو أن الرجل كان إذا سافر فأمسى بأرض قفرٍ فخاف على نفسه قال[٧]: أعوذ بسيد هذا الوادي من[٨] سفهاء قومه، فيبيت آمنًا في نفسه، فهذا استمتاع[٩]

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٤.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٧ بسند جيد، وهو قول النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٨٩.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١.

(٥) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣.

(٦) كذا جاء في النسخ، وفي «تفسير الثعلبي» ١٨٤ أ، والبغوي ٣/ ١٨٨: (قال الكلبي): والظاهر أن المراد بقوله: (قال) مقاتل؛ لأن النص في «تفسيره» ١/ ٥٨٩ أو الفراء، لأنه في «معانيه» ١/ ٣٥٤، ولأن الواحدي ذكر الرواية عن الكلبي فيما بعد.

(٧) في (أ): (فقال).

(٨) في (ش): (على).

(٩) في (أ): (فهذا الستمتاع)، وهو تحريف.

الإنس بالجن[١]، وأما استمتاع الجن بالإنس فهو: أن الإنس إذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيمًا منهم للجن، وذلك الجني[٢] يقول: قد سُدت الإنس والجن؛ لأن الإنسي قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه).

وهذا قول الحسن[٣] وابن جريج[٤]، والكلبي[٥]، وعكرمة[٦]، واحتجوا على هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: (يريد: في الدنيا، وما كانوا يضلونهم)[٧]، ومعنى هذا: أن استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي، واستمتاع الإنس[٨] بالجن أن الجن زينت لهم الأمور التي يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها، وهذا القول اختيار الزجاج؛ لأنه قال: (الذي يدل عليه

---

(١) لفظ: (الجن)، غير واضح في (ش).

(٢) في (أ): (وذلك الجن).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٨، والرازي ١٣/ ١٩١، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٨٧، بسند جيد عن الحسن، قال: (ما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت، وعملت الإنس) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٣، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٠، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٥٩، والثعلبي في «الكشف» ١٨٤ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٨، والخازن ٢/ ١٨٣.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٩١، عن الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٩، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٢٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٢٠.

(٨) في (ش): (الأنسي).

اللفظ -والله أعلم- هو قبول الإنس من الجن ما كانوا يغوونهم به؛ لقوله: ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ ومن كان يقول من الإنس: أعوذ بالجن فقليل)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعني: الموت، في قول الحسن[٢] والسدي[٣]، وأكثر المفسرين[٤] وقيل: هو البعث والحشر[٥].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١، وهو اختيار النحاس أيضًا في «معانيه» ٢/ ٤٩٠، و«إعراب القرآن» ٢/ ٥٨٠، والظاهر أن الآية عامة، وأن ما ذكر من باب التمثيل، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في «الفتاوى» ١٣/ ٨٠- ٨٩، قال في تفسير الآية: (الاستمتاع بالشيء هو أن يتمتع به فينال به ما يطلبه ويريده ويهواه، ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء، والذكور بالذكور، والإناث بالإناث، والاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم والاستمتاع بالأموال، وفي الجملة استمتاع الإنس بالجن والجن بالإنس يشبه استمتاع الإنس بالإنس، واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه، وقد وقع في الإنس والجن هذا كله) اهـ. ملخصًا.
وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٢٠: (وجوه الاستمتاع كثيرة تدخل هذه الأقوال كلها تحتها، فينبغي أن يعتقد في هذه الأقوال أنها تمثيل في الاستمتاع لا حصر في واحد منها).اهـ.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ١٦٨، وابن الجوزي ٣/ ١٢٤، عن الحسن والسدي.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٤ بسند جيد.

(٤) قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٢٠: (هذا قول الجمهور وابن عباس والسدي وغيرهما).اهـ. وهو قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٤، والسمرقندي ١/ ٥١٣.

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٦٨، وابن الجوزي ٣/ ١٢٤، وهو قول البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٨، والزمخشري ٢/ ٥٠.
وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٨٢- ١٨٣ في الآية: (هذا يتناول أجل الموت وأجل البعث، فكلاهما أجل الله تعالى لعباده، وكأن هذا -والله أعلم- إشارة منهم إلى نوع استعطاف وتوبة، فكأنهم يقولون: هذا أمر كان إلى وقت =

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾، قال ابن عباس: (يريد: فيها مقامكم)[١].

قال الزجاج: (المثوى: المقام، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ منصوب على الحال، المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم)[٢].

قال أبو علي: (المثوى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان، لحصول الحال في الكلام معملًا فيها، واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل؛ لأنه لا معنى للفعل فيه، فإذا لم يكن موضعًا ثبت أنه مصدر، والمعنى: النار ذات إقامتكم فيها، ﴿خَٰلِدِينَ﴾ أي: هي أهل أن يقيموا[٣] فيها ويثووا خالدين، فالكاف والميم في المعنى فاعلون، وإن كان في اللفظ خفضًا بالإضافة، ومثل هذا قول الشاعر:

وَمَا هِيَ إلاَّ فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ ... مُغَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا[٤]

= وانقطع بانقطاع أجله، فلم يستمر ولم يدم، فبلغ الأمر الذي كان أجله، وانتهى إلى غايته، ولكل شيء آخر، فقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ فإنه وإن انقطع زمن التمتع وانقضى أجله فقد بقي زمن العقوبة، فلا يتوهم أنه إذا انقضى زمن الكفر والشرك وتمتع بعضكم ببعض أن مفسدته زالت وانتهت بانتهائه، والمقصود أن الشيطان تلاعب بالمشركين حتى عبدوه واتخذوه وذريته أولياء من دون الله).اهـ. ملخصًا.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٩، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٦٠ نحوه.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٩٠، و«إعراب القرآن» ١/ ٥٨٠.

(٣) في (أ): (تقيموا)، وهو تصحيف.

(٤) «الشاهد» لحميد بن ثور الهلالي في «الكتاب» ١/ ٢٣٤- ٢٣٥، وبلا نسبة في: «الكامل» للمبرد ١/ ٢٠١، و«المقتضب» ٢/ ١٢٠، و«الخصائص» ٢/ ٢٠٨، و«المحتسب» ٢/ ٢٦٦، و«أمالي» ابن الحاجب ٢/ ٨٠، و«اللسان» ٥/ ٣٠٧٢ =

وهذا يدل[1] على حذف المضاف، المعنى: وما هي إلا إزارٍ وعلقة وقت إغارة ابن همام، ألا ترى أنه عدّاه بعلى إلى حيّ خثعمٍ، وإذا عدّاه ثبت أنه مصدر، إذ أسماء المكان لا تتعدى، فهو من باب قولك: أتيتك خفُوقَ النجمِ، ومَقدَم الحاجِّ، وخلافةَ فلان[2]، من المصادر التي استعملت في موضع الظروف للاتساع في حذف المضاف الذي هو اسم زمان على تقدير: زمان خفوق النجم أو ساعة أو وقت، وما أشبه ذلك، وإنما حسن ذلك في المصادر لمطابقتها الزمان في المعنى، ألا ترى أنه عبارة عن مُنقَضٍ غير باقٍ، كما أن الزمان كذلك، ومن ثم كثر إقامتهم، ما التي مع الفعل بمعنى المصدر مقام ظروف الزمان كقولهم: لا أكلمك ما حدا[3] ليلٌ نهارًا وما خالفت جِرّة[4] دِرةً ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [المائدة: ١١٧] ونحو ذلك، حتى إن قومًا من النحويين[5] يسمونها ما

= (علق)، و«الدر المصون» ٥/ ١٥٠، والعلقة، بكسر العين: قميص بلا كمين، أو الثوب الصغير. انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٧٣ (علق). والشاهد في البيت: نصب مغار على الظرفية، وهو في الأصل مصدر ميمي.

(١) في (ش): (وهذا أيضًا على حذف المضاف).

(٢) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٢٢، و«المقتضب» ٤/ ٣٤٣.

(٣) حدا: بالفتح تبع يقال: ما حدا الليل النهار، أي: ما تبعه. انظر: «المستقصى» للزمخشري ٢/ ٢٤٧، و«اللسان» ٢/ ٧٩٤ (حدا).

(٤) الجِرَّة: -بكسر الجيم وفتح الراء المشددة-: ما يخرجه البعير من بطنه للجنزار، والدِّرَّة: بكسر الدال المشددة وفتح الراء المشددة، كثرة اللبن وسيلانه، وهما مختلفان: الدرة تسفل إلى الرجلين، والجرة تعلو إلى الرأس.
انظر: «مجمع الأمثال» ٣/ ١٨٧، و«المستقصي» ٢/ ٢٤٥، و«اللسان» ١/ ٥٩٤ (جرر) و٣/ ١٣٥٦ (درر).

(٥) انظر: «حروف المعاني» ص٥٣، و«معاني الحروف» للرماني ص٨٦،=

الوقت، وحقيقته ما أعلمتك)(١)، انتهى كلامه. وقول ابن عباس: (فيها مقامكم)(٢)، يدل على صحة قول أبي علي.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ قال ابن عباس: (استثنى الله قومًا قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ وما جاء به)(٣)، وعلى هذا القول يجب أن يكون (ما) بمعنى (مَنْ)(٤).

وقال أبو إسحاق: (معنى الاستثناء عندي: إنما هو من يوم القيامة؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هو يوم القيامة فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ منذ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ من مقدار حشرهم من(٥) قبورهم، ومقدار مدَّتِهم في محاسبتهم)(٦).

و«الصاحبي» ص٢٦٩، و«رصف المباني» ص٢٧٧، و«المغني» لابن هشام ١/ ٣٠٢.

(١) «الإغفال» ص٧٠٦-٧٠٩، وعليه يكون (خالدين) منصوب على أنه حال مقدرة والعامل فيها (مثواكم)؛ لأنه اسم مصدر من الثواء، وهو الإقامة.
انظر: «غرائب التفسير» ١/ ٣٨٥، و«البيان» ١/ ٣٣٩، و«التبيان» ٣٥٨، و«الفريد» ٢/ ٢٢٨، و«الدر المصون» ٥/ ١٤٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١١٩، والبغوي ٣/ ١٨٩، والرازي ١٣/ ١٩٢، وأخرج الطبري ٨/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٨٨ بسند جيد عنه، قال: (إن هذه الآية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارًا)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٥، وقال الخازن ٢/ ١٨٣: (نقل جمهور المفسرين عن ابن عباس أن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ فيخرجون من النار، قالوا: و(ما) تكون بمعنى من على هذا التأويل).اهـ.

(٤) أي: التي للعقلاء، وساغ وقوعها هنا؛ لأن المراد بالمستثنى نوع وصنف، وما تقع على أنواع من يعقل، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ١٥١.

(٥) في (أ): (في).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩١-٢٩٢، وفيه: (ويجوز أن يكون إلا ما شاء ربك مما =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾. قال ابن عباس: (حكم للذين استثنى بالتصديق والتوبة وعلم ما في قلوبهم من البر والتقوى والإيمان)[١].

قال أهل المعاني: (معنى هذه الآية: التحذير من إغواء الجن تزيينهم القبيح، فإنهم يقرنون مع أوليائهم من الإنس في النار)[٢].

١٢٩- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾. قال المفسرون: (يقول: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض، كذلك نكل بعضهم إلى بعض في النصرة والمعونة، ونسلط بعضهم على بعض، فيتولى بعضهم القيام بأمر بعض)[٣]، وقال بعض أهل العلم: (إن الله تعالى ذكر في الآية الأولى استكثار الجن من الإنس بالاستضلال[٤] والاستزلال[٥]، ثم بيّن في هذه الآية أنه ولى بعضهم بعضًا حتى كان من شأنهم ما كان)[٦].

= يزيدهم من العذاب).اهـ. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٩٠، و«إعراب النحاس» ص٥٧٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥١٣، و«المشكل» ١/ ٢٧٠، و«البيان» ٢/ ٣٤٠، و«التبيان» ٣٥٨، و«الفريد» ٢/ ٢٢٨، و«الدر المصون» ٥/ ١٥٠-١٥٣، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص١٢٢-١٢٨.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٨٩ بدون نسبة.

(٢) لم أقف على من ذكره فيما لدي من مراجع.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٣٥، والسمرقندي ١/ ٥١٣، والماوردي ٢/ ١٦٩، والبغوي ٣/ ١٨٩.

(٤) في (ش): (بالإضلال).

(٥) في (أ): (الاسترسال)، وهو تحريف.

(٦) لم أقف على من ذكره فيما لدي من مراجع.

١٣٠- قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ الآية. قال أهل اللغة: (المَعْشَر: كل جماعة أمرهم واحد، والجميع: المعَاشِر)[(١)]. وقوله تعالى: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ اختلفوا[(٢)] هل كان من الجن رسول أم لا؟ فالأكثرون[(٣)] على أنه لم يكن من الجن رسول، وإنما كانت الرسل من بني آدم.

وقوله: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ أراد من أحدكم وهو الإنس فحذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ﴾ [الرحمن: ٢٢] أي: من أحدهما وهو الملح الذي ليس بعذب، وجاز ذلك؛ لأن ذكرهما قد جُمع في قوله[(٤)]: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٩]، وهذا جائز في كل ما اتفق في أصله، كما

---

(١) هذا نص كلام الخليل في «العين» ١/ ٢٤٨، وفي «اللسان» ٥/ ٢٩٥٥ (عشر): (معشر الرجل، بفتح الميم والشين وسكون العين: أهله. والمعشر: الجماعة متخالطين كانوا أو غير ذلك. والمعشر والنَّفر والقوم والرّهْط معناهم الجمع: لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء).اهـ.
وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٤٧، و«الصحاح» ٢/ ٧٤٧، و«المجمل» ٣/ ٦٧٠، و«المفردات» ص٥٦٧ (عشر).

(٢) في (ش): (واختلفوا).

(٣) ذكره عن الأكثر الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٩٥، والخازن ٢/ ١٨٤.

(٤) قال الشنقيطي -رحمه الله تعالى- في «أضواء البيان» ٢/ ٢١١: (هذا التوجيه في آية الرحمن غلط كبير لا يجوز القول به؛ لأنه مخالف مخالفة صريحة لكلام الله تعالى؛ لأن الله ذكر البحرين الملح والعذب بقوله: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ [فاطر: ١٢]، ثم صرح باستخراج اللؤلؤ والمرجان منهما جميعًا بقوله: ﴿وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ﴾ [فاطر: ١٢]، والحلية المذكورة في اللؤلؤ والمرجان، فقصره على الملح مناقض للآية صريحًا كما ترى).اهـ.

اتفق الجن مع الانس في باب التمييز، فلما ذكرا[1] معًا جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى واحد.

وهذا قول الفراء[2]، والزجاج[3] ومذهب أكثر أهل[4] العلم، وعليه دل كلام ابن عباس؛ لأنه قال: (يريد: أنبياء من جنسكم ولم يكن من جنس الجن أنبياء[5]، وإذا لم يكن من الجن أنبياء[6] ورسل، فكيف قال لهم مع الإنس: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾؟ قال الكلبي: (كانت الرسل يبعثون إلى الجن والإنس)[7]، فعلى هذا قد بعث الرسل إلى الجن، ولكن لم تكن[8] الرسل من الجن، وتأويل (منكم) ما ذكرنا.

وقال آخرون: (الرسل كانت من الإنس، ولكن الله تعالى كان يسبّب قومًا من الجن ليسمعوا كلام الرسل، ويأتوا قومهم من الجن بما سمعوا وينذرونهم، كما قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية) [الأحقاف: ٢٩] وهذا مذهب مجاهد قال: (الرسل من الإنس والنذر

(١) في (ش): (فلما ذكر معًا)، وهو تحريف.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٤، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٩٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٢، وكلام الواحدي أقرب إلى نص الزجاج.

(٤) ذكر الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٨٤: (أن هذا مذهب جمهور أهل العلم). وانظر: «تفسير الطبري» ١٢/ ١٢، والماوردي ٢/ ١٧٠، وذكره عن الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٩٥.

(٥) ذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ١٨٤ عن الواحدي عن ابن عباس.

(٦) لفظ: (أنبياء) ساقط من (أ).

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٦١، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٠.

(٨) في (ش): (لم يكن).

من الجن)[١]، ونحو ذلك قال ابن جريج[٢] وأبو عبيد[٣]: (هم الذين استمعوا القرآن فأبلغوه قومهم)، وعلى هذا أولئك[٤] الذين استمعوا[٥] وذهبوا إلى الجن فأنذروا لم يفعلوا ذلك بنص الله تعالى على إرسالهم، ولكن يجوز أن يضاف ذلك إلى الله فيقال: هم رسل الله، كما سمّى الله تعالى رسُل عيسى[٦] رسله فقال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: ١٤].

وقال الضحاك: (من الجن رسل كما من الإنس رسل)[٧] والآية تدل على[٨] ذلك، والقول هو الأول، وهو ما ذكرنا أن رسل الجن لم يكونوا مرسلين بنص الله تعالى وإنما كانوا نذرًا على الوجه الذي بيّنا[٩].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٨٩، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٦.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٦، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٦.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): (وعلى هذا ؤلئك)، وهو تحريف.

(٥) في (أ): (استمتعوا)، وهو تحريف.

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٩٥. وظاهر القرآن -وهو اختيار الجمهور ومنهم ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ١٩٨- أنهم رسل الله بعثهم إلى أهل القرية. قال ابن الجوزي في «تفسيره» ٧/ ١١: (هذا هو ظاهر القرآن والمروي عن ابن عباس وكعب ووهب) اهـ.

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ٣٦، بسند جيد، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٨٩.

(٨) ذكره عن الضحاك الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٧٠، وابن الجوزي ٣/ ١٢٥، وقالا: (وهو ظاهر الكلام).

(٩) وهذا هو الظاهر، وهو قول جمهور السلف والخلف، كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في «تفسيره» ٢/ ١٩٨: وساق عدة أدلة من الكتاب والسنة على أن الرسل من الإنس فقط، ولم يكن في الجن رسل منهم. وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في «الفتاوى» ١٦/ ١٩٢، وقال في ٤/ ٢٣٤: (وقيل: الرسل من الإنس والجن فيهم النذر، وهذا أشهر.) اهـ.

١٣٠- وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾. يقول: شهدنا أنهم قد بلغوا، يقول الله تعالى: (وغرتهم[١] الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين). قال مقاتل: (حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك والكفر في الدنيا)[٢].

١٣١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ﴾ الآية. قال الزجاج: (ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذب بها؛ لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم)[٣]، فعلى هذا الإشارة وقعت إلى العقاب الذي في قوله: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٨] وإلى إتيان الرسل في قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع الابتداء على معنى: ذلك الأمر، أي: العقوبة بعد تكذيب الرسل، ويجوز أن يكون موضع (ذلك) نصبًا على معنى: فعل ذلك، وهذا معنى قول الفراء[٤] وسيبويه[٥] والزجاج[٦].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ (أن) هاهنا هي المخففة من الثقيلة ويقدر معها الخافض وإضمار الهاء على تقدير: لأنه لم يكن، وهي التي في قول الأعشى:

---

(١) في (أ): (وغرتهم الله الحياة الدنيا)، وهو تحريف واضح.
(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٨٩.
(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣.
(٤) «معاني الفراء» ٢/ ٣٥٥، ومثله ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٧.
(٥) لم أقف عليه في الكتاب، وقد ذكر الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٣، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٠: (عن سيبويه أنه في موضع رفع بمعنى: الأمر ذلك؛ لأن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم)، ولم أجد من ذكر عنه وجه النصب.
(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٢-٢٩٣.

في فِتْيةٍ كَسْيوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾. قال الكلبي: (يقول: لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم رسلهم فينهاهم فإن رجعوا وإلا أتاهم العذاب)[(٢)].

وقال الزجاج: (أي: لا يهلكهم حتى يبعث إليهم الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥][(٣)]، وهذا قول جميع المفسرين[(٤)] والظلم على هذا ظلمهم الذي هو ذنوبهم ومعاصيهم.

وقال الفراء: (يجوز أن يكون المعنى: لم يكن ليهلكهم [بظلم منه وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم[(٥)]] وأهلها مصلحون﴾ [هود: ١١٧] أي بظلم منه)[(٦)].

---

(١) «ديوان الأعشى» ص٢٨٤، و«الكتاب» ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤-١٦٤-٤٥٤، و«المحتسب» ١/ ٣٠٨، و«المنصف» ٣/ ١٢٩، و«أمالي» ابن الشجري ٢/ ١٧٧-١٧٨، و«الإنصاف» ١٦٧، وبدون نسبة في «المقتضب» ٣/ ٩، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٨٥، و«الخصائص»)٢/ ٤٤١، و«رصف المباني» ص١٩٦.
والشاهد إضمار اسم أن المخففة والتقدير: أنه هالك، وعجز البيت في الديوان:
أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيلُ

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٠، و«الخازن» ٢/ ١٨٥.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣.

(٤) انظر: الطبري ٨/ ٣٧، والسمرقندي ١/ ٥١٤، والماوردي ٢/ ١٧٢، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٨٣- ١٨٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) وملحق بالهامش.

(٦) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٥، وفيه قال: (وقوله: ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ يقول: لم يكن ليهلكهم بظلمهم وهم غافلون لما يأتيهم رسول ولا =

وعلى هذا يوهم[١] أنه لو أهلكهم وهم غافلون قبل بعث الرسل كان ظالمًا، وكذلك لو أهلكهم وهم صالحون، وليس كذلك؛ لأن له أن يفعل ما يريد، لكنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثه الرسل، ولا يهلك الصالحين، ولو فعل ذلك لم يكن ظلمًا، ولكنه يكون في صورة الظلم فيما بيننا، فأطلق عليه الظلم مجازًا لا حقيقة، والقول في معنى الآية هو الأول[٢] وقد بيّنا القولين في سورة هود عند قوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

١٣٢- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ الآية. قال ابن عباس: (يريد: فضائل مما عملوا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ يريد: عمل المشركين والدرجات للمؤمنين[٣]، فعلى هذا أثبت الدرجات للمؤمنين في[٤] أول الآية وأوعد المشركين بأنه ليس ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ في آخر الآية على معنى: أنه يجازيهم به، وتقدير الآية: ولكل عاملٍ بطاعة الله درجات جزاء من أجل ما عملوا، وقال آخرون: (هذا عام في كل

= حجة، وقوله في هود: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ يقول: لم يكن ليهلكهم بظلمهم يقول: بشركهم ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ يتعاطون الحق فيما بينهم، هكذا جاء التفسير، وفيها وجه وهو أحب من ذا؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، والمعنى -والله أعلم-: لم يكن ليهلكهم بظلم منه وهم مصلحون).اهـ.

(١) في (ش): (توهم).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ١٩٦-١٩٧.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٦٢، وفي «الوسيط» ١/ ١٢١ نقل الواحدي عن ابن عباس في الآية قال: (يريد عمل المشركين).

(٤) لفظ: (في) ساقط من (أ).

عامل[١] عملًا طاعة كان أو معصية[٢] على تقدير: ولكل عامل بطاعة الله أو معصيته[٣] منازل في عمله). ومثلت الأعمال[٤] بالدرجات ليتبين أنه وإنْ عمّ أحد قسميها صفة الحسن، وعمّ الآخر صفة القبح، فليست في المراتب سواء، وأنه بحسب ذلك يقع الجزاء، فالأعظم من العقاب للأعظم من السيئات، والأعظم من الثواب للأعظم من الحسنات، وجملة معنى الآية: أنْ بعضهم أوفر وأجزل ثوابًا من بعض على قدر أعمالهم، وبعضهم أشدّ عذابًا من بعض[٥] على قدر أعمالهم في الدنيا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: لا يفوته شيء منها ولا من مراتبها حتى يجازي عليه بما يستحق من الجزاء[٧].

١٣٣- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾. قال ابن عباس: (يريد: عن عبادة من تولى غيره)[٨]، وقال مقاتل: (عن عبادة خلقه)[٩]، ومعنى الغنى عن الشيء: أنه الذي يستوي عنده عدم ذلك الشيء ووجوده[١٠].

---

(١) وهذا القول هو الظاهر، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٨، والسمرقندي ١/ ٥١٤، والرازي ١٣/ ١٩٨.

(٢) في (أ): (أو معية)، وهو تحريف.

(٣) في (أ): (أو معيته)، وهو تحريف.

(٤) لفظ: (الأعمال) مكرر في (أ).

(٥) في (أ): (بعضهم).

(٦) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٧٢.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٣٨، والسمرقندي ١/ ٥١٤.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٠.

(١٠) انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٦٣، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١١٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٠٤، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ١/ ٢٤.

وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾. قال ابن عباس: (بأوليائه وأهل طاعته)[١]، وقال الكلبي: (ذو الرحمة بخلقه، وذو التجاوز)[٢]، وقال مقاتل: (ذو النعمة فلا يعجل[٣] عليهم بالعذاب، -يعني: كفار مكة-).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾. قال الكلبي: (وينشئ من بعدكم خلقًا آخر)[٤] ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾ مثل ما أنشاكم، أي: خلقكم ابتداء ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ -يعني: آباءهم الماضين-، وهذا وعيد لهم بالإهلاك[٥].

١٣٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ﴾. قال الحسن: (أي: من مجيء الساعة؛ لأنهم كانوا يكذبون بالنشأة الثانية)[٦]، فيجوز أن يكون (توعدون) من الإيعاد: أي ما توعدون به من العقوبة في الآخرة، ويجوز أن يكون من الوعد، لاختلاط الخير بالشر، فيكون على التغليب، إذ مجيء الساعة خير للمؤمنين، وشر على الكافرين، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بفائتين: يقال: أعجزني فلان، أي: فاتني وغلبني فلم أقدر عليه[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩١، وابن الجوزي ٣/ ١٢٧.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩١.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٠، وقد جاء في (ش)، و«تفسير مقاتل»: (فلا تعجل) بالتاء.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٦٢.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢٠٢، والسمرقندي ١/ ٥١٤- ٥١٥.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٦٦، والقرطبي ٧/ ٨٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٢٥.

(٧) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٦.

قال ابن عباس: (يريد: وما يعجزني منكم أحد)[(١)].

١٣٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: على حالاتكم التي أنتم عليها)[(٢)]، قال الزجاج: (المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه، يقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان، أي: اثبت على ما أنت عليه)[(٣)].

وقال مقاتل: (على جديلتكم)[(٤)]، وهذا القول راجع إلى ما ذكرنا؛ لأن الجديلة[(٥)] معناها: الطريقة، والطريقة يراد بها هاهنا: ما هم عليها، ومثل هذا قول مجاهد: (على وتيرتكم)[(٦)]، وقول الكلبي: (على منازلكم)[(٧)] وقول يمان: (على مذاهبكم)[(٨)].

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٩٠، بسند ضعيف من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: (﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بسابقين)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٨.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩١، من قول عطاء فقط، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٣٩، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠، بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني: على ناحيتكم)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٨.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣، وفيه: (المعنى: اعملوا على تمكنكم، ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه..) ثم ذكر ما ذكر الواحدي.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٠.

(٥) الجديلة؛ بفتح الجيم وكسر الدال: الطريقة، والناحية، والشاكلة. انظر: «اللسان» ١/ ٥٧١ (جدل).

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ ب. والوتيرة، بفتح الواو وكسر التاء: الطريقة، والصفة. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٦٠ (وتر).

(٧) ذكره الثعلبي ١٨٤ ب.

(٨) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ ب.

وقال أبو إسحاق: (المعنى: اعملوا على تمكنكم وجهتكم التي تمكنتم عند أنفسكم في العلم بها)[١].

قال أبو علي: (المكانة في اللغة: المنزلة والتمكن، كأنه اعملوا على قدر منزلتكم وتمكنكم في دنياكم فإنكم لن تضرونا[٢] بذلك شيئًا)[٣]، قال ابن عباس: (وهذا وعيد وتهدد)[٤]، يريد: أن هذا الأمر أمر وعيدٍ، كقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾ [هود: ١٢١].

قال الزجاج: (ومعنى هذا الأمر: المبالغة في الوعيد؛ لأن ما بعده يدل على الوعيد، وقد أعلمهم بقوله: ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أن من عمل بعملهم فالنار مصيره، فكأنه قيل لهم: أقيموا على ما أنتم عليه من الكفران رضيتم بعذاب النار)[٥].

وقرئ (مكانتكم) و(مكاناتكم)[٦]، والوجه الإفراد؛ لأنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة، وقد تجمع في بعض الأحوال، والأمر العامّ على الوجه الأول[٧].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣، وفيه: (المعنى: اعملوا على تمكنكم). وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٤٩٣.

(٢) في (ش): (يضرونا).

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٧.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٤.

(٦) قرأ عاصم في رواية: (على مكاناتكم)، بألف بعد النون على الجمع. وقرأ الباقون (على مكانتكم) بدون ألف على التوحيد. انظر: «السبعة» ص٢٦٩، و«المبسوط» ص١٧٥، و«الغاية» ص٢٥٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١١، و«التيسير» ص١٠٧، و«النشر» ٢/ ٢٦٣.

(٧) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٠٧-٤٠٨، وانظر: «معاني القراءات» =

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾. قال مقاتل: (أي: عامل على جديلتي التي أمرت بها)[١]، يريد ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي: فحذفت الثانية لدلالة الأولى في ذلك الجانب على الثانية في هذا الجانب، وجملة المعنى: اعملوا ما أنتم عاملون إني عامل مما أمرني به ربي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ موضع (من) نصب بوقوع العلم عليه، ويجوز أن يكون رفعًا على معنى: تعلمون أينا ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ كقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢]، والوجهان ذكرهما الفراء[٢].

قال ابن عباس: (﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ يعني: الجنة. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من له الجنة أنتم أم أوليائي وأهل طاعتي)[٣]، فإن قيل: أليس الكافر أيضًا له عاقبة في الآخرة، فكيف قيل: إن[٤] عاقبة الدار للمؤمنين؟ قيل: العاقبة تكون على الكافر ولا تكون له، كما يقال: لهم الكرة، ولهم الظفر، وفي ضده يقال: عليهم الكرة والظفر[٥].

= ١/ ٣٨٦، و«إعراب القراءات» ١/ ١٦٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤٩، ولابن زنجلة ص٢٧٢، «الكشف» ١/ ٤٥٢، ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٠٣.

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٠.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٥، والنصب على أن (من) موصولة، فهي في محل نصب مفعول به، والرفع على أن (من) استفهامية، فتكون في محل رفع بالابتداء، انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٠، و«المشكل» ١/ ٢٧١، و«البيان» ١/ ٣٤٢، و«التبيان» ص٣٥٩، و«الفريد» ٢/ ٢٣١، و«الدر المصون» ٥/ ١٥٨.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٢.

(٤) في (ش): (فكيف قيل له عاقبة الدار للمؤمنين)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٢٠٣.

وقرئ[(١)]: (تكون) بالتاء، والياء؛ لأن العاقبة مصدر كالعافية، وتأنيثه غير حقيقي فمن أنث فكقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] ومن ذكر فكقوله: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ [يونس: ٥٧] وفي أخرى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥][(٢)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: لا يسعد من كفر نعمتي وأشرك بي)[(٣)].

١٣٦- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية، قال ابن عباس[(٤)] والمفسرون[(٥)]: (كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم نصيبًا، وللأوثان نصيبًا، فما كان للصنم أنفق عليه، وما كان لله أطعم الضيفان[(٦)] والمساكين،

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (من يكون له عاقبة الدار) بالياء على التذكير، وقرأ الباقون (من تكون) بالتاء على التأنيث.
انظر: «السبعة» ص٢٧٠، و«المبسوط» ص١٧٥، و«الغاية» ص٢٥٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١١، و«التيسير» ص١٠٧، و«النشر» ٢/ ٢٦٣.

(٢) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٠٨، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٨٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٧٢، و«الكشف» ١/ ٤٥٣، ونقل هذا الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٠٣.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٢، والخازن ٢/ ١٨٧.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٠-٤١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ١٠، من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٨.

(٥) أخرج الطبري ٨/ ٤١-٤٢، من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة والسدي نحوه، وذكر هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٦٢، عن الحسن والكلبي نحوه، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٩١.

(٦) في (أ): (أطعم للضيفان).

ولا يأكلون من ذلك كله شيئًا، فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله التقطوه وردّوه إلى نصيب الصنم، وقالوا: إنه فقير. فذلك قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾). قال ابن عباس: (خلق، ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ قال: يريد التمر والقمح، وجميع ما يؤكل، (الأنعام) يريد: الضأن والماعز والإبل والبقر، ﴿نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ يريد: بكذبهم)[1].

وقد ذكرنا تفسير الزُّعم[2] والزَّعم في سورة النساء [: ٦٠].

فإن قيل: أليس جميع الأشياء لله فكيف نسبوا إلى الكذب في قولهم: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ﴾؟ قلنا: إفرازهم النصيبين نصيبًا لله، ونصيبًا للشيطان، وحكمهم بذلك كذب منهم[3] لم يأمر الله تعالى به، وهم كانوا يفعلون ذلك تدينًا وتعبدًا واعتقادًا أن ذلك أمر به[4] الله تعالى وأنه يرضى به[5]، قال الزجاج: (وتقدير الكلام: جعلوا لله نصيبًا ولشركائهم نصيبًا، ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد، وهو قوله: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾)[6]، وجعل الأوثان شركاءهم؛ لأنهم جعلوا لها نصيبًا من أموالهم ينفقونها عليها فشاركوها في مالهم[7].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٣.

(٢) يعني: بضم الزاي وفتحها. انظر: «اللسان» ٣/ ١٨٣٤ (زعم).

(٣) لفظ: (منهم) ساقط من (ش).

(٤) في (أ): (ذلك أمره لله تعالى فإنه يرضى به).

(٥) انظر: «تفسير الرازي» ١٣/ ٢٠٤.

(٦) هذا قول النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٩٤، وذكره عن الزجاج الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٠٤، ولم أقف عليه في «معاني الزجاج».

(٧) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨١، و«تفسير الرازي» ١٣/ ٢٠٤.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ معناه ما ذكرنا عن ابن عباس[١]: أنه كان إذا اختلط شيء مما جعلوه لله بما جعلوه للأوثان لم يخرجوه ولم يردوه، وإذا كان على الضد ردّوه.

وقال الحسن[٢] والسدّي[٣]: (هو أنه إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدله مما لله، ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله ﷻ).

وقال مجاهد: (هو أنه إذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه، وإن كان على ضد ذلك تركوه)[٤]، وزاد قتادة: (إذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزءوا لله ووفروا ما جزءوا لشركائهم)[٥]، وزاد مقاتل: (وإن زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوه للآلهة وقالوا: لو شاء الله زكا نصيبه، وإنْ زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الآلهة قالوا: لابد لآلهتنا من نفقة فأخذوا نصيب الله فأعطوه السدنة، فذلك قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ﴾ يعني: من تمام الحرث والأنعام ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعني: إلى المساكين)[٦]، وإنما قال: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنهم كانوا يفرزونه لله ويسمونه نصيب الله ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ من التمام فهو يصل إلى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٦٢، والماوردي ٢/ ١٧٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٤، وابن الجوزي ٣/ ١٢٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٠١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩٠، بسند جيد.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٠-٤١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩١، بسند جيد.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٨- ٢١٩، والطبري ٨/ ٤١، بسند جيد.

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩١.

آلهتهم ثم ذم الله فعلهم فقال: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ أي: ساء الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوا لله على جهة التبرر للأوثان[١].

١٣٧- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الآية. قال الزجاج[٢]: (أي: ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ﴾)[٣]، وقال أبو بكر: (وذلك إشارة إلى ما نعاه الله عليهم من قسمهم ما قسموا بالجهل، فكأنه قيل: ومثل ذلك الذي أتوه في القسم جهلًا وخطأً ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فشبه تزيين الشركاء بخطأهم في القسم)[٤]، وهذا معنى قول الزجاج.

قال مجاهد[٥]: (﴿شُرَكَآؤُهُمۡ﴾: شياطينهم أمروهم أن يئدوا أولادهم خشية العيلة)[٦]، وسميت الشياطين شركاء، لأنهم أطاعوهم في معصية الله فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم، وأضيفت الشركاء إليهم، لأنهم اتخذوها، كقوله تعالى: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢][٧].

---

(١) في (ش): (التبرر إلى الأوثان).

(٢) في (أ): (قال الزجل)، وهو تحريف.

(٣) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٦١، عن الزجاج، ولم أقف عليه في «معاني الزجاج».

(٤) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ١٦١، عن ابن الأنباري.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٠/ ٤١، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٩١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٨٨.

(٦) العيلة، بفتح فسكون: الفقر، وشدة الحاجة. انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٩٤ (عيل).

(٧) كتبت الآية في النسخ خطأ بلفظ (أين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله)، واستشهد الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٥، على الموضوع بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ٤٠].

وقال الكلبي[١]: (كان لآلهتهم سدنة وخدام هم الذين كانوا يزينون للكفار قتل أولادهم، وكان الرجل يقوم في الجاهلية فيحلف بالله لئن ولد له كذا غلامًا لينحرن أحدهم كما حلف[٢] عبد المطلب على ابنه عبد الله)[٣]، وعلى هذا القول الشركاء هم: السدنة سمّوها شركاء كما سميت الشياطين شركاء في قول مجاهد[٤] والشركاء رفع بالتزيين.

ولما تقدم ذكر المشركين كنى عنهم في قوله: (شركاؤهم) كقوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] لما تقدم ذكر النفس كنى عنها، ومثله ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤] وأضيف المصدر الذي هو القتل إلى المفعولين الذين هم الأولاد كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، أي: من دعائه الخير فحذف ذكر الفاعل، كذلك التقدير في الآية: قتلهم أولادهم[٥].

وقرأ ابن عامر[٦] (زُيِّنَ) بضم الزاي، (قَتْلُ) رفعًا، (أَوْلَادَهُم)

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ ب، والماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٧٤، والبغوي ٣/ ١٩٢- ١٩٣، وابن الجوزي ٣/ ١٣٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك في: «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٣٩- ٢٤٣.

(٣) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم: أبو قثم الهاشمي القرشي، والد رسول الله ﷺ، أصغر ولد عبد المطلب وأحبهم إليه، ويلقب بالذبيح. انظر: «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٣٩- ٢٤٦، و«الأعلام» ٤/ ١٠٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤١٠.

(٦) قرأ ابن عامر: (وكذلك زُيِّنَ (زَيَّنَ) لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم) (زُيِّن) بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول و(قَتْلُ) برفع اللام نائب فاعل (أَوْلَادَهُم) بنصب الدال مفعول للمصدر (شُرَكَائِهِم) بهمزة مجرورة على إضافة المصدر إليه وهو من إضافة المصدر إلى فاعله. وقرأ الباقون: (زَيَّنَ) بفتح الزاي =

بالنصب، (شُرَكَائِهِم) بالجرّ على تقدير: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ﴾ شركائهم أولادهم، ولكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهو الأولاد، والمفعول به مفعول المصدر، قال أبو علي: (وهو قبيح، قليل في الاستعمال؛ لأنهم لا يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالظرف الذي توسعوا فيه، وفصلوا به في كثير من المواضع، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

ونحو قول الشاعر:

عَلَى أَنَّني بَعْدَ مَا قَدْ مَضى ... ثلاثُون لِلْهَجرِ حَوْلًا كَمِيلًا[١]

[فصل بين العدد والمعدود[٢]]، ونحو قوله:

فَلا تَلْحَني فيها فإنَّ بِحُبِّهَا ... أَخَاكَ مُصَابُ القَلْبِ جَمٌّ بَلابِلُهْ[٣]

= والياء مبيِّنًا للفاعل. و(قَتْلَ) بنصب اللام على المفعولية (أَوْلَادِهِمْ) بجر الدال على الإضافة (شُرَكَاؤُهُم) بهمزة مرفوعة على الفاعلية. انظر: «السبعة» ص٢٧٠، و«المبسوط» ص١٧٥، و«الغاية» ص٢٥٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١١، و«التيسير» ص١٠٧، و«النشر» ٢/ ٢٦٣- ٢٦٥.

(١) الشاهد للعباس بن مرداس في «ديوانه» ص١٣٦، وهو بلا نسبة في «الكتاب» ٢/ ١٥٨، و«المقتضب» ٣/ ٥٥، و«مجالس ثعلب» ص٤٢٤، و«المسائل الحلبيات» ص٢٥٨، و«الإيضاح العضدي» ١/ ٢٤٢، و«المسائل البصريات» ٢/ ٨٣٥، و«الإنصاف» ص٢٦٥، و«الدر المصون» ٥/ ١٦٣، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥٧٢.

وكميلًا: أي كامل. والشاهد: الفصل بين ثلاثين وبين تمييزها، وهو حولًا. انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٩٠٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) لم أهتد إلى قائله. وهو في «الكتاب» ٢/ ١٣٣، و«الأصول» ١/ ٢٠٥، و«المسائل الحلبيات» ص٢٥٨، و«كتاب الشعر» ١/ ٢٤٠، ٢٧٠، و«المقرب» ١/ ١٠٨، =

ألا ترى أنه فصل بين أن واسمها بما يتعلق بخبرها، ولو كان بغير الظرف لم يجز، ألا ترى أنهم لا يجيزون إن زيدًا عمرًا[1] ضارب إذا نصبت زيدًا[2] بضارب[3]، فإذا لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف في الكلام، وإنما يجوز في الشعر، كقوله:

كَمَا خُطَّ الكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا ... يَهُودِي يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ[4]

فأن لا يجوز في المفعول به الذي لم يتسع فيه بالفصل أجدر، ووجه ذلك على ضعفه وقلة الاستعمال أنه قد جاء في الشعر [الفصل][5] على حد ما قرأه، قال الطرماح:

= و«الدر المصون» ٥/ ١٦٣، و«مغني اللبيب» ٢/ ٦٩٣، وقوله: (فلا تلحني) أي: تلمني. و(جَمّ)، بفتح الجيم وتشديد الميم: كثير. و(بلابله): جمع بلبلة بالفتح، وهي شدة الهم، والوسوسة. والشاهد: رفع مصاب على أنه خبر أن مع إلغاء الجار والمجرور؛ لأنه من صلة الخبر وتمامه. انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٩٦٩.

(١) و(٢) في (أ): (عمروًا).

(٣) جاء في النسخ: إذا نصبت عمرًا بضارب، والتصحيح من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤١٢.

(٤) الشاهد لأبي حية النميري في «الكتاب» ١/ ١٧٨- ١٧٩، و«الإنصاف» ص٣٤٩، وبلا نسبة في «المقتضب» ٤/ ٣٧٧، و«الأصول» ٢/ ٢٢٧، ٣/ ٤٦٧، و«الخصائص» ٢/ ٤٠٥، و«غرائب التفسير» للكرماني ١/ ٣٨٨، و«أمالي» ابن الشجري ٢/ ٥٧٧، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٦٠، والقرطبي ٧/ ٩٣، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٢٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٦٣.

والشاهد: (بكف يومًا يهودي) حيث فصل بالظرف بين المضاف والمضاف إليه.

(٥) لفظ: (الفصل) ساقط من (أ).

يُطِفْنَ بِحُوزِي المَرَاتِعِ لَمْ يُرَعْ[١] بِوَادِيهِ مِنْ قَرْعِ القِسِيِّ الكَنَائِنِ[٢]

وأنشد أبو الحسن[٣]:

زَجَّ القَلُوصِ أبي مَزَادَهْ[٤]

---

(١) جاء في (ش): حاشية على البيت. قال: (أي: بفحل منتحى المراتع قد حاز بمرتعه ناحية).

(٢) الشاهد للطرماح في «ديوانه» ص٤٨٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٠ (حاز)، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٦١، و«اللسان» ٢/ ١٠٤٦ (حوز)، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٤، وبلا نسبة في: «الحجة» لأبي علي ٣/ ١٢٣، و«الخصائص» ٢/ ٤٠٦، و«الإنصاف» ص٣٤٧.

والشاعر يصف بقر الوحش، وقوله: (بحوزي)، الحوزي: المتوحد: وهو الفحل منها، وهو من حزت الشيء إذا جمعته أو نحيته. والمراتع: موضع الرتع. ولم يرع، أي: لم يخف. والقرع: الضرب. والقسي: جمع قوس. والكنائن: جمع كنانة: جراب يوضع فيه السهام. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٠ (حاز)، و«حاشية الإنصاف».

والشاهد: الفصل بين المصدر المضاف (قرع)، وفاعله المضاف إليه. (الكنائن) بالمفعول به للمصدر وهو (القسي).

(٣) أبو الحسن الأخفش الأوسط: إمام لغوي، تقدمت ترجمته.

(٤) الشاهد لم أهتد إلى قائله. وصدره:

فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ .. .. ..

وفي رواية: (فزججتها متمكنًا) وهو في: «الكتاب» ١/ ١٧٦، و«معاني الفراء» ١/ ٣٥٨، و«تفسير الطبري» ٨/ ٤٤، و«الخصائص» ٢/ ٤٠٦، و«المدخل» للحدادي ص٣٢١، و«الكشاف» ٢/ ٥٤، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٦١، و«الإنصاف» ص٣٤٧، و«البيان» ١/ ٣٤٢، و«تفسير الرازي» ١٣/ ٢٠٦، و«الفريد» ٢/ ٢٣٣، و«المقرب» ١/ ٥٤، و«القرطبي» ٧/ ٩٢، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٢٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٦٦- ١٧٠، وقوله: (فزججتها) الضمير للراحلة. والزج: الدفع بالرمح. والقلوص: الناقة الفتية. وأبو مزادة؛ كنية رجل.

وهذان البيتان مثل قراءة ابن عامر، ألا ترى أنه فصل فيهما بين المصدرين والمضاف إليهما بالمفعول به، كما فصل ابن عامر بين المصدر وما حكمه أن يكون مضافًا إليه، وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه فكأنهم فعلوا ذلك)[١].

وقوله تعالى: ﴿ليردوهم﴾. قال ابن عباس: (يريد: في النار)[٢]، والإرداء في اللغة: الإهلاك[٣] وفي القرآن: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦].

= والشاهد: الفصل بين المضاف زج والمضاف إليه: أبي مزادة بالمفعول، وهو القلوص. انظر: «حاشية تفسير الطبري» ١٢/ ١٣٨ط. شاكر.

(١) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٠٩-٤١٤، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٢، و«معاني القراءات» ١/ ٣٨٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧١، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٠، ولابن زنجلة ص٢٧٣، و«الكشف» ١/ ٤٥٣، و«المشكل» ١/ ٢٦٩. وقد ذكر قول أبي علي الفارسي وغيره، السمين في «الدر» ٥/ ١٦٦، وقال: (وهذه الأقوال التي ذكرتها جميعًا لا ينبغي أن يتلفت إليها؛ لأنها طعن في المتواتر، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر، وأيضًا فقد انتصر لها من يقابلهم، وأورد من «لسان العرب» نظمه ونثره ما يشهد لصحة هذه القراءة لغة).اهـ. ثم ذكر عدة أقوال وشواهد عن كبار الأئمة في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إذا كان الفاصل معمولًا للمضاف المصدر. وهذا هو الحق؛ لأنها قراءة متواترة، والقراءة سنة متبعة تؤخذ بالنقل والسماع لا بالاجتهاد، فينبغي تصحيح قواعد العربية بالقراءة ولا يلتفت إلى الاعتراض عليها.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٦، والرازي ١٣/ ٢٠٦، والخازن ٢/ ١٨٨.

(٣) الرَّدَى، بالفتح: الهلاك. انظر: «الجمهرة» ٢/ ١٠٥٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٥٥، و«المجمل» ٢/ ٤٢٨، و«المفردات» ص٣٥١، و«اللسان» ٣/ ١٦٣١ (ردى).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾. قال ابن عباس: (يدخلوا عليهم الشك في دينهم)[١]، وقال الكلبي: (ليخلطوا ويشبهوا، وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه)[٢].

وقوله تعالى: ﴿و[٣]لو شاء الله ما فعلوه﴾ أخبر أن جميع ما فعله المشركون كان ذلك بمشيئة الله إذ لو لم يشأ ما فعلوا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: وما يقولون أن لله شريكًا)[٥].

١٣٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ معنى الحجر في اللغة: الحرام، وأصله[٦] من المنع، ومنه سمّي العقل حجرًا لمنعه عن القبائح، وفلان في حجر القاضي أي: منعه[٧]، قال أبو إسحاق: (المعنى:

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٦، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٣، وابن الجوزي ٣/ ١٣١، والخازن ٢/ ١٨٨.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٤، وظاهر سياق الواحدي في «الوسيط» والبغوي وابن الجوزي والخازن في تفاسيرهم أنه من قول ابن عباس. وانظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٢٨٠.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥١٦، والرازي ١٣/ ٢٠٦، والقرطبي ٧/ ٩٤.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٦٥.

(٦) الحجر بكسر الحاء وضمها، وسكون الجيم: الحرام. انظر: «العين» ٣/ ٧٤، و«الجمهرة» ١/ ٤٣٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٧، و«الصحاح» ٢/ ٦٢٣، و«المجمل» ١/ ٢٦٤، و«المفردات» ص٢٢٠، و«اللسان» ٢/ ٧٨٢ (حجر).

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٧، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٧-٢٨٨، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٣، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧١، و«تفسير الطبري» ٨/ ٤٦، و«تفسير المشكل» ص٨٠، و«تفسير الرازي» ١٣/ ٢٠٧، والقرطبي ٧/ ٩٤.

أنهم حرموا أنعامًا وحرثًا وجعلوه لأصنامهم فقالوا: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾، فأعلم الله ﷻ أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة لهم فيه، ولا برهان)[١].

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ قال ابن عباس: (يريد: مما سيبوا لآلهتهم)[٢].

قال الزجاج: (وهي نحو ما وصفنا من البحيرة والسائبة والحامي الذي قد حمي ظهره أن يركب)[٣].

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قال ابن عباس: (يريد: يقتلونها لآلهتهم، إما يقذفونها[٤]، وإما يخنقونها بالوتر)[٥].

وقال الزجاج: (يذبحونها لأصنامهم ولا يذكرون اسم الله عليها، فأعلم الله ﷻ أن ذلك افتراء[٦]، فقال: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي: يفعلون ذلك افتراء، وهذا يسميه سيبويه مفعول له[٧]، أي: لا يذكرون اسم الله عليها للافتراء على الله، وهو أنهم زعموا أن الله أمرهم بذلك، قال الزجاج:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٣٢، ولم أقف عليه في «معاني الزجاج».

(٢) لم أقف عليه، وهو ظاهر كلام القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٩٥.

(٣) الذي عند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٤ تعريف الحامي فقط.

(٤) في (أ): (يقذوفها)، وهو تحريف.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ش): (أن ذلك افتراء عليه، أي: يفعلون ذلك افتراء)، وهو قريب من نص الزجاج.

(٧) أي مفعول لأجله. انظر: «الكتاب» ١/ ٣٦٧، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٤: (افتراء) مفعول من أجله ومصدر. اهـ. وانظر: «المشكل» ١/ ٢٧٢، و«غرائب التفسير» ١/ ٣٨٩، و«التبيان» ص٣٦٠، و«الفريد» ٢/ ٢٣٦، و«الدر المصون» ٥/ ١٨٢.

وحقيقته أن قوله تعالى: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ بمعنى: يفترون، كأنه قال: يفترون افتراء)[١].

١٣٩- قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾. قال ابن عباس[٢] والشعبي[٣] وقتادة[٤]: (يعني: ألبان البحائر، كانت للذكور دون النساء، فإذا ماتت اشترك في لحمها ذكورهم وإناثهم).

وقال غيرهم من المفسرين[٥]: (يعني: أجنة البحائرِ والسوائب، ما ولد منها حيًّا فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد ميتًا أكله الرجال والنساء).

وقوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ ذكر ابن الأنباري: في تأنيث خالصة ثلاثة أقوال: قولين للفراء، وقولًا للكسائي:

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٤٩٦-٤٩٧.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٧، ٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٥، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٠-٩١.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٨ بسند جيد، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٤ب، وابن عطية في «تفسيره».
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٩، والطبري ٨/ ٤٨، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٠.
(٥) ومنهم مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢٢٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٨-٤٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٥بسند جيد عن مجاهد والسدي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥١٦ عن الكلبي، وذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٤، عن ابن عباس، وقتادة والشعبي، والظاهر هو العموم من الأجنة والألبان، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٩٢، والسدي، كما ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٣٢. ورجحه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٩.

(أحدها: أن الهاء ليست للتأنيث، وإنما هي للمبالغة في الوصف كما قالوا: راوية وعلامة ونسَّابة، والداهية والطاغية، وأنه لمنكر ومنكرة، وكذلك تقول: هو خالصة لي، وخالص لي، وهذا قول الكسائي[(١)].

وقال الفراء[(٢)]: (وقد تكون (خالصة) مصدرًا لتأنيثها كما تقول: العاقبة والعافية، وهو مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦][(٣)]، قال أبو بكر: فعلى هذا أنث الخالصة؛ لأنها أجريت مجرى المصادر التي تكون بلفظ التأنيث إخبارًا عن الأسماء المذكرة كقولهم: عطاؤك عافية، والمطر رحمة، والرخص نعمة، ومعروف عندهم الرجل خالصتي، قال الشاعر[(٤)]:

كُنتَ أمنيتي وكَنتَ خَالصتي
وليس كلُّ امرئ بمؤتمنِ

القول الثالث[(٥)]: للفراء (أن تأنيث (خالصة) لتأنيث (الأنعام)[(٦)]، لأن ما في بطونها مثلها، فأنث لتأنيثها)[(٧)]، وعلى هذا كأنه قيل: وقالوا

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٤، وفي «معانيه» ٢/ ٤٩٨، عن الكسائي، وهو اختيار الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٨٨، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٤٩.

(٢) هذا هو القول الثاني.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩، وهو اختيار الكرماني في «غرائب التفسير» ١/ ٣٨٨.

(٤) لم أهتد إلى قائله، وهو في الكشف للثعلبي ١٨٥ أ، و«غرائب التفسير» ١/ ٣٨٨، و«الدر المصون» ١/ ١٨٣.

(٥) جاء في النسخ: (القول الثاني)، وهو تحريف.

(٦) حصل في (أ) تداخل في الأقوال، فقد جاء قول أبي علي الفارسي بعد قوله: (لتأنيث الأنعام)، وهو تحريف من الناسخ.

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٨.

الأنعام التي في بطون الأنعام ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[١]، وقال الزجاج: (جُعل معنى (ما) التأنيث؛ لأنها في معنى الجماعة كأنهم قالوا: جماعة ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[٢]، وأبين من هذا كله أن يقال: (ما) عبارة عن الألبان أو الأجنة، وإذا كان عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى، وتذكيره على اللفظ، كما جُعل في هذه الآية فإنه أنث خبره الذي هو (خالصة) لمعناه وذُكر في قوله (ومحرم) على اللفظ[٣]، وهذا قريب مما قاله أبو إسحاق؛ لأنه جعل (ما) بمعنى الجماعة. وذكر أبو علي فيه[٤] قولين: (أحدهما: أن (خالصة) مصدر، ويكون المعنى: ما في بطون هذه الأنعام ذو خلوص. والثاني: أن يكون صفة، وأنث على المعنى لأنه كثرة، والمراد به: الأجنة والمضامين)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ يعني: النساء. قال ابن عباس: (يريدون على نسائنا)[٦].

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٠٨، عن ابن الأنباري، وذكره بعضه ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٣٣، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ١٨٣.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٤-٢٩٥، واختاره الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨١ (خلص).

(٣) وهذا القول هو اختيار النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٤، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٧٢، وابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٤٣.

(٤) «الحجة» لأبي علي ٦/ ٧٤، ونحوه قال ابن جني في «المحتسب» ١/ ٢٣٢، وانظر: «أمالي ابن الشجري» ٣/ ٣١.

(٥) المضامين، بالفتح وكسر الميم: ما في بطون الحوامل من كل شيء. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٦١١ (ضمن).

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٥.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾. قرأ[١] ابن كثير (يَكُن) بالياء (مَيْتَةٌ) رفعًا.

قال أبو بكر: (الميتة: أريد بها الميت زيدت عليها الهاء للإبهام، كما قالوا: الدابة فارة، والشاة ذبحته، والأُرْوِيَّة[٢] عاينته، فيذكّرون إذا[٣] كان الحرف يقع على المذكر والمؤنث، وقراءة ابن كثير (وإن يكن ميتة) فالميتة اسم الكون، وخبر الكون مضمر يراد به: وإن يكن لهم ميتة، أو وإن يكن هناك ميتة، وذكر الفعل لأن الميتة في معنى الميت)[٤].

وقال أبو علي: (لم يلحق الفعل علامة التأنيث لما كان الفاعل المسند إليه تأنيثه غير حقيقي، ولا يحتاج الكون إلى خبر لأنه بمعنى: وإن وقع ميتة، أو حدث ميتة. وقرأ ابن عامر (وإن تَكُن) بالتاء (مَيْتَةٌ) بالرفع، ألحق الفعل علامة التأنيث لما كان الفاعل المسند إليه في اللفظ مؤنثًا، وقرأ عاصم في رواية أبو بكر (وإن تَكُن) بالتاء (مَيْتَةً) بالنصب على تقدير: وإن تكن المذكورة أو المعينة ميتة، فأنث الفعل وإن كان المتقدم مذكرًا؛ لأنه

---

(١) قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية (وإن تكن) بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وقرأ ابن عامر وابن كثير (مَيْتَةٌ) بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» ص٢٧٠-٢٧١، و«المبسوط» ص١٧٥-١٧٦، و«الغاية» ص٢٥٠-٢٥١، و«التذكرة» ٢/ ٤١٢، و«التيسير» ص١٠٧، و«النشر» ٢/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) الأروية، بضم الهمزة، وسكون الراء، وكسر الواو، وتشديد الياء المفتوحة: الأنثى من الوعول. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٨٧ مادة (روى)، وقال ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» ١/ ٥٤ (الأروية: شاة الجبل) اهـ.

(٣) في (ش): (إذ كان).

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٠٨، بدون نسبة. وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٨، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٨٥.

حمله على المعنى. وقرأ الباقون بالياء (ميتةً) بالنصب، تأويله: وإن يكن المذكور ميتة، ذكروا الفعل؛ لأنه مسند إلى ضمير ما تقدم في قوله: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٣٩] وهو مذكر، وانتصب الميتة لما كان الفعل مسندًا إلى الضمير)[١].

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ قال ابن عباس: (يريد: الرجال والنساء)[٢]، وذكرت الكناية في قوله (فِيهِ) لما ذكرنا أن الميتة غير مختصة بالأنثى[٣]؛ لأن المراد بالميتة هاهنا: الحيوان كيف ما كان[٤].

وقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ قال[٥]: (يريد: سيعذبهم بما وصفوا الله به، وما أحلوا مما حرم الله، وما حرموا مما أحل الله)[٦].

---

(١) «الحجة» لأبي علي، ٣/ ٤١٥، بتصرف. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٠-٣٩١، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧١-١٧٢، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥١، ولابن زنجلة ص٢٧٤-٢٧٥، و«الكشف» ١/ ٤٥٤-٤٥٥، و«الدر المصون» ٥/ ١٨٦.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٦ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩١.

(٣) في (ش): (ولأن) بالواو.

(٤) انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٨٦-١٨٧.

(٥) كذا ورد بدون نسبة، والظاهر أن المقصود ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره عنه هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٦٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٧ بدون نسبة.

(٦) قال مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢٢٥: (يعني: قولهم الكذب في ذلك)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٠، من عدة طرق جيدة، عن مجاهد وأبي العالية وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٣٩٦ عن مجاهد، وقال: (وروي عن أبي العالية وقتادة نحو ذلك) اهـ.

وقال أبو إسحاق: (المعنى -والله أعلم-: سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كذب)[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: (يريد: أنه أحكم وأعلم من أن يفعل هذا)[٢].

١٤٠- قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾، قال ابن عباس[٣] والمفسرون[٤]: (يعني: الذين كذبوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية). وقوله[٥] تعالى: ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سفهًا) منصوب على معنى اللام، أي: للسفه، مثل: فعلت ذلك حذر الشر، ويجوز أن يكون منصوبًا على تأويل المصدر، لأن قتلهم أولادهم سفه، فكأنه قال: قد سفهوا سفهًا، والوجهان ذكرهما الزجاج[٦].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٥، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٤٩٩: (التقدير عند النحويين: سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كذب) اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢٧، بدون نسبة، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٥٠.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٦، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٣٤، وأخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٢٤)، كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب، عن ابن عباس قال: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ ا.هـ، الآية ١٤٠ - الأنعام.

(٤) ومنهم مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٩٢، والطبري ٨/ ٥١، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٤٩٩، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥١٧، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥١، من عدة طرق جيدة عن عكرمة والسدي، وقتادة. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٩١.

(٥) لفظ: (وقوله) ملحق في أعلى السطر من (أ).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٥، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٥، و«المشكل» ١/ ٢٧٤، و«البيان» ١/ ٣٤٥، و«التبيان» ٣٦١، و«الفريد» ٢/ ٢٣٨-٢٣٩، =

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال المفسرون[١] (يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والحرث، حرموها على أنفسهم، وقالوا: إن الله أمرهم بها). ونصب (افتراء) مثل نصب (سفهًا)[٢].

١٤١- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾، ذكر الزجاج وجه اتصال هذه الآية بما قبلها فقال: (احتج الله عليهم، ونبه على عظيم ما أتوه في أن أقدموا على الكذب على الله، وشرَّعُوا من الدين ما لم يأذن به فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾، فكأنه قال: افتروا على الله، وهو المحدِث للأشياء، الفاعِل ما لا يقدر أحد على الإتيان بمثله فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ أي: أبدع)[٣]، يقال: نشأ[٤] الشيء ينشأ نشأً ونشأة ونشاءةً إذا ظهر وارتفع، والله ينشئه إنشاءً، أي[٥]: يظهره ويرفعه، ويبتدئ خلقه.

= وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٨٧: «سفها» نصب على الحال، أي: ذوي سفهٍ، أو على المفعول من أجله وفيه بعد؛ لأنه ليس علة باعثة، أو على أنه مصدر لفعل مقدر، أي: سفهوا سفها، أو على أنه مصدر على غير الصدر؛ لأن هذا القتل سفه) اهـ.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٧ بسند جيد، عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٩٤، وابن الجوزي ٣/ ١٣٤.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٦.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٦.

(٤) الإنشاء: إيجاد الشيء وتربيتهِ. والنَّشْءُ والنَّشأةُ: إحداث الشيء وتربيته. يقال: نَشَأَ: بالفتح - يَنْشأ نَشأ ونَشْأة ونشَاءة، وفي «اللسان» ٧/ ٤٤١٨ مادة (نشأ): (نَشأ يَنْشَأ نَشأ ونُشُوءًا ونَشَاءً ونَشْأةً ونَشَاءَةً: حَيي، وأنشأ الله الخلق، أي: ابتدأ خلقهم) ا.هـ. وانظر: «العين» ٦/ ٢٨٧، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٧٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٧، و«الصحاح» ١/ ٧٧، و«المجمل» ٤/ ٨٦٨، و«المفردات» ص٨٠٧.

(٥) في (أ): (أن يظهره) ثم صحح أعلى السطر (أي).

قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ يقال: عَرَشْتُ[1] الكرم أَعْرِشُه عَرْشًا، وعَرَشْتُه تَعْرِيشًا إذا عطفت العيدان التي تُرسل عليها قُضبان الكَرْم، والواحد عَرْش، والجميع عُروش، ويقال: عَرِيش، وجمعه عُرُشٌ، واعْتَرَشَ العِنَبُ العَريشَ اعْتِراشًا إذا عَلاه[2]. قال ابن عباس: (يريد: ما يعرش من الكروم. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ يريد: أن كثيرًا من الأعناب لا يُعرش) هذا قوله في رواية عطاء[3] وهو قول الضحاك[4] والفراء[5]: (إن المعروشات وغير المعروشات كلاهما الكرم خاصّة، منه ما عُرش، ومنه ما لا يُعرش).

وروي عن ابن عباس أيضًا أنه قال: (﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ ما انبسط على وجه الأرض، وانتشر مما يعرش، مثل: الكروم والقرع والبطيخ، ﴿وَغَيْرَ

---

(١) انظر: «العين» ١/ ٢٤٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٢٨، و«الصحاح» ٣/ ١٠٠٩، و«المجمل» ٣/ ٦٥٨، و«المفردات» ص٥٥٨، و«اللسان» ٥/ ٢٨٨٢ (عرش).

(٢) النص في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٢ (عرش).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٢، رقم١٣٩٥٨ بسند ضعيف، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو في «تفسير عطاء الخراساني» ص٨٨، رقم ٢٠٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٢، وقال: (أخرجه أبو الشيخ، عن ابن عباس، وأخرج من وجه آخر عن ابن عباس (معروشات) قال: الكرم خاصة) ا.هـ، وعلق البخاري في «صحيحه» ٨/ ٢٨٧، في كتاب تفسير القرآن، سورة الأنعام، عن ابن عباس قال: ((معروشات) ما يعرش من الكرم وغير ذلك) ا.هـ، وقال الحافظ بن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٢٨٧، والعيني في «عمدة القارئ» ١٥/ ١٤٣: (وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: (﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ ما يعرش من الكرم، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ ما لا يعرش) ا.هـ.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ص١٨٥ أ، والبغوي ٣/ ١٩٥، وابن الجوزي ٣/ ١٣٥.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٣٥٩، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٦: (ومعنى المعروشات ههنا: الكروم) اهـ.

﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ ما قام على ساق وبسق[(١)]، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ فسر ابن عباس: (الزرع هاهنا بجميع الحبوب التي تقتات، ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ قال: يريد بكل شيء منها طعم غير طعم الآخر)[(٣)]، والأكل كل ما أكل، وهاهنا المراد به: ثمر النخل والزرع، ومضى القول في الأكل عند قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وانتصب (مختلفًا) على الحال[(٤)] أي: أنشأه في حال اختلاف أكله.

---

(١) بَسَق، بالفتح: طال، وارتفع. انظر: «اللسان» ١/ ٢٨٤ (بسق)، وجاء الأثر عند البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٥، وفيه (ونسق) بالنون بدل الباء، والنَّسَق: ما كان على طريقة نظام واحد. انظر: «اللسان» ١٠/ ٧/ ٤٤١٢ (نسق).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ أ، والقرطبي ٧/ ٩٨، والخازن ٢/ ١٩٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٣٦، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٢، بسند جيد عن ابن عباس قال: (﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مسموكات)، وفي رواية (﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: ما عرش الناس ﴿وغير معروشات﴾: ما خرج في البر والجبال من الثمرات) اهـ. والظاهر أن المراد بالمعروشات: ما كانت مرفوعة على ما يحملها من دعائم كأشجار العنب وغيرها، وغير المعروشات هي المتروكة على وجه الأرض لم تعرش. وهو اختيار أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٧، وأبي حيان في «البحر» ٤/ ٢٣٦، والدكتور فريد مصطفى سلمان في «تفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف» ص٨٥-٨٦.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢١٢، وانظر: «تفسير الخازن» ٢/ ١٩٠، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٣٤.

(٤) حال مقدرة؛ لأن النخل والزرع وقت خروجهما لا أكل فيه، حتى يقال فيه متفق أو مختلف. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٥، و«المشكل» ١/ ٢٧٤، و«غرائب التفسير» ١/ ٣٨٩، و«البيان» ١/ ٣٤٥، و«التبيان» ٣٦١، و«الفريد» ٢/ ٢٣٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٨٧.

فإن قيل: كيف أنشأه في حال اختلاف أكله وهو قد أنشأه من قبل ظهور أكله، وأكله ثمره؟ والجواب: ما ذكره الزجاج وابن الأنباري[(١)] وهو: (أن الله تعالى قد دل على خلقه جميع الأشياء في غير موضع من كتابه، فكان في ذلك دليل على إنشائه هذين قبل اختلاف أكلهما، ثم دل على أنه هو المنشئ لهما في حال اختلاف طعم الثمار، فلم يجب بهذا أن يكون غير منشئ لهما فيما تقدم).

قال الزجاج: (ويجوز أن يكون أنشأه ولا أكل فيه، ﴿مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾؛ لأن المعنى: مقدرًا ذلك فيه، كما تقول: لتدخلن منزل زيدٍ آكلين شاربين، والمعنى: أنكم تدخلون مقدّرين ذلك، وسيبويه[(٢)] مثل هذا بقولهم: مررت برجل معه صقرا صائدًا به غدًا، فنصب صائدًا على الحال، والمعنى: مقدرًا به الصيد)[(٣)].

وقال أبو بكر: (ويجوز أن يكون نصب ﴿مُخۡتَلِفًا﴾ على القطع من ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ لا على الحال، والقطع النعت، فكأنه قال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ المختلف أكلهما فلما كان (مختلفًا) نكرةً، ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ﴾ معرفتان، لم تحمل نكرة على إعراب معرفة، فقطعت من لفظهما، أجاز الكسائي والفراء[(٤)]: جاءني زيد أحمر يا هذا، وقالا: أحمر ينتصب على

---

(١) لم أقف عليه عن ابن الأنباري.

(٢) «الكتاب» ٢/ ٥٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٦.

(٤) قال الفراء في «معانيه» ١/ ١١-١٢، في إعراب قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٢ البقرة] (في: (هُدى) النصب من وجهين: أن تجعل (الكتاب) خبرًا، لذلك فتنصب (هدى) على القطع؛ لأن (هدى) نكرة اتصل بمعرفة قد تم خبرها فنصبتها؛ لأن النكرة لا تكون دليلًا على معرفة، وإن شئت نصبت (هدى) على=

القطع من زيد على أنه نعتٌ في الأصل، ودال على صاحبه، فإن نصبت على الحال استحالت المسألة، إذ كانت الحمرة في الرجل لا تنتقل كما ينتقل الركوب والقيام والجلوس، فالذي ينصبُ (مختلفًا) على القطع يقول: معناه النعت.

قال: وأما توحيده الهاء[(١)] العائدة على ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ فلأنه اكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما جميعًا كقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] والمعنى: إليهما. وقوله تعالى: ﴿والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[(٢)] [التوبة: ٦٢] ويجوز أن تكون الهاء مخصوصًا بها النخل؛ لأن أهل التفسير[(٣)] قالوا في قوله: ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: منه الحامض والمر والحلو والجيد والرديء، وكل هذا من نعت ضروب التمر)[(٤)].

= القطع، الحال من الهاء التي في (فيه)، كأنك قلت: لا شك فيه هاديا) ا.هـ.
وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٨، وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٨٩، قال ابن الأنباري: (إن (مختلفًا) نصب على القطع، فكأنه قال: والنخل والزرع المختلف أكلهما، وهذا رأي الكوفيين) ا.هـ.

(١) الضمير في (أكله) يعود على الزرع؛ لأنه أقرب مذكور ولقرينة الحصد، أو يعود على جميع ما سبق، لأن التعميم أولى، والمعنى: مختلف ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب.
وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٢، وانظر: «البحر المحيط» ٤/ ٢٣٦، و«الدر المصون» ٥/ ١٨٨.

(٢) جاء في النسخ (أن ترضوه) بالتاء، وهو خطأ واضح.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٩٥، ولم أقف على من خصه بالنخل.

(٤) لم أقف عليه عن ابن الأنباري.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾. قال أبو بكر: وهو قول غيره من المفسرين[1]: (إن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في الشيوع، وفي أن ورقه يشتمل على الغصن ويستره من أوله إلى آخره، فأحدهما متشابه بالآخر في ورقه غير متشابه في ثمره؛ لأن طعم الزيتون غير طعم الرمان، ويجوز أن يكون التشابه وغير التشابه في كل واحد من الزيتون والرمان، وذلك أن الرمان يشبه بعضه بعضًا في اللون والخِلقة، ثم يختلف الطعم فمنه حلو، ومنه حامض، وكذلك الزيتون)، وهذا قول الفراء[2]، وقد مر القول في هذا.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾: أمر إباحة[3]، ومضى الكلام في الثَّمَر[4] والثُّمُر.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، قال الأزهري[5]: (يريد -والله أعلم-: يوم حَصْدِه).

---

(١) ومنهم ابن جريج، فقد أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٢، بسند جيد عنه قال: (متشابهًا في المنظر، وغير متشابه في الطعم) ا.هـ.
وانظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٣، والسمرقندي ١/ ٥١٨، وابن الجوزي ٣/ ٩٤.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩، والآية عامة، أي: متشابه في المنظر ومختلف في الطعم، كالنخل متعدد الأنواع والطعم، والرمان منه الحلو والحامض، أو متشابه في الطعم ومختلف في المنظر، والأول أدل على كمال قدرة الله ﷻ وإبداع مخلوقاته.
انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٧، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٠٠.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٩٥، وابن عطية ٥/ ٣٧٠.

(٤) انظر: «البسيط» تفسير سورة البقرة: ٢٦٧.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ٨٩٤ (حصد).

وقال جميع أهل اللغة:[١] (يقال: حِصَاد وحَصَاد وجِزاز وجَزاز وقِطاف وقَطاف وجِداد وجَداد)[٢] قال سيبويه: (جاؤوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فِعَال، وربما قالوا فيه: فَعال)[٣].

واختلفوا في معنى قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ أي حقٍّ هو؟ فقال ابن عباس في رواية عطاء[٤]: (يعني: زكاته، يريد به: العشر ونصف العشر مما سقى بالسواني). وهذا قول طاووس[٥] والحسن[٦] وسعيد بن

---

(١) انظر: «العين» ٣/ ١٢٢، و«الجمهرة» ١/ ٥٠٣، و«الصحاح» ٢/ ٤٦٥، و«المجمل» ١/ ٢٣٨، و«المفردات» ص٢٣٨، و«اللسان» ٢/ ٨٩٤ مادة (حصد).

(٢) لفظ: (وجداد الثانية) ساقطة من (ش): والمراد أن الجميع يقال بفتح أوله وكسره، ومعنى الحصاد والجزاز والقطاف والجداد: هو قطع الثمر ووقت قطعه. انظر: «اللسان» ١/ ٥٦٣ مادة (جدد)، ٢/ ٨٥٦ (جزز) ٩/ ٣٦٨٠ (قطف).

(٣) «الكتاب» ٤/ ١٢، وانظر: «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤١٦، و«اللسان» ١/ ٥٦٣ مادة (جدد).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢١٣، عن عطاء عن ابن عباس، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، والبيهقي في «سننه» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٢، من عدة طرق جيدة عن ابن عباس قال: (العشر ونصف العشر)، وأخرج أبو عبيد في «ناسخه» ص٣١، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٤، بسند جيد عن ابن عباس قال: (حقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله) اهـ.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ١٤٥، وفي «التفسير» ١/ ٢/ ٢١٩، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٤، والبيهقي في «سننه» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٢، من عدة طرق جيدة.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٣، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٢٥، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٢، من عدة طرق جيدة، وأخرج أبو عبيد في «ناسخه» ص٣١، والطبري في «تفسيره» من عدة طرق جيدة عن الحسن قال: (هي الصداقة من الحب والثمار) اهـ.

المسيب[١] والضحاك[٢] وابن زيد[٣] وجماعة[٤].

فإن قيل: على هذا كيف يؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل؟

فالجواب: أن معناه قدروا إخراج الواجب منه، فإن وقت الحصاد قريب من زمان التنقية الذي هو وقت وجوب الإخراج هذا في الزرع، فأما في النخل فلا اختلاف بين المسلمين أن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة. وقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ ظاهر في ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ محمول عليه في وجوب الإخراج منه، إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر إلى زمان التنقية[٥].

وقال بعضهم: (هذا حق في المال سوى الزكاة، أمر الله تعالى به تأديبًا وحضًا على البر، فإن فعل فحسن، وإن لم يفعل فلا شيء على تاركه، وليس بأمرٍ حتمٍ).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ١٤٥، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٤ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٨٤)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٤ بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٤ بسند جيد.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٣، ٥٤، من عدة طرق عن أنس بن مالك، وجابر ابن زيد، ومحمد بن الحنفية، وقتادة، وزيد بن أسلم. وزاد النحاس في «ناسخه»، ٢/ ٣٢٥ نسبته إلى مالك، وعطاء الخراساني. وزاد هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٦٦ نسبته إلى سعيد بن جبير، وزاد ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٣، ابن جريج. وقال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٧٨: (قال الجمهور: هي الصدقة المفروضة فيه العشر فيما سقي بغير آلة، ونصف العشر فيما سقي بآلة) ا.هـ.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٣/ ١٣٥-١٣٦.

وهذا قول عطاء[١] وحماد[٢] والحكم[٣][٤] ومجاهد، وإبراهيم، والربيع، قال مجاهد: (إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه، وإذا دسته وذريته فاطرح لهم منه، وإذا كدسته فاطرح لهم منه، فإذا عرفت كيله فاعزل زكاته)[٥]. وقال إبراهيم[٦]: (هو الضِّغْث)[٧]. وقال الربيع[٨]:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ١٤٣، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، والبيهقي في «سننه» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٣-٣٣٤، من عدة طرق جيدة.

(٢) أثر حماد بن زيد الأزدي، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨ بسند جيد، وذكره الثعلبي في الكشف ١٨٥ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٥.

(٣) الحكم بن عُتَيبَة الكندي، أبو محمد الكوفي، إمام عابد، ثقة، ثبت، فقيه، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، توفي سنة ١١٣ هـ، أبو بعدها، وله نيف وستون سنة. انظر: «الطبقات الكبرى» ٦/ ٣٣١، و«الجرح والتعديل» ٣/ ١٢٣، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٠٨، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١١٧، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٦٦، و«تقريب التهذيب» (١٤٥٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٥.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٥، وأخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» ص١٠٩، وعبد الرزاق ١/ ٢/ ٢١٩، وفي «المصنف» ٤/ ١٤٤-١٤٥، وأبو عبيد في «ناسخه» ص٣١-٣٢، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٧٧)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٦، ٥٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، والبيهقي في «سننه» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٣، من عدة طرق جيدة، وبألفاظ مختلفة.

(٦) الأثر عن إبراهيم النخعي، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨١)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٦، من عدة طرق جيدة.

(٧) الضِّغث، بكسر فسكون: ملء اليد من النبات المختلط. انظر: «اللسان» ٥/ 2591 مادة (ضغث).

(٨) الأثر عن الربيع بن أنس، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٧، بسند لا بأس به.

(لقاط السنبل)[١]. وفي الآية قول ثالث، وهو: إن هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرضت الزكاة نسخ هذا، وهو[٢] قول سعيد بن جبير[٣] وعطية[٤] والسدي، قال السدي: (نسخها العشر ونصف العشر)[٥].

وقال مقسم عن ابن عباس: (نسخت الزكاة كل نفقة في القرآن)[٦]، والقول هو الأول[٧].

---

(١) لَقَاط السُّنْبُل، بضم اللام وبفتحها: ما يلتقطه الناس من نُثارة الثمر، والذي تخطته المنَاجِل فيلتقطه الناس. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٦١ مادة (لقط).

(٢) في (أ): (وهذا).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «ناسخه» ص٣٢، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٨، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٢٢، والبيهقي في «سننه» من عدة طرق جيدة.

(٤) الأثر عن عطية العوفي. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٥)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٨، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٤، بسند جيد.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٠)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٨، ٥٩، من عدة طرق جيدة.

(٦) أخرجه أبو عبيد في «ناسخه» ٣٣، بسند جيد، وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٤٠٨ (١٠٤٨٦)، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٨، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٢٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: (نسخها العشر ونصف العشر) ا.هـ. وقد أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف»، والطبري في «تفسيره» القول بالنسخ عن جماعة من السلف رضي الله عنهم، ويحمل هذا على أن مفهوم النسخ عندهم أوسع كما بينا.

(٧) الظاهر -وهو قول الجمهور- أن الآية محكمة، وقد رجح هذا أبو عبيد في «ناسخه» ص٣٣-٣٧، ومكي في «الإيضاح» ص٢٤٤-٢٤٧، وابن العربي في «ناسخه» ٢/ ٢١٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٧١، والرازي ١٣/ ٢١٣، ومصطفى زيد في «ناسخه» ٢/ ٧٢-٧٣، وغيرهم؛ لأنه لا تنافي بينهما وبين عامة آيات الزكاة، ولا بينها وبين ما جاء في السنة من تحديد أنصبة الزكاة ومقاديرها، =

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ قال أبو العباس[١] عن ابن الأعرابي: (السَّرَف تجاوز ما حُدّ لك)[٢].

وقال شَمِر: (سَرَف الماء ما ذهب منه في غير سقى ولا نفع يقال: أرْوَت البئر النخيل وذهب بقيّة الماء سَرَفًا)[٣]، فإن أخذت الإسراف مما قاله ابن الأعرابي فهو: مجاوزة الحد، وإن أخذت من قول شمر فهو: الإنفاق فيما لا يجدي عليك[٤].

= إذ أصل الزكاة شرع في أول الإسلام بدون تحديد، وفي المدينة المنورة حددت بمقاديرها المفروضة. قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٧٦١: (قد قال مالك: إن المراد به: الزكاة المفروضة، وتحقيقه في نكتة بديعة، وهي أن القول في أنها مكية أو مدنية يطول، فهبكم أنها مكية إن الله أوجب الزكاة بها إيجابًا مجملًا، فتعين فرض اعتقادها ووقف العمل بها على بيان الجنس والقدر والوقت، فلم تكن بمكة حتى تمهد الإسلام بالمدينة فوقع البيان، فتعين الامتثال، وهذا لا يفقهه إلا العلماء بالأصول) ا.هـ. وقد نقل الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٧ عن قوم إنها مدنية، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٦: (اختار ابن جريج النسخ، وفي تسمية هذا نسخًا نظر؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل ثم إنه فصل بيانه وبُين مقدار المخرج وكميته، قالوا: وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة، فالله أعلم) ا.هـ، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٠٠، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٣٧.

(١) أبو العباس: هو ثعلب أحمد بن يحيى، إمام تقدمت ترجمته.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٧٥- ١٦٧٦.

(٣) الإسراف -في اللغة-: ضد القصد والإغفال والجهل والخطأ. وأصله مجاوزة الحد في كل فعل، وهو في الإنفاق أشهر، والإسراف في النفقة التبذير، وأما السرف الذي نهى الله تعالى عنه فهو: ما أنفق في غير طاعة الله قليلًا كان أو كثيرًا. انظر: «العين» ٧/ ٢٤٤، و«الجمهرة» ٢/ ٧١٦، و«الصحاح» ٤/ ١٣٧٣، و«مجمل اللغة» ٢/ ٤٩٣، و«المفردات» ص٤٠٧، و«اللسان» ٤/ ١٩٩٦ (سرف).

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ١٧٨- ١٧٩، وابن الجوزي ٣/ ١٣٦.

وقد فُسر الإسراف بالوجهين(١) في هذه الآية.

وقال ابن عباس: كان رجال يتبرعون عند الصرام، فيقول الرجل: لا أمنع سائلا حتى أمسي، فعمد ثابت بن قيس بن شماس إلى خمسمائة نخلة فجدها ثم قسمها في يومٍ واحدٍ، ولم يدخل منها إلى منزله شيئًا، فأنزل الله ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ أي: لا تعطوا كله(٢).

وهذا قول السدي(٣) ويمانٍ والفراء(٤)، وحكاه الزجاج أيضًا وقال(٥): (فيكون على هذا التأويل، أن الإنسان إذا أعطى كل ماله، ولم يوصل إلى عياله شيئًا فقد أسرف؛ لأنه جاء في الخبر (ابدأ بمن تعول)(٦))، فهذا مجاوزة حد الإعطاء.

---

(١) ذكره أكثرهم. انظر: السمرقندي ١/ ٥١٩، و«الوسيط» ١/ ١٢٩، والبغوي ٣/ ١٩٥، وابن الجوزي ٣/ ١٣٦، والقرطبي ٧/ ١١٠، والخازن ٢/ ١٩١، و«تنوير المقباس» ٢/ ٦٨، وأخرجه الطبري ٨/ ٦١ بسند جيد عن ابن جريج، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٣، وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ١٤٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد، عن ابن جريج قال: (جَدَّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخله، فلم يزل يتصدق حتى لم يبق منها شيء، فنزلت الآية) ا.هـ، وهذا مرسل، والأول أشهر، لكنه ضعيف؛ لأن أكثرهم قد صرح أنه من رواية الكلبي.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد، عن السدي قال: (لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء).

(٣) ذكره الثعلبي ص١٨٥ بلفظ: (لا تبذروا تبذيرًا) ا.هـ.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٧.

(٦) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٤٢٧)، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ومسلم (١٠٣٤)، كتاب الزكاة، حديث ١٠٣٤-١٠٣٦، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة أو خير =

وقال سعيد بن المسيب: (معناه: لا تمنعوا الصدقة)[١]، وهذا يتوجه على أن تأويله: لا تتجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة، وهذا ضد القول الأول، ولكنهما راجعان إلى معنى مجاوزة الحد، فالأول: مجاوزة في الإعطاء. والثاني: مجاوزة في البخل.

وقال مقاتل[٢] وعطية: (معناه: لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام)[٣]، وهذا أيضًا من باب المجاوزة؛ لأن من أشرك الأصنام في الحرث والأنعام فقد جاوز ما حُدّ له. وروى عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (لا تجعلوا لله شريكًا، إنه لا يحب من جعل له شريكًا)[٤]، وهذا أيضًا من مجاوزة الحد.

وقال إياس بن معاوية[٥]: (ما جاوزت به أمر الله فهو سرف

= الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول» ا.هـ لفظ مسلم، وأخرج البخاري أيضًا عن أبي هريرة، ومسلم عن أبي أمامة، نحوه.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ١٤٥، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٣٩٩ بسند ضعيف.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٣.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٣٦، عن عطية العوفي.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٨، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٣٩٩، بسند جيد عن عطاء، عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ قال: (في الطعام والشراب) اهـ، وأخرج أيضًا بسند جيد عن طاووس، عن ابن عباس في الآية قال: (أحل الله الأكل والشراب ما لم يكن سرفًا أو مخيلة) ا.هـ، واختار هذا القول ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٤.

(٥) إياس بن معاوية بن قُرة بن إياس المزني، أبو واثلة، قاضي البصرة، تابعي، ثقة، فقيه، يضرب به المثل في الذكاء والدهاء، والعقل والفطنة، والفصاحة، توفي =

وإسراف)[١]، وهذا كله على الأصل الذي ذكره ابن الأعرابي، وقال الزهري: (معناه: لا تنفقوا في معصية الله)[٢]، قال مجاهد: (لو كان أبو قبيس[٣] ذهبًا فأنفقه رجل في طاعة الله لم يكن مسرفًا، ولو أنفق درهمًا في معصية الله كان مسرفًا)[٤]، وهذا المعنى أراد حاتم الطائي[٥] حين قيل له: لا خير في السرف، فقال: (لا سرف في الخير)[٦]، وهذا على الأصل الثاني في معنى السرف، وذلك أن من أنفق في معصية، فقد أنفق فيما لا يجدي عليه[٧].

= سنة ١٢٢هـ، وله ٧٦سنة. انظر: «حلية الأولياء» ٣/ ١٢٣، و«وفيات الأعيان» ١/ ٢٤٧، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٥٥، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٢/ ١٧٨.

(١) أخرجه الطبري ٨/ ٦١، وذكره الثعلبي ص١٨٥ أ، والبغوي ٣/ ١٩٦، والقرطبي ٧/ ١١٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٣٨، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٩٤.

(٢) ذكره الثعلبي ص١٨٥ أ، والبغوي ٣/ ١٩٦، وابن الجوزي ٣/ ١٣٦، والرازي ١٣/ ٢١٤، والخازن ٢/ ١٩١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٣٨.

(٣) أبو قبيس، بضم القاف، وفتح الباء، وسكون الياء، بلفظ التصغير: اسم الجبل المشرف على مكة من جهة الصفا. انظر: «معجم البلدان» ١/ ٨٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٣٩٩ بسند جيد، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥١٩، والثعلبي ص١٨٥/ أ، والبغوي ٣/ ١٩٦.

(٥) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو عدي، فارس جاهلي وشاعر مشهور بجوده وخلقه وسماحته، ويضرب المثل بجوده، تميز شعره بالإشادة بالسخاء والحكم الجميلة، توفي في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٣، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٤٢٤، و«الأعلام» ٢/ ١٥١ .

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ أ، والرازي ١٣/ ٢١٤، والقرطبي ٧/ ١١٠.

(٧) والظاهر أن الخطاب عام، والمتبادر من الآية النهي عن تجاوز الحد في الإنفاق وفي الأكل والشرب، والمسلم مطالب بالبعد عن الحرام أصلًا وليس بالإسراف فيه فقط، وهذا هو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦١، والنحاس في «ناسخه» =

١٤٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ الآية معناها: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا؛ لأن قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ نسق على قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] قاله[١] الفراء[٢] وأبو إسحاق[٣].

وأما الحمولة، فقال الفراء: (الحمولة: ما أطاق العمل والحمل، والفرش: الصغار)[٤].

وقال ابن السكيت: (قال أبو زيد: الحمولة: ما احتمل عليه الحيّ من بعير أو حمار أو غيره كانت عليها أحمال أو لم تكن، وأنكر أبو الهيثم ما قاله أبو زيد، وقال: الحمولة من الإبل التي تحمل الأحمال على ظهرها، فأما الحُمر والبغال فلا تدخل في الحمولة)[٥]، وقال الليث: (الحمولة: الإبل التي تحمل الأثقال)[٦]، وقال النابغة:

= ٢/ ٣٣٦، وانظر: «القرطبي» ٧/ ١١٠، وابن كثير ٢/ ٢٠٤، و«تفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف» للدكتور: فريد مصطفى سلمان ص٩٩-١٠١.

(١) في (ش): (قال)، وهو تحريف.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٨، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٦، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٧٤-٢٧٥ (قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ نصب على العصف على (جنات)، أي: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا) ا.هـ

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٢٥ مادة (حمل)، وفيه قال أبو الهيثم: (الحَمُولة من الإبل: التي تحمل الأحمال على ظهورها، بفتح الحاء: والحمولة: بضم الحاء: هي الأحمال التي تحمل عليها، واحدها حِمْل وأَحَمال وحُمول وحُمولة. فأما الحُمُر والبغال فلا تدخل في الحَمُولة) ا.هـ

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٢٥، وفيه ضبط: الحَمُولة، بالفتح، وقال: (والحُمُول، =

وأنزلت بيتي في يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ نُخَالُ به راعِي الحَمُولةِ طَائِرَا[١]

وقال عنترة:

مَا رَاعَني إلاَّ حَمُولَة أهلِهَا وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ[٢]

وأما الفرش، فقال أبو إسحاق: (أجمع أهل اللغة[٣] على أن الفرش صغار الإبل. قال: وقال بعض المفسرين: الفرش صغار الأنعام، وإن البقر والغنم من الفرش، قال: ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، فلما جاء هذا بدلًا من قوله ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ جعله للبقر والغنم مع الإبل)[٤].

قال الأزهري[٥]: ومما يحقق هذا قوله:

= بالضم: الإبل بأثقالها). وانظر: «العين» ٣/ ٢٤٢، و«الجمهرة» ١/ ٥٦٦، و«الصحاح» ٤/ ١٦٧٦ (حمل).

(١) «ديوان النابغة الذبياني» ص٤٧، و«الكتاب» ١/ ٣٦٨، و«الأصول» ١/ ٢٠٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٢٥، و«اللسان» ٢/ ١٠٠٤ (حمل)، و«الدر المصون» ٥/ ١٩١، وجاء في هذه المراجع: وحلت بيوتي - بدل: وأنزلت بيتي. واليفاع: المُشْرِف من الأرض. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٩٦٣ (يفع). وقوله: يخال طائرًا، أي: كالطائر في صغره لبعده في السماء أو كالطائر المحلق في الهواء.

(٢) «ديوانه» ص١٧، والقرطبي ٧/ ١١٢، و«الدر المصون» ٥/ ١٩١، وهو من معلقته المشهورة.

وراعني: أفزعني. وتسف: تأكل. والخمخم: نبت تعلفه الإبل.

يقول: لما رأيت أهلها يتحملون راعني ذلك لفراقي إياها. انظر: «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٣٠٤، و«النحاس» ٢/ ١٣، و«جمهرة أشعار العرب» ص١٦١.

(٣) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٢٩، و«الصحاح» ٣/ ١٠١٤، و«المجمل» ٣/ ٧١٥، و«المفردات» ص٦٢٩ مادة (فرش).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٨.

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٦٩.

وَلَنا الحَامِلُ الحَمولةُ والفرشُ   من الضَّأنِ والحُصُون السُّيوفُ[١]

وقال الليث: (الفرش: من النعم التي لا تصلح إلا للذبح، وهي ما دون الحَمولة)[٢]. وقال الكسائي[٣]: (الحمولة ما حمل، والفرش الصغار)[٤]، هذا قول أهل اللغة[٥] في تفسير الحرفين.

---

(١) لم أهتد إلى قائله، وقد جاء في النسخ، وفي «اللسان» ٦/ ٣٣٨٣ مادة (فرش) عن الأزهري: (والحصون السُّيوف)، وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٦٩، (الحصون الشّيوف) بالشين، بدل السين، ولعله أصح لأن الشّيوف: المرتفع المزين. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٦١ مادة (شوف).

(٢) «العين» ٦/ ٢٥٦، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٦٩.

(٣) لم أقف عليه عن الكسائي بعد طول بحث، وهو قول ثعلب في «مجالسه» ص٤٢٥، وابن السكيت في «إصلاح المنطق» ص٣٣٥، وقال ابن الأنباري في «شرح القصائد» ص٣٠٤: (الحمولة: الإبل التي تطيق أن يحمل عليها، والفرش: الصغار التي لا تطيق الحمل عليها، وقال بعض المفسرين: الحمولة: الإبل. والفرش: البقر والغنم، وأهل اللغة على القول الأول) ا.هـ

(٤) لفظ: (الصغار) مكرر في (أ).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٧، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٣، و«تفسير غريب القرآن» ص١/ ١٧٢، و«نزهة القلوب» للسجستاني ص٢٠٢، ٣٥٢، و«تفسير المشكل» ص٨٠، والظاهر أن الحمولة، ما حمل من الأنعام، والفرش: الصغار، لأنها دانية من الأرض، وهذا هو قول الجمهور، واختاره الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٤، أو الفرش: ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره، الفرش. واستحسنه ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٠٥، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٦: (ومن أحسن ما قيل: إن الحمولة المسخرة المذللة للحمل، والفرش: ما خلقه الله ﷻ من الجلود والصوف مما يجلس عليه ويتمهد) ا.هـ، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٥٠٣، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٧٣، والرازي ١٣/ ٢١٦.

وأما[١] المفسرون فقال عطاء، عن ابن عباس: (﴿حَمُولَةً﴾: الحوامل، ﴿وَفَرْشًا﴾: الذي ليس بحامل)[٢].

وقال ابن مسعود: (الحمولة: الكبار، والفرش: الصغار)[٣].

وقال الحسن: (الفرش: الحواشي)[٤].

وروي عن ابن عباس[٥]: (أن الحمولة: الإبل والخيل والبغال والحمير، وكل شيء يحمل عليه، وأما الفرش: فالغنم)[٦]، وهذا مثل قول

---

(١) في (ش): فأما.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٤ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠ بسند جيد، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٧، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: الصغار)، وفي رواية عند الطبري قال: (الحمولة: الكبار من الإبل، والفرش: الصغار من الإبل)، وروي بسند جيد عن ابن مسعود مثله في «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٥-٢٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٤، وانظر: «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢١٩-٢٢٠، والطبري ٨/ ٦٣، بسند جيد عن الحسن قال: (الحمولة: ما حمل عليه، والفرش: حواشيها، يعني: صغارها).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٠ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٥، وعلق البخاري في «صحيحه» ٥/ ١٩٢، عن ابن عباس قال: (حمولة ما يحمل عليها) ا.هـ، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٢، بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (الحمولة: الكبار، والفرش: الصغار من الإبل) ا.هـ، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٠١ بسند جيد عن ابن عباس قال: (الفرش: صغار الإبل)، وذكر السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٤، عن ابن عباس أنه قال: (الفرش: الصغار من الإبل)، وفي رواية: (الفرش: ما أكل منه) اهـ.

(٦) في (أ) (وأما الفرش الغنم)، وهو تحريف.

أبي زيد في الحمولة .

وقال مجاهد: (الحمولة: ما حمل عليها، والفرش: صغار الإبل)(١).

وقال قتادة: (الحمولة: الإبل، والفرش: البقر والغنم)(٢).

وقال الربيع بن أنس: (الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الماعز والضأن)(٣)، ونحو ذلك قال الكلبي(٤).

وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾. قال ابن عباس: (يريد: أحل الله لكم الذبائح مما ذكر اسم الله عليه)(٥).

وقال أبو إسحاق: (أي: لا تُحرموا ما حرمتم مما جرى ذكره)(٦).

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ (يريد: ما زين الشيطان وشرع عمرو بن لحي)؛ قاله ابن عباس(٧). وقال الزجاج: (المعنى: لا تسلكوا الطريق الذي يُسَوّله لكم الشيطان)(٨).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٢، من عدة طرق جيدة عن مجاهد قال: (الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: ما لم يحمل)، وفي رواية قال: (الفرش: صغار الإبل).

(٢) أخرج عبد الرزق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٠، والطبري ٨/ ٦٣، بسند جيد، عن قتادة قال: (الحمولة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم)، ولم أقف عليه عن قتادة بلفظ: (الفرش: البقر والغنم).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٣ بسند لا بأس به.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٨، وفيه قال: (الحمولة: ما يحمل عليها، مثل الإبل والبقر. والفرش: ما لا يحمل عليها، مثل الغنم وصغار الإبل) ا.هـ

(٥) لم أقف عليه. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٥٠٤، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٧٣.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٨. (٧) لم أقف عليه.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٨، وقال: (هذا هو الذي تدل عليه اللغة) ا.هـ، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٦٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٠٤-٥٠٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ قال ابن عباس: (يريد: بيّن العداوة، أخرج آدم من الجنة، وهو القائل: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٦٢])[١].

١٤٣- وقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ الآية. انتصب (ثمانية) بالبدل من ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗا﴾ في قول الفراء والزجاج[٢]. قال الفراء: (وإن شئت أضمرت لها فعلًا)[٣]، قال ابن قتيبة: (أي: كلوا مما رزقكم الله ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾)[٤].

قال الفراء: (الذكر زوج، والأنثى زوج)[٥]، وهو قول ابن عباس: (يريد: بالزوج الواحد الذكر[٦] زوج، والأنثى زوج)[٧].

وقال ابن قتيبة: (والثمانية الأزواج: الضأن، والماعز، والإبل، والبقر، [فالضأن والماعز ذكرا في هذه الآية، والإبل والبقر[٨]] فيما

---

(١) لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٦٨، قال: (ظاهر العداوة يأمركم بتحريم الحرث والأنعام).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٩، وهو قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٥.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٣٩، وفيه: (وإن شئت جعلته منصوبًا بالرد إلى الحمولة، والفرش تبيينا لها) ا.هـ، وبعضهم قدر: وأنشأ ثمانية أزواج، أو كلوا لحم ثمانية أزواج، انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٩، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٨٦، و«المشكل» ١/ ٢٧٥، و«البيان» ١/ ٣٤٥-٣٤٦، و«التبيان» ٣٦١، و«الفريد» ٢/ ٢٤١، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٢.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٥٩، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٩: (والزوج في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر) ا.هـ، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٥٠٥.

(٦) في (ش): (يريد بالزوج: الذكر الواحد زوج، وبالأنثى: زوج).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

بعدها، قال: وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة؛ لأنه أراد ذكرًا وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج، والأنثى زوج، يقع على الواحد وعلى الاثنين(١)، ألا ترى أنك تقول للرجل: زوج وهو واحد، وللمرأة زوج وهي واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥])(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني: الذكر والأنثى، والضأن: ذوات الصوف من الغنم(٣).

قال الزجاج: (وهي جمع ضائن وضائنة مثل: تاجرٍ وتَجرٍ)(٤)، وتجمع الضأن أيضًا(٥): الضِّئين والضَّئين بالكسر والفتح(٦).

---

(١) قال ابن الأنباري في «الأضداد» ص٣٧٣-٣٧٥: (من ادعى أن الزوج يقع على الاثنين، فقد خالف كتاب الله جل وعز، وجميع كلام العرب إذ لم يوجد فيهما شاهد له، ولا دليل على صحة تأويله. وإنما يقال للاثنين: زوجان، قال الله ﷻ ﴿ثمانية أزواج﴾ الآية فكان المعنى: ثمانية أفراد أنشأ من الضأن اثنين، وكذلك ما بعدهما، فالأزواج معناها: الأفراد لا غير) ا.هـ ملخصًا. وانظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٥١٥-٥١٧، و«الزاهر» ٢/ ١٩٨.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٣٩-٣٤٠، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٩، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٧٥، و«اللسان» ٣/ ١٨٨٥ مادة (زوج). وقد ذكر الأخفش في «معانيه» والطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٥: (أنه يقال للاثنين: هما زوج).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٨٣.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٩، وفيه: (والضأن: جمع ضائن وضَأن مثل تاجر وتَجْر).

(٥) لفظ: (أيضًا) ساقط من (أ).

(٦) أي: بكسر الضاد وفتحها، قال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١١٣-١١٤: (الضأن: ذوات الصوف من الغنم، وهي جمع ضائن، والأنثى ضائنة والجمع ضوائن، وقيل: هو جمع لا واحد له، وقيل في جمعه: ضئين كعَبْد وعبيد، ويقال فيه: ضِئين، كما يقال في شَعير: شِعير، كسرت الضاد إتباعًا) ا.هـ. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٩، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٠٥، و«اللسان» ٤/ ٢٥٤٢ (ضأن).=

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ وقرئ (المعز)[1] بفتح العين، والمَعْز والمَعَزُ ذوات الشعر من الغنم، ويقال للواحد: مَاعِز، وتجمع مِعزى ومَعِيزًا[2] وحكى أبو زيد: (الأمعوز)[3]. وأنشد:

كـالـتَّـيْـسِ فـي أَمْـعُـوزِهِ الـمُـتَـرَبَّـلِ[4]

وقالوا[5]: المعيز كالكَليب والضئين، قال:

وَيَمْنَعها[6] بنو شَمَجَى بن حَزْمٍ[7] مَـعِـيـزُهُـم حَـنَـانَـكَ ذَا الـحَـنَـانِ

= و«البحر المحيط» ٤/ ٢٣٥، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٣-١٩٤.

(١) قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو: (ومن المَعَز) بفتح العين، وقرأ الباقون: بسكون العين. انظر: «السبعة» ص٢٧١، و«المبسوط» ص١٧٦، و«الغاية» ص٢٥١، و«التذكرة» ٢/ ٤١٢، و«التيسير» ص١٠٨، و«النشر» ٢/ ٢١٦.

(٢) النص في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢٠ (معز). وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٨٩.

(٣) جاء في «النوادر» لأبي زيد ص٧٨، (والأُمْعُوز: القطيع من الضباء) اهـ، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢١، وأبو علي في «الحجة» ٣/ ٤١٩، عن أبي زيد، وانظر: «اللسان» ٧/ ٤٢٣٢ (معز).

(٤) هذا عجز بيت لربيعة بن مقروم الضبي، وصدره:

أَخْلَصْتُهُ صُنْعًا فآضَ مُحَمْلَجًا

وهو في «النوادر» ص٧٧، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٤١٩، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٤، وقوله: محملجا: أي كثير اللحم، يقال للعير الذي دوخل خلقه اكتنازًا: محملج. انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٠٦ (حملج)، وقوله: المتربل: الذي قد أكل الربل، وهو ضرب من الشجر. انظر: «اللسان» ٣/ ١٥٧٢ (ربل).

(٥) العبارة في «الحجة» ٣/ ٤١٩، وكليب جمع كلب، وضئين جمع ضأن، انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٩٣.

(٦) الشاهد لامرئ القيس في «ديوانه» ص١٦٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٨٧، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٤١٩، و«تفسير القرطبي» ٧/ ١١٤، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٤، وقوله: وحنانك ذا الحنان، يعني: رحمتك يا ذا الرحمة.

(٧) كذا في الأصل، وفي سائر المراجع السابقة، (ابن جرم)، بدل حزم وهو =

وقال ابن شميل: (المِعْزى والمَعْزُ والمعيز للذكور والإناث)[١]، فمن قرأ (المعَز) بفتح العين فهو جمع ماعز، مثل خادم وخَدَم، وطالبٍ وطَلَبٍ، وحارسٍ وحَرَسٍ، ومن قرأ بسكون العين فهو جمع أيضًا، جمع ماعز عليه، كما قالوا: صاحِب وصَحْب، وتَاجِرٍ وتَجْرٍ، وراكبٍ ورَكْب[٢]. وأما انتصاب (اثْنَيْنِ) فمحمول على (أنشأ) [الأنعام: ١٤١]، التقدير:[٣] أنشأ ثمانية أزواج أنشأ من كذا اثنين ومن كذا اثنين، قاله أبو علي[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ نصب (الذكرين)[٥] بقوله (حَرَّمَ) والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله[٦].

قال المفسرون: (إن المشركين من أهل الجاهلية كانوا يقولون: ﴿هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾، ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٩] كما أخبر الله تعالى عنهم في الآيات التي

= المشهور، وبنو شمجى -بالفتح- بن جَرْم: حي من قُضاعة. انظر: «الاشتقاق» لابن دريد ص٣٩٤، و«اللسان» ٤/ ٢٣٢١ (شمج).

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢١، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٨١٧، و«الصحاح» ٣/ ٨٩٦ (معز).

(٢) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤١٨-٤١٩، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٢، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٢، ولابن زنجلة ص٢٧٥، و«الكشف» ١/ ٤٥٦.

(٣) قوله: (التقدير أنشأ) مكرر في (ش).

(٤) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤١٨-٤١٩، وذهب الأكثر إلى أنه بدل من ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾. انظر: «الكشاف» ٢/ ٥٦-٥٧، و«البيان» ١/ ٣٤٦، و«التبيان» ٣٦١، و«الفريد» ٢/ ٢٤١، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٣.

(٥) في (أ): (الذكر)، وهو تحريف.

(٦) أي الذكرين: مفعول به مقدم لحرم. انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٩٥.

مضت أنهم كانوا يحرمون أجناسًا من النعم بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فاحتج الله عليهم في هذه الآية والتي بعدها، فقال: يُقايسهم في تحريم ما حرموا: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز حرم الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؟ فإن كان حرّم من النعم ذكورها فكل ذكورها حرام، وإن كان حرّم الأنثيين فكل الإناث حرام)[1].

وقال الفراء: (يقول: أجاءكم التحريم فيما حرمتم من الذكرين أم من الأنثيين؟ فلو قالوا: من قبل الذكر حرم كل ذكر، ولو قالوا: من قبل الأنثى[2]، حرمت كل أنثى)[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، ما في موضع نصب، نصبته باتباعه[4] الذكرين والأنثيين يقول: وإن كان ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من المعز والضأن فقد حرم الأولاد، وكلها أولاد، فكلها حرام، قاله الزجاج[5].

---

(١) ذكره عن المفسرين: الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٧، والرازي ١٣/ ٢١٧، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٨، من عدة طرق جيدة، عن ابن عباس، ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد نحوه، وهو قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٩، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٥٠٥، والنص أصله لابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٣٤٠-٣٤١.

(٢) في (أ): (أنثى).

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٠.

(٤) هذه عبارة الفراء في «معانيه» ١/ ٣٦٠، وأم عاطفة، وما موصولة في محل نصب معطوف على الأنثيين. انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٩٥.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٩.

وقال الفراء: (يقول: أحرّم عليكم من قِبل اشتمال الرحم، فلو قالوا ذلك لحرم عليهم الذكر والأنثى، لأن الرحم يشتمل على الذكر والأنثى)[١].

وقال ابن قتيبة: (يقول: فإن كان التحريم من جهة اشتمال الرحم، فالأرحام تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فكل جنين حرام)[٢]، وهذه الأقوال معناها واحد، وذكرتها لزيادة البيان.

قال مجاهد: (يقول: إنما الأنعام ثمانية أزواج، فمن أين جاء التحريم أمن قبل الذكر أم من قبل الأنثى، أما اشتملت عليه الأرحام، وهي لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فإن قالوا: من قبل الأنثيين، جاء التحريم، حرم عليهم كل أنثى. وإن قالوا: من قبل الذكرين، حرم عليهم كل ذكر، وعرفوا أن الأرحام لا تشتمل[٣] إلا على ذكر أو أنثى، فلم تحرّمون بعضًا وتحلون بعضًا؟)[٤].

وهذا معنى قول ابن عباس[٥] والكلبي[٦] ومقاتل[٧].

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٠.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٤١.

(٣) لفظ: (لا تشتمل) ساقط من (أ).

(٤) لم أقف عليه عن مجاهد، وأخرجه الطبري ٨/ ٦٦، عن ابن جريج فقط.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٥.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٦٨-٦٩، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٦٩ عن الكلبي.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٤.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ قال أبو إسحاق: (أي: فسّروا ما حرّمتم بعلم، أي: فأنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بالكتاب)[(١)].

١٤٤- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ مفسر في الآية الأولى.

قال أبو إسحاق في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ (أي: هل شاهدتم الله قد حرّم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول)[(٢)].

وقال ابن قتيبة: (﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حين أمر الله بهذا، فتكونون على يقين، فلما لزمتهم الحجة ولم تكن عندهم علّة موجبة لتحريم ما حرّموا، بيّن الله تعالى أنهم فعلوا ذلك كذبًا على الله في قولهم، كذا أمرنا الله فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: (يريد: عمرو بن لُحيّ ومن جاء بعده، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [قال: يريد: المشركين[(٤)]])[(٥)].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٩، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٢/ ٥٠٦، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٦٧.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٩، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٦٠، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٠٦.

(٣) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٤١، وفيه: (أي: حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين؟ أم تفترونه عليه وتختلقونه؟ توبيخ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾) اهـ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٢، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٣٩، والرازي ١٣/ ٢١٧، وذكره بدون نسبة البغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٨، والخازن ٢/ ١٣٢، وابن كثير ٢/ ٢٠٥، والآية عامة يدخل فيها كل من أدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه، وأول من يدخل في هذا الوعيد عمرو بن لحي؛ لأنه أول من =

١٤٥- قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ الآية ، قال المفسرون: (بيّن الله تعالى أن المحرمات مما يُطعم ما ذكر في هذه الآية، لا ما حرموا هم على أنفسهم)[١].

وقال أبو إسحاق: (أعلم الله تعالى أن التحريم والتحليل إنما ثبت بالوحي والتنزيل، فقال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾)[٢]، [أي: شيئًا محرمًا][٣]، ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾: على آكل يأكله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة، أو إلا أن[٤] يكون الموجود ميتة يُضمر اسم كان مما تقدم، وقرأ[٥] ابن كثير وحمزة (إلاَّ أَن تَكُونَ) بالتاء (ميتة) نصبًا على تقدير: إلاّ أن تكون العين أو النفس أو الجُثة ميتةً تضمر للمحرّم اسمًا مؤنثًا، ألا ترى أن المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء، وقرأ ابن عامر (إلا أن تكون) بالتاء (ميتة) بالرفع على معنى: إلاّ أن تقع ميتة أو تحدث ميتة[٦].

= غير دين الأنبياء، كما سبق بيانه في ترجمته، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره». وانظر: «تفسير مبهمات القرآن» ١/ ٤٧١.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٦٩، والسمرقندي ١/ ٥٢٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٠، وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٥٠٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) لفظ: (أن)، ساقط من (ش). وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٦٠، و«إعراب القرآن» ١/ ٥٨٨.

(٥) قرأ ابن عامر، وابن كثير وحمزة (إلا أن تكون) بالتاء، والباقون بالياء، وقرأ ابن عامر (ميتة) بالرفع، والباقون بالنصب. انظر: «السبعة» ص٢٧٢، و«المبسوط» ص١٧٦، و«التذكرة» ٢/ ٤١٢، و«التيسير» ص١٠٨. «النشر» ٢/ ٢٦٦.

(٦) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٢٣-٤٢٤، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٢-٣٩٣، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٧٦، =

وقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قال ابن عباس: (مُهراقًا)[١]، وقال الضحاك: (سائلًا)[٢]، والسفح كالصبّ، يقال: سفح الدم والدمع سفحًا، وسفح[٣] هو سفوحًا إذا سال. وأنشد أبو عبيدة[٤] لُكثَيِّر:

أَقولُ وَدَمْعي واكفٌ عِنْد رَسمها عَلَيكِ سَلاَمُ الله والدمعُ يَسْفَحُ[٥]

قال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: ما خرج من الأنعام وهي أحياء، وما يخرج من الأوداج عند الذبح)[٦].

= و«الكشف» ١/ ٤٥٦-٤٥٧.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٦ بسند جيد.

(٢) لم أقف عليه بعد طول بحث، وهو قول اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤٣، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٦٢، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨١.

(٣) في (أ) (وسفح وهو سفوحًا)، وقال الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٢: (يقال: سفح الدم والدمع سفحا إذا صبه، وسفح هو سفوحًا إذا سال) ا.هـ. وانظر: «العين» ٣/ ١٤٧، و«الجمهرة» ١/ ٥٣٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٩٩، و«الصحاح» ١/ ٣٧٥، و«المجمل» ٢/ ٤٦٤، و«اللسان» ٤/ ٢٠٢٣ مادة (سفح).
وقال السمين في «الدر» ٥/ ١٩٨: (السفح: الصب، وقيل: السيلان، وهو قريب من الأول، وسفح يستعمل قاصرًا ومتعديًا، يقال: سفح زيد دمعه، ودمه، أي: أهراقه، وسفح هو، إلا أن الفرق بينهما وقع باختلاف المصدر، ففي المتعدي، يقال: سَفْح. وفي اللازم يقال: سُفُوح) اهـ.

(٤) لم يرد في «مجاز القرآن»، وذكره عن أبي عبيدة الرازي في «تفسيره» ١٣/ ١٢٢، والسمين في «الدر» ٥/ ١٩٨، وقال ابن الأنباري في «شرح القصائد» ص٢٥-٢٦، و«الزاهر» ٢/ ١٦٦: (مسفوحًا، أي: مصبوبًا)، ثم أنشد الشاهد.

(٥) «ديوان كثير عزة»، و«تفسير الرازي» ١٣/ ١٢٢، و«الدر المصون» ٥/ ١٩٨، وكف بالفتح أي: سال، وفي الديوان:
أقولُ ونِضْوِي وَاقِفٌ عند رمْسِها عليك سلام الله والعين تنفح

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٢، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ١٩٨، والرازي ١٣/ ١٢٢.

قال أهل العلم: (فلا يدخل في هذا الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم [من الدم فإنه غير سائل والله تعالى حرّم السائل منه)[١]، وسئل أبو مجلز[٢] عما يتلطخ من اللحم][٣] بالدم، وعن القدر يرى فيها الدم، فقال: (لا بأس به، إنما نهي عن الدم [المسفوح)[٤].

وهو قول عكرمة[٥] وإبراهيم[٦] وقال أبو إسحاق][٧]: (المسفوح: المصبوب، وكانوا إذا ذبحوا أكلوا الدم كما يأكلون اللحم)[٨].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٢٤، وقال: (وعليه إجماع العلماء) اهـ، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٧٦٥، و«الفتاوى» ١٧/ ١٧٩، وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أحل لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال**» أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٩٧، وابن ماجه رقم (٣٣١٤)، والدارقطني في «سننه» ٤/ ٢٧٢، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» ٨/ ١٦٤ (٢٥٢٦).

(٢) أبو مجلز: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، إمام تابعي، ثقة مشهور بكنيته، توفي سنة تسع ومائة ١٠٩هـ، وقيل: قبل ذلك.
انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ١٢٤، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٥، و«تقريب التهذيب» (٧٤٩٠) ص٥٨٦.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧١، ٧٢، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٠، والطبري ٨/ ٧١، ٧٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٧ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٧.

(٦) قول إبراهيم النخعي، ذكره الثعلبي في «تفسيره» ص١٨٥ ب، والبغوي ٣/ ١٩٨، والقرطبي ٧/ ١٢٤، والخازن ٢/ ١٩٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٠.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ نسق على[١] ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: كل ما ذبح على النصب)[٢].

قال الزجاج: (فسمى ما ذكر عليه غير اسم[٣] الله فسقًا)[٤]، وهذا من المفعول الذي يسمى بالمصدر، والمراد: ما يفسق به عن الدين، أي: يخرج أكله عن الدين[٥].

فإن[٦] قيل: المحرمات [من المطعومات][٧] أكثر مما ذكر في هذه الآية فما وجهها؟ والجواب عنه من وجوه أحدها: أن المعنى: لا أجد

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٥٨٨، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٧٦، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٠٠: (هو عطف على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ المعنى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ المأكول ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ (أو فسقًا)) اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٣، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٦٩، عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] بسند جيد، عن ابن عباس قال: (ما أهل به للطواغيت يعني: ما ذبح لغير الله من أهل الكفر غير اليهود والنصارى) اهـ.

(٣) في (ش): (فسمى ما ذكر عليه اسم غير الله فسق).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٠، وزاد فيه (أي: خروجًا عن الدين). وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٨٥: (الضمير في قوله (فإنه) وإن كان عوده إلى الثلاثة المذكورة باعتبار لفظ المحرم، فإنه يترجح اختصاص لحم الخنزير به لثلاثة أوجه. أحدها: قربه منه. والثاني: تذكيره دون قوله: (فإنه رجس). والثالث: أنه أتى بالفاء وإن تنبيها على علة التحريم لتزجر النفوس عنه، ويقابل هذه العلة ما في طباع بعض الناس من استلذاذه واستطابته، فنفى عنه ذلك، وأخبر أنه رجس، وهذا لا يحتاج إليه في الميتة والدم؛ لأن كونهما رجسًا أمر مستقر معلوم عندهم ..) اهـ.

(٥) انظر: «الدر المصون» ٥/ ١٩٨.

(٦) في (ش): (قال قيل)، وهو تحريف.

(٧) لفظ: (من المطعومات) ساقط من (أ).

محرمًا مما كان أهل الجاهلية يحرمه من البحائر والسوائب وغيرها، إلا ما ذكر في هذه الآية، وليست البحائر والسوائب من المحرمة بالوحي، وهذا معنى قول مجاهد(١) وطاووس(٢).

وقال الحسين بن الفضل: (وقت نزول هذه الآية لم يكن يحرم غير ما نص عليه في هذه الآية، ثم وجدت بعد محرمات سوى هذا)(٣).

وقال عبد العزيز بن يحيى: (يعني: في وحي القرآن، فأما وحي السنة فقد حرّم أشياء كثيرة، وكل ما حرم النبي ﷺ مما لم يوجد في القرآن فهو محرّم أيضًا بالوحي، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤])(٤).

وباقي الآية مفسر فيما مضى(٥).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٣٣٥.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٠، والطبري ٨/ ٦٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٠٥، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٩٦.

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٢٠، بدون نسبة.

(٤) لم أقف عليه. وقال القرطبي ٧/ ١١٦-١١٧، الصحيح أن هذه الآية مكية، وكل محرم حرمه رسول الله ﷺ أو جاء في الكتاب مضموم إليها فهو زيادة حكم من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ. على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر والفقه والأثر) ا.هـ، وهذا القول هو الظاهر -والله أعلم-.

وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٣٨، و«الناسخ والمنسوخ» لأبي منصور البغدادي ص١٠٣، و«الإيضاح» لمكي ص٢٤٩، و«أحكام القرآن» للكياالهراس ٣/ ٢٤٥، و«تفسير البغوي» ٣/ ١٩٨، و«الناسخ والمنسوخ» لابن العربي ٢/ ٢١٨، و«المصفى» لابن الجوزي ص٣٤، و«الفتاوى» لشيخ الإسلام ٢١/ ٨.

(٥) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٠٥ ب.

١٤٦- وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ الآية، في الظفر لغات: ظُفُر بضم الفاء وهو أعلاها، وظُفْر بسكون الفاء، وظِفْر بكسر الظاء وسكون الفاء وهو قراءة الحسن(١)، وظِفِر بكسرهما(٢) وهو قراءة أبي السمال(٣)، ويقال له: أُظْفُور(٤)، قال الشاعر:

---

(١) ذكرها الثعلبي ١٨٥ ب، والرازي، ١٣/ ٢٢٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٤٤، وأكثرهم ذكر سكون الفاء فقط. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٩، و«مختصر الشواذ» ص٤١، وابن عطية ٥/ ٣٨٢، والقرطبي ٧/ ١٢٤-١٢٥، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢٠١: (قرأ الحسن (ظفر) بضم فسكون، وفي رواية بكسر فسكون) ا.هـ بتصرف.

(٢) ذكرها الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ ب، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٢٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٠١، وأكثرهم ذكر عنه كسر الظاء وسكون الفاء. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٨٩، و«مختصر الشواذ» ص٤١، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٣٨٢، والقرطبي ٧/ ١٢٤، و«البحر المحيط» ٤/ ١٤٤.

(٣) في النسخ (ابن السمآل) ونقله الرازي والسمين في «الدر» عن الواحدي بلفظ (أبو السمال)، وهو الصواب كما في المراجع السابقة، وهو: (أبو السمال) بفتح السين المهملة، وتشديد الميم: مشهور بكنيته واسمه مُعتب بن هلال العَدَوي المقرئ البصري، وقيل: اسمه: مغيث. وقيل: قعنب بن أبي قعنب. قال الذهبي في «الميزان» ٤/ ١٤٢، ١٥٨: (له حروف شاذة، لا يعتمد على نقله ولا يوثق به، ضعفه الساجي، وكذبه الأزدي) ا.هـ، وانظر: «غاية النهاية» ٢/ ٢٧، و«لسان الميزان» ٦/ ٦٠، ٧٤.

(٤) انظر: «التبيان» ٣٦٢، و«الفريد» ٢/ ٢٤٤، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠١، وقال ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» ٣٣٧-٣٣٨: (الأظفار كلها مذكرة وفي واحدها ثلاث لغات: ظُفُر بالضم، وهي اللغة العالية، وعليها أكثر الناس، وظفر بضم فسكون، وبها قرأ الحسن، وأظفور بضم الهمزة والفاء وسكون الظاء) اهـ، وفي «اللسان» ٥/ ٢٧٤٩، قال: (وأما قراءة ظِفْر بالكسر فشاذ غير مأنوس به؛ إذ لا يعرف ظفر بالكسر) اهـ.

ما بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولى إذا انحدرت   وَبَيْنَ أُخْرَى تَليها قِيدُ أُظْفُورِ[١]

واختلفوا في ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ المحرم على اليهود: فقال ابن عباس: (هو البعير والنعامة)[٢]، وهو قول مجاهد[٣]، واختيار الزجاج[٤]. قال ابن عباس: (النعام ذات ظفر كالإبل)[٥].

وقال قتادة: (كل ذي ظفر ليس بمشقوق الأصابع)[٦]، وهو قول ابن جريج: (كل ذي ظفر لم يفرج قوائمه من البهائم كالبعير والنعامة والبط والأوز وحمار الوحش، وما تفرّجت قوائمه أكلوه كالدجاج والعصافير)[٧].

---

(١) الشاهد في «الجمهرة» ٢/ ٧٦٢، ١١٩٤، أنشدته أم الهيثم غيثة من بني نمر بن عامر بن صعصعة، وبدون نسبة في «كتب الفرق» للأصمعي ص٦١، ولأبي حاتم السجستاني ص٢٨، ولثابت بن أبي ثابت ص٢٢، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٣٣٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٢، و«زاد المسير» ٣/ ١٤٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٤٩، و«بصائر ذوي التمييز» ٣/ ٥٣٦، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠١، و«تاج العروس» ٧/ ١٦٢ مادة (ظفر).

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٧٢، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ٨ بسند جيد، وعلقه البخاري في «صحيحه» ٨/ ٢٩٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٠.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٣، من عدة طرق جيدة.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠١، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٣.

(٥) سبق تخريجه، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤١٠ بسند جيد عن ابن عباس قال: (هو الذي ليس بمتفرج الأصابع، يعني: ليس بمشقوق الأصابع منها الإبل والنعام) ا.هـ، وذكره الحافظ في «فتح الباري» ٨/ ٢٢٩٥، وقال: (رواه ابن أبي حاتم، وإسناده حسن) اهـ.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢١، والطبري ٨/ ٧٣، بسند جيد.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٣، بسند جيد عن ابن جريج عن شيخه القاسم بن أبي بزة المكي وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٠: (أخرجه أبو الشيخ عن ابن جريج).

وقال عبد الله بن مسلم: (أي: كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي حافر من الدواب، كذلك قال المفسرون، قال: وسمى الحافر ظفرًا على الاستعارة كما قال الآخر وذكر ضيفًا:

فما رَقَد الوِلْدَانُ حتى رَأَيْتُهُ ... على البَكْرِ يَمْرِيهِ بَساقٍ وحَافِرِ[(١)]

فجعل الحافر موضع القدم)[(٢)]. وقال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: الإبل)[(٣)]، وهو قول ابن زيد: (هو الإبل فقط)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾، قال المفسرون: (يعني: الثُّرُوب[(٥)] وشحم الكليتين)[(٦)]، وهو معنى قول ابن عباس: (يريد: شحوم الجوف)[(٧)].

---

(١) البيت لجُبَيْهاء الأسدي يزيد بن عبيد، في «اللسان» ٢/ ٩٢٥ مادة (حفر)، وبدون نسبة في «الحروف» لابن السكيت ص٩٥، و«الجمهرة» ٣/ ١٣١٣/ «الصحاح» ٣/ ٦٣٥، و«الصناعتين» ص٣٠١، و«المخصص» ٦/ ١٣٤، و«المدخل» للحدادي ص٢١١، وهو لمُزَرِّد بن ضرار الغطفاني في «أسرار البلاغة» ص٢٣. ويمريه، أي: يستخرج ما عنده من الجري، والشاعر يصف ضيفًا أسرع إليه، واستعار الحافر للقدم.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص١٥٣.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٢٣.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٣، بسند جيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٨٢، وقال: (وهذا ضعيف التخصيص) اهـ.

(٥) الثروب: بالضم جمع ثَرْب، وهو الشحم المبسوط على الأمعاء والمصَارين والكَرِش. انظر: «اللسان» ١/ ٤٧٥ مادة (ثرب).

(٦) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٦٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٠١، و«تفسير الطبري» ٨/ ٧٤، والبغوي ٣/ ٢٠٠، وابن الجوزي ٣/ ١٤٢.

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٧١.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ قال ابن عباس: (إلا ما علق بالظهر من الشحم فإني لم أحرمه)[١]، وقال قتادة: (ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما)[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ وهي المباعر والمصارين، واحدتها حاوية، وحَويَّة وحاوياء[٣]، قال ابن الأعرابي: (هي الحَوِيَّة والحاوِيةُ، وهي الدُّوارة التي في بطن الشاة)[٤].

وقال ابن السكيت: (يقال: حاويةٌ وحوايا مثل زَاوِية وَزَوَايا[٥] ورَاوية وَرَوَايا، [قال: ومنهم من يقول: حَوِيَّة وحَوايا مثل الحَوِيَّة التي توضع على ظهر البعير ويركب فوقها][٦]. قال: ومنهم من يقول لواحدتها: حَاوِياء)[٧]. وأنشد قول جرير:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٠، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ٨ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٠، ١٠١.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٤، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٤٢، والرازي ١٣/ ١٨٣.

(٣) انظر: «العين» ٣/ ٣١٨، و«الجمهرة» ١/ ٢٣١، و«المجمل» ١/ ٢٥٤، و«المفردات» ص٢٧١ (حوى).

(٤) «اللسان» ٢/ ١٠٦٣ (حوا)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠٦، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٧، عن ابن الأعرابي قال: (هي الحَوَايةُ والحاوِية، وهي الدوارة التي في بطن الشاة) اهـ.

(٥) لفظ: (زواية وزوايا) ساقط من (ش).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٢٤، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٠٦، عن ابن السكيت، وهذا القول في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٧، و«اللسان» ٢/ ١٠٦٣ (حوا)، لأبي الهيثم خالد بن يزيد الرازي.

تَضْغُو الخَنانيصُ والغُول التي أكلَتْ   في حاوِيَاءِ رَدُومِ الليل مِجْعَارِ[(١)]

وأنشد ابن الأنباري[(٢)]:

كَأَنَّ نفيق الحَبّ في حاويائِهِ   نفيق الأفاعي أو نفيقُ العقارب[(٣)]

قال أبو علي الفارسي: (الحوايا واحدتها حوية وحاوياء[(٤)] وحاوية، فإن كان جمع حاوية[(٥)] أو حاوياء كان فواعل، وإن كان جمع حويّة كان فعائل، فإن قلنا: إنه فعائل، فإنه كان في الأصل حوائي، والهمزة فيها كالهمزة في ترائب وسحائب ونحوها مما هو بين هذا الجنس، واعتراض هذه الهمزة ذكرنا علته في قول ﴿مَعَايِشَ﴾ في سورة الأعراف [: ١٠][(٦)] في قراءة من همزها، فلما جمعت حوية: حوائي وقعت في الطرف ياء

---

(١) «ديوان جرير» ص٣١٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٧، و«اللسان» ٢/ ١٦٣ (حوى)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠٦، وقوله: تضغو، أي: تصيح وتصوت. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٥٩٣ (ضغا)، والخنانيص جمع الخِنَّوْص: ولد الخنزير. انظر: «اللسان» ٣/ ١٢٧٨ (خنص)، وردوم: جمع ردم، وهو السد والصوت والضُراط. انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٢٨ (ردم)، ومجعار، الجَعْر: ما تيبس في الدبر من العذرة. انظر: «اللسان» ٢/ ٦٣٣ (جعر).

(٢) «الأضداد» لابن الأنباري ص٢٢٢، وقال: (وواحدة الحوايا: حاوياء، وحاوية، وحَوِية) ا.هـ. وانظر: «شرح القصائد السبع» ص٢١٢.

(٣) الشاهد لجرير في «ديوانه» ص٦٨، و«اللسان» ٢/ ١٠٦٣ (حوا)، وبدون نسبة في «الصحاح» ٦/ ٢٣٢٢، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١١٢ (حوى) و٤/ ٤٣٧ (فح)، و«زاد المسير» ٣/ ١٤٣، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠٦، وفي «الديوان» (نفيق بدل (فحيح).

(٤) في النسخ: (وحوايا)، وهو تحريف.

(٥) في (ش): (جمع حاويا أو حاويا).

(٦) انظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٧.

مكسور[١] ما قبلها، فلزم أن تقلب ألفا؛ إذ[٢] قلبت فيما ليس قبله حرف اعتلال في هذا الجمع، وذلك قولهم: مداري ومهاري[٣]، وحروف الاعتلال في حوائي[٤] أكثر منها في مداري، فإذا قلب في مداري وجب أن يلزم هذا الضرب القلب فيقال: حواءا، فيقع الهمز بين[٥] ألفين، وهي قريبة من ألف[٦] فيجتمع حروف متشابهة يُستثقل اجتماعهن، فأبدلت الهمزة ياء [فصار حوايا ومثله مطايا وما كان في هذا القبيل، وأما قلت[٧]: وزنه فواعل قلبتها[٨]] من حيث همزت عواني[٩] وأوائل، فلما اعترضت الهمزة فيه قلبتها ياء على ما بينا في فعائِل)[١٠].

قال قتادة: (أرادوا ما حملت الحوايا)[١١]، وهو قول ابن عباس:

---

(١) في (أ): مكسورة.

(٢) في (أ): (أن قلبت) وعليه علامة خطأ، وجاءت في «الإغفال» ص٧٧٩: (إذا قلبت).

(٣) في النسخ: (قولهم: مدارًا ومهارًا)، وفي «الإغفال» (مدارى) فقط.

(٤) في النسخ: (حواى)، وفي «الإغفال» ص٧٩٩: (وحروف الاعتلال في مطائي وسمائي أكثر منها في مداري ..) ا.هـ

(٥) في (أ): (فيقع همز بين ألفين).

(٦) كذا في «النسخ»، وفي «الإغفال» ص٧٩٩: (وهي قريبة من الألف).

(٧) كذا في (أ)، والصواب: (وإن قلت)، وفي «الإغفال» ص٨٠٤: (وإما فواعل فإنك قلبتها من حيث).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٩) كذا في «النسخ»، وفي «الإغفال» ص٨٠٤: (من حيث همزات عوائر وأوائل).

(١٠) «الإغفال» ص٧٩٨-٨٠٤ بتصرف. وانظر: شرح ذلك في «الدر المصون» ١٠٦/٥، و«معجم مفردات الإبدال والإعلال» للخراط ص٩٠.

(١١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الطبري ٨/ ٧٥، ٧٦، من طرق عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، قالوا: (الحوايا: =

(﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ من الشحم فإني لم أحرمه)[١]، و(الحوايا) عطف على الظهور في موضع رفع[٢]، قال الفراء: (يجوز أن يكون في موضع نصب بتقدير حذف المضاف على أن تريد أو شحوم الحوايا، فتحذف الشحوم ويُكتفى بالحوايا، كما قال ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريد: أهلها)[٣].

وحكى ابن الأنباري[٤] عن أبي عبيد أنه قال: (قلت للفراء: هو بمنزلة قول الشاعر:

لا يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا ما يُؤَنّسُهُ بالليْلِ إلاَّ نَئيمَ البُومِ وَالضُّوعَا[٥]

= المباعر)، وقال ابن الأنباري في «شرح القصائد» ص٢١٢: (قال المفسرون: الحوايا: المباعر، واحدها: حاوياء وحاوية) ا.هـ

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذا قول الطبري ٨/ ٧٥، وعليه يكون التقدير: وإلا الذي حملته الحوايا فإنه غير محرم، وقال أبو حيان ٤/ ٢٤٤، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٠٣: (هذا هو الظاهر) اهـ.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٣.

(٤) قال ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٦٤٥: (﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ وقف غير تام؛ لأن (الحوايا) منسوقة على الظهور، كأنه قال: إلا ما حملت ظهورهما أو حملت الحوايا) ا.هـ، وانظر: «القطع والائتناف» ١/ ٢٤٢.

(٥) الشاهد للأعشي في «ديوانه» ص١٠٦، و«اللسان» ٥/ ٢٦٢١ (ضوع)، وذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٠٥، عن ابن الأنباري، والشاعر يصف فلاة. والنئيم: صوت فيه ضعف كالأنين، وهو صوت البوم. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣١٤ (نأم) والضُّوَع: طائر من طير الليل إذا أحس بالصباح صدح، وقيل: هو ذكر البوم، والضُّوَع صوته .

انظر: «اللسان» ٥/ ٢٦٢٠، ٢٦٢١ مادة (ضوع).

فقال لي: نعم، يذهب إلى أن الضُّوَع عطف على النئيم، ولم يُعطف على البوم كما عطفت (الحوايا) على ما، ولم تعطف على الظهور[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ يعني: شحم الألية، في قول جميع المفسرين[٢]، قال ابن جريج: (كل شحم في القوائم والجنب والرأس [وفي العينين والأذنين][٣]. يقولون: قد اختلط بعظم فهو حلال لهم، إنما حُرّم عليهم الثرب وشحم الكلية)[٤].

قال الفراء: (و(ما) في موضع نصب نسقًا على ما في الأولى التي هي نصب بالاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾[٥]، هذا الذي ذكرنا

---

(١) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٠٥-٢٠٦ عن الواحدي، وقال بعده: (فمقتضى ما حكاه ابن الأنباري أن تكون (الحوايا) عطفًا على ما المستثناة، وفي معنى ذلك قلق بين) ا.هـ، والنصب في (الحوايا) من وجهين: أحدهما: العطف على ما في قوله (إلا ما حملت). والثاني: العطف على قوله (شحومهما)، وعلى وجه النصب تكون الحوايا محرمة عليهم بخلاف الرفع.
انظر: «المشكل» لمكي ١/ ٢٧٦، و«البيان» ١/ ٣٤٨، و«التبيان» ١/ ٣٦٢، و«الفريد» ٢/ ٢٤٤، و«الدر المصون» ٥/ ٢٠٣-٢٠٦.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٤، والرازي في «تفسيره» ١٣/ ٢٢٤ عن جميع المفسرين، ورجح الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٦، أن المراد شحم الألية والجنب وما أشبه ذلك.

(٣) في (ش): (وفي الأذنين والعينين).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٦، بسند جيد، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٥١٠.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٣، وفيه قال: (ما: في موضع نصب) ا.هـ، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٨٩: (في هذا أقوال هذا أصحها، وهو قول الكسائي والفراء وثعلب، والنظر يوجبه أن يعطف الشيء على ما يليه، إلا أن لا يصح معناه أو يدل دليل على غيره) ا.هـ، واختاره الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٣.

قول أكثر أهل التفسير[١] في هذه الآية.

وقال أبو إسحاق: (قال قومٌ: حرمت عليهم الثروب، وأحل لهم ما حملت الظهور وصارت ﴿ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ نسقًا على ما حُرّم لا على الاستثناء [في قوله ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾][٢] المعنى على هذا القول: حُرّمت عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم إلا ما حملت الظهور فإنه غير محرم، وأُدخلت على طريق الإباحة كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، فالمعنى: كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا، أو اعص هذا، وأو بليغة في هذا المعنى؛ لأنك إذا قلت: لا تطع زيدًا [وعمرًا][٣] فجائز أن تكون [نهيتني][٤] عن طاعتهما معًا في حالة، فإن أطعت زيدًا على حدته لم أكن عاصيًا، وإذا قلت: لا تطع زيدًا أو [عمرًا][٥] أو خالدًا، فالمعنى: أن هؤلاء كلهم أهل [أن][٦] لا يطاع، فلا تطع واحدًا منهم، ولا تطع الجماعة، ومثله: جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي، فليس المعنى: إني آمرك [بمجالسة][٧] واحد منهم [ولكن معنى أو معنى الإباحة، المعنى: كلهم أهل أن يجالس، فإن جالست واحدًا منهم[٨]] فأنت مصيب، وإن جالست

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) في (أ): (وعمروًا).

(٤) في (ش): (يهتدي)، وهو تحريف.

(٥) في (أ): (عمروًا).

(٦) في (ش): (لأن).

(٧) في (ش): (مجالسة).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

الجماعة فأنت مصيب)[١]، هذا كلامه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ذلك التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾، قال مقاتل: (عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء، وأخذهم الربا، واستحلال أموال الناس بالباطل، فهذا البغي)[٢].

وقال الكلبي: (﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ عاقبناهم بذنوبهم، نظيره: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٦٠])[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم[٤].

١٤٧- قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ قال الكلبي: (وذلك أن رسول الله ﷺ قال للمشركين: هذا ما أوحي إليَّ مما كان محرمًا على اليهود، وما حُرّم على المسلمين في الآية الأولى، وقالوا له: ما أصبت وكذبوه، فقال الله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما تقول ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾، لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾: عذابه إذا جاء الوقت، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الذين كذبوك بما تقول)[٥].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠١-٣٠٢، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ١٤٥: (الأحسن في الآية إذا قلنا أن ذلك معطوف على (شحومهما) أن تكون أو فيه للتفصيل، فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم) ا.هـ، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٥.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٧١، والمعنى متقارب. وانظر: «تفسير الطبري» ١٢/ ٢٠٦، و«معاني النحاس» ٢/ ٥١٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٢١، والبغوي ٣/ ٢٠٠، وابن الجوزي ٣/ ١٤٤، وابن كثير ٢/ ١٨٦.

(٤) انظر: المراجع السابقة.

(٥) لم أجد من ذكر هذا السبب في نزول الآية، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٧١، نحوه في شرح الآية.

وقال ابن عباس: (يريد: الملحدين)[١].

١٤٨- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ الآية. أخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه[٢] إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك بالله، وتحريم ما لم يحرمه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ عطف على المضمر المرفوع في ﴿أَشْرَكْنَا﴾ من غير توكيد للمضمر وهو قبيح لولا قوله: (ولا)، فإنه قام مقام تأكيد المضمر[٣]، وهذه المسألة قد مضت بالاستقصاء[٤].

قال المفسرون[٥] (إن المشركين جعلوا قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ حجة لهم على إقامتهم على الشرك، فقالوا: إن الله رضي منا ما نحن عليه، وأراده منا، وأمرنا به، ولو لم يرضه لحال بيننا وبينه، فقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد: الذين من قبل قومك كذبوا أنبيائهم، وقالوا مثل ما قال هؤلاء)[٦].

فإن قيل: لم كذبوا في إضافة مشيئة شركهم إلى الله؟

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): (بما سيقولو إذا لزمتهم).

(٣) انظر «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٠، وقد ذهب الكوفيون إلى أنه: يجوز العطف على الضمير المرفوع المتصل نحو (قمت وزيد). وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز إلا على قبح في ضرورة الشعر. وأجمعوا على أنه إذا كان هناك توكيد أو فصل فإنه يجوز معه العطف من غير قبح. انظر: الكتاب ٢/ ٢٧٧، و«الإنصاف» ٣٨٠، و«الدر المصون» ٥/ ٢١٠.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر «تفسير الطبري» ٨/ ٧٨٠، السمرقندي ١/ ٥٢٢، البغوي ٣/ ٢٠١.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٢، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٤٥ .

قيل: إنهم لم يكذبوا في ذلك، ولو كذبوا في قولهم ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، لقيل: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَبَ﴾ بالتخفيف[(١)]، ولكن المعنى: كما [كذبك هؤلاء][(٢)]، كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم، ولم يتعرض لقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾، ولكن قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ لا يكون حجة لهم على أن ما هم عليه من الدين حق؛ لأن الأشياء كلها تجري بمشيئة الله تعالى، فلو كانوا على صواب؛ لأن ذلك بمشيئة الله تعالى لكان من خالفهم أيضًا وجب أن يكون عندهم على صواب؛ لأنهم أيضًا على ما شاء الله، فينبغي أن لا يقولوا إنهم ضالون، فبان أنه لا حجة لهم في قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وإن كان الأمر على ما قالوا؛ لأنهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشيئته، وأمر الله تعالى بمعزل عن إرادته؛ لأنه مريد لجميع الكائنات، غير آمر بجميع ما يريد، فعلى العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه، وليس له أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر [بما يجب عليه][(٣)] الانتهاء إليه، وهذا معنى ما ذكره أبو إسحاق[(٤)] وغيره من العلماء[(٥)].

---

(١) القراءة المشهورة ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ﴾ بتشديد الذال، قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٩: (ولو كان ذلك خبرًا من الله عن كذبهم في قيلهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ لقال: (كَذَلِكَ كَذَبَ الذين من قبلهم) بتخفيف الذال، وكان ينسبهم في قيلهم ذلك إلى الكذب على الله لا إلى التكذيب ..) ا.هـ، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٠١، وابن عطية ٥/ ٣٨٨، والرازي ١٣/ ٢٢٥.

(٢) لفظ: (كذبك هؤلاء)، ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (بعد ورود الأمر لما يجب الانتهاء إليه).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٢.

(٥) ومنهم: الطبري في «تفسيره» ٨/ ٧٨، ٧٩، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٥١٣-٥١٤، والثعلبي في «تفسيره» ص١٨٥ ب، والبغوي ٣/ ٢٠١.

وقال أبو علي الجرجاني: (احتج[١] المشركون بأنهم أشركوا بمشيئة الله، والمراد بالمشيئة هاهنا: الأمر، وترك النهي لا الإرادة التي يقولها المؤمنون، أيضًا أن الشرك وكل كائن فهو بمشيئته، وإنما يكون لهم تعلق بهذا إذا أرادوا بالمشيئة الأمر، ألا ترى أن رجلًا لو كان معه حدث فعوتب عليه فقال: لو شاء فلان لم أفعله[٢] لم يكن له في ظاهر هذا القول عذر، ولا تعلق إلا أن يعني به أنه أمره به، ومن عادة العرب الجارية بينهم في المحاورات إذ أمر الرجل بشيء ففعله، فيتم عليه الأمر وعاتبه عليه أن يقول له: لو شئت أنت لم أفعله، أي: أنك أنت أمرتني به فلمَ تنكره عليّ ولو نهيتني عنه لم أفعله، ويدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن هذا محمول على الأمر قوله: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وهذا يدل على أنهم أضافوا ذلك التحريم إلى أن الله تعالى أمرهم به لا إلى مشيئته. ولو أضافوا ذلك إلى المشيئة لقال ﷻ في الإنكار عليهم: قل أتحريم الذكرين شاء لكم أم تحريم الأنثيين، وكذلك قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وهل تكون التوصية إلا أمرًا ظاهرًا لا مشيئة باطنة، ولم يكن الله ليطالبهم بأن يكونوا شهداء بمشيئته، ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ١٤٤] يعني قولهم[٣]: إن الله أمرنا بتحريم هذه الأنعام، وكذلك قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ [الأنعام: ١٥٠] أي: أمر بتحريمه فلما دلت هذه الآيات على أنهم أضافوا ما كانوا عليه إلى أن الله تعالى

(١) في (أ): (حين احتج المشركون).

(٢) في (ش): (يفعله).

(٣) لفظ (قولهم)، ساقط من (أ).

أمرهم به كان.

قوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ أي: لو نهانا عن الشرك ولم يأمرنا به ﴿مَآ أَشْرَكْنَا﴾، فأضافوا شركهم إلى أمره، كما أضافوا التحريم، وقد صرح الله تعالى بهذا الذي ذكرنا في الإخبار عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فالمرجع على ما رتبنا وبيّنا في تأويل قوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ وجميع ما يتصل به إلى أنهم ادَّعوا على الله أنه أمرهم به، فكذّبهم الله في ادعائهم أمره بذلك، لا أنه كذبهم في إضافتهم مشيئة ما هم فيه إليه، ومما جاء في القرآن، من مثل هذا قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فهذا تبكيت لهم على قولهم (سَيُغْفَرُ لَنَا)(١)؛ لأن الكذب لا يقع إلا فيه مما ذكر في(٢) هذه الآية، ومعنى قولهم ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ أنهم ادّعوا أن الله وعدهم أن يغفر لهم، فكذّبهم الله تعالى في ادعائهم الوعد، ولا يحسن حمله إلا على هذا الوجه؛ لأنه لا يحسن أن ينكر عليهم حسن الظن بالله في الغفران وحسن الظن غير مذموم)(٣).

وقال أبو بكر بن الأنباري: (إنما عابهم الله تعالى بردّ المشيئة إليه حين استهزءوا واحتجوا على المؤمنين، وضَعّفوا أمر الرسل بردّ المشيئة إلى الله فقالوا للمؤمنين: ما نحتاج إلى اتباع الرسل؛ لأن الذي نحن عليه بمشيئة

---

(١) في (ش): (لهم بدلًا من (لنا).

(٢) لفظ: (في) ساقط من (ش).

(٣) لم أقف عليه عن أبي علي الجرجاني.

ربنا، وعلى أنه لو شاء نقلنا عنه، فلما لم يقولوه على جهة التعظيم لله [وقالوه][(١)] طاعنين على المسلمين، ومضعّفين أمر الأنبياء نعاه الله ﷻ عليهم وبيّن جهلهم فيه)[(٢)].

وهذا قول الحسين بن الفضل: (أنهم قالوا هذه المقالة تكذيبًا وتخرّصًا وجدلًا من غير معرفة بالله وبما يقولون، ولو قالوها تعظيمًا وإجلالًا لله ومعرفة منهم به لما عابهم الله بذلك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧]، والمؤمنون يقولونه، ونظير هذا قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠] قال الله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: ٢٠] أي: قولهم هذا من غير علمٍ منهم بالله، والمؤمنون يقولونه بعلم بالله منهم)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾، قال ابن عباس: (أي: من كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرّمتم)[(٤)]، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما تتبعون فيما أنتم عليه إلا الظن، لا العلم واليقين ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ وما أنتم إلا خارصين، كاذبين، والمراد بلفظ الاستقبال: الاسم كما تقول: رأيته يصلي، أي: مصليًا، ويأكل أي:

---

(١) في (ش): (وقالوا).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٥ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٠١، والخازن ٢/ ١٩٧، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٨٧: (قال بعض المفسرين: إنما هذه المقالة من المشركين على جهة الاستهزاء، وهذا ضعيف) اهـ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٦، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٤٥ بدون نسبة.

آكلًا، ونظير هذا قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقد مضى في هذه السورة.

١٤٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ قال الزجاج: (حجته البالغة تبيينه أنه الواحد، وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون أجمعون)[1]، وهذا معنى قول المفسرين: لله الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان[2].

﴿فَلَوْ[3] شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هذا يدل على أنه ما شاء إيمان الكافر ولو شاء لهداه، والقدرية يحملون هذه الآية ونظائرها على الإلجاء، وذلك باطل من وجوه:

أحدها: أن هذا عدول عن الظاهر، والظاهر لا يدل على أن المراد لو شاء لألجأهم إلى الإيمان حتى يؤمنوا.

والثاني: أن عندهم الله تعالى أراد أن يؤمن الخلق اختيارًا لا اضطرارًا، فإذا لم يؤمنوا اختيارًا حتى يلجئهم لم يرتفع مراده.

والثالث: أنهم بعد الإلجاء يجوز أن يصبروا على مقاساة الشدة ولا يؤمنوا فلا يرتفع أيضًا مراده كمن صبر على مطالبة ما يقدر على أدائه حتى يهلك، وأيضًا فإن هذا الإلجاء إذا قدر الله تعالى عليه ولم يفعل حتى يؤمنوا فشركهم كان بإرادته، لأن عندهم لا يجوز أن يدخر الله تعالى شيئًا عن

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٧٩، و«معاني النحاس» ٢/ ٥١٤، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٢٢، والبغوي ٣/ ٢٠٢.

(٣) في النسخ: (ولو شاء) بالواو، وقد جاء ذلك في سورة النحل، الآية ٩ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

الخلق[(١)] لو فعله لآمنوا، فإذا كان إيمانهم إنما يحصل بالإلجاء ثم لم يفعل فقد أراد شركهم[(٢)].

١٥٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ الآية، قال الليث: (هَلُم كلمة دعوة إلى شيء، الواحد والاثنان والجميع والذكر والأنثى فيه سواء، إلا في لغة بني سعد[(٣)] فإنهم يحملونه على تصريف الفعل يقولون: هَلُمَّا هَلُمُّوا)[(٤)]، ونحو ذلك قال ابن السكيت فيما أخبرناه أبو الفضل العروضي، [أخبرنا][(٥)] الأزهري، عن المنذري، عن الحَرَّاني، عنه يقول: (هَلُمَّ يا رجل، وكذلك للاثنين والجميع والمؤنث مُوَحَّد، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠] وقال ﷻ: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] ولغة أخرى يقال للاثنين: هَلُمَّا، وللجميع: هَلُمُّوا، وللمرأة: هَلُمِّي، وللاثنين: هلُمَّا، وللجميع: هَلُمْنَ، والأول أصح وإذا قال لك: هَلُمَّ إلى كذا، قلت: [إلامَ أَهَلُمُّ، وإذا قال لك: هَلُمَّ كذا قلت:[(٦)]] لا أَهَلُمُّه مفتوحة الألف والهاء، أي: لا أعطيكه)[(٧)] انتهى كلامه.

---

(١) في (ش): (على الخلق).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٠٢، وابن عطية ٥/ ٣٩٠، والرازي ١٣/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) بنو سعد: هم بنو سعد العشيرة، حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو سَعد العَشيرة ابن مالك، وهو مذحج بن أُدد بن يزيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. انظر: «الاشتقاق» ص٣٩٧، و«نهاية الأرب» ص٢٦٨.

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٨، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٨.

(٥) في (أ): (انباء).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) «إصلاح المنطق» ص٢٩٠، وبعضه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٨، وانظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ٢/ ١٢٠-١٢١.

قال النحويون:[١] (هلم على اللغة الأولى لا تصرف له وهو بمنزلة نعم وبئس، وإذا زال التصرف لم يُبْن عليه في الجواب إلا أهلم[٢] وأهلم فإن هذا تصرف، وإنما تصرف هذا إلى اللغة الثانية المجراة[٣] مجرى الأفعال المتصرفة في التثنية والجمع). فأما أصل هذه الكلمة وإعرابها، فقال الخليل وسيبويه: (إنها هاء ضمت إليها لُمّ، ومعنى لمّ، أي: جمع، ويكون معنى: ادنُ، يقال: لفلان لمه، أي: دنو، ثم جعلتا كالكلمة الواحدة)[٤].

وقال الفراء: (أصلها هل أُمَّ، أرادوا بهل: أقبل، وأُم، أي: اقصد)[٥]، وهذا قول ابن دريد أيضًا[٦].

وقال أبو إسحاق: (وفتحت هلم[٧]؛ لأنها مدغمة كما فتحت رُدَّ في الأمر لالتقاء الساكنين، ولا يجوز فيها هَلُمَّ بالضم كما يجوز في رُد بالضم[٨] لأنها لا تتصرف).

---

(١) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٠، و«تأويل مشكل القرآن» ص٥٥٧، و«المقتضب» ٣/ ٢٠٢-٢٠٣، و«الأصول» ١/ ١٤١-١٤٦، و«حروف المعاني» للزجاجي ص٧٣-٧٤، و«الخصائص» ٣/ ٣٥-٣٧، و«الصاحبي» ص٢٧٩، و«المشكل» ١/ ٢٧٧، و«البيان» ١/ ٣٤٨، و«التبيان» ١/ ٣٦٣.

(٢) في (أ): (في الجواب لا أهلم أو أهلم). وقد ضبط إلا أهلم بفتح الهاء، وضم اللام وأهَلِم: بكسر اللام.

(٣) في (ش): (والمجراة)، بالواو.

(٤) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٢٩ و٣/ ٣٣٢ و١/ ٢٤٦.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٢٠٣. وانظر: «الصاحبي» ص٢٧٩.

(٦) «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٨٨.

(٧) في (ش): (هل)، وهو تحريف.

(٨) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٣: (كما يجوز في رُدَّ: الفتح والضم والكسر؛ لأنها لا تصرف) ا.هـ. وانظر: «إعراب النحاس» ٢/ ١٠٥.

قال أبو علي الفارسي: (اعلم أن في قولنا: هلم، لغتين، إحداهما: وهو قول أهل الحجاز ولغة التنزيل: أن تكون في جميع الأحوال للواحد والواحدة والاثنين والثنتين، والجماعة من الرجال والنساء على لفظ واحد، لا يظهر فيه علامة تثنية ولا جمع، فيكون بمنزلة رُوَيْدَ وصَهْ ومَهْ ونحو ذلك من الأسماء التي سميت بها الأفعال، وتستعمل للواحد والجميع والتأنيث والتذكير على صورة واحدة، والأخرى: أن تكون بمنزلة رُدَّ في ظهور علامات الفاعلين على حسب ما يظهر في رُدّ وسائر ما أشبهها من الأفعال، فأما الهاء اللاحق بها أولًا فهي من هَاء التي للتنبيه لحقت أولًا؛ لأن لفظ الأمر قد يحتاج له إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الأمر، فهو لذلك[1] يقرب من المنادى، ومن ثم دخل حرف التنبيه في قوله: (ألا[2] يسجدوا) [النمل: ٢٥]، ألا ترى أنه أمر كما أن [هذا أمر][3] إلا أنه كثر الاستعمال مع هاء، فغير بالحذف؛ لكثرة الاستعمال كأشياء [تغير][4] لذلك بالحذف نحو: لم أُبَلْ[5] ولا أَدْرِ ولم يَكُ، وما أشبه ذلك مما يُغير للكثرة، ومما حسن حذف الألف من ها في هلم أنها في موضع كان يجب

(١) في (ش): فهو كذلك.

(٢) جاء في النسخ (أَلَا يَا اسْجُدُوا)، وقد قرأ الكسائي بتخفيف اللام ووقف (أَلاَ يَا) ثم ابتدأ (اُسْجُدُوا) وقرأ الباقون: بتشديد اللام (أَلَّا يَسْجُدُوا). انظر: «السبعة» ص٤٨٠، و«المبسوط» ص٢٧٩، والاستشهاد هنا على تخفيف (ألا)، وأبو علي الفارسي يعتبر (يا) لمجرد التنبيه، انظر: «الحجة» لأبي علي ٥/ ٣٨٣، و«كتاب الشعر» ١/ ٦٦.

(٣) في (أ): (هذا الأمر)، وهو تحريف.

(٤) في النسخ (يغير) بالياء، والأصح بالتاء كما في «الإغفال» ص٧١٣.

(٥) انظر «اللسان» ١/ ٩.

أن يسقط في الأصل لالتقاء الساكنين، ألا ترى أن فاء الفعل[١] كانت في موضع سكون قبل الإدغام، وقد نجد الحركات التي تُلقى على الحرف لحرف غيره لا يخرج الحرف به عن أن يكون في نية سكون، يدلك على ذلك تركهم قلب الياء في جيل، فحسن الحذف لسكون الألف، [ولأن][٢] الفاء كأنها ساكنة إذ حركتها لغيرها كما كانت الياء في جيلٍ كأنها ساكنة، ولولا ذلك لوجب الإعلال والقلب فمن حيث لم يجب القلب حسن الحذف في الألف من هلم.

فأما ما حُكي عن الفراء أنه قال في هلم: أن أصله هَلْ أُمّ، فالدليل على فساد هذا القول وفَسالته أن هل لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون بمعنى: قد، وهذا يدخل في الخبر، وإما أن يكون بمعنى: الاستفهام، وليس لواحد من الحرفين متعلق بهلم ولا له مدخل[٣]، ألا ترى أنه يراد بها الأمر دون غيره، فلا وجه لها هنا، ألا ترى أنه لا يكون هل أضرب وأنت تأمر، وأيضًا فإن أمّ بعد هل لا يخلو من أن يكون مثله رُدَّ ومُدَّ وأنت تأمر، أو يكون مثل فُعِلَ إذا أخبرت، فلا يجوز على قوله أن يكون التي للأمر من حيث لا تقول: هل اضْرِبْ، ولا هل اقْتُلْ، ولا يجوز أن يكون بمعنى فُعِلَ، لأن ذلك للخبر، والخبر لا وجه له [هنا][٤] لأن المراد [الأمر]. وهذا

(١) في «الإغفال» ص٧١٥ (أفعل)، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود لفظ، الفعل في بعض النسخ.

(٢) في (ش): (لأن).

(٣) قال أبو علي في «العضديات» ص٢٢٣: (لا يجوز أن يكون للاستفهام لاستحالة دخول الاستفهام على الأمر، ولا يجوز أيضًا أن يكون هل التي بمعنى قد التي تدخل على الخبر؛ لأن تلك لا تدخل على الأمر، لا يجوز قد أذهب) اهـ.

(٤) في (ش): (هاهنا).

قول فاسد جدًّا لا يجب أن يُعرّج عليه، والقول فيه ما قدمنا ذكره.

وأما قول أبي إسحاق: فتحت؛ لأنها مدغمة كما فتحت رُدّ في الأمر لالتقاء الساكنين، فليس يخلو الفتح فيه من أن يكون لالتقاء الساكنين كما قال، أو من أن[(١)] يكون؛ لأنه بُني مع الحرف المضموم إليه على الفتح كخمسة[(٢)]، فلو كان الفتح لالتقاء الساكنين كما قال لجاز أن يحرك بالكسر أيضًا لالتقاء الساكنين، وإذا لقيته ألف[(٣)] ولام مثل غُض الطرف فلما لم يحركه لا التميميون الذين يجمعون ويثنون ولا الحجازيون الذين يفردون ولا يغيرون دل ذلك من أمرها على أن الجميع أجمعوا فيها على البناء على فتحها وحركوها لذلك، ولم يكن حركتها عند الجميع لالتقاء الساكنين، ألا ترى أن ما كان حركته لالتقاء الساكنين من هذا الضرب لا يمتنع اختلاف الحركات فيه [وأن ذلك][(٤)] مطرد في جميعه[(٥)] فيخصص هذا من بين ذلك كله دلالة على أن حركته لما قلنا دون ما ذهب إليه، وهو مذهب سيبويه فإنه[(٦)] قال: لا يكسر هلم البتة)[(٧)].

---

(١) لفظ: (أن) ساقط من (ش)، وفي «الإغفال» ص٧٢٠: (أو يكون لأنه بنى).

(٢) أي فتحت من أجل التركيب كما فتحت خمسة عشر وبابها. انظر: «التبيان» ١/ ٣٦٣.

(٣) في (ش): (الألف)، وفي «الإغفال» ص٧٢٠: (إذا لقيته الألف واللام) ا.هـ.

(٤) لفظ: (وأن ذلك) ساقط من (أ)، وفي «الإغفال» ص٧٢١: (فإن ذلك مطرد).

(٥) كذا في «النسخ»، وفي «الإغفال» ص٧٢١ (جمعه)، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود (جميعه).

(٦) «الكتاب» ٣/ ٥٣٤.

(٧) هذا ملخص ما ذكره أبو علي في «الإغفال» ص٧١١-٧٢١، ونحوه ذكر في «المسائل العضديات» ص٢٢١، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٢١١-٢١٣.

فأما معنى ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ فقال الزجاج: (هاتوا شهداءكم [وقربوا شهداءكم])[1][2]، وهذه الكلمة تستعمل تارة بمعنى دعاء المخاطب كقولك: هلم إليّ، أي: ادن مني وتعال، وتارة تستعمل بمعنى التعدية كقولك: هلم الطعام والشراب، وبالمعنيين ورد القرآن قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]. وقال في هذه الآية: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾، فإذا كان بمعنى التعدية فاشتقاقه من اللم الذي هو الجمع، وإذا[3] كان بمعنى دعاء المخاطب فاشتقاقه من اللمم بمعنى: الدنو[4].

١٥١- قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج[5] وابن الأنباري[6]: (موضع (ما) نصب بـ (أتْل)، أي: اتل الذي حرمه ربكم).

قال أبو إسحاق: (ويكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام، أي: أبيّن لكم الحرام لئلا تشركوا به شيئًا؛ لأنهم إذا حرموا ما أحل الله ﷻ فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله جل وعز فصاروا بذلك مشركين.

---

(١) لفظ: (وقربوا شهداءكم) ساقط من (ش).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٣.

(٣) في (ش): (فإذا).

(٤) انظر: «الصحاح» ٥/ ٢٠٦٠، و«المجمل» ٤/ ٩٠٧، و«المفردات» ص٨٤٤، و«اللسان» ٨/ ٤٦٩٤ (هلم)، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢١٣: (هلم تكون متعدية بمعنى أَحْضر، ولازمة بمعنى أقبل، فمن جعلها متعدية أخذها من اللمّ وهو الجمع، ومن جعلها قاصرة أخذها من اللمَم وهو الدنو والقرب) اهـ.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٣.

(٦) لم أقف عليه.

قال: ويجوز أن يكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ﴾[(١)] محمولًا على المعنى، فيكون أتلو عليكم ألا تشركوا [والمعنى: أتلو عليكم تحريم الشرك، قال: وجائز أن يكون على معنى أوصيكم ألاّ تشركوا[(٢)]] به شيئًا؛ لأن قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانًا)[(٣)].

قال أبو بكر: (وقال آخرون: موضع أن نصب بعلى على[(٤)] معنى الإغراء، والكلام انقطع عند قوله: ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ والابتداء ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ كما قال تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: ويجوز أن يكون أن في موضع رفع بعلى، كما تقول: عليكم الصيام والحج)[(٥)].

وأما موضع (تشركوا) فذكر الفراء فيه قولين: (أحدهما: وهو الظاهر أنه نصب بأن، ويجوز أن يكون في موضع جزم بلا على النهي كقولك: أمرتك ألا تذهبَ إلى زيد بالنصب وأن لا تذهبْ بالجزم، كما قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ﴾ [الأنعام: ١٤] فنصب أوله، ونهى في آخره. قال: والجزم في هذه الآية أحب إليّ لقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وأمّا ما نسقته على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾

(١) في (ش): ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْئًا﴾.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٤.

(٤) في (ش): (نصب بمعنى على معنى)، وهو تحريف.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٤٧، والسمين في «الدر» ٥/ ٢١٦-٢١٧، واستبعد أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٥٠، والسمين في «الدر» ٥/ ٢١٧، النصب على الإغراء قال السمين: (هذا ضعيف لتفكك التركيب عن ظاهره، ولأنه لا يتبادر إلى الذهن) اهـ.

من قوله: ﴿تقربوا﴾ و﴿تقتلوا﴾ [الأنعام: ١٥١] فجائز أن يكون نصبًا وجزمًا على ما ذكرنا، وجائز أن يخالف بينهن فتحكم على بعض بالنصب، وعلى بعض بالجزم)(١).

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ قد ذكرنا [أنه على](٢) معنى: أوصيكم ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وقال أبو بكر: (التقدير: أن لا تشركوا به شيئًا وأن تفعلوا ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ فحذف الفعل لوضوح معناه)(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ قال ابن عباس: (يريد: مخافة الفقر)(٤).

وقال الزجاج: (أي: من فقر، أي: من خوف فقر)(٥)، وقد صرح

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٦٤، و«تفسير الطبري» ٨/ ٨١، ٨٢، و«إعراب النحاس» ١/ ١٩١، و«المشكل» ١/ ٢٧٧، و«غرائب التفسير» ١/ ٣٩١، و«البيان» ١/ ٣٤٩، و«التبيان» ١/ ٣٦٤، و«الفريد» ٢/ ٢٤٨، وأطال السمين في «الدر» ٥/ ٢١٣-٢١٨: في إعراب هذه الآية، وذكر في (ما) ثلاثة أوجه: وفي محل (أن لا تشركوا) ثلاثة أوجه، الجر من وجه واحد، والرفع من ثلاثة أوجه، والنصب من ستة أوجه.

(٢) لفظ: (أنه على) ساقط من (ش).

(٣) لم أقف عليه. وانظر: «المشكل» ١/ ١٠٢، و«البيان» ١/ ٨٤.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٤/ ١٠٣، وهو في «مسائل نافع بن الأزرق» ص١١٥، و«تنوير المقباس» ٢/ ٧٣، وأخرج أبو عبيد في «اللغات» ص٩٨، وابن حسنون ص٢٤، و«الوزان» ص٣/ ب بسند جيد عن ابن عباس قال: (يعني: من جوع بلغة لخم) اهـ.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٤، ونحوه في «غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٣، و«تفسير غريب القرآن» ص١٦٣، و«تفسير المشكل» ص٨١، وقال الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٢: (الإملاق: مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقًا. وذلك إذا فني زاده وذهب ماله، وأفلس) ا.هـ، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٨.

بذكر الخوف[١] في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، وهذا في النهي عن [الوأد][٢] كانوا يدفنون البنات أحياء، بعضهم للغيرة، وبعضهم خوف الفقر، فضمن الله[٣] لهم الرزق. وقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] قال شمر: (أمْلق لازم ومتعدٍّ، يقال: أَمْلَق الرجلُ فهو مُملق إذا افتقر، فهذا لازم، وأملق الدَّهرُ ما بيده إذا أفسده، والإملاق: الإفساد)[٤].

وقال ابن شميل أيضًا: (ومنه قول أوس بن حجر:

وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ الْـعُـدْمَ قَـيَّـدَ نَـائِـلـي ... وَأَمْـلَـقَ ما عِـنْدي خُـطُـوبٌ تَـنَـبَّـلُ[٥]

[أي: تذهب بالمال تَنبَّلَتْ بما عندي، أي: ذهبت به[٦]].

---

(١) قال في الأنعام: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ لأنه فقر واقع. وفي الإسراء: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ لأنه فقر متوقع. انظر: «ملاك التأويل» ١/ ٣٥٣، و«فتح الرحمن» ص١٨١.

(٢) في (ش): (الولد)، وهو تحريف.

(٣) لفظ: (الله) ساقط من (أ).

(٤) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٤٨، والظاهر من إيراد الأزهري أن البيت من كلام شمر وليس من كلام ابن شميل، وأيضًا قوله: (والإملاق: الإفساد) من قول ابن شميل، وانظر: في معنى الإملاق، و«إصلاح المنطق» ص٤٦، ٢٧٥، و«الجمهرة» ٢/ ٩٧٥، و«الصحاح» ٤/ ١٥٥٦، و«المجمل» ٣/ ٨٤٠، و«اللسان» ٧/ ٤٢٦٥ (ملق).

(٥) «ديوانه» ص٩٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٤٨، و«اللسان» ٧/ ٤٢٦٥ مادة (ملق)، و«الدر المصون» ٥/ ٢١٨، والعُدْم -بضم فسكون-: فقدان الشيء وذهابه، والفقر، وغلب على فقد المال وقلته. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٤٨ مادة (عدم)، والخطوب: بالضم جمع خطب بفتح فسكون، وهو الشأن والأمر. انظر: «اللسان» ٢/ ١١٩٤ (خطب)، وتنبل: بالفتح تأخذ الأنبل. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٣٠ (نبل).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، وملحق بالهامش.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابن عباس: (كانوا يكرهون أن يزنوا علانية فيفعلون ذلك سرًا فنهاهم الله عن الزنا سرًا وعلانية)(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قال: (إلا بالقود يريد: القصاص)(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ قال الزجاج: (هذا يدل على أن معنى ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ محمول على معنى: وصاكم بأن لا تشركوا)(٣).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٦ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٤، وهذا من باب التمثيل، والآية عامة، وهو اختيار الجمهور، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في «الدر المنثور» ٣/ ١٠٤، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٣٩٤: (الآية نهي عام عن جميع أنواع الفواحش وهي المعاصي، وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له من الأشياء، وذهب بعضهم إلى تخصيص لا تقوم عليه حجة، بل هو دعوى مجردة) ا.هـ. ملخصًا. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٨٣، والرازي ١٣/ ٢٣٣، والقرطبي ٧/ ١٣٣.

(٢) (قال) كذا في «النسخ»، والمراد ابن عباس رضي الله عنهما، كما ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٣٩، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٧٣: (﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بالعدل يعني: بالقود والرجم والارتداد) ا.هـ، ولعل ما ذكره الواحدي من باب التمثيل لبعض ما أباح الشارع به قتل النفس، فهذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها، وقد بينته الشريعة ومنها الردة، وقتل النفس، والزنا بعد الإحصان والحرابة، انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٨٤، والبغوي ٣/ ٢٠٣، وابن عطية ٥/ ٣٩٥، والقرطبي ٧/ ١٣٣، وابن كثير ٢/ ٢١١.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٤، وانظر: «أضواء البيان» ٢/ ٢٧٧-٢٧٨، وفيه رجح هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] قال عطاء، عن ابن عباس (يريد: إن كنت له وصيًا فأصلحت في ماله وقمت لله في ضيعته[١] أكلت بالمعروف إن احتجت إليه، وإن كنت غنيًا عنه فعفّ عن أكله، وقد قال في سورة البقرة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٠])[٢]. وقال الضحاك: (هو أن يبتغي له فيه من فضل الله ولا يأخذ من ربحه شيئًا)[٣].

وقال[٤] مجاهد: (هو التجارة فيه)[٥]. قال أبو إسحاق: (﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ حفظ ماله عليه وتثميره بما يوجد السبيل إليه)[٦]. وهو قول السدي قال: (التي هي أحسن التثمير له)[٧].

---

(١) الضَّيْعة، بفتح فسكون: الحرفة، والصناعة، والمال، وسياسة الإبل والغنم. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٦٢٤ (ضيع).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٠، وفي «تنوير المقباس» ٣/ ٧٣، و«زاد المسير» ٣/ ١٤٩، نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٨٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٩، بسند ضعيف، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٦ أ، والماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٨٧، والبغوي ٣/ ٢٠٤.

(٤) في (أ): (وهو مجاهد هو التجارة فيه)، وفي (ش): (وقال مجاهد هو من التجارة فيه).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٤ بسند جيد، وذكره النحاس في «معانيه» ٢/ ٥١٧، والثعلبي في «تفسيره» ١٨٦ أ، والماوردي ٢/ ١٨٧، والبغوي ٣/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٥، وفيه (بما يوجد إليه السبيل).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٤ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤١٩، ورجح هذا القول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٤، والبغوي ٣/ ٢٠٣، وابن عطية ٥/ ٣٩٦، وقال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٣٤ في تفسير الآية: (أي: بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصوله وتثمير فروعه، وهذا أحسن الأقوال=

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال[١]: (حتى محمولة على المعنى أي: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله)، وأما معنى الأشد وتفسيره[٢] فقال الليث: (الأَشُدُّ: مبلغ الرجل الحُنكة[٣] والمعرفة)[٤]، وقال أبو عبيد[٥]: (قال الفراء: الأشُد واحدها شَدٌّ في القياس، ولم أسمع لها بواحد، وأنشد:

قد سادَ وَهْو فَتًى حَتَّى إذا بَلَغَتْ أَشُدُّه وعَلا في الأَمْرِ واجْتَمَعَا)[٦]

وقال أبو الهيثم: (واحدة الأشد: شِدَّة، كما أن واحدة الأنعُم: نِعْمَة، والشِّدة: القوة والجلادة، والشديد: الرجل القوي، قال: وكأن

= في هذا، فإنه جامع) اهـ.

(١) كذا في «النسخ» والمراد الزجاج حيث جاء النص في «معانيه» ٢/ ٣٠٥.

(٢) انظر: «العين» ٦/ ٢١٣، و«الجمهرة» ١/ ١١١، و«الصحاح» ٢/ ٤٩٣، و«المجمل» ٢/ ٥٠٠، و«المفردات» ص٤٤٨ (شد).

(٣) في (ش): (الحركة)، وهو تحريف.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٣.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٣، ولم أقف عليه في «معاني الفراء» بعد طول بحث، وهو في «الغريب المصنف» لأبي عبيد ١/ ٣٧٩، من قوله دون ذكر الفراء، وكذا في «المخصص» ١/ ٤١، وحكى ثعلب في «مجالسه» ٢/ ٥٤٠ عن الفراء قال: (أشده: جمع شَدّ) ا.هـ. وهو في الجميع بفتح الشين، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٢/ ٩٩: (هو موضع جميع لا واحد له من لفظه، وقال الفراء والكسائي: واحد الأشد: شد. على فُعل وأفعل مثل بحر وأبحر، وأشد مضعف مشدد) ا.هـ. وانظر: ١/ ٣٠٥، ١/ ٣٧٨، و«تفسير الطبري» ٨/ ٨٥.

(٦) الشاهد لعدي بن الرقاع في «الغريب المصنف» ١/ ٣٧٩، و«الأفعال» لأبي عثمان السرقسطي ٢/ ٣٣٢، و«المخصص» ١/ ٤١، وبلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٣، و«اللسان» ٤/ ٢٢١٥ (شدد)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٢١، ولم أقف عليه في «ديوانه» المطبوع.

الهاء في النعمة والشدة لم تكن في الحرف إذ[1] كانت زائدة وكأن الأصل نِعمٌ وشِدٌ فجمعا على أفعل[2] كما قالوا: رِجل وأرْجلُ، وقِدح وأقْدُح، وضِرس وأضْرُس).

وحكى ابن الأنباري: (عن بعض أهل اللغة:[3] أن الأشد اسم واحد، ولا واحد له بمنزلة الآنك[4] وذكر عن جماعة[5] من البصريين: أن واحده: شُدّ بضم الشين مثل قولك: هو وُدّى[6] وهم أَوُدِّى).

قال الأزهري: (وبلوغ الأشد يكون من وقت بلوغ الإنسان مبلغ الرجال وإدراكه إلى أربعين سنة، فبلوغ الأشد [محصور الأول][7] محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ

(١) في (ش): (إذا كانت).

(٢) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢٤٥، وفي «الخصائص» ١/ ٨٦، حكى عن سيبويه (أنه جمع شِدة بالكسر)، وهو قول أبي زيد في «النوادر» ص٥٤، وانظر: «تفسير المشكل» لمكي ص١١٢-١١٣.

(٣) في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٥٩٧-٥٩٨: (قال الفراء: أهل البصرة يزعمون أن الأشد اسم واحد مثل الآنك ..)، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٥٣: (اختار ابن الأنباري في آخرين أنه مفرد لا جمع له وليس بمختار لفقدان أفعل في المفردات وضعًا) ا.هـ.

(٤) يعني: أنه مفرد لا جمع، والآنك: بالمد وضم النون: الرصاص القلعي، أو خالصه، والقزدير. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٨٥، و«اللسان» ١/ ١٥٤ (أنك).

(٥) في «المذكر والمؤنث» ١/ ٥٩٧، حكاه عن يونس بن حبيب الضبي فقط، وانظر: «تفسير الغريب» لابن قتيبة ص٢١٥، و«نزهة القلوب» ص٧٨.

(٦) عند ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث» ١/ ٥٩٧: (بمنزلة قولهم: الرجل وُدّ والرجال أُودّ) ا.هـ. وفي «اللسان» ٨/ ٤٧٩٣ (ودد). (الود: الحب يكون في جميع مداخل الخير) ا.هـ.

(٧) لفظ: (محصور الأول) ساقط من (ش).

أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥][(١)]، وفسر بلوغ الأشد في هذه الآية بالاحتلام في قول يحيى[(٢)] بن يعمر[(٣)] والسدي[(٤)].

وقال أبو إسحاق: (وبلوغ أشده أن يؤنس منه الرشدَ مع أن يكون بالغًا وحينئذ يجب دفع المال إليه)[(٥)]، وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول سورة النساء.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٣، وانظر: «معاني الفراء» ٣/ ٥٢، و«تفسير غريب القرآن» ص٢٥٤.

(٢) يحيى بن يَعْمَر العَدْواني: أبو سليمان البصري قاضي مرو، إمام تابعي ثقة، فقيه مقرئ، نحوي أديب فصيح عالم باللغة، يقال: إنه أول من نقط المصاحف، مات قبل المائة، وقيل بعدها.
انظر: «معجم الأدباء» ٢٠/ ٤٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٤١، و«غاية النهاية» ٢/ ٣٨١، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٠١.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٦ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٥٢.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٥٨، بسند جيد عن السدي قال: (الأشد: ثلاثون سنة، ثم جاء بعدها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾) [النساء: ٦]، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٥٠، وقال: (فكأنه يشير إلى النسخ) ا.هـ. وعليه يكون المراد: الاحتلام، والله أعلم.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٥، ورجح هذا القول ابن عطية في تفسيره ٥/ ٣٩٧، وقال: (هذا أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع) ا.هـ وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢٢١: (المراد ببلوغ الأشد بلوغ الحلم في قول الأكثر؛ لأنه مظنة ذلك) ا.هـ، ورجحه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٠، والظاهر، أن بلوغ الأشد في اليتيم مقيد بالبلوغ مع الرشد وزوال السفه، وأكثر أهل العلم على أن سن البلوغ خمس عشرة سنة. انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ١٣٤- ١٣٦، وابن كثير ٢/ ٢١٢، والشنقيطي ٢/ ٢٧٩.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ كل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم يقال: درهم وافٍ، وكيل وافٍ، وأوفيته حقه ووفيته إذا تممته[(١)]، وأوفى الكيل، أي: أتمه ولم ينقص منه شيئًا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: وزن الميزان والوزن به؛ لأن المراد إتمام[(٣)] الوزن لا إتمام الميزان[(٤)]، كما أنه قال: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾، ولم يقل: المكيال، فهو من باب حذف المضاف[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل لا بخس ولا شطط[(٦)].

---

(١) لعله: (إذا أتممته) كما في تفسير الرازي ١٣/ ٢٣٤، فقد نقل نص الواحدي بدون نسبة.

(٢) هذا من تهذيب اللغة ٤/ ٣٩٢٤، وانظر: الصحاح ٨/ ٤٨٨٥، و«اللسان» ١٥/ ٣٩٨، و«وَفَى».

(٣) في (ش): (لأن المراد تمام الوزن).

(٤) الميزان: اسم آلة، وأصله مصدر ثم أطلق على الآلة. انظر: «الجمهرة» ٢/ ٨٣٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٢١٣، و«المجمل» ٤/ ٩٢٤، و«المفردات» ص٨٦٨، و«اللسان» ٨/ ٤٨٢٨ (وزن).

(٥) قال العكبري في «التبيان» ٣٦٤: (والكيل: هاهنا مصدر في معنى المكيل، والميزان كذلك، ويجوز أن يكون فيه حذف مضاف تقديره: مكيل الكيل، وموزون الميزان) ا.هـ، وذكر قول الواحدي والعكبري، السمين في الدر ٥/ ٢٢١-٢٢٢، وقال: (ولا حاجة إلى ما ادعاه من وقوع المصدر موقع اسم المفعول، ولا من تقدير المضاف؛ لأن المعنى صحيح بدونهما، وأيضًا فميزان ليس مصدرًا إلا أن يعضد قوله ما قاله الواحدي، والظاهر عدم الاحتياج إلى ذلك، وكأنه لم يعرف أن الكيل يُطلق على نفس المكيال حتى يقول: «ولم يقل المكيال»، والكيل والميزان: هما الآلة التي يكال بها ويوزن، وأصل الكيل المصدر، ثم أطلق على الآلة، والميزان مفعال من الوزن لهذه الآلة ..) ا.هـ. ملخصًا.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٨٦، والسمرقندي ١/ ٥٢٤.

وقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: قد علمت ما أحل لك، وحرم عليك، فكما تحب أن يوفيك من تشتري منه، فأوف من تبيع منه)[١]، قال أصحاب المعاني: (أمر الله تعالى المعطي بإيفاء ذي الحق حقه الذي هو له من غير زيادة، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير نقصان، فلم يكلف نفسًا إلا ما يسعها ولا يضيق[٢] عنها، فلو كلف المعطي الزيادة لضاقت نفسه عنها، وكذلك لو كلف الآخذ الرضى بالنقصان)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، قال ابن عباس: (يريد: إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق)[٤]، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (يريد:[٥] ولدك وقرابتك أو من تحب فقل الحق واشهد به)، وهذا محذوف الاسم[٦]، قال الزجاج: (ولو كان المشهود له وعليه ذا قربى)[٧]، ومثله في المائدة: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [المائدة: ١٠٦].

---

(١) لم أقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٢٠، بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]) اهـ.

(٢) في (أ): (تضيق) بالتاء.

(٣) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٦، وذكره الثعلبي في الكشف ص١٨٦/أ، عن أهل المعاني وهذا يدل على أن الطبري من أهل المعاني عند الثعلبي والواحدي حيث لم أجد هذا المعنى عند أحد من أهل المعاني فيما لدي من مراجع.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤١.

(٥) كأنه من قول ابن عباس حسب السياق، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٧٤ نحوه.

(٦) أي اسم كان مستتر تقديره: هو، أي: المقول فيه. انظر: «الدر المصون» ٥/ ٢٢٢.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٠٥، وفيه: (أي: إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا، ولو كان المشهود عليه أو له ذا قربى) ا.هـ.

وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾، ذكرنا معنى الوفاء بالعهد عند قوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، أي: ذلك الذي تقدم من ذكر مال اليتيم، وأن لا يقرب إلا بالتي هي أحسن، وإيفاء الكيل والوزن، واجتناب البخس، والتطفيف فيهما، وتحري الحق على مقدار الطاقة والاجتهاد، وهو معنى قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والقول بالقسط والحق ولو كان المقول فيه ذا قربى، والوفاء بالعهد لينجز[(١)] ما وعد عليه من قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] هذا كله مما وصى به ليتذكروه[(٢)]، ويأخذوا به فلا يطرحوه[(٣)]، وتذكر مطاوع ذكر[(٤)] تقول: ذكرته فتذكر، كما أن تفاعل مطاوع فاعل، والتذكر يستعمل في أشياء متكررة تتذكر وقتًا بعد وقت، وحالًا بعد حال، كالذي في هذه الآية فإنه أمر بأخذ بعد أخذ، ووقت[(٥)] بعد وقت. و(تذكرون) إنما هو تتذكرون[(٦)] مخفف بالإدغام لاجتماع[(٧)] المتقاربة.

---

(١) في (أ): (لتنجز) بالتاء.

(٢) في (أ): (لتتذكروه وتأخذوا به).

(٣) في (ش): (فلا يطرحوا)، وفي (أ): (فلا تطرحوه). وما ذكره هو نص كلام أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٢٨.

(٤) في (ش): (ذَكّره).

(٥) في النسخ (ووقتًا) وأصل النص من «الحجة» ٣/ ٤٢٧- ٤٢٨، وأشار المحقق في الهامش إلى ورود (ووقتًا). في بعض النسخ.

(٦) في (ش): (يذكرون إنما هو يتذكرون)، بالتاء.

(٧) يعني اجتماع المتقارب وهو التاء والذال.

وقرأ حمزة[١] والكسائي (تذكرون[٢]) خفيفة الذال، خفف بالحذف، كما خفف غيرهما بالإدغام، ويمكن أن يقال: إن الحذف أولي لأنه أخف في اللفظ، والدلالة على المعنى قائمة[٣].

١٥٣- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ الآية ، قال الفراء: (تفتح (أن) من وقوع (أتل) [الأنعام: ١٥١] عليها يعني: وأتل عليكم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قال: وإن شئت جعلتها خفضًا يريد: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وبأن[٤] هذا صراطي)، وقال أبو علي: (من فتح (أن) فقياس[٥] قول سيبويه أنه حملها على (فاتبعوه) والتقدير: ولأن ﴿هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ كقوله ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة[٦]﴾ [المؤمنون: ٥٢] قال سيبويه: ولأن هذه أمتكم، وقال في قوله: ﴿وأن

---

(١) قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية حفص: (تذكرون) بتخفيف الذال. وقرأ الباقون بتشديدها. انظر: «السبعة» ٢٧٢-٢٧٣، و«المبسوط» ص١٧٦، و«التذكرة» ٢/ ٤١٢، و«التيسير» ص١٠٨، و«النشر» ٢/ ٢٦٦.

(٢) في (ش): (يذكرون)، بالياء.

(٣) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٣٠، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٤، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٣، و«الكشف» ١/ ٤٥٧.

(٤) في «معاني الفراء» ١/ ٣٦٤ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ وفيه أيضًا قال: (تكسر إن إذا نويت الاستئناف. . .) ا.هـ. وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٤٦، و«القطع» للنحاس ١/ ٢٤٣، و«التبيان» ص٣٦٤، و«الفريد» ٢/ ٢٥١، و«الدر المصون» ٥/ ٢٢٤.

(٥) في (ش): (فقيا من قول).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: (وأن هذه) بفتح الهمزة وتشديد النون، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالكسر وتشديد النون، وقرأ ابن عامر بالفتح وتخفيف النون. انظر: «السبعة» ص٤٤٦، و«المبسوط» ٢٦٢.

المساجد لله [فلا تدعوا مع الله أحدًا][1]﴾ [الجن: ١٨] المعنى: ولأن المساجد لله[2]، وقرأ ابن عامر[3]: (وأن هذا) مفتوحة مخففة، والمخففة [هاهنا][4] كالمشدودة، وفيه ضمير القصة والحديث، وعلى هذه الشريطة يخفف، والتقدير: وأنه هذا، كقول الأعشى:

في فِتيَةٍ كسيُوفِ الهند قد علمُوا أَنْ هالِكٌ ....[5]

أي: قد علموا أنه هالك. قال: والفاء التي في قوله (فاتبعوا) مثل الفاء التي في قولك: بزيد فامرر، ومن كسر (إن) استأنف بها، والفاء[6] في قوله عاطفة جملة على جملة، وعلى القول الأول زيادة)[7]، وذكرنا وجه

---

(١) لفظ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ ساقط من (ش)، وانظر: القراءة في «السبعة» ص٦٥٦، و«المبسوط» ٣٨٣.

(٢) «الكتاب» ٣/ ١٢٦- ١٢٧، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٢.

(٣) قرأ ابن عامر بفتح الهمزة وتخفيف النون، وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة وتشديد النون، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وتشديد النون. انظر: «السبعة» ص٢٧٣، و«المبسوط» ص١٧٦-١٧٧، و«التذكرة» ٢/ ٤١٣، و«التيسير» ص١٠٨، و«النشر» ٢/ ٢٦٦.

(٤) لفظ: (ها هنا) ساقط من (ش).

(٥) ديوانه ص١٤٧، وعجزه: أن هالك كل من يحفى وينتعل. وقد سبق تخريجه.

(٦) كذا في النسخ، وهو يريد الفاء في قوله: (فاتبعوه)، ويعني بقوله: والفاء في قوله، أي: الفاء على قول من قال بالقول الثاني. وفي «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٣٧ (والفاء في قوله، (فاتبعوه) على قوله عاطفة جملة على جملة، وعلى القول الأول زيادة) اهـ.

(٧) انظر: «الحجة» ٣/ ٤٣٦-٤٣٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٥، و«إعراب القراءات»، ١/ ١٧٣، و«الحجة» لابن خالويه ص ١٥٢، ولابن زنجلة ص ٢٧٧، و«الكشف» ١/ ٤٥٧، و«المشكل» ١/ ٢٧٧، و«البيان» ١/ ٣٤٩.

انتصاب قوله (مستقيما) عند قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٦] في هذه السورة. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ (يريد: ديني دين الحنيفية أقوم الأديان وأحسنها)(١).

وقال مقاتل: (الذي ذكر في هذه الآيات(٢) من أمره ونهيه ﴿صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾)(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قال ابن عباس: (اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان)(٤)، وهذا تفسير ما ذكره مجملًا في رواية عطاء قال: (يريد: مثل الذي يسلك الطريق فيأخذ بنيات(٥) الطريق)(٦)، وقال مجاهد ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ (يعني: البدع والشبهات)(٧)، وقال مقاتل: (يعني: طريق الضلالة فيما حرموا على

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٢، ولم أقف عليه عند غيره.

(٢) في «ش» (الآية).

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٧.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٢، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: (لا تتبعوا الضلالات) ا.هـ.

(٥) بُنيّاتُ الطريق، بضم الباء وفتح النون والياء المشددة: الطُّرق الصغار تتشعب من الجادة، وهي الترهات. انظر: «اللسان» ١/ ٤٠٨ (بني).

(٦) لم أقف عليه، وأخرج الطبري في تفسيره ٨/ ٨٨ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله) اهـ.

(٧) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٧، وأخرجه الطبري في (تفسيره) ٨/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٦، وفي «تفسير مجاهد» زيادة لفظ (والضلالات).

أنفسهم من الأنعام والحرث[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال ابن عباس: (فتضل[(٢)] بكم عن دينه)[(٣)]. وقال مجاهد: (أي: تميل وتخالف، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ في الكتاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ السبل)[(٤)]. وقال عطاء: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: (كي تخافوا)[(٥)] قال المفسرون[(٦)]: (هذه الآيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرمات على بني آدم، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار).

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٧.

(٢) في (ش): (فيضل) بالياء.

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ٧٤ نحوه.

(٤) لم أقف عليه، وهو في «الوسيط» ١/ ١٤٢ بدون نسبة، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٢٢ بسند جيد عن مجاهد في قوله: (لعلكم تتقون) قال: (لعلكم تطيعوا) اهـ.

(٥) لم أقف عليه، قال أهل العلم: (هذه آية عظيمة أمر الله تعالى فيها باتباع سبيله، وحذر من اتباع السبل، وهي تعم سائر أهل الملل والبدع والضلالات والأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد). أفاده ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤٠٠، والقرطبي ٧/ ١٣٧- ١٣٨، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٢١٣.

(٦) أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٨٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤١٤، والحاكم و«صحيحه» ٢/ ٢٨٨ و٢/ ٣١٧ عن ابن عباس قال: (هن الآيات المحكمات قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١]). وأخرج ابن الضريس في «فضائل القرآن» ص٩٤- ٩٥ بسند جيد عن كعب الأحبار قال: (أول ما نزل من التوراة عشر آيات من آخر الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ... إلى آخر السورة) ا.هـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٣. وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره ١/ ٥٢٣: (ويقال: هذه الآيات هن أم =

١٥٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية. قال أبو بكر[١]: (الذي بعد (ثم) مقدم على الذي قبلها في النّية، والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ؛ لأن التوراة أنزلت قبل القرآن.

قال: وجواب آخر وهو: أن (ثم) أوجبت تأخير الخبر بعد الخبر الأول، أي: ﴿تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ثم قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد: ثم أخبركم بعدما أخبرتكم به عن نزول القرآن على محمد (بنزول التوراة على موسى، فدخلت (ثم) لتأخير الخبر لا لتأخير النزول)[٢]. وهذا قول أبي إسحاق، وأنكر القول الأول فقال: ((ثم) لا يكون الذي بعدها معناه التقديم، وإنما دخلت ثم للعطف على معنى التلاوة، والمعنى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وأتلو عليكم لا تقتلوا أولادكم، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله، ثم أتلو عليكم ما آتاه الله جل وعز موسى)[٣].

= الكتاب، وهن إمام في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ولا يجوز أن يرد عليها النسخ) اهـ.

(١) أبو بكر بن الأنباري محمد بن القاسم. تقدمت ترجمته.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٢.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٥-٣٠٦، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٨٩، ٩٠، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٢٠، وذكر أبو حيان عدة أقوال في توجيه الآية ثم قال: (وهذه الأقوال كلها متكلفة، والذي ينبغي أن يذهب إليه أنها للعطف كالواو من غير اعتبار مهلة، وقد ذهب إلى ذلك بعض النحاة) ا.هـ. وانظر: معاني الحروف للرماني ص١٠٥، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٩٢، و«المغني» لابن هشام ١/ ١١٧-١١٨.

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ كثر الاختلاف في هذا بين أهل المعاني، والذي يعتمد في تفسير هذا قولان مجمع على صحتهما:

أحدهما: أن المعنى (تماما) من الله ﷻ على المحسنين، و﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ بمعنى: من أحسن، ومن أحسن هو المحسن، كأنه قيل: تمامًا على المحسن، والمحسن [يكون](1) ها هنا في مذهب الجمع كما قال: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ﴾ [العصر: ٢]، وهذا كما يقول الرجل: أوصي بمالي لمن غزا وحج وللذي غزا وحج](2)، يريد: الغزاة والحجاج، ويدل على صحة هذا التأويل قراءة ابن مسعود(3) (تماما على الذين أحسنوا). والمحسنون(4) هم الأنبياء صلوات الله عليهم [أجمعين](5)، أو المؤمنون. وتلخيصه: آتينا موسى الكتاب تتميمًا منا على الأنبياء و(6) المؤمنين الكتب، وتفصيلًا منا لكل شيء، وإنما فسرنا التمام بالتتميم ها هنا لما يعود معناه إليك؛ لأنك إذا قلت: أعطيتك الشيء تمامًا، كان معناه: تممته لك(7).

---

(١) لفظ: (يكون) ساقط من (ش).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٣) ذكرها الفراء في «معانيه» ١/ ٣٦٥، وابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص٣٩٨، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٠، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٥١٩، وابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص٤١.

(٤) في (ش): (فالمحسنون) بالفاء.

(٥) لفظ: (أجمعين) ساقط من (أ).

(٦) في (أ): (أو المؤمنين).

(٧) هذا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص٣٩٧- ٣٩٨.

القول الثاني: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ أي: على الذي أحسنه موسى من طاعة الله جل وعز واتباع أمره، أو على الذي أحسنه موسى من العلم، وكتب الله القديمة، فيكون (أحسن) بمعنى: علم، والتأويل ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا﴾ على ما أحسن من العلم والحكمة، وكتب الله المتقدمة، وأراد بقوله: (تمامًا) على ذلك، أي: زيادة على ذلك، والقولان ذكرهما الفراء[١] والزجاج[٢] وأبو بكر[٣] وأبو محمد بن قتيبة[٤].

قال الزجاج: (و(تمامًا) منصوب على مفعول له وكذلك ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾ المعنى: آتيناه لهذه العلة أي: للتمام والتفصيل)[٥]، والمفسرون[٦] على هذين القولين، فالقول الأول قول مجاهد والحسن، قال مجاهد: (تمامًا

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٥ وقدم الوجه الأول.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٥- ٣٠٦.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٤، عن أبي بكر بن الأنباري.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٩٧- ٣٩٨، تقرير الواحدي من نصه، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٩٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٣، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٧٨، وذكر أبو علي الفارسي في «العضديات» ١٦٩- ١٧١ ثلاثة أوجه في الآية، قال: (ووجه ثالث وهو أبينها وأوضحها، ولا يختلف في جوازه على ذلك، وهو أن يكون المعنى: تمامًا على الذي أحسنه، فيكون في (أحسن) ذكر يعود على (موسى)، وتكون الهاء العائدة إلى الموصول محذوفة من الصلة، كأنه: على الأمر الذي أحسنه موسى، ومعنى (أحسن) أن يكون على ضربين أحدهما: أن يكون أحسنه بمنزلة حسنه، أي: حسنه لهم عند دعاء قومه إليه، وإقامته لهم البراهين والحجج عليه. والوجه الآخر: أن يكون (أحسن) بمنزلة علم، كأنه: تمامًا على الأمر الذي علمه ..) ا.هـ. ملخصًا، وانظر: الدر المصون ٥/ ٢٢٧.

(٥) معاني الزجاج ٢/ ٣٠٦، وانظر المراجع السابقة.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٩٠- ٩١، و«معاني النحاس» ٢/ ٥١٩ و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٢٥.

على المؤمنين المحسنين)[١]. وقال الحسن: (تمامًا على المحسنين، و﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ هو المؤمن)[٢].

وقال الكلبي: (﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الألواح، فيها التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ﴾ أحسنه من تبليغ رسالاته)[٣]. وهذا معنى القول الثاني.

وأجاز الفراء[٤] والكوفيون[٥] قولا آخر وهو: أن يكون (أحسن) اسمًا موضعه خفض على النعت للذي وهو ساد مسد الصلة، ونائب عنها، يراد به: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ من غيره، فحذفت من لبيان أمرها، وجرى (أحسن) على إعراب (الذي) كما قالت العرب: مررت بالذي أخيك، وجلست إلى الذي مثلك، فحملوا على الذي إعراب الاسم بعده،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٠ بسند جيد، بلفظ: (على المؤمنين والمحسنين) وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٨: (على المؤمن)، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٣، عنه بلفظ: (على المؤمنين)، وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ١٠٦: (أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد قال: (على المؤمنين المحسنين) اهـ.

(٢) قال النحاس في «معانيه» ٢/ ٥١٩: (قال الحسن: كان فيهم محسن وغير محسن، وأنزل الكتاب (تماما على الذي أحسن)) اهـ. وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٦/ أ، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٤٣، بلفظ: (تمامًا على المحسنين). وهي قراءة الحسن كما في «الدر المنثور» ٣/ ١٠٧، وقال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٨٩، وابن الجوزي ٣/ ١٥٤، قال الحسن وقتادة: (تمامًا لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا) اهـ.

(٣) ذكر الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤، عنه قال: (أتم له الكتاب على أحسنه).

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٥، وذكره الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٠، ٩١، والنحاس في «إعرابه» ١/ ٥٩٣، وأبو علي في «العضديات» ص١٦٩.

(٥) انظر: «الأغفال» ص٧٢٦.

وجعلوه[١] يسد مسد صلته، وأنشدوا:

إن الـدبـيـري الـذي مـثـل الـحـلـم[٢]

فنصب مثل على الإتباع للذي، وهي سادة مسد صلته، وإنما جاز حمل (أحسن) على (الذي) و(الذي) معرفة و(أحسن) في تأويل نكرة؛ لأنه يطالب من، ومن يؤدي عن الإضافة، والمضاف معرفة، ومن كلام العرب: مررت بزيد خير منك، على أن خيرًا نعت لزيد؛ إذ كان كالمضاف من أجل صحبته من، وهذا كلام أبي بكر[٣]، ويدل على صحة هذا القول قراءة يحيى[٤] بن يعمر: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾، والتقدير: على الذي هو

---

(١) في (أ): (وجعلوا).

(٢) لم أهتد إلى قائله، وعجزه:

مَـشَّـى بَـأَسْـلاَبِـكَ فِـي أَهْـلِ الـعَـلَـمْ

وهو في «معاني الفراء» ١/ ٣٦٥ و«تفسير الطبري» ٨/ ٩٠، وفي «العضديات» ص١٦٨، و«الشيرازيات» ٨/ ٨ أ:

إن الـدبـيـري الـذي مـثـل الـزُّلَـمْ مشى بأسلابك في أهل الـحَـرَمْ

والزُّلم بالضم: السهو، عند الفراء والطبري: إن الزبيدي بالزاء، والدبري: الذي يسنح أخيرًا عند فوات الحاجة، أي: شره إذا أدبر الأمر وفات، انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٢١ (دبر) و٣/ ١٨٠٦ (زبر) والحلم بفتحتين: دودة تقع في الجلد فتأكله. انظر: «اللسان» ٢/ ٩٨٠، والشاعر يصف هذا الزبيري الذي سلبه ثيابه وأمواله، وهو يمشي في الناس بأنه قمئ قصير، أفاده الشيخ محمود شاكر في حاشية «تفسير الطبري» ١٢/ ٢٣٤- ٢٣٥.

(٣) أبو بكر بن الأنباري، لم أقف على كلامه، وانظر: المسألة في الكتاب ٢/ ١٠٥- ١٠٩- و٤٠٤، وأمالي ابن الشجري ١/ ١١٢، والإنصاف ص٥٨٥.

(٤) القراءة برفع (أحسنُ)، وقد أخرجها الطبري في تفسيره ٨/ ٩٠ بسند جيد وذكرها النحاس في «معانيه» ٢/ ٥٢٠، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٢٣٤، وابن الشجري في «أماليه» ١/ ١١٢، وذكرها سيبويه في «الكتاب» ٢/ ١٠٨ بدون نسبة، وضعف =

أحسن، أي: الذي هو أحسن الأشياء، وأحسن من غيره، وهذا يدل على أن (أحسن) ها هنا اسم، ويعضد هذا القول [أيضًا][(١)] ما روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ يقول: (أتم له الكتاب على أحسنه)[(٢)] فجعل الأحسن من نعت الكتاب، نظيره ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٣)] [الأعراف: ١٣٧]. وقال أبو إسحاق: (أجاز الكوفيون أن يكون (أحسن) في موضع خفض وأن[(٤)] يكون من صفة (الذي) وهذا عند البصريين خطأ؛ لأنهم لا يعرفون الذي إلا موصولًا ولا توصف إلا بعد تمام صلتها)[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: (كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب)[(٦)].

١٥٥- قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ الآية، مضى الكلام في هذا في هذه السورة.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال الزجاج: (أي: لتكونوا راجين للرحمة)[(٧)].

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٦]،

= ابن جني في «المحتسب» هذه القراءة؛ لقبح حذف المبتدأ العائد على الذي.

(١) لفظ: (أيضًا) ساقط من (أ).

(٢) لم أقف عليه. وذكره الرازي في تفسيره ١٤/ ٤ عن الكلبي.

(٣) الحسنى: نعت للكلمة، انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٣، و«الفريد» ٢/ ٣٥١.

(٤) في (ش): (أو يكون)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٥.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٦، والخازن ٢/ ٢٠١.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٦.

(أن) عند الفراء[١] والكسائي[٢] متعلقة بأنزلناه على تقدير: أنزلناه؛ لأن لا تقولوا، ثم حذف الجار وحرف النفي كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقوله: ﴿رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] أي: لئلا، وعند البصريين[٣]. معناه: أنزلناه كراهة أن تقولوا، ولا يُجيزون إضمار لا، لا يقولون: جئت أنْ أكرمك، على معنى: أن لا أكرمك[٤]. وقد ذكرنا ما في هذا في آخر سورة[٥] النساء.

١٥٦- قال الفراء: (ويجوز أن يكون ﴿أَن﴾ متعلقة باتقوا والتأويل: و[٦] اتقوا ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾)[٧].

قال ابن عباس: (يعني: التوراة والإنجيل[٨] ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٦، وعليه يكون مفعولًا لأجله، انظر: «المشكل» ١/ ٢٧٨.

(٢) في «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٤٧، قال الكسائي: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾؛ لأن لا تقولوا وبأن لا تقولوا ..) اهـ. وانظر: القطع للنحاس ١/ ٢٤٤، وذكر الثعلبي في «الكشف» ١٨٦ أ، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٦، والقرطبي ٧/ ١٤٤، عن الكسائي قال: (معناه: أن تقولوا يا أهل مكة) اهـ.

(٣) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩١، و«تفسير الطبري» ٨/ ٩٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٣، وقال النحاس في «معانيه» ٢/ ٥٢١: (أحسن ما قيل في هذا: كراهية أن تقولوا) اهـ.

(٤) هذا نص كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٠٧.

(٥) انظر: «البسيط» نسخة تشستربتي ٢/ ٣٩ ب.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ش).

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٦٦، وعليه تكون مفعولًا به العامل فيه: (واتقوا)، وجملة: (لعلكم ترحمون) اعتراضية جرت مجرى التعليل. انظر: «الفريد» ٢/ ٢٥٤، و«الدر المصون» ٥/ ٢٢٩.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٥، والقرطبي ٧/ ١٤٤ بدون نسبة.

وهم اليهود والنصارى[(١)]، ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ يريد: لم ندرس التوراة والإنجيل فتعرف[(٢)] ما فيها)[(٣)]. قال الزجاج: (المعنى: وما كنا إلا غافلين عن دراستهم، أي: كنا غافلين عن تلاوة كتبهم)[(٤)]. قال المفسرون: (الخطاب لأهل مكة، والمراد بالآية: إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد؛ كيلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ وكنا غافلين عما فيهما، فقطع الله معاذيرهم بإنزال القرآن فيهم)[(٥)]، وقال قتادة: (﴿دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم)[(٦)].

١٥٧- وقال [الكلبي][(٧)] والكسائي: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلم[(٨)] ما هي؛ لأن كتابهم لم يكن بلغتنا، فأنزل الله تعالى كتابًا بلغتهم، وبعث منهم رسولًا يعرفون نسبه، ويعرفونه بالصدق فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧] أي: رسول من ربكم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] حين لم تعرفوا[(٩)] دراسة

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٥، بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ش): (فيعرف) بالياء.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٥، بسند جيد عن ابن عباس قال: (يقول وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين) اهـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٧.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٩٣، ٩٤، والسمرقندي ١/ ٥٢٥، وابن الجوزي ٣/ ١٥٤- ١٥٥.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٤ بسند جيد.

(٧) لفظ: (الكلبي) ساقط من (أ)، ولم أقف على قوله.

(٨) في: (ش): (لم يعلم).

(٩) في (ش): (لم يعرفوا).

الطائفتين وحين قلتم لو جاءنا ﴿ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧][١]

١٥٨- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾. وذكرنا الكلام في هذا في[٢] سورة البقرة في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٠]. قال ابن عباس: (﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ إذ كذبوك (إلا أن تأتيهم[٣] الملائكة) عند الموت لقبض أرواحهم)[٤] ومعنى (ينظرون) ينتظرون[٥] و(هل) استفهام معناه: النفي[٦] أي: لا ينتظرون إلا ذلك، وهو خبر معناه النهي كقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] خبر معناه: الأمر، وهو كثير في القرآن، والمعنى: يجب أن لا ينظروا بعد تكذيبك (إلا أن تأتيهم[٧] الملائكة) عند الموت فيقعوا في العذاب، وذكرنا وجها آخر عن صاحب النظم[٨] في نظير هذه الآية في[٩] سورة النحل[١٠].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٥٥.
(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ ب.
(٣) في (أ): (يأتيهم) بالياء. وقد قرأ حمزة والكسائي: (إلا أن يأتيهم) بالياء، وقرأ الباقون بالتاء، انظر: السبعة ص٢٧٤، و«المبسوط» ص١٧٧.
(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٦، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٩٦، والسمرقندي ١/ ٥٢٥.
(٥) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٦٤.
(٦) انظر: تفسير الرازي ١٤/ ٦.
(٧) في (ش): (يأتيهم) بالياء.
(٨) صاحب النظم هو: أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني، تقدمت ترجمته، وكتابه «نظم القرآن» (مفقود) انظر: مقدمة «تفسير البسيط».
(٩) يقصد قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].
(١٠) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ١٢٤ أ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: (يتنزل أمر ربك فيهم)[1] وهذا يحمل على الأمر بقتلهم، واستقصاء هذا مذكور في سورة البقرة[2]. وقال أبو إسحاق: (معنى ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أو يأتي إهلاك ربك إياهم، وانتقامه منهم، إما بعذاب عاجل، أو بالقيامة)[3].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾. قال المفسرون عامة: (يعني: طلوع الشمس من مغربها)[4]، وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٥، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٤٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ ب.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٧، وانظر «معاني النحاس» ٢/ ٥٢٢، وتفسير السمرقندي ١/ ٥٢٥- ٥٢٦ والأرجح أن ذلك يوم القيامة للفصل بين العباد، وأن الله ﷻ يأتي للفصل على وجه يليق بجلاله وعظمته، وهو قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٦، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة وابن جريج، واختاره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٧، وابن كثير ٢/ ٢١٦، والشنقيطي ٢/ ٢٨٣- ٢٨٤، وانظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ١٤٥، و«فتاوى شيخ الإسلام» ٦/ ٣٩٨- ٤٢٤.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٩٦، ٩٧ من عدة طرق جيدة عن عبد الله بن مسعود، ومجاهد وقتادة والسدي، ورجحه الطبري في «تفسيره»، وابن الجوزي ٣/ ١٥٧، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٠٨ وأخرج البخاري في صحيحه رقم (٤٦٣٥)، في كتاب «التفسير»، الأنعام، ومسلم رقم (١٥٧)، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل في الإيمان -حديث- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت آمن الناس أجمعون، وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾»، ثم قرأ الآية. اهـ
وأخرج مسلم أيضًا -حديث رقم (١٥٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: (ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض) ا.هـ. وقال ابن =

من مكذبي محمد (إلى ذلك الوقت، والمراد بهذا بيان أن المشركين والمكذبين إنما يمهلون قدر مدة الدنيا، فهم يتنعمون فيها، فإذا ماتوا أو ظهرت أمارات القيامة لم ينفعهم الإيمان، وحلت بهم العقوبة اللازمة لهم أبدًا. ثم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ (أي: لا ينفعها الإيمان عند الآية التي تضطرهم إلى الإيمان؛ لأن الله جل وعز بعث الرسل بالآيات التي تتدبر، فيكون للمؤمن بها ثواب، ولو بعث الله على كل من لم يؤمن عذابا لاضطر الناس إلى الإيمان، وسقط التكليف والجزاء)[١] قاله أبو إسحاق.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قال ابن عباس: (﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ يا[٢] أهل مكة ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ بكم العذاب يوم القيامة، أو قبلها في الدنيا[٣].

= عطية في «تفسيره» ٥/ ٤٠٩: (يصح أن يراد جميع ما يقطع بوقوعه من أشراط الساعة ثم خصص بعد ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية التي ترفع التوبة معها وقد بينت الأحاديث أنها طلوع الشمس من مغربها وهو قول جمهور أهل التأويل، وروي عن ابن مسعود أنها إحدى ثلاث: إما طلوع الشمس من مغربها، وإما خروج الدابة، وإما خروج يأجوج ومأجوج، وهذا فيه نظر؛ لأن الأحاديث ترده وتخصص الشمس) ا.هـ. ملخصًا.

وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٧ وفيه: (أجمعوا على أن المراد بهذه الآيات علامات القيامة) اهـ.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٨.

(٢) في (ش): (قل انتظروا إنا أهل مكة إنا منتظرن ..)، وهو تحريف.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٦، وهو في «تفسير البغوي» ٣/ ٢٠٧ بدون نسبة.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ دليل على أن قوله: ﴿هل ينظرون[1] إلا أن تأتيهم[2] الملائكة﴾ استفهام معناه: النفي، وذلك النفي خبر يتضمن النهي على ما بينا، ألا ترى أنه أمرهم بانتظار هذه الأشياء في آخر الآية، والدليل على هذه الجملة أن المشركين والكفار في ذلك الوقت كانوا غافلين لاهين ما كانوا ينتظرون شيئًا مما ذكر في هذه الآية، وكذلك في كل وقت.

١٥٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس[3]، في رواية عطاء: (يريد: المشركين بعضهم يعبدون الملائكة يزعمون بأنهم بنات الله، وبعضهم يعبد الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾)[4] [يونس: ١٨].

فهذا معنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أي: فرقًا وأحزابًا في الضلالة، فتفريقهم دينهم أنهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد،

---

(١) في النسخ: (هل ينتظرون ..)، وهو تحريف.

(٢) في (أ): (يأتيهم) بالياء.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٣٠ عن ابن عباس بسند جيد في الآية قال: (أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله) ا.هـ.
وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٧٧ قال: (تركوا دينهم ودين آبائهم وصاروا فرقًا، اليهودية والنصرانية والمجوسية) ا.هـ.
وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٤، ١٠٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٠، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٥٦، عن ابن عباس بسند ضعيف قال: (اليهود والنصارى) اهـ. ملخصًا.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٧.

وقال مجاهد[(١)] وقتادة[(٢)] والكلبي[(٣)]: (هم اليهود والنصارى)، وهو قول مقاتل[(٤)] أيضًا، والسدي[(٥)]، وأصح[(٦)] القولين[(٧)]، واختيار الفراء[(٨)] والزجاج.

قال الزجاج[(٩)]: (يعني: به اليهود والنصارى، وذلك [أن النصارى][(١٠)] يكفر بعضهم بعضًا، وكذلك اليهود، وهم أهل كتاب واحد، وهو التوراة، والنصاري يكفر اليهود، واليهود يكفر النصارى)[(١١)]

---

(١) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ١/ ٥٧٧، والثعلبي في «الكشف» ١٧٨ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٦، والبغوي في «تفسره» ٣/ ٢٠٨، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٩ قال: (يهود)، وأخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ١٠٥ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٢، والطبري ١٢/ ٢٦٩- ٢٧٠، وابن أبي حاتم ٣/ ١٢٩ أ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٨.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٦، وهو في «تنوير المقباس» ٢/ ٧٧ .

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٠، بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٤٠٣.

(٦) في (ش): (في أصح)، وهو تحريف.

(٧) الظاهر إن الآية عامة تشمل كل أهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٥، والنحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ١١٠، وابن كثير ٢/ ٢١٩، والشوكاني ٢/ ٢٥٩.

(٨) «معاني الفراء» ١/ ٢٦٦.

(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٨.

(١٠) لفظ: (أن النصارى) ساقط من (ش).

(١١) كذا في النسخ، والصواب: (والنصارى يكفرون اليهود، واليهود يكفرون النصارى) وعند الزجاج في معانيه ٢/ ٣٠٨: (وبعضهم يكفر بعضًا، أعني اليهود تكفر النصارى، والنصارى تكفر اليهود) اهـ.

وعلى هذا معنى ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ ما قال يمان بن رئاب: (أخذوا [ببعض][1] وتركوا بعضًا، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾)[2] [البقرة: ٨٥]، فهم خلاف المسلمين[3] الذين وصفوا بالإيمان به كله في قوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩] وقال في وصفهم أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

ومعنى قوله ﴿دِينَهُمْ﴾ قال مقاتل: (هو الإسلام الذي أمروا به)[4] يعني: دينهم الذي دعوا إليه وشرع لهم، فسمى شريعة الإسلام دينهم، وإن لم يجيبوا إليه، ولم يأخذوا به، لأنهم قد شرع لهم ذلك، ودعوا إليه، فلهذا الالتباس الذي لهم به جاز أن يضاف إليهم، وقرأ حمزة[5] والكسائي (فارقوا دينهم)[6] أي: باينوه وخرجوا عنه، وهذا يؤول إلى معنى ﴿فَرَّقُواْ﴾ ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله، فخرجوا عنه ولم يتبعوه، وعلى هذه[7] القراءة إن تأولنا الآية في المشركين كما قال ابن

---

(١) لفظ: (ببعض) ساقط من (ش).

(٢) لفظ: (وتكفرون ببعض) ساقط من (ش).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨ بدون نسبة.

(٤) هذا نص كلام أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٣٨.

(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ٥٩٩.

(٦) قرأ حمزة والكسائي: (فارقوا) بالألف مع تخفيف الراء، وقرأ الباقون: (فرقوا) بغير ألف مع تشديد الراء. انظر: السبعة ص٢٧٤، و«المبسوط» ص١٧٧، و«التذكرة» ٢/ ٤١٣، و«التيسير» ص١٠٨، و«النشر» ٢/ ٢٦٦.

(٧) هذا نص كلام أبي علي في الحجة ٣/ ٤٣٨، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٦، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٣، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٢، ولابن زنجلة ٢٧٨، و«الكشف» ١/ ٤٥٨.

عباس[(١)] ﷺ، فالدين [الذي][(٢)] فارقه المشركون التوحيد الذي نصب لهم عليه أدلته؛ لأن المشركين لم يكونوا أهل كتاب، ولا ممسكين بشريعة ثم تركوها حتى يقال: (فارقوا دينهم) ولكن إضافة الدين إليهم كإضافته إلى اليهود على ما بينا، ومثل هذا قوله: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] أي: دينهم الذي دعوا إليه وشرع لهم، ألا ترى أنهم لا يلبسون عليهم دينهم الذي هو الإشراك.

وقال مجاهد فيما روى عنه ليث[(٣)]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ (هم من هذه الأمة)[(٤)].

وكذلك روي عن طاووس[(٥)] وعائشة[(٦)] وعن أبي هريرة[(٧)] روي مرفوعًا[(٨)]: أنهم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة، ذلك أنهم أبدعوا في الدين، وخالفوا الجماعة العظمى، وصاروا شيعًا مختلفين.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.
(٢) لفظ: (الذي) ساقط من (ش).
(٣) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم، أبو بكر الكوفي، تقدمت ترجمته.
(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٢٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٧، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في «حاشية الطبري».
(٨) المرفوع جاء من ثلاثة طرق:
الأول: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «يا عائشة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، ليست لهم توبة. يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة =

قال أبو إسحاق: (وفي هذه الآية حث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع)[١]. وقوله تعالى:

= غير أصحاب البدع والأهواء ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء» اهـ. أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٣٠، والطبراني في «الصغير» ١/ ٢٠٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٧، وذكر السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٧، وزاد نسبته إلى: (الحكيم الترمذي وأبي الشيخ وأبي نعيم في «الحلية» وابن مردويه وأبي نصر السجزي في الإبانة والبيهقي في «شعب الإيمان». وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢١٩، وقال: (رواه ابن مردويه وهو غريب ولا يصح رفعه) ا.هـ. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٢، وقال: (رواه الطبراني في الصغير وإسناد جيد) ا.هـ. وقال في ١/ ١٨٨: (رواه الطبراني في الصغير، وفيه بقية بن الوليد ومجالد بن سعيد، وكلاهما ضعيف). وقال الحافظ في «التقريب» ١/ ١٠٥: (بقية صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، علق له البخاري، وروي له الباقون).
الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: (**هم أهل البدع، وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة**» اهـ. أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٧، وزاد نسبته إلى: (الحكيم الترمذي والطبراني والشيرازي في الألقاب وابن مردويه)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢١٩، وقال: (رواه ابن جرير، وإسناده لا يصح، فيه عباد بن كثير، متروك الحديث) ا.هـ. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٢-٢٣ وقال: (رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير معلل بن نفيل، وهو ثقة) ا.هـ.
الثالث: عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن الرسول ﷺ في قوله ﷻ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ قال: **هم الخوارج**» اهـ. أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٢٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٧، وزاد نسبته إلى: (النحاس وابن مردويه). وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢١٩، والشوكاني ٢/ ٢٦٠، وقالا: (لا يصح رفعه) اهـ.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٠٨، وذكر مثله السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٢٧، وانظر «تفسير» ابن عطية ٥/ ٤١٠، والقرطبي ٧/ ١٤٩.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال الكلبي: (لست من قتالهم [في شيء])[(١)]، وقال السدي: (يقول: لم تؤمر بقتالهم، فلما أمر بقتالهم نسخ هذا)[(٢)]، كذلك قال ابن عباس[(٣)] ومجاهد[(٤)] والكلبي والسدي: إن قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ منسوخ، نسخه السيف في سورة براءة[(٥)].

قال ابن الأنباري: (معنى[(٦)] ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[(٧)] أنت منهم بريء، وهم منك برآء[(٨)] لم تلتبس بشيء من مذاهبهم، والعرب تقول: إن كلمت فلانًا فلست منك ولست مني، يريدون: كل واحد منا بريئ من صحبه. قال النابغة:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي[(٩)]

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٧.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣١ بسند جيد.
(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٥٦ بسند ضعيف.
(٤) لم أقف عليه، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٦٦، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٢٧.
(٥) آية السيف في أصح الأقوال هي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٥] انظر: النسخ في القرآن الكريم للدكتور/ مصطفى زيد ٢/ ٥٠٤ .
(٦) في (أ): (يعني).
(٧) لفظ: (في شيء) ساقط من (ش).
(٨) في (ش): (وهم منك براء، وتأويلهم لم تلتبس بشيء من مذاهبهم).
(٩) ديوان النابغة الذبياني ص١٢٧، و«الكتاب» ٤/ ١٨٦، و«تفسير الماوردي» ٢/ ١٩٣، والقرطبي ٧/ ١٥٠، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٦٠، و«الدر المصون» ٥/ ٢٣٦-٢٣٧، والفجور بالضم: الريبة والكذب، والشاعر يريد نقض الحلف، انظر: «اللسان» ٧/ ٣٣٥٢ (فجر).

وقال النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»[(١)] معناه[(٢)]: فنحن منه برآء)[(٣)].

١٦٠- قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال ابن عباس[(٤)]: وقتادة[(٥)] والسدي[(٦)] ومجاهد[(٧)] والضحاك: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٠، والدرامي ٣/ ١٦٥٥ (٢٥٨٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٦٤)، وأبو داود (٣٤٥٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤-٢٢٢٥)، والترمذي (١٣١٥)، وقال: (حديث حسن صحيح)؛ كلهم في السنن كتاب البيوع، باب النهي عن الغش، ومسلم في باب الإيمان باب قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا»، وابن ماجه في كتاب التجارات باب النهي عن الغش.

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٣٦٩: (الغش: ضد النصح من الغشش، وهو المشرب الكدر، وقوله: «ليس منا» أي: ليس من أخلاقنا ولا على سنتنا) اهـ.

(٣) لم أقف عليه عن ابن الأنباري، وعلى هذا القول تكون الآية محكمة غير منسوخة، وهو الظاهر، لأنها خبر، والمعنى: أنت بريء منهم، وهم منك براء، وليس إليك شيء من أمرهم، وإنما أمرهم إلى الله ﷻ، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٦، ١٠٧، والنحاس في ناسخه ٢/ ٣٥٦، ومكي في «الإيضاح» ص٢٤٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤١١، والرازي ١٤/ ٨، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم ص٣٨، ولابن العربي ٢/ ٢١٣، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٣٧، و«النسخ في القرآن الكريم» لمصطفى زيد ١/ ٤٤١.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١١٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٣١ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال بعده: (وروي عن ابن عباس وأبي هريرة وعلي بن حسين وسعيد بن جبير والحسن، وعطاء ومجاهد وأبي صالح ذكوان ومحمد بن كعب القرظي والنخعي والضحاك والزهري وعكرمة وزيد بن أسلم وقتادة نحو ذلك) اهـ.

(٦) لم أقف عليه، وقد رواه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٨، ١٠٩ من طرق عن جماعة من السلف رضي الله عنهم.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٠٩ بسند لا بأس به عن مجاهد والضحاك.

(يريد: شهادة أن لا إله إلا الله)، وقال عطاء عن ابن عباس: (يريد: من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات)(١)، وحذفت الهاء من ﴿عَشْرُ﴾، والأمثال جمع: مثل(٢)، والمثل مذكر؛ لأنه أريد: عشر حسنات أمثالها، ثم حذفت الحسنات وأقيمت الأمثال التي هي صفتها مقامها، وحذف الموصول كثير في الكلام، يقوي هذا قراءة من قرأ ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ بالتنوين والرفع(٣)، وقال أبو علي: (اجتمع ها هنا أمران، كل واحدٍ منهما يوجب التأنيث، فلما اجتمعا قوي التأنيث، أحدهما: أن الأمثال في المعنى حسنات، فجاز التأنيث، كقوله(٤):

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٨، وابن الجوزي في تفسيره ٣/ ١٥٩ .

(٢) المثل: بكسر فسكون كلمة تسوية ويقال: مثل بالفتح، ويراد به الشبه، والصفة، والشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله، انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٣٣ (مثل).

(٣) قرأ يعقوب الحضرمي والحسن والأعمش وغيرهم: (عشر) بالتنوين (وأمثالُها) برفع اللام، صفة لعشر، أي: فله عشر حسنات أمثال تلك الحسنة، وقرأ الجمهور: (عشر) بغير تنوين، (أمثالِها) بالخفض على الإضافة، انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١١٠، وإعراب النحاس» ١/ ٥٩٥، و«مختصر الشواذ» ص ٤١، تفسير السمرقندي ١/ ٥٢٧، والمشكل ١/ ٢٧٨، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٦١، و«النشر» ٢/ ٢٦٦- ٢٦٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٢٠.

(٤) الشاهد لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص١٢٦، والكتاب ٣/ ٥٦٦، و«الكامل» للمبرد ٢/ ٢٥١، و«الخصائص» ٢/ ٤١٧، و«المخصص» ١٧/ ١١٧ وصدره:

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي

والكاعب، بالكسر: التي نهد ثديها، انظر: «اللسان» ٧/ ٣٨٨٨ (كعب)، والمعصر، بضم فسكون وكسر الصاد: التي بلغت عصر شبابها، انظر: «اللسان» ٥/ ٢٩٦٩ (عصر) والمجن: الترس، والشاهد: معاملة شخوص معاملة المؤنث؛ لأنه أراد النساء.

ثَـلاثُ شُـخُـوصٍ كـاعِـبَـاتٍ[١] ومُـعْـصِـرُ

فأراد بالشخوص: نساء[٢]، والآخر: أن المضاف إلى المؤنث قد يؤنث وإن كان مذكرًا كقول من قرأ[٣]: (تلتقطه بعض السيارة) [يوسف: ١٠][٤] والأمثال يراد: بها حسنات أمثالها من جهة المجانسة تثبت[٥] لصاحبها، ثم الجزاء يقع لصاحبها على تلك العشر، وليس في الآية ذكر الجزاء بالحسنة، إنما ذكر أن لصاحب الحسنة الواحدة عشر حسنات[٦].

[و][٧] قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ قال ابن عباس: (يريد: الخطيئة، قال: وهذا للمؤمنين)[٨] ومعنى: ﴿إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ إلا جزاء مثلها، يوازيها ويماثلها، لا يكون أكثر منها، وروى أبو ذر (أن

---

(١) هكذا في النسخ: (كاعبات)، ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي المراجع: (كاعبان) بالنون.

(٢) في (ش): (نسبًا)، وهو تحريف.

(٣) قراءة العامة: (يلتقطه بعض السيارة) بالياء، وقرأ مجاهد والحسن وقتادة: (تلتقطه) بالتاء لتأنيث المعنى ولإضافته إلى مؤنث. انظر: «إعراب النحاس» ٢/ ١٢٦، و«مختصر الشواذ» ص٦٧، و«الدر المصون» ٦/ ٤٤٧، و«الإتحاف» ص٢٦٢.

(٤) «التكملة» لأبي علي ص٢٧٠، وانظر: تفصيل ذلك في الكتاب ٣/ ٥٦١-٥٦٧، ومعاني الأخفش ٢/ ٢٩١، والفراء ١/ ٣٦٦- ٣٦٧، والزجاج ٢/ ٣٠٩، و«تفسير الطبري» ٨/ ١١٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٥.

(٥) في (ش): (يثبت) بالياء.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٠، و«تفسير القرطبي» ٧/ ١٥١.

(٧) لفظ: «الواو» ساقط من (ش).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٤٨، والراجح أن المراد بالحسنة والسيئة العموم، وأصل الحسنات التوحيد، وأسوأ السيئات الشرك، وهو اختيار ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤١٢، والرازي ١٤/ ٨، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٢٢٠ .

النبي ﷺ قال: «إن[(١)] الله تعالى قال: **الحسنة عشر، أو أزيد، والسيئة واحدة أو أغفر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**يقول الله: إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، وإن لم يعملها، فإن عملها فعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فسيئة**»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: (لا ينقص ثواب أعمالهم)[(٤)].

---

(١) لفظ: (إن الله تعالى قال) ساقط من (ش).

(٢) في الباب أحاديث كثيرة ثابتة في الصحاح والسنن. انظر: «صحيح مسلم» رقم ٢٠٣-٢٠٨، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٢٢٠، ٢٢١، و«الدر المنثور» ٣/ ١١٩، ١٢٠، والأقراب إلى نص الواحدي هو ما أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٨٠، ومسلم (٢٦٨٧)، و«الحاكم في المستدرك» ٤/ ٢٤١ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ: الحسنة عشرًا أو أزيد، والسيئة واحدة أو أغفرها..**) الحديث. ولفظ: (فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٧ أ، والقرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٥١ .

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» رقم (٢٠٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: **قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرًا**» ا.هـ. وأخرج مسلم رقم (٢٠٧)، والبخاري ٧/ ١٨٧ كتاب الرقاق- باب من هم بحسنة أو سيئة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**) اهـ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٠، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٧٧ نحوه.

١٦١- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ قال أبو إسحاق: (أما نصب ﴿دِينًا﴾ فمحمول على المعنى؛ لأنه لما قال: ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دل على عرفني، فكأنه قال: عرفني ﴿دِينًا﴾ قال: ويجوز أن يكون على البدل من معنى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأن معناه: هداني صراطًا مستقيمًا دينا، كما قال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢])[1].

وقوله تعالى: ﴿قِيَمًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: مستقيمًا)[2] ونحو ذلك قال الأخفش[3] والزجاج[4] في القيم، وهو من باب الميت[5] والصيب ونحوه، وقرأ أهل[6] الكوفة ﴿قِيَمًا﴾ مكسورة القاف خفيفة الياء. قال الزجاج: (وهو مصدر كالصغر[7] والكبر والحول والشيع). قال أبو علي: (وكان القياس أن يصحح فيه الواو كالعوض والحول، ولكنه شذ عن

---

(١) انظر: معاني الزجاج ٢/ ٣١١، وإعراب النحاس ١/ ٥٩٦، والحجة لأبي علي ٣/ ٤٤٠، والمشكل ١/ ٢٧٩، والدر المصون ٥/ ٢٣٨.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥١.

(٣) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٢.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٠، وهو قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١١، والنحاس في «معانيه» ٢/ ٥٢٥.

(٥) يريد قيم وزنه فَيْعِل وأصله قَيْوِم، اجتمعت الياء والواو، والأولى ساكنة، فقلبت الواو ياء وأدغمت ثم خفف اللفظ إلى قِيَم بكسر القاف وفتح الياء، ومثله مَيِّت وصَيِّب وسَيِّد ونحوه. انظر: اللسان ٦/ ٣٧٨٥ (قوم).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: (قَيِّما) بفتح القاف وكسر الياء مشددة، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة. انظر: السبعة ص٢٧٤، والمبسوط ص١٧٧، والتذكرة ٢/ ٤١٤، والتيسير ص١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٧.

(٧) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٠- ٣١١، والنص فيه: (مصدر كالصغر والكبر) فقط، ولفظ: (شيع) من «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٣٩، وانظر: «العضديات» ص١٢٢.

القياس نحو ثيرة[(١)] وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو[(٢)]، كما قالوا: طويل وطوال)[(٣)] وهذا مما ذكرناه مستقصى[(٤)] في أول سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ﴿مِلَّةِ﴾ بدل عن ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ و﴿حَنِيفًا﴾ منصوب على الحال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ والمعنى: هداني وعرفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته، وهو هاهنا لإبراهيم أحسن منه لغيره لقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ قاله[(٥)] أبو إسحاق[(٦)].

١٦٢- وقوله[(٧)] تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾. قال أهل اللغة[(٨)]:

---

(١) ثيرة، بكسر الثاء وفتح الياء: جمع ثور ذكر البقر، قلبوا الواو ياء. انظر: «اللسان» ١/ ٥٢٢ (ثور).

(٢) قال مكي في «المشكل» ١/ ٢٧٩: (من قرأ (قيما) مشدد فأصله قيوم على فَيْعِل، ثم أبدل من الواو ياء، ثم أدغم، ومن خففه بناه على فعل، وكان أصله أن يأتي بالواو فيقول: قوما، كما قالوا: عوض وحول، ولكنه شذ عن القياس) اهـ.

(٣) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٤٣٩- ٤٤٠. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٢، ولابن زنجلة ص٢٧٩، و«الكشف» ١/ ٤٥٩.

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٢٢٩ أ.

(٥) في (ش): (قال)، وهو تحريف.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١١، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٦، و«المشكل» ١/ ٢٧٩.

(٧) وقع في نسخة: (ش) اضطراب في ترتيب الأوراق، فجاء الكلام على هذه الآيات في ١٤٦ ب.

(٨) النُّسْك، بضم فسكون: العبادة، والطاعة، وكل ما تقرب به إلى الله تعالى، واختص بأعمال الحج. والنُّسُك -بالضم- والنسيكة: الذبيحة وانظر: «العين» ٥/ ٤١٣، و«الجمهرة» ٢/ ٨٥٦، و«الصحاح» ٤/ ١٦١٢، و«المجمل» ٣/ ٨٦٥، و«المفردات» ص٨٠٢، و«اللسان» ٧/ ٤٤١٢ (نسك)، ونص الواحدي في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢، وفيه: (النسك، بضم فسكون: الذبيحة) اهـ.

(النسك: العبادة من كل نوع، والنسك الذبيحة بعينها، تقول: من فعل كذا فعليه نسك، أي: دم يهريقه). وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: (النسك: سبائك الفضة، كل سبيكة منها نسيكة، وقيل للمتعبد: ناسِك لأنه يخلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث)(١). وذكرنا طرفا من هذا(٢) عند قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨].

قال ابن عباس: ﴿وَنُسُكِي﴾ (يريد: ذبيحتي)(٣)، [وقال مقاتل: (نسكي: حجي)(٤). وقال مجاهد: (ذبيحتي]ـ(٥) في الحج والعمرة)(٦). وقال الزجاج: (النسك كل ما تقربت به إلى الله ﷻ إلا أن الغالب عليه أمر الذبح)(٧).

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢.

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٨٧ أ.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥١، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٦١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٢.

(٤) لعل المراد مقاتل بن حيان، فقد أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٣٤ بسند جيد عنه، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥١، وفي «تفسير مقاتل بن سليمان» ١/ ٩٠٠ قال: (يعني: ذبيحتي) اهـ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ش).

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٩، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٤ بسند جيد.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥١، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٦١، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٣١١: (النسك: الذبح، والنسك: ما يتقرب به إلى الله جل وعز) ا.هـ. وانظر: «معاني النحاس» ٢/ ٥٢٥- ٥٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي وموتي لله، أي: هو يحييني وهو يميتني، وقرأ نافع ﴿ومَحْيايْ﴾(١) ساكنة الياء، ونصبها في ﴿ومَمَاتيَ﴾، وإسكان الياء في ﴿وَمَحْيَايْ﴾ شاذ غير مستعمل، لأن فيه جمعًا بين ساكنين لا يلتقيان على هذا الحدّ في نثر ولا نظمٍ(٢).

قال الزجاج: (أما ﴿وَمَحْيَايَ﴾ فلا بد من فتحها لأن قبلها ساكنا)(٣) ووجه هذه القراءة ما حكى بعض البغداديين: (أنه سمع: التقت حلقتا

(١) قرأ نافع: (مَحْيايْ) بسكون ياء المتكلم، (ومَماتِيَ) بفتح الياء، وقرأ الباقون: (مَحْيَايَ) بفتح الياء و(مَمَاتِي) ساكنة الياء. انظر: «السبعة» ص٢٧٤-٢٧٥، و«المبسوط» ص١٧٧، و«التذكرة» ٢/ ٤١٥، و«التيسير» ص١٠٨-١٠٩، و«النشر» ٢/ ١٧٢- ١٧٣.

(٢) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٤٠-٤٤١، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٩٩. وتسكين الياء له عدة توجيهات، فيحتمل أنه عدل بها عن أصلها استثقالًا للحركة عليها؛ لأن الياء حرف ثقيل فإذا حُرك ازداد ثقلا إلى ثقله، أو أجرى الوصل فيه مجرى الوقف، قال ابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٧٤: (وإنما صلح الجمع بين ساكنين؛ لأن الألف حرف لين) ا.هـ. وقال مكي في «المشكل» ١/ ٢٧٩: (حق الياء الفتح، لكن الحركة في الياء ثقيلة، فمن أسكنها فعلى الاستخفاف، لكنه جمع بين ساكنين، والجمع بين ساكنين جائز إذا كان الأول حرف مد ولين؛ لأن المد الذي فيه يقوم مقام حركة يستراح عليها فيفصل بين الساكنين) اهـ. وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٥٩٦: (قرأ أهل المدينة (ومحيايْ) بإسكان الياء في الإدراج، وهذا لم يجزه أحد من النحويين إلا يونس؛ لأنه جمع بين ساكنين، وإنما أجازه لأن قبله ألفًا، والألف المدة التي فيها تقوم مقام الحركة، ومن أراد أن يسلم من اللحن وقف على (محياي) فيكون غير لاحن عند جميع النحويين) ا.هـ. ملخصًا. وانظر: «الحجة» لابن خالويه ص٩٥، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٦٢.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١١.

البطان[١] بإسكان الألف مع سكون لام المعرفة)، حكى أيضًا: له[٢] ثلثا المال. ومثل هذا ما جوّزه يونس[٣] من قوله: (اضربان زيدًا واضربنان زيدًا)[٤]، وسيبويه[٥] ينكر هذا من قول يونس[٦]، قال الزجاج: (ومعنى الآية: أنه يخبر بأنه إنما يتوجه بالصلاة[٧] وسائر المناسك إلى الله ﷻ لا إلى غيره، كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم، فأعلم أنه لله وحده لا شريك له)[٨].

١٦٣- وقوله تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾. قال ابن عباس: (يقول: بذلك أوحى الله إلي. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال: يريد: أول من أسلم لله بقلبه ولسانه وجوارحه)[٩]. وقال قتادة: (﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة)[١٠]. وقال

---

(١) البطان، بالكسر: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير، وفيه حلقتان، فإذا التقتا فقد بلغ الشَّدُّ غايته، يضرب مثلًا في الحادثة إذا بلغت النهاية في الشدة والصعوبة. انظر: «الكامل للمبرد» ١/ ١٨، و«جمهرة الأمثال» ١/ ١٨٨، و«مجمع الأمثال» ٣/ ١٤٧، و«المستقصى» للزمخشري ١/ ٣٠٦.

(٢) لفظ: (له) مكرر في (ش).

(٣) يونس بن حبيب الضبي إمام، تقدمت ترجمته.

(٤) «الكتاب» ٣/ ٥٢٧، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٦.

(٥) قال في «الكتاب» ٣/ ٥٢٧: (هذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يدغم) اهـ.

(٦) ما سبق في توجيه القراءة هو قول أبي علي في «الحجة» ٣/ ٤٤٠ .

(٧) في: (ش): (إنما يتوجه الصلاة)، وهو تحريف.

(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١١، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٢٥- ٥٢٦ .

(٩) ذكر الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٢ عن ابن عباس قال: (بذلك أوحي إليّ) ا.هـ. ولم أقف عليه عند غيره.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٣، والطبري ٨/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٥ بسند جيد.

الكلبي: (أول من أطاع الله ﷻ من أهل زمانه)(١). وقال مقاتل: (أول المخلصين من أهل مكة)(٢).

١٦٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [قال ابن عباس: (يريد سيدًا وإلها وهو سيد كل أحد)(٣). وقال غيره: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾](٤) (من الأوثان أعبدها، وهو رب كل شيء)(٥). قال الزجاج: (أي: هو ابتدع الأشياء كلها، ولا يقدر أحد على ابتداع شيء واحدٍ منها)(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ أي: لا تجني نفس [ذنبًا](٧) إلا أخذت به، وكان أثمه على الجاني نفسه .﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [ذكرنا معنى الوزر(٨) عند قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: الوليد بن المغيرة، وكان يقول: اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم فقيل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾)](٩) أي: لا تؤخذ [كل](١٠) نفس آثمة بإثم أخرى، لا يؤخذ أحد بذنب غيره)(١١).

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٧ أ، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٢.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٢، وفي «تفسير مقاتل» ١/ ٦٠٠: (يعني: المخلصين من أهل مكة) اهـ.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٣، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٦٠٠، والطبري ٨/ ١١٣.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١١.

(٧) لفظ: (ذنبًا) ساقط من (ش).

(٨) انظر: «البسيط».

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(١٠) لفظ: (كل) ساقط من (أ).

(١١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٣- ١٥٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٢،=

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: إنك يا محمد تخاصمهم عندي يوم القيامة بما كذبوك)[١].

١٦٥- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. ذكرنا [ما][٢] في الخليفة في سورة البقرة.

قال المفسرون: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ﴾) يا أمة محمد ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ الأمم الماضية بأن أهلكهم[٣] وأورثكم الأرض بعدهم، فمحمد (خاتم الأنبياء، وأمته خلفوا سائر الأمم)[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [قال الكلبي: (فضائل في المعاش)[٥]، وقال مقاتل: (درجات)][٦] في الفضل والغنى)[٧]، وقال السدي: (في الرزق)[٨].

= والقرطبي ٧/ ١٥٧، و«الخازن» ٢/ ٢٠٨، وقال السيوطي في «الدر» ٣/ ١٢٣: (أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: (لا يؤخذ أحد بذنب غيره). وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٢.

(١) لم أقف عليه. وانظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٧٩.

(٢) لفظ: (ما) ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (أن أهلكتهم).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٦٠٠، و«معاني الفراء» ١/ ٣٦٧، و«تفسير الطبري» ٨/ ١١٤، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣١٢، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٢٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٢٩.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٧٩ وفيه: (فضائل بالمال والخدم) ا.هـ. وقال الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٤: (في المعاش والغنى والرزق. قال الكلبي ومقاتل والسدي) اهـ.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ٦٠٠- ٦٠١. وفيه: (يعني: الفضائل والرزق ..) اهـ.

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٦ بسند جيد.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ قال أبو إسحاق: (دل بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[1] أنه فضل بعض الناس على بعض في الرزق ليختبرهم فيما رزقهم، وهو جل وعز عالم [بما يكون][2] منهم قبل ذلك إلا أنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب)[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: لأعدائه بعد النبي ﷺ بهلاكهم وقتلهم .﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يريد: غفور لأوليائه رحيم بهم)[4].

وقال غيره[5]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ (أراد في الآخرة وجعله سريعًا؛ لأن كل ما هو آت قريب)؛ وهو معنى قول الزجاج[6].

---

(١) لفظ: «الواو» ساقط من (ش).

(٢) لفظ: (بما يكون) ساقط من (ش).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٢، وانظر: تفسير الطبري ٨/ ١١٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٢٧.

(٤) في «تنوير المقباس» ٢/ ٧٩ نحوه، وذكر البغوي «تفسيره» ٣/ ٢١٢ عن عطاء قال: (سريع العقاب لأعدائه، غفور لأوليائه رحيم بهم) اهـ. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١١٤.

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ١٩٧، واللفظ عام يشمل الدنيا والآخرة.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٢، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٢٧.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز سطام آل سعود أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء التاسع

الأعراف

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بسم الله الرحمن الرحيم

[تفسير][1] سورة الأعراف

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓصٓ﴾ قال أبو إسحاق: (الذي اخترنا[2] في تفسيرها قول ابن عباس[3]، ﷺ[4]: (إن معناها أنا الله أعلم، وأفضل)، وعلى هذا التفسير: هذه الحروف واقعة في موضع جُمل، والجمل[5] إذا كانت ابتداء وخبرًا فقط لا موضع لها. مثل قولك: أنا الله أعلم. لا موضع لها من الإعراب، إنما يرتفع بعض ذا ببعض؛ فالله يرتفع [بأنا][6]، و(أعلم) خبر مستأنف يراد به: وأنا أعلم[7]، وإذا كان معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا الله أعلم كان إعرابها كإعراب الشيء الذي هو تأويل لها)[8].

---

(١) لفظ: (تفسير) ساقط من (أ).

(٢) في (ب): (أخبرنا)، وهو تصحيف.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٧، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٢٣٢ عن ابن عباس قال: (أنا الله أفصل) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٢٥. وفي سنده عطاء بن السائب الثقفي، صدوق اختلط فساء حفظه- انظر «تهذيب التهذيب» ٣/ ١٠٣. والراجح أن الحروف المقطعة في أوائل السور حروف هجائية. ذكرت للدلالة على إعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ليكون عجزهم أبلغ في «الحجة» عليهم وهذا اختيار جماعة من المحققين انظر: «الكشاف» ١/ ٧٦، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٢٢٤، والشوكاني ٢/ ٢٧٣، والشنقيطي ٣/ ٣- ٧.

(٤) في (أ): (رحمه الله).

(٥) في (أ): و(الجملة).

(٦) في (ب): (يرتفع أنا).

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (ب)، ويريد أن قوله: «أعلم خبر بعد خبر». انظر «تفسير الرازي» ١٤/ ١٤، حيث نقل قول الواحدي.

(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٣-٣١٤

٢- قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، أجمع النحويون: على أن الكتاب مرفوع بمضمر قبله، المعنى: هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[١].

وأجاز الفراء أن يكون موضع هذه الحروف المعجمة رفعًا بما بعدها، و﴿كِتَٰبٌ﴾ مرتفع بها كالمبتدأ والخبر، والمعنى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ حروف ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، وأطال الكلام في بيان هذا[٢]، ثم أنكر الزجاج[٣] عليه هذا القول، وطال الخطب بينهما، وإذا رجعت إلى كتابيهما عرفت ما أقول.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ٢].

قال ابن عباس[٤] وأبو العالية: (ضيق)[٥].

قال أبو إسحاق:

(معناه: لا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن؛ وذلك أنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**أي رب إني أخاف أن يثلغوا[٦] رأسي**»[٧]، فأعلم الله ﷻ

(١) هذا نص كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣١٤، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٣ «إعراب النحاس» ١/ ٩٨، و«المشكل» ١/ ٢٨١.

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢١٣-٢١٤ «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٨.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٦، وأخرج ابن حسنون في «اللغات» ص٢٣-٢٥، والوزان ٣ ب عن ابن عباس قال: (حرج: ضيق بلغة قيس عيلان، وشك بلغة قريش).

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٧ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٣.

(٦) في (ب): (تبلغوا)، وهو تحريف -والثلغ: الشدخ وضرب الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشدخ. انظر «النهاية» ١/ ٢٢٠.

(٧) هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد في «المسند» ٤/ ١٦٢، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله (قال =

أنه في أمان منهم، فقال: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: فلا يضيقن صدرك من تأدية ما أرسلت به)[١].

وقال الفراء: (لا يضيق صدرك بالقرآن بأن يكذبوك)[٢]. وقال مجاهد[٣] ومقاتل[٤]: (فلا يكن في قلبك شك[٥] في القرآن أنه من الله).

وقال أبو إسحاق: (وتأويل هذا، وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، وقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ الآية [يونس: ٩٤] أن ما خوطب به النبي ﷺ فهو خطاب لأمته فكأنه بمنزلة: فلا تشكوا ولا ترتابوا)[٦].

قال ابن قتيبة: (وأصل الحرج الضيق، والشك في الشيء يضيق صدره؛ لأنه لا يعلم حقيقته فسمي الشك حرجا)[٧] وأما اشتقاق هذا الحرف فقد ذكرناه في سورة الأنعام [١٢٥].

= ذات يوم في خطبته: «إن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت: رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة..». الحديث. ومعنى يثلغوا رأسي، أي: يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي: يكسر. أفاده الإمام النووي رحمه الله تعالى في «شرح مسلم» ١٧/ ٢٨٩.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٥، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٧-٨.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٠.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣١، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٨ بسند جيد.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٢٩.

(٥) في (أ): (شيء)، وهو تحريف.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٥، ومثله في «معاني النحاس» ٢/ ٧-٨. والراجح أن المراد بالحرج في الآية الضيق لأن ذلك هو الغالب من معناه في كلام العرب وهو اختيار أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٠، والطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٦، وابن عطية ٥/ ٤٢٣، وأبي حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٦.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٦.

وقوله: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾. قال الفراء: (اللام في ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بقوله ﴿أُنزِلَ﴾ على التقديم والتأخير، على تقدير ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لتنذر به ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾)[1].

وقال ابن الأنباري: (ويجوز أن تكون اللام صلة للكون[2] على معنى: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ﴾ شيء[3] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾، كما يقول الرجل من العرب للرجل: لا تكن ظالما ليقضي[4] صاحبك دينه، فتحمل[5] لام كي على الكون)[6].

قال صاحب النظم[7]: (وفيه وجه آخر: وهو أن تكون[8] اللام بمعنى أن، والمعنى[9]: لا يضيق صدرك ولا يضعف عن أن تنذر به، والعرب تضع هذه اللام في موضع (أن) كقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾ [التوبة:

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٠، وانظر: «معاني الزجاج ٢/ ٣١٥، و«تفسير الطبري» ٨/ ١١٧، و«معاني النحاس» ٣/ ٨.

(٢) في (ب): (ليكون).

(٣) في (ب): (شك).

(٤) في (أ): (لتقضى) بالتاء.

(٥) في (أ): (فيحمل) بالياء.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٦، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٦، ونقله السمين في «الدر» ٥/ ٢٤٢-٢٤٣ عن الواحدي عن ابن الأنباري، وانظر: كلام ابن الأنباري على مادة حرج في «الزاهر» ١/ ٢٣٦، و«المذكر والمؤنث» ١/ ٢٥٨، و«شرح القصائد» ص ٣٢١، ص ٥٨٠، و«إيضاح الوقف والابتداء» ٢/ ٦٥٠.

(٧) صاحب «النظم»، أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني. تقدمت ترجمته، وكتابه «نظم القرآن» مفقود.

(٨) في (أ): (يكون) بالياء.

(٩) في (ب): (فالمعنى).

٣٢] وفي موضع آخر ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ [الصف: ٨] وهما جميعًا بمعنى واحد)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ومواعظ للمصدقين)[٢]. قال الزجاج: (هو اسم في موضع المصدر وفيه ألف التأنيث بمنزلة دعوت دعوى، ورجعت رجعى، واتقيت تقوى)[٣].

وقال الليث: (الذكرى اسم للتذكرة)[٤] والتفعلة مصدر كالتفعيل نحو قوله تعالى ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ [ق: ٨].

وأما محل ﴿ذِكْرَىٰ﴾ من الإعراب، فقال الفراء: (يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ وتذكر، قال: ويجوز أن يكون رفعًا بالرد على الكتاب كأنك قلت: كتاب حق وذكرى[٥].

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٦، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٦، ونقله السمين في «الدر» ٥/ ٢٤٢- ٢٤٤، وقال: (هذا قول ساقط جدًّا؛ كيف يكون حرف يختص بالأفعال يقع موقع آخر مختص بالأسماء. ونقل الشيخ أبو حيان في «البحر» عن ابن الأنباري وصاحب النظم: أن اللام متعلقة بما تعلق به خبر الكون إذ التقدير: فلا يكن حرج مستقرًا في صدرك لأجل الإنذار، والذي نقله الواحدي عن نص ابن الأنباري في ذلك أن اللام متعلقة بالكون وعن صاحب النظم أن اللام بمعنى أن، فيجوز أن يكون لهما كلامان) اهـ ملخصًا. وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٩، و«البيان» ١/ ٣٥٣، و«التبيان» ص٣٦٧، و«الفريد» ٢/ ٢٦٦.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٦ بدون نسبة. وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٨٠ نحوه.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٦.

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٨٦، وانظر: «العين» ٥/ ٣٤٦، وأصل الذكر بالكسر حفظ الشيء وجري الشيء على اللسان، والذكر والذكرى بالكسر ضد النسيان، انظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٩٤، و«الصحاح» ٢/ ٦٦٤، و«المجمل» ٢/ ٣٦٠، و«المفردات» ص٣٢٨، و«اللسان» ٣/ ١٥٠٧. (ذكر).

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٠.

وقال الزجاج: (ويجوز على أن يكون وهو ﴿ذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: ويجوز أن يكون خفضًا؛ لأن معنى ﴿لِتُنذِرَ﴾: لأنْ تنذر فهو في موضع خفض؛ لأن المعنى للإنذار والذكرى)(١).

٣- وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال الحسن: (يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد ﷺ(٢)؛ والله ما نزلت آية إلا ويجب أن تعلم فيما أنزلت وما معناها)(٣). ونحو هذا قال الزجاج: (أي: اتبعوا القرآن وما أتى به النبي ﷺ فإنه مما أنزل عليه؛ لقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٤) [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: لا تتخذوا غيره أولياء، ﴿قَلِيلًا﴾ يا معشر المشركين ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يريد: ما تتعظون)(٥). وهذا من قول ابن عباس يدل على أن الآية خطاب

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٥- ٣١٦، وعلى هذا فيه ثلاثة أوجه: الرفع: عطفًا على كتاب أو على إضمار مبتدأ، والنصب: على المصدر أي وتذكر ذكرى أو على العطف على موضع (لتنذر). والجر على العطف على المصدر المنسبك في أن المقدرة بعد لام كي أي: للإنذار والتذكير أو على الضمير في (به) وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٩، و«المشكل» ١/ ٢٨١، و«البيان» ١/ ٣٥٣، و«التبيان» ص٣٦٧، و«الفريد» ٢/ ٢٦٦، و«الدر المصون» ٥/ ٢٤٤.

(٢) في (أ): (صلى الله عليه).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٦، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٨، و«الخازن» ٢/ ٢٠٩.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٦، ونحوه ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٧، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٨-٩ والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٠.

(٥) في «تنوير المقباس» ٢/ ٨١ نحوه دون لفظ (المشركين).

للمشركين[١]، و﴿تذكرون﴾ أصله تتذكرون فأدغم تاء تتفعل في الذال لأن التاء مهموسة والذال مجهورة[٢]، والمجهور أزيد صوتًا من المهموس فحسن إدغام الأنقص في الأزيد، و﴿مَا﴾ موصولة بالفعل وهي معه بمنزلة المصدر، والمعنى: قليلًا[٣] تذكركم، وقرأ حمزة[٤] والكسائي وحفص[٥] خفيفة الذال شديدة الكاف حذفوا التاء التي أدغمها الأولون وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة ويقوى ذلك قولهم: اسطاع[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١١٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣١٦، والنحاس ٣/ ٩.

(٢) الهمس: الخفاء، وهو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه. وضده الجهر وهو الظهور والإعلان والمراد به انحباس النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٦٠، و«غاية المريد» لعطية نصر ص١٣٩.

(٣) في (ب): قليلًا ما تذكركم. والنص من «الحجة» ٤/ ٥-٧، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٢٤٦.

(٤) قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم -﴿قيلا ما تذكرون﴾ بالتاء خفيفة الذال مشددة الكاف، وقرأ الباقون (تذكرون﴾ بالتاء مشددة الذال والكاف. وقرأ ابن عامر: (قليلا ما يتذكرون﴾ بياء وتاء، وتخفيف الذال وتشديد الكاف، وقد روي عنه بتاءين (تتذكرون). انظر: «السبعة» ص٢٧٨، و«المبسوط» ص٢٧٩، و«التذكرة» ٢/ ٤١٧، و«التيسير» ص١٠٩، والنشر ٢/ ٢٦٧.

(٥) حفص عن عاصم، وحفص هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، أبو عمر الكوفي، صاحب عاصم، إمام في القراءة ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، فهو متروك الحديث مع إمامته في القراءة، توفي سنة ١٨٠هـ وله تسعون سنة. انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ١٧٣، و«معرفة القراء» ١/ ١٤٠، و«غاية النهاية» ١/ ١٥٤، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٥٠، و«تقريب التهذيب» ص١٧٢ (١٤٠٥).

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٦-٣١٧، و«إعراب النحاس» ١/ ٥٩٩، و«المشكل» ١/ ٢٨١، وقد جاء في سورة الكهف [الآية: ٩٧] قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾. قرأ حمزة بتشديد الطاء، والباقون بالتخفيف. انظر: «السبعة» ص٤٠١، و«الحجة» لأبي علي ٥/ ١٧٩.

وقرأ ابن عامر ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ بياء[١] وتاء ووجهه[٢] أن هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم)[٣] أي: قليلًا ما يتذكر هؤلاء الذين[٤] ذكروا بهذا الخطاب[٥].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ الآية.

قال أبو إسحاق: (موضع ﴿كَمْ﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ قال: وهو أحسن من أن يكون في موضع نصب؛ لأن قولك: (زيد ضربته) أجود من (زيدًا ضربته) والنصب جيد عربي أيضًا كقوله[٦]: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩][٧]).

وقال أهل العربية[٨] والمعاني: (الآية من حذف[٩] المضاف لأن

(١) هنا وقع اضطراب في نسخة (ب) فوقع الكلام على هذه الآيات في ١٤٠ ب.
(٢) في (ب): (ووجه)، وهو تحريف.
(٣) في (أ): (عليه السلام).
(٤) لفظ: (الذين) ساقط من (ب).
(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٤/ ٥-٦. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٠، و«الحجة» لابن زنجله ص٢٧٩، و«الكشف» ١/ ٤٦٠.
(٦) والنصب في هذه الآية أجود، وهي القراءة المشهورة التي عليها الجماعة لأن الفائدة فيه أثر من فائدة الرفع لأن التقدير: خلقنا كل شيء بقدر فيدل على العموم واشتمال الخلق على جميع الأشياء. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٥٩٩، و«المشكل» ٢/ ٧٠١- ٧٠٣، «البيان» ٢/ ٤٠٦.
(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٨. وانظر: «إعراب النحاس» ٢/ ١١٤، و«المشكل» ١/ ٢٨١-٢٨٢. والنصب على الاشتغال بإضمار فعل يفسره ما بعده ويقدر الفعل متأخرا عن كم لأن لها صدر الكلام والتقدير: وكم من قرية أهلكنا. انظر: «الدر المصون» ٥/ ٢٤٨.
(٨) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣١.
(٩) الظاهر عدم الحذف لعدم الحاجة إليه؛ لأن إهلاك القرية يمكن أن يقع عليها =

التقدير: وكم من أهل قرية، يدل على هذا قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[1] فعاد بالكلام [إلى][2] أهل القرية).

وقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ قال الفراء: (يقال: إنما أتاها البأس[3] من قبل الإهلاك، فكيف تقدم الهلاك؟ قيل: إن الهلاك والبأس يقعانْ معًا كما تقول: أعطيتني فأحسنت، فلم يكن الإحسان قبل الإعطاء ولا بعده، إنما وقعا معًا)[4].

وقال غيره[5]: (هذا على مذهب الإرادة، والتقدير: وكم من قرية أردنا إهلاكها[6] ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة: ٦] . ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[7]) [النحل: ٩٨].

= نفسها ولأن القرية لا تسمى بذلك إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم ففي إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها.

أفاده الطبري في «تفسيره» ٨/١١٨. وقال: (هذا أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو) اهـ. وهو اختيار الزمخشري في الكشف ١/٦٧، وأبو حيان في «البحر» ٤/٢٦٨، والسمين في «الدر» ٥/٢٤٨.

(١) في (ب): (هم قائلون).

(٢) لفظ: (إلى) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (الناس)، وهو تصحيف.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٧١.

(٥) هذا قول مكي في «المشكل» ١/ ٢٨٢ وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢٤٨: (والجمهور أجابوا عن ذلك بوجهين أحدهما: أنه على حذف الإرادة. والثاني: أن المعنى: أهلكناها أي: خذلناهم ولم نوِّفقهم فنشأ عن ذلك هلاكهم فعبر بالمسبب عن سببه وهو باب واسع) اهـ. وانظر: «تاريخ الطبري» ١٢/ ٣٠٠-٣٠١.

(٦) في (ب): (هلاكها).

(٧) في النسخ: (وإذا)، وهو تحريف.

ومعنى ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ يريد: جاءها عذابنا. قاله ابن عباس[(١)].

وقوله تعالى: ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلًا[(٢)]. قال الفراء: (يقال: بات الرجل وهو يبيت بيتًا، وربما قالوا: بياتا، قال: وسمي البيت بيتًا لأنه يبات فيه)[(٣)].

وقال الليث: (البيتوتة دخولك في الليل، قال: ومن قال: بات فلان إذا نام فقد أخطأ)[(٤)].

وقال ابن كيسان[(٥)]: (بات يجوز أن يجرى مجرى نام وأن يجرى

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٨١.

(٢) هذا قول الجمهور منهم أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٢١٠ وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١٧٦، والطبري في «تفسيره» ٨/ ١١٨، والزجاج في «معانيه» ٢/ ٣١٧، والسمرقندي ١/ ٥٣١، وقال الكرماني في غرائبه ١/ ٣٩٦: (المفسرون عن آخرهم فسروا ﴿بياتا﴾ ليلًا) اهـ. وقال السمين في الدر ٥/ ٢٥٠. (قال الواحدي ﴿بياتًا﴾ أي: ليلًا. وظاهر هذه العبارة أن يكون ظرفًا لولا أن يقال: أراد تفسير معنى) اهـ.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢١، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٠ عن الفراء قال: (باب الرجل إذا سهر الليل كله في طاعة أو معصية). قال الأزهري: (وقوله تعالى ﴿فجاءها بأسنا بياتًا﴾ أي: ليلًا، والبيت سمي بيتًا لأنه يبات فيه) اهـ. ولم أقف عليه في معاني الفراء.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٠، و«العين» ٨/ ١٣٨. وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم يقال للمسكن: بيت من غير اعتبار الليل فيه وجمعه بيوت وهي بالمساكن أخص وأبيات وهي لأبيات الشعر، والبيات والتبييت: قصد العدو ليلًا، والبيوت: ما يفعل بالليل، ويقال لكل فعل دبر فيه بالليل: بيت. انظر: «الجمهرة» ١/ ٢٥٧، و«الصحاح» ١/ ٢٤٤، و«المجمل» ١/ ١٣٩، و«المفردات» ص١٥١، و«اللسان» ١/ ٣٩٣، (بيت).

مجرى كان)[١].

وقال الزجاج: (يقال[٢]: بات بياتًا حسنًا وبيتة حسنة والمصدر من الأصل بات بيتًا وأصل تسمية البيت من أنه يصلح للمبيت)[٣].

وقد ذكر هذا الحرف[٤] في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ١٠٨] و﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾[٥]. قال الفراء: (وفيه واو مضمرة. المعنى: أهلكناها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ وَهُمْ قَآئِلُونَ﴾ فاستثقلوا[٦] نسقًا على أثر نسق، ولو قيل كان صوابًا).

قال ابن الأنباري: (أضمرت واو الحال لوضوح معناها؛ كما تقول العرب: لقيت عبد الله مسرعًا أو[٧] هو يركض، ولا يضرنك ظالمًا أو[٨] أنت مظلوم، يريدون (أو وأنت) فيحذفون الواو عند أمنهم اللبس؛ لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن (أو) حرف عطف والواو كذلك استثقلوا جمعًا بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني)[٩].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٠.

(٢) لفظ: (يقال) ساقط من (أ).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٧، وانظر «الزاهر» ١/ ٤٤٣.

(٤) انظر: «البسيط» نسخة جستربتي ٢/ ١٢ ب و ٢٢ ب.

(٥) في «معاني الفراء» ٤/ ٣٧٢: ﴿بَيَاتًا أو هُمْ قَائِلُون﴾.

(٦) لفظ: (فاستثقلوا) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (إذ هو)، وهو تحريف.

(٨) في (ب): (وأنت).

(٩) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٥٢.

قال: (و(أو) في هذا الموضع لا يوجب الشك، لكنها دخلت للتفصيل، والتفصيل يضارع الإباحة فيقول الرجل لصاحبه: لأكرمنك منصفًا لي أو ظالمًا، لم يحمل (أو) في هذا على شك بل يُعنى بها التفصيل)[١].

وقال الزجاج: (لا يحتاج[٢] إلى ضمير الواو كما تقول: جاءني[٣] زيد راجلًا أو هو فارس لم[٤] تحتج إلى واو؛ لأن الذكر قد عاد إلى الأول، قال: و(أو)[٥] هاهنا دخلت على جهة تصرف الشيء ووقوعه إما مرة كذا، وإما مرة كذا على تقدير: جاءهم بأسنا مرة ليلًا ومرة نهارًا فاعتبروا بهلاك من شئتم منهم)[٦].

قال الليث: (القيلولة نومة نصف النهار وهي القائلة)[٧]. قال الفراء: (قال الرجل يقيلُ قيلولةَ وقيلًا وقائلة ومقيلًا)[٨].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ب): (لا تحتاج) بالتاء.

(٣) جاء في النسخ: (كم جاءني)، ولعله تحريف.

(٤) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٧: (جاءني زيد راجلًا أو وهو فارس أو جاءني زيد وهو فارس) اهـ.

(٥) في (أ): (قال: الواو).

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٨، وقوله: على تقدير إلى آخره. لم يرد فيه.

(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٦١، وانظر: «العين» ٥/ ٢١٥ (قيل).

(٨) ذكره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٤، وفي «اللسان» ٦/ ٣٧٩٦ قيل: (قال الليث: القيلولة نوم نصف النهار وهي القائلة، قال: يقيل، وقد قال القوم: قيلًا وقائلة وقيلولة ومقالًا ومقيلًا الأخيرة عن سيبويه) اهـ.
انظر: «الكتاب» ٤/ ٨٩، و«الجمهرة» ٢/ ٩٧٧، و«الصحاح» ٥/ ١٨٠٨، و«المجمل» ٣/ ٧٣٩، و«المفردات» ص٦٩٠ (قبل).

وقال الأزهري: (القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم، والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها، والله تعالى يقول: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤])[١] ومعنى الآية: أنهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له؛ إما ليلًا وهم نائمون أو نهارًا وهم قائلون كأنهم غافلون[٢].

٥- قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قال أهل اللغة: (الدعوى[٣] اسم يقوم مقام الادعاء[٤] ومقام الدعاء)، حكى سيبويه: (اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين)[٥] وأنشدوا:

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ[٦]

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٦١ ولم يذكر الآية.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٨، و«معاني النحاس» ٣/ ٩.

(٣) الدعوى -بفتح الدال وسكون العين-، والادعاء -بكسر الدال وفتح العين-، والدعاء -بضم الدال وفتح العين-، انظر: «العين» ٢/ ٢٢١، و«الجمهرة» ٢/ ٦٦٦ و١٠٥٩، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٣٦، و«المجمل» ٢/ ٣٢٦، و«المفردات» ص٣١٦، و«اللسان» ٣/ ١٣٨٥ (دعا).

(٤) في (ب): (الإدغام)، وهو تحريف.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٨٨، وفي «الكتاب» ٤/ ٤٠، قال: (الدعوى ما ادعيت، وقال بعض العرب: اللهم أشركنا في دعوى المسلمين) اهـ.

(٦) الشاهد لكثير عزة في «ديوانه» ص٢٢٧، وبلا نسبة في «تفسير الطبري» ٨/ ١٢٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٦٧، و«تفسير الثعلبي» ١٨٧ ب، و«المخصص» ٥/ ٨٤، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٢٨، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩، و«اللسان» ٧/ ٤١٦٤ (مذل) «الدر المصون» ٥/ ٢٥٤، وفي «الديوان»:

إذا خدِرَتْ رجلي ذكرتكِ أشتفي بذكركِ من مذل بها فيهونُ

ومذلت رجله -بفتح الميم وكسر الذال أي: خدرت، انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٦٤ (مذل).

قال ابن عباس في معنى الآية: (فما كان تضرعهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فأقروا على أنفسهم بالشرك)[١] .

قال ابن الأنباري: (يريد: فما كان قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾ إلا الاعتراف بالظلم والإقرار بالإساءة)[٢]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾. الاختيار عند النحويين أن يكون موضع ﴿أَن﴾ رفعا بكان ويكون الدعوى نصبا[٣] كقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [النمل- ٥٦]، وقوله ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ [الحشر: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾[٤] [الجاثية: ٢٥]. ويجوز أنْ يكون على الضد[٥] من هذا بأن يكون الدعوى رفعًا و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ نصبًا كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ﴾ [البقرة: ١٧٧] على قراءة[٦] من رفع ﴿ٱلْبِرُّ﴾

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢١، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٩، وانظر «تنوير المقباس» ٢/ ٨١، وفيه: (دعواهم -قولهم).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٧، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٦٨، والرازي ١٤/ ٢١.

(٣) فدعواهم: خبر مقدم و﴿إلا أن قالوا﴾ اسم كان مؤخر. وهو اختيار الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٢، والزجاج ٢/ ٣١٩، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٠، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٦٧، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤٢٤، قال الهمداني في «الفريد» ٢/ ٢٧٠: (وهذا أحسن حملًا على ما ورد من نظائره في التنزيل) اهـ.

(٤) في النسخ: (ومكان) بالواو وهو تحريف.

(٥) هذا قول مكي في «المشكل» ١/ ٢٨٢، والعكبري في «التبيان» ص٣٦٩، واختاره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٩.

(٦) قرأ حمزة وعاصم في رواية: ﴿ليس البرَّ﴾ -بفتح الراء-، وقرأ الباقون ﴿البرُّ﴾ =

والأصل في هذا الباب أنه إذا[١] اجتمع بعد كان معرفتانْ فأنت مخير في أن ترفع[٢] أحدهما وتنصب الآخر كقولك: كان زيدٌ أخاك، وإن شئت كان زيدًا أخوك.

قال الزجاج: (إلا أن الاختيار إذا كانت الدعوى في موضع رفع أن يقول: فما كانت دعواهم، فلما قال: ﴿كَانَ﴾ دل أن الدعوى في موضع نصب غير أنه يجوز تذكير الدعوى، وإنْ كانت رفعًا فتقول: كان دعواه [باطلًا][٣] وباطلة)[٤]. وما حكينا من القولين في موضع الدعوى من الإعراب معنى قول الفراء[٥] والزجاج[٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦] قال عطاء عنه: (يُسأل الناس جميعًا عما أجابوا المرسلين، ويُسأل المرسلون عما بلغوا)[٧].

= بالرفع فمن رفع جعل ﴿البر﴾ اسم ليس و﴿أن تولوا﴾ الخبر، ومن نصب جعل ﴿البر﴾ خبر مقدم و﴿أن تولوا﴾ اسم (ليس). انظر: «السبعة» ص١٧٦، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٠، و«المشكل» ١/ ١١٧.

(١) انظر «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٠.

(٢) في (ب): (يرفع أحدهما وينصب) بالياء.

(٣) لفظ: (باطلًا) ساقط من (ب).

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٩، وعليه يكون تذكير الفعل قرينة مرجحة لإسناد الفعل إلى (أن قالوا) ولو كان مسندًا للدعوى لكان الأرجح (كانت أفاده). السمين في «الدر» ٥/ ٢٥٤.

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٢.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٩.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٣٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٢٦.

وقال ابن عباس: (يسأل الأمم عما جاءهم من الله، ويسأل[١] النبيين هل بلغتم رسالتي)[٢].

وقال الضحاك: (﴿ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ الأمم الذين أتاهم الرسل يُسألون هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم، ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ يعني: الأنبياء هل بلغتم قومكم ما أرسلتم به وماذا أجابكم قومكم)[٣].

وقال السدي: (نسأل[٤] الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل، ونسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به)[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ﴾ [الأعراف: ٧] قال الضحاك: (لنخبرنهم بما عملوا بعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن الرسل والأمم ما بلغت وما رد عليهم قومهم)[٦].

وقال ابن عباس: (﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ﴾ ينطق لهم كتاب أعمالهم؛ يقول الله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾)[٧] [الجاثية -٢٩].

---

(١) في (أ): (نسأل الأمم .. ونسأل النبيين) بالنون.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ٨١، و«تفسير البغوي» ٣/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٧.

(٤) في (ب): (يسال) بالياء.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢١، بسند جيد.

(٦) ذكره بدون نسبة الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٨، والبغوي ٣/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٠، بسند ضعيف.

٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: يوم السؤال ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ ابتداء، وخبره ﴿ٱلْحَقُّ﴾[١] وابن عباس[٢] وعامة المفسرين[٣] على أن المراد بهذا الوزن أعمال العباد.

قال ابن الأنباري: (أكد الله به الاحتجاج على العباد وقطع به عذرهم وبين به[٤] لهم عدله وأنه لا يظلم أحدًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ورد الخبر (أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن[٦] به أعمال العباد خيرها وشرها)[٧].

قال ابن عباس: (يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل[٨]

---

(١) انظر «معاني الفراء» ١/ ٣٧٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٠، و«المشكل» ١/ ٢٨٢.
(٢) يأتي تخريجه فيما بعد.
(٣) ذكره مثله الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٤، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨٠/ ١٢٢، عن عمرو بن دينار والسدي.
(٤) لفظ: (به) ساقطة من (ب).
(٥) لم أقف عليه: وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧١ (في الميزان خمسة حكم -أحدها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة، والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر، والرابعة: إقامة «الحجة» عليهم، والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم) اهـ.
(٦) في (ب): (فيوزن) بالياء.
(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ وهو مشهور من قول ابن عباس، وسيأتي تخريجه. وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣١٩: (الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة فينبغي أن يقبل ذلك) اهـ.
(٨) في (ب): (فيثقل) بالياء.

حسناته على سيئاته، فذلك قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون، قال: وهذا كما قال في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾)[1] [الأنبياء: ٤٧].

وقال مقاتل: (﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ وزن الأعمال يومئذ العدل ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ من المؤمنين وزن ذرة على سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾)[2]. فأما كيفية وزن الأعمال فله وجهان:

أحدهما: أن أعمال المؤمن تتصور في صورة حسنة، وأعمال الكافر تتصور في صورة قبيحة فتوزن تلك الصورة كما ذكره ابن عباس.

والثاني: أن الوزن يعود إلى الصحف التي فيها أعمال العباد مكتوبة، وسئل رسول الله ﷺ عما يوزن[3] يوم القيامة، فقال: «الصحف»[4].

هذا الذي ذكرنا مذهب عامة المفسرين[5] وأهل العلم في هذه الآية، وكان مجاهد والضحاك والأعمش[6] يفسرون الوزن والميزان: (العدل

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣١ والثعلبي ١٨٧ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٨، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٣١٥، وابن الجوزي ٣/ ١٧١، والرازي ١٤/ ٢٤، والقرطبي ٧/ ١٦٦، وغيرهم، وذكره السيوطي في «الدر» ٨/ ١٢٩، ١٣٠، وقال: (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأخرجه أبو الشيخ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس) اهـ.

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٠.

(٣) في (ب): (ما يوزن).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٢٦: (يمكن الجمع بين الآثار الواردة في ذلك بأن يكون ذلك كله صحيح فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم). وانظر: «فتح الباري» ١٣/ ٥٣٧- ٥٤٠.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ٨/ ٢٥، والقرطبي ٧/ ١٦٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٠ عن الأعمش.

والقضاء) ويذهبون إلى أن هذا تمثيل وتحقيق للقسط والعدل يومئذٍ، فقال مجاهد: (﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ والقضاء[١] يومئذٍ العدل)[٢].

وروى جويبر[٣] عن الضحاك (أن الميزان العدل)[٤]. فعلى مذهب هؤلاء: الوزن والميزان عبارة عن العدل كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي: أنه يعادله ويساويه وليس هناك وزن في الحقيقة، وقد قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذا مِرَّةٍ عِنْدِى لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزانُه[٥]

أراد: عندي لكل مخاصم كلام يُعادل كلامه؛ فجعل الوزن مثلًا للعدل، والميزان مثلا للكتاب الذي فيه أعمال العباد من حيث أنه لا يزيد[٦] فيه ولا يكذب ويخبر بما له وما عليه، فكنى عن الكتب بالموازين، وجعل ما يكثر في الكتاب من الحسنات بمنزلة ما يثقل في الميزان.

قال أبو إسحاق: (وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ[٧]،

---

(١) لفظ: (الواو) ساقطة من (ب).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٠ بسند جيد.

(٣) جويبر -تصغير جابر-: جويبر بن سعيد الأزدي. ضعيف، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣١٩، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٦، والرازي في «تفسيره» ٨/ ٢٥، والقرطبي ٧/ ١٦٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٠.

(٥) لم أهتد إلى قائله، وهو في تفسير ابن الجوزي ٣/ ١٧٠، والرازي ١٤/ ٢٥، و«اللسان» ٨/ ٤٨٢٩ (وزن).

(٦) في (أ): (لا تزيد فيه ولا تكذب).

(٧) في (ب): (شائع) وقال القرطبي في «التذكرة» ص٣٦٤: (وهذا القول مجاز وليس بشيء وإن كان شائعًا في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان وإن كل كفة منهما طباق السموات والأرض) اهـ. وقال أيضًا في «تفسيره» ٧/ ١٦٥: (قد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير =

والأولى من هذا[١] أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان)[٢].

وقال ابن الأنباري: (والقول الأول هو اختيارنا لتتابع الأخبار به واتفاق أكثر أهل العلم عليه ولشهادة ظاهر القرآن له، قال: وإنما جمع الله تعالى فقال: ﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ولم يقل: ميزانه من أجل أن العرب توقع الجمع على الواحد فيقولون: خرج إلى البصرة في السفن، وخرج إلى مكة على البغال. قال: ويجوز أن يكون جمع الميزان إذ[٣] كانت ﴿مَن﴾ في معنى[٤] جمع فصرف الكلام إلى معنى ﴿مَن﴾ يدلك على صحة هذا قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ بالجمع تغليبًا لمعنى ﴿مَن﴾ على لفظه)[٥].

وقال غيره: (الموازين ها هنا جمع موزون لا جمع ميزان وأراد بالموازين الأعمال الموزونة)[٦].

= تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصًا) اهـ. ونحوه ذكر ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤٣٢، والشوكاني ٢/ ٢٧٧، وصديق خان ٤/ ٣٠٥، والقاسمي ٧/ ٢٦١٧.

(١) في (ب): (والأولى أن يتبع من هذا).

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣١٩.

(٣) في (ب): (إذا).

(٤) في (ب): (موضع).

(٥) ذكره بدون نسبة الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٨، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٦ عن الزجاج، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٣، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٢٣.

(٦) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢١٦، و«الرازي» ١٤/ ٢٧، و«الدر المصون» ٥/ ٢٥٦.

٩- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ . قال مقاتل: (يعني: الكفار)[١].

قال ابن عباس: (يؤتى بعمل الكفار في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه حتى يقع في النار، ثم يقال للكافر: الحق بعملك، ثم قال: وحق لميزان لا يكون فيها رضوان الله أن يخف، وأما المؤمن فإذا خفت حسناته ثقلت بكتاب كالأنملة[٢] فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فترجح حسناته على سيئاته)[٣].

وروي أيضًا: (أنه إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ من حجزته[٤] بطاقة[٥] كالأنملة، فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك فمن أنت؟ فيقول: أنا نبيك محمد، وهذه صلواتك[٦] التي كنت تصلي علي، قد[٧] وفيتك أحوج ما تكون إليها)[٨].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٠.

(٢) الأنملة -مثلثة الهمزة والميم- المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع والجمع أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٥٠ (نمل).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) حُجْزته، بضم الحاء وسكون الجيم: أصلها موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار: حُجْزة للمجاورة، وحجزة الإزار جنبته ومعقد الإزار.
انظر: «النهاية» ١/ ٣٤٤، و«اللسان» ٢/ ٧٨٦ (حجر).

(٥) البطاقة، بالكسر: الورقة ورقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيها إن كان عينًا فوزنه أو عدده وإن كان متاعًا فقيمته، والرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها ثمنه.
انظر: «النهاية» ١/ ١٣٥، و«اللسان» ١/ ٣٠٢ (بطق).

(٦) في (ب): (صلاتك). (٧) في (ب): (وقد).

(٨) ذكره الرازي في «تفسيره» ٨/ ٢٥، وقال: (رواه الواحدي في «البسيط») اهـ. =

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾، قال ابن عباس: (يريد: صاروا إلى العذاب ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾، قال: يريد: يجحدون بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم)[١].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال الزجاج: (معنى التمكين في الأرض: التمليك والقدرة)[٢]، وهو قول ابن عباس قال: (يريد: ملكناكم[٣] في الأرض، يريد: ما بين مكة إلى اليمن، وما بين مكة إلى الشام)[٤].

= وذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٦٧. وفي «التذكرة» ص٣٦١، وقال: (ذكره القشيري في «تفسيره») اهـ. وحديث البطاقة مشهور. أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٢١٣-و- ٢٢١-٢٢٣، وابن ماجه (٤٣٠٠) كتاب الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله تعالى، والترمذي حديث (٢٦٣٩) كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٦- و- ٥٢٩- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار: قال: فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان» اهـ. لفظ أحمد، قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب) اهـ. وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) اهـ. ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وقال السيوطي في «الدر» ٨/ ١٣١، والشوكاني في «تفسيره» ٢/ ٢٧٨، وصديق خان ٣/ ٣٠٧: (إسناده عند أحمد حسن) اهـ. وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٤٣، رقم ١٣٥.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٥٩ ولم أقف عليه عند غيره.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٣٢٠، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٢٥، و«معاني النحاس» ٣/ ١١.

(٣) في (ب): (مكناكم).

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٨١- ٨٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٠ .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾، يقال: عاش يعيش عيشا ومعاشًا ومعيشة وعيشة ومعيشا بغير هاء[1] ومنه قول رؤبة:

إلــيــك أشــكــو شِــدَّةَ الــمَــعِــيــشِ[2]

قال الليث: (العيش: المطعم والمشرب[3] وما يكون به الحياة، والمعيشة: ما يعاش به)[4]، [وقال الزجاج: (ومعنى المعايش: يحتمل أن يكون ما يعيشونَ به][5] ويمكن أن يكون الوصلة إلى ما يعيشون به)[6].

وقد أشار ابن عباس إلى المعنين اللذين ذكرهما الزجاج فقال في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ (يريد: بما أفضل عليكم في الرزق وما فضلكم به على العرب، وهو أنهم ينسبون إلى الله وإلى حرمه وأمنه والعرب لهم تبع)[7] فقوله: (بما أفضل عليكم في الرزق) إشارة إلى [الوصلة][8] إلى ما يعيشون به؛ لأنهم بذلك التفضيل توصلوا إلى المكاسب والتجارات، وعلى ما ذكره ابن عباس من التفسير تكون الآية خطابًا لقريش.

---

(١) النص من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨١، وانظر: «اللسان» ٥/ ٣١٩٠ (عيش).

(٢) «ديوانه» ص٧٨، و«الزاهر» ١/ ٢٥٠، والقرطبي ٣/ ٨١، و«الدر المصون» ٢/ ٤٢٠، ٥/ ٢٥٨، وتمامه:

ومــر أعــوام نــتــفــن ريــشــي

أي أذهبن مالي، وفي «الديوان»:

أشْكُــو إِلَــيْــك شِــدَّةَ الــمَــعَــيــشِ   دهــرًا تــنــقَّــى الــمُــخَ بِــالــتَّــمْــشِــيــشِ

(٣) في (ب): (والمشروب).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨١، وانظر: «العين» ٢/ ١٨٩، و«الجمهرة» ٢/ ٨٧٢، و«الصحاح» ٣/ ١٠١٢، و«المجمل» ٢/ ٦٣٩، و«مقاييس اللغة» ٤/ ١٩٤، و«المفردات» ص٥٩٦ (عيش).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٠، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ١١ .

(٧) في «تنوير المقباس» ٢/ ٨٢ نحوه.

(٨) لفظ: (الوصلة) ساقط من (أ).

فأما القراءة[١] في المعايش فقال الفراء: (لا تهمز لأنها في الواحدة مفعلة الياء في الفعل فلذلك لم يهمز وإنما يهمز من هذا ما كانت الياء فيه زائدة، مثل: مدينة ومدائن، وقبيلة وقبائل، لما كانت الياء لا يعرف لها أصل ثم قارنتها ألف مجهولة أيضًا همزت. قال: ومثل معايش من الواو [مما لا يهمز (معاون) في جمع معونة، و(مناور) في جمع منارة، وذلك أن الواو][٢] ترجع[٣] إلى أصلها لسكون الألف قبلها)[٤] هذا مذهب جميع القراء في المعايش لا يهمزونها، وروى خارجة[٥] عن نافع ﴿معائش﴾ بالهمز[٦].

---

(١) قرأ الجمهور ﴿معايش﴾ بالياء، وقرأ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج- وزيد بن علي، والأعمش، وخارجة بن مصعب عن نافع، وابن عامر في رواية: ﴿معائش﴾ بالهمز، والقياس بدون همز؛ لأن الياء أصل وإذا كانت زائدة همزت مثل صحيفة وصحائف. لكن قال الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٣: (وربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة بشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف كما جمعوا مسيل الماء أمسله شبه بفعيل وهو مفعل وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام) اهـ. وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧١: (رواها عرب فصحاء ثقات فوجب قبولها، وقد ردها نحاة البصرة ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة) اهـ. بتصرف. وانظر: «السبعة» ص٢٧٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٠، و«معرفة القراءات» ١/ ٤٠٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٦، و«مختصر الشواذ» ص٤٨، و«المبسوط» ص١٧٩، و«الدر المصون» ٥/ ٢٥٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (فترجع).

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٢٧٣.

(٥) خارجة بن مُصْعَب بن خارجة الضبعي أبو الحجاج الخراساني، فقيه، مقرئ، متروك الحديث. أخذ القراءة عن نافع وغيره، وله شذوذ كثير عنه لم يتابع عليه، توفي سنة ١٦٨هـ وله ٩٨سنة. انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٧٥، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٦٢٥، و«غاية النهاية» ١/ ٢٦٨، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥١٢.

(٦) ذكرها أكثرهم كما في المراجع السابقة في فقرة رقم (٢).

قال الفراء: (ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في اللفظ وعدة الحروف كما جمعوا مسيل الماء أمسلة[١] شبه بفعيل وهو مفعل)[٢].

وقال أبو إسحاق: (جميع النحويين البصريين يزعمون أن همز ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو: صحيفة وصحائف، فأما ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ فمن العيش الياء أصلية، فأما ما[٣] رواه نافع من همز ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ فلا أعرف له وجهًا إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أسكن في معيشة فصار على لفظ صحيفة فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءة بالهمز)[٤].

قال أبو علي الفارسي: (قوله: ﴿مَعَـٰيِشَ﴾ العين منه ياء ووزن المعيشة من الفعل عند الخليل[٥] وسيبويه مَفْعِلة، (وكان الأصل مَعْيِشة إلا أن الاسم وافق الفعل في وزنه؛ لأن (معيش) على وزن (يعيش) فأعل كما أعل الفعل وقد وجدنا الاسم إذا وافق الفعل في البناء أعل كما يعل[٦] فمن ذلك إعلالهم لباب ودار ونار ونحوه، لما كان على وزن فعل أعل كما أعل

---

(١) في (أ): (مسله) وهو تحريف.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٣- ٣٧٤.

(٣) في (ب): (فأما رواه)، وهو تحريف.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٠- ٣٢١، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٠، ٦٠١، و«المشكل» ١/ ٢٨٣- ٢٨٤.

(٥) في «الكتاب» ٤/ ٣٤٩، وكذا في «الإغفال» ص٧٣٠ (فمعيشة يصلح أن تكون مَفْعلُة - بفتح الميم وسكون الفاء وضم العين-، أو -مفعلة - بكسر العين) اهـ. وانظر «الكتاب» ٤/ ٣٤٩، وص٣٥٥.

(٦) في (ب): (كما يعل الفعل)، ثم تكرر قوله: (وقد وجدنا) إلى قوله: (كما يعل).

(خاف) و(قال) و(هاب)، وصححوا[١] نحو: حول ولؤمة لما لم تكن على مثال الفعل فكذلك[٢] معيشة أعل بأن ألقي حركة عينها على فائها كما فعل ذلك في يعيش ولم يحتج إلى الفصل بين الاسم والفعل فأن تترك الإعلال في الاسم؛ لأن الزيادة التي في أول الاسم زيادة يختص بها الاسم دون الفعل وهي الميم وهي لا تزاد[٣] في أوائل الأفعال. ولو كانت الزيادة يشترك فيها الاسم والفعل لصحح الاسم[٤] وعلل الفعل نحو: أجاد وهو أجود منك[٥] عللوا الفعل وصححوا الاسم؛ لأن الزيادة هاهنا همزة وهي مشتركة بين الاسم والفعل؛ لأن الهمزة تزاد[٦] في أوائل الأفعال كما تزاد[٧] في أوائل الأسماء فأعل معيشة[٨] لما انفصلت بزيادتها من الفعل وكان على وزنه، وكذلك حكم ما كان مثل معيشة في الاعتلال[٩]، وهذا مذهب الخليل وسيبويه[١٠] وأبي عثمان[١١]

---

(١) هذا من «الحجة» لأبي علي ٤/ ٧.

(٢) في (ب): (فلذلك).

(٣) في (ب): (يزاد) بالياء.

(٤) في «الإغفال» ص ٧٣١: (لصح الاسم وأعل الفعل).

(٥) في (ب): (أجود منل)، وهو تحريف.

(٦) في (أ): (يزاد) بالياء.

(٧) في (أ): (يزاد) بالياء.

(٨) في (ب): (ومعيشة).

(٩) في (أ): (في الإعلال).

(١٠) انظر: «الكتاب» ٤/ ٣٤٨-٣٥٧.

(١١) أبو عثمان بكر بن محمد المازني البصري النحوي، إمام في العربية، وأستاذ المبرد، له تصانيف كثيرة منها: كتاب التصريف، وكتاب «ما تلحن فيه العامة» و«العروض»، وغيرها. توفي سنة ٢٤٩هـ أو قبلها
انظر: «تاريخ بغداد» ٧/ ٩٣، و«نزهة الألباء» ص ١٤٠، و«إنباه الرواة» ١/ ٢٨١،

وجميع[١] المتقدمين من النحويين البصريين.

فإذا جمع معيشة مكسرًا ردت ألف الجمع ثالثة قبل الياء والألف ساكنة والياء أيضًا ساكنة، ومن حكم الساكنين إذا اجتمعا أن يحرك أحدهما أو يحذف، فالحذف هنا لا يجوز لالتباس الجمع بالواحد، وإذا لم يجز الحذف لاجتماعهما لزم تحريك أحدهما، ولا يخلو من أن يكون الأول[٢] أو الثاني، فلا يجوز تحريك الأول لارتفاع دلالته بتحريكه له على الجمع وإذا لم يجز تحريك الأول لزم تحريك الثاني لاجتماع الساكنين، فإذا حركت رجعت[٣] ياء كما أن ما كان من الواو إذا[٤] حركت في الجمع رجعت واوًا صحيحة مثل: (مقاوم) و(مقاول) في جمع (مقام) و(مقال)، أنشد النحويون[٥]:

وإنِّـي لَـقَـوَّامٌ مـقـاوم لَـمْ يَـكُـنْ
جَـرِيـرٌ وَلاَ مَـوْلَـى جَـرِيـرٍ يَـقُـومُـهَـا

= و«معجم الأدباء» ٧/ ١٠٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٢٧٠، و«لسان الميزان» ٢/ ٥٧.

(١) انظر: «المنصف» ١/ ٣٠٧، و«المقتضب» ١/ ٢٦١.

(٢) لفظ: (الأول) غير واضح في (أ)، وفي (ب): (الأول والثاني).

(٣) في (أ): (رجعت واوًا صحيحة ياء كما أن).

(٤) في (أ): (وإذا).

(٥) الشاهد للأخطل في «ديوانه» ص٣٢٢، و«أمالي القالي» ٣/ ٧٧، و«الخصائص» ٣/ ١٤٥، وللفرزدق في «المقتضب» ١/ ٢٦٠، و«المخصص» ١٤/ ٢١، وبدون نسبة في «معاني الزجاج» ١/ ٢٠٦- ٢/ ٣٢٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠١، و«المنصف» ١/ ٣٠٦. والشاهد قوله: (مقاوم) في جمع مقامة وأصلها مجلس القوم.

فصحح الواو في الجمع لما لزم تحريكها لاجتماع الساكنين، فبان بهذا أن جمع (معيشة) على (معايش) يزيل مشابهته الفعل في البناء وعلمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال في الواحد[(١)] فيلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ.

فإن قيل: هل أعل العين إذا كانت ياء أو واوًا في نحو هذا الجمع كما أعلت في قائل وبائع بقلبها همزة لما اعتلا في الفعل؟ والجواب أن إعلال (معايش) لا يلزم؛ لأن زنة الفعل قد بطلت عنه ولزم[(٢)] تصحيحه كما بينا، فأما قائل وبائع فإنما لزم إعلالها؛ لمشابهتهما الفعل في الزنة وهو الأمر[(٣)] من المفاعلة، ولأنهما يعملان عمل الفعل، فصار لذلك أدخل في الإعلال وأقرب إليه، ولم يكن ذلك في (معايش) وبابه، ألا ترى أنه لا شيء فيه مما يوجب الإعلال من مشابهته الفعل في زنته وحركاته وسكونه)[(٤)].

وقال غير أبي علي [في][(٥)] علة همز قايل وبايع: (إنما همز عين فاعل في باب ما اعتلت عينه من ذوات الواو والياء، لأن الواو والياء قد انقلبتا ألفين في قال وباع، فلما بنى منهما فاعل اجتمعت ألف فاعل مع الألف

---

(١) في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٧: (فمعيشة موافقة للفعل في البناء ألا ترى أنه مثل يعيش في الزنة وتكسيرها يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال في الواحد في المجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ) اهـ.

(٢) في (أ): (ولزوم).

(٣) قوله: (وهو الأمر من المفاعلة) ليس في «الإغفال».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٧-٨، و«الإغفال» ص٧٣٠-٧٤٠، و«معجم الإبدال والإعلال» للخراط ص١٩٨.

(٥) لفظ: (في) ساقط من (ب).

المنقلبة عن الواو[١] أو الياء وهما ساكنتان فلم يمكن النطق بهما فهمزت الأخيرة منهما فقيل: قائل وبائع هذا هو الأصل، ثم يجوز تخفيف الهمزة فيصير ياء، لأن الهمزة المكسورة إذا خففت صارت ياء[٢].

فأما (معايش) ففي تصحيح يائه ما يغني عن الهمزة) رجعنا إلى كلام أبي علي قال: (فأما قراءة هذا القارئ ﴿معائش﴾ بالهمز، فقال أبو عثمان: (أصل أخذ هذه القراءة عن نافع قال: ولم يكن يدري ما[٣] العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذا)[٤]. قال أبو علي: ومن أعل فهمز ياء ﴿مَعَٰيِشَۗ﴾ فمجازه على وجه الغلط كما حكى سيبويه (أن بعضهم قال في جمع مصيبة: مصائب فهمز وهو غلط لأن مصائب مفاعل[٥] فتوهمها فعايل نحو: صحائف وسفائن.

---

(١) في (ب): (عن الواو والياء).

(٢) ذكره نحو المبرد في «المقتضب» ١/ ٢٣٧، وابن جني في «المنصف» ١/ ٢٨٠، وانظر: «الكتاب» ٤/ ٣٤٥، و«التصريف» للجرجاني ص٨٦، و«الممتع» لابن عصفور ١/ ٣٢٧، و«شرح مختصر تصريف العزي» للتفتازاني ص١٣١، و«شذا العرف» للحملاوي ص٧٤.

(٣) في (أ): (يدري العربية).

(٤) انظر: «المنصف» ١/ ٣٠٧، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧١-٢٧٢: (أما قول المازني (أصل أخذ هذه القراءة عن نافع) فليس بصحيح لأنها نقلت عن ابن عامر والأعرج وزيد بن علي والأعمش، وأما قوله (إن نافعًا لم يكن يدري ما العربية) فشهادة على النفي، ولو فرضنا أنه لا يدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء، ولا يجوز لهم ذلك) اهـ.

(٥) في «الكتاب» ٤/ ٣٥٦، و«الإغفال» ص٧٤١ (وهو غلط، وإنما هو مُفْعِلة وتوهموها فَعِيلة).

قال: ومنهم من يقول: مصاوب فيجيء به على الأصل والقياس)[١]، وقول[٢] سيبويه: (وهو غلط) يعني: أنه توهم الياء التي في مصيبة -وهي[٣] منقلبة عن العين التي هي واو- الياء التي[٤] للمد في نحو: [سفينة وصحيفة، وهمزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل كما همزوا الياء التي للمد[٥] في نحو][٦] سفائن وصحائف، ولا يشبه هذه الياء تلك، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو هي عين أصلها الحركة، وتلك زائدة للمد لا حظ لها في الحركة). وقد ذكرنا الكلام مستقصى في المصائب عند قوله[٧]: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٦]، (ومثل هذا مما حمل على الغلط قول بعضهم في جمع مَسِيل: مسْلان، فمسيل مفعل والياء فيه عين الفعل، فتوهم من قال في جمعه: مسلان أنها زائدة للمد فجمعه على فعلان كما يجمع قضيب على قضبان، وعلى هذا[٨] التوهم أيضًا جمعوا مسيلًا أمسلة. وقد جاء ذلك في شعر هذيل، قال أبو ذؤيب[٩]:

وَأَمْسِلَةٍ مَدَافِعُها خَلِيفُ[١٠]

---

(١) «الكتاب» ٤/ ٣٥٦.

(٢) في (أ): (وقال)، وهو تحريف.

(٣) (وهو)، وهو تحريف.

(٤) في «الإغفال» (التي تزاد للمد).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في «الإغفال» ص٧٤٢: صفائح.

(٧) انظر «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٩٨ أ.

(٨) هذا من «الحجة» ٣/ ٨.

(٩) أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي. تقدمت ترجمته.

(١٠) «شرح ديوان الهذليين» للسكري ١/ ١٨٥، و«المخصص» ٥/ ١٢٣، ١٠/ ١٠٧، و«الدر المصون» ٥/ ٢٥٩، وصدره:

بَوادٍ لا أنِيسَ به يَبَابٍ

ويباب بالفتح؛ خراب فقر ليس فيه أحد.

فتوهموه فعيلًا، وإنما هو مفعل[١]، ومثل هذا من الشواذ والغلط لا يعترض به على الشائع المطرد ولا يحمل غيره عليه، وإنما حكمه أن يعرف أصله ويبين وجه الصواب فيه، ومن أين وقع الشبه الذي جاء من أجله الغلط، فمسلان من سال خطأ وإن كان قد قيل، فكذلك[٢] همز[٣] معايش غلط)[٤]، فأما الكلام في (مدائن) فسنذكره إذا أتينا إلى قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[٥] [الأعراف: ١١١] من هذه السورة[٦] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: أنكم غير شاكرين لأنعمي[٧] [ولا] طائعين)[٨]. وتقدير هذا تقدير قوله: ﴿قَلِيلًا مَا

= انظر: «اللسان» ٨/ ٤٩٤٧ (يبب)، وأمسلة، بسكون الميم وكسر السين: جمع مَسِيل وهو: مجرى الماء. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٢٠٥ (مسل) ومدافعها. المجاري التي تدفع إلى الأودية. انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٩٤ (دفع)، وخليف بفتح الخاء وكسر اللام: الطريق بين الجبلين انظر: «اللسان» ٢/ ١٢٤٢ (خلف).

(١) إلى هنا انتهى النقل من «الحجة».

(٢) في (ب): (فلذلك).

(٣) في (أ): (همزة).

(٤) انظر: «الإغفال» ص٧٣٠-٧٤٤، و«الحجة» ٤/ ٧-٨، وهو أخذ منهما مع بعض التصرف اليسير في العبارة وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٥، و«المشكل» ١/ ٢٨٣، والمراجع المذكورة في «القراءة» ص ٣٠ من هذا الجزء.

(٥) في (ب): (وأرسل فرعون في المدائن حاشرين) من هذه السورة إن شاء الله. وهذا وهم، وجاء في سورة الشعراء الآية: ٥٣ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

(٦) انظر تفسير هذه الآية في هذا الجزء ص ٢٦٧.

(٧) لفظ: (ولا) ساقط من (ب).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٧٢، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٨٢ نحوه.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. [وقد مر][(١)].

١١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾. قال ابن عباس: (أما ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ فآدم[(٢)]، وأما ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[(٣)] فذريته)[(٤)].

وبيان هذا ما قاله مجاهد: (﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[(٥)] في ظهر آدم)[(٦)]، وإنما ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بلفظ الجمع وهو يريد آدم؛ [لأنه أبو البشر وفي خلقه خلق يخرج من صلبه، وعلى هذا أيضًا يجوز أن يكون ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ لآدم وحده، وهو قول يونس[(٧)]، قال: (يجوز أن يكون معنى ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ لآدم][(٨)] كما تقول: قد ضربناكم وإنما ضربت سيدهم)[(٩)]، واختار أبو عبيد[(١٠)] في هذه الآية قول مجاهد لقوله بعده[(١١)]: ﴿ثُمَّ قُلْنَا

(١) لفظ: (وقد مر) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (آدم).

(٣) في (أ): (ثم صورناكم).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٢ بسند جيد.

(٥) لفظ: (ثم) ساقط من (ب).

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٢، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٢٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٢ من طرق جيدة، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٣: (هذا أحسن الأقوال، يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود لآدم بعد، ويقوي هذا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، والحديث أنه أخرجهم أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق) اهـ. وسيأتي تخريج الحديث.

(٧) يونس بن حبيب الضبي، لُغوي. تقدمت ترجمته.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٨ أ.

(١٠) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه.

(١١) في (ب): (بعد).

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾. وكان قوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم في الأرحام، و(ثم) يوجب التراخي[(١)] والترتيب، فمن جعل الخلق والتصوير في هذه الآية لأولاد آدم في الأرحام لم يكن قد راعى حكم (ثم) في الترتيب، إلا أن يأخذ بقول الأخفش فإنه يقول: ((ثم) هاهنا في معنى الواو)[(٢)].

قال الزجاج: (وهذا خطأ لا يجيزه الخليل[(٣)] وسيبويه[(٤)] وجميع من يوثق بعلمه)[(٥)].

قال أبو عبيد[(٦)]: (وقد بينه مجاهد[(٧)] حين قال: إن الله خلق آدم [و]صورهم[(٨)] في ظهره ثم أمر بعد ذلك بالسجود) قال: وهذا بين في حديث [آخر][(٩)] وهو أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر)[(١٠)].

---

(١) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص١٦، و«معاني الحروف» للرماني ص١٠٥، وذكر عدة أوجه في هذه الآية، و«رصف المباني» ص٢٤٩، و«المغني» لابن هشام ١/ ١١٧.

(٢) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٤.

(٣) انظر: «العين» ٨/ ٢١٨.

(٤) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٩١، ١/ ٤٢٩، ٣/ ٨٩، ٣/ ٥٠١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢١، ونحوه ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ١٢. وقال: (هذا القول خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين، ولا يجوز أن تكون، (ثم) بمعنى الواو لاختلاف معنييهما) اهـ.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) لفظ: (الواو) ساقطة من (ب).

(٩) لفظ: (آخر) ساقطة من (ب).

(١٠) أخرج أحمد في «المسند» ١/ ٢٧٢، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٨٩ رقم =

[و] قوله[1] تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾. قال الزجاج: (وهو استثناء ليس من الأول ولكنه ممن أمر بالسجود مع الملائكة بدليل قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ [الأعراف: ١٢] فدلَّ أن إبليس ممن أُمِر بالسجود)[2].

= (٢٠٢)، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٥٠٦ رقم (٢١١)، والطبري ٩/ ١١١، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٧- ٢/ ٥٤٤، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان -يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا**»، قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ -إلى- ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾) [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

وصححه الحاكم في «المستدرك» ووافقه الذهبي في «التلخيص». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٥: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح) اهـ. وقال الشوكاني في «تفسيره» ٢/ ٣٨٤، وصديق خان ٥/ ٧٣ (إسناده لا مطعن فيه) اهـ. وحسن إسناده الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» لابن أبي عاصم ١/ ٨٩، وصححه في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٦٢٣). وفي الباب أحاديث كثيرة بمعناه، انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٦١.

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ١٤، وعلى هذا القول يكون الاستثناء منقطع، وإبليس ليس من الملائكة لكنه أمر بالسجود معهم، وذهب الجمهور إلى أن الاستثناء متصل وإن إبليس من الملائكة أو من طائفة منهم، واختاره الطبري في «تفسيره» ١/ ٢٢٤، ٢٢٥، والبغوي ١/ ٨١، وابن عطية ١/ ٢٤٥، ٢٤٦، وغيرهم، والظاهر والله أعلم أنه ليس من الملائكة، لأن الملائكة خلقت من نور وإبليس خلق من نار ولأن الملائكة مسخرة لا تعصي الله تعالى وإبليس عصى وكفر ولقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف الآية: ٥٠] وتوجه الخطاب إليه وأمر بالسجود مع الملائكة لأنه كان في عامتهم ومعهم يعمل بعملهم ويتعبد كما يتعبدون ولكن غلب عليه الطبع الخبيث. أفاده شيخنا محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- في كتاب «أحكام من القرآن الكريم» ١/ ١٦٢-١٦٤، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٤، و«النكت والعيون» للماوردي ١/ ١٠٢، و«زاد المسير» ١/ ٦٥.

١٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ موضع (ما[١]) رفع، المعنى: أي شيء منعك من السجود.

قال أبو بكر[٢]: (ومعنى سؤاله الله عز وجل إبليس عن علة ترك السجود وهو عالم بذلك التوبيخ له [و] التعنيف[٣] وليظهر أنه معاند وأنه ركب المعصية خلافًا لله ﷻ؛ كما يقول الرجل لعبده: ما منعك من طاعتي وقد أحسنت إليك، وما منعك من خدمتي وقد أفضلت عليك، يريد بذلك التوبيخ له)[٤]. وهذا معنى قول أبي إسحاق[٥].

وأما (لا) في قوله ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ فقال الفراء: (المعنى: ما منعك أن تسجد وأن في هذا الموضع تصحبها[٦] لا، وتكون صلة، وكذلك قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] تزاد[٧] للاستيثاق من الجحد والتوكيد له، ومثله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[٨] [الحديد: ٢٩] المعنى: ليعلم أهل الكتاب)[٩].

---

(١) ﴿مَآ﴾ اسم استفهام مبتدأ وما بعدها خبرها. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠١، و«المشكل» ١/ ٢٨٤.

(٢) أبو بكر بن الأنباري، إمام لغوي. تقدمت ترجمته.

(٣) لفظ: (الواو): ساقطة من (ب).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٢، وما نقله هو نص كلامه.

(٦) في (ب): (تصحتها)، وهو تصحيف.

(٧) في (ب): (يراد)، وهو تصحيف.

(٨) في النسخ: (لان لا).

(٩) في «معاني الفراء» ١/ ٤٧٣ (إلا أن معنى الجحد الساقط في لئلا من أولها لا من آخرها المعنى: ليعلم أهل «الكتاب» ألا يقدرون) اهـ. وانظر: «أضداد ابن الأنباري» ص٢١١.

وهذا أيضًا قول الكسائي[(١)]، ونحو هذا قال الزجاج: فقال: (معنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ إلغاء لا وهي مؤكدة؛ المعنى: ما منعك أنْ تسجد، قال[(٢)] ومثل إلغاء (لا) قول الشاعر[(٣)]:

أَبَى جُودُه لا البُخْلَ وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ
نَعَمْ مِنْ فَتًى لا يَمْنع الجودَ قَاتِلُهْ

قالوا: معناه: أبى جوده البخل[(٤)].

[قال: وقال أبو عمرو بن العلاء: الرواية أبى جوده لا البخلِ][(٥)] والذي قاله أبو عمرو حسن، المعنى: أبى جودُه (لا) التي تبخِّل الإنسان كأنه إذا قيل له: (لا) تسرف و(لا) تبذر مالك أبي جوده[(٦)] هذه واستعجلت به (نعم) فقال: نعم، أفعل ولا أترك الجود، وهذان القولان في البيت هما قول العلماء)[(٧)].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦١، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٧٣، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٣١، وقال: (هو قول الأكثرين) اهـ. ومنهم أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١١، وابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٧٦، و«تأويل المشكل» ص٢٤٤، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠١، ٦٠٢، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٨٤.

(٢) في (ب): وقال مثل إلغاء.

(٣) الشاهد مشهور لا يعرف قائله، وقد تقدم تخريجه.

(٤) في (ب): (أبي جوده لا البخل) وهو تحريف.

(٥) في (أ): (لا البخل) وهو تحريف.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٣، (أبي جوده (لا) هذه).

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٣.

قال أبو علي: (وهذا البيت أنشده أبو الحسن[١] وقال: فسرته العرب أبي جوده البخل، وزعم يونس[٢] أن أبا عمرو[٣] كان يجر البخل ويجعل لا مضافة إليه، أراد أبى جوده [لا][٤] التي هيَ للبخل لأن لا قد تكون[٥] للبخل وللجود فالتي للبخل[٦] معروفة والتي للجود أنه لو قال له: امنع الحق أو لا تعط المساكين فقال: لا كان هذا جودًا فيه[٧])[٨].

وقد أجاز[٩] أبو إسحاق في البيت قولًا آخر قال: (وهو عندي حسن أرى أن تكون لا غير لغو، وأن يكون البخل منصوبًا بدلًا من (لا) المعنى: أبي جوده (لا) التي هي البخل فكأنك قلت: أبي جوده البخل)[١٠].

---

(١) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش إمام مشهور.

(٢) يونس بن حبيب الضبي، إمام تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عمرو بن العلاء النحوي القاريء، إمام، تقدمت ترجمته.

(٤) لفظ: (لا) ساقطة من (أ).

(٥) في (ب): (يكون) بالياء.

(٦) في (ب): (فالتي للبخل وللجود فالتي للبخل معروفة) وهو تحريف. ولم ترد عند الأخفش ولا عند أبي علي لفظه: (فالتي للبخل معروفة).

(٧) في «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٥، و«الإغفال» ص٦٩٢، (كان هذا جودًا منه).

(٨) النص في «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٤، «الإغفال» ص٦٩٢، و«الحجة» لأبي علي ١/ ١٦٩. وانظر: إعرابه وتوجيهه في «الحجة» لأبي علي ٣/ ٣٨١، و«كتاب الشعر» ١/ ١١٧، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٥٤٢.

(٩) هذا من قول أبي علي أيضًا في «الإغفال» ص٦٩٢-٦٩٣ والنص منه.

(١٠) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٣. وفيه: (المعنى أبي جوده البخل واستعجلت به نعم) اهـ. وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٣. (وقد خرجته أنا تخريجًا آخر وهو أن ينتصب البخل على أنه مفعول من أجله ولا مفعول له). وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢٦٢: (ولا حجة في هذا البيت على زيادة لا في رواية النصب، ويتخرج على وجهين: =

وحكى عن أحمد بن يحيى: (أن (لا) في هذه الآية ليست زائدة، ولا توكيدًا؛ لأنْ معنى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ من قال لك لا تسجد، فحمل نظم الكلام على[1] معناه)[2].

وهذا القول حكاه أبو بكر[3] عن الفراء.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[4]، ولم يقل: منعني من السجود أني خير منه فأتى بشيء في معنى الجواب ولفظه غير جواب؛ لأن قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [إنما هو][5] جواب (أيكما خير)، ولكن الكلام في معنى الجواب لأنْ قوله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ في معنى: منعني من السجود فضلي عليه، وهذا قول الفراء[6] والزجاج[7].

وزاد أبو بكر لهذا بيانًا فقال: (أما قولة إبليس لعنه الله في جواب ربه

= أحدهما: أن تكون لا مفعولًا بها، والبخل بدل منها لأن (لا) تقال في المنع فهي مؤدية للبخل.

والثاني: أنها مفعول بها أيضًا والبخل مفعول من أجله، والمعنى: أبي جوده لفظ لا لأجل البخل أي: كراهة البخل، ويؤيد عدم الزيادة رواية الجر) اهـ. وانظر: الشاهد وتوجيهه في «الأضداد» لابن الأنباري ص٢١١-٢١٦.

(١) في (أ): (لأن لا)، وهو تحريف.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٨ أ.

(٣) انظر «الأضداد» لابن الأنباري ص٢١٥-٢١٦. وقال الرازي في «تفسيره» ٤/ ٣١: (لا هاهنا مفيدة وليست لغوًا، وهذا هو الصحيح لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب) اهـ.

(٤) لفظ: (قال) ساقط من (ب).

(٥) لفظ: (إنما هو) ساقط من (ب).

(٦) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٤.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٣.

عز وتعالى: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ففيه [معنى][(١)] منعني من السجود له عند نفسي أنني[(٢)] خير منه؛ إذ كنت ناريًا وكان طينيًا، فلما أتى بكلام فيه معنى الجواب اكتفى به، واقتصر عليه كما يقول الرجل للرجل: لمن الدار؟ فيقول: مالكها زيد، يريد هي لزيد، فيأتي بكلام يرجع إلى معنى الجواب، فخاطب الله ﷻ العرب بلسانها واختصارها، واكتفائها)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، قال ابن عباس: (كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس، فعصى[(٤)] ربه وقاس، وأول من قاس إبليس فكفر بقياسه، فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله مع إبليس)[(٥)].

فإن قيل: أليس العلماء يقيسون في مسائل، قيل: القياس قياسان: قياس في مخالفة النص فهو مردود كقياس إبليس، وقياس يوافق الأصول عند عدم النص فهو مقبول كقياس العلماء يقيسون[(٦)] ما لا نص فيه بما فيه

---

(١) لفظ: (معنى) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (أنه)، وهو تحريف.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦١، والقرطبي ٧/ ١٧٠-١٧١ بدون نسبة ونحوه في «معاني النحاس» ٣/ ١٥، و«تفسير البغوي» ٣/ ٢١٧.

(٤) قوله: (فعصى) غير واضحة في (أ)، وموضحة في الهامش.

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٨ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦١، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٧، والقرطبي ٧/ ١٧١ وغيرهم، ونقله الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٣٤، عن الواحدي عن ابن عباس.

(٦) القياس لغة: التقدير، ورد الشيء إلى نظيره، واختلف في تعريفه في الشرع، فقيل: هو حمل مجهول الحكم على معلومه لمساواة بينهما في علة الحكم، والقياس الشرعي عند الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء أصل من أصول الشريعة يستدل به على الأحكام التي لم يرد بها السمع.

انظر: «الرسالة» للشافعي ص٤٧٦ وما بعدها، و«شرح مختصر الروضة» ٣/ ٢١٨، و«التعريفات» للجرجاني ص١٨١، و«إرشاد الفحول» ٢/ ٨٣٩ وما بعدها.

نص ودليل، وابن عباس يقول: (من قاس الدين بشيء من رأيه) ولا يجوز أن يقاس الدين بما يراه الإنسان من رأيه[١].

١٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾، قال: ابن عباس: (يريد: من الجنة، وكانوا في جنة عدن، وفيها خلق آدم)[٢]، ونحو هذا قال مقاتل: (﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ يعني: الجنة)[٣].

وقال مجاهد[٤]: (﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [في السماء) وهذا يدل على أنه يقول: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾، يعني: السماء.

وقوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾][٥]، قال ابن عباس: (يريد: أن أهلها ملائكة متواضعون خاشعون، ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، قال: يريد:

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ١٧٤، و«تفسير الرازي» ١٤/ ٣٤، والقرطبي ٧/ ١٧١، و«فتاوى شيخ الإسلام» ١٥/ ٥-٦.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٣٥، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٣، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٠.

(٤) ذكر بدون نسبة في «تفسير البغوي» ٣/ ٢١٧، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ١٧٣، وقال: (هو الأظهر) وهذا هو قول الجمهور وهو الظاهر لأنه هو المعلوم عند الإطلاق والأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليلٌ على خلاف ذلك، فآدم اهبط من السماء من جنة الخلد التي هي مأوى المتقين.

أفاده شيخنا محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- في كتاب «أحكام القرآن» ١/ ١٦٨ وهو اختيار الواحدي في «البسيط» كما تقدم في قصة آدم من سورة البقرة، والقرطبي في «تفسيره» ١/ ٣٠٢ وذهب بعضهم -وهو قول المعتزلة والخوارج- إلى أن آدم كان في جنة الدنيا بأرض عدن. انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٤٢، وابن كثير ٢/ ٢٢٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

من المُذلين)[١]، وقد ذكرنا معنى (الصاغر) و(الصغار) عند قوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قال أبو إسحاق: (إن إبليس قد استكبر بإبائه السجود[٢]، فأعلمه الله ﷻ أنه صاغر بذلك)[٣].

١٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: أخرني إلى يوم البعث[٤]، قال ابن عباس: (يريد: النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين)[٥].

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾، قال أهل المعاني: (معناه: إنك مُنظر، ولكن ربما يذكر الجماعة في هذا الموضع، ولا يكون المراد به إلا تحقيق الخطاب في واحد)[٦].

قال ابن عباس: (فأبى الله ذلك عليه)[٧].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٢. وذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٧٣ بدون نسبة.

(٢) في (أ): (للسجود).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٣٣.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٤، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٧٣-١٧٤. وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٢٤، والنحاس ٣/ ١٥: (أي: أخرني فلم يجب إلى هذا بعينه فأجيب إلى النظرة إلى يوم الوقت المعلوم) اهـ.

(٦) الذي عليه أهل التفسير أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ أي: داخل في عداد المنظرين بآجالهم إلى ذلك الوقت المعلوم، فقد عم تلك الفرقة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر، أفاده الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٢، وابن عطية ٥/ ٤٤٣، ٤٤٤، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٤.

(٧) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٣، والقرطبي ٧/ ١٧٣-١٧٤.

قال المفسرون: (إن إبليس -لعنه الله- استنظر إلى يوم البعث، وأراد أن يذوق الموت في النفخة الأولى، فلم يُعطه ذلك، وأنظره إلى يوم النفخة الأولى [لا إلى][(١)] الثانية؛ لأنه بين مدة المهلة في موضع آخر فقال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم)[(٢)].

١٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾، قال ابن عباس: (يريد: فبما أضللتني، مثل قول نوح: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾)[(٣)] [هود: ٣٤].

قال أبو بكر الأنباري حاكيًا عن أهل اللغة: (الإغواء[(٤)] إيقاع الغَيِّ في القلب، والغَيُّ: المذموم من الفعل، وقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب خروجي من الجنة، وكذلك قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] أي: يوقع الشر في قلوبكم

---

(١) لفظ: (لا إلى) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٣٢، ١٣٣، والسمرقندي ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، والبغوي ٣/ ٢١٧-٢١٨، وابن عطية ٥/ ٤٤٣ وقال: (هذا أصح وأشهر في الشرع) اهـ. وقال الشنقيطي في «تفسيره» ٢/ ٢٩٥: (طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وأكثر العلماء يقولون: المراد به وقت النفخة الأولى، والعلم عند الله تعالى) اهـ.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٣٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٣٥.

(٤) أصل الإغواء: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده. يقال: غَوَى، بالفتح: الرجل يَغْوَى غَيًّا من الغي، خلاف الرشد، والغواية: الانهماك في الغَيِّ، ويأتي الغَيَّ بمعنى الفساد والضلال والجهل والخيبة.
انظر: «الطبري» ٨/ ١٣٣، و«الجمهرة» ١/ ٢٤٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٠٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٥٠، و«المفردات» ص٦٢٠، و«اللسان» ٦/ ٣٣٢٠ (غوى).

ويحسن القبيح لكم لما سبق لكم عنده من الشقاء.

قال: وقال بعضهم: الإغواء الإهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] أي: هلاكًا وبلاء، ومنه أيضًا قولهم: غَوِيَ الفصيل يَغْوَى غوى[1]، إذا أكثر من اللبن حتى يفسد جوفه ويشارف[2] الهلاك والعطب، وفسروا قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم الحق، وهذا قول تحتمله اللغة، وأهل التفسير على القول الأول)[3].

قال أبو إسحاق: (في ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ قولان: قال بعضهم: أضللتني، وقال بعضهم: فبما دعوتني إلى شيء غَويت به، أي: غويت من أجل آدم)[4].

قال أبو بكر: (وأما قوله ﷿: ﴿فَبِمَآ﴾؛ فإن الباء تحتمل أمرين: أحدهما: القسم؛ أي: بإغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ بقدرتك عليَّ ونفاذ سلطانك في لأقعدن لهم على الطريق المستقيم [الذي][5]

---

(١) جاء في «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٢٥٢ (يقال: غَوى الرجل يَغْوى غَيًّا وغَواية: إذا جهل وأساء. ويقال: قد غَوِيَ الفصيل يَغْوَى إذا بشم من لبن أمه عند الإكثار والازدياد منه) اهـ. ونحوه في «شرح القصائد» ص٥٢، وفي مصادر اللغة يطلق ذلك عليه، إذا فقد اللبن حتى كاد يهلك، ويقال أيضًا: إذا أكثر من اللبن فأتخم. انظر: «العين» ٤/ ٤٥٦، و«البارع» ص٤٤٣-٤٤٥، والمراجع السابقة.

(٢) في (ب): (ويشارك)، وهو تحريف.

(٣) ذكر بعضه الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٢، والبغوي ٣/ ٢١٨، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥، وقال: (الجمهور على أنه بمعنى: الإضلال) اهـ. وهو بدون نسبة في «تفسير الثعلبي» ١٨٨ أ، والرازي ١٤/ ٣٧.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٠٦.

(٥) لفظ: (الذي) ساقط من (ب).

يسلكونه إلى الجنة بأن أزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم، فإذا كان الباء قسمًا كان اللام جواب القسم، و(ما) بتأويل المصدر و﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ صلتها ولا عائد لها. قال: ويجوز أن يكون (ما) بتأويل الشرط والباء من صلة الإغواء، والفاء المضمرة جواب الشرط، والتقدير قال: فبأي شيء أغويتني فلأقعدن لهم صراطك، فتضمر[(١)] الفاء جوابًا للشرط كما تضمرها[(٢)] في قولك: إلى ما أومأت إني قابله وبما أمرت إني سامع له مطيع)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال الزجاج: (أي: على طريقك المستقيم، ولا اختلاف بين النحويين[(٤)] في أن (على) محذوفة، ومثل ذلك قولك: ضربه زيد الظهر والبطن، والمعنى: على الظهر والبطن)[(٥)].

---

(١) في (ب): (فيضمر) بالياء.

(٢) في (ب): (يضمرها) بالياء.

(٣) ذكر بعضه الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٢، والوجوه في (الباء) و(ما) في عامة المصادر. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٣٥، والماوردي ٢/ ٢٠٦، و«غرائب الكرماني» ١/ ٣٩٩، و«تفسير البغوي» ٣/ ٢١٨، وابن عطية ٥/ ٤٤٤، و«الفريد» ٢/ ٢٧٧، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٤، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٦٤-٢٦٥: (الظاهر أن الباء للقسم، وما مصدرية) اهـ. وذكر السمين قول ابن الأنباري في أن ما شرطية. وقال: (هذا الذي قاله ضعيف جدًّا، فإنه على تقدير صحة معناه يمتنع من حيث الصناعة، فإن فاء الجزاء لا تحذف إلا في ضرورة شعر، فعلى رأي أبي بكر يكون قوله ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، وذلك القسم المقدر، وجوابه جواب الشرط فيقدر دخول الفاء على نفس جملة القسم مع جوابها تقديره: فبما أغويتني، فوالله لأقعدن، هذا يتمم مذهبه) اهـ.

(٤) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٤-٣٧، و«معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٥.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤، ونحوه ذكر النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٢، والمعاني ٣/ ١٦، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٨٤.

وزاد الفراء بيانًا، فقال[١]: (المعنى -والله أعلم-: لأقعدن لهم على طريقهم وفي[٢]، وإلقاء الصفة[٣] من هذا جائز، كما تقول: قعدت لك وجه الطريق، وعلى وجه الطريق؛ لأن الطريق ظرف[٤] في المعنى، فاحتمل[٥] ما يحتمله اليوم والليلة، والعام إذا قيل: آتيك غدًا وفي غد)[٦].

ومعنى ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ كما ذكره أبو بكر فيما حكينا[٧] عنه، قال ابن عباس في تفسير ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (يريد: دينك الواضح)[٨].

وقال ابن مسعود: (هو كتاب الله)[٩].

---

(١) في (أ): (وقال).

(٢) في «معاني الفراء» (أو في).

(٣) المراد بالصفة هاهنا - عند الكوفيين-: حرف الجر، وكذلك يطلقونه أيضًا على الظرف. انظر: «معجم المصطلحات النحوية» للدكتور محمد اللبدي ص٢٤١، و«حاشية تفسير الطبري» ١٢/ ٣٣٧.

(٤) في (ب): (طرقٌ) -وهو تصحيف-، وفي «معاني الفراء» ١/ ٣٧٥؛ لأن الطريق صفة في المعنى، وما ذكره الواحدي هو تفسير لذلك؛ لأن الفراء يطلق على الظرف لفظ الصفة كما سبق بيانه.

(٥) في (ب): (فاحتمله ما يحتمله) وهو تحريف.

(٦) في «معاني الفراء» ١/ ٣٧٥: (آتيك غدًا أو آتيك في غد). وضعف أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٥، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٦٦-٢٦٨، النصب على إسقاط الخافض لأن حذف حرف الجر لا ينقاس في مثل هذا، ولا يطرد حذفه، بل هو مخصوص بالضرورة. وقالا: (والأولى أن يضمن (لأقعدن) معنى ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على أنه مفعول به، والتقدير: لألزمن بقعودي صراطك المستقيم) اهـ.

(٧) سبق تخريجه عن ابن الأنباري.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٤، وذكره ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٩٥ عن ابن عباس.

(٩) ذكره ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٩٥، وفي أكثر كتب التفسير عن ابن =

وقال جابر بن عبد الله: (هو الإسلام)[(١)].

١٧- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، قال ابن عباس في رواية الوالبي: (﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني آخرتهم، يقول: أشككهم فيها، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أرغبهم في دنياهم)[(٢)].

وهو قول قتادة، قال: (آتيهم ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، ومن ﴿خَلۡفِهِمۡ﴾ من أمر الدنيا فزيَّنها لهم ودعاهم إليها)[(٣)]، ونحو هذا قال الكلبي[(٤)]، وهؤلاء جعلوا الآخرة بين أيديهم لأنهم يردون عليها فهي بين أيديهم، وإذا كانت الآخرة بين أيديهم كانت الدنيا خلفهم لأنهم يخلفونها[(٥)].

= مسعود قال: (طريق مكة).
انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٠٦، وابن الجوزي ٣/ ١٧٦، و«الدر المنثور» ٣/ ١٣٥.

(١) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٧٦، وابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٩٥، وما ذكر تنبيه على بعض أنواع الصراط، والظاهر هو العموم، فالصراط: الطريق وسبيل النجاة، وذلك دين الله الحق، والإسلام وشرائعه، وهو اختيار عامة المفسرين.
انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٣٤، ١٣٥، و«معاني النحاس» ٣/ ١٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٣، و«البغوي» ٣/ ٢١٨، و«ابن عطية» ٥/ ٤٤٦.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٣٦.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٦ بسند جيد.، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند جيد عن قتادة عن الحسن وقال: (وروى عن عكرمة نحو ذلك) اهـ.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٤، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٥ بسند جيد عن الكلبي، وذكره السمرقندي ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ ب.

(٥) ذكر نحوه النحاس في «معانيه» ٣/ ١٨.

وقال الحكم[١] والسدي[٢]: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ (يعني الدنيا ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، من قبل الآخرة). وهو قول ابن عباس في رواية العوفي، قال: (أما ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فمن قبل دنياهم، وأما ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾[٣] فأمر آخرتهم)[٤]. فهؤلاء جعلوا (بين أيديهم) الدنيا؛ لأنها بين يدي الإنسان يسعى فيها ويعمل لها والآخرة تأتي[٥] من بعد.

وقوله تعالى: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، قال الوالبي عن ابن عباس ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: (أُشَبِّه عليهم أمر دينهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أُشَهِّي[٦] لهم المعاصي). وقال في رواية عطاء: (﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ يريد: من قبل الحق، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ يريد: من قبل الباطل)[٧].

---

(١) الحكم بن عتيبة الكندي أبو محمد الكوفي، إمام ثقة فقيه، تقدمت ترجمته، والأثر عنه، أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٦، ١٣٧ بسند جيد، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٤٥ وقال: (روي عن مجاهد والنخعي والحكم وأبي صالح والسدي) اهـ. وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ١٦-١٧، والثعلبي في «الكشف» ص١٨٨/ ب.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٧ بسند جيد وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ ب.

(٣) لفظ: (من) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٦، ١٣٧ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وأخرجه الطبري أيضًا، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٤ بسند ضعيف من طريق عطية العوفي، وذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ١٧-١٨ كلا الروايتين من طريق علي بن أبي طلحة وقال: (وذلك القول لا يمتنع؛ لأن الآخرة لم تأت بعد فهي بين أيدينا وهي تكون بعد موتنا فمن هذه الجهة يقال: هي خلفنا) اهـ.

(٥) في (ب): (يأتي).

(٦) في (ب): (اشتهى)، والمشهور: (اشَهِّي) وقد سبق تخريجه.

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٧٦ عن مجاهد والسدي.

وهو قول الحكم[١] والسدي، قالا: (﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل الحق؛ أصدهم[٢] عنه وأشككهم فيه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل الباطل أخففه[٣] عليهم، وأزينه لهم، وأرغبهم فيه).

وقال[٤] في رواية العوفي: (أما ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فمن قبل حسناتهم، وأما ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ فمن قبل سيئاتهم).

وهو قول قتادة، قال: (﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم بَطَّأَهم عنها ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ زَيَّنَ لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها، أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله)[٥].

قال أبو بكر: (وقولُ من قال: (الأيمان كناية عن الحسنات، والشمائل كناية عن السيئات) حسنٌ؛ لأن العرب تقول: اجعلني في يمينك، ولا تجعلني في شمالك، يريد اجعلني من المقدمين عندك،

---

(١) سبق تخريجه عن الحكم والسدي.

(٢) في (ب): (اصدقهم)، وهو تحريف.

(٣) في (ب): (أحققه)، وهو خلاف ما في المصادر.

(٤) أي ابن عباس من طريق عطية العوفي. وقد سبق تخريجه. وأيضًا أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٦ بسند جيد عن علي بن أبي طلحة.

(٥) سبق تخريجه، وذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ١٦-١٨ نحوه عن الحكم بن عتيبة. وقال: (هذا قول حسن وشرطه أن معنى ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار والأمم السالفة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم حتى يكذبوا بها، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من حسناتهم وأمور دينهم، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨] ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ يعني: سيئاتهم أي: يتبعون الشهوات لأنه يزينها لهم) اهـ.

ولا تجعلني من المؤخرين، أنشدنا أبو العباس[١] لابن الدمينة[٢]:

أَبِينِى[٣] أفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعلْتِنى
فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمالِكِ[٤]

وروى أبو عبيد عن الأصمعي[٥]: (هو عندنا باليمين أي: بمنزلة حسنة، وإذا خست منزلته قال: أنت عندي[٦] بالشمال وقال:

رَأَيْتُ بَنِي العَلَّاتِ لَمّا تَضافَرُوا
يَحُوزون سَهْمِي دُونَهُم فِي الشَّمَائِلِ[٧]

---

(١) أبو العباس: أحمد بن يحيى الإمام ثعلب. تقدمت ترجمته.

(٢) ابن الدُّمَيْنَة: هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد الخَثْعَمي، أبو السَّريّ، شاعر إسلامي، له شعر كثير، والدمينة أمه، توفي سنة ١٣٠هـ.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٨٩، و«الأغاني» ١٧/ ٩٨، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ١/ ٤٢٥، و«الأعلام» ٤/ ١٠٢.

(٣) «ديوانه» ص١٧، و«أمالي الزجاجي» ص١٠٨، و«الأغاني» ١٧/ ٩٦، و«دلائل الإعجاز» للجرجاني ص٩٠، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٩٧، وبلا نسبة في الماوردي ٤/ ٢٩٧، و«وضح البرهان» للغزنوي ٢/ ٤٣١، وهو في «الصناعتين» ص٣٥٥ لطرفة ابن العبد وليس في «ديوانه»، وفي (ب): (أتيني) وهو خلاف ما في المراجع.

(٤) «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٤١١.

(٥) في «الغريب المصنف» ١/ ٣١٨ قال أبو عبيد: (الشمائل واحدها شمال، وقد تكون من الأخلاف ومن خلفه الجسد)، وفي «اللسان» ٨/ ٤٩٦٩ (يمن)، (اليَمين المنزلة، قال الأصمعي: هو عندنا باليمين أي: بمنزلة حسنة) اهـ. وذكره عن أبي عبيد عن الأصمعي، ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ١٩٧ .

(٦) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٢٩، وصاحب «اللسان» ٤/ ٢٣٢٩ (شمل) عن العرب.

(٧) لم أهتد إلى قائله. وهو في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٣١، و«اللسان» ٤/ ٢٣٢٩ (شمل)، و«الدر المصون» ٢/ ٢٧٠، و«بدائع التفسير» ٢/ ١٩٧، وبنو العلات =

أي: ينزلونني بالمنزلة الخسيسة)[١]، وروى الأزهري في هذه الآية عن بعضهم: (﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: لأغوينهم حتى يكذبوا بما تقدم من أمور الأمم السالفة، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ بأمر البعث، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أي: لأضلنهم فيما يعملون؛ لأن الكسب يقال فيه: (ذلك بما كسبت يداك) وإن كانت اليدان لم تجنيا شيئًا، لأن اليدين هما الأصل في التصرف، فجعلت مثلًا لجميع ما عمل بغيرهما)[٢].

وقال ابن الأنباري: (على هذا القول: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ أي: أزهدهم فيما ينبغي أن يعملوا له مما يكسبهم ثواب ربهم، قال: والعرب تذكر (الأيمان) و(الأيدي) عند العمل والفعل فيقول: جنت عليه يده، وكسبت يده، فلما كان ذكر الأيدي مستعملًا في الأفعال والأعمال اكتفى الله تعالى بها من الأفعال)[٣]، وقال آخرون: (ذكر الله تعالى هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد، أي: ثم لآتينهم من جميع الجهات)، وهو اختيار أبي إسحاق؛ قال: (الحقيقة -والله أعلم- أي: أنصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم)[٤].

= -بالفتح- بنو أمهات شتى من رجل واحد لأن الذي تزوجها على أولى قد كانت قبلها ناهل ثم عل من هذه، انظر: «اللسان» ٥/ ٣٠٨٠ (علل).

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤١، عن الأنباري.

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٥. وذكره عن البعض الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٢٥، وصاحب «اللسان» ٨/ ٤٩٦٩ (يمن).

(٣) لم أقف عليه. وانظر: «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٣٥٦، ص٣٧٩.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤، وهذا هو اختيار جمهور المفسرين منهم الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٧، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٣، وابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٤٤٧، وقال القرطبي ٧/ ١٧٦: (ومن أحسن ما قيل في تأويل الآية؛=

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: [أن][١] أكثرهم لإبليس طائعين، ولله عاصين)[٢].

١٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾، قال الكلبي: (من الجنة)[٣] ﴿مَذْءُومًا﴾؛ قال الليث: (ذَأَمت الرجل فهو مذؤوم أي: محقور، والذَّأم: الاحتقار)[٤].

ونحو ذلك قال الأصمعي[٥] وأبو زيد: (ذَأَمْته أذْأَمه إذا حقرته وذَمَمْته)[٦]، وقال أحمد بن يحيى: (ذَأَمته عِبْتُه)[٧].

وقال الفراء: (ذَأَمته ذأمًا فأنا أذأمه إذا عبته)[٨].

= أي: لأصدنهم عن الحق وأرغبنهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية في الضلالة) فالراجح في الآية أنه يأتيهم حقيقة من جميع الوجوه الممكنة من حيث لا يبصرون، ومن جميع طرق الخير والشر، فالخير يصدهم عنه والشر يحسنه لهم، وانظر: «تأويل المشكل» ص٢٤٨، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٢٢٩.

(١) لفظ: (أن) ساقط من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٤، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٦ بسند جيد عن ابن عباس قال: (موحدين)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٣٦.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٣، والثعلبي ١٨٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٤، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٩.

(٤) «العين» ٨/ ٢٠٣، وذكره عن الليث. الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤٣، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٦٥، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٧١.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٤، وفيه: (ذأمته، ودأمته: إذا حقرته وخزيته) اهـ. وفي ١٤/ ٤١٦، قال: (والذَّام: العيب) اهـ.

(٦) «النوادر» ص٩٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٤.

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٦٤، وفيه زاد: (وذأمته أكثر من ذممته) اهـ.

(٨) «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٣، و«زاد المسير» ٣/ ١٧٨، ولم أقف عليه في «معانيه».

وقال ابن الأنباري: (المذؤوم المذموم، يقال: ذَأَمْت الرجل أَذْأَمُه وذِمْتُه أَذِيمُهُ ذَيْمًا وذَمَمْتُه أَذُمُّه ذَمًّا بمعنى)[١] وأنشد[٢]:

وأقــامــوا حــتــى أبــيــرَوا جــمــيــعًــا
فــي مَــقــامٍ وكــلُّــهــم مَــذْؤُومُ

وقال أمية في اللغة الثانية:

وقَــالَ لإبــلــيــسَ ربُّ الــعــبــادِ
[أنْ][٣] اخُرجْ دحيرًا لعينًا مذُوما[٤]

---

(١) «الزاهر» لابن الأنباري ٢/ ٣، وانظر: «معاني الأخفش»٢/ ٢٩٥، و«غريب اليزيدي» ص١٤٤، والخلاصة: أن مذءوم اسم مفعول من ذَأمه مهموز إذا عابه واحتقره ودحره وذمَّه ذأمًا، وقد تسهل همزة ذأم فتصير ألفًا فيقال: ذام. يقال: ذأمه يذأمه -كرأم- وذامه يذيمه كباعه من غير همز، فمصدر المهموز ذأم -كَرأْس-، وأما مصدر غير المهموز فسمع فيه ذام بألف، وحكى فيه ذَيْمًا كيَنْع، أفاده السمين في «الدر) ٥/ ٢٧١.

وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٤، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٩٧، و«الصحاح» ٥/ ١٩٢٥، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٦٨، و«المجمل» ٢/ ٣٦٤، و«الأفعال» للمعافري ٣/ ٦٠٣-٦٠٤، و«المفردات» ص٣٣١، و«اللسان» ٣/ ١٤٨٢ (ذأم).

(٢) الشاهد لحسان بن ثابت -رضي الله عنه- في «ديوانه» ص٢٢٦ برواية:

لـم يُوَلُّـوا حَتَّى أُبِيدُوا جَميعًا فــي مَــقَــامٍ وكــلُّــهــمِ مَــذْمُــومُ

وهو في «الزاهر» ٢/ ٣، و«زاد المسير» ٣/ ١٧٨، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧١، وأبيروا -أي: أهلكوا- انظر: «اللسان» ١/ ٣٨٥ (بور). وذكره ابن هشام في «السيرة» ٢/ ١٢٤ ضمن قصيدة طويلة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد.

(٣) لفظ: (أن) ساقط من النسخ.

(٤) الشاهد في «ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي» ص٢٣٥، و«تفسير الثعلبي» ١٨٨ب، والرازي ١٤/ ٤٤، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٢، وقال السمين: (أنشده الواحدي على لغة ذامه بالألف، يذيمه بالياء، وليته جعله محتملًا للتخفيف من لغة الهمز) اهـ.

وقال ابن قتيبة: (﴿مَذْءُومًا﴾ [مذمومًا][1] بأبلغ الذم)[2]. وقوله: ﴿مَّدْحُورًا﴾؛ الدحر في اللغة[3]: الطرد والإقصاء والتبعيد يقال: دَحَره دَحْرًا ودُحورًا إذا طرده وبعده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨-٩]، وقال أمية:

وبإذنه سجدوا لآدمَ كلهمْ إلا لعينًا خاطئًا مَدْحورًا[4]

وأما لفظ المفسرين في تفسير هذين الحرفين، فقال ابن عباس: (﴿مَذْءُومًا﴾ ممقوتًا)[5]، وروى عطية عنه: (﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ يعني: صغيرًا مقيتًا)[6].

وقال في رواية عطاء: (يريد: صاغرًا ملعونًا)[7]، وكل واحد منهم أتى بلفظ قريب المعنى مما ذكره أهل اللغة.

وقوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، اللام فيه لام القسم، وجوابه قوله[8]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾.

---

(١) لفظ: (مذمومًا) ساقط من (ب).
(٢) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٦، ونحوه ذكر أبو عبيدة في «المجاز» ١/ ٢١١، والطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٨، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٣.
(٣) انظر: «العين» ٣/ ١٧٧، و«الجمهرة» ١/ ٥٠١، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١١٥٣، و«الصحاح» ٢/ ٦٥٥، و«المجمل» ٢/ ٣٤٧، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٣١، و«المفردات» ص٣٠٨، و«اللسان» ٣/ ١٣٣٣ (دحر).
(٤) «ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي» ص٢٣٥، و«تفسير الرازي» ١٤/ ٤٤، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٢.
(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٦ بسند جيد.
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٤٧ بسند ضعيف.
(٧) لم أقف عليه، وانظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٠٨، والبغوي ٣/ ٢١٩.
(٨) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٥، والزجاج ٢/ ٣٢٥، و«تفسير الطبري» =

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾[(١)]. قال أبو بكر: (الكناية تعود على ولد آدم لأنه حين قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] كان مخاطبًا لولد آدم فرجع إليهم)[(٢)].

قال ابن عباس: (يريد: من أطاعك منهم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: يريد: المشركين والمنافقين والكافرين وقرنائهم من الشياطين)[(٣)].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[(٤)]، الآية مفسرة في سورة البقرة[(٥)].

٢٠- وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، قال الليث: (الوسوسة: حديث النفس والصوت الخفي من ريح تهز قصبًا أو شيئًا، كالهمس، وبه سمي صوت الحلي وسواسًا)[(٦)].

= ٨/ ١٣٩، و«إعراب النحاس» ١/ ١٠٣، وفي هذه اللام وجهان: أظهرهما قول الجمهور أن اللام توطئه لقسم محذوف، و(من) شرطية في محل رفع بالابتداء ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة، وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده. والثاني: أن اللام للابتداء، و(من) موصولة و﴿تَبِعَكَ﴾ صلتها، وهي أيضًا في محل رفع بالابتداء، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم محذوف، وهو وجوابه في محل رفع خبرًا لهذا المبتدأ والتقدير: للذي تبعك منهم، والله لأملأن جهنم منكم.

انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٥٠، و«التبيان» ١/ ٣٧٠، و«الفريد» ٢/ ٢٧٩، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٣.

(١) في النسخ: ﴿مِّنهُمْ﴾. ويحتمل أنه يريد: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٧٨، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤٤.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٥، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٨٤ نحوه.

(٤) لفظ: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ ساقط من (ب).

(٥) انظر: «البسيط» البقرة: ٣٥.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٤.

ثعلب عن ابن الأعرابي: (رجل موسْوِس، ولا يقال: موَسوَس)[١] [الأزهري (وإنما قيل: موسوس][٢]؛ لأن نفسه توسوس له[٣]. قال الله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾[٤] [ق: ١٦]، وقال رؤبة يصف الصياد:

وَسْوَسَ يَدْعُو[٥] مُخْلِصًا ربَّ الفَلَقْ[٦]

يقول: لما أحس بالصيد وأراد رميه وسوس في نفسه يخطئ أو يصيب)، قال الأخفش[٧]: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ (يعني: إليهما)[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٤، ومُوَسوِس -بكسر الواو- ولا يقال مُوَسْوَس -بفتح الواو-. انظر: «الجمهرة» ١/ ٢٠٥، و«المجمل» ٣/ ٩١٢، و«مقاييس اللغة» ٦/ ٧٦، و«المفردات» ص٨٦٩ (وسوس).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٤: (لأنه يحدث نفسه بما في ضميره) اهـ.

(٤) في (أ): (ويعلم) بالياء، وهو تصحيف.

(٥) في النسخ: (يدعوا).

(٦) «ديوان» رؤبة بن العجاج ص١٠٨، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٤٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٤، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٥٦، و«اللسان» ٨/ ٤٨٣١ (وسس)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٦، وعجزه:

سِرًّا وَقَدْ أَوَّنَّ تَـأَوِيـنَ الـعُـقُـقْ

قال في «اللسان» ٥/ ٣٠٤٤ (عقق) في شرحه للشاهد: (أون شربن حتى انتفخت بطونهن فصار كل حمار كالأتان العقوق وهي التي تم حملها وقرب ولادها) اهـ.

(٧) «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٦، وفيه: (والعرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل) اهـ. ومثله ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٠، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٣، والجوهري في «الصحاح» ٣/ ٩٨٨ (وسوس)، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٨، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٧٥: (الفرق بين وسوس له ووسوس إليه أن وسوس له بمعنى لأجله، ووسوس إليه ألقى إليه الوسوسة) اهـ.

(٨) في (أ) جاء تكرار، قوله: (وسوس في نفسه) إلى آخره.

وقوله تعالى: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾، هذه اللام تسمى لام العاقبة[١]؛ وذلك أن الشيطان لم يقصد بالوسوسة بدو عورتهما، ولم يعلم أنهما إن أكلا من الشجرة بدت عوراتهما، وإنما كان قصده أن يحملهما على المعصية فقط، فلما بدت عوراتهما وكان ذلك بسبب معصيتهما جاز أن يقال: فعل ذلك لذلك[٢] كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

٢٠- قوله تعالى: ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ أي: ما ستر؛ من المُواراة يقال: وَارَيْته فأنا أُوَاريه أي: سترته، ويقال: وَارَيْت الميت في التراب أي: دفنته[٣]، ومنه قول النبي ﷺ لعلي ﷺ لما أخبره بوفاة أبيه[٤] قال: (اذهب فوارِه)[٥] قال الشاعر:

---

(١) وهي التي يسميها الكوفيون (لام الصيرورة). انظر كتاب «اللامات» للزجاجي ص١١٩، ولمحمد الهروي ص١٨٢.

(٢) هذا قول الجمهور أنها للعاقبة والصيرورة، ورجح أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٨، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٧٦، وهو الظاهر أنها لام العلة الباعثة على أصلها؛ لأن قصد الشيطان ذلك وهو يعلم ذلك بالإلهام أو بالنظر فهو وسوس لهما لغرض إيقاعهما في المعصية ابتداء ولغرض الإضرار بهما؛ لأن طبعه عداوة البشر، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٥٧، وابن عاشور ٨/ ٥٧.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٥٢٣، و«المفردات» ص٨٦٦، و«اللسان» ٨/ ٤٨٢٣ (ورى).

(٤) في (ب): (ابنه)، وهو تصحيف.

(٥) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ١١٢، ١٣٦، وأبو داود (٣٢١٤) كتاب الجنائز، باب: الرجل يموت له قرابة مشرك، والنسائي في الطهارة، باب: الغسل من مواراة المشرك ١/ ١١١، وفي الجنائز ٤/ ٧٩، باب مواراة المشرك عن علي رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: (إن أبا طالب مات قال: «اذهب فواره» قال: إنه مات مشركًا. فقال: «اذهب فواره» فلما واريته رجعت إليه فقال لي: «اغتسل» =

علَى صدى أسود المُوارِي في التُّرْب أمسى وفي الصفيح[1]

والسَّوأة فرج الرَّجُل والمرأة، وذلك لأن ظهوره يسوء الإنسان[2] .

قال ابن عباس: (كانا قد ألبسا ثوبًا يستر العورة منهما، فلما عصيا تهافت عنهما ذلك الثوب، وذلك قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾)[3] [الأعراف: ٢٢].

٢٠- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾، قال ابن الأنباري: (يمكن أن يكون هذا مخاطبة من إبليس لهما، ويمكن أن يكون بوسوسة أوقعه في قلوبهما، والأمران مرويان إلا أن الأغلب والأكثر مخاطبته إياهما بدليل قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾)[4].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ تقديره: (إلا أن لا تكونا) عند الكوفيين، وعند البصريين (إلا كراهية أنْ تكونا) فحذف المضاف[5].

فإن قيل: كيف أطمع إبليس لعنه الله آدم في أن يكون ملكًا عند أكله من الشجرة، فانقاد له مؤملًا ذلك، وقد شاهد الملائكة متواضعة ساجدة

= ودعا لي) اهـ. وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى إسناده في الحاشية.

(١) لم أهتد إلى قائله، وهو في «الدر المصون» ٥/ ٢٧٧. والصَفِيح: الحجارة العريضة. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٥٥ (صفح).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣ (ساء)، و«المفردات» ص٤٤١-٤٤٢ (سوأ).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٦، والبغوي ٣/ ٢٢٠، والرازي ١٤/ ٤٦.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤٧ بدون نسبة.

(٥) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٦، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٤٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٤، و«المشكل» ١/ ٢٨٤، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٧٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٨٧: (قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ استثناء مفرغ وهو مفعول من أجله فيقدره البصريون: إلا كراهة أن تكونا، وقدره الكوفيون: إلا أن لا تكونا، وإضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف) اهـ. ملخصًا.

له، معترفة بفضله؟ فيقال: إن آدم علم أن الملائكة لا يموتون إلا يوم القيامة، ولم يعلم ذلك لنفسه، فعرض عليه إبليس أن يصير ملكًا في البقاء ولا يموت كما لا يموتون[1]، وكان[2] ابن عباس يقرأ: ﴿مَلِكَيْنِ﴾[3]، ويقول: (ما طمعا في أن يكونا ملَكين، لكنهما استشرفا[4] إلى أن يكونا مَلِكين، وإنما أتاهما الملعون من جهة المُلك، يدل على هذا قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾)[5] [طه: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: لا يموتان)[6].

٢١- قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾. قال ابن عباس: (حلف لهما)[7]. يقال: أَقْسم[8] يقسم إقسامًا إذ حلف، والقَسَم اليمين، وكذلك قاسم وهو من المفاعلة التي تكون من واحد[9].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢١٩، والرازي ١٤/ ٤٧، والقرطبي ٧/ ١٧٨ .
(٢) في (ب): (فكان).
(٣) قراءة الجمهور ﴿مَلَكَيْنِ﴾ -بفتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة- وقرأ ابن عباس وغيره ﴿مَلِكَيْنِ﴾ -بكسر اللام-، بمعنى ملكين من الملوك، وهي قراءة شاذة. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٤٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٤، و«مختصر الشواذ» ص٤٨.
(٤) في (ب): (استسرفا).
(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤٧، والقرطبي ٧/ ١٧٨-١٧٩.
(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٥.
(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٦ .
(٨) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٦١، و«الصحاح» ٥/ ٢٠١٠، و«مجمل اللغة» ٣/ ٧٥٢، و«المفردات» ص٦٧٠، و«اللسان» ٦/ ٣٦٣٠ (قسم).
(٩) قال البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢١٩: (أي: وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد) اهـ.
وقال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٧٩: (وجاء فاعلت من واحد، وهو يرد على من =

قال خالد بن زهير[١]:

وَقَاسَمَهُمَا بِاللهِ جَهْدًا لأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذَا مَا نَشُورُهَا[٢]

قال قتادة: (حلف لهما بالله حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله)[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، قال قتادة: (قال لهما إبليس: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما)[٤].

قال أبو علي: (الجار في قوله ﴿لَكُمَا﴾ يتعلق بما بعدها، لأن التقدير إني لمن الناصحين لكما)[٥] وشرح هذا وبيانه مذكور في سورة

= قال: إن المفاعلة لا تكون إلا من اثنين) اهـ. وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٧٢، وابن عطية ٥/ ٤٥٩، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٧٩، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٩.

(١) خالد بن زهير الهذلي، شاعر أموي، مشهور، جرت بينه وبين خاله أبي ذؤيب الهذلي أشعار وخصومة.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٣٥، و«شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٢٠٧، و«الخزانة» للبغدادي ٥/ ٧٦.

(٢) «شرح ديوان الهذليين» ١/ ٢١٥، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٤١، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٢٦ (سلا)، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٥٩، و«اللسان» ٤/ ٢٠٨٦ (سلا)، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٧٩، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٩، والسَّلْوى هنا العسل، والشور أخذ العسل من الخلية، أفاده السكري والأزهري.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥١ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٣٩.

(٤) هذا تابع للأثر السابق الذي سبق تخريجه.

(٥) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٤/ ٣٤٣-٣٤٤، وزاد فيه: (يتعلق بما يدل عليه النصح المظهر، وإن لم يسلط عليه والتقدير: إني ناصح لكما من الناصحين) اهـ. وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٤، و«المشكل» ١/ ٢٨٥، و«الدر المصون» ٥/ ٢٧٩.

هود[١] عند قوله ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢] [هود: ٤٦].

٢٢- قوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ الآية، معنى التدلية[٣] في اللغة: التعليق، يقال: دلى فلان الشيء في مهواة، وتدلى ذلك الشيء بنفسه.

قال أبو عبيدة: (دلاهما: خذلاهما وخلاهما من تدلية الدلو، وهو إرسالها في البئر)[٤].

وقال أبو إسحاق: (دلاهما في المعصية[٥] بأن غرهما)[٦].

وذكر أبو منصور الأزهري -رحمه الله- لهذه الكلمة أصلين:

أحدهما: قال: (أصله الرجل العطشان يدلي في البئر ليروى من الماء فلا يجد فيها ماء، فيكون مدلى فيها بالغرور، فوضعت التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعًا، فيقال: دلاه إذا أطمعه[٧] ومنه قول أبي جندب[٨] الهذلي:

---

(١) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٣٢ أ.

(٢) لفظ: ﴿بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ساقط من (ب).

(٣) انظر: «العين» ٨/ ٦٩، و«الجمهرة» ٢/ ٦٨٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٣٩، و«المفردات» ص٣١٧ (دلو).

(٤) ذكر الثعلبي في «الكشف» ١٨٨ ب، ولم أقف عليه في «مجاز القرآن».

(٥) في (ب): (دلاهما في المعصية غرهما بأن غرهما)، وهو تحريف.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٧. انظر: «معاني النحاس» ٣/ ٢١.

(٧) في (ب): (إذا أطعمه)، وفي (أ): (إذا طعمه)، وهو تحريف.

(٨) أبو جُنْدَب بن مُرَّة بن قرد الهذلي، شاعر جاهلي، وهو أحد عشر إخوة كانوا جميعًا شعراء دهاة.

انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٤٠، و«شرح ديوان الهذليين» ١/ ٣٤٥، و«الأغاني» ٢٢/ ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣٠.

أَحُصُّ فلا أُجِيرُ وَمنْ أُجِرْهُ فَلَيْسَ كَمَنْ يُدَلَّى بالغُرُورِ[١]

أحص: أقطع.

والثاني: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾، أي جرأهما[٢] إبليس على أكل الشجرة بغروره[٣] [و][٤] الأصل فيه[٥] دَلَّلهمَا من الدَّالّ[٦] والدَّالَّة: وهي الجرأة)[٧].

قال شمر: (يقال: ما دَلَّك علي، أي: ما جَرَّأك علي)[٨]، وأنشد لقيس بن زهير[٩]:

أَظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قَومِي وقد يُسْتَجْهَلُ الرجلُ الحَليمُ[١٠]

---

(١) «شرح ديوان الهذليين» ١/ ٣٥٥، و«اللسان» ٣/ ١٤١٨ (دلا)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨١، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ في شرح البيت: (أحص: أمنع، وقيل: أقطع ذلك، وقوله: كمن يدلي أي: يُطمع) اهـ.

(٢) في (أ): (أي أخبرهما)، وهو تحريف.

(٣) في (ب): (بغرور).

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (فيهما).

(٦) في (ب): (من الدلال)، وهو تحريف.

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤.

(٨) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٢١.

(٩) قَيْس بن زُهَيْر بن جَذِيمة العَبْسي، شاعر جاهلي، وفارس عبس وسيدها، ومعدود في الأمراء والدهاة والشجعان والخطباء والشعراء، وهو صاحب الفرسين داحس والغبراء، وكان شريفًا، حازمًا ذا رأي، يضرب بدهائه المثل.
انظر: «معجم المرزباني» ص١٧٨، و«الإصابة» ٣/ ٢٨٢، و«الأعلام» ٥/ ٢٠٦.

(١٠) الشاهد في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٢١، و«اللسان» ٣/ ١٤١٣ (دلل)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨١، وقال المرزباني في «معجمه» ص١٧٨ في شرح البيت: (ليس قوله: وقد يستجهل الرجل الحليم بمعنى ينسب إلى الجهل، وإنما هو بمعنى =

قال محمد بن حبيب[(١)]: (معناه: جَرَّأهم)[(٢)].

قال ابن عباس: (يريد: غرهما باليمين، وكان آدم يظن أنه لا أحد يحلف بالله كاذبًا)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾، قال ابن عباس: (يريد: ظهرت عورتهما وتقلص ذلك النور عنهما، فصار أظفارًا[(٤)] في الأيدي والأرجل)[(٥)].

قال وهب[(٦)]: (كانْ على فرج آدم نور يحول بينه وبين النظر إليه

= يستخرج الجهل من الحليم، يريد أن حلمه جرأ عليه قومه فتوعدهم بقوله: وقد يستدعى الجهل من الحليم) اهـ.

(١) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي -مولاهم- أبو جعفر البغدادي، علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، له عدة مصنفات منها المحبر، والمؤتلف والمختلف في النسب، والمنمق، وغيرها، توفي سنة ٢٤٥هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٧٧، و«إنباه الرواة» ٣/ ١١٩، و«معجم الأدباء» ١٨/ ١١٢، و«البغية» ١/ ٧٣، و«الأعلام» ٦/ ٧٨.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٢١، وفيه: (دل على قومي أي: جرأهم) اهـ.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٨٠، والرازي ١٤/ ٤٩، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٤، والبغوي ٣/ ٢١٩، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٠١.

(٤) في (ب): (أظفرًا).

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٤٣ بسند ضعيف عنه نحوه، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٣٩، وأخرج الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣١٩، عن ابن عباس قال: (كان لباس آدم وحواء مثل الظفر، فلما ذاقا الشجرة، جعلا يخصفان عليهما من روق الجنة، قال: وهو ورق التين) اهـ. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) اهـ. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(٦) وَهْب بن مُنبه بن كامل اليماني، تقدمت ترجمته.

فلا[١] يبصره، فلما عصى بدت عورته)[٢].

وقال قتادة: (كان لباس آدم وحواء في الجنة ظفرًا[٣] كله، فلما واقعا الذنب كُشِط[٤] عنهما، وبدت سوءاتهما فاستحيا وطفقا يخصفان الورق عليهما)[٥].

وقال الكلبي: (فلما أكلا منها تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه فاستحيا)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، قال الليث: (طَفِق بمعنى علق يفعل كذا، وهو يجمع ظل وبات)[٧]. وقال الزجاج: (معنى طفق: أخذ في الفعل)[٨].

---

(١) في (ب): (ولا يبصره).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٣، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٣١، وقال: (رواه ابن جرير بسند صحيح إليه).

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ١٥٨: (وفي الحديث: «**كان لباس آدم** عليه السلام **الظُّفُر**» بتشديد الظاء والضم، أي شيء يشبه الظُّفُر في بياضه وصفائه وكثافته) اهـ. انظر «اللسان» ٥/ ٢٧٥٠ (ظفر).

(٤) الكشط: القلع والنزع والكشف. انظر: «اللسان» ٧/ ٣٨٨٣ (كشط).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٣ بسند ضعيف. وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٨ ب، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٠.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٠.

(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٠٠، وفيه: (وهو يجمع معنى ظل وبات) اهـ.
وانظر: «العين» ٥/ ١٠٦، و«الجمهرة» ٢/ ٩١٥، و«الصحاح» ٤/ ١٥١٧، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤١٣، و«المفردات» ص٥٢١، و«اللسان» ٥/ ٢٦٨١ (طفق).

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٧، ونحوه ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٢٢.

وقال ابن قتيبة ﴿وَطَفِقَا﴾ أي: علقا وأقبلا، يقال: طفِقْت أفعل كذا)[١].

وقوله تعالى: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ أي: يطبقان[٢] على أبدانهما الورق.

وقال الزجاج: (معنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾: يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقع النعل: خَصَّاف وهو يخصِفُ)[٣] والمِخْصَفُ مِثقَبُ ذلك، ومنه قول الهذلي[٤]:

..... رَوْثَةُ أنْفِها كالمِخْصَفِ[٥]

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٦، وفيه (أي: جعلا وأقبلا ...). ونحوه ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٢، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٤.

(٢) الخصف، بفتح فسكون: الجمع والضم، وكل ما طورق بعضه على بعض، فقد خُصِف.
انظر: «الجمهرة» ١/ ٦٠٤، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٠، و«المجمل» ٢/ ٢٩٠، و«المفردات» ص٢٨٤ (خصف).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٧، ونحوه في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٢، و«غريب اليزيدي» ص١٤٤، و«تفسير الغريب» لابن قتيبة ص١٦٦، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٤٢، و«نزهة القلوب» ص٣١١، و«معاني النحاس» ٣/ ٢٢، و«تفسير المشكل» لمكي ص٨٤.

(٤) هو عامر بن الحليس الهُذلي أبو كَبير، تقدمت ترجمته.

(٥) «شرح ديوان الهذليين» ٣/ ١٠٨٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣٩، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٨٦، و«اللسان» ٢/ ١١٧٤ (خصف)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨٣، وهو يصف العقاب وتمامه:

حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى فِرَاشِ عَزِيزةٍ سَوْدَاءَ ....

وفراش العزيزة يعني: عش العقاب، والروثة: طرف الأنف، المنقار.
والمخصف هو: الذي تخصف به أخفاف الإبل يريد أن منقارها حديد دقيق كأنه مِخْصَفٌ.

وقال الليث: (خصف العريان على نفسه إذا أخذ ورقًا عريضًا يخصف بعضه على بعض يستتر به)[(١)].

وقال الأزهري: (﴿يَخْصِفَانِ﴾ أي: يطابقان بعض الورق على بعض. كما يخصف طرائق النعل بعضها على بعض)[(٢)].

ومنه قول العباس يمدح رسول الله ﷺ:

...... طِبْتَ في الظِّلال وفي مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ[(٣)]

يعني: في الجنة حيث خصف آدم وحواء الورق. قال مجاهد: (﴿يَخْصِفَانِ﴾ يرقعان كهيئة الثوب)[(٤)].

وقال الكلبي: (يخرزان بعضه إلى بعض)[(٥)].

وقال قتادة: (أقبلا وجعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة، وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب)[(٦)].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٤٠، وانظر: «العين» ٤/ ١٨٩، وفيهما: (الاختِصَاف أن يأخذ العريان ورقًا عراضًا فَيَخْصِفُ بعضها على بعض ويستتر بها) اهـ.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣٩، وقوله: (كما يخصف النعل ..) لا يوجد فيه، وانظر: «الزاهر» ١/ ٣٧٦.

(٣) تمامه: (مَنْ قَبْلها طبت ..) وهو في «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة ص٨٨، و«أمالي الزجاجي» ص٤٤، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٢٣١، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣٩، و«أمالي ابن الشجري» ٣/ ١١٤، و«اللسان» ٢/ ١١٧٤ (خصف)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨٣.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٣، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٠.

(٥) في «تنوير المقباس» ٢/ ٨٥ نحوه.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٠، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٥٣ بسند جيد عن قتادة قال: (يوصلان عليهما من ورق الجنة) اهـ.

قال أبو إسحاق: (وفي هذا دليل على أن أمر التكشف وإظهار السوءة قبيح من لدن آدم، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى التستر لقبح التكشف)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]. قال عطاء: (بلغني أن الله ناداهما أفرارًا مني يا آدم؟ قال: بل حياء منك يا رب، ما ظننت أن أحدًا يقسم باسمك كاذبًا، ثم ناداه ربه: أما خلقتك بيدي، أما نفخت فيك من روحي، أما أسجدت لك ملائكتي، أما أسكنتك جنتي في جواري، اخرج من جواري، فإنه لا يجاورني من عصاني)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، قال ابن عباس: (بين العداوة حيث أبى السجود وقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾)[(٣)] [الأعراف: ١٦].

٢٥- وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الأرض أرض الدنيا)[(٤)]، والكناية عائدة إلى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأعراف: ٢٤]، قال الكلبي: (في الأرض تعيشون، وفي الأرض قبوركم، ومن الأرض تخرجون من قبوركم للبعث)[(٥)].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٧-٣٢٨، ومثله ذكر السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٤، وابن الجوزي ٣/ ١٨٠، والقرطبي ٧/ ١٨١.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٤٩.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥٠.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٦.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٨.

٢٦- قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ الآية.
قال سعيد بن جبير: (﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: خلقنا لكم)(١).

قال أبو علي: (﴿أَنزَلۡنَا﴾ هنا كقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]. وكقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر: ٦] أي: خلق)(٢).

وقال صاحب النظم: (هذا من باب التدريج(٣) والترقي، وذلك أن الله تعالى أنزل المطر، فأنبت به النبات، فاتخذ الناس من النبات اللباس، فأوقع الإنزال على اللباس، لما كان بسبب(٤) ما يُنزل وهو المطر)(٥).

قال ابن عباس: ([و](٦) ذلك أن أهل مكة كانوا يطوفون حول البيت

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٨٤. وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٥١، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٨٢.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٢.

(٣) ذكر نحوه مكي في «المشكل» ١/ ٢٨٦، والماوردي ٢/ ٢١٣، وابن عطية ٥/ ٤٧٠، وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في «الفتاوى» ١٢/ ٢٥٤-٢٥٧: (قد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن، فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولًا إلا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابًا بغير لغتها، ومما يبين هذا أنه لم يستعمل فيما خلق من السفليات، وإنما استعمل فيما يخلق في محل عال، وأنزله الله من ذلك المحل كالحديد والأنعام، وقد قيل فيه: خلقناه، وقيل: أنزلنا أسبابه، وقيل: ألهمناهم كيفية صنعته، وهذا الأقوال ضعيفة، واللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام، وكسوة الأنعام منزلة من الأصلاب والبطون، فهو منزل من الجهتين، فإنه على ظهور الأنعام لا ينتفع به حتى ينزل) اهـ. ملخصًا.

(٤) في (ب): (لما كان لسبب مما ينزل).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٨-١٦٩.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

عراة، فقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾[١] يريد: يستر عوراتكم)، ونحو هذا قال مجاهد[٢].

وقال الكلبي: (يعني: الثياب التي تستر العورة من العُري، وذلك لما ذكر من عُري آدم وحواء منّ علينا باللباس)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾، وقرئ: ﴿ورياشا﴾[٤]. قال ابن السكيت: (قالت بنو كلاب[٥]: الرياش هو الأثاث من المتاع ما كان من لباس أو حشو من فراش أو وثار[٦]، والريش من الأموال، وقد يكون في

---

(١) ذكره أكثر أهل التفسير بدون نسبة. انظر: «تفسير الثعلبي» ١٨٩ أ، والماوردي ٢/ ٢١٣، والبغوي ٣/ ٢٢١، وابن عطية ٥/ ٤٧٠، وسيأتي مزيد بيان له في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٢٣، وأخرجه الطبري ٨/ ١٤٦، ١٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٦ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٠.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٨١ بدون نسبة.

(٤) قرأ الجمهور (السبعة): ﴿وَرِيشًا﴾ بإسكان الياء من غير ألف، وقرأ جماعة منهم: عثمان وعلي وابن عباس والحسن، وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهما: ﴿ورياشا﴾ بفتح الياء وألف بعدها، وهو إما جمع ريش، أو مصدر راش ريشًا ورياشًا.
انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٤٧، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٦، و«معاني القراءات» ١/ ٤٠٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٧٨، و«مختصر الشواذ» ص٤٨، و«التذكرة» ٢/ ٤١٧، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧١، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٨٢، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨٧.

(٥) بنو كلاب: بطن من عامر بن صعصعة، كانت ديارهم في جهات المدينة ثم انتقلوا إلى الشام. انظر: «نهاية الأرب» للقلقشندي ص٣٦٥.

(٦) الوِثَار، بالفتح والكسر: الفراش الوطيء. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٦٣ (وثر)، وجاء في (أ): (أو دثار)؛ والدثار، بفتح الدال المشددة: ما يتدثر به والثوب الذي =

الثياب[١] دون المال، وإنه لحسن الريش أي: الثياب).

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: (كل شيء يعيش [به][٢] الإنسان من متاع أو مال ومأكول فهو ريش ورياش)[٣].

قال ابن الأنباري: (يقال: هما المال، ويقال: هما المعاش)[٤].

وقال أبو عبيدة: (الريش[٥] ما ظهر من اللباس والشارة[٦]، قال: ويقال: أعطاه رجلًا بريشه يراد: بكسوته [و][٧] جهازه).

وقال رؤبة:

= يستدفأ به فوق الشِّعار. انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٢٦ (دثر)، والنص في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٤٧. وانظر: «إصلاح المنطق» ص٣٠، وذكر مثله ابن جني في «المحتسب» ١/ ٢٤٦ عن أبي الحسن الأخفش.

(١) في (ب): (النبات)، وهو تصحيف.

(٢) لفظ: (به) ساقط من (ب).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥١، وفي «مجالس ثعلب» ١/ ٣٥، قال: (الريش والرياش: اللباس الحسن) اهـ. وفي «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣١٨، عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: (راش فلان صديقه يريشه ريشًا: إذا جمع الرِّيش وهو المال والأثاث) اهـ.

(٤) انظر: «الزاهر» ١/ ٢٥٠-٢٥١، وفيه قال: (الرياش في قول جماعة من المفسرين: المال، وكذلك الريش، والرياش: المعاش، ويقال: الرياش ما ستر الإنسان وواراه، وقد تريش الرجل معناه: قد صار إلى معاش ومال) اهـ. ملخصًا.

(٥) في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٣: (الرياش والريش واحد وهو ..). وأيضًا قال: (والرياش أيضًا الخصب والمعاش) اهـ.
ومثله ذكر السجستاني في «نزهة القلوب» ص٢٥١.

(٦) الشارة: الحُسن والهيئة واللباس، وما يلبس من عمامة ونحوهما. انظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٥٧ (شور).

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

إِلَيكَ أَشْكُو شِدَّةَ المَعِيشِ وَجَهد أَعْوَامٍ نَتَفْنَ رِيشِي[١]

أي: ذهبن بخصبي وجدتي.

وقال الفراء: (يجوز أن يكون الرياش جمع الريش، ويجوز أن[٢] يكون بمعنى الريش كما قرأ: لِبْس ولباس)[٣].

وقال الزجاج: (الرياش: اللباس، والريش: كل ما ستر الرجل في معيشته، يقال: تريش فلان أي: صار له ما يعيش به)[٤].

وأنشد[٥]:

فَرِيشي[٦] مِنْكُمُ وَهَوايَ مَعْكُمْ وإنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا

---

(١) «ديوانه» ص٧٨، وقد تقدم تخريجه.

(٢) في «معاني الفراء» ١/ ٣٧٥، قال: (وإن شئت جعلت الرياش مصدرًا في معنى الريش) اهـ.

(٣) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٧، وابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٧٨، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٢٤٦، والريش اسم لهذا الشيء المعروف، أو مصدر راشه يريشه ريشًا إذا جعل فيه الرِّيش. قال السمين في «الدر» ٥/ ٢٨٧: (ينبغي أن يكون الريش مشتركًا بين المصدر والعين، وهذا هو التحقيق) اهـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٨.

(٥) الشاهد لجرير في «ديوانه» ص٤١٠، وللراعي النميري، أيضًا في «ديوانه» ص٢٤٣، و«الكتاب» ٣/ ١٨٧، وبلا نسبة في: «الزاهر» ١/ ٢٥٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٢٣، و«الماوردي» ٢/ ٢١٤، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٣٧٥، و«ابن الجوزي» ٣/ ١٨٢، و«القرطبي» ٧/ ١٨٤، و«رصف المباني» ص٣٩٤، و«اللسان» ٧/ ٤٢٣٤ (معع)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨٧، واللمَّام: الشيء اليسير، انظر: «لسان العرب» ٧/ ٤٠٧٩ (لمم).

(٦) في (ب): (وريشي) بالواو وهي كذلك في «ديوان جرير»، والراعي وبعض المراجع، وفي هامش نسخة (أ): (وهواي فيكم بدل معكم)، وهو كذلك في «ديوان جرير».

وقال عبد الله بن مسلم: (الريش والرياش: ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به)[١] هذا قول أهل اللغة[٢].

فأما المفسرون فقال ابن عباس[٣] ومجاهد[٤] والضحاك[٥] والسدي[٦]: (﴿وَرِيشًا﴾ يعني: مالًا).

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٦، ونحوه ذكر اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤٥، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٤.

(٢) انظر: «العين» ٢/ ٢٨٣، و«الجمهرة» ٢/ ٧٣٦، و«الصحاح» ٣/ ١٠٠٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٤٦٦، و«المجمل» ٢/ ٤٠٩، و«المفردات» ص٣٧٢، و«اللسان» ٣/ ١٧٩٢ (ريش). وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٢٣: (الريش عند أكثر أهل اللغة ما ستر من لباس أو معيشة) اهـ. وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٨٢: (على قول الأكثرين الريش والرياش بمعنى) اهـ. وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٢/ ٢٥٥: (الصحيح أن الريش هو الأثاث والمتاع) اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨ بسند جيد، وهو في «تنوير المقباس» ٢/ ٨٦، و«مسائل نافع بن الأزرق» ص٨٧، وذكر البخاري في «صحيحه» ٥/ ١٩٥، عن ابن عباس قال: (﴿ورياشا﴾: المال) وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٥٧ بسند جيد. وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (الرياش: اللباس والعيش والنعيم) اهـ.
انظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٤١، ولعله يقصد باللباس هنا لباس الزينة والجمال؛ لأن اللباس الضروري لستر العورة ذكر في الآية قبل ذلك، وهذا لا يختلف مع تفسير الريش بالمال، لأنه هو وسيلة الحصول على لباس الزينة والعيش النعيم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨ بسند جيد، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ٢٣، وفي تفسير مجاهد ١/ ٢٣٣ (الرياش المال) اهـ.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨ بسند ضعيف، بلفظ: (رياشا)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٥٧ عن مجاهد والضحاك.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨ بسند جيد بلفظ: (رياشًا) وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٨٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٢٢، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي =

وقال الكلبي: (المعيشة والمال)(١).

وقال ابن زيد: (الريش: الجمال)(٢)، وهو قول زيد(٣) بن علي قال: (اللباس هذا الذي يلبسون ﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾، والريش والرياش: الذي يتجملون به من الثياب)(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قُرئ(٥) بالنصب والرفع، فمن نصب فعلى أنه حمل على أنزل من قوله: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾. وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ على هذا مبتدأ وخبره ﴿خَيْرٌ﴾، ومن رفع قطع اللباس من الأول واستأنف به

= والسدي، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨ بسند ضعيف عن عروة بن الزبير، وقال سفيان الثوري في «تفسيره» ص١١٢: (الريش: المال، والرياش: الثياب) اهـ، وذكر هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ١٢ عن الحسن أنه قال: (الريش: المال والمتاع) اهـ.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٦.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند جيد، ولفظ ابن أبي حاتم: (الرياش).

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين المدني، إمام زاهد فقيه، فصيح، ثقة، وهو الذي ينسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ، وكان مولده سنة ثمانين من الهجرة.
انظر: «وفيات الأعيان» ٥/ ١٢٢، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣٨٩، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٦٦٨، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٦/ ١٧، و«الأعلام» ٣/ ٥٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٦ بسند ضعيف. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤١، وفي «تفسير غريب القرآن» لزيد بن علي ص١٣٩، قال: (الريش والرياش: ما ظهر من اللباس، والرياش أيضًا: المعاش والخِصْب) اهـ.

(٥) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ﴿ولباسَ التقوى﴾ بنصب ﴿وَلِبَاسُ﴾ وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» ص٢٨٠، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٧، و«التيسير» ص١٠٩، و«النشر» ٢/ ٢٦٨.

فجعله مبتدأ، وقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ على هذا صفة[١]، أو بدل أو عطف بيان، ومن قال إن (ذلك[٢]) لغو لم يكن على قوله دلالة؛ لأنه يجوز أن يكون على أحد ما ذكرنا، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر اللباس[٣]، ومعنى قولنا: صفة أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ أشير به إلى اللباس كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه ﴿خَيْرٌ﴾ [وقولنا: يجوز أن يكون بدلًا أو عطف بيان، لأن المعنى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ خير][٤] وكذلك[٥] هو في قراءة عبد الله[٦]، ثم جعل ﴿ذَٰلِكَ﴾ مترجمًا عنه

---

(١) وأكثرهم على أنه صفة، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٥، والطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٠، والأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٤٠٣، وابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٧٨، و«الحجة» ص١٥٤. وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٦: (أولى ما قيل في النصب أنه معطوف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وأولى ما قيل في الرفع أن ترفعه بالابتداء و﴿ذَٰلِكَ﴾ نعته) اهـ.

(٢) نقل قول الواحدي السمين في «الدر» ٥/ ٢٨٨، وقال: (قوله: (لغو) هو قريب من القول بالفصل، لأن الفصل لا محل له من الإعراب على قول الجمهور) اهـ، والذي قال هو فصل الحوفي كما ذكره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٣، والرماني كما ذكره الهمداني في «الفريد» ٢/ ٢٨٦.
وقال ابن هشام في «الإعراب عن قواعد الإعراب» ص١٠٨-١٠٩: (وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة وبعضهم يسميه مؤكدًا وبعضهم يسميه لَغْوا ولكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب) اهـ.

(٣) هذا نص كلام أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٢-١٣، واختيار أبي حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٨٨، أن يكون ﴿لِبَاسُ﴾ مبتدأ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ثان، و﴿خَيْرٌ﴾ خبر الثاني، والجملة خبر الأول، والرابط هنا اسم الإشارة. قال السمين: (وهذا الوجه هو أوجه الأعاريب في هذه الآية الكريمة) اهـ، وانظر: «وضح البرهان» للغزنوي ١/ ٣٥٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب). وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧٢.

(٥) في (أ): (ولذلك).

(٦) قرأ عبد الله بن مسعود وأبي -رضي الله عنهما-: (ولباس التقوى خير). ذكره =

وبيانًا له، وهذا كله معنى قول الزجاج[١] وأبي علي[٢] وابن الأنباري[٣].

وأما معنى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، فقال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: إن ستر عوراتكم بعضكم من بعض من التقوى فلا تطوفوا عراة)[٤] وهو قول ابن زيد[٥] واختيار الزجاج.

[قال ابن زيد: (هو ستر العورة؛ يتقي الله فيواري عورته)، وقال الزجاج: (أي][٦] وستر العورة (لباس المتقين) على أن يكون (لباس التقوى) مرفوعًا بإضمار (هو)، المعنى: وهو ﴿لِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: اللباس الذي أنزل الله تعالى ليواري سوءاتكم هو ﴿لِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾)[٧] وهذا وجه آخر[٨] في رفع اللباس سوى ما ذكرنا، قال أبو بكر: (وعلى هذا، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هو اللباس الأول، وإنما أعاده الله لما أخبر عنه بأنه خير من التعري

= الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٥، وابن خالويه في «إعراب القراءات» ١/ ١٧٨، و«مختصر الشواذ» ص٤٨، وذكرها النحاس في «معانيه» ٣/ ٢٤ عن الأعمش.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٨، وفيه ﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة.

(٢) «الحجة» ٤/ ١٢-١٣، وانظر «الحجة» لابن زنجلة ص٢٨٠.

(٣) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٨٨-٢٨٩، ونحوه ذكر مكي في «الكشف» ١/ ٤٦١، وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٥٢.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٨ بسند جيد.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٩.

(٨) وعليه يكون ﴿لِبَاسُ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو، وقوله ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ جملة أخرى من مبتدأ وخبر، وقدره النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٠٦، ومكي في «المشكل» ١/ ٢٨٦، وستر العورة لباس المتقين، وانظر: «البيان» ١/ ٣٥٨، و«التبيان» ١/ ٣٧١، و«الفريد» ٢/ ٢٨٦، و«الدر المصون» ٥/ ٢٨٨.

إذ كان جماعة من أهل الجاهلية يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت، فجرى هذا في التنكير مجرى قول القائل: (قد عرَّفتُك الصدقَ وأبوابَ[(١)] البر، والصدقُ خير لك من غيره) فيعيد الصدق لإخباره عنه بالخبر المحدد)[(٢)].

وقال قتادة[(٣)] والسدي[(٤)] وابن جريج[(٥)] [(﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: الإيمان).

وقال ابن عباس في رواية عطية][(٦)] (﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: العمل الصالح)[(٧)]، وهو قول سعيد بن جبير[(٨)]، وروى الذيال[(٩)] بن عمرو

---

(١) في (ب): (واثواب).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٩، والبغوي ٣/ ٢٢٢، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣، وقال القرطبي ٧/ ١٨٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٣: (قال ابن زيد: هو ستر العورة، وهذا فيه تكرار؛ لأنه قد قال: ﴿لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾) اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤١.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩ بسند جيد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩ بسند جيد، وذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٩أ، والماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢١٤، والبغوي ٣/ ٢٢٢، عن قتادة والسدي، وذكره ابن الجوزي ٣/ ١٨٣ عن قتادة والسدي وابن جريج.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٧ بسند ضعيف.

(٨) لم أقف عليه، وفي «الوسيط» للمؤلف ١/ ١٧٠ عن سعيد بن جبير قال: (السمت الحسن)، وجاء في أصل نسخة: (أ) سعيد بن جريج، ثم ضرب عليه وصحح إلى ابن جبير.

(٩) الذيال بن عمرو، تابعي روى عنه محمد بن موسى، وعبد الله بن داود الواسطي، وذكر ابن الأثير في «الكامل» ٤/ ٣٣٩ في حوادث سنة ٧١هـ الذيال الكلبي، ولم أجد له سوى ما ذكرت. انظر: «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٦٨، وتعليق الشيخ أحمد شاكر الملحق في «تفسير الطبري» ١٢/ ٥٨٩ (٧).

عنه[١] قال: (هو السمت الحسن).

وقال الكلبي: (﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: العفاف والتوحيد؛ لأن المؤمن لا تبدو له عورة، وإن كان عاريًا من الثياب، والفاجر لا يزال تبدو[٢] له عورة وإن كان كاسيًا)[٣].

وقال معبد[٤]: (هو الحياء)[٥]، وينشد على هذا[٦]:

إنّي كأنّي أرَى مَنْ لاَ حَيَاءَ لَهُ وَلاَ أَمَانَةَ بين النَّاسِ[٧] عُرْيانا

قال أبو علي: (معنى الآية وتأويله: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به، وأقرب له إلى الله مما خلق له من اللباس والرياش الذي يتجمل

---

(١) أي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- كما هو ظاهر رواية الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩، وذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٨٩، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٨٣، وابن كثير ٢/ ٢٣٢.

(٢) في (أ): (يبدوا).

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ٨٦، قال: (التوحيد والعفة)، وذكر الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٢، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣ عنه قال: (العفاف).

(٤) معبد الجهني، يقال: هو معبد بن خالد، أو معبد بن عبد الله، نزيل البصرة، تابعي، صدوق مبتدع، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة، وقد نهى جماعة من التابعين عن مجالسته وقالوا عنه: هو ضال مضل، قتل سنة ٨٠هـ، انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٨٥، و«البداية والنهاية» ٩/ ٣٤، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١١٥.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥٨ من عدة طرق جيدة، وذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٢٥٠، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٢.

(٦) الشاهد لسَوَّار بن مُضَرَّب في «النوادر» لأبي زيد ص٤٥، و«الحماسة» لأبي تمام ٢/ ١٣٨، وبلا نسبة في «غريب القرآن» ص١٧٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٦، والثعلبي ص١٨٩/ أ، وابن الجوزي ٣/ ١٨٣.

(٧) في المصادر السابقة (وسط الناس) بدل (بين الناس).

به، قال: وأضيف اللباس إلى ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾، كما أضيف إلى الجوع في قوله: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾) [النحل: ١١٢][١] والمعنى: ما ظهر عليهم من السكينة والإخبات[٢] والعمل الصالح، فاستعير لذلك اسم اللباس، وهذا معنى قول ابن عباس: (﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أي: أزكى عند الله)[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال الكلبي: (يعني: اللباس والرياش ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾)[٤]. قال ابن عباس: (يريد: من فرائض الله)[٥]، يعني: إن ستر العورة مما أوجبه الله بآياته[٦].

وقال غيره: (أي: إنزاله اللباس وخلقه إياه مما يدل على توحيده)[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: كي[٨] يتعظوا)[٩].

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٣.

(٢) هذا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص١٦٥، والأحسن في معنى الآية العموم، فكل ما يحصل به الاتقاء المشروع فهو من لباس التقوى، وهو يصدق على كل ما فيه تقوى الله فيندرج تحته جميع ما ذكر من الأقوال، فهي كلها مثل ومن لباس التقوى، وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥١، وابن عطية ٧/ ٣٩-٤٠، والقرطبي ٧/ ١٨٥، وأبو حيان ٤/ ٢٨٣.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٨٧: (﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ من عجائب الله) اهـ.

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ١٨٢.

(٧) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٣٣، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥١، والسمرقندي ١/ ٥٣٦.

(٨) في (ب): (كي يتعطفوا) وهو تحريف.

(٩) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٧.

٢٧- قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، قال ابن عباس: (يريد: لا يخدعنكم)، وعنه أيضًا: (لا يضلنكم)[١].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم﴾، المعنى: كما فتن أبويكم، لكنه ذكر معنى فتنة الأبوين وهو إخراجهما من الجنة دون لفظ الفتنة.

وقوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، أضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يتول ذلك لأنه كان بسبب منه فأسند إليه، كما تقول: أنت فعلت هذا لمن حصل منه ذلك الفعل بسبب وإن لم يباشره، كذلك لما كان نزع لباسهما بوسوسة الشيطان وغروره أُسند إليه[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾، قال ابن عباس: (يرى آدم سوءة حواء، وترى حواء سوءة آدم)[٣] واللام في ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾ لام المصير[٤] كما ذكرنا في قوله: ﴿لِيُبۡدِيَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ﴾ يعني: إبليس ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ أعاد الكناية ليحسن العطف[٥] كقوله ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقد مضت هذه المسألة[٦] في مواضع. وأما القبيل فقال أبو عبيد عن أبي زيد: (القَبِيل[٧]

---

(١) ذكرهما الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧٦، وابن الجوزي ٣/ ١٨٤.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥٣، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٨٧ نحوه.

(٤) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٧.

(٥) ذكر قول الواحدي السمين في «الدر» ٥/ ٢٩٢، وقال: (لا حاجة إلى التأكيد في مثل هذه الصورة لصحة العطف إذ الفاصل هنا موجود، وهو كاف في صحة العطف، فليس نظير ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾) اهـ.

(٦) انظر: «البسيط» البقرة: ٣٥.

(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٧٦، وانظر: «الجمهرة» ١/ ٣٧٢، و«المنجد» لكراع ص٣٠٣، و«الصحاح» ٥/ ١٧٩٧، و«المجمل» ٢/ ٧٤١ (قبل).

الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعدًا من قوم شتى، وجمعه: قُبُل، والقبيلة: بنو أب واحد)[(١)].

وقال ابن قتيبة: (﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: أصحابه وجنده)[(٢)]، وقال الليث: (﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ أي: هو ومن كان من نسله)[(٣)]، [وكذا قال المفسرون، قال ابن عباس: (هو وولده)[(٤)]، وقال ابن زيد[(٥)]: (نسله)][(٦)].

وقال قطرب: (جموعه)[(٧)] وقال المبرد: (أشياعه)[(٨)].

---

(١) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» ٥/ ٥٣، وابن منظور في «اللسان» ٦/ ٣٥١٩ (قبل): (وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة) اهـ. وقال الراغب في «المفردات» ص٦٥٤: (القبيل جمع قبيلة، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض) اهـ.

(٢) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٧، ونحوه قال مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٣٣، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٢٤، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٣، والبخاري في «صحيحه» ٥/ ١٩٥: (﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ جيله الذي هو منه) اهـ، ونحوه ذكر السجستاني في «نزهة القلوب» ص٣٦٦.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٧٦، وانظر: «العين» ٥/ ١٦٧.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٠، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٣، و«الخازن» ٢/ ٢٢١.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٠ بسند جيد.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) لم أقف عليه، وقال اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤٥: (﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ شيعته وأمته) اهـ. وقال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢١٥: (﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ قومه وهو قول الجمهور) اهـ. والمعاني متقاربة، والأظهر ولده ونسله وجنده.

انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥٣، والسمرقندي ١/ ٥٣٦، والبغوي ٣/ ٢٢٣، وابن عطية ٥/ ٤٤١.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، قال أبو إسحاق: (ما بعد ﴿حَيْثُ﴾ صلة لها، وليست بمضاف إليه)[١].

قال أبو علي: (هذا غير مستقيم، ولا يجوز أن يكون ما بعد ﴿حَيْثُ﴾ صلة لها، لأنه إذا كان صلة له وجب أن يكون للموصول فيه ذكر كما أن في سائر صلات الموصولة[٢] ذكرًا من الموصول، فخلو هذه الجملة المتصلة بـ (حيث) من ذكر يعود منها إلى (حيث) دلالة على أنها ليست بصلة، وإذا لم تكن صلة كانت إضافة.

فإن قيل: نقدر العائد في هذا كما نقدر في غيره من الصلات، كما تقول: الذي ضربت زيد تريد ضربته، كذلك تقدر العائد في قولك: رأيتك حيث قام زيد. كأنك قلت: حيث زيد قائمه، أي قائم فيه، وحيث قام عمرو[٣] أي قامه عمرو أي قام فيه، ثم اتسع فحذف الحرف فوصل الفعل، ثم حذف الراجع على هذا الحد، قيل: لو كان هكذا [لكان][٤] مستعملًا في كلامهم؛ ألا ترى أن جميع الموصولات إذا وقع في صلاتها حذف واتساع فإن ذلك الأصل الذي عنه وقع الحذف والاتساع مطرد في كلامهم [مستعمل][٥]، فلو كان الأصل في هذا أيضًا ما ذكرته لوجب أن يستعمل الأصل، فتركهم لذلك يدلك على أنه ليس بموصول، على أنا لم نعلم أحدًا قال في (حيث) الذي قاله)[٦].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٢٩، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٧، ٦٠٨ .

(٢) في «الإغفال» ص٧٦٥ (الموصولات).

(٣) في «الإغفال» ص٧٦٧: (حيث زيد قائم، وحيث قام عمرو كأنه قال: حيث زيد قائمه أي: قام فيه، وحيث قامه عمرو أي: قام فيه ...) اهـ.

(٤) لفظ: (لكان) ساقط من (أ). (٥) لفظ: (مستعمل) ساقط من (أ).

(٦) هذا بعض ما ذكره أبو علي في «الإغفال» ص٧٦٤- ٧٦٨، وانظر: «غرائب =

فأما التفسير، فقال ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: (وذلك أن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم إلا من عصم الله؛ كما قال: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم)(١).

وقال مجاهد: (قال إبليس: جُعل لنا أربع: نرى، ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا فتى)(٢).

= الكرماني» ١/ ٤٠١، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٢٩٤: (أبو إسحاق لم يعتقد كونها موصولة بمعنى (الذي) لا يقول بذلك أحد، وإنما يزعم أنها ليست مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها أي الزيادة، وهو كلام متهافت، فالرد عليه من هذه الحيثية لا من حيثية اعتقاده لكونها موصولة، ويحتمل أن يكون مراده أن الجملة لما كانت من تمام معناها بمعنى أنها مفتقرة إليها كافتقار الموصول لصلته أطلق عليها هذه العبارة، ويدل على ما قلته أن مكيًا ذكر في علة بنائها فقال: (ولأن ما بعدها من تمامها كالصلة والموصول) إلا أنه يرى أنها مضافة لما بعدها) اهـ. وانظر: «المشكل» ١/ ٢٨٧، و«البيان» ١/ ٣٥٨-٣٨٩.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧١، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٨٤، وقال الخازن ٢/ ٢٢١، وصديق خان ٤/ ٣٢٦: (حكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال ذلك) وقد أخرج مسلم في «صحيحه» كتاب السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رئى خاليا بامرأة... إلخ، حديث رقم (٢١٧٥)، عن صفية بنت حُيَيّ أن النبي ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**» اهـ. وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في «الفتاوى» ١٥/ ٧: (الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال؛ بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضًا لكن لا يرونهم في كل حال) اهـ. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧٧، والقرطبي ٧/ ١٧٦، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٨٤.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٩ أ، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥٤، و«الخازن» ٢/ ٢٢١، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٢، وصديق خان في «تفسيره» ٤/ ٣٢٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال أبو إسحاق: (معنى هذا على ضربين: أحدهما: أن يكون الكفار عوقبوا بأن سلطت عليهم الشياطين تزيدهم في غيهم[1]؛ كما قال: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الآية [مريم: ٨٣].

والثاني: ﴿جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: سوينا بين الشياطين وبين الكافرين في الذهاب عن الله ﷻ)[2].

قوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، قال ابن عباس: (يريد: الشرك)[3].

وقال مجاهد: (يعني: طوافهم بالبيت عُريا الرجال والنساء)[4].

وقال الزجاج: (الفاحشة: ما يشتد قبحه من الذنوب)[5].

---

(١) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٩ (تزيدهم في غيهم عقوبة على كفرهم ...).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٢٩-٣٣٠. وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥٣، والسمرقندي ١/ ٥٣٦، والبغوي ٣/ ٢٢٣، وابن عطية ٥/ ٤٧٧.
قال الطبري: (يقول: جعلنا الشياطين نُصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله) اهـ.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأكثر المفسرين ذكروه عن عطاء والحسن. ومنهم الماوردي ٥/ ٢١٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧١، والبغوي ٣/ ٢٢٣، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٤ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي، وأخرجه عن ابن زيد ومحمد بن كعب القرظي، وهذا هو قول أكثر المفسرين. انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٧، والماوردي ٢/ ٢١٦، والقرطبي ٧/ ١٨٧.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٠، وهذا هو الظاهر فيدخل في العموم الشرك، وكشف العورة في الطواف، ويحمل ما ذكر على التمثيل. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥٤، والبغوي ٣/ ٢٢٣، وابن عطية ٥/ ٤٧٧.

٢٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾، قال ابن عباس: (بلا إله إلا الله)[١]، ونحوه قال الضحاك (بالتوحيد)[٢].

وقال عطاء[٣] والسدي[٤]: (بالعدل).

قال الزجاج: (هذا رد لقولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ في الآية الأولى)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، قال أبو علي الجرجاني: (نسق الأمر على الخبر[٦]، وجاز ذلك لأن قوله ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي﴾ قول؛ لأن الأمر لا يكون إلا كلامًا، والكلام قول فكأنه قال: قل يقول ربي أقسطوا ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾)[٧] ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، أي: وجهوا

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٨٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٨٩ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٢، والبغوي ٣/ ٢٢٣، والرازي ١٤/ ٥٧، والقرطبي ٧/ ١٨٨، و«الخازن» ٢/ ٢٢٢.

(٢) ذكره الثعلبي ١٨٩ أ، والواحدي ١/ ١٧٢، والبغوي ٣/ ٢٢٣.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥٧، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٧ .

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٥ بسند جيد عن مجاهد والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، وقال: (روي عن مجاهد والسدي وقتادة مثل ذلك) وهو قول الطبري والزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣٠، والنحاس ٣/ ٢٥، والمعاني متقاربة، فالقسط العدل والحق والاستقامة فيحمل ما ذكر على التمثيل. انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧٨، وابن كثير ٢/ ١٣٣.

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٠، و«الفتاوى» ١٥/ ٨-٩، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٦) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٩٦-٢٩٧ عن الجرجاني صاحب النظم، وفيه: (نسق الأمر على الجر) بدل لفظ (الخبر)، والأمر ﴿وَأَقِيمُوا﴾ والجر ﴿بِالْقِسْطِ﴾.

(٧) في «الدر المصون»: (أقسطوا وأقيموا) يعني أنه عطف على المعنى) اهـ. واختار أبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٧، والسمين في «الدر» ٥/ ٢٩٥-٢٩٧، أنه معطوف على الأمر المقدر الذي ينحل إليه المصدر وهو ﴿بِالْقِسْطِ﴾ وذلك أن القسط =

وجوهكم[١] حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله[٢] مجاهد[٣] والسدي وابن زيد[٤].

وقال عطاء عن ابن عباس: (صلوا لله وحده في كل مسجد)[٥]، وبيان هذا القول ما قاله الضحاك، وهو أنه قال: (إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه، ولا يقولن أحدكم: أصلي في مسجدي)[٦]. ونحو هذا قال الفراء؛ يقول[٧]: (إذا أدركتك الصلاة وأنت عند مسجد فصل فيه، ولا تقولن: آتي مسجد قومي)[٨].

= مصدر فهو ينحل لحرف مصدري وفعل والتقدير: قل أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا. وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٧٥، وابن عطية ٥/ ٤٧٨، والرازي ١٤/ ٥٧، و«التبيان» ص٣٧٢، و«الفريد» ٢/ ٢٨٨.

(١) في (ب): (وجهوا لوجوهكم)، وهو تحريف.

(٢) في (ب): (قال)، وهو تحريف.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٤. وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٣.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٥ من عدة طرق جيدة عن السدي، وابن زيد، وذكره الثعلبي ١٨٩ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٨٥ عن مجاهد والسدي وابن زيد، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٣٣، والقرطبي ٧/ ١٨٨.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٨٥، والرازي ١٤/ ٥٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٧.

(٦) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٨٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٢٣، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥، و«الخازن» ٢/ ٢٢٢، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٨٧.

(٧) هنا وقع اضطراب في ترتيب نسخة: (ب)، فتقدم تفسير بعض الآيات.

(٨) «معاني الفراء» ٢/ ٣٧٦، وهو قول الكلبي كما ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٧، واختاره ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٧٧ .

وقال أبو إسحاق: (أي[١]: وقت كل صلاة اقصدوه بصلاتكم)[٢] ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يريد: وحدوه ولا تشركوا به شيئًا[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، قال ابن عباس: (إن الله تعالى بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا و[٤] كافرًا؛ كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنًا وكافرًا، فيبعث المؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا)[٥]، وهذا قول أكثر المفسرين[٦]، واختيار الفراء[٧].

---

(١) في (أ): (أي في وقت).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٠، والظاهر أن المعنى: اقصدوا عبادته وحده وتوجهوا إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي وقت ومسجد، وهو ظاهر كلام الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٥، وأخرجه بسند جيد عن الربيع بن أنس، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٧٩، وابن كثير ٢/ ٢٣٣، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، و«فتح البيان» لصديق خان ٤/ ٣٢٩.

(٣) قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣١: (أي: مخلصين له الطاعة) اهـ. والمعنى: أعبدوه وحده حال كونكم مخلصين العبادة والدعاء له لا لغيره، وهو ظاهر كلام الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٣٧، وصديق خان ٤/ ٣٢٩ .

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ بسند جيد.

(٦) ومنهم مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢٣٥، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٥-٢٢٦ بسند جيد عن مجاهد والكلبي، وأخرجه الطبري ٨/ ١٥٦، ١٥٧ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والسدي وأخرجه بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وأبي العالية، وذكره عن أبي رزين وإبراهيم النخعي وسعيد ابن جبير، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٣٤، وأخرجه الثوري في «تفسيره» ص١١٢ بسند جيد عن مجاهد.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٣٧٦.

قال عطاء: (يريد: من خلقه للجنة يعود في البعث إلى الجنة، ومن خلقه للنار يعود في البعث إلى النار)[١].

وقال القرظي[٢]: (من ابتدأ الله خلقه على[٣] الشقوة، صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، [وإن عمل بأعمال أهل السعادة، ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه][٤]، وإن عمل بأعمال [أهل][٥] الشقاء؛ كإبليس والسحرة)[٦].

وقال الفراء: (يقول بدأكم[٧] في الخلق شقيًا وسعيدًا، فكذلك تعودون على الشقاء والسعادة)[٨]، وهذه أقوال معناها واحد.

وقال الحسن ومجاهد: (كما بدأكم فخلقكم في الدنيا، ولم تكونوا شيئًا، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء)[٩]، وهذا المعنى اختيار الزجاج؛ لأنه قال: (ثم احتج عليهم بإنكارهم البعث فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم)[١٠].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) القرظي: هو محمد بن كعب، إمام. تقدمت ترجمته.

(٣) في (أ): (إلى).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) لفظ: (أهل) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٤٤.

(٧) في (ب): (كما بداكم). (٨) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٦.

(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٧ بسند جيد عن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد، وأخرجه عن ابن عباس بسند ضعيف، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٣ بسند جيد عن السدي، وأخرجه عن ابن عباس بسند ضعيف.

(١٠) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣١، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٨، ١٥٩، =

قال ابن الأنباري: (موضع الكاف في ﴿كَمَا﴾ نصب بـ ﴿تَعُودُونَ﴾ وهو على مذهب العرب في تقديم مفعول الفعل[1] عليه أي: تعودون كما ابتدأ خلقكم)[2].

= والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٧٥-٧٦، والقرطبي ٧/ ١٨٨ والظاهر الجمع بين القولين، وأن الآية إعلام بالبعث، أي: كما خلقكم يعيدكم بعد الموت على ما سبق لكم في علم الله تعالى من سعادة أو شقاوة، فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة، ومن سبق له العلم بأنه شقي صار إلى الشقاوة، والآيات الدالة على ذلك كثيرةٌ جدًّا، ومنها قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وغيرها من الآيات التي يحتج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالأولى، وعلى المعاد بالمبدأ، فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. وأخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٤٦٢٥) في كتاب التفسير آخر تفسير سورة المائدة، ومسلم رقم (٢٨٦٠) كتاب الجنة ونعيمها، باب: متاع الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرلاً» ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]) اهـ.

وأخرج مسلم رقم (٢٨٧٨) كتاب الجنة ونعيمها، باب: الأمر بحسن الظن. عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» اهـ. قال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٢/ ٢٩٧-٢٩٨: (في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير كل واحد منهما حق ويشهد له القرآن) اهـ. ثم حكى نحو ما ذكره الواحدي. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٢٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٧، والماوردي ٢/ ٢١٧، والبغوي ٣/ ٢٢٣-٢٢٤، وابن عطية ٥/ ٤٧٩، وابن الجوزي ٣/ ١٨٥-١٨٦، والرازي ١٤/ ٥٨، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٤-٢٠٦، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٨٨.

(١) لفظ: (الفعل) ساقط من (أ) وملحق بالهامش.

(٢) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٩٧.

وقال أبو علي الفارسي: (قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، ليس معنى الكلام على الظاهر؛ لأن الظاهر (تعودون كالبدء)[(١)]، وليس المعنى على تشبيههم بالبدء، إنما المعنى على إعادة الخلق كما ابتدئ فتقدير ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (كما بدأ خلقكم) أي: يعود خلقكم عودًا كبدئه[(٢)]، فكما أنه لم يُعْنَ بالبدء ظاهره من غير حذف المضاف إليه، [كذلك لم يعن بالعود من غير حذف المضاف الذي هو الخلق، فلما حذف قام المضاف إليه][(٣)] مقام الفاعل [فصار الفاعلون][(٤)] مخاطبين، كما أنه لما حذف المضاف من قوله: كما بدأ خلقكم صار المخاطبون مفعولين في اللفظ)، ومثل هذه الآية في المعنى قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤][(٥)].

(١) في (أ): (على البدء). وفي «الحجة» لأبي علي ٥/ ٢٦٣: (تعودون كالبدء).

(٢) في (ب): (عودًا لبدئه). وفي «الحجة» ٥/ ٢٦٣: (فتقدير ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما بدأ خلقكم يعود خلقكم أي: يعود خلقكم عودًا كبدئه) اهـ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٥) «الحجة» لأبي علي ٥/ ٢٦٣ وفيه: (فكما أنه لم يُعْنَ بالبدء ظاهره من غير حذف المضاف إليه منه، كذلك لا يعني بالعود من غير حذف المضاف إليه منه فَحُذِف المضافُ الذي هو الخلق فلما حذف قام المضاف إليه مقام الفاعل وصار الفاعلون مخاطبين كما أنه لما حُذف المضاف من قوله: (كما بدأ خلقكم) صار المخاطبون مفعولين في اللفظ ومثل ذلك في المعنى ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ والخلق هنا اسم الحدث لا الذي يراد به المخلوق) اهـ.
وذكره السمين في «الدر» ٥/ ٢٩٧، وقال: (يعني: أن الأصل كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف الخلق في الموضعين فصار المخاطبون في الأول مفعولين بعد أن كانوا مجرورين بالإضافة، وفي الثاني صاروا فاعلين بعد أن كانوا مجرورين بالإضافة أيضًا، وقوله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ الكاف في محل نصب نعتًا لمصدر محذوف تقديره: تعودون عودًا مثل ما بدأكم، وهذا أليق بلفظ الآية الكريمة) اهـ. وانظر: =

٣٠- قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ﴾، قال أبو بكر: (نصب[١] ﴿فَرِيقًا﴾، ﴿وَفَرِيقًا﴾ على الحال من الضمير الذي في ﴿تَعُودُونَ﴾، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين؛ بعضكم سعداء، وبعضكم أشقياء، فاتصل (فريق) وهو نكرة بالضمير الذي في ﴿تَعُودُونَ﴾، وهو معرفة فانقطع من لفظه، وعطف الثاني عليه، قال: ويجوز أن يكون الأول منصوبًا على الحال من الضمير، والثاني: منصوبًا بـ (حق عليهم الضلالة)؛ لأنه بمعنى: أضلهم كما يقول القائل: عبدًا لله أكرمته وزيدًا أحسنت إليه، فتنصب زيدًا بأحسنت إليه، بمعنى[٢]: نفعته.

وأنشد[٣]:

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أَمْ[٤] رِيَاحًا ... عَدَلْتَ بِهِم طُهَيَّةَ والخِشَابَا

= «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٨، و«المشكل» ١/ ٢٨٧، و«البيان» ١/ ٣٥٩، و«التبيان» ص٣٧٢، و«الفريد» ٢/ ٢٨٨.

(١) لفظ: (نصب) غير واضح في (أ).

(٢) في (ب): (إذا كان بمعنى نفعته).

(٣) الشاهد لجرير في «ديوانه» ص٥٩، و«الكتاب» ١/ ١٠١-١٠٢، و«مجاز القرآن» ٢/ ١٧٥، و«الجمهرة» ١/ ٢٩٠، و«الصحاح» ١/ ١٢٠ (خشب)، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٧٩ وبلا نسبة في «تأويل المشكل» ص٥٤٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٠٠، (وثعلبة ورياح) بنو يربوع بن حنظلة من تميم قوم جرير، (وعدلت): سويت، (وطهية، والخشاب)، بنو مالك بن حنظلة من تميم وطهية امرأة مالك، والخشاب أولاد مالك من غير طهية.
انظر: «نهاية الأرب» ص١٨٥-٢٤٧، ٢٩٦، والشاهد: ثعلبة الفوارس حيث نصب الاسم الواقع بعد همزة الاستفهام بفعل محذوف دل عليه (عدلت بهم) تقديره أهنت أو أظلمت.

(٤) في «الديوان» وأكثر المراجع: (أو) بدل: (أم). وانظر: «الخزانة» ١١/ ٦٩.

فنصب (ثعلبة) بعدلت بهم طهية، لأنه بمعنى: أهنتهم إذ[١] عدلت بهم من دونهم.

وقال آخر:

يا ليت ضيفَكُم الزبيرَ وجارَكم إيايَ لبَّس حبَله بحبالي[٢]

فنصب (إياي) بقوله: لبَّس حبله بحبالي؛ إذ كان معناه خالطني وقصدني.

قال: وفي قراءة أبي[٣] (تعودون فريقين فريقًا [هدى وفريقًا حق][٤] عليهم الضلالة)[٥].

قال الفراء: (وقد يكون الفريق الأول منصوبًا بوقوع (هدى) عليه، ويكون الثاني منصوبًا بما وقع على عائد ذكره من الفعل كقوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾) [الإنسان: ٣١][٦].

---

(١) في (أ): (إذا عدلت بهم).

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو في «الدر المصون» ٥/ ٣٠٠.

(٣) ذكرها أكثرهم. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٨، و«القطع والائتناف» للنحاس ١/ ٢٥٠، و«المشكل» ١/ ٢٨٨، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٨٠، و«البيان» ١/ ٣٥٩، و«التبيان» ص٣٧٣، و«الفريد» ٢/ ٢٨٩، والقرطبي ٧/ ١٨٨، و«البحر» ٤/ ٢٨٨، ونسب هذه القراءة الكرماني في «غرائبه» ١/ ٤٠١ إلى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٠٠، وهو في «الإيضاح» ٢/ ٦٥٣-٦٥٤، و«زاد المسير» ٣/ ١٨٦ مختصرًا.

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٦، وقد ذكر هذه الأوجه كل المراجع السابقة وخلاصتها أن (فريقًا) الأول منصوب على أنه مفعول به مقدم لـ (هدى) أو حال من فاعل تعودون، و(فريقًا) الثاني منصوب بتقدير فعل دل عليه ما بعده أي: وأضل فريقًا =

فأما التفسير، فقال ابن عباس: (﴿فَرِيقًا﴾ أرشد إلى دينه وهم أولياؤه ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ يريد: أضلهم وهم أولياء الشيطان يخذلهم الله فصاروا أولياء لإبليس)[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يدل كلام ابن عباس (على أنهم إنما فعلوا ذلك بخذلان الله إياهم).

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ما سن[٢] لهم عمرو بن لحي)[٣].

قال أصحابنا: قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ (يعني: بالكلمة الأزلية والإرادة[٤] السابقة).

= أو حال من فاعل تعودون، وأكثرهم على أن الأول منصوب بهدى، والثاني بفعل مقدر.

انظر: «الكتاب» ١/ ٨٩، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٥٩، و«الدر المصون» ٥/ ٢٩٩-٣٠٠.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٣-١٧٤.

(٢) في النسخ: (ما بين)، ثم صحح في (أ) إلى (ما سن).

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٥٩، وقال: (هذا بعيد؛ بل هو محمول على عمومه). وهذا وأمثاله عن السلف -رضي الله عنهم- محمول على التمثيل وأنه داخل في المعنى.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٥٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٣١، و«زاد المسير» ٣/ ١٨٦، وقال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ١٨٨: (في هذه الآية رد واضح على القدرية ومن تابعهم) اهـ.

وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٥-٢٠٦: (أخبر الله ﷻ عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فتضمنت الآية الإيمان بالقدر، والشرع، والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص، ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر، ولم يطع هذا الأمر بأنه قد والى الشيطان دون ربه، وأنه على ضلال، وهو يحسب أنه على هدى. والله أعلم) اهـ.

٣١- قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ الآية، قال ابن عباس: (كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله أنْ يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا)[١].

قال الكلبي[٢]: (والزينة ما وارى العورة، ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ لصلاة أو طواف).

وقال مجاهد[٣] وعطاء[٤]: (ما يستر به عورته ولو عباءة).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٥٩، ١٦٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤ بسند جيد، وأخرج مسلم في «صحيحه» رقم (٣٠٢٨) كتاب التفسير، باب: في قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾، والنسائي في «سننه» ٥/ ٢٣٣-٢٣٤ كتاب مناسك الحج، وفي «التفسير» ١/ ٤٩٦، والطبري ٨/ ١٥٩، ١٦٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤، والحاكم وصححه ٢/ ٣١٩-٣٢٠، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٤، وفي «أسباب النزول» ص٢٢٨، ٢٢٩ من عدة طرق عن ابن عباس قال: (كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، وعند الحاكم، فنزلت هذه الآية: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فلعل الآيتين نزلتا معًا لهذا السبب، والله أعلم. وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٤ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس مثله.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٤، والبغوي ٣/ ٢٢٥، و«الخازن» ٣/ ٢٢٣.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٦١، وابن أبي حاتم ٣/ ١٤٣ أ بسند جيد.

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٠، ١٦١ من عدة طرق جيدة عن عطاء وسعيد بن جبير وطاوس وإبراهيم النخعي والزهري وقتادة والضحاك وابن زيد قالوا: (كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب). وقال الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٦١: (أجمع المفسرون على أن المراد بالزينة هاهنا لبس الثوب الذي يستر العورة) اهـ. والظاهر حمل الآية على العموم، وهو ما يتجمل ويتزين به عند الصلاة، وستر العورة واجب مأمور به مطلقًا، وهذا ظاهر كلام الجمهور. قال ابن كثير في =

قال الفراء والزجاج[١]: (كانت الجاهلية تطوف بالبيت عراة، ويقولون: لا نطوف في ثياب قد أذنبنا فيها، وكانت المرأة تطوف عريانة أيضًا إلا أنها كانت تلبس شيئًا من سيور مقطعة، تسمي ذلك العرب الرهط[٢]).

قال الفراء (وهو شبيه بالحوف[٣] يواريها بعض المواراة، قالت امرأة تطوف وعليها رهط[٤]:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ
وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ[٥]

تعني: الفرج، لأن تلك السيور لا تستر سترًا تامًّا).

= «تفسيره» ٢/ ٢٣٥: (لهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما الجمعة ويوم العيد والطيب؛ لأنه من الزينة والسواك؛ لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل اللباس البياض) ونحوه قال ابن عطية ٧/ ٤٥، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٠، ١٦١، والسمرقندي ١/ ٥٣٨، و«أحكام القرآن» للكيا الهراسي ٣/ ٣٥٩، ٣٦٠، ولابن العربي ٢/ ٧٧٩، والقرطبي ٧/ ١٨٩، و«البحر المحيط» ٤/ ٢٩٠.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٢٣، والنص منه.

(٢) الرَّهْط، بفتح الراء وسكون الهاء: جلد يشق من أسفله أو جلد يشق سيورًا ليمكن المشي فيه يلبسه الصغار والحائض. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٥٣ (رهط).

(٣) الحوف، بفتح الحاء وسكون الواو: هو الرهط السابق.
انظر: «اللسان» ٢/ ١٠٥٣ (حوف).

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٧.

(٥) البيت نسبه الفراء إلى العامرية، وهي ضباعة بنت عامر بن قرط العامرية، كما ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٧٧٧، والقرطبي ٧/ ٨٨٩، والذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» ٢/ ٢٨٤، وابن حجر في «الإصابة» ٤/ ٣٥٣-٣٥٤، ونسبه ابن حجر في ٤/ ٢٣٢ إلى أسماء بنت مخربة بن جند التميمية.

قال أصحابنا[١]: وهذه الآية دليل على وجوب ستر العورة للصلاة والطواف بالبيت، والطواف صلاة، قال رسول الله ﷺ: **«الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله أباح فيه الكلام»**[٢].

---

(١) قال الفقهاء: ستر العورة عن العيون واجب بالإجماع، حكاه النووي في «المجموع» ٣/ ٣٦٦ وهي شرط لصحة الصلاة عند الجمهور الشافعي وأحمد وأصحاب الرأي.
انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٧٧٨، و«المغني» ٢/ ٢٨٣، و«روضة الطالبين» ١/ ٣٨٨، و«الفتاوى» ٢٢/ ١٠٩، و«نيل الأوطار» ٢/ ٧٣.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٤١٤، ٤/ ٦٤، ٥/ ٣٧٧، والنسائي في «سننه» في كتاب المناسك، باب: إباحة الكلام في الطواف ٥/ ٢٢٢ عن الحسن ابن مسلم المكي عن طاوس عن رجل أدرك النبي ﷺ، وأخرجه الدارمي ٢/ ١١٦٥ (١٨٨٩) في كتاب المناسك: باب: الكلام في الطواف، والترمذي رقم (٩٦٠) كتاب المناسك، باب: الكلام في الطواف، وابن خزيمة ٤/ ٢٢٢ (٢٧٣٩)، والبيهقي ٥/ ٨٥ من عدة طرق عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٦٦-٢٦٧ من طرق عن عطاء بن السائب، والقاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ.
قال الحاكم: (حيث صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وقد روي الحديث مرفوعًا تارة وموقوفًا أخرى، ورجح جماعة وقفه كالترمذي وغيره، وقد صححه الألباني في الإرواء ١/ ١٥٤-١٥٨. واستقصى طرقه، ثم قال: (وبالجملة الحديث مرفوع صحيح، ووروده أحيانًا موقوفًا لا يعله) اهـ.
وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٢١/ ٢٧٣-٢٧٤، ٢٦/ ١٢٦-١٩٣، ٢١١: (لا يشترط للطواف شروط الصلاة، وهذا قول أكثر السلف، وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن أحمد، وهذا القول هو الصواب، فإن المشترطين ليس معهم حجة إلا قوله ﷺ: **«الطواف بالبيت صلاة»** وهذا حديث يروى موقوفًا ومرفوعًا، وأهل المعرفة بالحديث لا يصححونه إلا موقوفًا ويجعلونه من كلام ابن عباس لا يثبتون رفعه، وبكل حال فلا حجة فيه والأدلة الشرعية تدل على خلاف ذلك، والذين أوجبوا الوضوء للطواف ليس معهم حجة أصلًا فإنه لم ينقل أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه أمر بالوضوء للطواف ..) اهـ. ملخصًا.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، قال أكثر المفسرون: (كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام في أيام حجهم إلا قوتًا، ولا يأكلون دسمًا، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل، فأنزل الله تعالى[١]: ﴿وَكُلُوا﴾ يعني: اللحم والدسم، ﴿وَاشْرَبُوا﴾)[٢]، وهذا القول اختيار الفراء[٣].

وقال عطاء عن ابن عباس: (﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يريد: حلالًا)[٤]، وهذا القول اختيار الزجاج، وبينه فقال: (إنهم ادعوا[٥] أن الله حرم عليهم شيئًا مما في بطون الأنعام، وحرم عليهم البحيرة والسائبة، وأمرهم الله ﷻ أن يأكلوا ما[٦] زعموا أن الله حرمه مما لم يحرمه، وأن يشربوا مما زعموا أن الله حرمه؛ لأن ألبان البحيرة [والسائبة[٧] كانت عندهم حرامًا)[٨]].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾[٩] معناه على القول الأول: لا تسرفوا حتى يبلغ بكم ذلك تحريم ما أحللت[١٠] لكم. أي: لا تسرفوا بحظركم

(١) لفظ: (تعالى) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٢، والسمرقندي ١/ ٥٣٨، والماوردي ٢/ ٢١٨، وحكاه الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٣٠ عن الكلبي.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٢٧٧.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٥ بسند جيد عن ابن عباس قال: (أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سَرَفًا أو مَخِيلة).

(٥) في (ب): (إنهم دعو)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (مما زعموا).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من أصل (أ)، وملحق بالهامش.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٢-٣٣٣.

(٩) الآية ساقطة من أصل (أ) وملحقة بالهامش.

(١٠) في (أ): (ما أحلت)، وهو تحريف.

على أنفسكم ما قد أحللته لكم، أي: من اللحم والدسم، وهذا معنى قول الفراء[(١)].

وقال الزجاج: (الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله ﷻ، أن يؤكل منه شيء، أو يأكل ما أحل الله فوق مقدار الحاجة، فأعلم الله أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحببه الله فهو في النار)[(٢)].

٣٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾. قال ابن عباس[(٣)] والمفسرون[(٤)]: (يريد: اللباس يستر به العورة).

قال أبو إسحاق: (أي: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم)[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ أي: الحلالات من الرزق، يعني ما حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب، قاله ابن عباس[(٦)]، وقتادة[(٧)].

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٣٧.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٣، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٢، والسمرقندي ١/ ٥٣٨، والماوردي ٢/ ٢١٨، والآية عامة في أكل وشرب ما أحله الله تعالى ورسوله ﷺ ونهى عن السرف مطلقًا ويدخل فيه من حلل حرامًا أو حرم حلال، وهذا قول عامة أهل العلم. انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٨٢، والرازي ١٤/ ٦٢، والقرطبي ٧/ ١٩١-١٩٥، وابن كثير ٢/ ٢٣٦.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٦٣، وقال: (المراد بالزينة اللباس الذي تستر به العورة، وهو قول ابن عباس وكثير من المفسرين) اهـ.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٣.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٨٩ ب، والبغوي ٣/ ٢٢٥، وابن الجوزي ٣/ ١٨٩ عن ابن عباس وقتادة، وذكره الماوردي ٢/ ٢٤ عن الحسن وقتادة.

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٧ بسند جيد.

وقال الآخرون[١]: (يعني: ما كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام حجهم من اللحم والدسم)، وهذا كالاختلاف في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الأعراف: ٣١] في الآية الأولى[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال الفراء: (نصب ﴿خَالِصَةً﴾ على القطع[٣] وجعلت خبر (هي[٤]) في اللام التي في قوله ﴿لِلَّذِينَ﴾ والخالصة ليست بقطع من هذه اللام، ولكنها قطع من لام أخرى مضمرة، والمعنى والله أعلم: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مشتركة وهي لهم في الآخرة ﴿خَالِصَةً﴾ على القطع)[٥].

قال أبو علي: (قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يحتمل أن يكون ظرفًا لـ (هي)، وخبرها قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ والتقدير: هي في الحياة الدنيا][٦]

---

(١) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٣ من عدة طرق جيدة عن السدي، وابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٧ من عدة طرق جيدة عن السدي، وسعيد بن جبير. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥٠.

(٢) والآية عامة في كل ما يتزين به من ملبوس أو غيره، وفي الطيبات من المآكل والمشارب التي أباحها الله تعالى ورسوله ﷺ وإنكار عام على كل من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله ، ومنها ما فعله أهل الجاهلية. قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٣: (يقول الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ قل لهؤلاء من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده؛ أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها والحلال من رزق الله الذي رزقه خلقه لمطاعمهم ومشاربهم، وقد أجمعوا على أن الزينة ما قلنا) اهـ. ملخصًا. وانظر: «تفسير بن عطية» ٥/ ٤٨٢، ٤٨٣، والقرطبي ٧/ ١٩٥.

(٣) يعني بالقطع الحال، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ٣٠٢، وانظر: «معجم المصطلحات النحوية» ص١٨٨.

(٤) في «معاني الفراء» ١/ ٣٧٧: (وجعلت الخبر في اللام التي في الذين ..) اهـ.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

للمؤمنين مقدرًا خلوصها يوم القيامة، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ متصلًا بالصلة التي هي[(١)] (آمنوا)، والمعنى ﴿هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في حياتهم- أي: الذين لم يكفروا فيها- ﴿خَالِصَةً﴾، فموضع (في) على هذا نصب بآمنوا، والعامل في الحال معنى اللام في: ﴿لِلَّذِينَ﴾، والمعنى: هي تثبت وتستقر ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً﴾.

قال: ويجوز أن يكون قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ في موضع حال[(٢)]، وصاحب الحال هو (هي) والعامل في الحال معنى الفعل في ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، كما بينا، والمعنى: قل: هي تثبت لهم[(٣)] مستقرة ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [أي: هي ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة)[(٤)]][(٥)].

وقرأ نافع[(٦)]: ﴿خَالِصَةٌ﴾ رفعًا، قال الزجاج: (ورفعها على أنه خبر بعد خبر كما تقول: زيد عاقل لبيب، والمعنى: قل هي ثابتة للمؤمنين ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٌ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[(٧)].

قال أبو علي: (قوله: رفعها على أنه خبر بعد خبر جائز حسن، ويجوز

---

(١) في (أ): (التي هي للذين آمنوا في حياتهم، أي: للذين لم يكفروا ..).

(٢) في (ب): قال: (وصاحب الحال).

(٣) في (ب): (قل هي يثبت ويستقر للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) هذا ملخص من «الإغفال» ص٧٧١-٧٧٢، و«الحجة» ٤/ ١٥-١٧.

(٦) قرأ نافع: ﴿خَالِصَةً﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. انظر: «السبعة» ص٢٨٠، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٨، و«التيسير» ص١٠٩، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٣.

أيضًا عندي أن لا يكون خبرًا بعد خبر، ولكن تكون ﴿خَالِصَةٌ﴾ خبر الابتداء كأنه في التقدير: قل هي خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، فيكون ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ متعلقًا بخالصة، وفي موضع نصب به، والمعنى: هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وإن شركهم غيرهم من الكافرين [في الدنيا)][١].

قال ابن عباس: (شارك المسلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا؛ فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من جياد ثيابها، ونكحوا من صالح نسائها، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء)[٢]، وهذا قول الحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد[٣].

وقال عطاء في قوله تعالى: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: (يريد: إن الله جعل لهم الجنة خالصة بطاعتهم الله في الدنيا)[٤] ففسر ﴿ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ بالجنة لأنها محل الطيبات في الآخرة.

قال أبو إسحاق: (أعلم الله ﷻ أن الطيبات تخلص للمؤمنين في

---

(١) لفظ: (في الدنيا) ساقط من (أ)، والنص من «الإغفال» ص٧٧١، و«الحجة» ٤/ ١٤-١٦، وانظر: في «توجيه القراءات وإعرابها»، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٦٥، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٠٩، و«معاني القراءات» ١/ ٤٠٤، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٤، ولابن زنجلة ص٢٨١، و«الكشف» ١/ ٤٦١-٤٦٢، و«المشكل» ١/ ٢٨٨-٢٩٠.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٨ بسند جيد.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٤، ١٦٥ من عدة طرق جيدة عن الحسن والضحاك وابن جريج وابن زيد وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٨ عن الحسن والضحاك وقتادة وعكرمة، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٨ بسند جيد عن الحسن. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥٠.

(٤) لم أقف على من ذكره.

الآخرة لا يشركهم فيها كافر)[١].

وقال بعض أصحاب المعاني: (الأولى أن يكون معنى ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ في هذه الآية المستلذ من الرزق)[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾، يريد: تفسير ما أحللت من حلالي وما حرمت من حرامي، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، يريد: علموا أني أنا الله وحدي لا شريك لي[٣].

٣٣- قال الكلبي: (فلما نزلت هذه الآية لبسوا الثياب، وطافوا بالبيت فيها، فعيرهم المشركون بذلك، فأنزل الله تعالى[٤] قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾)[٥]. قال ابن عباس: (يريد: سر الزنا وعلانيته)[٦].

وقال مجاهد: (ما ظهر: نكاح الأمهات ...[٧] في الجاهلية. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا).

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٣.

(٢) انظر: «معاني النحاس» ٣/ ٢٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٨، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢١٩، و«ابن الجوزي» ٣/ ١٨٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٦، والسمرقندي ١/ ٥٣٨، و«الخازن» ٢/ ٢٢٤.

(٤) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).

(٥) ذكره القرطبي ٧/ ٢٠٠، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٩٢.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) جاء في النسخ كلمة غير واضحة بعد لفظ (الأمهات)، ولعلها (الذوات، أو الدواب). وذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٢٥، والقرطبي ٧/ ٢٠٠ عن مجاهد قال: (﴿مَا ظَهَرَ﴾ نكاح الأمهات في الجاهلية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا) اهـ، وأخرج الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٦ عن مجاهد قال: (﴿مَا ظَهَرَ﴾ الجمع بين الأختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا).

وقال القرظي: (﴿مَا ظَهَرَ﴾ طوافهم بالبيت عراة، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا)[١].

وقال عكرمة: (﴿مَا ظَهَرَ﴾ الظلم على الناس، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ الزنا والسرقة)[٢].

وقال مقاتل[٣] والكلبي[٤] نحو قول ابن عباس. وقد مضى الكلام في هذا في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. قال بعض أهل المعاني: (إنما ذكر هذه القبائح مع الفواحش وهي داخلة في الفواحش للبيان عن التفصيل؛ كأنه قيل: الفواحش التي منها الإثم، ومنها البغي، ومنها الإشراك بالله)[٥].

وقال ابن الأنباري: (إنما فصل الإثم لأنه قصد [به][٦] الأفاعيل المذمومة التي لا يجب على فاعلها الحد، والفواحش يجب على فاعلها إذا أتاها أو أكثرها الحد، فلهذه العلة فصل الإثم. قال: وهذا جواب مأثور عن ابن عباس)[٧].

---

(١) لم أقف عليه، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٦ بسند ضعيف عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٠ بسند جيد عن الزهري.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٧١ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٥١.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٤.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٠.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٢٠١.

(٦) لفظ: (به) ساقط من (ب).

(٧) لم أقف عليه عن ابن الأنباري، وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٩١ عن ابن عباس قال: (الإثم الذنب الذي لا يوجب الحد) اهـ.

وقال عطاء عن ابن عباس: (﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ يريد: الخمر)[١].

وقال الحسن[٢]: (الإثم: الخمر، تصديق ذلك قوله: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٌ كَبِيرٌ﴾) [البقرة: ٢١٩].

قال أبو بكر: (الإثم لا يكون من أسماء الخمر؛ لأن العرب ما سمته إثمًا قط في الجاهلية ولا إسلام، ولكن قد تكون الخمر داخلة تحت الإثم لقوله: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٌ كَبِيرٌ﴾) [البقرة: ٢١٩][٣].

وقال الضحاك: (الإثم: الذنب دون الحد)[٤].

وقال السدي: (الإثم المعصية)[٥]، ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ ظلم الناس والاستطالة بغير حق، وهو أن يطلب ما ليس له، كذا قال جميع أهل التفسير[٦].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٦، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٩١ عن عطاء فقط، وذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٠٦ عن ابن عباس والحسن.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٦، وابن الجوزي ٣/ ١٩١، والقرطبي ٧/ ٢٠٠.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٦، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٠٦، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٢، قال ابن الأنباري: (ليس الإثم في أسماء الخمر بمعروف، ولم يصح فيه بيت صحيح) اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٠٦: (الذي قاله الحذاق إن الإثم ليس من أسماء الخمر) اهـ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٦، والبغوي ٣/ ٢٢٦، وابن الجوزي ٣/ ١٩١، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٨.

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧١ بسند جيد.

(٦) وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٨، والطبري ٨/ ١٦٦، والظاهر أن الإثم الذنب والمعصية عام في الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم، والبغي: الظلم وتجاوز الحد فيه، وأخرج الإثم والبغي من الفواحش وهما منه لعظمهما وفحشهما فنص على ذكرهما تأكيدًا لأمرهما وقصدًا للزجر عنهما، وذكر الخمر من باب التمثيل لأنه سبب الإثم، بل هي معظمه، فإنها مؤججة للفتن. وقال ابن كثير في =

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾[١]، قال الزجاج: (موضع (أن) نصب. المعنى: وحرم الشرك)[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾، قال مقاتل: (ما لم ينزل [به][٣] كتابًا فيه حجة لكم بأن معه شريكًا)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: قولهم الملائكة بنات الله)[٥].

وقال مقاتل: (وحرم أن تقولوا[٦] على الله أنه حرم الحرث والأنعام)[٧].

وقال أهل المعاني: (هذا عام في تحريم القول في الدين من غير يقين)[٨].

= «تفسيره» ٢/ ٢٣٦: (وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي هو التعدي إلى الناس) اهـ.
وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٠٩، ٦١٠، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٨٨، ٤٨٩، والقرطبي ٧/ ٢٠١.

(١) في (ب): ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ﴾.
(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤، وفيه: (المعنى: حرم الله الفواحش تحريم الشرك) اهـ. وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١٠، و«المشكل» ١/ ٢٩٠.
(٣) لفظ: (به) ساقط من (ب).
(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٤، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٤، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٦٦، ١٦٧.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) في (أ): (يقولوا) بالياء.
(٧) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٤، وزاد فيه: (والألبان والثياب).
(٨) هذا قول الطبري ٨/ ١٦٧، والبغوي ٣/ ٢٢٦، وابن الجوزي ٣/ ١٩٢.

٣٤- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ الآية، معنى الأجل: الوقت [المؤقت][(١)] المضروب لانقضاء المهل[(٢)].

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أن المراد بهذا أجل العذاب. وهو قول ابن عباس والحسن[(٣)] ومقاتل.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (يريد: وقتًا فإذا جاء ذلك الوقت لا يؤخر عنهم العذاب، ولا يقدم قبل ذلك)[(٤)].

وقال الحسن: (يريد: أجل الهلاك بعذاب الاستئصال).

وقال مقاتل: (﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ بالعذاب، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ بالعذاب لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يعذبوا. قال: وذلك حين سألوا النبي ﷺ العذاب)[(٥)].

القول الثاني: أن المراد بهذا الأجل أجل العمر، فإذا انقطع ذلك الأجل ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ بعد الأجل ساعة، وكأن القول الأول أقوى لقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، ولم يقل: ولكل أحد أجل. وعلى القول الثاني إنما قال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾، ولم يقل لكل أحد إخبارًا عن تقارب أعمار أهل كل عصر حتى كأن لها أجلًا واحدًا لتقاربها[(٦)].

---

(١) لفظ: (المؤقت) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «العين» ٦/ ١٧٨، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٤٣، و«التهذيب» ١/ ١٢٤، و«الصحاح» ٤/ ١٦٢١، و«المجمل» ١/ ٨٨، و«المفردات» ص٦٥، و«اللسان» ١/ ٣٢ (أجل).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٧، والرازي ١٤/ ٦٧، عن ابن عباس والحسن ومقاتل، وذكره البغوي ٣/ ٢٢٦، عن ابن عباس وعطاء والحسن.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٩١، و«الفريد» للهمداني ٢/ ٢٩٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٥.

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٦٨، و«الخازن» ٢/ ٢٢٥، وفيهما نص كلام الواحدي =

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾. قال الزجاج: (ولا أقل من ساعة، ولكن ذكرت الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، إن قيل: ما معنى هذا مع استحالة التقدم على الأجل وقت حضوره، وكيف يحسن قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ بعد فناء الأجل؟؛ قيل: هذا على المقاربة؛ لأن العرب تقول: جاء الشتاء إذا قارب وقته. وجاء الصيف، ومع مقاربة[(٢)] الأجل تصور الاستقدام، وإن كان لا يتصور مع الانقضاء، والمعنى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عن[(٣)] آجالهم إذا انقضت، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليها إذا قاربت الانقضاء، ولفظ قوله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ محتمل للمعنيين[(٤)].

٣٥- قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ إلى آخر الآية

= بدون نسبة. والقول الأول أظهر. وهو قول الجمهور، والثاني داخل فيه ومعلوم أن لكل إنسان أجلًا لا يتعداه.
انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٧، والسمرقندي ١/ ٥٣٨، والماوردي ٢/ ٢٢٠، وابن عطية ٥/ ٤٩٠، ٤٩١.

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٠ .

(٢) لفظ: (مع مقاربة) عليه طمس في (أ).

(٣) في (ب): (مع).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٦٨، ونقله عن الواحدي السمين في «الدر» ٥/ ٣٠٨، وقال: (هذا بناء منه على أنه معطوف على ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ وهو ظاهر أقوال المفسرين، وهذا لا يجوز؛ لأن (إذا) إنما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلية لا الماضية، والاستقدام بالنسبة إلى مجيء الأجل متقدم عليه، فكيف يترتب عليه؟ ويصير هذا من باب الإخبار بالضروريات التي لا يجهل أحد معناها، وهو مستأنف معناه الإخبار بأنهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم، بل لا بد من استيفائهم إياه، كما أنهم لا يتأخرون عنه أقل زمان) اهـ ملخصًا. وانظر: «البحر المحيط» ٤/ ٢٩٣.

مفسر ومشروح في سورة البقرة، وهو قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ الآية [البقرة: ٣٨]، قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾: (يريد: فرائضي وأحكامي، ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يريد: اتقاني وخافني، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ يريد: ما بيني وبينه، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يريد: يوم الفزع الأكبر[1]، واختلف أهل المعاني في أن المؤمنين هل يلحقهم خوف وحزن عند أهوال القيامة، فبعضهم ذهب إلى: أنه لا يلحقهم ذلك لعموم نفيه في هذه الآية، وذهب بعضهم إلى أنه يلحقهم لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآية [الحج: ٢].

وأما قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، معناه: أن أمرهم يؤول إلى الأمن والسرور كقول الطبيب للمريض: لا بأس عليه، أي: أن أمره يؤول إلى العافية والسلامة، وإن كان في الوقت في بأس[2] من علته[3]، وجواب قوله: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هو ما دل عليه الكلام؛ كأنه قيل: فأطيعوهم، هذا قول الأخفش[4].

وقال الزجاج: (جوابه في الفاء في قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾[5]،

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٧، والبغوي ٣/ ٢٢٧، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٩١-٩٢ نحوه، وجاء عند الواحدي والبغوي عنه في قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال: (إذا خاف الناس، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزنوا) اهـ.

(٢) في (ب): (فلا بأس عليه)، وهو تحريف.

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٩، والرازي ١٤/ ٦٩، والقرطبي ٧/ ٢٠٢.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧٩.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٠، و«الكشاف» ٢/ ٧٧، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٤٩٣، و«الدر المصون» ٥/ ٣٠٩.

وقد ذكرنا هذا[١] مستقصى في سورة البقرة.

٣٧- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾. [قال الكلبي][٢]: (فمن أكفر ممن اختلق على الله كذبًا باطلًا، فجعل له صاحبة وولدًا)[٣].

وقال أبو إسحاق: (أيْ: أيُّ ظلم أشنع من الكذب على الله ﷻ)[٤].

[و][٥] قال ابن عباس في قوله: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (يريد: جعل لله شريكًا وجعل له ولدًا)[٦].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اختلفوا في معناه؛ فقال الحسن والسدي وأبو صالح: (ينالهم ما كتب لهم من العذاب)[٧]، ومثله روى حبان[٨] عن الكلبي: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (أي: من العذاب)[٩].

---

(١) انظر: «البسيط» سورة البقرة: ٣٨.

(٢) لفظ: (قال الكلبي) ساقط من (أ).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٩، وقال بعده: (قال بعضهم هذا التفسير خطأ لأنه لا يصح أن يقال: هذا أكفر من هذا، ولكن معناه، ومن أشد في كفره) اهـ.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٠، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٦٨.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٧ بلفظ: (جعل له صاحبة وولدًا وشريكًا) اهـ.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٩ من عدة طرق عن أبي صالح والحسن والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٤ عن أبي صالح.

(٨) حبان: هو حبان بن علي العنزي الكوفي، فقيه، فاضل، ضعيف. تقدمت ترجمته.

(٩) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٢، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ١٦.

والسدي بيَّن ذلك العذاب ما هو فقال: (سواد الوجوه وزرقة العيون)[١]، فعلى هذا معنى قوله: ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه، وزرقة العيون[٢]، ويؤكد هذا التأويل قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطية[٣] قال: (ينالهم ما كتب عليهم، [وقد كتب][٤] لمن[٥] افترى على الله وجهه مسود)[٦] واحتج بالآية، واختار الفراء هذا فقال: (ينالهم ما قضى الله عليهم في الكتاب من سواد الوجوه وزرقة الأعين)[٧].

وقال الزجاج: (معنى: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما أخبر الله -عز وجل- من جزائهم؛ نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، وقوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[٨] [الجن: ١٧]، وقوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ الآية [غافر: ٧١]، فهذا نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم)[٩].

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) في (أ): (سواد الوجه وزرقة العين).
(٣) في (ب): (عطاء)، وقد أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٧٠ بسند ضعيف عن عطية العوفي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.
(٤) لفظ: (وقد كتب) ساقط من (ب). (٥) في (ب): (بأن يفترى).
(٦) في (ب): (مسوده)، وعند الطبراني ١٢/ ٤١٣: (أنه وجهه مسود) وهو أولى .
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٣٧٨، ونحوه ذكر مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٣٥ .
(٨) في (ب): ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بالنون وهي قراءة ابن عامر وابن كثير وأبي عمرو، ونافع وقرأ الباقون ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء. انظر: «السبعة» ص٦٥٦، و«المبسوط» ص٣٨٤، و«التذكرة» ٢/ ٧٣٧، و«النشر» ٢/ ٣٩٢.
(٩) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٤-٣٣٥.

وقال عبد الله بن مسلم: (أي: حظهم مما كتب عليهم من العقوبة)[١] فهذا كله قول من جعل ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، العذاب، و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ على هذا القول الظاهر أنه القرآن؛ لأنه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع كما ذكره[٢] أبو إسحاق، ويجوز أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد[٣] وعطية العوفي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤] (أي: ما سبق لهم من الشقاوة والسعادة، ثم قرأ العوفي: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠]، يعني: أن هؤلاء ممن أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة، وإن كان فيهم أحد كتبت له السعادة أدركته، وعلى هذا المعنى دل كلام ابن عباس في رواية عطاء؛ لأنه قال: (يريد: ما سبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ)[٥].

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٧، وهو قول مكي في «تفسير المشكل» ص٨٤.

(٢) في (ب): كما ذكر.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٥-٢٣٦، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٦٩، ١٧٠ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعطية العوفي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٤ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي، وقال بعده: (وروي عن سعيد بن جبير والحسن نحوه) اهـ.

(٤) هنا وقع اضطراب في نسخة (ب) فوقع باقي تفسير الآية في ص١٤٧ب.

(٥) ذكره ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٩، وقريب منه ما أخرجه الطبري ٨/ ١٧٠، ١٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: (نصيبهم من الأعمال) وفي رواية عند الطبري قال: (ينالهم الذي كتب عليهم من الأعمال)، وفي رواية أخرى: (من الخير والشر)، وفي أخرى: (ما وعدوا مثله والكل متقارب.

وقال الربيع والقرظي وابن زيد[١]: (يعني: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار، فإذا فنيت وفرغوا منها ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾)[٢].

قال بعض أهل المعاني[٣]: (وهذا القول هو وجه التأويل لذكر (حتى) على معنى الانتهاء، يعني: أنهم يستوفون أعمارهم وأرزاقهم إلى الموت)، فعلى هذا القول معنى (حتى) الانتهاء والغاية[٤]، وعلى القولين الأولين ليست (حتى) في هذه الآية التي للغاية[٥]، بل هي التي تدخل على الجمل وينصرف بعدها الكلام إلى الابتداء كـ (أما)[٦] و(إذا) ولا تعلق لقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ بما قبله، بل هذا ابتداء خبر أُخبر عنهم كقوله:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٧١ من عدة طرق عن الربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد. وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٣، عن الربيع والقرظي. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٥٣، ١٥٤.

(٢) في (أ): (رسلهم).

(٣) ومنهم الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٧٢، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧: (وهذا القول قوي في المعنى والسياق يدل عليه) اهـ.

(٤) يعني أن مجيء الرسل للتوفي كالغاية لحصول ذلك النصيب فينبغي أن يكون حصول ذلك النصيب متقدمًا على حصول الوفاة والمتقدم على حصول الوفاة ليس إلا العمر والرزق، أفاد ذلك الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٧١.

(٥) نقل قول الواحدي السمين في «الدر» ٥/ ٣١٠ ثم قال: (هذا غير مرضي منه لمخالفته الجمهور؛ إذ الغاية معنى لا يفارقها، وقوله: لا تعلق لها بما قبلها ممنوع على جميع الأقوال التي ذكرها. والظاهر أنها إنما تتعلق بقوله ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم﴾) اهـ. ملخصًا.

(٦) قال سيبويه في «الكتاب» ٣/ ١٧-١٨: (حتى صارت ههنا بمنزلة إذا، وما أشبهها من حروف الابتداء) اهـ، وانظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٦٤، و«معاني الحروف» للرماني ص١١٩، ص١٦٤، و«المغني» لابن هشام ١/ ١٢٨.

فَيَـاعَـجَـبِـي حَـتَّـى كُـلَـيْـبٌ تَـسُـبـنُّـي[١]

ويؤكد القول الأول أن ذكر عظم الظلم يقتضي ذكر الوعيد[٢] بالعذاب.

---

(١) البيت للفرزدق في «ديوانه» ١/ ٤١٩، وعجزه:

كَـأَنَّ أَبَـاهَـا نَـهْـشَـلٌ أَوْ مُـجَـاشِـعُ

وهو في «الكتاب» ٣/ ١٨، و«الأصول» ١/ ٤٢٥، و«نزهة الأعين» لابن الجوزي ص٢٤٤، و«المغني» لابن هشام ١/ ١٢٩ وبلا نسبة في: «المقتضب» ٢/ ٣٩، و«معاني الحروف» للرماني ص١٦٥، و«الموضح في التفسير» للحدادي ص٥٦، و«رصف المباني» ص٢٥٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣١٠.

وكليب: هو ابن يربوع بن حنظلة بطن من ربيعة من عامر بن صعصعة، وهو رهط جرير. انظر: «نهاية الأرب» ص٣٦٦، ونهشل: بطن من حنظلة من تميم. انظر: «نهاية الأرب» ص٣٧٠. ومجاشع: بطن من دارم من تميم، وهو رهط الفرزدق. انظر: «نهاية الأرب» ص٣٨٦، والشاهد: حتى كليب، حيث جاءت (حتى) حرف ابتداء، ودخلت على الجملة الاسمية، وانظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي ١/ ١٤، و«الخزانة» ٩/ ٤٧٥.

(٢) والظاهر والله أعلم هو عموم ما كتب عليهم من أجل وعمل ورزق في أم «الكتاب»، وهو اختيار ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢٠٩-٢١٠، فقد ذكر عامة الأقوال التي ذكر الواحدي ثم قال: (والصحيح القول الأول وهو نصيبهم الذي كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا، ونصيبهم يتناول الأمرين، نصيبهم من الشقاوة، ونصيبهم من الأعمال التي هي أسبابها، ونصيبهم من الأعمار التي هي مدة اكتسابها، ونصيبهم من الأرزاق التي استعانوا بها على ذلك، فعمت الآية هذا النصيب كله، وذكر هؤلاء بعضه، وهؤلاء بعضه هذا على القول الصحيح، وأن المراد ما سبق لهم في أم «الكتاب»، ولهذا القول وجه حسن وهو أن نصيب المؤمنين من الرحمة والسعادة، ونصيب هؤلاء من العذاب والشقاوة، فنصيب كل فريق منه ما اختاروه لأنفسهم وآثروه على غيره، كما أن حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة فحظ هؤلاء منه الضلال والخيبة، فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نقمة وحسرة عليهم) اهـ. ملخصًا.

=

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾. قال سيبويه[١] والخليل: (لا يجوز إمالة حتى، وإلّا، وأما، وهذه ألفات ألزمت الفتح، لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى ففصل بينها[٢] وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حُبْلَى وهدى، إلا أن (حتى) كتبت بالياء لأنها على أربعة أحرف فأشبهت سَكْرى)[٣].

وقال بعض النحويين: (لم يجز إمالة (حتى) لأنها حرف لا ينصرف والإمالة ضرب من التصرف)[٤].

قال ابن عباس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ (يريد: الملائكة يقبضون أرواحهم)[٥]، ﴿قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ سؤال تبكيت وتقريع، ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي بطلوا وذهبوا، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾، اعترفوا عند معاينة الموت وأقروا على أنفسهم بالكفر، قال ابن عباس في هذه الآية: (يريد: أن الموت قيامة

= وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٣٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٩، والماوردي ٢/ ٢٢١، والبغوي ٣/ ٢٢٧، وابن عطية ٧/ ٥٤، وابن الجوزي ٣/ ١٩٣، والرازي ١٤/ ٧٠، ٧١، والقرطبي ٧/ ٢٠٣.

(١) «الكتاب» ٤/ ١٣٥، وفيه قال: (ومما لا يميلون ألفه (حتى) و(أمّا) و(إلّا) فرقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حبلى وعطشى. وقال الخليل: لو سميت رجلًا بها وامرأة جازت فيها الإمالة) اهـ. وانظر: «المقتضب» ٣/ ٥٢

(٢) في (ب): (بينهما).

(٣) هذا نص الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣٥، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١١، و«التكملة» لأبي علي ص٥٣٨، و«الكشف» لمكي ١/ ١٩٣.

(٤) ذكر الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٧١ مثله.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٨ .

الكافر، والموت راحة المؤمن)[(١)] هذا قول أهل التفسير، وذهب بعض أهل المعاني: (إلى أن هذا يكون في الآخرة، ومعنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي: ملائكة العذاب ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ أي: يتوفون عدتهم وفاة الحشر إلى النار، على معنى: يستكملونهم جميعًا لا يغادرون منهم أحدًا).

وذكر الزجاج هذه الوجه[(٢)] في أحد قوليه.

وهذا يحكى عن الحسن[(٣)] أيضًا.

٣٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ الآية. الله تعالى يقول ذلك، أخبر عن نفسه، كذلك قال أهل التفسير.

وقال مقاتل: (هو من كلام خازن النار)[(٤)].

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٧١.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٥-٣٣٦، وقال: (هو أضعف الوجهين) وكذلك ذكر القولين النحاس في «معانيه» ٣/ ٣١-٣٢.

(٣) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ١٦، والماوردي ٢/ ٢٢١، وابن الجوزي ٣/ ١٩٤، والرازي ١٤/ ٧١ والأول أظهر وهو ما رجحه جمهور المفسرين، والمعنى يتمتعون في الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يتوفونهم عند الموت أقروا على أنفسهم بالكفر، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٢، والسمرقندي ١/ ٥٣٩، والبغوي ٣/ ٢٢٧، وابن عطية ٥/ ٤٩٦.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٦، وهو قول السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٣٩، وابن عطية ٥/ ٤٩٧، وقال ابن الجوزي ٣/ ١٩٤: (إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة) والأول أظهر وهو اختيار جمهور المفسرين.

انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٣، والبغوي ٣/ ٢٢٨، والزمخشري ٢/ ٧٨، والقرطبي ٧/ ٢٠٤، و«البحر» ٤/ ٢٩٥.

وقوله تعالى: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾، قال عطاء: (يريد في النار مع أمم)[١] وعلى هذا في الآية تقديم وتأخير ومجاز[٢] لأن التقدير: ادخلوا في النار مع أمم قد خلت من قبلكم واستعمال (في) بمعنى (مع)[٣] مجاوز[٤]، ويمكن أن يقال: قوله: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ من صلة ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾، وقوله[٥] ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ من تمام[٦] صفة الأمم، يقول: ادخلوا في أمم في النار، فلا يكون في الآية تقديم ولا تأخير ولا مجاز[٧].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ يعني النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [قال الفراء: (يعني: التي سبقتها إلى النار، وهي أختها][٨] في دينها لا في النسب)[٩].

---

(١) لم أقف عليه، وهو قول ابن قتيبة في «تفسير الغريب» ص١٧٧، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٦، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٢: (قيل معنى (في) معنى (مع) وهذا لا يمتنع؛ لأن قولك: زيد في القوم معناه مع القوم، ويجوز أن تكون (في) على بابها) اهـ.

(٢) لفظ: (ومجاز) ساقط من (أ). (٣) لفظ: (مع) ساقط من (ب).

(٤) مجاوز أي -جائز- وانظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٨٣، و«رصف المباني» ص٤٥٣، و«مغني اللبيب» ١/ ٤٦٨، وقال الرماني في «معاني الحروف» ص٩٦: (زعم الكوفيون أنها تكون بمعنى (مع) والبصريون يقولون (في) على بابها) وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٣/ ٣٤٨: (والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين) اهـ.

(٥) في (ب): (فقوله).

(٦) في (ب): (مع تمام).

(٧) وهذا هو الظاهر، واختيار الجمهور. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٣، و«الكشاف» ٢/ ٧٨، وابن عطية ٥/ ٤٩٧، ٤٩٨، و«البحر» ٤/ ٢٩٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣١٢.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٣٧٨.

قال ابن عباس: (يريد: يلعنون من كان قبلهم)[(١)].

وقال الزجاج: ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ (لأنهم ضل بعضهم باتباع بعض)[(٢)].

قال مقاتل: (كلما دخل أهل ملة النار لعنوا أهل ملتهم، يلعن المشركون المشركين، ويلعن اليهود اليهود، وكذلك النصارى، والمجوس، والصابئون، ويلعن الأتباع القادة، يقولون: لعنكم الله، أنتم غررتمونا حتى أطعناكم)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾؛ ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ أي: تداركوا، والكلام فيه كالكلام في قوله: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾[(٤)] [البقرة: ٧٢]، وقد مر[(٥)]، ومعنى تداركوا: تتابعوا[(٦)]، وتلاحقوا، قال ابن عباس: (توافوا فيها جميعًا)[(٧)].

قال الزجاج: (وهو[(٨)] منصوب على الحال أي: مجتمعين).

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٩، وابن الجوزي ٣/ ١٩٤.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٦، وأخرجه الطبري ٨/ ١٧٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٥ بسند جيد عن السدي.

(٤) جاء في النسخ: (ادارأتم)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «البسيط» البقرة: ٧٢.

(٦) (اداركوا) أصله (تداركوا) فأدغمت التاء في الدال واجتلبت الألف ليسلم السكون، وتدارك القوم أي: تلاحقوا وتتابعوا ولحق آخرهم أولهم. انظر: «العين» ٥٦/ ٣٢٧، و«الجمهرة» ٢/ ٦٣٦، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١١٧٨، و«الصحاح» ٤/ ١٥٨٢، و«المجمل» ٢/ ٣٢٢، و«المفردات» ص٣١١، و«اللسان» ٣/ ١٣٦٣، (درك).

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٣، وفيه: (اجتمعوا في النار) اهـ.

(٨) يعني قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١١، و«المشكل» لمكي ١/ ٢٩٠.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾، يعني بالأخرى: آخر الأمم، وبالأولى: أول الأمم، وبيانه ما قاله السدي: (﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني: الذين كانوا في آخر الزمان، ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ يعني: الذين شرعوا لهم ذلك الدين)[١]. وقال مقاتل: (﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ يعني: آخرهم دخولًا النار وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ دخولًا وهم القادة)[٢]. وتأويل هذا راجع إلى معنى القول الأول؛ لأن[٣] آخرهم دخولًا النار هم الأتباع، والأولى هم القادة، فالمعنى على القولين جميعًا: قالت الأتباع للقادة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾[٤].

قال ابن عباس: (لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلها، ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، قال: يريد أضعف عليهم العذاب بأشد مما تعذبنا به)[٥].

وأما معنى الضعف فقال أبو عبيدة: (هو مثل الشيء مرة واحدة)[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٧٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٥ بسند جيد.

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٦.

(٣) في (ب): (إلا أن)، وهو تحريف.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٣، و«معني الزجاج» ٢/ ٣٣٦، و«النحاس» ٣/ ٣٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٠، والماوردي ٢/ ٢٢٢.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٩، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٩٥.

(٦) في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٤: (أي: عذابين مضعف فصار شيئين)، وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١١٨، عن أبي عبيدة قال: (معناه يجعل الواحد ثلاثة) أهـ. وضعف الشيء -بالكسر- مثله، ويقال مثلاه، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله، وقال الخليل في «العين» ١/ ٢٨٢: (التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثلين أو أكثر) اهـ.

وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٩٠٣، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٠، و«المجمل» ٢/ ٥٦٢، و«المفردات» ص٥٠٨، و«اللسان» ٥/ ٢٥٨٨ (ضعف).

قال الأزهري: (الذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم. وقد قال الشافعي -رحمه الله- ما يقارب هذا في رجل أوصى فقال: (أعطوا فلانًا ضعف ما يصيب ولدي، قال: يعطي مثله مرتين)[1].

قال الأزهري: والوصايا يستعمل فيها العرف وما يسبق إلى الأفهام، فأما كتاب الله فهو عربي مبين، ويرد تفسيره إلى موضوع كلام العرب الذي هو صيغة ألسنتها، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، وليس بمقصور على مثلين، وجائز في كلام العرب أن تقول: هذا ضعفه[2] أي: مثلاه وثلاثة أمثاله؛ لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى قول الله[3] ﷻ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: ٣٧]، ولم يرد مثلًا ولا مثلين، وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله؛ لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأقل الضعف محصور وهو المثل، وأكثره غير محصور)[4].

ونحو هذا قال الزجاج في هذه الآية: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ (أي: عذابًا مضاعفًا؛ لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما: المثل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء[5]، أي: زيادته[6] إلى ما لا يتناهى).

---

(١) انظر: «المجموع» ١٥/ ٤٨٠-٤٨٢، و«روضة الطالبين» ٥/ ١٩٥ وفيهما: (الضعف عند الشافعية هو الشيء ومثله، فإذا أوصى بضعف نصيب ابنه وله ابن واحد، فهي وصية بالثلثين) اهـ. وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٧٤.

(٢) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١١٨ (ضعفاه).

(٣) في (ب): (قول الله تعالى).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١١٨.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٣٧٧، وقوله: (أي زيادته..) غير موجود فيه.

(٦) في (ب): (أي زيادة).

فأما اللام في قوله: ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾، فقال الزجاج: المعنى: (قالت أخراهم: يا ربنا هؤلاء أضلونا، لأولاهم أي تعني أولاهم)[١] فعلى هذا ليست اللام من صلة القول؛ لأنهم قالوا لله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، ولم يقولوا لأولاهم شيئًا، ولكن اللام لإبانة[٢] أنهم عنوا بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ أولاهم وهم القادة، فاللام هاهنا لام (أجل) أي لأجلهم ولإضلالهم إياهم قالوا: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾، فقال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: لأولاكم ضعف ولأخراكم عذاب مضعف)[٣].

قال الزجاج: (أي: للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعًا أي: لكل عذاب مضاعف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾، أي: ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب، ويجوز: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك)[٤].

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٦، وعليه اللام للتعليل أي لأجل ولا تكون للتبليغ؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم. انظر: «الكشاف» ٢/ ٧٨، و«الدر المصون» ٥/ ٣١٥.

(٢) في (أ): (ولكن اللام بإنه أنهم عنوا).

(٣) في (أ): عذاب ضعف. والأثر لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ٩٤، قال: (لكل واحد منهم ضعف) أهـ.
وقال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٢٢: (أي: فلكم أيها الأتباع ضعف العذاب وهذا قول الجمهور وإن ضعف الشيء زيادة مثله) اهـ. وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ٢١١.

(٤) هذا كله قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٧٧، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٣٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٠.

ومن قرأ[١] بالياء فمعناه: ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر[٢]، فيحمل الكلام على (كل)؛ لأنه وإن كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى[٣].

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، قال الضحاك: (لأنكم كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم في الكفر شرع سواء، وفي العذاب أيضًا)[٤].

وقال أبو مِجْلَز[٥]: (فما لكم علينا من فضل في ترك الضلال)[٦].

٤٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

قال أبو إسحاق: (أي: كذبوا بحججنا[٧] وأعلامنا التي تدل على نبوة الأنبياء وتوحيد الله ﷻ)[٨].

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بالياء على الغيبة، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب. انظر: «السبعة» ص٢٨٠، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٨، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

(٢) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣٧، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٣٣.

(٣) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٥، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٨١، و«الكشف» ١/ ٤٦٢.

(٤) ذكره بدون نسبة السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٤٠، و«الثعلبي» ١٩٠أ، والبغوي ٣/ ٢٢٨.

(٥) أبو مَجْلَز: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري، إمام، تابعي، ثقة.

(٦) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند جيد بلفظ: (يقول: فما فضلكم علينا، وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم؟) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٥٤.

(٧) في (أ): (بحجتنا).

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٧، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٠.

﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾، معنى الاستكبار[١]: طلب الترفع بالباطل، وصفة مستكبر صفة ذم في جميع العباد، ومعنى ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ﴾ ترفعوا[٢] عن الإيمان بها والانقياد لأحكامها.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ قرأ[٣] أكثر القراء ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء والتشديد، ووجهها قوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠] فقياس ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ تُفَتَّح، وقرأ أبو عمرو ﴿تُفْتَحُ﴾ خفيفة، وحجته قوله: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر: ١١]، [وقرأ حمزة والكسائي ﴿يُفْتَحُ﴾ بالياء خفيفة، لتقدم الفعل.

ومعنى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾][٤] لا تصعد أعمالهم إليها[٥].

---

(١) الكبر -بكسر الكاف وسكون الباء- والتكبر والاستكبار تتقارب: وهو العظمة والإعجاب بالنفس وأعظمه الامتناع عن قبول الحق معاندة وبطرًا.
انظر: «العين» ٥/ ٣٦١، و«الجمهرة» ١/ ٣٢٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٩١، و«الصحاح» ٢/ ٨٠١، و«المجمل» ٣/ ٧٧٦، و«المفردات» ص٦٩٦، و«اللسان» ٦/ ٣٨٠٨ (كبر).

(٢) في (ب): (وقفوا).

(٣) قرأ أبو عمرو: ﴿تُفْتَحُ﴾ بالتاء مع إسكان الفاء وتخفيف التاء الثانية، وقرأ حمزة والكسائي مثلها إلا أنه بالياء: ﴿يُفْتَحُ﴾، وقرأ الباقون: ﴿تُفَتَّحُ﴾ بالتاء مع فتح الفاء وتشديد التاء الثانية. انظر: «السبعة» ص٢٨٠، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٨-٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٨-١٩، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٥، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٨٢، و«الكشف» ١/ ٤٦٢.

قال ابن عباس: (يريد: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به الله)[1]، وهذا قول أكثر المفسرين[2].

وقال السدي[3] وغيره[4]: (لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، وتفتح لأرواح المؤمنين).

يدل على صحة هذا التأويل ما روي في حديث طويل: «**أن روح المؤمن يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة، ويستفتح لروح الكافر فيقال لها: ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء**»[5].

---

(١) أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» ص١١٢، والطبري ٨/ ١٧٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٧ من عدة طرق جيدة.

(٢) ومنهم الفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٩، وأخرجه الطبري ٨/ ١٧٦، من طرق عن مجاهد وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند جيد.

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٧٥، ١٧٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٦ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه» رقم (٤٢٦٢) كتاب الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، بسند جيد عن أبي هريرة، وأخرج أبو داود الطيالسي في «مسنده» ص١٠٢-١٠٣، وعبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٥٨٠، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، وأبو داود رقم (٤٧٥٣) كتاب السنة، باب: في المساءلة في القبر، والطبري ٨/ ١٧٧، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٣٧-٤٠، من عدة طرق عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- مطولًا نحوه، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين) أهـ. وله شواهد وطرق أخرى ذكرها السيوطي في «الدر» ٣/ ١٥٥، وانظر: مرويات الإمام أحمد في «التفسير» ٢/ ١٠٦-١٠٧ و١٧٥-١٧٨، وص٤٣٤-٤٣٥.

وأجمل الزجاج كل هذا فقال: (أي: لا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم إلى السماء؛ لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماء)(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾؛ الولوج معناه: الدخول، والإيلاج: الإدخال(٢)، وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال: (الجمل: زوج الناقة)(٣).

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٧، وهذا القول هو الظاهر واختيار جمهور المفسرين ومنهم الطبري ٨/ ١٧٦، وابن عطية ٥/ ٥٠٢، وابن كثير ٢/ ٢٣٨، ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه فإن ذلك لا يدل على فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية، أفاده الشوكاني في «فتح القدير» ٢/ ٢٩٩، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٣٤، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٢٠٦، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢١٢.

(٢) انظر: «الجمهرة» ١/ ٤٩٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٤٩، و«الصحاح» ١/ ٣٤٧، و«المجمل» ٤/ ٩٣٧، و«المفردات» ص٨٨٢، و«اللسان» ٨/ ٤٩١٣ (ولج).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٧٨، من عدة طرق جيدة إلا أنه مرسل؛ لأنه من طريق إبراهيم النخعي ومجاهد وهما لم يسمعا من ابن مسعود، انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم ص٩ وص٢٠٥، والأثر ذكره السيوطي في «الدر» ٥/ ١٥٧: (وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والطبراني في «الكبير») وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٣ وقال: (رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح إلا أن إبراهيم النخعي لم يدرك ابن مسعود والأخرى ضعيفة) اهـ .

(والجمل) -بالفتح وتخفيف الميم-: معروف وهو زوج الناقة وهو الظاهر وقول جمهور المفسرين وذكر أثر ابن مسعود الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣٨، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٣٥ وقالا: (كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعًا).

وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٧٩، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٠، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٢٣١.

قال الليث[١]: (وإنما يستحق هذا الاسم إذا بزل)[٢].

والسم[٣]: ثقب الإبرة، ويقال أيضًا: بالضم، وبه قرأ[٤] ابن سيرين، وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم، وجمعه سموم.

وقال الفرزدق:

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتّى تَنَفَّسَا ... وقُلْتُ لَهُ لاَ تَخْشَ شَيْئًا وَرَائِيا[٥]

ومنه قيل: السم القاتل؛ لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب، و﴿ٱلْخِيَاطِ﴾[٦]: ما يخاط به، قال الفراء: (ويقال: خِياط ومِخْيَط

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٦٥٥، وانظر «العين» ٦/ ١٤١، و«الجمهرة» ١/ ٤٩١، و«الصحاح» ٤/ ١٦٦١، و«المجمل» ١/ ١٩٨، و«المفردات» ص٢٠٣، و«اللسان» ٢/ ٦٨٣ (جمل).

(٢) بَزَل البعير يَبْزُل بُزُولًا فطر نابه أي: انشق وطلع. انظر: «اللسان» ١/ ٢٧٦ (بزل).

(٣) السَّمُّ -بفتح السين وضمها لغتان- قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٤: (كل ثقب فهو سَمٌّ والجميع سموم) وانظر: «الجمهرة» ١/ ١٣٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٦١، و«الصحاح» ٥/ ١٩٥٣، و«المجمل» ٢/ ٤٥٥، و«المفردات» ص٤٢٤، و«اللسان» ٤/ ٢١٠٢ (سمم).

(٤) ذكرها النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٦، وابن عطية ٥/ ٥٠٣، والرازي ١٤/ ٧٦، والقرطبي ٧/ ٢٠٧، وهي قراءة جماعة منهم ابن مسعود وأبو رزين وأبو السمال وقتادة وابن محيصن وطلحة بن مصرف، انظر: «مختصر الشواذ» ص٤٩، و«زاد المسير» ٣/ ١٩٨، و«البحر» ٤/ ٢٩٧.

(٥) ليس في «ديوانه»، وهو في «تفسير الطبري» ٨/ ١٧٨، و«الدر المصون» ٥/ ٣١٨، وصدره بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٦٣، و«اللسان» ٨/ ٢١٠٣ (سمم) ويعني بسميه: ثقبي أنفه، أفاده الطبري.

(٦) الخَيْط، بفتح الخاء وسكون الياء: واحد الخيوط معروف وهو السلك والخياط والمِخْيَط: الإبرة وما يخيط به.

انظر: «العين» ٤/ ٢٩٣، و«الجمهرة» ١/ ٦١١، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٦٤، =

كما يقال إزار ومِئْزر ولِحَاف ومِلْحف وقِناع ومِقْنع)[١].

قال الزجاج: (والمعنى: لا يدخلون الجنة أبدًا)[٢].

قال ابن الأنباري: (وإنما خص الجمل من بين الحيوان بالذكر إذ كان أكثر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، والعرب تقدمه في القوة على سائرها من أجل أنه يوقر بحمله وهو بارك فينهض به، ولم تر العرب أعظم منها[٣] جسمًا فيما رأت من الحيوان)[٤].

وقال أهل المعاني[٥]: علق الله تعالى[٦] دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط. فكان ذلك نفيًا لدخولهم الجنة على التأبيد، وذلك أن العرب إذا علقت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون[٧] ذلك الجائز الكون؛ كما يقال: لا يكون هذا حتى يَشِيبَ الغُرَاب، وحتى يَبْيَض القار[٨] وكما قال الشاعر:

= و«الصحاح» ٣/ ١١٢٥، و«مجمل اللغة» ٢/ ٣٠٨، و«المفردات» ص٣٠٢، و«اللسان» ٣/ ١٣٠٢ (خيط).

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٩، ومثله ذكر الطبري ٨/ ١٧٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٨، وهو قول عامة المفسرين. انظر: «الطبري» ٨/ ١٧٨، و«معاني النحاس» ٣/ ٣٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٠، والماوردي ٢/ ٢٢٢.

(٣) كذا في النسخ: «منها» أي الجمال، والأولى (منه) أي الجمل.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٩٧.

(٥) ذكره الخازن ٢/ ٢٢٩ عن بعض أهل المعاني.

(٦) لفظ: (تعالى) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (استحال دون).

(٨) ذكره ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٧٧، وقولهم: (لا يكون هذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار) يتمثل به في اليأس عن الشيء. انظر: «جمهرة الأمثال» ١/ ٣٦٣، و«المستقصى» للزمخشري ٢/ ٥٩.

إذا شَابَ الغُرابُ أَتَيْتُ أهْلي وصارَ القارُ كاللَّبنِ الحليبِ[١]

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. قال الزجاج: (أي: ومثل الذي وصفنا ﴿نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٢]، قال: والمجرمون -والله أعلم- هاهنا الكافرون؛ لأن الذي ذكر من قصتهم التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها)[٣].

٤١- قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

قال الليث: (المهاد: اسم جمع[٤] من المهد كالأرض جعلها[٥] الله مهادًا للعباد، وجمع المِهاد: مُهُد، وثلاثة أمْهَده)[٦] الأزهري: (أصل المهد في اللغة التوثير، ويقال للفراش: مهاد لوثارته)[٧].

والغواشي[٨]: جمع غاشية، وهي كل ما يغشاك أي يُجللك[٩]،

---

(١) الشاهد في «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٢٣، و«وضح البرهان» للغزنوي ٢/ ٧٣، و«تفسير الخازن» ٢/ ٢٢٩، و«الدر المصون» ٥/ ٣٢٠ من غير نسبة، وفي حاشية وضح البرهان أفاد أنه للقارظ العنزي ونسب لتميم الداري.

(٢) لفظ: (نجزي المجرمين). ساقط من (أ).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٨، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٦، والسمرقندي ١/ ٥٤١، وقال الطبري ٨/ ١٨١: (يقول: وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة) أهـ.

(٤) في (ب): (أجمع). (٥) في (أ): (جعله).

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٦١، وانظر: «العين» ٤/ ٣١-٣٢، و«الجمهرة» ٢/ ٦٨٥، و«الصحاح» ٢/ ٥٤١، و«المجمل» ٣/ ٨١٨، و«المفردات» ٧٨٠، و«اللسان» ٧/ ٤٢٨٦ (مهد).

(٧) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٦١ (مهد). (٨) في (ب): (والغواش).

(٩) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٤٦، و«المجمل» ٣/ ٦٩٦، و«المفردات» ص٦٠٧، و«اللسان» ٦/ ٣٢٥٩ (غشا).

و﴿جَهَنَّمَ﴾ لا ينصرف لاجتماع التأنيث فيها والتعريف. قال بعض أهل اللغة: (واشتقاقها من الجهومة، وهي الغلظ، يقال: رجل جهم الوجه، غليظه، فسميت بهذا[١] لغلظ أمرها في العذاب، نعوذ بالله منها)[٢]. قال المفسرون في هذه الآية: (هذا[٣] إخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولِحاف)[٤].

فأما التنوين في ﴿غَوَاشٍ﴾، فقال أبو الفتح الموصلي: (ومما يسأل عنه من أحوال التنوين قولهم: جوارٍ وغواشٍ ونحو ذلك، لأية علة لحقه التنوين، وهو غير منصرف لأنه على وزن فواعل[٥]؟ والجواب عن ذلك: ما ذهب إليه الخليل وسيبويه[٦]، وهو أن هذا الضرب جمع، والجمع أثقل من الواحد، وهو أيضًا الجمع الأكثر الذي يتناهى إليه الجموع، فزاده ذلك

---

(١) في (ب): (بها).

(٢) أكثر النحويين على أنها اسم لنار الله الموقدة وهي أعجمية معربة ممنوعة من الصرف للعلمية والعجمة، وذهب جماعة من المحققين إلى أنها عربية ومنعها للعلمية والتأنيث مأخوذة من قولهم: ركيَّة جِهنام بكسر الجيم والهاء أي: بعيدة القعر، واشتقاق جهنم من ذلك لبعد قعرها ولغلظتها، أفاده السمين في «عمدة الحفاظ» ص١٠٤ وقال: (القول بأنها أعجمية غير مشهور في النقل، بل المشهور عندهم أنها عربية) اهـ. وانظر: «العين» ٣/ ٣٩٦، و«الزاهر» ٢/ ١٤٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٨١، و«الصحاح» ٥/ ١٨٩٢، و«المفردات» ص٢٠٩، و«اللسان» ٢/ ٧١٥ (جهنم).

(٣) في (ب): (على هذا). وهو تحريف.

(٤) وهو قول الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨٢، وأخرجه من طرق عن محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي. وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٨، والنحاس ٣/ ٣٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤١، والماوردي ٢/ ٢٢٣.

(٥) كذا في «النسخ»، وعند ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١١ (مَفاعِل).

(٦) انظر: «الكتاب» ٣/ ٣٠٨-٣٠٩.

ثقلًا، ووقعت مع ذلك الياء في آخره وهي مستثقلة، فلما اجتمعت فيه هذه الأشياء خففوه بحذف يائه، فلما حذفت الياء نقص عن مثال فواعل[(١)]، وصار (غواش) بوزن (جَناح) فدخله التنوين لنقصانه عن هذا المثال، فالتنوين عندهما في (غواش) وبابه إنما هو التنوين الذي هو علم الصرف، يدلك على هذا أنك إذا صرت إلى حال النصب فجرى مجرى الصحيح؛ كما من عادة المنقوص إذا نصب نحو: قاض وغاز فأتممته لم تصرفه، فقلت: رأيت (جواريَ) و(غواشيَ) ونحو ذلك)[(٢)].

وقال أبو إسحاق: (زعم الخليل وسيبويه أن النون هاهنا عوض من الياء؛ لأن (غواشي) لا ينصرف الأصل (غواشي)[(٣)] بالياء والضم إلا أن الضمة تحذف لثقلها في الياء، فيبقى (غواشيْ) بسكون الياء، فإذا ذهبت الضمة أدخلت النون عوضًا منها، كذلك فسر أصحاب سيبويه، فكأن سيبويه يذهب إلى أن النون عوض من ذهاب حركة الياء، والياء سقطت لسكونها، وسكون النون، فإذا وقفت فالاختيار أن تقف[(٤)] بغير ياء، فتقول[(٥)]: (غواش) لتدل[(٦)] أن الياء كانت تحذف في الوصل، وبعض العرب إذا وقف قال: (غواشي)، بإثبات الياء، ولا أرى ذلك في القرآن؛

---

(١) في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١١ (مفاعل).

(٢) هذا ملخص ما ذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١١-٥١٤.

(٣) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٨: (الأصل غواشي بإسكان الياء، فإذا ذهبت الضمة أدخلت التنوين عوضًا منها..) اهـ. ونص الواحدي مثل نص الفارسي في «الإغفال» ص٧٧٨ عن الزجاج.

(٤) في (ب): (يقف) بالياء.

(٥) في (ب): (فيقول) بالياء.

(٦) في (ب): (ليدل).

لأن الياء محذوفة في المصحف)[١] انتهى كلامه.

والذي ذهب إليه أبو إسحاق هو أن التنوين في (غواشي) إنما هو بدل من الحركة الملقاة لثقلها عن الياء، فلما جاء التنوين حذفت الياء لالتقاء الساكنين هي والتنوين، كما حذف من المنصرف في نحو: قاضٍ وغازٍ ومتقٍ[٢] ومتعالٍ، وهذا غير مرضي ولا سائغ في القياس، وقد ترك قول سيبويه والخليل، وخالفهما إلى خلاف الصواب[٣].

قال أبو علي: (الدليل على أن الحذف لغير التقاء الساكنين أنه لو كان لذلك[٤] لم يجب الحذف؛ ألا ترى أن الساكن [الأول هو الياء ولو ثبتت لم يلحق الساكن][٥] الثاني لتعاقبهما كما لم يلحق (مساجد)[٦] ونحوه مما يكون من هذا الجمع، فقراءة الناس ﴿غَوَاشٍ﴾ بالتنوين دلالة على أن الياء لم تحذف لالتقاء الساكنين؛ إذ الساكن الأول لو ثبت لم يجتمع معه الساكن الثاني.

وحكاية أبي إسحاق في قوله: (زعم سيبويه والخليل أن النون عوض من الياء) هذا لعمري صحيح عليه نص سيبويه، إلا أن ما ذكر بعد من قوله: فإذا ذهبت الضمة أدخلت النون عوضًا منها فالقول أن النون عوض من ذهاب الضمة خلاف قول سيبويه، ألا ترى أنه قد نص على أنه عوض من

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٨-٣٣٩، و«الإغفال» ص٧٧٨-٧٧٩، وفيهما بعد قوله: (في المصحف «الكتاب» على الوقف) أهـ.

(٢) النص من «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١٢، وفيه: (قاضٍ وغازٍ ومشترٍ ومتعالٍ).

(٣) هذا نص كلام ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١٢-٥١٣.

(٤) في (ب): (كذلك).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (أ): (مساجده)، وهو تحريف.

الياء كما حكاه أبو إسحاق أولاً عنه، ولو كان النون عوضًا من الضمة لكان جديرًا أن يلحق الفعل أيضًا، ألا ترى أن الأفعال قد حذفت الضمة من لاماتها، وقوله: (كأن سيبويه ذهب إلى أن[١] النون عوض من ذهاب حركة الياء) تقدير لا وجه له مع ما حكيناه من نصه على أنه بدل من الياء، وقوله: (والياء سقطت لسكونها وسكون النون) قول لا يذهب إليه أحد، وإن[٢] أضافه إلى سيبويه فخطأ، وإن ذهب هو إليه[٣] ففاسد، لما ذكرنا أن الساكن الأول إذا ثبت عاقب الساكن الثاني، ولم يكن للتنوين مدخل في الكلمة، فأما ما نسبه من التفسير الذي ذكره إلى أصحاب سيبويه[٤]، فإني لم أعلم أحدًا فسر هذا التفسير، فإن فسره مفسر كان خلاف مذهبه)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الذين أشركوا بالله واتخذوا من دونه إلهًا)[٦].

---

(١) لفظ: (أن) ساقط من (أ).

(٢) في (أ): (فإن).

(٣) في (ب): تكرار قوله: (أحد وإن أضافه إلى سيبويه فخطأ، وإن ذهب إليه).

(٤) وكذلك قال النحاس في «إعرابه» ١/ ٦١٢: (التنوين عند سيبويه عوض عن الياء وعن أصحابه عوض من الحركة) اهـ.

(٥) «الإغفال» ص٧٨١-٧٨٨، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٨، و«المشكل» ١/ ٢٩١، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤٠٣، و«البيان» ١/ ٣٦١، و«التبيان» ص٣٧٥، و«الفريد» ٢/ ٣٠١، و«الدر المصون» ٥/ ٣٢٢.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٠، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ٧٨.

وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ١٩٩ عن ابن عباس أنه قال: (الظالمون هاهنا الكافرون) اهـ.

قال الزجاج: (والظالمون -هاهنا أيضًا[١]-: الكافرون)[٢].

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾. قال الزجاج: (معنى الوسع: ما يقدر عليه)[٣].

قال مجاهد: (إلا ما افترض عليها)[٤] يعني: أن ما افترض عليها هو وسعها الذي يسعها[٥] ويُقدر عليه ولا تعجز عنه. فقد بينه مقاتل فقال: (إلا طاقتها، ولا يكلف الله العباد إلا ما يطيقون)[٦]، فقوله: (إلا طاقتها) ليس معناه: أقصى ما يطيقه؛ لأنه لو كلف ذلك لشق وتعذر، ولكن معناه: إلا ما يطيقه ولا يعجز عنه. ألا ترى أن معاذ بن جبل -رحمه الله- قال في هذه الآية: (إلا يُسرها لا عسرها ولو كلفها طاقتها لبلغ مجهودها)[٧]، فقوله: (لو كلفها طاقتها) أراد أقصى ما تطيقه.

وقد بيَّن أبو زبيد[٨] الطائي في قوله:

---

(١) لفظ: (أيضًا) ساقط من (ب).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٣٨، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٧، والسمرقندي ١/ ٥٤١، وقال الطبري ٨/ ١٨٢: (كذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبيائه) اهـ.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٩، وزاد فيه: (أي: عملوا الصالحات بقدر طاقتهم) اهـ. ونحوه قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨٢، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦١٢، والسمرقندي ١/ ٥٤١.

(٤) ذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٢٩.

(٥) لفظ: (الذي وسعها) ساقط من (ب).

(٦) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٧، وفيه: (يقول: لا نكلفها من العمل إلا ما تطيق) اهـ.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨١، والرازي ١٤/ ٧٩.

(٨) في (ب): (أبو زيد)، وهو تحريف. وهو: حَرْمَلَة بن المُنْذر بن مَعْدِ يَكرِب الطائي.

أُعْطِيهُم الجَهْدَ مِنّي بَلْهَ ما أَسَعُ[١]

أن ما يسعه[٢] دون أقصى طاقته، وأن أقصى الطاقة يسمى جهدًا لا وسعًا، وغلط من ظن أن الوسع[٣] بذل المجهود، وأكثر أصحاب المعاني[٤] على أن قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ اعتراض بين الابتداء والخبر، والخبر الجملة التي هي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، و[٥] هذا فصل بين الابتداء والخبر بما هو من جنس هذا الكلام؛ لأنه لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل مما يسعهم ولا يعسر عليهم، وقد مضت نظائر هذا فيما تقدم[٦]، وعلى هذا لا موضع لقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾، وقال قوم من أهل المعاني: (موضعه رفع بأنه الخبر على حذف العائد كأنه

---

(١) الشاهد في «ديوانه» ص١٠٩، و«الزاهر» ١/ ٩٤، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٧٥، و«اللسان» ١/ ١٧٨ (أون)، و«الخزانة» ٦/ ٢٣٥-٢٣٦ وبلا نسبة في «الجمهرة» ١/ ٣٨٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٠، و«كتاب الشعر» لأبي علي ١/ ٢٥، وأوله:

حَمَّال أَثْقَال أَهْلِ الوُدِّ آوِنَةً

وآونة، جمع أوان بمعنى الحين، والجهد بالفتح النهاية والغاية، وقيل: الوسع والطاقة، وَبَلْه أي دع، والوسع الطاقة والجدَة أيضًا. وقال البغدادي في «الخزانة» ٦/ ٢٣٧: (المعنى: أني أعطيهم فوق الوسع فتركًا للوسع، أو فدع الوسع، أي: ذكره أو فكيف الوسع لا أعطيه) اهـ. وفي «اللسان» ١/ ٣٥٤ (بله) قال: (المعنى: أعطيهم ما لا أجده إلا بجهد ودع ما أحيط به وأقدر عليه) اهـ.

(٢) كذا في النسخ: (إن ما يسعه) والأولى: (أي ما يسعه).

(٣) انظر: (وسع) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٩٠، و«الصحاح» ٣/ ١٢٩٨، و«اللسان» ٨/ ٤٨٣٤، وبمثل قول الواحدي، قال الرازي ١٤/ ٧٩، و«الخازن» ٢/ ٢٢٩.

(٤) ذكر مثله الرازي ١٤/ ٧٨، و«الخازن» ٢/ ٢٢٩.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٦) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في مظانه.

قيل: لا نكلف نفسًا منهم إلا وسعها، وحذف العائد للعلم به)[١].

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، معنى نزع الشيء: قلعه عن مكانه[٢]، والغِلُّ: الحقد الكامن في الصدر[٣].

قال أهل اللغة[٤]: (وهو الذي ينغل بلطفه[٥] إلى صميم القلب، أي: يدخل، ومنه الغُلول، وهو الوصول بالحيلة إلى دقيق الخيانة، يقال: انغل في الشيء وتغلغل فيه، إذا دخل فيه بلطافة[٦] كالحب يدخل في صميم الفؤاد).

---

(١) ذكره أكثرهم، والأول هو قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٣٩، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦١٢، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٧٩، وابن عطية ٥/ ٥٠٥، وانظر: «البيان» ١/ ٣٦١، و«التبيان» ص٣٧٥، و«الفريد» ٢/ ٣٠١، و«الدر المصون» ٥/ ٣٢٣، وفي «بدائع التفسير» ٢/ ٢١٢ قال ابن القيم: (اعترض بين المبتدأ والخبر بقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ لما تضمنه ذلك من الاحتراز الدافع لتوهم متوهم أن الوعد إنما يستحقه من أتى بجميع الصالحات، فرفع ذلك بقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ﴾، وهذا أحسن من قول من قال: إنه خبر عن الذين آمنوا، ثم أخبر عنهم بخبر آخر فهما خبران عن مخبر واحد، فإن عدم التكليف فوق الوسع لا يخص الذين آمنوا، بل هو حكم شامل لجميع الخلق معه ما في هذا التقدير من إخلاء الخبر عن الرابط، وتقدير صفة محذوفة أي نفسًا منها، وتعطيل هذه الفائدة الجليلة) اهـ.

(٢) انظر: «العين» ١/ ٣٥٧، و«الجمهرة» ٢/ ٨١٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٢، و«الصحاح» ٣/ ١٢٨٩، و«المجمل» ٣/ ٨٦٣، و«اللسان» ٧/ ٤٣٩٥ (نزع).

(٣) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٨، و«غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٠٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٧.

(٤) انظر: «العين» ٤/ ٣٤٧، و«الجمهرة» ١/ ١٥٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٨٩، و«المجمل» ٣/ ٦٧٩، و«المفردات» ص٦١٠، و«اللسان» ص٣٢٨٥ (غلل).

(٥) في (ب): (بلفظه)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (بطاقة)، وهو تحريف.

قال ذو الرمة:

أَصَابَ خَصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا كَلا وانْغَلَّ سَائِرُهُ انْغِلالًا[١]

ومعنى نزع الغل: إبطاله بإعدامه من الصدر.

وذكر أهل التأويل هاهنا قولين محتملين:

أحدهما: وهو الذي عليه المعظم[٢] أن معناه: أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا، وإلى هذا أشار علي بن أبي طالب ﷺ فقال: (إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله جل ذكره: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾)[٣].

وقال الحسن في هذه الآية: (يعني: الجاهلية)[٤].

والقول الثاني: أن نزع الغل إنما هو لئلا يحسد بعضهم بعضًا في تفاضل منازلهم وتفاوت مراتبهم في الجنة، واختار الزجاج هذا فقال:

---

(١) «ديوانه» ص٥١٥. وقال الخطيب التبريزي في «شرحه»: (خصاصة فرجة، والكليل الضَّعيف، وانغل غاب ودخل، وكلا كقولك: لا) اهـ.

(٢) انظر: «معاني النحاس» ٣/ ٣٧، والسمرقندي ١/ ٥٤١، والماوردي ٢/ ٢٢٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٧٨ بسند جيد عن قتادة عن علي ﷺ وهو مرسل؛ قتادة لم يسمع من علي، انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم ص١٦٨، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١١٣ عن إبراهيم النخعي، ومن طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه، قال الحافظ ابن حجر في «الشاف الكاف» ص٦٤: (أخرجه ابن سعد والطبري عن علي، وكلاهما منقطع، وأخرجه ابن أبي شيبة عن ربعي بن حراش عن علي وهو متصل) اهـ.

انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي ١/ ٤٦٢، و«الفتح السماوي» للمناوي ٢/ ٦٣٥-٦٣٦.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٢٤، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٢٩٨.

(وحقيقته -والله أعلم- أنه لا يحسد بعض أهل الجنة بعضًا؛ لأن الحسد غل)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾. قال ابن عباس: (حمدوا الله على[(٢)] ما أرشدهم إليه ووفقهم له)[(٣)]. وقال مقاتل: (إذا استقروا في منازلهم في الجنة ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[(٤)].

ومعنى ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[(٥)] أي: هدانا لهذا الثواب بالعمل الذي أدّى إليه، وهو معنى قول سفيان الثوري[(٦)]، ونحو هذا قال الزجاج[(٧)]: (هدانا لما صيرنا إلى هذا[(٨)]).

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٩، وقال ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٣٦٤: (معناه نزعنا الحسد من قلوبهم؛ لأن أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضًا). والظاهر أنه لا يحسد بعضهم بعضًا في علو المرتبة في الجنة، وفيما كان بينهم في الدنيا، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨٣، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٣٧، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٥٠٥، ٥٠٦.

(٢) في (ب): (إلى).

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ٩٥ نحوه، ونقل ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢٠١ عن ابن عباس في الآية أنه قال: (يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته) اهـ.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٨، وزاد فيه: (أي للإسلام ولهذا الخير) اهـ.

(٥) لفظ: (هدانا) ساقط من (ب).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٠أ، والبغوي ٣/ ٢٣٠ بلفظ: (معناه هدانا لعملٍ هذا ثوابه) اهـ وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١٢.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٣٩، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٧، وقال الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨٤: (يقول أهل الجنة الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه عنا) اهـ. وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤١-٥٤٢، والماوردي ٢/ ٢٢٥.

(٨) لفظ: (إلى هذا) ساقط من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ دليل على أن المهتدي مَنْ هَدَى الله[(١)] وأن من لم يهده الله لم يهتد[(٢)].

وقرأ ابن عامر[(٣)] ﴿مَا كُنَّا﴾ بغير واو، وكذلك هو في مصاحف أهل الشام[(٤)]، ووجه الاستغناء[(٥)] عن حرف العطف [هنا أن الجملة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسُها به عن حرف العطف][(٦)]، وقد تقدم ذكر هذه المسألة[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾)، [هذا من قول[(٨)] أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانًا قالوا: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾][(٩)].

---

(١) لفظ: (الله) ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (لم يهتدوا) ومثله ذكر الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨١، و«الخازن» ٢/ ٢٣٠، وانظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٢٠٨.

(٣) قرأ ابن عامر: ﴿مَا كُنَّا﴾ بغير واوٍ قبل ما، وقرأ الباقون: ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بالواو. انظر: «السبعة» ص٢٨٠، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

(٤) ذكره ابن مجاهد في «السبعة» ص٢٨٠، وابن الجزري في «النشر» ٢/ ٢٦٩، وقال ابن أبي داود في «كتاب المصاحف» ص٤٥: (في إمام أهل الشام وأهل الحجاز ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ وفي إمام أهل العراق: ﴿وَمَا كُنَّا﴾) اهـ.

(٥) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٢٥، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٦، و«الكشف» ١/ ٤٦٤.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٨١ب، ٨٢أ.

(٨) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٨٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٢.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾. قال أبو إسحاق: (أن) في موضع نصب، وهي مخففة من الثقيلة، والهاء مضمرة، المعنى: ونودوا بأنه تلكم الجنة أي: نودوا بهذا القول، قال: والأجود عندي أن تكون (أن) في معنى تفسير النداء، كأن المعنى: ونودوا أي تلكم الجنة[١]، المعنى: قيل لهم تلكم الجنة، كقوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ﴾ [ص: ٦] يعني[٢] امشوا.

قال: وإنما قال: ﴿تِلْكُمُ﴾ لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم التي وعدتم بها، وجائز أن يكون عاينوها، فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يرونه: ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ فيه قولان؛ أحدهما، وهو قول أهل المعاني[٣]: (أن معناه: صارت إليكم كما يصير الميراث إلى أهله).

---

(١) عند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٤٠: (ونودوا أن تلكم الجنة).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٠.
وقد ذكر الوجهين أكثرهم، انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٨٥، ١٨٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٦، و«الكشاف» ٢/ ٧٩، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٥٠٨، و«التبيان» ص٣٧٦، و«الفريد» ٢/ ٣٠٢، و«البحر المحيط» ٤/ ٣٠٠.
وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٨: (يجوز أن يكون المعنى (بأنه تلكم الجنة)، ويجوز أن تكون أن مفسرة للنداء، والبصريون يعتبرونها بأي، والكوفيون يعتبرونها بالقول، والمعنى واحد، كأنه ونودوا قيل لهم تلكم الجنة أي هذه تلكم الجنة التي وعدتموها في الدنيا، ويجوز أن يكون لما رأوها قيل لهم قبل أن يدخلوها تلكم الجنة) اهـ. وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٢٤.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٨١، ٨٢ فقد ذكر مثله.

والإرث قد يستعمل في اللغة[١] ولا يراد به زوال الملك عن الميت إلى الحي، كما يقال: هذا الأمر يورثك الشرف، ويورثك العار[٢] أي: يصيرك إليه برحمة الله[٣] وليس له في ذلك متعلق؛ لأن العمل الصالح لم ينالوه ولم يبلغوه إلا بالرحمة، وإذا كان العمل الصالح لا يكون إلا برحمته، فإذا دخلوا الجنة بأعمالهم فقد دخلوها برحمته، إذ لم يكن ذلك العمل [الصالح][٤] إلا برحمته)[٥].

٤٤- قال ابن عباس: (وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقًّا)[٦]. وهو سؤال تعيير وتقرير.

قال الزجاج: (معنى: ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ إن شئت كان

---

(١) الإرث: إبقاء الشيء وانتقاله إلى الغير وأصل الميراث هو أن يكون الشيء لقوم، ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب.
انظر: «العين» ٨/ ٢٣٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٦٨، و«الصحاح» ١/ ٢٩٥، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٠٥، و«المفردات» ص٨٦٣، و«اللسان» ٨/ ٤٨٠٨ (ورث).

(٢) في (ب): (القار)، وهو تصحيف.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل رقم (٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة رقم (٢٨١٦ إلى ٢٨١٨) من طرق عن عائشة وأبي هريرة -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: «**لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة**» .قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة**».

(٤) لفظ: (الصالح) ساقط من (ب).

(٥) لم أقف عليه عن الجرجاني صاحب «نظم القرآن»، وذكر مثل ذلك الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٢، والقرطبي ٧/ ٢٠٩.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٨٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٢ بسند ضعيف.

تفسيرًا لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى: أي: قد وجدنا، وإن شئت كانت المخففة من الثقيلة خففت[١] أنه قد وجدنا)[٢].

وقوله: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾. قال سيبويه: (نعم عِدَةٌ وتصديق، قال: وإذا استفهمت أجبت بنعم)[٣] قوله[٤]: (عِدَة وتصديق) أراد أنه يستعمل عِدَة، ويستعمل تصديقًا، وليس يريد أنْ العِدَة تجتمع مع التصديق؛ ألا ترى أنه إذا قال: أتعطيني؟ فقال: نعم، كان عدة ولا تصديق في هذا، وإذا قال: قد كان كذا وكذا فقلت: نعم، فقد[٥] صدقته ولا عدة في هذا، وقوله: (إذا استفهمت أجبت نعم)، يريد إذا استفهمت عن مُوجَب كما يقال: أيقوم زيد؟، فتقول: نعم، ولو كان مكان الإيجاب نفيًا لقلت: (بلى) ولم تقل (نعم). كما لا تقول في جواب[٦] الإيجاب. بلى كقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقرأ الكسائي[٧] (نعِم) بكسر العين، قال أبو

---

(١) في (ب): (وخففت).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٠. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٨-٢٩٩، و«معاني النحاس» ٣/ ٣٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٢، ٦١٣.

(٣) «الكتاب» ٤/ ٢٣٤.

(٤) في (ب): (أريد إذا قوله)، وهو تحريف.

(٥) في (أ): (قد صدقت).

(٦) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٢٠-٢١، وفيه: (كما تقول في جواب الإيجاب. قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ولم يقل نعم) اهـ. وانظر: «الزاهر» ٢/ ٥٠، و«حروف المعاني» للزجاجي ص٦، و«معاني الحروف» للرماني ص١٠٤، و«رصف المباني» ص٤٢٦.

(٧) قرأ الكسائي: ﴿نعِم﴾ بكسر العين حيث وقع، وقرأ الباقون بفتحها في كل القرآن. انظر: «السبعة» ص٢٨١، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

الحسن[١]: (هما لغتان)[٢].

قال أبو حاتم[٣]: (وليس الكسر بمعروف)[٤].

واحتج الكسائي بكلام يروى عن عمر ﷺ أنه سأل قومًا عن شيء فقالوا: نَعَم، فقال: (أما النَعَم فالإبل، فقولوا[٥] نَعِم)[٦].

قال أبو عبيد: (ولم نر العرب يعرفون ما رووه عن عمر، ونراه مولدًا)[٧].

---

(١) أبو الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي، إمام. تقدمت ترجمته.

(٢) «معاني الأخفش» ١/ ٢٥٢، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ١٩، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٤-١٥٥.

(٣) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري إمام لغوي. تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» ٥/ ٥٠٩، والرازي ١٤/ ٨٥، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٢٦، وهذا قول غريب مردود لأنها قراءة سبعية، ولغة فصيحة مشهورة. انظر: «العين» ٢/ ١٦٢، و«الجمهرة» ٢/ ٩٥٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦١٥، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٤٢، و«المجمل» ٤/ ٨٧٤، و«المفردات» ص٨١٦، و«اللسان» ٨/ ٤٤٨٥ (نعم).

(٥) في (ب): (فقوله: (نعم))، وهو تحريف، ونعم الأولى بالفتح، والثانية بالكسر.

(٦) هذا أثر مشهور لم أقف على إسناده، وهو في «الزاهر» ٢/ ٥١-٥٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨١، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٨٣، و«الكشف» لمكي ١/ ٤٦٣، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٥١٠، و«منثور الفوائد» لابن الأنباري ص٨٤، و«تفسير الرازي» ١٤/ ٨٥، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير ٥/ ٨٤.

(٧) في (ب): (مؤكدًا)، وذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٢٦ عن أبي عبيد بلفظ (مولدًا). وقال بعده: (هذا طعن في المتواتر فلا يقبل) اهـ. والمولد: الكلام المستحدث الذي لم يكن من كلامهم فيما مضى. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٩١٥ (ولد).

وقال أبو إسحاق: (وفي بعض اللغات (نَعِم) في معنى (نَعَم)، موقوفة الآخر لأنها حرف جاء لمعنى)[(١)].

[وقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾؛ معنى التأذين في اللغة[(٢)]: النداء، والتصويت][(٣)] بالإعلام، والأذان للصلاة إعلام بها، وبوقتها[(٤)]، وقالوا في معنى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾[(٥)] نادى منادٍ نداء أسمع الفريقين[(٦)]. قال ابن عباس: (وذلك المؤذن من الملائكة وهو صاحب الصور)[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمْ﴾، قال أبو علي: (يحتمل أمرين[(٨)]؛ الأحسن فيه أن يكون ظرفًا لـ (مؤذن) كما تقول: أعْلَمَ وسْطَهُمْ معلم، ولا تُجعل صفة للنكرة؛ لأن اسم الفاعل إذا أُعمل عمل الفعل لم يوصف كما لا يُصغّر؛ لأن الصفة تخصيص، والفعل وما أُجري مجراه لا يلحقه تخصيص،

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٠.

(٢) انظر: «العين» ٨/ ١٩٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٤٠، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٦٨، و«المجمل» ١/ ٩١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٧٥، و«المفردات» ص٧٠، و«اللسان» ١/ ٥٢ (أذن).

وقال سيبويه في «الكتاب» ٤/ ٦٢: (آذنت: أعلمت، وأذَّنْتُ النداء والتصويت بإعلان) اهـ. انظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٣، و«الزاهر» ١/ ٢٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٤٠ (أذن).

(٥) جاء في الأصول: ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ بدون فاء، وفي سورة يوسف الآية ٧٠: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٨٥.

(٦) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٧٧، والطبري ٨/ ١٨٧، والسمرقندي ١/ ٥٤٢.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٥، وقال الخازن ٢/ ٢٣١: (وهذا المنادي من الملائكة، وقيل: إنه إسرافيل صاحب الصور، ذكره الواحدي) اهـ.

(٨) في (أ): (يحتمل لأمرين أحسن فيه).

والتصغير كالوصف، ومن ثم لم[1] يستحسن (هذا ضويرب زيدًا)، كما لا يستحسن (هذا ضارب ظريف زيدًا)، ولأنك في [هذا][2] تفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي، وذلك أن ﴿مُؤَذِّنٌ﴾ عامل في ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، فإذا جعلت ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ صفة [فقد فصلت بين العامل والمعمول بالأجنبي، وإن شئت جعلت ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ صفة][3]؛ لأن التقدير فأذن مؤذن بينهم بأن لعنة الله، ومعنى الفعل قد يعمل في الجار ويصل إليه وإن فصل بينهما بالصفة، كما تقول: هذا مارّ [أمس][4] بزيد، والأول الوجه، والجار المقدر إن شئت جعلته متعلقًا بمؤذن، وإن[5] جعلته متعلقًا بأذن)[6].

وقوله: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قرئ[7] (أنْ) مخففًا، (لعنةُ الله)

---

(١) في (ب): (ومن ثم لا يستحسن).

(٢) لفظ: (هذا): ساقط من (ب).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) لفظ: (أمس: ساقط) من (أ).

(٥) في (أ): (فإن جعلته)، وفي «الحجة» ٢/ ٤٠٥: (وإن شئت جعلته) وهو الأولى.

(٦) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٠٤-٤٠٥، وزاد: (وإن شئت جعلت (بين) ظرفًا للمؤذن لا صفة وكل ذلك لا يمتنع)، وقال ابن الأنباري في «البيان» ١/ ٣٦٢: (بينهم: منصوب على الظرف والعامل أذن أو مؤذن على اختلاف بين النحويين؛ فالبصريون يختارون أن يكون متعلقًا بمؤذن لأنه أقرب إليه من أذن والكوفيون يختارون (أذن) لأنه الأول والعناية به أكثر فإن جعلت بينهم وصفًا لمؤذن جاز ولكن لا يجوز أن يعمل في أن لأن اسم الفاعل إذا وصفته بطل عمله ولأنه يخرج بذلك عن شبه الفعل) اهـ. وانظر: «المشكل» ١/ ٢٩٢، و«التبيان» ص٣٧٧، و«الفريد» ٢/ ٣٠٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٢٧.

(٧) قرأ عاصم وأبو عمرو ونافع ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ بإسكان النون مخففة ورفع ﴿لَعۡنَةُ﴾ وقرأ الباقون بتشديد ﴿أَنَّ﴾ ونصب ﴿لَعۡنَةَ﴾. انظر: «السبعة» ص٢٨١، و«المبسوط» ص١٨٠، و«التذكرة» ٢/ ٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

رفعًا، وقرئ (أنَّ) مشددة (ولعنةَ الله) نصبًا، فمن شدّد فهو الأصل، ومن خفف ﴿أَن﴾ فهي مخففة من الشديدة على إرادة إضمار القصة والحديث، تقديره: أنه لعنة [الله][(١)]، ومثل ذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] التقدير: أنه، ولا تخفف (أن) هذه إلا وإضمار القصة والحديث يراد معها[(٢)].

قال أبو إسحاق[(٣)]: (ويجوز أن يكون المخففة التي هي للتفسير كأنها تفسير لما أَذَّنُوا به كما ذكرنا في قوله: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾).

٤٥- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، هذه الآية من نعت[(٤)] قوله: ﴿على الظالمين﴾، ومعنى ﴿يَصُدُّونَ﴾ يجوز أن يكون من (الصدّ)[(٥)]

---

(١) لفظ: (الله) ساقط من (ب).

(٢) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٢٣. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٢، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٨٣، و«الكشف» ١/ ٤٦٣. قال الأزهري: (من خفف أن منعها عملها ورفع ما بعدها، ومن شدد النون نصب بها الاسم والمعنى واحد) اهـ. ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٥.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢٩٨-٢٩٩، و«تفسير الطبري» ٨/ ١٨٧، و«معاني النحاس» ٣/ ٣٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٣، و«المشكل» ١/ ٢٩٢، وقال: (ويجوز أن تكون في حالة التخفيف بمعنى أي التي للتفسير، فلا موضع لها من الإعراب) اهـ.

(٤) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١٣، و«التبيان» ص٣٧٧، و«الفريد» ٢/ ٣٠٤.

(٥) الصد: الإعراض، يقال: صَد يَصُد وصددته عن الأمر إذا عدلته عنه، وصد يَصِد -بكسر الصاد- إذا ضج.
انظر: «العين» ٧/ ٨٠، و«الجمهرة» ١/ ١١١، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٨٥، و«المجمل» ٢/ ٥٣٢، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٨٢، و«المفردات» ص٤٧٧، و«اللسان» ٤/ ٢٤٠٩ (صدد).

الذي هو المنع، ويجوز أن يكون من (الصدود) الذي[١] هو الإعراض.

وقوله تعالى: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: عن دين الله وطاعة الله)[٢]. قال أهل المعاني: (سبيل الله الحق الذي دعا الله إليه) وقيل: (الطريق الذي دل الله[٣] أنه يؤدي إلى الجنة)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، قال ابن عباس: (يريد: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظم الله)[٥].

ومعنى هذا: أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغيره، وتعظيم ما لم يعظمه الله، فأخطأوا الطريق وطلبوه ضالين معوّجين عن الطريق[٦]، ﴿عِوَجًا﴾ على هذا المعنى مصدر[٧] في موضع الحال، وقد ذكرنا معنى ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مستقصى في سورة آل عمران[٨].

٤٦- وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، والحجاب[٩] الحاجز بين

---

(١) في (أ): (والذي هو) بالواو.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٦، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٤٨٢ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (عن دين الله) اهـ.

(٣) في (ب): (الذي دل إليه).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٨٧، والسمرقندي ١/ ٥٤٢.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٤، والبغوي ٣/ ٢٣١.

(٦) انظر: «تفسير الخازن» ٢/ ٢٣٢ فقد ذكر مثله.

(٧) انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٥١١.

(٨) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٢٠٠/ ب.

(٩) الحجاب، بكسر الحاء: الستر، واسم ما احتجب به، وكل ما حال بين شيئين حجاب، والجمع حجب بالضم. انظر: «العين» ٣/ ٨٦، و«جمهرة اللغة» ١/ ٢٦٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٤٧٣، و«الصحاح» ١/ ١٠٧، و«المجمل» ١/ ٢٦٦، و«المفردات» ص٢١٩، و«لسان العرب» ٢/ ٧٧٧ (حجب).

الشيئين، قال الكلبي: (يعني: بين أهل الجنة وأهل النار، (حجاب) سور)[١] وهو الأعراف التي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ ولذلك عُرِّفت الأعراف لأنه عُني بها الحجاب المذكور[٢] في قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ جمع: عُرْف[٣]، وهو كل عالٍ مرتفع، ومنه عُرف الفرس، عُرف الديك، وكل مرتفع من الأرض عُرف، وذلك لأنه بظهوره أعرف مما انخفض منه[٤]، قال عطاء عن ابن عباس: (﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ يريد: سور الجنة، وهو سور بين الجنة والنار)[٥]. وروى أيضًا عنه أنه قال: (الأعراف شرف الصراط)[٦].

واختلفوا في الرجال الذين هم على الأعراف؛ فقال ابن عباس

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٦ وهو قول أهل التفسير. انظر: الطبري ٨/ ١٨٨، والسمرقندي ١/ ٥٤٢، والماوردي ٢/ ٢٢٥، وابن عطية ٥/ ٥١٢، والبغوي ٣/ ٢٣١، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٤، والرازي ١٤/ ٨٦.

(٢) انظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٢٨ حيث نقل قول الواحدي.

(٣) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٠٥، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٥، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٨، و«تفسير المشكل» ص٨٤.

(٤) انظر: «العين» ٢/ ١٢١، و«الجمهرة» ٢/ ٧٦٦، و«الصحاح» ٤/ ١٤٠٠، و«المجمل» ٣/ ٦٦١، و«المفردات» ص٥٦١، و«اللسان» ٥/ ٢٩٠١ (عرف).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٨٨، ١٨٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٠٥ (عرف) من عدة طرق جيدة، وقال الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٧: (الذي عليه الأكثرون أن المراد من الأعراف أعالي ذلك السور المضروب بين الجنة والنار وهذا قول ابن عباس) اهـ.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٧، والقرطبي ٧/ ٢١٣، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٩-٢٣٠، والطبري ٨/ ١٨٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣. بسند جيد عن ابن عباس قال: (الأعراف الشيء المشرف)، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٠.

والأكثرون[١]: (هم مؤمنون إلا أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم[٢] حسناتهم من النار، ومنعتهم سيئاتهم من الجنة، فيقومون على سور الجنة، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته، وهم آخر من يدخل الجنة)، وهو قول حذيفة[٣][٤] وابن مسعود[٥] والكلبي[٦] واختيار

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٢٩، والطبري ٨/ ١٩٠، ١٩١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٣ من عدة طرق جيدة يقوي بعضها بعضًا عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ٥/ ١٤٨٥ من عدة طرق عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي، وسعيد ابن جبير والضحاك، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٥ عن عبد الله بن الحارث، وقال بعده: (وروي عن أبي هريرة) اهـ. وهو قول مجاهد كما في تفسير مسلم بن خالد الزنجي ص٤٧-٤٨، وأخرجه عنه النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٠، وزاد ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥ نسبة هذا القول إلى الشعبي وقتادة، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٢، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٢، والماوردي ٢/ ٢٢٦، وابن عطية ٥/ ٥١٥.

(٢) في (ب): (فمنعهم).

(٣) حذيفة بن حُسَيْل بن جابر العبسي أبو عبد الله حليف الأنصار، واليمان لقب: حسيل، وهو صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام عالم شجاع صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، وهو من أعيان المهاجرين شهد أحد، والمشاهد بعدها وله بها ذكر حسن وآثار شهيرة، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي -رضي الله عنه- سنة ٣٦هـ. انظر: «الحلية» ١/ ٢٧٠، و«الاستيعاب» ١/ ٣٩٣ (٥١٠)، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٦١، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٦٧، و«الإصابة» ١/ ٣١٧، و«الأعلام» ٢/ ١٧١.

(٤) أخرجه الطبري ٨/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٥، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٠ وقال: (حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ١٩١، والبغوي ٣/ ٢٣٢ بسند ضعيف.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٦، و«المطالب العالية» ٣/ ٣٣٤.

الفراء[١].

وروي أن النبي ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «**هم قوم**[٢] **قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم النار قتلهم في سبيل الله، ومنعتهم الجنة معصية آبائهم، فهم آخر من يدخل الجنة**»[٣].

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٧٩-٣٨٠ وهو الظاهر، واختيار الطبري ٨/ ١٩٤، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٤٠، وقال: (وهذا القول أشهر وأعرف) اهـ، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١٣، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٤٢: (واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن مسعود، وابن عباس، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله) اهـ. وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢١٤-٢١٦: (وهذا هو الثابت عن الصحابة، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها وآثار الصحابة في ذلك المعتمدة) اهـ.

(٢) في (ب): (هم رجال).

(٣) أخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» ص٣٦٩، والطبري ٨/ ١٩٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٤ بسند ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٣-٢٤، وقال: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، وروى الطبراني نحوه وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف) اهـ. وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٤٢، وقال: (رواه ابن مردويه، وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به، وكذا رواه ابن ماجه مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري، وابن عباس -والله أعلم- بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصارها أن تكون موقوفة، وفيه دلالة على ما ذكر) اهـ. وقال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله تعالى- في «حاشية الطبري» ١٢/ ٤٥٨-٤٥٩: (هذا خبر ضعيف لما فيه من المجاهيل ولضعف أبي معشر) اهـ. وذكره ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٤٢٦، ترجمة عبد الرحمن المزني، وفي «المطالب العالية» ١٤/ ٦٦٤ (٣٦٠٨)، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٦٣، ١٦٤ وفيه زيادة تخريج.

وقال سليمان التيمي[(١)] وأبو مجلز[(٢)]: (هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، قال: فقيل لأبي مجلز، يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ وتزعم أنت أنهم ملائكة؟، فقال: إنهم ذكور ليسوا بإناث)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، قال المفسرون[(٤)]: (إنهم يرون أهل الجنة فيعرفونهم ببياض وجوههم، ويرون أهل النار فيعرفونهم بسواد وجوههم وزرقة عيونهم).

قال أبو إسحاق: (يعرفون أصحاب الجنة لأن سيماهم إسفار الوجوه والضحك والاستبشار كما قال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، ويعرفون أصحاب النار بسواد وجوههم وغبرة[(٥)] وزرقة

---

(١) لم أقف عليه، ولعله روى سليمان التيمي عن أبي مجلز بدلالة قوله: (قال: فقيل لأبي مجلز) والقائل هو سليمان التيمي كما أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ١٩٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٦ من عدة طرق جيدة عن سليمان التيمي عن أبي مجلز، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٤.

(٢) أبو مجلز: لاحق بن حميد السدوسي، إمام. تقدمت ترجمته.

(٣) هذا قوله رده أكثر أهل التفسير، قال الطبري ٨/ ١٩٣: (هو قول لا معنى له) اهـ، وقال ابن الجوزي ٣/ ٢٠٦: (فيه بُعد وخلاف للمفسرين) اهـ، وقال ابن كثير ٢/ ٢٤٣: (رواه ابن جرير وهو صحيح إلى أبي مجلز أحد التابعين وهو غريب من قوله، وخلاف الظاهر من السياق، وقول الجمهور مقدم على قوله بدلالة الآية على ما ذهبوا إليه) اهـ.

(٤) هذا قول مجاهد في «تفسيره» ١/ ٢٣٧، والفراء في «معانيه» ١/ ٣٧٩، والطبري ٨/ ١٩٤، ١٩٥، وأخرجه من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٣٨، والسمرقندي ١/ ٥٤٣، والماوردي ٢/ ٢٢٦، والبغوي ٣/ ٢٣٣، وابن عطية ٥/ ٥١٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٦.

(٥) لفظ: (غبرة) ساقط من (ب).

عيونهم[(١)] كما قال جل ذكره: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠﴾ [عبس: ٤٠])[(٢)].

قال ابن الأنباري: (إنما خص الله تعالى هؤلاء بمعرفة الجماعة دون الخلق؛ لأن موضعهم مرتفع عالٍ يرون فيه أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار دون الخلق، وكأن الاختصاص من أجل[(٣)] هذا المعنى)[(٤)] وذكرنا معنى السيما[(٥)] في سورة [البقرة][(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال الكلبي: (إذا نظروا إلى الجنة سلموا على أهلها فردوا عليهم السلام، وإذا نظروا إلى النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾)[(٧)].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿وَنَادَوْا﴾ (يريد: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[(٨)]، فردوا عليهم السلام، فقال أصحاب الجنة لخزنة جهنم: ما لأصحابنا على أعراف الجنة لم يدخلوها؟ فقال الملائكة: ﴿وَهُمْ[(٩)] يَطْمَعُونَ﴾[(١٠)]

---

(١) لفظ: (وزرقة عيونهم) ساقط من (أ) ولا يوجد في «معاني الزجاج».

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٣.

(٣) في (ب): (من أجله)، وهو تحريف.

(٤) لم أقف عليه عن ابن الأنباري. وانظر «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦٨-٣٧٠.

(٥) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٦٣أ.

(٦) لفظ: (البقرة) ساقط من (ب).

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٧، وهو قول أكثر المفسرين، انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٦٨، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٦٤، والسمرقندي ١/ ٥٤٣، والبغوي ٣/ ٢٣٣، وابن عطية ٥/ ٥١٦، والرازي ١٤/ ٩٠.

(٨) لفظ: (أن) ساقط من (ب). (٩) في (ب): (وهم).

(١٠) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٣٠، وقال: (وهذا يبعد صحته عن ابن عباس إذ لا يلائم فصاحة القرآن) اهـ.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ بعضه من قول أهل الجنة، وبعضه من كلام الملائكة جوابًا لأهل الجنة، على ما قال عطاء، وعلى قول الباقين هو من كلام الله تعالى، وإخباره أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون(١).

قال حذيفة: (ولم يكن الله ليخيب طمعهم)(٢)، وقال سعيد بن جبير: (طمعوا لأن الله تعالى سلب نور المنافقين وهم على الصراط وبقي نورهم)(٣).

وروي عن الحسن أنه قال: (هذا طمع اليقين، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢])(٤).

---

(١) قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٣٩: (قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾. قال أكثر أهل التفسير يعني أصحاب الأعراف) اهـ. فهذا إخبار من الله تعالى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها قاله الجمهور. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ١٩٦، و«القطع والائتناف» للنحاس ١/ ٢٥٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٣، والبغوي ٣/ ٢٣٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٦.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٥، وانظر: «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٦٥٥.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٩٦، والبغوي ٣/ ٢٣٢ بسند ضعيف عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٢١، وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٠، والطبري ٨/ ١٩٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٨٨ بسند جيد عن الحسن قال: (والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم) اهـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٥، وذكره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٠٣ عن ابن مسعود، ثم قال: (وهذا هو الأظهر والأليق بمساق الآية) اهـ. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٥١٦.

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ الآية، التلقاء[١]: جهة اللقاء وهي جهة المقابلة، ولذلك[٢] كانْ ظرفًا من ظروف المكان، هو تلقاءك، كقولك: هو حذاءك، وهو في الأصل مصدر واستعمل ظرفًا مثل البين.

قرأت على أبي الحسين[٣] بن أبي عبد الله الفسوي[٤]، فقلت: أخبركم حمد بن محمد[٥] قال، أخبرني أبو عمر[٦] محمد بن عبد الواحد[٧] أبنا ثعلب عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين قالا: (لم يأت من المصادر على تِفْعال إلا حرفان: تِبْيان، وتِلْقاء، فإذا تركت هذين استوى لك القياس في كلام الناس، فقلت في كل مصدر: تَفعال -بفتح التاء- مثل تَسْيار وتَهمام، وقلت في كل اسم: تِفعال -بكسر التاء- مثل تِقصار وتِمثال)[٨]. وتفسير الآية ما ذكرنا من قول الكلبي في الآية الأولى.

---

(١) اللِّقاءُ: مقابلة الشيء ومصادفته، والاسم التلقاء وهو مصدر نادر لا نظير له إلا التِّبْيان. انظر: «العين» ٥/ ٢١٥، و«الجمهرة» ٢/ ٩٧٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٩٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٨٤، و«المجمل» ٣/ ٨١١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٦٠، و«المفردات» ص٧٤٥، و«اللسان» ٧/ ٤٠٦٥ (لقى).

(٢) في (ب): (وكذلك قال ظرفًا)، وهو تحريف.

(٣) في (ب): (أبي الحسن)، وهو تحريف.

(٤) هو عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد الفسوي أبو الحسين بن أبي عبدالله الفارسي، أحد شيوخ الواحدي. تقدمت ترجمته.

(٥) حمد بن محمد الخطابي أبو سليمان البستي، إمام، سبقت ترجمته في ص١٩٠

(٦) في (أ): (أبو عمرو)، وهو تحريف.

(٧) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم البَاورْدِي، تقدمت ترجمته.

(٨) ذكره الرازي ١٤/ ٧٥ عن الواحدي، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٣١: (التلقاء في

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾، قال الكلبي: (وينادي أصحاب الأعراف قومًا من أهل النار من رؤساء المشركين، فيقولون[1] لهم: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ وما كنتم تستكثرون[2] من الأموال والأولاد، وتستكبرون عن عبادة الله جل وعلا، ثم يرون في الجنة جماعة من مستضعفي المسلمين، مثل بلال، وسلمان[3]، وعمار، وخباب، فيقبلون على المشركين فيقولون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ [الأعراف: ٤٩] أي: حلفتم وأنتم في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ﴾ برحمته، فيقول الله تبارك وتعالى لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ حين يخاف أهل النار ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ حين يحزنون)[4].

= الأصل مصدر، ثم جعل دالًا على المكان، أي: على جهة اللقاء والمقابلة، قالوا: ولم يجئ من المصادر على تفعال -بكسر التاء- إلا لفظتان: التلقاء، والتبيان، وما عدا ذلك من المصادر فمفتوح نحو الترداد والتكرار، ومن الأسماء مكسور نحو تِمثال وتِمساح وتِقصار) اهـ.

انظر: «التبيان» ص٣٧٧، و«الفريد» ٢/ ٣٠٦، والقرطبي ٧/ ٢١٤.

(١) في (ب): (فيقول).

(٢) في (ب): (تستكبرون)، وهو تحريف.

(٣) سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام، صحابي جليل، زاهد، عالم، حكيم، شهد الخندق وما بعدها، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير، توفي -رضي الله عنه- سنة ٣٤هـ.
انظر: «الحلية» ١/ ١٨٥، و«الاستيعاب» ٢/ ١٩٤ (١٠١٩)، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٥٠٥، و«الإصابة» ١/ ٦٢، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٦٨، و«الأعلام» ٣/ ١١١.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٧-٩٨، وذكره ابن الأنباري في «الأضداد» ص٣٦٩-٣٧٠، والبغوي ٣/ ٢٣٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٧-٢٠٨.

و(١)قال مقاتل بن سليمان: (﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ من كلام الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط، وذلك أن أهل النار يقسمون أن أصحاب الأعراف داخلون معهم النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ يا أهل النار ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾، ثم تقول الملائكة لأصحاب الأعراف ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ الآية)(٢).

قال أبو بكر بن الأنباري: (قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ على تفسير الكلبي من كلام أصحاب الأعراف و﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ من كلام الله تعالى، ويحتاج هاهنا إلى إضمار (قول) بين قوله ﴿بِرَحۡمَةٍۚ﴾ وقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ أي: فقال(٣) لهم هذا كما قال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ﴾ [الشعراء: ٣٥]، وانقطع كلام الملأ(٤) هنا، ثم قال لهم فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥] فاتصل كلامه بكلامهم، من غير إظهار قول؛ لبيان المعنى)(٥).

٥٠- قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: (لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد الإياس؛ فقالوا(٦): يا رب إن لنا قرابات

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٣٩.
(٣) فقال الله لهم.
(٤) في (ب): (الملائكة)، وهو تحريف.
(٥) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٣٢، وذكره الرازي ١٤/ ٩١، ٩٢ بلا نسبة، وانظر: «إيضاح الوقف والابتداء» لابن الأنباري ٢/ ٦٥٧.
(٦) في (ب): (فقال)، وهو تحريف.

من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فأمر الله الجنة فتزخرفت حتى نظر أهل جهنم إلى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار[١] فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقًا آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ الآية)[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، قال ابن زيد والسدي: (يعني: الطعام)[٣].

قال أبو إسحاق: (أعلم الله ﷻ أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب، وإن كان معذبًا، فأعلمهم أهل الجنة أن الله حرم طعامهم وشرابهم على أهل النار بقولهم[٤]: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾)[٥]، [و] هذا[٦] تحريم منع لا تحريم تعبد.

---

(١) في (ب): (أهل جهنم).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٦، والبغوي ٣/ ٢٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٨، والرازي ١٤/ ٩٢، و«الخازن» ٢/ ٢٣٥، وأخرج سفيان الثوري في «تفسيره» ص١١٣، والطبري ٨/ ٢٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٠ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: ينادي الرجل معرفته من أهل الجنة: أغثني يا فلان فقد احترقت، فيقول الله تعالى جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اهـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٦.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩١ بسند جيد عن ابن زيد والسدي، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٦.

(٤) في (ب): (بقوله).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٤.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

٥١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾. قال ابن عباس[١]: (يريد: المستهزئين المقتسمين)[٢].

قال أهل المعاني[٣] (معنى اللهو: صرف الهمّ بما لا يحسن، كالإنسان يريد أن يصرف الهمّ والحزن عن نفسه فيشتغل بما لا يجدي عليه، وهؤلاء طلبوا صرف الهمّ عنهم بالتهزّئ بالدين وعيب المؤمنين)، وعلى هذا معنى قوله ﴿دِينَهُمْ﴾ أي: الدين الذي شرع لهم، وهؤلاء تلاعبوا بذلك [الدين][٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾.

قال ابن عباس: (يريد: نتركهم في جهنم كما تركوا لقاء يومهم هذا)[٥] يريد: التكذيب بالبعث والجنة والنار، ومعنى ﴿نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ﴾

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩، والرازي ١٤/ ٩٣، و«الخازن» ٢/ ٢٣٥.

(٢) المستهزئين المقتسمين: جماعة لهم قوة وشوكة من كفار قريش نصبوا العداء للرسول ﷺ، وتقاسموا عقاب مكة للصد عن ما جاء به، وقد اختلف العلماء في عددهم، وأسمائهم، وكيفية هلاكهم.
انظر: «تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٢، و«زاد المسير» ٤/ ٤٢١، والرازي ١٩/ ٢١١، و«الدر المنثور» ٤/ ١٩٨.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٠، والطبري ٨/ ٢٠٢، والسمرقندي ١/ ٥٤٤، وأخرج الطبري ٨/ ٢٠٢ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (ذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه وهزأوا به اغترارًا بالله) اهـ.

(٤) لفظ: (الدين) ساقط من (ب).

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٢، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٦٢٠ بسند جيد، وقال البيهقي: (يريد والله أعلم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا) اهـ. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٧.

تركوه بالتكذيب به[١]، كما قال ابن عباس.

وقال الزجاج: (أي: نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم)[٢]، وهذا قول الحسن[٣]، ومجاهد[٤]، والسدي[٥]، وجميع المفسرين[٦]؛ قالوا: (إن معنى النسيان هاهنا: الترك).

قال ابن الأنباري: (فاليوم نتركهم في النار على غير إغفال ونسيان، كما تركوا العمل لنا عامدين لا غافلين، فمعنى تركهم لقاء ذلك اليوم: تركهم العمل بطاعة الله لذلك اليوم)[٧].

وقال أصحاب المعاني: (معنى ﴿نَنسَنٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟﴾: نعاملهم معاملة من نسي بتركهم[٨] في النار كما فعلوا في الإعراض عن آياتنا وما ندبناهم إلى العمل به، فِعْل من نسي وغفل، فكذلك[٩] نجازيهم بمثل فعلهم،

---

(١) لفظ: (به) ساقط من (ب).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١.

(٣) ذكره الرازي ١٤/ ٩٣، قال: (هو قول الحسن ومجاهد والسدي والأكثرين) اهـ، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٠٥، (وهو قول الحسن والسدي أيضًا والأكثرون).

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٨، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٠، والطبري ٨/ ٢٠٢ من عدة طرق جيدة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٢ من طرق جيدة عن مجاهد والسدي، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ١٦٧.

(٦) انظر: الطبري ٨/ ٢٠٢، و«معاني النحاس» ٣/ ٤١، والسمرقندي ١/ ٥٤٤، والبغوي ٣/ ٢٣٤، وابن عطية ٥/ ٥٢١.

(٧) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٩، وفي «الأضداد» لابن الأنباري ص٣٩٩ نحوه، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٥، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٨.

(٨) في (ب): (نتركهم).

(٩) في (ب): (وكذلك).

فنوقع بهم ما يشبه النسيان بأن لا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة)[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾. قال الزجاج: (أي: كجحدهم[2]، ﴿وَمَا﴾ في موضع جر نسق على ﴿كَمَا﴾[3] و(ما) في قوله ﴿كَمَا نَسُوا﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ بمعنى المصدر، والتقدير: ننساهم نسيانًا كنسيانهم يومهم هذا ولكونهم جاحدين بآياتنا، قاله أبو علي[4].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، قال ابن عباس: (يريد: الذي جاء به محمد ﷺ، ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ يريد: بيناه)[5]، والتفصيل تبيين المعاني بإظهارها مما يلتبس بها، فالتفصيل كالتبيين[6].

---

(١) ذكره الرازي ١٤/ ٩٣، و«الخازن» ٢/ ٢٣٥، وقال ابن كثير في تفسير الآية ٢/ ٢٤٥: (أي: يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه .. وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة) اهـ. ملخصًا.

(٢) في (ب): (أي ولجحدهم).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١.

(٤) «الحجة» لأبي علي ٣/ ٦٠ و٦/ ٢١٦-٢١٧ و٢١٩، وهو قول الأكثر. انظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٥٧، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٥، و«المشكل» ١/ ٢٩٣، و«البيان» ١/ ٣٦٤، و«الفريد» ٢/ ٣٠٩، و«الدر المصون» ٥/ ٣٣٦.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٩، وهو قول عامة المفسرين. انظر: الطبري ٨/ ٢٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٤-٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن عطية ٥/ ٥٢٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩.

(٦) التفصيل - التبيين، وأصل الفَصْل القطع والقضاء وإبانة الشيء عن الآخر. انظر: «العين» ٧/ ١٢٦، و«الجمهرة» ٢/ ٨٩١، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٩٥، و«الصحاح» ٥/ ١٧٩٠، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٥٠٥، و«المفردات» ص٦٣٩، و«اللسان» ٦/ ٣٤٢٢ (فصل).

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: فصلناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط، وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في الكتاب وهو ما أودع من العلوم[١] وبيان الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾، قال الزجاج: (﴿هُدًى﴾ في موضع نصب أي: فصلناه هاديًا وذا رحمة)[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يدل على أن القرآن جُعل هدى لقوم مخصوصين أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به.

٥٣- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾، النظر هاهنا بمعنى: الانتظار[٣]، وقد مر في سورة البقرة[٤]، وإنما قيل لهم ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، وإن كانوا جاحدين؛ لأنهم في منزلة المنتظر كأنهم ينتظرون ذلك لأنهم

---

(١) أكثرهم قال: (المعنى بيناه على علم منا بما فصلناه به) اهـ. انظر: «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٠، والطبري ٨/ ٢٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٨، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن الجوزي ٣/ ٢١٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١، والجمهور على نصبهما على الحال من مفعول ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ أو على أنه مفعول لأجله أي: فصلناه لأجل الهداية والرحمة. قالوا: ويجوز الجر على النعت لكتاب أو البدل منه، والرفع على تقدير مبتدأ أي: هو هدى ورحمة. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٠، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٥، و«المشكل» ١٢٩٣، و«البيان» ١/ ٣٦٤، و«التبيان» ص٣٧٨، و«الفريد» ٢/ ٣٠٩، و«البحر» ٤/ ٣٠٦، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٦.

(٣) النَّظَر: تقليب البَصَرِ والبَصيرة لإدراك الشيء وتأمله ورؤيته، والنَّظَر: الانتظار يقال: نَظَرْتُه أي انتَظَرْتُه، وأَنْظَرْتُه - أخَّرْتُه. انظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٦٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٠٤، و«الصحاح» ٥/ ٣٨٠، و«المجمل» ٣/ ٨٧٣، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٤٤، و«المفردات» ص٨١٣، و«اللسان» ٧/ ٤٤٦٦ (نظر).

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٢٦ب.

يأتيهم لا محالة، وفيه وجه آخر ذكرناه في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] في آخر سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾. قال الفراء: (الهاء في ﴿تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ للكتاب يريد: عاقبته وما وعد الله فيه)(١) [يعني: من البعث والنشور والعقاب والحساب.

وقال مقاتل(٢): ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ عاقبة ما وعدوا](٣) على ألسنة الرسل. ومضى(٤) الكلام في التأويل في سورة آل عمران(٥) أولا، ثم في النساء(٦) ثانيًا.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾. قال ابن عباس: (يريد: يوم القيامة)(٧).

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٠، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٦، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٨.

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٠، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦١٦ (في معناه قولان: أحدهما: هل ينظرون إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب والحساب، والقول الآخر: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ من النظر إلى يوم القيامة) اهـ. وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١، والطبري ٨/ ٢٠٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٤١-٤٢، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) في النسخ: (ومعنى) والأولى (ومضى).

(٥) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٧٥أ.

(٦) انظر: «البسيط» نسخة جستربتي ٢/ ١٤أ.

(٧) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٤ بسند ضعيف، وقال ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢١٧-٢١٨ (فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله، والجنة والنار ويسمى تعبير الرؤيا تأويلًا بالاعتبارين، فإنه تفسير لها وهو عاقبتها وما تؤول إليه، فتأويل ما أخبرت به الرسل

قال الزجاج: (﴿يَوْمَ﴾ نصب بقوله ﴿يَقُولُ﴾[1]. قال: [و][2] ﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ معناه[3] أنهم صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسي، وجائز أن يكون ﴿نَسُوهُ﴾ تركوا[4] العمل له والإيمان به)[5]، وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ نسق على قوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾، كأنه قيل: هل يشفع لنا شافع، أو هل نرد ﴿فَنَعْمَلَ﴾، منصوب على جواب الاستفهام [بالفاء[6]][7]، ومعنى: ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله قاله ابن عباس[8].

= هو مجيء حقيقته ورؤيتها عيانًا ومنه تأويل الرؤيا وهو حقيقتها الخارجية التي ضربت للرائي في عالم المثال) اهـ.

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦١٦، و«المشكل» ١/ ٢٩٣، و«البيان» ١/ ٣٦٤، و«التبيان» ص٣٧٨، و«الفريد» ٢/ ٣١٠، و«الدر المصون» ٥/ ٣٣٧ وكلهم على أنه منصوب على الظرف والعامل فيه ﴿يَقُولُ﴾.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب). (٣) في (ب): (معنا)، وهو تحريف.

(٤) في (ب): (تركوه العمل)، وهو تحريف.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤١-٣٤٢، وانظر: الطبري ٨/ ٢٠٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٤٢، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٩.

(٦) لفظ: (بالفاء) ساقط من (ب).

(٧) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٤٢ وهو المشهور، وقول الجمهور: (فتكون جملة ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ معطوفة على جملة ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ داخلة معها في حكم الاستفهام. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٠، والأخفش ٢/ ٣٠٠، و«تفسير الطبري» ١٢/ ٢٠٥، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٦، و«المشكل» ١/ ٢٩٣، و«البيان» ١/ ٣٦٤، و«التبيان» ص٣٧٨، و«الفريد» ٢/ ٣١٠، و«البحر» ٤/ ٣٠٦، و«الدر المصون» ٥/ ٣٣٧.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ٩٩ وفيه: (فنؤمن ونعمل غير الذي كنا نعمل في الشرك) اهـ.

قال الله تعالى[١]: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: قد خسروا النعيم[٢] وصاروا إلى الخزي والعذاب)[٣] ومضى الكلام[٤] في: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾، يريد: سقط عنهم ما كانوا[٥] يقولون من أن مع الله إلهًا آخر[٦].

٥٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الآية. قال الليث: (السِّتُّ والسِّتة في التأسيس على غير لفظيهما، وهما في الأصل سِدْس وسِدْسَة، ولكنهم أرادوا إدغام الدال في السين فالتقتا عند مخرج التاء فغلبت[٧] عليهما، وبيان ذلك أنك [تصغر][٨] ستة سُدَيْسة، وكذلك الأسداس، وجميع تصريفهما[٩] على ذلك)[١٠].

---

(١) في (ب) تكرار قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾.
(٢) في (ب): (خشروا النعيم)، وهو تصحيف.
(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٩: وفيه (غبنوا أنفسهم بذهاب الجنة ولزوم النار) اهـ.
(٤) انظر: معنى الخسران في «البسيط» البقرة: ٢٧.
(٥) في (ب) تكرار: (يريد سقط عنهم ما كانوا يفترون يريد سقط عنهم ما كانوا يقولون ....).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥.
(٧) في (ب): (فقلبت)، وهو تصحيف.
(٨) لفظ: (تصغر) ساقط من (أ).
(٩) في (ب): (تصريفها) وعند الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٢٣: (تصغيرها).
(١٠) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٢٣، وانظر: «العين» ٧/ ١٨٦ (ست).

ابن السكيت: (يقال: جاء فلان سادسًا، وساديًا، وساتًّا؛ فسادس على لفظ السُّدس، وساتّ على لفظ ستَّة أدغموا الدال في السين فصارت تاء مشددة، ومن قال ساديًا أبدل من السين ياء)[١].

قال أهل التفسير: (قوله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، أراد: في مقدار ستة أيام؛ لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فكيف [يكون][٢] يوم ولا شمس ولا سماء؟ وهذا كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] على مقادير البكرة والعشي في الدنيا؛ إذ لا ليل ثم ولا نهار[٣]، فإن قيل: لأي علة ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولو خلقهن في طرفة عين كان أدل على نفاذ قدرته، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، والجواب: ما قال سعيد بن جبير: (قدر الله على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة، وإنما خلقهن في ستة أيام تعليمًا لخلقه الرفق والتثبت في الأمور)[٤].

وقال أهل المعاني: (إن تدبير الحوادث على إنشاء شيء بعد شيء

---

(١) «إصلاح المنطق» ص٣٠١، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٢٣. وانظر: «الصحاح» ١/ ٢٥١ (ستت)، و«المفردات» ص٤٠٣ (سدس)، و«اللسان» ٤/ ١٩٣٥ (ستت).

(٢) لفظ: (يكون) ساقط من (ب).

(٣) قال ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢١١: (أي في مقدار ذلك ولم تكن الشمس حينئذ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة. ولا نعلم خلافًا في ذلك) اهـ. بتصرف.
وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن عطية ٥/ ٥٢٥، والرازي ١٤/ ١١٨، والقرطبي ٧/ ٢١٩.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩١أ، والبغوي ٣/ ٢٣٥، و«الخازن» ٢/ ٢٣٧.

على ترتيب، أدل على عالم مدبر يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته) وقيل: (أراد بذلك زيادة البصيرة للملائكة في يقينهم[(١)] لما يشاهدونه من ظهور شيء وإنشاء خلق بعد خلق)[(٢)].

وقال أبو بكر بن الأنباري: (إن الله[(٣)] خلق السموات والأرض والليل والنهار تكرمة لآدم وذريته، وقد بيّن هذا في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ الآية [البقرة: ٢٢]، وفي قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية [القصص: ٧٣]، فلما كان خلق هذه الأشياء تكرمة لآدم وولده، وكانت الأيام سبعة أوقع في كل يوم منها ضربًا من التكرمة نبه به الملائكة على عظم شأن آدم وولده عنده، وكان خلق السموات والأرض في ستة أيام عن غير عجز من الله ﷻ أن يكون في لمحة، ولكنه تعالى أراد أن يوقع في كل يوم منها أمرًا من خلقه تستعظمه الملائكة وجميع المشاهدين له)[(٤)]، وهذا معنى قول مجاهد: (إن ذلك رُتِّب على الأيام: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، فاجتمع الخلق فيه)[(٥)].

---

(١) في (ب): (في نفسهم).

(٢) ذكر هذه الأوجه الماوردي ٢/ ٢٣٠، وابن الجوزي ٣/ ٢١٢، والرازي ١٤/ ١١٨، و«الخازن» ٢/ ٢٣٧، وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦١٧: (لأنه علم أن ذلك أصلح ليظهر قدرته للملائكة شيئًا بعد شيء) اهـ.

(٣) في (ب): (الله تعالى).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩١، وابن الجوزي ٣/ ٢١٢ مختصرًا.

(٥) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٥، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ٢٤٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٦٩.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك بعد خلق السموات والأرض، وهذا قول الفراء[(١)] وأبي العباس[(٢)] والزجاج[(٣)].

وقال آخرون: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ معناه استولى[(٤)] واحتجوا بقول البعيث[(٥)]:

ثم اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ   منْ غير سيفٍ ودمٍ مُهْرَاقِ[(٦)]

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٢٥ وفيه حكى أوجه منها: (أن يستوي الرجل وينتهي شبابه أو يستوي عن اعوجاج، وبمعنى أقبل، وبمعنى صعد، وكل في كلام العرب جائز).

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤، وفي «مجالس ثعلب» ١/ ١٧٤ و ٢٦٩ قال: (يقال فيه ضروب، الفراء وأصحابنا يقولون أقبل. ويقال: استوى عليه من الاستواء، والمعتزلة يقولون: استولى) اهـ.

(٣) «معاني الزجاج» ١/ ١٠٧ قال: (فيه قولان: عمد وقصد إلى السماء، كما تقول: قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد الاستواء إليه، وقد قيل أيضًا: استوى أي صعد أمره إلى السماء).

(٤) هذا قول أهل التأويل من المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم، وقد اتفق أهل العلم على إبطاله وأجمعوا على أن المراد بالاستواء على العرش، إنما هو الاستعلاء والارتفاع عليه، فهو سبحانه مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين. انظر: «الإبانة» ص٣٦، و«الأسماء والصفات» ٢/ ٣٠٦-٣٠٨، و«الفتاوى» ٥/ ١٤٣-١٤٩، و«مختصر العلو» للألباني ص٢٦.

(٥) البعيث: هو خداش بن بشير بن خالد المجاشعي، أبو مالك البصري المعروف بالبَعِيث، شاعر أموي مجيد وخطيب بني تميم، كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو ٤٠ سنة، توفي سنة ١٣٤. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٨٦، و«الشعر والشعراء» ص٣٢٩، و«معجم الأدباء» ٣/ ٢٨٩، و«الأعلام» ٢/ ٣٠٢.

(٦) الشاهد بدون نسبة في «الصحاح» ٦/ ٢٣٨٥ (سوا)، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٢٩، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ٢/ ٣٠٩، و«زاد المسير» ٣/ ٢١٣، والقرطبي ٧/ ٢٢٠، و«رصف المباني» ص٤٣٤، و«اللسان» ٤/ ٢١٦٣ (سوا)، و«الخازن» =

يعني: بشر بن مروان[١]، وعلى هذا خصّ العرش بالإخبار عن الاستيلاء عليه؛ لأنه أعظم المخلوقات.

وقال الأخفش: (﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: علا، يقال: استويت على ظهر البيت أي: علوته)[٢] وهذا القول اختيار ابن جرير، قال: (معناه: ارتفع ارتفاع ملك وسلطان، لا ارتفاع انتقال وزوال)[٣]، وهذا يعود إلى معنى الاستيلاء[٤]. وقد شرحنا الاستواء في صفة الله تعالى مستقصى في سورة البقرة[٥].

= ٢/ ٣٣٩، و«الدر المصون» ١/ ٢٤٣، ونسب في «تاج العروس» ١٩/ ٥٥١ (سوا)، إلى الأخطل، وفي هذه المراجع (قد استوى)، وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٥/ ١٤٦: (لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة) اهـ. ونسبه ابن كثير في «البداية والنهاية» ٩/ ٧ إلى الأخطل، وقال: (الأخطل نصراني، والاستدلال به باطل من وجوه كثيرة) اهـ. وهو ليس في ديوان الأخطل والواحدي نسبه هنا وفي «الوسيط» ١/ ١٩٢ (إلى البعيث) وانظر: «مختصر الصواعق المرسلة» ٣/ ٨٩٠، ٨٩٨.

(١) بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي: أمير كان سمحًا جوادًا، ولي إمرة العراق لأخيه عبد الملك، وتوفي سنة ٧٥هـ، وله نيف وأربعون سنة. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٤٥، و«البداية والنهاية» ٩/ ٧، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٣/ ٢٥١، و«الأعلام» ٢/ ٥٥.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٩٤، وانظر: «معاني الأخفش» ١/ ٥٥-٥٦.

(٣) «تفسير الطبري» ١/ ١٩٢، واختار أن معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: (علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات) اهـ.

(٤) الطبري - رحمه الله تعالى - رجح في معنى الاستواء ما قال به السلف، ثم أخذ يناقش المؤولين، ومن باب إلزام الحجة لهم، قال: (قل علا عليها علو ملك وسلطان) اهـ، وهذه العبارة ليست من نهج السلف في الإثبات، والله أعلم.

(٥) انظر: «البسيط» البقرة: ٢٩.

و﴿ٱلْعَرْشِ﴾ في كلام العرب(١) سرير الملك، يدل على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله عرشًا فقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، والعرش في اللغة: قد يكون عبارة عن الملك، يقال:(٢) ثُلَّ عَرْشُه، إذا ذهب عزه وملكه، ومنه قول زهير:

تَـدَارَكـتُـمـا الأحـلافَ قـد ثُـلَّ عَـرْشُـهَـا(٣)

غير أنه لا يسوغ أن يكون المراد بالعرش في هذه الآية الملك؛ لأنه يوجب أن الله لم يكن مستويًا على ملكه قبل خلق السموات(٤) والأرض.

---

(١) العرش: سرير الملك وسقف البيت، انظر: «العين» ١/ ٢٤٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٢٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩١، و«الصحاح» ٣/ ١٠٠٩، و«المجمل» ٣/ ٦٥٨، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٦٤، و«المفردات» ص٥٥٨، و«اللسان» ٥/ ٢٨٨٠ (عرش).

(٢) هذا مثل يضرب لمن ذهب عزه وزال قوام أمره وساءت حاله. انظر: «جمهرة الأمثال» ١/ ٢٩٠، و«المستقصى» للزمخشري ٢/ ٤٣، و«مجمع الأمثال» ١/ ٢٧١.

(٣) «ديوان زهير» ص١٠٥، و«العين» ١/ ٢٤٩، و«المنجد» لكراع ص١٠٥، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٢، و«الصحاح» ٣/ ١٠١٠، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٦٥، و«اللسان» ٥/ ٢٨٨١ (عرش)، وتمامه:

وَذُبْيَانَ قد زَلَّتْ بِأَقْدامِهَا النَّعْلُ

قال ثعلب في «شرحه»: (الأحلاف عبس وفزارة وثل عرشها هذا مثل أي: أصابها ما كسرها وهدمها) اهـ.

(٤) هذا هو الصحيح والآيات والأحاديث والآثار تدفع أن يكون المراد بالعرش الملك، وأهل السنة والجماعة يثبتون العرش واستواء الله تعالى عليه كيف يشاء، قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٦/ ٥٨٤-٥٨٥: (العرش موجود بالكتاب والسنة وإجماع الأمة والآيات والأحاديث فيه صريحة متواترة وهو غير الكرسي والكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف) اهـ. ملخصًا.

وانظر: «الأسماء والصفات» ص٢٧٢، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ص٢٥٦، ٢٥٧.

وقوله تعالى: ﴿يُغَشِّي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وقرئ ﴿يُغۡشِي﴾[١] مخففًا، والإغشاء[٢] والتغشية: إلباس الشيء[٣] الشيء، وقد جاء التنزيل بالتشديد والتخفيف، فمما جاء[٤] بتضعيف[٥] العين قوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤]، ومما[٦] جاء بنقل الهمزة: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾[٧] [يس: ٩]، والمفعول الثاني محذوف على معنى: فأغشيناهم العمى أو فقد الرؤية.

قال أبو إسحاق: (والمعنى: أن الليل يأتي على النهار ويغطيه ولم يقل: يغشي[٨] النهار الليل؛ لأن في الكلام دليلًا عليه، وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾[٩] [الزمر: ٥].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿يُغَشِّي﴾ بفتح الغين، وتشديد الشين، وقرأ الباقون بإسكان الغين وتخفيف الشين. انظر: «السبعة» ص٢٨٢، و«المبسوط» ص١٨٠-١٨١، و«التذكرة» ٢/ ٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩.

(٢) الغِشَاء: الغطاء والإغشاء، والتغشية: تغطية شيء بشيء. انظر: «العين» ٤/ ٤٢٩، و«المنجد» لكراع ص٢٧٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٤٦، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٢٥، و«المجمل» ٣/ ٦٩٦، و«المفردات» ص٦٠٧، و«اللسان» ٦/ ٣٢٦١ (غشى).

(٣) في (ب): (إلباس الشيء بالشيء).

(٤) في (ب): (فما جاء).

(٥) في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٧-٢٨: (غشى فعل متعدٍّ إلى مفعول واحد فإذا نقلت الفعل المتعدي إلى المفعول الواحد بالهمزة أو بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين، وقد جاء التنزيل بالأمرين جميعًا) ثم ذكر نحو ما ذكره الواحدي.

(٦) في (ب): (وما جاء).

(٧) في (أ): (وهو لا ينصرون)، وهو تصحيف.

(٨) في (ب): (ويغشى).

(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٢، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٢.

قال أبو علي: (وهذا[١] كما قال: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، ولم يذكر تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى، ومثل هذا لا يضيق، وكل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به، والفعل قبل النقل غشي الليلُ النهارَ[٢]، فإذا نقلت قلت: أغشى الله الليل النهار، أو غَشَّى الله الليل النهار، فصار ما كان فاعلًا قبل النقل مفعولًا أول)[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، قال الليث: (الحث: الإعجال والاتصال[٤]، تقول: حثثت فلانًا فاحْتث وهو حثيث محثوث: جاد سريع)[٥].

قال الأعشي:

تَدَلَّى حَثِيثًا كَأَنَّ الصِّوَا رَ أَتْبَعَهُ أَزْرَقِيٌّ لَحِمْ[٦]

---

(١) في (ب): (فهذا).

(٢) في (ب): (بالنهار).

(٣) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٨، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٦، ولابن زنجلة ص٢٨٤، و«الكشف» لمكي ١/ ٤٦٤، ونقل قول الواحدي، والرازي في «تفسيره» ١٤/ ١١٧.

(٤) في (ب): (والإيصال)، وعند الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣٩، عن الليث: (الإعجال في الاتصال).

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٧٣٩، وانظر: «الجمهرة» ١/ ٨١، و«الصحاح» ١/ ٢٧٨، و«المجمل» ١/ ٢٢١، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٩، و«المفردات» ص٢١٨، و«اللسان» ٢/ ٧٧٣ (حثث).

(٦) «ديوانه» ص١٩٩، وهو في «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٠، و«اللسان» ٢/ ٧٧٤ (حثث)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٤٢، وجاء في حاشية «الديوان» (الصوار: القطيع من بقر الوحش، وحثيثًا: سريعًا والأزرقي اللحم: الصقر، والمعنى يشبه هذا الفرس بسرعة الصقر الشره إلى أكل اللحم) اهـ.

شبه الفرس في السرعة بالبازي[١].

قال ابن عباس: (يريد[٢] يطلب الليل النهار لا غفلة له)[٣].

و[٤] قال المبرد: (يعني: يطلب الليل النهار دائبًا)[٥].

وقال غيره: (معنى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ هو أن يستمر الليل في طلب النهار على منهاج من غير فتور يوجب الاضطراب، كما يكون في السوق الحثيث)[٦]، وهذا معنى قول ابن عباس: (لا غفلة [له])[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، معنى التسخير: التذليل[٨]. قال الزجاج: (وخلق هذه الأشياء جاريات مجاريها بأمره)[٩]. وقال المفسرون: (معنى تسخيرهن: تذليلهن لما يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع؛ إذ لَسْنَ قادرات ولا مميزات، وإنما يتصرفن في متصرفاتهن على حسب إرادة المدبر فيهن)[١٠].

---

(١) في (ب): (شبه الفرس لسرعته بالبازي). والبازي واحد البُزاة التي تَصِيد، ضَرْب من الصُّقور. انظر: «اللسان» ١/ ٢٧٨ (بزا).

(٢) لفظ: (يريد) ساقط من (ب).

(٣) ينظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٣، وأخرج الطبري ٨/ ٢٠٦ بسند جيد عن ابن عباس قال: (يطلبه سريعًا) اهـ.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب). (٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٤٦، والماوردي ٢/ ٢٣٠، والرازي ١٤/ ١١٧.

(٧) لفظ: (له) ساقط من (ب).

(٨) انظر: «الصحاح» ٢/ ٦٧٩، و«المفردات» ص٤٠٢، و«اللسان» ٤/ ١٩٦٣ (سخر).

(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٢.

(١٠) انظر: الطبري ٨/ ٢٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٤٦، والماوردي ٢/ ٢٣٠، والبغوي ٣/ ٢٣٦، وابن الجوزي ٣/ ٢١٤، و«الخازن» ٢/ ٢٤٠.

وقرأ[١] ابن عامر[٢]: ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ رفعًا كلها، والنصب[٣] هو وجه الكلام لقوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] فكما أخبر في هذه الآية أنه خلق الشمس والقمر، كذلك يُحمل على ﴿خَلَقَ﴾[٤] في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وحجة ابن عامر قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣]، ومما في السماء الشمس والقمر، فإذا أخبر بتسخيرها حسن الإخبار عنها به، كما أنك إذا قلت: ضربت زيدًا استقام أن تقول: زيد مضروب[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، قال أصحاب المعاني: (﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم، وله أن يأمر فيهم بما أحب[٦]، وله الحكم في الخلق يأمرهم بما يشاء)، وعلى هذا [المعنى][٧] ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ هاهنا الذي هو نقيض

---

(١) في أصل (أ): (وقول) ثم صحح إلى (قرأ).

(٢) قرأ ابن عامر: (﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ بالرفع في الأربع، وقرأ الباقون بالنصب غير أن التاء مكسورة من ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ لأنها تاء جمع المؤنث السالم. انظر: «السبعة» ص٢٨٢-٢٨٣، و«المبسوط» ص١٨١، و«التذكرة» ٢/ ٤١٩، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ١٦٩.

(٣) وكذا قال مكي في «الكشف» ١/ ٤٦٥، ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١١٨.

(٤) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٧.

(٥) هذا نص كلام أبي علي في «الحجة» ٤/ ٢٩ غير أنه لم يختر قراءة النصب. وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٨، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٥-١٨٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٦-١٥٧، ولابن زنجلة ص٢٨٤.

(٦) في (ب): (بما حب).

(٧) لفظ: (المعنى) ساقط من (ب).

النهي[١]، واستخرج سفيان بن عيينة من هذا أن كلام الله لا يجوز أن يكون مخلوقًا فقال: فرّق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر)[٢] يعني: من جعل الأمر الذي هو قوله من جملة ما خلقه فقد كفر. وقال ابن عباس في تفسير قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ (يريد: لم يبق شيء، من وجد بعد ذلك شيئًا فليأخذه)[٣]، وهذا كلامه، ومعنى هذا: أن جميع[٤] ما في العالم لله تعالى، فالخلق له لأنه خلقهم، وجميع الأمور تجري بقضائه وقدره، وهو مجريها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا لأحد شيء[٥].

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٤٦، والماوردي ٢/ ٢٣٠، والبغوي ٣/ ٢٣٦.
(٢) «تفسير سفيان بن عيينة» ص٢٤٩، وأخرجه الثعلبي في «الكشف» ص١٩١/أ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ١/ ٥٥٦، وزاد السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧١ نسبته إلى ابن أبي حاتم، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٤٦، والبغوي ٣/ ٢٣٦، والقرطبي ٧/ ٢٢١، و«الخازن» ٢/ ٢٤٠، وفي «أصول السنة» لأبي بكر الحميدي في مجلة الحكمة ١/ ٢٨٦ قال سفيان بن عيينة: (القرآن كلام الله، ومن قال مخلوق فهو مبتدع لم نسمع أحدًا يقول هذا) اهـ. وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٢-٤٣ في تفسير الآية: (فرق بين الشيء المخلوق وبين الأمر وهو كلام، فدل أن كلامه غير مخلوق، وهو قول «كن») اهـ. وقال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٢٢٢: (وفي تفريقه بين الخلق والأمر دليل بيّن على فساد قول من قال بخلق القرآن؛ إذ لو كان كلامه الذي هو أمر مخلوقًا لكان قد قال: ألا له الخلق والخلق وذلك عِيٌّ من الكلام ومستهجن ومستغث والله يتعالى عن التكلم بما لا فائدة فيه) اهـ. وهذا هو الحق وأهل السنة والجماعة من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق. انظر: «الإبانة» ص٢١، و«الفتاوى» ١٢/ ٣٧، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز ص١٣٧.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في (أ): (أن جميع الخلق ما في العالم). ثم ضرب على لفظ (الخلق) وهو الأولى.
(٥) ذكره الخازن ٢/ ٢٤٠.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الليث: (تفسير ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ تمجيد وتعظيم)(١).

وقال أبو العباس: (﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ ارتفع، والمتبارك المرتفع)(٢).

وقال ابن الأنباري: (﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ باسمه يتبرك في كل شيء)(٣).

وقال الزجاج: (﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة، كذلك يقول أهل اللغة)(٤).

وكذلك روي عن ابن عباس: (ومعنى: البركة الكثرة في كل خير، وقال في موضع آخر: (﴿تَبَارَكَ﴾ تعالى وتعاظم)(٥).

وقال أصحاب المعاني: (﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: ثبت ما به استحق التعظيم فيما لم يزل ولا يزال)(٦)، وأصل الحرف من الثبوت والدوام، وقد ذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، وانظر: «العين» ٥/ ٣٦٨، و«الجمهرة» ١/ ٣٢٥، و«الصحاح» ٤/ ١٥٧٥، و«المجمل» ١/ ١٢١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٣٠، و«المفردات» ص١١٩، و«اللسان» ١/ ٢٦٦ (برك).

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، وفي «الزاهر» ١/ ٥٣، قال ابن الأنباري: (فيه قولان: قال قوم: معنى تبارك: تقدس أي: تطهر، والقدس عند العرب: الطهر، وقال قوم: معنى تبارك اسمك: تفاعل من البركة أي: البركة تُكسب وتنال بذكر اسمك) اهـ.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، ولم أقف عليه في «معانيه».

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٦، والبغوي ٣/ ٢٣٦، وابن الجوزي ٣/ ٢١٤، و«الخازن» ٢/ ٢٤٠، و«تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠.

(٦) ذكره البغوي ٣/ ٢٣٦، و«الخازن» ٢/ ٢٤٠ عن المحققين.

٥٥- قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾، التضرع: التذلل والتخشع، وهو إظهار الذل الذي في النفس من قولهم: ضرع فلان لفلان، وتضرع له إذا ما تخشع له وسأله أن يعطيه، ومضى الكلام في هذا في سورة الأنعام عند قوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، والخُفية: خلاف العلانية، وهو من أخفيت الشيء إذا سترته(١)، ويقال: خِفية أيضًا بالكسر(٢) وقد قرئ بالوجهين(٣).

قال الزجاج: (﴿تَضَرُّعٗا﴾ تملقًا، وحقيقته: أن يدعوه خاضعين متعبدين)(٤).

قال(٥) أهل العلم: والسنة(٦) والأدب في الدعاء أن يكون خفيًا لهذه الآية، ولما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير الدعاء ما خفي**»(٧).

---

(١) في (أ): (أي سترته).

(٢) انظر: «العين» ٤/ ٣١٣، و«الجمهرة» ١/ ٦١٧-٦١٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٢٩، و«المجمل» ٢/ ٢٩٧، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٠٢، و«المفردات» ص٢٨٩، و«اللسان» ٢/ ١٢١٧ (خفي).

(٣) قرأ عاصم في رواية أبي بكر هنا وفي الأنعام آية ٦٣: ﴿وَخُفۡيَةٗ﴾ بكسر الخاء، وقرأ الباقون بضمها في السورتين، وهما لغتان مشهورتان. انظر: «السبعة» ص٢٨٣، و«المبسوط» ص١٧٠، و«التذكرة» ٢/ ٤٠٠، و«التيسير» ص١٠٣، و«النشر» ٢/ ٢٥٩، وانظر: في «توجيه القراءات «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٩-٣٠، و«معاني القراءات» ١/ ٣٦٢، و«إعراب القراءات» ١/ ١٥٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٤١، ولابن زنجلة ص٢٥٥، و«الكشف» ١/ ٤٣٥.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٤، وفيه: (قال قوم: تضرعوا تملقًا - حقيقته ..).

(٥) لفظ: (قال) ساقط من (ب).

(٦) انظر: «الفتاوى» ١٥/ ١٠-٢٨، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢١٩-٢٣٨.

(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ بعد طول بحث، وروي وكيع في «الزهد» ١/ ٣٤١

وقال أيضًا لقوم رفعوا أصواتهم بالدعاء: «**إنكم لستم تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، إنه معكم**»[١].

وقال الحسن: (إن الله يحب القلب النقي والدعاء الخفي، ولقد أثنى على زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء و[٢] ما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[٣]. وقال الزجاج في قوله ﴿وَخُفْيَةً﴾ (أي: واعتقدوا عبادته في أنفسكم؛ لأن الدعاء معناه: العبادة)[٤].

= رقم١١٨، وابن أبي شيبة ٦/ ٨٦ (٢٩٦٥٤)، وأحمد في «المسند» ٣/ ٤٤، و«الزهد» ص١٦، وابن حبان في «صحيحه» ٢/ ١٢٥رقم٧٩٧، وابن السني في «القناعة» ص٢٦-٢٧رقم٢٨-٢٩ بسند ضعيف عن سعد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي» اهـ. وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة لين الحديث، كثير الإرسال. انظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٢٧، وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص٢٤٧.

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٩٩٢) كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر رقم (٢٧٠٤)، عن أبي موسى الأشعري قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون التكبير فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**») اهـ.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص٤٥-٤٦، والطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٠٦، ٢٠٧ بسند جيد، وأخرجه وكيع في «الزهد» ٢/ ٦١٦، وابن أبي شيبة ٦/ ٨٧ (٢٩٦٦٢)، بلفظ: (كانوا يجتهدون في الدعاء ولا تسمع إلا همسًا) اهـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٤، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المجاوزين ما أمروا به، قال الكلبي: (﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بالجهر في الدعاء)(١).

وقال ابن جريج: (من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعاء)(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]. قال عطاء، عن ابن عباس: (يريد: بالشرك بالله، وقطع الأرحام، وتكذيب النبي ﷺ بعد توحيد الله والتصديق بما جاء به النبي ﷺ)(٣).

قال المفسرون(٤): (الإفساد في الأرض: العمل فيها بالمعاصي، وسفك الدماء، وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسول، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله ﷻ)، وهذا معنى قول الحسن، والسدي، والضحاك(٥).

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٥، وابن الجوزي ٣/ ٢١٥.

(٢) أخرجه الطبري ٨/ ٢٠٧ بسند جيد، ومحبة الله تعالى لا تنتفي عمن يجهر بالدعاء لمجرد الجهر، فالدعاء مأمور به مطلقًا ﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في كل شيء دعاء كان أو غيره، وأعظمهم الذين يدعون معه غيره أو يعتدون بترك التضرع والدعاء، وكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله، والدعاء خفية أحب إلى الله تعالى وأفضل، وفيه فوائد عظيمة وكثيرة، ذكرها ابن القيم كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢١٩-٢٣٣، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٧٨٤، والقرطبي ٧/ ٢٢٣.

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠ نحوه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٧، والسمرقندي ١/ ٥٤٧، والماوردي ٢/ ٢٣١.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٥، والبغوي ٣/ ٢٣٨، و«الخازن» ٢/ ٢٤١ عن الحسن والسدي والضحاك والكلبي، وذكره الماوردي ٢/ ٢٣١، عن الحسن والكلبي، وذكره ابن عطية ٥/ ٥٣٢، عن الضحاك.

وقال عطية: (معناه: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم)[١]، وعلى هذا معنى قوله ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله تعالى إياها بالمطر والخصب[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، معنى الخوف[٣] الانزعاج لما لا يؤمن من المضار، ومعنى الطمع[٤] توقع المحبوب، قال ابن عباس: (﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه)[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. قال الفراء: (رأيت العرب[٦] تؤنث القريبة في النسب لا يختلفون فيها، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منك قريب، في القرب والبعد ذكروا وأنثوا، وذلك أن

---

(١) ذكره الثعلبي ١٩١أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٥، والبغوي ٣/ ٢٣٨.

(٢) والآية عامة في كل فساد قل أو كثر بعد أن أصلح الله خلق الأرض على الوجه الملائم لمنافع الخلق وما جاء من تعيين نوع الفساد والإصلاح ينبغي أن يحمل على التمثيل وهو قول جمهور المحققين.
انظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٥٣٢، والقرطبي ٧/ ٢٢٦، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٣٤، و«البحر» ٤/ ٣١١.

(٣) انظر: «العين» ٤/ ٣١٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٦٦، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣٠، و«المفردات» ص٣٠٣، و«اللسان» ٢/ ١٢٩١ (خوف).

(٤) انظر: «العين» ٢/ ٢٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢١٨، و«الصحاح» ٣/ ١٢٥٤، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٢٥، و«المفردات» ص٥٢٤، و«اللسان» ٥/ ٢٧٠٤ (طمع).

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٥، وهو بدون نسبة في عامة كتب التفسير.
انظر: الطبري ٨/ ٢٠٧، والسمرقندي ١/ ٥٤٧، والماوردي ٢/ ٢٣١، والبغوي ٣/ ٢٣٨، وابن الجوزي ٣/ ٢١٦.

(٦) في (ب): (القراء)، وهو تحريف.

القرب إذا لم يكن في النسب كان في معنى المكان، فكأنه في تأويل هي: في مكان قريب، فجعل القريب خلفًا من المكان، كما قال الله[١] تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولو أنث ذلك فبُني على بعدت فهي بعيدة، وقربت فهي قريبة، كان صوابًا حسنًا. وقال عروة بن حزام[٢]:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[٣]

فمن أنَّث جمع وثنى، ومن ذكر لم يُثنِّ ولم يجمع؛ لأنه ذهب إلى تأويل المكان)[٤]، وهذا الذي ذكره الفراء هو مذهب أهل الكوفة، وبه قال ابن السكيت.

أخبرني العروضي[٥]، قال: أخبرني الأزهري عن المنذري[٦] عن الحراني[٧] عن ابن السكيت قال: (تقول العرب: هو قريب مني، وهما

---

(١) لفظ: (الله) ساقط من (ب).

(٢) عُروة بن حِزام بن مُهاجر العُذْرى، شاعر إسلامي أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى، وعامة شعره في بنت عمه عفراء، توفي سنة ٣٠هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ص٤١٣، و«الأغاني» ٢٤/ ١٢٢، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ١/ ٤١٥، و«الأعلام» ٤/ ٢٢٦.

(٣) الشاهد في «ديوانه» ص٥، و«معاني الفراء» ١/ ٣٨١، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٨، و«الأغاني» ٢٤/ ١٢٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٦، و«الخصائص» ٢/ ٤١٢، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٣٢، وابن عطية ٥/ ٥٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢١٦، و«اللسان» ٦/ ٣٥٦٦ (قرب)، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٣، و«الدر المصون» ٥/ ٣٤٦.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٨١.

(٥) العروضي: هو أحمد بن محمد الصفار. تقدمت ترجمته.

(٦) المنذري: هو محمد بن أبي جعفر الهروي. تقدمت ترجمته.

(٧) الحراني: هو عبد الله بن الحسن الأموي. تقدمت ترجمته.

قريب مني، وهم قريب[١] مني، وكذلك المؤنث، توحد قريبًا وتذكره؛ لأنه وإن كان فاعلًا فهو في تأويل (هو في مكان قريب مني)، وقد يجوز قريبة وبعيدة بالهاء تبنيها على قربت وبعدت)[٢].

وأما مذهب البصريين فقال الزجاج: (إنما قيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ لأن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي)[٣].

ونحو هذا قال الأخفش قال: الرحمة بمعنى الإنعام[٤]، فلذلك ذكر.

ومثل هذا قال سعيد بن جبير: (الرحمة هاهنا: الثواب)[٥].

وأما مذهب أهل الكوفة فقال الزجاج[٦]: (وهو غلط؛ كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير)[٧]. والذي قاله الفراء هو مذهب أبي عمرو بن العلاء[٨]، وقول الكسائي[٩] وأبي عبيدة[١٠].

---

(١) في (أ): (قرايب)، وهو تحريف.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٦ (قرب)، وانظر: «إصلاح المنطق» ص١١٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٤.

(٤) في «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٠، وكذلك عند الزجاج عن الأخفش (بمعنى المطر).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٥، والبغوي ٣/ ٢٣٨، و«الخازن» ٢/ ٢٤٢، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣١٣.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥.

(٨) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩١ب، والبغوي ٣٣/ ٢٣٨، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٥.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) في (ب): (أبو عبيد)، وفي مجاز القرآن ١/ ٢١٦ قال: (هذا موضع يكون في =

وقال النضر بن شميل[(١)]: (الرحمة مصدر، ومن حق المصادر التذكير كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾)[(٢)] [البقرة: ٢٧٥]، وهذا راجع إلى قول الزجاج؛ لأنه الموعظة أريد بها الوعظ، فلذلك ذكر[(٣)] كما قال:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُؤءَةَ ضُمِّنا[(٤)]

قيل: أراد بالسماحة السخاء، وبالمروءة الكرم[(٥)].

= المؤنثة والثنتين والجميع منها بلفظ واحد ولا يدخلون فيها الهاء لأنه ليس بصفة، ولكنه ظرف لهن، وموضع والعرب تفعل ذلك في قريب وبعيد، فإذا جعلوها صفة في معنى مقتربة قالوا: هي قريبة، وهما قريبتان، وهن قريبات) اهـ.

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩١ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٦، والرازي ١٤/ ١٣٧، والقرطبي ٧/ ٢٢٧، وأبو حيان في «البحر» ٣١٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٤٤.

(٢) لفظ: (من ربه) ساقط من (أ). (٣) في (ب): (ذكرا).

(٤) الشاهد لزياد الأعجم في «ديوانه» ص٥٤، و«معاني الفراء» ١/ ١٢٨، و«الشعر والشعراء» ص٢٨٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٧، و«ذيل أمالي القالي» ٣/ ٩، و«المدخل» للحدادي ص١٦٨، و«تفسير الثعلبي» ١٩١ب، والرازي ١٤/ ١٣٧، وعجزه:

قَبْرًا بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

والشاهد قوله (ضمنًا) والقياس ضمنتا؛ لأن خبر عن مؤنث وهو السماحة والمروءة.

(٥) ذكر هذه الوجوه في الآية عامة أهل اللغة والتفسير. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦١٧، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٧، و«الخصائص» ٢/ ٤١١-٤١٢، و«المشكل» ١/ ٢٩٤ وقد أطال ابن القيم - رحمه الله تعالى - كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢٣٢-٢٥٨، فذكر اثني عشر مسلكًا في الإخبار عن الرحمة وهي مؤنثة بالتاء بقوله: (قريب) وهو مذكر، وبين ما فيها من الصحيح والمقارب والسقيم، واختار (إن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر تبعًا له، ومعنى من «معانيه»، فالأصل: إن.

٥٧- قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح نشرًا[١] بين يدي رحمته﴾، مضى الكلام في الرياح في سورة البقرة[٢] بأبلغ الاستقصاء، فأما قوله: ﴿نُشُرًا﴾. يقال[٣] أنشر الله الريح مثل أحياها فنشرت هي أي: حييت والإنشار بمعنى: الإحياء يستعمل في الريح، وكذلك لفظ الإحياء[٤].

قال المرّار[٥]:

وَهَبَّتْ لَهُ رِيحُ الجنُوبِ وأحْيَيَتْ   لَهُ رَيْدَةٌ يُحْي المِيَاةَ نَسِيمُهَا[٦]

= الله قريب من المحسنين، وإن رحمة الله قريبة من المحسنين، فاستغنى بخبر المحذوف عن خبر الوجود، وسوغ ذلك ظهور المعنى والرحمة صفة قائمة بالموصوف لا تفارقه، وقرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى، وقربه يستلزم قرب رحمته وهما متلازمان، ففي حذف التاء التأكيد على أن ذلك يستلزم القربين قربه وقربه رحمته، والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه، فإنه لما كان أخص، استلزم الأعم هو قرب رحمته، ففي العدول عن قريبة إلى قريب من استدعاء الإحسان وترغيب النفوس فيه ما لا يتخلف بعده إلا من غلبت عليه شقاوته ولا قوة إلا بالله).

(١) في (ب): ﴿بُشْرًا﴾، وهي قراءة سبعية كما في «السبعة» ص٢٨٣ وستأتي.

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٠١أ.

(٣) في (ب): (فيقال).

(٤) انظر: «العين» ٦/ ٢٥١، و«المنجد» لكراع ص٣٣٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٣٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧١، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٧، و«المجمل» ٣/ ٨٦٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٣٠، و«المفردات» ص٨٠٥، و«اللسان» ٧/ ٤٤٢٣ (نشر).

(٥) المَرَّارُ بن سعيد بن حبيب الفقْعسي، أبو حسان، شاعر أموي مكثر. انظر: «الشعر والشعراء» ص٤٦٧، و«الأغاني» ١٠/ ٣٦٦، و«معجم المرزباني» ص٣٠٤، و«الأعلام» ٧/ ١٩٩.

(٦) الشاهد في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٣٥-٣٦، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢١٧، و«اللسان» ٣/ ١٧٩٠ (ريد)، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٦. وَرْيدَة أي: ريح لينة. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٩٠ (ريد).

ومما يدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت كما وصفت بالحياة. قال:

إنـي لأَرْجُـو أَنْ تَـمُـوتَ الـرِّيـحُ فَـأَقْـعُـدُ الـيَـوْمَ وأَسْـتَـرِيـحُ[١]

فقوله: ﴿نُشُرًا﴾ جمع: نَشُور مثل رَسُول ورُسُل، والنشور بمعنى: المنتشر؛ كالرَّكوب معنى: المركوب، فكأن المعنى: رياح منتشرة، فمن قرأ ﴿الرِّيَاحَ﴾[٢] بالجمع حسن وصفها بقوله: ﴿نُشُرًا﴾ لأنه وصف الجمع بالجمع، ومن قرأ ﴿الرِّيحَ﴾ واحدة ﴿نُشُرًا﴾ جمعًا كقراءة ابن كثير، فإنه أراد بالريح الكثرة كقولهم: كثر الدرهم والدينار، والشاء[٣] والبعير، وكقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فلما كان المراد بالريح الجمع وصفها بالجمع، كقول عنترة:

فِـيـهَـا اثْـنَـتَـانِ وأَرْبَـعُـونَ حَـلُـوبَـةً سُودًا كَخَافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ[٤]

---

(١) لم أهتد إلى قائله، وهو في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٣٦، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢١٧، و«اللسان» ٧/ ٤٢٩٥ (موت) و٧/ ٤٤٢٣ (نشر)، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣٤٨.

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿الرِّيحَ﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون: ﴿الرِّيَاحَ﴾ بالجمع، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء وسكون الشين، وقرأ ابن عامر: ﴿نُشْرًا﴾ بضم النون وسكون الشين، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿نَشْرًا﴾ بفتح النون، وسكون الشين، وقرأ الباقون: ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين. انظر: «السبعة» ص٢٨٣، و«المبسوط» ص١٨١، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٠، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٣) في (أ): (الشاة)، وأصل النص في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٣ وفيه: الشاء.

(٤) «ديوانه» ص١٧، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ٣٣، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٠. والشاهد من معلقته المشهورة قال النحاس في «شرح المعلقات» ٢/ ١٣-١٤: (الحلوبة المحلوبة يستعمل في الواحد والجميع على لفظ واحد، والخوافي أواخر =

وقرأ ابن عامر: ﴿نُشْرًا﴾ خفف الشين كما يقال: كُتْبٌ ورُسْل، وقرأ حمزة والكسائي ﴿نَشْرًا﴾؛ والنشر مصدر نشرت الشيء ضد طويته، ويراد بالمصدر هاهنا المفعول، والرياح كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية فأرسلها الله تعالى منشورة بعد انطوائها، فقوله: ﴿نَشْرًا﴾ مصدر حال من الرياح، ويجوز أن يكون النشر هاهنا الذي هو الحياة من قولهم: أنشر الله الميت فنشر. قال الأعشى:

يَا عَجَبَا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ(١)

فإذا حملته على ذلك -وهو الوجه- كان المصدر يراد به الفاعل، كما تقول: أتاني ركضًا أي: راكضًا، ويجوز أن يكون انتصاب قوله: ﴿نَشْرًا﴾ انتصاب المصادر لا الحال من باب (صُنْعَ الله)، لأنه إذا قال: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ دل هذا الكلام على نشر الريح نشرًا، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ جمع بشيرًا على (بُشْر) من قوله: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦] أي: تبشر بالمطر والرحمة. قال الفراء: (النُّشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب)(٢). قال ابن الأنباري: (واحدها نشور، وأصل هذا من النَّشْر

= ريش الجناح مما يلي الظهر، والأسحم: الأسود) اهـ. وانظر: شرحه في «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٣٠٥.

(١) «ديوانه» ص٩٣، و«مجاز القرآن» ٢/ ٧٠، و«الجمهرة» ٢/ ٧٣٤، و«الاشتقاق» ص٢٤٢، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧٠، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٨، و«الخصائص» ٣/ ٣٢٥، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٣٠، و«اللسان» ٧/ ٤٤٢٣ (نشر)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٤٧ وصدره: حتَى يقول النَّاسُ مِمَّا رَأَوا. وفي «حاشية الديوان»: (الناشر الذي بعث من قبره، والمعنى: وعندئذٍ يتعجب الناس مما يرون فيقولون: يا عجبا للميت الذي بعث من جديد) اهـ.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٨١.

وهو الرائحة الطيبة)[١]. ومنه قول امرئ القيس:

.... ونَشْرَ القُطُرْ[٢]

وقال أبو عبيدة: (﴿نُشُرًا﴾ أي: متفرقة من كل جانب)[٣].

قال أبو بكر: (هي المنتشرة الواسعة الهبوب، والنشر: التفريق، ومنه نشر الثوب، ونشر الخشبة بالمنشار، والنشر المنتشر)[٤].

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿نَشْرًا﴾؛ يجوز أن يكون من باب حذف المضاف على معنى: ذوات نشر أي: ريح طيبة[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، قال ابن عباس: (يريد: بين يدي المطر)[٦].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «ديوانه» ص٦٩، و«المنجد» لكراع ص٣٣٩، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٧١، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٧، و«اللسان» ٧/ ٤٤٢٣ (نشر)، والخزانة ٩/ ٢٣١ وتمامه:

كَأنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمَام وريحَ الخُزَامَى ....

وفي «حاشية الديوان»: (المدام: الخمر، وصوب الغمام: ماء السحاب، والخزامى: خيري البر وهو نبت حسن الريح، ونشر القطر: ريح العود الذي يتبخر به) اهـ.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢١٧، ومثله قال اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٤٦.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢١٨، وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠١، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٠٩، و«نزهة القلوب» للسجستاني ص٤٥٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٤٤.

(٥) ما تقدم في توجيه القراءات هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٣٢-٣٩، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٠٩، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٧، ولابن زنجلة ص٢٨٥، و«الكشف» ١/ ٤٦٥.

(٦) لم أقف عليه.

وقال الكلبي: (قدّام مطره)[١].

وقال أبو إسحاق: (أي: بين يدي المطر الذي هو رحمته)[٢].

قال أبو بكر: (اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة، يقال: تكون هذه الفتن بين يدي الساعة، يريدون قبيل[٣] أن تقوم، تشبيهًا وتمثيلًا، إذ كانت يد الإنسان تتقدمانه، والرياح تتقدم المطر وتؤذن به)[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا﴾، يقال: أقلَّ فلان الشيءَ أي[٥] حَمَله، وكذلك استقَلَّه[٦]، والمعنى: حتى إذا حملت هذه الرياح سحابًا ثقالًا بما فيها من الماء، قاله المفسرون[٧].

وقوله تعالى: ﴿سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ أي: سقنا السحاب، والسحاب لفظه مذكر وإن كان جمع سحابة، لذلك ذكَّر الكناية، وهو من باب تمر وتمرة وجَوْز وجَوْزة[٨].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٦، وهذا قول أكثر المفسرين. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٠، والسمرقندي ١/ ٥٤٧، والبغوي ٣/ ٢٣٨، وابن عطية ٥/ ٥٣٩.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٥.

(٣) في (ب): (قبيل أن يكون تقوم)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٤٣، ونحوه قال الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢١٠.

(٥) في (ب): (إذا حمله).

(٦) انظر: «المفردات» ص٦٨١، و«اللسان» ٦/ ٣٧٣٨ (قلل).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥، و«النحاس» ٣/ ٤٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٤٧.

(٨) أصل السَّحْب الجَرُّ، ومنه السحاب لجره الماء ولجر الريح له وانسحابه في الهواء =

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ليس فيه نبات)[١]. وقال الكلبي: (إلى مكان لا ينبُت)[٢].

وقال أبو بكر: (أي: سقنا السحاب لبلدٍ وإلى بلدٍ محتاج إلى المطر لانقطاعها عنه)[٣]. فمنهم من يجعل اللام بمعنى إلى، كما يقال: هديته للدين وإلى الدين، ومنهم من يجعله لام أجل فيقول: سقناه لأجل بلدٍ ميتٍ[٤]، وأما البلد فكل موضع من الأرض عامرٍ أو غير عامر خالٍ أو مسكونٍ فهو بلد، والطائفة منه (بَلْدة)، والجميع البلاد، والفَلاة تسمى: بلدة[٥]؛ قال الأعشى[٦]:

= والجمع سحاب وسُحُب وسحائب. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٣٧، و«الصحاح» ١/ ١٤٦، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٤٢، و«المفردات» ص٣٩٩، و«اللسان» ٤/ ١٩٤٨ (سحب).

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠١.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٢١٩.

(٤) انظر: «كتاب اللامات» للزجاجي ص١٤٤، وللهروي ص٢٣، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣١٧: (اللام في ﴿لِبَلَدٍ﴾ عندي لام التبليغ كقولك قلت لك) اهـ.

(٥) هذا قول الليث في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣.
وانظر: «العين» ٨/ ٤٢، و«المنجد» ص١٤٣، و«الجمهرة» ١/ ٣٠١، و«الصحاح» ٢/ ٤٤٩، و«المجمل» ١/ ١٣٤، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٩٨، و«المفردات» ص١٤٢، و«اللسان» ١/ ٣٤٠ (بلد).

(٦) الشاهد في «ديوانه» ص١٤٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣، و«تفسير الرازي» ١٤/ ١٤٢، و«اللسان» ١/ ٣٤١ (بلد)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٢، وهو من معلقة أعشى قيس المشهورة، وفي «حاشية الديوان»: (مثل ظهر الترس: شبهها بظهر الدرع في انبساطها وإقفارها لأنها لا شيء فوق ظهرها، وحافاتها: نواحيها، والزجل: الأصوات المختلطة) اهـ.

وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ   للجِنِّ بِاللَّيْلِ في حَافَاتِهَا[(١)] زَجَلُ

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾، قال الزجاج وابن الأنباري[(٢)]: (جائز أن يكون فأنزلنا بالبلد الماء، وجائز أن يكون فأنزلنا بالسحاب الماء؛ لأن السحاب آلة لإنزال الماء)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾. الظاهر أن الكناية تعود إلى الماء؛ لأن إخراج الثمرات كان بالماء، وقال الزجاج: (وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كل الثمرات؛ لأن البلد ليس يخص به هاهنا بلد دون غيره)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: مثل ذلك الإخراج الذي أشرنا إليه نخرج الموتى. وقال أبو بكر: (أي: نحيي الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت، فإحياء الأموات بعد أن صاروا رفاتا في التراب كإحياء الأرض بالنبات)[(٥)].

---

(١) في (أ): (في حافتها).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٢١٩، والرازي ١٤/ ١٤٢، و«الخازن» ٢/ ٢٤٣.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٥، والسمرقندي ١/ ٥٤٨، والظاهر عودة الضمير إلى أقرب مذكور وهو بلد أي أنزلنا في ذلك البلد الميت الماء، أفاده أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣١٧-٣١٨.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٥، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٥، والأول أظهر وهو اختيار الزجاج في «معانيه»، والسمرقندي ١/ ٥٤٨، وابن عطية ٥/ ٥٤٠، ٥٤١، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٥١: (الأحسن هو العود على الماء ولا ينبغي أن يعدل عنه) اهـ.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٧، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٦، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٥٨.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: كي تتعظوا)[١].

وقال الزجاج: (أي: لعلكم بما بينا[٢] لكم تستدلون على توحيد الله ﷻ وأنه يبعث الموتى. و(لعل) ترجٍ، والله يعلم أيتذكرون أم لا، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم وما يرجوه بعضهم من بعض)[٣]، وقد مضت هذه المسألة في سورة البقرة[٤].

٥٨- وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ الآية. قال المفسرون: (هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض العذبة التربة وبالأرض السبخة الملحة)، وهو قول ابن عباس[٥] ومجاهد[٦] والحسن[٧] وقتادة[٨] والسدي.

قال أبو بكر: (فشبه المؤمن الذي إذا سمع القرآن فوعاه وعقله وانتفع به فبان أثره عليه بالبلد الطيب؛ إذ كان البلد الطيب يُمرع ويُخصب ويحسن

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠١.

(٢) في (ب): (لما بينا).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٦، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٦.

(٤) انظر: «البسيط» البقرة: ٢١.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢١٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٣ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٣.

(٧) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٢٥، والقرطبي ٤/ ٢٣١، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٧، والماوردي ٢/ ٢٣٢، عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي.

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٣٢٠، والطبري ٨/ ٢١٢ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٣.

أثر المطر فيه، وشبه الكافر الذي يسمع القرآن ولا يؤثر فيه أثرًا محمودًا بالبلد الخبيث؛ إذ كان لا يمرع ولا يخصب ولا يتبين أثر المطر فيه)[١].

وقال الحسين بن الفضل: (شبه الله المؤمن والكافر بالأرض، وشبه نزول القرآن بالمطر، وعلى قدر طيبة[٢] التربة ورداءتها زكاء النبت وزيادته)[٣]. وهذا الذي ذكره أبو بكر والحسين هو[٤] معنى قول قتادة[٥].

وقال الكلبي: (هذا مثل للمؤمن والكافر، المؤمن يعمل عمله طوعًا لله بإذن ربه من غير كد ولا عناء، والكافر لا يعمل عمله إلا في شدة وكدّ لغير الله)[٦]، وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ دليل على أن ما يعمله المؤمن من خير وطاعة لا يكون ذلك إلا بتوفيق من[٧] الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ﴾. قال الكلبي: (﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ السبخة من الأرض)[٨]. قال الفراء: (يقال: خَبُث الشيء يَخْبث خُبْثًا وخَبَاثة)[٩].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٠ عن المفسرين.

(٢) في (ب): (طيب).

(٣) لم أقف عليه، وانظر: «الأمثال» للحسين بن الفضل البجلي ص٤٤.

(٤) في (أ): (وهو).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠١، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٢٥.

(٧) لفظ: (من) ساقط من (ب).

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠١، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨.

(٩) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٤٥، عن الفراء ولم أقف عليه في «معانيه»، والخَبيث والخُبْث، الرديء خلاف الطيب، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧٣، عن الليث قال: (خَبُث الشيء يخبث خبثًا فهو خبيث، وبه خُبْث وخباثة، وأخبث فهو مُخْبِث إذا صار ذا خُبْث وشر) اهـ. وانظر: «العين» ٤/ ٢٤٨-٢٤٩، و«الجمهرة» =

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ النكد العسر الممتنع[(١)] من إعطاء الخير على جهة البخل.

وقال الفراء: (النَّكَد المصدر يقال: نَكِد نَكَدًا فهو نَكِدٌ)[(٢)].

وقال الليث: (النكد الشؤم واللؤم وقلة العطاء وألا يهنأه من يعطاه، ورجل أنكَد ونَكِد)[(٣)]. وأنشد:

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّبًا لاَ خَيرْ في المَنْكُودِ والنَّاكِدِ[(٤)]

الأزهري: (المنكود: العطاء النزر القليل)[(٥)].

وقال أبو بكر: (النكد معناه في اللغة: العسر المبطي البعيد الخير، وهو في صفة البلد)[(٦)]. وأنشد غيره:

= ١/ ٢٥٨، و«الزاهر» ٢/ ١٣٩، و«الصحاح» ١/ ٢٨١، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣٨، و«المفردات» ص٢٧٢، و«اللسان» ٢/ ١٠٨٨ (خبث).

(١) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٦٨٠، و«الصحاح» ٢/ ٥٤٥، و«المجمل» ٣/ ٨٨٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٧٥-٤٧٦، و«المفردات» ص٨٣٣ (نكد).

(٢) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٢.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٠، وانظر: «العين» ٥/ ٣٣١ (نكد) وقوله (من يعطاه) الأولى ما يعطاه.

(٤) لم أعرف قائله، وهو في «العين» ٥/ ٣٣١، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢١١، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٠، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٣٢، وابن عطية ٥/ ٥٤٢، والرازي ١٤/ ١٤٥، و«اللسان» ٨/ ٤٥٣٨ (نكد)، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٢.

(٥) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٦٠، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٦: (النَّكِد في اللغة: النزر القليل) اهـ. ونحوه في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«نزهة القلوب» ص٤٤٥، و«تفسير المشكل» ص٨٥.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨ مع إنشاد الشاهد.

لاَ تُنْـجِـزُ الـوعْـدَ إنْ وعَـدْتَ وإن أَعْـطَـيْـتَ أَعْـطَـيْـتَ تَـافِـهًـا نـكـدًا[١]

فقوله: نكدًا نُصب على الحال، وكذلك في الآية كما تقول: لا يخرج فلان إلا راكبًا[٢].

قال قتادة وأبو روق[٣]: (﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ إلا عسرًا).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ مضى معنى تصريف الآيات في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾. قال عطاء: (يريد لنعم الله، ويوحدونه، ويطيعون أمره)[٤].

وقال بعض أهل النظر: (ذكر الشكر في آخر الآية، إشارة إلى نعمتين مذكورتين في الآية للمؤمن، وهو أن الله تعالى لم يجعله كالبلد الخبيث، والثاني: أنه أذن له في الإيمان والطاعات كما أذن للبلد الطيب في إخراج النبات)[٥].

٥٩- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا

---

(١) لم أعرف قائله. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٧، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢١١، وابن عطية ٥/ ٥٤٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٠، و«اللسان» ١/ ٤٣٦ (تفه)، و«تفسير الخازن» ٢/ ٢٤٤، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٢.

(٢) النصب على الحال هو قول الأكثر، ويجوز نصبه على المصدر على معنى ذا نكد. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٢٠، و«المشكل» ١/ ٢٩٥، و«البيان» ١/ ٣٦٦، و«التبيان» ص٣٨٠، و«الفريد» ٢/ ٣١٩، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٢.

(٣) لم أقف عليه عنهما.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٢، والسمرقندي ١/ ٥٤٨، والرازي ١٤/ ١٤٥.

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [قرئ: ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾[(١)]، رفعًا وخفضًا[(٢)]، فأما من خفض فقال الفراء: (يجعل (غير) نعتًا للإله، وقد يرفع فيجعل تابعًا للتأويل في ﴿إِلَٰهٍ﴾، ألا ترى أن الإله لو نزعت منه (مِن)[(٣)] كان رفعًا)[(٤)]، وقال أبو إسحاق: (الرفع على معنى: ما لكم إله غيره ودخلت (مِنْ) مؤكدةَ، و(مِنْ) خفض جعله صفة لإله)[(٥)] فقد اتفقا كما ترى على أنْ (غير) في القراءتين صفة لإلهٍ، الرفع على الموضع، والخفض على[(٦)] اللفظ، ولا بد من إضمار محذوف في الكلام، وهو خبر ﴿ما﴾، لأنك إذا جعلت (غير) من صفة الإله، لم يكن للنفي خبر، والكلام لا يستقل بالصفة والموصوف كقولك: (زيد العاقل)، وتسكت حتى تذكر خبره، ويكون التقدير: ما لكم من إله غيره في الوجود، ونحو ذلك لا بد من هذا الإضمار[(٧)].

---

(١) في (ب): (قرئ غير).

(٢) قرأ الكسائي ﴿غيرِه﴾ بكسر الراء، وقرأ الباقون برفعها. انظر: «السبعة» ص٢٨٤، و«المبسوط» ص١٨١، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٠، و«التيسير» ص١١٠، و«النشر» ٢/ ٢٧٠.

(٣) لفظ: (من) ساقط من (ب).

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٢.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٨.

(٦) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٢١، و«المشكل» ١/ ٢٩٥، و«البيان» ١/ ٣٦٧، و«التبيان» ص٣٨٠، و«الفريد» ٢/ ٣٢٠.

(٧) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٤٠، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٥٤: (في الخبر وجهان: أظهرهما أنه ﴿لَكُم﴾، الثاني: أنه محذوف أي: ما لكم من إله في الوجود أو في العالم غير الله و﴿لَكُم﴾ على هذا تخصيص وتبيين) اهـ.

وقال أبو علي: (وجه من قرأ بالرفع قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، فكما أن قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بدل من قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾، كذلك قوله: ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾[(١)] يكون بدلًا من قوله ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ و(غير) يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا). وعلى ما ذكره أبو علي (غير) يكون رفعًا بالاستثناء، ولا يحتاج إلى إضمار الخبر، قال: (وهذا الذي ذكرنا أولى أن يُحمل عليه من أن يجعل غير صفةً لإله على الموضع)[(٢)].

٦٢- قوله تعالى[(٣)]: ﴿أُبَلِّغُكُم رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾. وقرأ أبو عمرو[(٤)] ﴿أُبْلِغُكُمْ﴾ مخففة من الإبلاغ، وكلا الأمرين قد جاء في التنزيل، فالتخفيف قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ [هود: ٥٧] والتشديد قوله: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[(٥)] [المائدة: ٦٧].

---

(١) كذا في «النسخ»، و«الحجة» لأبي علي (٤/ ٤٠) والأولى: كذلك قوله: ﴿غيرُه﴾ وجاء في سورة الأعراف الآية (٣) قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ قرأ حمزة والكسائي ﴿غَيْرِ﴾ خفضًا، وقرأ الباقون رفعًا. انظر: «السبعة» ص٢٨٤.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٤٠، وقال: (لأن كون (إلا) استثناء أعرف وأكثر من كونها صفة، وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير) اهـ. وانظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٨٥، و«معاني القراءات» ١/ ٤١٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٨٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٧، ولابن زنجلة ص٢٨٦، و«الكشف» ١/ ٤٦٧.

(٣) تنبيه: (لم يتعرض المؤلف -رحمه الله تعالى- لتفسير باقي الآية: ٥٩ والآيتين: ٦٠ و٦١).

(٤) قرأ أبو عمرو: ﴿أُبْلِغُكم﴾ بسكون الباء، وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بفتح الباء، وتشديد اللام، انظر: «السبعة» ص٢٨٤، و«المبسوط» ص١٨١، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٠، و«التيسير» ص١١١، و«النشر» ٢/ ٢٧٠.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٤١-٤٢، و«معاني القراءات» ١/ ٤١٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٩٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٧، ولابن زنجله ص٢٨٦، و«الكشف» ١/ ٤٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾. قال الفراء: (والعرب لا تكاد تقول: نصحتك، إنما يقولون: نصحت لك، فأنا أنصح لك نصيحة ونصاحةً ونصحًا وقد يجوز نصحتك)[١].

قال النابغة:

نصحتُ بَنِي عَوْفٍ فلم يَتَقَبَّلُوا رسولي ولم تَنْجَحْ لديهم رسَائِلِي[٢]

ومعنى النصح: إخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة وهو خلاف الغش[٣].

قال ابن عباس: (يريد: أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه، وأحب لكم ما أحب لنفسي. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يريد: إني أعلم أن ربي غفور رحيم لمن رجع عن معاصيه، وأن عذابه أليم شديد لمن أصرّ على معاصيه)[٤].

وقال أهل النظر: (في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ حثٌّ لهم

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٩٢ فيه: (العرب لا تكاد تقول: شكرتك إنما تقول: شكرت لك ونصحت لك ولا يقولون: نصحتك وربما قيلتا قال النابغة ...) اهـ. يقال: نَصَحْتُك نُصْحا ونَصَاحة وهو باللام أفصح، والاسم النصيحة. انظر: «الصحاح» ١/ ٤١٠، و«كتاب الأفعال» للسرقسطي ٣/ ١٩٢.

(٢) «ديوان النابغة الذبياني» ص١٢٨، و«الصحاح» ١/ ٤١٠، و«تفسير الرازي» ١٤/ ١٥١، و«اللسان» ٧/ ٤٤٣٨ (نصح)، وفي «الديوان» (وصاتي) بدل (رسولي)، و (وسائلي) بدل (رسائلي)، وبنو عرف قومه وهم بنو عوف بن سعد ابن ذبيان. انظر: «نهاية الأرب» ص٣٤٤.

(٣) انظر: «العين» ٣/ ١١٩، و«الجمهرة» ١/ ٥٤٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٢، و«المجمل» ٣/ ٧٨٠، و«المقاييس» ٥/ ٤٣٥، و«المفردات» ص٨٠٨ (نصح).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٩، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٢ نحوه.

على طلب العلم من جهته، وتحذير من مخالفته)[١].

٦٣- قوله تعالى: ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: موعظة من الله)[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾. قال الفراء: (﴿عَلَىٰ﴾ هاهنا بمعنى: (مع) كما تقول: جاءنا الخير على وجهك ومع وجهك، ويجوزان جميعًا)[٣]، وقال ابن قتيبة: (أي: على لسان رجل منكم)[٤].

وقال غيره[٥]: (معناه: ذكر من ربكم منزل على رجل)، فـ (على) من صلة الإنزال المحذوف، وعلى هذا دل كلام ابن عباس في هذه الآية؛ لأنه قال في قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: (يريد أوحى الله إليه، وبعثه إليكم لينذركم)[٦]. وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: يعرفون نسبه، فهو منكم نسبًا.

٦٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾، قال ابن عباس: (عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه)[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ١٥١.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٩، والبغوي ٣/ ٢٤١.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٣، وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٤.

(٤) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، وهو قول مكي في «تفسير المشكل» ص٨٥.

(٥) الظاهر أنه قول الطبري ٨/ ٢١٤، قال: (أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم) اهـ.

(٦) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٢ نحوه.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، والبغوي ٣/ ٢٤٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢١، والرازي ١٤/ ١٥٣، و«الخازن» ٢/ ٢٤٦.

وقال الزجاج: (أي: قد عَمُوا عن الحق والإيمان)[١].

قال الليث: (يقال[٢] رجل عمٍ إذا كان أعمى القلب)[٣].

وقال أبو معاذ النحوي[٤]: (رجل عم في أمره لا يبصره[٥]، ورجل أعمى في البصر)، قال زهير[٦]:

وَلَـكِنَّنِـي عَـنْ عِـلْـمِ مَـا فـِي غَـدٍ عَـمِ

وعلى هذا الوجه فسر ابن عباس؛ حيث قال: (عميت قلوبهم)[٧].

وهو اختيار الحسين[٨] بن الفضل فإنه قال: (عمين في البصائر وأعمى في البصر)[٩]، ألا ترى أن قوم نوح لم يكونوا أَضِرَّاءَ مكافيف، إنما وصفوا

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٧، وهو قول الطبري ٨/ ٢١٥، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد.

(٢) لفظ: (يقال) ساقط من (ب).

(٣) «العين» ٢/ ٢٦٦، وهو في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٧٦ من قول الفراء ونفطويه.

(٤) أبو معاذ النحوي: الفضل بن خالد المروزي الباهلي مولاهم إمام نحوي، لغوي، مقرئ، روى عنه الأزهري في «تهذيبه» ١/ ٢٥ وقال: (له كتاب في القرآن حسن) اهـ. توفي سنة ٢١١هـ. انظر: «معجم الأدباء» ٥/ ٥٦٥، و«غاية النهاية» ٢/ ٩، و«بغية الوعاة» ٢/ ٢٤٥، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٣٢.

(٥) جاء في (أ): (رجل عم لا يبصره)، ثم كتب عليه: لا بصيرة له، والنص في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٧٧.

(٦) «ديوانه» ص١١٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٧٧، والرازي ١٤/ ١٥٣، و«اللسان» ٥/ ٣١١٥ (عمى)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٧، وأوله: (وأعلم ما في اليوم والأمس قبله)، وهو من معلقته المشهورة. انظر: «شرح ديوان زهير» لثعلب ص٤٩، و«شرح القصائد» لابن الأنباري ص٢٨٩، وللنحاس ١/ ١٢٥.

(٧) سبق تخريجه.

(٨) لفظ: (الحسين) ساقط من (ب).

(٩) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩١ ب.

بعمى القلب، وقد يكون العمي والأعمى كالخَضِر والأخضر[١]، وفَعِل يأتي كثيرًا في النعوت من فَعِلَ يفعل نحو: حذِرٍ وطمِعٍ وهرِمٍ وعَجِلٍ. ومن المعتل: شجي وصدٍ للعطشان، ونسي، إذا اشتكى نساه فهو أنسى ونسي. ذكره ابن السكيت[٢].

٦٥- وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ الآية. انتصب: ﴿أَخَاهُمْ﴾ بقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في أول الكلام، وهو قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٩] و[٣]المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾، وهذا قول الفراء، والزجاج، والأخفش[٤]، ومعنى ﴿أَخَاهُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد: ابن أبيهم)[٥].

---

(١) قال السمين في «الدر» ٥/ ٣٥٧: (عَمين: جمع عَم، قيل: عم إذا كان أعمى البصيرة غير عارف بأموره، وأعمى أي: في البصر، وقيل: عم وأعمى بمعنى كخضر وأخضر، وقيل: عمٍ فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولو أريد الحدوث لقيل عام كما يقال: فارح وضائق) اهـ، وانظر: «الصحاح» ٦/ ٢٤٣٩، و«مقاييس اللغة» ٤/ ١٣٣، و«المجمل» ٣/ ٦٢٨، و«المفردات» ص٥٨٨ (عمى).

(٢) قال ابن السكيت في «إصلاح المنطق» ص١٥٥ وص١٨٠ وص٣٧٠: (رجل عَمِي القلب وعم عن الصواب ورجل شج: إذا غص باللقمة ورجل صَدٍ للعطشان وصَدْيان وصاد، وإذا اشتكى الرجل نساه قلت: نَسِي يَنْسَى نسى فهو نَسٍ وقد نسيت الشيء: إذا لم تذكره، وقد أنسيته ما كان يحفظه، وأنسأته البيع: إذا أخرت ثمنه عليه) اهـ. ملخصًا.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٤) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٣، والأخفش ٢/ ٣٠٥، والزجاج ٢/ ٣٤٧، وهو قول الأكثر، انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٥، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٢٢، و«المشكل» ١/ ٢٩٦، و«التبيان» ص٣٨١، و«الفريد» ٢/ ٣٢٣، و«الدر المصون» ٥/ ٣٥٨.

(٥) ذكره القرطبي ٧/ ٢٣٠.

وقال الكلبي: (ليس بأخيهم في الدين، ولكنه أخوهم في النسب؛ لأنه منهم، فلذلك جعله أخاهم)[١]. قال الزجاج: (وقيل للأنبياء: (أخوهم) وإن كانوا كفرة، يعني: أنه قد أتاهم بشر مثلهم من بني أبيهم آدم وهو أحجّ عليهم، قال: وجائز أن يكون (أخاهم)؛ لأنه من قومهم ليكون أفهم لهم بأن يأخذوا عن رجل منهم)[٢].

وقال بعض أهل النظر: (قوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ﴾ يعني: صاحبهم ورسولهم، والعرب تسمي صاحب القوم أخ القوم، ومنه قوله ﷺ: «**إن أخا صداء**[٣] **قد أذن [و]**[٤] **إنما يقيم من أذن**»[٥] يريد[٦] صاحبهم، ومن هذا

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، والرازي ١٤/ ١٥٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٧، وقال: (أخرجه ابن المنذر من طريق الكلبي عن ابن عباس) اهـ.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٧.

(٣) صُداء: اسم قبيلة من كهلان من القحطانية من اليمن. انظر: «اللباب» لابن الأثير ٢/ ٢٣٦، و«نهاية الأرب» ص٢٨٦، والمراد به هنا: زياد بن الحارث الصُدائي، صحابي له وفادة، انظر: «الإصابة» ١/ ٥٥٧

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٤٧٥-٤٧٦، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ١/ ٣٢٦-٣٢٧، وابن أبي شيبة ١/ ١٩٦ (٢٢٤٦)، وأحمد ٤/ ١٦٩، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص٢١٤، وابن ماجه كتاب الأذان والسنة فيه، باب: السنة في الأذان رقم (٧١٧)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب في الرجل يؤذن ويقيم آخر رقم (٥١٤)، والترمذي كتاب الصلاة، باب: ما جاء أن من أذن فهو يقيم رقم (١٩٩)، والبيهقي في «سننه» ١/ ٣٨١ وص٣٩٩ وفيه عبد الرحمن زياد بن أنعم الأفريقي قاضيها ضعيف في حفظه، قاله الحافظ في «التقريب» ص٣٤٠ (٣٨٦٢) لكن الحديث له طرق. وقال الترمذي: (العمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم) اهـ.

(٦) لفظ: (يريد) ساقط من (أ).

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: صاحبتها وشبيهتها، وهذا كثير في كلامهم[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قال: يريد: أفلا تخافون نقمته)[٢].

٦٦- وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾. قال مقاتل: (أي: في حمق)[٣].

وقال عبد الله بن مسلم: (أي: في جهل)[٤].

قال ابن عباس: [(يريد][٥] تدعونا إلى دين لا نعرفه)[٦]، ومضى معنى السفاهة في أول سورة البقرة[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ١٥٥.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٠٨ بسند جيد، عن ابن عباس قال: (﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحدوه) اهـ.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٥.

(٤) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٤٧: (السفاهة: خِفة الحلم والرأي، يقال: ثوب سفيه إذا كان خفيفًا) اهـ، ونحوه، قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٧، وقال الطبري ٨/ ٢١٥: (أي: في ضلال عن الحق والصواب) اهـ.

(٥) لفظ: (يريد) ساقط من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، والبغوي ٣/ ٢٤٢، وجاء في كتاب «اللغات» لأبي عبيد ص١٠٢، وابن حسنون ص٢٥، و«الوزان» ص٤ بسند جيد عن ابن عباس قال: (سفاهة: جنون بلغة حمير).

(٧) انظر: «البسيط» البقرة: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريدون كاذبًا فيما جئت به)[١].

وقال مقاتل: (من الكاذبين فيما تقول من نزول العذاب بنا)[٢].

وقال الكلبي: (من الكاذبين في ادعائك بالنبوة)[٣]. وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾: (فكفروا به ظانين [لا][٤] مستيقنين)[٥]، وهو قول الحسن، قال: (كان تكذيبهم إياه على الظن لا على اليقين)[٦]. وقال بعض أهل النظر: (الظن هاهنا معناه: العلم، والظن بمعنى العلم كثير في الكلام)، ذكرنا ذلك[٧] في سورة البقرة.

٦٨- وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾. قال الضحاك: (أمين على الرسالة)[٨]. وقال الكلبي: (قد كنت فيكم قبل اليوم أمينًا)[٩]. والقولان ذكرهما الفراء[١٠]، ومعنى الأمين: الثقة في نفسه، وهو فعيل من أَمِنَ يَأمن

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٥.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لفظ (لا) عليها طمس في (ب).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٧.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٥٦، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٢٤، وقال ابن عطية ٥/ ٥٤٩: (هو ظن على بابه لأنهم لم يكن عندهم إلا ظنون وتخرص) اهـ.

(٧) انظر: «البسيط» البقرة: ٧٨.

(٨) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢.

(٩) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، والبغوي ٣/ ٢٤٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢.

(١٠) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٤.

أَمنًا فهو آمِن وأمين بمعنى واحد، ويقال أيضًا: ما كان فلان أمِينًا، ولَقَد أمن يَأمن أمانة فهو أَمِين، والمأمون: الذي يأمنه غيره[(١)].

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾.

مضى الكلام في الخلفاء والخليفة[(٢)] والخلائف في مواضع. قال ابن عباس: (يريد: أنكم من ولد نوح، وقد علمتم ما صنع الله بمن كذبه)[(٣)].

وقال غيره[(٤)]: (هذا معناه: تذكيرهم النعمة عليهم بأن استخلفهم الله تعالى في الأرض بعد هلاك قوم نوح، يقول: اذكروا أن الله أهلكهم واستخلفكم بعدهم.

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾. قال الكلبي: (فضيلة[(٥)] في الطول)[(٦)] ومضى الكلام[(٧)] في هذا عند قوله: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. قال ابن عباس: (يريد: أنكم أجسم وأتم من آبائكم الذين ولدوكم)[(٨)].

---

(١) انظر: «العين» ٨/ ٣٨٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٩، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٧١، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٣٣، و«المفردات» ص٩٠، و«اللسان» ١/ ١٤١ (أمن).

(٢) انظر: «البسيط» البقرة: ٣٠.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٨.

(٤) هذا قول الأكثر. انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢١٦، وأخرجه من طرق جيدة عن السدي، ومحمد بن إسحاق. وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٠، والبغوي ٣/ ٢٤٣، وابن عطية ٥/ ٥٥٠، والرازي ١٤/ ١٥٧، والقرطبي ٧/ ٢٣٦.

(٥) في (ب): (فصله)، وهو تصحيف.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٤.

(٧) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٥٠ أ.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٠ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (بصطة) (شدة)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٨.

قال الكلبي: (وكان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعًا)[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: (يريد: نِعَم الله عليكم)[٢]، وواحد الآلاء: إِلْي وأَلْي وأَلْو وأَلَى[٣].

قال الأعشى[٤]:

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٢ أ، و«عرائس المجالس» ص٦١، والبغوي ٣/ ٢٤٣، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٨٤، والزجاج ٢/ ٣٤٨، ونسبه السمرقندي ١/ ٥٥٠، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ إلى ابن عباس. وجاء عند السمرقندي عن الكلبي قال: (أطولهم مائة وعشرون ذراعًا وأقصرهم ثمانون ذراعًا) اهـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٠ بسند جيد وقال: (وروي عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد نحو ذلك) اهـ. وهذا هو قول أهل اللغة والتفسير، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٧، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٨، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢١٧، و«نزهة القلوب» ص٧٣، و«معاني النحاس» ٣/ ٤٩، و«تفسير المشكل» ص٨٥.

(٣) في (ب): (واحد الآلاء: إلي وألا وإلو وإلى). وفي «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٩، قال: (والآلاء النعم واحدتها إِلْيُ، وأَلْيُ، وألو، وأَلَى، وإِلَى) اهـ. وهي جمع مفرده: (إلي) بكسر الهمزة وسكون اللام كحِمْل وأحمال، أو أُلي: بضم الهمزة وسكون اللام كقفل وأقفال، أو إلى: بكسر الهمزة وفتح اللام كضلع وأضلاع وعنب وأعناب، أو ألى: بفتحها كقَفًا وأقفاء، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ٣٦٠، وانظر: المراجع السابقة. «العين» ٨/ ٣٥٦، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٧٠، و«المجمل» ١/ ١٠١، و«المفردات» ص٨٤، و«اللسان» ١/ ١١٩ (ألا)، ونقل الرازي ١٤/ ١٥٨، عن الواحدي قال: (واحدها إلى وألو وإلي) اهـ.

(٤) «ديوانه» ص٢٦٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٤٨، و«المجمل» ١/ ١٠١، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٣٣، وابن عطية ٥/ ٥٥١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢، والرازي ١٤/ ١٥٨، و«اللسان» ١/ ١١٩ (ألا)، و«البحر المحيط» ٤/ ٣١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٠.

أَبْيَضُ لاَ يَرْهَبُ الْهزال وَلاَ يَقْطَعُ رِحْمًا وَلاَ يَخُونُ إلا

ونظير الآلاء الآناء، واحدها إِنْي وأُنْيَ وإِنًى[١]، وحكى الأخفش[٢] إِنْو[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: [كي][٤] تسعدوا وتبقوا في الجنة)[٥].

٧٠- قوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾. قال ابن عباس والكلبي[٦]: (يريدون من العذاب). ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إنك تأتينا من العذاب، قاله الكلبي[٧]، وقال ابن عباس: (يريدون أن الله لم يرسلك، يعني: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٨] في نبوتك وإرسالك إلينا)[٩].

٧١- قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ الآية. يقال: وَقَعَ القولُ والحكمُ إذا وَجَبَ، ومنه قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٨٢]. معناه: إذا وجب، ومثله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي: أصابهم ونزل به، وأصله من الوقوع بالأرض، يقال: وقع بالأرض مطر، ووقعت

---

(١) قال السمين في «الدر» ٥/ ٣٦٠: (ومثله الآناء: جمع إِنْي، أو أُنْي، أو إِنًى، وقال الأخفش: إِنْو، والآناء: الأوقات) اهـ.

(٢) «معاني الأخفش» ١/ ٢١٣.

(٣) في (ب): (أنوه).

(٤) لفظ: (كي) ساقط من (ب).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٤ نحوه.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٤، وهو قول أهل التفسير. انظر: الطبري ٨/ ٢٢٢، والسمرقندي ١/ ٥٥١، والبغوي /٢٤٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢.

(٧) انظر: المراجع السابقة.

(٨) جاء في (ب) تكرار قول ابن عباس والكلبي، وعليه ضرب.

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٢ من قول عطاء.

الإبل إذا بركت[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: عذابًا وسخطًا)[(٢)]. ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾. قال: (يريد: الأصنام التي كانوا يعبدونها)[(٣)].

قال المفسرون: (كانت لهم أصنام يعبدونها وسموها أسماء مختلفة، فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استنكروا عبادة الله وحده)[(٤)].

وقوله: ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة وبرهان لكم في عبادتها، ﴿فَانتَظِرُوا﴾. قال ابن عباس: (يريد العذاب)[(٥)]، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ الذي يأتيكم من الله في تكذيبكم آياتي.

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ الآية. الكلام في هذا كهو في قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقد مر، والكلام في (ثمود) وجواز إجرائه يذكر في سورة[(٦)] هود إن شاء الله[(٧)].

---

(١) هذا من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٣٥، وانظر: «العين» ٢/ ١٧٦، و«الصحاح» ٣/ ١٣٠١، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٣٣، و«المفردات» ص٨٨٠، و«اللسان» ٨/ ٤٨٩٥ (وقع).

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٣، وأخرج الطبري ٨/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥١١ بسند جيد عن ابن عباس قال: (﴿رِجْسٌ﴾ سخط)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٩.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٥.

(٤) انظر: الطبري ٨/ ٢٢٣، والسمرقندي ١/ ٥٥١، والماوردي ٢/ ٢٣٤، وذكره البغوي ٣/ ٢٤٣ عن أهل التفسير.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٥.

(٦) لفظ: (سورة) ساقط من (ب).

(٧) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ٣/ ٣٥ ب وص ٤٤ أ.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾. ﴿ءَايَةً﴾[1] نَصْبٌ على الحال[2] أي: أشير إليها في حال كونها آية، وهذه تتضمن معنى الإشارة، و(آية) في معنى دالة، فلهذا جاز أن يكون حالًا. قال ابن الأنباري: (وهي آية لهم ولغيرهم، ولكنهم اقترحوها، فخصوا بها، وإن كانت فيها عبرة[3] لجميع الخلق، وكانت هذه الناقة آية من بين سائر النوق؛ لأنها خرجت من حجر صلدٍ بمخض واضطراب كاضطراب المرأة عند الولادة)[4].

قال ابن عباس: (الآية فيها أنها كانت ترد يومًا وتغب يومًا، فإذا وردت شربت جميع الماء وتسقيهم مثله لبنًا لم يُشرب مثله قط ألذ وأحلى)[5]، فتوسعهم من اللبن ما يصدرون منه بريهم ومقدار حاجتهم،

---

(١) لفظ: (آية) ساقط من (ب).

(٢) هذا قول الأكثر. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٩، و«الإيضاح العضدي» لأبي علي ١/ ٢٣٤، والبغوي ٣/ ٢٤٧، و«الكشاف» ٢/ ٨٩، والرازي ١٤/ ١٦٣، و«التبيان» ١/ ٣٨٢، و«الفريد» ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، و«البحر» ٤/ ٣٢٨، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٢.

(٣) في (ب): (غيره)، وهو تصحيف.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٤، بلا نسبة وهذا هو قول الأكثر والظاهر. انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٤٩، والطبري ٨/ ٢٢٤، و«معاني النحاس» ٢/ ٥٥١، والسمرقندي ١/ ٥٥١، والماوردي ٢/ ٢٣٥، وقال ابن عطية ٥/ ٥٥٩-٥٦٠: (قال الجمهور: كانت الناقة مقترحة وهذا أليق بما ورد في الآثار من أمرهم) اهـ. وقال ابن كثير ٢/ ٢٥٤: (وكانوا سألوا صالحًا أن يأتيهم بآية واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم) اهـ.

(٥) لم أقف عليه.

وكانت آية لانفرادها من سائر بعضها بهذا الأمر الذي لم يشاهد مثله في غيرها.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾، أي: سهل الله أمرها عليكم فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها.

٧٤- قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال أبو علي: (هذا على[١] حذف أحد المفعولين كأنه قيل: بَوأكم في الأرض منازل أو بلادًا)[٢].

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾. قال ابن عباس: (يريد: تبنون القصور بكل موضع).

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾، قال: (يريد: بيوتًا من الجبال تشققونها[٣] منها، فكانوا يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف)[٤].

قال الزجاج: (ويروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتًا في الجبال؛ لأن السقوف والأبنية[٥] كانت تبلى قبل فناء أعمارهم)[٦].

---

(١) لفظ: (على) ساقط من (ب).

(٢) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٣١١. وبوأه: أنزله منزلًا وهو يتعدى لاثنين، والثاني: محذوف أي بوأكم منازل. انظر: «القرطبي» ٧/ ٢٣٩، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٣.

(٣) في (ب): (يشقونها).

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٦. وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٥، وهو بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٢، والبغوي ٣/ ٢٤٧.

(٥) في (ب): (لأن السقوف في الأبنية).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٠-٣٥١، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٨، والبغوي ٣/ ٢٤٧.

٧٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ الآية. قال ابن عباس: (يريد الأشراف)[١]. قال أهل اللغة[٢]: (هم الذين تملأ الصدورَ هيبتُهم)، كما رُوي في قتلى بدر (أولئك الملأ من قريش)[٣] أي: الأشراف الذين يملؤن النفس هيبة وتعظيمًا.

وقال الفراء: (الملأ القوم من الرجال ليس فيهم امرأة)[٤].

٧٥- وقوله تعالى[٥]: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ الآية. قال ابن عباس: (يريد عن عبادة الله)[٦].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/١٠٦، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/٢٠٣، وهو قول الأكثر. انظر: «تفسير مقاتل» ٢/٤٦، و«معاني الزجاج» ٢/٣٤٦، والنحاس ٣/٤٦، و«تفسير السمرقندي» ١/٥٥٢، والبغوي ٣/٢٤٧.

(٢) المَلأُ، بالفتح مهموز غير ممدود: الجماعة يجتمعون على رأي، ووجوه القوم: ورؤساؤهم وأشرافهم الذي يرجع إلى قولهم، سموا بذلك لأنهم مِلاء بما يحتاج إليه أو لأنهم يملئونَ الصدور هيبة. انظر: «العين» ٨/٣٤٦، و«تهذيب اللغة» ٤/٣٤٣٧، و«الصحاح» ١/٧٣، و«مقاييس اللغة» ٥/٣٤٦، و«المفردات» ص٧٧٦، و«اللسان» ٧/٤٢٥٢ (ملأ).

(٣) لم أقف على سنده، وهو في «تهذيب اللغة» ٤/٣٤٣٧، و«إعراب القراءات» ١/١٩٣، و«النهاية» ٤/٣٥١، و«اللسان» ٧/٤٢٥٢ (ملأ) قالوا: (روي عن النبي ﷺ أنه سمع رجلًا من الأنصار مرجعه من غزوة بدر يقول: ما قتلنا إلا عجائز صلعًا، فقال النبي ﷺ: «أولئك الملأ من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك». أي: أشراف قريش) اهـ.

(٤) «معاني الفراء ١/٣٨٣، ومثله قال الطبري في «تفسيره» ٨/٢١٣.

(٥) لفظ: (وقوله تعالى) ساقط من (أ).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/٢٠٣ بلا نسبة وهو قول أهل التفسير. انظر: الطبري ٨/٢٣٢، والسمرقندي ١/٥٥٢، والبغوي ٣/٢٤٧، وابن الجوزي ٣/٢٢٥، وفي «تنوير المقباس» ٢/١٠٦ قال: (استكبروا عن الإيمان) اهـ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ (يريد المساكين)[١]، ﴿لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾[٢]؛ لأنهم المؤمنون.

٧٧- قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ الآية. قال الأزهري: (العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم تجعل النحر عقرًا؛ لأن العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل ثم جعل النحر عقرًا وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب)[٣]، قال امرؤ القيس:

وَيَـوْمَ عَـقَـرْتُ لِـلْـعَـذَارَى مَـطِـيَّـتِـي[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾، يقال: عتَا يَعْتُو عُتُوًا[٥] إذا

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٤ بلا نسبة، وهو قول الأكثر. انظر: «المراجع السابقة»، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٧، قال: (استضعفوا قهروا) اهـ.

(٢) انظر: «المسائل البصريات» لأبي علي ٢/ ٨٣١، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤١٣، و«الكشاف» ٢/ ٩٠، و«البيان» ١/ ٣٦٧، و«زاد المسير» ٣/ ٢٢٥، و«التبيان» ١/ ٣٨٢، و«الفريد» ٢/ ٣٢٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٥.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٤. والعَقْر: النحر والجرح والقتل، وعَقَرته: أصبت عُقْرَه أي: أصله، وعَقَرت البعير: نحرته، وعقر الفرس بالسيف: إذا ضربت قوائمه. انظر: «العين» ١/ ١٤٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٦٨، و«الصحاح» ٢/ ٧٥٣، و«المجمل» ٣/ ٦٢١، و«المفردات» ص٥٧٧، و«اللسان» ٥/ ٣٠٣٤ (عقر).

(٤) «ديوانه» ص١١٢، و«تهذيب اللغة» ١٣/ ٢٥١٤، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٩، و«اللسان» ٥/ ٣٠٣٤، و«البحر» ٤/ ٣١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٦، والبيت من معلقته المشهورة وعجزه: (فَيَا عَجَبًا مِن رَحْلِها المَتحمِّل). قال النحاس في «شرح القصائد» ١/ ٩: (العذارى: جمع عذراء، والمطية: الراحلة) اهـ. وانظر: «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٣٣.

(٥) جاء أيضًا: عتيًا بالكسر. انظر: «العين» ٢/ ٢٢٦، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٣٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٤١٨، و«المجمل» ٣/ ٦٤٦، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٢٥، و«المفردات» ص٥٤٦، و«اللسان» ٥/ ٢٠٨٤ (عتا).

استكبر، ومنه يقال: جبار عَاتٍ.

قال مجاهد: (العتو[١]: الغلو في الباطل).

قال ابن عباس: (عقروا الناقة عُتُوًا وتكذيبًا بما جاء به صالح)[٢].

وقال الكلبي[٣] ومقاتل[٤]: (﴿و[٥]عتوا عن أمر بهم﴾: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، أصل: ﴿ٱئۡتِنَا﴾[٦] ائتنا بهمزتين[٧] أحدهما للوصل، والثانية للأصل، إلا أنه لما لم يجز اجتماع همزتين في موضع واحدة من كلمة واحدة لينت الثانية، فإذا وصل بكلام قبله سقط ألف الوصل فظهرت همزة الأصل في قوله: ﴿يَٰصَٰلِحُ

---

(١) في (ب): (العتو والعلوا)، وهو تحريف، والعلو والغلو كلاهما صحيح وله وجه، وهو في «تفسير مجاهد» ١/ ٢٣٩، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٥ ب بلفظ: (غلوا في الباطل)، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٣٢ من عدة طرق جيدة بلفظ (علوا)، وفي رواية: (علوا عن الحق لا يبصرون) اهـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٤ بلفظ (غلوا).

(٢) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٧ نحوه، وقال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٥١: (أي: جاوزوا المقدار في الكفر) اهـ، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٤٩، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٧، و«نزهة القلوب» ص٣٢٥.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٧.

(٤) في «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٧، ﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾ يعني: التوحيد) اهـ.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٦) لفظ: (ائتنا) ساقط من (ب).

(٧) انظر: مذهب القراء في الهمزتين في كلمة واحدة في «السبعة» ص١٣٩، و«المبسوط» ص١١٢، و«التذكرة» ١/ ١٥٢.

﴿ٱئۡتِنَا﴾[١] في قراءة من قرأ بالهمز[٢].

٧٨- وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾. قال الفراء والزجاج[٣]: (هي الزلزلة الشديدة) وهو قول الكلبي[٤].

قال الليث: (يقال: رَجَف الشيء يَرْجُف رَجْفًا وَرَجَفَاناً كَرَجَفَان البعير تحت الرَّحْل، وكما يرجُف الشجر إذا رجفته الريح، وَرَجفت الأرض إذا تزلزلت)[٥].

وقال عمر بن أبي ربيعة[٦]:

---

(١) انظر: كلام أبي علي الفارسي في توجيه ذلك في «البغداديات» ص٧٧، ٨٠.

(٢) قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٣١: (قرأ ورش والأعمش ﴿يَصَٰلِحُ ايتنا﴾، وأبو عمرو إذا أدرج أبدل همزة فاء ﴿ٱئۡتِنَا﴾ واوًا لضمة حاء صالح، وقرأ باقي «السبعة» بإسكانها، وقرأ عيسى بن عمرو وعاصم الجحدري ﴿أوتنا﴾ بهمز وإشباع ضم) اهـ. بتصرف، وانظر: «الكتاب» ٤/ ٣٣٨، و«مختصر الشواذ» ص٤٩، و«تفسير ابن عطية» ٥/ ٥٦٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٧.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٤، والزجاج ٢/ ٣٥١، وهو قول أكثرهم، انظر: «الزاهر» ٢/ ٣٢٠، و«نزهة القلوب» ص٢٤١، و«معاني النحاس» ٣/ ٤٩، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٢، والبغوي ٣/ ٢٤٨، وابن عطية ٥/ ٥٦٧.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٧، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» ص١٦٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٤، وقال الطبري ٨/ ٢٣٣: (الرجفة: الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك؛ لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم) اهـ. وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد والسدي.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٧١، وانظر: «العين» ٦/ ١٠٩، و«الصحاح» ٤/ ١٣٦٢، و«المجمل» ٢/ ٤٢٢، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٤٩١، و«المفردات» ص٣٤٤، وفي «العين»: (الرجفة: كل عذاب أنزل فأخذ قومًا فهو رجفة وصيحة وصاعقة) اهـ.

(٦) ليس في «ديوانه»، وهو في «الدر المصون» ٥/ ٣٦٨، وبلا نسبة في تفسير الثعلبي ١٩٢ ب، والقرطبي ٧/ ٢٤٢، و«البحر» ٤/ ٣١٥.

وَلَمَّا رَأَيتُ الحجَّ قد حان وقتهُ وَظَلَّتْ جِمال القومِ بالقومِ تَرْجُفُ

وقال أبو عبيدة: (الرجف من قولهم: رجفت بهم الأرض إذا تحركت)[١]، يذهب إلى أنها الزلزلة، وأنشد[٢]:

تحنَّى العِظامُ الرَّاجفاتُ مِنَ البلى وليس لداء الرُّكبَتَيْنَ طَبيبُ

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ يعني: بلدهم، لذلك وحد الدار، كما يقال: دار الحرب، ومررت بدار البزازين[٣]، وجمع في موضع آخر فقال: ﴿فِي دِيَارِهِمْ﴾ [هود: ٦٧] لأنه أراد منازلهم التي ينفرد كل واحد منهم[٤] بمنزله، وقوله تعالى: ﴿جَاثِمِينَ﴾، قال أبو عبيدة: (الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل)[٥]؛ قال جرير:

عَرَفْتُ المُنتَأى وعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا القِدْرِ كَالحِدَإ الجُثُومِ[٦]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في «الزاهر» ١/ ١٨٩-٢/ ٣٢٠، و«اللسان» ٣/ ١٥٩٥ (رجف)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٨.

(٣) البَزَّاز: بالفتح نسبة إلى من يبيع البَزَّ وهو الثياب. انظر: «اللباب» ١/ ١٤٦، و«اللسان» ١/ ٢٧٤ (بز).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٣، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤١٣.

(٥) ذكره ابن الأنباري في «شرح القصائد» ص٢٤٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٦، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٦٩، وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨ و٢/ ١١٦ قال: (أي: بعضهم على بعض جثوم على الركب) اهـ. ملخصًا. وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«نزهة القلوب» ص١٩٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٤٩، و«تفسير المشكل» ص٨٥.

(٦) «ديوانه» ص٤١١، و«مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، والطبري ٨/ ٢٣٣، وابن عطية ٥/ ٥٦٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣٦٩: (والمنتأى: حفر النؤي، ومطايا القدر: الأثافي التي يركبها القدر، والحدأ: جمع حِدأة طائر خبيث معروف) أفاده أحمد شاكر في «حاشية الطبري».

وقال أبو العباس: (الجاثم البارك على رجليه كما يجثم الطير)[١].

قال الزجاج: (معنى ﴿جَٰثِمِينَ﴾ قد خمدوا من شدة العذاب)[٢]. وهو قول ابن عباس: (﴿جَٰثِمِينَ﴾ يريد: خامدين ميتين)[٣]. وقال الكلبي: (احترقوا بالصاعقة فأصبحوا ميتين قد همدوا رمادًا لا يتحركون)[٤]، وهو قول الفراء: (صاروا رمادًا جاثمًا)[٥].

وقال ابن الأنباري: (قال المفسرون: معنى ﴿جَٰثِمِينَ﴾: بعضهم على بعض، أي: عند نزول العذاب بهم سقط بعضهم على بعض)[٦].

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ٧٩]. قال المفسرون: (إن صالحًا أقبل عليهم بالدعاء إلى توحيد الله وطاعته، فلما خالفوا ونزل بهم العذاب تولى عنهم لليأس منهم)[٧].

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٣٩. وانظر: «العين» ٦/ ١٠٠، و«مجالس ثعلب» ص٤٨٥، و«الجمهرة» ١/ ٤١٥، و«الصحاح» ٥/ ١٨٨٢، و«المجمل» ١/ ٢٠٧، و«مقاييس اللغة» ١/ ٥٠٥، و«المفردات» ص١٨٧، و«اللسان» ١/ ٥٤٥ (جثم).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥١.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٥.

(٤) ذكره الزجاج ٢/ ٣٥١، والماوردي ٢/ ٢٣٦١ دون نسبة، وقال الطبري ٨/ ٢٣٣: (يعني: سقوطًا صرعى لا يتحركون لأنهم لا أرواح فيهم، والعرب تقول للبارك: جاثم) اهـ.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٤.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٥، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٢٦ عن المفسرين، وانظر: «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٢٤٠.

(٧) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥، والطبري ٨/ ٢٣٤، والسمرقندي ١/ ٥٥٣، والماوردي ٢/ ٢٣٦، وابن عطية ٥/ ٥٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٧.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾.

قال ابن عباس: (يريد قد خوفتكم من الله ومن عقابه)[١]، وخطابه إياهم[٢] بعد كونهم جاثمين كخطاب النبي ﷺ قتلى بدر، وقيل له: أتكلم هؤلاء الجيف؟ قال: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولكنهم لا يقدرون على الجواب**»[٣].

٨٠- قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾، ذكر الفراء في كتاب المصادر[٤]

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٦.

(٢) ذهب الفراء والطبري والسمرقندي وغيرهم إلى أنه أعرض عنهم قبل نزول العذاب؛ لأنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرهم. انظر: «المراجع السابقة»، و«الحلبيات» لأبي علي ص٣٠٦، ورجح البغوي ٣/ ٢٤٨، وابن كثير ٢/ ٢٥٦١ أن هذا تقريع من صالح ﷺ لقومه بعد هلاكهم وهم يسمعون ذلك؛ لأن الفاء تدل على حصول التولي بعد موتهم، قال القاسمي في «تفسيره» ٧/ ٢٧٨٩: (وهو المتبادر لظهور الفاء في التعقيب والله أعلم)، وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ١٦٧.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٣٧٠)، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اطلع النبي ﷺ على أهل القليب فقال: «وجدتم ما وعد ربكم حقًّا» فقيل له: أتدعوا أمواتًا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون») اهـ، وأخرجه من وجه آخر برقم (٣٩٨٠، ٣٩٨١) كتاب المغازي، باب: قتل أبي جهل.

(٤) «كتاب المصادر» للفراء مفقود. انظر: «مقدمة المذكر والمؤنث» للفراء ص٢٣، قال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٢٤: (زعم الفراء أن لوطاً مشتقًا من لُطْتُ الحوض) اهـ. وقال الراغب في «المفردات» ص٧٥٠: (لوط اسم علم واشتقاقه من لَاطَ الشيء بقلبي يَلُوط لَوْطا وليطا أي: لصق) اهـ. وأكثرهم على أنه أعجمي معرب. انظر: «المعرب» للجواليقي ص٥٦٣، وقال السمين في «عمدة الحفاظ» ص٥٢٨: (لوط علم للنبي المشهور، والظاهر أنه لا اشتقاق له لعجمته إلا أنهم قالوا: يجوز أن يكون مشتقًا من لاط الشيء بقلبي يلوط لوطًا أي: لصق) اهـ.

اشتقاق هذا الاسم، وأنكر عليه ذلك أبو إسحاق وقال: (الاسم الأعجمي لا يقال إنه مشتق كإسحاق، لا يقال إنه مشتق من السُّحق، وكتاب الله لا ينبغي أن يُقدم على تأويله إلا برواية صحيحه أو حجة واضحة)[1].

وقال النحويون: (إنما صرف لوط لخفته بأنه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط)[2].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾، يعني: إتيان الذكران، في قول جميع المفسرين[3]، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قالوا: (ما نزا[4] ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط)، قال الزجاج: (وفي هذه الآية دليل على أن فاحشة اللواط لم يفعلها أحد قبل قوم لوط)[5].

٨١- قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية كلهم قرءوا: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بالاستفهام، إلا نافعًا فإنه قرأ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ بغير

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥١-٣٥٢.

(٢) انظر: «العين» ٧/ ٤٥٢، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢١٩، و«اللسان» ٧/ ٤٠٩٩ (لوط). وفي «الكتاب» ٣/ ٢٣٥. قال سيبويه: (وأما لوط فينصرف على كل حال لخفته) اهـ، وقال الجوهري في «الصحاح» ٣/ ١١٥٨ لوط: (لوط: اسم ينصرف من العجمة والتعريف، وإنما لزم الصرف، لأن الاسم على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن وهو على غاية الخفة فقاومت خفته أحد السببين) اهـ.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٣، والبغوي ٣/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٥٦٩.

(٤) في (ب): (ما يرى).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٢.

استفهام[١]، فمن استفهم كان[٢] هذا استفهامًا معناه الإنكار، كقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وكل واحد من الاستفهامين[٣] جملة مستقلة لا تحتاج في تمامها إلى شيء، فمن ألحق حرف الاستفهام جملة، نقلها به من الخبر إلى الاستخبار، ومن لم يُلحقها بقَّاها على الخبر[٤].

وقوله تعالى: ﴿شَهْوَةً﴾، مصدر. قال أبو زيد: (شَهِي يَشْهى شهوةً، وشَها يَشهو إذا اشتَهى)[٥]. قال الشاعر:

وَأَشْعَثَ يَشْهَى النَّوم قلتُ له ارْتَحِلْ   إذا ما النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَكَرَّتِ[٦]

---

(١) يقرأ هنا بالاستفهام والإخبار، فقرأ نافع وحفص عن عاصم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ بكسر الهمزة على الخبر، وقرأ الباقون بهمزتين على لفظ الاستفهام، غير أن ابن كثير يسهل الثانية بين الهمزة والياء، وأبا عمرو يفعل كذلك ويدخل بين الهمزتين ألفًا فيمد. انظر: «السبعة» ص٢٨٥-٢٨٦، و«المبسوط» ص١٨١-١٨٢، و«التذكرة» ١/ ١٥٣-١٥٤، و«التيسير» ص١١١، و«النشر» ١/ ٣٦٩-٣٧١.

(٢) في (أ): (فمن استفهم هذا كان استفهامًا).

(٣) لفظ: (الاستفهامين) غير واضح في (ب).

(٤) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٤٨، وقال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٤١٣: (هي لغات كلها جائزة وكل ما قرئ به فهو معروف معانيها متفقة ولا اختلاف في جوازها) اهـ، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ١٩٢-١٩٣، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٨، ولابن زنجلة ص٢٨٧-٢٨٨، و«الكشف» ١/ ٤٦٨.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٨، وأصل الشَّهْوَة: نزوع النفس إلى ما تريده. انظر: «العين» ٤/ ٦٨، و«الجمهرة» ٢/ ٨٨٣، و«البارع» ص٩٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٩٧، و«المجمل» ٢/ ٥١٣، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٢٠، و«الأفعال» للسرقسطي ٢/ ٣٦٣، و«المفردات» ص٤٦٨، و«اللسان» ٤/ ٢٣٥٤ (شها).

(٦) لم أعرف قائله، وهو في «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٥، و«اللسان» ٤/ ٢٣٥٤ (شها)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٢، واسبكرت أي: جرت وطالت، واسبكر الرجل اضطجع وامتد. انظر: «اللسان» ٤/ ١٩٢٩ (سبكر).

وانتصابها على المصدر؛ لأن قوله: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ معناه: أتشهونهم شهوة، وإن [شئت][١] قلت: إنها مصدر[٢] وقع موقع الحال[٣].

قال الحسن: (كانوا ينكحون الرجال في أدبارهم، وكانوا لا ينكحون إلا الغرباء)[٤]. وقال عطاء عن ابن عباس: (استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض)[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾. معنى ﴿بَلْ﴾ هاهنا إضطراب عن الأول إلى جميع المعايب من عبادة الأوثان، وإتيان الذكران، وترك ما قام به البرهان[٦]. وعلى هذا المعنى دل[٧] كلام ابن عباس حيث قال: (يريد جمعتم مع الشرك معصية لم يفعلها خلق قبلكم)[٨].

٨٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾[٩]. يعني: لوطًا واتباعه؛ لأنه قال في غير هذه السورة: ﴿أَخْرِجُوٓاْ

---

(١) لفظ: (شئت) ساقط من (ب).

(٢) في (أ): (مصادر)، وهو تصحيف.

(٣) شهوة مفعول من أجله أي لأجل الاشتهاء أو مصدر في موضع الحال أي مشتهين أو باقٍ على مصدريته ناصبه: ﴿أَتَأْتُونَ﴾ لأنه بمعنى أتشتهون. انظر: «التبيان» ص٣٨٢، و«الفريد» ٢/ ٣٣٠، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٢.

(٤) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٢٩، والثعلبي ١٩٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٥٥، وابن عطية ٥/ ٥٧٠، والقرطبي ٧/ ١٤٥.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٦٨.

(٦) انظر: «التبيان» ص٣٨٢، و«البحر» ٤/ ٣٣٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٢.

(٧) لفظ: (دل) ساقط من (ب).

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٨، وذكر السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٦ نحوه.

(٩) في «النسخ»: ﴿فَمَا كَانَ﴾، وهو تحريف، وقد جاء بالفاء في الآية: ٥٦ من (النمل) والآية: ٢٤ و٢٩ من (العنكبوت).

ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[١] [النمل: ٥٦]، أي[٢]: عن إتيان الرجال في أدبارهم، عن ابن عباس[٣] ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]. والعرب[٦]، تقول: تطهر الرجل إذا تنزه عن الإثم وعما يوقعه فيه، فمعنى قوله: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزهون عما كانوا يأتونه[٧] من المناكير.

قال أهل المعاني: (هذه الآية بيان عن حال الجهال في ردهم على نبيهم أقبح جواب، واعتلالهم أفسد اعتلالٍ حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سببًا للمباعدة). وهذا معنى قول قتادة: (عابوهم والله بغير عيبٍ)[٨].

---

(١) لفظ: ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ ساقط من النسخ.

(٢) لفظ: (أي) ساقط من (ب).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣٥ بسند ضعيف، وهو في «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٦.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٠، وأخرجه الطبري ٨/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ٣/ ١٦٤ ب من عدة طرق جيدة، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٦.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٧ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وهو قول عامة أهل التفسير. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥، والزجاج ٢/ ٣٥٣، والنحاس ٣/ ٥١، والسمرقندي ١/ ٥٥٣، والماوردي ٢/ ٢٣٧، والبغوي ٣/ ٢٥٥.

(٦) طهر: أصل يدل على نقاء وزوال دَنَس، والطهْر خلاف الدَّنَس، والتطهير: التنزه والكف عن الإثم وكل قبيح، وفلان طاهر الثياب: إذا لم يكن دَنِس الأخلاق. انظر: «العين» ٤/ ١٩، و«الجمهرة» ٢/ ٧٦١، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٢٦، و«الصحاح» ٢/ ٧٢٧، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٢٨، و«المجمل» ٢/ ٥٨٨، و«المفردات» ص٥٢٥، و«اللسان» ٥/ ٢٧١٣ (طهر).

(٧) في (ب): (يأتوه).

(٨) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣٥ بسند جيد عن قتادة بلفظ: (عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم) اهـ، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٦.

٨٣- وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾. قال المفسرون[١]: (﴿أَهْلَهُۥٓ﴾ ابنتاه)، وهو قول ابن عباس[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾، يعني: زوجته، وجاز أن يقال: امرأة الرجل بمعنى زوجته، ولم يجز أن يقال: مرؤها: بمعنى زوجها؛ لأنْ الرجل بمنزلة المالك لها، وليست المرأة بمنزلة المالكة للرجل، فإذا أضيفت إلى الرجل بالاسم العام عرفت الزوجية وملك النكاح، والرجل إذا أُضيف إلى المرأة بالاسم العام لم يعرف الزوجية[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. يقال: غَبَرَ الرجل يَغبُر غبُورًا إذا مكث وبقي[٤]، قال الهذلي[٥]:

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥، والزجاج ٢/ ٣٥٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٣، والماوردي ٢/ ٢٣٧، وابن عطية ٥/ ٥٧١، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٨، وقال الطبري ٨/ ٢٣٦، والبغوي ٣/ ٢٥٦ (وأهله: المؤمنين به) اهـ. وقال ابن كثير ٢/ ٢٥٨: (يقول: فأنجينا لوطًا وأهله، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط إلا امرأته فإنها لم تؤمن به) اهـ.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٩، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٧١.

(٣) ذكره الرازي ١٤/ ١٧١، لكن فيه: (فإذا أضيفت إلى الرجل بالاسم العام عرفت الزوجية وملك النكاح، والرجل إذا أضيف إلى المرأة بالاسم العام تعرف الزوجية) اهـ.

(٤) وهو من الأضداد غبر: بقي ومضى، والغابر الباقي، والغابر الماضي. انظر: «العين» ٤/ ٤١٣، و«الجمهرة» ١/ ٣٢٠، و«البارع» ص٣١٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٢٧، و«الصحاح» ٢/ ٧٦٥، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٠٨، و«المجمل» ٣/ ٦٩٠، و«المفردات» ص٦٠١، و«اللسان» ٦/ ٣٢٠٥ (غبر).

(٥) الهذلي: هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد، تقدمت ترجمته.

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُم بِعيشٍ نَاصِبٍ   وَإِخَالُ أَنِّي لَاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ[(١)]

يعني: بقيت. قال المفسرون[(٢)]: (إنها كانت من الباقين في عذاب الله)، وهو قول الحسن[(٣)] وقتادة[(٤)]، ويجوز أن يكون المعنى: من الغابرين عن النجاة، أي: من الذين بقوا عنها ولم يدركوا النجاة. يقال: بقي فلان عن هذا الأمر أي: لم يدركه، وإلى هذا أشار أبو إسحاق[(٥)] وابن الأنباري.

وقال أبو بكر: (أي: لم تسر مع لوط وأهله، ولم تدخل في جملة الناجين، وأقامت في الموضع الذي نزل بأهله العذاب)[(٦)]. فعلى هذا يحتمل تأويلين: أحدهما: من الغابرين في موضع الهلاك، والثاني: من الغابرين عن النجاة كما ذكرنا[(٧)].

---

(١) «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٨، و«المفضليات» ص٤٢١، و«جمهرة أشعار العرب» ٢/ ٦٨٤، و«تفسير الثعلبي» ١٩٤ أ، والرازي ١٤/ ١٧١، و«البحر» ٤/ ٣١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٣، قال السكري في «شرحه»: (فغبرت، بقيت، ناصب، ذو نصب أي: جهد وتعب، إخال: أظن، وهي هاهنا يقين، لاحق: مُلحِق، مستتبع: مُستلْحَق أي: مذهوب بي إلى ما صاروا إليه) اهـ.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٣٧، والبغوي ٣/ ٢٥٦، وابن عطية ٥/ ٥٧١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٣، والطبري ٨/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥١٩ بسند جيد.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٣.

(٦) «الزاهر» ٢/ ٣٢٤، وفيه: (الغابر: الباقي وهو الأشهر عندهم، وقد يقال أيضًا: للماضي وقوله: ﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ أراد في الباقين) اهـ. وانظر: «الأضداد» ص١٢٩، و«نزهة القلوب» ص٣٤٣.

(٧) وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، والطبري ٨/ ٢٣٦: (أي: من المعُمرين قبل هلاكهم ثم هلكت لما جاءهم العذاب) اهـ. والأكثر في اللغة أن =

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ الآية. يقال: مطرتنا السماء وأمطرتنا، والأول أفصح[(١)] وأمطرهم الله مطرًا وعذابًا، وكذلك أمطر عليهم[(٢)]. قال ابن عباس[(٣)] والمفسرون[(٤)]: (أمطر الله عليهم حجارة من السماء). كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. قال المفسرون[(٥)]:

= يكون الغابر: الباقي، أفاده النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٢، وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«تفسير المشكل» ص٨٥.

(١) انظر: «العين» ٧/ ٤٢٥، و«الجمهرة» ٢/ ٧٦٠ و٣/ ١٢٥٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤١٢، و«الصحاح» ٢/ ٨١٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٣٢، و«المجمل» ٣/ ٨٣٤، و«المفردات» ص٧٧٠، و«اللسان» ٧/ ٤٢٢٣ (مطر).

(٢) قال السمين في «الدر» ٥/ ٣٧٤-٣٧٥ قال بعضهم: (مطر في الرحمة، وأمطر في العذاب، وهذا مردود بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فإنهم إنما عنوا بذلك الرحمة وهو من أمطر رباعيًا وَمَطَر وأمْطَر بمعنى واحد يتعديان لواحد يقال: مطرتهم السماء وأمطرتهم، و(أمطرنا) ضُمِّن معنى (أرسلنا) ولذلك عدي بعلى) اهـ. بتصرف.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٠٩، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٢٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٧، والسمرقندي ١/ ٥٥٣، والبغوي ٣/ ٢٥٦، وابن عطية ٥/ ٥٧٣.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٧، والسمرقندي ١/ ٥٥٤، والبغوي ٣/ ٢٥٦، وابن عطية ٥/ ٥٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٨، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٥٨: (مدين تطلق على القبيلة وهم من سلالة مدين بن إبراهيم، وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز وهم أصحاب الأيكة) اهـ. وانظر: «تاريخ الطبري» ١/ ٣٢٦-٣٢٧، و«عرائس المجالس» ص١٦٤-١٦٥، و«معجم البلدان» ٥/ ٧٧، ٧٨، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ١٥٧، و«البداية والنهاية» ١/ ١٨٤، وقال الخازن ٢/ ٢٦١: (أكثر المفسرين على أن مدين اسم رجل وهو الصحيح لقوله =

(مدين: اسم ولدٍ لإبراهيم، وهو مدين بن إبراهيم الخليل، وشعيب بعث إلى أولاد مدين، ومدين صار اسمًا للقبيلة، كما يقال: بكر وتميم). قال الزجاج: (ولم يصرف (مدين) لأنه اسم للقبيلة، وهو أعجمي)[1].

وقوله تعالى: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (هو شعيب ابن توبة بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن)[2].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال بعض أهل التفسير: (البينة شعيب) ومعناه: قد جئتكم بالرسالة، ومجيء البينة هاهنا مجيء شعيب. وبهذا قال الفراء؛ فإنه قال: (لم يكن له آية إلا[3] النبوة)[4]، وأنكر الزجاج ذلك وجعله (غلطًا فاحشًا؛ لأن شعيبًا دعا إلى أنه رسول، ولا سبيل إلى علم ذلك إلا بمعجزة[5]. ولو ادعى مدعٍ النبوة بغير آية

= ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني في النسب لا في الدين) اهـ.

(١) قال الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٥٣: (مدين لا ينصرف لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجميًا) اهـ.
وقال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٢٥: (لم تنصرف لأنها اسم مدينة وقيل: إنها اسم قبيلة وقيل: للعجمة وأصحها الأول) اهـ. وانظر: «الفريد» ٢/ ٣٣١، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٥.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٥٦ من قول عطاء فقط، والمشهور أنه شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: «تاريخ الطبري» ١/ ٣٢٥، و«تفسيره» ٨/ ٢٣٧، و«عرائس المجالس» ص١٦٤، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ١٥٧، و«البداية والنهاية» ١/ ١٨٥، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٦/ ٣١٩.

(٣) في (أ): (لم يكن له آية النبوة) ثم صحح في الهامش (إلى إلا النبوة).

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥.

(٥) في (ب): (إلا المعجزة).

لم تقبل منه[١]، ومعجزة شعيب لم تذكر في القرآن)[٢].

وقال عطاء عن ابن عباس: (﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد موعظة)[٣] ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾. قال المفسرون: (إن قوم شعيب كانوا أهل كفر بالله وبخس للمكيال والميزان[٤]. فأمرهم شعيب بتوحيد الله وإتمام الكيل والوزن)[٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾. أي: بعد إصلاح الله تعالى إياها ببعثه شعيب. وهذا معنى قول ابن عباس[٦]، وإلى هذا أشار الزجاج، فقال: (أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي وبخس الناس بعد أن أصلحها الله ﷻ بالأمر بالعدل، وإرسال الرسول)[٧]. وتفسير هذا

---

(١) في (ب): (لم يقبل منه ومعجز شعيب لم يذكر في القرآن).

(٢) هذا كله كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٥٣-٣٥٤، وقال ابن كثير في «البداية» ١/ ١٨٥: (﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (أي: دلالة، وحجة واضحة، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به، وأنه أرسلني، وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلًا، وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالًا) اهـ. وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٥٦، والزمخشري ٢/ ٩٣، وابن عطية ٥/ ٥٧٤، والرازي ١٤/ ١٧٣.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٨ من قول عطاء فقط. وانظر «الخازن» ٢/ ٢٦١.

(٤) في (ب): (وبخس المكيال والميزان).

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٥، والرازي ١٤/ ١٧٤، وفي «الدر المنثور» ٣/ ١٨٩، أن ابن عباس قال: (كانوا قومًا طغاة بغاة أهل بخس في مكايلهم وموازينهم مع كفرهم بربهم وتكذيبهم نبيهم) اهـ. ملخصًا.

(٦) ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٩، وانظر: «تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٦/ ٣١٩-٣٢٠.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٤، ونحوه ذكر الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣٧، والنحاس =

سابق في قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾، قال الكلبي: (ولا تقعدوا على طريق الناس تخوفون أهل الإيمان بشعيب بالقتل)[1]، ونحو ذلك قال السدي[2] ومقاتل[3]، وقتادة؛ قالوا: (إن مفعول الإيعاد مضمر على معنى: توعدون من أتى شعيبًا وأراد[4] الإيمان به)، والإيعاء إذا أطلق اقتضى الشر[5].

= في «معانيه» ٣/ ٥٢، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، وقال ابن عطية ٥/ ٥٧٤: (هو لفظ عام يشمل دقيق الفساد وجليله، وكذلك الإصلاح عام، والمفسرون نصوا على أن الإشارة إلى الكفر بالفساد وإلى النبوات والشرائع بالإصلاح) اهـ بتصرف.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٨ عن السدي وقتادة والكلبي.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣٨ بسند جيد عن السدي وقتادة ومجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢١، عن السدي ومجاهد.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٨، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨، عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة، وذكره القرطبي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي. وقال: (وهو ظاهر الآية) اهـ، وهو قول عامة أهل التفسير. انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥، والزجاج ٢/ ٣٥٤، والنحاس ٣/ ٥٣، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٨، والسمرقندي ١/ ٥٥٥.

(٤) في (ب): (وأراد به الإيمان به).

(٥) قال أهل اللغة: الوَعْد يستعمل في الخير والشر، ويقال في الخير: الوَعدُ والعِدَة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، فإذا أدخلوا الباء في الشر جاءوا بالألف أوعدته بالشر. انظر: «العين» ٢/ ٢٢٢، و«الجمهرة» ٢/ ٦٦٨، و«الزاهر» ٢/ ١٢٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩١٥، و«الصحاح» ٢/ ٥٥١، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٢٥، و«المجمل» ٣/ ٩٣١، و«المفردات» ص٨٧٥، و«اللسان» ٨/ ٤٨٧١ (وعد).

وقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾. يقال: قعد له بمكان كذا، وعلى مكان كذا، وفي مكان كذا، وهذه الحروف تتعاقب[١] في هذا الموضع لاجتماع معانيها فيه، وذلك أنك إذا قلت: قعد بمكان كذا ف (الباء) للالتصاق، وهو قد لاصق المكان، و(على) للاستعلاء، وهو قد علا المكان، و(في) للمحل، وهو قد حلّ المكان.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[٢][٣]. قال ابن عباس: (كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبًا كذّاب فلا يفتنكم عن دينكم)[٤].

وقال مقاتل: (وتصدون عن دين الله من آمن به)[٥].

وقال الكلبي: (وتصرفون عن دين الله الإسلام من آمن بشعيب)[٦]. فالكناية في ﴿بِهِۦ﴾ يجوز أن تعود إلى ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن المراد به دين الله على قول مقاتل، وعلى قول الكلبي الكناية تعود إلى شعيب، وقال عكرمة:

---

(١) انظر: «حروف المعاني» ص٤٧، و«معاني الحروف» للرماني ص٣٦، والصاحبي ص١٣٢، و«مغني اللبيب» ١/ ١٠١.
وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٣/ ٣٤٢: (والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين) اهـ.
وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٦، و«تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٩، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٢٥، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٦.

(٢) في (ب): (ويصدون) بالياء، وهو تصحيف.

(٣) في (أ): (من آمن بالله)، وهو تحريف.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٨/ ٢٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢١ بسند جيد.

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٤٨.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٠.

(﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[١] يعني: بالله)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾. قال مجاهد: (يلتمسون لها الزيغ)[٣]. وقال السدي: (وتبغون هلاك الإسلام).

وقال قتادة[٤]: (وتبغون عوج السبيل عن الحق)، [و][٥] قال الحسن: (لا تستقيمون على طريق الهدى)[٦]. قال ابن زيد: (وتبغون اعوجاج السبيل)[٧].

وقال أبو إسحاق: (أي: وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد)[٨]. وقد ذكرنا مستقصى معنى ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ في سورة آل عمران [: ٩٩].

---

(١) في (ب): (من آمن بي).

(٢) لم أقف عليه. وانظر: «تفسير ابن عطية» ٥/ ٥٧٦.
وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٣٩: (والظاهر أن الضمير عائد على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وذكره لأن السبيل تذكر وتؤنث وقيل: عائد إلى الله. وأجاز ابن عطية أن يعود على شعيب في قول من رأى القعود على الطريق للرد عن شعيب وهو بعيد لأن القائل ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ﴾ هو شعيب، ولا يسوغ أن يكون من باب الالتفات إذ لا يحسن أن يقال: يا هذا أنا أقول لك، لا تُهِن من أكرمه أي: من أكرمني) اهـ. بتصرف، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) أخرجه الطبري ٨/ ٢٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٢ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وقتادة والسدي.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٣ بسند جيد.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٨، وانظر: «الخازن» ٢/ ٢٦٢.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٤، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢١٩-٢٢٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾. قال الزجاج: (يحتمل ثلاثة أوجه: كثر عددكم، وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالمقدرة بعد الضعف)[١]، ووجه ذلك أنهم إذا كانوا فقراء أو ضعفاء فهم بمنزلة القليل في قلة الغناء، وإلى هذه المعاني أشار ابن عباس فقال: (فكثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. قال الكلبي: (يعني: آخر أمر قوم لوط)[٣]. وقال في قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾، (فكثر عددكم، وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم وزوجه ريثاء[٤] بنت لوط، فولدت حتى[٥] كثر عدد أولادها)[٦].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٥، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٤.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٠، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٣٩، -وهذا هو قول الأكثر- قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٤٠: (والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص، أو إلى الفقر والغنى، أو إلى قصر الأعمار وطولها، أقوال ثلاثة أظهرها الأول، وقيل: المراد مجموع الأقوال فإنه تعالى كثر عددهم وأرزاقهم وطول أعمارهم وأعزهم ..) اهـ وانظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٢٣٩، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والبغوي ٣/ ٢٥٧، والزمخشري ٢/ ٩٤، وابن عطية ٥/ ٥٧٦.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٠، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٠٩.

(٤) في (ب): (ربتاء) بالباء والتاء، وقد اختلف العلماء في ذلك فقال (بعضهم: كان زوج بنت لوط، وذهب البعض إلى أنه ابن بنت لوط). انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٢٤٧.

(٥) في (ب): (حين)، وهو تحريف.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٩، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٤-٥٥٥، والرازي ١٤/ ١٧٦، وذكره الماوردي ٢/ ٢٣٩، وعنده (زينا بنت لوط) وعند الرازي (رثيا).

٨٨- قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾. قال الزجاج[(١)] وابن الأنباري[(٢)] وجماعة أصحاب المعاني[(٣)]: (هذا يحتمل وجهين[(٤)]: أحدهما أن المعنى: (أو لتصيرن إلى ملتنا)، فوقع (العود) على معنى الابتداء كما تقول العرب: قد عاد عليَّ من فلان مكروه، يريدون قد صار إليَّ منه المكروه ابتداءً وأنشدوا على هذا:

فإنْ تكُنِ الأيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إليَّ فقَدْ عادَتْ لهنَّ ذُنوبُ[(٥)]

أراد: لقد صارت لهن ذنوب ولم يخبر أن ذنوبًا كانت [لهن][(٦)] قبل الإحسان، والثاني: أن أتباع شعيب كانوا قبل دخولهم في دينه على الكفر موافقين لقومهم، فخاطبوا شعيبًا بخطاب أتباعه وغلَّبوا خطابهم على خطابه لكثرتهم وانفراده.

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٥.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٣٠-٢٣١ عن ابن الأنباري.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٤-٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والماوردي ٢/ ٢٤٠.

(٤) في (ب): (في هذا وجهين).

(٥) الشاهد لكعب بن سعد الغنوي في: «الاختيارين» ص٧٥٣، و«جمهرة أشعار العرب» ص٢٥١، و«أمالي القالي» ٢/ ١٤٩، و«ديوان المعاني» ٢/ ١٧٩، وبلا نسبة في «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٤٠، وابن عطية ٦/ ٢، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ٣٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٣١، والرازي ١٤/ ١٧٧، و«الخازن» ٢/ ٣٦٢، وفي «الأصمعيات» ص٩٩، نسب إلى عزيقة بن مسافع العبسي، وقال الشيخ أحمد شاكر وعبد السلام هارون - رحمهما الله تعالى - في «حاشية الأصمعيات» ص٩٤: (القصيدة مرثية مشهورة لكعب بن سعد الغنوي يرثي فيها أخاه، لم يخالف في ذلك أحد فيما علمنا) اهـ.

(٦) لفظ: (لهن) ساقط من (ب).

ومعنى الآية: ليكونن أحد الأمرين: إما الإخراج من القرية، أو عودكم في ملتنا، ولا نُقارّكم(١) في مخالفتنا(٢)، وذكرنا الكلام في هذا مشروحًا عند قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٣] في سورة إبراهيم. فقال شعيب: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾. [وهذا مختصر معناه: أو لو كنا كارهين](٣) تجبروننا عليه؟ كقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. ومعناه: يتبعونهم وإن كانوا بهذه الصفة؟ وقد ذكرنا(٤) ذلك.

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾، معنى العود هاهنا: الابتداء كما ذكرنا، والذي عليه أهل العلم(٥) والسنة

---

(١) في (أ): (ولا نقاركم على مخالفتنا).

(٢) قال أكثرهم: (عاد تكون بمعنى صار ولا إشكال في ذلك، والمعنى: لتصيرن في ملتنا بعد إن لم تكونوا، وتكون بمعنى رجع إلى ما كان عليه، وشعيب ﷺ لم يكن قط على دينهم وأجيب على ذلك بأوجه منها:
- إن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل الإبهام والتلبيس على العامة.
- إن المراد رجوعه إلى حال سكوته عنهم قبل بعثته.
- تغليب الجماعة على الواحد لأنهم لما صحبوه سحبوا عليه حكمهم في العود.
قال صديق خان في «فتح البيان» ٤/ ٤١٠: (الأولى ما قاله الزجاج أن العود بمعنى الابتداء). ورجح شيخ الإسلام في «الفتاوى» ١٥/ ٢٩-٣١ أن شعيبًا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم لظاهر الآية ولأنه هو المحاور لهم، وذكر عدة أدلة على ذلك. وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٥٧، والزمخشري ٢/ ٩٦، وابن عطية ٦/ ٣، والرازي ١٤/ ١٧٧، و«البحر» ٤/ ٣٤٢، و«الدر المصون» ٥/ ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٠٤ أ.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٥٥، والماوردي ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٥٧، وابن عطية ٦/ ٢.

في هذه الآية: إن شعيبًا وأصحابه قالوا: ما كنا لنرجع في ملتكم[١] بعد إذ وقفنا على أنها ضلالة تُكسبُ دخول النار إلا أن يريد الله إهلاكنا، فأمورنا راجعة إلى الله[٢]، غير خارجة عن قبضته، يسعد من يشاء بالطاعة، ويشقي من يشاء بالمعصية، وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشيئة، ولم يزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول الخليل ﷺ ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكثيرًا ما كان يقول[٣] نبينا محمد ﷺ: **«يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك»**[٤].

وقال أبو إسحاق: (المعنى: وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن

---

(١) في (ب): (ملتهم).

(٢) في (ب): (راجعة إليه).

(٣) في (ب): (وكثير ما كان نبينا محمد ﷺ يقول).

(٤) أخرج مسلم في «صحيحه» رقم (٢٦٥٤) كتاب القدر، باب: تعريف الله القلوب كيف يشاء، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»** اهـ، وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» ٦/ ١٦٨ (٣٠٣٩٦)، وأحمد في «المسند» ٢/ ١٦٨و١٧٣، وابن ماجه كتاب المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية رقم (١٩٩)، رقم٣٨٣٤، والترمذي كتاب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن رقم (٢١٤٠)، (٣٥٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ١٠١-١٠٤، والآجري في «الشريعة» ٢/ ٧٣٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٨٨-٢٨٩، من عدة طرق جيدة أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، قال الترمذي: (حديث حسن)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة»، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٤/ ٢٦١ رقم (١٦٨٩).

[يكون][١] قد سبق في علم الله جل وعز و[٢]في مشيئته أن نعود فيها. وتصديق ذلك قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ﴾، قال: وهذا مذهب أهل السنة)، ثم ذكر وجهين آخرين، هما من قول من لا يؤمن بإرادة الله تعالى الخير والشر:

أحدهما: إن هذا على طريق التبعيد، كما يقال: لا نفعل ذلك إلا أن يبيض القار ويشيب الغراب[٣]، وهذا لا يصح مع قوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]، وآيات كثيرة تصرح بأن الله تعالى يشاء [كل][٤] ما يحدث في العالم.

والثاني: أن في ملتهم ما يجوز التعبد به من وجوه البر الذي كانوا يتقربون به إلى الله تعالى[٥]، ويكون معنى الآية: وما يكون لنا أن نعود في بعض ملتكم، وفي معنى من معاني شرائعكم إلا أن يردنا الله إليه بأن يتعبدنا به).

قال ابن الأنباري: (و[٦]هذا قول مُتَنَاوِلُهُ بعيد؛ لأن فيه تبعيض الملة)[٧].

وقال الزجاج: (والقول هو القول[٨] الأول؛ لأن قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا

---

(١) لفظ: (يكون) ساقط من (ب).
(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).
(٣) انظر: شرح ذلك فيما تقدم (سورة الأعراف: آية ٤٠ من هذا المجلد).
(٤) لفظ: (كل) ساقط من (أ).
(٥) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).
(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٧) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٣٨٣.
(٨) لفظ (القول) ساقط من (أ).

اللهُ مِنْهَا﴾ أنه النجاة من الكفر ومن أعمال المعاصي، لا من أعمال البر)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ منصوب على التمييز[٢]. قال ابن عباس: (يريد يعلم ما يكون قبل أن يكون)[٣].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]. قال ابن عباس[٤]، والحسن، وقتادة[٥]، والسدي: (احكم واقض).

قال الفراء: (وأهل عُمَان يسمون القاضي الفاتح والفتاح)[٦].

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٥-٣٥٧، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٢٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٥-٥٥٦، والماوردي ٢/ ٢٣٩-٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٥٧، وابن عطية ٦/ ٤، و«البحر» ٤/ ٣٤٣-٣٤٤، وقال ابن كثير في معنى الآية ٢/ ٢٥٩: (هذا رد إلى الله مستقيم فإنه يعلم كل شيء وقد أحاط بكل شيء علمًا) اهـ. وانظر: «بدائع التفسير» ٢/ ٢٦١، ونقل قول الواحدي الخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٦٣.

(٢) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٧، و«الفريد» ٢/ ٣٣٣، و«الدر المصون» ٥/ ٣٨٣.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢٣١.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٢-٣ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي.

وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٣ بسند جيد عن ابن عباس وفي «صحيح البخاري» ٨/ ٢٩٧ كتاب التفسير، في تفسير سورة الأعراف قال ابن عباس: (الفتاح: القاضي، ﴿افْتَحْ بَيْنَنَا﴾: اقض بيننا).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٣ بسند جيد وهو قول الأكثر. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٠، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٨، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٧٩، و«تفسير الطبري» ١٢/ ٥٦٣، و«الزاهر» ١/ ٩٣، و«نزهة القلوب» ص١٢٦، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٥، و«تفسير المشكل» ص٨٥.

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٥، وجاء في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢١، والطبري ٩/ ٢-٣، =

وروي أبو العباس عن ابن الأعرابي: (الفتاح: الحكومة، ويقال للقاضي: الفَتَّاح لأنه يفتح مواضع الحق)[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال: (ما كنت أدري قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن[٢] تقول لزوجها: تعال أفاتحك، أي: أحاكمك)[٣].

قال أبو إسحاق: (وجائز أن يكون ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ أي: أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزل بقومهم من العذاب والهلكة ما يظهر أن الحق معهم)[٤].

= (أن هذا لغة مراد بطن من كهلان من القحطانية) وفي «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٢، (أنها لغة أهل اليمن).

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٢، والفَتْح أصله من فتح الباب بعد إغلاقه ثم كثر واتسع فيه حتى سمي الحاكم فاتحًا لأنه يفتح المستغلق بين الخصمين ويفتح الباب إلى الحق ويبينه. انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٣٩، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٨٩.

(٢) ذو يَزَن - ملك من ملوك اليمن - اسمه النعمان بن قيس الحِمْيَري، وقيل: عامر بن أسلم بن غَوْث، ويزن وادٍ باليمن أضيف إليه، انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٤٣٦، و«نزهة الألباء» لابن حجر ١/ ٣١٣.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٢-٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٣ بسند جيد عن قتادة عن ابن عباس، لكن قتادة لم يسمع من ابن عباس. انظر: «المراسيل» ص١٦٨، وذكر الأثر عن ابن عباس. وابن دريد في «الجمهرة» ١/ ٣٨٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٦، والثعلبي في «الكشف» ١٩٤ ب، والماوردي ٢/ ٢٤١، والرازي ١٤/ ١٨٠، والسيوطي في «الدر» ٣/ ١٩١.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٨.

وعلى هذا فالفتح يراد به الكشف والتبيين، ويؤكد هذا ما روى سعيد[(١)] عن قتادة في هذه الآية قال: (اقض بيننا وبين قومنا)[(٢)].

٩٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا﴾. هذا ترجمة وتفسير للأسماء المكنية التي في قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ﴾[(٣)] [الأعراف: ٩١] على تأويل: فأصبح ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبًا﴾ ﴿فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾، [هود: ٦٧، ٦٨] مثل قوله: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ [المائدة: ٧١]، قاله أبو علي الجرجاني[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۚ﴾. يقال: غني[(٥)] القوم في دارهم: إذا طال مقامهم فيها، والمغاني: المنازل التي كان بها أهلوها، واحدها

---

(١) سعيد بن أبي عروبة العدوي مولاهم أبو النضر بن مهران البصري، إمام حافظ ثقة من أثبت الناس في قتادة، وله تصانيف، واختلط في آخر عمره، توفي سنة ١٥٧هـ أو قبلها. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٦٥، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٤١٣، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٧٧، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ب): ﴿فِي دِيَٰرِهِمۡ﴾ والجمع جاء في سورة هود: ٦٧و٩٤ ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) الغِنَى مقصور مكسور الأول من اليسار وكثرة المال والغناء ممدود ومفتوح الأول النفع والكفاية، والغناء ممدود مكسور الأول من الصوت، وغَني القوم في دارهم: أقاموا كأنهم استغنوا بها، ومَغَانيهم: منازلهم. انظر: «العين» ٤/ ٤٥٠، و«الجمهرة» ٢/ ٩٦٤، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١١٩، و«البارع» ص٤١٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٠٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٤٩، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٣٩٧، و«المجمل» ٣/ ٦٨٧، و«المفردات» ص٦١٥، و«اللسان» ٦/ ٣٣٠٨ (غني).

مَغْنى، قال الأسود[١] بن يعفر:

وَلَقَد غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ   فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوتَادِ[٢]

أراد: أقاموا فيها.

قال المفسرون[٣]: (كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوا فيها). قال الزجاج: (ويكون ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال الشاعر:

غَنينا زمانًا بالتصَعْلُكِ والغِنى   وكُلاًّ سَقَاناهُ بكَأسَيهِما الدّهْرُ[٤]

قال: فمعنى (غنينا زمانًا) أي: عشنا زمانًا، بالتصعلك وهو الفقر)[٥].

---

(١) الأسْوَد بن يَعْفُر بن عبد الأسود النَّهْشَلي، أبو الجراح، أعشى نَهْشل، شاعر جاهلي مقدم فصيح فحل جواد، كان ينادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كف بصره. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٤٣ و١٤٧، و«الشعر والشعراء» ص١٥٢، و«الأغاني» ١٣/ ١٧، و«الأعلام» ١/ ٣٣٠.

(٢) الشاهد في «المفضليات» ص٢١٧، و«الحماسة البصرية» ٢/ ٤١٢، و«وضح البرهان» للغزنوي ١/ ٣٦٢، و«تفسير الرازي» ١٤/ ١٨٢، و«الخازن» ٢/ ٢٦٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٨٧، وهو من قصيدته الدالية المشهورة التي كانت مثار إعجاب الخلفاء والولاة، انظر: «الأغاني» ١٣/ ٢٢.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٥، وأخرجه من عدة طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٥٥، والسمرقندي ١/ ٥٥٦، والماوردي ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٥٩.

(٤) الشاهد لحاتم الطائي في «ديوانه» ص٥١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٨، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١، وابن عطية ٦/ ١١، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٢، والقرطبي ٧/ ٢٥٢، و«البحر» ٤/ ٣٤٦، وفي «الديوان»:

غنينا زمانًا بالتصعلك والغنى   كما الدّهرُ في أيّامِه العُسْرُ واليُسرُ

كَسَينا صُرُوفَ الدّهرِ لِينًا وغِلظَة   وكُلا سَقَاناه بكأسيهما الدهرُ

(٥) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٢٥٨.

ووافقه ابن الأنباري على هذا المعنى، فقال في قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: (كأن لم يستغنوا فيها، يقال: غني الرجل يغنى[١]: إذا استغنى)[٢] وعلى هذا هو من الغنى الذي هو ضد الفقر، وليس من الإقامة[٣] في شيء، يؤكد هذا المعنى ما روي عن قتادة أنه قال في هذه الآية: (كأن لم ينعموا فيها)[٤]. ووجه التشبيه في: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أن حال المكذبين يشبه حال من لم يكن قط في تلك الديار، كما قال الشاعر:

كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا
أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّةَ سَامِرُ
بَلَى نحنُ كنَّا أهلَهَا فأبادَنا
صُرُوفُ الليالي والجُدُودُ العَوائرُ[٥]

---

(١) لفظ: (يغنى) ساقط من (ب).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قال ابن عطية في «تفسيره» ٦/ ١٠: (الذي استقريت عن العرب أن غنيت في المكان إنما يقال في الإقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي) اهـ. والمشهور عن أهل اللغة والتفسير أنها لمطلق الإقامة، قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢١: (أي: لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها) وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٨، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«نزهة القلوب» ص٤٨٧، و«تفسير المشكل» ص٨٦.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٣، والطبري ٩/ ٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٤ بسند جيد بلفظ: (كأن لم يعيشوا فيها كأن لم ينعموا فيها) اهـ.

(٥) البيتان في «السيرة» لابن هشام ١/ ١٢٦، و«العقد الفريد» ٥/ ٥٩، و«شرح القصائد» لابن الأنباري ص٢٥٦، و«الأغاني» ١٥/ ١٠-١٦-٢٣، و«وضح البرهان» للغزنوي ١/ ٣٦٢، و«الروض الأنف» ١/ ١٢٧، والرازي ١٤/ ١٨٢، و«معجم البلدان» ٢/ ٢٢٥، و«الحماسة البصرية» ٢/ ٤١١، و«اللسان» ٢/ ٧٩٢ =

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ إبانة عن سوء حال المكذب نبيًا من أنبياء الله في أنه بمنزلة من لم يستمتع بالدنيا؛ إذ حصل في العذاب وصار إلى الخسران.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾، هذا ابتداء منقطع من الفصل الأول، جملة من المبتدأ والخبر[(١)]. قال ابن الأنباري: (ووقع التكرير لتعظيم الذم لهم و[(٢)] تفظيع ما يستحقون من الجزاء على جهلهم، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم، فيقول الرجل [للرجل][(٣)]: أخوك الذي ظلمنا، أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراضنا)[(٤)].

٩٣- قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾، قال الكلبي: (خرج من بين أظهرهم ولم يعذب قومُ نبي حتى يخرج من بينهم)[(٥)].

= (حجن) والبيت الأول في «الصحاح» ٥/ ١٠٩٧ (حجن)، و«الأفعال» للسرقسطي ٣/ ٥٥٤، وابن عطية ٦/ ٩، و«البحر» ٤/ ٣٤٦، وعند الأكثر هما لعمرو بن الحارث الجُرْهُمي، وقيل هما لمُضَاض بن عمرو الجرهمي، وقيل هما للحارث الجرهمي. (والحَجُون) جبل بأعلى مكة. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٢٥ (والصَّفَا) مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٤١١، والعواثر: جمع عاثرة، وهي الحادثة التي تعثر بصاحبها. انظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٠٧ (عثر).

(١) انظر: «البيان» ١/ ٣٦٨، و«التبيان» ١/ ٣٨٤، و«الفريد» ٢/ ٣٣٣-٣٣٤، و«الدر المصون» ٥/ ٣٨٥-٣٨٧.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) لفظ: (للرجل) ساقط من (ب).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٣٣، وهو عند الرازي ١٤/ ١٨٢ بدون نسبة.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٢، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ١٨٢.

وقال أهل المعاني: (أعرض عنهم إعراضَ آيِسٍ منهم لما نزل العذاب بهم، وذلك أنه كان مقبلًا عليهم بالوعظ والدعاء إلى الحق، فلما تمادوا في غيهم، فأخذهم الله ﷻ ببأسه، تولى عنهم)(١).

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾. أي: كيف يشتد حزني(٢). يقال: أسِيت(٣) على الشيء آسَى(٤) أسًى إذا اشتد حزنه عليه.

قال امرؤ القيس:

يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ(٥)

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ استفهام معناه الإنكار، أي: لا آسى عليهم. ومعنى الآية: أن شعيبًا - عليه السلام - يتسلى عنهم بما يتذكر من حاله

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٦، وقد سبق لمثل هذا زيادة بيان.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٢، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٩، و«نزهة القلوب» ص٧٣، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٦.

(٣) الأسى مفتوح مقصور: الحزن. انظر: «العين» ٧/ ٣٣٢، و«الجمهرة» ١/ ٢٣٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٦٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٦٨، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٠٦، و«المفردات» ص٧٧، و«اللسان» ١/ ٨٢ (أسى).

(٤) في (ب): (أسًا).

(٥) «ديوانه» ص١١١، و«طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٩، و«الشعر والشعراء» ص٦٤، و«جمهرة أشعار العرب» ص٩٥، و«الصناعتين» ص٢٢٩، وهو من معلقته المشهورة وأوله:

وُقوفًا بِها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ

قال النحاس في «شرح المعلقات» ١/ ٥: (الصحب الجماعة ومطيهم، واحده مطية وهي: الراحلة، والأسى: الحزن، وتجمل أي: أظهر جميلًا) اهـ. وانظر: «شرح القصائد» لابن الأنباري ص٢٤.

معهم في مناصحته لهم، وبتأديته رسالة ربه إليهم، وأنه لا ينبغي له أن يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم[١].

٩٤- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾، قال ابن عباس: [(يريد][٢] في مدينة)[٣]، والقرى[٤] في كتاب الله كلها المدائن، وقوله: ﴿مِّن نَّبِىٍّ﴾ محذوف الصفة، والتقدير: من نبي[٥] فكُذب، أو فكذبه أهلها، إلا أخذناهم. كذلك قال أهل التفسير[٦]، وعلى هذا يصح المعنى.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الفقر والأسقام)[٧]. وقال السدي: (يعني: الفقر والجوع)[٨].

قال[٩] أبو إسحاق: (قيل: ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ كل ما نالهم من شدة في أموالهم، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: ما نالهم من الأمراض، قال: وقيل: على العكس من ذلك)[١٠].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/٦، والسمرقندي ١/٥٥٦.

(٢) لفظ: (يريد) ساقط من (أ).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/٢١١.

(٤) قال الزجاج في «معانيه» ٢/٣٥٩: (يقال لكل مَدينة: قَرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها) اهـ. وانظر: «الزاهر» ٢/١٠٠-١٠١.

(٥) لفظ: (نبي) ساقط من (أ).

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/٥٥٦-٥٥٧، والبغوي ٣/٢٥٩، وابن عطية ٦/١٣، وابن الجوزي ٣/٢٣٣، والرازي ١٤/١٨٣.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/١٥٢٥، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/٧، والماوردي ٢/٢٤٢، وقد سبق له زيادة تخريج.

(٨) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/٢.

(٩) في (ب): (وقال).

(١٠) «معاني الزجاج» ٢/٣٥٩، وقال ابن عطية ٦/١٣: (البأساء المصائب في =

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: كي يستكينوا ويرجعوا)[1].

٩٥- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾، مضى الكلام في حقيقة التبديل عند قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، ومعنى: ﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾ و﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ هاهنا: الشدة والرخاء. عن ابن عباس[2] والحسن[3] وقتادة[4] ومجاهد[5].

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: بدل البؤس والمرض الغنى والصحة)[6].

وقال أهل اللغة: (السيئة[7] كل ما يسوء صاحبه، والحسنة[8] ما يحسن عليه أثره).

= الأموال والهموم وعوارض الزمن، والضراء المصائب في البدن كالأمراض ونحوها، هذا قول ابن مسعود وكثير من أهل اللغة ..) اهـ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٢، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١١ بلا نسبة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ بسند جيد.

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٤٢، عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٣، والطبري ٩/ ٧ بسند جيد.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ٢٤٢، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٠-٢٤١: (مكان الشر الرخاء والعدل والعافية والولد) اهـ، وأخرجه الطبري ٩/ ٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ بسند جيد، وفي رواية عند الطبري قال: (السيئة الشر، والحسنة الخير) اهـ.

(٦) في «تنوير المقباس» ٢/ ١١٣ نحوه، وذكره المؤلف في «الوسيط» ١/ ٢١١ بلا نسبة.

(٧) انظر: «العين» ٧/ ٣٢٧، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١١٣، و«المفردات» ص٤٤١ (سوء).

(٨) انظر: «العين» ٣/ ١٤٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٢١، و«المفردات» ص٢٣٥ (حسن).

وقال أبو علي: (السيئة والحسنة قد جاءتا في التنزيل على ضربين: أحدهما: سيئة مأخوذ بها، وحسنة مُثاب عليها، لقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾[١] [الأنعام: ١٦٠]، والثاني: لما يستثقل[٢] في الطباع أو يُسْتَحفُ[٣] كما في هذه الآية، وكقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ الآية [الأعراف: ١٣١]، وكذلك الفساد، قد يكون[٤] فسادًا معاقبًا عليه كقوله: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٧٧]، ويكون على غير ذلك؛ كقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ [الروم: ٤١] يعني: الجدب)[٥]

والمعنى: أنه تعالى أخبر أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة وبالرخاء تارة[٦].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾[٧]. قال أبو عبيد: (قال الكسائي: يقال: قد عفا الشعر وغيره إذا كثر، يَعْفُو فهو عافٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ

---

(١) نص الآية (١٦٠) من سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

(٢) في (ب): (ما يستثقل).

(٣) في (ب): (ويستخف).

(٤) (وقد يكون).

(٥) «الحجة» لأبي علي ٥/ ١٠٣.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٧، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٧.

(٧) العفُوّ على فَعُول: الكثير العفو وهو: ترك العقوبة، وعفا الشيء: إذا درس ونقص، وعفا إذا زاد وكثر، وأعفيت الشعر وعفوته: إذا كثرته وزدت فيه. انظر: «العين» ٢/ ٢٥٨، و«الأضداد» لقطرب ص١١٤، و«الجمهرة» ٢/ ٩٣٨، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٣٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٣١، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٥٦، و«المجمل» ٣/ ٦١٥، و«المفردات» ص٥٧٤ (عفا).

عَفَوا﴾ يعني: كثروا، وفي بعض الحديث: (إذا عفا الوَبَر وبرأ الدبر حلت العمرة لمن اعتمر)[١].

ويقال للشعر إذا طال ووَفَى: عفا[٢] ومنه قول زهير:

أَذَلِكَ أم أَقَبُّ البَطْنِ جأبٌ
عليه من عَقِيقَتِهِ عِفَاءُ[٣]

وقد عَفَّيت الشيء وأعْفَيتهُ لغتان إذا كثرته[٤] ومنه قوله ﷺ أنه:

---

(١) هذا طرف من كلام ابن عباس -رضي الله عنهما- أخرج البخاري رقم (١٥٦٤) كتاب الحج، باب التمتع والإقران والإفراد، وفي رقم (٣٨٣٢) كتاب مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، ومسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب: تقليد الهدى وإشعاره عند الإحرام رقم (١٢٤٠)، عن ابن عباس قال: (كانوا يرون العمرة في أشهر الحج من الفجور ويجعلون المحرم صفر، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر حلت العمرة لمن اعتمر ..) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ٣/ ٣٠٨-٣٠٩: (يعني: أهل الجاهلية، والدبر: يعنون دبر ظهور الإبل بعد انصرافها من الحج فإنها كانت تدبر بالسير عليها للحج، وعفا الأثر أي: درس وامحى والمراد أثر الإبل وغيرها في سيرها عفا أثرها لطول مرور الأيام) اهـ، وانظر: «النهاية» ٣/ ٢٦٦.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٩٠، عن أبي عبيد عن الكسائي، وانظر: «الكامل المبرد» ١/ ٤٣٠.

(٣) الشاهد في «شرح ديوان زهير» لثعلب ص٧٥، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٩٠، و«اللسان» ٥/ ٣٠٢٠ (عفا)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٨٩، (والأقب الضامر، والجأب، الغليظ، وعقيقته وبره، والعفاء: صغار الوبر والريش، وهو هنا شعر الحمار الذي ولد وهو عليه، يقول: أذلك الظليم أم هذا الحمار يشبه ناقتي أفاده ثعلب وقال ويروي: أذلك أم شَتِيم الوجهِ جأُب، وشتيم كريه الوجه صاحب شر) اهـ. وهو كذلك في «ديوانه» ص١٥.

(٤) في (ب): (إذا كثر به).

«أمر أن تحفى الشوارب وتُعفى اللِّحى»[(١)]، يعني: توفر وتكثر)[(٢)].

وقال ابن الأنباري[(٣)]: (يقال: عفا الشيء: إذا زاد وكثر، وأنشد للبيد:

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ[(٤)]

أراد: كثيرات اللحم)، فمعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ أي: كثروا[(٥)]، في قول ابن عباس[(٦)]، ومجاهد[(٧)] والسدي وابن زيد[(٨)].

---

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٥٨٩٣) كتاب اللباس، باب: إعفاء اللحى، ومسلم كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة رقم (٢٥٩)، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ، أنه قال: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى». وفي رواية لمسلم عن النبي ﷺ: أنه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى.

(٢) أبي عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٩٣، ونحوه قال ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ٤٢٨-٤٢٩، و«شرح القصائد» ص٢١-٢٢، وانظر: «النهاية» ٣/ ٢٢٦، ١/ ٤١٠.

(٣) «الأضداد» لابن الأنباري ص٨٧، و«الزاهر» ١/ ٤٢٩، و«شرح القصائد» ص٢١.

(٤) «ديوانه» ص١٨٦، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٢٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٩٣، و«اللسان» ٥/ ٣٠٢١ (عفا)، و«الدر المصون» ٥/ ٣٨٩ وبلا نسبة في «الكامل» للمبرد ١/ ٤٣٠، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٥.

(٥) وهو قول عامة أهل اللغة والتفسير، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٢، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٨، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«الكامل» للمبرد ١/ ٤٣٠، و«تفسير الطبري» ٩/ ٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٥٩، و«نزهة القلوب» ص٣٢٥، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٧، و«تفسير المشكل» ص٨٦.

(٦) ذكره البخاري في «صحيحه» ٥/ ١٩٥، في تفسير سورة الأعراف، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٦ من عدة طرق جيدة.

(٧) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤١، وأخرجه الطبري ٩/ ٨ من عدة طرق جيدة.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٨، من عدة طرق جيدة عن السدي وابن زيد، وأخرجه عن إبراهيم النخعي والضحاك، وذكره الماوردي ٢/ ٢٤٢، عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: حتى كثروا فسمنوا، وكثرت أموالهم)[(١)]. وروى عنه أيضًا: (حتى جموا)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، يعني: لما صاروا إلى الرخاء ﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾ من الدهر الشدة والرخاء، وتلك عادة الدهر، ولم يكن ما مسنا من البأساء والضراء عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم ولم يقلعوا[(٣)] عن الكفر بما مسهم من الضراء، والله تعالى أخذهم بالضراء ليعتبروا ويقلعوا عن الكفر، وتكذيب الأنبياء فلم يعتبروا، وقالوا من غرّتهم وجهلهم: قد أصاب آباءنا في الدهر مثل ما أصابنا. وهذا معنى قول المفسرين[(٤)] في هذه الآية؛ قال ابن عباس: وهذا كما قال في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية[(٥)] [الأنعام: ٤٤].

---

(١) قوله: كثروا، وكثرت أموالهم، سبق تخريجها، أما قوله: (سمنوا)، فلم أقف عليها عن ابن عباس، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٧، بسند جيد عن الحسن قال: (حتى سمنوا). وذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٣٢، والماوردي ٢/ ٢٤٢، عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٨ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي٦/ ٢، وجَمّ الشيء واستجم: كثر، ومال جَمٌّ: كثير. انظر: «اللسان» ٢/ ٦٨٦ (جمم).

(٣) في (ب): (ولم يفعلوا)، وهو تحريف.

(٤) هذا كلام الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٥٩-٣٦٠، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٧، والماوردي ٢/ ٢٤٣، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ٦/ ١٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٤، والرازي ١٤/ ١٨٣-١٨٤، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨، والسمرقندي ١/ ٥٥٧، وابن كثير ٢/ ٢٦٠.

(٥) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾.

قال المفسرون[١]: (لما فسدوا على الأمرين جميعًا أخذهم الله بغتة آمن ما كانوا؛ ليكون أعظم في الحسرة.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد بنزول العذاب)[٢].

وقال أبو إسحاق: (بيّن الله ﷻ تأولهم بخطئهم في قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، وقد علموا أن الأمم قد أهلكت قبلهم بكفرهم، وإنما أخبر الله تعالى بهذا عن الأمم السالفة لتعتبر أمة محمد ﷺ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾[٣] [الأعراف: ٩٦]، قال ابن عباس: (وحدوا الله واتقوا الشرك)[٤]. وقال عطاء عنه: (يريد آمنوا بالله وحده، وصدقوا أنبياءه، وخافوا الوعيد)[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. قال المفسرون: (بركات السماء بالقطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار)[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٩، والسمرقندي ١/ ٥٥٧، والبغوي ٣/ ٢٦٠.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٤، وهو قول الأكثر، انظر: السمرقندي ١/ ٥٥٧، والثعلبي ٢/ ١ ب، و«الوسيط» للواحدي ١/ ٢١٢، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٤، والرازي ١٤/ ١٨٤.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠، والنحاس ٣/ ٥٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٧، والماوردي ٢/ ٢٤٣، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ٦/ ١٦-١٧، وقال أبو حيان =

وقال ابن عباس: (يريد: الأمطار والخصب وكثرة المواشي والأنعام)[١] ومضى الكلام في معنى[٢] البركة والمبارك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ يعني: الرسل، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالجدوبة والقحط، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: (يعني: مدائن معروفة أهلكت بالجدب)[٣].

قال أصحاب المعاني: (والآية بيان أن الإيمان بالله والاتقاء يوجب إسباغ الإنعام، والتكذيب يوجب الإهلاك والعذاب).

٩٧- قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ الآية. هذه ألف الاستفهام ومعناها: الإنكار [عليهم أن يأمنوا، وقد ذكرنا قديمًا لم[٤] دخل الاستفهام معنى الإنكار][٥]، والفاء في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ للعطف، وهو عطف جملة على جملة[٦].

قال ابن عباس: (يعني: مكة وما حولها)[٧].

= في «البحر» ٤/ ٣٤٨: (الظاهر أن قوله: ﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يراد بها معين، ولذلك جاءت نكرة، والمعنى: لأتيناهم بالخير من كل وجه) اهـ. بتصرف.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢.

(٢) انظر: لفظ: (مبارك) في «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٩٩ ب.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «البسيط» البقرة: ٧٥ قوله تعالى: ﴿أفتطمعون﴾.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٧، والزجاج ٢/ ٣٦٠، و«المسائل المنثورة» لأبي علي الفارسي ص١٩٧، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٩٨، وابن عطية ٦/ ١٨، و«البحر» ٤/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢.

قال الزجاج: (أفأمنت الأمة التي كذبت النبي ﷺ ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾)(١)، فعلى هذا المراد بأهل القرى الذين كذبوا محمدًا ﷺ وكفروا به، وقال آخرون: (هذا عام و(٢)معناه البيان عما ينبغي أن يكون عليه العباد من الحذر لبأس الله ﷻ وسطواته(٣) بالمبادرة إلى طاعته واتباع مرضاته)(٤).

٦٨- قوله تعالى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الآية. قرأ أكثر القراء(٥) ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ بفتح الواو، وهو حرف العطف دخلت على همزة الاستفهام، كما دخل في قوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: ٥١]، وقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٠٠]. وهذه القراءة أشبه بما قبله وما بعده؛ لأن ما قبله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: ٩٧]، وما بعده: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾(٦) [الأعراف: ١٠٠].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٨.

(٢) لفظ (الواو) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (وسلطانه).

(٤) وأكثرهم على الأول وأنه وعيد للكافرين المعاصرين للرسول أن ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم السابقة. انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ٦/ ١٧، والقرطبي ٧/ ٢٥٣، و«البحر» ٤/ ٢٤٩.

(٥) يقرأ: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بإسكان الواو وتحريكها؛ فقرأ ابن عامر ونافع وابن كثير: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ بإسكان الواو غير أن ورشًا يلقى حركة الهمزة من ﴿أَمِنَ﴾ على الواو من ﴿أَوْ﴾ على أصله، وقرأ الباقون بفتح الواو. انظر: «السبعة» ص٢٨٦، و«المبسوط» ص١٨٢، و«التذكرة» ٢/ ٤٢١، و«التيسير» ص١١١، و«النشر» ٢/ ٢٧٠.

(٦) قال أبو علي في «الحجة» ٤/ ٥٥: (فكما أن هذه الأشياء في هذه الآيات حروف عطف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون قوله: ﴿أَوَ أَمِنَ﴾) اهـ.

وقرأ نافع وابن عامر: ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ ساكنة الواو، و(أو) يستعمل على ضربين: أحدهما: أن يكون بمعنى أحد الشيئين كقولك: زيدٌ أو عمرو جاء، كما تقول: أحدهما جاء، وهي إذا كانت للإباحة والتمييز كذلك أيضًا؛ لأنها لأحد الشيئين كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، ويدلك على أنها ليست بمعنى الواو أنه إذا جالس أحدهما فقد ائتمر[1] الأمر ولم يخالف، وإنما جاز له الجمع بين مجالستهما من حيث كان كل واحد منهما مجالسته بمعنى مُجالسة الآخر، ليس من حيث كانت (أو) بمعنى (الواو).

والضرب الثاني: أن يكون للإضراب[2] عما قبلها. كقولك: (أنا أخرج) ثم تقول: (أو أقيم)، أضربت عن الخروج وأثبتَّ الإقامة. كأنك قلت: (لا بل أقيم)، كما أنك في قولك: (إنها لإبل أو[3] شاء) مُضرِب عن الأول، فوجه هذه القراءة: أنه جعل (أو) للإضراب، لا على أنه أبطل الأول، ولكن كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ﴾ [السجدة: ١-٣] فكأن المعنى في هذه الآية: أأمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم، وإنْ شئت جعلت (أو) هاهنا التي لأحد الشيئين، ويكون المعنى: أفأمنوا إحدى هذه العقوبات[4].

---

(١) في (ب): (فقد أتم الأمر) وائتَمر الأمر أي امتثله، انظر: «اللسان» ١/ ١٢٧ (أمر).

(٢) في (ب): (الإضراب)، وهو تحريف.

(٣) النص كله من «الحجة» لأبي علي ٤/ ٥٤، وفيه في قولك: (إنها الإبل أم شاء).

(٤) ما تقدم هو نص كلام أبي علي في «الحجة» ٤/ ٥٣-٥٥، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤١٤، و«إعراب القراءات» ١/ ١٩٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٨، ولابن زنجلة ص٢٨٩، و«الكشف» ١/ ٤٦٨.

وقوله تعالى: ﴿ضُحًى﴾، الضحى[١] صدر النهار في وقت انبساط الشمس، وأصله الظهور من قولهم: ضَحَا للشمس[٢]: إذا برز لها. قال أبو الهيثم[٣]: (والضُّحَى على فُعَل حين تطلع الشمس فيصفو ضوؤها)[٤]. قال الحسن: (والمعنى: إنهم لا يجوز لهم أنْ يأمنوا ليلًا ولا نهارًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. قال الزجاج: (يقال لمن كان في عمل لا يُجدي عليه أو في ضلال: (إنما أنت لاعب)، وإنما قيل لهم ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: وهم في غير ما يجدي عليهم)[٦].

٩٩- قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ الآية. قد ذكرنا معنى المكر في اللغة، ومعنى مكر الله في سورة آل عمران عند قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

---

(١) الضحى: أصل يدل على بروز الشيء وظهوره، وهو انبساط الشمس وامتداد النهار وسمى الوقت به، والضحى بالضم والقصر لأول ارتفاع الشمس، والضحاء بالفتح والمد لقوة ارتفاعها قبل الزوال. انظر: «العين» ٣/ ٢٦٥، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٥٠، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٠٦، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٩١، و«المجمل» ٢/ ٥٧٤، و«المفردات» ص٥٠٢، و«اللسان» ٥/ ٢٥٥٩ (ضحى).

(٢) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٩٤: (يقال: ضَحِيَ بفتح ثم كسر يَضْحَى إذا برز الشمس).

(٣) أبو الهيثم خالد بن يزيد الرازي لغوي، تقدمت ترجمته.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٩٤ (ضحى).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٨، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٧، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ٦/ ١٨، والرازي ١٤/ ١٨٥، والقرطبي ٧/ ٢٥٤، و«البحر» ٤/ ٣٤٩، وأكثرهم قال: (ساهون لاهون في غاية الغفلة والإعراض والاشتغال بما لا يجدي).

قال المفسرون: (معنى مكر الله: استدراجه إياهم بالنعمة والصحة، وذلك مما يبطرهم ويحملهم على المعصية والتمادي في الغي فيكون في الحقيقة إضرارًا بهم من حيث لا يشعرون)[١].

وقال الزجاج في هذه الآية[٢]: (أي: فأمنوا[٣] عذاب الله أن يأتيهم بغتة). وهذا القول غير الأول.

١٠٠- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾، قال ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد[٤]: (أولم يتبين)، والمراد بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ كفار مكة ومن حولهم، قاله ابن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/٩، والبغوي ٣/ ٢٦٠، وابن عطية ١٨/٦.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٠، وهو قول النحاس في «معانيه» ٣/ ٥٨، و«السمرقندي» ١/ ٥٥٧، والمكر: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي لمن يستحقه عقوبة له. وهو صفة ثابتة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، والمكر يحمل حقيقة على بابه. انظر: «الفتاوى» ٣/ ١١١-١١٢، وقال ابن القيم (كما في «بدائع التفسير» ٢/ ٢٦١): (قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ إنما هو في حق الفجار والكفار، ومعنى الآية: فلا يعصي ويأمن مقابلة الله على مكر السيئات بمكره به ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، والذي يخافه العارفون بالله من مكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال فيحصل منهم نوع اغترار، فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب على غرة وفترة). اهـ.

(٣) في (ب): (أي أفأمنوا) وهو الأنسب بالسياق، وعند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٦٠: (أي وأمنوا).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٠ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٢٩ بسند جيد عن مجاهد، وهو في «تفسيره» ١/ ٢٤١ قال ابن أبي حاتم: (وروي عن السدي وعطاء الخراساني مثل ذلك)، وهذا القول هو قول عامة أهل التفسير واللغة. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٣، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٧، والزجاج ٢/ ٣٦١، و«تفسير الطبري» ٩/ ٩، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٨.

عباس[(١)] ومجاهد[(٢)]، و[(٣)] أما فاعل الهداية في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ فقال[(٤)] الزجاج: (كأن المعنى: أولم يبين الله أنه لو يشاء)[(٥)].

وقال غيره: [المعنى[(٦)] أولم يهد لهم مشيئتنا) فـ (أن)[(٧)] في قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ في موضع رفع لأنه فاعل (يهد)، والمعنى: أولم يهد لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم؛ كما قال في آية أخرى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: ٢٦]، وهذا هو قول أبي عبيد[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾. قال ابن عباس: (يريد أخذناهم)[(٩)]. وقال الكلبي[(١٠)] ومجاهد[(١١)]: (عذبناهم).

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٥، وذكره أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥٠.
(٢) لم أقف عليه، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٨، والقرطبي ٧/ ٢٥٤.
(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٤) في (ب): (قال الزجاج فقال المعنى أو لم يبين)، وهو تحريف.
(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦١، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٨.
(٦) لفظ: (المعنى) ساقط من (ب).
(٧) في (ب): (وأن) بالواو.
(٨) في (ب): (أبو عبيدة) ولم أقف عليه عنهما، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٣٩٣: (الأظهر في فاعل يهدي أنه المصدر المؤول من أن وما في حيزها والمفعول محذوف والتقدير: أو لم يهد أي يبين ويوضح للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم وإصابتنا إياهم بذنوبهم لو شئنا ذلك، فقد سبكنا المصدر من أن ومن جواب لو) اهـ. وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٢٧، و«المشكل» ١/ ٢٩٦-١٩٧، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤١٥، و«البيان» ١/ ٣٦٩، و«التبيان» ص٣٨٤، و«الفريد» ٢/ ٣٣٦، وفي الجميع الفاعل قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾.
(٩) لم أقف عليه.
(١٠) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٥.
(١١) لم أقف عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. قال ابن الأنباري: (هذا فعل مستأنف و[1]منقطع من الذي قبله؛ لأن قوله أصبنا ماضٍ، ﴿وَنَطْبَعُ﴾ مستقبل)[2].

وقال أبو إسحاق: (المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم)[3].

قال أبو بكر: (ويجوز أن يكون معطوفاً على أصبنا إذ كان بمعنى: نصيب، والتأويل: أن لو نشاء نصيبهم ونطبع، فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠] والمعنى: يجعل؛ يدل على ذلك قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾)[4] [الفرقان: ١٠].

قال الفراء: (وجاز أن تُرد (يَفْعَلُ) على (فَعَلَ) في جواب (لو) كما قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ﴾ [يونس: ١١]، قوله: ﴿فَنَذَرُ﴾ مردودة على ﴿لَقُضِىَ﴾ وإذا جاءك جواب (لو) آثرت فيه (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ)، وعطف (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ)، و(يفعل) على (فَعَلَ)، جائز؛ لأن التأويل كتأويل الجزاء)[5]. وفي قوله:

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٩٤.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦١ وفيه: (لأنه لو حمل على ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾ لكان و(لطبعنا) لأنه على اللفظ الماضي وفي معناه. ويجوز أن يكون محمولًا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل، كما ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ﴾ معناه: لو شئنا) اهـ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥١، والسمين في «الدر» ٥/ ٣٩٤.

(٥) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٨٦، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥٠-٣٥١: (الظاهر أنها جملة مستأنفة أي: نحن نطبع على قلوبهم والمعنى: إن من أوضح الله =

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ تكذيب للقدرية، ودليل على أن الله تعالى إذا شاء طبع على قلبٍ فلا يعي خيراً ولا يسمع هدى[١].

١٠١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ﴾، قال ابن عباس: (﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي أهلكتُ أهلها، يعني: قرى قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وشعيب، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نتلو عليك من أخبارها كيف أهلكت. قال: يعزي نبيه بما صنعوا بأنبيائهم، وما صنع الله بهم)[٢].

وقال أهل المعاني: (إنما قصّ الله أنباء القرى لما في ذلك من الاعتبار بما كانوا عليه من الاغترار بطول الإمهال مع اتساع النِعَم حتى توهموا أنهم على صواب)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الأنبياء الذين أُرسلوا إليهم)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾. قال ابن

= له سبل الهدى وذكر له أمثالًا ممن أهلكه الله تعالى بذنوبهم وهو مع ذلك دائم على غيه لا يرعوي يطبع الله على قلبه فينبو سمعه عن سماع الحق) اهـ، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٢٧، و«الكشاف» ٢/ ٩٩، وابن عطية ٦/ ٢٠، والرازي ١٤/ ١٨٧، و«الفريد» ٢/ ٣٣٦، و«الدر المصون» ٥/ ٣٩٥.

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ١٨٧.

(٢) في «تنوير المقباس» ٢/ ١١٥ نحوه، وذكره الثعلبي ٦/ ٣/أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤، والبغوي ٣/ ٢٦١، والقرطبي ٧/ ٢٥٥، و«الخازن» ٢/ ٢٦٦ بلا نسبة، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥٢: (الخطاب للرسول ﷺ والقرى هي بلاد قوم نوح وهود وصالح وشعيب بلا خلاف بين المفسرين) اهـ.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠، والرازي ١٤/ ١٨٨.

(٤) لم أقف عليه.

عباس[1] والسدي[2]: (فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرهاً وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب).

وقال مجاهد: (فما كانوا -لو أحييناهم بعد هلاكهم- ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم)[3].

وقال آخرون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والآيات التي سألوها، فما كانوا ليؤمنوا -بعد ما رأوا العجائب- بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك العجائب)[4]. وهذا الوجه كأنه اختيار أبي إسحاق؛ لأنه

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣، والبغوي ٣/ ٢٦١، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦، والرازي ١٤/ ١٨٨، والقرطبي ٧/ ٢٥٥، و«الخازن» ٢/ ٢٦٧، عن ابن عباس والسدي.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٠ بسند جيد.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤١، وأخرجه الطبري ٩/ ١١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٠، ١٧٠ أ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٩٤، ورد هذا القول الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٢، وقال: (وهو تأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر عن الرسول صحيح) اهـ. وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٢/ ٣٢٩: (هو قول بعيد من ظاهر الآية) اهـ.

(٤) ذكر هذا القول الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣ ب، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦، وهو اختيار الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٣، والبغوي ٣/ ٢٦١، واختار الطبري ٩/ ١١، أنْ المعنى: فما كانوا ليؤمنوا بما سبقَ في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به ولم يؤمنوا به؛ لاستحالة التغيير فيما سبق به العلم الأزلي، وأخرجه بسند جيد عن أبي بن كعب والربيع بن أنس، وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٢/ ٣٢٩: (ومعنى الآية: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم وهذا القول حكاه ابن عطية واستحسنه ابن كثير وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية ووجهه ظاهر لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب والإبعاد عن الهدى والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة) اهـ. وانظر: =

قال: (هذا إخبار عن قوم لا يؤمنون، كما قال ﷻ لنُوح: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، واحتج على هذا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: وهذا يدل على أنه قد طبع على قلوبهم، قال: والكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب؛ المعنى: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أن لا يؤمنوا أبداً)[١].

١٠٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾. قال ابن عباس: (يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم وهم في صلب آدم حيث يقول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾)[٢] [الأعراف: ١٧٢]، ونحو هذا قال مجاهد[٣] ومقاتل[٤].

قال أصحاب المعاني: (إذا أُخذ على الإنسان العهد فنقضه قيل: ليس له عهد، أي: كأنه لم يعهد إليه، فلما أخذ الله تعالى[٥] على هؤلاء العهد بالتوحيد والمعرفة، وأقروا بذلك، فلما خالفوا ذلك لم يكن لهم عهد، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[٦].

= «تفسير ابن عطية» ٦/ ٢١، و«بدائع التفسير» ٢/ ٢٦٢، وابن كثير ٢/ ٢٦٢.

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦١-٣٦٢، والأخفش ٢/ ٣١٧، والنحاس ٣/ ٥٩، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٢٧.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٦، والرازي ١٤/ ١٨٨، والقرطبي ٧/ ٢٥٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥٤.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٢، عن أبي بن كعب ومجاهد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٩٥.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٥٢.

(٥) لفظ: (تعالى) ساقط من (ب).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» / ٦٠٦ (عهد)، و«إعراب النحاس» / ٦٧، و«تفسير الرازي» ١٤/ ٨٨.

وروي عن ابن مسعود: (أن العهد هاهنا معناه: الإيمان، كقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[١] [مريم: ٨٧]. يعني: آمن، وقال: لا إله إلا الله)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.[٣] قال الزجاج: (دخلت ﴿إِنْ﴾ واللام على معنى التوكيد واليمين)[٤].

قال ابن عباس: (يريد: لعاصين)[٥]. وقال الضحاك: (لناقضين)[٦].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾، الكناية يجوز أن تعود إلى الأنبياء الذين[٧] جرى ذكرهم، ويجوز أن تعود إلى الأمم الذين تقدم إهلاكهم[٨].

---

(١) لفظ: (الرحمن) ساقط من (ب).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٨٨، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٥٤، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٣، (أي: وفاء ولا حفيظة).

(٣) لفظ: (أكثرهم) مكرر في (أ).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٢، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٢٧، و«المشكل» ١/ ٢٩٧، و«التبيان» ص٣٨٥، و«الفريد» ٢/ ٣٣٧، و«الدر المصون» ٥/ ٣٩٩.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤ بدون نسبة.

(٦) لم أقف عليه، وهذا القول هو قول السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٥٨، والثعلبي ٦/ ٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٦١، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٣، (أي: الكافرين) وقال الطبري ٩/ ١٢: (أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم تاركين عهده ووصيته) وانظر: الماوردي ٢/ ٢٤٤.

(٧) وهو قول الأكثر. انظر: الطبري ٩/ ١٣، والسمرقندي ١/ ٥٥٨، والبغوي ٣/ ٢٦٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧، والقرطبي ٧/ ٢٥٦.

(٨) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٥٨-٥٥٩، و«الكشاف» ٢/ ١٠٠، والرازي ١٤/ ١٨٩، و«البحر» ٤/ ٢٥٤، وقال ابن عطية ٦/ ٢٤: (الضمير عائد على الأنبياء المتقدم ذكرهم وعلى أممهم) اهـ، والجمع أولى.

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[(١)]، (قال ابن عباس[(٢)]: (فكذبوا بها) يعني: بالعصا والتسع الآيات)[(٣)]. وقال أبو إسحاق: (قوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: فظلموا بالآيات التي جاءتهم؛ لأنهم إذا جاءتهم الآيات فكفروا فقد ظلموا أبين الظلم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر، فذلك معنى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[(٤)]، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ﴾ أي: بعين قلبك كيف كان عاقبتهم وكيف فعلنا بهم.

١٠٥- قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، وقرأ نافع[(٥)] ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ مشددة الياء، و ﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة يجوز أن يكون بمعنى: فاعل. قال شمر: (تقول العرب: حَق عليَّ أن أفعل ذلك)[(٦)].

وقال الليث: (حَق الشيء معناه: وجب، ويحِق عليك أن تفعل كذا، وحقيق عليَّ أن أفعله، فهذا بمعنى: فاعل)[(٧)].

---

(١) سقط من (ب) تفسير قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الآيات ١٠٣، ١٠٥ الأعراف، وهو سقط من الناسخ حيث جاء في نصف ص١٥٩ أ تفسير باقي الآية ١٠٥ بعد الآية ١٠٣.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧.

(٣) انظر: تفصيل ذلك في «عرائس المجالس» ص١٩٠، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٢٦٣.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٢، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٦٠.

(٥) قرأ نافع: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ بتشديد الياء مع فتحها على أنها ياء إضافة وقرأ الباقون ﴿عَلَىٰٓ﴾ بتخفيف الياء وإسكانها على أنها حرف جر. انظر: «السبعة» ص٢٨٧، و«المبسوط» ص١٨٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٢١، و«التيسير» ص١١١، و«النشر» ٢/ ٢٧٠.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٥ (حق).

(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٦، وانظر: «العين» ٣/ ٦ (حق).

قال الزجاج: (والمعنى: واجب علي ترك القول على الله جل وعز إلا بالحق)[١]. ونحو هذا قال ابن عباس في تفسيره هذه الآية فقال: (يقول: الواجب علي ﴿أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[٢]، ويجوز أن يكون بمعنى: مفعول. قال الليث: (وحقيق فعيل في موضع مفعول)[٣].

قال شمر: (وتقول العرب: حق عليّ أن أفعل كذا، وإني لمحقوق عليّ أن أفعل خيراً، أي: حقّ عليّ ذاك، بمعنى: استحق)[٤]، هذا معنى كلامه، وعلى هذا تقول: فلان مَحْقُوق عليه أن يفعل كذا، ومَحْقُوق بأن يفعل كذا، ومَحْقُوق أن يفعل كذا[٥] قال الأعشى:

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوتِهِ
وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوفَّقُ[٦]

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٦ (حق).

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٧٤.

(٥) انظر: «الجمهرة» ١/ ١٠٠، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٧٨، والصحاح ٤/ ١٤٦٠، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٥، و«المجمل» ١/ ٢١٥، و«المفردات» ص٢٤٦، و«اللسان» ٢/ ٩٤١ (حق).

(٦) «ديوانه» ص١٢٠، و«العين» ٣/ ٦، و«مجاز القرآن» ١/ ٤٤، والصاحبي ص٣٥٩، و«الصناعتين» ص١٤٣، و«أمال ابن الشجري» ٢/ ٥٦، و«اللسان» ٢/ ٩٤١ (حق)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٠٥، وقبله:

وَإِنَّ امْرءًا أَسْرى إِلَيْكِ وَدُونَهُ فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْداءُ خَيْفَقُ

يقول: إن الذي قطع في سبيلك الليالي الطوال وتفصله عنك الصحارى والقفار التي يخفق فوقها السراب لمن البديهي أن تستجيبي له لأنه أقرب للرشد والصواب، أفاده في «حاشية الديوان».

وقال جرير[١]:

قَصِّرْ فَإِنَّكَ بِالتَّقْصِيرِ مَحْقُوقُ

وحجة نافع في تشديد الياء أن حق يُعَدى بعلى. قال الله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصافات: ٣١]، وقال: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء: ١٦]. فحقيق يُوصل بعلى من هذا الوجه أيضاً، فإن ﴿حَقِيقٌ﴾ بمعنى: واجب، فكما أن (وجب) يتعدى بعلى كذلك تعدّى ﴿حَقِيقٌ﴾ به إذا أريد به ما أريد بواجب، وقراءة العامة ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾ مرسلة الياء، و﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة بمعنى: محقوق، و ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى الباء[٢].

قال الفراء: (والعرب تجعل الباء[٣] في موضع على فتقول: رميت على القوس وبالقوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة)[٤].

قال الأخفش: (هذا كما قال: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾

---

(١) «ديوانه» ص٣١٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٦، و«اللسان» ٢/ ٩٤١ (حق)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٠٥، وصدره:

قُلْ لِلأُخَيْطِلِ إِذْ جَدَّ الجِراءُ بِنا

وفي «الديوان» (أقصر) بدل (قصر) وهو هنا يهجو الأخطل والجراء: الإقدام والشجاعة. انظر: «اللسان» ١/ ٥٨١ (جرأ).

(٢) ما تقدم في توجيه القراءة قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٥٦-٥٧، وانظر: «معاني المفردات» ١/ ٤١٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٩، ولابن زنجلة ص٢٨٩، و«الكشف» ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) انظر: «مغني اللبيب» ١/ ١٠٤ وسبق: أن (الظاهر عدم التناوب والأولى التضمين). قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٤: (مجازه حق علي أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها ﴿حَقِيقٌ﴾ على أن لا أقول ولم يضف ﴿عَلَىٰٓ﴾ إليه فإنه يجعل مجازه حريص على أن لا أقول أو فحق أن لا أقول) اهـ.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٦، وذكر مثله الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٣.

[الأعراف: ٨٦][(١)]، وكما وقعت الباء في قوله: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ موقع على، كذلك ﴿عَلَىٰٓ﴾ وقعت موضع الباء في قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ ويؤكد هذا الوجه قراءة عبد الله: ﴿حقيق بأن لا أقول﴾[(٢)] و ﴿حَقِيقٌ﴾ على هذه القراءة يرتفع بتقدير: أنا حقيق بأن لا أقول، وعلى قراءة نافع يرتفع بالابتداء، وخبره ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾[(٣)].

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾)[(٤)]]؛ قال ابن عباس: (يريد: أنه لا إله غيره)[(٥)].

ومعنى هذا: أن موسى يقول: واجب عليّ أن لا أقول في وصف الله إلا ما هو الحق، وهو توحيده وتنزيهه عن الشرك.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾. قال ابن عباس: (يريد بالعصا)[(٦)].

---

(١) «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٧.

(٢) قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في «معاني الفراء» ١/ ٣٨٦، والنحاس ٣/ ٦١، و«مختصر الشواذ» ص٥٠، و«إعراب القراءات» ١/ ١٩٧، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ٢٥، والرازي ١٤/ ١٩١، وذكرها البغوي ٣/ ٢٦٢، والقرطبي ٧/ ٢٥٦ عن أبي ابن كعب والأعمش. وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٠٠، و«البحر» ٤/ ٣٥٥.

(٣) انظر: «إعراب النحاس» ص٦٢٨، و«المشكل» ١/ ٢٩٧، و«البيان» ١/ ٣٦٩، و«التبيان» ص٣٨٥، و«الفريد» ٢/ ٣٣٨، و«البحر» ٤/ ٣٥٥، و«الدر المصون» ٥/ ٤٠١، وعلى قراءة العامة ﴿حَقِيقٌ﴾ عند الواحدي خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنا، وعلى قراءة نافع أكثرهم على أنه صفة لرسول أو خبر، وقوله: ﴿أَن لَّآ أَقُولَ﴾ فاعل بحقيق كأنه قال: يحق، ويجب أن لا أقول). قال السمين: (وهذا أعرب الوجوه لوضوحه لفظًا ومعنى) اهـ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب)، كما سبق الإشارة إليه.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٥ دون نسبة.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٧.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾. أي: أطلق عنهم وخلهم، وكان[١] فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن، ونقل التراب[٢].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ أي: العصا، وهي مؤنثة، والثعبان: الحية الضخم الذكر في قول جميع أهل اللغة[٣]، وهو أعظم الحيات في قول الفراء[٤]. وقوله: ﴿مبين﴾. قال الزجاج: (أي: بين أنه حية لا لبس فيه)[٥].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾، معنى النزع في اللغة: قلع الشيء وإخراجه عن مكانها المتمكن فيه[٦]، قال ابن عباس: (يريد: إخراج يده)[٧].

---

(١) في (ب): (وقال وكان).

(٢) أخرج الطبري في «تاريخه» ١/ ٣٨٦ عن محمد بن إسحاق قال: (كان فرعون يعذب بني إسرائيل ويجعلهم خدمًا وخولًا وصنفهم في أعماله، فصنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يزرعون له، ومن لم يكن في صنعة فعليه الجزية) اهـ، وانظر: «عرائس المجالس» ص١٦٧، و«البداية والنهاية» ١/ ٢٣٧.

(٣) انظر: «العين» ٢/ ١١١، و«الجمهرة» ١/ ٢٦٠، و«تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٠، والصحاح ١/ ٩٢، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٧٨، و«المجمل» ١/ ١٥٩، و«المفردات» ص١٧٣، و«اللسان» ١/ ٤٨١-٤٨٢ (ثعب).

(٤) «معاني الفراء ص٣٨٧، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٥، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٨، و«معاني النحاس» ٣/ ٦١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٣، وفيه: (أي مبين أنها حية).

(٦) انظر: «العين» ١/ ٣٥٧، و«الجمهرة» ٢/ ٨١٧، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٢، والصحاح ٣/ ١٢٨٩، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤١٥، و«المجمل» ٣/ ٨٦٣، و«المفردات» ص٧٩٨، و«اللسان» ٧/ ٤٣٩٥ (نزع).

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند جيد.

قال الزجاج: (والمعنى: إخراجها من جيبه و من جناحه، يدل على ذلك قوله: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾الآية[١] [النمل: ١٢]، وقوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الآية [طه: ٢٢][٢].

١٠٩- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّظِرِينَ﴾، قال ابن عباس: (وكان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض)[٣].

١١٠- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. قال ابن عباس: (يريد: من ملككم)[٤].

قال المفسرون: (لما قال موسى لفرعون: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وآراه الآية، قال الأشراف من قومه: إن هذا ساحر يريد أن يخرجكم معشر القبط من أرضكم ويزيل ملككم بتقوية أعدائكم بني إسرائيل عليكم)[٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. ذكر أبو إسحاق فيه ثلاثة أوجه: (إحداها[٦] أن يكون هذا جواباً من فرعون لما قال الملأ: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، قال ابن عباس:

---

(١) لفظ: (الآية) ساقط من (ب).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٣ وفيه: (يدل على أنْ معنى نزع يده إخراجها من جيبه وإخراجها من جناحه، وجناح الرجل عضده وقل: جناح الرجل عِطفُه) اهـ.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٤ ب، ٥ أ، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٨، والرازي ١٤/ ١٩٦، والقرطبي ٧/ ٢٥٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٦ عن الكلبي.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٩، والثعلبي ٦/ ٥ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٣.

(٦) في (أ): (أحد لها)، وهو تحريف.

(يريد: تشيرون به عليّ)[١]، فعلى هذا أضمر القول، وتم كلام الملأ عند قوله: ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. والتقدير: قال ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، وهذا[٢] الوجه ذكره الفراء[٣] أيضاً.

قال أبو إسحاق: (وجائزٌ أنْ يكون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملأ[٤]؛ كأنهم خاطبوا فرعونَ ومنْ يخصه)، قال: (وجائزٌ أن يكون الخطاب لفرعون وحده؛ لأنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون[٥] في هذا، أي: ما ترى أنت وحدك)[٦].

قال ابن الأنباري على هذا الوجه: (والملوك الغالب عليها[٧] أن يكون لها أتباع يأتمرون بأمرها[٨] ويقفون عند قولها[٩]، فلما كان هذا معروفاً للملوك خاطبوه وهو واحد بخطابه ومعه أتباعه وأهل مملكته)[١٠].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٣٨، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: (استشار الملأ فيما يرى) اهـ.

(٢) في (أ): (وعلى هذا).

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٧ ولم يذكر غيره، وهو قول أكثرهم. انظر: الطبري ٩/ ١٦، والسمرقندي ١/ ٥٥٩، والثعلبي ٦/ ٥ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٣.

(٤) وهو اختيار ابن عطية ٦/ ٣٠ قال: (الظاهر أنه من كلام الملأ بعضهم إلى بعض) اهـ.

(٥) في (أ): (ما ترى)، وهو تحريف.

(٦) في «معاني الزجاج» ٢/ ٢٦٤-٢٦٥: (أي: ما ترى أنت وجندك). وانظر: «إعراب النحاس» ٢/ ١٤٢.

(٧) في (ب): (عليهم).

(٨) في (ب): (بأمرهم).

(٩) في (ب): (قولهم).

(١٠) لم أقف عليه، وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص٤١٦-٤١٩.

١١١- وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، وقرئ ﴿أرجِئه﴾ مهموزاً[١]، وهما لغتان قرئ بهما، يقال: أرجأت الأمر وأرجيته: إذا أخرته، ومنه قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦]، ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قرئ في الآيتين[٢] باللغتين[٣]، وكان حمزة وعاصم يقرآن بغير همزة، وجزم الهاء من ﴿أَرْجِهْ﴾؛ قال الفراء: وهي لغة العرب يقفون على الهاء المكني عنها في الوصل إذا تحرك ما قبلها، أنشدني بعضهم:

فَـيُـصْـلِـحُ الـيَـوْمَ وَيُـفْـسِـدُهْ غَـدَا[٤]

---

(١) فيها ست قراءات ثلاث مع الهمز وهي:
أ- قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر: (أرجئهو) بهمزة ساكنة متصلة بواو في الوصل.
ب - قراءة أبو عمرو: (أرجئه) بضم الهاء من غير إشباع.
ج - قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر بهمزة ساكنة وكسر الهاء من غير إشباع.
وثلاث من غير همز وهي:
أ - قراءة عاصم وحمزة بكسر الجيم وسكون الهاء وصلًا ووقفًا: ﴿أَرْجِهْ﴾.
ب - قراءة الكسائي بكسر الهاء متصلة بياء في الوصل: (أرجهي) وهي رواية عن عاصم ونافع.
ج - قراءة نافع بكسر الهاء من غير إشباع: ﴿أَرْجِهِ﴾.
انظر: «السبعة»: ص٢٨٧، و«المبسوط» ص١٨٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٢١، و«التيسير» ص١١١.

(٢) في (ب): (بالآيتين).

(٣) قرأ نافع وحمزة والكسائي في آية التوبة ١٠٦: ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وفي آية الأحزاب ٥١: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ بغير همز فيها، وقرأ الباقون بالهمز: (مرجئون) و: (ترجئ)، وروي عن عاصم الوجهان فيهما، وانظر: «السبعة» ص٢٨٧و٥٢٣، و«المبسوط» ص١٩٦، ٣٠١، و«التذكرة» ٢/ ٤٤٣، و«التيسير» ص١١٩، و«النشر» ١/ ٤٠٦.

(٤) هذا رجز لدويد بن زيد بن نهد القضاعي في «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣١-٣٢، و«الشعر والشعراء» ص٤٨، و«جمهرة الأمثال» ١/ ٨٤، وبلا نسبة في «معاني الفراء» =

قال: وكذلك يفعلون بهاء التأنيث فيقولون: هذه طلحهْ قد أقبلت وأنشد:

لَـمَّـا رَأى[١] أنْ لَا دَعَـةْ وَلَا شِـبَـعْ[٢]

ولا وجه لهذا عند البصريين في القياس ولا الاستعمال.

قال الزجاج: (وهذا شعر لا يعرف قائله، ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له: أخطأت؛ لأن الشاعر قد يجوز أن يخطئ) قال: (وهذا مذهب لا يعرج عليه)[٣].

= ١/ ٣٨٨، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٦، وابن عطية ٦/ ٣١، والرازي ١٤/ ١٩٨، وقبله:

أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلًا وَيَدَا يُقْسِمُ لاَ يُصْلِحُ إلا أَفْسَدَا

فَيُصْلِحُ اليَوْمَ ويُفْسِدُهُ غَدُا

(١) هذا رجز لمنظور بن حبة الأسدي في «تهذيب إصلاح المنطق» ١/ ٢٨٢-٢٨٣، و«شذا العرف» ص١٣٦، وبلا نسبة في «معاني الفراء» ١/ ٢٨٨، و«إصلاح المنطق» ص٩٥، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٧، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢ (ضجع)، و«المحتسب» ١/ ١٠٧، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٢١، و«الخصائص» ٣/ ١٦٣، و«المنصف» ٢/ ٣٢٩، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٥٨ (رطا)، و«المخصص» ٨/ ٢٤، و«كنز الحفاظ» ١/ ٣٠٢، و«اللسان» ٥/ ٢٥٥٤ (ضجع) وعجزه:

مَالَ إلى أرْطَاةِ حِقْفٍ فاضْطَجَعْ

وهو يصف الذئب، والحقف: ما اعوج من الرمل.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٨، ومثله قال الطبري ٩/ ١٧.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٥-٣٦٦. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٣٦٠، و«معاني القراءات» ١/ ٤١٥، و«إعراب القراءات» ١/ ١٩٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٥٩، ولأبي علي الفارسي ٤/ ٦٠، ولابن زنجلة ص٢٨٩، و«الكشف» ١/ ٤٧٠، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٦٠: (وما ذهب إليه من غلط هذه القراءة وأنها لا تجوز قول فاسد؛ لأنها قراءة ثابتة متواترة روتها =

فأما التفسير فقال ابن عباس في قوله: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: (يريد: أرجئ أمره وأمر أخيه ولا تعجل)[١]، ففسره بالتأخير، وهو قول الحسن[٢].

قال الزجاج: (تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾ أخره)، وقال: (ومعنى أخره: أخر أمره، ولا تعجل في أمره بحكم فتكون عجلتك حجة عليك)[٣].

وقال أهل المعاني[٤]: (إنهم طلبوا معارضة المعجزة بالحيلة توهماً منهم أنهم يقابلون السحر بالسحر على طريق المكيدة).

وقال الكلبي وقتادة[٥] في تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾: (احبسه)، قال الكلبي: (احبسه وأخاه هارون حتى تنظر في أمره ولا تقتلهما[٦] ولا تؤمن بهما)[٧].

قال أصحاب النظر: (القول في تفسير ﴿أَرْجِهْ﴾ هو الأول؛ لأن فرعون قد علم أنه لا يقدر على حبسه بعد ما رأى أمر العصا، مع أن الإرجاء في اللغة

= الأكابر عن الأئمة وتلقتها الأمة بالقبول ولها توجيه في العربية فلا وجه لإنكارها) اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤١٢: (تسكين هاء الكناية لغة ثابتة له شواهد كثيرة) اهـ. بتصرف.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند ضعيف بلفظ: (أخِره وأخاه)، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٤٥، والقرطبي ٧/ ٢٥٧.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ٢٤٥، وهو قول أكثرهم، قال الطبري ٩/ ١٦: (الإرجاء في كلام العرب التأخير) اهـ، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٥، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٤٨، و«تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«نزهة القلوب» ص٧٣، و«معاني النحاس» ٣/ ٦٢، و«تفسير المشكل» ص٨٦.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٥.

(٤) انظر: الرازي ١٤/ ١٩٨.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٣ بسند جيد عن قتادة.

(٦) في (ب): (ولا تقبلهما).

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٧، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٥٩.

التأخير لا الحبس)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾. قال الليث: (المدينة فَعِيلة تهمز في الفعائل؛ لأن الياء زائدة، ولا تهمز ياء (المعايش) لأنها مفاعل والياء أصلية، ونحو ذلك قال الفراء[٢] وغيره، قال: وكل أرض يبنى بها حصن فهي مدينة)[٣].

وقال أبو القاسم الزجاجي[٤]: (اختلف أصحابنا في المدينة فمنهم من يجعلها (فَعِيلة)، ومنهم من يجعلها (مَفْعِلة)، ومنهم من يجعلها مَفْعُولة، أما من قال: إنها فعيلة ذهب إلى قولهم: مَدَن بالمكان يمدن مدُوناً: إذا أقام به، ويستدل بإطباق القراء على همز ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾ وهي فعائل كصحيفة وصحائف، وسفينة وسفائن، والياء إذا كانت زائدة في الواحدة همزت في الجمع كقبيلة وقبائل، وإذا كانت[٥] من نفس الكلمة لم تهمز في الجمع نحو معيشة ومعايش.

قال ابن الأنباري: (مدن الرجل إذا أتى المدينة)[٦]. وهذا يقوي قول من يقول: إنها فعيلة والميم فيها أصل، وكذلك قولهم في الجمع: مُدن هو

(١) هذا قول الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٥.

(٢) لم أقف عليه في «معانيه».

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٦٣، وانظر: «العين» ٨/ ٥٣، و«الجمهرة» ٢/ ٦٨٣، والصحاح ٦/ ٢٢٠١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٠٦، و«المجمل» ٣/ ٨٢٦، و«المفردات» ص٧٦٣، و«اللسان» ٧/ ٤١٦١ (مدن).

(٤) أبو القاسم الزَّجَّاجي هو عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النحوي، تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (كان).

(٦) لم أقف عليه.

على فُعل، والميم أصل، والمدن[١] في الحقيقة: جمع المدين؛ لأن المدينة لا تجمع على مُدن، ولكن تجمع على المداين ومثل هذا سُفن كأنهم جمعوا سفينة على سفين ثم جمعوها على سفن، كذلك المدن، وأما من قال إنها مفعلة فإنه يقول: معنى المدينة: المملوكة من دانه يدينه أي: ساسه وأذاله[٢]، فقولنا: مدينة من (دان) مثل معيشة، وجمعها مداين على مفاعل كمعايش غير مهموز يكون اسماً للمكان والأرض التي دانهم[٣] السلطان أي: ساسهم وقهرهم، وقال المبرد[٤]: (مدينة أصلها (مَدْيونة) من دانه يدينه: إذا قهره وأذله فاستثقلوا حركة الضمة على الياء فسكنوها ونقلوا حركتها إلى ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الواو المزيدة[٥] التي هي واو المفعول، والياء التي هي من نفس الكلمة، فحذفت الواو لأنها زائدة، وحذف الزائد أولى من حذف الأصلي، ثم كسروا الدال لتسلم الياء فلا تنقلب واواً لانضمام ما قبلها فيختلط[٦] ذوات الواو بذوات الياء، وكذلك المبيع والمخيط والمكيل)[٧].

وكان الأخفش[٨] يذهب إلى أن المحذوف الياء لأنها من نفس الكلمة فهي أولى بالحذف من الواو التي جلبت للمعنى وهي واو المفعول، فقال له

---

(١) في (ب): (مدن).

(٢) كذا في (أ)، وفي (ب): (وأذاله)، ولعله وأذله.

(٣) في (ب): (ذانهم).

(٤) لم أقف عليه في كتبه، وذكره الرازي ١٤/ ١٩٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٤١٣.

(٥) في (ب): (والمزيدة).

(٦) في (أ): (فتختلط).

(٧) لم أقف عليه في كتبه، وذكره عند الرازي ١٤/ ١٩٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٤١٣.

(٨) قال الأخفش في «معانيه» ٢/ ٢٩٣: (إنما يهمز ما كان على مفاعل إذا جاءت الياء زائدة في الواحد والألف والواو التي تكون الهمزة مكانها نحو مدائن لأنها فعائل، ومن جعل المداين من دان يدين لم يهمز لأن الياء حينئذ من الأصل) اهـ.

أبو عثمان المازني[١]: (فإذا كان المحذوف الياء عندكم، فلم قلبت الواو ياء وقبلها حرف مضموم؟) فقال: (كسرت ما قبل الواو لتنقلب الواو ياء فيفرق بين ذوات الواو[٢] وذوات الياء)، فالياء في قولنا: مبيع ومخيط هي ياء يبيع ويخيط عند سيبويه[٣].

وعند الأخفش[٤] هي واو (مبيوع) قلبت ياء لانكسار ما قبلها، والمدينة[٥] على رأي المبرّد (مفعوله) وتأنيثها من جهة المعنى، والمراد: الأرض المدينة أو البقعة أو البلدة التي ساسها السلطان.

وقال الفراء: (تقول العرب: دنته أدينه إذا ملكته، والمدينة الأرض التي ملكها سايسها[٦] ومن هذا يقال للأمة مدينة أي: مملوكة وهي في الأصل مديونة[٧].

ومنه قول الأخطل[٨]:

رَبَتْ وزكى في كومها ابنُ مَدِينَةٍ ... يَظَلُّ على مِسحاتِهِ يَتركَّلُ[٩]

---

(١) انظر: «المصنف» ١/ ٢٩٦-٣٠١و ٣١١-٣١٤.

(٢) لفظ: (فيفرق بين ذوات الواو) مكرر في (ب).

(٣) انظر: «الكتاب»٤/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) انظر: «المصنف» ١/ ٢٩٧.

(٥) في (ب): (فالمدينة).

(٦) في (ب): (أسايسها).

(٧) لم أقف عليه. وانظر: «الصحاح» ٦/ ٢٢٠١ (مدن).

(٨) الأخطل: غِيَاث بن غَوْث بن الصَّلت التغلبي، شاعر نصراني، تقدمت ترجمته.

(٩) «ديوانه» ص٢٢٤، و«العين» ٨/ ٥٣، و«المعاني الكبير» ١/ ٤٧٢، و«الجمهرة» ٢/ ٦٨٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٦٣، و«المصنف» ١/ ٣١٢، و«الصحاح» ٤/ ١٧١٣ (ركل)، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٣٤، و«اللسان» ٧/ ٤١١٦ (مدن) ورواية «الديوان»:

ربتَ وربَا في حَجرِها ابن مدينة

وهو يصف الخمر، وابن مدينة أي: العالم بأمرها، ويتركل أي: يفتت الرمل، أفاده في «حاشية الديوان».

يعني: ابن أمةٍ.

فهذا ذكر اختلافهم في هذا الحرف)[١]، والصحيح أنها (فعيلة) لاجتماع القراء على همز ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾، والذين قالوا: إنها مفعلة أو مفعولة. قالوا: إنما همزت المدائن تشبيهاً بالقبائل والصحائف كما همز نافع ﴿المعائش﴾، وقد ذكرنا ذلك مستقصًى عند قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الأعراف: ١٠].

وأما التفسير فقال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: (يريد: في مدائن صعيد مصر[٢] رجالاً يحشروا إليك ما في الصعيد من السحرة)[٣].

قال الكلبي: (وكانت له مدائن فيها السحرة عُدَّة للأشياء؛ إذا حزبه أمر أرسل إليهم)[٤]. قال ابن عباس: (وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد)[٥].

---

(١) ذكره الرازي ١٤/ ١٩٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٤١٣ عن الزجاجي ولم أقف عليه فيما لدي من كتبه، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٤٢: (المدينة معروفة مشتقة من مدن فهي فعيلة، ومن ذهب إلى أنها مفعلة من دان فقوله ضعيف لإجماع العرب على الهمز في جمعها قالوا (مدائن) بالهمز ولا يحفظ فيه مداين بالياء، ولا ضرورة تدعو إلى أنها مفعلة، ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فُعُل قالوا: مدن كما قالوا: صحف في صحيفة) اهـ، ونحوه قال السمين في «الدر» ٥/ ٤١٢.

(٢) الصعيد بمصر بلاد واسعة كبيرة فيها عدة مدن عظام. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٤٠٨.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٧، وأخرج الطبري ٩/ ١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٤، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ قال: (الشرط).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٥ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٣ بلا نسبة.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٧، والرازي ١٤/ ١٩٩، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» ص١٨٥، عن عطاء.

قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾، وقرئ[١] ﴿سَحَّارٍ﴾؛ فمن قرأ ﴿سَٰحِرٍ﴾ فحجته قوله: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [طه: ٧٠] ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ [الشعراء: ٤٠]، والسحرة جمع ساحر مثل كاتب وكتبه، وفاجر وفجرة، ومن حجته أيضًا[٢] قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] واسم الفاعل من سحروا ساحر، ومن قرأ ﴿سَحَّارٍ﴾ فحجته أنه قد وصف بـ (عليم) ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه به؛ فحسن لذلك أن يذكر بالاسم[٣] الدال على المبالغة في السحر[٤].

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ الآية. في الكلام محذوف يدل عليه باقي الكلام وهو: فأرسل وجاء السحرة، ولا يجوز أن يتأول على أنهم تسامعوا، وجاءوا من غير أن يرسل؛ لأنه خلاف ظاهر الكلام والقصة[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: المال

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (سَحَّار) على وزن فعال بتشديد الحاء وألف بعدها، وقرأ الباقون: ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل بتخفيف الحاء وكسرها وألف قبلها. انظر: «السبعة» ص٢٨٩، و«المبسوط» ص١٨٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٢، و«التيسير» ص١١٢، و«النشر» ٢/ ٢٧٠.

(٢) لفظ: (أيضًا) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (أن يذكر الاسم).

(٤) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٦٤، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤١٦، و«إعراب القراءات» ١/ ١٩٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٠، ولابن زنجلة ص٢٩١، و«الكشف» ١/ ٤٧١.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٨.

والجوائز)[١]، ولم يقل: فقالوا[٢] لأن المعنى: لما جاءوا قالوا، فلم يصح دخول الفاء على هذا الوجه.

وقرأ ابن كثير ونافع[٣]: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكسورة الألف على الخبر، والاستفهام أحسن في هذا الموضع، لأنهم يستعملون[٤] عن الأجر وليس يقطعون على أن لهم الأجر. ويقوي ذلك إجماعهم في الشعراء[٥] على الهمز للاستفهام، وحجة ابن كثير ونافع أنهما أرادا همزة الاستفهام ولكنهما حذفا ذلك من اللفظ، وكثيراً ما تحذف همزة الاستفهام من اللفظ، وهي ثابتة في المعنى كقوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: ٢٢]، فذهب[٦] كثير من الناس إلى أن معناه: (أو تلك) الاستفهام[٧] وقد جاء

---

(١) في «تنوير المقباس» ٢/ ١١٧: (أي: هدية تعطينا) اهـ.

(٢) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٤١٣-٤١٤، عن الزمخشري ثم قال: (وهذا قد سبقه إليه الواحدي والأظهر أن الجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها استئناف جواب لسؤال مقدر ولذلك لم تعطف بالفاء) اهـ، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣١، و«الكشاف» ٢/ ١٠٢.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ﴿إِنَّ لَنَا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على لفظ الخبر، وقرأ أبو عمرو بهمزة ممدودة والباقون بهمزتين على الاستفهام. انظر: «السبعة» ص٢٨٩، و«المبسوط» ص١٨٣، و«التذكرة» ١/ ١٥٢-١٥٤، و«التيسير» ص١١٢، و«النشر» ١/ ٣٧٢.

(٤) كذا في النسخ: (يستعملون)، ولعلها: (يستعلمون أو يسألون).

(٥) آية الشعراء هي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]

(٦) في (ب): (يذهب).

(٧) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٤٢٦، و«معاني الزجاج» ٤/ ٨٦-٨٧، و«تفسير الطبري» ١٩/ ٦٨-٦٩، و«إعراب النحاس» ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥، قال الأخفش: =

ذلك في الشعر[١]:

أَفْـرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الـكِـرَامَ وَأَنْ
أُوْرَثَ ذَوْداً شَـصَـائِـصـاً نَـبَـلاً[٢]

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾، ﴿نَحْنُ﴾ يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المتصل في ﴿كُنَّا﴾، ويجوز أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم فلا موضع له حينئذٍ[٣].

١١٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ﴾، هذه إجابة من فرعون للسحرة في سؤالهم المال والأجر على الغلبة، ووعد منه إياهم بذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، معطوف على معنى الجملة؛

= (قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ فيقال: هذا استفهام كأنه قال: أو تلك نعمة تمنها. ثم فسر فقال: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وجعله بدلًا من النعمة) اهـ.

(١) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٦٥-٦٦، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤١٧، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦١، و«الكشف» ١/ ٤٧٢.

(٢) الشاهد: لحضرمي بن عامر الأسدي في «أمالي القالي» ١/ ٦٧، و«اللسان» ١/ ٦١٣ (جزأ) و٧/ ٤٧ (شص)، وبلا نسبة في «العين» ٨/ ٣٢٩، و«أدب الكاتب» ص١٧٩، و«الكامل» للمبرد ١/ ٦٢، و«الجمهرة» ١/ ٣٧٩، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٩٣، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٧٤، و«الصحاح» ٣/ ١٠٤٣ (شص)، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٨٣، و«الدر المصون» ١/ ٢٥٨، قال ابن منظور في «اللسان» ١/ ٦١٣ (جزأ) في شرحه للبيت: شصائص جمع شصوص وهي الناقة قليلة اللبن، نبلًا أي: صغارًا، يريد: أأفرح فحذف الهمزة على طريق الإنكار أي: لا وجه للفرح بموت الكرام من إخواني لإرث شصائص لا ألبان لها) اهـ.

(٣) انظر: «البحر» ٤/ ٣٦١، و«الدر المصون» ٤١٤-٤١٥.

(٤) انظر: الطبري ٩/ ١٩، والسمرقندي ١/ ٥٦٠.

كأنه قيل: نعم[١] لكم ذلك، ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٢]. قال ابن عباس: (يريد: أشرككم في ملكي وأوليكم على أرضي)[٣].

وقال الكلبي: (﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عندي في المنزلة، يعني: أول من يدخل علي وآخر من يخرج)[٤].

وقال الزجاج: (أي: ولكم من الأجر المنزلة الرفيعة عندي)[٥].

١١٥- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

روى أبو العباس[٦] عن سلمة[٧] عن الفراء قال: (قال الكسائي في باب إِمَّا وأَمَّا: إذا كنت آمراً أو ناهياً أو مخبراً فهي مفتوحة، وإذا كنت[٨] مشترطاً أو شاكاً أو مخيراً فهي مكسورة، تقول من ذلك في المفتوحة: أَمَّا الله فاعبد[٩]، وأما الخمر فلا تشربها، وأما زيد فقد خرج، وتقول[١٠] في

---

(١) لفظ: (نعم) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «الفريد» ٢/ ٣٤١، و«البحر» ٤/ ٣٦١، و«الدر المصون» ٥/ ٤١٥.

(٣) في «تنوير المقباس» ٢/ ١١٧، نحوه وأخرج الطبري ٩/ ١٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٥ بسند جيد عن ابن عباس قال: (قالوا: فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وخاصتي وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم) اهـ.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٦ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٥، و«الخازن» ٢/ ٢٧١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٦، وفيه: (أي: لكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي) اهـ.

(٦) أبو العباس: هو ثعلب أحمد بن يحيى، إمام، تقدمت ترجمته ترجمته.

(٧) سلمة بن عاصم البغدادي، صاحب الفراء، إمام، تقدمت ترجمته.

(٨) في (ب): (وإذا كان)، وهو تحريف.

(٩) في (أ): (فاعبدوا).

(١٠) في (ب): (فتقول).

النوع الثاني إذا كنت مشترطاً: إمَّا تعطينّ زيداً فإنه يشكرك، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ [الأنفال: ٥٧] .

وتقول في الشك: لا أدري من قام إمَّا زيد وإمَّا عمرو.

وتقول في التخيير[١]: لي بالكوفة دار فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها)[٢]، والفرق بين (إما) إذا كانت للشك وبين (أو) إنك إذا قلت: جاءني زيد أو عمرو فقد يجوز أن يكون بنيت كلامك على اليقين، ثم أدركك الشك فقلت: أو عمرو. فصار الشك فيهما جميعاً .

فأول الاسمين[٣] في (أو) يجوز أن يكون خبراً يحسن السكوت عليه، ثم يعترض الشك فيستدرك بالاسم الآخر، ألا ترى أنك تقول: قام أخوك، وتسكت، ثم تشك فتقول: أو أبوك، وإذا ذكرت (إمّا) فإنما تبني كلامك على الشك من أوله فليس يجوز أن تقول: ضربت إما[٤] عبد الله وتسكت[٥]، وأما[٦] دخول (أن) في قوله: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ [الأعراف: ١١٥] وسقوطها من قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦]،

---

(١) في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٧: ذكر(إذا كنت مخيّرًا أو مختارًا فهي المكسورة تقول في التخيير: تعلم إما الفقه وإما النحو، وتقول في المختار: لي بالكوفة دار وأنا خارج إليها فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها).

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٧، (إما، وأما)، وذكره الرازي ١٤/ ٢٠٢، عن الفراء والكسائي.

(٣) في (أ): (فالأول أسمين)، وهو تحريف.

(٤) في (ب): (أبا)، وهو تحريف.

(٥) ما تقدم هو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٨٩، وانظر: «الكتاب» ١/ ٩٥و ١٤٢، و٣/ ٣٣٢، و٤/ ٢٣٥، و«حروف المعاني» ص٦٣-٦٤، و«معاني الحروف» ١٢٩-١٣١، و«الصاحبي» ص٢٠٦، و«المغني» لابن هشام ١/ ٥٥، ٦١.

(٦) في (ب): (في أما).

فقال الفراء: (أدخل ﴿أَن﴾ في ﴿إِمَّا﴾ في هذه الآية لأنه في موضع أمر بالاختيار وهي في موضع نصب كقول القائل: اختر ذا أو ذا. كأنهم قالوا: اختر أن تُلقي أو نلقي، وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ليس[١] فيه أمر بالتخيير؛ ألا ترى أن الأمر لا يصلح ها هنا فلذلك لم يكن فيه أن)[٢].

وأما التفسير فقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ﴾، فقال ابن عباس: (يريد: عصاه، ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ أي: ما معنا من الحبال والعصي)[٣]، فمفعول الإلقاء محذوف من الموضعين جميعاً[٤].

١١٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾، يقال على هذا: لم جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وهو كفر منهم؟

والجواب: إن معناه: ألقوا إن كنتم محقين، وألقوا على ما يصح،

---

(١) لفظ: (ليس) ساقط من (ب)، قال الهمداني في «الفريد» ٢/ ٣٤١: (دخلت أن في آية الأعراف لأنه أمر كأنه قيل: اختر إما أن تلقي أنت وإما نحن، والأمر مستقبل و(أن) عَلَم للاستقبال فدخلت لتحقيق هذا المعنى، ولم تدخل في آية التوبة لأنه خبر والخبر لم يحتج إلى أن) اهـ. ملخصًا.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٨٩، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤١٥-٤١٦: (إنما أتى هنا بأن المصدرية بخلاف آية التوبة، لأن أن وما بعدها هنا إما مفعول وإما مبتدًا والمفعول به والمبتدأ لا يكونان فعلًا صريحًا بل لا بد أن ينضم إليه حرف مصدري يجعله في تأويل اسم وأما آية التوبة فالفعل بعد إما، إما خبر ثان لآخرون وإما صفة له، والخبر والصفة يقعان جملة فعلية من غير حرف مصدري) اهـ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٥ بسند جيد.

(٤) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣١، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤١٦: (حذف مفعول الإلقاء للعلم به والتقدير: إما أن تلقي حبالك وعصيك لأنهم كانوا يعتقدون أن يفعل كفعلهم، أو نلقي حبالنا وعصينا) اهـ.

ويجوز دون ما يفسد[١] ولا يجوز[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾، يعني: تلك العصي والحبال، وهي مذكورة في قوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ [طه: ٦٦] في سورة طه.

وقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: حيث رأوها حيات)[٣]، قال العلماء من أصحاب المعاني[٤]: (﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: قلبوها عن صحة إدراكها بما تخيل من الأمور المموهة بلطف الحيلة التي تجري مجرى الخفّة والشعبذة مما لا يرجع إلى حقيقة، والمُحدث في العين ذلك التخيل هو الله ﷻ عندما أظهروا من تلك المخاريق، إلا أنه منسوب إليهم لأنهم عرضوها بما لو لم يعملوه لم يقع، كمن جعل طفلاً تحت الثلج فهو القاتل له في الحكم، والله خلق الموت فيه وأماته)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾. قال المبرد: (أرهبوهم، والسين زائدة)[٦]. وكذلك قال المؤرج: (أفزعوهم)[٧].

---

(١) في (أ): (ما يفسده)، وهو تحريف.

(٢) وقيل: إن هذا تهديد أي: ابتدئوا بالإلقاء فسترون ما يحل بكم من الافتضاح، وقيل: أمرهم بذلك ليبين كذبهم وتمويههم، انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٢٠٣، والقرطبي ٧/ ٢٥٩.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لفظ: (المعاني) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٢٠٣، وفيه قال: (قال الواحدي: بل المراد ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: قلبوها عن صحة إدراكها بسبب تلك التمويهات) اهـ.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨، والرازي ١٤/ ٢٠٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٤١٦.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨.

وقال الزجاج: (أي استدعوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾. قال أهل التفسير: (وذلك أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً، فإذا هي حيات قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً)[٢].

قال أهل المعاني: (قوله: ﴿بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾، أي: عظيم الشأن عند من يراه من الناس بما يملأ الصدر بهوله ويوفي على غيره من السحر ببعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم).

١١٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾. قال ابن عباس: (يريد: وألهمنا موسى ﴿أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾)[٣]، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ أي: فألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾، وقرأ حفص[٤]: ﴿تَلۡقَفُ﴾ مخففاً.

قال ابن السكيت: (اللقف[٥] مصدر لقفْت الشيء ألقفه لقفاً إذا أخذته

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٦، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٦٣، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٥، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٧٩.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٠، وأخرج عن السدي وابن إسحاق والقاسم بن أبي بزة بسند جيد نحوه.
وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٠.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٤، عن الواحدي عن ابن عباس.

(٤) قرأ حفص عن عاصم: ﴿تَلۡقَفُ﴾ بإسكان اللام وتخفيف القاف، وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف. انظر: «السبعة» ص٢٩٠، و«المبسوط» ص١٤٨، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٣، و«التيسير» ص١١٢، و«النشر» ٢/ ٢٧١، وانظر في توجيه القراءات: «معاني القراءات» ١/ ٤١٨، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٠، و«الحجة» لابن زنجلة ص٢٩٢، و«الكشف» ١/ ٤٧٣.

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» ٢/ ٩٦٦، و«الصحاح» ٤/ ١٤٢٨، و«المجمل» ٣/ ٨١٢، و«المفردات» ص٧٤٤، و«اللسان» ٧/ ٤٠٦٢ (لقف).

فأكلته أو ابتلعته، ورجل ثقف لقف سريع الأخذ)[١].

وقال اللحياني: (ومثله ثقْف لَقْفٌ، وثَقِف[٢] لقف، وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة)[٣]. قال الفراء: (لقِفت الشيء ألقفه لقفاً ولقفاناً). قال: (وهو في التفسير يبتلع)[٤].

وقال الليث: (لقفني تلقيفاً فلقفته والتقفته وتلقفته)[٥].

وقال أبو عبيدة: (تلقف وتلقم واحد)[٦] وأنشد:

أنت عَصَا موسى التي لم تَزَلْ
تلقف ما يأْفِكُه السَّاحِرُ[٧]

قال ابن عباس في قوله: ﴿تَلْقَفُ﴾ (يريد: تبتلع)[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٨٨، وفيه: (ويقال: رجل ثقف لقف إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به) اهـ. وانظر: «إصلاح المنطق» ص٦٤.

(٢) في (أ): (وثقف ولقف)، وهو تحريف.

(٣) في «تهذيب اللغة» ١/ ٤٨٩: (روى أبو عبيد عن الأحمر، إنه لثَقْف لقْف، وثَقِف لَقِف، وثقيف لقيف بين الثقافة واللقافة) اهـ. وذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٤، عن اللحياني.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٠، و«تهذيب اللغة» ٧/ ٤٠٦٢.

(٥) «تهذيب اللغة» ٧/ ٤٠٦٢ وفيه: (لَقَّفَني تلقِيفًا فلقفْتُه والتَقفْتُه) اهـ، وفي «العين» ٥/ ١٦٤: (لقفني تلقيفًا فلقفته وتَلَقَّفْتُه والتَقفْتُه أعم) اهـ.

(٦) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٦٦، وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٥: (أي: تلهم ما يسحرون ويكذبون. أي: تلقمه) اهـ.

(٧) لم أقف على قائله وهو في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٦، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٤٦، والقرطبي ٧/ ٢٦٠، و«الدر المصون» ٥/ ٤١٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦ بسند جيد.

قال المفسرون: (لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾. معنى الإفك في اللغة: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذب: إفك؛ لأنه مقلوب عن وجهه[(٢)]. قال ابن عباس: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾[(٣)] (يريد: يكذبون)[(٤)].

وقال الزجاج: (معنى ﴿يَأْفِكُونَ﴾: يأتون بالإفك[(٥)]: وهو الكذب، وذلك أنهم زعموا أن عصيهم وحبالهم حيات، وكذبوا في ذلك، إنما جعلوا فيها الزئبق وصوروها بصور الحيات، فاضطرب الزئبق لأنه لا يستقر. قال الله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾)[(٦)] [طه: ٦٦].

١١٨- قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾. قال مجاهد: (ظهر)[(٧)]، وهو قول الحسن[(٨)] وغيره[(٩)]، وقال الفراء: (فتبين الحق من السحر)[(١٠)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢١. وقد أخرج عن قتادة والسدي وابن إسحاق، والقاسم بن أبي بزة، وابن عباس نحوه.

(٢) انظر: «العين» ٥/ ٤١٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٧٤، و«الصحاح» ٤/ ١٥٧٢، و«المجمل» ١/ ٩٩، و«مقاييس اللغة» ١/ ١١٨، و«المفردات» ص٧٩، و«اللسان» ١/ ٩٧ (إفك).

(٣) لفظ: (ما) ساقط من (ب).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٤.

(٥) في (ب): (يأتون في الأفك).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٦.

(٧) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٢، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٢ من عدة طرق جيدة.

(٨) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٤٦، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٩، والبغوي ٣/ ٢٦٥، والرازي ١٤/ ٢٠٥، عن مجاهد والحسن.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦ بسند جيد عن ابن عباس.

(١٠) «معاني الفراء» ١/ ٣٩١.

قال أهل المعاني: (الوقوع: ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره)(١).

قال المفسرون: (وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا وعادت إلى حالها الأولى ولم تُفقد، فلما فُقدت علموا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى، فذلك قوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢). ﴿مَا﴾ يجوز أن يكون بمعنى (الذي)، فيكون المعنى: بطل الحبال والعصي الذي عملوا به السحر، أي: زال وذهب بفقدانها، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر كأنه قيل: بطل عملهم(٣).

١١٩- قوله تعالى: ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: فرعون وملأه وجيشه)(٤)، ومعنى ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ذلك المجمع، وهو ظرف مبهم، و(هنا) و(هناك) و(هنالك) كقولك: (ذا) و(ذاك) و(ذلك)(٥)، ودخلت اللام في (هنالك) للدلالة على بعد المكان المشار إليه، كما دخلت في (ذلك) لبعد المشار إليه، فـ (هناك) لما بعد قليلاً، و(هنالك) لما كان أشد بعداً، والكاف للمخاطبة.

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٢٠٥.

(٢) هذا قول الفراء في «معانيه» ١/ ٣٩١.

(٣) انظر: «الفريد» ٢/ ٣٤٢، و«الدر» للسمين ٥/ ٤١٧، ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٠٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٦ بسند جيد.

(٥) انظر: «الكتاب» ٢/ ٧٨، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤١٨: (هنالك يجوز أن يكون مكانًا أي: غلبوا في المكان الذي وقع فيه سحرهم، وهذا هو الظاهر. قيل: ويجوز أن يكون زمانًا، وهذا ليس أصله، وقد أثبت له بعضهم هذا المعنى ..) اهـ. ملخصًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾، أي: انصرفوا ذليلين، والصاغر: الذليل من الصغر والصَغار، وقد ذكرنا ذلك[١].

١٢٠- قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: خروا لله عابدين سامعين مطيعين)[٢].

وقال مقاتل: (ألقاهم الله ساجدين)[٣].

وقال الأخفش: (من سرعة ما سجدوا كأنهم أُلقوا؛ لأنهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين، وكأن ملقياً ألقاهم)[٤].

وقال غيره[٥]: (ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات الله ﷻ؛ بأن دعاهم إلى السجود له).

١٢١- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قيل في التفسير: (إن موسى قال للسحرة: أتؤمنون بي إن غلبتكم؟ فقالوا: لنأتين اليوم بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتنا لنؤمنن بك، فلما غلبهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)[٦].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٦، وفي «تفسير مقاتل» ٢/ ٥٤: قال: (﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لله) اهـ.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٦١، والثعلبي ٦/ ٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٦، ولم أقف عليه في «معانيه».

(٥) هذا قول الطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٢، وانظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٤٦.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٢، عن ابن عباس، وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ.

١٢٢- قوله تعالى: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾. إنما خصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين؛ لأن فيه معنى الذي دعى إلى الإيمان به موسى وهارون، وقيل: خصهما بالذكر تفضيلاً وتشريفاً كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقيل في التفسير: (إنهم لما ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قال لهم فرعون: إياي يعنون. قالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾[(١)].

١٢٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾. قال الكلبي: (يقول: صدقتم بموسى من قبل أمري إياكم)[(٢)]. ونحو ذلك قال الفراء[(٣)].

وفي: ﴿ءَامَنتُم﴾ ثلاثة أوجه من القراءة[(٤)]: إحداها: تحقيق الهمزتين وهو مذهب أهل الكوفة، وأصل ﴿ءَامَنتُم﴾ أآمنتم على (أفعلتم) إحدى الهمزتين للإفعال، والثانية ألفان فخففت الثانية فدخلت هاهنا همزة الاستفهام واجتمعت مع همزة أفعل فحققهما الكوفيون، وقرأ أبو عمرو ونافع بهمزة بعدها ألف ممدودة تكون في التقدير ألفين، فالهمزة همزة الاستفهام، والألفان الأولى منهما الهمزة التي هي في[(٥)] أفعلتم خففت،

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٦١، والثعلبي ٦/ ٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٦٦.
(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٨، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٤٥، وذكره عن مقاتل الثعلبي ٦/ ٧ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٦.
(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٩١.
(٤) قرأ حفص عن عاصم: ﴿ءَامَنتُم﴾ بهمزة واحدة غير ممدودة على لفظ الخبر، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿أءامنتم﴾ بهمزتين، وقرأ الباقون: ﴿ءَآمَنتُم﴾ بهمزة واحدة ممدودة. انظر: «السبعة» ص٢٩٠، و«المبسوط» ص١٨٤، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٣، و«التيسير» ص١١٢، و«النشر» ١/ ٣٦٨.
(٥) لفظ: (في) ساقط من (ب).

والثانية[١] المنقلبة عن فاء الفعل.

وقرأ حفص ﴿أامنتم﴾ بلفظ الخبر من غير مد، ووجه[٢] الخبر أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقريع لهم[٣]، والإنكار عليهم، وكذلك أيضاً وجه الاستفهام يوبخهم به وينكره عليهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾. قال الكلبي: (الصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع)[٥]، أي: أنكم تواطأتم على هذا الأمر لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها وتتغلبوا عليها بسحركم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد تهدداً[٦] منه للذين آمنوا بالله)[٧].

قال أهل المعاني: (معنى التهديد في هذا اللفظ: أن فيه معنى أقدمتم بالجهل على سبب الشر، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما[٨] يظهر لكم مما[٩] يؤدي إليه إقدامكم على ما فعلتم، وهذا أبلغ من الإفصاح به)[١٠].

---

(١) في: (أ): (والثالثة)، وهو تحريف.

(٢) في (ب): (ولفظ الخبر).

(٣) لفظ: (لهم) ساقط من (ب).

(٤) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/٦٨-٧١. وانظر: «معاني القراءات» ١/٤١٩، و«إعراب القراءات» ١/٢٠١، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦١، ولابن زنجلة ص٢٩٣، و«الكشف» ١/٤٧٣.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/٢١٩، وابن الجوزي ٣/٢٤٣.

(٦) في (ب): (يريد تهديدًا).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) في (ب): (من).

(٩) في (ب): (ما).

(١٠) انظر: «تفسير الطبري» ٩/٢٣.

١٢٤- قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية. استعمل لفظ التقطيع ها هنا لمكان الأيدي وهي جمع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾. قال عبد العزيز بن يحيى: (على مخالفة، وهو أن يقطع من كل شق طرف كاليد اليمنى مع الرجل اليسرى)[١]. قال سعيد بن جبير: (وفرعون أول من فعل ذلك)[٢].

١٢٥- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾. هذا جواب السحرة لفرعون لما توعدهم بالقطع والصلب. قال ابن عباس في هذه الآية: (يريد: راجعون إلى ربنا بالتوحيد والإخلاص)[٣].

وقال غيره[٤]: (راجعون إلى ثواب ربنا وجنته، ولكنه فخم بالإضافة إلى الله، وهذا يدل على أنهم صبروا على وعيده بما توقعوا من الله تعالى من عظيم الثواب).

١٢٦- قوله[٥] تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾. يقال: نقمتُ أنقِم إذا بالغت في كراهية الشيء، وقد مرّ عند قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: ٥٩].

قال[٦] عطاء عن ابن عباس: (يريد: ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٧ بسند جيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٧ أ، وأخرجه الطبري ٩/ ٢٣ بسند لا بأس به عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٠.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٤، والسمرقندي ١/ ٥٦١.

(٥) في: (ب) (وقوله).

(٦) في: (ب) (وقال).

منك مكروهاً تعذبنا عليه ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾[١] .

وقال الضحاك: وما تطعن علينا[٢] ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾، أي: إلا إيماننا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾. يعنون: ما أتى به موسى من الآيات في العصا واليد، آمنوا بها أنها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا الله تعالى[٣].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، معنى الإفراغ في اللغة: الصّب، يقال: درهم مُفْرَغ إذا كان مصبوباً في قالب ليس بمضروب، وأصله من إفراغ الإناء؛ وهو صب ما فيه أجمع حتى يخلو الإناء، وهو من الفراغ، فاستعمل في الصب على التشبيه بحال إفراغ الإناء[٤] .

قال مجاهد: (اصبب علينا الصبر عند الصلب والقطع حتى لا نرجع كفاراً)[٥] .

وقال الزجاج: (أي: أنزل علينا صبراً يشتمل علينا)[٦]، وإنما ذكر لفظ الاشتمال لمعنى[٧] الإفراغ وهو أنك إذا صببت شيئاً على شيء شمله وعمّه.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٠، والرازي ١٤/ ٢٠٩، وذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٧ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٦ من قول عطاء فقط.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٧ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٦.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٤، والسمرقندي ١/ ٥٦١.

(٤) انظر: «العين» ٤/ ٤٠٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٧٧، و«الصحاح» ٤/ ١٣٢٤، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٩٣، و«المفردات» ص٦٣٢، و«اللسان» ٦/ ٣٣٩٦ (فرغ).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٣، والرازي ٤/ ٢٠٩.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٧، ومثله ذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٦٤.

(٧) في (ب): (بمعنى).

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾. قال مجاهد: (مخلصين بالعبادة)[١].
وقال ابن كيسان: (أي: على دين موسى)[٢].

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. هذا إغراء من الملأ وتحريض لفرعون على موسى، وإنكار أن يتركه مقيماً على مخالفته.

قال سعيد بن جبير: (كان فرعون قد ملئ رعباً من موسى، وكان إذا رآه بال كما يبول الحمار، ولم يعلم قوم فرعون ذلك الرعب من فرعون، فأنكروا عليه خلاف عادة الملوك في السطوة لمن خالف عليهم، وشقّ العصّا ولم يعلموا أنه غير قادر على قهره)[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: يعبدوا الله ويوحدوه)[٤].

وقال غيره: (أراد بالإفساد في الأرض دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته وتجهيلهم إياه)[٥]، وهذا راجع إلى ما قاله ابن عباس؛ لأن عبادة الله وتوحيده تتضمن مخالفة فرعون وتجهيله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾. قال ابن الأنباري: (إنه ينتصب على الصرف[٦] عن الأول، يراد به ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقد

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٩.
(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٤، ٢٥، والسمرقندي ١/ ٥٦٢، والماوردي ٢/ ٢٤٨.
(٦) واو الصرف: هي واو المعية عند الكوفيين. انظر: «معجم المصطلحات النحوية والصرفية» ص١٢٥.

ترك أن يطيعك وأن يعبد ألهتك). وهذا قول الفراء[١]، واحتج على هذا بقراءة أبيّ: (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركوا أن يعبدوك)[٢].

قال أبو بكر: (وقال بعض النحويين: الواو نائبة عن الفاء، والتقدير: فيذرك وآلهتك)[٣]، وهذا قول أبي إسحاق، قال: (نصب ﴿وَيَذَرَكَ﴾ على جواب الاستفهام بالواو، والمعنى: أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك موسى)[٤]. قال أبو بكر: (وحمله بعض الناس على إعراب (يُفسدوا)، وفي هذا بُعدٌ؛ لأن توحيده مع جمع (يفسدوا) يدل على انقطاعه منه)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾. قال أبو بكر: (كان ابن عباس ينكر قراءة العامة ويقرأ: (وإلاهتك) أي: عبادتك، ويقول:[٦] إن فرعون كان يُعبد

---

(١) انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٩١، وهو قول الطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٥.

(٢) ذكر القراءة أيضًا عن أبيّ: أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٢٧، والطبري في «تفسيره» ٩/ ٢٥، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٣٢، وابن عطية ٦/ ٤٢، والقرطبي ٧/ ٢٦٢، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٦٧، وجاء عند الجميع إلا النحاس: (وقد تركوك أن يعبدوك).

(٣) انظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٦٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢١، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤١٩-٤٢٠.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٧، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣٢.

(٥) قال ابن الأنباري في «الإيضاح» ٢/ ٦٦٣: (قال اليزيدي: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ منصوب على معنى: ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وليذرك وآلهتك) اهـ، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤٢٣: (في النصب وجهان: أظهرهما أنه على العطف على ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾، والثاني: النصب على جواب الاستفهام) اهـ.

(٦) أخرج الطبري ٩/ ٢٥، ٢٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ من طرق جيدة عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وإلاهتك﴾ بكسر الألف، وقال: (إنما كان فرعون يُعْبَدَ ولا يَعْبُد)=

ولا يَعبد)[١]، وبه قرأ الضحاك وابن مسعود والشعبي وابن أبي إسحاق[٢].

قال الزجاج: (والمعنى: ويذرك وربوبيتك فـ (إلاهتك) بمنزلة ربوبيتك)[٣]. وقرأ العامة ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ على جمع إله مثل إزار وآزرة، وقد مرّ مستقصًى شرحه في أول الكتاب[٤]، وعلى هذه القراءة فقد روي عن ابن عباس أنه قال: (كان فرعون صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٥] [النازعات: ٢٤]، ونحو ذلك قال الزجاج، فقال: (إن فرعون كان له أصنام يعبدها قومه تقرباً إليه)[٦].

= اهـ. وأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص١٧٢، القراءة بسند جيد، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٠٠.

(١) ذكره عن ابن الأنباري السمين في «الدر» ٥/ ٤٢٤، وانظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٢١١.

(٢) ذكرها الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٧ ب، ٦/ ٨ أ عن ابن مسعود وابن عباس وابن أبي إسحاق والضحاك والشعبي، وذكرها البغوي ٣/ ٢٦٧، و«الخازن» ٢/ ٢٧٣، عن ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك وذكرها عن ابن مسعود وابن عباس أكثرهم. انظر: «مختصر الشواذ» ص٥٠، و«المحتسب» ١/ ٢٥٦، وابن عطية ٦/ ٤٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٤، و«البحر» ٤/ ٣٦٧ وهي قراءة مجاهد كما أخرجه الطبري ٩/ ٢٦ بسند جيد.

(٣) لم أقف عليه في «معانيه»، وذكره عن الزجاج ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢٤٤.

(٤) انظر: «البسيط» تفسير البسملة من الفاتحة.

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٧ ب، وابن الجوزي ٣/ ٢٤٤، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢١ من رواية الكلبي عن ابن عباس.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٧.

وقال الحسن: (كان فرعون يعبد الأصنام)[١]، فعلى هذا كان يَعبد ويُعبد. وقال السدي: (كان يعبد ما يستحسن من البقر، وكانوا إذا رأوا بقرة حسناء، أمر قومه أن يعبدوها، وعلى ذلك أخرج السامري عجلاً)[٢]، ونحو هذا روي عن سليمان التيمي[٣].

وقوله تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ﴾. قال ابن عباس: (كان فرعون قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل، فلما أتاه موسى بالرسالة -وكان من أمره ما كان- أمر بإعادة القتل عليهم، فذلك قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾[٤].

قال أهل المعاني: (إنما دعي فرعون إلى قتل موسى، لكنه لم يطمع في ذلك لما رأى من قوة أمره وعلوّ شأنه، فعدل عن ذلك إلى إضعاف بني إسرائيل بقتل أبنائهم واستحياء نساءهم للمهنة والخدمة)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: وإنا على ذلك قادرون)[٦].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، وهم الذين اتبعوه وآمنوا به. قال ابن عباس: (لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل)، ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ (وذلك أنهم شكوا إلى موسى إعادة

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٢٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ من عدة طرق جيدة، وذكره الثعلبي ٦/ ٧ ب، والماوردي ٢/ ٢٤٨، والبغوي ٣/ ٢٦٧.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٢٥ بسند جيد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٣٨ بسند جيد، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ٦٥.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٨ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢١، والبغوي ٣/ ٢٦٧.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٤٨، والرازي ١٤/ ٢١١، ٢١٢.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢١.

قتل أبنائهم، فقال موسى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ على ما يفعل بكم). قاله ابن عباس[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾. هذا إطماع من موسى قومه في أن يورثهم الله أرض فرعون وقومه، أي: يعطيهم بعد إهلاكهم، وذلك معنى الإرث، وهو جعل الشيء للخلف بعد السلف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾. قال ابن عباس: (أي: الجنة لمن اتقى الله في الآخرة)[(٢)].

وقال غيره: (العاقبة[(٣)] هاهنا النصر والظفر)[(٤)]، ومعنى العاقبة: ما تؤدي إليه البادئة[(٥)] من خير أو شر، إلا أنه إذا قيل: العاقبة له فهو في الخير[(٦)].

١٢٩- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا﴾. قال ابن عباس: (أي: بالقتل الأول، ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا﴾ بالرسالة، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ بإعادة القتل

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٧-٢٦٨، وأخرج الطبري ٩/ ٢٧ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل) اهـ.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١١٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢١.

(٣) في: (ب) (وقال غيره معنى العاقبة)، وهو تحريف.

(٤) هذا قول الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٧، وانظر: «الماوردي» ٢/ ٢٤٩، والظاهر من الآية مجموع الأمرين النصر والظفر والجنة.

(٥) في: (ب) (التادية).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٠٤، و«اللسان» ٥/ ٣٠٢٢ (عقب)، وقال الراغب في «المفردات» ص٥٧٥: (العاقبة إطلاقها يختص بالثواب وبالإضافة قد تستعمل في العُقوبة) اهـ.

عليهم والإتعاب في العمل). ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، قال[١]: (وعسى من الله واجب)[٢]، قال سيبويه: (عسى[٣] طمع وإشفاق)[٤]. قال الزجاج: (وما يطمع الله ﷻ فيه فهو واجب، وهو معنى قول المفسرين: عسى من الله واجب)[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، يعني: فرعون وقومه. ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: (يملككم ما كان يملك فرعون)[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾. قال أبو إسحاق: (أي: يرى ذلك بوقوع ذلك منكم؛ لأن الله لا[٧] يجازيهم على ما يعلمه منهم، إنما يجازيهم على ما يقع منهم)[٨]، وهذه الآية تسلية من موسى لقومه بما وعدهم عن ربه من إهلاك فرعون وقومه وجعلهم بدلاً منهم ليعملوا بطاعته، ثم حقق الله ذلك، فغرق فرعون وقومه واستخلفهم في ديارهم وأموالهم.

---

(١) لفظ: (قال) ساقط من (ب).

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٠، وأخرج البيهقي في «سننه» ٩/ ١٣ بسند جيد عنه قال: (كل عسى في القرآن فهي واجبة) اهـ. وذكره السيوطي في «الإتقان» ٢/ ٢٤١.

(٣) في (ب): (وعسى).

(٤) «الكتاب» ٤/ ٢٣٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٧، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٥.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٢ بلا نسبة، ونقل ابن الجوزي ٣/ ٢٤٦ عن ابن عباس أنه قال: (أرض مصر) اهـ.

(٧) لفظ: (لا) ساقط من (ب).

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٧.

١٣٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ﴾ الآية. السنين: جمع السنة[١]، وقد ذكرنا[٢] كيف كانت السنة في الأصل والاختلاف فيها عند قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

قال أبو علي الفارسي: (السنة على معنيين؛ أحدهما: يراد بها الحول والعام، والآخر: يراد بها الجدب، وهو[٣] خلاف الخصب، فمما أريد به الجدب هذه[٤] الآية، وقوله ﷺ: «**اللهم سنين كسني يوسف**»[٥]، وقول عمر ﷺ: (إنا لا نقطع في عام السنة)[٦]. أي: في عام الجدب.

---

(١) انظر: «العين» ٤/ ٨، و«الجمهرة» ١/ ١٣٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٣٥، و«المجمل» ٢/ ٤٧٤، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٠٣، و«المفردات» ص٤٢٩، و«اللسان» ٤/ ٢١٢٧ (سنة).

(٢) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ١٥٦ أ.

(٣) لفظ: (هو) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (في هذه الآية).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الاستسقاء، باب دعاء النبي ﷺ رقم (١٠٠٦)، ومسلم رقم (٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب المساجد، باب: استحباب القنوت، وأخرجه البخاري برقم (٤٨٢١) كتاب التفسير، باب: يغشى الناس في تفسير سورة الدخان، ومسلم رقم (٢٧٩٨) كتاب صفة الجنة والنار، باب: الدخان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٦) الأثر أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١٠/ ٢٤٢، وابن أبي شيبة ٥/ ٥١٦ (٢٨٥٧٧) بسند ضعيف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لا يقطع في عذق، ولا في عام السنة) اهـ، وأورده الحافظ في «تلخيص الحبير» ٤/ ٧٠ وقال: (أخرجه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني في «جامعه» عن أحمد بن حنبل وقال: سألت أحمد عنه فقال: العذق النخلة وعام سنة عام المجاعة، فقلت لأحمد تقول به؟ قال: إي لعمري) اهـ، وذكره الألباني في «إرواء الغليل» ٨/ ٨٠ وقال: (ضعيف أخرجه ابن أبي شيبة) اهـ.

وقول حاتم[١]:

فإنَّا نُهِينُ المالُ مِنْ غَيْرِ ظِنَّهِ ... ولا يَشْتَكِينا في السنينَ ضَرِيرُها

أي: لا يشتكينا الفقر في المحل لأنا نسعفه ونكفيه، ولما كانت السنة يعنى بها الجدب اشتقوا منها كما يشتق من الجدب فقيل: أسنتوا كما يقال: أجدبوا)[٢]. قال الشاعر[٣]:

وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وقالوا في جمع السنة: سنون وسنين، وإنما جمعت هذا الجمع للنقصان الذي لحقها، وقد مرّ بيان هذا في هذا الكتاب[٤].

قال أبو زيد: (وبعض العرب يقول: هذه سنين ورأيت سنيناً فيعرب النون)[٥].

---

(١) «ديوانه» ص٦٢، و«البحر المحيط» ٤/ ٣٦٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٢٧، وفي الديوان (وما) بدل (ولا).

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٦٩-٣٧٢.

(٣) الشاهد لعبد الله بن الزِّبَعْرَى في «ديوانه» ص٥٣، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٥٨ (هشم)، والقرطبي ٧/ ٢٦٤، و«اللسان» ٤/ ٢١١١ (سنن)، ولمطرود بن كعب الخزاعي في «الاشتقاق» ص١٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٦٤ (هشم) ولبنت هاشم بن عبد مناف في «العين» ٣/ ٤٠٥، و«المبهج» لابن جني ص٦٠، و«اللسان» ٨/ ٤٦٦٨ (هشم) وبلا نسبة في «النوادر» لأبي زيد ص١٦٧، و«الكامل» للمبرد ١/ ٢٠٩، و«المقتضب» ٢/ ٣١١، ٣١٥، و«سر صناعة الإعراب» ٥٣٥، والرازي ١٤/ ٢١٤، و«البحر» ٤/ ٣٦٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٢٧، وصدره:

عَمْرُو العُلاَ هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ

وعمرو هو ابن هاشم جد النبي ﷺ سمي هاشمًا؛ لأنه هشم الخبز فجعله ثريدًا، ومسنتون: أي أصابتهم سنة وقحط وعجاف: هزل وضعف. انظر: «حاشية ديوان عبد الله بن الزبعرى» ص٥٢-٥٤.

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٧٣ أ و ١٥٦ أ.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٨٢ وزاد: (وبعضهم يجعلها نون الجمع فيقول: هذه سنون، =

ونحو ذلك قال الفراء[١]؛ فمن ذلك قول الشاعر[٢]:

دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنَّ سِنِينَهُ
لَعِبْنَ بِنَا شِيبًا وَشَيَّبْنَنَا مُرْدًا

وقال أبو إسحاق: (السنين في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، [ومعناه: جدب السنة][٣] وشدة السنة)[٤].

قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾، (يريد: بالجوع)[٥].

وقال الفراء: (﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ بالقحط والجدوبة عاماً بعد عام)[٦].

قال ابن عباس[٧] وقتادة[٨] والمفسرون[٩]: (السنون لأهل البوادي، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأهل القرى).

= ورأيت سنين، وهذا هو الأصل لأن النون نون الجمع والسنة سنة القحط) اهـ.

(١) «معاني الفراء» ٢/ ٩٢ وفيه: (وهي لغة كثيرة في أسد وتميم وعامر وأنشدني بعض بني عامر) ثم ذكر الشاهد.

(٢) الشاهد للصمة بن عبد الله القشيري في «ديوانه» ص٦٠ وبلا نسبة في «مجالس ثعلب» ص١٤٧، ٢٦٦، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ٣٧٤، و«التكملة» لأبي علي ص٥٠٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٦١، والرازي ١٤/ ٢١٤، و«اللسان» ٧/ ٤٣٤٦ (نجد)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٢٦، والشاهد: (فإن سنينه) حيث نصب سنين بالفتحة ولم يعاملها معاملة المذكر السالم في نصبها بالياء انظر: «الخزانة» ٨/ ٥٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٨ وفيه: (وشدة السنة ونقص الثمرات) اهـ.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٠ وفيه: (بالقحط والجوع عامًا بعد عام) اهـ.

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٢.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٢٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٢ بسند جيد.

(٩) انظر: «الكشف» للثعلبي ٦/ ٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٨، والرازي ١٤/ ٢١٤.

وقال الزجاج: (إنما[1] أخذوا بالضر لأن أحوال الشدة ترق القلب وترغب فيما عند الله وفي الرجوع، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾)[2] [فصلت: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: كي تتعظوا)[3].

وقال أهل المعاني: (في (لعل) من الله تعالى أن معناه: أنه عاملهم معاملة الشاك إظهاراً للعدل بعد معرفته وعلمه أنَّهم يذّكرون أم لا. كما جاء الابتلاء والاختبار من الله تعالى للعبد على هذا التقدير)[4].

١٣١- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، قال ابن عباس[5] والمفسرون[6]: (معنى ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ يريد بها: الغيث والخصب والثمار والمواشي والألبان والسعة في الرزق، والعافية والسلامة).

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾. أي: أنَّا مستحقوه[7] على العادة التي

---

(١) في (ب): (وإنما).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) نقل هذا القول الرازي ١٤/ ٢١٥، عن الواحدي، وقال الطبري ٩/ ٢٨ في تفسير الآية: (يقول: عظة لهم وتذكيرًا لهم لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة) اهـ، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٦٧.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٠، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢١٥.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٩، وأخرج عن مجاهد وابن زيد من طرق جيدة نحوه، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٣، والثعلبي ٦/ ٩ أ، والماوردي ٢/ ٢٥١.

(٧) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٧٩، و«تأويل مشكل القرآن» ص٣٩١.

جرت لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه، ويقوموا بحق النعمة فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يريد: القحط والجدب والمرض والبلاء والضرّ، ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾، أي: يتشاءموا، وقالوا: إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه، والتطير: التشاؤم في قول جميع المفسرين(١).

وقوله تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ هو في الأصل يتطيروا، فأدغمت التاء في الطاء؛ لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: (يريد شؤمهم عند الله)(٣)، يريد من قبل الله، أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله وجرأتهم(٤) عليه.

وقال الكلبي: (يقول إن الذي أصابهم هو من الله)(٥)، وهذا قول

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٩، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٥٦٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٣، والثعلبي ٦/ ٩أ، والماوردي ٢/ ٢٥١.

(٢) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٦٨.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٣، والبغوي ٣/ ٢٦٩ بلفظ: (شؤمهم عند الله ومن قبل الله). وأخرج الطبري ٩/ ٣٠ بسند جيد عن ابن عباس قال: (يقول مصائبهم عند الله) اهـ. وفي رواية قال: (الأمر من قبل الله) اهـ، وذكره الثعلبي ٦/ ٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٦٩ عنه أنه قال: (طائرهم ما قضى الله عليهم وقدر لهم) اهـ.

(٤) في (ب): (وجرأتهم على الله عليه)، وهو تحريف.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٠.

أكثر المفسرين[١] في الطائر أن معناه هاهنا: الشؤم، ومثل هذا قوله تعالى في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧].

قال الفراء: (كما تشاءمت اليهود بالنبي ﷺ بالمدينة، فقالوا[٢]: غلت أسعارنا، وقلت أمطارنا مُذْ أتانا)[٣].

قال الأزهري: (وقيل للشؤم: طائر وطَيْر وطِيَرة؛ لأن العرب كانْ من شأنها عِيَافَةُ الطير وزجرها، والتَّطيُّر ببارحها، وبِنَعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها، فَسَمَّوا الشؤم طَيْراً وطائِراً وطِيَرَة لتشاؤمهم بها.

ثم أعلم الله تعالى على لسان رسوله أن طِيَرَتهم باطلة فقال: «**لا طِيَرة ولا هام**»[٤]، وكان النبي ﷺ[٥] يتفاءل ولا يَتَطير[٦]، وأصل الفأل الكلمة

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٩، ٣٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٨-٣٦٩، والنحاس ٣/ ٦٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٣، والماوردي ٢/ ٢٥١.

(٢) لفظ: (فقالوا) ساقط من (أ).

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٢.

(٤) حديث متفق عليه. أخرجه البخاري رقم (٥٧٧٠) كتاب الطب، باب: لا هامة، ومسلم رقم (٢٢٢٠) كتاب السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» اهـ. والهامة: طائر معروف. وقيل إن عظام الميت وروحه تنقلب هامة تطير، والصفر: داء يأخذ البطن. انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» ١٤/ ٣١٠.

(٥) في (أ): (عليه السلام).

(٦) أخرج البخاري رقم (٥٧٥٧) كتاب الطب، باب: الفأل. ومسلم رقم (٢٢٢٣-٢٢٢٤) كتاب السلام، باب: الطيرة والفال، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: =

الحسنة يَسمعُها عليل فيتأول فيها ما يدل على برئه، والطيرة مضادة للفأل، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطِّيَرة واحد[١]، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه، وأبطل الطِّيَرة ونهى عنها)[٢].

وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾: (أي: حظهم)[٣]، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس أنه قال: (طائرهم ما قُضِي عليهم وقُدر لهم)[٤].

والعرب تقول: أطرت المال وَطيَّرته بين القوم فَطَار لكل[٥] منهم سَهْمُه، أي: صار له[٦]. ومنه الحديث: «أطره خُمراً بين نسائك»[٧] أي:

= «لا طيرة وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم». وفي رواية لمسلم قال: «أحب الفأل الصالح» وأخرجا عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة» اهـ.

(١) في (أ): (واحدًا).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٠ (طير).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٦ وفيه: (مجازه إنما طائرهم وتزاد (ألا) للتنبيه والتوكيد، ومجاز طائرهم حظهم ونصيبهم) اهـ.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب): (فطار لكل واحد منهم سهمه).

(٦) النص من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٠.

(٧) أخرج مسلم في «صحيحه» رقم (٢٠٧١) كتاب اللباس والزينة، باب: استعمال إناء الذهب والفضة، وأبو داود ٤/ ٣٢٢ رقم (٤٠٤٣)، والنسائي ٨/ ١٩٧-١٩٨ كتاب الزينة، باب: ذكر الرخصة للنساء في لبس السيراء، وباب النهي عن لبس الإستبرق، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أهديت لرسول الله ﷺ حلة سيراء فبعث بها إلي فلبستها، فعرفت الغضب في وجهه فقال: «إني لم أبعثها إليك لتلبسها، إنما بعثت بها إليك لتشققها خمرًا بين النساء». وفي رواية: (فأمرني =

فرقة، وطائر كل واحد ما يطير له أي: يخصه، ومنه قول لبيد:

تَطِيرُ عَدَائِدُ الأشْرَاكِ شَفْعاً وَوِتْراً والزَّعَامَةُ لِلْغُلَامِ[١]

الأشراك: الأنصباء واحدها شرك أي: قسم المال للذكر مثل حظ الأنثيين فطارت الأنصاب شفعاً ووتراً لمستحقيها، وخلصت الرئاسة للذكور من الأولاد[٢]، وليس هذا من باب الشؤم والتطير في شي، وكلا القولين قد حكاه الزجاج؛ فقال في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: (ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا[٣] ما ينالهم في الدنيا).

[قال: (وقال بعضهم[٤]: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ حظهم، والمعنى واحد)[٥]، فجعل تفسير قوله: ﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾ ما وعدوا في الآخرة مما ينالهم في الدنيا][٦]، يريد: أن جميع ما يصيبهم في الدنيا والآخرة هو من الله تعالى، وجعل معنى القولين في الطائر واحداً وإن اختلف الأصلان؛ لأن المعنى فيهما: ما يصيبهم من شرّ وضرّ.

= فأطرتها بين نسائي) اهـ. وحلة سيراء: أي: مضلعة بالحرير، وأطرتها: أي قسمتها بأن شققتها بينهن، أفاده الخطابي في «حاشية سنن أبي داود».

(١) «ديوانه» ص٢٠٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٠، و«الدر المصون» ٥/ ٤٢٩، وتطير: أي تخرج، والعدائد: المال والميراث وقيل: الأنصباء. والأشراك: الشركاء، والزعامة: الرياسة والحظ من المغنم.

(٢) هذا من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٠.

(٣) في النسخ: (إلى ما ينالهم في الدنيا)، وهو تحريف.

(٤) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٦.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. قال الكلبي[١]: (يعني: أهل مصر لا يعلمون أن الذي أصابهم من الله تعالى[٢]).

١٣٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: آل فرعون لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا﴾؛ اختلف النحويون[٣] في أصل ﴿مَهْمَا﴾ على قولين:

أحدهما: أن أصلها (ما ما) الأولى هي (ما) الجزاء، والثانية: هي التي[٤] تزاد توكيداً للجزاء، كما تزاد في سائر حروف الجزاء كقولهم: أمَّا ومتى وكيفما[٥]، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] وهو كقولك: إن تثقفنهم، ثم أبدلوا من ألف (ما) الأولى هاء[٦] كراهة لتكرار اللفظ فصار (مهما)، هذا قول الخليل[٧] ومذهب البصريين.

وقال الكسائي: (الأصل مه[٨] التي بمعنى: الكف، أي: اكفف دخلت على (ما) التي للجزاء كأنهم قالوا: اكفف ما تأتنا به من آية)[٩].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٥٣٢، و«الأصول» لابن السراج ٢/ ١٥٩و ٢٢٠، و«حروف المعاني» للزجاجي ص٢٠، و«الصاحبي» ص٢٧٥، و«مغني اللبيب» ١/ ٣٣٠.

(٤) لفظ: (التي) ساقط من (ب).

(٥) في النسخ: (كقولهم: أما، ومتى ما وكيفما). وأصل النص في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٦٠ وفيه: (مثل إنما ومتى وكيفما).

(٦) في (ب): (ما)، وهو تحريف.

(٧) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥٩-٦٠، و«العين» ٣/ ٣٥٨.

(٨) في (ب): (الأصل فيه التي بمعنى الكف)، وهو تحريف.

(٩) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ٩ ب عن الكسائي، وقال سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٦٠ بعد ذكر قول الخليل السابق: (وقد يجوز أن يكون مَهْ كإذ ضم إليها ما) اهـ.

قال الزجاج: (والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس)[١]. وقال بعضهم: (هي كلمة على حيالها يجازى بها فيجزم ما بعدها على تقدير إن)[٢].

١٣٣- قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾. اختلفت الرواية عن ابن عباس في تفسير ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾؛ فقال في رواية عطاء: (الموت[٣])[٤] قال: (وكل طوفان في القرآن هو الغرق سوى هذا)[٥]. وهو قول مجاهد[٦].

وروي ذلك مرفوعاً، أخبرناه العروضي رحمه الله قراءة وسعيد بن العباس القرشي[٧] كتابة قالا: أبنا[٨] الأزهري، أبنا المنذري عن أبي بكر الخطابي[٩] عن محمد بن يزيد[١٠]، عن يحيى بن يمان[١١] عن المنهال بن

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦٩، ونحوه قال الأزهري في (تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٦٠ قال: (والقول الأول أقيس) اهـ. وانظر: «البيان» ١/ ٣٧١، و«التبيان» ص٣٨٧.

(٢) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣٣، و«المشكل» ١/ ٢٩٩، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤١٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣١.

(٣) في (ب): (هو الموت).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وإنما ذكره أكثرهم من قول عطاء بن أبي رباح، وقد أخرجه الطبري ١٣/ ٥١ من عدة طرق جيدة عن عطاء، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ٦٩، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٩ ب، والماوردي ٢/ ٢٥١ عن عطاء.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٤، وأخرجه الطبري ٩/ ٣١ من عدة طرق جيدة.

(٧) لفظ: (القرشي) ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (أخبرنا الأزهري أخبرنا المنذري).

(٩) لم أستطع معرفته بعد طول بحث.

(١٠) محمد بن يزيد بن كثير العجلي أبو هشام الرفاعي الكوفي، قاضي المدائن، إمام، فقيه، مقرئ، محدث، صدوق، فيه لين. توفي سنة ٢٤٨هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ١٢٩، و«تاريخ بغداد» ٣/ ٣٧٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ١٥٣، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٦٨، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٧٣٥.

(١١) يحيى بن يمان العجلي أبو زكريا الكوفي، إمام، عابد، مقرئ، محدث، =

خليفة[١] عن الحجاج[٢] عن الحكم بن ميناء[٣] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الطوفان الموت**»[٤].

وقال في رواية الضحاك[٥]: (الطوفان الغرق).

= صدوق، يخطئ، وتغير بآخر عمره. توفي سنة ١٨٩هـ.

انظر: «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٢٠، و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ٣٥٦، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٤١٦، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٠١.

(١) المنهال بن خليفة العجلي، أبو قدامة الكوفي، ضعيف، روى عن عطاء بن أبي رباح، وحجاج بن أرطاة وغيرهما، وروى عنه وكيع وعبد الله بن المبارك وغيرهما.

انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٥٧، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ١٩١، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١٦٢، و«تقريب التهذيب» ص٥٤٧ (٦٩١٧).

(٢) حجاج بن أرطاة بن ثور النخعي أبو أرطاة الكوفي، القاضي، إمام، فقيه، صدوق، كثير الخطأ والتدليس، توفي سنة ١٤٥هـ.

انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ١٥٣، و«تاريخ بغداد» ٨/ ٢٣٠، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٦٨، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٤٥٨، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٥٦.

(٣) الحكم بن ميناء الأنصاري المدني من أولاد الصحابة، روى عن بلال وعائشة وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم، وهو إمام ثقة. انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ١٢٧، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٧٠، و«تقريب التهذيب» ص١٧٦ (١٤٦٣).

(٤) هذا حديث ضعيف، أخرجه الطبري ٩/ ٣١، ٣٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٤، والأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٦٨، وقال: (هو حديث غريب)، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥١٩ وزاد نسبته (إلى أبي الشيخ وابن مردويه). وضعفه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في «حاشية الطبري» لضعف المنهال بن خليفة العجلي.

(٥) قوله: وقال، أي: ابن عباس رضي الله عنهما وقد أخرجه الطبري ٩/ ٣١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٥ بسند ضعيف.

وقال في رواية أبي ظبيان[١]: (الطوفان أمر من أمر الله [طاف][٢] بهم). ثم قرأ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾[٣] [القلم: ١٩].

وروي عنه أيضاً أنه قال: (الطوفان هو الماء؛ أرسل الله عليهم السماء)[٤]، وهذا القول اختيار الفراء فقد قال: (أرسل الله عليهم [السماء][٥] سبتاً[٦] فلم تقلع ليلاً ولا نهاراً، فضاقت بهم الأرض من تهدم بيوتهم وشغلهم عن ضياعهم فسألوه أن يرفع عنهم فرفع فلم يتوبوا)[٧]، وهذه الأقوال غير خارجة عن مذهب أهل اللغة[٨]؛ فقال الليث[٩]: (الطوفان الماء الذي يغشى كل مكان، وشبه العجاج ظلام الليل بذلك فسماه طوفاناً حيث يقول:

وَعَمَّ طُوفَانُ الظَّلامِ الأَثْأَبَا[١٠]

(١) أبو ظبيان هو حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث الجنبي الكوفي، إمام، تابعي، ثقه، فقيه، روى عن جرير بن عبد الله، وأسامة بن زيد، وابن عباس وغيرهم، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٢٢٤، و«الجرح والتعديل» ٣/ ١٩٠، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٣٦٢، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٤١.

(٢) لفظ: (طاف) ساقط من (أ).

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٣١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٤ بسند لا بأس به.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٣٢، ص٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٥ من عدة طرق جيدة.

(٥) لفظ: (السماء) ساقط من (ب).

(٦) أي أسبوعًا من السبت إلى السبت.

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٢.

(٨) انظر: «المنجد» لكراع ص٢٥٥، و«البارع» ص٦٨٢، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٧، و«المجمل» ٢/ ٥٨٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٢، و«المفردات» ص٥٣٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٢٣ (طوف).

(٩) النص في «العين» ٧/ ٤٥٨.

(١٠) «ملحق ديوان العجاج» ٢/ ٢٦٨، و«المنجد» ص٢٥٥، و«البارع» ص٦٨٢، =

وقال أبو إسحاق: (الطوفان من كل شيء ما كان كثيراً محيطاً مطيفاً بالجماعة كلها كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة، يقال له: طوفان، وكذلك القتل الذريع طوفان، والموت الجارف طوفان)(١) انتهى كلامه.

وهو فعلان(٢) من الطواف(٣)؛ لأنه يطوف حتى يعم، قاله الأخفش، قال: (وواحدته في القياس طوفانة)(٤). وأنشد:

غَــيَّــرَ الْــجِــدَّةَ مِــن آيَــاتِــهَــا خُــرُقُ الـرِيـحِ وطُـوفَـانُ الـمَـطَـرْ(٥)

وقال أبو العباس: (الطوفان مصدر مثل الرجحان والنقصان، ولا حاجة به إلى أن نطلب له واحداً)(٦).

وأكثر المفسرين على أن معناه هاهنا: المطر الكثير(٧)، فقد قال ابن

= و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٧، و«المجمل» ٢/ ٥٨٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٢٤ (طوف)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣٣، وأوله:

حتَّى إذا مَا يَوْمُـهَا تَـصَبْـصَبَا

وفي «العين» قال: (الأثأب: شجر شبه الطرفاء إلا أنه أكبر منه) اهـ.

(١) «معاني الزجاج» ٤/ ١٦٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤.

(٢) وعليه يكون اسم جنس كقمح وقمحة وشعير وشعيرة، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ٤٣٢.

(٣) في (ب): (من الطوف)، وهو تحريف.

(٤) «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٨ وزاد فيه: (وهي من طاف يطوف) اهـ.

(٥) البيت لحسيل بن عرفطة الأسدي، شاعر جاهلي، في «النوادر» لأبي زيد ص٧٧، و«تفسير الطبري» ٩/ ٣٢، والماوردي ٢/ ٢٥٢، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٧، و«المنصف» ٢/ ٢٢٨، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ٤٩، و«اللسان» ٥/ ٢٧٢٤، و«البحر» ٤/ ٣٧٣، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣٣.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٤، وجعله السمين في «الدر» ٥/ ٤٣٢، من قول المبرد في آخرين.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٦، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٦٩، و«تفسير المشكل» ص٨٦.

عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق[١]: (لما أبى[٢] فرعون وقومه الإيمان دعا عليهم موسى، فقال: يا رب إن عبدك فرعون بغى وعتا، وإن قومه قد نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة، فأرسل الله عليهم السماء بالماء فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، ودام ذلك عليهم سبعة أيام، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا فنؤمن لك، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا، فأنبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع، فقالوا: هذا ما كنا[٣] نتمنى وما كان ذلك الماء إلا نعمة علينا، فبعث الله عليهم الجراد) وهو معروف، والواحدة: جرادة[٤] ونبت مجرود قد أكل الجراد زورقه[٥].

[وقال اللحياني: (أرض جَرِدَة ومَجرُودَة قد لحسها الجراد)[٦] وإذا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٣٤، من عدة طرق جيدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٤، بسند جيد عن قتادة.

(٢) في (ب): (لما أتى)، وهو تصحيف.

(٣) لفظ: (كنا) ساقط من أصل (أ)، وملحق بالهامش.

(٤) الذكر والأنثى فيه سواء يقال: جرادة ذكر وجرادة أنثى، كنملة وحمامة، مشتق من الجَرْد، أفاده السمين في «الدر» ٥/ ٤٣٤.

(٥) زورقه: أي: خضرته، انظر: «اللسان» ٣/ ١٨٢٧ (زرق).
وفي أصل (أ): (زورقها ثم صحح إلى زورقه)، ولعله ورقه، وفي (ب): (ونبت مجرود قد أكل الجراد والزرع) اهـ. وعند الرازي ١٤/ ٢١٨: (ونبت مجرود قد أكل الجراد ورقه) اهـ.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٧٣ (جرد).

أصاب الجراد الزرع][1] قيل: جُرِد الزرع، وأصل هذا كله من الجَرْد وهو: أخذك الشيء من الشيء جرفاً وسحقاً، ومن هذا يقال للثوب الذي قد ذهب زِئْبِرُه[2]: جَرْد، وأرض جَرْداء: لا نبات فيها، ومكان أجْرَد[3].

قالوا: (فأكلت الجراد عامة زروعهم[4] وثمارهم حتى إن كانت لتأكل الأبواب والسقوف حتى تقع دورهم ولا تدخل بيوت بني إسرائيل فعجّوا وأعطوا موسى عهد الله لئن كشف الله ذلك أن يؤمنوا، فدعا موسى فكشف الله الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام، وكان قد بقيت من غلاتهم بقية. فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا، فبعث الله عليهم القُمّل).

واختلفوا فيه. فقال ابن عباس في رواية عطاء: (هو الدبى)[5] [ومثل ذلك روى الوالبي عنه[6].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الزئبر، بالكسر مهموز: ما يعلو الثوب الجديد ويظهر من درز الثوب. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٩٩ (زأبر).

(٣) انظر: «العين» ٦/ ٧٥-٧٧، و«المنجد» ص١٦٥، و«الجمهرة» ١/ ٤٤٦، و«الصحاح» ٢/ ٤٥٥، و«المجمل» ١/ ١٨٦، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٥٢، و«المفردات» ص١٩١، و«اللسان» ١/ ٥٨٧ (جرد).

(٤) في (ب): (زرعهم).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٨ من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٣٢، ٣٣ من عدة طرق جيدة عن علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي، والضحاك عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٦ من طرق عن عكرمة والضحاك عن ابن عباس.

وهو قول مجاهد[١] والسدي وقتادة[٢] والكلبي[٣] قالوا: (القمل الدبى[٤]: الصغار التي لا أجنحة لها][٥]).

وقال عكرمة: (هي بنات الجراد)[٦]. وهذا القول هو اختيار الفراء قال: (القُمّل الدبا التي لا أجنحة لها)[٧].

وقال[٨] في رواية سعيد بن جبير: (القُمّل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة). وهو قول الحسن وسعيد بن جبير قالا[٩]: (القُمّل: دواب سود صغار)[١٠]. وهو قول الليث في القُمَّل. قال: (هو الذّر الصغار)[١١].

---

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٤.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة والسدي، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٤ بسند جيد عن قتادة.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢١. وذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٣٨-٣٩، والثعلبي ٦/ ١٠ أ، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٨، والبغوي ٣/ ٢٧٠.

(٤) الدبى: قال في «اللسان» ٣/ ١٣٢٥ (دبى): (الدبى الجراد قبل أن يطير، وقيل: هو أصغر ما يكون من الجراد والنمل، وقيل: هو نوع يشبه الجراد) اهـ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ بسند ضعيف.

(٧) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٢، وانظر: «الزاهر» ١/ ٢٢٢.

(٨) قوله: (وقال) أي ابن عباس، وقد أخرجه الطبري ٩/ ٣٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٧ بسند جيد عنه.

(٩) في (ب): (قال)، وهو تحريف.

(١٠) أخرجه الطبري ٩/ ٣٣ بسند ضعيف عن سعيد بن جبير والحسن، وأخرجه الطبري ٩/ ٣٣، عن سعيد بن جبير بسند جيد من وجه آخر.

(١١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٤٧، وانظر: «العين» ٥/ ١٧٦.

وقال ابن السكيت: (القُمَّل شيء يقع في الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهي غضة قبل أن تخرج، فيطول الزرع ولا سنبل له)(١)، [قال](٢) الأزهري: (وهذا هو الصحيح)(٣). وذكره عطاء(٤).

قالوا: (فتتبع القُمّل ما بقي من حروثهم وأشجارهم فأكله ولحس الأرض كلها) هذا على قول من قال: إنه الدبى، ومن قال: إنه السوس، فقال سعيد بن جبير: (كان الرجل يخرج عشرة أقفزة(٥) إلى الرحى فلا يرد منها إلا ثلاثة أقفزة).

وقال أبو عبيدة(٦) والأخفش(٧): (القُمل عند العرب: الحمنان وهي ضرب من القردان). وروى أبو عبيد عن أبي الحسن العدوي(٨): (القمل

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٤٧.

(٢) لفظ: (قال) ساقط من (ب).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٤٧، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٩٧٤، و«الصحاح» ٥/ ١٨٠٥، و«المجمل» ٣/ ٧٣٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٩، و«المفردات» ص٦٨٤، و«اللسان» ٦/ ٣٧٤٣ (قمل).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٤٧، والثعلبي ٦/ ١٠ أ، والبغوي ٣/ ٢٧٠ عن عطاء الخرساني قال: (هو القَمْل) اهـ.

(٥) القفيز: من المكاييل معروف، وهو مكيال تتواضع الناس عليه. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٧٠١ (قفز)، والأثر أخرجه الطبري ٩/ ٣٤ بسند جيد فيه: (فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة) اهـ.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٦.

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ١٠ أ عن الأخفش ولم أقف عليه في «معانيه».

(٨) أبو الحسن الأعرابي العدوي، لعله علي بن الحسن بن عبيد بن محمد الشيباني أبو الحسن المعروف بابن الأعرابي البغدادي، صاحب أدب ورواية للأخبار، روى عن أبي خالد يزيد بن يحيى الخزاعي وأبي العتاهية الشاعر وغيرهم، انظر: «تاريخ بغداد» ١١/ ٣٧٣، و«اللباب» لابن الأثير ١/ ٧٤.

دواب صغار من جنس القردان إلا أنها أصغر منها، واحدتها قُمَّلة)[١] ويؤكد هذا القول ما روي عن أبي العالية[٢] في تفسير هذا الحرف قال: (أرسل الله الحمنان على دوابهم فأكلها حتى لم يقدروا على الميرة)[٣].

قالوا: (وكان القمل يدخل[٤] بين ثوب أحدهم وبين جلده[٥] فيعضه، وأخذت أشعارهم وأبشارهم ولزم جلودهم كأنه الجُدري عليهم، ومنعهم النوم والقرار، وكل هذا من فعل القُراد، فصرخوا وصاحوا إلى موسى: إنا نتوب ولا نعود فادعُ لنا ربَّك، فدعا[٦] موسى، فرفعَ الله القملَ عنهم، فنكثوا وعادوا لأخبثِ أعمالِهم، فدعا موسى عليهم فأرسل الله عليهم الضفادع يدخل في طعامهم وشرابهم وأوانيهم وفرشهم، فكان أحدهم يُصبح وهو[٧] على فراشه متراكب، ويجلس الرجل إلى ذَقَنه في الضفادع ويهمّ أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، فبكوا وشكوا إلى موسى وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع فعادوا لكفرهم وتكذيبهم، فدعا عليهم موسى فأرسل الله[٨] عليهم

---

(١) «معاني النحاس» ٣/ ٧٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٤٧، وقال بعده النحاس: (وليس هذا بناقض لما قاله أهل التفسير لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم وهي كلها تجتمع في أنها تؤذيهم) اهـ.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ٦/ ١٠ ب.

(٣) الميرة: الطعام يمتاره الناس ونحوه مما يجلب للبيع. انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٠٦ (مير).

(٤) في (ب): (دخل)، وهو تحريف.

(٥) في (ب): (جلدهم).

(٦) في (ب): (لدعا)، وهو تحريف.

(٧) في (أصل) (أ): (وهي) ثم صحح في الأعلى إلى (وهو) وهو الأولى.

(٨) لفظ: (الله) ساقط من (ب).

الدم، فسال النيل عليهم دمًا، وصارت مياههم كلها دمًا، فكان الإسرائيلي إذا اغترف صار ماء، والقبطي يغترف دمًا)[١].

وقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾. قال المفسرون: (كان العذاب يمكث[٢] عليهم من السبت إلى السبت، وبين العذاب إلى العذاب شهر، فذلك معنى قوله: ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾[٣].

وقال مجاهد: ﴿مُّفَصَّلَٰتٖ﴾: مبينات ظاهرات)[٤].

قال الزجاج: (و﴿ءَايَٰتٖ﴾ منصوبة على الحال[٥]، [وقوله: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾. قال ابن عباس[٦]: (يريد: عن عبادة الله)][٧].

١٣٤- قوله[٨] تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾، ذكرنا معنى ﴿وَقَعَ﴾

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في (ب): (نكث)، وهو تحريف.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٣٩، ٤٠، أخرجه عن ابن عباس وابن جريج وابن إسحاق من طرق جيدة، انظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٩٣ والزجاج ٢/ ٣٧٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٥، الماوردي ٢/ ٢٥٣.

(٤) ذكره الهمداني في «الفريد» ٢/ ٣٤٩، القرطبي ٧/ ٢٧١، أخرج الطبري ٩/ ٤٠ بسند ضعيف عن مجاهد قال: (معلومات) اهـ. وقال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٨٠: (أي: بين الآية والآية فصل ومدة) اهـ. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٧١.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٠. انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣٤، و«المشكل» ١/ ٢٩٩، و«البيان» ١/ ٣٧١، و«التبيان» ص٣٨٨، و«الفريد» ٢/ ٣٤٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٣٤.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٩، «الرازي» ١٤/ ٢١٨ بلا نسبة، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٢ (أي: عن الإيمان ولم يؤمنوا) اهـ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (وقوله تعالى).

عند قوله: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ [الأعراف: ٧١]. وذكر[(١)] الكلام في ﴿الرِّجْزُ﴾ عند قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ [البقرة: ٥٩] في البقرة، وهو اسم للعذاب الذي كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده، في قول ابن عباس[(٢)] والحسن[(٣)] ومجاهد وقتادة[(٤)].

وقال سعيد بن جبير: ﴿الرِّجْزُ﴾ معناه هاهنا: الطاعون، وهو العذاب السادس؛ أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان في يوم واحد)[(٥)].

---

(١) لفظ: (وذكر) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٣٤، ٣٥ بسند ضعيف، أخرج الطبري ٩/ ٤١، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠، عن ابن عباس بسند جيد قال: (الطاعون).

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٣، عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٤١ من عدة طرق جيدة عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ بسند جيد عن مجاهد، أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٣٤ بسند جيد عن قتادة.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٤٠ بسند لا بأس به.

والظاهر أن المراد به العذاب المتقدم الذكر من الطوفان وغيره وهو قول الجمهور.

قال ابن عطية ٦/ ٥٣ بعد ذكر قول سعيد بن جبير المتقدم: (هذا ضعيف، هذه الأخبار وما شاكلها إنما تؤخذ من كتب بني إسرائيل فلذلك ضعفت) اهـ.

وقال الرازي ١٤/ ٢١٩: (القول الأول أقوى؛ لأن لفظ الرجز مفرد محلى بالألف واللام فينصرف إلى المعهود السابق، وأما غيرها فمشكوك فيه، فحمل اللفظ على المعلوم أولى من حمله على المشكوك فيه) اهـ.

وانظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٢٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، و«تفسير الطبري» ٩/ ٤١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٠، والنحاس ٣/ ٧١، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٥.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾. معنى العهد[١] في اللغة: التقدم في الأمر، ومن هذا يقال للوصية: عهد؛ لأنه يتقدم فيه بالوثيقة، فمعنى قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾، (أي: بما أوصاك وتقدم إليك أن تدعوه به)، وهو قول أبي العالية[٢].

وقال عطاء عن ابن عباس[٣]: (بما نبأك واستخصك).

وقال المؤرج: (بما أعلمك)[٤]. وكل هذا يعود معناه إلى [معنى][٥] الوصية والتقدم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، كانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكدّ الشديد[٧]، فوعدوا موسى -على دعائه بكشف العذاب عنهم- الإيمان به، والتخلية عن بني إسرائيل وإرسالهم معه يذهب بهم أين يشاء. وذكرنا هذا عند قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

---

(١) أصل العهد حفظ الشيء ومراعاته، والعهد: الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء. واليمين والأمان والموثق والذمة انظر: «العين» ١/ ١٠٢، الجمهرة ٢/ ٦٦٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٠٦، و«الصحاح» ٢/ ٥١٥، و«المجمل» ٣/ ٦٣٤، و«مقاييس اللغة» ٤/ ١٦٧، و«المفردات» ص٥٩١، و«اللسان» ٥/ ٣١٤٨ (عهد).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٠ دون نسبة.

(٣) ذكره البغوي ٣/ ٢٧٢ عن عطاء فقط.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لفظ: «معنى» ساقط من (ب).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٧، و«تفسير الطبري» ٩/ ٤١، والماوردي ٢/ ٢٥٣، ابن الجوزي ٣/ ٢٥٢.

(٧) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٧٠، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤١، و«معاني النحاس» ٣/ ٧١.

١٣٥- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾. قال ابن عباس[(١)]: (يريد: إلى الأجل الذي غرقهم[(٢)] الله فيه).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾، أي: ينقضون العهد ولا يوفون بما عاهدوا، وأصل النكث أن تنكث أخلاق[(٣)] الأخبية والأكسية فتغزل ثانية، وهي تسمى: أنكاثًا وواحدها نِكْثُ، والذي ينكثها نكاث، ثم يقال: نَكَث فلان عهده إذا نقضه بعد إحكامه كما ينكث مخيط الصوف بعد إبرامه[(٤)].

١٣٦- قوله تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾، معنى الانتقام في [اللغة][(٥)]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٠ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٠٧.

(٢) في (ب): (عرفهم) وكذلك جاء عند الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٠ وقال البغوي ٣/ ٢٧٢: (يعني إلى الغرق في اليم) اهـ.
وقال ابن عطية ٦/ ٥٤: (الأجل يراد به غاية كل واحد منهم بما يخصه من الهلاك، والموت هذا اللازم من اللفظ كما تقول: أخذت كذا إلى وقت وأنت لا تريد وقتا بعينه، وقيل: الأجل هنا: الغرق؛ لأن أكثر هذه الطائفة مات منه فالإشارة هنا بالأجل إنما هي إلى الغرق، وهذا ليس بلازم لأنه لا بد أنه مات منهم قبل الغرق عالم وبقي بمصر خلق لم يغرق فأين الغرق من هؤلاء؟ وذكر بعض الناس أن معنى الكلام: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ المؤجل ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ومحصول هذا التأويل أن العذاب كان مؤجلًا، والمعنى الأول أفصح لأنه تضمن توعدا ما) اهـ. بتصرف.

(٣) الأخلق: اللين الأملس المصمت، وثوب خلق بال. انظر: «اللسان» ٢/ ١٢٤٧.

(٤) انظر: «العين» ٥/ ٣٥١، و«الجمهرة» ١/ ٤٣١، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٨، و«الصحاح» ١/ ٢٩٥، و«المجمل» ٣/ ٨٨٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٧٥، و«المفردات» ص٨٢٢، و«اللسان» ٨/ ٤٥٣٦ (نكث).

(٥) لفظ: «اللغة» ساقط من (ب).

سلب النعمة بالعذاب[١]، قال الليث: (انتقم إذا كافأه عقوبة بما صنع)[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾، أي: في البحر[٣] وأظنه[٤] قد مرَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾؛ اختلفوا في الكناية في ﴿عَنْهَا﴾؛ فقيل: إنها تعود إلى النقمة التي دلت عليها (انتقمنا)، والمعنى: وكانوا عن النقمة قبل حلولها ﴿غَٰفِلِينَ﴾[٥]، وعلى هذا دل كلام ابن عباس؛ لأنه قال في قوله: ﴿عَنْهَا﴾: (عما يراد بهم من الغرق)[٦].

وقيل: الكناية تعود إلى الآيات، وهو اختيار الزجاج لأنه قال: (أي: كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم)[٧].

---

(١) انظر: «الجمهرة» ٢/ ٩٧٧، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٤٥، و«المجمل» ٣/ ٨٨٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٦٤، و«المفردات» ص٨٢٢، و«اللسان» ٨/ ٤٥٣١ (نقم).

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٤، وانظر: «العين» ٥/ ١٨١.

(٣) هذا هو قول أهل اللغة والتفسير، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، و«تفسير الطبري» ٩/ ٤٢، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١، والنحاس ٣/ ٧٢، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٥، وانظر: «العين» ٨/ ٤٣١، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٨٤، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٦٥، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٥٣، و«المفردات» ص٨٩٣، و«اللسان» ٨/ ٤٩٦٦ (يمم).

(٤) الظاهر أن لم يمر لأن أول موضع ورد فيه لفظ ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في هذه الآية، وانظر تعريف البحر عند الواحدي في «البسيط» البقرة: ٥٠.

(٥) هذا هو قول الطبري في «تفسيره» ٩/ ٤٢، والبغوي ٣/ ٢٧٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١، والنقمة من الآيات، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢٥٢، والرازي ١٤/ ٢٢٠.

فإن قيل على هذا: إن الغفلة حال تعتري الإنسان تنافي[١] الفطنة، وليست من فعل الإنسان، فلم جاء الوعيد على الغفلة؟

والجواب: أنهم تعرضوا[٢] لها حتى صاروا لا يفطنون بها، وقيل: إن الغفلة ها هنا المراد بها الإعراض[٣] عن الآيات، وهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالغافلين عنها[٤].

١٣٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ الآية. معنى أورثناهم الأرض أي: مكناهم فيها بعد إهلاك من كان بها مع الحكم بأن لهم أن[٥] يتصرفوا فيها[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾. معنى الاستضعاف في اللغة: طلب الضعف[٧] بالاستطالة والقهر، ثم كثر حتى صار استضعفته

---

(١) في (ب): (تعتري الإنسان ما في الفطنة)، وهو تحريف.

(٢) في (ب): (يعرضوا).

(٣) في (أ): (الإعراب).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٢، وابن عطية ٦/ ٥٥، والرازي ١٤/ ٢٢١، وقال السمين في الدر ٥/ ٤٣٨: (قال الجمهور: إنهم تعاطوا أسباب الغفلة فذموا عليها كما يذم الناسي على نسيانه لتعاطيه أسبابه) اهـ.

(٥) لفظ: (أن) ساقط من (ب).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٧٦.

(٧) الضَّعْف والضُّعْف بالفتح والضم لغتان خلاف القوة، وقيل: الضعف بالفتح في العقل والرأي، والضُّعف بالضم في البدن، واستضعفته: وجدته ضعيفًا، وأضعفته أي: صيرته ضعيفًا.
انظر: «العين» ١/ ٢٨١، و«الجمهرة» ٢/ ٩٠٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢١١٩، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٠، و«المجمل» ٢/ ٥٦٢، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٣٦٢، و«المفردات» ص٥٠٦، و«اللسان» ٥/ ٢٥٨٧ (ضعف).

بمعنى: وجدته ضعيفًا بامتحاني إياه، كأنه طلب حال ضعفه بمحنته فوجده.
قال مقاتل[١]، والمفسرون[٢]: ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: بقتل الأبناء واستحياء النساء.

وقوله تعالى: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾. [قال ابن عباس[٣] وغيره[٤]: (يريد: مشارق أرض الشام ومصر، ومغاربها][٥]، أي: جهات الشرق بها[٦] والغرب)، وهو قول الحسن وقتادة[٧].

وقال مقاتل: (مشارق الأرض المقدسة ومغاربها)[٨]، فالأرض على هذا مخصوصة.

وقال الزجاج: (فكان منهم داود وسليمان ملكا الأرض)[٩]، ذهب إلى أن الأرض هاهنا اسم الجنس ولم يخص[١٠].

---

(١) «تفسير مقاتل» ٢/ ٥٩.
(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٣، والماوردي ٢/ ٢٥٤، والبغوي ٣/ ٢٧٣.
(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٣.
(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٥، والماوردي ٢/ ٢٥٤، والبغوي ٣/ ٢٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٣.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٦) لفظ: (بها) ساقط من (ب).
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٤- ٢٣٥، والطبري ٩/ ٤٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥١ من عدة طرق جيدة عن الحسن وقتادة، وهو قول سفيان الثوري في «تفسيره» ص١١٣. وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٦.
(٨) «تفسير مقاتل» ٢/ ٥٩، وزاد فيه: (وهي الأردن وفلسطين) اهـ.
(٩) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١، وهو قول النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٢.
(١٠) أكثرهم على أن المراد: الشام؛ لأنها هي التي كانت تحت تصرف فرعون والمتصفة بأنها التي بارك فيها، وهو اختيار الطبري ٩/ ٤٣، وابن عطية ٦/ ٥٦، والرازي ١٤/ ٢٢١.

وقوله: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ أي: بإخراج الزروع والثمار والنبات والأشجار والعيون والأنهار.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

قال ابن عباس: (يريد: مواعيد ربك التي لا خلف فيها ولا ناقض لها)[١]. ونحو ذلك قال الزجاج[٢] وغيره: (يعني: ما وعدهم الله من إهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض).

قال مقاتل: (وهي الكلمة التي في القصص: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَحۡذَرُونَ﴾[٣] [القصص: ٥، ٦] وقال أهل المعاني: (معنى تمام الكلمة الحسنى: إنجاز الوعد الذي[٤] تقدم بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وإنما كان الإنجاز تمامًا[٥] للكلام لتمام[٦] النعمة به، وإنما قيل: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لأنه وعد بما يحبون)[٧].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْۖ﴾. قال ابن عباس: (يريد: على عذاب فرعون وصنيعه بهم)[٨]، وهذا إخبار عن حسن عاقبة الصبر على الحق.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣١.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١ وهو قول الطبري ٩/ ٤٤، وأخرجه بسند جيد عن مجاهد.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٥٩، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٢- ٧٣: (قيل: يعني بالكلمة: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]) اهـ.

(٤) في أصل (أ): (التي ثم صحح إلى الذي).

(٥) في (أ): (تمام).

(٦) لفظ: (لتمام) ساقط من (ب).

(٧) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٥٤، والرازي ١٤/ ٢٢٢.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣١ بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾. قال الليث[١]: (الدمار استئصال الهلاك، يقال: دَمَرَ القومُ يَدْمُرُون دَمَارا، أي: هلكوا ودَمَرَهم مَقْتَهم ودمَّر عليهم تدميرًا)[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾. قال ابن عباس: (يريد: المصانع[٣]، ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾، أي: يسقفون من القصور)[٤] ونحو ذلك.

قال مجاهد: (أي: يبنون البيوت والقصور والمساكن)[٥].

قال الزجاج[٦]: (يقال: عَرَشَ يعرُش [ويعرِش][٧] إذا بنى).

وقال مقاتل: (أهلكنا ما عمل فرعون وقومه بأرض مصر وما بنوا من المنازل والبيوت)[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٢٥، وانظر: «العين» ٨/ ٣٩، و«الجمهرة» ٢/ ٦٣٨، و«الصحاح» ٢/ ٦٥٩، و«المجمل» ٢/ ٣٣٥، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٠٠، و«المفردات» ص٣١٨، و«اللسان» ٣/ ١٤٢٠ (دمر).

(٢) في «تهذيب اللغة» (ودمرهم الله تدميرًا).

(٣) ذكره الرازي ١٤/ ٢٢٢.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣١، وأخرج الطبري ٩/ ٤٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٢، عن ابن عباس بسند جيد قال: (يبنون).

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٥، وأخرجه «الطبري» ٩/ ٤٤، و«ابن أبي حاتم» ٥/ ١٥٥٢ من طرق جيدة، وفيه: (يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم غير معروش) اهـ.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١.

(٧) لفظ: (ويعرش) ساقط من (ب)، وهو بكسر الراء، والثاني بضمها عَرش يَعْرش ويَعْرُش. وانظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٨١ (عرش).

(٨) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦٠.

١٣٨- قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾، يقال: جاوز الوادي إذا قطعه وخلفه وراءه، وجاوز بغيره عبر به[١].

﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يعبدونها مقيمين عليها)[٢].

قال الزجاج: (يواظبون عليها و[٣]يلازمونها، يقال لكل من لزم شيئًا وواظب عليه[٤]: عكَف يعكُف ويعكِف، ومن هذا قيل لملازم المسجد: معتكف)[٥]، وكل واحد من الكسر والضم في عيني الكلمتين لغة مثل: يعرُش ويعرِش ويبطُش[٦] ويبطِش.

---

(١) الجوز: قطع الشيء يقال: جُزْت الموضع سلكته وسرت فيه وأَجَزْته خلفته وقطعته وأجزْته نَفذتُه، وجَاوَزْت الشيء إلى غيره وَتَجاوَزته بمعنى جزته.
انظر: «العين» ٦/ ١٦٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ٥١٩، و«الصحاح» ٣/ ٨٧٠، و«المجمل» ١/ ٢٠٣، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٩٤، و«المفردات» ص٢١١، و«اللسان» ٢/ ٧٢٤ (جوز).

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣١ .

(٣) (الواو) ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (عليها)، وهو تحريف.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٣، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٧، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠.

(٦) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٧٤- ٧٥ والضم والكسر في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ و﴿يَعْكُفُونَ﴾ لغة وقراءة سبعية، قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿يَعْرُشُونَ﴾ بضم الراء، وقرأ الباقون بكسرها، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يَعْكِفُونَ﴾ بكسر الكاف، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» ص٢٩٢، و«المبسوط» ص١٨٤، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٤، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧١، وانظر توجيه القراءة في «معاني القراءات» ١/ ٤٢١، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٢، ولابن زنجلة ص٢٩٤، و«الكشف» ١/ ٤٧٥.

قال قتادة[١]: (كان أولئك القوم من لخم[٢] وكانوا نزولا بالرقة)[٣].

وقال ابن جريج: (كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل)[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، قال عطاء: (يريد: من دون الله. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يريد: جهلتم نعمة ربكم وما صنع بكم)[٥].

قال أهل المعاني: (هذه الآية تخبر عن جهل عظيم من بني إسرائيل؛ حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى غرّقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غيره، فلم يردعهم ذلك عن أن قالوا لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾)[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣٢، والبغوي ٣/ ٢٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٤، وأخرج الطبري ٩/ ٤٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٣ بسند ضعيف عن قتادة قال: (على أصنام لهم على لخم).

(٢) لَخْم: قبيلة من كهلان، ولخم أخو جُذام عم كندة وهم حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، ونزلوا الحيرة وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وقيل هم آل المنذر.

انظر: «اللسان» ٧/ ٤٠١٨ (لخم)، و«نهاية الأرب» ص٣٦٧.

(٣) الرَّقَّة، بالفتح: مدينة مشهورة على الفرات من بلاد الجزيرة بينها وبين حَران ثلاثة أيام، ويقال لها: الرقة البيضاء. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٥٩.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٤٥ بسند جيد.

(٥) ذكر الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٢، عن ابن عباس قال: (جهلتم نعمة ربكم فيما صنع بكم).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٥، والسمرقندي ١/ ٥٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٤.

١٣٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾. قال الليث: (التَّبار[١] الهلاك، تَبِرَ الشيءُ يَتْبَرُ تبارًا، والتتبير الإهلاك)[٢]. ومنه قوله: ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[٣] [الفرقان: ٣٩]. قال المفسرون: ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ مهلك ومدمر[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: أن عملهم للشيطان، وليس لله فيه نصيب)[٥].

قال أهل المعاني[٦]: (ومعنى البطلان انتفاء الشيء بعدمه أو بعدم معناه، والمعنى في بطلان عملهم: إنه لا يعود عليهم بنفع ولا بدفع ضر، فكأنه بمنزلة ما لم يكن من هذا الوجه، وهذا بيان عن حال من عمل لغير الله كيف يصير أمره إلى الهلاك وعمله إلى الشيطان[٧]).

---

(١) التبر: الكسر والإهلاك وتبرة تتبيرًا أي: كسره وأهلكه وكل شيء كَسَرته فقد تبرته. انظر: «الجمهرة» ١/ ٢٥٣، و«الصحاح» ٢/ ٦٠٠، و«المجمل» ١/ ١٥٣، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٦٢، و«المفردات» ص١٦٢، و«اللسان» ١/ ٤١٦ (تبر).

(٢) «العين» ٨/ ١١٧، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢٥، عن الليث قال: (تَبِر الشيء يَتْبِرُ تَبارًا).

(٣) جاء في النسخ: (تبرناهم تتبيرًا)، وهو تحريف.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٧، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، و«تفسير الطبري» ٩/ ٤٦، وأخرجه بسند جيد عن السدي، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧١، والنحاس ٣/ ٧٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٦، والماوردي ٢/ ٢٥٥.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٣.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٦، والرازي ١٤/ ٢٢٤.

(٧) في: (ب): (إلى البطلان).

١٤٠- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾، يقال: بغيت[١] فلانا شيئا وبغيته له، قال الله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] أي: يبغون لكم، وقال كعب بن زهير:

إذا ما نَتَجْنَا أَرْبَعًا عام كُفْأَةٍ   بَغَاها خَنَاسِيرًا فأَهْلَكَ أَرْبَعا[٢]

أي: بغى لها خناسير وهي الدواهي، وفي انتصاب قوله: ﴿إِلَٰهًا﴾ وجهان:

أحدهما: الحال كأنه قيل: أطلب لكم غير الله معبودًا، ونصب (غير) في هذا[٣] على المفعول به.

[**الثاني**: أن ينصب: ﴿إِلَٰهًا﴾ على المفعول به][٤]، و(غير) على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة، كما تقول: أبغيكم إلهًا غير الله[٥].

---

(١) البغي: بالفتح طلب الشيء. يقال: بَغَيْت الشيء أبغيه: إذا طلبته، وبَغَيتك الشيء: إذا طلبته لك، وأَبغَيْتُك الشيء: إذا أَعَنْتُك على طلبه، وأبغيتك الشيء أيضًا جعلتك طالبًا له. انظر: «العين» ٤/ ٤٥٣، و«الجمهرة» ١/ ٣٧١، و«البارع» ٤٣٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٨٢، و«المجمل» ٢/ ١٢٩، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٧١، و«المفردات» ص١٣٦، و«اللسان» ١/ ٣٢٢ (بغي).

(٢) «ديوانه» ص٤٣، و«إصلاح المنطق» ص١١٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧، و«اللسان» ١/ ٣٢٢ (بغى)، والكفأة: نتاج عام واحد، والخناسير: الدواهي والمصائب. يقول: إنه لا حظَّ له إذ أنتج أربع نوق عدت عليه عوادي الزمن فأهلكتها، ولم تبق منها شيئًا. انظر: «حاشية الديوان»، و«تهذيب إصلاح المنطق» ١/ ٣١٥.

(٣) في (ب): (ونصب غير في هذا الوجه على المفعول به).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) قال السمين في «الدر» ٥/ ٤٤٥: (في نصب (غير) وجهان أحدهما: أنه مفعول به لأبغيكم تقديره: أبغي لكم غير الله أي: أطلب لكم، وفي (إلهًا) على هذا وجهان: =

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: أكرمكم من بين الخلائق أجمعين)[١].

وفي هذا قولان: أحدهما تخصيص ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يقال: عالمي زمانهم، وهو قول الحسن[٢] والمفسرين[٣]، والثاني: التفضيل[٤]، وهو أن يقال: أراد بقوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ما خصهم[٥] به من الآيات وإرسال موسى وهارون نبيين منهم، وإهلاك عدوهم في البحر وإنجائهم منهم، إلى غير ذلك مما فضلوا فيه خاصًا على جميع العالمين، ثم غيرهم يفضلهم في غير هذه الآيات، مثال هذا: رجل يعلم علما واحدًا ففاخره إنسان يعلم كثيرا من العلوم ولا يعلم ذلك العلم الواحد، فصاحب العلم الواحد يفضل عليه[٦] بذلك العلم الواحد، ثم يفضل صاحب العلوم

= أحدهما: وهو الظاهر أنه تمييز لغير. والثاني أنه حال. وفيه نظر. والثاني من وجهي غير: أنه منصوب على الحال من (إلها) و(إلهًا) هو المفعول به لأبغيكم، والأصل: أبغي لكم إلهًا غير الله، فغير الله صفة لإله، فلما قدمت صفة النكرة عليها نصبت حالًا) اهـ. ملخصًا.

وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٣٥، و«المشكل» ١/ ٣٠١، و«البيان» ١/ ٣٧٣، و«التبيان» ص٣٨٩، و«الفريد» ٢/ ٣٥٤.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٦، والسمرقندي ١/ ٥٦٦، وقال ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٥٤: (قال المفسرون منهم ابن عباس ومجاهد: العالمون هاهنا عالمو زمانهم) اهـ.

(٤) في (ب): (والثاني تخصيص الفضل وهو أن يقال ..).

(٥) في (ب): (ما خصصهم).

(٦) قوله: (يفضل عليه بذلك العلم الواحد) مكرر في (ب).

ويصير حقيقة الفضل له، ولكن لا ينكر تفضيل الأول عليه بما خُص به، وهذا قول أهل النظر[١]، وهذه الآية تضمنت توبيخا لهم حين[٢] طلبوا إلها غير الله، وهو الذي ينال كل الخير وكل النعم منه.

١٤١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾. مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة[٣].

١٤٧- قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾، قال أبو علي الفارسي[٤] وغيره من النحويين[٥]: (تقدير الآية: وواعدنا موسى انقضاء ثلاثين ليلة يترقب بعدها المفاجأة). وقد بينا هذا بيانًا شافيا في سورة البقرة[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٤/ ٢٢٥، وقال ابن عطية في «تفسيره» ٦/ ٦٢: (العالمين لفظ عام يراد به تخصيص عالم زمانهم لأن أمة محمد ﷺ أفضل منهم بإجماع، اللهم إلا أن يراد بالفضل كثرة الأنبياء منهم فإنهم فضلوا في ذلك على العالمين بالإطلاق) اهـ.

(٢) في (ب): (حتى).

(٣) انظر: «البسيط» البقرة: ٤٩.

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٤- ٦٥، و«الإغفال» ص١١٠٢.

(٥) انظر: «معاني الأخفش» ١/ ٩٣، و«معاني الزجاج» ١/ ١٣٣، و«تفسير الطبري» ١/ ٢٨٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٣٥، و«المشكل» ١/ ٩٤، قال الطبري ١/ ٢٨٠ في معنى آية البقرة ٥٢: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. المعنى: (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها، فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد، وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه: وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أي: رأس الأربعين - وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة) اهـ. وقال ابن عطية ٦/ ٦٥: (وكل المفسرين على أن الأربعين كلها ميعاد) اهـ.

(٦) انظر: «البسيط» البقرة: ٥٢.

قال ابن عباس[١] والمفسرون[٢]: (كانت[٣] تلك الثلاثين ذو القعدة، أمره الله تعالى أن يصوم فيها ويتفرد للعبادة، ويعمل فيها بما يقربه إلى الله ﷿ ليكلمه، فلما انسلخ الشهر استاك موسى لمناجاة ربه يريد إزالة[٤] الخلوف)[٥].

وقال أبو العالية: (أكل من لحاء شجرٍ فأوحى الله إليه: يا موسى لا كلمتك حتى يعود فوك على[٦] ما كان عليه، أما علمت أن رائحة الصائم أحب إلي من ريح المسك، وأمره بصيام عشرة أيام من ذي الحجة ليكلمه بخلوف فيه، فذلك قوله: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾)[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. الميقات[٨] ما قدر

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٥٦ بسند جيد، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٥، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢١٤.

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٦، والطبري ٩/ ٤٧-٤٨ من طرق جيدة عن مجاهد نحوه، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٢، والنحاس ٣/ ٧٤، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٧، وابن كثير ٢/ ٢٧١.

(٣) في النسخ: (كان) والأولى (كانت).

(٤) في (ب): (يريد لإزالة الخلوف).

(٥) الخلوف، بالضم: تغير رائحة الفم لتأخر الطعام. انظر: «اللسان» ٢/ ١٢٤١ (خلف).

(٦) في (ب): (يعود فوك كما كان عليه).

(٧) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٦ أ، والبغوي ٣/ ٢٧٥.

(٨) الميقات: مصدر الوقت، وهو الوقت المضروب للفعل والموضع. قال السمين في «الدر» ٥/ ٤٤٦- ٤٤٧: (الفرق بين الميقات والوقت، أن الميقات ما قدر فيه عمل من الأعمال، والوقت وقت للشيء من غير تقدير عمل أو تقديره) اهـ. وانظر: «العين» ٥/ ١٩٩، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٨، و«الصحاح» ١/ ٢٦٩، و«مقاييس اللغة» ٦/ ١٣١، و«المفردات» ص٨٧٩، و«اللسان» ٨/ ٤٨٨٧ (وقت).

ليعمل فيه عمل من الأعمال، ولهذا قيل: مواقيت الحج، وهي المواضع التي[(١)] قدرت للإحرام به، فمعنى قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾. أي: تم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته أربعين ليلة[(٢)].

قال أبو علي الفارسي: (هذا كقولك: تم القوم عشرين[(٣)] رجلًا، والمعنى: تم القوم معدودين هذا العدد، كذلك تم الميقات معدودًا هذا العدد[(٤)]، وقد جاء (الميقات) في موضع (الميعاد)، كما جاء (الوقت) في موضع الوعد في قوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، ومما يبين تقاربهما قوله: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾[(٥)] [الأعراف: ١٤٢]، وفي الأخرى ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [البقرة: ٥١]، وقال: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ [البروج: ٢]، وقال: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨]، وقال: ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾[(٦)] [الواقعة: ٥٠]، فإن قيل فلم قال: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾، وقد دل ما تقدم على هذا؟، قيل: للبيان الذي لا يجوز معه توهم[(٧)] أتممنا الثلاثين بعشر منها. كأنه كان عشرين ليلة ثم أتم بعشر فصار ثلاثين[(٨)].

---

(١) في أصل: (أ): (الذي) ثم صحح إلى (التي).

(٢) لفظ: (ليلة) ساقط من (أ).

(٣) في النسخ: (عشرون)، وهو تحريف.

(٤) وعليه يكون نصب: أربعين على الحال أي: تم ميقات ربه معدودًا أربعين ليلة. انظر: «المشكل» ١/ ٣٠١، و«البيان» ١/ ٣٧٤، و«التبيان» ص٣٩٠، و«الفريد» ٢/ ٣٥٦، و«الدر المصون» ٥/ ٤٤٧.

(٥) لفظ: (فتم) ساقط من (ب).

(٦) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٦٥.

(٧) جاء في هامش (أ) زيادة: (توهم مضاف للجملة ..) وزيادة كلام لم أستطع معرفته.

(٨) أكثرهم على أن الجملة تأكيد وإيضاح، وقيل: إنها لإزالة توهم أن تكون عشر =

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾. يقال:[1] خَلَفَ فلان مكان فلان يَخْلُفُ[2] إذا كان في مكانه. قال المفسرون: (فلما أراد موسى الانطلاق إلى الجبل استخلف أخاه هارون على قومه)[3]. وقال الفراء: (يقال: خلفتك، أي: كنت خليفتك، فأنا أخلفك خلافة)[4].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الرفق بهم والإحسان إليهم)[5]، فعلى هذا معناه: وأصلح أمرهم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، (أي: طريق العاصين). قاله ابن عباس والكلبي[6]؛ كأنه يقول: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره.

١٤٣- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾، قال الزجاج: (أي: في الوقت الذي وقتنا له)[7]، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾. قال المفسرون: (خص الله

= ساعات، وقيل: فائدتها إزالة توهم العشر من الثلاثين، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤٤٨: (الجملة الظاهر أنها للتأكيد، وقيل: هي للتأسيس لاحتمال أن يتوهم متوهم بعشر ساعات أو غير ذلك وهو بعيد جدًّا) اهـ. ملخصًا. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٧٤، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٣٥، و«المشكل» ١/ ٣٠١، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٥٦، وابن عطية ٦/ ٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٥، الرازي ١٤/ ٢٢٦، و«الفريد» ٢/ ٣٥٥، و«البحر» ٤/ ٣٨١.

(١) في (ب): (فقال)، وهو تحريف.

(٢) الخلافة: النيابة عن الغير، وخلف فلان فلانا قام بالأمر عنه. انظر: «العين» ٤/ ٢٦٥، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٩، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٤، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٠، و«المفردات» ص٢٩٤، و«اللسان» ٢/ ١٢٣٥ (خلف).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٨، والسمرقندي ١/ ٥٦٧، والبغوي ٣/ ٢٧٥ .

(٤) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٤، والبغوي ٣/ ٢٧٥، والخازن ٢/ ٢٨١ .

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٥.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٢، ونحوه قال الطبري ٩/ ٤٩، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٧٤.

تعالى[١] موسى عليه السلام بأن أسمعه كلامه من غير أن يكون بينهما أحد، فلما سمع كلام الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾)[٢].

قال الزجاج: (المعنى: أرني نفسك أنظر إليك)[٣]، وهذا يقطع بأن موسى سأل رؤية الباري، ولو كانت الرؤيا لا تصح في وصفه ما سأل موسى ذلك؛ لأنه كان أعلم بالله من أن يسأله ما يستحيل في وصفه، وليس يحتمل قوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ إلا أنه سأله أن يريه نفسه لينظر إليه، وليس يصح أن يقال: إنه سأل أمرًا عظيما على تقدير: أرني أمرًا، أنظر إلى أمرك، ثم حذف المفعول والمضاف؛ لأن سياق الآية يدل على بطلان هذا، وهو قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾. ولا يجوز أن يحمل جميع هذا على حذف المضاف، ولأنه لو سأل آية وأمرًا لأعطاه الله تعالى ما سأل كما أعطاه سائر الآيات، وأي معنى لإحالته على استقرار الجبل ووقوعه مغشيًا عليه، وتوبته بعد ذلك، هذا كله لا يكون في سؤاله أمرًا وعلامة[٤].

قال أبو إسحاق: (ليس في الكلام دليل على أن موسى أراد أن يرى أمرًا عظيما من أمر الله عز وجل؛ لأن الله تعالى أراه من الآيات ما لا غاية بعده: العصا، واليد، وفرق البحر، فكان يستغني بما أراه عن أن يطلب أمرًا من أمر الله عز وجل عظيما، ولكنه لما سمع كلام الله تعالى[٥] ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ

---

(١) لفظ: (تعالى) سقاط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٤٩-٥٠، وقد أخرجه من طرق جيدة عن السدي وابن إسحاق والربيع بن أنس وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٣، والسمرقندي ١/ ٥٦٧.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٣.

(٤) انظر: «بدائع التفسير» ٢/ ٢٦٤- ٢٦٦.

(٥) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).

إِلَيْكَ﴾، أي: قد سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك)[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾. هذا[٢] أيضًا دليل على جواز الرؤية، لأنه لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى، ألا ترى أنه لو كان في يد رجل حجر فقال له إنسان: ناولني هذا لآكل، فإنه يقول: (هذا لا يؤكل)، ولا يقول: لا تأكل، ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة لقال: لا تأكل، أي: هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكل.

وفي قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ إبطال قول من يقول: إن موسى سأل الرؤية لقومه؛ لأنهم[٣] قالوا ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، فسأل موسى الرؤية ليتبين لهم أن ذلك لا يجوز، وذلك أنه لو كان سؤال الرؤية لقومه لقال[٤]: لن يروني، ولقال موسى: أرهم[٥]، فلما قال ﴿أَرِنِىٓ﴾ وقيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ بطل أن يكون السؤال لقومه، وقول من قال: إن (لن)[٦] للتأبيد دعوى على أهل اللغة، وليس يشهد لذلك كتاب ولا نقل ولا إسناد ولا أصل[٧]، ولكن معنى قول: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ أي: في الدنيا كما قال عبد العزيز

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٤ وزاد فيه: (وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة) اهـ.

(٢) في (ب): (في هذا أيضًا دليل).

(٣) انظر: «الكشاف» ٢/ ١١٣.

(٤) في (أ): (قال)، وهو تحريف.

(٥) في (ب): (أراهم)، وهو تحريف.

(٦) لفظ: (لن) ساقط من (ب).

(٧) لن: حرف يدل على النفي في المستقبل، قال ابن هشام في «المغني» ١/ ٢٨٤: (لن حرف نفي واستقبال ولا تفيد توكيد النفي ولا تأبيده خلافا للزمخشري وكلاهما دعوى بلا دليل) اهـ. انظر: «العين» ٨/ ٣٥٠، و«الكتاب» ٤/ ٢٢٠، و«حروف المعاني» ص٨، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٠٣، و«معاني الحروف» ص١٠٠، و«رصف المباني» ص٣٥٥، و«اللسان» ٧/ ٤٠٨٢ (لن).

بن يحيى الكناني: قال: (قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ جواب قول موسى ﴿أَرِنِي﴾، فلا يقع على الآخرة؛ لأن موسى لم يقل: أرني في الآخرة، إنما سأل الرؤية في الدنيا فأجيب عما سأل)[١]، والجواب يكون على وفق السؤال؛ كيف وقد نص ابن عباس في رواية عطاء في قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. قال: (لن تراني في الدنيا)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾. قال مقاتل: (لما قال موسى: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال له ربه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك، وهو الجبل ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: سكن وثبت ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾، وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي)[٣].

قال الكلبي[٤] وغيره[٥]: (والجبل في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾

---

(١) (ولا أصل) ساقط من (ب)، ونقل قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٣٣.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٦ أ.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٥. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٦، وهذا هو الحق ومذهب أهل السنة والجماعة.
قال ابن كثير ٢/ ٢٧٢: (استدل المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة بهذه الآية وهذا أضعف الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة) اهـ.
وانظر: «الإبانة» للأشعري ص١٣-٢١، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٥٧، وابن عطية ٦/ ٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٦، والقرطبي ٧/ ٢٧٨.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦١.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٧ .

أعظم جبل بمدين[١] يقال[٢] له: زبير[٣])[٤].

قال أصحابنا: (علَّق الله تعالى جواز الرؤية على استقرار الجبل، واستقراره كان جائزًا، ولكن لم يفعل الله، كذلك الرؤية كانت جائزة، ولكن الله لم يخلقها لموسى، وضدّ هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. علق دخولهم الجنة بما يستحيل وجوده فلا يدخلونها قط).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾. قال الزجاج[٥] وجميع أهل اللغة[٦]: (أي: ظهر وبان، ومنه يقال: جلوت العروس إذا أبرزتها، وجلوت المرآة والسيف إذا أخرجته من الصدى)[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٥٧، عن ابن عباس، ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» ص٢٠١، عن السدي، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٧، والماوردي ٢/ ٢٥٨.

(٢) مدين: مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٧٧.

(٣) في (ب): (فقال زبير)، وهو تحريف.

(٤) الزبير، بفتح الزاء وكسر الباء: اسم للجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام.
انظر: «معجم البلدان» ٣/ ١٣٢، و«اللسان» ٣/ ١٨٠٦ (زبر).
وقد أجمع أهل التفسير على أن جبل المناجاة هو الطور، فكأن الزبير اسم آخر له أو لموضع معين من الطور والله أعلم. انظر: «تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ٢/ ٧٢٧- ٧٢٨.

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ص١٩٦ عن المتكلمين من أهل السنة، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٢٥٦.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٣، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٦٢٤، قال الزجاج: (أي: ظهر وبان وهو قول أهل السنة والجماعة) اهـ.

(٧) انظر: «العين» ٦/ ١٨٠، و«الجمهرة» ١/ ٤٩٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٠٣، و«المجمل» ١/ ١٩٣، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٦٨، و«المفردات» ص٢٠٠، و«اللسان» ٢/ ٦٧٠ (جلا).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾. قال أبو إسحاق: (يجوز ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين و﴿دَكَّآءَ﴾ بغير تنوين، أي: جعله مدقوقًا مع الأرض، يقال: دككت الشيء إذا دققته، أدكه دكا، والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تكون جبلًا)[١]، فعلى هذا الدك مصدر والدكاء[٢] اسم.

أخبرني العروض رحمه الله عن الأزهري قال: أخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى أنه قال: (قال الأخفش في قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[٣] بالتنوين، كأنه قال: دكه دكًا مصدر مؤكد[٤]، قال: ويجوز جعله ذا[٥] دك كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

قال: ومن قرأ[٦] ﴿دَكَّآءَ﴾ ممدودة أراد جعله مثل دكاء فحذف (مثل)، قال: والدكاء الناقة التي لاسنام لها)[٧]، فمعنى[٨] قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ أي: مثل دكاء في أنه بقي أكثره.

---

(١) هذا قول ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٥٢، و«نزهة القلوب» ص١٥٨، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٣.

(٣) الدّك -الدق وكسر الشيء وتفتيته، ومنه الناقة الدكاء وهي التي لا سنام لها. انظر: «العين» ٥/ ٢٧٤، و«الجمهرة» ١/ ١١٤، و«الصحاح» ٤/ ١٥٨٣، و«المجمل» ٢/ ٣١٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٥٨، و«المفردات» ص٣١٦، و«اللسان» ٣/ ١٤٠٤ (دك).

(٤) في (ب): (مؤكدة).

(٥) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٢: (ويجوز جعله أرضًا ذات دك) اهـ.

(٦) قرأ حمزة والكسائي ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمد والهمز من غير تنوين، وقرأ الباقون: ﴿دَكًّا﴾ بالقصر والتنوين من غير مد ولا همز. انظر: «السبعة» ص٢٩٣، و«المبسوط» ص١٨٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٥، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧١- ٢٧٢.

(٧) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣٠٩.

(٨) في (ب): (ومعنى).

قال أبو العباس: (ولا حاجة به إلى إضمار (مثل)، والمعنى: جعل الجبل أرضًا دكاء)[١].

فحصل من هذه الأقوال أن من قرأ ﴿دَكًّا﴾ بالتنوين كان الدك مصدرًا بمعنى المفعول على قول[٢] أبي إسحاق، وعلى قول الأخفش يكون مصدرًا مؤكدًا؛ لأنه يقول معنى قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾. أي: دكه دكًا، ويجوز على قوله أيضًا أن يكون بمعنى: ذا دكٍ، أي: ذا كسر فحذف المضاف، ومن قرأ بالمدّ فعلى قول الأخفش (الدكاء) الناقة الذاهبة السنام، والمضاف محذوف، وعلى قول أبي العباس (الدكاء) الأرض غير الغليظة المرتفعة، ولا حاجة إلى تقدير المضاف[٣].

فأما التفسير فقال المفسرون[٤]: (ساخ في الأرض فهو يذهب حتى الآن). وهو قول الحسن[٥] وسفيان[٦]، وأبي بكر[٧] الهذلي[٨]، وهذا

---

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٢ (دك). (٢) لفظ: (قول) ساقط من (ب).

(٣) أكثرهم على أن من قرأ بالمد جعله صفة أي: جعل الجبل أرضًا ملساء دكاء ومن قرأ بالقصر والتنوين جعله مصدرًا.
انظر: «الحجة» لأبي علي ٤/ ٧٥، و«معاني القراءات» ١/ ٤٢٢، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٣، و«الكشف» ١/ ٤٧٥.

(٤) أكثرهم على أن معنى جعله: ﴿دَكًّا﴾ أي: مستويًا ألصقه بالأرض. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٨، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، و«نزهة القلوب» ص٢٢٧، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٨، عن الحسن وسفيان الثوري.

(٦) «تفسير سفيان الثوري» ص١١٣، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ من طرق جيدة عن سفيان الثوري.

(٧) أبو بكر الهذلي البصري مشهور بكنيته وهو سلمى بن عبد الله بن سلمى، وقيل اسمه: روح، روى عن الحسن البصري والشعبي وعكرمة وغيرهم، وهو علامة إخباري متروك الحديث، توفي سنة ١٦٧هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» ٤/ ٤٩٧، و«المغني» في الضعفاء ٢/ ٧٧٣، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٩٨.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ بسند جيد.

على قراءة من قرأ بالمد، وقال الكلبي[١]: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: كسرا جبالا صغارًا)[٢].

وروي هذا المعنى مرفوعًا عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال في قوله ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: (صار لعظمته ستة أجبل، فوقعت ثلاثة بالمدينة، أحد وورقان، ورضوى[٣]، ووقع ثلاثة بمكة ثور[٤] وثبير وحراء)[٥].

وهذا التفسير يقوي قراءة من قرأ بالتنوين، والتفسير الموافق للقراءتين ما روي عن[٦] ابن عباس أنه قال: (جعله ترابًا)[٧]. ونحو ذلك قول

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٢٥، وذكره الثعلبي ١٩٦ ب، والبغوي ٣/ ٢٧٨.

(٢) في (ب): أي: (كسرا جبالا لا صغار)، وهو تحريف.

(٣) أحد، بالضم: جبل أحمر بالمدينة المنورة في شمالها بينه وبينها قرابة ميل، انظر: «معجم البلدان» ١/ ١٠٩، وورقان بالفتح ثم الكسر جبل عظيم أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٣٧٢، ورضوى -بالفتح ثم السكون- جبل بالمدينة قرب ينبع، انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٥١.

(٤) ثور، بالفتح ثم السكون: جبل مشهور بمكة خلفها على طريق اليمن، انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٨٦، وثبير، بالفتح ثم الكسر وسكون الياء: جبل بمكة. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٧٢، وحراء، بالكسر والتخفيف والمد: جبل مشهور على ثلاثة أميال من مكة انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٢٣٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٠، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٧- ٢٣٨ بسند ضعيف جدًّا، فيه، الجلد بن أيوب البصري متروك الحديث، انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ٤٢٠، و«المغني» في الضعفاء١/ ١٣٥ «لسان الميزان» ٢/ ١٣٣، وذكر الحديث ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٧٢، وقال: (هذا حديث غريب بل منكر) وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٤، نحوه عن ابن عباس عن النبي ﷺ وقال: (وراه الطبراني في «الأوسط، وفيه طلحة بن عمرو المكي وهو متروك) اهـ. وذكره الشوكاني في «فتح القدير» ٢/ ٣٥٨، وزاد نسبته إلى (أبي الشيخ وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والديلمي) وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٢١-٢٢٢.

(٦) في (ب): (ما روي عن أنس عن ابن عباس)، وهو تحريف.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٠ بسند جيد.

مسروق: (صار صحراء(١) ترابًا)(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾. قال الليث: (الصعق مثل الغشي يأخذ الإنسان)(٣).

والصعقة الغشية، يقال: صعِق الرجل وصعَق، فمن قال: صعِق، قال: فهو صعِق، ومن قال: صعَق قال: فهو مصعوق، ويقال أيضا: صعق إذا مات، ومنه قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] فسروه الموت، ومنه قوله: ﴿يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] أي: يموتون، ويقال: أصعقته الصيحة أي: قتلته.

وأنشد الفراء:

أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتها صَوَاهِلُهْ(٤)

أي: قتلها صوته(٥).

---

(١) في: (ب): (صر صخرا ترابًا) وهو تحريف.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٦ ب.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٨، وانظر: «العين» ١/ ١٢٨، و«تأويل مشكل القرآن» ص٥٠١.

(٤) الشاهد لابن مقبل في «ديوانه» ص٢٥٢ وصدره:

ترى النُّعَرات الزرق تحت لَبَانه

وهو في: «إصلاح المنطق» ص٢٠٥، و«المعاني الكبير» ص/ ٦٠٦، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٣٠٢، و«الصحاح» ٤/ ١٥٠٧ (صعق)، و«المخصص» ٨/ ١٨٤، و«اللسان» ٤/ ٢٤٥٠ (صعق)، وبلا نسبة في «معاني الفراء» ١/ ٢٥٥، ٣٤٥، و«مجالس ثعلب» ص١٢٨، و«التكملة» لأبي علي ص٤٢٥، والنُّعَرات جمع نُعَرَة؛ ذباب يسقط على الدواب، واللبان الصدر، وصواهلة جمع صاهلة، وهو الصهيل والشاعر يصف فرسا بشدة صهيله وأنه يقتل الذباب.

(٥) النص كله من «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٨-٢٠١٩، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٨٨٥، و«المجمل» ٢/ ٥٣٣، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٨٥، و«المفردات» ص٤٨٤ (صعق).

فأما التفسير: فقال ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وابن زيد[٣]: (مغشيًا عليه). وقال قتادة: (ميتًا)[٤].

والذي يدل على صحة قول ابن عباس قوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾.

قال الزجاج: (ولا يكاد يقال للميت: قد أفاق من موته، ولكن يقال للذي يغشى عليه والذي قد ذهب عقله: قد أفاق من علته؛ لأن الله ﷻ قال في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾)[٥] [البقرة: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾. أي: تنزيهًا لك[٦] من السوء. ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾. أي: من مسألتي الرؤية. قاله[٧] الكلبي[٨] ومجاهد[٩]، والمعنى: من مسألتي الرؤية في الدنيا؛ لأن هذه القصة وقعت من مسألته الرؤية في

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ من طرق جيدة.

(٢) ذكره الماوردي ٢/ ٢٥٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧ عن ابن عباس والحسن وابن زيد، وذكره البغوي ٣/ ٢٧٨ عن ابن عباس والحسن.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣ بسند جيد.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦١ بسند جيد، وذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٥ عن قتادة أنه قال: (أي: مغشيًا عليه) اهـ.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٣ ومثله ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠١٨ (صعق)، وهذا القول أظهر وهو اختيار الجمهور، قال ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ١٢١: (فيه قولان: أحدهما: قد غُشي عليه، والقول الآخر قد مات. والأول هو الكثير المشهور) اهـ. وانظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٨٠، والطبري ٩/ ٥٣، وابن عطية ٦/ ٧١، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧، والرازي ١٤/ ٢٣٥.

(٦) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٤.

(٧) في (ب): (قال)، وهو تحريف.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٥.

(٩) أخرجه سفيان الثوري في «تفسيره» ص١١٣، عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٣٨، والطبري ٩/ ٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢ من طرق جيدة.

الدنيا .

وقال أهل العلم: (إن الرؤية وإن كانت جائزة فإن موسى سألها من غير استئذان من الله تعالى، فلذلك[١] تاب لأنه كان بغير إذن، وهذا إجماع من الأمة أن توبته لم تكن عن معصية؛ لأن عندنا سأل الرؤية لنفسه، ولا يكون هذا[٢] السؤال عندنا معصية[٣]، وعند من خالفنا[٤]: سأل الرؤية لقومه مع علمه أن ذلك لا يكون، أو سأل أمرًا عظيمًا، وكل واحد من هذين لا يكون معصية)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال مجاهد: (وأنا أول قومي إيمانًا)[٦]، وقاله السدي أيضًا[٧].

---

(١) في (ب): (فكذلك)، وهو تحريف.

(٢) في (ب): (لهذا)، وهو تحريف.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٥٥، وابن عطية ٦/ ٧١.

(٤) انظر: «الكشاف» ٢/ ١١٢- ١١٦.

(٥) انظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٥٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٧، وقال القرطبي ٧/ ٢٧٩: (أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون، وأيضًا عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة، وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبين لهم أنها غير جائزة وهذا لا يقتضي التوبة، فقيل: أي تبت إليك من قتل القبطي، وقيل: قالها على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات) اهـ.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٥٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢، من طرق جيدة.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٨، والبغوي ٣/ ٢٧٩، عن مجاهد والسدي، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٦، من طرق جيدة عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس، وأخرج الطبري ٩/ ٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٢، من طرق جيدة عن ابن عباس قال: (أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك في الدنيا) اهـ.

وقال أبو العالية: (وأنا أول من آمن أنه لا يراك أحد قبل يوم القيامة)[١]. واختاره الزجاج فقال: (أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا)[٢].

١٤٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.
الاصطفاء[٣]: استخلاص الصفوة لما لها من الفضيلة.

ومعنى ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: فضلتك على الناس)[٤].

وقال الزجاج: (أي: اتخذتك صفوة على الناس)[٥].

﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾، وقرئ[٦] ﴿برسالتي﴾، والرسالة تجري مجرى

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٥٥، بسند لا بأس به، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٦٨.
(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٤، وهذا هو الظاهر وهو اختيار الطبري ٩/ ٥٦، وقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال في الرد على الجهمية ص٩٦: (يعني: أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات)، وانظر: «مرويات الإمام أحمد في التفسير» ٢/ ١٩٧، وقال ابن كثير ٢/ ٢٧٣: (وهذا قول حسن له تجاه) اهـ. وانظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٢٨١.
(٣) الصَّفْو والصفاء: ممدود خلوص الشيء من الشوب نقيض الكدر وصفوة كل شيء خالصه وخيره، والاصطفاء الاختيار وتناول صفوة الشيء، افتعال من الصفوة: واستصفيت الشيء إذا استخلصته. انظر: «العين» ٧/ ١٦٢، و«الجمهرة» ٢/ ٨٩٣، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٢٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٠١، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٩٢، و«المجمل» ٢/ ٥٣٥، و«المفردات» ص٤٨٧، و«اللسان» ١٤/ ٢٤٦٨ (صفو).
(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٤/ ٢٣٦.
(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٤.
(٦) قرأ نافع وابن كثير (برسالتي) بغير ألف بعد اللام على التوحيد، وقرأ الباقون ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ بألف بعد اللام على الجمع. انظر: «السبعة» ص٢٩٣، و«المبسوط» ص١٦٣، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٥، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

المصدر؛ فيجوز إفرادها في موضع الجمع وإن لم يكن المصدر من (أرسل)[(١)]، وقد تقدم الكلام في هذا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾. هذا يدل على أنه سمع كلام الله ﷻ من غير واسطة؛ لأن ما يكون بواسطة يدخل في حد الرسالة، وأشار أبو إسحاق إلى أن معنى اصطفائه: هو تخصيصه بكلامه من غير واسطة؛ لأنه قال: (لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله ﷻ)[(٣)] أي: تفضيله موسى[(٤)] أنه سمع كلام الله من غير ملك، وإنما كان كلام الله تعالى لموسى من غير واسطة بينه وبينه فضيلة وشرفًا؛ لأن من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجلّ رتبة ممن أخذه عن واحد عنه، كما نقول في الأسانيد إلى النبي ﷺ؛ فإن أقربها إليه أعزها وأجلها[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ما فضلتك وكرمتك). وقوله ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. (يعني: لأنعمي والطائعين لي)[(٦)].

١٤٥- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾. قال ابن عباس:

---

(١) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ٧٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٣٣٦، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٣، ولابن زنجلة ص٢٩٥، و«الكشف» ١/ ٤٦٧.

(٢) انظر: «البسيط» نسخة جامعة الإمام ٣/ ٥٨ ب.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٥.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٧٩، والرازي ١٤/ ١٩٢.

(٥) انظر: «معرفة علوم الحديث» للحاكم ص١١٢-١١٣، وقال ابن الصلاح في «علوم الحديث» ص٢٥٦: (طلب العلو سنة وتستحب الرحلة فيه، وهو يبعد من الخلل وأجل أنواع العلو القرب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف غير ضعيف) اهـ.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٩.

(يريد: ألواح التوراة)[(١)].

واختلفوا في الألواح[(٢)] من أي شيء كانت، وكيف كانت الكتابة. فقال الربيع[(٣)]: (كانت الألواح من بُرْد)[(٤)].

وقال الحسن: (كانت من خشب نزلت من السماء)[(٥)].

وقال وهب: (كانت من صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها منها بيده)[(٦)].

وقال ابن جريج: (كانت من زمرد[(٧)] أمر الله جبريل حتى جاء بها من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ بسند جيد، وذكره السمرقندي ١/ ٥٦٩، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٩ والبغوي ٣/ ٢٨٠- ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٢) قال محمد أبو شهبة في كتاب «الإسرائيليات والموضوعات» في كتب التفسير ص٢٠١- ٢٠٣: (ذكر في الألواح مم هي وما عددها، أقوالًا كثيرة، وفيها ما يخالف المعقول والمنقول وهي متضاربة يرد بعضها بعضًا مما نحيل أن يكون مرجعها المعصوم ﷺ وإنما هي من الإسرائيليات حملها عنهم بعضهم بحسن نية وليس تفسير الآية متوقفا على كل هذا الذي رووه والذي يجب أن نؤمن به أن الله أنزل الألواح على موسى وفيها التوراة وما ذكروه لا يجب علينا الإيمان به والأولى عدم البحث فيه؛ لأنه لا يؤدي إلى فائدة ولا يوصل إلى غاية) اهـ. ملخصًا.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، وأخرجه الطبري ٩/ ٦٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ بسند جيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٤) البُرْد، بالضم: ثَوْب مخطط وأكسية يتلحف بها. انظر: «القاموس» ص٣٤١ (برد).

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن عطية ٦/ ٧٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٨، والرازي ١٤/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٨، والرازي ١٤/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٧) انظر: «القاموس» ص٢٨٥ (زمرد)، وص٣٢٥ (ورد).

عدن)[١]. ونحو ذلك قال مجاهد[٢] ومقاتل[٣].

وقال الكلبي[٤]: (كانت من زبرجدة[٥] خضراء).

وأما الكتابة، فقال: ابن جريج: (كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور فكتب به الألواح)[٦].

وقال مقاتل: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ كنقش الخاتم)[٧].

قال عطاء عن ابن عباس: (وكانت الألواح يومئذ ستة، ثم صارت أربعة وعشرين مِمّ ضُمَّ إليها من الوصايا والمواعظ)[٨].

وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، قيل: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام، والمحاسن والقبائح[٩]. وهذا معنى قول ابن عباس: (يريد: مما افترض وأحلّ وحرّم ونهى وأمر)[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٦٦، بسند جيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ص١٩٧/ ب، والبغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٧، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٦٦، من طرق جيدة بلفظ: من زمرد وفي رواية (من زمرد أخضر).

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦٣، وفيه: (كانت من زمرد وياقوت).

(٤) ذكره الثعلبي ١٩٧ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٩، والبغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٥) الزَّبَرْجَد، بالفتح جَوْهر. انظر: «القاموس» ص٣٦٤ (زبرجد).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ص١٩٧/ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٩، والبغوي ٣/ ٢٨١، والرازي ١٤/ ٢٣٦، والخازن ٢/ ٢٨٧.

(٧) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦٢، وفيه: (نقرا كنقش الخاتم) اهـ.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٥٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٥، والنحاس ٣/ ٧٦.

(١٠) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٣٩، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: (كان الله ﷻ كتب في الألواح ذكر محمد ﷺ وذكر أمته وما ادخر لهم عنده وما يسر عليهم في دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم) اهـ.

وقوله تعالى: ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، قال ابن عباس: (يريد: هداية إلى كل أمر هو لله رضى)(١).

وقال الكلبي: ﴿مَوْعِظَةً﴾ نهي عن الجهل ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [من الحلال والحرام(٢).

وقال مجاهد:](٣) ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مما أمروا به ونهوا عنه(٤). والتفصيل معناه: التبيين(٥)، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾(٦) [الأنعام: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾. قال ابن عباس(٧) ومقاتل(٨) والكلبي(٩): (بجد)، وقال الزجاج: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ في دينك وحجتك(١٠).

---

(١) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٦، نحوه، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٠ دون نسبة، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٥ بسند جيد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (قال: تبيانًا لكل شيء) اهـ.

(٢) قال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٠: (قيل الموعظة: النواهي، والتفصيل: الأوامر وهو معنى قول الكلبي) اهـ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٦، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٧ من طرق جيدة.

(٥) قال محمد أبو شهبة في كتاب «الإسرائيليات والموضوعات» في كتب التفسير ص٢٠٣: (المحققون من المفسرين سلفًا وخلفًا على أن المراد: أن فيها تفصيلًا لكل شيء مما يحتاجون إليه في الحلال والحرام والمحاسن والقبائح مما يلائم شريعة موسى وعصره وإلا فقد جاء القرآن الكريم بأحكام وآداب وأخلاق لا توجد في التوراة قط) اهـ.

(٦) لفظ: ﴿سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ساقط من (ب).

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٥٨ بسند ضعيف، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٥ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (بجد وحزم).

(٨) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦٣، وفيه: (يعني: التوراة بالجد والمواظبة عليه) اهـ.

(٩) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٦.

(١٠) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٥، ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٧.

وقال أهل المعاني: (بصحة عزيمة؛ لأنه لو أخذه بضعف نية لأداه إلى فتور العمل به)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾. قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: يحلّوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها، ويقفوا عند متشابهها)[٢].

وذكر أبو إسحاق في هذا وجهين: (أحدهما: أنهم أُمروا بالخير ونهوا عن الشرّ، وعرّفوا ما لهم في ذلك، فقيل: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾

قال: ويجوز أن يكون ما أمرنا به؛ من الانتصار بعد الظلم، ونحو القصاص في الجروح؛ فهذا كله حسن، والعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار، ونظير هذه الآية قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[٣] [الزمر: ١٨].

وقال قُطرب[٤]: ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾، أي: بحسنها وكلها حسن؛ كقوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]).

وقول الفرزدق:

---

(١) ذكره البغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٨.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، والخازن ٢/ ٢٨٨، وأخرج الطبري ٩/ ٥٨ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه) اهـ.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٥، ونحوه الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٢٣ (حسن).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٠، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩، والرازي ١٤/ ٢٣٧.

بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[(١)]

وقال أهل المعاني: (أحسنها الفرائض والنوافل وهي ما يستحق عليها الثواب، وأدونها في الحسن المباح؛ لأنه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾. قال ابن عباس[(٣)] في رواية عطاء والحسن[(٤)] ومجاهد[(٥)]: (هي جهنم). أي: فلتكن منكم على ذُكْر

---

(١) «ديوانه» ٢/ ١٥٥، و«الكامل» ٢/ ٣٠٨، والصاحبي ص٤٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩، والرازي ١٤/ ٢٣٧، و«اللسان» ٦/ ٣٨٠٨ كبر، و«الدر المصون» ٥/ ٤٥٤، و«الخزانة» ٨/ ٢٤٢، وأوله: (إن الذي سمك السماء بنى لنا) والشاهد فيه (أعز وأطول) حيث استعمل صيغتي التفضيل في غير التفضيل إذ لو كانتا للتفضيل لكان الفرزدق يعترف بأن لمهجوه وهو جرير بيتا دعائمه عزيزة طويلة وهذا لا يقصده الشاعر.

(٢) انظر: «معاني النحاس» ٣/ ٧٧، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٩، والماوردي ٢/ ٢٦٠-٢٦١، والبغوي ٣/ ٢٨١، وابن عطية ٦/ ٧٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٥٩، وقال الطبري في معنى الآية ٩/ ٥٨: (يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها والعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهي عنه) اهـ. وانظر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام ١٦/ ٦، و١٧/ ١٢.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٦، وذكره الرازي ١٤/ ٢٣٨، عن ابن عباس ومجاهد والحسن، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٠ عن عطاء والحسن ومجاهد، وذكره البغوي ٣/ ٢٨١- ٢٨٢، والخازن ٢/ ٢٨٩، عن عطاء والحسن، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (دار الكفار) اهـ.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ٧٧، والثعلبي ١٩٧ ب.

(٥) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦١، وابن عطية ٦/ ٧٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٠، والقرطبي ٧/ ٢٨٢ عن مجاهد والحسن، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٦ قال: (مصيرهم في الآخرة) اهـ، وأخرجه الطبري ٩/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة، وهذا القول ظاهر وهو اختيار الطبري ٩/ ٥٩، وابن كثير ٢/ ٢٧٥؛ لأن الجملة =

لتحذروا أن تكونوا منهم، وهي[(١)] تتضمن وعيدًا وتهديدًا لمن خالف أمر الله، كما تقول لمن تخاطبه: سأريك غدًا إلى ما يصير حال من خالف أمري[(٢)].

وقال قتادة: (سأدخلكم الشام فأريكم[(٣)] منازل الكافرين الذين كانوا سكانها من الجبابرة والعمالقة، أي: لتعتبروا بها، وما صاروا إليه من النكال فيها)[(٤)]. وهذا معنى قول الكلبي: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ما مروا عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا)[(٥)].

= متصلة بما قبلها، فهي من تمامها، وأولى الأمور أن يختم الأمر بالعمل بالوعيد على من ضيعه.
وقال ابن كثير: (هذا أولى والله أعلم لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن مصر وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه والله أعلم) اهـ.

(١) في (ب): (وهو).
(٢) هذا قول الطبري ٩/ ٥٩.
(٣) في (ب): (وأيكم).
(٤) ذكره الثعلبي ١٩٧ ب، والماوردي ٢/ ٢٦١، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤١، والبغوي ٣/ ٢٨٢، وابن عطية ٦/ ٧٧، وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٦، والطبري ٩/ ٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٦ من طرق جيدة عن قتادة قال: (منازلهم) اهـ. وقال ابن الصلاح في «علوم الحديث» ص٢٨١: (بلغنا عن أبي زرعة الرازي أن يحيى بن سلام المفسر حدث عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال: مصر، واستعظم أبو زرعة هذا واستقبحه وذكر أنه في تفسير سعيد عن قتادة: مصيرهم) اهـ.
(٥) ذكره الثعلبي ١٩٧ ب، والبغوي ٣/ ٢٨٢، وابن عطية ٦/ ٧٧، والرازي ١٤/ ٢٣٨، والخازن ٢/ ٢٨٩، وذهب الزمخشري في «تفسيره» ٢/ ١١٧، وابن عطية ٦/ ٧٧، والقرطبي ٧/ ٢٨٢ إلى أن المراد: منازل القرون الذين أهلكوا ومنها مصر دار فرعون وقومه، ويمكن الجمع بين القولين بأن الآية تضمنت الوعد للمؤمنين بدخول الأرض الموعودة ومنازل القرون الماضية والوعيد للفاسقين بهلاكهم ودخولهم جهنم. والله أعلم.

١٤٦- قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾. قال ابن عباس: (يريد: الذين يتجبرون على عبادي، ويحاربون أوليائي. ويستحلون محارمي حتى لا يؤمنوا بما جئت به)(١)، فالآيات على قول ابن عباس: هي القرآن، و﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ هم: المشركون.

قال(٢) ابن الأنباري: (والمعنى على هذا ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ عن قبول آياتي والتصديق بها لعنادهم الحق؛ عوقبوا بأن حرموا الهداية وسُتِرَ عنهم الحق. وهذا كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]). وذكر قولًا آخر، قال: (المعنى: ﴿سَأَصْرِفُ﴾ عن إبطال ﴿ءَايَٰتِيَ﴾ وعن الاعتراض عليها هؤلاء الكفرة، كما تقول: وهو يمنعني من زيد، أي: من ضربه، وأذاه، وكما قال عبد المطلب لما قصدت الحبشة البيت: (إن لهذا البيت(٣) ربا سيمنع منه)(٤). أي: سيمنع من تخريبه وقتل أهله)(٥).

وقال ابن جريج: (الآيات خلق السموات والأرض، يعني: أصرفهم

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤١، والبغوي ٣/ ٢٨٢، والخازن ٢/ ٢٨٩.

(٢) في: (ب): (كما قال).

(٣) هذه كلمة سارت مسير الأمثال، وذلك أن أبرهة الحبشي لما سار لهدم الكعبة وأشرف على مكة وجد إبلا لعبد المطلب وأخذها فذهب عبد المطلب إليه وكلمه في الإبل فعجب أبرهة منه وقال: (أتكلمني في الإبل ولا تكلمني في بيت فيه عزك وشرفك؟ فقال عبد المطلب: (أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنعه) وفي رواية (يحميه). انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٥١، و«الروض الأنف» ١/ ٦٩، و«السيرة النبوية» لأبي شهبة ص١٦٧- ١٦٩.

(٤) في: (ب): (عنه).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤١.

عن الاعتبار بما فيها)[(١)]. وهو قول ابن زيد[(٢)] ومقاتل[(٣)].

قال أبو إسحاق: (أي: أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية ﴿ءَايَٰتِيَ﴾).

قال: ومعنى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم، وهذه الصفة -أعني: المتكبر- لا تكون إلا لله ﷻ[(٤)] خاصة؛ لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، فبذلك يستحق أن يقال له: المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء وليس لأحد ما ليس لغيره، وهو المكبر جل وعز، فأعلم أن هؤلاء ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[(٥)].

وقال غيره من أهل المعاني[(٦)]: (التكبر: إظهار كبر النفس على غيرها)، وصفة متكبر صفة ذم في جميع العباد، وصفة مدح[(٧)] في القديم جل وعز؛ لأنه يستحق إظهار الكبر على من سواه لأن ذلك حق، وهذا المعنى في صفة غيره باطل.

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٦٠ بسند جيد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ص١٩٧/ ب، عن ابن زيد وابن جريج.

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٦٣، والأكثر على أن الآية عامة أي: سأمنع وأصد عن النظر في الآيات الكونية والشرعية والتفكر والاستدلال بها، انظر: الطبري ٩/ ٦٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٧٨، والسمرقندي ١/ ٥٦٩، والبغوي ٣/ ٢٨٢، وابن عطية ٦/ ٧٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٠.

(٤) في (أ): (جل وعز).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٦.

(٦) انظر: «معاني النحاس» ٣/ ٧٩، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٦٩، والماوردي ٢/ ٢٦٢.

(٧) انظر: «تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص ٣٥، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص ١٥٥، ٢٤١، و«الأسماء والصفات» للبيهقي ص ٩٣.

وقال أحمد بن يحيى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ من الكِبَر لا من الكِبْر[١]، أي: يتفضلون ويرون أنهم أفضل من غيرهم)[٢]، وهذا الذي قاله أحمد قريبٌ من الأول بل هو بعينه معنى.

وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ﴾ حجة على القدرية[٣]، و[٤]دليل ذلك أن له أن يصرف عن الإيمان من شاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ قال ابن عباس: (يريد سبيل الهدى والبيان الذي جاء من الله، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ قال: يريد: لا يتخذوه دينا، ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ يريد: طاعة الشيطان وضلالته، ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يريد: دينا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال الزجاج: ﴿ذَلِكَ﴾ يصلح أن يكون نصبا على معنى: فعل الله بهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[٦].

---

(١) قوله: (من الكِبَر، هو: بكسر الكاف وفتح الباء لا من الكِبْر هو بفتح الكاف وسكون الباء والتكبر التعظم، وكِبَر، بكسر الكاف وفتح الباء الهرم ضد الصغر، وكِبْر، بسكون الباء: العظمة، وكبُر، بفتح الكاف وضم الباء: عظم.
انظر: «العين» ٥/ ٣٦١، و«الجمهرة» ١/ ٣٢٧، و«الصحاح» ٢/ ٨٠١، و«المجمل» ٣/ ٧٧٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ١٥٣، و«المفردات» ص ٦٩٦، و«اللسان» ٥/ ١٢٥ (كبير).

(٢) «تهذيب اللغة» ١٠/ ٢١٠-٢١١ (كبر).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٣-٤. (٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤١-٢٤٢ بدون نسبة، وانظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ١١٤-١١٥، و«معاني الزجاج» ٣/ ٣٧٦، والنحاس ٣/ ٧٩، والسمرقندي ١/ ٥٧٠، والماوردي ٢/ ٥٧.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٦، وفيه: (ذلك يصلح أن يكون رفعا أي أمرهم ذلك، ويجوز أن يكون نصبا ..) اهـ وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٣٩٠، والسمين في =

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ أي: جحدوا الإيمان بها والنظر فيها والتدبر لها[١].

١٤٧- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، قال ابن عباس: (يريد: الثواب والعقاب)[٢]. وهذا معنى وليس بتفسير، وذلك أن تفسيره: ولقاء[٣] الدار الآخرة، وهي موعد الثواب والعقاب، ومن أنكرها فقد أنكر الثواب والعقاب[٤].

قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، أي: صارت كأنها لم تكن. قال ابن عباس: (يريد: ضل سعيهم)[٥] وقوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾. لا بد فيه من تقدير محذوف، أي: إلا بما [كَانُوا۟][٦]، أو على ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أو جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

= «الدر» ٥/ ٤٥٧-٤٥٨: (الأظهر أنه مبتدأ خبره الجار بعده، أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، وجوز فيه النصب فقدره ابن عطية ٧/ ١٦٢، فعلنا ذلك، فجعله مفعولا به، وقدره الزمخشري ٢/ ١١٧، صرفهم الله ذلك الصرف بعينه، فجعله مصدراً) اهـ، وانظر: «الفريد» ٢/ ٣٦٠.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٦، النحاس ٣/ ٨٠.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) قال الطبري ٩/ ٦١ في معنى الآية: (يقول: وهؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاء الله في آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت ..) اهـ.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٨٣. (٥) لم أقف عليه.

(٦) لفظ: (كانوا) ساقط من النسخ، وقال الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٢ في تفسير الآية: (أي بما كان أو على ما كانوا يعملون) اهـ.

وقال السمين في «الدار» ٥/ ٤٥٨- ٤٥٩: (قال الواحدي: هنا لا بد من تقدير محذوف أي: إلا بما كانوا أو على ما كانوا أو جزاء ما كانوا، قال السمين: لأن نفس ما كانوا يعملونه لا يجزونه إنما يجزون بمقابله، وهو واضح). اهـ.

١٤٨- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، قال المفسرون[١]: (أي: من بعد انطلاقه ومجيئه إلى الجبل[٢] للميقات).

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾، قال الليث: (الحَلْي كل حلية حليت بها امرأة، والجمع حُلِي، وتحلت المرأة اتخذت حُليًا ولبسته، وحَلَّيتها أنا أي: ألبستها[٣] واتخذته لها مخال[٤] قال[٥]: ولغة حَلِيت المرأة أي: لَبِسَتْه)[٦]. وأنشد:

وحَلْي الشَّوَى منها إذا حَلِيَتْ به على قَصَباتٍ لا شِخاتٍ ولا عُصْلِ[٧]

وقال ابن السكيت: (حَلَيْت المرأة وأنا أحليها إذا جعلت لها حليًا. وبعضهم يقول: حلوتها، بهذا المعنى)[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٢، و«معاني النحاس» ٣/ ٥٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٠.

(٢) في (ب): (إلى الجبل والميقات).

(٣) في النسخ: (أي لبسته) وهو تحريف.

(٤) لفظ (لها مخال) ساقط من (ب)، ولم ترد في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٩، ولعلها مَحال بالحاء المهملة، وهو ضرب من الحُلي، انظر: «القاموس» ص١٣٦٥ (محل).

(٥) لفظ: (قال) ساقط من (أ).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٩، وانظر: «العين» ٣/ ٢٩٦.

(٧) الشاهد لذي الرمة في «ديوانه» ص٥٧، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٩، «اللسان» ٢/ ٩٨٥ (حلى)، قال الخطيب التبريزي في «شرحه»: (يريد بالشوى: يديها ورجليها، والقصبات: العظام التي فيها المخ، ولا شخات أي: لا دقاق، ولا عصل، معوجة) اهـ.

(٨) «إصلاح المنطق» ص١٣٩، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٩. والحلى بفتح الحاء وسكون اللام جمع (حُلِي) بضم الحاء وكسر اللام: وهو ما تزين به من مصوغ المعادن أو الحجارة.

انظر: «الصحاح» ٦/ ٢٣١٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٩٤، و«المجمل» ١/ ٢٤٧، و«المفردات» ص٢٥٤ (حلى).

قال الزجاج: (ويقرأ[١] ﴿مِنۡ حَلۡيِهِمۡ﴾، فمن قرأ من ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾ فهو جمع حَلي مثل حقوٍ[٢] وحُقيّ، ومن كسر الحاء أتبع الحاء كسرة اللام)[٣].

قال أبو علي الفارسي: (يقال: حَلْي وحُلي مثل ثَدْي وثُدِي، ومن الواو حَقْو وحُقِي، وحِلي على وزن (فعول) قلبت واو فعول ياء لوقوعها قبل الياء التي هي لام، كما أبدلت واو مفعول في (مَرْمِي)، وأبدلت من ضمة عين (فُعُول) كسرة، كما أبدلت ضمة عين مفعول في (مَرْمى) وإن كانت اللام واوًا أبدلت منها الياء، وذلك نحو حَقْوٍ وحقي، وإنما أبدلت الواو ياء لإدغامها في الياء، فأما الحاء التي هي فاء في الحُلي، فإنها بقيت مضمومة كما كانت مضمومة في كُعُوب وفُلُوس، ومثال هذا مما أبدلت الواو منها ياء، وأبدلت في ضمتها الكسرة قولهم: أدحي النعام[٤] وآري الدابة[٥]، هما (فاعول) إلا أن اللام من أدحي واو وقلبت ياء، ومن آري

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿حِلِيِّهِمۡ﴾ -بكسر الحاء واللام والياء مع تشديد الياء- وقرأ الباقون مثلها إلا أنهم ضموا الحاء ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾، وقرأ يعقوب: ﴿حَلْيِهم﴾ -بفتح الحاء وسكون اللام وكسر الياء مع تخفيفها-، انظر: «السبعة» ص٢٩٤ «المبسوط» ص١٨٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٥، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

(٢) الحَقْو: الكَشْح، والإزار أو مقعده، والحقو: الخاصرة وجانب الشيء، والحَقْو: الموضع المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم. انظر: «اللسان» ٢/ ٩٤٨ (حقو).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٨٦ وفيه: (فمن قرأ ﴿حَلْيِهِمۡ﴾ بالفتح فالحَلْي: اسم لما يحسن به من الذهب والفضة، ومن قرأ ﴿حُلِيِّهِمۡ﴾ بضم الحاء فهو: جمع حَلْى مثل\حَقْو وحُقَيٍّ، ومن كسر الحاء أتبع الحاء كسر اللام) اهـ وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٠.

(٤) أدحي النعام: مبيضها في الرمل. انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٣٨ (دحى).

(٥) آري الدابة: محبس الدابة. انظر: «اللسان»١/ ٦٨ (أرى).

ياء، والكسرة في البناءين مبدلة[(١)] من ضمةٍ.

فأما قراءة من كسر الحاء من[(٢)] ﴿حِلِيِّهِمْ﴾ فوجه ذلك أن الكسر من الجموع قد غير عما كان الواحد عليه في اللفظ والمعنى، ألا ترى أن الاسم المكسر في الجمع يدل بالتكسير على الكثرة، فغير الفاء أيضًا في التكسير، وذلك أنه لما غير الاسم تغييرين وهو إبدالك الواو ياء، وإبدال الضمة كسرة، قوي هذا التغيير على تغيير الفاء، ومثال هذا: الاسم المنسوب إليه، فإنه تغير عما[(٣)] كان عليه لفظًا ومعنى، فتغير اللفظ ما لحقه من الزيادات، وتغير المعنى هو أنه صار صفة، وكان قبلُ اسمًا فقوي التغيير للنسب على تغيير الفاء حتى قالوا: بِصْري بكسر الباء، ودُهري بضم الدال في النسبة إلى البصرة وإلى الدهر، فهذا وجه كسر الحاء، وقد جاء حرفان نادران من هذا القبيل ولم تقلب الواو ياء في الجمع، وذلك ما حُكي من قولهم: إنكم لتنظرون في نُحُوٍّ كثيرة، وما أنشده أحمد بن يحيى:

وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حمًا[(٤)]

---

(١) في (ب): (مبدوله).

(٢) لفظ: (من) مكرر في (ب).

(٣) في (ب): (كما كان)، وهو تحريف.

(٤) الشاهد لعبد الله بن عجلان، شاعر جاهلي، كما في «الشعر والشعراء» ص٤٧٩، وصدره:

ألا إن هندًا أصبحت منك محرمًا

وهو بلا نسبة في «العين» ٣/ ٣١٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٠٩، و«اللسان» ٢/ ١٠١٣ (حمى)، وأوله عندهم:

لقد أصبحت أسماء حجرًا محرمًا

والشاعر كانت له زوجة فطلقها وتزوجها أخوه يقول: أصبحت أخًا زوجها بعد ما كنت زوجها.

فجاءت الواو في الحُمُوَّة مصححةً وكان القياس أن ينقلب ياء من حيث كان جمعًا، ولحاق تاء التأنيث في الحموة على حد عمومة وخيوطة، ومما يؤكد كسر الفاء في ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ قولهم: قِسيٌّ من جمع (قوس)، ألا ترى أنا لا نعلم أحدًا يسكن إلى روايته حكى فيه غير الكسر في الفاء، فهذا مما يدل على تمكن الكسرة في هذا الباب الذي هو الجمع، وأما ما كان من هذا النحو واحدًا كالمُضي والصُلي مصدر صَلِيَ، فإن الفاء منه لا يكسر كما كُسِر في الجموع، لأن الواحد لم يتغير فيه المعنى كما تغير في الجمع، على أن أبا عمر[1] حكى عن أبي زيد (أوَى إليه إوِيًا بالكسر)[2]، فأما قوله: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١]، وقال في أخرى[3]: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] فإن الواو في (العتو) لما كان طرفًا أبدل في الجمع، ولا يلزم فيه البدل كما يلزم في الجمع)[4].

---

(١) في النسخ: «عمرو» والتصحيح من «الحجة» لأبي علي ٤/ ٨٦ وهو: صالح بن إسحاق الجرمي مولاهم أبو عمر البصري، إمام نحوي، لغوي، صدوق، ورع، فقيه، أخذ عن أبي زيد وأبي الحسن الأخفش وأبي عبيدة والأصمعي وغيرهم وله مصنفات مفيدة منها «الفرخ» في النحو، و الأبنية، والعروض، توفي سنة ٢٢٥هـ. انظر: «طبقات النحويين» للزبيدي ص٨٤، و«تاريخ بغداد» ٩/ ٣١٣، و«أنباه الرواة» ٢/ ٨٠، و«معجم الأدباء» ١٢/ ٥، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٤٨٥، و«البلغة» ص١١٣.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٦ (أوى).

(٣) في (أ): (أخريهم)، وهو تحريف.

(٤) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٨٠-٨٨ مع بعض الاختصار، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٣، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٤، ولابن زنجلة ص٢٩٦، و«الكشف» ١/ ٤٧٧.

وكانت قصة الحلي والعجل على ما ذكره المفسرون[١]: (إن بني إسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي، فاستعاروا حلي القبط لذلك اليوم، فلما أخرجهم الله من مصر وغرقهم بقيت تلك الحلي في أيديهم، فجمع السامري ذلك الحلي، وكان رجلًا مطاعًا فيهم ذا قدر، وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم إلهًا يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يعبدون أصنامًا، فصاغ السامري عجلًا، وجعله في بيت، وأعلمهم أن إلههم وإله موسى عنده، فذلك قوله: ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾.

قال الزجاج: (والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجسد معنى الجثة فقط)[٢].

وقال الفراء: (كان جسدًا مجوفًا)[٣].

وأكثر أهل التفسير[٤] على: أنه صار جسدًا ذا لحم ودم، قال وهب: (جسدًا لحمًا ودمًا)[٥].

[و][٦] قال قتادة: (جعله الله جسدًا لحمًا ودمًا له خوار)[٧].

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» ٩/ ٦٢ قصة الحلي والعجل بسند ضعيف عن ابن عباس وسعيد بن جبير، ومن طرق جيدة عن مجاهد والسدي وابن زيد وابن إسحاق.
وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٧، و«إعراب القراءات» لابن خالويه ١/ ٢٠٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٧ ومثله قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٨٠- ٨١.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٣.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٨٣، وذكر هذا القول ابن عطية ٦/ ٨٢، وقال: (وهذا ضعيف لأن الآثار في أن موسى برده بالمبارد تكذب ذلك) اهـ.

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف» ١٩٧ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٣.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٨ بسند جيد.

وقال عطاء: (قال الله تعالى لموسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [طه: ٨٥]، قال موسى: يا رب هذا السامري أخرج لهم عجلًا من حليهم، فمن[1] جعل له جسدًا؟ يريد الجسم[2] واللحم والدم، ومن جعل له خوارًا؟ قال الله [تعالى][3]: أنا، قال موسى: وعزتك وجلالك ما أضلهم غيرك، قال: صدقت يا حكيم الحكماء)[4].

وقال الحسن: (قبض السامري قبضة [تراب][5] من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذف ذلك التراب في[6] العجل، فتحول لحمًا ودمًا)[7].

قال أبو إسحاق: (ويقال في التفسير: إنه سمع صوته مرة واحدة فقط)[8]. وهذا يروى عن ابن عباس[9] كما قاله الحسن وأبو إسحاق[10]: (إن السامري كان قد أخذ قبضة من تراب أثر فرس جبريل، ثم ألقاها في العجل وأنه خار خورة واحدة ولم يثن).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. قال ابن

---

(١) في (ب): (من جعل).

(٢) في (ب): (يريد بالجسم اللحم والدم).

(٣) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).

(٤) لم أقف عليه، وهو أثر غريب منكر.

(٥) لفظ: (تراب) ساقط من (أ)، وملحق أعلى السطر في (ب).

(٦) في (أ): (ذلك التراب في في العجل).

(٧) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٤٦، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٣.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٧، ومثله قال الفراء في «معانيه» ١/ ٣٩٣.

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٦٢ من طرق ضعيفة، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٨ من طرق جيدة.

(١٠) ليس في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٧ أنه أخذ من أثر الفرس، ولعل الواحدي يقصد أنه خار مرة واحدة فقط.

عباس: (يريد: لا يرشدهم إلى دين)[(١)]، يريد: العجل.

قال أصحابنا: (هذا يدل على أن من لا يكون متكلمًا لا يجوز أن يكون إلهًا، وأن الإله هو الذي يتكلم ويهدي السبيل)[(٢)]. وقوله: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: إلهًا ومعبودًا، كقوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [البقرة: ٥١]. أي: إلهًا. وقد مر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: مشركين)[(٣)]. قال أهل المعاني: (وهذه الآية إخبار عن جهل بني إسرائيل في اتخاذهم العجل إلهًا وهو لا يهديهم سبيلًا، ولا يستطيع كلامًا فيدعو إلى رشدٍ أو يصرف عن غيّ)[(٤)].

١٤٩- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾، قال ابن عباس[(٥)] والمفسرون[(٦)]: (أي: ندموا على عبادتهم العجل).

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٣ بلا نسبة. وقال الزجاج ٢/ ٣٧٨ في معنى الآية: (أي: لا يبين لهم طريقًا إلى حجة) اهـ.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٢.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٢.

(٤) قال الطبري ٣/ ١١٧ في معنى الآية: (يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل، وذلك أن الرب جل جلاله الذي له ملك السموات والأرض ومدبر ذلك لا يجوز أن يكون جسدًا له خوار لا يكلم أحدًا ولا يرشد إلى خير...) اهـ.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٤.

(٦) انظر «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٨، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٠، و«تفسير غريب القرآن» ١٨٠-١٨١، و«تفسير الطبري» ٩/ ٦٢، والسمرقندي ١/ ٥٧١، والبغوي ٣/ ٢٨٣، وقال الرازي ١٥/ ٧: (اتفقوا على أن المراد اشتد ندمهم على عبادة العجل) اهـ.

قال الفراء: (يقال: سُقِط في يده وأُسْقِط من الندامة، وسُقط أكثر وأجود)[١].

وقال الزجاج: (يقال للرجل النادم على ما فعل الخَسِرِ على ما فرط منه: قد سُقِط في يده وأُسْقِط)[٢]. قال الأزهري: (وإنما حَسَّنَ قولَهم: سقط في يده، بضم السين غير مسمًّى فاعله الصفةُ وهي قولهم: (في يده)، ومثله قول امرؤ القيس:

فدع عنك نهبًا صيح في حَجَراته ... ولكنْ حديثًا ما حديث الرواحل[٣]

أي: صاح المنتهب في حجراته، وكذلك[٤] المراد: سقط الندم في يده)[٥] انتهى كلامه.

فقد بان بقول المفسرين وأهل اللغة أن قولهم: (سُقط في يده) معناه: نَدِم، وأن هذا اللفظ يستعمل في صفة النادم، فأما القول في أصله ومأخذه فلم أر لأحد من الأئمة فيه شيئًا أرتضيه إلا ما ذكره أبو القاسم الزجاجي، وهو أنه قال: (قوله: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بمعنى[٦] ندموا، نظمٌ لم يُسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب، ولم يوجد ذلك في أشعارهم، والذي يدل على صحة ذلك أن شعراء الإسلام لما سمعوا هذا النظم واستعملوه في

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٣ وفيه زاد (وأسقط لغة). وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٨، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٨١ .

(٣) «ديوانه» ص١٣٥، و«اللسان» ٤/ ٢٠٣٩ (سقط)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٦١، وفي «الديوان» (دع) بدل فدع، والنهب: الغارة والسلب، وحجراته: نواحيه، والرواحل: النوق.

(٤) في (ب): (ولذلك)، وهو تحريف.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧١٣ (سقط).

(٦) في (ب): (معناه).

كلامهم خفي عليهم وجه الاستعمال؛ لأن عادتهم لم تَجْرِ بِهِ، فقال أبو نواس[(١)]:

ونشوة سقطت منها في يدي[(٢)]

وأبو نواس هو العالم النّحْرِير[(٣)] فأخطأ في استعمال هذا اللفظ، لأن فُعِلتْ لا يبنى إلا من فعل[(٤)] متعدٍّ وسُقط لازم لا يُعدى إلا بحرف الصفة. لا يُقال: سُقِطت كما لا يقال: رُغِبتُ، وغُضِبتُ، إنما يقال: رُغِب فيّ، وغضْبَ عليّ، وذكر أبو حاتم[(٥)]: (سُقط فلان في يده، بمعنى: ندم)، وهذا خطأ مثل قول أبي نواس؛ لأنه لو جاز: سُقط فلان في يده، لجاز: سقطت في يدي، ولو كان الأمر على ما ذكره لكان النظم: ولمّا سُقطوا في أيديهم، أو سقط القوم في أيديهم.

---

(١) أبو نُواس: هو الحسن بن هانئ الحكمي مولاهم أبو علي البصري، شاعر مشهور، عالم باللغة، فصيح، أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة وغيرهما، وهو شاعر مجيد، لكن فسقه ظاهر، أكثر من النظم في المجون والخمر والغلمان، وغلب عليه اللهو، وذكر عنه التوبة في آخر عمره. توفي سنة ١٩٥هـ أو بعدها وقد قارب الستين سنة.
انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٣٨، و«تاريخ بغداد» ٧/ ٤٣٦، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٩٥، «لسان الميزان» ٧/ ١١٥، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٤/ ٢٥٧، و«الإعلام» ٢/ ٢٢٥.

(٢) ليس في «ديوانه»، ولم أقف على تكملته. ونقله السمين في «الدر» ٥/ ٤٦٢ عن الواحدي، وذكره الميداني عن الزجاجي في «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣١.

(٣) النّحْرِير: الحاذق الماهر العاقل المجرب وقيل: الرجل الفطن المُتْقِن البصير في كل شيء، انظر: «اللسان» ٧/ ٤٣٦٥ (نحر).

(٤) انظر: «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» للصفدي ص٣١٤.

(٥) أبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني. تقدمت ترجمته؛ والنص عنه في «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣١، وانظر «اللسان» ٤/ ٢٠٣٨، و«التاج» ١٠/ ٢٨٣ (سقط).

وحقيقة معنى السقوط[١]: نزول الشيء من أعلى إلى أسفل، ووقوعه على الأرض، ولهذا قالوا: سقط المطر، ويسمى الجليد سَقِيطًا، ويقال: سقط من يدي شيء، وأسْقَطت المرأة ولدها، ومنه سَقْط النار والولد، وسِقْطا الخِبَاء: جانباه اللذان يسقطان على الأرض، هذا أصل، ثم توسعوا واستعاروا هذه اللفظة حيث لا يكون هناك نزول من أعلى إلى أسفل تشبيهًا، فقالوا للخطأ من الكلام: سَقَط؛ لأنهم شبهوه بما لا يحتاج إليه فيسقط، ويقال للرجل إذا أخطأ: كان ذلك منه سَقطة[٢]، شبهوا ذلك [بـ]السقطة[٣] على الأرض، ومعنى ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: سقط الندم في أيديهم، ولم يذكر الندم، وقيل: سُقط، على ما لم يُسم فاعله، كما يقال: رُغب في فلان، على ما بيَّنا، وذكر اليد هاهنا لوجهين:

أحدهما: أنه يقال للذي يحصل على شيء، وإن كان ذلك مما لا يكون في اليد: قد[٤] حصل في يده مكروه، يُشَبَّه ما يحصل في النفس وفي القلب بما يرى بالعين، وخصت اليد بالذكر لأن مباشرة الذنوب بها، فاللائمة ترجع عليها لأنها هي الجارحة العظمى فيسند إليها ما لم تباشره كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد[٥].

(١) انظر: (سقط) في «العين» ٥/ ٧١، و«الجمهرة» ٢/ ٨٣٥، و«الصحاح» ٣/ ١١٣٢، و«المجمل» ٢/ ٤٦٦، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٨٦، و«المفردات» ص٤١٤.

(٢) في (ب): (سقطًا).

(٣) لفظ: (الباء) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (فقد)، وهو تحريف.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٢٨٦.

الوجه الثاني: أن الندم حدث يحصل في القلب[(١)]، وأثره يظهر في اليد؛ لأن النادم[(٢)] يعض يده ويضرب إحدى يديه على الأخرى، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]. فتقليب الكف عبارة عن الندم؛ لأن من ندم على شيء قلب كفيه وصفق اليمنى على اليسرى تحسرًا على ما فعل.

ومن هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، أي: ندمًا وتحسرًا على كفره بالله، فلما كان أثر الندم يحصل في اليد من الوجه الذي ذكرنا أضيف سقوط الندم إلى اليد؛ لأن الذي يظهر للعيون من فعل النادم هو تقليب الكف وعض الأنامل واليد، كما أن السرور معنى في القلب يستشعره الإنسان، والذي يظهر من حاله الاهتزاز والحركة والضحك وما يجري مجراه، والقراءة المشهورة ﴿سُقِطَ﴾ على ما لم يسم فاعله، وهذا الفاعل إذا ظهر لا بد من أن يكون الندم على ما ذكره الزجاج وغيره)[(٣)]، هذا الذي ذكرناه معنى كلامه، وبعض لفظه، وهو صحيح واضح لا غبار عليه.

---

(١) في (ب): (يحصل بالقلب).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣١.

(٣) لم أقف عليه عن الزجاجي في كتبه بعد طول بحث عنه وذكره الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/ ٣٣١، عن الزجاجي مختصرًا، ونقله السمين في «الدر» ٥/ ٤٦٢-٤٦٣، وجعل الكلام في ذكر اليد من قول الواحدي، وقال الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٨: (حكى الواحدي عن بعضهم أن هذا مأخوذ من السقيط، وهو ما يغشى الأرض بالغدوات شبه الثلج، ومعنى سقط في يده أي: وقع في يده السقيط والسقيط يذوب بأدنى حرارة ولا يبقى، فصار مثلًا لكل من خسر في عاقبته ولم يحصل من سعيه على طائل وكانت الندامة آخر أمره) اهـ ملخصًا. وانظر: «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢١٦، و«المستقصى» ٢/ ١١٩.

[و][1] قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ أي: وعلموا أنهم قد ابتلوا بمعصية الله، ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ الآية. وهذا الندم والاستغفار إنما كان بعد رجوع موسى إليهم.

١٥٠- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾، اختلفوا في معنى: الأسف؛ فقيل الأسف: الشديد الغضب، وهو قول أبي الدرداء[2]، وعطاء عن ابن عباس[3] واختيار الزجاج[4]، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. أي: أغضبونا، واختاره ابن قتيبة أيضًا فقال: (يقال: آسفني فأسفت أي: أغضبني فغضبت، ومنه قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[5].

و[6]قال ابن عباس[7] والسدي[8] والحسن[9]: (الآسف الحزين)،

---

(١) لفظ: (الواد) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٦٤ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ ب، والبغوي ٣/ ٢٨٤ وابن الجوزي ٣/ ٢٦٣، والرازي ١٥/ ١٠، والقرطبي ٧/ ٢٨٦، ابن كثير ٢/ ٢٧٦، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣٥.

(٣) ذكره الرازي ١٥/ ١٠.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٨ واختاره أكثرهم. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٨، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٠، «تفسير الطبري» ٩/ ٦٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٢، و«نزهة القلوب» ص٧٤.

(٥) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٣.

(٦) (الواو): ساقطة من (ب).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٦٩ من طرق جيدة، وذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٢، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣٥.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٦٣ بسند جيد، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٧ ب، والبغوي في «معالم التنزيل» ٣/ ٢٨٤، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ٢٨٦-٢٨٧ عن ابن عباس والسدي.

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٦٤ بسند جيد، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٢٦٣. =

ونحو ذلك قال الكلبي[(١)]، والقولان متقاربان[(٢)]؛ لأن الغضب من الحزن، والحزن من الغضب، فإذا[(٣)] جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ممن هو فوقك حزنت، يسمى أحدهما: حزنًا، والآخر: غضبًا، وأصلهما أن يصيبك ما تكره.

يدل على هذا ما قاله الليث: (الأسَفُ في حال الحُزن، وفي حال الغَضَب إذا جاءك أمر ممن هو دونك فأنت أسف [أي: غضبان، وقد آسَفَك، وإذا جاءك أمر ممن هو فوقك[(٤)] فحزنت له ولم تطقه فأنت أسف][(٥)] أي: حزين)[(٦)]. ومن هذا قال القائل[(٧)]:

فحُزْنُ كل أخي حزنٍ أخو الغضب

فبين مقاربة ما بينهما، وعلى هذين المعنيين استعملت العرب الأسف. قال الأعشى:

= والرازي ١٤/ ١٠ عن ابن عباس والحسن والسدي.

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٤ عن الكلبي والسدي.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ٦/ ٨٦، ونقل قول الواحدي، الرازي ١٥/ ١٠.

(٣) في (ب): (وإذا).

(٤) في «العين» ٧/ ٣١١: (ممن هو فوقك أو من مثلك فأنت أَسِف)، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ١٦١، عن الليث: (وإذا جاءك أمر فحزنت له ولم تطقه..).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ١٦١.

(٧) «الشاهد» لأبي الطيب المتنبي في «ديوانه» ص٤٣٦ وبلا نسبة في «المفردات» ص٧٥ (أسف)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٦٦، و«عمدة الحفاظ» ص١٦، و«بصائر ذوي التمييز» للفيروزأبادي ٢/ ١٨٥ وأوله: (جزاك ربك بالأحزان مغفرة). وانظر شرح البيت في «شرح ديوان» المتنبي للواحدي ص٦١١ .

أرى رجلًا منهم أسيفًا كأنما يضم إلى كشحيه كفًا مخضبا[(١)]

يقول: كأن يده قطعت واختضبت بدمه فغضب لذلك، فهذا في الغضب، وأما في الحزن فما روى في حديث عائشة- رضي الله عنها[(٢)]- أنها قالت: إن أبا بكر رجل أسيف[(٣)].

قال أبو عبيد: (الأسيف: السريع الحزن والكآبة[(٤)]، قال: ويقال من هذا كله: أسفت آسف أسفًا)[(٥)]، فعلى هذا كان موسى غضبان على قومه لأجل عبادتهم العجل ﴿أَسِفًا﴾ حزينًا لأن الله فتنهم، وقد كان قال له: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

---

(١) «ديوانه» ص٨٠، و«مجالس ثعلب» ص٣٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٦١، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٠٣، و«اللسان» ١/ ٧٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٦٦، وفي «الديوان» (رجلًا منكم) بدل (منهم).

(٢) في: (أ): (عنهما).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤) في الأذان باب: حد المريض أن يشهد الجماعة، وفي باب: من أسمع الناس تكبير الإمام، رقم (٧١٢) وفي باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم رقم (٧١٣)، وفي كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:٧]، وأخرجه مسلم رقم (٤١٨) كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرها رقم (٣٣٨٤)، عن عائشة- رضي الله عنهما- قالت: قال النبي ﷺ في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقلت: (إنه رجل أسيف..) الحديث.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٦١، وفي «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٠٠ قال: (سريع الحزن والبكاء) اهـ.

(٥) «غريب الحديث» ١/ ١٠٠، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٦١، وزاد: (والأسِف: الغضبان المتلهف على الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ اهـ. وانظر: «المنجد» ص١٠٨، و«الصحاح» ٤/ ١٣٣٠، و«المجمل» ١/ ٩٥، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٠٣، و«المفردات» ص٧٥ (أسف).

وقال الكلبي: ﴿أَسِفًا﴾ حزينًا لعبادة العجل[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِيَ﴾[٢][٣]. أي: بئسما عملتم بعدي، يقال: خلّفه بما يكره، وخَلَفه بما يحب إذا عمل خلفه ذلك العمل. قال ابن عباس: (يريد: اتخاذهم العجل وكفرهم بالله)[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾. معنى العَجَلة[٥]: التقدم بالشيء قبل وقته، ولذلك صارت مذمومة، والسرعة غير مذمومة؛ لأن معناها: عمل الشيء في أقل أوقاته.

قال الفراء[٦] والزجاج[٧]: (يقال: عجلت الشيء إذا سبقته، وأعجلته أي: استحثثته).

ومعنى ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[٨]. قال ابن عباس: (يعني: ميعاد ربكم فلم تصبروا له)[٩].

---

(١) في النسخ: (إنا قد فتنا)، وهو تحريف.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٤.

(٣) في (ب) تكرار: (من بعدي).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٤.

(٥) انظر: «العين» ١/ ٢٢٧، و«الجمهرة» ١/ ٤٨٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤١، و«الصحاح» ٥/ ١٧٥٩، و«المجمل» ٣/ ٦٤٩، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٣٧، و«المفردات» ص٥٤٨، و«اللسان» ٥/ ٢٨٢١ (عجل).

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٣، ومثله قال الطبري ٩/ ٦٤.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٨.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢٦٤، والرازي ١٥/ ١١.

وقال الحسن[١]: (وعد ربكم الذي وعدتم من الأربعين ليلة، وذلك أنهم قدروا أنه مات لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة).

وقال عطاء[٢]: (يريد: تعجلتم سخط ربكم). وقال الكلبي: (أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: التي فيها التوراة)[٤].

وروي أن النبي ﷺ قال: «**يرحم الله أخي موسى ما المُخبَر كالمعاين، لقد أخبره الله بفتنة قومه، فعرف أن ما أخبره ربه حق، وإنه على ذلك لمتمسك بما في يديه، فرجع إلى قومه ورآهم[٥] فألقى الألواح**»[٦].

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦٣، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٥، والبغوي ٣/ ٢٨٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٤، والرازي ١٥/ ١١.

(٢) ذكره الرازي ١٥/ ١١.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ٢٢٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٥، والبغوي ٣/ ٢٨٤، والرازي ١٥/ ١١.

(٤) ذكره أكثرهم بلا نسبة. انظر: «الوسيط» ١/ ٢٤٥، والبغوي ٣/ ٢٨٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٤، والرازي ١٥/ ١١.

(٥) في (ب): (ورآلهم) وهو تحريف.

(٦) أخرج أحمد في «المسند» ٤/ ١٤٧ رقم ٢٤٤٦- تحقيق أحمد شاكر، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٠، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢١ من طرق جيدة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**ليس الخبر كالمعاينة، إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت**» اهـ. واللفظ لأحمد. وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي في «التلخيص».

وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٣٥، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد والبزار وابن حبان والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه).

=

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾. قال الكلبي: (بذؤابة أخيه، وشعره بيده اليمنى، ولحيته باليسرى)(١).

وقال ابن الأنباري: (لما رجع موسى فوجدهم مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه، وأقبل على أخيه هارون بالملامة، ومد يده إلى رأسه لشدةِ موجدته عليه، إذ لم يلحق به فيعرفه ما جرى بنو إسرائيل إليه من الأمر العظيم ليرجع فيتلافاهم، وهذا بيِّن في قوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ الآية [طه: ٩٢]، فأعلمه هارون أنه إنما أقام بين أظهرهم خوفًا على نفسه من القتل، وهذا بيّن في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾، فكان مد موسى يده إلى رأس أخيه عند توهمه أنه قد عصى الله بمقامه وتركه اللحوق به، وتعريفه ما أحدث قومه بعده، فلما سمع [موسى](٢) اعتذار هارون، زال عنه ما كان لحقه مما توهمه على أخيه، و﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾(٣) الآية)(٤).

= وأخرج أحمد ٣/ ٢٥٤ رقم ١٨٤٢، والقضاعي في «مسند الشهاب» ٢/ ٢٠١-٢٠٢ رقم ١١٨٢- ١١٨٤، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٣/ ٣٦٠- و ٨/ ٢٨ من طرق جيدة، عن أنس وأبي هريرة وابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ليس الخبر كالمعاينة» اهـ. وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص٤١٤، و«كشف الخفاء» ٢/ ١٦٨.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٥.

(٢) لفظ: (موسى) ساقط من (ب).

(٣) لفظ: (﴿وَلِأَخِى﴾) ساقط من (أ).

(٤) ذكر الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٥ عن الكلبي نحوه. وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٤ بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ قرئ بكسر الميم وفتحها[١]، [ف]من[٢] كسر الميم فقال الزجاج: (فإنه أضاف إلى نفسه بعد أن جعلها[٣] اسمًا واحدًا)، فعلى هذا قولهم: يا ابن أُمِ، بمنزلة يا غلامِ أقبل، تحذف الياء؛ لأن النداء باب حذف، وتبقى الكسرة دليلًا على المحذوف.

قال الفراء: (وذلك أنه كثر في الكلام، فحذفت العرب منه الياء، ولا يكادون يحذفون الياء إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادي إلى نفسه إلا قولهم: يا ابن عمِّ ويا ابن أم، وذلك أنه يكثر استعمالهما[٤] في كلامهم، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا[٥] الياء فقالوا: يا ابن أبي، ويا ابن أخي، ويا ابن خالتي)[٦]. انتهى كلامه.

ومعنى هذا: إن الياء لا تحذف إلا من المنادى إذا أضفته إلى نفسك نحو: يا غلام، ولا تحذف من الاسم مع المضاف إليه المنادى إذا أضفته إلى نفسك نحو[٧]: يا غلام غلامي[٨] لا يجوز حذف الياء هاهنا، وكذلك

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمِّ﴾ بكسر الميم، وكذلك في آية ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤]، وقرأ الباقون بفتحهما. انظر: «السبعة» ص٢٩٥، و«المبسوط» ص١٨٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٦، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

(٢) لفظ: (الفاء) ساقط من (ب).

(٣) في (أ): (جعلهما)، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٢٧٨ (جعله).

(٤) في (ب): (استعمالهم).

(٥) في (ب): (بينوا).

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٤.

(٧) لفظ: (نحو) ساقط من (ب).

(٨) في (ب): (يا غلام يا غلامي).

يا ابن أبي، ويا ابن أخي، وجاز في يا ابن أم، ويا ابن عم لكثرتهما[١] في الكلام، فجعل الابن مع الأم والعم اسمًا واحدًا وحذفت الياء كما حذفت من يا غلام، وقد جاء يا ابن أمي بإثبات الياء على الأصل كقول أبي زبيد:

يا ابن أمي ويا شُقَيِّقَ نفسي   أنت خَلَّيْتَني لدهر كؤودِ[٢]

قال سيبويه: (فهذا بمنزلة القصوى الذي استعمل فيه الأصل الذي رفض في غيره)[٣].

وهذا الذي ذكرنا قول البصريين والكوفيين بلا اختلاف بينهما.

فأما[٤] من فتح فقال: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ فمذهب البصريين[٥] فيه أنهم جعلوا: ابن وأم شيئًا واحدًا نحو: خمسة عشر، ومذهب الكوفيين أنهم

---

(١) في (ب): (لكثرتها).

(٢) «ديوانه» ص٤٨، و«الكتاب» ٢/ ٢١٣، و«تفسير الطبري» ٩/ ٦٧، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٢٩٣، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٠، و«اللسان» ٤/ ٢٣٠١ (شقق)، وبلا نسبة في: «المقتضب» ٤/ ٢٥٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٩، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٦٣٩-٦٤٠، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٠٩، و«التفسير» للماوردي ٢/ ٢٦٤، و«الأمالي» لابن الشجري ٢/ ٢٩٤، وهذه هي رواية النحاة في كتبهم والشاهد: يا ابن أمي، حيث أثبت الياء وهو قليل، والرواية في الديوان:

يا ابن خنساء شق نفسي يا   لجلاج خليتني لدهر شديد

وهو من قصيدة طويلة يرثى بها ابن أخته لجلاج، انظر: «الاختيارين» للأخفش ص٥٤١٨، و«جمهرة أشعار العرب» ص٢٦٢.

(٣) هذا نص قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٩٠، ولم أقف عليه عن سيبويه، وانظر: «الكتاب» ٢/ ٢١٣- ٢١٤.

(٤) في (ب): (وأما).

(٥) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٠، و«الزجاج» ٢/ ٢٧٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٤٦٠.

قالوا: يا ابن أم ويا ابن عم فنصبوا كما ينصب المفرد في بعض الأحوال نحو: يا حسرتا ويا ويلتا، فكأنهم قالوا: يا أماه ويا عماه، وهذا قول الفراء[١]، وعلى هذا الفتحة في (ابن) كالفتحة في المنادي المضاف والفتحة في (أم) كالفتحة في أمّاه وعمّاه، والصحيح قول البصريين، وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة من قولهم: خمسة عشر، والفتحة في أم كالفتحة[٢] في عشر.

فإن قيل: لما لا يجوز أن يكون المراد يا ابن أمّا فحذف الألف كما حذفت ياء الإضافة في: يا غلام؟ قيل: ليس مثله، ألا ترى أن من حذف الياء من يا غلام أثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الألف مقدرة في يا ابن أم لم تحذف كما لم تحذف في قوله[٣]:

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٤، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٧-٦٨.

(٢) هنا في: (أ) وقع تكرار وخلط ففيها: (والصحيح قول البصريين وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة من قولهم خمسة عشر والفتحة في أم كالفتحة في أماه وعماه والصحيح قول البصريين وهو أن الفتحة في ابن كالفتحة في خمسة من قولهم خمسة عشر والفتحة في أم كالفتحة في عشر فإن قيل..).

(٣) «الشاهد» لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي في «ديوانه» ص١٣٤، و«الكتاب» ٢/ ٢١٤، و«النوادر» ص١٩، و«الأصول» ١/ ٣٤٢، و«الجمل» للزجاجي ص١٦٠، و«الصحاح» ٥/ ١٩٩٢ (عمم) «الأمالي» لابن الشجري ٢/ ٢٩٥، و«اللسان» ٥/ ٣١١١ (عمم)، وبلا نسبة في «المقتضب» ٤/ ٢٥٢، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٥، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ٩١، و«البغداديات» ص٥٠٦، و«العسكريات» ص١٣٥، و«معاني الحروف» للروماني ص١٤٨، و«المحتسب» ٢/ ٢٣٨، و«المدخل» للحدادي ص٥٤٧، و«رصف المباني» ص٢٣٥، و«الدر المصون» ٥/ ٤٦٨، وهو رجز بعده.

لا تسمعيني منك لومًا واسمعي =

يـا ابـنـة عـمَّـا لا تـلـومـي واهـجـعـي

فالألف لا تحذف حيث تحذف الياء، ألا ترى أن من قال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤] فحذف الياء من الفواصل لم يكن عنده في نحو ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١-٢] إلا الإثبات. فإن قيل: فما تقولون(١) في بيت الكتاب:

رهـط مـرجـوم ورهـط ابـن الـمـعـلْ(٢)

وهو يريد: المعلى؟

وفيما أنشد أبو الحسن:

فـلـسـت بـمـدرك مـا فـات مـنـي بـلـهـفَ ولا بـلـيـتَ ولا لـو انـي(٣)

= الشاهد فيه: يا ابنة عما، والأصل يا ابنة عمي فقلب الياء ألفًا كراهة اجتماع الكسرة والياء.

(١) في (ب): (فما تقول).

(٢) الشاهد: للبيد بن ربيعة في ملحق «ديوانه» ص١٩٩، و«الكتاب» ٤/ ١٨٨، و«مجاز القرآن» ٢/ ١٦٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٤٨، و«كتاب الكتاب» لابن درستويه ص١٠٤، و«الحجة» لأبي علي ١/ ١٤١، و«البغداديات» ص٥٠٦، و«الخصائص» ٢/ ٢٩٣، و«الأمالي» لابن الشجري ٢/ ٢٩٣، و«اللسان» ٣/ ١٦٠٣ (رجم)، وبلا نسبة في «الجمهرة» ١/ ٤٦٦، و«العسكريات» ص١٣٣، و«المحتسب» ١/ ٣٤٢، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٢٢، و«المقرب» ٢/ ٢٩، وصدره:

وقـبـيـل مـن لـكـيـز شـاهـد

والشاهد: ابن المعل، والأصل المعلى فحذف للضرورة، وقبيل: القبيلة، وشاهد أي حاضر، ولكيز من عبد قيس، ومرجوم: لقب رجلًا من عبد قيس، وابن المعلى هو جد الجارود بن بشير بن عمرو بن المعلى، أفاده عبد السلام هارون -رحمه الله تعالى- في حاشية الكتاب ٤/ ١٨٨.

(٣) لم أعرف قائله وهو في: «معاني الأخفش» ١/ ٦٥، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٢، =

يريد: بلهفى، فحذف الألف؟ قال أبو علي الفارسي: (والجواب: أن ذلك يجوز في الشعر[(١)] ولا يجوز في الاختيار وحال السعة، ولا ينبغي أن يحمل قوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾[(٢)] [طه: ٩٤] على هذا)[(٣)].

وقال أبو علي في هذه المسألة في سورة طه: (من[(٤)] قال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه: ٩٤] أراد يا ابن أمَّا فحذف الألف كما يحذف الياء من غلامي في النداء [إذا قال: يا غلام وحذف الياء، من المضاف إليه، وإن كانت لا تحذف من المضاف إليه][(٥)] إذا قال: يا غلام غلامي، كما تحذف من المضاف إذا قال: يا غلام؛ لأن هذا الاسم قد كثر استعماله فيغير عن أحوال النظائر، والفتحة في ﴿أبْنَ﴾ على هذا نصبة كما أنها في قولك: يا غلام أمي، كذلك.

قال: ويجوز أن يكون جعل ابن وأمّ جميعًا بمنزلة اسم واحد فبناهما على الفتح، والفتحة في الأول ليست بنصبة كما كانت في الوجه الأول، ولكنها بمنزلة الفتحة في خمسة من خمسة عشر، والاسمان في موضع ضم بالنداء، فهذان وجهان. ومن قال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمِّ﴾ بالكسر، احتمل أيضًا

= و«العسكريات» ص١٣٤، و«كتاب الشعر» ١/ ٢٨٢، و«الخصائص» ٣/ ١٣٥، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٢١، و«المحتسب» ١/ ٢٧٧، و«الأمالي» ابن الشجري ٢/ ٢٩٣، و«الإنصاف» ١/ ٣٩٠، و«المقرب» ١/ ١٨١، و«الممتع» ٢/ ٦٢٢، و«اللسان» ٧/ ٤٠٨٧ (لهف).

(١) في (ب): (والجواب أن ذلك يجوز في الاختيار وحال السعة)، وهو تحريف.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٢، وما قبله منه أيضًا. انظر: «الحجة» ٤/ ٨٩- ٩٣

(٣) أي: بالفتح.

(٤) في (ب): (ما قال)، وهو تحريف.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

أمرين: أحدهما: أن يكون أضاف ابنا إلى أم، وحذف الياء من الثاني، وكان الوجه إثباتها مثل: يا غلام غلامي، والآخر: أن يكون جعل الاسم الأول مع الثاني اسمًا واحدًا وأضافه إلى نفسه، ثم حذف الياء، كما تحذف من أواخر المفردة نحو: يا غلام)[١].

قال المفسرون[٢]: (وكان هارون أخا موسى لأبيه وأمّه، وإنما قال: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ﴾ ليستعطفه عليه ويرققه)[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾. قال الكلبي: (استذلوني وقهروني)[٤]. ﴿وَكَادُوا۟﴾ وهمّوا أن ﴿يَقْتُلُونَنِى﴾ ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ يعني: أصحاب العجل. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الذين عبدوا العجل، أي: في موجدتك[٥] عليّ، وعقوبتك لي لا تجعلني معهم[٦].

١٥١- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾. قال الكلبي: (رب اغفر لي ذنبي أي: ما صنعت إلى أخي)[٧]، يريد: ما أظهرت من الموجدة على هارون وهو بريء مما يوجب العتب عليه؛ لأنه لم يكن منه تقصير في

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٥/ ٢٤٨، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٥، و«إعراب القراءات» ١/ ٢٨٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٤، ولابن زنجلة ص٢٩٧، و«الكشف» ١/ ٤٧٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٨، والسمرقندي ١/ ٥٧١، والبغوي ٣/ ٢٨٤.

(٣) في (ب): (ويرفقه).

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٦.

(٥) وَجَدت عليه مَوْجِدَة أي: غضبت، ووجدت عليه أي: حزنت. انظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٧٠ (وجد).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٩، والسمرقندي ١/ ٥٧١.

(٧) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٩.

الإنكار على عبدة العجل. إذ بلغ الأمر به أن[1] هموا بقتله لشدة إنكاره.

وقوله تعالى: ﴿وَلِأَخِى﴾. إنما استغفر لأخيه لأنه ظنه مقصرًا في الإنكار على عبدة العجل، وإن لم يقع ذلك التقصير منه، [و][2] كأنه يقول: اغفر لأخي إن قصر في الإنكار، كذلك[3] قال أهل المعاني[4] في استغفار موسى لأخيه هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس[5]: (يريد: في سعة جنتك).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. إخبار عن موسى أن الله تعالى بهذه الصفة، وهو يدل على قوة طمع الداعي في نجاح طلبته لأن من هو ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يُؤمل منه الرحمة.

١٥٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ الآية، قد ذكرنا[6] في مواضع أن المفعول الثاني من مفعولي الاتخاذ محذوف على تقدير: اتخذوا العجل إلهًا[7] ومعبودًا، يدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨]، وللمفسرين، وأهل المعاني، في هذه الآية طريقان:

---

(١) في (أ): (إذا بلغ الأمر به لاهموا) وهو تحريف.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (لذلك)، وهو تحريف.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٩، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٣، والسمرقندي ١/ ٥٧١.

(٥) لم أقف عليه، وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٩: (قال: في جنتك)، وذكر الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٦ عن عطاء قال: (أي: في جنتك) اهـ.

(٦) انظر: «البسيط» البقرة: ٥١.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٧٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٩، والنحاس ٣/ ٨٤.

أحدهما: أن المراد بالذين اتخذوا العجل: الذين باشروا عبادة العجل.

وقوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: في الدنيا)[١]، يعني: أولئك تيب[٢] عليهم بقتلهم أنفسهم فلا يلحقهم الغضب في الآخرة، وتفسير هذا الغضب في الدنيا قاله أبو العالية؛ قال: (هو ما أمروا به من قتلهم أنفسهم)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال الزجاج: (الذلة لحقتهم بأنهم رأوا أنهم قد ضلوا فذلوا)[٤]. وعلى هذا معنى قوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ -وقد نالهم الغضب و[الذلة][٥]، وهذه السين للاستقبال- هو أن هذه الآية إخبار[٦] عما أخبر الله به موسى حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل، أخبره أيضًا أن أولئك سينالهم غضب وذلة، ويُحتاج إلى تقدير محذوف كأنه قيل: وقلنا لموسى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الآية، والقول كثيرًا ما يُضمر في الكلام.

الثاني: أن المراد بالذين اتخذوا العجل أبناؤهم الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وهذا مذهب ابن عباس وعطية العوفي، قال ابن عباس: (هم الذين أدركوا النبي وآباؤهم الذين عبدوا العجل)[٧]. وقال في قوله[٨]:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ب): (تبت).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٥.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٩، وفيه: (والذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم).

(٥) لفظ: (الذلة) ساقط من (أ).

(٦) في (ب): (هو أن هذه الأخبار) وهو تحريف.

(٧) ذكره الخازن ٢/ ٢٩٢.

(٨) في (ب): (في قولهم) وهو تحريف.

﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾: (عذاب في الآخرة)، ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾، قال: (وهي الجزية)[١].

وقال العوفي: (أراد سينال أولادهم الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ غضب وذلة)، قال: (وهو ما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء)[٢].

وعلى هذا الطريق تحمل الآية على وجهين:

أحدهما: أن العرب تُعيّر الأبناء بمعاير الآباء وتنسبها إليهم، كما تفعل ذلك في المناقب، وهو كثير في أشعارهم يقولون للأبناء: فعلتم كذا وكذا، وإنما فعل ذلك من مضى من آباءهم، كذلك هاهنا الله تعالى وصف [هؤلاء][٣] اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ باتخاذ العجل وإن كان آباؤهم فعلوا ذلك تعييرًا لهم كعادة[٤] العرب.

الوجه الثاني: أن الآية من باب حذف المضاف على ما ذكره عطية العوفي، والمعنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الذين باشروا ذلك ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾[٥] أي: سينال أولادهم ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٥، الخازن ٢/ ٢٩٢.

(٢) ذكره الثعلبي ١٩٨ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٨، والبغوي ٣/ ٢٨٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٦، الخازن ٢/ ٢٩٢.

(٣) لفظ: (هؤلاء) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (لعادة).

(٥) لفظ: (سينالهم) سقط من (أ).

(٦) والقول الأول أظهر وهو أن ذلك مختص بالمتخذين للعجل إلهًا لا لمن بعدهم =

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: كذلك أعاقب من اتخذ إلهًا من دوني أو تولى غيري)[١]. وقال أهل المعاني: (كل مفترٍ في دين الله فجزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا، يؤكد هذا ما روي عن مالك بن أنس[٢] [رحمه الله][٣] أنه قال: (ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلة، ثم قرأ هذه الآية)[٤]، والمبتدع مفترٍ في دين الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟﴾، قال ابن عباس[٥]: (يريد: الشرك، مثل قوله في النساء: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨]، ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾[٦] أي: رجعوا عنها وتركوها،

= من ذراريهم، وهو اختيار الجمهور، انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٩-٧٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٩، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ٩٠، والقرطبي ٧/ ٢٩١-٢٩٢، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٨٤: (وهذا القول أصح لأن الجزية لم تؤخذ منهم وإنما أخذت من ذريتهم) اهـ.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/٢٤٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٦.

(٢) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله المدني من تابعي التابعين، إمام حافظ ثقة، ثبت فقيه محدث، إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب المتبوعة، أجمع العلماء على إمامته وجلالته وعلو مرتبته في الفقه والحديث، وفضله ومناقبه وثناء الأئمة عليه كثير توفي- رحمه الله- سنة ١٧٩هـ، وله ٨٦ سنة انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٧٥، و«سير أعلام النبلاء» ٨/ ٤٨، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٢٠٧، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٨.

(٣) لفظ: (رحمه الله) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه الثعلبي في «تفسير» ص١٩٨، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٦، والرازي ١٥/ ١٣، والقرطبي ٧/ ٢٩٢، والخازن ٢/ ٢٩٣، وأخرج الطبري ٩/ ٧٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧١، من عدة طرق جيدة عن أبي قلابة وسفيان بن عيينة نحوه.

(٥) لفظ: (﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾) ساقط من (أ).

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٢٩، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٨ .

قال ابن عباس: (يعني: قبل حلول العذاب وقبل الموت). وقوله: ﴿وَءَامِنُوٓاْ﴾، قال: (يريد: صدّقوا أنه لا إله غيري ولا شريك معي)[(١)].

١٥٤- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، قال المفسرون[(٢)]، وأهل اللغة[(٣)]: (أي: سكن)، والسكوت أصله السكون والإمساك عن الشيء، وإنما يقال: سكت إذا أمسك عن الكلام، وجاز ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، ولا يجوز صمت هاهنا؛ لأن ﴿سَكَتَ﴾ بمعنى: سكن وصمت[(٤)] معناه: سدّ فاه عن الكلام.

قال أصحاب النظر: (وإنما قيل لسكون الغضب: سكوت، وليس الغضب مما يجوز أن يتكلم[(٥)] لأنه لما كان بفورته[(٦)] دالًا على ما في النفس للمغضوب عليه، كان بمنزلة الناطق بذلك، فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلمًا).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٩، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣١١، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨١، و«تفسير الطبري» ٩/ ٧١، و«نزهة القلوب» ص٢٦٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٢، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٣) انظر: «العين» ٥/ ٣٠٥، و«الجمهرة» ١/ ٣٩٨، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧١٨، و«الصحاح» ١/ ٢٥٣، و«المجمل» ٢/ ٤٦٨، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٨٩، و«المفردات» ص٤١٦، و«اللسان» ٤/ ٢٠٤٦ (سكت).

(٤) انظر: «العين» ٧/ ١٠٦، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٥١، و«الصحاح» ١/ ٢٥٦، و«المجمل» ٢/ ٥٤٠، و«معجم المقاييس» ٣/ ٣٠٨، و«اللسان» ٤/ ٢٤٩٣ (صمت).

(٥) في (ب): (يتكلم به).

(٦) في (ب): (لأنه كان نفورته)، وهو تحريف.

وقال عكرمة: (المعنى: سكت موسى عن الغضب)[١] فقلب؛ كما قالوا: أدخلت القلنسوة[٢] في رأسي، والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، قال أبو إسحاق: (والقول الأولى، الذي معناه: سكن، وهو قول أهل العربية)[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾؛ لأنه كان قد ألقاها.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾. قد ذكرنا معنى النسخ[٤] فيما تقدم، وهو: اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف، تقول: نَسَخْتُه وانْتَسَخْتُهُ، فالأصل نُسْخةٌ، والمكتوب عنه نُسخةٌ؛ لأنه قام مقامه[٥].

قال ابن عباس[٦] وعمرو بن دينار[٧]: (لما ألقى موسى الألواح تكسرت، فصام أربعين يومًا، فردت عليه، وأعيدت الألواح، وفيها الذي في الأولى)[٨]. فعلى هذا معنى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾. أي: فيما[٩] نسخ منها،

---

(١) ذكره الرازي ١٥/ ١٤، والقرطبي ٧/ ٢٩٣.

(٢) القَلَنْسُوة: من ملابس الرؤوس معروفة، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٧٢٠ (قلس).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٧٩، وقال الخازن ٢/ ٢٩٣: (والقول الأول أصح لأنه قول أهل اللغة والتفسير) اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤٧٢: (القول بالقلب ينبغي أن لا يجوز لعدم الاحتياج إليه مع ما في القلب من الخلاف) اهـ.

(٤) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٧٨ ب.

(٥) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨ (نسخ).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٥، والرازي ١٥/ ١٥، والقرطبي ٧/ ٢٩٣، والخازن ٢/ ٢٩٣.

(٧) عمرو بن دينار لعله: عمرو بن دينار الجمحي، أبو محمد المكي الأثرم، تقدمت ترجمته.

(٨) ذكره الثعلبي ١٩٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٥، الخازن ٢/ ٢٩٣.

(٩) في (ب): (أي وفيما).

وإن كانت الألواح لم تتكسر، وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها، فمعنى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾. أي: وفي المكتوب فيها، وذلك المكتوب انتسخ من أصل فيسمى نسخة.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾. قال ابن عباس[١] وغيره[٢]: (هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب). ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾. قال: (يريد: الخائفين من ربهم)[٣]. واختلفوا في وجه دخول اللام في قوله ﴿لِرَبِّهِمْ﴾؛ فقال الكسائي: (لما تقدم المفعول على الفعل حسنت اللام)[٤]، قال: (وهذا مما مات من الغريب، وقد كان يقال: لك أكرمت، ولك حدثت[٥]، فمات ولو قلت: (أكرمت لك) تريد: أكرمتك، كان قبيحًا، وهو جائز، كما تقول: هو مكرم لك، وهو ضارب لك، بمعنى: مكرمك وضاربك، فحسن في موضع وقبح في آخر والأصل واحد)[٦].

قال النحويون: (لمّا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه، فصار بمنزلة ما لا يتعدى، فأدخل اللام)[٧].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٠، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ، والخازن ٢/ ٢٩٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٧١، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٥، والسمرقندي ١/ ٥٧٢.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٠، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٦٧، والخازن ٢/ ٢٩٣ .

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٦.

(٥) في (ب): (ولك حديث).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «اللامات» للزجاجي ص١٤٧، و«الهروي» ص٣٤، وقال ابن هشام في «المغني» ١/ ٢١٧: (هي لام التقوية، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعف إما بتأخر نحو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أو بكونه فرعًا في العمل) اهـ.

وقال أبو علي الفارسي -وهو قول أكثر النحويين-: (قد يزاد بحروف الجر في المفعول، وإن كان الفعل متعديًا، وذلك نحو: قرأت السورة، وقرأت بالسورة[(١)]، وألقى يده، وألقى بيده، وفي القرآن ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، وفي موضع آخر ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ﴾ [النور: ٢٥][(٢)]. فعلى هذا قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾[(٣)] اللام صلة وتأكيد كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

وقد ذكرنا مثل هذا في قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقال بعضهم: إنها[(٤)] لام أجلٍ، والمعنى: هم[(٥)] لأجل ربهم[(٦)] ﴿يَرْهَبُونَ﴾. لا رياء ولا سمعة.

١٥٥- قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾، الاختيار: افتعال من لفظ الخير، يقال: اختار الشيء أي: أخذ خيره وخياره[(٧)]، وأصل اختار (اختير)، فلما تحركت الياء وقبلها فتحة قلبت ألفًا نحو: قال وباع، وفي الأسماء (دار) و(ناب)، أصلهما[(٨)] دَوَرٌ ونَيَبٌ، ولهذا استوى لفظ الفاعل والمفعول فقيل فيهما: (مختار) والأصل (مُختَيِر) و(مُختَيَر)، فقلبت الياء فيهما ألفًا فاستويا في اللفظ[(٩)].

---

(١) في (ب): (نحو قرأت السورة وألقى يده، وفي القرآن) وهو تحريف.
(٢) «الإيضاح العضدي» ١/ ١٩٧- ١٩٨، وانظر: «المسائل العسكريات» ص١٢٨.
(٣) في (ب): (﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾).
(٤) في (ب): (وقال بعضهم ألها لام)، وهو تحريف.
(٥) في (ب): (والمعنى والذين هم).
(٦) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١١، و«تفسير الطبري» ٩/ ٧١، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤١، و«التبيان» ص٣٩١، و«والفريد» ٢/ ٣٦٧، و«الدر المصون» ٥/ ٤٧٢.
(٧) في (ب): (وختاره).
(٨) في (ب): (أصلها).
(٩) انظر: «العين» ٤/ ٣٠١، و«البارع» ص٢٢٤، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٥٩، ٩٦٠، =

قال جماعة النحويين[(١)]: (معناه: واختار موسى [من][(٢)] قومه، فحذفت (من) ووصل الفعل فنصب، يقال: اخترت من الرجال زيدًا [واخترت الرجال زيدًا][(٣)].

وأنشدوا قول الفرزدق[(٤)]:

منَّا الذي اختير الرِّجالَ سماحة وجودًا إذا هبَّ الرِّياح الزَّعازعُ

قال الفراء: (وإنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طُرحت (من)؛ لأنه مأخوذ من قولك: هؤلاء خير القوم، وخير من القوم، فلما جازت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلًا، واخترت منكم رجلًا)[(٥)] وأنشد للراعي[(٦)]:

= و«الصحاح» ٢/ ٦٥١، و«المجمل» ٢/ ٣٠٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٣٣، و«المفردات» ص٣٠١، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٩ (خير).

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٧، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣١٢، و«المقتضب» ٤/ ٣٣٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠، و«إعراب النحاس» ٢/ ١٥٤.

(٢) لفظ: (من) ساقط من (ب).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «ديوانه» ٢/ ٤١٨، و«الكتاب» ١/ ٣٩، و«الكامل» ١/ ٣٣، و«تفسير الطبري» ٩/ ٧٤، و«الأمالي» لابن الشجري ٢/ ١٣١، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٩ (خير)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٧٤ وبلا نسبة في «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٢، و«المقتضب» ٤/ ٣٣٠، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٢، وانظر شرحه في «الخزانة» ٩/ ١٢٣- ١٢٥.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٥.

(٦) الرّاعي: هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري أبو جندل البصري، شاعر أموي، لقب بالراعي؛ لكثرة وصفه الإبل، وتوفي بعد سنة ٩٠هـ. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٢٩٨، و«الشعر والشعراء» ص٢٦٥، و«الأغاني» ٢٤/ ١٦٨، و«الأعلام» ٤/ ١٨٨.

فقلت[١] له[٢] اخترها قلوصًا سمينه
وناب علينا مثلُ نابك في الحيا

أراد: اختر منها، قال أبو علي: (والأصل في هذا الباب أن من الأفعال ما يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف جر، ثم يتسع فيحذف حرف الجر فيتعدى الفعل إلى المفعول الثاني، من ذلك قولك: اخترت من الرجال زيدًا[٣]، ثم يُتسع فيقال: اخترت الرجال زيدًا، وأستغفر الله من ذنبي، [وأستغفر الله ذنبي][٤]، وكذلك أمرت زيدًا الخير، وأمرته بالخير. قال الشاعر:

أستغفر الله ذنبًا لست مُحْصِيَه[٥]

---

(١) «ديوانه» ص٢٥٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٧٣، وبلا نسبة في «معاني الفراء» ٢/ ٣٩٥، و«تفسير الطبري» ٩/ ٧٥، والقلوص: الفتية من الإبل، والناب: المسنة، والحيا: الخصب والمطر لإحيائه الأرض فتخصب، والحيا: الشحم والسمن، وصدره في الديوان، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٢١:

فقلت لرب الناب خذها ثنية

(٢) في (أ): (فقلت لها)، وهو تحريف.

(٣) النص في «الإيضاح العضدي» ١/ ٢٠٠ وفيه: (فمن ذلك قولك: اخترت زيدًا من الرجال..).

(٤) لفظ: (واستغفر الله ذنبي) ساقط من (ب)، وفي «الإيضاح»: (واستغفرت الله ذنبي).

(٥) لم أعرف قائله وهو في «الكتاب» ١/ ٣٧، و«معاني الفراء» ١/ ٢٣٣، و«أدب الكاتب» ص٤١٩، و«تأويل مشكل القرآن» ص٢٢٩، و«المقتضب» ٤/ ٣٣١، و«الأصول» ١/ ١٧٨، و«الخصائص» ٣/ ٢٤٧، و«الصاحبي» ص٢٩١، و«المخصص» ١٤/ ٧١، و«اللسان» ٦/ ٣٢٧٤ (غفر)، و«الدر المصون» ٥/ ٤٧٤، وعجزه:

ربُّ العباد إليه الوجه والعمل

=

وقال آخر:

أمرتُك الخير فافعل[١] ما أُمِرت به)[٢]

وقوله تعالى: ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾. قال السدي: (أمر الله موسى أن يأتيه[٣] [في] ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختار موسى سبعين رجلًا ليعتذروا)[٤].

وقال ابن يسار[٥]: (اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا، ويسألوه التوبة على[٦] من ورائهم من قومهم)[٧].

= والشاهد: أستغفر الله ذنبًا حيث حذف حرف الجر من ثاني مفعولي (استغفر) الذي تعدى إليه بواسطة الحرف، والأصل: أستغفر الله من ذنب. انظر: «الخزانة» ٣/ ١١١.

(١) في (أ): (وافعل).

(٢) الشاهد مختلف في نسبته وهو في ديوان عمرو بن معد يكرب ص٦٣، والعباس بن مرداس ص١٣١، و«خفاف بن ندبة» ص١٢٦، ونسب إلى زرعة بن السائب أو أعشى طرود، وهو في «الكتاب» ١/ ٣٧، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣١٢، و«الكامل» للمبرد ١/ ٣٣، و«المقتضب» ٤/ ٣٣١، و«تفسير الطبري» ٩/ ٧٤، و«الأصول» ١/ ١٧٨، و«البغداديات» ص٢٨٣، و«المحتسب» ١/ ٥١، و«المخصص» ١٤/ ٧١، و«الأمالي» لابن الشجري ٢/ ٥٥٨، و«الدر المصون» ٥/ ٤٧٤ وعجزه:

فقد تركتك ذا مالٍ وذا نشب

والنشب: المال الثابت كالضياع ونحوها، والشاهد (أمرتك الخير)، حيث حذف الجار، والأصل أمرتك بالخير. انظر: «الخزانة» ٩/ ١٢٤.

(٣) لفظ: (في) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٧٢ بسند جيد.

(٥) ابن يسار: هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، إمام تقدمت ترجمته.

(٦) في (ب): (عن من ورائهم).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٧٢ بسند جيد.

وقال وهب: (إنهم لم يصدقوا موسى أنه يسمع كلام الله وقالوا: يحضرك طائفة منا حتى يكلمك، فيسمعوا كلامه فنؤمن، وتذهب التهمة)(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ماتوا)(٢). قال الزجاج: (والرجفة الحركة الشديدة، يقال: إنهم رجف بهم الجبل فماتوا)(٣).

قال ابن يسار، والسدي: (إنما أخذتهم الرجفة لأنهم قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾)(٤) [النساء: ١٥٣]. وقال ابن عباس: (إنهم قالوا في دعائهم: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدًا قبلنا ولا تعطيه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة)(٥).

وروى أبو الجوزاء(٦) عنه قال: (إنما أخذتهم الرجفة لأنهم كانوا [لم](٧) ينهوا عن عبادة العجل)(٨).

ونحو ذلك قال قتادة وابن جريج(٩) والقرظي(١٠) قالوا: (إنهم لم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ أ.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٠، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٧٣ .

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ٨٦.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٧٢ بسند جيد عن السدي وابن إسحاق.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٧٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٤ بسند جيد.

(٦) أبو الجوزاء البصري: هو أوس بن عبد الله الربعي. تقدمت ترجمته.

(٧) لفظ: (لم) ساقط من (ب).

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٧٣، ٧٤ من طرق جيدة.

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٧٤ بسند جد عن قتادة وابن جريج.

(١٠) ذكره الثعلبي ١٩٨ ب، والبغوي ٣/ ٢٨٦ عن قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي.

يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، ولم يأمروهم بالمعروف، ولم ينهوهم عن المنكر).

وقال وهب: (لم تكن تلك الرجفة موتًا، ولكن القوم لمّا رأوا تلك الهيبة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت أن تبين منهم مفاصلهم، وتنقص ظهورهم، وخاف موسى عليهم الموت، فعند ذلك بكى ودعا فكشف الله عنهم تلك الرجفة)[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ﴾. قال الزجاج: (أي: لو شئت أمتهم من قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة)[2].

وقال السدي: (قال موسى: يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم، وليس معي رجل واحد، فما الذي يصدقونني به أو يأمنوني[3] عليه بعد هذا، فأحياهم الله)[4].

فمعني قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم﴾ ﴿وَإِيَّىَ﴾ أن موسى خاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم، ولم يصدقوه أنهم ماتوا، فقال لربه: لو شئت أهلكتنا قبل خروجنا للميقات، وكانوا[5] بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

وقوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾. قال الفراء: (ظن موسى

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ ب، والبغوي ٣/ ٢٨٦، والخازن ٢/ ٢٩٤.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠.

(٣) في (ب): (أو يأمنونني علي).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٧٦، وفي «التاريخ» ١/ ٤٢٨ بسند جيد، وذكره الثعلبي ١٩٨ ب، والرازي ١٥/ ١٨.

(٥) في (ب): (وكان).

أنهم أُهلكوا باتخاذ [أصحابه][(١)] العجل، [فقال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾، يعني: عبدة العجل][(٢)]، وإنما أهلكوا لمسألتهم الرؤية، وقولهم[(٣)]: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[(٤)] [النساء: ١٥٣]، و[(٥)]هذا قول الكلبي[(٦)] وجماعة.

وقال قوم: (لا يجوز أن يُظن بموسى أن الله -عز وجل- يهلك قومًا بذنوب غيرهم، ولكن قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ استفهام على تأويل الجحد، وأراد: لست تفعل ذلك كما تقول: أتهين من يكرمك؟ أي: لست تهين من يكرمك)، وهذا قول ابن الأنباري[(٧)]، [و][(٨)] على هذا أنكر موسى أن يكون سبب إهلاكهم فعل السفهاء، وكأنه لم يعلم سبب إهلاكهم، وأنكر أن يكون فعل السفهاء سبب الإهلاك[(٩)].

[و][(١٠)] قال المبرد: (هذا استفهام استعطاف أي: لا تهلكنا)[(١١)].

---

(١) لفظ: (أصحابه) ساقط من (ب).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٣) في (ب): (وقوله تعالى).
(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٥.
(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٦) ذكره هود الهواري في «تفسير» ٢/ ٤٩، والخازن ٢/ ٢٩٥.
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٤٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٤٧٦.
(٨) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٩) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٤٢، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٧.
(١٠) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(١١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤٩، والبغوي ٣/ ٢٨٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٦٩، والرازي ١٥/ ١٩.

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾. الكناية في قوله ﴿هِيَ﴾ تعود إلى الفتنة، [كما تقول: إن هو إلا زيد، وإن هي إلا هند، والمعنى: إن تلك الفتنة][١] التي وقع فيها السفهاء لم تكن ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: اختبارك، وابتلاؤك، وهذا تأكيد لقوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾؛ لأن معناه: لا تهلكنا بفعلهم، فإن تلك الفتنة كانت اختبارًا منك وابتلاءً أضللت بها قومًا فافتتنوا، وهديت قومًا فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك[٢]، فذلك معنى قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾[٣]. وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر[٤].

١٥٦- قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾. أي: أوجب لنا، والكتابة تذكر بمعنى الإيجاب، وقد مضى ذلك، وسؤالهم الحسنة في الدنيا والآخرة كسؤال المؤمنين من هذه الأمة حيث أخبر الله عنهم في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. ومضى تفسير هذه الآية.

و[٥]قال ابن عباس في الآية في هذه السورة: (يريد: اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة)، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾، قال: (يريد: حسنة، يعني: الجنة)[٦]. وقول ابن عباس: (يريد: حسنة)، يعني: إن تقدير الآية:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٧٦، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٢، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٣.

(٣) لفظ: (﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾) ساقط من (ب).

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٩، والقرطبي ٧/ ٢٩٦، والخازن ٢/ ٢٩٥.

(٥) (الواو) ساقطة من (ب).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٠.

﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حسنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾. قال جميع المفسرين[(١)] وأهل المعاني[(٢)]: (تبنا ورجعنا إليك بتوبتنا). قال الليث: (الهَوْد التوبة)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾. قال ابن عباس: (يريد: على الذنب اليسير)[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾. قد ذكرنا[(٥)] قديمًا أن رحمة الله تعالى إرادته الخير[(٦)]، وإرادته الخير تنقسم إلى أقسام كثيرة، وكل خيرٍ من خير الدنيا والآخرة أصاب أحدًا فذلك من رحمته، ثم من تلك الخيرات ما هو أعم وأوسع، ومنها ما هو أخصّ.

والأحسن في تفسير هذه الآية ما ذهب إليه الحسن وقتادة[(٧)]، وهو:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٧٧، ٧٨، وأخرجه من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم التيمي وقتادة والسدي والضحاك وأبي العالية، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٣، والماوردي ٢/ ٢٦٦.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٢٩، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥١، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠، و«نزهة القلوب» ص٤٧٨، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٨، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٨٩، وانظر: «العين» ٤/ ٧٦، (هود)، و«الزاهر» ٢/ ٢١٤.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٠.

(٥) انظر: «البسيط» تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) أول الكتاب.

(٦) الرحمة: صفة من صفات الله تعالى تثبت له كما أثبتها لنفسه ولا يلزم من إثباتها مشابهة صفة المخلوقين ولا نؤولها بإرادة الخير كما يفعل أهل التأويل. انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٠، و«مختصر الصواعق» لابن القيم ٣/ ٨٦٩.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٣، الطبري ٩/ ٨٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٧٨ بسند جيد عن الحسن وقتادة.

(أن رحمته وسعت في الدنيا البار والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة)، وقد بين [عطية العوفي][(١)] هذا أحسن بيان فقال: (إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن، فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمن خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه)[(٢)]. وهذا اختيار الزجاج[(٣)]، وذكر أبو بكر بن الأنباري وجهين في هذه الآية:

أحدهما: (أن الرحمة يراد بها الصنع والأفضال، وما يخلو من صنع الله وأفضاله مؤمنٌ ولا كافر، كالمطر يسمى الرحمة، وما خرج منه كافر ولا غيره)، وهذا معنى ما ذكرنا عن المفسرين أنهم قالوا: (رحمته وسعت في الدنيا البار والفاجر).

الوجه الثاني: (أن رحمته[(٤)] تسع كل شيء يجوز أن يدخل فيها، وأن يكون مستحقًا لها[(٥)]، كقولهم: فلان يحسن كل شيء، يريدون من الأشياء التي يحسنها أمثاله، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني: مما يجوز أن يفتح عليهم، وكذلك[(٦)]: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. معناه: من الأشياء التي يمكن أن يؤتاها مثلها.

---

(١) لفظ: (عطية العوفي) ساقط من (ب).
(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٩٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٠، والبغوي ٣/ ٢٨٧.
(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٠.
(٤) في (ب): (أن رحمته وسعت تسع)، وهو تحريف.
(٥) انظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٢١٣.
(٦) في (ب): (وكذلك في).

وهذا مذهب جماعة المفسرين[١]، وهو أنهم قالوا: هذا من العام الذي أريد به[٢] الخاص)[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، يعني: فسأوجبها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، وهذا معنى قول المفسرين[٤]: (وهي يوم القيامة للمتقين خاصة)، وهذا تخصيص بعد التعميم باللفظ. وبيان [ذلك][٥] أن ذلك يجب في الآخرة لمن اتصف بما ذكر في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآية. قال ابن عباس: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (يريد: أمة محمد ﷺ)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: صدقات الأموال عند محلها)[٧].

وروي أيضًا عنه أنه قال في قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾: (يطيعون الله ورسوله)[٨]، كأنه ذهب إلى ما يزكي النفس ويطهرها من الأعمال[٩]، وبه

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٣، والماوردي ٢/ ٢٦٧ .

(٢) في (ب): (منه).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٢٧١، وفيه قال ابن الأنباري: (أن الرحمة تسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم) اهـ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٠.

(٥) لفظ: (ذلك) ساقط من (ب).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٧٩، ٨٠، ٨٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ من عدة طرق جيدة.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ بسند ضعيف، وقال الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١ (هذا هو قول الجمهور) اهـ. ورجحه ابن عطية ٦/ ٩٩.

(٨) أخرطه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٨١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠ بسند جيد، ولفظ ابن أبي حاتم قال: (يعني: طاعة الله والإخلاص).

(٩) هذا توجيه الطبري ٩/ ٨١، وانظر الماوردي ٢/ ٢٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١.

قال الحسن[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. قال: (يريد: بما أنزلت[٢] على محمد والنبيين قبله يصدّقون)[٣].

قال المفسرون[٤]: (إن وفد بني إسرائيل سألوا الله تعالى فقالوا: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾. فسألوه النعمة في الدنيا والآخرة، وتقربوا إليه بالتوبة من المعاصي، فأخبرهم الله تعالى أنه واسع الرحمة بقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾، فكانوا هم من جملة من وسعتهم الرحمة، ثم خص أمة محمد ﷺ بذكرهم وأوجب لهم الرحمة بقوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾).

ولهذا قال نوف[٥] البكالي: (ألا تحمدون ربًّا[٦] حفظ غيبتكم وأخذ لكم بسهمكم[٧]، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم)[٨].

وروى عطاء أيضًا عن ابن عباس أيضًا في هذه الآية أنه قال: (هذه الوفادة صارت للصالحين من أمة محمد)[٩]، ثم زاد في البيان أن المراد

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ٢٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٧١.

(٢) كذا في (النسخ): (بما أنزلت) والأولى (بما أُنزل).

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٢.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨١، وقد أخرجه من عدة طرق جيدة عن قتادة، وابن جريج، وأبي بكر الهذلي ونوف البكالي.

(٥) نوف بن فضالة الحميري البكالي أبو يزيد الشامي. تقدمت ترجمته.

(٦) في (ب): (ربنا).

(٧) في (ب): (لسهمكم).

(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٧- ٢٣٨، والطبري ٩/ ٨٣، من عدة طرق جيدة.

(٩) أخرجه الطبري ٩/ ٨٢، ٨٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٠، من عدة طرق جيدة.

بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ هذه الأمة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾. [والأمي][١] الذي لا يكتب ولا يقرأ في قول جميع المفسرين[٢]، قال الزجاج: (معنى ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾: الذي هو على خِلْقَة الأُمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته)[٣]. وقد قال ﷺ: **«إنا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسُب»**[٤].

قال الأزهري: ([وقد][٥] قيل للنبي ﷺ: الأمي؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولًا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة؛ لأنه تلا عليهم كتاب الله منظومًا تارة بعد تارة بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها أو نقص، فحفظه الله على نبيّه كما أنزله وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية، وفي ذلك أنزل الله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾

---

(١) لفظ: (والأمي) ساقط من (ب).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٨٩، والسمرقندي ١/ ٥٧٤.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١، والأُمَّة- بضم الهمزة وفتح الميم المشددة-، انظر: «اللسان» ١/ ١٣٨ (أمم) وجبلته- بالكسر- أي خلقته، وقال الزجاج في «معانيه» ١/ ١٥٩: (معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلة أُمَّته أي: لا يكتب فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه) اهـ.
وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤: (قيل للذي لا يكتب: أمي؛ لأن الكتابة مكتسبة فكأنه نُسب إلى ما ولد عليه أي: هو على ما ولدته أُمه عليه) اهـ.

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٩١٣) في كتاب الصوم، باب: قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب»، مسلم رقم (١٠٨٠) كتاب الصيام، باب: وجوب صوم رمضان، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) لفظ: (قد) ساقط من (ب).

الآية[١] [العنكبوت: ٤٨]. وقد مضى صدر من الكلام في معنى الأمّي عند قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾. أي: يجدونه بنعته وصفته، وهو مذكور في الكتابين بنعوته وصفاته، قد عرف ذلك أهلهما.

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. قال الزجاج: (يجوز أن يكون ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ استئنافًا، ويجوز أن يكون المعنى ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾)[٢]. وعلى هذا يكون الأمر بالمعروف، وما ذكر بعده، من صفته التي[٣] ذكرت في الكتابين.

وقال أبو علي فيما استدرك عليه: (لا وجه لقوله ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ أنه ﴿يَأْمُرُهُم﴾ إن كان يعني: إن ذلك مراد؛ لأنه لا شيء يدل على حذفه، ولأنا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء.

قال: وتفسير الآية: إن وجدت فيها المتعدي إلى مفعولين و﴿مَكْتُوبًا﴾ مفعول ثانٍ، والمعنى: يجدون ذكره أو اسمه مكتوبًا.

قال سيبويه: (تقول إذا نظرت في هذا الكتاب[٤]: هذا عمرو، وإنما المعنى: هذا اسم عمرو، وهذا ذكر عمرو، وقال: إن هذا يجوز على سعة

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤ (أم).

(٢) «الإغفال» لأبي علي ص٨١٧، وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١، قال: (قوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يجوز أن يكون ﴿يَأْمُرُهُم﴾ مستأنفًا) اهـ.

(٣) في (ب): (الذي).

(٤) في «الكتاب» ٣/ ٢٦٩، و«الإغفال» ص٨١٨: (تقول إذا نظرت في الكتاب).

الكلام)[١]، فالمفعول الأول في الآية قائم مقام المضاف إليه، يدل على[٢] هذا أن المكتوب عندهم الاسم والذكر لا الرسول نفسه، ألا ترى أن المفعول الثاني هاهنا يجب أن يكون الأول كقوله: وجدت زيدًا منطلقًا، فالمنطلق في المعنى هو الأول، فلو جعلت الهاء في قوله ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ المفعول الأول دون تقدير حذف المضاف لم يكن المفعول الثاني هو الأول فلا يستقيم ذلك، فأما قوله[٣]: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فهو عندي تفسير لما كُتب، كما أن قول: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]. تفسير لوعدهم، وكما أن قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] تفسير للمثل، ولا يجوز أن يكون حالًا من المفعول الأول، ألا ترى أنه إذا كان المعنى: يجدون ذكره أو اسمه، لم يجز أن يكون يأمرهم حالًا منه، لأن الاسم والذكر لا يأمران إنما يأمر المذكور والمسمى)[٤].

فأما تفسير المعروف، فقال عطاء عن ابن عباس: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ يريد: مكارم الأخلاق وخلع الأنداد، وصلة الأرحام)[٥]. وقال الكلبي: (أي: بالتوحيد وشرائع الإسلام)[٦].

---

(١) «الكتاب» ٣/ ٢٦٩.

(٢) في (ب): (يدل على أن هذا أن)، وهو تحريف.

(٣) في النسخ: (قولهم)، وهو تحريف.

(٤) «الإغفال» ص٨١٧- ٨٢٠، وانظر: «الدر المصون» ٥/ ٤٧٩- ٤٨١، وذكر رد الفارسي على الزجاج، وقال: (وهذا الرد تحامل منه عليه لأنه أراد تفسير المعنى وهو تفسير حسن) اهـ.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٢، وذكره الثعلبي ١٩٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، و القرطبي ٧/ ٢٩٩، الخازن ٢/ ٢٩٨، عن عطاء فقط.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٢.

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. قال عطاء: (يريد: عن عبادة الأوثان وقطع الأرحام، والكفر بما أنزل الله على النبيين)[١].

وقال الكلبي: (هو ما لا يعرف في شريعة ولا سنة)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾. قال عطاء: (يريد: ما حُرّم عليهم في التوراة والإنجيل من لحوم الإبل وشحوم الضأن والمعز والبقر)[٣]. وقيل[٤]: (هي الحلالات التي كان أهل الجاهلية تحرمها من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي).

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس[٥]: (يريد: ﴿ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ وما ذكر[٦] في المائدة [٣] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾.

[و][٧] قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾. ذكرنا معنى (الإصر) في

---

(١) ذكره الثعلبي ١٩٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، والقرطبي ٧/ ٢٩٩، والخازن ٢/ ٢٩٨، وجعله الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٢، من قول ابن عباس.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٧٤، بلا نسبة.

(٣) لم أقف عليه، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١، النحاس ٣/ ٨٩.

(٤) هذا هو قول الطبري ٩/ ٨٤، والثعلبي ١٩٩ أ، والماوردي ٢/ ٢٦٩، والبغوي ٣/ ٢٨٩.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٢٤، وأخرج الطبري ٩/ ٨٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣ بسند جيد عن ابن عباس قال: (هي لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله) اهـ.

(٦) في (ب): (وما ذكره) وهو يريد قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]

(٧) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

آخر سورة البقرة. واختلف[١] القراء هاهنا، فقرءوا: ﴿إِصْرَهُمْ﴾ ﴿وآصَارهم﴾[٢]، قال أبو علي الفارسي: (الإصر مصدر يقع على الكثرة مع إفراد لفظه، ويدل على ذلك إضافته وهو مفرد إلى الكثير، كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾[٣] [البقرة: ٢٠]. ومن جمع أراد ضروبًا من العهود[٤] مختلفة، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها كما تجمع سائر الأجناس)[٥].

قال ابن عباس: (يريد: العهد[٦] الثقيل الذي كان أخذ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة)[٧].

وهو قول الحسن والضحاك والسدي ومجاهد[٨]، والمعنى: ويُسقط عنهم ثقل العهد الذي أُخذ عليهم.

---

(١) في (ب): (واختلفوا).

(٢) قرأ ابن عامر: (آصَارهم)- بفتح الهمزة والصاد، وألف بعدها على الجمع- وقرأ الباقون: ﴿إِصْرَهُمْ﴾- بكسر الهمزة وسكون الصاد من غير ألف بعدها على الإفراد-، انظر: «السبعة» ص٢٩٥، و«المبسوط» ص١٨٥، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٦، و«التيسير» ص١١٣، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

(٣) في (ب): (فلو شاء)، وهو تحريف.

(٤) في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٤: (أراد ضروبًا من المآثم مختلفة).

(٥) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٣، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٥، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٥، ولابن زنجلة ص٢٩٨، و«الكشف» ١/ ٤٧٩.

(٦) في: (أ): (يريد: بالعهد).

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣ من عدة طرق جيدة.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، من عدة طرق عن مجاهد والحسن والسدي والضحاك، وذكره الثعلبي ١٩٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٨٩، عن هؤلاء.

قال الزجاج: (والإصر ما عقدته من عقد ثقيل)[١].

وقال سعيد بن جبير: (هو شدة العبادة)[٢].

وقال ابن جريج: (من اتبع محمدًا ﷺ من أهل الكتاب وضع عنه ما كان عليه من التشديد في دينه)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. قال المفسرون[٤]: (وهي الشدائد التي كانت في العبادة؛ كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبع العروق من اللحم).

قال ابن قتيبة: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ﴾؛ تحريم الله عليهم كثيرًا مما أطلقه الله لأمة محمد ﷺ، وجعله أغلالًا لأن التحريم يمنع، كما يقبض الغُل اليد فاستعيرت)[٥].

وقال الزجاج: (الأغلال تمثيل؛ ألا ترى أنك تقول: قد جعلت هذا طوقًا في عنقك، وليس هناك طوق، وإنما تأويله: أني قد وليتك هذا وألزمتك القيام [به][٦]، فجعلت لزومه[٧] كالطوق في عنقك. قال:

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١، وانظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٨١، و«نزهة القلوب» ص١٢٣، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٣، من عدة طرق جيدة.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥ بسند جيد عن ابن جريج عن مجاهد، وذكر النحاس في «معانيه» ٣/ ٩٠، وقال: (الأقوال فيه متقاربة أي: ما يثقل عليهم) اهـ.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٥، وقد أخرجه من طرق عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص١٤٨، وانظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٨١، وقال القرطبي ٧/ ٣٠٠: (الأغلال عبارة مستعارة لتلك الأثقال، هذا قول جمهور المفسرين) اهـ.

(٦) لفظ: (به) ساقط من (ب).

(٧) في: (أ): (لزومه له) وفي «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١ (لزومه لك).

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أنه من قَتَل قُتِل لا تقبل في ذلك ديةٌ، وكان عليهم إذا أصاب جلودهم شيء من البول أن يقرضوه، وكان عليهم أن لا يعملوا في السبت)[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: (يريد: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح[٢]، وغلوا أيديهم إلى أعناقهم تواضعًا لله)[٣]، فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾، قال ابن عباس: (يعني: من اليهود)[٤]، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾، (يريد: وقروه)[٥]، وقد ذكرنا الكلام في معنى التعزير مستقصى عند قوله: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة: ١٢].

﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي: على عدوه، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾، قال المفسرون[٦]: (يعني: القرآن).

وقال عطاء: (يريد: الهدى والبيان والرشاد)[٧].

وقال الزجاج: (أي: اتبعوا الحق الذي بيانه في القلوب كبيان النور)[٨].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨١، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٩١.

(٢) المُسُوح جمع مِسْح: وهو الكساء من الشعر، انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٩٨ (مسح).

(٣) ذكره الرازي ١٥/ ٢٥، بلا نسبة.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٢.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٨٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٥٨٥ بسند جيد عن ابن عباس قال: (حموه ووقروه) وانظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص١٤٧، و«اللسان» ٥/ ٢٩٢٥ (عزر).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٨٦، والسمرقندي ١/ ٥٧٤، والماوردي ٢/ ٢٦٩.

(٧) ذكره الرازي ١٥/ ٢٥، بلا نسبة.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٢، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٩١.

١٥٩- قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾، قال ابن عباس: (يريد: يدعون إلى الحق)(١).

قال الزجاج: (أي: يدعون الناس إلى الهداية بالحق)(٢).

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ قال ابن عباس: (يريد: يعملون)(٣).

وقال الزجاج: (وبالحق يحكمون)(٤)، والعَدْل: الحكم بالحق، يقال: هو يقضى بالحق، ويعدل، وهو حكم عادل(٥)، ومنه قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٩]. وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

واختلفوا في هذه الأمة العادلة من قوم موسى، فأكثر المفسرين قالوا: (إنهم قوم وراء الصين آمنوا بالنبي ﷺ وتركوا تحريم السبت، يجمعون، ولا يتظالمون، ولا يتحاسدون، لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منّا إليهم، ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يستقبلون قبلتنا)، وهذا معنى قول عطاء والكلبي والربيع والضحاك وابن جريج والسدي(٦).

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٣، وهو قول الأكثر، انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٥، الثعلبي ١٩٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤، والرازي ١٥/ ٣٢.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٢.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٣.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٢.

(٥) هذا قول الليث في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٥٨، وانظر: «العين» ٢/ ٣٨، و«الجمهرة» ٢/ ٦٦٣، و«الصحاح» ٥/ ١٧٦٠، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٤٦، و«المجمل» ٣/ ٦٥١، و«المفردات» ص٥٥١، و«اللسان» ٥/ ٢٨٣٨ (عدل).

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ٨٨، بسند جيد عن ابن جريج والسدي، وذكره الثعلبي ١٩٩ أ، عن عطاء، والكلبي، والربيع، والضحاك، وابن جريج، والسدي، وذكره البغوي ٣/ ٢٩٠، الخازن ٢/ ٣٠٠، عن الكلبي، والضحاك والربيع، وذكره الماوردي =

وقال أهل النظر[١]: (هم قوم كانوا مستمسكين بالحق في وقت ضلالتهم بقتل أنبيائهم)، وقيل[٢]: (إنهم من آمن بالنبي ﷺ كابن سلام[٣]، وغيره من مؤمني أهل الكتاب).

١٦٠- قوله تعالى[٤]: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ﴾، قد مضى الكلام في معنى (الأسباط) في سورة البقرة.

قال الفراء: (إنما قال: ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ والسبط ذكر؛ لأن [ما][٥] بعده ﴿أُمَمًاۚ﴾ فذهب التأنيث إلى الأمم، ولو كان (اثني عشر) لتذكير السبط كان جائزًا)[٦].

= ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤، عن ابن عباس والسدي، وهذا قول غريب ضعفه: ابن عطية ٦/ ١٠٩، والرازي ١٥/ ٣١، والخازن ٢/ ٣٠٠، الألوسي ٩/ ٨٥، وقال محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» ص٢٠٦: (هذا من خرافات بني إسرائيل وأسانيدها ضعيفة واهية، وليس هناك ما يشهد لها من عقل ولا نقل صحيح، وهي مخالفة للمعقول، والمشاهد الملموس) اهـ. بتصرف.

(١) انظر: «إعراب النحاس» ص٦٤٤، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٥.

(٢) هذا قول الكلبي كما ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٢٩١، والظاهر أن الآية عامة تشمل الذين تمسكوا بالحق وبه يعدلون في زمن موسى عليه السلام والذين آمنوا بمحمد ﷺ وهو اختيار محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» ص٢٠٨.

(٣) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي أبو يوسف الإسرائيلي، تقدمت ترجمته.

(٤) في (ب): (وقوله تعالى) بالواو.

(٥) لفظ: (ما) ساقط من (ب).

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٧.

واحتج النحويون على هذا بقول الشاعر:

وإنَّ قريشًا كلها عشر أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر[1]

ذهب بالبطن إلى القبيلة والفصيلة، لذلك[2] أنث، والبطن مذكر.

وقال الزجاج: (المعنى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ فرقة، ﴿أَسْبَاطًا﴾ [من نعت فرقة، كأنه قال: جعلناهم أسباطًا وفرقناهم أسباطًا، فتكون ﴿أَسْبَاطًا﴾][3] بدلًا من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾)[4]، فحصل من هذا أن التأنيث في العدد [إنما وقع لتقدير الفرقة في الكلام، ولهذا جمع الأسباط، وإن كان العدد][5] لا يفسر بالجمع؛ لأن الأسباط في الحقيقة نعتُ المفسر المحذوف وهو الفرقة، ويجوز أن يكون الأسباط كما ذكر بدلًا من العدد، فيكون المعنى: قطعناهم أسباطًا.

---

(١) «الشاهد» للنواح الكلابي وهو في «الكتاب» ٣/ ٥٦٥ لرجل من بني كلاب، وبلا نسبة في: «معاني الفراء» ١/ ١٢٦، و«الكامل» للمبرد ٢/ ٢٥٠، و«المقتضب» ٢/ ١٤٦، و«تفسير الطبري» ٩/ ٨٨، و«الأصول» ٣/ ٤٧٧، و«الأمالي» للزجاجي ص٧٥، و«الصاحبي» ص٤٢٥، و«الخصائص» ٢/ ٤١٧، و«المخصص» ١٧/ ١١٧، و«الإنصاف» ص٦١٨، و«اللسان» ٧/ ٣٩١٠ (كلب)، و«الدر المصون» ٥/ ٢٣٦، و«الشاهد»: (عشر أبطن) حيث أنث أبطن وحذف الهاء من عشر حملًا للبطن على معنى القبيلة بقرينة ذكر القبائل بعدها. انظر: «الخزانة» ٧/ ٣٩٥، وفي المراجع السابقة:

وإن كلابًا هذه عشر أبطن

ولم أقف على رواية الواحدي إلا عند الثعلبي ٦/ ١١ ب، والقرطبي ٧/ ٣٠٣، و«الدر المصون» ٥/ ٤٨٦ .

(٢) في (ب): (كذلك) وهو تحريف. (٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٢- ٣٨٣ وزاد: وهو الوجه. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٦٤، و«المشكل» ١/ ٣٠٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقد ذكرنا في أول الكتاب[١] أن البدل يقدر فيه تكرير العامل، ونص أبو علي على هذا القول فقال: (ليس الأسباط بتفسير، ولكنه بدل من ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾)[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾. بَجْسُ الماء وانبجاسه، انفجاره، يقال: بَجَسَ الماء يبجس [بجسا][٣] وانبجس وتبجس: إذا تفجر.

هذا قول أهل اللغة[٤] والمفسرين[٥] في معنى الانبجاس والانفجار[٦] وأنهما سواء، وفرق قوم بينهما[٧]، فقالوا: (الانبجاس: خروج الجاري بقلة، والانفجار: خروجه بكثرة)، وهذا يروي عن أبي عمرو

---

(١) لم أقف عليه بعد طول بحث عنه في «مظانه».

(٢) كتاب «التكملة» ص٢٦١، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٤٨٤: (تمييز ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ محذوف لفهم المعنى، تقديره: ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ فرقة و﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل من ذلك التمييز لأن أسباط مذكر وجمع) اهـ

(٣) (بجسا) ساقط من (أ).

(٤) انظر: «العين» ٦/ ٥٨، و«الجمهرة» ١/ ٢٦٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٧٧، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٧، و«المجمل» ١/ ١١٦، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٩٩، و«اللسان» ١/ ٢١٢ (بجس).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٠، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥١، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ٨٩، و«نزهة القلوب» ص١٢٦، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٢، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٦) انظر: «العين» ٦/ ١١١، و«الجمهرة» ١/ ٤٦٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٣، و«الصحاح» ٢/ ٧٧٨، و«المجمل» ٣/ ٧١٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٧٥، و«المفردات» ص٦٢٥، و«اللسان» ٦/ ٣٣٥١ (فجر).

(٧) قال الراغب في «المفردات» ص١٠٨: (الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع) اهـ
وانظر: «عمدة الحفاظ» ص٣٩، و«الدر المصون» ٥/ ٤٨٧- ٤٨٨.

ابن العلاء[(١)]، ويؤكد هذا الفرق ما قال عطاء: (كان يظهر على كل موضع من الحجر يضربه موسى -عليه السلام- مثل ثدي المرأة فيعرق أولًا ثم يسيل)[(٢)]، وباقي الآية مفسر[(٣)] في سورة البقرة.

١٦٣- قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، قال أهل المعاني: (سلهم سؤال توبيخ على ما كان منهم في أمر القرية من فاحش الخطيئة[(٤)] وشنيع السيئة، والسؤال قد يكون للتقرير والتوبيخ، كما تقول لمن تلومه على جفائه: هل شتمتك؟ هل ضربتك؟ وأنت تعلم أنك لم تفعل، وإنما تسأله لتُقرره وتوبخه.

ومعنى سؤال النبي ﷺ أهل الكتاب عن هذه القرية، وقد أخبره الله بقصتها، تقريرهم بقديم كفرهم، وسلوكهم مسلك أسلافهم في المخالفة وارتكاب المعصية وأن يعلمهم ما لا يعلم إلا بكتاب أو وحي)، وهذا معنى قول المبرد[(٥)] والزجاج[(٦)] وغيرهما[(٧)]، وتلك القرية هي أيلة[(٨)] في رواية

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٢، والرازي ١٥/ ٣٣، والسمين في «الدر» ٥/ ٤٨٨.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢ أ.

(٣) انظر: «البسيط» البقرة: ٦٠.

(٤) في (ب): (الخطايا).

(٥) انظر: «ما اتفق لفظه واختلف معناه» للمبرد ص٤٢.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٤.

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٨٣- ١٨٤، و«تأويل مشكل القرآن» ص١٧٩، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٢.

(٨) أيلة، بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم -البحر الأحمر- مما يلي الشام، وقيل: هي مدينة عامرة في بلاد الشام بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، انظر: «معجم البلدان» ١/ ٢٩٢.

عكرمة والوالبي عن ابن عباس(١)، وقال في رواية(٢) عطاء: (هي الطَّبريَة)(٣). وهو قول الزهري(٤).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾. الحضور نقيض الغيبة، أي: التي هي مجاورة البحر، وبقربه وعلى شاطئه(٥)، كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. والحضرة(٦) قرب الشيء، تقول: كنت بحضرة الدار.

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ٩٠-٩١ من عدة طرق جيدة عن عكرمة وعلي بن أبي طلحة الوالبي، عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٢، عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) اهـ. ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس.

(٣) طبرية: مدينة في الشام من أعمال الأردن مطلة على بحيرة طبرية المشهورة، انظر: «معجم البلدان» ٤/ ١٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧، والنحاس في «معانيه» ٣/ ٩٣، بسند جيد، وذكره الثعلبي ٦/ ١٢/ب، والماوردي ٢/ ٢٧١، والمشهور أنها أيلة وهو قول الأكثر، فقد أخرجه الطبري ٩/ ٩٠-٩١، من طرق عن ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير والسدي وقتادة، وقال ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٧: (وروى عن سعيد بن جبير والضحاك) اهـ، وزاد والماوردي ٢/ ٢٧١ نسبته إلى عكرمة، وزاد ابن الجوزي ٣/ ٢٧٦ نسبته إلى ابن مسعود والحسن، وحكاه الأزهري في «تهذيبه» ١/ ٢٣٣، عن الليث، وحكاه هود الهواري ٢/ ٥٣ عن الكلبي، وقال الرازي ١٥/ ٣٦: (الأكثرون على أن تلك القرية أيلة) اهـ، وهو اختيار ابن كثير ٢/ ٢٨٦، ورجح الطبري ٩/ ٩١: أنها مدينة حاضرة البحر دون تحديد، لعدم الدليل القاطع، وهذا هو الظاهر لوجود الخلاف في تحديدها، ولأنه لا يترتب على تحديدها كبير فائدة.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٩١.

(٦) هذا قول الليث في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٧، وانظر: «العين» ٣/ ١٠١، و«الجمهرة» ١/ ٥١٥، و«الصحاح» ٢/ ٦٣٢، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٧٥، =

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: يصيدون الحيتان ويفعلون ما نهوا عنه)[١]. والمعنى: إذ يظلمون في السبت، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾[٢] [البقرة: ٦٥]، وقوله: ﴿لَا تَعْدُوا فِي ٱلسَّبْتِ﴾[٣] [النساء: ١٥٤]. وموضع ﴿إِذْ﴾ نَصْب؛ لأنَ المعنى: سلهم إذ عدوا[٤]، وحقيقة السؤال وقع عن الاعتداء لا عن القرية، لأن التوبيخ[٥] يقع به، وإنما ذكرت القرية لأنهم بها اعتدوا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾. موضع ﴿إِذْ﴾ نصب أيضًا بـ «يعدون»، المعنى: سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان[٦].

= و«المجمل» ١٢٤٠، و«المفردات» ص٢٤١، و«اللسان» ٢/ ٩٠٦ (حضر).

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٧، وأخرج الطبري ٩/ ٩٢، ابن أبي حاتم ٥/ ١٥٩٨ والحاكم في «المستدرك» وصححه ٢/ ٣٢٢- ٣٢٣ من عدة طرق جيدة نحوه.
وهو قول أهل اللغة والتفسير، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٠، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥١، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ٩٢، و«معاني الزجاج» ٢/ ١٨٤، النحاس ٣/ ٩٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٢) لفظ: (منكم) ساقط من (أ).

(٣) انظر: «البسيط» نسخة جستربتي ٢/ ٣٣ ب.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٤، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٥، و«المشكل» ١/ ٣٠٤.

(٥) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٤٥.

(٦) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٨٤، وانظر: «البيان» ١/ ٣٧٦، و«التبيان» ١/ ٣٩٣، و«الفريد» ٢/ ٣٧٥، و«الدر المصون» ٥/ ٤٩٢.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا﴾. أي: ظاهرة على الماء، قاله الزجاج[١] وشرَّع جمع: شارع وشارعة.

قال شمر: (وكل شيء دان من شيء فهو شارع، ودار شارعة دنت من الطريق، ونجوم شوارع دنت من المغيب)[٢]، وعلى هذا الحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يُمكنهم صيدها.

قال ابن عباس[٣] ومجاهد[٤] والمفسرون[٥]: (إن اليهود أُمروا باليوم الذي أمرتم به، يوم الجمعة، فتركوه واختاروا السبت، فابتلوا به، وحُرِّم عليهم فيه الصيد، وأمروا بتعظيمه إن أطاعوا لم يؤجروا[٦] وإن عصَوا

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٤، وهو قول أهل اللغة والتفسير. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ٩٢، و«نزهة القلوب» ص٢٩٠، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٥٩، وانظر: «العين» ١/ ٢٥٢، و«الجمهرة» ٢/ ٧٢٧، و«الصحاح» ٣/ ١٢٣٦، و«المجمل» ٢/ ٥٢٦، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٦٢، و«المفردات» ص٤٥٠، و«اللسان» ٤/ ٢٢٣٩ (شرع).

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ٩١، وابن أبي حاتم ٥/١٥٩٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٢- ٣٢٣، وصححه من عدة طرق جيدة عن ابن عباس نحوه.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٨، وذكره الرازي ١٥/ ٣٧، عن ابن عباس ومجاهد.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٩١، وأخرجه ١٣/ ١٩٠-١٩٨، من طرق عن عبد الله بن مسعود والحسن وقتادة، وابن زيد، وأبي صالح ماهان الحنفي، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٤، النحاس ٣/ ٩٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، والثعلبي ٦/ ١٣ أ، والماوردي ٢/ ٢٧٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٧، و«الخازن» ٢/ ٣٠٢، عن المفسرين.

(٦) كذا في النسخ: (لم يؤجروا) وكذلك عند الثعلبي ٦/ ١٣/أ، والأقرب أنه: (إن أطاعوا أجروا).

عُذّبوا، فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر إلى السبت المقبل، بلاء ابتلوا به، فذلك معنى قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾). يقال: سبتت اليهود، أي: قامت بأمر سبتها.

قال الفراء: (ومعنى ﴿يَسْبِتُونَ﴾ يفعلون سبتهم، ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُم﴾، في قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ وجهان ذكرهما الزجاج وابن الأنباري، أحدهما: قال الزجاج: (أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم، وموضع[(٢)] الكاف نصب بنبلوهم)[(٣)].

وقال أبو بكر: (ذلك) إشارة إلى ما بعده يراد به: ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، كذلك البلاء الذي وقع بهم في أمر الحيتان وينقطع الكلام عند قوله: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾[(٤)].

الوجه الثاني: قال الزجاج: (ويحتمل على بُعدٍ أن يكون ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾. أي: لا تأتيهم شرعًا، ويكون ﴿نَبْلُوهُم﴾ مستأنفًا)[(٥)].

---

(١) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٩٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٥، و«المشكل» ١/ ٣٠٤، و«التبيان» ١/ ٣٩٤، و«الفريد» ٢/ ٣٧٥، و«الدر المصون» ٥/ ٤٩٣.

(٢) في (أ): (فموضع).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٥، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٤٥.

(٤) انظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٦٧، و«القطع» للنحاس ١/ ٢٦٤، و«المكتفى» للداني ص٢٧٧.

(٥) في (ي): (وهم لا يسبتون)، وهو تحريف.

وقال أبو بكر: (وعلى هذا الوجه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ راجعة على الشروع في قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾. والتقدير: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ﴾[1] الإتيان بالشروع، وموضع الكاف على هذا الوجه نصب بالإتيان على الحال، أي: لا تأتي مثل ذلك الإتيان)[2].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: بعصيانهم رب العالمين خُذلوا)[3].

وقال الزجاج: (أي: شددت عليهم المحنة بفسقهم)[4].

١٦٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ الآية. قال أهل التفسير[5]: (افترق أهل القرية ثلاث فرقٍ؛ فرقة صادت وأكلتْ، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾).

قال الزجاج: (لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين،

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٥، وزاد: (وذلك القول الأول قول الناس وهو الجيد) اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٧، والسمين في «الدر» ٥/ ٤٩٣-٤٩٤، وقال الهمداني في «الفريد» ٢/ ٣٧٥: (الكاف في موضع نصب على أنه نعت لمصدر محذوف، وفيه تقديران: **أحدهما**: نبلوهم بلاء مثل ذلك البلاء الشديد ويوقف على ﴿تَأْتِيهِمْ﴾، وهو الوجه وعليه الجمهور، والثاني: لا تأتيهم إتيانًا مثل ذلك الإتيان الذي يأتي يوم السبت ويوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾) اهـ.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٦.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٥.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ٩٣-٩٨ من عدة طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٠، والحاكم وصححه ٢/ ٣٢٢، من عدة طرق جيدة عن ابن عباس، وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، والثعلبي ٦/ ١٤ أ، والماوردي ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، أي: موعظتنا إياهم ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ والمعنى: أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذرًا إلى الله تعالى)[١]، والمعذرة مصدر كالعذر.

و[٢]قال أبو زيد: (عذرته أعذِره عُذرًا ومعذِرةً وعُذرَى)[٣]، ومعنى عذره في اللغة[٤]: قام بعذرِه، وقبل[٥] عذره، يقال: من يعذرني، أي: من يقوم بعذري، وعذرت فلانًا فيما صنع، أي: قمت بعذره، فعلى هذا معنى قوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: قيام منا بعذر أنفسنا إلى الله، فإنا إذا طولبنا بإقامة النهي عن المنكر، قلنا: قد فعلنا، فنكون بذلك معذورين. وقال الأزهري: (المعذرة اسم على مفعلة من عذر يعذر، وأقيم مقام الاعتذار، كأنهم قالوا: موعظتنا اعتذار إلى ربنا، فأقيم الاسم مقام الاعتذار، يقال: اعتذر فلان اعتذارًا وعذرة[٦] ومعذرة من ذنبه فعذرته)[٧].

وذكرنا معنى الاعتذار وأصله[٨] في اللغة في سورة براءة عند قوله[٩]:

---

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٥، و«تفسير الطبري» ٩/ ٩٢، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٦٥ (عذر).

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٧، و«تفسير الرازي» ١٥/ ٣٨.

(٤) انظر: «العين» ٢/ ٩٣، و«الجمهرة» ٢/ ٦٩٢، و «الصحاح» ٢/ ٧٣٧، و«المجمل» ٣/ ٦٥٤، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٥٣، و«المفردات» ص٥٥٥، و«اللسان» ٥/ ٢٨٥٤ (عذر).

(٥) في (ب): (وقيل).

(٦) لفظ: (وعذرة) ساقط من (ب).

(٧) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٦٥ (عذر).

(٨) لم أقف عليه.

(٩) في النسخ عند قوله: «قل ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم﴾» وهو تحريف وفي سورة التوبة قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤].

﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم﴾ الآية [التوبة: ٦٦].

وقال ابن الأعرابي: (يقال: لي في هذا الأمر عُذر وعذرى ومعذرة، أي: خروج من الذنب)[١].

قال أبو علي: (لم يريدوا أن يعتذروا عذرًا مستأنفًا من أمر ليموا عليه، ولكنهم قيل لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾؟ فقالوا: ﴿مَعْذِرَةٌ﴾ أي: موعظتنا معذرة[٢]، ومن نصب ﴿مَعْذِرَةً﴾[٣] فقال سيبويه[٤]: «لو قال رجل لرجل: معذرةً إلى الله، وإليك من كذا وكذا لنصب[٥]»)[٦].

قال الزجاج[٧]: (المعنى: نعتذر معذرةً).

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٦٥ (عذر).

(٢) هذا قول سيبويه في «الكتاب» ١/ ٣٢٠، وحكاه الفارسي في «الحجة» عنه أيضًا ٤/ ٩٨، وهذا التوجيه على قراءة الرفع عندهما.

(٣) قرأ حفص عن عاصم: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب وقرأ الباقون بالرفع، انظر: «السبعة» ص٢٩٦، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٧، و«التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

(٤) «الكتاب» ١/ ٣٢٠، وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٦٨.

(٥) في (ب): (وكذا النصب)، وهو تحريف.

(٦) «الحجة» لأبي علي ٤/ ٩٨، وعليه قراءة الرفع خبر لمبتدأ مضمر أي: موعظتنا معذرة، وعلى قراءة النصب مفعول لأجله، أي: وعظناهم لأجل المعذرة، أو على المصدر أي: نعتذر معذرة، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٧، و«إعراب القراءات» ١/ ٤١٠، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٦، و«الحجة» لابن زنجلة ص٣٠٠، و«الكشف» ١/ ٤٨١، و«الدر المصون» ٥/ ٤٩٥.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٦، وفيه قال: (ويجوز النصب على معنى يعتذرون معذرة) وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٣٩٨، و«تفسير الطبري» ٩/ ٩٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٥، و«تفسير المشكل» ١/ ٣٠٤، و«البيان» ١/ ٣٧٦، و«التبيان» ١/ ٣٩٤، و«الفريد» ٢/ ٣٧٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. أي: جائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة فيتقوا الله ويتركوا العَدْو[١].

وقال بعضهم[٢]: (وكانوا فرقتين: فرقة نهت عن السوء، وفرقة عملت بالسوء)، وهذا قول الكلبي[٣]، وحكاه الزجاج[٤]، وعلى هذا فالذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ الفرقة المعتدية.

قال الكلبي: (المعتدية نحو من سبعين ألفًا أتاهم طوائف نحو من اثني عشر ألفًا، وهم الذين كرهوا الصيد في السبت، وقالوا: انتهوا قبل أن ينزل بكم العذاب، فإنا قد علمنا أن الله منزل بكم بأسًا عاجلًا إن لم تنتهوا، فقالوا لهم: فلم تعظوننا إذًا إن كنتم قد علمتم أن الله منزل بنا عذابه)[٥].

والقول الأول[٦] أصح؛ لأنهم لو كانوا فرقتين وكان قوله: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ خطابًا من الناهية المعتدية لقالوا: ولعلكم[٧] تتقون.

---

(١) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٨٥.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ٩٢ بسند جيد عن ابن زيد، وانظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٥٧٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٩، وحكاه الطبري في «تفسيره» ٩/ ٩٢، وهود الهواري ٢/ ٥٣- ٥٤ عن الكلبي.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٦.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣- ١٤، والبغوي ٣/ ٢٩٣، والقرطبي ٧/ ٣٠٧.

(٦) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٤ أ، ونقله الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٣٩، عن الواحدي، واختاره ابن عطية ٦/ ١١٧، والخازن ٢/ ٣٠٣، وقال القرطبي ٧/ ٣٠٧: (القول الأول قول جمهور المفسرين وهو الظاهر من الضمائر في الآية) اهـ.

(٧) في (ب): (ولعلهم).

١٦٥- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، قال ابن عباس: (أي: تركوا ما وعظوا به)(١)، ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾، يعني: الفرقة الناهية، واختلفوا في الفرقة الممسكة غير الناهية الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾، فقال ابن عباس في رواية عطاء بن السائب(٢): (أسمع الله يقول: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ إلى قوله ﴿يَفْسُقُونَ﴾، فليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾)(٣). فمذهبه في هذه الرواية الوقف في الفرقة الممسكة.

وروي عنه أيضًا أنه قال: (كانوا أثلاثًا؛ ثلثًا نهى، وثلثًا قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾، وثلثًا أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم)(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠١ بسند جيد وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٥٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ٩٩، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٦، والنحاس ٣/ ٩٤، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، الثعلبي ٦/ ١٤/ ب، والماوردي ٢/ ٢٧٢.

(٢) عطاء بن السائب بن يزيد الثقفي أبو يزيد الكوفي، إمام تابعي عابد من كبار العلماء، ثقة ساء حفظه في آخر عمره توفي سنة ١٣٦هـ، انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣٨، و«الجرح والتعديل» ٦/ ٣٣٢، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ١١٠، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ١٠٣، ومقدمة «فتح الباري» ص٤٢٥.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ١/ ٢/ ٢٣٩-٢٤٢، والطبري ٩/ ٩٨، والحاكم صححه ٢/ ٣٢٢-٣٢٣ من عدة طرق جيدة.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ٩٧، وابن أبي حاتم ١٦٠٠ من طرق جيدة وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٨٧-٢٨٨، وقال: (نص الله على نجاة الناهين وهلاك الظالمين وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا، ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم فروي عن ابن عباس بإسناد جيد أنه قال: (ما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم)، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا لأنه تبين حالهم =

وهذا قول ابن زيد أيضًا، قال: (كانوا ثلاث فرقٍ؛ فرقة اعتدت، وفرقة نهت، وفرقة لم تنه، وقالت ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾، فنجت الناهية، وهلكت الفرقتان. قال: وهذه الآية أشد آية في القرآن في ترك النهي عن المنكر)(١).

وروى ابن جريج عن عكرمة قال: (دخلت على ابن عباس وهو ينظر في المصحف ويبكي قبل أنْ يذهب بصره، فقلت: ما يبكيك؟ فذكر قصة أصحاب أيلة، ثم قرأ قوله(٢): ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾. الآية، وقال: أسمع الله ذكر الذين نهوا ولا أسمع الذين سكتوا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها ولا نغيرها.

قال(٣) عكرمة: فقلت له: جعلني الله فداك، ألا تراهم قد أنكروا حين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وإنْ لم يقل الله: أنجيتهم، لم يقل أيضًا أهلكتهم، ولم أزل به حتى عرفته أنهم نجوا، قال: فأعجبه ذلك من قولي، فرضي، وأمر لي ببردين فكسانيهما)(٤).

= بعد ذلك والله أعلم) اهـ بتصرف.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» ١٧/ ٣٨٢: (أنجى الله الناهين، وأما أولئك الكارهون للذنب الذين قالوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ فالأكثرون على أنهم نجوا؛ لأنهم كانوا كارهين فأنكروا بحسب قدرتهم، وأما من ترك الإنكار مطلقًا فهو ظالم يعذب) اهـ.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦٠، والبغوي ٣/ ٢٩٤، والخازن ٢/ ٣٠٣.

(٢) لفظ: (قوله) ساقط من (ب).

(٣) في (أ): (وقال).

(٤) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٠- ٢٤٢، والطبري ٩/ ٦٤، وابن خالويه في «إعراب =

وهذا أيضًا مذهب الحسن ويمانٍ.

قال الحسن: (نجت فرقتان، وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان)[(١)].

وقال يمانٍ: (نجت الطائفتان؛ الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾، والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، وأهلك الله أهل معصيته)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾، أي: شديد من العذاب، قاله ابن عباس[(٣)] والحسن[(٤)] ومجاهد[(٥)] وقتادة[(٦)] وابن زيد[(٧)].

= القراءات» ١/ ٢١٢- ٢١٤، والحاكم ٢/ ٣٢٢- ٣٢٣ وصححه من طرق جيدة.
وأخرج الطبري ٩/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٠ بسند جيد عن ابن عباس قال: (نجت فرقتان، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير) اهـ.

(١) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٥٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦٠، والبغوي ٣/ ٢٩٤، وابن عطية ٦/ ١١٦، والرازي ١٥/ ٣٨-٣٩، والقرطبي ٧/ ٣٠٧، والخازن ٢/ ٣٠٢.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٤.

(٣) أخرجه أبو عبيد في كتاب «اللغات» ص١٠٦، و«ابن حسنون» ص٢٥ بسند جيد، وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٠- ٢٤٢، الطبري ٩/ ١٠٠-١٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٢ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (أليم وجيع) اهـ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٨، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٢ من طرق جيدة بلفظ: (أليم شديد) اهـ.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٩، والطبري ٩/ ١٠١ من طرق جيدة بلفظ: (موجع).

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٠١ بسند جيد وهو قول أهل اللغة والتفسير. انظر: «مجاز =

قال ابن الأعرابي: (البَئِس[١] والبَيِس على فَعِل العذابُ الشديد)[٢]. ونحو ذلك قال الزجاج[٣].

قال أبو علي: ﴿بَئِيسٍ﴾ على وزن فعيل يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون فعيلًا من بؤس يبؤس بأسًا: إذا اشتد.

والآخر: ما قاله أبو زيد قال: يقال من البؤس وهو الفقر: بَئِسَ الرجل يبأس بؤسًا وبأساء وبئيسًا[٤] إذا افتقر فهو بائس أي: فقير[٥]. فوصف العذاب ببئيس وهو مصدر على فعيل كالنذير والنكير والشحيح، والتقدير: بعذاب ذي بئيس أي: ذي بؤس.

وقرأ نافع[٦]: (بيس) جعل (بيس) الذي هو فعل اسمًا، فوصف

= القرآن» ١/ ٢٣١، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٢، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٦، و«نزهة القلوب» ص١٤١، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٧، والثعلبي ٦/ ١٤ ب، والماوردي ٢/ ٢٧٢، وقال الطبري ٩/ ١٠١: (أجمعوا على أن معناه: شديد) اهـ.

(١) في النسخ: البيئيس، والبئيس، وهو تصحيف.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس) وانظر: «العين» ٧/ ٣١٦، و«الصحاح» ٣/ ٩٠٧، و«المجمل» ١/ ١٤١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٢٨، و«المفردات» ص١٥٣، و«اللسان» ١/ ١٩٩ (بأس).

(٣) في «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٦، قال: (بئيس أي: شديد يقال: بئس يبؤس بأسًا إذا اشتد) اهـ. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس).

(٤) في (ب): «وبيسا» وهو كذلك في «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٠٠ عن أبي زيد،

(٥) هذا وما قبله من قول أبي زيد في «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس) وذكره الجوهري في «الصحاح» ٣/ ٩٠٧، وقال: (حكاه أبو زيد في كتاب «الهمز») اهـ.

(٦) قرأ نافع: (بيس) بكسر الباء وسكون الياء من غير همز، وقرأ ابن عامر: ﴿بِئْسَ﴾، بكسر الباء وبعدها همزة ساكنة، وقرأ الباقون: ﴿بَئِيسٍ﴾ بفتح الباء وبعدها همزة مكسورة وبعدها ياء ساكنة، وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: (بَيْئَس) على وزن =

به[(١)]، ومثل ذلك قوله: «**إن الله ينهى عن قيلَ وقال**»[(٢)].

ويروى «قيلٍ وقالٍ»[(٣)]، ونحوه: مُذْ شُبَّ[(٤)] إلى دبَّ، ومذ شبَّ إلى

= فيعل، بفتح الباء وبعدها ياء ساكنة وبعدها همزة مفتوحة-.

انظر: «السبعة» ص٢٩٦، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٧، و«التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٢.

(١) في (ب): (فوصف به العذاب ببيس) ولا يوجد ذلك في «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٠٠.

(٢) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٤٧٧) كتاب الزكاة، باب: قول الله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾، ومسلم رقم (١٧١٥) كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة السائل من غير حاجة، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**» اهـ. وفيهما قيلَ وقالَ- بالفتح-.

(٣) يريد الرواية الأولى بالفتح والثانية بالكسر منونًا، وقد أخرج مسلم رقم (١٧١٥) كتاب الأقضية، باب النهي عن كثر المسائل، عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله نهى عن ثلاث: قيلٍ وقالٍ وكثرة السؤال وإضاعة المال**» اهـ. وفيه قيل وقال بالكسر منونًا.

قال النووي في «شرح مسلم» ١٢/ ١٦: (اختلفوا في حقيقة قيل وقال على قولين: أحدهما: أنهما فعلان، فقيل مبني لما لم يسم فاعله، وقال فعل ماض، والثاني: أنهما اسمان مجروران منونان لأن القيل والقال والقول والقالة كلها بمعنى) اهـ.

وانظر: «فتح الباري» ١٢/ ٤٠٧.

(٤) في «الحجة» ٤/ ١٠١: (مِنْ شب إلى دب ومن شب إلى دب) وأشار المحقق إلى ورود (مذ) في بعض النسخ وهذا من أمثال العرب تقول:

«أعييتني من شب إلى دبَّ ومن شب إلى دُبِّ»

أي: من لدن شببت إلى أن دببت على العصا هرمًا، وهو مثل يضرب للبغيض ولمن يكون في أمر عظيم غير مرضى فيمتد فيه أو يأتي بما هو أعظم منه.

انظر: «جمهرة الأمثال» ١/ ٥٤، و«مجمع الأمثال» ١/ ١٩٨، و«المستقصى» ١/ ٢٥٧.

دبِّ[١]، فكما استعملت هذه[٢] الألفاظ أسماءً وأفعالًا، كذلك (بيس) جعله اسمًا بعد أن كان فعلًا، فصار وصفًا مثل نِقضٍ[٣] ونضوٍ[٤].

وقرأ ابن عامر: ﴿بِئْسَ﴾[٥]، وهو مثل قراءة نافع إلا أنه حقق الهمزة، وروى أبو بكر[٦] عن عاصم (بيأس)، وهو وصف مثل ضيغم[٧] وحيدرٍ[٨]، وهو بناء كثير في الصفة)[٩].

---

(١) أي بالفتح والكسر مع التنوين وعدمه، فمن نونه جعله بمنزلة الاسم بإدخال من عليه، ومن لم ينونه جعله على وجه الحكاية للفعل، أفاده الميداني في «مجمع الأمثال» ١/ ١٩٨.

(٢) في (ب): (هذا)، وهو تحريف.

(٣) نِقْض، بكسر النون وسكون القاف، وهو المهزول من الإبل والخيل، انظر: «اللسان» ٨/ ٤٥٢٤ (نقض).

(٤) نضو- بكسر النون وسكون الضاد: المهزول من جميع الدواب وقد يستعمل في الإنسان، انظر: «اللسان» ٧/ ٤٤٥٧ (نصا).

(٥) في: (أ): (بيئس)، وفي (ب): (بيس)، وهو تصحيف.

(٦) أبو بكر: هو أبو بكر بن عياش الأسدي أحد الرواة عن عاصم، إمام، تقدمت ترجمته.

(٧) ضيغم، بفتح الضاء وسكون الياء وفتح الغين: الأسد والواسع الشدق والذي يعَضّ، واسم الشاعر ضيغم الأسدي. انظر: «اللسان»: ٥/ ٢٥٩٢ (ضغم).

(٨) حيدر: بفتح الحاء وسكون الياء وفتح الدال اسم، انظر: «اللسان» ٢/ ٨٠٣ (حدر).

(٩) «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٠٠- ١٠٢، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٨، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١١، و«الحجة» لابن زنجلة ص٣٠٠، و«الكشف» ١/ ٤٨١، وقال ابن خالويه في «الحجة» ص١٦٦: (هذه القراءات لغات مشهورات مستعملات في القراءة) اهـ.

١٦٦- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ الآية. نظم الآية لا يصح إلا بتقدير محذوف؛ لأن معنى العتُو[(١)]: الإباء والعصيان، وإذا عتوا عما نهوا عنه فقد أطاعوا؛ لأنهم أبوا ما نهوا عنه، وهو صيد الحيتان في السبت، ولكن التقدير: فلما عتوا عن ترك ما نهوا عنه ثم حذف المضاف، وإذا أبوا ترك المنهي عنه كان ذلك ارتكابًا[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مفسر في سورة البقرة[(٣)].

١٦٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، اختلفوا في معنى ﴿تَأَذَّنَ﴾، فقال أهل اللغة[(٤)]: (تأذن بمعنى أذن أي: أعلم)، ونحو

---

(١) عَتَا: أي: استكبر وجاوز الحد، وقال الزجاج ٢/ ٣٨٦: (العاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة) اهـ.
وانظر: «العين» ٢/ ٢٢٦، و«الجمهرة» ٢/ ١٠٣٢، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٤١٨، و«المجمل» ٣/ ٦٤٦، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٢٥، و«المفردات» ص٥٤٦، و«اللسان» ٥/ ٢٧٩٤ (عتا).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠١، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٤٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٨، والرازي ١٥/ ٤٠، والخازن ٢/ ٣٠٣، قال الطبري: (أي: تمردوا فيما نهوا عنه وتمادوا فيه) اهـ. وقال النحاس: (أي: تجاوزوا في معصية الله جل وعز) اهـ.

(٣) انظر: «البسيط» البقرة: ٦٦.

(٤) الأذان: الإعلام، وأذن بمعنى عَلِمَ، وأذن له أذنا استمع، وتأذن فلان أعلم وآذن، وتأذن الأمير في الكلام أي: تقدم وأعلم ونادى فيهم بالتهديد والنهي، وقال الخليل في «العين» ٨/ ٢٠٠: (الأذان اسم للتأذين، والتأذن من قولك: تأذنت لأفعلن كذا يراد به إيجاب الفعل في ذلك أي: سأفعل لا محالة وتأذنت تقدمت كالأمير يتأذن قبل العقوبة ومنه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾) اهـ. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٣٩-١٤٠، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٦٨، و«المجمل» ١/ ٩١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٧٥، و«المفردات» ص٧٠، و«اللسان» ١/ ٥١ (أذن).

ذلك قال الحسن[١]، وقال ابن عباس: (وإذ قال ربك)[٢]، وهو معنى وليس بتفسير، وذلك أن الإعلام يكون بالقول ففي أعلم معنى قال.

وقال في رواية عطاء: (حتم ربك)[٣]. وقال الزجاج: (معناه: تألى ربك)[٤]. وأكثر أهل اللغة على (أن التأذن بمعنى: الإيذان وهو الإعلام)[٥].

وقال أبو علي الفارسي: (قال سيبويه: (آذن أعلم وأذَّن نادى وصاح للإعلام، منه قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال: وبعض العرب يجري أذنت مجرى آذنت فيجعل أذن وآذن بمعنى»[٦]. فإذا كان أَذَّن

---

(١) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٥٦، والماوردي ٢/ ٢٧٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٧٩.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٧، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ ب، والبغوي ٣/ ٢٩٥.

(٣) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٧٩، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٤١٣ عن عطاء فقط، وجاء عند الثعلبي ٦/ ١٥ ب، والبغوي ٣/ ٢٩٥ عن عطاء قال: (حكم ربك).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٧، وتألى أي: حلف وأقسم.

(٥) وهو قول أهل التفسير أيضًا، قال النحاس في «معانيه» ٣/ ٩٦: (قال أهل التفسير: معناه: أعلم ربك، وهذا قول حسن لأنه يقال: تعلم بمعنى أعلم) اهـ.
وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٣١: (أي: أمر من الإذن وأحل وحرم ونهى) اهـ.
وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٢، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٠٢، و«نزهة القلوب» ص١٥٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٨، و«تفسير المشكل» ص٨٧.

(٦) في «الكتاب» ٤/ ٦٢ قال سيبويه: (وقد يجيء فعلت وأفعلت في معنى واحد نحو: آذنت وآذنت أعلمت وأذنت النداء والتصويت بإعلان، وبعض العرب يجري أذنت وآذنت مجرى سمَّيت وأسميتُ) اهـ.
وانظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٠٤.

أعلم في لغة بعضهم فَتَأَذَّن تَفَعَّل من هذا وليس تفعل هنا بمنزلة تَقَيَّس[١] وتَشَجَّع[٢]، ولكنه بمنزلة (فعَّل) كما أن تَكَبَّر في قوله: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]. ليس على حد (تكبَّر زيد) إذا تعاطى الكبر، ولكن ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ بمنزلة الكبير، كما أن قوله[٣]: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] تقديره: علا وليس على حد (تغافل) و(تناسى) إذا أظهر[٤] شيئًا من ذلك ليس فيه، فبناء الفعلين يتفق والمعنى يختلف، كذلك ﴿تَأَذَّنَ﴾ بمنزلة عَلِمَ، ومثل (تَفَعَّلَ) في أنه يراد به (فَعَلَ)، قول زهير:

تَعَلَّمْ أن شرَّ الناس قوم ينادى في شعارهم يسار[٥]

ليس يريد: تعلَّم هذا عن جهل، كما يريدون بقولهم: تعلم الفقه، وإنما يريد به: اعلم، كذلك ﴿تَأَذَّنَ﴾ معناه عَلِم، ومما يدل على أن معناه العلم وقوع لام اليمين بعده، كما يقع بعد العلم في نحو: علم الله لأفعلن، وكأن المعنى في ﴿تَأَذَّنَ﴾، علم ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، فتعلق[٦] الجواب به كما يتعلق بالقسم من حيث استعمل

---

(١) تقيس- بالفتح. يقال: تقيس الرجل أي: انتسب إلى قبيلة قيس. انظر: «اللسان» ٦/ ٣٧٩٤ (قيس).

(٢) انظر: «الكتاب» ٤/ ٧١.

(٣) في: (أ): (قوله): ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهي الآية [النحل: ٣]، وفي «الحجة» ٢/ ٤١١، كما أن قوله ﷻ: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٣].

(٤) في (ب): (ظهر).

(٥) «ديوانه» ص٥١، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٧، الثعلبي ٦/ ١٥ ب، وابن عطية ٦/ ١٢٤، و«ووضح البرهان» للغزنوي ١/ ٣٦٨، والقرطبي ٧/ ٣٠٩ وتعلم أي: اعلم، والشعار العلامة. ويسار: اسم راعي إبل له، انظر: «شرح ديوان زهير لثعلب» ص٢١٩.

(٦) في (ب): (يتعلق).

استعمال القسم)[١].

وقد ذكرنا استعمال العلم بمعنى القسم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [البقرة: ١٠٢] في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾، يعني: على اليهود. وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيه تقديم وتأخير، أي: ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة][٢].

قال ابن عباس[٣] والحسن[٤] وسعيد بن جبير[٥] وقتادة[٦]: (هم العرب؛ محمد وأمته بعثهم الله على اليهود يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية)، ومعنى البعث هاهنا: إرسالهم عليهم وأمرهم بذلك.

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٤٠٤-٤١٢. وانظر ابن عطية ٦/ ١٢٤، والقرطبي ٧/ ٣٠٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٠٠ ومعنى الآية: علم الله ليبعثن، ويقتضي أن ذلك العلم منه مقترن بإنفاذ وإمضاء كما تقول في أمر عزمت عليه غاية العزم: علم الله لأفعلن كذا، وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله، ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أفاده ابن عطية والسمين وقالا: (قالت فرقة: تأذن أعلم، وهو قلق من جهة التصريف إذ نسبة تأذن إلى الفاعل غير نسبة أعلم وبين ذلك فرق بين التعدي وغيره) اهـ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٢-١٠٣ من طرق جيدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٤ من طرق جيدة عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابن زيد.

(٤) ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٣، عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة.

(٥) أخرجه أيضًا النحاس في «معانيه» ٣/ ٩٧ بسند جيد عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ ب.

(٦) أخرجه أيضًا عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٣٩- ٢٤٠ بسند جيد عن قتادة.

وقال عطاء: (يريد: بُخْتُ نصَّر[١] وغيره إلى اليوم)[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾. قال ابن عباس: (يريد: في الدنيا والآخرة)[٣].

ومعنى هذا: أنه سريع العقاب لمن استحق تعجيله؛ لأنه لا يتأخر عن وقت إرادته. عاقب اليهود في الدنيا بسوء العذاب[٤].

١٦٨- قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾، قال ابن عباس: (يريد: فرقناهم في جميع البلاد)[٥].

قال أهل المعاني[٦]: (فرقهم الله تعالى فتشتت أمرهم، ولم تجتمع لهم كلمة)[٧].

---

(١) بخت نصر: قائد وملك من ملوك بابل قبل الميلاد، قال في «القاموس» ص٦٢١ (نصر): (بخت نصر بالتشديد أصله بوخت ومعناه: ابن ونصر كبقم صنم وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه- خرب بيت المقدس) اهـ. وانظر أخباره في «تاريخ الطبري» ١/ ٥٣٨-٥٦٠، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ٢٦١-٢٧١.

(٢) ذكره الرازي ١٥/ ٤٢، والقرطبي ٧/ ٣٠٩ بلا نسبة. والقول الأول هو قول أهل التفسير كما ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦١ وهو اختيار القرطبي ٧/ ٣٠٩، والظاهر أن الآية عامة. قال ابن عطية ٦/ ١٢٥: (الصحيح أنها عامة في كل من حال اليهود معه هذه الحال) اهـ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٧٨.

(٥) أخرج الطبري» ٩/ ١٠٤، وابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٠٥ بسند جيد نحوه، وفي «الدر المنثور» ٣/ ٢٥٥، و«مسائل نافع بن الأزرق» ص١٦٤ عن ابن عباس قال: (﴿أُمَمًا﴾ أي: فرق).

(٦) لفظ: (قال أهل المعاني فرقهم الله تعالى) ساقط من (أ).

(٧) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣١، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٠٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٨، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٧٤.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾. قال ابن عباس[١] ومجاهد[٢]: (يريد: الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به).

وقال الكلبي: (يعني: الذين ذكرهم في قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وهم الذين وراء الصين)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾، قال: (يريد: الذين كفروا)[٤].

وقوله: ﴿وَبَلَوْنَاهُم﴾، أي: عاملناهم معاملة المبتلي المختبر. ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾، وهي: النعيم والخصب والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وهي: الجدب والشدائد[٥].

قال أهل المعاني: (وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعو إلى الطاعة، أما النعم فلارتباطها والازدياد[٦] منها، وأما النقم فلكشفها، والسلامة منها)[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦١، والبغوي ٣/ ٢٩٥، والرازي ١٥/ ٤٢، والخازن ٢/ ٣٠٤ عن ابن عباس ومجاهد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٥ بسند جيد.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٧، وذكره الثعلبي ٦/ ١٥ ب، والبغوي ٣/ ٢٩٥، ورجح الطبري ٩/ ١٠٤، الخازن ٢/ ٣٠٤: أنهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى -عليه الصلاة والسلام-، قال الخازن: (هذا هو الصحيح ويدل عليه قوله بعد: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩] والخلف بعد الذين وصفهم بالصلاح من بني إسرائيل) اهـ.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٧.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٤، و«معاني النحاس» ٣/ ٩٨، والسمرقندي ١/ ٥٧٨، والماوردي ٢/ ٢٧٤.

(٦) في (أ): (ولازديادها وأما).

(٧) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢٨٠، والرازي ١٥/ ٤٣، والخازن ٢/ ٣٠٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: كي يتوبوا)(١).

قال أهل المعاني: (إنهم مارّون على وجوههم في جهة الباطل، فدعوا إلى الرجوع عنه إلى جهة الحق، والانصرافُ عن الباطل رجوعٌ إلى الحق).

١٦٩- قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، قال ابن عباس: (فخلف من بعد هؤلاء الذين قطعناهم خلف من اليهود)(٢).

وقال في رواية عطاء: (يريد: نسلًا منهم)(٣).

يعني: أولاد هؤلاء الذين فرقهم في البلاد.

وقوله تعالى: ﴿خَلْفٌ﴾. قال الزجاج: (يقال للقرن الذي يجيء في أثر قرن: خلف، والخلف ما أخلف عليك بدلًا مما أخذ منك، ويقال في هذا: خلف أيضًا)(٤).

وقال الفراء: ﴿خَلْفٌ﴾ أي: قرن بجزم اللام، والخَلَف ما استخلفته، تقول: أعطاك الله خلفا مما ذهب لك(٥).

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦٢ .

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٨، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٠.

(٣) لم أقف عليه، ورجح الطبري ٩/ ١٠٥: (أن المراد خلف سوء من اليهود؛ لأنه لا دليل يوجب صحة القول به على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم)، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ٩٨: (قال مجاهد: يعني: النصارى، وقال غيره: يعني: أبناءهم، وهذا أولى القولين، والله أعلم لأنه يقال لولد الرجل: خلفه) اهـ.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٨، وزاد: (فأما ما أخلف عليك بدلًا مما ذهب منك فهو الخلف بفتح اللام) اهـ.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩، وزاد: (وأنت خلف سوء سمعت من العرب) اهـ.

وقد توافقا في هذا القول، وقال أحمد بن يحيى: (الناس كلهم يقولون: خَلَف صدق وخَلَف سوء، وخَلْف[1] للسوء لا غير، وأبو عبيدة[2] معهم، ثم[3] انفرد وحده فقال: ويقال للصدق أيضًا: خَلْف)[4].

قال الأزهري: (وأخبرني المنذري بإسناده عن الفراء قال: الخَلْف يذهب به إلى الذم، والخَلَف خلف صالح، وقد يكون في الرديء خَلَف وفي الصالح خَلْف لأنهم يذهبون به[5] إلى القرن، قال: فأرى الفراء قد أجاز في الصالح خَلْف كما أجازه أبو عبيدة)[6]، وعلى هذا ينشد لحسان:

لنا القدم الأولى عليهم وخلفنا لأولنا في طاعة الله تابع[7]

وقال ابن السكيت: (يقال: هذا خلف صدق، وهذا خلف سوء، وهؤلاء خلف سوء، جمعه وواحده[8] سواء، وأنشد[9]:

---

(١) أي: بسكون اللام.

(٢) في «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٢، قال: (خلْف ساكن ثاني الحروف وإن شئت حركت الحرف الثاني وهما في المعنى واحد كما قالوا: أثر وأثر وقوم يجعلونه إذا سكنوا ثاني حروفه إذا كانوا مشركين وإذا حركوه جعلوه خلفًا صالحًا) اهـ.

(٣) لفظ: (ثم) ساقط من (ب).

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٦ (خلف).

(٥) لفظ: (ب) ساقط من النسخ.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٦ (خلف).

(٧) «ديوانه» ص٤٨، و«سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٠٨، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٠٤، والثعلبي ٦/ ١٦ أ، وابن عطية ٦/ ١٢٧، والقرطبي ٧/ ٣١١، و«اللسان» ٢/ ١٢٣٩ (خلف)، والخازن ٢/ ٣٠٥، و«البحر» ٤/ ٤١٥، و«الدر المصون» ٥/ ٥٠٣، وفي «الديوان»: (لنا القدم الأولى إليك وخلفنا)، بسكون اللام.

(٨) في (ب): (وواحد سواء)، وهو تحريف.

(٩) الشاهد للبيد في «ديوانه» ص٣٦، و«العين» ٤/ ٢٦٦، و«الكامل» للمبرد ٤/ ٣٣، =

وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب)[١]

وقال أصحاب العربية[٢]: (الخلفُ المستعمل في الذم مأخوذ من الخَلَف، وهو الفساد، يقال للرديء من القول: خلف، ومنه المثل: نطق خلفًا[٣]، وخَلَف النبيذ يخلف خُلُوفًا وخلفًا إذا فسد، وكذلك الفم إذا تغيرت رائحته).

وقال النضر: (الخلف بتحريك اللام وإسكانها في القرن السوء واحد، فأما في القرن الصالح فتحريك اللام لا غير، وأنشد[٤]:

إنا وجدنا خلفًا[٥] بئس الخلف)[٦]

= و«جمهرة أشعار العرب» ص٦٩، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٠٥، و«الجمهرة» ١/ ٦١٥، و«أمالي القالي» ١/ ١٥٨، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٤ (خلف)، و«ديوان المعاني» ٢/ ١٩٨، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦ أ، وخلف بسكون اللام وصدره:

ذهب الذين يعاشُ في أكنافهم

(١) «إصلاح المنطق» ص١٣و ٦٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٦ (خلف).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٤، و«أمالي القالي» ١/ ١٥٨.

(٣) هذا من أمثال العرب المشهورة يضرب للرجل يطيل الصمت ثم يتكلم بالخطأ يقال: سَكَتَ ألفا ونطق خلفًا، أي: سكت عن ألف كلمة ونطق بواحدة رديئة، انظر: «إصلاح المنطق» ص٦٦، و«أمالي القالي» ١/ ١٥٨، و«جمهرة الأمثال» ١/ ٥٠٩، و«مجمع الأمثال» ١/ ٣٣٠، و«المستقصى» ٢/ ١١٩.

(٤) لم أقف على قائله، وهو في كتب «الفرق»: لقطرب ص٦٨، وللأصمعي ص٧٨ و٧٩، ولأبي حاتم السجستاني ص٣٦، ولثابت بن أبي ثابت ص٤٤، و«الكامل» للمبرد ٣/ ٣٧٢-٣٧٣، و«الجمهرة» ١/ ٦٠٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٠، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٢، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٣١١، و«اللسان» ٢/ ١٢٣٨، و«تاج العروس» ١٢/ ١٧٤ (خضف)، وعجزه:

عبدًا إذا ما ناء بالحمل خضف

(٥) في (ب): (خلفنا) وكذا في «الدر المصون» ٥/ ٥٠٣، وفي غيره (خلفًا).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦ أ، و«البحر» ٤/ ٤١٦، و«الدر المصون» ٥/ ٥٠٣، وفي =

فجمع اللغتين في المذموم، وأكثر أهل اللغة[١] على هذا إلا الفراء وأبا عبيدة فإنهما أجازا في الصالح جزم اللام[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾. قال أبو عبيد: (جميع متاع الدنيا عَرَض بفتح الراء، يقال: إن الدنيا عرض حاضر، وأما العَرْض بسكون الراء، فما خالف العين[٣]، الدراهم والدنانير التي هي الثمنات، وجمعه عُروض، وكأن العَرْض من العَرَضِ وليس كل عَرَض عَرْضًا)[٤].

= «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٢: (قال النضر بن شميل: الخلف يكون في الخير والشر وكذلك خلف) اهـ.

(١) انظر: «العين» ٤/ ٢٦٥، و«الجمهرة» ١/ ٦١٥، و«الصحاح» ٤/ ١٣٥٤، و«المجمل» ٢/ ٣٠٠، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢١٠، و«المفردات» ص٢٩٣، و«اللسان» ٢/ ١٢٤١، (خلف)، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥٠٣: (هذا قول جماعة أهل اللغة إلا الفراء وأبا عبيدة) اهـ. بتصرف.

(٢) والحاصل أن خلف بفتح اللام وإسكانها، قيل: بمعنى واحد وقيل: الساكن في الطالح، والمفتوح في الصالح، وأكثرهم على جواز الفتح والسكون في الرديء، وأما الصالح فبالفتح فقط، قال المبرد في «الكامل» ٤/ ٣٣: (قلما يستعمل خلف بالسكون إلا في الشر) اهـ. وقال الماوردي ٢/ ٢٧٤: (هو بالتسكين في الذم، وبالفتح في الحمد وهذا أظهر وفي قول الشعراء أشهر)اهـ. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٣، و «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٢، و«نزهة القلوب» ص٢١٩، و«تفسير المشكل» ص٨٨، و«زاد المسير» ٣/ ٢٨٠، و«البحر» ٤/ ٤١٥.

(٣) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٥: (فما خالف الثمنين: الدنانير والدراهم من متاع الدنيا وأثاثها) اهـ.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٩٥ وفيه: (فكل عَرْض داخل في العَرَضَ، وليس كل عَرَض عَرْضًا) اهـ وانظر: «العين» ١/ ٢٧١، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٣٢، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣١٣-٣١٤، و«الجمهرة» ٢/ ٧٤٧، و«الصحاح» ٣/ ١٠٨٢، و«المجمل» ٢/ ٦٥٩، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٦٩، و«المفردات» ص٥٥٩، و«اللسان» ٥/ ٢٨٧٧ (عرض).

قال ابن عباس[١]: (يأخذون الطمع إذا عرض لهم حلالًا أو حرامًا من الرشى[٢] وغيرها).

وقال عطاء عنه: (يريد: ما أشرف لهم من الدنيا)[٣]، و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ تذكير (الدنيا) وأراد عرض هذه الدار الدنيا، فلما ترك الاسم المؤنث ذكر النعت[٤]، وفي ﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾ قول آخر[٥] لمجاهد نذكره بعيد.

قال المفسرون: (ذم الله تعالى بهذه الآية اليهود ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فقرؤوه، وعلموه، وضيعوا[٦] العمل به، وخالفوا حكمه، يرتشون في حكم الله وتبديل كتابه وتغيير صفة رسوله)[٧].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٨، وفي «زاد المسير» ٣/ ٢٨١، عن ابن عباس قال: (يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام) اهـ.
انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) الرُّشَي: جمع رشوة، انظر: «اللسان» ٣/ ١٦٥٣ (رشا)، وقال الماوردي ٢/ ٢٧٥، في معنى الآية: (يعني: الرشوة على الحكم في قول الجميع) اهـ.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٠٦، بسند ضعيف، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٨ بسند جيد عن عطاء نحوه.

(٤) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٧ أ، والأدنى: الأقرب، والدنو غير مهموز مصدر دنا يدنو إذا قرب.
انظر: «العين» ٨/ ٧٥، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٤١، و«المجمل» ٢/ ٣٣٦، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٠٣، و«المفردات» ص٣١٨، و«اللسان» ٣/ ١٤٣٦ (دنا).

(٥) لفظ: (آخر) ساقط من: (أ).

(٦) في (ب): (وضيعوه العمل وخالفوا)، وهو تحريف.

(٧) هذا قول الثعلبي ٦/ ١٦ ب، عن المفسرين، وانظر البغوي ٣/ ٢٩٦، والقرطبي ٧/ ٣١١.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾. قال ابن عباس[(١)] والمفسرون[(٢)]: (كانوا يتمنون على الله المغفرة، يقولون: ما عملنا بالليل كفر عنا [بالنهار، وما عملنا بالنهار كفر عنا][(٣)] بالليل) و[(٤)] قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، قال ابن عباس: (إذا أصابوا عرضًا مثل رشوتهم تلك التي أصابوا بالأمس قبلوه)[(٥)].

وقال مجاهد: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، ما أشرف لهم اليوم شيء من الدنيا حلال أو حرام أخذوه وتمنوا على الله المغفرة، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه)[(٦)]، فالأدنى على هذا عبارة عن اليوم الأدنى، وهو اليوم الذي هم فيه.

ونحو هذا قال قتادة[(٧)] والسدي[(٨)] وقالوا: (هذا إخبار عن إصرارهم على الذنوب). وقال الحسن: (هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا، وأنهم لا يشبعهم شيء)[(٩)].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٨.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٧، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٨، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٨، والثعلبي ٦/ ١٦ ب.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٣٨، وهو قول الطبري ٩/ ١٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٧٨.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٩، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٧ من طرق جيدة.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٠، بسند جيد.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٦، من طرق جيدة عن قتادة والسدي.

(٩) ذكره والماوردي ٢/ ٢٧٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١، والرازي ١٥/ ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (وكّد الله في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، فقالوا الباطن).

قال ابن عباس: (يعني: قولهم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، فذلك قولهم على الله غير الحق)[١].

وقال ابن جريج: (أي: فيما يرجون على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون منها، فذلك قولهم على الله غير الحق)[٢].

وقال الزجاج: (قوله: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ﴾ يدل على إصرارهم على الذنب، والله ﷻ وعد بالمغفرة في العظائم التي توجب النار مع التوبة، فقال: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾)[٣].

وبيان هذا ما قاله بعض المفسرين قال: (ليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار)[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ أي: فهم ذاكرون لما[٥] أخذ عليهم لأنهم قد قرؤوه[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦٣، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٦ بسند جيد عن ابن جريج عن ابن عباس، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المكي إمام، لم يسمع من ابن عباس، انظر: «سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٣٤، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٦٠١.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٧، و«معاني النحاس» ٣/ ١٠٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٨.

(٤) ذكره البغوي ٣/ ٢٩٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٨١، والرازي ١٥/ ٤٤.

(٥) في (ب): (ذاكرون ما أخذ عليهم).

(٦) هذا قول الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٨٨، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٧، و«معاني النحاس» ٣/ ١٠٠، والسمرقندي ١/ ٥٧٩.

١٧٠- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، يقال: مسَّكت[١] بالشيء، وتمسكت به، واستمسكت به، وامتسكت به[٢]، وروى أبو بكر عن عاصم[٣] ﴿يُمْسِكُونَ﴾ مخففه، وحجته قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[٤] [الأحزاب: ٣٧]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[٥] [المائدة: ٤]، والتشديد أقوى؛ لأن التشديد للكثرة، وهاهنا أريد به الكثرة لأنه قال في موضع آخر: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩]. والإيمان بكل الكتاب يوجب التمسك الذي هو للكثرة[٦]، ولأنه يقال: أمسكته، وقل ما يقال: أمسكت به[٧].

---

(١) مسك أصل يدل على حبس الشيء، وإمساك الشيء التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك.
ويقال: أمسكت عنه كذا أي: منعته، انظر: «العين» ٥/ ٣١٨، و«الجمهرة» ٢/ ٨٥٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٦، و«الصحاح» ٤/ ١٦٠٨، و«المجمل» ٣/ ٨٣٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٢٠، و«المفردات» ص٧٦٨، و«اللسان» ٧/ ٤٢٠٣ (مسك).

(٢) لفظ: (به) ساقط من (أ).

(٣) قرأ: أبو بكر عن عاصم ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بسكون الميم وتخفيف السين، وقرأ الباقون بفتح الميم وتشديد السين، انظر: «السبعة» ص٢٩٧، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٨، و«التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(٤) لفظ: (﴿زَوْجَكَ﴾) ساقط من (أ).

(٥) في (أ): (وكلوا)، وكذا في «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٠٣٦، وفي (ب): (كلوا)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (الذي هو الكثرة).

(٧) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٠٣- ١٠٤، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٩، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٦، ولابن زنجلة ص٣٠١، و«الكشف» ١/ ٤٨٢.

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: أمة محمد ﷺ)[١].

وقال عامة المفسرين[٢]: (نزلت في مؤمني أهل الكتاب). فعلى قول عطاء المراد بالكتاب: القرآن، وعلى قول المفسرين المراد به: التوراة، وأما معنى التمسك بالكتاب؛ فقال الفراء[٣]: (معناه[٤]: يأخذون بما فيه). وقال الزجاج: (أي: يؤمنون به ويحكمون بما فيه)[٥]. وقال غيره: (التمسك بالكتاب ارتباط به على ما بيّن فيه، كالقابض على الشيء الذي يرجو النجاة من قبله والفوز من جهته)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. إنما ذكرت ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مع دخولها في التمسك بالكتاب للبيان عن جلالة موقعها، وعظم منزلتها في طاعة الله، وأنها من أوكد الأمور التي يجب المحافظة عليها[٧]، واختلف النحويون[٨] في إعراب الآية، فقال قوم: هذه الآية معطوفة على ما قبلها، والتقدير:

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ١٧ ب، والبغوي ٣/ ٢٩٧، عن عطاء فقط.

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ٢٤٩، وأخرجه الطبري ٩/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٠٩، من طرق جيدة عن مجاهد وابن زيد وهو اختيار السمرقندي ١/ ٢٧٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٢، والقرطبي ٧/ ٢١، والخازن ٢/ ٣٠٦.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩.

(٤) في (ب): (معناه يحكمون يأخذون بما فيه).

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٩، ومثله قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٩٧ (مسك).

(٦) قال الطبري ٩/ ١٠٨ في معنى الآية: (الذي يعملون بما في كتاب الله)، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٢٧٩.

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٤٥، والخازن ٢/ ٣٠٦، و«البحر» ٤/ ٤١٧.

(٨) انظر: «الكشاف» ٢/ ١٢٨، وابن عطية ٦/ ١٢٩، والرازي ١٥/ ٤٥.

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾، وقال الأكثرون منهم: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، ثم اختلفوا في خبره، فقال قوم[١]: خبره محذوف تقديره: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نعطيهم أجرهم، ودل على هذا المحذوف قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾؛ [لأن فيه معنى التعليل فكان في ذكر العلة ما يغني عن المعلول.

وقال الزجاج: (الذي أختار أن يكون التقدير: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾][٢] منهم)[٣]، فعلى هذا الخبر قوله: ﴿إِنَّا﴾، والعائد إلى المبتدأ محذوف وهو (منهم).

قال ابن الأنباري: (وخص ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بأن وعدهم حفظ الأجر إذ كان منهم من لم يُصلح فتكاملت آثامه بتضييعه وصايا ربه وإقدامه على تكذيب النبيين ودفع ما يقف على نعته من أمر محمد ﷺ).

قال أبو بكر: (وقال بعض النحويين الراجع إلى المبتدأ قوله: ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾، وتلخيص المعنى: إنا لا نضيع أجرهم فأظهرت كنايتهم بالمصلحين كما يُقال: عليٌّ لقيتُ الكسائي. وأبو سعيد رويت عن الخدري[٤]، يراد[٥]: لقيته ورويتُ عنه، وأنشد:

---

(١) انظر: «غرائب التفسير» ١/ ٤٢٦، و«البيان» ١/ ٣٧٩، و«التبيان» ص٣٩٥، و«الفريد» ٢/ ٣٨٢، و«الدر المصون» ٥/ ٥٠٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٨، وهو قول النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٤٨-٦٤٩، ومكي في «المشكل» ١/ ٣٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) في (ب): (يقال لقيته)، وهو تحريف.

فيا ربَّ ليلى أنت في كلِّ موطنٍ وأنت الذي في رحمة الله أطمع[(١)]

أراد في رحمته[(٢)] فأظهر الهاء)[(٣)]، وهذان الوجهان ذكرهما أبو بكر؛ معنى قول الزجاج[(٤)] في هذه الآية، والأول منهما[(٥)] اختياره[(٦)].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

١٧١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، اختلفت[(٧)] عبارات أهل اللغة[(٨)] والتفسير[(٩)] في معنى ﴿نَتَقْنَا﴾؛ فقال الليث: (النَّتق الجذب، تقول: نتقت الغرب من البئر نتقًا إذا جذبته بمرَّة جذبة، وبعث الله الملائكة فنتقوا جبل طور فاقتلعوه من أصله حتى أطلعوه على عسكر بني إسرائيل)[(١٠)].

---

(١) الشاهد بلا نسبة في «زاد المسير» ٣/ ٢٨٣، و«مغني اللبيب» ١/ ٢١٠- ٢/ ٥٠٤- و٥٤٦، وقال السيوطي في «شرح شواهد المغني» ٢/ ٥٥٩: (قيل: إنه لمجنون بني عامر) اهـ. وهو ليس في «ديوانه».

(٢) في (ب): (في رحمته أطمع فأظهر).

(٣) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٢-٢٨٣.

(٤) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٨٨-٣٨٩.

(٥) في (ب): (منها).

(٦) قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤١٨: (والظاهر أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ استئناف مرفوع بالابتداء وخبره الجملة بعده، ولا ضرورة إلى ادعاء الحذف) اهـ.

(٧) في (ب): (اختلف)، وهو تحريف.

(٨) انظر: «الجمهرة» ١/ ٤٠٨، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٨٧، و«المجمل» ٣/ ٨٥٤، و«المفردات» ص٧٩٠، و«اللسان» ٧/ ٤٣٣٧ (نتق).

(٩) أخرج الطبري ٩/ ١١٠-١١٢ من طرق جيدة عن ابن عباس وقتادة قالا: (أي: رفعنا)، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٠ من طرق جيدة عن ابن عباس وعطاء.

(١٠) «العين» ٥/ ١٢٩-١٣٠، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٠٥، قال الليث: (النتق =

وقال[١] الفراء في كتاب «المصادر»: (يقول: علّقنا[٢] الجبل فوقهم فرفعناه، نتقهُ ينتقهُ نتقًا)[٣].

وقال في المعاني: ﴿نَتَقْنَا﴾ رفعنا[٤]. وقال بعض أهل اللغة[٥]: (أصل النتق: الزعزعة والنفض، ومن هذا يقال: نتقت السقاء إذا نفضته لتقلع منه زبدته)[٦]، وإلى هذا القول ذهب مجاهد وابن قتيبة، قال مجاهد: ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ كما تنتق الزبدة)[٧].

وقال ابن قتيبة: ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ أي: زعزعناه، ومنه يقال: نتقت السقاء، أي: نفضته لتقلع الزبدة منه).

وقال أبو عبيدة: (أصل النتق: قلع الشيء من موضعه والرمي به، يقال: نتق ما في الجراب إذا رمى به وصبّه، وامرأة ناتق منتاق إذا كثر ولدها؛ لأنها ترمي بأولادها رميًا)[٨].

= الجذب ونتقت الغَرْب من البئر إذا جذبته بمرة) اهـ. والغَرْب بفتح الغين وسكون الراء: الدلو العظيمة، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٢٢٧ (غرب).

(١) في (ب): (فقال). (٢) في (ب): (علقت).

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ١٧/ب، وذكره الطبري ٩/ ١١٠ عن بعض الكوفيين.

(٤) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩، وزاد: (رفع الجبل على عسكرهم فرسخًا فرسخا) اهـ.

(٥) ذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٠٥ بلا نسبة، وهو في أكثر المراجع المذكورة.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٠ بسند ضعيف.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٢، و«معاني النحاس» ٣/ ١٠١.

(٨) ذكره الرازي ١٥/ ٤٥، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٠٩، وذكره الطبري ٩/ ١١٠، عن بعض البصريين، وقال الشيخ أحمد شاكر في «الحاشية» (يعني: أبا عبيدة) وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٢ قال: (أي: رفعنا فوقهم) اهـ. وفي «الصحاح» ٤/ ١٥٥٨ (قال أبو عبيدة: أي: زعزعناه) اهـ.

وأحسن العبارات وأجمعها[1] أن يقال: معنى ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: رفعناه باقتلاع له من أصله.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (كأنه سقيفة)[2]، والظلة[3]: كل ما أظلك من سقف بيت، أو سحابة، أو جناح حائط، والجمع ظلل وظلال[4]. أما[5] تفسير الآية وقصتها فقد ذكرنا في سورة البقرة عند قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الآية [البقرة: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾. قال المفسرون[6]: (علموا

---

(١) هذا هو الظاهر واختيار أكثرهم، انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٠٩، و«نزهة القلوب» ص٤٤٥-٤٤٦، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٩، و«تفسير المشكل» ص٨٨، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢٨٣، والرازي ١٥/ ٤٥، والقرطبي ٧/ ٣١٣، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤١٨: (النتق الجذب بشدة وفسره بعضهم بغايته وهو القلع) اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥٠٩- ٥١٠: (اختلفت فيه عبارات أهل اللغة وكلها معانٍ متقاربة) اهـ. بتصرف.

وقال ابن عطية ٦/ ١٣٠: (أي: اقتلعنا ورفعنا. وقد جاء في القرآن بدل هذه اللفظة في هذه القصة بعينها ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]) اهـ.

(٢) ذكره الرازي ١٥/ ٤٥، وذكره الثعلبي ٦/ ١٨ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٧ عن عطاء فقط.

(٣) انظر: «العين» ٨/ ١٤٨، و«الجمهرة» ١/ ١٥٣، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٤٦، و«الصحاح» ٥/ ١٧٥٥، و«المجمل» ٢/ ٥٩٩، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٦١، و«المفردات» ص٥٣٥ (ظلل).

(٤) في (ب): (ظلل وأظلال)، وفي «اللسان» ٥/ ٢٧٥٥ (ظلل): (كل شيء أظلك فهو ظلّة ويقال: ظلٌّ وظلال وظلة وظلل، والظلُّ بالكسر جمعه أظلال وظلال وظلول) اهـ.

(٥) في (ب): (فأما).

(٦) انظر: السمرقندي ١/ ٥٧٩، والثعلبي ٦/ ١٨ أ، والماوردي ٢/ ٢٧٦، والبغوي ٣/ ٢٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٣، والخازن ٢/ ٣٠٦، وذكره عن المفسرين الرازي ١٥/ ٤٥.

وأيقنوا)، وقال أهل المعاني: (قوي في نفوسهم ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ إن خالفوا)[١]، وهذا هو الأظهر[٢] في معنى الظن، ومضى الكلام فيه عند قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

١٧٢- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، قال الزجاج: (موضع ﴿إِذْ﴾ نصب، المعنى[٣] واذكر ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾)[٤]، وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، والمعنى: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم.

قاله الزجاج[٥]، وهو معنى قول الكناني[٦]؛ قال: (لم يذكر ظهر آدم، وإنما أخرجوا جميعًا من ظهره؛ لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، لذلك[٧] قال: ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، واستغنى عن ذكر ظهر آدم لما عُلم أنهم كلهم بنوه

---

(١) ذكره الماوردي ٢/ ٢٧٦، والرازي ١٥/ ٤٥.

(٢) واختاره أيضًا الرازي ١٥/ ٤٥، وقال ابن عطية ٦/ ١٣٣، و«أبو حيان» ٤/ ٤٢٠: (قال المفسرون معناه: أيقنوا وليس كذلك بل هو غلبة ظن مع بقاء الرجاء) اهـ.

(٣) في (ب): (والمعنى).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٠، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٤٩، و«المشكل» ١/ ٣٠٥، و«البيان» ١/ ٣٧٩، و«التبيان» ص٣٩٥، و«الفريد» ٢/ ٣٨٣.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٠، وفيه: (والمعنى: وإذ أخذ ربك ذريتهم وذرياتهم جميعًا) اهـ. وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥١١: (﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله ﴿مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بإعادة الجار، والظاهر أنه بدل بعض من كل) اهـ. وهذا قول الأكثر، انظر: «المشكل» ١/ ٣٠٦، و«البيان» ١/ ٣٧٩، و«التبيان» ص٣٩٥، و«الفريد» ٢/ ٣٨٣.

(٦) الكناني: هو الإمام عبد العزيز بن يحيى المكي، تقدمت ترجمته.

(٧) في (ب): (كذلك)، وهو تحريف.

وأخرجوا من ظهره، فترك ذكر ظهر آدم وذكر ظهور[(١)] بنيه)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. وقرئ[(٣)] ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ جمعًا، وقد ذكرنا معنى الذرية والكلام فيها عند قوله: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبينا أن الذرية تقع على الواحد والجمع، فمن أفردها هاهنا فلأنه قد استغنى عن جمعه بوقوعه على الجمع، فصار كالبشر؛ فإنه يقع على الواحد كقوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، وعلى الجمع كقوله: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]. وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

وكما لم يجمع (بشر) بتصحيح ولا تكسير كذلك لا تجمع الذرية، ومن جمع قال: إن الذرية إن كان واحدًا فلا إشكال في جواز الجمع فيه، وإن كان جمعًا فجمعه أيضًا حسن لأنك قد رأيت الجموع المكسرة قد جُمعت نحو: الطرقات والجُزرات[(٤)] وصَوَاحبات يوسف[(٥)].

---

(١) لفظ: (وذكر ظهور) ساقط من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦٦-٢٦٧، وهو عند الثعلبي ٦/ ١٩ أ، والبغوي ٣/ ٢٩٩ بلا نسبة.

(٣) قرأ ابن عامر وأبو عمرو ونافع: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ بألف على الجمع مع كسر التاء، وقرأ الباقون: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، انظر: «السبعة» ص٢٩٨، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٨ «التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(٤) الجُزرات: بالضم جمع الجمع كطُرق وطرقات، وهي جمع جُزُر والجُزُر جمع جَزُور وهي الناقة المجزورة: أي المعدة للذبح، انظر: «اللسان» ١/ ٦١٤ (جزر).

(٥) صَوَاحبات يوسف: أي مثلهن في الإلحاح، جمعوا (صواحب) جمع السلامة، انظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٠٠-٢٤٠١ (صحب)، وقد أخرج أحمد في «المسند» ٤/ ٤١٢، وابن ماجه رقم (١٢٣٢-١٢٣٥) كتاب إقامة الصلاة، باب: ما جاء في صلاة النبي في مرضه، والنسائي ١/ ٢٩٣ (٩٠٦) كتاب الإمامة من طرق جيدة، =

وأما تفسير الآية ففيه مذهبان: أحدهما -وهو مذهب المفسرين وأهل الأثر- ما روى مسلم[(١)] بن يسار الجهني: (أن عمر ﷺ سُئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: **«إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية [فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية][(٢)] فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»**.

= باب: الائتمام بالإمام، أن النبي ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة: إنه رجل رقيق، فقال: «إنكن صواحبات يوسف مروه فليصل بالناس» الحديث. وأصله في «الصحيح» أخرجه البخاري رقم (٦٦٤١) كتاب الأذان، باب: حد المريض أن يشهد الإمامة، ومسلم رقم (٤١٨- ٤٢٠)، وفيه: «إنكن صواحب يوسف» كتاب الصلاة، باب: استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، قال ابن حجر في «الفتح» ٢/ ١٥٣: (صواحب جمع صاحبة والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن) اهـ.

وما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٠٥- ١٠٦، وقال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٤٢٩: (المعنى واحد في الذرية والذريات) اهـ، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ٢١٤، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٧، ولابن زنجلة ص٣٠١، و«الكشف» ١/ ٤٨٣.

(١) مسلم بن يسار الجهني البصري تابعي روى عن نعيم بن ربيعة الأزدي، وقيل: روى عن عمر رضي الله عنه وروى عنه عبد الحميد بن عبد الرحمن العدوي، وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن حجر في «التقريب» ٥٣١ (٦٦٥٤): (مقبول).

انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري ٧/ ٢٧٦، و«تاريخ العجلي» ٢/ ٢٧٨ (١٧٢٣)، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥١٤، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ١٠٨، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٧٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار**»(١).

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٨٩٨، وأحمد ١/ ٢٨٩، رقم ٣١١ تحقيق أحمد شاكر، وأبو داود ٥/ ٧٩ رقم ٤٧٠٣، والترمذي كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأعراف رقم ٣٠٧٥، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٨٧ رقم ١٩٦، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٥٠٤ رقم ٢١٠، والطبري ٩/ ١١٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٢، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٥٠، والآجري في «الشريعة» ٢/ ٧٤٣، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص١٤٣، ١٤٤، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٧-٢/ ٣٢٤- و ٥٤٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ٢/ ١٤٥، والبغوي في «تفسيره» ٣/ ٢٩٧، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ١٦١ من طرق جيدة عن مسلم عن عمر، وهو مرسل، وقال الترمذي: (حديث حسن ومسلم لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم بين مسلم وعمر رجلًا مجهولًا) اهـ، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم) وقال البيهقي والذهبي في «التلخيص»: (فيه إرسال). وقال الألباني في ظلال الجنة في «تخريج السنة» لابن أبي عاصم ١/ ٨٧: (إسناده ضعيف لانقطاعه) اهـ.

وقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٨/ ٩٨، وأبو داود ٥/ ٨٠ رقم ٤٧٠٤، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٨٨ رقم ٢٠١، والطبري في «تفسيره» ٩/ ١١٣-١١٤، عن مسلم عن نعيم بن ربيعة الأزدي عن عمر، وقال الألباني في «ظلال الجنة»: (إسناده ضعيف لجهالة نعيم) اهـ.

والحديث له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ مما يجعله صحيحًا لغيره، وذكر الأحاديث ودرجاتها الألباني في «الصحيحة» ٤/ ١٥٨-١٦٣ وقال: (وجملة القول أن الحديث صحيح بل هو متواتر المعنى وجاء عن الإمام إسحاق بن راهويه أنه قال: أجمع أهل العلم أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد واستنطقهم وأشهدهم) اهـ.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته[(١)] إلى يوم القيامة**»[(٢)].
وذكر حديثًا طويلًا.

وقال ابن عباس في رواية عطاء في: قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (**يريد: نفض[(٣)] آدم فأراه ذريته مما خلق إلى يوم القيامة**)[(٤)].

وقال ابن عباس أيضًا: (**إن الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة**)[(٥)].

= وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٠١: (أحسن ما قيل في الآية ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ أن الله جل وعز مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق) اهـ.

(١) في (ب): (من ذريتي) ثم صحح إلى ذريته في أعلى السطر.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب التفسير، باب: وفي تفسير سورة الأعراف رقم (٣٠٧٦)، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٤، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص١٤٤، والحاكم ٢/ ٣٢٥، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ) اهـ، وقال ابن منده: (هذا حديث صحيح) اهـ، وقال الحاكم: (حديث صحيح على شرط مسلم) اهـ. ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٦٠٣.

(٣) في النسخ: (نقص) وعلى (أ) تصحيح لم أستطع قراءته ولعلها (نفض).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١١١ بسند جيد.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١٦، وابن أبي حاتم ١٤/ ١٦ بسند جيد، وقد أخرج الطبري ٩/ ١١١-١١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٤ من طرق كثيرة جيدة نحوه.

وقال أبو العالية: (جمعهم يومئذٍ، ثم صورهم، ثم استنطقهم وأخذ عليهم العهد والميثاق، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾. فقال الله تعالى: فإني أرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا: نشهد أنك إلهنا وربنا، ولا رب ولا إله غيرك)[١].

وقال ابن جريج: (ضرب الله ظهر آدم فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية، فقال: هؤلاء أهل الجنة، وخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء، فقال: هؤلاء أهل النار أمثال الخردل في صورة الذر)[٢].

وقال القرظي: (أقر له بالإيمان والمعرفة الأرواحُ قبل أن يخلق أجسادها)[٣].

وقال مقاتل: (إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» ٥/ ١٣٥، والطبري ٩/ ١١١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٥، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص١٤٣، ١٤٤، والحاكم ٢/ ٣٢٣- ٣٢٤ عن أبي العالية عن أبي بن كعب- رضي الله عنه-، وقال الحاكم: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) اهـ. ووافقه الذهبي. وقال أحمد شاكر في «حاشية الطبري» (إسناده صحيح) اهـ.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٥ وقال: (رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي وهو مستور وبقية رجاله رجال الصحيح) اهـ.
وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٦٠٠.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١١٤ بسند لا بأس به، عن ابن جريج عن الزبير بن موسى المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٥٩، وذكره القرطبي ٧/ ٣١٦، عن ابن جريج.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١١٧ بسند ضعيف، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٥٩ .

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي، وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة، ثم أعادها جميعًا في صلب آدم، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء. قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[١] [الأعراف: ١٠٢])[٢].

وهذا أيضًا قول عكرمة[٣] والكلبي وسعيد بن جبير و[سعيد[٤] بن المسيب] والضحاك[٥] وأبي صالح[٦]، هذا كلام أهل التفسير في هذه الآية.

فأما أصحاب المعاني فقال أبو إسحاق: (جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال[٧] الذر فهمًا يعقل به، كما قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]. وكما قال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩])[٨].

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (ب). (٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٢- ٧٤.

(٣) ذكره الرازي ١٥/ ٤٧، عن عكرمة والكلبي وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والضحاك.

(٤) لفظ: (سعيد بن المسيب) ساقط من (أ)، وذكره عنه ابن القيم في كتاب «الروح» ص٢١٥.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١٤، ١١٧ من طرق جيدة عن سعيد بن جبير، وعطاء والنضر ابن عربي الباهلي والضحاك والسدي والكلبي، وانظر: «الرد على الجهمية» لابن منده ص١٤٤.

(٦) ذكره ابن القيم في كتاب «الروح» ص٢١٤، عن السدي، عن أبي صالح، عن ناس من الصحابة.

(٧) في (ب): (جعل الأمثال)، وهو تحريف.

(٨) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٠، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠١.

وقال أبو بكر بن الأنباري: (مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية هو: أن الله ﷻ أخرج ذريات آدم من صلبه وأصلاب أولاده، وهم في صور الذر، وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعوه، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولًا عرفوا بها ما عرض عليهم، كما جعل للجبل عقلًا حتى خوطب[1]، وكما فعل ذلك بالبعير[2] لما سجد، وبالنخلة[3] حين سمعت، وانقادت

---

(١) ذكره الخازن ٢/٣٠٩، عن ابن الأنباري وفيه: (كما جعل للجبال عقولًا حتى خوطبوا بقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] اهـ. وأخرج الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٢٠ عن علي رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله) قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وانظر: «صحيح مسلم» رقم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن عبد الله، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.

(٢) أخرج أحمد في «المسند» ٦/ ٧٦، عن عائشة: (أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له..) الحديث، وانظر: «البداية والنهاية» ٦/١٢٣- ١٥١.

(٣) أخرج البخاري رقم (٢٠٩٥) في «البيوع»- باب النجار- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه- قال: (قعد النبي ﷺ يوم الجمعة على منبر صنع له، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، وبكت على ما كانت تسمع من الذكر حتى كادت أن تنشق فنزل النبي حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت) وأخرج ابن ماجه رقم (٤٠٢٨) كتاب الفتن، باب: الصبر على البلاء، بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: (جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو جالس حزين فقال: ما لك؟ فقال: «فعل بي هؤلاء ما فعلوا» قال: أتحب أن أريك آية؟ قال: «نعم» قال: ادع تلك الشجرة، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال: قل لها فلترجع، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها..) وأخرج الحاكم =

حين دعيت)(١).

وقال صاحب النظم: (ليس بين قول النبي ﷺ: «**إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته**» و[بين](٢) الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه ﷻ إذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته؛ لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من بعض.

قال: وحصل الفائدة بهذا الفصل، أنه قد أثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ، وممن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم، وبالرسل المنفذة إليهم، مبشرين ومنذرين، وبالمواعظ والمثلات المنقولة إليهم أخبارها)(٣).

وقال جماعة من المفسرين: (إن أهل السعادة من الذرية أقروا طوعًا، وإن أهل الشقاوة أقروا تقية وكرهًا، وذلك معنى قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي

= في «المستدرك» ٢/ ٦٢٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله؟ فقال: «**أرأيت إن دعوت عذق هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟**» قال: نعم، فدعا العذق فنزل وجعل ينقز على الأرض حتى أتى النبي ﷺ ثم قال له: «**ارجع**» فرجع حتى عاد مكانه) قال الحاكم: (حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وانظر: «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للوادعي ص٧٣- ١٩٧.

(١) ذكره الخازن ٢/ ٣٠٩، وابن القيم في كتاب «الروح» ص٢٢٠، وذكره الألباني في «الصحيحة» ٤/ ١٦١ وقال: (في كلامه إشارة لطيفة إلى طريقة الجمع بين الآية والحديث، وهو قوله: إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده) اهـ. وانظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة ص١٤٥-١٤٧ .

(٢) لفظ: (بين) ساقط من (أ).

(٣) ذكره الخازن ٢/ ٣١٠، وابن القيم في كتاب «الروح» ص٢١٦.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[١] [آل عمران: ٨٣]. وقال مقاتل: من مات صغيرًا دخل الجنة بمعرفته بالميثاق[٢] الأول، ومن بلغ العقل لم يُغن عنه الميثاق الأول شيئًا حتى يؤمن، وكان الميثاق الأول حجة عليهم)[٣]، وهذا الذي ذكره مذهب من يقول: إن أطفال المشركين يدخلون[٤] الجنة، فأما من لا يحكم لهم بالجنة، فإنه يقول: من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء أقرّ بالمعرفة كرهًا فلم يغْن ذلك عنه شيئًا. فأمَّا سوق ألفاظ الآية وما بعدها من هذه القصة على هذا التفسير فقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. قال الزجاج[٥]: (المعنى قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وهو إيجاب للإقرار عليهم بربوبيته).

وقوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾. قال ابن عباس: (هو جواب منهم له وإقرار له بالربوبية ولأنفسهم بالعبودية)[٦].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا﴾ قال الكلبي: (لما أقروا، قال الله للملائكة:

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٧٩- ٥٨٢، و«الرد على الجهمية» لابن منده ص١٤٣، والبغوي ٣/ ٢٩٨.

(٢) في (أ): (بمعرفته في الميثاق).

(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٤.

(٤) قال القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٣١٧: (هذه المسألة اختلف فيها لاختلاف الآثار، والصحيح أن أطفال المشركين في الجنة) اهـ. وانظر: «التذكرة» ص٥٩٨.

(٥) هذا قول ابن الجوزي ٣/ ٢٨٤، ولم أقف عليه عن الزجاج، وانظر: «الزاهر» ٢/ ٥٠.

(٦) أخرج ابن منده في «الرد على الجهمية» ص١٤٤ من طرق جيدة عن ابن عباس في الآية قال: (أخذ عليهم كلهم عهودهم على الإيمان والمعرفة له، والتصديق به وأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا) اهـ.

اشهدوا. فقال: ﴿شَهِدْنَا﴾[(١)]. و[(٢)]قال ابن عباس في رواية عطاء: (قالت[(٣)] الملائكة: شهدنا على إقراركم)[(٤)].

وقال السدي: (هذا خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم)[(٥)]. فعلى هذه الأقوال[(٦)] يحسن الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن كلام الذرية قد انقطع.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾. يجوز أن يتعلق ﴿أَن﴾ بقوله ﴿شَهِدْنَا﴾، أي شهدنا عليهم بالإقرار لئلا تقولوا، فأسقط (لا)[(٧)] كما قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]. يريد: لئلا تميد.

وكما قال القطامي[(٨)]:

رأينا ما يرى البصراء فيها
فآلينا عليها أن تباعا[(٩)]

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٠، وذكره هود الهواري ٢/ ٥٨، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٦٨، والبغوي ٣/ ٣٠٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) في (أ): (قال).

(٤) لم أقف عليه. وانظر: «الرد على الجهمية» لابن منده ص١٤٣.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١١٨ بسند جيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٤٩ ب، و«الواحدي» ٢/ ٢٦٨، والبغوي ٣/ ٣٠٠، وانظر: الطبري ٩/ ١١٨.

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٥٢.

(٧) لفظ: (لا) ساقط من (أ).

(٨) تقدمت ترجمته.

أراد: أن لا تباعا، هذا مذهب الكوفيين[(١)]، وعند البصريين المحذوف مضاف بتقدير: شهدنا كراهة أن تقولوا، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦].

ويمكن أن تعلق ﴿أَن﴾ بـ (أشهدهم) وهذا أوضح في التأويل، والمعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لئلا تقولوا، أو[(٢)] كراهيّة أن تقولوا، ولا يصح الوقف على ﴿شَهِدْنَا﴾ لتعلق ﴿أَن﴾ بما قبله، هذا كله كلام أبي بكر[(٣)].

---

(١) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥١، و«المشكل» ١/ ٣٠٦، و«البيان» ١/ ٣٧٩، و«التبيان» ص٣٩٥، و«الفريد» ٢/ ٣٨٤، و«الدر المصون» ٥/ ٥١٣. قال السمين: (قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ مفعول لأجله، والعامل إما ﴿شَهِدْنَا﴾ أي: شهدنا كراهة أن تقول، هذا تأويل البصريين، وأما الكوفيين فقاعدتهم تقدير (لا) النافية أي: لئلا تقولوا) اهـ.

(٢) في (أ): (لئلا تقولوا وكراهية أن تقولوا).

(٣) «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٦٩-٦٧٠، وقال الداني في «المكتفى» ص٢٧٨-٢٨٠: (قال جماعة: ﴿شَهِدْنَا﴾ وقف كافٍ وهو من قول بني آدم أي: شهدنا أنك ربنا وإلهنا وهو قول أُبي وابن عباس.
وقال ابن الأنباري: ليس بوقف لأن ﴿أَن﴾ متعلقة بما قبلها، وقال جماعة التمام على ﴿بَلَىٰ﴾ و﴿شَهِدْنَا﴾ من قول الملائكة وهو قول مجاهد والضحاك والسدي، وقيل هو من قول الله تعالى والملائكة وهو قول أبي مالك ويروي عن السدي أيضًا ومن قرأ: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بالتاء فالوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ لأن (أن) متعلقة بما قبل ﴿بَلَىٰ﴾ من قوله ﴿وَأَشْهَدَهُمْ﴾) اهـ ملخصًا.
وقال النحاس في القطع ١/ ٢٦٥-٢٦٦: (على القراءة بالتاء يجب أن يكون الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ لأن ﴿شَهِدْنَا﴾ عند أهل التأويل ليس من كلام الذين قالوا ﴿بَلَىٰ﴾ ومن قرأ بالياء فأكثر أهل التأويل يقول: التقدير: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أن يقولوا، أي: كراهة أن يقولوا أو لأن يقولوا. فالكلام على هذا متصل) اهـ. ملخصًا.

وقال بعضهم: قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ من كلام الذرية، والمعنى: شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار، وهو معنى قول[(١)] مقاتل، وعلى هذا لا يحسن الوقف على ﴿بَلَىٰ﴾ ولا يتعلق ﴿أَن تَقُولُوا﴾ بشهدنا، وإنما يتعلق بقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾[(٢)]، وذكر صاحب النظم][(٣)] وجهًا آخر في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ عن بعضهم، وهو: (أن يكون قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾. تمام قصة الميثاق، ثم ابتدأ ﷻ خبرًا آخر يذكر ما يقوله المشركون يوم القيامة فقال: ﴿شَهِدْنَا﴾ بمعنى: نشهد، كما قال الحطيئة[(٤)]:

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّه[(٥)]

---

(١) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٢، وفيه: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بإقرارهم ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ إنك ربنا، قال الله للملائكة: اشهدوا عليهم بالإقرار، قالت الملائكة: قد شهدنا) اهـ.

(٢) ذكره عن الواحدي السمين في «الدر» ٥/ ٥١٣، وقال: (كأنه رأى أن التركيب يصير ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا﴾ سواء قرئ بالغيبة أو الخطاب والشاهدون هم القائلون في المعنى فكان ينبغي أن يكون التركيب شهدنا أن نقول نحن، وهذا غير لازم لأن المعنى: شهد بعضهم على بعض فبعض الذرية قال: شهدنا أن يقول البعض الآخر كذلك) اهـ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الحطيئة: جرول بن أوس بن مالك الغطفاني أبو مليكة. تقدمت ترجمته.

(٥) «ديوانه» برواية وشرح ابن السكيت ص١١٠، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٨، ووضح البرهان» للغزنوي ٢/ ٣٥١، و«اللسان» ٢/ ٨٦٦ (حسب)، و«الدر المصون» ٥/ ٥١٤، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ص٣٨٨، و«المدخل» للحدادي ص٢٣٤، وعجزه:

أن الوليد أحق بالعذر

والوليد هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي يقال: إنه سكر فأمر بجلده فقال الحطيئة هذه الأبيات، والشاهد: شهد الحطيئة يريد: يشهد فوضع الماضي موضع المستقبل.

أي: يشهد، فيكون تأويله نشهد[١] ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: إنكم ستقولون ذلك، فتكون القصة الأولى خبرًا عن جميع المخلوقين بأخذ الميثاق عليهم، والقصة الثانية خبرًا عن المشركين خاصة)[٢].

واختلف القراء في قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فقرأ[٣] أبو عمرو بالياء[٤] جميعًا؛ لأن الذي تقدم من الكلام على الغيبة وهو قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ لئلا يقولوا، وقرأ الباقون بالتاء؛ لأنه قد جرى في الكلام خطاب، وهو قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾، وكلا[٥] الوجهين حسن؛ لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى[٦].

قال المفسرون: (هذه[٧] الآية تذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم؛ لئلا يقول الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾ الميثاق ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ لم نحفظه ولم نذكره)، فإن قيل: كيف يحتج عليهم

---

(١) في (ب): (يشهد) بالياء.

(٢) ذكره ابن القيم في كتاب «الروح» ص٢٢٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٥١٣-٥١٤.

(٣) قرأ أبو عمرو: ﴿يَقُولوا يَوْمَ القِيامَة﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ﴿أو يَقُولوا إنَّما أشْرَكَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] بالياء فيهما على الغيبة، وقرأهما الباقون بالتاء على الخطاب، انظر: «السبعة» ص٢٩٨، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٩، و«التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(٤) في (أ): (فقرأ أبوعمر وجميعًا بالياء).

(٥) في: (أ): (فكلا).

(٦) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٠٧، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٢٩، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٥، و«الحجة» لابن زنجلة ص٣٠٢، و«الكشف» ١/ ٤٨٣.

(٧) في (أ): «وهذه».

بميثاق لا يذكرونه؟ قيل:[١] نسيانهم لذلك لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى عن أخذ ذلك عليهم على لسان صاحب المعجزة، وإذا صح ذلك بقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم صحيح[٢].

قال عوف[٣]: (وسيذكرون الميثاق يوم القيامة)[٤].

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٣]، قال المفسرون: (هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾، أي: قبلنا، ونقضوا العهد. ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ صغارًا وكبارًا فاقتدينا[٥] بهم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، أي: أفتعذبنا بما فعل المشركون المكذبون بالتوحيد، وإنما اقتدينا بهم وكنا في غفلة عن الميثاق، وعما نطالب به الآن من التوحيد، وآباؤنا أشركوا، وحملونا على مذهبهم في الشرك في صبانا، فجرينا على مذهبهم واقتدينا بهم، فلا ذنب لنا إذ كنا مقتدين بهم، والذنب في ذلك لهم، كما[٦] قالوا في موضع آخر: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١١٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٨١، والبغوي ٣/ ٣٠٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٥.

(٣) لعله: عوف بن أبي جميلة العبدي أبو سهل الأعرابي البصري واسم أبيه رزينة، إمام ثقة من علماء البصرة ومن صغار التابعين رمى بالقدر والتشيع، توفي سنة ١٤٦هـ أو١٤٧هـ، وله ٨٦ سنة، انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ١٥، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٨٣، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٣٠٥، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٣٦، و«تقريب التهذيب» ص٤٣٣ برقم (٤٢١٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ب): (فاقتديناهم)، وهوتحريف.

(٦) لفظ: (كما) ساقط من (ب).

الآية [الزخرف: ٢٢]. فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام، ويكون الآباء على الإشراك بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية)، هذا هو الكلام على مذهب أهل الأثر[١].

فأما مذهب أهل النظر، فقال أبو إسحاق: (وقال بعضهم: إن الله ﷻ أخرج بني آدم بعضهم من ظهور بعض، ومعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أن كل بالغ يعلم أن الله ﷻ واحد، لأن كل ما خلق الله دليل على توحيده، فمعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيده)[٢].

وشرح أبو بكر هذا فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ﴾ ذريات[٣] ﴿بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ أي: أخرجهم وأنشأهم بعد أن كانوا نطفًا في أصلاب الآباء إلى الدنيا على ترتبهم في الوجود ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أنه ربهم بما أظهر من آياته وبراهينه التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم فليس من أحد إلا وفيه من صنعة ربه ما ينبه على أنه بارئه ونافذ الحكم فيه، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال في غير هذا الموضع: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، يريد: هم بمنزلة الشاهدين وإن لم يقولوا: نحن كفرة، وكما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بقولك، يريد: قد عرفته، فكأن جوارحي لو استشهدت وفي وسعها أن تنطق لشهدت، ومن هذا الباب أيضًا ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١١٨، والبغوي ٣/ ٣٠٠، والرازي ٣/ ١٧١، والخازن ٢/ ٣١١.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٠.

(٣) كذا في النسخ، وهوتفسير وليس قراءة.

يريد: أعلم وبين، فأشبه إعلامه وتبيينه ذلك شهادة من يشهد عند الحكام وغيرهم)[١].

وزاد صاحب النظم لهذا المذهب بيانًا حكاية عن بعضهم، فقال: (إن الله ﷻ لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن، صار ما لم يكن بعد مما هو كائن كالكائن عنده، إذ علمُه بكونه مانعٌ من غير كونه، فسايغ في مجاز العربية أن يضع ما هو منتظر مما لم يقع بعد موضعَ الواقع لسبق علمه بوقوعه، وكما قال ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠] وأمثاله، فيكون تأويل قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ﴾: وإذ يأخذ ربك، وكذلك قوله: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: ويشهدهم بما يركبه فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب، فكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب صار كأن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من العقل، وأراه من الآيات والدلائل[٢] على حدوثه وضعفه وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق نفسه، وإذا لم يجز ذلك فلا بد من خالق هو غيره ليس كمثله، وكل[٣] من بلغ وعقل فقد أخذ عليه العهد والميثاق إذ جعل فيه السبب الذي به يؤخذ الميثاق وهو العقل، واحتج أصحاب هذا القول بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قالوا: فالأمانة هاهنا عهد وميثاق، وامتناع السموات والأرض من حملها خلوهما من العقل الذي يكون به الفهم،

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٨٦، وابن القيم في كتاب «الروح» ص٢٢١.

(٢) في النسخ: (والدليل)، وهوتحريف.

(٣) في (ب): (ليس كمثله وهومن بلغ)، وهوتحريف.

وحمل الإنسان إياها[١] لمكان[٢] العقل فيه).

قال صاحب النظم: (ونحن إلى ما روي[٣] عن رسول الله ﷺ وما ذهب إليه أهل العلم والسنة من السلف الصالح، أَمْيَلُ وله أَقْبَلُ وبه آنَسُ[٤] والله ﷻ ولي التوفيق لما هو أولى وأهدى بمنّه)[٥].

---

(١) لفظ: (إياها) ساقط من (أ).

(٢) في (ب): (مكان)، وهوتحريف.

(٣) انظر: بعض الأحاديث في مرويات الإمام أحمد في «التفسير» ٢/ ٢٠٩-٢١٥.

(٤) هذا هو الظاهر فالراجح أن الله ﷻ مسح ظهر آدم واستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد بلسان المقال لثبوته مرفوعًا إلى النبي ﷺ وموقوفًا على غيره من الصحابة رضي الله عنهم والأحاديث فيه صحيحة بل متواترة المعنى، وقد ذكرها الطبري ٩/ ١١١-١١٨، وابن كثير ٢/ ٢٩٣، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٥٨-٢٦٥، والشوكاني ٢/ ٣٨٣-٣٨٥، والألباني في «الصحيحة» ١/ ٦٨-٧١، رقم ٤٧-٥٠، وص٩٧ رقم ١٧٢، و٤/ ١٥٨ رقم ١٦٢٣، قال الشوكاني ٢/ ٣٨٣: (هذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعًا إلى النبي ﷺ وموقوفًا على غيره من الصحابة ولا ملجئ للمصير إلى المجاز وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) اهـ.

وقال الألباني في الصحيحة ٤/ ١٦٢: (جملة القول أن فيه أحاديث صحيحة بل متواترة المعنى وأنه لا تعارض بينها وبين آية أخذ الميثاق فالواجب ضمها إليها وأخذ الحقيقة من مجموعها وبذلك تنجو من مشكلتين بل مفسدتين كبيرتين: الأولى: رد الأحاديث بزعم معارضتها للآية والأخرى: تأويلها تأويلًا يبطل معناها أشبه ما يكون بتأويل المبتدعة) اهـ. بتصرف وهو اختيار جمهور المفسرين ومنهم: النحاس في «معانيه» ٣/ ١٠١، والسمرقندي ١/ ٥٧٩-٥٨٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٣-٢٨٦، والرازي ١٥/ ٤٦-٥٢، والخازن ٢/ ٣٠٧-٣١١، والألوسي ٩/ ٩٩-١٠٩، الشنقيطي ٢/ ٣٣٤-٣٣٨.

(٥) ذكره ابن القيم في كتاب «الروح» ص٢٢٨.

١٧٤- و[١] قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾، أي: و[١] كما بينا في[٢] أمر الميثاق نبين الآيات ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى مدلولها ويعملوا بموجبها دون ما سولت لهم أنفسهم ودعت إليه أهواؤهم، وهو معنى قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: ولكي يرجعوا عمّا هم عليه من الكفر والضلالة إلى التوحيد والطاعة[٣]، وقيل: إلى ما أخذ عليهم من الميثاق في التوحيد، والرجوع إلى ذلك الميثاق رجوع إلى التوحيد[٤].

١٧٥- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ الآية.

قال ابن عباس[٥] وابن مسعود[٦] ومجاهد[٧]: (نزلت في بلعم بن

---

(١) لفظ: (الواو) ساقط من (أ).

(٢) لفظ: (الفاء) ساقط من (ب).

(٣) هذا قول أكثرهم، انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١١٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٢، والثعلبي ٦/ ١٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٦.

(٤) ذكره الرازي ١٥/ ٥٣، والخازن ٢/ ٣١١.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٧ من طرق جيدة. وفيهما قال: (هو رجل من مدينة الجبارين يقال له: بلعم) وفي رواية عند الطبري (بلعم بن باعر) وعند ابن أبي حاتم (بلعم بن باعوراء). وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦٧ بلفظ: (بلعم بن باعوراء).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٣، والنسائي في «التفسير» ١/ ٥١٠، والطبري ٩/ ١٢٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٦، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٥ من طرق جيدة، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٢٥، وقال: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦٧، والكل بدون ذكر قصته وجاء عند النسائي، والطبراني، ورواية عند الطبري (بلعم) وعند الحاكم (بلعم بن باعوراء) وفي الباقي (بلعم بن أبر).

(٧) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٠، وأخرجه الطبري ٩/ ١٢٠ من طرق جيدة بدون ذكر قصته.

باعوراء[(١)]؛ دعا على موسى وقومه، وكان عنده اسم الله الأعظم، فقصد موسى بلده الذي هو فيه، وغزا أهله وكانوا كفارًا، فلم يزل قوم بلعم به حتى دعا عليهم، وقيل[(٢)] (أجبره[(٣)] ملكهم على[(٤)] ذلك، وكان مجاب الدعوة بذلك الاسم الذي كان عنده، فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ قال: بدعاء بلعام، قال: فكما سمعت دعاءه عليَّ فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة[(٥)] بيضاء[(٦)]

---

(١) بلعم بن باعور: مختلف فيه فقيل: هو من مدينة الجبارين وقيل: من أهل اليمن وقيل: من الكعنانين، وهو: بلعم بن باعور بن سموم بن فرستم بن مآب بن لوط ابن هارون، أوتي العلم والحكمة، انظر أخباره في: «تاريخ الطبري» ١/ ٤٢٧، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ٢٠٠، و«تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ١/ ٤٩٦.

(٢) هذا قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٧٥.

(٣) في (ب): (أجبر)، وهوتحريف.

(٤) لفظ: (على) ساقط من (أ).

(٥) في (ب): «نُخامة» وعند الثعلبي ٦/ ٢١ ب، و«الوسيط» ٢/ ٢٧٠، والبغوي ٣/ ٣٠٢ (حمامة).

(٦) أخرج الطبري ٩/ ١٢٢، ١٢٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٧ بسند جيد عن ابن عباس قال: (هو رجل من مدينة الجبارين يقال: له بلعم يعلم اسم الله الأعظم فلما نزل بهم موسى أتاه قومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرده عنا، قال: إني إن دعوت عليه ذهبت دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخ مما كان عليه) اهـ. وذكره الرازي ١٥/ ٥٤، عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد، وذكر الخازن ٢/ ٣١١، ٣١٣، هذا ونحوه وقال: (هذا من الإسرائيليات ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الأخبار إذا خالف الأصول وسبب وقوع بني إسرائيل في التيه عبادة العجل أو قولهم لموسى:

فهذا[١] قصته.

قال عطاء عن ابن عباس: (أعان أعداء الله على أوليائه)[٢] يعني: بدعائه. وقوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾. قال ابن زيد: (هو أنه كان لا يسأل شيئًا إلا أعطاه إياه)[٣]. وقال عكرمة[٤]: (أوتي كتابًا من كتب الله تعالى[٥]).

وقيل[٦]: (هو أنه لما أراد أن يدعو عليهم، قيل له في المنام: لا تدعُ عليهم، ثم هم ثانيًا، فكلمته أتان له قد ركبها، حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عن ذلك)، وقال أهل المعاني: (﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾. علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عالمًا بها).

وقوله تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: خرج من محبة الله[٧] إلى معصيته، ومن رحمة الله إلى سخطه)[٨].

= ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] لا دعاء بلعم عليهم، وعلى تقدير صحة القصة فموسى دعا عليه لعلمه بكفره ومقابلة لدعائه عليه) اهـ. بتصرف.

(١) في (ب): (فلهذا)، وهوتحريف والأولى فهذه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٢ بسند جيد وذكره الثعلبي ٦/ ٢٣ أ، والبغوي ٣/ ٣٠٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/١٦١٨ بسند جيد.

(٥) لفظ: (تعالى) ساقط من (أ).

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٥-١٢٦ من طرق عن السدي وغيره.

(٧) انظر: الطبري ٩/ ١٢٤، والرازي ١٥/ ٥٤.

(٨) ذكره الرازي ١٥/ ٥٤ بلا نسبة، وأخرج الطبري ٩/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٨ بسند جيد عن ابن عباس في الآية قال: (نزع منه العلم) وفي «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٠: (﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج منها) اهـ.

ومعنى ﴿ٱنسَلَخَ﴾ خرج من المِسْلاَخ[(١)] وهو القشر والجلد، ويقال: الحية تنسلخ[(٢)] عن جلدها، ثم يقال لكل من فارق شيئًا: انسلخ منه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾. قال عبد الله[(٣)] بن مسلم: (أي: أدركه؛ يقال: أتبعت القوم إذا لحقتهم).

قال أبو عبيد: (يقال: أتبعت القوم مثال أفعلت[(٤)] إذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم ويقال: ما زلت أتبعهم حتى أتبعتهم أي: حتى أدركتهم)[(٥)].

وقال أبو زيد: (تقول: رأيت القوم فأتبعتهم إتباعًا إذا سبقوك فأسرعت نحوهم، ومرُّوا على فاتبعتهم اتباعًا إذا ذهبت معهم ولم يسبقوك)[(٦)]، فعلى هذا معنى: أتبعه الشيطان أي: أسرع خلفه[(٧)]، ﴿فَكَانَ مِنَ

---

(١) انظر: «العين» ٤/ ١٩٨، و«الجمهرة» ١/ ٥٩٨، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٠، و«الصحاح» ١/ ٤٢٣، و«المجمل» ٢/ ٤٧٠، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٩٤، و«المفردات» ص٤١٩، و«اللسان» ٤/ ٢٠٦٣ (سلخ).

(٢) في (أ): (سلخت)، ساقط وملحق بأسفل السطر، وكأنه سلخت الحية عن جلدها.

(٣) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٢، وزاد: (وتبعتهم سرت في إثرهم) اهـ. وانظر: «غريب القرآن لليزيدي ص١٥٣، و«تفسير المشكل» ص٨٨.

(٤) لفظ: (أفعلت) غير واضح في (ب) وكأنه (افتعلت).

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢٥، وزاد: (واتبعتهم مثل: افتعلت إذا مروا بك فمضيت معهم وتبعتهم تبعًا مثله) اهـ.

(٦) «الحجة» لأبي علي ٥/ ١٦٧، وأصل تبع: التلو والقفو، وهل تبعه، وأتبعه بمعنى أو بينهما فرق؟ قيل: بكل منهما وأبدى بعضهم الفرق بأن تبعه مشى في أثره، وأتبعه إذا وازاه في المشي، وقيل: اتبعه بمعنى استتبعه وقال الخليل في «العين» ٢/ ٨٨: (وأتبع فلان فلانًا إذا تبعه يريد شرًا، قال تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾) اهـ وانظر: «الجمهرة» ١/ ٢٤٥، و«الصحاح» ٣/ ١١٨٩، و«مقاييس اللغة» ١/ ٣٦٢، و«المجمل» ١/ ١٥٣، و«المفردات» ص١٦٢، و«اللسان» ١/ ٤١٦-٤١٧ (تبع).

(٧) قال الطبري ٩/ ١٢٣-١٢٤: (أي: صيره لنفسه تابعًا ينتهي إلى أمره في معصية الله ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن) اهـ. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠٥، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٨٢، والماوردي ٢/ ٢٨٠.

﴿ٱلْغَاوِينَ﴾؛ لأنه أدركه فأضله، هذا الذي ذكره أبو زيد حقيقة معنى الإتباع.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾. قال ابن عباس: (فأطاع الشيطان وكان من الضالين)[1].

و[2] قال أهل المعاني: (هذا بيان عن حال من أوتي الهدى، فانسلخ منه إلى الضلال والعمى، ومال مع الهوى حتى تلاعب به الشيطان، فصار إلى الهلاك والردى، وخاب في الآخرة والأولى، قصّ الله قصته ليحذر الناس من مثل حاله)[3].

وقال عبد الله بن عمرو[4][5] وسعيد بن المسيب، وزيد بن

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤١، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٠، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩١، والماوردي ٢/ ٢٨٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٩.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) انظر: الرازي ١٥/ ٥٥.

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي أبو محمد صحابي إمام عابد زاهد أحد السابقين المكثرين وأحد العبادلة الفقهاء أسلم قبل أبيه وهاجر قبل الفتح وشهد الفتوح وكتب عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وكان مجتهدًا في العبادة صوامًا قوامًا تاليًا لكتاب الله تعالى، وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العمل والعلم، وثناء الأئمة عليه كثيرة، توفي رضي الله عنه سنة ٦٥هـ وله ٧٢ سنة، انظر: «الحلية» ١/ ٢٨٣، و«الاستيعاب» ٣/ ٨٦ (١٦٣٦)، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٧٩، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٧١، و«الإصابة» ٢/ ٣٥١، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٩٣.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٣، والنسائي في «التفسير» ١/ ٥٠٨، ٥١١، الطبري ٩/ ١٢٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٦، من طرق جيدة وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٥، وقال: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) اهـ. وذكره ابن حجر في «الفتح» ٧/ ١٥٤، وقال: رواه ابن مردويه بإسناد قوي) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٦٥، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد وابن المنذر =

أسلم(١)، وأبو روق(٢): (نزلت هذه الآية في أمية(٣) بن أبي الصلت، وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولًا في ذلك الوقت، ورجا

= وأبي الشيخ) وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٩٤: (قد روى من غير وجه عنه وهو صحيح إليه، وكأنه إنما أراد أن أمية يشبهه؛ فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير من علم الشرائع المتقدمة ولكنه لم ينتفع بعلمه فإنه أدرك زمن رسول الله ﷺ وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته وظهرت لكل من له بصيرة، ومع هذا اجتمع به ولم يتبعه، وصار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم وامتدحهم ورثى أهل بدر من المشركين بمرثاة بليغة قبحه الله، وقد جاء في بعض الأحاديث «أنه ممن آمن لسانه ولم يؤمن قلبه» فإن له أشعارًا ربانية وحكمًا وفصاحة ولكنه لم يشرح الله صدره للإسلام) اهـ.

(١) زيد بن أسلم العدوي العمري مولاهم أبو عبد الله المدني، إمام تابعي ثقة، عالم عابد مفسر فقيه وكان من العلماء الأبرار له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ وله تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٦هـ، انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٥٥٤، و«الحلية» ٣/ ٢٢١، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣١٦، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٣٢، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٦٥٨، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ٥/ ٤٤٢.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٢١ ب، وابن الجوزي ٣/ ٢٨٧، والرازي ١٥/ ٥٤، عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبي روق، وذكره البغوي ٣/ ٣٠٣، والخازن ٢/ ٣١٣، عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٢٧، والقرطبي ٧/ ٣٢٠، عن زيد بن أسلم.

(٣) في النسخ: (أمية بن الصلت) وهو تحريف، وقد تقدمت ترجمته. وفيها بيان حاله وأخباره، وانظر: «السيرة النبوية» للدكتور/ مهدي رزق الله أحمد، ص٧٢، ٧٦، والقول بأنه بلعام أشهر وعليه الأكثر، أفاده ابن الجوزي ٣/ ٢٨٨، والقرطبي ٧/ ٣٢١، وابن حجر في «الفتح» ٧/ ١٥٤، والظاهر العموم كما رجحه الطبري ٩/ ١٢٣، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٢٢-٤٢٣: (اختلف المفسرون في ذلك وطولوا في قصته وذكروا ما الله أعلم به والجمهور على أنه شخص معين والأولى في مثل هذا أن يحمل على التمثيل لا على الحصر في معين فإنه يؤدي إلى الاضطراب والتناقض) اهـ. بتصرف.

أن يكون هو، فلما أُرسل محمد ﷺ حسده، ثم مات كافرًا، ولم يؤمن بالنبي ﷺ وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه»[١]، يريد: أنْ شعره كشعر المؤمنين، وذلك أنه يوحد الله في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والأرض وأحوال الآخرة والجنة والنار.

١٧٦- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾. قال ابن عباس: (﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾ بعلمه بها)[٢]، أي بالآيات، يعني وفقناه للعمل بها، فكنا نرفع بذلك منزلته.

وقال عطاء[٣] عنه: (يريد: لعصمتُه عن معاصي). وهو اختيار الزجاج لأنه قال: (أي: لو شئنا أن نحول فيما بينه وبين المعصية لفعلنا)[٤]. وهذا كالقول الأول، لأنه إذا لم يعصمه عن المعصية لم يوفقه للعمل بالآيات، ولو وفقه عصمه عن المعصية، ولو عصمه استحق الرفعة بالآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) قال الألباني في «الضعيفة» ٤/ ٥٢ رقم ١٥٤٦: (ضعيف أخرجه ابن الأنباري في المصاحف وفي إسناده أبو بكر الهذلي متروك، وأخرجه الخطيب وابن عساكر في «التاريخ» وإسناده ضعيف فيه الكلبي متهم بالكذب) اهـ بتصرف، وانظر: «الجامع الصغير» للسيوطي ١/ ٤، و«كشف الخفاء» للعجلوني ١/ ١٩-٢٠.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٧، بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٤، والخازن ٢/ ٣١٥، وقال ابن الجوزي ٣/ ٢٩٠: (هاء الكناية تعود إلى الإنسان المذكور وهو قول الجمهور والمعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلته بما علمناه) اهـ. وهو اختيار الطبري ٩/ ١٢٧، والسمرقندي ١/ ٥٨٣.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٤، والخازن ٣/ ٣١٥، عن عطاء فقط، وانظر: «تفسير الماوردي» ٢/ ٢٨٠.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩١، وهو قول النحاس في «معانيه» ٣/ ١٠٦.

قال الفراء: (ركن إليها وسكن). قال: (ويقال: خلد إلى الأرض بغير ألف وهي قليلة)[١]. ونحو ذلك قال الزجاج[٢] والكسائي[٣] في خلد وأخلد[٤]، وقال أصحاب العربية: (أصل الإخلاد اللزوم على الدوام، وكأنه قيل: لزم الميل إلى الأرض، ومن هذا يقال: أخلد فلان بالمكان إذا لزم الإقامة به)[٥].

قال مالك[٦] بن نويرة:

---

(١) هنا في (ب) وقع اضطراب في ترتيب الأوراق فوقع الوجه ب من ص١٧٧ في ١٨٥ ب.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩. وانظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٣، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٢، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٢٨، و«تفسير المشكل» ص٨٨.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩١. وقال الأخفش في «معانيه» ٢/ ٣١٥: (لا نعلم أحدًا يقول: خلد، وقوله ﴿أَخْلَدَ﴾ أي: لجأ إليها) اهـ.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٨٠ (خلد). انظر: «العين» ٤/ ٢٣١، و«المنجد» لكراع ص٧٨، و«الجمهرة» ١/ ٥٧٩، و«الصحاح» ٢/ ٤٦٩، و«المجمل» ٢/ ٢٩٩، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٠٧، و«المفردات» ص٢٩١، و«اللسان» ٢/ ١٢٢٥ (خلد).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ٢/ ٢٣٣، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٢٨، و«نزهة القلوب» ص٧٤، و«الدر المصون» ٥/ ٥١٦.

(٦) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة، شاعر فحل، وفارس مغوار، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له: الجفول، وسمي ذا الخمار نسبة إلى فرسه، أدرك الإسلام فأسلم، وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني يربوع فبقي كذلك حتى وفاة النبي ﷺ ثم اضطرب عمله ولم يحمد، ورأى خالد بن الوليد ما استوجب قتله عنده فقتله، وقيل: ارتد فقتل في حروب الردة، انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢٠٤، و«الشعر والشعراء» ص٢٠٩، و«الأغاني» ١٥/ ٢٨٩، و«معجم المرزباني» ص٢٣٢، و«الإصابة» ٣/ ٣٥٧، و«الأعلام» ٥/ ٢٦٧.

بأبناء حيٍّ من قبائل مالكٍ ... وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا[(١)]

قال ابن عباس: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)]، يريد: مال إلى الدنيا)[(٣)]. وقال مقاتل: (رضي بالدنيا)[(٤)].

وقال الزجاج: (ولكنه سكن إلى الدنيا)[(٥)]. فهؤلاء فسروا ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في هذه الآية بالدنيا، وذلك لأن الدنيا هي الأرض؛ لأن ما فيها من العقار والرباع[(٦)] والضياع كلها أرض، وسائر متاعها يستخرج من الأرض، فالدنيا كلها هي الأرض[(٧)]، فصلح أن يعبر عنها بالأرض لأنها هي[(٨)].

---

(١) «الشاهد في الأصمعيات» ص١٩٣، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٢٨، والثعلبي ٦/ ٢٣ب والرازي ١٥/ ٥٦، و«بدائع التفسير» لابن القيم ٢/ ٣١٠، و«الدر المصون» ٥/ ٥١٦.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤١، وذكره الرازي ١٥/ ٥٦.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٥، وفيه: (رضي بالدنيا وركن إليها) اهـ.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩١، وقال أيضًا: (المعنى: أنه سكن إلى لذات الأرض) اهـ. وقال الطبري ١٣/ ٢٦١: (سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها وآثر لذاتها وشهواتها على الآخرة) اهـ. وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠٦، والسمرقندي ١/ ٥٨٣، والماوردي ٢/ ٢٨٢.

(٦) «الرِّباع»: جمع ربع، وهي الدار والمحلة والموضع يرتع فيه في الربيع، انظر: «القاموس» ص٧١٨ (ربع).

(٧) جاء في (ب) بعد قوله: (كلها هي الأرض) تكرار قوله: (سائر متاعها) إلى (كلها هي الأرض) وعليه ضرب.

(٨) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ١/ ٢٩٠، والرازي ١٥/ ٥٦، والخازن ٢/ ٣١٥، وقال القرطبي ٧/ ٣٢٢: (كأن المعنى: لزم لذات الأرض، فعبر عنها بالأرض، لأن متاع الدنيا على وجه الأرض) اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ما زين له الشيطان)(١).

وقال ابن زيد: (كان هواه مع القوم)(٢).

وقال أهل المعاني: (انقاد لما دعاه إليه الهوى، والهوى يدعو إلى أمور تجر إلى الهلاك، فكان القابل لدعاه متبعًا له)(٣).

وقال أهل(٤) العلم: (هذه الآية من أشد الآي على أصحاب العلم، وذلك أن الله تعالى أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه، والانسلاخ عنها، ومن الذي سلم من هاتين الخلتين، إلا من عصمه الله)(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾، قال الليث: (اللَّهث لهث الكلب عند الإعياء وعند شدة الحر، وهو إدلاع اللسان من العطش)(٦). وقال الفراء(٧) في «المصادر»:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ بسند جيد.

(٣) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٦١.

(٤) قال النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٥٢: (في هذه الآية أعظم الفائدة لمن تدبرها، وذلك أن فيها منعًا من التقليد لعالم إلا بحجة يبينها، لأن الله ﷻ أخبر أنه أعطى هذا آياته فانسلخ منها فوجب أن يخاف مثل هذا على غيره وأن لا يقبل منه إلا بحجة) اهـ.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٣٠٤، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩، والرازي ١٥/ ٥٦، الخازن ٢/ ٣١٥.

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٠٦، وانظر: «العين» ٤/ ٤٢ (لهث).

(٧) لم أقف عليه.

(يقال اللهْثُ واللهَث واللهثان)[١]. قال مجاهد: (هذا مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به)[٢]. و[٣] قال ابن عباس: (معناه: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن ترك لم يهتد لخير، كالكلب إن كان رابضًا لهث وإنْ طرد لهث)[٤].

وقال الحسن: (هو المنافق لا يُنيب[٥] إلى الحق، دُعي أو لم يدع، وعظ أو لم يوعظ، كالكلب يلهث طردًا وتركًا)[٦].

وروي معمر[٧] عن بعضهم قال: (هو الكافر؛ ضال إن وعظته وإن لم

---

(١) قال السمين في «الدر» ٥/ ٥١٧: (يقال لهث يلهث -بفتح العين في الماضي والمضارع-، لهثًا ولهثًا -بفتح اللام وضمها- وهو خروج لسانه في حال راحته وإعيائه، وأما غيره من الحيوان فلا يلهث إلا إذا أعيا أوعطش) اهـ. وفي «الصحاح» ٢/ ٢٩٢: (اللهثان بالتحريك العطش وبالتسكين العطشان وقد لهث لهثًا ولهاثًا مثل سمع سماعًا ولهث بالفتح يلهث لهثًا ولهاثًا بالضم، إذا أخرج لسانه من التعب أوالعطش وكذلك الرجل إذا أعيا) اهـ.
وانظر: «الجمهرة» ١/ ٤٣٣، و«المجمل» ٣/ ٧٩٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢١٤، و«المفردات» ص٧٤٨، و«اللسان» ٧/ ٤٠٨٣ (لهث).

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥١، وأخرجه الطبري ٩/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ من طرق جيدة.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٠ بسند جيد.

(٥) في (ب): (لا يثبت).

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٤ أ، وفيه: (لا ينيب)، وأخرج الطبري ٩/ ١٢٩ بسند جيد عن الحسن في الآية قال: (هذا مثل الكافر ميت الفؤاد) اهـ.

(٧) معمر بن راشد بن أبي عمروالأزدي. تقدمت ترجمته.

تعظه)[١]، فهذا قول المفسرين في تفسير هذا المثل، ويحتاج إلى الشرح حتى يتبين وجه التمثيل بين هذا الكافر وبين الكلب، وهو أن يقال: أراد أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب؛ فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثًا، وإن ترك وربض كان أيضًا لاهثًا، فهو [في الحالتين لاهث كهذا الكافر][٢] في الحالتين ضال، وذلك أن بلعام زُجر ونهي عن الدعاء على موسى فلم ينزجر ولم ينتفع بالزجر، يبين هذا ما قاله أبو إسحاق قال: (ضرب الله تعالى للتارك لآياته والعادل عنها أحسن[٣] شيء في أخس أحواله مثلًا فقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾، إذا كان الكلب لهثان؛ لأن التمثيل به على أنه على كل حال حملت عليه أو لم تحمل، فمعناه: فمثله كمثل الكلب لاهثًا)[٤].

فقد بين أبو إسحاق أنه مثل بالكلب إذا كان لاهثًا، واللهث في الكلاب طباع، وقد كشف ابن قتيبة عن هذا المعنى فقال: (كل شيء يَلهثُ

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٢٩، بسند جيد عن معمر عن بعضهم، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٤أ، وقال الشيخ أحمد شاكر في «حاشية الطبري»: (كأنه يعني بقوله عن بعضهم الكلبي ولذلك نكّره) اهـ.
وقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٤، عن معمر عن الكلبي، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٠ عن الكلبي.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) في (أ): (أخس شيء في أخس أحواله)، وفي (ب): (أحسن شيء في أحسن أحواله) وعند الزجاج في «معانيه» ٢/ ٣٩١: (أحسن مثل في أخس أحواله).

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩١، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٠٦.

إنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال الري، وحال العطش، فضربه الله مثلًا لهذا الكافر[١] فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث)[٢] انتهى كلامه، وهذا التمثيل لم يقع لكل كلب إنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك بأخس ما يكون وأبشعه[٣] ثم قال عز من قائل: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾. فعم بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله.

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: أهل مكة كانوا يتمنون هاديًا يهديهم وداعيًا يدعوهم إلى طاعة الله، فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه)[٤]، والتمثيل بينهم وبين الكلب كالتمثيل الأول فإنهم لم يهتدوا لما تركوا، ولم يهتدوا أيضًا لما دعوا بالرسول والكتاب، وزجروا بالوعيد، وكانوا ضالين عن الرشد في الحالتين كهذا الكلب اللاهث في الحالتين لاهث طرد أو ترك[٥].

---

(١) في «تأويل مشكل القرآن» ص٣٦٩: (لمن كذب بآياته).

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٦٩.

(٣) في (ب): (كأنها أشنعه) وقال القرطبي ٧/ ٣٢٣: (هذا المثل في قول كثير من أهل العلم بالتأويل عام في كل من أوتي القرآن فلم يعمل به وقيل: هو في كل منافق والأول أصح) اهـ. وانظر: «تفسير الطبري» ١٣/ ٢٧٣، والسمرقندي ١/ ٥٨٣، و«بدائع التفسير» ٢/ ٣١٢-٣١٤.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٢، والرازي ١٥/ ٥٧، وذكره البغوي ٣/ ٣٠٥ بلا نسبة.

(٥) في (ب): (ترك وطرد)، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٢٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٣.

وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾. قال عطاء[(١)]: (يريد: قصص الذين كفروا وكذبوا أنبيائهم. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾. يريد: يتعظون)[(٢)].

١٧٧- قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾ الآية. قال الليث: (ساء يسوء فعل لازم ومجاوز، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح، وساءه يسوءه مساءة، ويقال: ساء ما فعل صنيعًا، [أي: قُبح صنيعه صنيعًا، ومن هذا الباب قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾][(٣)] أي: قبح مثلهم)[(٤)].

قال ابن عباس[(٥)]: يريد: بئس مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

فأما: تقدير الآية في الإعراب، فأكثر النحويين[(٦)] قالوا: (تقديره: ساء مثلًا مثل القوم][(٧)] ثم حذف المضاف)، وهو قول أبي إسحاق[(٨)]،

---

(١) لفظ: (عطاء) ساقط من (ب).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٩١، وذكره الرازي ١٥/ ٥٧، بلا نسبة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «تهذيب اللغة» ١٥٨٣، مع بعض الاختلاف والزيادة، وانظر: «العين» ٧/ ٣٢٧، و«الجمهرة» ١/ ٢٣٧، و«الصحاح» ١/ ٥٥، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١١٣، و«المفردات» ص٤٤٢، و«اللسان» ٤/ ٢١٣٨ (ساء).

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٢، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٢ .

(٦) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٢، و«التبيان» ص٣٩٦، و«الدر المصون» ٥/ ٥١٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩١، وهو قول الأخفش في «معانيه» ٢/ ٣١٥، وأبو علي الفارسي في «الإيضاح» ص١٢٨، وقال ابن الشجري في «أماليه» ٣/ ١٨٣: (ساء بمنزلة (بئس) وقوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾) الصواب أن تقديره: (ساء مثلًا مثلُ القوم ومن زعم أن التقدير، ساء مثلًا هم القوم، فقد أخطأ خطأً فاحشًا) اهـ. بتصرف.

وعلى هذا انتصب ﴿مَثَلًا﴾ على التميز، و﴿سَآءَ﴾ هاهنا بمنزلة (بئس)، ألا ترى أن ابن عباس فسره به، ولو قلت: (بئس) رجلًا زيد، نصبت رجلًا على التشبيه بالمفعول، وهو بمعنى التمييز، لأنك إذا قلت: (بئس) جاز أن تذكر شيئًا آخر سوى مثلًا، ورجلًا[1] من حمار وفرس، وأي ما كان[2]، فإذا ذكرت نوعًا ميزته من سائر الأنواع، وفي (ساء) ضمير فاعل لأنه فعل والفعل لا يخلو من فاعل فصار المميز كالمفعول، وارتفع ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ لأنه أقيم مقام المضاف، والمضاف كان يرتفع كما يرتفع (زيد) في قولك: بئس رجلًا زيد، وارتفاعه من وجهين: أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون (بئس) وما عملته فيه خبره، والثاني: أن يكون لما قلت: بئس رجلًا، قيل لك: من هو، فقلت: زيد، أي: هو زيد، فيكون رفعه على أنه ابتداء محذوف[3].

وقال بعضهم: (تقدير الآية[4]: ساء مثل القوم، ثم حول الفعل من المثل إلى القوم فخرج المثل مفسرًا كقولهم: قَرَّ بِهِ عينًا، وضاق به[5] ذرعًا، وطاب زيدٌ نفسًا، وألم رأسه، ووجع بطنه)[6].

---

(١) في (ب): (ورجلًا بين حمار وفرس).

(٢) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٧٥-١٧٩.

(٣) ذكره أبو علي في «الإيضاح» ص١٢٦-١٢٨، وانظر: «البيان» ١/ ٣٨٠، و«الفريد» ٢/ ٣٨٦.

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٤ ب، وقال مكي في «المشكل» ١/ ٣٠٦: (في ﴿سَآءَ﴾ ضمير الفاعل و﴿مَثَلًا﴾ تفسير و﴿ٱلْقَوْمِ﴾ رفع بالابتداء وما قبله خبره أو رفع على إضمار مبتدأ تقديره: ساء المثل مثلًا هم القوم الذين. مثل: نعم رجلًا زيدُ) اهـ. وانظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٤٢٨.

(٥) لفظ: (به) ساقط من (ب).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٢٤ ب.

قال أهل المعاني: (هذه الآية بيان عن ذم المكذب بآيات الله بأن مثله أسوأ مثل وأن نفسه ظلم وحظه خسر)[١].

١٧٨- قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾. قال ابن عباس[٢]: (يريد: من يرشده الله[٣] إلى دينه).

وقال ابن كيسان[٤]: (يريد: من يتول الله تنبيهه وإرشاده ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ﴾)، يجوز إثبات الياء فيه على الأصل، ويجوز حذفها استخفافًا كما قيل في بيت الكتاب:

وطرتُ بمنصلي[٥] في يعملاتٍ دوامي[٦] الأيدِ يخبطن السريحا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٢.

(٣) في (ب): (من يرشد الله).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) الشاهد لمضرس بن ربعي الأسدي في «اللسان» ١/ ٥٠٩ (ثمن)، ٤٩٥١ (يدى) وبلا نسبة في: «الكتاب» ١/ ٢٧ و٤/ ١٩٠، و«الجمهرة» ١/ ٥١٢، و«الإغفال» ص٨٨٠، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١٩-٧٧٢، و«الخصائص» ٢/ ٢٦٩- ٣/ ١٣٣، و«المنصف» ٢/ ٧٣، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٨٩ (ثمن) و٦/ ٢٥٣٩ (يدى)، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٨٩، و«الإنصاف» ص٤٢٩، و«تفسير الرازي» ١٥/ ٥٩، و«اللسان» ٢/ ١٠٩٣ (خبط)، و«الدر المصون» ٥/ ٥٢٠، و«المغني» لابن هشام ١/ ٢٢٥، وهو لمضرس أو ليزيد بن الطثرية في «اللسان» ١/ ٦١٥ (جزر)، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٥٩٨، و(المنصُل: السيف، ويعملات: جمع يعملة وهي الناقة القوية على العمل، والسريح: جلود أو خرق تشد على الأخفاف حين تحفى الناقة، والشاهد: الأيد، حيث حذف الياء للضرورة والأصل الأيدي).

(٦) في (ب): «دوام» وكذا في بعض نسخ «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥١٩ كما أشار محققه في الحاشية.

ومن أبياته أيضًا:

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الأثمد[١]

قال أبو الفتح[٢]: (يريد: كنواحي، فحذف الياء لأنه شبه المضاف إليه بالتنوين فحذف الياء لأجله كما يحذفها لأجل التنوين، لأنهما يتعاقبان، كما شبه الأول لام المعرفة في الأيد بالتنوين من حيث كانت هذه الأشياء من خواص الأسماء، ومتعقبة عليها فحذف الياء لأجل اللام كما يحذف لأجل التنوين. قال: هكذا أخذت من لفظ أبي علي)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: من يضله[٤] الله ويخذله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يريد: خسروا الدنيا والآخرة)[٥].

---

(١) «الشاهد» لخفاف بن ندبة الأسدي في «ديوانه» ص٥١٤، و«الكتاب» ١/ ٢٧، و«الإنصاف» ص٤٣٠، و«اللسان» ١/ ٤٦٠ (تيز)، ٤٩٥١ (يدى)، و«شرح شواهد المغني» ١/ ٣٥٤، وبلا نسبة في: «المنصف» ٢/ ٢٢٩، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٧٢، و«الصحاح» ٦/ ٢٥٣٩ (يدى)، و«تفسير الرازي» ١٥/ ٥٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٢٠، و«المغني» لابن هشام ١/ ١٠٥، وعصف الأثمد: ما سحق من حجر الكحل، وهو يصف شفتي المرأة ويشبهها بنواحي الريش يقول: (مسحت اللثتين بعصف الأثمد فقلب).

والشاهد: «كنواح» والأصل كنواحي حيث حذف الياء للضرورة.

(٢) أبو الفتح: عثمان بن جني، نحوي مشهور. تقدمت ترجمته.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٧٢-٧٧٣، وانظر: قول أبي علي الفارسي في «الإغفال» ص٨٨٠-٨٨١.

(٤) في (ب): (يضلله).

(٥) ذكره «الواحدي» ٢/ ٢٧٢، والرازي ١٥/ ٥٩ بلا نسبة.

١٧٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[١]. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: لا يعقلون بها ثوابًا ولا يخافون عقابًا)[٢].

وقال الكلبي: (لا يعقلون بها الخير والهدى)[٣].

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾.

قال عطاء: (يريد: سبيل الهدى والرشاد)، ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾.

قال: (يريد مواعظ الله والقرآن)[٤].

قال مقاتل: (﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الآية. يقول الله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٧]، فمن ثم لم تفقه قلوبهم، ولم تبصر أعينهم، ولم تسمع آذانهم)[٥].

وقال أهل المعاني: (إنما نفى عنهم الإدراكات لأنهم يعرضون في جميع ذلك إعراض من لا يدرك فهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يفقه ولا يبصر ولا يسمع)[٦].

وهذه الآية صريح في الرد على القدرية؛ لأن الله تعالى ذكر أنه خلق كثيرًا من الإنس والجن للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية

---

(١) هنا في (ب): رجوع إلى الأصل في ترتيب الأوراق فوقع تفسير الآية في ١٧٧ ب.
(٢) ذكره القرطبي ٧/ ٣٢٤ بلا نسبة.
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٤.
(٤) ذكره أكثرهم بلا نسبة. انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٢٥ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٤، والبغوي ٣/ ٣٠٦، والقرطبي ٧/ ٣٢٤، والخازن ٢/ ٣١٧.
(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٦.
(٦) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٢٩٢، والخازن ٢/ ٣١٧.

بالشقاوة والعذاب، ومن خلقه الله لجهنم، فلا حيلة له في الخلاص[١].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾. قال الكلبي: (شبههم بالأنعام في المأكل والمشرب)[٢].

وقال مقاتل: (يأكلون ويشربون لا يلتفتون إلى الآخرة كما تأكل الأنعام وتشرب لا همة لها إلا الأكل، فهي تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر)[٣].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

قال عطاء: (يريد[٤] إن الأنعام تعرف ربها وتحذر الهلاك)[٥]، وقال الكلبي: (لأن الأنعام مطيعة لله، والكافر[٦] غير مطيع لله)[٧].

قال مقاتل: (هم أخطأ طريقًا من الأنعام؛ لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره، وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه)[٨].

وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: (وذلك أن الأنعام تُبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم[٩] أكثرهم أنه معاند فيقدم على النار)[١٠].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٦٠-٦١، والقرطبي ٧/ ٣٢٤.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٦.
(٤) لفظ: (يريد) ساقط من (أ).
(٥) في القرطبي ٧/ ٣٢٥ قال عطاء: (الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه) اهـ.
(٦) لفظ: (والكافر) ساقط من (ب).
(٧) ذكره الرازي ١٥/ ٦٥، والقرطبي ٧/ ٣٢٥، والخازن ٢/ ٣١٨ بلا نسبة.
(٨) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٦.
(٩) في (ب): (وهؤلاء لا يعلم)، وهو تحريف.
(١٠) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٢، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠٧.

قال مقاتل: (يعني: كفار مكة)(١).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

قال عطاء: (عما أعد الله لأوليائه(٢) من الثواب، وما أعد لأعدائه من العقاب)(٣).

وقال الكلبي: (عن أمر الآخرة، وما فيها من العذاب)(٤).

١٨٠- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. قال المفسرون: (هي ما ذكره أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسمًا مائة غير واحدة»**(٥)، ثم ذكرها(٦)، وكل اسم ورد به

---

(١) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٦.

(٢) في (ب): (عما أعد الله أوليائه)، وهو تحريف.

(٣) ذكره الرازي ١٥/ ٦٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٢٨.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٢، وذكره «الواحدي» ٢/ ٢٧٥، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٢ بلا نسبة.

(٥) أخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٢٧٣٦) كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثُّنْيَا في الإقرار، ورقم (٧٣٩٢) كتاب الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، ورقم (٦٤١٠) كتاب التوحيد، باب: لله ﷻ مائة اسم غير واحد، ومسلم رقم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»** وفي رواية لمسلم: **«من حفظها»**.

(٦) الحديث الذي فيه ذكر الأسماء، أخرجه ابن ماجه كتاب الدعاء رقم (٣٨٦٠)، والترمذي رقم (٣٥٠٧) كتاب الدعوات عن رسول الله، والحاكم في «المستدرك» ١/ ١٦-١٧، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ٢٧، وفي «الأسماء والصفات» ص١٥-١٩، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»** ثم سرد الأسماء وفيها اختلاف وزيادة ونقص، وقال =

التوقيف[1] فهو داخل في هذا، ألا ترى أن الله تعالى ذكر الأسماء بلفظ التعريف، فدل أنها محصورة، معدودة، معلومة بالشرع[2].

= الترمذي: (هذا حديث غريب، وذكر الأسماء ليس له إسناده صحيح) اهـ.
وقال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٦/ ٣٧٩-٣٨٢، و٨/ ٩٦-٩٧، و٢٢/ ٤٨٢: (إسناده ضعيف وتعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بالحديث ولم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ) اهـ.
وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٢٩٨: (الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه) اهـ.
وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٨٠٢-٨١٦، و«فتح الباري» ١١/ ٢١٤-٢٢٩، و«تلخيص الحبير» ٤/ ١٧٢-١٧٤، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٦٩-٢٧٠.

(١) أسماء الله ﷻ توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا يجوز تسميته بما لم يرد به السمع بل يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأن ذلك من الأمور الغيبية، ولأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص، أفاده الشيخ: محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- في «القواعد المثلى» ص١٣، وانظر: «شرح أسماء الله الحسنى» للرازي ص٣٦.

(٢) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في «القواعد المثلى» ص١٣-١٤: (أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به والحديث لا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك، فمعنى الحديث أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاها دخل الجنة وعلى هذا فيكون قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة ونظير هذا أن تقول: عندي مئة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة) اهـ.
وقال النووي في «شرح مسلم» ١٧/ ٧-٨: (اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ﷻ فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما =

وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾؛ دعاؤه بها تعظيمه بذكرها؛ كقولك: يا قدير يا عليم يا كريم، قال أبو إسحاق[(١)]: (لا ينبغي أن تدعوه بما لم يصف به نفسه أو لم يسم به نفسه، فلا ينبغي أن يقال: سَخيٌّ بمعنى: جواد، ولا رفيق بمعنى: رحيم، ولا جلد بمعنى: قوي؛ لأنه لم يصف نفسه بهذه الألفاظ).

وقال غيره: (في هذه الآية دليل على أن من أفضل الدعاء أن تدعوا الله بالأسماء الحسنى كما ذكر الله وأمر به)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾. وقرأ[(٣)] حمزة: ﴿يَلْحَدُونَ﴾، ووافقه عاصم[(٤)] والكسائي في النحل، قال الفراء: (يُلحدون ويَلْحَدُونَ لغتان، يقال: لحدت لحدًا وألحدت)[(٥)].

= مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمرادُ الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصرها) اهـ. وانظر: «الأسماء والصفات» ص٢٧، و«الفتاوى» لشيخ الإسلام ٦/ ٣٨١، و«فتح الباري» ١١/ ٢١٤.

(١) انظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٢، وفيه بعض الاختلاف ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٠٨.

(٢) انظر: «بدائع التفسير» لابن القيم ٢/ ٣١٦.

(٣) قرأ حمزة: ﴿يَلْحدُونَ﴾ هنا، وفي النحل: ﴿لِسَانُ الَّذي يَلْحَدُونَ﴾ [النحل: ١٠٣]، وفي فصلت: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَلْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٤٠] بفتح الياء والحاء في الثلاثة، ووافقه الكسائي في النحل، وقرأ الباقون جميع ذلك بضم الياء وكسر الحاء، انظر: «السبعة» ص٢٩٨، و«المبسوط» ص١٨٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٩، و«التيسير» ص١١٤، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(٤) كذا في النسخ وعند الرازي ١٥/ ٧١، وهو وهم أو تحريف من الناسخ، فعاصم يقرأ بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة المواضع كما سبق، وانظر: سورة النحل في «السبعة» ص٣٧٥، و«المبسوط» ص٢٢٦، و«التذكرة» ٢/ ٤٦٤.

(٥) ذكره الرازي ١٥/ ٧١، ولم أقف عليه في «معانيه» وفي «تهذيب الأزهري» ٤/ ٣٢٤٣=

قال أهل اللغة[١]: (معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد)، وقال ابن السكيت: (الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحد في الدين ولحد)[٢]، وقال غيره من أهل اللغة: (الإلحاد العدل عن الاستقامة والانحراف عنها، ومنه اللَّحد الذي يحفر جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه)[٣]، والأجود قراءة العامة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥].

والإلحاد أكثر في كلامهم لقولهم: ملحد، ولا تكاد تسمع[٤] العرب

= (لحد) «معاني القراءات» ١/ ٤٣٠، قال الفراء: (يقرأ ﴿يَلْحَدُونَ﴾ -بالفتح- أي: يميلون إليه وبالضم أي يعترضون) اهـ. بتصرف. وانظر: كتاب «الأفعال» للسرقسطي ٢/ ٤١١.

(١) لفظ: (اللغة» غير واضح في (ب).

(٢) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٤٢. وانظر: «العين» ٣/ ١٨٢، و«الجمهرة» ١/ ٥٠٥، و«الصحاح» ٢/ ٥٣٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٣٦، و«المجمل» ٣/ ٨٠٣، و«المفردات» ص٧٣٧، و«اللسان» ٧/ ٤٠٠٥ (لحد).
وقال ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ١٤٣-١٤٤: (الملحد في كلام العرب: الجائر عن الحق ويقال: قد لحدت الرجل إذا أدخلته اللحد وألحدته إذا صنعت له لحدًا، ويقال: قد ألحد الرجل ولحد: إذا جار، وفرق الكسائي بينهما فقال: ألحد: جار، ولحد: ركن) اهـ.

(٣) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٠٨، ونحوه ذكر اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٥٣. وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٣، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٣، و«نزهة القلوب» ص٥٠٩، و«تفسير المشكل» ص٨٨.

(٤) ذكره السمين في «الدر» ٥/ ٥٢٣، عن الواحدي وقال: (امتناعهم عن مجيء اسم فاعل الثلاثي يدل على قلته ومن كلامهم لحده اللاحد) اهـ.

لاحدًا، فمن جمع بينهما في قراءته فكأنه أراد الأخذ بكل واحدة من اللغتين[١].

قال ابن عباس ومجاهد[٢]: (﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ هم المشركون، عدلوا بأسماء الله عما هي عليه فسموا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، واشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان).

وقال أهل المعاني: (الذين يلحدون في أسماء الله الذين[٣] يسمون الله بما لم يسمّ به نفسه، ولم ينطق به كتاب، ولا دعا إليه رسول)[٤].

يدل على صحة هذا ما روى عن ابن عباس أنه قال: (﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ أي: يكذبون)[٥].

---

(١) هذا قول أبي علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ١٠٨، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ٢١٥، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٨، ولابن زنجلة ص٣٠٣، و«الكشف» ١/ ٤٨٤ وقال الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٣٤: (الصواب أنهما لغتان بمعنى واحد، غير أن قراءة الضم أشهر وأفصح) اهـ. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٥، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٣، و«معانيه» ٣/ ١٠٨.

(٢) أخرج الطبري ٩/ ١٣٣-١٣٤ بسند ضعيف عن ابن عباس ومجاهد نحوه، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣، بسند ضعيف عن ابن عباس نحوه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٢٥ ب، والماوردي ٢/ ٢٨٢، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٦، والبغوي ٣/ ٣٠٧، والخازن ٢/ ٣١٩، عن ابن عباس ومجاهد، وقال ابن الأنباري في «الزاهر» ١/ ١٤٣: (قال المفسرون: هو اشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز) اهـ.

(٣) لفظ: (الذين) ساقط من (ب).

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٥ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٧، والخازن ٢/ ٣١٩، عن أهل المعاني.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣ بسند جيد.

وقال زيد بن أسلم: (يميلون عن الحق)[١]. فكل من سمّى الله بما لم يرد به توقيف فقد كذب في ذلك[٢] التسمية ومال عن الحق[٣].

وقوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة[٤].

١٨١- قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ الآية. روى قتادة وابن جريج عن النبي ﷺ: «**أنها هذه الأمة**»[٥].

وروي أيضًا أنه قال: «**هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها**»[٦].

وقال الربيع بن أنس: (قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال: «**إن من أمتي قومًا على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم**»[٧].

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٥ب.

(٢) كذا في النسخ: (ذلك)، والأولى (تلك).

(٣) قال أهل العلم: (الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع أحدها: أن يسمى الأصنام بها، والثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، والثالث: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، الرابع: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها وأنها مجرد أعلام فقط وألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا)، أفاده ابن القيم في «بدائع التفسير» ٢/ ٣١٤، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٣، و«أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٨١٦، والقرطبي ٧/ ٣٢٨.

(٤) لفظ: (أي جزاء ما كانوا يعملون) ساقط من (ب).

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٥ من طرق جيدة عن ابن جريج وقتادة وهو مرسل، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٢، وقال: (أخرجه ابن جرير وابن المنذر، وأبو الشيخ عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة) اهـ. وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ أ، والماوردي ٢/ ٢٨٣، عن قتادة وابن جريج.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٥ بسند جيد عن قتادة وهو مرسل وتابع لما سبق عن قتادة.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٣، وهو مرسل، وأخرج البخاري رقم (٧٣١١) =

وقال ابن عباس: (يريد: أمة محمد ﷺ، وهم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)(١).

وقوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾. قد ذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

١٨٢- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾، قال الكلبي: (يعني: أهل مكة كذبوا بمحمد والقرآن)(٢).

وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. الاستدراج في اللغة(٣):

= كتاب التوحيد، باب: قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين**»، ومسلم رقم (١٩٢١) كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله**» اهـ.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٧، والبغوي ٣/ ٣٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٤، والرازي ١٥/ ٧٢، والخازن ٢/ ٤٢٠، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ أ، عن عطاء فقط، وأكثرهم على أنه في أمة محمد ﷺ.
وقال «النحاس» ١/ ٦٥٣: (دل الله جل وعز بهذه الآية أنه لا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق) اهـ، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٨٥، ابن عطية ٦/ ١٥٨، و«البحر» ٤/ ٤٣٠.

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٣. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٧، وهو قول السمرقندي ١/ ٥٨٦، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٢٩٤، والرازي ١٥/ ٧٣، والقرطبي ٧/ ٣٢٩، عن ابن عباس، والظاهر العموم وأول ما يدخل كفار مكة، وهو اختيار الرازي ١٥/ ٧٣، والخازن ٢/ ٣٢٠، قال الخازن: (هذا أولى لأن صيغة العموم تتناول الكل إلا ما دل الدليل على خروجه منه) اهـ.

(٣) انظر: «العين» ٦/ ٧٧، و«الصحاح» ١/ ٣١٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٧٥، و«المجمل» ٢/ ٣٢٥، و«المفردات» ص٣١١، و«اللسان» ٣/ ١٣٥٢ (درج).

الأخذ بطيٍّ منزلةٍ[١] وأصله من الدرج، وهو لفُّ الشيء، يقال: درجته وأدرجته ودرجته، وأدرجت المرأة صبيها في المعاوز[٢]، وأدرج الميت في أكفانه، وأدرجت الكتاب في الكتاب إذا طويته فيه[٣]، والاستدراج هو طي منزلة بعد منزلة، ويجوز أن يكون من الدرجة فيكون معنى الاستدراج في الأمر: أن يحط درجة بعد درجة حتى ينتهي إلى مقصوده، وهذا معنى الاستدراج في اللغة، وهو معنى قول المفسرين[٤] وأهل المعاني[٥].

وقال أبو عبيدة[٦]: والمؤرج[٧]: (الاستدراج أن آتيه من حيث لا يعلم)، وهو معنى قول ابن عباس[٨]: (سنمكر بهم من حيث لا يعلمون).

وقال الكلبي: (يزين لهم أعمالهم فيهلكهم)[٩].

---

(١) لفظ: (بطي منزلة) ساقط من (ب).

(٢) المعاوز، جمع معوز -بكسر الميم وسكون العين وفتح الواو-: وهو الثوب الخلق وخرقة يلف بها الصبي. انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٦٩ (عوز).

(٣) ما تقدم في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٦٨ (درج).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٣٥، والسمرقندي ١/ ٥٨٦، والماوردي ٢/ ٢٨٣.

(٥) انظر: «معاني النحاس» ٣/ ١٠٩.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٣ وزاد: (ومن حيث تلطف له حتى تغتره). ونحوه قال اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٥٤.

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٧، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٨ عن عطاء.

(٩) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ٥٨٦، والثعلبي ٦/ ٢٦ ب والبغوي ٣/ ٣٠٨، والخازن ٢/ ٣٢٠.

وقال الضحاك: (كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة)[١].

وقال الأزهري: (قيل في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: سنأخذهم قليلًا من حيث لا يحتسبونه، وذلك أنه جل وعز يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون إليه أنسًا به[٢]، ثم يأخذهم على غرّتهم أغفلَ ما يكونون[٣]، ولهذا قال عمر[٤] ﷺ لما حُمل إليه كنوز كسرى: «اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجًا؛ فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾»)[٥].

وقال عبد الله بن مسلم: (الاستدراج أن يُدنيهم من بأسه قليلًا، ومنه يقال: درجت فلانًا إلى كذا، واستدرج فلانًا حتى تعرف ما عنده، يراد: لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال، ولكن استخرج ما عنده قليلًا قليلًا، قال: وأصل هذا من الدرجة، وذلك أن الراقي فيها والنازل منها ينزل مِرْقاة مرقاة، فاستعير[٦] هذا منها)[٧]. والآية وعيد للمكذب بآيات الله ﷻ بأنه يستدرجه إلى العذاب من حيث لا يعلم ما إليه يصير[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٧، والبغوي ٣/ ٣٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٥، والقرطبي ٧/ ٣٢٩، والخازن ٢/ ٣٢٠، وقال السجستاني في «نزهة القلوب» ص٢٦٤ عند شرح كلمة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: (جاء في التفسير كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيانهم الاستغفار) اهـ.

(٢) في (ب): (أنسيأبهم)، وهو تحريف.

(٣) في (ب): (ما يكون)، وهو تحريف.

(٤) ذكره الرازي ١٥/ ٧٣، والخازن ٢/ ٣٢٠، ولم أقف على إسناده بعد طول بحث.

(٥) «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٦٨-١١٦٩ (درج).

(٦) في (ب): (واستعير).

(٧) «تأويل مشكل القرآن» ص١٦٦.

(٨) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٣.

١٨٣- قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾، الإملاء في اللغة[١] الإمهال وإطالة المدة، وهو نقيض الإعجال، والمليُّ زمان طويل من الدهر، ومنه قوله: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]. أي: طويلًا، ويقال: مُلوة، ومِلوة[٢]، وملاوة من الدهر أي: زمان طويل[٣]. فمعنى ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾. أي: أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي، ولا أعاجلهم بالعقوبة على المعصية ليقلعوا عنها بالتوبة والإنابة[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾، قال ابن عباس[٥]: (يريد: إن مكري شديد)، والمتين من كل شيء القوي[٦]، وقد متن متانة[٧]، ومعنى

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٤، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٣، و«نزهة القلوب» ص١٠١، ١١٥، و«تفسير المشكل» ص٨٨.

(٢) لفظ: (وملوة) ساقط من (ب).

(٣) النص في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٣٨ (ملا)، ومُلوة بالضم، ومِلوة بالكسر، ومَلاوة بالفتح. وانظر: «العين» ٨/ ٣٤٤، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٩٦، و«المجمل» ٣/ ٨٤١، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٣٥٢، و«المفردات» ص٧٧٦، و«اللسان» ٧/ ٤٢٥٢ (ملا).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٣٥، و«معاني النحاس» ٣/ ١٠٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٦.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٧، والبغوي ٣/ ٣٠٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٥، والرازي ١٥/ ٧٤، والخازن ٢/ ٣٢١، و«البحر» ٤/ ٤٣١.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٤، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٣، و«تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاج ص٥٥، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص١٩٤.

(٧) انظر: «العين» ٨/ ١٣١، و«الجمهرة» ١/ ٤١٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٣٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٢٠٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٩٤، و«المفردات» ص٧٥٨، و«اللسان» ٧/ ٤١٣٠ (متن).

كيد[١] الله هنا: استدراجه إياهم[٢]. قال المفسرون: (نزلت في المستهزئين من قريش؛ قتلهم الله ﷻ في ليلة واحدة بعد أن أمهلهم حتى صاروا إلى الاغترار بطول السلامة وإسباغ النعمة)[٣].

١٨٤- وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾. قال أصحاب المعاني: (التفكير طلب المعنى بالقلب كطلب الشخص بالعين)[٤]، وتقدير الآية ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، كذلك قال ابن كيسان[٥] وغيره، فحذف (يعلموا)؛ لأن التفكر مؤدٍ إلى العلم، فقام مقامه وأغنى عن ذكره، وذكر صاحب النظم أن بعض أهل العربية قال: (إن قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ تمام الكلام واتصاله بما قبله، وقوله تعالى: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ نفي مبتدأ)[٦].

وإلى هذا مال ابن الأنباري؛ لأنه قال: (﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ وقف التمام.

---

(١) انظر: «العين» ٥/ ٣٩٦، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٤، و«نزهة القلوب» ص٣٨٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٧٦، و«الصحاح» ٢/ ٥٣٣، و«المفردات» ص٧٢٨ (كيد).

(٢) انظر: «القواعد المثلى» لابن عثيمين ص٢٠، و«المفسرون بين التأويل والإثبات» للمغراوي ص١٣.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٨، والقرطبي ٧/ ٣٣٠، والخازن ٢/ ٣٢١، و«البحر» ٤/ ٤٣١، وقد اختلف العلماء في المستهزئين من حيث عددهم وكيفية هلاكهم، انظر: «مجمع الزوائد» ٤/ ٤٦، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٧٢.

(٤) ذكره الرازي ١٥/ ٧٥، وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨١٨، و«المفردات» ص٦٤٣ (فكر).

(٥) لم أقف عليه، وضعف هذا القول أبو حيان ٤/ ٤٣٢، والسمين ٥/ ٥٢٥.

(٦) ذكر هذا القول أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٣٢، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٢٥ بلا نسبة.

قال: ومثل هذا قوله[١]: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ [الروم: ٨] ثم تبتدئ ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ﴾، وقوله في سبأ: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ [سبأ: ٤٦] ثم تبتدئ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾)[٢]، وقد قيل: إن قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، إلى آخر الآية كلام معترض بين كلامين، على نظم ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾[٣] [الأعراف: ١٨٥]، وأدخل بينهما قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، فلما انقضى هذا رجع إلى المبتدأ الأول وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فجاء به على لفظ سواه، وهو قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ [ومعناهما جميعًا واحد؛ لأن قولك: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ واحد، والمعنى][٤]: أولم يتفكروا في خلق السموات والأرض[٥]،

---

(١) لفظ: (قوله) ساقط من (ب).

(٢) «الإيضاح» لابن الإنباري ٢/ ٦٧١، ومثله ذكر النحاس في «القطع والائتناف» ١/ ٢٦٧، والداني في «المكتفي» ص٢٨١.

(٣) لفظ: (السموات) ساقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) لفظ: (الأرض) ساقط من (ب)، ولم أقف على هذا القول فيما لدي من مراجع، وأما إعراب الآية: فما نافية و﴿بِصَاحِبِهِم﴾ خبر مقدم، ومن مزيدة ﴿جِنَّةٍ﴾ مبتدأ أي: ما جنة بصاحبهم، وقيل: ما استفهامية مبتدأ، والخبر ﴿بِصَاحِبِهِم﴾ أي: أي شيء استقر بصاحبهم من الجنون وجملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ في محل نصب مفعول به لفعل التفكر بعد إسقاط الخافض لأن التفكر من أفعال القلوب فيجوز تعليقه، وهذا هو اختيار أبي حيان في «البحر» ٤/ ٤٣١، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٢٥، قال أبو حيان ٤/ ٤٣٢: (هذا هو الظاهر وفي الآية تخريجات ضعيفة ينبغي أن ينزه القرآن عنها وتفكر مما يثبت في اللسان تعليقه فلا ينبغي أن يعدل عنه) اهـ. وانظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٤٢٩، و«التبيان» ص٣٩٦، و«الفريد» ٢/ ٣٨٨، و«الجدول في إعراب القرآن» ٩/ ١٢١.

والجِنَّة[١] حالة من الجُنون كالجِلسة والرِّكبة ودخول ﴿مِّن﴾ في قوله ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ يوجب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون.

قال الحسن[٢] وقتادة[٣]: (إن نبي الله ﷺ قام ليلًا على الصَّفا يدعو قريشًا فخذًا[٤] فيقول: «يا بني فلان يا بني فلان»[٥]؛ يحذرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن[٦] صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت حتى الصباح، فأنزل الله تعالى هذا الآية)، وحثهم على التفكر في أمر الرسول ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه الجهال.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٤، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٧١، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٩٣ (جن).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٨، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦، والرازي ١٥/ ٧٥، و«البحر» ٤/ ٤٣١، عن الحسن وقتادة، وذكره الخازن ٢/ ٣٢١ عن المفسرين.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٤ بسند جيد عن قتادة مرسلًا.
وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٣، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة)، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٩، و«الكشاف» ٢/ ١٣٣، عن قتادة وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» ص٦٦٩: (أخرجه الطبري بإسناد صحيح إلى قتادة) اهـ.
وقد أخرج الطبري ١٩/ ١١٨-١٢٣ من عدة طرق جيدة نحوه عن جماعة منه الصحابة، وعن قتادة والحسن وغيرهما بدون ذكر الآية وذلك عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٧٣.

(٤) فخذ الرجل: نفرة من حيه الذين هم أقرب عشيرته إليه فهو فرقة من الجماعات أولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٣٦٠ (فخذ).

(٥) لفظ: (يا بني فلان) ساقط من (أ).

(٦) لفظ: (إن) ساقط من (ب).

١٨٥- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية. قال أهل المعاني: (حثهم الله على النظر المؤدي إلى العلم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ ليستدلوا على أن لها صانعًا مدبرًا دبرها على ما أراد)(١)، قال الزجاج: (والمعنى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ فيما دلهم الله به على توحيده)(٢)، ومضى الكلام في معنى(٣) ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في سورة الأنعام. وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾، أي: وفيما خلق الله من الأشياء كلها، قال ابن عباس: (يريد: من جليل وصغير)(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، أي: وفي (أن) لعل آجالهم قريبة، فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار. و(أن) في(٥) ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾ بمعنى: أنه، فهو مخفف(٦) من الثقيل كقول الأعشى(٧):

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٣٦، والبغوي ٣/ ٣٠٩، وابن عطية ٦/ ١٦٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦، والرازي ١٥/ ٧٦، والقرطبي ٧/ ٣٣٠.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٢.

(٣) لفظ: (معنى) ساقط من: (أ).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٧٨، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٨١٦.

(٥) في (ب): (وإن في عسى أن)، وهو تحريف.

(٦) هذا هو الظاهر فأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وجملة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ خبرها، وهذا اختيار أبي حيان في «البحر» ٤/ ٤٣٢، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٢٦، وانظر: «التبيان» ص٣٩٧، و«الفريد» ٢/ ٣٨٩.

(٧) «ديوانه» ص١٤٧ والبيت:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل

هذه رواية النحاة. أما الديوان ففيه:

أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل

وقد سبق تخريجه والكلام عليه.

.... قـد عـنـمـوا أن هـالـك ....

أي: أنه هالك، وقد بينا ذلك في مواضع.

قال الزجاج: (أي: إن[1] كانوا يسوّفون بالتوبة فعسى ﴿أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾)[2] قال ابن عباس: (يريد: قتلهم يوم بدر، ويوم أحد)[3].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. قال: (يريد: فبأي[4] قرآن غير ما جاء به محمد يصدقون)[5]، وقال أهل المعاني: (هذا دليل على أن محمدًا خاتم الرسل وأن الوحي ينقطع بعد القرآن)[6].

١٨٦- قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾، قال المفسرون: (ذكر علة إعراضهم عن الإيمان والقرآن وهو إضلال الله إياهم)[7].

وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ رفْعٌ بالاستئناف، وهو مقطوع مما قبله[8].

---

(١) في (أ): (أي إذ كانوا)، وهو تحريف.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٢.

(٣) ذكره القرطبي ٧/ ٣٣٤، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٧٨.

(٤) في (ب): (يريد فبغير قرآن).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٥، وذكره «الواحدي» ٢/ ٢٧٩، والبغوي ٣/ ٣٠٩، والقرطبي ٧/ ٣٣٤، بلا نسبة.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٣٦، والسمرقندي ١/ ٥٨٦، والبغوي ٣/ ٣٠٩.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٣٧، والثعلبي ٦/ ٢٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٠٩، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٦، والقرطبي ٧/ ٣٣٤، والخازن ٢/ ٣٢١.

(٨) هذا على قراءة الرفع، أما الجزم فلا يوقف على ما قبله ولا يبتدأ به لأنه معطوف على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ فلا يقطع من ذلك، أفاده الداني في «المكتفى» ص٢٨١، وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٧٢، و«القطع والائتناف» ص٢٦٧، و«التذكرة» لابن غلبون ٢/ ٤٢٩.

وقرأ[١] أبو عمرو بالياء لتقدم اسم الله[٢] سبحانه، وقرأ حمزة والكسائي بالياء والجزم، ووجه ذلك فيما يقول سيبويه[٣]: (إنه عطف على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾؛ لأن موضع الفاء مع ما بعدها جزم بجواب الشرط). فحمل ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ على الموضع، والموضع جزم، كقول أبي دواد[٤]:

فأبلوني بليتكم[٥] لعلي أصالحكم وأستدرج نويًا[٦]

---

(١) قرأ عاصم وأبو عمرو: ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء ورفع الراء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء وجزم الراء وقرأ الباقون بالنون ورفع الراء، انظر: «السبعة» ص١٩٨، و«المبسوط» ص١٨٧، و«التذكرة» ٢/ ٤٢٩، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(٢) أي: قراءة الياء على الغيبة لتقدم اسم الله تعالى وهو على لفظ الغيبة كما في «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٠٩، وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٣، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٤.

(٣) «الكتاب» ٣/ ٩٠، وفيه ذكر قراءة الجزم وقال: (وذلك لأنه حمل الفعل على موضع الكلام؛ لأن هذا الكلام في موضع يكون جوابًا؛ لأن أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء ولكنهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره) اهـ.

(٤) أبو دواد الإيادي: جارية بن الحجاج، شاعر جاهلي قديم يضرب به المثل في الجود والإجارة، وأكثر أشعاره في المدح والفخر وأوصاف الخيل، انظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٠، و«الأغاني» ١٦/ ٤٠٢، و«الأعلام» ٢/ ١٠٦.

(٥) في (ب): (بلوتكم).

(٦) «ديوانه» ص٣٥٠، و«العسكريات» ص١١٥، و«العضديات» ص١٢٠، و«الخصائص» ١/ ١٧٦، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٠١، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٦٤، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٣٩، وبلا نسبة في «معاني الفراء» ١/ ٨٨-٣/ ١٦٨، و«تأويل مشكل القرآن» ص٥٦، و«إعراب النحاس» ٣/ ٤٣٩، و«الخصائص» ٢/ ٤٢٤، و«الأمالي» لابن الشجري ١/ ٤٢٨، و«البيان» ١/ ٣٨٠. و«اللسان» ٥/ ٣٠٨٢ (علل)، و«مغني اللبيب» ٢ ٤٢٣، و«الدر =

حمل (أستدرجْ) على موضع الفاء المحذوفة من قوله: (فلعلي أصالحكم)، والموضع جزم، والحمل على الموضع كثير[(١)].

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، قال ابن عباس: (إن قومًا من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا عن الساعة متى تكون إن كنت نبيًا؟)[(٢)]، وقال الحسن[(٣)] وقتادة[(٤)]: (هم قريش، لمحمد ﷺ: أسرَّ إلينا متى الساعة؟).

= المصون» ٥/ ٥٢٨، ونسبه ابن هشام في «المغني» ٢/ ٤٧٧ للهذلي، والبيت قاله في قوم جاورهم فأساءوا جواره يقول: أحسنوا لعلي أرجع إلى جواركم، وقوله: فأبلوني، أي اصنعوا بي جميلًا، وأستدرج، أي أرجع أدراجي من حيث أتيت، ونويا: يريد نواي وهي النية، والمراد: الوجه الذي يقصده، والشاهد: وأستدرج، حيث جزم على المعنى على تقدير جزم أصالحكم.

(١) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٠٩-١١٠ وأكثرهم على أنه جزم عطف على محل قوله: ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ وقيل: إنه سكون تخفيف لتوالي الحركات. انظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٣١، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٧، ولابن زنجلة ص٣٠٣، و«الكشف» ١/ ٤٨٥، و«البحر» ٤/ ٤٣٣، و«الدر المصون» ٥/ ٥٢٨.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٧ بسند لا بأس به، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٤، وزاد نسبته إلى (ابن إسحاق وأبي الشيخ) وذكره الثعلبي ٦/ ١٧ أ، والماوردي ٢/ ١٨٧، وابن عطية ٦/ ١٦٥-١٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٧، والرازي ١٥/ ٨٠، والخازن ٢/ ٣٢١ عن ابن عباس، وهو في «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٩٨-١٩٩ بلا نسبة.

(٣) ذكره الماوردي ٢/ ١٨٧، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٠، والرازي ١٥/ ٨٠، عن الحسن وقتادة.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٣٧-١٣٨ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٤، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد) وذكره أكثرهم، واختار الطبري ٩/ ١٣٨، عدم التخصيص، ولا يبعد حصول السؤال من الجميع، أو أن اليهود أمروا قريش أن تسأل عن ذلك. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾.

قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: التي لا بعدها ساعة)[1].

وقال الزجاج[2]: (الساعة[3] هاهنا الساعة التي يموت فيها الخلق)، وقد ذكرنا فيما تقدم معنى الساعة، وقوله تعالى: ﴿أَيَّانَ﴾ معناه: الاستفهام[4] عن الوقت الذي لم يجئ، وهو سؤال عن الزمان[5] على جهة الظرف للفعل كقول الراجز[6]:

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٥.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٤.

(٣) لفظ: (الساعة) ساقط من (ب).

(٤) انظر: «الكتاب» ٤/ ٢٣٥، و«تأويل مشكل القرآن» ص٥٢٢، و«حروف المعاني» للزجاجي ص١٢، و«نزهة القلوب» ص٧٤، و«تهذيب اللغة» ١/ ٢٤٣ (أيان)، و«المحتسب» ١/ ٢٦٨، و«الصحاح» ٥/ ٢٠٧٦ (أين)، و«الصاحبي» ص٢٠١، وقال أبو حيان في (البحر» ٤/ ٤١٩، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٢٩: (أيان ظرف زمان مبني لا يتصرف ويليه المبتدأ أو الفعل المضارع دون الماضي وأكثر استعمالها في الاستفهام، وقد تأتي شرطية جازمة لفعلين وذلك قليل فيها).
قال أبو حيان: (وهي عندي حرف بسيط لا مركب وجامد لا مشتق).
وقال السمين: (الفصيح فتح همزتها وهي قراءة العامة وقرئ بكسرها وهي لغة سليم) اهـ.
وانظر: «الإتقان» للسيوطي ١/ ٢١٤.

(٥) في (ب): (وهو سؤال عن السؤال على جهة الظرف) وهو تحريف.

(٦) لم أقف على قائله وهو في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٣٨، والثعلبي ٦/ ٢٧ ب، والماوردي ٢/ ٢٨٤، وابن عطية ٦/ ١٦٦، و«الفريد» للهمداني ٢/ ٣٩٠، والقرطبي ٧/ ٣٣٥، و«اللسان» ١٣/ ٤ (أبن)، و«البحر» ٤/ ٤١٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٢٩ وتمامه:

أمـا تـرى لـنـجـحـهـا إبـانـا

أيــان تــقــضــي حــاجــتــي أيــانــا

أي: متى أوان قضائها.

وقوله تعالى: ﴿مُرْسَىٰهَا﴾. المرسى: مفعل من الإرساء وهو الإثبات، يقال: رسا[١] الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره، قال الله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

والمرسى[٢] هاهنا مصدر بمعنى: الإرساء كقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]. أي: إجراؤها وإرساؤها[٣]، فمعنى ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى يقع إثباتها، قال قتادة[٤] والسدي[٥]: (﴿مُرْسَىٰهَا﴾ قيامها)، وهو معنى وليس تفسير.

وقال الزجاج: (متى وقوعها)[٦].

= وإبان كل شيء بالكسر والتشديد وقته وحينه الذي يكون فيه. انظر: «اللسان» ١/ ١٢ (أبن).

(١) في (ب): «رسى».

(٢) في (ب): «والمرسا».

(٣) انظر: «العين» ٧/ ٢٩٠، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٠٣، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٥٦، و«المجمل» ٢/ ٣٧٧، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٣٩٤، و«المفردات» ص٣٥٤، و«اللسان» ٣/ ١٦٤٧ (رسا).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٨ بسند جيد عن قتادة، وذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ١١٠، والثعلبي ٦/ ٢٧ ب، والبغوي ٣/ ٣٠٩، عن قتادة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٦ بسند جيد عن السدي، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٤، وهو قول الطبري ٩/ ١٣٨، والسمرقندي ١/ ٥٨٧.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٢٩٣ وهو قول اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٥٤، والنحاس في «إعرابه» ١/ ٦٥٤.

وقال ابن قتيبة: (متى ثبوتها)[١]؛ وذلك أنها إذا أثبتت وقعت وثبتت[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾. أي: العلم بوقتها و[٣] وقوعها، وهذا من باب إضافة المصدر[٤] إلى المفعول، والمعنى: أنه مستأثر بذلك العلم فلا يعلمها إلا هو، قال أهل المعاني: (والمعنى في إخفاء أمر الساعة وعلمها عن العباد أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فيكون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية)[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

قال الزجاج[٦] وابن مسلم[٧]: (لا يظهرها في وقتها إلا هو)، وهو معنى قول مجاهد[٨]: (لا يأتي بها إلا هو)، وقال المبرد: (لا يقيمها عند

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٣، وهو قول مكي في «تفسير مشكل القرآن» ص٨٨، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٤.

(٢) «المعاني متقاربة»، وقد أخرج الطبري ٩/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٦ من طرق جيدة عن ابن عباس قال: (منتهاها) قال الطبري: (وهو قريب من معنى من قال: قيامها لأن انتهاءها بلوغها وقتها، وأصل ذلك الحبس والوقوف) اهـ.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٤) انظر: «التبيان» ١/ ٣٩٧، و«الفريد» ٢/ ٣٩١، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٠.

(٥) ذكره الرازي ١٥/ ٨٠-٨١، والخازن ٢/ ٣٢٢، عن المحققين.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٣.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٤، وهو قول أكثرهم.
انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٥، و«غريب القرآن» ص١٥٥، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٣٨، و«نزهة القلوب» ص٤٧٩، و«معاني النحاس» ٣/ ١١٠، و«تفسير المشكل» ص٨٨.

(٨) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٢، وأخرجه الطبري ٩/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ من طرق جيدة، وأخرج الطبري بسند جيد عن قتادة والسدي نحوه.

وقتها إلا هو)[١]، نظيره قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]. والتجلية[٢] إظهار الشيء، والتجلي ظهوره، وقد مر.

وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس[٣]: (يريد: ثقلت على أهل السموات وأهل الأرض)[٤]؛ يريد: كلهم خائفون من الله، المحسن والمسيء؛ وهذا معنى قول الحسن[٥]؛ يقول: (إذا جاءت ثقلت على السموات والأرض وأهلهما[٦]، أي: كبرت وعظمت لما فيها من انتشار النجوم، وتكوير الشمس، وتسيير الجبال).

ونحو من ذلك قال ابن جريج[٧]، وقتادة والكلبي[٨]: (ثقل علمها

---

(١) لم أقف عليه، وانظر: «الكامل» للمبرد ١/ ٤٤٢ و٢/ ٤٩٦، ١٠٥٢.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٦٢٥، و«الصحاح» ٦/ ٢٣٠٣، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٦٨ (جلا).

(٣) أخرج أبو عبيد في كتاب: «اللغات» ص١٠٧، و«ابن حسنون» ص٢٦، بسند جيد عن ابن عباس قال: (﴿ثَقُلَتْ﴾ خفيت بلغة قريش) اهـ.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨١، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٨، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ بسند ضعيف عن ابن عباس في الآية، قال: (ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٤.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧ بسند ضعيف، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٣، والثعلبي ٦/ ٢٧ ب، والماوردي ٢/ ٢٨٥، والبغوي ٣/ ٣١٠، وابن عطية ٦/ ١٦٧، والرازي ١٥/ ٨١.

(٦) في (ب): (وأهلها).

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٩، بسند جيد عن ابن جريج، وقتادة والسدي، وذكره ابن عطية ٦/ ١٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٨، والقرطبي ٧/ ٣٣٥، عن ابن جريج، وقتادة والسدي، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥، عن ابن جريج والسدي.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٤، بسند جيد عن قتادة والكلبي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢/ ٢٨٥، بسند جيد عن قتادة.

على أهل السموات وأهل[1] الأرض[2]، فلم يطيقوا إدراكًا لها)[3]، وهو قول السدي[4]، واختيار الفراء وابن قتيبة.

[قال الفراء: (ثقل علمها على أهل الأرض والسماء أن يعلموه)[5].

وقال[6] ابن قتيبة: (أي][7] خفي علمها على أهل السموات والأرض وإذا خفي الشيء ثقل)[8]، وذكر أبو إسحاق القولين جميعًا فقال: (قال بعض القوم: ثقل علمها على أهل السموات[9] والأرض، وقال قوم: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، ثم أعلم الله ﷻ كيف وقوعها فقال:

---

(١) لفظ: (أهل) ساقط من (ب).

(٢) في (ب) جاء بعد قوله: (والأرض) تكرار قوله: «وأهلها أي كبرت وعظمت، إلى (والأرض).

(٣) إدراكًا لها: أي تحديد وقتها، وأصل الإدراك اللحوق، وأدرك الشيء أي بلغ وقته، انظر: «اللسان» ٣/ ١٣٦٣ (درك).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٣٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٧، بسند جيد، وذكره الرازي ١٥/ ٨١.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩، وهو قول ابن الأنباري في «الإيضاح» ٢/ ٦٧٣.

(٦) في (أ): (فقال).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٤، وهو قول أكثرهم، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٥، و«نزهة القلوب» ص١٨٤، و«معاني النحاس» ٣/ ١١١، و«تفسير المشكل» ص٨٨، والظاهر أن الأقوال متقاربة والمعنى: ثقل علمها على أهل السماء والأرض وعظم شأنها وثقل وقوعها، والعرب تقول لكل شيء عظيم أو نفيس أو خطير: ثقيل، انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٩٠ (ثقل).

(٩) في (ب): خلط فجاء: «على أهل الأرض والسماء أن يعلموه، وقال ابن قتيبة: أي على أهل السموات والأرض، وقال قوم..».

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، أي: فجأة[١] على غفلة منكم وذلك أشدّ لها كما قال[٢]:

وأفظع شيء حين يفجؤك[٣] البغتُ

و[٤] قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾. قال الفراء[٥]: (جاء في التفسير عن ابن عباس[٦]، كأنك حفيّ بهم إذا سألوك حين يسألونك عنها

(١) لم يذكر الزجاج في «معانيه» ٢/ ٢٩٣ إلا القول الثاني مع أنه قال: (قيل: فيه قولان قال: قوم ثقل وقوعها..).

(٢) «الشاهد» ليزيد بن ضبة الثقفي في «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣، و«الكامل» للمبرد ١/ ١٥١، و«اللسان» ١/ ٣١٧ (بغت)، و«عمدة الحفاظ» ص٥٦، وبلا نسبة في: «العين» ٤/ ٣٩٧، و«الجمهرة» ١/ ٢٥٥-٢/ ١٠٤٣، و«الزاهر» ٢/ ٦، و«البارع» ص٣٥٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٤، و«الصحاح» ١/ ٢٤٣، و«المجمل» ١/ ١٣٠، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٢ (بغت)، و«تفسير الماوردي» ٢/ ٢٨٥، وأوله: ولكنَّهم بانوا ولم أدر بغتة.

(٣) في النسخ: (يفجأك)، وهو خلاف ما في المراجع.

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) لم أقف عليه، وفي «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩ قال: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ مقدم ومؤخر ومعناه: يسألونك عنها كأنك حفي بها، ويقال: في «التفسير» كأنك حفي أي: كأنك عالم بها) اهـ.

وقال أبو علي الفارسي في «البصريات» ص١/ ٤٦٥: (﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بها) اهـ.

(٦) أخرج الطبري ٩/ ١٤٠، ١٤١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ بسند جيد عن ابن عباس قال: (أي: كأنك يعجبك سؤالهم إياك: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾) اهـ. وأخرجا عنه بسند ضعيف قال: (أي: كأنك بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم) اهـ. وأخرج الطبري بسند ضعيف عنها قال: (أي: قريب منهم وتحفى عليهم) اهـ. وقال اليزيدي في «غريب القرآن» ص١٥٥: (أي: عالم بها والمعنى: يسألونك =

أي: فرح بهم). فعلى هذا التقدير: يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي: بارّ بهم لطيف.

قال ابن الأعرابي: (يقال: حَفِي بي حفاوة، وتحفى بي تحفيًا، والتحفي: الكلام واللقاء الحسن)[1]، ومنه قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]. أي: بارًا لطيفًا يجيب[2] دعائي إذا دعوته، وهو[3] قول الحسن[4] وقتادة[5] والسدي[6]، ويؤيد هذا القول ما روي في «التفسير»: (إن قريشًا قالت لمحمد: إن بيننا وبينك قرابة، فأسر إلينا متى الساعة؟ فقال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ﴾)[7]، أي: كأنك صديق لهم، بار بهم، فهم يدلون إليك بالقرابة في طلب علم الساعة يعني: أنك لا تكون حفيًا

= كأنك تحفي. وجاء عن ابن عباس أنه قال: كأنك حفي بهم أي: فرح بهم حين يسألونك. ويقال للقاضي والحاكم: الحافي، وقد تحفينا إلى فلان إذا تحاكمنا) اهـ.

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٥٩، وانظر: «العين» ٣/ ٣٠٥، و«مجالس ثعلب» ص٣٥٠، و«المنجد» لكراع ص١١٧، «الجمهرة» ١/ ٥٥٧، و«الصحاح» ٦/ ٢٣١٦، و«المجمل» ١/ ٢٤٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٨٣، و«المفردات» ص٢٤٥، و«اللسان» ٢/ ٩٣٥ (حفا).

(٢) في (ب): (ويجيب).

(٣) في (ب): (وهذا).

(٤) ذكره هود الهواري ٢/ ٦٣، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٥ بسند جيد. وذكره ابن عطية ٦/ ١٦٧، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ بسند جيد، وذكره الرازي ١٥/ ٨٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ من طرق جيدة عن قتادة وهو مرسل.

بهم ما داموا على كفرهم، وقال[١] في رواية عطاء: (﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾، يريد: خابرٌ بأمرها)[٢]. وهو قول مجاهد[٣]. والضحاك وابن زيد[٤] ومعمر[٥] قالوا: (معناه: كأنك عالم بها). واختاره ابن قتيبة، وعلى هذا القول ﴿حَفِيٌّ﴾ فعيل من الإحفاء وهو الإلحاح والإلحاف في السؤال، ومن أكثر[٦] السؤال والبحث عن الشيء علمه، فحقيقة معنى ﴿حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ [كأنك أكثرت المسألة، قال ابن قتيبة: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾][٧]، (أي: معنيٌّ بطلب علمها، ومنه يقال: تحفى فلان بالقوم)[٨].

---

(١) يعني ابن عباس بعد ذكر رواية الفراء عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ بسند ضعيف، وأخرج ابن حسون في كتاب «اللغات» ص٣٤، و«الوزان» ٦ أ بسند جيد عنه قال: (عالم بلغة قريش) اهـ.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥١-٢٥٢. وأخرجه الطبري ٩/ ١٤١٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ من طرق جيدة، وفي رواية عند الطبري قال: (حفي بهم حين يسألونك) وفي رواية: (استحفيت عنها السؤال حتى علمتها)، وصحح هذه الرواية ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠١، وجاء في رواية عند ابن أبي حاتم قال: (حفي بهم تشتهي أن يسألونك عنها).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ من طرق جيدة عن الضحاك وابن زيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ أ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ بسند جيد عن معمر بن راشد الأزدي عن بعضهم، ولعله الكلبي كما أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥ عن معمر عن الكلبي، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥، عن مجاهد والضحاك وابن زيد ومعمر.

(٦) في (ب): (ومن كبر)، وهو تحريف.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٤، ومثله قال السجستاني في «نزهة القلوب» ص٢٠٣، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٨.

وقال أبو عبيدة: (هو[1] من قولهم: تحفى فلان بالمسألة أي: استقصى)[2].

وقال ابن الأنباري: (﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، أي: سؤول عنها، والحفي الشديد السؤال، ومن ذلك قول الأعشى[3]:

فإن تسألي عني فيا ربَّ سائلٍ حفي عن الأعشى به حيث أصعدا)[4]

وذكر أبو إسحاق القولين وقرب بينهما فقال: (﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ أي: كأنك فرح بسؤالهم، يقال: قد تحفيت بفلان في المسألة[5] إذا سألت عنه سؤالًا أظهرت فيه المحبة والبر، قال: وأحفى فلان بفلان في المسألة فإنما تأويله: الكثرة، قال: وقيل: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك أكثرت المسألة عنها)[6]؛ فالقولان راجعان إلى كثرة السؤال؛ لأن العالم بالشيء هو الذي أكثر السؤال عنه حتى تيقنه، واللطيف البار بالإنسان بكثير[7] السؤال عنه

---

(١) في (أ): (وهو).

(٢) «تفسير الرازي» ١٥/ ٨٢، وفي «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٥ قال: (أي: حفي بها ومنه قولهم: تحفيت به في المسألة) اهـ.

(٣) «ديوان الأعشى الكبير» ص١٠١، و«العين» ٣/ ٣٠٦، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٥٩، و«الصحاح» ٦/ ٢٣١٦، و«المجمل» ١/ ٢٤٣، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٨٣، و«الفريد» ٢/ ٣٩٢، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٣٣٦، و«اللسان» ٢/ ٩٣٥-٩٣٦ (حفا)، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٢، وحفي أي: سأل عن حاله مبالغ في إكرامه والتلطف به، وأصعد أي: ذهب في البلاد.

(٤) «شرح القصائد» ص٤٤٧، و«الزاهر» ١/ ٣٤٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ٨٥٩، قال في «شرح القصائد: أي: كأنك معني بها مستقصٍ في السؤال عنها.

(٥) في (ب): (بالمسألة).

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٧) في (ب): (بكثرة)، وهو تحريف.

وعن أحواله[١].

قاما قوله ﴿حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾، والحفاوة إنما توصل بالباء كقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم: ٤٧].

قال الفراء[٢] والزجاج[٣] وابن الأنباري[٤]: (هو على التقديم والتأخير، أي ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ عنها[٥] ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ فعن من صلة السؤال)، وقال قوم[٦]: (معنى ﴿حَفِيٌّ﴾ سؤول) كما ذكرنا، وإذا كان بمعنى: السؤال صح أن يوصل بعن كبيت[٧] الأعشى.

وقال أبو علي الفارسي: (الآية تحتمل أمرين، أحدهما: أن تجعل

---

(١) والراجح -والله أعلم- أن المعنى: كأنك عالم بها وقد أخفى الله علمها على خلقه لأنه ظاهر الآية، قال ابن كثير ٢/ ٣٠٢: (هذا القول أرجح في المقام) اهـ.
وقال الشوكاني في «تفسيره» ٢/ ٣٩٨-٣٩٩، وصديق خان في «فتح البيان» ٥/ ٩٤: (هذا هو معنى النظم القرآني على مقتضى المسلك العربي) اهـ.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٣٩٩، وهو قول الداني في «المكتفى» ص٢٨٢ .

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٣ وهو قول النحاس في «معانيه» ٣/ ١١١، وانظر: «القطع» للنحاس ١/ ٢٦٨.

(٤) «الزاهر» ١/ ٣٤٨ وهو قول اليزيدي في «غريبه» ص١٥٥، والسجستاني في «نزهة القلوب» ص٢٠٣، وحكاه النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٥٤-٦٥٥، والثعلبي ٦/ ٢٨/ أ عن أهل التفسير، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥٣١: (لا حاجة إلى التقديم والتأخير لأن هذه كلها متعلقات للفعل فجملة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ حال من مفعول ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ معترض وصلتها محذوفة أي: حفي بها أو عن بمعنى: الباء ويضمن معنى شيء يتعدى بعن أي: كأنك كاشف بحفاوتك عنها) اهـ. بتصرف.

(٥) في (ب): (عنهما)، وهو تحريف.

(٦) وهو قول الطبري ٩/ ١٤٢، وحكاه النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٥٥، عن المبرد قال: (المعنى ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ بالمسألة عنها أي: مُلح) اهـ .

(٧) في (ب): (كقول).

﴿عَنۡهَا﴾ متعلقًا بالسؤال كأنه ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ عنها ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ بها فحذف الجار والمجرور، وحسن ذلك لطول الكلام بِعَنْهَا التي من صلة السؤال، قال[1]: ويجوز أن يكون ﴿عَنۡهَا﴾ بمنزلة بها، وتصل الحفاوة مرة بالباء، ومرة بعن، كما أن السؤال يوصل بهما)[2]، وذكرنا[3] ذلك في قوله: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾. أعاد هذا لأن هذا الثاني وصل[4] بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون أن علمها عند الله حين سألوا محمدًا عما لم يطلعه[5] الله عليه ولا أحدًا من خلقه[6]، وهذا معنى قول ابن عباس[7].

---

(١) هذا هو الثاني وذكر الطبري ٩/ ١٤٠-١٤٢ مثله.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢١٤، وانظر: «غرائب الكرماني» ١/ ٤٣٠، و«التبيان» ص٣٩٧، و«الفريد» ٢/ ٣٩١، و«البحر» ٤/ ٤٣٥.

(٣) انظر: «البسيط» النسخة الأزهرية ١/ ٨٣ أ.

(٤) في (أ): (واصل).

(٥) في (ب): (لم أطلعه عليه)، وهو تحريف.

(٦) في (ب): (خلقي)، وهو تحريف.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٩، بسند ضعيف عن ابن عباس في الآية قال: (لما سأل الناس محمدًا ﷺ عن الساعة سألوه سؤال قوم وكأنهم يرون أن محمدًا حفي بهم فأوحى الله إليه: إنما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يُطلع عليها ملكًا ولا رسولًا) اهـ.
وكرر الجواب لتقرير الحكم، وتأكيده وليعلم أن ذلك الجواب لا يرجى غيره، وأن الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ حقيقي، ولما تضمنه قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَا﴾ من الزيادة والإنكار، وقيل: السؤال الأول: عن وقت قيام الساعة، والثاني: عن مقدار شدتها ومهابتها. انظر: «الكشاف» ٢/ ١٣٤-١٣٥، مع «حاشية ابن المنير» عليه، وابن عطية ٦/ ١٦٩، والرازي ١٥/ ٨٢، وابن عاشور ٩/ ٢٠٥-٢٠٦.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨]. اختلفوا في وجه تفسير هذه الآية، فقال[١] مقاتل: (هذه الآية متصلة بما قبلها، ومعنى قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا أملك أن أسوق إليها خيرًا أو أدفع عنها سوءًا حين ينزل بي، فكيف أعلم وأملك علم الساعة)[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾. أي: إلا ما شاء الله أن يملكني إياه بالتمكين منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾. أي: من معرفته حتى أجيب في كل ما أُسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها، وحتى لا يخفى علي شيء، وتم الكلام[٣] ها هنا. ثم قال: ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾. أي: ليس بي جنون، وذلك لأنهم نسبوه إلى الجنون كما ذكرنا في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾[٤] [الأعراف: ١٨٤] فقال: ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾

---

(١) في (ب): (فقال مقال مقاتل هذه..).

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٧٨، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ ب.

(٣) قال الداني في «المكتفى» ص٢٨٢: (قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقف تام وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] كافٍ. وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ أكفى منه وقوله ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] تام) اهـ. ونحوه قال ابن الأنباري في «الإيضاح» ٢/ ٦٧٣ والنحاس في «القطع» ١/ ٢٦٨، وذكر قول الواحدي الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٨٤-٨٥، وقال: (هذا عندي بعيد جدًّا، يوجب تفكيك نظم الآية) اهـ.

وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٣٧: (هذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون جواب لو ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فقط، وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران، لا أحدهما، فيكون إذ ذاك جوابًا قاصرًا) اهـ.

(٤) في (ب) كما ذكرنا في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ وهي الآية (٤٦) من سورة سبأ، وانظر: «البسيط النسخة الأزهري» ٤/ ١٧٠ ب سورة سبأ تفسير الآية (٤٦).

إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن عباس: (﴿نَذِيرٌ﴾ لمن لا يصدق بما جئت به، ﴿بَشِيرٌ﴾ لمن اتبعني وآمن بي)[(١)]، وعلى هذا فلم يذكر إحدى الطائفتين لدلالة الكلام عليه كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

ويجوز أن يكون نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ للمؤمنين مخصوصًا هاهنا، وإن كان بعث إلى الكافة بالتبشير والإنذار؛ لأن نفع ذلك عاد إلى المؤمنين فاختصوا به واختص بهم كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[(٢)] [النازعات: ٤٥]. وقد مضى[(٣)] لهذا ما يشبهه[(٤)] من النظائر.

وقال ابن عباس: (إن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري[(٥)] لتربح عليه عند الغلاء، وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل[(٦)] منها، فأنزل الله هذه الآية)[(٧)].

فعلى هذا معنى قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا﴾، أي: اجتلاب نفع بأن أربح، ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي: دفع ضر بأن أرتحل عن الأرض التي تريد أن

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٠، بسند جيد عنه قال: (نذير من النار ومبشر بالجنة) اهـ.

(٢) في: (أ): (إنما أنا منذر)، وهو تحريف.

(٣) انظر: «البسيط» تفسير سورة البقرة الآية (١١٩).

(٤) في (ب): (ما يشبه)، وهو تحريف.

(٥) في (ب): (فنشتري من الرخيص لنربح عليه).

(٦) في (ب): (فيرتحل).

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ أ، والبغوي ٣/ ٣١٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٩، والخازن ٢/ ٣٢٣، و«البحر» ٤/ ٤٣٥-٤٣٦، عن ابن عباس، وذكره السمرقندي ١/ ٥٨٧، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٢، و«أسباب النزول» ص٢٣٢، عن الكلبي.

تجدب[١]، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن أملكه، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ما يكون قبل أن يكون، ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾، [أي: لاحتجزت في زمان الخصب لزمن الجدب. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾، وما أصابني الضر والفقر.

وقال ابن جريج[٢]: (﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، يعني: الهدى والضلالة. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ متى أموت. ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾][٣] من العمل الصالح على حسب علمي به) أي: إن من يعلم الغيب إنما يعمل الأفضل لعلمه بعلوه على الأدون. ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾، أي: واجتنبت ما سيكون من الشر واتقيته. قاله ابن زيد[٤] وهذا مذهب الحسن[٥] الكلبي[٦]، وقد حصل في تفسير هذه الآية ثلاثة[٧] أوجه، وفيها تكذيب

---

(١) هذا قول الفراء في «معانيه» ٢/ ٤٠٠، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٩، بسند ضعيف عن ابن عباس، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٥-٢٨٥، وقال: (هذا قول شاذ) اهـ.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٢، بسند جيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ أ، والماوردي ٢/ ٢٨٥، والبغوي ٣/ ٣١١، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٦.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٣، وذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والبغوي ٣/ ٣١١، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٦.

(٥) في (ب): «الحسين» وهو تصحيف. وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٦، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٠، والقرطبي ٧/ ٣٣٧، عن الحسن البصري.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٦.

(٧) والظاهر العموم وعدم التعيين في النفع والضر والغيب وتحمل الأقوال على التمثيل لا الحصر وهذا هو اختيار الجمهور.
انظر: الطبري ١٤٢-١٤٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٤، و«النحاس» ٣/ ١١٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٥، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٧٠، وابن الجوزي ٣/ ٢٩٩، والرازي ١٥/ ٨٣-٨٤، والقرطبي ٧/ ٣٣٩، و«البحر» ٤/ ٤٣٧.

للقدرية[١] حيث جوّزوا أن يستبد الإنسان بقدرة يجتلب بها المنافع ويدفع بها المضار.

١٨٩- و[٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾، قال ابن عباس[٣] والمفسرون[٤]: (يعني: آدم) .﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ كما قال في سورة النساء: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾. قال ابن عباس: (يريد: ليأنس بها ويأوي إليها)[٥].

قال أهل المعاني: (والحكمة في أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم هو أن يكون آدم إليها أميل، ولها آلف وأحب؛ إذ الشكل إلى شكله أحب[٦]، ولذلك كانت الأشياء تحن إلى أشكالها، وتهرب من

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٨٣-٨٤.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٦، وذكره الرازي ١٥/ ٨٥، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٨.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٤٣، وأخرجه بسند جيد عن قتادة والسدي، وبسند ضعيف عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٠ بسند ضعيف عن الضحاك، وقال ابن أبي حاتم: (وروي عن مجاهد وأبي مالك وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك) اهـ.
وانظر: «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٤، و«النحاس» ٣/ ١١٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والماوردي ٢/ ٧٥، وقال القرطبي ٧/ ٣٣٧: (قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة آدم) اهـ.

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٢، والبغوي ٣/ ٣١١، والقرطبي ٧/ ٣٣٧، الخازن ٢/ ٣٢٤ بلا نسبة، ونحوه قال الطبري ٩/ ١٤٣، وانظر: السمرقندي ١/ ٥٨٨، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٦) لفظ: (أحب) غير واضح في (أ)، وكأنه: (أجذب).

أضدادها)[١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾. قال المفسرون[٢]: (جامعها)، قال أبو إسحاق: (كنى به عن الجماع أحسن كناية)[٣]، والغِشيان[٤] إتيان الرجل المرأة، وقد غَشِيها وتغشاها إذا علاها، ومثله تَجلَّلها[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾، قالوا[٦]: (يريد: النطفة والمني)، والحمل[٧] ما كان في البطن أو على رأس الشجر[٨].

---

(١) انظر: الرازي ١٥/ ٨٩، و«البحر» ٤/ ٤٣٩.

(٢) انظر: الطبري ٩/ ١٤٣، السمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٥، وانظر: «معاني النحاس» ٣/ ١١٣.

(٤) انظر: «العين» ٤/ ٤٢٩، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٦٩، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٤٦، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤٢٥، و«المفردات» ص٦٠٦، و«اللسان» ٦/ ٣٢٦٢ (غشى).

(٥) تَجَلَّله، بالفتح: علاه، وجلال كل شيء، بالكسر: غطاؤه، انظر: «العين» ٦/ ١٧، و«تهذيب اللغة» ١/ ٦٤١، و«الصحاح» ٤/ ١٦٥٨، و«اللسان» ٢/ ٦٦٤ (جلل).

(٦) انظر: الطبري ٩/ ١٤٣، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٥، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ أ، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٧) لفظ: (والحمل ما كان في» غير واضح في: وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، و«معاني الأخفش» ٢/ ٣١٥، و«غريب القرآن» ص١٥٥، و«نزهة القلوب» ص٢٠٣-٢٠٨، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٦.

(٨) الحمل، بفتح الحاء: وما ذكر هو قول الزجاج والمشهور عن أهل اللغة أما الحمل بالكسر فهو ما كان على ظهر أو رأس غير شجرة، وحكي في حمل الشجرة لغتان الفتح والكسر وقيل: ما ظهر فهو حمل بالكسر، وما بطن فهو بالفتح، وقيل: ما كان لازمًا للشيء فهو حمل بالفتح، وما كان بائنًا فهو بالكسر، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٢٥: (الصواب الأول)، وانظر: «العين» ٣/ ٢٤٠، و«الجمهرة» ١/ ٥٦٦، و«الصحاح» ٤/ ١٦٧٦، و«المجمل» ١/ ٢٥٢، و«مقاييس اللغة» ٢/ ١٠٦، و«المفردات» ص٢٥٧، و«اللسان» ٢/ ١٠٠٢ (حمل).

وقوله تعالى: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾. أي: استمرت بذلك الحمل الخفيف، وقامت وقعدت لم يُثقلها.

قال الكلبي[١] والزجاج[٢]: وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾. أي: صارت إلى حال الثقل ودنت ولادتها. ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾. يعني: آدم وحواء[٣]. ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ بشرًا سويًا مثلنا، وذلك أنهما أشفقا أن يكون بهيمة أو شيئًا سوى الإنسان، ويأتي بيان هذا في الآية الثانية.

١٩٠- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾.

قال المفسرون[٤]: (لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته التي عرفته حواء، وقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت ما أدري. قال: إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلبًا أو خنزيرًا، وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك، فخافت حواء، فذكرت ذلك لآدم، فلم يزالا في هم من ذلك، ثم أتاها، وقال: إن سألت الله أن يجعله خلقًا سويًّا

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٦، وهو قول الأكثر، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٤، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٤٤، وقد أخرج من طرق جيدة نحوه عن مجاهد والحسن وقتادة والسدي، وانظر: «نزهة القلوب» ص٢٠٣، و«معاني النحاس» ٣/ ١١٣، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٥، وهو قول الفراء في «معانيه» ١/ ٤٠٠.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٤٤، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٥، و«النحاس» ٣/ ١١٤، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ ب، والماوردي ٢/ ٧٥.

(٤) ذكره عن المفسرين ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٢٥٨، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٣، وانظر: «معاني الفراء» ١/ ٤٠٠، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٤، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٥، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ٤٥، والقرطبي ٧/ ٣٣٨.

مثلك، ويسهل عليك خروجه حتى تلقيه من بطنك سهلًا أتسمينه[١] عبد الحارث؟ ثم لم يزل بها حتى غرّها، فلما ولدت ولدًا سويَّ الخلق سمته عبد الحارث برضا آدم وعلمه، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾، أي: لما آتاهما ولدًا سويًا ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾. قال ابن عباس[٢]: (يريد: في تسميتهما[٣] عبد الحارث).

و[٤] قال الفراء: (﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ إذ قالت: عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبدًا إلا لله[٥]. قال: ولم تعرفه أنه إبليس)[٦].

وذكر ابن زيد (إن النبي ﷺ قال: «**خدعهما مرتين، خدعهما**[٧] **في الجنة، وخدعهما في الأرض**»)[٨].

---

(١) في (ب): «تسميه».

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٣-١٦٣٤، من طرق يقوي بعضها بعضًا، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ضعيف عن ابن عباس عن أبي بن كعب، وأخرج أيضًا من طريق جيد رجاله رجال الصحيح عن ابن عباس قال: (في هذه الآية ما أشرك آدم وإن أولها شكر وإن آخرها مثل) اهـ. وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٧، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وفيه: (وآخرها مثل ضرب لمن بعده).

(٣) في (ب): (في تسميتها). (٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (إلا الله)، وهو تحريف.

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٤٠٠.

(٧) لفظ: (خدعهما) ساقط من (ب).

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٥ بسند جيد عن عبد الرحمن بن زيد وهو مرسل ضعيف وعند ابن أبي حاتم: (قال رسول الله ﷺ: «خدعهما مرتين»). قال زيد بن أسلم: (خدعهما في الجنة وخدعهما في الأرض).
وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ ب، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٣، والبغوي ٣/ ٣١٣، والسيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٧.

وهذا الذي ذكرنا معنى قول سعيد بن جبير[(١)] والكلبي[(٢)] وأكثر أهل التفسير[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ من طرق جيدة.

(٢) لفظ: (والكلبي) ساقط من (ب)، وقد أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٥، بسند جيد عن الكلبي، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٥، والثعلبي ٦/ ٢٩أ.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٤٦-١٤٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والثعلبي ٦/ ٢٨ب، والماوردي ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٧٧، وقال الطبري: (أجمع أهل التأويل على أن المعني بذلك: آدم حواء، وأنهما ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ في الاسم لا في العبادة) اهـ. بتصرف.
وقد أخرج أحمد والترمذي رقم (٣٠٧٧) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، والطبري ٩/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٤٥ كلهم عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال: (**لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسموه عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**) اهـ.
قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث عمر عن قتادة ورواه بعضهم ولم يرفعه) اهـ.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» ٦/ ٨٩، وقال: (هذا لا أعلم يرويه عن قتادة غير عمر وحديثه عن قتادة مضطرب وهو مع ضعفه يكتب حديثه) اهـ، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي في «التلخيص» وقال في «الميزان» ٣/ ١٧٩: (هو حديث منكر) اهـ، والحديث ضعيف لأن فيه عمر بن إبراهيم العبدي قال الحافظ في «التقريب» ص٤١٠ رقم (٤٨٦٤): (صدوق، في حديثه عن قتادة ضعف) اهـ. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٤-٣٠٥، و«البداية والنهاية» ١/ ٩٦: (الحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به، **الثاني**: أنه روى موقوفًا على سمرة، كما أخرجه الطبري ١٣/ ٣١٠، وهذه علة قادحة في الحديث، وهو أشبه، والمقطوع أن رفعه خطأ والصواب وقفه، **الثالث**: أن الحسن البصري فسر الآية بغير هذا فلو كان =

واختلف القراء في قوله: ﴿شُرَكَآءَ﴾. فقرأ نافع(١) وأبو بكر:

= عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه وقد أخرج تفسيره الطبري ٩/ ١٤٨ بأسانيد صحيحة ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض من آمن من أهل الكتاب) اهـ. مجموع بتصرف.
أما الآثار عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فجزم ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٦ أنها مأخوذة عن أهل الكتاب قال: (روى الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس نحوه، وقد تلقى هذه الآثار عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب، وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وأخبارهم على ثلاثة أقسام، فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافة من الكتاب والسنة أيضًا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته وهو الذي لا يصدق ولا يكذب، وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث) اهـ. ملخصًا.
وكذلك ضعف الحديث وجعل الروايات من الإسرائيليات ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٨١٩-٨٢٠، والقرطبي ٧/ ٣٣٧، والألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ١/ ٣٤٨ رقم ٣٤٢، والشيخ محمد بن صالح العثيمين في القول المفيد على كتاب «التوحيد» ٣/ ٦٧، ومحمد أبو شهبة في الموضوعات والإسرائيليات في كتب «التفسير» ص٢٠٩-٢١٥، وانظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ٢/ ٦١٤، و«الدر النضيد على أبواب التوحيد» ص٢٨٥، و«تخريج الأحاديث المنتقدة في كتاب التوحيد» للشيخ فريج صالح البهلال ص١٠٩.

(١) قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم: (جَعَلاَ لَهُ شِرْكًا) بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف من غير مد ولا همز، وقرأ الباقون: ﴿شُرَكَآءَ﴾ بضم الشين وفتح الراء والمد وهمزة مفتوحة من غير تنوين جمع شريك. =

﴿شِرْكًا﴾ بكسر الشين، وهذا يتوجه على حذف المضاف بتقدير: جعلا له ذا شرك أو ذوي شرك، فإذا جعلا له ذوي شرك فقد جعلا له شركاء، فالقراءتان تؤولان إلى معنى واحد، والضمير في: ﴿لَهُۥ﴾ يعود إلى اسم الله كأنه ﴿جَعَلَا﴾ لله ﴿شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾. قال أبو الحسن[1]: (وكان ينبغي لمن قرأ: (شركًا) أن يقول المعنى: (جعلا لغيره شركًا)؛ لأنهما لا ينكران أن الأصل لله ﷻ، فالشرك إنما يجعل[2] لغيره)، حكاه الزجاج[3] وأبو علي هذا[4] عن أبي الحسن، ثم قال الزجاج[5]: (هذا على معنى: جعلا له ذا شرك، فحذف ذا، مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

وقال أبو علي: (يجوز أن يكون الكلام على ظاهرة ولا يقدر حذف المضاف في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾، وأنت تريد لغيره، ولكن[6] تقدر حذف المضاف إلى شرك، كما ذكرنا[7] فلا يحتاج إلى تقدير: جعلا لغيره شركًا؛

= انظر: «السبعة» ص٢٩٩، و«المبسوط» ص١٨٧، و«التذكرة» ٢/ ٤٣٠، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٣.

(١) «معاني الأخفش» ٢/ ٢١٦.

(٢) في (أ): (يجعله).

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦.

(٤) كذا في الأصول أي: حكاه أبو علي عن الأخفش، و«الحجة» ٤/ ١١١-١١٢، وفي «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٦: (قال بعضهم: (شركًا) لأن الشرك إنما هو الشركة، وكان ينبغي في قول من قال هذا أن يقول: فجعلا لغيره شركًا فيما آتاهما) اهـ، وذكر النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٥٦.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦، ومثله قال النحاس في «إعرابه» ٢/ ٦٥٦-٦٥٧.

(٦) لفظ: (ولكن) ساقط من (أ).

(٧) جاء بعده في «الحجة» ٤/ ١١٢: (فيكون المعنى: جعلا له ذوي شرك وإذا جعلا له ذوي شرك كان في المعنى مثل جعلا لغيره شركًا) اهـ.

لأن تقدير حذف المضاف من شرك بمنزلة جعلا لغيره شركًا)[١]، وتقدير[٢] حذف المضاف من ﴿شركًا﴾ أحسن وأولى من تقدير حذفه من قوله: ﴿لَهُۥ﴾[٣].

قال الزجاج: (ومن قرأ ﴿شركًا﴾ فهو مصدر شركت الرجل[٤] أشركه شركًا)[٥]، ومن قرأ ﴿شُرَكَآءُ﴾ فحجته[٦] قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ [الرعد: ١٦]، وأراد بالشركاء في هذه الآية إبليس، أوقع الجمع موقع الواحد، وذلك أن من أطاع إبليس فقد أطاع جميع الشياطين[٧]، فإن قيل: كيف أضيف الشرك إلى آدم وحواء مع منزلتهما من دين الله؟، والجواب عن هذا: ما روي عن قتادة أنه قال: (أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة)[٨]، يعني: أنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما، لكنهما

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٤/ ١١١-١١٢.

(٢) انظر: «المشكل» ١/ ٣٠٧، و«البيان» ١/ ٣٨١، و«التبيان» ١/ ٣٩٨، و«الفريد» ٢/ ٣٩٤، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٥.

(٣) لفظ: (له) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (شركت بالرجل)، وهو تحريف.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦.

(٦) هذا من «الحجة» لأبي علي ٤/ ١١٢، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٣١، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٦، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٨، لابن زنجلة ص٣٠٤، و«الكشف» ١/ ٤٨٦.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١٤٩.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤، و«الداني في المكتفى» ص٢٨٣ من عدة طرق جيدة وذكره يحيى بن سلام في «التصاريف» ص١٠٦، السمرقندي ١/ ٥٨٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٩، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد وابن المنذر) قال: و(أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس مثله) وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ أ عن المفسرين.

قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه، وقد يطلق اسم العبد مضافًا إلى من لا يراد أنه مملوك له كقوله[(١)]:

وإنــي لـعـبـد الـضـيـف مـا دام ثـاويًـا

يريد: أنه خاضع له مطيع، ولم يرد أن الضيف ربه، وقد يقع الاشتراك في الاسم مع وقوع اختلاف في المعنى كما يقال لمملوك زيد: هذا عبد زيد، ثم يقال: إنه عبد الله، فقد جمعهما اللفظ، والمعنى مختلف[(٢)]، يدل على صحة هذا المعنى ما روي أنه قيل لسعيد بن جبير: (أشرك آدم؟ فقال: معاذ الله، ولكن حواء لما حملت أتاها إبليس فقال: أخبريني عن الذي في بطنك أتلدينه من عينك أم من فيك أم من أنفك؟ قالت: لا علم لي[(٣)] بذلك.

قال: فإن سألت الله ﷻ أن يسهل أمر الولادة عليك أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم، وخبرها أن اسمه الحارث، فلما ولدت سمت الولد عبد الحارث، فذلك قول الله ﷻ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾)[(٤)].

---

(١) البيت لحاتم الطائي في «ديوانه» ص٤٤، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٣٠ أ، والقرطبي ٧/ ٣٣٩، وهو لقيس بن عاصم المنقري في «الكامل» للمبرد ٢/ ١٧٩، وللمقنع الكندي في «أمالي القالي» ١/ ٢٨١، وبلا نسبة في: «عيون الأخبار» ١/ ٢٦٦، و«الوسيط» للواحدي ٢/ ٢٨٤، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٣٠٣، والرازي ١٥/ ٨٨، والخازن ٢/ ٣٢٥ وعجزه:

وما فيَّ إلا تلك من شيمة العبدِ

(٢) ذكر الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٤٨: (إجماع أهل التأويل على أن المراد الشرك في الاسم لا في العبادة).

(٣) لفظ: (لي) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٤٨، و«التاريخ» ١/ ١٤٩ بسند ضعيف.

قال أبو علي: (فعلى هذا التقدير: جعل أحدهما، فحذف المضاف كقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢])[(١)]، وهذا يوضح أن حواء ما قصدت الإشراك بالله من حيث الكفر، ولكن قصدت بالتسمية أن الحارث كان سبب سلامة الولد وسلامة أمه، وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله: ﴿ءَاتَىٰهُمَا﴾.

ثم قال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)]. فعاد إلى الخبر عن الكفار ونزه نفسه عن إشراكهم فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: أهل مكة)[(٣)].

وقال عبد الله بن مسلم: (وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية

---

(١) «الحجة» ٤/ ١١٢-١١٣ وزاد فيه: (فيكون الذي جعل له شركًا أحدهما ويخرج آدم من أن ينسب إليه ذلك) اهـ.
وهذا القول رجحه صديق خان في «فتح البيان» ٥/ ٩٩-١٠٣، وأطال في تقريره قال: (الجاعل هو حواء دون آدم ولم يشرك آدم قط، وعلى هذا فليس في الآية إشكال، والذهاب إلى ما ذكرناه متعين تبعًا للكتاب والحديث وصونًا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى، والذي ذكروه في تأويل الآية يرده كله ظاهر الكتاب والسنة، والقول بأنها سمته بإذن آدم يحتاج إلى دليل ولعلها سمته بغير إذنه ثم تابت من ذلك، وصحة إطلاق المثنى على المفرد شائع في كلام العرب وفي القرآن من ذلك الكثير، ولكنهم لم يذهبوا إليه في هذا الآية مع كونه ظاهر الأمر وواضحه، ومع أنهم ذكروه وذهبوا إليه في مواضع من القرآن والحديث، وهذا عجيب منهم غاية العجب) اهـ. ملخصًا.

(٢) في (ب): (تعالى)، وهو تحريف.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٤، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ أ، والبغوي ٣/ ٣١٤ بلا نسبة.

والعقد، وانتهى الكلام في قصة آدم وحواء، ثم ذكر من أشرك بالعقد والنية من ذريتهما فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولو كان أراد آدم وحواء لقال: عما يشركان، وهذا يدلك[١] على العموم)[٢]، ونحو هذا قال مقاتل، قال: (انقطع الكلام[٣] عند قوله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾. ثم ذكر كفار مكة فقال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾)[٤]. قال[٥] السدي: (هذا من الموصول والمفصول يعني: قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ في شأن آدم وحواء، ثم قال: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. قال: عما يشرك المشركون، لم يعنهما)[٦].

وقال أبو بكر: (قال طائفة من أهل العلم: الذين جعلوا لله شركاء اليهود[٧] والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء عليهما السلام، وتأويل الآية: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا﴾ جعل أولادهما له شركاء، فحذف المضاف)[٨]. وهذا معنى قول الحسن وقتادة وعكرمة، قال الحسن:

---

(١) في (ب): (يدل).
(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٥٩.
(٣) قال الداني في «المكتفى» ص٢٨٢: (قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ وقف كافٍ عند أصحاب الوقف وهو عندي تام لأنه انقضاء قصة آدم وحواء عليهما السلام، وقوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يريد مشركي العرب) اهـ.
وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري ٢/ ٦٧٤، و«القطع» للنحاس ١/ ٢٦٨.
(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٠.
(٥) في (ب): (ثم قال).
(٦) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٦، والطبري ٩/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٥/ ٢٦٣٥ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٩، وهذا القول هو اختيار الطبري في «تفسيره» ٩/ ١٤٨، والشيخ محمد بن صالح العثيمين في «القول المفيد على كتاب التوحيد» ٣/ ٦٧.
(٧) لفظ: (اليهود) ساقط من (ب).
(٨) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٠٤.

(عنى بهذا من أشرك من ذرية آدم ولم يعن آدم)(١).

وروى سعيد(٢) عن قتادة أنه كان يقرأ هذه الآية ويقول: (هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصّروا)(٣). وقال عكرمة: (جعلها لمن بعد آدم ممن أشرك بالله)(٤).

ويتوجه قول هؤلاء على ما ذكرنا من حذف المضاف، وهو اختيار ابن كيسان؛ لأنه قال: (هم الكفار جعلوا له شركاء، سموا أولادهم عبد العزى، وعبد اللات، وعبد مناة)(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٨، من طرق جيدة، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٥: (أخرجه ابن جرير عن الحسن بأسانيد صحيحة وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية) اهـ.

(٢) سعيد هو راوية قتادة وأثبت الناس فيه، سعيد بن أبي عروبة البصري، إمام ثقة. تقدمت ترجمته.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٤ بسند جيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٧٩، وزاد نسبته إلى (عبد بن حميد، وابن المنذر).

(٤) ذكره النحاس في «معانيه» ٣/ ١١٦، والثعلبي ٦/ ٣٠ ب، والبغوي ٣/ ٣١٤، والقرطبي ٧/ ٣٣٩.

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٠ ب، والبغوي ٣/ ٣١٤، والخازن ٢/ ٣٢٥، وهذا القول هو الظاهر الذي عليه أهل التحقيق، وقد استحسنه البغوي ٣/ ٣١٤، والخازن ٢/ ٣٢٥، وقال النحاس في «معانيه» ٣/ ١١٦: (هذا القول أولى والله أعلم، من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا) اهـ.
وقال في «إعرابه» ٢/ ١٦٧: (هذا قول حسن)، وقال القرطبي ٧/ ٣٣٩: (هذا قول حسن وهو الذي يعول عليه) اهـ.
وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٤٠: (من جعل الخطاب للناس وليس المراد في الآية بالنفس وزوجها آدم وحواء أو جعل الخطاب لمشركي العرب ولقريش فيتسق الكلام اتساقًا حسنًا من غير تكلف تأويل ولا تفكيك).

=

١٩١- قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: أيعبدون ما لا يقدر أن يخلق شيئًا ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يريد وهم مخلوقون[1]، يعني: الأصنام)[2].

فإن قيل: كيف وحد ﴿يَخْلُقُ﴾ وجمع فقال: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وجعل الواو والنون في جمع غير الناس؟ فقال ابن الأنباري: (أما الجمع بعد التوحيد فسائغ[3] من قبل أن ما يقع على الواحد والاثنين والجميع و[4] المؤنث بلفظهما، وأوقعها الله ﷻ على الأصنام المعبودة من دونه فوحد ﴿يَخْلُقُ﴾ للفظها وبيّن معناها في قوله جل وعز ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، وأما جمعه الفعل بالواو والنون وأصحابه غير ناس[5] فالحجة فيه أن الأصنام لما ادعى عابدوها أنها تعقل وتميز ووصفوها بالسمع والخلق، أجريت مجرى الناس، فجعلت علامة جمعها كعلامة جمع أفعال الناس، وجرى هذا مجرى قوله ﷻ: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

= وقد اختار هذا القول الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٥-٣٠٦، وأطال في تقريره فأجاد وأفاد -رحمه الله تعالى-، وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٣٨، وابن عطية ٦/ ١٧٤-١٧٦، والرازي ١٥/ ٨٦.

(١) في (ب): (وهم المخلوقون).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٧، و«معاني الفراء» ١/ ٤٠٠.

(٣) في (ب): (فشائع).

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «الكتاب» ٢/ ٤٧، و«المقتضب» ٢/ ٢٤٤، و«المغني» لابن هشام ٢/ ٣٦٥.

وقول الشاعر(١):

تمززتها والديك يدعو صباحه

إذا ما بنو نعشٍ دنوا فتصوبوا)(٢)

قال أصحابنا: (هذه الآية تدل على أن من لا يقدر على الخلق لا يستحق العبادة، ولا يقدر على خلق القليل والكثير غير الله، فلا يستحق العبادة غيره، والقدرية تقول: إن العباد يخلقون أفعالهم وهي مخلوقة لهم لا لله)(٣).

١٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾. قال ابن عباس: (يريد: إن الأصنام لا تنصر من أطاعها ولا تنتصر ممن عصاها)(٤).

---

(١) «الشاهد» للنابغة الجعدي في «ديوانه» ص٤، و«الكتاب» ٢/ ٤٧، و«مجاز القرآن» ٢/ ٣٨، و«الصاحبي» ص٤١٩، و«وضح البرهان» للغزنوي ١/ ٤٥٠، و«اللسان» ٧/ ٤٤٧٤ (نعش)، وبلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٦ و٢/ ٨٣-و٩٣، و«معاني الأخفش» ٢/ ٤٢٤، و«المقتضب» ٢/ ٢٢٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦١١، و«الصحاح» ٣/ ١٠٢٢ (نعش)، و«دلائل الإعجاز» ص١٣٧، و«المغني» لابن هشام ٢/ ٣٦٥، وفي «الديوان»: شربت بها والديك، وقوله: تمززتها، يعني: الخمر، أي: تمصص الشراب قليلًا قليلًا، مزه يمزه، أي مصه، وبنو نعش: أي بنات نعش وهي منازل القمر شبهت بحملة النعش في تربعها وتصوبوا، دنوا من الأفق للغروب، والشاهد: تذكير بنات نعش لأنه أخبر عنها بالدنو والتصوب كما يخبر عن العقلاء، انظر: «شرح شواهد سيبويه» للنحاس ص١١٤، و«اللسان» ٧/ ٤٤٧٤ (نعش)، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٧٨٣، و«الخزانة» ٨/ ٨٢.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٠٤، وانظر: «تفسير الطبري» ١٩/ ٥٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٦.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٩٠.

(٤) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٧، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٤ .

وقال أهل المعاني في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾: (النَّصر المعونة[١] على العدو، يقول[٢]: هذه الأوثان لا تستطيع معونتهم على عدوهم وهم يعبدونها عبادة من يقدر على ضرهم ونفعهم)[٣]، وقال الحسن في قوله: ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: (أي: ولا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم[٤] بكسر أو نحوه)[٥].

١٩٣- قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾. يخاطب المؤمنين؛ يقول: إن تدعوا المشركين إلى الهدى، وهو قول ابن عباس والكلبي[٦]، قال ابن عباس في هذه الآية: (يريد: إني خذلتهم، وأمليت لهم في الضلالة)[٧]، فدل هذا الكلام على أن المراد بقوله: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾. المشركون.

قال الكلبي: (وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام)[٨].

---

(١) انظر: «العين» ٧/ ١٠٨، و«الجمهرة» ٢/ ٧٤٤، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٤، و«الصحاح» ٢/ ٨٢٩، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٣٥، و«المفردات» ص٨٠٨، و«اللسان» ٧/ ٤٤٣٩ (نصر).

(٢) في (أ): (يقال).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٠، والسمرقندي ١/ ٥٨٨، والبغوي ٣/ ٣١٤، وابن عطية ٦/ ١٧٧، والرازي ١٥/ ٩١.

(٤) كذا في: (ب)، و«الوسيط» ٢/ ٢٨٤، عن الحسن، وفي: (أ) وكذا عند البغوي ٣/ ٣١٤، عن الحسن: (من أراد بهم بكسر) والأولى: (ممن أرادهم).

(٥) انظر: «الدر المنثور» ٥/ ٥٣٦.

(٦) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٧، وهو اختيار البغوي ٣/ ٣١٥.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) ذكر السمرقندي ١/ ٥٨٨، عن الكلبي قال: (يعني: الآلهة وإن يدع المشركون آلهتهم إلى أمر لا يتبعهم آلهتهم) اهـ.

وقال: قوم[١]: (وإن تدعوا الأصنام التي عبدوها لا يتبعونكم لأنها لا تعقل). وهو اختيار الفراء[٢]، والآيات السابقة إخبار عن المشركين، وهذه الآية خطاب للمؤمنين، الدليل على ذلك أن المشركين لا يدعون أحدًا إلى الهدى[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾. وقرأ نافع[٤] بالتخفيف، وهما لغتان اتبعه اتباعًا وتبعه تبعًا، والمراد به: تركهم الانقياد للحق والإذعان للهدى، والوجه قراءة العامة؛ لأنْ (اتَّبع) أكثر في الاستعمال، ألا ترى أنهم أجمعوا على افتعل في قوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَنهُ﴾[٥] [الأعراف: ١٧٦].

---

(١) هذا قول الجمهور وحكاه النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٥٧، عن الأخفش، وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٠، والثعلبي ٦/ ٣١ أ، والزمخشري ٢/ ١٣٧، وابن عطية ٦/ ١٧٧-١٧٨، والرازي ١٥/ ٩١، والخازن ٢/ ٣٢٦، وابن كثير ٢/ ٣٠٧.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٤٠١.

(٣) قال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٤١، والسمين في «الدر» ٥/ ٥٣٧: (الظاهر أن الخطاب للكفار وضمير النصب للأصنام، والمعنى: وإن تدعو آلهتكم إلى طلب هدى ورشاد كما تطلبونه من الله لا يتابعونكم على مرادكم) قال السمين: (ويجوز أن يكون الضمير للرسول والمؤمنين، والمنصوب للكفار أي: وإن تدعوا أنتم هؤلاء الكفار إلى الإيمان) اهـ.

(٤) قرأ نافع: ﴿يَتْبَعُوكُم﴾ بسكون التاء وتخفيفها وفتح الباء، من تبع، وقرأ الباقون بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء من اتبع، انظر: «السبعة» ص٢٩٩، و«المبسوط» ص١٨٧، و«التذكرة» ٢/ ٣٤٠، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٤.

(٥) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١١٣-١١٤، والجمهور على أنهما بمعنى واحد، وقال بعض أهل اللغة: تبعه مخففًا إذا مضى خلفه ولم يدركه والمعنى: لا يلحقوكم، واتبعه مشددًا إذا مضى خلفه فأدركه، والمعنى لا يسيرون على أثركم ولا يركبون طريقتكم في دينكم، انظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٣٢، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٩، ولابن زنجلة ص٣٠٥،

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾. مثل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]. وذكرنا ما فيه، وهناك عطف الفعل على الفعل، وهاهنا عطف الاسم على الفعل؛ لأن المعنى: أدعوتموهم أم صَمَتُّم، فهما جملتان الأولى مركبة من فعل وفاعل، والثانية من مبتدأ وخبر، ويعود معناها إلى معنى الأولى؛ لأن معناها: صمتم، وقال الفراء: (قوله[1]: ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾. ولم يقل: أم صمتُّم. وأكثر كلام[2] العرب أن يقولوا: سواء عليَّ أقمت أم قعدت، ويجوز سواء عليَّ أقمت أم أنت قاعد.

قال: وأنشدني الكسائي:

سواء عليك الفقر أم بتَّ ليلة   بأهل القباب من نمير بن عامر[3]

= و«الكشف» ١/ ٤٨٦، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٧، وفيه: (هما لغتان وهو أظهر) اهـ.

(١) وكذلك حكى سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٦٤: (عن الخليل أن الآية بمنزلة أم صمتم) وهو قول ابن السراج في «الأصول» ٢/ ١٦١، وأبي علي في كتاب «الشعر» ١/ ٢٨١-٢/ ٥٤٤، وقال في «العسكريات» ص٩٧، و«البصريات» ١/ ٧١١: (اعلم أن بعض الجمل قد تقوم مقام بعض فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ فهذه التي من الابتداء والخبر موقعة موقع التي هي من الفعل والفاعل ألا ترى أنها معادلة كما هو كذلك فقد عادل بالابتداء والخبر الجملة التي هي من الفعل والفاعل والمعنى: أم صمتم) اهـ.

(٢) في «معاني الفراء» ١/ ٤٠١: (وعلى هذا أكثر كلام العرب أن يقولوا ..) اهـ.

(٣) لم أقف على قائله وهو في: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥١، وابن عطية ٦/ ١٧٨، و«البحر» ٤/ ٤٤٢، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٨، وعند الفراء والطبري وأبي حيان: سواء عليك النفر، يريد النفر من منى في أيام الحج وهو اليوم الثاني من أيام التشريق، والشاهد: سواء عليك الفقر أم بت ليلة حيث عادلت أم بين المفرد في قوله: الفقر، وجملة قوله: بت ليلة، وقال أبو حيان: (عطف الجملة الفعلية على =

وأنشد بعضهم:

..... أو أنــــت بــائـــــت)[١]

وقال غيره من أهل المعاني[٢]: (إنما قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ولم يقل: أم صمتم لإفادة الماضي والحال، و[٣] ذلك أن المقابلة بـ (دعوتم) قد دلت على معنى الماضي، واللفظ قد دل على معنى الحال).

وقال صاحب النظم: (قوله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ظاهر هذا النظم أن الاستواء واقع بالداعين، وهو[٤] في المعنى واقع بالمدعوين[٥]؛ لأن حال الداعي في الدعاء والصمات مختلفة، وإنما يتفق ويستوي على المدعوين لأنها أصنام لا تسمع ولا تجيب، فاستوى[٦] عليها الدعاء والصمات،

= اسم مقدر بالفعلية إذ الأصل سواء عليك أنفرت أم بت فأوقع النفر موقع أنفرت) اهـ والقباب، بالكسر؛ جمع قُبَّة -بالضم- بناء من بيوت العرب معروف، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٥٠٧ (قبب)، ونمير بن عامر بن صعصعة، انظر: «نهاية الأرب» ص٣٨٥ .

(١) «معاني الفراء» ١/ ٤٠، ومثله قال الطبري ٩/ ١٥١.

(٢) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٧، و«غرائب الكرماني» ١/ ٤٣١، و«الكشاف» ٢/ ١٣٨، و«التبيان» ص٣٩٨، و«الفريد» ٢/ ٣٩٥، و«الدر المصون» ٥/ ٥٣٨، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٤٢: (الآية من عطف الجملة الاسمية على الفعلية، وكانت الجملة الثانية اسمية لمراعاة رؤوس الآي، ولأن الفعل يشعر بالحدوث واسم الفاعل يشعر بالثبوت والاستمرار، فكانوا إذا دهمهم أمر معضل فزعوا إلى أصنامهم، وإذا لم يحدث بقوا ساكتين فقيل: لا فرق بين أن تحدثوا لهم دعاء وبين أن تستمروا على صمتكم فتبقوا على ما أنتم عليه من عادة صمتكم وهي الحالة المستمرة) اهـ.

(٣) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٤) في (ب): (وهي)، وهو تحريف.

(٥) في (أ): (واقع بالمدعو).

(٦) في (ب): (واستوى).

وإنما جاز ذلك وحسن لأنه إذا استوى عليها الدعاء والصمات كان مرجع هذا الاستواء إلى الداعين لأنهم إنما يدعون ليجابوا، وإذا لم يجابوا بشيء استوى عليهم الدعاء والصمات.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ تأويله: أم صمتم، وإنما جاز هذا النظم لأن رؤوس الآيات كانت على النون[1]، وهذا النظم وإن كان قليلًا فقد تكلمت العرب بمثله.

قال الأعشى[2]:

إن تركبوا فظهور[3] الخيل عادتنا
وإن نزلتم فإنا معشر نزل

---

(١) مجموع فواصل آيات الأعراف: (ن، م، د، ل) الدال في الآية الأولى، واللام في الآيتين ١٠٥، ١٣٤، والميم في الآيات ١٦، ٧٣، ٥٩، ١٠٩، ١١٢، ١١٦، ١٤١، ١٥٣، ١٦٧، ٢٠٠، والباقي بالنون.

(٢) «ديوانه» ص١٤٩، و«الكتاب» ٣/ ٥١، و«المحتسب» ١/ ١٩٥، و«الصاحبي» ص٤٧٠، و«الأمالي» ابن الشجري ٢/ ٢١٩، و«الدر المصون» ٤/ ٨٢، و«المغنى» ٢/ ٦٩٣، والرواية عندهم:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

وأوله في الديوان:

قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا

ويروى: قالوا الطرادُ. وهو من معلقته المشهورة، والشاهد: عطف الجملة الاسمية، أو أنتم تنزلون على جملة الشرط (إن تركبوا)، وقيل: هو عطف توهم كأنه قال: أتركبون فذلك عادتنا أو تنزلون في الحرب فنحن معروفون بذلك، انظر: «شرح القصائد» للنحاس ٢/ ١٥٣، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي ٢/ ٥٦٥-٥٦٨، و«الخزانة» ٨/ ٥٥٢.

(٣) لفظ: (فظهور)، (ونزلتم) لم أقف عليها إلا في هذه الرواية.

معناه: إن تركبوا ركبنا، وإن تنزلوا نزلنا، فأجاب الشرطين وهما فعلان بخبرين اسمين؛ لأن فيهما دليلًا على الفعل المضمر)[١].

١٩٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢]. قال المفسرون[٣]: (يعني: الأصنام)، وقال عطاء عن ابن عباس: (يريد: الملائكة)[٤]، وهذا القول ضعيف من جهتين أحدهما: إن المشركين في ذلك الوقت كانوا يعبدون الأصنام لا الملائكة، ولأنه قال بعد هذه الآية ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٌ يَمۡشُونَ بِهَآ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥]. فدلت هذه أنه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية[٥]، وقد مضى القول في أن الأصنام لما جمعت جمع ما يعقل في قوله: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١].

ومعنى الدعاء المذكور هاهنا يحتمل أن يكون العبادة، ويحتمل أن يكون التسمية، كأنه قيل: إن الذين تدعون آلهة من دون الله، ومعنى ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ غير الله.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): (يدعون) بالياء والمشهور بالتاء، وذكر ابن خالويه في «الشواذ» ص٤٨، أنه قرئ بالياء.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥١، و«معاني النحاس» ٣/ ١١٧، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والثعلبي ٦/ ٣١ أ.

(٤) لم أقف عليه، وحكاه البغوي ٣/ ٣١٥، والخازن ٢/ ٣٢٦ عن مقاتل، وقالا: (والأول أصح) اهـ.
وفي «تفسير مقاتل» ٢/ ٨١ قال: (يعني: تعبدون ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿إنهم عباد أمثالكم﴾ وليسوا بآلهة).

(٥) انظر: «البحر» ٤/ ٤٤٣-٤٤٤.

وقوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾. قال الكلبي: «مملوكون أمثالكم»[(١)]، وقال الأخفش: (﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في التسخير)[(٢)] فعلى هذا معنى ﴿عِبَادٌ﴾ أي: مسخرون مذللون لأمر الله، ومنه سمي الرقيق عبدًا؛ لأنه مسخر بذلك، وقال قطرب: (مخلوقة أمثالكم)[(٣)]. فأما وصفها بأنهم ﴿عِبَادٌ﴾ وهي موات كالحائط والباب والثوب، فقال أبو بكر بن الأنباري: (الأصنام وإن كانت[(٤)] مواتًا تجري مجرى الباب والثوب والحائط في أنها غير حيوان، فإن المشركين لما ادعوا أنها تعقل وتميز، وتضر وتنفع أجريت مجرى الناس، ولذلك قال: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾، ولم يقل: فادعوهن فليستجبن، ولهذا أيضًا قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ ولم يقل: التي)، وقد سبق[(٥)] بيان هذا، (فإذا صيرت الأصنام كالناس فأوقع عليها ﴿الَّذِينَ﴾ وقيل في جمعها: فليفعلوا صلح أن يقال لها[(٦)] ﴿عِبَادٌ﴾، وامتنع ذلك في الأبواب والحيطان والثياب، إذ كانت هذه الأنواع[(٧)] ما وصفت قط بما يوصف به الناس من العقل والتمييز)[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾. قال ابن عباس: (يريد:

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٥، وهو قول الطبري ٩/ ١٥١، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والبغوي ٣/ ٣١٥.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٥، ولم أقف عليه عند غيره.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في (ب): (كان).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) لفظ: (لها) ساقط من (ب).
(٧) في (أ): (الأبواب)، وهو تحريف.
(٨) لم أقف عليه. وانظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٩٢.

فاعبدوهم هل يثيبونكم[(١)] أو يجازونكم)[(٢)].

وقال أهل المعاني: (معنى هذا الدعاء: طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم، وذلك ما يُئِس منه من قبلهم، وعبادة من هذه صفته جهل وسخف، واللام في: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ لام الأمر على معنى التعجيز، وهو طلب الفعل إن أمكن)[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن صدقتم أن لكم عند الأصنام منفعة أو ثوابًا أو شفاعة أو نصرة، قاله ابن عباس[(٤)]، وسلك صاحب النظم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ طريقة أخرى؛ فقال: (تأويل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ﴿أإن﴾ على استفهام، وفي الاستفهام طرف من الإنكار كقوله: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] إلا أنه استثقل همزتان فاقتصر على إحداهما، وقد تستفهم العرب بغير الألف، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: ٢٢] بمعنى: أو تلك على الإنكار، ولا يجوز أن يكون هذا خبرًا؛ لأن تعبيده بني إسرائيل لم يكن منّة عليه، ومثله قول الشاعر[(٥)]:

أفـرح أن أرزأ الـكـرام وأن ... أورث ذودًا شـصـائـصًـا نـبـلا

أراد: أأفرح لأنه ينتفي من ذلك، ولا يرضى أن يقال له ذلك، وإنما

---

(١) في (ب): «يثبتونكم».

(٢) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٨، وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٥، والبغوي ٣/ ٣١٥، والقرطبي ٧/ ٣٤٢.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٩٢.

(٤) ذكره البغوي ٣/ ٥١٥ بلفظ: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إن لكم عندها منفعة). وذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٥ بلا نسبة.

(٥) الشاهد لحضرمي بن عامر الأسدي، وقد سبق.

قال ﷺ منكرًا عليهم أن تكون الأصنام عبادًا أمثالهم لقصورها عن أن تكون مثل العباد في الفهم والسمع والبصر، فحقرها وضعفها بهذا الخبر عن أن تبلغ مبلغ العباد فكيف مبلغ الآلهة، ثم قال ﷺ: فإن كان كما تقولون أنها تنفع وتضر ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾ إلى آخر الآية)[١].

١٩٥- قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾، قال ابن عباس: (يريد: مثل بني آدم ممن جعلت فيه الروح. ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ مثل ما يبطش بنو آدم)[٢]، ومعنى البَطش[٣]: التناول عند الصولة، والأخذ الشديد في كل شيء: بَطش، ومنه قوله عز وتعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

قال أهل المعاني في هذه الآية: (إنما أنكر عليهم عبادة من لا رجل له يمشي بها، ولا يد[٤] يبطش بها، لأن من عبد جسمًا هذه صفته فقد عبد ما لا شبهة في اليأس من ضره ونفعه، فهو ألوم[٥] ممن عبد من له جارحة يمكن أن ينفع بها أو يضر، فقد عرفهم بهذا أنهم مفضلون عليهم[٦] فكيف يعبدون من هم أفضل منه، فالقصد بالآية بيان جهالتهم في عبادة الأصنام[٧]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٦ بلا نسبة.

(٣) انظر: «العين» ٦/ ٢٤٠، و«الجمهرة» ١/ ٣٤٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٩، و«الصحاح» ٣/ ٩٩٦، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٦٢، و«المفردات» ص١٢٩، و«اللسان» ٦/ ٣٠١ (بطش).

(٤) لفظ: (ولا يد) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (فهو اليوم)، وفي (أ): (اللوم).

(٦) في (ب): (عليه).

(٧) لفظ: (الأصنام) ساقط من (ب).

حيث كانوا أفضل من معبوديهم بما خلق الله لهم من هذه الجوارح التي لم يخلقها لمعبوديهم)[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾. قال ابن عباس[٢]: (يريد: الذين تعبدون[٣] من دون الله، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وشركاؤكم)، وهذا يتصل بما قبله اتصال استكمال الحجة عليهم؛ لأنهم لما فزعوا بعبادة من لا يملك ضرًا ولا نفعًا، قيل لمحمد: قل لهم معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا إلى ضري لدفعه عني.

قال الحسن[٤]: (إنهم كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾)، واختلفوا في إثبات الياء[٥] في ﴿كِيدُونِ﴾ وحذفها، فقرءوا بالوجهين، ومثله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾، والقول في ذلك أن الفواصل وما أشبه الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥١، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والماوردي ٢/ ٢٨٧، والبغوي ٣/ ٣١٥، وابن عطية ٦/ ١٨٠، والرازي ١٥/ ٩٢-٩٣، وقال ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٠٦: (في الآية تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه) اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٦٨٦ بلا نسبة.

(٣) في (أ): (تدعون).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٦، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٦، والرازي ١٥/ ٩٣، والخازن ٢/ ٣٢٧.

(٥) قرأ أبو عمرو (ثُمَّ كِيدُونِي) بإثبات الياء وصلًا وحذفها وقفًا وهي رواية عن ابن عامر ونافع، وقرأ ابن عامر في رواية بإثبات الياء في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين، وقرأ يعقوب وحده: (فَلاَ تُنظِرُونِي) بإثبات الياء في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين، انظر: «السبعة» ص٢٩٩، و«المبسوط» ص١٨٨، و«التذكرة» ٢/ ٤٣٢، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٥.

لاجتماعهما في أن الفاصلة آخر الآية، كما أن القافية آخر البيت، وقد ألزموا[١] الحذف هذه الياءات إذا كانت القوافي كقوله:

فهل يمنعني ارتيادي البلا د من قدر الموت أن يأتِيَنْ[٢]

وكذلك الياء التي هي لام كقوله:

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل[٣]

ومن أثبت فلأن الأصل الإثبات[٤]. ومعنى قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾. أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي أنتم وشركاؤكم، وهذه الآية تدل على صحة ما قال صاحب النظم في الآية الأولى، ألا ترى أنه بيّن فضل الآدمي على الأصنام في هذه الآية لما بقي[٥] بالأولى، أن تكون الأصنام أمثالهم.

---

(١) في (ب): (وقد لزموا)، وهو تحريف.

(٢) الشاهد للأعشى الكبير في «ديوانه» ص٣٥٩، و«الكتاب» ٣/ ٥١٣ و٤/ ١٨٧، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٢١٩، و«المحتسب» ١/ ٣٤٩، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٨٢، و«الدر المصون» ٣/ ٩٢، والشاهد حذف الياء من الفعل (يأتيني).

(٣) الشاهد للبيد في «ديوانه» ص١٤٢، والرازي ١٥/ ٩٣، و«اللسان» ٧/ ٤٠٧٢-٤٠٧٣ (لمس)، وهو في «تفسير ابن عطية» ٦/ ١٨٢ للأعشى ولعله تحريف أو وهم، ويلمس: يطلب، والأحلاس: جمع حلس، وهو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير، والمصل المصلي يعني أنه لا يعقل من غلبه النعاس فهو يطلب الأحلاس مائلًا جانبه كأنه يهودي يصلي على شق وجهه، والشاهد حذف الياء من الاسم، وهو المصلي.

(٤) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١١٥، وانظر: «إعراب القراءات» ١/ ٢١٩، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٩.

(٥) كذا في «الأصول»: يريد أنه ما بقي في الآية السابقة دليل على أن الأنام أمثالهم بل هم أفضل.

١٩٦- قولهم تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ الآية. قرأ القراء[١]: ﴿وَلِـِّۧىَ﴾ بثلاث ياءات، ياء (فعيل) وهي ساكنة، والثانية لام الفعل وهي مكسورة قد أدغمت[٢] الأولى فيها فصارتا ياء مشددة، والثالثة ياء الإضافة.

وروي عن أبي عمرو بالإدغام[٣] الكبير: ﴿وَلِيَّ ٱللَّهُ﴾ بياء مشددة، ووجه ذلك[٤] أنه حذف الياء التي هي لام فعيل، كما حذفت اللام من قولهم: (ما بليتُ به بالةً)[٥]، وكما حذفت الهمزة التي هي لام في قول أبي

---

(١) اختلف عن أبي عمرو، فقرأ بحذف الياء وإثبات ياء واحدة مفتوحة مشددة، وقرأ بكسر الياء المشددة بعد الحذف، وقرأ الباقون بياءين الأولى مشددة مكسورة، والثانية مخففة مفتوحة. انظر: «السبعة» ص٣٠٠، و«المبسوط» ص٩٧، و«النشر» ٢/ ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) في (أ): (قد أدغمتا الأولى فصارتا).

(٣) في (أ): «في الإدغام» وقال ابن الجزري في «النشر»: ٢/ ٢٧٤: (بعضهم يعبر عنه بالإدغام وهو خطأ إذ المشدد لا يدغم في المخفف وبعضهم أدخله في الإدغام الكبير ولا يصح ذلك لخروجه عن أصوله ولأن راويه يرويه مع عدم الإدغام الكبير) اهـ.

(٤) قال ابن الجزري في «النشر»: ٢/ ٢٧٤: (اختلف في توجيه الرواية عن أبي عمرو، فخرج فتح الياء على حذف لام الفعل في ولي وهي الياء الثانية وإدغام ياء فعيل في ياء الإضافة وقد حذفت اللام كثيرًا في كلامهم وهو مطرد في اللامات في التحقير، وقد قيل في تخريجها غير ذلك وهذا أحسن، وأما كسر الياء فوجهها أن يكون المحذوف ياء المتكلم لملاقاتها ساكنًا كما تحذف ياءات الإضافة عند لقيها الساكن، والرواية الحذف وصلًا ووقفًا أجري الوقف مجرى الوصل) اهـ.

(٥) (ما باليتُ به بالة) أي: لم أكترث به، والشاهد: بالة حيث حذف الياء تخفيفًا، والأصل بالية، وفي «الكتاب» ٤/ ٤٠٦: (حكي عن الخليل أن من الحذف قولهم: ما أباليه بالة كأنها بالية بمنزلة العافية) اهـ، وفي «النهاية» لابن الأثير ١/ ١٥٦ قال: (وفي حديث ابن عباس: (ما أباليه بالة) أي: لم أكترث به)، وفي «اللسان» ١/ ٣٥٦ (بلا)، ذكر حديث ابن عباس، وقال: (ومن كلام الحسن: لم يبالهم الله =

الحسن[١] (من أشياء) كما حذفت الهمزة من قولهم: سواية إذا أردت به سوائية مثل الكراهية، وكما استمر الحذف في التحقير في هذه[٢] اللامات نحو: عُطيّ في تحقير عطاء بدليل قولهم: سميَّة في تصغير سماء، فلما حذفت اللام أدغمت ياء فعيل في ياء الإضافة فقلت: ﴿وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾. فهذه الفتحة فتحة ياء الإضافة[٣] ولا يجوز أن يدغم الياء التي هي لام في ياء الإضافة؛ لأنه إذا فعل ذلك انفك الإدغام، ويذهب سيبويه إلى (إنك إذا قلت هذا: وليُّ يزيد، وعدو وليد، لم يجز إدغام الياء التي هي لام في ياء يزيد لانفكاك الإدغام من وليّ)[٤]، وكأن أبا عمرو في قوله: ﴿وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾ شبه[٥] المنفصل وهو ياء الإضافة بالمتصل، فحذف إحدى الياءات عن ﴿وَلِيِّيَ﴾ كما يحذف من عُطيّ، والباقون أجازوا اجتماع ثلاث ياءات، لأن

= بالة، أي: لا أكترث بهم) اهـ وأخرج البخاري في «صحيحه» رقم (٦٤٣٤) كتاب الرقاق، باب: ذهاب الصالحين، عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة**») اهـ، وفي «النهاية» ١/ ١٥٦: (أي: لا يرفع لهم قدرًا أو لا يقيم لهم وزنًا، يقال: ما باليته وما باليت به أي: لم أكترث به) اهـ.

(١) قول الأخفش في «الحجة» لأبي علي ٤/ ١١٨، وقال الأزهري في «تهذيبه» ٢/ ١٩٥١ (شيء): (لم يختلف النحويون في أن (أشياء) جمع شيء وأنها غير مجراة، وقال الفراء والأخفش أصل أشياء أفعلاء إلا إنه كان في الأصل أشيئاء على وزن أشيعاع فاجتمعت همزتان بينهما ألف، فحذفت الهمزة الأولى). وانظر: «اللسان» ٤/ ٢٣٦٩-٢٣٧٠ (شيء)، و«معجم مفردات الإبدال والإعلال» للخراط ص١٥٧.

(٢) لفظ: (في هذه) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (فتحة بالإضافة)، وهو تحريف.

(٤) «الكتاب» ٤/ ٤٤٢.

(٥) في (ب): (شبهه)، وهو تحريف.

ياء الإضافة منفصل، ولم يجروا المنفصل مجرى المتصل، ولا يجوز في عُطيّ إلا الحذف لأنه متصل(١).

ومعنى ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: الذي يتولى حفظي وتصرفي هو الله لا غيره، ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يريد: القرآن، أي: أنه يتولاني وينصرني، كما أيدني بإنزال الكتاب(٢). ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [قال ابن عباس: (يريد: الذين لا يعدلون بالله شيئًا ولا يعصونه)(٣)، وفي هذا مدح الصالحين](٤) بأن الله ﷻ يتولاهم بنصره فلا يضرهم(٥) عداوة من عاداهم، وفي ذلك يأس المشركين من أن يضره كيدهم ومكرهم. قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٧] معنى هذه الآية قد مضى في مثلها من قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [الأعراف: ١٩٢].

وإنما أعيد هذا المعنى لأن الأول مذكور على جهة التقريع، وهاهنا ذكر على جهة الفرق بين صفة من تجوز له العبادة ومن لا تجوز، كأنه قيل: إن ناصره الله ولا ناصر لكم ممن تعبدون(٦).

---

(١) ما تقدم قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١١٦-١٢٠، وانظر: «معاني القراءات» ١/ ٤٣٢، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٧، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٨، و«البحر» ٤/ ٤٤٦، و«الدر المصون» ٥/ ٥٤٢.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٢، و«إعراب النحاس» ١/ ٦٥٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٩.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٦، والبغوي ٣/ ٣١٥-٣١٦، والخازن ٢/ ٣٢٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (ولا يضرهم).

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ٩٥، والخازن ٢/ ٣٢٧، وقال ابن عطية ٦/ ١٨٤: (إنما كرر لأن أمر الأصنام وتعظيمها كان متمكنًا من نفوس العرب في ذلك الزمن ومستوليًا على عقولها فأوعب القول في ذلك لطفًا من الله تعالى بهم) اهـ.

١٩٨- قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. ذهب الحسن[(١)] إلى أن المراد بهذا[(٢)]: المشركون، فيكون المعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى ﴿ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾ أي: لا يعقلوا[(٣)] بقلوبهم، ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾، يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بأعينهم[(٤)] ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بقلوبهم، والأكثرون[(٥)] على أن المراد بالآية الأنام وبيان صفات ما هي عليه من النقص، وظاهر النظم يدل على هذا المقدم[(٦)].

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٧، والبغوي ٣/ ٣١٦، والخازن ٢/ ٣٢٧، وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٢ بسند جيد عن السدي ومجاهد، وهو قول مقاتل في «تفسيره» ٢/ ٨١.

(٢) لفظ: (بهذا) ساقط من (ب). (٣) في (أ): (أي يعقلوا).

(٤) لفظ: (بأعينهم) ساقط من (ب).

(٥) وهو اختيار أكثرهم قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٧: (هذا هو الأولى وقاله قتادة واختاره الطبري ٩/ ١٥٣) اهـ.
وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٧، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والثعلبي ٦/ ٣١ أ، والبغوي ٣/ ٣١٦، و«الكشاف» ٢/ ١٣٨، والقرطبي ٧/ ٣٣٤، والخازن ٢/ ٣٢٧، وقال أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٤٧: (تناسق الضمائر يقتضي أن الضمير للأصنام ونفى عنها السماع لأنها جماد لا تحس وأثبت لها النظر على سبيل المجاز بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين فهم يشبهون من ينظر، وقال الحسن ومجاهد والسدي الضمير يعود على الكفار ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون إذ لم يتحصل لهم عن الاستماع والنظر فائدة ولا حصلوا منه بطائل وهذا تأويل حسن ويكون إثبات النظر حقيقة لا مجازًا ويحسن هذا التأويل الآية بعد هذه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: الذين من شأنهم أن تدعوهم لا يسمعوا وينظرون إليك وهم لا يبصرون فتكون مرتبة على العلة الموجبة لذلك وهي الجهل) اهـ.

(٦) في (ب): (التقدم) والظاهر أنه يرجح الأول والله أعلم وهو ظاهر من تقديم قول الحسن هنا، وكذلك في «الوسيط» ٢/ ٢٨٧.

وقوله تعالى[(١)]: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾. قال الفراء: (يريد: الآلهة أنها صور لا تبصر ولم يقل: وتراها لأن لها أجسامًا وعيونًا، والعرب تقول للرجل والقريب من الشيء: هو ينظر وهو لا يراه، والمنازل تتناظر إذا كان بعضها بإزاء بعض)[(٢)]، فمعنى ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ هاهنا: يقابلونك، ونحو هذا قال ابن الأنباري[(٣)] فقال: (المعنى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ يقربون منك ويدنون وهم غير مبصرين)، وذكر وجهًا آخر فقال: (معنى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يخيل إليك أنهم يبصرون وهم غير مبصرين)[(٤)].

وشرح أبو علي الجرجاني هذه الوجه واختاره فقال: (قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾، أي: تحسبهم، والرؤية على وجهين أحدهما: العلم وهو كثير كقوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩] أي: ما أعلمكم إلا ما أعلم، والآخر: الشك كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] أي: تحسبهم كذلك. ومنه قول الشاعر[(٥)]:

ترى الأكم منه سجدًا للحوافر

---

(١) جاء في النسخ بعد قوله: (المقدم).
قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ وهو تكرار.

(٢) «معاني الفراء» ١/ ٤٠١.

(٣) «الزاهر» ١/ ٣٥٢، وفيه قال: (معناه: يواجهونك، يقال: الجبل ينظر إليك، والحائط يراك، أي: يواجهك ويقابلك) اهـ.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٧.

(٥) البيت لزيد الخيل وصدره:

بجمع تضل البلق في حجراته

وقد سبق تخريجه والكلام عليه.

أي: تحسبها كأنها ساجدة، وليس للرؤية التي هي العلم هاهنا معنى فتأويل قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾[١]: تحسبهم ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾؛ لأن لها أعينًا مصنوعة مركبة بالجواهر حتى يحسب الإنسان أنها تنظر إليه)[٢]، فمعنى الوجه الأول: ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ يقابلونك، والوجه الثاني: تحسبهم يرونك ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٣].

١٩٩- قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾، قال أهل اللغة: (العفو[٤] الفضل وما أتى بغير كلفة). وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] في سورة البقرة.

قال مجاهد: (أمر أن يأخذ عفو أخلاق الناس)[٥]، وهو قول الحسن[٦] وعروة[٧] بن الزبير[٨] وقتادة[٩]، والمعنى: اقبل الميسور من

---

(١) لفظ: (إليك) ساقط من (ب). (٢) لم أقف عليه.

(٣) والمعنى متقارب، قال الطبري ٩/ ١٥٣: (أي: يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لأنه لا أبصار لهم، وقيل: ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ ولم يقل: تراها لأنها صور مصورة على صور بني آدم ﷺ) اهـ ونحوه قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٧، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٩، والسمرقندي ١/ ٥٨٩، والبغوي ٣/ ٣١٦، وابن عطية ٧/ ٢٣٢، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٧، والرازي ١٥/ ٩٥.

(٤) هذا من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٨٩ (عفا).

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٣، وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧، والنحاس في «معانيه» ٣/ ١١٩ من طرق جيدة.

(٦) ذكره الماوردي ٢/ ٢٨٨، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٠٧.

(٧) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، تقدمت ترجمته.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ١٤٥، والطبري ٩/ ١٥٣-١٥٤ من طرق جيدة، وذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧.

(٩) لم أقف عليه.

أخلاق الناس، ولا تستنقص عليهم فيستنقصوا عليك، ويتولد منه البغضاء والعداوة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾. العرف والعارفة والمعروف واحد، وهو: كل ما تعرفه النفس من الخير[٢] وتبسأ به[٣] وتطمئن إليه[٤]. قال مقاتل[٥] وعروة[٦] والضحاك[٧]: (وأمر بالمعروف) وهو قول الكلبي[٨].

وقال أهل المعاني: (المعروف ما يعرف صوابه عند[٩] ذوي العقول السليمة)[١٠].

---

(١) هذا من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٨٩ (عفا)، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، و«غريب القرآن» ص١٥٥، و«تفسير غريب القرآن» ١/ ١٨٦، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٥٤-١٥٥.

(٢) لفظ: (من الخير) ساقط من (أ).

(٣) تبسأ به أي: تأنس به. انظر: «اللسان» ١/ ٢٧٩ (بسأ).

(٤) هذا من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٠٤ (عرف).

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٥٥ من طرق جيدة.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٨ عن الضحاك، وأخرجه وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس وقال: (وروي عن عروة والسدي وسفيان الثوري نحوه) وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٦ من طرق جيدة عن السدي وقتادة.

(٨) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٩، وذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٦٧، وهذا قول الأكثر، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، تفسير سورة الأعراف «تفسير غريب القرآن» ص١٨٦، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٥٦، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦، و«نزهة القلوب» ص٣٣٦، و«معاني النحاس» ٣/ ١٢٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٨٩، وقال النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٦٣: (هذا هو المعروف في اللغة).

(٩) لفظ: (عند) ساقط من (ب).

(١٠) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٥٩، و«إحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٨٢٣-٨٢٦.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

يقال: لم أمره بالإعراض عنهم مع وجوب النكير عليهم بما يردعهم عن جهلهم؟ قيل: إن هذا في حال اليأس من صلاحهم، فيعمل على طريق الاستخفاف بهم، وصيانة النفس عن مقابلتهم[(١)] على سفههم[(٢)].

قال عكرمة: (لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «يا جبريل ما هذا؟» قال: «لا أدري حتى أسأل»، فذهب، ثم رجع فقال: (يا محمد إن ربك يقول: هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»)[(٣)] وتفسير جبريل[(٤)] عليه السلام لهذه الآية موافق لظاهرها لأن في وصل القاطع عفوًا عن جريمة القطيعة، وإعطاء الحارم من جملة المعروف، والعفو عن الظالم إعراض عن جهله وظلمه.

---

(١) في (ب): (عن).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٦، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٦٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٦، والطبري ٩/ ١٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند جيد عن أمي بن ربيعة المرادي وهو مرسل، وقال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٠٨: (هو مرسل على كل حال، وقد روي له شواهد من وجوه أخر فقد رواه ابن مردويه مرفوعًا عن جابر وقيس بن سعد بن عبادة) اهـ.
وقال ابن حجر في «الفتح» ٨/ ٣٠٦، وفي «الكافي الشاف» ص٦٦: (رواه الطبري مرسلًا وابن مردويه موصولًا من حديث جابر وقيس) اهـ.
وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٢٨، وزاد نسبته: (إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وأبي الشيخ) اهـ.
وأخرجه السمرقندي ١/ ٥٩٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره الماوردي ٢/ ٢٨٨، عن ابن زيد، وذكره الرازي ١٥/ ٩٦ عن عكرمة، وانظر مرويات الإمام أحمد في «التفسير» ٢/ ٢٢٨.

(٤) ذكره الرازي ١٥/ ٩٦، عن أهل العلم.

قال قتادة[١]: (في هذه الآية أخلاق أمر الله بها نبيه ﷺ ودلَّه عليها).

وقال عبد الله بن الزبير[٢]: (ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس)[٣].

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٦ بسند جيد.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي أبو بكر القرشي المكي المدني، صحابي، إمام، عالم، عابد، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، وكان فارسًا شجاعًا له مواقف مشهودة، شهد اليرموك وفتح المغرب وغيرهما، وله قدر كبير في العلم والعبادة والشرف والجهاد، وفضله وثناء الأئمة عليه كثير، تولى الخلافة تسع سنين، وقتل رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٧٣هـ.
انظر: «الحلية» ١/ ٣٢٩، و«الاستيعاب» ٣/ ٣٩ رقم (١٥٥٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٢٦٦، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٧١، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٦٣، و«الإصابة» ٢/ ٣٠٩، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» ٥/ ١٩٨، تفسير سورة الأعراف وأبو داود كتاب التفسير، باب: خذ العفو وأمر بالعرف رقم (٤٦٤٣)، والنسائي في «التفسير» ١/ ٥١٢ رقم ٢١٥، والطبري ٩/ ١٥٤، ووقع في طبعتنا (أبي الزبير) والصواب: (ابن الزبير)، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٧ كتاب الأدب، باب: باب في التجاوز في الأمر، والنحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٦٠، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٧، وفي رواية عند البخاري قال: (أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس) اهـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٥: (رواه الطبراني في «الأوسط» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ورجاله ثقات) اهـ.
وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٨٠، وقال النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٦٠ بعد الحديث: (هذا أولى ما قيل في الآية لصحة إسناده، وأنه عن صحابي يخبر بنزول الآية، وإذا جاء الشيء هذا المجيء لم يسع أحدًا مخالفته، والمعنى عليه: خذ العفو، أي: السهل من أخلاق الناس، ولا تغلظ عليهم، ولا تعنف بهم، وكذا كانت أخلاقه ﷺ أنه ما لقي أحدًا قط بمكروه في وجهه، ولا ضرب أحدًا بيده) اهـ.
وانظر: شرح الحديث في «فتح الباري» ٨/ ٣٠٥.

وقال الصادق[١]: (ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية)[٢].

وقال عبد الله بن مسلم: (جمع الله تعالى بهذه الآية لنبيه ﷺ كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين، وفي الأمر بالعرف[٣] تقوى الله وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغض الطرف عن الحُرمات، وإنما سمي هذا وما أشبهه عرفًا ومعروفًا، لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئن إليه، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج)[٤]، فهذا الذي ذكرنا طريقة حسنة في هذه الآية[٥].

وللمفسرين[٦] طريق آخر فيها، قال ابن عباس: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: (ما[٧] عفا لك من أموالهم، وهو ما فضل من العيال والكلّ[٨]، يقول: ما أتوك به عفوًا فخذه، ولا تسأل ما وراء ذلك، وكان هذا قبل بيان فريضة

---

(١) الصادق هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، تابعي إمام عابد عالم ثقة، تقدت ترجمته.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٢ أ، والبغوي ٣/ ٣١٦، والزمخشري ٢/ ١٣٩، والرازي ١٥/ ٩٦، والقرطبي ٧/ ٣٤٥، والخازن ٢/ ٣٢٨.

(٣) في (ب): (بالمعروف).

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٤، ٥.

(٥) لفظ: (الآية) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (والمفسرين)، وهو تحريف.

(٧) في (ب): (مما عفا لك).

(٨) الكلُّ، بالفتح واللام: اليتيم، والكلُّ الذي هو عيال وثقل على صاحبه. والكلُّ: الوكيل، وكلَّ الرجل إذا تعب، وكلَّ عنه نبا وضعف، انظر: «اللسان» ٧/ ٣٩١٩ (كلل).

الصدقة، فلما نزلت آية وجوب الزكاة نُسخت هذه)[١].

وهذا قول السدي[٢] ومقاتل[٣] والكلبي والضحاك[٤].

قال الكلبي: (هو فضل المال كان يأخذه بعد الكل والعيال، ليس فيه شيء مؤقت، ثم نزلت الزكاة المفروضة بعد ذلك فنسخت الفضل)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: بلا[٦] إله إلا الله)، وقال السدي: (بالفضل[٧] من المال، نسخته الزكاة).

---

(١) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند جيد، وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا عنه بسند جيد قال: (﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الفضل).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤ بسند جيد. (٣) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨١.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٤ بسند ضعيف وذكره النحاس في «ناسخه» ٢/ ٣٥٨-٣٥٩، والماوردي ٢/ ٢٨٨، عن ابن عباس والسدي والضحاك، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٣٨ بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس قال: (خذ الفضل: أنفق الفضل) اهـ.

(٥) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٩، وذكره هود الهواري ٢/ ٦٧، عن الكلبي، وذكره الثعلبي ٦/ ٣١/ ب، والبغوي ٣/ ٣١٦، عن ابن عباس والسدي والضحاك، وهو قول أبي عبد الله محمد بن حزم في «ناسخه» ص٣٨، وهبة الله بن سلامة في «ناسخه» ص٧٠، والظاهر عدم النسخ، وأن المعنى: أقبل الميسور من أخلاق الناس، وقد يدخل فيه فضل المال ومكان عن ظهر غنى فالآية محكمة وهو اختيار الجمهور، انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٥، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٦٠، و«الإيضاح» لمكي ص٢٥٣، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٤٢، و«زاد المسير» ٣/ ٣٠٨، و«النسخ في القرآن» للدكتور/ مصطفى زيد ٢/ ٧٣٢.

(٦) في (ب): (يريد لا إله إلا الله)، والأثر ذكره الثعلبي ٦/ ٣١ ب، والبغوي ٣/ ٣١٦، والقرطبي ٧/ ٣٤٦، والخازن ٢/ ٣٢٨، عن عطاء فقط.

(٧) في (ب): (الفضل) وقد سبق تخريج الأثر، والظاهر أنه في «تفسير قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ وليس في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ لأنه محكم.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾. قال الضحاك: (وأعرض عن المشركين)[(١)]. وقال مقاتل[(٢)] والكلبي[(٣)]: (عن جميع من جهل عليك، وجهل أمرك من مشركي مكة، مثل أبي جهل وغيره، نسخة آية السيف)[(٤)]، فعلى هذه الطريقة جميع الآية منسوخة إلا قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ على قول عطاء[(٥)]، والأحسن الطريقة الأولى[(٦)].

قال ابن زيد[(٧)]: (لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «كيف يا رب والغضب»؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾)[(٨)] [الأعراف: ٢٠٠]، نزغ الشيطان وساوسه ونخسه في القلب بما يسول

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨١-٨٢، وهو قول ابن حزم في «ناسخه» ص٣٨.

(٣) «تنوير المقباس» ٢/ ١٤٩، وهو قول هبة الله بن سلامة في «ناسخه» ص٧٠.

(٤) هي الآية-٥ من سورة التوبة، وقد سبق ذكرها.

(٥) سبق تخريجه، وهو عندهم موصولًا بقوله: (يريد بلا إله إلا الله قال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أبي جهل وأصحابه نسختها آية السيف) وقال القرطبي ٧/ ٣٤٧: (قال عطاء وابن زيد: هي منسوخة بآية السيف، وقال مجاهد وقتادة هي محكمة وهو الصحيح) اهـ. والذين قالوا بالنسخ جماعة ذكرهم المؤلف ولم يذكر عطاء معهم.

(٦) أي أن الآية محكمة والمعنى: إنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم وإن وجب الإنكار عليهم، وهذا هو الصحيح واختيار الجمهور. انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٣-١٥٦، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٦٣، و«الإيضاح» لمكي ص٢٥٣٦، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٤١٤، و«تفسير ابن عطية» ١٨٥-١٨٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٨، والرازي ١٥/ ٩٦-٩٧، و«البحر» ٤/ ٤٤٨، و«النسخ في القرآن» لمصطفى زيد ٢/ ٨٣٣.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٦-١٥٧ بسند جيد عن عبد الرحمن بن زيد وهو مرسل، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٩، والبغوي ١٣/ ٣١٧

(٨) لفظ: (نزغ) ساقط من (ب).

للإنسان من المعاصي[١]، روي أبو عبيد عن أبي زيد: (نزغت بين القوم إذا أفسدت)[٢]. وقال الليث: (النزغ أن تنزغ بين قوم فتحمل بعضهم على بعض بفساد ذات بينهم)[٣].

قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: يعرض لك من الشيطان عارض)[٤]. وقال مقاتل: (وإما[٥] يفتنك الشيطان فتنة)[٦].

وقال الزجاج: (المعنى: إنْ نالك من الشيطان أدنى وسوسة)[٧].

وقال عبد الله بن مسلم: (وإما يستخفنك الشيطان. قال: ويقال: نزغ بيننا فلانٌ أي: أفسد)[٨].

وقال بعض أهل المعاني: (معنى النزغ: الإزعاج، وأكثر ما يكون عند الغضب، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر، وهذه نزغة من الشيطان للخصلة الحاملة عليه)[٩]، وموضع[١٠] ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ جزم بـ «إِنْ»

---

(١) النص في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٢، وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٨٢٠، و«الصحاح» ٤/ ١٣٢٧، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤١٦، و«اللسان» ٧/ ٤٣٩٧ (نزغ).

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٢.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٢، وانظر: «العين» ٤/ ٣٨٤، و«البارع» ص٣٣٠.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٨٩.

(٥) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٦) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٢.

(٧) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦، ونحوه قال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٢٠ .

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٦، ونحوه في «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، و«غريب القرآن» ص١٥٦، و«تفسير المشكل» ص٨٩.

(٩) انظر: الرازي ١٥/ ٩٧.

(١٠) ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والنون للتوكيد حسن تأكيده بالنون لما دخلت عليه ما، انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٦٠.

التي للجزاء إلا أنه لا يتبين فيه الإعراب لأنه مبني مع نوع التأكيد بالفتح إذ كانت مشددة ولا بد[1] من تحريك ما قبلها في الجزم لالتقاء الساكنين[2].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أي: اطلب النجاة من تلك البلية بالله، ومضى معنى[3] الاستعاذة والعوذ، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ لدعائك ﴿عَلِيمٌ﴾ بما عرض لك.

٢٠١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: المؤمنين)[4]. وقال الكلبي: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الكفر والشرك والفواحش)[5]، ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، وقرئ[6] ﴿طَيْفٌ﴾، اختلفوا في الطيف، فقيل: إنه مصدر.

قال أبو زيد: (طاف يطوف طوفًا وطوافًا، إذا أقبل وأدبر، وأطاف يُطيف إطافة إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم، وطاف الخيال

---

(١) في: (أ): (مشددة أبد من تحريك) وهو تحريف.

(٢) انظر: «الكتاب» ٣/ ٥١٤-٥١٩.

(٣) انظر: «البسيط» البقرة: ٦٧، النسخة الأزهرية ١/ ٨٤/أ.

(٤) ذكره الواحدي في«الوسيط» ٢/ ٢٩٠، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢/ب، والبغوي ٣/ ٣١٧ بلا نسبة.

(٥) ذكر الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٠ عن ابن عباس قال: (يريد: المؤمنين الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش) اهـ. وقال السمرقندي ١/ ٥٩٠: (يعني: اتقوا الشرك والفواحش) اهـ.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (طيف) بياء ساكنة بعد الطاء من غير ألف ولا همز، وقرأ الباقون ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ بألف بعد الطاء وهمزة مكسورة بعدها.

انظر: «السبعة» ص٣٠١، و«المبسوط» ص١٨٧، و«التذكرة» ٢/ ٤٣٠، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٥.

يطيف طيفًا إذا ألم في المنام)[(١)]، ونحو هذا قال الزجاج[(٢)]، وأنشدوا[(٣)]:

أنَّى ألَمَّ بكَ الخيالُ يطيفُ

قال ابن الأنباري: (وجائز أن يكون الطيف أصله طيِّف إلا أنهم استثقلوا التشديد فحذفوا إحدى اليائين وأبقوا[(٤)] ياء ساكنة)[(٥)].

فعلى القول الأول هو مصدر، و[(٦)] على ما قاله أبو بكر من باب هَيِّن وهَيْن، ومَيِّت ومَيْت[(٧)]، ويشهد بصحة قول أبي بكر قراءة سعيد بن

---

(١) «الحجة» لأبي علي ٤/ ١٢٠، وليس فيه (وطوافًا) وفي «مجمل اللغة» ٢/ ٥٨٩ قال: (طاف يطوف طوفًا وطوافًا).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦ وفيه: (يقال: طفت أطوف وطاف الخيال يطيف).

(٣) الشاهد لكعب بن زهير في «ديوانه» ص٤٩، و«اللسان» ٥/ ٢٧٣٩ (طيف) وبلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٧، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٥٧-١٥٨، و«نزهة القلوب» ص٣١٢، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٩، و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٧، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٢، و«الكشاف» ٢/ ١٣٩، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٩٠-١٩١، و«الفريد» ٢/ ٣٩٨، و«البحر» ٤/ ٤٤٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٤٦ وتمامه: (ومطافة لك ذكرة وشعوف).

وأنى أي: كيف، وألم نزل والإلمام الزيارة، والذكرة -بالضم والكسر نقيض النسيان وهو حفظ الشيء أو الشيء يجري على اللسان والشعف- إحراق الحب القلب مع لذة يجدها، وشعفه الهوى إذا بلغ منه، والشعوف الولوع بالشيء حتى لا يعدل عنه، قال في «اللسان» ٤/ ٢٢٨٥-٢٢٨٦ شعف في شرح بيت كعب: (يحتمل أن يكون جمع شعف ويحتمل أن يكون مصدرًا وهو الظاهر) اهـ. وانظر: «اللسان» ٤/ ٢٢٧٩ (ذكر) حيث شرح فيه بيت كعب «شرح شواهد الكشاف» ٤/ ٤٥٧.

(٤) في (ب): (واتقوا) وهو تصحيف.

(٥) ذكره الرازي ١٥/ ٩٩، عن الواحدي عن ابن الأنباري.

(٦) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٧) قال السمين في «الدر» ٥/ ٥٤٦: (طيف قيل: إنه مخفف من فيعل والأصل طيِّف =

جبير[1] ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَيِّفٌ﴾ بالتشديد، هذا هو الأصل في الطيف[2] ثم يسمّى الجنون والغضب والوسوسة طيفًا لأنه لمة من الشيطان[3] يشبه بلمّة الخيال.

قال الأزهري: (الطَّيف في كلام العرب الجنون، رواه أبو عبيد عن الأحمر[4]).

وقال الهذلي[5]:

= بتشديد الياء فحذف عين الكلمة كقولهم في ميِّت ميت وفي هين هين ثم طيف الذي هو الأصل يحتمل أن يكون من طاف يطيف أو من طاف يطوف والأصل طيوف فقلب وأدغم وهذا قول ابن الأنباري) اهـ.

وانظر: «معجم مفردات الإبدال والإعلال» للخراط ص١٧٦ (طاف)، وص٢٥٢ (ميت)، وص٢٧١ (هين).

(١) ذكرها النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٦٠، والسمرقندي ١/ ٥٩٠، والثعلبي ٦/ ٣٢ ب، ومكي في «الكشف» ١/ ٤٨٧، وابن عطية ٦/ ١٩٠-١٩١، والرازي ١٥/ ٩٩، والقرطبي ٧/ ٣٤٩، و«البحر» ٤/ ٤٤٩، وذكرها ابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص٢٥٣، عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وذكرها ابن زنجلة في «الحجة» ص٣٠٦ عن ابن مسعود. وذكرها ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٠٩ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري والضحاك.

(٢) لفظ: (في الطيف) مكرر في (أ).

(٣) في (أ): (من الشيطان أن يشبه)، وهو تحريف.

(٤) الأحمر هو خلف بن حيان، لغوي. تقدمت ترجمته.

(٥) الهذلي هو أبو العيال بن أبي غثير، مشهور بكنيته، شاعر مخضرم، أسلم مع من أسلم من هذيل، وعمر إلى خلافة معاوية، وهو فصيح مقدم.

انظر: «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٤٠٧، و«الشعر والشعراء» ص٤٤٥، و«الأغاني» ٢٤/ ١٦٢، و«الإصابة» ٤/ ١٤٦.

(٦) «شرح أشعار الهذليين» للسكري ١/ ٤١٥، و«معاني القراءات» ١/ ٤٣٣،

وإذا بـهـا وأبـيـك طـيـف جـنـون[١]

وقيل للغضب: طيف لأن عقل من استفزه يعزب حتى يصير في صورة المجنون الذي زال عقله)[٢].

وأما الطائف فيجوز أن يكون بمعنى: الطيف، مثل العافية والعاقبة، ونحو ذلك مما جاء المصدر فيه على فاعل وفاعلةٍ، قال الأعشى[٣]:

وتصبح[٤] من غبِّ السرى وكأنما[٥]

ألـم بـهـا مـن طـائـف الـجـن أولـق

قال الفراء[٦] في هذه الآية: (الطائف والطيف سواء، وهو ما كان

و«الصحاح» ٤/ ١٣٩٧، و«اللسان» ٥/ ٢٧٣٩ (طيف)، وبلا نسبة في «البارع» ص٦٨٣، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ١٢١، وصدره:

ومنحتني فرضيت حين منحتني

وجاء في «الأغاني» ٢٤/ ٢٦٦ (رأي) بدل (حين)، (والله) بدل (وأبيك)، وفي المراجع (فإذا) بدل (وإذا).

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥ (طيف).

(٢) «ديوانه» ص١١٨، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٣٦، و«الحجة» لأبي علي ٤/ ١٢١، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٣٢، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ١٩١-١٩٢، و«اللسان» ٥/ ٢٧٢٢ (طوف)، و«البحر» ٤/ ٤٤٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٤٧، وبلا نسبة في: «الجمهرة» ١/ ١٠٩٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ١٨٤ (ألق)، و«إعراب القراءات» ١/ ٢١٨، و«الحجة» لابن خالويه ص١٦٨، وغب الشيء: عاقبته وما يليه، والسرى: السير ليلًا، وألم به خالطه، والطائف ما يلم بالإنسان ويطوف به، وأولق أي: جنّ.

(٣) في: (أ): (ويصبح)، وهو تصحيف.

(٤) في: (أ): (ولا نما)، وهو تحريف.

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥، وفي «معاني الفراء» ١/ ٤٠٢: (﴿طَآئِفٌ﴾، وقرأ إبراهيم النخعي (طيف) وهو اللمم والذنب) اهـ.

كالخيال، والشيء يُلم بك).

وقال الليث: (طائف الشيطان، وطيف الشيطان ما يغشى الإنسان من وساوسه)[١].

ومنهم من قال: (الطيف كالخطرة، والطائف كالخاطرة[٢]. وهذا أكثر لأن المصدر على فَعْل أكثر منه على فاعل[٣]، وقال أبو عمرو[٤]: (الطائف ما يطوف حول الشيء، وهو هاهنا ما طاف به من وسوسة الشيطان، والطيف اللمة والوسوسة)[٥]، فأما التفسير، فقال ابن عباس في

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥، وفيه قال الليث: (كل شيء يغشى البصر من وسواس الشيطان فهو طيف والطائف العاس بالليل) اهـ.
وانظر: «العين» ٧/ ٤٥٩، و«الجمهرة» ١/ ٩٢٢.

(٢) لفظ: (كالخاطرة) ساقط من (ب).

(٣) هذا قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٢١، وانظر: «الحجة» لابن زنجلة ص٣٠٥، و«الكشف» ١/ ٤٨٧.

(٤) أبو عمرو بن العلاء، إمام، مقرئ، لغوي. سبقت ترجمته.

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٢ ب، والماوردي ٢/ ٢٨٩، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٠، والبغوي ٣/ ٣١٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٩-٣١٠.
وفي «تفسير الطبري» ٩/ ١٥٧-١٥٨، و«معاني النحاس» ٣/ ١٢٠ عن أبي عمرو قال: (الطيف الوسوسة) اهـ.
وفي «معاني النحاس» عن الكسائي قال: (الطيف اللمم والطائف كل ما طاف حول الإنسان) اهـ.
وقال النحاس في «إعرابه» ٦٦٠: (كلام العرب في مثل هذا طيف بالتخفيف على أنه مصدر من طاف يطيف، ومعناه في «اللغة»: ما يتخيل في القلب أو يرى في النوم، وكذا معنى طائف) اهـ. ونحوه قال في «معانيه» ٣/ ١٢٠، وقال الأزهري في «معاني القراءات» ١/ ٤٣٣-٤٣٤: (المعنى في الطيف والطائف واحد، وهو في كلام العرب له معنيان أحدهما: الجنون، وقد جعله بعض المفسرين في هذا =

رواية عطاء: (إذا مسهم عارض من وسوسة الشيطان)[١].

[وروي عنه[٢]: (نزغ من الشيطان)][٣].

وقال مجاهد[٤] وسعيد بن جبير[٥]: (هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ).

وروى ليث[٦] عن مجاهد قال: (هو الرجل يهمّ بالذنب فيذكر الله فيدعه)[٧].

= الموضع جنونًا لأن الغضب الشديد يعتريه شيء من الجنون، والمعنى: إذا مسهم غضب يخيل إلى من رآه في تلك الحالة بعد ما كان رآه ساكنًا أنه مجنون، والطيف في غير هذا الخيال الذي تراه في منامك، ومن قرأ: ﴿طَآئِفٌ﴾ أراد به تغير حالة الغضبان إذا ثار ثائره فكأنما طاف به شيطان استخفه حتى تهافت فيما يتهافت فيه المجنون من سفك الدم الحرام والتقحم على الأمور العظام) اهـ.
وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٦، و«غريب القرآن» ص١٥٦، و«الدر المصون» ٥/ ٥٤٥.

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٠، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٠ بسند جيد عنه قال: (الطائف اللَّمة من الشيطان) اهـ.

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٨ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٢ ب.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٠ عن سعيد بن جبير ومجاهد، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٤. وأخرجه الطبري ٩/ ١٥٨ من طرق جيدة قال: (الغضب).

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣ أ، والبغوي ٣/ ٣١٨، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٨ بسند جيد عنه، قال: (الغضب)، وذكره ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤ عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعبد الرحمن بن زيد.

(٦) ليث بن أبي سليم الكوفي. تقدمت ترجمته.

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٠، والبغوي ٣/ ٣١٨.

ونحو ذلك قال الكلبي[١]، وروى الحكم[٢] عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: (الطيف الغضب)[٣].

وقال أهل المعاني: (ينبغي للعاقل إذا أحس من نفسه إفراطًا في الغضب أن يذكر غضب الله على المسرفين فلا يقدم على ما يوبقه)[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: استعاذوا فأبصروا عظمة الله تعالى)[٥].

وقال السدي: (معناه: إذا زلُّوا تابوا)[٦]، وقال مقاتل: (يقول: إن المتقي إذا أصابه نزغ من الشيطان تذكر[٧] وعرف أنها معصية فأبصرها ففزع من مخافة الله)[٨]، فعلى هذا معنى[٩] ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر.

---

(١) في «تنوير المقباس» ٢/ ١٥٠ قال: (الطائف: الريب والوسوسة) اهـ.
وذكر الثعلبي ٦/ ٣٢ ب عن الكلبي قال: (ذنب) اهـ.

(٢) الحكم هو: الحكم بن أبان العدني، أبو عيسى، إمام، عابد، سيد أهل اليمن، وهو صدوق له أوهام. توفي سنة ١٥٤هـ وله حوالي ٨٠ سنة.
انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ١١٣، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٥٦٩، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٦١، و«تقريب التهذيب» ص١٧٤ رقم (١٤٣٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٠ بسند ضعيف، وذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥ (طيف).

(٤) هذا قول الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥ (طيف).

(٥) لم أقف عليه. وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند ضعيف عنه في الآية قال: (إذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان) اهـ.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٨، ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١، بسند جيد.

(٧) في (ب): (تذكروا وعرف)، وهو تحريف.

(٨) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٢.

(٩) لفظ: (معنى) ساقط من (أ).

وقال أبو إسحاق: (أي: تفكّروا فيما أوضح الله لهم من الحجة فإذا هم على بصيرة)[١].

وقال الفراء: (﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ أي: منتهون إذا أبصروا)[٢].

وقوله: ﴿فَإِذَا هُم﴾. معنى (إذا) هاهنا: المفاجأة، كقولك: خرجت فإذا زيد، و(إذا) في قوله ﴿إِذَا مَسَّهُمۡ﴾[٣] بمنزلة الجزاء في أن لها جوابًا كجوابه، والفرق[٤] بينها وبين الجزاء أن (إذا) عبارة عن الوقت كقولك: آتيك إذا احمَرَّ البُسْرُ، وليس كذلك (إنْ) كقولك: آتيك إن كان[٥] كذا، فهذا شرط لا عبارة فيه[٦] عن زمان ما، ولهذا قال الشافعي: (إذا قال لامرأته: إذا لم أطلقك فأنت طالق[٧]؛ طلقت في الوقت، وإذا قال: إن لم أطلقك فأنت طالق؛ لم يقع الطلاق ما لم يطلقها)[٨].

---

(١) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٦.

(٢) «معاني القراء» ١/ ٤٠٢، والمعاني متقاربة، والمعنى: تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره، أفاده الطبري ٩/ ١٥٩، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٦١، والماوردي ٢/ ٢٨٩، وابن الجوزي ٣/ ٣١٠، و«البحر» ٤/ ٤٥٠.

(٣) في (ب): (وإذا مسهم)، وهو تحريف.

(٤) في (ب): (فالفرق).

(٥) انظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص٥٧ وص٦٣، و«معاني الحروف» للرماني ص٧٤، وص١١٥، و«الصاحبي» ص١٧٦ وص١٩٣، و«رصف المباني» ص١٨٦، و«المغني» لابن هشام ١/ ٢٧ وص٨٧.

(٦) لفظ: (فيه) ساقط من (ب).

(٧) لفظ: (طالق) ساقط من (ب).

(٨) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٢٤ (إن)، وفي «روضة الطالبين» ٦/ ١٢١ قال: (أدوات التعليق تقتضي الفور في طرف النفي إلا لفظة (إن) فإنها للتراخي) اهـ. وذكر في «المجموع» ١٧/ ١٨٨ قول الشافعي، وقال: (هذا هو الصحيح لأن =

٢٠٢- قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾، اختلفوا في هذه الكناية، فالأكثرون على أن المراد بها: الشياطين، وهو قول الحسن[١] وقتادة[٢] والسدي[٣] والضحاك[٤] والكناني[٥] واختيار الزجاج[٦]، قال: (يعني به: الشياطين؛ [لأن الكفار إخوان الشياطين][٧] لاجتماعهم على الضلالة)، وعلى هذا المراد بالإخوان: الكفار، وعادت الكناية إلى الشياطين لأنهم قد ذكروا في قوله ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، و[٨] هو اسم جنس.

وقال آخرون: المراد بالإخوان: الشياطين، فقوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾، أي: إخوان المشركين من الشياطين، وهذا قول ابن عباس[٩] في رواية عطاء،

= (إذا) اسم لزمان مستقبل ومعناه: أي وقت، ولهذا يجاب به عن السؤال عن الوقت فيقال: هل ألقاك فتقول: إذا شئت، كما تقول: أي وقت شئت، فكان على الفور، كما لو قال: أي وقت لم أطلقك فأنت طالق، وليس كذلك! فإنه لا يستعمل الزمان، ولهذا لا يجوز أن يقال متى ألقاك فتقول: إن شئت، وإنما يستعمل في الفعل ويجاب بها عن السؤال عن الفعل، فيقال: هل ألقاك فتقول: إن شئت، فيصير معناه: إن فاتني أن أطلقك فأنت طالق، والفوات يكون آخر العمر) اهـ.

(١) ذكره هود الهواري في «تفسيره» ٢/ ٦٨، وذكره القرطبي ٧/ ٣١٥ عن الحسن وقتادة والضحاك.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٥-٢٤٦، والطبري ٩/ ١٦٠، بسند جيد.
(٣) أخرجه الطبري» ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤١ بسند جيد.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٦١.
(٥) الكناني: هو الإمام عبد العزيز بن يحيى المكي، ولم أقف على قوله.
(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٧.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٨) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).
(٩) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٢ بسند ضعيف، وأخرج ابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٤١ بسند جيد عنه قال: (إخوان الشياطين يمدونهم في الغي).

ومجاهد[(١)] والكلبي، وابن مسلم[(٢)] وابن جريج[(٣)] ومقاتل[(٤)]، قال الكلبي: (لكلّ كافرٍ أخ من الشياطين)[(٥)]. وهذا القول اختيار الفراء[(٦)] وأبي بكر؛ قال: (والكناية على هذا تعود إلى الجاهلين في قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهم المشركون، ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وهم الشياطين)[(٧)].

و[(٨)] قوله تعالى: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾. هذا من فعل الشياطين على القولين جميعًا، قال مقاتل: (يدعونهم إلى المعصية)[(٩)]، وقال أبو بكر: (أي: يزينونه لهم ويريدون منهم لزومه والإقامة عليه)[(١٠)].

---

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٤، وأخرجه الطبري ٩/ ١٦٠ بسند جيد.

(٢) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٧، ونحوه قال مكي في «تفسير المشكل» ص٨٩.

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩ بسند جيد.

(٤) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٢.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩١، والبغوي ٣/ ٣١٨، والخازن ٢/ ٣٢٩ .

(٦) «معاني الفراء» ١/ ٤٠٢.

(٧) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١١، وقال النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٦١: (أحسن ما قيل في هذا قول الضحاك ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين وهم الفجار، وعلى هذا يكون الضمير متصلًا، فهذا أولى في العربية، وقيل للفجار: إخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم) اهـ. ونحوه قال القرطبي ٧/ ٣٥١، وقال السمين في «الدر» ٥/ ٥٤٨: (الضمير في (﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ يعود على الشياطين لدلالة لفظ الشيطان عليهم، والضمير المنصوب في (يمدوهم) يعود على الكفار والتقدير: وإخوان الشياطين يمدهم الشياطين، وهذا قول الجمهور وعليه عامة المفسرين) اهـ.
وانظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ٥٩٠، وابن عطية ٦/ ١٩٢-١٩٣، وابن الجوزي ٣/ ٣١٠، والرازي ١٥/ ١٠٠.

(٨) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٩) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٢.

(١٠) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١٠-٣١١ بلا نسبة.

وقال أهل المعاني: (يطولون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه)(١)، وذكرنا معنى المدّ في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] واختلف القراء(٢) في قوله: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ فقرءوا من المدّ والإمداد جميعًا، وعامة ما جاء في التنزيل مما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢]. وقوله: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] وما كان خلافه يجيء على مددت قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، فالوجه هاهنا قراءة العامة وهو فتح الياء ومن ضم الياء استعمل ما هو للخير في ضده كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠](٣).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾، قال الليث: (الإقصار الكف عن الشيء)(٤). وقال أبو زيد: (أقصر فلان عن الشيء يقصر إقصارًا إذا كف عنه وانتهى)(٥).

---

(١) هذا قول ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» ص١٨٧، الثعلبي ٦/ ٣٣ ب، ومكي في «تفسير المشكل» ص٨٩، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٧، و«غريب القرآن» ص١٥٦، و«معاني النحاس» ٣/ ١٢١.

(٢) قرأ نافع ﴿يُمِدُّونَهُم﴾ بضم الياء وكسر الميم من أمدَّ، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الميم من مدَّ، انظر: «السبعة» ص٣٠١، و«المبسوط» ص١٨٨، و«التذكرة» ٢/ ٣٤٠، و«التيسير» ص١١٥، و«النشر» ٢/ ٢٧٥.

(٣) ما تقدم هو قول أبي علي في «الحجة» ٤/ ١٢٢-١٢٣، وانظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٦١، و«معاني القراءات» ١/ ٤٣٤، و«الحجة» لابن زنجلة ص٣٠٦، و«الكشف» ١/ ٤٨٧.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٢: وانظر: «العين» ٥/ ٥٧ (قصر).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٢: وانظر: «الجمهرة» ٢/ ٧٤٢، و«الصحاح» ٢/ ٧٩٢، و«المجمل» ٣/ ٧٥٦، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٩٦، و«المفردات» ص٦٧٢، و«اللسان» ٦/ ٣٦٤٥ (قصر).

قال ابن عباس: (يريد: لا يألون في ضلالتهم)(١).

وقال ابن زيد: (لا يسأمون ولا يفترون)(٢)، وقال الضحاك(٣): (الشياطين يمدون المشركين(٤) في الضلالة ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾. يعني: المشركين، بخلاف ما قال في المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]) ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان: (﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عن الضلالة، ولا يبصرونها كما أقصر المتقي عنها حين أبصرها)(٥).

وهو قول ابن جريج: (لا يقصر الإنسان من أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا)(٦).

فعلى قول ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ من(٧) فعل الشياطين وعلى قول الباقين من فعل المشركين، وقال قوم: إنه من فعلهم جميعًا.

---

(١) لم أقف عليه، وأخرج الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند ضعيف عنه قال: (لا يسأمون) اهـ.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣ أ.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٢، والبغوي ٣/ ٣١٨ عن الضحاك ومقاتل، وذكر النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٦١، عن الضحاك قال: (أي: إخوان الشياطين وهم الفجار: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يتوبون ولا يرجعون) اهـ.

(٤) في (ب): (يمدون المشركين والضلالة)، وهو تحريف.

(٥) «تفسير مقاتل» ٢/ ٨٢.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير المكي.

(٧) لفظ: (من) ساقط من (ب).

قال مقاتل[١] بن حيان: (﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ عن المعصية هؤلاء وهؤلاء)[٢].

وقال الفراء: (﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ يعني: المشركين وشياطينهم)[٣].

وروي مثل هذا عن ابن عباس قال: (لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين يمسكون عنهم)[٤].

٢٠٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾، قال الكلبي[٥]: (يعني: أهل مكة ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ سألوكها، وكانوا يسألونه الآيات تعنتًا، فإذا أبطأت ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾).

قال الفراء: (العرب تقول: اجتبيت الكلام[٦] واختلقته، وارتجلته[٧] إذا افتعلته من قبل نفسك)[٨].

---

(١) في: (أ) تكرار لفظ: (مقاتل).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «معاني الفراء» ١/ ٤٠٢.

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٥٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٢ بسند جيد، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٣١١ وقال: (وعليه يكون قوله: ﴿يُقْصِرُونَ﴾من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور) اهـ.

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٢، والبغوي ٣/ ٣١٨، وابن الجوزي ٣/ ٣١١، الخازن ٢/ ٣٣٠.

(٦) لفظ: (الكلام) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (وارتجلته وافتعلته)، وهو تحريف.

(٨) حكاه الطبري ٩/ ١٦١، عن الفراء، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٥٢٧، عن الفراء في الآية قال: (هلا اجتبيتها هلا اختلقتها وافتعلتها من قبل نفسك، وهو في كلام العرب جائز أن تقول: لقد اختار لك واجتباه وارتجله) اهـ. وفي «معاني الفراء» ١/ ٤٢٠: (يقول: هلا افتعلتها، وهو من كلام العرب جائز أن يقال: اختار الشيء وهذا اختياره) اهـ. وأشار المحقق في الحاشية إلى وجود سقط في النسخ.

وقال أبو زيد: (الاجتباء تقوله العرب في الكلام يبتدئه الرجل من نفسه)[١].

وقال الزجاج[٢]: (﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ أي: هلا اختلقتها، وأتيت بها[٣] من قبل نفسك).

ونحو هذا قال المفسرون، و[٤]روي عن ابن عباس: (لولا أحدثتها فأنشأتها)[٥].

وقال مجاهد[٦]: (لولا اقتضبتها[٧] وأخرجتها من نفسك).

وقال ابن زيد[٨]: (لولا تقولتها وجئت بها من عندك).

---

(١) حكاه الطبري ٩/ ١٦٢، عن أبي عبيدة عن أبي زيد، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٣ ب، وانظر: «اللسان» ١/ ٥٤٢ (جبى).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٧، ونحوه في «تفسير غريب القرآن» ص١٨٧، و«معاني النحاس» ٣/ ١٢١.

(٣) لفظ: (بها) ساقط من (أ).

(٤) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد. وفي رواية قال: (لولا تلقيتها)، وأخرج ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عنه قال: (لولا أخذتها وتلقيتها فأنشأتها) وفي رواية بسند ضعيف قال: (هلا افتعلتها من تلقاء نفسك) وفي رواية عند الطبري وابن أبي حاتم بسند ضعيف قال: (لولا تقبلتها من الله) اهـ.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد، وفي «تفسير مجاهد» ١/ ٢٥٤، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد قال: (لولا ابتدعتها من قبل نفسك).

(٧) في (ب): (قتضيتها)، والأولى «اقتضبتها» كما في المراجع. واقتضب الكلام ارتجله من غير تهيئة أو إعداد له، انظر: «اللسان» ٦/ ٣٦٦٠ (قضب).

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد.

وقال قتادة[١]: (هلا افتعلتها[٢] [وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك).

وقال الضحاك: ([افتعلتها][٣] من تلقاء نفسك[٤]).

قال الزجاج: (فأعلمهم ﷺ أن الآيات من قبل الله ﷻ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾[٥] [الأعراف: ٢٠٣]، أي:[٦] لو كنت آتي بالآيات من قبل نفسي للزمني تعجيل ما تطلبون مني، لكن ليس الأمر كذلك لأني ﴿أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا القرآن الذي أتيت به ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٣/ب، وأخرج عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٧، والطبري ٩/ ١٦١ بسند جيد عنه قال: (لولا جئت بها من نفسك)، وفي رواية عند الطبري بسند جيد عنه قال: (لولا تلقيتها من ربك)، وأخرج الطبري ٩/ ١٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٤ بسند جيد عنه قال: (لولا أتيت بها من قبل نفسك، هذا قول كفار قريش) اهـ.

(٢) في (ب): (فعلتها).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) أخرج الطبري ٩/ ١٦١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٣ بسند جيد عنه قال: (لولا أخذتها فجئت بها من السماء) اهـ، والمعاني متقاربة، واختار الطبري ٩/ ١٦١ أن المعنى: (هلا أحدثتها من نفسك) اهـ، واختار النحاس في «معانيه» ٣/ ١٢١: (جئت بها من عند نفسك قال: وكذلك هو في اللغة يقال: اجتبيت الشيء وارتجلته واخترعته واختلقته إذا جئت به من عند نفسك) اهـ.
وقال ابن الجوزي ٣/ ٣١٢: (هلا افتعلتها من تلقاء نفسك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد والفراء والزجاج وابن قتيبة في آخرين وهو أصح) اهـ.
وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٠، و«تفسير غريب القرآن» ص١٨٧، والسمرقندي ١/ ٥٩١، والماوردي ٢/ ٢٩٠.

(٥) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٧.

(٦) لفظ: (أي) ساقط من (أ).

قال ابن الأعرابي[١]: (البصيرة الثبات في الدين).

وقال غيره: (البصيرة العبرة، يقال: أما لك بصيرة في هذا أي: عبرة تعتبر بها[٢] وأنشد[٣]:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

أي: عبر)[٤].

وقال الفراء[٥] والزجاج[٦]: (البصيرة في الدين، وأصلها من ظهور الشيء وبيانه).

وقال أهل المعاني[٧] في قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾: (هذا القرآن، وهذا الوحي دلائل من ربكم تقود إلى الحق، وتهدي إلى الرشد من استدل بها دون من أعرض عنها متعاميًا عما فيها، ومن هذا يقال للطريقة من الدم[٨] يستدل به على الرميَّة: بصيرة).

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٢.

(٢) في (أ): (تعتبرها)، وهو تحريف.

(٣) البيت لقس بن ساعدة الإيادي في كتاب «المعمرين» لأبي حاتم السجستاني ص٩٦، و«العقد الفريد» ٤/ ٢١٥، و«البيان» للجاحظ ١/ ٢٩٤، و«الأغاني» ١٥/ ٢٣٧، و«معجم المرزباني» ص١٩٩، وبلا نسبة في «العين» ٧/ ١١٨، و«تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٢، و«اللسان» ١/ ٢٩١ (بصر).

(٤) هذا قول الليث في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٤٢.

(٥) لم أقف عليه عن الفراء.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٧.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٦٢.

(٨) في (ب): (الذم) وهو تصحيف، والرمية، هي الطريدة التي يرميها الصائد. انظر: «اللسان» ٣/ ١٧٤٠ (رمي).

وقال المفسرون[١]: (هذا القرآن حجج وبيان وبرهان من ربكم، وأصلها من ظهور الشيء حتى يبصرها الإنسان فيهتدي إليها وينتفع بها[٢]، فمعنى البصيرة في أصل اللغة[٣] ما يبصر به الشيء، ويدخل في هذا العبرة والحجة والدليل والبرهان).

٢٠٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾. الإنصات السكوت للاستماع، يقال: نَصَتَ وأَنصت وانتصت بمعنى واحد[٤]، وقد ورد الإنصات متعديًا في شعر الكميت[٥] بمعنى الإسكات وهو قوله[٦]:

أبـوك الـذي أجـدى علـي بـنـصـره
فـأنـصـت عـنـي بـعـده كـلَّ قـائـل[٧]

---

(١) هذا قول الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٣ ب، والبغوي ٣/ ٣١٨، ونحوه قال أكثرهم، وانظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٧، و«تفسير الطبري» ٩/ ١٦٢، و«نزهة القلوب» ص١٤٠، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٩١.

(٢) لفظ: (بها) ساقط من (ب).

(٣) انظر: «الجمهرة» ١/ ٣١٢، و«الصحاح» ٢/ ٥٩١، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٥٣، و«المجمل» ١/ ١٢٧، و«المفردات» ص١٢٧ (بصر).

(٤) انظر: «العين» ٧/ ١٠٦، و«الجمهرة» ١/ ٤٠١، و«الصحاح» ١/ ٢٦٨، و«المجمل» ٢/ ٨٧٠، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٤٣٤.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) لفظ: (قوله) ساقط من (ب).

(٧) البيت للكميت في «البحر» ٤/ ٤٣٨، و«الدر المصون» ٥/ ٥٥١ وهو للراعي النميري في «ديوانه» ص٧٨، و«مجاز القرآن» ٢/ ٤٧، و«الجمهرة» ١/ ٣٩٨، ٣/ ١٢٦١، و«الاشتقاق» ص١١٠، وبلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٢، و«اللسان» ٧/ ٤٤٣٧ (نصت).

قال الأصمعي[(١)]: (يريد: فأسكت عني)[(٢)]. واختلف المفسرون في وجه نزول الآية على قولين أحدهما: أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، قال أبو هريرة: (كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت هذه الآية وأُمروا بالإنصات)[(٣)].

وقال قتادة: (كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقي، وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأنزل الله هذه الآية)[(٤)] ونحو هذا قال معاوية[(٥)] بن قرة[(٦)]. وقال ابن مسعود: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة؛ سلام على فلان، سلام على فلان، فجاء القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ الآية)[(٧)].

القول الثاني: أن الآية نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام، قال ابن عباس: (إن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية)[(٨)].

---

(١) وقع هنا في (ب) اضطراب في ترتيب الأوراق حيث وقع باقي تفسير الآية في ١٨٦ ب.

(٢) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٨٣٨٠، الطبري ٩/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٥، والبيهقي في «سننه» ٢/ ١٥٥ من طرق ضعيفة.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٧، والطبري ٩/ ١٦٤ من طرق جيدة.

(٥) معاوية بن قرَّة بن إياس بن هلال المزني أبو إياس البصري، إمام تابعي عابد عالم ثقة، والد القاضي إياس أدرك كثيرًا من الصحابة رضي الله عنهم، توفي سنة ١١٣هـ وله ٧٦ سنة، انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٣٧٨، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ١٥٣، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١١١، و«تقريب التهذيب» ص٥٣٨ (٦٧٦٩).

(٦) أخرجه البيهقي في «سننه» ٢/ ١٥٥ بسند جيد.

(٧) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٢ بسند ضعيف لانقطاعه.

(٨) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٥ بسند جيد.

وروى عن أبي هريرة مثل ذلك[١] قال: (نزلت هذه الآية في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة)[٢].

وروي أيضًا عن ابن مسعود[٣] مثل هذا، وقال الكلبي: (كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فأنزل الله هذه الآية)[٤].

وفي الآية قول ثالث: وهو أنها نزلت في السكوت للخطبة؛ أُمِروا بالإنصات للإمام يوم الجمعة، وهذا قول سعيد[٥] بن جبير ومجاهد[٦] وعطاء[٧] وعمرو[٨] بن دينار، وزيد بن أسلم[٩] والقاسم

---

(١) في (ب): (مثل هذا).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٥، والدارقطني في «سننه» ١/ ٣٢٦، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٣، وفي «أسباب النزول» ص٢٣٣ بسند ضعيف كما قال الدارقطني.

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٣٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٦ بسند جيد عنه، قال: (لعلكم تقرأون مع الإمام قالوا: نعم، قال: ألا تفقهون ما لكم لا تعقلون: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾) اهـ.
قال الشيخ أحمد شاكر في «الحاشية»: (فيه بشير بن جابر لم أعرفه وفي المخطوطة (بسير) غير منقوطة ولم أعرف له وجه) اهـ.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٧ بسند جيد.

(٥) ذكره البغوي ٣/ ٣١٩، والرازي ١٥/ ١٠٢، والخازن ٢/ ٣٣٠ عن سعيد بن جبير وعطاء، وأخرج الطبري ٩/ ١٦٥ بسند جيد عنه قال: (يوم الأضحى والفطر والجمعة وفي الصلاة) وقال البخاري في القراءة خلف الإمام ص٦٤: (ذكر عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن الآية في الصلاة إذا خطب الإمام يوم الجمعة) اهـ.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٢٢٦-٢٢٧، الطبري ٩/ ١٦٥ من طرق جيدة.

(٧) ذكره الماوردي ٢/ ٢٩٠، وأخرج الطبري ٩/ ١٦٥ من طرق جيدة.

(٨) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٢٣٣، وابن الجوزي ٣/ ٣١٣، عن سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار.

(٩) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٤ ب، والقرطبي ٧/ ٣٥٣، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعمرو ابن دينار وزيد بن أسلم، والقاسم بن مخيمرة.

بن مخيمرة[١] وجماعة.

واحتج ابن المبارك[٢] لهذا القول بأن قال: (لا ترى خطيبًا يخطب يوم الجمعة فأراد أن يقرأ في الخطبة[٣] آية من قوارع القرآن إلا قرأ هذه الآية قبل قراءته ثم قرأ القرآن)[٤].

واختار الفراء[٥]، وأبو إسحاق[٦] القول الأول، وقالا: (كان الناس يتكلمون في الصلاة المكتوبة، يأتي الرجل القوم فيقول: كم صليتم؟ فيقول الناس: كذا وكذا، فنهوا عن ذلك، فحرم الكلام في الصلاة لما نزلت هذه الآية).

ولا حجة في الآية لمن أبى وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة خلف الإمام؛ لأن قوله: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ على القول الأول أمر بالإنصات عن الكلام الذي لا يحل في الصلاة، وعلى القول الثاني أمر بالإنصات عن رفع الأصوات خلف الإمام، وفي القول الثالث أمر بالإنصات لاستماع القرآن

---

(١) القاسم بن مخيمرة الهمداني، أبو عروة الكوفي نزيل الشام، تابعي إمام عابد فاضل معلم محدث ثقة، توفي سنة ١٠٠هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ١٢٠، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٠١، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٢١، و«تقريب التهذيب» ٣/ ٤٢١.

(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي. تقدمت ترجمته.

(٣) لفظ: (الخطبة) ساقط من (ب).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٤ ب، وهذا القول ضعفه أكثرهم، قال البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٢٠: (الأولى أنها في القراءة في الصلاة؛ لأن الآية مكية والجمعة وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه مأمور بالإنصات حالة ما يخطب الإمام) وضعفه ابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٨٢٨، والقرطبي ٧/ ٣٥٣.

(٥) «معاني الفراء» ١/ ٤٠٢.

(٦) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٨.

في الخطبة، وقد قال الأوزاعي[١]: (إن الله أمر بالإنصات عن الكلام لا عن قراءة القرآن لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة)[٢].

فإن احتج بعموم اللفظ ولم يقصر الآية على سببها قيل له: حكم الآية ممتثل[٣] عند الشافعي[٤] ﷺ؛ لأن السنة أن يسكت الإمام ويتنفس فيقرأ المأموم الفاتحة في حال سكتة الإمام، كما قال أبو سلمة[٥]: (للإمام سكتتان فاغتنم القراءة في أيهما شئت)[٦]، على أن الإنصات هو ترك

---

(١) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي أبو عمرو الشامي الدمشقي، إمام تابعي عابد فاضل فقيه حافظ ثقة، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أجمعوا على إمامته وجلالته وعلوّ مرتبته وكمال فضله وأقاويل الأئمة فيه كثيرة مصرحة بورعه وزهده وغزارة فقهه وقيامه بالحق، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٥٧ هـ وله ٦٩ سنة.
انظر: «الجرح والتعديل» ١/ ١٨٤، و٥/ ٢٦٦، و«الحلية» ٦/ ١٣٥، و«تهذيب الأسماء واللغات» ١/ ٢٩٨، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ١٠٧، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٣٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كذا في النسخ: «ممتثل» ولعل المعنى أي: قائم ومتصور. انظر: «اللسان» ٧/ ٤١٣٥: (مثل).

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للشافعي ١/ ٧٧، و«روضة الطالبين» ١/ ٣٤٧، و«المجموع» ٣/ ٣٦٣.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، وهو إمام تابعي عالم عابد فقيه ثقة مكثر اتفقوا على جلالته وإمامته وعظم قدره وارتفاع منزلته توفي رحمه الله تعالى سنة ٩٤هـ، وله ٧٢ سنة، انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٩٣، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٢٤٠، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٨٧، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٣١.

(٦) أخرجه البخاري في «القراءة خلف الإمام»، وذكره ابن قدامة في «المغني» =

الجهر، والعرب تسمي تارك الجهر منصتًا وإن كان يقرأ في نفسه إذا لم يُسمع أحدًا، وأيضًا فإن الفاتحة مخصوصة بالقراءة من بين غيرها بالسنة لقوله ﷺ: **«إذا كنتم خلفي فلا تقرءوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة إلا بها»**(١).

= ٢/ ٢٦٦، وابن القيم في «زاد المعاد» ١/ ٢٠٨، وقال ابن قدامة في «المغني» ١/ ١٦٣: (يستحب أن يسكت الإمام عقيب قراءة الفاتحة سكتة يستريح فيها ويقرأ فيها من خلفه الفاتحة كي لا ينازعوه فيها، وهذا مذهب الأوزاعي والشافعي وإسحاق، وكرهه مالك وأصحاب الرأي) اهـ.

وانظر: «سنن البيهقي» ٢/ ١٩٥، و«نيل الأوطار» ٢/ ٢٧٦.

(١) أخرجه البخاري في «القراءة خلف الإمام»، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٢٣)، والترمذي رقم (٣١١)، و«النسائي» ٢/ ١٤١-كتاب «الافتتاح»-باب: قراءة أم القرآن في الجهرية، والدارقطني ١/ ٣١٨، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٢٣٨ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (صلى رسول الله ﷺ الصبح فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال: **«إني أراكم تقرءون وراء إمامكم.** قلنا: إي والله. قال: فلا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها») اهـ.

قال الترمذي: (حديث حسن وله شواهد والعمل عليه في القراءة خلف الإمام عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين وهو قول مالك وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق) اهـ.

وقال الدارقطني: (إسناده حسن) اهـ. وذكره الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» ١/ ٢٣١ وحسنه وقال: (صححه أبو داود والترمذي والدارقطني وابن حبان والحاكم والبيهقي) اهـ.

وقال البيهقي في «سننه» ٢/ ١٦٣: (يقرأ المأموم خلف الإمام بفاتحة الكتاب في السرية والجهرية وهو أصح الأقوال على السنة وأحوطها وبالله التوفيق) اهـ.

وهذا هو الظاهر وحديث عبادة نص في ذلك، وهو اختيار الشيخ محمد بن =

فالمأموم ينصت إلا عن الفاتحة. للخبر، على أنا نقول: إن جاز لغيرنا أن يُعدّي الآية إلى غير السبب النازل فيه جاز لنا أن نأوّلها بما ذكره أبو إسحاق، وهو أنه قال: (يجوز أن يكون: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾[١] اعملوا بما فيه، ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ لا تجاوزه إلى غيره؛ لأن معنى قول القائل: سمع الله دعاءك تأويله: أجاب الله دعاءك، وفعل ما أردت؛ لأن الله ﷻ سميع لم يزل)[٢]، وعلى هذا فلا معنى لترك القراءة في الآية وليست الآية من ترك القراءة في شيء.

وذهب قوم من أهل الظاهر[٣] إلى أن هذه الآية عامة، ويجب الإنصات لقارئ الطريق، ومعلم الصبيان، وليس الأمر على[٤] ما ذهبوا إليه؛ فإن هذا الإنصات إنما يجب في الصلاة، وعند الخطبة يوم الجمعة،

= صالح العثيمين قال في «مجموع دروس الحرم المكي» ٢/ ٢٣٦: (الصحيح من أقوال أهل العلم أن قراءة الفاتحة واجبة على الإمام والمأموم والمنفرد في الصلاة السرية والجهرية والدليل حديث عبادة فتكون الأحاديث مخصصة للآية وتحمل الآية في غير الفاتحة لأنه لا بد من قراءتها) اهـ.

(١) في النسخ: (استمعوا).

(٢) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٨.

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة ٢/ ٢٥٩، و«الفتاوى» لشيخ الإسلام ٢٣/ ٢٦٥ وص٣٣٠، و«نيل الأوطار» ٢/ ٢٤٣-٢٥٧، وقال النحاس في «إعرابه» ص٦٦٢: (الإنصات في اللغة عام يجب أن يكون في كل شيء إلا أن يدل دليل على اختصاص شيء) اهـ. ونحوه في «معانيه» ٣/ ١٢٢، وقال القرطبي ٧/ ٣٥٣-٣٥٤: (الصحيح أن الإنصات عام في الصلاة والخطبة لأنه يجمع جميع ما أوجبته هذه الآية وغيرها من السنة في الإنصات وحكي عن النقاش إجماع أهل التفسير أن هذا في الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة) اهـ.

(٤) في (ب): (إلى ما ذهبوا).

على ما ذكرنا عن الأئمة والسلف[١]؛ يدل على هذا ما روى الجريري[٢] عن طلحة بن عبيد الله بن كريز[٣] قال: (رأيت عبيد بن عمير[٤] وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقصّ فقلت: ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود، فنظرا إليّ وقالا: إنما ذلك في الصلاة: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾. ثم أقبلا علي حديثهما)[٥].

٢٠٥- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾، الخطاب في هذا للنبي ﷺ، وغيره داخل فيه لأنه عام لسائر المكلفين.

قال ابن عباس: (يعني بالذكر القراءة في الصلاة)[٦].

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ قال: (يريد: يتضرع إليّ ويخاف مني)[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٦٥، ١٦٦، والسمرقندي ١/ ٥٩١، والماوردي ٢/ ٢٩٠، وابن عطية ٦/ ١٩٦-١٩٧، وابن الجوزي ٣/ ٣١٢، والرازي ١٥/ ١٠٢-١٠٤، وابن كثير ٢/ ٣١١، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٨٥-٢٨٧.

(٢) الجريري: سعيد بن إياس الجريري، أبو مسعود البصري، إمام، محدث من كبار العلماء، ثقة، اختلط قبل موته بثلاث سنين. توفي سنة ١٤٤هـ.
انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ١، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ١٥٣، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٥٥، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٧، و«تقريب التهذيب» ص٢٣٣ (٢٢٧٣).

(٣) طلحة بن عبيد الله بن كريز بن جابر بن ربيعة الخزاعي الكعبي، تقدمت ترجمته.

(٤) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، إمام مجمع على ثقته، وكان قاضي أهل مكة. تقدمت ترجمته.

(٥) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٣ بسند جيد.

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٣٥ أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٤، والبغوي ٣/ ٣٢١، وابن الجوزي ٣/ ٣١٣، الخازن ٢/ ٣٣٢.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٤، والبغوي ٣/ ٣٢١.

ومعناه:[(١)] استكانة لي وخوفًا من عذابي.

﴿وَخِيفَةً﴾ قال الزجاج: (أصلها خوفة. فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها) ذكر ذلك في سورة طه[(٢)]. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾ دون الرفع ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من القرآن.

قال[(٣)]: (يريد: لا ترفع بذلك صوتك، تسمع نفسك، وإن جاوزك إلى من هو إلى جانبك فلا بأس). ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾. قال: (يريد: بكرة وعشيًا، يريد: الصلوات)[(٤)].

فعلى[(٥)] هذا القول الآية وردت في القراءة في الصلوات كلها لقوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقد مر، فأمر أن يقرأ في نفسه في بعضها وهو صلاة الإسرار، ودون

---

(١) في (ب): (ومعنا)، وهو تحريف.

(٢) «معاني الزجاج» ٣/ ٣٦٧: (والخيف بالكسر جمع خيفة من الخَوْف، فأصله خوفة سكنت الواو إثر كسر فقلبت ياء) انظر: «إعراب النحاس» ١/ ٦٦٢، و«تهذيب اللغة» ١/ ٩٦٦ (خاف)، و«الحجة» لأبي علي ٣/ ٣١٧، و«اللسان» ٣/ ١٢٩٠ (خوف)، و«معجم مفردات الإبدال والإعلال» للخراط ص١٠٣.

(٣) كأنه يعني بقال ابن عباس رضي الله عنهما، ولم أقف عليه عنه.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٢/ ٢٩٥ عن ابن عباس.

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣١٢-٣١٣: (المراد بالآية الحض على كثرة الذكر من العباد ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ليقتدي بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، وزعم أن المراد بها: أمر السامع للقرآن في حال استماعه بالذكر على هذه الصفة، وهذا بعيد منافٍ للإنصات المأمور به، ثم إن المراد بذلك في الصلاة أو الصلاة والخطبة ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرًا أو جهرًا فهذا الذي قيل لم يتابع عليه) اهـ بتصرف.

الجهر في بعضها وهو ما يرفع فيها[١] الصوت بالقراءة والمسنون دون الجهر لقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال قتادة[٢]: (أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة، أما ﴿بِٱلۡغُدُوِّ﴾ فصلاة الصبح، وأما بالعشي فصلاة العصر)، وعلى هذا القول الآية مقصورة على الصلاتين.

وقال مجاهد[٣] وابن جريج[٤]: (أمر أن تذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة، ويكره رفع الصوت والنداء بالدعاء).

وعلى هذا الآية وردت في ذكر الله تعالى بالقلب، وترك الصياح في الدعاء[٥].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾. الغَدْو مصدر، يقال: غَدوت أغدُو[٦] غدوًا وغدوًّا ومنه قوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ [سبأ: ١٢] أي: غدوها للسير، ثم سمي وقت الغدو غدوًا كما يقال: دنا الإصباح، أي: وقته، ودنا الإمساء، ويجوز أن يكون الغدو هاهنا جمع غدوة، قال الليث:

---

(١) في (أ): (ما يرفع فيه الصوت).

(٢) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٨ بسند جيد، وفيه ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ بالعشي، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٢٨٨، وزاد نسبته إلى (عبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة).

(٣) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٦ بسند ضعيف، وذكره الثعلبي ٦/ ٣٥ أ، والبغوي ٣/ ٣٢١ عن مجاهد وابن جريج وليس فيه عند الطبري: (ويكره رفع الصوت..).

(٤) أخرجه الطبري ٩/ ١٦٧ بسند جيد.

(٥) قال النحاس في «معانيه» ٣/ ١٢٣: (لم يختلف في معنى قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أنه في الدعاء.

وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٦٦، والسمرقندي ١/ ٥٩١، والماوردي ص٢٩٠.

(٦) في (أ): (غدوت أغدوا).

(الغدوُّ جمع مثل الغدوات وواحد الغدوات غدوة)[١].

قال الراجز[٢]:

جـرَّت عـلـيـه كـلَّ ريـح ريـدة   هـوجـاء سـفـواء نـؤوج الـغـدوة

وأما ﴿وَٱلْآصَالِ﴾، فقال الفراء: (واحدها أُصُل، وواحد الأصل أصيل.

قال: ويقال: جئناهم مؤصلين، أي: عند الآصال)[٣].

وقال الزجاج: (الآصال العشيات جمع الجمع)[٤].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٣٦، وليس فيه: (وواحد الغدوات غدوة).
انظر: «العين» ٤/ ٤٣٧، و«الجمهرة» ٢/ ٦٧١، و«البارع» ص٤٢٥، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٤٤، و«المجمل» ٢/ ٦٩٢، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٤١٥، و«المفردات» ص٦٠٣، و«اللسان» ٦/ ٣٢٢٠ (غدا).

(٢) الشاهد لهميان بن قحافة السعدي، شاعر، وراجز، أموي في «الصحاح» ٢/ ٤٧٩ (ريد) وهو لعلقمة بن عبدة التيمي الفحل، شاعر، جاهلي في «تهذيب إصلاح المنطق» ١/ ٢٨٠، وهو في «اللسان» ٣/ ١٧٩٠ (ريد) لهميان أو علقمة وبلا نسبة في: «إصلاح المنطق» ص٩٤، و«المخصص» ٩/ ٨٦ و١٥/ ٨١ قال التبريزي في «تهذيب إصلاح المنطق في شرح الشاهد»: (ريح ريدة لينة الهبوب والهوجاء التي تهب بشدة، والسفواء الخفيفة، والنؤوج المصوتة في هبوبها أخبر أنها تهب في وقت الغدوة) اهـ.

(٣) ذكره النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٦٢-٦٦٣، والرازي ١٥/ ١٠٩، والقرطبي ٧/ ٣٥٦، ولم أقف عليه في معانيه وهذا القول هو قول الأكثر. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٣٩، و«معاني النحاس» ٣/ ١٢١، وفي «معاني الأخفش» ٢/ ٣١٧، و«غريب القرآن» لليزيدي ص١٥٦: (الآصال، واحدها أصيل).
وانظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٦٧، و«نزهة القلوب» ص٨٨.

(٤) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٨ وفيه: (الآصال: جمع أُصل والأصل جمع أصيل فالآصال جمع الجمع وهي العشيات) اهـ.
وانظر: «معجم الإبدال والإعلال» للخراط ص٢٢.

ومنه قول النابغة[(١)]:

وقفت فيها أصيلًا كي[(٢)] أسائلها

أي: عشية، ويقال: الأصيل[(٣)] مأخوذ من الأصل وهو أسفل كل شيء، وما بعد العصر ينتهي إليه النهار إلى آخر النهار، فقيل لذلك الوقت: أصيل[(٤)].

---

(١) «ديوانه» ص٩، و«الكتاب» ٢/ ٣٢١، و«معاني الفراء» ١/ ٤٨٠، و«المقتضب» ٤/ ٤١٤، و«الجمل» للزجاجي ص٢٣٥، و«اللمع» لابن جني ص١٢٢، و«الصحاح» ٤/ ١٦٢٣ (أصل)، و«الإنصاف» ص١٤٨، والقرطبي ٧/ ٣٥٦، و«اللسان» ١/ ٨٩ (أصل) وعجزه:

عيت جوابًا وما بالربع من أحد

(٢) في (ب): (أصيلًا لا أسائلها) ورواية الأكثر. (أصيلانًا).

قال النحاس في «شرح القصائد المعلقات» ١/ ١٥٨ في شرح البيت: (يروى: أصيلًا كي أسائلها، وهو واحد وجمعه أُصُل وجمع أصل آصال ويروى: أصيلانًا وفيه قولان:

أحدهما: أنه تصغير أصلان، وأصلان جمع أصيل.

والثاني: أنه بمنزلة قولهم: على الله التكلان، وقولهم: غفران، وهذا هو الصحيح، والأول خطأ لأن أصلانًا لا يجوز أن يصغر إلا أن يرد إلى أقل العدد وهو حكم كل جمع كثير.

وقوله: عيت أي: عجزت عن الإجابة، والربع المنزل في الربيع ثم كثر استعماله في كل منزل) اهـ. بتصرف.

ورواية أصيلال أصله: أصيلان أبدل النون لا ما على غير القياس.

(٣) هذا قول الليث في «تهذيب اللغة» ١/ ١٦٨. وانظر: «العين» ٧/ ١٥٦، و«المجمل» ١/ ٩٧، و«مقاييس اللغة» ١/ ١٠٩، و«المفردات» ص٧٨ (أصل).

(٤) في (ب): (أصل).

٢٠٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾، قال ابن عباس[(١)] وغيره من المفسرين[(٢)]: (يعني: الملائكة)، قال الزجاج: (تأويله أنه من قرب من رحمة الله ومن فضله فهو عند الله جل وعز)[(٣)].

فعلى هذا قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يراد به: قرب الرحمة والفضل لأقرب المكان[(٤)].

وقال غيره من أهل المعاني: (هذا تشريف للملائكة بإضافتهم إلى الله ﷻ، يراد بذلك: أنهم بالمكان الذي كلامه وشرفه وجعل الأمور تصدر عنه).

وقال بعضهم: (إنما قيل في صفة الملائكة ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ لأنهم رسل الله إلى الإنس، كما يقال: إن عند الخليفة جيشًا عظيمًا وإن كانوا متفرقين في البلدان)[(٥)].

---

(١) «تنوير المقباس» ٢/ ١٥١.

(٢) قال القرطبي ٧/ ٣٥٦: (يعني: الملائكة بإجماع) اهـ.
وانظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٨٨، والطبري ٩/ ١٦٨، و«معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٨، و«إعراب النحاس» ٢/ ١٧٣، و«تفسير السمرقندي» ١/ ٥٩٢، والثعلبي ٦/ ٣٥ أ، والماوردي ٢/ ٧٩.

(٣) «معاني الزجاج» ٢/ ٣٩٨.

(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ٦/ ١٩٩.

(٥) ذكر هذه الأقوال النحاس في «إعرابه» ١/ ٦٦٣، والثعلبي ٦/ ٣٥ أ، والرازي ١٥/ ١١١، والقرطبي ٧/ ٣٥٦، والذي عليه أهل السنة والجماعة وهو ظاهر الآية أن عندية الملائكة عند ربهم عندية فوقية ومن لوازمها عندية القرب والمكانة والتشريف وما ذكره الواحدي وغيره تأويلات ليس عليها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ولا من صحيح اللغة.
انظر: «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للمغراوي ص٩٨.

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود — أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء العاشر

الأنفال - التوبة ٩٢

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الأنفال

١- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية، قال المفسرون: نزلت الآية حين اختلف أهل بدر في الغنائم، وكان الشبان في ذلك اليوم قتلوا وأسروا، والأشياخ وقفوا مع رسول الله ﷺ في المصاف، فقال الشبان: لنا الغنائم؛ لأنا أبلينا، وقال الأشياخ: كنا ردءًا لكم، ولو انهزمتم لانحزتم[١] إلينا فلا تذهبوا بالغنائم دوننا[٢].

وقال عبادة بن الصامت[٣]: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا؛ فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى

---

(١) في (ح): (للجوتم)، ومعناهما متقارب.

(٢) هذا معنى أثر عن ابن عباس رواه بلفظ مقارب أبو داود (٢٧٣٧)، كتاب الجهاد، باب في النفل، وسنده صحيح. ورواه أيضًا النسائي في «تفسيره» ١/ ٥١٥ (٢١٧)، والطبري في «تفسيره» ٩/ ١٧٢، والحاكم في «مستدركه» ٢/ ١٣٢، وصححه ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وقال: على شرط البخاري، وانظر الأثر أيضًا في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٣٧ ب، وهو مخطوط في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة وله صورة في مكتبة جامعة الإمام بالرياض (٣٣٢-٣٤٠)، و«تفسير البغوي» ٣/ ٣٢٣، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٣٤-٢٣٥.

(٣) هو أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري من سادات الأنصار، وكان أحد النقباء في بيعة العقبة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي عام ٣٤هـ وقيل غير ذلك.

انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥، و«الإصابة في تمييز الصحابة» ٤/ ٢٧.

رسول الله ﷺ فقسمه بيننا على السواء[(١)].

والنفل: الغنيمة[(٢)] وجمعه الأنفال، ونفلت فلانا نفلًا: أعطيته، والإمام ينفل الجند: إذا جعل لهم ما غنموا، قال الأزهري: وجُماع معنى النفل والنافلة ما كان زيادة على الأصل، وسميت الغنائم أنفالًا لأن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥/ ٣٢٢، وفيه: فقسمه رسول الله فينا عن براء. يقول: على السواء.
وروى نحوه مطولًا الحاكم في «المستدرك» كتاب التفسير، سورة الأنفال ٢/ ٣٢٦.
ورواه أيضًا بلفظ مقارب ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٧٢-١٧٣.

(٢) هذا باعتبار اللغة؛ قال عنترة كما في «ديوانه» ص١٩٣:

إنا إذا حمس الوغى نروي القنا ونعف عند مقاسم الأنفال

وقال أوس بن حجر كما في «ديوانه» ص١٢٤:

نكصتم على أعقابكم يوم جئتمو تزجون أنفال الخميس العرمرم

وروى البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، سورة الأنفال ٨/ ٣٠٦ عن ابن عباس قال: الأنفال: الغنائم اهـ.

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن للشارع استعمالا آخر للنفل وهو ما يعطاه المقاتل من الغنيمة زيادة على قسطه منها لنكايته في العدو، أو شجاعته أو اشتراكه في سرية، ونحو ذلك، وقد جاء هذا في أحاديث كثيرة منها حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها عبد الله بن عمر قبل نجد فغنموا إبلًا كثيرًا فكانت سهامهم اثنى عشر بعيرًا أو أحد عشر بعيرًا، ونفلوا بعيرًا بعيرًا. رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٣٤) كتاب الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، وعن معن بن يزيد أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نفل إلا بعد الخمس**». رواه أحمد في «المسند» ٣/ ٤٧٠ وسنده صحيح كما في «صحيح الجامع الصغير» ٢/ ١٢٥٤ (٧٥٥٢).

وهذا هو اصطلاح الفقهاء في النفل، انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد ١/ ٣٩٥، و«المغني» لابن قدامة ١٣/ ٥٣، كما رجّح عدد من المفسرين أن هذا المعنى هو المراد في الآية، وسيأتي بيان ذلك عند الرد على من قال إن الآية منسوخة.

المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم، وصلاة[(١)] التطوع نافلة؛ لأنها زيادة أجر للمؤمن[(٢)] على ما كتب له من ثواب ما فرض عليه[(٣)].

ونذكر استقصاء النافلة عند قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] إن شاء الله[(٤)].

وأما معنى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ فقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ إخبار عمن لم يسبق ذكره إيجازًا واختصارًا؛ لأن حالة النزول كانت تدل على من سأل وتنبيء عنه، ومثله في القرآن كثير.

وأكثر أهل العلم قالوا: معنى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ أي: عن حكمها وعلمها سؤال استفتاء[(٥)(٦)].

---

(١) في «تهذيب اللغة» وسميت صلاة التطوع . . . إلخ.

(٢) في «تهذيب اللغة» لأنها زيادة أجر لهم على ما كتب من ثواب ما فرض عليهم.

(٣) «تهذيب اللغة» للأزهري (نفل) ٤/ ٣٦٣٦.

(٤) قال في هذا الموضع: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ معنى النافلة في اللغة: ما كان زيادة على الأصل، ذكرنا هذا في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ ومعناها أيضًا في هذه الآية الزيادة، قال مجاهد: النافلة للنبي ﷺ خالصة؛ من أجل أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهي نافلة له، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل له خاصة وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم .. وذهب قوم إلى أن معنى النافلة: التطوع الذي يتبرع به الإنسان، وقالوا: إن صلاة الليل كانت واجبة عليه، ثم نسخت عنه فصارت نافلة، أي: تطوعًا وزيادة على الفرائض ..

(٥) في (ح): (استقصاء)، وهو خطأ.

(٦) ذكر هذا القول وجهًا في تفسير الآية أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» ٣/ ٣٢٥، والثعلبي في «الكشف والبيان» ٦/ ٣٧ ب، واختاره السمين الحلبي كما في «الفتوحات الإلهية» ٢/ ٢٢٥، ولم أجد من ذكره عن مفسري الصحابة والتابعين، =

قال الزجاج: وإنما سألوا عنها لأنها كانت حرامًا على من كان قبلهم[١].

وقيل: (عن) معناه (من) أي: يسألونك من الأنفال أن تعطيهم، فهذا سؤال استعطاء، يدل على هذا المعنى ما روي عن الخليل أنه كان يقول: (عن) ههنا زيادة صلة، معناه: (يسألونك الأنفال)[٢]، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود، وهو قول الضحاك وعكرمة[٣].

= وهو قول فيه نظر من عدة أوجه:

أولًا: أن الجواب يحدد السؤال، فقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دليل على أنهم سألوا لمن الأنفال؟، ومن المستحق لها؟ أو أنهم سألوا أن يعطوا منها.

ثانيًا: أن أسباب النزول تعين على فهم المراد، وما ورد في أسباب النزول الآية يدور حول ثلاثة أمور:

أ- أن بعض الصحابة سألوا شيئًا من الغنيمة، وهذا ما رجحه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٦٨.

ب- أن بعض الصحابة أراد أن يستأثر بما حازه من غنيمة فنزلت الآية تأنيبًا لهم، وهذا معنى سبب النزول الذي ذكره المؤلف في مطلع السورة، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٢٩١-٢٩٥.

ثالثًا: أن رسول الله ﷺ وعد قومًا شيئًا من الغنيمة فاختلف أصحابه ﷺ في ذلك بعد انقضاء الحرب، فنزلت الآية لنزع الغنيمة من أيديهم وتسليمها لرسول الله ﷺ يصنع فيها ما يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بينهم بالعدل.

انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٧١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٤٩-١٦٥٣.

وبهذا يتبين أن ما ورد من أسباب نزول للآية لا يدل على أن السائل سأل عن حكم الأنفال -كما يقول المؤلف- وإنما سأل عن الأنفال، أو سأل أن يعطى منها.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج ٢/ ٣٩٩.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٦٩، و«الدر المصون» ٥/ ٥٥٥، دون تعيين القائل.

(٣) رواه عنهما ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٧٥.

وقال صاحب النظم[١]: قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ ليس في هذا بيان أنهم [عن أيشٍ[٢]][٣] سألوا من حكم الأنفال، فلما قال: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دل ذلك على أن السؤال وقع عن الأنفال لمن هي[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: أنها لله لا شك في ذلك، وللرسول يضعها حيث يشاء من غير مشاركة فيها، ولا مشاجرة فيما يراه منها[٥]، قال سعد بن أبي وقاص: لما كان يوم بدر جئت بسيف[٦]، قلت: يا رسول الله، هب هذا لي، فقال: «**هذا ليس لي ولا لك لكن اذهب فاطرحه**

---

(١) هو: أبو علي الجرجاني، وقد سبق التعريف به وبكتابه.

(٢) بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر الشين المعجمة، ومعناها: أي شيء، قال الفيومي في «المصباح المنير» ١/ ٣١١: وقالوا: أي شيء، ثم خففت الياء، وحذفت الهمزة تخفيفًا، وجعلا كلمة واحدة فقيل: أيش، قاله الفارابي اهـ. وفي «المعجم الوسيط» ١/ ٣٤: أيش: منحوت من (أي شيء) بمعناه، وقد تكلمت به العرب اهـ. وقال العلامة السهانفوري في «بذل المجهود» ١/ ٣٢٤: أيش هذا: مخفف أي شيء، قال في «مرقاة الصعود»: حكى أبو علي الفارسي في تذكرته: حكى أبو الحسن والفراء أنهم يقولون: أيش لك، والقول فيه عندنا إنه أي شيء لك؟ حذف همزهُ فألقى حركته على الياء فتحرك بالكسر فكره به فسكن فلحقه تنوين فحذف لالتقاء الساكنين، قال: فإن قلت: بقي الاسم على حرف واحد، قيل: حسنه الإضافة اللازمة، فصار لزوم الإضافة مشبهًا له بما في نفس الكلمة، حتى حذف منها كما قيل: فيم، وبم، كذلك أيش اهـ. وقال محمود خطاب في «المنهل المورود» ١/ ٦٥: أيش هذا: بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية، وكسر الشين المعجمة، أصلها: أي شيء هذا، فخففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال وجعلا كلمة واحدة، وهو استفهام إنكاري.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) سبق التنبيه إلى أن كتاب «نظم القرآن» للجرجاني مفقود.

(٥) هكذا في جميع النسخ.

(٦) ساقط من (م).

في القبض»[١]، فلما نزل قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا سعد، إنك سألتني السيف وليس لي، وإن قد صار لي فاذهب فخذه»[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. قال المفسرون[٣]: أمروا بالطاعة والجماعة وترك المفارقة والمخالفة، ومعنى (ذات بينكم). قال أحمد بن يحيى[٤]: أي: الحالة التي بينكم[٥]؛ فالتأنيث عنده للحالة، وهو قول الكوفيين[٦].

وقال الزجاج: معنى ذات بينكم: حقيقة وصلكم، والبين: الوصل[٧]، فذات عنده بمعنى النفس كما يقال: ذات الشيء ونفسه،

---

(١) القبض بفتح الباء بمعنى: المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. انظر: «النهاية في غريب الحديث» ٤/ ٦.

(٢) روى الحديث بألفاظ مقاربة الإمام أحمد في «مسنده» ١/ ١٧٨، وأبو داود (٢٧٤٠) كتاب الجهاد، باب: في النفل، والترمذي (٣٢٧٤) أبواب تفسير القرآن، سورة الأنفال، وقال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» كتاب قسم الفيء ٢/ ١٣٢، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه عليه الذهبي.
وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٠٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٤، والبغوي ٣/ ٣٢٦.

(٤) هو: أحمد بن يحيى الشيباني، أبو العباس، الملقب بـ (ثعلب).

(٥) انظر: كلام أبي العباس ثعلب في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩ (ذات)، وفي «لسان العرب» ٣/ ١٤٧٦ (ذات).

(٦) ذهب الكوفيون إلى أن الاسم في (ذا) الذال وحدها وما عداها تكثير لها، وذهب البصريون إلى أن الذال ليست هي الاسم فيها بل هي بكمالها الاسم.
انظر «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٥٣٥، و«تفسير ابن جرير» ٩/ ١٧٧.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه»، له ٢/ ٤٠٠.

وذكرنا معنى (ذات) مستقصى عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ في سورة آل عمران [١١٩-١٢٠].

وقال صاحب النظم: (ذات) كناية عن الخصومة والمنازعة ههنا، وهي الواقعة بينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ قال ابن زيد: أسلموا لله ولرسوله [في الأنفال[١]] فإنهما يحكمان فيها ما أرادا ويضعانها حيث أرادا[٢].

وقال أبو إسحاق[٣]: أي: اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها[٤].

هذا الذي ذكرنا معنى الآية وتفسيرها، فأما حكمها فقال مجاهد وعكرمة والسدي[٥]: هي منسوخة[٦]، نسخها قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] فكانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ خاصة، فنسخها الله بالخمس، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي عنه.

---

(١) ساقط من (م).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٧٨ باختلاف يسير.

(٣) إذا أطلق المؤلف هذه الكنية فمراده الزجاج.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٠.

(٥) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير الكوفي المفسر، اختلف علماء «الجرح والتعديل» في توثيقه، فقال ابن أبي حاتم: لا يحتج به، وقال الذهبي: حسن الحديث، وقال ابن حجر: صدوق يهم، وقد أخرج له الجماعة إلا البخاري، توفي سنة ١٢٧هـ.
انظر: «الكاشف» ١/ ٧٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٢٠ (٦٤٨١)، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١١٠.

(٦) أخرج آثارهم ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٧٥.

وقال ابن زيد: الآية ليست بمنسوخة؛ لأن الأنفال لله -لا شك مع الدنيا بما فيها والآخرة-، وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله ﷻ بوضعها فيها[١]. والقول هو الأول؛ لأن قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ تمليك له إياها وذلك التمليك نسخ بالخمس[٢]، وابن زيد ذهب إلى أن معنى قوله لله والرسول أن الحكم فيها له، وهذا لم ينسخ.

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٧٦.

(٢) هذا القول فيه نظر، والراجح أن الآية محكمة غير منسوخة، وبيان ذلك من وجوه:

أولًا: لا يصح القول بنسخ الآية اعتمادًا على قول السلف بأن هذه الآية منسوخة حتى نتحقق من وجود التعارض، وعدم إمكانية الجمع، ومعرفة التاريخ؛ لأن عادة السلف التوسع في إطلاق لفظ النسخ، فيطلقونه على بيان المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، ونحو ذلك، كما يطلقونه على المعنى المعروف عند الأصوليين وهو رفع الحكم الكلي للآية.

انظر: «الموافقات في أصول الأحكام» للشاطبي ٣/ ٧٣.

ثانيًا: أن الراجح من أقوال المفسرين أن المراد بالأنفال في الآية: ما يعطى المقاتل زيادة على نصيبه من الغنيمة لسبب من الأسباب، وقد رجح ذلك ابن جرير ٩/ ١٧٥- ١٧٦، وابن كثير ٢/ ٣١٣-٣١٦، والكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ٣/ ١٤٩.

ويشهد لهذا الترجيح «أسباب النزول» فهي وإن كانت متعددة لكنها تعود في الجملة إلى قضية واحدة وهي تنفيل بعض المقاتلين شيئًا من الغنيمة، ومن أصرح ذلك ما رواه أبو أمامة عن عبادة بن الصامت ؓ قال: سألته عن الأنفال، قال: فينا يوم بدر نزلت، كان الناس على ثلاث منازل: ثلث يقاتل العدو، وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى، وثلث عند الخيمة يحرس رسول الله ﷺ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه، فقال الذين جمعوه وأخذوه قد نفل رسول الله ﷺ كل امرئ ما أصاب فهو لنا دونكم. الحديث رواه الحاكم في «المستدرك» كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال ٢/ ٣٢٦، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا**» قال: فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله =

= عليهم قال المشيخة: كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم لفئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ﴾ الحديث. رواه أبو داود في «سننه» كتاب الجهاد، باب: النفل ٣/ ٧٧، وسنده صحيح، ورواه الحاكم في «المستدرك» كتاب قسم الفيء ٢/ ١٣١، وصححه ووافقه عليه الذهبي وقال: هو على شرط البخاري.

وقد ثبت في «صحيح البخاري» ٦/ ٢٤٦ كتاب الخمس، باب: من لم يخمس الأسلاب، ومن قتل قتيلًا فله سلبه أن النبي ﷺ نفل -يوم بدر- القاتل سلب قتيله.

فإن قيل: قد ثبت عن ابن عباس أنه فسر الأنفال بالغنائم، كما في «صحيح البخاري» ٨/ ٣٠٦ كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿يسألونك عن الأنفال..﴾.

فالجواب: أن تفسيره هذا معارض بما ثبت عنه أيضًا أنه فسرها بالتنفيل فقد روى الإمام مالك عن القاسم بن محمد أنه قال: سمعت رجلا يسأل عبد الله بن عباس عن الأنفال: فقال ابن عباس: الفرس من النفل، والسلب من النفل، قال: ثم عاد الرجل لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضا.

انظر: «الموطأ» كتاب الجهاد، ما جاء في السلب في النفل ص٣٠١.

وقد روى الأثر نفسه الإمام عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٤٩ عن معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد، ورجال سنده كلهم أئمة.

وبما سبق يتبين لنا القول الراجح في المراد بالأنفال، وأنها الزيادة فيما يعطى المقاتل على نصيبه من الغنيمة، وعلى ضوء ذلك تكون الآيتان المدعى فيهما ناسخ ومنسوخ تبينان موضوعين مختلفين فكيف يكون بينهما تعارض؟

ثالثا: القول بأن غنيمة بدر كانت خالصة لرسول الله، وقد قسمها بين المسلمين ولم يخمسها؛ لأن آية الخمس متأخرة في النزول عن آية الأنفال.

انظر: «كتاب الأموال» لأبي عبيد ص٤٢٦، قول فيه نظر من وجهين:

أ- أن تخميس غنيمة بدر ثابت في حديث علي ﷺ حيث قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي ﷺ أعطاني شارفًا من الخمس. رواه البخاري (٣٠٩١) كتاب الخمس، باب فرض الخمس ٤/ ١٧٦. والشارف: المسنة من النوق.

وروى الدارقطني في «سننه» كتاب السير ٤/ ١١٠ (٢٦) عن الزبير بن العوام ﷺ =

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية.

يقال: وجل يوجل وجلًا فهو وجل وأوجل: إذا فرق وخاف، قال معن بن أوس(١):

لعمرك ما أدري وإني لأوجل
على أينا تغدو المنية أول(٢)

= قال: أعطاني رسول الله ﷺ يوم بدر أربعة أسهم، سهمين لفرسي، وسهمًا لي، وسهمًا لأمي من ذوي القربى. ومعلوم أن نصيب ذوي القربى إنما هو من الخمس.
فإن قيل: عدم تخميس غنيمة بدر ثابت عن ابن عباس -كما ذكر الواحدي- وعن عبادة بن الصامت كما روى ذلك الحاكم بسند صحيح «المستدرك» ٣/ ٣٢٦.
فالجواب: أن المثبت مقدم على النافي؛ لأن عند المثبت زيادة علم.
رابعًا: أنه على القول بأن المراد بالأنفال: الغنائم، فإنه لا تعارض بين الآيتين، ووجه ذلك أن اللام في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ إما أن تكون للتمليك، أو للاختصاص وبيان حق التصرف والقسمة والحكم، فإن كانت للتمليك فالآية الثانية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ مخصصة لعموم الأولى، وليست ناسخة لها؛ لأنها لم ترفع جميع حكمها وإنما أبقت بعض الغنيمة لله والرسول.
أما إن كانت اللام للاختصاص وبيان حق التصرف والحكم والقسمة فإن الثانية مبينة لإجمال الأولى، فالأولى حكمت بأن حق التصرف والقسمة مختص بالله ورسوله، والثانية بينت حكم الله وقسمته للغنيمة. وبهذا يتبين عدم صحة دعوى النسخ بأي وجه من الوجوه. والله أعلم.

(١) هو: معن بن أوس بن نصر المزني، شاعر فحل، أدرك الجاهلية والإسلام، توفي سنة ٦٤هـ. انظر: «الإصابة» ٣/ ٤٩٩، و«خزانة الأدب» ٧/ ٢٦٠، و«الأعلام» ٧/ ٢٧٣.

(٢) البيت في «ديوانه» ص٢٨، وهو مطلع لاميته المشهورة باسم لامية العجم، والتي يستعطف بها صديقه، وكان معن طلق أخته وتزوج بأخرى، فآلى أخوها أن لا يكلمه.
والشاعر يريد في البيت: أنه يؤثر أن يكون هو السابق في الوفاة، وهو وجل أن يبقى بعد وفاة صاحبه فيتألم لفراقه، ويذوق مرارة ذلك.
انظر: «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي ٣/ ١٣٢، و«خزانة الأدب» ٨/ ٢٩١.

قال المفسرون وأهل المعاني[1]: هذه الآية تتضمن وصف المؤمنين بوجل القلوب عند ذكر الله[2].

قال الزجاج: تأويله: إذا ذكرت عظمة الله جل وعز وقدرته وما خوف به من عصاه وجلت قلوبهم أي: فزعت[3].

يقول: إنما المؤمن الذي إذا خوف بالله فرق قلبه وانقاد لأمره خوفًا من عقابه، ومفهومه: ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزل في كتابه، والإشارة فيه إلى إلزام أصحاب بدر طاعة الرسول فيما يرى من قسمة الغنيمة.

قال ابن عباس: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: خافت قلوبهم وخشعت لذكر الله[4]. وقال مجاهد: فرقت قلوبهم[5].

---

(١) المراد بأهل المعاني: اللغويون الذين تكلموا عن معاني القرآن من جهة اللغة والنحو كالفراء وأبي عبيدة والأخفش والزجاج والنحاس وأبي عبيد وابن قتيبة وابن الأنباري والأزهري، قال الزركشي في «البرهان» ١/ ١٩٢: قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله، وفي بعض كلام الواحدي: أكثر أهل المعاني، الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا.
وانظر نحو هذا القول في: «الإتقان» للسيوطي ١/ ١٤٩.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٧٩، والسمرقندي ٢/ ٤، ولم أجده عند أهل المعاني.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٠.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٧٧ مختصرًا، وقد روى ابن أبي حاتم عنه مثل قول مجاهد. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٥٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٢٩٧.

(٥) رواه ابن جرير ١٣/ ٣٨٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٥، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٥١.

فإن قيل: قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقوله في آية أخرى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الرعد: ٢٨. كيف يجمع بينهما والآيتان متدافعتان؛ لأن الوجل خلاف الطمأنينة؟ قيل: هذا جهل وذهاب عما عليه الآيتان لأن الاطمئنان إنما يكون من[1] ثلج اليقين[2]، وشرح الصدور، ولمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل الموعود به، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة أو عند خوف الزيغ عن الهدى وما يستحق به الوعيد، فتوجل القلوب لذلك فكل واحدة من الحالتين غير صاحبتها فليس هنا إذًا تضاد ولا تدافع وهذان المعنيان المفترقان في هاتين الآيتين اجتمعا في آية واحدة وهو قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا فانتفى عنهم الشك والارتياب فهو معنى قوله: ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وهذا كله كلام أبي علي الفارسي[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾. قال ابن عباس: يريد تصديقًا ويقينًا[4]، وزيادة الإيمان الذي هو التصديق[5] يكون على وجهين:

(١) في (س): (عن).

(٢) في (ح): (النفس)، وهما بمعنى. يقال: ثَلَجَ قلبه وثَلِجَ: تيقن. انظر: «اللسان» (ثلج) ١/ ٥٠٠.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ١/ ٢٢٢.

(٤) رواه بنحوه ابن جرير ٩/ ١٧٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٦ أ من رواية علي بن أبي طلحة.

(٥) التصديق بعض الإيمان، فإن كان المؤلف يريد أن يبين كيفية زيادة هذا البعض فكلامه مقبول، وإن كان يريد أن يفسر الإيمان بالتصديق فقط فكلامه محل نظر إذ إن الثابت عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان: تصديق الجنان، وقول اللسان، =

أحدهما: وهو الذي عليه عامة أهل العلم أن ذلك يكون بانشراح الصدور ووضوح الدليل، فكل من زاده الله شرح الصدر واتضاح الدلائل زاده معرفة ويقينًا، وما من آية ظهرت له إلا زاد تصديقه لقوة المعرفة التي تقوي بها البصيرة؛ لأنه يكون من الشك أبعد، واليقين مهما كان احتمال الشك عنه أبعد كان أقوى، وإلى هذا أشار النبي ﷺ في قوله: **«لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح»**(١).

= وعمل الأركان. وزيادة الإيمان تكون بزيادة أحد هذه الثلاثة، فزيادة التصديق تكون بما ذكره المؤلف رحمه الله وزيادة الإيمان بالقول والعمل تكون بزيادة ما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل والإحسان فيه.

قال الإمام البخاري رحمه الله كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل. «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للإمام اللالكائي ٥/ ٨٨٩.

وقال أبو عمر بن عبد البر المالكي: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمانا، إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعة لا تسمى إيمانًا؛ قالوا إنما الإيمان: التصديق والإقرار، إلى أن قال: وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر فقالوا: الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح من الإخلاص. «التمهيد» ٩/ ٢٣٨-٢٤٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: المأثور عن الصحابة، وأئمة التابعين، وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» ٧/ ٥٠٥.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الخلاف بين أبي حنيفة وسائر الأئمة فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلاف صوري.

انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الدمشقي ٢/ ٤٦٢.

(١) الصحيح أنه من كلام عمر رضي الله عنه، ولا يصح رفعه.

انظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني ص٢٣٥.

يريد أن معرفته بالله أقوى وإلا فكان غيره من الصحابة يصدق الرسول كما يصدق هو.

الوجه الثاني في زيادة التصديق: أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله، يصدقون بالأول والثاني والثالث، وكل ما يأتي من عند الله؛ فيزيد تصديقهم؛ لأن من صدق إنسانًا في شيئين كان تصديقه له أكثر من تصديق من صدقه في شيء واحد، وهذا معنى قول أبي إسحاق[1]، يدل على صحة هذا قول مقاتل: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تصديقًا مع تصديقهم[2] بما أنزل عليهم من قبل ذلك من القرآن[3].

فعلى هذا ما من آية استأنفوا بها تصديقًا إلا ازدادوا إيمانا.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد بالله يثقون، لا يرجون غيره[4].

٤- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ الإشارة في قوله (أولئك) إلى من وصف بالأوصاف التي تقدمت.

قال ابن عباس: يقول: (برئوا من الكفر)[5]، وقال الكلبي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ صدقًا منهم لأنه لم يكن يوم بدر مع رسول الله ﷺ إلا الصادق في إيمانه[6].

---

(١) يعني الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠١.
(٢) في «تفسير مقاتل»: تصديقًا مع إيمانهم مع تصديقهم . . . إلخ.
(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» ١١٨ أ.
(٤) رواه مختصرًا ابن جرير ٩/ ١٧٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٦ أ.
(٥) رواه ابن جرير ٩/ ١٨٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٧ ب.
(٦) في «تنوير المقباس» ص١٧٧ عن الكلبي عن ابن عباس: صدقا يقينًا.

وقال مقاتل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لا شك في إيمانهم كشك المنافقين[١]، وقال أهل المعاني: أولئك الذين أخلصوا الإيمان لا كمن كان له اسمه على ظاهر الحال وهم عن ذلك بمعزل لما يشوبه من الفساد[٢].

فأما وجه انتصاب قوله (حقًا) فمذهب الفراء فيه أنه انتصب على معنى أخبركم بذلك حقًا[٣]، أي: إخبارًا حقًّا، وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾ [النساء: ١٥١]، فعنده أن هذا نصب من نية الخبر، ومذهب سيبويه وأصحابه أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف دل عليه الكلام[٤]، قال المبرد: (حقوا حقًّا)[٥]، ومعنى حقوا حقًا أي: أتوا ما وصفوا به وفعلوه حقًّا صدقًا، من قول العرب: حققته حذره وأحققته أي: فعلت ما كان يحذر[٦]، وقال الزجاج: (حقًا) منصوب بمعنى دلت[٧] عليه الجملة وهي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ أي: أحق ذلك حقًّا[٨].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١١٨ أ.

(٢) ذكر معنى ذلك ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٠ ولم أجد من ذكره من أصحاب المعاني كأبي عبيدة والفراء والأخفش والزجاج والنحاس والأزهري.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٥٤.

(٤) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٣٨٣.

(٥) قال المبرد في «المقتضب» ٣/ ٢٦٦: هذا باب ما وقع من المصادر توكيدًا، وذلك قولك: هذا زيد حقًّا؛ لأنك لما قلت: هذا زيد، فخبرت، إنما خبرت بما هو عندك حق، فاستغنيت عن قولك: أحق ذلك، وكذلك: هذا زيد الحق لا الباطل؛ لأن ما قبله صار بدلًا من الفعل.

(٦) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (حقق) ١/ ٢١٦.

(٧) في (ح) و(س): (دل)، وما أثبته من (م) وهو موافق للمصدر التالي.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠١ وقد تصرف الواحدي في عبارة الزجاج.

ومعنى هذا كأنه قال: أخبركم بذلك أحقه حقًا، ومعنى هذا راجع إلى معنى قول الفراء، فعلى قول الزجاج والفراء يعود هذا التأكيد المذكور بقوله (حقًا) إلى إخبار الله تعالى، وعلى قول المبرد يعود إلى تأكيد إيمانهم وتحقيقه، وعلى هذا فكل من استجمع شرائط الإيمان واعتقادها فهو مؤمن في الحال على الحقيقة من غير استثناء[1]، وإنما الاستثناء للحالة المقابلة؛ لأن العبد على غير أمن من العاقبة فيرجو الموافاة على الإيمان إن شاء الله [والناس مختلفون في هذا فأهل الحديث ذهبوا إلى أن المؤمن يقول: أنا

---

(١) يعني يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، ومسألة الاستثناء في الإيمان من المسائل الكلامية التي أشغلت الفكر الإسلامي دون طائل، وقد انقسمت الأمة في هذه المسألة على ثلاث أقوال:

أ- قيل إن ذلك محرم، وهو مذهب المرجئة والجهمية الذين يرون أن الإيمان شيء واحد لا تفاضل فيه، فالاستثناء في الإيمان شك فيه -كما يرون-.

ب- أن ذلك واجب؛ لأن في تركه تزكية للنفس، وشهادة لصاحبها بأنه من الأبرار المتقين. وهذا قول بعض من ينتسب للحنابلة.

ج- أنه محرم إذا كان للشك، جائز فيما عدا ذلك، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد جوزوا الاستثناء في الإيمان لاعتبارات ثلاث:

١- أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، والمؤمن لا يستطيع أن يجزم بذلك.

٢- أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، فلا عبرة بالإيمان قبل الموافاة عليه، فالمستثني لا يشك في إيمانه وإنما أراد عدم علمه بالعاقبة.

٣- تعليق الأمر بمشيئة الله تعالى، والإخبار أن إيمانه وعدمه مرهون بمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٧/ ٤٢٩-٤٦٠، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٤٩٤-٤٩٨.

مؤمن إن شاء الله][1] لا على الشك فيما يجب عليه الإيمان به، ولكن على معنى: أن المؤمن الحقيقي من يكون من أهل الجنة، قالوا: وجميع عمر العبد كطاعة واحدة يتوقف بعضها على بعض في الصحة، فإذا شرع في صلاة أو صوم فما لم يفرغ منها ولم يخرج منها على الصحة لا يقال: إنه مصل على الحقيقة وصائم على الحقيقة، وكذلك ما لم تحصل موافاته على السلامة والإيمان لا يعلم أنه مؤمن على الحقيقة[2]، فأما في علم الله فيجوز أن يكون مؤمنًا على الحقيقة ولكنا لا ندري ذلك.

وقال قوم من أصحابنا[3] وهو مذهب الإمام أبي إسحاق الإسفراييني رحمه الله: إنه يكون في الحال مؤمنًا على الحقيقة وإن جاز أن يتغير في العاقبة[4]، وليس سلامة العاقبة من شرط استحقاق الاسم على الحقيقة، وتغير[5] الأحكام في المستقبل لا يمنع ثبوتها في الحقيقة في الحال كالحركة إذا وجدت بالمحل أوجبت له حكم المتحرك، وجواز[6] وجود السكون لا يمنع من استحقاق حكم المتحرك وكذلك في جميع الأسماء المشتقة من معان، قالوا: والأصل في هذا أن الأسامي مبقاة على استعمال

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا التعليل يذكره بعض المتأخرين من أصحاب الحديث، ولكنه ليس قول السلف، وإنما المأثور عن السلف بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات كلها فلا يشهدون لأنفسهم بذلك لما فيه من تزكية النفس بلا علم. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٧/ ٤٣٩.

(٣) يعني الأشاعرة، ومنهم أبو المعالي الجويني في كتاب «الإرشاد» ص٣٣٦.

(٤) في (م) و(س): (الباتي)، من غير نقط.

(٥) في (ح): (الغير)، وهو خطأ.

(٦) في (ح): (وهو جواز)، وهذا خطأ من الناسخ.

أهل اللغة، وأهل اللغة لم يطلقوا هذا الاسم بشرط موافاة العاقبة، فللرجل أن يقول: أنا مؤمن حقًا، وأنا مؤمن على الحقيقة، أموت على الإيمان إن شاء الله، وهذا مذهب مخالفينا في هذه المسألة(١).

وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال عطاء: يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم(٢)، ونحو هذا قال أهل المعاني: لهم مراتب بعضها أعلى من بعض على قدر أعمالهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قال أهل اللغة: الكرم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن(٤)، والكريم: المحمود فيما يحتاج إليه فيه، فالله تعالى يوصف بأنه كريم(٥)، وقال تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ونذكر شرح كل واحد في موضعه، فالرزق الكريم: هو الشريف الفاضل الحسن الممدوح.

قال هشام بن عروة: يعني ما أعد الله لهم في الجنة من لذيذ المآكل والمشارب(٦) وهنيء العيش(٧).

---

(١) يعني المعتزلة والكرامية، انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٧/ ٤٤١.
(٢) ذكره أبو إسحاق الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩ أ.
(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠١، وروى نحوه ابن جرير ٩/ ١٨١ عن عبد الله بن محيريز الجمحي.
(٤) «تهذيب اللغة» (كرم) ٤/ ٣١٣٢، و«لسان العرب» (كرم) ٧/ ٣٨٦١.
(٥) كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].
(٦) في (م): (المأكل والمشرب).
(٧) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩ أ، واعتمده ابن جرير تفسيرًا للجملة من الآية =

٥- وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية، اختلفوا في متعلق الكاف في قوله (كما) قال المفسرون: لما رأى النبي ﷺ كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال: من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا، ليرغبهم في القتال، فلما أظفر الله بالمشركين وأمكن منهم قال سعد بن عبادة للنبي ﷺ: يا رسول الله إن جماعة من أصحابك وقوك[(١)] بأنفسهم ولم يتأخروا عن القتال جبنًا ولا بخلًا ببذل مهجهم[(٢)]، ولكنهم أشفقوا عليك من أن تغتال، فمتى أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق من المسلمين بغير شيء فأنزل الله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون[(٣)] وفي أنفس بعضهم شيء من الكراهة لما سمعوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي امض لأمر الله في الغنائم كما مضيت لأمره[(٤)] في الخروج وهم له[(٥)] كارهون[(٦)]، وهذا قول الفراء[(٧)] وأبي إسحاق[(٨)].

= دون أن ينسبه إلى أحد. انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٨١.

(١) في (ح): (وقومك)، وهو خطأ.

(٢) في (م): (أنفسهم ومهجهم).

(٣) في «مفاتح الغيب» ٨/ ١٢٩: فأمسك المسلمون عن الطلب.

(٤) في (م): (له).

(٥) ساقط من (ح).

(٦) انظر: «تفسير الثوري» ص١١٥، و«المصنف» للصنعاني ٥/ ٢٣٩ ولم يذكرا ما بعد الآية الأولى، وذكره الرازي في «تفسيره» ٨/ ١٢٩.

(٧) انظر «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٣، وفيه: قام سعد بن معاذ، بدل سعد بن عبادة.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٩٩.

قال أبو إسحاق: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾، ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ويكون تأويله: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون كذلك تنفل من رأيت[١] وإن كرهوا، قال: وموضع الكاف في (كما) نصب، المعنى: الأنفال[٢] ثابتة[٣] مثل إخراج ربك إياك من بيتك بالحق[٤].

وعلى هذا: الكاف تتعلق بقوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ وهذا يدل على أن الله نزعها من أيديهم، ويكون التأويل: نزعها الله من أيديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، والكاف بمعنى: مثل، وهو نعت مصدر محذوف على تقدير: الأنفال ثابتة لله والرسول ثبوتًا بالحق مثل إخراج ربك من بيتك بالحق، فالعامل في الكاف: معنى قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾.

قال أبو بكر بن الأنباري: والآية مفتتحة بحرف يتعلق بآية قبلها، وهو سائغ جائز إذ كان أواخر الآيات مجراها مجرى أواخر الأبيات[٥]، وغير مستنكر أن تفتتح الأبيات[٦] بألفاظ تتعلق بما قبلها، من ذلك قول امرئ القيس:

وقوفًا بها صحبي على مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمل[٧]

---

(١) عند الزجاج: رأينا.

(٢) في (ح): (أنفال).

(٣) عند الزجاج: ثابتة لك.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٥) في (ح): الأثبات)، وفي (س): (الآيات)، وكلاهما خطأ.

(٦) في (ح): (الأثبات)، وفي (س): (الآيات)، وكلاهما خطأ.

(٧) انظر «ديوانه» ص٣.

قال أبو عباس[١]: كان أصحابنا ينصبون (وقوفًا) على القطع من: الدخول، وحومل، وتوضح والمقراة[٢].

وقال غيره: نصبه على الحال من الضمير الذي في (نبك) أي: قفا نبك في حال وقوف[٣] صحبي[٤]، ولا يختلف أهل اللغة والنحو في تعلق «وقوف» بما ليس بحاضر معه في بيته.

وقال ابن قتيبة: يريد أن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم للخروج معك، كأنه قال: هذا من كراهتهم كما أخرجك وإياهم ربك وهم كارهون[٥].

وعلى هذا (الكاف) متعلق بمحذوف يدل عليه باقي الكلام؛ لأن

---

(١) يعني المبرد، وانظر قوله في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لأبي بكر الأنباري ص٢٤، وقد ذكر أبو بكر الأنباري أن أبا العباس لم يرتض ما ذكره عن أصحابه، بل مال إلى القول بأن (وقوفًا) نصب على المصدر لـ (قفا) والتقدير: قفا كوقوف صحبي على مطيهم.

(٢) قال الأعلم الشنتمري في «شرح ديوان امرئ القيس» ص٦٠: الدخول وحومل: بلدان، وتوضح والمقراة: موضعان.
وقال ابن بليهد في «صحيح الأخبار» ١/ ١٦: الدخول وحومل باقيان بهذا الاسم إلى يومنا هذا، أما الدخول فهو ماء عذب معروف الآن بهذا الاسم يقع شمالي الهضب المعروف بين وادي الدواسر ووادي رنية، أما حومل فهو جبل قريب من الدخول، والمقراة: وادٍ ينصب على جهة الجنوب بين الهضب والسوادة، وقد حرف اليوم إلى القمرا.
وتوضح: أرض قريبة من الهضب، يقال لها اليوم (التوضيحات) تقع عن جبل الحمل جنوبًا، والحمل جبل يقع جنوبي الهضب اهـ. باختصار.

(٣) في (ح): (وقوفي)، وهو خطأ.

(٤) «شرح القصائد السبع لابن الأنباري» ص٢٤، ولم يعين القائل.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص٢٢١.

مجادلتهم في الأنفال وتشبيه تلك القصة بإخراج الله إياه على كره منهم يدل على كراهتهم، ثم قال: ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارهم وجده، قال الشاعر[(١)]:

فلا تدفنوني إن دفني محرم عليكم ولكن خامري أم عامر

يريد: لا تدفنوني ولكن[(٢)] دعوني للتي إذا صيدت يقال لها: خامري أم عامر[(٣)]، يعني الضبع لتأكلني، فحذف وأبقى من الكلام ما يدل على المحذوف[(٤)].

وقال بعضهم: (الكاف) متعلق بما بعده وهو قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ﴾ وهذا يحكي عن الكسائي[(٥)] وهو معنى قول مجاهد[(٦)]، يقول: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم

---

(١) هو: عمرو بن مالك الشنفرى -وهو شاعر جاهلي وأحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم- وقد وقع في الأسر فأنشد هذا البيت مع أبيات. انظر: «طبقات الشعراء» ص٣١، و«الحماسة بشرح التبريزي» ٣/ ٦٣، و«الأغاني» ٢١/ ١٣٦.

(٢) كرر ناسخ (ح) بعد (لكن) الشطر الثاني من البيت.

(٣) خامري: أي استتري، وأم عامر: الضبع، وهو مثل يضرب للأحمق، والعرب تقول: إن الضبع من أحمق الدواب وهي تصدق ما يقال لها، فلا يزال الصائد يروضها بكلمات حتى يوثق يديها ورجليها، ثم يسحبها، ولو شاءت أن تقتله لأمكنها. انظر: «فصل المقال في شرح كتاب الأمثال» ص١٨٧، و«مجمع الأمثال» ١/ ٣٣٢.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٢١ باختصار.

(٥) ذكر ذلك عنه النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ١٣١، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٦/ ٢٢٠، ٢٢٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٢٢.

(٦) روى ابن جرير ٩/ ١٨١ عن مجاهد قال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ كذلك يجادلونك في الحق: القتال، اهـ. وقد بين ابن جرير معناه بمثل ما ذكر المصنف، ورواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩ ب بلفظ المصنف.

يكرهون القتال ويجادلونك فيه[١].

وهذا الوجه اختيار صاحب النظم، وقد سلك في تحقيق هذا التشبيه طريقًا حسنًا فقال: ظاهر هذا النظم يدل على أنه شبه مجادلتهم في الحق وهو مذموم عنده بإخراج الله تعالى إياه من بيته، وهو غير مذموم لأنه من فعله ﷻ، وإذا كان كذلك فلابد من أن نقدر في التشبيه تحريفًا عن موضعه ويكون التشبيه واقعًا في المعنى الباطن على قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ لأن الذم وقع على كراهة المؤمنين للخروج كما هو واقع على مجادلتهم في الحق، ويكون التقدير: كما كانت كراهتهم لإخراج الله إياك بالحق يجادلونك في الحق بعدما تبين، ويجوز أن يدخل حرف التشبيه على شيء، والمراد به ما بعده مما هو متعلق به داخل في قصته[٢]، كما نقول في حرف الاستفهام، فإنه يدخل على شيء والمستفهم عنه غيره كقوله ﷻ: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والمعنى: أفهم الخالدون إن مت؛ لأن الاستفهام في الحقيقة واقع على [الخلود دون الموت، وفي ظاهر اللفظ وقع على الموت، وكذلك قوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الاستفهام في الحقيقة واقع على الانقلاب، وهو في الظاهر واقع على الموت والقتل، كذلك في هذه الآية دخل حرف التشبيه في الإخراج وهو في الحقيقة واقع

(١) هذا القول رجحه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٢، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ١٣٢، وجعله ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» ٦/ ٢٢٠ أحد الوجهين المقبولين في تفسير الآية، والوجه الآخر قول الفراء وأبي إسحاق الذي ذكره المصنف.

(٢) قال الزركشي في «البرهان» ٣/ ٤٢٥: قد تدخل الأداة على شيء، وليس هو عين المشبه، ولكنه ملتبس به، واعتمد على فهم المخاطب.

على الكراهة][(١)].

وقال أبو عبيدة: الكاف بمعنى حرف القسم، و(ما) بمعنى (الذي) والتقدير: والذي أخرجك من بيتك بالحق يجادلونك.

قال أبو بكر[(٢)]: وهذا بعيد؛ لأن (الكاف) ليست من حروف الأقسام[(٣)]، وأما التفسير فقوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ أي أمرك بالخروج من المدينة ودعاك إليه ﴿مِنۢ بَيۡتِكَ﴾ يعني المدينة قاله مجاهد والحسن، وابن جريج، وعامة المفسرين[(٤)]، قالوا: إن الله تعالى أمر نبيه بالخروج من

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) يعني الأنباري، انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٤٦٠.

(٣) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٥٩-٤٦٣، خمسة عشر قولًا في السبب الجالب لهذه الكاف في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ ولم يرتض واحدًا منها بل رجح قولًا جديدًا لم يسبق إليه وهو أن الكاف ليست لمحض التشبيه بل فيها معنى التعليل وأن هناك حذفًا، والتقدير: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بسبب إظهار دينه وقد كرهوا خروجك تهيبًا للقتال، وجادلوك في الحق بعد وضوحه نصرك الله، وأمدك بملائكته. وفي هذا القول نظر من عدة أوجه:

أ- عدم اعتماده على المأثور عن السلف وهم أعلم بالتأويل.

ب- البعد بين هذه الآية -التي يرى أبو حيان أن فيها حذفًا- والآية التي يراها دليلًا على الحذف وهي قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ إذ يفصل بينهما ثلاث آيات.

ج- إن كراهتهم للخروج، وجدالهم لرسول الله لا يصلح علة للنصر، بل علة للفشل كما جاء في السورة نفسها الآية ٤٦: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾.

د- إن الأصل عدم التقدير.

هـ- إن أبا حيان اعتمد هذا القول بناءً على رؤيا منامية.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٨٢، والثعلبي ٦/ ٣٩، وابن عطية ٦/ ٢٢٢، ونسبه لجمهور المفسرين، وذكر عن ابن بكير أن المعنى كما أخرجك ربك من مكة وقت الهجرة اهـ وفيه نظر لا يخفى.

المدينة لطلب عير[١] قريش، وكره ذلك طائفة من المؤمنين لأنهم علموا أن قريشًا تمنع عيرها منهم، وأنهم لا يظفرون بالعير عفوًا دون القتال فذلك قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ أي الخروج معك.

قال أهل المعاني: وهذه الكراهة من المؤمنين كانت كراهة الطبع؛ للمشقة التي تلحق في السفر[٢]، لا كراهة أمر الله ورسوله[٣].

وقيل: كانت الكراهة قبل أن علموا أن الله أمر به وأن النبي ﷺ عزم على ذلك، هذا قول عامة أهل التفسير[٤] في هذه الآية.

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) الأولى أن يقال: كراهة الطبع للقاء العدو والقتال؛ لأنهم علموا أن قريشًا لن تترك عيرها كما ذكر ذلك المؤلف بناء على أن هذه الكراهة للخروج من المدينة لتلقي العير، والذي يظهر من سياق قصة بدر كما ذكرها ابن هشام في «السيرة» ٢/ ٣١٣، وكما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أن هذه الكراهة إنما حدثت لبعض المؤمنين بعد تحققهم من فوات العير، ورغبة رسول الله ﷺ في مواجهة النفير؛ ومما يؤيد ذلك ما رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما شاور النبي ﷺ في لقاء القوم، وقال له سعد بن عبادة ما قال، وذلك يوم بدر، أمر الناس فتعبوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان؛ فأنزل الله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، وهذا الأثر وإن كان سنده ضعيفًا ولكنه يتقوى بما جاء بمعناه بأسانيد صحيحة. انظر: «المفسر ابن عباس وتحقيق ما روي عنه». رسالة ماجستير أعدها حمد القرعاوي ص٢٩٦.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) لم أجد أحدًا من المفسرين ذكر هذا القول وهو مرجوح بدلالة قوله تعالى في الآية نفسها ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ مما يشير إلى أنه لا عذر لهم في جدالهم وكراهتهم، قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٦٣: وفي قوله: ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ إنكار عظيم عليهم؛ لأن من جادل في شيء لم يتضح كان أخف عتبًا، أما من نازع في أمر واضح فهو جدير باللوم والإنكار.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالوحي، كأنه أوحى إليه وأمره بالخروج لأن جبريل نزل وأخبره بعير قريش وأمره بالمسير إليها، هذا معنى قول الكلبي[١]، قال عطاء عن ابن عباس: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يريد الهجرة من مكة إلى المدينة[٢]، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ يريد لتركهم مكة وديارهم وأموالهم.

---

(١) روى الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٣٩ ب عن الكلبي قال في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال: امض على الذي أخرجك ربك من بيتك، وروى الثعلبي أيضًا في «تفسيره» ٦/ ٤٠/ب قصة خروج النبي ﷺ لعير قريش عن ابن عباس وابن زيد وابن يسار والسدي وفيه: فنزل جبريل ﵇ وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشًا، وروى نحو ذلك ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٧ عن ابن عباس وابن جريج.

(٢) ذكر هذا القول دون نسبة إلى ابن عباس: البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٢٨، وابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٣/ ٣٢٢ وهو ضعيف لما يأتي:

١- مخالفته لسياق الآيات فما قبل هذه الآية وما بعدها حديث عن غزوة بدر.

٢- مخالفته لأسباب نزول هذه الآية، انظرها في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣١٩ مع التنبه إلى أن كل سبب بمفرده لا يخلو من مقال فبعضها من كلام مجاهد وبعضها من كلام السدي، وما رفع منها ففي سنده عبد الله بن لهيعة، وقد اختلط بعد احتراق كتبه، كما أنه مدلس وقد عنعن.

انظر: «إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ» ص٣٣، ولكن مجموع الروايات وأقوال المفسرين مع دلالة السياق يشهد أن الآية نزلت في الخروج إلى بدر.

٣- أن الواحدي لم يذكر سند هذه الرواية حتى يحكم عليه صحة وضعفًا ولم أجد من أسندها.

٤- أن هذا القول مخالف للقول الثابت عن ابن عباس وهو ما رواه البخاري في (٤٦٤٥) كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس ﵄ سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر اهـ. فلم يخصص منها شيئًا.

٦- قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ قال المفسرون: إن عير قريش أقبلت من الشام فندب رسول الله ﷺ أصحابه وقال: إن الله ينفلكموها، فخرجت طائفة كارهة، فلما التقوا أمروا بالقتال ولم يكونوا أعدوا له أهبة، فشق ذلك عليهم وقالوا: هلا أخبرتنا فكنا[١] نعد له[٢]، قال ابن عباس وابن إسحاق: وكان جدالهم نبي الله قولهم: لم تعلمنا قتالًا فنستعد له إنما خرجنا للعير[٣].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَقِّ﴾ أي في القتال، عن ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[٦] قال السدي: بعد ما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به[٧].

وقال أبو صالح عن ابن عباس: يجادلونك في القتال بعد ما أمرت به[٨].

---

(١) في (س): (لكنا).
(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٨٣، والسمرقندي ٢/ ٥، والبغوي ٣/ ٣٢٨.
(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٢٩٦، وبمعناه ابن جرير ٩/ ١٨٣-١٨٤، ولم أجد قول ابن إسحاق في «السيرة النبوية»، ويبدو أن هذا القول لابن جرير تفسيرًا لقول ابن عباس وابن إسحاق. انظر ابن جرير ٩/ ١٨٣-١٨٤.
(٤) رواه ابن جرير ٩/ ١٨٣-١٨٤ من رواية الكلبي.
(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٢، وانظر: «تفسير الإمام أحمد» ص٣٥٢.
(٦) في (س): (ما بعد)، وهو خطأ.
(٧) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٩-١٦٦٠، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٠٠.
(٨) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٤.

وقال أبو إسحاق: يجادلونك في الحق بعد ما تبين وعدهم الله ﷻ أنهم يظفرون بأهل مكة أو[(١)] بالعير[(٢)]، يريد أن هذا التبين كان بوعد الله إياهم الظفر[(٣)].

قال أهل المعاني: إنما كانت تلك المجادلة طلبًا للرخصة لأنهم لم يستعدوا للقتال، وقل عددهم [وكانوا رجالة][(٤)]، ولم يكن فيهم إلا فارسان؛ فخافوا، وحال الصعوبة تخيل إلى النفس الشبهة، وإن كانت الحال ظاهرة والدلالة واضحة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، قال ابن إسحاق: كراهة للقاء القوم[(٦)]، يريد أنهم لشدة كراهتهم للقتال كأنهم[(٧)]

---

(١) في (ح): (وبالعير)، وهو كذلك في «معاني القرآن وإعرابه» وهو خطأ، والصواب (أو) كما في (م) و(س). لأن الله وعدهم إحدى الطائفتين، ولم يعدهم الطائفتين كلتيهما.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠١.

(٣) يعني أن الله وعدهم الظفر بأحد الأمرين كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]. فلما فاتهم العير تبين لهم أنه لابد من مواجهة النفير وأنهم سيظفرون بهم تحقيقًا لوعد الله.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) لم أجد هذا القول فيما بين يدي من كتب أهل المعاني كالفراء والأخفش وأبي عبيدة والزجاج والنحاس والأزهري وابن قتيبة، وهؤلاء وأمثالهم ممن تكلم عن معاني القرآن من جهة اللغة والنحو هم مراد الواحدي بقوله: قال أهل المعاني، قال الزركشي في «البرهان» ١/ ٢٩٢ قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله. وفي بعض كلام الواحدي: أكثر أهل المعاني: الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا. وقد ذكر نحوًا من ذلك السيوطي في «الإتقان» ٢/ ٣.

(٦) «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٣.

(٧) في (م): (كانوا).

يساقون إلى الموت عيانًا، فذلك معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، وقال صاحب النظم: أي: يعلمون أنه واقع بهم، ومنه قول النبي[١] ﷺ: «**من انتفى من ابنه وهو ينظر إليه**»[٢] أي: يعلم أنه ابنه، وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] أي: يعلم[٣].

٧- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ إحدى: تأنيث أحد على غير بنائه[٤]، كأنهم استأنفوا للمؤنث بناءً كصفراء من أصفر، وعطشى[٥] من عطشان، و(الطائفتان) العير والنفير في قول المفسرين[٦].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) رواه النسائي في «سننه» كتاب الطلاق، باب: التغليظ في الانتفاء من الولد ٦/ ١٧٩ بلفظ: «**أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله ﷻ منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيامة**» .وبهذا اللفظ رواه أيضًا أبو داود (٢٢٦٣) «سننه» كتاب الطلاق، باب: التغليظ في الانتفاء، والدارمي في «سننه» كتاب النكاح، باب: من جحد ولده وهو يعرفه ٢/ ٢٠٤ (٢٢٣٨)، والحاكم في «المستدرك» كتاب الطلاق ٢/ ٢٠٣، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
أقول: مدار الحديث على عبد الله بن يونس، وهو مجهول الحال لم يرو عنه إلا يزيد بن الهاد.
انظر: «الكاشف» ١/ ٦١٠، و«تقريب التهذيب» ص٣٣٠ (٣٧٢٢).

(٣) هذا قول في تفسير الآية وتحتمل معنى آخر وهو: يوم يرى عمله مثبتًا في صحيفته خيرًا كان أو شرًّا. «زاد المسير» ٩/ ١٣.

(٤) انظر: «لسان العرب» (وحد) ٨/ ٤٧٧٩.

(٥) في (ح) كتبت هكذا: (عطشا).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٨٤، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٦، و«تفسير البغوي» ٣/ ٣٢٨، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٠٠-٣٠١، والمراد بالعير: الإبل التي تحمل تجارة قريش مقبلة من الشام وفيها أربعون رجلًا بزعامة أبي سفيان بن حرب، وأما =

قوله تعالى: ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ (أن) في موضع نصب على البدل من (إحدى) قاله الفراء[١] والزجاج[٢]، قالا: ومثله قوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ [محمد: ١٨] ف (أن) في موضع نصب كما نصبت الساعة، ومثله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ [الفتح: ٢٥] (أن) في موضع رفع ب (لولا)[٣]، وقال أبو علي الفارسي: (إحدى) في موضع نصب بأنه المفعول الثاني و(أنها لكم) بدل منه، والتقدير: وإذ[٤] يعدكم الله ثبات إحدى الطائفتين، أو ملك إحدى الطائفتين، ونحو هذا مما يدل عليه (لكم).

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد التي ليس فيها حرب ولا قتال[٥]، وقال الزجاج: أي تودون أن الطائفة التي ليست فيها حرب ولا سلاح -وهو[٦] الإبل- تكون لكم، و(ذات الشوكة) أي: ذات السلاح[٧].

= النفير فهم كفار قريش الذين نفروا بزعامة أبي جهل لحماية عيرهم من رسول الله ﷺ وأصحابه. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢٤٤-٢٤٧.

(١) «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» له ٢/ ٤٠٢.

(٣) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع، والزجاج لم يذكر الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾.

(٤) في (م): (والله)، وهو خطأ.

(٥) «تنوير المقباس» ص١٧٧ بمعناه.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: وهي، والمقصود: الإبل التي مع أبي سفيان وهي العير.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٢.

وتأنيث (ذات) لأن المراد بها الطائفة، والمعنى: وتودون أن الطائفة غير ذات الشوكة تكون لكم، وأما (الشوكة) فهي ههنا السلاح[١]، وأصلها: النبت الذي له حد، شبّه السلاح به، ومنه يقال: رجل شائك السلاح إذا كان حديد السنان والنصل، وهو فاعل من الشوك، ثم يقلب شائك فيقال: شاكي السلاح، كما يقال: جرف هار، وهاير، ومنه قول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح ضبارم[٢]
له لبد أظفاره لم تقلم[٣]

قال أبو عبيد: الشاكي والشائك[٤] جميعًا: ذو الشوكة والحد في سلاحه[٥].

وكما يوصف الرجل بهذا يوصف السلاح أيضًا به، فيقال: سلاح[٦] شاك وشائك، قال عنترة:

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» (ش ك و) ٢/ ٨٧٨، و«الصحاح» (شوك) ٤/ ١٥٩٥.

(٢) الضبارم، بضم الضاد: الأسد الشديد الخَلق، ويطلق على الرجل الشجاع الجريء على الأعداء.
انظر: «لسان العرب» (ضبرم) ٤/ ٢٥٤٨.

(٣) «ديوانه» بشرح أبي العباس ثعلب ص٢٣، وفيه: شاكي السلاح مقذف، وكذلك هو في رواية الشنتمري في «شرح الديوان» ص٢١.
والمقذف: الغليظ اللحم، واللبد: الشعر المتراكب على زبرة الأسد، كما في المصدرين السابقين.

(٤) في (م): (الشائك والشاكي).

(٥) «لسان العرب» ٤/ ٢٣٦٢-٢٣٦٣ (شوك).

(٦) ساقط من (س).

فتعرفوني أنني أنا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم[(١)]

ومنه قول المجدث[(٢)]:

وألبس من رضاه في طريقي سلاحًا يذعر الأبطال شاكا[(٣)]

وهذا من قولهم: هو شاك السلاح بحذف الياء، كما قالوا رجل مال[(٤)]: ذو مال، ونال من النوال[(٥)]، وكبش صاف[(٦)]: ذو صوف، وكذلك رجل شاك[(٧)]، وسلاح شاك[(٨)]، فأما قولهم: شاكّ في السلاح بالتشديد مع (في) فمعناه: ذو شكة، والشكة: السلاح[(٩)].

(١) نسب المؤلف هذا البيت لعنترة، وليس في «ديوانه»، ولم أجد من نسبه له، والصحيح أنه لطريف بن تميم العنبري. كما في «الأصمعيات» ص١٢٨، و«شرح شواهد الشافعية» ص٢٧٠، و«كتاب سيبويه» ٣/ ٤٦٦، و«معاهد التنصيص» ١/ ٢٠٤.

(٢) لم يتبين لي من هو ولم يذكر في «كتاب ألقاب الشعراء» من سمي بالمجدث أو ما يقاربه.

(٣) انظر البيت بلا نسبة في «البحر المحيط» ٤/ ٤٥٥، و«الدر المصون» ٥/ ٥٦٩.

(٤) في «لسان العرب» ٧/ ٤٣٠٠ (مول). رجلٌ مال: ذو مال، وقيل كثير المال، كأنه قد جعل نفسه مالًا، وحقيقته: ذو مال.

(٥) في «لسان العرب» ٨/ ٤٥٨٣ (نول): رجل نال -بوزن بالٍ-: جواد، وهي في الأصل: نائل.

(٦) في «لسان العرب» ٤/ ٢٥٢٧-٢٥٢٨ (صوف): (كبش أصوف وصَوِف، على مثال (فَعِل) وصائف وصافٌ وصاف، الأخيرة مقلوبة، وصوفاني كل ذلكَ: كثير الصوف.

(٧) بضم الكاف وكسرها. انظر «لسان العرب» ٤/ ٢٣٠٩ (شكك).

(٨) في «القاموس المحيط» ٤/ ٢٣٦٢-٢٣٦٣ (شوط): رجل شاكُ السلاح، وشائكه، وشوكه، وشاكيه، حديده.

وفي «لسان العرب» ١٠/ ٤٥٤ (شوك): رجل شاكي السلاح وشاكُ السلاح، برفع الكاف، مثل جرف هارٍ وهارٌ، ومن قال: شاك السلاح، بحذف الياء فهو كما يقال: رجل مال ونال: من المال والنوال، وإنما هو مائل، ونائل.

(٩) في «لسان العرب» ٤/ ٢٣٠٩ (شكك): الشاكُّ في السلاح: وهو اللابس السلاح التام.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال ابن عباس: ﴿يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يظهر الإسلام[١]، وقال أهل المعاني[٢]: معنى يحق الحق: يظهره ويعليه لأن الحق حق حيث كان، ولكنه إذا لم يكن ظاهرًا أشبه الباطل؛ لأن من صفة الحق ظهوره، فإظهاره تحقيق له من هذا الوجه[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، قال ابن عباس: أي بعداته[٤]، وقال عطاء عنه[٥]: موعد من الله قد سبق في علمه، ووعد نبيه بذلك في سورة الدخان: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾[٦] يريد: ننتقم له من أبي جهل[٧]، فـ (كلماته) على هذا ما قد أخبر به من إظهار الحق وإعزازه

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٢٤، وقد ورد نحوه في التفسير المنسوب لابن عباس والمطبوع باسم «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس» ص١٧٧. وهذا الكتاب مع عدم صحة نسبته إلى ابن عباس فإن جامعه -والمشهور أنه الفيروز أبادي- قد رواه بسنده عن محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذه هي سلسة الكذب. انظر: «الإتقان» ٣/ ٢١٥.

(٢) لم أجد هذا القول فيما بين يدي من كتب أهل المعاني، وقد ذكر نحو هذا القول أبو السعود في تفسيره «إرشاد العقل السليم» ٤/ ٧.

(٣) بين الراغب الأصفهاني أن إحقاق الحق على ضربين: أحدهما: بإظهار الأدلة والآيات، والثاني: بإكمال الشريعة وبثها في الكافة. انظر: «المفردات في غريب القرآن» ص١٢٥ (حقق).

(٤) لم أجد من رواه عنه، وقد ذكر هذا القول ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٢٤ دون أن ينسبه لأحد، ومعناه: بوعوده السابقة بأن يظهر الدين.

(٥) ساقط من (س)، وفي (ح): وقال: طاعته موعد ... إلخ. وهو خطأ، ولم أجد من ذكر هذه الرواية.

(٦) الآية ١٦.

(٧) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أحد طواغيت قريش وأبطالها =

بقوله[١]: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٢] على ما تقدم به وعده[٣].

وقال بعضهم: (بكلماته) أي بأمره إياكم أن تجاهدوهم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قد ذكرنا الكلام في معنى (الدابر) فيما تقدم[٥]، قال أبو إسحاق: أي: ظَفَركم بذات الشوكة أقطع[٦] لدابرهم[٧]، وفي هذا بيان عن النعمة عليهم بالظفر بقريش حين خرجوا[٨] يحمون العير، وإن كرهوا هم ذلك، وأن ما أراد الله لهم كان خيرًا مما أرادوا هم.

٨- قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ اللام في صلة قوله (يقطع) أي: يقطع دابرهم ليحق الحق، قال ابن عباس: يريد أن يحق الله مواعيده للمؤمنين[٩]، وذكرنا أن معنى إحقاق الحق إظهاره وإعلاؤه على غيره[١٠].

= ودهاتها في الجاهلية، وكان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأصحابه، قتل يوم بدر سنة ٢هـ. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٢١٥-٤١٧، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٢/ ٢٠٦، و«الأعلام» ٥/ ٨٧.

(١) الجار والمجرور متعلقان بقوله: أخبر.

(٢) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

(٣) الذي ذهب إليه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٨-١٨٩، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٤٥ أن المراد بـ (كلماته): آياته المنزلة في قتال الكفار، وذهب مقاتل في «تفسيره» ١١٨ ب إلى أن المراد بذلك ما أنزل على محمد ﷺ.

(٤) انظر: التعليق السابق.

(٥) انظر: «تفسير البسيط» الأنعام: ٤٥.

(٦) في (ح): (أو قطع)، وهو خطأ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٢.

(٨) في (م): (دخلوا)، وهو خطأ.

(٩) ذكر نحوه ابن الجوزي دون نسبة إلى ابن عباس، انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الآية السابقة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يعدمه ويهلكه؛ لأن الباطل باطل، وكان الكفر باطلًا قبل بدر، ولكن معنى إبطاله ههنا: إعدامه، كما أن معنى إحقاق الحق: إظهاره، وإلى هذا [أشار ابن عباس في معنى (يبطل الباطل) فقال: يريد: ﴿وَيَقْطَعَ[١] دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] ألا ترى أنه][٢] أشار إلى إعدامهم وإهلاكهم[٣]، وقال صاحب النظم: ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: يفني الكفر، والآية بيان عن إرادة الله تعالى إظهار الحق وإعدام الباطل به على كره من المشركين، وإعزاز للمسلمين.

٩- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية، يجوز أن يكون العامل في (إذ)، (ويبطل الباطل) فتكون الآية متصلة بما قبلها[٤]، ويجوز أن تكون الآية مستأنفة على تقدير: واذكر إذ، بمعنى التذكير بالنعمة[٥].

وقوله تعالى: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ أي تطلبون منه المغوثة[٦] [والغوث والإغاثة][٧]، ويقول الواقع في بلية: أغثني، أي: فرج عني، ومعنى الإغاثة والغوث والمغوثة: سد الخلة في وقت الحاجة[٨]، وقال المفسرون[٩]:

---

(١) في (س): (قطع).
(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (ح).
(٣) لم أجد من روى عن ابن عباس ما ذكره الواحدي سوى الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٧، حيث قال: (ويبطل الباطل): يهلك الشرك وأهله.
(٤) وهذا ما ذهب إليه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٨٩.
(٥) في (ح) و(س): التذكر.
(٦) في (م): (المعونة).
(٧) ما بين المعقوفين مكرر في (ح).
(٨) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (غوث) ٤/ ٤٠٠.
(٩) انظر: «تفسير الطبري» ٩/ ١٨٩، والثعلبي ٦/ ٤١ ب، والبغوي ٣/ ٣٣٢.

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تستجيرون به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم، وذلك أن المهاجرين والأنصار لما رأوا أنفسهم في قلة عدد استغاثوا، قال ابن عباس: حدثني عمر بن الخطاب [ﷺ][1]، قال: لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف[2] استقبل القبلة[3] ومد يده يدعو: اللهم أنجز لي ما وعدتني، الله إن تهلك هذه العصابة من أهل[4] الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف حتى سقط رداؤه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم﴾[5].

وذكرنا معنى الإمداد في آخر سورة الأعراف وفي سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ وقرأ نافع[6] بفتح الدال[7]،

---

(١) من (م).

(٢) النيف: من واحد إلى ثلاث، وكل ما زاد على العقد فهو نيف.
انظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٥٧٩ (نوف). ورواية المصنف هذه موافقة لرواية الإمام أحمد في «المسند»، وفي «صحيح مسلم»: ثلاثمائة وتسعة عشر، وفي «سنن الترمذي»: ثلاثمائة وبضعة عشر.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) ساقط من (م).

(٥) رواه بلفظ مقارب مع زيادة: مسلم في «صحيحه» (١٨٦٣) كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣ (١٨٦٣)، والترمذي (٣٢٧٥) «كتاب تفسير القرآن»، سورة الأنفال، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٠.

(٦) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم المدني، أحد القراء السبعة، تقدمت ترجمته.

(٧) انظر: كتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني ص١١٦، و«تقريب النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ص١١٨، وقد قرأ بالفتح أيضا أبو جعفر ويعقوب، انظر: المصدر السابق، و«إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر» للدمياطي ص٢٣٦.

قال الفراء: أما (مُرْدِفين) متتابعين، و(مُرْدَفين) فُعل بهم[(١)]، وقال الزجاج: يقال: أردفت الرجل: إذا جئت بعده، ومعنى[(٢)] (مردفين) يأتون فرقة بعد فرقة[(٣)].

واختلف أهل اللغة في (ردف وأردف) والأكثرون على أنهما بمعنى. [قال][(٤)] ثعلب عن ابن الأعرابي[(٥)]: يقال: (ردفته وأردفته واحد)[(٦)]. وقال أبو عبيد عن أبي زيد[(٧)]: ردفت الرجل وأردفته: إذا ركبت خلفه، وأنشد:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا[(٨)(٩)]

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠٤ .

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج: فمعنى.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٢.

(٤) إضافة من المحقق.

(٥) هو: محمد بن زياد بن الأعرابي أبو عبد الله الكوفي الهاشمي مولاهم، تقدمت ترجمته.

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٤ (ردف)، ونصه: ردفته وأردفته بمعنى واحد.

(٧) هو: سعدي بن أوس بن ثابت الأنصاري أبو زيد البصري، صاحب النحو واللغة، كان صدوقًا علامة حافظًا للنوادر والشعر، توفي سنة ٢١٤هـ.
انظر: «مراتب النحويين» ص٧٣، و«نزهة الألباء» ص١٠١، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٠، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٤٩٤.

(٨) البيت لحزيمة بن نهد بن زيد بن ليث القضاعي، وهو شاعر جاهلي قديم. وحزيمة: بالحاء المهملة المفتوحة، وكسر الزاي، وانظر: «الأغاني» ١٣/ ٧٨، و«معجم ما استعجم» ١/ ١٩، و«المعارف» ص٣٤٢. وقيل إن البيت لخزيمة -بالخاء المعجمة- ابن مالك بن زيد. انظر «اللسان» (ردف) ٣/ ١٦٢٥.
والمعنى: إذا الجوزاء تبعت الثريا، وذلك إبان اشتداد الحر وجفاف المياه، وتفرق الناس في طلبها، فحينئذٍ تغيب عنه محبوبته فتسيء ظنونه، وتشتد همومه.

(٩) انظر: قول أبي زيد في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٤ (ردف).

ومعناه: جاءت على ردفها، أي: تبعتها ورؤيت[١] خلفها.

وفصل آخرون بينهما، فقال الزجاج: ردفت الرجل: إذا ركبت خلفه، وأردفته: أركبته خلفي، وأردفت الرجل: إذا جئت بعده[٢].

وقال شَمِر: ردفت وأردفت: إذا فعلت ذلك بنفسك، فإذا فعلت بغيرك: فأردفت لا غير[٣].

فمن قرأ (مردِفين) بكسر الدال[٤] فمعناه: أن بعضهم في إثر بعض، كالقوم الذين ترادفوا على الدواب؛ كما ذكره الفراء[٥] والزجاج[٦]، وهو قول قتادة والسدي: متتابعين[٧]، واختار أبو حاتم هذه القراءة، وقال: معناه: بألف من الملائكة جاءوا بعد المسلمين على آثارهم، يقال: ردفه وأردفه: إذا جاء بعده؛ كما قال: أردفت الثريا: أي جاء[٨] بعدها[٩]. وروي عن أبي عمرو: أردف بعضهم بعضًا: من الإرداف، وهو أن يحمل الرجل صاحبه خلفه[١٠]، وأنكر أبو عبيد هذا وقال: لم يسمع هذا في صفة الملائكة[١١].

---

(١) في (س): (وردفت). (٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٢.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٤ (ردف).

(٤) وهي قراءة السبعة غير نافع، انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٤، و«التيسير في القراءات السبع» ص١١٦، و«تقريب النشر» ص١١٨.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٢.

(٧) رواه عنهما ابن جرير ٩/ ١٩١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٣.

(٨) هكذا في جميع النسخ.

(٩) انظر: قول أبي حاتم في «الوسيط» ٢/ ٤٤٦.

(١٠) انظر قول أبي عمرو في: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٩١، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣٠٧.

(١١) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٩١. و«الدر المصون» ٥/ ٥٦٧.

ومن قرأ بفتح الدال فمعناه: بألفٍ أردف الله المسلمين بهم وأمدهم بهم، وهو قول مجاهد، قال: الإرداف: إمداد المسلمين بهم[١]، واختار أبو عبيد هذه القراءة[٢]، وروي عن الفراء وأبي عبيدة قالا: من فتح الدال أراد: جيء بهم بعدهم وأمدوا بهم، فهم ممدون بهم[٣]، وتفسير ابن عباس يدل على القراءتين لأنه قال: مع كل ملك ملك[٤]، وهذا يحتمل الوجهين؛ لأنك إن كسرت كان معناه: متتابعين، وإن فتحت كان المعنى: أنهم جعلوا كذلك، قال أبو علي: من كسر الدال احتمل وجهين أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، كما تقول: أردفت زيدًا دابتي، فيكون المفعول الثاني محذوفًا من الآية، وحذف المفعول كثير[٥].

ويقوي هذا الوجه الذي ذكره أبو علي ما قال عطاء، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يريد ألفًا بعد ألف[٦].

---

(١) في «تفسير الإمام مجاهد» ص٣٥٢، و«تفسير ابن جرير» ١٣/ ٤١٣، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» ٤/ ٣٠، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: ممدّين اهـ. فلعل المصنف ذكر قول مجاهد بالمعنى.

(٢) انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣٠٧.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠٤: (مردَفين): فعل بهم اهـ. «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٤١: ومن قرأها بفتح الدال وضعها في موضع (مفعولين) من أردفهم الله من بعد من قبلهم وقدامهم.

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ١٩٢ بإسناد فيه قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف لا يحتج به كما في الكاشف ٢/ ٣٣٤.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٢٤.

(٦) أكثر المؤلف من ذكر رواية عطاء عن ابن عباس بل بنى عليها تفسيره هذا وكذلك، و«الوسيط»، و«الوجيز»، ولم أجد لها ذكرًا في كتب التفسير كـ«تفسير عبد الرزاق»، =

قال: والوجه الآخر في (مردفين) أن يكونوا جاءوا بعد المسلمين، قال الأخفش: تقول العرب: بنو فلان يردفوننا، أي: يجيئون بعدنا[١]، وقال أبو عبيدة: (مردفين) جاءوا بعد، وردفني وأردفني واحد[٢]، قال أبو علي: وهذا الوجه كأنه أبين لقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية، فقوله (مردفين) جائين بعد لاستغاثتكم[٣] ربكم وإمداده إياكم، ومن فتح الدال

= و«ابن جرير»، و«ابن أبي حاتم»، و«الثعلبي»، و«البغوي»، و«الدر المنثور»، وغيرها. وقد يذكرها في أحيان قليلة الفخر الرازي وابن الجوزي، وهما يكثران النقل من «البسيط»، وفي القلب شيء من صحة هذه الرواية لما يأتي:

١- أن هذه الرواية مفسرة لجميع آيات القرآن، وهذا غير معهود عن السلف، قال الخليلي: هذه التفاسير الطوال التي أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل. «الإتقان» ٢/ ٢٤١.

٢- أن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ قال: لم يثبت في التفسير عن ابن عباس إلا شبيه بمائة حديث.

انظر: المصدر السابق ص٢٤٢، ولعل الشافعي لم تصح عنده رواية علي بن أبي طلحة الوالبي إذ هي في الأصل منقطعة، لكن عرفت الواسطة وهو ثقة. انظر: «التفسير والمفسرون» ١/ ٧٨.

٣-أن هذه الرواية قد تخالف الرواية الصحيحة عن ابن عباس.

أقول: تبين لي فيما بعد أن هذه الرواية موضوعة، وقد تقدم ذلك عند الحديث عن مصادر المؤلف، في مقدمة التحقيق.

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٢٥، و«فتح الباري» ٨/ ٣٠٧، ولم أجده في «معاني القرآن».

(٢) قول أبي عبيدة هذا ذكره بنصه أبو علي الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٢٥، ونص قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤١ (مردفين) مجازه: مجاز فاعلين، من أردفوا، أي جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردفني: أي جاء بعدي، وهما لغتان.

(٣) في (ح): (استغاثتكم).

فهم مردَفون، على: أردفوا الناس أي: أُنزلوا بعدهم(١).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ قال الفراء هذه (الهاء) للإرداف أي: ما جعل الله [الإرداف إلا بشرى(٢)، وقال الزجاج: أي: ما جعل الله المدد](٣) إلا بشرى(٤)، وهذا أولى لأن الإمداد بالملائكة كانت البشرى(٥)، وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يوم بدر في العريش قاعدًا يدعو وكان أبو بكر قاعدًا على يمينه معه، ليس معه غيره، فخفق رسول الله ﷺ من نعسة نعسها ثم ضرب بيمينه على فخذ أبي بكر فقال: أبشر بنصر الله فلقد رأيت في منامي بقلبي -والأنبياء إذا ناموا لا تنام قلوبهم ينظرون بها كما ينظرون بأبصارهم وهم مستيقظون- جبريل يقدم الخيل فبشره بإمداد الله إياهم بالملائكة(٦)، وهذه الآية مفسرة ومشروحة في سورة آل عمران.

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٢٥، وقد تصرف الواحدي في عبارة أبي علي واختصرها.

(٢) اهـ. كلام الفراء. انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٠٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) اهـ. كلام الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٣.

(٥) هكذا في جميع النسخ، وعبارة الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٣١: وهذا أولى لأن الإمداد بالملائكة حصل بالبشرى، وفي كلتا العبارتين غموض.

(٦) رواه بلفظ مقارب عن ابن عباس ابن إسحاق، انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢٦٦-٢٦٨، وروى البخاري أوله بمعناه في «صحيحه» (٢٩١٥) كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النبي ﷺ. وكذلك روى البخاري بعضه بلفظ: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**»، «صحيح البخاري» (٣٩٩٥) كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا، كما روى قضية رؤية النبي بقلبه عن أنس بلفظ: فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، و«صحيح البخاري» كتاب الأنبياء، باب: كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٥/ ٣٣.

١١- قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾. قال الزجاج: (إذ) موضعها نصب على معنى: وما جعله الله إلا بشرى في ذلك الوقت، قال: ويجوز أن تكون على[١]: اذكروا إذ يغشيكم[٢] النعاس[٣].

واختلف القراء في ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ فقرؤوا[٤] من غشي ومن أغشى ومن غشّى[٥]، فمن قرأ (يغشاكم) فحجته قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ [آل عمران: ١٥٤] فكما أسند الفعل هناك إلى النعاس أو الأمنة التي هي سبب النعاس؛ كذلك في هذه الآية، ومن قرأ (يُغْشِيكم) أو (يُغَشّيكم) فالمعنى واحد، وقد جاء التنزيل بهما في قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] وقال ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤] وقال: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [يونس: ٢٧] وإسناد الفعل في هذا إلى الله تعالى أشبه بما بعده من قوله (وينزل) (ويذهب).

وقوله ﴿أَمَنَةً﴾ منصوب مفعول له كقولك: فعلت ذلك حذر الشر، والتأويل: إن الله جل وعز أمنهم أمنًا حتى غشيهم النعاس بما وعدهم من النصر[٦].

---

(١) عبارة الزجاج هكذا: ويجوز على أن يكون.

(٢) في (ح) و(س): (يغشاكم)، وما في (م) موافق للمصدر التالي.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٣.

(٤) في (ح): (فقريء).

(٥) إذا كان الفعل (غشي) فالقراءة (يغشاكم)، وإذا كان الفعل (أغشى) فالقراءة (يُغْشِيكم)، وإذا كان الفعل (غشّى) فالقراءة (يُغَشّيكم) والقراءة الأولى لابن كثير وأبي عمرو، والثانية لنافع، والثالثة لعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي.
انظر: «التبصرة في القراءات» ص٢٢١، و«تقريب النشر» ص١١٨، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٣٦.

(٦) التعليل بأن الأمن بسبب وعدهم بالنصر يحتاج إلى دليل ولم أجده، ويشكل على=

قال ابن مسعود: النعاس في القتال أمنةً من الله، وفي الصلاة من الشيطان(١).

وغشيان النعاس أصحاب بدر، كغشيانه إياهم يوم أُحد، وقد ذكرنا الكلام فيه وفي قوله ﴿أَمَنَةً﴾، في سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ ذكر أهل التفسير(٢) أن المسلمين لما بايتوا المشركين ببدر أصابت جماعة منهم جنابات احتاجوا لها إلى الماء فساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء وغلبوهم عليه(٣)، فوسوس إليهم الشيطان أن ذلك عون من الله للعدو، وقال لهم: كيف ترجون الظفر عليهم وقد غلبوكم على الماء(٤) وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء

= هذا التعليل نزول الأمن عليهم بعد معركة أحد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ثم إن التعبير بقوله (أمنة منه) في قصة بدر، وبقوله: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ في قصة أحد ما يؤكد أن الأمن فيض من الله، ونفحة من نفحات رحمته على عباده المؤمنين سواء وعدوا بالنصر أم لم يوعدوا.

(١) رواه ابن جرير ٩/ ١٩٣-١٩٤، والسمرقندي ٢/ ٩، والثعلبي ٦/ ٤٢ ب، والبغوي ٣/ ٣٣٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٣/ ٤١٢-٤٢٦، والثعلبي ٦/ ٤٣ أ، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢، ٣٣.

(٣) في (ح): (إليه).

(٤) تضاربت الروايات فيمن غلب على الماء، فالمشهور أن المسلمين غلبوا عليه، وصنعوا حوضًا كبيرًا، وقد روى ذلك البيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٣٢١ عن ابن شهاب وعروة بن الزبير وعاصم بن عمر وموسى بن عقبة، ورواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٥٩-٢٦٠ عن رجال من بني سلمة، وكلا الإسنادين غير متصل. وروى ابن جرير ٩/ ١٩٥ عن ابن عباس أن المشركين هم الذين غلبوا على الماء، =

الله وفيكم نبيه؟! فأنزل الله تعالى مطرًا أسال منه الوادي حتى اغتسلوا وتطهروا وزالت الوسوسة؛ فذلك قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ أي من الأحداث والجنابة، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي وسوسته التي تكسب عذاب الله وغضبه، ولذلك سمى الوسوسة رجزًا[1]، ومضى الكلام في الرجز وأن معناه العذاب[2]، ومن المفسرين من يحمل رجز الشيطان على الجنابة وهي من الشيطان[3].

= لكن سند هذه الرواية مسلسل بالضعفاء، وهم أسرة العوفي، انظر: «تفسير ابن جرير» ١/ ٢٦٣ حاشية (١)، وقد أبدع المحقق في بيان ذلك.

وهناك رواية أخرى عن ابن عباس عند ابن جرير ٩/ ١٩٦ تفيد أن المشركين غلبوا على الماء أول الأمر، وسندها ضعيف أيضًا لأن أحد رجالها مدلس وهو ابن جريج، ولم يصرح بالتحديث.

انظر: «إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس» ص٣٧.

والذي صح عن ابن عباس ما رواه ابن جرير ٩/ ١٩٥ من رواية علي بن أبي طلحة أنه قال: نزل النبي ﷺ يعني حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء .. إلخ.

لكن هذه الرواية ليست نصًا في غلبة المشركين على الماء لاحتمال وصول المسلمين إليه بعد نزول المطر، وأما قوله: (وقد غلبكم المشركون) فهو من وسوسة الشيطان لا حقيقة. والله أعلم.

(١) قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٤٧١ الرجز: العذاب. قال تعالى - حكاية عن قوم فرعون-: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي العذاب، ثم قد يسمى كيد الشيطان رجزًا؛ لأنه سبب العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

(٢) البقرة: ٥٩.

(٣) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٨٣، و«تفسير الفخر الرازي» ١٥/ ١٣٨.

وقال عطاء: رجز الشيطان: تخويفه إياهم بالعطش[١]، وهذا أيضًا نوع من الوسوسة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ قال ابن عباس: باليقين والعز والنصر[٢]، ومعنى الربط في اللغة: الشد، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ويقال: لكل من صبر عل أمر: ربط قلبه، كأنه حبس قلبه عن أن يضطرب، ويقال: رجل رابط الجأش، قال الأصمعي: هو الذي يربط نفسه يكفها بجرأته[٣] وشجاعته[٤]، ومنه قول لبيد:

رابط الجأش على كل وجل[٥]

ويشبه أن يكون (على) ههنا صلة، والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر[٦] وما أوقع فيها من اليقين فتثبت ولا تضطرب.

وقوله[٧]: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ قال المفسرون: وذلك أن المسلمين كانوا [قد نزلوا][٨] على كثيب تغوص فيه أرجلهم، فلبده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام[٩]، والكناية تعود على الماء.

---

(١) لم أعثر عليه فيما بين يدي من مراجع.

(٢) لم أجد من ذكره عن ابن عباس، وقد ذكر ابن الجوزي عنه أنه قال: بالصبر، انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٢٨.

(٣) في «تهذيب اللغة»: لجرأته.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (ربط) ٢/ ١٣٤٦.

(٥) هذا عجز بيت وصدره:

يُسْئِد السير عليها راكب

انظر: «ديوانه» ص١٧٦، ومعنى: يسئد: يغذّ ويسرع، كما في المصدر نفسه.

(٦) في (م): (النصر)، واللفظ ساقط من (س).

(٧) من (م).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٩٤، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٤٣ أ.

قال الزجاج: وجائز أن يكون (به): بالربط؛ لأن (يربط) يدل عليه. فكأنه قال: ويثبت بالربط أقدامكم[١].

١٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ قال أبو إسحاق: إذا[٢] في موضع نصب على: وليربط إذ يوحي، قال: ويجوز أن يكون على: اذكروا[٣].

ومعنى (يوحي ربك) أي: يلقي إليهم من وجه يخفى، هذا حقيقة معنى الإيحاء[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ يعني الذين أمد الله بهم المسلمين، وقوله تعالى: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ أي بالعون والنصرة، كما يقال: فلان مع فلان أي معونته معه[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد ادعوا لهم، ولا يمدن أحد منهم سيفه ليضرب به إلا بادرتموه بسيوفكم[٦]،

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٤ بتصرف.

(٢) ساقط من (ح). (٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٤.

(٤) انظر: «الصحاح» (وحي) ٦/ ٢٥٢٠.

(٥) هذه بعض معان المعية الخاصة، وليس ذلك من التأويل المذموم بل هو مقتضى لغة العرب، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (مع) في كلامهم لصحبته اللائقة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فكون نفس الإنسان معه لون وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها. «مختصر الصواعق المرسلة» ص٣٩٤.

(٦) لم أعثر على مصدره، وفي معناه نظر، إذ لو ثبت هذا لما قتل أحد من المسلمين لكن الواقع أنه استشهد في معركة بدر أربعة عشر رجلا. انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٥٤-٣٥٥.

وقال مقاتل: يعني بشروهم بالنصر، وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم ويرى[١] الناس أنه منهم[٢][٣].

وقال عبد العزيز بن يحيى: شجعوهم وقووا عزمهم في الجهاد[٤]، وهذا معنى قول الزجاج: جائز أن يكونوا يثبتونهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها[٥]، قال أبو روق: هو أن الملك كان يتشبه بالرجل الذي يعرفونه فيأتي الرجل منهم ويقول: إني سمعت المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن، فيتحدث بذلك المسلمون ويزدادون جرأة[٦]، وهذا اختيار الفراء[٧] وابن الأنباري، وقال الزجاج: وجائز أن يكونوا يرونهم مددًا فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا[٨].

وذكر أبو بكر[٩] وجهًا آخر فقال: معناه اقتلوا المشركين وأفسدوا صفوفهم فإنكم إذا فعلتم ذلك ثبّتم المؤمنين، وهذا معنى قول المبرد: (وازروهم)[١٠]، وهو قول الحسن قال: (فثبتوا الذين آمنوا) بقتالكم

---

(١) في (ح): (فيرى).

(٢) في (س): (منكم).

(٣) «تفسير مقاتل» ل ١١٩ أ.

(٤) لم أعثر عليه، وقد ذكره الثعلبي ٦/ ٤٣ أ بلا نسبة.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٤، ونص عبارة الزجاج: جائز أن يكون أنهم يثبتوهم ... إلخ.

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٤٣ ب، والأثر مرسل لأن أبا روق من صغار التابعين ولم يسنده إلى صحابي.

(٧) انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٤٠٥.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٤.

(٩) هو: ابن الأنباري.

(١٠) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/٤٣/ ب، وهو قول ابن اسحاق، انظر السيرة

المشركين[(١)].

وقوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾، قال عطاء: يريد الخوف من أوليائي[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾، قالوا: جائز أن يكون هذا أمرًا للملائكة وهو الظاهر، وجائز أن يكون أمرًا للمؤمنين[(٣)]، ومعناه: فاضربوا الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق. قال عطاء عن ابن عباس: يريد كل هَامَة وجمجمة[(٤)]، وقال عكرمة: معناه: فاضربوا الرؤوس فوق الأعناق[(٥)]، [وقال الفراء: «علمهم مواضع الضرب فقال: اضربوا الرؤوس[(٦)]][(٧)]»،

= النبوية» ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، ومعنى (وازروهم): أعينوهم. انظر: «القاموس المحيط» فصل: الواو، باب: الراء ص٤٩٢.

(١) «زاد المسير» ٣/ ٣٢٩، و«الوسيط» ٢/ ٤٤٨، وانظر: «تفسير الحسن البصري» ١/ ٣٩٩ جمع وتوثيق د/ محمد عبد الرحيم.

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٣٤، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٤٨.

(٣) رجح هذا القول ابن جرير ١٣/ ٤٣٠، والسمرقندي ٢/ ١٠، والرازي ١٥- ١٤٠، وانظر القولين في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٤٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٣٢٩، والرازي ١٥/ ١٤٠، وقتال الملائكة يوم بدر ثابت في «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة رقم (١٧٦٣) ٣/ ١٣٨٣.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي ٧/ ٣٧٨، وبمعناه عند الثعلبي ٦/ ٤٣ ب، والهامة: أعلى الرأس، وقيل: الرأس، وقيل غير ذلك. انظر: «لسان العرب (هوم) ١٢/ ٦٢٤.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٤٣ ب، ورواه ابن جرير ١٣/ ٤٣٠، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣١ ب مختصرًا بلفظ: الرؤوس.

(٦) «معاني القرآن ١/ ٤٠٥، ونص عبارة الفراء: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

وقال أبو بكر[١]: أراد به الرؤوس، وذلك أن الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى أن يضربوا الرؤوس.

قال قطرب[٢]: يعني ما فوق الأعناق[٣].

ونصب (فوق) يكون بالظرف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ يعني الأطراف من اليدين والرجلين، عن ابن عباس[٤]، وابن جريج[٥]، والسدي[٦].

وفي رواية: (كل بنان) من الأصابع إلى الذراع[٧]، قال الليث[٨]:

---

(١) يعني: ابن الأنباري، وانظر قوله هذا في: «زاد المسير» ٣/ ٣٢٩، وفي «تفسير البغوي» ٣/ ٣٣٥.

(٢) هو: محمد بن المستنير أبو علي المعروف بقطرب النحوي اللغوي المعتزلي أحد أئمة اللغة والنحو، تتلمذ على سيبويه وغيره من علماء البصرة، توفي سنة ٢٠٦هـ.
انظر: «نزهة الألباء» ص٧٦، و«إنباه الرواة» ٣/ ٢١٩، و«مراتب النحويين» ص١٠٩.

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول عنه، ولعله في كتابه «معاني القرآن» وهو من الكتب التي لم أعثر عليها، وانظر نحو هذا القول في: «النكت والعيون» ٢/ ٣٠٢.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٩٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٨، والثعلبي ٦/ ٤٣ ب.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٩٩، والثعلبي ٦/ ٤٣ ب.

(٦) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٦٨، وابن كثير ٢/ ٣٢٤.

(٧) لم أجد هذه الرواية في كتب التفسير.

(٨) هو: الليث بن نصر بن سيار الخرساني اللغوي النحوي، وقيل: الليث بن المظفر، وقيل: الليث بن رافع، كان من أكتب الناس في زمانه، بارعًا في الأدب، بصيرًا بالشعر والغريب والنحو، من تلامذة الخليل بن أحمد وراوي كتاب «العين» عنه، بل قيل إنه هو مؤلفه، وجزم الأزهري بذلك وتبعه المؤلف.
انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٨، و«إنباه الرواة» ٣/ ٤٢، و«لسان الميزان» ٤/ ٤٩٤، و«بغية الوعاة» ٢/ ٢٧٠، وانظر: الرد على الأزهري في نسبة كتاب العين لليث، وصحة نسبته للخليل في مقدمة كتاب «العين» ١/ ١٩.

البنان: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، والبنان في كتاب الله هي (الشوى) وهي الأيدي والأرجل[١].

وبنحو هذا قال الفراء، قال: يعني الأيدي والأرجل[٢]، قال أبو بكر[٣]: البنان أطراف الأصابع، اكتفى الله به من جملة اليد والرجل، والعرب تكتفي ببعض الشيء من كله، وأنشد لعنترة:

عهدي به[٤] مدّ النهار كأنما خُضب البنان ورأسه بالعظلم[٥]

يعني قتيلًا مضرجًا في دمه، وأراد بالبنان [جملة أطرافه.

وقال عطية والضحاك: كل بنان: مفصل[٦]، وهو اختيار أحمد بن يحيى، قال: البنان][٧] كل طرف ومفصل[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» (بنن) ١٥/ ٤٦٨، والنص في كتاب «العين» (بن) ٨/ ٣٧٢، وتفسير (الشوى) بالأيدي والأرجل قول لأهل اللغة، وقيل: ظاهر الجلد كله. انظر: «تهذيب اللغة» (شوى) ١١/ ٤٤٢، و«لسان العرب» (شوى) ١٤/ ٤٤٧.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠٥ بتصرف.

(٣) هو: ابن الأنباري، وقد ذكر بعض قوله هذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٣٠، كما ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٤٨.

(٤) في (س): (بها).

(٥) «ديوانه» ص٢٧ بمثل رواية المصنف، وانظر: «شرح ديوانه» للشنتمري ص٢١٣، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٠٩، و«اللسان» (شدد) ٤/ ٢٢١٤، و«الدر المصون» ٥/ ٥٨٠، وفيها جميعًا: شد النهار، وهو بمعنى رواية الديوان،أي: ارتفاعه، انظر: «اللسان» (مدد) ٧/ ٤١٥٨.

والعِظْلم: بكسر العين: قال الجوهري في «الصحاح» (عظلم) ٥/ ١٩٨٨: نبت يصبغ به، وفي «اللسان» (عظلم) ٥/ ٣٠٠٤: صبغ أحمر.

(٦) رواه عنهما ابن جرير ٩/ ١٩٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٦٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) «فصيح ثعلب» ص٤٦ بنحوه.

قال أبو الهيثم[(١)]: وكل مفصل[(٢)] بنانة[(٣)]، وقال الزجاج في هذه الآية: أباحهم الله ﷻ قتلهم بكل نوع يكون في الحرب[(٤)].

١٣- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الإشارة تعود إلى ما أمر به من ضربهم؛ يقول: ضرب أعناقهم وبنانهم بما ارتكبوا من الشقاق، وذكرنا معنى الشقاق فيما تقدم[(٥)].

وقال أبو إسحاق: شاقوا: جانبوا وصاروا في شق غير شق المؤمنين[(٦)]، والشق: الجانب، وقال ابن قتيبة: شاقوا: نابذوا وباينوا[(٧)].

وقال ابن عباس: ﴿شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد: حاربوا الله وحاربوا رسوله[(٨)]، وهذا معنى وليس بتفسير؛ وذلك أن المحارب: مباين مخالف، يدل على هذا أنه قد باين[(٩)] من لا يحارب: فيقال: قد شاق، فحقيقة معنى

---

(١) هو: خالد بن يزيد الرازي أبو الهيثم، اشتهر بكنيته، من أئمة اللغة بارعًا حافظًا عالمًا ورعًا كثير الصلاة، صاحب سنة، توفي عام ٢٧٦هـ. انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٥-٤٦، و«إنباه الرواة» ٤/ ١٨٨، و«بغية الوعاة» ٢/ ٣٢٩.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) «تهذيب اللغة» (بن) ١/ ٣٩١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٥.

(٥) انظر: البسيط (النسخة الأزهرية) ١/ ٩١ أ، ونص قوله في هذا الموضع: («شقاق»: أي خلاف وعداوة، وتأويله: أنهم صاروا في شق غير شق المسلمين، والعداوة تسمى شقاقًا،؛ لأن كل واحد من المعادين يأتي بما يشق على صاحبه، أو لأن كل واحد صار في شق غير شق صاحبه).

(٦) اهـ كلام الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٥.

(٧) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٨٨.

(٨) «الوسيط» ٢/ ٤٤٨.

(٩) في (م): تباين اهـ. والضمير في قوله (أنه) ضمير الشأن، و(من) فاعل (باين) والمعنى: إن من لا يحارب من الكفار قد باين، ويقال له: قد شاق الله ورسوله، فتبين أن تفسير ابن عباس المشاقة بالمحاربة من باب التمثيل.

الشقاق: الانفصال، من قولهم: انشق انشقاقًا وشقه شقًّا ، والشقان: الجانبان انفصل أحدهما عن الآخر، وشاقه شقاقًا: إذا صار في شق عدوه بأن باينه وخالفه.

وشاقوا الله: مجاز، وحقيقته[١]: شاقوا أولياء الله[٢]؛ ألا ترى أن أبا إسحاق قال: صاروا في شق غير شق المؤمنين[٣].

١٤- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ قال مقاتل: يعني القتل يوم بدر وضرب الملائكة الوجوه والأدبار[٤] فعنده الإشارة تعود إلى ما ذكر[٥]، والصحيح أن الإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ تعود على[٦] ما عاد عليه[٧] قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ﴾ وهذا قريب مما قاله[٨]؛ لأن قتلهم يوم بدر حصل بذلك الضرب.

(١) في (ح): (وحقيقة).

(٢) بل مشاقة الله لا تقتصر على مشاقة أوليائه فهي تعني مخالفته وسبه بادعاء الشركاء والولد له، ومحاربة دينه، وترك شرعه، وغير ذلك من أنواع المشاقة، قال الإمام ابن كثير ٢/ ٣٢٥: ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله، أي: خالفوهما فساروا في شق، وتركوا الشرع والإيمان به واتّباعه في شق.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٥.

(٤) «تفسير مقاتل» ١١٩ ب، وقد تصرف الواحدي في عبارته.

(٥) في (ح): (ما ذكره).

(٦) في (ح) و(س): (إلى).

(٧) في (ح): (إليه).

(٨) الفرق بين قول مقاتل وما رجحه الواحدي هو أن مقاتل يرى أن الإشارة تعود إلى القتل والضرب، والواحدي يرى أن الإشارة تعود إلى الضرب فقط وهو ما ذكره ابن جرير ١٣/ ٤٣٣ والخلاف يسير؛ لأن ضرب الأعناق يعني القتل لا سيما من ملك.

وأما محل ﴿ذَالِكُمْ﴾ من الإعراب فقال الزجاج: هو رفع على إضمار الأمر، المعنى: الأمر ذلكم فذوقوه، ولا يجوز أن يكون ﴿ذَالِكُمْ﴾ ابتداء، و ﴿فَذُوقُوهُ﴾ الخبر، من قِبلِ أن ما بعد الفاء لا يكون خبرًا للمبتدأ إلا أن يكون المبتدأ اسمًا موصولًا، أو نكرة موصوفة،نحو: الذي يأتيني فله درهم، وكل رجل في الدار فمكرم، فأما: زيد فمنطلق، لا يجوز إلا أن نجعل زيدًا خبرًا لابتداء محذوف، على معنى: هذا زيد منطلق، أي: فهو منطلق، وعلى هذا قول الشاعر(١):

وقائلة خولان فانكح فتاتهم(٢)

أي: هؤلاء خولان، وهذا الذي ذكرته معنى قول أبي إسحاق مع شرح أبي علي(٣)، وقال غيره: يجوز أن يكون محل ﴿ذَالِكُمْ﴾ نصبًا بذوقوا، كما تقول: زيدًا فاضربه(٤).

---

(١) هذا البيت من شواهد سيبويه في «الكتاب» ١/ ١٣٩ وهو من أبياته الخمسين التي لم يعرف قائلوها، وعجز البيت:

أكرومة الحيين خلو كما هيا

وخولان: قبيلة باليمن، وهم أبناء خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث. والأكرومة: الكريمة، والحيان: حي أبيها وحي أمها يعني: أنها كريمة النسب من جهة أبيها ومن جهة أمها، خلو: أي لا زوج لها، كما هي: أي بكر كما هي خلقتها الأولى.

انظر: «خزانة الأدب» ١/ ٤٥٥، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٢٧٣.

(٢) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٧. وقد نقله الواحدي بالمعنى كما أشار لذلك بقوله: وهذا الذي ذكرته معنى قول أبي إسحاق.

(٣) «الإغفال».

(٤) ممن جوز ذلك الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٤٨، وأبو البقاء في «التبيان» ص٤٠٦. وقد بين أبو حيان ضعف هذا الوجه، انظر: «البحر المحيط» ٤/ ٤٧٢.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿أَن﴾ رفعًا بالعطف على ﴿ذَٰلِكُم﴾[١]، وهو قول أبي إسحاق، قال: المعنى: الأمر ﴿ذَٰلِكُم﴾ والأمر ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٢]، قال الفراء: ويجوز أن [عمرًا قائمًا، بل يلزمه أن يقول مبتدئًا: عمرًا منطلقًا؛ لأن المخبر مُعلم، ولا[٣] يجوز إضمار (اعلم)][٤] هاهنا؛ لأن كل كلام تخبر به فأنت مُعلم[٥]، فاستغنى عن إظهار العلم[٦] وإضماره، وهذا القول لم يقله أحد من النحويين[٧].

ومعنى الآية وعيد للكافرين بعذاب النار بعدما نزل بهم من ضرب[٨] الأعناق وكل بنان.

١٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾. الزحف: معناه في اللغة: الدنو قليلًا قليلًا، يقال: زحف إليه يزحف زحفًا، إذا مشى قليلًا، ويقال أيضًا: أزحفت[٩] للقوم: إذا دنوت لقتالهم، وكذلك تزحّف وتزاحف، قال الأعشى:

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠٥ بالمعنى.

(٢) نص كلام الزجاج: المعنى: الأمر ذلكم وأن الله، والأمر أن الله موهن، و«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٧.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه»: ولكنه لم يجز.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٥) زاد محقق «معاني القرآن وإعرابه» بعد هذه الكلمة لفظ: به.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: أو.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٨.

(٨) في (ح): (ضروب).

(٩) في (س): (زحفت).

لمن الظعائن سيرهن تزحف[١]

ويقال: أزحف لنا عدونا ازحافًا، أي: صاروا يزحفون [إلينا زحفًا لقتالنا، ويقال أيضًا: ازدحف القوم ازدحافًا][٢] إذا مشى بعضهم إلى بعض، وقال أحمد بن يحيى[٣]: الزحف: المشي قليلًا قليلًا إلى الشيء، ومنه الزحاف في الشعر: يسقط ما بين الحرفين حرف فيزحف[٤] أحدهما إلى الآخر[٥].

وقال الأزهري: أصل الزحف للصبي، وهو أن يزحف على أسته قبل أن يقوم، وشبه بزحف الصبي مشي الفئتين تتلاقيان[٦] للقتال فتمشي كل فئة مشيًا رويدًا إلى الفئة الأخرى قبل التداني للضراب وهي مزاحف أهل الحرب[٧] انتهى كلامه.

فالزحف مصدر كما بيّنا، ثم تسمى الفئة التي تريد أن تلقى الأخرى للقتال زحفًا، قال الليث: الزحف: جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة، فهم الزحف، والجميع: الزحوف[٨].

---

(١) وعجزه:

مثل السفين إذا تقاذَفَ تجدف

والبيت لم أجده في «ديوان الأعشى»، وقد نسب إليه في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٤٦ ب، وابن الجوزي ٣/ ٣٣١، و«الدر المصون» ٥/ ٥٨٤.

وهو في «تاج العروس» (زحف) من غير نسبة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س). (٣) هو: أبو العباس (ثعلب).

(٤) في (م) و(س): (فزحف).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (زحف) ٢/ ١٥١٦. وقد ذكر الواحدي عبارة ثعلب بالمعنى.

(٦) في «تهذيب اللغة»: تلتقيان.

(٧) «تهذيب اللغة» (زحف) ٢/ ١٥١٦.

(٨) «تهذيب اللغة» (زحف) ٢/ ١٥١٦. والنص في كتاب «العين» (زحف) ٣/ ١٦٣.

فقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ نصب على الحال، ويجوز أن يكون حالًا للكفار، ويجوز أن يكون حالًا للمخاطبين وهم المؤمنون.

والزحف: مصدر موصوف به كالعدل والرضا؛ ولذلك لم يجمع، قال أبو إسحاق في هذه الآية: إذا واقفتموهم[(١)] للقتال فلا تنهزموا[(٢)].

ومعنى ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم.

١٦- قوله تعالى ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ الآية، معنى التحرف في اللغة: الزوال عن جهة الاستواء، يقال: تحرف وانحرف واحرورف، وذكرنا هذا عند قوله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[(٣)(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾، قال أبو عبيد[(٥)]: التحيز: التنحي، وفيه لغتان: التحيز والتحوز[(٦)].

الليث: يقال: مالك تتحوز إذا لم تستقر على الأرض، والاسم منه: التحوز[(٧)]، وأصل هذا من الحوز وهو الجمع، يقال: حزته فانحاز وتحوز تحيزًا[(٨)]: إذا انضم واجتمع، ويقال من هذا: الحية تتحوز: إذا انطوت

---

(١) يعني: إذا وقفتم معهم في موقف واحد.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٥ باختصار.
(٣) من الآية ٤٦ من سورة النساء، والآية: ١٣ من سورة المائدة.
(٤) انظر: «تفسير البسيط» ٣/ ٥٦٤، تحقيق محمد المحيميد.
(٥) في (م): (أبو عبيدة).
(٦) «تهذيب اللغة (جاز) ٥/ ١٧٨، ونُسب هذا القول في «لسان العرب» (حوز) ٥/ ٣٤٠، وفي «البحر المحيط» ٥/ ٢٩١ إلى أبي عبيدة. ولم أجده في «مجاز القرآن» له.
(٧) «تهذيب اللغة» (حاز) ١/ ٧٠٠، والنص في كتاب «العين» (حوز) ٣/ ٢٧٤.
(٨) ذكر الواحدي عن أبي عبيد أن في الكلمة لغتين: التحوز والتحيز، فكان الأولى أن يقول: تحوز تحوزًا، وتحيز تحيزًا، لكن جاء في اللغة ما يدل على صحة عبارة

واجتمعت، ثم سمي التنحي تحيزًا؛ لأن المتنحي عن جانب ينضم عنه ويجتمع إلى غيره، فلا يبسط فيه.

فأما التفسير فقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقاء الكفار، والإشارة تعود إلى قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ أي: منعطفًا مستطردًا، كأنه يطلب عورة تمكنه إصابتها فينحرف عن وجه ويُرى أنه منهزم(١) ثم يكر.

قال السدي: أما المتحرف: فالمستطرد يريد العودة(٢)، والمتحيز: إلى إمام وجنده إذا لم يكن له بهم طاقة(٣). وظاهر الآية نهي عن الانهزام بين يدي الكفار إلا أن يكون مستطردًا أو منضمًا إلى جماعة يريدون العود إلى القتال.

واختلف المفسرون في هذه الآية فقال الحسن وقتادة والضحاك: هذا الوعيد خاص فيمن كان ينهزم يوم بدر(٤)، وهو قول أبي سعيد الخدري،

= الواحدي، قال ابن منظور: ومن كلامهم: مالك تحوز كما تحيّز الحية، وتحوّز تحيّز الحية، وتحوّز الحية. «لسان العرب» (حوز) ٢/ ١٠٤٦، وفي المصدر نفسه ٢/ ١٠٤٦: وتحوّز عنه وتحيّز: إذا تنحى، وهي (تفعيل) أصلها (تحيوز) فقلبت الواو ياء لمجاورة الياء، وأدغمت فيها. اهـ.

(١) في (م): (ينهزم).

(٢) في (ح): (العورة)، يعني عورة العدو وموطن ضعفه، وما أثبته موافق لتفسير ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) رواه ابن جرير ٩/ ٢٠١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٠ بنحوه.

(٤) انظر أقوالهم في: «المصنف» للصنعاني ٥/ ٢٥١، و«تفسير ابن جرير» ١٣/ ٤٣٨، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٢/ب، والثعلبي ٦/ ٣٧/أ، وابن كثير ٢/ ٣٠٧، وزاد ابن كثير نسبة هذا الرأي إلى: عمر وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي نضرة ونافع وسعيد بن جبير وعكرمة، قال ابن كثير: وهذا كله لا ينفي أن يكون =

وقال: إنما كان ذلك يوم بدر خاصة، لم يكن لهم أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض مسلم ولا للمسلمين فِئَة، فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم لبعض فئة[(١)].

وقال ابن عباس: الآية عامة في كل من انهزم عن العدو[(٢)].

= الفرار من الزحف حرامًا على غير أهل بدر، وإن كان سبب نزول الآية فيهم اهـ.

ويظهر للمتأمل لأقوال من يرى أن الآية خاصة في أهل بدر أنهم يعنون ما عناه أبو سعيد الخدري في قوله الذي ذكره الواحدي، فأهل بدر ليس لهم فئة يفيئون إليها كما قال الرسول ﷺ: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» .رواه مسلم (١٧٧٣)، كتاب الجهاد، باب: الإمداد بالملائكة (١٧٦٣)، وما بقي في المدينة من المسلمين يومئذ أقل من أن يغزوا عدوًا أو يصدوا مهاجمًا.

وللعلماء قاعدة عظيمة في أصول التفسير وهي: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا قال ابن جرير ١٣/ ٤٤٠: نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، ومما يؤكد ذلك ما رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ الآية، أن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وذكر منهن: التولي يوم الزحف.

(١) رواه بلفظ مقارب ابن جرير ١٣/ ٤٣٧، ورواه مختصرًا أبو داود في «سننه» (٢٦٤٦) كتاب الجهاد، باب: في التولي يوم الزحف، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) هذا معنى أثر عن ابن عباس من رواية الوالبي، انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٠٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٧٧، وانظر: صحيفة علي بن أبي طلحة ص٢٣٩.

وقول ابن عباس هذا مقيد بقول الله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾. وبقول النبي ﷺ: «**من فر من ثلاثة فلم يفر، ومن فر من اثنين فقد فر**». رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٩٣ (١١١٥١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٣٢٨: رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» ٥/ ٢٢٦ (١٠٠١) موقوفًا على ابن عباس.

فأما حكم الآية: فالمتحرف عن جانب إلى جانب لمكايد القتال غير منهزم، وأما المتحيز، فهو الذي ينهزم [من العدو][(١)] وينوي التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم، أو يستمد ويعود إلى القتال فهذا أيضًا مستثنى من الوعيد، وسواء كانت الفئة قريبة أو بعيدة عنه جاز له التحيز إذا نوى العود والاستعانة قلّ العدو أو كثر[(٢)]، روى جرير[(٣)]، عن منصور، عن إبراهيم قال: انهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين هلكت؛ فررت من الزحف، فقال عمر: أنا فئتك[(٤)]، وقال أيضًا: أنا فئة كل مسلم[(٥)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) هكذا يرى الواحدي جواز الفرار من الزحف إذا نوى العودة دون قيد آخر، وهذا مذهب جمهور العلماء.
انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٠١، و«أحكام القرآن» للهراسي ٣/ ١٥٤، و«الثمر الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني» ص٤١٣، و«المغني» ١٣/ ١٨٧، وبعض العلماء يرى أن الجيش إذا بلغ اثنى عشر ألفًا فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثر عددهم، ما لم يغلب على ظنهم استئصال العدو لهم.
انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٣٢، و«أحكام القرآن» للهراسي ٣/ ١٥٤، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٣٨٢.

(٣) جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي أبو عبد الله الرازي القاضي، ولد بأصبهان ونشأ في الكوفة ونزل بالري، كان ثقة محدثًا ناشرًا للعلم، يرحل إليه، مات سنة ١٨٨هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٩/ ٩، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٢٩٧، و«تقريب التهذيب» ص١٣٩ (٩١٦).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٤٧ أ.

(٥) رواه الصنعاني في «المصنف» ٥/ ٢٥٢، وابن جرير ٩/ ٢٠٣، والثعلبي ٦/ ٤٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٣٨.

وأما إذا لم ينو الالتجاء إلى فئة من المسلمين، وانهزم هزيمة على الحقيقة؛ فإن كان المشركون أكثر من ضعف المسلمين لم يعص ولم يأثم، وإن كانوا ضعفهم أو أقل استحق الوعيد وعصى وأثم.

فإن قيل: إن قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ يدل على أن المنهزم إذا عصى بالهزيمة بقي في النار خالدًا[(١)]، قلنا: قد ذكرنا أن الآية مخصوصة بأهل بدر على قول الأكثرين، قال يزيد بن أبي حبيب[(٢)]: أوجب الله لمن فر يوم بدر النار، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ثم كان يوم حنين بعد ذلك فقال: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: ٢٧][(٣)].

---

(١) في (م): (مخلدًا).

(٢) هو: يزيد بن أبي حبيب أبو رجاء المصري، الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية، كان من جلة العلماء العاملين، ارتفع بالتقوى والعلم مع كونه مولى حبشيًا، مات سنة ١٣٢٨هـ.

انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٤/ ٣٣٦، و«الكاشف» ٢/ ٣٨ (٦٢٨٩)، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣١، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٠٨.

(٣) رواه البغوي ٣/ ٣٣٧، ورواه أيضًا مع زيادة ابن جرير ٩/ ٢٠٢، وما جاء في حادثتي أحد وحنين يؤكد تحريم الفرار من الزحف حيث وصف بأنه استزلال من الشيطان وأن الله قد عفا عن الفارين، أما سياق يزيد بن أبي حبيب للآيتين في قصة حنين فقد يفهم منه أن التوبة على الصحابة الفارين وليس الأمر كذلك بل على من أسلم من كفار هوازن بدلالة السياق حيث قال الله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ وعلى فرض أنه على الصحابة الفارين فإنها تأكيد على تحريم الفرار وأنه من كبائر الذنوب التي تحتاج إلى توبة.

وإن قلنا الآية عامة فقوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ لا يفيد التخليد فيكون منتهى مكثه في جهنم إلى الشفاعة والرحمة.

قال أبو إسحاق: ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ منصوب على الحال، [وكذلك ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾][(١)] قال: [ويجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء، أي: إلا رجلًا متحرفًا أو متحيزًا[(٢)]، قال][(٣)]: وأصل متحيز: متحيوز، فأدغمت الياء في الواو[(٤)].

١٧- وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، قال المفسرون: يعني يوم بدر[(٥)]، قال مجاهد: اختلفوا يوم بدر فقال هذا: أنا قتلت، وقال هذا: أنا قتلت! فأنزل الله ﷻ هذه الآية[(٦)].

وأما معنى إضافة القتل إلى الله فقال أكثر أهل المعاني[(٧)]: الله قتلهم بتسبيبه ذلك من المعونة عليه، وتشجيع القلب، وإلقاء الرعب في قلوب

---

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج.

(٢) ليس هناك فرق بين الإعرابين من حيث المعنى، فهو مستثنى على كلتا الحالتين، وإنما الفرق في تقدير المستثنى منه، فعلى الإعراب الأول هو مستثنى من عموم الأحوال، والتقدير: ومن يولهم دبره في حال من الأحوال إلا في حال التحرف أو التحيز، وعلى الإعراب الثاني هو مستثنى من عموم الرجال، والتقدير: وأي رجل يولهم دبره إلا رجلًا متحرفًا أو متحيزًا.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٦.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٠١، والثعلبي ٦/ ٤٧ ب.

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٤٨ ب، ورواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢٠٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٢، والبغوي ٣/ ٣٣٩.

(٧) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٦، و«معاني القرآن» لأبي جعفر النحاس ٣/ ١٤١، و«الكشاف» ٢/ ١٤٩.

المشركين، وكل هذا كان[١] أبلغ في قتلهم من تعمد القاصد إليه وهذا المعنى أراد أبو إسحاق، فقال: أضاف الله ﷻ قتلهم إليه لأنه هو الذي تولى نصرهم، وأظهر في ذلك الآيات المعجزات[٢]، وقال الحسين بن الفضل[٣]: الجرح كان إليهم، وإخراج الروح كان إلى الله تعالى، يقول: فلم تميتوهم[٤] ولكن الله أماتهم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ قال المفسرون[٦]: إن جبريل قال للنبي ﷺ يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فخرج رسول الله ﷺ من العريش، وأخذ قبضة من حصباء الوادي فرمى به في وجوه القوم وقال: شاهت الوجوه؛ فلم يبق مشرك إلا دخل عينه منها شيء، وشغل بعينه؛ فكان ذلك سبب هزيمتهم، وقال عكرمة: ما وقع منها شيء إلا في عين رجل[٧].

(١) ساقط من (م).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٦.

(٣) هو: الحسين بن الفضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث، إمام عصره في معاني القرآن وكان آية في ذلك، توفي سنة ٢٨٢هـ. انظر: «العبر» ١/ ٤٠٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤١٤، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٥٩، وللسيوطي ص٣٧.

(٤) في (ح): (تميتيهم)، وفي (س): (تميتموهم).

(٥) «تفسير الثعلبي» ٦/ ٤٨ ب، ونص العبارة فيه: قال الحسين بن الفضل: أراد به: فلم تميتوهم ولكن الله أماتهم، وأنتم جرحتموهم، لأن إخراج الروح إليه لا إلى غيره.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٠٥، والثعلبي ٦/ ٤٧ ب، والبغوي ٣/ ٣٣٩. و«الدر المنثور» ٣/ ٣١٧.

(٧) رواه ابن جرير في «تفسيره» ٩/ ٢٠٤. ومثل هذا لا يعرف بالرأي؛ فإن كان عكرمة سمعه من أحد أصحاب النبي ﷺ فله حكم الرفع وإلا فهو مردود.

فأما معنى نفيه ما أثبت من رمي الرسول وإسناد ذلك إلى نفسه، فقال أهل المعاني[(١)]: إنه لم يعتد برميه مع رمي الله إياهم، وهكذا كل ما لا يعتد به نحو: تكلمت ولم تتكلم، ولم تصنع شيئًا[(٢)]، فهذا معنى[(٣)] نفي الرمي عن الرسول.

ومعنى إسناده إليه فلأنه كان منه التسبيب والتسديد.

واحتج أصحابنا[(٤)] بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وكذلك الأفعال المتولدة من اكتساب العباد، وقالوا: الرمي فعل واحد أضافه الله إلى نبيه، وأثبته له ثم وصف به نفسه، وكان من الله الإنشاء والإيجاد بالقدرة القديمة، ومن الرسول الحذف والإرسال، وهكذا جميع أفعال العباد المكتسبة، من الله تعالى الإيجاد، ومن العباد الاكتساب[(٥)].

---

(١) لم أجد هذا القول فيما بين يدي من كتب أهل المعاني.

(٢) يعني: إذا تكلم إنسان بكلام غير مفيد قيل له: لم تتكلم، وإذا صنع شيئًا غير محقق للغرض المطلوب، قيل له: لم تصنع شيئًا.

(٣) ساقط من (س).

(٤) يعني الأشاعرة، انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٣٩، ولم أجد الاستدلال بالآية فيما بين يدي من كتب العقيدة الأشعرية، وانظر المعنى في: «الإبانة» للأشعري ص٢٣، و«تمهيد الأوائل» للباقلاني ص٣٤١، و«كتاب الإرشاد» للجويني ص١٧٤، و«غاية المرام» للآمدي ص٢٠٧.

(٥) يشير المؤلف رَحِمَهُ اللهُ إلى قضية طالما أشغلت الفكر الإسلامي، وتعددت فيها الآراء، وكثر حولها الجدال، وهي علاقة الخالق -سبحانه- بأفعال العباد.
والمؤلف سار على مذهب جمهور الأشاعرة القائلين بنظرية الكسب رغبة في تحقيق الوسطية بين المعتزلة القدرية القائلين: إن الإنسان يخلق أفعاله. وبين الجهمية الجبرية القائلين: إن الإنسان مجبور على أفعاله وأنه كالريشة في مهب الريح.
=

= وخلاصة مذهب جمهور الأشاعرة بينه الزنجاني في «شرح المواقف» ص٢٣٧ بقوله: أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وحدها وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختيارًا فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنًا لهما، فيكون الفعل مخلوقًا لله إبداعًا وإحداثًا، ومكسوبًا للعبد، والمراد بكسبه إياه: مقرنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلًا له.

وقول الزنجاني هذا يفسر معنى كسب العباد عند الأشاعرة، والذي عرفه الآمدي في «غاية المرام من علم الكلام» ص٢٢٣ بقوله: إنه المقدور بالقدرة الحادثة، أو المقدور القائم بمحل القدرة، ويوضح هذه النظرية قول الشهرستاني في «الملل والنحل» بهامش «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم ١/١٢٨: المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة أو الحاصل تحت القدرة الحادثة، ثم على أصل أبي الحسن: لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث، غير أن الله تعالى أجرى سننه بأن يخلق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها ومعها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له، وسمي هذا الفعل كسبًا، فيكون من الله تعالى إبداعًا وإحداثًا، وكسبًا من العبد مجعولًا تحت قدرته اهـ. وإذ قد تبين معنى قول المؤلف: «وهكذا جميع أفعال العباد المكتسبة، من الله تعالى الإيجاد، ومن العباد الاكتساب» فإن لي حول ذلك وقفتين:

الأولى: الاستدلال بهذه الآية على نظرية الكسب ونفي أثر قدرة العبد استدلال باطل؛ فإن واقعة الحال وأسباب النزول وأقوال الصحابة المعاصرين لنزول القرآن وتلاميذهم، تفسر مراد الله، وتوضح معناه.

قال الإمام ابن كثير في «تفسيره» **٢/٣٢٧**: فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم: أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، أي: بل هو الذي أظفركم عليهم، ثم قال تعالى لنبيه ﷺ أيضًا في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته، فرماهم بها وقال: «**شاهت الوجوه**» ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا =

....

= ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي هو الذي بلّغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رفع رسول الله ﷺ يديه -يعني يوم بدر- فقال: «**يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا**» فقال له جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين. ثم ذكر الإمام ابن كثير عدة روايات بهذا المعنى ثم قال: وقد روي في هذه القصة عن عروة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر اهـ. وإذ قد تبين معنى الآية وسبب نزولها فإنه لا يصح حملها على كل رمية أو كل فعل صادر من كل إنسان.

فإن قيل: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب!

فالجواب: أن عموم اللفظ هنا ليس أفعال الإنسان كلها، بل كل رمية بلغت ذلك المبلغ، وأثرت ذلك التأثير.

الثانية: مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد أن قدرة العبد لها أثر في فعله كأثر الأسباب في مسبباتها فهو الموجد لفعله باختياره، والله تعالى هو خالق أفعال العبد باعتبار أن خالق الأسباب هو خالق مسبباتها، فالسحاب -مثلًا- سبب المطر، والماء سبب الإنبات، وقد جرت العادة أنه لولا السحاب ما نزل الماء، ولولا الماء ما حصل الإنبات، ومع ذلك فالله تعالى هو المنزل للماء، المنبت للشجر، فكذلك قدرة العبد هي سبب فعله، والله تعالى خالق العبد وخالق فعله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «مجموع الفتاوى» ٨/ ٤٨٧: الذي عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة: إثبات الأسباب، وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير سائر الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات.

وقد أحسن إمام الحرمين الجويني المنتسب للمذهب الأشعري في عرض قول أهل السنة والرد على أئمة المذهب الأشعري حيث قال: الركن الأول في قدرة العبد وتأثيرها في مقدورها، فنقول: قد تقرر عند كل حَاظٍ بعقله، مرقى عن مراتب =

وقال أبو إسحاق: أعلم الله أن كفًا من حصى لا يملأ عيون ذلك الجيش الكثير برمية بشر، وأنه جلّ وعزّ تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم، فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ أي لم يصب رميك ذلك

= التقليد في قواعد التوحيد أن الرب -ﷻ- مطالب عباده بأعمالهم في حياتهم، وداعيهم إليها، ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم، وتبين بالنصوص التي لا تتعرض للتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به، فمن أحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده، مصمم على جهله ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع، والتكذيب بما جاء به المرسلون، فإن زعم زاعم ممن لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلًا، فإذا طولب بمتعلق الله تعالى بفعل العبد تحريمًا وفرضًا، ذهب في الجواب طولًا وعرضًا، وقال: لله أن يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه المعترضون ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. قيل: ليس لم جئت به حاصل، كلمة حق أريد بها باطل، ومن زعم أن لا أثر للقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه، فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبته أن يثبت في نفسه ألوانًا وإدراكات، وهذا خروج عن حد الاعتدال، إلى التزام الباطل والمحال، ثم قال :إن قائلًا لو قال: العبد مكتسب، وأثر قدرته الاكتساب، والرب -تبارك وتعالى- مخترع وخالق لما العبد مكتسب، قيل له: فما الكسب؟ وما معناه؟ وأديرت الأقسام المقدرة على هذا القائل، فلا يجد عنها مهربًا.

فإن قيل: لم لا تذكرون قولًا مقنعًا في الرد على من يزعم أن العبد مخترع، خالق لأفعاله؟

قلنا: المسلمون بأجمع قاطبة قبل أن ظهرت البدع والآراء ونبغ أصحاب الأهواء، على أنه لا خالق إلا الله تعالى، ثم قال: قدرة العبد مخلوقة لله -تبارك وتعالى- باتفاق العالمين بالصانع، والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعًا، ولكنه مضاف إلى الله -تبارك وتعالى- تقديرًا وخلقًا، وإذا كان مُوقع الفعل -يعني القدرة خالقًا لله فالواقع به مضاف خلقًا إلى الله تعالى وتقديرًا اهـ. باختصار من كتاب «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية» للجويني ص٤٣-٥٠.

[وبلغ ذلك][(١)] المبلغ، بل إنما الله تولى ذلك[(٢)].

وروى أبو عمرو[(٣)] عن أبي العباس[(٤)] أنه قال: معناه: وما رميت الرعب والفزع في قلوبهم إذ رميت بالحصى، وهذا عدول عن الظاهر.

وقال المبرد: معناه: ما رميت بقوتك إذ رميت، ولكنك بقوة الله رميت[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾، قال المفسرون: أي ينعم عليهم نعمةً عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والمثوبة[(٦)].

وقال محمد بن إسحاق: أي ليعرف المؤمنين نعمته[(٧)] عليهم في إظهارهم على عدوهم مع كثرتهم وقلة عدد المؤمنين[(٨)].

وقال أبو إسحاق: أي: لينصرهم نصرًا جميلًا، ويختبرهم بالتي هي أحسن[(٩)].

وذكرنا معنى البلاء في سورة البقرة، وقال صاحب النظم: وليبلي المؤمنين فعل ذلك.

وذكرنا نظائر هذا في سورة آل عمران [١٢٦] عند قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٧.

(٣) في (م) و(س): (أبو عمر). وهو أبو عمرو بن العلاء، تقدمت ترجمته.

(٤) هو: ثعلب، وانظر قوله هذا في: «تهذيب اللغة» (رمى) ٢/ ١٤٧٦.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٤٩ أ، والبغوي ٣/ ٣٤٠، وبنحو ذلك قال الإمام ابن جرير ٩/ ٢٠٦، والماوردي ٢/ ٣٠٥ ونسبه للمفسرين.

(٧) في (ح): وقال: نعمته . . . إلخ، وفي «السيرة النبوية»: من نعمته.

(٨) «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢٦٨ مع اختلاف يسير.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٧.

﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، فاللام[1] تتعلق بمحذوف والكناية في قوله ﴿مِنْهُ﴾[2] تعود إلى اسم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: ﴿سَمِيعٌ﴾ لدعائهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم[3].

١٨- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الكلام في ﴿ذَٰلِكُم﴾ ومحله من الإعراب، ومحل ﴿أَن﴾ كما ذكرنا في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤]، وحكى صاحب النظم عن بعض النحويين أنه قال: معنى (ذلك) أنه نقيض (لا) فكما أن (لا) ينفي ما قبله فـ (ذلك) يثبت ما قبله على[4] مناقضته، وكذلك (كلا): نفي لما قبله[5]، و(كذلك): تثبيت لما قبله، على مناقضة (كلا).

وإذا كان كذلك فالمعنى في قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إثبات ما ذكر قبله من القتل والرمي، وإبلاء المؤمنين بلاء حسنًا، وتقدير الإعراب: الأمر ذلكم، والحق ذلكم[6].

---

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ والتقدير: فعل ذلك ليبلي.
(٢) ساقط من (ح).
(٣) انظر نحوه في: «تنوير المقباس» ص١٧٩، وانظر: «الوجيز» ٦/ ٢٥١ وقد ذكر المؤلف في مقدمته أنه اعتمد قول ابن عباس.
(٤) في (ح): (عن).
(٥) المشهور عند علماء اللغة أن (كلا) لا تقتصر على مجرد النفي بل تتضمن الزجر والردع، قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٥٥٨: (كلا: ردع وزجر)، وفي «لسان العرب» (كلا) ٧/ ٣٩٠٨، قال الأخفش: معنى (كلا) الردع والزجر، قال الأزهري: وهذا مذهب سيبويه، وإليه ذهب الزجاج في جميع القرآن، وروى ابن شميل عن الخليل أنه قال: كل شيء في القرآن (كلا): رد، يرد شيئًا ويثبت آخر.
(٦) وإلى هذا الإعراب ذهب أبو البقاء العكبري في «التبيان» (٤٠٦)، وكذلك =

وفي قوله: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وجوه من القراءة: التشديد مع التنوين، والإضافة، والتخفيف معهما[١] أيضًا، ومثله قوله: ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨]، بالتنوين، وبالإضافة[٢] أيضًا.

قال أهل المعاني: وتوهينه كيدهم يكون بأشياء: بإطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، ونقض ما أبرموا باختلاف عزومهم[٣].

قال ابن عباس: يهنئ[٤] رسول الله ﷺ، يقول: «إني قد أوهنت كيد

= الزمخشري في «تفسيره» ٢/ ١٥٠ لكنه قدره بلفظ: الغرض ذلكم.

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو (مَوَهِّنٌ) بفتح الواو، وتشديد الهاء، مع التنوين، ونصب الدال في (كيد) مفعول به.
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وشعبة عن عاصم (مُوْهِنٌ) بسكون الواو، وتخفيف الهاء، مع التنوين، ونصب الدال في (كيد) أيضًا.
وقرأ حفص عن عاصم (مُوْهِنُ) بسكون الواو، وتخفيف الهاء من غير تنوين، وخفض الدال في (كيد) على الإضافة.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٤، و«تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة» للجزري ص١١٨، و«المستنير في تخريج القراءات المتواترة» ١/ ٢٥٦.
ومن الجدير بالتنبيه أن المؤلف ذكر من وجوه القراءة: التشديد مع الإضافة، ولم أجد من ذكر ذلك في القراءات المتواترة أو الشاذة، لكن الزجاج ذكر جواز ذلك من الناحية اللغوية. انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٤٠٧.

(٢) بالتنوين قرأ أبو عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون بالإضافة. انظر: «تحبير التيسير» ص١٧٣، و«تقريب النشر» ص١٦٨.

(٣) لم أجد هذا القول فيما بين يدي من كتب أهل المعاني، وقد ذكره بحروفه الفخر الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٤١.

(٤) في (ح): (يعني).

عدوك حتى قُتلت جبابرتهم[١] وأُسر[٢] أشرافهم»[٣].

١٩- قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ الأكثرون على أن هذا خطاب للمشركين[٤]، وذلك أن أبا[٥] جهل قال يوم بدر: اللهم انصر أفضل الدينين وأحقه بالنصر[٦]، وروي أنه قال: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأفجر فأحنه[٧] الغداة[٨].

وقال السدي: إن المشركين لما أرادوا الخروج إلى بدر أخذوا أستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، وأفضل الدينين، فأنزل الله هذه الآية[٩]، فمعنى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ إن تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[١٠]، والحسن ومجاهد والزهري والسدي

---

(١) في «تفسير الرازي»: خيارهم.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي «تفسير الرازي»، و«الوسيط» (أسرت).

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٤١، وبنحوه في «الوسيط» ٢/ ٤٥٠.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٥، والثعلبي ٦/ ٤٩.

(٥) في (ح): (أبو). وهو خطأ.

(٦) روى نحوه ابن جرير ٩/ ٢٠٩، عن يزيد بن رومان، وبمعناه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٥، عن عطية العوفي.

(٧) أحنه: أهلكه، و(الحين) بفتح الحاء: الهلاك، انظر: «القاموس المحيط» (حين) (١١٩٢)، و«لسان العرب» (حين) ٢/ ١٠٧٤.

(٨) رواه ابن جرير ٩/ ٢٠٧-٢٠٨، عن الزهري وروى نحوه عن الصحابي عبد الله بن ثعلبة العدوي وكذلك رواه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٢٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ورواه أيضًا أحمد في «المسند» ٥/ ٤٣١.

(٩) رواه الثعلبي ٦/ ٤٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٢، وبنحوه ابن جرير ٩/ ٢٠٨.

(١٠) رواه بمعناه ابن جرير ٩/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٥ من رواية علي بن أبي طلحة.

والضحاك والعوفي[(١)].

ومضى الكلام في معنى الاستفتاح عند قوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾[(٢)]، والاستفتاح على قول هؤلاء[(٣)]: الاستنصار.

وقال عكرمة: قال المشركون: اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق؛ فقال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء[(٤)]، واختار الفراء القول الأول[(٥)]، وذكر أبو إسحاق القولين جميعًا، وقال: كلا القولين جيد[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾، قال ابن عباس: يريد عن الشرك بالله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٧)].

﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾، قال الحسن: وإن يعودوا لقتال محمد نعد عليهم بالقتل والأسر والهزيمة مثل يوم بدر[(٨)].

---

(١) روى أقوالهم عدا الحسن البصري ابن جرير ٩/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) البقرة: ٨٩، وانظر النسخة الأزهرية ١/ ٧٠ ب، وقد قال هناك ما نصه: يستفتحون على الذين كفروا: قال ابن عباس والسدي: هو أنهم إذا حزبهم أمر، وظهر لهم عدو قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، وكانوا يسألون النصر بمحمد وبكتابه.

(٣) في (س): (على هذا القول).

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٤٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٢، ورواه مختصرًا ابن جرير ٩/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٥.

(٥) انظر: كتابه «معاني القرآن» ١/ ٤٠٦.

(٦) انظر: كتابه «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٨.

(٧) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٣٥ بلفظ: عن قتال محمد ﷺ والكفر، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩ بلفظ: عن القتال والكفر.

(٨) لم أجد من ذكره عنه، وقد ذكره بلا نسبة الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٤٩ ب، =

وهو قول ابن عباس(١) وغيره(٢).

﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ أي جماعتكم شيئًا ﴿وَلَوۡ كَثُرَتۡ﴾ في العدد، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قرئ بكسر ﴿أَن﴾ وفتحه(٣)، فمن كسر فهو منقطع مما قبله، ويقوي ذلك أن في حرف عبد الله: والله مع المؤمنين(٤).

ومن فتح فوجهه: ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ﴾ [ولأن الله مع المؤمنين، أي لذلك لن تغني عنكم فئتكم شيئًا](٥)، قال الفراء: فيكون موضعها نصبًا لأن الخفض يصلح فيها(٦).

= والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥١.

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٣٦، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩.

(٢) هو قول ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٤، وعروة بن الزبير كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٧٦، وابن جرير في «تفسيره» ٩/ ٢٠٩، والسمرقندي في «تفسيره» ٢/ ١٢.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وحفص عن عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر. انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٥، وكتاب «التيسير» ص١١٦، و«تقريب النشر» ص١١٨، و«تحبير التيسير» ص١١٨.

(٤) انظر: كتاب «المصاحف» للسجستاني ص٦٢، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٥٠ أ، و«الكشاف» ٢/ ١٥١، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ١٢، و«المحرر الوجيز» ٦/ ٢٥٤-٢٥٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٢٩٨، فهؤلاء وافقوا المؤلف في نص قراءة ابن مسعود، وخالفه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٩/ ٢١٠، والفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧، فذكر أن لفظ قراءة ابن مسعود وإن الله لمع المؤمنين.
هذا: ولم يذكر قراءة ابن مسعود ابن خالويه في «مختصره في شواذ القرآن»، ولا ابن جني في «المحتسب في تفسير شواذ القرآن».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: وإن كانوا قليلًا، ولا غالب لمن كان الله معه، وقال أيضًا: وأن الله مع المؤمنين في النصر لهم(١).

وقال أبيّ بن كعب وعطاء الخرساني: قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [خطاب لأصحاب النبي ﷺ يقول: إن تستنصروا الله وتسألوه الفتح فقد جاءكم الفتح](٢) والنصر، ثم عاد إلى خطاب الكفار فقال: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٣).

ومن أهل المعاني من يجعل جميع الآية خطابًا للمؤمنين على هذا القول(٤) فيقول: معنى قوله: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي عن المنازعة في الأنفال، ﴿وَإِن تَعُودُوا۟﴾ إلى مثل ما كان منكم من المنازعة فيها نعد للإنكار عليكم، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا مع منع نصر الله لكم.

---

(١) رواه بمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩، وإسناده واهٍ؛ لأنه من رواية الكلبي وهو كذّاب مجمع على تركه. انظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٦٩-٥٧٠.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٣) ذكره عنهما الثعلبي ٦/ ٤٩ ب مختصرًا ورواه كذلك ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٥ عن عطاء، وهو قول ضعيف لما يأتي:
أولًا: أن في هذا القول تفكيك للضمائر فبعضها يعود إلى المؤمنين وبعضها يعود إلى الكافرين دون ملجيء لذلك، والأصل تناسق الضمائر.
ثانيًا: صحة سبب نزول الآية في أبي جهل وكفار قريش كما تقدم، قال القرطبي ٧/ ٣٨٧: الصحيح أنه خطاب للكفار.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٠٦، وابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٣٥، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٦/ ٢٥٤، والرازي في «التفسير الكبير» ١٥/ ١٤٢، وهو قول ضعيف جدًّا لعدة أمور منها: =

والوجه ما عليه عامة المفسرين أن الآية بأسرها خطاب للمشركين(١).

٢٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، قال أهل المعاني: إنما خص المؤمنين بالأمر دون غيرهم من المكلفين؛ لأن غيرهم بمنزلة من لا يعتد به لتركهم العمل بما يجب عليهم، مع أن إفرادهم بالخطاب إجلال لهم ورفع من أقدارهم(٢)، قال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: يريد: أطيعوا الله والرسول فإن طاعة الرسول طاعة لي، ولا تعرضوا عنه وقد سمعتم موعظتي وما أعددت لأوليائي وأهل طاعتي من الثواب، وما أعددت لأعدائي وأهل معصيتي من العقاب(٣).

وقال ابن عباس أيضًا: لا تولوا عن رسول الله وأنتم تسمعون ما نزل من القرآن، وتسمعون المواعظ(٤).

= أولًا: مخالفته لما صح عن الصحابة ﷺ في سبب نزول الآية.
ثانيًا: في قوله تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ ما يؤكد أن المخاطبين أعداء الله محاربون له.
ثالثًا: في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ما يفيد أن الخطاب لغيرهم؛ ولو كان لهم لكان المعنى: وإن تعودوا أيها المؤمنون للمنازعة نعد للإنكار والله معكم، وهذا غير مراد قطعًا لأن الآية إنكار على المخاطبين، ولذا اضطر الرازي ٨/ ١٤٧ لما جوّز هذا الوجه أن يقيد المؤمنين بقوله: فإن الله لا يكون إلا مع المؤمنين الذين لا يرتكبون الذنوب. اهـ. ولا عصمة إلا للأنبياء.

(١) وقد اقتصر عليه ابن جرير ١٣/ ٤٥٠، وأبو الليث السمرقندي ٢/ ١٢، وابن كثير ٢/ ٣٠٨، وصححه القرطبي ٧/ ٣٨٧.

(٢) انظر: «البحر المحيط» ٤/ ٤٧٩، وقد ذكر أنه قول الجمهور، ولم أجده فيما بين يدي من كتب أهل المعاني.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) رواه بلفظ مقارب الثعلبي ٦/ ٥٠ أ، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٥١.

وقال ابن إسحاق: لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم منه[(١)].

وقال غيره من أهل المعاني: وأنتم تسمعون دعاءه لكم، نهاهم الله ﷻ عن التولي في هذه الحال، ويسعهم الانصراف في غيرها[(٢)].

وهذا القائل حمل التولي على الانصراف، والأولى أن يحمل ذلك على مخالفة الأمر؛ لأنه وإن أقبل على الرسول بوجهه ولم يعتقد طاعته لم يكن مطيعًا.

وقد حصل في الآية وجهان:

[**أحدهما**: لا تولوا][(٣)] عن رسول الله ﷺ أي: لا تنفضوا عنه، وقد ذم قومًا بالانفضاض عنه في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] الآية، وفي قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣].

والثاني: أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ ولا تعرضوا عن أمره، وتلقوه بالطاعة والقبول، كما قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣].

وذكر أبو علي الفارسي الوجهين[(٤)] جميعًا[(٥)]، كما حكيناه.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٣١٤.

(٢) انظر: هذا القول في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٣٤، و«البرهان» للحوفي ١١/ ٣٥ب، ورده أبو السعود في «تفسيره» ٤/ ١٤-١٥.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) ساقط من (م).

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٣٤.

وعلى الوجه الأول: الخطاب لأصحاب رسول الله ﷺ الذين يسمعون كلامه.

وعلى الثاني: الخطاب عام لكل من بلغته دعوته، وعلى هذا فالله تعالى أوجب طاعة الرسول على من سمع ما أتى به، فدل هذا على أن من لم يسمع ذلك ممن لم تبلغه الدعوة لم تجب الطاعة عليه.

٢١- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾، قال ابن عباس: يعني اليهود، قريظة والنضير وبني قينقاع[١]، وهو قول الحسن[٢].

وقال مقاتل: يعني المنافقين[٣] الذين يظهرون الطاعة ويسرون المعصية، ويقولون سمعنا سماع قابل، وليسوا كذلك، وهو قول ابن إسحاق[٤].

وقيل: هو من صفة المشركين، جُعلوا بمنزلة من لم يسمع؛ لأنهم لم ينتفعوا بالمسموع، وهذا اختيار أبي إسحاق، قال: ومعنى قوله: ﴿سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أنهم[٥] استمعوا سماع[٦] عداوة وبغضاء فلم يتفهموا[٧]،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٣٧، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٥١.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٤٧٩-٤٨٠ بلفظ: هم أهل الكتاب.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١١٩ أ. وما بعد كلمة (المنافقين) من كلام المؤلف توضيحًا لقول مقاتل.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٣١٤.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج: لأنهم.

(٦) في المصدر السابق: استماع.

(٧) في (ح): (يتفقهوا). والمثبت موافق للمصدر.

ولم يتفكروا [فيما سمعوا][(١)] فكانوا بمنزلة من لم[(٢)] يسمع[(٣)].

٢٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس[(٤)] ومجاهد[(٥)] ومقاتل[(٦)]: يريد المشركين، نفرًا من بني عبد الدار، وبني عبد العزى، كانوا صمًا عن الحق؛ فلا يسمعونه، بكمًا عن التكلم به.

وكل ما دب على وجه الأرض فهو من جملة الدواب[(٧)]، بين الله تعالى أن هؤلاء الكفار شر ما دب على الأرض من الحيوان.

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي لو خلق فيهم خيرًا؛ لأن ما خلقه الله يعلمه، وما لا يعلمه الله فهو ما لم يخلقه على معنى أنه لا يعلمه مخلوقًا[(٨)]، كما قال تعالى: ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم [في الأرض﴾ [يونس: ١٨] أي: بما لم يجعله ولم يخلقه، ومعنى الآية: ولو

---

(١) ما بين المعقوفين زائد عما في المصدر.

(٢) في (ح) و(م): (لا)، وما أثبته من (س) موافق للمصدر.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٨.

(٤) رواه مختصرًا البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، سورة الأنفال ٦/ ١١٨، وابن جرير ١٣/ ٤٦٠، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٥ ب.

(٥) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٦١ بمعناه.

(٦) «تفسير مقاتل» ١١٩ ب، وقد أورد المؤلف قول مقاتل بمعناه.

(٧) في «لسان العرب» (دبب) ٣/ ١٣١٤: الدابة: اسم لما دب من الحيوان مميزة وغير مميزة، ثم قال في الصفحة التالية: وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب.

(٨) يشير المؤلف إلى تعلق علم الله بالكون من ناحية الوجود والعدم، وذلك قسمان:
أحدهما: جملة الموجودات.
الثاني: جملة المعدومات. فالموجود يعلمه الله موجودًا، والمعدوم لا يعلمه الله موجودًا، بمعنى أنه يعلمه معدومًا.

علم الله أنهم يصلحون بما يورده][1] من حججه وآياته لأسمعهم إياها ولم يخلف[2] عنهم شيئًا منها.

وقال ابن جريج وابن زيد: لأسمعهم الحجج والمواعظ سماع تفهيم وتعليم، ولو أسمعهم بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ولتولوا وهم معرضون[3].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾: يريد: لهداهم[4].

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ رجع تبارك وتعالى إلى ما سبق في علمه وقضائه وقدره فأخبر بما كان قبل أن يكون، ومعنى قوله[5]: (لهداهم) أي: لأسمعهم ما يهتدون به سماع تفهيم.

وشرح أبو علي الجرجاني هذا القول شرحًا شافيًا فقال: إن الله يعلم ما يكون، وما لا يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، فتأويل قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي ليس فيهم خير فلا يسمعهم؛ لأنه جبلهم على ذلك، وهذا مثل قولك للرجل: لو علمت أنك تفهم لأخبرتك، أي: أنك لا تفهم، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ -أي إسماع الإفهام الذي ينفع[6] ويجدي إذا كان في الإنسان خير، وكان سعيدًا- ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ أيضًا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: يخف.

(٣) ما ذكره المؤلف هو قول ابن زيد كما رواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢١٢، وأما قول ابن جريج فنصه: ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لقالوا ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ [يونس: ١٥] ولقالوا ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣] **ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهو معرضون.**

(٤) رواه بمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩ من رواية الكلبي وهو ر

(٥) أي ابن عباس في قوله السابق. (٦) في (م): (ينتفع به).

﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ إخبارًا منه ﷻ عما لا يكون لو يكون كيف يكون[١]، ومثل هذا قوله إخبارًا عن المنافقين: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾[٢] [الحشر: ١١] فقال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾[٣] [الحشر: ١٢] فأعلمنا أن ذلك لا يكون منهم، ثم قال: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ [الحشر: ١٢] فأعلم ﷻ عما لا يكون بأنه لو كان كيف يكون.

وسلك أبو إسحاق في معنى هذه الآية طريقة حسنة فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ جواب كل ما يسألون عنه، ثم قال[٤]: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا﴾ أي لو بين لهم كل ما يختلج[٥] في نفوسهم ﴿لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لمعاندتهم[٦].

واختاره ابن الأنباري وشرحه فقال: ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه مما يقترحون ويطالبون[٧] من المعجزات، ولو

---

(١) ساقط من (ح).
(٢) حذف الجرجاني أو المؤلف بعض الآية ونصه: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ وقد فعل ذلك الرازي أيضًا في «تفسيره» ١٥/ ١٥٠ وهو كثير النقل من تفسير الواحدي «البسيط».
(٣) في جميع النسخ: (ولئن). وهو خطأ.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه»: ثم قال جل وعز. وفي (م): (وقوله).
(٥) في المصدر السابق: يعتلج. اهـ، والكلمتان متقاربتان في المعنى، ففي «لسان العرب» (خلج) ٣/ ١٢٢٣: اختلج الشيء في صدري وتخالج: احتكأ مع شك، وأصل الاختلاج: الحركة والاضطراب. وفي المصدر نفسه (علج) ٥/ ٣٠٦٥: اعتلج القوم: اتخذوا صراعًا وقتالًا، واعتلج الموت: التطم، وهو منه، واعتلج الهمّ في صدره، كذلك على المثل.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٠٩.
(٧) ساقط من (ح).

أسمعهم ذلك وأجابهم إلى ما يحبون منه لأعرضوا لعنادهم الحق، وحرصهم على إبطال أعلامه.

قال أصحابنا[١]: وفي الآية دليل واضح على أن المقادير والكفر والإسلام والخير والشر سابقة ماضية، وأن الشقي لا ينتفع بدعوة الرسول واستماع الحق.

٢٤- قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾، قال ابن عباس: أجيبوا لله وللرسول بالطاعة[٢]، وقال عطاء عنه: سارعوا إلى ما دعاكم رسول الله ﷺ إليه[٣] من طاعتي[٤].

قال أبو عبيدة والزجاج: معنى استجيبوا: أجيبوا[٥]، وأنشد قول الغنوي:

---

(١) يعني الأشاعرة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة، انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري ٢/ ٣٤٦، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث» للصابوني ص٢٨٤، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٣٥٣، و«القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة» ص٢٤٧.

(٢) لم أجد من ذكره عن ابن عباس سوى الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩، وقد ذكر القول دون نسبة أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٥، والبخاري في «صحيحه» كتاب التفسير ٨/ ٣٠٧ والزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٤٠٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٣٨.

(٣) ساقط من (س).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٥، و«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٩، وقد ذكر هذا المعنى ابن منظور في «لسان العرب» (جوب) ٢/ ٧١٦، فقال: الإجابة والاستجابة بمعنى. وقال الراغب في «المفردات» (جوب) ص١٠٢: الاستجابة قيل هي الإجابة، وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيؤ له، لكن عبر به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها.

فلم يستجبه عند ذاك مجيب[١]

وقوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال السدي: هو الإيمان والإسلام، وفيه الحياة[٢]، وعلى هذا معنى الآية: أجيبوا الرسول إذا دعاكم إلى الإيمان، والإيمان حياة القلب، والكفر موته، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[٣] قيل: المؤمن من الكافر، وقال قتادة: يعني: القرآن، أي: أجيبوه إلى ما في القرآن ففيه الحياة والنجاة والعصمة[٤]، وعلى هذا القول: القرآن يحيي؛ لأنه سبب الحياة بالعلم، والجاهل حياته موت؛ لأنه يعيش بجهل[٥]، والقرآن لما كان سببًا للإقتداء كان فيه الحياة النافعة.

والأكثرون على أن معنى قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ هو الجهاد[٦] وهو

---

(١) هذا عجز بيت، وصدره:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى

والبيت للغنوي كما في «الأصمعيات» ص٩٦، و«نوادر أبي زيد» ص٣٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٦٧، و«شواهد الكشاف» ٤/ ٣٣٠.

(٢) رواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢١٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٠، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب.

(٣) الأنعام: ٩٥، يونس: ٣١، الروم: ١٩.

(٤) رواه بلفظ مقارب ابن جرير ٩/ ٢١٤، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب.

(٥) هذا التعليل فيه نقص بيّن، والأولى أن يقال: إن القرآن يحيي؛ لأنه شامل لجميع ما ذكره المفسرون من أسباب الحياة، فالقرآن داعٍ إلى الإيمان، وداع إلى العمل، وداعٍ إلى الجهاد، وداع إلى الحق، وداع إلى النعيم المقيم، وكل واحد من هذه الأمور سبب للحياة المذكورة في الآية.

(٦) هذا قول عروة بن الزبير وابن إسحاق وابن قتيبة، ولم يذكر المفسرون غيرهم. انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢١٤، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٤، والماوردي ٢/ ٣٠٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٢٠.

قول ابن إسحاق[١]، واختيار أكثر أهل المعاني[٢].

قال الفراء: إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بجهاد عدوكم[٣]، يريد أن أمرهم إنما يقوى بالحرب والجهاد، فلو تركوا الجهاد ضعف[٤] أمرهم، واجترأ عليهم عدوهم.

وقال أبو إسحاق: أي لما يكون سببًا للحياة الدائمة في نعيم الآخرة[٥]، وسبب هذه الحياة: يعني الجهاد.

وقال ابن قتيبة: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني الشهادة؛ لأن الشهداء ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٦]، وسبب الشهادة: الجهاد، وقال مجاهد: ﴿لِمَا

---

(١) «السيرة النبوية» ٢/ ٢٦٨.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص١٥١، وقد نسب الواحدي هذا القول لأكثر أهل المعاني ولم أجد من ذكره منهم سوى ابن قتيبة بينما اختار قولًا غيره كل من الفراء وأبي عبيدة والزجاج والنحاس، ولم يتعرض لتفسير الآية كل من الأخفش واليزيدي والأزهري، وقد يقال: إن ذلك يعود إلى كثرة الكتب المؤلفة في معاني القرآن التي اطلع عليها الواحدي ولم تصل إلينا، ولكن يشكل عليه أن المفسرين القدامى المهتمين بعزو الأقوال إلى أصحابها لم يعزوا هذا القول إلا لابن إسحاق وابن قتيبة.
انظر: الثعلبي ٦/ ٥٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٤، وابن الجوزي ٣/ ٣٣٩.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧. وجملة: بجهاد عدوكم، ليست موجودة في المطبوعة، وكذلك ذكر ابن الجوزي ٣/ ٣٣٩ قول الفراء دون هذه الجملة، فإما أن تكون موجدة في بعض النسخ دون بعض، وإما أن تكون زيادة من الواحدي للتوضيح.

(٤) في (س): (لضعف).

(٥) اهـ. قول أبي إسحاق الزجاج، وما بعده من كلام الواحدي، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٩.

(٦) آل عمران: ١٦٩، ولم أجد قول ابن قتيبة هذا فيما بين يديّ من كتبه، وقد ذكر الثعلبي ٦/ ٥٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٤، ولابن قتيبة قول آخر في معنى الآية ونصه:

يُحْيِيكُمْ﴾ أي للحق[١]، وهذا يحتمل كل ما ذكرنا من القرآن والإيمان والجهاد.

وحكى أبو علي الجرجاني في قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ يعني الجنة، واحتج بأن الحياة الدائمة النافعة حياة الجنة كقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي: الحياة الدائمة، وهذا معنى قول عطاء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، قال ابن عباس والضحاك: يحول بين الكافر وبين طاعته، ويحول بين المؤمن وبين معصيته[٣]، وقال عطاء عنه: يحول بين المؤمن وبين أن يكفر به، ويحول بين الكافر وبين أن يؤمن به[٤].

= (لما يحييكم) أي إلى الجهاد الذي يحيي دينكم ويعليكم.
انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص١٥١.

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٧٩، والثعلبي ٦/ ٥٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٤.

(٢) لم أجد من ذكره عنه، وقد ذكر القول دون تعيين القائل السمرقندي ٢/ ١٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٤٨١.

(٣) رواه عن ابن عباس بلفظ مقارب: الحاكم في «المستدرك» كتاب التفسير ٢/ ٣٢٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أيضًا ابن جرير ٩/ ٢١٥، والثعلبي ٦/ ٥١ أ، والبيهقي في كتاب «الاعتقاد» ص٦٧، وهو من رواية علي بن أبي طلحة الصحيحة. انظر: «صحيفة علي بن أبي طلحة» ص٢٥٠.
أما قول الضحاك فقد رواه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٥٧، وابن جرير ٩/ ٢١٥، والثعلبي ٦/ ٥١ أ وغيرهم.

(٤) روى نحوه البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٤٤ من قول عطاء، ورواه بمعناه السمرقندي ٢/ ١٣ من رواية الكلبي عن ابن عباس.

ونحو هذا قال سعيد بن جبير[١]. وقال[٢] في رواية خُصيف[٣]: يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرًا. وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه[٤].

قال ابن الأنباري: وهذا مذهب مجاهد[٥]، واختيار الفراء[٦]، أي: فالأمور مردودة إليه، والسعيد من أسعده، والشقي من أضله وأشقاه، و﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) رواه الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٥٧، وابن جرير ٩/ ٢١٥، والبغوي ٣/ ٣٤٤.

(٢) ظاهر السياق يدل على أن القائل سعيد بن جبير ويحتمل أن يكون ابن عباس، وخصيف يروي عن سعيد مباشرة وعن ابن عباس بواسطة كما في «تفسير ابن جرير» ٤/ ١٥٤-١٥٥، ولكن أئمة التفسير يروون هذا القول عن خصيف عن مجاهد كما في «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢١٦، والثعلبي ٦/ ٥١/أ، والواحدي اختصر عبارة شيخه الثعلبي فوقع في هذا الخلل، فقد ذكر الثعلبي قول ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير ثم قال: وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري، وروى خصيف عنه: قال: يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرًا، وقال السدي: .. إلخ، كما هو موجود في نص الواحدي.

(٣) هو: خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبو عون الحضرمي الأموي مولاهم، رأى أنس بن مالك ﷺ، كان شيخًا صالحًا فقيهًا عابدًا، إلا أنه كان سيء الحفظ، ويخطئ كثيرًا، ضعفه أحمد والجمهور، ووثقه ابن سعد وابن عدي، وقال الحافظ ابن حجر: الإنصاف فيه قبول ما وافق الثقات في الروايات، وترك ما لم يتابع عليه، توفي سنة ١٣٧هـ.

انظر: «التاريخ الكبير» ٣/ ٢٢٨ (٧٦٦)، و«الكاشف» ١/ ٣٧٣ (١٣٨٩)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥٤٣، و«تقريب التهذيب» ص١٩٣ (١٧١٨).

(٤) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٧، والثعلبي ٦/ ٥١ أ.

(٥) انظر: المصدرين السابقين نفس الموضع.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧.

قال أصحابنا[١]: وهذه الآية دليل على أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، فإذا أراد الكافر أن يؤمن والله تعالى لا يريد إيمانه[٢] حال بينه وبين قلبه[٣]، وإذا أراد المؤمن أن يكفر والله لا يريد كفره حال بينه وبين قلبه.

---

(١) يعني الأشاعرة، انظر: كتاب «تمهيد الأوائل» ص٣١٨، و«الغنية» ص١٢٧، و«تفسير الخازن» ٢/ ١٧٥، وهذا مذهب أهل السنة قاطبة. انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم اللالكائي ٤/ ٥٧٨، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٨/ ٤٥٩، و«شرح العقيدة الطحاوية» ص١٠٦-١٠٧.

(٢) يعني الإرادة الكونية المستلزمة لوجود المراد، أما من ناحية الإرادة الشرعية فإن الله تعالى يريد إيمان الكافر ولا يريد كفر المؤمن، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].
وانظر تفصيل الإرادتين والفرق بينهما في: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٨/ ٤٤٠، ٤٧٥-٤٨٠، و«مدراج السالكين» للإمام ابن القيم ١/ ٢٧٥-٢٨١، و«شرح العقيدة الطحاوية» ص٦٩، ٧٠.

(٣) الله جل جلاله لا يحول بين العبد وبين الإيمان إلا بسبب من العبد نفسه كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. والله تعالى لا يظلم أحدًا، وقد مكن العباد من الهداية والطاعة، كما مكنهم من الكفر والمعصية، قال تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا أراد العبد الطاعة التي أوجبها عليه إرادة جازمة كان قادرًا عليها، وكذلك إذا أراد ترك المعصية التي حرمت عليه إرادة جازمة كان قادرًا على ذلك، وهذا مما اتفق عليه المسلمون وسائر أهل الملل، ثم قال: فمن قال إن الله أمر العباد بما يعجزون عنه إذا أرادوه إرادة جازمة فقد كذب على الله ورسوله. لكن مع قوله ذلك فيجب أن تعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، وأن الله خالق كل شيء فهو خالق العباد وقدرتهم وإرادتهم وأفعالهم، فهو رب كل شيء ومليكه لا يكون شيء إلا بمشيئته وإذنه وقضائه وقدره. «مجموع الفتاوى» ٨/ ٤٣٧، ٤٤٠.

قال قتادة: معنى ذلك أنه قريب من قلبه، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسره[١]، قال أبو بكر: فيكون المعنى على هذا: أنه تعالى أقرب إلى المرء من قلبه، ولا تخفى عليه خافية، يدل على ذلك قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٢].

وقال الزجاج: معناه: واعلموا أن الله مع المرء في القرب بهذه المنزلة[٣]. وفي هذا تحذير شديد للعباد.

وحكى الزجاج قولًا آخر وهو أن المعنى: أنه يحول بين الإنسان وما يسوف به نفسه بالموت[٤].

ويكون المعنى على هذا أن الله[٥] يحول بين المرء وما تمنى بقلبه من البقاء وطول العمر فيسوف بالتوبة، ويقدم المعصية، أي: فاعملوا ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم من تأميل البقاء، وطول الأجل، فإن ذلك لا يوثق به.

وحكي عن مجاهد أنه قال: يحول بين المرء وعقله[٦].

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٧، والثعلبي ٦/ ٥١ ب.

(٢) ق: ١٦. وهذا القول بناءً على أحد القولين في المراد بالآية وأنه قرب الله تعالى، وفي الآية قول آخر وهو أن المراد بالقرب قرب الملكين الموكلين بالإنسان، انظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٣٠، و«شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٥٥، وهو القول الراجح بدلالة السياق.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (ح): (المرء)، وهو خطأ.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٦، ورواه بمعناه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨١، والثعلبي ٦/ ٥١

قال أبو بكر[١]: معناه: فبادروا إلى الأعمال وأنتم تعقلون فإنكم لا تأمنون زوال العقول الذي ترتفع معه[٢] المحنة[٣]، وتحصلون على ما قدمتم قبله[٤] من العمل فإن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

والقلب هاهنا كناية عن العقل كما قال في غير هذا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

وحكى هو[٥]: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ بالموت فاعملوا قبل وقوعه، وأنتم أصحاء تصلون إلى الازدياد من الحسنات[٦].

وذكر أبو إسحاق قولًا آخر حاكيا وهو: أنهم كانوا يفكرون في كثرة عدوهم، وقلة عددهم؛ فيدخل[٧] قلوبهم الخوف؛ فأعلم الله ﷻ أنه يحول بين المرء وقلبه؛ بأن يبدلّه بالخوف أمنًا[٨]، ويبدل عدوهم -بظنهم أنهم

---

(١) هو: ابن الأنباري كما في «زاد المسير» ٣/ ٣٣٩.

(٢) أي مع زوال العقول.

(٣) المعنى: أنه إذا زال العقل ارتفع مع زواله الامتحان والتكليف، وثبت للإنسان ما قدم قبل زواله من خير أو شر.

هذا وقد نقل ابن الجوزي قول ابن الأنباري مختصرًا فقال: قال ابن الأنباري: المعنى: يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال؛ فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصلون على ما قدمتم. «زاد المسير» ٣/ ٣٣٩.

كما نقله الفخر الرازي بمعناه فقال: .. والمعنى: فبادروا إلى الأعمال وأنتم تعقلون، فإنكم لا تأمنون زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف. «تفسير الفخر الرازي» ١٥/ ١٤٩.

(٤) أي قبل زوال العقول.

(٥) يعني: ابن الأنباري.

(٦) ذكره بمعناه ابن الجوزي ٣/ ٣٤٠، كما ذكره الثعلبي ٦/ ٥١ ب، بمعناه دون نسبة.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه»: فيدخل في.

(٨) في المصدر السابق: الأمن.

قادرون عليهم- الجبن والخوف[(١)(٢)].

قال أبو بكر: وذلك أن المسلمين يوم بدر لما رأوا قلتهم في العدة، وكثرة المشركين جزع بعضهم فقال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ أي: أنه قادر على[(٣)] أن يحوّل الجزع من قلوبكم إلى قلوب المشركين، والشجاعة من قلوبهم إلى قلوبكم حتى يكون ذلك سبب ظفركم بهم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: للجزاء على الأعمال.

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ الآية[(٥)]، معنى الفتنة ههنا: البلية التي يظهر فيها باطن[(٦)] أمر الإنسان، وأصلها من الاختبار -كما ذكرنا قبل[(٧)]- وسميت البلية فتنة لأنها كالاختبار للناس[(٨)]؛ فمن تعرض لها وأثارها دل على سوء دخلته، ومن قعد عنها وطلب إماتتها دل على صلاح نيته وحسن سريرته.

وهذه الآية محتملة وجهين من التفسير والإعراب:

---

(١) في المصدر السابق: الخور.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٠٩-٤١٠.

(٣) ساقط من (س).

(٤) ذكر هذا القول عن ابن الأنباري بمعناه مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٤٠، وبنحوه الثعلبي ٦/ ٥١ ب، ولم يعين القائل.

(٥) ساقط من (س) وكتب الناسخ بدله: للمؤمنين.

(٦) يعني: ما أخفاه.

(٧) انظر: «تفسير البسيط» [الأعراف: ١٥٥].

(٨) في (م): (للإنسان).

أحدهما: أن هذا أمر باتقاء الفتنة التي تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح جميعًا ولا تقتصر على الذين ظلموا دون غيرهم، وهذا مذهب ابن عباس؛ لأنه قال في هذه الآية: أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب[١]؛ فعلى هذا الفتنة هو إقرار المنكر وترك التغيير له، ونحو هذا قال أبو روق والكلبي وابن زيد.

قال أبو روق: تصيب الصالح والطالح[٢].

وقال الكلبي: تصيب الظالم والمظلوم، ولا يكون بالظلمة وحدهم خاصة، ولكنها عامة[٣].

وقال ابن زيد: الفتنة: الضلالة[٤]، يعني افتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضًا.

ووجه الإعراب على هذا التفسير ما ذكره الفراء[٥] وحكاه الزجاج عنه[٦]، وهو أن قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جزاء فيه طرف من النهي، نحو قولك: إنزل عن الدابة لا تطرحك، ولا تطرحَنَّك[٧]، فهو جواب الأمر بلفظ

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٢، وهو من رواية علي بن أبي طلحة الصحيحة.

(٢) ذكر هذا القول من غير نسبة: أبو حيان في «البحر» ٤/ ٤٨٢-٤٨٣، ولم أجد من ذكره عن أبي روق.

(٣) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٧٩ مختصرًا عن الكلبي عن ابن عباس.

(٤) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧.

(٦) لم يصرح الزجاج باسم الفراء بل قال: زعم بعض النحويين . . . إلخ. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٠.

(٧) في (ح) و(س): (ولا تطرحك)، وهو خطأ.

النهي، المعنى: إن تنزل عنه[١] لا يطرحك[٢]، فإذا أتيت بالنون الخفيفة والثقيلة كان أوكد للكلام.

وشرح أبو بكر بن الأنباري هذا القول فقال: إن قال قائل كيف دخلت النون في قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ وهو خبر ولا وجه لدخولها في الأخبار.

فالجواب: أن هذا الكلام تأويله تأويل الخبر؛ إذ كان[٣] المعنى: واتقوا فتنة إن لا تتقوها[٤] لا تصيب الذين ظلموا[٥]، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم لكنها تقع بالصالحين والطالحين، فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي راجع إلى معنى الأمر؛ إذ القائل إذا قال[٦]: لا تقم، يريد دع القيام، ووقع هذا جوابًا للأمر أو كالجواب له، فأكد له شبه النهي فدخلت النون المعروف دخولها في النهي، ومثل[٧] هذا قوله تعالى:

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وهو كذلك في أصل «معاني القرآن وإعرابه» كما أشار المحقق إلى ذلك، لكنه جعل الضمائر كلها بالتذكير وهو صواب إذ في «لسان العرب» (دبب) ٣/ ١٣١٤: الدابة: التي تركب، وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب، وهو يقع على المذكر والمؤنث، وحقيقته الصفة اهـ. وكذلك ذكر أبو علي الفارسي الجملة بالتذكير، انظر: «الإغفال» ص٨٣٥.

(٢) في (ح) و(س): (لا تطرحك).

(٣) في (م): (لو كان)، وهو خطأ.

(٤) في «زاد المسير»: إن لا يتقوها ... إلخ.

(٥) يعني: خاصة.

(٦) في «زاد المسير»: يقول، وسقط: إذا.

(٧) ذكر ابن الجوزي إن التمثيل بالآية المذكورة لقول آخر عن ابن الأنباري في سبب دخول النون، فقال: الثاني أنه نهي محض، معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة فيهلكوا، فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.
انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٤٢، وسيذكر المؤلف هذا القول عن ابن الأنباري شبه للوجه الثاني في الآية.

﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ [سُلَيْمَٰنُ﴾[1] [النمل: ١٨] تأويله: إن تدخلوا لا يحطمنكم][2]، فدخلت النون على الخبر لشبهه لفظ النهي، قال: وسبيل النون الشديدة والخفيفة أن تدخلا في ستة مواضع: في الأمر، والنهي، والاستفهام، وجواب اليمين، و(إما) إذا كانت جزاء، و(ما) إذا كانت صلة، كقولك: قومن، ولا تقومن، وهل تقومن، وإما تقومن أقم، والله لتقومن، وعن قليل ما تندمن[3].

---

(١) اهـ. ما نقله ابن الجوزي من كلام ابن الأنباري، انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٤٣ باختصار واختلاف يسير.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٣) هذه المواضع التي ذكرها المؤلف اقتصر عليها جمهور النحاة، وذهب بعض المحققين كابن هشام إلى جواز التوكيد في مواضع أخرى منها:

أ- بعد (لا) النافية، كقوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ على أحد القولين في معناها، وكقول النابغة الذبياني يخاطب عمرو بن هند:

لا أعرفنك معرضا لرماحنا ... في جف تغلب واردي الأمرار

ومنع الجمهور من ذلك لأن النفي يضاد التوكيد.

ب- بعد (لم)، كقول الشاعر:

يحسبه الجاهل ما لم يعلما ... شيخًا على كرسيه معممًا

جـ- بعد أداة جزاء غير (إما) كقول الشاعرة ابنة مرة الحارثي:

من تثقفن منهم فليس بآئب ... أبدًا وقتل بني قتيبة شافي

ويرى سيبويه أن هذا الوجه والذي قبله خاص بالضرورة الشعرية، كما جوز ابن جني في «اللمع» ص٣١٦ قياس دخول نون التوكيد في النفي.

انظر تفصيل ما سبق بيانه في: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥١١-٥٢١، و«أوضح المسالك» ٣/ ١٢٦-١٣٥، و«النحو الوافي» ٤/ ١٦٧-١٨٤، وانظر أيضًا: «البحر المحيط» ٤/ ٤٨٣-٤٨٤، حيث دلل على جواز دخول نون التوكيد على المنفي بـ (لا).

الوجه الثاني[(١)]: أن هذا أمر باتقاء فتنة تقتصر على الظالم وتصيبه بليتها، وهذا الوجه مروي في التفسير أيضًا عن ابن عباس، روي عنه أنه قال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [في الرؤوس دون الأتباع، وروى عطاء عنه: يريد: لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة[(٢)]][(٣)].

وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير[(٤)].

وقال الزبير: لقد قرأناها زمانا وما ندري من عني بها، فإذا نحن المعنيون بها[(٥)]، وقال ابنه عبد الله: لقد خوفنا بها ونحن مع رسول الله ﷺ

(١) يعني في سبب دخول النون في قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ والوجه الأول ما ذكره قبل هذا الوجه، وكلا الوجهين لابن الأنباري كما في «زاد المسير» ٣/ ٣٤٣.

(٢) وردت قراءة شاذة بهذا اللفظ، رويت عن علي وزيد بن ثابت وأبي جعفر الباقر والربيع بن أنس وأبي العالية وابن جماز، انظر: «المحتسب» ١/ ٢٧٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٤) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٨، والثعلبي ٦/ ٥٢ أ، وإيراد هذا القول وما بعده من الأقوال التي تشير إلى أن الآية نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ يوم الجمل بعد قول المؤلف إن معنى الآية أمر باتقاء فتنة تقتصر على الظالم -أمر في غاية الخطورة، إذ يفهم منه أن من قيل أن الآية نزلت فيهم- وهم أهل يوم الجمل ظالمون، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ واعتقاد عدالتهم ونزاهة قصدهم، والترضي عنهم، وسلامة الصدور نحوهم، وأن المقتتلين في يوم الجمل وصفين مجتهدون منهم المصيب المأجور، ومنهم المخطئ المعذور. انظر: «العواصم من القواصم» ص٢٤٨، و«منهاج السنة النبوية» ٤/ ٤٤٨-٤٥٠. وسيأتي مزيد بيان لذلك.

(٥) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٢، وبمعناه أحمد في «المسند» ١/ ١٦٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢١، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وعبد ابن حميد ونعيم بن حماد في «الفتن» وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٩٩. رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة[١].

وقال السدي: نزلت هذه الآية في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا[٢].

قال الحسن أيضًا: الذين ظلموا منكم خاصة فلان وفلان، وهو يوم الجمل خاصة[٣]، ونحو هذا قال مقاتل والضحاك[٤] وقتادة[٥]: أن هذا في قوم مخصوصين من أصحاب رسول الله ﷺ أصابتهم الفتنة يوم الجمل[٦].

---

(١) لم أجد من روى هذا القول عن عبد الله بن الزبير، بل رواه بنحوه عن أبيه -رضي الله عنهما- الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٥٧، وابن جرير ٩/ ٢١٨، وذكره ابن كثير ٢/ ٣٣١ بلفظه ونسبه لابن جرير ولم أجده فيه.

(٢) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٨، والثعلبي ٦/ ٥٢ ب، وبمعناه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٢، والبغوي ٣/ ٣٤٦.

(٣) لم أجد من رواه بهذا اللفظ، وقد رواه بمعناه مع تسمية من نزلت فيهم ابن جرير ٩/ ٢١٨، والثعلبي ٦/ ٥٢ أ، وذكره هود بن محكم الهواري في كتابه «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٨٢، بلفظ: يعني أصحاب النبي ﷺ. وسيأتي توضيح المراد منه.

(٤) رواه البغوي ٣/ ٣٤٦، وعبد بن حميد كما قال السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٤٦.

(٥) رواه البغوي ٣/ ٣٤٦.

(٦) هذا القول وما روي عن السلف بمعناه يحتاج إلى إيضاح من عدة نقاط:

أولًا: ليس ما وقع بين الصحابة ﷺ يوم الجمل سبب لنزول الآية؛ لأن العلماء اشترطوا في السبب أن يقع أيام نزول الآية متقدمًا عليه، انظر: «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٢٦، و«الإتقان في علوم القرآن» ١/ ٤٢، و«مناهل العرفان» ١/ ١٠١.

ثانيًا: للسلف مفهوم في معنى قولهم: نزلت هذه الآية في كذا، أوسع من اصطلاح المتأخرين، قال الزركشي في «البرهان» ١/ ٣١: عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم؛ لا أن هذا كان السبب في نزولها اهـ.

وقد سبقه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في «مقدمة أصول التفسير» ص١٦ ما نصه: وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن =

ووجه إعراب الآية على هذا القول ما ذكره أبو إسحاق، وهو أن قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ [نهي بعد أمر، والمعنى: اتقوا فتنة، ثم نهى بعد، ثم[1] قال ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾][2] الفتنة الذين ظلموا أي: لا يتعرضن [الذين ظلموا][2] لما ينزل بهم معه العذاب[3][4].

= هذا داخل في الآية، وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا.
ثالثًا: على قول من قال من السلف: إن هذه الآية نزلت في أهل يوم الجمل من الصحابة، وقول الزبير: نحن المعنيون بها، يكون معنى الآية: إن هناك من ظلم، وهم قتلة عثمان -ومعلوم أنهم ليسوا من الصحابة- فعمت العقوبة وأصابت من لم يظلم من أصحاب رسول الله ﷺ.
وليس المعنى أن بعض الصحابة ظلم، فأصابت العقوبة الجميع، كما قد يفهم من سياق المؤلف للأقوال، إذ من الثابت أن كلا الطرفين من أصحاب رسول الله ﷺ في وقعة الجمل يريد الإصلاح، وإنما أثار الفتنة، وأوقد نار الحرب أولئك البغاة الذين قتلوا عثمان -رضي الله عنه- وكرهوا اتفاق أصحاب رسول الله ﷺ خوفًا من سيف الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» ٤/ ٤٦٥: لما طلب طلحة والزبير الانتصار من قتلة عثمان، قامت قبائلهم فقاتلوهم؛ ولهذا كان الإمساك عن مثل هذا هو المصلحة، كما أشار به عليّ على طلحة والزبير، واتفقوا على ذلك، ثم إن القتلة أحسوا باتفاق الأكابر، فأثاروا الفتنة، وبدأوا بالحملة على عسكر طلحة والزبير، وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفعًا عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا لطلحة والزبير غرض في القتال أصلًا، وإنما كان الشر من قتلة عثمان.

(١) هكذا، وفي «الإغفال»: فقال: وهو الصواب.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س). (٣) في «الإغفال»: من العذاب.
(٤) هذا قول أبي إسحاق الزجاج كما في «الإغفال» ص٨٣٦، وليس في «معاني القرآن وإعرابه»، وقد ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦-٤٧ أن لهذا الكتاب عدة نسخ مختلفة المخارج، وقد عارض بعضها ببعض حتى حصل منها نسخة أخرى اهـ.
والجدير بالذكر أن أبا علي الفارسي سمع نسخته من المؤلف، كما في «الإغفال» ص١

وشرح أبو بكر هذا القول فقال: قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهي محض معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة فيهلكوا فلفظ النهي كأنه للفتنة، وهو للذين ظلموا، ومثله قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ﴾ [النمل: ١٨] أمرتهم بالدخول ثم نهتهم أن يحطمهم سليمان فقالت: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ﴾ فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل، كما تقول: لا أرينك ههنا، فلفظ النهي لنفسك ومعناه: لا تكونن ههنا فإني أراك[١].

قال صاحب النظم: تأويل هذا: واتقوا فتنة تصيب الذين ظلموا منكم خاصة[٢]، يريد أن في نهيه بقوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ [إخبارًا أن تلك الفتنة مصيبة[٣] للذين ظلموا، كما تقول: اتق بلية لا تصيبن][٤] المتعرض لها، يفهم من هذا أنك أمرت باتقاء فتنة تصيب من تعرّض لها، فقوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ نهي في موضع وصف النكرة، وتأويله الإخبار بإصابتها الذين ظلموا، يؤكد هذا ما روي في حرف عبد الله: واتقوا فتنة أن تصيب الذين

---

(١) انظر: قول ابن الأنباري مختصرًا في «زاد المسير» ٣/ ٣٤٢.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٧/ ٣٩٣ وهذا القول مرجوح، والأول هو الراجح لأمرين:
أولًا: موافقته للظاهر المتبادر من الآية.
ثانيًا: أنه مؤيد بقول النبي ﷺ لما سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**». رواه البخاري (٧٢٩٢) كتاب الفتن، باب: قول النبي: «**ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب**». ومسلم (٢٨٨٠)، كتاب الفتن، باب: اقتراب الفتن.
وروى الترمذي في «سننه» (٢١٦٨) كتاب الفتن، باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**». قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

ظلموا[١]، واختار أبو علي الفارسي الوجه الثاني، وقال: إنه قول أبي الحسن[٢]، ولا يصح عندنا إلا قوله، دون القول الأول، وقال: إنه نهي بعد أمر، واستغني عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالأولى كما استغنى عن ذلك بقولهم[٣]: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢] و﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، ومحال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهي، [ودخول النون ههنا يمنع[٤] أن تكون ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ جوابًا للأمر][٥]، وأطال الكلام في إبطال القول الأول ونصرة قول أبي الحسن[٦].

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٦/ ٢٦٢-٢٦٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٤٨٢-٤٨٣، وقراءة ابن مسعود المشهورة: (واتقوا فتنة لتصيبن الذين ظلموا).
انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالوية ص٤٩، و«زاد المسير» ٣/ ٣٤٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ٣٩٣، و«البحر المحيط» ٤/ ٤٨٢-٤٨٣.

(٢) يعني الأخفش الأوسط، وانظر قوله في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٣٤٧.
وهو: سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، إمام النحو، وأبرع تلاميذ الخليل بن أحمد وسيبويه كان من أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل لكنه كان معتزليًا، وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعان القرآن وغيرها، توفي سنة ٢١٥هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «أخبار النحويين البصريين» ص٦٦، و«طبقات النحويين واللغويين» ص٧٢، و«نزهة الألباء» ص١٠٧، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٢٠٦.

(٣) يعني المختلفين في شأن أصحاب الكهف، وفي «الإغفال»: بقوله.

(٤) في (ح): (لمنع)، وهو خطأ.

(٥) ما بين المعقوفين معنى كلام أبي علي الفارسي ونص كلامه: ومما يدل على أنه لفظ أمر فلا يجوز أن يكون جزاء دخول النون فيه، والنون لا تدخل في الجزاء.

(٦) انظر: «الإغفال» ص٨٣٧، وعمدة أبي علي الفارسي في إبطال القول الأول دخول-

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [قال عطاء: يريد لمن عطّل حدوده وانتهكها[١]، وفي قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾][٢] حث على لزوم الاستقامة خوفًا من الفتنة ومن عقاب الله بالمعصية فيها.

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية، قال أبو علي: هذا من الذكر الذي يكون عن النسيان، والمعنى: قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليه[٣][٤]، قال الكلبي[٥] والفراء[٦]: نزلت في المهاجرين خاصة.

وقال عكرمة: يعني النبي ومن معه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة[٧]. وقال الكناني: يعني حين كانوا بمكة في عنفوان[٨] الإسلام قبل أن يكملوا أربعين[٩].

= النون على قوله تعالى: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ وهو منفي، وقد سبق توجيه المؤلف لذلك، وذهب أبو حيان إلى قياس دخول النون على المنفي وذكر له شواهد عدة، انظر: «البحر المحيط» ٤/ ٤٨٢-٤٨٥.

(١) لم أجد من ذكره.

(٢) ساقط من (س).

(٣) أي: على موضع النعمة.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٤٢٨.

(٥) رواه بنحوه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠ عنه عن ابن عباس.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٧.

(٧) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٩-٢٢٠، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣١٠، و«معالم التنزيل» ٣/ ٣٤٧.

(٨) عنفوان الشيء: أوله، انظر: «الصحاح» (عنف) ٤/ ١٤٠٧، و«مجمل اللغة» (عنف) ٣/ ٦٣٢.

(٩) ذكره الثعلبي ٦/ ٥٣ أ بلا نسبة.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال ابن عباس[١] والكلبي[٢]: في أرض مكة.

وقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾، قال ابن عباس: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ إذ أخرجتم منها، والناس ههنا: العرب[٣] يريد المشركين، ونحو ذلك قال الكلبي[٤] وغيره[٥]، وقال عكرمة وقتادة: هم كفار قريش[٦]، وقال وهب: يعني فارسًا والروم[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ أي جعل لكم مأوى ترجعون إليه وتسكنون فيه، قال ابن عباس: فضمكم إلى الأنصار[٨]، وقال السدي والكلبي والكناني: فآواكم إلى المدينة دار الهجرة[٩].

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٤٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥٣.

(٢) ذكره الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠ عنه عن ابن عباس، وانظر: «تفسير القرطبي» ٧/ ٣٩٤.

(٣) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٤٣ بمعناه.

(٤) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» ١/ ٢/ ٢٥٨، وابن جرير ٩/ ٢٢٠، ورواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠ عنه عن ابن عباس.

(٥) كالسدي فيما رواه عنه ابن جرير ٩/ ٢٢٠، وقتادة فيما رواه عنه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٢.

(٦) رواه بمعناه ابن جرير ٩/ ٢١٩-٢٢٠، ورواه البغوي ١٣/ ٣٤٧ عن عكرمة بلفظ: كفار العرب. وانظر: القرطبي ٧/ ٣٩٤.

(٧) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٧٨، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٨ أ، والثعلبي ٦/ ٥٣ أ، والصنعاني ١/ ٢/ ٢٥٨، ولم يذكر الروم، وذكره السيوطي في «الدر» ٤/ ٤٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وأبي الشيخ.

(٨) ذكره القرطبي ٧/ ٣٩٤، وبمعناه ابن الجوزي ٣/ ٣٤٣ن والفيروزأبادي ص١٨٠ وأبو حيان ٥/ ٣٠٦.

(٩) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٧٩ عن السدي، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» =

﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريد بقوته[١]، وقال السدي: وأيدكم بالأنصار[٢]، وقال الكلبي والكناني: وأيدكم بنصره يوم بدر بالملائكة[٣].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني الغنائم ببدر في قول ابن عباس[٤] والكلبي[٥] والكناني[٦]، يريد أحلّها لكم ولم تحل لأحد قبلكم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، قال عطاء: يريد: كي تطيعوا[٧]، قال أهل المعاني: وهذا تذكير بالنعمة في تقويتهم بعد الضعف، وأمنهم بعد الخوف، ونصرهم على أعدائهم، وبسط أرزاقهم[٨].

٢٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الخون

= ٣/ ٣٤٣ إلى ابن عباس والأكثرين، ورواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠ عن الكلبي عن ابن عباس.

(١) رواه الفيروز أبادي ص١٨٠ بلفظ: أعانكم وقواكم بنصرته يوم بدر.

(٢) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٠ بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) رواه البغوي ٣/ ٣٤٧ عن الكلبي، وكذلك المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥٣، ونسبه ابن الجوزي ٣/ ٣٤٣ إلى الجمهور.

(٤) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٤٨٥.

(٥) رواه البغوي ٣/ ٣٤٧.

(٦) لم أجد من ذكره عنه.

(٧) لم أجد من ذكره عنه.

(٨) لم أجده فيما بين يدي من كتب أهل المعاني، وانظر معناه في: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢١٩، و«البحر المحيط» ٤/ ٤٨٥.

والخيانة والمخانة: خون الحق[1] الذي قد ضمن فيه التأدية، وخان: يتعدى إلى مفعولين، نحو: اعطى، ويجوز أن يقتصر على أحدهما، ويدلك على تعدي (خان) إلى مفعولين قول أوس:

خانتك ميّة ما علمت كما خان الإخاء خليلَه لبد[2]

قال ابن عباس في رواية عطاء[3]، والزهري[4] والكلبي[5] وعبد الله [بن أبي قتادة[6]][7]: نزلت هذه الآية في أبي لبابة[8] حين بعثه رسول الله

---

(١) أي تنقصه وعدم الوفاء به، قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (خون) ٢/ ٢٣١: الخاء والواو والنون أصل واحد، وهو التنقص، يقال: خانه يخونه خونًا: وذلك نقصان الوفاء.

(٢) «ديوانه» ص٢٢. قال ابن منظور: لبد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد وتزعم العرب أن لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستسقي لها، فلما أُهلكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بَعْرات سمْر، من أظْبِ عفر، في جبل وعر، لا يسمها القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر، فاختار النسور، فكان آخر نسوره يسمى لبدًا، وقد ذكرته الشعراء. «لسان العرب» (لبد) ٧/ ٣٩٨٤.

(٣) ذكرها ابن الجوزي ٣/ ٣٤٤، وأبو حيان ٤/ ٤٨٦، ورواها مختصرة الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠ من رواية الكلبي.

(٤) رواه عنه ابن جرير ٩/ ٢٢١، والثعلبي ٦/ ٥٣ ب، ورواه مختصرًا مالك في «الموطأ» ص٣٢١، ورواه عن الزهري، عن كعب بن مالك الإمام الصنعاني في «المصنف» ٥/ ٤٠٧.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٥٣ ب، ورواه مختصرًا الفيروز أبادي ص١٨٠ عنه عن ابن عباس.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٤، وابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ٣/ ٢٥٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢٣-٣٢٤، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وسعيد بن منصور وأبي الشيخ.

(٧) في (ح): (بن أبي، وقتادة)، وهو خطأ وما أثبته موافق للمصادر السابقة، وهو عبد الله بن أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري السلمي المدني تابعي ثقة قليل الحديث، توفي سنة ٩٩هـ. انظر: «التاريخ الكبير» ١/ ٣/ ١٧٥، و«الكاشف» ١/ ٥٨٦، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٤٠٤.

(٨) هو: أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسي الأنصاري أحد نقباء الأنصار، شهد بيعة =

ﷺ إلى قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا؟ أننزل على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه، أي: إنه الذبح فلا تفعلوا، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله(١).

وقال السدي: كانوا يسمعون الشيء من رسول الله ﷺ فيفشونه ويلقونه إلى المشركين فنهاهم الله عن ذلك(٢).

وقال ابن زيد: نهاهم الله أن يخونوا كما صنع المنافقون؛ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر(٣)، ونحو هذا قال محمد بن إسحاق، أي: لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفونه(٤) في السر إلى غيره(٥).

= بيعة العقبة، وكذلك بدرًا وقيل: بل استعمله النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى بدر، وكانت راية بني عمرو معه يوم الفتح، توفي في خلافة علي، ويقال بعد سنة ٥٠هـ.

انظر: «أسد الغابة» ٥/ ٢٨٤، و«الإصابة» ٤/ ١٦٨، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٧٨.

(١) جميع روايات الأثر التي ذكرها المؤلف ضعيفة، فروايتا عطاء والكلبي عن ابن عباس ساقطتان، وروايتا الزهري وابن أبي قتادة مرسلتان، وقد رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٤٠٦، عن الزهري، عن كعب بن مالك، والزهري لم يدرك كعبًا الذي مات سنة ٤٠هـ، والزهري ولد سنة ٥٠هـ على أقل تقدير.

انظر: «تهذيب التهذيب» ٨/ ٣٨٤، ٩/ ٣٨٧، وقال ابن جرير ١٣/ ٤٨٣: جائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته.

(٢) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٨٣ مختصرًا.

(٣) رواه مختصرًا ابن جرير ١٣/ ٤٨٣.

(٤) في «السيرة النبوية»: تخالفوه اهـ. وهو الصواب لأنه معطوف على الفعل المجزوم.

(٥) «السيرة النبوية» ٢/ ٦٦٩.

وقال ابن عباس: لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول بترك سنته[١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت (وتخونوا) جزمًا على النهي، وإن شئت جعلته صرفًا[٢] ونصبته كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله[٣][٤]

والجزم مذهب الأخفش[٥][٦]، ويدل على صحته ما روي في حرف

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٣-١٦٨٤، والثعلبي ٦/ ٥٤ أ.

(٢) الصرف: أن يصرف المتكلم الفعل الثاني عن معنى الفعل الأول المتقدم عليه، وانظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٥، وقال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٣٣: فإن قلت: وما الصرف؟ قلت: أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصرف.

(٣) هذا صدر بيت، وعجزه:

عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد اختلف في قائله، فقيل: هو الأخطل، وهذا رأي سيبويه في «الكتاب» ٣/ ٤٢، وقيل: المتوكل الليثي، وقيل: الطرماح بن حكيم، وقيل: سابق البربري، انظر: «الخزانة» ٨/ ٥٦٤، و«معجم شواهد العربية» ٢/ ٨٨٧.

قال في خزانة الأدب، الموضع السابق: والصحيح أنه لأبي الأسود الدؤلي اهـ. وهو في «ديوانه» ص٤٠٤، ونسب إليه في «شرح التصريح» ٢/ ٢٣٨، و«شرح شذور الذهب» ص٣١٠، و«همع الهوامع» ٢/ ١٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٠٨ بتصرف.

(٥) هو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة. تقدمت ترجمته.

(٦) ذكر مذهبه هذا الثعلبي ٦/ ٥٤ أ، ولم يتعرض الأخفش لتفسير الآية في كتابه «معاني القرآن»، ولكنه ذكر رأيه في مثلها وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢]، وهو في هذه المواضع يذهب إلى جواز

عبد الله، (ولا تخونوا أماناتكم)[١]، وقد ذكرنا الوجهين بالشرح في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢].

وذهبت طائفة إلى أن قوله: ﴿وَتَخُونُوٓا﴾ جواب للنهي بالواو[٢]، والعرب تجاوب بالواو كما تجاوب بالفاء[٣]، ومنهم من يجعل الواو بدلًا من الفاء، وكلا الوجهين قد شرحنا في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] في قراءة من قرأ بالنصب[٤].

والأمانة ههنا: مصدر سمي به المفعول[٥] ولذلك جمع، قال ابن عباس في رواية الوالبي: الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد، يعني الفرائض، يقول: لا تنقصوها[٦][٧].

= النصب والجزم، حيث قال: إن شئت جعلت (وتكتموا الحق) نصبًا، إذا نويت أن تجعل الأول اسمًا فتضمر مع (تكتموا)، (أن) حتى تكون اسمًا، وإن شئت عطفتها فجعلتها جزمًا على الفعل الذي قبلها. «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٧١، وانظر تفاصيل الخلاف في المسألة في: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٤٤٨.

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٠٨، و«تفسير الرازي» ١٥/ ٥٢، ولم يشر إليها أصحاب القراءات الشاذة.

(٢) ساقط من (م).

(٣) ذكر هذا القول الثعلبي ٦/ ٥٤ أ، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» ص٣١٤، والرازي ١٥/ ١٥٢، وأبو حيان ٤/ ٤٨٦.

(٤) وهي قراءة حفص وحمزة ويعقوب، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٤٣، و«إرشاد المبتدئ» ص٣٠٧، و«تحبير التيسير» ص١٠٨.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) في (ح): (لا تنقضوها)، وكذلك في «تفسير الثعلبي» وابن كثير، وما أثبته موافق لمصادر تخريجه عدا الثعلبي وابن كثير.

(٧) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٤، والثعلبي ٦/ ٥٤ أ، وانظر: =

وقال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله: فمعصية الله ورسوله، وأما خيانة الأمانة: فكل أحد مؤتمن على ما افترض الله عليه إن شاء خانها، وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله[(١)].

وقال قتادة في قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ إن دين الله أمانة[(٢)]، فأدوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده[(٣)].

وهذه الأقوال توجه على قول من قال: موضع[(٤)] ﴿وَتَخُونُوٓاْ﴾ جزم وعلى هذا الوجه قول ابن زيد: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ قال: يعني دينكم، وقد فعل ذلك المنافقون[(٥)].

وقال السدي: إذا خانوا الله ورسوله فقد خانوا أماناتهم[(٦)]، وهذا يتوجه على قول من يقول بالصرف، أو يجعل الواو جوابًا للنهي، بمعنى: لا تخونوا الله والرسول فتخونوا أماناتكم، أي إنكم إذا خنتم الرسول فقد خنتم أماناتكم.

واختار أبو علي الجزم وقال: يمكن أن يكون هذا من باب حذف المضاف، فيكون المعنى: ولا تخونوا ذوي أماناتكم، قال: وهذا أشبه بما

= «زاد المسير» ٣/ ٣٤٥، و«الوسيط» ٢/ ٤٥٣، وابن كثير ٢/ ٣٣٣، وصحيفة علي ابن أبي طلحة ص٢٥١.

(١) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» للشيخ هود بن محكم ٢/ ٢٩.

(٢) في (ح)، و(س): هي أمانة، وأثبت ما في (م) لموافقته لما في المصدرين التاليين.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٥٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٨.

(٤) في (س): (في قول من قال في موضع)، وهو خطأ.

(٥) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٨٥، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٨ ب، والثعلبي ٦/ ٥٤ أ.

(٦) رواه ابن جرير ١٣/ ٤٨٤، والثعلبي ٦/ ٥٤ أ، والبغوي ٣/ ٣٤٨.

قبله، وذوو الأمانة: نحو المودع والمعير والموكل والشريك ومن يدك في ماله يد أمانة لا يد ضمان[(١)]، ثم حذفت المضاف[(٢)]، وقد ذكرت إحدى مفعولي الخيانة، ولم تذكر الثاني وهو المنهي عن الخيانة فيه[(٣)]، وإذا لم[(٤)] تقدر حذف المضاف فقد ذكرت المنهي عن الخيانة فيه ولم تذكر صاحب الأمانة، كقولك: أعطيت درهمًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تعلمون أنها أمانة من غير شبهة، وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [ما في الخيانة، خلاف الجهال بتلك المنزلة[(٥)]، وقال صاحب النظم: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾][(٦)] أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحلق خيانة لله ورسوله[(٧)].

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي محنة[(٨)]، يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه فيستحق الثواب أو العقاب.

---

(١) اهـ كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ١/ ٢١٨.

(٢) يعني لفظ (ذوي) في قوله: والمعنى: ولا تخونوا ذوي أماناتكم، وقد ساق المؤلف العبارة على وجه الخطاب للتمثيل، ولا يخفى أنه لا يعني الجملة القرآنية، إذ لا يصح أن يخاطب بشر بأنه حذف شيئًا من القرآن.

(٣) ساقط من (س).

(٤) ساقط من (س).

(٥) ذكر هذا القول الماوردي في «النكت» ٢/ ٣١١ ولم يعين القائل.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) ذكر هذا القول المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥٤، كما ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٤٨ لكن من غير نسبة.

(٨) انظر: «الصحاح» (فتن) ٦/ ٢١٧٥.

قال المفسرون: وكان لأبي لبابة مال وأهل وولد في قريظة، ولذلك مال إليهم في إطلاعهم على أن حكم سعد فيهم القتل[١].

وقال ابن زيد: فتنة: اختبار اختبرتم بها، وقرأ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قال ابن عباس: يريد لمن نصح لله ولرسوله وللمؤمنين، وأدى أمانته، ولم يخن نفسه ولا ربه ولا نبيه ولا أحدًا من المؤمنين[٣].

وهذه الآية بيان عن حال الأموال والأولاد في الافتتان بهما حتى يركب الإنسان كل[٤] عظيم لغلبة الهوى فيهما، فيحرم عظيم الأجر لما لا يبقى[٥] عليه من عاجل النفع.

قال عبد الله بن أبي قتادة[٦]: ذكر الله تعالى أن مناصحة أبي لبابة وخيانته إنما كانت لأن أهله كان فيهم[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٥٣ أ، والبغوي ٣/ ٣٤٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٤٥، و«أسباب النزول» ص٢٣٨-٢٣٩ للمؤلف، و«الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ٣٩٦.

(٢) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٥، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٢٤.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥٤، وذكره مختصرًا من غير نسبة البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٤٨.

(٤) ساقط من (م).

(٥) في (ح): (لم يبق)، والصواب ما أثبته، والمعنى: يُحرم الإنسان عظيم الأجر لأجل ما لا يدوم عليه من المتاع العاجل بل سيرحل عنه.

(٦) تابعي من أبناء الأنصار. تقدمت ترجمته.

(٧) لم أجد من ذكره بهذا اللفظ، وقد رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٢ بلفظ: نزلت في أبي لبابة، وزاد ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٤: حين أشار إلى بني قريظة أنه الذبح.

٢٩- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال أصحاب المعاني: إنما جاز الشرط في خبر الله تعالى مع علمه أنهم يتقون أو لا يتقون لأنه يعامل العباد في الجزاء معاملة الشاك للمظاهرة في العدل[١]، وعلى هذا المعنى أيضًا يتوجه ابتلاء الله العباد للبيان[٢] أن الجزاء على ما يظهر من الفعل دون ما في المعلوم مما لم يقع بعد. واتقاء الله ﷻ: الامتناع عن معاصيه بأداء فرائضه[٣]، واختلفوا في هذه الآية فمنهم من قال: إنها ابتداء خطاب من الله تعالى للمؤمنين، وليست تتصل بما قبلها[٤].

---

(١) لم أجده عند أهل المعاني، وقد ذكر نحوه الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٥٣، وقال القرطبي رحمه الله: كان الله عالمًا بأنهم يتقون أم لا يتقون، فذكر بلفظ الشرط؛ لأنه خاطب العباد بما يخاطب بعضهم بعضًا. «الجامع لأحكام القرآن» ٧/ ٣٩٦. ولا يخفى أن استعمال الشرط يفيد عظيم فائدة التقوى في الحصول على الفرقان، وتكفير السيئات، وغفران الذنوب، فيسعى المؤمن لتحقيق كمالها، ويحذر من التفريط فيها.

(٢) هكذا، والمعنى: مستقيم.

(٣) هكذا، ومعلوم أن أداء الفرائض بعض التقوى، ولو قال المؤلف رحمه الله تقوى الله: الامتناع عن معاصيه وأداء أوامره، لكان أشمل، قال الإمام البغوي ٣/ ٣٤٨: إن تتقوا الله: بطاعته وترك معصيته. وقال الإمام ابن كثير ٢/ ٣١٤: من اتقى الله بفعل أوامره، وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل، وقال القرطبي ٧/ ٣٩٦: فإذا اتقى العبد ربه، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه وترك الشبهات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال .. إلخ. والمقصود أن تقوى الله أعم من أداء الفرائض.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٤، وإليه ذهب ابن عاشور في «التحرير والتنوير» ٩/ ٣٢٥.

ومنهم من قال: إنها متصلة بقصة الخيانة، يقول: إن تتقوا الله باجتناب خيانته، وخيانة رسوله، وخيانة أمانته يجعل لكم فرقانًا[١]، وقد ذكرنا معنى الفرقان في اللغة وأنه مصدر لـ (فرق) نحو[٢] الرجحان والنقصان[٣].

واختلفت عبارات المفسرين في تفسير الفرقان ههنا وكلها راجع إلى معناه في اللغة، فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: مخرجًا من الشبهات مثل قوله في البقرة: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[٤]، يريد المخرج من الشبهات، وأراد ههنا بالمخرج: أن الله تعالى يجعل لكم فرقانًا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم بنصره إياكم عليه، وهذا قول مقاتل[٥].

وقال عكرمة[٦] والسدي[٧] وعبد الكريم الجزري[٨]: (فرقانًا:

---

(١) إلى هذا القول يميل ابن جرير ٩/ ٢٢٤، والثعلبي ٦/ ٥٤ ب، وابن الجوزي ٣/ ٣٤٦.

(٢) في (ح): (بعض)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٥٣.

(٤) البقرة: ١٨٥، وقد روى قول ابن عباس من رواية ابن أبي طلحة مختصرًا ابن جرير ١/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦، ولفظها: الفرقان: المخرج.

(٥) هذا قول مقاتل بن حيان كما في: «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٦٨٦، والثعلبي ٦/ ٥٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٩، وهو أيضًا قول مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٢ أ.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٥، والثعلبي ٦/ ٥٤ ب.

(٧) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٥.

(٨) هو: عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد التابعي الإمام الحافظ عالم الجزيرة، كان ثقة ثبتًا كثير الحديث، توفي سنة ١٢٧هـ.

نجاة)[١]، يريدون أن الله تعالى يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون، وقد **جمع** مجاهد بين معنى القولين[٢] فقال: مخرجًا في الدنيا والآخرة[٣]، **يعني**: مخرجًا في الدنيا من الشبهات، ونجاة في الآخرة.

[وقال الضحاك: (بيانًا)[٤]، وهو معنى قول من قال: مخرجًا من **الشبهات**][٥].

وقال ابن زيد وابن إسحاق: هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق **والباطل**[٦].

= انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٣/ ٨٨، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٨٠، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٦٠٢.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٥٨، عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد، ولم أجد من ذكره عنه.

(٢) في (س): (المعنيين).

(٣) رواه ابن جرير ٩/ ٢٢٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦، والثعلبي ٦/ ٥٤ ب، وعزاه السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢٤، إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ. وانظر: «تفسير مجاهد» ص٣٥٤.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٥٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٩.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٦) رواه عن ابن زيد بمعناه الثعلبي ٦/ ٥٤ ب، وابن جرير ٩/ ٢٢٦ فيما يظهر بالمقارنة بينه وبين تفسير الثعلبي، إذ أن اسم القائل وسنده ساقط من المخطوطة والمطبوعة كما ذكر المحقق، وبقي القول بنصه كما في «تفسير الثعلبي»، وقد ذكره أيضًا الماوردي ٢/ ٣١١، وابن الجوزي ٣/ ٣٤٦، وزادا نسبته إلى ابن إسحاق كالواحدي.
والواقع أن بين قولي ابن زيد وابن إسحاق اختلافًا بيِّنًا في المعنى، وإن اشتركا في بعض الألفاظ، فقد جاء قول ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٥، و«تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٢٦، والثعلبي ٦/ ٥٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٤٩ بلفظ: أي: فصلًا بين الحق والباطل؛ ليظهر الله به حقكم ويطفئ به باطل من خالفكم.

وقال الكلبي: (نصرًا)[(١)] وهو اختيار الفراء، قال: يقول: فتحًا ونصرًا كقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، يعني يوم الفتح والنصر[(٢)]، يريد أن يعز المؤمنين وينصرهم ويذل من خالفهم ويخذلهم فرقًا بينهم وبينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال عطاء: يريد تفضل على أوليائه بالعصمة بعد ما كفّر سيئاتهم[(٣)]، وقال أهل المعاني: أي أنه ابتدأكم بالفضل العظيم فلا يمنعكم ما وعدكم على طاعاتكم[(٤)].

وقيل: إنه الذي يملك الفضل العظيم فاكتفوا بالطلب من عنده دون غيره[(٥)].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٥٤ ب. (٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٨.

(٣) لم أجد من ذكره، وفي متنه نظر إذ ليس كل ولي معصومًا، بل العصمة مقصورة على الأنبياء، وقد خاطب الله تعالى أصحاب النبي -وهم من خير أولياء الله- بقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وأخبر عنهم بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ووصف عباده المتقين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].
ثم إن في متن الأثر تناقض وذلك أن ظاهره يدل على أن الأولياء معصومون في وقت دون وقت أو في حال دون حال؛ حيث أثبت لهم سيئات، وهذا يناقض العصمة.

(٤) لم أجده.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٥٤ دون نسبة.

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هذه الآية راجعة إلى قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ [مُّسْتَضْعَفُونَ﴾][١] [الأنفال: ٢٦] يذكرهم الله ﷻ حالهم بمكة ونعمته على رسوله بإبطاله مكر المشركين، وهذه السورة مدنية، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين: إن مشركي قريش توامروا[٢] في دار الندوة فقال بعضهم: قيدوه نتربص به ريب المنون، وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه لكم، قال أبو جهل: ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربونه[٣] بأسيافهم ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها، فيرضون بأخذ الدية، وأوحى الله ﷻ إلى نبيه بذلك وأذن له بالخروج إلى المدينة فخرج إلى الغار، فذلك قوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾[٤].

(١) في (ح) و(س): (فكثركم) موضع (مستضعفون)، ولا يوجد آية بهذا اللفظ، وفي (م): ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] وهي خطاب لقوم شعيب، وكلام المؤلف يدل على أنه أراد ما أثبته، وقد اضطررت لتغيير نص المؤلف لكون الخطأ في آية من كتاب الله.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهي لغة في تآمروا، قال مجد الدين الجزري: آمروا النساء في أنفسهن: أي شاوروهن في تزويجهن، ويقال فيه: (وامرته، وليس بفصيح). «النهاية في غريب الحديث» (أمر) ١/ ٦٦.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والصواب: فيضربوه؛ لأنه معطوف على منصوب.

(٤) هذا معنى أثر رواه عن ابن عباس، الإمام ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٩٣، وأحمد ١/ ٣٤٨، وابن جرير ٩/ ٢٢٦، والثعلبي ٦/ ٥٥ أ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٠: فيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ.

وقد روى قضية حصار بيت النبي ﷺ ومحاولة قتله ودخوله الغار الإمام أحمد =

قال ابن عباس ومجاهد ومقسم[١] وقتادة: (ليوثقوك ويشدوك)[٢]، وكل من شُد فقد أُثبت؛ لأنه لا يقدر على الحركة، ومن هذا يقال لمن اشتدت به علة أو جراحة منعته الحركة: قد أُثبت فلان فهو مثبت.

وقال عطاء وعبد الله بن كثير[٣] وابن زيد: (ليسجنوك)[٤]، وهو لفظ الفراء[٥] والزجاج[٦] وابن قتيبة[٧] وابن الأنباري، قال أبو بكر: يريد: ليثبتوك في بيت، فحذف المحل لوضوح معناه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ أي: بأجمعهم قتلة رجل واحد كما قال اللعين أبو جهل، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أي: من مكة إلى طرف من أطراف الأرض.

= ١/ ٣٣١، والحاكم ٣/ ١٣٣، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وانظر: قول قتادة ومجاهد وغيرهما في «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٢٦-٢٣٠، وابن أبي حاتم ٣/ ٢٣٩، ٢٤٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٥٠-٥٣.

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) رواه عنهم ابن جرير ٩/ ٢٢٦، والثعلبي ٦/ ٥٦ أ، وقد جمع الواحدي بين قولين، فقتادة يقول: ليشدوك، وغيره يقول: ليوثقوك. والقولان بمعنى واحد.

(٣) هو: عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الداري المكي الإمام العلم، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، كان ثقة فصيحًا واعظًا كبير الشأن، مات سنة ١٢٠هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٨، و«معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٦، و«غاية النهاية في طبقات القراء» ١/ ٤٤٣.

(٤) رواه عنهم ابن جرير ٩/ ٢٢٦، ورواه عن عطاء وابن كثير الإمام ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٨، والثعلبي ٦/ ٥٦ أ.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٠٩، ولفظه: ليحبسوك في البيت.

(٦) لم يتطرق الزجاج لتفسير الكلمة في كتابه «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٠، ولم أجد من ذكره عنه.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص١٨٩.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾، قال أبو إسحاق: ومكر الله ﷻ إنما هو[(١)] مجازاة ونصر للمؤمنين[(٢)]، وقال الضحاك: ويصنعون ويصنع الله[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: إنه مكر أفضل مما مكروا[(٤)]، وقال محمد بن إسحاق: قال الله: مكرت لك بكيدي المتين حتى خلصتك منهم[(٥)].

وتلخيص معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أي أفضل المجازين بالسيئة العقوبة[(٦)]؛ وذلك أنه أهلك هؤلاء الذين دبروا لنبيه الكيد، وخلصه منهم، وقد ذكرنا معنى المكر في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ في سورة آل عمران [٥٤].

٣١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾، قال ابن عباس والمفسرون: كان النضر بن الحارث[(٧)] خرج إلى الحيرة تاجرًا فاشترى

---

(١) ساقط من (م).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤١٠.
(٣) رواه البغوي ٣/ ٣٥٠.
(٤) رواه بمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٠، من رواية الكلبي.
(٥) «السيرة النبوية» ٢/ ٦٦٩.
(٦) قال الراغب الأصفهاني: المكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة وذلك ضربان: مكر محمود، وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ ومذموم، وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، و«المفردات» (مكر) ص٤٧١.
(٧) هو: النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار بن قصي القرشي، كان من شجعان قريش ووجوهها وأحد شياطينها وممن آذى رسول الله ﷺ وكان له إطلاع على أخبار الأمم السابقة وكتب الفرس، أصيب ببدر مع المشركين فامتنع عن =

أحاديث كليلة ودمنة[(١)]، فكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين[(٢)] وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين، فلما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية، قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا ما استطر الأولون في كتبهم[(٣)]. فذمهم الله تعالى بدفعهم الحق الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل في زعمهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ تكذبًا وافتراء بعدما أبان التحدي إفكهم وأنهم عجزة عن سورة مثله؛ وذكرنا معنى الأساطير في سورة الأنعام[(٤)].

٣٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾، قال أبو إسحاق: القراءة بنصب (الحق) على خبر كان، ودخلت (هو) للفصل، ولا موضع لها وهي بمنزلة (ما) المؤكدة، ودخلت ليعلم أن

= الطعام والشراب حتى مات، وقيل: قتل صبرًا بعد الانصراف من المعركة.
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٣١٩، و«الكامل» لابن الأثير ٢/ ٧٣، و«زهرة الآداب» ١/ ٣٣، و«جمهرة الأنساب» ص١٢٦، و«نسب قريش» ص٢٥٥.

(١) «كليلة ودمنة» كتاب وضعه الفيلسوف الهندي بيدبا لأحد ملوك الهند، وجعله على ألسنة البهائم والطيور، وقد نقل من اللغة الهندية إلى الفهلوية الفارسية، ثم نقله عبد الله بن المقفع إلى اللغة العربية، ومنها ترجم إلى سائر اللغات الحية، انظر: «التمهيد لكتاب كليلة ودمنة» بقلم جورجي زيدان.

(٢) هم رهط من قريش تحالفوا على أذى رسول الله ﷺ والافتراء عليه، وإذاعة ذلك بكل طريق، وإخبار النزاع إليهم به.
انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٩٠، و«تفسير المشكل من غريب القرآن» ص١٢٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٢٧.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٥٠ أ مختصرًا، ومثله البغوي ٣/ ٣٥١، وكذلك ابن إسحاق في «السيرة» ١/ ٣١٩، ورواه ابن جرير ٩/ ٢٣١ بمعناه عن ابن جريج والسدي.

(٤) انظر: «تفسير البسيط» الأنعام: ٢٥.

(الحق) ليس بصفة لـ (هذا)، وأنه[١] خبر، قال: ويجوز: هو الحق، رفعًا، ولا أعلم أحدًا قرأ بها[٢]، ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها، ولكن القراءة سنة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، قال الليث: مطرتنا السماء وأمطرتنا وأمطرهم الله مطرًا و[٤] عذابًا[٥].

وقال أبو عبيدة: ما كان من العذاب يقال فيه: أمطر، ومن الرحمة: مطر[٦]، قال المفسرون: قال النضر بن الحارث: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد حقًا من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط: ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: ببعض ما عذبت به الأمم[٧].

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه»: أو أنه، وهو خطأ ينبغي تصويبه.

(٢) لعله يعني من القراء المعتبرين، وإلا فقد قرئ بها شذوذًا، وهي قراءة الحسن بن سعيد المطوعي عن الأعمش، وكذلك زيد بن علي، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٤٩، و«الكشاف» ٢/ ١٥٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٣١٠، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٣٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١١، وقد اختصر الواحدي كلام الزجاج.

(٤) في «تهذيب اللغة» وكتاب «العين»: أو.

(٥) «تهذيب اللغة» (مطر) ١٣/ ٣٤١، والنص بنحوه في كتاب «العين» (مطر) ٧/ ٤٢٥.

(٦) «مجاز القرآن» ص٢٤٥. وقد ذكر الواحدي قول أبي عبيدة بمعناه.

(٧) رواه ابن جرير ١٣/ ٥٠٥-٥٠٦، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وكلها مراسيل، وقد أسنده ابن أبي حاتم ٣/ ٢٤١ أ عن ابن عباس، ولكن بسند ضعيف إذ فيه راو لم يسم، والثابت أن القائل هو أبو جهل، كما رواه البخاري في «صحيحه» كتاب التفسير، سورة الأنفال ٦/ ١١٩، ويمكن الجمع بين القولين بأن كليهما قال ذلك، هذا لو صح ما روي عن النضر بن الحارث.

قال أهل العلم وأصحاب التأويل في هذه الآية: يجوز أن يكون هذا القول عنادًا منهم، وذلك أن المعاند قد تحمله شدة عداوته للمحق[١] على إظهار مثل هذا القول لتوهم أنه على بصيرة من أمره، ويجوز أن يكونوا قالوا هذا على شبهة تمكنت من نفوسهم، ولو عرفوا بطلان ما هم عليه ما قالوا مثل هذا القول؛ فقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مع علمهم أن الله قادر على ذلك يدل على أنهم لم يعتقدوا ولم يعرفوا أن ما أتى به محمد هو حق من عند الله، وإذا لم يكن هو الحق عندهم لم يصبهم هذا البلاء الذي طلبوه عند أنفسهم؛ لأنهم شرطوا كونه حقًّا[٢].

قال عطاء: ثم حاق بالنضر ما سأل من العذاب الأليم يوم بدر؛ لأن رسول الله ﷺ قتله صبرًا[٣].

وقال أهل المعاني: هذه الآية ذم لهم في دفع الحق بأغلظ ما يكون من المناصبة له[٤] حتى طلبوا إمطار الحجارة من السماء به[٥] إيهامًا أنهم على غاية الثقة فيه أنه ليس بحق[٦].

---

(١) في (ح): (للحق).

(٢) انظر: «النكت والعيون» ٢/ ٣١٣، و«المحرر الوجيز» ٦/ ٢٧٩، و«الكشاف» ٢/ ١٥٥، و«البحر المحيط» ٤/ ٤٨٨-٤٨٩.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٥٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٥١ دون ذكر القتل، وقد رويا قتله صبرًا عن سعيد بن جبير، ورواه أيضًا عنه أبو عبيد في كتاب «الأموال» ص١٧١، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٧٢.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (س).

(٦) لم أقف عليه.

٣٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية، هذه اللام تسمى لام الجحود، تدخل في النفي دون الإيجاب لتعلق ما دخلت عليه بحرف النفي، كقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، كما دخلت (الباء) في خبر (ما) ولم تدخل في الإيجاب، ولعل هذا مما سبق الكلام فيه.

قال المفسرون: ما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين وأنت فيهم، مقيم بين أظهرهم[(١)]، قال ابن عباس: لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا، ويلحق بحيث أمر[(٢)].

وقال أهل المعاني: لم يجز أن يعذبوا مع كون النبي فيهم؛ لأن إرساله رحمة للعالمين يقتضي أن لا يعذبوا وهو فيهم حتى يستحقوا سلب النعمة بأخذه[(٣)] عنهم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم المؤمنون يستغفرون[(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٥٧ ب، وقد نسب هذا القول إلى سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى وأبي مالك والضحاك، ورواه بمعناه ابن جرير ٩/ ٢٣٤-٢٣٩، عن جمع من مفسري الصحابة والتابعين وغيرهم.

(٢) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٢، والثعلبي ٦/ ٥٨ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٣.

(٣) في المصدر التالي: بإخراجه. ولم أجده عند أهل المعاني، وانظره في: «النكت والعيون» ٢/ ٣١٤.

(٤) رواه عنهم ابن جرير ٩/ ٢٣٥-٢٣٦، والثعلبي ٦/ ٥٧ أ.

(٥) في (ح): (المستغفرون).

وهذا قول أبي مالك والضحاك وابن أبزى[١]، وإحدى الروايات عن ابن عباس، قال: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني المسلمين[٢].

قال ابن الأنباري على هذا القول: أي: وما كان الله معذبهم والمؤمنون بين أظهرهم يستغفرون، فأوقع العموم على الخصوص، ووصفوا بصفة بعضهم كما يقال: قتل أهل المحلة[٣] رجلًا، وأخذ أهل البصرة فلانًا، ولعله لم يأخذ منهم إلا رجل[٤] أو رجلان، وكما تقول العرب: قتلناكم وهزمناكم، يريدون البعض، وعلى هذا قراءة من قرأ: ﴿فإن قتلوكم فاقتلوهم﴾[٥].

---

(١) هناك ثلاثة رجال بهذا الاسم: عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولاهم الصحابي وابناه سعيد وعبد الله.
والمذكور هو: سعيد كما نص على ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٦٩٢، وقد روى الأثر ابن جرير عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزى، وجعفر من رواة سعيد، وهو تابعي ثقة حسن الحديث، توفي بعد المائة الأولى من الهجرة.
انظر: «التاريخ الكبير» ٣/ ٤٩٤ (٦٤٩)، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٩، و«تقريب التهذيب» ص٢٣٨ (٢٣٤٦).

(٢) روى هذا القول عن المذكورين ابن جرير ٩/ ٢٣٤-٢٣٥، والثعلبي ٦/ ٥٧-٥٨ أ، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨٢-٣٨٤، عن الضحاك وابن أبزى.

(٣) في «زاد المسير» ٣/ ٣٥٠: المسجد.

(٤) نقل ابن الجوزي قول ابن الأنباري هذا إلى هذا الموضع، مع تقديم بعض الجمل على بعض، انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٥٠.

(٥) البقرة: ١٩١، وقد قرأ حمزة والكسائي وخلف بحذف الألف، والباقون بإثبات انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١١٣، و«التبصرة في القراءات» ص١٥٩ و«النشر» ٢/ ٢٢٧.

وروي عن[1] عبد الوهاب[2]، عن مجاهد في قوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: وفي أصلابهم من يستغفر[3]، قال أبو بكر: والمعنى على هذا القول: وما كان الله مهلكهم وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه؛ فوصفوا بصفة ذراريهم وأولادهم وغلبوا عليهم كما غلب بعضهم على كلهم في القول الأول[4].

وقال قتادة والسدي وابن زيد: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي: لو استغفروا لم يعذبوا[5]، كأنه استدعاء إلى الاستغفار يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون ولو كانوا يستغفرون لم يعذبوا؛ لأنهم لو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين؛ ولهذا ذهب بعضهم إلى أن الاستغفار ههنا بمعنى الإسلام فقال: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يسلمون[6]، يقول: لو أسلموا لما عذبوا، وهذا قول عكرمة[7]، قال أبو بكر: ومعنى هذا القول: وما كان الله معذبهم لو كانوا يستغفرون؛ فأما ليسوا يستغفرون

---

(١) من (ح).

(٢) هو: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي المخزومي بالولاء، مجمع على تركه، وكذبه سفيان الثوري، وروايته عن أبيه مرسلة، توفي بعد المائة.
انظر: «التاريخ الكبير» ٣/ ٢/ ٩٨، و«الضعفاء الصغير» ص١٥٦، و«تهذيب التهذيب» ٦/ ٣٩٥، و«تقريب التهذيب» ١/ ٥٢٨.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٤.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٥١ مع اختلاف يسير في بعض الكلمات.

(٥) رواه عنهم ابن جرير ٩/ ٢٣٦، والثعلبي ٦/ ٥٨/ ب، ورواه البغوي ٣/ ٣٥٣، عن قتادة والسدي.

(٦) هذا نص قول مجاهد، انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٣٧، والثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٣، و«تفسير الإمام مجاهد» ص٣٥٤.

(٧) انظر: المصادر السابقة، عدا «تفسير مجاهد»، نفس المواضع.

فإنهم مستحقون للعذاب، قال: وهذا كقول العرب: ما كنت لأكرمك وأنت تهينني، وما كنت لأهينك وأنت تكرمني، يريد: ما كنت لأهينك لو أكرمتني؛ فأما إذ[١] لست تكرمني فإنك مستحق لإهانتي، قال: وهذا قول يختاره اللغويون[٢]، ويذهب إليه المفسرون[٣]، وهو المختار عندنا.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: وفيهم من سبق له من الله الدخول في الإيمان[٤]، وشرح أكثر من[٥] هذا في رواية عطاء فقال: يريد أنه كان معهم قوم كان في علم الله أن يسلموا، منهم أبو سفيان بن حرب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[٦]، والحارث بن

---

(١) في (ح) و(س): (إذا).

(٢) لم أجد من اختار هذا القول من اللغويين سوى الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٥٦، فابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص٧١ اختار أن المراد: وفيهم قوم يستغفرون، وهم المسلمون واستحسنه أيضًا النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ١٥٠، واختار الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٤١٢ المعنى القائل: وما كان الله ليعذبهم ومنهم من يؤول أمره إلى الإسلام، وقال أبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٣٤٨: وهم يستغفرون أي: ومؤمنوهم يستغفرون ويصلون. بينما لم يتطرق لمعنى الآية كل من: الفراء، وأبي عبيدة، والأخفش، واليزيدي، والأزهري.

(٣) رجحه ابن جرير ٩/ ٢٣٨، وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد كما في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٣.

(٤) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٢، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨١، والثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٣.

(٥) ساقط من (س).

(٦) هو: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، وأحد اللذين يشبّهون به، واسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته، وكان شاعرًا، وممن يؤذي النبي ﷺ ويهجوه، ثم أسلم قبيل الفتح، وشهد حنينًا وثبت مع النبي ﷺ، مات بالمدينة سنة عشرين للهجرة.

هشام[١]، وحكيم بن حزام[٢]، وعدد كثير، وهذا القول اختيار الزجاج، قال: وما كان الله معذبهم وفيهم من يؤول أمره إلى الإسلام[٣].

والتعذيب في هذه الآية يراد به تعذيب الاستئصال[٤].

قال أهل المعاني: ودلت هذه الآية على أن في الاستغفار أمانة وسلامة من العذاب، كما في كون النبي ﷺ كانت[٥] لهم سلامة من تعجيل

= انظر: «المحبر» ص٤٦، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٠٢، و«الإصابة» ٤/ ٩٠ (٥٣٨).

(١) هو: الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أبو عبد الرحمن، أخو أبي جهل وابن عم خالد بن الوليد، كان حربًا على الإسلام مع أخيه، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان خيرًا شريفًا كبير القدر، مات في طاعون عمواس سنة ١٨/ هـ، وقيل: بل قتل في معركة اليرموك.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤١٩، و«الإصابة» ١/ ٢٩٣ (١٥٠٤)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٧٣.

(٢) هو: حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو خالد المكي، وعمته خديجة أم المؤمنين. كان من أشراف قريش وعقلائها ونبلائها وأجوادها، ومع ذلك تأخر إسلامه إلى يوم الفتح، وشهد حنينًا والطائف وكان من المؤلفة، توفي سنة ٦٠هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: «التاريخ الكبير» ٣/ ١١ (٤٢)، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٤٤، و«الإصابة» ١/ ٣٤٩ (١٨٠٠).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢.

(٤) يعني العذاب الذي يبيدهم كعذاب الأمم السابقة في عاقبة أمرهم، أما ما دون ذلك كنقص الأموال والأنفس والثمرات، فلا يمنع وجود الرسول ﷺ من ذلك، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١-١٣٢]، فوجود موسى -عليه السلام- لم يحل دون أخذ آل فرعون بالسنين، وترادف العقوبات عليهم.

(٥) كذا في جميع النسخ.

العقوبة عليهم؛ وذلك أن الذنوب سبب البلاء فلا يبعد أن يكون الاستغفار سبب دفعه؛ ولهذا قال ابن عباس: كان فيهم أمانات: نبي الله والاستغفار[١]، وقال أبو موسى: إنه كان فيكم[٢] أمانات: النبي[٣] والاستغفار، فأما النبي ﷺ فقد مضى، وأما الاستغفار فهو فيكم إلى يوم القيامة[٤].

٣٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، معنى (ما) ههنا: إيجاب[٥] العذاب عليهم، ومخرجها مخرج الاستفهام، وهو أبلغ في معنى الإيجاب، أي: لا جواب لمن سأل عن مثل هذا يصح في نفي العذاب عنهم، والمعنى: لم لا يعذبهم الله وهذا فعلهم[٦]؟ وموضع (أن) في قوله: (ألا) نصب على معنى: أي شيء في ألّا يعذبهم الله، إلا أنه لما حذف الجار عمل معنى الفعل.

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٣٢٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) في (س): (فيهم).

(٣) في (م): (نبي الله).

(٤) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٦ مع زيادة: دائر، ولفظه: فهو دائر فيكم، والثعلبي ٦/ ٥٨/ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٣ مع زيادة: كائن، ولفظهما: فهو كائن فيكم، وقد روى الأثر مرفوعًا الترمذي (٣٢٧٧) «سننه»، و«أبواب تفسير القرآن» (٣٢٧٧)، وقال: هذا حديث غريب، وإسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر يضعف في الحديث.

(٥) في (ح): (لإيجاب).

(٦) قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٤٩٠: الظاهر أن (ما) استفهامية، أي: أي شيء لهم في انتفاء العذاب، وهو استفهام معناه التقرير، أي: كيف لا يعذبهم وهم يتصفون بهذه الحالة، وقيل (ما) للنفي، فيكون إخبارًا، أي: وليس لهم أن لا يعذبهم الله، أي ليس ينتفي العذاب عنهم مع تلبسهم بهذه الحال.

قال ابن عباس في رواية عطاء في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يريد المقيمين على الشرك حتى ماتوا أو قتلوا ببدر[١]، وكذلك قال عطية[٢]، والضحاك[٣]، والكلبي[٤]، وغيرهم[٥] قالوا: قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني: المشركين خاصة بعد خروج من عنى بقوله: (وهم يستغفرون) من بينهم.

واختلفوا في هذا العذاب، فقيل: لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر[٦]، وقال ابن أبزى[٧]: هذا العذاب لحقهم يوم فتح مكة[٨]، وقال ابن عباس: هذا عذاب الآخرة، والذي في الآية الأولى: عذاب الدنيا[٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [قال أبو إسحاق: مفعول الصد محذوف، المعنى: وهم يصدون عن المسجد الحرام

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٣، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٣٩.

(٢) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٢٨.

(٣) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٤-٢٣٥، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨٣.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨١، عن ابن عباس.

(٧) هو: سعيد بن عبد الرحمن. تقدمت ترجمته.

(٨) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٣.

(٩) رواه ابن جرير ٩/ ٢٣٥.

أولياءه[(١)]](٢)، وقال الكلبي: صدوا النبي ﷺ وأصحابه أن يطوفوا، وقال ابن إسحاق: أي: إياك ومن آمن بك(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام؛ فرد الله عليهم(٤)، وقال الكلبي: وما كانت قريش أولياء المسجد الحرام، إن أولياء المسجد إلا(٥) المتقون الكفر والشرك والفواحش(٦)، وأوجز أبو علي القول في معنى الآيتين فقال في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾: أي: عذاب الاستئصال؛ لأن أمم الأنبياء إذا أُهلكوا(٧) لم يكن أنبياؤهم فيهم، وعلى هذا قال: ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ [الدخان: ٢١]، وقال: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ [هود: ٨١] الآية، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ أي: ومؤمنوهم يستغفرون ويصلون، ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: بالسيف في(٨) صدهم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤١٢، ولم يذكر أبو إسحاق الزجاج أن المفعول محذوف، بل ذكر المعنى مباشرة، فلعل الواحدي عبر عما فهمه من عبارة الزجاج، أو أن هناك سقطًا في بعض النسخ، ويرجح الأول أن ابن الجوزي نقل قول الزجاج في «زاد المسير» ٣/ ٣٥٢، ولم يذكر ما ذكره الواحدي.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٣) «السيرة النبوية» ٢/ ٣٦٦، ونص قول ابن إسحاق: أي من آمن بالله وعبده، أي أنت ومن اتبعك.

(٤) رواه البغوي ٣/ ٣٥٤، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٥٢، و«الوسيط» ٢/ ٤٥٨.

(٥) ساقط من (م).

(٦) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١، عن الكلبي، عن ابن عباس، وهو في «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٦ مختصرًا.

(٧) في (م) و(س): (هلكوا). وما أثبته موافق لما في «الحجة».

(٨) ساقط من (ح).

عن المسجد الحرام المسلمين من غير أن تكون لهم عليه[١] ولاية[٢]، وهذا معنى قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ وهذا العذاب غير الأول، وإنما هو عذاب بالسيف، وليس بانتقام عام شامل كالأول.

وقال عطاء عن ابن عباس: وما كانوا للنبي بأولياء[٣]، ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ يريد: المهاجرين والأنصار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يريد: غيب علمي، وما سبق في قضائي وقدرتي[٤].

---

(١) في (س): (عليهم)، وكذلك هو في «الحجة»، وأثبت ما في (ح) و(م) لأنه أصح في المعنى ولأن به يستقيم معنى قول الواحدي: وهذا معنى قوله (وما كانوا أولياءه).

(٢) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٤٨.

(٣) سبق بيان وهاء هذه الرواية، وهذا القول لا يدل عليه السياق إذ ليس للنبي ﷺ ذكر في هذه الآيات بضمير الغائب، وللمفسرين في عود هاء الكناية في هذه الكلمة قولان:

١- أنها ترجع إلى المسجد، وهو الراجح لأنه أقرب مذكور، وقد نسب ابن الجوزي ٣/ ٣٥٢ هذا القول إلى الجمهور، واختاره الثعلبي ٦/ ٥٨/ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٤، والزمخشري ٢/ ١٥٦، وابن كثير ٢/ ٣٣٩. والمعنى: وما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وأهله، وإنما أولياؤه المتقون وهم النبي ﷺ ومن آمن به.

٢- أنها ترجع إلى الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير ٩/ ٢٣٩. والمعنى: وما كان المشركون أولياء الله.

(٤) لم أجد أحدًا ذهب إلى هذا المعنى، ولا دلالة في الآية عليه، والذي عليه المفسرون أن المعنى: ولكن أكثرهم لا يعلمون أن أولياء الله المتقون، أو لا يعلمون أن أولياء المسجد هم المتقون، انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٣٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٥٢، وأبي السعود ٤/ ٢٠، وذهب السمرقندي ٢/ ١٦ إلى أن المعنى: لا يعلمون توحيد الله.

وقول من قال: إن هذه الآية ناسخة للآية التي قبلها، ليس بشيء، وهذا يروى عن الحسن وعكرمة[١]، وقال أهل العلم وأصحاب المعاني: هذا غلط؛ لأن الخبر لا ينسخ[٢].

وذكر أبو إسحاق الزجاج معنى آخر لهذه الآية هو أليق بما قبلها وهو أنه قال في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾: المعنى: وأي شيء لهم في ترك العذاب، أي في دفعه عنهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٣].

ومعنى هذا الكلام: وأي شيء لهم في ترك عذابهم، أي: إنا وإن تركنا عذابهم يكفيهم من الخسارة في حالتهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، وأنهم حرموا موالاة محمد ﷺ ولو أراد الله بهم خيرًا ما فعلوا ذلك[٤].

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير ٩/ ٢٣٨، ورواه عن الحسن جمع من المفسرين منهم النحاس في: «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨١، والثعلبي ٦/ ٥٨ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٣٨، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٣٨١، و«المحرر الوجيز» ٦/ ٢٨٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢.

(٤) **هذا فهم الواحدي لعبارة الزجاج، والذي أراه أن الزجاج لم يقصد هذا المعنى، وإنما مراده: وأي شيء يدفع عنهم العذاب وهم يصدون عن المسجد الحرام. ويدل على هذا المعنى كلامه اللاحق، فقد قال بعد تفسير الآية: فأعلم الله النبي ﷺ أنه لم يكن ليعذبهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بين أظهرهم، ولا ليوقع ذل العذاب بمن يؤول أمره إلى الإسلام منهم، وأعلمه أنه يدفع العذاب من جملتهم الذي أوقعه بهم.** «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢، فالجملة الأخيرة تفسير لقوله السابق الذي ذكره الواحدي.

وشرح صاحب النظم المذهبين في قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ شرحًا شافيًا فقال: قوله[1]: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ أصحاب العربية اختلفوا في معنى هذه الكلمة وفي قولهم: ما لزيد قائمًا؟ فزعم بعضهم أن قولك: مالك وما لزيد؟ استفهام عن حال أنكرتها، فإذا قلت: ما لزيد قائمًا؟ فكأنك قلت: ما له في القيام؟ أي: أي شيء [له فيه من نفع أو غيره؟ وهذا وجه قول الزجاج[2]، قال: وقال بعضهم: إن قولك: (مالك)، مثل قولك: (لم)، وأصل (لم): (لما)، أي: لأي شيء][3] كان هذا؟ إلا أنهم إذا جعلوا (ما) مع حرف الصفة في موضع الاستفهام حذفوا ألف (ما) مثل قوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١] و﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣] و﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]

ثم إنهم قدموا (ما) وأخروا اللام، واللام[4] لا تقوم بنفسها إلا مضافة إلى شيء، فلما تأخرت ههنا أضافوها إلى[5] الاسم المستفهم عنه، فقالوا: مالك قائمًا؟ بمعنى: لم قمت؟ أو لم أنت قائم؟ واحتجوا بقوله تعالى: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ [ص: ٦٢] بمعنى: لم لا نرى رجالًا؟ فإذا أضفت اللام إلى المستفهم عنه لم يحتج إلى فعل لدلالة النعت بانتصابه على الفعل مثل قولك: مالك قائمًا؟ وإذا أضفت اللام إلى نفسك وأنت مستفهم فلابد من إظهار فعل يدل على الاستفهام مثل قولك: مالي أراك قائمًا؟، كما قال

---

(١) ساقط من (س).

(٢) يعني قول الزجاج في تفسير الآية: المعنى: أي شيء لهم في ترك العذاب، و«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) ساقط من (س).

(٥) ساقط من (ح).

تعالى: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]، ولا يجوز: مالي قائمًا؟ وأنت تريد أن تستفهم عن غيرك، فإن أنت[١] عنيت نفسك جاز، مثل قولك: مالي ضعيف؟ أي: لِمَ أنا ضعيف؟ فقوله ﷻ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يكون معناه على ما رتبنا: لم لا يعذبهم الله؟ إلا أن اللام منقولة عن موضعها إلى غيره[٢]، و(أن) في قوله: ﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ زيادة مقحمة[٣]، ألا ترى أنه قال في موضع آخر: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] بلا (أن)، وقال: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٤] فزاد (أن)، ومنه قول الشاعر[٤]:

مالك لا تذكر أم عمرو   إلا لعينيك غروب تجري

ولو قال: مالك أن لا تذكر كان (أن) زيادة.

---

(١) ساقط من (م) و(س).

(٢) سبق قول أبي علي الجرجاني: ثم إنهم قدموا (ما) وأخروا اللام واللام لا تقوم بنفسها إلا مضافة إلى شيء اهـ، وهو يعني هنا: أن اللام في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ﴾ نقلت عن موضعها وأخرت عن (ما) إذا الأصل: لِمَ، ثم أضيفت اللام إلى الاسم المستفهم عنه فصارت الكلمة: مالهم، ثم زيدت (أنَ)، فإذا أعدنا الكلمة إلى أصلها، وحذفنا الزيادة، صارت الجملة: لم لا يعذبهم.

(٣) ذهب الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٣٤٩ أيضًا إلى القول بزيادة (أن) وقد رد عليه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٧٥ بقوله: لو كان كما قال لرفع (يعذبهم) و(أن) في موضع نصب، والمعنى: وما يمنعهم من أن يعذبوا؛ فدخلت (أن) لهذا المعنى اهـ. والجدير بالتنبيه أن قول بعض النحاة عن شيء في كتاب الله: زيادة مقحمة، مما ينافي الأدب مع القرآن إذ العبارة توحي بأن هذا اللفظ مما لا فائدة له، والحق أنه ما من لفظ في كتاب الله إلا جيء به لمعنى، كالتوكيد أو الإشارة إلى معنى خفي.

(٤) لم يتبين لي من هو، والرجز بلا نسبة في «تهذيب اللغة» (غرب) ٣/ ٢٦٤٣. و«لسان العرب» (غرب) ٦/ ٣٢٢٨.

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾، الحراني[١] عن ابن السكيت[٢] قال: المكاء: الصفير، يقال: مكا يمكو مكْوًا ومُكوًّا[٣]: إذا جمع يديه ثم صفر فيهم[٤]. قال: والأصوات مضمومة إلا حرفين: النداء والغناء[٥].

هذا معنى المكاء في اللغة، ثم [يقال: مكت است الدابة تمكو مكاءً: إذا نفخت بالريح، ذكره أبو عبيد عن أبي زيد[٦]][٧] ويقال للطعنة إذا فهقت[٨]: مكت تمكو، قال عنترة:

---

(١) هو: عبد الله بن الحسن بن أحمد أبو شعيب الحراني، لغوي محدث مؤدب صدوق، لازم ابن السكيت مدة إحدى وعشرين سنة، وتوفي في بغداد سنة ٢٩٥هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ٤٣٥، و«إنباه الرواة» ٢/ ١١٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٥٣٦، و«البداية والنهاية» ١١/ ١٠٧.

(٢) هو: شيخ العربية يعقوب بن إسحاق بن يوسف البغدادي النحوي المشهور بابن السكيت، أخذ عن أبي عمرو الشيباني والأصمعي وأبي عبيدة والفراء وغيرهم، وكان حجة في العربية مع التدين والفضل، له نحو عشرين مصنفًا نافعًا، أشهرها «إصلاح المنطق»، توفي سنة ٢٤٤هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ١٤/ ٢٧٣، و«إنباه الرواة» ٤/ ٥٦، و«نزهة الألباء» ٢/ ١٣٨، و«بغية الوعاة» ٢/ ٥٤٩.

(٣) في «المشوف المعلم»: مكاءً. وانظر: «لسان العرب» (مكا) ٧/ ٤٢٥.

(٤) «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح» (م ك و) ٢/ ٧٣٠ مختصرًا، وهو كذلك في «تهذيب اللغة» (مكا) ٤/ ٣٤٣٢.

(٥) «تهذيب اللغة»، الموضع السابق.

(٦) المصدر السابق ٤/ ٣٤٣٢ بنحوه.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) في «لسان العرب» (فهق) ٦/ ٣٤٨٠: الفهق: اتساع كل شيء ينبع منه ماء أو دم، وطعنة فاهقة: تفهق بالدم.

تمكو فريصته كشدق الأعلم[١]

أراد: تصفر فريصته بالدم، قال الأصمعي: قلت لمنتجع بن نبهان[٢]: ما تمكو فريصته؟ فشبك أصابعه وجعلها على فمه ونفخ فيها[٣]، وأراد بالأعلم: البعير.

فأما المكاء: فهو (فعال) من مكا إذا صفر، وهو طائر يألف الريف، وجمعه المكاكي[٤]. وأما التصدية: فهو التصفيق، يقال: صدّى يصدي تصدية: إذا صفق بيديه، وأصله من الصدى وهو الصوت الذي يرد عليك الجبل، وأنشد ابن قتيبة[٥]:

ضنت بخدّ وجلت عن خدّ وأنا من غرو الهوى أصدّي[٦]

أي: أصفق بيدي من عجب الهوى.

---

(١) عجز بيت من معلقة عنترة وصدره:

وحليل غانية تركت مجدلًا

وهو في «ديوانه» ص٢٠٧، و«تفسير الطبري» ٩/ ٢٤٠، و«شرح القصائد السبع الطوال» ص٣٤٠.

(٢) هو: المنتجع بن نبهان الأعرابي، وهو من بني نبهان من طيّئ، لغوي أخذ عنه علماء زمانه، وأكثر عنه الأصمعي.

انظر: «طبقات النحويين واللغويين» ص١٥٧، و«إنباه الرواة» ٣/ ٣٢٣.

(٣) انظر: «شرح القصائد السبع الطوال» ص٣٤١.

(٤) في (ح): المكائي، وهو خطأ. ففي «الصحاح» (مكا) ٦/ ٢٤٩٥: المكاء: بالمد والتشديد: طائر، والجمع: المكاكي، والمكَاء: مخفف، الصفير.

وفي «لسان العرب» (مكا) ٧/ ٤٢٥: المكّاء: بالضم والتشديد: طائر في ضرب القنبرة إلا أن في جناحيه بلقًا، سمي بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيها صفيرًا حسنًا.

(٥) انظر: «غريب القرآن» ص١٩٠.

(٦) الرجز لبشار بن برد كما في «ديوانه» ٢/ ٢٢٢. وهو بلا نسبة في «غريب القرآن»

وقال أبو عبيدة: أصلها: تصددة، فأبدلت الياء من الدال، قال ومنه قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧] أي: يعجون[١]، وأنكر أبو جعفر الرستمي[٢] هذا القول على أبي عبيدة، وقال: إنما هو من الصدى وهو الصوت، فكيف يكون مضعفًا[٣].

وقال أبو علي: ليس ينبغي أن يقال هذا خطأ؛ لأنه قد ثبت بقوله ﴿يَصُدُّونَ﴾ وقوع هذه الكلمة على الصوت أو ضرب منه، وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون (تصدية) منه، فيكون[٤] (تفعلة) من ذلك، وأصله[٥]: تَصْددَه، مثل: (التحلة)[٦]، (والتعلّة)[٧]. ألا ترى أن أصلهما:

= لابن قتيبة ص١٩٠، و«زاد المسير» ٣/ ٣٥٣، وقد ترك ابن قتيبة بيتًا بين هذين البيتين ونصه كما في الديوان:

ثـم انـثـنـت كـالـنـفـس الـمـرتـد

وقد تحرف في الديوان قوله: غرو، إلى عرق، واحتار المحققان في توجيهه. والغرو: العجب، وغروت: عجبت، ويقال: لا غرو: أي ليس بعجب، انظر: «الصحاح» (غرا) ٦/ ٢٤٤٦.

(١) انظر: قول أبي عبيدة في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٦٢، ولم يذكره في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٦.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن يزديار بن رستم أبو جعفر النحوي الطبري، البغدادي، كان متصدرًا لإقراء النحو، ومؤدبًا لأولاد الوزير ابن الفرات، وصنّف عدة كتب وكان حيًّا عام ٣٠٤هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٥/ ١١٥، و«إنباه الرواة» ١/ ١٦٣، و«بغية الوعاة» ١/ ٣٨٧.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٦٢.

(٤) في المصدر السابق: فتكون. (٥) في المصدر السابق: أصلها.

(٦) التحلية: ما كفر به اليمين. انظر: «لسان العرب» (حلل) ٢/ ٩٧٥.

(٧) التعلة: ما يتعلل به، ومنه تعلة الصبي أي ما يعلل به ليسكت، المصدر السابق (علل) ٥/ ٣٠٧٩.

تحلله وتعلله، فلما قلبت الدال الثانية من (تصدده) تخفيفًا اختلف اللفظان[١]؛ فبطل الإدغام[٢].

قال[٣]: ويمكن أن تكون (التصدية) مصدرًا من (صدّ) إذا منع، من قوله[٤]:

صددت الكأس عنا أم عمرو

بنى الفعل منه على (فعّل) للتكثير على حد: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾[٥]، والمصدر من (فعّل) على (تفعيل) و(تفْعلة) إلا أن (تفعلة) في هذا كالمرفوض في[٦] مصدر التضعيف كأنهم عدلوا عنه إلى (التفعيل) نحو: التحقيق، والتشديد، والتخفيف، لما يكون فيه من الفصل بين المثلين في الحرف الذي بينهما، كما لم يجعلوا شديدة في النسب، كحنيفة وفريضة، وكما لم يجعلوا شديدًا وشحيحًا كفقيه وعليم في الجمع لما كان يلتقي من[٧] التضعيف، فعدلوا عنه إلى (أفعِلاء) و(أفعِلة) نحو: أشداء وأشحة؛ لما لم يظهر المثلان في ذلك، فلما خرج المصدر على ما هو مرفوع[٨] في هذا النحو أبدل من المثل الثاني الياء، وكأن التصفيق منع من المصفق

---

(١) في «سر صناعة الإعراب»: الحرفان.

(٢) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٧٦٢. (٣) يعني أبا علي الفارسي.

(٤) صدر بيت لعمرو بن كلثوم، وعجزه:

وكان الكأس مجراها اليمينا

انظر: «ديوانه» ص٦٥، و«كتاب سيبويه» ١/ ٢٢٢.

(٥) يوسف: ٢٣.

(٦) في «الحجة»: من. (٧) في «الحجة»: في.

(٨) هكذا في جميع النسخ، والصواب: مرفوض، بدلالة قوله السابق إلا أن (تفعلة) في هذا كالمرفوض وكما في «الحجة».

للمصفق به [وزجر له][(١)]، وفي الحديث: «**التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء**»[(٢)]، هذا كله كلام أبي علي[(٣)].

واختار الأزهري مذهب أبي عبيدة فقال: صدى: أصله صدد[(٤)]، فكثرت الدالات فقلبت إحداهن ياء، كما قالوا: قصّيت أظفاري، قال ذلك أبو عبيد[(٥)]، وابن السكيت[(٦)]، وغيرهما[(٧)]، قال: ومثل هذا قوله: ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس: ٦] أصله: تصدد، من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك[(٨)]. فقد صح إذن مذهب أبي عبيدة في هذا الحرف بموافقة الإمامين أبي عبيد وابن السكيت.

وأما التفسير فقال ابن عباس وابن عمر وعطية ومجاهد والضحاك وقتادة: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق[(٩)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) رواه البخاري (١٢٠٣، ١٢٠٤) «صحيحه» أبواب العمل في الصلاة، باب: التصفيق للنساء، ومسلم (٤٢٢) «صحيحه» كتاب الصلاة، باب: تسبيح الرجل وتصفيق المرأة.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٤٧-١٤٨.

(٤) في «تهذيب اللغة»: صد ويصدّد.

(٥) انظر: «لسان العرب» (صدد) ٤/ ٢٤١١.

(٦) انظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ص٥٠٣.

(٧) قال ابن سيده: التصدية: التصفيق والصوت، على تحويل التضعيف، ونظيره: قصيت أظفاري في حروف كثيرة، قال: وقد عمل فيه سيبويه بابًا، وقد ذكر منه يعقوب وأبو عبيد أحرفًا. «لسان العرب» (صدد) ٤/ ٢٤١٠.

(٨) «تهذيب اللغة» (صد) ٢/ ١٩٨٥. وقد تصرف الواحدي بعبارة الأزهري.

(٩) رواه عن المذكورين جميعًا ابن جرير ٩/ ٢٤٠-٢٤٣، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ٦٧٩٦.

قال ابن عباس: كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون[(١)].

وقال مجاهد: كانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف ويستهزءون به ويصفرون يخلطون عليه طوافه وصلاته[(٢)].

وقال مقاتل: كان إذا صلى رسول الله ﷺ في المسجد يقومون على يمينه ويساره بالصفير والتصفيق ليخلطوا عليه صلاته[(٣)]، وقال حسان يذكر ذلك ويذمهم به[(٤)]:

إذا قام الملائكة ابتعثتم صلاتكم التصدي والمكاء[(٥)]

فعلى ما ذكره مجاهد ومقاتل كان التصدية والمكاء إيذاء للنبي ﷺ، وعلى قول ابن عباس كان ذلك نوع عبادة لهم، واختار أبو إسحاق هذا [فقال: أعلم الله أنهم كانوا مع صدهم أولياء المسجد الحرام كان تقربهم إلى الله بالصفير والتصفيق[(٦)]][(٧)]، وهذا القول أشبه بظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ وكأنهم جعلوا ذلك صلاة لهم.

قال ابن عرفة[(٨)] وابن الأنباري: المكاء والتصدية ليسا بصلاة، ولكن

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢٤١، والثعلبي ٦/ ٥٩ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٥.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ٥٩ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٥، ورواه بمعناه ابن جرير ٩/ ٢٤٢، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧.

(٣) «تفسير مقاتل» ل١٢١ أ، وقد نقل الواحدي معنى قوله.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) البيت لحسان كما في «لسان العرب» (مكا) ٧/ ٤٢٥١ وليس في «ديوانه».

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢ مع تصرف يسير.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٨) هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة

الله تعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية][1] فألزمهم ذلك أعظم الأوزار، وهذا كقولك: زرت عبد الله فجعل جفائي صلتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلة فاستحق بذلك عيبي ولائمتي، وأنشد أبو بكر:

قلت[2] أطعمني عُميم تمرًا
فكان تمرك كهرة[3] وزبرًا[4]

أي: أقام الصياح عليّ مقام إطعامي التمر[5]، قال[6]: وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريد من السخاء عيبه فلا عيب له، وأنشد:

فتى كملت أخلاقه غير أنه
جواد فما يبقي من المال باقيا[7]

= الأزدي، المعروف بنفطويه، الإمام الحافظ النحوي، كان عالمًا بالحديث والعربية، مبرزًا في الفقه الظاهري، توفي سنة ٣٢٣هـ.
انظر: «طبقات النحويين واللغويين» ص١٥٤، و«إنباه الرواة» ١/ ٢١١، و«نزهة الألباء» ص١٩٤، و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٧٥.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٢) في (ح): (قلت له)، وفي (م): (فقلت).
(٣) في (ح): (نهرة).
(٤) لم أهتد لقائله.
(٥) انظر: قول ابن الأنباري مختصرًا في «تفسير البغوي» ٣/ ٣٥٥.
(٦) يعني ابن الأنباري، انظر: قوله هذا في «زاد المسير» ٣/ ٣٥٤.
(٧) البيت للنابغة الجعدي في رثاء أخيه، انظر: «ديوانه» ص١٧٣، و«كتاب سيبويه» ١/ ٣٦٧، و«الخزانة» ٣/ ٣٣٤.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، قال ابن عباس والحسن والضحاك وابن جريج وابن إسحاق: يريد عذاب السيف يوم بدر[١]، وقال بعضهم: يقال لهم في الآخرة: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم، ومُوقِع بكم ما أوقع يوم بدر، قاله ابن إسحاق[٣]، وقال مقاتل: فذوقوا العذاب ببدر بما كنتم تجحدون توحيد الله[٤].

٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية، قال سعيد بن جبير[٥]، وابن أبزى[٦]، ومجاهد[٧]، والحكم[٨] بن عتيبة[٩]:

---

(١) ذكره عنهم سوى ابن عباس ﷺ الماوردي ٢/ ٣١٦، وانظر قول ابن عباس في: «تنوير المقباس» ص١٨١، وانظر قول الضحاك وابن جريج في: «تفسير الطبري» ٩/ ٢٤٤، وقول ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٧.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي ٢/ ٣١٦، و«البحر المحيط» ٤/ ٤٩١.

(٣) نص عبارة ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٧: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون: أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

(٤) «تفسير مقاتل» ل١٢١ أ مع اختلاف يسير.

(٥) رواه ابن جرير ٩/ ٢٤٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧، وابن سعد وعبد بن حميد وأبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٤.

(٦) رواه ابن جرير، الموضع السابق، والثعلبي ٦/ ٥٩ ب.

(٧) رواه ابن جرير ٩/ ٢٤٥، وعبد بن حميد وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٤.

(٨) رواه ابن جرير، الموضع السابق، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧، والثعلبي ٦/ ٥٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٦.

(٩) في (ح) و(س): (عيينة)، وكذلك في «النكت والعيون» ٢/ ٣١٧، و«تفسير البغوي» ٣/ ٣٥٦، وفي «تفسير الثعلبي» ٦/ ٥٩ ب: عتبة، والصواب: عتيبة كما في «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٤٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٣٤: وهو: الحكم بن عتيبة -مصغر عتبة- أبو محمد الكندي الكوفي تابعي ثقة ثبت فقيه كان صاحب سنة وإتباع، =

نزلت في أبي سفيان وإنفاقه المال على حرب محمد ﷺ يوم أحد، وكان قد استأجر ألفين من أحابيش كنانة[١]. وقال مقاتل[٢] والكلبي[٣]: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثنى عشر رجلًا من كبار قريش[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [إن قيل: لم يعلموا أنها سبيل الله فكيف قيل: ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾][٥] قيل: إنهم قصدوا إلى الصد عنها وهي[٦] سبيل الله[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ أخبر أنهم ينفقون أموالهم، ثم قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ بمعنى: فسيقع الإنفاق الذي يكون حسرة بذهاب الأموال وفوت المراد، ونصر الله ﷻ المسلمين حتى يغلبوهم.

= وعبادة وفضل، وهو من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، توفي سنة ١١٥هـ أو قبلها. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٣٣١، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١١٧، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٠٨، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٦٧.

(١) هم: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وعقيل والديش والحيا والمصطلق. انظر: «المحبر» ص٢٦٧.

(٢) «تفسيره» ل١٢١ أ، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٠ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٦.

(٣) «تفسير الثعلبي»، والبغوي، الموضعين السابقين.

(٤) القول بنزول الآية في المطعمين يوم بدر أولى من القول بنزولها في المنفقين يوم أحد؛ لأن سورة الأنفال تتحدث على وجه العموم عن غزوة بدر، ولقول ابن عباس فيما رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٤٥) لما سئل عن سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر اهـ. وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالكفار في كل زمان ينفقون أموالهم ليصدوا عن دين الله، وليطفؤا نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وينصر أولياءه، ويخذل أعداءه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(س).

(٦) في (س): (وعن).

(٧) يعني أن غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يعلموا أنه =

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ خص الكفار ولم يقل: وإلى جهنم يحشرون؛ لأنه كان فيهم من أسلم[(١)].

٣٧- قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الآية فيها طريقان للمفسرين:

أحدهما: أن المراد بالخبيث والطيب[(٢)] في هذه الآية: الكافر والمؤمن، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي[(٣)] ومرة الهمداني[(٤)]، وعلى هذا (اللام) في قوله: (ليميز) متعلق بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ أي: إنما يحشرون إليها للميز بين المؤمن والكافر، قال الوالبي عن ابن عباس: ليميز أهل الشقاوة من أهل السعادة[(٥)]، وقال مُرّة: يميز المؤمن في علمه السابق الذي خلقه حيث[(٦)] خلقه طيبًا من الكافر الذي خلقه خبيثًا في علمه السابق[(٧)].

= كذلك، ويمكن أن يقال بأن زعمائهم كانوا يعلمون ذلك كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

(١) يعني سيسلم، وعبارة الثعلبي ٦/ ٦٠ أ: خص الكفار لأجل من أسلم منهم.

(٢) ساقط من (س).

(٣) سيذكر المؤلف روايته ورواية مرة.

(٤) هو: مرة بن شراحيل الهمداني أبو إسماعيل الكوفي، المفسر أدرك النبي ﷺ ولم يره، كان عالمًا كبير الشأن بصيرًا بالتفسير، توفي سنة ٧٦هـ أو قريبًا من ذلك. انظر: «طبقات ابن سعد» ٦/ ١١٦، و«حلية الأولياء» ٤/ ١٦١، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي ١/ ٦٧، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٧٤، و«طبقات المفسرين» للداودي ٢/ ٣١٧.

(٥) رواه بنحوه ابن جرير ٩/ ٢٤٦.

(٦) في «تفسير الثعلبي»: حين.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ٦٠ أ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، قال مرة: يلحق بعضهم ببعض فيجعلهم في جهنم[(١)]. وقوله تعالى: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾، قال الليث: الركم: جمعك شيئًا فوق شيء حتى تجعله ركامًا مركومًا كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض[(٢)].

قال المفسرون: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ أي: يجمعه حتى يصير كالسحاب المركوم فيجعله في جهنم[(٣)].

ووحد الخبر[(٤)] لتوحيد قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾.

وروى عطاء عن ابن عباس للآية معنى آخر على هذا الطريق وهو أنه قال في قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يريد أنه أخر أجل هذه الأمة إلى يوم القيامة، وكل أمة قبل أمة محمد إذا كذبوا نبيهم لم يؤخروا وعذبوا، فجعل الله ميقات هذه الأمة إلى يوم القيامة فقال: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ قال: يريد المؤمن والكافر، يريد أن في أصلاب الكفار مؤمنين، وكذلك يميزون يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩]، ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريد في جهنم يضيقها عليهم، ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ مثل ما يدرج الثوب، يريد: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾[(٥)] مثل قوله: ﴿فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] كما يسلك الخرز[(٦)] في الخيط، يريد يدخل من دبره ويخرج من حلقه

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «تهذيب اللغة» (ركم) ١٤٦٣/٢، والنص في كتاب «العين» (ركم) ٣٦٩/٥.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٠ ب، والبغوي ٣٥٦/٤، وبنحوه في «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٤٦-٢٤٧.

(٤) ساقط من (م).

(٥) الرحمن: ٤١، ونصها: فيؤخذ.

(٦) في (ح): (الخرزة).

ويجمع بين ناصيته وقدميه[١].

الثاني: أن المراد بالخبيث والطيب: نفقة الكافر على عداوة محمد ﷺ ونفقة المؤمن في جهاد المشركين، وهو قول الكلبي وابن زيد، واختيار أبي إسحاق[٢] وابن الأنباري[٣]، قال الكلبي: يعني العمل الخبيث من العمل الطيب فيثيب على الخبيث النار وعلى الطيب الجنة[٤].

وقال ابن زيد: يعني الإنفاق الطيب في سبيل الله من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، فتجعل نفقاتهم[٥] في قعر جهنم ثم يقال لهم: الحقوا بها[٦].

وقال أبو إسحاق: أي: ليميز ما أنفقه المؤمنون في طاعة الله مما أنفقه المشركون في معصية الله[٧].

قال أبو بكر[٨]: فإن قيل على هذا: فأي فائدة في إلقاء أموالهم في جهنم وهي لا تستحق تعذيبًا ولا تجد ألمًا[٩]؟

---

(١) ظاهر سياق المؤلف أن الكلام السابق من قوله. روى عطاء، إلى هنا من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ولم أجد من روى هذا الأثر أو بعضه، وقد سبق بيان أن رواية عطاء عن ابن عباس مفقودة، وهي موضوعة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤١٢.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٦٠ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٦، وذكره السمرقندي ٢/ ١٧.

(٥) في (ح): (نفاقهم)، وهو خطأ.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٦٠ أ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٥٦ دون قوله: فيجعل . . . إلخ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٢.

(٨) يعني ابن الأنباري، ولم أقف على قوله هذا.

(٩) في (ح): (إثمًا)، وهو خطأ.

فيقال: إن الله تعالى يجعل أموالهم الحرام في النار ليعذبهم بها، ويوصل الآلام إليهم من جهتها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٣٥]، وقد ذكر الزجاج هذا بعينه وقال في قوله: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ أي: يجعل ما أنفقه المشركون بعضه على بعض ويجعل ذلك عليهم في[1] النار فيعذبون به كما قال الله تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية[2].

قال أبو بكر: وجواب آخر وهو أن الله تعالى يدخل أموالهم جهنم[3] لتعزهم بها وافتخارهم بجمعها وأنه لا شيء كان أجلّ عندهم منها، فأراهم هوانها عليه، والحال الدنية التي أصارها إليه، قال: ويكشفه حديث النبي ﷺ: «**إذا كانت القيامةُ تزيَّنت الدُّنيا بأحسنِ هيئتها وتزخرفت بأجملِ زخارفها وقالت: يا ربِّ هبني لوليٍّ من أوليائك، فيقول الله تعالى: أنت أقل شأنًا عندي من ذلك، ثم يأمر بها إلى النار**»[4] فيرون أنه يفعل ذلك بها ليُري المؤثرين بها قلتها عنده وهوانها عليه.

قال: واللام في قوله: ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلقة بالكلام المتقدم ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ لكي يميز الله الخبيث من الطيب[5].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ يعني الذين كفروا وأنفقوا أموالهم في طاعة الشيطان هم الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم أنهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة.

---

(١) ساقط من (ح).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٣.
(٣) في (س): (إلى جهنم).
(٤) لم أعثر عليه في مظانه من كتب الترغيب والترهيب والموضوعات.
(٥) لم أقف على قول أبي بكر ابن الأنباري هذا.

٣٨- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [قال الكلبي][(١)]: يعني أبا سفيان وأصحابه[(٢)].

﴿إِن يَنتَهُواْ﴾، قال ابن عباس: يريد عن تكذيبك[(٣)] وعن الشرك بالله[(٤)]. وقال الكلبي: عن قتال محمد وأصحابه[(٥)].

﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ سلف: معناه في اللغة: تقدم، يقال: سلف يسلف سلوفًا، وأسلف في الشيء إذا قدم الثمن فيه، والسالفة: العنق لتقدمها على البدن، والسلافة من الخمر: أخلصها؛ لتقدمها بالتحلب من غير عصر[(٦)]، قال ابن عباس: ما قد سلف: يريد من الزنا والشرك والقتل والربا وكل مكروه[(٧)].

---

(١) ساقط من (س).

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٥٦، عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومن الجدير بالتنبيه أن البغوي أفاد في مقدمة «تفسيره» ١/ ٣٦: أن المراد بتفسير الكلبي هو ما رواه عن أبي صالح، عن ابن عباس. قلت: وقد تقدمت ترجمة الكلبي وبينت فيها أنه متروك متهم بالكذب، وقد مرض يومًا فقال لأصحابه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب.
انظر: «الإتقان» ٤/ ٢٣٩، و«التفسير والمفسرون» ١/ ٨١.

(٣) في (ح): (تكذيبهم).

(٤) رواه بنحوه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١، وذكره بمعناه دون نسبة الماوردي ٢/ ٣١٨، وابن الجوزي ٣/ ٣٥٧.

(٥) رواه الفيروز أبادي في الموضع السابق، بنحوه، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٦) في «تهذيب اللغة» (سلف) ٢/ ١٧٣٦: والسلافة من الخمر: أخلصها وأفضلها. وذلك إذا تحلب من العنب بلا عصر ولا مرث، وكذلك من التمر والزبيب ما لم يعد عليه الماء بعد تحلب أوله.

(٧) الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١بنحوه.

قال صاحب النظم: قوله: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ بالياء إنما جاز وحسن لأنه أمره بمخاطبة[١] قوم غيّب فقال: قل لهم ما يكون هذا معناه، ولو كان بالتاء لكان الأمر واقعًا على هذا اللفظ بعينه لأنه يكون حكاية[٢]، وقد ذكرنا مثل هذا في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢].

قال العلماء: وهذه الآية كقوله ﷺ: «**الإسلام يجب ما قبله**»[٣]، وإذا أسلم الكافر الحربي لم يلزمه قضاء شيء من العبادات البدنية والمالية، وما كان له[٤] من جناية على نفس أو على مال فهو معفو عنه، وهو ساعة إسلامه كيوم ولدته أمه[٥]، وما أظرف ما قال يحيى بن معاذ[٦] في هذه الآية: إن

---

(١) في (ح) و(س): (مخاطبة).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٣٠٠، ولم ينسبه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥ بلفظ: «**فإن الإسلام يجب ما كان قبله**»، ورواه مسلم في «صحيحه» (١٩٢) كتاب الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله بلفظ: «**إن الإسلام يهدم ما كان قبله**».

(٤) من (م).

(٥) انظر: كتاب «الأم» للشافعي ٦/ ٥٤، و«شرح صحيح مسلم» للنووي ٢/ ١٣٨، و«تفسير القرطبي» ٧/ ٤٠٢، وقد ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٣١٩ الإجماع على ذلك، قلت: ويدل عليه ما رواه مسلم (١٢٠) «صحيحه» كتاب: الإيمان، باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية، عن عبد الله، قال: قلنا: يا رسول الله: أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية**»، وروى أيضا (١٢١) كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، عن ابن عباس؛ أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمدًا ﷺ ... إلخ، وذكر الحديث وفيه بيان لعفو الله عنهم.

(٦) هو: يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، من كبار العباد، وأئمة الزهاد، له مواعظ مشهورة، وكلمات تجري مجرى الحكم، وكان حكيم زمانه، وواعظ عصره، =

توحيدًا لم يعجز عن هدم[(١)] ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾، قال ابن عباس: يريد: إلى تكذيبك[(٣)]، وقال الكلبي: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ لقتالك ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بنصر الله رسله ومن آمن على من كفر[(٤)]، وقال قتادة: مضت السنة من الله في الأولين من الأمم بنصر الله الرسل، ومضت السنة مثل ذلك في هذه الأمة يوم بدر[(٥)]، وهو كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١] وكقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافت: ١٧١] الآيات.

= توفي سنة ٢٥٨هـ. انظر: «صفة الصفوة» ٤/ ٨٣، و«العبر» ١/ ٣٧١، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٥، و«البداية والنهاية» ١١/ ٣١.

(١) في (ح): (حمل)، وهو خطأ فاحش.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٦، وابن الجوزي ٣/ ٣٥٧.
قلت: هذا الرجاء بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فهدم التوحيد لما بعده من ذنب معلق بمشيئة الله، أما الجزم به لكل موحد فهو منقوض بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، ومن السنة الأحاديث الدالة على تعذيب الزناة ومانعي الزكاة ونحوهم، وكذلك الأحاديث الدالة على إخراج الموحدين من النار بعد عذاب طويل.
انظر: «معارج القبول» ٢/ ٤٢٢-٤٢٥.

(٣) لم أقف عليه، وفي معناه نظر؛ لأن لفظة (يعودوا) تتضمن الرجوع إلى حالة تحوّل عنها الإنسان، وهم لم ينفكوا عن التكذيب والكفر. انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٣٠٠.

(٤) ذكره باختصار السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ١٨، ورواه بنحوه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٥) رواه بنحوه ابن جرير ١٥/ ٢٤٧ [طبعة الحلبي].

وقال السدي وابن إسحاق: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بنصر الله الرسل، والمؤمنين يوم بدر[١].

٣٩- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وابن زيد وابن إسحاق: (أي شرك)[٢]، وقال الربيع: حتى لا يفتن مؤمن عن دينه[٣]، وقال عروة بن الزبير: كان المؤمنون يفتنون عن دين الله في أول ما دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وآمنت به طائفة فكانت فتنة شديدة، فافتتن من افتتن، وعصم الله من شاء، وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة، وفتنة ثانية وهي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة[٤] توامرت[٥] قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم فأصاب المؤمنين جهد شديد؛ فأنزل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[٦].

---

(١) لم أجده عنهما بهذا اللفظ. وقد روى ابن جرير ٩/ ٢٤٨ قول السدي بلفظ: فقد مضت سنة الأولين، من أهل بدر، ونص قول ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٨: فقد مضت سنة الأولين، أي من قتل منهم يوم بدر.
ثم إن في عبارة المؤلف قلق، ولعل الصواب: كيوم بدر.

(٢) انظر: أقوال المذكورين سوى ابن إسحاق، في «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٤٨-٢٤٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠١، وابن كثير ٢/ ٣٤١، وانظر: قول ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٨.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٦١ أ، والبغوي ٣/ ٣٥٧.

(٤) في (س): (يوم العقبة).

(٥) توامرت: لغة غير فصيحة في تآمرت، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (أمر) ١/ ٦٦، و«لسان العرب» (أمر) ١/ ١٢٩.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢٥٠، وقد ذكر المؤلف قول عروة بمعناه مع تصرف وزيادات.

قال الزجاج: أي حتى لا يفتنوا[١] الناس فتنة كفر، ويدل على أن معنى ﴿فِتْنَةٌ﴾: كفر: قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[٢].

قال أهل المعاني: وإنما كان الكفر فتنة لأنه يخلّص صاحبه بالفساد الذي ظهر منه ممن يجب أن يتولى على ظاهره[٣]؛ إذ أصل الفتنة: تخليص الشيء من غيره، من قولهم: فتنتُ الذهب في النار: إذا خلصته من الغش الذي كان فيه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، قال ابن عباس: يريد: الدين الذي أرسلتَ به دينًا حنيفيًا[٥]، وقال الربيع: ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد[٦]، وقال ابن زيد: لا يكون مع دينكم كفر[٧].

(١) في «معاني القرآن وإعرابه»: يفتن. (٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٣.

(٣) يعني أن الكفر يميز ويفصل بين الكافر الذي تحرم موالاته وبين المؤمن أو المنافق الذي يجب أن يتولى على ظاهره، ويوكل باطنه إلى الله تعالى.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، وقد رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١، بلفظ: حتى لا يبقى إلا دين الإسلام، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠١، بلفظ: يخلص التوحيد لله ﷻ، ورواه ابن جرير ٩/ ٢٤٨ بلفظ: حتى لا يكون شرك.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٦١ أ، ورواه ابن جرير ٩/ ٢٤٨-٢٤٩ بنصه لكن عن ابن جريج، والنص نفسه مذكور في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٨ قولًا لابن إسحاق، وقد رجح محمود شاكر في تعليقه على رواية ابن جريج أن القول لابن إسحاق وأن في «تفسير ابن جرير» سقطًا ولا دليل على هذا الترجيح إذ لا مانع أن يكون القول لأحد الثلاثة ثم يعتمده غيره فيعتبر قولًا له، وبما أن الرجال الثلاثة كانوا في عصر واحد (توفي الربيع بن أنس عام ١٤٠هـ أو قبلها، وتوفي ابن إسحاق وابن جريج عام ١٥٠هـ أو بعدها) فإنه يتعذر معرفة السابق بالقول.

(٧) رواه ابن جرير ٩/ ٢٤٩.

قال أهل العلم: أمر الله تعالى بالقتال إلى أن يعم الإسلام الدنيا كلها، ولا يبقى على وجه الأرض كافر، فتكليف القتال ممدود إلى هذا الميعاد[1]، لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣].

---

(١) انظر: «الأم» ٤/ ٢٤١، و«أحكام القرآن» للشافعي ص٤٦، و«تفسير أبي الليث السمرقندي» ٢/ ١٨، وهو قول فيه نظر لدلالة الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، فجعل تكليف القتال ممدودًا حتى إعطاء الجزية لا الإسلام، وأما السنة فأحاديث أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس، ومنها: ما رواه مسلم في «صحيحه» (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء ضمن وصية رسول الله ﷺ لأمراء الجيوش والسرايا، وفيها: «.. **ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم .. فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**»، قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ..**» الحديث: فإن قيل: مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد، فكيف ترك قتال مؤدي الجزية والمعاهد؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: دعوى النسخ بأن يكون الإذن بأخذ الجزية وإلغاء المعاهدة متأخرًا عن هذه الأحاديث.

ثانيها: أن يكون من العام الذي خص منه البعض.

ثالثها: أن يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله: «**أقاتل الناس**» أي المشركين من غير أهل الكتاب، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ: «**أمرت أن أقاتل المشركين**».

رابعها: أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها: التعبير عن إعلاء كلمة الله وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتال، وفي بعض بالجزية، وفي بعض بالمعاهدة.

خامسها: أن يكون المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها.

سادسها: أن يقال: الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام؛ وسبب السبب سبب، فكأنه قال: حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الإسلام، وهذا أحسن. «فتح الباري» ١/ ٧٧ باختصار. وبمثل هذا توجه الآية، والله أعلم.

ومنهم من قال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ يعني في جزيرة العرب لا يعبد غير الله[١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قال ابن عباس: يريد: عالم بمن ينتهي، بصير بأعمالهم[٢]، والمراد بالانتهاء ههنا: عن الشرك، لا عن القتال؛ لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال كان فرضًا على المؤمنين قتالهم[٣].

قال أهل المعاني: فإن انتهوا فإن الله يجازيهم مجازاة البصير بهم[٤]، وبأعمالهم لا يخفى عليه شيء منها[٥]، وقال صاحب النظم: قوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ راجع [بالمعنى إلى قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا﴾ ثم اعترض قولٌ سواه فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ ثم][٦] رجع إلى ما قبله فقال: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾.

٤٠- قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾، قال ابن عباس: يريد عن الإيمان[٧]، وقال الكلبي: أبوا أن يَدَعُوا الشركَ[٨] وقتال محمد[٩].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» ٥/ ٣٠٢، و«تفسير الفخر الرازي» ١٥/ ١٦٤.
(٢) رواه بمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨١.
(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ٢٤٨-٢٥٠، فقد ذهب إلى هذا القول وردّ على من قال إن المراد الانتهاء عن القتال.
(٤) ساقط من (ح).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م).
(٧) «تنوير المقباس» ص١٨١.
(٨) في (ح): (إلى الشرك)، وهو خطأ يخل بالمعنى.
(٩) لم أقف عليه.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ [قال ابن عباس: يريد ناصركم يا معشر المؤمنين[١]، وقال الزجاج: المعنى: فإن أقاموا على كفرهم وعداوتكم[٢] ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾][٣] أي: هو الموالي[٤] لكم، ولا تضركم معاداتهم[٥].

وهذا تطييب لنفوس المؤمنين عند إعراض الكافرين بأن العاقبة لهم، ودائرة السوء[٦] على عدوهم؛ لأن الله ناصرهم ومعينهم.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية، الغنم: الفوز بالشيء، يقال: غنم يغنم غنمًا فهو غانم.

والغنيمة في الشريعة: ما أُوجف عليها بالخيل والركاب من أموال المشركين، وأُخذ قسرًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم﴾، قال الكسائي والفراء: (فأن) منصوبة مردودة على قوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ بمنزلة قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ﴾ [الحج: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ﴾ [التوبة: ٦٣][٨].

واتفق فقهاء الأمة على أن أربعة أخماس الغنيمة للغانمين الذين

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨١.
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه»: عداوتهم.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (س).
(٤) في (ح) و(س): (المولى)، وما أثبته موافق للمصدر.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣١٤.
(٦) في (ح): (دائر بالسوء).
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (غنم) ٣/ ٢٧٠٣.
(٨) انظر: قول الفراء في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٤١١، وقد ذكره المؤلف بمعناه.

باشروا القتال، للفارس عند الشافعي ثلاثة أسهم وللراجل سهم[١]، وعند أبي حنيفة وأهل العراق للفارس سهمان وللراجل سهم[٢].

وأما الصبيان والعبيد والنساء وأهل الذمة إن خرجوا بإذن الإمام فلهم الرضخ[٣] على ما يرى الإمام، والصحيح أن الرضخ من رأس الغنيمة[٤].

وهذا الذي ذكرناه لم يتناوله لفظ الآية، غير أنه لابد من ذكره في معرفة كيفية قسم الغنيمة، والذي ذكر في الآية هو الخمس الباقي؛ لأن الغانمين إذا أخذوا أربعة أخماس بقي خمس واحد.

واختلفوا في هذا الخمس وفي مصرفه، فقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾،

---

(١) انظر تفصيل مذهب الإمام الشافعي في: كتاب «الأم» ٤/ ١٩٠، و«حاشية الجمل على شرح المنهج» ٤/ ٩٥، وبمثله قال الإمام أحمد وأكثر أهل العلم كما في «المغني» ١٣/ ٨٥.

(٢) قال السرخسي في «المبسوط» ١٠/ ٤٠: إذا قسم الغنيمة ضرب للفارس بسهمين وللراجل بسهم في قول أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- وهو قول أهل العراق، وفي قولهما -يعني أبا يوسف ومحمد بن الحسن- والشافعي -رحمهم الله تعالى- يضرب للفارس بثلاثة أسهم وهو قول أهل الشام وأهل الحجاز. وانظر أيضا: «بدائع الصنائع» ٩/ ٤٣٦٤.

(٣) الرضخ: العطية أو العطية القليلة.
انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (رضخ) ٢/ ٢٢٨، و«لسان العرب» (رضخ) ٣/ ١٦٥٨، وعرّفه الفقهاء بأنه: ما دون السهم لمن لا سهم له من الغنيمة، انظر: «حاشية الروض المربع» ٤/ ٢٧٨.

(٤) رجح شيخ الإسلام الأنصاري في «شرح المنهج» أن الرضخ يؤخذ من الأخماس الأربعة لا من رأس الغنيمة، انظر: «حاشية الجمل على شرح المنهج» ٤/ ٩٥. وهما قولان للشافعي، ووجهان في مذهب الإمام أحمد. انظر: «المغني» ١٣/ ٩٩.

قال الحسن[(١)]، وقتادة وعطاء وإبراهيم: هذا افتتاح كلام[(٢)]، قال الزجاج: ومعنى افتتاح كلام: أن الأشياء كلها لله ﷻ فابتدأ وافتتح الكلام بأن قال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[(٣)] كما قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(٤)].

---

(١) المراد هنا وفي الموضعين التاليين: الحسن بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، كما في «سنن النسائي» كتاب: قسم الفئ، باب: قسم الفيء ٧/ ١٣٣، و«المصنف» لعبد الرزاق ٥/ ٢٣٨، و«المستدرك» للحاكم ٢/ ١٢٨، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣، وهو من أئمة التابعين وعلماء أهل البيت، توفي سنة ١٠٠هـ أو قبلها. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ١٣٠.

(٢) رواه عنهم ابن أبي حاتم ٥/ ٣٠٩، والثعلبي ٦/ ٦١ ب، والبغوي ٣/ ٣٥٧، ورواه ابن جرير بهذا اللفظ عن الحسن بن محمد بن الحنفية ١٠/ ٣، وهو مراد الواحدي لا الحسن البصري، كما رواه ابن جرير عن البقية بمعناه ١٠/ ٣.

(٣) فسر ابن جرير معنى قول المفسرين: هذا افتتاح كلام بعبارة أوضح من عبارة الزجاج حيث قال عند تفسير قول الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]: فبدأ -جل ثناؤه- بنفسه، تعظيمًا لنفسه وتنزيهًا لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها، كما سن لعباده أن يبدؤا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره، مؤدبًا خلقه بذلك، واعترض بذكر الله وصفته على ما بينت كما قال جل ثناؤه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ افتتاحًا باسمه الكلام اهـ «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣ باختصار، وبه يتبين أن معنى: افتتاح كلام، أي افتتاح الكلام بذكر الله، وابتداء باسمه على سبيل التعظيم والتبرك كالبسملة. وقال الحافظ في «فتح الباري» ٦/ ٢١٨: أجمعوا على أن اللام في قوله تعالى: ﴿لله﴾ للتبرك إلا ما جاء عن أبي العالية.

(٤) الأنفال: ١. وإلى هنا انتهى كلام الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٤، وفي النسخة التي اعتمد عليها المحقق خطأ في قوله: بأن قال (فأن لله) حيث كتبه الناسخ هكذا: فإن قال قائل (فإن لله......) إلخ .وظن المحقق أن ذلك شرط وأن =

وهذا مذهب الشافعي[١]، وهو رواية الضحاك عن ابن عباس[٢]، ومثله روى عطاء عنه؛ لأنه قال: يريد الخمس الذي لله[٣] هذا مواضعه، يعني من ذكر بعد قوله ﴿لله﴾[٤] وهؤلاء جعلوا قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ ترتيبًا لافتتاح الكلام، والمعنى: فأن للرسول خمسه [ولمن ذكر بعده، فجعلوا سهم الله وسهم الرسول واحد.

وقال الربيع وأبو العالية: قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾][٥] ليس لافتتاح الكلام، وله معنى صحيح وهو أن رسول الله ﷺ كان يضرب يده في هذا الخمس فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة، وهو الذي يسمى لله[٦]، فعلى قولهما يكون لله تعالى سهم في خمس الغنيمة وهو للكعبة.

= جواب لم يذكر. والصواب ما ذكره الواحدي.

(١) يعني أنه لا يجعل لله نصيبًا معينًا. انظر: «الأم» للشافعي ٤/ ٢٠٧، ونصه: (لله) مفتاح كلام، كل شيء له، وله الأمر من قبل ومن بعد.

(٢) رواها ابن جرير ١٠/ ٣، والثعلبي ٦/ ٦١ ب، وفي سند ابن جرير: نهشل بن سعيد بن وردان، متروك وكذّبه إسحاق بن راهويه، كما في «التقريب» ص٥٦٦ (٧١٩٨).

(٣) اللفظ ساقط من (ح).

(٤) اللفظ ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (ح).

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ٤، وأبو عبيد في كتاب «الأموال» ص٢١، عن أبي العالية، ورواه الثعلبي ٦/ ٦١ ب، عنه أيضًا وعن الربيع بن أنس، وهو حديث مرسل، ورواه ابن المنذر بمعناه عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٦، وقد ضعف هذا القول ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٤، وذكر أنه مخالف لاتفاق أهل العلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ اختلفوا في سهم الرسول من الخمس فقال جماعة من المفسرين منهم إبراهيم[(١)]، وعطاء[(٢)]، والحسن[(٣)]، وقتادة[(٤)]: كان النبي ﷺ يحمل سهمه من الخمس ويصنع فيه ما شاء، وكان له خمس الخمس.

وقال ابن عباس: لم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئًا بل جعل سهمه من الخمس لذوي القربى، قال: كان الخمس يقسم على أربعة فربع لله وللرسول ولذوي القربى، فما كان لله وللرسول فهو لذوي القربى[(٥)].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٦١ ب، وبمعناه ابن جرير ١٠/ ٣.

(٢) رواه النسائي في «السنن»، كتاب قسم الفيء ٧/ ١٣٢، وابن جرير ١٠/ ٣، والثعلبي ٦/ ٦١ ب.

(٣) هو: ابن محمد بن الحنفية، وقد رواه بنحوه الثعلبي في الموضع السابق، وبمعناه عبد الرزاق في «المصنف» كتاب الجهاد، باب: ذكر الخمس ٥/ ٢٣٨، والنسائي في المصدر السابق، الصفحة التالية، وابن جرير ١٠/ ٧، ولفظهم: فأن لله خمسه وللرسول وذي القربى، قال: هذا مفتاح كلام، ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ .. .. إلخ.

(٤) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٤، والثعلبي ٦/ ٦١ ب.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٤، بلفظ مقارب وكذلك الثعلبي ٦/ ٦١ ب، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٦، أيضًا إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

أقول: قول ابن عباس هذا مخالف لقول رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس ليس لي من هذا الفيء مثل هذا إلا الخمس، والخمس مردود فيكم**» .رواه أبو داود (٢٧٥٦) كتاب الجهاد، باب: في الإمام يستأثر بشيء من الفيء، وأحمد ٢/ ١٨٤ فالنبي ﷺ لم يخص بسهمه ذوي القربى.

ومذهب الشافعي: أن الخمس يقسم على خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله يصرف إلى مصالح المسلمين، والأهم السلاح والكراع[(١)]، قال الزجاج: ويرى الشافعي في سهم رسول الله ﷺ أن يصرف في مثل ما كان يصرفه فيه، والذي يروى: أنه كان يصرف الخمس في عدة المسلمين[(٢)] نحو: اتخاذ السلاح الذي تقوى به شوكتهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال مجاهد: هم بنو هاشم[(٤)]، وقال الشافعي ﷺ: هم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة[(٥)] دون سائر قريش، يقسم

(١) انظر: كتاب «الأم» ٤/ ١٩٦ ولفظه: والذي أختار أن يضعه الإمام في كل أمر حصن به الإسلام وأهله، من سد ثغر، وإعداد كراع أو سلاح، أو إعطاء أهل البلاء في الإسلام.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» (٢٩٠٤) كتاب الجهاد، باب: المجن، ومسلم في «صحيحه» (١٧٥٧) كتاب الجهاد، باب حكم الفيء عن عمر قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، عدة في سبيل الله.
والكُراع: اسم للخيل أو للسلاح أو لهما كما في «اللسان» (كرع) ٧/ ٣٨٥٨، وروى ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٧ عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يجعل سهم الله في السلاح والكراع وفي سبيل الله، ويجعل سهم الرسول في الكراع والسلاح ونفقة أهله.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٤، وقد تصرف الواحدي في العبارة.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٦٢ أ، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ٦، ولمجاهد رواية أخرى بأن ذوي القربى هم قرابة النبي ﷺ الذين لا تحل لهم الصدقة. انظر: «سنن النسائي» ٧/ ١٣٤، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٦، والرواية الأولى مردودة لحديث جبير بن مطعم الآتي.

(٥) ساقط من (ح).

سهم خمس الخمس حيث كانوا للذكر مثل حظ الأنثيين[(١)]، وهم الذين حرمت عليهم الصدقات المفروضات، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أغناكم عن أوساخ الناس بهذا الخمس»**[(٢)].

واحتج الشافعي بما روى الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن جبير ابن مطعم[(٣)] قال: لما قسم رسول الله ﷺ سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم والمطلب، مشيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة[(٤)]، فقال: **«إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد»**، ثم شبك رسول الله ﷺ إحدى يديه بالأخرى[(٥)].

---

(١) انظر: كتاب «الأم» ٤/ ١٩٦، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٢ أ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (١٠٧٢) كتاب الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة بلفظ: **«إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس»**، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٧ بلفظ: **«رغبت لكم عن غسالة الأيدي؛ لأن لكم في خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم»**.

(٣) هو: جبير بن مطعم بن عدي بن عبد مناف بن قصي، شيخ قريش في زمانه، كان من الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة وكان موصوفًا بالحلم ونبل الرأي مع الشرف، توفي سنة ٥٩هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٢٣ (٢٢٧٤)، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٩٥، و«الإصابة» (١٠٩١).

(٤) يعني أن عثمان من بني عبد شمس، وجبير من بني نوفل، وعبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب جميعهم بنو عبد مناف. انظر: «السيرة النبوية» ٢/ ٥٩.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٤٠) كتاب الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس للإمام مختصرًا، ورواه النسائي في «سننه» كتاب قسم الفيء ٧/ ١٣١، وأحمد في «المسند» ٤/ ٨١ مع اختلاف يسير.

وقال بعضهم: هم قريش كلها[١].

واختلفوا في سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى [بعد موت رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا مذهب الشافعي فيه، وهو أن سهم الرسول يجعل اليوم في مصالح المسلمين، وسهم ذي القربى][٢] يقسم بينهم، وقال ابن عباس والحسن: يجعلان في الخيل والسلاح والعدة في سبيل الله[٣]، وكذلك روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: أنهما كانا يجعلان سهم رسول الله ﷺ في الكراع والسلاح[٤]، وهذا حجة الشافعي[٥]، وقال أهل العراق -وهو مذهب أبي حنيفة-: سهم الرسول وسهم ذوي القربى مردودان على الخمس،

---

(١) رواه أبو عبيد في كتاب «الأموال» ص٤١٨ (٨٥١)، وابن جرير ١٠/ ٦، عن ابن عباس قال: كنا نقول: إنا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى. وأصل الحديث في «صحيح مسلم» كتاب الجهاد، باب: النساء الغازيات يرضخ لهن، دون قوله (وقالوا: قريش ..) إلخ. وقد تفرد برواية هذه الجملة أبو معشر وفيه ضعف كما في «التقريب» ص٥٥٩ (٧١٠٠)، و«أضواء البيان» ٢/ ٣٦٣، وقد أخذ بهذا الرأي الفقيه أصبغ الأموي كما في «فتح الباري» ٦/ ٣٤٦.

(٢) ساقط من (س).

(٣) رواه عنهما ابن جرير ١٠/ ٦، والثعلبي ٦/ ٦٢ أ، ورواه أيضًا عن الحسن بن محمد، النسائي في «سننه» ٧/ ١٣٣، وعبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٢٣٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٢٨، وأبو عبيد في كتاب «الأموال» ص٤١٦ (٨٤٧)، وفي سند أثر ابن عباس نهشل بن سعيد وهو متروك، كما في «التقريب» ص٥٦٦ (٧١٩٨).

(٤) رواه الشافعي في كتاب «الأم» ٤/ ١٧٨، عن مالك بن أوس، ورواه النسائي في «سننه» ٧/ ١٣٣، كتاب: قسم الفيء، وعبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٢٣٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٢٨، وابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٦، عن الحسن بن محمد، ورواه أيضًا ابن جرير ١٠/ ٧، عن ابن عباس بمعناه.

(٥) انظر: كتاب «الأم» ٤/ ١٧٨.

والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم: على اليتامى والمساكين وابن السبيل[(١)].

وقول: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[(٢)]: وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾[(٣)]، قال ابن عباس: يريد: المحتاجين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، قال ابن عباس: هو الفقير الضعيف[(٤)] الذي ينزل بالمسلمين[(٥)]، وقال عطاء عنه: يريد عابر السبيل[(٦)].

وقال أهل المعاني: كل من مات أبوه وهو صغير فهو يتيم، ولا يتم بعد البلوغ، وكل ولد يتيم من قبل أمه إلا الإنسان فإنه يتيم من قبل أبيه[(٧)].

وابن السبيل: المنقطع في سفره، وإنما قيل: ابنه، بمعنى[(٨)] أنه أخرجه إلى هذا المستقر[(٩)] لَقىً[(١٠)] محتاجًا كما يخرجه أبوه إلى مستقره من الدنيا لقىً محتاجًا.

---

(١) انظر: كتاب «المبسوط» ٥/ ٩، ١٠، و«بدائع الصنائع» ٩/ ٤٣٦٢.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (ح): (واليتامى وابن السبيل)، وهو خطأ.

(٤) هكذا. وانظر: التعليق الآتي.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٦٣ أ بهذا اللفظ، ورواه أبو عبيد في كتاب «الأموال» ص٤٠٨ (٨٣٥)، وابن جرير ١٠/ ٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٦ بلفظ: الضيف الفقير .. إلخ. وبهذا يتبين أن التصحيف كان في رواية الثعلبي واعتمدها الواحدي.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (يتم) ٤/ ٣٩٧٣.

(٨) في (ح): (لمعنى).

(٩) في (ح): (السفر).

(١٠) في «مجمل اللغة» (لقى) ٣/ ٨١١: اللَّقى: الشيء الملقى الطريح، وفي «لسان العرب» (لقا) ٧/ ٤٠٦٦: اللقى: كل شيء مطروح متروك.

والمسكين[١]: المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني.

ومذهب الشافعي ﷺ في القسم بين[٢] هؤلاء، قال أبو إسحاق: لا يرى الشافعي أن يترك صنفًا من هذه الأصناف بغير[٣] حظ في القسمة، ويرى أن يفضل بعضهم على بعض على قدر الحاجة[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، قال أبو إسحاق: يجوز أن تكون (إنْ) معلقة بقوله: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: أيقنوا أن الله ناصركم[٥] إذ كنتم قد شاهدتم من نصره ما شاهدتم[٦]، قال: ويجوز أن يكون المعنى[٧]: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ يأمران فيه بما يريدان ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ أي: فاقبلوا ما أمرتم به في الغنيمة[٨].

---

(١) ساقط من (م).

(٢) في (ح): (عن). (٣) في (ح): (لغير).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٤، وانظر: كتاب «الأم» ٤/ ١٩٦.

(٥) في «معاني القرآن»: نصركم.

(٦) اختصر الواحدي عبارة الزجاج فخفي المعنى، ونص عبارته: يجوز أن تكون (إن كنتم) معلقة بقوله: ﴿فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾، ﴿إن كنتم أمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ فأيقنوا أن الله نصركم إذ كنتم قد شاهدتم من نصره ما شاهدتم. «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٦، والمعنى: اعلموا أن الله مولاكم وناصركم إن كنتم آمنتم به وبما أنزل على عبده.

(٧) نص عبارة الزجاج: ويجوز أن يكون: (إن كنتم آمنتم بالله) معناها: اعلموا . . إلخ.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٤١٦، وهذا هو القول الراجح؛ لأنه المناسب للسياق الموافق لغرض الآية وهدفها، بل قال ابن عطية ٦/ ٣١٣: هذا هو الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ يعني الملائكة الذين نصر بهم النبي ﷺ يوم بدر في معنى قول الزجاج[(١)]، وفي معنى قول مقاتل[(٢)]: يعني ما أنزل عليه في شأن الغنيمة يوم بدر، وهو قوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [الأنفال: ١] الآية؛ لأنه قال: يريد إن كنتم آمنتم بالله فأقرّوا بحكمي وما أنزلت على النبي في الغنيمة يوم الفرقان.

والذي أنزل عليه يوم الفرقان قوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾، ويجوز أن يكون المعنيّ[(٣)] بالإنزال هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾، قال ابن عباس: يريد النبي ﷺ ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: يريد اليوم الذي فرقت فيه بين الحق والباطل وهو يوم بدر[(٤)].

وقال الزجاج: لأن الله أظهر فيه من نصره بإرداف الملائكة والإمداد بهم المسلمين[(٥)] ما كان فيه فرقان بين الحق والباطل[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، قال ابن عباس: يريد حزب الله

---

(١) لم أجد في كلام الزجاج ما يمكن أن يفهم منه ما ذكره المؤلف إلا قوله: وقوله جل وعز: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: هو يوم بدر؛ لأن الله ﷻ أظهر فيه من نصره بإرداف الملائكة، والإمداد بهم للمسلمين ما كان فيه فرقان بين الحق والباطل.
«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٦، ولم يرد للملائكة ذكر في «تفسير الزجاج» لقوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ وقد سبق ذكره في التعليق على قول الزجاج الأسبق.

(٢) يعني ابن حيان، وقد روى قوله ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٦، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٣٩.

(٣) في (س): (الغنيمة)، وهو خطأ.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٨٢ بنحوه.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه»: للمسلمين.

(٦) المصدر السابق: ٢/ ٤١٦.

وحزب الشيطان[١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قال: يريد: قدير على نصركم وأنتم أقلة[٢] وأذلة[٣].

٤٢- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يجوز أن تتعلق (إذ) بمضمر معناه: واذكروا إذ أنتم، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦] فأضمر ههنا، ويجوز أن تتعلق بالمصدر الذي هو (الفرقان) في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ المعنى: يوم فرق الله بين الحق والباطل إذ أنتم بهذا الموضع.

وأما العدوة: فقال ابن السكيت: عِدوة الوادي وعُدوته: جانبه والجمع عِدىً وعُدَى[٤]، وقال الليث: العُدوة: صلابة من شاطئ الوادي ويقال: عِدوة[٥].

وقرئ باللغتين جميعًا[٦].

قال الأخفش: الكسر كلام العرب، لم يسمع منهم غير ذلك[٧]، قال أحمد بن يحيى: الضم في العُدوة أكثر اللغتين[٨].

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٢ بمعناه.

(٢) في (ح): (قلة).

(٣) «تنوير المقباس» ص١٨٢بمعناه.

(٤) «تهذيب إصلاح المنطق» ص٢٩٥، و«تهذيب اللغة» (عدا) ٣/ ٢٣٤٨.

(٥) «تهذيب اللغة» (عدا) ٣/ ٢٣٤٨، والنص في كتاب «العين» (عدو) ٢/ ٢١٦.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر العين، والباقون بضمها.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٦، و«تحبير التيسير» ص١١٨.

(٧) «الحجة» ٤/ ١٢٩، و«تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٣٦١، والفخر الرازي ١٥/ ١٦٧، وأبي حيان ٤/ ٤٩٩، وهو مخالف لقوله في «معاني القرآن» ١/ ٣٥٠، فقد ذكر اللغتين ورجح القراءة بالضم.

(٨) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٦١، ولم أجده في «فصيح ثعلب».

و﴿ٱلدُّنۡيَا﴾: تأنيث الأدنى، وضده القصوى، وهو تأنيث الأقصى، وكل شيء تنحى عن شيء فقد قصى يقصو[١] قصوًا، والأقصى والقصوى كالأكبر والكبرى.

وأما الكلام في اختلاف (الدنيا) و(القصوى) بالياء والواو وهما من باب واحد، فقال الحراني عن ابن السكيت: ما كان من النعوت مثل العليا والدنيا فإنه يأتي بضم أوله وبالياء؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله، وليس[٢] فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا: القصوى، فأظهروا الواو -وهو نادر- أخرجوه على القياس إذ سكن ما قبل الواو، وتميم وغيرهم يقولون: القصيا[٣]، ونحو هذا حكى الليث عن الخليل فقال: كل شيء جاء على (فعلى) من بنات[٤] الواو فإن العرب تحوله إلى الياء نحو: الدنيا من دنوت، وأشباه ذلك غير القصوى، ويقال: القصيا لغة فيه، وجاءت: الفتوى لغة في الفتيا[٥] لأهل المدينة خاصة[٦].

---

(١) في (ح): (يقصى)، والصواب ما أثبته، إذ في كتب اللغة: كل شيء تنحى عن شيء فقد قصى يقصو قصوًا.
انظر: كتاب «العين» (قصو) ٥/ ١٨٧، و«تهذيب اللغة» (قصا) ٣/ ٢٩٦٩، و«لسان العرب» (قصا) ٦/ ٣٦٥٧، أما الفعل (يقصى) فهو مضارع (قصِي) بالكسر يقال: قصي فلان عن جوارنا يقصى قصًا، أي: بعد، انظر: «لسان العرب» (قص) ٦/ ٣٦٠٨.

(٢) في «تهذيب اللغة»: فليس.

(٣) «تهذيب اللغة» (قصا) ٣/ ٢٩٦٩. وانظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ص٣٤٦.

(٤) يعني: ذوات، كما في «اللسان» ٦/ ٣٦٥٧، مادة (قصا).

(٥) في كتاب «العين»: الفتيا لغة في الفتوى.

(٦) كتاب «العين» (قصو) ٥/ ١٨٧، وقد تصرف الواحدي بعبارة الخليل بالحذف والزيادة.

قال المفسرون جميعًا: إذ أنتم نزولٌ بشفير[١] الوادي الأدنى إلى المدينة وعدوكم نزولٌ بشفير الوادي الأقصى إلى مكة[٢].

وكان الجمعان قد نزلا الوادي الذي ببدر على هذه الصفة قد اكتنفا شفيريه.

قال أهل المعاني: معنى[٣] الآية: اذكروا إذ كنتم بشط الوادي الأقرب[٤] إلى المدينة وهم بالشط الأبعد منها، وهذا كان من لطيف صنع الله لهم؛ لأن الرجل كلما كان أقرب من داره كان أربط لجأشه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، قال ابن السكيت: الركب أصحاب الإبل، وهم العشرة فما فوقها[٦].

ويقال: سفل يسفل سفالة وسفلًا فهو سافل، نقيض علا يعلو، قال المفسرون: يعني أبا سفيان وأصحابه وهم العير التي خرجوا ليأخذوها، كانت في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر[٧].

قال أبو إسحاق: الوجه أن تنصب (أسفل) -وعليه القراءة- أراد: مكانًا أسفل، ويجوز الرفع على أن تريد: والركب[٨] أشد

---

(١) أي: حده وحرفه، انظر: «مقاييس اللغة» (شفر) ٣/ ٢٠٠.
(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٠، والثعلبي ٦/ ٦٣ أ، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٤١.
(٣) ساقط من (ح).
(٤) ساقط من (ح).
(٥) لم أقف عليه.
(٦) «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح» (ر ك ب) ١/ ٣٠٩، والنص باختصار في «تهذيب إصلاح المنطق» ص١١٤.
(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٠، والثعلبي ٦/ ٦٣ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٣.
(٨) ساقط من (ح).

تسفلًا[١]، ونحو هذا قال الفراء سواء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾، قال ابن إسحاق: أقبل أبو سفيان في الركب من الشام، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه ليأخذوها، وخرجت قريش تمنعه، فالتقوا ببدر ولم يشعروا[٣]، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لكثرتهم وقلتكم، يعني: لو تواعدتم ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد، هذا معنى قول المفسرين[٤].

وقيل: لو تواعدتم من غير لطف الله لكم لاختلفتم بالعوائق والقواطع[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في الكلام حذف واختصار يدل عليه الفحوى، تقديره: ولكن جمعكم الله من غير ميعاد: ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وإن شئت أخرت المقدر فقلت: ﴿وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ جمعكم من غير ميعاد، قال ابن

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٧ مع التقديم والتأخير والحذف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤١١.

(٣) في «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٩، كلام يشبه هذا من حيث المعنى، ثم تبين لي أن ابن إسحاق هذا ليس صاحب السيرة بل هو عمير بن إسحاق أبو محمد مولى بني هاشم، تابعي متكلم فيه، لينه ابن معين، وقال الحافظ ابن حجر: مقبول.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٩٦ (٤٢٨٢)، و«التقريب» ص٤٣١ (٥١٧٩)، وأثره هذا رواه ابن جرير ٧/ ١١ بلفظ مقارب.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١١، والثعلبي ٦/ ٦٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٣، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٢.

(٥) هذا قول أحمد بن عمار المهدوي المفسر، انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٣١٩. وقد ذكر هذا القول أيضًا الماوردي ٢/ ٣٢٢ دون نسبة.

عباس: يريد: ليتم الله لنبيه وللمؤمنين موعده؛ ليقر عين نبيه وأعين المؤمنين[١]، وقال أهل المعاني: ليفصل[٢] الله أمرًا كان مفعولًا في علمه وحكمه من عز الإسلام وعلو أهله على عبدة الأوثان بتدبيره ولطفه[٣].

قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ فهذه اللام مكررة على اللام في قوله: ﴿لِيَقْضِيَ﴾ المعنى: ولكن فعل ذلك ليهلك، وأكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ههنا: الكفر والضلال، وبالحياة: الاهتداء والإسلام[٤].

قال محمد بن إسحاق: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على مثل ذلك[٥]، وقال قتادة: ليضل من ضل عن بينة، ويهتدي[٦] من اهتدى على بينة[٧]، قال الزجاج: جعل الله ﷻ القاصد للحق بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك[٨].

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٢ بمعناه. (٢) في (ح): (ليقضي).

(٣) ذكر معنى هذا القول أبو الليث السمرقندي ٣/ ٣٤١، وابن عطية ٦/ ٣٢٠، وأبو حيان ٤/ ٥٠١، ولم أجده عند أهل المعاني.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٢، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ١٥٩، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٧٠٨، والسمرقندي ٢/ ١٩، وابن عطية ٦/ ٣٢١، وابن كثير ٢/ ٣٢٨، وقد ذهب ابن جرير إلى أن المعنى: ليموت من مات عن حجة ويعيش من عاش عن حجة.

(٥) «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٩ مع اختلاف يسير.

(٦) في (ح): (يهدى)، وهو كذلك في «تفسير البغوي»، وما أثبته موافق لـ «تفسير الثعلبي» وهو أولى لأن الكلمة تفسير لقوله تعالى: ﴿يَحْيَىٰ﴾ ولموافقته لقول قتادة: من اهتدى.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ٦٣ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٣.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤١٨.

وذهب آخرون إلى أن معنى الهلاك ههنا: الموت[١]، وقال[٢]: وأفعل ما فعلت يوم بدر ليكون موت من يموت على بينة رآها وحجة قامت عليه، وكذلك حياة من يحيى؛ لما سبق من وعده ببعثة الرسول قبل العذاب في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ﴾ قرئ بيائين، وقرئ بياء واحدة مشددة (حيّ)[٣]، قال أبو إسحاق: أما من أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد، وأما من أظهر فلأن الحرف الثاني ينتقل من[٤] لفظ الياء تقول: حيي يحيى والمحيا، فعلى هذا يجوز الإظهار[٥]، هذا كلامه وشرحه أبو علي فقال: من أدغم فلأن الياء قد لزمتها الحركة، فصار[٦] بلزوم الحركة له مشابهًا للصحيح، ألا ترى أن من حذف الياء من (جوار) في الجر والرفع لم[٧] يحذفها إذا تحركت بالفتح لمشابهتها بالحركة سائر

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٢، والماوردي ٢/ ٣٢٢، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٣، والبغوي ٣/ ٣٦٣.

(٢) هذا قول الثعلبي، انظر: «تفسيره» ٦/ ٦٣ ب.

(٣) قرأ نافع وأبو بكر، عن عاصم والبزي، عن ابن كثير بالفك وعدم التشديد، وقرأ باقي السبعة بالإدغام والنطق بياء واحدة مشددة. انظر «إرشاد المبتدي» ص٣٤٧، و«تحبير التيسير» ص١١٨، و«الوافي في شرح الشاطبية» ص٢٨٠.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه»: عن.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٤١٨.

(٦) يعني الحرف، ولذا ذكّره وهو كذلك في بعض نسخ «الحجة للقراء السبعة»، وجاء في بعضها: فصارت، بالتأنيث، وكذا في موضعين بعده، ونصه: فصارت بلزوم الحركة لها مشابهة . .. إلخ. وهذا ما اختاره المحققان للحجة.

(٧) ساقط من (ح).

الحروف الصحيحة، وقالوا في الوقف: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] فلم تحذف كما حذفت الياء من قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وهذا يدلك على أنها بالحركة قد صارت في حكم الصحيح، وإذا صار كذلك جاز الإدغام فيها كما جاز في الصحيح، وعلى هذا جاء ما أنشد من قوله[1]:

عَيُّوا بأمرهم كما
عيّت ببيضتها الحمامه

وقال المتلمس[2]:

فهذا أوان العرض حي ذبابة
زنابيره والأزرق المتلمس[3]

(١) البيت لعبيد بن الأبرص كما في «ديوانه» ص١٣٨، و«أدب الكاتب» ص٥٤، و«الحيوان» ٣/ ١٨٩، و«شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٤٣٠، و«لسان العرب» (حيا) ٢/ ١٠٨٠.

(٢) هو: جرير بن عبد العزى -أو عبد المسيح- من بني ضبيعة من ربيعة، شاعر جاهلي من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، صاحب المعلقة وكان ينادم ملك العراق عمرو بن هند ويمدحه ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففر إلى الشام، وتوفي نحو سنة ٥٠ ق هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ص٩٩، و«الأعلام» ٢/ ١١٩.

(٣) البيت في «ديوانه» ص١٢٣، وانظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٢/ ٦٢٢، و«المعاني الكبير» ٢/ ٤٠٦.
قال المرزوقي في الموضع السابق: يروى (جُنّ ذبابه) أي كثر ونشط، والعرض: واد من أودية اليمامة، وكأنه قال: وهذا الذي ذكرت هو في هذا الأوان، وقوله (حيّ ذبابه) أي عاش بالخصب فيه، وزنابيره يرتفع على أنه بدل من الذباب. وذباب الروض قد تسمى زنابير. وقوله (والأزرق) إشارة إلى جنس آخر غير الأول، وهو ما كان أخضر ضخمًا. والمتلمس: الطالب اهـ. باختصار.

فجعلوا هذه الأشياء في الإدغام بمنزلة: شموا وعضوا وعبرة هذا: أن [كل موضع لزمت الحركة الياء الأخيرة التي هي لام جاز الإدغام فيه](١)، فأما قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠]، فلا يجوز فيه الإدغام؛ لأن حركة النصب غير لازمة، ألا ترى أنها تزول في الرفع وتذهب في الجزم مع الرفع، وإذا لم تلزم لم يجز الاعتداد بها، كأشياء(٢) لم يعتد بها لما لم تلزم، نحو الضمة في: هذه فَخِذٌ، وإن لم يكن في الكلام ضمة قبلها(٣) كسرة لما كانت غير لازمة، وهذا النحو كثير، [وإنما شرطنا لزوم الحركة في المدغم فيه لأن المتحرك لا يدغم في الساكن؛ وذلك أن(٤) المتحرك أقوى من الساكن، ولا يدغم الأقوى في الأضعف، إنما يدغم الأضعف في الأقوى](٥).

وأما من أظهر فقال: (حيي) ولم يدغم فلأن حركة اللام في (حيي) تزول لاتصالها بالضمير إذا قلت: حَيِيت، فصار زوال الحركة عن اللام في هذا البناء بمنزلة زوال حركة النصب عن المعرب لحدوث إعراب آخر فيه، ويقوي البيان في هذا ما حكاه يونس عن العرب: أحيياء، وأحييه وفي جمع حي، فبينوا، مع أن الحركة غير مفارقة، فإذا لم يدغموا ما لم تفارقه

---

(١) ما بين المعقوفين نصه في «الحجة» هكذا: كل موضع يلزم ياء يخشى فيه الحركة، جاز الإدغام في اللام من حيي اهـ. ولم يظهر لي معناه، وقد نقل ابن عطية هذا القول بلفظ مغاير أيضًا ونصه: قال أبو علي: وعبرة هذا أن كل موضع تلزم الحركة فيه ياء مستقبلية فالإدغام في ماضيه جائز. «المحرر الوجيز» ٦/ ٣٢٣.

(٢) في (ح): (شيئًا).

(٣) في (س): (ما قبلها).

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ما بين المعقوفين ليس من كلام أبي علي في «الحجة» كالكلام السابق واللاحق له، بل ذكره أبو علي في كتابه «الإغفال» ص٨٢٧، وقد ذكره الواحدي بمعناه.

الحركة فلأن لا يدغموا ما تفارقه الحركة كان[١] أولى[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: يريد: سميع لدعائكم وابتهالكم وتضرعكم، عليم بنياتكم وحبكم لربكم ونصرتكم لنبيكم وطاعتكم لله[٣].

٤٣- قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾، قال مجاهد: أرى الله[٤] النبي ﷺ كفار قريش في منامه قليلًا فأخبر بذلك أصحابه فقالوا: رؤيا النبي حق، القوم قليل، وكان ذلك تثبيتًا[٥] لهم[٦]؛ لأنهم اجترؤا بذلك على حرب عدوهم، وهذا قول الكلبي[٧] ومقاتل[٨] وأكثر أهل التفسير قالوا: قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني رؤيا النوم[٩].

قال محمد بن إسحاق: وكان ما أراه من ذلك نعمة عليهم؛ لأنه شجعهم بها على عدوهم[١٠].

---

(١) ساقط من (ح) و(س).

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٤٠-١٤٣، مع تصرف كثير بالحذف والزيادة والتقديم والتأخير.

(٣) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٢ مختصرًا.

(٤) في (ح): (أري النبي). (٥) في (ح): (تثبيت).

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢، وعبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٦٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٩.

(٧) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٦٢، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهو سند الكلبي المعروف.

(٨) انظر: «تفسيره» ل١٢١ أ.

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٢، والسمرقندي ٢/ ٢٠، والثعلبي ٦/ ٦٤ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٤، والماوردي ٢/ ٣٢٣، ونسبه للجمهور.

(١٠) «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٩.

وكانت تلك الرؤيا بشارة له وللمؤمنين بالغلبة. قال أهل المعاني: وإنما جاز أن يريه الله الشيء في النوم على خلاف ما هو لأن الرؤيا تخيّل للمعنى من غير قطع عليه، وإن جاء معه قطع من الإنسان(١).

وروي عن الحسن وابن جريج أنهما ذهبا إلى أن هذه الإراءة كانت في اليقظة، وقالا: المراد بالمنام ههنا: العين التي هي موضع النوم(٢).

قال أبو إسحاق: وكثير من أصحاب النحو يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إذ يريكم الله في موضع منامك أي: بعينك ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه(٣).

---

(١) يعني أن الرؤيا رمز وإشارة للمعنى، وتحتاج إلى تأويل، وقد يقطع الإنسان ويجزم بتأويلها ولكن هذا لا يغير من حقيقتها شيئًا، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١٧٠٩/٥: يحتمل أنه رآهم قليلًا عددهم، فكان تأويل رؤياه انهزامهم اهـ.
وأقول: يستدرك على ما ذكره المؤلف عن أهل المعاني الذي لم أقف على مصدره أن رؤيا الأنبياء حق ويقطع على معناها.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١٧٠٩/٥، عن الحسن وفي سنده سهل السراج، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ٢٥/١ (٢٦٦٣): صدوق له أفراد، كان القطان لا يرضاه، ورواه البغوي ٣٦٣/٣، وفي سنده عمرو بن عبيد المعتزلي، قال الحافظ في «التقريب» ص٤٢٤ (٥٠٧١): كان داعية إلى بدعة، اتهمه جماعة، وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» ٣٤٨/٢ قول الحسن هذا ثم عقبه بقوله: هذا القول غريب اهـ. وقال الزمخشري في «الكشاف» ١٦١/٢: هذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته اهـ. ولم أجد من ذكره عن ابن جريج.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٤١٩/٢، وهو أحد قولي أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ٢٤٧/١، وإليه ذهب المازني والنقاش كما في «المحرر الوجيز» ٣٢٥/٦، وهو قول ضعيف من وجوه:
=

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾ أي: لو أراك الله يا محمد القوم كثيرًا في اليقظة -على قول الحسن-، أو في المنام -على قول الباقين- فأخبرت بذلك أصحابك لجبنوا ولم يقدموا على الحرب؛ وذلك قوله: ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾، قال أبو إسحاق: لتأخرتم عن حربهم وكِعْتم[(١)(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ معنى التنازع في الأمر: الاختلاف الذي يحاول به كل واحد نزع صاحبه عما هو عليه، وهذا ما سبق بيانه[(٣)]، يقول: لاضطرب أمركم، واختلفت كلمتكم، قال الكلبي: واختلفتم فيما بينكم[(٤)].

وقال ابن عباس: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ لتحتقرهم وتجترئ عليهم ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ ولكن هذه منتي عليك وعلى المؤمنين حيث أراكهم الله قليلًا، ولم يكن منهم

= ١- أن في الآية تصريح بالمنام، وحمله على العين التي بها المنام عدول عن الظاهر بلا دليل، انظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٤٨.

٢- أنه تعالى صرح في الآية التالية برؤية العين فقال: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ فعلى هذا القول تكون الآيتان بمعنى واحد، إذ أن النبي ﷺ مخاطب في هذه الآية، والأصل عدم التكرار.

٣- أنه مخالف لما رواه مجاهد أن النبي ﷺ رآهم في منامه قليلًا فأخبر النبي ﷺ بذلك. رواه ابن جرير ١٠/ ١٢، وهذا الحديث وإن كان مرسلًا لكن يعضده موافقته لظاهر الآية، وعلى الأقل هو تفسير ثابت عن مجاهد.

(١) أي جبنتم، يقال: كعت عن الشيء أكيع وأكاع لغة في كععت: إذا هبته وجبنت عنه. انظر: «لسان العرب» (كوع) ٧/ ٣٩٥٦ .

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣١٩.

(٣) انظر: تفسير آل عمران: ١٥٢، النساء: ٥٩.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٨٢، عن الكلبي، عن ابن عباس.

فشل ولا منازعة[١] يريد الاختلاف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾، قال ابن عباس: يريد: عصمكم[٢] كأنه يريد: سلمكم من المخالفة فيما بينكم، وقال ابن عباس أيضًا: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم[٣].

[وقال أبو روق: سلم: أتم أمرهم بالظفر على عدوهم[٤]][٥].

وقال الكلبي: ولكن الله سلمكم من الهزيمة يوم بدر[٦].

والأظهر أن المعنى: ولكن الله سلمكم من التنازع والفشل على ما حكينا عن ابن عباس أولًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، قال ابن عباس: علم ما في صدوركم من اليقين والحب لله والطاعة لرسوله[٧]، قال الكلبي: أي لما في صدور المؤمنين من أمر عدوهم[٨].

٤٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ إن قلنا في الآية الأولى إنه أراهم النبي ﷺ في المنام فهذه الثانية كررت لأنها في اليقظة، وإن قلنا أن

---

(١) ذكره مختصرًا المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٦٣، وانظر بعض معناه في: «تنوير المقباس» ص٤٨٢.

(٢) رواه بمعناه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٩، وذكره كذلك القرطبي ٨/ ٢٢.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣، والثعلبي ٦/ ٦٤ أ، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٩.

(٤) رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٠ مختصرًا عن أبي روق، عن ابن عباس، وذكره القرطبي ٨/ ٢٢ ولم يعين القائل.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) رواه البغوي ٣/ ٣٦٣ مختصرًا.

(٨) رواه بمعناه مختصرًا الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٢، عن الكلبي، عن ابن عباس.

الأولى كانت في اليقظة على ما حكينا عن ابن جريج والحسن، فهذه الثانية كررت لأن النبي ﷺ أفرد في الأولى بالذكر وعمم هو وأصحابه في هذه، وهذا الذي ذكرنا معنى قول ابن الأنباري وأبي إسحاق[١].

قال أبو إسحاق: هذه رؤية الإلتقاء، وتلك رؤية النوم، وعلى مذهب الحسن: الأول خطاب للنبي ﷺ والثاني خطاب له ولجميع من شاهد الحرب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾، قال مقاتل: لما التقوا ببدر قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين تصديقًا لرؤيا رسوله[٣].

وقال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلًا[٤] فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفًا![٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾، قال ابن عباس: ليجترؤا عليكم ولا ينهزموا ولا يرجعوا عن قتالكم[٦]، كما قال أبو جهل ذلك اليوم: إنما محمد وأصحابه أكلة جزور[٧]، خذوهم أخذًا واربطوهم

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاق الزجاج ٢/ ٤١٩، ولم أقف على قول ابن الأنباري.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، وقد تصرف الواحدي في النص المنقول.

(٣) «تفسير مقاتل» ل١٢٢ أ.

(٤) في (م): (رجلًا منهم).

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٧٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٠.

(٦) روى نحوه مختصرًا الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٢، وسنده واهٍ، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٦٣.

(٧) يعني الناقة الواحدة تكفيهم طعامًا لقلتهم.

بالحبال[١]، قال الكلبي: استقل المؤمنون المشركين والمشركون المؤمنين ليجترئ بعضهم على بعض[٢].

قال أبو بكر بن الأنباري: إنه قلل المؤمنين في عيون الكافرين ليغتروا بقلتهم فلا يتأهبوا لملاقاتهم ولا يلبسوا من السلاح ما يمنعهم، فإذا لابسهم المسلمون ألفوهم غير مستعدين فظفروا بهم[٣]، وقيل: إنه قللهم في أعينهم ليحملوا عليهم من غير جبن فيغلبهم المسلمون في قلة عددهم عندهم فيكون ذلك آية للمشركين، ومنبهًا لهم على نفاذة قدرة الله تعالى[٤].

فإن قيل: ما المعنى الذي به قللوا في أعينهم مع رؤيتهم لهم؟ قيل: لطف من ألطاف الله تعالى صدهم به عن رؤية الجميع بحيث ستر بعضهم دون بعض[٥].

وقال بعض المفسرين: تقليل المسلمين في أعين المشركين كان في أول الأمر فلما نشب القتال وحمي الوطيس[٦] كثُر المسلمون في أعينهم[٧]،

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤، عن السدي، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٦١، عن عكرمة.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٤، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٥٦٤، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه، وقد ذكره بلا نسبة ابن الجوزي ٣/ ٣٦٤.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٦٤.

(٥) ذهب الزمخشري أيضًا إلى هذا التعليل، انظر: «الكشاف» ٢/ ١٦١، ولا داعي له، إذ لا شك في قدرة الله على تقليلهم بغير هذا السبب.

(٦) الوطيس: كلمة تطلق على المعركة والتنور والحجارة المدورة والضراب في الحرب ووطء الخيل والإبل، وقولهم: حمي الوطيس: عبارة عن اشتباك الحرب وشدتها وقيامها على ساق. انظر: «لسان العرب» (وطس) ١/ ٤٨٦٦.

(٧) ذكر معنى ذلك الزمخشري ٢/ ١٦١، وابن كثير ٢/ ٣٤٩، وأبو حيان ٤/ ٥٠٢.

وذلك قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، قال ابن عباس: يريد ما وعد النبي ﷺ وهو بمكة وبعدما هاجر[(١)]، وكذلك سبق في علمه في اللوح المحفوظ.

وقال الكلبي: كان مفعولًا في علمه بنصر الإسلام وأهله وذل الشرك وأهله[(٢)]، وقال ابن إسحاق: ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ [في علمه][(٣)] للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد النعمة عليه[(٤)].

وقال بعض أهل المعاني: إنما كرر: ﴿لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [لأن معناه في الأول: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾، ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾][(٥)] من الالتقاء على الصفة التي حصلتم عليها، ومعناه في الثاني: يقلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا من إعزاز الدين وأهله[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾، قال ابن عباس: وبعد هذا إليّ مصيركم فأكرم أوليائي وأعاقب أعدائي[(٧)].

---

(١) لم أجد من خرّج هذا القول، ومعناه: أن الله تعالى وعد رسوله بنصره وهزيمة أعدائه وهو في مكة كما قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ثم حقق هذا الوعد بعدما هاجر إلى المدينة، انظر: «تفسير البغوي» ٧/ ٤٣٤.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب، وبنحوه البغوي ٣/ ٣٦٤.

(٣) من (م).

(٤) «السيرة النبوية» ٢/ ٣١٩، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٦) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكر نحوه الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٧٠.

(٧) «الوسيط» ٢/ ٤٦٣.

٤٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾، قال الكلبي: إذا لقيتم جماعة العدو فأثبتوا لعدوكم[(١)]، قال أهل المعاني: المراد: فئة كافرة وحذفت لأن الخطاب للمؤمنين وهم لا يحاربون إلا فئة من المشركين أو الباغين، فحذف للإيجاز من غير إخلال بالمعنى[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾، قال ابن عباس: أمر الله أولياءه بذكره في أشد أحوالهم، ولو أن رجلًا أقبل من المغرب إلى المشرق[(٣)] ينفق الأموال [سخاءً، والآخر من المشرق إلى المغرب][(٤)] يضرب بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرًا[(٥)]، وقال قتادة: أمر الله بذكره أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف[(٦)].

ومن المفسرين من خص هذا الذكر بالدعاء للنصر والظفر فقال: معناه: ادعوا الله بالنصر عليهم، والظفر بهم، والتوقع لما وعدته من نصر

---

(١) المصدر السابق، الصفحة التالية.

(٢) انظر: «الكشاف» ٢/ ١٦١.

(٣) في (م): من المشرق إلى المغرب. وما أثبته موافق لـ «تفسير الرازي».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) ذكر نحوه الفخر الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٧١. قلت: وقد دل على أن الذاكر لله تعالى أفضل من المنفق ومن المجاهد قول الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله**». رواه الترمذي في «سننه» (٣٣٧٧) كتاب الدعاء، باب: ما جاء في فضل الذكر، والحاكم في «المستدرك» كتاب الدعاء ١/ ٤٩٦، وصححه ووافقه الذهبي، كما صححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» ١/ ٥١٣ (٢٦٢٩).

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب. وبنحوه ابن جرير ١٠/ ١٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١١، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٣.

المؤمنين[١]. وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: كي تسعدوا أو تبقوا في الجنة فإنما هما خصلتان: إما الغنيمة وإما الشهادة[٢].

٤٦- قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: أن طاعة الرسول طاعة الله، ولا تختلفوا فيذهب جَلَدكم وجِدكم[٣]، وقال مجاهد: نُصْرتكم، وذهبت ريح أصحاب رسول الله ﷺ حين نازعوه يوم أحد[٤]، وقال السدي: (جرأتكم)[٥]، وقال مقاتل: (حدتكم)[٦]، وقال النضر: (قوتكم)[٧]، وقال الأخفش: (دولتكم)[٨]، وقال الزجاج: (صولتكم)[٩]، وقال أهل المعاني[١٠]: الريح ههنا: كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، والعرب تقول: هبّت ريح فلان: إذا جرى أمره على ما يريد، وركدت ريحه: إذا أدبر أمره،

---

(١) ذكر هذا القول دون الجملة الأخيرة: الثعلبي ٦/ ٦٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٤، وأشار إليه دون نسبة ابن الجوزي ٣/ ٣٦٥.

(٢) «تنوير المقباس» ص١٨٢ بمعناه.

(٣) المصدر السابق ص١٨٣ بمعناه، ورواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب مختصرًا عن عطاء.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٢، والثعلبي ٦/ ٦٤ ب.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب، ورواه البغوي ٣/ ٣٦٤ بلفظ: جراءتكم وجدكم.

(٦) هذا قول مقاتل بن حيان كما في «تفسير البغوي» ٣/ ٣٦٤، ورواه أيضًا الثعلبي ٦/ ٦٤ ب.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤/ب، والبغوي ٣/ ٣٦٤.

(٨) قوله هذا غير موجود في كتابه «معاني القرآن»، وقد ذكره عنه الثعلبي ٤/ ٦٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٤، والسمرقندي ٢/ ٢٠، وهو اختيار اليزيدي في «غريب القرآن وتفسيره» ص١٥٨، والنحاس في «معاني القرآن» ٣/ ١٦٢.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٥، وقد سقط قول الزجاج من (س).

(١٠) انظر: «البرهان» للحوفي ١١/ ٧٥ ب.

وهذه بلاغة حسنة، قال عبيد[١]:

كما حميناك يوم النعف من شطب
والفضل للقوم من ريح ومن عدد[٢]

وقال ابن زيد[٣] وقتادة[٤]: يعني ريح النصر، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله يضرب بها وجوه العدو، ومنه قوله ﷺ: **«نصرتُ بالصبا»**[٥].

---

(١) هو: عَبيد -بفتح العين- بن الأبرص بن عوف الأسدي، شاعر جاهلي عظيم الذكر عظيم الشهرة معاصر لامرئ القيس وله معه مناظرات ومناقضات، وهو من أصحاب المجمهرات التي تلي المعلقات، توفي نحو سنة ٢٥ ق هـ. ويقال: إن النعمان بن المنذر قتله يوم بؤسه.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٣٨، و«الشعر والشعراء» ص١٦١، و«الأعلام» ٤/ ١٨٨.

(٢) «ديوانه» ص٤٩، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٥.
والنعف: المكان المرتفع في اعتراض، وقيل: هو ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط، وشطب: جبل معروف.
انظر: «لسان العرب» (نعف) و(شطب).

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٦٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٤، ورواه ابن جرير ١٠/ ١٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٢ بلفظ: الريح: النصر . . . إلخ.

(٤) رواه البغوي ٣/ ٣٦٤، ورواه مختصرًا ابن جرير وابن أبي حاتم، نفس الموضعين السابقين ولفظهما: ريح الحرب.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٥٣) كتاب الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: «**نصرت بالصبا**»، ومسلم (٩٠٠) في «صحيحه» كتاب الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور.
والصبا: ريح معروفة تقابل الدبور، وهي تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، وقيل من مطلع الثريا إلى مطلع بنات نعش. انظر: «لسان العرب» (صبو) ٤/ ٢٣٩٨.

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾، قال ابن عباس(١)، ومجاهد(٢)، وقتادة(٣)، وابن جريج(٤)، والضحاك(٥)، والسدي(٦)، والقرظي(٧): هم قريش لما خرجوا ليحموا(٨) عيرهم، لفظ ابن عباس: يريد: النفير ليحوزوا العير، خرجوا بالقيان(٩)، والمعازف والمغنيات، يشربون الخمور، وتعزف عليهم القيان، فلما وردوا الجحفة بعث خفاف بن إيماء الكناني(١٠)، -وكان صديقًا لأبي جهل- إليه بهدايا مع ابن له فلما أتاه قال: إن أبي ينعمك صباحًا ويقول لك: إن شئت أن أمدك بالرجال أمددتك، وإن شئت أن أزحف إليك بمن خف معي من قرابتي

---

(١) سيأتي تخريج أثره.

(٢) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ٨٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٣-١٧١٤، وذكره بنحوه ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٥٠.

(٣) انظر: المصادر السابقة. نفس المواضع.

(٤) ذكره «جامع تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٠، ونسبه إلى ابن جرير، ولم أجده في الموضع الذي أحال إليه، بل رواه ابن جريج عن مجاهد وعبد الله بن كثير، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٠.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٠، وذكره ابن كثير ٢/ ٣٥٠.

(٦) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٧) رواه ابن جرير، الموضع السابق، بمعناه.

(٨) في (ح): (ليجمعوا)، وهو خطأ.

(٩) القيان: جمع قينة، وهي الأمة المغنية. انظر: «لسان العرب» (قين) ٦/ ٣٧٩٩.

(١٠) في «السيرة النبوية»: الغفاري، وكلاهما صواب؛ لأن غفار من بني كنانة. انظر: «فتح الباري» ٧/ ٤٤٦.

وخفاف: هو ابن إيماء بن رحضة الغفاري، كان إمام بني غفار وخطيبهم وشهد الحديبية، مات في خلافة عمر ﷺ.

انظر: «الإصابة» ١/ ٤٥٢. و«فتح الباري» ٧/ ٤٤٦.

فعلت[١]، فقال أبو جهل: قل لأبيك جزاك الله والرحم خيرًا إن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد فوالله ما لنا بالله[٢] من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدرًا فنشرب فيها الخمور وتعزف فيها القيان، فإن بدرًا موسم من مواسم العرب وسوق من أسواقهم حتى تسمع العرب مخرجنا فتهابنا آخر الأبد[٣]، قال المفسرون: فوردوا بدرًا وسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان[٤].

وقوله تعالى: ﴿بَطَرًا﴾، قال الزجاج: البطر: الطغيان في النعمة[٥]،

---

(١) في ثبوت هذا القول عن خفاف بن إيماء شك، وذلك أن الحافظ ابن حجر أشار إلى أنه أسلم قبل أبيه «الإصابة» ١/ ٩٢، وأبوه أسلم قبل الهجرة كما في «صحيح مسلم» (٢٤٧٣) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر قال أبو ذر في قصة إسلامه: حتى أتينا قومنا غفارًا فأسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري، وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وفي هذا النص دليل على أن غفارًا أسلمت كلها قبل وقعة بدر، وهذا ما يؤكد عدم صحة القصة المذكورة عن خفاف. والله أعلم.

(٢) في (ح): (به).

(٣) لم أجد من رواه بهذا السياق، وقد رواه دون قصة خفاف بن إيماء، بلفظ مقارب ابن جرير ١٠/ ١٦-١٧، والثعلبي ٦/ ٦٥ أ، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» ٢/ ٣٢٠، وروى ابن إسحاق أيضًا قصة خفاف في موضع آخر ٢/ ٦٢١ لكنه قال: خُفاف بن إيماء بن رحضة الغفاري أو أبوه إيماء بن رحضة الغفاري.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٥ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٦، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٦، والنص مختصرًا في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦-١٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ١٥٠، ولم يفسر الزجاج هذه الكلمة في سورة الأنفال، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٤١.

وقال الليث: يقال: بطر فلان نعمة الله: أي: مرح حتى جاوز، وترك الشكر[١]، قال أهل المعاني: معنى (البطر): الخروج عن موجب النعمة من شكرها والقيام بحقها إلى خلافه[٢].

قوله تعالى: ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ معنى الرياء: إظهار الجميل لِيُرى مع إبطان القبيح، راءي يرائي رياء ومراءاة، والفرق بينه وبين النفاق: أن النفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر، والرياء عصيان[٣]، والنفاق كفر[٤]،

---

(١) النص في كتاب «العين» ٧/ ٤٢٢ مع اختلاف يسير، والمؤلف يرى -كالأزهري- أن كتاب «العين» لليث بن المظفر.

(٢) في «البرهان» للحوفي ١١/ ٧٦أ: البطر: التقوية بنعم الله وما ألبسه من العافية على المعاصي.

(٣) يعني كبيرة من الكبائر التي لا تخرج من الملة، وإلا فمعلوم أن النفاق والشرك وسائر المكفرات من العصيان؛ إذ أصل العصيان: الخروج عن الطاعة، انظر: «المفردات في غريب القرآن» (عصا) ص٣٣٧.
وما ذهب إليه المؤلف كون الرياء مطلقًا من كبائر الذنوب هو ظاهر قول الجمهور، وقد دل عليه قول شداد بن أوس: كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر. رواه الحاكم في «المستدرك» كتاب الرقاق ٤/ ٣٢٩، وصححه ووافقه الذهبي، وذهب بعض العلماء أن ذلك مقيد باليسير، أما كثير الرياء فشرك أكبر ونفاق. انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ص٥٣٣، و«معارج القبول» ٢/ ٤٩٢.

(٤) النفاق قسمان: الأول: النفاق الأكبر، وهو ما ذكره المؤلف وهو كفر مباين لدين الإسلام، الثاني: النفاق الأصغر، وهو من كبائر الذنوب، ويسمى النفاق العملي وهو المذكور في الحديث: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، باب: إعلان المنافق. ومسلم (٥٨) كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، والترمذي في «سننه» (٢٦٣١) كتاب الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق، وأعقبه بقوله: إنما كان =

وقال قتادة: هؤلاء أهل مكة خرجوا ولهم بغي وفخر، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قريشًا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادَّك ورسولك**»(١)، وقال المفسرون: نهى الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مثلهم، وأمرهم بإخلاص النية والحسبة في نصرة الدين، ومؤازرة النبي ﷺ حتى لا يكونوا كالذين خرجوا فخرًا وخيلاء ورياء(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال أبو علي الجرجاني: قوله: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ سبب لخروجهم، أي أن البطر والرياء يحملهم على ذلك، ثم عطف عليه قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو فعل مضارع منسوق على المصدر فيحتمل هذا النظم وجوهًا(٣) منها: أن يكون قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بمنزلة: وصدًا، إلا أنه رد إلى المضارع والمراد به المصدر، كما تقول في الكلام: أتيته ماشيًا ومشيًا وأمشي، ثلاثتها بمعنى واحد، ويجوز أن يكون قوله: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾ حالًا على تأويل: بطرين ومرائين، فيكون قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ حالًا صرفت إلى الاستقبال، بمعنى: وصادين، ويجوز أن يكون قوله: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾ بمنزلة

= هذا عند أهل العلم نفاق العمل اهـ. وانظر: الفرق بين القسمين في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١١/ ١٤٠-١٤٥.

(١) رواه مطولًا ابن جرير ١٠/ ١٧، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٤، وقد روى قول النبي ﷺ ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» ٢/ ٢٦١، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١١٠ مرسلًا من حديث الزهري وموسى بن عقبة، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو هذا الأثر، انظر: «تفسير مجاهد» ص٣٥٦.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٥ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٦، وذكر معناه ابن جرير ١٠/ ١٦.

(٣) ساقط من (س).

يبطرون ويراؤن، فصح عطف المضارع عليه[١]، وقد يوضع المصدر موضع الفعل المضارع، سيما والمراد به الحال[٢].

ومعنى قوله: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: يريد يضلون[٣] عند دين الله[٤]، قال أهل المعاني: وصدهم عن سبيل الله هو معاداة أهلها، وقتالهم عليها، وتكذيبهم بإجابة[٥] الداعي إليها[٦].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كان هذا التزيين على ما قاله ابن عباس[٧] وابن إسحاق[٨] والسدي[٩] والكلبي[١٠]:

---

(١) انظر: أحكام عطف الفعل على الاسم وعكسه في: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ٣/ ٦١، و«النحو الوافي» ٣/ ٦٤٨-٦٥٨.

(٢) لا يعني صحة إقامة الفعل مقام الاسم وعكسه أن المعنى واحد فيهما، بل الاسم يدل على الثبوت والتمكين والاستمرار، والفعل يدل على الحدوث والتجدد فاختيار الاسم في قوله تعالى: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾ يدل على ثبوت هذه السمة فيهم وتمكنها منهم حتى كأنها جبلة فيهم، أما اختيار الفعل في قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فللدلالة على تجدد هذا العمل حينًا بعد حين، أو لتجدد ذلك بعد بعثة النبي ﷺ. انظر: «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن» ص١٤٠.

(٣) في (م): (يصدون)، وما أثبته موافق لـ «الوسيط».

(٤) «الوسيط» ٢/ ٤٦٥.

(٥) هكذا في جميع النسخ، ولفظ (بإجابة) زائد، وعبارة المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٦٥: ويصدون عن سبيل الله، بمعاداة المسلمين وتكذيب الداعي إليها.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٤، والثعلبي ٦/ ٦٥ ب.

(٨) «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩، والثعلبي ٦/ ٦٥ ب، والنص مختصرًا في «السيرة النبوية» ٢/ ٢٥٠، عن ابن إسحاق، عن عروة بن الزبير.

(٩) «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٨، والثعلبي ٦/ ٦٥ ب.

(١٠) «تفسير الثعلبي»، الموضع السابق.

إن قريشًا لما أجمعت المسير، ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة[(١)]، ومدلج[(٢)] من الحرب، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن المغيرة[(٣)]، وعوفًا[(٤)] أبا عبد الرحمن بن عوف ومالك بن الشريد[(٥)] وكانوا يطلبونهم بدم، وكاد هذا أن يثنيهم عن الخروج من مكة، فتبدا لهم إبليس في جند من الشيطان معه رايته، في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي، وكان من أشرافهم، فقالوا: نحن نريد قتال هذا الرجل ونخاف من قومك فقال لهم: أنا جار لكم من قومي، فلا غالب لكم اليوم من الناس، ومعنى الجار ههنا: الدافع عن صاحبه الشر كما يدفع الجار عن جاره، والعرب تقول: أنا جار لك من فلان، أي: حافظ لك من معرّته فلا يصل إليك منه مكروه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ [قال ابن عباس: التقى الجمعان[(٦)]، قال الزجاج: توافقتا حتى رأت كل واحدة

---

(١) قبيلة كبيرة مشهورة وهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: «السيرة النبوية» ١/١، و«نهاية الأرب» ص٣٦٦.

(٢) هم بنو مدلج بن مرة بن تيم بن عبد مناف بن كنانة.
راجع: «الروض الأنف» ٢/٢٣٣، و«الإصابة في تمييز الصحابة» ٢/١٩ (٣١١٥)، و«نهاية الأرب» ص٣٧٢.

(٣) هو: الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أحد الفصحاء المقدمين من قريش في الجاهلية. انظر: «المحبر» ص١٧٥، ٢٩٧، و«التبيين في أنساب قريش» ص١٨٩.

(٤) هو: عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري.
انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» ٢/٤١٦ (٥١٧٩)، في ترجمة ابنه عبد الرحمن.

(٥) لم أعثر على ترجمته.

(٦) «تنوير المقباس» ص١٨٣.

الأخرى[(١)](٢).

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ النكوص: الإحجام عن الشيء، نكص ينكص نكوصًا ونكيصًا: إذا تأخر عن الشيء وجبن، وأنشد أبو عبيدة(٣) قول الكميت:

فما نفع المستأخرين نكيصهم ولا ضر أهل السابقات التعجل(٤)

وزاد الكسائي: نكصانًا(٥)، وقال الزجاج: نكص على عقبيه: رجع بخزي(٦)، وقال القتيبي: رجع القهقرى(٧)، وقال ابن عباس: [رجع موليًا(٨)، وقال الضحاك: ولى مدبرًا(٩)، وقال قطرب: رجع من حيث جاء(١٠).

قال الكلبي عن ابن عباس:](١١) لما التقوا كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقة آخذًا بيد الحارث بن هشام، فرأى عدو الله

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٣) انظر قول أبي عبيدة في معنى (النكوص) في «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٧، ٢/ ٦٠، ولم أقف على إنشاده البيت.
(٤) انظر: البيت في «هاشميات الكميت» ص١٣٠.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١.
(٧) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٩٠.
(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٩ من رواية ابن جريج عنه بلفظ: رجع مدبرًا، ورواه أيضًا ١٠/ ١٩ من رواية علي بن أبي طلحة عنه بلفظ: فولى مدبرًا.
(٩) رواه الثعلبي ٦/ ٦٥ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٦.
(١٠) أخرجه الثعلبي ٦/ ٦٥ ب.
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

الملائكة حين نزلت من السماء -وهو روحاني يراهم- نكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سراق أفرارًا من غير قتال، فقال[١] له: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ ودفع في صدر الحارث وانطلق[٢]، وانهزم الناس[٣]، قال الحسن في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ أي: جبريل معتجرًا[٤] ببرد[٥]، يمشي بين يدي النبي ﷺ وفي يده اللجام يقود الفرس، ما ركب[٦].

وقال محمد بن إسحاق: رأى جندًا من الملائكة، أيد الله بهم رسوله والمؤمنين[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾، قال قتادة وابن إسحاق: صدق عدو الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ وكذب في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ والله ما به مخافة الله[٨]، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، فأوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه[٩]، وقال الكلبي: خاف أن يأخذه

---

(١) ساقط من (س). (٢) ساقط من (س).

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٦٦ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٦.

(٤) الاعتجار: أن يلف العمامة على رأسه، ويرد طرفها على وجهه، ولا يعمل منها شيئًا تحت ذقنه. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (عجر) ٣/ ١٨٥، و«لسان العرب» (عجر) ٥/ ٢٨١٥.

(٥) في (ح): (برداء)، وما أثبته موافق للمصادر التالية.

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٠، والثعلبي ٦/ ٦٦ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٦.

(٧) «السيرة النبوية» ٢/ ٣٠٩.

(٨) كفر إبليس كفر إباء واستكبار لا كفر جحود وإنكار؛ ولذا لا يستبعد خوفه من عقاب الله فيما دون الهلاك.

(٩) ذكر هذا القول عنهما: الثعلبي ٦/ ٦٦ أ، والواقع أنه دمج قوليهما مع اختلافهما في اللفظ. =

جبريل ويعرفهم حاله فلا يطيعون[١]، ولا معنى لهذا؛ لأن إبليس غير مرئي فيعرف بالرؤية، وكيده الوسوسة والتخييل[٢].

وقال عطاء: إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك[٣]، وقال أبو إسحاق: ظن أن الوقت الذي أنظر إليه قد حضر[٤]، واختار ابن الأنباري هذا القول وقال: يعني[٥] أخاف أن يكون الوقت المعلوم الذي يزول معه إنظاري قد حضر فيقع بي العذاب، لما عاين الملائكة خاف أن يكون وقت الإنظار قد انقضى[٦]، فقال ما قال اشفاقًا على نفسه[٧][٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ يجوز أن يكون متصلًا بما أخبر به عن إبليس، ويجوز أن ينقطع كلامه عند قوله: ﴿أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ فقال الله: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٩].

= انظر قول قتادة في: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٤٥، وانظر قول ابن إسحاق في: «السيرة النبوية» ٢/ ٣٠٩، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩.

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٦٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٧.

(٢) يعني أنه لن يظهر لهم عند كيده بالوسوسة، فالتعريف به لا يفيد ولا يمنع من كيده.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٦٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٦، قلت: هذا القول فيه نظر لأن الله وعد إبليس بالإنظار إلى يوم يبعثون.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١.

(٥) في (ح): (معنى)، وهو خطأ.

(٦) في (م) و(س): (تقضى).

(٧) ذكر بعض هذا القول مع اختلاف يسير ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٦٧.

(٨) في هذا القول أيضًا نظر؛ لأن إبليس يعلم أنه إذا انقضى وقت الإنظار لن يفيد الهرب، والظاهر أن إبليس خاف عقاب الله فيما دون الهلاك.

(٩) ذكر نحو هذا القول الثعلبي ٦/ ٦٦ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٧.

٤٩- قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: المنافقون من الأوس والخزرج، والذين في قلوبهم مرض قوم[(١)] من قريش، كانوا مسلمين ولم يهاجروا، فلما خرجت قريش لحرب رسول الله ﷺ قالوا: نخرج مع قومنا فإن كان محمد في كثرة خرجنا إليه، وإن كان في قلة أقمنا في قومنا، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في سورة النساء [٩٧][(٢)]، قال محمد بن إسحاق: ثم قتل هؤلاء جميعًا مع المشركين يوم بدر[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، قال ابن عباس: إذ خرج ثلاثمائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل[(٤)].

وقال الوالبي عنه: إنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم[(٥)] لا يشكون في ذلك، قال[(٦)] الله تعالى[(٧)]: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(٨)] أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ذكره بنحوه ابن الجوزي ٣/ ٣٦٧، ومختصرًا السمرقندي ٢/ ٢١، وأبو حيان ٤/ ٥٠٥-٥٠٦، وروى نزول آية النساء فيهم ابن جرير ٥/ ٢٣٤-٢٣٥، وقد صح عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة أن الذين في قلوبهم مرض هم المشركون. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٥/ ١٧١٦-١٧١٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٨.

(٣) «السيرة النبوية» ٢/ ٢٨٣ بمعناه.

(٤) ذكره الرازي ١٥/ ١٧٦.

(٥) في (ي): (سيهتزمون).

(٦) في مصادر تخريجه: (فقال).

(٧) في (م) زيادة نصها: (وقوله)، وهي خطأ.

(٨) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٥٢، وانظر: «صحيفة علي بن أبي طلحة» ص٢٥٥، وقد روى الأثر بحروفه ابن جرير ١٠/ ٢١-٢٢، عن ابن جريج.

وبقضائه فإن الله حافظه وناصره؛ لأنه عزيز لا يغلبه شيء، فجاره منيع، ومن يتوكل عليه فهو مكفي، وقال عطاء عنه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يريد قوي منيع، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه يفعل بأعدائه ما شاء من شدة العقاب، وبأوليائه النعيم والسرور(١).

٥٠- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أكثر المفسرين على أن الآية عامة في جميع من قتلوا من المشركين ببدر(٢)، وقال محمد بن إسحاق: نزلت في الذين [ذكروا في الآية الأولى وهم الذين](٣) تركوا الهجرة إلى رسول الله ﷺ فقتلوا مع المشركين(٤).

وجواب (لو) محذوف بتقدير: لرأيت أمرًا عظيمًا، وأمرًا عجيبًا، وحذف الجواب في القرآن كثير، قد سبق الكلام فيه في مواضع(٥)، والمرئي بقوله: (ترى) مدلول عليه، مفهوم من الكلام؛ لأنه يفهم منه: ولو

---

(١) لم أقف عليه، وقد ذكره بنحوه في «الوسيط» ٢/ ٤٦٦ من غير نسبة.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير ١٠/ ٢٢-٢٣، والبغوي ٣/ ٣٦٨، وابن عطية ٦/ ٤٤٩-٣٤٠، وقد رجح ابن كثير ٢/ ٣٥٣ أنها عامة في حق كل كافر.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٤) بالمقارنة بما في «السيرة النبوية» يتبين وهم الواحدي رحمه الله في نسبة هذا القول لابن إسحاق، فابن إسحاق ذكر أن هؤلاء المذكورين الذين تركوا الهجرة نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ [النساء: ٩٧]، أما ما يتعلق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فقد ذكر أنها عامة في الكفار كلهم حيث قال: ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر، وما يلقونه عند موتهم، ووصفهم بصفتهم وأخبر نبيه ﷺ عنهم.
انظر: «السيرة النبوية» ٢/ ٢٨٣.

(٥) انظر مثلًا: «تفسير البسيط» [البقرة: ١٠٣].

ترى الملائكة يضربون من الكفار الوجوه والأدبار، وبناؤه على المفهوم أحسن من التصريح لأنه أفخم.

ومعنى ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يقبضون أرواحهم على استيفائها؛ لأن الموت إنما يكون بإخراج الروح على التمام، وهذا يقتضي أن الإنسان هو الروح؛ لأنه قال: ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فهذا يوجب أن الإنسان هو الروح، ولولا هذا لم يكن قد توفاه الملك وإنما توفى بعضه وهو الروح، إلا أن يجعل من باب حذف المضاف فيقال: المعنى: يتوفى أرواح الذين كفروا وأنفسهم[١].

وقوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ مضارع معناه الحال، قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا ضربوا أدبارهم[٢]، ونحو هذا قال مُرة وابن جريج: أي: مقاديمهم ومآخيرهم[٣]، وتقديره: يضربون أجسادهم

---

(١) في «لسان العرب» (وفي) ٨/ ٤٨٨٦: الوفاة: الموت، وتوفي فلان وتوفاه الله: إذا قبض نفسه، وفي «الصحاح»: إذا قبض روحه، وقال غيره: توفي الميت: استيفاء مدته التي وفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا اهـ. فإذا عرف أن الوفاة تطلق على قبض الروح لم يلزم من قول القائل: توفى الله الإنسان، أن الإنسان هو الروح ولا أن يجعل ذلك من باب حذف المضاف، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الخلاف في المسألة التي ذكرها المصنف فقال: تنازع الناس في مسمى (الإنسان) هل هو الروح فقط أو الجسد فقط؟ والصحيح أنه اسم للروح والجسد جميعًا، وإن كان مع القرينة قد يراد به هذا تارة، وهذا تارة. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٢/ ٦٧.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٢، والثعلبي ٦/ ٦٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٨، وفي سنده انقطاع بين ابن جرير وابن عباس، انظر: «الكشاف» ٢/ ١٨٥.

(٣) رواه عنهما الثعلبي ٦/ ٦٧ أ بلفظ: (وجوههم) ما أقبل منهم، (وأدبارهم) ما أدبر منهم، وبنحو هذا اللفظ رواه البغوي ٣/ ٣٦٨ عن ابن جريج.

كلها[١]، وقال الحسن: قال رجل يا رسول الله: إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك[٢]، قال: «**ذلك ضرب الملائكة**»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ فيه إضمار أي: ويقولون ذوقوا، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه من جهة أن عقابهم لهم يقتضي أن يقولوا لهم ما يسوؤهم، وحذف القول في القرآن كثير كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: ويقولان[٤] ربنا، ومثله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ﴾ [السجدة: ١٢] أي: ويقولون ربنا، قال ابن عباس: يقولون لهم هذا بعد الموت[٥]، ونحو ذلك قال الحسن[٦] وغيره[٧].

وقال بعضهم: كان قول الملائكة لهم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ في الدنيا وذلك أنه كان مع الملائكة مقامع كلما ضربوا التهبت النار في

---

(١) هذا التقدير عدول عن ظاهر الآية بلا دليل، وليس هو التقدير الدقيق لقول مرة وابن جريج. وقد ذكر الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٦٣ علة تخصيص الوجه والدبر فقال: وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي والنكال في ضربهما أشد.

(٢) الشراك: سير النعل الذي يكون على وجهها. انظر: «لسان العرب» (شرك) ٤/ ٢٢٥٠.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٢، والثعلبي ٦/ ٦٧ أ، وهو حديث مرسل، وقد اختلف العلماء في مراسيل الحسن البصري، والإمام أحمد يرى أنها من أضعف المراسيل. انظر: «شرح علل الترمذي» ١/ ٢٩٠.

(٤) في (ح) و(س): (ويقولون).

(٥) رواه البغوي ٣/ ٣٦٨.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٦٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٨.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» ل١٢٣ أ، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٩، والزمخشري ٢/ ١٦٣.

الجراحات، فذلك قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[(١)] والصحيح أن هذا يقوله الملائكة لهم في الآخرة[(٢)].

٥١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ هذا إخبار عن قول الملائكة لهم، وأما محل ﴿ذَٰلِكَ﴾ فيجوز أن يكون رفعًا وخبره: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ويجوز أن يكون خبره محذوفًا على تقدير: ذلك جزاؤكم بما قدمت أيديكم، [ويجوز أن يكون محل ذلك نصبًا على معنى: فعلنا ذلك بما قدمت أيديكم][(٣)] وهذا معنى قول الفراء[(٤)].

و﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذه الآية بمعنى: هذا، أي: هذا العذاب الذي هو عذاب الحريق بما قدمت أيديكم، وذكرنا جواز أن يكون (ذلك) بمعنى: هذا عند قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢].

وحكى صاحب النظم في معنى (ذلك) أنه نقيض (لا) فكما أن (لا) ينفي ما قبله[(٥)]، فـ (ذلك) تثبيت لما قبله على مناقضته [وكذلك (كلا) نفي لما قبله و(كذلك) تثبيت لما قبله][(٦)] على مناقضته (كلا).

---

(١) ذكر هذا القول دون نسبة الثعلبي ٦/ ٦٧ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٨، والزمخشري ٢/ ١٦٣، وابن الجوزي ٣/ ٣٦٩، وعزاه الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٧٨ إلى ابن عباس، وعندي شك في هذا العزو، وذلك أن الرازي فسر هذه الجملة بما ذكره الواحدي هنا تمامًا لكنه أسقط هو أو أحد النساخ قول ابن عباس السابق وما بعده، وعزا هذا القول إلى ابن عباس.

(٢) وهذا ما ذهب إليه ابن جرير ١٠/ ٢٢، والثعلبي ٦/ ٦٧ أ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(س).

(٤) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤١٣.

(٥) في (س): (قبلها).

(٦) ما بين المعقوفين من (م).

ومعنى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، قال ابن عباس: جرحت قلوبكم[١]، قال أهل المعاني: إنما قال: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ مع أن اليد لا تعقل شيئًا للبيان عن أن اعتقاد الكفر بالقلب بمنزلة ما يعمل باليد في الجناية، ولذلك لم يذكر القلوب وإن كان بها معتمد العصيان؛ لأنه قصد إظهار ما تقع به الجنايات في غالب الأمر وتعارف الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ في محل (أن) وجهان: أحدهما: النصب، بمعنى: وبأن الله، قال الفراء: وهذا إذا جعلت (ذلك) نصبًا[٢]، فإن جعلت (ذلك) في موضع رفع[٣] جعلت (أن) في موضع رفع[٤] أيضًا بمعنى: وذلك أن الله[٥].

ومعنى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، قال ابن عباس: يريد: تبين سبيل[٦] الهدى، وعرفتم سبيل الرشاد، وتربصتم عن الهجرة، وشككتم في

---

(١) لم أقف عليه، وما قدمت الأيدي أعم من كسب القلوب. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٣.

(٢) أي تجعله مفعولًا به، والتقدير: فعلنا ذلك.

(٣) إما مبتدأ خبره الجملة بعده كما قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٥٠٦، أو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: الأمر ذلك، كما قدره النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٨١.

(٤) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤١٣، وقد تصرف الواحدي في عبارته.

(٥) في محل (أن) وجه ثالث وهو الخفض عطفًا على (ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾.

انظر: «مشكل إعراب القرآن» ص٣١٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٦٨١، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٣، و«البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ٣٩٠، وقد رد هذا الوجه أبو السعود في «تفسيره» ٤/ ٢٧.

(٦) ساقط من (م) و(س).

قدرة الله ونصره رسوله[١]، وهذا الذي ذكره ابن عباس إشارة إلى أن العذاب الذي وقع بهم وقيل لهم: (ذوقوا) استحقوه بكفرهم، وجعل ذلك جزاءً على ما سلف من إجرامهم.

والصحيح أن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ابتداء كلام لا يعود معناه إلى ما قبله من قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ ليس[٢] بتعليل للعذاب ولا موجب له؛ لأن معناه: نفي الظلم، وإيجاب الحكم بالعدل، لا أنه سبب تعذيبهم فقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ سبب أوجب الحكم بالتعذيب، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ نعت لهذا الحكم أنه عدل، وأنه ليس بجور، وإذا كان كذلك لم يحسن أن يقدر في (أن) الباء[٣]، فيقال: المعنى: وبأن الله، والوجه أن تكون (أن) في موضع رفع؛ ولهذا قال الكسائي: لو كسرت ألف (أن) على الابتداء كان صوابًا[٤].

فإن قيل: في هذه الآية الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، ومن نسب إليه خلق الأفعال ثم استجاز منه العقبة على الذنوب فقد نسب الظلم إليه[٥].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (س): (ليس بظلام أي: بتعليل .. إلخ)، وهو خطأ.

(٣) ذهب إلى تقديرها الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤١٣، والنحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٨١، والزمخشري ١/ ١٦٣، وصرح بأن الباء سببية. وكذلك السمين الحلبي في «الدر المصون» ٥/ ٦١٩.

(٤) يعني من الناحية اللغوية، ولا تجوز القراءة بذلك لعدم ثبوتها، وقد ذكر قول الكسائي هذا الفخر الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٧٩.

(٥) هذا قول المعتزلة، انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٧٩، و«الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار ص٣٤٥.

قيل: إن له أن يتصرف في ملكه بما يشاء، ومن كان له أن يتصرف في ملكه كما يشاء استحال نسبة الظلم إليه؛ ولهذا نفى الله -تعالى ذكره- الظلم عن نفسه كيلا يتوهم متوهم أنه مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه له ظالم، فنفى ذلك وقال إنه ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ومن لم يسلك هذه الطريقة نسب العجز إلى الباري ﷻ[1].

---

(١) يقرر المؤلف طريقة الأشاعرة في نفي الظلم عن الله تعالى، وقد اتفق المسلمون على أن الله منزه عن الظلم، ولكن تنازعوا في معناه الذي يجب تنزيه الرب عنه على ثلاثة أقوال:

الأول: قول المعتزلة، فقد ذهبوا إلى أن الظلم الذي ينزه عنه الخالق من جنس الظلم الذي ينهى عنه المخلوق، فشبهوا الله بخلقه، وأوجبوا عليه جنس ما يجب على المخلوق.

الثاني: قول الأشاعرة وطوائف من أهل الكلام وبعض أهل الحديث: إن الظلم من الله تعالى ممتنع لذاته؛ لأن الظلم -عندهم-: التصرف في ملك الغير، أو الخروج عن طاعة من تجب طاعته، وهذان ممتنعان في حق الله تعالى.

الثالث: قول كثير من أهل السنة وبعض أهل الكلام: إن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فالظلم ممكن لذاته، يمتنع وقوعه من الرب تعالى ولا يفعله؛ لكمال عدله ورحمته وغناه، وعلمه بقبحه، ولإخباره أنه لا يفعله؛ فالله تعالى لا يضع الأشياء في غير مواضعها، كأن يبخس المحسن شيئًا من إحسانه، أو يحمل عليه من سيئات غيره، أو يعاقبه بلا موجب للعقاب، ونحو ذلك، وهذا القول هو الحق الذي دلت عليه النصوص واللغة.

انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٨/ ٥٠٥-٥١٠، ١٧/ ١٧٥-١٨٠، ١٨/ ١٣٧-١٥٦، و«مختصر الصواعق المرسلة» ص١٨٩-٢٠٦، و«غاية المرام في علم الكلام» ص٢٤٤، ٢٤٥، و«لسان العرب» (ظلم) ٥/ ٢٧٥٧.

وقول المؤلف رحمه الله: (ومن كان له أن يتصرف في ملكه كما يشاء استحال نسبة الظلم إليه) مردود لما يأتي:

أولًا: ما جاء في الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته**=

٥٢- قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ المشبه محذوف تقديره: دأبهم كدأب آل فرعون، قال الأخفش والمؤرج وأبو عبيدة: كعادة آل فرعون[1]، [وقال أبو إسحاق: معناه: عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون][2] في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي أولئك بالإغراق[3].

وأصل الدأب في اللغة: إدامة العمل، يقال: فلان يدأب في كذا، أي: يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه[4]، ثم سمي العادة دأبًا؛ لأن ما هو

= بينكم محرمًا» .رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، وأحمد في «المسند» ٥/ ١٦٠. ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الظلم ممكن غير مستحيل ولكن الله تنزه عنه وحرّمه على نفسه.

ثانيًا: أن الله تعالى تمدح بنفي الظلم عن نفسه كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] ولا يليق بالله تعالى أن يتمدح بنفي المستحيل، وبالأمر الذي لا تمكن القدرة عليه، إذ ليس فيه مدح ولا ثناء ولا فائدة، وإنما يكون المدح بترك الأفعال المذمومة المقدور عليها، فتبين من ذلك أن الله قادر على ما نزه نفسه عنه من الظلم، لكنه لا يفعله لأنه حرّمه على نفسه، وتنزه عن فعله.

ثالثًا: أن الله تعالى: قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، ومعلوم بداهة أن الخوف من الشيء يستلزم تصور وجوده وإمكانه، أما ما لا يمكن وجوده فيستحيل الخوف منه، فعلم أن ظلم الله لعباده ممكن غير مستحيل، لكنه لا يفعله تنزهًا، فعباده واثقون بعدله، آمنون من جوره.

انظر تفصيل ما سبق ذكره في: «مختصر الصواعق المرسلة» ص١٨٩-٢٠٦، و«الأصول الخمسة» للهمداني ص٣٤٥-٣٥٤، و«غاية المرام» ص٢٤٤.

(١) ذكره عنهم الثعلبي ٦/ ٦٧ ب، وانظر قول أبي عبيدة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٤٧، وقول الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٩.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح). (٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠.

(٤) انظر: «مجمل اللغة» (دأب) ٢/ ٣٤٢، و«لسان العرب» (دأب) ٣/ ١٣٧.

عادة فهو مواظب عليه[١].

قال المفسرون: يريد أن أهل بدر كذبوا كما كذب آل فرعون ونزل بهم كما نزل بآل فرعون[٢]، قال ابن عباس: يريد: هكذا كان دأب آل فرعون أيقنوا أن فرعون كذاب عاد في الأرض وأن موسى نبي من الله فكذبوه، كذلك أنتم جاءكم محمد بالصدق والدين فكذبتموه وجحدتم نبوته فأنزل الله بكم عقوبته كما أنزل بآل فرعون[٣]، وذلك قوله: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ومضى الكلام في ﴿كَدَأْبِ﴾ مستقصى في سورة آل عمران [١١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ أي قادر لا يغلبه شيء ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن كفر به وكذب رسله.

٥٣- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً﴾ الآية، (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من أخذ الله بالعذاب لمن كفر بآيات الله، ف (ذلك) ابتداء وخبره ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ وهو كما تقول: العقاب بذنوب العباد.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً﴾ الآية، أكثر النحويين يقولون: إنما حذفت النون لأنها تشبه بما فيها[٤] من الغنة حروف اللين، ووقعت طرفًا فحذفت تشبيهًا بها كما تقول: لم يدع، ولم يرم، ولم يك[٥].

وهذا ينتقض بقولهم: لم يزن، ولم يخن، ولم يسمع حذف النون في

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٧ ب، والبغوي ٣/ ٣٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٣٧٠.

(٣) رواه بمعناه مختصرًا البغوي ٣/ ٣٦٨، وذكر نحوه ابن الجوزي ٣/ ٣٧٠.

(٤) في (س): (بما قبلها)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ١٨٤، و«حاشية الصبان» ١/ ٢٤٥.

مثل هذا الموضع إلا من (كان)؛ وذلك أن (كان) و(يكون) أم الأفعال، من أجل أن[١] كل فعل فيه معنى (كان) على ما تصرف منه، ففي (ضرب) معنى: كان ضربٌ، وفي (يضرب) معنى: يكون ضربٌ، فلما قويت بأنها أم الأفعال، وكثر استعمالها للحاجة إليها احتملت هذا الحذف، ولم تحتمله نظائرها، وهذا تعليل ذكره علي بن عيسى النحوي[٢]، وسنذكر تمام هذه المسألة في سورة هود عند قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [هود: ١٠٩] إن شاء الله تعالى[٣].

قال الكلبي: إن الله تعالى أطعم أهل مكة من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمدًا رسولًا، وكان هذا كله مما أنعم عليهم، ولم يكن يغير عليهم ذلك لو لم يغيروا هم، وتغييرهم كفرانها، وترك شكرها، فإذا غيروا ذلك غيّر الله ما بهم فسلبهم النعمة، وأخذهم بالعقاب[٤]، وقال السدي: نعمة الله: محمد ﷺ أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله إلى الأنصار[٥].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) لم أقف على هذا القول في كتب الرماني المطبوعة، ولعله في شرحه لكتاب سيبويه وهو لا يزال مخطوطًا، ولم أتمكن من الاطلاع عليه.

(٣) انظر: النسخة (ح): ٣/ ٤٥ ب، حيث قال: (لا تك): أصلها لا تكن، وإنما حذفت النون عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، قال أبو إسحاق في قوله: (ولم يك من المشركين): ذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال ومع ذلك أشبهت النون حروف اللين بأنه تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف؛ فلذلك حملت الحذف.

(٤) رواه مختصرًا الثعلبي ٦/ ٦٨ أ، وذكر السمرقندي ٢/ ٢٢ طرفًا منه.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٨، والثعلبي ٦/ ٦٨ أ، والبغوي ٣/ ٣٦٩.

فعلى هذا هم غيّروا هذه النعمة عليهم بمحمد ﷺ بتكذيبهم وقصدهم قتله، فغير الله عليهم ما أعطاهم من نعم الدنيا وأخذهم بعذاب الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: يريد: سميع لقولكم، عليم بنياتكم[١].

٥٤- قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يجوز أن تكون الكاف متعلقة بمحذوف قبلها كما ذكرنا في الأولى، ويجوز أن تتعلق بما بعدها وهو قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ يعني: أهل مكة كذبوا بآيات ربهم كصنيع آل فرعون في التكذيب بما جاء به موسى، ثم قال: ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ فذكر عقوبة الفريقين لما شبّه فعل أحدهما بفعل الآخر، ثم قال: ﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾ يعني آل فرعون وأهل مكة، والمفسرون على أن قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من فعل آل فرعون والذين من قبلهم[٢]، قال ابن عباس: يريد: الذين كذبوا قبل قوم فرعون[٣]، والوجه الأول[٤] صحيح مرضي قوي، ويمكن أن يحمل عليه الأول من قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ﴾[٥] الآية.

---

(١) في «تنوير المقباس» ص١٨٤: (سميع) لدعائكم (عليم) بإجابتكم.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٤، والثعلبي ٦/ ٦٨ أ، وابن الجوزي ٣/ ٣٧١.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وهو أن المراد بالمكذبين هم أهل مكة، وعطف قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ على قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ يدل على أن المكذبين المهلكين هم آل فرعون ومن قبلهم لا أهل مكة، ثم شبه أهل مكة بهم في التكذيب والعذاب.

(٥) الأنفال: ٥٢. والمعنى على هذا الرأي: حال أهل مكة كحال الأمم السابقة؛ إذ كفر أهل مكة فعوقبوا كحال السابقين.
والذي عليه المفسرون أن الكفر من صفة آل فرعون ومن قبلهم وشبه بهم أهل مكة. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٣، والسمرقندي ٢/ ٢٢، وابن الجوزي ٣/ ٣٧٠.

٥٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾، قال ابن عباس: يريد: الإنس خاصة[(١)]، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: في معلوم الله وفي حكمه، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معنى (الفاء) في (فهم) عطف جملة على جملة، وكلاهما من صلة (الذين)، كأنه قيل: كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون[(٢)].

قال سعيد بن جبير ومقاتل: نزلت هذه الآية في يهود قريظة[(٣)]، وكذلك ما بعدها من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾، قال أبو بكر بن عبدس[(٤)]: يريد: عاهدتهم، و(من) صلة[(٥)]، وقال غيره[(٦)] دخلت (من) لأن المعنى: أخذت منهم العهد.

ويمكن أن تجعل (من) للتبعيض[(٧)]؛ وذلك أن المعاهدة إنما تكون مع أشرافهم.

---

(١) في «تنوير المقباس» ص٢٨٤: (الخلق والخليقة) اهـ. وفي «لسان العرب» (دبب): الدابة اسم لما دب من الحيوان، مميزة وغير مميزة، وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب.

(٢) انظر: «البرهان» للحوفي ١١/ ٨٩ أ.

(٣) رواه بمعناه أبو الشيخ عن سعيد كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٧، وانظر: قول مقاتل في «تفسيره» ص١٢٣ أ.

(٤) هكذا في (ح) و(س) وفي (م): عياش، وكلاهما خطأ، والصواب: عبدوس، كما في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٨ أ.

وهو: الإمام أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس النيسابوري النحوي الفقيه، من شيوخ الحاكم أبي عبد الله، وله تفسير ذكره الثعلبي في مقدمة تفسيره، توفي سنة ٣٩٦هـ.

انظر: «إنباه الرواة» ٣/ ٥٦، و«سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٥٧.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٦/ ٦٨ أ، وضعف هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٥٠٨.

(٦) هو: أبو سهل محمد بن محمد بن الأشعث، كما في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٨ أ، وضعف هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٥٠٨.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٧٢.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾، قال بعض أهل المعاني[١]: إنما عطف المستقبل على الماضي للبيان أن من شأنهم نقض العهد مرّة بعد مرّة، قال ابن عباس[٢]، والكلبي[٣]، ومجاهد[٤]، وسعيد ابن جبير[٥]، ومقاتل[٦]: هم قريظة نقضوا عهد رسول الله ﷺ وأعانوا عليه مشركي مكة ثم اعتذروا وقالوا: أخطأنا ونسينا فعاهدهم ثانية فنقضوا العهد يوم الخندق، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: لا يخافون النقمة مني[٧].

وقال أهل المعاني: نقضوا العهد من غير أن يتقوا عقاب الله في عاجل أمرهم وآجله[٨].

٥٧- قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾، قال الليث: ثقفنا فلانًا في موضع كذا أي: أخذناه، ومصدره: الثقف[٩]. وقال ابن دريد: ثقفت الشيء: حذقته، وثقفته: إذا ظفرت به[١٠]، واحتج بالآية، ونحو هذا قال

---

(١) هو: الحوفي في «البرهان» ١١/ ٨٩ أ.

(٢) ذكره بنحوه السمرقندي ٢/ ٢٣.

(٣) رواه مختصرًا البغوي ٣/ ٣٦٩.

(٤) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ٢٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٩، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٧.

(٥) رواه بمعناه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٧.

(٦) انظر: «تفسيره» ١٢٣ أ.

(٧) في «تنوير المقباس» ص١٨٤ (وهم لا يتقون): عن نقض العهد.

(٨) هذا قول الحوفي في «البرهان» ١١/ ٨٩ ب.

(٩) «تهذيب اللغة» (ثقف) ١/ ٤٨٩، والنص في كتاب «العين» (ثقف) ٥/ ١٣٨ مختصرًا.

(١٠) «جمهرة اللغة» لابن دريد (ثقف) ١/ ٤٢٩، و«تهذيب اللغة» (ثقف) ١/ ٤٨٩.

ابن قتيبة: تظفر بهم[١]، وقال الزجاج: تصادفنهم[٢]. وأصله: الإدراك بسرعة، قال مقاتل: فإن أدركتهم في القتال وأسرتهم[٣].

وهذا الحرف مما تكلمنا فيه عند قوله: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ في سورة البقرة[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ معنى التشريد في اللغة: التفريق على اضطراب، يقال: شرد يشرد شرودًا، وشرّده تشريدًا[٥]، ومعنى قوله: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ ما قاله الزجاج وهو: إفعل بهم فعلًا تفرق به[٦] من خلفهم[٧] ثم اختلفوا في ذلك الفعل الذي يفعل بهم، فقال عطاء: أثخن فيهم القتل حتى يخافوك غيرهم من أهل مكة وأهل اليمن[٨]، وقال ابن عباس: نكل بهم تنكيلًا يشرد غيرهم من ناقضي العهد[٩]، وجميع ما قيل

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص١٧٩.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠.

(٣) «تفسير مقاتل» ص١٢٣ ب مع اختلاف يسير.

(٤) الآية ١٩١، وانظر النسخة الأزهرية ١/ ١١٨ ب، حيث قال: (ثقفتموهم: قال الليث: ثقفنا فلانًا في موضع كذا: أي أخذناه، ومصدره الثقف، وقال الفراء في «المصادر»: ثقف يثقف ثقفًا، وربما ثقل فقيل: ثقفًا، قال المفسرون: أي حيث وجدتموهم، وقال الزجاج: معنى الآية: لا تمتنعوا من قتلهم في الحرم وغيره.

(٥) قال ابن فارس: (شرد) الشين والراء والدال أصل واحد وهو يدل على تنفير وإبعاد، وعلى نفار وبعد في انتشار. «معجم مقاييس اللغة» (شرد) ٣/ ٢٦٩.

(٦) في (م): (بهم).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ٦٨ ب.

(٩) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٧٣، ورواه ابن جرير ١٠/ ٢٥-٢٦، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧١٩ بلفظ: نكل بهم من بعدهم.

في هذا يعود معناه إلى هذا القول[(١)]، ولقد أوجز من قال: فرق جمع كل ناقض بما تبلغ من هؤلاء[(٢)]، وقال مقاتل: فنكل بهم من بعدهم من العدو وأهل عهدك ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ النكال فلا ينقضون العهد[(٣)].

ومعنى نكل بهم: أي افعل بهم فعلًا ينكل غيرهم عنك بسبب ذلك الفعل خوفًا منك، وقال صاحب النظم: معنى ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ اقتلهم ليخافوك غيرهم فيتفرقوا عنك، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ معنى راجع إلى (مَنْ خَلْفَهُم)؛ لأنهم إذا قتلوا فليس لذكر قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ معنى، فهو منظوم بقوله: ﴿مَنْ خَلْفَهُم﴾ والتأويل: فشرد بقتلهم والإنكاء[(٤)] فيهم (مَنْ خَلْفَهُم) أي من بعدهم، يكن ذلك تخويفًا وعظة لهم، وهذا معنى قول ابن عباس: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لكي يتعظوا[(٥)].

---

(١) اختلاف المفسرين في ذلك الفعل إنما هو اختلاف تنوع وتمثيل، وإذا تبين لنا أن هذه الآية نزلت في بني قريظة فالأولى تفسير التشريد بما فعل رسول الله ﷺ فيهم من قتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم؛ وذلك لأمرين:
أ- أن فعل رسول الله ﷺ امتثال لأمر ربه وهو أعلم بمراده.
ب- أن سعد بن معاذ لما حكم فيهم بأن تقتل المقاتلة وأن تسبى الذرية والنساء قال رسول الله ﷺ: «**قضيت بحكم الله**» .رواه البخاري (٣٨٠٤) كتاب: المناقب، باب: مناقب سعد بن معاذ، ومسلم (١٧٦٨) كتاب: الجهاد، باب: جواز قتال من نقض العهد، والظاهر أن حكم الله هو المذكور في هذه الآية.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٦٨ ب دون ذكر قائله، وروى ابن جرير ١٠/ ٢٦، عن ابن زيد لفظًا مقاربًا ونصه: أخفهم بما تصنع بهؤلاء.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٢٣ ب.

(٤) الإنكاء: إكثار الجراح والقتل في العدو حتى يهن ويضعف.
انظر: «لسان العرب» (نكي) ٨/ ٤٥٤٥، وفي (س): والإنكال، وهو خطأ.

(٥) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٤ بنحوه.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾، قال ابن عباس: يريد: تعلمن[١]، وقد ذكرنا الخوف بمعنى العلم عند قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤][٢].

ومعنى (خيانة) أي نقضًا للعهد، وقوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾، قال الزجاج: أي انبذ عهدهم الذي عاهدتهم[٣] عليه، أي: ارم به إليهم، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: لتكون أنت وهم سواء في العداوة[٤]؛ فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب، وقال ابن قتيبة: يقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضًا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء[٥].

هذا معنى الآية، فأما حكمها فإن حملنا الخوف على العلم كما ذكره ابن عباس فلا إشكال فيه، والإمام إذا علم الخيانة ونقض العهد ممن هادنهم من المشركين بأمر ظاهر مستفيض استغنى عن نبذ العهد وإعلامهم بالحرب لأنه حينئذ لا يكون خائنًا إذا ناصبهم الحرب، وإن علم الخيانة بأمارات ظاهرة تلوح وتتضح له من غير أمر مستفيض، فحينئذ يجب على الإمام أن ينبذ العهد إليهم، وهذا هو[٦] المعني بالآية.

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) قال في هذا الموضع: (إلا أن يخافا: أي يعلما، وإنما كان الخوف بمعنى العلم؛ لأن الخوف مضارع للظن، وحكى الفراء: العرب تقول للرجل: قد خرج غلامك بغير إذنك، فيقول له: قد خفت ذاك، يريد: قد ظننته وتوهمته ..).

(٣) في (ح) و(س): (عاهدتم)، وهو خطأ.

(٤) اهـ. كلام الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص٢١.

(٦) ساقط من (ح).

قال المفسرون وأهل العلم[١]: إذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فألق إليهم السلم وآذنهم بالحرب، وذلك كالذي كان من قريظة إذ أجابوا[٢] أبا سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ بعد العهد الذي كانوا عاهدوه، فكان ذلك موجبًا لرسول الله ﷺ خوف الغدر منهم به وبأصحابه، وكذلك الحكم في كل قوم كانوا أهل موادعة للمؤمنين ظهر للإمام منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله ﷺ من قريظة، فحق على الإمام أن ينبذ إليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب.

وإذا اشتهرت دلائل النقض أغنت عن النبذ كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي ﷺ لم[٣] يرعهم إلا جيش رسول الله ﷺ بمر الظهران، وذلك على أربعة[٤] فراسخ من مكة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد الذين خانوا مع النبي ﷺ[٥]، وقال الزجاج: الذين يخونون في عهودهم[٦] وغيرها[٧].

---

(١) انظر: «الطبري» ١٠/ ٢٧، والزمخشري ٢/ ١٦٥، والبغوي ٣/ ٣٧٠، و«المغني» ١٣/ ١٥٨، والنص للحوفي في «البرهان» ١١/ ٩٤ إلى قوله: وإذا اشتهرت.

(٢) في (ح): (جابوا).

(٣) في (ح): (ثم لم).

(٤) في (ح): (أربع).

(٥) «تنوير المقباس» ص١٨٤ بمعناه.

(٦) في (م) و(س): (عهدهم).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٠ بتصرف.

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾، قال الزجاج: معناه لا تحسبن من أفلت من هذا[١] الحرب قد سبق إلى الحياة[٢][٣].

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنهم لا يعجزونني، وما أعجز عن خلقي، ولا أضعف[٤]، وقال ابن الأنباري: معنى الآية هو: أن أولئك الذين انهزموا من ذلك[٥] الحرب أشفقوا من هلكة تنزل بهم في ذلك الوقت، [فلما لم[٦] تنزل طغوا وبغوا، فقال الله ﷻ: لا تحسبن][٧] أنهم سبقونا بسلامتهم الآن فإنهم لا يعجزوننا فيما يستقبلون من الأوقات[٨].

وذكرنا فيما مضى أن الحسبان يقتضي مفعولين، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما، إلا أن المفعول الثاني خبر عن الأول، والفعل الذي هو (حسبت) متعلق بما دلت عليه الجملة.

والآية بيان عن اقتدار الله ﷻ الذي لا ينفع معه حسبان للنجاة من

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن وإعرابه»: هذه، قال ابن منظور: الحرب: نقيض السلم، أنثى، . .. وحكى ابن الأعرابي فيها التذكير .. قال: والأعرف تأنيثها. «لسان العرب» (حرب) ٢/ ٨١٥-٨١٦.

(٢) في (م): (الخيانة).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٨٤ بمعناه، وفي «البرهان» للحوفي ١١/ ٩٥ أ: لا يفوتون.

(٥) في «الوسيط» ٢/ ٤٦٨: (يوم بدر) بدلًا من قوله: (من ذلك الحرب). وانظر: التعليق السابق رقم (٥).

(٦) ساقط من (ح).

(٧) نص ما بين المعقوفين في «زاد المسير» هو: فلما سلموا قيل: لا تحسبن . . . إلخ.

(٨) «الوسيط» ٢/ ٤٦٨، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٧٤ باختصار.

العقاب، وأكثر القراء قرؤوا ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء[١] على مخاطبة النبي ﷺ و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المفعول الأول، و﴿سَبَقُوٓا۟﴾ المفعول الثاني، وموضعه نصب، والمعنى: لا تحسبن الذين كفروا سابقين، ومن قرأ بالياء[٢] فقال أبو إسحاق: وجهها ضعيف عند أهل العربية[٣]؛ إلا أنها جائزة على أن

---

(١) وبها قرأ ابن كثير وشعبة، عن عاصم وأبو عمرو ونافع والكسائي ويعقوب وخلف. انظر: الغاية في القراءات العشر ص١٦٢، و«تقريب النشر» ص١١٩، و«تحبير التيسير» ص١١٨.

(٢) وبذلك قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر وحمزة. انظر: المصادر السابقة نفس المواضع.

(٣) وصف الزمخشري أيضًا هذه القراءة بأنها ليست نيرة، في «الكشاف» ٢/ ١٦٥، وتضعيف قراءة متواترة يُعلم قطعًا أن رسول الله ﷺ تلقاها عن ربه وأقرأها أصحابه وهم أهل العربية، من خطل القول، سببه الغلو في أقيسة علماء اللغة، وقصور العلم عن الإحاطة بالأوجه القوية للقراءة، وقد ذكر الواحدي عدة أوجه لهذه القراءة وهناك أوجه أخرى منها:

أ- أن الفاعل ضمير يعود إلى المذكورين في الآية السابقة والتقدير: ولا يحسبن من خلفهم الذين كفروا سبقوا، وهذا اختيار أبي جعفر النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٨٢.

ب- أن الفاعل ضمير يعود للكفار لتقدم ذكرهم في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وفي قوله: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ﴾، و﴿لَا يَتَّقُونَ﴾، و﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، ذكره مكي بن أبي طالب في «مشكل إعراب القرآن» ص٣١٨.

ج- أن الفاعل محذوف يفهم من السياق والتقدير: ولا يحسبن حاسب أو أحد. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١، و«البحر المحيط» ٤/ ٥١٠-٥١١، و«التحرير والتنوير» ١٠/ ٥٤.

وإذا تبين أن لهذه القراءة أكثرَ من وجه قائم على تقدير المحذوف، حسن التنبيه إلى أن أسلوب الحذف من الأساليب البلاغية العالية لتذهب النفس في تقدير المحذوف كل مذهب لائق بالمقام.

يكون المعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا؛ لأنها في حرف ابن مسعود (أنهم سبقوا)[١] فإذا كانت كذلك فهي بمنزلة قولك: حسبت أن أقوم، وحسبت أقوم، على حذف (أن)، ويكون أقوم وقام ينوب عن الاسم والخبر، هذا كلامه[٢].

وحذف (أن) قد جاء في غير شيء[٣] كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، قال سيبويه: حذف (أن) والمعنى: أن أعبد[٤].

وهو كثير في الشعر[٥]، فإذا وجهته على هذا سد (أن سبقوا) مسد المفعولين؛ كما أن قوله: ﴿أحسبت الناس أن يتركوا﴾ [العنكبوت: ٢] كذلك، وذكر أبو الحسن[٦] وجهًا آخر: وهو أنه أضمر فاعلًا[٧] للحسبان،

---

(١) ذكر هذه القراءة عنه، الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٦٥، وأبو حيان في «البحر» ٤/ ٥١٠-٥١١، ولم يذكرها ابن أبي داود في «المصاحف»، ولا ابن جني في «المحتسب»، ولابن خالويه في «المختصر».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢١.

(٣) يعني في أكثر من موضع.

(٤) هذا القول مفهوم من عبارة سيبويه، حيث جعل الآية بمنزلة قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

بعد بيان أن (أن) محذوفة في قوله (أحضر). انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ١٠٠، و«الحجة» ٤/ ١٥٥، وضعف السيرافي هذا الوجه. انظر: «حاشية كتاب سيبويه» ١/ ٤٥٢، ط/ بولاق.

(٥) انظر بعض الأبيات في «الحجة» ٤/ ١٥٦.

(٦) يعني الأخفش الأوسط، انظر قوله في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٥، لم يذكره في كتاب« «معاني القرآن».

(٧) في (م): (فاعلًا آخر).

وجعل (الذين كفروا) المفعول الأول[١]، وقال: التقدير: ولا يحسبن النبي الذين[٢] كفروا، وذكر أبو علي وجهًا ثالثًا وقال: يجوز أن يكون أضمر المفعول الأول، التقدير: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم أو إياهم سبقوا[٣].

وأكثر القراء على كسر (إن)[٤] في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ وهو الوجه[٥]؛ لأنه ابتداء كلام غير متصل بالأول، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤] وتم الكلام ثم قال: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فكما أن قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ منقطع من الجملة التي قبلها، كذلك قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

وقرأ ابن عامر: (أنهم) بفتح الألف[٦]، جعله متعلقًا بالجملة الأولى فيكون التقدير: لا تحسبهم سبقوا لأنهم لا يفوتون[٧] فهم[٨] يجزون على كفرهم[٩].

وقال أبو عبيد: لا أعرف لفتح (أن) وجهًا إلا أن تجعل (لا) صلة،

---

(١) ساقط من (م).

(٢) في (ح): (والذين)، وهو خطأ.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٥.

(٤) هذه قراءة الجمهور، ولم يخالف إلا ابن عامر الذي قرأ بالفتح، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٢، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٢، و«تقريب النشر» ص١١٩.

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٧، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣١٢، و«إعراب القراءات» لابن خالويه ١/ ٢٣٠.

(٦) انظر التخريج السابق لقراءة الجمهور.

(٧) في (ح): (يقولون)، وهو خطأ.

(٨) في (س): (منها)، ولا معنى له.

(٩) انظر هذا التوجيه في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٨، و«حجة القراءات» ص٣١٢.

فتقول: لا تحسبن أنهم يعجزون[١]، قال ابن الأنباري: فتح (أن) بتكرير الفعل، التقدير: لا يحسبن الذين كفروا سبقوا لا يَحْسبُنَّ أنهم يعجزون، و(لا) توكيد للكلام، كقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥][٢].

وهذا الوجه من كون (لا) زيادة ذكره الفراء[٣] وأبو إسحاق[٤] أيضًا.

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الآية، قال الليث:][٥] القوة: من تأليف قاف، وواو، وياء؛ فأدغمت الياء في الواو، ويقال: قوي الرجل يقوى قوة فهو قوي، وجمع القوة: قوى، قال تعالى: ﴿شديد القوى﴾ [النجم: ٥][٦].

وقد يسمى ما يتقوى به على أمر قوة، كالذي في هذه الآية، قال ابن عباس: يريد السلاح والقسي[٧][٨]، وقال مقاتل: السلاح

---

(١) ذكر بعض هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٨٤ وأشار إليه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٦٨٣، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٤/ ٥١٠، والسمين في «الدر المصون» ٥/ ٦٢٥.

(٢) انظر: قول ابن الأنباري في «زاد المسير» ٣/ ٣٧٤ بنحوه.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤١٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٢، وقد ضعف أبو إسحاق الزجاج هذا الوجه، وعلل ذلك بقوله: لأن (لا) لا تكون لغوًا في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغو.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) «تهذيب اللغة» (قوى) ٣/ ٣٠٧٠، وقد اختصر الواحدي القول وغيّر ترتيب بعض الجمل، والقول أيضًا في كتاب «العين» (قوي) ٥/ ٢٣٦ مختصرًا.

(٧) القسي: جمع قوس والقوس معروفة، من آلات الرمي، انظر: «لسان العرب» (قوس) ٦/ ٣٧٧٣.

(٨) «تنوير المقباس» ص١٨٤، ولم يذكر القسي.

والنشاب[(١)(٢)]، وروي أن النبي ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ فقال: «**ألا إن القوة الرمي**» ثلاثًا[(٣)]، قال أهل التحقيق[(٤)]: الأولى أن يقال: هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، ولا نخص شيئًا دون شيء[(٥)]، فكل ما هو من آلة الغزو والجهاد فهو من جملة ما عنى الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، كما روى ليث، عن مجاهد أنه رؤي مع[(٦)] جوالق[(٧)]، وهو يتجهز للغزو فقيل: ما

---

(١) النشاب: النبل والسهام. انظر: «لسان العرب» (نشب) ٧/ ٤٤٢٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٢٣ ب، ولفظه: السلاح: وهي الرمي.

(٣) رواه مسلم (١٩١٧) كتاب: الإمارة، باب: فضل الرمي، وأبو داود (٢٥١٣) كتاب: الجهاد، باب: في الرمي، والترمذي (٣٠٨٣) كتاب تفسير القرآن، سورة الأنفال، وأحمد ٤/ ١٥٧ وغيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٩.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٢، و«البرهان» للحوفي ١١/ ٩٦ أ.

(٥) الأولى أن يعطى تفسير رسول الله ﷺ مزية وخصوصية فيقال: إن الحديث دليل على فضل الرمي وأنه أعظم القوة، وأنكأ للعدو، وأجل ما يحقق النصر، فينبغي أن يخص بمزيد اهتمام، فهذا الحديث الآخر: «**الحج عرفة**» فهو يدل على أن هذا المذكور أفضل المقصود وأجله، ولا ينفي اعتبار غيره، وذهب الإمام النووي إلى الوقوف على ظاهر الحديث حيث قال: هذا تصريح بتفسيرها -يعني القوة- ورد لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا. «صحيح مسلم بشرح النووي» ١٣/ ٦٤، ومثله الشوكاني في «تفسيره» ٢/ ٤٦٦ حيث قال: والمصير إلى التفسير الثابت عن رسول الله ﷺ متعين.

وأقول: إن من يتأمل حال الحرب في عصرنا الحديث يشهد أن تفسير الرسول ﷺ القوة بالرمي من آياته التي تشهد أنه لا ينطق عن الهوى، فالقوة في هذا العصر تكاد تنحصر في الرمي.

(٦) هكذا في جميع النسخ، والصواب: معه، وفي «تفسير ابن جرير»: لقي رجل مجاهدًا بمكة ومع مجاهد جوالق، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» ومعه جوالق.

(٧) الجوالق: بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها: وعاء. انظر =

هذا؟ قال: هذا من القوة[١].

وتفسير النبي ﷺ القوة بالرمي لا يدل على أن المراد بالقوة الرمي دون غيره من السيف والرمح، بل الرمي أحد معاني القوة، ولم يقل: هو الرمي دون غيره.

وتمام[٢] الخبر: «**ألا إن الله سيفتح لكم الأرض وستكفون المؤونة**[٣]، **فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه**»[٤].

وهذه الآية دليل على أن الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعلم الفروسية والرمي فريضة، غير أنها من فروض الكفايات.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ ذكرنا في آخر سورة آل عمران أن أصل الرباط من مرابطة الخيل وهو ارتباطها بإزاء العدو[٥]، وأكثر المفسرين على أن المراد برباط الخيل ههنا: ربطها واقتناؤها للغزو، وهي من أقوى عدد الجهاد[٦]، وقد روي أن رجلًا قال لابن سيرين: إن فلانًا

= انظر: «القاموس المحيط» باب: القاف، فصل: الجيم ص٨٧٢.

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٣٠، من رواية رجاء بن أبي سلمة، أما رواية ليث فهي عند ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٢ لكن بلفظ: القوة: ذكور الخيل.

(٢) في (ح): (وتمام الله الخير)، وهو خطأ.

(٣) أي مؤونة القتال وتعب الجهاد. انظر: «تحفة الأحوذي» ٨/ ٤٧٤، وتطلق المؤونة أيضًا على النفقة كما في «لسان العرب» (مون) ٧/ ٤٣٠٢، لكن السياق يدل على أن الأول هو المراد.

(٤) رواه الترمذي (٣٠٨٣) كتاب تفسير القرآن، باب: سورة الأنفال، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٨.

وراوه بنحوه مسلم (١٩١٨) في «صحيحه» كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي.

(٥) انظر: «البسيط» آل عمران: ٢٠٠.

(٦) يعني في وقتهم.

أوصى بثلث ماله للحصون، فقال ابن سيرين: يُشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها، فقال[١]: الرجل أوصى للحصون. فقال: هي الخيل، ألم تسمع قول الشاعر[٢]:

ولقد علمت على تجنبي[٣] الردى
أن الحصون الخيل لا مدر[٤] القرى[٥]

وقال عكرمة: ﴿وَمِن رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الإناث[٦]، وهو قول الفراء، قال: يريد إناث الخيل[٧].

ووجه هذا القول: أن العرب تسمي الخيل إذا ربطت بالأفنية وعُلّفت: رُبُطًا، واحدها: ربيط[٨]، وتجمع[٩] الرُّبُط رباطًا[١٠]، وهو جمع الجمع[١١]، فمعنى الرباط ههنا: الخيل المربوطة في سبيل الله، وفسر

(١) في (ح) و(س): (وقال).
(٢) البيت لأشعر الجعفي، انظر: «لسان العرب» (حصن) ٣/ ٩٠٣، و«شرح شواهد الكشاف» ٤/ ٤٠٤.
(٣) في «لسان العرب» (حصن) ٣/ ٩٠٣: توقي.
(٤) في (ح): (مدن)، وهو خطأ.
(٥) ذكر الأثر الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٦٦ بلفظ مقارب، ولم يخرجه الزيلعي في كتابه «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف».
(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب الجهاد، باب: الخيل ١٢/ ٤٨٣، وابن جرير ١٠/ ٣٠، وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٤٩.
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤١٦.
(٨) في (ح): (ربيطة).
(٩) في (م): (والجمع).
(١٠) في (ح): (ربطًا).
(١١) انظر: «تهذيب اللغة» (ربط) ٢/ ١٣٤٦.

بالإناث لأنها أولى ما تربط لتناسلها ونمائها بأولادها، فارتباطها أولى من ارتباط الفحول.

وقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [قال مجاهد][1]: قال ابن عباس: يريد: تخيفون به[2].

والكناية تعود إلى (ما) في قوله: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ ويجوز أن تعود إلى الإعداد؛ لأن قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ يدل عليه.

وقوله تعالى: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، قال مجاهد ومقاتل: يعني: مشركي مكة وكفار العرب[3].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾، قال مجاهد ومقاتل: يعني: قريظة[4].

---

(١) ساقط من (م) و(س).

(٢) لفظ الرواية عن ابن عباس: (تخزون به). إذ بهذا اللفظ رواه الثوري في «تفسيره» ص١٢٠، والطبري ١٠/ ٣٠، عن مجاهد، عن ابن عباس، وكذلك رواه الثعلبي ٦/ ٦٩/ب، والفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «فتح القدير» للشوكاني ٢/ ٤٦٨، بل أشار ابن خالويه في كتابه «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٠، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٦٦ إلى أن ابن عباس ومجاهد كانا يقرآن: (تخزون به)، وقد ذكر الحوفي في «البرهان» ١١/ ٩٥ ب رواية ابن عباس بلفظ مقارب لما ذكره المؤلف ونصه: (تخوفون به).

(٣) انظر قول مقاتل في: «تفسيره» ١٢٣ ب، ولفظه: كفار العرب، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٣ بلفظ: (من المشركين). ولم أجد فيما بين يدي من مراجع إشارة إلى قول مجاهد، ومن الجدير بالتنبيه أن تحديد الأعداء هنا وفي الموضع بعده إنما هو باعتبار ملابسات النزول وأسبابه، والعبرة بعموم اللفظ وصلاحيته لكل زمان ومكان.

(٤) رواه عن مجاهد الإمام ابن جرير ١٠/ ٣١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٣، والثعلبي =

وقال السدي: هم أهل فارس[١]، وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله، ويغزون معكم[٢]، قال الحسن: لا كل منافق علم به رسول الله ﷺ، قال: ونظير هذه الآية قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٣]، ودل كلام ابن عباس في رواية عطاء على هذا المعنى فقال: يريد قومًا معه[٤]، وهذا يدل على أنه أراد المنافقين[٥].

وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى[٦] قال: هم كفار الجن، قال: وبلغني أنه لا يقرب جني صاحب فرس أبدًا[٧]، وهذا التفسير مع هذا

= ٦/ ٦٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٧٣، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٥٧، ورواه عن مقاتل بهذا اللفظ البغوي ٣/ ٣٧٣، وفي «تفسير مقاتل» ١٢٣ ب، والسمرقندي ٢/ ٢٤، وابن الجوزي ٣/ ٣٧٥: اليهود.

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٣١، والثعلبي ٦/ ٦٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٧٣.

(٢) رواه عنهما البغوي ٣/ ٣٧٣، ورواه عن ابن زيد الإمام ابن جرير ١٠/ ٣٢-٣٣، والثعلبي ٦/ ٦٩ ب، وذكره الهواري ٢/ ١٠٣، عن الحسن مختصرًا.

(٣) التوبة: ١٠١، ولم أقف على قول الحسن هذا.

(٤) لم أقف على مصدره، وسبق أن رواية عطاء مكذوبة على ابن عباس.

(٥) في (ح): (المنافقون).

(٦) هو: سليمان بن موسى الأشدق الدمشقي الأموي مولاهم، الإمام الكبير، ومفتي دمشق، وفقيه أهل الشام في زمانه، توفي سنة ١١٩هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٢/ ٣٨، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٤٣٣، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١١١.

(٧) رواه بمعناه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٥٩. انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٨٦، وذكره الثعلبي ٦/ ٦٩ ب بلا نسبة.

المعنى روي مرفوعًا، وهو أن النبي ﷺ قال: «**إنهم الجن**»[١] في[٢] قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ ثم قال: «**إن الشيطان لا يخبل أحدًا في دارٍ فيها فرس عتيق**»[٣].

قال بعض المفسرين[٤]: وهذا القول هو الأولى بالصواب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس، وأما المنافقون فلم تكن تروعهم[٥] خيل المؤمنين وسلاحهم[٦]؛ لأنهم كانوا يعدون أنفسهم من جملتهم، ويؤكد هذا ما روي عن الحسن أنه قال: إن صهيل الخيل يرهب الجن[٧]، ومع هذا فقول من قال: إنهم المنافقون قريب؛ لأنهم يُرهبون[٨] بعدد المسلمين، ويوجسون الخيفة بظهورهم على عدوهم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ٤/ ١٥ أ، قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٣٥: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه.

(٢) ساقط من (ح) و(س).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» ١٧/ ١٨٩ (٥٠٦)، والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى وابن المنذر وابن قانع في «معجمه» وأبو الشيخ وابن منده والروياني في «مسنده»، وابن مردويه وابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٥٩، قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٥٦: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه.

(٤) هو الإمام ابن جرير، انظر «تفسيره» ١٠/ ٣٢-٣٣، وقد ذكر الواحدي قوله بمعناه.

(٥) في (ح): (تردعهم)، وما أثبته موافق لتفسير ابن جرير.

(٦) إلى هنا انتهى قول ابن جرير، وفي قوله: أما المنافقون فلم تكن تروعهم خيل المؤمنين. نظر؛ لأن سبب النفاق قوة المؤمنين وضعف الكافرين الذين بين ظهرانيهم فيسترون كفرهم، ومتى ما شعروا بقوتهم وضعف المؤمنين انقضوا عليهم وأظهروا كفرهم.

(٧) ذكره الزمخشري ٢/ ١٦٦، والرازي ١٥/ ١٨٦، لكن الزمخشري لم ينسبه للحسن.

(٨) في (ح): (يرتبون)، وهو خطأ.

وقال قوم من أهل التأويل: هم كل عدو للمسلمين لا يعرفون عداوته[1].

وقال المبرد[2]: في قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ اكتفى للعلم بمفعول واحد لأنه أراد: لا تعرفونهم[3]، وأنشد[4]:

فإن الله يعلمني ووهبًا
وأنا سوف يلقاه كلانا

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن إسحاق وغيره: من آلةٍ وسلاح وصفراء وبيضاء في طاعة الله: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[5]،

---

(١) ذكر هذا القول الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٠، ونسبه لبعض المتأخرين، ورجحه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٨ فقال: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾؛ فكيف يدعي أحد علمًا بهم، إلا أن يصح حديث جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ وهو قوله في هذه الآية: «هم الجن»، قلت: والحديث لم يصح كما سبق بيانه، وهذا القول أعم الأقوال إذ يدخل فيه كل من لا يعلم المؤمنون عداوته كالمنافقين، والمتربصين بالمؤمنين الدوائر، والدول التي ظاهرها المسالمة، وباطنها العداء والمحاربة.

(٢) في (ح): (المبرك).

(٣) انظر قول المبرد دون إنشاد البيت في: «المقتضب» ٣/ ١٨٩.

(٤) البيت للنمر بن تولب العكلي كما في «ديوانه» ص٣٩٥، و«شرح المفصل» ص٢١٣، وكان وهب المذكور نازع النمر بن تولب الشاعر في بئر، فقال في ذلك قصيدة منها البيت المذكور وقبله:

يريد خيانتي وهب وأرجو من الله البراءة والأمانا

(٥) لم أجد هذا القول لابن إسحاق، ونص قوله في «السيرة النبوية» ٢/ ٣٢٠، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٣: أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا، وقال ابن جرير ١٠/ ٣٣: في شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع. . . يخلفه الله عليكم. وانظر أيضًا «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤.

قال ابن عباس: يريد: يخلف لكم[١]، والمعنى: يوفر لكم أجره، أي: لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: لا تنقصون من الثواب، وتلا قوله: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف: ٣٣][٢].

٦١- قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ الآية، قال النضر: جنح الرجل إلى فلان وجنح له: إذا تابعه وخضع له[٣]، والرجل يجنح: إذا أقبل على الشيء يعمله بيده، وأنشد قول لبيد:

جنوح الهالكيّ على يديه
مكبًا يجتلي[٤] نقب النصال[٥]

وقال أبو زيد: جنح الرجل يجنح جنوحًا: إذا أعطى بيده، أو عدل إلى ما يحب القوم[٦].

---

(١) ذكره بمعناه الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٨٧، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٤.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٥/ ١٨٧.

(٣) إلى هنا انتهى قول النضر بن شميل فيما نقله عنه الأزهري، وقد نقله الواحدي بمعناه، ونصه: جنح الرجل إلى الحرورية، وجنح لهم: إذ تابعهم وخضع لهم اهـ. وقد نسب الأزهري ما بعده مع الاستشهاد بالبيت المذكور إلى الليث، وهو بنصه في كتاب «العين» (جنح) ٤/ ٨٣. انظر: «تهذيب اللغة» (جنح) ١/ ٦٦٥-٦٦٦.

(٤) في (م): (يحتكى).

(٥) البيت في «ديوان لبيد» ص١٠٥ن ونسب إليه أيضًا في «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٢١، و«تهذيب اللغة» (جنح) ١/ ٦٦٥، و«لسان العرب» (جنح) ٢/ ٦٩٧.
والهالكي: الحداد، نسبة للهالك بن عمرو الأسدي أول من عمل الحدادة من العرب، والنقب: الصدأ، انظر: «لسان العرب» (هلك) و(نقب).

(٦) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٨، ولم أجده في كتاب «النوادر في اللغة» لأبي زيد.

والمفسرون وأهل المعاني قالوا في هذه الآية: إن مالوا إلى الصلح فمل إليه[(١)]، قال ابن الأنباري: [تأويل الآية][(٢)]: وإن مالوا إلى المسالمة وترك القتال فمل إلى ذلك[(٣)].

وأنث الهاء في (لها) لأنه قصد بها قصد (الفَعْلَة) و(الجنحة) كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣] أراد من بعد فَعْلَتهم، ويجوز أن تكون الهاء والألف للسلم في لغة من يؤنثه[(٤)]، أنشد أبو العباس[(٥)]، عن سلمة[(٦)]، عن الفراء:

فلا تضيقن إن السلم واسعة ملساء ليس بها وعث ولا ضيق[(٧)]

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٩١، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٣، و«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٢، و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٥٨، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٦٩ ب، والبغوي ٣/ ٣٧٣، والزمخشري ٢/ ١٦٦.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) قال ابن فارس في «مجمل اللغة» (سلم) ٢/ ٤٦٨: السلم: الصلح يذكر ويؤنث اهـ. وقال الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٦٦: والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب.

(٥) هو: أحمد بن يحيى (ثعلب)، تقدمت ترجمته.

(٦) هو: سلمة بن عاصم النحوي الكوفي، أبو محمد، راوية الفراء وناشر كتبه، كان أديبًا فاضلًا عالمًا؛ مع ورعٍ شديد، وتأله عظيم، وكثرة عباده، توفي بعد سنة ٢٧٠هـ.

انظر: «مراتب النحويين» ص١٤٩، و«إنباه الرواة» ٢/ ٥٦، و«طبقات القراء» لابن الجزري ١/ ٣١١، و«بغية الوعاة» ١/ ٥٩٦.

(٧) لم أعثر على قائله، وهو بلا نسبة في «المذكر والمؤنث» للفراء ص٢٠، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٤٨٥، و«شرح القصائد السبع» ص٢٦٢، و«شرح المعلقات» للتبريزي ص١٦٨، و«اللمع» لابن جني ص٣١٠.

والقولان للفراء[١] ذكرهما أبو بكر، قال: وأما قوله: (لها) وهو يريد: إليها؛ فلأن (اللام) تنوب عن (إلى)، و(إلى) عنها، وأنشد[٢]:

ومـكـاشـح لـولاك أصـبـح جـانـحًـا
لـلـسـلـم يـرقـى حَـيَّـتـي وضِـبـابـي[٣]

والكلام في السلم قد مضى في سورة البقرة [٢٠٨].

قال مجاهد[٤]، والكلبي[٥] في قوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: يعني: قريظة. وقال الحسن: يعني: المشركين وأهل الكتاب[٦].

---

(١) قال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤١٦: (فاجنح لها): إن شئت جعلت (لها) كناية عن السلم لأنها مؤنثة، وإن شئت جعلته للفعلة كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ولم يذكر قبله إلا فعلًا، فالهاء للفعلة.

(٢) أنشد أبو بكر البيت في «المذكر والمؤنث» ١/ ٤٨٦، ولم يذكر ما قبله في هذا الكتاب.

(٣) البيت لإبراهيم بن هرمة كما في «ديوانه» ص٧٠.
والمكاشح: المضمر العداوة. ومعنى يرقى: يتعوذ. والضباب: قال في «لسان العرب» (ضبب) ٤/ ٢٥٤٣. الضَّب والضِّب: الغيظ والحقد، وقيل: هو الضغن والعداوة، وجمعه ضباب، قال الشاعر:
فـمـا زالـت رقـاك تـسـل ضـغـنـي   وتـخـرج من مـكـامـنـهـا ضـبـابـي
والمعنى: لولا المخاطب لجنح الخصم للسلم ومال إليه، وصار يتودد للشاعر ليسل غيظه وحقده.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٣٤ وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٥، والثعلبي ٦/ ٧٠ أ، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٥٧.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٤٦٩، ورواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٤ عنه، عن ابن عباس.

(٦) ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٠٢ دون ذكر أهل الكتاب، وكذلك المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٦٩.

وأكثر المفسرين على أن هذا منسوخ[(١)] وهو قول قتادة[(٢)]، وعكرمة[(٣)]، والحسن[(٤)]، وابن زيد[(٥)] قالوا: نسخها قوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]، ونحو ذلك روى عطاء الخرساني، عن ابن عباس[(٦)]، وقال

---

(١) لعله يعني مفسري السلف وقد ذهب كثير من المتأخرين إلى أنها محكمة كابن جرير ١٠/ ٣٤، والسمرقندي ٢/ ٢٤، والزمخشري ٢/ ١٦٦، وابن كثير ٢/ ٣٥٦ وغيرهم؛ لإمكان الجمع بين الآيات فالمشركون يقاتلون كافة حتى يجنحوا إلى السلم، ولا يجوز للمسلمين أن يبدؤا بطلب الصلح ابتداءً وقت قوتهم وعلوهم، ومال بعضهم إلى القول بالنسخ كالكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ٣/ ١٦٥، والثعلبي ٦/ ٦٩/ب، والبغوي ٣/ ٣٧٣ إذ لم يذكروا غير القول به، وجوّزه ابن الجوزي ٣/ ٣٧٦ بناءً على من أريد بهذه الآية، ويحسن التنبيه إلى ما سبق بيانه إلى أن اصطلاح السلف في النسخ أوسع من اصطلاح المتأخرين فلا ينبغي الاغترار به، والحكم على رفع حكم الآية من جميع الوجوه بناءًا عليه، وانظر في القول بنسخ هذه الآية: «تفسير الطبري» ١٠/ ٣٤، و«الإيضاح» لمكي ص٢٥٩، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٥٦-٣٥٧، و«النسخ في القرآن الكريم» ١/ ٥٦٦.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ١/ ٣٦١، وابن جرير ١٠/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٥، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٨٥.

(٣) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في الموضعين السابقين.

(٤) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، و«تفسير البغوي» ٣/ ٣٧٣.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٣٤، وابن أبي حاتم، الموضع السابق.

(٦) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص١٩٤، وابن الجوزي في «الناسخ والمنسوخ» ص٣٤٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٥/ ١٧٢٥أ. والبيهقي في «السنن الكبرى» كتاب السير، باب: ما جاء في نسخ العفو عن المشركين ٩/ ٢٠، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٠، وفي سنده عثمان بن عطاء الخرساني، ضعيف كما في «الكاشف» ٢/ ٢٢٢، ثم إن أباه لم يسمع من ابن عباس كما في «تهذيب التهذيب» ٣/ ٧١-٧٢.

بعضهم[١]: الآية غير منسوخة ولكنها تتضمن الأمر بالصلح إذا كان الصلاح فيه، فإذا رأى الإمام مصالحتهم والقوة[٢] للمسلمين فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة، إذ لا يجوز أن تمضي سنة كاملة ولا يكون للإمام فيها غزوة إما بنفسه وإما ببعض سراياه، وإن كانت القوة -والعياذ بالله- للمشركين جاز مهادنتهم عشر سنين، [ولا تجوز الزيادة عليها[٣]، اقتداء برسول الله ﷺ فإنه هادن أهل مكة عشر سنين[٤]][٥]، ثم إنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال مجاهد: وثق بالله[٧]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال عطاء: يريد لقولكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبكم من الوفاء، وقلوبهم من النقض[٨].

---

(١) لعله القشيري فقد نقل عنه القرطبي ٨/ ٤٠ بعض هذا القول، وهو صاحب تفسير كبير اسمه: «التيسير في التفسير»، فرغ منه قبل عام ٤١٠هـ، ووصف بالجودة.
انظر: «معجم المفسرين» ١/ ٣٠٠، وانظر: معنى هذا القول في كتاب «الأم» ٤/ ٢٣٦، ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) في (ح): (والعزة).

(٣) انظر: أحكام الصلح مع الكفار في كتاب «الأم» ٤/ ٢٦٨-٢٧٢، و«المغني» ١٣/ ١٥٥-١٦٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٩-٤١.

(٤) روى ذلك الإمام أحمد ٤/ ٣٢٥ في ثنايا قصة صلح الحديبية، وكذلك ابن إسحاق في «السيرة» ٣/ ٣٦٦، وأصل القصة في «الصحيحين»، و«صحيح البخاري» (٤١٨٠)، (٤١٨١) كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية ٥/ ٢٥٨، و«صحيح مسلم» كتاب الجهاد، باب: صلح الحديبية ٣/ ١٤٠٩ (١٧٨٣).

(٥) ساقط من (س).

(٦) انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٠.

(٧) لم أقف عليه، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٦٩، والسمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٢٤ بلا نسبة.

(٨) لم أقف عليه، وقد ذكر في المصدرين السابقين، الموضوع نفسه، بلا نسبة.

٦٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾، قال الكلبي: أي بالصلح لتكف عنهم[١]، وقال أبو إسحاق: أي: إن أرادوا بإظهار الصلح خديعتك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: فإن الذي يتولى كفايتك الله[٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾ يريد: قواك وأعانك بنصره يوم بدر، قاله الكلبي[٣] وغيره[٤].

﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني الأنصار[٥]، وهذا بيان عما ينبغي أن يكون عليه المحق من الثقة بالله إذا خاف مكر المبطل به في أن يكفيه شر كيده لئلا يضطرب أمره في تدبيره.

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٥ عنه، عن ابن عباس مختصرًا.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٢.

(٣) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٥ عنه، عن ابن عباس.

(٤) هذا أيضًا قول مقاتل في «تفسيره» ص١٢٣/ ب، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٥، و«زاد المسير» ٣/ ٣٧٦.

(٥) رواه ابن مردويه، عن ابن عباس، كما في «الدر المنثور» ٢/ ٣٥٧، ورواه ابن جرير ١٠/ ٣٥، والثعلبي ٦/ ٧٠ أ، عن السدي، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» ١٢٣ ب، وابن جرير، الموضع السابق، والسمرقندي ٢/ ٢٤.

وقد يقال: أي حاجة مع نصر الله لنصر المؤمنين؟

فالجواب: إن النصر والتأييد كله من الله تعالى، لكنه على قسمين:

أحدهما: ما يحصل من غير واسطة أسباب معلومة معتادة.

والثاني: ما يحصل بواسطتها.

فالأول هو المراد من قوله: ﴿أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾، والثاني هو المراد بقوله: ﴿وبالمُؤْمِنِين﴾.

انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٨٩.

٦٣- قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، قال الليث: كل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفًا[١]، وقال غيره[٢]: التأليف: جمعٌ على تشاكل، ولهذا قيل: هذه الكلمة تأتلف مع هذه ولا تأتلف مع تلك، قال ابن عباس والمفسرون: يعني بين قلوب الأوس والخزرج وهم الأنصار[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، قال عطية: يعني للعداوة التي كانت بينهم[٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: إن قلوبهم بيده يؤلفها كيف شاء[٥]، ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: قدير لا يمتنع عليه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ عليم بما يفعله[٦].

---

(١) كتاب «العين» (ألف) ٨/ ٣٣٦.

(٢) هو: الحوفي في «البرهان في علوم القرآن» ١١/ ١٠١ ب، وقد اختصر المؤلف قوله.

(٣) رواه ابن مردويه، عن ابن عباس والنعمان بن بشير، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٢، ورواه ابن جرير ١٠/ ٣٥-٣٦، عن السدي وبشير بن ثابت وابن إسحاق، كلهم بمعناه وهو قول الفراء ١/ ٤١٧، والثعلبي ٦/ ٧٠/أ، والبغوي ٣/ ٤٧٤ وغيرهم.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٦٩ بلا نسبة.

(٥) «تنوير المقباس» ص١٨٥ بمعناه.

(٦) تفسير الحكمة بالعلم معروف في اللغة.
قال الجوهري: الحكيم: العالم وصاحب الحكمة. انظر: «الصحاح» (حكم) ٥/ ١٩٠١، والمشهور في معنى الحكمة: وضع الأشياء في مواضعها من الإتقان، قال ابن الأثير في «النهاية» (حكم) ١/ ٤١٨: الحكيم: فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل، وقال ابن جرير ١/ ٥٥٨: الحكيم: الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل.

قال أبو إسحاق: أعلم الله ﷻ أن تأليف قلوب المؤمنين من الآيات العظام؛ وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم أنفتهم شديدة، ونصرة بعضهم لبعض بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل[١] عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره؛ فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أخاه وأباه وابنه، فأعلم الله ﷻ أن هذا ما تولاه منهم إلا هو[٢].

٦٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال أهل المعاني: كرر ﴿حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ بعدما ذكر في قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾؛ لأن المعنى هناك: إن أرادوا خداعك كفاك الله أمرهم، والمعنى ههنا عام في كل كفاية تحتاج إليها[٣]. روى سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر[٤]، وقال سعيد بن جبير: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية[٥].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وكذلك في «الوسيط» ٢/ ٤٦٩، باعتبار معنى القبيلة، وفي «معاني القرآن»: فيقاتل عنه حتى يدرك ثأره، بالبناء للمجهول.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٣، وقد نقل الواحدي قوله بتصرف واختصار.

(٣) لم أجد من ذكر هذا القول من أهل المعاني، وقد ذكره بمعناه الفخر الرازي ١٥/ ١٩١، والقرطبي ٨/ ٤٢.

(٤) رواه المصنف في «أسباب النزول» ص٢٤١-٢٤٢، والطبراني في «المعجم الكبير» ١٢/ ٦٠ (١٢٤٧٠)، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٢، وهو موضوع؛ إذ مداره على إسحاق بن بشر الكوهلي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠١ (١١٠٣٢): هو كذاب اهـ. وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ٢/ ٢١٤ (٧٣٤): كان يكذب، يحدث عن مالك وأبي معشر بأحاديث موضوعة.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٧٠ أ، والبغوي ٣/ ٣٧٤، وهو مرسل، ثم إن في سندهما إبراهيم =

قال أهل التفسير فعلى هذا القول هذه الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمر رسول الله ﷺ[١]، وعن ابن عباس أيضًا: نزلت هذه الآية [بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، قال: وسورة الأنفال كلها مدنية غير هذه الآية][٢]؛

= ابن نصر، قال ابن حجر في «تعجيل المنفعة» ص٢٢: كذبه ابن معين، وقال صالح جزرة: كان يكذب عشرين سنة، وأشكل أمره على أحمد حتى ظهر بعد، وقال النسائي: ليس بثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ. باختصار.
وفي السند المذكور أيضًا جعفر بن أبي المغيرة، قال عنه الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص١٤١ (٩٦٠): صدوق يهم، والأثر رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٨، وفي سنده جعفر المذكور، ويحيى الحماني: شيخ حافظ، لكنه متهم بسرقة الحديث كما في «تقريب التهذيب» ص٥٩٣ (٧٥٩١).
وعلى فرض صحة السند فإن المتن لا يصح لما يأتي:
١- قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٥٨ معلقًا على هذه الرواية: وفي هذا نظر لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة.
وقال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع. «زاد المسير» ٣/ ٣٧٧.
٢- أن الثابت تاريخيًا أن عدد المهاجرين إلى أرض الحبشة من المؤمنين ثلاثة وثمانون رجلًا سوى النساء والأبناء.
انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٣٤٣-٣٦٣ وإسلام عمر كان بعد هذه الهجرة.
٣- أن المعنى الصحيح للآية -كما سيأتي إيضاحه-: يا أيها النبي يكفيك الله ويكفي أتباعك، بينما هذا الأثر يقتضي أن يكون المعنى: يكفيك الله ويكفيك أتباعك من المؤمنين مثل عمر.
انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥، وهذا المعنى فاسد كما سيأتي بيانه.

(١) هذا قول القشيري، كما في «تفسير القرطبي» ٨/ ٤٢، وانظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥، وابن عطية ٦/ ٣٦٢، والرازي ١٥/ ١٩١.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

فإنها نزلت بالبيداء[(١)(٢)]. وقال مقاتل في قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الأنصار[(٣)]، وقال عطاء، عن ابن عباس: يعني المهاجرين والأنصار[(٤)].

واختلفوا في محل (من) في قوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾. نحو اختلاف المفسرين فقال الفراء: الكاف في (حسبك) خفض و(من) في موضع نصب على معنى: يكفيك الله ويكفي من اتبعك، كما قال الشاعر:

إذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند[(٥)]

قال: وليس بكثير من كلامهم أن يقولوا: حسبك وأخاك حتى يقولوا: حسبك وحسب أخيك، ولكنا أجزناه؛ لأن في (حسبك) معنى واقع من الفعل فرددنا (من)[(٦)] على تأويل (الكاف) لا على لفظها[(٧)] كقوله: ﴿إِنَّا

---

(١) الأرجح في تعريف المكي والمدني أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة أم بسفر من الأسفار. انظر: «الإتقان» ١/ ٣٦، وعلى هذا فالآية مدنية أيضًا.

(٢) ذكره مختصرًا الماوردي ٢/ ٣٣١، والقرطبي ٨/ ٤٣٠، عن الكلبي، وذكره ابن عطية ٦/ ٣٦٢ بلا نسبة.

(٣) لم أجد من ذكره عنه، وقد ذكر الأنصار في الآية السابقة مرتين، انظر «تفسيره» ١٢٣ ب. أما قوله في هذه الآية فنصه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ وحسب من اتبعك من المؤمنين الله ﷻ.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٨٥ بنحوه من رواية الكلبي، وكلا الروايتين موضوعتان.

(٥) البيت لجرير كما قال البغدادي في «ذيل الأمالي» ص١٤٠، وليس في «ديوانه»، وانظره بلا نسبة في: «خزانة الأدب» ٧/ ٥٨١، و«سمط اللآلئ» ٢/ ٨٩٩، و«لسان العرب» (حسب) ٢/ ٨٦٥.

(٦) ساقط من (س).

(٧) يعني: إن لفظ (الكاف) في محل جر بالإضافة، وتأويلها في محل نصب مفعول به؛ لأن معنى (حسبك) يكفيك.

مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] فرد الأهل على تأويل (الكاف)[١].

وهذا الوجه من الإعراب في محل (من) على قول ابن زيد [وإحدى الروايتين عن الشعبي، قال ابن زيد][٢] إن الله حسبك وحسبهم[٣]، وقال الشعبي في رواية: حسبك الله وحسب من شهد معك[٤]، قال الفراء: وإن شئت جعلت (من) في موضع رفع وهو أحب الوجهين إليّ[٥]، قال[٦] الزجاج ومن رفع فعلى العطف على الله ﷻ، والمعنى: فإن حسبك الله وتُبّاعك[٧] من المؤمنين[٨].

وذكر الكسائي الوجهين أيضًا في محل (من)[٩].

فإذا قلنا أن في محل (من) رفع فهو معنى قول الشعبي: حسبك الله وحسبك من اتبعك[١٠]، ونحو ذلك قال الحسن[١١]. وقال بعض أهل

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤١٧ مع اختلاف يسير.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٣) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٧.
(٤) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.
(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤١٧.
(٦) في (ح): (وهو قول).
(٧) بضم التاء وتشديد الباء.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٣.
(٩) انظر: «عناية القاضي» للخفاجي ٤/ ٢٨٩، و«محاسن التأويل» ٨/ ٣٠٣٢.
(١٠) ذكر السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٢ أنه أخرجه البخاري في «تاريخه»، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، ولم أجد هذه الرواية في «تفسير ابن أبي حاتم»، بل ذكر عنه الرواية الأولى.
(١١) انظر: «تفسير القرطبي» ٨/ ٤٣، و«البحر المحيط» ٤/ ٥١٦، و«الدر المصون» ٥/ ٦٣٢، وفي هذا القول نظر من عدة أوجه منها:
=

المعاني: قد عنى الله جل ثناؤه الوجهين جمعيًا بالآية[1].

= أولًا: نظائر هذه الآية تدل على أن المعنى الصحيح للآية هو: يا أيها النبي يكفيك الله وحده ويكفي أتباعك المؤمنين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومعلوم أن خير ما يفسر القرآن القرآن نفسه، وقد ذهب إلى هذا المعنى الصحيح جمهور المفسرين، انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٧٧.

ثانيًا: قال الإمام ابن القيم في سياق بيان أوجه التقدير في الآية: وفيه تقدير رابع، وهو خطأ من جهة المعنى، وهو أن تكون (من) في موضع رفع عطفًا على اسم (الله) ويكون المعنى: حسبك الله وأتباعك، وهذا -وإن قاله بعض الناس- فهو خطأ محض، لا يجوز حمل الآية عليه، فإن (الحسب) و(الكفاية) لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]؛ ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب، ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله؟ هذا من أمحل الأمحال، وأبطل الباطل. «زاد المعاد» ١/ ٣٦.

ثالثًا: قال جمال الدين القاسمي بعد أن ذكر رد الخفاجي قول ابن القيم محتجًا بأن الفراء والكسائي رجحا وجه الرفع: أقول: هذا من الخفاجي من الولع بالمناقشة، كما هو دأبه، ولو أمعن النظر فيما برهن عليه ابن القيم وأيده بما لا يبقى معه وقفة لما ضعفه، والفراء والكسائي من علماء العربية، ولأئمة التأويل فقه آخر، فتبصر ولا تكن أسير التقليد. «محاسن التأويل» ٨/ ٣٠٣٢.

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٦١٤-٦٨٥ بمعناه.

٦٥- قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ الآية، معنى التحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء، قال ابن عباس: يريد: الحث على نصر دين الله[١]، وذكر أبو إسحاق في اشتقاقه وجهًا بعيدًا فقال: تأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على شيء حثًا يعلم معه أنه حارض إن تخلف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك[٢].

أشار بهذا إلى أن المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي ﷺ كانوا حارضين أي: هالكين، فعنده التحريض مشتق من لفظ الحارض والحرض[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾، قال ابن عباس: يريد: الرجل بعشرة[٤].

وقال الليث: قلت للخليل: ما معنى العشرين؟ قال: جماعة[٥] عِشر[٦]، قلت: والعِشْر كم يكون؟ قال: تسعة أيام، قلت: فعشرون ليست

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٥ بمعناه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٣.

(٣) قال صاحب القاموس في مادة (حرض) ص٦٣٩: الحَرَض: الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل، والرجل الفاسد المريض، كالحارضة والحرِض ككتف، والكالّ المعيي، والمشرف على الهلاك اهـ. وفي «مجمل اللغة» (حرض) ١/ ٢٢٦: الحرض: المشرف على الهلاك، قال الله -جل ثناؤه-: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ وحرضت فلانًا على كذا: إذا أمرته به، وهو من الأول؛ لأنه إذا خالف فقد هلك، كذا فسر بعض أهل العلم قوله تعالى: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾.

(٤) رواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٤٦٥٣) كتاب التفسير، باب: الآن خفف الله عنكم، وابن جرير ١٠/ ٣٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٨.

(٥) في (ح): (جمع جماعة عشر)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٦) بكسر العين وإسكان الشين، قال الخليل في كتاب «العين» (عشر): العِشْر: ورد =

بتمام إنما هو عشران ويومان، قال: لما مر من العِشر الثالث يومان جمعته بالعشرين، قلت: وإن لم يستوعب الجزء الثالث؟ قال: نعم، ألا ترى إلى قول أبي حنيفة[١]: إذا طلقها تطليقتين وعُشْر تطليقة فإنه يجعلها ثلاثًا[٢]، وإنما من التطليقة الثالثة جزء، فالعشرون هذا قياسه[٣].

قال النحويون: وهذا خطأ فاسد من الكلام، ولم يقل الخليل هذا[٤]، ومتى كان كلام العرب قياسًا على قول أبي حنيفة، ولكن (عشرين)

= الإبل اليوم العاشر، وفي حسابهم: العِشْر: التاسع، وإبل عواشر: وردت الماء عشرًا.

(١) هو: النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي، التيمي مولاهم، الإمام، فقيه الملة، وعالم العراق، وصاحب المذهب المشهور، ولد سنة ٨٠هـ في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك، عني بطلب الآثار، وصار إليه المنتهى في الرأي وغوامض الفقه، توفي سنة ١٥٠هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ١٣/ ٣٢٣، و«سير أعلام النبلاء» ٦/ ٣٩٠، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٢٢٩.

(٢) انظر: مذهب أبي حنيفة في احتساب بعض التطليقة تطليقة كاملة في «تحفة الفقهاء» للسمرقندي ٢/ ٢٦٨، و«بدائع الصنائع» ٤/ ١٨٨٥، وكتاب «المبسوط» ٦/ ١٣٩.

(٣) «تهذيب اللغة» (عشر) ٣/ ٢٤٤٥-٢٤٤٧ مع اختلاف يسير، كتاب «العين» للخليل (عشر) ١/ ٢٤٦ بمعناه.

(٤) الراوي عن الخليل هو الليث بن المظفر راوي كتاب «العين» للخليل، وقد أثنى عليه خصمه ومتتبع زلاته وهو الأزهري صاحب «تهذيب اللغة» فقال عن كتاب «العين» الذي ينسبه لليث: فلا تشكن فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة، هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحًا، كما نقل وصف الإمام إسحاق بن راهويه الرجل بالصلاح.
انظر: «مقدمة تهذيب اللغة» ١/ ٢٨-٢٩، وانظر: تحامل النحاة البصريين على =

كأنه في الظاهر جمع (عشر) و(ثلاثون) جمع (ثلاث)، و(أربعون) جمع (أربع)، وليس الأمر كذلك؛ لأن (العِشْر) غير معروف إلا في إظماء الإبل، ولو كان (ثلاثون) جمع ثلاث لوجب أن يستعمل في (تسعة) وفي (اثنى عشرة) وفي كل عدد [الواحد من تثليثها ثلاث][1] وكذلك القول في (الأربعين)[2] و(خمسين) إلى (التسعين) كالقول في (ثلاثين)، فقد ثبت أن (ثلاثين) ليس جمع (ثلاث)، وكذلك سائر العقود، ولكن (عشرين) و(ثلاثين) جار مجرى (فلسطين) في أنه اسم موضوع على صورة الجمع لهذا العدد، فإن[3] اعتقد له واحد وإن لم يجر به استعمال [كأن (عشرًا) و(ثلاثًا) و(ثلاث): جماعة][4] فكأنه قد كان ينبغي أن تكون فيه الهاء فعرض من ذلك الجمع بالواو والنون، وعاد الأمر فيه إلى قصة (أرض) و(أرضون)[5] وقد ذكرنا الكلام فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

= الليث في «مقدمة كتاب العين» ١/ ١٨-٢٧ للدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي.

(١) هكذا في جميع النسخ، والعبارة مضطربة، ونص ما بين المعقوفين في «سر صناعة الإعراب»: الواحد من تثليثها فوق العشرة نحو (ثلاثة وثلاثين)؛ لأن الواحد من تثليث هذه (أحد عشر).

(٢) في «سر صناعة الإعراب»: أربعين.

(٣) في (ح): (فإنه).

(٤) نص مابين المعقوفين في «سر صناعة الإعراب»: فكأن (ثلاثين) جمع (ثلاث) و(ثلاث): جماعة.

(٥) انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧، وقد تصرف الواحدي في عبارته كثيرًا وزاد بعض الجمل.

قرئ (يكن)[١] بالياء والتاء[٢]، فمن قرأ بالياء فلأنه يراد بالمائة المذكر لأنهم رجال في المعنى فحمل الكلام على أنهم مذكرون في المعنى، يدلك على ذلك قوله: (يغلبوا) كما جاء: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأنث الأمثال على المعنى لما كانت حسنات.

ومن قرأ بالتاء حمل الكلام على اللفظ، واللفظ مؤنث، وكان أبو عمرو يقرأ هذا بالياء، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ بالتاء[٣]؛ لأن التأنيث ههنا أشد مشاكلة لقوله: (صابرة) من التذكير، وقرأ الأول بالياء؛ لأنه أخبر عنه بقوله: ﴿يَغْلِبُوا۟﴾ فكان التذكير أشد مشاكلة لـ ﴿يَغْلِبُوا۟﴾[٤].

وأما الكلام في (مائة) فقال الفراء: إنها منقوصة من آخرها نحو: السنة وبابها، قال: وقد أتم بعض الشعراء المائة فقال[٥]:

---

(١) ساقط من (ح) و(س).

(٢) في قوله ﴿يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ﴾، وقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾: قرأ الكوفيون بالياء في الموضعين، ووافقهم البصريان في الموضع الأول فقط، والباقون بالتاء على التأنيث في الموضعين. انظر: «التبصرة في القراءات» ص٢١٢، و«تحبير التيسير» ص١١٨، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٣٨.

(٣) انظر: تخريج القراءة في التعليق الأسبق، وكتاب «السبعة» ص٣٠٨، و«التيسير» ص١١٧.

(٤) القراءة سنة ينقلها السابق للاحق، وليس للقراء إنشاؤها وابتداؤها، ولعل المؤلف يقصد بيان سبب اختيار أبي عمرو لهذه القراءة دون غيرها.

(٥) البيت لتميم بن مقبل كما في «المقاصد النحوية» ٢/ ٣٧٦، ولم أجده في «ديوانه» ولا «ذيله»، وله أو لأبي شبل الأعرابي كما في «الدرر اللوامع» ١/ ١٣٠، وانظره بلا نسبة في: «تذكرة النحاة» ص٥٠٨، و«لسان العرب» (ضربج) ٥/ ٢٥٧٠.

فقلت والمرء قد تخطيه مُنْيَته[١]   أدنى عطيته إياي مئيات[٢]

مثل: مِعْيات[٣]، فأخرج الياء[٤].

ابن السكيت: أمأت الدراهم: إذا صارت مائة، وأمأيتها أنا، وجمع مائة: مئين، ومئٍ[٥] مثل: مِعٍ، وأنشد:

وما زودوني غير سحق عمامة   وخمسمئٍ منها قسي وزائف[٦]

---

(١) في (ح): (ميتته)، وفي «لسان العرب»: مُنْيَتُه، مفرد أماني، وضبطه صاحب «المعجم المفصل» ١/ ١٣٦ هكذا: مُنِيَّته، مفرد منايا، والصواب ما ورد في اللسان بدلالة سياق الأبيات ونصها:

قد كنت أحجو أبا عمرو أخًا ثقة   حتى أمت بنا يومًا ملمات

فقلت ولا مرء قد تخطيه مُنْيَتُه   أدنى عطياته إياي مئيات

فكان ما جاد لي لا جاد من سعة   دراهم زائفات ضربجيات

انظر: «لسان العرب» (ضربج) ٢/ ٣١٥.

(٢) في «الدرر اللوامع»: ميآت، وما أثبته موافق لـ «تذكرة النحاة»، و«لسان العرب».

(٣) في (ح): (ميعاد).

(٤) لم أقف على مصدره.

(٥) هكذا وهو موافق لما في «إصلاح المنطق»، وفي «المشوف المعلم»: مئي، مثل: مِعي، وانظر ما ذكره ابن منظور في: رد (مئٍ) في «لسان العرب» (مأي) ٧/ ٤١٢٤، وقال الأخفش: قولهم: ثلاث مئي، فإنهم أرادوا بمئي جماعة المائة، كتمرة وتمر، تقول فيه: رأيت مئْيًا، مثل: معْيًا، وقولهم: رأيت مِئًا، مثل: مِعًا، خطأ؛ لأن الميء إنما جاءت في الشعر.

(٦) البيت لمزرد بن ضرار كما في «ديوانه» ص٥٣، و«إصلاح المنطق» ص٣٠٠، و«الصحاح» للجوهري (مأى) ٦/ ٢٤٨٩، «لسان العرب» (مأى) ٧/ ٤١٢٤، ونص الشطر الأول في الديوان:

فكانت سراويل وجردٌ خميصة   والسحق: الخَلَقِ البالي.

ودرهم قسي: رديء، وقيل: هو ضرب من الزيوف لرداءة فضته وصلابتها.

انظر: «لسان العرب» (سحق) و(قسا).

قال: ولو قلت: مِئات على وزن مِعَات جاز[١].

وذكر أبو علي الفارسي في «المسائل الحلبية»[٢]: إن (مائة) وزنها (فِعْلَة) وأصلها: مِئْيَة فحذفت اللام منها، وجمع للنقص الذي لحقه بالواو والنون، ومثله (رئة) في حذف اللام منه ويدل على ذلك قولهم: رأيت الرجل: إذا ضربت[٣] رئته، وأنشد أبو زيد:

فغظناهم حتى أتى الغيظ منهم قلوبًا وأكبادًا لهم، ورئينا[٤]

فهذا مثل مئين، فأما ما أنشده أبو زيد[٥]:

وحاتم الطائي وهاب المئي

فالقول في المئي: إنها جمع مائة على (فعول) وقلبت الواو ياءً كما قالوا: حقو وحقين ودلو ودلي، وفي التنزيل: ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ [طه: ٦٦]، وقالوا[٦]: إنكم لتنظرون في نُحُوّ كثيرة فشذ هذا الحرف، وصحت

---

(١) «إصلاح المنطق» ص٣٠٠، و«المشوف المعلم» ٢/ ٧٠٩.

(٢) في «المسائل الحلبيات» ص٦١، بعض هذا القول من قوله: يدل على ذلك .. .. إلى آخر البيت الأول، ولم أجد أول القول فيها، والنسخة المطبوعة فيها نقص كبير، كما أشار المحقق في المقدمة (ص: د).

(٣) في (ح): (أصبت).

(٤) البيت للأسود بن يعفر وهو في «ديوانه» ص٦٣، وذكره أبو زيد في «نوادر اللغة» ص٢٤ ونسبه له.

(٥) «نوادر اللغة» ص٩١، ونسبه لامرأة من بني عقيل، وقبله:

حيدة خالي ولقيط وعلي

وانظر: «المسائل العسكريات» ص١٧٧، و«لسان العرب» (مأي) ٧/ ٤١٢٤، و«خزانة الأدب» ٧/ ٣٧٥، ونسبه في «المقاصد النحوية» ٤/ ٥٦٥ لقصي بن كلاب.

(٦) يعني العرب، قال ابن منظور في «لسان العرب» (نحا) (٤٣٧١): في بعض كلام العرب: إنكم لتنظرون في نحو كثيرة، أي في ضروب من النحو.

الواو فيه، ومثله: سَنَة وسني، أنشد أبو زيد[١]:

يأكل أزمان الهزال والسني

وهذا على لغة من جعل اللام من (سنة) واوًا ثم أبدل من الواو ياءً، كما أبدلت في حِقِي وعِصِي[٢]، وقلب واو (فعول) ياءً لوقوعها ساكنة قبل الياء التي في موضع اللام، ثم أبدل من الضمة كسرة كما أبدلت منها في (مرمى) ونحوهن فصار مثل عصي، وصار (مائة) في قوله: وهاب المئي، [في موضع اللام][٣]، مثل (خلي) ثم خففت الياء لوقوعها في القافية، والحروف المشددة إذا وقعن حرف روي خففن، كما أنشد سيبويه[٤]:

ولا أسمع أجراس المطي

---

(١) «نوادر اللغة» ص٩١، وهو تابع للرجز السابق، وقبل هذا البيت:

ولم يكن كخالك العبد الدعي

(٢) حقي وعصي: جمعا حقو وعصا، والحقو: الخصر ومشد الإزار من الجنب. «اللسان» (حقو) ٢/ ٩٤٨، ويقصد بالإبدال فيهما أن أصلهما: حُقُوْوُ وعُصُوْوُ، على وزن (فعول) ثم قلبت الواو الأخيرة ياء، فصارا في التقدير: حُقُوْي، وعُصُوْي ثم قلبت الواو ياء لسكونها ووقوعها قبل ياء مسبوقة بساكن، فصار: حُقُيْي، وعُصُيْي، ولكي تسلم الياء أبدلت حركة الحرف السابق لها كسرة، وأدغمت الياء في الياء، ثم جاز إبدال ضمة الفاء كسرة إتْباعًا لكسرة العين. انظر: «المقتضب» ١/ ١٨٣ فقد نص على الميزان الصرفي لجمع (عصا).

(٣) ساقط من (م) و(س).

(٤) انظر «كتاب سيبويه» ٣/ ٩٥، وهو بعض عجز بيت نصه:

متى أنام لا يؤرقني الكرِي ليلًا ولا أسمع أجراس المطي

وهو من شواهد سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها، وهو أيضًا بلا نسبة في «جمهرة اللغة» (ركي) ٢/ ٨٠١، و«خزانة الأدب» ١٠/ ٣٢٣. و«الصحاح» (شمم) ٥/ ١٩٦٢، و«لسان العرب» (شمم) ٤/ ٢٣٣٣، و«المنصف» ٢/ ١٩١.

قال[١]: ويجوز في (الميء) وجه آخر وهو أن مائة (فِعْلَة) و(فَعَلٌ) قد عاقبت (فِعْلا) نحو: شَبَهٌ، وشِبْهٌ، وبابه، و(فَعَل) جمع على (فُعْل) كقولهم: أسَد وأسْد، ووَثَن، ووثْن، كذلك جمعوا (فَعَلًا) على (فُعْلٍ) حيث كان بمنزلته لتعاقبهما على الكلمة الواحدة[٢]، ثم أبدل من ضمة الفاء كسرة كما قالوا: مِغيرة ومِنتن، وأتبعوا العين حركة الفاء، وحذفوا اللام التي هي محذوفة[٣] من (مائة) فصار: (مِئٍ) وعلى هذا يحمل قوله[٤]:

وخمسمئٍ منها قسي وزائف

فإن قيل: فلم لا يكون (المئي) على فِعِل؟

قيل: لا يستقيم ذلك لقلة هذا الوزن في الآحاد، ألا ترى أن سيبويه إنما حكى منه الإِبِل[٥]، والمراد بالمئي الجمع، ولا يعلم شيئًا من الجمع على (فِعِل)، فإذا لم يجئ في الجمع البته وكان مجيئه في الآحاد على ما ذكر من القلة لم يكن للحمل عليه مساغ.

---

(١) يعني الفارسي في «المسائل الحلبيات»، ولم أجده فيها، ولعله من الجزء الناقص، انظر «مقدمة المحقق» (ص: د)، وكذلك لم أجده في كتبه الأخرى التي بين يدي.

(٢) قال أبو علي الفارسي في كتاب «التكملة» ص٤١٢: وكسّروا حروفًا على (فُعْل) كما كسّروا عليه (فَعَلًا) نحو: أَسَد وأُسْد، وذلك أن (فُعْلًا) مثل (فَعَلٌ) في نحو: البُخْل والبَخَل، والسُّقْم والسَّقَم، اهـ. ومعنى كسروا: جمعوا جمع تكسير.

(٣) في (ح): (منير)، قال الجوهري في «الصحاح» (نتن) ٦/ ٢٢١٠: نتن الشيء وأنتن بمعنى، فهو مُنتن ومِنتن، كسرت الميم اتباعًا لكسرة التاء؛ لأن (مِفْعِلًا) ليس من الأبنية. اهـ. وفي «كتاب سيبويه» ٤/ ١٠٩: وأما الذين قالوا: مِغِيرة ومِعِين فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مِنتن.

(٤) سبق تخريجه في أول الأنفال.

(٥) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٧٤.

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾، قال ابن[1] إسحاق: أي: لا يقاتلون على بينة[2] ولا حق ولا معرفة[3]، وقال المفسرون[4]: معنى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي: من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب؛ فهم لا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خشية أن[5] يقتلوا، وقال أهل المعاني: معنى ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي هم على جهالة، خلاف من يقاتل على بصيرة يرجو به ثواب الآخرة[6]، قال ابن عباس والمفسرون: هذه الآية نسخها قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية[7]، وقال الوالبي عن ابن عباس: في هذه الآية أمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار، فشق ذلك عليهم فرحمهم فقال: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾ الآية[8]، وقال عطاء عنه: لما نزلت هذه الآية ضج المهاجرون، وقالوا: يا رب نحن جياع وعدونا شباع، ونحن في غربة وعدونا في أهليهم، ونحن قد أخرجنا من ديارنا وأموالنا،

---

(١) في (م) و(س): (أبو)، وهو خطأ.

(٢) هكذا، وفي «السيرة النبوية»، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٤١: نية.

(٣) «السيرة النبوية» ٢/ ٣٢٢ وفيها: ولا معرفة بخير ولا شر.

(٤) اللفظ لأبي إسحاق الثعلبي، انظر «تفسيره» ٦/ ٧٠ ب، ونحوه في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٨، والزمخشري ١/ ١٦٧.

(٥) في (ح): (لئن لا)، وهو خطأ.

(٦) ذكر نحوه الحوفي في «البرهان» ١١/ ١٠٢ ب.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٨-٤١، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٢٩، والثعلبي ٦/ ٧٠ ب، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٦٢-٣٦٤، فقد ذكروه عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والحسن البصري ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وزيد بن أسلم وعطاء الخرساني والضحاك.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ٣٩.

وقال الأنصار: شغلنا بعدونا، وواسينا إخواننا، فنزل التخفيف[(١)]، وقال عكرمة: إنما أمر الرجل أن يصبر لعشرة، والعشرة لمائة إذ المسلمون قليل فلما كثروا خفف الله عنهم[(٢)]، ولهذا قال ابن عباس: أيما رجل فرّ من ثلاثة فلم يفر، فإن فر من اثنين فقد فر[(٣)].

٦٦- قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية، قال أهل العلم بالتفسير: هذه الآية نزلت بعد الأولى بمدة طويلة وإن كانت إلى جنبها، وكان رسول الله ﷺ يبعث المسلمين غزاة على حكم الآية الأولى، والمسلمون يصابر الواحد منهم العشرة من الكفار، بعث حمزة في ثلاثين راكبًا قبل بدر فلقيهم أبو جهل في ثلاثمائة راكب[(٤)]، قال ابن عباس: فلما تضرعوا واشتكوا إلى الله ضعفهم نزل: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾[(٥)]، قال

---

(١) لم أجد من ذكر هذه الرواية بلفظها سوى الفخر الرازي ١٥/ ١٩٥، وقد روى هذا الأثر عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس مختصرًا ابن جرير ١٠/ ٣٩، وابن إسحاق في «السيرة النبوية» ٢/ ٣٢٣.
وروه بمعناه من طريق آخر البخاري (٤٦٥٣) كتاب التفسير، باب: الآن خفف الله عنكم ٦/ ١٢٢، وأبو داود (٢٦٤٦) كتاب الجهاد، باب: في التولي يوم الزحف.

(٢) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ٤٠، ورواه في الموضع نفسه بلفظه عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» ١١/ ١١٣ (١١١٥١)، ورجاله ثقات كما في «مجمع الزوائد» ٥/ ٥٩١، ورواه بنحوه الصنعاني في «المصنف» ٥/ ٢٥٢، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٣٠.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢٢٩-٢٣٤، و«الكشاف» ٢/ ١٦٧، ونسب القول لابن جريج، وانظر أيضًا: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٩٤.

(٥) لم أجده بلفظه، وقد ورد معناه في روايات كثيرة، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٣٩-٤١، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٦٢-٣٦٤.

الكلبي: هون الله عليكم[(١)]، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [وقرئ (ضُعفًا)[(٢)]][(٣)]، قال سيبويه: وهما لغتان مثل: (الفَقْر والفُقر)[(٤)].

وقوله[(٥)]: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، قال ابن عباس: صار الرجل برجلين[(٦)]، وذهب بعض المفسرين[(٧)] إلى قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ شرط وجزاء محض، يعني أن المائة إذا صبرت غلبت مائتين من المشركين،وكل مائة من المسلمين لا تغلب مائتين من المشركين فإنها ليست بصابرة، ولو كانت صابرة لغلبت المائتين وعدًا من الله، وهذا معنى قول مجاهد: إن صبروا غلبوهم[(٨)]، والآية على هذه الطريقة معناها الإخبار، ولو وقفت مائة صابرة في مقابلة مائتين[(٩)] لغلبوهم بكل حال؛ فإن الخبر من الله تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره، والصحيح أن هذا خبر معناه الأمر والتكليف، أي: إذا كانت منكم

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٥، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٢) قرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، وقرأ الباقون بضمها.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٨، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٢، و«تقريب النشر» ص١١٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) انظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٣١، ٣٣.

(٥) ساقط من (ح) و(س).

(٦) رواه مطولًا ابن جرير ١٠/ ٣٩، وإسحاق بن راهويه في «مسنده»، وابن المنذر والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٣.

(٧) هو: محمد بن بحر أبو مسلم الأصفهاني كما في «تفسير الرازي» ١٥/ ١٩٥، وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٦٧.

(٨) رواه مطولًا ابن جرير ١٠/ ٤١.

(٩) في (ح): (ألف).

مائة فليصابروا ليغلبوا المائتين كقوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ألا ترى أن المفسرين كلهم اتفقوا على أن قوله في الآية الأولى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ أمر لا خبر بدليل ورود النسخ عليه والنسخ لا يجوز وروده على الخبر(١)، وصاحب النظم قد أحسن في شرح هذا المشكل فقال: الخبر خبران: خبر ماض وخبر مؤتنف، والشرط بينهما موقوف؛ لأنه غير ماض ولا واجب، وإنما هو شيء منتظر، وربما أظهرت العرب الشرط والجزاء على صورة الخبر(٢) فيغلط فيه الناقد البصير فكيف من دونه وقد جاء الجزاء دون الشرط على صورة الخبر ومعناه، نحو قول القطامي:

والناس من يلق خيرًا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل(٣)

فقوله: من يلق خيرًا شرط ومعناه الخبر؛ لأن معناه: من لقي خيرًا قالوا له ما يشتهي، وتأويل الآية: إن يصبر منكم عشرون لمائتين من المشركين يغلبوهم، فهو شرط محض وجزاء خالص، والشرط غير واجب فكيف يكون خبرًا؟ والخبر واجب إما ماضيًا وإما منتظرًا وهذا شيء وعده المؤمنين(٤) بما شرط إذا فعلوه.

فإن قيل: فقد كان يجب على العشرين أن يصابروا المائتين كما يجب الآن على المائة أن يصابروا المائتين والشرط غير(٥) واجب.

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٤١، والثعلبي ٦/ ٧٠ ب، والبغوي ٣/ ٣٧٥، والسمرقندي ٢/ ٢٥.

(٢) في (ح): (خبر).

(٣) البيت في «ديوانه» ص٢٥، ونسبه إليه أيضًا ابن قتيبة في كتاب «المعاني الكبير» ٣/ ١٢٦٦.

(٤) في (م) و(س): (للمؤمنين).

(٥) ساقط من (م).

قيل: إن الله تعالى كان قد أنزل قبل هذا قوله[١]: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦] فعظم الفرار من الزحف، وهول في العقاب، ولا يقع العقاب إلى في واجب، ولم يصف الله تعالى حالة الفرار كيف هو أو كم من كم؟، ثم بينه بقوله ﷻ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] فأعلم أن عشرين إذا صبروا أوجب لهم غلبة مائتين بشريطة الصبر، ووعده ناجز لا خلف فيه، فكان في ذلك بيان لكيفية الفرار التي حرمها، والصفة التي يكون المولي بها فارًّا مستوجبًا للعقاب إلا أنه ثقل عليهم ثبوت الواحد للعشرة فخفف ذلك عنهم بالآية الأخرى، فعلى ما ذكر: الآيتان لفظهما شرط، والشرط كما ذكر لا يكون واجبًا إلا أن الوجوب استفيد من تحريم الفرار، وتحريم الفرار مجمل فبيّن في الآيتين أنه مع كم يجب أن يصبر، ومن كم يجوز الفرار.

وهذا طريق حسن في هاتين الآيتين، والحكم في هذه الآية أن كل مسلم بالغ مكلف وقف بإزاء مُشْرِكَيْن عبدًا كان أو حرًا فالهزيمة عليه حرام ما دام معه سلاح يقاتل، فإن لم يبق سلاح فله أن ينهزم، وإن قاتله ثلاثة حلت له[٢] الهزيمة، والصبر أحسن، وقف جيش مؤته وهم ثلاثة آلاف، وأمراؤهم على التعاقب زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب[٣]، ثم

(١) ساقط من (م).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) هو: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو عبد الله وابن عم رسول الله ﷺ السيد الشهيد الكبير الشأن، هاجر إلى الحبشة، ثم قدم منها يوم فتح خيبر، وولاه رسول الله ﷺ قيادة جيش مؤتة بعد زيد، واستشهد فيها سنة ٨هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٠٦، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٠٨.

عبد الله بن رواحة[١]، وقفوا في مقابلة مائتي ألف من المشركين، مائة من الروم، ومائة ألف من المستعربة وهم لخم وجذام[٢][٣].

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيه بيان أنه لا تقع الغلبة إلا أن يريد الله ذلك[٤]؛ لأن معنى الإذن: الإطلاق في الفعل، فما لم يطلق الله لهم الغلبة لم يغلبوا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد الذين صبروا على دينهم وعلى طاعة الله[٥]. والمعنى: ومعونته مع الصابرين، ولكن فخّم بذكر الله ﷻ تشريفًا له.

٦٧- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ الآية، قال عكرمة[٦]، عن ابن عباس: لما أسروا الأسارى يوم بدر قال رسول الله ﷺ

---

(١) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، وأحد شعراء الرسول ﷺ شهد بيعة العقبة وبدر، وأمّره الرسول ﷺ على جيش مؤته بعد زيد وجعفر فقتل فيها سنة ٨هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣٠، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٣٣.

(٢) لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة، قبيلة عربية كبيرة، ينسبون إلى لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد، وأما جُذام فبضم الجيم بعدها ذال غير مشددة، قبيلة عربية كبيرة أيضًا وهم إخوة للخم وينسبون إلى عمرو بن عدي بن الحارث، وقيل: هم من ولد أسد بن خزيمة. انظر: «فتح الباري» ٨/ ٧٥.

(٣) انظر تفاصيل معركة مؤته في: «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ٤٢٩ و«الفصول في سيرة الرسول» ص١٩٣، و«فتح الباري» ٧/ ٥١٠-٥١٦.

(٤) في (ح): (وذلك)، وهو خطأ.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٤٧٠، وفي «تنوير المقباس» ص١٨٥: الصابرين في الحرب.

(٦) هو: عكرمة بن عمار العجلي كما في سند مسلم وأحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وليس عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس كما هو المتبادر، وقد رواه عكرمة هذا =

«**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**»، فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة، أرى أن نأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ «**ما ترى يا ابن الخطاب؟**» قال: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننا منهم فتمكن عليًا من عقيل[(١)] حتى يضرب عنقه، وتمكن حمزة[(٢)] من أخيه العباس حتى يضرب عنقه، وتمكنّي من فلان -نسيب لعمر- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر حتى يعلم ربنا أنه ليس في قلوبنا للكفار هوادة، قال عمر: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر[(٣)].

= عن أبي زميل، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، كما في رواية مسلم. انظر: مصادر تخريج الأثر التالية.

(١) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي أخو علي بن أبي طالب، شهد بدرًا مشركًا، وأخرج إليها مكرهًا فأسر ولم يكن له مال ففداه عمه العباس، ثم أسلم قبل صلح الحديبية، وشهد مؤته، وتوفي في أول خلافة يزيد بن معاوية.
انظر: «التاريخ الكبير» ٧/ ٥٠ (٢٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢١٨، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٢٩.

(٢) هو: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، الإمام البطل الضرغام أسد الله، وسيد الشهداء، وعم رسول الله ﷺ استشهد في معركة أحد سنة ٣هـ.
انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤٢٣ (٥٥٩)، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ١٧١، و«الإصابة» (١٨٢٦).

(٣) رواه بنحوه مسلم في «صحيحه» (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ٣/ ١٣٨٣-١٣٨٥ (١٧٦٣)، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٠، ٣٢، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٦٦، وابن جرير ١٠/ ٤٤.

قال ابن مسعود: ثم قال رسول الله ﷺ: «**أنتم**[١] **اليوم عالة فلا ينفلتن**[٢] **أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق**»[٣]، وعن عبيدة السلماني[٤] قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه في أسارى بدر: «**إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم**»، وكانت الأسارى سبعين، فقالوا: بل نأخذ الفداء نستمتع به، ونتقوى به على عدونا، ويستشهد منا بعدتهم[٥].

---

(١) في (ح): (هل أنتم)، ولا داعي لهذه الزيادة وليست موجودة في مصادر تخريجه.

(٢) في (م): (يفلتن)، وفي (س): (يلفتن)، والأخير خطأ.

(٣) رواه مطولًا الترمذي في «سننه» (٣٠٨٤) كتاب تفسير القرآن، باب: سورة الأنفال، وأحمد ١/ ٣٨٣، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٧٠، وابن جرير ١٠/ ٤٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص٢٤٢، وفي «الوسيط» ٢/ ٤٧١، والحاكم في «المستدرك» كتاب المغازي ٣/ ٢٢، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١١٧: فيه أبو عبيدة، ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات.

(٤) هو: عبيدة بن عمرو، وقيل: ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يلقه، كان من أئمة العلم، فقيهًا محدثًا ثقة، توفي سنة ٧٢هـ على المشهور.
انظر: «الكاشف» ١/ ٦٩٤ (٣٦٤٧)، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٥.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٣٦٨ (١٨٥٣٣)، والترمذي (١٥٦٧) كتاب السير، باب: ما جاء في قتل الأسارى أو الفداء، وقال: حديث حسن غريب ورواه أيضًا ابن حبان في «صحيحه» الإحسان ١١/ ١١٨ (٤٧٩٥)، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ١٤٠، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
قال ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٦٠، بعد سياق الحديث: هذا حديث غريب جدًا، ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا، فالله أعلم. اهـ.
وقال العلامة علي القاري في «مرقاة المفاتيح» ٤/ ٢٥١: قال التوربشتي: هذا الحديث مشكل جدًا لمخالفته ما يدل على (كذا) ظاهر التنزيل، ولما صح من =

= الأحاديث في أمر أسارى بدر أن أخذ الفداء كان رأيًا رأوه فعوتبوا عليه، ولو كان هناك تخيير بوحي سماوي لم تتوجه المعاتبة عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وأظهر لهم شأن العاقبة بقتل سبعين منهم بعد غزوة أحد عند نزول قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وممن نُقل عنه هذا التأويل من الصحابة علي ﷺ فلعل عليًا ذكر هبوط جبريل في شأن نزول هذه الآية وبيانها، فاشتبه الأمر فيه على بعض الرواة، ومما جرأنا على هذا التقدير سوى ما ذكرناه هو أن الحديث تفرد به يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن سفيان، من بين أصحابه، فلم يروه غيره، والسمع قد يخطيء، والنسيان كثيرًا يطرأ على الإنسان، ثم إن الحديث روي عنه متصلًا وروي عن غيره مرسلًا، فكان ذلك مما يمنع القول بظاهره.

وقال الطيبي: أقول -وبالله التوفيق-: لا منافاة بين الحديث والآية؛ وذلك أن التخيير في الحديث وارد على سبيل الاختبار والامتحان، ولله أن يمتحن عباده بما شاء، امتحن الله تعالى أزواج النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ الآيتين [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]، وامتحن الناس بتعليم السحر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وامتحن الناس بالملكين، وجعل المحنة في الكفر والإيمان بأن يقبل العامل تعلم السحر فيكفر، ويؤمن بترك تعلمه، ولعل الله تعالى امتحن النبي ﷺ وأصحابه بين أمرين: القتل، والفداء، وأنزل جبريل عليه السلام بذلك هل هم يختارون ما فيه رضا الله تعالى من قتل أعدائه، أم يؤثرون العاجلة من قبول الفدية، فلما اختاروا الثاني عوتبوا بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

قلت -بعون الله- (القائل علي القاري): إن هذا الجواب غير مقبول؛ لأنه معلول ومدخول؛ فإنه إذا صح التخيير، لم يجز العتاب والتعيير، فضلًا عن العذاب والتعزير، وأما ما ذكره من تخيير أمهات المؤمنين، فليس فيه أنهن لو اخترن الدنيا لعذبن في العقبى ولا في الدنيا، وغايته أنهن يحرمن من مصاحبة المصطفى، لفساد اختيارهن الأدنى بالأعلى، وأما قضية الملكين وقضية تعلم السحر، فنعم امتحان من الله وابتلاء، لكن ليس فيه تخيير لأحد؛ ولهذا قال المفسرون في قوله تعالى: =

قال عبيدة: طلبوا الخيرتين[١] كلتيهما فقتل منهم يوم أحد[٢]، فعند ابن عباس وجميع المفسرين: نزلت الآية في فداء أسارى بدر، فادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف؛ فأنزل الله هذه الآية ينكر على نبيه ذلك، يقول: ما كان لنبي أن يحبس كافرًا قدر عليه من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ قبل الإثخان في الأرض، قال قتادة: كان هذا يوم بدر فاداهم رسول الله ﷺ بأربعة آلاف أربعة آلاف، ولعمري ما كان أثخن رسول الله ﷺ يومئذٍ، وكان أول قتال قاتل المشركين[٣].

قال صاحب النظم: (كان) يقع في الكلام في أحوال مختلفة:

منها أن يكون دلالة على المضي كقولك: كان زيد قائمًا، فمعناه كان فيما مضى.

ومنها أن يكون بمعنى وقع وحدث كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

= ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] إنه أمر تهديد لا تخيير، وأما قوله: أم يؤثرون الأعراض العاجلة من قبول الفدية، فلما اختاروه عوتبوا بقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ الآية، فلا يخفى ما فيه من الجرأة العظيمة، والجناية الجسيمة، فإنهم ما اختاروا الفدية إلا للتقوية على الكفار، وللشفقة على الرحم، ولرجاء أنهم يؤمنون، أو في أصلابهم من يؤمن، ولا شك أن هذا وقع منهم اجتهادًا وافق رأيه ﷺ غايته أن اجتهاد عمر وقع أصوب عنده تعالى، فيكون من موافقات عمر ﷺ. وانظر: قول الطيبي في شرحه «مشكاة المصابيح» ٨/ ١٩.

(١) يعني: الغنيمة والشهادة.

(٢) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٤٦، والثعلبي ٦/ ٧٢ ب.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٧١ ب، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ٤٥، ومختصرًا ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٧.

وقد يكون ماضيًا وراهنا، مثل قوله ﷻ في مواضع: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١] أي: كان وهو كذلك، ومنه قول الشاعر:

له في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم[٢]

أي: ولكل ذي[٣] حسب أروم في كل وقت وزمان.

ويكون بمعنى الاستقبال كقول عدي[٤]:

واستيجاب ما كان في غد

معناه: ما يكون في غد، وقد يكون زيادة كقوله[٥]:

وجيران لنا كانوا كرامِ

---

(١) النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، الفرقان: ٧٠، الأحزاب: ٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣، الفتح: ١٤.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو في «ديوانه» ص١٥٢، وانظر: «لسان العرب» (أرم) ١/ ٦٦، وهو يمدح هرم بن سنان المري.
وأرم: جمع أرومة، وهي الأصل، والذاهبين: الموتى. انظر: «شرح الديوان» ص٢٠٦، ٢١١.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) لم يتبين لي من هو، والمعروف أن البيت للطرماح بن حكيم كما في «ذيل ديوانه» ص٥٧٢، و«لسان العرب» مادة (كون) ٧/ ٣٩٦٢، و«معجم شواهد العربية» ص١١٣، و«المعجم المفصل» ١/ ٢٦٣، ونص البيت:
فإني لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان في غد

(٥) عجز بيت، وصدره:
فكيف ولو مررت بدار قوم
والبيت للفرزدق وهو في «شرح ديوانه» ٢/ ٨٣٥، ونسب إليه أيضًا في «خزانة الأدب» ٩/ ٢٢٢، و«كتاب سيبويه» ٢/ ١٥٣، و«لسان العرب» (كنن) مادة (كون) ٧/ ٣٩٦١.
وقد ذهب سيبويه إلى زيادة (كان) أيضًا. انظر: الموضع السابق، وقال ابن منظور: =

ويكون بمعنى صار، كقوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] معناه: فصارت، وإذا كان بمعنى صار حسن دخول (كان) عليه، مثل قولك: كان زيد كان مريضا، بمعنى كان صار مريضًا، فالأول للمضي[١]، أي: كان ذلك فيما مضى، والثاني للمصير إليه، فقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ﴾ مثل هذا المعنى، أي: ما كان لنبي أن يصير له أسرى، على النفي والتنزيه، أي ما يجب وما ينبغي أن يستأسر أحدًا، ولكن يقتلهم حتى يثخن في الأرض.

قال: وقد قيل: إن معنى (كان) وجب وانبغى، على تأويل: ما انبغى لنبي وما وجب له أن يكون له أسرى.

قال أبو عبيد: يقول: لم يكن لنبي ذلك فلا يكن لكم[٢].

وقرأ أبو عمرو[٣]: (أن تكون) بالتاء[٤]، على لفظ الأسرى؛ لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنث اللفظ، ومن قرأ بالياء فلأن الفعل متقدم، والأسرى مذكّرون في المعنى، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل، وكل واحد من ذلك إذا انفرد يذكر[٥] الفعل معه، مثل:

= قال أبو العباس: إن تقديره: وجيران كرام كانوا لنا، قال ابن سيده: وهذا أسوغ؛ لأن (كان) قد عمل في موضع الضمير وفي موضع (لنا) فلا معنى لما ذهب إليه سيبويه أنها زائدة هنا. «لسان العرب»، الموضع السابق.

(١) في (ح): (للماضي).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٥/ ١٩٧.

(٣) لفظ (عمرو) ساقط من (ح).

(٤) قرأ أبو عمرو من السبعة بتاء التأنيث، وقرأ الباقون بالياء على التذكير. انظر: كتاب «السبعة في القراءات» ص٣٠٩، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٣.

(٥) بياض في (ح).

جاء الرجال، وحضر قبيلتك، وحضر القاضي امرأةٌ[(١)]، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى ، والكلام في الأسرى والأسارى قد مضى في سورة البقرة[(٢)].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال الفراء: حتى يغلب على كثير من الأرض[(٣)]، وقال الزجاج: معناه: حتى يبالغ في قتل أعدائه، قال: ويجوز أن يكون: حتى يتمكن في الأرض، والإثخان في كل شيء: قوة الشيء[(٤)] وشدته، يقال: قد أثخنه[(٥)] المرض: إذا اشتدت قوته عليه، وكذلك: أثخنه الجراح، قال أبو عبيدة: حتى يغلب ويبالغ[(٦)].

وروى ثعلب[(٧)]، عن ابن الأعرابي: أثخن: إذا غلب وقهر[(٨)].

---

(١) امرأة: فاعل مؤخر.

(٢) انظر: النسخة الأزهرية ١/٦٨ ب، وقد قال في هذا الموضع: أسير: (فعيل) في معنى (مفعول) فجمعه يكسر على (فعلى) نحو: لديغ ولدغى، وقتيل وقتلى، وجريح وجرحى، وإذا كان كذلك فالأقيس: الأسرى، وهو أقيس من الأسارى، كما أن الأسارى أقيس من قولهم: أُسراء، وأطال الكلام حول هذه الكلمة.

(٣) «معاني القرآن» ١/٤١٨، وفيه زيادة (في) قبل (الأرض)، وذكر الواحدي هذا القول في «الوسيط» ٢/ ٣٧٢، دون هذه الزيادة أيضًا.

(٤) في (ح): (قوته).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٥ (أثخنته)، ولم يُذكر في المطبوعة الكلام الذي بعده مما يدل على أن في المخطوطة التي اعتمد عليها المحقق سقط، وكلام الزجاج ينتهي عند قوله: قوته عليه، بدلالة «زاد المسير» ٣/ ٣٨٠.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٠.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) «تهذيب اللغة» (ثخن) ١/ ٤٧٥.

قال ابن عباس: حتى يثخن فيهم القتل[(١)]، وقال مجاهد: الإثخان: القتل[(٢)]، وقال الكلبي: حتى يغلب في الأرض[(٣)].

وقال أهل المعاني: الإثخان ههنا معناه: تغليظ الحال بكثرة القتل، والثخانة: الغلظ، وكل شيء غليظ فهو ثخين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ مضى الكلام في العرض عند قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال ابن عباس: تريدون الفداء[(٥)]، ونحو ذلك قال المفسرون[(٦)]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، قال ابن عباس: يريد لكم الجنة[(٧)]، قال محمد بن إسحاق: أي بقتلهم، لظهور الدين الذي يريد إظهاره، الذي تدرك به الآخرة[(٨)].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن عباس: يريد منيع[(٩)] قوي حكيم في خلقه[(١٠)].

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٥ بنحوه، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٢ بلفظ: حتى يظهر على الأرض.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٣، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٢، وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٧.

(٣) «تنوير المقباس» ص١٨٥ عنه، عن ابن عباس، ولفظه: حتى يغلب في الأرض بالقتال.

(٤) القول للحوفي في «البرهان» ١١/ ١٠٧ أ.

(٥) «تنوير المقباس» ص١٨٥ بنحوه، وفي «تفسير الثعلبي» ٦/ ٧٢ أ، أثرًا طويلًا عنه وفيه: أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذ الفداء.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٤٢-٤٤، والثعلبي ٦/ ٧٢ ب، والبغوي ٣/ ٣٧٦.

(٧) «زاد المسير» ٣/ ٣٨١، و«الوسيط» ٢/ ٤٧٢.

(٨) «السيرة» لابن هشام ٢/ ٣٢٣.

(٩) ساقط من (ح).

(١٠) لم أقف له على مصدر، وفي «تنوير المقباس»: (عزيز): بالنقمة من أعدائه، (حكيم): بالنصرة لأوليائه.

قال أهل التفسير[(١)]: يقول: إن أنتم طلبتم الآخرة لم يغلبكم عدوكم؛ لأن الله ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يقهر ولا يغلب، ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبير أمور خلقه.

والآية بيان عما يجب أن يجتنب من اتخاذ الأسرى للمن والفداء قبل الإثخان في الأرض بالقتل الذي يدعو إلى الحق، ويصد عن الشرك، مع الإعراض عن العمل للدنيا إلى العمل للآخرة بالباقية، قال الوالبي، عن ابن عباس في هذه الآية قال: ذلك يوم بدر، والمسلمون قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله بعد هذا في الأسارى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، فجعل الله النبي والمؤمنين بالخيار، إن شاءوا [قتلوهم وإن شاءوا][(٢)] استبعدوهم، وإن شاءوا فادوهم[(٣)].

٦٨- قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية، قال عطاء عن ابن عباس: لولا كتاب من الله سبق يا محمد أن الغنائم لك ولأمتك حلال ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)]، ونحو هذا قال سعيد ابن جبير[(٥)].

---

(١) اللفظ لابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٤٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٤٢، والثعلبي ٦/ ٧١ ب، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٠٩، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٩٠، والبيهقي في كتاب «السنن الصغرى» كتاب السير، باب: ما يفعل بالرجال البالغين من أهل الحرب بعد الأسر ٣/ ٣٨٤ (٣٥٥٠).

(٤) لم أجد من ذكر هذه الرواية، وقد رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٤ من رواية الوالبي بلفظ: لولا كتاب من الله سبق، يعني في الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ورواه ابن جرير ١٠/ ٤٥ من رواية العوفي بلفظ: كان قد سبق من الله في قضائه أن المغنم له ولأمته حلال.

(٥) رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٤.

وقال قتادة: سبق لهم الخير، وأنه سيحل لهم الغنائم(١)، وهذا قول عطية(٢)، والأعمش(٣).

ورواية الوالبي وابن(٤) الجوزاء، عن ابن عباس: أن الكتاب الذي سبق هو أن الله كتب أنه يحل الغنيمة وفداء الأسارى لمحمد ولأمته(٥). وقال الحسن: إنهم أخذوا الفداء قبل أن يؤمروا به فعاب الله ذلك عليهم وقال: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ في أنه أطعم هذه الأمة الغنيمة(٦).

وقال محمد بن إسحاق: لولا كتاب من الله سبق أني لا أعذب إلا بعد النهي- ولم يكن نهاهم- لعذبتكم فيما صنعتم(٧)، وهو قول ابن مسعود(٨).

ونحو هذا قال مجاهد فقال: لولا كتاب من الله سبق، لقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] سبق أن لا يؤاخذ قومًا فعلوا شيئًا بجهالة(٩).

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٧.

(٢) هو: العوفي، وقد روى قوله ابن جرير ١٠/ ٤٥ عنه، عن ابن عباس.

(٣) انظر: قوله في «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٢/ ٢٦٢، وابن جرير ١٠/ ٤٥-٤٦.

(٤) هكذا، والصواب: أبو، انظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٢.

(٥) انظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٢، ورواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٤ من رواية الوالبي، ورواه ابن جرير ١٠/ ٤٥ من رواية عطية العوفي.

(٦) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٤٥.

(٧) «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٢٣.

(٨) انظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٢، ولم أقف عليه في مصدر آخر.

(٩) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٧ وفيه زيادة.

وقال ابن زيد: سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم[(١)]، وقال جماعة من المفسرين: سبق أنه لا يعذب أحدًا ممن شهد بدرًا مع النبي ﷺ[(٢)].

وقال أبو علي الفارسي: المراد بقوله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ﴾ ما في الآية الأخرى من قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الأنعام: ٥٤] الآية[(٣)].

وقال ابن زيد: لم يكن أحد من المسلمين ممن حضر إلا أحب الغنائم غير عمر جعل لا يلقى أسيرًا إلا ضرب عنقه، وقال: يا رسول الله: مالنا والغنائم، نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله، فقال رسول الله ﷺ: **«لو عذبنا في هذا الأمر ما نجا غيرك»**[(٤)].

وقال ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: **«لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعد بن معاذ لقوله: يا رسول الله: كان الإثخان في القتل أحب إليّ من استبقاء الرجال»**[(٥)].

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٧، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٤.

(٢) هذا قول مجاهد والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٤٦-٤٧، وابن الجوزي ٣/ ٣٨٢.

(٣) «المسائل الحلبيات» ص٣٠٥-٣٠٦.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٥، والأثر ضعيف؛ لأن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم من الطبقة الثامنة (الطبقة الوسطى من أتباع التابعين)، وهو ضعيف.
انظر: «تقريب التهذيب» ص٣٤٠ (٣٨٦٥).

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٤٨، عن ابن إسحاق، ولم أجده في مظانه في «سيرة ابن هشام»، وقد روى ابن إسحاق قول سعد دون قول الرسول ﷺ. انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٦٩.

وروى عطاء، عن ابن عباس [و](١) قال(٢): قال رسول الله ﷺ: «**لو نزل عذاب ما سلم منه إلا عمر، ولو بعث بعدي نبي لبعث عمر**»(٣)؛ لأنه أشار على النبي ﷺ أن يقتل الأسارى(٤).

٦٩- قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، قال المفسرون: لما نزل قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية، أمسكوا عن مد أيديهم إلى شيء من الغنائم فنزل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾(٥)، قال الزجاج: ودخلت الفاء على تقدير: قد أحللت لكم الغنائم فكلوا، قال: و﴿حَلَالًا﴾ منصوب على الحال(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قال ابن عباس: يريد: غفر لكم ما أخذتم من الفداء ورحمكم لأنكم أولياؤه(٧).

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وهي زيادة لا معنى لها.

(٢) ساقط من (م) و(س).

(٣) لم أجده بهذا السياق، وقد ذكر شطره الأول المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٧٣، وذكره الزمخشري ٢/ ١٦٨ دون ذكر الراوي، ورواه ابن جرير ١٠/ ٤٨، عن ابن زيد، كما رواه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه، عن ابن عمر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٦ وروى شطره الثاني الترمذي في «سننه» كتاب المناقب ٥/ ٦١٩ (٣٦٨٦)، وأحمد في «المسند» ٤/ ١٥٤، والحاكم في «المستدرك» كتاب معرفة الصحابة ٣/ ٨٥ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) هذا التعليل للشطر الأول فقط كما هو ظاهر.

(٥) هذا معنى أثر عن أبي هريرة ﷺ، ورواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٦٨-٣٦٩، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٣، و«تفسير البغوي» ٣/ ٣٧٧.

(٦) هذا القول غير موجود في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي. وقد ذكره بلفظ مقارب ابن الجوزي ٣/ ٣٨٢.

(٧) «الوسيط» ٢/ ٤٧٣.

وقال رسول الله ﷺ: «**لم تحل الغنائم لمن كان قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا**»[١].

٧٠- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾، قال المفسرون يعني أسرى المشركين الذين أخذ منهم الفداء ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا﴾: إسلامًا[٢].

قال الزجاج: إرادة للإيمان[٣]، قال أهل المعاني: معنى الخير ههنا: البصيرة في دين الله، وحسن النية في أمر الله[٤]، ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفدية.

قال أبو إسحاق: فجائز أن يكون: يجازيكم في الآخرة، وجائز أن يكون: يخلف عليكم في الدنيا[٥]، ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ أي: ما كان من كفركم به، وقتالكم رسوله.

قال ابن عباس وغيره: نزلت هذه الآية في العباس، كان أحد العشرة[٦] الذين ضمنوا طعام أهل بدر، وكان خرج بعشرين

---

(١) رواه البخاري (٣١٢٤)، كتاب الخمس، باب: قول النبي ﷺ: «**أحلت لكم الغنائم**»، ومسلم (١٧٤٧)، كتاب الجهاد والسير، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة واللفظ له.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/٤٨ واللفظ له، و«تفسير الثعلبي» ٦/٧٣ ب، والبغوي ٣/٣٧٨.

(٣) ليس موجودًا في كتاب «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع.

(٤) لم أقف عليه، وفي «البرهان» للحوفي ١١/١١٦ أ: إن يعلم الله في قلوبكم إسلامًا.

(٥) ليس موجودًا في كتاب «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع.

(٦) ذكر ابن إسحاق أن المطعمين في بدر اثنا عشر رجلًا هم: العباس بن عبد =

أوقية[١] من ذهب ليطعم به الناس، فأخذت منه في الحرب، ولم تحسب من فدائه، وكلف فداء بني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت؛ فأنزل الله هذه الآية، فقال العباس -بعدما أسلم-: فأبدلني الله عشرين عبدًا أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم، وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل[٢] مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي[٣].

٧١- قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾، قال المفسرون: نزلت في العباس وأصحابه من الأسارى[٤].

= المطلب، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام بن خويلد، والنضر بن الحارث، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر السهمي، وسهيل بن عمرو. انظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣١١.

(١) الأوقية: اسم لأربعين درهمًا، انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٥/ ٢١٧٨، و«لسان العرب» (وقي) ١/ ٤٩٠٣.

(٢) ساقط من (س).

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٧٣ أ- ب وفيه زيادة، وبنحوه المصنف في «أسباب النزول» ص٢٤٥، عن الكلبي. وقد روي الأثر بمعناه بعدة روايات مطولًا ومختصرًا، فرواه أحمد في «المسند» ١/ ٣٥٣، وابن جرير ١٠/ ٤٩-٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٦، والحاكم في «المستدرك» كتاب معرفة الصحابة ٣/ ٣٢٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٢: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار ورجال «الأوسط» رجال «الصحيح»، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وأصل قضية فداء العباس في «صحيح البخاري» (٣٠٤٩) كتاب الجهاد، باب: فداء المشركين ٤/ ١٦١.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٥٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٣٧، والثعلبي ٦/ ٧٣ أ.

قال ابن عباس: إنهم قالوا للنبي ﷺ آمنا بما جئت به، ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا[١]، يقول الله تعالى: إن خانوك في هذا وكان قولهم خيانة.

وقال ابن جريج: أراد بالخيانة ههنا: الخيانة في الدين وهو الكفر[٢]، يعني إن كفروا بك فقد خانوا الله من قبل أن كفروا بالله: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ببدر، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال، وأرادوا الخيانة لرسول الله ﷺ وقال الحسن: وإن يريدوا خيانتك مرة أخرى فيرجعوا إلى الكفر بعد ما مننت عليهم، ويخونوك بالقتال معك[٣]، والعون عليك: ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ وقاتلوك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ فإن رجعوا مرة أخرى أمكنك الله منهم كما أمكنك المرة الأولى[٤].

وقال ابن كيسان: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ يعني: نكث ما أعطوا من أنفسهم لئلا يقاتلوك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ فأعطوا العهود فيما كان ينزل بهم من البلاء، ويسألونه الرزق، ويقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ [يونس: ٢٢] و﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩] فأمكن منهم[٥]، وهذا القول يدل على أن أولئك الأسارى عاهدوا أن لا يقاتلوه.

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٥٠.

(٢) رواه البغوي ٣/ ٣٧٩ بنحو، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٧٣.

(٣) كذا في جميع النسخ.

(٤) ذكره هود ٢/ ١٠٥ بمعناه.

(٥) لم أقف على مصدره، وقد ذكره مختصرًا الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٢٠٦ من غير نسبة.

وقال تعالى: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ قال الأزهري: يقال: أمكنني الأمر يمكنني[(١)] فهو ممكن، ولا يقال: أنا أُمكنه، بمعنى أستطيعه، يقال: لا يمكنك الصعود إلى الجبل، ولا يقال: أنت تمكن الصعود إلى الجبل[(٢)].

ومفعول الإمكان محذوف على معنى: فأمكن المؤمنين منهم، أو فأمكنك منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بخيانةٍ إن خانوها، حكيم في تدبيره عليهم، ومجازاته إياهم، قاله أبو إسحاق[(٣)].

٧٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني المهاجرين الذين هجروا قومهم وديارهم إلى المدينة في نصرة الدين، ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾ يعني الأنصار أسكنوا المهاجرين[(٤)] ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، قال ابن عباس والمفسرون كلهم: يعني في الميراث، جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام[(٥)]، وكانوا يتوارثون في الهجرة والنصرة، وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر، ولم ينصر، وهو

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) «تهذيب اللغة» (مكن) ٤/ ٣٤٤٧ بتصرف يسير.

(٣) ليس موجودًا في كتابه «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، وقد ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٨٤.

(٤) في (ح): (أمكنوا للمهاجرين).

(٥) رواه عن ابن عباس البخاري كتاب الفرائض، باب: ذوي الأرحام (٦٧٤٧)، وأبو داود (٢٩٢١) كتاب الفرائض، باب: نسخ ميراث العقد، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٥١-٥٤، والثعلبي ٦/ ٧٤ ب، والسمرقندي ٢/ ٢٨، والبغوي ٣/ ٣٧٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٨٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٧٠-٣٧٢.

قوله[١]: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾، وقال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة والإسلام[٢]، وكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرث أخاه[٣]، وهذا قول مجاهد[٤]، والحسن[٥]، والكلبي[٦]، والسدي[٧].

وقرئ قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحه[٨]، قال الزجاج: من فتح[٩] جعلها من النصرة والنسب، قال: والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة؛ ليفصل بين المعنيين، وقد يجوز كسر (الولاية)؛ لأن في تولي بعض القوم بعضًا جنسًا من الصناعة نحو: القِصارة[١٠]، والخياطة،

(١) ساقط من (م).

(٢) في (م): بالإسلام والهجرة.

(٣) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٦٢، وابن جرير ١٠/ ٥٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٩٤، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٧١-٣٧٢.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٥٢، وأشار إليه ابن كثير ٢/ ٣٦٣-٣٦٤.

(٥) رواه ابن جرير ١٤/ ٨٠، وذكره الهواري ٢/ ١٠٧ بغير سند.

(٦) «تنوير المقباس» ص١٨٦ عنه، عن ابن عباس.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ٥٣.

(٨) قرأ حمزةُ وحده بكسر الواو، والباقون بفتحها، انظر: كتاب «السبعة» ص٣٠٩، و«الغاية» ص١٦٣، و«تحبير التيسير» ص١١٩.

(٩) في (م): (فتحها).

(١٠) القصارة: حرفة القصار، قال ابن منظور: قصر الثوب قِصَارة، عن سيبويه، وقصَّره، كلاهما: حوَّره ودقَّه، ومنه سمي القصار، وقصرت الثوب تقصيرًا، مثله، والقصّار والمقصّر: المحور للثياب؛ لأنه يدقها بالقَصَرَة التي هي القطعة من الخشب، وحرفته القِصَارة. «لسان العرب» (قصر) ٦/ ٣٦٤٩. وفي «المعجم الوسيط» (قصر) ٢/ ٢٦٧: القصّار: المبيض للثياب، وهو الذي يهيئ النسيج بعد نسجه ببله ودقه بالقصرة، والقصرة: مدقة القصار.

فهي مكسورة، قال: والولاية على الإيمان واجب[١]، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، ويقال: وليٌّ بين الولاية، ووالٍ بين الولاية[٢].

قال الفراء: وقد سمعنا الفتح في المعنيين جميعًا[٣]، قال أبو علي: الفتح أجود ههنا؛ لأن الولاية ههنا من الدين[٤]، والكسر في السلطان، قال أبو الحسن: وكسر الواو لغة في الأخرى[٥].

قال ابن عباس والمفسرون: ثم نسخ هذا الحكم بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[٦].

قال أبو بكر بن الأنباري: كان الله تعالى تعبدهم في أول الهجرة بأن لا يرث المسلمين[٧] المهاجرين إخوانُهم الذين لم يهاجروا، ولا يرثون هم إخوانهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فصار الثاني هو المعمول به، ورفض الأول.

---

(١) في «تهذيب اللغة»: واجبة.

(٢) أقوال الزجاج السابقة ساقطة من كتاب «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، وقد ذكر أكثرها الأزهري في «تهذيب اللغة» (ولي) ٤/ ٣٩٥٥، وذكر بعضها ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٣٨٥.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤١٩.

(٤) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ١٦٦.

(٥) «معاني القرآن» لأبي الحسن الأخفش ١/ ٣٥٢ وقد اختصر الواحدي عبارته فلم يظهر المعنى، ونص قوله: ما لكم من ولايتهم من شيء، وهو في (الولاء)، وأما في (السلطان) فـ (الوِلاية)، ولا أعلم كسر (الواو) في الأخرى إلا لغة اهـ. يعني بالأخرى (الولاية) من الولاء، وقد نص الفراء أيضًا على ثبوت هذه اللغة، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤١٩.

(٦) هذا بعض أثر ابن عباس السابق.

(٧) مفعول به مقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ أي: إن[١] استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم، إلا إن استنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تغدروا، ولا تنقضوا العهد، وهذا يدل على أن ولاية الإيمان واجبة.

وقال بعض المفسرين: لما نزل قوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ قام الزبير فقال: هل نعينهم على أمر إن استعانوا بنا؟ فنزل: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾[٢].

قال قتادة: في هذه الآية نُهي المسلمون عن النصر على قوم بينهم ميثاق، فوالله لأخوك المسلم أعظم عليك حرمة[٣] وحقًا[٤].

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، قال السدي: قال رجل: نورث ذوي أرحامنا من المشركين، فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية[٥]، وقال محمد بن إسحاق: حض الله المؤمنين على التواصل؛ فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولايته في الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض[٦].

---

(١) ساقط من (م).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر إلا في «تفسير الرازي» ١٥/ ٢١٠-٢١١.

(٣) يعني إذا كان المسلم منهيًا عن نصرة أخيه المسلم على الكافر ذي الميثاق، فنصرته على أخيه المسلم إذا اقتتلا أشد نهيًا.

(٤) رواه ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٤٠، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٧٢.

(٥) رواه عن السدي، عن أبي مالك الإمام سفيان الثوري في «تفسيره» ص١٢٢، وابن جرير ١٠/ ٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٤١.

(٦) «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٢٤.

ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾، وهو أن يتولى المؤمن الكافر[١] دون المؤمنين، وقال ابن جرير: يقول: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين تكن فتنة[٢].

فحصل في الكناية في قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أن الكناية تعود إلى الموالاة، وذلك أن قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ معناه: بعضهم[٣] يوالي بعضًا، وهذا يدل على المصدر، فكني عنه، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] أي: مجيء النذير، وقد مرّ مثل ذلك كثيرًا[٤]، وهذا على قول ابن إسحاق[٥]، ومعنى قول ابن عباس؛ لأنه قال في قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به[٦].

قال ابن الأنباري[٧]: فتكون الهاء عائدة على التوارث، أي: إن لا تفعلوا التوارث على ما حد الله لكم تكن فتنة في الأرض، وهذا القول كالأول؛ لأن الوراثة كانت بالولاية، فسواء عادت الكناية إلى التوارث، أو إلى الموالاة فالمعنى واحد.

وعلى معنى قول ابن جرير تكون الكناية راجعة على التناصر، قال أبو بكر: معناه: إن لا تناصروا ويعن بعضكم بعضًا على أعدائكم يكن ترككم ذلك فتنة وفسادًا، فكنى عنهما لتقدم ما يدل عليهما.

---

(١) في (س): (المؤمنين الكافرين)، وهو خطأ.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ٥٦.

(٣) ساقط من (م).

(٤) انظر: مثلًا: «تفسير البسيط» البقرة: ٤٥، ١٧٤ .

(٥) يعني الذي سبق ذكره.

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ٥٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٤١، من رواية علي بن أبي طلحة.

(٧) هو: أبو بكر، ولم أعثر على كتابه في «معاني القرآن».

والقولان في رجوع الكناية ذكرهما الفراء[١]، والزجاج[٢]، ولابد من تقدير تقديم وتأخير في الكلام؛ لأنا إن قلنا: تعود إلى الموالاة فكأنه قيل[٣]: أولئك بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة، [وإن قلنا][٤]: تعود على[٥] التناصر فكأنه قيل: فعليكم النصر إلا تفعلوه تكن فتنة.

ومعنى الفتنة في هذه الآية: الشرك في قول ابن عباس[٦].

قال أهل المعاني[٧]: وذلك أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توليًا يدعو غيره ممن لا يكون مؤمنا إلى مثل ذلك لحسن التواد والتعاطف، ولم يتبرأ من الكافر بما يصرفه عن كفره أدى ذلك إلى الضلال، وكذلك في التناصر، وذلك أن المسلمين كانوا قليلًا، ولم يكن مسلم إلّا وله أقارب من الكفار فإذا هجر أقاربه الكفار، ونصر أقاربه المسلمين كان ذلك أدعى إلى الإسلام وترك الكفر لأقاربه الكفار.

وقال أهل العلم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ هذا دليل على أن الكفار في الموارثة مع اختلاف مللهم كأهل ملة واحدة، وهو

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤١٩.

(٢) هذا مما سقط من «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع.

(٣) في (ح): (قال)، وما أثبته موافق لما بعده.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (س).

(٥) في (ح): (إلى).

(٦) «تنوير المقباس» ص١٨٦، ورواه ابن جرير ٩/ ٢٤٨، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠١، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال: ٣٩].

(٧) لم أجده في كتب أهل المعاني التي بين يديّ، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٨٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٧٤ من غير نسبة.

مذهب عامة الفقهاء[١]؛ فالمجوسي يرث الوثني، والنصراني يرث المجوسي؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

٧٤- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، قال المفسرون: أولئك الذين [حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، خلاف من أقام بدار الشرك[٢].

وقال أهل المعاني: أولئك الذين][٣] حقق الله إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها في قوله: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [ولم يكن لمن لم يهاجر، ولم ينصر مثل هذا[٤].

ومعنى قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾][٥]، قال ابن عباس: يريد: في الجنة ثواب عظيم[٦].

قال أهل المعاني: الرزق الكريم: طعام الجنة لا يستحيل في أجوافهم نجوًا، ولكن يصير كالمسك رشحًا[٧].

---

(١) هذا مذهب أبي حنيفة والشافعي وداود الظاهري وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد. انظر: «المغني» ٩/ ١٥٦، و«حاشية الجمل على شرح المنهج» ٤/ ٢٥.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٧٤ ب، والبغوي ٣/ ٣٨٠، و«زاد المسير» ٣/ ٣٨٧، و«الكشاف» ٢/ ١٧٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساق من (م). (٤) لم أقف على مصدره.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٦ بنحوه.

(٧) «البرهان» للحوفي ١١/ ١٢٤ أ، وذكر نحوه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٥٧، وقد ثبت هذا المعنى بقول الرسول ﷺ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك**» رواه مسلم (٢٨٣٥)، كتاب الجنة، باب: في صفات الجنة وأهلها.

٧٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾، قال ابن عباس: يريد: الذين هاجروا بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية[١] التي فيها الصلح[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، قال ابن عباس: يريد: إن أولي الأرحام لم يكونوا يتوارثون، وكان من واخى بينهم رسول الله ﷺ أولى بالميراث، كان إذا أسلم الأخوان فهاجر أحدهما فمات[٣] لم يرثه الذي لم يهاجر، وكان الذي واخى بينهم رسول الله ﷺ أولى بالميراث وإن كان بعيدًا[٤] في النسب حتى فتحت مكة فرد الله المواريث إلى أولي الأرحام فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ يريد: في فرائض الله، هذا كلام ابن عباس[٥].

قال أصحابنا[٦]: فليس في الآية حجة لمن قال بتوريث العمة والخالة وذوي الأرحام؛ لأن الله تعالى أراد بهذه الآية نقل الموارثة عن الحلف إلى القرابة.

---

(١) يعني إلى المدينة بعد صلح الحديبية، انظر: «تفسير ابن عطية» ٦/ ٣٩٤، والقرطبي ٨/ ٥٨.

(٢) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٣٨٧، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٣٦٠.

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (ح): (بعيد).

(٥) رواه بلفظ مقارب: البغوي ٣/ ٣٧٩، ورواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ٥١-٥٢، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٧٤.
ورواه مختصرًا الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٢٨٤، ورجاله رجال «الصحيح» كما في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٢.

(٦) يعني أئمة الشافعية، انظر: «الأم» للشافعي ٤/ ١٠٦، و«مختصر المزني» ص١٥٣، و«الحاوي الكبير» للماوردي ٨/ ٧٣، ١٧٤، و«المجموع» للنووي ١٦/ ٥٣، ٥٥.

وهذا إجماع من المفسرين أن قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ نسخ للميراث بالهجرة والحلف[١].

ومعنى قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج: أي في حكم الله كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١] أي: حكم الله[٢]، قال الزجاج: وجائز أن تكون هذه الأشياء[٣] مكتوبة في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢][٤].

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٢٤، وللنحاس ٢/ ٣٩٤، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٥٢، والبغوي ٣/ ٣٨١، وقول المؤلف: هذا إجماع من المفسرين، فيه نظر، فقد ذهب الإمام ابن جرير إلى أنه ليس في الآيات ناسخ ولا منسوخ، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: وهذه الآية تنبيء عن صحة ما قلنا: إن معنى قوله الله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في هذه الآية، وقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ إنما هو النصرة والمعونة، دون الميراث؛ لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار، والخبر عما لهم عنده، دون من لم يهاجر، بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾، الآية، ولو كان مرادًا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم، لم يكن عقيب ذلك إلا الحث على إمضاء الميراث على ما أمر، وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ.

«تفسير الطبري» ١٠/ ٥٧، وانظر: «النسخ في القرآن» ٢/ ٧٣٧.

(٢) هذا القول ليس موجودًا في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، وقد ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٨٧، والمصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٧٤.

(٣) في (ح): (الآية)، وهو خطأ.

(٤) ليس موجودًا في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، ومراده أن معنى (في كتاب الله) أي في اللوح المحفوظ، ولا يريد جواز ذلك وجواز عدمه كما قد يتبادر إلى الذهن من عبارته.

وذكر أبو علي وجهين آخرين فقال: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ أي فيما فرض لهم من السهام في المواريث[1]، وذلك في سورة النساء، وذكرنا أن (كتب) بمعنى فرض يأتي في القرآن عند قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وهذا يقوي قول من لا يقول بتوريث ذوي الأرحام[2]؛ لأنه لم يفرض لهم سهم في الميراث عند ذكر فرض السهام، قال: ويجوز أن يُعْنَى بالكتاب ههنا: التنزيل، أي: هم في فرض كتاب الله أولى بأرحامهم، قال: وأن يحمل الكتاب على المكتتب أولى، وذلك كقوله في سورة الأحزاب [٦]: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ إلى قوله: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ والمسطور إنما يسطر في صحف أو ألواح، فَرَدُّ المطلق منهما إلى هذا المقيد أولى؛ لأنه أمر واحد[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾، قال ابن عباس: يريد: كل شيء خلق، وكل شيء فرض، وكل شيء حد[4].

---

(١) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٢/ ٤٥٦.

(٢) وهم: زيد بن ثابت ومالك والأوزاعي والشافعي وأبو ثور وداود الظاهري وابن جرير، وهؤلاء يجعلون الباقي إذا لم يكن للميت من يعصبه لبيت المال.
انظر: «المغني» ٩/ ٨٢، و«الشرح الكبير» ٤/ ٤٩.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٤٥٦ بتصرف.

(٤) لم أقف على مصدره، وفي «تنوير المقباس»: «إن الله بكل شيء من قسمة المواريث وصلاحكم وغيرهما (عليم)»، وفي «الوسيط» ٢/ ٤٧٤: «إن الله بكل شيء: مما خلق وفرض وحد (عليم)». ولم ينسبه.

سورة براءة

(التوبة)

تفسير سورة براءة

اختلفوا في سبب ترك التسمية في أول هذه السورة، فروي بطرق مختلفة عن ابن عباس أنه قال: «قلت لعثمان بن عفان ﷺ ما حملكم على[1] أن عمدتم[2] إلى الأنفال وهي من[3] المثاني، وإلى براءة وهي من[4] المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم الله ووضعتموها في السبع الطول[5]؟ فقال: كانت الأنفال مما نزل على النبي ﷺ بالمدينة، وكانت براءة آخر القرآن نزولًا، وكانت قصتهما شبيها بعضها ببعض، وقبض رسول الله ﷺ ولم يتقدم إلينا فيهما[6] بشيء؛ فلذلك قرنا بينهما ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وكانتا تدعيان

(١) في (ى): (إلى).
(٢) في (ح): (عهدتم).
(٣) ساقط من (ح).
(٤) ساقط من (ح).
(٥) بضم الطاء وفتح الواو جمع طولى، ورواية المصنف موافقة لما في «سنن الترمذي» و«صحيح ابن حبان»، و«تفسير الطبري»، وفي بقية المصادر: الطوال، والمراد بالسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، وقيل: آخرها: براءة. والمراد بالمئين: ما ولي السبع الطوال؛ سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية قليلًا أو تقاربها. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥- ٤٦، و«الإتقان» ١/ ٢٢٠.
(٦) في (م): (فيها).

القرينتين فوضعناهما في السبع الطوال»[١].

وروي أيضًا عن ابن عباس قال: «سألت علي بن أبي طالب لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟، قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان[٢][٣]، وبهذا قال سفيان بن عيينة: «التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت [في المشركين][٤]

---

(١) رواه أبو داود (٧٨٦) كتاب: الصلاة، باب من جهر بها -يعني البسملة، ورواه مع زيادة الترمذي (٣٠٨٦) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وقال: هذا حديث حسن، وابن حبان كما في «الإحسان» ١/ ٢٣١ رقم (٤٣)، والحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة ٢/ ٢٢١، ٣٣٠، وقال في الموضع الثاني: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ورواه أيضًا بتلك الزيادة أحمد في «المسند» ١/ ٥٧، ٦٩، والطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٣٩٦، وقد علق العلامة أحمد شاكر على هذا الحديث بكلام نفيس، وجزم بأن هذا الحديث ضعيف جدًا، بل لا أصل له؛ لأن إسناده يدور على «يزيد الفارسي» وقال: يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولًا، حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره، ويذكره البخاري في الضعفاء، فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعًا وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه، وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقًا للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث». انظر: المسند للإمام أحمد (بشرح أحمد شاكر) ١/ ٣٢٩ رقم (٣٩٩).

(٢) قوله: ليس فيها أمان، يعني على وجه التغليب، وإلا فقد ورد الأمان فيها في عدة مواضع، كما في الآيات: ٢، ٤، ٦، ٧، ٢٩.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، سورة الأنفال ٢/ ٣٣٠، ورواه بمعناه أبو الشيخ وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٧.

(٤) في (ح): (بالمشركين).

والمنافقين بالسيف ولا أمان لهم»[١]، وبقريب من نحو هذا قال المبرد، وهو أنه قال: لم[٢] تفتتح[٣] هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم؛ لأن التسمية افتتاح للخير، وأول براءة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية»[٤]، وسئل أبيّ بن كعب عن هذا فقال: «إنها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله ﷺ يأمر في أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم، ولم يأمر في سورة براءة بذلك، فضمت[٥] إلى سورة الأنفال لشبهها بها»[٦].

قال الزجاج: «يعني أن أمر العهود مذكور في الأنفال، وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال بالشبه»[٧]، وكان قتادة يقول: «إنهما سورة واحدة»[٨].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٧٥ ب، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٩٠ بلفظ مقارب دون ذكر المشركين.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (م): (تفتح).

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٢٧، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ١٨٠.

(٥) في (ح) و(ى): (وضمت).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٧، و«زاد المسير» ٣/ ٣٩٠، و«المحرر الوجيز» ٦/ ٣٩٨.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٧.

(٨) لم أتمكن من تخريجه عن قتادة، وهو قول ضعيف لما يأتي:

أ - مخالفته لما ثبت عن بعض الصحابة ﷺ من أن براءة سورة مستقلة، فقد روى البخاري عن البراء قال: (آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت: براءة). «صحيح البخاري» (٤٦٥٤)، كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

ب - كثرة أسماء سورة براءة التي تزيد على العشرة وكثير منها ثابت عن الصحابة ﷺ. انظر: «الكشاف» ٢/ ١٧١، و«زاد المسير» ٣/ ٣٨٩، و«الدر المنثور» =

ونحو هذا روى الزهري عن سعيد بن المسيب[١].

١- قوله ﷻ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية، ومعنى البراءة في اللغة: انقطاع العصمة، يقال: برئت من فلان أبرأ براءة، أي: انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة، ومن هذا يقال: برئت من الدين، وليس فيها إلا لغة واحدة، كسر العين في الماضي، وفتحها في المستقبل، ويقال: بريء إلى فلان من كذا، أي: أخبره أنه[٢] بريء منه.

ومعنى ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: براءة الله، فلما نون أدخل «من» كما تقول: هذا فضل الله، ورحمة الله، ثم ينون فتدخل «من»، فتقول: فضل من الله ورحمة منه.

قال المفسرون: «أخذت العرب تنقض عهودًا بينهم[٣] وبين

= ٢/ ٣٧٦- ٣٧٧، ولم أجد من قال: إن هذا الأسماء تطلق على سورة الأنفال.

جـ- حديث أبي هريرة في تأمير أبي بكر على الحج سنة ثمان وفيه: (ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة). رواه البخاري (٤٦٥٥)، كتاب التفسير، باب قوله ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

فالحديث يوحي بأنها سورة مستقلة، وأن أولها قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

د - حديث علي ﷺ قال: «لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ دعا النبي ﷺ أبا بكر، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة» الحديث، رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» ١/ ١٥١. قال أحمد شاكر: إسناده حسن. انظر: «المسند» بشرح أحمد شاكر ٢/ ٣٢٢ رقم (١٢٩٦).

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٤ رقم (١١٠٣٩): (فيه محمد بن جابر السحيمي، وهو ضعيف، وقد وثق. اهـ. والحديث نص في بيان أول سورة براءة.

(١) لم أعثر على مصدر هذا القول.

(٢) في (ى): (أني).

(٣) في (م): (بينها).

رسول الله ﷺ فأمره الله تعالى أن ينقض عهودهم وأن ينبذ ذلك إليهم ففعل ما أمر به»[١].

قال أبو إسحاق: «أي قد بريء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذ نكثوا»[٢].

والخطاب في ﴿عَٰهَدتُّم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ [والمتولي للعقد رسول الله ﷺ][٣] والمعنى: إلى الذين عاهد[٤]، ولكن أدخلوا في الخطاب لأنهم راضون بفعله، فكأنهم عقدوا وعاهدوا.

و﴿بَرَآءَةٌ﴾ ترتفع على وجهين: **أحدهما**: على خبر الابتداء، على معنى: هذه الآيات براءة من الله، وعلى الابتداء[٥]، ويكون الخبر: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾؛ لأن براءة موصولة بـ«من» و﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفة لها، والوجهان ذكرهما الزجاج[٦]، واختار الفراء الوجه الأول، ومثله بقولك إذا نظرت إلى رجل: جميلٌ والله، تريد: هذا جميل والله[٧].

٢- قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الآية[٨]، قال ابن

---

(١) انظر نحو هذا القول في: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢٠، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٧٦ أ، و«زاد المسير» ٣/ ٣٩٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٨ بمعناه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى).

(٤) يعني رسول الله ﷺ وفي (ح): (عاهدتم، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٥٨- ٥٩.

(٥) هذا هو الوجه الثاني للرفع.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٨.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٠.

(٨) ساقطة من (م).

الأنباري: «قال اللغويون[(١)]: أصل السياحة الضرب في الأرض، والاتساع في السير، والبعد عن المدن ومواضع العمارة مع الإقلال من الطعام والشراب، وقيل للصائم: سائح؛ لأنه يشبه السائح لتركه المطعم والمشرب»[(٢)]، قال الفراء: «يقال: ساح يسيح سياحة وسيوحًا»[(٣)].

قال الزجاج: «معناه: اذهبوا فيها وأقبلوا وأدبروا»[(٤)].

قال ابن الأنباري: «ويضمر القول على تقدير: فقل لهم: سيحوا، ويكون هذا رجوعًا من الغيبة إلى الخطاب، كقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ ...﴾ الآية [الإنسان: ٢٢].

قال المفسّرون: «هذا تأجيل من الله للمشركين أربعة أشهر، فمن كانت مدّة عهده أكثر من أربعة أشهر حطه إلى الأربعة أشهر[(٥)]، ومن كانت

---

(١) في (ح) و(ى): (النحويون).

(٢) انظر: «لسان العرب» (سيح) ٤/ ٢١٦٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٩.

(٥) هذا القول غير صحيح؛ بل من كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر فعهده باقٍ إلى إتمام مدته ويدل على ذلك الأدلة التالية:

أ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

ب - قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧].

جـ- عن زيد بن أثيع قال: «سألنا عليًا: بأي شيء بعثت؟ يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة، قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا». رواه الترمذي (٨٧١)، كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الطواف عريانًا، وقال: حديث حسن، ورواه أيضًا أحمد في =

مدته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى الأربعة، ومن لم يكن له مدة جعل له خمسين يوما أجلًا»[(١)].

وروى الوالبي عن ابن عباس في هذه الآية قال: «حدّ الله للذين عاهدوا رسول الله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاؤا، وأجل من ليس له عهدٌ عند انسلاخ الأشهر الحرم، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، خمسين ليلة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيهم حتى يدخلوا في الإسلام»[(٢)]، قال[(٣)] «ولم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت «براءة» وانسلخ الأشهر الحرم، ومدّة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل «براءة» عادت إلى أربعة أشهر، من يوم أذّن بـ «براءة» إلى عشر من ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر».

وقال محمد بن إسحاق: «من كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر أمهل تمام الأربعة، ومن كانت مدة عهده بغير أجل محدود قصر به على أربعة أشهر، ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل

= «المسند» ٢/ ٣٢ (تحقيق: أحمد شاكر) وقال المحقق: إسناده صحيح، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» رقم (١١٠١)، والقول بأن صاحب العهد عهده باق إلى تمام مدته ذهب إليه ابن جرير ١٠/ ٦٥، وابن كثير ٢/ ٣٦٦.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢٠، و«تفسير البغوي» ٤/ ٨، ونحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٧٥ أ، وابن جرير ١٠/ ٥٩-٦١، والماوردي ٢/ ٣٣٨، ونسبه لابن عباس والضحاك وقتادة.

(٢) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٦٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٤٦، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٠.

(٣) يعني ابن عباس، وهذا القول ليس من رواية الوالبي الصحيحة كما يبدو من صنيع المؤلف بل من رواية العوفي وهي ضعيفة جدًا. انظرها في: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٦٠.

حيثما أدرك، وأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك خمسون يومًا، وابتداء هذا الأجل يوم النحر وانقضاؤه إلى عشر[١] من شهر ربيع الآخر لمن كانت مدته أربعة أشهر»[٢].

وقال الزهري: «الأربعة أشهر شوال، وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم؛ لأن هذه الآية نزلت في شهر شوال»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: «يريد: حيثما كنتم وحيثما توجهتم لا يعجز الله عن نقمته فيكم»[٤].

وقال الزجاج: «إي وإن أُجلتم هذه الأربعة أشهر فلن تفوتوا الله»[٥]،

وقال غيره[٦]: «المعنى أنكم فائتين كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيثما[٧] كنتم في ملك الله وسلطانه».

---

(١) في (ج): (عشرين)، وهو تصحيف بين، والصواب ما أثبته.

(٢) لم أجد هذا القول في «السيرة النبوية»، وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٧٥ أ منسوبًا إلى محمد بن إسحاق وغيره، وذكر بعضه ابن جرير ١٠/ ٥٩ شارحًا به قول محمد بن إسحاق. والذي يظهر لي أن أصل القول لابن جرير موضحًا به قول ابن إسحاق، ونقله عنه الثعلبي بهذا المعنى وزاد عليه زيادات، فتوهم الواحدي أنه قول ابن إسحاق، والله أعلم.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢٤٠، وابن جرير ١٠/ ٦٢، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٤١٢، وهو قول مردود بدلالة أن علي بن أبي طالب ﷺ إنما قرأ على المشركين هذه الآية في ذي الحجة، يوم الحج الأكبر، فيجب أن يكون هذا اليوم أول الشهور. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس، الموضع السابق.

(٤) «الوسيط» ٢/ ٤٧٦، وفي «تنوير المقباس» (١٨٧): («غير فائتين من القتل».

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٩.

(٦) ذكر نحو هذا القول: ابن جرير ١٠/ ٦٧.

(٧) في (م): (حيث).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال ابن عباس: «بالقتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة»[(١)]، وقال الزجاج: «هذا ضمان من الله ﷻ نصرة المؤمنين[(٢)] على الكافرين»[(٣)]. والإخزاء[(٤)]: الإذلال بما فيه الفضيحة والعار، والخزي: النكال[(٥)] الفاضح.

٣- وقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ الآية، أذان: رفع بالعطف على براءة قاله الفراء[(٦)]، والزجاج[(٧)]، ومعنى الأذان: الإعلام في قول المفسرين[(٨)] وأهل المعاني[(٩)].

قال الأزهري: «يقال: آذنته أوذنه إيذانًا وآذانًا، فالأذان اسم[(١٠)] يقوم مقام الإيذان، وهو المصدر الحقيقي»[(١١)].

قال أبو علي: قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ صفة لـ ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ وكذلك ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾[(١٢)].

ومعناه: للناس، كما يقال: هذا غلام من فلان لك وإليك، وأراد

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٤٧٦، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٢٢٠.
(٢) في (م): (نصرة للمؤمنين)، وفي «معاني القرآن» للزجاج: بنصرة المؤمنين.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٩.
(٤) في (ح): (والآخر)، وفي (م): (والأخرى)، وكلاهما خطأ.
(٥) في (ى): (والنكال).
(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٠.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٩.
(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٦٧، والسمرقندي ٢/ ٣٣، والزمخشري ٢/ ١٧٣.
(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٢٩، و«غريب القرآن وتفسيره» لليزيدي ص١٦١، و«تفسير المشكل من غريب القرآن» ص٩٥.
(١٠) في (م): (أهم).
(١١) «تهذيب اللغة» (أذن) ١/ ١٣٩.
(١٢) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٤٠٥.

بالناس: المؤمن والمشرك؛ لأن الكل داخلون في هذا الإعلام.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾، قال أبو علي: «يجوز أن يتعلق الظرف بالصفة ويجوز أن يتعلق بالخبر الذي هو: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ولا يجوز أن يتعلق بـ«أذان» لأنك قد وصفته والموصوف إذا وصفته لم يتعلق بشيء»[(١)].

واختلفوا في يوم الحج الأكبر فقال ابن عباس في رواية عكرمة: «إنه يوم عرفة»[(٢)]، وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاووس وإحدى الروايتين عن علي ﷺ[(٣)]، ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله ﷺ وهو أنه قال: خطب رسول الله ﷺ عشية عرفة فقال: «**أما بعد إن هذا يوم الحج الأكبر**»[(٤)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: «يوم الحج الأكبر يوم النحر»[(٥)]، وهو قول الشعبي والنخعي والسدي وابن زيد وإحدى الروايتين عن علي وقول المغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير[(٦)].

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: «يوم الحج الأكبر أيام منى

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٤٠٦.

(٢) رواه ابن جرير ١/ ٦٩، والثعلبي ٦/ ٧٧ ب.

(٣) رواه عنهم جميعًا ابن جرير ١٠/ ٦٧-٦٩ إلا أنه قال: طاوس عن أبيه، ورواه عنهم أيضًا عدا طاوس، الثعلبي ٦/ ٧٧ ب، ٧٨ أ، ورواه أيضًا عنهم ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٤٧ إلا أن روايته عن علي مرفوعة، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٣٩٦، وابن كثير ٢/ ٣٦٩.

(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٢، ورواه ابن جرير ١٠/ ٦٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٤٨ عن محمد بن قيس مرسلًا.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٠ من رواية عكرمة، ١٠/ ٧٢ من رواية سعيد بن جبير.

(٦) أخرج آثارهم ابن جرير ١٠/ ٦٩- ٧٤، والثعلبي ٦/ ٧٨ أ.

كلها»[١]، وهو مذهب سفيان الثوري، وكان يقول: يوم الحج الأكبر أيامه كلها مثل يوم صفين ويوم الجمل ويوم بعاث[٢] يراد به الحين والزمان؛ لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أيامًا كثيرة[٣].

فمن قال: إنه يوم عرفة احتج بأن معظم الحج يقضى فيه وهو الوقوف، ومن قال: إنه يوم النحر احتج بأن أعمال الحج وقضاء المناسك يوم النحر؛ لأن في ليلة نهار[٤] يوم النحر الوقوف بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر، وفي صبيحتها تعمل أعمال الحج، فالحج كله يوم النحر[٥]، ومعنى الحج الأكبر: الحج بجميع أعماله، والحج الأصغر: العمرة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[٦]، والزهري[٧] والشعبي[٨].

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٤، والثعلبي ٦/ ٧٨ ب.

(٢) يوم بعاث: بضم الباء: يوم كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وبعاث: حصن للأوس. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ١٨٣، و«لسان العرب» (بعث) ١/ ٣٠٧.

(٣) ذكره بلفظه الثعلبي ٦/ ٧٨ ب، ورواه مختصرًا ابن جرير ١٠/ ٧٤.

(٤) ساقطة من (م).

(٥) قلت: بل أقوى من هذا التعليل ما رواه البخاري تعليقًا عن ابن عمر ﵄ قال: وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج بهذا، وقال: «هذا يوم الحج الأكبر». «صحيح البخاري»، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ٣/ ٥٧٤، ورواه موصولًا أبو داود في «سننه» ١٩٤٥، كتاب المناسك، باب يوم الحج الأكبر، والحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة ٢/ ٣٣١ مطولًا، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٧٧.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ٧٩ أ، والبغوي ٤/ ١٢، ورواه بمعناه إخبارًا عن قول أهل الجاهلية عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٦٦، وابن جرير ١٠/ ٧٦.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٦، والثعلبي ٦/ ٧٩ أ، والبغوي ٤/ ١٢.

قالوا: الحج الأكبر: الوقوف بعرفة والحج الأصغر: العمرة لنقصان عملها عن[١] عمل الحج.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾، قال أبو علي: «لا بد من تقدير الجار في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ فتقول: بأن الله، لأن[٢] ﴿ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ لا يكون الإعلام، كما يكون الثاني الأول في نحو قولك: خبرك أنك خارج[٣]، وخبر الابتداء يجب أن يكون الأول إذ له فيه ذكر، و﴿وَأَذَٰنٞ﴾ ابتداء فلا يكون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ﴾ خبره إلا بتقدير الجار، ومعنى الآية: إن الله بريء من عهد المشركين، فهو من باب حذف المضاف، و«ورسوله» رفع بالابتداء وخبره مضمر على معنى: ورسوله أيضًا بريء، ودل الخبر عن الله على الخبر عن الرسول ومثله:

فإني وقيارٌ بها لغريب[٤]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ رجع إلى خطاب المشركين، قال ابن عباس: «يريد: فإن رجعتم عن الشرك إلى توحيد الله»[٥]، ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ من الإقامة على الشرك ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ يريد: عن الإيمان ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ

(١) في (م): (من). (٢) في «الحجة: لأن «أن الله ..».
(٣) ا.هـ كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٤٠٦.
(٤) عجز بيت وصدره:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله

والبيت لضابئ بن الحارث البرجمي كما في «الأصمعيات» (ص١٨٤)، و«خزانة الأدب» ٩/ ٣٢٦، و«الشعر والشعراء» ص٢١٩، و«كتاب سيبويه» ١/ ٧٥، و«نوادر أبي زيد» (ص٢٠)، وقوله: قيار، هكذا بالرفع، وهو كذلك في بعض المصادر، قال الجوهري في «الصحاح» (قير) ٢/ ٨٠١: قيار: اسم جمل ضابئ بن الحارث، ثم ذكر البيت ثم قال: برفع قيار على الموضع.
(٥) «تنوير المقباس» (ص١٨٧) بنحوه من رواية الكلبي، وحاله لا تخفى.

﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: إنكم لا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه في الدنيا، ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، قال المفسرون: «لما فتح الله مكة على رسول الله ﷺ سنة ثمان من الهجرة وخرج رسول الله ﷺ إلى غزاة تبوك وتخلف من تخلف من المنافقين وأرجفوا الأراجيف جعل المشركون ينقضون عهودهم فأمر الله رسوله بإلقاء عهودهم إليهم ليأذنوا بالحرب، فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله ﷺ الحج ثم قال: «**إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك**»[(١)] فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر تلك السنة أميرًا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه بأربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ عليًا فقال: «**اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا**» فخرج علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء قال: «**لا، ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض؟!**»[(٢)]، قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميرًا على الحج، وعليّ ليؤذن ببراءة، فقدما مكة، فلما كان قبل

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٦١-٦٢ مرسلًا عن مجاهد، وطواف المشركين عراة مخرج في «صحيح البخاري» (١٦٦٥)، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، وفي «صحيح مسلم» (١٢١٩)، كتاب الحج، باب في الوقوف.

(٢) رواه ابن جرير (١٠/ ٦٥) عن السدي، ورواه بنحوه ١٠/ ٦٤ عن ابن عباس، وروى صدره بمعناه الترمذي (٣٠٩٠)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وقال: حديث حسن غريب من حديث أنس، وكذلك رواه أحمد في المسند ١/ ٣.

التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم، وأقام للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من الحج، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به، وقرأ عليهم سورة براءة، فقال المشركون: «نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب»(١).

وذكر أبو إسحاق السبب في تولية علي تلاوة براءة على المشركين قال: «وذلك لأن العرب جرت عادتها في عقد عهدوها(٢) ونقضها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها، وكان جائزًا أن تقول العرب إذا تُلي عليها نقض العهد من الرسول ﷺ هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود، فأزاح رسول الله ﷺ العلة في ذلك»(٣).

وقال عمرو(٤) بن بحر: «إن النبي ﷺ بعث أبا بكر أميرًا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليًا يقرأ على الناس آيات من سورة براءة فكان أبو

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٦ أ ونسبه إلى محمد بن إسحاق ومجاهد وغيرهما، وقد ذكر الزمخشري في «تفسيره» ٢/ ١٧٢ نحو هذا الأثر، وعلق عليه ابن حجر بقوله: «هذا ملفق من مواضع». انظر: حاشية «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» للزيلعي ٢/ ٤٩.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه»: عقودها.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٢٨.

(٤) في (ح): (عمر)، وهو: عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ، البصري المعتزلي، العلامة المتبحر في فنون الأدب وصاحب التصانيف المشهورة، كان أحد الأذكياء الحفاظ، لكنه كان ماجنًا قليل الدين، كثير الكذب وتوليد الحكايات، توفي سنة ٢٥٥هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ١٢/ ٢١٢، و«نزهة الألباء» ص١٤٨، و«سير أعلام النبلاء» ١١/ ٥٢٦.

بكر الإمام وعلي المؤتم، وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع، وكان أبو بكر الدافع بالموسم ولم يكن لعلي أن يدفع حتى يدفع أبو بكر، وأما قوله ﷺ «لا يبلغ عني إلا رجل مني»[(١)] فإن النبي ﷺ لم يقل ذلك تفضيلًا منه لعلي على غيره في الدين، ولكن عامل العرب على مثل ما كان بعضهم يتعارفه من بعض، وكعادتهم في عقد الحلف وحل العقد، وكان السيد منهم إذا عقد لقوم حلفًا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العقد غيره أو رجل من رهطه دنيا[(٢)] كأخ أو عم فلذلك قال النبي ﷺ ذلك القول[(٣)].

٤- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: «الذين» في موضع نصب، أي: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم أي ليسوا داخلين في البراءة»[(٤)]، قال المفسرون[(٥)] في هذه الآية: «هؤلاء قوم مخصوصون أمر النبي ﷺ بإتمام عهده وهم بنو ضمرة وبنو كنانة ومن اتبعهم وكان بقي لهم من مدتهم تسعة أشهر فأمر باتمامها لهم».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي من شروط العهد شيئًا ﴿وَلَمْ

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٠)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، وأحمد في «المسند» ١/ ٣.

(٢) في «لسان العرب» (دنا): (قالوا: «هو ابن عمي دنية، ودنيًا، منون، ودنيا، غير منون، ودنيا، مقصور: إذا كان ابن عمه لحا .. وكأن أصل ذلك كله (دنيا) أي: رحمًا أدنى إليّ من غيرها».

(٣) انظر قول الجاحظ في كتابه العثمانية ص ١٢٩ بنحوه، و«زاد المسير» ٣/ ٣٩٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٠ باختصار يسير.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٧٩ ب، والبغوي ٤/ ١٢، وهو قول السدي رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٣- ٣٨٤.

﴿يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾، قال ابن عباس: «ولم يعاونوا عليكم عدوًا»[(١)]، وقوله[(٢)]: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ معناه: إلى انقضاء مدتهم، ومعنى المدة زمان طويل[(٣)] للفسحة؛ لأنه من مددتُ له في الأجل للمهلة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: يحب من اتقاه بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

٥- قوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾، قال الليث: «يقال سلخت الشهر إذا خرجت منه فصرت في آخر يومه[(٤)]، وانسلخ[(٥)] الشهر»[(٦)]، وكشف أبو الهيثم[(٧)] عن هذا المعنى فقال: «يقال: أهللنا هلال شهر كذا أي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة إلى مضي نصفه[(٨)] لباسًا منه ثم نسلخه عن أنفسنا [بعد تكامل النصف منه جزءًا فجزءًا حتى نسلخه عن أنفسنا][(٩)] كله فينسلخ، وأنشد[(١٠)]:

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله ... كفى قاتلا سلخي الشهور وإهلالي[(١١)]

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٧.

(٢) ساقط من (ح) و(ى).

(٣) في «لسان العرب» ٧/ ٤١٥٨ (مدد): المدة: طائفة من الزمان تقع على القليل والكثير، ومادّ فيها أي أطالها.

(٤) في كتاب «العين» و«تهذيب اللغة»: في آخر يوم منه.

(٥) في النسخة (ح): (فانسلخ). وما أثبته موافق لكتاب «العين» و«تهذيب اللغة».

(٦) «تهذيب اللغة» (سلخ) ٢/ ١٧٣٠، والنص في كتاب «العين» (سلخ) ٤/ ١٩٨.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) في (ى): (نفسه)، وهو خطأ.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(١٠) البيت بغير نسبة في: «تهذيب اللغة» (سلخ) ٢/ ١٧٣١، و«أساس البلاغة» (سلخ) ٢/ ٤٥٣، و«لسان العرب» (سلخ) ٤/ ٢٠٦٣.

(١١) اهـ كلام أبي الهيثم، انظر: «تهذيب اللغة» (سلخ) ٢/ ١٧٣١.

واختلفوا في معنى الأشهر الحرم ههنا فمنهم من حملها على ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ويحل[١] القتال بانسلاخ المحرم على الإطلاق عند من جعل تاريخ[٢] الأشهر الأربعة من أول شوال وهو وقت نزول براءة[٣]، ومن قال: إن تاريخ الأشهر الأربعة من يوم النحر حمل قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [على التخصيص، ومعناه: فإذا انسلخ الأشهر الحرم ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾][٤] الذين أمهلناهم خمسين يومًا وهم الذين لم يكن لهم ذمة سابقة مع رسول الله ﷺ، هذا على قول من يقول الأشهر الحرم هذه الثلاثة التي تعرف بالحرم[٥] ومنهم من قال: المراد بالأشهر الحرم شهور العهد[٦]، قيل لها: حرم لأن الله تعالى حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين، فإذا مضت قد[٧] حل قتالهم عامًا مطلقًا، وهذا قول الحسن[٨]، ومجاهد[٩]،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (م): (من تاريخ).

(٣) هذا قول الزهري وحده، وقد سبق تخريجه، وانظر رد هذا القول هناك، وفي «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤١٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى).

(٥) روى هذا القول ابن جرير ١٠/ ٦٠-٦١، عن ابن عباس والضحاك وقتادة.

(٦) يعني شهور السياحة التي ذكرها الله بقوله: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]. إذ أن هذا هو قول جميع من نسب إليهم المؤلف هذا القول، وذكر الشوكاني في تفسيره ٢/ ٣٣٧ احتمالًا آخر للمراد بها، وأنها المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾.

(٧) في (ح): (ذلك)، وفي (ى): (دلل)، ولا معنى لهما.

(٨) ذكره عنه الهواري ٢/ ١١٤، والماوردي ٢/ ٣٤٠، وابن الجوزي ٣/ ٣٩٨.

(٩) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٩، والثعلبي ٦/ ٧٩ ب، والبغوي ٤/ ١٣، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٤- ٣٨٥، وهو في «تفسير مجاهد» ص ٣٦٣.

وابن إسحاق[١]، وابن زيد[٢]، وعمرو بن شعيب[٢]، والسدي[٣].

وقوله تعالى: ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ يوجب تعميم الحل والحرم، قال الفراء: «في الأشهر الحرم وغيرها في الحل والحرم»[٤] ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي[٥] بالأسر، والأخيذ: الأسير ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ معنى الحصر: المنع عن الخروج من محيط، قال ابن عباس: يريد: إن تحصنوا فاحصروهم»[٦]، وقال الفراء: حصرهم: أن يمنعوا من البيت الحرام»[٧]، وقال ابن الأنباري: «يريد: أن احبسوهم واقطعوهم عن البيت الحرام».

وقوله تعالى: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ المرصد: الموضع الذي يرقب فيه العدو، من قولهم: رصدت فلانًا أرصده: إذا ترقبته، قال المفسرون[٨]: يقول: اقعدوا لهم على كل طريق يأخذون فيه إلى البيت أو إلى تجارة، قال أبو عبيدة في قوله: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ المعنى: كل طريق»[٩]، وقال أبو الحسن الأخفش: «(على) محذوفة، المعنى: على كل مرصد، وأنشد[١٠]:

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٤.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٩، والثعلبي ٦/ ٧٩ ب.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٢- ١٧٥٣.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٢١.

(٥) ساقط من (م).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٩٨.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٢١.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٧٨، والسمرقندي ٢/ ٣٤، والثعلبي ٦/ ٧٩ ب، والبغوي ٤/ ١٣.

(٩) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٣ بمعناه.

(١٠) البيت لرجل من قيس، كما في كتاب «المعاني الكبير» ١/ ٣٨٦، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٨٥، و«لسان العرب» (رخص) ٣/ ١٦١٦.

نغالي اللحم للأضياف نيئًا ونرخصه إلا نضج القدور

المعنى نغالى باللحم[(١)]، فحذف الباء ههنا فكذلك حذف (على)، قال الزجاج: «﴿كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ ظرف، كقولك: ذهبت مذهبًا، وذهبت طريقًا، وذهبت كل طريق، فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا ما تقوله في الظروف نحو: خلف وأمام وقدام»[(٢)].

قال أبو علي: «ذهب أبو الحسن إلى أن المرصد اسم للطريق كما فسره أبو عبيدة، وإذا[(٣)] كان اسمًا[(٤)] للطريق كان مخصوصًا، وإذا كان مخصوصًا وجب ألا يصل الفعل الذي لا يتعدى إليه إلا بحرف جر[(٥)] نحو: ذهبت إلى زيد، وقعدت على الطريق، إلا أن يجيء في ذلك اتساع فيكون الحرف معه محذوفًا كما حكاه سيبويه[(٦)] من قولهم: ذهبت الشام ودخلت البيت فالأسماء المخصوصة إذا تعدت إليها الأفعال التي لا تتعدى فإنما هو على الاتساع، والحكم في تعديها إليها والأصل أن يكون بالحرف، وقد غلط أبو إسحاق في قوله[(٧)]: ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ ظرف كقولك ذهبت مذهبًا في أن جعل الطريق ظرفًا كالمذهب وليس الطريق بظرف، ألا ترى [أن الطريق][(٨)] مكان مخصوص كما أن البيت والمسجد مخصوصان، وقد نص

---

(١) اهـ كلام الأخفش، انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٣٥٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣١.

(٣) في (ح): (فإذا)، وما أثبته موافق لما في «الإغفال».

(٤) في (ح): (اسم).

(٥) كلمة (جر) ليست موجودة في «الإغفال».

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٤١٤.

(٧) في «الإغفال»: قوله ﷻ.

سيبويه على اختصاصه[(١)] والنص به ليس كالمذهب والمكان، ألا ترى أنَّه حمل قول ساعدة[(٢)]:

لَدْنٌ بهز الكف[(٣)] يعسل متنه فيه[(٤)] كما عسل الطريق الثعلب[(٥)]

على أنه حذف الحرف اتساعًا، كما حذف عنده من ذهبت الشام[(٦)]، وقال أبو إسحاق في هذا المعنى خلاف ما قاله هنا، [وهو أنه قال في قوله ﷻ][(٧)]: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]: أي على طريقك، قال: ولا اختلاف بين النحويين أن (على) محذوفة»[(٨)]، وإذا كان كذلك بلا خلاف لم يجز أن يجعله ههنا مثل ما هو ظرف[(٩)] بلا خلاف من

---

(١) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٣٥.

(٢) هو: ساعدة بن جؤية الهذلي، من شعراء هذيل المجيدين، وشعره محشو بالغريب والمعاني الغامضة، وهو من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وقد أسلم، ولم يلق النبي ﷺ.
انظر: «خزانة الأدب» ١/ ٤٧٦، و«سمط اللآلي» ص١١٥، و«الأعلام» ٣/ ٧٠.

(٣) في (ى): (الكهف).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) البيت لساعدة بن جؤية كما في «شرح أشعار الهذليين» ص١١٢٠، و«كتاب سيبويه» ١/ ٣٦، و«لسان العرب» (عسل) ٥/ ٢٩٤٦، و«نوادر أبي زيد» ص١٥.
ورواية المصدر الأول: لذٌ. أي تلذ الكف بهزه.
ومعنى: لدن: أي لين. والمتن: الظهر، ويعسل: يضطرب، وعسل الطريق الثعلب: أي اضطرب في الطريق.
والشاعر يصف سنانًا مرهفًا يهتز في الكف. انظر: «شرح أشعار الهذليين» ص١١١٩، ١١٢٠، و«لسان العرب» (عسل) ٥/ ٢٩٤٦.

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» (١/ ٣٥، ٣٦).

(٧) في «الإغفال»: ألا ترى أنه قال في قوله «لأقعدن .. ..» إلخ.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٣٢٤.

(٩) في «الإغفال»: مبهم ظرف.

قوله: ذهبت مذهبًا، وإذا كان الصراط [اسمًا للطريق وكان اسمًا مخصوصًا ومما لا يصح أن يكون ظرفًا لاختصاصه فالمرصد][1] أيضًا[2] مثله في الاختصاص، وأن لا يكون ظرفًا، كما لم يكن الصراط والطريق ظرفًا»[3].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾، قال ابن عباس: «يريد: من الشرك»[4]، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال أصحابنا[5]: هذه الآية دليل على أن تارك الصلاة يقتل؛ لأن الله أباح دماءهم، ثم قال: «فإن تابوا» يعني من الشرك «وأقاموا الصلاة» وهذا اللفظ للفعل لا للاعتقاد؛ ولأن الاعتقاد مندرج تحت التوبة، فإذا لم يقم الصلاة بقي دمه على الإباحة، وإن تاب من الشرك بحكم ظاهر الآية، ودل الظاهر على التسوية بين الصلاة والزكاة فاقتضى الإجماع ترك الظاهر في الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: زكاة الأموال من العين والمواشي والثمار»[6]، وقوله تعالى: ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ قيل: يعني: إلى البيت الحرام، وقيل: إلى التصرف في أمصاركم للتجارة وغيرها، وقوله[7]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب وآمن.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (هاهنا).

(٣) انظر: «الإغفال»، سورة التوبة، المسألة الأولى ص٨٤٨- ٨٥٢.

(٤) «تنوير المقباس» ١٨٧.

(٥) يعني أئمة الشافعية. انظر: «كتاب الأم» ١/ ٤٢٤، و«أحكام القرآن» للهراسي ٣/ ١٧٧.

(٦) لم أقف عليه، وقد ذكره في «الوسيط» ٢/ ٤٧٩ بلا نسبة.

(٧) ساقط من (ح) و(ى).

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ الآية، قال الفراء: ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ في موضع جزم وإن فرق بين الجازم والمجزوم بـ«أحد» وذلك سهل في (إن) خاصة دون حروف الجزاء؛ لأنها شرط وليست باسم، فلم يحفلوا أن يفرقوا بينها وبين المجزوم بالمرفوع والمنصوب، فأما المنصوب فمثل قولك: إن أخاك ضربت ظلمت، والمرفوع مثل قوله: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] ولو حولت «هلك» إلى (يهلك)[١] لجزمته[٢]، ونحو هذا قال الزجاج، فقال: وإنما يجوز الفصل في باب (إن) لأن (إن) أم الجزاء، لا تزول[٣] عنه إلى غيره، فأما أخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر، قال الشاعر[٤]:

فمتى واغل يزرهم[٥] يحيو ... وتُعطفْ عليه كأس الساقي[٦]

قال ابن عباس: «﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ ممن لم يكن له عهد»[٧]، وقال محمد بن إسحاق: «أي: من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم»[٨]، وقال سعيد بن جبير: «جاء رجل من المشركين إلى علي بن

---

(١) في «معاني القرآن»: إن يهلك.
(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢٢.
(٣) في (ح) و(ي): (لا تزال)، والمثبت من (م) وهو موافق لـ «معاني القرآن وإعرابه».
(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي، كما في ملحق «ديوانه» ص١٥٦، و«خزانة الأدب» ٣/ ٤٦، و«كتاب سيبويه» ٣/ ١١٣.
(٥) في النسخة (ح) و(م): (ينبهم)، وأثبت ما في النسخة (ى) لأنه موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه»، والواغل: الداخل على القوم في شرابهم أو طعامهم ولم يدع. انظر: «مجمل اللغة» (وغل) ٤/ ٩٣١، و«القاموس المحيط»، باب اللام، فصل الواو ص١٠٦٩.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٢.
(٧) لم أقف على مصدره.
(٨) «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٢.

أبي طالب: فقال: إن[١] أراد الرجل منا أن يأتي محمدًا بعد انقضاء هذا الأجل فيسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل؟! فقال علي: لا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ الآية[٢]، وقال الزجاج: «المعنى: إن طلب منك أحد منهم أن تجيره من القتل إلى أن يسمع كلام الله فأجره»[٣].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، قال السدي[٤] ومقاتل[٥]: «يعني القرآن»، وقال عطاء عن ابن عباس: «يريد: ما أعد[٦] الله لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب وما افترض في دينه من الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت وجميع الفرائض»[٧].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ قال: «يريد: الموضع الذي يأمن فيه»[٨] يريد: إذا لم يتب، فإن تاب ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، وقال ابن زيد: «يقول: إن لم يوافقه ما تتلو[٩] عليه فأبلغه مأمنه»[١٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: يفعل كل هذا لأنهم جهلة، لا يعلمون دين الله وتوحيده وما افترض عليهم، وقال

---

(١) في (ح): (إذا)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨١ أ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣١.

(٤) رواه ابن جرير ١٤/ ٨٠، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٦.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» ١٢٦ أ.

(٦) في (ي): (ما عطا)، وسقطت (ما) من النسخة (ح).

(٧) لم أعثر عليه.

(٨) رواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٧.

(٩) في (ح): (يتلى)، والمثبت موافق لـ «تفسير ابن جرير».

(١٠) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٠، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٦.

أبو إسحاق «أي: الأمر ذلك، أي: وجب أن يعرّفوا ويجاروا؛ لجهلهم بالعلم فربما يتبينون به الإسلام»[١].

وهذا بيان عن حال الطالب للعلم[٢]، وليس له عهد من الإمام، حتى يسمع الدليل على الحق، ثم يُردّ إلى مأمنه لينظر في أمره، وقال الحسن في هذه الآية: «إن استعاذك فأعذه حتى يسمع كلام الله، فتقيم عليه حجة الله، وتبين له دين الله، فإن أسلم فقد دخل في عز الإسلام وإن أبى فأبلغه مأمنه ولا تعرض له»[٣].

وقال أهل العلم: «الكافر الحربي إذا دخل دار الإسلام كان مغنومًا مع ماله إلا أن يدخل مستجيرًا لغرض شرعي، كاستماع كلام الله رجاء الإسلام، أو دخل لتجارة، فإن دخل بأمان صبي أو مجنون فأمانهما شبهة أمان[٤]، فيجب تبليغه مأمنه، وهو أن يبلغ محروسًا في نفسه وماله إلى مكانه الذي هو مأمن له، ومن دخل منهم دار الإسلام رسولًا فالرسالة له[٥]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣١.

(٢) في (ى): (طالب العلم).

(٣) لم أعثر عليه في مظانه من كتب التفسير.

(٤) أمان المجنون لا يصح بالإجماع كالصبي غير المميز، أما الصبي المميز فللعلماء في أمانه قولان:
الأول: لا يصح أمانه، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد.
الثاني: يصح أمانه، وهو قول مالك، والرواية المشهورة عن أحمد، وهو الصحيح، لقول الرسول ﷺ «**ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم**». رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر ٤/ ٢١٧، ومسلم (١٣٧٠)، كتاب الحج، باب فضل المدينة. وانظر: «المهذب» ٢/ ٢٣٥، و«المغني» ١٣/ ٧٧.

(٥) ساقط من (م).

أمان[١]، ومن دخل ليأخذ مالًا له في دار الإسلام، ولماله أمان فأمان ماله أمانه[٢]»[٣].

٧- قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال الفراء: «هذا على التعجب [كما تقول: كيف][٤] يستبقى مثلك؟ أي لا ينبغي أن يستبقى، قال: وإذا استفهمت بشيء من حروف الاستفهام فلك أن تدعه استفهامًا ولك أن تنوي به الجحد، من ذلك قولك: هل أنت إلا كواحد[٥] منا؟! [معناه: ما أنت إلا واحد منا»[٦]][٧] وقال غيره من أهل المعاني: «في الآية محذوف تقديره: كيف يكون للمشركين عهد مع إضمار الغدر فيما وقع من العهد»[٨].

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾، قال الزجاج: «أي: ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا»، قال: «وموضع «الذين» نصب بالاستثناء»[٩].

واختلفوا في المعنيّ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ﴾ والذي يشهد له ظاهر اللفظ أنهم بنو ضمرة وبنو كنانة الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (أمان).

(٣) انظر: «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ٢/ ٢٦٣ بنحوه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) في (م): (واحدًا).

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٣.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) هذا القول للحوفي في «البرهان» ١١/ ١٤٢ ب، وذكره الرازي ١٥/ ٢٢٩، والقرطبي ٨/ ٧٨ دون تعيين القائل.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٢.

عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٤] وهو قول السدي[(١)] وابن إسحاق[(٢)] والكلبي[(٣)] قالوا: «هم قبائل بني جذيمة[(٤)] وبنو مدلج[(٥)] وبنو ضمرة[(٦)] وبنو الدئل[(٧)] من بني بكر[(٨)]».

وكذلك قال ابن جريج[(٩)].

قال محمد بن إسحاق: «هم قبائل من بني بكر[(١٠)] الذين[(١١)] كانوا دخلوا في عهد قريش مع النبي ﷺ يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين النبي ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضه إلا هذا الحي من قريش[(١٢)] فأمر

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٨١ أ، والبغوي ٤/ ١٥، ورواه ابن جرير ١٠/ ٨١ بلفظ: هم بنو جذيمة بن الدئل، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٦ بلفظ: هم بنو خزيمة بن فلان.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٢ وسيذكر المؤلف لفظه.

(٣) سقط اسم الكلبي من النسخة (ح)، وانظر قوله في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨١ أ، والبغوي ٤/ ١٥.

(٤) هم بنو جذيمة بن عامر بن عبد كنانة. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ١٨٧.

(٥) هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة. انظر: المصدر السابق، نفس الموضع.

(٦) هم بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. المصدر السابق ص١٨٥، و«نهاية الأرب» ص٢٩٣.

(٧) هم بنو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص١٨٤، و«نهاية الأرب» ص٦١.

(٨) هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص١٨٠، و«نهاية الأرب» ص١٨٠، وليس لبكر من هذه القبائل سوى بني ضمرة وبني الدئل، أما بنو جذيمة وبنو مدلج فهم أبناء أخويه.

(٩) لم أقف على من ذكره، وقد رواه ابن جرير ١٠/ ٨١ عنه عن محمد بن عباد.

(١٠) في السيرة النبوية: من بني بكر.

(١١) ساقط من (ح) و(ى).

(١٢) في المصدر السابق زيادة: وبنو الدئل من بني بكر. اهـ. وهو الصواب.

النبي ﷺ باتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر»[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد ما أوفوا بعهدهم أوفوا بعهدكم»[٢]، وقال الزجاج: «أي ما أقاموا على الوفاء بعهدهم فأقيموا أنتم»[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده.

٨- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، قال الفراء[٤] والزجاج[٥] وابن الأنباري وجميع أهل المعاني[٦]: «أي كيف يكون لهم عهد وحالهم ما وصف في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟﴾ الآية، ولكنه حذف ما يتعلق به (كيف)، لأنه قد ذكر قبل هذا في الآية المتقدمة فاكتفى به، قال الفراء: «وإذا أعيد الحرف وقد مضى معناه استجازوا حذف الفعل، وأنشدوا[٧]:

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٥٤٤.

(٢) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٢، وجملة: فأقيموا أنتم ليست من كلام الزجاج.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٣.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ١٨٦، و«إعراب القرآن» له ٢/ ٦، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب ص٣٢٤، و«البرهان» للحوفي ١١/ ١٤٣.
قلت: قوله «جميع أهل المعاني» فيه نظر؛ فإن الأخفش الأوسط قدر المضمر بقوله: كيف لا تقتلونهم. انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٣٥٥، وجوز أبو البقاء أن يكون المقدر: كيف تطمئنون إليهم. انظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤١٥.

(٧) في «معاني القرآن»: كما قال الشاعر.

وخبرتماني أنما الموت في القرى فكيف وهذي هضبة وكثيب[١][٢]

أي فكيف مات وليس بقرية، وأنشد أبو إسحاق[٣] وأبو بكر قول الحطيئة:

فكيف ولم أعلمهُم خذلوكمُ على معظَم ولا أديمكمُ قدُّوا[٤]

أراد: فكيف يكون ما تقولون حقًّا والأمر على ما أصف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يقال: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرت فوقه، قال الليث: «الظهور: الظفر بالشيء»[٥]، وأظهر الله المسلمين على المشركين أي أعلاهم عليهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩]، أي: ليعليه[٦]، قال

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة يرثي فيها أخاه أبا المغوار الذي مات في البادية، وكان أخوه فرّ به من وباء المدينة. انظر: «الأصمعيات» ص٩٧، و«شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٢٦٩، و«كتاب سيبويه» ٣/ ٤٨٧، و«لسان العرب» (تفسير هذا) ٦/ ٣٧٨٠ (قول).

يقول الشاعر: لقد أخبرني الناس أن الموت يكون في القرى حيث الوباء، فكيف مات أخي في الصحراء حيث الهضاب والكثبان وطيب الهواء.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢٤.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٣.

(٤) «ديوانه» ص١٤٠، وفيه: على موطن، ونسب إليه أيضًا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٢٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٧٩، و«الدر المصون» ٦/ ١٦.

وقوله: على معظم: أي أمر عظيم. والأديم: الجلد، وقده: شقه، والمراد: لم يطعنوا في أعراضكم ولم يأكلوا لحومكم بالغيبة.

(٥) «تهذيب اللغة» (ظهر) ٣/ ٢٢٥٩، والنص في كتاب «العين» (ظهر) ٤/ ٣٧.

(٦) ساقط من (ى).

أهل المعاني: «الظهور: العلو بالغلبة[(١)]، وأصله خروج الشيء إلى حيث يصلح أن يدرك»[(٢)]، قال ابن عباس: «يريد: أن يقدروا عليكم»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، قال الليث: «رقب الإنسان يرقبه رقبة ورقوبًا[(٤)]، وهو أن ينتظره، ورقيب القوم حارسهم»[(٥)]، وقوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤] أي لم تحفظه، وقيل: لم تنتظر[(٦)]، وهذان معنيان يرجعان إلى واحد، وهو أن معنى الرقوب: العمل في الأمر على ما تقدم به العهد، فالحفظ والانتظار داخل في هذا، قال ابن عباس: «لا يحفظوا»[(٧)]، وقال الضحاك: «لا ينتظروا»[(٧)]، وقال قطرب: «لا يراعوا»[(٧)].

واختلفوا في معنى الإل[(٨)]، فقال أبو عبيدة: «الإل: العهد»[(٩)]، وقال الفراء: «الإل: القرابة»[(١٠)]، وقال إسحاق: «وقيل[(١١)]: الإل: الحلف،

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في «المفردات» (ظهر) ص٣١٨: («ظهر الشيء: أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض ثم صار مستعملًا في كل بارز مبصر». اهـ. باختصار.

(٣) «تنوير المقباس» ص١٨٨ بمعناه.

(٤) في «تهذيب اللغة» وكتاب العين: رقبانًا.

(٥) «تهذيب اللغة» (رقب) ٢/ ١٤٤٨، ونحوه في كتاب «العين» (رقب) ٥/ ١٥٤.

(٦) هذا قول ابن جريج، والأول قول ابن عباس، رواه عنهما ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٤/ ٥٤٨.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨١ ب، والبغوي ٤/ ١٥.

(٨) في (ى): (الأول)، وهو خطأ.

(٩) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٣ ونص قوله: العهد والعقد واليمين.

(١٠) «تهذيب اللغة» (أل) ١/ ١٨٤، و«لسان العرب» (ألل) ١/ ١١٢.

(١١) ساقط من (ى).

يعني الجوار، وقيل: الإل: اسم من أسماء الله ﷻ»[١].

وأما قول المفسرين: فقال ابن عباس والضحاك: «قرابة»[٢]، وهو رواية منصور[٣] عن مجاهد[٤]، وقال قتادة: «الإل: الحلف»[٥]، وقال السدي وابن زيد: «هو العهد»[٦]، وهو إحدى الروايات عن مجاهد[٧]، وقال في سائر الروايات: «الإل هو الله ﷻ»[٨]، وهو قول أبي مجلز[٩][١٠]، وبكل هذه المعاني في الإل جاءت الأشعار، قال حسان:

لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب[١١] من رأل النعام[١٢]

يعني القرابة، وقال أوس بن حجر:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٣.

(٢) رواه عنهما ابن جرير ١٠/ ٨٤، والثعلبي ٦/ ٨١ أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٨.

(٣) هو ابن المعتمر.

(٤) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٥٨ من رواية ابن أبي نجيح.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٤، والثعلبي ٦/ ٨١ أ، والبغوي ٤/ ١٥.

(٦) رواه عنهما ابن جرير ١٠/ ٨٤، والثعلبي ٦/ ٨٢ أ.

(٧) هي رواية ابن أبي نجيح وخصيف عنه. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٥، و«تفسير الإمام مجاهد» ص٣٦٥.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٣، والثعلبي ٦/ ٨٢ أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٨.

(٩) هو: لاحق بن حميد الشيباني السدوسي البصري، من كبار التابعين، إمام ثقة، مشهور بكنيته، توفي سنة ١٠٦هـ على القول المشهور.
انظر: «الكاشف» ٣/ ٢١٧، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٨٢، و«تقريب التهذيب» ص٥٨٦ (٧٤٩٠).

(١٠) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٣، والثعلبي ٦/ ٨٢ أ، قال ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٢٦٧: «عن مجاهد: الإل: الله، وأنكره عليه غير واحد».

(١١) في (ح): (السيف)، وهو خطأ.

(١٢) «ديوانه» ص٢١٦، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٥، و«لسان العرب» (ألل) ١/ ١١٣. =

لولا بنو مالك والإل مرقبة ... ومالك فيهم الإلاء والشرف[١]

يعني الحلف، وقال آخر[٢]:

وجدناهم كاذبًا إِلّهم ... وذو الإِلّ والعهد لا يكذب

يعني العهد، وفي حديث أبي بكر أنه قال: «إن هذا الكلام لم يخرج من إل»[٣]، يعني الله ﷻ.

قال أبو إسحاق: «وليس عندنا بالوجه قول من قال: الإل اسم من أسماء الله معروفة ومعلومة كما تُليت في القرآن، وسمعت في الأخبار، ولم يسمع الداعي يقول في الدعاء يا إل، قال: وحقيقة «الإل» عندي على[٤] ما توجبه اللغة: تحديد الشيء[٥]، فمن ذلك الألة: الحربة[٦] وأذن مؤَلَّلة[٧]، فالإل يخرج في جميع ما فسر من العهد والقرابة والجوار من[٨] هذا،

= والسقب: الذكر من ولد الناقة، كما في «الصحاح» (سقب) ١/ ١٤٨، والرأل: ولد النعام، كما في المصدر نفسه (رأل) ٤/ ١٧٠٣. والمعنى: ما قرابتك من قريش إلا كقرابة ولد الناقة من ولد النعام، فأنت دعي ملصق فيهم.

(١) «ديوانه» ص٣١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٨١ ب.

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٠/ ٨٥، والثعلبي ٦/ ٨٢ أ، و«البرهان» للحوفي ١١/ ١٤٥ ب، و«الدر المصون» ٦/ ١٧.

(٣) ذكر هذا الأثر أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ١٠٠، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٨٢أ، ونصه عنده: إن ناسًا قدموا على أبي بكر ﵁ من قوم مسيلمة فاستقرأهم أبو بكر كتاب مسيلمة فقرءوا، فقال أبو بكر: إن هذا ... إلخ.

(٤) ساقطة من (ى).

(٥) في (ى): (تحديدًا للشيء)، وما أثبته موافق لسائر النسخ، و«معاني القرآن وإعرابه»، و«تهذيب اللغة».

(٦) في (ح): (الجزية)، وهو خطأ.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه»، و«تهذيب اللغة»: أذن مؤللة: إذا كانت محددة.

(٨) في «معاني إلقرآن وإعرابه» و«تهذيب اللغة»: على.

إذا[١] قلت في العهد: بينهما إلّ، [فتأويله أنهما قد حددا في أخذ العهود][٢][٣]، وكذلك في الجوار والقرابة، وقال الأزهري: «إيل من أسماء الله ﷻ بالعبرانية، فجائز أن يكون أعرب فقيل: إل[٤]»[٥].

وقال بعض أهل المعاني: «الأصل في جميع ما فسر به الإل: العهد، وهو مأخوذ من قولهم ألّ يؤلّ[٦] إلا، إذا صفا وبرق ولمع، ومنه الألّه للمعانها، وأذن مؤللة: مشبهة بالحربة في تحديدها، فالعهد سمي إلا[٧] لظهوره وصفائه من شائب الغدر»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ الذمة: العهد، وجمعها ذمم وذمام، وهو كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة، وقال أبو عبيدة: «الذمة: ما يتذمم منه»[٩]. يعني ما يجتنب فيه الذم، يقال: تذمم فلان أي: ألقى عن نفسه الذم، نحو: تحوب[١٠] وتأثم وتحرج، وذُكر في التفسير الوجهان في معنى

---

(١) هكذا في جميع النسخ و«تهذيب اللغة»، وفي «معاني القرآن وإعرابه»: فإذا.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع، كما يظهر بالمقابلة مع هذا النص ومع «تهذيب اللغة» و«لسان العرب» (ألل).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٤، و«تهذيب اللغة» (أل) ١/ ١٨٤-١٨٥ مع اختلاف يسير.

(٤) في «تهذيب اللغة»: إسرائيل.

(٥) «تهذيب اللغة» (أل) ١/ ١٨٤-١٨٥، وقد نسب الأزهري الجملة الأولى لابن السكيت.

(٦) في (ى): (يؤول).

(٧) في (ح) و(ى): (الإل).

(٨) ذكر نحو هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٢٣١.

(٩) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٣، ونص قوله: «الذمة: التذمم ممن لا عهد له».

(١٠) تحوب: قال أبو عبيد في «غريب الحديث» ٢/ ٢٢١: «قد يكون التحوب: التعبد =

الذمة، فقال الأكثرون: العهد، وهو قول ابن عباس[١]، ومن فسر الإلّ بالعهد قال: «إنما كرر لاختلاف اللفظين للتأكيد والمعنى واحد»[٢]، وهو مذهب المبرد[٣]، وحكى محمد بن جرير[٤]: «إن الذمة في هذا الموضع: التذمم ممن لا عهد له».

وقوله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ [وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ][٥]﴾، قال ابن عباس: «يريد: يقولون بألسنتهم كلاما حلوًا، وفي القلب[٦] ضمير لا يحبه الله»[٧]، وقال سعيد بن جبير: «يرضونكم بالحسن من القول وتأبى قلوبهم الوفاء به»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: كاذبون»[٩]، وقال غيره: «ناقضون العهد»[١٠]، وقال أهل المعاني:

= والتجنب للمأثم» اهـ. وفي «لسان العرب» (حوب) ٢/ ١٠٣٦، يقال: «تحوب: إذا تعبد، كأنه يلقي الحُوب عن نفسه، كما يقال: تأثم، وتحنث».

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٨.

(٢) هذا قول ابن زيد، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٤، و«البرهان» للحوفي ١١/ ١٤٥/ أ.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) يعني الطبري، انظر: «تفسيره» ١٠/ ٨٥، والقول لأبي عبيدة كما في «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) في (ى): (قلوبهم.

(٧) «تنوير المقباس» ص١٨٨ بمعناه.

(٨) لم أقف على مصدره.

(٩) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٠٣ بمعناه.

(١٠) هذا قول ابن جرير باختصار، انظر: «تفسيره» ١٠/ ٨٥.

«الكفار كلهم فاسقون وتخصيص أكثرهم ههنا[١] على وجهين: **أحدهما**: أنه أراد المتمردين، **والثاني**: أنه وضع الخصوص موضع العموم»[٢].

٩- قوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا، ومضى الكلام في حقيقة معنى هذا في مواضع[٣]، قال مجاهد: «أطعم أبو سفيان بن حرب حُلفاءه وترك حلفاء النبي ﷺ»[٤]، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ بتلك الأكلة[٥].

قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ أي: فأعرضوا عن طاعة الله، وقال عطاء: «كان أبو سفيان يعطي البعير والناقة والطعام ليصد الناس بذلك عن متابعة النبي ﷺ»[٦]، وعلى هذا: معنى «فصدوا عن سبيله»: منعوا الناس[٧] به عن الدخول في الإسلام، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي من اشترائهم[٨] الكفر بالإيمان.

١٠- قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ يعني هؤلاء الناقضين للعهد الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلا، وهذا ذم لهم بترك

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ١٣.

(٣) انظر: «البسيط» آل عمران: ٧٧، ١٨٧، ١٩٩، المائدة: ٤٤ .

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٩، وابن المنذر وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٧، وانظر: «تفسير الإمام مجاهد» ص٣٦٥.

(٥) هذا التعليل من كلام المؤلف، ولعل المقصود أن أبا سفيان اشترى ذمم حلفائه بمثل ذلك الإطعام، فنقضوا عهد النبي ﷺ.

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٨٢ ب.

(٧) ساقط من (ح) و(ى).

(٨) في (ى): (اشتراء).

المراقبة للعهد والذمة للمؤمن، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾، قال الكلبي: «أي المعتدون للحلال إلى الحرام بنقض العهد»[١].

١١- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾، قال ابن عباس: «يريد: عن الشرك»[٢].

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال ابن مسعود: «أُمرتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فمن لم يُزك فلا صلاة له»[٣]، وقال ابن زيد: «افترضت الصلاة مع الزكاة جميعًا ولم يفرق بينهما وأبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة»[٤]، وقال: «يرحم الله أبا بكر ما كان[٥] أفقهه»[٦].

وقال أهل العلم: «هذه الآية دليل على أن الصلاة والزكاة مقرونتان بالشهادة في كف السيف وحقن الدم ودليل على أن المؤاخاة بالإسلام بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة جميعًا لأن الله تعالى شرطهما في إثبات المؤاخاة ومن لم يكن من أهل وجوب الزكاة وجب عليه أن يقر بحكمها فإذا أقر بحكمها دخل في الصفة التي تجب بها الأخوة»[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾، قال الفراء: «معناه: فهم إخوانكم، يرتفع مثل هذا من الكلام بأن يضمر له اسمه مكنيًا عنه كقوله[٨]: ﴿فَإِن لَّمۡ

---

(١) رواه الفيرزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٨ عن الكلبي عن ابن عباس.
(٢) المصدر السابق، نفس الموضع.
(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧، والثعلبي ٦/ ٨٢ ب، والبغوي ٤/ ١٦.
(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧، والثعلبي ٦/ ٨٢ ب.
(٥) (كان) ساقطة من (ى).
(٦) هذا الأثر تابع للأثر السابق. وانظره في المصدرين السابقين.
(٧) انظر نحو هذا القول في كتاب «الأم» ١/ ٤٢٤، و«أحكام القرآن» للهراسي ٣/ ١٧٧، و«الإكليل في استنباط التنزيل» ص١١٦.
(٨) في (ى): (قوله)، وفي «معاني القرآن»: ومثله.

تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الأحزاب: ٥] أي: فهم إخوانكم»[١].

قال أبو حاتم: «قال أهل البصرة أجمعون: «الإخوة» في النسب، و«الإخوان» في الصداقة، قال: وهذا غلط، يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء: إخوة وإخوان قال الله سبحانه[٢] وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠] لم يعن[٣] النسب، وقال ﷻ: ﴿أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ﴾ [النور: ٦١] وهذا في النسب»[٤].

قال ابن عباس: «حرمت هذا الآية دماء أهل القبلة»[٥].

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [أي: نبينها، يعني آيات القرآن ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾][٦] أنها من عند الله.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ يقال: نكث فلان عهده: إذا نقضه بعد إحكامه كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه[٧]، وهو الغزل من الصوف والشعر يُبرم ويُنسج، فإذا أخلقت[٨] النسيجة قطعت ونكثت[٩] خيوطها المبرمة وخلطت بالصوف وميشت[١٠]، ثم غزل ثانية،

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٥.

(٢) في (ح): (قال الله تعالى)، وفي «تهذيب اللغة»: قال الله جل وعز.

(٣) في (ى): (يعني).

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٢٨ بنحوه.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٨٧ وفي سنده رجل لم يسم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) في (م): (انبرامه).

(٨) في (ى): (اختلفت)، وما أثبته موافق لما في «تهذيب اللغة» (نكث) ٤/ ٣٦٥٨، وفي «مجمل اللغة» (نكث) ٤/ ٨٨٤: النكث: أن تنقض أخلاق الأكسية، وتغزل ثانية.

(٩) في (م): (ونكث).

(١٠) الميش: خلط الشعر بالصوف، انظر: «تهذيب اللغة» (ماش) ٤/ ٣٣٢٦، و«القاموس المحيط»، فصل الميم، باب الشين ص٦٠٦.

ومنه قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢] والأيمان: جمع يمين، بمعنى الحلف والقسم، وقيل للحلف يمين باسم اليد، وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا أو تعاقدوا، وقيل: سمي القسم يمينًا ليمن البرّ فيه.

قال[1] المفسرون: يعني مشركي قريش، يقول: «إن نقضوا عهودهم»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [قال ابن عباس: يريد: اغتابوكم وغمصوا عليكم في دينكم][3]، يقال: طعنه بالرمح يطعنه، وطعن بالقول السيىء[4] يطعن[5]، قال الليث: «وبعضهم يقول: يطعُن بالرمح ويطعَن بالقول، فيفرق بينهما»[6]، وقال الزجاج: «وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا أظهر الطعن في الإسلام؛ لأن العهد معقود عليه ألا يطعن فإن طعن فقد نكث»[7].

---

(١) في (ى): (وقال).
(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٧- ٨٩، والبغوي ٤/ ١٧، و«زاد المسير» ٣/ ٤٠٤.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي) والغمص: الاحتقار والاستصغار. انظر: «لسان العرب» (غمص) ٧/ ٦١.
(٤) في (م): (السيء الذي).
(٥) بضم العين. قال الكسائي: لم أسمع أحدًا من العرب يقول: يطعَن بالرمح ولا في الحسب، وإنما سمعت «يطعُنُ». وقال الفراء: سمعت أنا «يطعَن» بالرمح. انظر: «تهذيب اللغة» (طعن) ٣/ ٢١٩٥.
(٦) «تهذيب اللغة» (طعن) ٣/ ٢١٩٥، ونحوه في كتاب «العين» (طعن) ٢/ ١٥، وقد رد الخليل هذا القول، وقال: كلاهما مضموم.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٤.

قال أصحابنا(١): «إذا بلغنا عن طائفة من أهل الذمة الطعن في ديننا انتقض بذلك عهدهم لقوله: ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾.

قال ابن عباس والمفسرون: «هم رؤوس قريش وصناديدها»(٢)، وقال الزجاج: «أئمة الكفر: رؤساء الكافرين وقادتهم لأن الإمام متبع(٣)، وذكرنا معنى(٤) الإمام عند قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا(٥)﴾(٦) وفي:

---

(١) يعني أئمة الشافعية. انظر: «روضة الطالبين» ١٠/ ٣٣٧.

(٢) انظر أقوال المفسرين سوى ابن عباس في: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦١، وروياه عن ابن عباس بلفظ مغاير، قال: يعني أهل العهد من المشركين، وأثر ابن عباس الذي ذكره المصنف ذكره أيضًا في «أسباب النزول» ص٢٤٦، ورواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٨٨، والبغوي ٤/ ١٧، قال القرطبي ٨/ ٨٤: هذا بعيد؛ فإن الآية في سورة «براءة» حين نزلت وقرئت على الناس كان الله قد استأصل شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم». قلت: ومما يؤيد قول القرطبي -رحمه الله- ما رواه ابن جرير ١٠/ ٨٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦١ عن حذيفة قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد، وأصله في صحيح البخاري (٤٦٥٨)، كتاب التفسير: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر .. ﴾.
ولا يقال إن هذه الآية نزلت قبل فتح مكة ثم ضمت إلى سورة «براءة» لثبوت بعث علي ﷺ بصدر سورة «براءة» وقت نزولها، وثبوت أن المبعوث معه كان أربعين آية. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٦٥، وقد صحح المحقق السند كما في المصدر نفسه ٥/ ١٧٠.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٤.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) ساقط من (ح).

(٦) من الآية: ١٢٤ من سورة البقرة. وانظر «النسخة الأزهرية» ١/ ٨٥ أ، وقد قال هناك: «الإمام: كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والنبي إمام أمته، والخليفة إمام رعيته، والقرآن إمام المسلمين . . . إلخ».

«أئمة» قراءتان[١] بتحقيق الهمزتين، وقلب الثانية ياء[٢].

قال أبو إسحاق: «الأصل في أئمة أَأْمِمَة[٣]؛ لأنها جمع إمام، مثل: مثال وأمثلة، ولكنّ الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية وأُلقيت حركتها[٤] على الهمزة فصارت أئمة فأبدل من الهمزة المكسورة الياء[٥]؛ لكراهة اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة، هذا هو الاختيار عند جميع النحويين[٦]، وذكرنا وجه هذا عند قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

قال الزجاج: ومن قرأ بهمزتين فينبغي[٧] أن يقرأ أَأْدم بهمزتين، والإجماع أن آدم فيه همزة واحدة، والاختلاف يرد إلى الإجماع وليس «أئمة» باجتماع الهمزتين من مذهب[٨] أصحابنا[٩] وإلا ما يحكى عن ابن

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون (أئمة) بتحقيق الهمزتين، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع على المشهور عنه (أيمة) بهمزة بعدها ياء. انظر: كتاب «السبعة» ص٣١٢، و«إرشاد المبتدئ» ص ٣٥٠، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٤.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ى): (أممة)، وما أثبته موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه» و«تهذيب اللغة» (أم) ١/ ٢٠٦.

(٤) في (ى): (لحركتها)، وما في (ح) موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه» و«تهذيب اللغة» (أم) ١/ ٢٠٦.

(٥) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٥.

(٦) نسبه للنحويين أيضًا الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٤٣٤، وانظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٤٣، و«المقتضب» ١/ ١٥٩، و«تهذيب اللغة» (أم) ١/ ٢٠٦، و«الخصائص» لابن جني ٣/ ١٤٣، و«أوضح المسالك» ٣/ ٣٢٤- ٣٢٦.

(٧) في (ح): (فينبغي له)، والزيادة غير موجودة في «معاني القرآن وإعرابه» ولا في «تهذيب اللغة» (أم).

(٨) في (م): (مذاهب).

(٩) يعني البصريين، انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٥١، وكتاب «التكملة» ص٢١٩.

أبي إسحاق[(١)] أنه كان يُجيز اجتماعها»[(٢)].

واختلفوا في التفضيل في الإمامة فعند المازني يقال: «هذا أوَمّ من هذا بالواو؛ لأن الأصل أأمّ فلم يمكن أن يبدل من الهمزة الثانية ألفًا لاجتماع الساكنين فجعلت واوًا مفتوحة كما قالوا في جمع آدم: أوادم، وآخر: أواخر[(٣)].

وعند الأخفش يقال: أيمّ[(٤)]؛ لأن الهمزة الثانية من هذه الكلمة كلما تحركت[(٥)] أبدل[(٦)] منها ياء، نحو: أيمة، قال الزجاج: «والقياس

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه»: ابن إسحاق، وفي «تهذيب اللغة» (أم)، و«لسان العرب» (أمم): أبي إسحاق، وما ذكره الواحدي موافق لما في «الحجة للقراء السبعة» ١/ ٢٧٤.

والصواب ما ذكره الواحدي؛ إذ هو عبد الله بن أبي إسحاق زيد بن الحارث الحضرمي مولاهم البصري النحوي المقريء، من قدماء النحويين، وهو أول من مدّ القياس في النحو، وشرح العلل، وتوسع في ذلك، توفي سنة ١١٧هـ، وقيل ١٢٩هـ. انظر: «طبقات النحويين واللغويين» ص٣١، و«غاية النهاية» ١/ ٤١٠.

وانظر: مذهب ابن أبي إسحاق في اجتماع الهمزتين في «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٤٣، و«المقتضب» ١/ ١٥٩، و«إعراب القرآن للنحاس» ٢/ ٧، و«الحجة» ١/ ٢٧٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٤- ٤٣٥ بتصرف.

(٣) انظر رأي المازني في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٥، و«لسان العرب» (أمم) ١/ ١٣٣، هكذا نقل عن المازني وفي «المنصف شرح التصريف» ٢/ ٣١٨: قال أبو عثمان -يعني المازني-: «والقياس عندي أن أقول في «هذا أفعل من هذا» من «أممت» وأخواتها: هذا أيم من هذا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٣٥٥، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٣٥، وفي «المنصف شرح التصريف» ٢/ ٣١٥، سألت أبا الحسن -يعني الأخفش- عن: «هذا أفعل من هذا من أممت، أي قصدت» فقال: أقول: «هذا أوم من هذا».

(٥) في (ح): (تحرك). (٦) في (ي): (أبدلت).

هو الأول»(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾، قال الفراء: «أي لا عهود لهم»(٢)، وفيه قراءتان: فتح الهمزة وكسرها(٣).

قال الزجاج: «من قرأ: ﴿لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ فقد وصفهم بالنكث في العهود وهو أجود القراءتين(٤)»(٥).

والذي يقوي الفتح قوله: ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣] ولأنه إذا قال: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ عُلم أنه لا إيمان لهم، فالفتح في قوله: ﴿لَآ أَيْمَـٰنَ﴾ أولى؛ لأنه لا يكون تكريرًا إذ لم يقع عليه دلالة من الكلام الذي تقدمه كما وقع على الكسر.

ومعنى ﴿لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ أي لا أيمان لهم صادقة؛ لأنه قد أثبت لهم الأيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم﴾ [وفي قوله: ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ﴾](٦) [التوبة: ١٣] فالمنفي ههنا غير الموجب هناك؛ لأن معنى المنفي: لا أيمان لهم يفون بها، ولا أيمان لهم صادقة كما قال(٧):

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٥. (٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٥.

(٣) قرأ ابن عامر بكسر الهمزة من كلمة «إيمان» وقرأ الباقون بفتحها.
انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٢، و«الغاية في القراءات العشر» ص١٦٤، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٤، و«تقريب النشر» ص١٢٠.

(٤) كلا القراءتين سبعيتان متواترتان عن رسول الله ﷺ وقد خفي ذلك على الإمام ابن جرير -رحمه الله - فرد قراءة ابن عامر، وزعم أن القراءة بها لا تجوز.
انظر: «تفسيره» ١٠/ ٨٩، وانظر الرد عليه في كتاب: «القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير» ص٤٥٢.

(٥) اهـ. كلام الزجاج. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٥.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) لم أهتد إلى القائل، والبيت بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٣ أ، و«الجامع =

وإن حلفت لا ينقض النأيُ عهدها
فليس لمخضوب البنان يمين

أي ليس لها[١] يمين تفي بها.

ومن قرأ بالكسر فقال الفراء: «يريد: أنهم كفرة لا إسلام لهم» قال: «وقد يكون المعنى: لا تُؤمنوهم، فيكون مصدر قولك: آمنته إيمانًا»[٢].

وذكر أبو إسحاق أيضًا الوجهين[٣].

وشرح أبو علي هذا فقال: «الإيمان ههنا يراد به الذي هو ضد التخويف، أي: ليس لأئمة الكفر من المشركين إيمان كما يكون لذوي الذمة من أهل الكتاب؛ لأن المشركين لا يقرون على دينهم، فلا يكون على هذا: الإيمان الذي هو خلاف الكفر، فيكون تكريرًا لدلالة ما تقدم من قوله: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ على أن أهل الكفر لا إيمان لهم»[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: كي ينتهوا عن الشرك بالله»[٥].

وقال الزجاج: «أي ليرجى منهم الانتهاء»[٦].

= لأحكام القرآن» للقرطبي ٨/ ٨١، و«الدر المصون» ٦/ ٢٦، والنأي: البعد كما في الصحاح (نأي) ٦/ ٢٤٩٩.

(١) ساقط من (ح).

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٥، وفي «لسان العرب» (أمن) ١/ ١٤١: «يقال: آمن فلانٌ العدو إيمانًا، فأمن يأمن، والعدو مؤمن».

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٧٨ باختصار وتصرف.

(٥) ذكر الأثر المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٦.

١٣- قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ الآية، قال ابن عباس: «هذا تحريض من الله لأوليائه على أعدائه»[(١)]، وقال الزجاج: «هذا على جهة التوبيخ، ومعناه: الحض على قتالهم»[(٢)].

قال أهل المعاني: «إذا قلت: ألا[(٣)] تفعل كذا[(٤)]، فإنما [تستعمل ذلك في فعل تقدر وجوده، وإذا قلت: ألست تفعل؟][(٥)] فإنما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده، والفرق[(٦)] بينهما أن (لا) يُنفى بها المستقبل، فإذا[(٧)] دخلت عليها الألف صار[(٨)] تحضيضًا [على فعل ما يستقبل][(٩)]، و(ليس) إنما تستعمل لنفي الحال، فإذا[(١٠)] دخلت عليها الألف صار[(١١)] لتحقيق الحال»[(١٢)].

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٨٨ بمعناه.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٦.
(٣) في (ى): (لا).
(٤) في (ح): (ألا تفعل ذلك كذا).
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٦) في (ح): (والفرقة).
(٧) في (ى): (وإذا).
(٨) هكذا في جميع النسخ، وكذلك في «تفسير الرازي» ١٥/ ٢٣٥، والسياق يقتضي أن يقول: صارت.
(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(١٠) في (م): (وإذا).
(١١) كذا في جميع النسخ وكذلك في «تفسير الرازي» ١٥/ ٢٣٥- ٢٣٦، والسياق يقتضي أن يقول: صارت.
(١٢) ذكره عن أهل المعاني الرازي في «تفسيره» ١٥/ ٢٣٥ نقلًا عن الواحدي. وانظر في (ألا) «شرح المفصل» ٨/ ١١٣، و«المغني» ص٧٧، و«همع الهوامع» ٢/ ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار؛ ليكون ذلك زجرًا لغيرهم، قال محمد بن إسحاق والسدي والكلبي: «نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾، قال المفسرون: «كانوا هموا بذلك بأن(٢) يخرجوه من مكة على حالة فظيعة فصان الله رسوله عنها، وأمره بالهجرة إلى المدينة، وحين جلسوا(٣) في دار الندوة للمكر به، كان من رأي بعضهم إخراجه من مكة»(٤).

فبان بهذا أنهم قصدوا إخراجه، وهموا به فلم يمكنهم الله من ذلك(٥).

---

(١) انظر: قول السدي في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٢، وانظر قول الكلبي في: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١١٧، والقرطبي ٨/ ٨٥ بمعناه، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٨٨، عن الكلبي عن ابن عباس.
أما قول محمد بن إسحاق فلم أجده بهذا المعنى، ولفظه كما في «السيرة النبوية» ٤/ ١٠، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٠: «ثم أمر رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلًا إلا أن يعدو فيها عاد منهم فيقتل بعدائه، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ...﴾ الآيات» اهـ. ومعلوم أن أهل مكة أسلموا قبل نزول هذه الآيات فالقول بأنها نزلت فيهم فيه نظر.

(٢) في (م) و(ى): (وأن).

(٣) في (ح): (حبسوا)، وهو خطأ.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» ٢/ ٩٣، ٩٤، و«الكشاف» ٢/ ١٧٧، و«زاد المسير» ٣/ ٤٠٥، وفي الآية أقوال أخرى انظرها في «المحرر الوجيز» ٦/ ٤٢٨، و«البحر المحيط» ٥/ ١٦.

(٥) لعله يعني على الحالة الفظيعة التي ذكرها؛ وإلا فقد أخرجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين من مكة كما قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ﴾ [الممتحنة: =

قوله تعالى: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، قال ابن عباس: «يريد: بالقطيعة والهجرة والعداوة»(١)، وذكر المفسرون في هذا قولين: **أحدهما**: أنه أراد بدؤكم بالقتال يوم بدر(٢)؛ لأنهم حين سلم العير قالوا: لا ننصرف حتى نستأصل محمدًا ومن معه، والثاني: أنه أراد أنهم قاتلوا حلفاءك خزاعة فبدؤا بنقض العهد وهذا قول الأكثرين(٣)، واختيار الفراء(٤) والزجاج(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾، قال الزجاج: «المعنى: أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه فتتركون قتالهم؟ ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ أي: فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى في ترك قتالهم(٦) ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين بعقاب الله وثوابه»(٧)، ودلت هذه الآية على أن المؤمن ينبغي أن يخشى ربه دون غيره.

= ١]. وكما قال الرسول ﷺ: «**لولا أني أخرجت منك ما خرجت**»، رواه الإمام أحمد ٤/ ٣٠٥، وغيره وسنده صحيح كما في «صحيح الجامع الصغير» ٢/ ١١٩٢، ولذا قال المفسرون: هموا بإخراج الرسول وفعلوا، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠-٨٩-٩٠، وابن عطية ٦/ ٤٢٨-٤٢٩.

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير ١٠/ ٩٠، ورواه عن السدي وهو قول مقاتل، انظر: «تفسيره» ١٢٦ ب، وانظر أيضًا: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٣ ب، والبغوي ٤/ ١٨.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٢، والثعلبي ٦/ ٨٣ أ، وابن الجوزي ٣/ ٤٠٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٨٩.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٦.

(٦) قوله: «في ترك قتالهم» ليس موجودًا في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع.

(٧) ا.هـ. كلام الزجاج. المصدر السابق، نفس الموضع.

١٤- قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ «[قال مقاتل: وعدهم الله النصر بهذه الآية»[١]، ومعنى: ﴿يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾][٢] يقتلهم بسيوفكم ورماحكم، في معنى قول ابن عباس والمفسرين[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾، قال ابن عباس: «بعد[٤] قتلكم إياهم»[٥].

وهذا يدل على أن هذا الإخزاء وقع بهم في الآخرة، وقال آخرون: «معناه: يذلهم بالقهر والأسر»[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾، قال ابن عباس والسدي ومجاهد: «يعني بني خزاعة»[٧]، وذلك حين أعانت قريش بني بكر عليهم حتى نكوا[٨] فيهم[٩]، فشفى الله صدورهم من بني بكر واستوفى

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٢٦ ب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٠-٩١، والثعلبي ٦/ ٨٣ ب، والسمرقندي ٢/ ٣٦.
وانظر قول ابن عباس في: «تنوير المقباس» ص١٨٩، ولا يخفى ضعف سند هذا التفسير إذ هو من رواية الكلبي الباطلة. انظر: «الإتقان» ٤/ ٢٣٩.

(٤) في (ى): (يريد)، والصواب ما أثبته من غيرها بدلالة استنباط المؤلف من الرواية.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٠-٩١، والسمرقندي ٢/ ٣٦، والثعلبي ٦/ ٨٣ ب، والبغوي ٤/ ١٨.

(٧) انظر: قول ابن عباس في «زاد المسير» ٣/ ٤٠٦، و«تنوير المقباس» (ص١٨٩)، وانظر: قول السدي ومجاهد في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٣ ب، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٨٩.

(٨) بغير همز، يقال: نكيت في العدو أنكي نكاية فأنا ناك: إذا أكثرت فيهم الجراح والقتل فوهنوا لذلك، أما بالهمز فيقال: نكأت القرحة: إذا قرفتها وقشرتها. انظر: «القاموس المحيط» (نكى) ١٣٤٠، و«لسان العرب» (نكي) ٨/ ٤٥٤٥.

(٩) في (م): (نكأوا عليهم).

ثأرهم بالنبي ﷺ والمؤمنين حين استووا في القتل، وذلك أنه لما جاء المستغيث من خزاعة رسول الله ﷺ وأنشد[(١)]:

اللهمَّ إني ناشد محمدًا حلف أبينا وأبيه الأتلدا[(٢)]

.. الأبيات.

قال رسول الله ﷺ: «**لا نُصرت إن لم أنصركم**»[(٣)] وغضب لهم، وخرج إلى مكة ونصر الله رسوله وشفى صدور خزاعة.

---

(١) هو: عمرو بن سالم الخزاعي سيد خزاعة، وقد انحاز هو وقبيلته إلى النبي ﷺ ودخلوا في عقده وعهده وذلك حين تم صلح الحديبية بين المسلمين وكفار قريش، بينما دخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، واستمرت الهدنة بين القبيلتين عدة أشهر، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلًا، وبيتوهم على ماء لهم قرب مكة، وأعانتهم قريش، وأمدوهم بالسلاح للضغن على رسول الله ﷺ، فركب عمرو بن سالم وقدم المدينة وأخبره بما كان من بني بكر وقريش، وأنشد:

اللهم إني ناشد محمدًا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنا والدًا وكنت ولدًا ثمت أسلمنا ولم ننزع يدًا
فانصر رسول الله نصرًا عندًا وادع عباد الله يأتوا مددًا

.. إلى أن قال:

هم بيتونا بالهجير هجدًا وقتلونا ركعًا وسجدًا

انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٠، و«الاستيعاب» ٣/ ٢٥٩، و«مجمع الزوائد» ٦/ ٢٤٠، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٨٩.

(٢) في (ى): (الألتددا)، وهو خطأ، والأتلد: الأقدم. انظر: «لسان العرب» (تلد) ١/ ٤٣٩.

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٣٧- ٢٤١ بألفاظ مقاربة وقال في أحدها: رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش، عن أبيه، وقد وثقهما ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح» وقال الهيثمي في لفظ آخر: «رواه الطبراني في الصغير والكبير، وفيه يحيى بن سليمان بن نضلة، وهو ضعيف».

قال أبو إسحاق: «وفي هذه الآية، دليل على تثبيت النبوة؛ لأنه وعدهم النصر ووفى به، فدل به على صدق ما أتى به محمد ﷺ»[١]، ودلّ كلام أبي إسحاق[٢] في تفسير قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ أن هذا يراد به أصحاب النبي ﷺ لا حلفاؤه من خزاعة؛ لأنه قال: «فيه دليل على أنهم اشتد غضبهم لله ﷻ»[٣]، فعنده الشفاء إنما هو من داء الغضب لله ولدينه ورسوله، وعند غيره من المفسرين: الشفاء من داء الحقد لخزاعة على بني بكر وقريش[٤].

١٥- قوله تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، قال المفسرون: «يعني: كربها ووجدها بمعونة قريش بكرًا عليهم»[٥].

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ يعني[٦] من المشركين كأبي سفيان وعكرمة ابن أبي جهل[٧] وسهيل بن عمرو[٨]، تاب الله عليهم، وهداهم للإسلام.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٦ بنحوه.

(٢) (إسحاق) ساقط من (ى). (٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) هذا قول مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٣٨٩.

(٥) هذا نص قول الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٨٣ ب، ومثله البغوي ٤/ ١٨، وبنحوه قال ابن جرير ١٠/ ٩١.

(٦) من (م).

(٧) هو: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي المكي، الشريف الشهيد، كان سيد بني مخزوم بعد قتل أبيه، ثم أسلم وحسن إسلامه، وأبلى في الإسلام بلاء حسنًا، وقتل في معركة أجنادين أو اليرموك سنة ١٣هـ أو ١٥هـ.
انظر: «المعارف» ص١٨٨، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٢٣، و«البداية والنهاية» ٧/ ٤، ٣٢، و«الإصابة» ٤/ ٤٩٦.

(٨) هو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري القرشي خطيب قريش وفصيحهم، =

قال الزجاج: «قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ ليس بجواب لقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ ولكنه مستأنف؛ لأن ﴿يَتُوبَ﴾ ليس من جنس ما يجاب به ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾»[1].

وقال الفراء: «رفع قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ لأن معناه ليس من شروط الجزاء، إنما هو استئناف، كقولك للرجل: ائتني أعطك، وأحبُّك بعد وأكرمُك، استئناف ليس بشرط للجزاء، ومثله قوله: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ [الشورى: ٢٤] تم الجزاء ههنا، ثم استأنف: ﴿ويمحُ الله الباطِلَ﴾[2]»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن عباس: «يريد: «عليم» بنيات المؤمنين وحبهم لله «حكيم» فيما قضى في الذين نقضوا القضية[4]»[5].

= ومن أشرافهم، أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه، وكان سمحًا جوادًا مفوهًا، كثير الصلاة والصوم والصدقة، مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وقيل: بل قتل في معركة اليرموك سنة ١٣هـ أو ١٥هـ.
انظر: «المعارف» ص١٦١، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ١٩٤، و«الإصابة» ٣/ ٩٣.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٧.

(٢) قوله (يمح) كتبت في جميع النسخ هكذا: «يمحو» بإثبات الواو، وهي في رسم المصحف العثماني وفي «معاني القرآن» للفراء بإسقاط الواو، قال العكبري في «التبيان في إعراب القرآن» ص٤١٦: و«يمح»: مرفوع مستأنف، وليس من الجواب؛ لأنه يمحو الباطل من غير شرط، وسقطت الواو من اللفظ لالتقاء الساكنين، ومن المصحف حملًا على اللفظ). وانظر أيضًا: «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٣٤٧ فقد ذكر نحو ذلك.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٦ بتصرف يسير.

(٤) في (ى): (العهد).

(٥) في «تنوير المقباس» ص١٨٩: «والله عليم» بمن تاب وبمن لم يتب منهم «حكيم» فيما حكم عليهم.

١٦- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟﴾ الآية، قال الفراء: «هذا من الاستفهام الذي يتوسط الكلام فيجعل بـ «أم» ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام، ولو أريد به الابتداء لكان بالألف أو بـ «هل»[١]» وهذا مما قد[٢] أحكمناه[٣] في سورة البقرة[٤].

قال ابن عباس: «الخطاب في هذه الآية للمنافقين كانوا يتوسلون إلى رسول الله ﷺ بالخروج معه إلى الجهاد تعذيرا، والنفاق في قلوبهم»[٥].

ومعنى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: العلم الذي يجازي عليه؛ لأنه إنما يجازي على ما عملوا[٦]، قاله الزجاج[٧]، وهذا مما ذكرناه في سورة البقرة عند قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾[٨] وفي سورة آل عمران [١٤٢].

﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد: بنية صادقة»[٩].

---

(١) اهـ. «معاني القرآن» ١/ ٤٢٦.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ى): (حكيناه).

(٤) انظر: «البسيط» البقرة: ٢١٤ .

(٥) ذكر الأثر عنه ابن الجوزي في: «زاد المسير» ٣/ ٤٠٦ بمعناه.

(٦) قال ابن الجوزي في المصدر السابق، الصفحة التالية: «ولما يعلم الله» أي: ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم، وقد كان يعلم ذلك غيبًا، فأراد إظهار ما علم ليجازي عليه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٧.

(٨) من الآية: ١٤٣ من سورة البقرة، وقال في هذا الموضع: «إلا لنعلم» والله تعالى عالم لم يزل، ولا يجوز أن يحدث له علم، واختلف أهل المعاني في وجه تأويله، فذهب جماعة إلى أن العلم له منزلتان: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده، والحكم للعلم بعد الوجود؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب . . . الخ).

(٩) لم أقف على مصدره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، قال الفراء: «الوليجة: البطانة من المشركين يتخذونهم فيفشون إليهم أسرارهم»(١).

وقال أبو عبيدة: «كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم: وليجة»(٢).

وأصله من الولوج، فوليجة الرجل: من يختصه بدخلة أمره دون الناس، يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلِيجَةً﴾ «يريد: أولياء من المشركين»(٣).

وقال قتادة: «خيانة»(٤)، وقال الضحاك: «خديعة»(٥).

وهذان القولان ليسا تفسيرًا للوليجة، بل هما تفسير لعلة اتخاذ الوليجة، كأنهما قالا: ولم يتخذوا وليجة للخيانة والخديعة؛ لأن اتخاذ الوليجة من الكفار خيانة وخديعة، قال ابن عباس: «إن الله لا يرضى أن يكون الباطن خلافًا للظاهر ولا الظاهر خلافًا للباطن، إنما يريد الله من خلقه الاستقامة كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣](٦)».

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٦.

(٢) اهـ. كلام أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٤.

(٣) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٢، وروى ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٤، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٩٠ عنه قال: الوليجة: البطانة من غير دينهم.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٨٤ أ، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٣٩٠، و«فتح القدير» ٢/ ٣٤٣، وقد تصحف في «الدر» إلى: حنانة.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٨٤ أ.

(٦) لم أقف عليه في مظانه.

وقال أبو[(١)] إسحاق: «لما فرض القتال تبين المنافق من غيره، ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعداءهم فأنزل الله هذه الآية»[(٢)].

وتقدير لفظ الآية مع المعنى: ولما يعلم الله المجاهدين والممتنعين من اتخاذ الوليجة.

١٧- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس: «لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ عليّ القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا؟ قال له عليّ: ألكم محاسن؟! فقال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني، فأنزل الله ﷻ ردًا على العباس ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾»[(٣)].

ومعنى ما كان لهم ذلك: أنه أوجب على المسلمين منعهم عن ذلك، وأكثر المفسرين حملوا العمارة ههنا على دخول المسجد الحرام[(٤)] والقعود فيه[(٥)]، وهو قول ابن عباس والحسن، قال[(٦)] في رواية عطاء: «يريد: لا يدخلوه ولا يقعدوا فيه كما كانوا قبل ذلك»[(٧)].

---

(١) في (ى): (ابن)، وهو خطأ.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٧.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ٨٤ أ، والمصنف في «أسباب النزول» ص٢٤٦ بغير سند، ورواه مختصرًا ابن جرير ١٠/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٥/ ١٧٦٥ من طريق الوالبي.

(٤) من (م).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٤ ب، والبغوي ٤/ ٢٠، والسمرقندي ٢/ ٣٨، والآية التالية وسبب النزول الذي ذكره المؤلف يدلان على أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من البناء والترميم.

(٦) لفظ: (قال) ساقط من (ح). والقائل ابن عباس، وسيأتي قول الحسن وتخريجه.

(٧) لم أقف عليه فيما بين يديّ من مصادر.

وقال الحسن: «يقول[١]: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام»[٢]. وقال الكلبي: «ما كان للمشركين أن يدخلوا المسجد وهم مشركون»[٣].

وذهب آخرون إلى[٤] العمارة المعروفة من رم المسترم[٥] من أبنية المسجد[٦]، وهذا محظور على الكافر يمنع منه ولا يمكن.

واختلف القراء في قوله: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ فقرأ أبو عمرو وابن كثير على التوحيد[٧] وحجتهما قوله: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ومن جمع فحجته أن المشركين ليسوا بأولياء لمساجد المسلمين، لا المسجد الحرام ولا غيره [وإذا لم يكونوا أولياءها لم يكن لهم عمارتها، إنما عمارتها للمسلمين الذين هم أولياؤه[٨] فدخل في ذلك المسجد الحرام وغيره][٩]، ويدل على

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٨٤ ب، والمصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٢، والبغوي ٤/ ٢٠.

(٣) لم أقف عليه فيما بين يديّ من مصادر.

(٤) في (ح): (زيادة (أن) بعد (إلى).

(٥) في (ى): (المستهدم، وهما بمعنى واحد، قال في «لسان العرب» (رم) ٣/ ١٧٣٦: «الرم: إصلاح الشيء الذي فسد .. واسترام الحائط: أي حان له أن يرم إذا بعد عهده بالتطيين».

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٣، والبغوي ٤/ ١٩، وابن الجوزي ٣/ ٤٠٩، والقرطبي ٨/ ٩٠.

(٧) وكذلك يعقوب، وقرأ باقي العشرة بالجمع. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٤، و«تقريب النشر» ص١٢٠، و«تحبير التيسير» ص١١٩.

(٨) هكذا في (ى) و(م) و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٠ الذي نقل المؤلف النص منه، والسياق يقتضي أن يقول: أولياؤها.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

أنهم ليس لهم عمارة المسجد قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، قال الفراء في هذه الآية: «ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع، ألا ترى الرجل على البرذون[١] فتقول: قد أخذتَ في ركوب البراذين؟ وترى الرجل كثير الدراهم فتقول: إنه لكثير الدرهم[٢]، وتقول العرب: عليه أخلاق نعلين، وأخلاق ثوب، ومنه قول الشاعر[٣]:

جاء الشتاء وقميصي أخلاق[٤]

وقوله تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾، قال الزجاج: «شاهدين»[٥] حال، المعنى: ما كانت[٦] لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر»[٧].

---

(١) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (برذن) ١/ ٣٠٧: «البراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب».

(٢) في (ح) و(ى): (الدراهم، وهو خطأ.

(٣) صدر بيت وعجزه:

شراذم يعجب منه التواق

ولم أهتد إلى قائله، وقال البغدادي في «الخزانة» ١/ ٢٣٤: «نسب أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات هذا البيت إلى بعض الأعراب» اهـ. والبيت بلا نسبة في «لسان العرب» (توق).

وثوب أخلاق -بالجمع- إذا بلي كله. وثوب شراذم: قطع، والتواق: اسم ابن الشاعر. انظر: «خزانة الأدب»، الموضع السابق.

(٤) اهـ. كلام الفراء من «معاني القرآن» ١/ ٤٢٧ مع اختلاف يسير.

(٥) في (ح): زيادة «على أنفسهم بالكفر» وهذه الزيادة غير موجودة في المصدر.

(٦) في (ى): (كان).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٧.

ومعنى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾: قال ابن عباس في رواية الضحاك: «شهادتهم على أنفسهم بالكفر: سجودهم لأصنامهم وإقرارهم أنها مخلوقة»[(١)]، وقال في رواية عطاء: «يريد: حين اتخذوا لله شفعاء وأندادًا»[(٢)]، وهذا معنى القول[(٣)] الأول.

وقال الحسن: «لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم بكفرهم»[(٤)] يعني أن[(٥)] فيما يخبرون به دليلًا على كفرهم، لا أنهم يقولون نحن كفار، ولكن كما تقول للرجل: كلامك يشهد أنك ظالم، وقال السدي: «شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن النصراني يُسأل ما أنت؟ فيقول: نصراني واليهودي يقول: يهودي، وعابد الوثن يقول: مشرك»[(٦)].

وذكر ابن الأنباري في هذا وجهين:

أحدهما: أنه قال: شهادتهم على أنفسهم بالكفر عدولهم عن أمر النبي ﷺ وهو حق لا يخفى على مميز، ولا يرتاب به عاقل، فكانوا[(٧)] في ذلك بمنزلة من شهد على نفسه بالكفر.

والثاني: أنهم آمنوا بأنبياء[(٨)] شهدوا لمحمد ﷺ بالصدق فلما آمنوا

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٨٥ أ، وفي سنده جويبر وهو ضعيف جدا، ثم إن الضحاك لم يلق ابن عباس كما في «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٢٦، ورواه البغوي ٤/ ٢٠ مختصرًا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ى): (قول).

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٨٥ أ، والبغوي ٤/ ٢٠.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ٩٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٥، والثعلبي ٦/ ٨٥ أ، والبغوي ٤/ ٢٠.

(٧) في (م): (كانوا).

(٨) في (ى): (بالأنبياء).

بهم وكذبوه دلوا على كفرهم[(١)]، وجرى ذلك مجرى الشهادة منهم على أنفسهم بالكفر»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، قال ابن عباس: «يريد: أن أعمالهم لغير الله»[(٣)].

وقال الزجاج: «أي كفرهم قد أذهب ثواب أعمالهم»[(٤)].

ودلت هذه الآية مع ما ذكرنا من التفسير في العمارة أن الكافر ممنوع من عمارة مسجد من مساجد المسلمين، ولو أوصى بها[(٥)] لم تقبل وصيته، ويمنع عن دخول المساجد، فإن دخل بغير إذن مسلم استحق التعزير، وإن دخل بإذن لم يعزر، والأولى تعظيم المساجد ومنعهم منها للآية، وقد أنزل رسول الله ﷺ وفد ثقيف في المسجد وهم كفار[(٦)]، وشد ثمامة[(٧)] بن أثال

---

(١) هذا الوجه يصح في حق أهل الكتاب دون مشركي العرب فإنهم ما كانوا يؤمنون بالأنبياء، ولا يعرفون الوحي، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣].

(٢) ذكر قول ابن الأنباري بلفظ مقارب ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٠٨.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٧.

(٥) أي بالعمارة، وفي (ى): (لها)، أي للمساجد، وأثبت ما في (م) و(ح) لموافقته ما في «تفسير الرازي» ١٦/ ٧-٨ نقلًا عن الواحدي.

(٦) انظر: «مسند الإمام أحمد» ٤/ ٢١٨، و«سنن أبي داود»، (٣٠٢٥) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف.

(٧) هو: ثمامة بن أثال بن النعمان الحنفي أبو أمامة اليمامي الصحابي، كان سيد أهل اليمامة، وقد حاصر أهل مكة اقتصاديًا ولما ارتد أهل اليمامة في فتنة مسيلمة ثبت هو على إسلامه وقاتل المرتدين من أهل البحرين، وقتل غيلة سنة ١٢هـ. =

الحنفي على سارية من سواري المسجد وهو كافر[١]، وليس في الآية حجة لمن جعل دخول الكافر المسجد وصلاته فيه إيمانًا منه؛ لأنا[٢] لا نأمن أن تكون صلاته قبل سماع الشهادتين منه سخرية واستهزاءً، ولا يكون فعله[٣] عمارة للمسجد ما لم تتقدم منه كلمة الإيمان، وإن حملنا العمارة على عمارة البناء سقط هذا الاستدلال.

١٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي: إنما يعمرها بحقها من آمن بالله، وقال رسول الله ﷺ «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان؛ فإن الله** ﷻ يقول ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾»[٤]، وهذا يدل على أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه.

= انظر: «الاستيعاب» ١/ ٢٨٧ (٢٨٢)، و«الإصابة» ١/ ٢٠٣ (٩٦١).

(١) رواه البخاري (٤٦٩)، كتاب الصلاة، باب دخول المشرك المسجد ١/ ٢٠٢.

(٢) (لأنا) ساقط من (ح).

(٣) يعني دخوله المسجد وصلاته فيه.

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (٣٠٩٣)، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، وقال: حديث حسن غريب، ورواه أيضًا الدارمي في «سننه»، كتاب الصلاة، باب المحافظة على الصلوات، رقم (١٢٢٣) ١/ ٣٠٢، وأحمد في «المسند» ٣/ ٦٨، ٧٦، والحاكم في «المستدرك»، كتاب الصلاة ١/ ٢١٢ وصححه، وتعقبه الذهبي بأن في سنده دراجًا وهو كثير المناكير.

قلت: وجميع أسانيد هذا الحديث في مصادره السابقة تدور على دراج بن سمعان عن أبي الهيثم وهي ضعيفة.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «التقريب» ص٢٠١ (١٨٢٤): (صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف. وضعف الحديث أيضًا الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» رقم (٦٠٨) ١/ ١٨٤.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، قال ابن عباس: «يعني المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان»[١]، والإيمان بالله يجمع الصلاة والزكاة، ولكنهما من أوكد أقسام الإسلام وما أوجبه الإيمان، فذكرهما، قال الزجاج: «ولم يذكر الرسول ﷺ في هذا[٢]؛ لأن في قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ دليل على تصديقه؛ لأن المعنى: وآتى الزكاة التي أتى بتحديدها الرسول ﷺ»[٣].

قال أهل المعاني: «يريد من كان بهذه الصفة كان من أهل عمارة المسجد، وليس المعنى أن من عمرها كان بهذه الصفة»[٤]، غير أنه قلَّ من يعمرها إلا وقد جمع هذه الصفات، كما قال رسول الله ﷺ في الخبر الذي ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، قال الزجاج: «تأويله: لم يخف في باب الدين إلا الله جل وعز»[٥].

وقال أهل المعاني: «يعني: لا يترك هذه العبادات لخشية أحد ولكن يخشى الله فيقيم ذلك، والخشية من غير الله المنهي عنها أن يترك أمر الله لخشية غيره، فأما أن يخشى الناس خشية لا تؤديه إلى ترك أمر الله فليس بمنهي عنه»[٦].

---

(١) لم أقف على مصدره.

(٢) في (ى): (في هذه الآية)، وما أثبته موافق لما في المصدر التالي.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٨ بتصرف.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٠٩، و«الوسيط» ٢/ ٤٨٤، ولم أجده في كتاب أهل المعاني.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٨، وليس فيه لفظ (جل وعز).

(٦) ذكر العلماء أن الخشية والخوف أربعة أقسام: =

وقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي فأولئك هم المهتدون، وعسى من الله واجبة، ولكن ذكر بلفظ «عسى» ليكونوا على رجاء وطمع وحذر، وابن عباس والمفسرون يقولون: «عسى واجبة من الله»[1]، ومعنى الاهتداء ههنا الإمساك بطاعة الله التي تؤدي إلى الجنة.

١٩- قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية، ذكر المفسرون أقوالًا في نزول هذه الآية فقال ابن عباس في رواية الوالبي: «قال العباس: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج، فأنزل الله هذه الآية»[2]، وقال في رواية العوفي: «إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير من الإيمان

= **الأول**: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا، ومن خاف غيره هذا الخوف فهو مشرك شركًا أكبر. قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الطاعة من غير عذر إلا خوف الناس، فهذا محرم.

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة، وهذا من أعلى مراتب الإيمان.

الرابع: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو أو سبع ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢٢]. انظر: «تيسير العزيز الحميد» ص٤٨٦، و«فتح المجيد» ص٣٥٢.

(١) رواه عن ابن عباس، ابن جرير ١٠/ ٩٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٦ من طريق علي ابن أبي طلحة الوالبي وهو في صحيفته ص٢٦٠، وقد ذهب إلى هذا القول الثعلبي ٦/ ٨٥ ب، والبغوي ٤/ ٢٠، والماوردي ٢/ ٣٤٨، والقرطبي ٨/ ٩١ وغيرهم، ولم أجده عن الحسن.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ٨٦ أ، والبغوي ٤/ ٢٢، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٨.

والجهاد، فأنزل الله هذه الآية»[١].

وقال الحسن والشعبي والقرظي: «افتخر علي والعباس وطلحة بن شيبة[٢]: فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه؛ ولو أشاء بتُّ فيه، وقال العباس: [أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي][٣]: أنا صاحب الجهاد، فأنزل الله هذه الآية»[٤].

والسقاية: الموضع الذي يتخذ فيه[٥] الشراب في المواسم وعيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠] يعني إناء، قاله الليث[٦]، قال: وسقاية الحاج: سقيهم الشراب»[٧].

فالسقاية يجوز أن تكون اسمًا، ويجوز أن تكون مصدرًا، كالرعاية

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٨، والثعلبي ٦/ ٨٦ أ.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «طلحة بن شيبة لا وجود له، وإنما خادم الكعبة هو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة». انظر: «منهاج السنة» ٥/ ١٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكر الأثر عنهم الثعلبي ٦/ ٨٦ أ، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٢٤٨، والبغوي ٤/ ٢٢، ورواه ابن جرير ١٠/ ٩٦ عن القرظي بلفظه، وعن الحسن والشعبي بمعناه مختصرًا، وفي سند ابن جرير عن القرظي علتان: جهالة أحد رواته، والإرسال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ٥/ ١٨- ١٩: «هذا اللفظ لا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة، بل ودلالات الكذب عليه ظاهرة».

(٥) في (ح): (منه).

(٦) «تهذيب اللغة» (سقي) ٢/ ١٧١٥، والنص موجود بنحوه في كتاب «العين» (سقي) ٥/ ١٨٩.

(٧) المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٨) في (ى): (والرعاية)، وهو خطأ.

والحماية[١]، فإن جعلته اسمًا فالمعنى: أجعلتم أهل[٢] سقاية الحاج أو[٣] أصحابها؟ ثم حذفت المضاف، وإن جعلته مصدرًا فهو مصدرٌ يراد به الفاعل على تقدير: أجعلتم ساقي الحاج [أو سقاة[٤] الحاج][٥] وعمار[٦] المسجد، كمن آمن[٧]، وإن شئت تركتها مصدرًا وأضمرت المضاف في قوله: ﴿كَمَنۡ ءَامَنَ﴾ فقلت: التقدير: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن؟ وهذه الوجوه ذكرها الفراء[٨] والزجاج[٩] وابن الأنباري[١٠]، وقد استقصينا ما في هذا عند قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[١١]، قال الحسن: «وكانت

---

(١) «أهل» ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (و).

(٣) في (ح): (سقاية). وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) في (ح) و(ى): (وعمارة)، وهو خطأ.

(٦) قال ابن جني: ولست أدفع مع هذا أن يكون «سقاية الحاج» جمع ساق، و«عمارة المسجد الحرام» جمع عامر، فيكون كقائم وقيام، وصاحب وصحاب، وراع ورعاء، إلا أنه أنث (فعالًا) على ما مضى فصار كحجارة وعيارة ... إلخ». «المحتسب» ١/ ٢٨٦.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٧ وقد ذكر وجهًا واحدًا وهو أن «السقاية» و«العمارة» مصدر يكفي من الاسم.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٨، وقد ذكر وجهًا واحدًا، وهو أن المضاف محذوف، والتقدير: أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد.

(٩) في كتابه «معاني القرآن» ولم يُعثر عليه حتى الآن.

(١٠) من الآية: ١٧٧ من سورة البقرة. وانظر «النسخة الأزهرية» ١/ ١٠٧ ب وقد قال في هذا الموضع: «ولكن البر من آمن بالله» البر مصدر، ولا يخبر عن المصادر بالأسماء و(من) اسم، واختلف النحويون وأهل المعاني في وجهه، وقال أبو عبيدة: البر ههنا بمعنى البار، والفاعل قد يسمى بالمصدر .. وحكى الزجاج أن = = معناه: ذا البر فحذف كقوله «هم درجات عند الله» أي ذو درجات، وقال قطرب

السقاية نبيذ زبيب»[١] وقوله تعالى: ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، قال ابن عباس: «يريد: تجميره وتخليقه[٢]»[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال العوفي عن ابن عباس: «أخبر أن عمارتهم المسجد الحرام، وقيامهم على السقاية لا ينفعهم عند الله مع الشرك[٤] بالله، [وأن الإيمان بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه»[٥]][٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي قد هدى المؤمنين الذين وصفهم، ولم يهد الذين سووا بهم[٧]، وقال مقاتل: «لا يستوون عند الله في الفضل»[٨]، وقال الكلبي: «في الثواب»[٩]، وقال الأشتر بن

والفراء: معناه: ولكن البر بر من آمن فحذف المضاف ..).

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٨٦ ب، وابن الجوزي ٣/ ٤١٠.

(٢) التجمير: التبخير بالعود، والتخليق: الطلي بالخلوق، والخلوق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة. انظر: «لسان العرب» (جمر) ٢/ ٦٧٥ و(خلق) ٢/ ١٢٤٧.

(٣) ذكر الأثر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٦.

(٤) في (م): (الشريك).

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٨٦ أ بهذا اللفظ، ورواه ابن جرير ١٠/ ٩٥ بنحوه مع تقديم ما بين المعقوفين على ما قبلها.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) يعني التسوية المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، وعبارة المؤلف ليست على إطلاقها فإن ممن سوي بهم العباس وشيبة بن عثمان، وقد هداهما الله تعالى.

(٨) «تفسير مقاتل» ص١٢٧ ب.

(٩) «تنوير المقباس» ص١٨٩ عنه عن ابن عباس.

(١٠) هكذا في (م) و(ى) وفي (ح): (الأشترين عند الله)، ولم أجد فيما بين يدي من مصادر

عبد الله[1]: «الذين زعموا أنهم أهل العمارة سماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئًا».

٢٠- ثم نعت المهاجرين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقي الحاج، فإن قيل: إنهم كانوا كفارًا فكيف جاز في صفة المؤمنين أنهم أعظم درجة عند الله منهم، ولا درجة لهم عند الله؟ قيل: هذا على ما كانوا يقدرون هم لأنفسهم وإن كان ذلك التقدير خطأ[2]، كقوله[3]: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وقال الزجاج: «المعنى: أعظم من غيرهم درجة»[4]، فيدخل في هذا كل ذي درجة ويحصل للمهاجرين المزية.

وقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ معنى الفوز في اللغة: الظفر بالبغية وإدراك الطلبة[5]، قال الزجاج: «والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير»[6]، وهذا مما قد سبق[7].

من اسمه الأشتر بن عبد الله، وأرجح أن في النص تصحيف، والصواب: وقال -يعني الكلبي-: الأشرين عند الله الذين زعموا .. الخ، ويؤكد هذا أن الأثر قد رواه ابن جرير ١٠/ ٩٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٦٩عن ابن عباس من طريق العوفي دون قوله «الأشرين عند الله»، وقد روي عن العرب صيغة أفعل التفضيل «أشر» وإن كانت لغة قليلة ورديئة كما في «الصحاح» (شرر) ٢/ ٦٩٥، و«لسان العرب» (شرر) ٤/ ٢٢٣٢.

(١) في (ح): حقًا، والصواب ما أثبته من (ى) و(م).

(٢) (كقوله) ساقط من (ح).

(٣) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٨.

(٤) انظر: «الصحاح» (فوز) ٣/ ٨٩٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧١٨ (فاز).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٩.

(٦) انظر: «البسيط» آل عمران: ١٨٥.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٩.

٢١- قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: «أي: يعلمهم في الدنيا مالهم في الآخرة»(١) [وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ النعيم: نقيض البؤس، وهو لين العيش من النعمة(٢)، وهي اللين، والمقيم: الدائم الذي لا يزول ولا يبرح(٣)، وهذه الآية والتي بعدها(٤) في المهاجرين خاصة](٥).

٢٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الضحاك: «لما أمر الله المسلمين بالهجرة وكان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر، لم يقبل الله إيمانه حتى يجانب الآباء والأقرباء إن كانوا كفارًا»(٦)، وقال في رواية أبي صالح(٧): «لما أمر رسول الله ﷺ الناس بالهجرة إلى المدينة فمن الناس من يوافقه أهله وزوجته وأقاربه على الهجرة، ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده، فيقولون: ننشدك الله أن تضيعنا، فيرق فيجلس ويدع الهجرة، فأنزل الله هذه الآية»(٨)، فقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: بطانة وأصدقاء، تؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام.

(١) انظر: «الصحاح» (نعم) ٥/ ٢٠٤٢.
(٢) انظر: «لسان العرب» (قوم) ٦/ ٣٧٨١.
(٣) يعني قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ودليل التخصيص الآية السابقة: ﴿الذين آمنوا وهاجروا .. ﴾ إلخ.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٨٧ أ مطولًا، وفي سنده جويبر ضعيف.
(٦) هو: باذام. تقدمت ترجمته، وقد روى تفسيره الكلبي.
(٧) رواه الثعلبي ٦/ ٨٧ أ، والبغوي ٤/ ٢٤ مختصرًا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(٨) لم أقف عليه.

وقال ابن عباس: «يريد: لا تتولوهم في شيء من أمورهم، لا في النكاح ولا في الميراث ولا في الطعام ولا في الشراب ولا في السلام ولا في الكلام حتى يؤمنوا ويوحدوا الله»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ الاستحباب: طلب المحبة، ثم يقال: استحب كذا بمعنى أحبه كأنه طلب محبته، كما يقال: استجاب بمعنى أجاب.

وقوله[(٢)]: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: مشرك مثلهم»[(٣)]، وقال الحسن: «من تولى المشرك فهو مشرك، وذلك أنه راض بشركه كما أن من تولى الفاسق فهو فاسق لرضاه بفسقه»[(٤)].

٢٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية الضحاك: «لما أمر المسلمون بالهجرة ومجانبة أقاربهم الكفرة قالوا: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين نقطع آباءنا وعشائرنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فأنزل الله هذه الآية»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ عشيرة الرجل: أهله الأدنون، وهم الذين يعاشرونه وقريء «وعشيراتكم» بالجمع[(٦)]، وذلك أن كل واحد من

---

(١) من (م).

(٢) «تفسير الرازي» ١٦/ ١٨، والقرطبي ٨/ ٩٤.

(٣) لم أقف على مصدره، وقد ذكره من غير نسبة هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٢١.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ٨٧ أ مطولًا، وانظر: «زاد المسير» ٣/ ٤١١ وسنده ضعيف؛ لأن الضحاك لم يلق ابن عباس كما في «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٢٦.

(٥) وهي قراءة شعبة عن عاصم وحده، وقرأ حفص عن عاصم وباقي القراء العشرة = بالإفراد. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص ١٦٤، و«التبصرة في القراءات»

المخاطبين له عشيرة، فإذا جُمعت قيل: «وعشيراتكم»، ومن أفرد قال: العشيرة واقعة على الجمع فاستغنى عن جمعها، ويقوي ذلك أن الأخفش قال: «لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها[(١)] عشائر»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ الاقتراف: الاكتساب، قال ابن عباس: «يريد [كسبتموها»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قال ابن عباس][(٤)]: «يريد: فتربصوا بما تحبون فليس لكم عند الله ثواب في إيمانكم»[(٥)]، ومعنى[(٦)]: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ يعني فتح مكة في قول مجاهد[(٧)] ومقاتل[(٨)] والأكثرين[(٩)]، ومعنى هذا: إن كنتم تؤثرون المقام في دوركم

ص ٢١٤، و«تقريب النشر» ص١٢٠.

(١) في (ح): (يجمعونه).

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٠، و«الوسيط» ٢/ ٤٨٦، و«زاد المسير» ٣/ ٤١٢، و«لسان العرب» (عشر) ٥/ ٢٩٥٥، وقول الأخفش هذا ليس موجودًا في كتابه «معاني القرآن».

(٣) «الوجيز» ٦/ ٤٤٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٧.

(٦) ساقط من (ى).

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ٩٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٢، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٤/ ١٥٧، والقول في «تفسير مجاهد» ص٣٦٦.

(٨) «تفسير مقاتل» ص١٢٧ ب .

(٩) لم يذكره ابن جرير وابن أبي حاتم والماوردي والسيوطي إلا عن مجاهد، وزاد الثعلبي مقاتل، وقد ذكر ما ذكره المصنف من أنه قول الأكثرين: البغوي ٤/ ٤٨٧، = = وابن الجوزي ٣/ ٤١٣. قال الشيخ ابن عاشور في «التحرير والتنوير» ١٠/ ١٥٤:

وأهليكم وتتركون الهجرة فأقيموا غير مثابين حتى يفتح الله مكة فيسقط فرض الهجرة، ولا يكون الأمر بالتربص أمر إباحة[١] بل هو أمر تهديد، وقال الحسن: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: من عقوبة عاجلة أو آجلة»[٢]، وهذا أقرب؛ لأنه أليق بالوعيد.

وقوله[٣]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعته إلى معصيته، وهذا أيضًا تهديد لهؤلاء بحرمان الهداية.

٢٥- قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ الآية، النصر: المعونة على العدو خاصة، والمواطن، وهو كل مقام أقام به الإنسان لأمر، ومثله الوطن[٤]، والأوطان: كالمواطن، وأوطن فلان أرض كذا: أي: اتخذها محلا ومسكنًا يقيم فيها[٥]، قال الزجاج: «في مواطن: أي في أمكنة»[٦]، وقال الفراء: «مواطن لا تنصرف؛ لأنه مثال لم يأت عليه شيء من الأسماء المفردة[٧]، وأنه غاية للجمع إذا انتهى الجمع إليه فينبغي

(ومن فسر أمر الله بفتح مكة فقد ذهل؛ لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح). وانظر ما يؤكد قوله في: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٩٨.

(١) في (ى): (أمرًا بإباحة)، والصواب ما أثبته.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٤٩، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٨١، وبمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١٣.

(٣) من (م).

(٤) في (ى): (الموطن).

(٥) انظر: كتاب «العين» (وطن) ٧/ ٤٥٤، و«تهذيب اللغة» (وطن) ٤/ ٣٩١١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٩.

(٧) يعني الأسماء التي تدل على الواحد، قال الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٠: «ومعنى ليس على مثال الواحد: أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاء على = لفظه، وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمع تكسير».

أن لا يجمع، ألا ترى أنك لا تقول: دراهمات ولا دنانيرات ولا مساجدات، وربما اضطر إليه الشاعر فجمعه وليس يوجد [في الكلام][1] ما يجوز في الشعر، قال الشاعر[2]:

فهن يجمعن حدائداتها

فهذا من المرفوض[3] إلا في الشعر»[4]. انتهى كلامه.

ومعنى هذا أن الجمع من العلل المانعة للصرف، وهذا النوع من [الجمع غاية][5] الجموع، فكأن الجمع قد تكرر فيه فصارت هذه العلة تقوم مقام علتين فأوجبت ترك الصرف.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، قال الزجاج[6]: «أي: وفي يوم حنين، أي: ونصركم في يوم حنين»[7]، ونحو ذلك قال ابن عباس:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) هو: الأحمر كما في «لسان العرب» (حدد) ٢/ ٨٠٠، وانظر البيت بلا نسبة في: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٣٩، و«الخصائص» ٣/ ٢٣٦، وكتاب «الحلل» (ص٤٠٥)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ٢/ ٣٠٥، و«خزانة الأدب» ١/ ٢٠٨. ورواية البيت في جميع هذه المصادر: فهن يعلكن . . . إلخ.
والبيت ضمن أبيات في وصف الخيل منها:
أصبحن في قرح وفي داراتها سبع ليال غير معلوفاتها
فهن يعلكن . . . إلخ.

(٣) في (ى): (الفروض)، وهو تصحيف.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٢٨ بتصرف يسير.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) ساقط من (ى).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٣٩.

(٨) «تنوير المقباس» ص١٩٠ بمعناه.

«ونصركم يوم حنين»[1]، قال قتادة: «حنين: واد بين مكة والطائف قاتل عليه نبي الله ﷺ هوازن وثقيفًا»[2].

وجرى[3] (حنين) لأنه اسم مذكر [سمي به مذكر][4] نحو: بدر وأحد وحراء وثبير[5]، وربما جعلت العرب حنين[6] وبدرًا اسمًا للبلدة والبقعة فلا يُجْرونه[7] نحو قول الشاعر[8]:

ألسنا أكثر الثقلين رحلًا وأعظمهم ببطن حراء نارًا

وقال آخر[9]:

نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين حين تواكل الأبطال

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٢.

(٢) إجراء الاسم عند الكوفيين: صرفه وتنوينه، وعدم إجرائه: منع صرفه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى)، وليس موجودًا في «معاني القرآن» للفراء.

(٤) ثبير: جبل معروف عند مكة المكرمة. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ثبر) ١/ ٢٠٧.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والأولى: حنينًا؛ لأنه صرف بدرًا بعده.

(٦) بضم الياء وإسكان الجيم.

(٧) هو: جرير كما في «كتاب سيبويه» ٢/ ٢٤، و«لسان العرب» (حرى) ٢/ ٨٥٣، وليس في ديوانه، وانظر البيت بلا نسبة في: «الصحاح» (حرا) ٦/ ٢٣١٢، و«المقتضب» ٣/ ٣٥٩، و«الدر المصون» ٦/ ٣٧، وصدر البيت عند سيبويه والمبرد هكذا:

ستعلم أينا خيرٌ قديمًا

قال ابن بري: هكذا أنشده سيبويه، وهو لجرير، وأنشده الجوهري: ألسنا أكرم الثقلين طرًّا ..» اهـ «لسان العرب»، الموضع السابق.

(٨) هو: حسان بن ثابت ﷺ والبيت في «ديوانه» ص١٩٤، و«لسان العرب» (حنن) ٢/ ١٠٣٢، وبلا نسبة في «الصحاح» (حنن) ٥/ ٢١٠٥، ورواية الديوان والفراء وغيرهما هكذا: يوم تواكل الأبطال.

(٩) يعني من قوله: وجرى (حنين)، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٢٩.

هذا قول الفراء وكلامه[(١)].

قال المفسرون: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان، خرج متوجهًا إلى حنين لقتال هوازن وثقيف»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، قال قتادة: «كانوا اثنى عشر ألفًا»[(٣)]. وقال مقاتل: «كانوا أحد[(٤)] عشر ألفًا وخمسمائة»[(٥)]. وقال الكلبي: «كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط»[(٦)].

وقال عطاء عن ابن عباس: «خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين في ستة عشر ألفًا، وكان معه رجل من الأنصار يقال له: سلمة بن سلامة بن وقش[(٧)] فعجب لكثرة الناس، فقال: لن نغلب اليوم من قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووكلوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾»[(٨)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٧٧٢- ١٧٧٣، والثعلبي ٦/ ٨٨ أ، والبغوي ٤/ ٢٥، وانظر الآثار الواردة في غزوة حنين في «الدر المنثور» ٣/ ٤٠٤- ٤٠٨.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٠٠، والثعلبي ٦/ ٨٨ أ، والبغوي ٤/ ٢٦.

(٣) في (ى): (إحدى)، والصواب ما أثبته، وهو موافق لما في «تفسير مقاتل».

(٤) «تفسير مقاتل» ص١٢٧ ب.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٨ أ، والبغوي ٤/ ٢٦، والرازي ١٥/ ٢١.

(٦) هو: سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة الأشهلي الأنصاري شهد العقبتين وبدرًا وأحدًا والمشاهد، توفي سنة ٣٤هـ، وقيل سنة ٤٥هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٤/ ٦٨ (١٩٨٦)، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥٥، و«الإصابة» ٢/ ٩٥ (٣٣٨١).

(٧) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٧، وذكر بعضه الزمخشري في الكشاف ٢/ ١٨٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١٣.

(٨) في (ى): (فلن)، وهو خطأ محض.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ[١] تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ معنى الإغناء: إعطاء ما يدفع الحاجة.

وقوله: ﴿فَلَمْ[١] تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ أي لم تعطكم شيئًا يدفع حاجتكم، قال الزجاج: «أعلمهم الله أنهم ليس بكثرتهم يغلبون، وأنهم إنما يغلبون بنصر الله إياهم»[٢]، فوكلوا ذلك اليوم إلى كثرتهم؛ فانهزموا ثم تداركهم الله بنصره حتى ظفروا.

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ يقال: رحب يرحب رحبًا ورحابة، قال ابن شميل: «ضاقت عليه بما رحبت[٣]: أي: على رحبها وسعتها»[٤]، فمعنى قوله: ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي برحبها، ومعناه: مع رحبها، و«ما» ههنا مع الفعل بمنزلة المصدر كقوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] أي بمغفرته لي، ومعنى الآية: إنكم لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض فلم تجدوا فيها موضعًا يصلح لكم لفراركم عن عدوكم.

قال ابن عباس: «يقول: هي واسعة، ولكم فيها رحاب ومتسع، فضاقت عليكم لموضع العجب»[٥].

قال الزجاج: «جعل الله عقوبتهم على إعجابهم بالكثرة أن رَعَبهم[٦]

---

(١) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٠.
(٢) هكذا، وفي «تهذيب اللغة»: «ضاقت عليهم الأرض بما رحبت» ... إلخ.
(٣) «تهذيب اللغة» (رحب) ٢/ ١٣٨٧.
(٤) «تنوير المقباس» ص١٩٠ بمعناه مختصرًا.
(٥) بفتح العين غير المشددة، أي: أفزعهم وأخافهم، و«لسان العرب» (رعب) ٣/ ١٦٦٧.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٠.

حتى ولّوا مدبرين»[١].

قال البراء بن عازب: كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا[٢] على الغنائم فاستقبلونا[٣] بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ، ولم يبق معه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث»[٤]، قال البراء: «والذي لا إله إلا هو ما ولى رسول الله ﷺ دبره قط، لقد رأيته، وأبو سفيان آخذ بالركاب[٥]، والعباس آخذ بلجام الدابة، وهو يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»

وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يألو، وكانت بغلة شهباء، ثم قال للعباس: «[ناد: يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، وكان العباس رجلا صيتًا، فجعل ينادي: يا عباد الله][٦]، يا أصحاب[٧] الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، فجاء المسلمون حين سمعوا صوته عنقًا واحدًا[٨]، وأخذ رسول الله ﷺ بيده كفًا من الحصباء فرماهم بها، وقال:

---

(١) في (ى): (وانحنينا)، وفي «الصحيحين»: فأكببنا.

(٢) في (ى): (فاستقبلوا).

(٣) رواه مختصرًا البخاري في «صحيحه» (٤٣١٥)، كتاب: المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ...﴾، ومسلم في «صحيحه» (١٧٧٦)، كتاب الجهاد والسير.

(٤) الركاب: موضع في سرج الدابة، وهو كالغرز للرجل. انظر «القاموس المحيط»، فصل الراء، باب الباء ٩١٥٥، و«لسان العرب» (ركب) ٣/ ١٧١٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) في (ح): يا معشر أصحاب الشجرة.

(٧) العنق: الجماعة الكثيرة من الناس، وجاء القوم عنقًا عنقًا: أي طوائف. انظر: «لسان العرب» (عنق) ١٠/ ٢٧٣.

(٨) هذا الأثر ملفق من عدة روايات، وليس للبراء وحده كما يدل عليه صنيع المؤلف،

«شاهت الوجوه»، فما زال أمرهم مدبرًا، وحدهم كليلًا حتى هزمهم الله، ولم يبق منهم أحدٌ يومئذٍ إلا وامتلأت عيناه من ذلك التراب»[١].

٢٦- فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ السكينة: ما يسكن إليه القلب والنفس، قال الليث: «السكينة: الوداعة والوقار»[٢]، وقيل[٣]: السكينة: الأمنة والطمأنينة»[٤]، وهي المراد ههنا؛ لأن الرعب يوجب الاضطراب والهزيمة، وضده الأمنة التي توجب الطمأنينة والوقار، قال ابن عباس: «﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: يريد رحمته»، يعني أن تلك السكينة إنما أنزلت عليهم من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ قال[٥]: يريد الملائكة» وقال

وهو نقله عن الثعلبي مع التصرف، والثعلبي صرح بأنه لفقه من عدة روايات فقال: (وكانت قصة حنين على ما ذكره المفسرون بروايات كثيرة لفقتها ونسقتها لتكون أقرب إلى الأفهام، وأحسن للنظام). «تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٨ أ، بل إن الثعلبي ميّز قول البراء من قول غيره، وعلى أي حال فهذا الأثر ملفق من الروايات التالية:-

١- رواية البراء، وقد رواها الثعلبي ٦/ ٨٨/ب بلفظ المؤلف، وهي تنتهي عند لفظ «عبد المطلب» وبنحوها رواها البخاري (٤٣١٥)، كتاب: المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ويوم حنين ..﴾ ٥/ ٣١٠، ومسلم (١٧٧٦)، كتاب الجهاد والسير.

٢- رواية العباس بن عبد المطلب، رواها مسلم (١٧٧٥)، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، وأحمد في «المسند» ١/ ٢٠٧.

٣- رواية قتادة، رواها ابن جرير ١٠/ ١٠٤.

٤- رواية سلمة بن الأكوع، رواها مسلم (١٧٧٧)، كتاب الجهاد، باب في غزوة حنين.

(١) كتاب «العين» (سكن) ٥/ ٣١٣.

(٢) في (ى): (وقال)، وأثبت ما في (ح) و(م) لعدم وجود هذا القول في كتاب العين.

(٣) هذا قول ابن جرير ١٠/ ١٠٤، والثعلبي ٦/ ٩١ ب.

(٤) يعني ابن عباس، كما صرح بذلك في «الوسيط» ٢/ ٤٨٨، وذكره أيضًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١٦.

سعيد بن جبير: «أمدّ الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة»[١]، وقال سعيد بن المسيب: «حدثني رجل كان[٢] في[٣] المشركين يوم حنين قال: لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم إذ[٤] انتهينا إلى صاحب[٥] البغلة الشهباء[٦]، فتلقانا رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا»[٧].

وقال الزجاج: «أنزل الله ﷻ عليهم السكينة حتى عادوا وظفروا، فأراهم الله في ذلك اليوم من آياته ما زادهم تثبيتًا بنبوة النبي ﷺ»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوأْ﴾، قال ابن عباس: «يريد بأسيافكم ورماحكم»[٩].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٤، وذكره بغير سند الثعلبي ٦/ ٨٩ أ، وابن الجوزي ٣/ ٤١٦.

(٢) لفظ: (كان) ساقط من (ح)، وهو موجود في مصادر التخريج التالية.

(٣) في (ى): (من)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لمصادر التخريج التالية.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وكذلك في «تفسير الثعلبي»، وفي «الوسيط»: حتى إذا. وفي «تفسير الرازي» وأبي حيان: فلما.

(٥) (إلى صاحب) مكرر في (ى).

(٦) يعني رسول الله ﷺ انظر: «صحيح مسلم» (١٧٧٥) كتاب: الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ٨٩ ب.

(٧) ذكره الثعلبي ٦/ ٨٩ ب، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٨، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٢، وأبو حيان في «البحر» ٥/ ٢٥.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٠.

(٩) لم أقف عليه إلا في «الوجيز» للمؤلف ٦/ ٤٥٠، وفي «تنوير المقباس» ص١٩٠: («وعذب الذين كفروا»): بالقتل والهزيمة.

وقال غيره: «أي بالقتل والأسر، وسبي العيال، وسلب الأموال، مع الصَّغار والإذلال»[١]، ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٢٧- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ فيهديه إلى الإسلام ولا يؤاخذه بما سلف منه، قال ابن عباس: «يريد ممن كان في علم الله أن يهديه للإسلام»[٢]، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اهتدى ﴿رَّحِيمٌ﴾ لمن آمن.

٢٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ الآية، قال الفراء: «لا تكاد العرب تقول: نجس إلا وقبلها رجس، فإذا أفردوا قالوا: نجس لا غير، ولا يجمع ولا يؤنث، وهو مثل دنف[٣]»[٤].

وقال الليث: «النجس: الشيء القذر من الناس ومن كل شيء[٥]، ورجل نجس وقوم أنجاس، ولغة أخرى[٦]: رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس»[٧]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي أخباث أنجاس.

---

(١) هذا قول الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٩١ ب دون قوله: مع الصغار والإذلال، وبلفظ الثعلبي ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤١٦، ونسبه للبعض دون تحديد، وقال ابن جرير ١٠/ ١٠٤ «بالقتل وسبي الأهلين والذراري، وسلب الأموال والذمة».

(٢) «تنوير المقباس» ص١٩١ بمعناه.

(٣) الدنَف (بفتح النون): (المرض الملازم، وبكسرها: المريض الذي براه المرض حتى أضفى على الموت. «لسان العرب» (دنف) ٣/ ١٤٣٢.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٠.

(٥) في «تهذيب اللغة»: ومن كل شيء قذرته، وفي كتاب «العين»: وكل شيء قذرته فهو نجس.

(٦) يعني في الكلمة أخرى باعتباره مصدرًا فلا يثنى ولا يؤنث ولا يجمع.

(٧) «تهذيب اللغة» (نجس) ٤/ ٣٥١٩- ٣٥٢٠، ونحوه مختصرًا في كتاب «العين» (نجس) ٦/ ٥٥.

قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد لا يغتسلون من الجنابة، ولا يتوضؤون لله، ولا يصلون له»(١)، ونحو هذا قال قتادة: سماهم نجسًا لأنهم يجنبون ولا يغتسلون، ويحدثون ولا يتوضؤون»(٢).

قال أهل العلم وأصحاب(٣) المعاني: «هذه النجاسة التي وصف الله بها المشركين نجاسة الحكم لا نجاسة العين، سموا نجسًا على الذم، ولو كانت أعيانهم نجسة لما طهرهم الإسلام، ولكن شركهم يجري مجرى القذر في أنه يوجب نجسهم فسموا نجسًا لهذا المعنى»(٤)، وقال أبو علي: معنى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي: ليسوا من أهل الطهارة وإن لم تكن عليه(٥) نجاسة من نحو البول والدم والخمر، والمعنى: إن الطهارة الثابتة للمسلمين هم خارجون عنها(٦)، ومباينون لها، وهذه الطهارة هي ما ثبتت لهم في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣](٧).

---

(١) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٨، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٥.

(٢) رواه البغوي ٤/ ٣١، ورواه مختصرًا عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٧١، وابن جرير ١٠/ ١٠٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٥.

(٣) في (ح): (إلى أصحاب)، وهو خطأ بين.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ٩٢ أ، والبغوي ٤/ ٣١، وابن الجوزي ٣/ ٤١٧، وأحكام القرآن للهراسي ٤/ ٣٦، و«أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٩١٣، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٨٢.

(٥) أي على أحدهم.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٧.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [قال المفسرون: «أراد منعهم من دخول الحرم وذلك أنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام»(١)](٢).

وقال بعضهم: «المراد بالمسجد الحرام: الحرم»(٣)، وهو كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] وإنما رفع من بيت أم هانيء(٤)(٥)، وهذا مذهب عطاء، وقال: الحرم كله قبلة ومسجد»(٦)، وتلا هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، قال قتادة: «يعني عام حج بالناس أبو بكر، وتلا علي سورة براءة»(٧)، وقال عطاء عن ابن عباس:

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٠٥، والثعلبي ٦/ ٩٢ أ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وابن شهاب كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٧٧٦، ورواه ابن جرير ١٠/ ١٠٥، والثعلبي ٦/ ٩٢ أ عن عطاء.

(٤) هي: أم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب، بنت عم النبي ﷺ وأخت علي أمير المؤمنين ﵁، اسمها فاختة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند، لها أحاديث في الكتب الستة، وتوفيت بعد سنة ٥٠هـ.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٥٢٨، و«الإصابة» ٤/ ٥٠٣.

(٥) رفع النبي ﷺ من بيت أم هانئ رواه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٣٢، ٤٣٤، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ٢٤٦: «فيه عبد الأعلى بن أبي المشاور، متروك كذاب» اهـ.
ورواه أيضًا ابن جرير ١٥/ ٢ (طبعة الحلبي) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن السائب الكلبي، والكلبي متهم بالكذب.

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ١٠٥، والثعلبي ٦/ ٩٢ أ.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ١٠٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٦، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٠٨.

«يريد: يوم الفتح»[(١)]، وقال الزجاج: «هذا وقع سنة تسع من الهجرة، أُمر المسلمون بمنع المشركين من الحج»[(٢)].

فأما الكلام في حكم هذه الآية: فروى جابر عن النبي ﷺ قال[(٣)]: «**لا يدخل الحرم إلا أهل الجزية أو عبد رجل من المسلمين**»[(٤)].

قال أصحابنا[(٥)]: «الحرم حرام على المشركين، ولو كان الإمام بمكة فجاء رسول من المشركين فليخرج إلى الحل لاستماع الرسالة، وإن دخل مشرك الحرم متواريًا فمرض فيه أخرجناه مريضًا، وإن مات ودفن ولم يعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن، فليس لهم الاستيطان ولا الاجتياز، وإن التجؤا إلى مكة لم يجز لنا نصب القتال عليهم، إنما أحلت لرسول الله ﷺ ساعة من نهار، فإن بدؤنا فيها بالقتال حلت المدافعة، فأما من وجب عليه القصاص أو الحد فلاذ بالحرم[(٦)]

---

(١) «الوجيز» ٦/ ٤٥٣ وفيه نظر إذ أن الثابت أن المشركين لم ينهوا عن الحج إلا في السنة التاسعة، كما في «صحيح البخاري» (٤٦٥٥)، كتاب: التفسير، سورة براءة، باب: قوله «فسيحوا في الأرض أربعة أشهر».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤١.

(٣) (قال) ساقط من (ى).

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٢ أ بدون سند، ورواه بمعناه أحمد في «المسند» ٣/ ٣٩٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٦ولفظهما: «لا يدخل المسجد الحرام» وفي سنده ثلاث علل.
أ- أشعث بن سوار الكندي، قال في «تقريب التهذيب» ص١١٣ (٥٢٤): (ضعيف.
ب- شريك بن عبد الله، قال في التقريب ص٢٦٦ (٢٧٨٧): (صدوق يخطئ.
جـ- عنعنة الحسن البصري، وهو مدلس كما في إتحاف ذوي الرسوخ (ص٢٢).

(٥) يعني الشافعية: انظر «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ٢/ ٢٥٨، وبعض القول في «الأم» (٤/ ٢٥٢، ٢٥٣، ٤١٣).

(٦) ساقط من (ح).

فالحرم لا يعيذ[١] عاصيًا[٢] عندنا[٣]، وقد مضى الكلام في هذا، فأما جزائر العرب فقد قال رسول الله ﷺ: «**لئن عشت إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب**»[٤]، فلا يجوز تمكين المشركين من استيطانها بعدما أجلاهم عمر ﷺ بوصية رسول الله ﷺ، ويجوز لهم الاجتياز بشرط ألا يقيم المجتاز [في موضع][٥] أكثر من ثلاثة أيام، هذه سنة عمر فيهم[٦].

وقد أكثروا في تحديد جزيرة العرب، وقد قال الشافعي -وهو أعلم الناس بذلك-: «جزيرة العرب: مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها»[٧].

---

(١) في (م): (لا يصير)، وهو خطأ.

(٢) ذهب المحققون من العلماء إلى التفريق بين الجاني في الحرم وبين الجاني في الحل ثم لاذ بالحرم فالأول يقام عليه الحد والثاني لا يقام عليه الحد؛ بل الحرم يعيذه ويحميه، قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/ ٤٤٤: «وهذا قول جمهور التابعين ومن بعدهم، بل لا يحفظ عن تابعي ولا صحابي خلافه، وإليه ذهب أبو حنيفة ومن وافقه من أهل العراق، والإمام أحمد ومن وافقه من أهل الحديث، وذهب مالك والشافعي إلى أنه يستوفى منه في الحرم»، ثم ساق ابن القيم أدلة الفريقين، وفند أدلة القول المرجوح، وبين الفرق بين الجاني في الحرم واللاجيء إليه، فانظره هناك فإنه بحث قيم.

(٣) يعني الشافعية، انظر: «الأم» (٤/ ٤١٣، ٤١٤).

(٤) رواه بنحوه مسلم في (١٧٦٧)، كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وأبو داود (٣٠٣٩)، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب، والترمذي (١٦٠٦)، كتاب السير، باب في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٢.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) رواه عبد الرزاق الصنعاني في المصنف، كتاب أهل الكتاب، باب لا يدخل مشرك المدينة رقم (٩٩٧٧) ٦/ ٥١، وانظر «المغني» ١٣/ ٢٤٤.

(٧) انظر: «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ٢/ ٢٥٧، والشافعي -رحمه الله- إنما فسر بذلك الحجاز، ونص عبارته: «وإن سأل من تؤخذ منه الجزية أن يعطيها =

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ العيلة: الفقر، يقال[١]: عال الرجل يعيل عيلة فهو عائل إذا افتقر، قال ابن عباس: «يريد خفتم حاجة»[٢]، قال مجاهد[٣] ومقاتل[٤] وقتادة[٥] والمفسرون[٦]: «لما منع المشركون من دخول الحرم قال المسلمون: إنهم كانوا يأتون بالمير[٧] ويتبايعون، فالآن تنقطع المتاجر ويضيق العيش فأنزل الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، قال ابن عباس: «يريد: يتفضل عليكم بما هو أوسع وأكثر»[٨]، قال مقاتل: «أسلم أهل جدة وصنعاء

= ويجري عليه الحكم على أن يسكن الحجاز لم يكن ذلك له، والحجاز: مكة والمدينة واليمامة مخاليف كلها» كتاب «الأم» ٤/ ٢٥١، ثم قال في الصفحة التالية بعد أن بين أن اليمن ليست بحجاز: فأما سائر البلدان -ما خلا الحجاز- فلا بأس أن يصالحوا على المقام بها».

وفي «تهذيب اللغة» (جزر) ١/ ٥٩٦: «جزيرة العرب: محالها، سميت جزيرة لأن البحرين بحر فارس، وبحر السودان أحاطا بجانبيها، وأحاط بالجانب الشمالي دجلة والفرات، وهي أرض العرب ومعدنها».

(١) (يقال) ساقط من (ح).

(٢) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩١.

(٣) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٧، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٦٧.

(٤) «تفسير مقاتل» ص١٢٨ أ بمعناه.

(٥) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٧، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٠٨.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٠٥-١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٠٨- ٤١٠.

(٧) المير: جمع ميرة، وهي جلب الطعام. انظر: «لسان العرب» (مير) ٧/ ٤٣٠٦.

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٨.

وجرش[١] وحملوا الطعام إلى مكة وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون»[٢]، وقال الضحاك وقتادة: «أغناهم الله عما خافوا من العيلة بالجزية»[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ﴾ قال أهل المعاني: «شرط المشيئة في الغنى[٤] لأنه علم أن فيهم من لا يبلغ هذا الغنى[٥] الموعود، وقيل لتنقطع الآمال إلى الله ﷻ كما قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن عباس: «عليم بما يصلحكم، حكيم فيما حكم في المشركين»[٦].

٢٩- وقوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية، هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، قال مجاهد: «نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم فغزا[٧] بعد نزولها غزوة تبوك»[٨]، وقال الكلبي: «نزلت في قريظة والنضير من اليهود وأراد رسول الله ﷺ قتالهم

---

(١) جرش: مدينة في اليمن وفي الأردن، انظر: «معجم البلدان» ٢/ ١٢٧، والمراد بها هنا التي باليمن؛ لأن أهلها أسلموا في عهد رسول الله ﷺ أما بلاد الأردن والشام فلم تفتح إلا في عهد أبي بكر وعمر.

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٦/ ٩٢ ب، وهو في «تفسير مقاتل» ١٢٨ أ بلفظ: «فكفاهم الله ما كانوا يتخوفون فأسلم أهل نجد وجرش وأهل صنعاء فحملوا الطعام».

(٣) رواه عنهما ابن جرير ١٠/ ١٠٧- ١٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٧.

(٤) في (ى): (المعنى).

(٥) في (ح): (المعنى).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤١٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٨٨.

(٧) في (ى): (فغزوا)، وأثبت ما في (ح) و(م) لأنه أسد في انتظام الكلام، ولموافقته لما في تفسير الثعلبي.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ٩٢ ب وهو كذلك في تفسير مجاهد ص٣٦٧.

فصالحوه، فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام، وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين»[١].

وإذا كانت الآية نازلة فيهم فمعنى قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أن إقرارهم عن غير معرفة فليس بإيمان، وهذا معنى قول أبي إسحاق: «إنهم لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، فأعلم الله ﷻ أن ذلك غير إيمان، وأن إيمانهم بالبعث ليس على جهة الإيمان لأنهم لا[٢] يقرون بأن[٣] أهل الجنة يأكلون ويشربون[٤]»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، قال ابن عباس: «يريد من الميتة والدم ولحم الخنزير»[٦]، وقال الكلبي: «يعني الخمر»[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾، قال الكلبي: «ولا يعبدون عبادة الحق»[٨]، والحق هو الله تعالى، وروى شيبان[٩] عن قتادة: الحق هو الله

---

(١) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٢ ب.

(٢) (لا) ساقطة من (ح).

(٣) في (ى): (أن)، وما أثبته موافق لـ«معاني القرآن وإعرابه».

(٤) قال الإمام ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٨٢: «لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد الرسل، ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانًا صحيحًا لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه» ا.هـ.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤١، وقد اختصر المؤلف كلام الزجاج.

(٦) لم أقف على مصدره.

(٧) لم أقف على مصدره، وقد رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٧٨، عن سعيد بن جبير.

(٨) في «تنوير المقباس» عنه عن ابن عباس ص١٩١: («لا يخضعون لله بالتوحيد».

(٩) هو: شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم، أبو معاوية البصري، المؤدب، كان =

ودينه الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩][(١)] [وقال أبو عبيدة: معناه][(٢)] ولا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام، وكل من أطاع ملكًا أو ذا سلطان فقد دان له، ومنه قول زهير[(٣)]:

لئن حللت[(٤)] بجوٍ في بني أسد   في دين عمرو وحالت بيننا فدك[(٥)]

أي في طاعة عمرو، وعلى هذا التقدير: لا يدينون دين أهل الحق، أي طاعة أهل الإسلام فحذف المضاف، وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، قال ابن عباس: «يريد من اليهود والنصارى والصابئين»[(٦)]،

= معلمًا صدوقًا ثقة صاحب كتاب، روى عن قتادة والحسن البصري وغيرهما، وتوفي سنة ١٦٤هـ. انظر: «الكاشف» ١/ ٤٩١، و«تقريب التهذيب» ص٣٦٩ (٢٨٣٣)، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٤٧٥.

(١) انظر قول قتادة في تفسير الثعلبي ٦/ ٩٣ أ، والبغوي ٤/ ٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين من (م).

(٣) البيت في «شرح ديوانه» ص١٨٣، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٠٩.

و«جو»: موضع في ديار بني أسد، و«عمرو»: هو عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء، و«فدك»: قرية معروفة شمال الحجاز.

والشاعر يخاطب الحارث بن ورقاء الأسدي، الذي أغار على إبل زهير، وأسر راعيه وكانت بنو أسد تحت نفوذ عمرو بن هند ملك العراق، فهدد زهير الحارث بهجاء لاذع إن لم يرد الإبل والراعي، يقول بعد البيت المذكور:

ليأتينك مني منطق قذع   باق، كما دنس القبطية الودك

انظر: «شرح الديوان» ص١٦٤، ١٨٣.

(٤) (حللت) ساقط من (ى).

(٥) اهـ. كلام أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٥.

(٦) «تنوير المقباس» ص١٩١، دون ذكر الصابئين، وقد اختلف المؤرخون والمفسرون في حقيقة دين الصابئة، والصحيح أن هذا الاسم يطلق على فرقتين:

الأولى: الصابئة الحرانية، وهؤلاء هم امتداد قوم إبراهيم ﷺ، ويذكر الدكتور =

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ﴾، قال الحسن: «قاتل رسول الله ﷺ أهل هذه[(١)] الجزيرة من العرب على الإسلام ولم يقبل منهم غيره، وكان أفضل الجهاد، وكان بعده جهاد آخر على هذه الطعمة[(٢)] -يعني الجزية- في شأن أهل الكتاب وهو قوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾[(٣)].

والجزية هي[(٤)]: ما يعطي المعاهد على عهده، وهي (فِعْلة) من جزى يجزي إذا قضى ما عليه، وقوله: ﴿عَن يَدٖ﴾، قال ابن عباس: «هو أنهم

= النشار نقلًا -عن البيروني- أن هؤلاء الوثنيين عباد الكواكب إنما تسموا باسم الصابئة أيام المأمون بفتوى شيخ فقيه من أهل حران حتى ينجوا من القتل أو إلزامهم بالإسلام.

الثانية: الصابئة على وجه الحقيقة، وهؤلاء قوم من اليهود تخلفوا ببابل بعد عودة قومهم إلى فلسطين، ووضعوا مذهبًا ممتزجًا من اليهودية والمجوسية، ويتجهون في صلاتهم نحو القطب الشمالي ولا يزال لهم وجود في العراق.

انظر: «المصنف» للصنعاني ٦/ ١٢٤، و«الملل والنحل» للشهرستاني (الهامش في) ٢/ ٩٥، و«المغني» ١٣/ ٢٠٣، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٣١، و«نشأة الفكر الفلسفي» د. النشار ١/ ٢٠٩- ٢١٩.

(١) ساقط من (ى).

(٢) هذا يوحي بأن جهاد أهل الكتاب من أجل الجزية، والواقع أن الهدف من القتال نشر نور الله في الآفاق، والقضاء على الحواجز التي تحول دون إبلاغ الناس كلام الله، والجزية ضريبة على المعاهد الذي رغب البقاء على دينه، وهي في مقابل حمايته والدفاع عنه، وتأمين الأمن له في ظل الدولة الإسلامية.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٩٣ ب، لكنه لم يقل: يعني الجزية ورواه أيضًا ابن أبي شيبة وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٢ لكن لفظهما «على هذه الأمة» بدل «على هذه الطعمة» وبه يزول الإشكال.

(٤) ساقط من (ى).

يعطونها بأيديهم يمشون بها كارهين ولا يجيئون بها ركبانًا، ولا يرسلون بها»[١].

وهو قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: ذليلون مقهورون يتلتلون بها تلتلة[٢]، يريد أنهم يُجرّون إلى الموضع الذي تقبض منهم فيه[٣] بالعنف حتى يؤدوها من يدهم، وروى يحيى بن آدم[٤] عن عثمان البُري[٥] في قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ قال: «نقد[٦] ليس بنسيئة»[٧].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٩٤ ب، ورواه مختصرًا البغوي ٤/ ٣٣، وأشار إليه ابن جرير ١٠/ ١١٠ بقوله: وذلك قول روي عن ابن عباس من وجه فيه نظر.

(٢) في (ى): (ثلثله)، والتلتله: الشدة والعنف في السوق، انظر: «لسان العرب» (تلل) ١/ ٤٤٢.

(٣) (فيه) ساقط من (ى).

(٤) هو: يحيى بن آدم بن سليمان، أبو زكريا الأموي مولاهم الكوفي، العلامة الحافظ المجود، كان ثقة، كثير الحديث، من كبار أئمة الاجتهاد، توفي سنة ٢٠٣هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٨/ ٢٦١، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٥٩، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ٥٢٢، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٧.

(٥) هو: عثمان بن مقسم البري، أبو سلمة الكندي مولاهم البصري أحد فقهاء البصرة المفتين، على ضعف في حديثه وبدعة فيه، وقد تركه النسائي والقطان وابن معين وغيرهم. انظر: «التاريخ» ٦/ ٢٥٢، وكتاب «الضعفاء الصغير» ص١٦٤، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٣٢٥، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٥٣.
ملحوظة: عثمان المذكور روى له الترمذي (١٩٤١)، كتاب: البر، باب: ما جاء في الخيانة والغش حديثًا من طريق زيد بن الحباب عن أبي سلمة الكندي عن فرقد. وقد اعتبر ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص ٦٤٦ (٨١٤٦) أبا سلمة مجهولًا، والصحيح أنه هو عثمان البري. انظر: السير، الموضع السابق.

(٦) هكذا في جميع النسخ، وفي «تهذيب اللغة»: نقدًا. ومراد المؤلف: عن نقد، كما في «معالم التنزيل» ٤/ ٣٣.

(٧) «تهذيب اللغة» (يدى) ٤/ ٣٩٧٥، ولفظه: قال: نقدًا عن ظهر يد، ليس بنسيئة.

وذكر أهل المعاني في قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ أقوالًا:- روى أبو عبيد عن أبي عبيدة قال: «كل من انطاع[١] لمن قهره فأعطى عن غير طيبة نفس فقد أعطى عن يد»[٢]، ومعنى هذا أنه أعطى عن ذل واستسلام كما يقال: أعطى فلان بيده: إذا ذل واعترف بالانقياد، ودل على هذا قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، قال القتيبي: «يقال أعطاه عن يد، وعن ظهر يد: إذا أعطاه مبتدئًا غير مكافيء»[٣]، وهذا بالعكس أولى؛ فإنهم يبذلون الجزية دفعًا عن رقابهم ومكافأة للمسلمين بإقرارهم على دينهم، ولكن المعنى ههنا «عن يد» أي عن غير مكافأة [منكم إياهم][٤] بما أعطوا من المال[٥]، وذكر أبو إسحاق فيه أوجهًا[٦]:

أحدها[٧]: ﴿عَن يَدٍ﴾ أي عن ذلٍ واعترافٍ للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم.

والثاني: ﴿عَن يَدٍ﴾ عن قهر وذلٍ، كما تقول اليد في هذا لفلان أي: الأمر النافذ لفلان[٨].

---

(١) في (م): (أطاع).

(٢) اهـ. كلام أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٦.

(٣) اهـ. كلام القتيبي، انظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٨٤.

(٤) في (ح): (ومنكم أتاهم)، وهو خطأ.

(٥) ابن قتيبة ينفي مكافأة أهل الذمة للمسلمين، بل يدفعون الجزية بلا مقابل، والمؤلف ينفي مكافأة المسلمين لهم، فهم إذا دفعوا الجزية لا يرد المسلمون مكافأة لها.

(٦) في (ى): (وجهًا).

(٧) في (ى): (آخر).

(٨) ساقط من (ى).

والثالث: ﴿عَن يَدٍ﴾ أي: عن إنعام عليهم بذاك؛ لأن قبول الجزية منهم[١] وترك أنفسهم لهم نعمة عليهم ويد من المعروف جزيلة[٢]»[٣].

وحكى غيره: ﴿عَن يَدٍ﴾ أي: عن جماعة، لا يعفى عن ذي فضل منهم لفضله» واليد: جماعة القوم، يقال: القوم على يد واحدة أي هم مجتمعون[٤]، ومنه قوله ﷺ[٥] «وهم يد على من سواهم»[٦] يعني هم جميعًا، كلمتهم ونصرتهم واحدة على جميع الملل، وقال أبو علي: «ويجوز ﴿عَن يَدٍ﴾: عن ظهور عليهم وغلبة لهم من قولهم: لا يد لي[٧] به أي لا قوة لي عليه»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ قد ذكرنا قولًا واحدًا فيه عن ابن عباس، وهو أنهم يمشون بها من غير ركوب ولا توكيل[٩]، وقال عطاء: «يريد ذليلًا قائمًا على رجليه وهو صاغر»[١٠]، يعني أنه يعطي ذلك عن قيام

---

(١) في (ى): (منكم). (٢) ساقط من (ح).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٢ بنحوه، والنص منقول من «تهذيب اللغة» (يدى) ١٤/ ٢٤٠.

(٤) في «لسان العرب» (يدي) ٨/ ٤٩٥٤: «يد الرجل: جماعة قومه وأنصاره، عن ابن الأعرابي».

(٥) من (م) وفي سائر النسخ: ؈.

(٦) رواه ابن ماجه (٢٦٨٣)، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢١٥، وسنده حسن كما في «صحيح الجامع الصغير» رقم (٦٧١٢) ٢/ ١١٣٧.

(٧) في (ى): (له).

(٨) لم أجده فيما بين يدي من كتب أبي علي الفارسي.

(٩) تقدم تخريجه.

(١٠) لم أجد من ذكره.

ولا يجلس، وهذا قول عكرمة(١)، وقال الكلبي: «هو أنه إذا أعطى الجزية صفع في قفاه»(٢)، وقيل: معنى الصغار ههنا: «هو إعطاؤهم إياها»(٣).

فأما حكم هذه الآية: فاعلم أن المشركين فريقان: فريق هم عبدة الأوثان، وعبدة ما استحسنوا، فهؤلاء لا يقرون على دينهم بأخذ الجزية ويجب قتالهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وفريق هم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والصابئون(٤) والسامرة(٥) وهذان الصنفان(٦) سبيلهم في أهل الكتاب سبيل أهل البدع فينا، وكذلك المجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب، لأن النبي ﷺ قال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»(٧)، ويروى أنه

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٠٩، والبغوي ٤/ ٣٣.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٤ أ، والبغوي ٤/ ٣٣.

(٣) ذكر هذا القول من غير نسبة ابن جرير ١٠/ ١٠٩، والثعلبي ٦/ ٩٤ أ، والبغوي ٤/ ٣٤، والماوردي ٢/ ٣٥٢، وابن الجوزي ٣/ ٤٢١.

(٤) سبق التعريف بهم.

(٥) السامرة: فرقة من اليهود لهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود وينكرون نبوة من عدا موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام والنبي المنتظر، وقبلتهم جبل بنابلس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، وهم فرقتان: الدوستانية الألفانية، والكوسانية، والأولى لا تقر بالبعث في الآخرة.
انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ١/ ٩٨، و«الملل والنحل» (بهامش الفصل) ٢/ ٥٨.

(٦) يعني الصابئين والسامرة.

(٧) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الزكاة (٤٢) ١/ ٢٣٣، ومن طريقه رواه الشافعي في «الأم» ٤/ ٢٤٦، والبيهقي في «السنن الصغير»، كتاب الجزية رقم (٣٧٠٣) ٤/ ٤، و«الكبرى»، كتاب الجزية، باب المجوس ٩/ ٣١٩، وابن أبي شيبة في «المصنف» كتاب الجهاد، باب ما قالوا في المجوس رقم (١٢٦٩٧) ١٢/ ٢٤٣، وهو حديث ضعيف كما في «فتح الباري» ٦/ ٢٦١، و«إرواء الغليل» رقم (١٢٤٨) ٥/ ٨٨.

عليه الصلاة والسلام أخذ الجزية من مجوس هجر(١)، فهؤلاء يجب قتالهم حتى يعطوا الجزية، ويعاهدوا المسلمين على أداء الجزية.

وأما قدرها فقال أنس: «قسم رسول الله ﷺ على كل محتلم دينارًا»(٢)، وقسم عمر ﷺ على الفقراء من أهل الذمة اثنى عشر درهمًا، وعلى الأوساط(٣) أربعة وعشرين، وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين درهما(٤)، قال أصحابنا: «وأقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار إلا بالتراضي(٥)، فإذا رضوا والتزموا الزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني أربعة دنانير، والاختيار في الابتداء إليهم، فإذا قبلوا وجب

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٧)، كتاب الجزية، باب: الجزية والموادعة (١٥٨٦)، وأبو داود، (٢٥٠١) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية من المجوس والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس، والدارمي، كتاب الجهاد، باب في أخذ الجزية من المجوس، رقم (٢٥٠١) ٢/ ٣٠٧، وأحمد في «المسند» ١/ ١٩١.

(٢) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٣ ب مع أثر عمر الذي بعده، بغير سند، والحديث مشهور عن معاذ، فقد رواه عنه أبو داود (١٥٧٦)، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، والترمذي (٦٢٣)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة البقر، والنسائي، كتاب الزكاة، باب زكاة البقر ٥/ ٢٥، والحاكم ١/ ٣٩٨ قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) في (ح): (الأوسط).

(٤) رواه أبو عبيد في كتاب «الأموال» (ص٥٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الجهاد، باب ما قالوا في وضع الجزية رقم (١٢٦٨٩) ١٢/ ٢٤١ بنحوه عن محمد ابن عبد الله الثقفي.

(٥) هذا مذهب الشافعي -رحمه الله-. انظر: كتاب «الأم» ٤/ ٢٥٣-٢٥٦، وفي المسألة أقوال للفقهاء انظرها في كتاب «الأموال» لأبي عبيد ص٤٩-٥٢، و«المغني» ١٣/ ٢٠٩-٢١٢.

على الإمام تقريرهم في بلاد الإسلام، إلا أن يخاف فتنة، فالمصلحة مفوضة إلى اجتهاده، فإن قبل الواحد منهم أربعة دنانير ثم بدا له وأراد أن يقر في بلاد الإسلام بدينار واحد لم يكن له إلى ذلك سبيل، فإن نقض العهد كلفناه[(١)] الخروج إلى دار الحرب، فإن قبل بعد النقض دينارا واحدا لزمنا[(٢)] تقريره[(٣)]، قال المفسرون: «وإنما أقر هؤلاء على دينهم بأخذ الجزية حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والإنجيل؛ ولأن في أيديهم كتابهم فربما يتفكرون وينظرون فيعرفون صدق محمد ﷺ ونبوته، فأمهلوا لهذا المعنى»[(٤)].

ومصرف الجزية مصرف الفيء ولا يجوز صرف شيء منها إلى مصرف الصدقات[(٥)].

---

(١) في (ح): (كلفنا).
(٢) في (ى): (ألزمناه).
(٣) انظر: كتاب «الأم» ٤/ ٢٦٧، وهذا بناء على أن الاختيار في الابتداء إليهم، وناقض العهد يعتبر مبتدئًا.
(٤) انظر: «لباب التأويل في معاني التنزيل» ٢/ ٢١٥، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٣٢.
(٥) قال أبو إسحاق الشيرازي في «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩: «اختلف قول الشافعي ﷺ فيما يحصل من مال الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال في أحد القولين: يصرف في المصالح؛ لأنه مال راتب لرسول الله ﷺ فصرف بعد موته في المصالح كخمس الخمس، فعلى هذا يبدأ بالأهم، وهو سد الثغور، وأرزاق المقاتلة، ثم الأهم فالأهم، وقال في القول الثاني: هو للمقاتلة . .. ولا يعطى من الفيء صبي ولا مجنون ولا عبد ولا امرأة ولا ضعيف لا يقدر على القتال؛ لأن الفيء للمجاهدين».
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق العلماء على أن يصرف منه -يعني الفيء- أرزاق الجند المقاتلين، الذين يقاتلون الكفار؛ فإن تقويتهم تذل الكفار، فيؤخذ منهم الفيء، وتنازعوا هل يصرف في سائر مصالح المسلمين، أم تختص به =

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعكرمة[(١)]: «أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم[(٢)] والنعمان بن أوفى[(٣)] وشاس[(٤)] بن قيس ومالك ابن الصيف[(٥)] فقالوا: كيف نتبعك وأنت[(٦)] قد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم

= المقاتلة؟ على قولين للشافعي، ووجهين في مذهب الإمام أحمد، لكن المشهور في مذهبه، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك: أنه لا يختص به المقاتلة، بل يصرف في المصالح كلها» ثم قال: «.. فيصرف منه إلى كل من للمسلمين به منفعة عامة كالمجاهدين، وكولاة أمورهم، من ولاة الحرب، وولاة الديوان، وولاة الحكم .. ويصرف منه إلى ذوي الحاجات منهم أيضًا». «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٨/ ٥٦٥، ٥٦٦).

(١) هكذا قال الواحدي تبعًا للثعلبي في «تفسيره» ٦/ ٩٤/ب، والصواب: أو عكرمة كما في «تفسير ابن جرير» و«تفسير ابن أبي حاتم».

(٢) هو أحد بني النضير وزعيم من زعمائها، وصاحب كنزهم الذي يعدونه لنوائبهم، وقد شمر عن ساعد الجد في العداوة لرسول الله، والسعي لإطفاء نور الله، وزوجه زينب بنت الحارث التي وضعت السم لرسول الله ﷺ.
انظر: «السيرة النبوية» ٢/ ١٣٦، ١٧٣، ١٩٧، ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) أبو أنس، من أحبار يهود بني قينقاع، كما في «السيرة النبوية» ٢/ ١٣٧، ٢٠٠.

(٤) في (ى): (شماس، وفي (ح): (شاتين، والصواب ما أثبته من (م) وهو موافق لمصادر تخريج الأثر. وهو شاس بن قيس من أحبار يهود بني قينقاع الذين ناصبوا رسول الله ﷺ العداء، وكان شيخًا قد عمي، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، وهو الذي سعى لتذكير الأوس والخزرج بما كان بينهما من حروب في الجاهلية حتى كاد الحيان أن يقتتلا.
انظر: «السيرة النبوية» ٢/ ١٣٧، ١٩٦.

(٥) من أحبار يهود بني قينقاع، وكان ممن يتعنت في سؤال رسول الله ﷺ للبس الحق بالباطل. انظر: «السيرة النبوية» (٢/ ١٣٧، ١٧٤، ١٩٧).

(٦) ساقط من (ح).

أن عزيرًا ابن الله؟ فأنزل الله في قولهم هذه الآية»[١].

وقال عبيد[٢] بن عمير: «إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء[٣]»[٤]، فعلى هذا أوقع الله عليه[٥] اسم الجماعة على مذهب العرب في قولها: ركبت البغال ولعله[٦] لم يركب إلا واحدًا قاله ابن الأنباري[٧]، وقال غيره: «إذا كان فيهم من يذهب إلى هذا القول جاز أن ينسب إليهم كما تقول: المعتزلة تقول كذا، وإن كانت طائفة منهم تقوله»[٨].

وأما السبب الذي لأجله قالوا هذه المقالة فقال ابن عباس في رواية عطية: «إن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت، وأنساهم التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدورهم، فنزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب[٩] من جوفه [من التوراة][١٠]، فنادى في قومه: قد

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٠- ١١١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨١، وابن إسحاق في «السيرة» ٢/ ٢٠٢، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٣.

(٢) في (م): (عبيدة)، وهو خطأ.

(٣) من أحبار يهود بني قينقاع الذين نصبوا لرسول الله ﷺ العداوة، وهو القائل: إن الله فقير ونحن أغنياء، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.
انظر: «السيرة النبوية» (٢/ ١٣٧، ١٨٧، ٢٠١).

(٤) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٥ أ، والبغوي ٤/ ٣٦، ورواه ابن جرير ١٠/ ١١٠ عن عبد الله ابن عبيد بن عمير.

(٥) في (م): (عليهم).

(٦) ساقط من (ى).

(٧) لم أقف عليه.

(٨) انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٤٦١، و«تفسير الطبري» ١٠/ ١١٠.

(٩) ساقط من (ى).

(١٠) ما بين المعقوفين من (ح).

رد الله إليّ التوراة، وطفق يعلمهم، ثم إن التابوت نزل بعد ذلك فعرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أُوتي عزير هذا إلا لأنه[١] ابن الله»[٢]، فسبب هذه المقالة عند جميع المفسرين تجديد عزير التوراة لهم عن ظهر قلبه بعد ذهابها عنهم، وإن اختلفوا في كيفية الذهاب، فابن عباس في رواية عطية ذهب إلى ما ذكرنا، وذهب الكلبي إلى قتل بُخْتُنَصَّر[٣] علماءهم[٤]، وذهب السدي إلى أن العمالقة ظهرت عليهم فقتلوهم[٥].

واختلف القراء في «عزير» فقرؤوه بالتنوين وبغيره[٦]، قال أبو إسحاق: «الوجه إثبات التنوين؛ لأن «ابن»[٧] خبر، وإنما يحذف التنوين

---

(١) في (ى): (أنه).

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١١١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨١، والثعلبي ٦/ ٩٥ أ، والبغوي ٤/ ٣٧، وسنده ضعيف جدًّا، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

(٣) أحد ملوك بابل الجبابرة قبل ميلاد عيسى ﷺ وهو الذي هدم بيت المقدس، وفي القاموس (نصر): (بُخْتُنَصَّر: معروف وهو الذي كان خرب بيت المقدس -عمره الله تعالى- قال الأصمعي: «إنما هو (بُوخَتْنَصَّر) فأعرب، وبوخت: ابن، ونصَّر: صنم، وكان وجد عند الصنم، ولم يعرف له أب، فقيل هو ابن الصنم» اهـ. وانظر شيئًا من أخباره في «تاريخ الطبري» ١/ ٥٣٨-٥٦٠، و«الكامل» لابن الأثير ١/ ١٤٧-١٥٤، و«البداية والنهاية» ٢/ ٣٤-٣٩.

(٤) رواه مطولًا الثعلبي ٦/ ٩٦ أ، والبغوي ٤/ ٣٧، وهو من الإسرائيليات التي لا يعرف صدقها من كذبها، والأولى تنزيه كتب التفسير منها.

(٥) رواه مطولًا ابن جرير ١٠/ ١١١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨١، وهو من الإسرائيليات التي تسللت إلى كتب التفسير، وفي بقية الخبر مبالغات تبدو عليها سيما الكذب.

(٦) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين. انظر: «الغاية» ص١٦٤، و«التبصرة» ص٢١٤، و«تقريب النشر» ص١٢٠.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه». ابنًا.

في الصفة نحو قولك: جاءني زيد بن عمرو، فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين ولأن النعت والمنعوت كالشيء الواحد، فإذا كان خبرًا فالتنوين، [وقد يجوز حذف التنوين][1] على ضعف لالتقاء الساكنين وقد قرئت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢] فحذف[2] التنوين[3] لسكونه وسكون اللام[4]، وفيه وجه آخر أن يكون الخبر محذوفًا ويكون معناه: عزير ابن الله معبودنا[5] فيكون «ابن» نعتا[6]، ولا اختلاف بين النحويين أن إثبات التنوين أجود» هذا كلامه[7].

وقد شرح أبو علي وأبو الفتح[8] ما ذكره أبو إسحاق وهو أن من نون «عزيرًا» جعله مبتدأ وجعل «ابن» خبره، وإذا كان كذلك فلا بد من إثبات التنوين في حال السعة والاختيار؛ لأن «عزيرًا» ونحوه ينصرف عجميًا كان أو عربيًا، وأما من حذف التنوين فإن حذفه على وجهين: **أحدهما**: أنه

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه»: بحذف.

(٣) يعني تنوين «أحد» وقد رواها هارون عن أبي عمرو، وقرأ بها أيضًا أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وآخرون، وحكم عليها ابن خالويه بالشذوذ. انظر: كتاب «السبعة في القراءات» (ص٧٠٠)، و«مختصر في شواذ القرآن» ص١٨٣، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٨٥٢، و«البحر المحيط» ١٠/ ٥٧١.

(٤) يعني اللام في لفظ الجلالة المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وفي «معاني القرآن وإعرابه»: وسكون الباء في قوله: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ اهـ.

(٥) في (ى): (معبودًا)، وهو خطأ من الناحية الإعرابية.

(٦) وهذا الوجه ضعيف؛ لأنه لا دليل على الخبر المحذوف.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٢ بنحوه.

(٨) (وأبو الفتح) ساقط من (ى) وهو ابن جني.

جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد نحو قولهم: لا رجل ظريف، وحذف التنوين ولم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل؛ لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال، ولا يجوز إثبات التنوين إذا كان الابن صفة وإن كان الأصل؛ لأنهم جعلوه من الأصول المرفوضة كما أن إظهار الأول من المثلين في نحو ضننوا لا يجوز في الكلام، وإذا كان «عزير» مع «ابن» بمنزلة اسم مفرد، والاسم المفرد لا يكون جملة مستقلة مفيدة في هذا النحو فلا بد من إضمار جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتم جملة وتجعل الظاهر [إما مبتدأ و][(١)] إما خبر المبتدأ فيكون التقدير: صاحبنا أو نسيبنا أو نبينا عزير ابن الله، إن قدرت المضمر المبتدأ، وإن قدرته بعكس ذلك جاز، فهذا أحد[(٢)] الوجهين.

فإن قلت[(٣)]: فإن من أجرى ابنا صفة على عزير ولم ينون فقد أخبر عنه أيضًا بأنه ابن كما أخبر عنه من نون عزيرًا فأي فرق بين الحالين[(٤)]؟

والجواب عن ذلك: أنك إذا قلت: زيد ظريف فجعلت ظريفًا خبرًا عن زيد، فقد استأنفت الآن تعريف هذه الحال وإفادتها للسامع، وإذا قلت: هو زيد الظريف، فإنما أخبرت عن ذلك المضمر بأنه زيد، وأفدت هذا من حاله ثم حليته بالظريف، أي هو زيد المعروف قديمًا بالظرف،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (م): (آخر).

(٣) الإشكال والجواب عليه لابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٣٣، وما قبله لأبي علي في «الحجة» ٤/ ١٨١-١٨٣.

(٤) في (ى): (الحالتين).

وليس غرضك أن تفيد الآن أنه حينئذٍ[١] استحق عندك[٢] الوصف بالظرف فهذا أحد الفروق بين الخبر والوصف، فكذلك أيضًا لو كان تقديره: هو عزير الذي عرف قديما بأنه ابن الله، تعالى الله عن قولهم علوّا كبيرًا[٣] جاز حذف التنوين وساغ، بل وجب ذلك، وليس المعنى كذلك، إنما ذكر الله عنهم أنهم أخبروا بهذا الخبر، واعتقدوا هذا الاعتقاد[٤].

الوجه الآخر: أن لا تجعلهما اسما واحدًا ولكن تجعل الأول المبتدأ والآخر الخبر، فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في إثبات التنوين، وتكون القراءتان[٥] متفقتين، إلا أنك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين، كما تُحذف حروف اللين لذلك في نحو: رمى القوم، وقاضي البلد، ويدعو الإنسان، كذلك[٦] حذف التنوين لالتقاء الساكنين وهو مراد؛ لأنه ضارع حروف اللين بما فيه من الغنة، ألا ترى أنه قد جرى مجراها في نحو: لم يك زيد منطلقا، وقد أدغم [في الياء والواو كما أدغم][٧] كل واحد منهما في الآخر بعد قلب الحرف إلى ما يدغم فيه[٨]، وأبدلوا الألف من النون

---

(١) في (ى) زيادة (أنه) بعد كلمة (حينئذٍ).

(٢) في (ح): (عند).

(٣) في (ح): (كثيرًا).

(٤) اهـ. كلام أبي الفتح ابن جني في «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٣٣ بتصرف. وما بعده من كلام أبي علي وأبي الفتح.

(٥) في (ى): (القراءتين). وهو خطأ.

(٦) في (ح): (لذلك).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) اختصر الواحدي عبارة أبي علي اختصارًا مخلًا ونصها: «في نحو: لم يك زيد منطلقًا، وفي نحو: صنعاني، وبهراني، وقد أدغم ..» إلخ، فقول أبي علي: وقد أدغم .. إلخ إنما هو في كلمتي صنعاني وبهراني.

نحو: رأيت زيدًا، و﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] فإذا اجتمعت النون مع حروف اللين في هذه المواضع وشابهتها جاز أن تتفق معها في الحذف لالتقاء الساكنين، وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم: «أحدُ الله»(١)، وقد جاء ذلك في الشعر كثيرًا، قال حميد(٢):

حميدُ الذي أمج داره
أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

وقال ابن الرقيات(٣):

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي
عن خدام العقيلةُ العذراءُ(٤)

وأنشد أبو زيد(٥):

---

(١) يعني بحذف التنوين من (أحد) وقد سبق تخريج القراءة والآية قبل عدة أسطر.

(٢) البيت لحميد الأمجي نسبة إلى (أمَج) وهي بلدة قرب المدينة، وكان معاصرًا لعمر ابن عبد العزيز.
والشاهد في البيت حذف التنوين من (حميد). انظر: «الكامل» ١/ ٢٥٢، و«المقتضب» ٢/ ٣١٣، و«المسائل العسكريات» (ص١٧٧)، و«معجم البلدان» (أمج) ١/ ٢٥٠.

(٣) هو: عبيد الله أو عبد الله بن قيس بن شريح العامري القرشي، شاعر قريش في العصر الأموي، ويعرف بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، يقال لهن جميعًا: رقية، وكان أكثر شعره الغزل، توفي سنة ٨٥هـ تقريبًا. انظر: «الأغاني» ٤/ ١٥٤، و«سمط اللآلي» (ص٢٩٤)، و«الشعر والشعراء» (ص٣٥٩).

(٤) البيت في ديوانه (ص٩٥) وقبله:
كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارةٌ شعواء
والخدام: جمع الخدمة، وهي الخلخال، والعقيلة: المرأة الكريمة.
والشاهد: عدم تنوين «خدام». انظر: أمالي ابن الشجري ٢/ ١٦٣.

=

(٥) «نوادر أبي زيد» ص٣٢١ وقبله:

إذا غطيف السلمي فرا

وأنشد أبو العباس[(١)]:

عمرو[(٢)] الذي هشم الثريد لقومه

وقال آخر[(٣)]:

وحاتم الطائي وهاب المئي

لتجدني بالأمير برًّا وبالقناة مدعسًا مكرًّا

إذا غطيف .. الخ.

وانظر: الأبيات في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣١، و«الأمالي الشجرية» ٣/ ٥٣، و«ضرائر الشعر» ص١٠٦، واللسان (دعس) ٣/ ١٣٨٠.

(١) يعني المبرد، وقد تقدمت ترجمته، وانظر البيت في كتابيه: «الكامل» ١/ ٢٥٢، و«المقتضب» ٢/ ٣١٢، وقد اعترض علي بن حمزة في كتابه «التنبيهات على أغاليط الرواة» على المبرد في رواية هذا البيت، وقال: الرواية: عمرو العلا.

قلت: قد ذكر المبرد البيت بهذه الرواية في «المقتضب» ٢/ ٣١٦، ولا شاهد في هذه الرواية لأنه مضاف.

(٢) في (ح): (وعمرو)، وهو هاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ، قال السهيلي في «الروض الأنف» ١/ ٩٤: «ذكر أصحاب الأخبار أن هاشمًا كان يستعين على إطعام الحاج بقريش فيرفدونه بأموالهم ويعينونه، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكلف قريشًا أمر الرفادة، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمع كعكًا ودقيقًا، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك هشيمًا، ودقه دقًّا، وصنع للحاج طعامًا مثل الثريد، وبذلك سمي هاشمًا، ودقه دقًّا، لأن الكعك اليابس لا يثرد وإنما يهشم هشمًا، فبذلك مُدح حتى قال شاعرهم فيه: وهو عبد الله بن الزبعرى ..»، وذكر البيت ضمن أبيات، وذُكر البيت أيضًا في اللسان (سنت، مح) منسوبًا لابن الزبعرى، وفي «هشم» لابنة هاشم، وفي «الاشتقاق» لابن دريد ص١٣ لمطرود الخزاعي، وفي «نوادر أبي زيد» ص١٦٧ بلا نسبة.

(٣) تقدم تخريج البيت.

وأنشدوا أيضًا[١]:

والله لو كنت لهذا خالصًا لكنت عبدًا آكل الأبارصا

أي آكلًا»[٢]، وهو في الشعر كثير.

قال أبو علي: «الوجه في هذه القراءة: الحمل على الوجه الأول؛ لأنه لم يستمر[٣] حذف التنوين في الكلام، وإن حصلت المشابهات بين النون وحروف[٤] اللين[٥]»[٦].

وقال أبو الفتح: الاختيار: الوجه الثاني، وإن كان فيه ضرورة؛ لأنه أشبه، لموافقته معنى[٧] قراءة من نون وجعل «ابنًا» خبرًا عن «عزير»[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، قال المفسرون في سبب شرك النصارى بهذه الكلمة: «إنهم كانوا على الحق بعدما رفع

---

(١) البيت غير منسوب في كتاب «الحيوان» ٤/ ٣٠٠، و«أدب الكاتب» ص١٦٦. قال البطليوسي في «الاقتضاب» ص٣٥٥: («هذا البيت لا أعلم قائله، ولا ما يتصل به، والظاهر من معناه أن قائله سيم خطة ولم يرضها ورأى قدره يجل عنها، فقال: لو كنت ممن يرضى بما سمتموني إياه، وأهّلتموني له لكنت كالعبد الذي يأكل الوزغ» اهـ، وانظر البيت أيضًا في «المنصف» ٢/ ٣٣٢، و«الصحاح» (برص) ٣/ ١٠٣٠، و«اللسان» (برص) ١/ ٢٥٨.

(٢) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨١- ١٨٦، و«سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٣٢- ٥٣٦.

(٣) في «الحجة»: يستقر.

(٤) في (ى): (حرف).

(٥) ساقط من (ح).

(٦) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٦.

(٧) في (ى): (مع).

(٨) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٣٢ بمعناه.

عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له: بولس[(١)] قتل جملة من أصحاب عيسى[(٢)]، ثم قال لليهود: إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم، فعرقب فرسه[(٣)]، وأظهر الندامة مما كان صنع، ووضع على رأسه التراب[(٤)]، وقال: نوديت من السماء: ليست لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت، فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج، وتعلم الإنجيل، فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلًا اسمه نسطور[(٥)]، وعلمه أن عيسى ومريم

---

(١) هو: شاول اليهودي ولد في طرسوس ونشأ في مدينة القدس، وكان من أشد أعداء النصارى، ثم انتقل فجأة إلى النصرانية، وتسمى باسم بولس، وكان قوي الشخصية دائب الحركة، مؤثرًا ذكيا، وقد استطاع بمكره وكيده أن يحرف كثيرًا من تعاليم المسيح وأن يطمس معالمها الصحيحة، يقال: إنه قتل في اضطهادات نيرون للنصارى سنة ٦٦م.

انظر: «الديانات والعقائد في مختلف العصور» ٣/ ٢٥٤، و«محاضرات في النصرانية» لأبي زهرة ص٨٢.

(٢) جاء في أول الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل: «أما شاول (اسم بولس قبل تنصره) فكان لم يزل ينفث تهددًا وقتلًا على تلاميذ الرب». انظر: «محاضرات في النصرانية» ص٨٧.

(٣) عرقب الدابة: قطع عرقوبها، وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، وعرقوبا الفرس: ما ضم ملتقى الوظيفين (ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق) والساقين من مآخرهما من العصب. انظر: «القاموس المحيط»، فصل: العين، باب الباء ١/ ١٠٣، و«لسان العرب» (عرقب) ٥/ ٢٩٠٩، انظر: معنى (الوظيفين) في كتاب «العين» (وظف) ٨/ ١٦٩، و«تهذيب اللغة» (وظف) ٤/ ٣٩١٣.

(٤) في (ى): (فوضع التراب على رأسه).

(٥) لم أقف له على ترجمة.

والإله كانوا ثلاثة[١]، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت[٢]، وقال: لم يكن عيسى بإنس ولا جسم ولكنه ابن الله، وعلم رجلًا يقال له: يعقوب[٣] ذلك، ثم دعا رجلًا يقال له: ملكا[٤] فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى، ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم: أنت خالصتي فادع الناس إلى نحلتك، ولقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني، وإني غدًا أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه[٥]، ودعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى نحلته، فتبع كل واحد طائفة من الناس، واقتتلوا واختلفوا إلى يومنا هذا»[٦]، فجميع النصارى من الفرق الثلاث.

---

(١) يعني آلهة.

(٢) قال أبو البقاء الكفوي في «الكليات» ص٧٩٨: («اللاهوت: الخالق، والناسوت: المخلوق، وربما يطلق الأول على الروح والثاني على البدن وربما يطلق أيضًا على العالم العلوي، والثاني على العالم السفلي ..» الخ. والمراد به هنا اجتماع العنصر الإلهي والعنصر الإنساني في المسيح كما يزعم النصارى. انظر: «محاضرات في النصرانية» ص١٦٨.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) ذكر بعض المؤرخين أن بولس قتل في اضطهادات الإمبراطور نيرون للنصارى. انظر: «محاضرات في النصرانية» ص٨٩.

(٦) ذكره الثعلبي ٦/ ٩٦ ب، والبغوي ٤/ ٣٧، والرازي ١٦/ ٣٤، والخازن ٢/ ٢١٥ وهذا من الإسرائيليات التي ينبغي تنزيه كتب التفسير منها، وليس لدى المؤرخين مستند يثبت صحة هذا، والمعروف أن تأليه عيسى ﵇ حدث بسبب المجامع الكنسية بعد اعتناق الرومان الديانة النصرانية بعد الميلاد بثلاثمائة سنة.
انظر: «البداية والنهاية» ٢/ ٩٦.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، قال ابن عباس: «يريد: كذبا منهم وافتراءً»، وقال أهل المعاني: «أي يقولونه بألسنتهم من غير علم وليس يرجع قولهم إلى معنى صحيح[1] فهو لا يجاوز الفم، والمعنى الصحيح ما رجع إلى اضطرار[2] أو[3] برهان»[4]، قال الزجاج: «المعنى: إنه ليس فيه برهان ولا بيان إنما هو قول بالفم لا معنى تحته صحيح، لأنهم[5] معترفون بأن الله لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولدًا، فإنما هو تكذيب[6] وقول فقط»[7]، وقال ابن الأنباري: «القول يكون باللسان ويكون بالقلب، وقول القلب هو الذي يقع عليه اسم الظن، ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن، فقالوا[8]: أتقول عبد الله خارج؟، ومتى تقول: محمد منطلق؟ يريدون متى تظن، قال الشاعر[9]:

أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا؟

ولو لم يقل: ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ لجاز أن يذهب الوهم إلى قول القلب وقد

---

(١) في (ح): (معنى علم صحيح).
(٢) في (ح): (الاضطرار).
(٣) في (ى): (وبرهان).
(٤) انظر: «مفاتيح الغيب» ١٦/ ٣٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١١٨ ولم أقف عليه عند أهل المعاني.
(٥) لفظ: (نهم) ساقط من (ى).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: تكذب، وهو أولى، قال ابن منظور: «تكذّب فلان: إذا تكلف الكذب». «لسان العرب» (كذب) ٧/ ٣٨٤١.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٣.
(٨) في (ح): (وقالوا).
(٩) البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو في «ديوانه» ص٣٩٤. وانظر: «خزانة الأدب» ٢/ ٤٣٩، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ١٧٩، و«كتاب سيبويه» ١/ ١٢٤.

بين الله ﷻ هذا في قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] الآية، فلم يكذب الله قول ألسنتهم بل كذب قول قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ المضاهاة: المشابهة، قال الفراء: «[يقال ضاهيته][(١)] ضهًا ومضاهاة»[(٢)]، هذا قول أكثر أهل اللغة في المضاهاة[(٣)]، وقال شمر: «قال خالد بن جنبه[(٤)]: المضاهاة: المتابعة، فلان يضاهي فلانًا أي: يتابعه»[(٥)]، قال ابن عباس: «يريد[(٦)]: يتشبهون بقول الأمم الخالية»[(٧)]، وهذا قول مجاهد والحسن واختيار أبي علي، قال مجاهد: «يضاهئون قول المشركين حين قالوا: اللات والعزى ومناة بنات الله»[(٨)]، وقال الحسن: «شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة»[(٩)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٣٦، وفي «تهذيب اللغة» (ضهي) ٣/ ٢١٤١: قال الفراء: «يضاهون: يضارعون قول الذين كفروا» وسقط لفظ «يضارعون» من كتابه «معاني القرآن» ١/ ٤٣٣.

(٣) انظر: «الصحاح» (ضهى) ٦/ ٢٤١٠، و«القاموس»، فصل الضاد، باب الواو والياء ١٣٠٦.

(٤) لم أجد ترجمته فيما بين يدي من المصادر.

(٥) «تهذيب اللغة» (ضهى) ٣/ ٢١٤٢.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) رواه مختصرًا بمعناه ابن جرير ١٠/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٣، والثعلبي ٦/ ٩٧ أ، والبغوي ٤/ ٣٨.
وذكره البخاري في «صحيحه» معلقًا ٨/ ٣١٦، كتاب التفسير، باب: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ٩٧ ب، والبغوي ٤/ ٣٨.

(٩) المصدرين السابقين، نفس الموضع.

وقال أبو علي: «يشبه أن يكون «الذين[١] كفروا»: المشركين الذين لا كتاب لهم لأنهم ادعوا في الملائكة أنها بنات الله، قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧] وقال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: ٢١] وقال: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٠][٢].

وقال ابن الأنباري: «يشابهون في قولهم قول[٣] المشركين إذ زعموا أنهم يعبدون ثلاثة: الله وعيسى ومريم، وقال المشركون: نعبد اللات والعزى ومناة»[٤]، وعلى ما ذكر ابن الأنباري: الفعل في ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يرجع إلى النصارى دون اليهود، وهو قول قتادة والسدي إلا أنهما جعلا المشابهة من وجه آخر وهو أنهما قالا: «ضاهت النصارى قول اليهود من قبل، فقالت النصارى: المسيح ابن الله، كما قالت اليهود: عزيرٌ ابن الله»[٥] فجعلا[٦] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ اليهود، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي قال: «ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم[٧]»[٨].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٦.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) ذكره مختصرًا دون تعيين القائل القرطبي في «تفسيره» ٨/ ١١٨.

(٥) رواه عنهما الثعلبي ٦/ ٩٧ ب، والبغوي ٤/ ٣٨، ورواه الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٧١ عن قتادة، ورواه ابن جرير ١٠/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٣ مختصرًا عن قتادة بلفظه، وعن السدي بمعناه.

(٦) في (ح) و(م): (فجعل)، وهو خطأ.

(٧) في (ى): (قولهم)، وهو خطأ.

(٨) لم أجد من ذكره عن ابن عباس بهذا اللفظ، وقد أخرج رواية الوالبي ابن جرير ١٠/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٣، والثعلبي ٦/ ٩٧ أ، والبخاري تعليقًا في «صحيحه» ٨/ ٣١٦ كتاب التفسير باب: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ جميعهم بلفظ =

وقال الزجاج: «معناه[١]: يشابهون في قولهم هذا من تقدم من كفر منهم، أي إنما قالوه اتباعًا لمن تقدم منهم، الدليل على هذا قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] أي قبلوا منهم أن[٢] العزير والمسيح ابنا الله»[٣]، وهذا اختيار ابن قتيبة؛ لأنه قال: «يريد أن من كان في عصر النبي ﷺ من اليهود والنصارى يقولون ما قاله أولوهم»[٤]، فأما قول المفسرين في معنى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ فقد ذكرنا قول ابن عباس، وقال مجاهد: «يواطئون»[٥]، وقال الحسن: «يوافقون»[٦].

وقرأ عاصم ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ مهموزًا[٧]، قال أحمد بن يحيى[٨]: لم يتابع عاصمًا أحد[٩] على الهمز[١٠]»[١١]، قال الليث: «وربما همزوا

= «يشبهون». أما اللفظ الذي ذكره المؤلف فقد أخرجه ابن جرير ١٠/ ١١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٣، عن قتادة. فلعل المؤلف -رحمه الله- وهم فنسبه لابن عباس.

(١) ساقط من (ى).

(٢) ساقط من (ح).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٣.

(٤) «تفسير غريب القرآن» (ص١٨٤).

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ٩٧ ب، والبغوي ٤/ ٣٨.

(٦) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٧) انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، وكتاب «إرشاد المبتدي» ص٣٥٢، و«تقريب النشر»، باب الهمز المفرد ص٣٤.

(٨) أبو العباس ثعلب.

(٩) في (م): (أحد عاصمًا).

(١٠) يعني من أصحاب القراءات المتواترة، وقد قرأ بها من غيرهم طلحة بن مصرف. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢١٠، و«المحرر الوجيز» ٦/ ٤٦٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٤٠٣.

(١١) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٦، و«زاد المسير» ٣/ ٤٢٥.

فيه»[١]، وحكى ابن الأنباري: «ضاهيت وضاهأت»[٢]، قال أبو علي[٣]: «يشبه أن يكون ما قرأ به عاصم من الهمز لغة[٤] فيكون في الكلمة لغتان، مثل أرجيت وأرجأت»[٥].

وقوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: «لعنهم»[٦].

قال الأزهري: «وليس هذا من القتال الذي هو بمعنى المحاربة بين اثنين؛ لأن قولهم: قاتله بمعنى لعنه، من واحد»[٧]، وقال ابن جريج: «﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ أي قتلهم الله، وهو بمعنى التعجب»[٨].

---

(١) «تهذيب اللغة» (ضهي) ٣/ ٢١٤١، والنص في كتاب «العين» (ضهي) ٤/ ٧٠.

(٢) «زاد المسير» ٣/ ٤٢٥.

(٣) في (ى): (أبو عبيد)، والصواب ما أثبته إذ النص في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٧ من قول أبي علي الفارسي.

(٤) هذا من عجب القول إذ كيف لا يجزم بثبوت اللغة بقراءة متواترة، وأمثاله من اللغويين يثبتونها ببيت شعري، أو جملة منقولة عن أعرابي، وقد أثبت الفراء أن الهمز لغة أهل الطائف، وذكر ابن جرير ١٠/ ١١٣ أنها لغة ثقيف، كما أثبت الخليل بن أحمد اللغتين في الكلمة. انظر: كتاب «العين» (ضهي) ٤/ ٧٠، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١٣، و«الحجة» ٤/ ١٨٧، و«لسان العرب» (ضهي) ٥/ ٢٦١٧.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٨٧.

(٦) رواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١٠/ ١١٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٣، والثعلبي ٦/ ٩٧، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٥، وقد نسب هذا القول إلى المفسرين أبو منصور الأزهري في «تهذيب اللغة» (قتل) ٢/ ٢٨٨٤.

(٧) «تهذيب اللغة» ٢/ ٢٨٨٤.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ٩٧ ب، ورواه البغوي ٤/ ٣٨ بلفظ: قتلهم الله، وذكره القرطبي ٨/ ١١٩: بلفظ: هو بمعنى التعجب.

وقال أهل المعاني: «عاداهم الله»(١)، فعبر عن هذا بالمقاتلة لما بين المقاتلين(٢) من العداوة، وقال ابن الأنباري: «وهذا تعليم لنا الدعاء عليهم، معناه: قولوا إذا دعوتم عليهم: قاتلهم الله، أي لعنهم الله»(٣)، كذا قال المفسرون في: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، والمقاتلة أصلها من القتل فإذا أُخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة؛ لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ الإفك: الصرف، يقال: أُفك الرجل عن الخير أي قلب وصرف، ورجل مأفوك: أي مصروف عن الخير، يقول: كيف يصدون ويصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد(٤)؟! وهذا التعجب(٥) إنما هو راجع إلى الخلق، والله لا يتعجب من شيء(٦)، ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم، والله تعالى

---

(١) هذا قول ابن الأنباري كما في «تهذيب اللغة» (قتل) ٢/ ٢٨٨٤، و«زاد المسير» ٣/ ٤٢٥.

(٢) كذا في جميع النسخ، وهو يريد المتقاتلين.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) في (ى): (ولدًا).

(٥) في (ى): (التعجيب)، وأثبت ما في النسخ الأخرى لأنه أسد في المعنى ولموافقته لما في «تفسير الرازي» ١٦/ ٣٦ الذي نقل تفسير الجملة عن الواحدي بلفظه دون أن يشير لذلك.

(٦) مذهب السلف إثبات العجب لله كغيره من الصفات الثابتة في الكتاب أو السنة، وإن لم تعرف كيفيتها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الفرقة الناجية -أهل السنة والجماعة -يؤمنون بذلك- يعني أحاديث الصفات- كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».
وقال: وأما قوله -يعني النافي صفة التعجب-: «التعجب استعظام للمتعجب منه»!!.
فيقال: نعم. وقد يكون بجهل بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، =

عجب نبيه من تركهم الحق وإتيانهم الباطل[(١)] في زعمهم.

٣١- قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾، قال أبو عبيد: الأحبار: «الفقهاء»[(٢)]، واختلفوا في واحده فبعضهم يقول: حَبْر، وبعضهم يقول حِبْر، قال: وقال الفراء: «إنما هو حِبْر، يقال ذلك للعالم».

وقال الأصمعي: «لا أدري أهو الحَبر أو الحِبر للرجل العالم»[(٣)].

= والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيمًا له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه، أو لعظمته، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم». «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٣/ ١٤١، ٦/ ١٢٣.

وقد دل على صفة العجب قوله تعالى: ﴿بل عجبتُ ويَسْخرون﴾ [الصافات: ١٢] بضم التاء على قراءة الكوفيين غير عاصم كما في «الغاية» ص٢٤٩، وقول النبي ﷺ «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل». رواه البخاري (٣٠١٠)، كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل ٤/ ١٤٥، انظر: «تفسير ابن جرير» ٢٣/ ٤٣ (ط الحلبي)، و«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر» ص٦٩.

(١) في (ح): (بالباطل).

(٢) لم أجده إلا في «تفسير الرازي» ١٦/ ٣٧، وهو كثير النقل من «البسيط» للواحدي، ويغلب على الظن أنه وهم من المؤلف فإن عبارة أبي عبيد في «غريب الحديث» ١/ ٦٠ نصها: وأما الحبر من قول الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ فإن الفقهاء يختلفون فيه فبعضهم يقول: حَبْرٌ، وبعضهم يقول: حِبْرٌ، وقال الفراء: «إنما هو حِبْرٌ يقال للعالم ذلك».
فلعل المؤلف نظر نظرة عجلى إلى هذا النص وحسب أن كلمة (الفقهاء) فيه تفسير للأحبار، لا سيما أنه موطن اشتباه، والله أعلم.

(٣) ا.هـ. كلام أبي عبيد، و«غريب الحديث» ١/ ٦١، وانظر: قول الفراء أيضًا في «تهذيب اللغة» (حبر) ١/ ٧٢١، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١١٣- ١١٤، ولم أجده في «معاني القرآن».

وكان أبو الهيثم يقول: واحد الأحبار حَبر بالفتح لا غير، وينكر الكسر[(١)][(٢)].

ابن السكيت عن ابن الأعرابي: حِبْر وحَبْر للعالم[(٣)].

[وقال الليث: «هو حِبْر وحَبْر للعالم][(٤)] ذميا كان أو مسلما بعد[(٥)] أن يكون من أهل الكتاب»[(٦)].

والكلام في الرهبان قد مضى عند قوله: ﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة: ٨٢][(٧)].

وقال أهل المعاني: «الحبر: العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها، والراهب: الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية، وكثير استعماله في متنسكي النصارى»[(٨)].

قال ابن عباس في قوله تعالى: «﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾: فقهاؤهم

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) «تهذيب اللغة» (حبر) ١/ ٧٢١.

(٣) «إصلاح المنطق» ص٣٢، والمصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) في عبارة النسخة (ى) اضطراب، ونصها: ذميًا كان أو مسلمًا بعد حبر وحبر أن يكون . . . إلخ.

(٦) «تهذيب اللغة» (حبر) ١/ ٧٢١، والنص في كتاب «العين» (حبر) ٣/ ٢١٨، وانظر إطلاق الحبر على العالم المسلم ولو لم يكن من أهل الكتاب في «صحيح البخاري» (٦٧٣٦)، كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابن.

(٧) انظر: النسخة (ح) ٢/ ٦٧ أ حيث قال: (وأما الرهبان فهو جمع راهب، مثل راكب وركبان، وفارس وفرسان، قال الليث: الرهبانية مصدر الراهب، والترهب: التعبد في صومعة .. وأصل الرهبانية من الرهبة بمعنى المخافة).

(٨) انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ٣٧.

وعبادهم»[١]. وقال الضحاك: «علماؤهم وقراؤهم»[٢].

وقال عدي بن حاتم: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ من سورة براءة فقرأ هذه الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم! وكان عدي نصرانيا، فقال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**[٣]؟» فقلت بلى، فقال: «**فتلك عبادتهم**»[٤].

وقال أبو البختري[٥] في هذه الآية: «أما إنهم لم يصلوا لهم، ولو

---

(١) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٠، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤ بلفظ: الأحبار: القراء، وفي «تنوير المقباس» ص١٩١: ((«اتخذوا أحبارهم»: علماءهم.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤.

(٣) في (م): (فتستحلونه).

(٤) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة التوبة، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب آداب القاضي، رقم (٢٠٣٥٠) ١٠/ ١٩٨، وابن جرير ١٠/ ١١٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٥، وزاد نسبته إلى ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه، وفي سند الترمذي والبيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم غطيف بن أعين، وهو ضعيف كما في «تقريب التهذيب» ص٤٤٣ (٥٣٦٤)، وكتاب «الضعفاء والمتروكين» ص٣٢٤، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.
لكن للحديث طرق انظرها في: «كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٢/ ٦٦.

(٥) هو: سعيد بن فيروز الطائي مولاهم، أبو البختري الكوفي، تابعي فقيه ثقة، وكان مقدم الصالحين القراء الذين ثاروا على الحجاج في فتنة ابن الأشعث، وقتل في وقعة الجماجم سنة ٨٣هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٧٩، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٣٨، و«شذرات الذهب» ١/ ٩٢.

أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه، وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية»[١].

وقال الربيع: «قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك[٢] الربوبية في بني إسرائيل؟ فقال: إنهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، (فقالوا[٣]: لن نسبق أحبارنا بشيء)[٤]، فما أمرونا به ائتمرنا، وما نُهينا[٥] عنه انتهينا، فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم»[٦].

قال أهل المعاني: «معناه: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث[٧] أطاعوهم في كل شيء، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي كنار»[٨].

وهذا بيان أن مخالف أمر الله في التحريم والتحليل كالمشرك في عبادة الله، لأن استحلال ما حرم الله كفر بالإجماع، وكل كافر مشرك، ومن اعتقد طاعة أحد لعينه أو لصفة فيه فأطاعه في خلاف ما أمر الله فهو من الذين ذكروا في هذه الآية أنهم كانوا يعتقدون وجوب طاعة أحبارهم،

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ٩٨ أ، ورواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ١١٥.
(٢) من (م).
(٣) في (ى): (فقال).
(٤) ما بين القوسين تحرف في تفسير ابن جرير (تحقيق: شاكر) هكذا: «قال: لم يسبوا أحبارنا بشيء مضى» وأشار المحقق إلى أنه لم يهتد للصواب، وحذفت الجملة برمتها في طبعة الحلبي، فليصحح.
(٥) هكذا في جميع النسخ، والأولى: نهونا، كما في تفسير ابن جرير والثعلبي.
(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٩٨ ب، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ١١٥، وأشار إليه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤.

فأخبر الله تعالى أنهم اتخذوهم أربابًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، قال ابن عباس: «يريد: اتخذوه ربًا»[(١)].

[وقوله ﷻ][(٢)] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، قال: يريد في التوراة والإنجيل»[(٣)]، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ وهو الذي ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[(٤)] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه نفسه أن يكون له ولدٌ، أو شريك، قال الزجاج: «معناه: تنزيها له عن شركهم»[(٥)].

٣٢- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، قال ابن عباس: «يريدون أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم»[(٦)]، فمعنى نور الله في قول أكثرهم: الإسلام[(٧)]، يعني أنهم يكذبون به، ويعرضون عنه، يريدون إبطاله بذلك.

وقال الكلبي: «يردون[(٨)] القرآن بألسنتهم تكذيبًا له»[(٩)]، وقوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٠، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩١ بلفظ: اتخذوا المسيح ابن مريم إلهًا.

(٢) من (م).

(٣) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٠، ورواه الفيروزأبادي ص١٩١ بلفظ: في جملة الكتب.

(٤) في (م): (وهو الذي لا إله غيره. (٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٤.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٢٦، والمصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩١، وبنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص ١٩٢.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١١٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٤، والثعلبي ٦/ ٩٨ ب.

(٨) في (ح): (يريدون)، وهو خطأ.

(٩) رواه الثعلبي ٦/ ٩٨ ب، والبغوي ٤/ ٣٩.

قال الفراء: «لم يجيء عن العرب حرف على (فعل) (يفعل) مفتوح العين في الماضي والغابر إلا وثانيه أو ثالثه أحد حروف الحلق، غير أبى يأبى، جاء نادرًا»[(١)]، ويقال: رجل أبيٌّ، وأبيان[(٢)]، وأباء: ذو إباء شديد، وأخذه إباء[(٣)]: إذا كان يأبى الطعام فلا يشتهيه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، قال ابن عباس: «إلا أن يظهر دينه»[(٤)].

قال الفراء: «دخلت (إلا) لأن في (أبيت) طرفًا من الجحد، ألا ترى أن (أبيت) كقولك: لم أفعل[(٥)]، ولا أفعل، ولولا ذلك لم يجز دخول (إلا) كما إنك لا تقول: ضربت إلا أخاك، ولا ذهب إلا أخوك، [دون أن تقول: ضربت القوم، وذهبْ القوم][(٦)] وأنشد:

فهل[(٧)] لي أم غيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لها ابنما[(٨)(٩)]

---

(١) «تهذيب اللغة» (أبى) ١/ ١١٣، وقد زاد اللغويون: قلى يقلى، وغشى يغشى، وشجى يشجى، وجبى يجبى. انظر: المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ح): (إباءة)، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في «تهذيب اللغة» (أبى) ١/ ١١٣.

(٤) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٢.

(٥) في النسخة (ح) اضطراب وتحريف، ونص قول الفراء فيها: ودخلت (إلا) أن في أثبت طرفًا من الجحد ألا ترى أن أثبت لقولك لم أفعل . . .إلخ، وما في (م) و(ى) موافق لما في «معاني القرآن».

(٦) ما بين المعقوفين ليس موجودًا في «معاني القرآن» ١/ ٤٣٣.

(٧) في «معاني القرآن»: وهل.

(٨) في (ح) و(م): (ابنا، والصواب ما في (ى) كما في «معاني القرآن» ١/ ٤٣٣.

(٩) البيت للمتلمس، وهو في «ديوانه» ص٣٠. وانظر: «الأصمعيات» ص٢٤٥، و«خزانة الأدب» ١٠/ ٥٨، و«المقاصد النحوية» ٤/ ٥٦٨، و«المقتضب» ٢/ ٩٣.

وقال الزجاج: «دخلت (إلا) ولا جحد في الكلام، وأنت لا تقول: ضربت إلا زيدا؛ لأن الكلام غير دال على المحذوف، وإذا قلت: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ فالمعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره، والحذف مستعمل مع الإباء»[١]، وأنكر قول الفراء فقال: «لو جاز ما قال على أن فيه طرفًا من الجحد لجاز: كرهت إلا أخاك، ولا دليل ههنا على المكروه ما هو؟ ولا من هو؟ ف(كرهت) مثل (أبيت) [إلا أن أبيت][٢] الحذف مستعمل معها[٣]»[٤].

٣٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾، قال ابن عباس: «يريد: محمدًا ﷺ[٥] ﴿بِالْهُدَى﴾ قال: بالقرآن[٦]، وقيل: بالبيان الذي يؤدي إلى نعيم الثواب في الجنة»[٧]، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾، قال ابن عباس: «يريد الحنيفية»[٨]، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [قال ابن عباس: «ليظهر الرسول على الدين كله»[٩]][١٠] يعني[١١]: ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهر

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ح).

(٣) ساقط من: (ح).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٤ وأكثر الجمل منقولة بالمعنى.

(٥) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٢.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ٩٩ أ، والفيروزأبادي ص١٩٢.

(٧) ذكره بنحوه الثعلبي في الموضع السابق، ولم يعين القائل.

(٨) رواه الفيروزأبادي ص١٩٢ بلفظ: «دين الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله».

(٩) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٦، والبيهقي في «سننه» ٩/ ٣٠٦، والثعلبي ٦/ ٩٩ أ وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(١١) من (م).

عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء.

وقال في رواية عطاء: «ليعليه على جميع الأديان»[١]، وعلى هذا اختلفوا: فقال أبو هريرة والضحاك: «ذلك عند خروج عيسى»[٢].

وقال السدي: «ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في دين الإسلام، أو أدى الخراج»[٣]، وقال الكلبي: «لا تقوم الساعة حتى يكون ذلك»[٤].

وقال أهل المعاني: «معناه: ليعلي دين الإسلام على كل دين بالحجة

---

(١) رواه بمعناه ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٦ ب، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب النكاح، رقم (١٣٩٨٦) ٧/ ٢٨٠ من رواية عكرمة.
قال الإمام الشافعي: «فقد أظهر الله جل ثناؤه دينه الذي بعث به رسول الله ﷺ على الأديان بأن أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل، وأظهره بأن جماع الشرك دينان: دين أهل الكتاب، ودين الأميين فقهر رسول الله ﷺ الأميين .. وقتل من أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم الإسلام، وأعطى بعضٌ الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه ﷺ وهذا ظهور الدين كله».
«سنن البيهقي الكبرى»، كتاب السير، باب ظهور دين النبي ٩/ ٣٠١.

(٢) رواه عن أبي هريرة الإمام ابن جرير ١٠/ ١١٦، وفي سنده راوٍ لم يسم.
ورواه أيضًا عبد بن حميد وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٤/ ١٧٦، وذكره عنه بغير سند الثعلبي ٦/ ٩٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٠ وقد روياه في نفس الموضع عن الضحاك.
وقد جاء في «الصحيحين» ما يشهد له من بعض الوجوه، وهو قول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**». رواه البخاري (٢٤٧٦)، كتاب المظالم، باب كسر الصليب، ومسلم (١٥٥)، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى عليه السلام ...

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ٩٩ أ، وذكره القرطبي ٨/ ١٢١.

(٤) رواه الثعلبي في الموضع السابق.

والغلبة»[١]، وقد صح ظهوره عليها فحجة هذا الدين أقوى الحجج، والغلبة لهذا الدين على سائر الأديان؛ فإن أهل الإسلام يغزون أهل سائر الملل، [وأهل سائر الملل][٢] لا يغزون أهل الإسلام[٣].

وقيل: أراد في جزيرة العرب[٤]، وحصل ذلك بإجلاء أهل الذمة منها، وظهور الدين فيها كلها.

٣٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾ قال ابن عباس: «يريد أن كثيرًا من الفقهاء والعباد من أهل

---

(١) رواه بنحوه الثعلبي ٦/ ٩٩ ب، عن الحسين بن الفضل الموصوف بأنه إمام عصره في معاني القرآن كما في «طبقات المفسرين» للسيوطي ص٣٧، وهو أيضًا قول النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ١٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) هذا يوم كان المسلمون أمة واحدة معتصمين بحبل الله، مستمسكين بدينه، وكان الله يدافع عنهم، ويعلي شأنهم، ويقذف الرعب في قلوب أعدائهم، أما اليوم بعد أن طال على المسلمين الأمد، وقست قلوبهم، وتفرقت كلمتهم، وقذف في قلوبهم الوهن -حب الحياة وكراهية الموت- فقد تسلط عليهم الأعداء، وأصبحت بلاد المسلمين نهبًا لكل طامع، وصدق فيهم قول نبيهم ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة يومئذٍ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**». رواه أحمد ٥/ ١٧٨ بسند صحيح كما في «صحيح الجامع الصغير» رقم (٨١٨٣).

(٤) ذكره بمعناه الثعلبي ٦/ ٩٩ ب، والبغوي ٤/ ٤٠، وبلفظه القرطبي ٨/ ١٢٢، وأبو حيان ٥/ ٣٣، ولم يعين أحد منهم القائل.

وهذا القول فيه نظر؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر**». رواه أحمد في «المسند» ٤/ ١٠٣، ٦/ ٤.

الكتاب»[١]، وقال السدي: «أما الأحبار فمن اليهود، وأما الرهبان فمن النصارى»[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ هو ما ذكرنا في مواضع من أخذهم الرشى[٣] في الحكم وما كانوا يصيبونه من المآكل من سفلتهم، وخافوا ذهاب ذلك عنهم بتصديق النبي ﷺ لو صدقوه، فصرفوا الناس عن الإيمان به، فذلك قوله[٤]: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: «يريد قريظة والنضير وصدهم[٥] عن طاعة الله»[٦]، قال أهل المعاني: «أراد بقوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ يتملكونها، فوضع يأكلون موضعه؛ لأن الأكل عرّضهم لذلك»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ ذكر في محل «الذين» قولان: أحدهما: النصب بالعطف على اسم إن، فيكون المعنى

---

(١) ذكره السمرقندي ٢/ ٤٦ بلفظ: الأحبار: العلماء، والرهبان: أصحاب الصوامع، وبنحوه في «تنوير المقباس» ص٢٩٢.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٧، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٧.

(٣) الرشى: بضم الراء وكسرها، جمع رشوة، وهي ما يعطاه من يعين على الباطل. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (رشا) ٢/ ٢٢٦، و«لسان العرب» (رشا) ٣/ ١٦٥٣.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (ح) و(ى): (فصدهم).

(٦) في «تنوير المقباس» ص١٩٢: («ويصدون عن سبيل الله»: عن دين الله وطاعته.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٢٨، و«مفاتيح الغيب» ١٦/ ٤٣ ولم أجد من ذكره من أهل المعاني.

ويأكلها الذين يكنزون. **والثاني**: الرفع بالاستئناف[١]، والقولان مبنيان على سبب النزول.

واختلفوا في نزول الآية، فالأكثرون على أن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ﴾ إلى آخره مستأنف نازل في هذه الأمة، قال ابن عباس في رواية عطاء: «﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ يريد: من المؤمنين»[٢]، وقال السدي: «أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهم أهل القبلة»[٣]، وروي عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية فقال: هم أهل الكتاب، وهي خاصة [عامة][٤]، قال أهل العلم: «أراد أن الآية نازلة في أهل الكتاب وهي خاصة][٥] فيمن لم يؤد الزكاة من المسلمين، عامة في جميع أهل الكتاب من أنفق ومن[٦] لم ينفق؛ لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم وإن أنفقوا»[٧]، وقال أبو ذر: «كنت بالشام فقرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ فقال معاوية: ليست هذه الآية فينا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب، فقلت: إنها لفينا وفيهم»[٨].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٤-١٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٣٦، و«الدر المصون» ٦/ ٤١.

(٢) ذكره بنحوه ابن الجوزي ٣/ ٤٢٩.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٨.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢٠ من رواية العوفي.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) من (م).

(٧) القول لابن جرير، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٢١، والمتبادر إلى الذهن أن معنى قول ابن عباس -إن صح عنه-: هي خاصة في أهل الكتاب، عامة فيمن فعل فعلهم من المسلمين.

(٨) رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الزكاة، باب ما ذكر في الكنز ..=

وأصل الكنز في كلام العرب: الجمع، وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز، على ظهر الأرض كان أو في بطنها، يدل على ذلك قول الهذلي[(١)]:

لا دَرَّ دَرّي إن أطعمت نازلكم
قِرْف الحتيّ وعندي البر مكنوز[(٢)]

وقال الليث: «يقال: كنز الإنسان مالًا يكنزه، والكنز: اسم للمال إذا أحرز في وعاء»[(٣)]، يقال: كنزت البر في الجراب فاكتنز، واختلفوا في المراد بهذا الكنز، وترك هذا الإنفاق، فالذي عليه الأكثرون -وهو الإجماع اليوم- أن المراد بهذا الكنز هو جمع المال الذي لا تؤدى زكاته[(٤)].

= ٣/ ٢١٢، ورواه مطولًا البخاري (١٤٠٦)، كتاب: الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، وابن جرير ١٠/ ١٢١- ١٢٢، والثعلبي ٦/ ١٠٣ ب.

(١) هو: المتنخل الهذلي، وهو مالك بن عويمر أو عمرو بن عثمان بن حبيش الهذلي، أبو أثيلة، شاعر مجيد، من نوابغ شعراء هذيل. انظر: «خزانة الأدب» ٢/ ١٣٥، و«الشعر والشعراء» ص٤٣٨، و«الأعلام» ٥/ ٢٦٤.

(٢) البيت منسوب للمتنخل في «شرح أشعار الهذليين» ٣/ ١٢٦٣، و«جمهرة اللغة» (برر) ١/ ٦٧، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ٥٥٠، و«لسان العرب» (برر) ١/ ٢٥٤، كتاب «المعاني الكبير» ١/ ٣٨٤، ونسب البيت لأبي ذؤيب الهذلي في كتاب «الحيوان» ٥/ ٢٨٥، و«شرح شواهد الشافية» ص٤٨٨، ونسب أيضًا للمتلمس، وهو في ملحق «ديوانه» ص٢٩١.
قال ابن قتيبة: «يقال: لا در در فلان: أي لا كانت له حلوبة ولا رزق، والحتي: سويق المقل، والقرف: ما انقشر منه» كتاب «المعاني الكبير» ١/ ٣٨٤.

(٣) «تهذيب اللغة» (كنز) ٤/ ٣١٩٢، ونحوه في كتاب «العين» (كنز) ٥/ ٣٢١.

(٤) انظر: «المصنف» للصنعاني ٤/ ١٠٦-١٠٨، ولابن أبي شيبة ٣/ ١٩٠، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١١٧-١٢٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٨-١٧٨٩، والثعلبي ٦/ ١٠٠أ- ١٠١ ب، و«الدر المنثور» ٣/ ٤١٧-٤١٩.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يؤدون زكاتها وهذا مذهب عمر وابنه وجابر، وقول ابن عباس[١] والضحاك[٢] والسدي[٣]، قال ابن عمر: «كل ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز، وإن كان فوق الأرض»[٤]، وقال عمر: «ما أدي[٥] زكاته فليس بكنز»[٦]، وقال جابر: «إذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز»[٧].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ «يريد: الذين لا يؤدون زكاة أموالهم»[٨].

---

(١) سيأتي تخريج قول ابن عباس ومن ذكر قبله.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ١٠٠ أ.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١١٨، والثعلبي ٦/ ١٠٠ أ.

(٤) رواه الصنعاني في «المصنف»، كتاب الزكاة، باب إذا أديت زكاته فليس بكنز، رقم (٧١٤١) ٤/ ١٠٧، وابن جرير ١٠/ ١١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٨، والثعلبي ٦/ ١٠٠ أ، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الزكاة، باب تفسير الكنز رقم (٧٢٣٠) ٤/ ١٣٩، ورواه مختصرًا مالك في «الموطأ»، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الكنز ١/ ٢١٨، وابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب الزكاة، باب ما قالوا في المال الذي تؤدى زكاته فليس بكنز ٣/ ١٩٠.

(٥) في (ى): (ما أدري).

(٦) رواه الصنعاني وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والثعلبي في المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٧) المصادر السابقة، نفس المواضع، عدا ابن جرير وابن أبي حاتم، ورواه أيضًا البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الزكاة، باب الدليل على أن من أدى فرض الله ... إلخ رقم (٧٢٣٩) ٤/ ١٤١.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢١، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٧، وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

وذهب آخرون إلى أن المراد بهذا جمع المال وإن أديت الزكاة، قال[١] علي ﷺ: «كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه[٢] الزكاة أو لم تؤد»[٣]، وقال عبد الواحد بن زيد[٤]: «كل ما فضل من المال عن حاجة[٥] صاحبه إليه فهو كنز»[٦]، وروى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية: «**تبًا للذهب تبًا للفضة** يقولها ثلاثًا» قالوا: يا رسول الله: فأي المال نتخذ؟ قال: «**لسانا ذاكرًا، وقلبا شاكرًا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه**»[٧].

---

(١) في (ى): (وقال)، وهو خطأ.

(٢) في (ح): (عنه).

(٣) رواه الصنعاني في «المصنف»، كتاب الزكاة، باب كم الكنز؟ رقم (٧١٥٠) ٤/ ١٠٩، وابن جرير ١٠/ ١١٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٨٨، والثعلبي ٦/ ١٠٠ ب.

(٤) هو: عبد الواحد بن زيد القاص، أبو عبيدة البصري، عابد قاص مشهور، له حكايات في الزهد والرقائق، لكنه ليس له علم بالحديث، قال البخاري: منكر الحديث، يذكر بالقدر، وقال الجوزجاني: سيء المذهب، ليس من معادن الصدق، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه. انظر: «حلية الأولياء» ٦/ ١٥٥، و«صفة الصفوة» ٣/ ٢١٧، و«تعجيل المنفعة» ١/ ٨٣٠.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠٠ ب.

(٧) رواه الترمذي (٣٠٩٤)، كتاب تفسير القرآن، سورة براءة، وابن ماجه، (١٨٥٦) كتاب النكاح، باب أفضل النساء، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٦٦)، وابن جرير ١٠/ ١١٩، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٥٠)، وصححه الألباني كما في «صحيح ابن ماجه» (١٥٠٥)، وقال الترمذي: حديث حسن، وقال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٢/ ٧١: حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب.

وعن أبي ذر قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة، فلما رآني قد أقبلت قال: «**هم الأخسرون ورب الكعبة، [هم الأخسرون ورب الكعبة]**[(١)]» قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: «**الأكثرون، إلا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ما هم**»[(٢)].

وروي هنا أيضًا عن جماعة من الصحابة أنهم ذهبوا إلى أن[(٣)] هذه الآية فيمن ادخر المال عن الإنفاق في سبيل الله بعد الزكاة أيضًا[(٤)].

والصواب: القول الأول؛ لأنه لا وعيد لمن جمع المال من الحلال وأدى الزكاة لقوله ﷺ: «**من أدى زكاة ماله فقد أدى الحق الذي عليه**»[(٥)]، وقوله ﷺ: «**نعما بالمال الصالح للرجل الصالح**»[(٦)]، وقول ابن عمر

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٨)، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي؟ ومسلم (٩٩٠)، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، والترمذي (٦١٧)، كتاب الزكاة، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في منع الزكاة من التشديد، والنسائي، كتاب الزكاة، باب التغليظ في حبس الزكاة ٥/ ١٠، ١١.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) ذكر منهم علي بن أبي طالب وأبو ذر وأبو هريرة وعمار بن ياسر. انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠١ أ، وابن كثير ٢/ ٣٨٨، وبعض الأسانيد إليهم ضعيفة.

(٥) حديث ضعيف، رواه أبو داود في «المراسيل» عن الحسن عن النبي ﷺ، كما في «تلخيص الحبير» ٢/ ١٦٠، ومن طريق أبي داود رواه البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الزكاة، باب الدليل على أن من أدى فرض الله . . . إلخ رقم (٧٢٤١) ٤/ ١٤٢، وانظر «ضعيف الجامع الصغير»، رقم (٥٣٧٩).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ٢٠٢، وذكره البغوي في «شرح السنة»، كتاب الرقاق، باب استحباب طول العمر . . . ٧/ ٣١٩ بغير سند.

-وسئل عن هذه الآية-، فقال: «من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، وما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهبًا أعلم عدده أزكيه وأعمل بطاعة الله فيه»[١]، فعلى هذا من كان له دراهم أو دنانير فدفنها تحت الأرض وهو[٢] يؤدي زكاتها فهو بمعزل عن[٣] الوعيد المذكور في هذه الآية، ولا يطلق اسم الكنز بالشرع على ذلك المال[٤]، وإن كان له مال فوق الأرض وهو لا يؤدي زكاته فذلك المال بالشرع يسمى[٥] كنزًا، ولحقه الوعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قال الفراء والزجاج: «إن شئت جعلت الكناية[٦] راجعة إلى مدلول عليه، وهو الكنوز كأنه قال: ولا

---

(١) رواه ابن ماجه (١٧٨٧)، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، والبيهقي في «السنن الكبرى»، باب تفسير الكنز .. رقم (٧٢٢٩) ٤/ ١٣٩، ورواه البخاري (١٤٠٤) مختصرًا، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز.

(٢) من (م).

(٣) في (ى): (من).

(٤) ومما يؤيد ذلك ما يأتي:
أ - أن الله تعالى شرع الوصية والمواريث، ولو كان انفاق جميع المال واجبًا لما كان لمشروعية ذلك فائدة.
ب- نهي النبي ﷺ سعدًا أن يتصدق بجميع ماله، بل وأن يتصدق بأكثر من الثلث وذلك في مرضه الذي غلب على ظنه موته فيه، ثم تعليل النبي ﷺ ذلك بقوله: «.. **فالثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم**» رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير .. ٤/ ٤٧، وهذا الحديث كان بعد فتح مكة كما جاء في أوله، فهو مبين ما استقر عليه الإسلام.

(٥) في (م): (يسمى بالشرع) . . . إالخ.

(٦) يقصد الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ بالإفراد، وهو يعود إلى الذهب والفضة، وكان الظاهر أن يقول: ولا ينفقونهما.

ينفقون الكنوز»[١]، قال الزجاج: «ويجوز أن يكون محمولًا على الأموال[٢]؛ لأن الأموال هي الذهب والفضة، قال: ويجوز أن تكون: ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة»[٣]، وهذا معنى قول الفراء: «وإن شئت اكتفيت بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] فجعله[٤] للتجارة، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢][٥] فجعله للإثم، وأنشدوا[٦]:

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ... ـدك راض والرأي مختلف[٧]

وأنشد الفراء للفرزدق:

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى ... وأبي[٨] وكان وكنت غير غدور[٩]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٤، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٤٥.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) في (ح): (فجعلها).

(٥) قد كرر ناسخ (ح) ذكر هذه الآية وزاد بعد الموضع الأول قوله: فجعله للتجارة.

(٦) عبارة الفراء: وقال الشاعر في مثل ذلك.

(٧) البيت لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ٢٧٩، و«شرح شواهد الإيضاح» ص١٢٨، و«اللسان» (فجر) وقيل: هو لقيس بن الخطيم، كما في «زيادات ديوانه» ص٢٣٩، و«تلخيص الشواهد» ص٢٠٥، و«الدرر اللوامع» ٥/ ٣١٤، و«كتاب سيبويه» ١/ ٧٥، ونسب في «الإنصاف» ص٨٥ لدرهم بن زيد الأنصاري.

(٨) في (ح): (وأتى).

(٩) البيت للفرزدق كما في: «الإنصاف» ٨٥٥٥، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ٢٢٦، و«كتاب سيبويه» ١/ ٧٦، و«لسان العرب» (قعد) ٦/ ٣٦٨٨ وليس في ديوانه.

ولم يقل غدورين، وذلك لاتفاق المعنى يكتفى بذكر الواحد»[١].

وهذا أيضًا مذهب أبي عبيدة قال: «صار الخبر عن أحدهما كالخبر[٢] عنهما، وأنشد قول ضابيء البرجمي[٣]:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب[٤][٥]

وإلى هذا ذهب صاحب النظم وزاد بيانًا فقال: «الذهب والفضة في أنهما جميعًا ثمنان للأشياء كلها[٦] ويكنزان، وهما جميعًا جوهران يدخران يجريان في عامة الأمور مجرى واحدًا، فاقتصر في الكناية عن أحدهما دون الآخر؛ إذ[٧] في ذكر أحدهما ذكر لهما[٨] جميعًا»، وقال أبو بكر بن الأنباري: «اكتفى بإعادة الذكر على الفضة لأنها أقرب إلى العائد وأعم وأغلب، كقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا﴾ [البقرة: ٤٥] ردّ الكناية إلى الأغلب والأقرب»[٩].

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ أي ضع الوعيد بالعذاب

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٤.

(٢) في (ى): (عن الآخر).

(٣) هو بن الحارث بن أرطاة البرجمي التميمي. تقدمت ترجمته.

(٤) البيت لضابيء البرجمي كما في «الأصمعيات» ص١٨٤، و«الإنصاف» ص٨٥، و«خزانة الأدب» ٩/ ٣٢٦، و«كتاب سيبويه» ١/ ٧٥، و«لسان العرب» (قير) ٦/ ٣٧٩٣، و«نوادر أبي زيد» ص٢٠.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٧ بنحوه.

(٦) ساقط من (ى).

(٧) ساقط من (ى).

(٨) في (ح) و(ى): (ذكرهما).

(٩) ذكر قول ابن الأنباري بلفظ مقارب الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٠٢ أ.

الأليم موضع[(١)] البشرى بالنعيم، ويجوز أن يكون المعنى: فأخبرهم؛ لأن أصل البشرى: ما يظهر في بشرة الوجه من فرح أو غم، إلا أنه أكثر[(٢)] في الفرح، وكلا القولين مما مضى الكلام فيه[(٣)].

٣٥- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الآية، «يوم» ظرف للعذاب الأليم في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾: قال الأصمعي: «أحميت الحديدة في النار فأنا أحميها إحماءً حتى حميت تحمى[(٤)] حميا»[(٥)]، وذلك إذا أوقدت عليها، وقوله: ﴿عَلَيْهَآ﴾ ليس منه[(٦)] صلة الإحماء؛ لأنه يقال: أحميت الحديدة ولا يقال: على الحديدة، إلا إذا جعل (على) من صلة معنى الإحماء، وهو الإيقاد فمعنى قوله: «يحمى عليها» أي يوقد عليها، أنشد ابن السكيت[(٧)]:

إن كنت جلمود بصر[(٨)] لا أؤبسه أوقد عليه فأحميه فينصدع[(٩)]

---

(١) في (ى): (مع).
(٢) في (م): (كثر).
(٣) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٩٧.
(٤) ساقط من: (ى).
(٥) اهـ كلام الأصمعي، انظر: «تهذيب اللغة» (حمي) ١٠١٣.
(٦) ساقط من (ح).
(٧) انظر: «تهذيب إصلاح المنطق» ص٨٣، و«تهذيب اللغة» (أبس) ١/ ١٠٧.
(٨) في (ح): (نصرًا)، وهو خطأ.
(٩) البيت لعباس بن مرداس. انظر «ديوانه» ص٨٦، و«تهذيب إصلاح المنطق» ص٨٣، و«لسان العرب» (أبس) و(بصر).
والجلمود: الصخر الغليظ، والبصر: الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض، =

والكناية[١] في ﴿عَلَيۡهَا﴾ تعود إلى ما عادت في قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾[٢]، قال ابن عباس: «﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الكنوز»[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا﴾ معنى الكي في اللغة: إلصاق الحار من نار[٤] أو حديدة بالعضو حتى يحترق الجلد، يقال: كوى البيطار[٥] بالمكواة يكوي كيًا، وقوله تعالى: ﴿جِبَاهُهُمۡ﴾ جمع الجبهة وهي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية، والأجبه: الرجل العريض الجبهة، وجبهت الرجل: إذا استقبلته بمكروه، كأنك ضربت به جبهته.

والجنوب: جمع الجنب، وهو الجانب المشبك بالعظام المقوسة، قال المفسرون: «من كان له مال في الدنيا لم يؤد زكاته أحمي دراهمه ودنانيره في نار جهنم وكوي بها في هذه المواضع، لا يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم، ولكن يوسع جلده، فيوضع بكل درهم ودينار

= ومعنى أؤبسه: أذلله. انظر: «لسان العرب» (أبس، بصر، جلمد)، قال ابن السكيت: «يقول: إني أقدر عليك على كل وجه، ولو كنت حجرًا لا يذلل لأوقدت عليه حتى يتفتت». «تهذيب إصلاح المنطق» ص٨٣.

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ى): (زيادة نصها: «إلصاق الحار من النار»، ولا معنى لها في هذا الموضع، وسيأتي موضعها عند قوله تعالى: ﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا﴾.

(٣) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٢، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٢.

(٤) في (ى): (بالنار).

(٥) البيطار: «معالج الدواب». انظر: «لسان العرب» (بطر) ١/ ٣٠١.

كية على جلده»[١]، وهذا معنى قول ابن مسعود[٢] وابن عباس[٣]، وكان أبو ذر يقول: «بشر الكانزين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم»[٤]، ولهذا المعنى الذي أشار إليه أبو ذر خصت هذه المواضع [بالكي؛ لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل، وكان أبو بكر الوراق[٥] يقول: خُصت هذه المواضع][٦]؛ لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه[٧]، وولاه ظهره»[٨].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: يقال لهم: هذا الذي تكوون به ما جمعتم لأنفسكم وبخلتم به عن حق الله، وإضمار القول كثير في القرآن.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠٢ ب، والبغوي ٤/ ٤٤، و«الدر المنثور» ٣/ ٤١٩-٤٢٠.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٠، والثعلبي ٦/ ١٠٢ ب، والطبراني وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٩. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٤: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٣) رواه مختصرًا ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤١٩.

(٤) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٧٣، وابن جرير ١٠/ ١٢٣.

(٥) هو: محمد بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الوراق، الإمام المحدث، كان حافظًا ثقة من شيوخ الدارقطني والبرقاني، ولد سنة ٢٩٣هـ، وتوفي سنة ٣٧٨هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ٥٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٦/ ٣٨٨، و«شذرات الذهب» ٣/ ٩٢.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف، وقيل غير ذلك، وطوى عنه كشحه: أي قاطعه وعاداه، وقيل: أعرض عنه وتباعد.
انظر: «مجمل اللغة» (كشح) ٣/ ٧٨٦، و«لسان العرب» (كشح) ٧/ ٣٨٨٠.

(٨) ذكره البغوي ٤/ ٤٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٣، وبمعناه الثعلبي ٦/ ١٠٢ ب.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ من باب حذف المضاف، أي: ذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون، وحديث أبي هريرة يفسّر هذه الآية، وهو ما أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم(١) [رحمه الله قال(٢): أنا(٣) أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قال: أخبرنا(٤) أبو يحيى أحمد بن محمد بن إبراهيم](٥) السمرقندي(٦) قال: ثنا محمد بن نصر المروزي(٧) قال: ثنا محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب(٨) قال: ثنا عبد العزيز بن المختار(٩) قال: ثنا

---

(١) هو الثعلبي، شيخ المؤلف، وقد تقدمت ترجمته عند ذكر شيوخه.

(٢) سقطت كلمة: (قال) من (ح) و(م) في جميع السند على عادة المحدثين.

(٣) في (م): (حدثنا) في جميع السند دون اختصار الكلمة.

(٤) في (ى): (أنا)، على عادة المحدثين.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حازم أبو يحيى السمرقندي الكرابيسي، روى عن محمد بن نصر وابن خزيمة، اتهم في إكثاره من الرواية عن ابن نصر، وقد ثبت أن ابن نصر أجاز له بما صح عنده عنه.
انظر: «ميزان الاعتدال» ١/ ١٢٩، و«لسان الميزان» ١/ ٢٥١.

(٧) هو: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ، إمام عصره في الحديث بلا مدافعة، وكان من أعلم أهل زمانه بالاختلاف، وأكثرهم صيانة في العلم، مع حسن العبادة، وجودة التصنيف، توفي سنة ٢٩٤هـ.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٥٠، و«البداية والنهاية» ١١/ ١٠٢، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٧١٧.

(٨) هو: محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب محمد بن عبد الله الأموي، أبو عبد الله البصري، إمام ثقة محدث فقيه، من رجال مسلم، توفي سنة ٢٤٤هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ٣٤٤، و«سير أعلام النبلاء» ١١/ ١٠٣، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٣٤.

(٩) هو: عبد العزيز بن المختار الأنصاري، أبو إسحاق الدباغ البصري، مولى حفصة =

سهيل[١] عن أبيه[٢] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم، فيجعل صفائح، فتكوى بها جبينه وجنباه، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[٣].

٣٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ الآية، قد ذكرنا معنى العدة والشهر في سورة البقرة[٤]، قال أبو إسحاق: «أعلم

= بنت سيرين، ثقة مكثر، من رجال البخاري ومسلم، وهو من الطبقة السابعة الذين توفوا بعد سنة ١٠٠هـ. انظر: «الكاشف» ٢/ ٦٥٨، و«تقريب التهذيب» ٣٥٩/ ٤١٢٠، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٩٣.

(١) هو: سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان، أبو يزيد المدني، محدث مكثر، وثقه الجمهور وضعفه ابن معين وغيره، وقد تغير حفظه بآخره، وهو من رجال مسلم، وروى له البخاري مقرونًا بغيره، توفي سنة ١٣٨هـ.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٤٧١، و«تقريب التهذيب» ص٢٥٩/ ٢٦٧٥، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٢٨.

(٢) هو ذكوان، أبو صالح السمان الزيات، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني، تابعي ثقة ثبت من أجل الناس وأوثقهم، كثير الحديث، مات سنة ١٠١هـ.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٣٨٦، و«تقريب التهذيب» ص٢٠٣ (١٨٤٢)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥٧٩.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٩٨٧)، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وأبو داود في «سننه» (١٦٥٨)، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٦٢، ٣٨٣.

(٤) انظر النسخة الأزهرية: (١/ ١١٢ ب) وقد قال هنا: (والعدة: (فعله) من العد، وهو بمعنى المعدود، كالطحن بمعنى المطحون، ومنه يقال للجماعة المعدودة من الناس: عدة، وعدة المرأة من هذا) اهـ. وقال في نفس النسخة (١/ ١١٣ ب): ((الشهر مأخوذ من الشهرة، تقول: شهر الشيء يشهره شهرًا، إذا أظهره، وسمي الشهر شهرًا لشهرة أمره في حاجة الناس إليه في معاملاتهم . . . إلخ).

الله ﷻ أن عدة شهور المسلمين التي تُعبدوا بأن يجعلوها لسنتهم اثنا عشر شهرًا، على منازل القمر، واستهلال الأهلة، وكان أهل الكتاب يعملون على أن السنة ثلثمائة وخمس وستون يومًا وبعض يوم، على هذا يجري أمر النصارى واليهود، فأعلم الله ﷻ أن سني المسلمين على الأهلة»[١].

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، قال الواقدي: «يعني اللوح المحفوظ»[٢]، وهو قول عامة أهل التأويل[٣]، ونحو هذا يحكى عن ابن عباس ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ قال: «في الإمام[٤] الذي عند الله كتبه يوم خلق السموات والأرض»[٥].

قال أبو علي الفارسي: «[لا يجوز تعلق][٦] الكتاب بالعدة؛ لأن فيه[٧] فصلًا بين الصلة والموصول بالخبر الذي هو اثنا عشر، ولكنه يتعلق بمحذوف على أن يكون صفة للخبر تقديره: «اثنا عشر شهرًا مكتوبًا في كتاب الله»، قال: والكتاب لا يكون إلا مصدرًا، ولا يجوز أن يعنى به كتاب من الكتب؛ وذلك لتعلق اليوم به، وسائر الظروف لا تتعلق بأسماء الأعيان؛ لأنه لا معاني في أسماء الأعيان للفعل، (لا تقول: غلامك يوم الجمعة)، على أن يتعلق اليوم بالغلام، فبهذا يعلم أنه

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٤٥ باختصار وتصرف.

(٢) لم أجده في كتابه «المغازي».

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٢٤- ١٢٩، والثعلبي ٦/ ١٠٥ أ، وابن الجوزي ٣/ ٤٣٢.

(٤) في (م): (الأيام)، وهو خطأ.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٣٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٤.

(٦) في (ح): (يجوز أن لا يعلق)، وما أثبته موافق لما في «الحجة للقراء السبعة».

(٧) في (ى): (فيها)، وما أثبته موافق لما في «الحجة».

مصدر» هذا كلامه[١].

ويمكن أن يكون الكتاب اسمًا على ما ذكره أهل التفسير[٢]، ويضمر للظرف ما[٣] يتعلق به على أن يكون المعنى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: كتبه يوم خلق السموات والأرض، على ما يحكى عن ابن عباس[٤]، وذكر أبو علي هذه الآية في «المسائل الحلبية»، فقال: «الفائدة في قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بعد قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أن في ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ من الاختصاص ما ليس في قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ألا ترى أنه قد توصف أشياء بأنها عنده ولا توصف بأنها في كتابه كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ففي ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ معنى زائد على ما في ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فجرى في هذا المعنى مجرى قولك: خرج من الدار من البيت[٥] و﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بالمصدر الذي هو العدة وهو العامل فيه.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف لأنه صفة لـ (اثني عشر) قال: ويجوز أن يكون متعلقا بـ «حرم» على تقدير: منها أربعة حرم في كتاب الله، أي: فيما كتب الله يوم خلق السموات والأرض، والمعنى: أن الحرم منها في كتاب الله أي فيما فرض كونه[٦] حرمًا أربعة أشهر لا أكثر

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٤٥٨ بتصرف، والجملة التي بين القوسين مزيدة في كلام أبي علي.

(٢) سبق ذكر قول ابن عباس وعامة أهل التأويل.

(٣) في (ح): (وما).

(٤) سبق تخريجه عند ذكر أول الآية.

(٥) في (ى): (خرج من البيت)، والصواب ما في (ح) و(م)، وهو موافق لما في المسائل الحلبيات.

(٦) في (ى): (من كونه)، وما في (ح) و(م) موافق لما في «المسائل الحلبيات».

منه[١]، فإذا نسأتم أنتم الشهور فجعلتم[٢] أكثر من أربعة أشهر وحللتم ما حرم الله وحرمتم ما أحل الله كان ذلك زيادة في الكفر، كما ذمهم الله بفعل ذلك»[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ وهي: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم[٤]، في قول الجميع، ومعنى الحرم: أنه يعظم انتهاك المحارم فيها بأشد[٥] مما يعظم في غيرها، وكانت العرب تعظمها حتى لو لقي الرجل منهم قاتل أبيه لم يهجه.

قال أهل المعاني: «وفي جعل بعض الشهور أعظم حرمة من بعض فوائد من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها في حكم خالقها، فربما أدى ذلك إلى ترك الظلم رأسًا؛ لانطفاء الثائرة في تلك المدة»[٦].

---

(١) في «الحلبيات»: منها.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي «الحلبيات»: جعلتم، وتصرف الواحدي يغيّر المعنى الذي يريده أبو علي؛ فمعنى عبارة أبي علي: إن الله حرّم أربعة أشهر فقط فإذا نسأتم الشهور كانت الحرم أكثر من أربعة، بينما جملة (فجعلتم أكثر من أربعة أشهر) في عبارة الواحدي تفسير لمعنى النسيء ولا يتم بها المعنى، ولذا اضطر لزيادة جملة (كان ذلك زيادة في الكفر) ليتم المعنى، وهذه الجملة بهذا المعنى مقحمة في كلام أبي علي.

(٣) «المسائل الحلبيات» ص٣٠٧ بتصرف.

(٤) في (ح) و(ى): (رجب والمحرم... إلخ.

(٥) في (ى): (أشد)، وقد أثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لما في «الوسيط» ٢/ ٤٩٤.

(٦) ذكره بنحوه الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٦٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٣٤ دون نسبة، ولم أجده في كتب أهل المعاني التي بين يدي.

وقد ذكرنا هذا مستقصى عند قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧][(١)] الآية.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الدين له معان كثيرة في اللغة، ومعناه ههنا[(٢)]: الحساب، ومنه قيل: «**الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**»[(٣)] أي: حاسبها، و«القيم»: معناه المستقيم، وقد ذكرناه عند قوله:

---

(١) انظر النسخة (ح) ٢/ ٧٤ أ حيث قال: (اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في هذه الآية، فقال ابن عباس في بعض الروايات: «قوله ﴿قيامًا للناس﴾ قيامًا لدينهم ومعالم لحجهم»، وقال سعيد بن جبير: «﴿قيامًا للناس﴾ صلاحًا لدينهم» فعلى هذا، القيام مصدر قولك: قام قيامًا والمعنى: إن الله جعل الكعبة سببًا لقيام الناس إليها للحج وقضاء النسك، فيصلح بذلك دينهم، لأنه يحط عنهم الذنوب والأوزار عندها ..

وقال جماعة من المفسرين وأكثر أصحاب المعاني: القيام ههنا يراد به القوام، وهو العماد الذي يقوم به الشيء، والتقدير فيه: جعل الله الحج للكعبة البيت الحرام قيامًا لمعاش الناس ومكاسبهم ..) إلخ.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) هذا بعض حديث رواه الترمذي (٢٤٥٩)، كتاب صفة القيامة، وابن ماجه (٢٤٦٠) في «السنن»، كتاب الزهد، باب ذكر الموت، وأحمد في «المسند» ٤/ ١٢٤، والحاكم في «المستدرك»، كتاب الإيمان ١/ ٥٧، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب الجنائز، باب ما ينبغي لكل مسلم .. رقم (٦٥١٤) ٣/ ٥١٧، والبغوي في «شرح السنة»، كتاب الرقاق، باب الاجتناب عن الشهوات، رقم (٤٠١١) ٧/ ٣٣٣.

قال الترمذي: حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، أبو بكر واه.

قلت: والحديث في جميع المصادر السابقة يدور على هذا الراوي الضعيف وهو أبو بكر ابن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي، قال الحافظ في «تقريب التهذيب» ص٦٢٣ (٧٩٧٤): («ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط».

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]. قال المفسرون وأهل المعاني: «ذلك الحساب المستقيم الصحيح، والعدد المستوي»[١]. وقال الحسن: «﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: الذي[٢] لا يبدل ولا يغير»[٣]، فالقيم على هذا بمعنى[٤]: القائم الدائم الذي لا يزول.

قال أهل العلم: «فالواجب على المسلمين بدليل هذه الآية أن يعتبروا به في بيوعهم، ومُدد ديونهم، وأحوال زكاتهم، وسائر أحكامهم، السنة العربية بالأهلة، ولا يجوز لهم[٥] اعتبار السنة العجمية والرومية[٦][٧].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: «تحفّظوا من أنفسكم فيها واجتنبوا الخطايا، فإن الحسنات فيها

---

(١) انظر: «تفسير غريب القرآن» ص١٩٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٠٦، و«النكت والعيون» ٢/ ٣٦٠، و«زاد المسير» ٣/ ٤٣٢.

(٢) في (ى): (أي).

(٣) ذكره الفخر الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٥٣.

(٤) في (ح): (معنى).

(٥) ساقط من: (ى).

(٦) السنة العجمية هي السنة الفارسية وهي اثنا عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا عدا شهر واحد فإنه خمسة وثلاثون يومًا، وأما السنة الرومية فهي أيضًا اثنا عشر شهرًا، لكن الشهور مختلفة فشهر ثمانية وعشرون يومًا، وشهر ثلاثون يومًا وشهر واحد وثلاثون يومًا، وتعرف اليوم بالسنة الميلادية.
انظر تفصيل ما سبق في: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٩٣٦.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٤٥، و«أحكام القرآن» لإلكيا الهراسي ٤/ ١٩٩، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٨/ ١٣٣.

تضعف والسيئات فيها تضعف»[١][٢]، فعلى هذا القول: الكناية تعود إلى الحرم، وهو قول قتادة، قال: «الظلم في الأشهر الحرم أعظم وزرًا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، فاصطفى من الملائكة رسلًا، ومن الناس، ومن الأرض والمساجد، والأيام والشهور والليالي، فعظموا ما عظم الله»[٣].

---

(١) السيئة لا تضعف بالمعنى المتبادر للتضعيف، وإنما يجزى بمثلها من غير زيادة كما قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولكن السيئة تعظم لسبب من الأسباب فيعظم جزاؤها، ومن ذلك: حرمة الزمان كما في هذه الآية وحرمة المكان كالحرم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ومن ذلك أيضًا مكانة الشخص، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، وكون الشخص ممن يقتدى به، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وغير ذلك من أسباب عظمة السيئة، وعلى هذا يحمل قول ابن عباس المذكور -ولا يصح عنه- وقد جاء ذلك مصرحًا به في رواية الوالبي الصحيحة، ونصها: «ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم». انظر تخريج الرواية في الهامش التالي.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٤٩٤، وقد سبق بيان أن رواية عطاء مكذوبة. ورواه بمعناه من رواية الوالبي الإمام ابن جرير ١٠/ ١٢٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٣، وابن المنذر والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٥ وفيه زيادة.

(٣) ذكر المؤلف قول قتادة بمعناه، وقد أخرجه ابن جرير ١٠/ ١٢٧، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٥، ورواه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٣، والثعلبي ٦/ ١٠٥ ب.

وقال محمد بن إسحاق: «﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بأن تجعلوا حرامها حلالًا، وحلالها حرامًا كما فعل أهل الشرك في النسيء»[(١)]، وعلى هذا: الكناية تعود إلى الشهور كلها [وقد روي عن ابن عباس أنه[(٢)] قال: «﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[(٣)]: في الشهور كلها»[(٤)]][(٥)]، وحكى الزجاج القولين جميعًا، وقال: «من قال في الأربعة: أراد تعظيم شأن المعاصي فيهن كما قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهذه الأشياء لا تجوز في غير الحج، ولكنه ﷻ عرّف الأيام التي تكون فيها المعاصي أكثر إثمًا وعقابًا»[(٦)]، واختار الفراء أن تكون الكناية راجعة إلى الأربعة لقوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ ولم يقل (فيها) كما قال: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ لما عادت الكناية إلى كلها، قال: وكذلك كلام العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة يقولون: لثلاث خلون، إلى العشرة [(فإذا جُزت العشرة)[(٧)] قالوا: خلت، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة][(٨)]: (هن) و(هؤلاء)[(٩)] فإذا جزت العشرة قالوا: (هي) و(هذه) إرادة أن تُعرف

---

(١) «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٠٦.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٢، واللفظ له، وابن المنذر والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٥.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٦ بنحوه.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ى).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٩) من (م).

سمة القليل من الكثير، قال: «ويجوز في كل واحد ما جاز في صاحبه»، وأنشد:

أصبحن في قُرح وفي داراتها سبع ليال غير معلوفاتها[١][٢]

ولم يقل: غير معلوفاتهن وهي سبع، وكل صواب؛ إلا أن المؤثر ما فسرت لك[٣].

والأصل في هذا أن جمع القلة يكنى عنه كما يكنى عن جماعة مؤنثة، ويكنى عن جمع الكثرة كما يكنى عن واحدة مؤنثة، كما قال حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى[٤] وأسيافنا يقطرن من نجدة[٥] دما[٦]

فقال: يلمعن ويقطرن؛ لأن الأسياف والجفنات جمع قلة، ولو جمع جمع[٧] الكثرة لقال: تلمع وتقطر، هذا هو الاختيار، ويجوز إجراء أحدهما مجرى الآخر، كقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[٨]

---

(١) في (ى): (معروفاتها)، وهو خطأ.

(٢) سبق تخريج هذا الرجز عند تفسير الآية ٢٥ من سورة براءة.
وقد بين ابن منظور في «لسان العرب» ٦/ ٣٥٧٤ أن (قُرْح) بضم القاف وسكون الراء: اسم وادي القرى أو سوق فيه.
والدارات: جمع دارة وهي كل أرض واسعة بين جبال. المصدر نفسه (دور) ٤/ ٢٩٦.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٥ باختصار.

(٤) في (ى): (في الضحى)، والمثبت موافق لديوانه.

(٥) في (م): (حدة)، والمثبت موافق لديوانه.

(٦) انظر: «شرح ديوان حسان» ص٢٢١ وقال الشارح: الجفنات: القصاع، والغر: البيض من كثرة الشحم وبياض اللحم، يصف حسان قومه بالندى والبأس.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) انظر: البيت في «ديوان النابغة» ص٣٢، ونسب إليه أيضًا في «إصلاح المنطق» ص٢٤، و«خزانة الأدب» ٣/ ٣٢٧، و«كتاب سيبويه» ٢/ ٣٢٦.

فقال: بهن والسيوف جمع كثرة، وروي عن ابن عباس أيضًا أنه قال: «﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ باستحلال القتل والغارة فيهن»[(١)]، وهذا يوجب ترك القتال في الأربعة الحرم، وبقاؤها على ما كانت قبل الإسلام، وقد ذكرنا الخلاف في هذا الحكم في سورة البقرة[(٢)]، في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، قال ابن عباس: «كافة: جميعًا»[(٣)]، يريد: قاتلوهم كلهم ولا تُحابوا[(٤)] بعضهم بترك القتال؛ كما أنهم يستحلون قتال جميعكم، ويجوز أن يكون المعنى: قاتلوهم بأجمعكم، مجتمعين على قتالهم كما يفعلون هم، يريد:

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٠٥ ب، والبغوي ٤/ ٤٥.

(٢) انظر النسخة الأزهرية: ١/ ١٣٢ أ حيث قال: (وأما حكم القتال في الشهر الحرام اليوم فالعلماء فيه مختلفون، قال ابن جريج: «حلف لي عطاء بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام، إلا أن يقاتلوا»، وروى أبو الزبير عن جابر قال: «لم يكن رسول الله ﷺ يغزوا في الشهر الحرام إلا أن يغزا، فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ»، وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام؟ قال: نعم، وقال ذلك سليمان بن يسار، وهو مذهب قتادة وغيره من العلماء، يرون القتال في الشهر الحرام، قال أبو عبيدة: والناس اليوم بالثغور جميعًا على هذا القول).

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٢٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٣، وابن المنذر والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٥، وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

(٤) في (ى): (تخافوا)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لـ «الوسيط» ٢/ ٤٩٤، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٥٤، والمحاباة: قال الخليل في كتاب «العين» (حبو) ٣/ ٣٠٩: «الحباء: عطاء بلا مَنّ ولا جزاء، حبوته أحبوه حباء، ومنه أخذت المحاباة». وفي «لسان العرب» (حبو) ٢/ ٧٦٦: «حابى الرجل حباء: نصره واختصه ومال إليه».

تعاونوا وتناصروا على ذلك ولا تتجادلوا، وكلا المعنيين يحتمله قوله[١]: جميعًا، والمعنى الثاني يوجب تعين فرض القتال على كل أحد، ونذكر الخلاف فيه في قوله ﷻ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] الآية.

قال الفراء: «كافة يقول: جميعًا، والكافة لا تكون مذكرة ولا مجموعة على عدد الرجال، فتقول: كافّين أو كافات للنسوة، ولكنها (كافة) بالهاء والتوحيد؛ لأنها وإن كانت على لفظ (فاعلة) فإنها في مذهب مصدر مثل: الخاصة والعاقبة والعافية[٢]؛ لذلك لم تُدخل فيها العرب الألف واللام؛ لأنها في[٣] مذهب قولك: قاموا معًا، [وقاموا جميعًا»[٤]][٥].

وقال الزجاج: ﴿كَآفَّةً﴾ منصوب على الحال، وهو مصدر على (فاعلة) كما قالوا: العاقبة والعافية، ولا يجوز أن يثنى ويجمع، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع، وكذلك (خاصة)، هذا مذهب النحويين»[٦].

---

(١) يعني ابن عباس.

(٢) من (ى).

(٣) في (ى): (من)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لـ «معاني القرآن» للفراء.

(٤) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٣٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٤٦ باختصار.
انظر نسبة القول للنحويين في: «تهذيب اللغة» (كف) ٤/ ٣١٦٤، و«لسان العرب» (كفف) ٧/ ٣٩٠٥، وانظر توضيح المسألة في: «البحر المحيط» ٢/ ١٢٠، و«الكليات» لأبي البقاء ص٧٧٥.

وقد أحكمنا الكلام في هذا الحرف عند قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، قال ابن عباس: «يريد مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلفهم من أمره ونهيه»[(٢)]، قال الزجاج: «تأويله أنه ضامن لهم النصر»[(٣)].

٣٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ الآية، قال أبو زيد: «نسأت الإبل عن الحوض فأنا أنسأها نسأ: إذا أخرتها عنه[(٤)]، وأنسأته الدين إنساءً: إذا أخرته عنه، واسم ذلك النسيئة والنسء»[(٥)].

قال[(٦)] [أبو عبيد عن الأصمعي: «أنسأ الله فلانا أجله [ونسأ في أجله][(٧)]: [أي أخره»[(٨)]][(٩)]، [وذكر الزجاج في باب الوفاق: «نسأ الله في

---

(١) انظر: النسخة الأزهرية: ١/ ١٢٦ ب حيث قال: ومعنى (الكافة) في اللغة: الحاجزة المانعة، يقال: كففت فلانًا عن السوء فكفّ يكف كفًّا .. وقيل لطرف اليد كف لأنه يكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: كف بصره من أن ينظر، فالكافة معناها المانعة، ثم صارت اسمًا للجملة الجامعة؛ لأنها تمنع من الشذوذ والتفرق.

(٢) «الوجيز» ٦/ ٤٨٦ مختصرًا.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧، والمراد أن هذه معية خاصة لأوليائه، تستلزم النصر والتأييد والحفظ والرعاية.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «تهذيب اللغة» (نسأ) ٤/ ٣٥٦٦ بلفظ مقارب، وبعضه في «الحجة» ٤/ ١٩٣.

(٦) من (ى).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) «تهذيب اللغة» (نسأ) ٤/ ٣٥٦٦، وهو في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٣ من غير نسبة.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (م) و(ى)، وهو كذلك غير موجود في المصدرين التاليين.

أجله وأنسأ أجله: أي أخره»[1]][2]، فالنسيء في اللغة: معناه: التأخير على ما ذكره أهل اللغة[3].

وكان النسيء في الشهور: تأخير حرمةٍ لشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة، قال الفراء: «النسيء: المصدر، ويكون المنسوء، مثل قتيل ومقتول»[4].

وقال الأزهري: «النسيء في هذه الآية بمعنى الإنساء، اسم وضع موضع المصدر الحقيقي من أنسأت، قال: وقد قال بعضهم: نسأت في هذا الموضع بمعنى أنسأت، ومنه قول عمير بن قيس بن جذل الطعان[5]:

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما[6][7]

---

(١) اهـ. كلام الزجاج، انظر: كتاب «فعلت وأفعلت» ص٤٠، و«معاني القرآن وإعرابه» ١/ ١٩٠ ولعل الزجاج ذكره في كتاب آخر فيه باب الوفاق، ولم أعثر عليه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر أيضًا: «الصحاح» (نسأ) ١/ ٧٦، و«مجمل اللغة» (نسى) ٣/ ٧٦٦.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٧.

(٥) هو: عمير بن قيس أحد بني علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، وجذل الطعان: لقب لجده علقمة، وقيل: بل لقب له، والأول هو الظاهر من مصادر تخريج البيت، وسمي بذلك لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل: لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به.

انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٤٥، و«الروض الأنف» ١/ ٢٥١.

(٦) انظر البيت منسوبًا لعمير بن قيس في «سيرة ابن هشام» ١/ ٤٦، و«تهذيب اللغة» (نسأ) ٤/ ٣٥٥٦، و«لسان العرب» (نسأ) ٧/ ٤٤٠٣.

(٧) اهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (نسأ) ٤/ ٣٥٥٦.

قال أبو علي: «النسيء: مصدر كالنذير والنكير، ولا يجوز أن يكون (فعيلا) بمعنى (مفعول)؛ لأنه إن[١] حمل على ذلك كان معناه[٢]: إنما المؤخَّر زيادة في الكفر[٣]، والمؤخر الشهر؛ وليس الشهر نفسه زيادة في الكفر إنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة، فأما نفس الشهر فلا»[٤]، فقد وافق أبو علي الأزهريَّ في أن النسيء موضوع[٥] موضع المصدر.

وهذا قراءة العامة[٦]، وروي عن ابن كثير[٧] من طريق شبل[٨]:

---

(١) ساقط من: (ى).

(٢) في (ى): (المعنى).

(٣) في (ح): (بالكفر).

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٩٣. (٥) ساقط من (ى).

(٦) «كتاب السبعة» (ص٣١٤)، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٥، و«تقريب النشر» ص٣٤، وقد أفاد المصدران الأخيران أن ورشًا وافق الجمهور في إحدى الروايتين عنه، وله رواية أخرى لفظها: (إنما النسيُّ) بغير همز ولا مد، والياء مشددة.

(٧) هو: عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الداري أبو معبد المكي، إمام المكيين في القراءة، وأحد القراء السبعة، كان فصيحًا بليغًا مفوهًا، عليه سكينة ووقار، توفي سنة ١٢٠هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٦، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٣١٨، و«تقريب التهذيب» ص٣١٨ (٣٥٥٠)، و«غاية النهاية» ١/ ٤٤٣.

(٨) في (ى): (ابن شبل)، والصواب ما في (ح) و(م) كما في كتاب «السبعة في القراءات» ص٣١٤، و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٩٣، وهو شبل بن عباد المكي، صاحب ابن كثير، ومقرئ مكة، وأحد شيوخ حمزة الزيات، كان ثقة من رجال البخاري، توفي بعد سنة ١٥٠هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٢٩، و«الكاشف» ١/ ٤٧٨، و«تقريب التهذيب» ص٢٦٣ (٢٧٣٧).

(النَّسء) بوزن النسع[١]، وهو المصدر الحقيقي كقولهم: نَسَأت: أي أخرت، وروي عنه أيضًا (النسي) مخففة الياء[٢]، ولعله لغة في (النسء) بالهمز مثل: أرجيت وأرجأت[٣]، وروي عنه أيضًا (النسيُّ) مشددة الياء بغير همز[٤]، وهذا على التخفيف القياسي، كما أن (مقروة) في (مقرؤة) في (مقرؤة) تخفيف قياسي[٥].

فأما معنى «النسيء» في هذه الآية، قال العلماء وأهل التفسير: «إن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة، وكان ذلك ما تمسكت به من ملة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- وكانت العرب أصحاب حروب وغارات، فشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يُغيْرون فيها، وقالوا: لئن[٦] توالت علينا ثلاثة أشهر حرم لا نصيب فيها شيئًا لنهلكن، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فيحرمونه، ويستحلون المحرم، [وكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفر وهم يريدون به المحرم][٧]، ويقولون: هو أحد الصفرين»[٨].

---

(١) كتاب «السبعة» ص٣١٤، و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٩١، و«إعراب القراءات السبع وعللها» لابن خالويه ١/ ٢٤٧.

(٢) انظر: المصادر السابقة، نفس المواضع، لكن ابن خالويه جعلها بالألف المقصورة على وزن: الدُّمى.

(٣) كررت الكلمة في (ى).

(٤) انظر: المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٥) انظر: «الحجة» ٤/ ١٩٤، و«لسان العرب» (قرأ) ٦/ ٣٦١٨.

(٦) في (ح): (التي).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٤٨، والثعلبي ٦/ ١٠٦ ب، والبغوي ٤/ ٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣٥، والرازي ١٦/ ٥٧، وقد رواه ابن حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٩٤ بمعناه عن السدي.

ولقد تأول بعض الناس قوله ﷺ: «**لا صفر**»[(١)] على هذا[(٢)].

قال أبو عبيدة: «كانوا يؤخرون المحرم وذلك نسء الشهور، ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة، إذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناد: أن افعلوا ذلك، لحرب أو لحاجة وليس كل سنة يفعلون ذلك، فإذا أرادوا أن يحلوا المحرم نادوا: هذا صفر وإن المحرم الأكبر صفر[(٣)]، فيذهب الناس إلى منازلهم إذا نادى المنادي بذلك، وكانوا يسمون المحرم وصفر صفرين، ويقدمون صفرًا سنة ويؤخرونه»[(٤)].

قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد: «أول من نسأ النسيء: بنو مالك بن كنانة[(٥)]، وكانوا ثلاثة[(٦)]: أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية

---

(١) رواه البخاري (٥٧١٧) في «صحيحه»، كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن، ومسلم (٢٢٢٠) في «صحيحه»، كتاب السلام، باب لا عدوى .. ، وتفسير البخاري للحديث هو المشهور عند العلماء، انظر: «فتح الباري» ١٠/ ١٧١.

(٢) هذا تأويل الإمام مالك -رحمه الله-. انظر: «فتح الباري» ١٠/ ١٧١، وقد ذكر التأويل من غير نسبة أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٢٦، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٠٦ ب.

(٣) نص عبارة أبي عبيدة: (نادى مناد: إن المحرم في صفر، وكانوا يسمون المحرم وصفر: الصفرين، والمحرم صفر الأكبر، وصفر المحرم الأصغر).

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٢٥٨ بمعناه مع الزيادة وتقديم بعض الجمل.

(٥) هم بنو مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص١٠، و«نسب قريش» ص١١.

(٦) لم يذكر من الثلاثة في هذه الرواية سوى واحد، وكذلك ابن جرير ١٠/ ١٣٠-١٣١، والثعلبي ٦/ ١٠٧ أ، والبغوي ٤/ ٤٦، وقد ذكر المفسرون والعلماء أكثر من ثلاثة منهم:

١- عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، رواه الثعلبي ٦/ ١٠٧ ب، والبغوي ٤/ ٤٧ عن ابن عباس بسند واه. =

الكناني[1]، كان يوافي الموسم على حمار فيقول: إني لا أعاب ولا أحاب[2] ولا مردّ لما أقول: إن آلهتكم قد أقسمت لتحرمنّ -وربما قال: لتحلّن- هذا الشهر -يعني: المحرم-، فيحلونه[3] ويحرمون صفرًا، وإن

= ٢- أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني الحارث بن مالك الكناني، رواه ابن جرير ١٠/ ١٣١ عن قتادة، وانظر: «المحبر» (ص١٣٣)، و«أمالي القالي» ١/ ٢٤٠.

٣- الحارث بن ثعلبة، ذكره عن مجاهد الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٢٧٥.

٤- نعيم بن ثعلبة، رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» (ص١٩٣) من رواية الكلبي عن ابن عباس، ورواه الثعلبي ٦/ ١٠٧ أ.

٥- ٩- القلمس، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم الكناني، ثم ابنه عباد بن حذيفة، ثم ابنه قلع بن عباد، ثم ابنه أمية بن قلع، ثم ابنه عوف بن أمية، ذكرهم ابن إسحاق في «السيرة النبوية» ١/ ٤٥.

١٠- أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني، وكان آخرهم وفي زمنه أبطل الله النسيء، انظر: «تفسير ابن جرير» ٧/ ١٣٠، و«السيرة النبوية» ١/ ٤٥، و«الإصابة في تمييز الصحابة» ١/ ٢٤٦.

(١) هو: جنادة بن عوف بن أمية بن قلع من بني فقيم ثم من بني مالك بن كنانة، أبو ثمامة الكناني، نسأ الشهور أربعين سنة، وكان أبعد النسأة ذكرًا، وأطولهم أمدًا، وقد أسلم، وأدرك زمن عمر رضي الله عنه.

انظر: «السيرة النبوية» ١/ ٤٥، و«الإصابة» ١/ ٢٤٦.

(٢) أحاب: بالحاء المهملة في (ح) و(م)، وكذلك في «المحبر» ص ١٥٧، وهو من الحوب، أي الإثم، انظر: «لسان العرب» (حوب)، والمعنى: لا أنسب إلى الإثم، وفي النسخة (ى) و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٦: أجاب، وفي «تفسير الثعلبي»: أخاب من الخيبة، أي: لا يُخيّب لي قول ولا يرد، أما معنى أجاب، فأقرب ما وجدت من معانيه أنه من المجاوبة: أي التحاور، والمعنى: لا أحاور ولا أجادل فيما أقول، وقد ذكر ابن منظور في «لسان العرب» (جوب): (أن المجاوبة والتجاوب: التحاور.

(٣) ساقط من: (ى).

حرموه أحلوا صفرًا»[(١)]، وقال الكلبي: «أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثعلبة[(٢)]، وكان من بعده جنادة بن عوف وهو الذي أدركه رسول الله ﷺ»[(٣)]، ونحو هذا قال الفراء[(٤)]، وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: «أول من فعل ذلك عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف[(٥)]»[(٦)]، قال أبو بكر بن الأنباري: «وكان الذي يلي النسيء يظفر بالرئاسة، ويشرف ولده والمنتمون إليه، بعلوه وترئيس[(٧)] العرب إياه.

قال الشاعر[(٨)] مفتخرًا بذلك:

وكنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حرامًا

---

(١) ذكر الأثر عنهم جميعًا الثعلبي ٦/ ١٠٧ أ وهو لفّقه من رواياتهم جميعًا، وذكر الإمام ابن جرير تلك الروايات مفصلة، انظر «تفسيره» ١٠/ ١٢٩- ١٣٢.

(٢) لم أقف له على ترجمة، ولم يذكره سوى الكلبي وحاله لا تخفى.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ١٠٦ أ، والبغوي ٤/ ٤٦.

(٤) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٣٦.

(٥) جد جاهلي قديم، وزعيم من طواغيت العرب، وقد صح في شأنه أمور منها:
أ - أن اسمه عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف، رواه البخاري في (٣٥٢٠)، كتاب المناقب، باب قصة خزاعة.
ب- أنه جد خزاعة القبيلة العربية المعروفة، رواه البخاري في الموضع السابق، لكن بعض العلماء يرى أن الحديث تصحف على بعض الرواة فقال: أبو خزاعة، والصواب: أخو خزاعة وهذا هو المشهور، انظر: «البداية والنهاية» ٢/ ١٨٩.
جـ- أنه أول من غير دين إبراهيم عليه السلام فقد روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال: **«رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، وكان أول من سيب السوائب، وبحر البحيرة، وغير دين إسماعيل»**.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٠٧ ب، والبغوي ٤/ ٤٧.

(٧) في (م): (وتزيين)، ولا معنى له.

(٨) سبق تخريج هذا البيت عند تفسير أول الآية.

وقال آخر[(١)]:

نسؤا الشهور بها وكانوا أهلها   من قبلكم والعز لم يتحول

وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم إلى صفر على ما ذكرنا[(٢)]، وقال جماعة من العلماء: «ربما كانوا يحتاجون إلى تأخير صفر إلى الشهر الذي بعده كحاجتهم إلى تأخير المحرم، فيؤخرون تحريمه إلى ربيع، ثم يمكثون بذلك ما شاء الله، ثم يحتاجون إلى مثله، ثم كذلك، وكذلك تتدافع شهرًا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله به، وذلك بعد دهر طويل[(٣)]»[(٤)]، فذلك حين قال رسول الله ﷺ في خطبته في

(١) لم أهتد إليه، والبيت بلا نسبة في كتاب «الأمالي» للقالي ١/ ٤، و«تفسير ابن عطية» ٦/ ٤٨٩، و«البحر المحيط» ٥/ ٤٠، و«الدر المصون» ٦/ ٤٧.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١/ ١٣٠-١٣٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٤، والثعلبي ٦/ ١٠٦، والبغوي ٤/ ٤٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣٥، و«السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٤٤-٤٥.

(٣) في (ح): (دهور طويلة). والمثبت موافق لما في «تفسير الثعلبي».

(٤) هذا معنى قول عبد الله بن عمرو كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٦، وقول مجاهد كما في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٣١، وقول ابن أبي نجيح كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٧٩٤، والعبارة للثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٠٦ ب، واعتبره الرازي ١٦/ ٥٧ هو الصحيح في تفسير الآية، **وأقول**: إن المتأمل في مجموع الروايات الواردة في هذه القضية يتبين له أن النسيء عند العرب على ضربين:
الأول: تأخير تحريم شهر محرم إلى صفر؛ لحاجتهم إلى الغزو والنهب، وهذا هو المذكور في هذه الآية بدلالة قوله تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾.
الثاني: تأخيرهم الحج عن وقته، ليكون ثابتًا في فصل من فصول السنة، كالأشهر في السنة الشمسية، فقد روى الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٥ عن عبد الله بن عمرو «أن العرب كانوا لا يصيبون الحج- يعني=

حجة[١] الوداع: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاث[٢] متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[٣]،

= في شهر ذي الحجة- إلا في كل ست وعشرين سنة مرة». وروى عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٧٥، وابن جرير ١٠/ ١٣١ عن مجاهد قال: «.. فكانوا يحجون في كل شهر عامين» ومما يدل على هذا النوع من النسيء ما روي أن حجة أبي بكر -ﷺ- سنة تسع كانت في ذي القعدة، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٨٢: ذكر ابن سعد وغيره بإسناد صحيح عن مجاهد أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في «الإكليل» ا.هـ وأنكر الإمام ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٩٣ ذلك بشدة.

هذا وقد بين الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٥٦- ٥٧ أن غرضهم من ذلك هو المواءمة بين موسم الحج ومواسم التجارة في سائر البلدان.

واختار الإمام أبو عبيد القول الثاني؛ لقول النبي ﷺ **«إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض»** وليس في التفسير الآخر استدارة. انظر: «غريب الحديث»، له ١/ ٢٩١، ٢٩٣.

(١) في (ى): (خطبة حجة الوداع.

(٢) هكذا في النسخ، وهو موافق لرواية البخاري (٧٤٤٧) كتاب التفسير، سورة براءة، ورواية أبي داود وأحمد، قال الحافظ ابن حجر: (قال ابن التين: الصواب: ثلاثة متوالية؛ يعني لأن المميز الشهر، قال: ولعله أعاده على المعنى، أي ثلاث مدد متواليات. انتهى، أو باعتبار العدة، مع أن الذي لا يذكر التمييز معه يجوز فيه التذكير والتأنيث). «فتح الباري» ٨/ ٣٢٥، والجدير بالتنبيه أن البخاري روى الحديث في موضع آخر بلفظ: ثلاثة.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» في عدة مواضع منها كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين (٤٦٦٢)، وكتاب التفسير، سورة براءة (٧٤٤٧)، وكتاب التوحيد، باب قوله الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾، ورواه أيضًا مسلم (١٦٧٩)، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء،، وأبو داود (١٩٤٧)، كتاب المناسك، باب الأشهر الحرم، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٧.

أراد إن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها، فهذا الذي ذكرنا أكثر قول[١] أهل اللغة في النسيء والمفسرين.

وقال قطرب: «معنى النسيء وأصله: من الزيادة يقال: نسأ في الأجل وأنسأ: إذا زاد فيه[٢]، وكذلك قيل للبن: النسيء؛ لزيادة الماء فيه ونُسئت المرأة: إذا حبلت، جعل زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن، وقيل للناقة: نسأتها: أي زجرتها ليزداد سيرها، وكل زيادة حدثت في شيء فهو نسيء»[٣]، وهذا مذهب قتادة من المفسرين قال: «إنهم عمدوا فزادوا صفرًا في الأشهر الحرم فقرنوه بالمحرم في التحريم، وأشركوا بينهما في الاسم فقالوا للمحرم وصفر: صفران»[٤]، والصحيح: القول الأول، وأن أصل النسيء: التأخير، ونُسِئت المرأة: إذا حبلت؛ لتأخر حيضها، ونَسَأتُ الناقة معناه: زجرتها عن التأخير، ونَسَأتُ اللبن: إذا أخرته حتى كثر الماء فيه[٥]، وقول قتادة: «أنهم زادوا صفرا في الحرم، فذلك يعود إلى تأخيرهم التحريم من المحرم إليه ولم يزيدوه[٦] زيادة أصل تبلغ به عدد الحرم خمسة أشهر، لأن الله تعالى قال: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فبين أنهم لم يزيدوا في العدد وإنما نقلوا التحريم من موضعه.

---

(١) هكذا في جميع النسخ.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ذكر قول قطرب الرازي ١٦/ ٥٥- ٥٦، وبنحوه الثعلبي ٦/ ١٠٦ أ.

(٤) رواه بمعناه مختصرًا ابن جرير ١٠/ ١٣١، والثعلبي ٦/ ١٠٦ أ، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ١٦/ ٤٢٦.

(٥) من عادة اللبن أن الماء يطفو فوقه إذا ترك فترة.

(٦) في (ي): (ولا يزيدونه).

وقوله تعالى: ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾، قال ابن عباس: يريد زيادة في كفرهم حيث أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله[١]، قال أهل المعاني: والزيادة في الكفر هو منه وفي معناه؛ لأنه كفر، كالزيادة في الدار هي منها؛ لأنها تصير معها دارًا واحدة[٢].

وقوله تعالى: (يَضِلُّ بهِ الذين كَفَروا) وهذه قراءة العامة[٣]، وهو حسن؛ لإسناد الضلال إلى الذين كفروا؛ لأنهم إن كانوا ضالين في أنفسهم حسن إسناد الضلال إليهم، وإن كانوا مضلين لغيرهم حسن أيضًا؛ لأن المضل لغيره ضال بفعله إضلال غيره.

وقرأ أهل الكوفة ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتح[٤] الضاد[٥]، ومعناه: أن كبراءهم يضلونهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور، فأسند

---

(١) ذكره المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٥، ورواه بمعناه مطولاً ابن جرير ١٠/ ١٣٠ من رواية علي بن أبي طلحة.

(٢) انظر: «تفسير الأصفهاني» ٤/ ٣٥ ب بمعناه ولم أجده في كتب أهل المعاني التي بين يدي، وقد زاد القرطبي هذا المعنى إيضاحًا فقال: قوله تعالى: ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ بيان لما فعلته العرب من جمعها أنواعًا من الكفر، فإنها أنكرت وجود الباري - تعالى- فقالت: (وما الرحمن) في أصح الوجوه، وأنكرت البعث فقالت: (من يحيى العظام وهي رميم) وأنكرت بعثه الرسل فقالوا: (أبشرًا واحدًا نتبعه).. إلخ. «تفسير القرطبي» ٨/ ١٣٩.

(٣) يعني بفتح الياء وكسر الضاد، وهي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٤، و«الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، و«تقريب النشر» ص١٢٠.

(٤) في (ي): (وضم)، وهو خطأ.

(٥) هذه قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص. انظر: المصادر السابقة، نفس المواضع.

الفعل إلى المفعول كقوله في هذه الآية: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ أي: زين لهم ذلك حاملوهم وداعوهم[(١)] إليه، وقرأ أبو عمرو في رواية أوقية[(٢)] من طريق ابن مقسم[(٣)]: (يُضِلُّ بِهِ الذين كَفَروا) بضم الياء وكسر الضاد[(٤)]، وله ثلاثة أوجه: **أحدها**: يضل الله به الذين كفروا، **والثاني**: يضل الشيطان[(٥)] به الذين كفروا، **والثالث**: وهو أقواها يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بذلك، وإنما كان هذا الوجه أقوى لأنه لم يجر ذكر الله ولا ذكر الشيطان فيبنى الفعل لهما، والكناية في (به) تعود إلى النسيء.

وقوله تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾، قال ابن عباس: يريد: إذا قاتلوا فيه أحلوه وحرموا مكانه صفرًا، وإذا لم يقاتلوا فيه حرموه[(٦)]، والكناية في ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ و﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ﴾ تعود إلى النسيء[(٧)]، أي: يحلون التأخير عاما، وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا في المحرم، ويحرمون

---

(١) في (ح): (ودعواهم)، وهو خطأ.

(٢) هو: عامر بن عمر بن صالح أبو الفتح الموصلي، المعروف بأوقية، مقرئ حاذق، وتولى قضاء الموصل، توفي سنة ٢٥٠هـ. انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٢٠، و«غاية النهاية» ١/ ٣٥٠.

(٣) هو: محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن البغدادي، أبو بكر ابن مقسم العطار، كان إمامًا مقرئًا نحويًّا، ثقة، ومن أحفظ الناس لنحو الكوفيين، وأعرفهم بالقراءات، وصنف في التفسير والمعاني، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ٢/ ٢٠٦، و«إنباه الرواة» ٣/ ١٠٠، و«غاية النهاية» ٢/ ١٢٣.

(٤) انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٤٠.

(٥) في (م): (الشياطين).

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٥، و«الوجيز» ٦/ ٤٩١.

(٧) وإلى هذا ذهب أيضًا ابن جرير ١٠/ ١٣٠، والثعلبي ٦/ ١٠٨ أ، والبغوي ٤/ ٤٧.

التأخير عامًا، وهو العام الذي يدعون[١] المحرم على تحريمه.

وقوله تعالى: ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾، قال أهل اللغة: ليوافقوا. يقال: واطأت فلانًا على كذا: إذا وافقته عليه[٢]، قال الزجاج: المواطأة: الموافقة على الشيء[٣]، وقال المبرد: يقال: واطأت القوم على كذا، وتواطئوا[٤] هم: إذا اجتمعوا على أمر واحد، كأنّ كل واحد[٥] يطأ حيث يطأ صاحبه، والإيطاء[٦] في الشعر من هذا، وهو أن يأتي في القصيدة بقافيتين على لفظ واحد ومعنى واحد[٧].

قال ابن عباس: ليواطؤا أربعة أشهر؛ لأن الله حرم منها أربعة[٨].

قال المؤرج: هو أنهم لم يحلوا شهرًا من الحرم إلا حرموا مكانه شهرًا من الحلال[٩]، [ولم يحرموا شهرًا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرًا

---

(١) في (ي): (الذي يريدون أن يدعوا.. إلخ). ولم أثبت هذه الزيادة لثلاثة أسباب:
أ- عدم وجودها في (ح) و(م).
ب- أن الرازي نقل الجملة منسوبة للواحدي وليس فيها هذه الزيادة، انظر: «مفاتيح الغيب» ١٦/ ٥٩.
جـ- كثرة الأخطاء والسقط في النسخة (ي).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (وطئ) ٤/ ٣٩١٢، و«الصحاح» (وطأ) ١/ ٨١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧ ولفظه: المواطأة: المماثلة والاتفاق على الشيء.

(٤) في (ي): (وواطؤهم).

(٥) في (ح): (أحد).

(٦) في (ح): (ولا يطأ)، وهو خطأ.

(٧) انظر معنى الإيطاء في «تهذيب اللغة» (وطىء) ٤/ ٣٩١٢، و«طبقات فحول الشعراء» ١/ ٧٢، ولم أقف على مصدر قول المبرد.

(٨) رواه بمعناه مطولاً ابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٢٦.

(٩) في (ح): (الحرم)، والصواب ما في (م) و(ي)، وهو موافق لما في «تفسير الثعلبي».

من الحرم][(١)] لئلا تكون الحرم أكثر من الأربعة كما حرم الله، فتكون موافقة للعدد، فذلك المواطأة[(٢)]. وقال الزجاج: يجعلون صفرًا كالمحرم في العدد، ويقولون: إن هذه أربعة[(٣)] بمنزلة أربعة[(٤)]، وقال الفراء: يقول[(٥)]: لا يخرجون من تحريم أربعة أشهر[(٦)(٧)].

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾، قال ابن عباس والحسن: يريد، زين لهم الشيطان هذا[(٨)].

وقوله[(٩)]: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، قال: يريد: لا يرشد كل كفار أثيم.

٣٨- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، أجمع المفسرون على أن هذه الآية حثٌّ لمن تثاقل عن غزوة تبوك، وذلك كان في زمان[(١٠)] عسرة من الناس، وجدب من البلاد، وشدة من الحر، حين أخرفت النخل، وطابت الثمار، فعظم ذلك على الناس وشق عليهم الخروج إلى القتال، فأنزل الله هذه الآية[(١١)] يحرض

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).
(٢) انظر: قول مؤرج في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠٨ أ.
(٣) في (ي): (الأربعة)، وما أثبته موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه».
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧.
(٥) في (ي): (يقولون)، وما أثبته موافق لما في «معاني القرآن».
(٦) ساقط من (م). (٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٧.
(٨) انظر: «تفسير البغوي» ٤/ ٤٧، والرازي ١٦/ ٥٨، و«الوسيط» ٢/ ٤٩٥.
(٩) من (م).
(١٠) في (ي): (زمن)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لـ «الوسيط» و«تفسير الثعلبي».
(١١) ساقط من (ج).

أولياءه على ذلك[١]، وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام معناه التوبيخ، كقولك لمن تستبطئه في أمر: مالك متباطئًا عن هذا الأمر؟!.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾ يقال: استنفر الإمام الناس لجهاد[٢] العدو[٣] فنفروا ينفرون نفرًا ونفيرًا: إذا حثهم ودعاهم إليه، ومنه قول النبي ﷺ: «**وإذا استنفرتم فانفروا**»[٤]، وأصل النفر: الخروج إلى مكان لأمر هاج عليه[٥]، واسم ذلك القوم الذين يخرجون: النفير، ومنه قولهم: فلان لا في العير ولا في النفير[٦].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٣٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٦، والسمرقندي ٢/ ٤٩، والثعلبي ٦/ ١٠٨ أ، والبغوي ٤/ ٤٨، و«أسباب النزول» ص٢٥٠-٢٥١، و«الوسيط» للمؤلف ٢/ ٤٩٥، وذكر الزجاج أيضًا إجماع المفسرين على ذلك، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧.

(٢) في (ي): (للجهاد).

(٣) ساقطة من (ي).

(٤) رواه البخاري (٢٨٢٥) في عدة مواضع، منها كتاب: الجهاد، باب: وجوب النفير، ورواه مسلم (١٣٥٣)، كتاب: الإمارة، باب: تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه، والنسائي في «سننه» كتاب: البيعة، باب: ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ٧/ ١٤٦، والترمذي (١٥٩٠) كتاب: السير، باب: ما جاء في الهجرة، وأبو داود (١٤٧٩) كتاب: الجهاد، باب: الهجرة هل انقطعت، وأحمد في «المسند» ١/ ٢٢٦.

(٥) عبارة الطبري ١٠/ ١٣٣: لأمر هاجه على ذلك، وعبارة «الوسيط» ٢/ ٤٩٦: لأمر أوجب الخروج.

(٦) قال الأزهري: قيل هذا المثل لقريش من بين العرب، وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، ونهض منها ليلقى عير قريش سمع مشركو قريش بذلك فنهضوا ولقوه ببدر ليأمن عيرهم المقبل من الشام مع أبي سفيان، فكان من أمرهم ما كان، ولم يكن تخلف عن العير والقتال إلا زمن أو من لا خير فيه، فكانوا يقولون لمن لا =

وقوله تعالى: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد أحببتم المقام[1]، وقال الزجاج: معناه تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قال: ويجوز: اثاقلتم إلى شهوات الدنيا[2]، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقد مر.

واثاقلتم: أصله: تثاقلتم [ومعناه: تباطأتم][3]، وهو نحو قوله: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧] وقد مرّ.

وقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، قال ابن عباس: يريد: قدّمتم الدنيا على الآخرة[4] يريد بالآخرة الجنّة، قال الزجاج: «أي رضيتم بنعيم الحياة الدنيا من نعيم الآخرة، وقال أبو علي الفارسي: المعنى[5]: أرضيتم بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[6] أي بدلاً منكم[7].

قال الراعي:

= يستصلحونه لمهم: فلان لا في العير ولا في النفير، فالعير من كان منهم مع أبي سفيان، والنفير: من كان منهم مع عتبة بن ربيعة قائدهم يوم بدر. «تهذيب اللغة» (نفر) ٤/ ٣٦٢٨.

(١) «تنوير المقالة» ص١٩٣ بمعناه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٧.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٤.

أخذوا المخاض من الفصيل غُلَّبة ظلمًا ويكتب للأمير فصيلاً[١]

أراد: بدلاً من الفصيل.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال ابن عباس: يريد: الدنيا كلها[٢].

﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ عند شيء من الجنة[٣]، وقال الزجاج: أي ما يتمتع به في الدنيا قليل عند ما يتمتع به أولياء الله في الجنة[٤].

٣٩- قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قال مقاتل: إلا تنفروا مع نبيكم إلى الجهاد يعذبكم عذابًا أليمًا[٥]، وروي عن ابن عباس أنه قال: هذا العذاب المتوعد به على ترك النفير هو إمساك المطر[٦]، قال: استنفر رسول الله ﷺ حيًّا من الأحياء فتثاقلوا عنه فأمسك عنهم المطر[٧]، وقال الزجاج: هذا وعيد شديد في التخلف عن

---

(١) انظر: «ديوان الراعي» ص١٤٥، و«جمهرة أشعار العرب» ص٣٣٦، و«شرح أبيات المغني» الشاهد رقم (٥٢٩) ١/ ٣٤٢. والمخاض: الناقة الحامل. والفصيل: ولد الناقة المفصول عن الرضاعة. انظر: «لسان العرب» (مخض وفصل). والشاعر يشكو جباة الزكاة ويذكر ظلمهم.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٦، ورواه بمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٣.

(٣) روى مسلم في (٢٨٥٨)، كتاب: الجنة، باب: فناء الدنيا عن المستورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه** - وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة- **في اليم فلينظر بم ترجع**».

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٨.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٢٩ أ، ولفظه: إلا تنفروا في غزاة تبوك إلى عدوكم يعذبكم عذابًا أليمًا.

(٦) هذا هو معنى أثر ابن عباس التالي.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٤، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ١١٨، وصححه، ووافقه =

الجهاد[١]، قال عكرمة والحسن: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢][٢]، قال المفسرون: الصحيح أن هذه الآية خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: من التابعين بإحسان[٤]، وهذا كالاستعتاب من الله تعالى لأولئك القوم، والتوعد لهم أنهم إن تركوا الغزو مع رسول الله ﷺ، أتى الله بقوم آخرين ينصر بهم الدين، وهم التابعون في قول ابن عباس[٥]، وقال سعيد بن

= الذهبي، ورواه أيضًا البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب: الجهاد، باب: النفير، رقم (١٧٩٤٣) ٩/ ٨٣، ورواه مختصرًا أبو داود (٢٥٠٦)، كتاب: الجهاد، باب: في نسخ نفير العامة بالخاصة.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٨.

(٢) رواه عنهما ابن جرير ١٠/ ١٣٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٧٩٧- ١٧٩٨، والصواب أن هذه الآية، وكذلك الآية التالية ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ محكمتان غير منسوختين، لأنه لا تنافي بينهم وبين الآية المدعى أنها ناسخة، وذلك لإمكان توجيه كل آية لحالة غير التي للأخرى، فالآيتان الأوليان لبيان حكم النفير حالة كون الجهاد فرض عين كحالة غلبة العدو على بلاد الإسلام، أو استنفار الإمام قومًا معينين، أو احتيج للجميع، أو كان النبي ﷺ خارجًا للجهاد.
أما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ فهي لبيان حكم النفير حالة كون الجهاد فرض كفاية، فالآية تبين أن النفر في هذه الحالة واجب على بعضهم دون بعض. انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤٣٦، و«الناسخ والمنسوخ» لابن العربي ٢/ ٢٤٩، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي بن أبي طالب ص٢٧٣، و«زاد المسير» ٣/ ٤٣٨، و«تفسير ابن كثير» ٢/ ٣٩٥.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٣٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٣٨، والرازي ١٦/ ٥٩.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ٦١.

(٥) سبق ذكره وتخريجه.

جبير: هم أبناء فارس[(١)]، وقال أبو روق: هم أهل اليمن[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ الكناية في قول الحسن راجعة إلى الله تعالى[(٣)] أي: لا تضروا الله لأنه غني عنكم، وعن كل شيء، وفي قول الباقين: تعود إلى الرسول ﷺ[(٤)]، أي: لا تضروه لأن الله عصمه عن[(٥)] الناس، ولأنه لا يخذله إن تثاقلتم عنه.

٤٠- قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، قال أبو إسحاق: أعلمهم[(٦)] الله أنهم إن تركوا نصره فلن يضره ذلك شيئًا، كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة[(٧)]، وهم به الكفار ما هموا، فتولى الله تعالى نصره ورد كيد من ناوأه خائبًا، ومعنى قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أعانه على أعدائه حين مكر به المشركون، وهو أن بعث إليه جبريل حتى أمره بالخروج[(٨)]، وجعل كيدهم في تباب، وأراد بقوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه، وذكرنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٠٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٨.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٨، والرازي ١٦/ ٦١. قال الشوكاني في «فتح القدير» ٢/ ٥٢٦: ولا وجه للتعيين بدون دليل أقول: إن مراد السلف التمثيل لا الحصر، والله أعلم.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٣٨، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٦١، والماوردي ٢/ ٣٦٣.

(٤) انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٥) كذا، والأصح أن يقول: من.

(٦) في (م): (أعلم)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٧) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٨.

(٨) رواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» ٤/ ٢٠٦ وفي سنده راوٍ لم يسم.

[الأنفال: ٣٠] الآية، وأضاف إخراجه إلى الكفار لأنهم لما هموا بقتله صعب عليه المقام، واحتاج[(١)] إلى الخروج من مكة، فأضيف الإخراج إليهم لما كانوا السبب في خروجه، قال ابن عباس في قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يريد: من مكة هاربًا منهم[(٢)]، وأما قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ﴾ [الأنفال: ٥] يريد: أمره إياه بالخروج[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي واحد اثنين، قال الزجاج: وهو نصب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين أي نصره منفردًا[(٤)] إلا من أبي بكر[(٥)(٦)]، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر[(٧)]، قال ابن عباس: والجمع في قوله:

---

(١) في (ج): (فاحتاج).
(٢) «تنوير المقباس» ص١٩٣ بمعناه.
(٣) عبارة المؤلف توحي بأنه يرى أن الإخراج المذكور في الآيتين واحد، وهو الإخراج من مكة، ومن ثم جمع بين الآيتين، والصحيح أن الإخراج المذكور في آية الأنفال إنما هو من المدينة إلى بدر. انظر: «تفسير ابن جرير» ٩/ ١٨٢.
(٤) في (ي): (مفردًا)، وما أثبته موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه».
(٥) في (ي): (هو أبو بكر)، وهو خطأ.
(٦) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٩.
(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١١٠ أ، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٣٥، وفي سند الثعلبي داود بن المحبر وهو متروك، كما في «تقريب التهذيب» ٢٠٠ (١٨١١)، كما أن في متن هذا الأثر نظرًا من ثلاثة أوجه:
أحدها: أن الله تعالى هو الذي كف أيدي أصحاب نبيه ﷺ عن نصرته في مكة كما أفاد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧].
الثاني: أنه ليس في الآية ما يفيد أن الصحابة ﵃ كلفوا بنصرة نبيهم بمكة فتخلوا عنه حتى تكون عتاباً، أما قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ فهو إخبار عن مستقبل، وقد قام الصحابة بذلك خير قيام وفدوه بالنفس والمال، ويكفي شاهدًا على ذلك أنه لم

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هو وأبو بكر[١]، ويقال: فلان ثاني اثنين أي هو أحدهما مضاف، ولا يقال: هو ثان اثنين بالتنوين، وقد مرّ تفسيره مشبعًا في قوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣][٢]، وقال صاحب النظم: (ثاني اثنين) أي: أحد اثنين ولو ذهب فيه مذهب الفعل كما تقول: كان واحدًا فثنيته أي صيرته اثنين بنفسي لقيل: (ثاني واحد)، وكذلك قوله: (ثالث ثلاثة) أي: أحد ثلاثة، ولو ذهب به مذهب الفعل لقيل: (ثالث اثنين).

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾، الغار: نقب في الجبل عظيم، قال قتادة: هو غار في جبل بمكة يقال له: ثور[٣]، قال مجاهد: مكثا في

= يتخلف عنه في غزوة تبوك من المؤمنين الصادقين الذين لا عذر لهم سوى بضعة نفر على الرغم من بعد الشقة وحرج الموقف.

الثالث: أن هناك من أصحاب رسول الله ﷺ من شارك أبا بكر في نصرة النبي ﷺ أيام هجرته منهم علي بن أبي طالب الذي نام في فراش النبي ﷺ وتسجى ببردته، وعرض نفسه للخطر، وعبد الله بن أبي بكر الذي كان يتحسس أخبار المشركين ثم يخبر بها النبي ﷺ وصاحبه، وكذلك بنتا أبي بكر اللتان جهزتا الراحلتين، وعامر ابن فهيرة الذي كان يرعى حولهما الغنم فيشربان من لبنها. انظر: «صحيح البخاري» (٣٩٠٥) كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ، و«مسند الإمام أحمد» ١/ ٣٣١.

(١) في (ي): (هو أبو بكر)، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٤٩٧، ولم ينسبه فيه لأحد، وانظر: قول ابن عباس في «تنوير المقباس» ص١٩٣ بنحوه.

(٢) انظر النسخة (ج) ٢/ ٦٥ أ وقد قال هنا: قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾. قال الفراء: ثالث ثلاثة لا يكون إلا مضافًا ولا يجوز التنوين في (ثالث) فينصب الثلاثة، وكذلك قوله: (ثاني اثنين) لا يكون (اثنين) إلا مضافًا؛ لأن المعنى مذهب اسم، كأنك قلت: واحد من اثنين، وواحد من ثلاثة، ولو قلت أنت: ثالث اثنين، جاز الإضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين... إلخ.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٦، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٣٥.

الغار ثلاثًا[(١)]، وقال عروة بن الزبير: وكان عامر بن فهيرة[(٢)] يروح عليهما بغنم لأبي بكر[(٣)]، وقال قتادة: كان عبد الرحمن بن أبي بكر[(٤)] يختلف إليهما[(٥)]، فلما أراد رسول الله ﷺ الخروج جاءهما بناقتين[(٦)(٧)].

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٦، والثعلبي ٦/ ١٠٩ ب، وابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٣٦.

(٢) هو: عامر بن فهيرة التيمي مولاهم، يقال: إن أصله من الأزد، أو من عنز بن وائل، استرق في الجاهلية فاشتراه أبو بكر الصديق، ثم أعتقه، وهو من السابقين إلى الإسلام وممن كان يعذب في الله، وقد هاجر وشهد بدرًا وأحدًا واستشهد يوم بئر معونة سنة٤هـ.
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٢٧٢، و«الإصابة» ٢/ ٢٥٦ (٤٤١٥)، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٧٠.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٦، والثعلبي ٦/ ١٠٩ ب، وقد رواه موصولاً عن عروة عن عائشة الإمام البخاري (٣٩٠٥) في «صحيحه»، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ ضمن حديث الهجرة الطويل.

(٤) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي، أبو محمد، أكبر ولد أبي بكر الصديق، تأخر إسلامه إلى أيام صلح الحديبية ثم أسلم وحسن إسلامه، كان رجلاً صالحًا شجاعًا راميًا لم يجرب عليه كذبة قط، توفي فجأة قرب مكة سنة٥٨هـ. انظر: «المعارف» ص١٠٢، و«الإصابة» ٢/ ٣٩٢ (٢٥٨٨). وانظر التعليق التالي.

(٥) الثابت في «صحيح البخاري» (٣٩٠٥)، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ أن الذي كان يختلف إليهما عبد الله بن أبي بكر، وهو الصواب، وقد أسلم قديمًا مع آل أبي بكر، أما أخوه عبد الرحمن فقد تأخر إسلامه، كما مر في ترجمته.

(٦) في «صحيح البخاري» في الموضع السابق، حديث الهجرة الطويل وفيه: واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل.. أمناه فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٠٩ ب.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ خطب أبو بكر ﷺ، فقال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ فقال رجل: أنا، [قال: اقرأ][1] فلما بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ بكى أبو بكر، وقال: أنا صاحبه[2]، قال المفسرون: وهذه الصحبة كانت بأمر الله؛ لأن جبريل لما أمر رسول الله ﷺ بالخروج قال: «**ومن يخرج معي؟**» قال: أبو بكر[3][4]، قال الحسين ابن الفضل: من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو أحد[5] من الصحابة كان صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون[6] أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ كان كافرًا؛ لأنه رد نص القرآن[7].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، قال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر معه إلى الغار ليلاً، وأصبح المشركون يطلبونهما فاقتصوا الأثر إلى الغار، فحزن أبو بكر، وقال: أتينا يا رسول الله، فقال: «**اللهم أعم أبصارهم**» فعميت أبصارهم، وجعلوا يضربون يمينًا وشمالاً حول الغار[8].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٠.
(٣) في (ج): تكررت جملة: (قال: أبو بكر).
(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ١٩٠ بصيغة التمريض، وذكره الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٣/ ٧٥ ولم يذكر من أخرجه.
(٥) في (ج): (واحد)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط».
(٦) ساقط من (ي).
(٧) انظر: «معالم التنزيل» ٤/ ٤٩، و«الوسيط» ٢/ ٩٩.
(٨) أخرجه ابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٣٣ بنحوه، وذكر الثعلبي ٦/ ١٠٩ب قول الرسول ﷺ وما بعده، عن الزهري.

وقال المفسرون: قال أبو بكر لرسول الله ﷺ لما خاف[١] الطلب: يا رسول الله: إن قتلتُ فأنا رجل واحد، وإن قتلت هلكت الأمة، وكان حزنه شفقة[٢] على رسول الله ﷺ، وخوفًا أن يُطّلَع عليه[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا**»[٤]، قال الزجاج: لما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ «**ما يبكيك؟**» فقال: أخاف أن تقتل فلا يعبد الله بعد اليوم، فقال له رسول الله ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا**» أي إن الله ﷻ يمنعهم منا وينصرنا، قال: أهكذا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» فرقأ دمع أبي بكر وسكن[٥]، وقال أبو بكر: قلتُ للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو [أن واحدًا][٦] نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[٧] فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

---

(١) في (ي): (ضاق).

(٢) في (ج): (شفقته)، والصواب ما أثبته بدلالة السياق.

(٣) في هذا أبلغ الرد على الرافضة الذين ينتقصون أبا بكر بحزنه المذكور، وانظر تفصيل ذلك في: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٩٥٣.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٠٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٩.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٨، وقد روى الأثر بمعناه مختصرًا ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٧٩٨ - ١٧٩٩ ولفظه: فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: «**ما يبكيك؟**» فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. لكن هذا في مسيرهما إلى المدينة وليس في الغار.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) رواه بنحوه البخاري (٤٣٨١) كتاب التفسير، باب قوله ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾، ومسلم (٢٣٨١)كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ اختلفوا في رجوع الكناية من (عليه)، فقال أبو روق: على النبي ﷺ[(١)]، قال الزجاج: لأن الله ألقى في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير واصلين إليه[(٢)]، وقال ابن عباس: على أبي بكر، فأما النبي ﷺ فكانت[(٣)] السكينة عليه من[(٤)] قبل ذلك[(٥)]، قال أهل المعاني: وهذا أولى لأنه الخائف الذي احتاج إلى الأمن، والنبي ﷺ كان آمنا؛ لأنه كان قد وعد بالنصر، فكان ساكن القلب[(٦)]، وقال عطاء، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ يريد: رحمته على نبيه وعلى صاحبه[(٧)]، وعلى هذا: الكناية راجعة إليهما، وهو مذهب المبرد، قال: ويجوز أن تكون عليهما فاكتفى بذكر أحدهما كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢][(٨)].

وذكر ابن الأنباري هذه الأقوال في رجوع الكناية، ونصر مذهب المبرد، وقال: التقدير: فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما جميعًا كما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ

---

(١) لم أجد من ذكره عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠١ عن حبيب بن أبي ثابت، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤٤٠ عنه وعن علي وابن عباس.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٩، وهذا أولى لأن في القول الثاني تفكيك للضمائر.

(٣) في (ج): (كانت).

(٤) ساقط من (ج).

(٥) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠١، والثعلبي ٦/ ١١٠ ب، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر في «تاريخه» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٣٩.

(٦) ذكره بمعناه ابن قتيبة في «غريب القرآن» ٢/ ١٢، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢١٠، وفي «إعراب القرآن» ٢/ ٢١٥.

(٧) ذكره مختصرًا الماوردي في «النكت» ٢/ ٣٦٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٣.

(٨) لم أجده في كتب المبرد التي بين يدي.

أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] الآية، وكما قال: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾، قال ابن عباس: يريد: وقواه بجنود لم تروها[(٢)]، يريد: ا لملائكة يدعون الله له[(٣)]، وقال الزجاج: أيده بملائكة يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه[(٤)]، وقال غيره: يعني ما كان من تقوية الملائكة لقلبه بالبشارة بالنصر من ربه، ومن إلقاء اليأس في قلوب المشركين حتى انصرفوا خائبين[(٥)]، وهذه الأقوال على أن هذا التأييد بالملائكة كان في الغار، والكلام في الكناية في قوله: (وأيده) كالكلام في الكناية في (عليه) غير أنه لا يجوز أن تكون الهاء في (وأيده) عائدة على أبي بكر خاصة؛ لأن المؤيد بالجنود هو رسول الله ﷺ، والاختيار أن تكون الكناية الأولى راجعة على أبي بكر، والثانية راجعة على النبي ﷺ.

وقال الكلبي: وأيده بجنود لم تروها أي: قواه وأعانه بالملائكة يوم بدر[(٦)]، ونحو هذا قال مجاهد، قال: ذكر الله ما كان في أول شأنه[(٧)]،

---

(١) ذكر قول ابن الأنباري باختصار ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤٤١ ولم أجده في كتبه المطبوعة.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٤٤٩، وبمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٣.

(٣) هذا التخصيص لا دليل عليه، وليس في سياق الرواية ما يشعر به.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٩.

(٥) ذكر معنى هذا القول مختصرًا ابن عطية في «تفسيره» ٦/ ٥٠٠.

(٦) رواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ٥٣، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٤٤٩.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠١، وعزاه إلى السدي، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ولفظه عندهم: قال: ذكر =

ومعنى قول الكلبي: أن الله تعالى أخبر أنه صرف عنه كيد أعدائه ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر، ومعنى قول مجاهد: أن هذه السورة من آخر ما نزل في القرآن، ويوم بدر كان في حدثان قدوم النبي ﷺ المدينة، فذكر في هذه السورة[1] ما كان من نصره إياه في أول شأنه وهو يوم بدر[2].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾. قال ابن عباس: (السفلى) كلمة[3] الشرك، و(العليا) لا إله إلا الله[4]، وكان هذا يوم بدر، وهذا قول مقاتل[5]، واختيار الفراء[6]، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد ما كادوا به النبي ﷺ ومكروا جعله في ضلالة وندامة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: يريد: موعد الله ومكره هو

= ما كان في أول شأنه حين بعث يقول الله: فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٦٩ بلفظ: قال: ذكر ما كان من أول شأنه حين أخرجوه، فالله ناصره كما نصره وهو ثاني اثنين.

(١) في (ي): (تكرار لبعض ما سبق ذكره، ولفظ الزيادة: من آخر ما نزل في القرآن، وذكر في هذه السورة.

(٢) هذا معنى قول مجاهد عند المؤلف، والمتأمل في لفظي قول مجاهد - وقد سبق ذكرهما في التعليق الأسبق - يظهر له أن معناه: لقد ذكر الله تعالى نصرته لعبده في أول شأنه حين بعث إذ كان ثاني اثنين في الغار، فالله ناصره بعد ذلك كما نصره في تلك الحادثة.

(٣) في (ج): (كلمة السفلى: الشرك).

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠١، والثعلبي ٦/ ١١٠ ب، والبيهقي في كتاب: «الأسماء والصفات»، باب: ما جاء في فضل الكلمة الباقية.. ١/ ١٨٤ وهو من رواية علي بن أبي طلحة، ولفظ: «وكان هذا يوم بدر» ليس من كلام ابن عباس حسب المصادر السابقة.

(٥) انظر: «تفسيره» ٢٩ أ.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٣٨، ولم يذكر الفراء أن ذلك كان يوم بدر.

الأعلى[(١)]، وهذا اختيار ابن كيسان، قال: ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه فلم ينالوا أملهم، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾: وعد الله أنه ناصره هو الحق[(٢)(٣)].

والاختيار في قوله: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ الرفع[(٤)]، وهو قراءة العامة[(٥)] على الائتناف من غير در الفعل الذي هو (جعل)، قال الفراء: ويجوز: ﴿وكَلِمةَ الله﴾ بالنصب[(٦)] ولست أستحب ذلك لظهور اسم الله؛ لأنه لو نصبها والفعل فعله كان أجود الكلام أن يقال: وكلمته هي العليا، ألا ترى أنك تقول: قد أعتق أبوك غلامه، ولا تكاد تقول: أعتق أبوك غلام أبيك، وقال الشاعر في إجازة ذلك:

متى تأتي زيدًا قاعدًا عند حوضه
لتهدم ظلمًا حوض زيد تقارع[(٧)]

---

(١) ذكره مختصرًا ابن الجوزي في «الزاد» ٣/ ٤٤١، وأبو حيان في «البحر» ٥/ ٤٤، وأشار إليه المصنف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٩.

(٢) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: وهو الحق.

(٣) «الوسيط» ٢/ ٤٤٩ دون جملة: هو الحق.

(٤) على الابتداء و(هي) الخبر، أو تكون فصلاً والخبر (العليا).

(٥) قرأ بها العشرة غير يعقوب، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، و«تقريب النشر» ص١٢٠، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٢، وهذه القراءة أبلغ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت بخلاف الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد، ولأن كلمة الله في ذاتها عالية ثابتة فلا حاجة إلى جعلها كذلك.

(٦) وقرأ بها يعقوب والحسن والأعمش في رواية المطوعي. انظر: «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٢ عطفًا على (كلمة الذين كفروا)، والمعنى: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وجعل كلمة الله هي العليا.

(٧) لم أهتد إلى قائله. وانظر البيت بلا نسبة في: «شرح أبيات معاني القرآن» ص٢١٤.

فذكر زيدًا مرتين ولم يكن عنه في الثانية، والكناية وجه الكلام[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، قال ابن عباس: عزيز في ملكه، حكيم في خلقه[٢].

وقال ابن كيسان: عزيز في انتقامه من أهل الكفر، حكيم في تدبيره خلقه[٣].

٤١- قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية، اختلفوا في تفسير الخفاف والثقال، فقال ابن عباس في رواية عطاء: شبانا وكهولاً[٤]، وهو قول أنس والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة وشمر بن عطية[٥]، ومقاتل بن

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٨ وقد رد النحاس قول الفراء هذا فقال: قرأ الحسن ويعقوب (وكلمةَ الله) بالنصب عطفًا على الأول، وزعم الفراء أن هذا بعيد؛ قال: لأنك تقول: أعتق فلان غلام أبيه، ولا تقول: غلام أبي فلان.. قال أبو جعفر: الذي ذكره الفراء لا يشبه الآية، ولكن يشبهها ما أنشده سيبويه:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء   نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

وهذا جيد حسن؛ لأنه لا إشكال فيه، بل يقول النحويون الحذاق: إن في إعادة الذكر في مثل هذا فائدة وهي أن فيه معنى التعظيم، قال الله ﷻ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١- ٢] فهذا لا إشكال فيه. «إعراب القرآن» للنحاس ٣/ ٧٥٢.

(٢) لم أعثر على مصدره.

(٣) لم أعثر على مصدر هذا القول، وقد ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤٤٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٩ من غير نسبة.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٢ بغير سند وبصيغة التمريض.

(٥) هو: شمر بن عطية بن عبد الرحمن الأسدي الكاهلي الكوفي، راوٍ صدوق، له أحاديث صالحة، وثقه النسائي وابن معين وغيرهما، توفي بعد سنة ١٠٠هـ. انظر: «الكاشف» ١/ ٤٩٠، و«تقريب التهذيب» ٢٦٨ (٢٨٢١)، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٧٩.

حيان والحسن، هؤلاء قالوا: شبانًا وشيوخًا، وشبانا وشيبًا[١]، وروى عطاء عنه أيضًا: (رجّالة وركبانا)[٢] وهو قول عطية[٣]، وروى طاوس عنه: نشاطًا وغير نشاط[٤]، وروي عنه أيضًا: ﴿خِفَافًا﴾ أهل الميسرة من المال، ﴿وَثِقَالًا﴾: أهل العسرة[٥]، وهو اختيار الزجاج، قال: موسرين ومعسرين[٦].

وعلى العكس من هذا قال أبو صالح: ﴿خِفَافًا﴾ من المال، أي فقراء، ﴿وَثِقَالًا﴾ منه، أي أغنياء[٧]، وهو اختيار الفراء قال: «الخفاف: ذوو العسرة وقلة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة[٨]».

قال أهل المعاني: الأولى أن يقال: هذا عام في كل حال، وفي كل أحد؛ لأنه ما من أحد إلا وهو ممن تخف عليه الحركة أو تثقل، فهو ممن

---

(١) ذكره عنهم جميعًا الثعلبي ٦/ ١١٠ ب، وكذلك -عدا أنس- الإمام ابن جرير ١٠/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢.
والجدير بالتنبيه أن في تفسير ابن جرير: بشر بن عطية، وذكر المحقق أن في اسمه اضطرابًا ولم يهتد للصواب، والصواب: شمر بن عطية،، كما ذكره الواحدي وابن أبي حاتم والثعلبي، فليصحح.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٤٩.

(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ١١١ أ، والبغوي ٤/ ٥٣.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٩، من رواية العوفي وكذلك ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٣، وذكره الثعلبي ٦/ ١١١ أ دون ذكر الراوي عنه.

(٥) ذكره البغوي ٤/ ٥٣ بصيغة التمريض، وكذلك ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤٤٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٩٩.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١١١ أ، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ١٣٩، والبغوي ٤/ ٥٣.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٤٣٩.

أمر في هذه الآية بالنفير[١] ألا ترى إلى[٢] ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه شهد بدرًا ثم لم يتخلف عن غزوة للمسلمين[٣]، وكان يقول: قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ولا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلاً[٤]، وقيل للمقداد بن الأسود، وهو يريد الغزو وكان قد كبر وأسن: قد أعذر الله إليك، يعني: في القعود عن[٥] الغزو، فقال: أبت علينا سورة براءة ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[٦] وروي أيضًا أن أبا طلحة[٧] قرأ هذه الآية فقال لبنيه: جهزوني جهزوني، فقالوا: لقد غزوت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر حتى ماتوا فنحن نغزو عنك، فقال: لا، جهزوني جهزوني[٨]، ما أرى الله إلا يستنفرنا شبانا وشيوخًا[٩].

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٤٩٩، وبمعناه النحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢١٢.

(٢) في (ج): (أن).

(٣) بل ذكرت المصادر التالية أن أبا أيوب ﷺ تخلف عامًا واحدًا، وذكر بعضها أنه ندم على ذلك.

(٤) رواه ابن جرير ١٤/ ١٣٨، والحاكم في «المستدرك»، كتاب «معرفة الصحابة» ٣/ ٤٥٨، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢/ ٤٩.

(٥) في (ج): (في).

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ١٣٩- ١٤٠، والحاكم في «المستدرك» كتاب: معرفة الصحابة ٣/ ٣٤٩، وقال: صحيح الإسناد، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢.

(٧) هو: زيد بن سهل بن الأسود النجاري الخزرجي، أبو طلحة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدريين، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، توفي سنة ٣٤هـ. انظر: «المعارف» ص١٥٤، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٢٧، و«الإصابة» ١/ ٥٦٦.

(٨) ساقط من (ج) و(م).

(٩) رواه الحاكم في «المستدرك»، كتاب: معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي طلحة =

وهذه الآية مما دل بظاهره على وجوب(١) الجهاد بكل حال، قال عطاء الخراساني عن ابن عباس في هذه الآية: نسختها ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢](٢) الآية، وقد ذكرنا في سورة البقرة أن الجهاد كان واجبًا على الأعيان، وهل ذلك يجب(٣) اليوم كما كان يجب؟ ذكرنا الاختلاف فيه في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦](٤).

= ٣/ ٣٥٣، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) كتاب: المناقب، ذكر الموضع الذي مات فيه أبو طلحة، رقم (٧١٨٤) ١٦/ ٥١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٢، وصححه الحاكم، وقال: على شرط مسلم، وقال الذهبي: على شرط الشيخين.

(١) في (ج): (وجود)، وهو خطأ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٣، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٥٤ بغير سند، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب: السير، باب: النفير.. رقم (١٧٩٣٨) ٩/ ٨١ وفي سنده عثمان بن عطاء الخرساني، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ٣٨٥ (٤٥٠٢): (ضعيف.اهـ وفيه علة أخرى وهي الإرسال؛ فإن عطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس كما في «العبر» ١/ ١٤٠، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٧١، ٧٢، وقد سبق بيان التحقيق في نسخ هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾.

(٣) في (ي): (وهل يجب ذلك).

(٤) انظر: «النسخة الأزهرية» ١/ ١٣١ أ وقد قال في هذا الموضع: اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فمذهب عطاء أن المعني بهذا أصحاب رسول الله ﷺ خاصة دون غيرهم؛ لأنه قال: كان القتال مع النبي ﷺ فريضة.. وقال بعضهم: كان الجهاد في الابتداء من فرائض الأعيان، ثم صار فرض كفاية، لقوله ﷻ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ولو كان القاعد مضيعًا فرضًا ما كان موعودًا بالحسنى، وقال بعضهم: لم يزل الجهاد فرض كفاية، غير أن رسول الله ﷺ كان إذا استنفرهم تعين عليهم النفير، لوجوب طاعته،.. والإجماع اليوم على أنه من فروض الكفاية، إلا أن

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾، قال أهل العلم: هذا يدل على أن الموسر يجب عليه الجهاد بالمال إذا عجز عن الجهاد ببدنه لزمانة(١) أو علة، فوجوب الجهاد بالمال كوجوب الجهاد بالبدن على الكفاية(٢)، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ قيل: ذلكم خير لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم(٣)، وقيل: معناه: إن الخير فيه لا في تركه(٤)، فـ(خير) ههنا ليس بالذي يصحبه (من)، وليس للتفضيل؛ لأن (خيرًا)(٥) تستعمل بمعنيين: أحدهما(٦) بمعنى: هذا خير من ذاك، والثاني أنه بمعنى: خير في نفسه، كقوله: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٤]: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [العاديات: ٨] ومثله كثير.

= أن يدخل المشركون ديار المسلمين فإنه يتعين على كافة المسلمين إلى أن يقوم بكفايتهم من يصرف وجوههم.

(١) الزمانة: العاهة والبلوى، انظر: «القاموس المحيط»، فصل الزاي، باب: النون ص١٢٠٣، و«مختار الصحاح» (ز م ن) ص٢٧٥.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٣/ ٤٤٣، والرازي ١٦/ ٧٠-٧١، والخازن ٢/ ٢٢٨، و«حاشية الروض المربع» ٤/ ٢٥٦، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعاجز عن الجهاد بنفسه يجب عليه الجهاد بماله في أصح قولي العلماء.. فإن الله أمر بالجهاد بالمال والنفس في غير موضع من القرآن، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٢٨/ ٨٧.

(٣) هذا قول ابن جرير، انظر «تفسيره» ١٠/ ١٤٠.

(٤) ذكر هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٦٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٤.

(٥) في (ج): (خير).

(٦) في (ج): (أحد).

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: قال ابن عباس: إن كنتم تعلمون ما لكم من الثواب[(١)] والجزاء، وقيل: [إن كنتم][(٢)] تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير[(٣)].

٤٢- وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[(٤)]، قال الكلبي: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك أبدى الله نفاقهم، وأنزل هذه الآية[(٥)]، قال الزجاج والمبرد وغيرهما: لو كان ما دعوا إليه أو[(٦)] لو كان المدعو إليه سفرًا قاصدًا، فحذف اسم (كان) لدلالة ما تقدم من الكلام عليه[(٧)] و﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ يريد: من عرض الدنيا، قاله ابن عباس[(٨)]، وقال الضحاك: غنيمة قريبة[(٩)].

---

(١) لم أجد من ذكره سوى المؤلف في «الوجيز» ١/ ٤٦٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٣) لم أهتد إلى القائل.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤١، والثعلبي ٦/ ١١١ ب، والبغوي ٤/ ٥٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٤٤، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٥١.

(٥) ذكره بمعناه الهواري في «تفسيره» ٢/ ١٣٤.

(٦) في (ج): (و).

(٧) انظر: قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٩، وانظر أيضًا: «تفسير الطبري» ١٠/ ١٤١، والثعلبي ٦/ ١١١ ب، والبغوي ٤/ ٥٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٤٤، وأبي حيان ٥/ ٤٥، ولم أجد مصدر قول المبرد، ولعله في كتابه «معاني القرآن» الذي لم أعثر عليه.

(٨) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٤، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٤.

(٩) لم أجد من ذكره عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم في المصدر السابق، نفس الموضع عن الضحاك عن ابن عباس.

وقال الكلبي: مالًا قريبًا[١]، ومضى الكلام في العرض عند قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، قال الليث: القصد[٢]: استقامة الطريقة يقال: قصد يقصد قصدًا فهو قاصد[٣]، قال ابن عباس: سفرًا قاصدًا يريد: قريبًا[٤]، وقال الكلبي: هينا[٥]، وقال الزجاج: أي سهلاً قريبًا[٦]، وقال أهل المعاني: وسفرًا قاصدًا سهلاً باقتصاده من غير طول في أمره، وإنما قيل للعدل قصد لأنه مما ينبغي أن يقصد[٧]، وقال المبرد: قاصدًا: ذا قصد، أي ذا اعتدال في غير طول، أو ذا لين وسهولة واستقامة، كقولهم: لابن[٨] ورامح[٩] وتامر[١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾، قال الليث: الشقة: بعد مسير إلى أرض بعيدة، يقال: شقة شاقة[١١]، قال الضحاك: ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ

---

(١) ذكره الهواري في «تفسيره» ١/ ١٣٤ بنحوه.
(٢) ساقط من (ج).
(٣) «تهذيب اللغة» (قصد) ٣/ ٢٩٧١، والنص في كتاب: «العين» (قصد) ٥/ ٥٤.
(٤) «تنوير المقباس» ص١٩٤ بمعناه.
(٥) ذكره الهواري في «تفسيره» ٢/ ١٣٤.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٤٩.
(٧) ذكر نحو هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٧٢، ولم أجد من ذكره من أهل المعاني.
(٨) لابن: أي ذو لبن. انظر: «لسان العرب» (لبن) ٧/ ٣٩٨٩، (رمح) ٣/ ١٧٢٤.
(٩) رامح: أي ذو رمح. انظر: المصدر السابق (رمح) ٣/ ١٧٢٤.
(١٠) الكلمة ساقطة من (ي)، ومعناها: ذو تمر. انظر: المصدر السابق، نفس الموضعين.
(١١) «تهذيب اللغة» (شق) ٢/ ١٩٠٦، والنص في كتاب: «العين» (شق) ٥/ ٧ دون قوله: يقال.. إلخ.

﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: المسافة(١)، وقال الكلبي: يعني السفر إلى الشام(٢)، وقال الزجاج: بعدت عليهم الغاية التي تقصدها(٣)، ونحوه قال ابن كيسان(٤)، وقال قطرب: الشقة: السفر البعيد؛ لأنه يشق على الإنسان(٥)، وقال غيره: الشقة: القطعة من الأرض التي يشق ركوبها على صاحبها(٦).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، قال الكلبي: يعني: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال(٧)، قال أهل المعاني: وفي هذا دلالة على نبوة محمد ﷺ لأنه أخبر أنهم سيحلفون، ثم جاءوا فحلفوا كما أخبر أنه سيكون منهم(٨).

وقوله تعالى: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، قال ابن عباس: بالكذب والنفاق(٩)، وقوله(١٠): ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، قال قتادة: لأنهم كانوا يستطيعون الخروج ولكن كانت تبطئة من عند أنفسهم زهادة في

---

(١) لم أعثر على من خرجه، وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٤ عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: المسيرة.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٠.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٤) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١١ ب.

(٥) انظر قوله في المصدر السابق، نفس الموضع.

(٦) هذا قول علي بن عيسى الرماني. انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٤٥.

(٧) لم أجد من ذكره عنه، وقد ذكره من غير نسبة المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٤، والماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٦٧.

(٨) القول للحوفي في كتابه «البرهان» ١١/ ١٨٥ أ، وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٩١، و«مفاتيح الغيب» ١٦/ ٧٥.

(٩) ذكره الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٤ بلفظ: بالحلف الكاذبة.

(١٠) من (م).

الخير[١]، وقال الحسن: لكاذبون: أي مستطيعون[٢] للخروج[٣][٤]، وقال مجاهد: أي ذلك الذي قالوا بألسنتهم مخالف لما في قلوبهم[٥].

فإن قيل: أليس عندكم لو استطاعوا لخرجوا وإذ[٦] لم يخرجوا فلأنهم لم يستطيعوا، والله تعالى قد كذبهم في قولهم[٧] لم نستطع، فبان أنهم استطاعوا ولم يخرجوا؟[٨]

قلنا: الاستطاعة ههنا معناه: الزاد والسلاح والمركوب وكانوا مياسير ذوي عدة فاستطاعتهم كان بالعدة وكُذّبوا في قولهم: لم نستطع[٩].

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤١، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤١.

(٢) في (ي): (مستطيعين).

(٣) ساقط من (ج).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أعثر عليه في المصادر التي بين يدي.

(٦) في (ج): (فإذا).

(٧) في (ج) و(ي): (قوله)، وهو خطأ.

(٨) ذكر الرازي أن ممن اعترض هذا الاعتراض أبا على الجبائي والكعبي. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٦/ ٧٢- ٧٣.

(٩) يشير المؤلف -رحمه الله- إلى خلاف محتدم بين المعتزلة والأشاعرة في باب الاستطاعة والقدرة، وفي المسألة عدة أقوال أبرزها:

الأول: قول المعتزلة، وهو أن الاستطاعة قبل الفعل، يقول عبد الجبار الهمداني: وجملة ذلك أن من مذهبنا أن القدرة متقدمة لمقدورها، وعند المجبرة أنها مقارنة له. «شرح الأصول الخمسة» ص٣٩٨، وانظر أيضًا: «مقالات الإسلاميين» ١/ ٣٠٠، و«الفرق بين الفرق» ص١٣٧، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٣٣.

الثاني: قول الأشاعرة ومن وافقهم، وهو أن الاستطاعة تكون مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدمه البتة، يقول الجويني في «الإرشاد» ص٢١٩: والدليل على أن الحادث =

٤٣- وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، قال المفسرون: أذن رسول الله ﷺ لطائفة في التخلف عنه فأنزل الله هذه الآية[(١)]، قال الحسين بن الفضل: هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح الخطاب بالعفو ما كان يقوم لقوله: ﴿لِمَ[(٢)] أَذِنتَ لَهُمْ﴾ فطيب الله نفسه بتصدير العفو، وذلك أنه أذن لهم من غير مؤامرة[(٣)]، ولم[(٤)] يكن[(٥)] له أن يمضي[(٦)] شيئًا

= مقدور، وأن الاستطاعة تقارن الفعل، أن نقول: القدرة من الصفات المتعلقة، ويستحيل تقديرها دون متعلق لها، فإن فرضنا قدرة متقدمة، وفرضنا مقدورًا بعدها في حالتين متعاقبتين فلا يتقرر على أصول المعتزلة تعلق القدرة بالمقدور، فإنا إذا نظرنا إلى الحالة الثانية فلا تعلق للقدرة فيها، فإذا لم يتحقق في الحالة الأولى إمكان، ولم يتقرر في الحالة الثانية اقتدار، فلا يبقى لتعلق القدرة معنى.أهـ. وانظر أيضًا: «غاية المرام من علوم الكلام» ص٢٤٥، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٣٣.

الثالث: قول عامة أهل السنة ومحققي المتكلمين، وهو أن الاستطاعة قسمان:

أ- استطاعة للعبد بمعنى الصحة والوسع، وسلامة الآلات والتمكن وانتفاء الموانع، فهذه قد تتقدم الفعل، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وكذا في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، فالمراد من الاستطاعة في الآيتين استطاعة الأسباب والآلات وانتفاء المانع.

ب- استطاعة للعبد تكون موجبة للفعل، محققة له، فيها يتحقق وجوده، ويظهر كيانه، وهذه الاستطاعة مقارنة للفعل لا تتقدمه. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ٨/ ٣٧٢، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٣٣.

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٥، والسمرقندي ٢/ ٥٣، وابن الجوزي ٣/ ٤٤٥.

(٢) ساقط من (ج).

(٣) يعني: من غير أمر الله له بذلك.

(٤) ساقط من (ج).

(٥) في (ج): (لكن).

(٦) في (ج): (ينهي).

إلا بوحي[١]، قال قتادة وعمرو بن ميمون[٢]: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله كما تسمعون[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد في التخلف[٤]، قال أهل المعاني: وهذا يدل على أنه فعل ما لم يؤذن له فيه، لأنه لا يقال: لم فعلت: فيما أذن له في فعله[٥]. وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له، فيكون إذنك لمن أذنت له على عذر، وقال ابن عباس: وذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف يومئذ المنافقين، وما عرفهم إلا بعدما نزلت[٦] سورة[٧] براءة[٨]، وقال أهل المعاني: هذه الآية بيان عما توجبه العجلة في الأمر قبل التبين من التنبيه على ما ينبغي من التثبت حتى تظهر الحال فيعامل كل فريق بما يستحقه من التقريب أو

---

(١) لم أجد من ذكره عنه، وكتاب الحسين بن الفضل في معان القرآن مفقود.

(٢) هو: عمرو بن ميمون الأودي، أبو عبد الله الكوفي، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه، كان ثقة عابدًا كثير الحج، وتوفي سنة ٧٤هـ. انظر: «الكاشف» ٢/ ٨٩، و«تهذيب التهذيب» / ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٢، والثعلبي ٦/ ١١١ ب، والبغوي ٤/ ٥٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٤٥، والقرطبي ٨/ ١٥٤.

(٤) «تنوير المقباس» ص١٩٤ بنحوه.

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢١.

(٦) في (ي): (بعد نزول).

(٧) ساقط من (ي).

(٨) ذكره بنحوه البغوي ٤/ ٥٥، وابن الجوزي ٣/ ٤٤٥، والقرطبي ٨/ ١٥٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠١.

الإبعاد[١]، وذكر ابن الأنباري وغيره من أهل الحقائق في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ وجهًا آخر سوى ما ذكرنا، وهو أنه قال: لم يأت النبي ﷺ مأثمًا ولم يخاطب بالذي خوطب به لجرم أجرمه، لكن الله تعالى وقره[٢] ورفع من شأنه بافتتاح الكلام بالدعاء له[٣] كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريمًا عنده: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، ألا زرتني؟ وعافاك الله، ألا عرفت حقي؟ فلا يقصد فيما يفتتح به من الدعاء إلا قصد التبجيل لمخاطبه والرفع لمحله[٤].

٤٤- وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية.

قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد[٥]، [وقال الزجاج:][٦] أعلم الله نبيه أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان[٧].

---

(١) ذكره الرازي بمعناه ولم ينسبه لأحد. انظر: «تفسيره» ١٦/ ٧٣.

(٢) في (ي): (وفقه)، وهو خطأ. وما أثبته موافق لـ«زاد المسير».

(٣) ساقط من (ج).

(٤) ذكر أكثره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٥ عن ابن الأنباري، واعتبره النحاس قولاً مرجوحًا في الآية. انظر: «إعراب القرآن» له ٢/ ٢١٧، وحكاه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ١٥٤، عن مكي والمهدوي، وضعفه الشوكاني في «فتح القدير» ٢/ ٥٣٢، وقبله الكرماني في «غرائب القرآن» ١/ ٤٥٥.

(٥) رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٦، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٤٣٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠، وبقية النص: في التخلف عن الجهاد.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۗ﴾، قال: موضع (أن) نصب، المعنى: لا يستأذنك هؤلاء في أن يجاهدوا[1]، ولكن (في) حذفت فأفضى الفعل فنصب (أن)[2]. قال سيبويه: ويجوز أن يكون موضعه[3] جرًا لأن حذفها ههنا جاز من ظهور (أن) فلو أظهرت المصدر لم تحذف (في)، لا يجوز: لا يستأذنك القوم الجهاد[4] [حتى تقول: في الجهاد، ويجوز: لا يستأذنك القوم أن يجاهدوا][5][6].

---

(١) ذكر النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٢١ هذا التقدير عن الزجاج ثم قال: قال غيره: هذا غلط، وإنما المعنى ضد هذا، ولكن التقدير: (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) في التخلف لئلا يجاهدوا، وحقيقته في العربية: كراهة أن يجاهدوا كما قال جل وعز: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾ [النساء: ١٧٦].
وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٩٢ وحاشيته، فقد جوّز الزمخشري ما ذهب إليه الزجاج، وزاده إيضاحًا ابن المنير، واعتبره أدبًا إسلاميًا يجب أن يقتفى فلا يليق بالمرء أن يستأذن أخاه أن يسدي إليه معروفًا.
وأقول: إن أسباب النزول وسياق الآيات لاسيما قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ يدل على ضعف هذا القول، فما كان الله ليعاتب نبيه على إذنه لهم بالجهاد، بل على إذنه بالتخلف عن الجهاد، وهذا يدل على أنهم استأذنوه القعود لا في الجهاد.

(٢) القول للزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه»: موضعها.

(٤) في (ج): (أن يجاهدوا)، والصواب ما أثبته وهو موافق لـ«معاني القرآن وإعرابه».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) انظر قول سيبويه في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٥٠ ولم أجده في مظانه في كتاب سيبويه، كما أن الأستاذين د/ محمد عبد الخالق عضيمة، وعبد السلام هارون لم يذكرا هذه الآية في فهرسيهما لكتاب سيبويه، وقد ذكر سيبويه النصب على نزع الخافض في عدة مواضع في كتابه منها: ١/ ٣٨، ١٥٩، ٣/ ١٢٧، ١٣٥، ١٣٧، ومن أقواله في كتابه ٣/ ١٥٤: واعلم أن اللام ونحوها من حروف =

قال أصحاب الحقائق[(١)]: ليست هذه الآية على ظاهرها؛ لأن ترك الاستئذان عن[(٢)] الإمام في الجهاد مذموم، وهؤلاء محمودون في هذه الآية بترك الاستئذان[(٣)]، وههنا إضمار وهو أحد شيئين: **أحدهما**: أن يكون التقدير: لا يستأذنك هؤلاء أن يجاهدوا فحذف (لا)، **والثاني**: لا يستأذنك هؤلاء كراهية أن يجاهدوا[(٤)]، وقد ذكرنا نحو هذا في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦] وفي غيره من المواضع، والذي دل على هذا المحذوف ذم المنافقين وسياق القصة، وهو قوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ إنما كان ذلك إذنًا في القعود عن الجهاد لا في الجهاد، ويدل عليه أيضًا ما بعده من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي في القعود عن الجهاد.

وقال صاحب النظم: ظاهر نظم[(٥)] هذه الآية والتي بعدها يوهم أن الاستئذان في الجهاد مذموم، وهذا غير سائغ في المعنى؛ لأن الذم إنما وقع على من يستأذن في القعود عن الجهاد، فالتأويل: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر في القعود عن الجهاد، فجاء هذا النظم على سبق

= الجر قد تحذف من (أن) كما حذفت من (أنَّ)، جعلوها بمنزلة المصدر حين قلت: فعلت ذلك حذر الشر، أي لحذر الشر، ويكون مجرورًا على التفسير الآخر.

(١) أهل الحقائق عند المؤلف هنا هم أهل المعاني كابن الأنباري كما بين ذلك من قبل.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والصواب: (من)، عبارة المؤلف في «الوسيط» ٣/ ٥٠١: .. وإلا فالاستئذان من الإمام في القعود عن الجهاد غير مذموم.

(٣) في (ي): (الإيذان).

(٤) ذكر بعض هذا القول النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٢١، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ٧٦.

(٥) ساقط من (ي).

العلم من الجميع إلى أنه[١] لا يقع الذم في مثل هذا إلا على من يستأذن[٢] في ترك الجهاد والقعود عنه، ومثله قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] فهذا أيضًا ظاهره أنهم يرغبون في نكاحهن والمعنى على خلافه؛ لأن هذا ورد في عضل الولي[٣] عن التزويج وامتناعه من أن يتزوجها، والعرب تقول: رغبت أن أفعل كذا بمعنى: عن أن أفعله، ورغبت أن أفعله [بمعنى في أن أفعله][٤] ولا يعرف ذلك إلا بالاعتبار بمكانه[٥] الذي وقع به، والقصة التي حدث فيها، من ذلك قول الخنساء:

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار[٦]

ظاهر قولها: ما[٧] في ورده عار، أن معناه [: ما على من ورده عار][٨] ومعناه في الباطن: ما في ترك ورده مخافة عار؛ لأنها عنت: ماء ورده في موضع مخوف يتناذره الناس ويتحامونه، تقول: فهو يرد هذا الماء لشجاعته وجرأته، وإن ترك ورده تارك لم يكن عليه عار لهول ما فيه.

---

(١) في (ي): (لأنه).
(٢) في (ي): (يستأذنك).
(٣) في «الصحاح» (عضل) ٥/١٧٦٧: عضل الرجل أيمه: إذا منعها من التزويج.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).
(٥) في (ج): (لمكانه)، وهو خطأ.
(٦) انظر: «ديوان الخنساء» ص٤٨، ومعنى تناذره: أنذر بعضهم بعضًا، والموارد: جمع مورد، وهو المنهل والماء الذي يورد للسقيا. وهي تعني الموت، أي لإقدامه وشجاعته.
انظر: «الكامل» ٤/٤٨، و«أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء» ص٧٥.
(٧) لفظ: (ما) ساقط من (ج).
(٨) نص ما بين المعقوفين في (ي) هكذا: (على ما في ورده عار)، وهو خطأ ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: ليس فيهم منافق[١].

قال أهل المعاني: لم يخرجهم من[٢] صفة المتقين إلا لأنه علم أنهم ليسوا منهم[٣].

٤٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، أجمعوا على أن هذا الاستئذان في القعود عن الجهاد، وإخبار أن من فعل ذلك غير مؤمن بالله[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: شكوا في دينهم، ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، قال: يريد في شكهم يتمادون[٥][٦].

وقال أهل المعاني: هذه صفة الشاك المتحير في دينه الذي ليس[٧] على بصيرة من أمره، لا يجد ثقة الإيمان لما هو عليه من الحيرة

---

(١) في «تنوير المقباس» ص١٩٤: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ الكفر والشرك.
(٢) ساقط من (ج).
(٣) «البرهان» للحوفي ١١/ ١٩٢ ب بنحوه.
(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٣، والسمرقندي ٢/ ٥٣، والبغوي ٤/ ٥٥، وقول المؤلف: وإخبار أن من فعل ذلك غير مؤمن بالله، ليس على إطلاقه، فإن الاستئذان في التخلف عن الجهاد قد يكون عن ريبة وشك ونفاق، وقد يكون جبنًا أو كسلاً، وقد قيد بعض العلماء الآية بزمن رسول الله ﷺ، قال الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠: أعلمه - جل وعلا- أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان في التخلف عن الجهاد. وانظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٣، والرازي ١٦/ ٧٦- ٧٧، والقرطبي ٨/ ١٥٥.
(٥) في (م): (يتمارون)، وما أثبته موافق لـ «الوسيط» و«الوجيز».
(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٠١، و«الوجيز» ٦/ ٥٠٨-٥٠٩، ونحوه في «تنوير المقباس» ص١٩٤.
(٧) في (ي): (ليس له).

والاضطراب حتى زهد في الجهاد، واستأذن في المقام بما لا يجوز من الاعتذار، وقال أبو إسحاق: أعلم الله -جل وعز- أن من ارتاب وشك في الله وفي البعث فهو كافر[(١)].

٤٦- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، قال ابن عباس: يريد: من الزاد والماء وما يركبون؛ لأن سفرهم بعيد، وفي زمان شديد[(٢)]، وقال الزجاج: فتركهم العدة دليل على إرادتهم التخلف[(٣)]، وقال غيره: هذا إشارة إلى أنهم كانوا مياسير قادرين على أخذ العدة لو أرادوا الخروج إلى الجهاد[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ الانبعاث: الانطلاق في الأمر، يقال: بعثت[(٥)] البعير فانبعث، وبعثته لأمر كذا فانبعث: أي نفذ فيه[(٦)]، ومنه الحديث في عقر الناقة: «**فانبعث لها رجل عارم**[(٧)]»[(٨)].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٧٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٨، وبمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٤) ذكر ذلك من غير تعيين الرازي في: «تفسيره» ١٦/ ٧٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠١، و«الوجيز» ٦/ ٥١٠-٥١١.

(٥) في (م): (بعث).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (بعث) ١/ ٣٥٤، و«الصحاح» (بعث) ١/ ٢٧٣.

(٧) عارم: أي خبيث شرير، والعُرام: الشدة والقوة والبطش. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (عرم) ٣/ ٢٢٣.

(٨) رواه مطولاً البخاري (٤٩٤٢)، كتاب: التفسير، سورة الشمس وضحاها، ومسلم (٢٨٥٥)، كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، والترمذي (٣٣٤٣)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الشمس وضحاها، =

قال ابن عباس في تفسير ﴿ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾: يريد: خروجهم معك ونحوه قول[(١)] الزجاج: (كره الله أن يخرجوا معكم)[(٢)]، قال أصحابنا: معنى: (كره الله): لم يرد الله؛ لأن الكراهة للشيء ضد الإرادة له[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ التثبيط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله، قال ابن عباس: يريد: فخذلهم وكسلهم عن الخروج[(٤)]، وعنه أيضًا: (فحبسهم) في رواية الضحاك[(٥)]، والأول في رواية عطاء، وقال الحسن: (خذلهم)[(٦)]، وهذا ظاهر في أن الله تعالى يخلق الخذلان والكفر، ألا

= وأحمد في «المسند» ٤/ ١٧.

(١) في (ج): (قال).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٣) انظر: «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري ص٢٣١، وكتاب: «أصول الدين» للبغدادي ص١٠٢.

وهذا القول من تأويل الأشاعرة لصفات الله الفعلية وردّها إلى الإرادة، ومذهب السلف إثبات صفة الكراهة، بناء على قاعدتهم بأن الله يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

انظر: «عقيدة السلف» للصابوني ص١٨٩، ٢٢٣، وكتاب: «الأسماء والصفات» للبيهقي ٢/ ١١٣، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ٣/ ٣، ١٧، و«شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٨٥، و«مدارج السالكين» ١/ ٢٧٨، و«معارج القبول» ١/ ٣٤٦، ٣٥٦.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠١، و«الوجيز» ١/ ٤٦٦، وبنحوه أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٨.

(٥) أخرجها ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٠٧، ومثلها رواية الكلبي كما في «تنوير المقباس» ص١٩٤.

(٦) لم أعثر عليه.

ترى[١] أنه[٢] أضاف حبسهم ومنعهم من الخروج إلى نفسه في قوله: ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، قال ابن عباس: يعني: أولي الضرر والزمنى[٤]، وقال عطية: يعني الصبيان والنساء[٥]، واختلفوا في أن هذا القول ممن كان؟ فقال بعضهم: رسول الله قال لهم لما[٦] استأذنوا: اقعدوا مع الخالفين غضبًا منه عليهم، ولم يقصد بذلك سوى الوعيد فاغتنموا هذه اللفظة، وقالوا: قد أذن لنا رسول الله ﷺ[٧]، فقال

---

(١) في (ج): (ألا تراه).

(٢) ساقط من (ج) و(م).

(٣) وهذا مذهب أهل السنة قاطبة، انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ٢/ ٦٤٠، ولكن يجدر بالتنبيه أن الله تعالى لا يخلق الكفر في نفس إنسان إلا إذا باشر أسباب ذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

(٤) لم أجد من ذكره إلا المؤلف في «الوجيز» ١/ ٤٦٦.

(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ١٣٥، والبغوي ٤/ ٨١، عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ دون تعيين القائل.

(٦) في (ج): (كما)، وهو خطأ.

(٧) ذكر هذا القول مختصرًا النحاس في: «إعراب القرآن» ٢/ ٢٢، والماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٦٨، والخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٣٠، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١٥٦. ولا يخفى ضعف هذا القول لما يأتي:

أ- أن الأصل في اللفظ الحقيقة، ولا يجوز تجريد لفظ كلام الله من حقيقته إلا ببرهان قاطع، وليس ثمت برهان.

ب- أن الآية صُدّرت بقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ المشعر بأن رسول الله ﷺ خالف الأولى، فدل ذلك على أنه أذن للمنافقين بالقعود إذنًا حقيقيًا لا صوريًا.

جـ- أن جميع من ذكر هذا القول لم يسنده إلى شاهد حال، وإنما قيل على وجه الظن والتخمين.

الله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ والمراد لفظ الإذن لا حقيقته[١]، وقال مقاتل: وحيًا إلى قلوبهم[٢]، يعني أن الله ألهمهم أسباب الخذلان، وأوحى إلى قلوبهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ويجوز أن يكون بعضهم قاله لبعض[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم﴾ الآية، قال ابن زيد: هذا تسلية للنبي ﷺ عن حزنه على تخلف من تخلف عنه من المنافقين فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[٤]، وقال الزجاج: أعلم الله تعالى لم كره خروجهم بقوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم﴾ الآية[٥]، قال ابن عباس: لو خرجوا معكم[٦].

وقوله تعالى: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ الخبال: الفساد والشر في كل شيء[٧]، وهو مما ذكرناه في سورة آل عمران [١١٨]، والمراد بالخبال ههنا: الاضطراب في الرأي، وذلك[٨] بتزيين أمر لفريق وتقبيحه عند فريق ليختلفوا فتفترق كلمتهم ولا تنتظم، يقول: لو خرجوا لأفسدوا عليكم أمركم، هذا معنى قول المفسرين[٩].

---

(١) في (ج): (لا حقيقة الإذن).

(٢) «تفسير مقاتل» ص١٢٩.

(٣) وهذا ما اعتمده البغوي في «تفسيره» ٤/ ٥٥، وانظر: «الكشاف» ٢/ ١٩٣.

(٤) هذا معنى أثر ابن زيد، وقد رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٠.

(٦) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٤ من رواية الكلبي، وسنده لا يخفى.

(٧) انظر: «الصحاح» (خبل) ٤/ ١٦٨٢، و«الكشاف» ٢/ ١٩٤.

(٨) ساقط من (ي).

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٤، والثعلبي ٦/ ١١٢ أ، والبغوي ٤/ ٥٦.

قال ابن عباس في قوله: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ يريد: عجزًا وجبنا[١]، يعني: أنهم يجبنونهم[٢] عن لقاء العدو بتهويل الأمر عليهم، وقال الكلبي: «إلا شرًّا»[٣] وقال مرة[٤]: «إلا غشًّا»[٥]، وقال يمان[٦]: «إلا مكرًا»[٧]، وقال الضحاك: «إلا غدرًا»[٨].

قال أصحاب النحو والعربية: هذا أمر الاستثناء المنقطع بتقدير: ما زادوكم قوة لكن طلبوا لكم الخبال، وذلك أنهم لم يكونوا على خبال فيزداودا ذلك[٩]، ويجوز أن يكونوا[١٠] على تلون في الرأي لما يعرض في النفس، فكانوا يصيرونه خبالاً[١١] فلا يكون استثناء منقطعًا.

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠١، وذكره أيضًا الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٦٨ بلفظ: فسادًا.

(٢) في (م): (يجبنوهم).

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ١١٢ ب.

(٤) في (ي): (المرة، والصواب ما أثبته، وهو مرة الهمداني.

(٥) لم أجده.

(٦) هو: يمان بن رئاب (بكسر الراء) البصري الخراساني، وهو ضعيف في باب الرواية.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٨٠.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ١١٢ ب.

(٩) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٤٩، و«الدر المصون» ٦/ ٥٩، وقد أنكر الزمخشري ذلك في «كشافه» ٢/ ١٩٤، فقال: («إلا خبالاً»: ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون؛ لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: ما زادوكم خيرًا إلا خبالاً، والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلاً؛ لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قال: ما زادوكم شيئًا إلى خبالًا).

(١٠) في (ي): (يكون).

(١١) المعنى: أنه قد يطرأ على نفوس الصحابة شيء من اختلاف الرأي ونحوه، فإذا =

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾، قال النضر: وضع البعير إذا عدا، وأوضعته أنا: إذا حملته عليه[1]، ونحو ذلك قال أبو زيد[2]، وأنشد الليث[3]:

لماذا[4] تردّين امرأ جاء لا يرى كودّك ودًا قد أكل[5] وأوضعا[6]

وقال الفراء: العرب تقول: أوضع الراكب، ووضعت الناقة، وربما قالوا للراكب: وضع، وأنشد:

إنـي إذا مـا كـان يـوم ذو فـزع ألفيتني محتملاً بزّي[7] أضع[8]

= وُجد هؤلاء المفسدون ضخموا هذا العارض، وتلونوا في آرائهم لتفريق الصف، وتصيير الخبال.

(١) انظر قول النضر بن شميل في: «تهذيب اللغة» (وضع) ٤/ ٣٩٠٥.

(٢) انظر: «النوادر في اللغة» لأبي زيد ص٢٢١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (وضع) ٤/ ٣٩٠٥. ولم أجده في مادة (كل) و(وضع) من كتاب: العين.

(٤) في «تهذيب اللغة» بماذا.

(٥) في (ج): (أذل)، وأثبت ما في (م) و(ي) لموافقته ما في المصدر السابق.

(٦) لم أهتد إلى قائله، وانظر البيت بلا نسبة في: «تهذيب اللغة» (وضع) ١/ ٣٩٠٥، و«لسان العرب» (وضع) ٨/ ٤٨٥٩.

(٧) هكذا في جميع النسخ و«تهذيب اللغة»، وفي «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤٠، و«لسان العرب» (وضع): (بذي. والبز: الثياب، انظر: «لسان العرب» (بزز) ١/ ٢٧٤.
أما علي رواية الفراء فقد قال المحقق في حاشية الموضع السابق: قوله: بذي، كأنه يريد: بذي الناقة، أو بذي الفرس، وقد يكون المراد: محتملاً رحلي - على صيغة اسم الفاعل- بالبعير الذي أضعه، فذي هنا موصول على لغة الطائيين.

(٨) لم أهتد لقائلهما، والبيت الثاني بلا نسبة في «تهذيب اللغة» (وضع) ١/ ٣٩٠٥. و«لسان العرب» (وضع) ٨/ ٤٨٥٩، وهما بلا نسبة أيضًا في «شرح أبيات معاني القرآن» ص٢٠١.

وقال الأخفش: يقال: أوضعت[(١)] وجئت موضعًا ولا توقعه على شيء، قال: وقد يقول بعض قيس[(٢)]: أوضعت بعيري، فلا يكون لحنا[(٣)]، وقال أبو عبيد: فيما روي عنه ﷺ أنه أفاض من عرفة وعليه السكينة، وأوضع في وادي محسر[(٤)]، الإيضاع: سير مثل الخبب[(٥)]، فحصل من هذه الأقوال أن الإيضاع في قول أكثر أهل اللغة معناه حمل البعير على العدو، حتى لا يجوز أن يقال: أوضع الرجل: إذا سار بنفسه سيرًا حثيثًا، [وعند الأخفش وأبي عبيد يجوز أن يقال: أوضع بمعنى سار سيرًا حثيثًا][(٦)] من غير أن يراد أوضع ناقته أو بعيره، وأكثر ما جاء في الشعر (أوضع) إنما جاء من غير إيقاع على شيء، قال لبيد[(٧)]:

---

(١) في (ج): (وضعت)، وأثبت ما في (م) و(ي) لموافقته لـ«تهذيب اللغة».

(٢) هو جد قديم، وهو قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبنوه قبائل كثيرة منه «هوازن» و«سليم» و«غطفان» و«باهلة». انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص٢٣٢، و«الأعلام» ٥/ ٢٠٧.

(٣) انظر: قول الأخفش في «تهذيب اللغة» (وضع) ١/ ٣٩٠٥.

(٤) رواه النسائي في «سننه»، كتاب: مناسك الحج، باب: الأمر بالسكينة في الإفاضة ٥/ ٢٥٨، والدارمي في «سننه»، كتاب: المناسك، باب: الوضع في وادي محسر رقم (١٨٩١) ٢/ ٨٤، وأحمد في «المسند» ٣/ ٣٣٢، ٣٦٧، ٣٩١، وبنحوه الترمذي (٨٨٦) كتاب: الحج، باب: ما جاء في الإفاضة من عرفات.

(٥) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٦٠.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) لم أجد من ذكر البيت للبيد سوى الرازي ١٦/ ٨١ وهو ناقل النص من الواحدي بدلالة السياق، والمشهور أنه لامرئ القيس وهو في «ديوانه» ص٤٣ ونسب إليه أيضًا في «الصحاح» (سحر) ٢/ ٦٧٩ مع الشك في ذلك، وعبارته: ويُنشد لامرئ القيس، وذكر البيت، كما نسب إليه أيضًا في «البحر المحيط» ٥/ ٤٩، و«الدر المصون» ٢/ ٣١، و«لسان العرب» (سحر) ٤/ ١٩٥٢ وبعده في الديوان: =

أرانـا مـوضـعـيـن لـحـتـم غـيـب
ونـسـحـر بـالـطـعـام وبـالـشـراب

أرد: مسرعين، ولا يجوز أن يريد: موضعين[١] الإبل أو المطية؛ لأنه لم يرد السير في الطريق، وقال عمر بن أبي ربيعة:

تبالهن[٢] بالعرفان لما عرفنني وقُلن امرؤ باغ أكلَّ وأوضعا[٣]

والآية أيضًا تشهد لقول الأخفش وأبي عبيد.

وقوله تعالى: ﴿خِلَٰلَكُمۡ﴾ أي: فيما بينكم، ومنه[٤] قوله: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾ [الكهف: ٣٣]، وقوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسراء: ٥]، وأصله من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين، وجمعه خلال[٥].

ومنه قوله: ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣][٦]، وقرئ:

عـصـافـيـر وذبـان ودود وأجـرأ مـن مـجـلـحـة الـذئـاب

وينسب البيت أيضًا لزهير وهو في «ديوانه» ص١٠٠ (طبعة دار صادر ودار بيروت عام ١٣٧٩هـ) وبعده:

كـمـا سـحـرت بـه إرم وعـاد فـأضـحـوا مـثـل أحـلام الـنـيـام

ومعنى (نسحر): (نعلل، أو نخدع، وقوله: (لحتم غيب): (في المصادر السابقة: لأمر غيب، وهو يريد الموت، انظر: «البحر المحيط» و«لسان العرب»، نفس الموضع السابق.

(١) في (ي): (موضعين لحتم)، وهو خطأ.

(٢) في (ج): (تناهلن)، والصواب ما أثبته كما في «شرح الديوان»، وفيه: تباهلن: تصنعن البله وتكلفنه، وأكل: أتعب راحلته، وأوضع: أي سار أشد السير.

(٣) انظر: «شرح ديوانه» ص١٧١.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) في (ج): (خلا)، وهو سهو من الناسخ.

(٦) الودق: المطر. انظر: «تفسير البغوي» ٦/ ٥٤.

(من خَلله)[١] وهي مخارج مصب القطر، وقال الأصمعي: «تخللت القوم: إذا دخلت من[٢] خللهم وخلالهم»[٣]، ويقال: جلسنا خلال بيوت الحي، وخلال دورهم، أي جلسنا بين البيوت ووسط الدور.

قال أهل المعاني: ومعنى الإيضاع ههنا: إسراعهم في الدخول بينهم للتضريب[٤] ينقل الكلام على التحريف[٥]، وعلى هذا المعنى دل كلام المفسرين، قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ يريد: أضعفوا شجاعتكم[٦]، يعني: بالتضريب بينهم لتفترق الكلمة فتجبنوا عن العدو، وقال الحسن: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ بالنميمة لإفساد ذات بينكم[٧]، هذا هو المعنى الصحيح، وقال الكلبي: يعني ساروا بينكم يبغونكم العنت[٨]، وعلى هذا قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ عبارة عن سيرهم فيما بينهم

---

(١) بفتح الخاء وبلا ألف على الإفراد، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس والضحاك ومعاذ العنبري، عن أبي عمرو والزعفراني والأعمش، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص١٠٢، و«البحر المحيط» ٦/ ٤٦٤، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٣٢٥.

(٢) في (م): (تخللت بين).

(٣) «تهذيب اللغة» (خل) ١/ ١٠٩٧.

(٤) في «لسان العرب» (ضرب) ٥/ ٢٥٦٨: ضربت الشيء بالشيء وضربته: خلطته، وضربت بينهم بالشر: خلطت، والتضريب بين القوم: الإغراء.

(٥) ذكر معناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٨ عن الحسن ولم أجده فيما بين يدي من كتب أهل المعاني.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر المعنى في: «الوجيز» ٦/ ٥١٢.

(٧) ذكره ابن الجوزي في: «زاد المسير» ٣/ ٤٤٨، وابن القيم كما في «التفسير القيم» ٢/ ٣٥٨.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ١١٢ ب، والبغوي ٣/ ٥٦، لكنه تصحف في «تفسير البغوي»، فقال: العيب.

فقط، وقوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ حال لهذا السير ولهم، وقال أصحاب العربية في قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ﴾: أي أوضعوا مراكبهم خلالكم[١]، وهو قول أبي الهيثم[٢]، ونحوه الكسائي: خببوا[٣] ركائبهم فيما بينكم[٤].

ولا يكون في[٥] هذا ذمًا لهم إلا أن يحمل هذا على معنى قول الكلبي، وقال ابن الأعرابي: أي: لأسرعوا في الهرب خلالكم[٦]، ونحوه قال ابن الأنباري: أسرعوا الفرار في أوساطكم[٧]، وهذا قول بعيد؛ لأن لفظ الآية ليس يدل على معنى الهرب، [وأي فائدة لقوله في[٨] ﴿خِلَٰلَكُمْ﴾ لو أراد بالإيضاع: الهرب][٩]، وقال أبو إسحاق: أي: ولأسرعوا فيما يخل بكم[١٠]، وهذا راجع إلى القول الأول وهو أنه إسراع بالنميمة، والنميمة[١١] مما يخل بهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤٠، و«تهذيب اللغة» (وضع) ٤/ ٣٩٠٦، و«لسان العرب» (وضع) ٨/ ٤٨٥٩.

(٢) انظر: قوله في «تهذيب اللغة» (وضع) ٤/ ٣٩٠٦.

(٣) الخبب: ضرب من العدو. انظر: «مجمل اللغة» (خب) ٢/ ٢٧٧.

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٥) في (ي): (على).

(٦) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٢ ب، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٩.

(٨) كذا. ولا معنى لذكر لفظ (في).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥١.

(١١) ساقط من (ي).

وقوله[١]: يخل بكم، ليس من لفظ الخلال[٢]، ولا بتفسير له، بل هو مضمن في الإيضاع يعني: ولأوضعوا مخلين بكم بالنميمة، وليس الخلال من الإخلال في شيء، هذا معنى قول أبي إسحاق[٣]، وكتب في المصاحف ﴿وَلَأَاوْضَعُواْ﴾ بزيادة ألف ومثله: ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١] في بعضها، قال الفراء: وهو من سوء هجاء الأولين، وقال الزجاج: إنهم كانوا في ذلك الزمان يكتبون الفتحة ألفًا ولم يكن ذلك من هجاء العرب، والكتابة بالعربية ابتدئ به بقرب نزول القرآن فوقع فيه زيادات في أمكنة[٤].

---

(١) يعني الزجاج في قوله السابق.

(٢) في (ي): (الخيال)، وهو خطأ.

(٣) يعني الذي تقدم ذكره.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٢، ووافقه الزمخشري أيضًا في «الكشاف» ٢/ ١٩٤ وخالفهم الإمام أبو عمرو الداني الذي بين أن زيادة الألف هنا لفائدة فقال: أما زيادة الألف في (لأاوضعوا) و (لأاذبحنه) فلمعان أربعة، هذا إذا كانت الزائدة فيهما المنفصلة عن اللام، وكانت الهمزة هي المتصلة باللام، وهو قول أصحاب المصاحف: فأحدها: أن تكون صورة لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها.

والثاني: أن تكون الحركة نفسها، لا صورة لها، على مذهب العرب في تصوير الحركات حروفًا.

والثالث: أن تكون دليلًا على إشباع فتحة الهمزة وتمطيطها في اللفظ؛ لخفاء الهمزة، وبعد مخرجها، وفرقًا بين ما يحقق من الحركات، وبين ما يختلس منهن، وليس ذلك الإشباع والتمطيط بالمؤكد للحروف، إذ ليس من مذهب أحد من أئمة القراءة، وإنما هو إتمام الصوت بالحركة لا غير.

والرابع: أن تكون تقوية للهمزة وبيانًا لها.

وإذا كانت الزائدة من إحدى الألفين المتصلة في الرسم باللام، وكانت الهمزة هي المنفصلة عنها وهو قول الفراء وأحمد بن يحيى من النحاة - فزيادتها لمعنيين: =

وقوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: يبغون لكم، قال كعب بن زهير:

إذا ما نتجنا أربعًا عام كفأة

بغاها خناسيرًا فأهلك أربعًا[(١)]

أي: بغى لها خناسير، وهي الدواهي، ومعنى بغى ههنا: طلب.

الأصمعي: يقال ابغني كذا أي: اطلبه لي، ومعنى ابغني وابغ لي سواء، وإذا قال: أبغني فمعناه أعنيِّ على بُغائه[(٢)].

أبو عبيد عن الكسائي: أبغيتك[(٣)] الشيء، إذا أردت: أعنته على

= أحدهما: الدلالة على إشباع فتحة اللام وتمطيط اللفظ بها.
والثاني: تقوية للهمزة، وتأكيدًا لها وبيانًا. «المحكم في نقط المصاحف» للداني ص١٧٦، ١٧٧.

(١) البيت في «شرح ديوان كعب بن زهير»، ونسب إليه أيضًا في «تهذيب اللغة» (بغى) ١/ ٣٦٧، و«تهذيب إصلاح المنطق» ص٢٩٢.
وفي المصدر الأخير: نتج فلان إبله كَفأة وكُفأة: وهو أن يفرق إبله فرقتين، فيُضرب الفحل العام إحدى الفرقتين، ويدع الأخرى، فإذا كان العام المقبل أرسل الفحل في الفرقة التي لم يكن أضربها الفحل في العام الماضي، وترك التي أضربها في العام الماضي؛ لأن أفضل النتاج أن يُحمل على الإبل الفحول عامًا، وتترك عامًا.. ونتج الرجل الناقة: إذا ولدت عنده، يقول: إذا نُتجت أربع من إبله أربعة أولاد، هلك من إبله الكبار أربع، فيكون ما هلك منه أعظم مما أصاب، والخناسير: الهُلاك، لا واحد له، وفي (بغاها) ضمير من الجد -يعني: الحظ- هو الفاعل. «تهذيب إصلاح المنطق» ص٢٩١- ٢٩٢ مختصرًا.
وقال السكري في «شرح الديوان» ص٢٢٧: يقول: إنه من شؤم حظه إذا نتج أربع نوق أتت الدواهي فأهلكتهن.

(٢) «تهذيب اللغة» (بغى) ١/ ٣٦٧.

(٣) في (ج) و(ي): (بغيتك)، وما أثبته من (م) وهو موافق لمصدري تخريج القول.

طلبه، فإذا أردت أنك فعلت ذلك له[١] قلت: بغيته، وكذلك أعكمتك[٢]، وأحلبتك[٣]: إذا أعنته، وعكمتك العكم[٤]: أي فعلته لك[٥]، ونحو هذا قال الفراء[٦]، ومعنى الفتنة ههنا: النفاق في قول ابن عباس[٧]، والشرك، في قول محمد بن مسلم[٨]، باختلاف كلمتهم وافتراقهم فيما بينهم وذلك شرك ونفاق، وهو أن يختلفوا على النبي ﷺ[٩]، وقال الكلبي: يبغونكم العنت، يبطئونكم[١٠][١١].

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ج): (علمتك، وما في (ي): (موافق لما في «تهذيب اللغة» «لسان العرب»، يقال: عكم المتاع يعكمه عكمًا: شده بثوب، وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشده، ويسمى حينئذ عكمًا، والعكام، ما عكم به، وهو الحبل الذي يعكم عليه. «لسان العرب» (عكم) ٥/ ٣٠٦.

(٣) كذا في جميع النسخ، وكذلك في «تفسير الثعلبي»، ولفظ «تهذيب اللغة» و«لسان العرب»:
أحملتك، أي: أعنتك على حمل المتاع، ومعنى أحلبتك: أعنتك على حلب الناقة ونحوها كما فسره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٦/ ١١٢ ب.

(٤) في (ج): (علمتك العلم)، والصواب ما أثبته وهو موافق لمصدري تخريج القول.

(٥) انظر: قول الكسائي في «تهذيب اللغة» (بغى) ١/ ٣٦٧، و«لسان العرب» (بغا) ١/ ٣٢٢.

(٦) انظر: «معاني القرآن» له ١/ ٤٤٠.

(٧) لم أقف على مصدر هذا القول.

(٨) يعني ابن قتيبة، انظر: «تفسير غريب القرآن»، له ص١٩٦.

(٩) قال الإمام ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٩٧- ٣٩٨ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: فليحذر وليخشى من خالف شريعة الرسول باطنًا وظاهرًا (أن تصيبهم فتنة) أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة.

(١٠) في (ي): (يبغونكم الفتنة يثبطونكم).

(١١) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٢ ب، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٥٦ بلفظ: العنت والشر.

وقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: عيون لهم ينقلون إليهم ما يسمعون منكم، هذا قول مجاهد[(١)] وابن زيد[(٢)] والكلبي[(٣)]، وقال قتادة: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم[(٤)]، وقال ابن إسحاق: وفيكم قوم أهل محبة لهم وطاعة [فيما يدعونهم إليه لشرفهم فيهم[(٥)]، ومعناه على هذا: وفيكم أهل سمع لهم وطاعة][(٦)] لو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم[(٧)] بتثبيطهم إياهم عن[(٨)] السير معكم، وكل هذا إخبار عن حال المنافقين من حرصهم على خبال المؤمنين وطلب الغوائل لهم[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد المنافقين)[(١٠)].

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٩، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٣.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٩.

(٣) لم أقف على مصدر قوله.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٦، والثعلبي ٦/ ١١٢ ب.

(٥) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢٠٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) في (ي): (عليك).

(٨) في (ي): (على).

(٩) المنافق لا يخرج للجهاد إلا تقية وخوفًا من المسلمين، أو طمعًا في غنيمة، ثم هو ذو قلب حائر يبث الخور والضعف في الصفوف، وذو نفس خائنة تمثل خطرًا على الجيش، فمثله لا يزيد المسلمين قوة، بل فوضى واضطرابًا، وفتنة وتفريقًا، وهي العامل الأساسي في انهيار الجيوش وهزيمتها.

(١٠) «تنوير المقباس» ص١٩٤، و«الوسيط» ٢/ ٥٠١.

٤٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾، قال ابن عباس: «طلبوا لك العنت والشر من قبل تبوك»(١)، قال العوفي وابن جريج: وهو أن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة(٢) ليفتكوا بالنبي ﷺ(٣).

وقال كثير من المفسرين: يعني: طلبوا صد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا، وهو ما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عنك بأصحابه(٤)، فمعنى الفتنة ههنا: الاختلاف الموجب للفرقة بعد الألفة، وهو الذي طلبه المنافقون للمؤمنين فسلمهم الله منهم(٥).

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٩٥، بنحوه وهو في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٨ مختصرًا.

(٢) المراد بذلك: ليلة هبوط العقبة في غزوة تبوك كما سيأتي.

(٣) ذكره عن ابن جريج الإمام القرطبي في «تفسيره» ٨/ ١٥٧، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٥٠، وقد روى القصة الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٤٥٣ عن أبي الطفيل، قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أمر مناديًا فنادى إن رسول الله ﷺ آخذ العقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة، ويسوق به عمار إذا أقبل رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله ﷺ أو أقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: **«قد قد»** حتى هبط رسول الله ﷺ فلما هبط رسول الله ﷺ نزل، ورجع عمار، فقال: **«يا عمار هل عرفت القوم؟»** فقال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون، قال: **«هل تدري ما أرادوا؟!»** قال: الله ورسوله أعلم، قال: **«أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه»** الحديث، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٧٧٩/ ١١)، كتاب: صفات المنافقين.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٧، والثعلبي ١١٣/ أ، و البغوي ٤/ ٥٦، وكان عبد الله بن أبي انخزل عن رسول الله ﷺ يوم أحد بثلث الجيش. انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٨.

(٥) وهذا ما اعتمده الشوكاني في «تفسيره» ٢/ ٥٣٤، ويرى ابن جرير أن الفتنة: صد =

وقوله تعالى: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ تقليب الأمر: تصريفه وترديده للتدبير يعني: اجتهدوا في الحيلة عليك، والكيد بك، قال ابن عباس وابن إسحاق: «أداروا[١] لك الأمور، وبغوا لك الغوائل ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك»[٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ إلى آخره، أي: حتى أخزاهم الله بإظهار الحق، وإعزاز الدين على رغم منهم وكره[٣].

٤٩- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾، قال ابن عباس والمفسرون كلهم: نزلت في جد بن قيس[٤] المنافق، قال له رسول الله ﷺ لما أرادوا غزو تبوك: «**هل لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر** - [يعني:

= المؤمنين عن دينهم، وحصرهم على رده إلى الكفر بالتخذيل عنه، و«تفسير ابن جرير» ١٠/١٤٧.

(١) في (ي): (إذا رأوا)، وسقط لفظ (لك) من (م).

(٢) لفظ ابن عباس: بغوا لك الغوائل، كما في «زاد المسير» ٣/٤٤٨، و«تنوير المقباس» ص١٩٥، ولفظ ابن إسحاق: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾: أي: ليخذلوا عنك أصحابك، ويردوا عليك أمرك) كما في «السيرة النبوية» ٤/٢٠٨.

(٣) في (م): (على كره منهم ورغم).

(٤) هو: جد بن قيس بن صخر بن خنساء أحد بني جشم بن الخزرج ثم من بني سلمة، كان سيد بني سلمة، وروى الطبراني وابن منده بسند قوي -كما يقول الحافظ ابن حجر- أنه ممن شهد بيعة العقبة، وذكر عنه عدة روايات تصمه بالنفاق، لكن أسانيدها لا تخلو من ضعف، وروى عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ قال: هم نفر ممن تخلف عن غزوة تبوك منهم أبو لبابة ومنهم جد بن قيس ثم تيب عليهم، مات الجد في خلافة عثمان.

انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/٢/٢٨٦، و«الإصابة في تمييز الصحابة» ١/٢٢٨ (١١١٠).

الروم][(١)]- تتخذ منهم سراري ووصفاء؟» وكان[(٢)] رسول الله ﷺ حرض المؤمنين على غزاة بني الأصفر، وقال: «إن الله تعالى أمرني أن أغزوهم»، وقال[(٣)]: «إنكم لن تغزوا أكرم أحسابًا[(٤)]، ولا أصبح وجوهًا، ولا أعذب أفواهًا منهم[(٥)]». فقال جد: ائذن لي في القعود عنك، وأعينك بمالي فقد عرف قومي أني مغرم بالنساء، وإني أخشى إن رأيت بنات الأصفر ألا أصبر عنهن، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾[(٦)].

قال ابن عباس: يريد جد بن قيس، ﴿ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف، ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾، قال: يريد لصباحة وجوههم، وعذوبة أفواههم[(٧)]، يعني: لا تفتني ببنات الأصفر، [فإني مستهتر[(٨)] بالنساء، وهذا قول مجاهد[(٩)]،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (قال).

(٣) في (ج): زيادة لا معنى لها، ونصها: (إن الله تعالى).

(٤) في (ج): (أجسامًا).

(٥) ساقط من (ج).

(٦) رواه بنحوه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٥٤) ١٢/ ١٢٢ من طريق الضحاك عن ابن عباس، وإسناده ضعيف كما في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٦، ورواه مختصرًا ابن جرير من طريق حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس. وفي سنده انقطاع بين ابن عباس وابن جريج، ورواه مختصرًا أيضًا الطبراني في «الكبير» رقم (١١٠٥٢) ١١/ ٦٣ دون ذكر الاسم، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٦ فيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو ضعيف.

(٧) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٧٧ عن الكلبي.

(٨) في (م): (مشتهر)، ومعناهما متقارب، إذ الاستهتار، الولوع بالشيء والإفراط فيه انظر: «لسان العرب» (هتر) ٥/ ٢٤٩.

(٩) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٨ وهو مرسل.

وقتادة[١]، وابن جريج[٢]، واختيار الفراء[٣]، والزجاج[٤]، قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس بقوله: ولا تفتني ببنات الأصفر][٥] ولم يكن له علة إلا النفاق، وكراهة الخروج[٦]، وقال الحسن: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ لا تهلكني في ضيعتي ومالي بالخروج معك[٧]، ونحو هذا قال ابن زيد: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أي: إن لم تأذن لي افتتنت وعصيت[٨]، وقال الضحاك: (لا تحرجني)[٩]، وقال قتادة: (لا تؤثمني)[١٠]، وقال أبو العالية: (لا تعرضني

---

(١) لم أجد من ذكره عن قتادة، لكن روى ابن جرير ١٠/ ١٤٨ عنه تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ قال: ولا تؤثمني، ألا في الإثم سقطوا، ولم يذكر الجد، وقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٦ بسند صحيح ما يدل على أن قتادة يرى أن الجد بن قيس من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وقد تيب عليه، وليس من المنافقين.

(٢) المذكور في «كتب التفسير» قول ابن جريج، عن ابن عباس، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٨.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥١ ولم يسم المنافق الذي قال ذلك.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) رواه البغوي ٤/ ٥٧ بنحوه، وفي تفسير البغوي إشكال علمي أفقده بعض قيمته العلمية، حيث أنه ذكر أسانيده في المقدمة فقط، فإذا كان المفسر كابن عباس مثلاً له عدة أسانيد بعضها صحيح، وبعضها ضعيف أو مكذوب، اختلطت الأقوال ببعضها، ولم يستطع الباحث الحكم على الأثر ما لم يرد في كتاب آخر ذكر الأسانيد مفصلة، ومثل البغوي أبو إسحاق الثعلبي.

(٧) أشار إلى معناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٤٩.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٩.

(٩) رواه أبو الشيخ مطولاً كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٥.

(١٠) رواه ابن جرير ١٠/ ١٤٩، والثعلبي ٦/ ١١٣ أ.

للفتنة)[١]، فقول قتادة وأبي العالية يحتمل الوجهين[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾، قال ابن كيسان: يريد أن اعتلالهم بالباطل هو الفتنة لأنها الشرك والكفر[٣]، وقال الزجاج: أعلم الله أنهم قد سقطوا في الإثم[٤]، وقال قتادة: فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عنه أعظم[٥]، قال المفسرون: أي في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر رسول الله ﷺ[٦]، قال أهل المعاني: وهذا بيان عما يوجبه التعليل[٧] بالباطل من أنه ينقلب على صاحبه حتى يقع به[٨]، وجمع الكناية في قوله: ﴿سَقَطُوا۟﴾ لأنه أراد جدًّا وأصحابه من المنافقين المتخلفين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول[٩]: هي من ورائهم يصيرون إليها بأعمالهم الخبيثة، وقال يمان: هي محدقة بمن كفر بالله جامعة لهم[١٠].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) يعني الفتنة بالنساء أو الفتنة بالتخلف وعصيان أمر رسول الله ﷺ.

(٣) ذكره في «الوسيط» ٢/ ٥٠٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٢.

(٥) هذا اللفظ رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٤٨ عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة وغيره، والنص في «سيرة ابن هشام»، أما ما روي عن قتادة في هذه الجملة فلفظه: «**ألا في الإثم سقطوا**». انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٤٩.

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٥٤، والثعلبي ٦/ ١٣ أ، والبغوي ٤/ ٥٧.

(٧) في المصدر التالي: (التعلل)، وهو أصوب.

(٨) «البرهان في علوم القرآن» للحوفي ١١/ ١٩٧.

(٩) من (م).

(١٠) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٢.

٥٠- قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يريد النصر والغنيمة ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ من القتل والهزيمة[١]، ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾، قال ابن عباس: يريد: قد أخذنا حذرنا حين تخلفنا[٢]، ونحو ذلك قال مجاهد[٣]، وقال الزجاج: أي قد عملنا بالحزم في التخلف[٤]، قال أهل المعاني: كأنه قيل: قد أخذنا أمرنا عن مواضع الهلكة، فسلمنا مما وقعوا[٥] فيه[٦].

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾، قال الكلبي: (عن الإيمان)[٧]، ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: معجبون بذلك[٨] وهذا بيان عما توجبه العداوة من الاغتمام بتجدد النعمة والفرح بلحاق المصيبة.

٥١- قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: لن يصبنا خير وشر وشدة ورخاء إلا وهو مقدر علينا، مكتوب في اللوح

---

(١) رواه بنحوه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٥، وبمعناه ابن جرير ١٠/ ١٥٠، وهو قول مجاهد وقتادة والسدي كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٥، واعتمده الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ٥٧، والسمرقندي ٢/ ٥٥ وغيرهم.

(٢) رواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٥، وانظر: «الوجيز» ٦/ ٥١٧.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١١، وهو في «تفسير مجاهد» ص٣٧٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٢.

(٥) في (ج): (وقعنا)، وهو خطأ.

(٦) «البرهان» للحوفي ١١/ ٢٠١ بنحوه.

(٧) لم أقف عليه في مصدر آخر.

(٨) ساقط من (ي).

المحفوظ، وهذا معنى قول الحسن[١]، ومقاتل[٢]، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ما أَصَابَ[٣] مِنْ مُصِيْبَةٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي أَنْفُسِكُم[٤]﴾ الآية [الحديد: ٢٢]، وقال ابن عباس: يريد: ما قضى الله لنا من الشهادة[٥]، وهذا كأنه جواب لهم عن شماتتهم بهم[٦] إذا أصابتهم مصيبة، أي إن أعظم ما يصيبنا القتل و هو شهادة لنا، فليس يصيبنا غير هذا، وعلى هذا القول ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ مخصوص ههنا بالشهادة، وفي القول الأول عام في كل ما يصيب.

قال الزجاج: وفيه وجه آخر: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: بين الله لنا في كتابه من أنا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا، أو نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضًا، أي فقد كتب الله ما يصيبنا وعلمنا ما لنا فيه من الحظ[٧].

والأكثرون من المفسرين على القول الأول[٨]، وقالوا: هذا يدل على أن أمر[٩] العباد يجري على تقدير قد أحكم، وتدبير قد أبرم[١٠]،

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٧١.

(٢) انظر: «تفسيره» ص١٣٠ أ.

(٣) في (ي): (ما أصابكم)، وهو خطأ.

(٤) في (ج): (ولا في السماء)، وهو خطأ.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٥٠، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٥ مختصرًا.

(٦) من (م).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٢ بتصرف. وهذا القول فيه بعد وتكلف، والظاهر هو القول الأول وأنه عام في كل مصيبة، وهو الذي تدل عليه نظائر الآية.

(٨) وهو ما اعتمده ابن جرير ١٠/ ١٥٠، والثعلبي ٦/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ٥٧، وابن كثير ٢/ ٣٩٩.

(٩) في (ج): (من)، هو خطأ.

(١٠) في (ي): (أدبر).

فلا يحدث في الكائنات شيء إلى وقد جرى به قضاء سابق.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾، قال ابن عباس: (ناصرنا)[١]، وقيل: الذي يتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا[٢]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أي: وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم على الرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره، قال أصحاب المعاني: وهذا بيان عما يوجبه إظهار شماتة الأعداء من الإقرار بأنه لا يصيب العبد إلا ما قضى[٣] عليه والتسليم لأمره، والتوكل عليه.

٥٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ الآية، يقال: فلان يتربص بفلان الدوائر: إذا كان ينتظر وقوع[٤] مكروه[٥] به، وهذا مما سبق الكلام فيه[٦]، وقال أهل المعاني: التربص: التمسك بما ينتظر به مجيء حينه، وكذلك قيل: تربص بالطعام إذا تمسك به إلى حين زيادة سعره[٧]، وابن عباس والمفسرون يقولون في التربص ههنا: الانتظار[٨] والحسنى: تأنيث الأحسن.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٧١ من غير نسبة.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٠٣، و«البحر المحيط» ٥/ ٥٢.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي أن يقول: ما قضى الله عليه.

(٤) ساقط من (م).

(٥) في (ي): (المكروه).

(٦) انظر: «تفسير البسيط» المائدة: ٥٢.

(٧) انظر معنى التربص في: «تهذيب اللغة» (ربص) ٢/ ١٣٤٤، و«لسان العرب» (ربص) ٣/ ١٥٥٨.

(٨) «البرهان» للحوفي ١١/ ٢٠٣ أ، و«تنوير المقباس» ص١٩٥، و«الوسيط» ٢/ ٥٠٣. عن ابن عباس، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٥١، والثعلبي ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٧.

قال ابن عباس وجميع المفسرين في: ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني الغنيمة والفتح، أو[1] الشهادة والمغفرة[2]، وقد قال رسول الله ﷺ «**تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا إيمانًا بالله وتصديقًا لرسوله أن يرزقه الشهادة، أو يرده إلى أهله مغفورًا نائلاً ما نال من أجر وغنيمة**»[3].

أخبرناه[4] الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم[5]، قال: أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسن المفسر[6] قال[7]: أنبا أبو بكر محمد ابن أحمد بن جعفر العدل[8]، ثنا أبو[9] عبد الله محمد بن إبراهيم

---

(١) في (ج): (و).

(٢) أخرجه ابن عباس الإمام ابن جرير ١٠/ ١٥١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٢، وهو قول مجاهد وقتادة وابن جريج.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٥١، والبغوي ٤/ ٥٧.

(٣) رواه بنحوه البخاري (٣١٢٣)، كتاب: الخمس، باب: قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم» رقم، ومسلم (١٨٧٦) كتاب: الإمارة، باب: فضل الجهاد، ورواه بلفظه الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٤ أ.

(٤) في (ج): (أخبرنا).

(٥) هو: الثعلبي المفسر.

(٦) هو: الحسن بن الحسن بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري الواعظ المفسر، كان إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، أديبًا نحويًا، عارفًا بالمغازي والسير، وسمع الحديث الكثير، وله مصنفات في القراءات والتفسير والآداب، توفي سنة ٤٠٦هـ.
انظر: «العبر» ٢/ ٢١٢، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٤٤.

(٧) ساقط من (ج) و(م).

(٨) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.

(٩) ساقطة من (ي).

العبدي[١]، ثنا أبو بكر أمية بن بسطام[٢]، أنبا يزيد بن زريع[٣]، عن روح ابن القاسم[٤]، عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكر الحديث.

وأخبرناه أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن إبراهيم بن يحيى التميمي[٥] أنبا أبو عمرو إسماعيل بن أبي أحمد السلمي[٦]، أنبا،

---

(١) هو: محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن العبدي، أبو عبد الله البوشنجي المالكي النيسابوري الإمام العلامة الحافظ، ذو الفنون، شيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور، ارتحل في طلب الحديث ولقي الكبار، وصنف، وسار ذكره، وبعد صيته. توفي في غرة محرم سنة ٢٩١هـ.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٥٨١، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٦٥٧، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٨٩.

(٢) هو: أمية بن بسطام بن المنتشر، أبو بكر العيشي البصري، الحافظ الثقة، حدث عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما، ومات سنة ٢٣١هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ١١، و«سير أعلام النبلاء» ١١/ ٩، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٨٧.

(٣) هو: يزيد بن زريع العيشي، أبو معاوية البصري، ثقة ثبت حافظ، إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وهو من رجال الصحيحين والسنن الأربع، توفي سنة١٨٢هـ.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٣٨٢، و«تقريب التهذيب» ص٦٠١ (٧٧١٣)، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٤١١.

(٤) هو: روح بن القاسم التميمي العنبري، أبو غياث البصري، كان ثقة ثبتًا حافظًا متقنًا، وهو من رجال الكتب الستة، توفي سنة١٤١هـ. انظر: «الكاشف» ١/ ٣٩٩، و«تقريب التهذيب» ص٢١١ (١٩٧٠)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٦١٦.

(٥) تقدمت ترجمته عند ذكر شيوخ الواحدي.

(٦) هو: إسماعيل بن نُجيد بن أحمد بن يوسف السلمي، النيسابوري، الصوفي، كبير الطائفة، وصفه الذهبي بقوله: شيخ عصره، ومسند مصره. سمع عبد الله بن أحمد ابن حنبل ومحمد بن إبراهيم العبدي وغيرهما، وروى عنه جماعة منهم أبو منصور =

العبدي فذكره بإسناده، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾، قال ابن عباس: ننتظر بكم[(١)]، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾[(٢)]، قال: يريد بقارعة من السماء[(٣)]، وقال الكلبي: بعذاب من عنده كما أصاب الأمم الخالية[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾، قال ابن عباس: يريد بإذن الله لنا في قتلكم فنقتلكم[(٥)]، وقال ابن كيسان: أي إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾، قال ابن عباس: فانتظروا[(٧)] إنا معكم منتظرون[(٨)]، وقال الحسن: فتربصوا مواعيد الشيطان

= البغدادي وأبو عبد الله الحاكم، وتوفي سنة ٣٦٥هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١٤٦، و«تاريخ الإسلام» (وفيات سنة٣٦٥هـ) ص٢٣٥، و«الإكمال» لابن ماكولا ١/ ١٨٨.

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٣، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٥.

(٢) في (ي): (زيادة نصها: كما أصاب الأمم الخالية.اهـ. وهي التباس من الناسخ بسبب الجملة التالية.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤ أ بلفظ: الصواعق، ومثله ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٥١.

(٤) لم أجد من نسبه للكلبي، وقد اعتمده الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤ أ، والبغوي ٤/ ٥٨، والقرطبي ٨/ ١٦٠ وغيرهم.

(٥) ذكره ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٥١، مختصرًا من رواية ابن جريج وهي منقطعة.

(٦) لم أجد من ذكره عنه، وقد اعتمده الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٤ أ.

(٧) في (ج): (وانتظروا).

(٨) «تنوير المقباس» ص١٩٥.

إنا معكم متربصون مواعيد الله، من إظهاره دينه واستئصال من خالفه[١]، وكان الشيطان يمني المنافقين موت النبي ﷺ وهو قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقال أبو إسحاق: يقول أنتم تربصون بنا إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم إحدى السوأتين[٢] فبين ما تنتظرونه وننتظر[٣] فرق عظيم[٤].

وقال أهل المعاني: ومعنى صيغة الأمر في قوله: فتربصوا التهدد[٥]، وذلك أن تربصهم تمسك بما يؤدي إلى الهلاك، وتربص المؤمنين تمسك بما يؤدي إلى النجاة، وهذا بيان عما يوجبه اختلاف أحوال المحق والمُبطل.

٥٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، قال ابن عباس: نزلت في جد بن قيس حين قال للنبي ﷺ: ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به[٦]، قال الفراء والزجاج: هذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم، وأنشدا قول كُثّير:

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١١٤ أ، والبغوي ٤/ ٥٨.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه»: الشرتين. وفي «الوسيط» ٢/ ٥٠٣. السوأتين أيضًا لكن المحققين أبدلوا اللفظ إلى: الشرين.

(٣) في (ج): (وينتظرون)، وفي «معاني القرآن وإعرابه»: وننتظره.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٢.

(٥) انظر: «مفاتيح الغيب» ١٦/ ٩٠ ولم أجده عند أهل المعاني.

(٦) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٥٢ بسند منقطع. ورواه أيضًا الثعلبي ٦/ ١١٤ أ، والبغوي ٤/ ٥٨، وقد سبق بيان أن أسانيد الثعلبي والبغوي لا يتميز غثها من سمينها وصحيحها من ضعيفها بسبب اكتفائهما بذكر الأسانيد في المقدمة.

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلّت[(١)(٢)]

قال الزجاج: فلم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها[(٣)]، ووقوع الأمر في موقع الخبر كوقوع لفظ الخبر في معنى الأمر في الدعاء كقولك: غفر الله لفلان ورحمه، ومعناه: اغفر له وارحمه. قال الفراء: ومثل هذه الآية في قوله: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] الآية[(٤)]، ونذكره في موضعه إن شاء الله[(٥)]، وقال ابن عباس في قوله: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يريد: طائعين أو كارهين[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ الآية، قال[(٧)]: يريد [أنه[(٨)] لا يتقبل من أعدائه صدقاتهم ونفقاتهم[(٩)]، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ قال:

---

(١) انظر: «ديوانه» ١/ ٥٣، ونسب إليه في «لسان العرب» (قلا) ٦/ ٣٧٣١، و«زاد المسير» ٣/ ٤٥١، ومعنى (تقلت) أي: تقلبت بمعنى: تبغضت. انظر: «اللسان»، الموضع السابق.

(٢) الكلام السابق كله للزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٣، وللفراء نحوه في «معاني القرآن» ١/ ٤٤١.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه»، الموضع السابق.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٤١.

(٥) قال في هذا الموضع: (.. ثم ذكر أن استغفاره لا ينفعهم، فقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾. قال قتادة ومقاتل: نزلت هذه الآية بعد قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، وذلك أنها لما نزلت قال نبي الله ﷺ: «خيرني ربي فلأزيدنهم على السبعين»، فأنزل الله هذه الآية).

(٦) «تنوير المقباس» ص١٩٥ بمعناه.

(٧) ساقط من (ج) والقائل ابن عباس.

(٨) ساقط من (ج).

(٩) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٤.

يريد][(١)] عاصين لله على غير طريقة الإسلام[(٢)].

٥٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ وقرئ: يقبل بالياء[(٣)]، فمن قرأ بالتاء فلأن الفعل مسند إلى مؤنث، ومن قرأ بالياء ذهب إلى أن النفقات[(٤)] بمعنى الإنفاق[(٥)]، كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الفراء والزجاج وجميع النحويين: موضع (أن) الأولى نصب، والثانية في قوله: ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ رفع، والتقدير: وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم[(٦)]، قال أهل العلم: وهذه الآية دليل على أن الكافر لا يقبل له عمل ولا يكتب له معروف، فإن أسلم كتب له ما أتاه من طاعة في الشرك[(٧)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) «الوسيط»، الموضع السابق. وفي «تنوير المقباس» ص١٩٥: منافقين.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (أن يقبل) بالياء، والباقون بالتاء. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، و«إرشاد المبتدي» ص٣٥٣، و«تحبير التيسير» ص١٢٠.

(٤) في (ي): (النفاق)، وهو خطأ.

(٥) ذكر أبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ١٩٦ وجهًا آخر للقراءة بالياء وهو أن التأنيث غير حقيقي.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤٢، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٥٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٥، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي ص٣٣٠.

(٧) انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٥٢٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١٦١، و«صحيح مسلم بشرح النووي» ٢/ ١٤٠، و«فتح الباري» ١/ ٩٩، وقد ذكر النووي رحمه الله أقوالاً كثيرة ثم قال: (وذهب ابن بطال وغيره من المحققين إلى أن الحديث -يعني: حديث حكيم الذي ذكره المؤلف- على ظاهره، و أنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يثاب على ما فعله من الخير في حال الكفر واستدلوا بحديث أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أسلم الكافر فحسن إسلامه =

قال حكيم بن حزام لرسول[1] الله ﷺ: إنا كنا نتحنث بأعمال في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أنت فقد أسلمت على ما قدمت من الخير**»[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ مضى الكلام في (كسالى) في سورة النساء [١٤٢].

قال عطاء عن ابن عباس: يريد إن كان في جماعة صلى، وإن كان

= **كتب الله تعالى له كل حسنة زلفها، و محا عنه كل سيئة زلفها**».. قال ابن بطال رحمه الله تعالى: بعد ذكره الحديث: «ولله تعالى أن يتفضل على عباده بما يشاء، لا اعتراض لأحد عليه».. ثم قال النووي: وأما قول الفقهاء لا يصح من الكافر عبادة، يعتد بها، فمرادهم أنه لا يعتد له بها في أحكام الدنيا، وليس فيه تعرض لثواب الآخرة، فإن أقدم قائل على التصريح بأنه إذا أسلم لا يثاب عليها في الآخرة رد قوله بهذه السنة الصحيحة)، و«صحيح مسلم بشرح النووي» ٢/ ١٤٠- ١٤٣، وقال الحافظ ابن حجر: قال المازري: (الكافر لا يصح منه التقرب، فلا يثاب على العمل الصالح الصادر منه في شركه؛ لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفًا لمن يتقرب إليه والكافر ليس كذلك)، ثم نقل رد النووي هذا القول، ثم قال: والحق أنه لا يلزم من كتابة الثواب للمسلم في حال إسلامه تفضلاً من الله وإحسانًا أن يكون ذلك لكون عمله الصادر منه في الكفر مقبولاً، والحديث إنما تضمن كتابة الثواب ولم يتعرض للقبول، ويحتمل أن يكون القبول يصير معلقًا على إسلامه فيقبل ويثاب إن أسلم وإلا فلا، وهذا قوي، و«فتح الباري» ١/ ٩٩. قلت: والقول الأخير سالم من الاعتراضات وما قيل في غيره من مخالفة القواعد، وله نظائر في الشريعة ككون الدعاء يرد القضاء، وصلة الرحم تزيد العمر أي أن ذلك معلق بذلك، فإن دعا رد عنه القضاء، وإن وصل رحمه زاد عمره وإلا فلا.

(١) في (ج): (يا رسول).

(٢) رواه البخاري في (١٤٣٦)، كتاب: الزكاة، باب: من تصدق في الشرك ثم أسلم، ومسلم (١٢٣)، كتاب: الإيمان، باب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، وأحمد في «المسند» ٣/ ٤٠٢.

وحده لم يصل[١]، يريد إن صلى لم يرجُ لها ثوابًا، و إن تركها لم يخف عليها عقابًا، هذا معنى يأتونها[٢] كسالى، فإن قيل: أي صلاة تصح لهم حتى ذُموا بالكسل عنها؟

قيل: إنما ذمّوا بأنهم صلوها[٣] على غير الوجه الذي أمروا به من النفاق الذي يبعث على الكسل عنها، دون الإيمان الذي يبعث على النشاط لها[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾، قال المفسرون: وذلك أنهم يعدون الإنفاق مغرمًا ومنعه مغنمًا[٥]، وهذا يوجب أن تكون النفس طيبة عند أداء الزكاة والإنفاق في سبيل الله؛ لأن الله ذم المنافقين بكراهتهم الإنفاق وهذا معنى قوله ﷺ: «**وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم**»[٦] فإن أداها وهو كاره لذلك كان من علامات الكفر والنفاق.

٥٥- قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية، معنى الإعجاب،

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٩٠ ونسبه للمفسرين.
(٢) في (ي): (يأتوها)، والصواب ما أثبته.
(٣) في (ي): (صلوا).
(٤) في (م): (بها).
(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٨، وابن الجوزي ٣/ ٤٥٢.
(٦) هذا الحديث جزء من خطبة خطبها النبي ﷺ في حجة الوداع، وقد رواه بلفظ المصنف الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٢٦٢، ورواه بنحوه الترمذي (٦١٦)، كتاب: أبواب الصلاة، باب: ما ذكر في فضل الصلاة، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان)، كتاب: السير، باب: طاعة الأئمة، رقم (٤٥٦٣) ١٠/ ٤٢٦، والحاكم في «المستدرك» كتاب: الزكاة ١/ ٣٨٩، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

السرور بما يتعجب منه، قال المفسرون: يقول لا تستحسن[١] ما أنعمنا عليهم من الأموال الكثيرة والأولاد، فإن العبد إذا كان مستدرجًا كثر ماله وولده[٢]، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ هو أن كثيرًا من المنافقين كان لهم أولاد أتقياء كحنظلة بن أبي[٣] عامر[٤]، غسلته الملائكة وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ[٥]، شهد بدرًا وكان من الله بمكان، وهم بشرٌ كثيرٌ صالحون أبرياء من النفاق[٦]، يريد أن صلاح أولادهم لأنفسهم وهم لا يغنون عن هؤلاء شيئًا، وعلى هذا يحتمل[٧] أن يكون المعنى في أموالهم[٨] ما ينفقون منها في سبيل الله ولا ينفعهم ذلك فإنه لا يقبل منهم[٩].

(١) في (ي): (ما يستحسن).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٩.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) هو: حنظلة بن أبي عامر بن صيفي الأوسي الأنصاري، المعروف بغسيل الملائكة، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب، ويذكر البعث ودين الحنيفية، فلما بعث النبي ﷺ حسده وعاداه، وخرج إلى مكة ثم إلى الروم للتأليب على المسلمين، وكان ابنه حنظلة حسن الإسلام، واستأذن النبي ﷺ في قتل أبيه فلم يأذن له، ولما سمع الهيعة يوم أحد خرج وعليه جنابة فقتل فغسلته الملائكة. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤٣٢، و«الإصابة» ١/ ٣٦٠- ٣٦١.

(٥) هو: عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي الأنصاري، والده رأس المنافقين المعروف بابن أُبي بن سلول، وكانت سلول جدة له فعرف بها. كان عبد الله الابن حسن الإسلام، وشهد بدرًا، واستأذن النبي ﷺ في قتل أبيه فنهاه، واستشهد باليمامة في قتال مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ. انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٧١، و«الإصابة» ٢/ ٣٣٥- ٣٣٦.

(٦) لم أقف على مصدره.

(٧) في (ي): (محتمل).

(٨) في (ي): (أولادهم)، وهو وهم من الناسخ.

(٩) حكى هذا القول القشيري كما في «البحر المحيط» ٥/ ٥٤، والمعنى المشهور أن =

[وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾، قال النحويون: في الآية مقدر كأنه قيل: إنما يريد الله أن يملي لهم فيها ليعذبهم، فتكون هذه اللام لام العاقبة[١]، ويجوز أن تكون هذه اللام بمعنى (أن) تعاقبها[٢]][٣].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَآ﴾، قال مجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والسدي[٦]: المراد بهذا: التقديم، على تقدير: أموالهم[٧] وأولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، وهذا يروى عن ابن عباس أيضًا: رواه الوالبي[٨]، ومن المفسرين من أقره في موضعه[٩]، قال

= الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٥٣، وابن عطية ٦/ ٥٢٥، وابن كثير ٢/ ٣٩٩.

(١) ذكر أبو حيان أن هذا القول للرماني المعتزلي، واستنكره. انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٥٤.

(٢) يعني أن اللام و(أن) تعتقبان وتحل إحداهما مكان الأخرى، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] أي: أن يبين لكم.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٩.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٣، والثعلبي والبغوي، نفس الموضعين السابقين.

(٦) رواه ابن أبي حاتم والثعلبي، نفس الموضعين السابقين.

(٧) اختصر المؤلف الجملة، وفي «تفسير الثعلبي» والبغوي وغيرهما: فلا تعجبك أموالهم . . . إلخ.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٧.

(٩) منهم الإمام ابن جرير حيث قال في «تفسيره» ١٠/ ١٥٣: (وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن؛ لأن ذلك هو الظاهر من =

الحسن: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله[(١)]، وقال ابن زيد: يعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها، فهي لهم عذاب وللمؤمن أجر[(٢)]، وقيل: بالتعب في جمعه والوجل في حفظه والكره في إنفاقه[(٣)]، والقولان ذكرهما الفراء[(٤)]، والزجاج[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: وتموت أنفسهم)[(٦)]، يقال: زهقت نفسه فهي تزهق: أي تذهب[(٧)]، قال الكسائي: زهقت نفسه وزهقت لغتان[(٨)]، وقال أبو زيد: (زهقت نفسه وزهق الباطل، وزهق إذا سبق، ليس في شيء منه زهق)[(٩)]، قال الزجاج: المعنى وتخرج أنفسهم وهم على الكفر[(١٠)].

= التنزيل، فصرف تأويله إلى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته)، واختاره أيضًا ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٣٩٩، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ١٦٤.

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، والثعلبي ٦/ ١١٤ ب، والبغوي ٤/ ٥٩.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٣.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١٥ أ، والبغوي ٤/ ٥٩، ولم يعينا القائل.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٤.

(٦) رواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٦.

(٧) انظر: «الصحاح» (زهق) ٤/ ١٤٩٣.

(٨) «تهذيب اللغة» (زهق) ٢/ ١٥٧١.

(٩) المصدر السابق، نفس الموضع، بنحوه، والمقصود أن الفعل (زهق) دائمًا مفتوح الهاء، وقال الجوهري في «الصحاح» (زهق) ٤/ ١٤٩٣ حكى بعضهم: زهقت نفسه تزهق زهوقًا بالكسر، لغة في زهقت.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٤، لكن بلفظ: وتخرج أنفسهم، أي: يغلظ عليهم المكروه حتى تزهق أنفسهم.

قال أصحابنا: وهذا نص في أن الله يريد أن يموتوا كافرين[١].

٥٦- قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾، قال أبو إسحاق: أي يحلفون بالله أنهم مؤمنون كما أنتم مؤمنون فأكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾[٢]، قال ابن عباس: يريد أنهم ليسوا بأنصار ولا كرامة[٣]، وقال الزجاج: لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر[٤].

٥٧- وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ أي: [يفرقون أن][٥] يظهروا[٦] ما هم عليه فيقتلوا، قال الضحاك: أي إنما يحلفون تقية[٧]، والفرق: الخوف، ومنه قيل: رجل فروقة وهو الشديد الخوف.

قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ الملجأ: المكان الذي يتحصن فيه، و مثله اللجأ مقصور ومهموز[٨]، قال الزجاج[٩]: وأصله من لجأ إلى

---

(١) انظر: معنى هذا القول في «رسالة إلى أهل الثغر» ص٢٥٢، و«الغنية في أصول الدين» ص١٣٠، وكتاب: «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٩٢، و«تفسير الرازي» ١٦/ ٩٥، والإرادة المذكورة هي الإرادة الكونية التي تستلزم الوقوع، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أما من ناحية الإرادة الشرعية فالله لا يريد الكفر، كما قال تعالى: ﴿بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا﴾ [الزمر: ٧] وهذه الإرادة لا تستلزم الوقوع.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٤ بنحوه.

(٣) «تنوير المقباس» ص١٩٦ بمعناه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٤.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) في (ي): (نظهر).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨١٤، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٧.

(٨) في (ي): (مقصور مهموز)، وما أثبته موافق لـ «معاني القرآن وإعرابه».

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٤.

كذا يلجأ لجأ، بفتح اللام وسكون الجيم، ومثله: إلتجأ[١]، وألجأته إلى كذا أي: اصطررته[٢] إليه، قال ابن عباس: يريد مهربًا[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ هي جمع مغارة، وهي الموضع الذي تغور فيه أي: تستتر، قال أبو عبيدة: كل شيء غرت فيه فغبت فهي مغارة[٤] لك[٥]، ومنه[٦] غار الماء في الأرض وغارت العين، قال عطاء، عن ابن عباس: يعني سراديب[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾، قال الزجاج: أصله مدتخل والتاء بعد الدال تبدل دالاً؛ لأن التاء مهموسة والدال مجهورة، وهما من مكان واحد[٨]، وهو (مفتعل) من الدخول كالمتلج[٩] من[١٠] الولوج، ومعناه

---

(١) كررت الكلمة في (ي).

(٢) في (ي): (أضررته)، وهو خطأ.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٤، ورواه ابن جرير ١٠/ ١٥٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٤، بلفظ: الملجأ: الحرز في الجبال، كما رواه الثعلبي ٦/ ١١٥ أ، والبغوي ٤/ ٥٩، عن عطاء بلفظ المؤلف.

(٤) في (ي): (مغارات).

(٥) عبارة أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٢: (ما يغورون فيه فيدخلون فيه ويغيبون).اهـ. أما اللفظ الذي ذكره المؤلف فقد عزاه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٥ أ إلى الأخفش.

(٦) في (ي): (مثله)، وما أثبته من (ح) و(م) موافق لما في «تفسير الثعلبي».

(٧) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٤، والقرطبي ٨/ ١٦٥، ورواه ابن جرير ١٠/ ١٥٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٤ بلفظ: (الغيران في الجبال)، كما رواه الثعلبي ٦/ ١١٥/أ، والبغوي ٤/ ٥٩ بلفظ المؤلف عن عطاء.

(٨) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٥، وقد نقله الواحدي بمعناه.

(٩) في (ج): (المبتلج).

(١٠) في (ي): (في).

المسلك الذي يتدسس بالدخول فيه، قال قتادة: سربا[(١)]، وقال الكلبي وابن زيد: نفقا كنفق اليربوع[(٢)]، وقال الضحاك: مأوى[(٣)]، وقال الحسن: وجها يدخلونه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾، قال ابن قتيبة: لرجعوا إليه[(٥)] [وأدبروا إليه][(٦)]، يقال: ولي إليه بنفسه إذا انصرف، وولى غيره: إذا صرفه[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعًا لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا يقال: جمح الفرس، وهو فرس جموح وهو[(٨)] الذي إذا حمل لم[(٩)] يرده اللجام[(١٠)]، قال ابن عباس: [﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾][(١١)]: يريد مثل ما يجمع الفرس[(١٢)]، قال ابن كيسان والزجاج وغيرهما: معنى الآية

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٥، والثعلبي ٦/ ١١٥ أ، والبغوي ٤/ ٥٩.

(٢) رواه عنهما الثعلبي ٦/ ١١٥ أ، كما رواه عن الكلبي، البغوي ٤/ ٥٩.

(٣) رواه الثعلبي، في المصدر السابق، نفس الموضع، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٥ عن الضحاك عن ابن عباس.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١١٥ ب، والبغوي ٤/ ٥٩ ولفظه عندهما: (وجهًا يدخلونه على خلاف رسول الله ﷺ) اهـ. فالحسن - رحمه الله- يقصد أن هؤلاء المنافقين يتحينون الفرصة للخلاف والمشاقة والمعاندة، لا يقصد محسوسًا يسلكونه.

(٥) اهـ. كلام ابن قتيبة، انظر: «تفسير غريب القرآن» له ص١٩٦.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) في (ي): (أصرفه).

(٨) في (ج): (وهذا)، وما أثبته موافق لما في «تهذيب اللغة».

(٩) في (ي): (لا)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لما في «تهذيب اللغة».

(١٠) انظر: «تهذيب اللغة» (جمح) ١/ ٦٤٥.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(١٢) في «تنوير المقباس» ص١٩٦: يهرولون هرولة.

أن هؤلاء المنافقين لا بصيرة لهم في الدين ولا احتساب، وإنما هم فيه كالمسخرين، حتى لو وجدوا أحد هذه الأشياء التي ذكرت لأسرعوا إليه طلبًا للفرار[(١)].

٥٨- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ﴾ الآية، قال أبو سعيد الخدري: بينما رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذ جاءه ابن ذي[(٢)] الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير[(٣)]، أصل الخوارج، فقال:

---

(١) لم أعثر على هذا القول في مظانه من كتب التفسير، ولم يذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه»، ومعناه في «البرهان» للحوفي ١١/ ٢٠٩ أ منسوبًا لابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٢) في (ج) و(ي): (ابن الخويصرة. وآثرت ما في (م) لموافقته لما في «صحيح البخاري»، و«تفسير الثعلبي»، و«أسباب النزول» للمؤلف.

(٣) هو: حرقوص بن زهير السعدي التميمي، ذكره الطبري في «تاريخه» ٤/ ٧٦ فقال: (إن الهرمزان الفارسي -صاحب خوزستان- كفر ومنعه ما قبله، واستعان بالأكراد، فكثف جمعه، فكتب سلمى ومن معه بذلك إلى عتبة بن غزوان، فكتب عتبة إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمدّ المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، وأمَّره علىٰ القتال وعلىٰ ما غلب عليه، فاقتتل المسلمون والهرمزان، وانهزم الهرمزان، وفتح حرقوص سوق الأهواز، ونزل بها، وله أثر كبير في قتال الهرمزان، وبقي حرقوص إلى أيام علي، وشهد معه صفين، ثم صار من الخوارج، ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان من الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة ٣٧هـ.اهـ. وانظر: «أسد الغابة» ١/ ٤٧٤، و«الإصابة» ١/ ٣٢٠. وعندي شك أن ابن ذي الخويصرة هو حرقوص المذكور، فقد روى البخاري في «صحيحه»، (٦٩٣٣) كتاب استتابة المرتدين، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف ٩/ ٣٠ عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله ﷺ، فقال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟!» قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: «دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة..» الحديث فهذا يفيد: =

اعدل يا رسول الله، فقال: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟!**» فنزلت هذه الآية[١]. وقال الكلبي: نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون[٢]، قال رجل منهم يقال له أبو الجواظ[٣]:

لم تقسم بالسوية فأنزل الله هذه الآية[٤]. ونحو ذلك قال ابن زيد: هؤلاء المنافقون قالوا: والله[٥] ما يعطيها محمد إلا من[٦] أحب ولا يؤثر

= **أولاً**: أن اسم ابن ذي الخويصرة عبد الله.

ثانيًا: أن عمر ﷺ كان حاضرًا القصة وكان شديدًا على الرجل، فهل يليق بالفاروق أن يوليه قيادة الجيوش، وإمرة ما فتح بعد أن سمع نعته من رسول الله ﷺ؟!.

ويؤكد هذا الشك ما ذكر الحافظ ابن حجر عن الهيثم بن عدي قال: إن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ﷺ وأنه قتل معهم يوم النهروان، قال: فسألت عن ذلك، فلم أجد أحدًا يعرفه. «الإصابة» ١/ ٣٢٠.

(١) رواه بنحوه مطولاً البخاري في «صحيحه» في عدة مواضع منها (٦٩٣٣) كتاب استتابة المرتدين.. باب: من ترك قتال الخوارج للتألف، ومسلم (١٤٨)، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، وأحمد في «المسند» ٣/ ٥٦، ورواه بلفظ المؤلف مطولاً الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١١٦ أ، ومن طريقة المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٤٨.

(٢) المؤلفة قلوبهم في عهد رسول الله ﷺ ليسوا منافقين، بل صنفان:

الأول: كفار صرحاء فأعطاهم النبي تأليفًا لهم على الإسلام كصفوان بن أمية. انظر: «الإصابة» ٢/ ١٨٧.

الثاني: حديثو عهد بإسلام ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم، كأبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وعيينة بن حصن وغيرهم. انظر: «المعارف» ص١٩٢.

(٣) لم أجد له ترجمة، والكلبي كذاب لا يوثق بروايته، انظر: «تهذيب التهذيب» ٣/ ٥٦٩.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١١٦ ب، والبغوي ٤/ ٦٠، وذكره المؤلف بغير سند في «أسباب النزول» ص٢٥٣- ٢٥٤.

(٥) ساقط من (ي)، وما أثبته موافق لـ «تفسير ابن جرير».

(٦) في (ي): (لمن)، وما أثبته موافق لـ «تفسير ابن جرير».

بها[١] إلا هواه[٢].

قال الليث: اللمز كالغمز في الوجه، رجل لمزة يعيبك في وجهك [ورجل همزة يعيبك بالغيب[٣]][٤]، وقال الزجاج: يقال: لمزتُ الرجل ألمزه بكسر الميم، ولَمُزت بضم الميم[٥]: [إذا عبته][٦] وكذلك همزته أهمزه: إذا عبته، والهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم[٧]، وكذلك قال ابن السكيت، ولم يفرق بينهما[٨]، وكذلك قال الفراء[٩].

قال الأزهري: وأصل الهمزة واللمز الدفع، قال الكسائي: يقال: همزته ولمزته ولهزته[١٠]: إذا دفعته[١١].

---

(١) ساقط من (ي). واللفظ ثابت في (ج) و(م) و«تفسير ابن جرير».

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٧.

(٣) «تهذيب اللغة» (لمز) ٤/ ٣٢٩٦، ونحوه في كتاب «العين» (لمز) ٧/ ٢٧٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) اضطرب قول الزجاج في النسخة (ج) ونصه فيها: (يقال: لمزه الرجل بكسر الميم، واللُمزة بضم الميم: إذا عبته) وما أثبته موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه».

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٥، وتفسير الهمزة اللمزة ليس فيه، بل في «تهذيب اللغة» (لمز) ٤/ ٣٢٩٦.

(٨) انظر: «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» (لمز) ٢/ ٦٨٢، و(همز) ٢/ ٨١٠ حيث لم يفرق ابن السكيت بينهما، وانظر أيضًا: «تهذيب اللغة» (لمز) ٤/ ٣٢٩٦.

(٩) «معاني القرآن» ٣/ ٢٨٩ وعبارته: .. يهمز الناس ويلمزهم: يغتابهم ويعيبهم.

(١٠) في (ي): (ونهرته)، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في «تهذيب اللغة».

(١١) «تهذيب اللغة» (لمز) ٤/ ٣٢٩٦، والكسائي يعني أن أصل تلك الكلمات: =

قال ابن عباس في رواية عطاء: يلمزك يغتابك[١].

وقال قتادة: يطعن عليك[٢].

وقال الكلبي: ﴿يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يعيبك في أمرها، ويطعن عليك فيها[٣].

وقال أبو علي: المعنى في حذف الإضافة والتقدير: يعيبك في تفريق الصدقات[٤].

وقال أهل المعاني: هذه[٥] الآية بيان عما يوجبه الخلق الدني[٦] من الشره إلى الصدقة حتى يعيب ما لا عيب فيه إذا لم يعطه ما يرضيه[٧].

وقال جويبر عن الضحاك في هذه الآية: كان رسول الله ﷺ يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره، وكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه، وأما المنافقون فإن أعطوا كثيرًا فرحوا، وإن أعطوا قليلاً سخطوا[٨].

= الدفع كما بينه أبو منصور الأزهري في الموضع نفسه، ولا يعني أن معنى الآية كذلك.

(١) رواه الثعلبي ٦/١١٦ ب عن عطاء.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/١٥٦.

(٣) ذكره مختصرًا الرازي في «تفسيره» ١٦/٩٨، ونحوه في «تنوير المقباس» ص١٩٦ عنه عن ابن عباس.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/١٩٨.

(٥) ساقط من (ج).

(٦) في (ج): (الذي)، وهو خطأ.

(٧) القول بنصه للحوفي في «البرهان» ١١/٢١١ أ.

(٨) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/١٨١٦.

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الآية، جواب (لو) محذوف بتقدير: لكان خيرًا لهم، وأعود عليهم[١]، قال ابن عباس: ولكن غلب عليهم النفاق، ولم يحق الإيمان في قلوبهم، فيتوكلوا على الله حق توكله[٢].

ثم إن الله تعالى بين لمن الصدقات فقال:

٦٠- ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية، قال ابن عباس: يريد صدقات الأموال[٣]. وذكرنا معنى الصدقة عند قوله: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧١] الآية[٤].

واختلفوا في معنى الفقير والمسكين، والكلام في اشتقاقهما قد سبق[٥]، فأما معناهما: فقال ابن عباس والحسن وجابر بن زيد[٦] والزهري

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨١٦. في «لسان العرب» (عود) ٥/ ٣١٥٧: قال الليثُ: هذا الأمر أعود عليك: أي أرفق بك وأنفع؛ لأنه يعود عليك برفق ويسر.

(٢) لم أقف على مصدره.

(٣) لم أقف على مصدره.

(٤) انظر: «النسخة الأزهرية» ١/ ١٦١ أ حيث قال: الصدقة تطلق على الفرض والنفل، والزكاة لا تطلق إلا على الفرض، قال الزجاجي: (ص د ق) على هذا الترتيب موضوع للصحة والكمال، من ذلك قولهم: رجل صدق النظر، وصدق اللقاء وصدقوهم القتال، وفلان صادق المودة.. وسمى الله تعالى الزكاة صدقة؛ لأن المال بها يصح ويكمل، فهي سبب لكمال المال.

(٥) ذكر الكلام في اشتقاق المسكنة عند تفسير الآية ٦١ من سورة البقرة، وذكر اشتقاق الفقير عند قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وأصله في اللغة: المفقور الذي نزعت فقرة من فقر ظهره، فكأنه انقطع ظهره من شدة الفقر، فصرف من مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح. انظر: «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٢-٢٨١٣، و«اللسان» (فقر) ٦/ ٣٤٤٤.

(٦) هو: جابر بن زيد الأزدي اليحمدي مولاهم، البصري، المعروف بأبي الشعثاء، كان عالم أهل البصرة في زمانه، وفي طبقة الحسن البصري وابن سيرين، ومن كبار تلاميذ ابن عباس، كان لبيبًا مجتهدًا في العبادة، توفي سنة ٩٣هـ. =

ومجاهد وابن زيد: الفقير: المتعفف الذي لا يسأل الناس[١]، والمسكين الذي يسأل[٢]، وهذا اختيار الفراء، قال: الفقراء أهل الصفة لم تكن لهم عشائر ولا مال كانوا يأوون إلى مسجد رسول الله ﷺ والمساكين: الطوافون على الأبواب[٣][٤].

وسئل أبو العباس عن تفسير الفقير والمسكين فقال: قال أبو عمرو بن العلاء فيما روى عنه[٥] الأصمعي: الفقير [الذي له ما يأكل، والمسكين الذي لا شيء له[٦].

وقال يونس[٧]:][٨] الفقير يكون له بعض ما يقيمه، والمسكين الذي لا شيء له، وقال[٩]: قلت لأعرابي أفقير أنت؟ قال: لا والله بل مسكين، قال: فالمسكين أسوأ حالاً من الفقير، والفقير الذي له بلغة من العيش[١٠]،

= انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٠٤، و«حلية الأولياء» ٣/ ٨٥، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٨١، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٧٩.

(١) ساقط من (م).

(٢) أخرج آثارهم بألفاظ متقاربة ابن جرير ١٠/ ١٥٨-١٦٠، والثعلبي ٦/ ١١٧ أ، كما خرج أكثرها السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٣ بتصرف. ويعني الفراء التمثيل بأهل الصفة لا الحصر.

(٤) رجح هذا القول أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٤٤٦ وأيده بالحجج النقلية واللغوية، ورد ما يمكن أن يعترض به عليه. وقد قال قبل ذلك: إن قول من قال: المسكين كذا، والفقير كذا، لم يقل إنه لا يقال لغيره مسكين ولا فقير. وانظر أيضًا: «تفسير الطبري» ١٠/ ١٥٩- ١٦٠ فهو يؤيد هذا القول.

(٥) في (ج): (عن)، وما أثبته موافق لما في «تهذيب اللغة».

(٦) «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٢. (٧) هو: يونس بن حبيب البصري.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٩) ساقط من (ي)، والقائل يونس كما بينه الأزهري في المصدر التالي.

(١٠) انظر أقوال يونس في «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣.

ونحو هذا قال ابن السكيت[١] وابن قتيبة[٢]، وهو مذهب أهل العراق[٣]، واحتجوا على هذا بقول الراعي:

أما الفقير الذي كانت حلوبته   وفق العيال فلم يترك له سبد[٤]

فسماه فقيرًا، وله حلوبة تكفيه وعياله[٥].

وقال محمد بن مسلمة[٦][٧]: الفقير الذي له المسكن يسكنه والخادم

---

(١) انظر: «المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» (فقر) ٢/ ٥٧٢.

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن»، له ص١٩٦.

(٣) انظر: «بدائع الصنائع» ٢/ ٩٠١، و«المغني» لابن قدامة ٩/ ٣٠٦، ٣٠٧، و«تفسير البغوي» ٤/ ٦٢، و«حاشية ابن عابدين» ٢/ ٣٣٩.

(٤) انظر: «ديوانه» ص٦٤ ونسب إليه أيضًا في: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥١١، و«لسان العرب» (فقر)، و«المخصص» ١٢/ ٢٨٥.
والسبد: الوبر، والعرب تقول: ما له سبد ولا لبد، أي ماله ذو وبر ولا صوف متلبد، انظر: «لسان العرب» (سبد) ٤/ ١٩١٨، والشاعر يشكو السعاة والعاملين على الصدقات من قبل عبد الملك بن مروان، ويقول: إنهم لم يرحموا أحدًا حتى الفقير الذي لا يملك إلا ناقة حلوبًا على قد عياله، أخذت منه، ولم يترك له شيء.

(٥) ذكر الأزهري أنه لا حجة في هذا البيت؛ لأن المعنى: كانت لهذا الفقير حلوبة فيما مضى دون الحالة الحاضرة. انظر: «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣، وسبقه أبو بكر بن الأنباري في «الزاهر في معاني كلمات الناس» ١/ ١٢٨.

(٦) في (ي): (سلمة)، وما أثبته موافق لمصدري تخريج القول.

(٧) هو: محمد بن مسلمة بن الوليد، أبو جعفر الواسطي الطيالسي، محدث معمر، قال الدارقطني: لا بأس به، وقال الخطيب: رأيت أبا القاسم اللالكائي والحسن بن محمد الخلال يضعفانه، قال: وله مناكير، توفي سنة ٢٨٢هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ٣٠٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٣٩٥.
أقول: هذا ما ترجح لدي أنه المذكور، ولست على يقين بذلك وأستبعد أن يكون هو محمد بن مسلمة الأنصاري الصحابي كما جزم بذلك مفهرس «تفسير القرطبي» ٢٢/ ٣٢٦؛ لأن النص في «تفسير الثعلبي» طويل، وفيه تعليلات لم يعهد مثلها في=

يخدمه[١]، والمسكين الذي لا ملك له[٢]، وهؤلاء قالوا[٣]: كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنيًا عن غيره، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] والمسكين المحتاج إلى كل شيء، ألا ترى كيف حض على إطعامه وجعل الكفارات من الأطعمة له ولا فاقة أعظم من سد الجوعة.

وقال الشافعي: الفقراء: الزمنى الضعاف الذي لا حرفة لهم وأهل الحرفة الضعيفة التي لا تقع حرفته من حاجتهم موقعًا، [والمساكين: السؤال ممن لهم حرفة تقع موقعًا][٤] ولا تغنيه وعياله[٥]، فالفقير أشدهما حالاً عند الشافعي وإلى هذا ذهب جماعة[٦]، وقال أحمد بن عبيد[٧]: المسكين أحسن

= كلام الصحابة، ونص قوله: ..(والمسكين: الذي لا ملك له، قال: وكل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه، وإن كان غنيًا عن غيره، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، والمسكين المحتاج إلى كل شيء، ألم تر كيف حض على إطعامه..) إلخ. انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١٧ ب.

(١) هذا خلاف ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو، وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك. «صحيح مسلم» (٢٩٧٩) كتاب: الزهد.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١١٧ب، والقرطبي ٨/ ١٧١.

(٣) في «تفسير الثعلبي» القائل هو: محمد بن مسلمة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) «الأم» ٢/ ١١٠.

(٦) ساقط من (ج). وانظر: «كتاب الأموال» ص٧١٧- ٧١٩، و«المغني» ٩/ ٣٠٦، و«لسان العرب» (فقر) ٦/ ٣٤٤٤- ٣٤٤٥.

(٧) هو: أحمد بن عبيد بن ناصح الديلمي ثم البغدادي، أبو جعفر النحوي، المعروف =

حالاً من الفقير؛ لأن الفقير أصله في اللغة المفقور الذي نزعت فقرة من فقر ظهره، فصرف عن مفقور إلى فقير كما قيل: مطبوخ وطبيخ ومجروح وجريح[(١)].

وقال خالد بن يزيد[(٢)]: كأن الفقير إنما سمي فقيرًا لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة، تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه فهذا هو الفقير[(٣)]، ولا حال في الإقلال والبؤس هي أوكد من هذه الحال، وأنشدوا للبيد:

لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم[(٤)] كالفقير الأعزل[(٥)]

= بأبي عصيدة، من نحاة الكوفة، كان نحويًّا محدثًا رأسًا في العربية من أهل الصدق، وهو من تلاميذ الأصمعي ومن شيوخ أبي بكر بن الأنباري، توفي سنة٢٧٨هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ٤/ ٢٥٨، و«نزهة الألباء» ص١٥٨، و«وإنباه الرواة» ١/ ١١٩.

(١) ذكره بنحوه أبو بكر بن الأنباري في كتابه «الزاهر في معاني كلمات الناس» ١/ ١٢٨، وانظر أيضًا: «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣، (سكن) ٢/ ١٧٢٤.

(٢) هو أبو الهيثم الرازي.

(٣) اهـ. كلام خالد بن يزيد في «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣.

(٤) في (ي): (الفقير)، وهو خطأ.

(٥) البيت في «ديوان لبيد» ص٣٤، وفي «شرحه» ص٢٧٤، ونسب إليه أيضًا في «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣، و«لسان العرب» (فقر) ٦/ ٣٤٤٥. ولبد: هو النسر السابع من نسور لقمان بن عاد، والأعزل من الخيل: المائل الذنب.

والشاعر يذكر قصة متداولة عند العرب؛ إذ يقال أن لقمان بن عاد خُيّر في عمره، فاختار أن يكون كعمر سبعة أنسر، فكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في فجوة في الجبل الذي هو في أصله، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، فإذا مات أخذ آخر مكانه، حتى هلكت ستة، فأخذ السابع وسماه لبدًا، وكان أطولها عمرًا حتى ضرب به المثل، فقيل: طال الأبد على لبد، ثم هلك النسر، فمات لقمان، وقد زعموا أنه عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة. انظر: «شرح ديوان لبيد» ص٢٧٤، و«مجمع الأمثال» ١/ ٤٢٩.

قال ابن الأعرابي في هذا البيت: الفقير: المكسور الفقار يضرب مثلاً لكل ضعيف لا ينفذ في الأمور[١].

وقال قتادة: الفقير: الزمن المحتاج، والمسكين: الصحيح المحتاج[٢]، فجعل الفقير أسوأ حالاً، ومما يدل على صحة هذا القول أن الله ابتدأ بذكرهم، فدل أنهم أولى الأصناف بالصدقات لسوء حالهم، وما روي أن رسول الله ﷺ تعوذ من الفقر[٣]، وروي عنه أنه قال: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا**[٤]**، واحشرني في زمرة المساكين**»[٥].

---

(١) «تهذيب اللغة» (فقر) ٣/ ٢٨١٣.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٩- ١٨٢٠، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٤٤٩، وزاد: عبد الرزاق وابن المنذر والنحاس وأبو الشيخ.

(٣) رواه أبو داود (١٥٤٤) كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة، والنسائي في «سننه» كتاب: الاستعاذة، الاستعاذة من القلة ٨/ ٢٦١، وابن ماجه (٢٨٤٢)، كتاب: الدعاء، باب: ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، وأحمد في «المسند» ٢/ ٣٠٥، والحاكم في «المستدرك»، كتاب: الدعاء ١/ ٥٤١. وقال: صحيح الإسناد.اهـ. ولفظ الحديث عنده وعند أحمد: «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة ..**» الحديث.

(٤) قال ابن الأثير: أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين. «النهاية في غريب الحديث» (سكن) ٢/ ٣٨٥، ونحوه في «السنن الكبرى» للبيهقي ٧/ ١٩.

(٥) رواه الترمذي (٢٣٥٢) كتاب: الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٤١٢٦)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، والحاكم في «المستدرك» كتاب: الرقاق ٤/ ٣٢٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وهو وهم منهما؛ لأن جميع أسانيد الحديث لا تخلو من قادح، ولذا قال الألباني بعد أن ذكر من صححه: (وهذا عجيب منهم، خاصة الذهبي فقد أورد يزيد بن خالد هذا في «الضعفاء» ص٢٠٧. =

فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لتناقض الحديثان؛ لأنه يتعوذ من الفقر ثم يسأل حالاً أسوأ منه، ولا تناقض بينهما؛ لأنه تعوذ بالله من الضر[(١)]، وسوء الحال، وسأله الخضوع وأن لا يجعله من الجبارين.

والمسكنة حرف مأخوذ من السكون، يقال: تمسكن الرجل: إذا لان وتواضع وخشع، ومنه قول النبي ﷺ: «**تبأس وتمسكن**»[(٢)] يريد: تواضع وتخشع، فيجوز أن يكون الرجل يملك شيئًا، وله حالة من الدنيا، ويكون مسكينًا على ما ذكرنا، ألا ترى أن الله تعالى استجاب دعاء نبيه ﷺ وأعاذه من الفقر؛ لأنه قبضه موسرًا غنيًا بما أفاء عليه، وإن كان لم يضع درهمًا على درهم، والله ﷻ يقول: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨]. هذا الذي ذكرنا كلام ابن قتيبة في هذين الحديثين[(٣)].

واحتد ابن الأنباري لهذه[(٤)] الطريقة بقوله: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ

= و«الميزان» ٦/ ٩٥، وساق أقوال الأئمة فيه، وكلها تتفق على تضعيفه، وساق له أحاديث فيما أنكرت عليه هذا أحدها).

ثم ساق الألباني شاهدين ضعيفين للحديث ثم قال: (والخلاصة: أن جميع طرق الحديث لا تخلو من قادح، إلا أن مجموعها يدل على أن للحديث أصلاً، فإن بعضها ليس شديد الضعف كحديث أبي سعيد وعبادة، والأحاديث تصل بمجموعها إلى درجة الحسن. يعني: الحسن لغيره). انظر: «إرواء الغليل» رقم (٨٦١١) ٣/ ٣٥٨-٣٦٣.

(١) في (ج): (الضرر).

(٢) هذا بعض حديث رواه أبو داود (١٢٩٦)، كتاب: الصلاة، باب: في صلاة النهار، وابن ماجه (١٣٢٥)، كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في صلاة الليل والنهار مثنى مثنى.

(٣) انظر: «تأويل مختلف الحديث» ص١٩٦.

(٤) في (ج): (بهذه).

لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩] الآية، فوصف بالمسكنة من له سفينة من سفن البحر تساوي جملة من الدنانير(١)، وبقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١٤-١٦]، ومسكين ذو متربة: هو الفقير الذي قد لصق بالتراب من شدة الفقر، والمسكين الذي ليس بذي متربة هو أحسن حالاً من الفقير؛ لأنه ذو مال، ونعت الله تعالى هذا المسكين بأنه ذو متربة يدل على أن ثم مسكينًا ليس بذي متربة يخالف المنعوت ولا يبلغ منزلته في شدة الفقر.

وأما احتجاجهم ببيت الراعي، قلنا: قد ذكر الفقير وحده وكل فقير أفردته بالاسم جاز إطلاق المسكين عليه، وكذلك إطلاق الفقير على المسكين، وإنما يتبين مقصود هذه المسألة عند الجمع بينهما وفائدة هذا الخلاف لا تبين في تفريق الصدقات، وإنما تبين في الوصايا، و هو أن رجلاً لو(٢) قال: أوصيت للفقراء بمائتين وللمساكين بخمسين وجب(٣) دفع المائتين إلى من هو أسوأ حالاً من الفريقين.

ومن الناس من سوى بين الفقير والمسكين وقال: هما واحد إلا أنه

---

(١) ليس في هذا دليل على ما ذكر؛ لأن العرب تطلق لفظ المسكين على الذليل الخاضع، فإن كان الذي أذله هو الفقر، كان فقيرًا مسكينًا، وإن كان الذي أذله غير الفقر، فهو مسكين غير فقير، كما أشار إلى ذلك المؤلف، قال ابن عرفة بعد أن ذكر نحو ما سبق: «إذا كان مسكينًا قد أذله سوى الفقر فالصدقة لا تحل له، إذ كان شائعًا في اللغة أن يقال: ضرب فلان المسكين، وظلم المسكين، وهو من أهل الثروة واليسار». «لسان العرب» (فقر) ٦/ ٣٤٤٤.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) في (ج): (يوجب).

ذكر[(١)] بالصفتين لتأكيد أمره[(٢)].

والظاهر من هذه الأقوال الذي يوافق اللغة قول قتادة، هو أن الفقير ذو الزمانة من أهل الحاجة، والمسكين الصحيح منهم، وهو في اللغة (مفعيل) من السكون مثل المنطيق من النطق، ومضى الكلام فيه عند قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

وحدّ الفقير والمسكين الذي يجوز دفع الزكاة إليه هو من لا يفي دخله بخرجه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾، قال ابن عباس: يريد الذين يستخرجونها[(٣)]. وقال الزهري وابن زيد: هم السعاة لجباية الصدقة[(٤)].

وهؤلاء يعطون من الصدقات بقدر أجور أمثالهم، وهو مذهب الشافعي[(٥)]، وقول عبد الله بن عمرو[(٦)]، وابن زيد[(٧)]، وقال مجاهد والضحاك: يعطون الثُّمُن من الصدقات[(٨)].

---

(١) في (ي): (ذكرنا).

(٢) ذكر القرطبي في «تفسيره» ٨/ ١٦٩، ١٧٠ أن هذا أحد قولي الشافعي، وإليه ذهب أبو يوسف وابن القاسم وسائر أصحاب مالك، وانظر: «حاشية ابن عابدين» ٢/ ٣٣٩.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٢١ بلفظ: السعاة أصحاب الصدقة.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦٠ مختصرًا عن الزهري، وبمعناه عن ابن زيد.

(٥) انظر: «الأم» ٢/ ١١١.

(٦) في (ي): (عمر)، والصواب ما أثبته، وانظر قوله في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦١، والثعلبي ٦/ ١١٨ ب.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦١، والثعلبي ٦/ ١١٨ ب.

(٨) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦٠-١٦١ بإسنادين ضعيفين، ففي سنده عن مجاهد مجهول، ومسلم بن خالد الزنجي قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص٥٢٩ (٦٦٢٥): صدوق كثير الأوهام، وفي سنده عن الضحاك ضعيف، وهو جويبر.

والصحيح أن الهاشمي والمطلبي[(١)] لا يجوز أن يكون عاملاً على الصدقات [بعمالة منها؛ لأن رسول الله ﷺ أبي أن يبعث أبا رافع[(٢)] عاملاً على الصدقات][(٣)]، وقال: «**أما علمت أن مولى القوم منهم؟!**»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾، قال ابن عباس: هم قوم من أشراف العرب استألفهم رسول الله ﷺ ليردوا عنه قومهم ويعينوه على عدوه، منهم عباس بن مرادس السلمي، وعيينة بن حصن الفزاري[(٥)]، والأقرع بن حابس

---

(١) الهاشمي: نسبة إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي، والمطلبي: نسبة إلى المطلب بن عبد مناف بن قصي. انظر: «السيرة النبوية» ١/ ١١٨.

(٢) للنبي ﷺ موليان بهذا الاسم، أبو رافع عبد أبي أحيحة، وقد أعتق كل من بنيه نصيبه منه سوى واحد فإنه وهب نصيبه للنبي ﷺ فأعتقه، والثاني أبو رافع القبطي وقد أفاد الذهبي أنه هو المذكور في حديث الصدقة، واختلف في اسمه، فقيل: أسلم، وقيل: إبراهيم، وقيل غير ذلك، والأول أشهر، كان عبدًا للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما أن بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه، وكان ذا علم وفضل، وقد شهد غزوة أحد وما بعدها، وتوفي بالكوفة سنة ٤٠هـ. وقيل قبل ذلك: انظر: «المعارف» ص٨٥، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ١٦، و«الإصابة» ٤/ ٦٧- ٦٨ (٣٩٦).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٤) رواه النسائي في «سننه»، كتاب: الزكاة، باب: مولى القوم منهم ٥/ ١٠٧، والترمذي (٦٥٧)، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في كراهية الصدقة للنبي.. ، وأبو داود (١٦٥٠)، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة على بني هاشم، وأحمد في «المسند» ٦/ ٨، والحديث بنحوه دون ذكر أبي رافع في «صحيح البخاري» (٦٧٦١)، كتاب: الفرائض، باب: مولى القوم من أنفسهم.

(٥) هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو مالك، زعيم فزارة وغطفان، أسلم قبل فتح مكة وشهدها، وشهد حنينًا والطائف، ثم ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، وكان من المؤلفة قلوبهم، وفيه جفاء البادية، مع حمق وتيه، توفي في خلافة عثمان ﵁.

=

التميمي[١]، والحارث بن هشام المخزومي، وأبو سفيان بن حرب الأموي، وجماعة[٢]، وهذا قول الكلبي[٣] والأكثرين[٤].

وكان رسول الله ﷺ يعطيهم سهمًا من الزكاة، فأما اليوم فقد أغنى الله المسلمين عن ذلك إنما كانوا على عهد رسول الله ﷺ خاصة، وهذا قول الحسن[٥] والشعبي[٦]، فإن رأى الإمام على مقتضى الحال يريد أن يؤلف قلوب قوم على الإسلام فله الإعطاء إذا كانوا مسلمين، إذ لا يجوز صرف شيء من زكاة الأموال إلى المشركين، فأما المؤلفة من المشركين فإنما يعطون من مال الفيء لا من الصدقات[٧].

= انظر: «المعارف» ص١٧١، و«الإصابة» ٣/ ٥٤ (٦١٥١).

(١) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد المجاشعي الدارمي التميمي، من زعماء بني تميم، أسلم قبل فتح مكة وشهد فتحها وحنينًا والطائف، وكان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان حكيمًا شريفًا في الجاهلية والإسلام، قتل بجوزجان في خلافة عثمان رضي الله عنهما.
انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، و«الإصابة» ١/ ٥٨.

(٢) ذكر نحوه الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١١١، وروى ابن جرير ١٠/ ١٦١ عن ابن عباس قال: (هم قوم كانوا يأتون رسول الله ﷺ قد أسلموا.. فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيرًا قالوا: هذا دين صالح؛ وإن كان غير ذلك عابوه وتركوه). وانظر: «إرواء الغليل» ٣/ ٣٦٩.

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ١١٨.

(٤) مثل يحيى بن أبي كثير، ومجاهد. والحسن، وقتادة والضحاك وسعيد بن جبير والشعبي، انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦١-١٦٢، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٥٠-٤٥١.

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦٢، والثعلبي ٦/ ١١٦.

(٦) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٢٢.

(٧) انظر: كتاب «الأم» للإمام الشافعي ٢/ ٩٧، ومذهب الإمام أحمد جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة ولو كانوا مشركين، انظر: «المغني» ٩/ ٣١٨.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، قال ابن عباس: (يريد المكاتبين)[١]، وقال الزجاج: (كأن يعاون المكاتب حتى يفك رقبته)[٢].

وهذا على حذف المضاف؛ لأن المعنى: وفي فك الرقاب، وقد مضى مثل هذا في سورة البقرة [١٧٧] في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾.

وسهم الرقاب موضوع في المكاتبين[٣] ليعتقوا به، وهذا مذهب الشافعي[٤] والليث بن سعد[٥].

ومذهب مالك[٦] وأحمد[٧] وإسحاق[٨]: أنه موضوع[٩] لعتق الرقاب يشترى به عبيد فيعتقون.

ومذهب[١٠] أبي حنيفة وأصحابه أنه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة،

---

(١) «تنوير المقباس» ص١٩٦، و«تفسير الرازي» ١٦/ ١١٢، و«الوسيط» ٢/ ٥٠٦.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٦.

(٣) المكاتب: العبد يكاتب على نفسه بثمنه، فإذا دفع ثمنه لسيده عتق. انظر: «معجم مقاييس اللغة» (كتب) ٥/ ١٥٩، و«لسان العرب» (كتب) ٦/ ٣٨١٧.

(٤) انظر: كتاب «الأم» ٢/ ١١٣.

(٥) انظر: «فتح الباري» ٣/ ٣٣٢.

(٦) هذه إحدى الروايات عن الإمام مالك، انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٩٦٧، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٨/ ١٨٢.

(٧) هذه إحدى الروايات عن الإمام أحمد، لكن لا يعني ذلك أن المكاتبين لا يعانون من الزكاة عنده، بل يعان منها المكاتب ويعتق منها العبيد، واستحب أن لا يعتق الفرد من زكاته رقبة كاملة. انظر: «المغني» ٩/ ٣٩١-٣٢١.

(٨) انظر قوله في: «المغني» ٩/ ٣٢٠، و«فتح الباري» ٣/ ٣٣٢، والمذكور هو إسحاق ابن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي أبو يعقوب المروزي.

(٩) في (ى): (موضع)، والصواب ما أثبته بدلالة ما قبله.

(١٠) من هنا إلى قوله: فيعتقون، مكرر في (ح).

ولكن يعطى منها في رقبة ويعان بها مكاتب[(١)]، وهذا قول سعيد بن جبير[(٢)] والنخعي[(٣)].

وقال الزهري: (سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين المسلمين، ونصف يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم إسلامهم، فيعتقون، من الذكور والإناث)[(٤)].

قال أصحابنا: (والاحتياط في سهم الرقاب دفعه إلى السيد بإذن المكاتب[(٥)])[(٦)]، وهذا معنى تغيير اللفظ على ما ذكره صاحب «النظم»، وهو أنه قال: قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ فصل جاء بنظم له معنى خاص دون ما بعده، وذلك أن الله تعالى قصد به دفع الصدقات إلى هؤلاء ليعملوا فيما يعطون ما شاؤوا في نفقاتهم وغيرها، ثم

---

(١) انظر: «بدائع الصنائع» ٢/ ٩٠٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٧٩ كتاب: الزكاة، باب: في الرقبة تعتق من الزكاة، وأبو عبيد في كتاب «الأموال»، باب: سهم الرقاب والغارمين ص٧٢٣، ولفظه عند أبي عبيد: (لا تعتق من زكاة مالك فإنه يجر الولاء).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٧٩، كتاب: الزكاة، باب: في الرقبة تعتق من الزكاة، وأبو عبيد في كتاب «الأموال»، باب: سهم الرقاب والغارمين ص٧٢٣، ولفظه عند أبي عبيد: (قال: يعان منها في الرقبة ولا يعتق منها)، ورواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٢، ولفظه: (لا يعتق من الزكاة رقبة تامة، ويعطى في رقبة، ولا بأس أن يعين بها مكاتبًا).

(٤) ذكره عن الزهري، الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٠ أ، والصواب أن الزهري رواه عن عمر بن عبد العزيز كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٢٤، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٤٥١.

(٥) في (ح): (بإذن عبد المكاتب)، وهو خطأ ولا معنى له.

(٦) انظر: «روضة الطالبين» ٢/ ٣١٥.

قال: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ إلى آخر الآية[١] فجاء هذا بنظم غير ذلك النظم، فكأنه ﷻ أمر بأن يوضع ما يقدر لهم في المواضع التي بها استحقوا الصدقة دون أن يدفع إليهم فيصرفوه في غيره، فيجب أن يوضع في الرقاب بأن يؤدى عنهم، وكذلك: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ ويصرف ما أوجب للسبيل وابنه إلى ما يحتاجون إليه من آلة ونفقة، دون دفعه إليهم، وإنما قلنا هذا على ظاهر النظم لأنه لم يجعله فصلين بنظمين مختلفين إلا وقد قصد به معنيين متغايرين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد أهل الدين)[٢]، وقال مجاهد[٣] وقتادة[٤] والزهري[٥]: (الغارمون: الذين لزمهم الديون في غير معصية ولا إسراف).

قال الشافعي: (وهم صنفان: صنف ادانوا في مصلحتهم أو معروف أو غير معصية ثم عجزوا عن أداء ذلك في العرض والنقد، فيعطون في غرمهم، وصنف ادانوا في حمالات وصلاح ذات بين، ولهم عروض إن بيعت أضر بهم فيعطى هؤلاء وتوفر عروضهم[٦]، وذلك إذا كان دينهم في غير فسق ولا تبذير ولا معصية، فأما من ادان في معصية الله فلا أرى أن

---

(١) في (ى): (آخرها).

(٢) «تنوير المقباس» ص١٩٦.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب: الزكاة، باب: ما قالوا في الغارمين منهم ٣/ ٢٠٧، وابن جرير ١٠/ ١٦٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٢٤.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦٤، والثعلبي ٦/ ١٢٠ ب.

(٥) رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير في المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٦) «الأم» ٢/ ٩٧ بتصرف يسير واختصار، والكلام التالي ذكره الشافعي في كتاب «الأم» ٢/ ١١٣.

يعطى)، قال الزجاج: (لأن ذا المعصية إن أدي عنه الدين كان ذلك تقوية له على المعاصي)[١].

وأصل الغرم في اللغة: لزوم ما يشق ويتعذر، والغرام: العذاب اللازم أو[٢] العشق أو الشر اللازم، وفلان مغرم بالنساء: -إذا كان مولعًا بهن- من هذا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الغزاة والمرابطين، عند عامة المفسرين[٤]، قال الزجاج: (أي للمجاهدين حق في الصدقة)[٥].

ومذهب الشافعي في هذا: أن الغازي يجوز أن يعطى وإن كان غنيا إذا طلب[٦] وهو مذهب مالك[٧] وإسحق[٨] وأبي[٩] عبيد[١٠].

وقال أبو حنيفة وصاحباه[١١]: (لا يعطى الغازي إلا أن يكون

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٦.

(٢) في (ح): (و).

(٣) انظر: «اللسان» (غرم) ٦/ ٣٢٤٧.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٢٤- ١٨٢٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٥٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٦.

(٦) «الأم» ٢/ ٩٨.

(٧) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢/ ٩٦٩، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ٨/ ١٨٥.

(٨) انظر: «المغني» ٩/ ٣٢٦.

(٩) في (ى): (ابن)، وهو خطأ.

(١٠) كتاب: «الأموال»، له ص٧٢٦.

(١١) هما أبو يوسف ومحمد بن الحسن.

محتاجًا[(١)]، واحتج[(٢)] الشافعي بما روي أن النبي ﷺ قال: «**لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: رجل عمل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو في سبيل الله[(٣)]، أو ابن السبيل[(٤)]، أو رجل كان له جار فتصدق عليه فأهداها له**»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۖ﴾، قال ابن عباس: (يريد عابر السبيل)[(٦)]، قال المفسرون: (المسافر المنقطع يأخذ من الصدقة وإن كان

---

(١) انظر: «بدائع الصنائع» ٢/ ٩٠٧، و«المغني» ٩/ ٣٢٦.

(٢) في (ح): (واحتاج).

(٣) في (ح): (سبيل)، دون لفظ الجلالة.

(٤) هكذا ذكر الواحدي: (ابن السبيل) ومثله ابن جرير ١٠/ ١٦٥، والثعلبي ٦/ ١٢٠ب، ولم يذكره الشافعي ولا غيره ممن أخرج الحديث ممن سيأتي ذكرهم، وإنما ذكروا مكانه (الغارم).

ورواية ابن جرير ضعيفة للإرسال ولضعف ابن وكيع، فهو ساقط الحديث كما بينه ابن حجر في «التقريب» ص٢٤٥ (٢٤٥٦)، أما الثعلبي فقد ذكر الحديث بغير سند.

(٥) انظر: «الأم» ٢/ ٩٨، وقد ذكر الواحدي رواية ابن جرير، ولفظه عند الشافعي: (لا تحل الصدقة إلا لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها، أو لغارم، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني) ولفظه عند غيره: (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة، لغاز..)إلخ، رواه أبو داود (١٦٣٥)، كتاب: الزكاة، باب: من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني، وابن ماجه (١٨٤١)، كتاب: الزكاة، باب: من تحل له الصدقة، وأحمد في «المسند» ٣/ ٥٦، والحاكم في «المستدرك»، كتاب: الزكاة ٢/ ٤٠٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٦) في (ح): سبيل، وقد روى الأثر ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» بلفظ: المسافر.

غنيًا في بلده[١]، وهذا قول مجاهد[٢] والزهري[٣]، وقال الزجاج: (هو الذي قطع عليه الطريق)[٤].

قال الشافعي: (ابن السبيل المستحق للصدقة: هو الذي يريد السفر في غير معصية، فيعجز عن بلوغ سفره إلا بمعونة)[٥]، قال أصحابنا: (ومن أنشأ السفر من بلده لحاجة جاز أن يدفع إليه سهم ابن السبيل كالمجتاز ببلدك)[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج: (منصوب على التوكيد؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ لهؤلاء كقوله: فرض الله الصدقات[٧] لهؤلاء)[٨].

﴿فَرِيضَةً﴾، قال ابن عباس: (يريد أن الله تبارك وتعالى افترض هذا على الأغنياء في أموالهم)[٩] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما حكم فيهم[١٠].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٥٢.

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ١٦٦.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب: الزكاة، باب: ما قالوا في الغارمين من هم ٣/ ٢٠٧، وابن جرير ١٠/ ١٦٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٦. (٥) «الأم» ٢/ ٩٨.

(٦) انظر: «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ١/ ١٧٣، و«روضة الطالبين» ٢/ ٣٢٥.

(٧) في (ى): (الصدقة الصدقات)، وهذه الزيادة لا معنى لها، وليست في «معاني القرآن وإعرابه».

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٧. ومراد الزجاج أن المعنى: فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة.

(٩) «الوجيز» ٦/ ٥٤٦.

(١٠) في (ح): (فيه).

فأما حكم هذه الآية فقال قوم: قاسم الصدقة له أن يضعها في أي هؤلاء الأصناف شاء، وإنما سمى[1] الله الأصناف الثمانية[2] إعلامًا منه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف إلى غيرها، وهذا قول عمر وحذيفة وابن عباس وابن جبير وعطاء وأبي العالية وإبراهيم[3]، ومذهب أبي حنيفة[4][5].

---

(١) في (ى): أسمي، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لما في «تفسير الثعلبي».
(٢) في (ح): الثلاثة، وهو خطأ.
(٣) روى أثر إبراهيم ومن قبله ابن أبي شيبة في «المصنف»، كتاب: الزكاة، باب: ما قالوا إذا وضع الصدقة في صنف واحد ٣/ ١٨٢، وابن جرير ١٠/ ١٦٦- ١٦٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨١٧، والثعلبي ٦/ ١٢١ أ، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب: قسم الصدقات، باب: من جعل الصدقة في صنف واحد ٧/ ١١، ١٢.
(٤) انظر: «بدائع الصنائع» ٢/ ٩٠٨. وهو أيضًا مذهب الحنابلة كما في «المغني» ٤/ ١٢٧.
(٥) قلت: ومن أقوى أدلة هذا القول حديث سلمة بن صخر الذي ظاهر من امرأته ثم واقعها، وفيه: (اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق، فقل له: فليدفعها إليك)، رواه أبو داود رقم (٢٢١٣)، كتاب: الطلاق، باب: في الظهار، والترمذي رقم (٣٢٩٩)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة المجادلة، وابن ماجه رقم (٢٠٦٢)، كتاب: الطلاق، باب: الظهار، وأحمد ٤/ ٣٧، والحاكم ٢/ ٢٠٣، وقد حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «إراوء الغليل» ٧/ ١٧٩: (وبالجملة فالحديث بطرقه وشاهده صحيح).
والشاهد فيه أن النبي ﷺ أعطاه صدقة بني زريق كلها ولم يقسمها على الأصناف الثمانية.
وكذلك قول النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**»، رواه البخاري (١٣٩٥)، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، فلم يأمره النبي ﷺ أن يقسم الزكاة على الأصناف الثمانية.

وكان الشافعي يجري الآية على ظاهرها ويقول: ذكر الله تعالى ثمانية أصناف فبين أن كل صنف منهم يستحق سهمه فلا يجوز حرمان صنف موجود، وكيف يجوز مع هذه القسمة[١] التي تولاها سبحانه ثم أكدها بقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾فإذا تولى رب المال قسمها فإن عليه وضعها في ستة أصناف [لأن سهم][٢] المؤلفة ساقط، وسهم العاملين[٣] يبطل بقسمه إياها، ولا يجزئه أن يعطي من كل صنف منهم أقل من ثلاثة أنفس، ولا يصرف منها سهم ولا شيء منه عن أهله ما دام من أهله أحد[٤] يستحقه، ولا يخرج من بلد وفيه أهله، وترد حصة من لم يوجد من أهل السهمان على من وجد منهم)[٥]، وهذا قول عمر[٦] بن عبد العزيز[٧] وعكرمة[٨] والزهري[٩].

---

(١) في (ى): (التسمية).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (ى): الغارمين، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في كتاب: «الأم».

(٤) ساقط من (ح).

(٥) انظر: أول قول الشافعي إلى قوله (فريضة من الله) في كتاب: «الأم» ٢/ ٩٤-٩٦ بمعناه، وانظر: بقية قوله في المصدر نفسه ص١٠٦ بتصرف.

(٦) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، أبو حفص، أمير المؤمنين، وخامس الخلفاء الراشدين، ومضرب المثل في العدل وحسن السياسة، وكان أحد الأئمة المجتهدين، توفي سنة ١٠١هـ.
انظر: «العبر» ١/ ٩١، و«تقريب التهذيب» ص٤١٥ (٤٩٤٠).

(٧) رواه ابن أبي حاتم مفرقًا في مواضع من «تفسيره»، انظر ٤/ ٥٩ أ- ٦٠ ب- ٦١ أ، وانظر أيضًا «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢١ ب.

(٨) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢١ ب، والبغوي ٤/ ٦٥، وقد روى عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٨٣ مثل قول الجمهور.

(٩) ذكره الثعلبي ٦/ ١٢١ ب.

قال أصحابنا: (أقل عدد كل صنف ثلاثة فصاعدًا، للفظ الجمع في[1] الآية، فإن دفع سهم الفقراء إلى فقيرين ضمن نصيب الثالث، وهو ثلث سهم الفقراء، يضمنه لفقير واحد أو[2] أكثر)[3].

وأما كيفية قسمها فهو أن تنظر فإن وجدت خمسة أصناف وقد لزمك أن تتصدق بعشرة دراهم، جعلت العشرة خمسة أسهم، كل سهم درهمان، ولا يجوز التفاضل، ثم يلزمك أن تدفع إلى كل صنف درهمين، وأقل عددهم ثلاثة ولا تلزمك التسوية بينهم، ولك أن تعطي فقيرًا درهمًا، وفقيرًا خمسة أسداس، وفقيرًا سدس درهم، هذه صفة قسم الصدقات على مذهب الشافعي[4].

٦١- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾، قال المفسرون: (نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث[5] وجماعة معه، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ويبلغون حديثه إلى المنافقين ويعيبونه، ويقولون فيما بينهم: نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له ونقول: ما قلنا فيصدقنا؛ لأنه أذن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾[6]

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ح): (و).

(٣) انظر: «المهذب في فقه الإمام الشافعي» ١/ ١٧٣، و«روضة الطالبين» ٢/ ٣٢٩.

(٤) انظر: «الأم»، كتاب: قسم الصدقات ٢/ ٩٤ وما بعدها، و«روضة الطالبين» ٢/ ٣٣٠.

(٥) هو: نبتل بن الحارث بن قيس الأوسي، أخو بني عمرو بن عوف، ذكره ابن إسحاق في المنافقين، على وجه الظن من غير سند واعتمد قوله من جاء بعده. وقال الحافظ ابن حجر: (يحتمل أن يكون أبو عبيدة اطلع على أنه تاب). انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٨، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦٨، و«الإصابة» ٣/ ٥٤٩.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٦٨، والثعلبي ٦/ ١٢٢ أ، والبغوي ٤/ ٦٧، و«السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢٠٨، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٥٤.

يعني[١] من المنافقين من يوذيه بنقل حديثه، وعيبه ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع من كل أحد ما يقول ويقبله، وقال[٢] الحسن: (قالوا: ما هذا الرجل إلا أذن، من شاء صرفه كيف شاء، ليست له عزيمة[٣]).

وقرأ نافعٌ (أذن) بالتخفيف[٤]، مثل عنق وظفر وطنب، وكل ذلك يجيء فيه[٥] التخفيف، والأذن في الأصل عبارة عن جارحة مخصوصة، ويجوز أن يطلق على الجملة، ويوصف به، كما قال الخليل في الناب من الإبل: (إنه سميت به لمكان الناب البازل[٦] فسميت الجملة كلها به[٧])[٨].

وكما قالوا للربيئة[٩]، وهو عين القوم، ويجوز أن يجري الاسم وصفًا للشيء إذا وجد معنى ذلك الاسم فيه[١٠]، وذلك كما أنشد أبو عثمان[١١]:

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (قال).

(٣) ذكره عن الحسن، الشيخ هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٤٥، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ١١٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٧.

(٤) انظر: «كتاب السبعة في القراءات» ص٣١٥، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٣.

(٥) في (ى): (في).

(٦) قال الجوهري في «الصحاح» (بزل) ٤/ ١٦٣٣: (بزل البعير يبزل بزولًا: فطر نابه، أي انشق، فهو بازل، ذكرًا كان أو أنثى وذلك في السنة التاسعة، وربما بزل في السنة الثامنة، والبازل أيضًا: اسم للسن التي طلعت).

(٧) في (ح): (بها).

(٨) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٨٣، و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ١٩٩.

(٩) قال ابن فارس في «مجمل اللغة» (ربو) ٢/ ٤١٧: (الربيئة: عين القوم، يكون فوق مربأ من الأرض)، ونحوه في «تهذيب اللغة» (ربا) ١/ ١٣٣٤.

(١٠) ساقط من (ح).

(١١) هو: بكر بن محمد، أبو عثمان المازني.

مـئـبـرة الـعـرقـوب إشـفـى الـمـرفـق[١]

فوصف المرفق بالإشفى لما أراد من الدقة[٢] والهزال، وخلاف الدرم[٣].

وقال آخر[٤]:

فـلـولا الله والـمـهـر الـمـفـدى لأبـت وأنـت غـربـال الإهـاب

فجعله غربالًا لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن، فكذلك ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أجرى على الجملة اسم الجارحة لإرادة[٥] كثرة استعمالها[٦] في الاصغاء بها، ويجوز أن تكون (فعلا) من أذن يأذن: إذا استمع، ويكون معناه: إنه كثير الاستماع، وفي التنزيل: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٧] أي استمعت، وقالوا: ائذن لكلامي: أي استمع له، وفي الحديث: «**ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي**

---

(١) لم أهتد إلى قائله، وانظر الرجز بلا نسبة في: «الخصائص» ٢/ ٢٢١، ٣/ ١٩٥، و«المخصص» ١٥/ ١٠٦، و«الممتع في التصريف» ١/ ٧٤.
والمئبر: ما رقّ من الرمل، وإبرة الفرس: ما انحد من عرقوبيه. اللسان (أبر).
والإشفى: المثقب. المصدر السابق (شفا).
يقول: إنها حادة العرقوب، حادة المرفق بسبب الهزال.

(٢) في (ى): (الذمة)، وهو خطأ.

(٣) الدرم في الكعب: أن يوازيه اللحم حتى لا يكون له حجم، ودرم الكعب والعرقوب والساق درمًا: استوى، والأدرم: الذي لا حجم لعظامه، وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه فقد درم. انظر: «اللسان» (درم) ٣/ ١٣٦٦.

(٤) البيت لمنذر بن حسان كما في «المقاصد النحوية» ٣/ ١٤٠، وهو بلا نسبة في «الخصائص» ٢/ ٢٢١، و«الدرر اللوامع» ٢/ ١٣٦، و«شرح الأشموني» ٢/ ٣٦٢، و«لسان العرب» (غربل) ٦/ ٣٢٣١، و«المخصص» ١٥/ ١٠٦.

(٥) في (ح) و(ى): (لإرادته).

(٦) في (م): (استعماله لها).

(٧) الآية: ٢ والآية: ٥ من سورة الانشقاق.

يتغنى بالقرآن»[١]، ومنه قول عدي[٢]:

في سماع يأذن الشيخ له   وحديث مثل ماذي مشار[٣]

ويقوي هذا الوجه أن أبا زيد قال: رجل أُذُنٌ، ويَقَنٌ: إذا كان يصدق بكل ما يسمع[٤]، فكما أن يَقَنٌ صفة كبطل[٥]، كذلك أُذُن كأنُف.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ أي مستمع خير وصلاح ومصغ إليه، لا مستمع شر وفساد، وروى الأعشى[٦] والبرجمي[٧]: (أذنٌ

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (رقم ٢٣٤) ١/ ٥٤٦، وبنحوه رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، (رقم ٤٢) ٦/ ٣٢٨.

(٢) هو: عدي بن زيد بن حمار العبادي التميمي، شاعر جاهلي، من دهاة العرب، كان يسكن الحيرة، ويحسن الفارسية فاتخذه كسرى ترجمانًا بينه وبين العرب، وعلماء العربية لا يرون شعره حجة لتأثره بالعجم، قتله النعمان بن المنذر نحو سنة ٢٥ق هـ.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٣٧، ١٤٠، و«الشعر والشعراء» ص١٣٠، و«الأعلام» ٤/ ٢٢٠.

(٣) البيت لعدي بن زيد كما في «ديوانه» ص٩٥، و«شرح حماسة التبريزي» ٤/ ٢٤، والمرزوقي ص١٤٥١، و«اللسان» (شور) ٤/ ٢٣٥٦.
والماذي: العسل الأبيض، والمشار: المجتنى. انظر: «لسان العرب»، الموضع السابق.

(٤) «النوادر في اللغة»، له ص٣٢١، و«الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠١.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) هو: يعقوب بن محمد بن خليفة الكوفي، أبو يوسف الأعشى، أجل تلاميذ شعبة، كان قارئًا مجيدًا ضابطًا، توفي نحو سنة ٢٠٠هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٩، و«غاية النهاية» ٢/ ٣٩٠.

(٧) هو: عبد الحميد بن صالح بن عجلان البرجمي التميمي، أبو صالح الكوفي، مقرئ ثقة، من تلاميذ شعبة، توفي سنة ٢٣٠هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٠٢، و«غاية النهاية» ١/ ٣٦٠.

خيرٌ)[١] على وصف الأذن بـ(خير) ومعناه: أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، و﴿خَيْرٌ﴾ في القراءة الأولى بمعنى صلاح[٢]، وفي الثانية بمعنى أصلح، قال أبو إسحاق: (من قرأ (أذنٌ خيرٌ) بالتنوين، فالمعنى: قل من يسمع منكم، ويكون قريبًا منكم، قابلًا للعذر، خير لكم)[٣].

والقراءة هي الأولى؛ لأن ما بعده يؤكده، وهو قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يسمع ما ينزله[٤] الله جل وعز عليه[٥] فيصدق به ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، فهو أذن خير، لا أذن شر، وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (يريد: يسمع كلام جبريل فينهاكم عن معاصي الله، ويأمركم بطاعته، ولتطرحوا عنكم ما علم الله في قلوبكم من النفاق)[٦]، وقال الفراء في قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: أي يصدق بالله، و﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدق المؤمنين أراد: لكنه لا يصدقكم إنما يصدق المؤمنين، قال: وهو كقوله: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] أي يرهبون ربهم[٧].

---

(١) يعني بالرفع والتنوين في الكلمتين، وقد روى هذه القراءة الأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٥، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣١٩، و«تفسير البغوي» ٤/ ٦٧.

(٢) في (ى): (صاد).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٧.

(٤) في (ح): (ما بين).

(٥) من (م).

(٦) هذا الأثر من رواية عطاء التي لم أعثر على مصدرها.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٤.

ويقال: آمن به وآمنه وآمن له، أي: صدقه، وقال أبو علي: اللام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ على حدها في قوله ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] أو على المعنى؛ لأن معنى يؤمن: يصدق، فعدى باللام كما عدي مصدق به في نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [المائدة: ٤٦][(١)].

قال المفسرون[(٢)]: وهذا تكذيب من الله للمنافقين، كأنه قال: إن محمدًا يصدق الله ويصدق المؤمنين، قال: وهو كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وتكلم صاحب «النظم» في هذه الآية فأفاد، وهو أنه قال: من قرأ بترك الإضافة فقوله: ﴿أُذُنٌ﴾ رفع بالابتداء في الظاهر، وموضعه في الباطن نصب على الحال؛ لأن تأويله: قل هو أذنًا خير لكم، أي: إذا كان أذنًا خير لكم، و(خير) بمنزلة (أفعل) لأنه يقبل منكم ما تقولون فيما تعتذرون به، وليس ذلك راجعًا عليه بعيب، ويكون قوله: (هو) -لو ظهر- مبتدأ، وقوله تعالى: (أذنًا)[(٣)] بعده حال.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خبر للمبتدأ، كما تقول في الكلام: هو حافظًا خير لك[(٤)]، [أي: في حال الحفظ خير لك][(٥)]، فلما كف ﷻ ذكره (هو) وضع ما بعده من الحال موضعه فصار مبتدأ، كما تقول في الكلام: هو حافظ خير لك، والعرب تضمر (هو) في الكلام، كقوله: ﴿سَيَقُولُونَ

---

(١) «الحجة» ٤/ ٢٠٤.

(٢) القول للإمام ابن جرير، انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٦٩، وانظر معناه في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٢٢ ب، والبغوي ٤/ ٦٧.

(٣) يعني في حالة التأويل.

(٤) في (ح): (لكم)، وأثبت ما في (م) و(ى) لموافقته للموضعين بعده.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

ثَلَٰثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢] الآية[١].

ومن قرأ بالإضافة في (خير) ليس على (أفعل) وتقديره[٢] تقدير (فضل) و(نفع) [بمعنى: قل هو أذن نفع][٣] لكم، لما[٤] تجدون فيه وعنده من السهولة والمسامحة فيما يبلغه عنكم، ثم بين الله -ﷻ- ذلك بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدقهم كما قال -ﷻ-: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] أي: لا تصدقوا، والمؤمنون ههنا: المنافقون[٥] الذين آمنوا بألسنتهم ولم[٦] يخلصوا بقلوبهم، فقبل ﷺ ظاهرهم، وخلطهم بالمؤمنين في الأحكام، ومنه قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] [فسماهن مؤمنات بإقبالهن إلى الهجرة ثم قال: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾][٧] ولا يقع الامتحان إلا على من لا يُعرف إيمانه، ثم قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ أي بما يظهرن من الإيمان بألسنتهن.

وأما قوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهم[٨] المخلصون؛ لأن الرحمة لا تنال إلا من أخلص إيمانه، وقد يحتمل أن يكون قوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدق المؤمنين المخلصين فأما غير المخلصين فإنه يسمع منهم

---

(١) انظر: قول صاحب النظم في «تفسير الرازي» ١٦/ ١١٧- ١١٨ وقال: هذا الوجه شديد التكلف.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) في (ح): (ما).

(٥) في (ى): (المنافقين)، وهو خطأ.

(٦) في (ح): (وإن لم).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) ساقط من (ح).

ما يقولون ولا يظهر لهم التكذيب، ويكل أمرهم إلى الله -ﷻ[١]-، والله أعلم بما أراد من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾، قال الزجاج: (أي وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين)[٢]، فجعله الرحمة لكثرة هذا المعنى منه، وعلى هذا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقرأ حمزة (ورحمةٍ) بالجر[٣]، عطفا على خير، كأنه: أذن خير ورحمة، أي مستمع رحمة، وجاز هذا كما جاز مستمع خير، ألا ترى أن الرحمة من الخير، فإنه قيل: فهلا[٤] استغنى بشمول الخير للرحمة وغيرها عن[٥] تقدير عطف الرحمة عليه؟ فالقول: إن ذلك لا يمتنع، كما لم يمتنع ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ثم خص فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] كذلك الرحمة، وإن كانت من الخير، لم يمتنع أن تُعطف عليه[٦] فتخصص[٧] الرحمة بالذكر من بين ضروب الخير لغلبة ذلك في وصف النبي ﷺ وكثرته، قال أبو عبيد: (هذه القراءة بعيدة في مذهب

---

(١) وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير في تفسيره ١٠/ ١٦٩ حيث قال: يقول جل ثناؤه: إنما محمد ﷺ مستمع خير، يصدق بالله وبما جاء من عنده، ويصدق المؤمنين، لا أهل النفاق والكفر بالله.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، كما في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٧.

(٣) كتاب: «السبعة» ص٣١٥، وكتاب: «التيسير» ص١١٨.

(٤) في (ى): (هلا)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لما في «الحجة للقراء السبعة»؛ لأن النص منقول منه حرفيًا.

(٥) في (ى): (من)، وأثبت ما في (ح) للسبب السابق.

(٦) ساقط من (ى).

(٧) في (ح): (فتخص).

النحو[١]؛ لأنه تباعد عن الذي عطفته عليه)[٢].

قال أبو علي: (البعد بين[٣] الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف، ألا ترى أن من قرأ ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] إنما يحمله على: (﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وعلم قيله[٤])[٥].

٦٢- قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ أي يحلف هؤلاء المنافقون فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله ﷺ والطعن عليه أنهم ما أتوا ذلك، قال الزجاج: (حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليرضوا المؤمنين بيمينهم)[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: يرضوهما لأن المعنى يدل عليه، فحذف استخفافًا؛ لأن رضا الرسول ﷺ برضا الله ﷻ.

وهذه المسألة قد مضت عند قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] وفي[٧] غيرها من الآيات[٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾، قال الزجاج: (أي إن كانوا

---

(١) في (ى): (النحويين).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ١١٨ ولم أجد قول أبي عبيد في مصدر آخر، وانظر اختياره لقراءة الجمهور في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٢٢ ب.

(٣) في (م): (من).

(٤) يعني أنه قد بعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه، فإن قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ من الآية ٨٥ من السورة نفسها.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٨ مع تصرف يسير.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) انظر مثلًا: تفسير الآية: ٢٠، والآية: ٢٤ من سورة الأنفال.

على ما يظهرون، فكان[(١)] ينبغي ألا يعيبوا النبي ﷺ فيكونوا بقبولهم[(٢)] قوله، وترك عيبه مؤمنين[(٣)])[(٤)]، وهذا تهجين لهؤلاء السفهاء بطلب مرضاة العباد مع ترك مرضاة رب العباد، والرسول المبعوث لصلاح العباد[(٥)].

٦٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ الآية، قال ابن عباس والكلبي: (نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك[(٦)]، قال أهل المعاني: معنى قولك: ألم تعلم [لمن لا يعلم][(٧)]: [الاستبطاء له][(٨)] في تخلفه عن ذلك العلم[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ﴾[(١٠)] الكناية فيه ضمير الشأن والقصة، قال أبو علي الجرجاني: (وذلك أن (أن) يتضمن ما بعده من المبتدأ والخبر، ويشتمل عليهما[(١١)] حتى يصير معهما[(١٢)] قصة وشأنًا، مثل قولك: زيد

(١) ساقط من (م).
(٢) في (ى): (بقولهم)، وفي «معاني القرآن وإعرابه»: بتوليهم النبي.
(٣) في (ى): (المؤمنين)، والصواب ما أثبته وهو موافق لما في «معاني القرآن وإعرابه».
(٤) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٨.
(٥) في (ى): (المبعوث من رب العباد).
(٦) ذكره عن الكلبي سببًا لنزول الآية السابقة الثعلبي ٦/ ١٢٣ أ، والبغوي ٤/ ٦٨، وابن الجوزي ٣/ ٤٦١، وفي «تنوير المقباس» ص١٩٧: (ألم يعلموا): يعني جلاسًا وأصحابه.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٨) في (ح) و(ى): (الاستطالة).
(٩) ذكره بمعناه مع النسبة إلى أهل المعاني، الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١١٩، والخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨ ولم أجده في كتبهم التي بين يدي.
(١٠) ساقط من (ى).
(١١) في (ح): (عليها).
(١٢) في (ح): (معها)، وفي (ى): (معًا).

مريض، فإذا أردت أن تعلم غيرك مرضه قلت: اعلم أن زيدًا[١] مريض، ولو قلت: اعلم زيدًا مريضًا، كان العلم واقعًا على زيد نفسه دون المرض وانتقل المعنى عما كان عليه، فإذا قلت: اعلم أنه زيد مريض فقد تضمن (أن) ما بعده من المبتدأ والخبر، وجمع معناهما في الهاء التي وقع عليها[٢] (أن) وعمل (أن) فيها، وشغل بها عن غيرها، فصارت الهاء كناية عن القصة والشأن، وارتفع ما بعدها من المبتدأ والخبر لشغلك (أن) بالهاء، وصار ما بعد الهاء من المبتدأ والخبر بيانا لما في الهاء من نية تلك القصة لأنها مبهمة، فقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾ الهاء[٣] قد تضمنت ما بعدها من المبتدأ وخبره، وما بعدها من قوله: ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ مبتدأ، ولذلك[٤] جزم لأنه شرطٌ مبتدأ[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال الليث: (حاددته أي: عاصيته[٦] وخالفته، والمحادة كالمجانبة والمخالفة والمعاداة، وذكر الزجاج اشتقاقه من الحد، قال: (ومعنى حاد فلان فلانًا: أي: صار في حد غير حده، كقولك: شاقه، ومعنى: ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ أي يصير في حد غير حد أولياء الله بالمخالفة)[٧].

---

(١) في (ى): (زيد)، وهو خطأ.

(٢) في (ح): (عليهما).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (ح): (وكذلك)، وهو خطأ.

(٥) (من) الجازمة شرطية، وهي اسم باتفاق. انظر: «أوضح المسالك» ٣/ ١٨٩.

(٦) اهـ. الكلام المنسوب لليث، انظر: «تهذيب اللغة» (حد) ١/ ٧٦٠، والنص في كتاب: «العين» للخليل (حد) ٣/ ٢٠.

(٧) ذكر الزجاج بعض معنى هذا القول في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٨، والبعض الآخر في المصدر السابق: نفسه ٥/ ١٣٦.

قال ابن عباس: (يعني من يخالف الله ورسوله بتكذيب نبيه، والإظهار باللسان خلاف ما في القلب)[(١)]، وقال الأخفش: ﴿يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾: يحارب الله)[(٢)]، وقال قطرب: (يعاند الله)[(٣)]، وقال الزجاج: (يعاد[(٤)] الله)[(٥)].

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [المعنى: فله نار جهنم][(٦)] ولكنه لما طال الكلام أعيد (أن) ليكون أوكد، ويجوز كسر (فإن) على الاستئناف بعد الفاء، والقراءة بالفتح[(٧)]، هذا معنى كلام أبي إسحاق[(٨)]، والكلام في إعراب هذه الآية يأتي[(٩)] في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ [الحج: ٤][(١٠)].

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٦٢، و«الوسيط» ٢/ ٥٠٧.

(٢) لم أجده، وقد ذكره من غير تعيين القائل الرازي ١٦/ ١١٩- ١٢٠، و«الخازن» ٢/ ٢٣٨.

(٣) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع، دون تعيين القائل.

(٤) في (م): (يضاد)، وفي «معاني القرآن»: يعادي، وذكره الرازي ١٦/ ١٢٠ بمثل ما أثبته.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) يعني القراءة المتواترة، وقد قرأ ابن أبي عبلة وأبو رزين وأبو عمران وغيرهم بالكسر، انظر: «المحرر الوجيز» ٦/ ٥٥٢-٥٥٣، و«زاد المسير» ٣/ ٤٦٢، و«البحر المحيط» ٥/ ٦٤.

(٨) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩ لكنه قال: (القراءة بالفتح والكسر). وكذلك قال أبو البقاء العكبري في «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٢٣، وأنكر قراءة الكسر ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٧٠-١٧١، ولا شك أنها شاذة، انظر التعليق السابق.

(٩) في (ح): (بأن).

(١٠) انظر: «النسخة الأزهرية» ٤/ ٣ أ حيث قال: (قال أبو إسحاق: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ (أنه) في موضع رفع ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عطف عليه، والفاء الأجود فيها أن=

٦٤- قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية، قال مجاهد والكلبي: (كان المنافقون يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم، يقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا، فأنزل الله هذه الآية)[1].

وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إخبار عنهم بما كانوا يفرقون من هتكهم وفضيحتهم، قال الزجاج: (ويجوز أن يكون لفظه خبرًا ومعناه أمرًا)[2]، وهذا بعيد، وآخر الآية دليل على أن المراد بقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[3] الخبر وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ الظاهر أن الكناية عائدة على المنافقين، والوجه أن ترجع إلى المؤمنين، [والمعنى: أن تنزل على المؤمنين][4] سورة تنبئهم بما في قلوب المنافقين[5]، [ونحو هذا قال الحسن[6].

= تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر (إن) مع الفاء، وتكون جزاء لا غير،.. وحقيقة (أن) الثانية أنها مكررة على جهة التوكيد؛ لأن المعنى: كتب عليه أنه من تولاه أضله) ثم ذكر رأي أبي علي الفارسي وأطال في ذلك.

(١) رواه عن مجاهد بنحوه ابن جرير ١٠/ ١٧١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٢٩، والثعلبي ٦/ ١٢٣ أ ولم أجد من ذكره عن الكلبي.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩ بنحوه.

(٣) من (ى).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) في (ى): (قلوبهم).

(٦) ذكر عن الحسن عدة أقوال بهذا المعنى، فروى عنه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٣ أ أنه قال: (كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة حفرت في قلوب المنافقين فأظهرته)، وذكره عنه الهواري في «تفسيره» ٢/ ١٤٧ بلفظ: (كانت تسمى حافرة. أنبأت بما في قلوب المنافقين)، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٣: في

وقوله تعالى: ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾][1] قال ابن عباس: (يريد: ينزل الله في تلك السورة [ما استتروا به من الناس) والمعنى: يظهر][2] ما في قلوبهم من الحسد لرسول الله ﷺ والمؤمنين وما كانوا ينطوون[3] عليه من العداوة لهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر وعيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ظهوره، قال عطاء عن ابن عباس: (أنزل الله أسماء المنافقين وكانوا سبعين رجلًا فأنزل الله أسماءهم، وأسماء آبائهم وعشائرهم في القرآن، ثم نسخ تلك الأسماء رأفة منه ورحمة؛ لأن أولادهم كانوا مسلمين، والناس يعير بعضهم بعضًا)[4]، فعلى هذا قد أنجز الله وعده بإظهار ذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾، وقال بعضهم: (إن الله أخرج ذلك حيث ألهم النبي ﷺ معرفتهم فقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠][5]، قال عطاء ومقاتل وقتادة: (كانت تسمى هذه السورة الفاضحة والمثيرة والمبعثرة، أثارت مخازي المنافقين وفضحتهم)[6] فإن قيل: أكان

= قوله (يحذر المنافقون) قولان:
أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن.. إلخ.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (ى): (ينطون)، بلا نقط في جميع الحروف.

(٤) رواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ٦٨ بنحوه.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ١٩٦ ولم يعين القائل، واعتمد هذا القول المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٧.

(٦) رواه عن قتادة بلفظه الثعلبي ٦/ ١٢٣، والبغوي ٤/ ٦٨، وبنحوه ابن جرير ١٠/ ١٧١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٢٩، وانظر: قول مقاتل في «تفسيره» ١٣١ أ مختصرًا، ولم أجد من ذكره عن عطاء.

المنافقون يحذرون هذا وهم ينطوون[١] على الكفر ومجانبة الإيمان؟.

قيل: هذا لا يلزم على مذهب الزجاج، حيث جعل[٢] قوله: (يحذر) بمعنى الأمر[٣]، وإن جعلته خبرًا فالمنافقون كانوا ينحرفون عن النبي ﷺ حسدًا له[٤] وبغيًا، وقلوبهم تشهد بصدقه، وهم يخافون نزول سورة عليه يكشف فيها أمرهم، إذا كانوا لا يشكون في نزول الملائكة عليه، وأن الله يطلعه من الغيب على ما هو مستور عن غيره، هذا كلام ابن الأنباري[٥]، وقد أشار الزجاج إلى هذه الجملة حيث قال في قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: (ويجوز أن يكون خبرًا عنهم؛ لأنهم كانوا يكفرون عنادًا وحسدًا)[٦].

٦٥- وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾، قال ابن عمر، وزيد بن أسلم والقرظي: (قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ والمؤمنين، فقال له عوف بن مالك[٧]: كذبت، ولكنك منافق [لا خير فيك][٨]، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف ليخبره فوجد القرآن قد

---

(١) في (ى): (يبطنون)، بلا نقط.

(٢) في (م): (يجعل).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) ذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٦٣ بمعناه مختصرًا، وأشار إلى أن محمد بن القاسم بن الأنباري اختاره.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩.

(٧) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح، وقيل: إنه شهد الفتح، وكانت معه راية أشجع، توفي سنة ٧٣هـ. انظر: «الكاشف» ٢/ ١٠١، و«الإصابة» ٣/ ١٨٢، و«تقريب التهذيب» ص٤٣٣ (٥٢١٧).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عناء الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة[١] ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجليه، وهو[٢] يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه[٣].

وقال قتادة والحسن: «إن المنافقين قالوا في غزوة تبوك أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات هيهات[٤]، فأطلع الله[٥] نبيه على ما قالوا[٦]»[٧]، فقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾، قال الزجاج: (عما كانوا فيه من الاستهزاء)[٨].

---

(١) النسع: سير عريض، تشد به الرحال، والقطعة منه نسعة، وسمي نسعًا لطوله «القاموس المحيط»، فصل النون، باب: العين ص٧٦٦.

(٢) ساقط من (م).

(٣) ذكره عنهم بنحو هذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٣ ب، ورواه عنهم ابن جرير بألفاظ مختلفة. انظر: «تفسيره» ١٠/ ١٧٢-١٧٣، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٢٩-١٨٣٠.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (ح): (قاله).

(٧) ذكره عنهما بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٧٨، ورواه عن قتادة مطولًا ابن جرير ١٠/ ١٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٠، والثعلبي ٦/ ١٢٤ أ.

(٨) لم يذكر الزجاج هذا القول عند تفسير هذه الآية في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩.

وقال غيره: هذا سؤال تأنيب كقولك للإنسان: لم فعلت هذا القبيح[١]؟ وكذلك قيل لهم: لم طعنتم في الدين بالباطل والزور؟ فأجابوا بما لا عذر فيه، بل هو وبال على المجيب، وهو قولهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وأصل الخوض الدخول في مائع، مثل الماء والطين، ثم كثر حتى صار في كل دخول فيه تلويث وأذى، فمعنى ﴿نَخُوضُ﴾: أي: في الباطل من الكلام كما يخوض الركب يقطعون به الطريق، ﴿وَنَلْعَبُ﴾، فأجابهم الرسول ﷺ ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: حدوده وفرائضه ﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾).

وذكر الكلبي ومقاتل بن سليمان وغيرهما في سبب نزول هذه الآية غير ما ذكرنا أولًا، وهو أنهم قالوا: كان رسول الله ﷺ راجعًا من غزوة تبوك في مسيره، وثلاثة نفر[٢] يسيرون بين يديه، فجعل رجلان منهم يستهزآن بالقرآن ورسول [الله ﷺ][٣] والثالث يضحك، فنزل جبريل وأخبر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للمؤمنين: «**أتدرون ما يتحدث به هؤلاء النفر الثلاثة**[٤]؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنهم يستهزؤن بالله ورسوله وبالقرآن، نزل علي جبريل فأخبرني بذلك، ولئن أرسلت إليهم فسألتهم مم كانوا يضحكون؟ ليقولن: كنا نتحدث بحديث الركب ونضحك**»، ثم قال لعمار بن ياسر: «**انطلق فاسألهم عما كانوا**[٥] **يضحكون**

---

(١) لم أعثر فيما بين يدي من المصادر على هذا القول.

(٢) في «تفسير مقاتل»: النفر الأربعة، وقد جاء في السيرة النبوية ٤/ ٢٠٩ تسمية اثنين منهما هما وديعة بن ثابت، ومخشي بن حمير.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في (ح): (الثلاثة النفر).

(٥) من (م).

ويتحدثون، وقل لهم: [احترقتم أحرقكم الله»، فاتبعهم عمار فلحقهم، وقال لهم:][١] مم تضحكون وتتحدثون؟ قالوا: نتحدث بحديث الركب ونضحك بيننا، فقال: صدق الله ورسوله[٢]، احترقتم أحرقكم الله[٣].

٦٦- قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾، قال المفضل بن سلمة: (معنى الاعتذار محو أثر الموجدة، من قولهم اعتذرت المنازل إذا درست)[٤]، يقال: مررت بمنزل معتذر بال. قال ابن أحمر في الاعتذار بمعنى الدروس:

قد كنت تعرف آيات فقد جَعَلت أطلال إلفك بالودكاء تعتذر[٥]

وأخذ الاعتذار من هذا؛ لأن من اعتذر شاب اعتذاره بكذب[٦] يعفي على ذنبه.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (صدق رسول الله).

(٣) «تفسير مقاتل» ١٣١ أ بنحوه، وذكره بلفظ مقارب ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٤٦٤ عن أبي صالح عن ابن عباس، ورواه عن الكلبي مختصرًا عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٢، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٦، وروى بعضه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣٠ عن كعب بن مالك، وانظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٩.

(٤) اهـ. كلام المفضل، انظر: «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٨.

(٥) البيت لابن أحمر كما في «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٨، و«لسان العرب» ٥/ ٢٨٥٩، و(ودك) ١٠/ ٥٠٩.
والودكاء: موضع، أو رملة. انظر: «لسان العرب»، الموضع السابق الأخير.
والشاعر يذكر شيخوخته وزوال شبابه، إذ يقول في بيت سابق:
بان الشباب وأفنى ضعفه العمر لله درك، أي العيش تنتظر
يقول: عشت ضعف عمر رجل، فما معنى البقاء والانتظار، ثم إن الآيات والعلامات في بقايا وأطلال المكان الذي كنت آلفه قد بدأت تندرس وتزول.

(٦) في (ح): (بكذر)، وأثبت ما في (م) و(ى) لموافقته لما في «تهذيب اللغة» (عذر).

وقال ابن الأعرابي: (اعتذرت إليه: هو قطع ما في قلبه)[١]، ومنه عذرة الغلام لقُلفته، وهي ما يقطع عند الختان، وعذرة الجارية سميت عذرة بالعذر وهو القطع، قاله اللحياني[٢]، لأنها إذا خفضت[٣] قطعت نواتها، وإذا افترعت[٤] انقطع خاتم عذرتها، ومن هذا يقال: اعتذرت المياه إذا انقطعت، وعلى هذا معنى العذر[٥]: قطع اللائمة عن الجاني، فالقولان قريبان من السواء لأن محو أثر الموجدة قطع له.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾، قال أبو إسحاق: (تأويله: قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان)[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾، قال المفسرون: (الطائفتان كانوا ثلاثة نفر هزيء اثنان وضحك واحد على ما بينا)[٧]، فالطائفة الأولى الضاحك، والأخرى الهازئان، قال مجاهد في

---

(١) اهـ. كلام ابن الأعرابي، انظر: «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٨.

(٢) انظر قوله في: «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٨.

(٣) الخفض للجارية: كالختان للغلام. «لسان العرب» (خفض).

(٤) في «لسان العرب» (فرع) ٦/ ٣٣٩٥: افترع البكر: افتضها، والفرعة: دمها، وقيل له: افتراع لأنه أول جماعها.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٥٩، وقول الزجاج هذا بناء على أنهم كانوا كفارًا منافقين قبل هذا القول، لكن لفظ الآية أعم مما ذكره الزجاج، فالاستهزاء بالله أو رسوله أو شيء مما جاء به الإسلام يعد باب من أبواب الكفر الأكبر؛ لأنه يدل على الاستخفاف والاستصغار، وأساس الإيمان تعظيم الله تعالى وما يمت إليه بسبب بأقصى ما يمكن.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٧٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٥٦- ٤٥٧.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] أقلها واحد[١]، وقال عطاء: أقلها اثنان[٢].

وقال أبو إسحاق: (الطائفة في اللغة: أصلها الجماعة؛ لأنها المقدار الذي يطيف بالشيء، وقد يجوز أن يقال[٣] للواحد: طائفة يراد نفسٌ طائفة)[٤].

وقال ابن الأنباري: (العرب توقع الجمع على الواحد فتقول: خرج فلان إلى مكة على الجمال، والله تعالى يقول[٥]: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني نعيم بن مسعود. قال: ويجوز أن تكون الطائفة إذا أريد بها الواحد يكون أصلها طائفا فتدخل الهاء للمبالغة)[٦].

وروى الفراء بإسناده عن ابن عباس قال: (الطائفة: الواحد فما فوقه)[٧]، قال الكلبي: (الذي ضحك هو المعفو عنه)[٨]، وقال محمد بن

---

(١) رواه ابن جرير ١٨/ ٦٩ (ط. الحلبي) وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٥٠، والبغوي في «تفسيره» ٦/ ٨، وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٧.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٥٠، والبغوي ٦/ ٨.

(٣) في (ى): (تكون)، وهو خطأ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٦٦ مختصرًا.

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤٥ وسنده واهٍ؛ إذ هو من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٨) رواه بمعناه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٢، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٦، وذكره بلفظ مقارب ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٣٦٤.

إسحاق: (الذي عفي عنه رجل واحد يقال له: مخشي[١] بن حُمير الأشجعي[٢]، أنكر[٣] عليهم بعض ما سمع، وجعل يسير مجانبًا لهم، فلما نزلت هذه الآية بريء من النفاق)[٤].

٦٧- قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، قال ابن عباس: (أي على دين بعض)[٥].

قال أبو علي: (أي بعضهم يلابس بعضا، ويوالي بعضا، وليس المعنى على النسل[٦] والولادة؛ لأنه قد يكون من نسل المنافق مؤمن، ومن نسل المؤمن منافق)[٧].

وقال أبو إسحاق: (هذا يتلو قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦] أي ليس المنافقون من المؤمنين)[٨].

---

(١) في السيرة النبوية: مخشن، وقد أشار ابن هشام في موضع سابق ٤/ ٥٢٤ إلى الاختلاف في اسمه، وأثبت ابن حجر في «الإصابة» ٣/ ٣٩١ ما ذكره المؤلف، ولم يشر إلى الخلاف، بل إن ابن جرير رواه في «تفسيره» ١٠/ ١٧٣ عن ابن إسحاق بلفظ المؤلف، وهذا يدل على أنه الراجح في اسمه.

(٢) هو: مخشي بن حُمير -مصغرًا- الأشجعي، كان ممن نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فكان ممن عفي عنه، فقال يا رسول الله: غير اسمي واسم أبي، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، فدعا ربه أن يقتل شهيدًا حيث لا يعلم به، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم له أثر.
انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٩، و«الإصابة» ٣/ ٣٩١.

(٣) في (ح): (نكر).

(٤) «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٩.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٨.

(٦) في (ح): (النسك)، وهو خطأ.

(٧) «الحجة للقراء السبعة» ١/ ١٧٢.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

وقال غيره من أهل المعاني: (معنى ﴿بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق[١]، كما تقول للإنسان[٢]: أنت مني وأنا منك، أي أمرنا واحد لا ينفصل)[٣]، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: بالنفاق والتثبيط عن الجهاد في سبيل الله، والتكذيب برسول الله ﷺ)[٤]، وقال الضحاك: (يأمرون بالكفر بمحمد)[٥]، ونحوه قال الزجاج[٦].

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس: (عن اتباع رسول الله ﷺ)[٧]، وقال عطاء عنه: (الاخلاص لله بنية صادقة)[٨]، وقال الزجاج: (عن الإيمان بمحمد ﷺ)[٩]. وقال الضحاك: (عن الإسلام وأداء الصدقات إلى رسول الله ﷺ)[١٠].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٧٩، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٧١، دون تعيين القائل.

(٢) في (ح): (يقول الإنسان).

(٣) لم أجده عند أهل المعاني، وانظر معناه في: «تفسير الرازي» ١٦/ ١٢٦.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣١ من رواية علي بن أبي طلحة بلفظ: التكذيب، ورواه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٧ من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه بلفظ: (بالكفر ومخالفة الرسول).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

(٧) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٧ بلفظ: (عن الإيمان وموافقة الرسول).

(٨) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣٢ من رواية علي بن أبي طلحة.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

(١٠) لم أجد من أخرجه فيما بين يدي من المصادر.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، قال ابن عباس: (عن النفقة في سبيل الله)[(١)]، وهو قول الحسن[(٢)] ومجاهد[(٣)].

وقال قتادة: (لا يبسطونها بخير)[(٤)]، وقال القرظي: (يقبضون أيديهم عن كل خير)[(٥)].

وقال الزجاج: (أي: لا يصدقون ولا يزكون)[(٦)].

والأصل في هذا أن[(٧)] المعطي يمد يده ويبسطها بالعطاء، فقيل لمن بخل ومنع: قد قبض يده، وقد ذكرنا هذا المعنى[(٨)] مستقصى في[(٩)] قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤][(١٠)].

---

(١) «زاد المسير» ٣/ ٤٦٧، و«تنوير المقباس» ص١٩٧.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٧٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٧.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٧٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٢، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٣.

(٤) رواه ابن جرير ١٤/٣٣٨، وابن أبي حاتم ٤/ ٦٥ أ، وبنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٣.

(٥) لم أجد من ذكره فيما بين يدي من المصادر.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) ساقط من (ى).

(٩) في (ى): (عند).

(١٠) انظر النسخة (ج) ٢/ ٦١ ب وقد قال في هذا الموضع: (قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: [قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد الإمساك عن الرزق) وقال في رواية الوالبي: ليسوا يعنون بذلك أن يده موثقة، ولكن يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده).. قال الفراء: (أرادوا ممسكة عن الإنفاق والإسباغ علينا).

وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، قال ابن عباس: (تركوا ما أمرهم [به من][١] طاعته[٢]، وحضهم عليه من الجهاد في سبيله، فتركهم وخذلهم في الشك في قلوبهم)[٣]، وقال الضحاك: ([تركوا أمر الله فتركهم من كل خير)[٤]، وقال أهل المعاني: (معناه:][٥]: تركوا أمره حتى صار بمنزلة المنسي بالسهو عنه، فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته، وجاء هذا على مزاوجة الكلام)[٦].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: العاصون الله[٧] والخارجون عن أمره وطاعته.

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ الآية، يقال: وعده بالخير وعدًا، ووعده بالشر وعيدًا، وقوله تعالى: ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ [العامل في الحال محذوف بتقدير: أن يصلوها[٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾][٩]، قال الزجاج وغيره: (هي كفاية[١٠] ذنوبهم، ووفاء

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (بطاعته).

(٣) رواه بنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٢ وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٨، ولفظ ابن أبي حاتم: (تركوا الله فتركهم من ثوابه وكرامته).

(٤) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) انظر موضوع مزاوجة الكلام وتشابه الألفاظ مع اختلاف المعنى في: «تأويل مشكل إعراب القرآن» ص٢٧٧، و«الحجة للقراء السبعة» ١/ ٣١٥.

(٧) في (ى): (لله).

(٨) في (ح): (أي يصلونها).

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(١٠) في (ى): (كناية)، والصواب ما في (ح) و(م).

لجزاء عملهم، كما يقال: عذبتك حسب فعلك، وحسب فلان ما نزل به، أي ذلك على قدر فعله)[١][٢].

٦٩- قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ هذا الرجوع من الخبر إلى الخطاب، قال الفراء: (فعلتم كأفعال الذين من قبلكم)[٣]، يعني أن قوله: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وصف لهم بهذه الأفعال، ثم قال: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي فعلتم هذه الأفعال [كأفعال الذين من قبلكم][٤] فيكون المعنى على حذف المضاف، وقال الزجاج: (موضع الكاف نصب، أي وعدهم الله -عز وجل- على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم[٥])[٦]، فعلى هذا: قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ أي: كوعد الذين، والكاف متعلق بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقال غيره[٧]: (شبه المنافقون في عدولهم عن أمر الله للاستمتاع بلذات الدنيا بمن قبلهم) فعلى هذا: الكاف في محل الرفع بأنه خبر[٨] ابتداء محذوف على تقدير: أنتم كالذين من قبلكم[٩]. قال ابن عباس: (يريد الأمم الخالية)[١٠].

---

(١) في (ح): (فعلك). وأثبت ما في (م) و(ى) لموافقته لما في «معاني القرآن وإعرابه».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠. (٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) في المصدر التالي: قبلهم. وهو أولى لتناسق الضمائر.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٠.

(٧) هو الحوفي في «البرهان» ١١/ ٢٣٣ أ.

(٨) في (ح): (في خبر).

(٩) هذا أحد قولي الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٠١، وانظر: «تفسير القرطبي» ٨/ ٢٠٠، و«البحر المحيط» ٥/ ٦٨.

(١٠) رواه بمعناه ابن جرير ١٠/ ١٧٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٤.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾، قال: (يريد: بنصيبهم في الدنيا)(١)، قال الفراء: (يقول رضوا بنصيبهم في الدنيا من(٢) أنصبائهم(٣) في الآخرة)(٤)، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ يعني: أن هؤلاء استمتعوا بنصيبهم من الخير العاجل، وباعوا بذلك الخير الآجل فهلكوا بشر استبدال، وقال الفراء: (أي أردتم ما أراد الذين من قبلكم)(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾، قال: يريد: كخوضهم الذي خاضوا(٦)، فـ(الذي) صفة مصدر محذوف، دل عليه الفعل، قال ابن عباس: (يريد في الطعن على أنبيائهم)، وقال أهل المعاني: (يعني في كل باطل؛ لأن الخوض الدخول فيما يؤدي إلى تلويث صاحبه).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بطلت حسناتهم في الدنيا بأنها لا تقبل منهم، وفي الآخرة بأنهم لا(٧) يثابون عليها، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد في الدنيا مقتهم المؤمنون، وفي الآخرة العذاب والخزي)(٨)، ويروى عنه: الخاسرون أنفسهم ومنازلهم وخدمهم في الجنة، وورثها المؤمنون)(٨).

---

(١) رواه بنحوه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٨، وذكره ابن الجوزي ٣/ ٤٦٧.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ح): (أصابهم).

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٦.

(٥) المصدر السابق: السابق، نفس الموضع.

(٦) اهـ كلام الفراء، المصدر السابق، نفس الموضع، وانظر: «المسائل العضديات» ص١٧٠، حيث نسب هذا التقدير للبغداديين أيضًا.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) لم أقف عليه.

٧٠- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، احتج الله ﷻ على الكفار والمنافقين بالكفار الماضية، أي أنهم إذا هلكوا بعلة التكذيب فلم يأمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم؟ قال الزجاج: (أي ألم يأتهم خبر الذين أهلكوا في الدنيا بذنوبهم[1] فيتعظوا؟)[2] وهذا الاستفهام للتنبيه والتحذير والتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: نمرود بن كنعان[3])[4].

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ مدين[5]: اسم البلد الذي كان فيه قوم شعيب [قال المفسرون: يعني قوم شعيب][6] أهلكوا بعذاب يوم الظلة[7].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ قال المفسرون: يعني[8] قريات قوم لوط[9]، وهي جمع مؤتفكة، ومعنى الائتفاك في اللغة: الانقلاب[10]،

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦١.

(٣) يقال: إنه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وكان أحد ملوك الدنيا، وقد طغا وبغى وتجبر، وادعى الربوبية، وأنكر الخالق جل جلاله وسعى لإحراق إبراهيم ؑ، ويذكر أن سبب هلاكه بعوضة دخلت في منخره. والله أعلم.
انظر: «تاريخ ابن جرير» ١/ ٢٣٣-٢٤٢، و«البداية والنهاية» ١/ ١٤٨.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٩.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٧٧، والثعلبي ٦/ ١٢٦ أ، والبغوي ٤/ ٧٢.

(٨) ساقطة من (ى).

(٩) انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(١٠) قال ابن فارس: ائتفكت البلدة بأهلها: انقلبت. «مجمل اللغة» (أفك) ١/ ٩٩.

وتلك القرى ائتفكت بأهلها، أي انقلبت بأهلها[١] فصار أعلاها أسفلها و(المؤتفكات) معطوفة على (مدين) يعني: وأصحاب المؤتفكات.

ويقال: أفكه فائتفك أي: قلبه فانقلب[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (لوط وحده)[٣] فعلى هذا قال المفسرون: (كان لوط قد بعث في كل قرية رسولًا يدعوهم إلى الله)[٤]، ويجوز أن يكون هذا من الجمع الذي أريد به الواحد كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] ولم يكن في عصره سواه رسول، وقال آخرون: (الكناية في الرسل تعود إلى جميع الأمم المذكورة)[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد ليهلكهم حتى يبعث إليهم نبيا ينذرهم)[٦] ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [قال أبو إسحاق: (أعلم الله ﷻ أن تعذيبهم كان باستحقاقهم وأن ذلك عدل منه)[٧]][٨].

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، قال ابن

---

(١) من (ى).

(٢) انظر: «لسان العرب» (أفك) ١/ ٩٧.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكر هذا التوجيه ابن جرير ١٠/ ١٧٨، والقرطبي ٨/ ٢٠٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٧٠.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٧٨، وابن الجوزي ٣/ ٤٦٨، وهود بن محكم ٢/ ١٥٠، واستظهر هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٤٥٨.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٩.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٦١.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

عباس: (يريد في الرحمة والمحبة)(١).

قال أبو علي: (المعنى فيه أن بعضهم يوالي بعضًا ولا يبرأ بعضهم من بعض كما يبرؤون ممن خالفهم وشاقهم، ولكنهم يد واحدة في النصرة والموالاة، فهم أهل كلمة واحدة لا يفترقون، ومن ثم قالوا في خلاف الولاية: العداوة، ألا ترى أن العداوة من عدا الشيء: إذا جاوزه، فمن ثم كانت(٢) خلاف الولاية)(٣).

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال ابن عباس: (بأنه لا إله إلا الله)(٤) ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يريد: عن الشرك بالله)(٤)، قال أبو العالية: (كل ما ذكر الله في كتابه من الأمر بالمعروف فهو الدعاء إلى الإسلام، والنهي عن المنكر: النهي عن عبادة الأوثان)(٥). وقال بعض أهل المعاني: [ذكر الله المنافقين](٦)، فقال: ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ وذكر المؤمنين فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وذلك أن المعنى في المنافقين: أن بعضهم يضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق، ولا يكون بينهم موالاة؛ لأن قلوبهم تكون مختلفة، ولا تكون كقلوب المؤمنين في التواد والتعاطف)(٧).

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٩، ورواه بمعناه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٥٩.

(٢) في (ح): (كأنه)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٣٣.

(٤) رواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٨.

(٥) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ١٧٩، والثعلبي ٦/ ١٢٦، والفيروز أبادي ص١٩٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) ذكر هذا القول بنحوه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٠٣، وبمعناه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٥٨، ولم ينسباه لأحد.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد قصور الزبرجد والدر والياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام)[1]، ونحوه قال الحسن[2].

وقوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، قال الأزهري: (العدن مأخوذ من قولك: عدن فلان بالمكان إذا أقام به يعدن عدونًا، قال ذلك أبو زيد وابن الأعرابي.

وقال شمر: تقول العرب: تركت إبل بني فلان عوادن بمكان كذا، وهو أن تلزم الإبل المكان فتألفه ولا تبرحه، قال: ومنه المعدن لإنبات الله ﷻ الجوهر فيه وإنباته إياه في الأرض حتى عدن فيها أي ثبت)[3]، ونحو هذا قال أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة: (إن معنى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: جنات إقامة)[4].

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٠٩، كما ذكره من غير نسبة القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٠٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٧١.

(٢) روى ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٧٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٣٩- ١٨٤٠ أثرًا نحو هذا الأثر عن الحسن عن عمران بن حصين وأبي هريرة عن النبي ﷺ، وفي سنده جسر بن فرقد، قال البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٤٦: (ليس بذاك) وذكره الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكون»، رقم (١٤٦) ص١٧١، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٦ بعد أن ساق الخبر: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه: جسر بن فرقد، وهو ضعيف، وقد وثقه سعيد بن عامر، وبقية رجال الطبراني ثقات.

(٣) اهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (عدن) ٣/ ٢٣٦٢- ٢٣٦٣ وقد تصرف الواحدي في عبارته.

(٤) انظر: قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٣، وانظر: «تهذيب إصلاح المنطق» (العدن) ص١٥٦، و«مجمل اللغة» (عدن) ٣/ ٦٥٢.

قال ابن مسعود: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: (بطنان الجنة)[١]، قال الأزهري: (وبطنانها وسطها، وبطنان الأودية: المواضع التي يستنقع فيها ماء السيل فيكرُم نباتها واحدها بطن)[٢].

وقال عطاء عن ابن عباس: (هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن)[٣].

وقال الضحاك: (هي مدينة الجنة، وفيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، والناس حولهم بعد، والجنات حولها)[٤].

[وقال مقاتل والكلبي: (عدن: أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم، والجنان حولها][٥] محدقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها[٦] أهلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض)[٧].

وقال عبد الله بن عمرو[٨]: (إن في الجنة قصرًا يقال له: عدن، حوله

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٨١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٠.
(٢) «تهذيب اللغة» (عدن) ٣/ ٢٣٦٢- ٢٣٦٣.
(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٠، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٩، ورواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٧ أ عن عطاء.
(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٨٢، والثعلبي ٦/ ١٢٧ أ.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٦) في (ى): (يتركها)، وهو خطأ مخالف للنسختين الأخرين ولمصادر تخريج الأثر التالية.
(٧) رواه عنهما الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٧ أ، والبغوي ٤/ ٧٣، وهو في «تفسير مقاتل» ص١٣٢ أ مختصرًا.
(٨) في (ح): (عمر). وما أثبته موافق لمصادر تخريج الأثر.

البروج والمروج[١]، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمس آلاف حبرة[٢]، لا يدخله[٣] إلا نبي أو صديق أو شهيد)[٤]، فعلى قول المفسرين وأهل الأثر: جنات عدن مخصوصة من سائر الجنات، كما ذكرنا[٥]، وعلى قول أهل اللغة: هي عامة؛ لأن الجنات كلها جنات إقامة، إذ أهلها مخلدون فيها لا يظعنون عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، قال ابن عباس: (أي أكبر مما يوصف)[٦]، وقال أبو إسحاق: (أي أكبر مما هم فيه من النعيم)[٧]، وقال أهل المعاني: (إنما صار الرضوان أكبر من الثواب؛ لأنه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان، إذ هو الداعي إليه، والموجب له)[٨]، وقال الحسن: (لأن ما يصل إلى قلبه من السرور برضوان الله -عز وجل- أكبر من جميع ذلك)[٩].

---

(١) في (ى): (المروح)، وفي (م): (البرج)، وفي «تفسير الطبري» (في كلا الطبعتين): (الروح). وما أثبته من (ح) وهو موافق لما في «تفسير الثعلبي والبغوي».

(٢) الحبرة: بكسر الحاء وفتح الباء، وبفتحهما: ضرب من برود اليمن منمر، والحبرة: الوشي، والحبير من البرود: ما كان موشيًا مخططًا. «لسان العرب» (حبر) ٢/ ٧٤٩، فكأن المراد: على كل باب ستور موشية، وفي (م): (خيرة).

(٣) في (ح): (لا يدخلها)، وما أثبته موافق لما في مصادر التخريج.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٨٢، والثعلبي ٦/ ١٢٦ ب، والبغوي ٤/ ٧٣.

(٥) في (ح) و(ى): (ذكروا).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٩، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١١.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦١.

(٨) ذكره نحوه مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٦٩، ولم أقف عليه عند أهل المعاني.

(٩) ذكره بنحوه هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٥٢.

٧٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: (أمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان)[١]، وزاد عطاء عنه بيانًا فقال: (يريد جاهد الكفار بالسيوف والرماح والنبل، والمنافقين باللسان وشدة الانتهار وترك الرفق)[٢]، ونحو هذا قال ابن جريج والضحاك: (بتغليظ الكلام)[٣].

وقال عبد الله[٤] في قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ قال: بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فمن لم يستطع فليكفهر في وجهه[٥] إذا لقيه[٦].

قال أبو إسحاق: (لما كشفت حال المنافقين أمر بجهادهم، والمعنى: جاهدهم بالحجة، فالحجة على المنافق جهاد لهم)[٧]، وعلى هذا الاحتجاج على المنافقين والملحدين والرادين للكتاب[٨] والسنة، والمخالفين لهما من الجهاد.

---

(١) رواه ابن جرير ١٠/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤١- ١٨٤٢، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٦٢.

(٢) ذكر بعض هذا الأثر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٧٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢.

(٣) رواه عنهما الثعلبي ٦/ ١٢٧ ب، ورواه عن الضحاك أيضًا البغوي ٤/ ٧٤، وبمعناه ابن جرير ١٠/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٢.

(٤) يعني ابن مسعود كما في مصادر تخريج قوله.

(٥) فليكفهر في وجهه: أي ليلقه بوجه عابس قطوب لا طلاقة فيه ولا انبساط. انظر: «لسان العرب» (كفهر) ٧/ ٣٩٠٧.

(٦) رواه ابن جرير ١٠/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤١، والثعلبي ٦/ ١٢٧ ب، والبغوي ٤/ ٧٤، وانظر: «الدر المنثور» ٣/ ٤٦٢.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦١.

(٨) في (ح): (الكتاب).

وقوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يقال: غلظ الشيء يغلظ غلظا في الخلقة، ثم يقال: رجل غليظ: إذا كان فظا، وغلظ له القول وأغلظ: إذا لم يرفق به، وهذا نحو قوله: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٢٣]، قال أهل المعاني: (وهي قوة القلب على إحلال الألم بصاحبه، كما[١] أن الرقة ضعف القلب عن ذلك)[٢].

قال ابن عباس: (يريد شدة الانتهار، والنظر بالبغضة، والمقت)[٣].

وقال ابن مسعود: (هو أن تكفهر في وجوههم)[٤]، قال عطاء: (وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصفح)[٥].

٧٤- قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ الآية، نزلت حين بلغ النبي ﷺ أن المنافقين يسيؤون فيه القول ويطعنون فيه، وفي الدين والقرآن، فأنكر ذلك عليهم فحلفوا ما قالوا فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾[٦] يعني سبهم الرسول، وطعنهم في الدين، وقال قتادة: (قالوا[٧]: ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون:

---

(١) في (ى): (على).

(٢) «البرهان» للحوفي ١١/ ٢٣٤ مختصرًا.

(٣) «زاد المسير» ٣/ ٤٧٠.

(٤) سبق تخريجه عند تفسير أول هذه الآية.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢٧ ب، والبغوي ٤/ ٧٤، وذهب إلى هذا القول القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٠٥، والصواب عدم النسخ، وقد سبق بيان ذلك وذكر أقوال بعض العلماء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٨٥، والثعلبي ٦/ ١٢٧ ب، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٥٦.

(٧) ساقطة من (ى).

٨] فسعي بها إلى النبي ﷺ، فدعاهم فحلفوا ما قالوا)[١]، وكان هذا في غزوة تبوك[٢]، وقال السدي: (قالوا: إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجًا يباهي به رسول الله ﷺ)[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: (هم المنافقون بقتل المؤمن الذي أنكر عليهم طعنهم في الرسول[٤]، قال[٥]: وهو عامر بن قيس[٦] الذي سعى بهم، وقال السدي: (هو أنهم لم ينالوا ما

---

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١٠/ ١٨٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٢-١٨٤٣، والثعلبي ٦/ ١٢ ب.

(٢) قوله: (وكان هذا في غزوة تبوك) ليس من كلام قتادة وفيه نظر، لأن القائل: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) عبد الله بن أُبي كما في «صحيح البخاري» (٣٥١٨)، كتاب: المناقب، باب: ما ينهى عن دعوى الجاهلية، و«صحيح مسلم» (٢٧٧٢)، كتاب: صفات المنافقين، وقد بين الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٥٤٧ أن ذلك كان في غزوة المريسيع، وكذلك ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» ٣/ ٣٣٤- ٣٣٦ ثم إن أبيا كان ممن تخلف عن غزوة تبوك، كما في المصدر السابق ٤/ ٤٠٧- ٢٠٨.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٢ ب، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٤٣-١٨٤٤.

(٤) ذكره عن ابن عباس ﷺ ابن الجوزي ٣/ ٤٧٠، ورواه الثعلبي ٦/ ١٢٨ أ عن الكلبي، كما رواه عن مجاهد الإمام ابن جرير ١٠/ ١٨٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٤، والثعلبي ٦/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ٧٥.

(٥) ساقط من (ى): والقائل ابن عباس كما في تفسير الثعلبي وابن الجوزي، ولم يصح عنه لأنه من رواية الكلبي.

(٦) هكذا رواه الكلبي عن ابن عباس، وقد روى ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٤٣، ٧٠/أ عن ابن عباس، وكعب بن مالك أن المؤمن هو: عمير بن سعد، وكذلك أخرج عبد الرزاق وابن المنذر وأبو الشيخ عن عروة، كما في «الدر المنثور» ٤/ ٤٦٤. وانظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٢٠٨، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٢/ ٢٥٦: =

هموا به من عقد التاج على رأس عبد الله بن أبي)[١]، وقال الكلبي: (هموا أن يفتكوا بالنبي ﷺ ليلاً ويغتالوه فأعلمه الله ذلك فأمر من نحاهم عن طريقه وسماهم رجلًا رجلًا، وكانوا خمسة عشر رجلًا)[٢]، وهذا اختيار أبي إسحاق[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾، قال ابن عباس: (يريد مما كانوا غنموا حتى صارت لهم العقد[٤] والأموال من العين[٥] والحيوان)[٦].

= (عامر بن قيس الأنصاري، ابن عم الجلاس بن سويد، ذكره موسى بن عقبة في «المغازي»، وأنه أحد من سمع الجلاس بن سويد يقول: إن كان ما يقول محمد حقًا لنحن شر من الحمر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحلف الجلاس ما قال ذلك، فنزلت ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ الآية، وكذلك ذكره أبو الأسود عن عروة، ونقله الثعلبي عن قتادة والسدي، والقصة مشهورة لعمير بن سعد).

وعمير بن سعد هو: عمير بن سعد بن عبيد الأوسي الأنصاري، كان يتيمًا في حجر الجلاس بن سويد، وشهد فتوح الشام، وكان يعجب عمر بن الخطاب، ويسميه نسيج وحده، وولاه حمص، فقام بعمله خير قيام مع الزهد والورع، وتوفي في خلافة عمر وقيل غير ذلك.

انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢/ ١٠٣، و«الإصابة» ٣/ ٣٢.

(١) رواه بمعناه الثعلبي ٦/ ١٢ ب.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ١٢ ب، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦١.

(٤) في «تهذيب اللغة» (عقد) ٣/ ٢٥١٢. العقد: كل ما يعتقده الإنسان من العقار فهو عقدة له. وفي «القاموس المحيط» فصل العين، باب: الدال ص٣٠٠: العقدة: الولاية على البلد، ج: كصرد، والضيعة والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكًا.

(٥) العين: الدينار والذهب. انظر: «القاموس المحيط» (عين) ص١٢١٨، و«لسان العرب» (عين) ٦/ ٣١٩٨.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢.

وقال الكلبي: (كانوا قبل قدوم النبي ﷺ، في ضنك من عيشهم لا يركبون الخيل، ولا يحوزون الغنيمة، فلما قدم عليهم رسول الله ﷺ، استغنوا بالغنائم)[١]، وذكرنا معنى ﴿نَقَمُوٓاْ﴾ عند قوله: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ [المائدة: ٥٩][٢].

قال أهل المعاني في هذه الآية: (إنهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر الغني أن نقموه فهذا معنى قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[٣] ويجوز أن يكون المعنى: إنهم بطروا النعمة[٤] بالغني فنقموا بطرًا وأشرًا[٥]، وقال ابن قتيبة: (أي: ليس ينقمون شيئًا ولا يتعرفون من الله إلا الصنع[٦]، [وهذا كقول الشاعر:

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا][٧]

وهذا ليس مما ينقم، وإنما أراد: إن الناس لا ينقمون عليهم[٨] شيئا كقول النابغة:

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٢٩ أ، والبغوي ٤/ ٧٥، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢، وابن الجوزي ٣/ ٤٧٢، والقرطبي ٨/ ٢٠٨.

(٢) انظر: النسخة (ح) ٢/ ٤٠ أ وقد قال في هذا الموضع: (قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ يقال: نقمت على الرجل أنقم، ونقمت عليه أنقم، والأجود فتح الماضي، وهو الأكثر في القراءة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البروج: ٨] ومعنى نقمت: بالغت في كراهة الشيء، فمعنى (تنقمون) أي تكرهون وتنكرون).

(٣) «البرهان» للحوفي ١١/ ٢٤٥ بمعناه.

(٤) في (ح): (ذو النعمة).

(٥) في (ى): (شرًّا).

(٦) في (ح): (لصنيع)، وما في (ى) موافق لما في «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة، والصنع: مصدر قولك: صنع إليه معروفًا وجميلًا. انظر: «اللسان» (صنع).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) والبيت لابن قيس الرقيات.

(٨) في (ح): (عليه)، وما أثبته موافق لما في «تفسير غريب القرآن».

ولا عيب فيهم غير إن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[١]

أي ليس فيهم عيب)[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال الكلبي: (لما نزلت هذه الآية قام[٣] الجلاس بن سويد[٤]، وكان ممن طعن على النبي ﷺ، فقال: أسمع الله قد عرض علي التوبة، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلته فقبل رسول الله ﷺ توبته)[٥]، ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ أي يعرضوا عن الإيمان، قال ابن عباس: ([يريد كما تولى ابن أبي)[٦]. ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل، قال الزجاج][٧]: (لأنهم[٨] أمر بقتلهم)[٩] وفي ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾: بالنار، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، قال عطاء: (يريد لا يتولاهم أحد من الأنصار)[١٠].

---

(١) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» ص٤٤، و«إصلاح المنطق» ص٢٩، و«خزانة الأدب» ٣/ ٣٢٧.

(٢) «تفسير غريب القرآن» ص١٩٨. (٣) في (ى): (قال).

(٤) هو: جلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري، كان من المنافقين ثم تاب وحسنت توبته، وكان زوج أم عمير بن سعد، وكان عمير في حجره، فسمعه يقول: لئن كان محمد صادقًا لنحن شر من الحمير، فبلغ عمير رسول الله ﷺ، ونزل في الجلاس قرآن، ثم تاب وأحسن لعمير. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٣٣٠، و«الإصابة» ١/ ٢٤١.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ١٢٨ أ، والبغوي ٤/ ٧٤.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٧٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) في (م): (لأنه). وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٩) اهـ. كلام الزجاج، و«معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٢، وعذاب الله في الدنيا أشمل من القتل، ولعل مراد الزجاج أن المنافق إذا أظهر كفره جاز قتله.

(١٠) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٢ عن ابن عباس.

٧٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية، المعاهدة: معاقدة بعزيمة تتحقق بذكر الله، نحو: علي عهد[1] الله لأفعلن كذا، قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة: (أتى ثعلبة بن حاطب[2] مجلسًا من الأنصار

(١) في (ح): (عبد)، وهو خطأ جلي.

(٢) هو: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف بن عمرو بن عوف الأوسي الأنصاري صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا، واختلف في وفاته فقيل: إنه قتل يوم أحد، وقيل: يوم خيبر، وقيل: مات بعد ذلك، وهو بريء من هذه القصة المفتراة، وللعلماء في تبرئته منها طريقتان:

الأولى: بيان زيف هذه القصة، وهذا دليل على براءة هذا الصحابي البدري منها، وسيأتي بيان ذلك.

الثانية: أن صاحب هذه القصة رجل آخر غير البدري موافق له في الاسم، وهذا رأي الحافظ ابن حجر حيث ذكر في «الإصابة» ١/ ١٩٨ رجلين بهذا الاسم، أحدهما البدري، والآخر صحاب القصة وهو ممن شارك في بناء مسجد الضرار، ثم قال: (وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري قبله نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي: (إن البدري استشهد بأحد، ويقوي ذلك أيضًا أن ابن مردويه روى في «تفسيره» من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكور، قال: وذلك أن رجلًا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فأشهدهم فقال: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ ...﴾ الآية، فذكر القصة بطولها، فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية»، وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: (اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم) فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، وينزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره).

ومحاولة الحافظ ابن حجر إثبات شخصية تلصق بها القصة إنما هو لتبرئة البدري، وهو بريء منها دون هذه المحاولة التي لم تستند إلى برهان علمي لما يأتي:

١- أن الحافظ ابن حجر قال في الكلام السابق: (إن صح الخبر وما أظنه يصح وجزم بعدم صحته في «تخريج أحاديث الكشاف» فقال: (هذا إسناد ضعيف جدًا أهـ. والخبر الضعيف جدًا لا يثبت شيئًا.

فأشهدهم وقال: (لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه، ووصلت منه القرابة، فابتلاه الله، فلم يف بما قال)[(١)].

= ٢- أن حديث ابن عباس الذي ذكره باطل كما سيأتي، فكيف يؤكد المغايرة بين الشخصين.

٣- أن ابن الكلبي -وهو هشام بن محمد المؤرخ النسابة- متروك. انظر: «المغني في الضعفاء» ٢/ ٧١١ بل متهم بالوضع والاختلاق، كما في كتاب «التنبيه على حدوث التصحيف» ص١١٨، ١١٩ فخبر مثله لا يؤكد شيئًا ولا يقويه.

وبهذا يتأكد أنه لا يوجد إلا شخص واحد بهذا الاسم، وقد جزم بذلك الإمام الذهبي فلم يذكر في كتابه «تجريد أسماء الصحابة» ١/ ٦٦ سوى البدري، ونسبة القصة إليه محض اختلاق كما سيأتي بيان ذلك.

(١) الأثر عن ابن عباس رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٨٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٤٧، بسند مسلسل بالضعفاء وبعضهم أشد ضعفًا من بعض، ومنهم:

أ- الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، قال ابن معين والنسائي وأبو حاتم: ضعيف، وقال ابن حبان: يروي أشياء لا يتابع عليها.. لا يجوز الاحتجاج بخبره، وقال الجوزجاني: واهي الحديث، وقال ابن سعد: كان ضعيفًا في الحديث.

انظر: «تاريخ بغداد» ٨/ ٢٩، وضعفاء العقيلي ١/ ٢٥٠، و«المجروحين» لابن حبان ١/ ٢٤٦، و«الكامل» ٣/ ٢٣٧ (٤٩٢)، و«طبقات ابن سعد» ٧/ ٣٣١، و«لسان الميزان» ٢/ ٢٧٨.

ب- الحسن بن عطية بن سعد العوفي، قال ابن حبان في كتاب «المجروحين» ١/ ٢٣٤: (منكر الحديث، فلا أدري البلية في أحاديثه منه أو من أبيه أو منهما معًا؟ لأن أباه ليس بشيء في الحديث، وأكثر روايته عن أبيه، فمن هنا اشتبه أمره، ووجب تركه).

وقال البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٣٠١: (ليس بذاك).

وقال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص١٦٢ (١٢٥٦): (ضعيف).

جـ- عطية بن سعد العوفي قال ابن حبان في كتاب «المجروحين» ٢/ ١٧٦: (لا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب) اهـ. =

وقال أبو أمامة الباهلي: (عاود ثعلبة رسول الله ﷺ مرارًا كل ذلك يقول: ادع الله أن يرزقني مالًا ورسول الله ﷺ يقول له: **«قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»** حتى قال: والذي بعثك بالحق نبيًا[1] لئن رزقني الله مالًا لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم ارزق ثعلبة مالًا»** فاتخذ غنمًا وكثر ماله حتى اشتغل به عن الصلاة مع رسول الله ﷺ، وخرج عن المدينة، ومنع الزكاة، وبلغ من أمره ما قص الله في كتابه)[2].

= ومن عجائبه أنه كنى الكلبي المتهم بالكذب أبا سعيد، ثم حدث عنه بهذه الكنية فيتوهم من يسمعه أنه يحدث عن أبي سعيد الخدري، ذكر ذلك عنه الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٣/ ١١٤، ثم ذكر من ضعفه ومنهم علي بن المديني وأحمد وأبو داود والساجي وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي، وشذ ابن سعد فقال: (ثقة إن شاء الله، وله أحاديث صالحة ومن الناس من لا يحتج به).
وبهذا يتبين أن خبر ابن عباس هذا ضعيف جدًا.
وأما أثر سعيد بن جبير فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٠ ب بغير سند، إذ أن الثعلبي ذكر أسانيده في المقدمة ولم يذكر سنده إلى سعيد بن جبير.
وأما أثر قتادة فقد رواه ابن جرير ١٠/ ١٩٠ بلفظ: (ذكر لنا أن رجلًا من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار فقال: لئن آتاه الله مالًا ليؤدين إلى كل ذي حق حقه، فاتاه الله مالًا فصنع فيه ما تسمعون). وفي هذا الأثر مجهول، إذ لم يسم قتادة من حدثه به، ثم إنه ليس في هذا الأثر ذكر لثعلبة ولا لغيره.

(١) ساقط من (ى).

(٢) هذا بعض أثر طويل رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٨٩، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٨٩، والطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٢٦٠ رقم (٧٨٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٤٧- ١٨٤٩، وغيرهم كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٦٧ وفي سنده عدة رجال مجروحين منهم:
أ- معان بن رفاعة السلامي الدمشقي، وثقه أحمد وعلي بن المديني ودحيم، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال ابن معين: ضعيف، وقال الجوزجاني: ليس بحجة، وقال ابن حبان: منكر الحديث، يروي مراسيل كثيرة، ويحدث عن أقوام =

= مجاهيل، لا يشبه حديثه حديث الأثبات، فلما صار الغالب في رواياته ما ينكره القلب استحق ترك الاحتجاج به، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. ولخص الحافظ ابن حجر حاله فقال في «التقريب»: (لين الحديث، كثير الإرسال). انظر ترجمته في: «الضعفاء» للعقيلي ٤/ ٢٥٦، و«الكامل» ٨/ ١٨٠٨، و«الميزان» ٥/ ٢٥٩ (٨٦١٩)، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ١٠٤.

ب- علي بن يزيد الألهاني الشامي، قال البخاري: (منكر الحديث) وقال النسائي: (متروك) وكذلك قال الأزدي والدارقطني والبرقي، وقال الحاكم أبو أحمد: (ذاهب الحديث) وقال الساجي: (اتفق أهل العلم على ضعفه). وقال ابن حبان: (إذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لم يكن متن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم) اهـ. وعلق الحافظ ابن حجر على هذا القول بقوله: (وليس في الثلاثة من اتهم إلا علي بن يزيد).

انظر: «التاريخ الكبير» ٢/ ٣/ ٣٠١، و«الكامل» ٦/ ١٣٣٨، و«المجروحين» ٢/ ١١٠، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ١٩٩، ٣٣٤.

جـ- القاسم بن عبد الرحمن الشامي أبو عبد الرحمن الدمشقي، كان عابدًا متقشفًا وثقه البخاري وابن معين والترمذي وغيرهم، وقال الإمام أحمد: (منكر الحديث، ما أرى البلاء إلا من قبل القاسم)، وقال ابن حبان: (يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات، ويأتي عن الثقات بالأشياء المقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها).

انظر: «الضعفاء» للعقيلي ٣/ ٤٧٦، و«المجروحين» ٢/ ٢١١، و«تهذيب التهذيب» ٨/ ٢٨٠.

وبهذا يتبين تهافت هذا الخبر، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٠٨ (فيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك).

وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشافي» ص٧٧: (رواه الطبراني والبيهقي في «الدلائل» و«الشعب» وابن أبي حاتم، والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي ابن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وهذا إسناد ضعيف جدًّا). =

وقوله تعالى: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، قال الزجاج: (الأصل: لنتصدقن ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها)[(١)].

قال الليث: (المتصدق: المعطي والمتصدق: السائل)[(٢)]، وأنكر ذلك[(٣)] أهل اللغة، ولم يجيزوا أن يقال للسائل: متصدق، قال ذلك الفراء[(٤)] والأصمعي[(٥)] وغيرهما، فالمتصدق المعطي، قال الله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم، والنفقة في الخير، وقال عطاء عن ابن عباس: (يريد الحج)[(٦)]، لأن ثعلبة كان مسكينًا فعاهد الله لئن وسع الله عليه[(٧)] ليصدقن وليحجن.

= وقال القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢١٠: (ثعلبة بدري أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان..فما روي عنه غير صحيح).
وقال العلامة محمود شاكر في تعليقه على «تفسير ابن جرير» ١٤/ ٣٧٣: (ضعيف كل الضعف، وليس له شاهد من غيره، وفي بعض رواته ضعف شديد).

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٢.

(٢) «تهذيب اللغة» (صدق) ٢/ ١٩٩١ وقد وهم الأزهري في فهم عبارة كتاب «العين»، إذ نص العبارة فيه: والمتصدق: المعطي للصدقة، وأصدق: أخذ الصدقات من الغنم، قال الأعشى:

ودَّ المصَدّق من بني عمرو ... أن القبائل كلها غنم

كتاب «العين» (صدق) ٥/ ٥٧. فهو يريد بالمصدق العامل على الصدقات وليس السائل بدلالة استشهاده ببيت الشعر، ثم هو لم يقل المتصدق، كما قال الأزهري.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) «تهذيب اللغة» (صدق) ٢/ ١٩٩١.

(٥) المصدر السابق، نفس الموضوع.

(٦) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٠٣.

(٧) في (ى): (علينا).

وقال الضحاك: (نزلت هذه الآيات في رجال من المنافقين سماهم، بسط الله لهم الدنيا فبخلوا بها بعدما عاهدوا أن يتصدقوا)[١].

٧٧- قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، قال الليث: (يقال أعقبت[٢] فلانًا ندامة: إذا صيرت عاقبة أمره ذلك، وأنشد للهذلي[٣]:

أودى[٤] بني وأعقبوني حسرة بعد الرقاد وعبرة لا[٥] تقلع[٦]

قال الأزهري: (ويقال: أكل فلان أكلة أعقبته سقمًا، وأعقبه الله خيرًا بإحسانه[٧] بمعنى عوضه وأبدله، وهو معنى قول النابغة[٨]:

ومن أطاع فأبدله[٩] بطاعته كما أطاعك واد لله على الرشد[١٠]

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣١ أ.

(٢) في (ح): (أعقب).

(٣) هو: أبو ذؤيب. انظر: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٦، و«خزانة الأدب» ١/ ٤٢٠، و«كتاب العين» (عقب) ١/ ١٧٩، و«لسان العرب» (عقب) ٥/ ٣٠٢٤.

(٤) أودى: هلك، و«لسان العرب» (ودى) ١/ ٣٨٩٥.

(٥) في (م) و(ى): (ما)، وما أثبته موافق لـ «الشرح» و«الخزانة».

(٦) لم أجد هذا النص المنسوب لليث في «تهذيب اللغة» (عقب) ولا في كتاب «العين» (عقب)، وقد استشهد الخليل بالبيت المذكور في نفس الموضع على أن (أعقب) لغة في (عقب) وقال في نفس الموضع: (أعقب هذا ذاك: أي صار مكانه، وأعقب عزه ذلًا: أي: أبدل منه). كتاب: «العين» (عقب) ١/ ١٨٠ فلعل المؤلف فهم من هذا القول ما ذكره عن الليث، وأغلب النحاة -لاسيما البصريين- ينسبون كتاب «العين» لليث بن المظفر، انظر: مقدمة كتاب «العين» ١/ ١٩.

(٧) في (ح): (بإحسانًا)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٨) هو الذبياني، انظر «ديوانه» ص٢١ والشاعر يخاطب النعمان بن المنذر ممدوحه.

(٩) في (ح): (فأعقبهم)، وفي «الديوان»، و«تهذيب اللغة»: (فأعقبه).

(١٠) أهـ. كلام الأزهري، وقد جمع المؤلف بين قولين له، انظر: «تهذيب اللغة» (عقب) ٣/ ٢٥٠٦، ٢٥٠٨.

فإن[١] شئت قلت في قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ صير عاقبة أمرهم ذلك، وإن شئت قلت[٢]: عوضهم وأبدلهم والمعنى واحد؛ لأنه التصيير إلى حالة[٣] مخصوصة في العاقبة بخير أو بشر، فالخير ما ذكره النابغة، والشر ما ذكره الله في هذه الآية، قال عطاء عن ابن عباس: (فأعقبه الله نفاقًا حتى مات)[٤].

وقال مجاهد: (أعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة كما حرم إبليس)[٥].

قال الزجاج: ([والمعنى: أضلهم بفعلهم، قال: ويجوز أن يكون لما قال: ﴿بَخِلُوا بِهِۦ﴾ قال: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾][٦] أي فأعقبهم بخلهم نفاقًا)[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ هذا دليل على أنه مات منافقا، فقد روي أنه أتى النبي ﷺ بصدقته فقال: «**إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك**» ثم لم يقبلها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان، ومات في خلافته[٨]، فمن قال:

---

(١) في (ى): و(إن).

(٢) في (ح): (قلت في قوله ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ عوضهم.. إلخ).

(٣) في (ى): (حالة واحدة).

(٤) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٧٥، والفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص١٩٩.

(٥) لم أجد من ذكره عن مجاهد سوى المؤلف هنا وفي «الوسيط» ٢/ ٥١٤، وقد رواه بلفظ مقارب ابن جرير ١٠/ ١٩١ عن عبد الرحمن بن زيد.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٢ بمعناه.

(٨) هذا بعض حديث أبي أمامة الذي سبق تخريجه وبيان ضعفه الشديد، وهذا النص يؤكد بطلان القصة إذ أن الله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

أعقبهم الله[١]، رد الضمير في ﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ إلى اسم الله ﷻ، ومن قال: أعقبهم بخلهم، رد الضمير إليه، بمعنى: يلقون جزاء بخلهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ هذا بيان عما يوجبه الكذب مع إخلاف الوعد من النفاق، فمن أخلف في المواثيق مع الله فقد تعرض للنفاق، وكان جزاؤه من الله إفساد قلبه بما يكسبه[٣] النفاق، فأما ما روي عن النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[٤]، فقد أجرى هذا الخبر على ظاهره الحسن[٥] وعبد الله بن عمرو[٦] ومحمد بن كعب[٧]، وقال عطاء بن أبي[٨] رباح: (حدثني جابر بن

---

(١) في (ى): (بخلهم)، وهو خطأ واضح بدلالة السياق.

(٢) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٧٥: في الضمير في (أعقبهم) قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلهم بما نذروا إنفاقًا. قاله الحسن.

(٣) في (ى): (كسبه)، وفي (م): (يكسب).

(٤) رواه مسلم (١٠٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، وأحمد في «المسند» ٢/ ٣٩٧، ورواه مختصرًا البخاري (٣٣)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، والترمذي (٢٦٣١)، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩٢- ١٩٣، والثعلبي ٦/ ١٣٢ وفي سنده محمد المحرم، منكر الحديث كما قال البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٢٤٨، ثم إن في آخر الحديث ما يفيد رجوع الحسن عن رأيه.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩١- ١٩٢ وليس في خبره ما يشعر أن عبد الله بن عمرو أجراه على ظاهره، بل ذكر آية المنافق، واستشهد على قوله بالآية المذكورة.

(٧) انظر: المصدر السابق، الصفحة التالية.

(٨) ساقط من (ح).

عبد الله أن رسول الله ﷺ إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة، الذين حدثوا النبي ﷺ فكذبوه، وائتمنهم على سره[1] فخانوه، ووعدوا أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه)[2] فعنده هذا الحديث خاص في المنافقين[3].

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ١٩٢، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٣ أ، وفي سنده محمد المحرم، وهو منكر الحديث كما قال البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٢٤٨.

وقد قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١/ ٩١: (منهم من ادعى أنها للعهد -يعني ال في المنافق- فقال: إنه ورد في حق شخص معين، أو في حق المنافقين في عهد النبي ﷺ وتمسك هؤلاء بأحاديث ضعيفة).

(٣) للعلماء في توجيه الحديث عدة أجوبة منها:

أولًا: قال النووي في «شرح صحيح مسلم» ٢/ ٤٧: (هذا الحديث ليس فيه بحمد الله إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر).

ثانيًا: ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث من أحاديث الوعيد التي قصد بها الترهيب، وظاهرها غير مراد، وهذا ما ارتضاه الخطابي كما في «فتح الباري» ١/ ٩٠.

ثالثًا: أن النفاق قسمان، نفاق العمل، وهو المذكور في الحديث، وهو غير مخرج من الإسلام، ونفاق الاعتقاد وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر وهو مخرج من الإسلام، وهذا الوجه عليه كثير من المحققين، قال الترمذي في «سننه» ٥/ ٢٠ بعد إيراد الحديث: (وإنما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق =

٧٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية، مضى الكلام في اللمز عند قوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

والمطوعون: المتطوعون[١]، والتطوع التنفل، وهو الطاعة لله ﷻ فيما ليس بواجب، ومضى الكلام في إدغام التاء في الطاء عند قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ [البقرة: ١٥٨][٢]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢][٣]، قال المفسرون: حث النبي ﷺ على الصدقة فجاء عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، بصدقة عظيمة، وجاء رجل يقال له: أبو عقيل الأنصاري[٤] بصاع من تمر وكان قد أجر نفسه ليلة إلى الصبح يسقي نخل رجل، فأخذ أجرته فجعل نصفها صدقة لوجه الله تعالى ونصفها

= التكذيب على عهد رسول الله ﷺ، هكذا روي عن الحسن البصري شيئًا من هذا أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق العمل، ونفاق التكذيب) اهـ.
وانظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١١/ ١٤٠، ٢٨/ ٤٣٥، و«فتح الباري» ١/ ٩٠.

(١) في (م): (والمطوعين المتطوعين).

(٢) انظر: «النسخة الأزهرية» ١/ ١٠٠ أ وقد قال هنا: (الوجه الثاني من القراءة (يطوع) بالياء وجزم العين، وتقديره يتطوع، إلا أن التاء أدغم في الطاء لتقاربهما).

(٣) انظر: «النسخة الأزهرية» ١/ ١٣٥ ب وقد قال في هذا الموضع: (حتى يطهرن) أي: يتطهرن، ومعناه يغتسلن بالماء بعد النقاء من الدم، فأدغمت الثاني بالطاء، هذه قراءة أهل الكوفة).

(٤) أبو عقيل الأنصاري، صحابي أنصاري معروف بكنيته، واختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، فقيل: الحبحاب، وقيل: الحثحاث، وقيل: هذا لقب له واسمه سهل بن رافع، وقيل: هو عبد الرحمن بن بيحان، وقيل: هو أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوي شهد بدرًا، واستشهد باليمامة، وقيل غير ذلك.
انظر: «فتح الباري» ٨/ ٣٣١، و«الإصابة» ٤/ ١٣٦ (٧٧٦).

لعياله، فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أخرج هؤلاء صدقاتهم إلا رياء، وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر نفسه، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاعه، فأنزل الله هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ يعني أبا عقيل، وقال عطاء عن ابن عباس: هو سهل بن نافع[٢].

قال الليث: الجهد شيء قليل يعيش به المقل[٣].

وقال الزجاج: (إلا جهدهم) و(جهدهم) بالفتح والضم[٤].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩٤- ١٩٨، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٦٩- ٤٧٢، وقد روى نحوه البخاري (٤٦٦٨)، كتاب: التفسير، باب: قوله الذين يلمزون المطوعين، ومسلم (١٠١٨)، كتاب: الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها، والنسائي، كتاب: الزكاة، [باب] جهد المقل ٥/ ٥٩.

(٢) هكذا في النسخ التي بين يدي، ولم يذكر ابن حجر في «الإصابة» أحدًا من الصحابة بهذا الاسم، فلعل في اسمه تصحيف والصواب سهل بن رافع، أحد بني النجار الأنصاري الخزرجي، فقد قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «الإصابة» ٢/ ٨٧: (يقال: إنه صاحب الصاع قال ابن منده: شهد أحدًا، ومات في خلافة عمر، وروى عيسى بن يونس عن سعيد بن عثمان البلوي عن جدته بنت عدي عن أمها عميرة بنت سهل بن رافع صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون، خرج بزكاته صاع تمر وبابنته عميرة إلى النبي ﷺ فقال: ادع الله لي ولها بالبركة فما لي غيرها فوضع يده عليها فدعا له). وقد رجح الحافظ في «فتح الباري» ٨/ ٣٣١ تعدد من جاء بالصاع فلمزه المنافقون.

(٣) «تهذيب اللغة» (جهد) ١/ ٦٧٥ والنص في كتاب: «العين» للخليل بن أحمد (جهد) ٣/ ٣٨٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٢، والقراة بالفتح شاذة قرأ بها الأعرج وعطاء ومجاهد.
انظر: «مختصر في شواذ القرآن» من كتاب «البديع» لابن خالويه ص٥٤.

قال الفراء: الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم[١]، وحكى[٢] ابن السكيت عنه الفرق بينهما فقال: الجُهد: الطاقة، تقول: هذا جهدي أي طاقتي، والجهد: المشقة، تقول: اجهد جهدك[٣]. وقال الشعبي: الجهد في العمل، والجهل في القوت[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ الكناية تعود إلى الذين لا يجدون إلا جهدهم، وقوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ خبر الابتداء الذي هو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ ومعناه: جازاهم جزاء سخريتهم، ومضى الكلام في هذا[٥]، قال ابن عباس: (يريد حيث صاروا إلى النار)[٦].

وقال صاحب «النظم»: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ صفة للمكني المتصل بقوله في الآية التي قبل هذه: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨] ولا يحتمل أن يكون قوله: (الَّذِينَ[٧] يَلْمِزُونَ) مبتدأ؛ لأنه لم يجيء له جواب، وقوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ لا يحتمل أن يكون جوابًا لأنه فعل ماض[٨]، وهذه السخرية لا تكون إلا في الآخرة، فكان هذا القول دعاء،

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧ بمعناه.

(٢) في (م): (وقال).

(٣) «تهذيب إصلاح المنطق» (جهد) ص٢٢٧، و«المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم» (جهد) ١/ ١٧١ بنحوه.

(٤) رواه ابن جرير ١٠/ ١٩٨، وبمعناه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٣.

(٥) انظر: «البسيط» البقرة: ٢١٢.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢١٥.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) ذهب النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٢٠٦، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢١٥ إلى أن (الذين يلمزون) مبتدأ و(سخر الله منهم) خبره، وذكر أبو البقاء العكبري عدة وجوه في الخبر: =

وقد قال بعضهم[(١)]: ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ منقطع مما قبله وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ خبره، دعاء كان أو خبرًا، في الدنيا كان أو في الآخرة.

٨٠- قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، قال الفراء: (ظاهر الآية أنه أمر ونهي، خيره بينهما، وإنما[(٢)] هو على تأويل الجزاء، بمعنى إن تستغفر لهم أو لا تستغفر لهم)[(٣)]، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣] الآية، وقال غيره من أهل المعاني: (معنى صيغة الأمر والنهي في هذه الآية: المبالغة في اليأس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها، أو[(٤)] تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في أن الله لا يوقعها[(٥)])[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال المتأخرون من أهل التفسير: (السبعون عند العرب غاية مستقصاة؛ لأنه جمع سبعة والسبعة تتمة عدد الخلق كالسماوات والأرض والبحار[(٧)]

= الأول: (فيسخرون) ودخلت الفاء لما في (الذين) من الشبه بالشرط.
الثاني: أن الخبر (سخر الله منهم).
الثالث: أن الخبر محذوف، تقديره: منهم الذين يلمزون.
انظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٢٥.

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) في (ى): (وانهما)، وهو خطأ.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٤١ بمعناه.

(٤) في (ح): (و).

(٥) في (م): (يرفعها).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) لم يتبين لي مراده بذلك، والبحار المعروفة أكثر من سبعة.

والأقاليم[١] والنجوم[٢] والأعضاء[٣])[٤]، وذكر في بعض الكتب[٥]: (إن تستغفر لهم سبعين مرة) إنما خص هذا العدد لأنه يروى أن النبي ﷺ صلى على حمزة سبعين تكبيرة، فكأنه قيل: إن تستغفر لهم سبعين مرة بإزاء صلاتك على حمزة)[٦].

وقال الأزهري: (العرب تضع التسبيع[٧] في موضع التضعيف، حكى أبو عمرو أن رجلًا أعطى أعرابيًا درهمًا، فقال[٨]: سبع الله له الأجر، قال: أراد التضعيف، وفي نوادر الأعراب: سبع الله لفلان تسبيعًا وتبع له تتبيعًا، أي: تابع له الشيء [بعد الشيء][٩].

(١) لم يتبين لي المراد بذلك، ولا يمكن أن يقال: إن مراده القارات السبع؛ لأن ثلاثًا منها على الأقل لم تكشف إلا بعد وفاة المؤلف بدهر.

(٢) يعني النجوم السيارة في المجموعة الشمسية، وقد كان المعروف منها زمن المؤلف سبع.
انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ١٤٨. وقد اكتشف فيما بعد غيرها.

(٣) لعله يعني الأعضاء السبعة التي يسجد عليها المصلي، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٦/ ٥٨٢- ٥٨٣ نحو هذا القول، وفسر الأعضاء بالجوارح التي بها يطيع الإنسان ربه ويعصيه، وهي عيناه وأذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه، وفيه نظر لأن الطاعة والمعصية ليست محصورة بهذه الأعضاء فالأنف قد يشم ما حرم الله، والقلب قد يحمل حقدًا وحسدًا واحتقارًا لمسلم، والمرأة قد تعصي ربها بإبداء زينتها ووجهها لأجنبي.

(٤) هذا القول للثعلبي، انظر: «تفسيره» ٦/ ١٣٤ ب.

(٥) في (ى): (بعض أهل الكتب)، وهو خطأ.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣٤ ب، ولم يذكر سنده.

(٧) في (ح): (السبع).

(٨) في (ى): (فقال له)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لما في «تهذيب اللغة».

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

قال: والأصل في هذا: قول الله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال ﷺ «**الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة**»[١] فلما ذكر الله تعالى ورسوله هذا العدد في موضع التضعيف صار أصلًا فيه، فقوله: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد، ولم يرد الله أنه[٢] إن زاد على السبعين غفر لهم، ولكن المعنى: إن استكثرت من الدعاء بالاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم[٣].

هذا الذي ذكرنا في هذه الآية مذهب أهل اللغة وأصحاب المعاني[٤]، وأما المفسرون فإنهم أجروا الآية على ظاهرها، فقالوا: إن قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ تخيير، وقوله: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ﴾ حصر بهذا العدد[٥]، ورووا في هذا عن النبي ﷺ ما يوافق هذا

---

(١) رواه البخاري (٤١، ٤٢)، كتاب: الإيمان، باب: حسن إسلام المرء، ومسلم (١٦٤)، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، والنسائي في «سننه»، كتاب: الإيمان، باب: حسن إسلام المرء ٨/ ١٠٥، وابن ماجه (١٦٣٨)، كتاب: الصيام، باب: ما جاء في فضل الصيام، وأحمد في «المسند» ١/ ٤٤٦.

(٢) ساقط من (ى) و(م).

(٣) اهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (سبع) ٢/ ١٦١٧.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (سبع) ٢/ ١٦١٧، و«لسان العرب» (سبع) ٣/ ١٩٢٤.

(٥) نسبة المؤلف هذا القول للمفسرين على وجه العموم فيه نظر، إذ هم فريقان في هذه المسألة، فبعضهم ذهب إليه، وقد ذكر القرطبي بعضهم في «تفسيره» ٨/ ٢٢٠ حيث قال: (وقالت طائفة- منهم الحسن وقتادة وعروة: إن شئت استغفر لهم، وإن شئت لا تستغفر) اهـ. واعتمد هذا القول السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٦٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٥، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٦/ ٥٨٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ٢/ ٩٩٠ ولم تذكر كتب الرواية كـ «تفسير ابن جرير» وابن أبي حاتم=

المذهب، وهو ما روي أن النبي ﷺ لما أراد الصلاة على عبد الله بن أبي قال له عمر: أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا: كذا وكذا؟! فقال: «**إني خيرت فاخترت، قد قيل لي**: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾»(١).

= و«الدر المنثور» قولًا لأحد المفسرين السابقين بهذا المعنى، وإنما ذكرت عن جمع من مفسري السلف -منهم عروة وقتادة- رواية عن النبي ﷺ بالتخيير، فلعل من نسب هذا القول إلى الرواة بناء على أن الراوي لا يخالف روايته، وهذا ليس على إطلاقه.

وقد خالف هذا القول كثير من المفسرين، فابن جرير قال في تفسير الآية ١٠/ ١٩٨ هذا كلام خرج مخرج الأمر، وتأويله الخبر، ومعناه: إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وقال الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٤/ب: (لفظه أمر، ومعناه جزاء، تقديره: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم).

وقال البغوي في «تفسيره» ٤/ ٧٩: (لفظه أمر، ومعناه خبر، تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم.. وذكر عدد السبعين للمبالغة في اليأس عن طمع المغفرة).

وقال الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٨٦: (قوله ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً﴾ ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد).

وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ١٩٥، ٢٠٤، وابن كثير ٢/ ٤١٤.

وعلى أي حال فالقول بأن قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ تخيير للنبي ﷺ هو الصحيح؛ لقوله ﷺ: «**إني خيرت فاخترت**»، وهذا الحديث نص في هذه المسألة فلا ينبغي العدول عنه.

(١) رواه البخاري (٤٦٧٠)، كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، ومسلم (٢٤٠٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر، والنسائي، كتاب: الجنائز، [باب] الصلاة على المنافقين ٤/ ٦٧، والترمذي (٣٠٩٧)، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة ٥/ ٢٧٩، وأحمد في «المسند» ١/ ١٦.

وقال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رخص لي فسأزيدن**[١] **على السبعين لعل الله أن يغفر لهم**»[٢]، ونحو هذا قال عروة بن الزبير والحسن وقتادة: إن النبي ﷺ قال: «**لأزيدن على السبعين**» فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦][٣]، قال مقاتل: (فصار قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ منسوخًا بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾[٤].

فهذا الذي ذكرنا من قولهم يدل على أنهم جعلوا قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ [أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ][٥]﴾ تخييرًا، وقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ حصرًا لهذا العدد لا تكثرًا.

٨١- قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾، قال ابن عباس وغيره: (يريد المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك)[٦]، والمخلف:

---

(١) في «تفسير البغوي»: (فلأزيدن)، وفي «تفسير الثعلبي»: (فسأزيد).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٤ ب، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٧٩، وهو ضعيف لإرساله، وقال القشيري: لم يثبت أنه قال: «لأزيدن على السبعين». «تفسير القرطبي» ٨/ ٢١٩.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٩٨- ٢٠٠ عن عروة وقتادة، ورواه عن عروة أيضًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٤، وأشار القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٢٠ إلى قول الحسن، وأقوالهم هذه مراسيل.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٣٣ أ بنحوه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

المتروك خلف[١] من مضى.

وقوله تعالى: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: المدينة)[٢] فعلى هذا، المقعد: اسم المكان، وقال مقاتل: (بمقعدهم: بقعودهم)[٣]، وعلى هذا هو اسم للمصدر، قال أبو علي: (المقعد ههنا: مصدر في معنى القعود ولا يكون اسمًا للمكان؛ لأن أسماء الأماكن لا يتعلق بها شيء)[٤].

وقوله تعالى: ﴿خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، قال قطرب والمؤرج: (يعني مخالفة رسول الله ﷺ حين سار وأقاموا)[٥]، واختاره الزجاج، فقال: (معناه: مخالفة رسول الله ﷺ، قال: وهو منصوب؛ لأنه مفعول له، المعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ)[٦]، وعلى هذا القول: فالخلاف مصدر مضاف[٧] إلى المفعول به.

وزعم أبو عبيدة: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ[٨]، ونحو هذا قال الأخفش: إن (خلاف): في معنى[٩]: خلف، وأن يونس روى ذلك عن

---

(١) في (ح): (وخلف).
(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٤٩.
(٣) المصدر السابق، نفس الموضع، ولعل هذا القول لمقاتل بن حيان؛ لأن مقاتل بن سليمان لم يذكره في «تفسيره».
(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١١٤.
(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣٥ أ، و«البحر المحيط» ٥/ ٧٩، و«الدر المصون» ٦/ ٩١.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٣.
(٧) في (م): (يضاف).
(٨) «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٤.
(٩) في (ح): (بمعنى).

عيسى[١] قال: ومعناه: بعد رسول الله ﷺ)[٢]، ويقوي هذا الوجه قراءة من قرأ (خَلْفَ رَسُولِ اللهِ)[٣] وعلى هذا القول، الخلاف[٤]: اسم للجملة كالخلف، وهو على حذف المضاف كأنه خلاف خروج[٥] رسول الله ﷺ، ونحو هذا قال ابن عباس في رواية عطاء قال: (يريد بعد خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك) ففسر الخلاف ببعد، وذكر المضاف المحذوف، و(خلاف) بمعنى (خلف) مستعمل، أنشد أبو عبيدة[٦] للأحوص[٧]:

---

(١) هو: عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمر البصري، العلامة، إمام النحو، وشيخ الخليل بن أحمد، كان مقرئًا نحويًا عالمًا ثقة، وهو من أوائل من وضع النحو وصنف فيه، توفي سنة ١٤٩هـ على قول القفطي، وقال الذهبي: لعله بقي إلى بعد سنة ١٦٠هـ.
انظر: «أخبار النحويين البصريين» ص٤٩، و«إنباه الرواة» ٢/ ٣٧٤، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٢٠٠.

(٢) ذكر قول الأخفش هذا وروايته الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٤٩، وأشار إليه أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٧٩، والسمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ٩١، أما الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ٣٦٢ فقد نسب هذا القول إلى غيره، ورجح هو أن (خلاف) بمعنى خالفة، وأنه مصدر (خالفوا).

(٣) هي قراءة شاذة قرأ بها ابن عباس وأبو حيوة وعمرو بن ميمون، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٤، و«البحر المحيط» ٥/ ٧٩.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (ح).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٤.

(٧) هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري، الملقب بالأحوص لضيق مؤخر عينيه، كان شاعر هجاء وغزل، وجعله ابن سلام في الطبقة السادسة من الإسلاميين، وكان معاصرًا لجرير والفرزدق، وتوفي سنة ١٠٥هـ.
انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ١٤٨، ٦٥٥، و«الشعر والشعراء» ص٣٤٥، و«الأعلام» ٤/ ١١٦.

عَقَبَ الربيعُ خلافهم فكأنما بَسَطَ الشواطبُ بينهن حصيرًا[(١)]

وقوله تعالى: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ يعني مع محمد إلى تبوك: ﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: يفهمون ويعقلون أن مصير المنافقين إليها)[(٢)]، وهذا ذم للمنافقين بفرحهم بالقعود عن الجهاد، والفرار من حر الشمس إلى حر الجمر.

٨٢- قوله تعالى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾، قال أبو رزين[(٣)]: (يقول الله تعالى: مقامهم[(٤)] في الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤوا، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا[(٥)] بكاء[(٦)] لا ينفعهم فذلك الكثير)[(٧)].

وقال الحسن: (قوله: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ وعيد من الله لهم، يقول: فإن ذلك منهم قليل لأن الدنيا كلها قليل يفنى وينقطع، [فضحكهم قليل فيها،

---

(١) نسب المؤلف البيت للأحوص، والصحيح أنه للحارث بن خالد المخزومي كما في «ديوانه» ص٦٣، و«مجاز القرآن» ١/ ١٦٤، و«الأغاني» ١٥/ ١٢٨، و«لسان العرب» (خلف) ٢/ ١٢٣٧. ورواية «الديوان»: عقب الرذاذ.
والشواطب: النساء اللواتي يشققن الخوص، ويقشرن العسب، ليتخذن منه الحصر. انظر: «اللسان» (شطب) ٤/ ٢٢٦١.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢٠٠ مختصرًا.

(٣) هو: مسعود بن مالك الأسدي مولاهم، أبو رزين الكوفي، تابعي ثقة، من رجال مسلم، توفي سنة ٨٥هـ.
انظر: «الكاشف» ٢/ ٢٥٧، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٦٣، و«تقريب التهذيب» ص٥٢٨ (٦٦١٢).

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (ح): (يكون)، وهو خطأ.

(٦) في (ح): (نكالًا)، وهو وهم من الناسخ.

(٧) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٥٥، وابن جرير ١٠/ ٢٠٢، وابن أبي شيبة كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٧٤.

وسرورهم وفرحهم قليل لأنه ينقطع][١]، وكل شيء ينقطع فهو قليل. ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ في النار لا انقطاع له[٢]، قال ابن عباس: (إن أهل النفاق ليبكون[٣] في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع)[٤]، وقال أبو موسى: (حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت)[٥].

قال صاحب «النظم»: (هذا فصل[٦] جاء مجيء الأمر وتأويله الخبر، أي[٧]: أنهم سيضحكون قليلا وسيبكون كثيرًا، يدل[٨] على ذلك قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

وقال أبو إسحاق: (﴿جَزَآءُ﴾ مفعول له، المعنى: وليبكوا لهذا الفعل)[٩].

وقال ابن عباس: في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (أي: في الدنيا من النفاق والتكذيب)[١٠].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٠٢ مختصرًا، وذكر بعضه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٦ بغير سند، ورواه بمعناه مختصرًا عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٤.

(٣) في (ى): (ليبكوا).

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٥ ب.

(٥) رواه أحمد في كتاب: «الزهد» ٢/ ١٥٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٦١، ورواه الحاكم عنه مرفوعًا «المستدرك» ٤/ ٦٠٥، وقال: صحيح الإسناد، قلت: في سنده محمد بن الفضل عارم، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» ص٥٠٢ (٦٢٢٦): ثقة ثبت تغير، في آخر عمره.

(٦) هكذا في النسخ ولعل الصواب: (فعل).

(٧) ساقط من (ى).

(٨) في (م): (دل).

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٣، وعبارته: جزاء لهذا الفعل.

(١٠) «تنوير المقباس» ص٢٠٠ بمعناه.

٨٣- قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾، قال ابن عباس: (يريد: إن ردك الله إلى المدينة)[١] ومعنى الرجع: تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه، يقال: رجعته رجعًا، كقولك: رددته ردًّا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد المنافقين خاصة)[٢]، قال المفسرون: (إنما خصص لأن جميع من أقام بالمدينة ما كانوا منافقين بل كان بعضهم مسلمين[٣] مخلصين معذورين، وبعضهم لا عذر له[٤] ثم عفى الله عنه)[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾، قال[٦]: (يريد للغزو معك).

وقوله[٧]: ﴿فَقُل[٨] لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ إلى غزاة. قال ابن عباس: (وذلك أنه لم يكن يومئذ بقي أحد من المشركين إلا لحق بالشام، وصار في مملكة الروم، ودخل في الإسلام سائرهم)[٩]، ﴿وَلَن[١٠] تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ قال: (يريد: من أهل الكتاب)[١١]، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٦، وبمعناه الفيروز أبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٠.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢٠٠ بنحوه.

(٣) من (م).

(٤) في (ح): (لهم)، وما أثبته موائم لما بعده.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣٥ ب، والبغوي ٤/ ٨١، وابن الجوزي ٣/ ٤٧٩، والقرطبي ٨/ ٢١٧.

(٦) القائل ابن عباس، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥١٦، و«تنوير المقباس» ص٢٠٠.

(٧) من (م).

(٨) في (ى) و(م): (قل).

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) في (ح): (ولم)، وهو خطأ.

(١١) «الوسيط» ٢/ ٥١٦ ولا دليل على هذا التخصيص.

لم[١] تخرجوا إلى تبوك.

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ ذكروا في الخالفين قولين:

قال الأخفش وأبو عبيدة: (الخالف الذي خلفني فقعد بعدي)[٢]، ومنه قولهم: (اللهم اخلفني في أهلي)[٣].

وقال المؤرج: (الخالف من يخلف)[٤].

وقال ابن قتيبة: (﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ واحدهم خالف، وهو من يخلف الرجل[٥] في قومه وماله)[٦].

وقال الفراء: (﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ من الرجال)[٧]، يريد الذين يخلفون في البيت فلا يبرحون، وهذا القول هو معنى ما ذكره المفسرون.

قال ابن عباس: (﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [مع الرجال][٨] الذين تخلفوا بغير[٩] عذر)[١٠]، يريد الذين خلفوا من سار فأقاموا بعدهم.

---

(١) في (ى): (لن)، وهو خطأ.

(٢) انظر: قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٥، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٥١ عن الأخفش، ولم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(٣) روى الدارمي في «سننه» ٢/ ٣٧٣ حديث دعاء المسافر وفيه: (اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا بخير).

(٤) لم أجد من ذكره.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) «تفسير غريب القرآن»، له ص١٩٩.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٩) في (ى): (من غير)، وما أثبته موافق لرواية الثعلبي.

(١٠) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٥ ب، والبغوي ٤/ ٨١، وبنحوه ابن المنذر كما في «الدر المنثور»، ورواه مختصرًا ابن جرير ١٠/ ٢٠٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٧.

وقال الحسن[١] والضحاك[٢] وقتادة[٣]: (يعني النساء والصبيان)، وهؤلاء هم الذين يخلفون الذاهبين إلى السفر والغزو فعلى هذا القول، الخالف: كل من تأخر عن الشاخص.

القول الثاني في الخالفين: أن معناه: المخالفين، قال الفراء: (يقال: عبد[٤] خالف وصاحب خالف: إذا كان مخالفًا)[٥].

وقال الأخفش: (فلان خالفة أهل بيته: إذا كان فاسدًا)[٦].

وقال أبو عبيدة: (فلان خالفة أهله أي: مخالفهم لا خير فيه)[٧].

وقال الليث: (هذا رجل خالفةٌ: أي مخالف كثير الخلاف، وقوم خالفون، وكذلك رجل راوية ولحانة ونسابة ونحو ذلك، فإذا جمعت[٨] قلت: الخالفون والراوون)[٩].

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٣٨٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٨٠، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢١٨ بلفظ: مع النساء والضعفاء من الرجال، وذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٥٨ بلفظ: مع النساء.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٥ ب.

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٣٨٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٦، وقد رواه ابن جرير ١٠/ ٢٠٤ بلفظ: مع النساء.

(٤) في (ى): (عبده)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧.

(٦) لم أجده عن الأخفش، وانظر: المعنى في «لسان العرب» (خلف) ٢/ ١٢٤٠.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٥.

(٨) في (ى): (اجتمعت)، وما أثبته موافق لكتاب «العين».

(٩) كتاب «العين» (خلف) ٤/ ٢٦٩ وذكره باختصار الأزهري في «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٩١.

وقال الأصمعي: (يقال: خلف فلان عن كل خير، فهو يخلف خلوفًا إذا فسد ولم يفلح[١] فهو خالف وخالفة[٢])[٣]، فجاء من هذه الأقوال أن الخالف يكون بمعنى المخالف وبمعنى الفاسد، وكلاهما يجوز في الآية، وقول ابن عباس في هذه الآية: ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ مع الرجال الذين تخلفوا)[٤]، يجوز أن يكون من هذا؛ لأن من تخلف عنك فقد خالفك، وقال جماعة من المفسرين: (يريد مع أهل الفساد)[٥]، وهذا معنى ما ذكرنا من قولهم خلف فلان: إذا فسد، ومثله خلف اللبن وخلف النبيذ.

وهذه الآية دليل على أن من ظهر منه نفاق وتخذيل لا يجوز للإمام أن يستصحبه في الغزو، اقتداءً برسول الله ﷺ فيما أمره الله به[٦] من مباعدتهم عن الجماعة التي تصحب في السفر وتنصر على العدو من أهل الطاعة[٧].

٨٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾، ﴿مَّاتَ﴾[٨] في موضع جر؛ لأنه صفة للنكرة كأنه قيل: على أحد منهم ميت، و﴿أَبَدًا﴾ ظرف لـ﴿تُصَلِّ﴾، كأنه قيل: ولا تصل أبدًا على أحد منهم.

---

(١) في (ى): (يخلف)، وما أثبته موافق لـ«تهذيب اللغة».
(٢) في «تهذيب اللغة»: وهي (خالفة).
(٣) «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٨٨.
(٤) سبق تخريجه قبل عدة أسطر.
(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٠٤، والثعلبي ٦/ ١٣٥ ب، والرازي ١٦/ ١٥١.
(٦) ساقط من (ح).
(٧) انظر: «المغني» لابن قدامة ١٣/ ١٥، و«حاشية الروض» ٤/ ٢٦٣.
(٨) ساقط من (ح).

قال عامة المفسرين: (لما مرض عبد الله بن أبي أرسل[(١)] إلى رسول الله ﷺ يسأله أن يكفنه في قميصه الذي يلي بدنه ويصلي عليه، فلما مات فعل ذلك رسول الله ﷺ، وشهد دفنه، ودلاه في قبره، فما لبث إلا يسيرًا حتى نزلت هذه الآية، ثم كُلم رسول ﷺ فيما فعل بعبد الله بن أبي، فقال: «**وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله، والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه**» فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ[(٢)].

قال أبو إسحاق: ويروى أنه ﷺ إنما أجاز الصلاة عليه لأن ظاهره كان الإسلام فأعلمه الله ﷻ أنه إذا علم منه النفاق فلا صلاة عليه)[(٣)]، وقال

---

(١) هذه رواية قتادة كما في «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٠٦، ورواية «الصحيحين» عن ابن عمر أن السائل عبد الله بن عبد الله بن أبي، وجمع الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣ أ بين الأمرين بأن عبد الله بن أبي طلب ذلك من النبي ﷺ، فلما مات عبد الله انطلق ابنه إلى النبي ﷺ ودعاه إلى جنازة أبيه. اهـ. ويؤيد ذلك ما رواه ابن جرير وابن ماجه والبزار وأبو الشيخ وابن مردويه (كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٧٥). عن جابر قال: مات رأس المنافقين بالمدينة، فأوصى أن يصلي عليه النبي ﷺ وأن يكفنه في قميصه، فجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أبي أوصى أن يكفن في قميصك..)إلخ، فتبين من مجموع الروايات أن ابن أبي طلب من النبي ﷺ ذلك، وحرص عليه، وأوصى به، وأن ابنه نفذ وصيته، وشفع له عند النبي ﷺ حتى تم الأمر.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٣، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٠٤- ٢٠٦، والثعلبي ٦/ ١٣٦ أ، والبغوي ٤/ ٨١، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٧٦، وأصل القصة في «صحيح البخاري» (٤٦٧٠)، كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٤.

أنس: (أراد النبي ﷺ أن يصلي عليه فأخذ جبريل بثوبه[١]، وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم[٢] مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، قال الزجاج: (كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له)[٤]، وقال الكلبي: (لا تدفنه ولا تله)[٥]، وهذا من قولهم: قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره وتولاه.

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ قد تقدم تفسير هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال أهل المعاني: (إنما كرر هذه الآية للبيان عن قوة هذا المعنى فيما ينبغي أن يحذر منه مع أنه للتذكير به في موطنين يبعد أحدهما عن الآخر فتجب العناية بأمره، قالوا: ويجوز أن يكون في فريقين من المنافقين، فيجري مجرى قول القائل: (لا تعجبك حال زيد، لا تعجبك حال عمرو)[٦].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ٢٠٥، وأبو يعلى وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٧٦، وفي سند ابن جرير ضعيف بل متروك، وهو يزيد بن أبان الرقاشي كما في «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٠٣، ثم إن في الأثر علة قادحة لمخالفته رواية «الصحيحين» السابقة وفيها أن النبي ﷺ صلى عليه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٤، والحديث رواه أبو داود (٣٢٢١)، كتاب: الجنائز، باب: الاستغفار عن القبر للميت، وهو حديث صحيح كما في «صحيح الجامع وزياداته»، رقم (٤٧٦٠) ٢/ ٨٦٥.

(٥) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٥٣.

(٦) انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ١٥٥- ١٥٦، و«الخازن» ٢/ ٢٥١، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ موضع (أن) نصب بحذف حرف الجر على تقدير: بأن آمنوا، كأنه قيل بالإيمان.

قال أهل المعاني: (ومعنى الأمر للمؤمنين بالإيمان: الدوام عليه والتمسك به في مستقبل الأوقات)(١)، مع أن هذا أمر عام يدخل فيه أمر المنافقين بالإيمان، ثم الجهاد؛ لأنه لا ينفعهم ذاك مع النفاق.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾، قال ابن عباس والحسن: (استأذنك أهل الغنى في التخلف)(٢).

وقال مقاتل: (أهل السعة في المال)(٣).

وقال ابن كيسان: (يعني الكبراء المنظور إليهم)(٤)، وخص هؤلاء بالذكر لأن الذم لهم ألزم بكونهم قادرين على الجهاد والسفر، ومضى الكلام في الطول(٥)، والصحيح أنه ذكر ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ لأن من لا مال له ولا قدرة على السفر لا يحتاج إلى الاستئذان في القعود؛ لأنه معذور، وهؤلاء لا عذر لهم في القعود، فيستأذنون ويقعدون، وقد فضح الله ﷻ المنافقين بهذه الصفات التي ذكرهم بها أشد الفضيحة.

٨٧- قوله تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾، قال المفسرون:

---

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ١١٩، و«معاني القرآن الكريم» للنحاس ٢/ ٢١٥.

(٢) رواه عن ابن عباس بنحوه ابن جرير ١٠/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٨، وذكره عن الحسن بمعناه الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٥٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ٨٢.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٣٣ ب.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ١٦/ ١٥٦، و«البحر المحيط» ٥/ ٨٢.

(٥) انظر: «تفسير البسيط» النساء: ٢٥.

(يعني النساء)[١]، قال الفراء: (النساء الخوالف: اللاتي يخلفن في البيت ولا يبرحن)[٢].

[وقال الزجاج][٣]: (أي رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء، قال: وقد[٤] يجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالفة: الذي هو غير نجيب[٥]، ولم يأت (فاعل) صفة جمعه (فواعل) إلا حرفان، قالوا: فارس وفوارس، وهالك وهوالك[٦][٧].

وذكرنا الكلام في الخالف مستقصى في قوله تعالى: ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد بالنفاق)[٨]، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، قال الضحاك: (لا يعلمون أمر الله)[٩].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٩، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٧٧.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ساقط من (ى).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه»: منجب. وفي «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٣٤ مثل ما ذكره المؤلف. والنجيب: الكريم الفاضل. انظر: «لسان العرب» (نجب) ٧/ ٤٣٤٢.

(٦) زاد الأزهري في «تهذيب اللغة» (خلف) ١/ ١٠٩٠، نقلًا عن بعض النحويين: خالف وخوالف. ويرى النحاس أن (خوالف) في الآية جمع (خالفة) ولا يجمع (فاعل) صفة على (فواعل) إلا في الشعر إلا في الحرفين المذكورين. انظر: «إعراب القرآن»، له ٢/ ٣٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٧.

(٩) لم أعثر على من ذكره عنه.

وقال الحسن: (ليسوا بفقهاء ولا علماء، ولو كانوا فقهاء لما تخلفوا عن الجهاد معه)[١]، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧].

٨٨- قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾[٢]، قال الأخفش[٣] وأبو عبيدة[٤] والمبرد[٥]: (الخيرات جمع خيرة، وهن الجواري الفاضلات الحسان)، أبو زيد: يقال: (هي خيرة النساء، وشرة النساء)[٦]، وأنشد أبو عبيدة:

ربلات هند خيرة الملكات[٧]

٩٠- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ الآية، ذكرنا معنى العذر والاعتذار وأصله في اللغة عند قوله: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾

---

(١) لم أجده.

(٢) هذه الجملة بعض قول الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ الآية، وإتيان المؤلف ببعض الآية لا ينسجم مع ما قبلها.

(٣) كتاب: «معاني القرآن»، له ١/ ١٣٥.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٧.

(٥) لم أقف على قوله.

(٦) «تهذيب اللغة» (خار) ١/ ٩٥٩.

(٧) هذا عجز بيت، وصدره:

ولقد طعنت مجامع الربلات

ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٧، ونسبه لرجل جاهلي من بني عدي، عدي تميم، ومثله ابن منظور في «لسان العرب» (خير) ٤/ ١٢٩٨، ومعنى الربلات: جمع ربلة، بتسكين الباء وتحريكها وهي كل لحمة غليظة، وقيل: هي باطن الفخذ، وقيل: أصول الأفخاذ. انظر: «لسان العرب» (ربل) ٣/ ١٥٧١.

[التوبة: ٦٦]، وتقول: أعذر[1] فلان أي كان منه ما يُعذر به، ومنه قولهم: قد أعذر من أنذر، واعتذر اعتذارًا: إذا أتى بعذر صدق فيه أو كذب، وعذر تعذيرًا: أي قصر ولم يبالغ. يقال: قام فلان قيام[2] تعذير فيما استكفتيه: إذا لم يبالغ، وقصر فيما اعتمد عليه، فمن قرأ (المُعَذِرُون) بالتخفيف وهو قراءة جماعة من الصحابة والتابعين[3]، فمعناه المجتهدون المبالغون في العذر، روى الضحاك عن ابن عباس أنه قرأ: (وجاء المعذرون)[4]، وقال (لعن الله المعذرين)[5] ذهب إلى أن المعذرين هم الذين لا عذر لهم[6].

(١) في (ح): (عذر). وأثبت ما في (م) و(ى) لموافقته لما في «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٦.

(٢) في (ح): (مقام). وأثبت ما في (م) و(ى) لموافقته لما في «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٦ إذ النص منقول منه.

(٣) روى هذه القراءة ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد، وهي أيضًا قراءة زيد بن علي والضحاك والأعرج وأبو صالح وعيسى بن هلال، ومن العشرة يعقوب والكسائي في رواية، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢٠٩-٢١١، و«الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١٢١، و«البحر المحيط» ٥/ ٨٣- ٨٤.

(٤) «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٠، وفي سنده بشر بن عمارة، قال البخاري: يُعرف وينكر، وقال الدارقطني: متروك. انظر: «كتاب الضعفاء الصغير» ص٤٦، و«الضعفاء والمتروكون» ص١٦٠، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٢٣٠، ثم إن في الأثر علة أخرى حيث إن الضحاك لم يلق ابن عباس على القول الصحيح، انظر: «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٢٦.

(٥) رواه الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٤٨ وعنه ابن الأنباري في «كتاب الأضداد» ص٣٢١ بإسنادين شديدي الضعف، إذ في أحدهما الكلبي وهو متهم بالكذب كما في «التقريب» ص٤٧٩ (٥٩٠١)، وفي الثاني جويبر البلخي، وهو ضعيف جدًا كما في «المصدر السابق» ص١٤٣ (٩٨٧).

(٦) في (م): (الذين لهم عذر)، وهو خطأ.

و﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾[1] بالتشديد: الذين يعتذرون بلا عذر، كأنهم المقصرون الذين لا عذر لهم، وعلى هذه القراءة، معنى الآية: إن الله تعالى فصل بين أصحاب العذر وبين الكاذبين، قال ابن عباس: (هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله ﷺ)[2].

وقال عطاء عنه: (يريد الأعراب [الذين يعتذرون][3] إلى النبي ﷺ في تخلفهم ليؤذن لهم في التخلف)[4].

وقال الضحاك: (هم رهط عامر بن الطفيل[5] جاؤا[6] إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: إن نحن غزونا معك تُغير أعراب طيء على حلائلنا[7] وأولادنا ومواشينا فعذرهم رسول الله ﷺ)[8].

ونحو هذا قال مجاهد: (هم أهل العذر)[9]، ومن قرأ: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾

---

(١) في (ى): (والمعذر).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٧ أ، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٦٠، وابن جرير ١٠/ ٢١٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠١ بنحوه من رواية الكلبي.

(٥) هو: عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر بن صعصعة، كان من فرسان العرب وفتاكها وشعرائها، وهو الذي فتك بأصحاب رسول الله ﷺ في بئر معونة، ثم حال الغدر بالنبي ﷺ وظل جادًا في سعيه لإطفاء نور الله، حتى هلك سنة ١١هـ. انظر: «السيرة النبوية» ٣/ ١٨٥، ٤/ ٢٣٣، و«الشعر والشعراء» ص٢٠٧، و«الإصابة» ٣/ ١٢٥.

(٦) في (ح): (جاء).

(٧) الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة. انظر: «الصحاح» (حلل) ٤/ ١٦٧٣.

(٨) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٧ أ، والبغوي ٤/ ٨٣.

(٩) رواه ابن جرير ١٠/ ٢١٠.

بالتشديد وهو قراءة العامة[١] فله وجهان من العربية والتأويل:

أحدهما: ما ذكره الفراء والزجاج وابن الأنباري: (وهو أن الأصل في هذا اللفظ عند النحويين: المعتذرون فحولت فتحة التاء إلى العين وأبدلت الذال من التاء، وأدغمت في الذال التي بعدها فصارتا ذالًا مشددة[٢])[٣].

والاعتذار ينقسم في كلام العرب على قسمين، يقال: اعتذر[٤]: إذا كذب في عذره، قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، فدل على فساد عذرهم بقوله[٥]: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ [التوبة: ٩٤]، ويقال: اعتذر: إذا جاء بعذر صحيح، ومنه قول لبيد:

ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر[٦]

---

(١) هي قراءة العشرة عدا يعقوب، وقتيبة عن الكسائي. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٢) في (م): (مشدودة).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤٧، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٦٤، و«كتاب الأضداد» لابن الأنباري ص٣٢١.

(٤) في (ح): (اعتذرت).

(٥) في (ح): (لقوله).

(٦) هذا عجز بيت، وصدره:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

وهو للبيد بن ربيعة العامري في «ديوانه» ص٢١٤، و«كتاب الأضداد» لابن الأنباري ص٣٢١، و«تهذيب اللغة» (عذر)، و«الخصائص» ٣/ ٢٩، و«لسان العرب» (عذر) ٥/ ٢٨٥٥.

والشاعر يوصي ابنتيه بالبكاء عليه بعد موته حولًا كاملًا، وقبل هذا البيت قال:

فقوما فقولا بالذي قد علمتما ولا تخمشا وجهًا ولا تحلقا شعر

يريد فقد جاء بعذر صحيح.

(الوجه الثاني من العربية -أن يكون ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾[١] على (مفعلين) من التعذير الذي هو التقصير على ما بينا، فإن قلنا: المعذرون[٢] [معناه: المعتذرون بعذر][٣] صحيح فوجهه من التأويل ما ذكرنا في قراءة من خفف، وإن قلنا أن معناه: المعتذرون بعذر باطل، أو أخذناه من التعذير فوجهه من التأويل ما قال قتادة)[٤]: (هم الذين اعتذروا بالكذب)[٥]، ونحو هذا قال محمد بن إسحاق: (هم أعراب من غفار، اعتذروا فلم يعذرهم الله)[٦].

فإن قيل على هذا: إذا كانوا مقصرين فلم أفردوا من الكاذبين الله ورسوله؟

والجواب عن هذا ما أخبرني العروضي[٧] عن الأزهري قال أخبرني

وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع، ولا خان الصديق ولا غدر

إلى الحول.. إلخ.

(١) في (ى): (المعذورون)، وهو خطأ.

(٢) في (ى): (المعذورون)، وهو خطأ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى).

(٤) ما بين القوسين مضطرب في النسخة (ح) وفيه تقديم وتأخير ونقص ضاع معه المعنى، ونصه: (الوجه الثاني من العربية أن يكون المعذرون صحيح فوجهه من التأويل ما ذكرنا في قراءة من خفف وإن قلنا إن معناه المعتذرون بعذر باطل على (مفعلين) من التعذير الذي هو التقصير على ما بينا، فإن قلنا: المعذرون باطل أو أخذنا من التعذير فوجهه من التأويل ما قال قتادة).

(٥) رواه ابن جرير ١٠/ ٢١٠.

(٦) «السيرة النبوية» لابن هشام، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١١.

(٧) هو: أحمد بن محمد النيسابوري، تقدمت ترجمته عند ذكر شيوخ المؤلف.

المنذري عن ابن فهم[١] عن محمد بن سلام[٢] عن يونس النحوي أنه سأله عن قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾، قال: قلت ليونس (المعذرون) مخففة كأنها أقيس؛ لأن المعذر الذي له عذر، والمعذر الذي يعتذر ولا عذر له، فقال يونس: (قال أبو عمرو[٣] بن العلاء: كلا الفريقين كان[٤] مسيئًا، جاء قوم فعذروا، وجلح[٥] آخرون فقعدوا)[٦]، يريد أن قومًا تكلفوا عذرًا بالباطل، فهم الذين عناهم[٧] الله بقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ وتخلف آخرون[٨] من غير تكلف عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله، وهو معنى قوله: وجلح آخرون فقعدوا).

---

(١) هو: الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم البغدادي، حافظ علامة نسابة أخباري، وكان متفننًا في العلوم، كثير الحفظ للحديث، ولأصناف الأخبار والنسب والشعر، والمعرفة بالرجال، وتوفي سنة ٢٨٩هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٨/ ٩٢، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ٤٢٧، و«البداية والنهاية» ١١/ ٩٥، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي ص٢٩٩

(٢) هو: محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي مولاهم، أبو عبد الله البصري، كان عالمًا أخباريًا، أديبًا بارعًا، إمامًا في رواية الشعر، من أهل الصدق، وهو صاحب «طبقات فحول الشعراء» المشهور، توفي سنة ٢٣١هـ.
انظر: «تاريخ بغداد» ٥/ ٣٢٧، و«مراتب النحويين» ص٦٧، و«طبقات النحويين واللغويين» ص١٨٠، و«سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٦٥١.

(٣) في (ى): (قال عمرو)، وهو خطأ.

(٤) في (ى): (جاء)، وفي (ح): (كانا).

(٥) في (ى): صلح، وما أثبته موافق لما في «تهذيب اللغة»، ومعنى جلح: ركب رأسه، والتجليح: الإقدام الشديد والتصميم في الأمر والمضي، والمجالح: المكابر. انظر: «لسان العرب» (جلح) ٢/ ٦٥٢.

(٦) «تهذيب اللغة» (عذر) ٣/ ٢٣٦٦. (٧) في (ى): (أغناهم)، وهو خطأ.

(٨) في (ح): (الآخرون).

وقوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد لم يصدقوا نبيه واتخذوا إسلامهم جنة)[١]، فبان بهذا أنه ليس يريد الكذب في العذر إنما يريد كذبهم في قولهم[٢]: إنا مؤمنون.

٩١- ثم ذكر الله تعالى أهل العذر فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾، قال ابن عباس: (يريد الزمنى والمشايخ والعجزة)[٣]، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ يعني المقلين من المؤمنين، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، قال ابن عباس: (يريد لم يعدلوا بالله شيئا، وعرفوا الله بتوحيده، وأن ما جاء به محمد ﷺ حق وصدق، وغضبوا لله ورسوله، وأبغضوا من أبغض الله وأحبوا أولياء[٤] الله)[٥]، ففسر ابن عباس النصح لله ورسوله بما ذكر.

وقال أهل المعاني: (معنى النصح إخلاص العمل من الغش)[٦]، ومنه التوبة النصوح، فمعنى: ﴿نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أخلصوا أعمالهم من الغش والنفاق لهما.

وفائدة قوله: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بعدما ذكر عذرهم أن المعذور يكون على قسمين: أحدهما فريق منهم يغتنمون عذرهم، فهؤلاء [ليسوا ممن نصح لله ورسوله، وفريق يتمنون أن لم يكن لهم عذر فيتمكنوا من

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢٠١ بمعناه من رواية الكلبي.

(٢) في (ى): (قوله).

(٣) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٧ ب، والبغوي ٤/ ٨٤.

(٤) في (ى): (وأحبوا من أحب الملة).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (نصح) ٤/ ٥/ ٨٥، و«تفسير القرطبي» ٨/ ٢٢٧.

الجهاد، فهؤلاء][1] هم[2] الذين نصحوا لله ورسوله، وهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾، قال ابن عباس: (من إثم)[3].

وقال أهل المعاني: (من طريق العقاب)[4]، يعني أنه قد سد بإحسانه طريق العقاب على نفسه.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد لمن كان على هذه الخصال)[5].

٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾، قال المفسرون: (نزلت هذه الآية في البكائين)[6]، قال ابن عباس[7] ومقاتل[8] ومحمد بن كعب[9] ومحمد بن إسحاق[10]: (هم سبعة نفر من قبائل شتى، وذكروا أسماءهم[11].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) ساقط من (م) و(ى).

(٣) «تنوير المقباس» ص٢٠١ بمعناه.

(٤) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٨٥، و«البحر المحيط» ٥/ ٨٥، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١٢- ٢١٣، والثعلبي ٦/ ١٣٧ ب، والبغوي ٤/ ٨٤.

(٧) رواه ابن جرير ١٠/ ٢١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٣، لكن من غير ذكر العدد.

(٨) «تفسيره» ١٣٣ ب.

(٩) هو القرظي، وانظر قوله في: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١٣.

(١٠) انظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٧٢، و«تفسير ابن جرير» ١٠/ ٢١٣.

(١١) هناك خلاف في أسمائهم، وقد روى ابن جرير في «تفسيره» ١٠/ ٢١٣ عن محمد بن كعب وغيره أنهم سبعة نفر وهم: سالم بن عمير، وهرمي بن عمرو، وعبد الرحمن=

وقال مجاهد[١]: (هم ثلاثة إخوة: معقل[٢] وسويد[٣] والنعمان[٤] بنو مقرن، سألوا رسول الله ﷺ أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا، فقال النبي ﷺ: «**لا أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا وهم يبكون)[٥]، وقال ابن عباس: (سألوه أن يحملهم على الدواب، فقال النبي ﷺ: «**لا أجد ما أحملكم عليه**»[٦] لأن الشقة بعيدة، والرجل يحتاج إلى بعيرين بعير يركبه، وبعير يحمل ماءه وزاده.

وقال الحسن: نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه أتوا رسول

= ابن كعب، وسلمان بن صخر، وعبد الرحمن بن يزيد، وعمرو بن غنمة، وعبد الله ابن عمرو المزني.
واتفق معه ابن إسحاق في أربعة أسماءهم: سالم بن عمير، وعبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن عمرو المزني، وهرمي بن معمرو، واختلف معه في الباقين فذكر بدلًا منهم: عُلبة بن زيد، وعمرو بن حمام بن الجموح، وعرباض بن سارية.
انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ١٧٢.

(١) في (ى): (محمد).

(٢) هو: معقل بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عمرة، صحابي أعرابي، ثم سكن الكوفة، انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٨٤، و«الإصابة» ٣/ ٤٤٧.

(٣) هو: سويد بن مقرن بن عائذ المزني، أبو عدي، صحابي مشهور، روى عن النبي ﷺ، وحديثه عند مسلم وأصحاب السنن.
انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢٣٩، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ١٣٦، و«الإصابة» ٢/ ١٠٠.

(٤) هو: النعمان بن مقرن المزني، أبو حكيم، أو أبو عمرو، صاحب رسول الله ﷺ، أسند إليه لواء قومه يوم فتح مكة، ثم ولاه عمر قيادة الجيش الذي فتح نهاوند، واستشهد يومئذٍ سنة ٢١هـ. وكان ﷺ شجاعًا مجاب الدعوة. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٦٧- ٦٩، و«سير أعلام النبلاء» ٢/ ٢٥٦، و«الإصابة» ٣/ ٥٦٥.

(٥) رواه مختصرًا ابن جرير ١٠/ ٢١٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٣، والثعلبي ٦/ ١٣٨ أ.

(٦) «معالم التنزيل» ٤/ ٨٤، و«زاد المسير» ٣/ ٤٨٦.

الله ﷺ يستحملونه، ووافق ذلك منه غضبًا فقال: «**والله لا أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا يبكون، فدعاهم رسول الله ﷺ وأعطاهم ذودًا[١] غر الذرى[٢]، فقال أبو موسى: ألست حلفت[٣] يا رسول الله؟ فقال: «**أما إني [إن شاء الله][٤] لا أحلف بيمين[٥] فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني**»[٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ﴾ [قال صاحب «النظم»: (جاء قوله: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ مجيء الخبر لقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ﴾ وليس بخبر، وإنما هو منسوق على ما قبله، وتأويله: ولا على الذين إذا ما

---

(١) الذود: القطيع من الإبل ما بين الثلاثة إلى التسع، وقيل: أكثر من ذلك. انظر: «لسان العرب» (ذود) ٣/ ١٥٢٥.

(٢) غر الذرى: قال النووي في «شرح صحيح مسلم» ١١/ ١٠٩: (أما الذرى: فبضم الذال وكسرها، وفتح الراء المخففة: جمع ذروة، بكسر الذال وضمها، وذروة كل شيء أعلاه، والمراد هنا الأسنمة، وأما الغر: فهي البيض، .. ومعناه: أمر لنا بإبل بيض الأسنمة).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) في (ى): (يمينًا).

(٦) رواه بنحوه البخاري في عدة مواضع في «صحيحه» (٦٦٢١)، منها كتاب الإيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾، ومسلم (١٦٤٩)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يمينًا.. الخ، والنسائي في «سننه»، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الكفارة قبل الحنث ٧/ ٩، وابن ماجه (١٢٠٧)، كتاب: الكفارات، باب: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، ولم يذكره أحد من هؤلاء عن الحسن، ولا ذكروا بكاء الأشعريين ولا نزول الآية فيهم، وذكره عن الحسن الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٦٢، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٢٨.

أتوك لتحملهم وقلت لا أجد ما أحملكم عليه][1] فهو مبتدأ منسوق على ما قبله بغير واو، والجواب في قوله: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾ ومعناه جرت أعينهم من[2] امتلاء من[3] حزن في قلوبهم).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (م): (عن).

(٣) ساقط من (ى).

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

من آية (٩٣) من سورة التوبة إلى آخر سورة يونس
تحقيق
د. إبراهيم بن علي الحسن

سورة هود
تحقيق
د. عبدالله بن إبراهيم الريس

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الحادي عشر

التوبة ٩٣ - هود

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية

٩٤- قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد بالأباطيل[١])[٢] ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من غزوة تبوك، ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ يريد: قد أخبرنا الله بسرائركم وما تخفي صدوركم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي فيما تستأنفون، تبتم عن النفاق أو أقمتم عليه ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يريد: يعلم ما غاب عنا من ضمائركم ونياتكم، ومعنى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ أي للجزاء ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال[٣]: يريد: يخبركم بما كنتم[٤] تكتمون وتسرون.

٩٥- قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إذا[٥] رجعتم إليهم من تبوك، والمحلوف عليه محذوف من الآية على معنى: يحلفون بالله لكم أنهم ما قدروا على الخروج، أو ما أشبه هذا ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: لتصفحوا عنهم فلا تؤنبوهم[٦]. والمعنى: لتعرضوا عن لائمتهم، فهو من باب حذف المضاف.

قال الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد ترك الكلام والسلام والموالاة)[٧].

---

(١) في (م): (بالباطل).

(٢) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٨٦.

(٣) يعني ابن عباس، وانظر قوله بمعناه في: «تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٤) قوله: (تعملون. قال يريد يخبركم بما كنتم) ساقط من (ح).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (ح): (تؤنبهم)، وفي (ى): (تونههم) بلا نقطة على النون.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٨ أ، والبغوي ٤/ ٨٥.

وقال مقاتل: (قال النبي ﷺ حين قدم المدينة: «**لا تجالسوهم ولا تكلموهم**»[(١)]. وقال أهل المعاني: (هؤلاء طلبوا إعراض الصفح، فأعطوا إعراض المقت)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: إن عملهم رجس من عمل الشيطان ليس لله برضى)[(٣)]، فعلى هذا يكون التقدير: إنهم ذوو رجس أي ذوو عمل قبيح، وذكرنا الكلام في معنى الرجس عند قوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠][(٤)].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٣٤ أ، وقد روى الحديث ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٦٥ مرسلًا عن السدي، ثم هو من رواية أسباط بن نصر عنه، وهو ضعيف عند أكثر الأئمة، ولخص الإمام ابن حجر حاله فقال: صدوق كثير الخطأ يغرب) انظر: «تقريب التهذيب» ص٩٨ (٣٢١)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٠٩، ثم إن في المتن نكارة وهو مخالفته لحديث كعب بن مالك المتفق عليه، ولفظه عند البخاري: (ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا)، ولفظه عند مسلم: (ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه). انظر: «صحيح البخاري»، كتاب: التفسير، باب: وعلى الثلاثة .. ٦/ ١٣٤، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩)، كتاب: التوبة، رقم (٢٧٦٩) ٤/ ٢١٢٤.

(٢) «تفسير الرازي» ١٦/ ١٦٤، و«الخازن» ٢/ ٢٥٤. منسوبًا لأهل المعاني، ولم أجده فيما بين يدي من كتبهم.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٨ أ مختصرًا عن عطاء.

(٤) انظر «النسخة» (ح) ٢/ ٦٩ أ حيث قال: (الرجس في اللغة: اسم لكل ما استقذر من عمل، يقال: رجس الرجل رجسًا، ورجس: إذا عمل عملًا قبيحًا، وأصله من الرجس -بفتح الراء- وهو شدة الصوت، يقال: سحاب رجاس: إذا كان شديد الصوت بالرعد.. فكأن الرجس العمل الذي يقبح ذكره جدًا، ويرتفع في القبح).

٩٦- قوله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ﴾، قال مقاتل: (وذلك أن عبد الله بن أبي حلف للنبي ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو أن لا يتخلف عنه وليكونن[١] معه على عدوه، وطلب إلى النبي ﷺ أن يرضى عنه)[٢] [وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٣] لعمر بن الخطاب أن يرضى عنه][٤] فأنزل الله هذه الآية[٥]، قال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: (يريد أن المؤمن إذا حلف له بالله اطمأن قلبه، فأحب الله أن يخبر المؤمنين بما في قلوبهم حتى لا يصدقوهم)[٦].

وقد كان رسول الله ﷺ إذا اعتذر إليه أحد بعذر وإن كان كاذبًا قبل علانيته، ووكل سريرته إلى الله، حتى أخبره الله بنفاق المنافقين وأسمائهم

---

(١) في (ى): (وليكون)، وأثبت ما في (ح) و(م) لموافقته لتفسير مقاتل.

(٢) أهـ. كلام مقاتل، انظر: «تفسيره» ١٣٤ أ، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١٣٦ أ، والبغوي ٤/ ٨٥.

(٣) هو: عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري القرشي، أبو يحيى، كان أخًا لعثمان من الرضاعة، وأسلم وجعله النبي ﷺ من كتابه، ثم أزله الشيطان فارتد ولحق بالمشركين، وأهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، وشفع له عثمان وقبلت شفاعته، فأسلم وحسن إسلامه، وتولى إمرة الصعيد في خلافة عمر، وضم إليه عثمان مصر كلها، وكان محمودًا في ولايته، كثير الغزو، وهو الذي فتح بلاد النوبة وغزا أفريقيا، ونازل الروم في وقعة ذات الصواري، ثم اعتزل أيام الفتنة، وتوفي سنة ٥٩هـ.

انظر: «التاريخ الكبير» ٥/ ٢٩، و«سير أعلام النبلاء» ٣/ ٣٣، و«الإصابة» ٢/ ٣١٦- ٣١٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٨٧.

(٦) لم أقف عليه.

وأسماء آبائهم وقبائلهم[١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد الذين ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم)[٢]، والله لا يرضى أن يكون ما في اللسان غير ما في القلب، وقال أهل المعاني: (هذا بيان عن التفصيل الذي يحتاج إليه لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين عنهم يقتضي أن يرضى الله تعالى عنهم، فجاء على اليأس من هذا)[٣]، وهذه الآية وما قبلها دليل على أن المنافقين تحقن دماؤهم بسبب الشهادتين، ولا تجوز موالاتهم والرضا عنهم.

٩٧- قوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، قال ابن عباس: (نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حوالي المدينة)[٤].

قال العلماء من أهل اللغة: (يقال رجل عربي إذا كان نسبه في العرب ثابتًا، وجمعه العرب، كما يقال: مجوسي ويهودي، ثم تحذف ياء النسبة في الجمع فيقال: المجوس واليهود، ورجل أعرابي -بالألف- إذا كان بدويًا صاحب نجعة وانتواء[٥]، وارتياد للكلأ، وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم، ويجمع الأعرابي على الأعراب

(١) ساقط من (ى).
(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩، ومعناه في «تنوير المقباس» ص٢٠٢.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٨٨، ورواه بنحوه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨١ عن الكلبي، وانظر «تنوير المقباس» ص٢٠٢.
(٥) النجعة: المذهب في طلب الكلأ في موضعه، والانتواء: البعد. انظر: «لسان العرب» (نجع) ٧/ ٤٣٥٣ و(نأى) ٧/ ٤٣١٤.

والأعاريب، والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فرح بذلك، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن استوطن القرى العربية فهم عرب)(١).

قال الأزهري: (والذي لا يفرق بين الأعراب والعرب والأعرابي والعربي(٢) ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب)(٣)، وهم مقدمون في مراتب الدين على الأعراب، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا تَؤُمَّنَّ امرأة رجلًا، ولا فاسق مؤمنًا، ولا أعرابي مهاجرًا**»(٤).

وقال أهل العلم: (إنما سمي العرب عربًا؛ لأن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة(٥) وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهو منهم، وسموا عربًا باسم بلدهم عربة)(٦).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١ والنص منقول منه، وانظر أيضًا: «مجمل اللغة» (عرب) ٣/ ٦٦٤، و«مختار الصحاح» (عرب) ص٤٢١، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) أهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١.

(٤) رواه مطولًا ابن ماجه (١٠٨١)، كتاب: إقامة الصلاة، باب: فرض الجمعة، وفي سنده متهم بوضع الحديث وآخر ضعيف كما في «التلخيص الحبير»، رقم (٥٦٩) ٢/ ٣٢.

(٥) عربة هي مكة المكرمة، انظر: «معجم البلدان» ٤/ ١٠٩.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٣٣ عن القشيري.

قال إسحاق بن الفرج[١]: عربة باحة العرب ودار إسماعيل بن إبراهيم، وفيها يقول قائلهم[٢]:

وعربة أرض ما يُحل حرامها   من الناس إلا اللوذعي الحُلاحل

يعني النبي ﷺ: (أحلت له مكة ساعة من النهار)[٣].

واضطر الشاعر إلى شيئين: سكون الراء من عربة وهي مفتوحة، وكان [يجب أن يقول أحلت له فقال يُحل هو[٤].

وقال[٥]: أقامت قريش بعربة وانتشر سائر][٦] العرب في جزيرتها،

(١) هو: إسحاق بن الفرج، أبو تراب الخراساني لغوي معروف بكنيته، وهو من تلاميذ شِمْر الهروي، وله تصانيف في اللغة منها «الاعتقاب» و«الاستدراك على الخليل». قال الأزهري: (أملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب، وقد قرأت كتابه فاستحسنته) أ.هـ. وذكر ابن النديم أنه ممن لا يعرف اسمه وخبره على استقصاء.
انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٥، و«الفهرست» لابن النديم ص١٢٤، و«إنباه الرواة» ٤/ ١٠٢، و«معجم البلدان» لياقوت ٤/ ١٠٩ وهو الذي نص على اسمه.

(٢) البيت لأبي طالب بن عبد المطلب كما يقول ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ٤/ ١٠٩، وعندي شك في ذلك لأن أبا طالب توفي قبل الهجرة، ومكة إنما أحلت للنبي ﷺ في سنة ٨هـ. وانظر البيت بلا نسبة في: «الدر المصون» ٦/ ٤٣٠، و«لسان العرب» (عرب) ٥/ ٢٨٦٤.
واللوذعي: الذكي الظريف، والحلاحل: السيد الركين. انظر: «الصحاح» (لذع) و(حلل).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (١١٢) كتاب: العلم، باب: كتابة العلم.

(٤) «تهذيب اللغة» (عرب) ٣/ ٢٣٨١.

(٥) يعني إسحاق بن الفرج، وانظر قوله في المصدر السابق، نفس الموضع.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

فنسبوا كلهم إلى عربة؛ لأن أباهم إسماعيل عليه السلام بها[١] نشأ وربل[٢] أولاده بها[٣] وكثروا فلما لم تحتملهم البلد انتشروا وأقامت قريش بها.

وقال أهل المعاني: (هذه الآية دليل على أن اللفظ العام يرد للخاص؛ لأن الأعراب لفظ عام[٤] وليس المراد به جميع الأعراب)[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، قال أبو إسحاق: (كفرهم أشد لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدر[٦]، وهم أيضًا أبعد عن سماع التنزيل، وإنذار الرسول ﷺ)[٧]. والمعنى: أشد كفرًا من أهل الحضر لجفاء صدورهم [ونبو طباعهم[٨]، وكذلك الأكراد والأتراك، وسائر أهل الخباء[٩] أو العمد[١٠]][١١].

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) في (ح) و(ى): (ربا) أي نما وزاد، وأثبت ما في (م) لموافقته لمصدر القول إذ فيه: وربل أولاده: أي كثروا.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (العام).

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٦، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٦) في (ى): (المدن). وما أثبته موافق للمصدر التالي، وهما بمعنى واحد كما في «اللسان» (مدر).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٨) في (ح): (باطنكم عنهم)، وهو وهم من الناسخ.

(٩) في (ح): الخبت، وهي المفازة كما في «مجمل اللغة» (خبت) ٢/ ٣١٠، والخباء: من بيوت الأعراب، وهو ما كان من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة. انظر: «لسان العرب» (خبا) ٢/ ١٠٩٨.

(١٠) العمد- بفتح العين- اسم للجمع، وأهل العمد: أصحاب الأخبية الذين ينتقلون إلى الكلأ حيث كان، والعمود: الخشبة التي تقوم عليها الخيمة وبيت الشعر. انظر: «لسان العرب» (عمد) ٥/ ٣٠٩٧.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ﴾: أي أولى وأخلق، قال الليث: (يقال فلان جدير لذلك الأمر: أي خليق له، وما كان جديرًا، ولقد جدر جدارة، وأجدر به)[١]، وإنه لجدير، وإنهما لجديران، وإنهم لجديرون، قال زهير:

جديرون يومًا أن ينالوا ويستعلوا[٢][٣]

[والمرأة جديرة، والنساء جديرات وجدائر قاله اللحياني[٤]، وهو مأخوذ من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء له، فقولهم: ذاك أجدر أن تظفر][٥] بحاجتك: أي أقرب أن تستعلي عليها، فكذلك هؤلاء أقرب أن يستعلوا على الجهل بالتمكن فيه، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا﴾، قال الفراء والزجاج: (أن) في موضع نصب لأن الباء محذوفة[٦].

وقوله تعالى: ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [قال ابن عباس: (يريد

---

(١) اهـ. الكلام المنسوب لليث، انظر: «تهذيب اللغة» (جدر) ١/ ٥٥٨، والنص بنحوه في كتاب: العين (جدر) ٦/ ٧٥.

(٢) في (م): (فيستعلوا). وما أثبته موافق لرواية الديوان.

(٣) هذا عجز بيت، وصدره:

بخيل عليها جنة عبقرية

انظر: «ديوان زهير» ص١٠٣، و«المحتسب» ٢/ ٣٠٦، و«لسان العرب» (عبقر) ٥/ ٢٧٨٨. وجنة: جمع جن. وعبقرية: أي منسوبة إلى عبقر وهو موضع بالبادية تكثر فيه الجن كما تقول العرب. انظر: «اللسان» (عبقر) ٥/ ٢٧٨٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (جدر) ١/ ٤٢، وبدايته من نهاية الكلام المنسوب لليث. واللحياني هو: علي بن حازم أبو الحسن اللحياني، من كبار أهل اللغة ومن مشهوري نحاة الكوفة، كان معاصرًا للفراء وتصدر في أيامه، وله كتاب حسن في «النوادر».

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (ى).

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩٩، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٢/ ٤٦٥.

فرائض ما أنزل الله على رسوله)[1]][2] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما في قلوب خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ بما فرض من فرائضه.

وقال يمان: وأجدر ألا يعلموا الحلال والحرام[3]، وقال ابن كيسان: (يعني حجج الله في توحيده وتثبيت رسالة[4] رسوله ﷺ؛ لأنهم لا ينظرون فيها)[5].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ الآية، المغرم مصدر كالغرم، ومعنى الغرم لزوم نائبة في المال من غير جناية[6] فيثقل ذلك على الإنسان، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٠] يعني: يتخذ ما ينفق في الجهاد والغزو مغرمًا، قال ابن عباس: (يريد: لا يرجو له ثوابًا، ولا يخاف على إمساكه عقابًا)[7].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ الدوائر[8]: جمع دائرة، وهي الحال المنقلبة عن[9] النعمة إلى البلية، وخصت بانقلاب النعمة دون انقلاب النقمة لأن النعمة أغلب وأعم، إذ كل أحد فعليه نعمة من الله، وليس كذلك النقمة؛ لأنها خاصة، مع أنه قد يقال: (دارت [الدوائر:

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٦٩ عن الكلبي.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) ومكرر في (م).
(٣) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) ذكره بنحوه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٣٢.
(٦) في (ح): (خيانة).
(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٣٨ ب، والبغوي ٤/ ٨٦.
(٨) ساقط من (ح).
(٩) في (م): (من).

أي)[١] دارت لهم][٢] الدنيا، بخلاف ما دامت عليهم، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢][٣].

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ يعني الموت أو القتل[٤]، ونحوه قال الفراء[٥] والزجاج[٦].

وقال يمان: (أي ينتظر أن تقلب الأمور عليكم، فيموت الرسول ويظهر[٧] عليكم المشركون)[٨].

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الدائرة ههنا: يجوز أن تكون [واحدة الدوائر، وتكون صفة غالبة، ويجوز أن تكون][٩] مصدرًا، كالعاقبة والعافية، قال أبو علي: (والصفة أكثر في الكلام فينبغي أن يحمل عليها، والمعنى فيها: أنها خلة تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص)[١٠].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر: النسخة (ح) ٢/ ٥٧ ب وقد قال في هذا الموضع: (الدائرة: من دوائر الدهر كالدولة، وهي التي تدور من قوم إلى قوم، والدائرة التي تخشى كالهزيمة والدبرة والقحط والحوادث المخوفة، قال عبد الله بن مسلم: نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه، ويعنون الجدب فلا تميرونا).

(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٢ بنحوه.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٧) في (ح): (ويذهب)، وهو خطأ.

(٨) ذكره بنحوه الثعلبي ٦/ ١٣٨ ب، والبغوي ٤/ ٨٦.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(١٠) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠٧.

وقوله: ﴿ٱلسُّوٓءِ﴾ قرئ بفتح السين وضمه[١]، قال الفراء: (فتح السين هو وجه الكلام؛ لأنه مصدر قولك: سؤته سوءًا ومسائية ومساءة[٢] وسوائية، فهذه مصادر[٣]، ومن رفع السين جعله اسمًا كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب، ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨] ولا في قوله: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢] لأنه ضد لقولك: هذا رجل صدق، وثوب صدق، فليس للسوء ههنا معنى في عذاب ولا بلاء فيضم)[٤].

وقال الأخفش وأبو عبيد: (من فتح السين فهو كقولك: رجل سوء، وامرأة سوء، ثم تدخل الألف واللام فتقول: رجل السوء، وأنشد الأخفش:

وكنت كذئب السوء لما رأى دمًا بصاحبه يوما أحال[٥] على الدم[٦]

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، وباقي العشرة بفتحها. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، وكتاب «إرشاد المبتدي» ص٣٥٥، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٢) كررت في (ح).

(٣) ذكر هذه المصادر ابن منظور في «لسان العرب» (سوأ)، وزاد: سوءا -بضم السين- وسواء وسواءة وسواية ومساية ومساء.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

(٥) في (ح): (أخاك).

(٦) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه ٢/ ١٨٧، و«طبقات فحول الشعراء» ١/ ٣٦٢، و«كتاب الحيوان» ٦/ ٢٩٨.

وقوله: أحال على الدم: قال الجاحظ: (الذئبان ربما أقبلا على الإنسان إقبالًا واحدًا، وهما سواء على عداوته، والجزم على أكله، فإذا أدمي أحدهما وثب على صاحبه المدمي فمزقه وأكله، وترك الإنسان). انظر: «كتاب الحيوان» ٦/ ٢٩٨.

ومن ضم السين أراد بالسوء: المضرة والشر والمكروه والبلاء، كأنه قيل: عليهم دائرة الهزيمة والمكروه، وبهم يحيق ذلك)[١]، وعلى هذا القياس تقول: رجل السوء[٢]، [قال[٣]: وذا[٤] ضعيف، ودائرة السوء أحسن من رجل السوء[٥]][٦] [والرجل لا يضاف إلى السوء كما يضاف هذا[٧].

(١) انظر: قول الأخفش في كتاب «معاني القرآن»، له ١/ ٣٦٣، وقول أبي عبيد في «تفسير الرازي» ١٦/ ١٦٧، وقد دمج المؤلف قول الأخفش في قول أبي عبيد.

(٢) قوله: وعلى هذا القياس تقول: رجل السوء، ليس في كتاب «معاني القرآن» وهو في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٠٩.

(٣) يعني: الأخفش.

(٤) عبارة الأخفش: (وقد قرئت (دائرة السوء) وذا ضعيف) أهـ. فالإشارة تعود إلى القراءة بضم السين لا إلى قول القائل: رجل السوء، كما يوهم صنيع أبي علي الفارسي الذي نقل المؤلف عبارته علمًا أن هذا القول ضعيف أيضًا عند الأخفش كما في التعليق التالي، والجدير بالتنبيه أن القراءة بضم السين قراءة سبعية فلا يصح الطعن فيها.

(٥) ضُبطت في كتاب «معاني القرآن» بفتح السين، ولعل الصواب الضم، قال ابن بري: قد أجاز الأخفش أن يقال: (رجل السوء، ورجل سَوء، فتح السين فيهما، ولم يجوز رجل سُوء، بضم السين لأن السوء اسم للضر وسوء الحال، وإنما يضاف إلى المصدر السابق: الذي هو فعله، كما يقال: رجل الضرب والطعن، فيقوم مقام قولك: رجلٌ ضراب وطعان، فلهذا جاز أن يقال: رجل السوء، بالفتح، ولم يجز أن يقال: هذا رجل السوء، بالضم). «لسان العرب» (سوأ) ٤/ ٢١٦٠.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٧) «كتاب معاني القرآن» ١/ ٣٦٤ وبقية عبارته: (لأن هذا يفسر به الخير والشر). وقد جعلت المحققة اسم الإشارة (هذا) بين علامتي تنصيص مما زاد في غموض العبارة، واسم الإشارة يعود إلى الدائرة.

قال أبو علي الفارسي: (الدائرة لو لم تضف إلى السوء][1] أو السوء عرف منها معنى الشر؛ لأن الدائرة من دوائر الدهر تستعمل للمكروه، ووجه الإضافة ههنا التوكيد والزيادة في التبيين، كقولك لَحْيَا رأسه، وشمس النهار، فأما السوء فإنه يراد به الرداءة والفساد، ودائرة السوء: دائرة الضرر والمكروه [2])[3].

وقال يمان: (عليهم يدور البلاء والحزن فلا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوؤهم)[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد: سميع لقولهم عليم بنياتهم)[5].

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، قال ابن عباس: (يعني من أسلم من أعراب أسد وجهينة وغفار)[6]، وقال مجاهد: (هم بنو مقرن من مزينة)[7]، وقال الضحاك:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) قال المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩: السوء بالفتح: الرداءة والفساد، وبالضم: الضرر والمكروه.

(٣) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨، وقد اختصر المؤلف عبارته وتصرف فيها.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٦.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٢ بنحوه.

(٦) «زاد المسير» ٣/ ٤٨٩،وبنحوه رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٦ عن الكلبي.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧، وسنيد وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٢.

(يعني عبد الله ذا البجادين[(١)] ورهطه)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [قال ابن عباس][(٣)]: (يريد: يتقرب بذلك من الله)[(٤)]، قال الزجاج: (يجوز[(٥)] في القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء وإسكانها وفتحها)[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾، قال قتادة: (يعني دعاءه بالخير والبركة)[(٧)]، وقال ابن عباس والحسن: (يعني استغفار الرسول لهم)[(٨)].

وقال عطاء: (يريد: يرغب[(٩)] في دعاء الرسول[(١٠)] ﷺ)[(١١)]، ويجوز

---

(١) هو: عبد الله بن عبد نهم بن عفيف المزني، المشهور بلقبه ذي البجادين؛ لأنه لما أسلم ضيق عليه قومه حتى لم يتركوا معه شيئًا فأخذ بجادًا من شعر -وهو الكساء- فقطعه نصفين فاتزر نصفًا، وارتدى نصفًا، وهاجر ولزم النبي ﷺ حتى مات في غزوة تبوك، وكان من الأواهين، كثير الذكر وتلاوة القرآن.
انظر: «حلية الأولياء» ١/ ١٢١، و«صفة الصفوة» ١/ ٦٧٧، و«الإصابة» ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٥.

(٧) رواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧.

(٨) رواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٦٧، وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٢، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٩) في (ى): (ترغيب)، وفي المصدرين التاليين: يرغبون.

(١٠) في (م): (رسول الله).

(١١) «تفسير البغوي» ٤/ ٨٧، و«الوسيط» ٢/ ٥١٩.

عطف الصلوات على (ما) في قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ [والمعنى أنه][(١)] يتقرب بصدقته ودعاء الرسول إلى الله، ويجوز عطفها[(٢)] على (القربات)، كأنه يتخذ إنفاقه قربة، ويلتمس به[(٣)] صلوات الرسول ودعاءه كما يلتمس القربات.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ القربة: ما يدني من رحمة الله من فعل خير وإسداء عرف، وقرأ نافع في بعض الروايات (قربة) بضم الراء[(٤)]، وهو الأصل، ثم تخفف نحو كتُب ورسُل وطنُب، فالأصل الضم، والإسكان تخفيف، ومثله ما حكاه محمد بن يزيد[(٥)]: بُسْرة وبُسُرة وهُدْبة وهُدُبة، قال أبو علي الفارسي: (ولا يجوز أن يكون الأصل التخفيف ثم يثقل لأن ذلك إنما يجوز إما في الوقف كقوله[(٦)]:

أنا ابن ماوية إذ جد النُّقُرْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح)، وقد وضع الناسخ مكانه ما نصه: (قربات عند الله)، قال ابن عباس: يريد.. وهو خطأ من الناسخ والتباس بما ذكره المؤلف في الجملة المذكورة.

(٢) في (ى): (عطفًا).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) هي رواية ورش وابن جماز وإسماعيل بن جعفر وغيرهم عنه، أما رواية قالون وابن أبي أويس والمسيبي عنه فبالتخفيف كباقي العشرة، انظر «كتاب السبعة» ص٣١٧، و«الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١١٩.

(٥) هو: المبرد، وانظر قوله في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٢.

(٦) البيت من الرجز، وبعده:

وجاءت الخيل أثابي زمر

وقد اختلف في قائله، ففي «لسان العرب» (نقر) نسب لعبيد بن ماوية الطائي.=

حرك القاف بالحركة التي كانت تكون للام في الإدراج، وإما في إتباعٍ[(١)] لما قبلها للضرورة نحو قول الشاعر[(٢)]:

إذا تجرد نوح قامتا معه ضربا أليمًا بسبتٍ يلعج الجِلِدا

كسر اللام إتباعًا لحركة فاء الفعل للضرورة، ولا يجوز واحد من الوجهين في الآية؛ لأن قوله: (قُربة) ليس موقوفًا عليه، ولا يجوز أن تحمل حركة الراء على إتباع ما قبلها؛ لأن ذلك إنما يجوز في الضرورة، وإذا لم يجز الحمل على واحد من الأمرين علمت أن الحركة هي الأصل[(٣)]. قال ابن عباس في قوله: (﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾، يريد نور[(٤)] لهم ومكرمة[(٥)] عند الله[(٦)].

= ونسب له أو لفدكي بن عبد الله في «الدرر اللوامع» ٦/ ٣٠٠، ولفدكي المنقري في القاموس (فصل النون، باب الراء) ٤٨٦، ولبعض السعديين في «كتاب سيبويه» ٤/ ١٧٣.

والنقر: قال الفيروزأبادي في الموضع السابق: (أن تلزق طرف لسانك بحنكك ثم تصوت، أو هو اضطراب اللسان، أو هو صويت تزعج به الفرس).

أما الأثابي: فهي الجماعات. انظر: «لسان العرب» (ثبا) ١/ ٤٧٠.

(١) هذا هو الوجه الثاني في جواز أن يكون الأصل التخفيف ثم يثقل.

(٢) هو: عبد مناف بن ربع الهذلي، كما في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٦٧٢، و«جمهرة اللغة» (علج) ١/ ٤٨٣، و«لسان العرب» (لعج) ٧/ ٤٠٤١، و«نوادر أبي زيد» ص٣٠.

(٣) «الحجة» ٤/ ٢٠٩-٢١٢ باختصار وتصرف.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) في (م): (تكرمة).

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

قوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾ قال يريد: (في جنته)[(١)]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأوليائه وأهل طاعته.

١٠٠- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد الذين صدقوا النبي وهاجروا إلى المدينة)[(٢)].

وقال أبو موسى وسعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين: هم الذين صلوا القبلتين[(٣)].

وقال عطاء بن أبي رباح: هم الذين شهدوا بدرًا[(٤)].

وقال الشعبي: (هم الذين شهدوا بيعة الرضوان)[(٥)] فهؤلاء السباق من المهاجرين[(٦)]، وسباق الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى [وكانوا سبعة،

---

(١) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٠، و«تنوير المقباس» ص٢٠٢.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكر آثارهم ابن جرير ١١/ ٦-٨، وابن أبي حاتم ١٦-١٨٦٨، والثعلبي ٦/ ١٣٩ب، والبغوي ٤/ ٨٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥١٩.

(٤) ذكره البغوي ٤/ ٨٧، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٠.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٦، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٦٨، والبغوي ٤/ ٨٧.
وبيعة الرضوان هي البيعة التي تمت في الحديبية لما أشيع أن المشركين قتلوا عثمان ﷺ، فقال النبي ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة على الموت أو عدم الفرار، وفي هذه البيعة نزل قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. انظر: السيرة النبوية ٣/ ٣٦٤.

(٦) في تخصيص المهاجرين بما ذكر نظر فإن جميع الأقوال التي ذكرها المؤلف عدا قول ابن عباس يشترك فيها المهاجرون والأنصار، فكثير من الأنصار صلوا القبلتين، وشهدوا بدرًا، وبايعوا بيعة الرضوان، وقد ذكر ابن جرير أقوال المفسرين في السابقين بعد قوله: اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: (والسابقون الأولون) أ.هـ ثم ذكر الأقوال جميعًا سواء ذكرت المهاجرين =

والثانية][1] وكانوا سبعين، والذين آمنوا بالمدينة حين قدم عليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن. قاله ابن عباس وغيره[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم، ويذكرون محاسنهم ويسألون الله أن يجمع بينهم)[3]، وقال في رواية أخرى: (والذين اتبعوهم على دينهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة)[4]، ونحوه قال الزجاج: (أي من اتبعهم إلى يوم القيامة)[5].

وقال الفراء: (ومن أحسن من بعدهم إلى يوم القيامة)[6].

= والأنصار، أو المهاجرين وحدهم. وكذلك فعل البغوي ٤/ ٨٧، والماوردي ٢/ ٣٩٤، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٠، وابن كثير ٢/ ٤٢١ فما قيل في السابقين من المهاجرين يقال في السابقين من الأنصار، أما ما ذكره المؤلف عن سباق الأنصار فإن غيره ذكره في مبحث أول الناس إسلامًا وهو أخص من السبق المذكور في الآية، انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤١ ب، والبغوي ٤/ ٨٨.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ذكره بمعناه الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٣٩٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، دون تعيين القائل، وانظر قصة بيعة العقبة الأولى والثانية، وعلام كانتا، ومن بايع فيهما في «السيرة النبوية» ٢/ ٣٩-٧٤، و«زاد المعاد» ٣/ ٤٤-٤٩.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٣٩ أ، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٨، وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢١، و«زاد المسير» ٣/ ٤٩١.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٧٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٦.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

وقال الكلبي: (السابقون من الفريقين الذين سبقوا بالإيمان والهجرة والجهاد والنصرة، ثم من اتبعهم على منهاجهم إلى قيام الساعة)[١].

وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يريد: رضي الله أعمالهم ورضوا ثواب الله [قاله ابن عباس[٢]، ونحوه قال الزجاج: (رضي الله أفعالهم[٣] ورضوا ما جازاهم به)[٤]][٥].

وروي عن أبي صخر حميد[٦] بن زياد[٧] أنه قال: قلت يوما لمحمد ابن كعب القرظي: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله[٨] ﷺ فيما كان بينهم، وإنما أريد الفتن[٩]، فقال لي: إن الله -عز وجل- قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ [وأوجب لهم الجنة، (في كتابه محسنهم ومسيئهم، قلت له: وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة؟)[١٠] قال: سبحان الله! ألا

(١) «تنوير المقباس» ص٢٠٣ بنحوه عن الكلبي عن ابن عباس.

(٢) رواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٣.

(٣) في (ى): (رضي أفعالهم).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) ساقط من (ح).

(٧) هو: حميد بن صخر بن أبي المخارق، أبو صخر المدني الخراط، اختلف في توثيقه، فقال الإمام أحمد: لا بأس به، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم، وتوفي سنة ١٨٩هـ.
انظر: «الكاشف» ١/ ٣٥٣، و«تقريب التهذيب» ص١٨١ (١٥٤٦)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٤٩٥.

(٨) في (ى): (محمد).

(٩) يعني وقعة الجمل وصفين ونحو ذلك.

(١٠) ما بين القوسين من (م).

تقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى آخرها[١]، فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ﷺ][٢] الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطًا لم يشرطه عليهم، قلت: وما ذلك الشرط؟ قال: اشترط عليهم[٣] أن يتبعوهم بإحسان، يقول: فاقتدوا بأعمالهم الحسنة ولا تقتدوا بهم في غير ذلك، قال أبو صخر[٤]: (فوالله لكأني لم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب)[٥]، فعلى هذا يراد بالسابقين الأولين جميع[٦] أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار، وهم أول هذه الأمة، والأولية لجميعهم ثابتة بإدراكهم النبي ﷺ [وصحبتهم معه.

١٠١- قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ﴾][٧]، قال ابن عباس والمفسرون: (يريد: مزينة وأسلم وجهينة وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ يريد الأوس والخزرج[٨].

---

(١) ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) إلىٰ قوله (الأعراب).

(٣) ساقط من (ح).

(٤) في (م): (ابن صخر)، وفي (ح): (أصحاب صخر)، وكلاهما خطأ.

(٥) أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٨٥- ٤٨٦، وذكره البغوي في «تفسيره» ٤/ ٨٨ بغير سند.

(٦) في (ى): (من).

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٨) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩١، عن ابن عباس، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٢ ب، والبغوي ٤/ ٨٩، والقرطبي ٨/ ٢٤٠.

وقوله[١]: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، قال الزجاج: ﴿مَرَدُواْ﴾ متصل بقوله: ﴿مُنَٰفِقُونَۖ﴾ على التقديم والتأخير)[٢]، بتقدير: وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون[٣] مردوا على النفاق، قال ابن الأنباري: (ويجوز أن يكون التقدير: ومن أهل المدينة من مردوا على النفاق، فأضمر (مَن) لدلالة[٤] (مِن) عليها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]: يريد: إلا من)[٥]، ومضت نظائر هذا[٦].

ومعنى: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ يقال: مرد يمرد مرودًا فهو مارد ومريدٌ: إذا عتا وطغى وأعيا خبثًا، قال الليث: (والمرادة: مصدر المارد، والمريد من شياطين الإنس والجن، وقد تمرد علينا أي عتا ومرد على الشر، وتمرد: أي عتا وطغى)[٧].

وقال ابن الأعرابي: (المرد: التطاول بالكبر والمعاصي، ومنه قوله: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي تطاولوا)[٨].

---

(١) من (م).
(٢) أهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٧.
(٣) ساقط من (ى).
(٤) في (ح) و(ى): (بدلالة).
(٥) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٢، وتفسير الرازي ١٦/ ١٧٣.
(٦) انظر مثلًا: «تفسير البسيط» تفسير الآية: ٣ من سورة التوبة.
(٧) «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣، والنص بنحوه في «كتاب العين»، مادة: (مرد) ٨/ ٣٧.
(٨) «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣.

وقال الفراء: (يريد: مرنوا عليه وجرنوا[١]، كقولك: تمردوا)[٢].

وأصل الحرف اللين والملاسة، ومنه صرح ممرد، وغلام أمرد، والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئًا[٣]، قال محمد بن إسحاق: (لجوا فيه وأبوا غيره)[٤]، وقال ابن زيد: (أقاموا[٥] عليه ولم يتوبوا كما تاب الآخرون)[٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ هو كقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد: الأمراض في الدنيا، وعذاب الآخرة، وذلك[٧] أن من مرض من المؤمنين كفر الله سيئاته، ومحص ذنوبه، وأبدله لحمًا ودمًا خيرًا مما ذهب منه، وأعقبه ثوابًا عظيمًا، ومن مرض من المنافقين زاده نفاقًا وإثمًا[٨] وضعفًا)[٩].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وهو موافق لما في «تهذيب اللغة» (مرد) ٤/ ٣٣٧٣، وفي «معاني القرآن» للفراء: جرؤوا. ويبدو أنه تصحيف من النساخ أو المحقق، ومعنى جرنوا: قال في «لسان العرب» (جرن) ١/ ٦٠٨: (جرن فلان على العذال ومرن ومرد بمعنى واحد، ويقال للرجل والدابة إذا تعود الأمر ومرن عليه: قد جرن يجرُن جرونا).

(٢) كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠.

(٣) في الصحاح (مرد): (رملة مرداء: لا نبت فيها.. وتمريد البناء: تمليسه).

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢١٢.

(٥) في (ى): (نالوا).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٩، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٦٩.

(٧) ساقطة من (ى).

(٨) من (م).

(٩) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٣ ب عن عطاء.

وقال في رواية السدي عن أبي مالك عنه: قام رسول الله ﷺ خطيبًا[١] يوم[٢] الجمعة فقال: اخرج يا فلان فإنك منافق [اخرج يا فلان فإنك منافق][٣] فأخرج من المسجد ناسًا وفضحهم، فهذا العذاب الأول، والثاني عذاب القبر)[٤].

[وقال مجاهد: (بالقتل والسبي وعذاب القبر)[٥].

وقال قتادة: (بالدبيلة[٦] وعذاب القبر)[٧]][٨] وذلك أن النبي ﷺ أسر

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) في (ى): (بعد)، وما أثبته موافق لمصادر تخريج القول.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٠، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٧٠، والثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، والطبراني في «الأوسط» رقم (٧٩٦) ١/ ٤٤١ وفي سنده الحسين بن عمرو العنقزي وهو ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١١١ ثم إنه لم يروه عن السدي إلا أسباط بن نصر كما ذكر الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في «تفسير الكشاف» ٢/ ٩٧، وأسباط صدوق كثير الخطأ يغرب كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ١/ ٥٣ فمثله لا يحتمل تفرده، ولا يقويه رواية الكلبي للأثر كما في «تفسير البغوي» ٦/ ٨٩، و«الوسيط» ٢/ ٥٢١، لأن الكلبي متهم بالكذب.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، ورواه ابن جرير ١١/ ١٠، وابن أبي حاتم ١٦/ ١٨٧١، والبغوي ٤/ ٨٩ بلفظ: (القتل والسبي)، ولابن جرير رواية أخرى لفظها: (بالجوع وعذاب القبر).

(٦) الدبيلة في عرف العرب: خراج ودمل كبير يظهر في الجوف، ويقتل غالبًا. انظر: «لسان العرب» (دبل) ٣/ ١٣٢٤.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٤٣ أ، والبغوي ٤/ ٨٩.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

إلى حذيفة اثني عشر رجلًا من المنافقين وقال: «**ستة يكفيهم الله بالدبيلة، سراج من نار تأخذ أحدهم حتى تخرج من صدره، وستة يموتون موتًا**»[(١)] ز

وقال الحسن: (بأخذ الزكاة من أموالهم وعذاب القبر)[(٢)].

وقال محمد بن إسحاق: (هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ودخولهم فيه من غير حسبة[(٣)]، ثم عذابهم في القبور)[(٤)].

وقال إسماعيل بن أبي زياد[(٥)]: (أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والأدبار، والثاني عند البعث، يوكل بهم عنق من نار)[(٦)].

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: الخلود في النار.

١٠٢- قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ أي ومن أهل المدينة آخرون ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الاعتراف: الإقرار [بالذنب أو بالذل والمهانة والرضا به، واعترف فلان][(٧)] إذا ذل وانقاد، قال أصحاب العربية: (ومعناه الإقرار

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١١ عن قتادة، وفي سنده مجهول.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١، والثعلبي ٦/ ١٤٣ أ.

(٣) في (ح): (خشيتهم)، وهو خطأ.

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢١٢.

(٥) هو: إسماعيل بن أبي زياد الكوفي الشامي قاضي الموصل، واسم أبيه مسلم، وقيل زياد، له كتاب في التفسير شحنه بأحاديث لا يتابع عليها، قال الدارقطني: يضع الحديث، كذاب، متروك، وقال ابن حجر: متروك كذبوه.
انظر: «الضعفاء والمتروكون» ص١٣٩، «تهذيب الكمال» ٣/ ٢٠٦، و«تقريب التهذيب» ص١٠٧ (٤٤٦)، و«تهذيب التهذيب» ١/ ١٥١-١٥٢، و«طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٠٨.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٣ ب.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

بالشيء عن معرفة[(١)(٢)].

وقال أهل التفسير: (نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ عن[(٣)] غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك، وتذمموا، وقالوا نكون في الكن[(٤)] والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو يطلقنا ويعذرنا، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلما رجع رسول الله ﷺ أقسم لا يطلقهم ولا يعذرهم حتى يؤمر بذلك، فأنزل الله هذه الآية، فأطلقهم وعذرهم)[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، قال ابن عباس: (يريد نية صادقة وبراءة من النفاق)[(٦)]، وقال الكلبي: (﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني التخلف عن الغزو، و﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يعني التوبة، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تقاعدهم عن الغزو)[(٧)].

---

(١) في (ى): (معروفه)، وهو خطأ.

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» ص٣٣٢، و«لسان العرب» (عرف) ٥/ ٢٨٩٩، والقول بنصه للزهري كما في «زاد المسير» ٣/ ٤٩٥.

(٣) في (ح): (في).

(٤) الكن: البيت ووقاء كل شيء وستره. انظر: «القاموس المحيط»، فصل الكاف، باب: النون.

(٥) انظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٢/ ٢٨٦، وابن جرير ١١/ ١٢-١٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٢٧٢، و«أسباب النزول» للمؤلف ص٢٦٣، و«لباب النقول» ص١٢٣، ١٢٤.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٢ بنحوه.

وقال الحسن: (العمل الصالح: خروجهم إلى الجهاد مع النبي ﷺ قبل هذا، والسيء: تخلفهم عن تبوك)[١]، وذكر الفراء القولين جميعًا[٢].

والعرب تقول: خلطت الماء باللبن، وخلطت الماء واللبن.

[قال أهل المعاني: (من قال بالواو فلأنه أراد معنى الجمع كأنه يقول: جمعت بينهما][٣] كما تقول: جمعت زيدًا وعمرًا، والواو في الآية أحسن من الباء؛ لأنه أريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط، ألا ترى أن العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن، ولكن قد يجمع بينهما.

وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: ((عسى) من الله واجب)[٤]؛ لأنه قال: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ [المائدة: ٥٢] ففعل ذلك، وكذلك تاب على هؤلاء، وقال أهل المعاني: (لفظ (عسى) ههنا بيان عن أنه ينبغي أن يكونوا على الطمع والإشفاق؛ لأنه أبعد من الاتكال والإهمال)[٥].

---

(١) المصدر السابق: نفس الموضع.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) رواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/ ١٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٤، والبيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب: السير، باب: ما جاء في عذر المستضعفين رقم (١٧٧٥٣) ٩/ ٢٣ وهو قول الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي مالك، كما في «الدر المنثور» ٤٣٨/١، ٤٨٩/٣ وقول الضحاك كما في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٤٩٥، و«تفسير الرازي» ١٦/ ١٧٦ ولم أجده في كتب أهل المعاني.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾، قال المفسرون: (لما عذر رسول الله ﷺ هؤلاء وأطلقهم قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك، فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا» فأنزل الله هذه الآية[1]، فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم وترك الثلثين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ ولم يقل[2] أموالهم)[3].

قال الحسن: (هذه الصدقة هي كفارة الذنوب التي أصابوها وليست بالزكاة المفروضة)[4]، ونحو هذا قال ابن كيسان[5]، وقال عكرمة: (هي صدقة الفرض)[6]، وقال أهل العلم: (الآية وإن كانت نازلة في صدقة التطوع، فهي عامة الحكم)[7].

والإمام أولى بأن يتولى أخذ الصدقات [ومعنى الجمع في الأموال يقتضي أنه يأخذ بعض كل صنف من المال: الثمار والمواشي والنقود.

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦-١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٤- ١٨٧٥، والثعلبي ٦/ ١٤٤ أ، والبغوي ٤/ ٩٠، وأسباب النزول للمؤلف ص٢٥٨.

(٢) في (ى): (ولم يقل خذ)، والمثبت موافق لتفسير الثعلبي.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٥ أ، والبغوي ٤/ ٩١، وروى نحوه مطولًا عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٨٦، وابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٥ عن الزهري لكنه مرسل.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٧٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢.

(٥) انظر قوله في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٥ ب، والبغوي ٤/ ٩٢.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٣٩٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٤٩٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٤٤.

(٧) انظر: «أحكام القرآن» للإمام الشافعي ١/ ١٢٠، و«فقه الزكاة» للقرضاوي ١/ ٢٤.

وقوله][1] تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد: تطهرهم من الذنوب)[2]، قال أبو إسحاق: (يصلح[3] أن يكون: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [نعتًا للصدقة كأنه قال خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأجود أن يكون ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾][4] للنبي ﷺ؛ المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها)[5].

قال أبو علي: (من جعل (التاء) في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير الصدقة ولم يجعله ضمير[6] فعل المخاطب فلِما جاء من أن الصدقة أوساخ الناس[7]، فإذا أخذت منهم كان كالدفع[8] لذلك، ودفعه[9] تطهيره)[10]، ويجوز أن

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٢) «زاد المسير» ٣/ ٤٩٦، و«تنوير المقباس» ص٢٠٣.

(٣) في (ى): (يجوز)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٧.

(٦) في (ى): (ضمير الصدقة)، وهو وهم من الناسخ.

(٧) وذلك في الحديث الذي رواه مسلم (١٠٧٢)، كتاب: الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة، ولفظه: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس**».

(٨) في «الحجة»: كالرفع. والمعنيان متقاربان، وقد اعتمد الرازي المعنى الذي ذكره المؤلف فقال: (وإنما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء أن الصدقة أوساخ الناس، فإذا أخذت الصدقة اندفعت تلك الأوساخ، فكان اندفاعها جاريًا مجرى التطهير). تفسير الرازي ١٦/ ١٧٩، والرازي كثير الاعتماد على «البسيط»، وعبارته تؤكد أن الواحدي أراد الدفع وليس الرفع.

(٩) في «الحجة»: (ورفعه)، وانظر التعليق السابق.

(١٠) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٢٤.

تكون طهارة من جهة الحكم وإن لم تُزِل شيئا نجسًا عن[١] أبدانهم كما[٢] أثبت نجاسة الحكم للمشركين في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] أثبت طهارة الحكم للمسلمين بالصدقة، وعلى هذا الوجه في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ تجعل: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [منقطعًا عن الأول، أي: وأنت تزكيهم بها][٣]، ويجوز أن تجعل (التاء) في ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ ضمير المخاطب، ويكون المعنى: تطهرهم أنت أيها الآخذ بأخذها[٤] منهم، ويقوي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ لأن قوله: (تزكي) للآخذ[٥]، فكذلك (تطهر)، ولا يحسن الانقطاع مع إمكان الاتصال[٦].

وقوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: ترفعهم بهذه الصدقة من منازل المنافقين[٧] إلى منازل المخلصين، وإلى هذا المعنى أشار ابن عباس في تفسير هذا الحرف فقال: أقبل منهم[٨] وأتوب عليهم[٩].

---

(١) في (ح): (من).

(٢) السياق يقتضي أن يقول: (فكما).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في (ح): (بما تأخذها).

(٥) في (ح): (الآخذ).

(٦) في (ح): (الانفصال)، وهو خطأ.

(٧) لم يثبت أن هؤلاء كانوا منافقين، بل من عصاة المؤمنين، كما أخبر الله عنهم بقوله في الآية السابقة ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وليس في قول ابن عباس المذكور ما يؤيد ما ذكره المؤلف.

(٨) في (ح): (نبيهم)، وهو خطأ.

(٩) لم أجد من ذكره، ولفظ الأثر ومعناه غير متوافق مع الآية، وقد ذكر ابن الجوزي في "زاد المسير" ٣/ ٤٩٦ عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ قال: (تصلحهم).

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، قال يريد: (ادع لهم)[١]، وذكرنا أن معنى الصلاة في اللغة: الدعاء، وهذا دليل على أن السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم صل على آل أبي أوفى**»[٣] [لما أتاه أبو أوفى][٤] بصدقته[٥].

وقوله تعالى: ﴿إن صلواتك سكن لهم﴾ وقرئ (صلاتك) على واحدة[٦]، قال أبو عبيد[٧]: (الصلاة عندي أكثر من الصلوات؛ لأن الصلوات للجمع القليل، كقولك: ثلاث صلوات، وأربع[٨] وخمس)[٩].

---

(١) رواه بمعناه ابن جرير ١١/١٦، ١٧، ١٨، وابن أبي حاتم ٦/١٨٧٦.

(٢) روى أبو داود (١٥٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في زكاة السائمة، حديثًا طويلًا في الزكاة، وفيه: (فأمر رسول الله ﷺ بقبضها -يعني زكاة ماله- ودعا له في ماله بالبركة).

(٣) هو: عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، صحابي شهد الحديبية وعُمّر بعد النبي ﷺ، مات سنة ٨٧هـ وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة.
انظر: «الإصابة» ٢/٢٧٩، و«تقريب التهذيب» ٢٩٦ (٣٢١٩)

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) رواه البخاري (١٤٩٧)، كتاب: الزكاة، باب: صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، ومسلم (١٠٧٨)، كتاب: الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم (إن صلاتك) بالتوحيد، وقرأ الباقون (إن صلواتك) بالجمع، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

(٧) في (ى): (أبو عبيدة)، وهو خطأ.

(٨) في (ح): (أربع صلوات)، وهذه الزيادة ليست في المصدر التالي.

(٩) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/١٤٥ ب.

وقال أبو حاتم: (من زعم أن الجمع بالتاء تقليل فقد غلط؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [القمان: ٢٧]، لم يرد القليل)(١).

قال أبو علي الفارسي: (الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد كقوله سبحانه: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] [فإذا اختلفت جاز أن يُجمع لاختلاف ضروبه كما قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾](٢) [لقمان: ١٩] ومن المفرد الذي يراد به الجميع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٣) والمصدر إذا سمي به صار(٤) بالتسمية وكثرة الاستعمال كالخارجة(٥) عن حكم المصادر، وإذا(٦) جمعت(٧) المصادر إذا اختلفت نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ [لقمان: ١٩] فأن يجمع ما صار بالتسمية كالخارج عن حكم المصادر أجدر)(٨).

---

(١) انظر: المصدر السابق، نفس الموضوع.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠، النساء: ٧٧، يونس: ٨٧، النور: ٥٦، الروم: ٣١، المزمل: ٢٠].

(٤) في (ى): (جاز)، وهو خطأ.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي التذكير، وقد تصرف الواحدي في عبارة أبي علي ونصها: (وحسن ذلك جمعها حيث جمعت لأنه صار بالتسمية بها وكثرة الاستعمال لها كالخارجة عن..) الخ.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) في (ح): (اجتمعت)، وهو خطأ.

(٨) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٤، ٢١٥ باختصار وتصرف.

وقال بعضهم: (الصلوات) في هذه السورة وفي هود[١] وفي المؤمنين[٢] مكتوبات[٣] في المصحف بالواو، والتي في (سأل سائل) مكتوبة بغير واو[٤]، فإذا اتجه الإفراد والجمع في العربية ورجح أحدَ[٥] الوجهين الموافقةُ لخط المصحف كان ذلك ترجيحًا يجعله أولى بالأخذ به، قال: (ومن زعم أن (الصلاة) أولى لأن (الصلاة) للكثرة[٦] و(الصلوات) للقليل[٧] فليس قوله بمتجه؛ لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كقوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥][٨].

وقوله تعالى: ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ السكن في اللغة: ما سكنت إليه، فالمعنى: إن دعواتك مما تسكن إليه نفوسهم، قال ابن عباس: (يريد: دعاؤك رحمة لهم)[٩]. وقال قتادة: (وقار لهم)[١٠].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: ٨٧].

(٢) في (ى): المؤمنون، وما أثبته موافق للمصدر التالي، والمقصود قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

(٣) ساقط من (ى).

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

(٥) في (ح): (إحدى).

(٦) في (ح): (لكثرة).

(٧) في (ح): (للتقليل).

(٨) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٧ ولم يعين القائل.

(٩) رواه مختصرًا دون قوله (دعاؤك) ابن جرير ١١/ ١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب، ورواه بلفظ المؤلف البغوي في «تفسيره» ٤/ ٩١.

(١٠) رواه ابن جرير ١١/ ١٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب.

وقال الكلبي: (طمأنينة لهم أن الله قد قبل منهم)[١].

وقال الفراء: (استغفر لهم؛ فإن استغفارك لهم تسكن إليه قلوبهم، وتطمئن بأن قد تاب الله عليهم)[٢].

وقوله[٣]: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بندامتهم ورجوعهم.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾ الآية، قال أهل التفسير: (لما نزلت توبة هؤلاء، قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم؟ فقال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[٤].

ومعنى صيغة الاستفهام ههنا: التنبيه على ما يجب أن يعلموا، وقوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، قال المفسرون وأهل المعاني: (معناه: يقبلها)[٥]، ولكن ذكر بلفظ الأخذ ترغيبًا في الصدقة ودعاء إليها.

قال بعض أهل[٦] المعاني: (معنى أخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي بها والمثيب عليها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان السائل يأخذها كمن أهديت إليه شيئًا فأخذه بعض من أقامه لأخذ

(١) الثعلبي ٤/ ١٤٥ ب، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٢.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥١.
(٣) من (م).
(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٦، والثعلبي ٦/ ١٤٥ ب.
(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٤٦٧، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص١٩٩، و«تأويل مشكل القرآن»، له ص٥٠٢، و«معاني القرآن الكريم» للنحاس ٢/ ٢٥١، و«تفسير الثعلبي» ٦/ ١٤٦ أ، والبغوي ٤/ ٢٩.
(٦) في (م): (أصحاب)، ولم أجد قولهم هذا فيما بين يدي من مصادر.

الهدايا كان الأخذ منسوبًا إلى المهدى إليه وإن لم يتول الأخذ بنفسه لأنه هو المقصود بتلك الهدية).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يريد: يرجع إلى من رجع إليه بالرحمة والمغفرة، قاله ابن عباس[١].

١٠٥- وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾، قال عطاء عن ابن عباس يريد: (يا معشر عبادي المحسن والمسيء[٢])[٣] ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يريد: إن الله تعالى يطلع[٤] المؤمنين على ما في قلوب إخوانهم من الخير والشر؛ إن كان خيرًا أوقع في قلوبهم لهم المحبة، وإن كان شرًا أوقع في قلوبهم لهم[٥] البغضة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لو[٦] أن رجلاً عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائنًا ما كان**»[٧] ومعنى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ سيحدث المرئي فتصح الصفة (برأى)[٨]

---

(١) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٤) في (ح): (مطلع)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط».

(٥) ساقط من (م) و(ى).

(٦) ساقط من (ح).

(٧) رواه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٨، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣١٤ وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ووراه أيضًا ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) رقم (٥٦٧٨) ١٢/ ٤٩١، وقد ضعف الحديث الشيخ الألباني، انظر: «ضعيف الجامع الصغير»، رقم (٤٨٠٢) ٥/ ٤٠، وكذلك الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «صحيح ابن حبان».

(٨) ساقط من (ح) وفي (ى): (يرى)، والمعنى: سيحدث المرئي فيرى الله ذلك، وحينئذٍ يصح وصف الله برأى فيقال: رأى الله ما حدث.

وإذا لم يحدث استحالت إذ كانت الرؤية تدل على وجود المرئي.

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: (يوقفكم على أعمالكم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء)[١]، كما[٢] قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [النجم: ٣١] الآية، ومثل هذه الآية قد تقدم في هذه السورة[٣].

١٠٦- وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، ذكرنا الكلام في معنى الإرجاء في سورة الأعراف، وهو تأخير الأمر إلى وقت، وسميت المرجئة[٤] لأنهم لا يجزمون القول بمغفرة التائب ولكن يؤخرونها[٥] إلى مشيئة الله تعالى.

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٢) من (ى).

(٣) يعني الآية: ٩٤.

(٤) المرجئة فرق شتى ومذاهب مختلفة، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة، وإذا أطلق لفظ المرجئة فالمراد بهم الصنف الأخير، وهم القائلون إن فعل الأعمال الصالحة، وترك المحظورات البدنية لا يدخل في مسمى الإيمان، وقد افترقوا في تعريف الإيمان إلى اثنتي عشرة فرقة، كما ذكر الأشعري، وذكر ابن تيمية أنهم صاروا على ثلاثة أقوال:

الأول: قول علمائهم وأئمتهم إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان.

الثاني: قول الجهمية إن الإيمان تصديق القلب فقط.

الثالث: قول الكرامية إن الإيمان قول اللسان فقط.

انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٣، و«الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ١٣٩، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٢/ ٤٧١، ١٣/ ٥٥.

(٥) في (ى): (يرجونها).

وقال الأوزاعي: (لأنهم يؤخرون[(١)] العمل من الإيمان)[(٢)]، قال ابن عباس وعامة المفسرين: (نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر: كعب بن مالك[(٣)] من بني سلمة، وهلال بن أمية الواقفي[(٤)]، ومرارة بن الربيع الزبيدي[(٥)] كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وكانوا مياسير، ثم[(٦)] لم يتسع لهم العذر كما اتسع للآخرين الذي ذكروا قبل هذا[(٧)]، ولم يبالغوا في التنصل والاعتذار كما فعل الآخرون، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] الآيات بعد خمسين ليلة[(٨)].

(١) في (ى): (لا يؤخرونها)، وهو خطأ مخالف لقول المرجئة.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (رجا) ٢/ ١٣٦٢.

(٣) هو: كعب بن مالك بن عمرو بن القين السلمي الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه وممن بايع بيعة العقبة، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم، وتوفي في خلافة علي.
انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٥٢٣، و«الإصابة» ٣/ ٣٠٢، و«تقريب التهذيب» ص٤٦١ (٥٦٤٩).

(٤) هو: هلال بن أمية بن عامر بن قيس الواقفي الأنصاري صحابي جليل، شهد بدرًا وما بعدها، وتخلف عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه.
انظر: الاستيعاب ٤/ ١٠٣، و«الإصابة» ٣/ ٦٠٦.

(٥) هو: مرارة بن الربيع الأوسي الأنصاري، من بني عمرو بن عوف، ويقال إنه حليف لهم وأصله من قضاعة، شهد بدرًا، وتخلف عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه.
انظر: «الاستيعاب» ٣/ ٤٣٩، و«الإصابة» ٣/ ٣٩٦- ٦٩٧.

(٦) ساقط من (م).

(٧) يعني الذين ربطوا أنفسهم بالسواري.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢١- ٢٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٧٨، والثعلبي ٦/ ١٤٦ أ، والبغوي ٤/ ٩٢.

ومعنى: ﴿مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: (مؤخرون ليقضي فيهم ما هو قاضٍ)[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، قال أبو إسحاق: ((إما) لأحد الشيئين، والله ﷻ عالم بما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا للعباد، خوطبوا بما يعلمون، المعنى: ليكن أمرهم عندكم على هذا أي على الخوف والرجاء)[(٢)]، فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل لهم[(٣)] عذر، وجعل آخرون يقولون: عسى الله أن يغفر لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي بما تؤول إليه حالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله بهم.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ الآية، قرأ نافع وابن عامر: (الذين) بغير واو[(٤)]، وكذلك هي في مصاحف الشام والمدينة[(٥)]، فمن ألحق[(٦)] الواو جعله معطوفًا على ما قبله من قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ [التوبة: ١٠١] [(وآخرون اعترفوا)][(٧)] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ [التوبة: ١٠٦] أي ومنهم

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢٠٣ بمعناه.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ١/ ٤٦٨ بتصرف.
(٣) في (ح): (بهم).
(٤) وكذلك قرأ أبو جعفر المدني، وقرأ الباقون بالواو، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٧، و«التبصرة في القراءات» ص٢١٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.
(٥) انظر: «كتاب المصاحف» لأبي بكر ابن أبي داود ص٤٩، و«كتاب السبعة في القراءات» ص٣١٨.
(٦) في (ح): لحق.
(٧) [التوبة: ١٠٢] وهي ساقطة من النسخة (ح).

اخرون، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ أي: ومنهم الذين اتخذوا، ومن لم يلحق الواو لم[1] يجز أن يكون (الذين) بدلًا من قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ كما تبدل المعرفة من النكرة؛ لأن أولئك غير هؤلاء الذين اتخذوا مسجدًا[2]، وإذا لم يكونوا هم لم يجز أن يبدلوا منهم، ولكن من لم يلحق الواو جاز[3] على أمرين أحدهما: أن تضمر: ومنهم الذين اتخذوا؛ كما أضمرت الحرف مع الفعل في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي فيقال لهم: أكفرتم؛ فكذلك حذف الخبر مع الحرف اللاحق له ههنا.

والثاني: أن تضمر الخبر على تقدير: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ إلى قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ منهم، وحسن حذف الخبر لطول الكلام بالمبتدأ وصلته، ومثله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥] والمعنى فيه: ينتقم منهم، أو يعذبون، ونحو ذلك مما يليق بهذا المبتدأ[4].

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير: (هؤلاء كانوا اثني[5] عشر رجلًا من المنافقين بنوا مسجدًا يضارون به مسجد قباء)[6].

---

(١) في (ح): (ولم)، وهو خطأ.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٠ الذي نقل منه هذا النص: جاز قوله على... إلخ.

(٤) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٠-٢٤١.

(٥) في (ح): (اثنا).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٢-٢٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٨، والبغوي ٤/ ٩٣، وابن الجوزي ٣/ ٤٩٩، والرازي ١٦/ ١٩٣، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤-٤٩٥.

والضرار محاولة الضر، كما أن الشقاق محاولة ما يشق، قال أبو إسحاق: (وانتصب (ضرارًا) لأنه[١] مفعول له، المعنى: اتخذوه للضرار ولما ذكر بعده، فلما حذفت اللام أفضى الفعل فنصب، قال: وجائز أن يكون مصدرًا محمولًا على المعنى [لأن معنى][٢] قوله: ﴿اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾: ضاروا به ضرارًا [٣])[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكُفْرًا﴾، قال ابن عباس: (يريد ضرارًا للمؤمنين وكفرًا بالنبي ﷺ وما جاء به)[٥].

وقال الزجاج: (لأن عناد النبي ﷺ كفر)[٦]، وقال غيره: (اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن على النبي ﷺ والإسلام)[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، قال المفسرون: (يفرقون به جماعتهم؛ لأنهم كانوا يصلون جميعًا في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيختلفوا[٨] بسبب[٩] ذلك، ويفترقوا عن النبي ﷺ،

---

(١) في (ى): (كأنه)، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) عبارة الزجاج: لأن اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارًا. أهـ. وعبارة الواحدي لا تؤدي هذا المعنى.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٨ بتصرف.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٣ دون تعيين القائل ولم أجد من عينه.

(٨) في (ح): (فيتخلفوا)، والصواب ما في (م) و(ى) وهو موافق لما في «تفسير ابن جرير» والثعلبي.

(٩) في (ى): (بشرك)، وهو خطأ.

فيؤدي إلى التحزب، واختلاف الكلمة وبطلان الألفة)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قالوا: يعني أبا عامر الراهب[٢] الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب، فلما خرج رسول الله ﷺ عاداه، وقال: لا أجد قومًا يقاتلونك[٣] إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح[٤] وابنوا لي مسجدًا فإني آتٍ من عند قيصر بجند فأخرج محمدًا وأصحابه، فبنوا هذا المسجد، وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد)[٥].

قال الزجاج: (والإرصاد: الانتظار)[٦].

وقال ابن قتيبة: (﴿وَإِرْصَادًا﴾ أي ترقبًا بالعداوة[٧])[٨]، وقال

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/ ١٤٨ أ، والبغوي ٤/ ٩٢ بمعناه.

(٢) هو: عبد عمرو ويقال عمرو بن صيفي بن مالك بن أمية الأوسي، المعروف بأبي عامر الراهب، كان في الجاهلية يذكر البعث ودين الحنيفية، فلما بُعث الرسول ﷺ عانده وحسده وخرج عن المدينة، وشهد مع قريش وقعة أحد، ثم خرج إلى الروم فمات هناك سنة تسع أو عشر. انظر: «السيرة النبوية» ٣/ ١٢، و«الإصابة» ١/ ٣٦٠- ٣٦١.

(٣) في (ى): (يقاتلونكم).

(٤) في (ى): (السلاح).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٤، والبغوي ٤/ ٩٤، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٨.

(٧) في (ى): (للعداوة)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٨) «تفسير غريب القرآن» ص١٩٩.

الأكثرون: (الإرصاد: الإعداد)[١]، روى أبو عبيد عن الأصمعي والكسائي: (رصدت فلانا أرصده: إذا ترقبته، وأرصدت له شيئًا أرصده: إذا أعددت له)[٢]، قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[٣]

وقال الليث: (يقال أنا لك مُرصد بإحسانك حتى أكافئك به)[٤]، قال: (والإرصاد في المكافأة بالخير)[٥]، وقال ابن الأعرابي: (أرصدت في الخير والشر جميعًا بالألف)[٦].

[وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني من قبل بناء مسجد الضرار][٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ليحلفن ما أردنا ببنائه إلا الفعلة الحسنى، وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن المصير إلى مسجد رسول الله ﷺ [وذلك أنهم قالوا لرسول الله

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/١٤٨ أ، والبغوي ٤/ ٩٤، والزمخشري ٢/ ٢١٤، و«المفردات في غريب القرآن» (رصد) ص١٩٦، و«تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٤.

(٢) «تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٣.

(٣) البيتان في ديوان أعشى قيس ص٤٦ من قصيدة طويلة يمدح بها النبي ﷺ ويذكر بعض أساسيات الدين، ومعالم الأخلاق.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «تهذيب اللغة» (رصد) ٢/ ١٤١٤، والنصان في كتاب: العين (رصد) ٧/ ٩٦.

(٦) «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٥٣ بنحوه.

(٧) ما ين المعقوفين ساقط من (ى).

ﷺ][1]: إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، قال الزجاج: (أطلع الله نبيه ﷺ على طويتهم وعلى أنهم سيحلفون كاذبين)[3].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية، قال المفسرون: (إن أهل مسجد الضرار قالوا للنبي ﷺ: إنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة، فنهاه الله عن ذلك، وقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[4]، قال ابن عباس وغيره: (يريد لا تصل فيه أبدًا)[5].

ثم بين أي المسجدين أحق بالقيام فيه، فقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ اللام تأكيد للقسم، كأنه قيل: والله لمسجد أسس، أي[6] بنيت حدوده ورفعت من قواعده، هذا معنى التأسيس، والتقوى: خصلة من الطاعة يحذر بها العقوبة، ثعلب عن ابن الأعرابي: (التقاة والتقية والتقوى والاتقاء: كله واحد)[7]، والتقوى اسم، وموضع التاء واو وهي (فَعْلى) من

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى).

(٢) رواه ابن إسحاق وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٥، وانظر: «السيرة النبوية» ٤/ ١٨٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

(٤) رواه عن ابن عباس بنحوه ابن جرير ١١/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨١، وانظر «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٤- ٤٩٥.

(٥) رواه البغوي ٤/ ٩٥، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٠.

(٦) في (ى): (أو بني أو بنيت)، وهو خطأ.

(٧) «تهذيب اللغة» (تقي) ١/ ٤٤٣.

وقيت مثل (شروى) من شريت وهذا مما قد تقدم الكلام فيه، قال ابن عباس: (أسس على التقوى: بني على الطاعة، وبناه المتقون الموحدون)[١]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ (من) ههنا: تدل على البداية؛ لأنها نقيضة (إلى) كقولك من كذا إلى كذا، قال زهير:

لـمـن الـديـار بـقُـنَّـة الـحِـجْـر[٢] أقـويـن مـن حِـجَـج ومـن شَـهْـر[٣]

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ معناه أول الأيام إذا ميزت يومًا يومًا، كما تقول: أعطيت كل رجل في الدار، أي كل الرجال إذا ميزوا رجلًا رجلًا[٤].

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾، قال الزجاج: (أن) في موضع نصب، المعنى: أحق بأن تقوم فيه)[٥]، وهذا كما قلنا في قوله: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ﴾

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤ مختصرًا.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) البيت مطلع قصيدة في «شرح ديوان زهير» ص٨٦، ونسب إليه أيضًا في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٠، و«خزانة الأدب» ٩/ ٤٤٣.

والقنة: الجبل الصغير الذي ليس بمنتشر، أو الجبل السهل المنبسط على الأرض. وأقوين: خلون من السكان. وقوله: من شهر: أراد: من شهور، ورواية ثعلب: ومن دهر. والحجر: بكسر الحاء، موضع، والمعروف بهذا الاسم منازل ثمود، أما بفتح الحاء فهي مدينة اليمامة. انظر: «شرح الديوان» و«خزانة الأدب»، نفس الموضعين السابقين، و«لسان العرب» (قنن).

(٤) ذكر ابن جرير معنيين لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ فقال: (من أول يوم): ابتدئ في بنائه.. وقيل: معنى قوله (من أول يوم) مبدأ أول يوم، كما تقول العرب: لم أره من يوم كذا، بمعنى: مبدؤه، و(من أول يوم) يراد به: من أول الأيام، كقول القائل: (لقيت كل رجل)، بمعنى (كل الرجال). «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦.

(٥) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

[التوبة: ٩٧] فإن قيل لم قال: ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ مع أنه لا يجوز قيامه في الآخر؟ قيل: للمظاهرة في الحجة بأنه لو كان من الحق الذي يجوز لكان هذا أحق.

واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال ابن عُمر، وزيد ابن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وابن المسيب: هو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة)[١]. وروي ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**هو مسجدي**» رواه الخدري[٢] وأُبي بن كعب[٣]، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وقال في رواية الوالبي والعوفي: هو مسجد قباء[٤]، وهو قول الحسن[٥] وابن زيد[٦] وعروة بن الزبير[٧] واختيار الزجاج[٨].

---

(١) انظر آثارهم في «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٦-٢٧، والثعلبي ٦/ ١٤٨/ب، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٦.

(٢) رواه عنه مسلم (١٣٩٨)، كتاب: الحج، باب: بيان أن المسجد الذي أسس..الخ، والترمذي (٣٠٩٩)، كتاب: تفسير القرآن، والنسائي في «سننه»، كتاب: المساجد، ذكر المسجد الذي أسس على التقوى ٢/ ٣٦،وأحمد في المسند ٣/ ٨.

(٣) رواه عنه أحمد في «المسند» ٥/ ١١٦، وابن جرير ١١/ ٢٨، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والخطيب والضياء في «المختارة» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٤٩٦.

(٤) أخرج رواية الوالبي، ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٢٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٨٨٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٦٢، وأخرج رواية العوفي، ابن جرير ١١/ ٢٧، والثعلبي ٦/ ١٤٩/أ، والبغوي ٤/ ٩٦.

(٥) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٦٨، و«البحر المحيط» ٥/ ٩٧.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٢٨، والثعلبي ٦/ ١٤٩/أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٢.

(٧) انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد الأنصار)[(١)]، ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾، قال الحسن: (أي من الذنوب)[(٢)]، وقال ابن عباس والكلبي وغيرهما: (يعني غسل الأدبار بالماء)[(٣)]، ويروى أن رسول الله ﷺ أتاهم وهم في مسجدهم فقال: «**إن الله قد أحسن الثناء عليكم في طهوركم فبم تتطهرون؟**» فقالوا: نغسل أثر الغائط بالماء، فقال النبي ﷺ «**دوموا عليه**»[(٤)].

قال المفسرون: (كان من عادة هؤلاء في الاستنجاء [استعمال الأحجار ثم الماء بعدها وهو الأكمل والأفضل في باب الاستنجاء)[(٥)]][(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: من الشرك والنفاق والأنجاس، قالوا: فلما نزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ أصحابه[(٧)] فقال: «**انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأحرقوه واهدموه**»[(٨)] ففعلوا ذلك، وأمر أن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٦٨.

(٣) رواه عن ابن عباس، الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٤، ورواه عن الكلبي، الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٤٩ ب،وانظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٥، و«تفسير البغوي» ٤/ ٩٦، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٧.

(٤) رواه بنحوه ابن ماجه في (٣٥٤)، في الطهارة، باب: الاستنجاء بالماء، وأحمد ٣/ ٤٢٢، والحاكم في «المستدرك»، في الطهارة ١/ ١٥٥ وصححه، ووافقه الذهبي،وقال الألباني: صحيح باعتبار شواهده. انظر: «إرواء الغليل» ١/ ٨٥.

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٤ بغير سند.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) من (ى).

(٨) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٢٣، والثعلبي ٦/ ١٤٧ ب، والبغوي ٤/ ٩٤، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ١٨٥، و«الدر المنثور» ٣/ ٤٩٥.

يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف[١].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ الآية، البنيان: مصدر كالغفران، يراد به المبني ههنا، نحو ضرب الأمير ونسج اليمن، قال أبو زيد: (يقال بنى يبنى بنيًا وبناءً وبنية وبنيانًا، وأنشد:

بنى السماء فسواها ببنيتها ولم تُمد بأطناب ولا عُمُد[٢][٣]

وجمع البنية: بنى، ويجوز أن يكون البنيان جمع بنيانة إذا جعلته اسمًا؛ لأنهم قد قالوا: بنيانة في الواحد، قال الشاعر[٤]:

كبنيانة القريي موضع رحلها وآثار نسعيها من الدف أبلق[٥]

وقرأ نافع وابن عامر (أُسِّس) بضم الألف، (بنيانُه) رفعًا[٦]، فمن قرأ

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» والبغوي، الموضعين السابقين.

(٢) لم أهتد إلى قائله، وهو في المصدر التالي بلا نسبة.

(٣) انظر قول أبي زيد في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢١٩.

(٤) من (م).

(٥) البيت لكعب بن زهير كما في ديوان أبيه زهير بشرح ثعلب ٢٥٧ من قصيدة مشتركة بينهما، وليس في ديوان كعب، و«الأغاني» ١٧/ ٨٩، و«البحر المحيط» ٥/ ١٠٣، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٨٤ بلفظ: القارى، ونسبه الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢١٩، و«إيضاح الشعر» ص٣٤٣ إلى أوس بن حجر، وليس في ديوانه .
والقريي: ساكن القرية، والدف: الجنب، والنسع: سير تشد به الرحال، والأبلق: الأبيض في سواد.
والشاعر يصف دابته، ويشبهها ببنيان القرية. انظر: «شرح الديوان»، الموضع السابق، و«لسان العرب» (نسع) و(بلق).

(٦) وقرأ الباقون (أسس) بفتح الألف والسين (بنيانه) بنصب النون. انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٧، و«إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تقريب النشر» ص١٢١.

بفتح الألف بنى الفعل للفاعل[١] الباني[٢] والمؤسس، فأسند الفعل إليه، كما أضاف البنيان إليه في قوله (بنيانه) وكما أن المصدر مضاف إلى الفاعل كذلك الفعل يكون[٣] مبنيًا له، ويدل على ترجيح هذا الوجه اتفاقهم على قوله: ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾، ومن بنى الفعل للمفعول لم يبعد أن يكون في المعنى كالأول؛ لأنه إذا أسس بنيانه فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنيانه[٤] هو له، والقراءة الأولى أرجح[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾، قال ابن عباس: (يريد مخافة من الله، ورجاء ثوابه ورضوانه)[٦]، يريد أنهم طلبوا مرضاة الله في بنيانه[٧].

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ قال الحسن: (هذا مثل لنفاقهم، أي مثلهم كمثل من أسس بنيانه على سهل وتراب ليس له أصل، فانهار ولم يثبت[٨] البناء)[٩].

---

(١) في (م): (للفعل)، وهو خطأ.
(٢) في (ح): (الثا)، وفي (م): (الثاني)، وكلاهما خطأ.
(٣) ساقط من (ح) وفي (م): (يكون الفعل مبنيًا).
(٤) في (ح) و(ى): (كبنائه).
(٥) لعله يعني من حيث المعنى، وقد قال ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٣٢: (وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى (من) إذ كان هو المؤسس أعجب إلي).
(٦) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.
(٧) في (ح) و(ى): (بنائه).
(٨) في (ى) و(م): (لم يلبث)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.
(٩) ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٦٩ بنحوه.

وقال أبو إسحاق: (المعنى أن من أُسس بنيانه على التقوى خير ممن أُسس بنيانه على الكفر، وهذا مَثَل، المعنى: إن بناء هذا المسجد الذي بني ضرارًا كبناءٍ على جرف جهنم تتهور بأهلها فيها)[١].

قال ابن عباس في قوله: (﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، يريد: صيرهم النفاق إلى النار[٢].

وشرح أبو علي الفارسي هذه الآية أبلغ شرح فقال: (يجوز أن تكون المعادلة وقعت بين البانئين ويجوز أن يكون بين البناءين، فإذا عادلت بين البانئين كان المعنى: المؤسس بنيانه متقيًا خير أم المؤسس بنيانه غير متق؟ لأن قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ يدل على أن بانيه غير متق لله، ولا خاش له، وإن عادلت بين البناءين قدرت حذف المضاف كأنه قيل: أبناء من[٣] أسس بنيانه متقيًا خير أم بناء من أسس بنيانه على شفا جرف[٤]؟ والبنيان يراد به المبني لأنه إنما يؤسس المبني، والجار من قوله: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره: أفمن أسس بنيانه متقيًا، وكذلك قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ لأن معناه غير متق، أو معاقبًا على بنائه)[٥].

---

(١) جمع المؤلف بين قولين للزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠.

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ٩٧.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (جرف هار)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٥) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣ باختصار، ونصب قوله (أو معاقبًا) بناء على أنه حال، والجملة مقدرة، ونص عبارة أبي علي: (والمعنى: أمن أسس بنيانه غير متق، أو: من أسس بنيانه معاقبًا على بنائه).

قال أبو عبيدة: (الشفا: هو الشفير)[(١)]، وشفا الشيء: حرفه، ومنه يقال: أشفى على كذا: إذا دنا منه، والجرف: ما ينجرف بالسيول من الأودية، وهو جانبها الذي ينحفر بالماء أصله، فيبقى واهيًا، قال شِمْر (يقال: جُرْف وأجراف وجُرْفَةٌ وهي المهواة)[(٢)]، وأصله من الجرف والاجتراف، وهو اقتلاع الشيء من أصله، فالجرف ما جرفه السيل، ويقرأ (جُرْفٍ) و﴿جُرُفٍ﴾ مخففًا ومثقلًا[(٣)] وهما لغتان كالشُغْل والشُغُل والعُنْق والعُنُق.

وقوله تعالى: ﴿هَارٍ﴾، قال الليث: (الهور: مصدر هار [الجرف يهور إذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد مكانه وهو[(٤)] جرف هار][(٥)] هائر، فإذا سقط فقد انهار وتهور)[(٦)]

[وقال الزجاج: (هار: هائر][(٧)] وهذا من المقلوب، كما قالوا: لاث الشيء به إذا دار[(٨)]، فهو لاثٍ، والأصل لائث)[(٩)].

---

(١) أهـ. كلام أبي عبيدة، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٦٩.
(٢) أهـ. كلام شمر، انظر: «تهذيب اللغة» (جرف) ١/ ٥٨٥.
(٣) قرأ ابن عامر وحمزة وخلف وأبو بكر عن عاصم (جرف) بإسكان الراء، والباقون بضمها. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٨، وكتاب «إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تحبير التيسير» ص١٢١.
(٤) هكذا، وكذلك هو في «تهذيب اللغة»، وفي كتاب «العين» (فهو) وهو أليق بالسياق.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٦) «تهذيب اللغة» (هور) ٤/ ٣٦٩١، والنص في كتاب «العين» (هور) ٤/ ٨٢.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٨) في (ح): (أراد)، وهو خطأ.
(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠.

قال أبو علي: (الهمزة من[1] (هائر) منقلبة عن الواو؛ لأنهم قد قالوا: تهور البناء: إذا تساقط وتداعى، وتهور الليل: إذا مضى أكثره، وهذا في الليل كالمثل والتشبيه بالبناء، ويجوز في العين إذا قلبت همزة في هذا النحو ضربان، أحدهما: أن يُعل بالحذف كما أعل بالقلب، فيقال هار[2] وشاك السلاح، والآخر أن يُعلّ بقلبها إلى موضع اللام فيصير في التقدير: (فالع)، ويجوز في قوله:

خيلان من قومي ومن أعدائهم   خفضوا أسنتهم فكلٌّ ناعي[3]

أن يكون مقلوبا من النائع الذي يراد به العطشان، من قوله:

والأسَلَ النياعا[4][5]

أي العطاش إلى دماء من يغزون[6]، ويجوز أن يكون من قولك: نعى ينعى، وهو أن تقول: يالثارات فلان، ويجوز في (هار) أن يكون على قول من حذف. فيقال: جرف هارٌ، وفي محل الخفض: جرفٍ[7] هارٍ، ووزنه

---

(١) في (ى): (في)، والمثبت موافق للمصدر التالي.

(٢) كررت في (ح).

(٣) البيت للأجدع بن مالك الهمداني كما في «اللسان» (نوع) ٨/ ٤٥٧٩ و(نعا) ٨/ ٤٤٨٦، و«الأصمعيات» ص٦٩، و«التنبيه» للبكري ص٢٥.

(٤) في (ى): (النياعيا).

(٥) البيت بتمامه:

لعمر بني شهاب ما أقاموا   صدور الخيل والأسل النياعا

وهو للقطامي كما في «المخصص» ١٤/ ٣٥، و«لسان العرب» (نوع) ٨/ ٤٥٧٩ أو لدريد بن الصمة كما في «الصحاح» (نوع) ٣/ ١٢٩٤. والأسل: أطراف الأسنة.

(٦) في (ح): (لا يغزون)، وهو خطأ.

(٧) ساقط من (ى).

من (الفعل) (فال) لأن العين محذوفة[١]، ويجوز أن يكون على القلب، كأنه هاري، فإذا دخل التنوين سقط الياء لالتقاء الساكنين نحو قاضٍ ورامٍ، قال الأخفش: (ويقال هار يهار، مثل خاف يخاف)[٢].

وقرئ[٣] (هار) بالإمالة[٤]، وهي حسنة لما في الراء من التكرير، فكأنك قد لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الانهيار والانهيال متقاربان في المعنى كما تقاربا في اللفظ، قال الشاعر[٥]:

كمثل هيل نقًا طاف الوليد به ينهار حينًا وينهاه الثرى حينا

وفاعل (انهار): البنيان، والكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى الباني أي انهار البنيان بالباني ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنه معصية وفعل لما كرهه الله من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، وهذه الآية بيان عما يوجبه تأسيس البنيان

---

(١) ما بين العلامتين ليس من كلام أبي علي في «الحجة».

(٢) أهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٢٥-٢٢٧ باختصار وتصرف، ولم أجد كلام الأخفش في كتابه «معاني القرآن».

(٣) في (ى): (ويقال).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويحيى عن أبي بكر عن عاصم، وقالون عن نافع، والداجوني عن ابن عامر. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٩، و«إرشاد المبتدي» ص٣٥٦، و«تحبير التيسير» ص١٢١.

(٥) هو: تميم بن أُبي بن مقبل، والبيت في «ديوانه» ص٣٢٦، و«الشعر والشعراء» ص٢٩٩، ورواية البيت فيهما:

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ينهال حينًا وينهاه الثرى حينًا

وانظر: البيت بلا نسبة بمثل رواية المؤلف في «الحجة» ٤/ ٢٢٩.

والشاعر يصف نسوة كما في «الشعر والشعراء»، الموضع السابق، والنقا: الكثيب من الرمل. انظر: «لسان العرب» (نقا) ٨/ ٤٥٣٢.

على التقوى من الله والرضوان من أن صاحبه هو الأفضل، مما يجب له من ثواب الله وكرامته، خلاف من أسسه على الفساد، فكان كمن بنى على شفير النار، قال أبو إسحاق: (وفي هذا دليل على أن جهنم في الأرض؛ لأن البناء إنما ينهار إلى أسفل)(١).

١١٠- قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، ذكرنا الكلام في ﴿لَا يَزَالُ﴾ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾

---

(١) لم أجد من ذكر هذا القول، ولم يتبين لي من أبو إسحاق هذا، ويبعد أن يكون الزجاج؛ لأنه يرى الانهيار المذكور من باب التمثيل حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: وهذا مثل، المعنى: (أن بناء هذا المسجد الذي بني ضرارًا وكفرًا كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها). «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠، كما يبعد أن يكون أبا إسحاق الثعلبي؛ لأنه فسر الآية بمثل تفسير الزجاج فقال: (هذا مثل لضعف نياتهم وقلة بصيرتهم في عملهم)، «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ أ وإلى مثل قولهما ذهب كثير من المفسرين كابن جرير ١١/ ٣٢، والسمرقندي ٢/ ٧٥، والزمخشري ٢/ ٢١٥، وذهب بعض المفسرين إلى ظاهر اللفظ، قال القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٦٥: اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ هل ذلك حقيقة أو مجاز على قولين:
الأول: أن ذلك حقيقة، وأن النبي ﷺ إذ أرسل إليه فهدم رؤي الدخان يخرج منه، من رواية سعيد بن جبير، وقال بعضهم: (كان الرجل يدخل فيه سعفة من سعف النخل فيخرجها سوداء محترقة)، وذكر أهل التفسير أنه كان يحفر ذلك الموضع الذي انهار فيخرج منه دخان، وروى عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود أنه قال: (جهنم في الأرض ثم تلا ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وقال جابر ابن عبد الله: (أنا رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله ﷺ).
والثاني: أن ذلك مجاز، والمعنى: صار البناء في نار جهنم فكأنه انهار إليه، وهوى فيه، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]، والظاهر الأول؛ إذ لا إحالة في ذلك، والله أعلم.

[البقرة: ٢١٧][1].

وقوله تعالى: ﴿بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ هو مصدر يراد به المفعول، وإذا كان كذلك كان المضاف محذوفًا تقديره: لا يزال بناء[2] المبني الذي بنوه ريبة، ومعنى: ﴿ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ مع قوله: ﴿بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ يبين معنى ذلك البناء، إذ قد يجوز أن يراد به المستقبل لو لم يوصف بالماضي، وقوله تعالى: ﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ الريبة والريب: الشك، قال ابن عباس: (يريد شكًا في قلوبهم، كما قال في سورة البقرة لأهل العجل: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣])[3] وهذا قول ابن زيد[4] والضحاك[5].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، قال ابن عباس: (يريد الموت)[6]، وقال الضحاك: (يقول: لا يزالون في شك منه إلى

---

(١) انظر: النسخة الأزهرية ١/ ١٣٢ أ وقد قال في هذا الموضع: (وقوله تعالى: (ولا يزالون) يعني مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له يقال: ما يزال يفعل كذا أو لا يزال، ولا يقال منه فاعل ولا مفعول، ومثله من الأفعال كثير.. ومعنى (لا يزالون): أي يدومون، وكأن هذا مأخوذ من قولهم: زال عن الشيء، أي تركه، فقولك: ما زال يفعل كذا، أي لم يتركه).

(٢) في (ح): (بنيان).

(٣) رواه بنحوه الثعلبي ٦/ ١٥٠ أ، والبغوي ٤/ ٩٧، ورواه مختصرًا من رواية علي بن أبي طلحة الوالبي الإمام ابن جرير ١١/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٦٢.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٤.

(٥) ذكره مختصرًا الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٤٠٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٥، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٦٦، وأشار إليه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٦٢.

الموت)[١]، ونحو هذا قال مجاهد وقتادة: (إلى الممات)[٢]، وقال أبو عمرو: (معناه حتى يموتوا فيستيقنوا)[٣]، هذا الذي ذكرنا قول المفسرين، ومعنى الآية على ما قالوا: إن الريبة في التردد هي المعنى بالحيرة، يقول: لا يزالون شاكين مترددين في الحيرة، يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين، كما حُبب[٤] العجل إلى قوم موسى، قال أبو علي: (والمعنى: لا يخلص لهم إيمان ولا ينزعون[٥] عن النفاق، ولا تثلج قلوبهم بالإيمان أبدًا، ولا يندمون على الخطيئة التي كانت منهم في بناء المسجد)[٦]، قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون الله -جل وعز- جعل عقوبتهم أن ألزمهم الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ)[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن﴾ (إلا) ههنا بمعنى (حتى) لأنها استثناء من الزمان المستقبل، والاستثناء منه منتهي إليه، فاجتمعت مع (حتى) في هذا الموضع على هذا المعنى، وموضع (أن) نصب، وفي ﴿تُقَطَّعَ﴾ قراءتان: ضم التاء[٨]، ومعناه: إلا أن تبلى وتتفتت قلوبهم بالموت، وقرأ حمزة وابن

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٥٠ ب، والبغوي ٤/ ٩٧، وأشار إليه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٢) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٣٣.

(٣) لم أجد من ذكره، ولم يتبين لي من أبو عمرو هذا، والقول في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب منسوبًا لقتادة والضحاك.

(٤) في (ح): (تحبب)، وهو خطأ.

(٥) في (ى): (يرجعون)، والمثبت موافق للمصدر التالي.

(٦) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٠ باختصار.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٠.

(٨) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو والكسائي، وأبي بكر عن عاصم، وخلف. انظر: «كتاب السبعة» ص٣١٩، و«تقريب النشر» ١٢١، و«إتحاف فضلاء البشر» ٢٤٥.

عامر ﴿تَقَطع﴾ بفتح التاء[١]، بمعنى تتقطع، ومعنى هذه القراءة كمعنى القراءة الأولى؛ إلا أن الفعل أسند إلى القلوب لمّا[٢] كانت هي البالية المتقطعة، وهذا مثل: مات زيد، ومرض عمرو، وسقط الحائط، ونحو ذلك مما يسند الفعل فيه إلى من حدث فيه، وإن لم يكن له، ويدل على صحة ما قلنا إن معنى (إلا) ههنا: الغاية، ما روي أن في حرف أُبيٍّ: (حتى الممات)[٣] وهذا يدل على أنهم يموتون على نفاقهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان، وأخذوا به من الكفر، وفي قراءة الحسن (إلى أن)[٤] مخففة بمعنى حتى، وهو اختيار أبي حاتم ويعقوب[٥][٦]، هذا الذي ذكرنا مذهب عامة المفسرين وقول أصحاب المعاني[٧]، وفي الآية قول آخر زعم المبرد أن الآية على تقدير حذف

---

(١) وهي كذلك قراءة أبي جعفر ويعقوب، وحفص عن عاصم. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٢) في (ى): (وما)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣١، و«البحر المحيط» ٥/ ١٠١، وهي قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف.

(٤) «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥٢، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٣-٣٤.

(٥) هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي مولاهم، أبو محمد البصري، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، كان عالمًا بالعربية ووجوهها، والقراءات واختلافاتها، فاضلًا نقيًا تقيًا، توفي سنة ٢٠٥هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٥٧، و«غاية النهاية في طبقات القراء» ٢/ ٣٨٦.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، و«تقريب النشر» ص١٢١، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥٢، وللزجاج ٢/ ٤٧١، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٤- ٣٥، والبغوي ٤/ ٩٧، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٠.

المضاف كأنه قيل لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة، أي: حزازة وغيظًا في قلوبهم منكم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفريطهم[١]، وهذا قول السدي[٢] وحبيب بن أبي ثابت[٣][٤].

والقول هو الأول[٥]، والآية بيان عما يوجبه البناء على الفساد من كون القلب على الريبة الموجبة للحيرة، حتى تتقطع حسرة حين لا تنفع الندامة، ولا يمكن استدراك الخطيئة، أو حتى تنقطع بالموت، فحينئذ يستيقن أنه كان مسيئًا بما فعل من النفاق، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (يريد بخلقه، الصادق منهم والشاك ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما جعل للصادقين من الثواب، وللكاذبين[٦] من العقاب)[٧].

---

(١) انظر قول المبرد في: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٣، ولم أجده فيما بين يدي من كتب المبرد.

(٢) رواه الثعلبي ٦/ ١٥٠ أ، والبغوي ٤/ ٩٧، ورواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٣٤.

(٣) هو: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي مولاهم، أبو يحيى الكوفي، تابعي ثقة فقيه جليل، وكان مفتي الكوفة، وتوفي سنة ١١٩هـ.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ١١٦، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٣٤٧، و«تقريب التهذيب» ص١٥٠ (١٠٨٤).

(٤) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٠ ب، ورواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٣٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٥.

(٥) يعني القول بأن معنى (تقطع قلوبهم) أي يموتوا، وقد رواه ابن جرير ١١/ ٣٣-٣٥ عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة، وعن مجاهد وقتادة وحبيب بن أبي ثابت وابن زيد.

(٦) في (ى): (للكافرين).

(٧) لم أقف عليه.

١١١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾ الآية، قال القرظي: (لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة، وهم سبعون نفسًا، قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم**» قالوا فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال: (الجنة) قالوا ربح البيع لا نقيل[1] ولا نستقيل فنزلت هذه الآية)[2]، قال مجاهد ومقاتل[3]: ثامنهم[4] فأغلى ثمنهم)[5].

قال أبو إسحاق: (وهذا مثل، كما قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦])[6].

---

(١) ساقط من (ى). ومعنى لا نقيل ولا نستقيل: لا نفسخ البيعة ولا نطلب فسخها، يقال: أقاله يقيله إقالة، وتقايلا: إذا فسخا البيع، وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري. انظر: «لسان العرب» (قيل) ٦/ ٣٧٩٨.

(٢) رواه ابن جرير ١١-٣٥-٣٦، والثعلبي ٦/ ١٥٠ ب، والبغوي ٤/ ٩٨، ورواه عن جابر بنحوه مطولًا أحمد في «المسند» ٣/ ٢٢٢، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٢٤، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) أي قرر معهم ثمنه، يقال: ثامنت الرجل في المبيع أثامنه إذا قاولته في ثمنه وساومته على بيعه واشترائه. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ثمن) ١/ ٢٢٣.

(٥) ذكره عنهما الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٩ ومقاتل هذا يبدو أنه ابن حيان إذ لم أجد هذا القول في تفسير مقاتل بن سليمان، وعندي شك في صحة نسبته إلى مجاهد، إذ أن المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٦، وغيره من المفسرين ذكروه عن قتادة، انظر مثلًا: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٥، والثعلبي ٦/ ١٥١ أ، والبغوي ٤/ ٩٨، وابن الجوزي ٣/ ٥٠٤، وابن كثير ٢/ ٤٣٠، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.

قال أهل المعاني: (لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة[١]؛ لأن المشتري إنما[٢] يشتري ما لا يملك، لكن هذا أجري -لحسن المعاملة والتلطف في الدعاء إلى الطاعة- مجرى ما لا يملكه[٣] المعامل فيه)[٤]، وحقيقة هذا أن المؤمن متى ما قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه، أو أنفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاءً لما فعل، فجعل هذا استبدالًا واشتراء، هذا معنى قوله: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، قال ابن عباس: (يريد بالجنة)[٥]، وكذا قرأه عمر بن الخطاب والأعمش[٦].

قال الحسن: (اسمعوا والله بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن، والله ما على الأرض مؤمن إلا وقد دخل في هذه البيعة)[٧].

وقال الصادق[٨]: (ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا

---

(١) في (ح) و(ى): (بالحقيقة).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ح): (يمكنه)، وفي (ى): (يملك).

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ١٩٩، والخازن في «تفسيره» ٢/ ٢٦٤ عن أهل المعاني. وانظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٥٠، و«تفسير القرطبي» ٨/ ٢٦٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٣٥، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٥، وهو من طريق علي بن أبي طلحة.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥١ أ، والبغوي ٤/ ٩٨، وهي قراءة شاذة ولم يذكرها ابن خالويه ولا ابن جني.

(٧) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، والثعلبي ٦/ ١٥١ أ، ورواه البغوي ٤/ ٩٨ مختصرًا.

(٨) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بالصادق.

بها)[١].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وَأَمْوَٰلَهُم﴾: (يريد التي ينفقونها في سبيل الله، وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالاتهم[٢] فتفنى، اشترى[٣] الجنة التي لا تفنى ولا تبيد ولا تذهب)[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، قال ابن عباس: (فيقتلون عدو الله ويقتلون في طاعتي ومحبتي)[٥]، هذه قراءة العامة قدموا الفعل[٦] المسند إلى الفاعل على المسند إلى المفعول؛ لأنهم يَقتُلون أولًا ثم يُقتلون، وقرأ حمزة والكسائي (فيُقتَلون ويَقتُلون) على تقديم الفعل المسند إلى المفعول به على المسند إلى الفاعل[٧]، وله وجهان: أحدهما: أن هذا في المعنى كالذي تقدم؛ لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم، والثاني: أن معنى قوله (يَقتُلون) بعد قوله (يُقتَلون) أي من بقي منهم بعد قتل من قتل، كما أن قوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، أي ما وهن من بقي منهم.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥١ أ، والرازي: ١٦/ ١٩٩.

(٢) كذا، والمعروف في جمع العيال: عيائل. انظر: «لسان العرب» (عول) ٥/ ٣١٧٦.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والجملة غير متناسقة مع ما قبلها، ولعل الصواب: اشتروا بها الجنة.. الخ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٦، ونحوه في «تنوير المقباس» ص٢٠٤.

(٦) من (م).

(٧) قرأ حمزة والكسائي وخلف (فيُقتَلون ويَقتُلون) ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، وقرأ الباقون ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٥٧، و«تقريب النشر» ص١٠٣، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [قال أبو إسحاق: (نصب ﴿وَعْدًا﴾ للمعني؛ لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ وعدهم الجنة)[١]، وقوله: ﴿حَقًّا﴾][٢]، قال ابن عباس: (لأن مالهم من الله لا خلف فيه[٣])[٤].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾، قال الزجاج: (هذا يدل على أن كل أهل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة)[٥].

وقال ابن عباس: (يريد شهدت لهم بهذه الشهادة وهذا الثواب في التوراة والإنجيل والقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ)[٦]، والمعنى أن الله تعالى بين في الكتابين أنه اشترى من أمة محمد ﷺ أنفسهم وأموالهم بالجنة، كما بين في القرآن، والقول هذا[٧]، لا ما قاله أبو إسحاق.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: (يريد بوعده)[٨]، وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله تعالى.

١١٢- قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾، قال الفراء: (استؤنفت بالرفع لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام، فحسن الاستئناف)[٩]، وقال صاحب النظم:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٣) في (ى): (له).
(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) وهو ما ذهب إليه أيضًا ابن جرير ١١/ ٣٥، والبغوي ٤/ ٩٨.
(٨) «تنوير المقباس» ص٢٠٤ بمعناه.
(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٣.

(زعم بعضهم أن قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ منظوم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على النعت للمؤمنين، وإنما رفع كما رفع قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النبأ: ٣٦، ٣٧][١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [المزمل: ٨، ٩][٢]، وذكر أبو إسحاق في رفع قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ وجوهًا: **أحدها**: المدح كأنه قال: هؤلاء التائبون، أو هم التائبون.

والثاني: أن يكون على البدل، المعنى يقاتل التائبون، قال: وهذا مذهب أهل اللغة[٣]، والذي عندي أن قوله ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع بالابتداء وخبره مضمر، المعنى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى آخر الآية: لهم الجنة أيضًا، أي: من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة أيضًا)[٤]، وهذا الذي اختاره أبو إسحاق وجه حسن لأنه وعدٌ لجميع المؤمنين بالجنة، وإذا جعل

---

(١) وقد قرأ الكوفيون ويعقوب وابن عامر (رب السموات) بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «كتاب السبعة» ص٦٦٩، و«تحبير التيسير» ص١٩٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٤٣١.

(٢) وقد قرأ ابن عامر وحمزة الكسائي ويعقوب وخلف وأبو بكر عن عاصم (رب السموات) بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «كتاب السبعة» ص٦٥٨، و«تحبير التيسير» ص١٩٤، و«الإتحاف» ص٤٢٦.

(٣) لم أجد من اعتمد هذا المذهب دون غيره، بل قال النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٤٣: (التائبون) رفع على إضمار مبتدأ عند أكثر النحويين، أي: (هم التائبون)، وهذا ما اعتمده أبو البقاء العكبري في «التبيان» ص٤٣١، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٣٠٥، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢١٦، وقد ذكر المذهب المذكور بصيغة التمريض (قيل) الزمخشري في الموضع السابق، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧١.

قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ تابعًا لأول الكلام كان الوعد بالجنة خاصًا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات(١).

وأما التفسير فقال ابن عباس في قوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾ يريد: (الراجعون عن الشرك)(٢)، وقال قتادة: (التائبون من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام)(٣)، وقال الزجاج: (الذين تابوا من الكفر)(٤).

وقال أهل المعاني: (كل من أخلص هذه الصفات مما يحبطها استحق إطلاق هذه الأوصاف عليه)(٥).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم)(٦).

وقال الزجاج: (الذين عبدوا الله وحده)(٧)، وهو معنى قول الكلبي:

---

(١) هذا التعليل فيه نظر؛ إذ إن تخصيص المجاهدين بالوعد في موضع لا يعني عدم شمول غيرهم في مواضع أخرى، وإلا فقد خص الله المجاهدين بالوعد بالجنة في قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ثم إن السياق يدل على أن المحذوف هو المبتدأ وليس الخبر.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٣٦، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره عنه الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٣، وبمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٥.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(الذين أخلصوا لله العبادة)[١]، وقال الحسن: (هم الذين عبدوا الله باتباع أمره)[٢].

وقوله تعالى: ﴿الْحَامِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: الله[٣] على كل حال)[٤]، ﴿السَّائِحُونَ﴾، قال عامة المفسرين: (الصائمون)[٥]، قال الوالبي عن ابن عباس: (كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام)[٦]، وقال النبي ﷺ: «**سياحة أمتي الصيام**»[٧]. وروى معمر[٨] عن الحسن قال:

---

(١) ذكره بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٥، عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو سند تفسير الكلبي.

(٢) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٨، وابن المنذر وابن أبي شيبة وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٣) في (م) و(ى): (لله)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط»، والمراد: الحامدون الله.

(٤) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٢٧ دون نسبة.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٣٧-٣٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٩- ١٨٩٠، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣- ٥٠٤.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٠، والبغوي ٤/ ٩٩.

(٧) لم أجده بهذا اللفظ عند أئمة الرواية، وقد ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٠٣ والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٠، ورواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٣٩ موقوفًا على عائشة، وفي سنده إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك الحديث كما في «تقريب التهذيب» ص٩٥ (٢٧٢).
وقد روى أبو داود (٢٤٨٦)، كتاب: الجهاد، الحديث بلفظ: (إن سياحة أمتي الجهاد) وهو صحيح كما في «صحيح الجامع الصغير» رقم (٢٠٩٣).

(٨) هو: معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري، نزيل اليمن، الإمام الحافظ، كان ثقة فاضلًا من أوعية العلم، مع الصدق والورع، وتوفي سنة ١٥٤هـ.
انظر: «التاريخ الكبير» ٧/ ٣٧٨، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ١٩٠، و«سير أعلام النبلاء» ٧/ ٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٤١ (٦٨٠٩).

(هذا صوم الفرض)[١]، وقيل[٢]: هم الذين يديمون الصيام)[٣]، قال الزجاج: (وقول الحسن أبين)[٤].

وقال الأزهري: (وقيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الأرض متعبدًا لا زاد معه فحين يجد الزاد يطعم، والصائم لا يطعم أيضًا فلشبهه به سمي سائحًا)[٥]، وهذا معنى قول سفيان بن عيينة: (إنما قيل للصائم سائح لأنه تارك اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح)[٦]، يريد أنه كالمسافر في تركه هذه الأشياء.

وقال أهل المعاني: (أصل السياحة: الاستمرار بالذهاب في الأرض كما يسيح الماء، فالصائم مستمر على الطاعة في ترك المنهي من المأكل والمشرب والمنكح)[٧]، وهذا اشتقاق، وقد روى لي الأستاذ أبو إسحاق[٨] -رحمه الله- بإسناده عن عكرمة أنه قال هم: طلبة العلم)[٩]،

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ٢/ ٤٧٢، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧، ورواه بمعناه ابن جرير في «تفسيره» ص٥٤١ (٦٨٠٩).

(٢) في (ى): (وقال).

(٣) هذا القول لأبي عمرو العبدي. انظر: «تفسير ابن جرير» ١٤/ ٥٠٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٠١ أ، و«الدر المنثور» ٣/ ٥٠٤.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) «تهذيب اللغة» (ساح) ٢/ ١٥٨٦.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٥١ ب، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٤، وذكره بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٩ بغير سند.

(٧) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٥٨.

(٨) يعني الثعلبي.

(٩) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٢ أ، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٠، والبغوي ٤/ ٩٩.

يريد: الذين يسافرون لأجل طلب العلم والحديث، والقول هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾، قال ابن عباس: (يريد الذين يصلون لله بنية صادقة[(١)])[(٢)].

وقال الزجاج: (الذين أدوا[(٣)] ما افترض عليهم من الركوع والسجود)[(٤)]، وهو قول الحسن، قال: (هذا صلاة الفرض)[(٥)].

قوله تعالى: ﴿ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، قال عامة المفسرين: (بالإسلام والإيمان بالله)[(٦)]، وقال عطاء: (يريد بفرائض الله وحدوده وتوحيده).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، قال: (يريد عن ترك فرائض الله وحدوده والشرك به)[(٧)].

وقال الكلبي: (عن اتباع الجبت والطاغوت)[(٨)]؛ والأولى أن هذا عام في كل معروف ومنكر.

وأما دخول الواو في قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾ فإن العرب قد تنسق بالواو

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٧.

(٣) في (ى): (يؤدون)، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٥) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ٣٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩١، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٣.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٣٩ بنحوه عن أبي العالية، وهو قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ٩٩، وانظر: «النكت والعيون» ٢/ ٤٠٨، و«المحرر الوجيز» ٧/ ٥٦.

(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٥ بمعناه.

(٨) لم أقف عليه.

وغير الواو، منه قوله[١] ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ١-٣]، جاء بعض بالواو وبعض بغير الواو، ومنه قول الخرنق:

لا يبعدنْ قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر[٢]

وإنما يفعل ذلك لالتباس الكلام بعضه ببعض.

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ مبتدأ يقتضي جوابًا، وجاء بهذا[٣] النظم منسوقًا بعضه على بعض بلا واو العطف، ثم أجاب هذا المبتدأ بقوله: ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فلما كان الفصل الأول مبتدأ جعل له نظمًا غير نظم الجواب، ونظم الجواب نسق بواو العطف فرقًا بينهما، ولولا هذا الفرق لما امتاز

---

(١) في (ى) زيادة نصها: (قوله: والناهون) وقوله ... إلخ).

(٢) انظر: «ديوان الخرنق» ص٢٩، و«أوضح المسالك» ١/ ١٠، و«كتاب سيبويه» ١/ ٢٠٢.

لا يبعدن: أي لا يهلكن. سم العداة: أي هم كالسم لعدوهم.

آفة الجزر: أي هم آفة للإبل التي تجزر لكثرة ما ينحرون منها. والمعترك: موضع ازدحام الناس في المعركة.

ومعقد الإزار: موضع عقده، والإزار: ما يستر النصف الأسفل من البدن، وطيبها كناية عن العفة والبعد عن الفاحشة.

قال ابن هشام بعد ذكر البيتين: يجوز فيه رفع (النازلين) و(الطيبين) على الإتباع لـ(قومي) أو على القطع بإضمار (هم)، ونصبها بإضمار (أمدح) أو (أذكر) ورفع الأول ونصب الثاني على ما ذكرنا، وعكسه على القطع فيهما. أوضح المسالك ٣/ ١٢.

(٣) في (ى): (هذا).

الخبر من المبتدأ، فالتأويل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أي الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وعلى هذا التأويل دخله واو العطف، لأنه ذهب به مذهب الفعل[١] بعضه في إثر بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾، قال مجاهد: (حدود الله: فرائضه)[٢]، ومعناه: العاملون بما افترض الله عليهم)، وقال الزجاج: (القائمون بما أمر الله به)[٣].

١١٣- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية، قال عامة المفسرين: (إن النبي ﷺ عرض على عمه أبي طالب الإسلام عند وفاته، وذكر له وجوب حقه عليه، وقال: «**أعني على نفسك بكلمة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة**»، فأبى أبو طالب، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك حتى أنهى عن ذلك**» فاستغفر له بعدما مات، فاستغفر المسلمون لآبائهم وذوي قراباتهم، فنزلت هذه الآية[٤]، وهذا قول الزهري[٥] وسعيد بن المسيب[٦]

---

(١) في (ح): (الفصل).

(٢) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٢.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٤١- ٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٤، والثعلبي ٦/ ١٥٢ أ، والبغوي ٤/ ١٠٠، والحديث في «صحيح البخاري»، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك: لا إله إلا الله، و«صحيح مسلم» (٣٩)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت.

(٥) لم أجد من ذكره عنه، وإنما يروى عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه، انظر: المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٤٢.

وعمرو بن دينار[١] ومحمد بن كعب[٢]، واستبعده الحسين بن الفضل؛ لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولًا، ووفاة أبي طالب كانت بمكة في عنفوان الإسلام[٣]، والله أعلم.

وقال عطاء عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن قبر أبيه وأمه فأرشده فذهب إليهما وكان يدعو لهما، وعلي يؤمن فنزلت هذه الآية)[٤] [وهذا قول أبي هريرة[٥].

وقال الوالبي عنه[٦]: كانوا يستغفرون لأمواتهم المشركين فنزلت هذه الآية[٧]][٨] وهو قول قتادة، وقال: استأذنوا رسول الله ﷺ أن يستغفروا لآبائهم فقال: «**وأنا والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه**» فنزلت هذه الآية)[٩].

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٤١-٤٢.
(٢) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٤- ١٨٩٥، والثعلبي ٦/ ١٥٢ ب،وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٥.
(٣) انظر قول الحسين بن الفضل في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٢ ب واعتراضه هذا محل نظر؛ فإن السور المدنية قد يتخللها بعض الآيات المكية، لاسيما وقد صح نزول الآية في قصة أبي طالب وخرجها البخاري ومسلم كما تقدم، وثمة احتمال آخر وهو أن النبي ﷺ استمر في الاستغفار لعمه حتى نزلت عليه هذه الآية في المدينة، والله أعلم.
(٤) لم أجده.
(٥) ذكره الثعلبي ٦/ ١٥٣ ب، والبغوي ٤/ ١٠١ بغير سند.
(٦) يعني عن ابن عباس كما في المصادر التالية.
(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٣، والثعلبي ٦/ ١٥٣ ب.
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٩) رواه ابن جرير ١١/ ٤٣، والثعلبي ٦/ ١٥٣ ب، والبغوي ٤/ ١٠١.

قال أهل المعاني: قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ حظر وتحريم ونهي، وقد يأتي في القرآن بمعنى النفي البتة، كقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥](١).

والاستغفار طلب المغفرة، وليس يجوز أن يطلب من الله غفران الشرك؛ لأنه طلب ما أخبر أنه لا يفعل(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، قال أبو إسحاق: (أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين، ثم أعلم الله ﷻ كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه [فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾(٣) الآية](٤).

قال عطاء عن ابن عباس: (كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم أن يؤمن بالله ويخلع الأنداد، فلما مات على الكفر(٥) تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله فترك الدعاء له)(٦)، فعلى هذا قوله: ﴿وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الكناية في ﴿إِيَّاهُ﴾ تعود

---

(١) ذكره عنهم دون تعيين الثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٥٣ ب بنحوه، وانظر: «تفسير القرطبي» ٨/ ٢٧٤.

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

(٣) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٨، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٤، وبدون نسبة الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣، والثعلبي ٦/ ١٥٤ أ، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٠٩.

وقد سبق بيان أن رواية عطاء عن ابن عباس مكذوبة، ثم إن هذا القول مستبعد من=

على إبراهيم، والواعد أبوه، ويجوز أن تعود على أبي إبراهيم ويكون الواعد إبراهيم، وذلك أنه وعد أباه [أن يستغفر له رجاء إسلامه وأن ينقل الله أباه باستغفاره له][١] من الكفر إلى الإسلام، فلما مات مشركًا ويئس[٢] من مراجعته الحق تبرأ منه، وقطع الاستغفار له، والدليل على صحة هذا قراءة الحسن (وعدها أباه) بالباء[٣]، وهذا الوعد من إبراهيم ظاهر في قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧] وقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأواه: الخاشع المتضرع**»[٤].

ويروى أن عمر سأل رسول الله ﷺ عن الأواه فقال: «**الأواه**

= أبي إبراهيم لقوله فيما أخبر الله عنه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٦-٤٧] والآية الثانية تدل على أن إبراهيم وعده بالاستغفار وهو مصر على كفره.

(١) مابين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (م): (تبين)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٤ ب، و«الكشاف» ٢/ ٢١٧، والبغوي ٤/ ١٠١. ونسبها ابن خالويه إلى حماد الراوية وقال: (يقال إنه صحفه). انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٥، وزاد أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٠٥ نسبتها إلى ابن السميفع وأبي نهيك ومعاذ القارئ.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٥١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٦، والثعلبي ٦/ ١٥٤ ب، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٠٩ عن عبد الله بن شداد وهو تابعي فالحديث مرسل، ولم أجد من ذكره موصولًا، ثم إن في سنده شهر بن حوشب، متكلم فيه، قال ابن حجر: صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقال ابن عدي: (ضعيف جدًا). «تقريب التهذيب» ١/ ٣٥٥، و«تهذيب التهذيب» ٤/ ٣٣٨.

الدعاء»[١].

قال ابن عباس[٢] في رواية عطاء: (الأواه: الدعاء[٣] الكثير البكاء)[٤].

وقال في رواية عطية: (الأواه: المؤمن [بالحبشية)[٥]، وقال في رواية الوالبي: (الأواه: المؤمن التواب)[٦]][٧].

وقال في رواية أبي ظبيان: (الأواه: الموقن)[٨] وهو قول مجاهد[٩].

وقال الفراء: (هو الذي يتأوه من الذنوب)[١٠].

وقال ابن مسعود والحسن وقتادة: (الأواه: الرحيم)[١١].

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١١ ولم أجد من ذكره غيره، وذكر الثعلبي بغير سند عن أنس قال: تكلمت امرأة عند رسول الله ﷺ بشيء كرهه فنهاها عمر -رضي الله عنه- فقال رسول الله ﷺ: «دعوها فإنها أواهة»، قيل يا رسول الله وما الأواهة؟ قال: «الخاشعة». «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٤ ب.

(٢) في (ى): (ابن إسحاق)، وهو خطأ.

(٣) ساقط من (م).

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٨.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٥٠، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٨٦، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ، والبغوي ٤/ ١٠٢.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ٤٩، والثعلبي ٦/ ١٥٥/ أ.

(٩) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع، و«تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٨٩٦، والبغوي ٤/ ١٠٢.

(١٠) «معاني القرآن» ٢/ ٢٣، ونسبة هذا القول للفراء فيها نظر؛ فإن نص عبارته: (قوله (أواه): دعاء، ويقال: هو الذي يتأوه من الذنوب).

(١١) رواه عنهم ابن جرير ١١/ ٤٧-٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٦، والثعلبي ٦/ ١٥٥ أ.

وقال أبو عبيدة: (الأواه: المتأوه شفقًا وفرقًا، المتضرع يقينًا ولزومًا للطاعة)[١].

قال الزجاج: (انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه)[٢]، ويقال: تأوه الرجل تأوهًا، وأوه تأويهًا إذا قال: آه للتوجع ومنه قوله:

تأوهُ آهة الرجل الحزين[٣]

ويقال لتلك الكلمة: آه وهاه وآهة[٤] وأوه، قال أبو تراب: (وهو توجع الحزين الكئيب يخرج نفسه بهذا الصوت لينفرج عنه بعض ما به، ولو جاء من الأواه فعل لكان آه يؤوه أوهًا، مثل قال يقول قولًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: (لم يعاقب أحدًا إلا لله ولم ينتصر من أحد إلا لله)[٦].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ الآية، لما حرم الاستغفار للمشركين على المؤمنين بين أنه لم يكن الله

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٠ بنحوه، والنص بلفظ المؤلف عند «الثعلبي» ٦/ ١٥٥ ب.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٣.

(٣) عجز بيت، وصدره:

إذا ما قمت أرحلها بليل

والبيت للمثقب العبدي في «ديوانه» ص١٩٤، و«الصحاح» (أوه)، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٧٠، و«المفضليات» ص٢٩١.

والشاعر يتحدث عن دابته، وأنها تشكو كثرة أسفاره.

(٤) في (ى): (هاهه).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩، واعتبره القرطبي ٨/ ٢٧٦ أحد قولين في الكلمة لكن لم ينسبه لابن عباس.

ليأخذهم به من غير أن يدلهم على أنه يجب أن يتقوه، فهذا أمان مما يخاف من تلك الحال، وهذا معنى قول مجاهد[١].

قال ابن الأنباري: (والتأويل[٢]: حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقونه فعند ذلك يستحقون الإضلال، فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال، يريدون فتجرت وكسبت)[٣]، قال: واختلف الناس في تفسير الإضلال ههنا فقالت فرقة: تأويله: وما كان الله ليحكم عليهم بالضلالة حتى يكون منهم ذا[٤]، واحتجوا بقول الكميت:

فطائفة قد أكفروني بحبكم[٥]

أي نسبوني إلى الكفر وحكموا علي به.

وقال آخرون: وما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يكون منهم الأمر الذي يُستحق عليه العقاب، وأبطلوا القول الأول، وقالوا: العرب إذا أرادت ذلك المعنى قالت: ضلل يضلل، واحتجاجهم

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٥٣- ٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٨٩٧، والثعلبي ٦/ ١٥٥ ب، والبغوي ٤/ ١٠٣.

(٢) في (ى): (والمعنى).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٠.

(٤) هذا أحد أقوال المعتزلة، انظر: «مقالات الإسلاميين» ١/ ٣٢٥، و«شفاء العليل» ١/ ٢١٧.

(٥) صدر بيت، وعجزه:

وطائفة قالوا مسيء ومذنب

انظر: «هاشميات الكميت» ص٣٥.

ببيت الكميت باطل؛ لأنه قياس في اللغة، [واللغة لا تؤخذ قياسًا][١] وليس كل موضع تكلم فيه بفعل يصلح في موضعه[٢] أن يقال (أفعل)[٣] في النسبة[٤] إلى ذلك الفعل، فلا يقال: أكسر ولا أضرب، فليس علينا إلا اتباع العرب في استعمال ما استعملوا ورفض ما رفضوا)[٥] هذا كلامه، والآية بيان عما توجبه حال من لم[٦] يدل على[٧] ما يجب[٨] أن يجتنب[٩] من الأمر السمعي من أنه لا يطالب[١٠] باجتنابه ولا يضل بإتيانه حتى يُبين له أمره وتقرر عنده منزلته، فحينئذ يجازى به.

١١٧- قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ الآية، يروى عن ابن عباس في معنى التوبة على النبي ﷺ أن ذلك لإذنه للمنافقين في التخلف عنه[١١]، وقد مر ذلك.

وقال أبو عبيدة: (هو مفتاح كلام كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١][١٢].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٢) ساقط من (ى). (٣) ساقط من (ح).
(٤) في (ى): (اللغة).
(٥) ذكر الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٣ بعض كلام ابن الأنباري بنحوه.
(٦) ساقط من (ى). (٧) في (ى): (عليه).
(٨) في (ح): (يوجب).
(٩) ساقط من (ح).
(١٠) في (ح): (يطلب).
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٢٧٨.
(١٢) ذكره الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ، وابن الجوزي ٣/ ٥١١، والقرطبي ٨/ ٢٧٨، و«الخازن» ٢/ ٢٦٨، منسوبًا لأهل المعاني ولم أجد من ذكره عن أبي عبيدة، وليس في كتابه «مجاز القرآن».

ومعنى هذا أن ذكر النبي ﷺ [بالتوبة عليه](١) ههنا تشريف للمهاجرين والأنصار، كما أن ضم اسم الله تعالى إلى اسم الرسول إنما هو تشريف للرسول فقط، فأما توبة الله على المهاجرين والأنصار فمن ميل(٢) قلوب بعضهم إلى التخلف عنه وهو قوله: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ ويذكر ذلك، ولكن الله تعالى قدم ذكر التوبة فضلًا منه، ثم ذكر ذنبهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، قال أبو إسحاق: (معناه في وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل الزمان)(٣) فهي عبارة(٤) عن جميع وقت تلك الغزوة، وهذا معنى قول الكلبي: (في حين العسرة)(٥).

وقال غيره: (يريد أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزوة)(٦)، وهي الساعة التي كادت قلوبهم تزيغ فيها، والعسرة: تعذر الأمر وصعوبته، قال جابر: (هي عسرة الظهر، وعسرة الماء، وعسرة الزاد)(٧).

أما عسرة الظهر فقال الحسن: (كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم)(٨).

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) في (ح): (مثل).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٤.

(٤) في (ح): (جماعة)، وهو خطأ.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٥.

(٦) انظر: «المحرر الوجيز» ٧/ ٦٧- ٦٨، و«تفسير القرطبي» ٨/ ٢٧٨.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٥٥، وابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥١٢، وذكره بغير سند الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ.

(٨) «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٥٦ أ، والبغوي ٤/ ١٠٤، والقرطبي ٨/ ٢٧٩.

وعسرة الزاد أنه[١] ربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها حتى لا يبقى من التمرة إلا النواه[٢]، وأما عسرة الماء فقال عمر -ﷺ-: (خرجنا في قيظ شديد، وأصابنا فيه عطش شديد، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه)[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾، قال ابن عباس: (يريد: يميل بعض من كان فيها إلى التخلف والعصيان)[٤].

وقال الكلبي: (هم أناس من المسلمين هموا بالتخلف ثم لحقوه)[٥].

وقال أبو إسحاق: (أي من بعد ما كادوا يقفلون عن غزوتهم للشدة ليس أنه زائغ[٦] عن الإيمان، إنما هو أن كادوا يرجعون)[٧].

وقرأ حمزة (يَزِيغُ) بالياء[٨] [فمن قرأ][٩] بالتاء فله وجهان:

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) هذا معنى قول مجاهد وقتادة فيما رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٥٥، وقول الحسن فيما رواه عنه الثعلبي ٦/ ١٥٦ أ، والبغوي ٤/ ١٠٤.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٥٥، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) رقم (١٣٨٣) ٤/ ٢٢٣، والحاكم ١/ ١٥٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) «تنوير المقباس» ص٢٠٥ بمعناه.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٢، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٠٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: يزيغ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٤.

(٨) وكذلك هي قراءة حفص عن عاصم وقرأ الباقون بالتاء، انظر: «السبعة» ص٣١٩، و«التيسير في القراءات السبع» ص١٢٠، و«رشاد المبتدي» ص٣٥٧، و«إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٥.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

أحدهما: أن يضمر فاعل كاد، ويكون تقدير الكلام: كاد الحزب[١] أو القوم تزيغ قلوب فريق منهم[٢].

والثاني: أن يكون فاعل (كاد) القلوب، كأنه: من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ، ولكنه قدم (تزيغ) كما تقدم خبر كان في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وجاء تقديمه وإن كان فيه ذكر من القلوب[٣]، ولم يمتنع من حيث يمتنع الإضمار قبل الذكر، لما كان النية به التأخير، كما لم يمتنع: ضرب غلامه زيد، لما كان التقدير به التأخير، [ألا ترى أن حكم الخبر أن يكون بعد الاسم، كما أن حكم المفعول به أن يكون بعد الفاعل، وعلى هذا التقدير يجب التأنيث في (تزيغ)؛ لأن المراد به التأخير][٤] وجاز التذكير في (كاد) لتقدم الفعل، وهذان الوجهان ذكرهما أبو علي الفارسي[٥]، وذكر الفراء وجهين آخرين:

أحدهما: أن يكون الكلام على النظم الذي هو عليه، والفعل المسند إلى المؤنث إذا تقدم عليه جاز تذكيره وتأنيثه، فلما جاز الوجهان ذكر الفعل الأول لما وقع من الحيلولة بينه وبين المؤنث بالفعل الذي هو (يزيغ) فصار كقولهم: حضر القاضي امرأةٌ، وأنث الفعل الثاني لأنه ملتزق بالقلوب.

الوجه الثاني: أن (كاد) ليس بفعل متصرف كغيره من الأفعال، ألا

---

(١) في جميع النسخ لم توضع نقطة فوق الزاي والتصحيح من «الحجة للقراء السبعة».

(٢) في (ح) زيادة نصها: (تزيغ ولكنه قدم) وهي وهم من الناسخ وتكرار لبعض ما ذكر في الوجه الثاني.

(٣) يعني أن فيه ضميرًا يعود على القلوب.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ح).

(٥) انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٦.

ترى أنه لا يبنى منه فاعل ولا مفعول فصار كـ(ليس)، و(ليس) يجوز تذكيره وإن أسند إلى مؤنث كقولك: ليس تخرج جاريتك[١].

ومن قرأ (يزيغ) بالياء فوجهه تقدم الفعل[٢] فذكر (يزيغ) كما ذكر (كاد) ليتشابه الفعلان ويتشاكلا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ذكر التوبة وهما واحد لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم الله ذكر التوبة فضلا منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة، وقيل: إن المراد بالتوبة بعد التوبة رحمة بعد رحمة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى ليغفر ذنب الرجل المسلم**[٣] **عشرين مرة**»[٤]، وهذا معنى قول ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يريد (ازداد عنهم رضًا)[٥].

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ الآية، هؤلاء هم المعنيون بقوله: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ الآية، وقد ذكرنا هناك من هم، والمعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، قال ابن عباس ومجاهد: (خلفوا عن التوبة عليهم)[٦].

---

(١) لم أجد قول الفراء بهذا السياق، والوجه الأول في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٤٥٤ مختصرًا، وذكره كذلك المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩.

(٢) من (م).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) لم أجده في المصادر التي بين يدي سوى «تفسير الرازي» ١٦/ ٢١٦.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٦.

(٦) ذكره عنهما ابن الجوزي ٣/ ٥١٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٢٩، ورواه عن عكرمة الإمام ابن جرير ١١/ ٥٦.

وقال كعب بن مالك الشاعر -وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا بغير عذر-: (ما هذا من تخلفنا إنما هو تأخير رسول الله ﷺ أمرنا)(١) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ قال المفسرون: (ضيق الأرض عليهم بأن المؤمنين منعوا من كلامهم ومعاملتهم، وأمر(٢) أزواجهم باعتزالهم، وكان النبي ﷺ معرضًا عنهم، إلى أن أنزل الله توبتهم وأمر بالرجوع لهم بعد خمسين يومًا(٣))(٤)، ومعنى ضاقت الأرض بما رحبت ذكرناه في هذه السورة(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها، قال ابن عباس: (يريد من الوحشة)(٦)، يعني حين لم يكلمهم أحد من المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ لا معتصم من الله إلا به(٧)، أي من عذاب الله إلا به.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٦٧٧)، كتاب التفسير، سورة براءة، ومسلم (٢٧٦٩)، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب، والإمام أحمد في «المسند» ٤/ ٤٥٧.

(٢) في (م): (وأمروا).

(٣) في (ى): (ليلة).

(٤) انظر: «تفسير هود» ٢/ ١٧٤، والماوردي ٢/ ٤١٣، وابن الجوزي ٣/ ٥١٣، والرازي ١٦/ ٢١٨.

(٥) يعني عند قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥].

(٦) لم أقف عليه.

(٧) هكذا في جميع النسخ، ولذا لم أجعل الجملة من القرآن، وتفسير المؤلف للجملة يوحي أنه يريد قول الله تعالى: (من الله إلا إليه) وعبارته في «الوسيط»: (لا ملجأ) لا معتصم (من الله) من عذاب الله (إلا إليه) إلا به.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، قال صاحب النظم: قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ معرفة منهم بالذنب وإضمار للتوبة وطلب لها، والله- ﷻ- يقبل النية الصالحة، فلما كان هذا نيتهم أضمر الله -ﷻ- في الكلام أنه قبل ذلك منهم ورحمهم، ثم نسق بـ(ثم) على هذا الإضمار، على تأويل: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا[١] ألا ملجأ من الله إلا إليه رحمهم، ثم تاب عليهم) انتهى كلامه، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ إعادة للتوكيد؛ لأن ذكر التوبة على هؤلاء قد مضى في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ﴾، قال ابن عباس: (يريد: ازداد لهم رضا وعصمة)[٢]، وقد ذكرنا نظير هذا في الآية الأولى.

ومعنى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي لطف لهم[٣] في التوبة ووفقهم لها، وهذا دليل على أنه ما[٤] لم يرد الله تعالى توبة العبد ولم يوفقه لها لا يمكنه ذلك.

وقال ابن الأنباري: (معناه: ثم تاب عليهم ليدوموا على التوبة، ولا يراجعوا ما يبطلها، قال: ويجوز أن يكون المعنى: ثم تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة[٥] ويتوفر عليهم ثوابها، وهذان لا يقعان إلا بعد توبة الله عليهم)[٦].

---

(١) في (ح): (واعملوا).
(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢١٦.
(٣) في (ى): (بهم)، وما في (م) و(ح) موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) في (ح): (في التوبة).
(٦) «تفسير الرازي» ١٦/ ٢١٩ بلا نسبة.

١١٩- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: (يعني به مؤمني أهل الكتاب يأمرهم بالجهاد وأن يكونوا مع المهاجرين)(١)، قال ابن عباس: (سمى الله المهاجرين في هذه السورة صادقين وفي الحجرات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] [وفي الحشر ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]](٢).

وقال نافع(٣): (يريد بالصادقين محمدًا ﷺ والأنبياء)(٤)، أي كونوا معهم في الجنة بالعمل الصالح، وقال سعيد بن جبير والضحاك: مع أبي بكر وعمر)(٥).

---

(١) انظر قول ابن عباس في: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٧٤، والزمخشري ٢/ ٢١٩ وانظر قول مقاتل -وهو ابن حيان- في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٠٦، والماوردي ٢/ ٤١٣ وقد ذكر قولهما المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣، وليس هناك دليل على تخصيص مؤمني أهل الكتاب بالخطاب، والأصل حمل كلام الله على العموم، فالخطاب موجه إلى كافة المؤمنين في كل زمان ومكان.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) هو: نافع المدني أبو عبد الله القرشي مولاهم، مولى ابن عمر وراويته، الإمام الثبت المفتي، عالم أهل المدينة، وأحد فقهائها، مات سنة ١١٧هـ.
انظر: «تذكرة الحفاظ» ١/ ٩٩، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٩٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٥٩ (٧٠٨٦).

(٤) رواه ابن جرير عن نافع بلفظ محمد ﷺ وأصحابه ١١/ ٦٣، والثعلبي ٦/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٠٩، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٦ عنه عن ابن عمر، ولفظه عندهم جميعًا: مع محمد ﷺ وأصحابه.

(٥) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٦٣.

و(مع) تقتضي المصاحبة، والمعنى على[1] أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاء، قاله أبو إسحاق[2].

١٢٠- وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس: (يعني مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار)[3]، ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، قال: يريد لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة، ورسول الله ﷺ في الحر والمشقة[4]، يحرضهم ويحضهم على الجهاد، يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر: أي ترفعت عنه

---

(١) في (ح): (علم)، وسقطت الكلمة من (ى)، وما أثبته من (م) موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٣٣ ونص العبارة في «المصدر السابق»: (..وكونوا مع الصادقين) على نسق الكلام يدل على أنهم أمروا... إلخ.
أقول: وقد ذكر الزجاج قولًا آخر في الآية فقال: (يجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل)، وذكر هذا القول أيضًا ابن جرير ١١/ ٦٣ تفسيرًا لقراءة ابن مسعود (وكونوا من الصادقين) لكنه لم يرتض هذا المعنى محتجًا بأنه مخالف للقراءة الموافقة لرسم المصحف، واحتجاجه هذا فيه نظر؛ لأن (مع) في لغة العرب للصحبة اللائقة، ولا تستلزم المخالطة والممازجة، بل تختلف باختلاف مصحوبها، فكون الله تعالى مع المتقين لون، وكون عقل الإنسان معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره معه لون..وهكذا، فإذا علم هذا كان المعنى اللائق بقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ كونوا منهم؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يكون مع مجموعة جمعهم الصدق إلا إذا كان صادقًا موافقًا لهم في الخصلة التي جمعتهم. والله أعلم.
وانظر مبحث المعية في «مختصر الصواعق المرسلة» ٢/ ٢٦٥، و«لسان العرب» (معع) ٧/ ٤٢٣٤، و«البحر المحيط» ٥/ ١١١.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٣) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥١٥، و«الوسيط» ٢/ ٥٣٤.

(٤) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.

وتركته[١]، وأنا أرغب بفلان عن هذا الأمر: أي أبخل به عليه[٢]، ولا أتركه له.

وقال عطية العوفي: (ولا يرغبوا بأنفسهم عن الأمر الذي بذل له رسول الله ﷺ نفسه)[٣].

وقال قطرب: (أي ليس لهم أن يكرهوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه)[٤].

وقال الحسن: (لا يرغبون بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد مثل ما يصيب رسول الله ﷺ)[٥]، وهذه ألفاظ معناها متقارب.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ الإشارة في ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود إلى ما تقدم من النهي عن التخلف، وقال: ذلك النهي لما يحصل من الأجر والثواب في مقاساة كلف السفر، وهو قوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو شدة العطش، يقال: ظمئ فلان يظمأ ظمأً[٦] على (فَعِلَ) إذا اشتد عطشه، وهو ظمئ وظمآن، ويجوز في المصدر: ظمأة وظماء، قال ابن عباس: (يريد عطشٌ في الطريق)[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ النصب: الإعياء من العناء، يقال:

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (م).

(٣) لم أجده.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكره الرازي ١٦/ ٢٢٣- ٢٢٤ بلا نسبة.

(٥) رواه الثعلبي ٦/ ١٦١ أ، والبغوي ٤/ ١٠٩.

(٦) ساقط من (م).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٦.

نصب ينصب، وأنصبني هذا الأمر، قال ابن عباس: (يريد التعب من شدة الحر)[١]، (ولا مخمصة) مضى الكلام فيها[٢]، قال ابن عباس: (يريد: مجاعة)[٣]، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله، ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، قال: يريد: (ولا يضع قدمه ولا حافر فرسه ولا خف بعيره)[٤]، وقال الحسن: (ولا يقفون موقفًا)[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾، قال ابن الأعرابي: (يقال غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى واحد)[٦]، أي أغضبه ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾، قال ابن عباس والحسن[٧]: (أسرًا وقتلًا وهزيمة، قليلًا ولا كثيرًا، إلا كان ذلك قربة لهم عند الله)[٨].

قال العوفي: (وفي الآية من الفقه أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ونصبه ومشيته وحركاته كلها حسنات مكتوبة له، وكذلك في المعصية، فما أعظم بركة الطاعة، وما أعظم شؤم المعصية)[٩].

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع، مختصرًا.

(٢) انظر: «تفسير البسيط» المائدة: ٣.

(٣) رواه ابن جرير ٦/ ٨٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٢/ ٤٥٨.

(٤) لم أجده، وقد ذكر الرازي ١٦/ ٢٢٤ نحوه بلا نسبة.

(٥) لم أجده.

(٦) اهـ. كلام ابن الأعرابي، انظر: «تهذيب اللغة» (غاظ) ٣/ ٢٦٢٢، و«لسان العرب» (غيظ) ٦/ ٣٣٢٧.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٦، عن ابن عباس مختصرًا، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٩) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤.

وأما حكم هذه الآية فقال قتادة: هذه خاصة لرسول الله ﷺ إذا غزا بنفسه فليس لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر[(١)].

وقال ابن زيد: (هذا حين كان المسلمون قليلًا، فلما كثروا نسخها الله بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾[(٢)].

وقال عطية: (وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله إذا دعاهم **وأمرهم**)[(٣)]، وهذا هو الصحيح، أن تتعين الإجابة والطاعة لرسول الله ﷺ **إذا أمر**، وكذلك غيره من الولاة والأئمة إذا ندبوا وعينوا؛ لأنا لو سوغنا للمندوب أن يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض، ولأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد.

١٢١- وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ قال ابن عباس: يريد تمرة فما فوقها ولا أدنى منها[(٤)]، وروي عنه: ولو عِلاقة سوط[(٥)]، وروى جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من غزا بنفسه وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف**[(٦)] **درهم**»[(٧)].

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٦١ ب، والبغوي ٤/ ١١٠، وبنحوه ابن جرير ١١/ ٦٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٦٥، والثعلبي ٦/ ١٦١ ب، والبغوي ٤/ ١١٠.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٢٤.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤، دون الجملة الأخيرة.

(٥) لم أجده، وفي «تنوير المقباس» ص٢٠٦: قليلة ولا كثيرة في الذهاب والمجيء.

(٦) ساقط من (ى).

(٧) رواه ابن ماجه (٢٧٦١) كتاب الجهاد، باب: فضل النفقة في سبيل الله، والثعلبي في «تفسيره» ٦/ ١٦٢ أ، وهو حديث ضعيف؛ لأن في سنده الخليل بن عبد الله وهو مجهول كما في «تهذيب التهذيب» ١/ ٥٥٤.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾، قال الليث: الوادي كل مَفْرج بين جبال وآكام وتلال يكون مسلكًا للسيل[١]، والجمع: الأودية، مثل: ناد وأندية[٢]، وقال ابن الأعرابي: يجمع الوادي أوداء على (أفعال) مثل صاحب وأصحاب[٣].

قال ابن عباس: ولا يجاوزون واديًا في مسيرهم مقبلين أو مدبرين ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ يعني آثارهم وخطاهم[٤].

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن، ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وهذا يدل على أن الجهاد من أحسن أعمال العباد.

قال أكثر المفسرين: هذه الآية خاصة في صحبة النبي ﷺ والخروج معه[٥]، وقال الأوزاعي، وابن المبارك: هي لآخر هذه الأمة وأولها[٦].

١٢٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ الآية، قال أبو إسحاق: هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٧] [التوبة: ١١٣]، وقال صاحب النظم: هذا نفي معناه الحظر.

---

(١) في (ح) و(ى): (للسبيل)، والمثبت موافق للمصدرين التاليين.

(٢) «تهذيب اللغة» (ودي) ٤/ ٣٨٦٥، والنص في كتاب «العين» (ودى) ٨/ ٩٨ بنحوه.

(٣) «تهذيب اللغة» (ودى) ٤/ ٣٨٦٥.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٤.

(٥) هذا قول قتادة واعتمده ابن جرير وابن عطية والقرطبي وأبو حيان، انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٥-٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩، وابن عطية ٧/ ٧٥- ٧٦، والقرطبي ٨/ ٢٩٢، «البحر المحيط» ٥/ ١١٢.

(٦) رواه عنهما ابن جرير ١١/ ٦٥، ٦٦، ٦٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٠٩.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية؛ فالذي عليه الجمهور أنه لما عيب من تخلف عن غزوة تبوك قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ [ولا عن سرية أبدًا، فلما أمر رسول الله ﷺ][(١)] [بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعًا إلى الغزو وتركوا رسول الله ﷺ][(٢)] وحده بالمدينة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي[(٣)]، وقتادة[(٤)]، واختيار الفراء[(٥)]، والزجاج[(٦)]، وعلى هذا معنى الآية: ليس لهم أن يخرجوا جميعًا إلى الغزو.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ (لولا) إذا دخل على الفعل كان بمعنى التحضيض مثل (هلّا).

قال صاحب النظم: وإنما جاز أن يكون (لولا) بمعنى (هلّا) كلمتان: (هل) وهو استفهام وعرض و(لا) وهو جحد، فـ (هلا) تنتظم معنيين الجحد وهو (لا) والعرض وهو (هل)، وذلك أنك إذا قلت للرجل [هل تأكل][(٧)] هل تدخل؛ كأنك تعرض ذلك[(٨)] عليه، وإنما جمعوا بين (هل) و(لا)[(٩)]؛

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٢ أ، وابن الجوزي ٣/ ٥١٦، والبغوي ٤/ ١١١، «أسباب النزول» للمؤلف.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٧- ٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٨) ساقط من (م).

(٩) في (ح): (ألا).

لأنهم أرادوا أن[١] يخبروا بأنه لم يفعل ذلك[٢]، وكان يجب عليه أن يفعله، وكذلك (لولا)؛ لأن (لو) شبيهة المعنى بـ (هل)؛ لأنك إذا قلت: لو دخلت إليّ، ولو أكلت عندي، فمعناه أيضًا عرض[٣] وإخبار عن سرورك به لو فعل، فلذلك اشتبها في المعنى، وكذلك (لوما) بمنزلة (هلّا) (ولولا)؛ لأن (لا) و(ما) بمنزلة واحدة في النفي ومنه قوله: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]، ومعنى الآية: فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة، ويبقى مع النبي ﷺ جماعة؛ لئلا يبقى وحده.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يتعلموا القرآن والسنن والحدود والفرائض[٤]، ويريد بالتفقه الفرقة القاعدين عن الغزو، ونظم الكلام يصح بإضمار واختصار كأنه قيل: فلو نفر من كل فرقة طائفة [وأقام طائفة][٥] ليتفقهوا في الدين، فاقتصر من ذكر إحدى الطائفتين على الأخرى، ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ يعني النافرين إلى الغزو، ﴿إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾، قال أبو إسحاق: المعنى أنهم إذا بقيت منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فسمعوا منه علمًا[٦] أعلموا الذين نفروا ما علموا فاستووا في العلم[٧].

---

(١) في (ح): (لأن).

(٢) ساقط من (م).

(٣) في (ى): (بعوض).

(٤) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥١٧، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه»: وحيًا.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

قال المفسرون: إذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا: إن الله تعالى قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآنًا، وقد تعلمناه فتتعلم السرايا ما أنزل الله على نبيهم بعدهم، فذلك قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ولا يعملون بخلافه، وهذا الذي ذكرنا معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي[(١)]، وعطاء الخراساني عنه[(٢)].

وقال الحسن: هذا التفقه والإنذار راجع إلى الفرقة النافرة[(٣)]، ومعنى الآية: ليتفقهوا: أي: ليتبصروا وليتيقنوا بما يريهم الله ﷻ من الظهور على المشركين، ونصرة الدين، ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد، فيخبروهم بنصرة الله النبي والمؤمنين [وأنهم لا يدان لهم بقتال النبي ﷺ والمؤمنين][(٤)] ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الكفار.

قال أبو إسحاق: وفي هذه الآية دليل على أن فرض الجهاد يجزئ فيه

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٣، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في «المدخل» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢١.

(٢) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٣، وابن مردويه وأبو داود في «ناسخه» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢١.

(٣) هذا معنى قول الحسن.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٦٩-٧٠، و«ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩١٣، و«الصنعاني» ١/ ٢/ ٢٩١، وقد ذكره بنحو ما ذكره المؤلف، «الثعلبي» ٦/ ١٦٢/ ب، و«البغوي» ٤/ ١١١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

الجماعة [عن الجماعة[1]][2].

[قال أبو عبيد[3]][4]: لولا هذه الآية لكان الجهاد حتمًا واجبًا[5] على كل مؤمن في خاصة نفسه وماله، كسائر الفرائض، ولكن هذه الآية جعلت للناس الرخصة في قيام بعضهم بذلك عن بعض[6].

١٢٣- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ يريد: الذين يقربون منكم، قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى[7] من عدوهم من المدينة مثل قريظة النضير وخيبر وفدك[8]، وقال في رواية عطاء: يريد الشام من الروم والعرب الكفار، وذلك أن الشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق[9].

وقيل: إن النبي ﷺ كان ربما تخطى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون أهيب له، فأمر بقتال من يليه[10]، وهذا دليل أنه إنما

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) وفي (ى): عن الجهاد، والمثبت موافق لـ «معاني القرآن وإعرابه».

(٣) في (م): (أبو عبيدة).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) من (م).

(٦) لم أجده في كتاب «الأموال»، وكتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد، ولا في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، ولم تذكره المصادر التي بين يدي.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) رواه مختصرًا الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٣، ونحوه في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.

(٩) ذكره بنحوه الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤ دون تعيين القائل.

(١٠) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

ينبغي أن يقاتل أهل كل ثغر الذين يلونهم، وفيه فوائد: خفة المؤنة على بيت المال بقرب الطريق، وأن كل طائفة من المسلمين أهدى إلى مكايد من يليهم وإلى عوراتهم؛ ولأن المسلمين إذا تباعدوا وخلفوا بالقرب منهم طائفة من المشركين لم يأمنوا أن يهجموا على ذراريهم فتوجل لذلك قلوب الغزاة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، قال الزجاج: فيها ثلاث لغات: فتح الغين وضمها وكسرها[1]، قال ابن عباس: يريد شجاعة[2]، وقال مجاهد: شدة[3]، وقال الحسن: صبرًا منكم على الجهاد[4]، وقال الضحاك: عنفًا[5].

وقال أهل المعاني: الغلظة ضد الرقة وهي الشدة في إحلال النقمة، وذلك أدل على البصيرة في الإيمان، وأزجر عن الكفر بالله، وأهيب لأعداء الله، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩]، وقوله تعالى في صفة الصحابة: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

ويخرج الكلام في هذه الآية على الأمر بالوجود، وإنما هو بالغلظة كأنه قيل: اغلظوا عليهم بحيث يجدون ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قال أبو إسحاق: أي أن

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٤٧٦ بمعناه.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٣/ ٥١٨، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥.

(٣) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٤) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤.

(٥) رواه الثعلبي، الموضع السابق.

الله ناصر من أَمَرَهُ بالحرب[١].

١٢٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ (ما) صلة مؤكدة، ﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾ يعني من المنافقين، قاله جميع أهل التفسير[٢].

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ﴾ هذه السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزؤًا، فقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، قال ابن عباس: يريد: تصديقًا ويقينًا وقربة من الله[٣].

ومعنى الزيادة ضم الشيء إلى غيره مما يشاركه في صفته، فالمؤمنون إذا أقروا بالسورة عن ثقة ازدادوا تصديقًا إلى ما كانوا عليه من التصديق، وفي هذا دليل على زيادة الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزول السورة، قاله ابن عباس في رواية الضحاك[٤]، وقال في رواية عطاء: يستبشرون بالنعيم الدائم والرضوان الكبير[٥]، ومعنى الاستبشار: استدعاء البشارة بتذكر ما فيه النعمة، كأن المؤمنين[٦] يتذكرون ما بشروا به من النعيم فيفرحون به.

وقال ابن كيسان في هذه الآية: كلما نزلت سورة كانت بينة لهم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٧٢، والثعلبي ٦/ ١٦٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٤، وابن الجوزي ٣/ ٥١٨، «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٣.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥، مختصرًا من رواية الوالبي.

(٤) رواه بمعناه ابن جرير ١١/ ٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥، من رواية العوفي، وكذلك الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٧ من رواية الكلبي.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) في (ح) و(ى): (كان المؤمنون).

وحجة ازدادوا إخلاصًا ويقينًا(١).

١٢٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، قال المفسرون: شك ونفاق(٢)، وسمي الشك في الدين مرضًا؛ لأنه فساد في القلب يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، قال الحسن والأكثرون: زادتهم كفرًا إلى كفرهم(٣)، قال أبو إسحاق: لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم(٤)، وقال عطاء ومقاتل: أي إثمًا وعذابًا إلى ما أعد لهم من الخزي والعذاب(٥).

١٢٦- قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ الآية، هذه واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام فهو متصل بذكر المنافقين وفي ﴿يَرَوْنَ﴾ قراءتان الياء والتاء(٦)، فمن قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين على معنى التنبيه، وقال سيبويه عن الخليل في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٧٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٠، والثعلبي ٦/ ١٦٤أ، والبغوي ٤/ ١١٤.

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٤٧١، «تفسير الطبري» ١١/ ٧٣، والسمرقندي ٢/ ٨٤، والثعلبي ٦/ ١٦٤ أ، والبغوي ٤/ ١١٤، ولم أجد من ذكره عن الحسن.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٦.

(٥) انظر: قول مقاتل في «تفسيره» ص١٣٧/أ، والثعلبي ٦/ ١٦٤/أ، والماوردي ٢/ ٤١٦، وابن الجوزي ٣/ ٥١٩ مختصرًا، ولم أجد من ذكره عن عطاء.

(٦) قرأ حمزة ويعقوب بالتاء، وقرأ الباقون بالياء.

انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٦٨٩، «إرشاد المبتدي» ص٣٥٧، «تقريب النشر» ص١٢١.

[الحج: ٦٣]، المعنى: انتبه! أنزل الله من السماء ماءً، فكان كذا وكذا[(١)]، والمعنى في هذه الآية: أن المؤمنين نُبِّهوا على إعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي أن ينظروا فيه[(٢)] ويتدبروه.

ومن قرأ بالياء فمعناه التقريع بالإعراض عن التوبة للمنافقين من غير أن يُصرف التنبيه إلى المسلمين[(٣)] في الخطاب؛ لأن المسلمين قد عرفوا ذلك من أمرهم.

والرؤية على ما ذكرنا بمعنى العلم، ويجوز أن تكون من رؤية العين المتعدية إلى مفعولين وسدَّ (أن) مسدهما، وهذا الوجه أولى؛ لأن معنى الآية أنهم يُستبطؤون[(٤)] على مشاهدة ما يفتتنون[(٥)] به في الاعتبار والإقلاع عما هم عليه من النفاق، وهذا أبلغ في هذا الباب؛ ألا ترى أن تارك الاستدلال أعذر من المضرب عما يحس ويشاهد.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يمتحنون بالمرض في كل عام مرة أو مرتين[(٦)].

---

(١) «كتاب سيبويه» ٣/ ٤٠ بنحوه، وذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢٣٢ بلفظ المؤلف.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) في (ى): (المؤمنين).

(٤) في (ى): (يستبطنون)، والصواب: ما أثبته وهو موافق لما في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٣٣، الذي نُقل منه النص.

(٥) في (م): (يفتنون).

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٣، ورواه بمعناه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٥ من رواية الضحاك.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من النفاق، ولا يتعظون بذلك المرض، كما يتعظ المؤمن إذا مرض ذكر ذنوبه وموقفه بين يدي الله، فيزيده ذلك إيمانًا وخوفًا من الله، وازداد الله له رحمة ورضوانًا .

وهذا قول عطية قال: يفتنون بالأمراض والأوجاع وهن روائد الموت[١]، وهذا اختيار أبي علي قال: إنهم يمتحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمن معها الموت، فلا يرتدعون عن كفرهم، ولا ينزجرون عما هم عليه من النفاق، ولا يُقَدِّمون عملًا صالحًا يقدمون عليه إذا ماتوا[٢].

وقال مجاهد: يفتنون بالقحط والجوع[٣].

وقال قتادة: بالغزو والجهاد[٤]؛ وذلك أنهم كانوا إذا نقضوا العهد بعث إليهم رسول الله ﷺ بالسرايا فيقتلونهم[٥]، وكل هذا من أسباب

---

(١) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٤ ب.

(٢) «الحجة» للقراء السبعة ٤/ ٢٣٢.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٧٣، ٧٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١١٣ ب، والثعلبي ٦/ ١٦٤ ب، والبغوي ٤/ ١١٥.

(٤) المصادر السابقة، نفس الموضع.

(٥) ليس للمنافقين عهد حتى ينقضوه، وليسوا من أهل الحرب حتى يبعث إليهم النبي ﷺ بالسرايا، بل ظاهرهم الإسلام والولاء والطاعة، ولذا تعليل المؤلف قول قتادة بما ذكره فيه نظر، بل قول قتادة يحتمل أحد ثلاثة أمور:

أ- أنهم يفتنون بالغزو والجهاد فيتخلفون بغير عذر فيظهر نفاقهم.

ب- أنهم يفتنون بالغزو والجهاد فيخرجون ويتعرضون للقتل قبل التوبة والإيمان الصحيح.

جـ- أنهم يبتلون بالغزو والجهاد فيرون تصديق ما وعد الله ﷻ رسوله من النصر والظفر، وهذا معنى قول الحسن البصري كما في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٤ ب، بل نسبه القرطبي ٨/ ٢٩٩ إلى قتادة نفسه.

الموت التي يجب أن يتعظوا ويعتبروا بها.

وقال مقاتل[(١)]: يفضحون بإظهار نفاقهم، وهذا اختيار ابن الأنباري؛ قال: إنهم كانوا يجتمعون على ذكر رسول الله ﷺ بالطعن عليه، وكان جبريل يخبره بذلك فيوبخهم ويعظهم، فلا يتعظون ولا يرجعون عن ذلك[(٢)].

قال أهل المعاني: وهذه الآية بيان عما يوجبه تقلب الأحوال مرة بعد مرة من تذكر العبرة التي تدعو إلى إخلاص الطاعة والتوبة من كل خطيئة لشدة الحاجة إلى من يكشف البلية ويسبغ النعمة[(٣)].

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، قال ابن عباس: كان إذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخَطَبَهم رسول الله ﷺ فعرض بهم في خطبته شق ذلك عليهم، فنظر بعضهم إلى بعض، يريدون الهرب من عند رسول الله ﷺ، ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إن[(٤)] قمتم[(٥)]، فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحدًا يراهم ثبتوا مكانهم حتى يفرغ من خطبته، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ من[(٦)] الإيمان[(٧)]، فعلى هذا قوله:

---

(١) هو ابن حيان، انظر قوله في «تفسير الثعلبي» ٦/ ١٦٤ ب، والبغوي ٤/ ١١٥، وابن الجوزي ٣/ ٥١٩.

(٢) ذكر هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٣ دون تعيين القائل.

(٣) لم أقف عليه. (٤) ساقط من (ح).

(٥) في (م) و(ى): أقمتم، وما أثبته من (ح) أليق بالسياق وهو موافق لما في المصادر.

(٦) هكذا في جميع النسخ، ولم يذكر المؤلف هذه الجملة في «الوسيط»، وفي «تفسير الثعلبي»، والبغوي وابن الجوزي: (عن الإيمان)، وبهذا اللفظ سيذكره المؤلف بعد عدة أسطر.

(٧) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢٠، كما ذكره من غير نسبة الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، والبغوي ٤/ ١١٥ بنحوه.

﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ فيه إضمار أي: نظر بعضهم إلى بعض [وقال هل يراكم من أحد.

وقال الأخفش: معنى ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾][١] [قال بعضهم لبعض][٢]؛ لأن نظرهم في هذا المكان كان[٣] قولًا[٤]. فعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار؛ لأن نظرهم قام مقام قولهم: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ في المفهوم، وذلك أنه لما جرت عادتهم بأنهم إذا نظر بعضهم إلى بعض أرادوا هذا المعنى صار كأنهم تلفظوا به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إن أضمرنا[٥] القول في الآية كان هذا ملفوظًا به، وإن جعلنا النظر بمعنى القول لم يكن ملفوظًا به، وعرف ذلك بدلالة الحال.

والمعنى: هل يراكم من أحد إن خرجتم، على ما ذكرنا وفيه حذف، ويصح المعنى من غير حذف وهو أن المعنى هل يراكم أحد[٦] من المؤمنين أنكم ههنا، يقولون ذلك استسرارًا وتحرزًا أن يُعلم بهم مخافة القتل، وهذا معنى قول الضحاك[٧]، والزجاج[٨].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) كتاب «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٦٨، وعبارته: لأن نظرهم في هذا المكان كان إيماء أو شبيهًا به.

(٥) ساقط من (م).

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ ذكرنا فيه قول ابن عباس: إن المعنى: ثم انصرفوا عن الإيمان به، ونحوه قال مقاتل[(١)].

وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم الكفر والتكذيب بمحمد ﷺ وما جاء به[(٢)].

قال الزجاج: جائز أن يكونوا ينصرفون عن العمل بشيء مما يسمعون[(٣)].

وهذا كما[(٤)] حكينا عن المفسرين، قال: وجائز أن يكونوا ينصرفون عن المكان الذي استمعوا فيه[(٥)]، وعلى هذا لا إضمار؛ لأن المعنى أنهم ينظرون[(٦)] بعضهم إلى بعض ثم ينصرفون.

وقوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾، قال ابن عباس: عن كل رُشْد وخير وهدى[(٧)].

وقال الحسن: صرف الله قلوبهم فطبع عليها بكفرهم ونفاقهم[(٨)]،

---

(١) انظر: «تفسيره» ١٣٧ أ.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٥، وبمعناه مختصرًا هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٤٨.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٦) كذا في جميع النسخ، وقد جرى المؤلف على لغة لبعض العرب غير مشهورة، وجمهور العرب يوجبون توحيد فعل الفاعل مع جمعه كحالته مع الإفراد والتثنية. انظر: «أوضح المسالك» ١/ ٣٤٥.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١١٧. ورواه بمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.

(٨) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١١٧.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ عن الله دينه وما دعاهم إليه.

وقال الزجاج: أي أضلهم الله مجازاةً على فعلهم[١]، وهذا معنى قول الحسن[٢].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: محمدًا ﷺ، وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ مُضَريُّها[٣] وربعيها[٤] ويمانيها[٥][٦]، وقال السدي: من العرب من بني إسماعيل[٧].

قال الزجاج: أي: هو بشر مثلكم فهو أوكد للحجة عليكم؛ لأنكم تفهمون ممن هو مثلكم[٨]، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

(٢) يعني السابق.

(٣) نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو جد جاهلي تنتسب إليه كثير من القبائل العدنانية.
انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ١.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي مصادر التخريج عدا «تفسير الثعلبي»: ربيعيها، وفي «تفسير الثعلبي»: ربيعتها، وهو يعني القبائل المنسوبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٩.

(٥) يعني القبائل القحطانية.

(٦) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، وعبد بن حميد والحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في «دلائل النبوة»، وابن عساكر، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٤، ورواه البغوي في «تفسيره» ٤/ ١١٥ مختصرًا.

(٧) رواه الثعلبي ٦/ ١٦٥ أ، والبغوي ٤/ ١١٥.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: يعز عليه مشقتكم وكل مضرة تصيبكم[١].

وقال أهل المعاني: معنى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ شديد عليه بامتناعه من إمكان زواله[٢][٣]، ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما يلحقكم من الضرر، ومعنى عزّ عليّ كذا: أي اشتد[٤] عليّ بامتناعه[٥] من إزالته[٦]، ويقال: عَنَتَ الرجل يعنت عنتًا: إذا وقع في مشقة شديدة، أو أذى لا يهتدى للمخرج منه، وأعنته غيره إعناتًا، وقد سبق الكلام في هذا في مواضع[٧].

وقال الزجاج: معناه: عزيز عليه عنتكم، وهو لقاء الشدة والمشقة[٨].

وقال الفراء: (ما) في موضع رفع، معناه: عزيز عليه عنتكم[٩].

وقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ قال أبو إسحاق: أي: حريص على إيمانكم[١٠]، وهو قول الكلبي[١١]، فعلى هذا هو من باب حذف

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٧، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٩.

(٢) المعنى: شديد عليه لكونه ممتنعًا من إمكانية الإزالة.

(٣) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٧١ مختصرًا.

(٤) في (م): (استغز).

(٥) في (م): (من امتناعه).

(٦) في «مختار الصحاح» (عزر)، «لسان العرب» (عزز): عز عليّ ذلك: أي حقّ واشتد.

(٧) انظر مثلًا: تفسير آية ١٢٥ من سورة النساء.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧ بنحوه.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٦.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٤٧٧.

(١١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٨٥، ورواه الفيروزأبادي عنه، عن ابن عباس في «تنوير المقباس» ص٢٠٧.

المضاف. وقال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا[١].

وقال الفراء: الحريص الشحيح بأن تدخلوا النار[٢]، والمعنى على هذا: شحيح عليكم أن تدخلوا النار، والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع ويهلك، وتم الكلام ههنا، ثم استأنف فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه[٣].

١٢٩- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، قال ابن عباس: يريد: المشركين والمنافقين والكفار[٤].

وقال الكلبي: أعرضوا عن الإيمان وعنك يا محمد فلم يؤمنوا بك[٥].

وقال الحسن: تولوا عن طاعة[٦]، ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي: الذي يكفيني الله ﷻ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، قال النحويون: موضع هذه الجملة نصب؛ لأنه في موضع الحال بتقدير: حسبي الله مستحقًّا لإخلاص العبادة، والإقرار بأن لا إله إلا هو[٧].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في «الزاد» ٣/ ٥٢١.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٦.
(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ٥٢١، والرازي في «تفسيره» ١٦/ ٢٣٧، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٦.
(٤) رواه مختصرًا ابن جرير ١١/ ٧٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩١٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٢٩.
(٥) «تنوير المقباس» ص٢٠٧ بنحوه، عن الكلبي، عن ابن عباس.
(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤١٩، ولفظه: عن طاعة الله.
(٧) انظر: «إعراب القرآن وبيانه» ٤/ ١٩٩، «الجداول في إعراب القرآن» ٦/ ٦٩.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قال أهل المعاني: إنه رب كل شيء، وخص العرش بالذكر؛ لأنه لما ذكر الأعظم دخل فيه الأصغر(١)، ويجوز أن يكون التخصيص تشريفًا للعرش وتفخيمًا لشأنه.

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٥٢٢، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٠٢. ولم أجده في كتب أهـ المعاني.

سورة يونس

سورة يونس عليه السلام

بسم لله الرحمن الرحيم

١- ﴿الٓر﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: أنا الله الرحمن[١]، وعنه أيضًا: أنا الله أرى[٢]، وهو قول الضحاك[٣].

وقال قتادة: ﴿الٓر﴾ اسم من أسماء القرآن[٤]، وقال أبو روق[٥]: ﴿الٓر﴾ فاتحة السورة[٦]، وعلى هذا هي صلة وابتداء واستفتاح للكلام[٧]،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٧، ومكي بن أبي طالب في «تفسير المشكل من غريب القرآن» ص١٠١، وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٢١ من رواية عكرمة عنه، ولفظه: (الر) حروف الرحمن مفرقة، ورواه ابن جرير ١١/ ٧٩ بلفظ: (الر) و(حم) و(ن) حروف الرحمن مفرقة.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٧٥، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» باب: ما جاء في حروف المقطعات في فواتح السور ١/ ٢٣٢، والثعلبي ٧/ ٣ أ، والبغوي ٤/ ١١٩، وغيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٤، والأثر ضعيف؛ لأن في سنده شريك، وهو صدوق يخطئ كثيرًا، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والثعلبي ٧/ ٣ أ، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ٧٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢١، والثعلبي ٧/ ٣ أ.

(٥) هو: عطية بن الحارث الهمداني.

(٦) رواه الثعلبي ٧/ ٣ أ.

(٧) في (م): (الكلام).

والمعنى: كأنه ابتدأ فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِتَبِ﴾.

وقال أبو عبيدة: الله أعلم بما أراد بهذه الحروف[(١)(٢)].

وقرأ القراء الراءَ بالإمالة في ﴿الٓر﴾ وتركها[(٣)]، فمن ترك الإمالة فلأن كثيرًا من العرب لا تميل ما يجوز فيه الإمالة عند غيرهم، والأصل ترك الإمالة في هذه الحروف، نحو: (ما)، و(ولا)؛ لأن ألفاتها لا تكون منقلبة عن الياء، وأما من أمال فلأن هذه الحروف أسماء لما[(٤)] يلفظ به من

---

(١) في «مجاز القرآن» ١/ ٢٧: (الم) افتتاح، مبتدأ كلام، شعار للسورة، ولم أجد من ذكره بلفظ المؤلف.

(٢) ذهب كثير من المحققين إلى أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل بعض السور بيانًا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقد قرر هذا القول الزمخشري في «كشافه» ١/ ٩٥-٩٨، ونسبه الرازي في «تفسيره» ١/ ٦ إلى المبرد والمحققين، وحكاه القرطبي في «تفسيره» ١/ ١٥٥، عن الفراء وقطرب، وذهب إليه ابن كثير وشيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزي، انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٣٨.

والذي أختاره هو الرأي القائل بأن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه فلا يصل أحد إلى معرفة المراد منها حيث لم يصح عن الرسول ﷺ بيان المراد منها، ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وليس مع أحد المختلفين حجة قاطعة، فالوقف في مثل هذه الحالة أسلم حتى يتبين الحق في هذا المقام. أما وصف القرآن بأنه هدى وتبيان فلا يبطله أن تجيء في أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف؛ إذ لا تعلق لها بتكليف ولا خبر، وقد يكون ورودها تنبيهًا على القدرة التامة في جانب الرب، والقصور في جانب العبد، كأسرار الله في الكون والتكاليف. والله أعلم.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون ويعقوب وحفص بالفتح، وقرأ ورش بين اللفظين، وقرأ الباقون بالإمالة. انظر: «التيسير في القراءات السبع» ص١٢٠، «تحبير التيسير» ص١٢١، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٦.

(٤) في (ح): (لا)، وهو خطأ.

الأصوات المقطعة في مخارج الحروف، فجازت الإمالة فيها من حيث[١] كانت أسماء[٢] ولم تكن الحروف التي تمتنع فيها[٣] الإمالة[٤]، نحو: (ما)[٥] و(لا) وما أشبههما، فقصد بإمالة هذه الحروف -التي هي أسماء للأصوات- الإعلام بأنها أسماء[٦] ليست بحروف.

فإن قلت: فإن الأسماء لا تكون على حرفين أحدهما حرف لين، وإنما تكون على هذه الصفة الحروف نحو: (لا) و(ما)، فالقول: إن هذه الأسماء لم تمتنع أن تكون على حرفين أحدهما حرف لين؛ لأن التنوين لا يلحقها، فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها أن تبقى على حرف واحد، وإذا أمن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين أحدهما حرف لين ألا ترى أنهم قالوا: هذه شاة[٧]، فجاء على حرفين، أحدهما حرف لين لما أمن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به، وكذلك قوله: رأيت رجلًا ذا مال؛ لاتصال المضاف إليه به، وكذلك قولهم: كسرت فا زيدٍ.

ومثل شاة في كونها على حرفين أحدهما حرف لين لما دخلت[٨] عليه

---

(١) ساقط من (ى).
(٢) في (ى): (الأسماء).
(٣) ساقط من (ى).
(٤) في (ى): (إلى).
(٥) ساقط من (ى).
(٦) ساقط من (ى).
(٧) في «لسان العرب»: (شوه) والشاة: أصلها شاهية فحذفت الهاء الأصلية، وأثبتت هاء العلامة التي تنقلب تاء في الإدراج.
(٨) في (م): (دخل).

علامة التأنيث قولهم في الباءة: باه، كأنه أراد: الباءة[1]، فأبدل من الهمزة الألف كما أبدلها في قوله[2]:

... لا هَـــنَـــاكِ الـمَـرْتَـــعُ

فاجتمع ألفان فحذف أحدهما لالتقاء الساكنين فبقي الاسم على حرفين أحدهما حرف لين، أنشد اليزيدي[3]:

فياشرَّ مُلْكٍ مِلْكِ قيس بن عاصم على أن قيسًا لم يطأ باه مَحْرَمِ[4]

---

(١) الباءة: النكاح والتزوج، وفيه لغات: الباهُ والباءُ والباءة والباهة. انظر: «مجمل اللغة» (بوأ) ١/ ١٣٨، «لسان العرب» (بهه) ١/ ٣٨٠، «النهاية في غريب الحديث والأثر» (بوأ) ١/ ١٦٠.

(٢) هو الفرزدق، وتمام البيت كما في «ديوانه» ١/ ٤٠٨:

ومضت لمسلمة الركاب مودعًا فارعي فزارة لا هناك المرتع

والبيت منسوب للفرزدق أيضًا في: «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٢٩٤، و«طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٣٤٠، و«كتاب سيبويه» ١/ ١٨٤، و«المقتضب» ١/ ١٦٧ وروايته في هذه المصادر:

راحت بمسلمة البغال عشية فارعي فزارة.......... إلخ

والبيت من قصيدة يهجو بها الفرزدق الأمير عمر بن هبيرة الفزاري لما تولى العراق بعد عزل عبد الملك بن بشر عن البصرة، وسعيد بن عمرو عن الكوفة، ورحيل مسلمة بن عبد الملك إلى الشام.

(٣) هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري أبو محمد النحوي، المعروف باليزيدي لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور خال المهدي لتأديب أولاده، وقد أدب المأمون أيضًا، وكان ثقة عالمًا حجة في القراءة، أخباريًّا نحويًّا لغويًّا، نظيرًا للكسائي، وتوفي سنة ٢٠٢هـ. انظر: «تاريخ بغداد» ١٤/ ١٤٦، «نزهة الألباء» ص٦٩، «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٥، فقد نص أبو علي في هذا الموضوع أن المذكور أبو محمد لا غيره.

(٤) لم أهتد لمصادره.

ومثل هذا ما رواه الفراء عن الكسائي أنه سمع: اسقني شربة مًا يا هذا[١]، يريد شربة ماء، فقصر[٢] وأخرجه على لفظ (من)، هذا إذا مضى فإذا[٣] وقف قال: ما، والقول في هذا كالقول في باءٍ؛ إلا أن باهًا[٤] أحسن من مًا، لتكثرها بعلامة التأنيث.

ولم يعد ﴿الٓر﴾ آية كما عد ﴿طه﴾ ؛ لأن آخره لا يشاكل رؤوس الآي التي بعده [إذ هي بمنزلة المردف بالباء، و﴿طه﴾ عدّ؛ لأنه يشاكل رؤوس الآي التي بعده[٥]][٦].

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى هذه آيات[٧]، وقال الزجاج: أي تلك الآيات التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم[٨]، وقد بينّا في أول سورة البقرة جواز (تلك) و(ذلك) بمعنى (هذه) و(هذا) .

وقال صاحب النظم: نظم هذه الفاتحة مثل نظم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٥.
(٢) ساقط من (ى).
(٣) في (م): (وإذا).
(٤) في (ح): (أباه)، وهو خطأ، وفي (ى) و(م): (باهٔ)، إلا أنها لم تشكل في (ى)، وانظر النص في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٤٦.
(٥) الصحيح أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع، ولا مجال للقياس في ذلك، وما ذكره المؤلف غير مطرد؛ فإن (المص) آية في سورة الأعراف، وآخرها لا يشاكل رؤوس الآي التي بعدها. وانظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٢٥٢، «الإتقان» ١/ ٨٨.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٢.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥.

(١) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلا أن الكتاب مذكر فقال (ذلك) والآيات مؤنثة فقال (تلك) قال: وربما أخرج ذلك على ما تقدم وربما أخرج على ما تأخر، وأخرج ههنا[١] على ما تأخر؛ لأن (ذلك) و(ذاك) و(تلك) و(أولئك) إشارات تقع على ما يقصد بالإشارة إليه، وقد قال عطاء عن ابن عباس: يريد هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ[٢].

وأراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن في قول أكثر المفسرين[٣]، والحكيم: الحاكم (فعيل) بمعنى (فاعل) دليله قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقيل: إنه بمعنى المحكم[٤]، قال مقاتل: المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف[٥]، وقد بينا قبل هذا أن الإحكام معناه المنع من الفساد، ويدل على أن الحكيم ههنا بمعنى المحكم قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] .

قال الأزهري: وهذا سائغ في اللغة، والقرآن يبين بعضه بعضًا، وإنما جاز ذلك؛ لأن (حكمت) تجري مجرى (أحكمت) في المعنى فرد إلى الأصل والله أعلم[٦] .

وقد قال الأعشى:

---

(١) ساقط من (م).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨ .

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٠، والسمرقندي ٢/ ٨٧، والثعلبي ٧/ ٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٤) هذا قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٣٧ ب.

(٦) «تهذيب اللغة» (حكم) ١/ ٨٨٦ بنحوه.

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها[١]

يذكر قصيدته ويعني بالحكيمة المحكمة.

وقال الحسن في قوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ حكم فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وحكم فيه بالجنة لمن أطاعه، وبالنار لمن عصاه[٢]، فعلى هذا الحكيم بمعنى المحكوم فيه.

٢- قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية، قال ابن عباس والمفسرون: عجبت قريش من إرسال الله[٣] محمدًا ﷺ إلى العباد، وقالوا أما[٤] وجد الله تعالى من يرسله إلينا إلا يتيم أبي طالب؟! فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾[٥] والألف فيه للتوبيخ والإنكار، ويعني بالناس أهل مكة.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ﴾ (أن) في محل الرفع؛ لأنه اسم لِكان بمنزلة قولك: إيحاؤنا.

وقوله تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ (أن) نصب بـ (أوحينا)، قال عطاء، عن ابن عباس: عجبوا أن اخترت من خلقي رجلًا منهم يعرفونه ويعرفون

---

(١) البيت للأعشى الكبير في «ديوانه» ص١٥١، «خزانة الأدب» ٤/ ٢٥٩، «الدرر اللوامع» ١/ ٢٦٩.

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ٣ ب، والبغوي ٤/ ١١٩.

(٣) في (ح) و(ي): (إرسال محمد).

(٤) في (ح) و(ي): (ما).

(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٧٦، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٢٤، ورواه عن ابن عباس بمعناه ابن جرير ١١/ ٨١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢، والثعلبي ٧/ ٣ ب، وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٥.

أباه وأمه، وفيهم وُلد ونشأ يسمونه الأمين، لا يعدلون به أحدًا في صغره، ولا شابًا في شبابه، ولا كهلًا في سنه، فكذبوه ورموه بكل[(١)] ما ليس فيه وإنما بعثه الله مبشرًا[(٢)] ونذيرًا فذلك قوله: ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

قال الليث وأبو الهيثم: القدم: السابقة، وكذلك القُدمة، والمعنى أنه قد سبق لهم عند الله خير[(٣)].

وقال ذو الرّمة:

وأنت امرؤ من أهل بيت ذؤابةٍ ... لهم قدم معروفة ومفاخر[(٤)]

قال: القدم السابقة وما تقدموا فيه غيرهم[(٥)].

وقال أحمد بن يحيى في هذه الآية: القدم كل ما قدمت من خير، قال: وتقدَّمَتْ فيه لفلان قدم: أي تقدم في الخير[(٦)].

وقال ابن الأنباري: القدم: كناية عن العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخر ولا إبطاء؛ لأن العادة جارية بتقدم الساعي على قدميه، فالقدم كنت[(٧)] من العمل الصالح، وسدّت مسدّ السبق.

---

(١) ساقط من (ى).
(٢) في (م): (بشيرًا).
(٣) «تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢، ونحوه في كتاب «العين» (قدم) ٥/ ١٢٢، وليس لأبي الهيثم سوى الكلمتين الأوليين.
(٤) البيت في «ديوان ذي الرمة» ٢/ ١٠٤٤، و«تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢، و«لسان العرب» (قدم) ٦/ ٣٥٥٢.
(٥) النص في «تهذيب اللغة»، الموضع السابق، دون تعيين القائل.
(٦) «تهذيب اللغة» (قدم) ٣/ ٢٩٠٢.
(٧) في (ى): (كفت)، وفي (م): (كعب)، وكلاهما خطأ.

وأنشد لحسان يخاطب[١] النبي ﷺ:

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأولنا في طاعة[٢] الله تابع[٣][٤]

هذا الذي ذكرنا معنى القدم في اللغة.

فأما التفسير فقال ابن عباس: أجرًا حسنًا بما قدموا من أعمالهم[٥]، وعلى هذا، المعنى: أن لهم أجر قدم صدق أو ثوابه، على تقدير حذف المضاف.

وقال مجاهد والحسن: يعني الأعمال الصالحة[٦]، وعلى هذا لا حذف.

وقال الوالبي عن ابن عباس: سبقت لهم السعادة[٧].

وقال ابن زيد: محمد ﷺ شفيع لهم[٨]، واختار ابن الأنباري أن

---

(١) في (ح) و(ز): (مخاطبًا).

(٢) في «الزاهر» ملة. وما ذكره الواحدي موافق لديوان حسان.

(٣) البيت في «ديوان حسان» ص١٤٨.

(٤) «الزاهر في معاني كلمات الناس» ١/ ٣٥٣ بنحوه، وذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ٨١، والثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠.

(٦) رواه عن مجاهد الإمام ابن جرير ١١/ ٨١، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٣-١٩٢٤، ورواه عن الحسن بنحوه الثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ٨٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢-١٩٢٣، والثعلبي ٧/ ٤ أ، والبغوي ٤/ ١٢٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٥، وعند جميعهم زيادة نصها: في الذكر الأول.

(٨) لم أجده من ذكره عن ابن زيد وإنما روي عن أبي زيد، فقد رواه عنه الثعلبي ٧/ ٤ أ، وبنحوه البغوي ٤/ ١٢٠، وذكره البخاري معلقًا في «صحيحه» كتاب التفسير، سورة يونس، وابن جرير ١١/ ٨٢.

يكون المراد بالقدم العمل الصالح[(١)]، وأنشد:

صَلِّ لذي العرش واتخذ قدما تنجيك يوم العثار والزلل[(٢)]

وأكثر أهل التفسير والمعاني على هذا[(٣)]، وهو قول مقاتل[(٤)]، وسعيد بن جبير[(٥)]، والشعبي، وقطرب[(٦)]، والقتيبي[(٧)]، وأبي عبيدة[(٨)]، وذكرنا[(٩)] أيضًا عن الحسن، ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تم الكلام عند قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: أخرجوا محمدًا من علمهم فيه بالأمانة والصدق إلى غير علمهم

---

(١) «المذكر والمؤنث» ١/ ٢٢٩ لكنه لم يذكر فيه البيت المذكور وقد ذكره في كتابه «الزاهر» ١/ ٣٥٣ لكنه لم يختر قولًا معينًا بعد أن ذكر في الآية أربعة أقوال، وانظر: «تفسير الرازي» ١٧/ ٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٠.

(٢) البيت لوضاح اليمن، كما في «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٠٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٢، «الدر المصون» ٦/ ١٤٦، وقبل هذا البيت:

ما لَكَ وضاحُ دائم الغزل ألست تخشى تقارب الأجل

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨١-٨٣، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٧٦.

(٤) يعني ابن سليمان، انظر: «تفسيره» ص١٣٧ ب.

(٥) لم تذكر المصادر التي بين يدي قوله هذا، وقد رواه ابن جرير ١١/ ٨٢ عنه، عن قتادة بلفظ: سلف صدق عند ربهم.

(٦) لم أقف على قولهما.

(٧) «تفسير غريب القرآن» له ص١٩٤.

(٨) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٣ ولفظه: قدم صدق عند ربهم: مجازه: سابقة صدق عند ربهم، ويقال: له قدمٌ في الإسلام وفي الجاهلية. وانظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٤ ب.

(٩) هكذا في جميع النسخ، والأولى أن يقول: وذكرناه.

فكفروا[١].

وقرئ: (لساحر) بالألف[٢]، والوجهان يحتملهما قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فمن قال (ساحر) أراد به الرجل، ومن قال (سحر) أراد الذي أوحي سحر.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ مفسَّر في سورة الأعراف [٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، معنى التدبير: تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها، قال ابن عباس: يخلق ما يكون[٣]، وقال مقاتل: يقضيه وحده[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾، قال أبو إسحاق: الذي اقتضى ذكر الشفيع أنهم كانوا يقولون إن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وقد ذكر الله هذا عنهم في هذه السورة في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] الآية، فأيسهم الله عن ذلك بقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[٥].

قال الكلبي: ما من شفيع من الملائكة والنبيين[٦] إلا من بعد أمره في

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨.

(٢) قرأ الكوفيون وابن كثير وخلف (لساحر) بالألف، وقرأ الباقون (لسحر) من غير ألف. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٢، «إرشاد المبتدي» ص٣٠١، «النشر في القراءات العشر» ٢/ ٢٥٦.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨، وبمعناه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٠٨.

(٤) «تفسيره» ١٣٧ ب.

(٥) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦ بتصرف.

(٦) ساقط من (ى).

الشفاعة[١].

٤- قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾، قال ابن عباس: يريد: إليّ[٢] مصيركم يوم القيامة وعندي الثواب والعقاب[٣]، فالمرجع بمعنى الرجوع، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى جزائه[٤]، وهذا مما سبق بيانه[٥].

و﴿جَمِيعًا﴾ نصب على الحال.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على معنى وعدكم الله وعدًا؛ لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه الوعد بالرجوع. قاله الزجاج[٦]، قال: و﴿حَقًّا﴾ منصوب على أحق ذلك حقًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ رد على المشركين الذين أنكروا البعث فاحتج الله عليهم بالنشأة[٨] الأولى.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾، قال ابن

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٨، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٨، عن الكلبي، عن ابن عباس بنحوه.

(٢) في (ى): (إليه)، وهو غير مناسب للسياق.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢٠٨ بمعناه.

(٤) الجزاء يقتضي الرجوع إلى الله، أما الرجوع إلى الله فهو بمعنى الإتيان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، فيترك النص على ظاهره وينزه الله مما يتوهم من لوازم باطله.

(٥) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٢٨.

(٦) المصدر التالي، نفس الموضع.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧.

(٨) في (ح): (بالبشارة)، وهو خطأ.

عباس: يريد بالعدل جزاءً لا يصفه الواصفون[١].

فإن قيل: لم أفرد المؤمنين بالقسط دون غيرهم وهو يجزي الكافر أيضًا بالقسط؟ قال ابن الأنباري: لو جمع الله الصنفين بالقسط لم يتبين ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم، ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل غير جور، فلهذا خص المؤمنين بالقسط، وأفرد الكافرين بخبر يرجع إلى تأويله بزيادة في الإبانة والفائدة[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الحميم: الذي قد أسخن بالنار حتى انتهى حره، يقال: حممت الماء: أي أسخنته، أحميه[٣] فهم حميم، ومنه الحمام.

٥- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾، قال أبو علي: الضياء لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون جمع ضوء، كسوط وسياط، وحوض وحياض، أو مصدر ضاء يضوء ضياءً، كقولك قام قيامًا، وصام صيامًا[٤]، وعلى أي الوجهين حملته فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ويجوز أن يكون جُعلا النور والضياء لكثرة ذلك منهما[٥].

---

(١) رواه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٧، من رواية الضحاك وفيها انقطاع، وكذلك الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٨، من رواية الكلبي، وحاله لا تخفى، لكن المعنى صحيح.

(٢) ذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٨.

(٣) في (ح) و(ى): (أحمه).

(٤) في «الحجة»: عاد عيادةً.

(٥) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٨.

وروي عن ابن كثير من طريق قنبل[(١)] (ضئاءً[(٢)] بهمزتين[(٣)]، وأكثر الناس على تغليطه في ذلك[(٤)]؛ لأن ياء[(٥)] ضياء منقلبة عن واو، مثل ياء قيام وصيام فلا وجه للهمز فيها، وعلى البعد يجوز أن يقال: الهمزة في موضع العين [من (ضياء) يكون على القلب كأنه قَدَّم اللام التي هي همزة إلى موضع العين][(٦)] وأخَّر العين التي هي واو إلى موضع اللام، فلما وقعت طرفًا بعد ألف زائدة انقلبت [همزة كما انقلبت][(٧)] في سقاء[(٨)] وبابهن وهذا إذا قدر الضياء جمعا كان أسوغ، ألا ترى أنهم قالوا: [قوس

---

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي مولاهم، أبو عمر المكي، مقرئ أهل مكة في عصره، وراوية الإمام ابن كثير، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، وتوفي سنة ٢٩١هـ.
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٣٠، «غاية المنتهى» ٢/ ١٦٥، «النشر في القراءات العشر» ١/ ١١٥.

(٢) ساقط من (م).

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٢٣، «التيسير» ص١٢٠، «إرشاد المبتدي» ص٣٥٩، «النشر» ١/ ٤٠٦.

(٤) انظر: «السبعة» ص٣٢٣، «النشر» ١/ ٤٠٦، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٥، ولا وجه لتغليط قنبل إذ وافقه الحلواني عن القواس، عن ابن كثير، انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ٣٢٨، «النشر» ١/ ٤٠٦، وانظر توجيه القراءة والرد على من ضعفها في «الدر المصون» ٦/ ١٥١-١٥٢.

(٥) ساقط من (ح).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٨) أصل سقاء، سقاي؛ لأنه من سقى يسقي، فلما تطرفت الياء بعد ألف زائدة انقلبت همزة.

وقسي؛ فصححوا الواحد وقلبوا في الجمع[(١)]، وإذا قدرته مصدرًا كان أبعد؛ لأن المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل امتنع أن يكون في المصدر أيضًا، ألا ترى أنهم قالوا][(٢)]: لاوذ لواذا، وبايع بياعا فصححوهما[(٣)] في المصدر لصحتهما في الفعل، وقالوا: قام قيامًا، فأعلوه[(٤)] ونحوه؛ لاعتلاله في الفعل[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، قال الفراء[(٦)]، والزجاج[(٧)]، وابن الأنباري وغيرهم[(٨)]: خص القمر بالعائد لأن به تعرف الشهور دون الشمس فلحقه الاختصاص، قالوا: ويجوز أنه أراد: وقدرهما، فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما اختصارًا، ولهذا نظائر قد تقدمت[(٩)].

---

(١) قال الجوهري: أصل قسي: قووس؛ لأنه (فعول) إلا أنهم قدموا اللام وصيروه قسو على (فلوع) ثم قلبوا الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عِصِيّ، فصارت قسي على (فِليع). «الصحاح» (قوس)، «لسان العرب» (قوس).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (فصححوا)، والمثبت موافق لـ «الحجة»، وهو أنسب للسياق.

(٤) في (ح): (علّوه).

(٥) نقل الواحدي توجيه القراءة من «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٨.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٨.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٦، والثعلبي ٧/ ٥ أ، والبغوي ٤/ ١٢١، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٥٠.

(٩) انظر مثلًا: تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

ومعنى قدر: أي هيأ ويسر[١]، وقوله: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ يتوجه على أحد وجهين[٢]: إما أن يقال: المعنى: قدر له منازل، فحذف الجار وأفضى الفعل، وإما إن يقال: قدره[٣] ذا منازل، فحذف المضاف[٤].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾، قال ابن عباس: يقول: لو جعلت شمسين شمسًا بالنهار وشمسًا بالليل ليس فيها ظلمة[٥] ولا ليل لم تعلموا عدد السنين والحساب[٦].

قال الكلبي: يعني حساب الشهور والسنين والأيام والساعات[٧].

وقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعني ما تقدم[٨] ذكره من الشمس والقمر ومنازله، و﴿ذَٰلِكَ﴾ يُشار به إلى أكثر من الواحد، وذكرناه في قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] مستقصى مشروحًا[٩].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، قال ابن عباس: يريد بالعدل؛ لأنه هو الحق، وكل ما جاء من عنده هو الحق[١٠]، وعلى هذا، المعنى: ما خلق

---

(١) في «لسان العرب» (قدر) تقدير الله الخلق: تيسيره كلًّا منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة والشقاء.
(٢) في (ح): (الوجهين).
(٣) ساقط من (ح).
(٤) انظر الوجهين في «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٣.
(٥) في (ح): (ظل).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣١٠.
(٧) «تنوير المقباس» ص٢٠٨ عنه، عن ابن عباس مختصرًا.
(٨) ساقط من (ى).
(٩) ساقط من (ح).
(١٠) لم أقف عليه.

الله ذلك إلا عادلًا في خلقه لم يخلقه ظلمًا ولا باطلًا، بل إظهارًا لصنعه ودلالة على قدرته وحكمته، وقال بعضهم: الباء ههنا بمعنى اللام، والمعنى ما خلق الله ذلك إلا للحق[١]، وهو ما ذكرنا من إظهار صنعه وقدرته ووحدانيته، وذكرنا وجهًا آخر في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ في سورة الأنعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي نبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي يستدلون بالأمارات والبراهين على قدرة الله، ولهذا خص العلماء؛ لأنهم المستدلون دون الجُهّال الذين لا يبلغون هذه المنزلة.

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد اتقَوُا الله، ولم[٣] يشركوا به شيئًا[٤] يعني لقوم يؤمنون بالله فيعلمون ويقرون، وذلك أن من كفر ولم يستدل بما ذكر في هذه الآيات فليست له دلالة فيما خلق الله في السموات والأرض.

٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، قال ابن عباس[٥]، ومقاتل[٦]، والكلبي[٧]: لا يخافون البعث، والمعنى أنهم لا يخافون

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٩، «البحر المحيط» ٥/ ١٢٦.

(٢) الآية ٧٣. من «تفسير البسيط» ونصه: (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق: أي بكمال قدرته وشمول علمه، وإتقان صنعه، وكل ذلك حق) اهـ. ثم أحال على آية سورة يونس.

(٣) في (ح): (ولا).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٤٠، «الوسيط» ٢/ ٥٣٩.

(٦) انظر: «تفسيره» ١٣٨ أ.

(٧) انظر: «مفاتيح الغيب»، الموضع السابق، والنص في «تنوير المقباس» ص٢٠٧ بنحوه عنه، عن ابن عباس.

ذلك؛ لأنهم لا يؤمنون بها فلا يوجلون منها كما يوجل المؤمنون المصدقون بها المعنيون بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وبقوله: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، ويكون الرجاء ههنا الخوف، كما قال تعالى: ﴿لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[1] [نوح:١٣]، وقال الهذلي:

إذا لسعته النحل لم يَرجُ لسعها

وخالفها في بيت نوب[2] عوامل[3][4]

وقال آخرون في قوله: ﴿لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يطمعون في ثوابنا[5]، فيكون الرجاء ههنا الذي خلافه اليأس، كما قال: ﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وذكرنا معنى لقاء الله في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي بدلًا من الآخرة، كما قال: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقد مر.

---

(١) وفي الآية أقوال أخرى، انظرها في: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٧-٨٨، ٩٤-٩٥، وقد رجح ما ذكره المؤلف.

(٢) في (ح): (نول)، وهو خطأ. والنوب: النحل. انظر: «الصحاح» (نوب) ١/ ٢٢٩.

(٣) في «تفسير ابن جرير»، «لسان العرب» عواسل.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في «شرح ديوان الهذليين» ١/ ١٤٣، «الصحاح» (نوب)، «تهذيب اللغة» (رجا)، «المخصص» ١٧/ ١١، «لسان العرب» (رجا)، «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٧.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٨٩، والماوردي ٨/ ٤٢٣، والرازي ١٧/ ٣٨. و«البحر المحيط» ٥/ ١٢٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣١١.

وقوله تعالى: ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾، قال ابن عباس والمفسرون: أي ركنوا إليها؛ لأنهم لا يؤمنون بشيء من الثواب والعقاب[(١)]، كما قال: ﴿وَقَالُوٓاْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية، فهؤلاء فرحهم يكون للدنيا، وغمهم لها، ورضاهم وسخطهم لها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾، قال ابن عباس[(٢)]: يريد ما أنزلت من حلالي وحرامي وفرضت من شرائعي[(٣)].

٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾، معناه: يهديهم ربهم إلى الجنان ثوابًا لهم بإيمانهم [وأعمالهم الصالحة، هذا معنى قول المفسرين في هذه الآية[(٤)]، قال مجاهد في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[(٥)] يكون لهم نور يمشون به[(٦)]،] يعني أن الله تعالى يهديهم بذلك النور إلى الجنة، ونحو هذا قال مقاتل: يهديهم بالنور

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠، «الوسيط» ٢/ ٥٣٩، «معالم التنزيل» ٤/ ١٢٢، ولم أجد من ذكره عن ابن عباس بهذا اللفظ بل ذكره عنه ابن الجوزي في الموضع السابق بلفظ: (آثروها)، وذكره الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩ بلفظ: (رضوا بها).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) لم أجد من ذكره عنه بهذا اللفظ، وقد رواه الثعلبي ٧/ ٦، والبغوي ٤/ ١٢٢، والفيروزأبادي ص٢٠٩، وابن الجوزي ٤/ ١٠ بلفظ: (عن آياتنا): (محمد ﷺ والقرآن.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٨٨، والثعلبي ٧/ ٦ أ، والبغوي ٤/ ١٢٢، وابن الجوزي ٤/ ١٠، والماوردي ٢/ ٤٢٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ٨٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٩، والبغوي ٤/ ١٢٢.

على الصراط إلى الجنة[١]، وهو قول أبي روق[٢].

وقال قتادة: إن المؤمن يُصوّر له عمله في صورة حسنة، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، والكافر على ضد ذلك، فلا يزال به عمله حتى يدخله النار[٣].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون المعنى: إن الله تعالى يزيدهم هداية بخصائص وألطاف وبصائر ينور بها قلوبهم، ويزيل بها الشكوك عنهم كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمد: ١٧] الآية[٤]، ويجوز أن يكون المعنى يثبتهم على الهداية كما قلنا في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي من[٥] بين أيديهم، وهم يرونها من علو أسِرَّتهم وقصورهم.

١٠- قوله تعالى: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ الآية، الدعوى: مصدر كالدعاء، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: ٥]، قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: كلما اشتهى أهل الجنة شيئًا قالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فجاءهم ما يشتهون، فإذا طعموا مما يشتهون قالوا:

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٦ أ، والسمرقندي ٢/ ٨٩، ولعل القول لمقاتل بن حيان إذ لم أجده في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٢) «تفسير الثعلبي» ٧/ ٦ أ، والقرطبي ٨/ ٣١٢.

(٣) رواه عنه بنحوه مرفوعًا ابن جرير ١١/ ٨٨، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٩، عن قتادة عن الحسن مرفوعًا أيضًا، وهو حديث مرسل، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٤٨.

(٤) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٤٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٢٧

(٥) ساقط من (م).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(١)]. وقال ابن جرير: إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ فيؤتون به، فإذا نالوا منه شهوتهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)].

وقال الكلبي: قوله: ﴿سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ علم بين أهل الجنة والخدام، فإذا سمعوا ذلك من قولهم أتوهم بما يشتهون[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾، قال ابن عباس والكلبي: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام[(٤)]، وقال آخرون: تحية الملائكة إياهم، وتحية الله إياهم سلام[(٥)]، وعلى هذا أضيف المصدر إلى المفعول.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية، ذكرنا فيه قول ابن عباس وابن جرير.

وقال الكلبي: إذا فرغ أحدهم من كلامه[(٦)] يقول: الحمد لله رب العالمين[(٧)].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٣٩، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩ بنحو.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٨٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٩.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٤٤، ورواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٤) ذكره عن ابن عباس بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١١، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩، عن الكلبي، عن ابن عباس.

(٥) انظر: «الكشاف» ٢/ ٢٢٧، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٨، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٧٩، «تفسير البغوي» ٤/ ١٢٣.

(٦) كذا، والمعنى: يختمون كلامهم بالتحميد.

(٧) لم أجده.

وقال ابن زيد: إذا فرغوا وشربوا قالوا: الحمد لله على ما أعطاهم[١].

وقال الحسن في هذه الآية عن النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما تلهمون أنفاسكم**»[٢]، [قال ذلك في هذه الآية وقال][٣] أبو إسحاق: أعْلَمَ اللهُ ﷻ أنهم يبتدئون بتعظيم الله ﷻ وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (أن) هي المخففة من الشديدة فلذلك لم تعمل لخروجها بالتخفيف عن شبه الفعل كقوله[٥]:

أن هالك كل من يحفى وينتعل

على معنى: أنه هالك، وقال صاحب النظم: (أن) ههنا زائدة[٦].

---

(١) لم أجده، وانظر القول بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٠.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٦ ب، عن الحسن مرسلًا، والحديث في «صحيح مسلم» (٢٨٣٥) كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: في صفات الجنة وأهلها، عن جابر.

(٣) ما بين المعقوفين مضطرب في (ى)، وموضوع في غير موضعه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨ مختصرًا، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠ بهذا اللفظ.

(٥) عجز بيت، وصدره:

في فتية كسيوف الهند قد علموا

والبيت للأعشى في «ديوانه» ص١٤٧، «خزانة الأدب» ٥/ ٤٢٦، «الدرر اللوامع» ٢/ ١٩٤، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٧٦، «كتاب سيبويه» ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، «المحتسب» ١/ ٣٠٨، «مغني اللبيب» ١/ ٣١٤، ورواية عجز البيت في «الديوان»:

أن ليس تدفع عن ذي الحيلة الحيل

(٦) ذكره الرازي ١٧/ ٤٧ وأنكره، وكذلك أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٢٨.

١١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾، قال مجاهد: هو[1] قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه[2]. وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وولده وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له[3]، والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته، والاستعجال: طلب العجلة.

قال الفراء: ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ منصوب بوقوع الفعل وهو (يعجل) كما تقول: قد ضربت اليوم ضربك[4]، والمعنى كضربك[5].

وقال أبو إسحاق: نصب (استعجالهم) على [معنى: مثل استعجالهم، على][6] نعت مصدر محذوف، المعنى: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلًا مثل استعجالهم بالخير[7]، وهذا نحو قول الفراء وتفسير له؛ لأنه قد قال: هو مثل قولك ضربت اليوم ضربك، أي: كضربك فيكون المعنى تعجيلًا كاستعجالهم[8]، فالقولان سواء،

---

(١) ساقط من (م).

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٩٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٢، والثعلبي ٧/ ٧ أ، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٣٩.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ٩٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٢، والثعلبي ٧/ ٧ أ، والبغوي ٤/ ١٢٣.

(٤) في (ح): (مضربك).

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٨.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٨ بمعناه.

و(استعجالهم) نصب بـ (تعجيل)[١] في الظاهر على ما قاله الفراء، وهو في الحقيقة نعت مصدر محذوف كما قال أبو إسحاق، واستعجالهم معناه طلبهم العجلة، وهو مصدر مضاف إلى الفاعل، والمعنى: أن الناس لو أجيبوا في الدعاء على أنفسهم وأهليهم عند الغضب كقول الرجل لابنه وحميمه: فعل الله بك وأماتك الله، وعجلوا في ذلك الشر على ما يطلبون كما يطلبون العجلة بالخير.

وزاد ابن قتيبة بيانًا فقال: إن الناس عند الغضب وعند الضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السؤال، يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه به استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم، قال: وفي الكلام حذف واختصار كأنه قال: ولو يعجل الله للناس إجابتهم في الشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير[٢]، وعلى[٣] هذا، الاستعجال مصدر لفعل محذوف، والمصدر يدل على الفعل، كما أن الفعل يدل على المصدر، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾ فعل من الله ﷻ، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ فعل من المخلوقين.

وقال مقاتل في هذه الآية: لو استجيب لهم في الشر كما يحبون أن يستجاب لهم في الخير[٤].

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن» للفراء: يعجل، وانظر نقل المؤلف النص قبل بضعة أسطر.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٩٣.

(٣) في (م): (فعلى).

(٤) هذا قول مقاتل بن سليمان، انظر: «تفسيره» ١٣٨ ب.

وسلك أبو علي الفارسي في الآية طريقة أخرى فقال: المعنى والله أعلم: ولو يعجل الله للناس الشر[1]، أي: ما يدعون به[2] من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر استعجاله إياهم[3] بدعاء الخير فأضيف المصدر إلى المفعول به، وحذف الفاعل، كقوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] في حذف ضمير الفاعل قال: والتقدير: ولو يعجل الله للناس الشر[4] استعجالًا مثل استعجالهم بالخير[5]، وهذا مذهب الكلبي في هذه الآية، فإنه قال: يقول: لو يعجل الله للناس إذا دعوا بالعقوبة كما يعجل لهم الخير إذا دعوا بالرحمة والرزق والعافية فيرزق ويعطي[6]، وعلى هذا: التعجيل والاستعجال كلاهما من الله ﷻ.

---

(١) في «الحجة» دعاء الشر.

(٢) في (م): (إليه).

(٣) هكذا في جميع النسخ، وكذلك هو في إحدى نسخ «الحجة» كما أشار إليه المحقق، ونص بقية النسخ: استعجالهم إياه، ولعل صواب عبارة أبي علي ما ذكره المؤلف ويدل على ذلك ما يأتي:
أ- قول أبي علي: فأضيف المصدر إلى المفعول به، وحذف الفاعل، دليل على أنه أراد ما ذكره المؤلف، إذ إنه على العبارة الثانية يكون المصدر مضافًا إلى الفاعل.
ب- بيان المؤلف أن عبارة الكلبي بمعنى عبارة أبي علي وهذا لا يتحقق إلا على ما ذكره المؤلف.
ج- قول المؤلف: وعلى هذا: التعجيل والاستعجال كلاهما من الله، لا يتحقق إلا بالعبارة التي ذكرها المؤلف، إذ إن العبارة الثانية تفيد أنه أراد العبارة الأخرى؛ لأنه لو أراد العبارة التي ذكرها المؤلف لقال: استعجالًا مثل استعجاله لهم بالخير. فليتأمل.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٤.

(٦) ذكره بنحوه السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٩٠.

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، قال عامة المفسرين: أي لماتوا وهلكوا جميعًا وفرغ من هلاكهم[١]، وقال أبو عبيدة: لفرغ من أجلهم[٢]، والتقدير: لفرغ من أجلهم ومدتهم المضروبة للحياة، فإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكوا، ومعنى الفراغ من المدة: انقضاؤها، والشيء إذا انقضى فرغ منه، ونحو هذه الآية قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١].

فأما ما يتعلق به الجار في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾، قال أبو علي: لما كان معنى (قضى): فرغ [وكان فرغ][٣] قد يتعدى بها الحرف نحو قوله[٤]:

ألان فقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

فلما تعلق (إلى) بفرغ كذلك تعلق بقضى[٥].

وتحقيق التأويل: لو أجيبوا إلى ما يدعون به من الشر والعذاب لفرغ إليهم من أَجَلِهم بأن ينقضي الأجل فيموتوا ويحصلوا في البلاء والعذاب.

وقرأ ابن عامر: (لَقَضَى إليهم أجلَهمَ) على إسناد الفعل إلى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٨، و«تفسير ابن جرير» ١١/ ٩٢، والثعلبي ٧/ ٧أ، والبغوي ٤/ ١٢٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٨.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٥ ولفظه: لفرغ ولقطع ونبذ إليهم. وقد ذكره أبو علي في «الحجة» ٤/ ٢٥٤ بلفظ المؤلف.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) هو: جرير كما في «لسان العرب» (أين) ١/ ١٩٣، ولم أجده في «ديوانه»، ورواية «اللسان»: الآن وقد نزعت . . . إلخ

ونمير: قبيلة عربية معروفة منها الراعي النميري، وكان بينه وبين جرير هجاء ومناقضات. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٣٦.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٥٦ بنحوه.

الفاعل[1]؛ لأن ذكر الفاعل قد تقدم وهو الله ﷻ، في قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾.

وذكر عن بعض المفسرين[2]: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، يدل على صحة هذا قوله: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، يعني الكفار الذين لا يخافون البعث.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعا على جنبه؛ ولهذا المعنى عطف عليه بالحال، كقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] فنسق ﴿وَكَهْلًا﴾ على ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾؛ لأن معناه: ويكلم الناس صغيرًا وكبيرًا، قال ابن الأنباري: وهذا كما يقول القائل إنا بخير وكثير صيدنا، فيعطف (كثيرًا) على الباء، إذ تأويلها: إنا مخصبون[3].

قال ابن عباس: إذا أصاب الكافر ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة أخلص في الدعاء مضطجعًا كان أو قائمًا أو قاعدًا[4]، وإنما يريد جميع حالاته؛ لأن الإنسان لا يخلو من هذه الحالات.

قال أبو إسحاق: وجائز أن يكون: وإذا مس الإنسان الضر لجنبه أو

---

(١) كتاب «السبعة» ص٣٢٣، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٠، «النشر» ٢/ ٢٨٢، وقد وافقه يعقوب كما في المصدرين الأخيرين.

(٢) هو: مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٨ ب، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣١٥.

(٣) لم أجده.

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، وبنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٢، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩.

مسه قاعدًا أو مسه قائمًا دعانا[١]، والمعنى: وإذا مسَّ الإنسان الضر في حال من الأحوال دعانا، قال أبو بكر: وفي هذا القول عندي بُعد؛ لأن إزالة ألفاظ القرآن إلى معنى غامض يُتطلب لها مكروهة؛ إذِ استعمال الظاهر إذا لم يدعُ إلى الغامضِ ضرورةٌ أولى[٢].

قال: ومما يزيد هذا القول فسادًا أنّ اللام في قوله (لجنبه) إذا انتصب بـ (مس) لم يجز أن يدخل بين (دعانا) وما يتعلق به كتعلق الصلة، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ يتصل ما[٣] بعدها بـ (دعانا) وغير جائز أن تقول: دعوت فأجابني عبد الله فأحسن)، من قِبَل أنّ (أحسن) ينعطف على أجابني، فدخول منصوب الأول بينهما لا وجه له[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ [قال ابن عباس: فلما كشفنا عنه][٥] مرضه مرّ طاغيا على ترك الشكر[٦].

وقال الفراء: استمر على طريقته الأولى قبل أن يصيبه البلاء[٧].

وقال الزجاج: مرّ في العافية على ما كان عليه قبل[٨] أن يبتلى ولم

---

(١) اهـ. كلام أبي إسحاق الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩ .
(٢) ساقط من (م).
(٣) في (ى): (بما)، وهو خطأ.
(٤) لم أجد مصدره، وانظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٤، فقد ضعف أبو البقاء أيضًا قول الزجاج المذكور.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠ مختصرًا، و«زاد المسير» ٤/ ١٢ بلا نسبة.
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٥٩.
(٨) ساقط من (ى).

يتعظ بما ناله[١]، وهذا بيان عن حال الجاهل[٢] من الإعراض عما يجب عليه من الشكر على كشف الضر الذي نزل به.

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾، قال الأخفش: ﴿كَأَن لَّمْ﴾ يريد: كأنه لم، فخففت، ومثله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾[٣] [يونس: ٤٥]، وهذا مثل ما ذكرنا في (أن) الخفيفة في مواضع، وقال الحسن: نسي ما دعى الله فيه، وما صنع الله به[٤] فيما كشف عنه من ذلك البلاء[٥].

وقال صاحب النظم في هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: (إذا) موضوعة للمستقبل، ثم قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ وهذا واجب ماضٍ، فهذا النظم محمول على الاشتراك من أن المعنى فيه: إنه هكذا كان فيما مضى، وهكذا يكون في المستأنف، فدل ما فيه من [الفعل المستأنف على ما فيه من المعنى المستأنف، وما فيه من][٦] الماضي على الماضي[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، قال المفسرون: [يقول: كما زُين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء، زُين للمسرفين عملهم[٨]، والمعنى: زُين للمسرفين عملهم تزيينًا

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩.

(٢) في (ى): (الجاهلية).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٦٩.

(٤) في (م): (فيه).

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، ولم أجده عند غيره.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٠.

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٧ ب، والبغوي ٤/ ١٢٤، وابن الجوزي ٤/ ١٣.

مثل تزيين عمل هذا الكافر، فموضع الكاف في (كذلك) نصب أي: جعل الله جزاءهم الإضلال [بإسرافهم(١) في كفرهم؛ لأن تزيينهم لهم ما يعملون إضلال](٢) وهذا معنى قول الزجاج في هذه الآية(٣).

قال ابن عباس: يريد بالمسرفين: المشركين(٤).

قال ابن كيسان: أسرفوا على أنفسهم إذ عبدوا الوثن(٥)، قال عطاء: نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة(٦) والوليد بن المغيرة(٧)(٨).

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الآية](٩)، قال المفسرون: يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية(١٠).

---

(١) في (م): (بإسرارهم)، وهو خطأ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩.

(٤) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٠٩.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٤٠، ولم أجده في مصدر آخر.

(٦) هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، بل عاند وتكبر، وشهد بدرًا مع المشركين وقتل فيها سنة ٢هـ. انظر: «السيرة النبوية» ١/ ٢٧٦، «الأعلام» ٤/ ٢٠٠.

(٧) هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، أبو عبد شمس، كان من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش وأثريائها، أدرك الإسلام وهو هرم، فقاوم دعوته، وسعى لإطفاء نوره حتى هلك سنة ١هـ.
انظر: «السيرة النبوية» ١/ ٢٧٧، «الأعلام» ٨/ ١٢٢.

(٨) «زاد المسير» ٣/ ١٢، «الوسيط» ٢/ ٥٤٠.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(١٠) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ أ، والبغوي ٤/ ١٢٥، والسمرقندي ٢/ ٩١، وأصل القول لمقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٨ ب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾، قال ابن الأنباري: ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق، وإيثارهم الباطل، يدل على هذا قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[(١)].

وقال أبو إسحاق[(٢)]: أعلم الله ﷻ أنهم لا يؤمنون ولو بقّاهم[(٣)] أبدًا، فجائز أن يكون جعل الله جزاءهم الطبع على قلوبهم، كما قال: ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا[(٤)] مِن قَبْلُ﴾ الآية في سورة الأعراف[(٥)]، والدليل أنه طبع على قلوبهم جزاءً لهم قوله[(٦)] تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [قال: وجائز أن يكون أعلم[(٧)] ما قد علم منهم[(٨)(٩)]، وعلى هذا معنى قوله: كذلك نجزي القوم المجرمين][(١٠)]، أي نعاقب ونهلك المشركين المكذبين بمحمد ﷺ كما فعلنا بمن قبلهم.

١٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾، قال

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣/ ١٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٠.

(٢) في (ى): (ابن عباس)، وهو خطأ.

(٣) هكذا، وهو صحيح كما في «اللسان» (بقى) ١/ ٣٣٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٨١، واللفظ في المصدر: أبقاهم.

(٤) في جميع النسخ (كذبوا به)، وهو خطأ.

(٥) رقم: ١٠١، وبقيتها: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

(٦) في (م): (وقوله)، وهو خطأ.

(٧) في (ى): (أعلمهم).

(٨) أي أن الله سبحانه علم موتهم على الكفر فأخبر في هذه الآية بذلك.

(٩) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠، وقد قدم المؤلف بعض الجمل على بعض.

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

ابن عباس: يريد أهل مكة[١].

وقوله تعالى: ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لنختبر أعمالكم، وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون[٢].

وقال أهل المعاني: معنى النظر هو طلب العلم، وجاز في وصف الله تعالى للمظاهرة في العدل بأنه يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣] [الملك: ٢]، وقد مرّ نظائر هذا[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون**»[٥] [وقال قتادة: صدق الله ربنا؛ ما جعلنا خلفاء إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيرًا بالليل والنهار[٦].

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٢) المصدر السابق، نفس المصدر.

(٣) وانظر معنى هذا القول في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٤٧٢، وللنحاس ١/ ٤٨٢.

(٤) انظر مثلًا: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾ [آل عمران: ١٤٢] في «البسيط».

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٤٢) كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، والترمذي في «سننه» (٢١٩١) كتاب: الفتن، باب: ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه، وابن ماجه في «سننه» (٤٠٠٠) كتاب: الفتن، باب: فتنة النساء، وأحمد في «المسند» ٣/ ١٩.

(٦) ذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٣، والرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، ولا أرى نسبته إلى قتادة إلا وهمًا، إذ رواه ابن جرير ١١/ ٩٤، والثعلبي ٧/ ٨ أ، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٤، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٠، عن قتادة، عن عمر.

وقال أبو إسحاق: موضع (كيف) نصب بقوله (تعملون)][(١)]؛ لأنها حرف الاستفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، لو قلت لننظر خيرًا تعملون أم شرًا، كان العامل في (خير) و(شر): تعملون[(٢)].

١٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ الآية، قال قتادة[(٣)]، ومقاتل[(٤)]، والكلبي[(٥)]: نزلت في مشركي مكة؛ قالوا للنبي ﷺ: ائت بقرآن غير هذا، ليس فيه ترك عبادة آلهتنا، قال الزجاج: (بينات) منصوب على الحال[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، قال ابن عباس[(٧)]، والكلبي[(٨)]، وغيرهما[(٩)]: يعني الذين لا[(١٠)] يخافون البعث.

وقوله تعالى: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ أي بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا وذكر البعث والنشور ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي تكلم به من ذات نفسك فبدل منه ما

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (ى).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠.

(٣) رواه ابن جرير ١٥/ ٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٤، والثعلبي ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١٣٨ ب، والثعلبي ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ ب، والسمرقندي ٢/ ٩١، «أسباب النزول» للمؤلف ص٢٧٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٠.

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٠.

(٨) «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩١.

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ٩٥.

(١٠) ساقط من (ى).

نكرهه، قاله المفسرون[١].

وقال أهل المعاني: الفرق بين الإتيان بقرآن غيره وبين تبديله أن الإتيان بغيره قد يكون معه فأما تبديله فلا يكون إلا برفعه ووضع آخر في مكانه أو في شيء منه[٢]، وهذا تعنت وتحكم منهم وإيهام أن الأمر موقوف على ما يرضون به، وليس[٣] يرضون بهذا فيريدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيَ﴾، قال الكلبي[٤]: ما ينبغي لي أن أغيره من قبل نفسي، ولم أومر به[٥].

وقال أهل المعاني: معناه ليس لي أن أتلقاه بالتبديل، كما ليس لي أن أتلقاه بالرد[٦]. ومعنى التلقاء: جهة مقابلة[٧] الشيء، وقد يجعل ظرفًا، فيقال: هو تلقاءه، كما يقال هو حذاءه وإزاءه وقبالته.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ قال ابن عباس: يريد ما أخبركم إلا ما أخبرني الله به[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٨ ب، والبغوي ٤/ ١٢٥، و«الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٢) انظر نحو هذا القول في: «تفسير الرازي» ١٧/ ٥٥-٥٦، والقرطبي ٨/ ٣١٩.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والسياق يقتضي الجمع.

(٤) في (ى) ابن عباس والكلبي، ولم أثبت ابن عباس لعدم ذكره في سائر النسخ (ح) و(م) و(ز).

(٥) لم أعثر على مصدره، وانظر معناه في: «تنوير المقباس» ص٢١٠ عنه، عن ابن عباس.

(٦) ذكر نحو هذا القول الماوردي في «النكت والعيون» ٢/ ٤٢٧، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣١٩، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٧) ساقط من (م).

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، وانظره بمعناه في: «تنوير المقباس» ص٢١٠.

وقال مقاتل: يقول إذا أُمرت بأمر فعلته، ولا أبتدع ما لا[١] أومر به[٢]، وقال الزجاج: تأويله [إن الذي أتيت به من عند الله لا من عند نفسي فأبدله[٣]][٤].

والآية بيان عن[٥] حال الجاهل في التحكم في سؤال الدلالات كما يقول السفيه: [لست أريد هذه الحجة، فهات غيرها][٦]، جهلًا منه بما يلزمه فيها.

١٦- قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾، قال ابن عباس [والمفسرون: يقول: لو شاء الله ما قرأت عليكم][٧] القرآن[٨] ﴿وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ أي: ولا أخبركم ولا أعلمكم الله به، يقال: دريت الشيء وأدراني به الله [والمعنى: أنه لو شاء الله أن لا ينزل القرآن][٩] ما أعلمهم به، ولا[١٠] أمر النبي ﷺ بتلاوته عليهم.

---

(١) في (م): (لم).

(٢) «تفسير مقاتل» ص١١٧ مختصرًا عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١.

(٤) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٨) ذكره الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، وبمعناه رواه ابن جرير ١١/ ٩٥.

(٩) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(١٠) ساقط من (ح).

قال سيبويه: يقال دريته ودريت به، قال: والأكثر [في الاستعمال بالباء[(١)]. ويبين ما قاله[(٢)]][(٣)]. قوله: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولو كان على اللغة الأخرى لكان[(٤)]: ولا أدراكموه، وأدرى: (أفعل) من الدراية وهي [التأني[(٥)] والتعمل[(٦)] لعلم الشيء، وعلى][(٧)] هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة نحو: درى وأدرى بمعنى ختل، وقالوا: داريت الرجل إذا [لاينته وختلته، وإذا كان الحرف][(٨)] على هذا فالداري في وصف الله لا يجوز، فأما قول الراجز:

لا هُـمّ لا أدري وأنـت الـداري[(٩)]

[فإنما استجاز ذلك لتقدم لا أدري][(١٠)] كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] ونحوه، ولو لم يتقدم ذكر الاعتداء لم

---

(١) انظر قول سيبويه في «الحجة» لأبي علي ٤/ ٢٦٠، و«الكتاب» لسيبويه ١/ ٢٣٨ تحقيق هارون، ونصه: (ومثل ذلك دريت في أكثر كلامهم؛ لأن أكثرهم يقول: ما دريت به، مثل: ما شعرت به).

(٢) في (ح): (قالوا).

(٣) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٤) في (م): (لقال).

(٥) هكذا في (م) و(ز) و(ص)، وبدون نقط في (ى)، و بهذا اللفظ في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٦٠، الذي نقل منه المؤلف النص، ولعل الصواب: التأتي بدلالة قوله: والتعمل.

(٦) في (ى): (العمل)، والتعمل: التعني، تقول: سوف أتعمل في حاجتك: أي أتعنى.

انظر: «لسان العرب» (عمل) ٥/ ٣١٠٨.

(٧)، (٨) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٩) الرجز للعجاج، انظر: «ديوانه» ١/ ١٢٠ وبعده:

كـل امـرئ مـنـك عـلـى مـقـدار

(١٠) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

يحسن في الابتداء [الأمر بالاعتداء، على أن الأعراب][1] ربما ذكروا[2] أشياء لا مساغ لها[3] كقوله[4]:

اللهم إن كنت الذي بعهدي ولم تُغيرك الأمور بعدي

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾.

قال ابن عباس: يريد أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم شيئًا ولا آتيكم [به[5].

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي][6] أتيتكم به.

وقال الزجاج: أي قد لبثت فيكم من قبل أن يوحى إليّ لا أتلو كتابًا ولا أخطه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليّ، إذ كنتم تعرفونني بينكم[7]، نشأت لا أقرأ الكتب، فإخباري إياكم بأقاصيص الأولين من غير

---

(١) بياض في (ح).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) يعني أنه ليس كل ما ورد عن العرب يجوز وصف الله به، بل يجب الاقتصار على الوارد في الكتاب والسنة.

(٤) لم أهتد إلى قائله، ونسبه الفارسي في «الحجة» ١/ ٢٦١، إلى بعض جفاة الأعراب، وانظر البيت بلا نسبة في «المخصص» ٣/ ٤، «لسان العرب» (روح) ٣/ ١٧٦٧، وفي هذه المصادر: لاهم. وفي «المخصص»، «اللسان»: ولم تغيرك السنون.

(٥) ذكره بلفظه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١، ورواه بمعناه البخاري في «صحيحه» (٣٨٥١) كتاب المناقب، باب: مبعث النبي ﷺ، وأحمد في «المسند» ١/ ٣٧١، والثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٩/أ.

(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٧) ساقط من (ى).

كتاب ولا تلقين يدل على أنه إنما أتيت به من عند الله[١] جل وعز[٢].

وقال غيره: يقول قد أتى عليّ عُمُر وأنا بهذه الصفة لا أتلوه عليكم ولا يعلمكم به الله، حتى أمرني به وشاء إعلامكم[٣].

١٧- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية (فمن) ههنا استفهام معناه الجحد، أي لا أحد أظلم ممن هذه صفته، والمعنى: لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر، كأنه قيل: لا أحد أظلم من الكافر.

قال ابن عباس: يريد: إني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكًا وعبدتم الأوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عند الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، قال: يريد: لا يسعد من كذب أنبياء الله[٥].

١٨- قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾

---

(١) هذا أحد وجوه إعجاز القرآن، لكنه ليس الوجه الذي تُحديت به البشرية، ودل على صدق الرسول لكافة الناس، بل نظم القرآن ونسقه، وتركيب جمله، وبراعة بلاغته، هو الذي حير الألباب، وأخرس ألسنة المعاندين، وأجبرهم على الإقرار بالعجز عن الإتيان بمثله.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١ بنحوه.

(٣) ذكر نحو هذا القول النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٥٤.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤١.

يعني أهل مكة، قال أبو إسحاق: المعنى: ما لا يضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه[(١)].

وذمّ هؤلاء بعبادة الوثن الذي لا يضر ولا ينفع؛ لأن هذا غاية الجهل حيث عبدوا جمادًا فهم أجهل[(٢)] ممن عبد من دون الله من ينفع ويضر في الظاهر.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، قال أهل المعاني: توهموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله من قصده بالعبادة، فعبدوها وأحلوها محل الشافع عند الله[(٣)].

وقال الحسن: شفعاء في إصلاح معاشهم في الدنيا؛ لأنهم لا يقرون بالبعث؛ ألا تسمعه يقول: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾[(٤)] [النحل: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله [أن له شريكًا ولا يعلم الله لنفسه شريكًا في السموات ولا في الأرض؛ لأنه لا شريك له، فذلك لا يعلمه ولو كان لعلم[(٥)].

---

(١) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١.

(٢) في (ى): (أهل جهل)، وهو خطأ.

(٣) ذكر نحو هذا القول الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٥٩-٦٠، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٦، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٦. والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢.

قال أهل المعاني][(١)]: هذا على طريق الإلزام؛ لأنه ينكر ما يخبرون به من عبادة الأوثان وكونها شافعة، يقول: أتخبرون الله بالكذب وبما يعلم أنه ليس[(٢)]؛ لأنه لا يشفع عند الله إلا من أذن له بالشفاعة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [وقرئ (تُشركون)][(٤)] بالتاء[(٥)]؛ فمن قرأ بالتاء فلقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾، ومن قرأ بالياء فكأنه قيل للنبي ﷺ: قل أنت: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ويجوز أن يكون هو سبحانه نزه نفسه عما افتروه، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٦)].

١٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي مجتمعة على دين واحد، قال عطاء، عن ابن عباس: يعني من لدن إبراهيم إلى أن غيّر الدين عمرو بن لحي، فاختلفوا واتخذوا الأصنام أربابًا وأندادًا مع الله[(٧)].

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ح).

(٢) هكذا في جميع النسخ (ح) و(ى) و(م) و(ز) و(ص)، والكلام غير مرتبط بما بعده، ولعل المعنى: ليس شفيعًا، أو ليس مأذونًا له بالشفاعة.

(٣) لم أعثر على مصدر هذا القول.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء على الخطاب، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٦١، «النشر» ٢/ ٢٨٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٨.

(٦) انظر: توجيه القراءة في «الحجة» ٤/ ٢٦٤.

(٧) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٠ أ، عن عطاء، وانظر: «تفسير الوسيط» للمؤلف ٢/ ٥٤٢.

وقال الكلبي: يعني أمة كافرة على عهد إبراهيم، فاختلفوا فآمن بعضهم وكفر بعضهم[(١)].

وقال مجاهد: كانوا على ملة الإسلام إلى أن قتل أحد بني آدم أخاه[(٢)]، وهو قول السدي[(٣)].

وحكى الزجاج وابن الأنباري: أن الناس ههنا العرب، وكان دينهم في أول دهرهم[(٤)] الكفر ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من آمن ومنهم من كفر[(٥)].

وقد ذكرنا الاختلاف في هذا في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية[(٦)].

---

(١) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٢.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٩ أ، ورواه بنحوه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ٩٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٦، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٢.

(٣) رواه الثعلبي في نفس الموضع، وذكره أيضًا المصنف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢.

(٤) في (ى): (الدهر).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٢ بنحوه، ولم أعثر على قول ابن الأنباري.

(٦) قال في هذا الموضع: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية، قال ابن عباس: كان الناس على عهد إبراهيم ﷺ أمة واحدة كفارًا كلهم، وولد إبراهيم في جاهلية، فبعث الله إليهم إبراهيم وغيره من النبيين، وقال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر، قال ابن الأنباري على هذا القول: وإن كان فيما بينهم من لم يكن بهذا الوصف نحو هابيل وإدريس فإن الغالب كان الكفر، والحكم للأغلب، وقال الكلبي والواقدي: هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين كلهم ثم اختلفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس(١)، والكلبي(٢)، والحسن(٣)، والمفسرون(٤): سبق من الله أنه أخر هذه الأمة، ولا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم.

ومعنى ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفصل بينهم ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، قال ابن عباس: بنزول العذاب(٥)](٦).

وقال أبو روق: بإقامة الساعة(٧).

وقال الحسن: بإدخال المؤمنين الجنة بأعمالهم، والكافرين النار

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠ من رواية الكلبي.

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧، والسمرقندي ٢/ ٩٢.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وقد ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ١٨٧ بلفظ: يعني المؤمنين والكافرين، لولا أن الله قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحسابهم في الدنيا بحساب الآخرة. ونحوه عند القرطبي ٨/ ٣٢٢.

(٤) لم أجد أحدًا من المفسرين المصنفين ذهب إلى هذا القول سوى المؤلف في = «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، وهذا القول فيه نظر إذ ليس للأمة ذكر في الآية، والضمير يعود إلى الناس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ والمراد بهم عامة الناس أو العرب خاصة، كما بينه المؤلف، وقد ذهب ابن جرير ١١/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٢٧، والسمرقندي ٢/ ٩٢، وابن عطية ٧/ ١٢٣، وغيرهم إلى أن معنى الجملة: لولا أنه سبق من الله أن لا يهلك قومًا إلا بعد انقضاء آجالهم المقدرة لقضي بين المختلفين.

(٥) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٠ بمعناه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٥، عن الكلبي، كما أشار إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ١٧ دون تعيين القائل.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ.

بكفرهم ولكنه[١] سبق من الله الأجل فجعل موعدهم يوم القيامة[٢].

وقال أهل المعاني: لولا كلمة سبقت من ربك في أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة إنعامًا عليهم في التأني بهم لقضي بينهم في اختلافهم بما يضطرهم إلى علم المحق من المبطل[٣].

٢٠- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريدون مثل العصا وما أنزل على موسى؛ سألوه أن يأتيهم بآية من ربه كما جاءت الأنبياء[٤]، هذا قول المفسرين[٥].

وقال أهل المعاني: سألوا آية تضطر إلى المعرفة، ولم يطلبوا معجزة؛ لأنه قد أتاهم بمعجزة، وإنما طلبوا آية يعلم بها صحة النبوة لا محالة من غير أن يوكلوا إلى الاستدلال بالآية[٦].

وقال بعضهم: طلبوا آية غير القرآن[٧].

---

(١) في (ى): (وقد).

(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧.

(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٦٣ دون تعيين القائل، وبنحوه قال الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٣٠، ولم أجده في كتب أهل المعاني.

(٤) لم أعثر على مصدره.

(٥) انظر: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٨٧، وابن الجوزي ٤/ ١٧، والقرطبي ٨/ ٣٢٣، وابن كثير ٢/ ٤٥٢، وأبو حيان ٥/ ١٣٦.

(٦) وإلى هذا القول ذهب ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٢٣.

(٧) انظر: «تفسير الرازي» ١٧/ ١٦٤، وقال الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٣٠: وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات، دقيقة المسلك من بين المعجزات، وجعلوا نزولها كلا نزول.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [قال المفسرون: يعني قل لهم: إن قولكم هلا أنزل عليه آية غيب، وإنما الغيب لله][١] لا يعلم أحد لِمَ لَمْ يفعل ذلك، وهل يفعله أم لا، وإن فعله متى يفعل[٢]؟ وهذا على التسليم أنه مما لا يعلمه العباد فيجب أن يوكل إلى علام الغيوب[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ أي نزول الآية ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لنزولها.

٢١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يعني كفار مكة[٤] ﴿رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ يعني مطرًا وخصبًا وغنى من بعد قحط وبؤس وفقر، قال أهل المعاني: قيل: أذقناهم رحمة، على طريق البلاغة لشدة إدراك الحاسة[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾، قال عطاء وابن عباس:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) انظر معنى هذا القول في: «تفسير الطبري» ١١/ ٩٩، والثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧.

(٣) في (م): (الغيب).

(٤) رواه عن ابن عباس بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢١، وهو قول مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» ١٣٦ ب، وبه قال الثعلبي ٧/ ١٠ أ، والبغوي ٤/ ١٢٧، والنحاس في «معاني القرآن الكريم» ٣/ ٢٨٤، وغيرهم، لكنهم لم يخصوا كفار مكة، بل قال أبو حيان في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٦: وهذه وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير. وسبقه إلى ذلك ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٢٣.

(٥) لم أقف عليه.

(قول بالتكذيب في آياتنا)[١].

وقال مجاهد: (استهزاء وتكذيب)[٢]، وعلى هذا، الآيات يراد به[٣] القرآن، والمعنى أنهم إذا أخصبوا بطروا وكذبوا بالقرآن، وسمي تكذيبهم بآيات الله مكرًا؛ لأن المكر صرف الشيء عن وجهه على طريق الحيلة فيه، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يجدون إليه السبيل من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة.

وقال مقاتل[٤]: يعني لا يقولون هذا رزق الله، إنما يقولون سقينا بنوء كذا، وعلى هذا، المراد بالآيات: إذاقة الرحمة والخصب بعد القحط، وإنزال المطر بعد الجدوبة.

قال أبو إسحاق: قوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ جواب الجزاء، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] المعنى: وإن تصبهم سيئة قنطوا، ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾[٥] مكروا، ف (إذا) تنوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل[٦]، وكما تنوب الفاء، وزاد

---

(١) رواه عن ابن عباس بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢١، ولم أعثر على مصدر قول عطاء، لكنّ أبا حيان قال في «البحر المحيط» ٥/ ١٣٦: قاله جماعة.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ٩٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٣٨، والثعلبي ٧/ ١٠ ب، والبغوي ٤/ ١٢٧، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٢.

(٣) هكذا في جميع النسخ بالتذكير.

(٤) هو: ابن حيان كما في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠ ب، وابن الجوزي ٤/ ١٨.

(٥) ألحق محقق «معاني القرآن» بالجملة قوله تعالى: ﴿رحمة﴾ وأشار إلى أنها زيادة يقتضيها السياق، وليست بالنسخ الخطية للكتاب.

(٦) اهـ. كلام الزجاج، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٢.

الفراء فقال: وكذلك يفعلون بـ (إذ) كقول الشاعر[١]:

بينما هن بالأراك معًا إذ أتى راكب على جمله

قال: وأكثر الكلام في هذا الموضع أن تطرح (إذ) كقوله[٢]:

بينا تبغّيه العشاء وطوفه سقط العشاء به على سرحان[٣]

وهذا الفصل يأتي مشروحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] في سورة الروم إن شاء الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، قال عطاء: أسرع نقمة[٥]، والمعنى جزاءً على المكر، وذلك أنهم جعلوا جزاء النعمة المكر مكان الشكر، فقوبلوا بما هو أشد، وتأويل قوله: ﴿أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أن ما يأتيهم من العقاب[٦] أسرع في

---

(١) هو: جميل بن معمر العذري، انظر: «ديوانه» ص٨٥، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٢٢، و«الأغاني» ٨/ ٩٩، و«خزانة الأدب» ٨/ ٥٨، ١٠/ ٢٣، و«مغني اللبيب» ص ٤١٠، و«القاموس المحيط» (ما).

(٢) هو: عبد الله بن عنمة الضبي كما في «الأيام والليالي والشهور» للفراء ص٦٢، «لسان العرب» (قمر) ٦/ ٣٧٣٦، «شرح أبيات معاني القرآن» ص٣٧٧، ولصدر البيت رواية أخرى هي:

أبلغ عشيمة أن راعي إبله سقط .... إلخ

(٣) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٥٩.

(٤) اقتصر في هذا الموضع على ما نصه: وإن تصبهم سيئة يعني شدة وبلاء، وبما قدمت أيديهم، أي بما عملوا من السيئات، إذا هم يقنطون (إذا) جواب الشرط، وهو مما يجاب به الشرط، قوله: (إذا هم يقنطون) في موضع قنطوا.

(٥) لم أعثر على مصدر قوله.

(٦) في (ى): (العذاب).

إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال آيات الله، وهذا معنى قول مقاتل: فقتلهم الله يوم بدر[١]، يعني: جزاء مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم، فكان[٢] أسرع في إهلاكهم من كيدهم في إهلاك محمد ﷺ وإبطال ما أتى به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ وعيد لهم على المجازاة به[٣] في الآخرة، ويعني بالرسل الحفظة.

٢٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الآية، يقال سيرت القوم من بلدة إلى بلدة: أي أشخصتهم، وقرأ ابن عامر: (ينشركم)[٤] من النشر بعد الطي، والمعنى: يفرقكم ويبثكم، وحجته قوله: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، قال بعضهم: في الآية إضمار على تقدير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فتسيرون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾[٥]، وذكرنا الكلام في الفلك في سورة البقرة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، قال أبو إسحاق: ابتداء

---

(١) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٢، ولعل القول لمقاتل بن حيان؛ إذ ليس موجودًا في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٢) في (ح) و(ز): (في)، وهو خطأ.

(٣) في (ى): (له).

(٤) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٥، «النشر» ٢/ ٢٨٢، «إرشاد المبتدي» ص٣٦١، وقد وافقه أبو جعفر كما في المصدرين الأخيرين.

(٥) انظر: «تفسير الكشاف» ٢/ ٢٣١، والرازي ١٧/ ٦٩.

(٦) البقرة: ١٦٤، وقال في هذا الموضع: الفلك: واحد وجمع، ويذكر ويؤنث، وأصله من الدوران، وكل مستدير فلك، وفلك السماء اسم لأطواق سبعة تجري فيها النجوم، والسفينة سميت فلكًا؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور . . . إلخ.

الكلام خطاب، وبعد ذلك إخبار عن غائب؛ لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطب جاز له أن يرده إلى الغائب، وأنشد:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية[١] إن تقلت[٢][٣]

فقوله (تقلت)، خبر عن غائب بعد المخاطبة.

وقوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، قال الفراء: يعني الفلك، فقال: ﴿جَآءَتۡهَا﴾ وقد قال: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ ولم يقل وجرت، وكلٌ صواب، تقول: النساء قد ذهبت وذهبن، والفلك يؤنث ويذكر، ويكون واحدًا[٤] وجمعًا[٥].

وقوله تعالى: ﴿عَاصِفٌ﴾، قال الزجاج والفراء: ريح عاصف وعاصفة وقد عصفت عصوفًا وأعصفت، فهي معصف ومعصفة[٦].

قال الفراء: والألف[٧] لغة بني أسد[٨] ومعنى عصفت الريح: اشتدت، وأصل العصف السرعة، يقال: ناقة عاصف وعصوف: سريعة،

---

(١) في (ح): (مقلة، وهو خطأ.

(٢) البيت لكثير عزة من تائيته المشهورة، انظر: «ديوانه» ٢/ ١٣، «أمالي القالي» ٢/ ١٠٩، «لسان العرب» (قلا) ٦/ ٣٧٣١، وهو في «الصحاح» (قلا) بلا نسبة.

(٣) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٣.

(٤) في «معاني القرآن»: واحدة.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٠، وانظر التذكير والتأنيث للفلك في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٢٧٨.

(٦) انظر قول الفراء في المصدر السابق، نفس الموضع، وقول الزجاج في «زاد المسير» ٣/ ١٩، «تفسير الرازي» ١٧/ ٧٠، ولم أجده في كتابه «معاني القرآن».

(٧) في «معاني القرآن» (وبالألف) يعني: أعصفت.

(٨) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٠.

وإنما قيل ريح عاصف؛ لأنه يراد ذات عصوف، كما قيل لابن، وتامر[١]، أو لأن لفظ الريح مذكر[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، الموج ما ارتفع من الماء فوق الماء، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، قال أبو عبيدة والقتيبي: أي دنوا من الهلاك[٣]، وأصل هذا أن العدو إذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من الهلاك، وذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٤] [البقرة: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، قال ابن عباس: يريد تركوا الشرك فلم يشركوا به من آلهتهم شيئًا، وأخلصوا لله الربوبية والوحدانية[٥]، وقالوا: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ أي: من هذه الريح

---

(١) في «لسان العرب» (تمر) ١/ ٤٤٥: يقال: رجل تامر ولابن: أي ذو تمر وذو لبن.

(٢) قال ابن الأنباري: الريح من الرياح مؤنثة، والريح: الأرَج والنشر- وهما حركتا الريح- مذكر، أنشدنا أبو العباس، عن سلمة، عن الفراء، قال: أنشدني بعض بني أسد:

كم من جراب عظيم جئت تحمله ودهنة ريحها يغطي على التفل

قال: أنشدنيه عدة من بني أسد كلهم يقول: يغطي، فيذكرونه على معنى النشر، ويجوز أن يكون ذكَّروه إذ كانت الريح لا علامة فيها للتأنيث موجودة. «المذكر والمؤنث» ١/ ٢٥٧، وانظر: «اللسان» (روح) فقد نص على أن الريح مؤنثة.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٧، «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٢.

(٤) قال هناك ما نصه: ويكون المعنى في (أحاطت به خطيئته) أهلكته، من قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، قال ابن السراج: أحاطت به خطيئته: أي: سدت عليه مسالك النجاة.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٢٠، «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٧٣، «البحر المحيط» ٥/ ١٣٩.

العاصف، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال(١): يريد من الموحدين والطائعين.

٢٣- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، قال الزجاج: المعنى: فلما أنجاهم بغوا(٢)، وذلك أن (إذا) تقع موقع الفعل كقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ](٣) إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، [على معنى قنطوا، ونذكر الكلام في هذا عند قوله ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(٤)](٥).

﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: يعملون بالفساد والمعاصي بغير الحق، قال ابن عباس: يريد بالفساد(٦) والتكذيب والجرأة على الله(٧)، ومعنى البغي: قصد الاستعلاء بالظلم، وأصله من الطلب(٨).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يريد: أهل مكة، ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بغي بعضكم على بعض متاع في الدنيا، وليس مما يقرب إلى الله، وإنما تأتونه لحبكم العاجلة.

---

(١) يعني ابن عباس، انظر: «تنوير المقباس» ص٢١١، «الوسيط» ٢/ ٥٤٣.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٤.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ى) و(ز) و(ص).

(٤) يعني آية سورة الروم السابقة.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) في (ى): (بالمعاصي والفساد ... إلخ، ولم أثبت الكلمة لعدم وجودها في المصدر ولا في سائر النسخ.

(٧) «تفسير الرازي» ١٧/ ٧١.

(٨) في «تهذيب اللغة» (بغى) ١/ ٣٦٧: يقال: ابغني كذا وكذا: أي اطلبه لي، ومعنى ابغني وابغ لي سواء، فإذا قال: ابغني كذا وكذا فمعناه أعني على بُغائه واطلبه معي.

قال أبو إسحاق: ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تقرأ بالرفع وبالنصب[1]، فالرفع من جهتين: أحدهما: أن يكون ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ خبرًا لقوله: ﴿بَغْيُكُمْ﴾، ويجوز أن يكون خبر الابتداء ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ ويكون ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رفعًا على إضمار (هو) ومعنى الكلام: إن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾، ومن نصب فعلى المصدر، المعنى: [تمتعون متاع الحياة][2] الدنيا؛ لأن قوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ يدل على أنهم يتمتعون[3].

وزاد أبو علي الفارسي بيانًا فقال: قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ يحتمل تأويلين؛ أحدهما: أن يكون متعلقًا بالمصدر؛ لأن فعله متعد بهذا الحرف يدل على ذلك قوله: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الحج: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢]، فإذا جعلت الجار من صلة المصدر كان الخبر ﴿مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [والمعنى: ما ذكرنا أن بغي بعضكم على بعض متاع][4] في الدنيا[5].

---

(١) قرأ بنصب (متاع) حفص وحده، وقرأ الباقون بالرفع، انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٧٠، «تقريب النشر» ص١٢٢، وقد وافق حفصًا جمع من القراء غير العشرة، انظر: «زاد المسير» ٤/ ٢٠، «البحر المحيط» ٥/ ١٤٠.

(٢) ما بين المعقوفين هكذا نصه في (ح) تمتعون به في الحياة، وهو خطأ سببه الجملة السابقة المشابهة لهذه الجملة في لفظها.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) ما بين العلامتين من كلام المؤلف، وهو بمعناه في «الحجة»، وفيها زيادة.

ويجوز أن تجعل[١] (على) خبر المبتدأ ولا تجعله من صلة المصدر، وحينئذ يكون خبرًا للمصدر، ويكون متعلقًا بمحذوف على تقدير: إنما بغيكم عائد على أنفسكم، أي: عملكم بالظلم يرجع إليكم، كما قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾[٢] [فصلت: ٤٦]، [الجاثية: ١٥]، وهذا في[٣] المعنى كقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ﴾ [الفتح: ١٠]، فإذا رفعت ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ على هذا التأويل كان خبر[٤] مبتدأ محذوف، كأنك قلت: ذاك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا[٥]، ومن نصب ﴿متاعَ﴾ جعل (على) من صلة المصدر، فيكون الناصب للمتاع هو المصدر الذي هو البغي، ويكون خبر المبتدأ محذوفًا، وحسن حذفه لطول الكلام، وهذا المحذوف لو أظهرته لكان يكون: مذموم[٦] أو مكروه أو منهي عنه، ويجوز أن تجعل (على) خبر المبتدأ وتنصب (متاع) على: تمتعون متاعًا، فيدل[٧] انتصاب المصدر على المحذوف[٨].

---

(١) في (م): (تحمل).

(٢) ما بين العلامتين من كلام المصنف، وليس موجودًا في «الحجة».

(٣) ساقط من (ى).

(٤) في (ى): (خبره)، وهو خطأ يجعل الجملة لا معنى لها.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) في (م): (مذمومًا أو مكروهًا أو منهيًا عنه)، وفي بقية النسخ و«الحجة» بالرفع، والتقدير: إنما بغيكم على أنفسكم مذموم أو مكروه.

(٧) في (م): (فظهر)، وهو خطأ.

(٨) اهـ. كلام أبي علي. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٦٦-٢٦٨ بتصرف واختصار.

٢٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، معناه: إنما القول في تشبيه حال الحياة الدنيا كالقول في ماء[1] على ما ذكر من صفته؛ لأن معنى المثل: قول يشبّه فيه حال الثاني بالأول، ويجوز أن يكون المعنى: صفة الحياة الدنيا كماء، وذكرنا الكلام في معنى المثل[2]، وأراد بالحياة الدنيا الحياة الفانية في هذه الدار.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ معنى الاختلاط تداخل الشيء بعضه في بعض، يعني فاختلط -بسبب ذلك الماء الذي أنزلناه- نبات الأرض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البقول والحبوب والثمار ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من المراعي والكلأ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾، قال ابن عباس: يريد زينتها وحسنها وخصبها[3].

قال الزجاج: الزخرف كمال حسن الشيء[4].

وقال غيره: يعني: حسن ألوان الزهر الذي يروق البصر[5]، ومضى الكلام في معنى الزخرف عند قوله: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ قال ابن عباس: يريد بالحبوب

---

(١) في (ح) و(ز): (الماء).

(٢) انظر: «تفسير البسيط» البقرة: ٢٦.

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١١ مختصرًا، وفي «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٠٢، عن ابن عباس، قال: فنبت بالماء كل لون.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٥) لم يتبين لي القائل، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣، وذكر نحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٣، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٢٨.

والثمار[١]، وقيل: بنباتها[٢].

قال[٣] الزجاج: يعني: تزينت، فأدغمت التاء في الزاي [وسكنت الزاي][٤] فاجتلبت لها ألف الوصل[٥]. وهذا مثل ما ذكرنا في: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾[٦] [البقرة: ٧٢]، و﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾، قال ابن عباس: يريد أهل تلك الأرض أنهم قادرون على حصادها وجدادها وقطعها[٧]، وقال الزجاج: أي قادرون على الانتفاع بها[٨].

وقال أهل المعاني: أخبر عن الأرض، والمعنى للنبات إذ كان مفهومًا[٩]، وقيل رد الكناية إلى الغلة؛ لأن ما سبق من الكلام يدل عليها فكأنها قد ذكرت[١٠].

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٢، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٥، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١١، تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ وهو أولى مما ذكره المؤلف.

(٢) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٣، وابن جرير ١١/ ١٠٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤١، عن قتادة.

(٣) في (م): (وقال).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٦) يعني في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾.

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

(٩) هذا قول قطرب، انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١ ب.

(١٠) ذكره الثعلبي في المصدر السابق، نفس الموضع، والبغوي في «تفسيره» ٤/ ١٢٩، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١٧/ ١٤٠.

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾، قال ابن عباس: يريد عذابنا[(١)]، والمعنى: أمرنا بهلاكها.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾، قال ابن عباس: لا شيء فيها[(٢)].

وقال الضحاك: يعني المحصود[(٣)]، وعلى هذا المراد بالحصيد [الأرض التي حصد نبتها، ويجوز أن يكون المراد بالحصيد][(٤)] النبات والغلة، قال أبو عبيدة: الحصيد المستأصل[(٥)].

وقال غيره: الحصيد: المقطوع والمقلوع[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾، قال الليث: يقال للشيء إذا فني: كأن لم يغن بالأمس، أي كأن لم يكن، من قولهم: غني القوم في دارهم، إذا أقاموا بها[(٧)]. وهذا معنى قول ابن عباس: كأن لم تكن أمس[(٨)]، وعلى هذا، المراد به الغلة.

وقال الزجاج: كأن لم تعمر بالأمس، والمغاني: المنازل التي يعمرها أهلها بالنزول[(٩)]، ونحو هذا قال ابن قتيبة: كأن لم تكن عامرة

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٣.

(٢) ذكره الرازي في المصدر السابق، نفس الموضع.

(٣) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٧٧.

(٦) هذا قول الثعلبي، انظر: «تفسيره» ٧/ ١١ ب.

(٧) النص في كتاب «العين» (غني) ٤/ ٤٥١ بنحوه، وهو في «تهذيب اللغة» (غني) ٣/ ٢٧٠٤، لكنه جعله نصين وذكر كل نص في موضع.

(٨) «تنوير المقباس» ص٢١١.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥.

بالأمس[١]، وعلى هذا، المراد به الأرض.

وقال بعض أهل المعاني: معناه[٢]: كأن لم تقم على تلك الصفة فيما قبل[٣]، وهذا القول جامع للأرض والغلة جميعًا، والكلام في (أمس) يأتي عند قوله: ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ [القصص: ١٩]، إن شاء الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ﴾ أي: كما بينا هذا المثل للحياة الدنيا كذلك نبين آيات القرآن.

وقوله[٥]: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في المعاد، هذا الذي ذكرنا تفسير الآية ومعناها على ما ذكره المفسرون وأصحاب المعاني، وتأويلها: أن الله تعالى ضرب مثلا للحياة الدنيا في هذه الدار الفانية بما أنزله من السماء، فجعله سببا لالتفاف النبات وكثرته، حتى تتزين به الأرض وتظهر بهجتها بحمرة النوار وبياض الزهر وخضرة العشب، وظن الناس أنهم منتفعون ومستمتعون بجميع ذلك، فبينا هم على ذلك الظن جُعلوا[٦] على غير شيء؛ لأن القادر عليهم وعليها أهلكها[٧]، وردها إلى الفناء حتى كأن لم تكن،

---

(١) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٢.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وانظره بنحوه في: «تفسير هود بن محكم» ٢/ ١٨٩.

(٤) قال في هذا الموضع: (أمس) اسم لليوم الماضي الذي هو قبل يومك، وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين، وقال الكسائي: بني على الكسر؛ لأنه فعل سمي به، ومن العرب من يبنيه على الفتح، قال الفراء: ومن العرب من يخفض الاسم وإن أدخل عليه الألف واللام، وأنشد . . . إلخ.

(٥) ساقط من النسخ عدا (م).

(٦) في (م): (حصلوا).

(٧) ساقط من (ى).

كذلك الحياة في[(١)] الدنيا سبب[(٢)] اجتماع[(٣)] المال وزهرة الدنيا وعروضها وما فيها مما يروق ويعجب[(٤)]، حتى إذا كثر ذلك واجتمع منه شيء كثير عند صاحبه، وظن أنه متمتع[(٥)] به، سلب ذلك عنه بموته أو بحادثة تأتي على ما قد جمعه بالإهلاك والتبديد، وهذا بيان عما يوجب الحذر عن[(٦)] الركون إلى الدنيا، والحياة فيها[(٧)]، والاغترار بها.

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: ببعث الرسول، ونصب الأدلة يدعو إلى الجنة، ودار السلام هي الجنة، وذكرنا الكلام فيها عند قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وذكرنا في السلام قولين؛ أحدهما: أنه اسم الله تعالى؛ لأنه سلم مما يلحق الخلق من الغير والفناء[(٨)]، وقال المبرد: تأويله: أنه ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو تخليص من المكروه[(٩)]، وعلى هذا (السلام) مصدر سلم.

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) في (ى): (جمع).

(٤) في (ح): (يروق العجب ويعجب). ولا معنى له.

(٥) في (م): (ممتع).

(٦) هكذا في جميع النسخ، والصواب: (من).

(٧) لعل المقصود: الحياة فيها بفسق وفجور وطول أمل، أو نحو ذلك مما يناسب السياق.

(٨) انظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٢١٥.

(٩) رواه عنه الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢٥٣، والأزهري في «تهذيب اللغة» (سلم) ٢/ ١٧٤٢، على أن السياق في الموضعين يحتمل أن القول للزجاج، لكن ابن منظور أثبت القول للمبرد، انظر: «لسان العرب» (سلم) ٤/ ٢٠٧٨.

وقال النضر بن شميل: سمى نفسه سلامًا؛ لأن الخلق سلموا من ظلمه[١]، وهذا أيضًا مثل قول المبرد؛ لأن معناه ذو السلام، قال ابن الأنباري: وعلى هذا هو من باب حذف المضاف كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] وأمثاله[٢].

القول الثاني: أن السلام جمع سلامة، ومعنى دار السلام: الدار التي من دخلها سلم من الآفات؛ كالموت والمرض والألم والمصائب ونزغات الشيطان والكدّ والعناء، وخوف العاقبة، وغير ذلك مما يكون في الدنيا.

وقال قوم: سميت الجنة دار السلام؛ لأن الله تعالى يسلم على أهلها، قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، والملائكة يسلمون عليهم أيضًا][٣]، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، وهم أيضًا يحيّي بعضهم بعضًا بالسلام، قال الله تعالى عنهم: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[٤] [إبراهيم: ٢٣]، وهذا معنى قول الحسن: إن السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم[٥]، وكنا وعدنا في تفسير قوله: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٧] زيادة بيان ههنا.

---

(١) انظر: «زاد المسير» ٨/ ٢٥، ولم يعين القائل.

(٢) «الزاهر» ١/ ٦٤ بنحوه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٤) ذكر نحو هذا القول مختصرًا الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٢٩.

(٥) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب.

وقوله[١]: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، قال المفسرون وأصحاب الحقائق[٢]: عَمّ بالدعوة وخَصّ بالهداية من شاء؛ لأن الحكم له في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[٣].

٢٦- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾، قال ابن عباس: يريد للذين قالوا لا إله إلا الله[٤].

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة**»[٥].

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) أصحاب الحقائق عرفًا هم الباحثون في السلوك وأعمال القلوب، المتعرفون إلى الله عن طريق الذوق والكشف، وغالب ما يدعونه من الحقائق بدع وأهواء. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٠/ ١٥٦، ١٥٩، ١٧١. والظاهر أن المؤلف هنا يعني علماء الكلام، وانظر النص بنحوه في: «الإبانة عن أصول الديانة» ص٢١٦، وكتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٩١، وكتاب «أصول الدين» لأبي منصور البغدادي ص١٤٠.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٢٩، والسمرقندي ٢/ ٩٤، «الوسيط» للمؤلف ٢/ ٥٤٤.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٤، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» باب: ما جاء في فضل الكلمة الباقية ١/ ٨٤، والطبراني في كتاب «الدعاء» ٣/ ١٥٠٩، من رواية علي بن أبي طلحة.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٢ ب، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٦، وأبو الشيخ والدارمي في «الرؤية»، وابن مردويه واللالكائي والخطيب وابن النجار، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧، وفي سند ابن منده والثعلبي متروك وهو: نوح بن أبي مريم كما في «الكاشف» ٧/ ٣٢، «تهذيب التهذيب» ٣٤٧، ولم أطلع على سنده في المصادر الأخرى.

ونحو ذلك قال ابن عباس في الحسنى؛ أنها الجنة[(١)].

وروى ليث، عن عبد الرحمن بن سابط[(٢)] أنه قال: الحسنى: النضرة التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(٣)] [القيامة: ٢٢، ٢٣]، والحسنى في اللغة تأنيث الأحسن، وهي جامعة للمحاسن.

قال ابن الأنباري: والعرب توقعها على الخلّة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها، ولذلك لم توصف ههنا ولم تنعت بشيء؛ لأن ما يعرفه العرب من أمرها يغني عن نعتها، يدل على ذلك قول امرئ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ورُضْتُ فذلت صعبة أي إذلال[(٤)]

أراد: فصرنا إلى الأمر المحبوب المأمول[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، اختلفوا في هذه الزيادة؛ فروى أنس بن مالك أن النبي ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: «**الحسنى الجنة والزيادة النظر**

---

(١) انظر تخريج أثر ابن عباس السابق، نفس المواضع.

(٢) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط الجمحي المكي، تابعي ثقة كثير الإرسال، وكان من أصحاب ابن عباس الفقهاء، وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر: «الكاشف» ١/ ٦٢٨ (٣١٩٨)، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٢٢، «تقريب التهذيب» ص٣٤٠ (٣٨٦٧).

(٣) وانظر قول ابن سابط في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٨.

(٤) البيت في «ديوان امرئ القيس» ص١٢٥، وانظر: «خزانة الأدب» ٩/ ١٨٧، «لسان العرب» (روض) ٣/ ١٧٧٦.

(٥) انظر قول ابن الأنباري في «زاد المسير» ٤/ ٢٣، وذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ٧٧.

إلى وجه الله الكريم»[١].

ونحو هذا[٢] روى أبيّ بن كعب[٣]. وهذا قول أبي بكر الصديق[٤]، وحذيفة[٥]، وأبي موسى[٦]، وصهيب[٧]، وعبادة بن الصامت[٨]، وابن

---

(١) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٦، وأبو الشيخ والدارقطني في «الرؤية» وابن مردويه واللالكائي والخطيب وابن النجار، كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧-٥٤٨ وفي سند الثعلبي وابن منده متروك وهو نوح بن أبي مريم، لكن أصل الحديث ومعناه في «صحيح مسلم» (٢٩٧) كتاب الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم.

(٢) في (م): (ذلك).

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، وفي سندهما مجهول، وذكره السيوطي عنهما، وزاد الدارقطني وابن مردويه واللالكائي والبيهقي في كتاب «الرؤية». انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧.

(٤) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ١/ ٤٥٠، وابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٠٦، وابن منده في «الرد على الجهمية» ص٩٥، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ٢/ ٣٣، من رواية عامر بن سعد، وهو لم يلق أبا بكر، فروايته عنه مرسلة كما في «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٦٣ورواه ابن خزيمة في المصدر السابق ٢/ ٤٥٣، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص٦١، من رواية عامر بن سعد، عن سعيد بن نمران عنه، وسعيد مجهول كما في «ميزان الاعتدال» ١/ ٣٩٢، و«لسان الميزان» ٣/ ٤٦ فالأثر ضعيف. وانظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٦٣ ت: شاكر).

(٥) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» ١/ ٤٥٢، وابن جرير ١٥/ ٦٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥ وغيرهم. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٨.

(٦) المصادر السابقة، نفس المواضع عدا الأول ففي ١/ ٤٥٦.

(٧) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٢ بغير سند، وكذلك القرطبي ٨/ ٣٣٠، وبمعناه رواه أبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٧ .

(٨) ذكره عنه بغير سند الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤١٢.

عباس في رواية عطاء[١]، وأبي الجوزاء[٢][٣]، وهو قول الضحاك[٤]، والسدي[٥]، ومقاتل[٦].

وقال آخرون: الزيادة تضعيف الحسنات بواحدة عشرة إلى سبعمائة، وهو قول ابن عباس في رواية العوفي[٧]، والحسن[٨]، وعلقمة[٩]، وقال مجاهد: الزيادة: مغفرة من الله تعالى ورضوان[١٠].

وروى الحكم، عن علي ﷺ قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب[١١].

---

(١) رواه البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ١٨٤ من رواية عكرمة، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» ٤/ ٢٤، وابن القيم في «حادي الأرواح» ص٤١٢، كما أشار إليه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٤٤.

(٢) هو: أوس بن عبد الله الربعي.

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٧/ ١٢ ب.

(٤) رواه الثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وذكره بغير سند ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٤، وابن الجوزي ٤/ ٢٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٥) المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) المصادر السابقة، نفس المواضع، وانظر: «تفسيره» ١٤٠ أ.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، والثعلبي ٧/ ١٣ أ، والبغوي ٤/ ١٣٠.

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧-١٠٨، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٩.

(٩) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦.

(١٠) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢ أ، والبغوي ٤/ ١٣٠.

(١١) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٥، والثعلبي ٧/ ١٣ أ، والأثر ضعيف؛ لأنه من رواية الحكم، عن علي وهو لم يسمع منه، فقد ولد سنة ٥٠هـ، انظر: «تهذيب التهذيب» ١/ ٤٦٦-٤٦٧.

وقال ابن زيد: الزيادة ما أعطاهم في الدنيا من النعيم، لا يحاسبهم به يوم القيامة، بخلاف أهل النار؛ فإن ما يعطيهم الله تعالى في الدنيا من النعمة في مقابلة ما يأتون من حسنة ولا ثواب لهم يوم القيامة على أعمالهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ أي لا يغشاها، يقال: رهقه ما يكرهه: أي غشيه ومصدره[(٢)] الرهق، قال ابن عباس: يريد ولا يصيب وجوههم[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قَتَرٌ﴾، القتر والقترة: غبرة تعلوها سواد كالدخان، قال ابن عباس وقتادة[(٤)]: يعني سواد الوجوه من الكآبة[(٥)].

وقال عطاء: يريد دخان جهنم[(٦)]، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كما تصيب أهل جهنم، قال ابن أبي ليلى: هذا بعد نظرهم إلى ربهم[(٧)].

---

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ١٠٨، ورواه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦، والثعلبي ٧/ ١٣ أ.

(٢) في (ح) و(ز): (ومصدر).

(٣) ذكره بلفظه المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥، وذكره السيوطي بمعناه في «الدر المنثور» ٣/ ٥٤٩، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، ولم أجده عندهما.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) رواه عنهما الثعلبي ٧/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، ورواه عن ابن عباس الإمام ابن جرير ١١/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦، ولم تذكر هذه المصادر لفظ: من الكآبة.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٧) رواه ابن جرير ١١/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦، والثعلبي ٧/ ١٣ ب، والبغوي ٤/ ١٣٠، وقد ضعف القرطبي هذا القول فقال: هذا فيه نظر؛ فإن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إلى قوله: =

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال ابن عباس في رواية الكلبي: يريد عملوا الشرك[١]، مثل قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا﴾ [قال الفراء: رفعت الجزاء بإضمار (لهم)؛ كأنك قلت: فلهم جزاء السيئة بمثلها][٢]، كما قال: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أي: فعليه، قال: وإن[٣] شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله: ﴿بِمِثْلِهَا﴾ والأول أعجب إليّ[٤]. هذا كلامه، وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: إذا رفعت الجزاء بالباء أضمرت العائد إلى الموصول، على تقدير: جزاء سيئة منهم بمثلها، فالجزاء مرتفع بالباء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء المضمرة عليهم، وصلح إضمار (منهم) في ذا الموضع كما تقول: رأيت القوم صائم وقائم، يراد: منهم صائم وقائم، كما أنشد الفراء[٥]:

= ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣]، وقال في غير آية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ الآية [فصلت: ٣٠]، وهذا عام فلا يتغير -بفضل الله في موطن من المواطن لا قبل النظر ولا بعده- وجهُ المحسن بسواد من كآبة ولا حزن، ولا يعلوه شيء من دخان جهنم ولا غيره. «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٣٢.

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٢، «زاد المسير» ٤/ ٢٥، «الوسيط» ٢/ ٥٤٥.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (م): (فإن)، والمثبت موافق لما في «معاني القرآن».

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٦١.

(٥) انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٩٣.

حتى إذا ما أضاء النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود[١]

معناه: منه ملوي ومنه محصود.

وعلى الجواب الأول يرتفع الجزاء باللام المضمرة؛ لأن التقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، والباء صلة الجزاء و(الذين) يرتفعون برجوع الهاء عليهم، وصلح إضمار (لهم) كما تضمره العرب في قولهم: رأيت لعبد الله ذكاءً وفطنةَ وعلم واسع، يريدون وله علم واسع، أنشد الفراء[٢]:

هزئت هنيدة أن رأت لي رثة وفمًا[٣] به قصم وجلد أسود[٤]

أراد ولي جلد أسود[٥]. انتهى كلامه.

وهذا مذهب الكوفيين في هذه الآية[٦].

---

(١) البيت لذي الرمة في «ديوانه» ٢/ ١٣٦٦، والرواية فيه:

حتى إذا ما استقل النجم في غلس وأحصد البقل ملوي ومحصود

(٢) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٣٤، ورواية صدره فيه:

هزئت حميدة إن رأت بي رتة

(٣) في (م): (وفم)، وهو خطأ بدلالة السياق، إذ إن قوله (وجلد) مرفوع على الرغم من عطفه على قوله: (لي رثة وفمًا). وهم منصوبان، وقد وجه ابن الأنباري ذلك.

(٤) البيت لسليك بن سلكة السعدي كما في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٢٧١، «تذكرة النحاة» ص٦٨٠، «شرح أبيات معاني القرآن» ص١١١، على اختلاف في الروايات، وذكره بلا نسبة بمثل رواية المصنف، الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٠٧.

والرثة: الخلق الخسيس البالي من كل شيء، والرتة: عيب في النطق، والقصم: كسر في الثنية من الأسنان. انظر: «اللسان» (رث ورت وقصم).

(٥) انظر قول ابن الأنباري مختصرًا في: «زاد المسير» ٤/ ٢٦، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ٨٤.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦١، وانظر الخلاف بين البصريين والكوفيين في مثل هذه المسألة في: «الإنصاف» ص٥٣.

وأما عند أهل البصرة[١] فقال أبو عثمان[٢]: الباء في قوله (بمثلها) زائدة، وتقديره عنده: جزاء سيئة مثلها، واستدل على هذا بقوله في موضع آخر: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

قال أبو الفتح الموصلي[٣]: وهذا مذهب حسن، واستدلال صحيح؛ إلا أن الآية تحتمل مع صحة هذا القول تأويلين آخرين، **أحدهما**: أن تكون الباء مع ما بعدها هو الخبر، فكأنه قال: وجزاء سيئة كائن بمثلها، كما تقول: إنما[٤] أنا بك، أي كائن موجود بك.

والثاني: أن تكون الباء في (بمثلها) متعلقة بنفس الجزاء، ويكون الجزاء مرتفعًا[٥] بالابتداء، وخبره محذوف كأنه قال: وجزاء سيئة بمثلها كائن أو واقع، وحذف الخبر حسن متجه، قد حذف في عدة مواضع.

هذان القولان حكاهما أبو الفتح[٦]، وذكرهما أبو علي في «المسائل الحلبية»[٧] في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وعلى هذه الأقوال في الباء، الجزاء مرتفع بالابتداء، والجملة- التي هي ابتداء وخبر- فيها خبر الابتداء الأول وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٢.

(٢) هو المازني.

(٣) هو ابن جني.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) في (ح) و(ى) و(ز) و(ص): (مرتفَعُهُ)، وما أثبته من (م)، وهو موافق لما في «سر صناعة الإعراب».

(٦) «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣٨-١٤٠ باختصار.

(٧) لم أجد ذلك في الكتاب المطبوع، ومخطوطته ناقصة كما أشار المحقق في المقدمة.

والمعنى: يجزون السوء، وعلى هذا المعنى عطف قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، هذا كلام النحويين من الفريقين في هذه الآية، وكلهم جعلوا الموصول مبتدأ[١]، ويجوز أن تجعله عطفًا على الموصول الأول وهو قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ فكأن التقدير: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، فيرتفع الجزاء باللام في الآية الأولى، والباء في (بمثلها) من صلة الجزاء، وحسن النظم من غير إضمار ولا تكلف.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، قال ابن عباس: يصيبهم الذل والخزي[٢] والهوان[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ما لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست[٤] ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ القِطْع: [اسم لِما[٥] قطع فسقط، ويراد به ههنا بعض من الليل.

قال ابن السكيت: القِطْع][٦] الطائفة من الليل[٧]، ومعنى الآية وصف وجوههم بالسواد حتى كأنها ألبست سوادًا من الليل كقوله: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، وكما قيل في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] أي[٨]: أنه سواد الوجوه وزرقة

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٧.
(٢) في (ى): (الحزن).
(٣) رواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٠٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٦.
(٤) ساقط من (ى).
(٥) في (ى): (ما).
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٧) «المشوف المعلم» ٢/ ٦٤٨، «تهذيب إصلاح المنطق» ص٣٨.
(٨) ساقط من (م).

الأعين[١]، والعرب تستعمل لون الليل في السواد.

قال الشاعر[٢]:

ودوية مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد

جعل ما يعلو الحجارة من ظلمة الليل صبغا منه إياها بالسواد.

وقوله تعالى: ﴿مُظْلِمًاۚ﴾ قال الفراء[٣]، والزجاج[٤]: هو نعت لقوله: ﴿قِطْعًا﴾.

و[قال أبو علي][٥] يجوز أن تجعله حالًا من الذكر الذي في الظرف -يريد بالظرف الليل- كأنه قيل: قطعًا من الليل وهو مظلم، أي الليل، قال: والقول الأول[٦] أحسن؛ لأنه على قياس قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢، ١٥٥]، وصفت الكتاب بالمفرد بعدما وصفته بالجملة، وأجريته على النكرة[٧] كذلك ههنا، تصف ﴿قِطْعًا﴾ بكونه مظلما بعدما وصفته بقوله ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾.

---

(١) هذا قول الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج، انظر: «تفسير ابن جرير» ٢٧/ ١٤٣، ط. الحلبي، «الدر المنثور» ٧/ ٧٠٤.

(٢) هو: ذو الرمة، انظر: «ديوانه» ٢/ ٦٨٥، «شرح شواهد الإيضاح» ص٣٨٢.
والدوية: الصحراء الملساء، واعتسفتها: ركبتها على غير هداية.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٢، وهذا القول أحد الوجهين الذين ذكرهما الفراء.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦، وهو كالفراء ذكر وجهين في إعراب الكلمة هذا أحدهما.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٦) يعني ما ذكره عن الفراء والزجاج.

(٧) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٠ بتصرف.

وقرئ ﴿قِطَعًا﴾ مفتوحة الطاء[١]، وهي جمع قِطْعة، ومعنى الآية في القراءتين واحد؛ لأنهم إذا أغشيت وجوههم قِطْعًا من الليل مظلمًا اسودت منها، كما أنه إذا أغشيت قِطَعا التي[٢] هي جمع قطعة اسودت و﴿مُظْلِمًا﴾ على هذه القراءة حال من الليل، المعنى أغشيت وجوههم قِطَعا من الليل في حال ظلمته.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، قال ابن عباس[٣]، ومقاتل[٤]، والكلبي[٥]: ويوم نجمع المشركين وشركاءهم والكفار[٦] وآلهتهم، والحشر: الجمع من كل أوب[٧] إلى الموقف.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾، قال الزجاج: مكانكم منصوب على الأمر؛ كأنه[٨] قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، قال: والعرب تتوعد فتقول: مكانك، وانتظر، وهي كلمة جرت على الوعيد[٩].

---

(١) قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب (قِطْعًا) بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: «إرشاد المبتدي» ص٣٦٢، «تحبير التيسير» ص١٢٢، «النشر» ٢/ ٢٨٣.

(٢) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٦، وذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٦، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

(٥) «تنوير المقباس» ص٢١٢ عنه، عن ابن عباس.

(٦) في (ى): (وشركاءهم الكفار).

(٧) من كل أوب: أي من كل وجه، وجاءوا من كل أوب: أي من كل طريق ووجه وناحية. «لسان العرب» (أوب) ١/ ١٦٨.

(٨) في (ى): (كأنهم)، وهو مخالف لما في المصدر.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦.

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه، والخبر في قوله: ﴿مَكَانَكُمْ﴾ على ما ذكرنا من التقدير كأنه قيل: ثم نقول أنتم وشركاؤكم انتظروا مكانكم، واثبتوا وقفوا والزموا مكانكم، ومعنى ﴿شُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: الذين جعلتموهم شركاء في العبادة وفي أموالكم من الأوثان، كما قالوا: ﴿هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ جاء هذا على لفظ المضي بعد قوله ﴿ثُمَّ نَقُولُ﴾ وهو منتظر؛ لأن الكائن[١] يومًا في علم الله تعالى وقدره كالكائن الراهن[٢] الآن، وذكرنا نظير هذا في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[٣] [الأعراف: ٤٤]. ومعنى (زيلنا) فرقنا وميزنا، ومنه قوله الفرزدق:

أنت الفداء لذكر عام لم يكن نحسًا ولا بين الأحبة زيلا[٤]

وأنشد المبرد فقال[٥]:

سائل مجاور جَرْم هل جنيت لهم حربًا تُزيّل بين الجيرة الخُلُطِ[٦]

قال أبو إسحاق: هو[٧] من قولك [زلت الشيء عن مكانه أزيله،

---

(١) في (ى): (الكافرين)، وهو خطأ جلي.

(٢) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) انظر تفسير الآية في «تفسير البسيط» ولم يذكر المؤلف هذا المعنى في تفسيرها.

(٤) «ديوان الحماسة» ٢/ ٥٥ غير منسوب، وبعده (وقال الفرزدق) فيبدو أن هذا سبب الخطأ في النسبة.

(٥) ساقط من جميع النسخ عدا (م)، وانظر إنشاد المبرد في «الكامل» ١/ ٢٧٣.

(٦) البيت لوعلة الجرمي كما في «الأغاني» ١٩/ ١٤٠. وجرم: هو جرم بن ربان بن حلوان، جد جاهلي من قضاعة، ينتسب إليه بنو جشم وبنو قدامة، وبنو عوف. انظر: «جمهرة الأنساب» ص٤٥١، «اللباب» ١/ ٢٢٢.

(٧) في (ى): (هذا)، والضمير غير موجود في «معاني القرآن وإعرابه».

وزيّلنا -للكثرة- من[١] هذا: إذا نحيته[٢]. وحكى سلمة[٣]، عن الفراء في قوله: ﴿فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ﴾، قال: ليس من زُلت، إنما هي من زِلت الشيء فأنا أزيله: إذا فرقت ذا من ذا[٤]، ونحو هذا قال الكسائي، قال: وتقول العرب زلت الضأن من المعز فلم تزل ومزتها فلم تنمز[٥]. هذا كلامه، فالزيل[٦] والتزييل والمزايلة: التمييز والتفريق، قال ذو الرمة:

وبيضاء لا تنحاش منا وأمها إذا ما رأتنا زيل منا زويلها[٧]

أراد بيض النعامة وأن البيضة لا تنفر منا، وأن النعامة التي باضتها فإنها إذا رأتنا نفرت، وزيل منا زويلها، أي نُحي عنا حركة شخصها.

وقرئ (فَزَايَلْنَا بَيْنَهُم)[٨]، وهو مثل: (فَزَيَّلْنَا) والتزايل والانزيال:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه»: ومن.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٦.

(٣) هو ابن عاصم النحوي.

(٤) «تهذيب اللغة» مادة: (زول) ٢/ ١٥٧٧، والنص بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦٢.

(٥) انظر النص بلا نسبة في: «الصحاح» (زيل) ٤/ ١٧٢٠، «تفسير الرازي» ١٧/ ٦٧، و«البحر المحيط» ٥/ ١٥٤.

(٦) في (م): (والزيل).

(٧) انظر: «ديوان ذي الرمة» ١/ ٥٥٤، و«البصريات» للفارسي ١/ ٥٨٤، و«الصحاح» (زيل) ٤/ ١٧٢٠، و«لسان العرب» (زول) ٣/ ١٨٩١، و«خزانة الأدب» ٤/ ٢٤٢، و«غريب الحديث» للخطابي ٢/ ٤٨٤، و«جمهرة اللغة» ٢/ ٨٢٧، و«مقاييس اللغة» (حوش - زول).

(٨) هي قراءة شاذة قرأ بها ابن أبي عبلة كما في «زاد المسير» ٤/ ٢٧، وذكرها بلا نسبة الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٦٢، وابن جرير ١١/ ١١١، والزمخشري ٢/ ٢٣٥، ولم يذكر هذه القراءة ابن جني ولا ابن خالويه في كتابيهما في الشواذ.

التباين والافتراق، والزيال بمعنى الفراق (فِعَال) من المزايلة.

وقال ابن قتيبة في هذه الآية: هو من زال يزول وأزلته أنا[١].

قال الأزهري: هذا غلط وأراه لم يميز بين زال يزول، وزال يزيل، وبينهما بون بعيد، والقول ما قال الفراء، وكان القتيبي قليل البصر بمقاييس النحو والتصريف وهو مع ذلك ذو بيان عذب[٢].

قال المفسرون: فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الآلهة

---

(١) «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٣.

(٢) «تهذيب اللغة» (زول) ٢/ ١٥٧٧-١٥٧٨، وقد لطف الواحدي عبارة الأزهري ونصها: إلا أنه منحوس الحظ من النحو والصرف ومقاييسهما. اهـ. والأزهري متأثر بالهجمة الشرسة الموجهة ضد ابن قتيبة بغير حق والتي قادها جمع من الأدباء والعلماء وفي مقدمتهم أبو بكر ابن الأنباري.
انظر: «مقدمة تأويل مشكل القرآن» ص٧٠، «مقدمة تهذيب اللغة» ١/ ٥٠، ولعل الأزهري -رحمه الله- نسي ثناءه العطر على ابن قتيبة حيث قال في صدد التعريف به وبأبي تراب: وكانا من المعرفة والإتقان بحيث تثنى بهما الخناصر، وهما من الشهرة وذهاب الصيت والتأليف الحسن بحيث يعفى لهما عن خطيئة غلط، ونبذ زلة تقع في كتبهما.
«تهذيب اللغة» ١/ ٥٢، كما أن ابن قتيبة ليس وحده قال هذا القول، فأبو البقاء العكبري جزم بصوابه حيث قال: قوله: (فزيلنا) عين الكلمة واو؛ لأنه من زال يزول، وإنما قلبت ياء؛ لأن وزن الكلمة (فعيل) أي: زَيْوَلنا، مثل: بيطر وبيقر، فلما اجتمعت الياء والواو على الشرط المعروف قلبت ياء، وقيل: هو من زلت . . . إلخ.
«التبيان في إعراب القرآن» ص٤٣٧-٤٣٨، وإلى ذلك ذهب أيضًا السمرقندي في «تفسيره» ٢/ ٩٦، واعتبر الجوهري قول القائل: زِلت الشيء من مكانه أزيله زيلًا، لغة في أزلته، ورد عليه ابن بري، انظر: «لسان العرب» (زيل) ٣/ ١٨٩١.
وبذلك يتبين أن المسألة موضع نظر، ومحل اجتهاد، فلا يشنع على من خالف غيره، ولو لم يحالفه الصواب.

والأصنام، وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده[١]، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾، قال ابن عباس: أنكروا عبادتهم[٢].

قال مجاهد: يقول ذلك كل شيء يعبدون من دون الله يعني أن الله تعالى ينطق الأوثان فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون[٣].

٢٩- قوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، هذا من كلام معبوديهم[٤]، لما تبرؤوا منهم قالوا: يشهد الله على علمه فينا ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين؛ لأنه لم يكن فينا روح وما كنا نسمع ولا نبصر، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا﴾ (إن) ههنا هي المخففة من الثقيلة، ودليله إلحاق اللام في الخبر للفرق بين (إن) الجحد و(إن) المؤكدة، والتقدير: إنا[٥] كنا عن عبادتكم لغافلين، ثم خففت وحذف الضمير، كقوله:

إن هالك كل من يحفى وينتعل[٦]

وقد ذكرنا نظائر هذا فيما تقدم.

٣٠- قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾، قال أبو إسحاق: (هنالك)[٧] ظرف،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣١، وبنحوه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١١.

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٦، وبنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٧.

(٣) هذا معنى أثر طويل عن مجاهد، رواه ابن جرير ١١/ ١١١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٤٨، وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٥٠.

(٤) في (ح) و(ز) و(ص): (معبودهم)، وهو خطأ.

(٥) في (ح) و(ز) و(ص): (إن)، وهو خطأ.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ساقط من (ح).

المعنى: في ذلك الوقت، و(هنا) غير متمكن، واللام زائدة، وكسرت لالتقاء الساكنين[١].

قال صاحب النظم: ويجوز أن يكون معنى ﴿هُنَالِكَ﴾ ههنا[٢]: الإشارة إلى محل؛ لأن ما ذكر الله تعالى من هذه القصة لا يكون إلا في محل، وقد أحكمنا الكلام في هذا الفصل عند قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: أي[٣] تختبر[٤]، والبَلْو: الاختبار[٥]، ومنه قوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ويقال: [البلاء ثم][٦] الثناء أي: الاختبار ينبغي أن يكون قبل الثناء [ليكون الثناء][٧] على علم بما يوجبه، ومعنى اختبارها ما أسلفت: أنه إن قدم خيرًا أو شرًا جوزي عليه فيختبر الخير ويجد ثوابه، ويختبر الشر ويجد عقابه، ولهذا قيل في التفسير في قوله: (تبلو) تعلم[٨]؛ لأن الاختبار سبب العلم.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٧ بتصرف.

(٢) يعني في هذه الآية.

(٣) في (ح) و(ز): (كي)، واللفظ ساقط من (ى).

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٢-١١٣، والثعلبي ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣١، ولم أجده من ذكره عن ابن عباس.

(٥) في «لسان العرب» (بلا) ١/ ٣٨٠: بلوت الرجل بلوًا وبلاءً وابتليته: اختبرته.

(٦) و(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢، عن ابن عباس، ونسبه القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٣٤ إلى الكلبي، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٤ أ.

وقرئ (تَتْلُو) بتاءين[١]، ومعناه: تقرأ، كذلك قال الأخفش[٢]، والفراء[٣]، وغيرهما[٤]، ومعناه تقرأ كتابها، وما كتب من أعماله[٥] التي قدمها كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال الزجاج: وفسروه أيضًا تتبع كل نفس ما أسلفت[٦]، من حسنة وسيئة، ومعنى أسلفت: قدمت.

وقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، الرد في اللغة الرجع إلى الشيء بعد الذهاب عنه، وهؤلاء ذهبوا عن أمر الله فأعيدوا إليه.

[وقوله تعالى][٧]: ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ أي: الذي يملك تولي أمرهم.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، وقراءة الباقين (تبلو) بالتاء وبعدها باء موحدة. انظر: «كتاب السبعة» ص٣٢٥، «النشر» ٢/ ٢٨٣، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٨.

(٢) انظر قول الأخفش في: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٧، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٩٢، «حجة القراءات» ص٣٣١، وفسرها الأخفش في كتابه «معاني القرآن» ١/ ٣٧٣ بقوله: تتبعه.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٣.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ١٧، «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧١، «الحجة في القراءات» ص١٨١.

(٥) في (ى): (أعمالها)، أما الضمير التالي ففي جميع النسخ بالتذكير، وقد أعاد الضمير على مذكر باعتبار المعنى؛ لأن النفس يراد بها الإنسان.

(٦) اهـ. كلام الزجاج كما في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٧، والجدير بالذكر أن لهذا الكتاب نسخًا متفاوتة، يزيد بعضها على بعض كما بينه الأزهري في مقدمة كتابه «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦-٤٧، فلعل بقية القول من نسخة أخرى، أو من توضيح الواحدي وزيادته كما هي عادته في عدم التقيد باللفظ في النقل.

(٧) ما بين المعقوفين بياض في (م).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ هو من[١] صفة الله -جل وعز- وجاز وصفه بالحق كما جاز وصفه بالعدل للمبالغة في الصفة، إذ كل حق من قِبَله؛ يدل على هذا قول ابن عباس في قوله: ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ يريد الذي يجازيهم بالحق[٢]، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: زال وبطل، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من التكذيب.

وقال صاحب النظم في هذه الآية: قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ خبر لقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه مبتدأ يقتضي جوابا، وهو ظرف للجواب الذي هو قوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟﴾ وبني عليه ﴿هُنَالِكَ﴾ وهو محل، فجعل كناية عن الظرف -الذي هو وقت- على السعة والاستعارة[٣].

٣١- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريد من ينزل[٤] القطر من السماء ويخرج النبات من الأرض، قاله ابن عباس[٥]، والمفسرون[٦].

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [قال[٧]: يريد من جعل لكم السمع

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٣٤.

(٣) المعنى: (هنالك) ظرف للمكان والمحل فمعناه: في ذلك الموقف، لكن معناه في الآية: في ذلك الوقت، وهذا من باب استعارة ظرف المكان للزمان.

(٤) في (ى): (يخرج).

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٣، و«تفسير البغوي» ٤/ ١٣٢، وابن الجوزي «زاد المسير» ٤/ ٢٨.

(٧) يعني ابن عباس، وانظر القول بنحوه في: «تنوير المقباس» ص٢١٢.

والأبصار، وعلى هذا، المعنى: أم من يملك[١] خلق السمع والأبصار][٢].

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي المؤمن من الكافر، والنبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والطير من البيضة، والسنبلة من الحب، والنخلة من النواة، كل هذا قد[٣] قيل[٤]، وعلى الضد من ذلك: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أمر الدنيا والآخرة، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ أي: الله هو الذي يفعل[٥] هذه الأشياء، وذلك أنهم علموا أن الرازق والمدبر هو الله، فإذا أقروا بعد الاحتجاج عليهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: أفلا تخافون فلا تشركوا به شيئًا[٦].

٣٢- قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾، قال الزجاج: لما خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى: وأقروا به قيل لهم: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٧]، قال ابن عباس: يريد: الذي هذا كله فعله هو الحق ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء لا يملكون شيئًا من هذا[٨].

وقوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾، قال: يريد الذي أنتم فيه وما

---

(١) ساقط من (ى).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٣) ساقط من (م).
(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ٣/ ٢٢٦، والبغوي ٢/ ٢٤، «الدر المنثور» ٢/ ٢٧.
(٥) في (م): (جعل).
(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٢٨ بلفظ: أفلا تتعظون.
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨ بمعناه.
(٨) «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٢ مختصرًا.

اتخذتم من الآلهة غير الله[١]، وقال مقاتل: فماذا بعد الحق[٢]: يعني بعد[٣] عبادة الله إلا الضلال، يعني عبادة الشيطان[٤].

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة مالا يرزق ولا يحيي ولا يميت[٥].

٣٣- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، قال الزجاج: الكاف في موضع نصب أي مثل أفعالهم جازاهم ربك[٦] هذا كلامه. وشرحه أبو بكر[٧] فقال: (ذلك) إشارة إلى مصدر ﴿تُصْرَفُونَ﴾ تلخيصه: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك، وموضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ خفض بالكاف، والكاف موضعها نصب[٨] بـ ﴿حَقَّتْ﴾ على تقدير: حقت الكلمة مثل ذلك الصرف[٩].

وقال بعض أهل المعاني: المشبه به في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معنى قوله: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [ومعناه ليس بعد الحق إلا الضلال][١٠] كذلك حقت الكلمة، وعلى هذا: الكاف في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿حَقَّتْ﴾

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٢ بمعناه.
(٢) في (ح) و(ز) زيادة: (إلا الضلال).
(٣) ساقط من (ى).
(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ بنحوه.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ٢٩، «الوسيط» ٢/ ٥٤٧.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.
(٧) هو ابن الأنباري.
(٨) ساقط من (ى).
(٩) ذكر قوله ابن الأنباري مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٠.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

وذكر أبو بكر قولًا آخر في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وهو أنه بمعنى هكذا[(١)] إشارة إلى الحاضر وهو مصدر ﴿حَقَّتْ﴾ ويكون موضع ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصبًا بـ ﴿حَقَّتْ﴾ ولا تكون الكاف فيه منفصلة مما بعدها، وتقديره إذا لم تفصل الكاف منه: هذا الحق حقت كلمة ربك [وقد ترفع (كذلك) إذا استحق الرفع، وهذا المعنى ذهب إليه مقاتل بن سليمان[(٢)]، والكلبي[(٣)]، وجماعة من المفسرين[(٤)]، أعني أنهم يقولون: معنى الحرف: هكذا حقت كلمة ربك][(٥)]، والدليل على أن (هكذا) يرفع وينصب ويخفض بكماله وجملته ولا يُقضى عليه بانفصال[(٦)] بعضه من بعض حكاية الفراء عن أبي ثروان[(٧)]: ليس بهكذا[(٨)]، فدخول الباء على (هكذا) يكشف أنه مشبه بـ (هذا)، ويؤكد هذا الفصل ما ذكره صاحب النظم أن (كذلك) قد تكون تحقيقًا وإثباتًا لما قبله من الخبر، كما أن (كلا) ردٌّ وإبطال لما قبله من الخبر، وعلى هذا (كذلك) كلمة[(٩)] بكماله وجملته، ولا يُقضى عليه بانفصال بعضه عن بعض.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٠.

(٢) لم أجده في «تفسيره».

(٣) رواه الثعلبي ٧/ ١٤ أ، والبغوي ٤/ ١٣٢.

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٩٨، وابن الجوزي ٤/ ٣٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٦) في (ح) و(ز): (انفصال).

(٧) هو: أبو ثروان العكلي، من بني عُكْل، أعرابي فصيح مصنف، له من الكتب «خلق الإنسان»، وكتاب «معاني الشعر». انظر: «الفهرست» ص٧٣، «إنباه الرواة» ٤/ ١٠٥، ولم أجد من ترجم له ترجمة وافية.

(٨) في (م): (هكذا)، وهو خطأ.

(٩) في (ى): (كذلك حقت كلمة)، وهو خطأ.

وقوله تعالى: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وقرئ كلمات ربك[١]، وذكر المفسرون في معناها[٢] قولين، **أحدهما**: حق وعد ربك الذي بينه في غير موضع من كتابه من تعذيبه أهل الكفر وإصارته إياهم إلى الهلاك والبوار، وهذا معنى قول الزجاج: أي: مثل أفعالهم جازاهم[٣].

أما توحيد الكلمة وجمعها، فمن وحدها فإنه أراد الجمع؛ لأن ما أوعد الله ﷻ به وتهدد به الكفار كلام يجمع حروفًا وألفاظًا[٤]، كقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] الآية، فجعل هذه الجملة وغيرها من آي الوعيد كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات؛ لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة، وهذا نحو قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، يعني بالكلمة قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية، فجعلها كلها كلمة؛ وذلك لأنها إذا كانت الكلمات في معنى واحد كانت كأنها كلمة واحدة، هذا قول أبي بكر، وأبي علي[٥].

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون أراد الكلمات، فأوقع الواحد موقع الجمع كقوله:

---

(١) يعني الجمع، وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، وقرأ الباقون بالتوحيد. انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٦، «تحبير التيسير» ص١٢٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢١٦.

(٢) ساقط من (ح).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.

(٤) في (م): (ألفاظًا وحروفًا).

(٥) يعني الفارسي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٧٣.

وأما جلدها فصليب[1]

يعني جلودها، وقال أبو علي: ويجوز أن تكون: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ التي يراد بها الجنس، وقد أوقع على بعض الجنس، كما أوقع اسم الجنس على بعض، كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، فأوقع اسم الليل على ذلك الوقت الذي يمرون فيه عليهم وهو بعض الجنس[2].

القول الثاني: في معنى الكلمة، أنه أراد: حق عليهم ما سبق من علم الله فيهم وما جبلهم عليه من الشقاء، وهذا قول ابن عباس[3]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾، قال ابن عباس: يريد كذبوا[4].

قال أهل المعاني: فسقوا في كفرهم، أي تمردوا فيه، والفسق

---

(١) هذا بعض بيت، وهو بكماله:

بها جِيَفُ الحسرى فأما عظامها فبِيضٌ وأما جلدها فصليب

والبيت لعلقمه الفحل في «ديوانه» ص٤٠، «خزانة الأدب» ٧/ ٥٥٩، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٩٣، «كتاب سيبويه» ١/ ٢٠٩.

والشاعر يصف طريقًا شاقًا قطعه حتى يصل إلى ممدوحه، والحسرى: جمع حسير، وهو البعير الذي كلّ وانقطع سيره إعياء أو هزالًا فيتركه أصحابه، وابيضت عظامه: يعني أكلت السباع والطيور ما عليها من لحم، وجلد صليب: أي يابس، أو لم يدبغ. انظر: «شرح أبيات سيبويه»، «خزانة الأدب»، نفس الموضعين السابقين.

(٢) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٣.

(٣) رواه بمعناه مختصرًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥١، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٥١.

(٤) «تنوير المقباس» ص٢١٢، ولفظه: كفروا.

الخروج في المعصية إلى الكبيرة، فإن كانت كفرا فالخروج إلى أكبره[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ موضع (أن) رفع[(٢)] بدل من (كلمة ربك) قاله الزجاج[(٣)]، وابن الأنباري، وهذا على القول الثاني في تفسير الكلمة، وعلى القول الأول تكون (أن)[(٤)] منصوبة، لحذف الخافض، ويكون المعنى: حقت الكلمة عليهم؛ لأنهم لا يؤمنون، أو بأنهم لا يؤمنون، ذكره الفراء[(٥)]، والزجاج[(٦)] جميعًا، ويقول الكسائي: موضعها خفض بالخافض المضمر معها[(٧)].

٣٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، قال ابن عباس[(٨)]، ومقاتل[(٩)]، والمفسرون[(١٠)]: يعني آلهتهم التي يعبدون من دون الله، وذكرنا معنى إضافة الشركاء إليهم في قوله: ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [يونس: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ أي: يرشد إلى دين الإسلام، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى الحق.

قال أبو إسحاق: تقول هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (فسق) ص٣٨٠ بمعناه.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.

(٤) ساقط من النسخ عدا (م).

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨.

(٧) لم أعثر على مصدره.

(٨) «تنوير المقباس» ص٢١٣.

(٩) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ.

واحد[١] وهذا مما ذكرناه في أول الكتاب[٢].

قال ابن عباس: يريد[٣] يرشد إلى الحق أهل الحق[٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾ أي: آلله الذي يهدي ويرشد إلى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره، أو الأصنام التي لا تهدي أحدًا ولا تهدي إلى خير؟! وهذا معنى قول ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، والمفسرين[٧].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾، قال ابن عباس: يريد يرشد، وما ذلك إلا بيد الله، وما يفعله إلا بأوليائه[٨].

وقال مقاتل: ﴿إِلَّا أَن يُهْدَىٰ﴾ يعني: هذا الذي يعبد الأوثان[٩]، فعلى هذا الهداية لا ترجع إلى الوثن إنما ترجع إلى عابده، وتصحيحه في النظم أن يكون التقدير: أمن[١٠] لا يهدي غيره أو عابده أو أحدًا، ثم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩.
(٢) في أول البقرة [٢].
(٣) ساقط من (ى)، وفي (ح): (يريد به).
(٤) ذكره بمعناه ابن زنجلة في «حجة القراءات» ص٣٣٢.
(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢١٣، «حجة القراءات» ص٣٣٢.
(٦) لم أعثر على قوله.
(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٦، والثعلبي ٧/ ١٤ ب، والسمرقندي ٢/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٣٣، وابن كثير ٢/ ٤٥٧.
(٨) لم أقف عليه.
(٩) نص عبارة مقاتل: إلا أن يهدى، وبيان ذلك في: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ [النحل: ٧٦]. انظر: «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب.
(١٠) في (ح): (أم لا).

حذف المفعول وتم الكلام، ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۚ﴾ على الاستثناء المنقطع بمعنى: لكن إن هدي ذلك العابد اهتدى، أي إن هداه الله اهتدى، فأما الصنم فلا هداية عنده، وهذا المعنى على قراءة من قرأ (أَمَّن لاَ يَهْدِي) ساكنة الهاء خفيفة الدال(١).

وقرئ (يَهَدّي)(٢)، و(يِهِدّي)(٣)، و(يَهِدّي)(٤)، و(يَهْدّي)(٥)، ومعانيها كلها (يفتعل) وإن اختلفت ألفاظها.

والجميع أدغموا التاء في الدال لمقاربتها لها؛ ألا ترى أن التاء والطاء والدال من حيز واحد.

واختلفوا في تحرك الهاء؛ فمن فتح الهاء ألقى حركة الحرف المدغم وهي الفتحة على الهاء كما ألقاها على ما قبل(٦) المدغم في مُعِدّ ومُمِدّ، ومن حرك الهاء بالكسر فلأن الكلمة عنده تشبه المنفصلة، فلم يُلق حركة المدغم على ما قبله نحو (قومْ موسى) إذا أدغم(٧) لا يلقى على الساكن منه

---

(١) وبهذا قرأ حمزة والكسائي وخلف. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٦، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٢، «تقريب النشر» ص١٢٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٤٩.

(٢) بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وهي قراءة ابن كثير وابن عامر وورش وأبي عمرو في أحد الوجهين. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٣) بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وهي قراءة أبي بكر عن عاصم.

(٤) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، وهي قراءة حفص عن عاصم، ويعقوب.

(٥) بإسكان الهاء وتشديد الدال، وهي قراءة نافع وأبي عمرو، غير أن أبا عمرو كان يشم الهاء شيئًا من الفتح. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٦) في (ى): (قبلها).

(٧) في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٧ الذي نقل منه النص: واسم موسى لا يُلقى على الساكن منه حركة المدغم.

حركة المدغم فلما لم يجز ذلك تركت الهاء على سكونها، فالتقت مع[١] الحرف المدغم، وهما ساكنان فحرك الأول منهما بالكسر لالتقاء الساكنين، ومن سكّن الهاء جمع بين الساكنين، وقد بينا حكم الجمع بين ساكنين في هذا النحو فيما تقدم.

ومن قرأ (يِهِدّي) بكسر الياء والهاء فقال الزجاج: هي رديئة لثقل الكسر في الياء[٢].

قال أبو علي: أتبع الياء ما بعدها من الكسر، وليس الكسر في الياء على لغة من يكسر حروف المضارعة من التاء والنون في نحو تِعلم ونِعلم؛ لأن من يقول تِعلم[٣] لا يقول يِعلم[٤]، ومن قال[٥]: أنت تِهتدي[٦] لا يقول: هو يِهتدي[٧]، ولكن الكسرة في الياء للإتباع، كما أنه لم تكسر الياء في: يِيْجل[٨]، من حيث كسرت التاء في تِعلم، ولكن كسرت لتنقلب الواو

---

(١) في (ح): (على).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩، ولا معنى لوصفها بالرداءة وهي قراءة متواترة، قال السمين الحلبي في «الدر المصون» ٦/ ١٩٩ بعد أن نقل رأي سيبويه في منع كسر ياء المضارعة: وهذا فيه غض من قراءة أبي بكر، لكنه قد تواتر قراءة، فهو مقبول، وانظر رأي سيبويه في «كتابه» ٤/ ١١٠، وانظر توجيه القراءة لغة في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٩، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٣٣٢.

(٣) بكسر التاء.

(٤) بكسر الياء.

(٥) في (ى): (قرأ)، وهو خطأ.

(٦) بكسر التاء.

(٧) بكسر الياء.

(٨) رسمت الكلمة في النسخ بلا نقط، والكلمة في «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٩،=

ياء، كذلك ههنا كسرت للإتباع. هذا وجه القراءة في ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾.

فأما معنى لا تهتدي إلا أن تهدى، وهي لا تهتدي وإن هديت؛ لأنها موات من حجارة وأوثان ولكن الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعلم ويفعل[١] ويعقل، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]، وكما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وإنما هي موات؛ ألا ترى أنه قال: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وكذلك قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] الآية، وأجرى اللفظ على الأوثان على حسب ما يجري على من يعلم، كذلك ههنا وصف بصفة من يعقل وإن لم يكن في الحقيقة كذلك، و(إِلَّا) على هذا بمنزلة (حتى) كأنه قال[٢]: أمن لا يهدي[٣] حتى يُهدى، أي من لا يَعلم حتى يُعلم، ولا يستدل على شيء حتى يُدل عليه، وإن كان لو دُل أو أُعلم لم يعلم ولم يستدل.

= وقال سيبويه في «كتابه» ٤/ ١١٠: وأما يوجل ونحوه فإن أهل الحجاز يقولون: يوجل، فيجرونه مجرى علمت، وغيرهم من العرب سوى أهل الحجاز يقولون في توجل: هي تيجل، وأنا إيجل، ونحن نيجل، وإذا قلت (يفعل) فبعض العرب يقولون: ييجل، كراهية الواو مع الياء.

(١) ساقط من (ح).

(٢) ساقط من (م).

(٣) في (م): (يهتدي).

وهذا الذي ذكرنا وجه آخر في قراءة من قرأ: (أَمَّن لَا يَهْدِي إلا أن يُهدى)[١] [أي أمن لا يهدي][٢] غيره ولكن يُهدى، أي [لا يعلم شيئًا ولا يعرفه لكن][٣] يُهدى، أي لا هداية له، ولو هدي أيضًا لم يهتد[٤]، إلا أن اللفظ جرى عليه، هذا كلام أبي علي الفارسي[٥]، وهو وجه الآية.

وذكر المتأخرون من أهل التفسير وجهين في قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ لا يساوي واحد منهما أن يحكى فتركته[٦]، ولم أر للمتقدمين فيه شيئًا[٧]، وتأويل الآية أنهم نُسبوا إلى غاية الذهاب عن الحق والزيغ عنه[٨] في معادلتهم الآلهة بالله ﷻ.

---

(١) يعني قراءة حمزة ومن معه، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٦ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في العبارة غموض؛ إذ قوله: (ولكن يُهدى) يناقض قوله: (ولو هدي أيضًا لم يهتد)، والعبارة هكذا أيضًا في «الحجة» ٤/ ٣٧٦، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٤٧ : والذي أقول: إن قراءة حمزة والكسائي تحتمل أن يكون المعنى: (أمن لا يهدي أحدًا إلا أن يُهدى ذلك الأحد بهداية من عند الله).

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٧٥-٢٨٠، مع التقديم والتأخير والاختصار.

(٦) الوجهان للثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٥ أ، ونص عبارته: في معنى الآية وجهان: فصرفها قوم إلى الرؤساء والمضلين، أراد لا يرشدون إلا أن يُرشدوا، وحملها الآخرون على الأصنام وهو وجه الكلام، والمعنى: لا يمشي إلا أن يحمل، ولا ينتقل عن مكانه إلا أن ينقل.

(٧) بل روى ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١١٦، عن مجاهد: أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى، قال: الأوثان، الله يهدي منها ومن غيرها من شاء لما شاء، ولم يتبين لي مراده.

(٨) في (ى): (عنهم).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾، قال الزجاج: (ما لكم) كلام تام كأنهم قيل: لهم أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ على أي حال تحكمون؟ وموضع (كيف) نصب بـ ﴿تَحْكُمُونَ﴾[١].

وقال مقاتل: كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شريكًا[٢].

وقال عطاء: بئسما حكمتم إذ جعلتم لله شريكًا ليس[٣] بيده منفعة ولا مضرة[٤].

٣٦- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾، قال ابن عباس: هم الرؤساء، وأما السفلة فلا يعلمون شيئًا إلا ما قالت[٥] الرؤساء[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ يعني: ما يستيقنون أنها آلهة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ قيل: لا يغني من عذاب الله شيئًا، ولا يدفع شيئًا من العذاب[٧]، و(الحق) على هذا هو الله، وظنهم أن الأصنام آلهة، وأنها تشفع لهم لا يغني عنهم شيئًا، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد ليس الظن كاليقين[٨]، يريد بالحق: اليقين، والمعنى على

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٠ أ بنحوه، والنص في «الوسيط» ٢/ ٥٤٧.

(٣) في (ى) و(م): (من ليس).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (ح): (قال).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) هذا قول مقاتل في «تفسيره» ١٤٠ ب بمعناه، وابن عباس في رواية الكلبي كما في «تنوير المقباس» ص٢١٣.

(٨) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٧، عن عطاء.

هذا: إن الظن لا يقوم مقام العلم، وفي هذا دليل على أن من كان في مسائل الأصول ظانًّا لم يكن مؤمنًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾، قال[١]: يريد من كفرهم][٢].

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج[٣]، وابن الأنباري[٤]: هذا جواب لقولهم ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥] و(أن) مع (يُفْتَرَى) مصدر مقضيًا عليه بالنصب تقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً من دون الله، كما تقول: ما كان هذا الكلام كذبًا.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [أي: ولكن كان تصديق الذي بين يديه][٥] من الكتب وأنباء الأمم السالفة وأقاصيص أنبيائهم، وهذا قول المفسرين[٦]. قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون المعنى: ولكن تصديق الذي بين يديه[٧] القرآن، أي تصديق الشيء الذي تقدمه القرآن، أي يدل

---

(١) يعني ابن عباس، وانظر القول في «تنوير المقباس» ص٢١٣ بمعناه.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠ بنحوه.
(٤) «زاد المسير» ٤/ ٣٢ مختصرًا.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٧، والماوردي ٢/ ٤٣٥، والبغوي ٤/ ١٣٤.
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع: يدي، والصواب ما ذكره الواحدي؛ لأن القرآن قبل البعث، ولو قيل: البعث بين يدي القرآن لكان المعنى: البعث قبيل القرآن، وهذا لا يصح، وفي «لسان العرب» (يدي) ٨/ ٤٩٥٤: يقال: بين يديك كذا لكل شيء أمامك، قال الله ﷻ: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧] ويقال: إن بين يدي الساعة أهوالًا، أي: قدامها.

على أمر البعث والنشور[١]، فعلى القول الأول الكناية في ﴿يَدَيْهِ﴾ تعود إلى القرآن، وعلى القول الثاني تعود إلى الذي قال ابن الأنباري[٢].

تحقيق القول الأول: ولكن تصديق الوحي الذي بين يدي القرآن من الكتب، فالقرآن شاهد لما تقدمه من الكتب أنها حق، وموافق لها في الأخبار وشاهد لها، إذ جاء على ما تقدمت به البشارة فيها.

وتحقيق القول الثاني: ولكن تصديق البعث الذي القرآن بين يديه؛ لأن القرآن يخبر بالبعث، ويدعو إلى الاستعداد له، قال أبو بكر: ويحتمل أن يكون المعنى ولكن تصديق النبي[٣] الذي بين يدي القرآن[٤]؛ [لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل أن يسمعوا منه القرآن[٥]][٦].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أراد وتفصيل ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والسنن والأحكام، وما في الكتاب هو الكتاب لذلك قال: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كأن المعنى وتفصيل المكتوب من هذه الأشياء، والتفصيل: التبيين، وقد مر، وهذا معنى قول ابن عباس[٧].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠.

(٢) لم يرد لابن الأنباري قول في هذه الجملة من الآية، ولا يمكن أن يكون مراده قول ابن الأنباري الآتي، لعدم اتفاقه مع معنى القول الثاني، ولعل المؤلف يريد قول أبي إسحاق الزجاج.

(٣) في (ح): (الشيء)، وهو خطأ.

(٤) يعني محمدًا ﷺ، وانظر تفسير القول في «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٤٤.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٢.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٣.

وقال الحسن: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الوعد لمن آمن بالنعيم، والوعيد لمن عصى بالعذاب الأليم[١]، والمعنى على هذا أيضًا: تفصيل المكتوب من الوعد والوعيد، والقرآن أتى ببيان هذا، وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي في كونه ونزوله من رب العالمين، قال ابن عباس: يريد أنه من عند رب العالمين[٢].

٣٨- وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية، قال الزجاج وغيره: هذا تقرير لهم لإقامة الحجة عليهم[٣]، وهي إلزامهم أن يأتوا بسورة مثله إن كان كما يقولون، وتقديره: بل أتقولون.

وقد ذكرنا حكم هذا الاستفهام عند قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا﴾[٤] [البقرة: ١٠٨]، وهذا احتجاج عليهم بعد احتجاج؛ لأن الآية الأولى أوجبت كونه من عند الله بتصديقه الذي بين يديه، وفي هذه الآية ألزموا أن يأتوا بسورة مثله إن كان مفترى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال الزجاج: وادعوا إلى أن يعينكم على ذلك من استطعتم ممن هو في التكذيب مثلكم وإن خالفكم في أشياء[٥].

---

(١) لم أجده.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢١٣ بمعناه.

(٣) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١، وانظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٧، والسمرقندي ٢/ ٩٩ بمعناه.

(٤) قال هناك: (أم) تقع عاطفة بعد الاستفهام، كقولك: أخرج زيد أم عمرو، وأزيد عندك أم عمرو، فيكون معنى الكلام: أيهما عندك، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام. وأطال الكلام حولها.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

وقال غيره: معناه: ادعوا إلى معاونتكم على المعارضة كل من تقدرون عليه[١]، واستقصاء تفسير هذه الآية قد مضى في سورة البقرة عند[٢] قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي في أنه اختلقه.

٣٩- قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ يعني: القرآن، أي كذبوا به لما لم يعلموه، قال عطاء: يريد أنه ليس خلقٌ يحيط بجميع علم القرآن[٣]، وقال الحسين بن الفضل: هذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[٤] [الأحقاف: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، قال أبو إسحاق: أي: لم يكن معهم علم تأويله، وهذا دليل أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه[٥]، وقال ابن كيسان في هذه الآية: يقول: لم يعلموه تنزيلًا، ولا علموه تأويلًا، فكذبوا به[٦]، وتلخيص هذا المعنى يعود إلى أنهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم تأويله فعادوه[٧] بالتكذيب، وفي الآية قول آخر وهو أن معنى قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والقيامة والثواب والعقاب.

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٥ ب بنحوه من قول ابن كيسان، ورواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٣، عن ابن عباس بمعناه.

(٢) في (ى): (في).

(٣) لم أجده.

(٤) ذكره بنحوه الثعلبي ٧/ ١٥ ب، وابن الجوزي ٤/ ٣٣، والقرطبي ٨/ ٣٤٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٦) لم أجده.

(٧) في (ى): (فعادوا).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا في الكتاب مما يؤول إليه أمرهم من العقوبة[(١)]، ويدل على صحة هذا التأويل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: بالبعث [والقيامة، وتكذيب الكفار من الأمم الخالية كان بالبعث][(٢)] والقيامة، لا[(٣)] بالقرآن، وعلى القول الأول شبّه تكذيبهم بالقرآن والنبي بتكذيب الأمم الخالية أنبياءهم فيما وعدوهم به، والقولان في الآية أشار إليهما أبو إسحاق[(٤)].

وذُكر قول ثالث، هو أن معنى قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي يقول: لم يعلموه يقينًا[(٥)]، ويعني قولهم: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يقول: بل كذبوا القرآن بقولهم افتراه، وأنه مفترى وهم شاكون في قولهم هذا، ولم يتيقنوا أنه مفترى [وهذا معنى قول الزجاج: هذا والله أعلم، قيل في الذين كفروا[(٦)] وهم شاكون[(٧)].

وقوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي: لم يأتهم حقيقة ما يقولون أنه مفترى][(٨)]، والتأويل ما يؤول إليه الأمر، وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٣، ورواه الثعلبي ٧/ ١٥ ب، عن الضحاك مختصرًا، وذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١ مختصرًا أيضًا.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (ولا).

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٥) انظر: «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٩٤، «زاد المسير» ٤/ ٣٣.

(٦) في (م): (كذبوا).

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب على خبر (كان) ولا يجوز أن يعمل[(١)] فيها (انظر)؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

٤٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية، قال المفسرون: أخبر الله تعالى عن إيمان قوم علم[(٢)] أنهم يؤمنون، وعن كفر قوم علم[(٣)] أنهم لا يؤمنون، وهذا إخبار عما سبق في علم الله تعالى[(٤)]، قال الكلبي: نزلت في أهل مكة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾، قال عطاء: يريد المكذبين[(٦)]، وهذا تهديد لهم.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية، قال مقاتل[(٧)]، والكلبي[(٨)]: هذه الآية منسوخة بآية الجهاد[(٩)].

---

(١) في (ح) و(ز): (يجوز).

(٢) ساقط من (ى).

(٣) ساقط من (ى).

(٤) انظر معناه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٨، والثعلبي ٧/ ١٥ ب، والبغوي ٤/ ١٣٤.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٨، وهو أحد قولين ذكرهما الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٣ عنه، عن ابن عباس، والقول الثاني لفظه: من اليهود، وهو ما ذكره السمرقندي ٢/ ٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٣٤.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٣٤، «الوسيط» ٢/ ٥٤٨.

(٧) رواه الثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، وذكره أيضًا بغير سند المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٨، والقرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٦، ولعل القول لمقاتل بن حيان، إذ لم أجده في «تفسير مقاتل بن سليمان».

(٨) المصادر السابقة، نفس المواضع، «زاد المسير» ٤/ ٣٤.

(٩) ليس بين هذه الآية وآيات الجهاد منافاة -حتى يحكم بالنسخ، بل هذه الآية بمعنى=

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في المستهزئين؛ كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب فلم ينتفعوا باستماعهم(١)، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، قال أبو إسحاق: أي: ظاهرهم ظاهر من يستمع(٢)، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم بمنزلة الصم(٣).

= قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] فهي إخبار بالبراءة منهم، والمفاصلة معهم، وأما ما قد يفهم منها من المتاركة وعدم التعرض لهم بسوء فإنه -إن كان الأمر كذلك- من أحكام حالة ضعف المسلمين، وعدم قدرتهم على الجهاد وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحكم موقوت بتلك الحالة، ويزول بزوالها، والسلف يطلقون على هذا الحكم لفظ النسخ، وليس هو كذلك في اصطلاح المتأخرين، قال الزركشي في «البرهان» ٢/ ٤٢٣ بعد أن ذكر للنسخ أقسامًا: (الثالث: ما أمر به لسبب ثم يزول السبب، كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر وبالمغفرة للذين لا يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه إيجاب ذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة، وإنما هو نسء ...، وبهذا التحقيق تبين ضعف ما لهج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيف أنها منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المنسأ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ، إنما النسخ الإزالة حتى لا يجوز امتثاله أبدًا). وقال الأصفهاني في «تفسيره» ٤/ ٧٥ أ، بعد أن ذكر قول الكلبي ومقاتل في نسخ الآية: وهذا بعيد؛ لأن شرط الناسخ أن يكون رافعًا لحكم المنسوخ، ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بأفعاله، وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب، وذلك لا ينافي وجوب الجهاد، فلا تكون آية الجهاد رافعة لشيء من مدلولات هذه الآية.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٤.
(٢) في (ى): (يسمع).
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم؛ لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم[(١)].

وقال الزجاج: أي[(٢)]: ولو كانوا مع ذلك جهالًا[(٣)]، أخبر الله تعالى أن هؤلاء يستمعون استماع استهزاء لا استماع انتفاع، فهم بمنزلة الصم الجهال؛ إذ لم ينتفعوا بما سمعوا، وقال قوم: هذه الآية والتي قبلها إخبار أنه[(٤)] لا يؤمن إلّا من وفقه الله تعالى، فذكر أن هؤلاء الكفار يستمعون القرآن وهم كالصم الذين لا يعقلون لعدم التوفيق، وصرف الله قلوبهم عن الانتفاع بما سمعوا، فقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ مثلٌ ضربه الله لنبيه ﷺ، يقول: كما لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، كذلك لا تقدر أن تسمعهم إسماعًا ينتفعون به، وقد حكمت عليهم أن[(٥)] لا يؤمنوا[(٦)].

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يريد متعجبين منك[(٧)]، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يريد: أن الله أعمى قلوبهم فلا يبصرون شيئًا من الهدى كما يبصر المؤمنون، وهذا كما قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٣٥.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٤) في (ى): (لأنه).

(٥) في (ح): (لأن).

(٦) انظر معنى هذا القول في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١١٩، والثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، والقرطبي ٨/ ٣٤٦.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ٣٥، «الوسيط» ٢/ ٥٤٨.

وقال أبو إسحاق: ومنهم من يقبل إليك بالنظر وهو كالأعمى من بغضه لك، وكراهته ما يراه من آياتك[١]، هذا على القول الأول في الآية الأولى[٢]، وعلى القول الثاني[٣] معناه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ فيبصرك ويراك ولا يؤمن بك، وأنت[٤] لا تقدر على أن توفقه للإيمان كما لا تقدر أن تخلق للأعمى بصرًا يهتدي به، وذكر ابن قتيبة: أن الله فضل السمع على البصر حيث قرن بذهاب السمع ذهاب العقل، ولم يقرن بذهاب النظر إلا ذهاب البصر[٥].

قال ابن الأنباري: وهذا عندي غلط؛ لأن الذي نفاه الله مع السمع بمنزلة الذي نفاه مع البصر؛ إذ كان الله ﷻ أراد إبصار القلوب، ولم يرد إبصار العيون، فالذي يبصره القلب هو الذي يعقله. وهذا الذي ذكره أبو بكر يكون على القول الأول في الآيتين، وعلى القول الثاني: يقال: إن الله تعالى نفى العقل [عن[٦] الصم لا من حيث أن فقد السمع يوجب فقد العقل، ولكنه زاد نفي العقل][٧] تأكيدًا؛ يقول: لا تقدر أن تسمع الصم الذين لا يعقلون؛ لأن الأصم إذا كان غير عاقل كان أبعد من الانتفاع بما يقال له، فإنه لا يفهم الإشارة أيضًا، وإذا كان عاقلًا فهم الإشارة، فقامت له مقام

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٢) وهو أنهم لشدة بغضهم لمحمد بمنزلة الصم.

(٣) وهو أنهم يستمعون القرآن وهم بمنزلة الصم لعدم التوفيق.

(٤) في (ح) و(ز): (وإنك).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص٧.

(٦) في (ى): (على)، وهو خطأ.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

السمع، يؤكد ما قلناه أنا نشاهد الصم عاقلين، فلو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وجب أن لا يوجد أصم عاقلًا.

قال أبو بكر: وكيف يكون السمع أفضل وبالبصر يكون جمال الوجه، وبذهابه شينه، وذهاب السمع لا يكسب الوجه شينًا، والعرب تسمي العينين (الكريمتين)، ولا تصف السمع بمثل هذا؛ ومنه الحديث: «**بقول الله تعالى: من أذهبت كريمتيه فصبر**[1] **لم أرض له ثوابًا دون الجنة**[2]»[3].

وأنشد لبعض من أصيب بعينيه:

---

(١) في (م): (فصبر واحتسب).

(٢) رواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٥٦٥٣) كتاب المرضى، باب: فضل من ذهب بصره، والترمذي في «سننه» (٢٤٠٠) كتاب الزهد، باب: ما جاء في ذهاب البصر، والدارمي في «سننه» كتاب الرقاق، باب: فيمن ذهب بصره فصبر ٢/ ٢١٧ (٢٧٩٥)، وأحمد في «المسند» ٣/ ١٤٤.

(٣) ذكر بعض قول ابن الأنباري هذا الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٢، ولابن الأنباري كتاب في الرد على ابن قتيبة لم يكمله، ولعل هذا النص منه.
انظر مقدمة «تأويل مشكل القرآن» ص٧٠، وقول ابن الأنباري هذا يذكرنا بقول الشريف المرتضى في كتابه «غرر الفوائد ودرر القلائد» المعروف بـ «الأمالي» ٢/ ١٣، بعد أن ذكر رأيًا لابن الأنباري: وهذا الذي ذكره ابن الأنباري غير صحيح، ونظن أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة؛ لأن من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وإن تعسف في الطعن عليه اهـ. وأقول: الواقع يؤيد رأي ابن قتيبة في تفضيل السمع على البصر، فكم من كفيف بلغ شأوًا عظيمًا في العلم والتعليم والنبوغ والتصنيف وقيادة الأمم، ولم نسمع ذلك في شأن الصم الذين ولدوا كذلك.

أصغي إلى قائدي ليخبرني إذا التقينا عمن يحييني
لله عيني التي فجعت بها لو أن دهرًا بها يواتيني
لو كنت خُيِّرت ما أَخَذْتُ بها تعميرَ نوح في ملك قارون[(١)]

٤٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ الآية، قال أرباب الأصول[(٢)] وأصحاب المعاني: لما ذكر الله تعالى في الآيتين السابقتين فريقين ووصفهما بالشقوة ينظرون ويسمعون ولا يعقلون ولا يؤمنون، وذلك للقضاء السابق عليهم، أخبر الله في هذه الآية أن تقدير الشقوة عليهم ما كان ظلما منه؛ لأنه يتصرف[(٣)] في ملكه كيف شاء[(٤)]، وإذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم؛ لأن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء لله تعالى[(٥)].

٤٥- قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ الآية (كأن) هذه هي المخففة من الثقيلة، التقدير: كأنهم لم يلبثوا، كقول النابغة:

---

(١) الأبيات للخريمي كما في «عيون الأخبار» ٤/ ٥٧، و«الحيوان» للجاحظ ٣/ ١١٣، و«معاهد التنصيص» ١/ ٢٥٣، و«الشعور بالعور» ١/ ٢٤٦، و«الشعر والشعراء» ص٨٥٤، و«نكت الهيمان» ص ٧١.

(٢) يعني علماء أصول الدين والعقيدة، وانظر: المسألة في «الإبانة عن أصول الديانة» ص ١٥٨، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث» ص٢٨٠، وكتاب «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٨٩، و«الغنية في أصول الدين» ص١٢٩.

(٣) في (ح) و(ز): (لا ينصرف)، وهو خطأ.

(٤) سبق بيان مذهب الأشاعرة في استحالة نسبة الظلم إلى الله والرد عليهم.

(٥) لم أجده في كتب المعاني، وانظر نحوه في: «زاد المسير» ٤/ ٣٥، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٤٧.

وكـأن قــد[١]

وقول آخر:

كـأن ظـبـيـة تـعـطـو إلـى نـاضـر[٢] الـسـلـم[٣]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، قال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار[٤].

وقال الزجاج: أي قرب عندهم ما بين موتهم وبعثهم كما قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٥] [المؤمنون: ١١٣].

---

(١) بعض بيت للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٠٥ وتمامه:

أزف الـتـرحـل غـيـر أن ركـابـنـا لـمّـا تَـزُلْ بـرحـالـنـا وكـأن قـد

وانظر: «خزانة الأدب» ٧/ ١٩٧، «شرح شواهد المغني» ص٤٩٠.

(٢) في (ى): (ناظر)، وهو خطأ، وفي المصادر التالية: وارق.

(٣) عجز بيت، وصدره:

ويـومًـا تـوافـيـنـا بـوجـه مـقـسَّـم

وقد اختلف في نسبة البيت، فهو لباغت بن صريم اليشكري في «تخليص الشواهد» ص٣٩٠، «شرح المفصل» ٨/ ٨٣، «كتاب سيبويه» ٢/ ١٣٤، ولأرقم بن علباء في «شرح شواهد سيبويه» ١/ ٥٢٥، ولعلباء بن أرقم في «الأصمعيات» ص١٥٧، ولأحد الثلاثة أو لراشد بن شهاب اليشكري في «خزانة الأدب» ١٠/ ٤١٣، وصحح البغدادي نسبته لعلباء بن أرقم. والشاعر يصف امرأته حالة رضاها، ويشبهها بظبية مخصبة. والمقسَّم: المحسن، وتعطو: تتطاول إلى الشجر لتتناول منه. انظر: «شرح الأعلم على كتاب سيبويه» ١/ ٢٨١، «لسان العرب» (قسم) و(عطو).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، والبغوي ٤/ ١٣٥، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، و«تنوير المقباس» ص٢١٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

وقال الضحاك وابن الأنباري: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم[١] وبعثهم فصار في تقديرهم كالساعة من النهار من هول ما استقبلوه من أمر البعث والقيامة[٢].

وقال آخرون: إنما قصرت عندهم مدة لبثهم في الدنيا لا مدة كونهم في البرزخ، فقوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ أي: في الدنيا إلا ساعة من النهار[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾، قال ابن عباس[٤]، والضحاك[٥]، ومقاتل[٦]: يتعارفون بينهم حين بعثوا من القبور يعرف بعضهم بعضًا كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة فلا يعرف أحد أحدًا، قال أبو إسحاق: وفي معرفة بعضهم بعضًا وعلم بعضهم بإضلال بعض التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم[٧]، وزاد ابن الأنباري بيانًا فقال: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بتوبيخ[٨] بعضهم بعضًا، فيقول كل فريق للآخر: أنت أضللتني يوم كذا،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) انظر قول الضحاك في «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، «زاد المسير» ٤/ ٣٦، وبمعناه في «بحر العلوم» ٢/ ١٠٠.

(٣) هذا قول آخر للضحاك رواه الثعلبي ٧/ ١٦ أ، والبغوي ٤/ ١٣٥، وهو قول مقاتل ابن سليمان في «تفسيره» ١٤٠ ب، والزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٣٩ .

(٤) «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٥، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، وقد تبين من «تفسير السمرقندي» أن الأثر من رواية الكلبي ولا يخفى تهافتها.

(٥) «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٠٠.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٠ ب بمعناه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٨) في (ح) و(ز): (توبيخ).

وأنت كسّبتني دخول النار بما علمتنيه وزينته لي، فهذا تعارف توبيخ وتعنيف، وتباعد وتقاطع، لا تعارف عطف وإشفاق، ومن هذه الجهة وافق قوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، يريد لا يسأله سؤال رحمة وعطف. هذا كلامه(١)، والمفسرون حملوا الآيتين على حالتين فقالوا: يتعارفون إذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة، فلذلك لا يسأل حميم حميمًا(٢)، وقال أبو علي: معنى ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن يكون المعنى يتعارفون مدة إماتتهم التي وقع حشرهم بعدها، وحذف المفعول للدلالة عليها(٣) كما حذف في مواضع كثيرة، وعدي (تفاعل)(٤) كما عدي فيما أنشد أبو عبيدة(٥):

تخاطأت(٦) النبل أحشاءه

---

(١) ذكره بنحوه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٤-١٠٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٦ دون نسبة.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٠، والسمرقندي ٢/ ١٠٠، والماوردي ٢/ ٤٣٧، والثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٥، والرازي ١٧/ ١٠٥.

(٣) هكذا في جميع النسخ، والضمير يعود إلى (مدة) إذ هي المفعول، وفي «الحجة» عليه، ومعنى (يتعارفون مدة إماتتهم) أي: يسأل بعضهم بعضًا كم لبثتم في القبور.

(٤) يعني وزن: تعارف.

(٥) «مجاز القرآن» ٢/ ٥، ونسبه إلى أوفى بن مطر المازني، وهو صدر بيت عجزه:

وأُخِّر يومي فلم يُعجل

وانظر: «سمط اللآلي» ١/ ٤٦٥، «شرح أبيات المغني» ٧/ ٤١، «اللسان» (خطأ) ٢/ ١١٩٣.

(٦) في (ح) و(ز) و(ص): (تخطأت)، وهو موافق لرواية «لسان العرب»، وما أثبته من (ى) و(م) موافق لرواية أبي عبيدة في «مجاز القرآن» وبقية المصادر، ومعنى تخاطأت: أخطأت، كما في «شرح أبيات المغني»، الموضع السابق.

أو يكون أعمل الفعل الذي دلّ عليه (يتعارفون)؛ ألا ترى أنه دل على يستعلمون ويتعرفون، وتعرّفوا مدة اللبث ههنا، كما تعرّفوها[(١)] [في قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١١٢] الآية، والآخر في التعارف: ما جاء في قوله: ﴿فأقبل بعضُهم على][(٢)] بعضٍ يتساءلون * قال قائلٌ﴾ [الصافات: ٥٠، ٥١]، وقال في موضع آخر ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾[(٣)] [الطور: ٢٦] الآية، وتعرّفهم يكون على أحد هذين الوجهين[(٤)]، وذكر[(٥)] تقدير الآية فقال: يحتمل قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون صفة لليوم، ويكون التقدير: كأن لم يلبثوا قبله إلا ساعة، فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها، ومثله قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] أي أمسكوهن قبله، وكذلك قوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي قبل انقضاء الأربعة الأشهر، ويجوز أن يكون على هذا التقدير حذف (قبل) الذي هو مضاف إلى الهاء، وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة، كقولك: الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت، ومثل هذا قوله: ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الشورى: ٢٢] والتقدير: وجزاؤه واقع بهم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

---

(١) في (ز): (يعرفونها).
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ز).
(٣) وقد ذكر أبو علي الآية بتمامها والآية التي قبلها.
(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٢.
(٥) يعني أبا علي الفارسي.

الوجه الثاني: أن تجعله صفة للمصدر على تقدير: ويوم نحشرهم حشرًا[١] كأن لم يلبثوا قبله، ثم فُعِلَ بـ (قبله) ما ذكرنا في الوجه الأول.

الوجه الثالث: أن تجعله حالًا من الضمير المنصوب في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ والمعنى: نحشرهم مشابهةً أحوالُهم أحوال من لم يلبث إلا ساعة، وأما (يوم) فإنه يصلح أن يكون معمولًا لأحد شيئين؛ أحدهما: أن يكون معمول ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾، وينتصب على وجهين؛ أحدهما: أن يكون ظرفًا معناه: يتعارفون في هذا اليوم، والآخر: أن يكون مفعولًا على السعة على:

يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار[٢]

وأهل الدار ما سرقوا وإنما سرق منهم، ولكن جعلوا مفعولًا على السعة، كذلك ههنا تعارفوا في اليوم فجعل اليوم مفعولًا على السعة، والآخر[٣]: أن يكون ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ معمول ما دلّ عليه قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾؛ ألا ترى أن المعنى: تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث، فيعمل في الظرف هذا المعنى، ولا يمنع المعنى من أن يعمل في الظرف وإن تقدم الظرف عليه، كقولهم: أكلَّ يوم لك ثوب؟ غير أن هذا الوجه ضعيف؛ لأن قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ لا يخلو من أن يكون على أحد[٤] الأوجه الثلاثة التي

---

(١) في (ى): (نحشرهم جميعًا حشرًا، والجملة ليست من كلام أبي علي في هذا الموضع.

(٢) رجز مجهول القائل وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» ١/ ١٧٥، وانظره بلا نسبة في: «خزانة الأدب» ٣/ ١٠٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص٦٥٥، «المحتسب» ٢/ ٢٩٥.

(٣) يعني الوجه الثاني في العامل في (يوم).

(٤) في (ح) و(ز): (احدى).

ذكرنا، فإن جعلته صفة المصدر لم يجز أن يعمل في (يوم)؛ لأن الصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه، وإن جعلته صفة لليوم فالصفة لا تعمل في [الموصوف كما أن الصلة لا تعمل في][1] الموصول؛ لأنها بعضه، وإنْ قدرته تقدير الحال على ما ذكرنا لم يجز أن يكون (يوم) معمولًا له؛ لأن العامل [في الحال][2] (نحشر) و(نحشر) قد أضيف اليوم إليه فلا يجوز أن يعمل في المضاف لمضاف إليه، ولا ما يتعلق بالمضاف إليه؛ لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف، فلهذا[3] قلنا: إن هذا الوجه ضعيف[4].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، قال المفسرون: خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث[5].

قال ابن الأنباري: ووجه اتصال خسرانهم بتعارفهم هو أن الله ﷻ لما ذكر البعث وذكر ما يصير إليه أحوال المبعوثين، وصله بتخسير المكذبين بالبعث[6]، وهذا معنى قول أبي إسحاق: يجوز أن يكون هذا إعلامًا من الله ﷻ -بعد أن بين أمر البعث- أنه من كذب به فقد خسر[7].

قال أبو بكر: وفيه قول[8] آخر: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله في

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ح): (فلذلك).

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٠-٣٠٤ بتصرف واختصار، وإضافة بعض الجمل.

(٥) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٣٦، «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، وبنحوه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٠.

(٦) لم أجده.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢.

(٨) في (ى): (وجه).

حال التعارف؛ لأن تلك حالٌ لا تقبل فيها توبة ولا يرجى معها إقالة[١].

٤٦- وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يريد ما[٢] ابتلوا به يوم بدر[٣]، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أو أتوفاك قبل ذلك، فلا فوت عليّ، ولا يفوتني شيء، وهو قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾، قال الربيع[٤]: أي: فنعذبهم في الآخرة[٥]، وقال مقاتل: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد الموت فنجزيهم بأعمالهم[٦]، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: من محاربتك وتكذيبك، قاله ابن عباس[٧].

قال أهل المعاني: أعلم الله تعالى نبيه -ﷺ- أنه ينتقم من بعض هذه الأمة، ولم يعلمه أيكون ذلك بعد وفاته أو قبله[٨]، فقال المفسرون: كانت وقعة بدر ما أراه في حال حياته[٩].

وقال أبو إسحاق: الذي[١٠] تدل عليه الآية أن الله أعلمه أنه إن لم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٨ بنحوه، دون تعيين القائل.

(٢) في (ى): (من)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٣٦، والقرطبي ٨/ ٣٤٨، ولم أجد من ذكره عن ابن عباس.

(٤) هو: ابن أنس.

(٥) لم أعثر عليه في مظانه من كتب التفسير.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بنحوه.

(٧) «تنوير المقباس» ٢١٤ بمعناه.

(٨) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن» ٣/ ٢٣.

(٩) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣، و«تفسير مقاتل» ١٤١ أ، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٢٩٨، و«الثعلبي» ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦، «الوسيط» ٢/ ٥٤٩.

(١٠) ساقط من (ى).

ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل[١].

٤٧- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، ذكر المفسرون[٢]، وأصحاب المعاني[٣] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أن مجيء الرسول والقضاء بينهم في الدنيا، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء، قال: فإذا كذبوا رسولهم قضي بينهم بالعدل[٤]، وقال عطية العوفي: يقول الله تعالى: أرسلت إلى كل أمة رسولًا، فإذا جاء رسولهم وبلغهم الكتاب وكذبوه قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا بالعدل؛ فعُذب المكذبون[٥]، ونجا[٦] الرسل[٧] والمؤمنون.

القول الثاني: أن المراد بمجيء الرسول والقضاء ما يكون في القيامة، وهو قول مقاتل ومجاهد وابن عباس في بعض الروايات[٨]، قال مجاهد: فإذا جاء رسولهم يوم القيامة[٩]، وقال مقاتل: فإذا جاء رسولهم في الآخرة[١٠].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣.

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١٠٠، والثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٣.

(٤) ذكره ابن الجوزي ٤/ ٣٧ بنحوه، عن عطاء بن السائب.

(٥) في (ح) و(ز): (المكذبين).

(٦) في (ى): (ونجي).

(٧) في (ى): (الرسول).

(٨) منها رواية الكلبي كما في «تفسير الماوردي» ٢/ ٤٣٧.

(٩) رواه ابن جرير ١١/ ١٢١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٥، والثعلبي ٧/ ١٢ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦.

(١٠) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ، والثعلبي ٧/ ١٢ ب والبغوي ٤/ ١٣٦.

وقال ابن عباس: إن الله تعالى يقول لهم يوم القيامة: ألم يأتكم رسلي بكتبي؟ فيقولون: ما أتانا لك رسول ولا كتاب[١]، ثم يؤتى بالرسول فيقول: قد أبلغتهم كتابك، فذلك قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾[٢].

قال أبو إسحاق: ودليل القول الأول: قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] الآية، أعلم أنه لا يعذب قومًا إلا بعد الإعذار والإنذار، ودليل القول الثاني قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، أعلَم الله أن كل رسول شاهد على أمته بإيمانهم وكفرهم[٣].

وزاد ابن الأنباري بيانًا ومعنى فقال في القول الأول: ولكل أمة رسول يرسله الله إليهم سفيرًا بينه وبينهم، مبشرًا ومنذرًا، فإذا جاءهم الرسول في الدنيا ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: حكم عليهم عند اتباعه وعناده[٤] بالمعصية والطاعة والضلالة والهدى[٥]، فالقضاء بالقسط على

---

(١) في (ح) و(ز): (بكتاب).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٤٩ بمعناه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣/ ٢٤ بتصرف بالزيادة وترتيب الجمل، وقد يكون ذلك بسبب اختلاف النسخ، كما أشار إليه الأزهري في «مقدمة التهذيب» ١/ ٢٧.

(٤) في «الوسيط» عند اتباع المؤمنين وعناد الكافرين.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٤٩، وأشار إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٧ دون تعيين القائل.

هذا وقع في الدنيا على القبول من الرسل والسعادة باتباعهم[١]، أو[٢] تكذيب الرسل والشقاوة بعصيانهم، وهذا معنى آخر سوى ما ذكرنا من قول المفسرين؛ لأنهم فسروا (القضاء بالقسط في الدنيا) بعذاب الكافرين ونجاة المؤمنين، وقال[٣] في القول الثاني: ولكل أمة رسول يرسل إليهم مبينًا الضلالة والهدى، ومرغبًا في ثواب الله، ومخوفًا غضب الله، فإذا جاء رسولهم في الآخرة شاهدًا عليهم بما كان منهم في الدنيا قضي بينهم هنالك[٤] بدخول الجنة والنار، يدل على صحة هذا قوله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾ [النساء: ٤١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، قال عطاء، عن ابن عباس: يريد لا ينقص الذين صدقوا، ويُجازى الذين كذبوا[٥]، وقال مقاتل: لا ينقصون من محاسنهم ولا يزادون على مساوئهم ما لم يعملوا[٦][٧]، وقال العوفي: لا يُعذب أحد بغير ذنب ولا على غير حجة[٨].

٤٨- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾، قال مقاتل: وذلك حين

---

(١) في (ح) و(ز): (وبإتباعهم)، وهو خطأ.

(٢) في (ى): (و).

(٣) يعني ابن الأنباري، ولم أجد من ذكره عنه.

(٤) من (م)، وفي بقية النسخ: (هناك).

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٤٩ بنحوه عن عطاء، وبمعناه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤.

(٦) في (م): (يعلموا)، وهو خطأ.

(٧) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بنحوه.

(٨) لم أجده.

أخبرهم النبي ﷺ بقوله[١]: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ الآية، فقالوا: متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد[٢]، وقال غيره: يريدون متى قيام الساعة[٣] ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أي أنت يا محمد وأتباعك ﴿صَٰدِقِينَ﴾، وقال الكلبي في هذه الآية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ﴾ يعني: كل أمة كذبت رسولها تقول ذلك لرسولها[٤].

٤٩- قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى﴾ الآية إلى آخرها مفسرة في آيتين من سورة الأعراف [٣٤، ١٨٨].

٥٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ الآية، هذا جواب لقولهم: متى هذا الوعد، وهذا استعجال منهم للعذاب[٥]، فقيل للنبي ﷺ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أعلمتم[٦]، والرؤية ههنا من رؤية القلب لا من رؤية العين، ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ أي عذاب الله ﴿بَيَٰتًا﴾، قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليل، وهو منصوب على الوقت[٧][٨]، ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يجوز أن يكون (ماذا) اسمان، فيكون (ما) استفهامًا، و(ذا) بمعنى (الذي)، ويكون المعنى ما الذي يستعجل منه

---

(١) ساقط من (ح) و(ز).
(٢) «تفسير مقاتل» ١٤١ أ بمعناه.
(٣) هذا قول ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٢١، وذكره الثعلبي ٧/ ١٦ ب، والبغوي ٤/ ١٣٦ دون تعيين القائل.
(٤) «تنوير المقباس» ص٢١٤، عن الكلبي، عن ابن عباس، «زاد المسير» ٤/ ٣٧، عن ابن عباس.
(٥) في (م): (للعقاب).
(٦) في (ى): (علمتم).
(٧) يعني نصب على الظرفية.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.

المجرمون؟][١] كقولك: أي شيء الذي يستعجل من العذاب المجرمون؟ أي يستعجله؛ ف (ما) على هذا في موضع رفع، و(ذا) بمعنى (الذي) خبره، والعائد من صلته إليه الهاء المقدر في (يستعجل)، فإن جعلت[٢] (ما) و(ذا) اسمًا واحدًا كان في موضع نصب كأنه في التمثيل: أي شيء يستعجل المجرمون من العذاب أو من الله؟ هذا كلام أبي علي الفارسي[٣] في شرح كلام أبي إسحاق، وذكر أبو إسحاق أن (ما) في[٤] موضع[٥] رفع من جهتين[٦]، وأنكر أبو علي أن تكون في موضع رفع إلا من جهة واحدة، وهي ما ذكرنا من الابتداء، وذكر الكلام عليه في «المسائل المصلحة»[٧]. قال أبو إسحاق: والأجود أن تكون الهاء في (منه) تعود على العذاب[٨].

وأما معنى هذا الاستفهام فقال ابن الأنباري وصاحب النظم: معناه: التهويل والتحذير والتفظيع، أي: ما أعظم ملتمسهم، وأشد وقوع الذي يبغون، ونزوله بهم، وهذا كقولك لمن هو في أمر تستوخم[٩] عاقبته: ماذا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٢) في (ح): (جعل).
(٣) انظر: «الإغفال» ص٨٦٥، وما بعدها.
(٤) ساقط من (ح) و(ز).
(٥) في (ح) و(ز): (موضعه).
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤، وعبارته: (ما) في موضع رفع من جهتين، إحداهما: أن يكون (ذا) بمعنى (ما الذي)، ويجوز أن يكون (ماذا) اسمًا واحدًا، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون.
(٧) يعني «الإغفال»، انظر ص٨٦٥.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.
(٩) تستوخم: أي تستردئ وتستثقل. انظر: «اللسان» (وخم) ١٢/ ٦٣١.

تجني على نفسك؟[١]، وكقول الشاعر[٢]:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديًا ... وماذا يؤدي الليل حين يؤوب

فهذا الاستفهام معناه التعظيم لشأن من ذكر، والتهويل منه.

وقال بعض أصحاب المعاني[٣]: تقدير الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أعلمتم؛ لأن هذا من رؤية القلب فيكون معناه العلم، ماذا يستعجل المجرمون من العذاب إن أتاكم بياتًا أو نهارًا؟ أي: أعلمتم أي شيء استعجلوه[٤] إن أتاكم، يعني في العظم[٥] والفظاعة، وهذا على التقديم والتأخير.

٥١- وقوله تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، دخول ألف الاستفهام على (ثم) للتقرير والتوبيخ، ومعناه: إن أهل الكفر قالوا: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا ما وقع آمنا به، فقال الله ﷻ موبخًا ومقررًا: أثم إذا ما وقع وحلّ بكم آمنتم به؟ يقول لنبيه ﷺ: قل لهم: أثم تؤمنون به بعد أن نزل بكم فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون وقد كنتم به تستعجلون في الدنيا مستهزئين ومعاندين للحق؟.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٥٠ دون نسبة.

(٢) هو: كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه. انظر: «الصحاح» (هوى) ٦/ ٢٥٣٩، «تهذيب اللغة» (هوى) ٦/ ٤٩٢، «الأمالي» للقالي ٢/ ١٥٠، «التكملة» للصغاني (هـ و ى) ٦/ ٥٤٠، «لسان العرب» (هوا) ١٥/ ٣٧٣.
ومعنى هوت أمة: أي هلكت، كما في المصدر الأخير، نفس الموضع.

(٣) يعني الحوفي، انظر: «البحر المحيط» ٦/ ٦٨، «الدر المصون» ٦/ ٢١٥، والنسخة التي بين يدي من كتابه «البرهان» ينقصها سورة يونس، وبعض سورة التوبة.

(٤) هكذا، والسياق يقتضي أن يقول: استعجلتموه.

(٥) في (ح): (العلم).

قال ابن عباس: يريد: لا أقبل إيمانًا عند نزول العذاب[١]، وذكر الفراء الكلام في (الآن) ههنا، وذكر أقوالًا[٢]، ورد عليه الزجاج[٣]، وأبو علي[٤]، وأكثر كلامهم ذكرناه في سورة البقرة في قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٧١].

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾، قال ابن عباس وغيره: يستخبرونك[٥] ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾، قال ابن عباس: يريد الذي جئت به[٦].

وقال الكلبي: أحق ما جئتنا به من نزول العذاب بنا والبعث[٧].

﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾، قال الليث: إي: يمين[٨]. وقال الزجاج: معناه: نعم وربي[٩]، ونحو ذلك روى أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي[١٠]، قال الأزهري: وهذا هو القول الصحيح[١١].

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٤ بمعناه.

(٢) قال الفراء: (الآن) حرف بني على الألف واللام لم تخلع منه، وأصل (الآن) إنما كان (أوان) حذفت منها الألف وغيرت واوها إلى الألف، وإن شئت جعلت (الآن) أصلها من قولك: (آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام . .). «معاني القرآن» ١/ ٤٦٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤.

(٤) «الإغفال» ص٢٥٤-٢٥٦.

(٥) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤، وهو قول ابن جرير ١٥/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٣٨ وغيرهم.

(٦) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٤ بلفظ: يعني العذاب والقرآن.

(٧) ذكره الماوردي في «تفسيره» ٢/ ٤٣٨ مختصرًا.

(٨) «تهذيب اللغة» (إي) ١٥/ ٦٥٧، وبنحوه في كتاب «العين» (أي) ٨/ ٤٤٠.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(١٠) و(١١) «تهذيب اللغة» (إي) ١٥/ ٦٥٧.

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، قال الكلبي: يعني العذاب، ﴿لَحَقٌّ﴾ نازل بكم[١]. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: أن الله لا يعجزه شيء[٢]، ولا يفوته شيء[٣]. وقال الكلبي: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بعد الموت[٤].

وقال الزجاج: أي لستم ممن يُعجز أن يجازى على كفره[٥].

٥٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾، قال ابن عباس وغيره: أشركت[٦]، ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي: لبذلته لدفع العذاب عنها، قال ابن عباس: يريد إن قبل الله ذلك منها، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفى الرؤساء الندامة من السفلة الذين أضلوهم، أي كتموهم ذلك ولم يطلعوهم عليه، هذا قول عامة المفسرين[٧]، وأصحاب المعاني[٨]، قال الفراء: يعني الرؤساء من المشركين أسروها من سفلتهم الذين أضلوهم، أي أخفوها[٩].

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٤ مختصرًا عنه، عن ابن عباس.

(٢) من (م) وفي النسخ الأخرى: يريد أنه لا يعجز الله شيء، وأثبت ما في (م) لموافقتها لما في المصدر التالي.

(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٤) في «تنوير المقباس» ص٢١٤، عن الكلبي، عن ابن عباس: وما أنتم بفائتين من عذاب الله.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(٦) «تنوير المقباس» ص٢١٤، «زاد المسير» ٤/ ٣٩، «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٣، والسمرقندي ٢/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، وابن الجوزي ٤/ ٣٩.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦٩، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٢٥، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٢٩٩.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٩.

ونحو هذا قال الزجاج[1].

وقال ابن الأنباري: إنما يقع هذا الكتمان منهم[2] قبل إحراق النار لهم، فإذا أحرقتهم النار ألهتهم عن هذا التصنع لمن كان يتبعهم في الدنيا، يدل على هذا قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] الآيات، فهم في هذه الحال[3] لا يكتمون ندمهم[4]، وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة: أسررت الشيء: أخفيته، وأسررته: أعلنته، قال: ومن الإصهار قول الله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي أظهروها، وأنشد للفرزدق[5]:

فلما رأى الحجاجَ جرد سيفه أسر الحروري الذي كان أضمرا[6]

أراد أظهر الحروري، قال شِمْر: لم أجد هذا البيت للفرزدق، وما قال غير[7] أبي عبيدة في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها، ولم أسمع ذلك لغيره[8].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(٢) من (م) فقط.

(٣) في (ى): (الحالات).

(٤) لم أجده، وقد ذكر القول من غير نسبة القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٥٢.

(٥) البيت ليس في «ديوانه»، وقد نسب إليه في كتاب «الأضداد» للأصمعي ص٢١، وكتاب «الأضداد» لابن الأنباري ص٤٦ وأخرى غيرها، وشكك في صحة نسبته للفرزدق أبو حاتم السجستاني كما سيأتي.

(٦) اهـ. كلام أبي عبيدة، انظر كتاب «الأضداد» للسجستاني ص١١٥، «تهذيب اللغة» (سر) ٢/ ١٦٧٠، «لسان العرب» (سرر) ٤/ ١٩٨٩، ولم يفسر أبو عبيدة هذه الآية في كتابه «مجاز القرآن».

(٧) ساقط من (ى).

(٨) «تهذيب اللغة» (سر) ٢/ ١٦٧٠، وإلى ذلك ذهب أبو حاتم السجستاني حيث قال: =

وذكر المفضل، عن الأصمعي وغيره: أسر بمعنى أظهر[١]، واختار المفضل الإظهار، وقال: ليس ذلك اليوم يوم تكبُّر ولا تصبُّر[٢].

ومعنى الندامة: الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يكن، والتأسف على ما وقع منه، ويود أنه لم يكن أوقعها، هذا معنى الندامة والندم، فأما أصله فإن[٣] موضوعه[٤] اللزوم، ومنه سمي النديم؛ لأنه يلازم المجلس[٥]، ويقوي هذا قولهم: نادم وسادم، والسَّدَم[٦]: اللهج بالشيء، وقالوا للرجل: ندم وسدم إذا اهتم بالشيء الفائت؛ لأن هذا الهمّ ألزم للقلب من الهمّ العارض للشيء الحادث؛ فإن هذا يزول بزوال ما حدث، والفائت لا سبيل إلى رده، فاستعملوا فيه الندم والسدم.

ويقوي هذا المذهب أيضًا أن أصحاب القلب[٧] ذكروا أن الندم قلب

= وكان يقول -يعني أبا عبيدة- في هذه الآية: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أظهرها، ولا أثق بقوله في هذا، والله أعلم، وقد زعموا أن الفرزدق قال. . ، وذكر البيت ثم قال: ولا أثق أيضًا بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعله قال: الذي كان أظهرا، أي كتم ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره. . ، فلا أثق به في القرآن. كتاب «الأضداد» له ص١١٥، وقال الأزهري: وأهل اللغة أنكروا قول أبي عبيدة أشد الإنكار، «لسان العرب» (سرر) ٤/ ١٩٨٩.

(١) انظر قول الأصمعي في كتابه: «الأضداد» ص٢١.

(٢) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٣٩، «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٣) في (م): (بأن).

(٤) في (ح) و(ز): (ممنوعة).

(٥) في (ى): (المسجد).

(٦) في «مختار الصحاح»: (سدم) السَّدَم -بفتحتين- الندم والحزن، وبابه: طَرِب، ورجل سادم نادم، وسدمان ندمان، وقيل: هو إتباع.

(٧) يعني علماء اللغة الذين لهم عناية بالكلمات المقلوبة، قال ابن منظور: يقال: =

الدمن[(١)]، وهو اللزوم.

وقال ابن الأعرابي[(٢)]: فلان نديم الخمر أي مدمن لها، والدمن ما اجتمع في الدار وتلبد من الأبوال والأبعار، سمي بذلك للزومه، والدمنة: الحقد الكامن في الصدر اللازم، وهذا من المقلوب الذي يستعمل كل واحد من الأصل والمقلوب في معنى غير المعنى الآخر بعد أن يكونا يرجعان إلى أصل واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: بين الرؤساء والسفلة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ لأنهم يجازون بشركهم.

٥٥- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قال ابن عباس: يريد ما وعد لأوليائه من [الثواب والنعيم، وما أوعد أعداءه من][(٣)] العذاب والخزي والهوان، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، قال: يريد: المشركين[(٤)].

٥٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني قريشًا[(٥)] ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ

= المنادمة مقلوبة من المدامنة؛ لأنه يدمن شرب الشراب من نديمه؛ لأن القلب في كلامهم كثير كالقسي من القووس، وجذب وجبذ، وما أطيبه وأيطبه ... إلخ. «لسان العرب» (ندم) ٧/ ٤٣٨٦.

(١) قال الأزهري: دمّن فلان فناء فلان: إذا غشيه ولزمه، ومدمن الخمر: الذي لا يقلع عن شربها، واشتقاقه من دمن البعر. «تهذيب اللغة» (دمن) ٣/ ١٤٢٨.

(٢) في (م): (ابن الأنباري).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) ذكره مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٠، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٥) هذا التخصيص من رواية ابن عباس التي اعتمدها المؤلف.

انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٥٠، «زاد المسير» ٤/ ٤٠، وقد ذهب إلى هذا التخصيص=

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يريد القرآن وما فيه، ومعنى الموعظة: الإبانة عما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة، والقرآن داع إلى كل صلاح بهذا الطريق.

وقوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ أي: دواء لداء الجهل، وذلك أن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن، فالمزيل له أجلّ شفاء وأعظمه موقعًا، والقرآن بحمد الله مزيل للجهل، وكاشف لعمى القلب ﴿وَهُدًى﴾ وبيان من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال ابن عباس: ونعمة من الله لأصحاب محمد[1] ﷺ[2].

٥٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الآية، قال أبو علي: الجار في قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم من قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ عليه، كما أن قوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١] يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم ذكره من الفعل، وكذلك قوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[3] [يونس: ٥١] معناه الآن تؤمنون، ودل عليه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١]، ونحو هذا قال ابن الأنباري، فقال[4]: (الباء الأولى في الآية خبر لاسم مضمر، وتأويله:

= يضًا السمرقندي ٢/ ١٠٢، والقرطبي ٨/ ٣٥٣، والأصل بقاء الخطاب على عمومه، وإلى ذلك ذهب ابن جرير ١١/ ١٢٤، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٦٧: هذه آية خوطب بها جميع العالم.

(١) القرآن نعمة لأصحاب محمد ولمن جاء بعدهم مؤمنًا إلى يوم القيامة، فلا وجه لهذا الحصر والتخصيص، وقد أشار الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٦٩ إلى هذا التخصيص تفسيرًا لقراءة زيد بن ثابت (فبذلك فلتفرحوا) بالتاء، وسيأتي.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٥٥٠.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٠.

(٤) هكذا في جميع النسخ.

هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله، فحذف الاسم وأبقى خبره)[١].

ومعنى الإضافة في قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾، قال بعض أهل المعاني: الفضل ههنا في موضع الإفضال، كما أن النبات في موضع الإنبات في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، والمعنى بإفضال الله[٢]، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى الملك، كما يضاف العبد إلى الله بمعنى أنه مالك له.

وقوله تعالى: ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ أعاد الجار على الأصل كقوله[٣]:

يا دار عفراء ودار البَخْدَنِ

وكقولهم: مررت بأخيك وبأبيك، وهذا مما سبق بيانه قديمًا، ومعنى الآية على ما ذكرنا: جاءتكم هذه الموعظة وهذا الشفاء -ويعني به القرآن- بإفضال الله عليكم، وإرادته الخير بكم، ثم قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أشار بذلك إلى القرآن؛ لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن، فترك اللفظ وأشار إلى المعنى. وقال ابن الأنباري: (ذلك) إشارة إلى معنى الفضل والرحمة، تلخيصه: بذلك التطول[٤] فليفرحوا[٥].

قال أبو علي: الجار في قوله ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ متعلق بـ (ليفرحوا)؛ لأن هذا

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤١ .

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكره مختصرًا في «تفسيره» ٢/ ٢٩٨.

(٣) البيت لرؤبة في «ديوانه» ص١٦١، وبعده:

بك المها من مطفل ومشدن

وكتاب سيبويه ٢/ ١٨٨، و«المحكم» ٥/ ٣٤٣، و«اللسان» (بخدن) و«الجمهرة» (١١١٦).

(٤) في (ى): (التطويل)، وهو خطأ، والتطول: التفضل. انظر: «القاموس المحيط» (طول) ص١٠٢٦.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٤١.

الفعل يصل به، يقال: فرحت بكذا، والفاء في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ زيادة[١] كقول الشاعر[٢]:

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

والفاء في (فاجزعي) زيادة، كما كانت التي في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ كذلك[٣]، هذا الذي ذكرنا مذهب النحويين في هذه الآية[٤].

ومذهب المفسرين غير هذا؛ فإن ابن عباس[٥]، والحسن[٦]،

---

(١) زيادة المبني تدل على زيادة المعنى، وليس في القرآن زيادة لا فائدة لها، ولعل أبا علي وسائر النحويين يقصدون بالزيادة عدم تأثير حذف ما قيل بزيادته من الناحية الإعرابية، وقال الزركشي: ومعنى كونه زائدًا أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد، فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لا يضع الشيء إلا لفائدة. «البرهان في علوم القرآن» ١/ ٧٤.

(٢) هو النمر بن تولب، وصدر البيت:

لا تجزعي إن منفسًا أهلكته

انظر: «ديوانه» ص٧٢، «خزانة الأدب» ١/ ٣١٤، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ١٦٠، «كتاب سيبويه» ١/ ١٣٤، والمنفس: الشيء النفيس. والشاعر يخاطب امرأته لما لامته على إنفاق ماله على ضيوفه. انظر: «الخزانة»، شرح الأبيات نفس الموضعين السابقين.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨١ بتصرف.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٦٥، «البحر المحيط» ٥/ ١٧١-١٧٢، «الدر المصون» ٦/ ٢٢٤.

(٥) رواه عنه ابن جرير ١١/ ١٢٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩، وهو صحيح من رواية ابن أبي طلحة.

(٦) رواه عبد الرازق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، وابن جرير ١١/ ١٢٥، وذكره ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩ بغير سند.

وقتادة[١]، ومجاهدًا[٢]، وغيرهم[٣]، قالوا: فضل الله: الإسلام، ورحمته القرآن.

وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله: القرآن، ورحمته أن جعلهم من أهله[٤]، وعلى هذا: الباء في ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ تتعلق بمحذوف يفسره ما بعده، كأنه قيل: قل[٥] فليفرحوا بفضل الله وبرحمته.

[وقوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾، قال الزجاج: هو بدل من قوله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾][٦].

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ يقتضي جوابًا فلم يجيء حين قال مبتدئًا: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾، وأكثر ما يجيء أن يكون المبتدأ مجملًا، ثم تجيء الترجمة والبيان بعد، وههنا جاءت الترجمة قبل، وجاء الإجمال بعد البيان؛ لأن قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ معروف ما هما، فلو قال نسقًا عليه ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ لكان تامًّا مفهومًا، فلما قال: (فبذلك) أجمل به ما تقدم من الترجمة؛ لأن قوله (ذلك) يحمل ما قبله قلّ أم كثر، ذكرًا كان أم أنثى، واحدًا كان أم اثنين، كما قال تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٢٥، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٨.

(٢) المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٣) منهم هلال بن يساف وزيد بن أسلم وابنه وأبو العالية وسالم بن أبي الجعد والضحاك والربيع بن أنس، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٥٩.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٨، وذكره بغير سند السمرقندي ٢/ ١٠٢، والثعلبي ٧/ ١٧ أ، والبغوي ٤/ ١٣٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٠.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ما بين المعقوفين من (ى)، وانظر قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] أي بين البكر والفارض[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ هو أمر للمؤمنين بالفرح.

ومعنى الفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، يقول: ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته، فإن ما آتاهم الله من الموعظة وشفاء ما في الصدور، وثلج اليقين بالإيمان، وسكون النفس إليه، خير مما يجمع غيرهم من أعراض الدنيا مع فقد هذه الخلال.

فإن قيل: كيف جاء الأمر للمؤمنين[٢] بالفرح[٣] وقد ذم ذلك في غير[٤] موضع من التنزيل؛ من ذلك قوله: ﴿لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] ؟

قيل: إن عامة ما جاء مقترنًا بالذم من هذه اللفظة إذا جاءت مطلقة، فإذا قيد[٥] لم يكن ذمًا، كقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وقد قيد في هذه الآية بقوله تعالى: (بذلك).

وقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالياء، قال الفراء: وقد ذُكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء[٦]، وقال: معناه: فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد ﷺ، هو

---

(١) الفارض: المسنة الهرمة. انظر: «تفسير ابن جرير» ١/٣٤١، ٣٤٢، ٢٤٣، «القاموس المحيط» فصل: الفاء، باب: الضاد ٦٥٠.

(٢) في (م): (المؤمن).

(٣) ساقط من (م).

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (قيل)، وهو خطأ.

(٦) وهي قراءة رويس عن يعقوب -من العشرة- والحسن البصري وغيرهما. انظر: «الغاية في القراءات العشرة» ص١٧١، «النشر» ٢/٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٢، «المحتسب» ١/٣١٣، وذِكْرها في الشواذ وهْمٌ من ابن جني.

خير مما يجمع الكفار، قال: وقوى هذه القراءةَ قراءةُ أُبيّ (فبذلك فافرحوا)[١]، والأصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام، نحو: لتقم يا زيد، وليقم زيد، يدل على هذا أن حكم الأمرين واحد، إلا أن العرب حذفت[٢] اللام من فعل المأمور المواجه[٣] لكثرة استعماله، وحذفوا التاء أيضًا وأدخلوا ألف الوصل، نحو: اضرب واقتل؛ ليقع الابتداء به، كما قالوا[٤]: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨]، و﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، وكان الكسائي يعيب قولهم: فلتفرحوا؛ لأنه وجده قليلًا فوجده[٥] عيبًا، وهو الأصل، ولقد سُمع عن النبي ﷺ أنه قال في بعض المشاهد: «**لتأخذوا مصافكم**»[٦]

---

(١) ذكرها عنه أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥، وأبو علي الفارسي في «الحجة» ٤/ ٢٨٢، وابن جني في «المحتسب» ١/ ٣١٣، وهي قراءة شاذة مخالفة لرسم المصحف.

(٢) في (ى): (حدثت)، وهو خطأ.

(٣) يعني الحاضر الذي يوجّه له الخطاب.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن»: (قال)؛ لأن القول المذكور من القرآن، ولعل الواحدي لم يرد ذلك.

(٥) هكذا في جميع النسخ، وفي «معاني القرآن» فجعله، وهو أصوب.

(٦) لم أجده مسندًا، وقال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف» ٢/ ١٢٧: غريب، ولم يذكر له مخرجًا، وقد ذكره بغير سند الفراء في «المعاني» ١/ ٤٧٠، والزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٤٢، والقرطبي ٨/ ٣٥٤، وأبو حيان في «البحر» ٥/ ١٧٢، وروى معناه في الصلاة الترمذي (٣٢٣٥) في التفسير سورة ص، وأحمد ٥/ ٢٤٣، ولفظهما: على مصافكم كما أنتم، ولا شاهد فيه بهذا اللفظ، ويشهد لهذا الحديث من الناحية اللغوية قول الرسول ﷺ: «**لتأخذوا** مناسككم» رواه مسلم (١٢٩٧) في الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، قال المحقق: هذه اللام لام الأمر، ومعناه: خذوا مناسككم.

يريد به خذوا[١]، هذا كلام الفراء مع زيادة شرح لابن الأنباري.

قال أبو علي: اللام إنما تدخل عل فعل الغائب؛ لأن المواجهة[٢] استغني فيه عن اللام بقولهم: افعل، فصار مشبهًا للماضي في (يدع) الذي استغني عنه بـ (ترك)، ولو قلت: (فلتفرحوا) فألحقت التاء لكنت مستعملًا لما هو كالمرفوض وإن كان الأصل، فلا تُرجِّح القراءة بالتاء أن ذلك هو الأصل، لما قد ترى كثيرًا من الأصول المرفوضة، وحجة من قرأ بالتاء أنه اعتبر الخطاب وهو قوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾ [يونس: ٥٧]، وقرئ (تجمعون) بالتاء[٣] أيضًا، ووجه قول من قرأ ذلك أنه عنى المخاطبين والغُيَّب جميعا، إلا أنه غلّب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث، وكأنه أراد المؤمنين وغيرهم[٤].

٥٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ قال المفسرون: الخطاب في هذه الآية لكفار مكة[٥] و(ما) ههنا فيه وجهان، أحدهما: أن يكون بمعنى: الذي، فينتصب بـ (رأيتم)، والآخر: أن يكون بمعنى: أي، في الاستفهام، فينتصب بـ (أنزل) وهو قول الزجاج؛ لأنه

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٠، وقد أشار المؤلف إلى انه أدخل فيه كلام ابن الأنباري.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وهو كذلك في إحدى نسخ «الحجة»، كما بين ذلك المحقق، لكنه اعتمد لفظ: المواجه، وهو أجدر بالسياق.

(٣) هي قراءة ابن عامر وأبي جعفر ورويس عن يعقوب.
انظر: «الغاية» ص١٧١، «النشر» ٢/ ٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٢.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٢ بتصرف.

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٢٧، والثعلبي ٧/ ١٧ ب، والبغوي ٤/ ١٣٨.

قال: (ما) في موضع نصب بـ (أنزل)[١]، ومعنى (أنزل) ههنا: خلق وأنشأ، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] وقد مرّ، وجاز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن كل ما في الأرض من رزق فمما أنزل من السماء[٢]، من ضرع وزرع وغيره، فلما كان إيجاده بالإنزال سمي إنزالًا، كقوله:

تعلّى الندى في متنه وتحدرا[٣]

يعني الشحم، سماه ندى؛ لأنه بالندى يكون النبات، وبالنبات يكون الشحم، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾، قال ابن عباس والحسن

---

(١) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥.

(٢) يعني أمر الله تعالى وتقديره، كما في قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وهو ظاهر سياق كلام المؤلف، ويجوز أن يكون المراد المطر، قال القرطبي ٨/ ٣٥٥: فيجوز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأن الذي في الأرض من الرزق إنما هو بما ينزل من السماء من المطر.
وانظر نحوه في: «تفسير الرازي» ١٧/ ١١٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٢٧.

(٣) عجز بيت وصدره:

كثور العداب الفرد يضربه الندى

والبيت لعمرو بن أحمر الباهلي كما في «ديوانه» ص٨٤، «أدب الكاتب» ص٧٦، «الاقتضاب» ص٣١٩، «لسان العرب» (ندى) ٥/ ٤٣٨٧، والبيت بلا نسبة في: «الصحاح» (ندى)، «تهذيب اللغة» (ندى)، «المخصص» ١٥/ ١٣١.
والعداب: منقطع الرمل ومسترقه، والفرد: منقطع النظير الذي لا مثيل له في جودته أو عظمته، والندى الأولى: المطر، والثانية: الشحم.
والشاعر يصف ناقته القصواء التي أعدها للهرب عند الخوف، ويقول بأنها صارت كثور وحشي في موقع مخصب بعيد عن الناس. انظر: «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» ص٣١٩، «لسان العرب» (عدب) و(فرد) و(ندى).

ومجاهد: يعني ما حرموا من الحرث والأنعام لآلهتهم من البحائر والسوائب[١]، وهو ما ذكر في سورة الأنعام في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أي: في هذا التحريم والتحليل؛ وذلك أنهم كانوا يقولون: الله[٢] أمرنا بها. ثم قال: ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ بمعنى: بل على الله تفترون، تقولون على الله الكذب.

قال أبو علي: (قل) في قوله: ﴿قُلْ آللَّهُ﴾ توكيد؛ لأن ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ بمعنى[٣] أخبروني، والاستفهام في قوله: في موضع المفعول الثاني [وإذا

---

(١) البحائر والسوائب: جمع بحيرة وسائبة، وهما مما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من أنعامهم، أما كيفية ذلك فقد اختلف فيه اختلافًا كثيرًا، فقال الزجاج: أثبت ما روينا في تفسير هذه الأسماء عن أهل اللغة، البحيرة: ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرًا بحروا أذنها -أي شقوها- وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها المعيي لم يركبها.
والسائبة: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها، وأن لا تجلى عن ماء، ولا تمنع من مرعى. «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣.
وقيل السائبة: أم البحيرة، كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها إلا الضيف وشقت أذن بنتها الأخيرة وسميت البحيرة، وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة، وثمة أقوال أخرى، انظر: «الصحاح»، «لسان العرب» (سيب) و(بحر). قال الطبري: أما كيفية عمل القوم في ذلك، فما لا علم لنا به، وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا، وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه، موصولًا إلى حقيقته، وهو أن القوم كانوا يحرمون من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله. «الطبري» ١١/ ١٢٧.
(٢) لفظ الجلالة لم يكتبْ في (ى).
(٣) ساقط من (ح) و(ز).

كان كذلك لزم أن يكون (قل) تكريرًا؛ ليقع الاستفهام بعدها في موضع المفعول الثاني][1]، ومثله في التوكيد والاعتراض بين المفعول الأول والثاني، قوله[2]: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[3] [الأحقاف: ٤] ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى[4].

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الظرف متعلق بالظن على معنى: ما ظنهم في ذلك اليوم؟ وهو استفهام تقريع وتوبيخ، قال مقاتل: وما ظن الذين يتقولون على الله الكذب بأن الله أمرهم بتحريمه[5] يوم القيامة إذا لقوه[6]؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، قال ابن عباس: يريد: أهل مكة حين جعلهم في أمن وحرم[7] كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٢) ساقط من (م).

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «المسائل الحلبيات» ص٧٦ بتصرف واختصار.

(٤) أحال في هذا الموضع إلى سورة فاطر وقال هناك ٤/ ١٧٧ أ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: معناه: أخبروني عن شركائكم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو علي: قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ في موضع نصب، وقال مقاتل: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ كما خلق الله آدم إن كانوا آلهة، قال الفراء: أي أنهم لم يخلقوا شيئًا، فعلى هذا (من) بمعنى (في).

(٥) في (م): (بتكذيبه)، وهو خطأ.

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٥١، ولفظه في «تفسير مقاتل» ١٤١ ب: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا، ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ فزعموا أن له شريكًا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

(٧) «الوجيز» ٧/ ١٧١، ولا دليل على هذا التخصيص، والأصل بقاء اللفظ على عمومه.

حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، قال: يريد: لا يوحدون ولا يطيعون[١]، وقال مقاتل: إن الله لذو فضل على الناس، حين لا يعجل عليهم بعقوبة افترائهم[٢]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخير العذاب عنهم[٣].

٦١- وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ الآية، قال الفراء: (ما) ههنا جحد لا موضع لها[٤]، والشأن: الخطب، والجمع الشؤون، والعرب تقول ما شأن فلان: أي: ما حاله.

قال الأخفش: وتقول ما شأنتُ شأنه أي: ما عملت عمله[٥].

وقال غيره: يقال: أتاني فلان وما شأنتُ شأنه، إذا لم تكترث له[٦]، ويقال: لأشأنن شأنهم، أي لأفسدن أمرهم[٧]، فالشأن اسم إذا كان بمعنى الخطب، وإذا كان بمعنى المصدر كان معناه القصد[٨]، والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به اسم الأمر وهو قول المفسرين[٩].

---

(١) «الوجيز» ٧/ ١٧١.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤١ ب بنحوه.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) اهـ. كلام الفراء، «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٥) «الكشف والبيان» ٧/ ١٨ أ، «تفسير الرازي» ١٧/ ١٢١، والقرطبي ٨/ ٣٥٦، ولم يذكره الأخفش في كتابه «معاني القرآن» كما لم أجد من أشار إليه من أهل اللغة.

(٦) هذا قول الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (شأن) ٣/ ١٨١٤.

(٧) «الصحاح» (شأن) ٥/ ٢١٤٢.

(٨) في (م): (الفسد)، وهو خطأ.

(٩) انظر: «تفسير ابن جرير» ١٧/ ١٢١، والسمرقندي ٢/ ١٠٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ.

قال ابن عباس: (وما تكون) يا محمد (في شأن) يريد من أعمال البر[١].

وقال الحسن: في شأن من شأن الدنيا، وحوائجك فيها[٢]، ويجوز أن يكون المراد به المصدر يعني قصد الشيء، قال الشاعر[٣]:

يا طالب الجود [إن الجود][٤] مكرمة
لا البخل منك ولا من شأنك الجودا[٥]

أي ولا من قصدك الجود، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ اختلفوا في الكناية في (منه)؛ فقيل: إنه كناية عن القرآن[٦]، على تأويل: وما تتلو من القرآن، أي من جميعه ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أي من[٧] شيء؛ لأن عامته قرآن وبعضه أيضًا قرآن، وقد سبق ذكر القرآن في معنى قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ [يونس: ٥٨] والمعنى وما تتلو من القرآن من سورة.

وقال بعض أهل المعاني: ذكر القرآن بالإضمار ثم بالإظهار لتفخيم ذكره، على نحو قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٨] [النمل: ٩]، وقد قيل: إن معناه من الله[٩]، أي ما تتلو من قرآن من الله، أي نازل منه، ويجوز أن

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٢١.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٢١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥١.

(٣) «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٣٨.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (م): (الجودُ)، والصواب ما أثبته إذ هو مفعول به للمصدر (شأن) الذي هو بمعنى القصد كما بينه المؤلف.

(٦) هذا قول ابن جرير ١١/ ١٢٩، وأحد قولي الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٤٢.

(٧) ساقط من (ح).

(٨) وقد اعتمد هذا القول الزمخشري ٢/ ٢٤٢، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٢٢٨.

(٩) هذا قول السمرقندي ٢/ ١٠٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، والبغوي ٤/ ١٣٩، وهو القول الآخر للزمخشري ٢/ ٢٤٢.

يعود الضمير إلى الشأن(١)، كأنه قيل من الشأن من قرآن(٢)، أي وما تتلو فيما تعمل من شأنك من قرآن، وهذا الوجه اختيار الزجاج(٣)، وذكر صاحب النظم الأوجه الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾، قال ابن عباس: خاطبه وأمته جميعًا(٤). قال ابن الأنباري: قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ﴾ خطاب للنبي ﷺ، وأمته داخلون فيه، ومعنيون به، ومعروف عندهم أن يخاطب الرئيس والمراد هو وأتباعه إذ كان هو زعيمهم، يدل على هذا قوله ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١]، ثم جمع في قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين الذين أفردا(٥) لخطاب النبي ﷺ(٦).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، قال الفراء: يقول: الله شاهد على كل شيء، وهو كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] يقول: إلا هو شاهدهم(٧)، قال: وهو جمع(٨) ليس

---

(١) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦، وذكره عن الفراء أبو جعفر النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥، ومكي في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٤٨.

(٢) قال النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٦٥ بعد ذكر قول الفراء: وهذا كلام يحتاج إلى شرح، يكون المعنى: وما تتلو من الشأن، أي من أجل الشأن، أي يحدث شأن فيتلى من أجله القرآن ليعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.

(٤) «الوجيز» ١/ ٥٠٢.

(٥) في (ى): (افردوا)، وهو خطأ.

(٦) ذكر بعض قول ابن الأنباري هذا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٥، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٨) ساقط من (ى).

بمصدر. والمعنى: إلا نعلمه فنجازيكم به[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، معنى الإفاضة ههنا: الدخول في العمل على جهة الانصباب إليه، وهو الانبساط في العمل، قال ابن الأنباري: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ إذ تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره، يقال: قد أفاض القوم في الحديث: إذا اندفعوا[٢] فيه، وقد أفاضوا من عرفة: إذا دفعوا منه بكثرتهم فتفرقوا[٣][٤].

وقال الزجاج: إذ تنتشرون فيه، وأفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه[٥]، وهو قول ابن كيسان[٦].

وقال ابن عباس: يقول الله تعالى: شهدت ذلك منكم إذ تأخذون فيه[٧].

قال صاحب النظم: (إذ) ههنا بمعنى حين، ولذلك جاز في المستقبل، والمعنى حين تفيضون فيه.

---

(١) لم يذكره الفراء في «معاني القرآن»، وقد ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

(٢) في (ى): (انتشروا).

(٣) في (م): (فتعرفوا)، وفي (ح) و(ز): (فنفروا)، وأثبت ما في (ى) لأمرين:
أ- ما جاء في «تهذيب اللغة» (فاض) ونصه: كل ما في اللغة من باب الإفاضة فليس يكون إلا عن تفرق وكثرة.
ب- موافقته لـ «تفسير الرازي»، وهو كثير النقل من «البسيط».

(٤) ذكره مختصرًا البغوي ٤/ ١٣٩، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٨/ أ، والقرطبي ٨/ ٣٥٦.

(٧) رواه بمعناه مختصرًا ابن جرير ١١/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٢، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، وذكره بلفظه مختصرًا المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ أي: وما يبعد وما يغيب، قاله ابن عباس[١]، وغيره[٢]، ومعنى العزوب[٣]: ذهاب المعنى عن المعلوم، وأصله من البعد، ومنه[٤] يقال: كلأ عازب، إذا كان بعيد المطلب، وعزب الرجل بإبله: إذا راعها بعيدًا عن الحلة، لا يأوي إليهم، وعزب الشيء عن علمي: إذا بعد، وفيه لغتان: عَزَبَ يعزُب وعَزَبَ يَعْزِب[٥].

وقوله تعالى: ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ أي وزن ذرة، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله، والمعنى: ما يزن ذرة، والذر صغار النمل، واحدها ذرة[٦]، وهي خفيفة الوزن جدًّا، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ ويقرآن بالرفع[٧]، قال الفراء: فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتْبعهما المثقال أو الذرة، ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال؛ لأنك لو ألقيت من المثقال (من) كان رفعًا، وهو كقولك ما أتاني من أحد عاقلٍ[٨]،

(١) رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٣، والثعلبي ٧/ ١٨ أ، وانظر كتاب «غريب القرآن» لابن عباس ص٤٨.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لليزيدي ص١٧١، ولابن قتيبة ص٢٠٣، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٣١، «نزهة القلوب» للسجستاني ص٤٩٨، «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٨ أ.

(٣) في (ى): (العزب).

(٤) ساقط من (ى).

(٥) وقد قرأ الكسائي بكسر الزاي، وقرأ الباقون بضمها. انظر كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «الغاية» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٨٥.

(٦) انظر: «لسان العرب» (ذرر) ٣/ ١٤٩٤، وفيه أيضًا في نفس الموضع: وقيل: الذرة ليس لها وزن، ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة.

(٧) قرأهما بالرفع حمزة ويعقوب وخلف، والباقون بالنصب. انظر المصادر السابقة، نفس المواضع.

(٨) في (ح): (واحد).

وعاقل»[1]، وكذلك قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، [هود: ٥٠، ٦١، ٨٤]، [المؤمنون: ٢٣، ٣٢] وغَيْرِهِ[2]. هذا كلامه[3].

وشرحه أبو علي الفارسي فقال: من فتح الراء من ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾، ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾؛ فلأن (أفعل) في الموضعين في موضع جر؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو (مثقال)، وإنما فتح لأن (أفعل) إذا اتصل به (من) كان صفة، [وإذا كان صفة][4] لم ينصرف في النكرة، ومن رفع حمله على موضع الموصوف، وذلك[5] أن الموصوف الذي هو ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾ الجار والمجرور فيه في موضع رفع، كما كان[6] في موضعه في قوله: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾[7] [الرعد: ٤٣]، [الإسراء: ٩٦]، [العنكبوت، ٥٢]، وقوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت ....[8]

---

(١) يعني بالجر والرفع، فجره باعتباره صفة لأحد، ورفعه باعتبار معنى (أحد) لأنك لو حذفت (من) لكان فاعلًا مرفوعًا.

(٢) قال الإمام ابن الجزري: قرأ أبو جعفر والكسائي (من إله غيره) بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، والباقون بالرفع والضم حيث وقع. «تقريب النشر» ص١١٥، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص٢٨٦.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) في (م): (وقال)، وهو خطأ.

(٦) في «الحجة»: (كانا).

(٧) وقد وردت أيضًا في مواضع كثيرة مسبوقة بالواو.

(٨) وعجزه بتمامه:

بما لاقت لبون بني زياد

والبيت لقيس بن زهير، كما في «الأغاني» ١٧/ ١٣١، «خزانة الأدب» ٨/ ٣٥٩، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٣٤٠، «شرح شواهد الشافية» ص٤٠٨، «الخصائص» ١/ ٣٣٣.
وكان قيس هذا استاق إبل الربيع بن زياد العبسي وباعها بمكة؛ لأن الربيع كان قد أخذ منه درعًا ولم يردها عليه فقال قيس في ذلك قصيدة مطلعها هذا البيت.

فحمل الصفة على الموضع، ومما يجوز أن يكون محمولًا على الموضع قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، وقول الشاعر:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا[١]

قال: وقد يجوز أن يعطف قوله: ﴿وَلَآ أَصْغَرَ﴾ على ﴿ذَرَّةٍ﴾ فيكون التقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال أصغر، فإذا حمل على هذا لم يجز فيه إلا الجر؛ لأنه لا موضع للذرة غير لفظها كما كان لقوله: ﴿مِن مِّثْقَالِ﴾[٢] موضع غير لفظه، ولا يجوز على قراءة من قرأ بالرفع أن يكون معطوفًا على (ذرة) كما جاز في قراءة الباقين؛ لأنه إذا عطف على ﴿ذَرَّةٍ﴾ وجب أن يكون مجرورًا[٣]، وإنما فتح؛ لأنه لا ينصرف، وكذلك يكون على قول من عطفه على الجار الذي هو (من)[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، قال ابن عباس: يريد: اللوح المحفوظ[٥]، وذكرنا معنى إثبات الله الكائنات في اللوح المحفوظ عند

---

(١) عجز بيت وصدره:

معاوي إننا بشر فأسجح

والبيت لعقبة أو عقيبة الأسدي كما في «خزانة الأدب» ٢/ ٢٦٠، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٣١، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٣٠٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٧٠، «كتاب سيبويه» ١/ ٦٧، «لسان العرب» (غمز) ٦/ ٣٢٩٦.

ومعنى الإسجاح: حسن العفو والتسهيل. انظر: «لسان العرب» (سجح) (١٩٤٤).

(٢) في «الحجة»: من مثقال ذرة.

(٣) في «الحجة»: وجب أن يكون (أصغر) مجرورًا.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٥ بتصرف.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٣، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢،=

قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] مشروحًا، وذكر أبو علي الجرجاني ههنا فصلًا لا بد من الوقوف عليه وهو أنه قال: قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَآ أَكْبَرَ﴾ كلام تام نفى الله ﷻ[1] به عن نفسه عزوب شيء من الأحداث، وههنا انقطاعه[2]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ خبر آخر منقطع مما قبله؛ لأنه لو كان متصلًا بما قبله فيكون محققًا من قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾؛ وجب أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ نفيًا منتظرًا له تحقيق، وإذا كان النفي منتظرًا له التحقيق كان نفيًا[3] إذا خلا من الحال التي تحقق ما قبلها، مثل قولك: ما ينام زيد إلا بجهد، وما يصبح عمرو إلا مريضًا، فأنت لم تنف النوم عن زيد ولا الإصباح عن عمرو، إلا بخلاف الحال التي حققت النوم والإصباح بها؛ لأن التأويل (هكذا ينام زيد، وهكذا يصبح عمرو)، فلو كان قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متصلًا بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ لوجب أن يكون قد عزب عن الله أو يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر[4] منها إلا في الحال التي[5] استثناها، وهو قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ فيكون ما يعزب عنه من ذلك مستدركًا في الكتاب وفي هذا ما فيه، ونظيره من الكلام قول القائل (ما يغيب عني زيد إلا في بيته)، فالغيبة

= وبنحوه رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عند تفسير آية الأنعام كما في «الدر المنثور» ٣/ ٢٩.

(١) ساقط من (ح) و(ز).
(٢) في (ى): (تحقيق).
(٣) ساقط من (ح) و(ز).
(٤) في (ى): (أو أكبر أو أصغر).
(٥) ساقط من (م).

واجبة بهذه الحال.

وإذا كان آخر الكلام منقطعًا من الأول لم يؤد[(١)] إلى هذا النوع من الفساد، فكأنه قال: لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض لا صغيرًا ولا كبيرًا، وانقطع الكلام ههنا ثم استأنف خبرًا آخر بقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [أي: وهو أيضًا في كتاب مبين][(٢)]، والعرب تضع (إلا) موضع واو النسق كثيرًا على معنى الابتداء، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠، ١١] يعني ومن ظلم، وقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[(٣)] [البقرة: ١٥٠] يعني: والذين ظلموا[(٤)]. وهذا مذهب أبي عبيدة في تلك الآية[(٥)]، وقد ذكرنا في سورة البقرة ما احتج به من الأبيات[(٦)]، فقد ثبت أن (إلا) بمعنى واو النسق تستعمل، فقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ معنى (إلا) ههنا: واو النسق، وأضمر بعده (هو)، والعرب تضمر

---

(١) في (ح) و(ز): (يرد).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) وقد كتب نساخ (ح) و(ز) و(ى) و(ص) الآية هكذا: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وأسقط ناسخ (م) لفظ (للناس) ولا توجد آية بأحد هذين اللفظين، وفي قول الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ودلالة السياق تدل على أن المؤلف أراد آية سورة البقرة وعندها ذكر أبو عبيدة مذهبه.

(٤) انظر قول أبي علي الجرجاني في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٢٤، «الدر المصون» ٦/ ٢٣١ مختصرًا، وقال الرازي: هذا الوجه في غاية التعسف. اهـ. وقال السمين الحلبي: هذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدًا، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٦٠، وانظر أيضًا: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٢ فهو يجيز أن تكون (إلا) بمنزلة الواو.

(٦) انظر النسخة الأزهرية ١/ ٩٧ أ.

(هو) وما يتصرف منه كقوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨، الأعراف: ١٦١]، أي: هي حطة، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١] أي: هم ثلاثة، ومما جاء من[1] مثل هذا النظم قوله: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] إلى قوله: ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ فهذا تمام، ثم قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [المعنى: وهو في كتاب مبين][2] كهذه الآية سواء.

وذكر أبو إسحاق على قراءة من قرأ (ولا أصغرُ، ولا أكبرُ) رفعًا وجهًا للرفع سوى ما ذكرنا يستغنى فيه عن هذا التطويل الذي ذكره الجرجاني، وهو[3] أنه قال: يجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى وما أصغر من ذلك وما أكبر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]، فجعل ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ خبر المبتدأ، وهذا مستقيم، ولكن لا يستقيم هذا الوجه في قراءة من قرأ بالفتح وهو قراءة أكثر القراء[5].

٦٢- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ الآية، الأولياء جمع الولي، وذكرنا معنى الولي في اللغة في سورة البقرة[6]، فأما هؤلاء الذين ذكروا ههنا فقال رسول الله ﷺ فيما روى

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٣) في (ح) و(ز): (وهذا).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦ بمعناه.

(٥) سبق تخريج القراءة عند أول تفسير الجملة.

(٦) انظر: النسخة الأزهرية ١/ ١٥٤ ب، حيث قال في هذا الموضع: الولي: (فعيل) فهو وال وولي، وأصله من (الولْي) الذي هو القرب.. ومن هذا المعنى يقال للنصير المعاون المحب: ولي؛ لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك.. فالولي في اللغة هو القريب من غير فصل، والله تعالى ولي المؤمنين، على معنى أنه يلي أمورهم، أي يتولاها ... إلخ.

عنه الخدري: «هم الذين يُذكر الله لرؤيتهم»[١]، وروى عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» ثم قرأ هذه الآية[٢].

وقال ابن كيسان: هم الذين تولى الله هديهم بالبرهان الذي أتاهم وتولوا القيام بحقه[٣]، وهذا تفسير على مقتضى اللغة.

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن المبارك في كتاب «الزهد» ١/ ٢٤٥، وابن جرير ١١/ ١٣١، ١٣٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٤، والثعلبي ٧/ ١٨ ب، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٢٥)، وغيرهم متصلًا من حديث ابن عباس أو أبي مالك الأشعري، أو مرسلًا عن سعيد بن جبير عن النبي ﷺ. وله شاهد عند أحمد في «المسند» ٦/ ٤٥٩، وابن ماجه في «السنن» (٤١١٩)، كتاب الزهد، باب: من لا يؤبه له، من حديث أسماء بنت يزيد، وفي «سنده» شهر بن حوشب؛ قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ص٢٦٩ (٢٨٣٠): (صدوق كثير الإرسال والأوهام.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٣٥٢٧) كتاب البيوع، باب: في الرهن، وهناد في كتاب «الزهد» ١/ ٥٦٤، وابن جرير ١١/ ١٣٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٣-١٩٦٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٥، وفي سنده انقطاع، فإن أبا زرعة لم يسمع من عمر كما في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٤٦٣، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٥٢٣. وللحديث شاهد من حديث أبي مالك، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١١/ ٢٠١، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٤١، ٣٤٣، والطبري في «تفسيره» ١١/ ١٣٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/ ٥٠، وفي «تفسيره» ٤/ ١٤٠، وفي سنده شهر بن حوشب السالف الذكر. وكذلك له شاهد آخر من حديث ابن عمر، أخرجه الحاكم ٤/ ١٧٠، وصححه وأقره الذهبي. وله شاهد ثالث من حديث أبي هريرة، أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (الإحسان) ٢/ ٣٣٢ (٥٧٣)، ورجاله ثقات سوى عبد الرحمن بن صالح الأزدي فهو صدوق يتشيع، كما في «تقريب التهذيب» ص٣٤٣ (٣٨٩٨).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ١٩ أ.

وقال ابن زيد: هم الذين وصفوا فيما بعد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[(١)]، وهذا إذا جعلت (الذين) نعتًا للأولياء، فإن جعلت (الذين) مستأنفًا[(٢)] وجعلت الخبر[(٣)] قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لم يكن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نعتًا للأولياء.

قال ابن عباس: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يريد: الذين صدقوا النبي ﷺ وخافوا مقامهم بين يديّ[(٤)].

٦٣- قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، روى عبادة بن الصامت وأبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**»[(٥)].

﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ الجنة، يريد أن الرؤيا الصالحة بشرى للمسلم في الدنيا ويبشر في الآخرة بالجنة، وقال ابن عباس في رواية عطاء ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ

---

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٣٢.

(٢) في (م): (سابقًا)، وهو خطأ.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٥٣.

(٥) روى حديث عبادة الإمام الترمذي في «سننه» (٢٢٧٥) كتاب الرؤيا، باب: قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وابن ماجه (٣٨٩٨) كتاب تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة، والدارمي في «سننه» كتاب الرؤيا، ٢/ ١٦٥ (٢١٣٦)، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣١٥، ٣٢١، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٤٠، ٤/ ٣٩١، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٢/ ٣٧٥: رواته ثقات إلا أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة. وروى حديث أبي الدرداء الإمام الترمذي في الموضع السابق (٢٢٧٣) كتاب: الرؤيا، باب: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وحسنه، وأحمد في «المسند» ٦/ ٤٤٥، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٦٦، والطبري ١١/ ١٣٣-١٣٤، وفي سنده من لم يسم.

فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يريد عند الموت، تأتيهم ملائكة الرحمة بالبشرى من الله ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ يريد: عند خروج نفس المؤمن إذا خرجت يعرجون[1] بها إلى الله تزف كما تزف العروس تبشر برضوان الله[2]، وهذا قول الزهري[3]، وقتادة[4]، والضحاك[5] قالوا: هي بشارة الملائكة للمؤمن عند الموت.

وقال الحسن: هي ما بشرهم الله ﷻ به في كتابه من جنته وكريم ثوابه، في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾[6] [فصلت: ٣٠]، وهذا اختيار الفراء[7]، والزجاج[8]، قالا: ويدل على صحة هذا قوله بعد هذا ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾[9]، قال ابن عباس: يريد لا خلف لمواعيد الله، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدل كلماته بوضع غيرها بدلًا منها لم تبدل مواعيده[10].

---

(١) في (ى): (بغير حق)، وهو تصحيف.
(٢) رواه الثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٣ .
(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، والطبري ١١/ ١٣٨، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٦ أ، والثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١.
(٤) المصادر السابقة، نفس المواضع.
(٥) المصادر السابقة عدا عبد الرزاق والبغوي، نفس المواضع.
(٦) رواه الثعلبي ٧/ ١٩ ب، والبغوي ٤/ ١٤١.
(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٧١، ولم يصرح باختياره، بل جوّز أن يكون المراد ذلك.
(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦.
(٩) القول بنحوه للزجاج، وأما عبارة الفراء فنصها: ثم قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي الخلف لوعد الله.
(١٠) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٤، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤.

٦٥- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾، قال ابن عباس: (تكذيبهم)[١]. وقال الزجاج: أي: لا يحزنك إنكارهم وتكذيبهم وتظاهرهم عليك[٢].

وقال غيره من أهل المعاني: معنى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾ التسلية عن قولهم الذي يؤذونه به[٣].

والنهي في اللفظ للقول، وإنما هو عن السبب المؤدي إلى التأذي بقولهم، ومثله (لا أرينك ههنا)[٤] والمعنى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيته، فكذلك لا تعبأ بقولهم فمن عبأ به آذاه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾، قال الفراء: هذا استئناف، ولم يقولوا هم ذاك فيكون حكاية[٥].

وقال غيره: هذا استئناف بالتذكير[٦] لما ينفي الحزن، لا[٧] لأنها بعد القول[٨]؛ لأنها ليست حكاية عنهم[٩].

---

(١) انظر المصدرين السابقين، وبمعناه رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٣) انظر نحو هذا القول في: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٠٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦.

(٤) ساقط من (ح).

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٧١.

(٦) في (ى): (زيادة أخلت بالمعنى ونص الجملة فيها: وقال غيره: هذا استئناف ويقولوا لهم ذاك بالتذكير اهـ. والناسخ أدخل في هذه الجملة شيئًا من الجملة السابقة.

(٧) لفظ: (لا) ساقط من (ز).

(٨) يعني أن الجملة ليست مقول القول الذي سبقها.

(٩) انظر نحو هذا القول في: «الكشاف» ٢/ ٢٤٣، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦.

ومعنى ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، قال الزجاج: أي: إن الغلبة لله، وهو ناصرك وناصر دينك[١]، وقال غيره: العزة: القدرة على كل جبار بما لا يرام ولا يضام[٢]، والمعنى: إنه الذي يعزك حتى تصير أعز ممن ناوأك.

وليست هذه الآية مضادة لقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ لأن عزة الرسول والمؤمنين بالله فهي كلها لله.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: يسمع قولهم ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما تقتضيه حالهم، ويدفع عنك شرهم، وهذه الآية بيان عما توجبه العزة لله من التسلي عن قول الجاهلين، وأذى المبطلين؛ لأنهم في سلطان الله حتى يعاملهم بما تقتضيه حالهم.

٦٦- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد: لا ملك إلا لله في السموات ولا في الأرض[٣].

وقال الزجاج: أي: يفعل بهم وفيهم ما يشاء[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾ ذكر أهل التفسير والمعاني في (ما) هھنا قولين: **أحدهما**: أنه نفي وجحد كأنه قيل: وما يتبعون شركاء على الحقيقة؛ لأنهم يعدونها شركاء شفعاء لهم، وليست على ما يظنون، فإذن ما يتبعون شركاء.

الثاني: أن (ما) استفهام كأنه قيل: أي شيء يتبع الذين يدعون من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٢) انظر معنى هذا القول في: «مجمل اللغة» (عز) ٣/ ٦١٣، «المفردات في غريب القرآن» (عز) ص٣٣٣.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه من رواية الكلبي.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، وليس فيه لفظ: بهم.

دون الله شركاء؟ تقبيحًا[1] لفعلهم يعني أنهم ليسوا على شيء؛ لأن هذا الاستفهام معناه الإنكار[2].

وذكر صاحب النظم في هذا قولين آخرين:

أحدهما: أن التأويل: وما يتبع الذين يَدْعُون من دون الله فيما يدعون من الشركاء من يجب اتباعه في ذلك من نبي دعاهم إلى ذلك فهم يتبعونه فيه، كما يقال في الكلام: فلان متبع وفلان مبتدع، والمتبع[3] الذي يتبع السنة، فأعلم أنهم لا يتبعون [ولكن يبتدعون، فلما كف عن هذا البيان وأضمره، بيَّنَ في قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ]﴾[4] إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أنّ اتباعهم فيما يدعون من دون الله إنما هو ظن وتخرص[5]، فعلى هذا القول: الشركاء منصوبة بـ (يدعون) لا بـ (يتبع) ويكون مفعول (يتبع) محذوفًا على ما ذكر من التقدير[6].

القول الثاني: أن قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ تكرير لقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾

---

(١) في (ى): (تفخيمًا)، وهو خطأ.

(٢) انظر القولين في: «مشكل إعراب القرآن» ص٣٤٨، «معالم التنزيل» ٤/ ١٤٢، «الكشاف» ٢/ ٢٤٤، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٣٧، «التبيان في إعراب القرآن» ٥/ ١٧٦-١٧٧، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٦-١٧٧، «الدر المصون» ٦/ ٢٣٥، واقتصر على القول الأول المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٥، وعلى الثاني «الطبري» ١١/ ١٣٩، و«السمرقندي» ٢/ ١٠٥، و«الثعلبي» ٧/ ٢٠ ب.

(٣) في (م): (فالمتبع).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٥) من (م) وفي غيرها: (تخريص).

(٦) في (ى): (التقدير الأول).

والتأويل[١]: وما يتبع الذين يدعون شركاء من دون الله إلا الظن، أي: يتبعون الظن ويعملون به، فيكون قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ مكررًا على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ و(ما) و(إن) الخفيفة جحدان معناهما واحد، ومثاله من الكلام: ما يأكل الذي يغصب ويظلم الناس ويأخذ أموالهم، إن يأكل إلا النار، فيكون قوله: إن يأكل، توكيدًا لقوله: ما يأكل، ومثل هذا من التكرير قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٠]، فكرر قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ [على قوله][٢] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ ولو لم يكرر الآخر لكان في الأول كفاية، وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يريد: ظنهم أنها تشفع لهم يوم القيامة. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قال ابن عباس: يقولون ما لا يكون[٣]، وذكرنا معنى الخرص في سورة الأنعام عند قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[٤].

٦٧- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ أي خلق، وذكرنا معنى الجعل عند قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾[٥] [المائدة: ١٠٣].

---

(١) ساقط من (ى). (٢) ساقط من (ى).

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بلفظ: يكذبون للسفلة، وفي كتاب «غريب القرآن» لابن عباس: (يخرصون) يكذبون بلغة هذيل. وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٤٦، وفي «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤: (يخرصون) يحدسون ويحزرون اهـ. وبكلا المعنيين جاءت اللغة كما في «لسان العرب» (خرص) ٢/ ١١٣٣ .

(٤) من الآية ١٤٨.

(٥) قال في هذا الموضع: وأما (جعل) فلها أحوال منها: جعل: صير، ومنها جعل: أوجب، ومنها جعل: خلق، ومنها جعل: صلة لما بعده، مثل: جعل يعرفه، نحو طفق وأنشأ وأقبل، كل منها صلة لما بعده من الفعل.

وقوله تعالى: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾، قال ابن عباس: يقول جعلت الليل راحة لكم لتسكنوا فيه مع أزواجكم وأولادكم[(١)].

وقال أهل المعاني: جعل الليل ليزول التعب والكلال بالسكون فيه، وجعل النهار مبصرًا: أي: مضيئًا لتهتدوا به في حوائجكم بالإبصار، والمبصر الذي يبصر، والنهار يبصر فيه وإنما جعله مبصرًا على طريق استعارة صفة الشيء لسببه للمبالغة[(٢)]، كما قال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى[(٣)] ونمت وما ليل المطي بنائم[(٤)]

وقال رؤبة:

فنام ليلي وتجلى همي[(٥)]

ومثله قوله: ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وذكرنا الكلام هناك بأبسط من هذا[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ يريد: يسمعون

---

(١) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه مختصرًا.

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وقد ذكره من غير نسبة الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٣١.

(٣) في (ح) و(ز): (بالسرى).

(٤) «ديوان جرير» ص٩٩٣، «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٥، «كتاب سيبويه» ١/ ١٦٠.

(٥) البيت في «ديوان رؤبة» ص١٤٢، وفيه: وتقضى همي.

(٦) قال في هذا الموضع: قال الفراء: جعل العصوف تابعًا لليوم في إغوائه، وإنما العصوف للرياح، وذلك جائز على وجهين، أحدهما: أن العصوف وإن كان للريح فإن اليوم قد يوصف به؛ لأن الريح تكون فيه، وقال أبو عبيدة: العرب تفعل ذلك في الظرف، قال الفراء: الوجه الآخر: أن يريد: في يوم عاصف الريح، فيحذف الريح؛ لأنها قد ذكرت في أول الكلام.

سماع اعتبار، أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قاصد مدبر لهما، وأنه نعمة على العباد بما لهم فيه من الانتفاع والصلاح.

٦٨- قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، قال ابن عباس والمفسرون: يعني: زَعَم المشركون أن الملائكة بنات الله[١]، قال الكلبي: نزلت في أهل مكة، وهذه مقالتهم[٢]، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تعظيمًا له وتنزيهًا عما قالوا: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾، قال ابن عباس: الغني أن تكون له زوجة أو ولد[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [هذا كقوله: (سبحانه أن يكون (له ولد)[٤] له ما في السموات وما في الأرض)][٥] [النساء: ١٧١] وقد مر.

قوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ ما عندكم من[٦] حجة بهذا.

٦٩- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لا يسعدون[٧].

---

(١) ذكره عن ابن عباس بنحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧، والفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٦، وهو قول ابن جرير ١١/ ١٤٠، والسمرقندي ٢/ ١٠٥، والثعلبي ٧/ ٢٠ ب، والبغوي ٤/ ١٤٢ وغيرهم.

(٢) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بنحوه عنه، عن ابن عباس.

(٣) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بنحوه، وذكره من غير نسبة المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤، «الوجيز» ٧/ ١٨٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧.

(٤) ساقط من جميع النسخ عدا (م).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) ساقط من (ح) و(ز).

(٧) «تنوير المقباس» ص٢١٦ بمعناه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٧ دون تعيين القائل.

قال أهل المعاني: إنهم لا يفلحون وإن اغتروا بطول السلامة والمظاهرة في النعمة، قال الزجاج: هذا وقف التمام[(١)(٢)]، ثم قال: ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ وارتفاعه على أنه خبر ابتداء محذوف، قال الزجاج: يعني: ذلك متاع في الدنيا[(٣)]، وقال الفراء: ومثله التي في النحل ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥] كله مرفوع بشيء مضمر قبله إما (هو) وإما (ذاك)[(٥)].

وقال الأخفش: المعنى: لهم متاع[(٦)(٧)]، وإضمار (لهم) ههنا أظهر وأكشف للمعنى من إضمار (هو) أو (ذاك)؛ لأنه لم يتقدم ما يضمر أو ما[(٨)] يشار إليه، والمعنى: لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أيامًا يسيرة، ثم إلينا مرجعهم، ودل[(٩)] على هذا المحذوف ما هو معلوم[(١٠)] من حالهم.

---

(١) في (م): (وهذا وقف للتمام)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٢) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، وعبارة الزجاج: متاع في الدنيا، مرفوع على معنى: ذلك ... إلخ.

(٤) الآية ١١٧.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٢.

(٦) في (ى): (عذاب)، وهو خطأ.

(٧) «الكشف والبيان» ٧/ ٢١ أ، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٦١، ولم يفسر الأخفش هذه الآية في كتابه «معاني القرآن»، وقد فسر الآية رقم (٢٣) من هذه السورة على قراءة الجمهور فقال: وقال: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: وذلك متاعُ الحياة الدنيا، أو أراد: متاعكم متاعُ الحياة الدنيا. كتاب «معاني القرآن» له ١/ ٣٧١.

(٨) لفظ: (ما) ساقط من (ى).

(٩) في (ح) و(ز): (وقيل)، وهو خطأ.

(١٠) ساقط من (ح).

وقال صاحب النظم: افتراؤهم متاع في الدنيا، ودل ﴿يَفْتَرُونَ﴾ على الافتراء، كما قال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] فكنى عن الشكر؛ لأن ﴿تَشْكُرُواْ﴾ دلّ عليه. وعلى ما ذكره[١] يجوز أن يعود ما أضمره الفراء والزجاج من قولهما (هو) أو (ذاك)[٢] إلى الافتراء الذي دل عليه ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾، قال ابن عباس: الغليظ: الذي لا ينقطع[٣]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾، قال: يريد: بنعم الله ويجحدون ربوبيته[٤].

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ الآية، قال: كَبِرَ يكبَر كِبَرًا في السن، وكَبُر الأمر والشيء: إذا عظم يَكْبُر كِبَرًا وكَبَارة[٥].

قال ابن عباس: يريد ثقل عليكم[٦]، ومعناه شق عليكم، وعظم أمره عندكم.

والمقام -بضم الميم-: مصدر كالإقامة، يقال: أقام بين أظهركم

---

(١) يعني الجرجاني صاحب النظم.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٢٧، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٢، ولم يقدر الزجاج لفظ (هو).

(٣) «تنوير المقباس» ص٢٠٦ مختصرًا.

(٤) في المصدر السابق، نفس الموضع: «بما كانوا يكفرون» بمحمد ﷺ والقرآن ويكذبون على الله.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (كبر) ٤/ ٣٠٩٠-٣٠٩٣، «الصحاح» (كبر) ٢/ ٨٠١.

(٦) «تنوير المقباس» ص٢١٧ بنحوه، وذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٠٣٦ نقلًا عن «البسيط» للواحدي.

مقامًا وإقامة، والمقام -بفتح الميم-: الموضع الذي تقوم[(١)] فيه، وأراد بالمقام ههنا لبثه ومكثه فيهم، وقوله تعالى: ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس: يريد وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله ونقمته[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ جواب الشرط، مع أن شأنه التوكل كيف تصرفت حاله؛ ليبين أنه متوكل في هذا على التفصيل، لِمَا[(٣)] في إعلامه قومه ذلك من زجرهم عنه؛ لأن الله -جل وعز- يكفيه أمرهم[(٤)].

وقال ابن الأنباري: معنى الآية: إن كان عظم عليكم كوني بين أظهركم[(٥)]، ولم تحبوا نصرتي فإني أتوكل على من ينصرني ويمنع عني[(٦)]، فأدى قوله: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ عن هذا المعنى، وقال صاحب النظم: ليس هذا جوابًا للشرط؛ لأنه ليس بِطِبْق له ولا بِلِفْق، وجوابه قوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾، وهذا كلام اعترض بين الشرط وجوابه، كما تقول في الكلام: إن كنت أنكرت عليّ شيئًا فالله حسبي فاعمل ما تريد[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾، قال الفراء: الإجماع: الإعداد، والعزيمة على الأمر.

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، وبنحوه رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٣) في (ح) و(ز): (بما)، وهو خطأ.

(٤) انظر: «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٤٣، «الجامع لأحكام القرآن» ٨/ ٣٦٢.

(٥) في (ح) و(ز): (أظهرهم)، وهو خطأ.

(٦) في النسخ عدا (م): (مني).

(٧) انظر معنى هذا القول في: «غرائب التفسير» ١/ ٤٩٠، «الدر المصون» ٦/ ٢٣٩ دون تعيين القائل.

وأنشد الشاعر[١]:

يـا لـيـت شـعـري والـمُـنَـىٰ لا تـنـفـع
هـل أغـدُوَنْ يـومًـا وأمـري مـجـمـع[٢]

فإذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم فهم مجموعون[٣]، وقال الأصمعي: جمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهنا، وأجمعته إذا صيرته جميعًا، وأنشد:

وأولات[٤] ذي العرجاء نهب مجمع[٥][٦]

وقال أبو الهيثم: أجمع أمره: أي جعله جميعًا بعد ما كان متفرقًا،

---

(١) لفظ: (الشاعر) ساقط من النسخ عدا (م)، واللفظ موجود في المصدر.

(٢) الرجز مجهول القائل، وانظره بلا نسبة في «إصلاح المنطق» ص٢٦٣، «الأضداد» لابن الأنباري ص٤١، «أمالي المرتضى» ١/ ٥٥٩، «تهذيب اللغة» (جمع)، «الحجة» ٣/ ٢٠٩، ٤/ ٢٨٧، «الخصائص» ٢/ ١٣٦، «الدرر اللوامع» ٤/ ٢٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨١١، «لسان العرب» (جمع)، ونوادر أبي زيد ص١٣٣.

(٣) اهـ. كلام الفراء، «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣ باختصار.

(٤) رسمت في المخطوطات: وآلات، والصواب: وأولات، كما في مصادر تخريج البيت.

(٥) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف حُمرًا، وصدره:

فـكـأنـهـا بـالـجـزع بـيـن نُـبـايـع

انظر: «ديوان الهذليين» ١/ ٦، «المفضليات» ص٤٢٣، «تهذيب اللغة» (جمع) ١/ ٦٥٢، «اللسان» (جمع) ٢/ ٦٨١.

والنهب المجمع: إبل القوم التي أغار عليها اللصوص وكانت متفرقة في مراعيها، فجمعوها من كل ناحية حتى اجتمعت لهم ثم طردوها وساقوها. انظر: «اللسان» نفس الموضع السابق.

والجزع ونبايع وأولات ذي العرجاء: أسماء مواضع.

(٦) اهـ. قول الأصمعي، انظر: «تهذيب اللغة» (جمع) ١/ ٦٥٢.

قال: وتفرُّقه أنه جعل يدبّره فيقول مرة: أفعل كذا، ومرة أفعل كذا، فلما عزم على أمر محكم أجمعه، أي جعله جميعًا[(١)].

وقد كشف أبو الهيثم عن حقيقة معنى إجماع الأمر، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، وقال الشاعر[(٢)]:

أجمعوا أمرهم بليل فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

هذا الذي ذكرنا معنى إجماع الأمر، ثم صار بمعنى العزم حتى وُصِلَ بـ (على) فقيل: أجمعت على الأمر، أي: عزمت عليه، والأصل أجمعت الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾، قال الفراء: وادعوا شركاءكم [دعاء استغاثة[(٣)] بهم والتماس لمعونتهم][(٤)] وكذلك هي في قراءة عبد الله[(٥)]، قال: والضمير ههنا يصلح إلقاؤه كما قال الشاعر[(٦)]:

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلدًا سيفًا ورمحًا

---

(١) المصدر السابق، نفس الموضع.

(٢) البيت للحارث بن حلزة كما في «ديوانه» ص٢٤، «لسان العرب» (ضوا) ٥/ ٢٦٢١.

(٣) في (م): (استعانة)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في «معاني القرآن» للفراء. ولم يذكره من نقل الجملة عنه كالنحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٣٦٢، وفي «معاني القرآن» ٣/ ٣٠٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٨.

(٥) يعني ابن مسعود، ولم أجد من نسب إليه هذه القراءة سوى الفراء والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، والمشهور نسبتها إلى أبيّ بن كعب كما في «الحجة» ٤/ ٢٨٩، «المحتسب» ١/ ٣١٤، «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢١/ب، والزمخشري ٢/ ٢٤٥، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٨-١٧٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٤١.

(٦) البيت لعبد الله بن الزبعرى في «ديوانه» ص٣٢، وسيأتي تخريجه.

نصب الرمح بضمير[١] الحمل[٢].

قال الزجاج: الذي قاله الفراء غلط في إضمار (وادعوا)؛ لأن الكلام لا فائدة فيه[٣]؛ لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم، فالمعنى: فأجمعوا أمركم مع شركائكم، [وإن كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه[٤]][٥]، قال: والواو بمعنى (مع) كقولك: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها[٦]، وذكر أبو علي القولين جميعًا فقال: وقول الفراء انتصاب الشركاء بإضمار فعل آخر كأنه: فأجمعوا أمركم وأجمعوا شركاءكم، فدل المنصوب على الناصب كقول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً باردًا[٧]

---

(١) في (م): (ضمير). وما أثبته موافق للمصدر، والمعنى: نصب الرمح بإضمار لفظ مناسب والتقدير: وحاملًا رمحًا.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣.

(٣) ساقط من (م). (٤) ساقط من (م).

(٥) ما بين المعقوفين غير موجود في «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨، وقد ذكره عنه النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣٠٥، ولفظه: وإن كان يذهب إلى الدعاء فقط فلا معنى لدعائهم لغير شيء.
قلت: يمكن حمل كلام الفراء على معنى مستقيم تقديره: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم، وهذا يفيد أن الشركاء لن يجمعوا أمرهم إلا بدعوة منهم، وهذه النكتة لا يؤديها تقدير الزجاج فلا وجه للاعتراض.
ولقد كان لكفار العرب شركاء عقلاء تمكن دعوتهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧، ٢٨.

(٧) البيت من الرجز، وبعده: حتى شتت همالة عيناها

وقال آخر:

شَـرَّاب ألـبـان وتـمـر وأقـط[1]

وقال آخر:

مـتـقـلـدًا سـيـفًـا ورمـحًـا[2]

لما لم يجز أن يحمل الرمح على التقلد[3] أضمر له فعلًا، كذلك يُضمر لنصب الشركاء -لما لم يجز الحمل على (أجمعوا)- فعل آخر، قال: وزعموا أن في حرف أُبي (وادعوا شركاءكم)[4] فحمل الكلام في قراءة العامة على الذي يراد به الانتصاب، كقوله: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ

وبعضهم يجعل قبله: لما حططت الرحل عنها واردًا

والبيت لبعض بني أسد يصف فرسه كما في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤، وهو بلا نسبة في: «الأشباه والنظائر» ٢/ ١٠٨، «أمالي المرتضى» ٢/ ٢٥٩، «أوضح المسالك» ٢/ ١٥٧، «الخصائص» ٢/ ٤٣١، «الدرر اللوامع» ٦/ ٧٩، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص١١٤٧، «شرح شواهد المغني» ١/ ٥٨، «اللسان» (زجج) ٣/ ١٨١٢.

(١) الرجز بلا نسبة في: «الإنصاف» ص٤٨٨، «الحجة» ١/ ٣١٢، «الكامل» ١/ ٣٣٤، «لسان العرب» (زجج) ٣/ ١٨١٢، «المقتضب» ٢/ ٥١.

(٢) عجز بيت وصدره:

يـا لـيـت زوجـك قـد غـدا

والبيت لعبد الله بن الزبعري في «ديوانه» ص٣٢، وفي بعض نسخ «الكامل». انظر: حاشية رقم (٥) ١/ ٣٣٤.

والبيت بلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ١٠٨، «أمالي المرتضى» ١/ ٥٤، «خزانة الأدب» ٢/ ٢٣١، «الخصائص» ٢/ ٤٣١، «لسان العرب» (زجج) ٣/ ١٨١٢، «المقتضب» ٢/ ٥١، وانظر ما ذكره محقق «الحجة» ١/ ٣١١ حاشية (٢).

(٣) في (م): (التقليد). وفي «اللسان» (قلد): (تقلد الأمر: احتمله، وكذلك تقلد السيف.

(٤) سبق تخريج هذه القراءة مع قراءة ابن مسعود قريبًا.

ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال: ويجوز أن يكون انتصاب الشركاء على أنه مفعول معه، أي أجمعوا أمركم مع شركائكم، كقولهم: استوى الماء والخشبة، وجاء البرد والطيالسة[(١)]، قال: ويدلك على جوازه أن الشركاء فاعلة في المعنى كما أن الطيالسة كذلك، ومن ثم قرأ الحسن (وشركاؤكم)[(٢)] رفعًا[(٣)].

قال أبو الفتح الموصلي: الواو التي بمعنى (مع) كقولهم[(٤)]: لو خُليت والأسد لأكلك، ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، وكيف تصنع وزيدًا، وكيف تكون وقصعة ثريد، واجتمع زيد وأبا محمد، ومن أبيات[(٥)] الكتاب[(٦)]:

وكونوا[(٧)] أنتم وبني أبيكم مكان الكليتين من الطحال[(٨)]

---

(١) الطيالسة: جمع، ومفرده الطيلسان والطيلس، وهو ضرب من الأكسية، يميل إلى السواد، وأصل اللفظ فارسي معرب. انظر: «الصحاح» (طلس) ٣/ ٩٤٤، «لسان العرب» (طلس) ٥/ ٢٦٨٩.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٢، «المحتسب» ١/ ٣١٤، ومختصر في «شواذ القرآن» ص٥٧، وليست هذه القراءة شاذة كما يوهم ذكرها ضمن القراءات الشاذة، بل قرأ بها من العشرة يعقوب كما في «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «النشر» ٢/ ٢٨٦، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٨٨ بتصرف.

(٤) في (ى): (كقولك).

(٥) في (ى): (آيات)، وهو خطأ فاحش.

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ١/ ٢٩٨.

(٧) في مصادر تخريجه: فكونوا.

(٨) اختلف في نسبة البيت فهو لشعبة بن قمير كما في «نوادر أبي زيد» ص١٤١، أو للأقرع بن معاذ كما في «سمط اللآلي» ص٩١٤ لكن صدره فيهما:

أي مع بني أبيكم، فلما حذف (مع) وأقام الواو مقامها أفضى الفعل الذي قبل الواو إلى الاسم الذي بعدها فنصبها[١] بوساطة[٢] الواو، وذلك أن الواو قوية فأوصلته إليه[٣].

وزاد غيره فقال: الواو في مثل هذا للجمع دون العطف، ألا ترى أنه ليس قبلها منصوب يعطف عليه بالواو، والواو معنى الجمع فيه أعم من معنى العطف[٤]، ولا تكون الواو عاطفة إلا وهي للجمع، وقد تكون للجمع ولا تكون عاطفة وهي واو الحال، والواو في هذه المسألة جامعة، نحو قولك: استوى الماء والخشبة، الواو[٥] جمعت الخشبة مع الماء[٦]، والخشبة منصوبة بـ (استوى) بتوسط الواو، وعلى هذا، التقدير: فأجمعوا أمركم مع شركائكم[٧].

قال ابن الأنباري: وهذا الوجه خطأ في قول الكوفيين[٨]؛ لأنه لا

وإنـا سـوف نـجـعـل مـولـيـنـا

والبيت بلا نسبة في: «أوضح المسالك» ٢/ ٥٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٢٦، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٤٢٩، «كتاب سيبويه» ١/ ٢٩٨.

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «سر صناعة الإعراب» فنصبه، وهو الصواب.

(٢) في (ى): (بواسطة)، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٠.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (والواو).

(٦) في (م): (الواو)، وهو خطأ.

(٧) لم يتبين لي صاحب هذا القول، وانظر معناه في: «الأصول في النحو» لابن السراج ص٢٠٩-٢١٢، «الإيضاح العضدي» ١/ ٢١٥-٢١٧، «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٢٠٦.

(٨) ذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على الخلاف، بمعنى أنه لا يحسن=

ينصب الثاني مع الواو التي تأويلها (مع) إلا بأن لا يحسن تكرير معرب الأول على الثاني، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال استوى الماء واستوت الخشبة [لأن الخشبة][1] لم تكن معوجة فتستوي ولا يمكن أن يقال: جاء البرد وجاءت الطيالسة، إذ كانت الطيالسة لا تَقْدَم، والشركاء ههنا يحسن أن نضمر معهم الدعاء[2] فينصبهم، وما صلح إضمار فعل ناصب معه انقطع من المعرب الأول، وكان الفعل المضمر أملك به[3] وأغلب عليه.

هذا كله في قراءة من قرأ ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بقطع الألف، وهو قراءة عامة القراء[4]، وروى الأصمعي عن نافع: (فاجمعوا أمركم) بوصل الألف[5] من جمعت.

قال أبو علي: والمعنى على هذا: فاجمعوا أمركم، أراد ذوي الأمر منكم، أي رؤساؤكم ووجوهكم، فحذف المضاف وجرى على المضاف إليه ما كان يجري عل المضاف لو ثبت، ويجوز أن يراد بالأمر ما كانوا

= فيه تكرير الفعل ولا يصح، فانتصب ما بعد الواو على الخلاف. وذهب البصريون إلى أنه منصوب بالفعل الذي قبل الواو بتوسط الواو وتقويته به فتعدى إلى الاسم فنصبه، وإن كان في الأصل غير متعد. انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» ص٢٠٦، «ائتلاف النصرة» ص٣٦.

(١) ساقط من (ى).

(٢) يعني يصح تقدير: وادعوا شركاءكم.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) هذه هي القراءة المشهورة عن العشرة، لكن وردت روايات يسيرة عن بعضهم بالقراءة بوصل الألف، فقد روى ذلك عصمة عن أبي عمرو، والأصمعي عن نافع، وأيضًا رويس في أحد طرقه عن يعقوب.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «النشر» ٢/ ٢٨٥، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٥) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨.

يجمعونه من كيدهم الذي يكيدونه به[١][٢].

قال ابن الأنباري: ويكون المعنى: لا تَدعوا من أمركم شيئًا إلا أحضرتموه. وانتصاب الشركاء في هذه القراءة بالنسق على الأمر، يراد به: أجمعوا شركاءكم للمعونة لكم، ولا تدعوا منها[٣] غائبًا عنكم، ليكون ذلك أبلغ لما تؤملونه[٤] من نصرتها. وقرأ الحسن وجماعة من القراء (فأجمعوا) بقطع الألف (وشركاؤكم) رفعًا[٥] بالعطف على الضمير المرفوع في[٦] (فأجمعوا) وجاز ذلك من غير تأكيد الضمير، كنحو قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، [الأعراف: ١٩]؛ لأن قوله: ﴿أَمْرَكم﴾ فصل بين الضمير وبين المنسوق فكان كالعوض من التوكيد، وقد شرحنا[٧] هذا عند قوله: (فاذهب[٨] أنت وربك) [المائدة: ٢٤]، وكان الفراء يستقبح هذه القراءة لخلافها المصحف[٩]، فإن الواو لم تكتب[١٠] في المصاحف ولأن

---

(١) من (م) واللفظ موجود في المصدر.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٨٧ بتصرف.

(٣) في (ح) و(ز): (منه).

(٤) في (م): (تأملونها).

(٥) هذه قراءة الحسن وأبي عبد الرحمن وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وسلام ويعقوب. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» ص٥٧، «المحتسب» ١/ ٣١٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٧٨-١٧٩، «الغاية» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٨٦، والقراءة ليست شاذة كما يوهم صنيع ابن خالويه وابن جني في ذكرها في «الشواذ».

(٦) ساقط من (ح).

(٧) الكلام لأبي بكر ابن الأنباري وكتابه مفقود.

(٨) في جميع النسخ: اذهب.

(٩) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٣.

(١٠) في (ى): (تكن).

شركاءهم هي الأصنام، والأصنام لا تعمل ولا تجمع[١]، انتهى كلام أبي بكر[٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، قال أبو الهيثم: أي مبهمًا، من قولهم غُم علينا الهلال فهو مغموم: إذا التبس، قال طرفة:

لعمرك ما أمري عليّ بغمة نهاري ولا ليلي عليّ بسرمد[٣][٤]

وقال الليث: إنه لفي غمة من أمره: إذا لم يهتد له[٥].

قال الزجاج: أي ليكن أمركم [ظاهرًا منكشفًا[٦].

وذكر صاحب النظم أن قوله: (ثم لا يكن أمركم][٧] عليكم غمة) يجوز أن يكون نهيًا على غير المواجهة كما ذكره الزجاج[٨]، والنهي في الظاهر واقع عل الأمر، ولكن المراد به صاحب الأمر كما قال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] النهي واقع على العينين، ولكنه لما خاطب صاحب العينين حسن ذلك.

---

(١) الأصنام بعض شركاء العرب، وكان لهم شركاء عقلاء كالجن وطواغيت البشر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٤٢].

(٢) ذكر بعضه الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٠، لكنه نسبه للواحدي.

(٣) «ديوان طرفة» ص٤٧، «الدر المصون» ٦/ ٢٤٣، «لسان العرب» (غمم) ٦/ ٣٣٠٢.

(٤) اهـ. كلام أبي الهيثم، انظر: «تهذيب اللغة» (غم)، «المستدرك» ص١١٥.

(٥) انظر المصدر السابق، الصفحة التالية. والنص في كتاب «العين» (غمم) ٤/ ٣٥٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٨.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) يعني في قوله السابق.

قال: وقد قيل: إن (ثم) ههنا زائدة، وحروف النسق قد تزاد في أضعاف الكلام مثل قوله: (كالأعمى والأصم والبصير[١] والسميع)[٢] [هود: ٢٤].

وقد ذكرنا هذا في الواو التي تكرر[٣] في النعوت، نحو قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام[٤]

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وزيادة الفاء ذكرناها أيضًا في مواضع، ومنها [قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَهُمۡ﴾[٥] [البروج: ١٠] فالفاء زيادة[٦]، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) في (م): (والسميع البصير)، وهو خطأ.

(٢) وانظر زيادة (ثم) في «الصاحبي» ص١٥٢.

(٣) في (ى): (تكون).

(٤) صدر بيت، وعجزه:

وليث الكتيبة في المزدحم

وهو مجهول القائل، وانظره بلا نسبة في: أبيات النحو في تفسير «البحر المحيط» ١/ ٢٠٢، «الإنصاف» ص٤٧٦، «خزانة الأدب» ٥/ ١٠٧، «شرح أبيات معاني القرآن» ص٣١٠، «شرح قطر الندى» ص٢٩٥، «الكشاف» ١/ ١٣٣، ولم ينسبه محب الدين في «تنزيل الآيات على الشواهد» (ملحق بالكشاف) ٤/ ٥١٢. والقرم: الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه، ويطلق على السيد من الناس، والكتيبة: الجيش، والمزدحم: المراد به هنا المعركة؛ لأنها موضع المزاحمة والمدافعة. انظر تنزيل الآيات، الموضع السابق، «لسان العرب» (قرم).

(٥) لم يذكر في هذا الموضع زيادة الفاء.

(٦) في (م): (زائدة). وقد سبق بيان مراد النحويين بالزيادة وأضيف هنا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية حول الموضوع بعد بيانه وجود الزيادة في «كلام العرب»، ونصه: فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يذكر فيه لفظًا زائدًا (كذا) إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من=

وَكَذَّبُوا](١) بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الحج: ٥٧]، ومثله قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٨]، و(حتى)(٢) لا يقتضي (ثم) في جوابه، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ﴾ فيكون تأويله: فأجمعوا أمركم وشركاءكم لا يكن أمركم عليكم(٣) إذا فعلتم ذلك غمة، فيكون جزمه على جواب الأمر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ قال مجاهد: اقضوا إليّ ما في أنفسكم(٤).

قال ابن الأنباري: معناه: ثم امضوا إليّ بمكروهكم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون مات ومضى(٥)، وهذا معنى قول الفراء(٦)، وقال الزجاج: ثم افعلوا ما تريدون(٧).

وقال ابن عرفة(٨): قضاء(٩) الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه،

= يادة اللفظ في مثل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾، وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى. «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١٦/ ٥٣٧.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح).

(٢) يعني في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ في الآية نفسها .

(٣) في (ى): (عليكم غمة).

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٠، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٣٨٢.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٨.

(٦) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

(٨) هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه.

(٩) في (م): (قضى)، وفي (ى): (أقضى).

وبه[١] سمي القاضي؛ لأنه إذا حكم فقد فرغ، فقوله: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ أي: افرغوا من أمركم، وأمضوا ما في أنفسكم، واقطعوا ما بيني وبينكم، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمناهم إعلامًا قاطعًا.

وهذا من أقوى آيات النبوة أن يقول النبي لقومه وهم متعاونون عليه: افعلوا بي ما شئتم، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد: لا تألوا في الجمع والقوة فإنكم لا تقدرون على مساءتي ولا مضرتي؛ لأن لي إلهًا يمنعني، مثل قوله في هود: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[٢].

وقال المفسرون: هذا إخبار من الله ﷻ عن نبيه نوح -عليه السلام- أنه كان بنصر الله واثقًا، ومن كيد قومه وبوائقهم[٣] غير خائف، علما منه بأنهم وآلهتهم لا تنفع ولا تضر شيئًا إلا أن يشاء الله، وتعزية لنبيه محمد ﷺ وتقوية لقلبه؛ لأن سبيله في[٤] قومه كسبيل الأنبياء من قبله[٥].

٧٢- قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾، قال ابن عباس: يريد: عن الإسلام وعن عبادة الله، ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾، قال: يريد: من مال تعطونيه[٦].

قال أهل المعاني: هذا بيان عن إخلاص الدعاء إلى الله جل وعز من

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) من الآية ٥٥. ولم أقف على قول ابن عباس هذا.

(٣) البوائق: الغوائل والشر والغشم والبلايا. انظر: «الصحاح» (بوق) ٤/ ١٤٥٢، «لسان العرب» (بوق) ١/ ٣٨٨.

(٤) في (م): (مع).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٥، والثعلبي ٧/ ٢٢ أ، والبغوي ٤/ ١٤٣.

(٦) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

ترك الأجر لتتوفر الدواعي إلى الحق، وذلك أن الناصح إذا طلب على نصحه أجرًا ربما كان ذلك سببًا لامتناع الناس عن القبول منه، والإقبال عليه، وإذا لم يطلب الأجر كان ذلك أدعى إلى قبول قوله(١).

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ﴾(٢) جعل الذين نجوا مع نوح خلفاء ممن هلك بالغرق، قال ابن عباس: يريد: أن الخلق جميعًا من يومئذٍ من ولد نوح كما قال(٣): ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(٤) [الصافات: ٧٧]، يريد إن الناس كانوا من ذريته بعد الغرق، وهلك أهل الأرض جميعًا بتكذيبهم لنوح عليه السلام سوى ذريته الذين نجوا معه، وهذا تحذير للكفار من التكذيب كي لا يؤول أمرهم بالإهلاك إلى مثل ما آل أمر قوم نوح.

٧٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهودًا وصالحًا ولوطًا(٥) وشعيبًا(٦). ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ يريد بان لهم أنهم رسل الله، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ أي: أولئك الأقوام الذين بُعث إليهم الرسل، ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوم نوح، أي: لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح [هذا معنى قول

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) هكذا في جميع النسخ، وتفسير المؤلف لهذه الجملة يقتضي أن يذكر قوله تعالى: ﴿خَلَـٰٓئِفَ﴾.

(٣) في (ح) و(ز): (قلنا)، وهو خطأ.

(٤) وقد روى الأثر ابن جرير في «تفسيره» ٢٣/ ٦٨ (طبعة الحلبي)، من رواية علي بن أبي طلحة، ورواه بنحوه البغوي في «تفسيره» ٧/ ٤٣ من رواية الضحاك.

(٥) ساقط من (ى).

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٤٩، والمؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

ابن عباس[١]، وقد علموا أن الله أغرق قوم نوح][٢] بتكذيبهم نوحًا، أي إن هؤلاء الآخرين لم يؤمنوا بما كذب به أولهم أيام نوح، أي: إنهم مثلهم في الكفر والعتو.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: أن الله طبع على قلوبهم فأعماها[٣] وأصمها فلا يبصرون سبيل الهدى[٤]، والمعنى: أن هؤلاء ومن قبلهم معتدون قد طبع[٥] على قلوبهم.

وقال بعضهم: يحتمل نظم الآية أن يقال فيه: إن الأمم كذبوا رسلهم قبل أن جاءوهم بالمعجزات فجاءوهم بالمعجزات، ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾[٦]، والآية دلالة ظاهرة على أن الله تعالى إذا طبع على قلوب قوم استحال منهم الإيمان، فمن قال إنه [لا يطبع][٧] على قلوب قوم ويأمرهم بالإيمان فذلك القائل ممن طبع الله[٨] على قلبه ولم يهده بكتابه[٩].

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) في (م): (وأعماها)، والمثبت موافق لما في «الوسيط».

(٤) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥.

(٥) في (ى): (طبع الله).

(٦) روي نحو هذا القول عن الكلبي كما في «بحر العلوم» ٢/ ١٠٦، واعتمده ابن كثير ٢/ ٤٦٧، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٢٤٥.

(٧) في (ى): (إذا طبع).

(٨) في (ى): (ممن طبع على قلبه).

(٩) يشير المؤلف إلى المعتزلة القائلين بأن الله لا يطبع على قلوب الكافرين طبعًا يمنعهم من الإيمان، بل المراد بذلك عندهم سواد في القلب ليكون سمة لهم=

٧٧- قوله[١] تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾ [الآية، يقال في هذا: لِمَ دخل الاستفهام في قولهم: ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾][٢] وهم قد قالوا هو سحر بغير استفهام ولا شك؟ وذكر[٣] الفراء في هذا ثلاثة أوجه:

أحدها: قال قوم: قد يكون هذا من قولهم على أنه سحر عندهم وإن استفهموا، كما ترى الرجل تأتيه الجائزة فيقول: أحق هذا؟ وهو يعلم أنه حق لا شك فيه[٤]، وزاد أبو بكر لهذا[٥] بيانًا فقال: إنهم أدخلوا الاستفهام على جهة تفظيع الأمر والزيادة فيه كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟! يريد بالاستفهام تعظيمها وأنها تزيد على معاني الكسى، وتأتي الرجل جائزة فيقول: أحق ما أرى، معظمًا لما ورد عليه منها[٦].

الوجه الثاني: قال[٧]: ويكون أن تزيد الألف في قولهم، وإن كانوا

= تعرفهم الملائكة بها، وقال بعضهم: الطبع هو شهادة الله بأنهم لا يؤمنون، وقال آخرون: هو تسمية الرب تعالى الكفرة بالكفر والضلال.
انظر: «مقالات الإسلاميين» ١/ ٣٢٣، «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» ص١٩٢.

(١) لم يتطرق المؤلف لتفسير آيتين قبل هذه الآية، وقد بين في «الوسيط» ٢/ ٥٥٥، علة ذلك بعد أن ترك عدة آيات حيث قال بعد بيان معنى الطبع في الآية السابقة: وما بعد هذا ظاهر التفسير.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) هكذا في جميع النسخ، ولم يسبق ذكر قولٍ يستوجب هذا العطف.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٤.

(٥) في (ح) و(ز): (هذا).

(٦) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٥٠.

(٧) يعني الفراء.

لم يقولوها، فيخرج الكلام على لفظه وإن كانوا لم يتكلموا به كما يقول الرجل: فلان أعلم منك، فيقول المتكلم(١): أقلت أحد أعلم بذا مني(٢)؟ [فحكى(٣) قوله على غير لفظه الذي قال.

وقال أبو بكر في هذا الجواب: إن ألف الاستفهام دخلت في كلام قوم فرعون على معنى رد الخبر على(٤) موسى إذ كان هو المخبر والمتكلم، كما يقول رجل لرجل: فلان أعلم منك، فيقول له المخاطب: أقلت أحد أعلم بذا مني](٥) فبدّل(٦) الياء من الكاف؛ لأنه صرف الكلام إلى نفسه، وإن كان مخبرًا به عن غيره، وحقيقة هذا الكلام أنه أخبر عنهم كما كان موسى يقوله إذا أجابهم(٧).

الوجه الثالث: أن تجعل القول بمنزلة الصلة؛ لأنه فصل في الكلام، ألا ترى أنك تقول للرجل: أتقول عندك مال؟ ويكفيك أن تقول: ألك مال؟ فالمعنى قائم ظهر القول أو لم يظهر(٨).

قال أبو بكر: تقدير هذا الجواب: قال موسى أسحر هذا؟ فدخل القول توكيدًا للكلام، كما ذكره الفراء من المثال، قال: وفيه وجه آخر وهو أن يكون التقدير: أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر؟ ثم قال: أسحر هذا؟

---

(١) هكذا وهو موافق لما في «معاني القرآن»، والصواب: المكلَّم. وستأتي الجملة على الصواب.

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٤.

(٣) في (ى): (فحكوا).

(٤) في (م): (إلى).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٦) في (ح) و(ز): (فيبدل).

(٧) لم أعثر على مصدر كلام ابن الأنباري هذا.

(٨) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٤.

فأضمر (هو سحر) بعد القول؛ لأن الكلام المحكي يصلح إضماره إذا ظهر ما يدل عليه، والإضمار مع القول أمكن منه مع غيره، والدليل على المضمر قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ قال الشاعر[١]:

قلنا لهم وقالوا وكل له[٢] مقال

فأضمر المحكي مع القول ثقة بعلم المخاطب به ولم يذكر أيش[٣] قالوا، وأيش قيل لهم.

وقال أبو إسحاق: قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ تقرير لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ثم قررهم فقال[٤]: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾[٥]، وهذا من كلامه[٦] يدل على أنه اختار الوجه الثالث من الأوجه التي ذكرها الفراء، وهو أنه جعل قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ صلة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ قال[٧]: المفلح الذي يفوز بإرادته[٨]، أي: فكيف يكون هذا سحرًا، وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز وفلح[٩] في حجته.

---

(١) البيت من أمثلة العروض المشهورة.

(٢) في (ح) و(ز): (لهم).

(٣) سبق بيان معنى هذه الكلمة في أول الأنفال، ومعناها: أي شيء.

(٤) في (ى): (فقالوا)، والمثبت موافق للمصدر.

(٥) اهـ كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

(٦) يعني الزجاج.

(٧) يعني الزجاج، انظر المصدر السابق، نفس الموضع.

(٨) أي: بما يريد.

(٩) هكذا في جميع النسخ بالحاء، وهو كذلك في «معاني القرآن وإعرابه»، قال الجوهري في «الصحاح» (فلح) ١/ ٣٩٢: الفلح لغة في الفلاح، وفي «لسان =

٧٨- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾، قال ابن عباس: يريد لتردنا[١]، ومعنى اللفت في اللغة: الصرف عن أمر[٢]، وأصله اللّي، يقال: لَفَتَ عنقه: إذا لواها، ومن هذا يقال: التَفَتَ إليه: أي عدل وجهه وأماله إليه.

الأزهري: لَفَتَ الشيء وفَتَله: إذا لواه[٣]، وهذا من المقلوب.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وابن جريج[٦]، والمفسرون[٧]: أي: ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، والخطاب لموسى وهارون.

وقول أهل اللغة في الكبرياء أيضًا أنها الملك[٨]، قال الزجاج: وسُمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا[٩].

= العرب» (فلح) ٦/ ٣٤٥٨: الفلح والفلاح: الفوز والنجاة. ويظهر من السياق أن صحة الكلمة: فلج، بالجيم، وفي «لسان العرب» (فلج) ٦/ ٣٤٥٧: الفلج: الظفر والفوز، وفلج بحجته وفي حجته كذلك.

(١) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٢) انظر: «الصحاح» (لفت) ١/ ٢٦٤، «مجمل اللغة» (لفت) ٣/ ٨١١.

(٣) اهـ. كلام الأزهري، انظر: «تهذيب اللغة» (فتل) ٦/ ٣٣٤٤، ولفظه: لفت فلانًا عن رأيه وفتله: إذا صرفه ولواه.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٥٠، «تنوير المقباس» ص٢١٧.

(٥) «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٧، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٣، وانظر: «تفسير مجاهد» ص٣٨٢، «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٤.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٧، عن ابن جريج، عن مجاهد، ولم أجده في موضع آخر.

(٧) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٤٧، والسمرقندي ٥/ ١٠٧، والثعلبي ٧/ ٢٢ ب.

(٨) انظر: «لسان العرب» (كبر) ٦/ ٣٨٠٧.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٩.

وقال الفراء: إنما قالوا ذلك لهما؛ لأن النبي إذا صُدِّق صارت مقاليد أمته وملكهم إليه[١]، وهذا بيان عن جهلهم حيث توهموا أن الصواب في اتباع الأسلاف وأن الداعي إلى خلافه إنما يريد التملك عليهم باتباعهم إياه وانقيادهم له[٢].

٨١- قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾، (ما) ههنا موصولة بمعنى (الذي) وهي مرتفعة بالابتداء وخبرها (السحر)، قال الفراء: وإنما قال: ﴿ٱلسِّحْرَ﴾ بالألف واللام؛ لأنه جواب لكلام[٣] قد سبق، ألا ترى أنهم قالوا لما جاءهم به موسى ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾[٤] فقال موسى: بل ما جئتم به السحر[٥].

قال أبو بكر: فوجب دخول الألف واللام؛ لأن النكرة إذا عادت عادت معرفة، يقول الرجل لمخاطبه: لقيت رجلًا، فيقول له: من الرجل؟ فيعيده بالألف واللام، ولو قال له من رجل؟ لم يقع في وهمه أنه يسأله عن الرجل الذي ذكره له[٦].

---

(١) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٥، ولم يذكر المؤلف بقية عبارة الفراء التي توضح مقصوده، ولفظها: فقالوه على ملك ملوكهم من التكبر اهـ. يعني أن عادة الأنبياء إذا ملكوا تخالف عادة الملوك من التكبر والتعاظم والجبروت، لكن قائلي هذه المقولة حسبوا أن عادة الأنبياء كعادة غيرهم من الملوك.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) من (م) وفي بقية النسخ: (الكلام)، والصواب ما أثبته وهو موافق للمصدر.

(٤) ورد قولهم هذا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [النمل: ١٣].

(٥) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٥.

(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٢، لكنه لم ينسبه لابن الأنباري، بل أدخله ضمن قول الفراء.

وقرأ أبو عمرو (آلسحر) بالاستفهام[(١)] و(ما) على هذه القراءة استفهام يرتفع بالابتداء، و﴿جِئْتُم بِهِ﴾ في موضع الخبر كأن قيل: أي شيء جئتم به؟ ثم قال على وجه التقرير والتوبيخ (آلسحر)؟ كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦] ونحوه كثير، و(آلسحر) بدل من المبتدأ، ولزم أن يلحقه الاستفهام ليساوي المبدل منه في أنه استفهام، كما تقول: كم مالك؟ أعشرون أم ثلاثون؟ فجعلت (أعشرون) بدل من كم، ولا يلزم أن يضمر للسحر خبر؛ لأنك[(٢)] إذا أبدلته من المبتدأ صار في موضعه، وصار ما كان خبرًا لما أبدلت[(٣)] منه في موضع خبر البدل[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لا يجعله ينفعهم؛ لأن معنى إصلاح العمل تقويمه على ما ينفع بدلا مما يضر.

٨٢- قوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ معنى إحقاق الحق: إظهاره وتمكينه بالدلائل الواضحة والآيات البينة حتى يرجع الطاعن عليه حسيرًا، والمناصب[(٥)] له مغلوبًا، وهذا معنى[(٦)] قول ابن عباس في هذه الآية:

---

(١) انظر: كتاب «السبعة» ص٣٢٨، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «النشر» ١/ ٣٧٨، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٢) في (ح) و(ز): (خبرًا أنك، وهو خطأ.

(٣) في (ح) و(ز): (أنزلت، وهو خطأ.

(٤) انظر هذا التوجيه للقراءة في: «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٢٩٠.

(٥) المناصب: المعادي، يقال: نصبت لفلان نصبًا: إذا عاديته. انظر: «الصحاح» (نصب) ١/ ٢٢٥.

(٦) ساقط من (ى).

يريد: حيث ألقى موسى عصاه فتلقفت كل كذب وسحر جاء به فرعون فأحق الله الحق(١).

وذكرنا هذا المعنى في قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ [الأنفال: ٨] الآية، وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، قال الحسن: بوعده موسى(٢)، وقيل: بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأن ذلك يكون(٣).

٨٣- قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الآية، قال الفراء: فسر المفسرون الذرية: القليل(٤)، قال ابن الأنباري: من المفسرين من يذهب إلى أن الذرية معناها ههنا تقليل عدد المؤمنين؛ لأن الأكابر وأولي الأنساب(٥) العالية ممن لم يؤمنوا كانوا أكثر عددًا من الذرية، وهذا قول ابن عباس في رواية قتادة قال: الذرية: القليل(٦).

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) ذكره هود بن محكم ٢/ ٢٠٤، والرازي ١٧/ ١٤٣-١٤٤ بلا نسبة.

(٣) ذكر نحوه الرازي ١٧/ ١٤٣-١٤٤، ولم يعين القائل، وللزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٤٨ معنى هذا القول ولفظه: بأمره ومشيئته.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦.

(٥) من (ى) وفي بقية النسخ: (الأسنان)، وما أثبته أولى بالسياق.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٩، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، وقد بين ابن عطية مراد ابن عباس فقال: هيئة قوله (فما آمن) يعطي تقليل المؤمنين به؛ لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه للبعض، ولو كان الأكثر مؤمنًا لأوجب الإيمان أولًا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يترجح قول ابن عباس في الذرية: إنه القليل، لا أنه أراد أن لفظة (الذرية) هي بمعنى القليل كما ظنه مكي وغيره. «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٧-١٩٨.

وقد ذهب الزمخشري في «كشافه» ٢/ ٢٤٨، إلى أن هذا في أول أمر موسى، =

واختلفوا في هؤلاء الذرية من هم؛ فقال ابن عباس: كانوا ستمائة ألف من بني إسرائيل[١]، وعلى هذا سموا ذرية؛ لأن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنسانًا، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ستمائة ألف، فكانوا ذرية ذلك القوم الذين دخلوا مصر مع يعقوب من أولاده[٢]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٣].

وقال مجاهد: أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء[٤]، وبقي الأبناء[٥]، وهذا القول اختيار

= وفي بداية دعوته، وهذا الرأي هو الظاهر من السياق، إذ إن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ﴾ للتعقيب، أي: إن الله أيد موسى بالمعجزة الكبرى وأبطل كيد السحرة وأظهر الحق فما آمن من بني إسرائيل في تلك اللحظة إلا القليل من الشباب خوفًا من بطش فرعون، ولا يعني هذا أن غيرهم لم يؤمن بعد، كما توهمه ابن عطية في «المحرر» ٧/ ١٩٨.

وبهذا يتبين الجواب عن القول بأن السحرة وبعض آل فرعون آمنوا، وكذلك القول بأن جميع بني إسرائيل تابعوا موسى وخرجوا معه من مصر، فكيف يقال بأنه لم يؤمن إلا القليل من ذرية بني إسرائيل؟ فالآية تتحدث عمن آمن من قوم موسى في أول أمره والله أعلم.

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٤٩-١٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، لكنهم لم يذكروا العدد، ورواه الثعلبي ٧/ ٢٣ أ، فذكر العدد ولم يذكر لفظ (من بني إسرائيل).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ أ، والسمرقندي ٢/ ١٠٧.

وهذا الخبر من القسم الثالث من أقسام الإسرائيليات وهو ما لم يرد في شرعنا ما يؤيده أو ينفيه فلا يصدق ولا يكذب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٢٣ أ.

(٤) في (ى) هلك الآباء فلم يؤمنوا وبقي ... إلخ، وهذه الزيادة غير موجودة في مصادر تخريج الأثر.

(٥) رواه الثعلبي ٧/ ٢٣/أ، وبنحوه ابن جرير ١١/ ١٤٩-١٥٠، وابن أبي شيبة وابن =

أبي إسحاق؛ لأنه قال: إنه[1] مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا وآمنت طائفة من أولادهم[2]، وعلى هذين القولين[3] (الهاء) في (قومه) كناية عن موسى.

= المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٥، ومعناه: إن من أُرسل إليهم موسى من قومه لم يؤمنوا به، وطال الزمن حتى كان لهم ذرية آمنت به ثم هلك الآباء الذين لم يؤمنوا، وبقي الأبناء المؤمنون. وهذا القول غير صحيح لعدة أوجه:

أ- قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، يدل على أن قوم موسى صغارًا وكبارًا آمنوا به وتركوا ما كان يعبد فرعون.

ب- أن مواقف بني إسرائيل المخزية مع نبيهم موسى ﷺ كأقوالهم فيما أخبر الله عنهم ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾، و﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، و﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، و﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾، وغير ذلك كثير، يدل دلالة واضحة أن جلّ بني إسرائيل آمنوا على كبر، وليس المؤمنون منهم ذريةً صغيرة نشأت على يد موسى وغذاها بغذاء الإيمان.

ج- أن المفسرين ذكروا أن الحكمة من ضرب التيه على بني إسرائيل هلاك الآباء ونشوء ذرية تتربى على عين موسى.

انظر: «تفسير ابن جرير» ١٠/ ١٩٧، «في ظلال القرآن» ٢/ ٨٧١، وقول مجاهد يقتضي أن هلاك الآباء كان في أرض مصر.

د- أن تاريخ بني إسرائيل لا يؤيد قول مجاهد هذا، إذ إن من تتبع قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم وفي ما ورد من أخبارهم يعلم يقينًا أنهم أمة قد نالها من ذل فرعون وطغيانه ما جعلهم يأملون الخلاص من ظلمه على يد نبي منهم، فالعقل والعادة يقتضيان إطباقهم على الإيمان بموسى قناعة بما جاء به، أو رغبة في إصلاح دنياهم وتغيير أوضاعهم ودرء الظلم عنهم، ومجاهد يقول إن الآباء لم يؤمنوا.

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠، وليس في كلامه ما يدل على أنه اختار هذا القول، بل صدّره بقوله: قيل: إنه مكث . . . إلخ. وهو أسلوب يقتضي عادة عدم القناعة التامة.

(٣) في (ى): (الوجهين).

وقال ابن عباس في رواية عطية: هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون[(١)] وماشطة ابنته[(٢)]، ومؤمن آل فرعون[(٣)] ونفر

---

(١) هي آسية بنت مزاحم المؤمنة الصابرة زوج الطاغية فرعون، وقد جاء في شأنها عدة روايات تبين فضلها، منها:

أ- روى أحمد في «المسند» ١/ ٣١٦، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥٩٤، وصححه ووافقه الذهبي عن رسول الله ﷺ قال: **«أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»**.

ب- وعن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة.

قال السيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٧-٣٧٨: أخرجه أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح اهـ، وقد رواه أيضًا الحاكم بنحوه في «المستدرك» ٢/ ٤٩٩، عن سلمان وصححه ووافقه الذهبي.

ج- روى الطبراني كما في «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٨، عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى»** لكن سنده ضعيف كما في «ضعيف الجامع الصغير» ٢/ ٩٠.

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١/ ٣٠٩، عن رسول الله ﷺ قال: **«لما كانت الليلة التي أسري بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت يا جبريل: ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإن لك ربًا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق»**.

(٣) قيل كان اسمه سمعان، وقيل كان اسمه حبيبًا. انظر: «معاني القرآن وإعرابه»=

يسير[(١)]، وروي عنه أيضًا: أنهم قوم كان[(٢)] آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل[(٣)].

قال الفراء: وهؤلاء إنما سموا ذرية؛ لأن أمهاتهم كن من غير جنس آبائهم، كما سمي أولاد الفرس الذين سقطوا إلى اليمن فتزوجوا نساء اليمن الأبناء[(٤)]، وعلى هذا الهاء في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ تعود على فرعون[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾، قال الفراء: إنما قال: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ وفرعون واحد؛ لأن الملك يُخبَر عنه بخبر الجمع؛ لأن الوهم يذهب إليه وإلى من معه من تُبّاعه[(٦)] كما يقال: قدم الخليفة فغلت

= ٤/ ٣٧١، «الدر المنثور» ٧/ ٢٨٥، وانظر قصته ومناظرته فرعون وقومه في سورة غافر، الآيات (٢٨-٤٥).

(١) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٠ بلفظ: من قوم فرعون يسير، منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه، ورواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٥ بنحو رواية ابن جرير وزادا: (وماشطته) هكذا والأثر من رواية عطية العوفي المسلسلة بـ «الضعفاء».

(٢) في (ح) و(ز): (كانوا).

(٣) رواه الثعلبي ٧/ ٢٣ أ، وبنحوه البغوي ٤/ ١٤٥.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦، والفراء يعني أن هذا اصطلاح لبني إسرائيل كاصطلاح أهل اليمن على إطلاق الأبناء على أولاد الفرس من أمهات عرب، لا أن اللغة تقتضي ذلك.

(٥) رجح هذا القول ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٨-١٩٩، بينما رده ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٥٠، ورجح عود الضمير إلى موسى ﷺ؛ لأنه أقرب مذكور يعود إليه الضمير ولظهور اسم فرعون في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ ولو كان الضمير الأول يعود إليه لقال: على خوف منه.

(٦) في «لسان العرب» (تبع) ١/ ٤١٦: التابع: التالي، والجمع: تُبّع وتُبّاع وتبعة.

الأسعار وكثر الناس واتسعت الأموال يراد بمن معه[١]، وهذا معنى قول الزجاج: لأن فرعون[٢] ذو أصحاب يأتمرون له، قال الفراء وابن الأنباري: وقد يكون هذا من باب حذف المضاف؛ كأنه أريد بفرعون آل فرعون[٣]، وعلى القول الذي يقول الكناية [في ﴿قَوْمِهِۦ﴾][٤] تعود إلى فرعون جاز أن تعود الكناية في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ إلى القوم.

وقوله[٥] تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ أي: يصرفهم عن دينهم بمحنة وبلية يوقعهم فيها، وهو إخبار عن فرعون؛ لأن الملأ كانوا على مثل ما كان عليه، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد: متطاول في أرض مصر[٦].

﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الإسراف: الإبعاد في مجاوزة الحد، قال المفسرون: وإسرافه أنه كان عبدًا فادعى الربوبية[٧].

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٦ بمعناه.

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠: جاز أن يقال: (وملئهم) لأن فرعون .. إلخ.

(٣) انظر قول الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧، وانظر القول غير منسوب في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٤٤-١٤٥، «التبيان» للعكبري ص٤٤٣، قال العكبري: وهذا عندنا غلط؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضمير؛ إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول: زيد قاموا، وأنت تريد غلمان زيد قاموا، وانظر رد هذا القول أيضًا: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٧١-٧٢، «المحرر الوجيز» ٧/ ١٩٩ .

(٤) ساقط من (ى).

(٥) بياض في (م).

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٥٦، «زاد المسير» ٤/ ٥٣.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٧، وابن الجوزي ٤/ ٥٣، ومعناه في «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥١.

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ﴾ الآية، قال أهل المعاني: أعيد ﴿إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ بعد ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾[(١)] لتبين المعنى بالصنفين من الإيمان والإسلام، وبالتقييد والإطلاق[(٢)].

ودلت الآية على أن التوكل والتفويض إلى الله من كمال الإيمان، وأن من كان يؤمن بالله فليتوكل على الله ويسلم أمره إليه عند نزول الشدائد على الثقة بحسن تدبيره له[(٣)].

٨٥- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال أبو مجلز، وأبو الضحى: يعني: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا طغيانًا[(٤)].

وقال مجاهد: لا تهلكنا بعذاب على[(٥)] أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتتنوا[(٦)].

---

(١) نص الآية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾.

(٢) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وذكر نحوه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٠٢.

(٣) ساقط من (ى).

(٤) ذكره عنهما الثعلبي ٧/ ٢٣ ب، ورواه ابن جرير ١١/ ١٥٢، وابن أبي حاتم ١١/ ١٩٧٦، عن أبي مجلز، ورويناه أيضًا عن أبي الضحى لكن بلفظ: قال: لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة.

(٥) ساقط من (ح) و(ز).

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٦، الثعلبي ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٦.

قال ابن الأنباري: معنى دعائهم والذي التمسوه: ألا[١] يغلبهم الكفار فيفتتنوا بذلك ويظنوا أنهم لم يغلبوا إلّا وهم[٢] أولياء الحق وأصحابه[٣]، قال: والفتنة في اللغة تكون إحراقًا وإهلاكًا، فكأن[٤] معنى الآية لا تجعلنا سبب هلاكهم وإحراقهم وإيقاع عذابك الأليم بهم[٥]. هذا طريق في معنى الآية عليه أكثر أهل التأويل[٦]، وعلى هذا سألوا ألا تقع الفتنة بقوم فرعون بسبب تسلطهم وتمكنهم منهم.

وفي الآية قول آخر، وهو قول عطية، قال: معناها: لا تسلطهم علينا فيفتنونا[٧][٨]، أي لا تمكنهم من ظلمنا بما يحملنا على الانصراف عن ديننا، وعلى هذا القول سألوا ألا تقع بهم الفتنة بسبب قوم فرعون، والفتنة أريد به المفعول؛ أي مفتونين بهم.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَا﴾ الآية، وذلك أنهم كانوا يستعبدونهم

---

(١) في (ح) و(ز): (لا).
(٢) في (ى): (أولادهم)، وهو خطأ.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) في جميع النسخ لم توضع الهمزة على الألف، وقد وضعتها؛ لأن ابن الأنباري لم يجزم بأن هذا المعنى هو المراد في الآية بدلالة قوله السابق.
(٥) لم أقف عليه.
(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٦-١٤٧، وابن عطية في «المحرر» ٧/ ٢٠٢-٢٠٣، وضعفه وكذلك أبو حيان في «البحر» ٥/ ١٨٥، ولم أجده عند غيرهم من أهل التفسير بالأثر أو الرأي أو أهل المعاني أو الغرائب فيما اطلعت عليه، بل إن المؤلف اعتمد غيره في «الوسيط» ٢/ ٥٥٦، وفي «الوجيز» ١/ ٥٠٦.
(٧) في (م): (يفتنونا)، وما أثبته موافق لمصدر التخريج.
(٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٢٣ ب، وذهب إليه مجاهد أيضًا في إحدى الروايتين عنه، انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٢.

ويأخذونهم بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة.

٨٧- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾، قال أبو علي: التبوء: فعل يتعدى إلى مفعولين، واللام في قوله: ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ كالتي في قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢] ألا ترى أن المطاوع من الأفعال على ضربين، أحدهما: ألا يتعدى نحو: انشوى وانتأى[1]، في مطاوع [شويته ونأيته، والآخر: أن يتعدى كما تعدى ما هو مطاوع][2] له؛ وذلك نحو تعلقته وتقطعته فـ (تعلقته) يتعدى كما تعدى (علقته) وليس فيه أن ينتقص مفعول المطاوع عما[3] كان يتعدى إليه ما هو مطاوع له[4]، فإذا كان كذلك كان اللام على الحد الذي ذكرنا[5]. فعلى ما ذكر أبو علي يجوز أن تقول: تبوأت زيدا مكانًا، أي اتخذت له، ولم أر هذا لغيره؛ لأنه يقال: تبوأ المكان دارًا، فيُعدونه إلى مفعولين كما ذكر، ويقال: تبوأ لزيد منزلًا، أي اتخذه له، فلا يُعدون إلى زيد إلا باللام.

وقوله تعالى: ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد مساجد[6]، فالبيوت ههنا هي المساجد، لا المنازل المسكونة، كقوله

---

(١) كذا في جميع النسخ وهو بمعنى: بعد، انظر: «اللسان» (نأى)، وفي «الحجة»: انثأى، وهو من الثأي بمعنى الإفساد أو القتل أو خرم الخرز. انظر: «لسان العرب» (ثأي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) من (ى) وفي بقية النسخ: كما، وما أثبته موافق لما في «الحجة» وهو الصواب.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٩ بتصرف.

(٦) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٨ من رواية الكلبي، ورواه تفسيرًا للجملة التالية ابن جرير ١١/ ١٥٣-١٥٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والفريابي=

تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦].

﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، قال[١] يريد: إلى الكعبة[٢]، وعلى هذا، التقدير: واجعلوا بيوتكم؛ أي مساجدكم قِبَل القبلة، أي[٣] إلى القبلة، وهذا قول مجاهد[٤]، والحسن[٥]، وابن جريج عن ابن عباس قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه[٦].

= وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٥/ ٥٦٦، وهو من رواية عكرمة.

(١) يعني ابن عباس، وقد رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤.

(٢) في هذا القول نظر لما يأتي:

أ- أن تشريع القبلة تجاه بيت المقدس في أول الإسلام يدل على أنها قبلة الأنبياء السابقين، وليست مما غيره أهل الكتاب من دينهم.

ب- أن هذا الأثر عند ابن جرير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو الأسدي؛ والأول سيء الحفظ جدًا، فاحش الخطأ، كثير المناكير كما في «تهذيب التهذيب» ٣/ ٦٢٧، والثاني صدوق ربما وهم كما في «التقريب» (٦٩١٨).

(٣) في (م): (أو)، وهو خطأ.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤-١٥٥ من طريقين أحدهما من رواية ابن جريج وهي ضعيفة لعنعنة ابن جريج وهو مدلس كما في «التقريب» ص٣٦٣ (٤١٩٤)، والثانية من رواية ابن أبي نجيح وهي ضعيفة أيضًا؛ لأن في سندها أبا حذيفة؛ وهو صدوق سيء الحفظ وكان يصحف، ولم يخرج له البخاري إلا في المتابعات، كما في المصدر السابق ٢/ ٢٨٨.

(٥) ذكره هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ٢٠٥، لكن بلفظ: مستقبلة القبلة، ومعلوم أن القبلة أعم من الكعبة كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٥].

(٦) رواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٦، وفي سنده ابن جريج وقد عنعنه وهو=

وعلى هذا القول أمر موسى وأخوه باتخاذ المساجد لقومهما بمصر على رغم أعدائهما وأعداء قومهما؛ لأن الله ﷻ يمنعهم من أعدائهم حتى لا[١] يَصِلُوا إيقاع مكروه بهم.

وقال أكثر المفسرين: لما أُرسل[٢] موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها، ومُنعوا من الصلاة، فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفًا من فرعون[٣]، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة[٤]، وإبراهيم[٥]، وابن زيد[٦]، والربيع[٧]، وأبي مالك[٨]، والسدي[٩]، والضحاك[١٠]، واختيار الفراء[١١]، والزجاج[١٢].

قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ أي: صلوا

= مدلس كما في «تقريب التهذيب» ص٣٦٣ (٤١٩٣)، وانظر التعليق على قول ابن عباس السابق.

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) في (ى): (أرسل الله).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٣ ب، والسمرقندي ٢/ ١٠٨، والبغوي ٤/ ١٤٦، وابن الجوزي ٤/ ٥٤.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٤، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب، والبغوي ٤/ ١٤٦ .

(٥) يعني النخعي، وانظر قوله في: المصادر السابقة «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٧٧.

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٥٤، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب.

(٧) انظر: المصدرين السابقين، نفس الموضع.

(٨) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والثعلبي ٧/ ٢٣ ب.

(٩) رواه ابن جرير، الموضع السابق.

(١٠) المصدر السابق، نفس الموضع.

(١١) «معاني القرآن» ١/ ٤٤٧.

(١٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

في بيوتكم لتأمنوا من الخوف[1]، وقال الفراء: أمروا أن يتخذوا المساجد في جوف الدور لتخفى من القبط، ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي إلى الكعبة[2].

وقال ابن الأنباري: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي قبلا، يعني مساجد فاكتفى بالواحد من الجمع، كقول العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور[3]

[أراد إنا إخوتكم[4].

وقال عكرمة عن ابن عباس: واجعلوا بيوتكم مساجد[5]][6].

٨٨- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت[7].

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾، اختلفوا في هذه اللام؛ فقال الفراء:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧، ولفظه: لتخفى من فرعون.

(٣) انظر: «ديوان العباس بن مرداس» ص٥٢، «لسان العرب» (أخا) ١/ ٤١، «المقتضب» ٢/ ١٧٤، وقبل هذا البيت:

كأن بني معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنة تخور

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٥٥، وذكره مختصرًا الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٤٧.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٣، ١٥٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٧، والفريابي وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٦.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٧) «الوسيط» ٢/ ٥٥٧، «زاد المسير» ٤/ ٥٥.

(إنها[١] لام كي)[٢] وعلى هذا، المعنى: إنك جعلت هذه الأموال سببًا لضلالهم؛ لأنهم بطروا فيها فاستكبروا عن الإيمان، وطغوا في الأرض.

وقال الأخفش: اللام في ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ إنما هو لما يؤول إليه الأمر، والمعنى: إنك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا، كما أن معنى ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨] أي: فكان كذلك[٣]، وهذا قول الزجاج، وأكثر أهل المعاني[٤].

قال الزجاج: المعنى: أصارهم ذلك إلى الضلال، كما قال: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي: فالتقطوه[٥] فآل أمرهم إلى أن صار عدوًّا وحزنًا، لا أنهم قصدوا ذلك[٦]، فعلى هذا هي لام العاقبة والصيرورة، وفتح الياء في (لَيَضلوا)[٧] حسن لهذا المعنى؛ لأنهم ضلوا وطغوا لما أوتوه من الزينة والأموال، ومن قرأ: ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ من الإضلال فقد ذكرنا وجه ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ سورة الأنعام [١١٩].

وقال ابن الأنباري: هذه لام الدعاء، وهي مكسورة تجزم المستقبل

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧.

(٣) كتاب «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٧٧ بمعناه.

(٤) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٠، «معاني القرآن الكريم» للنحاس ٣/ ٣١٠، «إعراب القرآن» له ٢/ ٧٢-٧٣، «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٢٩١، ٣٩٥.

(٥) في (ى): (فالتقطه)، والمثبت موافق للمصدر وهو الصواب.

(٦) اهـ. كلام الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٠.

(٧) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء من الفعل (أضل)، وقرأ الباقون بفتحها من الفعل (ضل). انظر: «الغاية» ص١٤٩، «إرشاد المبتدي» ص٣١٧٤، «النشر» ٢/ ٢٦٢، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

ويفتتح به[١] الكلام، فيقال: ليغفر الله للمؤمن[٢]، وليعذب الله الكافر، وتأويلها[٣]: ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك[٤][٥].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، ذكرنا معنى الطمس عند قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾[٦] [النساء: ٤٧]، ومعناه ههنا المسخ.

قال الأزهري فيما روى عن شمر: ويكون الطموس بمنزلة المسخ للشيء، قال الله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ قالوا: صارت حجارة[٧].

وهذا قول ابن عباس[٨]، [وقتادة[٩]، والقرظي[١٠]، والسدي[١١]، وابن زيد[١٢]، والربيع[١٣] والضحاك[١٤]:

---

(١) هكذا في جميع النسخ، والأولى بالسياق أن يقول: بها.

(٢) في (ح) و(ز): (للمؤمنين). (٣) في (م): (تأويله).

(٤) في (ح) و(ز): (سبيله).

(٥) انظر قول ابن الأنباري في: «زاد المسير» ٤/ ٥٦.

(٦) وهذه الآية مع تسع آيات مفقودة في النسخ التي بين يدي.

(٧) اهـ. كلام شمر، انظر: «تهذيب اللغة» (طمس) ٣/ ٢٢١٨.

(٨) رواه الثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(٩) رواه الصنعاني في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٦، وابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩، والثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(١٠) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩، والثعلبي ٧/ ٢٤ أ، والبغوي ٤/ ١٤٧.

(١١) المصادر السابقة، عدا ابن جرير.

(١٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، ولفظه: طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء، وانظر التعليق الآتي على قول السدي.

(١٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٥٧.

(١٤) رواه ابن جرير في الموضع السابق، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩.

قال ابن عباس][(١)]: بلغنا أن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحًا وأثلاثًا وأنصافًا[(٢)].

وقال القرظي: جعل سكرهم[(٣)] حجارة.

وقال قتادة: بلغنا أن حروثًا لهم صارت حجارة.

وقال السدي: مسخ الله أموالهم حجارة؛ النخل والثمار والدقيق والأطعمة[(٤)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) انظر تخريج هذا الأثر والآثار التالية في التعليقات السابقة.

(٣) بضم السن وتشديد الكاف، وهو معروف، أو بفتح السين والكاف من غير تشديد، وهو نقيع التمر الذي لم تمسه النار، أو الخمر، أو النبيذ، وكان إبراهيم والشعبي وأبو رزين يقولون: السَّكَر: خمر. وقال أبو عبيدة: الطعام. واحتج بقول الآخر:

جعلت أعراض الكرام سكرا

انظر: «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧١٩، «التكملة والذيل والصلة» (سكر) ٣/ ٣٣، «لسان العرب» (سكر) ٤/ ٢٠٤٧.

(٤) الظاهر أن هذا القول وما في معناه مما تلقاه المفسرون عن أهل الكتاب، ولو صح ما ذكره السدي وابن زيد لهلكوا، ومعلوم أن هلاكهم كان غرقًا في اليم، ثم إن قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]، وقوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٨] يدل على بطلان القول بعموم مسخ أموالهم وطعامهم وزروعهم، ولم يرد دليل صحيح على مسخ البعض، وعلى ضوء ذلك فالراجح ما رواه ابن جرير ١١/ ١٥٨، عن ابن عباس ومجاهد بأن معنى الآية: دمر عليهم وأهلك أموالهم، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٥]، وكشف الرجز عنهم يبين وجه الجمع بين الآيات الدالة على هلاك أموالهم والآيات الدالة على بقائها بعد غرقهم.

وقال عطاء عن ابن عباس: لم يبق لهم معدن إلا [طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد(١).

قال الزجاج: تأويل طمس الشيء: إذهابه عن](٢) صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كانت عليها(٣)(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: امنعهم عن الإيمان(٥)، وتأويله: أقسها واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، وهذا دليل على أن الله يفعل ذلك بمن يشاء(٦)، ولولا ذلك لما حسن من موسى هذا السؤال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾، قال المبرد: هو عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾ أي: ربنا إنك آتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا(٧).

وهذا اختيار أبي علي، قال: هو عطف على النصب الحادث من اللام في ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾، وما بين ذلك من قوله: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾

---

(١) ذكره القرطبي ٨/ ٣٧٤، وأبو حيان ٥/ ١٨٧، وانظر التعليق السابق.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٣) في (ى): (عليه).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١، والطمس في اللغة: الدروس والانمحاء، وطمس الكواكب: ذهاب نورها. انظر: «اللسان» (طمس).

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٧، والقرطبي ٨/ ٣٧٤، وأبو حيان ٥/ ١٨٧، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٧٩.

(٦) لكن وفق حكمته وعدله كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

(٧) ذكر قول المبرد هذا: الزجاج في «معاني القرآن» ٣/ ٣١، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٥٧.

اعتراض[(١)] بين ﴿ءَاتَيْتَ﴾ وما يتصل به، وهذا الضرب من الاعتراض كثير[(٢)].

وقال الفراء[(٣)]، والزجاج[(٤)]: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ دعاء عليهم كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

[قال ابن الأنباري: والتأويل فلا آمنوا[(٥)] حتى يروا العذاب[(٦)]][(٧)] وموضع ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾ على هذا التأويل جزم بـ (لا)؛ قال الأعشى:

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم[(٨)]

قال أبو بكر: ويجوز أن يكون ﴿يُؤْمِنُوا۟﴾ في موضع جزم بالنسق على (يضلوا)، و(يضلوا) منجزم بلام الدعاء[(٩)].

وقال الفراء: وإن شئت جعلت ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ جوابًا لمسألة موسى عليه السلام لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر، فـ (لا يؤمنوا)[(١٠)] في موضع

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٣/ ٣٩٥.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٧ واللفظ له.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه»، ولفظه: فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، دعاء أيضًا عليهم.

(٥) من (م) وفي بقية النسخ: فلا يؤمنوا، وما أثبته موافق للمصدر التالي.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٥٧.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٨) البيت للأعشى الكبير من قصيده يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني، انظر: «ديوانه» ص١٧٨، «زاد المسير» ٤/ ٥٧، «لسان العرب» (زوى) ٣/ ١٨٩٤.

(٩) ساقط من (ى).

(١٠) عبارة الفراء: فتجعل (فلا يؤمنوا) في موضع نصب.

نصب على الجواب، فيكون كقول الشاعر[١]:

يا ناق سيري عنقًا فسيحًا إلى سليمان فنستريحا[٢]

قال ابن الأنباري: وذهب بعض الناس إلى أن معنى قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوٓا۟﴾ فلن يؤمنوا، فأبدلت الألف من النون الخفيفة [وهذا خطأ لأن النون الخفيفة][٣] لا تبدل ألفًا في وصل الكلام، ويلزم هذا القائل أن يجيز: لا يقومَ عبد الله، بنصب الميم، وذلك محال من كل وجه، وهذا القول الذي حكاه عن بعض الناس هو قول صاحب النظم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ يريد الغرق[٤]، قال ابن جريج عن ابن عباس: فلا يؤمنوا حتى يروا الغرق[٥]، قال: وما آمن فرعون حتى أدركه الغرق[٦].

٨٩- قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: وذلك أن موسى كان يدعو، وهارون يؤمن[٧]، وهذا قول

---

(١) هو: أبو النجم العجلي يمدح سليمان بن عبد الملك، انظر: «الدرر اللوامع» ٣/ ٥٢، «كتاب سيبويه» ٣/ ٣٥، «لسان العرب» (نفخ) ٨/ ٤٤٩٥، و(عنق) ٥/ ٣١٣٤، والعنق: ضرب من السير. انظر: «لسان العرب» (عنق).

(٢) اهـ. كلام الفراء، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٧٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من عدا (م).

(٤) انظر: «تفسير ان جرير» ١١/ ١٥٨، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب.

(٥) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٠، ورواه أيضًا ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٠، من رواية عطية العوفي.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٠، وبنحوه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٠، من رواية علي بن أبي طلحة الوالبي.

(٧) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧، وبمعناه ابن جرير ١٥/ ١٨٧.

الربيع وابن زيد وعكرمة وأبي العالية والقرظي كلهم قالوا: دعا موسى وأمّن هارون فلذلك قال: ﴿دَّعْوَتُكُمَا﴾ فأضاف إليهما[١].

قال الزجاج: والمؤمّن على دعاء الداعي داع أيضًا؛ لأن قوله (آمين) تأويله: استجب، فهو سائل كسؤال الداعي[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فامضيا لأمري، قال عكرمة: فهو الاستقامة، عن ابن عباس[٣]، وقال المفسرون: فاستقيما على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب[٤].

قال ابن جريج: إن فرعون لبث بعد هذه الآية[٥] أربعين سنة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾، قال أبو إسحاق: موضعه جزم إلا أن

---

(١) ذكر أقوالهم ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٦٠-١٦١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١.

(٣) هكذا في جميع النسخ، وفي العبارة قلق، وقد روى ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٦١، أثري ابن عباس وعكرمة، ولفظ ابن عباس: (فاستقيما) فامضيا لأمري، وهي الاستقامة، وهو من رواية ابن جريج عنه. ولفظ عكرمة: أمن هارون على دعاء موسى، فقال الله: قد أجيبت دعوتكما فاستقيما.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦١، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، والبغوي ٤/ ١٤٨.

(٥) يعني الدعوة الواردة في هذه الآية، ورواية المؤلف موافقة لما في مخطوطة تفسير ابن جرير، كما أشار إلى ذلك محققه ١٥/ ١٨٧، وقد أثبت المحقق ما في الطبعة السابقة. انظر طبعة الحلبي ١١/ ١٦١، «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٧، ولفظه: بعد هذه الدعوة.

(٦) رواه ابن جرير ١١/ ١٦١، والثعلبي ٧/ ٢٤ ب، وأشار البغوي ٤/ ١٤٧، إلى أن هذا من القصص، يعني الذي لا يمكن التثبت من صحته.

النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة وكسرت لسكونها[١] وسكون النون التي قبلها فاختير لها الكسرة؛ لأنها بعد الألف تشبه نون الاثنين[٢]، قال أبو علي: إنما أشبهتها؛ لأنها زائدة مثلها وداخلة لمعنى كدخولها[٣]، فإن قيل: المكسورة في (تتبعان) ليست بعد ألف فكيف تكسر تشبيهًا بنون رجلان وهي بعد ألف؟ قيل: النون الأولى من المشددة لما كانت ساكنة وجَمعت إلى السكون الخفاء لم يعتد[٤] بها، وصارت المكسورة كأنها وليت الألف، وقد لا يعتدون بالحاجز لخفائه، وإن كان متحركًا، كما أجمعوا -فيما زعم سيبويه[٥]- على (رُدَّهَا) بفتح الدال ولم يضموا كما أجازوا الضم في (رُدُّ)؛ لأن الدال في (ردها) صارت كأنها وليت الألف لخفاء الهاء[٦]، وهذا مما ذكرناه في أول هذا الكتاب.

فأما قراءة ابن عامر[٧] (وَلَاتَتَّبِعَانِ) بتخفيف النون[٨] فلها ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما حذفوا (رب) و(إن)

---

(١) في (ح) و(ز): (وسكونها)، وما أثبته موافق للمصدر.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣١.

(٣) في (ى): (كمعنى دخولها)، والمثبت موافق للمصدر.

(٤) في (ى): (يعرر)، وهو خطأ.

(٥) انظر: «كتابه» ٣/ ٥٣٤.

(٦) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٢٩٣ بمعناه.

(٧) في (ى): (ابن عباس)، وهو خطأ.

(٨) انظر: «الغاية في القراءات العشر» ص١٧٣، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «تقريب النشر» ص١٢٣.

ونحوهما من المضاعف، إلا أنه حذف الأولى[١] من المثلين، كما أبدلوا الأولى في نحو قيراط ودينار[٢]، ولزم ذلك في هذا الموضع؛ لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين على غير ما يستعمل في الأمر الشائع، وغلط بعضهم فزعم أن هذا على مذهب يونس فإنه يجيز[٣] إدخال النون الخفيفة في فعل الاثنين وفعل جماعة النساء[٤]، وهذا غلط؛ لأن تلك النون الخفيفة ساكنة غير متحركة، وأجاز يونس في ذلك الجمع بين ساكنين، وابن عامر يقرأ بالتخفيف والتحريك[٥] وجميع أهل النحو خالفوا يونس في ذلك الوجه[٦].

الثاني: أن قوله (لا تتبعان) على هذه القراءة على لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨، ٢٣٤]، و﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك.

---

(١) في (ح): (للأولى)، وفي «الحجة» الأول، وكذا في الموضع التالي، وهو أولى.

(٢) أصل قيراط: قرّاط، بتشديد الراء، ثم قبلت إحدى الراءين ياء، وكذلك أصل دينار: دنّار فقلبت إحدى النونين ياء وذلك لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على وزن فِعّال ككذّاب. انظر: «لسان العرب» (دنر) و(قرط).

(٣) في (ح) و(ز): (يجوز).

(٤) انظر قول يونس ورد سيبويه عليه في: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٢٧، «الإنصاف» ص٥٢٣، «ائتلاف النصرة» ص١٣١.

(٥) انظر: «النشر» ٢/ ٢٨٦، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٣.

(٦) انظر: «كتاب سيبويه» ٣/ ٥٢٧، «الأصول في النحو» لابن السراج ٢/ ٢٠٣، «الحجة» ٣/ ٤٤١، «الإيضاح العضدي» ١/ ٣٣٥، «أوضح المسالك» ٣/ ١٣٦، وقول المؤلف: وجميع أهل النحو خالفوا يونس غير صحيح، فقد وافقه جميع الكوفيين، انظر: «الإنصاف» ص٥٢٣، «ائتلاف النصرة» ص١٣١.

وإن شئت جعلته حالًا من ﴿استقيما﴾، وتقديره: استقيما غير متبعين، وهذا هو الوجه الثالث، ويدل على هذا[١] قول الشاعر[٢]:

ولا أسقي ولا يَسقي شريبي ويرويه إذا أوردت مائي

وقول الفرزدق:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت[٣]

ومعنى الآية: ولا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلا قضائي، فإن وعدي لا خلف له، ووعيدي نازل بفرعون وقومه، كذا قال المفسرون[٤].

٩٠- قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ هذا مذكور في سورة الأعراف، وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ الإتباع طلب اللحاق بالأول واستقصاء هذا مذكور في قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ البغي: طلب الاستعلاء بغير حق،

---

(١) ساقط من (ح).

(٢) لم أهتد له، والبيت بلا نسبة في «أمالي القالي» ٢/ ٢٦٣، «الحجة» ٤/ ٢٩٤، «سمط اللآلي» ٢/ ٩٠١، «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٣/ ١٢٦٥ قال ابن قتيبة في الموضع نفسه: شريبه: الذي يشرب معه، والمعنى: لا أسقي حتى يسقي شريبي.

(٣) لم أجده في ديوانه، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص١٢٢، «لسان العرب» (شيم) ٤/ ٢٣٨٠، «المعاني الكبير» ٣/ ١٢٦٥. وقد بين المبرد في «الكامل» ١/ ٣٠٨، أن هذا البيت ظريف عند أصحابي المعاني، وتأويل لم يشيموا: لم يغمدوا، ولم تكثر القتلى: أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتلى حين سلت.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦١-١٦٢، والثعلبي ٧/ ٢٥ أ، والبغوي ٤/ ١٤٨.

والعدْو: الظلم، وهذا ما سبق القول فيه[١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾، وقرئ بكسر الألف[٢]، فمن فتح الألف فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر نحو: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] فلما حذف الحرف وصل الفعل إلى (أن) فصار[٣] في موضع نصب أو خفض على الخلاف في ذلك، ومن[٤] كسر الألف حمله على القول المضمر، كأنه: آمنت فقلت إنه، وإضمار القول في هذا النحو كثير، ولإضمار القول من المزية هنا أن قلت: إنه لا إله إلا الله في المعنى إيمان[٥]، فإذا قال: آمنت، فكأنه قد ذكر ذلك.

قال ابن عباس في هذه الآية: فلم يقبل الله إيمانه عند [نزول العذاب، وقد كان في مهل، ولم يفعل الله ذلك بأحد عند][٦] نزول العذاب، أو غرغرة الموت من المشركين، إلا قوم يونس[٧] وهذا قول جميع المفسرين[٨]، قالوا: إن فرعون تلفظ بما ذكر الله عنه من قوله: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ

---

(١) انظر المصدر السابق ١/ ٣٨١.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف (إنه) بكسر الهمزة والباقون بفتحها.
انظر: كتاب «السبعة» ص٣٣٠، «إرشاد المبتدي» ص٣٦٥، «تقريب النشر» ص١٢٣.

(٣) في (ى): (صار).

(٤) في (ى): (وإن)، وهو خطأ.

(٥) يعني: أن قول كلمة الإخلاص إيمان، فقولها بمعنى قول: آمنت.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٧) لم أجده بهذا السياق، وقد ذكر أوله ابن الجوزي ٤/ ٥٩، وروى نجاة قوم يونس عنه جمع من المفسرين. انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٦٨-٥٦٩.

(٨) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٢، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥١، وابن الجوزي ٤/ ٦٠٢، والرازي ١٧/ ١٥٤.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فلم ينفعه ذلك؛ لأن التوبة مقبولة إلى أن يعاين ملك الموت وأعوانه من الملائكة، وعدو الله فرعون جنح إلى التوبة حين أغلق بابها بحضور الموت، ومعاينة الملائكة، فقيل له(١) (آلآن وقد عصيت قبل)(٢) يراد الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة؟! والظرف متعلق بمحذوف تدل عليه الحال، تقديره: الآن آمنت أو تؤمن أو تتوب، والمفسرون على أن جبريل خاطب فرعون بهذا الخطاب(٣).

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿ءَامَنتُ﴾ إلى آخر الآية، قد يعلم الجميع أن الغريق -سيّما من يكون غرقه نقمة من الله- لا يمكنه أن يلفظ بمثل هذا المنطق(٤) لما يكون فيه من الشغل بالموت، والمعنى إن شاء الله: إن الله ﷻ علم ما وقع في قلبه حينئذ من اليقين والندامة على ما فرط منه، فذكر ذلك عنه وجعله قولًا، كما قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] فأخرج إضمارهم مخرج القول، ومثله قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] الآية. وجاء في الخبر: إن الله أثنى عليهم بما في ضميرهم، وهم لم يقولوا ذلك، ولكن الله علم ذلك من ضمائرهم

---

(١) ساقط من (ح) و(ز).

(٢) في (ى): (وكنت من المفسدين)، ولم أثبت هذه الزيادة لانفراد النسخة (ى) بذلك مع كثرة أخطائها، ثم إن المؤلف لم يتطرق إلى تفسير هذه الجملة.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٦ ب، والبغوي ٤/ ١٤٨، وابن الجوزي ٤/ ٦٠، وقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن المخاطب له هو تعالى، وإليه ذهب ابن جرير ١١/ ١٦٤، والسمرقندي ٢/ ١١٠، وهو الظاهر ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

(٤) ساقط من (ى).

فمدحهم به حتى كأنهم قالوا ذلك[١].

٩١- وقوله تعالى بعد هذا ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ وما بعدها، كله على الخبر أنه فعله به، لا على أنه خاطبه بهذا القول[٢].

والصحيح ما ذكرنا أولًا من مذهب المفسرين، يدل عليه ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبريل يحشو التراب في فيه خشية أن يؤمن[٣].

وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال لي جبريل رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فيه مخافة أن تدركه الرحمة**»[٤].

---

(١) الخبر عن مجاهد، ولفظه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: لم يقل القوم ذلك حين أطعموهم، ولكن علم الله من قلوبهم فأثنى به عليهم. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٣٣٧، وابن جرير ٢٩/ ٢١١ (طبعة الحلبي).

(٢) اهـ. كلام صاحب النظم.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٢. وهو بمعنى الحديث المرفوع التالي.

(٤) رواه الترمذي (٣١٠٧)، (٣١٠٨) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يونس، وقال: هذا حديث حسن، ثم ذكر رواية أخرى وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه أيضًا الحاكم في «المستدرك» ١/ ٥٧، ٤/ ٢٤٩، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان (الإحسان) ١٤/ ٩٨، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ورواه كذلك أحمد في «المسند» ١/ ٢٤٥، ٣٠٩، وابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٦٣-١٦٤.

هذا وقد زعم الزمخشري في «الكشاف» ٢/ ٢٥١ أن ما جاء في الحديث من قول جبريل ؈ «خشية أن تدركه الرحمة» من زيادات الباهتين لله وملائكته، وقال: فيه جهالتان: **أحدهما**: أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس، فحال البحر لا يمنعه، **والأخرى**: أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر؛=

والذي ذكره صاحب النظم شيء لا تبعده طريقة أهل اللغة والمعاني.

= لأن الرضا بالكفر كفر. وقد رد عليه الإمام ابن حجر في «الكافي الشاف» ٨٥-٨٦ فقال: وهذا إفراط منه في الجهل بالمنقول والغض من أهله، فإن الحديث صحيح الزيادات، وقد أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان والحاكم، ثم ذكر الروايات ثم قال: وأما الوجهان اللذان ذكرهما الزمخشري فللحديث توجيه وجيه لا يلزم منه ما ذكره الزمخشري، وذلك أن فرعون كان كافرًا كفر عناد؛ ألا ترى إلى قصته حيث توقف النيل، وكيف توجه منفردًا وأظهر أنه مخلص، فأجري له النيل، ثم تمادى على طغيانه وكفره، فخشي جبريل أن يعاود تلك العادة فيظهر الإخلاص بلسانه فتدركه رحمة الله فيؤخره في الدنيا، فيستمر في غيه وطغيانه فدس في فمه الطين، ليمنعه التكلم بما يقتضي ذلك، هذا وجه الحديث، ولا يلزم منه جهل ولا رضى بكفر بل الجهل كل الجهل من اعترض على المنقول الصحيح برأيه الفاسد. وأيضًا فإن إيمانه في تلك الحال -على تقدير أنه كان صادقًا بقلبه- لا يقبل؛ لأنه وقع في حال الاضطرار ولذلك عقب الآية بقوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ وفيه إشارة في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥] اهـ.
قلت: ويمكن أن يضاف إلى ما ذكره الحافظ وجهان آخران: **الأول**: أن الملائكة عالم غيبي مفطور على الطاعة ومعصوم من المعصية: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ولذا فلا ينبغي أن تنزل أفعال الملائكة منزلة أفعال الثقلين في الحكم، لاختلاف الطبيعة والتكليف والجزاء .**الثاني**: أن الملائكة لا تنزل إلا بأمر الله، ولا تفعل إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]، وقال ﷻ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ولذا ينبغي أن يحمل فعل جبريل عليه السلام على أنه بأمر الله وإذنه فلا يكون جهلًا ولا رضى بكفر، بل هو كسجود الملائكة لآدم -عليه وعليهم السلام- والله تعالى يفعل بالأسباب كما يفعل بدونها، فإذا لم يرد الله شيئًا منع أسبابه، وبما أن الدعاء وإظهار الإخلاص سبب الرحمة فقد أرسل الله جبريل ليمنع هذا السبب الذي يقتضي مسببه عادة بإذن الله.

٩٢- قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، قال ابن عباس[١] وعامة المفسرين[٢]: لما غرّق الله فرعون وقومه جحد بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقالوا: هو أعظم شأنًا من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه فذلك قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع، وهذا قول أبي عبيدة[٣]، وأبي عمرو بن العلاء[٤]، ويونس[٥]، واختيار الزجاج[٦]، وابن قتيبة[٧]، وروى ثعلب، عن ابن الأعرابي قال: إنهم -أحسبها- شكوا في غرقه؛ فأمر الله أن يقذفه على دكة

---

(١) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ١٦٥-١٦٦، والبغوي ٤/ ١٤٨، وذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦١.

(٢) منهم قتادة ومجاهد وقيس بن عباد وابن جريج وغيرهم.
انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٥-١٦٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٨. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٣٤٨ بعد أن ذكر أثر قيس بن عباد: هذا موقوف، رجاله ثقات.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٢٨١.

(٤) لم أجد من ذكره بعد طول بحث، وقد نسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٠ إلى اللغويين، وذكره ابن سيده في «المخصص» ١٠/ ٧٩، ونسبه لأبي عبيد والخليل والأصمعي ونسبه الأزهري في «تهذيب اللغة» (نجا) ٤/ ٣٥١٠ للزجاج وأبي زيد والنضر بن شميل.

(٥) رواه ابن الأنباري وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٦٠.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢، وعبارة الزجاج تدل على أنه لم يختر هذا القول، ونصها: (ننجيك ببدنك) نلقيك عريانًا، وقيل: (ننجيك ببدنك) نلقيك على نجوة من الأرض.

(٧) «تفسير غريب القرآن» ص٢٠٤.

في[1] البحر[2].

وذهب بعضهم إلى أن هذا من النجاة والتخليص، ومعنى ننجيك نخرجك من البحر بعد الغرق[3] وهو معنى قول الكلبي[4]، ونحو ذلك قال عطاء عن ابن عباس: فأخرجه الله حتى رأوه[5].

واختلفوا في معنى البدن ههنا؛ فأهل اللغة ذهبوا إلى أن معناه الدرع[6]، قال الليث: البدن: شبه الدرع، إلا أنه قصير قدر ما يكون على الجسد، قصير الكمين[7].

وقال ابن الأعرابي في هذه الآية: ببدنه: بدرعه[8]، وأنشد ابن الأنباري:

ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا[9]

---

(١) ساقط من (ى).

(٢) «تهذيب اللغة» (بدن) ١/ ٢٩٥، وفيه: فأمر الله البحر أن يقذفه.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٤-١٦٦، وهود بن محكم ٢/ ٢٠٧، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥١.

(٤) رواية الكلبي عن ابن عباس في «تنوير المقباس» ص٢١٩ موافقة للقول الأول، ولم أجد من ذكر قول الكلبي هذا.

(٥) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، وبنحوه رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦ من رواية عطية العوفي.

(٦) انظر: «الصحاح» (بدن) ٥/ ٢٠٧٧، «مجمل اللغة» (بدن) ١/ ١١٩ .

(٧) «تهذيب اللغة» (بدن) ١/ ٢٩٥، والنص في كتاب «العين» (بدن) ٨/ ٥١.

(٨) «تهذيب اللغة»، الموضع السابق.

(٩) البيت لكعب بن مالك في «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٨٠، «فتح القدير» للشوكاني ٢/ ٦٨١، وبلا نسبة في «البحر المحيط» ٥/ ١٨٩، «الدر المصون» ٦/ ٢٦٥، وليس في «ديوانه».

وهذا قول ابن عباس قال: كانت عليه درع من ذهب يعرف بها وهو البدن[١]، والمعنى على هذا: إنا نرفع فرعون فوق الماء بدرعه المشهورة ليعرفوه بها أو نخرجه من الماء بدرعه، على الخلاف في ﴿نُنَجِّيكَ﴾.

وقال آخرون: معنى البدن ههنا جسده بغير روح[٢]، روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿بِبَدَنِكَ﴾ قال: معناه بجسدك[٣]، ونحوه قال الكلبي[٤].

وقال بعض المفسرين: إنه طفا عريانًا، وكان ناجيًا ببدنه المجرد لينظر إليه نكالًا من كان يعتقده إلهًا[٥]، قال ابن الأنباري: وعلى هذا القول أهل التفسير[٦]، والقول الأول في البدن [عليه أهل اللغة واختاره الكسائي[٧] أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾][٨]، قال الكلبي: لتكون

= والأبدان: الدروع، واليلب: الدروع اليمانية، كانت تتخذ من الجلود يخرز بعضها على بعض، وهو اسم جنس، والواحدة: يلبة. «الصحاح» (يلب) ١/ ٢٤٠.

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٨، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٦٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٦، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩، والزمخشري ٢/ ٢٥٢، «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠، واختاره الأخفش ورد القول الأول، انظر كتاب «معاني القرآن» ١/ ٣٧٨.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٣، وابن المنذر وابن الأنباري في «المصاحف»، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٠.

(٤) لم أقف عليه، ورواية الكلبي في «تنوير المقباس» ص٢١٩ توافق القول السابق، وأن المراد بالبدن الدرع.

(٥) هذا قول الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢.

(٦) يعني القول بأن المراد بالبدن الجسد.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٢٧ أ.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

نكالًا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك[١].

قال أبو بكر: وتلخيص الحرف[٢]: لتكون لمن بعدك من الأمم عبرة، وأمرًا[٣] معجوبًا منه معتبرًا به[٤].

وقال أبو إسحاق: وإنما كان ذلك آية؛ لأنه كان يدعي أنه رب وكان يعبده قوم[٥]، فبين الله ﷻ أمره وأنه عبد، وفيه من الآية أنه غرق مع قومه وأخرج هو من بينهم فكان في ذلك آية[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ الناس[٧] ههنا عامة، وقوله: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: عن الإيمان بآياتنا.

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ ذكرنا معنى ﴿بَوَّأْنَا﴾ عند قوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال أبو زيد: بوأت فلانًا منزلًا تبوئةً وتبوُّئًا[٨]، والاسم: البيئة[٩][١٠]، وقال أبو

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، وذكره ابن الجوزي ٤/ ٦١، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهو سند الكلبي في «تفسيره»، وليس للكلبي أقوال في التفسير بل نسب ذلك كله إلى ابن عباس.
وقد ذكره أيضًا بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

(٢) في (م): (الحدف). (٣) ساقط من (ى).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في المصدر: قومه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢.

(٧) ساقط من (ى).

(٨) في «تهذيب اللغة»، «اللسان»: تبويئًا.

(٩) في «تهذيب اللغة» المباءة.

(١٠) «تهذيب اللغة» (باء) ١/ ٢٤٦، «لسان العرب» (بوأ) ١/ ٣٨٢ مع اختلاف يسير.

علي: قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ يجوز أن يكون مصدرًا، أي تبوّؤ[١] صدق، ويكون المفعول الثاني محذوفًا، ويجوز أن يكون مفعولًا ثانيًا فيجعل المبوأ اسمًا غير ظرف كما قال الشاعر[٢]:

وأنت مكانك من وائل مكان القراد من است الجمل[٣]

ومعنى (صدق) ههنا أن العرب إذا مدحت شيئًا أضافته إلى الصدق؛ لأن الصدق محمود في الأحوال كلها؛ فتقول: رجل صدق؛ [وقدم صدق][٤]، وفلان صديقك الصدق[٥].

وقال بعض أهل المعاني: معناه أن هذا المنزل يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة[٦]، قال ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قال: يريد: قريظة والنضير وبني قينقاع، ﴿مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾، قال: يريد: أنزلناهم منزل صدق ما بين المدينة والشام، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، قال:

---

(١) في (م): (تبؤى)، وفي بقية النسخ: (تبوي)، وآثرت الرسم المثبت لمناسبته للحركة، وانظر: «الحجة» ٤/ ٣١٠، وكلام المحقق في الحاشية رقم (٢).

(٢) اختلف في قائل هذا البيت، فهو في «ديوان جرير» ص٤٨٦، وهو للأخطل في «الأغاني» ٨/ ٢٨، «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٠، «سمط اللآلي» ص٨٥٤، «العقد الفريد» ٣/ ٣٦٠، وليس في «ديوان الأخطل».
وله أو لعتبة بن الوغل في «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ١/ ٣٧٨.
والبيت لعتبة بن الوغل في «المؤتلف والمختلف» للآمدي ص٨٤، ونسب أيضًا لكعب ابن جعيل في «خزانة الأدب» ١/ ٤٦٠، وهو من شواهد سيبويه ١/ ٤١٧ بلا نسبة.

(٣) اهـ. كلام أبي علي، انظر: «الحجة» ٤/ ٣١٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٥) في (ى): (صدق). وانظر: «تهذيب اللغة» (صدق) ٢/ ١٩٩٠-١٩٩١.

(٦) لم أقف عليه.

يريد: من أرض يثرب من النخل وما فيها من الرطب والتمر الذي ليس في البلاد مثلها طيبًا[(١)].

وقال بعض أهل المعاني: قد دلت الآية على اتساع أرزاقهم[(٢)].

وعلى هذا التفسير يريد ببني إسرائيل: اليهود الذين كانوا في زمان النبي ﷺ، وذهب قوم إلى أنه أراد الذين كانوا في زمن موسى فمن بعدهم فقالوا في قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ يعني الشام ومصر[(٣)]، وهو قول الضحاك[(٤)].

وقال قتادة: الشام وبيت المقدس[(٥)].

وقال الحسن: مصر، وهو منزل صالح خصيب آمن[(٦)]، والصحيح قول ابن عباس؛ لأن قوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ من صفة الذين كانوا في عهد النبي ﷺ[(٧)]، فكذلك ما قبله.

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، «مفاتيح الغيب» ١٧/ ١٦٥.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٦، والسمرقندي ٢/ ١١٠، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩، وابن الجوزي ٤/ ٦٣.

(٤) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٥، والثعلبي ٧/ ٢٧ أ، والبغوي ٤/ ١٤٩.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٢/ ٢٩٧، وابن جرير ١١/ ١٦٦، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٥.

(٦) ذكره مختصرًا هود بن محكم في «تفسيره» ٢/ ٢٠٧.

(٧) وإلى هذا ذهب ابن جرير ١١/ ١٦٧، والثعلبي ٧/ ٢٧/أ، والبغوي ٤/ ١٥٠، وغيرهم. وذهب السمرقندي ٢/ ١١٠، والزمخشري ٢/ ٢٥٢، وابن عطية ٧/ ٢١٦، والرازي ١٧/ ١٥٩ إلى أن هذا من صفة اليهود السابقين الذين كانوا على عهد موسى عليه السلام والمعنى: ما اختلف بنو إسرائيل في دينهم وما تفرقوا فيه إلا من =

وعلى[١] قول هؤلاء يحمل أول الآية على العموم وآخرها على الخصوص[٢]، ومعنى ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ أي: في تصديق النبي ﷺ وأنه نبي حق مبعوث[٣].

قال المفسرون: كانوا يخبرون بمبعث محمد[٤] ﷺ، ويفخرون على سائر الناس بما يعلمونه من صدقه وخروجه والدخول في جملته، حتى بُعث فكذبوه حسدًا وبغيًا وإيثارًا لبقاء الرئاسة، وآمن فريق منهم وصدقه، فذلك اختلافهم حين جاءهم العلم[٥].

= بعد ما جاءهم العلم بالدين الحق عن طريق التوراة وتعاليم موسى، وعلموا أن الاختلاف مذموم، فهو اختلاف عناد ومكابرة وإعراض عن الحق.

(١) في (ح) و(ز): (فعلى)، والصواب ما أثبته.

(٢) بل من حمل أول الآية على العموم وقال إن المراد هم جميع بني إسرائيل الذين على عهد موسى عليه السلام، حمل آخرها أيضًا على العموم وقال بأن المختلفين هم قوم موسى، انظر المراجع السابقة، نفس المواضع.

(٣) هذا على قول ابن عباس المذكور ومن وافقه في المراد ببني إسرائيل، أما من قال بالعموم فقد حمل الاختلاف المذكور على العموم، قال السمرقندي ٢/ ١١٠: فما اختلفوا في الدين حتى جاءهم البيان، يعني جاءهم موسى -عليه السلام- بعلم التوراة. وقال الزمخشري ٢/ ٢٥٢: (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبًا إلا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق، ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة، وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه. وقال ابن عطية ٧/ ٢١٦: إن بني إسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا.

(٤) في (ى): (النبي).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٧، والثعلبي ٧/ ٢٧ ب، والبغوي ٤/ ١٥٠، وابن الجوزي ٤/ ٦٣.

قال ابن عباس: يريد القرآن الذي جاء به محمد ﷺ[١] وعلى هذا، القرآن سمي علمًا؛ لأنه دليل مؤد إلى العلم، وقال الفراء: العلم يعني به محمدًا ﷺ وصفته[٢]، وعلى هذا أريد بالعلم المعلوم، وذلك أنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه بنعته وصفته حق العلم، هذا الذي ذكرنا مذهب عامة أهل التأويل[٣].

وقال الحسن[٤] وابن زيد[٥]: قوله: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني أنهم كانوا قبل مبعث محمد ﷺ كانوا كفارًا كلهم، حتى جاءهم العلم فاختلفوا بأن آمن فريق وكفر فريق، فنفي الاختلاف في القول الأول يعود إلى التصديق بمحمد ﷺ قبل مبعثه، وفي قول الحسن وابن زيد نفي الاختلاف عن كفرهم ثم ظهر الاختلاف بإيمان بعضهم، والقول هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: من أمرك[٦].

٩٤- قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية، معنى الشك في موضوع[٧] اللغة: ضم بعض الشيء إلى بعض، يقال: شك

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، «زاد المسير» ٤/ ٦٣، ورواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩ بنحوه.
(٢) «معاني القرآن» ١/ ٤٧٨.
(٣) يعني الذين ذهبوا مذهبه في المراد ببني إسرائيل هنا، وقد سبق ذكر الخلاف.
(٤) ساقط من (ح) و(ز) ولم أقف على قوله، وقد ذكر هذا القول بلا نسبة الرازي في «تفسيره» ١٧/ ١٥٩.
(٥) روى قوله ابن جرير ١١/ ١٦٧ بمعناه.
(٦) ذكره المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٥٩ بلا نسبة.
(٧) في (ح) و(ز): (موضع).

الجواهر في العقد: إذا ضم بعضها إلى بعض، وشككت الصيد: إذا رميته فنظمت يده إلى يده أو رجله إلى رجله، لا يكون الشك إلا كذلك والشكائك من الهوادج[(١)]: ما شك بعضها في بعض، والشكاك: البيوت المصطفة، والشكائك الأدعياء؛ لأنهم يشكون أنفسهم إلى قوم ليسوا منهم، أي: يضمون، وشك الرجل في السلاح إذا دخل فيه وضمه إلى نفسه [وألزمه إياها[(٢)]، فإذا قالوا شك فلان في الأمر أرادوا أنه وقف نفسه][(٣)(٤)] بين شيئين فيجوّز هذا[(٥)] ويجوّز ذاك، فهو يضم إلى ما يتوهمه شيئًا آخر خلافه[(٦)].

واختلفوا في هذا الخطاب لمن هو؟ فقال أكثر أهل العلم: هذا الخطاب للرسول ﷺ والمراد غيره من الشكاك[(٧)]؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء يريدون غيره،

---

(١) الهودج: مركب للنساء يصنع من العصي ثم يجعل فوقه الخشب فيقبب. انظر: «لسان العرب» (هدج) ٨/ ٤٦٣٠-٤٦٣١.

(٢) أي ألزم نفسه السلاح.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).

(٤) في (ح) و(ز): (من).

(٥) ساقط من (ی).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (شك) ٢/ ١٩١٤-١٩١٥، «اللسان» (شك) ٤/ ٢٣٠٩-٢٣١٠.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٢، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٨-١٦٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤-٢٠٥، «تأويل مشكل القرآن» له ص٢٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢١٧.

وكذلك يقول متمثلهم: إياك أعني واسمعي يا جارة[١]، ومثل هذا قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١] الآية، الخطاب للنبي ﷺ والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢] ولم يقل بما تعمل.

وقال أبو إسحاق: إن الله ﷻ يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق، والمعنى فإن كنتم في شك فاسألوا[٢]، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ﴾ [يونس: ١٠٤] الآية، فأعْلَم الله أن نبيه ليس في شك، وأمره أن يتلو عليهم ذلك، وهذا أحسن الأقوال. انتهى كلامه[٣]، وهذا[٤] الذي ذكرنا مذهب ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، وأكثر أهل التأويل[٧].

قال ابن عباس في هذه الآية: لم يرد النبي ﷺ؛ لأنه لم يشك في الله، ولا فيما أوحى إليه، ولكن يريد من آمن به وصدقه، أمرهم أن يسألوا لئلا ينافقوا كما شك المنافقون.

---

(١) المثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويقصد به شيئًا آخر، انظر: «مجمع الأمثال» ١/ ٨٣، «جمهرة الأمثال البغدادية» ١/ ٥٥٦.

(٢) في (ح) و(ز): (قالوا)، وهو خطأ.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٢ بتصرف واختصار.

(٤) في (ح) و(ز): (وهو)، وهو خطأ.

(٥) سيأتي تخريج قوله.

(٦) رواه ابن الأنباري في «المصاحف» كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧١ .

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٢، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٦٨-١٦٩، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٤-٢٠٥، «تأويل مشكل القرآن» له ص٢٧٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣١٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢١٨.

وقال ابن قتيبة: الناس كانوا في عصر النبي ﷺ أصنافًا؛ منهم كافر به مكذب لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل، وآخر: مؤمن به مصدق يعلم أن ما جاء به الحق، وشاك في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدم رجلًا ويؤخر رجلًا، فخاطب الله هذا الصنف من الناس فقال: فإن كنت أيها الإنسان(١) في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فاسأل، قال: ووحد وهو يريد الجمع، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿فَإِذَا(٢) مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الزمر: ٤٩]، ولم يرد في جميع هذا(٣) إنسانًا بعينه إنما هو لجماعة الناس، قال: وهذا وإن كان جائزًا حسنًا، فإن المذهب الأول(٤) أعجب إليّ؛ لأن الكلام اتصل حتى قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ(٥)، فجعل ابن قتيبة(٦) هذا الذي ذكره جوابًا آخر، ثم(٧) اعترض عليه بما ذكر، والأولى أن يقال: الخطاب للنبي ﷺ والمراد به هذا الصنف الشاك الذي ذكره ابن قتيبة، فيكون هذا تأكيدًا وبيانًا للقول الأول، ويسقط ذلك الاعتراض الذي ذكر. وذكروا في هذه الآية أقوالًا متكلفة بعيدة فلم

---

(١) في (ى): (الناس)، وهو خطأ.
(٢) في (م): (وإذا)، وهو صواب موافق للآية ٨ من سورة الزمر.
(٣) في (ى): (هذا الجميع).
(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، ومعناه في «تنوير المقباس» ص٢١٩.
(٥) يعني أن الخطاب للرسول ﷺ والمراد غيره.
(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص٢٦٩-٢٧٤ باختصار.
(٧) ساقط من (ح) و(ز).

أحكها[١].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾، قال ابن عباس[٢]، والضحاك[٣]، ومجاهد[٤]، وابن زيد[٥]: يعني من آمن من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه فسيشهدون[٦] على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته، وما قدمه الله في الكتب من ذكره، وباقي الآية والتي تليها[٧] حكمه على ما ذكرنا من أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين.

٩٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،

---

(١) ذكر النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣١٦ أربعة أقوال، وذكر الثعلبي ٧/ ٢٧، ٢٨ ثمانية أقوال، وكذلك الرازي ١٧/ ١٦٠-١٦١، ولأبي حيان توجيه بديع للآية حيث قال: والذي أقوله: إنّ (إنْ) الشرطية تقتضي تعليق شيء على شيء، ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلًا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، ومستحيل أن يكون له ولد، فكذلك هذا مستحيل أن يكون في شك، ولما خفي هذا الوجه على أكثر الناس اختلفوا في تخريج هذه الآية. «البحر المحيط» ٥/ ١٩١.

(٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، والبغوي ٤/ ١٥٠، وأبو الشيخ عن الحسن كما في «الدر» ٣/ ٥٧١.

(٣) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦، والبغوي ٤/ ١٥٠.

(٤) رواه ابن جرير والبغوي، في الموضع السابق نفسه.

(٥) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، في الموضع السابق نفسه.

(٦) في (ى): (فيشهدون).

(٧) يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

قال ابن عباس: قول ربك بالسخط عليهم[١]، وقال قتادة: سخط ربك بما عصوه[٢]، وقال أهل المعاني: معنى (حقت عليهم [كلمة ربك) أي: وقعت على تحقيق من غير شرط ولا تقييد بأنهم لا يؤمنون، والمعنى: إن الذين حقت عليهم][٣] الكلمة[٤] بأنهم لا يؤمنون [لا يؤمنون][٥] ولو جاءتهم كل آية[٦]، وقال مقاتل: وجبت عليهم كلمة العذاب[٧].

٩٧- ومعنى ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾، قال المفسرون: كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا، [فقال الله: (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا][٨] العذاب الأليم) فلا ينفعهم حينئذ إيمانهم كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق.

٩٨- قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ الآية، في هذه الآية طريقان:

أحدهما: وهو طريق المفسرين أن (لولا) معناها[٩] النفي، قال أبو مالك صاحب ابن عباس: كل ما في كتاب الله من ذكر (لولا) فمعناها:

---

(١) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦.
(٢) رواه ابن جرير ١١/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٦، والبغوي ٤/ ١٥١.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ز).
(٤) في (ى): (كلمة العذاب).
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من جميع النسخ عدا (م) ولا يتم المعنى إلا بها.
(٦) لم أقف عليه.
(٧) «تفسير مقاتل بن سليمان» ١٤٣ أ.
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).
(٩) في (م): (معناه).

(هلَّا)، إلا حرفين ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ معناها: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، وكذلك ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦] معناه فما كان من القرون[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس: قال: يريد لم أفعل هذا بأمة قط ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند نزول العذاب، كشفنا عنهم العذاب[٢][٣].

وقال قتادة في هذه الآية: لم يكن هذا معروفًا لأمة من الأمم؛ كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب فكشف عنهم، إلا قوم يونس كشف عنهم العذاب بعدما تدلى عليهم[٤].

وقال مقاتل: كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل[٥].

وقال ابن الأنباري[٦]: كشف الله عنهم العذاب وقَبِل توبتهم لما علم من حسن نيتهم وأنهم يقيمون على شكره وحمده، ولا يزالون يوحدونه

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢، ونسبه لابن أبي حاتم، ورواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة يونس ٦/ ١٩٨٧ مختصرًا.

(٢) ساقط من (م) و(ى).

(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٧١ من رواية عطاء الخراساني، ورواه أيضًا ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢.

(٤) رواه بنحوه ابن جرير ١١/ ١٧٠-١٧٢، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٨٨، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٢.

(٥) «تفسير مقاتل» ص١٤٣ أ.

(٦) ذكر قوله مختصرًا ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٧.

ويعبدونه ويتأسفون(١) على ما فرط(٢) منهم من الكفر، بخلاف ما علم من سوء نيات الأمم المهلكين، يدل على صحة ما ذكرنا(٣) ما روي عن ابن مسعود أنه قال: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم بينهم حتى إن كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه(٤) فيرده(٥).

وانتصب قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ على أنه استثناء منقطع من الأول؛ لأن أول الكلام جرى على القرية وإن كان المراد أهلها، ووقع استثناء القوم من القرية فكان كقوله(٦):

---

(١) في (ح) و(ز): (ينافسون)، وهو خطأ.

(٢) في (ى) فرطوا، وهو خطأ، ومعنى فرط: سبق وتقدم. انظر: «لسان العرب» (فرط) ٦/ ٣٣٨٩.

(٣) في (ى): (هذا).

(٤) في (م): (فيقلعه)، وما أثبته موافق لما في «تفسير القرطبي».

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٨/ ٣٨٤، وبنحوه الزمخشري ٢/ ٢٥٤، والرازي ١٧/ ١٦٥، ورواه بمعناه ابن جرير ١١/ ١٧٠-١٧٢، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٣.

(٦) هو النابغة الذبياني وما ذكره المؤلف بعض بيتين نصهما:

وقفت فيها أصيلالًا أسائلها عيت جوابًا وما بالربع من أحد

إلا الأواريّ لأيًا ما أبينها والنُّؤْيُ كالحوض بالمظلومة الجلد

انظر: «ديوانه» ص٩، «إصلاح المنطق» ص٤٧، «الإنصاف» ص٢٣٤، «خزانة الأدب» ٤/ ١٢٢، «كتاب سيبويه» ٢/ ٣٢١. وقوله: اصيلالًا: أي عشاء، وذلك أن الأصيل هو العشي، وجمعه أُصُل (بضمتين) وأُصْلان (بضم فسكون) ثم صغروه فقالوا: أصيلان، ثم أبدلوا من النون لامًا فقالوا: أُصيلالا. قوله: عيت: أي عجزت عن الكلام. والأواري: جمع آريّ: وهو محبس الدابة. ولأيًا: أي بعد جهد وإبطاء. والنؤي: الحاجز من تراب حول البيت.

.... وما بالربع من أحد
إلا أواريَّ ....

وذكر صاحب النظم أوجهًا سوى هذا، وهو أنه قال: معنى (لولا): هلا، وهلا: حث على الشيء، ويكون تبكيتًا وتنديمًا على فائت، وفي ذلك دليل بالاعتبار على أنه لم يكن، فقوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ أي: لم تكن آمنت عند حلول العذاب فنفعها إيمانها، ثم استثنى قوم يونس فقال: (إلا قوم يونس)[1] وإنما نصب وقبله معنى جحد ونفي؛ لأنه لم يجيء على لفظ [النفي والجحد، وإنما جاء على لفظ][2] التبكيت والخبر، ولو كان نفيًا خالصًا لكان رفعًا، قال: وقد يكون نصبه على أن الكلام تم وانقطع عن قوله: ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ثم جاء قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ بعد التمام كما نصب [من قرأ (ما فعلوه إلا قليلا منهم) [النساء: ٦٦] بالنصب[3]][4]، وقد شرحنا وجه النصب هناك[5] وأنه إنما

= والمظلومة: الأرض التي حفرت ولم تكن حفرت من قبل، وهو يعني أرضًا مروا بها في برية فتحوضوا حوضًا سقوا فيه إبلهم وليست بموضع تحويض. والجلد: الأرض الصلبة المستوية المتن الغليظة. انظر: «لسان العرب» (أصل وعيي وأري ولأي وظلم وجلد).

(١) ساقط من (م).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٣) وهي قراءة ابن عامر وحده، وكذا هو في مصحف الشام. انظر كتاب «السبعة» ص٢٣٥، «إرشاد المبتدي» ص٢٨٥، «النشر» ٢/ ٢٥٠.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٥) السياق يدل على أن القائل هو الجرجاني صاحب «نظم القرآن»، وقد شرح المؤلف وجه النصب عند تفسير الآية، فهي جملة اعتراضية من المؤلف.

يجوز النصب بعد النفي إذا كان ما قبله كلامًا تامًا كقولك ما مر بي أحدٌ إلا زيدًا، [ولا يجوز ما مر بي إلا زيدًا][(١)]، قال: وقد قيل إن نصبه على أن يكون مستثنى من قوله: ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ على تأويل: لم ينفع قرية آمنت إيمانها إلا قوم يونس، أي: أن الإيمان نفع قوم يونس لما آمنوا.

هذا الذي ذكرنا طريقة المفسرين[(٢)].

الثاني: وهو طريقة الزجاج، وذكرها ابن الأنباري أيضًا، وهو أن معنى الآية حث على الإيمان حين ينفع الإيمان، يقول[(٣)]: هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان.

وهذا تبكيت لفرعون؛ لأنه آمن لما أدركه الغرق فلم ينفعه، يدل على صحة هذا المعنى أن هذه الآية ذكرت عقيب قصته، وعلى هذا (لولا) يكون على ما هو موضوع له.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾، قال الزجاج: وقوم يونس -والله أعلم- لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب فلما آمنوا كشف عنهم، ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو في مرضه العافية ويخاف[(٤)] الموت فتوبته صحيحة.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (م).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٧٩، «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٠-١٧٢، والسمرقندي ٢/ ١١١، والثعلبي ٧/ ٢٨ ب، والبغوي ٤/ ١٥١.

(٣) يعني الزجاج، انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٤، ولم أقف على قول ابن الأنباري.

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» المطبوع: ولا يخاف، والصحيح ما أثبته المؤلف، بل إن توبة المريض صحيحة ولو لم يرج العافية، ما لم يغرغر وتبلغ روحه حلقومه، =

وقال ابن الأنباري: قوم يونس تابوا[١] بعد آية ظهرت لهم تدل على قرب العذب، ولو عاين القوم العذاب كانت قصتهم في الهلكة قصة عاد وثمود، وعلى هذا قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ من الاستثناء المنقطع؛ معناه: لكن قوم يونس لما آمنوا في وقت ينفعهم الإيمان ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [قال ابن عباس: يريد: سخط الله في الحياة الدنيا[٢]][٣]، وقال أهل المعاني: عذاب الهوان[٤] الذي يفضح صاحبه[٥]، ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، قال ابن عباس: يريد حين آجالهم[٦].

= وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقول الرسول ﷺ: «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، رواه الترمذي (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، باب: في فضل التوبة، وقال: حسن غريب.

رواه أيضًا أحمد في «المسند» ٢/ ١٣٢، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٢٥٧، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (١٩٠٣). انظر: «تفسير الطبري» ١١/ ١٧٠-١٧٢، «شرح صحيح مسلم» ١/ ٢١٣، «تفسير القرطبي» ٥/ ٩٢، «محاسن التأويل» ٥/ ١١٥٥.

وكلام الزجاج هذا في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٤.

(١) في (ح) و(ز): (قالوا)، وهو خطأ.

(٢) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٤) في (م): (الهون).

(٥) لم أقف عليه عند أهل المعاني، وانظر القول بنحوه في: «بحر العلوم» ٢/ ١١٢، «زاد المسير» ٤/ ٦٥.

(٦) «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، وبمعناه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦/ ١٩٩٠.

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ الآية، قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصًا على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله [سعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله][١] الشقاء[٢] في الذكر الأول[٣]، وروي عنه أيضًا أنه قال[٤]: كان رسول الله ﷺ حريصًا على إسلام أبي طالب، فأبى الله عليه إلا من علم في سابق علمه[٥]، وقال في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ يريد أبا طالب[٦].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قد مضى الكلام في مثل هذه اللام عند قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١]، و﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ [التوبة: ١١٣]، و﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ومعنى ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٢) في (ى): (شقاوة)، وما أثبته موافق لما في «تفسير ابن جرير»، وقوله: (من الله الشقاء) ساقط من (ح) و(ز).

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» ١١/ ١٧٣، والبيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ١٤٧، وفي كتاب «الاعتقاد» ص١٠٦، والثعلبي في «تفسيره» ٧/ ٣٠ ب، وهو من رواية علي بن أبي طلحة.

(٤) ساقط من (ح) و(ز).

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢١٩، وبمعناه أبو سهل السري بن سهل كما في «الدر المنثور» ٦/ ٤٢٩، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٤، ٢٥) كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع من حديث المسيب وأبي هريرة.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

عباس في رواية عطاء وهو قول عطية: إلا ما سبق لها[(١)] في قضاء الله وقدره[(٢)]، وقال عطاء[(٣)]: بمشيئة الله[(٤)].

وقال أبو إسحاق: وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بتوفيق الله ﷻ وهو إذنه[(٥)]، وهذا قول الكناني[(٦)]، قال ابن الأنباري: لأنه ليس كل مأمور بالإيمان يوفق للقبول[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال الحسن: الرجس: العذاب[(٨)]، وهو قول الفراء[(٩)]، والزجاج[(١٠)]، وعلى هذا هو بمعنى الرجز، وروي عن ابن عباس أنه قال: الرجس السخط[(١١)]، وهذا كالأول؛ لأن[(١٢)] السخط سبب العذاب.

وقال الكسائي[(١٣)]، وابن الأنباري[(١٤)]: الرجس النتن، قال أبو علي

---

(١) في (م): (له).

(٢) انظر قول ابن عباس في «الوسيط» ٢/ ٥٦٠، «زاد المسير» ٤/ ٦٧، وانظر قول عطية العوفي في «تفسير الثعلبي» ٧/ ٣٠ ب.

(٣) في (ى): (عطية)، وهو خطأ.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ٣٠ ب، وابن الجوزي ٤/ ٦٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٦.

(٦) «تفسير الثعلبي»، الموضع السابق، والكناني هو: عبد العزيز بن يحيى.

(٧) ذكره بمعناه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٦٧.

(٨) المصدر السابق ٤/ ٦٨، «الوسيط» ٢/ ٥٦١.

(٩) «معاني القرآن» ١/ ٤٨٠، ولفظه: العذاب والغضب.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٦.

(١١) رواه ابن جرير ١١/ ١٧٤، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٠، من رواية علي بن أبي طلحة.

(١٢) ساقط من (ى).

(١٣) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٧.

(١٤) لم أقف على قوله، وهو سند أبي علي في روايته عن الكسائي هذا القول.

فكأن[١] الرجس على الوجهين[٢]:

أحدهما: أن يكون في معنى الرجز، وهو العذاب، والمعنى في قوله: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنهم يعذبون، كما قال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: ٦].

والآخر: أن يُعنى به النجس والقذر، ومن ذلك قوله: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ويكون المعنى فيه أنه يحكم بأنهم رجس كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، أي: ليسوا من أهل الطهارة، فذموا على خروجهم منها، وإن لم تكن عليهم نجاسة من نحو البول والدم والخمر، والمعنى: إن الطهارة الثابتة للمسلمين هم خارجون عنها، ومباينون لها، وهذه الطهارة هي ما تثبت لهم من قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وهي طهارة من جهة الحكم وإن لم تُزل شيئًا نجسًا عن[٣] أبدانهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد لا يؤمنون[٥]، والمعنى: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه وما يدعوهم إليه، وقال أبو بكر: معناه: لا يعقلون القرآن ووصاة الأنبياء عن الله -جل وعز- عنادًا للحق، وهم يعقلون غيره، كما يقول القائل: فلان أصم[٦] عن كلامي،

---

(١) من (م) وفي بقية النسخ: وكأن، وأثبت ما في (م) لموافقته لما في «الحجة».
(٢) في «الحجة» ضربين.
(٣) في (ح): (على).
(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٤/ ٣٠٧، ٣٠٨ بتصرف واختصار.
(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٦١.
(٦) في (م): (صم).

يريد لا يسمعه، وما يزال يعرض عنه، فهو فيه كالأصم، ولو كان سميعا لغيره[(١)].

١٠١- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ الآية، قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [أي: انظروا بالتفكر والاعتبار ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾][(٢)] من الآيات والعبر التي تدل على وحدانية[(٣)] الله تعالى ونفاذ قدرته[(٤)].

قال ابن عباس: أما آيات السموات: فالشمس والقمر والنجوم، وأما آيات الأرض: فالجبال والشجر والبحار وسائر الآيات، وهي الأنهار والثمار والأشجار[(٥)]، وهذا قول عامة المفسرين[(٦)].

قال أهل المعاني: وكل هذا يقتضي مدبرًا لا يشبه الأشياء ولا تشبهه، وهذا أمر بالاستدلال على القديم[(٧)] بالمحدث.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ما بين المعقوفين من (م).

(٣) في (م): (وحدانيته ونفاذ . . . إلخ)، وما أثبته موافق لما في «الوسيط».

(٤) ذكر هذا القول ابن الجوزي ٤/ ٦٨، ونسبه للمفسرين وكذلك المؤلف في «الوسيط» ٢/ ٥٦١، وبنحوه البغوي ٤/ ١٥٣، وبمعناه ابن جرير ١١/ ١٧٥، والثعلبي ٧/ ٣٠ ب.

(٥) رواه بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٢، الثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٣ .

(٧) اسم القديم مما يطلقه علماء الكلام والفلاسفة على الله ﷻ وقلدهم بعض العلماء كالإمام البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» ١/ ٣٥، والحليمي في «المنهاج في =

قال ابن الأنباري: أبهم قوله: ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولم يخصصه بما ذكره المفسرون من الآيات لكثرة ترددها في القرآن، وإن معرفة المخاطبين بالقرآن أغنى عن ذكر ما هو معلوم عندهم، يدل على هذا قول الشاعر(١):

ذري ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب نبئيني

= شعب الإيمان» ١/ ١٨٨. وحول هذا الإطلاق على الباري جل جلاله الملحوظات التالية: **أولًا**: أن اصطلاح علماء الكلام يخالف لغة العرب التي نزل بها القرآن، إذ مرادهم بذلك الأول الذي لم يسبقه عدم، والقديم في لغة العرب: المتقدم على غيره، كما في قوله تعالى: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء: ٧٥، ٧٦] فلفظ القديم والأقدم يعني المتقدم على غيره وإن كان مسبوقًا بعدم.

ثانيًا: أن من عقائد السلف أن أسماء الله وصفاته توقيفية فلا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة، وليس للاستحسان والاجتهاد دخل في ذلك.

ثالثًا: أنه قد جاء في الكتاب والسنة ما يقوم مقام هذا اللفظ ويغني عنه، وهو اسم الله الأول كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وقوله ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» «صحيح مسلم» (٢٧١٣) كتاب الذكر، باب: ما يقول عند النوم، واسمه تعالى: (الأول) أحسن من (القديم)؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل له، وتابع له، بخلاف القديم والله تعالى له الأسماء الحسنى، لا الحسنة. انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ١/ ٢٤٥، «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ٧٧، «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية» ص٢٧.

(١) اختلف فيه، فالبيت للمثقب العبدي في «ديوانه» ص٢١٣، «خزانة الأدب» ٧/ ٤٨٩، ولمزرد بن ضرار في «ديوانه» ص٦٨، ولسحيم بن وثيل أو للمثقب العبدي أو لأبي زبيد الطائي في «المقاصد النحوية» ١/ ١٩٢، ولأبي حيه النميري في «لسان العرب» (أبي) ١/ ١٨، وقد ذكر ابن منظور قبل هذا البيت بيتًا آخر هو:

أبالموت الذي لابد أني ملاق لا أباكِ تخوفيني؟

أراد ماذا علمت من الأمور المكروهة المذمومة فلما وثق بمعرفة من يخاطبه بها استغنى عن ذكرها.

وذكرنا الكلام في (ماذا)[١] وأنه يكون بمعنيين[٢]، فإن قلنا إنه بمعنى (الذي) فموضعه نصب بقوله: ﴿ٱنظُرُواْ﴾ وإن قلنا معناه (أي شيء)، فموضع (ما) رفع بالابتداء، وخبره ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة في موضع نصب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، يجوز أن تكون (ما) نفيًا بمعنى ما تغني عنهم شيئًا بدفع الضرر واجتلاب[٣] النفع، كقولك: [ما يغني عنك المال إذا لم تنفق، ويجوز أن يكون استفهامًا كقولك][٤]: أي شيء يغني عنهم؟ والنذر: جمع نذير، وهو صاحب النذارة، وهي الإعلام بموضع المخافة ليحترز منه، وقوله تعالى: ﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [قال المفسرون: أي عمن سبق في علم الله وقضائه][٥] أنه لا يؤمن[٦]، يقول: الإنذار غير نافع لهؤلاء ولا مجدٍ عليهم.

وقال أهل المعاني: ﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: عن قوم استشعروا

---

(١) في (ح) و(ز): (ذا).

(٢) ذكر ذلك عند تفسير الآية ٥٠ من هذه السورة.

(٣) في (ح): (اختلاف)، وهو خطأ.

(٤) ما بين المعقوفين من (م) فقط، والنص في «تفسير الرازي» ١٧/ ١٧٠ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٥، والثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٤، والقرطبي ٨/ ١٨٦، وهو قول مجاهد كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ٦/ ١٩٩١، وقول أبي العالية كما في «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٣.

عناد الحق وتركوا الإيمان، فهؤلاء لا تغني عنهم الآيات؛ لأنهم لا يستدلون بها، ولا النذر؛ لأنهم لا ينتفعون بإنذارهم ووعظهم[١].

١٠٢- قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية، ذكرنا في سورة البقرة والأنعام معنى هذا الاستفهام عند قوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾، [البقرة: ٢١٠]، [الأنعام: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ﴾ يعني: إلا أيامًا مثل أيام الأمم الماضية المكذبة في وقوع العذاب والحسرة [حين لا تنفع الندامة، ولا يحتاج إلى ذكر العذاب والحسرة][٢]؛ لأن أيام تلك الأمم في وقوع العذاب بهم معروفة مشهورة، وقال أكثر المفسرين: إلا مثل وقائع الله تعالى فيمن سلف قبلهم من الكفار، مثل قوم نوح وعاد وثمود[٣]، وروى الحراني، عن ابن السكيت: العرب تقول: الأيام، في معنى الوقائع، يقال هو عالم بأيام العرب، يريد: وقائعها، وأنشد:

وقائع في مُضَر تسعة ... وفي وائل كانت العاشرة[٤]

فقال: تسعة، وكان ينبغي أن يقول: تسع، ولكنه ذهب إلى

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٥-١٧٦، والثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤، والزمخشري ٢/ ٢٥٥، والقول مروي عن قتادة، انظر: «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٤.

(٤) لم أهتد لقائله، وانظره بلا نسبة في: المصدر التالي، وفي «لسان العرب» (يوم) ٨/ ٤٩٧٥، و«الأشباه والنظائر» ٥/ ٢٣٦، ٢٥٧، و«الإنصاف» ٢/ ٧٦٩، و«الدرر اللوامع» ٦/ ١٦٩، و«مجالس ثعلب» ٢/ ٤٩٠، و«بدائع الفوائد» ٣/ ٢٣٥، و«همع الهوامع» ٣/ ٢٥٤ .

الأيام[1]. وقال شمر: جاءت الأيام بمعنى الوقائع والنعم، وإنما خصوا الأيام دون ذكر الليالي في الوقائع لأن حروبهم كانت نهارًا، وإذا كانت ليلًا ذكروها[2].

وقال ابن الأنباري: العرب تكني بالأيام عن الحروب والشرور، يقال: قتل فلان يوم صفين، يعنون في حرب صفين؛ يدل على ذلك أن الحرب كانت بصفين في أيام كثيرة، فتوحيد اليوم بمعنى الحرب والوقعة، وأنشد:

شهدت الحروب فشيبنني ولم أر يومًا كيوم الجمل[3]

أراد حربًا كحرب الجمل، وقد تذكر العرب الأيام وهي تقصد بها قصد السرور والنعم، وبكلى[4] الوجهين فُسّر قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[5] [إبراهيم: ٥].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، هذا إخبار عما كان الله يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرسل والمصدقين لهم عما

---

(١) اهـ. كلام ابن السكيت، انظر: «تهذيب اللغة» (يوم) ٤/ ١٩٩١.

(٢) المصدر السابق ص٦٤٧.

(٣) لم أقف عليه، ويوم الجمل معركة وقعت بين الإمام علي ﷺ من جهة والزبير وطلحة وعائشة ﷺ من جهة أخرى سنة ٣٦هـ. انظر المصدر السابق ٧/ ٢٣٠.

(٤) هكذا في (ح) و(ز) و(ى)، وفي (م): (بكل). ومعلوم أن (كلا) و(كلتا) لا يعربان إعراب المثنى إلا إذا أضيفا إلى مضمر فإن أضيفا إلى ظاهر لزمتهما الألف. انظر: «أوضح المسالك» ١/ ٣٦.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٠٠، والبغوي ٤/ ٣٣٥، وانظر قول ابن الأنباري مختصرًا في «زاد المسير» ٤/ ٦٩.

يعذب به من كفر، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين بمحمد ﷺ من عذابي، والتأويل: ننجي المؤمنين إنجاءً مثل ذلك الإنجاء، وقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي واجبًا علينا، قاله ابن عباس(١) وغيره(٢)، ومعنى الوجوب ههنا: أنه أخبر بذلك ولا خلف لوعده، وما أخبر به [فهو واجب](٣) الوجود.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، قال ابن عباس: يريد أهل مكة(٤)، ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾، قال: يريد من توحيد الله الذي جئت به والحنيفية التي بعثت بها(٥)، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقال في هذا: لِمَ جعل جواب ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ﴾، ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ وهؤلاء يعبدون غير الله شكوا أو لم يشكوا؟ قيل: لأن المعنى: لا تشككوني(٦) بشككم حتى أَعبد غير الله كعبادتكم، كأنه قيل: ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بشككم ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾، قال أهل المعاني: إنما خص التوفي ههنا بالذكر دون الإحياء؛ لأنه يتضمن تهديدًا لهم؛ لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم(٧).

---

(١) رواه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.
(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٣، والثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤ .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز).
(٤) «زاد المسير» ٤/ ٦٩، «تنوير المقباس» ص٢٢٠، ولا دليل على هذا التخصيص.
(٥) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع، بمعناه.
(٦) في (ى): (لا تشكون)، وهو خطأ.
(٧) لم أجده عند أهل المعاني، وانظره في «الوسيط» ٢/ ٥٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ[1] أَكُونَ﴾، قال المبرد: أي وقع الأمر لهذا ومن أجل هذا[2]، كما قال[3]:

أريد لأنسى ذكرها . . ..

أي: إرادتي لنسيان[4] ذكرها، وقوله تعالى: ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أول مؤمني هذه الأمة، كما قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

١٠٥- قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، قال صاحب النظم: لا يجوز في الظاهر أن ينسق هذا على ﴿أَنْ أَكُونَ﴾، إلا أن الأمر قول وكلام، فكان قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ قيل لي: كن من المؤمنين وأقم وجهك، ومعنى الآية: استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك[5]، إذ من أقبل على الشيء بوجهه جمع همته له وله يُضْجِعُ[6] فيه، وهذا معنى قول

---

(١) في جميع النسخ: (لأن)، وهو خطأ. وإنما ذلك في سورة الزمر، الآية: ١٢، وهي التي ذكرها المبرد، لا آية سورة يونس.

(٢) اهـ. كلام المبرد، انظر: «المقتضب» ٢/ ٣٦، وقد ذكر بيت كثير في «الكامل» ٣/ ٩٧، دون ذكر ما قبله وما بعده.

(٣) هو: كثير، وما ذكره المؤلف بعض بيت، ونصه:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثَّلُ لي ليلى بكل سبيل

انظر: «ديوان كثير عزة» ص١٠٨، «أمالي القالي» ٢/ ٦٣، «خزانة الأدب» ١٠/ ٣٢٩، «لسان العرب» (رود) ٣/ ١٧٧٢.

(٤) في (م): (نسيان).

(٥) في (ح) و(ز): (وجهك)، وهو خطأ.

(٦) يقال: ضَجَعَ الرجل في الأمر يَضْجَع، وأضجع يُضْجِع وضجّع يُضَجِّع: إذا وهن وتوانى وقصر فيه.

انظر: «جمهرة اللغة» (ج ض ع) ١/ ٤٧٩، «الصحاح» (ضجع) ٣/ ١٢٤٨.

ابن عباس: وجهك عملك[١]، ومعنى إقامة الشيء: نصبه المنافي لإضجاعه، ومضى الكلام في الحنيف والحنيفية عند قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[٢] [البقرة: ١٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، نهي عن الإشراك على[٣] التصريح؛ لتأكيد التحذير والذم لأهله؛ لأنه إذا قيل: لا تكن منهم اقتضى أنهم على نهاية الخزي والمقت.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، الدعاء يكون على وجهين:

أحدهما: النداء كقولك: يا زيد، ويا عمرو، وعلى هذا، معنى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تدعه إلهًا، لا تقل لما دون الله: يا إله، كما يدعو المشركون أوثانهم آلهة.

والثاني: الدعاء إلى أمر[٤]، وهو طلب الفعل من القادر بصيغة الأمر، وعلى هذا معنى الآية: لا تدع من دون الله دعاء الله في العبادة بدعائه.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ أي: شيئًا ما؛ لأنه لا يتحقق النفع والضر إلا من الله تعالى، ولا تدع من دون الله شيئًا.

---

(١) رواه الثعلبي ٧/ ٣١ أ، والبغوي ٤/ ١٥٤، والفيروزأبادي ص٢٢٠.

(٢) قال في هذا الموضع ما نصه: وأما معنى الحنيف: فقال ابن دريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وبه سمي الإسلام الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية . . ، وروى ابن نجدة عن ابن زيد أنه قال: الحنيف: المستقيم .. إلخ.

(٣) في (م): (عن).

(٤) في (م): (أحد)، وهو خطأ.

وقال بعض أهل المعاني: ما لا ينفعك ولا يضرك نفع الإله وضره[(١)]، وقيل: إنما قال: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ -وهو إن نَفَع وضَرَّ لم تجز عبادته- لأنه أخسر للصفقة، وأبعد من الشبهة، عبادةُ ما[(٢)] لا ينفع ولا يضر، ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد بذلك مخاطبة لجميع من بعث إليه.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، الباء ههنا للتعدية، والمعنى يجعل الضر يمسك بحلوله فيك، كأنه قيل: يمسك الضر، والضر: اسم لكل ما يتضرر به الإنسان، قال ابن عباس: يريد: بمرض وفقر، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، معنى الكشف رفع الساتر، ولما جعل الضر مما يمس جعل دفعه كشفًا له][(٣)] أي: لا مزيل لما غشاك وألبسك من الضر ﴿إِلَّا هُوَ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ هو من المقلوب، معناه: وإن يرد بك الخير، ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالإرادة جاز: يريدك بالخير، ويريد بك الخير .﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ لا مانع لما يفضل به عليك من رخاء ونعمة وصحة ونصر، وقوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ يجوز[(٤)] أن يريد بكل واحد مما ذكر، ويجوز أن تعود الكناية إلى الخير الذي هو أقرب، والخبر عنه يكون كالخبر[(٥)] عن الخير والضر؛ لأنهما ذكرا

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ى): (من).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ عدا (م).

(٤) في (ح) و(ز) و(ى): (ويجوز).

(٥) في (م): (الخبر).

معًا، فالإخبار عن أحدهما كالإخبار عن الآخر، وهذه الآية تحقق ما ذكرنا في الآية الأولى أنه لا يتحقق النفع والضر إلا من الله؛ لأنه إذا لم يتهيأ لأحد [دفع نفع يريده بعبد فهو النافع على الحقيقة، وإذا لم يتهيأ لأحد][1] منع ضر يحل به أو بغيره فهو الضار.

١٠٨- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قالوا: يعني أهل مكة[2]، ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، قاله ابن عباس[3] وغيره[4]، وفيه البيان والأدلة التي نصبت ليهتدي بها العباد، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾، قال ابن عباس: يريد من صدق محمدًا ﷺ فإنما يحتاط لنفسه[5]، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أي: إنما يكون وبال ضلاله على نفسه، كما أن ثواب اهتدائه لنفسه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، فانظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله من غير أن يطالب غيره بحفظه، كأنه قيل: بحفيظ من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) و(ز) و(م).

(٢) انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ١١٤، «الوسيط» ٢/ ٥٦٢، «تنوير المقباس» ص٢٢٠، وقد ذكر الزركشي في «البرهان» ١/ ١٨٧: أن بعض العلماء يرى أن ما كان خطابًا بـ (يا أيها الناس) فالمراد بهم أهل مكة.
وانظر رد هذا القول في: «مناهل العرفان» ١/ ١٨٦.

(٣) ذكره بنحوه الفيروزأبادي في «تنوير المقباس» ص٢٢٠.

(٤) انظر: «تفسير ابن جرير» ١١/ ١٧٨، والسمرقندي» ٢/ ١١٤، والثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٥.

(٥) «الوسيط» ٢/ ٥٦٢.

قال ابن عباس: نسختها آية القتال(١).

١٠٩- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، قال ابن عباس: هي منسوخة نسختها آية السيف؛ فحكم الله بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب(٢)(٣).

(١) رواه الثعلبي ٧/ ٣١ ب، والبغوي ٤/ ١٥٥، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٧١، «تفسير القرطبي» ٨/ ٣٨٩، وانظر رد هذا القول في: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص٣٧٤، «زاد المسير» ٤/ ٧١.

(٢) انظر: «الوسيط» ٢/ ٥٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧١، وهذا مذهب ابن زيد كما في «تفسير الطبري» ١١/ ١٧٨، وانظر رده في: المصدرين السابقين الأخيرين.

(٣) في النسخة (م) كتب ناسخها بعد هذا ما نصه:

هذا آخر الجزء الثالث، ويتلوه الجزء الرابع أول سورة هود -إن شاء الله تعالى- كتابته على يد العبد الضعيف محمد بن محمد بن محمود العنبري الحسيني في مستهل رجب المبارك من شهور سنة تسع وخمسين وسبعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

التَّفْسِيرُ البَسِيطْ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

سورة هود

تحقيق

د. عبدالله بن إبراهيم الريس

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ قال ابن عباس[(١)]: يريد أنا الله الرحمن. وذكرنا الكلام في تفسير هذا الحرف في فاتحة يونس[(٢)].

---

(١) الطبري ١١/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٣٤، «زاد المسير» ٤/ ٤، ابن عطية ٧/ ٩٤.

(٢) مسألة الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن من المسائل التي كثرت فيها أقوال العلماء فسأذكر أبرز أقوالهم بإيجاز، مع تعيين الراجح منها:

القول الأول: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثاني: أنها حروف كل حرف يرمز إلى معنى، واختلفوا فيما يرمز إليه كل حرف.

الثالث: أنها للتنبيه ولفت نظر المشركين إلى القرآن وتدبره.

الرابع: أنها أسماء السور التي افتتحت بها.

الخامس: أنها من أسماء الله تعالى.

السادس: أنها أقسام أقسم الله بها.

السابع: أنها ذكرت بيانًا لإعجاز القرآن، فمع أن القرآن مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ومع ذلك فهم عاجزون عن معارضته بمثله. وهذا هو القول الراجح الذي ذهب إليه جمهور المحققين، ويدل عليه أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه. وممن قال بهذا القول: الفراء، وقطرب، والمبرد، وابن كثير، وابن تيمية، وأبو الحجاج المزي، والزمخشري، وغيرهم.

انظر: الطبري ١/ ٨٦-٩٦، البغوي ١/ ٥٨، ٤/ ١٥٩، «زاد المسير» ١/ ٢٠، ابن عطية ١/ ١٣٨-١٤١، ابن كثير ١/ ٣٨-٤١، الألوسي ١/ ٩٩، المنار ١/ ١٠٣، «أضواء البيان» ٣/ ٣، رسالة «الحروف المقطعة في القرآن»، دراسة ورأي عبد الجبار شرارة.

وقوله تعالى ﴿كِتَٰبٌ﴾، قال الفراء[١]: رفعت بالهجاء الذي قبله. قال الزجاج[٢]: وهذا غلط[٣]؛ لأنه جعل كتاب خبر ﴿الٓر﴾ و﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ليس هو ﴿الٓر﴾ وحدها، قال الفراء: وإن شئت أضمرت له ما يرفعه، كأنك قلت: هذا كتاب، ووافقه الزجاج على هذا القول.

وقول تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾، ذكرنا أن معنى الإحكام في اللغة منع الفعل من الفساد[٤]، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أحكمت آياته: أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها، وقال قتادة[٥] ومقاتل[٦]: أحكمت آياته من الباطل.

قال ابن الأنباري[٧]: فعلى قول الكلبي: المعنى أحكمت بعض آياته بأن جعل ناسخا غير منسوخ، وما نسخ من القرآن لا يدخل في هذا الإحكام، وأوقعت الآيات على بعضها على مذهب العرب في إيقاع اسم

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٧.

(٣) وتعقب هذا القول أيضًا الطبري ١١/ ١٧٩ فقال «:فأما قول من زعم أن قوله ﴿الٓر﴾ مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن، وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها، وأن معنى الكلام: «هذه الحروف كتاب أحكمت آياته» فإن الكتاب على قوله ينبغي أن يكون مرفوعًا بقوله: ﴿الٓر﴾ اهـ.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦ (حكم)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٩١، «لسان العرب» ٢/ ٩٥٢ (حكم).

(٥) الطبري ١١/ ١٨٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٥، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨، و«زاد المسير» ٤/ ٧٣، والبغوي ٤/ ١٥٩ .

(٦) تفسير مقاتل ١٤٣ب، الثعلبي ٧/ ٣٢ب، «زاد المسير» ٤/ ٧٣.

(٧) انظر: «زاد المسير» ٤/ ٧٤.

الجنس على النوع، حين يقولون: أكلت طعام[١] زيد، يعنون بعض طعامه، وعلى قول قتادة تلخيص معنى الآية: أحكمت آياته بعجيب النظم، وبديع المعاني، ورصين اللفظ الذي يحسم طمع كل مفتر في التشبيه به، وآيات القرآن كلها معجزة غير مقدور على مثلها لبديع نظمها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قال ابن عباس[٢] في رواية الكلبي: بينت بالأحكام من الحلال والحرام، وهو قول قتادة[٣].

وقال الحسن[٤]: فصلت بالثواب والعقاب، وهو معنى قول أبي العالية[٥]: بالوعد والوعيد.

قال أبو إسحاق[٦]: المعنى -والله أعلم-: إن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد وتثبيت نبوة الأنبياء وإقامة الشرائع.

وقوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، قال ابن عباس[٧]: من عند حكيم في خلقه، خبير بمن يصدق نبيه ويوحده، وبمن يكذب نبيه ويتخذ

---

(١) في (ي): (الطعام).

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨، «زاد المسير» ٤/ ٧٤، البغوي ٤/ ١٥٩.

(٣) الطبري ١١/ ١٨٠، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٥٩، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨.

(٤) الطبري ١١/ ١٧٩، الثعلبي ٧/ ٣٢أ، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٥، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٧٨، «زاد المسير» ٤/ ٧٤.

(٥) الثعلبي ٧/ ٣٢ب، القرطبي ٩/ ٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٧.

(٧) «تنوير المقباس» ١٣٨ بمعناه.

معه إلهًا.

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، قال الزجاج[١]: [المعنى أحكمت وفصلت لئلا تعبدوا إلا الله، وهو معنى قول الفراء[٢]، وقال الزجاج[٣]][٤]، ويجوز أن يكون المعنى: أمركم ألا تعبدوا إلا الله، وموضع (أن) نصب على كل حال[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم﴾، قال صاحب النظم[٦]: هذا مضاف إلى النبي ﷺ، ولو كان الخطاب عن الله تعالى لقال إنه لكم، والتأويل في النظم: قل لهم يا محمد ﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، فهذا كله من كلام النبي ﷺ مأمورًا به أن يقوله، وقد قيل: إن نظمه مثل نظم قوله: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم: ١] الآية .. وعلى تأويل][٧] ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ليقول للناس ويأمرهم ألا يعبدوا إلا الله.

٣- قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ الآية، (أن) هذه معطوفة على (أن) في قوله (أن لا تعبدوا)، وهي في محل النصب بإلقاء الخافض في

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) أي على القولين وأنها منصوبة.

(٦) هو: أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

قول الفراء[١] والزجاج[٢].

وقال الكسائي[٣] في قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾: التقدير فيه (بأن لا تعبدوا) و(بأن استغفروا)، وعلى هذا الجار يتعلق بالنكرة الموصوفة وهي قوله ﴿كِتَٰبٌ﴾ كأنه قيل كتاب بهذا، وما بعد قوله ﴿كِتَٰبٌ﴾ إلى قوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ من صفة النكرة، ويعود التأويل إلى ما قاله الفراء[٤]: كتاب فصلت آياته بأن لا تعبدوا، وبأن استغفروا ثم ألقى الخافض[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، قال أهل المعاني[٦]: إنما رتبت التوبة بعد الاستغفار؛ لأن المعنى اطلبوا المغفرة ثم توصلوا إلى مطلوبكم بالتوبة[٧]، فالمغفرة أول في الطلب وآخر في السبب، وقيل: المعنى استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة، ثم توبوا من المستأنفة متى وقعت منكم المعصية. وحكي عن الفراء[٨] أنه قال: ﴿ثُمَّ﴾ ههنا بمعنى الواو، ومعناه: وتوبوا إليه.

وقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، قال ابن عباس[٩]:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧٢.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٥) ما سبق موجود في الثعلبي ٧/ ٣٢ب بمعناه.

(٦) القرطبي ٩/ ٣ بنحوه، «فتح القدير» ٢/ ٦٩٥.

(٧) في (ي): (بالمغفرة فالتوبة).

(٨) البغوي ٦/ ١٥٩، «زاد المسير» ٤/ ٧٥، الثعلبي ٧/ ٣٢.

(٩) «زاد المسير» ٤/ ٧٥.

[في رواية عطاء][1]: يريد أن يتفضل عليكم بالرزق والسعة[2] حلالًا طيبًا إلى أجل الموت، قال مقاتل[3]: فأبوا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ[4] وابتلوا بالقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة، والقد[5]، والكلاب، والجيف.

وقال أبو إسحاق[6] في قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: أي يبقكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل أهل القرى الذين كفروا.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ قال قتادة[7]: يعني في

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
قال ابن حجر: «ومن طريق ابن جريج رضي الله عنه عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء -رضي الله عنه- هو الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما فيكون منقطعًا إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح. «العجاب في بيان الأسباب» / ٥أ. وانظر: «الدر» ٣/ ٥٧٨.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) القرطبي ٩/ ٤، «تفسير مقاتل» ١٤٣ب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٢١، ٤٨٢٢)، كتاب: تفسير سورة الدخان، باب: قوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، باب: قوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وأحمد ١/ ٣٨١ بلفظ: «إنما كان هذا؛ لأن قريشا لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهدوا حتى أكلوا العظام .. الحديث». وأخرجه البخاري بلفظ «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم السنة حتى حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجلود».

(٥) القد: الجلد. انظر: «تهذيب اللغة» (قدد) ٣/ ٢٨٩٥، «اللسان» (قدد) ٦/ ٣٥٤٣.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨. وانظر: «التهذيب» (متع) ٤/ ٣٤٥٩ .

(٧) الطبري ١٥/ ٢٣١، البغوي ٤/ ١٦٠، القرطبي ٩/ ٤، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٧.

الآخرة، والمعنى: يعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه، فسمى الجزاء باسم الابتداء[١] وأراد: ويؤت كل ذي فضل ثواب فضله أو جزاء فضله، فحذف المضاف، وهذا أقوى مما قال ابن عباس: يريد أن منازل الآخرة بعضها أفضل من بعض، كما أن صلاح الناس في الدنيا بعضهم أفضل من بعض، ونحو هذا قال أبو العالية[٢]: من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة؛ لأن الدرجات تكون بالأعمال.

وقال أبو إسحاق[٣]: أي من كان ذا فضل في دينه، فضله الله في الثواب، وفضله في المنزلة. وهذه الأقوال معناها واحد، والفضل معناه فضل الدين والصلاح وكثرة الطاعة.

وقال مجاهد[٤]: هو ما يحتسبه الإنسان من كلام يقوله بلسانه، أو عمل يعمله بيده أو رجله، أو ما تطوع به من ماله؛ وعلى هذا، الفضل يعني به: ما تبرع به الإنسان من عمل صالح ببدنه أو بماله.

وقوله تعالى: ﴿فَضْلَهُۥ﴾ أي ثواب ذلك الفضل وجزاؤه. وقال ابن عباس[٥]، وابن مسعود[٦]، والكلبي[٧]: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ كل من فضلت حسناته على سيئاته ﴿فَضْلَهُۥ﴾ يعني الجنة، وهي فضل الله، والكناية

---

(١) العبارة السابقة من كلام الثعلبي ٧/ ٣٣أ.
(٢) الثعلبي ٧/ ٣٣أ، البغوي ٤/ ١٦٠.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨.
(٤) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، القرطبي ٩/ ٤، ابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٧.
(٥) الثعلبي ٧/ ٣٣أ، البغوي ٤/ ١٦٠.
(٦) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، ابن عطية ٧/ ٢٣٦، ابن كثير ٢/ ٤٧٧.
(٧) «تنوير المقباس» ١٣٨.

في ﴿فَضْلَهُۥ﴾ على هذا تعود إلى الله تعالى ذكره. وهذا القول أحسن الأقوال وعليه المفسرون(١)، قال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الحسنة بعشر، والسيئة واحدة، فويل لمن غلبت آحادُه أعشارَه. وهذا ترغيب في عمل الخير.

وقوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ﴾، قال ابن عباس(٢): يريد عن الإسلام، ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ في الآخرة، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾، وهو يوم القيامة.

٥- قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الآية، قوله: ﴿يَثْنُونَ﴾ أصله من ثنيت الشيء إذا حنيته وعطفته وطويته، وانثوى(٣) صدره على البغضاء، أي انحنى وانطوى(٤).

وروي عن ابن عباس(٥): [أنه قرأ ﴿تثنوني صدورهم﴾: وكل شيء عطفته فقد ثنيته.

---

(١) الطبري ١١/ ١٨٢، الثعلبي ٧/ ٣٣أ، القرطبي ٩/ ٤.
والقول الآخر هو: أن الكناية في ﴿فَضْلَهُۥ﴾ تعود على العبد، والمعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعاته ثواب ذلك الفضل الذي زاده». «زاد المسير» ٤/ ٧٥، ابن عطية ٧/ ٢٣٦.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨ بمعناه، «زاد المسير» ٤/ ٧٦.

(٣) في (ي): (أثوى)، وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٥٠٤: (انثوني صدره ..).

(٤) ما سبق من «تهذيب اللغة» ١/ ٥٠٤، وانظر: «اللسان» ١/ ٥١١-٥١٢.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣، «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٣٩، «الطبري» ١١/ ١٨٥. ونسب ابن عطية هذه القراءة أيضًا إلى مجاهد، وابن يعمر، وابن بزي، ونصر بن عاصم، والجحدري، وابن إسحاق، وأبي رزين، وعلي بن الحسين، وأبي جعفر محمد بن علي، ويزيد بن علي، وجعفر بن محمد، والأسود، والضحاك». ابن عطية ٧/ ٢٣٩، البحر المحيط ٥/ ٢٠٢.

قال ابن عباس][1] في رواية الكلبي: نزلت في الأخنس[2] بن شريق؛ وكان رجلا حلو المنطق، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب، وينطوي له[3] على ما يكره، ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، واختار الفراء[4] هذا القول وقال: «نزلت في بعض من كان يلقى النبي ﷺ بما يحب، وينطوي له على العداوة والبغض، فذلك الثني وهو الإخفاء، وبنحو من هذا قال الزجاج[5]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) الثعلبي ٧/ ٣٣ أ، «أسباب النزول» للواحدي ص٢٧١، «زاد المسير» ٤/ ٧٦، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٢.

والقول بأنها نزلت في الأخنس بن شريق فيه نظر من وجوه:

أولًا: عدم ثبوت الرواية بذلك.

ثانيًا: قد صحت الرواية في سبب نزول الآية غير هذا، وهو ما أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: أناس كانوا يستحون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

ثالثًا: أن الآية مكية، والنفاق ظهر في المدينة فكيف تكون الآية نازلة في المنافقين؟!

رابعًا: أن الأخنس في عداد الصحابة كما ذكر ابن حجر في «الإصابة» ١/ ٢٥ قال: «أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، ثم شهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر .. وذكر الذهلي في الزهريات بسند صحيح عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس اجتمعوا ليلًا يسمعون القرآن سرًا فذكر القصة: وفيها أن الأخنس أتى أبا سفيان فقال: ما تقول؟ قال: أعرف وأنكر، قال أبو سفيان: فما تقول أنت؟ قال: أراه الحق» وقد عدّه في الصحابة: ابن شاهين، وابن فتحون عن الطبري ا.هـ.

انظر: «روح المعاني» للآلوسي ١١/ ٢١١، «أضواء البيان» ٣/ ١٢.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٣٨. وانظر: «تهذيب اللغة» (غشى) ٣/ ٢٩٦٩ .

فقال: قيل إن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عداوة محمد، كيف يعلم بنا، فأنبأ الله ﷻ عما كتموه، ومعنى: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أي: يعطفونها ويطوونها على عداوة محمد ﷺ، وفي الآية محذوف تقديره: يثنون صدورهم على عداوته أو على بغضه؛ لأنَّ ثَنْي الصدر عطفُه على ما أضمره.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾، أي ليتواروا عنه ويكتموا عداوته؛ لئلا يظهروا[1] بعداوته، والهاء تعود على محمد ﷺ.

وقال الحسن[2] ومجاهد[3]: يعني من الله، وهذا جهل منهم بالله ﷻ، فقال الله تعالى: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال قتادة[4]: وذلك أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى صدره واستغشى ثوبه وأضمر ما كنه في نفسه.

وقال ابن الأنباري[5]: أعلم الله أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهراتهم، فإن الذي يسترونه ويغيبونه ظاهر عند الله غير غائب عنه، وفي الآية قولان آخران[6]:

---

(١) في (ب): يظهر.

(٢) الطبري ١١/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠.

(٣) الطبري ١١/ ١٨٤، والثعلبي ٧/ ٣٣ ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٩، والبغوي ٤/ ١٦١، وابن عطية ٧/ ٢٤١.

(٤) الطبري ١١/ ١٨٤، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠، والثعلبي ٧/ ٣٣ ب، و«زاد المسير» ٤/ ٧٨، والقرطبي ٩/ ٦، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠١.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٧٨. «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٣.

(٦) ساقط من (ي).

أحدهما: أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم لرسول الله ﷺ [وبعدهم عن الحق إذا سمعوا رسول الله ﷺ][1] يقرأ القرآن حنوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن[2]، فنعى الله عليهم هذا القبيح من فعلهم، وأعلم أنه يعرف معتقداتهم، ولا يخفى عليه مخبآتهم، ومن كان علمه بهم هذا العلم كان حقيقًا أن تتقى سطواته، وهذا معنى قول مقاتل[3] وقتادة: كانوا ينكسون رؤوسهم على صدورهم كراهية لاستماع القرآن.

وقال قتادة[4]: يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ﷻ ولا ذكره.

قال ابن الأنباري: فالهاء في هذا القول عائدة على رسول الله ﷺ، وعلى القول الأول احتمل أمرين.

القول الثاني -وهو قول عبد الله بن شداد[5]- قال: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرَّ برسول الله ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه، وغطى وجهه لئلا يراه النبي ﷺ[6]، وهذا القول هو الأليق بظاهر اللفظ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) من كلام ابن الأنباري. انظر: «زاد المسير» ٤/ ٧٧، «البحر» ٥/ ٢٠٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٣ب.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٧٧، والطبري ١٥/ ٢٣٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٠، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠.

(٥) هو: عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي أبو الوليد المدني، ولد على عهد النبي ﷺ، وذكره العجلي من كبار التابعين الثقات، وكان معدودًا في الفقهاء، قتل سنة ٨١، وقيل ٨٣هـ. انظر: «التقريب» ص٣٠٧ (٣٣٨٢)، «الكاشف» ١/ ٥٦١.

(٦) الطبري ١١/ ١٨٣، وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٩٩، =

ولا يحتاج معه إلى إضمار[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد بما[٣] في النفوس: يعني من الخير والشر. قال أبو بكر: معناه بحقيقة ما في القلوب من المضمرات؛ فتأنيث ﴿بذات﴾ لهذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قال القرظي[٤] يعني[٥]: ما من حيوان يدب، وأدخلت الهاء في الدابة؛ لأنه أريد به الجماعة التي تدب.

وقال أبو إسحاق[٦]: الدابة اسم لكل حيوان مميز وغيره، وعلى هذا، الدابة: اسم من الدبيب، بني على هاء التأنيث وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكر[٧] كان أو أنثى.

= وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٧٩، والبغوي ٤/ ١٦١، و«زاد المسير» ٤/ ٧٦، والقرطبي ٩/ ٥.

(١) قلت: بل الراجح بخلاف ذلك، فإن الهاء في (منه) تعود على اسم (الله) ولم يرد ذكر النبي ﷺ، ولذا أخبرهم جل وعلا أن استخفاءهم عن الله جهلٌ منهم فقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾. وقد رجح هذا القول الطبري ١١/ ١٨٥، وابن عطية ٧/ ٢٤١ قال: «هذا هو الأفصح الأجزل في المعنى» وابن كثير ٢/ ٤٧٨.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨.

(٣) بياض في (ب).

(٤) هذا القول ذكره البغوي ٤/ ١٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٨.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٥٠ عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ النور، ٤٥.

(٧) كذا في النسخ، والصحيح (ذكرًا) بالنصب.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، قال المفسرون[١]: فضلا لا وجوبا، والله تعالى تكفل بذلك بفضله، وذهب بعض أهل المعاني إلى أن ﴿عَلَى﴾ ههنا بمعنى (من) كقول الشاعر[٢]:

إذا رضيت علَيَّ بنو قشير

أي: مني، ويدل على صحة هذه قول مجاهد[٣]: ما جاءها من رزق فمن الله، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعًا.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ أي: حيث تؤوي إليها، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت، وهو قول ابن عباس[٤] والربيع[٥] واختيار الفراء[٦] والزجاج[٧] وابن الأنباري.

قال الفراء: ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تأوي ليلًا أو نهارًا، ومستودعها

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٣٣، البغوي ٤/ ١٦١، «زاد المسير» ٤/ ٧٨، القرطبي ٩/ ٦.

(٢) هو: قحيف العقيلي، وعجزه:

لعمر الله أعجبني رضاها

وهو في «النوادر» ص٤٨١، «الكامل» ٢/ ١٩٠، «الخصائص» ٢/ ٣١١، ٣٨٩، «الهمع» ٤/ ١٧٦، «اللسان» ٣/ ١٦٦٣ (رضى)، «الخزانة» ١٠/ ١٣٢.

(٣) الطبري ١٢/ ١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠١، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٠. الثعلبي ٧/ ٣٣ب، البغوي ٤/ ١٦١-١٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧٨، القرطبي ٩/ ٦.

(٤) الطبري ١٢/ ٢، عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠١، ٢٠٠٣، ابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨١، البغوي ٤/ ١٦٢، الثعلبي ٧/ ٣٤ أ في الهامش، القرطبي ٩/ ٨.

(٥) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، القرطبي ٩/ ٨، الطبري ١٢/ ٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٣.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٩.

موضعها الذي تموت فيه أو تدفن، ونحو هذا قال الزجاج وأبو بكر، ومضى استقصاء تفسير المستقر والمستودع في سورة الأنعام(١).

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، قال ابن عباس(٢) والمفسرون(٣): اللوح المحفوظ.

قال الزجاج(٤): والمعنى أن ذلك ثابت في علم الله ﷻ ومثله قوله(٥): ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢] وذكرنا قبل هذا فائدة إثبات ذلك في قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٦).

٧- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مضى تفسير هذا القدر من الآية في سورة «الأعراف» [٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ يعني قبل أن يخلق السماء والأرض، قال كعب(٧): خلق الله ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبة

---

(١) خلاصة ما ذكره في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أن المستقر في الرحم والمستودع في أصلاب الرجال.

(٢) «تنوير المقباس» ١٣٨.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، البغوي ٤/ ١٦٢، «زاد المسير» ٤/ ٧٩، «تفسير مقاتل» ١٤٤أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٩.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) الأنعام: ٥٩. وقد نقل هنالك عن ابن الأنباري قوله: «وفائدة كتب الله ذلك في اللوح المحفوظ مع علمه، وأنه لا يفوته شيء، هو أنه ﷻ كتب هذه الأشياء وأحصاها قبل أن تكون؛ لتقف الملائكة على نفاذ علمه، وأنه لا يغيب عنه مما في السموات والأرض شيء، فيكون في ذلك عبرة للملائكة الموكلين باللوح؛ لأنهم يقابلون به ما يحدث من الأمور فيجدونه موافقًا له».

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٤أ، البغوي ٤/ ١٦٢، القرطبي ٩/ ٨. قلت: هذا من الإسرائيليات، ويؤيدها ما روى الطبري ١٢/ ٥، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٥ من طريق سعيد بن =

فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء.

وقال أهل المعاني: وفي وقوف العرش على الماء، والماء غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الأفكار.

قال أبو إسحاق[1]: وهذا يدل على أن العرش والماء كانا قبل السموات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال ابن عباس[2]: أيكم أعمل بطاعة الله. قال أبو بكر: معناه: ليختبركم فيعلم وقوع الفعل منكم، الذي به تستحقون الثواب أو العقاب؛ وذلك أن الله تعالى لا يثيب ولا يعاقب بالسابق في علمه، لكنه يجازي بأفعال الفاعلين بعد وقوعها، فقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ وهو يعني [ليعلم][3] إحسان المحسن وإساءة المسيء بعد وقوعها، وهذا معنى قول أبي إسحاق[4].

وقال آخر من أهل المعاني: ليعاملكم معاملة المختبر المبتلي مظاهرة في العدل؛ لئلا يتوهم أنه مجازي العباد بحسب ما في المعلوم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

= جبير قال: سئل ابن عباس عن قول الله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾. قال: على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح. قال أحمد شاكر: رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤١، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠ .

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٧٩، الثعلبي ٧/ ٣٤أ، القرطبي ٩/ ٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

قال أبو بكر: واللام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلقة بالفعل الأول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعني لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياتها، فيثيب المطيع المعتبر بما يرى ويشاهد، ويعاقب أهل العناد للحق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ﴾ إلى آخر الآية، قال أبو إسحاق[١]: أعلمهم الله ﷻ أن القدرة على خلق [السموات والأرض][٢] تدل على بعث الموتى، ومعنى هذا ما ذكره أبو بكر؛ وهو أنه قال: إنما ذكر الله تعالى جحد أهل الكفر البعث بعد خلق السموات والأرض للابتلاء؛ لأن الكفار كانوا معترفين بابتداء خلق الله الأشياء وأنكروا البعث، فعجب من أنهم يجحدون من البعث ما ابتداء[٣] الخلق أعظم منه، فمن اعترف بالعظيم لزمه أن لا يجحد ما يصغر شأنه في جنب ما قد صدقه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، وليس هذا القول الذي ذكره الله ﷻ يوجب أن ينسب إلى السحر؛ لأن هذا خبر وليس بفعل ناقض للعادة، وقال أبو إسحاق[٤]: السحر باطل عندهم، وكأنهم قالوا إن هذا إلا باطل بيّن، يعني هذا القول الذي يقول لنا: أنا نبعث بعد الموت. وقال صاحب النظم: معنى السحر ههنا الخداع، ومن هذا قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[٥] أي مخدوعًا؛ لأن به سحرًا قد عمل به.

٨- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ الآية، اللام في

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

(٢) في (ج): (الأشياء).

(٣) هكذا في (ب)، وفي (ي): يجحدون من البعث من ما ابتداء الخلق أعظم منه. اهـ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.

(٥) الإسراء: ٤٧، الفرقان: ٨.

﴿وَلَئِنْ﴾ لام القسم، وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى أجل وحين معلوم، قاله ابن عباس(١)، ومجاهد(٢)، وأهل التفسير(٣).

قال ابن الأنباري(٤): والأمة ههنا: المدة من أوقات الزمان. وفي قوله تعالى: ﴿مَّعْدُودَةٍ﴾ [إشارة إلى القلة أو إلى العلم بتلك المدة؛ لأن الله تعالى قضى في سابق علمه لعذابهم وقتًا مؤقتًا وأمة معدودة](٥). وذكرنا ما قيل في الأمة عند قوله ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾(٦).

وقوله تعالى: ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي: ما يحبس العذاب عنا؛ تكذيبًا واستهزاءًا وإنكارًا لوقوعه.

فقال الله ﷻ: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قال ابن عباس(٧):

---

(١) الطبري ١٢/٧، عبد الرزاق ٢/٣٠٢، ابن أبي حاتم ٦/٢٠٠٧.

(٢) الطبري ١٢/٦، ابن أبي حاتم ٦/٢٠٠٧.

(٣) الطبري ١٢/٦، الثعلبي ٧/٣٤ب، البغوي ٤/١٦٣، القرطبي ٩/٩، «زاد المسير» ٤/٨٠.
وقد روي هذا القول عن قتادة والضحاك وغيرهما كما في: الطبري ١٢/٦.

(٤) «الزاهر» ١/١٥٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) البقرة: ١٢٨. وقال هناك: وقال الضحاك: «الأمة في اللغة تكون على وجوه: الأمة: الجماعة من كل شيء، من ذلك أمة محمد ﷺ، ويقال: فلان أمة وحده، أي يسد مسد جماعة، ويقال: فلان حسن الأمة، إذا مدح بالتمام واستجماع الخلق على الاستواء، ومنه قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾، بعد حين من الدهر وذلك لجماعة الشهور والأعوام ..».

(٧) القرطبي ٩/١٠، وغيره، وراجع هذا القول في تفسير سورة الحجر: ٩٥، «البحر المحيط» ٥/٢٠٥.

وهو قتل جبريل المستهزئين، وقتل المؤمنين[١] المشركين يوم بدر. قال أبو بكر[٢]: يريد: إذا أخذتهم سيوف محمد ﷺ وأصحابه [لم تغمد عنهم][٣] حتى يباد أهل الكفر وتعلوا كلمة الإخلاص، قال أبو إسحاق[٤]: ﴿يَوۡمَ﴾ منصوب بمصروف، والمعنى: ليس العذاب مصروفًا عنهم يوم يأتيهم.

قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، قال ابن عباس[٥]: حلّ بهم، وقال مقاتل[٦]: دار بهم، وقال يمان[٧]: أحاط بهم، وقال الأخفش[٨]: نزل، [وقال الزجاج[٩]: أحاط بهم العذاب الذي هو جزاء ما كسبوا، وكانوا به يستهزءون، فقوله: ﴿مَّا﴾ المضاف إليه محذوف أي: جزاء ما كانوا به يستهزءون][١٠] وهو العذاب؛ لأنهم كانوا يستهزءون وينكرون وقوع العذاب بهم.

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾، قال

---

(١) في (ي): (المستهزئين).
(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨٠.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٠.
(٥) ابن عطية ٧/ ٢٤٦-٢٤٧.
(٦) «تفسير مقاتل» ٤٤ أ.
(٧) ابن عطية ٧/ ٢٤٧، القرطبي ٩/ ١١١، «معاني القرآن للنحاس» ٣/ ٣٣٣.
(٨) البغوي ٤/ ١٦٣، «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١٠، «مجاز القرآن» ١/ ٢٨٥، الطبري ١٢/ ٧، «هو سعيد بن مسعدة مولى بني مجاشع يلقب بالراوية، أحذق أصحاب سيبويه توفي سنة ٢١٥هـ. انظر: «تاريخ العلماء النحويين» ص٨٥، الأعلام ٣/ ١٠٢.
(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٠٨ (حاق).
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

المفسرون[1]: يعني بهذا الوصف المذكور في هذه الآية والتي بعدها: الكافرين.

وقال الزجاج[2]: الرحمة ههنا: الرزق، والإنسان اسم الجنس في معنى الناس، قال ابن عباس[3]: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال غيره[4]: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي.

وقوله تعالى: ﴿لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾، قال ابن عباس[5]: يريد يؤوسٌ[6] من رحمته كافر بالنعمة.

وقال أهل المعاني: الآية صفة ذم؛ لأنه للجهل بسعة رحمة الله التي توجب قوة الأمل يستشعر اليأس[7]، وبيان عما يوجبه الخلق السوء من القنوط من الرحمة عند نزول الشدة.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾، قال ابن عباس[8]: يريد صحة وسعة في الرزق بعد مرض وفقر، وقال أهل المعاني: النعماء: إنعام يظهر أثره على صاحبه، والضراء مضرة تظهر الحال بها؛ لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة من نحو (حمراء)

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٠ نسبة إلى ابن عباس. القرطبي ٩/ ١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٣٤، البغوي ٤/ ١٦٣، وضعف هذا القول ابن عطية ٧/ ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٦، والقرطبي ٩/ ١٠.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١٠.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٧ عن ابن جريج بنحوه. البغوي ٤/ ١٦٣، الثعلبي ٧/ ٣٤ب.

(٦) في (ب): (مؤنس).

(٧) في (ب): (الناس).

(٨) «زاد المسير» ٤/ ٨٠، القرطبي ٩/ ١١، الطبري ١٢/ ٨ بمعناه.

و(عوراء)، وهذا فرق بين النعمة والنعماء.

وقوله تعالى: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾، يريد: الضُّرَّ والفقر، ومعنى السيئات: الخصال التي تسوء صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يريد يفاخر أوليائي بما وسعت عليه، وهذا بيان عما يوجبه بطر النعمة من تناسي حال الشدة، وترك الاعتراف بنعمة الله وحمده على ما صرف عنه من الضرّ مع المرح والتكبُّر على عباد الله.

١١- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ يعني[(٢)] أصحاب النبي ﷺ، والمؤمنين، مدحهم بالصبر على الشدة والمكاره، وهذا استثناء منقطع، وليس من الأول، ومعناه: لكن الذين صبروا، وهذا قول الأخفش[(٣)]، والزجاج[(٤)]، وابن الأنباري .

وقال الفراء[(٥)]: هو استثناء متصل من قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾؛ لأنه[(٦)] في تأويل جمع كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢، ٣] .

قال أبو بكر: هذا ضعيف؛ لأنه يوجب أن تحت «الإنسان» مؤمنين وكافرين، وقد بين الله اختصاص الكفر معه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨١.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨١. ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٠٨ عن زيد بن أسلم.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٥٧٥.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.
(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٤.
(٦) في (ي): (الآية).

﴿كَفُورٌ﴾، فإن ذهب ذاهب إلى أن المراد به كفر النعمة كان اتصال الاستثناء محتملا على ضعفه، وأهل العلم بالقرآن على الأول.

وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي: في الشدة والنعمة.

١٢- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ الآية، قال أهل التفسير[1]: قال المشركون للنبي ﷺ: ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك. وقال له بعضهم: هلا ينزل عليك ملك يشهد لك بالصدق، أو تعطى كنزًا تستغني به أنت وأتباعك، قال مقاتل[2]: فَهَمَّ رسول الله ﷺ أن يدع سب آلهتهم، فأنزل الله هذه الآية.

ومعنى قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ أي أنه لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم، تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك.

قال ابن الأنباري: وقد علم الله تعالى أن النبي ﷺ لا يترك شيئًا مما يوحى إليه إشفاقًا من موجدة أحد أو غضبه، ولكنه أكد عليه في متابعة الإبلاغ، كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، وقال ابن عباس: هذا أدب من الله لنبيه ﷺ، وتحريض على طاعته، والله من وراء ذلك له في العصمة.

قوله تعالى: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾، الضائق بمعنى الضيق، والفرق

---

(١) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، البغوي ٤/ ١٦٤، «زاد المسير» ٤/ ٨٢، الرازي ١٧/ ١٩٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٧.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٤أ بمعناه، «زاد المسير» ٤/ ٨٢، البغوي ٤/ ١٦٤، القرطبي ٩/ ١٢، ورد على هذا القول ابن عطية ٧/ ٢٤٩ قال: «فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه ولا ضاق صدره، وإنما ذكر ذلك للرد على أقوالهم».

بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض خلاف اللازم وضائق ههنا أحسن من وجهين:

أحدهما: أنه عارض.

والآخر: أنه أشكل بـ (تارك).

وقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُواْ﴾، قال الفراء[١]: تقديره: مخافة أن يقولوا.

وقال الزجاج[٢]: كراهة أن يقولوا.

وقال غيرهما[٣]: التقدير (بأن يقولوا) أو (لأن يقولوا)، والمعنى: لعلك تارك بعض ما يوحى إليك مخافة [هذا القول منهم، أو كراهة هذا القول، أو تارك إياه لهذا القول منهم[٤]، على ما ذكرنا من التقديرات، ومحل (أن) نصب؛ لأن الخافض ألقي فوصل الفعل، و(أن) من صلة قوله ﴿تَارِكُۢ﴾؛ لأن هذا القول منهم هو الحامل على أن يترك بعض ما يوحى إليه][٥]، والتأويل: قولهم (لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) باعثك على أن تترك بعض ما يوحى إليك، والكناية في قوله ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ تعود إلى (ما)[٦] ﴿بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾[٧]، وإنما يضيق صدرك؛ لأنه يخاف الله في كتمانه وترك إظهاره، ويخاف لائمتهم في الإظهار فيضيق صدره.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ.

(٤) هنا زيادة: (أو لهذا القول منهم).

(٥) ما بين المعقوفين مكرر في (ي).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) هكذا في جميع النسخ والأولى أن يقول: في قوله تعالى: ﴿بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقال ابن الأنباري: التأويل وضائق بإظهاره صدرك. قال: ويجوز أن تكون ﴿أَن﴾ في موضع خفض بالرد على الهاء في به، يراد: وضائق صدرك بأن يقولوا لولا أنزل عليه[1] كنز.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾، قال الزجاج[2]: أي إنما عليك أن تنذرهم وتأتيهم من الآيات بما يوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم في الاقتراح، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾، أي حافظ لكل شيء، وذكرنا بيان هذا عند قوله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[3] في آخر سورة يونس[4].

١٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعني مثل القرآن في البلاغة؛ وذلك أن القرآن من البلاغة في أعلاها، وأعلى البلاغة معجز.

وقوله تعالى ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ أي: بزعمكم، أي إن أصبتم في تكذيب القرآن وقولكم فيه إنه مُفترى، يوجب عليكم أن تأتوا بالمعارضة، كما ادعيتم على النبي ﷺ، فقوله ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ للمقابلة لا لتحقيق وصف القرآن بأنه مفترى[5] ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي إلى المعاونة على

---

(١) في (ي): (عليه).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤١.

(٣) في الأصل: (عند قوله ..﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾) وهو خطأ.

(٤) قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس: ١٠٨: «أي: في منعكم من اعتقاد الباطل، فانظروا لأنفسكم نظر من يطالب بعمله، من غير أن يطالب غيره بحفظه، كأنه قيل: بحفيظ من الهلاك، كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك».

(٥) وهذا كثير في أسلوب القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ =

المعارضة، وهذا أتمّ ما يكون من التحدي[(١)] في المحاجة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم افتراه. وتفسير مثل هذه الآية قد سبق في سورة يونس عند قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [يعني المشركين، لم يستجيبوا لكم][(٢)] إلى المعارضة، والخطاب في قوله ﴿لَكُمْ﴾[(٣)] للنبي ﷺ [وأصحابه في قول مجاهد[(٤)]؛ لأنه قال: عنى به أصحاب محمد ﷺ.

قال الفراء[(٥)]: هذا كقوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، [يونس:٨٣] يريد أن خطاب النبي ﷺ في الآية الأولى كخطاب أصحاب النبي ﷺ][(٦)]، فكأنه قال: قولوا: فأتوا بعشر سور، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

قال ابن الأنباري[(٧)]: العرب قد تذكر الاسم موحدًا ثم ترجع إلى قوم الاسم وأهله وأصحابه فيجمعون، من ذلك قول الشاعر[(٨)]:

دالت علينا[(٩)] يمينًا لا تكلمنا من غير[(١٠)] بأس ولا من ريبة حلفوا

= مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ النحل: ٢٦، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الشوري: ٤٠.

(١) ساقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) الطبري ١٢/ ١٠، الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٣.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٥.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «زاد المسير» ٤/ ٨٣، القرطبي ٩/ ١٣، الثعلبي ٧/ ٣٥أ، البغوي ٤/ ١٦٥ .

(٨) لم أقف عليه، وهو من بحر البسيط.

(٩) في (ب): (عليها).

(١٠) في (أ، ب، ج): بزيادة (ما) وبها ينكسر البيت.

فجعل دالت لواحدة مؤنثة ثم رجع إليها وإلى قومها فجمع

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾، قال ابن الأنباري: هذا خطاب لأهل الكفر بإضمار قول قبله، يراد به: فقولوا لهم: اعلموا أنما أنزل بعلم الله، أي أنزل والله ﷻ عالم بإنزاله، وعالم أنه حق من عنده، ويجوز أن يكون معنى (بعلم الله) أي بما أنبأ الله به من غيب ودلَّ[1] على ما سيكون وما سلف مما لم[2] يقرأ به النبي ﷺ كتابًا، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق[3].

وقال أبو بكر: اعلموا أنما أنزل بعلم الله الذي لكم فيه النفع والشفاء والرشد من أمره ونهيه ووعده ووعيده، وغير ذلك من تعليمه وتشديده، هذا الذي ذكرنا من أن قوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ وأصحابه، مذهب المفسرين وأصحاب المعاني[4] وقال بعضهم[5]: الخطاب فيه للمشركين؛ أي فإن لم يستجيبوا[6] لكم من تدعونهم إلى المعاونة ولا تهيأ لكم المعارضة، فقد قامت عليه الحجة ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهام[7] معناه الأمر، وقد

---

(١) ساقط من (ب). (٢) ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٢.

(٤) الثعلبي ٧/ ٣٥ أ، البغوي ٤/ ١٦٥، ابن عطية ٧/ ٢٥٢، «زاد المسير» ٤/ ٨٣، القرطبي ٩/ ١٣، ابن كثير ٢/ ٤٨١.

(٥) رجحه الطبري ١٢/ ١٠، واستبعد الأول، ابن عطية ٧/ ٢٥٢، القرطبي ٩/ ١٣، ورجحه الرازي ١٧/ ١٩٦، أبو حيان في «البحر» ٥/ ٢٠٩.

(٦) في (ب): (يستجيب).

(٧) ساقط من (ب).

ذكرنا ما فيه[١] عند قوله في تحريم الخمر: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[٢]، والآية بيان عما يوجبه ترك المعارضة -مع التحدي بها، وتوفر الدواعي إليها- من ظهور المعجز المؤدي إلى العلم بصحة الأمر فيه.

١٥- قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾، المعنى: من يريد الحياة الدنيا، و(كان) في تقدير الزيادة، ولذلك جزم جوابه، وهو قوله: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾، هذا معنى قول الفراء[٣]؛ لأن المعنى فيما بعد ﴿كَانَ﴾[٤]؛ فكأن ﴿كَانَ﴾ تبطل في المعنى، وحكى الزجاج[٥] عن المبرد أن معنى ﴿كَانَ﴾ و(تكون) العبارة عن الأحوال فيما مضى وفيما يستقبل، و﴿كَانَ﴾ تستعمل فيهما جميعًا، فعلى هذا معنى ﴿كَانَ﴾ في الشرط والاستقبال؛ لأن الشرط لا يقع بالماضي، والمعنى: من يكن يريد الحياة الدنيا كقول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه

أي من يهبها، واختلفوا في نزول هذه الآية والتي بعدها، فقال ابن

---

(١) في (ب): قبله.

(٢) المائدة: ٩١. وقال هناك: «بين تحريم الخمر في قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ إذ كان معناه فانتهوا، قال الفراء: ردد عليّ أعرابي: هل أنت ساكت؟ هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت! اسكت!. وقال غيره: إنما جاز في صيغة الاستفهام أن تكون على معنى النهي؛ لأن الله تعالى ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها، وإذا ظهر قبح الفعل للمخاطب، ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك».

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٥.

(٤) في (ي): (قد كان).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٢. وانظر: «معاني الأخفش» ١/ ٤٥٥.

عباس[(١)] في رواية عطاء: من كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا[(٢)] بالعقاب، وهذا يدل على أن الآية نازلة في أهل الكفر.

وقال قتادة[(٣)]: من كانت الدنيا همه وسدمه[(٤)] ونيته وطلبته، جازاه الله في الدنيا بحسناته، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها، وأما المؤمن فيجازى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة، واختار قوم[(٥)] هذا الوجه في النزول، وقالوا: الآية في الكفار بدليل الآية التي بعدها، وقالوا: المؤمن يريد الدنيا والآخرة، وإرادته الآخرة غالبة على إرادته الدنيا، وعلى هذا معنى الآية أن من أتى من الكافرين فعلاً حسنا من إطعام جائع، وكسوة عار، ونصرة مظلوم من المسلمين عجل له ثواب ذلك في دنياه؛ بالزيادة في ماله، والتوسعة عليه في الرزق، وإقرار العين فيما خول، وهذا معنى قول سعيد بن جبير[(٦)]: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، قال: ثواب ما عملوا من خير أعطوا في الدنيا، وليس له في الآخرة إلا النار، فإذا جاء هذا الكافر في الآخرة رد منها على عاجل الحسرة؛ إذ لا حسنة لها هناك.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٤.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) الطبري ١٢/ ١٢، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٥، والثعلبي ٧/ ٣٥أ، وابن كثير ٢/ ٤٨١، ورواه الدارمي في المقدمة ١/ ٨١ عن الحسن.

(٤) السَّدَم - بفتحتين-: الولوع بالشيء واللهج به، وفي الحديث: «من كانت الدنيا همه وسدمه ..». لسان العرب (سدم) ٤/ ١٩٧٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٦٠.

(٥) البغوي ٤/ ١٦٥، «زاد المسير» ٤/ ٨٤، الرازي ١٧/ ١٩٨، الثعلبي ٧/ ٣٥ب.

(٦) الطبري ١٢/ ١١، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٤-٥٨٥، و«المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٤، و«زاد المسير» ٤/ ٨٤.

وقال ابن عباس[١] في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه أنها نزلت في أهل القبلة، وقال مجاهد[٢]: هم أهل الرياء.

وقال الضحاك[٣]: من عمل عملًا صالحًا من أهل الإيمان من غير تقوى، عجل له ثواب عمله في الدنيا، واختار الفراء[٤] هذا القول وقال: يقول[٥]: من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب [الدنيا عجل له][٦] ثوابه ولم يبخس أي لم ينقص في الدنيا، ويؤكد هذا ما يروى أن معاوية لما أخبر بحديث أبي هريرة[٧] عن النبي ﷺ في أهل الرياء من القراء وأصحاب الأموال والمقاتلين، إذا قيل لهم في الآخرة إنما فعلتم ليقال فلان قارئ، فلان سخي، وفلان جريء، فقد قيل ذلك، والحديث طويل، وفي آخره أن هؤلاء أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة، ولما أخبر معاوية بهذا بكى بكاء شديدًا، ثم قال: صدق الله ورسوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، وقرأ الآيتين.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٤.

(٢) الطبري ١٢/ ١٢، الثعلبي ٧/ ٣٥ب، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٣، البغوي ٤/ ١٦٥، «زاد المسير» ٤/ ٨٤، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٤.

(٣) الطبري ١٢/ ١٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١١.

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) كتاب: الزهد، باب الرياء والسمعة، وأخرجه مسلم (١٩٠٥) كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، «شرح النووي» بنحوه، والطبري ١٢/ ١٣، الثعلبي ٧/ ٣٥ ب.

قال ابن الأنباري: فعلى هذا القول، المعني [بهذا الوصف][1] قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم، غير متفكرين في الآخرة وما ينقلبون إليه، فهؤلاء يعجل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا، فإذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار، إذا لم يريدوا بها وجه الله، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره، فإن قيل: على هذا القول الآية الثانية توجب تخليد المؤمن في النار؛ لأنه قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾، قيل: من مات على الإيمان [لم يخلد في النار][2] وظاهر هذه الآية يدل على أن من راءا بعمله ولم يلتمس ثواب الآخرة، ونوى بعمله الدنيا، بطل إيمانه عند الموافاة؛ لأن قوله تعالى ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ شامل للإيمان وفروعه.

وقال ابن الأنباري: إن القوم لا يخلدون في النار، إذ كان عموم التوحيد معهم، وإنما يحرقون بالنار بالذنوب السابقة، ثم يخرجون منها إلى الجنة[3].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) مذهب أهل السنة والجماعة أن الموحد لا يخلد في النار وإن دخلها فإن مآله إلى الجنة، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: فإن قيل الآية تقتضي تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار، قيل: إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الدنيا وزينتها وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل، لم يبق معه ما ينجيه، فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها بل أراد به الله والدار الآخرة لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، ونجاه هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بعمله الذي به النجاة المطلقة، فالإيمان إيمانان: إيمان يمنع دخول النار وهو الإيمان الباعث على أن =

١٧- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، يعني بهذا النبي ﷺ في قول عامة المفسرين[(١)]، وأما البينة فقال ابن عباس[(٢)] في قوله ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: يريد على يقين، وقال الكلبي[(٣)]: البينة ههنا الدين، وقال مقاتل ابن سليمان[(٤)]: البينة البيان، وقيل[(٥)]: يعني بها القرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، أي ويتبعه، [والهاء تعود على (من)، (شاهد منه)؛ اختلفوا في هذا الشاهد][(٦)]؛ فقال ابن عباس[(٧)] في رواية الضحاك: الشاهد جبريل ﷺ، ونحو ذلك روى عكرمة[(٨)] عنه، وهذا قول علقمة[(٩)] وإبراهيم[(١٠)]، ومجاهد[(١١)]، وأبي صالح[(١٢)] وأبي

= تكون الأعمال لله وحده، وإيمان يمنع الخلود في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد. «تيسير العزيز الحميد» ص٥٣٦.

(١) الثعلبي ٧/ ٣٦ أ، الطبري ١٢/ ١٤-١٥، «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٦، «المحرر الوجيز» ٧/ ٢٥٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٢) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢١٨، «البحر» ٥/ ٢٠١ .

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٥، «تفسير مقاتل» ١٤٤ب.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٣ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، والطبري ١٢/ ١٦، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٧.

(٨) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤.

(٩) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب.

(١٠) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٥/ ٢٧٣.

(١١) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦.

(١٢) الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، الطبري ١٢/ ١٦.

العالية[١]، واختيار الفراء[٢]، والزجاج[٣]، وابن قتيبة[٤].

قال ابن قتيبة: والشاهد من الله للنبي ﷺ جبريل؛ يريد أنه يتبعه ويؤيده ويسدده ويشهده.

وقال ابن عباس[٥] في رواية عطاء ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يريد: لسان النبي ﷺ، وهو قول الحسن[٦]، وقتادة[٧]، ورواية محمد بن الحنفية[٨] عن علي رضي الله عنه قال: قلت لأبي أنت التالي، قال: وما تعني بالتالي؟ قلت: قوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، قال: وددت أني هو، ولكن لسان الرسول ﷺ، وعلى هذا المعنى قال الزجاج[٩]: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة، وعلى هذا الكناية في ﴿مَنْ﴾، تعود على ﴿مِّن﴾ وقيل: الشاهد هو: النبي ﷺ، وهو قول

---

(١) الثعلبي ٧/ ٣٦ب، الطبري ١٢/ ١٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٣) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

(٥) «تفسير عطاء» / ١٠٦، وانظر: «الدر المصون» ٦/ ٣٠٠.

(٦) الطبري ١٢/ ١٤، الثعلبي ٢/ ٣٧٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥، «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢١٨.

(٧) الطبري ١٢/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٣٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، البغوي ٤/ ١٦٧، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٨) الطبري ١٢/ ١٤، والثعلبي ٧/ ٣٦ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤، والطبراني في «الأوسط» ٧/ ٢٢٤ برقم (٦٨٢٤). قال الهيثمي: وفيه خليد بن دعيج وهو متروك «المجمع» ٧/ ٣٧، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٨٦، «زاد المسير» ٤/ ٨٥.

(٩) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣.

الحسين[١] بن علي رضي الله عنهما، وابن زيد[٢]، وعلى هذا أراد أن صورة النبي ﷺ ووجهه ومخائله كل ذلك يشهد له؛ لأن من نظر إليه بعقله علم أنه ليس بمجنون ولا كذاب ولا ساحر ولا كاهن، والكناية في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على ﴿مَنْ﴾ ويراد به: النبي ﷺ.

وحكى ابن الأنباري أن بعض أهل العلم ذهب إلى أن الشاهد ما يشهد بإعجاز القرآن العالمين وإفحامِهِ أهلَ البلاغة، فالشاهد ما يشهد بأن القرآن غير مقدور على مثله وهو معنى تحت ألفاظ القرآن، وهذا قول الحسين بن الفضل[٣]، قال: هو نظم القرآن وإعجازه، وعلى هذا الكناية في (منه) تعود إلى معنى البينة، ومعناها البيان والبرهان، أي ويتلوه شاهد من ذلك البيان وهو نظمه وإعجازه، قال ابن قتيبة[٤]: وهذا أعجب إليّ؛ لأنه يقول: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ يعني التوراة قبل القرآن تشهد له بما قدم الله فيها من ذكره، قال أبو بكر: وذهب آخرون إلى أن الشاهد الإنجيل، ومعنى ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ على هذا القول أي: ويتلو البينة التي معناها

---

(١) الطبري ١٢/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٦، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٤.

وقد خطأ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ١٥/ ٢٧١ النسبة إلى الحسين؛ لأن في «التاريخ الكبير» للبخاري ٢/ ٢/ ٣١، «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٢/ ١/ ١٥٣ عند ترجمة سليمان العلاف الراوي هنا عن الحسين قالا: (إنه بلغه عن الحسن) والله أعلم.

(٢) الطبري ١٢/ ١٥، القرطبي ٩/ ١٧، ذكره الثعلبي ٧/ ٣٦ ب، ولم يعزه.

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٦ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٦، البغوي ٤/ ١٦٧، القرطبي ٩/ ١٧.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

القرآن [في التصديق][1]، شاهد من الله وهو الإنجيل، قال الفراء[2]: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ يعني الإنجيل يتلو القرآن، وإن كان قد[3] أنزل قبله، يذهب إلى أن يتلوه بالتصديق، فعلى هذا جعله الإنجيل تاليا للقرآن في تصديق محمد ﷺ. وقال ابن الأنباري[4]: معنى يتلوه على هذا القول هو: أن الله تعالى ذكر محمدًا في الإنجيل وأمر بالإيمان به، فهو تال لمحمد ﷺ لهذا المعنى، وإن كان نزوله قبل مولده وزمانه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، أي ومن قبل القرآن، أو من قبل محمد ﷺ، أو من قبل الإنجيل، وارتفع ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذلك، أي تلاه في التصديق على ما ذكرنا في الإنجيل، قاله ابن الأنباري[5]، قال: ويجوز أن يكون رفعًا على أنه فاعل، أي ويتلوه كتاب موسى في التصديق.

وذكر أبو إسحاق[6] أيضًا هذا الوجه فقال: ويكون ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ عطفًا على قوله ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: وكان يتلوه ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأن النبي ﷺ بشر به موسى وعيسى في التوراة والإنجيل. قال: ويجوز أن يكون المعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلًا على أمر النبي ﷺ، قال: ونصب ﴿إِمَامًا﴾ على الحال لأن كتاب موسى معرفة.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٨٦.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٨٧

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٣/ ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وما اتصل به إلى قوله: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ يقتضي جوابًا بحرف التشبيه وضد معناه، كما قال في موضع آخر: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] وههنا ترك الجواب.

قال أبو إسحاق(١): والتقدير أفمن هذه حاله كان هو وغيره ممن ليس على(٢) بينة سواء، فترك ذكر المضاد له؛ لأن فيما بعده دليلًا عليه وهو قوله: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ [هود: ٢٤] الآية، ونحو هذا قال الفراء(٣) فقال: ربما تركت العرب(٤) جواب الشيء المعروف معناه، كما قال الشاعر(٥):

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعًا

ومثل هذا من التنزيل قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩] الآية. ولم يؤت له بجواب، اكتفاء بما بعده من قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ فالقانتون آناء الليل والنهار الذين يعلمون،

---

(١) «معاني القرآن» ٣/ ٤٣ بنحوه.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٦.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) هو امرؤ القيس يريد: لو شيء أتانا رسوله سواك دفعناه بدليل قوله: «ولكن لم نجد لك مدفعًا». وفي الديوان ٢٤٢ (أجدك لو شيء ..).
«الخزانة» ٤/ ٢٢٧، الطبري ١٢/ ١٨، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٨٤٥ (وحد)، «معاني القرآن» ٢/ ٧، «شرح المفصل» ٩/ ٧، ٩٤، كتاب «الصناعتين»/ ١٨٢، «اللسان» (وحد) ٨/ ٤٧٨٣.

[وأضدادهم الذين لا يعلمون][١]، فاكتفى من الجواب بما تأخر من القول إذ كان فيه دليل عليه.

وقال ابن قتيبة[٢]: هذا كلام مردود على ما قبله، محذوف منه الجواب للاختصار، وذلك أن الله تعالى ذكر قبل هذا الكلام قومًا ركنوا إلى الدنيا، ورضوا بها عوضًا من الآخرة فقال[٣]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: ١٥] الآية. ثم قايس بين هؤلاء وبين النبي ﷺ، وصحابته فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧] كهذا الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها، فاكتفى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه، وفي ذكر النبي ﷺ ذكر لأصحابه ولمن آمن واتبعه، ألا ترى أنه قال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، قال ابن عباس[٤] في رواية عطاء: يريد الذين صدقوا النبي ﷺ من أهل الكتاب، فمن قال بهذا القول قال: يعني أصحاب موسى وعيسى من كان منهم على الطريقة المثلى، واستقام على المنهاج، آمن بمحمد ﷺ.

وقال عبد الله بن مسلم[٥]: يعني أصحاب محمد ﷺ.

قال ابن الأنباري[٦] قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى أهل الحق والمتمسكين بالصواب من أمم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وذلك أنه عز وعلا لما وصف محمدًا بما فضله به؛ من تمسكه بالهدى،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٨، وفيه اختلاف يسير.

(٣) ساقط من (ج).

(٤) «تنوير المقباس» / ١٣٩، الثعلبي ٧/ ٣٧ب.

(٥) هو ابن قتيبة، ذكره في «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢٠٩.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٨٨.

وشهادة التوراة والإنجيل بصدقه، أشار إلى المؤمنين به، المتمسكين بما يوجد في التوراة والإنجيل والقرآن من صدقه ووضوح أمره، فكانت الإشارة إلى القوم الذين دلَّ ما تقدم على ذكرهم، والكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يريد الذين كذبوا الأنبياء. والأحزاب: الفرق الذين كذبوا الأنبياء، سموا أحزابًا لأنهم تحزبوا على مخالفة أنبيائهم أي اجتمعوا.

وقال الفراء[(٢)]: من الأحزاب أي من أصناف الكفار، فيدخل فيهم اليهود، والنصارى، والمجوس.

وقال قتادة[(٣)]: هم اليهود والنصارى؛ يدلّ على صحة هذا ما روى سعيد بن جبير عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار**»[(٤)]، قال أبو موسى: فقلت في

---

(١) روي من طرق عن سعيد بن جبير. انظر: «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٠٣، الطبري ١٢/ ١٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٢٠، و«زاد المسير» ٤/ ٨٨، وأخرجه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٨٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٦، وأخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٦١، ٢٦٢، وقال: رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، والبزار أيضًا باختصار. وأخرجه النسائي في «التفسير» ١/ ٥٨٥. وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٤٢ من حديث ابن عباس مرفوعًا وصححه ووافقه الذهبي. وأخرجه مسلم (١٥٣) كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته من حديث أبي هريرة، والطبري ١٢/ ١٩ من طرق.

نفسي: إن النبي ﷺ لا يقول مثل هذا إلا عن[1] القرآن، فوجدت الله يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾. قال صاحب النظم: لما قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ دل ذلك على أن من يؤمن به فهو في الجنة؛ لأنه إذا أوجد الشيء بصفة وجب أن يوجد بضد تلك الصفة ضد ذلك الشيء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، قال مقاتل بن سليمان[2]: الهاءان تعودان على القرآن، والمعنى فلا تك في مرية من القرآن إنه من الله، إن القرآن هو الحق من ربك [لا كما يقول المشركون من أنك تأتي به من قبل نفسك، قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[3]: فلا تك في مرية من أن موعد الكافر النار، إن ذلك هو الحق من ربك][4].

قال أبو بكر: فمن بنى على هذا التأويل أعاد الهاءين على التعذيب؛ لأن قوله ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ معناه: فهو معذب، فرجعت الهاء على معنى الكلام، وكان تلخيصها (فلا تك في مرية من تعذيبه؛ إن تعذيبه الحق من ربك)، ولا يستنكر رجوع الهاء على حرف غير مذكور إذا كان المذكور يدلّ عليه. وقال ابن قتيبة[5]: الخطاب في قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ للنبي ﷺ والمراد به غيره.

---

(١) في (ب): (علي).

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٤ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٨٩، «تنوير المقباس» ١٣٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ٣٩٦.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أهل مكة[١].

١٨- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ معناه لا أحد أظلم منه، إلا أنه خرج مخرج الاستفهام، مبالغة في أنه أظلم لنفسه من كل ظالم، إذ لا يصح الجواب عمن هو أظلم منه، قال ابن عباس: يريد كذب على الله، مثل قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وذكرنا ما في هذا في سورة الأنعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، ذكرنا معنى العرض عند قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[٣]، قال أبو إسحاق[٤]: والخلق كلهم يعرضون على ربهم، وذكر عرض هؤلاء، توكيدًا لما لهم في الانتقام منهم.

قال ابن الأنباري: ومعناه أن العذاب نازل بهم غير مندفع[٥] عنهم، فذكر عرضهم تصحيحًا لتعذيبهم، وتحقيقًا لما ينزل بهم، فوقع الاختصاص في الآية لما كان المعنى: أولئك لا يفوتون الله ولا يسبقون[٦] عذابه.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٢) آية: ٢١. وقد نقل هنالك عن ابن عباس قوله: «ومن أكفر ممن اختلق على الله كذبًا فأشرك به الآلهة»، وقال أهل المعاني: (هذا الاستفهام معناه الجحد، أي لا أحد أظلم منه؛ لأنه جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه).

(٣) البقرة: ٣١. قال هنالك: «ومعنى العرض في اللغة: الإظهار، ومنه عرض الجارية وعرض الجند، الليث: ويقال أعرض الشيء، أي بدا وظهر».

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٤.

(٥) في (ي): (منتفع).

(٦) في (ب): (يشفعون).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، الأشهاد: يجوز أن يكون جمع شاهد، مثل صاحب وأصحاب، وناصر وأنصار، ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل: شريف وأشراف[(١)]، قال أبو علي: وهذا كأنه أرجح؛ لأن ما جاء من ذلك في التنزيل جاء على (فعيل) كقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] و﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن عباس[(٢)]: يريد الأنبياء والملائكة، وقال مجاهد والأعمش[(٣)]: هم الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا.

وقال قتادة[(٤)]: يعني الخلائق، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان[(٥)]: الأشهاد: الناس؛ كما يقال على رؤوس [الأشهاد، يعني على رؤوس][(٦)] الناس، فالأشهاد على هذه الأقوال: الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

قال ابن الأنباري[(٧)]: والفائدة في إخبار الأشهاد بما الله يعلمه، تعظيم الأمر على المشهود عليه، وحسم طمعه من أن يجد سبيلا إلى

---

(١) ما سبق من كلام أبي عبيدة. «مجاز القرآن» ١/ ٢٨٦.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٨٩، والبغوي ٤/ ١٦٨، و«القرطبي» ٩/ ١٨، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٠.

(٣) الطبري ١٢/ ٢٠-٢١ عن مجاهد والأعمش وغيرهم.
وانظر: «زاد المسير» ٤/ ٨٩، والبغوي ٤/ ١٦٨، والقرطبي ٩/ ١٨.

(٤) «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ٣٠٤، وابن أبي حاتم ٤/ ١٥٨ب.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٤ ب، «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «زاد المسير» ٤/ ٨٩.

التخلص، بمجاحدة أو مدافعة. وقال غيره: هو توبيخ لهم من الشهداء، وهتك سترهم، وإظهار فضيحتهم.

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾، قال ابن عباس: زعموا أن لله ولدًا وشريكًا، ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: يريد المشركين، قال الزجاج(١): ومعنى لعنة الله: إبعاده من رحمته وعفوه(٢).

١٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ مضى تفسيره مشبعًا في سورة آل عمران(٣).

قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، قال الزجاج(٤): ذكر ﴿هُمۡ﴾ ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر.

٢٠- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، معنى الإعجاز: الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه؛ يقال: أعجزني فلان: أي امتنع عن مرادي فيه، ومعنى ﴿مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فائتين هربًا فيها، كما يهرب الهارب من عدو قد جدّ في طلبه، هذا معنى قول المفسرين في (معجزين)، فإن ابن عباس قال(٥): سابقين.

---

(١) في (ي): (الحجاج).

(٢) «معاني القرآن» ٣/ ٤٤.

(٣) آل عمران: ٩٩، وخلاصة ما ذكره هنالك ما نقله عن أهل المعاني «تأويل الأية: يطلبون أن يعوجوا سبيل الله، وأن يكون فيها عوج؛ لأن معنى ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الطريق التي هي الوصلة إلى رضا الله، فهم يطلبون أن يعوجوا هذا الطريق، حتى لا يصل إلى رضا الله من سلكها.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥.

(٥) ابن أبي حاتم ٨/ ٢٠.

وقال مقاتل[١]: فائتين، وقال قتادة: هُرَّابا[٢].

قال ابن الأنباري[٣]: خصّ الله الأرض بالذكر، وهم لا يخرجون عن قبضته في كل موضع، على عادة العرب في قولهم: لا مهرب لك مني، ولا وزر[٤] ولا نفق يعصمانك من عقابي، يعنون بالوزر الجبل، وبالنفق السَّرَب، وكلاهما من الأرض يلجأ إليه الخائف المطلوب، أعلم الله أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هربًا، ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من جبال الأرضين وغوامض أمكنتها، وقد قال عطاء عن ابن عباس[٥] في هذه الآية: يريد لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد ممن يعبدون فتمنعهم مني.

وقال أبو إسحاق[٧] في هذه الآية: أخبر الله أنه لا يعجزه انتقام في دار الدنيا، وأنه لا وَليّ لهم يمنعهم من انتقام الله ﷻ.

---

(١) «تفسير مقاتل» ١٤٥ أ.

(٢) ما سيق ذكره عنهم الثعلبي ٧/ ٣٨ أ، وقال به مقاتل بن حيان، ولم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان. وانظر: ابن عطية ٧/ ٢٦٤، «زاد المسير» ٤/ ٩٠، القرطبي ٩/ ١٩، ابن كثير ٢/ ٤٨٣.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٠ بنحوه.

(٤) الوزر هو: الجبل المنيع عند أهل اللغة. انظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٨٣، اللسان (وزر) ٨/ ٤٨٢٣-٤٨٢٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، القرطبي ٩/ ١٩.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٢-٢٣.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥ بنحوه.

قال ابن الأنباري[(١)]: وهذا يقتضي محذوفًا تلخيصه: من أولياء يمنعونهم من عذاب الله، ويحاولون نصرتهم، فحذف عند شهرة المعنى، ثم استأنف فقال: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾، قال ابن عباس: يعني يوم القيامة، وقال الزجاج[(٢)]: وصف مضاعفة العذاب على قدر ما وصف من عظيم كفرهم بنبيه ﷺ وبالبعث والنشور، وقال أبو بكر[(٣)]: استحقوا مضاعفة العذاب لإضلالهم الأتباع، واقتداء غيرهم بهم[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا شيئًا من عظمتي وجبروتي، يريد: أني حلت بينهم وبين الإيمان[(٥)]. وقال قتادة[(٦)]: هم صم عن الحق فلا يسمعون، وعمي فلا يبصرون ولا يهتدون، وقال الوالبي عن ابن عباس[(٧)]: حال الله بين أهل الكفر وبين أهل الطاعة في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا ففي قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾، وأما في الآخرة ففي قوله: ﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وهذا مذهب المفسرين في هذه الآية، ذكره الفراء وابن الأنباري.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٠.

(٢) «معاني القرآن» ٣/ ٤٥.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٠، والبغوي ٤/ ١٦٩.

(٤) في (ب): (به).

(٥) الطبري ١٢/ ٢٢-٢٣، الثعلبي ٧/ ٣٨أ، صحيفة علي بن أبي طلحة / ٢٨٤، «زاد المسير» ٤/ ٩١، البغوي ٤/ ١٦٩.

(٦) الطبري ١٢/ ٢٢، الثعالبي ٧/ ٣٨أ، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٨.

(٧) الطبري ١٢/ ٢٢، الثعلبي ٧/ ٣٨أ، البغوي ٤/ ١٦٩، ونصه: «أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة . . . إلخ».

قال الفراء[١]: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ أي أضلهم الله عن ذلك في اللوح المحفوظ.

وقال ابن الأنباري: ما كانوا يستطيعون السمع للحق والإبصار إليه لما سبق لهم عند الله من الشقاء.

وذكر الفراء[٢] وجها آخرًا فقال: فسره بعض المفسرين: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يفعلون، ثم حذفت الباء، ومثله في الكلام: لأخزينك بما عملت وما عملت، قال أبو بكر[٣]: وموضع (ما)[٤] على هذا الجواب نصب بسقوط الخافض، والناصب لها ﴿يُضَٰعَفُ﴾؛ كما يقولون: تعلقت بعبد الله، وتعلقت عبد الله، قال الشاعر[٥]:

نغالي اللحم للأضياف نيا ونبذله إذا نضج القدور

وذكر أبو إسحاق[٦] وجهًا آخر: أي من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي ﷺ ما كانوا يستطيعون أن يتفهموا ما يقوله.

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٨.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩١.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) البيت لرجل من قيس في «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣١٧، و«أساس البلاغة» (غلو)، ومعناه: نشتريه غاليًا ثم نبذله ونطعمه إذا نضج في قدورنا. وبلا نسبة في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٥، ٣/ ٢٦٨٢، «اللسان» مادة (رخص) ٣/ ١٦١٦، «زاد المسير» ٣/ ٣٩٨، «معاني الفراء» ٢/ ٣٨٣، «تاج العروس» ٩/ ٢٨٨ (رخص)، (غلا)، «ديوان الأدب» ٤/ ١٢١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٥.

قال أبو بكر(١): ومعنى هذا: ما كانوا يستمعون الحق ولا يبصرون ما فيه لهم(٢) الرشد؛ لعنادهم وشدة عداوتهم، فصاروا لملازمتهم الإعراض عن الخير بمنزلة من لا يستطيعه، وإن كان مستطيعًا له في الحقيقة، كما تقول للرجل: ما تستطيع أن تنظر إلي من شدة العداوة، أي أنت بإيثارك الإعراض عني، بمنزلة من لا يستطيع النظر إلي، ومعلوم أنه لو شاء أن ينظر إليه لنظر.

ثم بين جل وعز أن ضرر ذلك راجع عليهم، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾، قال ابن عباس: أي صاروا إلى النار، وخسران النفس أعظم الخسران؛ لأنه ليس منها عوض.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: بطل افتراؤهم في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة شيئًا(٣)، قال الحسن(٤): ذهبت عنهم الأوثان التي كانوا يؤملون بها الانتفاع.

٢٢- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [اختلفوا في معنى «لا جرم»؛ فقال ابن عباس(٥): يقول: حقا إنهم في الآخرة هم الأخسرون](٦)، وكذلك قال أكثر(٧) المفسرين.

---

(١) «زاد المسير» ١/ ٣٤٦، «البحر» ٢/ ٧٦٦.
(٢) ساقط من (ي).
(٣) انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢١٢، ابن كثير ٢/ ٤٨٣، القرطبي ٩/ ٢٠، ابن عطية ٧/ ٢٦٦.
(٤) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٢١.
(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩١.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٧) ساقط من (ي).

قال الفراء[١]: «لا جرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة[٢] (لا بد) و(لا محالة)، فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة (حقا)، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لآتينك، فتراها بمنزلة اليمين، وكذلك فسرها المفسرون[٣] في قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ﴾ حقا[٤]، انتهى كلامه، وعلى هذا معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا قطع قاطع عن أنهم في الآخرة هم الأخسرون، إلا أنه كثر حتى صار كالمثل، فإذا قالوا: لا جرم، فكأنهم قالوا: حقًا، والأصل ما ذكرنا، ووضع موضع القسم في قولهم: لا جرم لأفعلن كذا، كما قالوا: حقًا لأفعلن، إذ جعلوه بدلًا من اليمين، وهذا قول في هذه الكلمة.

وقال الزجاج[٥]: معنى لا جرم: (لا) نفي لما ظنوا أنه ينفعهم، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك، و﴿جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ أي: كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وذكرنا ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى كسب في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[٦].

قال الأزهري[٧]: وهذا من أحسن ما قيل فيه.

قال ابن الأنباري: (جرم) على هذا القول فعل ماض، وفاعله مضمر

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٨.
(٢) ساقط من (ي).
(٣) انظر: الطبري ١٢/ ٢٣، البغوي ٤/ ١٦٩، ابن عطية ٧/ ٢٦٦-٢٦٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢١٢، الرازي ١٧/ ٢٠٨، القرطبي ٩/ ٢٠.
(٤) ساقط من (ب).
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦.
(٦) المائدة: ٢. قال هنالك: وأكثر أهل اللغة والمعاني يقولون: لا يكسبنكم، ونقل ذلك عن جماعة منهم الفراء وابن الأنباري وأبو علي الفارسي وغيرهم.
(٧) «تهذيب اللغة» ١/ ٥٨٧-٥٨٨ (جرم)، قال: «وهذا من أبين ما قيل فيه».

فيه[١] من ذكر الكفر، و(أنَّ) منصوبة بـ (جرم) كما يقول القائل: كسب جفاؤك زيدًا غضبه عليك، وقد قال الأزهري: [وقد قيل][٢]: (لا) صلة في ﴿لَا جَرَمَ﴾ والمعنى: كسب لهم عملهم الندامة، وقال قوم: (لا) رد على أهل الكفر كما ذكرنا، وجرم معناه أحق صحيح، والتأويل: حق كفرهم ووقوع العذاب والخسران بهم، وهذا مذهب الأخفش[٣]، وسيبويه[٤]، واحتجوا بقول الشاعر[٥]:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد: أحقت الطعنة فزارة الغضب، ورواه بعضهم فزارةُ بالرفع يعني: حققت فزارة الغضب، وأنكر الفراء وأبو العباس هذا القول، قال الفراء[٦]: جرمت فزاره بالنصب، والمعنى جرمتهم الطعنة أن يغضبوا.

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٤٥٩.

(٤) «الكتاب» ٣/ ١٣٨، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٨٤-٨٥.

(٥) هو: أبو أسماء بن الضريبة، أو عطية بن عفيف، كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٨، وقد ورد في «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٤٥٩، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩، والزجاج ٢/ ٤٥، والخزانة ٤/ ٣١٠، والكتاب ٣/ ١٣٨.
وقبله:

يا كرز إنك قد قتلت بفارس بطل إذا هاب الكماة وجببوا

كان كرز قد طعن أبا عيينة حصن بن حذيفة الفزاري في يوم الحاجر فقتل به فرثاه الشاعر، وقوله «جببوا» أي فروا.
وانظر: «اللسان» (جرم) ١/ ٦٠٥، «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٥٨٨، (جرم).

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٩.

٢٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾، معنى الإخبات في اللغة: الخشوع والتواضع والطمأنينة، وأصله من الخبت وهو ما تطامن من الأرض، قال العدوي[١]: الخبت الخفي المطمئن، وخبت ذكره أي خفي، ومنه المخبت من الناس. أخبت إلى ربه أي اطمأن إليه، وقال الفراء[٢]: ومعنى الإخبات الخشوع.

وقال غيره: هو سكون الجوارح على جهة الخضوع لله، هذا معناه في اللغة.

فأما التفسير فقال مجاهد[٣] فيما روى عنه ابن جريج وابن أبي نجيح[٤]: اطمأنوا، قال ابن الأنباري: ولهذا المعنى عدي بـ «إلى»؛ لأنه أريد بالإخبات الطمأنينة، والطمأنينة[٥] تصحبها (إلى)، والإخبات يستعمل مع اللام يقال: قد أخبت فلان لفلان.

---

(١) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٧٣، مادة (خبت)، و«اللسان» ٢/ ١٠٨٧ (خبت)، والعدوي هو: أبو النضر سعيد بن أبي عروبة مهران العدوي البصري، محدث، ثقة، حافظ، توفي سنة ١٥٥هـ أو سنة ست أو سبع. انظر: العبر ١/ ٢٢٥، «التهذيب» ٢/ ٣٣-٣٥، «تاريخ العلماء النحويين» / ٩٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٠.

(٣) «الطبري» ١٢/ ٢٤، والثعلبي ٧/ ٣٨ب، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٥٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠١٩، والبغوي ٤/ ١٧٠، و«زاد المسير» ٤/ ٩٣.

(٤) هو: أبو يسار عبد الله بن أبي نجيح المكي الثقفي بالولاء، ثقة رمي بالقدر والاعتزال ربما دلس، توفى ١٣١هـ. انظر: «الميزان» ٢/ ٥١٥، «التقريب» ص ٣٢٦ (٣٦٦٢).

(٥) زيادة من (ي).

وقال قتادة[١]: تابوا إلى ربهم، ودخلت (إلى) على هذا القول لمعنى التوبة[٢].

وقال مقاتل بن سليمان[٣]: أخلصوا إلى ربهم، ودخلت (إلى) على هذا القول؛ لأنه محمول على: وجهوا إخلاصهم إلى ربهم.

وقال عطاء عن ابن عباس[٤] خشعوا، وهو اختيار الفراء[٥]، وعلى هذا جعلت (إلى) بدلًا من اللام لتضارعهما في قولك: هديته للموضع وإلى الموضع، ذكره الفراء.

قال أبو بكر[٦]: ويصلح أن يقال (إلى)[٧] مصروفة إلى معنى وجهوا خشوعهم إلى ربهم.

٢٤- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ الآية، قال المفسرون[٨]: قوله ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ نزل في المستهزئين ورؤساء المشركين، ثم نزل في أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية، ثم نزلت هذه الآية مثلا جامعًا للفريقين

---

(١) الطبري ١٢/ ٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٠، الثعلبي ٧/ ٣٨ب، البغوي ٤/ ١٧٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٢، وكلهم نقلوا عنه: أنابوا إلى ربهم.

(٢) في (ي): (التوحيد).

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٥أ، «زاد المسير» ٤/ ٩٣.

(٤) رواه الطبري عن قتادة ١٥/ ٢٩٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٠٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٠، وهو في «تنوير المقباس» / ١٣٩.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ١٠.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٣، والقرطبي ٩/ ٢٢.

(٧) في (ي): (أن).

(٨) «زاد المسير» ٤/ ٩٣.

فقال: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ أي مثل[١] فريق الكافرين وفريق المسلمين. والفريق: الطائفة من الناس.

﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ ذكرنا معناه في قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، قال قتادة[٢]: هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر؛ فأما الكافر فصمّ عن الحق فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه قلبه وعمل به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، قال الفراء[٣]: كان حقه هل يستوون، ولكن الأعمى والأصم [والبصير والسميع][٤] كأنهما واحد؛ لأنهما من وصف المؤمن والكافر[٥]، وشرح ابن الأنباري[٦] هذا الجواب فقال: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والبصير والسميع لمؤمن، فرد الفعل إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة، وليس بمحظور[٧] عطف النعوت بعضها على بعض بحرف العطف والموصوف واحد، وقد ذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾[٨]

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) الطبري ١٢/ ٢٥، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٣، القرطبي ٩/ ٢١.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٤، وانظر: الطبري ١٢/ ٢٥، وابن عطية ٧/ ٢٦٨.

(٧) في (ب): (بمخصوص).

(٨) البقرة: ٥٣. وفي الأصل: (وآتينا موسى ..) وهو خطأ. وقد ذكر عند هذه الآية ما ملخصه: أن الكتاب هو الفرقان، والعرب تكرر الشيء إذا اختلفت ألفاظه. ويمكن أن يراد بالفرقان انفراق البحر، ويمكن أن يكون الفرقان نعتًا للكتاب، يريد: وإذ =

وأنشد[١]:

يظن سعيد وابن عمرو بأنني إذا سامني ذلا أكون به أرضى

فنسق ابن عمرو على سعيد في المعنى، وهذا أعرب من الأول، إذا[٢] نسق نعتًا[٣] على اسم، ونسق النعت [على النعت][٤] أبعد من اللبس.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلًا﴾ نصب على التفسير، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس[٥]: أفلا تتعظون يا أهل مكة.

٢٥- قوله تعالى: ﴿ولَقد أرسَلْنا نوحاً إلى قومِهِ أنِّي﴾ ويقرأ بكسر الألف، فمن فتح[٦] حمل على أرسلنا، أي أرسلناه بأني لكم نذير، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الغيبة إلى خطاب[٧] نوح قومه كما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثم قال: ﴿فَخُذْهَا

= آتينا موسى الكتاب الفرقان، أي الفارق بين الحلال والحرام، زيدت الواو كما تزاد في النعوت، فيقال: فلان حسن طويل وسخي. ولعل هذا القول هو المناسب لإيراده هنا.

(١) البيت من الطويل، ولم ينسبه الواحدي، وهو بلا نسبة في «زاد المسير» ٤/ ٧٨، والمخاطب بهذا البيت هو سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

(٢) كذا في النسخ ولعله (إذْ).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «تنوير المقباس» / ١٣٩، البغوي ٤/ ١٧٠.

(٦) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، انظر: «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ٥/ ٥٣٧، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكي ١/ ٥٢٥، «الحجة» ٤/ ٣١٥، الثعلبي ٧/ ٣٨ ب.

(٧) في (ي): (الخطاب).

بِقُوَّةٍ﴾، ذكره أبو علي[١]، ومن كسر[٢] حمله على القول المضمر؛ لأنه مما قد أضمر كثيرًا في القرآن، والتقدير: فقال لهم: إني نذير مبين، والكلام في هذا على وجهه ولم يرجع إلى الخطاب بعد الغيبة.

٢٦- قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، حمل أبو إسحاق قوله ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ على معنى نذير مبين؛ فقال[٣]: المعنى: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بالإنذار ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي[٤] أنذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره، وحمل أبو علي[٥] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ على الإرسال، كما حمل ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ كأنه قال نوح: أرسلت بأني لكم نذير مبين، وبأن لا تعبدوا إلا الله، ومن قرأ «إني» بكسر الألف[٦] كان قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ اعتراضًا بين الفعل والمفعول، هذا معنى كلامه، وقول أبي إسحاق أظهر.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾، قال الزجاج[٧]: إنما وصف اليوم بالأليم؛ لأن الإيلام فيه يقع، والمعنى عذاب يوم مؤلم.

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣١٥ .

(٢) سيأتي تخريج القراءة بعدُ.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦.

(٤) في (ي): (أني).

(٥) «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٦) بها قرأ نافع وابن عامر وحمزة. انظر: «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ٥٣٨، «الكشف عن وجوه القراءات السبع» لمكى ١/ ٥٢٥، «الحجة» ٤/ ٣١٥، الثعلبي ٧/ ٣٨ب.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦، وعبارته (إنما وصف اليوم بالألم؛ لأن الألم فيه يقع، والمعنى عذاب يوم مؤلم أي: موجع).

٢٧- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾، قال ابن عباس[١] والمفسرون[٢]: يعني: الأشراف ورؤساء القوم وكبراءهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ لا فضل لك علينا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أي لم يتبعك الملأ منا وإنما اتبعك أخساؤنا، قال ابن عباس[٣]: يريد: المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال، وهذا كقوله في الشعراء: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

قال الزجاج[٤]: نسبوهم إلى الحياكة، والصناعات لا تضر في باب الديانات، والرذل[٥] الدون من كل شيء في منظره وحالاته، ورجل رذل الثياب، والفعل رذل يرذل رذالة، وأرذل الشيء جعله رذلًا؛ يقال: أرذل فلان دراهمي، فالأراذل[٦] يجوز أن تكون جمع الجمع، والواحد رذل والجمع أرذل[٧] ثم يجمع على أراذل، كقولك: كلب وأكلب وأكالب، ويجوز أن يكون جمع الأرذل إذا جعلته اسمًا كالأساود في جمع الأسود من الحيات، هذا قول بعضهم، قال: الأصل فيه هو أرذل من كذا ثم كثر حتى قالوا هو الأرذل، فصارت الألف واللام عوضًا من الإضافة.

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٢٧٠، ابن كثير ٢/ ٤٨٤، الرازي ١٧/ ٢١١، «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٤٧، «تفسير مقاتل» ١٤٥أ.

(٣) القرطبي ٩/ ٢٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٩٥، القرطبي ٩/ ٢٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٧ (رذل).

(٥) في (ب): (الرذال).

(٦) في (ب): (فالأرذال).

(٧) في (ب): (أرذال).

وقوله تعالى: ﴿مَا نَرَىٰكَ﴾، ﴿نَرَىٰكَ﴾ عند الفراء[١] لغو اعترض به وكأنه قيل: وما اتبعك، قال أبو علي[٢]: لا يجوز أن يكون «نراك» اعتراضًا؛ لأنه قد تعدى إلى المفعول فلا يحسن الاعتراض به، ولو لم يتعد لحسن، كما تقول: زيد ظننت منطلق، ولو ألغيته وقد عديته إلى مفعول لم يجز، فإن قلت فقد قال الشاعر[٣]:

وما أراها تزال ظالمة تحدث لي قرحة وتنكأها

فعدى أرى إلى الضمير، وجعل أراها اعتراضًا، قيل: إن الضمير في قوله (أراها) كناية عن المصدر [فلا يقتضي مفعولًا ثانيًا، وفي قوله «نراك» المفعول للخطاب، والخطاب لا يكون كناية عن المصدر][٤]، فلا تكون الآية في قياس البيت.

وقوله تعالى: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾، البادي[٥]: الظاهر، من قولك: بدا

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١١، ولم يقل الفراء بأنها لغو، وإنما قال: «كأنه حذف (نراك)، وقال ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٢٠.

(٣) ابن هرمة. هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة القرشي من الخلج وهم من قيس بن الحارث بن فهر. سكن المدينة وهو من آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، مات سنة ١٥٠هـ تقريبًا. انظر: «طبقات الشعراء» ٢٠، و«تاريخ بغداد» ٦/ ١٢٧.

والبيت في «ديوانه» (٥٦) وفيه: تظهر لي قرحة وتنكؤها، وانظر: السيوطي ٢٧٧، ٢٧٩، «تاج العروس» (اقط) ١٩/ ١٣٤، أساس البلاغة / ٤٠٢ (لبأ)، الدرر ١/ ٨١، ٢٠٧، وهو بلا نسبة في الهمع ١/ ١١١، ٢٤٨، «تهذيب اللغة» ١٥/ ٤٨٣، «اللسان» (أنف) ٩/ ١٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨.

الشيء إذا ظهر، ومنه يقال للبرية: بادية لظهورها وبروزها للناظر، واختلفوا في معنى ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾؛ فذكر أبو إسحاق[١] فيه وجهين:

أحدهما: اتبعوك في الظاهر، وباطنهم على خلاف ذلك.

قال: ويجوز أن يكون: اتبعوك في ظاهر الرأي، ولم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا.

والوجه الأول روى معناه عطاء الخراساني عن ابن عباس[٢]: في قوله ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ قال: فيما ظهر لنا.

وذكر ابن الأنباري[٣] وجهًا آخر، فقال: معناه اتبعك سفلتنا أو سقطاؤنا، فيما يظهر من أمرهم لنا ولغيرنا، أي الذي وصفناهم به من الانتقاص لهم والازدراء بهم ظاهر لجميع من يراهم، وليس ذلك أمرًا يغيب ويغمض فيخالفنا فيه غيرنا.

قال: وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان[٤]، و﴿ٱلرَّأْيِ﴾ على هذا من رأي العين، لا من رأي القلب، وكذلك في الوجه الأول الذي ذكره الزجاج، ويؤكد ما ذكره ابن الأنباري من مذهب مقاتل بن سليمان: ما رواه عبد الوهاب بن مجاهد[٥]، عن أبيه[٦] قال: معناه إلا الذين هم أراذلنا رأي

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧، وانظر: «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٢٨، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٥٩٠.

(٣) «الزاهر» ١/ ٢٢٦، «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٦، «تنوير المقباس» ١٤٥أ.

(٥) هو: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر، روي عن أبيه، كذبه الثوري وضعفه وكيع وأحمد وابن معين وأبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٩٦، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٦٤٠.

(٦) في (ب): (مجاهد).

العين[١].

هذا كله على قراءة من قرأ (بادي) من غير همز[٢]، ومن قرأ بادئ بالهمز[٣] فقال أبو عليّ الفارسي[٤]: هاتان الكلمتان يعني: بادي وبادئ متقاربتان في المعنى، لأن الهمز فيها بمعنى: ابتداء الشيء وأوله، واللام إذا كانت واوًا كان المعنى: الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهورًا، وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء، ولذلك ما[٥] تستعمل كل واحدة من الكلمتين في موضع الأخرى كقولهم: أما بادي بدء فإني أحمد الله، وأما بادئ باد فإني أحمد الله.

وأما المعنى على هذه القراءة، فقال أبو إسحاق[٦] والزجاج[٧]: اتبعوك ابتداء الرأي، أي حين ابتدأوا ينظرون، ولو فكروا [لم يتبعوك، ونحو هذا قال ابن الأنباري[٨]: أي ابتدءوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو فكروا][٩] لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

---

(١) البغوي ٤/ ١٧١، الثعلبي ٧/ ٣٩ أ.

(٢) وقرأ بها السبعة غير أبي عمرو، «السبعة» ص ٣٣٢، «التبصرة» ص ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٦، «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٣) وقرأ بها أبو عمرو، «السبعة» ٣٣٢، «التبصرة» ص ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٦، «الحجة» ٤/ ٣١٦.

(٤) «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٥) هكذا في النسخ، ولعل الصواب: ولذلك كثيرًا ما تستعمل. «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٦) هو الثعلبي ٧/ ٣٩أ.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٨) «تهذيب اللغة» (بدا) ١/ ٢٨٧-٢٨٨، «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ب) و(ج).

ونحوه قال أبو علي[١]: أراد اتبعوك في أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه.

وهذه الأقوال معناها واحد، وذكرتها لزيادة البيان، قال غير هؤلاء: معنى قوله: ﴿أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أول ما نراهم نزدريهم ونسترذلهم.

قال ابن الأنباري[٢]: ويجوز لمن ترك الهمز في بادي أن ينوي اصطحاب الهمز ويحتج بأن الهمز مُلَيَّن ومعناه مطلوب، وبنحو من هذا قال أبو علي[٣]، وقد يجوز في قول من همز أن يخفف ويقول: بادي، فتقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها، فيكون كقولهم[٤]: (مِيَر) في جمع ميرة، و(ذِيَب) في جمع ذيبة.

قال أبو بكر: وانتصاب المهموز وغير المهموز بالاتباع على مذهب المصدر، أي اتبعوك اتباعًا ظاهرًا أو اتباعًا مبتدأ.

وقال أبو إسحاق[٥]: فأما نصب ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ فعلى اتبعوك في ظاهر الرأي، وعلى ظاهر الرأي، ومن قال: بادي فعلى ذلك نصبه. وهذا الذي قاله أبو إسحاق مخالف لما قاله أبو بكر، وشرح أبو علي[٦] قولة أبي إسحاق، وذلك أنه لما قال: في ظاهر الرأي، وعلى ظاهر الرأي جعله ظرفًا فقال أبو علي: اسم الفاعل جاز أن يكون ظرفًا كما جاز في (فعيل)

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣١٧.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٣) «الحجة» ٤/ ٣١٨ بنحوه.

(٤) في (ب): (قولهم من غير كاف).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣١٨ بتصرف.

نحو قريب ومليء؛ لأن (فاعلًا) و(فعيلًا) يتعاقبان على المعنى، نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد ووالي وولي، قال: والعامل في هذا الظرف هو قوله: «اتبعك»، التقدير: ما اتبعك في أول رأيهم، أو في ما ظهر من رأيهم، إلا أراذلنا، فأخّر الظرف، وأوقع بعد (إلا) ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز، ألا ترى أنك لو قلت: ما أعطيت أحدًا إلا زيدًا درهمًا، فأوقعت بعد (إلا) اسمين لم يجز؛ لأن الفعل أو معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما انتصب بتوسط الحرف [ولا يصل الفعل بتوسط الحرف][1] إلى أكثر من مفعول، ألا ترى أنك لو قلت: استوى الماء والخشبة، فنصبت الخشبة لم يجز أن تتبعه اسمًا آخر ينصبه، كذلك المستثنى إذا لحقته (إلا) وأوقعت بعدها اسما مفردًا لم يجز أن تتبعه آخر، وجاز ذلك في الظرف لأن الظرف قد اتسع فيه في مواضع، ألا ترى أنهم قالوا: كم في الدار رجلًا ففصلوا بينهما في الكلام[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، قال ابن عباس[3]: يريد التكذيب له ولما جاء به من النبوة، وهل الفضل كله إلا بالنبوة، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ يريد ليس هذا من الله.

قال ابن الأنباري[4]: وجمعت الكاف في خطاب نوح بعد توحيدها

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) إلى هنا انتهى النقل من «الحجة» ٤/ ٣١٩.

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وهو قول الطبري ١٢/ ٢٧، ابن عطية ٧/ ٢٧٣، القرطبي ٩/ ٢٤.

(٤) الطبري ١٢/ ٢٧-٢٨.

في أول الآية؛ لأنه ذهب إلى مخاطبة نوح وأصحابه، كما قال عزت أسماؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] فجمع بعد التوحيد.

٢٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، قال ابن عباس: يريد على يقين من ربوبية ربي[١] وعظمته، وروي عنه: على بصيرة ومعرفة[٢].

وقال أهل المعاني: عنى بالبينة ههنا: البرهان من جهة المعجزة التي تشهد بصحة النبوة، وخصهم بهذا في المناظرة؛ إذ هو طريق العلم بالحق، لا ما التمسوا من[٣] اختلاف الخلق في قولهم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾.

قال ابن الأنباري[٤]: ودخول الشرط في قوله ﴿إِن كُنتُ﴾ لا يوجب شكًا لحق النبي في أمره، لكن الشك لاحق للمخاطبين، وتلخيص الكلام: قل أرأيتم إن كنت على بينة من ربي عندكم، وفيما يصح من عقولكم وتقبله أفهامكم، فدخل الشرط في كلام[٥] النبي ﷺ لهذا الترتيب.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد النبوة، قال أبو بكر: وإنما جعلت رحمة؛ لأن الله ﷻ ينتاش[٧] بها الخلق

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) البغوي ٤/ ١٧١، «زاد المسير» ٤/ ٩٦، الطبري ١٢/ ٢٨، «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٠.

(٣) في (ي): (أما).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٦.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) «تنوير المقباس» / ١٤٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٥، ابن كثير ٢/ ٤٨٥.

(٧) في (ي): (ساتين). ومعنى ينتاش، من نوش، ومن التناوش أي التناول. مختار =

من العطب والهلكة، وقال بعض أهل المعاني[1]: وذكر الرحمة ههنا نقضًا عليهم فيما ادّعوه من أنه ليس عليهم[2] فضل، فبين ذلك بالنبوة والهداية إلى الحق من جهة البرهان المؤدي إلى العلم.

وقوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، ذكر ابن الأنباري[3]، وأبو علي[4] وغيرهما، فيه وجهين:

أحدهما: أن معناه: فخفيت عليكم؛ لأن الله ﷻ سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق، وأنشد أبو علي قول رؤبة[5]:

ومهمه أطرافه في مهمه ... أعمى الهدى في الحائرين العمه

أي خفي الهدى. ألا ترى أن الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة، قال: ومن هذا قيل للسحاب العما؛ لإخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام.

الوجه الثاني: أن يكون عموا هم عنها، ألا ترى أن الرحمة لا تعمى وإنما يُعمى عنها، فيكون هذا كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، ونحو

= الصحاح ٦٨٥. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ سبأ: ٥٢.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) في (ب): تكرار (فيما ادعوه من أنه ليس عليهم). وقوله: (ليس عليهم فضل) كذا في جميع النسخ ولعل فيه سقط هنا (له) فيكون: ليس له عليهم فضل.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٢٢.

(٥) البيت لرؤبة بن العجاج، من أرجوزة يصف بها نفسه، برواية «الجاهلين» بدلًا من «الحائرين» في ديوانه، والرجل العمه: المتردد في رأيه أو أعمى القلب. انظر: ديوانه / ١٦٦، و«اللسان» ٥/ ٣١١٤، (عمه)، و«شرح شواهد الشافية» ٢٠٢، و«شرح شواهد العيني» ٣/ ٣٤٥.

ذلك مما يقلب إذ لم يكن فيها إشكال، وفي التنزيل: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾[1]، قال الشاعر[2]:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه وسائره باد إلى الشمس أجمع

وهذا مذهب الفراء[3]، والوجه الأول معناه[4]: خفيت عليكم بإخفاء الله تعالى؛ لأنكم لم تسلكوا الطريق المؤدي إليها، والوجه الثاني معناه القلب، وهو تصرف في الكلام من غير إخلال بالمعنى[5]، إذ هو ظاهر للأفهام، وهذا قراءة عامة القراء[6]، ويؤكده إجماعهم على قوله ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾[7] أنه بالتخفيف،

وقرأ أهل الكوفة[8] ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ مشددة مضمومة العين، قال أبو

---

(١) إبراهيم: ٤٧.

(٢) من شواهد سيبويه، أراد مدخل رأسه الظل، الكتاب ١/ ٩٢، أمالي المرتضى ١/ ٥٥، «تأويل مشكل القرآن» / ١٩٤، «معاني القرآن» ٢/ ٨٠، السيرافي ١/ ٢٤٥، «الدرر» ٢/ ١٥٦، الهمع ٢/ ١٢٣.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٢.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ساقط من (ب).

(٦) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر، (فعميت) بتخفيف الميم وفتح العين، «السبعة» / ٣٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٢١، «التبصرة»/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، إتحاف ص٢٥٥-٢٥٦، النشر ٣/ ١١٤.

(٧) القصص/ ٦٦، وقد قرئت بالتخفيف بإجماع القراء. انظر: «التبصرة» ٥/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، «إتحاف فضلاء البشر» ص٢٥٥-٢٥٦، «النشر» ٣/ ١١٤ .

(٨) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، السبعة / ٣٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٢٢، «التبصرة»/ ٥٣٨، «الكشف» ١/ ٥٢٧، «إتحاف» ص٢٥٥-٢٥٦، «النشر» ٣/ ١١٤ .

بكر[١]: معناه: فعماها الله تعالى عليكم؛ إذ كنتم ممن حكم عليه بالشقاء، يؤكد هذا التأويل وهذه القراءة: قراءة أبي «فعماها عليكم»[٢]؛ يعني: الله؛ لأنه اتصل بذكره جل وعز، قال أبو إسحاق[٣]: هذا ما أجابهم به من قولهم: إن الذين اتبعوك إنما اتبعوك غير محققين، [فأعلمهم أنهم محققون][٤] بهذا القول؛ لأنه إذا كان على بينة فمن آمن به فعالم بصير، ومن لم يفهم البينة فقد عمي عليه الصواب.

قوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، قال أبو بكر[٥]: الهاء تعود على الرحمة والمعنى: أنلزمكم قبولها، قال: وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل بن سليمان

قال المفسرون وأهل المعاني[٦]: يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا ما أنتم له كارهون، والدليل على صحة هذا التأويل قراءة ابن عباس «أنلزمكموها من شطر أنفسنا»[٧] يعني من تلقاء أنفسنا، وهذا استفهام معناه الإنكار، يعني لا نقدر على ذلك، والذي عليّ أن أدل بالبينة، وليس عليّ

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) ذكرها مكي في كتاب الكشف ١/ ٥٢٧، وعزاها للأعمش، وعزاها في الإتحاف ص٢٥٥-٢٥٦ لأبي والأعمش، وعزاها القرطبي ٩/ ٢٥، لأبي، وعزاها الطبري ١٢/ ٢٨ لابن مسعود.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٧.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٦) الطبري ١٢/ ٢٨، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٥، ابن عطية ٧/ ٢٧٦، «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٠، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٤٣.

(٧) الطبري ١٢/ ٢٨، ٢٩، وذكر أيضًا أنها قراءة أبي، ابن عطية ٧/ ٢٧٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٩١.

أن أضطركم إلى المعرفة إذ كرهتم.

وروى سعيد عن قتادة[(١)] قال: والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه، ولكنه لم يملك ذلك ولم يملكه[(٢)]، وفي ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ ثلاث مضمرات: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب، وأجاز الفراء[(٣)] إسكان الميم الأولى، وروى ذلك عن أبي عمرو؛ قال: وذلك أن الحركات توالت فسكنت الميم، وهي أيضًا مرفوعة وقبلها كسرة، وتستثقل كسرة بعدها ضمة، أو ضمة بعدها كسرة، قال الزجاج[(٤)]: وجميع النحويين البصريين لا يجيزون إسكان حرف الإعراب إلا في اضطرار الشعر، فأما ما يروى عن أبي عمرو فلم يضبطه عنه الفراء[(٥)]، وروى عنه سيبويه أنه كان يخفف الحركة ويختلسها، وهذا هو الحق، وإنما يجوز الإسكان في الشعر كقوله[(٦)]:

---

(١) الطبري ١٢/ ٢٩ وفيه (ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه)، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٣. وانظر البغوي ٤/ ١٧١، «زاد المسير» ٤/ ٩٧، القرطبي ٩/ ٢٦، «الدر المنثور» ٣/ ٥٩١.

(٢) في (ي): (لم يهلك ذلك ولم يملكه).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٢.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٨، وعبارته: «وسيبويه والخليل لا يجدان إسكان حرف الإعراب إلا في اضطرار، فأما ما روي عن أبى عمرو من الإسكان فلم يضبط ذلك عنه».

(٥) الصحيح (القراء). انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢١٧.

(٦) البيت لامرئ القيس، عجزه:

إثـمـا مـن الله ولا واغـل

وفي «ديوانه» ص ١٢٢:

(فاليوم أسقي ..)، وانظر: «الكتاب» ٢/ ٢٩٧، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٨٧، =

فاليوم أشربْ غير مستحقب

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾، قال ابن الأنباري(١): الكناية تعود(٢) على معنى الرحمة في قوله: ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةً﴾، وهي معنى الهدى والإيمان. وقال غيره(٣): الهاء(٤) كناية عن تبليغ الرسالة، وقد سبق معناه فاستدل عليه وكنى عنه، وكذا قال المفسرون: لا أسألكم جعلًا على تبليغ الرسالة، وقال عطاء: يريد على ما أدعوكم إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، قال ابن جريج(٥): إنهم سألوه طرد الذين آمنوا به ليؤمنوا به؛ أنفة من أن يكونوا معهم على سواء.

وقال أبو إسحاق(٦): هذا يدل على أنهم سألوه أن يطردهم.

وقال ابن الأنباري: سألوه(٧) طرد المؤمنين عنه، الذين هم سفلة عندهم، [فقال: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون ربهم فيجزيهم بإيمانهم](٨)، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم، وهذا معنى قول أبي

= واحتقب الإثم واستحقبه احتمله، ومعناه: «حلت لي الخمر فلا آثم بشربها إذ قد وفيت بنذري فيها. وكان قد نذر ألا يشربها حتى يدرك ثأر أبيه» القرطبي ٩/ ٢٦ وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج ٤/ ٢٧٥.

(١) «زاد المسير» ٤/ ٩٧.

(٢) في (ي): (تفرد).

(٣) الثعلبي ٧/ ٣٩ أ، الطبري ١٢/ ٢٩، البغوي ٤/ ١٧١، القرطبي ٩/ ٢٦.

(٤) في (ي): (إنها).

(٥) الطبري ١٢/ ٢٩-٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٨.

(٦) كذا في جميع النسخ ولعله ابن إسحاق. البغوي ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٢٧٦.

(٧) في (ب): (ساموه).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

إسحاق[١] في قوله ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، قال ابن عباس: يريد: تجهلون ربوبية ربكم وعظمته[٢]، وقال أهل المعاني: تجهلون أن هؤلاء خير منكم لإيمانهم بربهم وكفركم به.

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾، قال الفراء[٣]: يقول: من يمنعني من عذاب الله، وكذلك ما في القرآن منه[٤]، والنصر من كذا: المنع منه، ومعنى الآية إذا طردت المؤمنين كان ذلك ذنبًا ارتكبته، فمن يدفع عني عذاب الله، وهذا دليل على أن العالم يلزمه مصابرة المتعلم، ولا يجوز له طرده والامتناع عما يطلب من العلم، ولو لم يصبر كان تعرض للعقوبة.

٣١- قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، ذكرنا معنى الخزائن في مثل هذه الآية في سورة الأنعام[٥]، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد مفاتيح الغيب. قال أبو بكر[٦]: الخزائن ههنا يعني بها غيوب

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٨.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٣، وفيه «من يمنعني من الله».

(٤) يعني: ما جاء في القرآن بهذا اللفظ فهو بالمعنى الذي ذكره.

(٥) وهو قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. قال: «الخزائن جمع الخزانة، وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء، وخزن الشيء: إحرازه بحيث لا تناله الأيدي. والخزانة أيضًا: عمل الخازن» اهـ.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ٩٨، والبغوي ٤/ ١٧٢، «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ١٠٢٧، (خزن).

الله وما هو مطوي عن الخلق، وإنما وجب أن يكون هذا جوابًا من نوح عليه السلام لهم لما قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ﴾ الآية، فادَّعوا أن هؤلاء المؤمنين اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم، وهم في الحقيقة غير متبعين له، فقال مجيبًا لهم: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ غيوب الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه الناس ويضمرونه، ولا أعلم ما يغيب عني مما يسترونه في نفوسهم؛ فسبيلي قبول إيمانهم الذي يظهر لي، ومضمراتهم لا يعلمها إلا الله، فقيل للغيوب: خزائن لغموضها على الناس واستتارها عنهم، كما يقال: خزن المال: إذا غيبه.

[وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾، هذا جواب لقولهم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ أي: لا ينبغي أن تحتجوا عليّ بأمر لا أدعيه][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾، قال أبو إسحاق[(٢)]: ﴿تَزْدَرِىٓ﴾ تستقل وتستبخس[(٣)]، يقال: أزريت على[(٤)] الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالًا؛ لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، والتاء بعد الزاي تخفى فأبدل منها الدال لجهرها، وكذلك (يفتعل) من الزينة والزيادة[(٥)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٨ بنحوه.

(٣) في (ب): (تستحسن)، وهو وهم من الناسخ.

(٤) في (ب): (في).

(٥) يعني: تزدان، وتزداد.

وقال ابن عباس[١]: ﴿لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ يريد: تحتقر وتستصغر، يعني المؤمنين.

﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، فقال نوح: لا أقول إن الله لا يؤتيهم خيرًا][٢]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾، قال الزجاج[٣]: أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعوني في ظاهر الرأي، فليس علي أن أطلع على ما في نفوسهم، فإذا رأيت من يوحد الله عملت على ظاهره، ورددت علم ما في نفوسهم إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ابن الأنباري[٤]: أي إن طردتهم تكذيبًا لظاهرهم ومبطلًا لإيمانهم.

٣٤- قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، قال ابن عباس[٥] في رواية عطاء: يريد أن يضلكم، وقال الحسن[٦]: يهلككم، وهو معنى وليس بتفسير؛ وذلك أنه لما كان يؤدي إلى الإهلاك فسر به.

وقال ابن الأنباري[٧]: في قوله تعالى: ﴿أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ ثلاثة أجوبة للمفسرين وأهل اللغة: منها أن يوقع الغي في قلوبكم لما سبق لكم من

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٣٠، «زاد المسير» ٤/ ٩٩، البغوي ٤/ ١٧٢، القرطبي ٩/ ٢٧.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٩ بمعناه.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ٩٩.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، البغوي ٤/ ١٧٢، ابن عطية ٧/ ٢٨١، القرطبي ٩/ ٢٨.

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٣٢، وانظر: ابن عطية ٧/ ٢٨١، «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، القرطبي ٩/ ٢٨.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢١٩.

الشقاء، وقال بعضهم: أن يهلككم، قال: وهذا الجواب مرغوب عنه؛ لأنه يخالف الآثار، ومذاهب الأئمة، ولا يعرف الصادقون من أهل اللغة هذا من كلام العرب؛ إذ المعروف عندهم: أغويت فلانًا إذا أضللته بشر دعوته إليه وحسنته له، وغوي هو إذا ضل، [ويروى عن غير واحد من الصحابة أنه فسر يغويكم: يضلكم، هذا كلامه][(١)].

قال أصحابنا: فبان بهذه الآية أن الإغواء بإرادة الله تعالى، وأنه إذا أغوى فلا هادي لذلك الغاوي[(٢)].

ثم ذكر نوح ﷺ دليل المسألة فقال: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد: هو إلهكم وسيدكم وخالقكم، وتأويله: أنه إنما يتصرف في ملكه فله التصرف كيف شاء[(٣)].

٣٥- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، هذا من الاستفهام المتوسط[(٤)]، وقد ذكرناه في مواضع، ومعنى ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلقه وافتعله

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) لا شك أن الهداية والضلال من الله تعالى كما قال ﷻ: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧]، فالهداية من الله، والاهتداء من العبد، فالاهتداء الذي هو فعل العبد هو أثر فعله سبحانه، فهو الهادي والعبد المهتدي. انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ص١٧٠.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٠٠.

(٤) قلت: المراد بالاستفهام المتوسط أن يكون معنى الآية: أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن، أم يقولون إنه ليس من عند الله. قاله ابن القشيري. انظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٠٨، «الدر المصون» ٤/ ٨٣.

وجاء به من عند نفسه، والهاء تعود إلى الوحي الذي أتاهم به.

وقوله تعالى: ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾، الإجرام: اقتراف السيئة واكتسابها. قال الزجاج[١]: ويقال جرم في معنى أجرم، ورجل مجرم وجارم، وهذا من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى فعليّ إثم إجرامي أو عقوبة إجرامي. قاله أبو علي[٢] وغيره.

وقال أهل المعاني[٣]: في الآية محذوف دل عليه الكلام، وهو أن المعنى إن كنت افتريته فعلي عقاب إجرامي، وإن كانت الأخرى فعليكم عقاب تكذيبي، فحذف ما حذف لدلالة الباقي عليه، كقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩]، ولم يذكر المشبه به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي: من الكفر والتكذيب، والمعنى: أنه ليس علي من إجرامكم عائدُ ضرر، وإنما عائد الضرر عليكم، فاعملوا على تذكر هذا المعنى، وأكثر المفسرين[٤] على أن هذا من محاورة نوح قومه. وقال مقاتل[٥]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يعني[٦] محمدًا ﷺ، يقول المشركون: افترى القرآن، وهذه الآية معترضة بين قصة نوح عليه السلام.

(١) «معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٩ بنحوه.

(٢) انظر: «الحجة» ٣/ ١٩٧.

(٣) القرطبي ٩/ ٢٩، البغوي ٤/ ١٧٣.

(٤) البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٢٩، ابن عطية ٧/ ٢٨٣.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٥ب، البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٢٩، وبه قال الطبري ١٢/ ٣٢، ابن عطية ٧/ ٢٨٢.

(٦) ساقط من (ي).

٣٦- قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، قال ابن عباس[١] وغيره: لما جاءه هذا من عند الله دعا على قومه، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] الآية وما بعدها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، قال الفراء[٢] والزجاج[٣]: لا تحزن ولا تستكن، قال ابن عباس[٤]: يريد فلا تُغم، وقال أبو زيد[٥]: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكرهه، وأنشد أبو عبيد[٦]:

ما يُقْسِمِ الله أَقْبَلَ غير مبتئسٍ منه وأقعُدْ كريمًا ناعم البال

أي غير حزين ولا كاره، قال المفسرون[٧]: يقول لا تحزن فإني مهلكهم ومنقذك، وهذا تسلية من الله ﷻ لنوح عن قومه بما أعلمه[٨] من حالهم.

---

(١) رواه الطبري ١٢/ ٣٣ عن الضحاك، وأحمد في «الزهد»، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٢ عن الحسن، والبغوي ٤/ ١٧٣، و«زاد المسير» ٤/ ١٠٠، وابن عطية ٧/ ٢٨٤، والقرطبي ٩/ ٢٩.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٤) الطبري عن ابن عباس «فلا تحزن» ١٢/ ٣٢، وكذا عن مجاهد أيضًا وقتادة. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٥ في الحاشية.

(٥) «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس).

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٤١١ (بئس).
والبيت لحسان كما في «ديوانه» ص١٨٩، اللسان (بأس) ١/ ٢٠٠، «التنبيه والإيضاح» ٢/ ٢٦١، «تاج العروس» (بأس) ٨/ ١٩٦، «أساس البلاغة» (بأس)، وبلا نسبة في «مقاييس اللغة» ١/ ٣٢٨، و«المخصص» ١٢/ ٣١٧.

(٧) الثعلبي ٧/ ٣٩ ب، والطبري ١٢/ ٣٣.

(٨) في (ي): (أعلمهم).

٣٧- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، قال ابن عباس[١]: بمرأى منا، وقال الضحاك[٢]: بمنظر منا، وقال الربيع[٣]: بحفظنا، وقال الزجاج[٤]: بإبصارنا إياك وحفظنا لك. هذا كلامهم، والمعنى بحيث نراها، فكنى عن يرى بأعين على طريق البلاغة، وتأويله: بحفظنا إياك حفظ من يراك، ويملك[٥] دفع السوء عنك، وقيل[٦]: بأعين أوليائنا من الملائكة[٧] الموكلين بك، وحكى ابن الأنباري عن بعض المفسرين بأبصارنا إليك، وهذا معنى ما ذكرنا، هذا[٨] طريقة المحققين، وهي موافقة لما حكينا من أقوال أئمة المفسرين.

وقال أبو بكر[٩]: جمع العين ههنا على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، وهذا قول أصحاب الأثر والنقل يقولون الأعين يُعنى بها العين، وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها، وهذه طريقة السلف[١٠].

---

(١) البغوي ٤/ ١٧٣، «زاد المسير» ٤/ ١٠١، «تنوير المقباس»/ ١٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٠أ، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٦ عنه قال: بعين الله.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٠ أ.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٠١، البغوي ٤/ ١٧٣، القرطبي ٩/ ٣٠، الثعلبي ٧/ ٤٠أ.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٥) في (ي): (يعلم).

(٦) القرطبي ٩/ ٣٠، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٠.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) هكذا في النسخ.

(٩) «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٠١.

(١٠) انظر: «اللسان» ٥/ ٣١٩٦ (عين)، ومذهب السلف في هذه الصفة وغيرها =

وقوله تعالى: ﴿وَوَحْيِنَا﴾، قال ابن عباس[١]: وذلك أنه[٢] لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر، فعلى هذا المعنى اصنعها على ما أوحينا إليك من صفتها وحالها، ويجوز أن يكون المعنى بوحينا إليك أن اصنعها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾، قال الخليل[٣]: الخطاب مراجعة الكلام، يقال: خاطبته خطابًا. فجعل الخطاب اسمًا لما يتردد بين المتكلمين من ابتداء وجواب، والكلام إذا تضمن المسألة قيل فيه خاطب، ومنه قوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ أي لا تسألني في معناهم[٤]، قال ابن عباس[٥]:

= من الصفات هو الإثبات، أعني إثبات الصفة وتفويض الكيفية إلى الله تعالى، على ما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، أما تفويض الصفة والكيف فهو مذهب المبتدعة الذين لا يثبتون الصفة بل يفوضونها، وما نقله المؤلف هنا ظاهره الحق، ولكنه لا يتسق مع مذهبه الأشعري فلعله فهم منه التفويض والله أعلم. انظر: «التوحيد» لابن خزيمة ص٤٢، «الإبانة» لأبي الحسن ٥٣، «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي ٢/ ٤١٢، «الاعتقاد» للبيهقي ٤١، «شرح الواسطية» ٦٧.

(١) الطبري ١٢/ ٣٤، الثعلبي ٧/ ٤٠أ، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٥-٢٠٢٦، وانظر: «الدر» ٣/ ٥٩٢.

(٢) في (ي): (أنهم).

(٣) «العين» ٤/ ٢٢٢، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٣، (خطب)، «اللسان» ٢/ ١١٩٤. عن الليث.

(٤) هكذا في النسخ والمعنى غير واضح.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٣٤ عن ابن جريج، وأبو الشيخ عن ابن جريج أيضًا كما في «الدر» ٣/ ٥٩٢، وأخرج ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٦، وأبو الشيخ عن قتادة نحوه. «الدر المنثور» ٣/ ٥٩٢.

يريد: لا تراجعني ولا تحاورني ولا تسألني.

وقوله تعالى: ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، قال الزجاج[١] وأبو بكر: في إمهال الذين ظلموا، أو في تأخير العذاب عنهم، ويراد بالذين ظلموا قومه، قال ابن الأنباري: فدعا نوح بعد هذا القول طاعة لله واتباعًا لأمره على قومه، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ﴾ [نوح: ٢٦] الآية، وقيل: المراد بالذين ظلموا امرأته وابنه كنعان[٢].

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾، قال أبو علي الجرجاني: معناه: وأقبل يصنع فاقتصر على قوله: ﴿وَيَصْنَعُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾، قال محمد بن إسحاق[٣]: قالوا: يا نوح صرت بعد النبوة نجارًا؟ وقال عامة المفسرين[٤]: إنهم رأوه ينجر الخشب، ويبني شبه البيت العظيم، فإذا سألوه عن ذلك قال: أعمل سفينة تجري في الماء، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة، ولا ماء هناك يحمل مثلها، فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها، فقال نوح: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾، قال أبو إسحاق[٥]: إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلون. وقال ابن الأنباري[٦]: إن تسخروا منا لما ترون من صنعة الفلك فإنا نعجب من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

(٢) البغوي ٤/ ١٧٤، «البحر المحيط» ٥/ ١٢١.

(٣) الطبري ١٢/ ٣٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٧٥، ابن عطية ٧/ ٢٩٠.

(٤) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، القرطبي ٩/ ٣٢.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠ بمعناه.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٠٣.

غفلتكم عما قد أظلكم من العذاب.

وقال بعض المفسرين[(١)]. إن تسخروا منا الساعة، فإنا نسخر منكم بعد الغرق، ووقوع البوار بكم. وقال أهل المعاني[(٢)]: سمى الثاني سخرية، [وليس بسخرية][(٣)] في الحقيقة؛ ليتفق اللفظان فيكون اتفاقهما أخف على اللسان، وقد مضى لهذا نظائر.

٣٩- قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ الآية، قال ابن عباس[(٤)]: هذا وعيد وتهديد، وقال الزجاج[(٥)]: أعلمهم ما يكون عاقبة أمرهم، أي فسوف تعلمون من أحق بالخزي ومن هو أحمد عاقبة.

وفي قوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ وجهان:

أحدهما: أن يكون استفهامًا بمعنى (أي)، كأنه قيل: فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب، وعلى هذا محله رفع بالابتداء.

والثاني: أن يكون بمعنى (الذي) ويكون في محل النصب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: يجب عليه وينزل به، وسنذكر استقصاء هذا الحرف عند قوله: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ﴾ في سورة طه [٨١] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ يعني عذاب الآخرة.

---

(١) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣، القرطبي ٩/ ٣٣، «تفسير مقاتل» ١٤٦أ.

(٢) البغوي ٤/ ١٧٥، «زاد المسير» ٤/ ١٠٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) انظر: ابن عطية ٧/ ٢٩٠، «زاد المسير» ٤/ ١٠٤، القرطبي ٩/ ٣٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٢، ابن كثير ٢/ ٤٨٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٠.

٤٠- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ أي: أمرنا بعذابهم وإهلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، اختلفوا في معنى التنور؛ فقال ابن عباس[١] في رواية الضحاك: ظهر الماء على وجه الأرض، وقيل لنوح ﷺ: إذا رأيت الماء على وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة والزهري وابن عيينة[٢]، ورواية الوالبي أيضًا عن ابن عباس[٣].

وقال قتادة[٤]: ذكر لنا[٥] أنه أرفع الأرض وأشرفها، جعل ذلك علامة بين نوح ﷺ وبين ربه ﷻ.

قال أبو بكر[٦]: والمعنى على هذا: ونبع الماء من أعالي الأرض ومن الأمكنة المرتفعة، فشبهت لعلوها بالتنانير.

روي عن علي[٧] رضي الله عنه أنه قال: هو تنوير الصبح، ومعناه: طلع الفجر، قال أبو بكر: ومن ذهب إلى هذا قال: المعنى وبرز النور

---

(١) الطبري ١٢/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وأخرجه أيضًا سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦، ابن عطية ٧/ ٢٩١.

(٢) رواه عنهم الطبري ١٢/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤١ب، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦.

(٣) ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩.

(٤) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦، وروي هذا القول عبد بن حميد وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ عن ابن عباس كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦.

(٥) في (ي): (له).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٧) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤١ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٢٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٥٩٦.

وظهر الضوء، وتقضى الليل، فشبه تتابع الأضواء والأنوار بخروج النار من التنور.

وقال ابن عباس[(١)] في رواية عطية وعطاء: يريد التنور الذي يخبز فيه، قال الحسن[(٢)]: وكان تنورًا من حجارة، وكان لآدم وحواء حتى صار إلى نوح، وقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك.

وقال مقاتل بن سليمان[(٣)] عن عدة من أهل التفسير: فار التنور من أقصى دار نوح بعين وردة من أرض الشام.

وقال مجاهد[(٤)]: نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة، وهو قول الشعبي[(٥)] واختيار الفراء[(٦)]، قال: هو تنور الخابز، ونحو هذا قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[(٧)].

قال أبو بكر[(٨)]: والقول الذي يذهب إليه: هو أن التنور تنور الخبز؛

---

(١) الطبري ١٢/ ٣٩، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦، ابن عطية ٧/ ٢٩١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤١ب، البغوي ٤/ ١٧٦، وذكره ابن الجوزي عن ابن عباس. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٦أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، البغوي ٤/ ١٧٦.

(٤) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥، البغوي ٤/ ١٧٦.

(٥) الطبري ١٢/ ٤٠، الثعلبي ٧/ ٤٢أ، البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٠٥.

(٨) ما ذكره عن ابن الأنباري هو الذي رجحه الطبري ١٢/ ٤٠، وهو قول أكثر المفسرين كما قال البغوي ٤/ ١٧٦، وقال ابن كثير ٢/ ٤٨٨: هذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف.

لأن الحمل على الظاهر الذي[١] هو حقيقة أولى من الحمل على المجاز والتمثيل. وأما التنور في اللغة[٢]؛ فقال الليث[٣]: التنور عمت بكل لسان وصاحبه تنار[٤].

قال الأزهري: وهذا يدل على أن الاسم أعجمي فعربته العرب [فصار عربيًا][٥] على بناء فعول، والدليل على ذلك أن أصل بنائه تنر، ولا يعرف في كلام العرب نون قبل راء، وهو نظير ما دخل من كلام العجم في كلام العرب، مثل الديباج والدينار والسندس والاستبرق ولما تكلمت بها العرب صارت عربية.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾، قال أبو الحسن الأخفش[٦]: يقال للاثنين هما زوجان، قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] قال الحسن[٧]: السماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، حتى يصير الأمر إلى الله جل جلاله الفرد الذي لا يشبهه شيء، ويقال للمرأة هي

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) هذا النقل إلى نهايته من «تهذيب اللغة» للأزهري ١/ ٤٥٦ (تنر).

(٣) الليث هو: ابن نصر بن سيار الخراساني، ويقال ابن المظفر بن نصر، إمام لغوي، من أصحاب الخليل، ويقال هو صاحب (العين). انظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤٧، «معجم الأدباء» ١٧/ ٤٣.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٢٧، «الحجة» ٤/ ٣٢٤.

(٧) ذكره الطبري ١٢/ ٤١ من غير إسناد.

زوج، وللرجل[1] هو زوجها، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] [يعني المرأة، فالواحد يقال له زوج كما ذكرنا، وقد يقال للاثنين هما زوج][2]؛ قال لبيد[3]:

زوج عليه كِلَّةٌ وقِرامُها

ففسر الزوج بشيئين، ويدل على أن الزوج يقع على الواحد قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ﴾[4] فالزوجان في قوله: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ يراد بهما الشياع، وليس يراد بذلك الناقص عن الثلاثة، قال ابن عباس[5] في قوله: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ يريد في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾؛ الذكر زوج والأنثى زوج، وهو قول الحسن[6] ومجاهد[7]

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) من معلقته، وصدره:

مـن كـل محفـوف يُظـلُ عصيـه

المحفوف: الهودج الذي ستر بالثياب، عصيه: عصى الهودج، والزوج: النمط الواحد من الثياب، والكلة من الستور: ما خيط فصار كالبيت، القرام: الغطاء، وهو الستر المرسل على جانب الهودج، انظر: «ديوانه» ص٩٦، «شرح المعلقات السبع» ص ٥٣١، «اللسان» ٣/ ١٨٨٦ (زوج)، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٢٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٧٤.

(٤) الأنعام: ١٤٣، ١٤٤، ومن هنا بدأ النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٢٧.

(٥) البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، الطبري ١٢/ ٤٠.

(٦) انظر: الرازي ١٧/ ٢٢٦.

(٧) الطبري ١٢/ ٤٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٠ وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠١.

وقتادة[١] والضحاك[٢]، قالوا ذكرا وأنثى.

وقرأ حفص[٣] ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين أراد من كل شيء، ومن كل زوج زوجين اثنين، فحذف المضاف إليه، ويكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين، أتي به للتأكيد، كما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١] وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد، كقولهم: نعجة أنثى، وأمس الدابر، وقوله: ﴿نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[٤]، وعلى قراءة العامة نصب اثنين بالحمل، وليس صفة لزوجين[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَهۡلَكَ﴾، أي احمل أهلك، قال المفسرون[٦]: يعني ولده وعياله، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾، قال ابن عباس: يريد من كان في علمي أنه يغرق بفعله وكفره، قالوا[٧]: يعني: امرأته واعلة، وابنه كنعان، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾، يريد واحمل من صدقك، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾، قال ابن عباس[٨]: ثمانون إنسانًا وكان فيهم ثلاثة من بنيه: سام وحام ويافث،

(١) الطبري ١٢/ ٤١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤١.

(٣) «التبصرة» /٥٣٨، «السبعة» ٣٣٣، «النشر» ٣/ ١١٤، «إتحاف» ٢/ ١٢٥، «الحجة» ٤/ ٣٢٤.

(٤) الحاقة: ١٣. وفي (ي): (نعجة)، وهي في سورة ص: الآية ٢٣.

(٥) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٢٨ بتصرف.

(٦) الطبري ١٢/ ٤١، الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٦، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦.

(٧) الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٦-١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٦، القرطبي ٩/ ٣٥.

(٨) الطبري ١٢/ ٤٣، الثعلبي ٧/ ٤٢ب، البغوي ٤/ ١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٢، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ٣/ ٦٠١، القرطبي ٩/ ٣٥.

وثلاث كنائن له، ونحو ذلك قال مقاتل بن سليمان[(١)] وغيره، وقالوا: قرية الثمانين[(٢)] بناحية الموصل، إنما سميت لأن هؤلاء لما خرجوا من السفينة بنوها، فسميت بهم، وعلى هذا سمى الله ثمانين قليلًا.

قال أبو إسحاق: لأن ثمانين[(٣)] قليل في جملة أمة نوح.

قال ابن الأنباري: ووحد القليل؛ لأنه لفظ مبني للجمع لما كان الواحد لا يوصف[(٤)] به ولا الاثنين، فلما كان مبناه للجمع استغنى عن علامة الجمع، وجمع في قوله: ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤] استيثاقًا من الجمع، لما كان (قليل) لفظه لفظ الواحد، كما جمعت العرب البيوت وهي جمع؛ للاستيثاق فقالوا: بيوتات، قال: ويجوز أن يقال في توحيد القليل إنه وصف لجمع خرج على تقطيع الواحد، تقديره وما آمن معه إلا نفر قليل، وقيل: أراد الجمع فاكتفى بالواحد منه، كقوله[(٥)]:

---

(١) الثعلبي ٧/ ٤٢ ب، البغوي ٤/ ١٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧.

(٢) قال ياقوت الحموي: بُليدة عند جبل الجودي، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل، كان أول من نزله نوح ﷺ، لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنسانًا، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسمي الموضع بهم، «معجم البلدان» ٢/ ٨٤.

(٣) في جميع النسخ (ثمانون) والصواب ما ذكرته، كما هو في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٢.

(٤) في (ب): (يصف).

(٥) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس من بكر بن وائل، وصدره:

الــواردون وتــيــم فــي ذرى ســبــأ

والشاهد أنه قال: جلد ولم يقل جلود. انظر: ديوانه ص٢٥٢، «معاني القرآن» ١/ ٣٠٨، ومعنى البيت أن تيم يحتمون بسبأ ويمتنعون بها، ولا عصمة لهم من =

قد عض أعناقهم جلد الجواميس

وقد مرَّ.

٤١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾، يعني قال نوح لقومه الذين أمر بحملهم: «اركبوا»، والركوب العلو على ظهر الشيء، فمنه ركوب الدابة، وركوب السفينة، وركوب البر، وركوب البحر، وكل شيء علا شيئًا فقد ركبه، وركبه الدين، قال الليث: وتسمي العرب من يركب السفينة ركاب السفينة، وأما الرُّكْبَانُ والأرْكوب والرَّكب فراكبو الدّواب والإبل، قال الأزهري(١): وقد جعل ابن أحمر ركاب السفينة ركبانًا فقال(٢):

يهل بالفرقد ركبانها كما يُهِلُّ الراكب المعتمر

وقوله تعالى: ﴿فِيهَآ﴾ لا يجوز أن تكون (في) من صلة الركوب؛ لأنه يقال: ركبت السفينة، ولا يقال: ركبت في السفينة، والوجه ههنا أن يقال: مفعول (اركبوا) محذوف على تقدير: اركبوا الماء في السفينة، فيكون

= أنفسهم. «الخزانة» ٣/ ٣٧٢، «الطبري» ١٤/ ١١٧، «اللسان» ٥/ ٢٥٩٠، «المخصص» ١/ ٣١، ٤/ ٤١.

(١) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٦ (ركب).

(٢) قائل البيت هو ابن أحمر، عمرو بن أحمر الباهلي، كان من شعراء الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم ومدح عمر فمن بعده إلى عبد الملك بن مروان. وقيل: توفي في خلافة عثمان. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٧١، ٥٨٠، «خزانة الأدب» ٦/ ٢٥٦.

والبيت يعني قومًا ركبوا سفينة فغمت السماء ولم يهتدوا، فلما طلع الفرقد كبروا لأنهم اهتدوا للسمت الذي يؤمونه، انظر: «ديوانه» ص٦٦، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٦، مادة (ركب)، اللسان ٣/ ١٧١٤، «جمهرة اللغة» ص٧٧٢، «ديوان الأدب» ٣/ ١٦٤، «تاج العروس» ٢/ ٣٥ (ركب)، «أساس البلاغة» (هلل)، وبلا نسبة في «اللسان» (هلل) ٨/ ٤٦٨٩، و«تاج العروس» (هلل).

قوله: ﴿فِيهَآ﴾ حالا من الضمير في (اركبوا)، ويجوز أن يقال المعنى: اركبوها أي الفلك، وزاد (في) للتأكيد كقوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وفائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا [في جوف الفلك لا على ظهرها، فلو قال: (اركبوها) لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا][(١)] على ظهر السفينة.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مُجْراهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ المُجرى: مصدر كالإجراء، ومثله قوله: ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩] و﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[(٢)]، وقرئ ﴿مَجْراها﴾[(٣)] بفتح الميم وهو أيضًا مصدر مثل الجري، واحتج صاحب هذه القراءة بقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢] ولو كان (مُجراها) لكان (وهي تُجرَىٰ بهم)، فكأنه قال: (وهي تجريهم)[(٤)].

وأما المُرْسَى: فهو أيضًا مصدر كالإرساء يقال: رسا الشيء يرسو: إذا ثبت، وأرساه غيره، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٢]. قال ابن عباس[(٥)] في رواية عطاء: يريد تجرى باسم الله وقدرته، وقال الضحاك[(٦)]: كان إذا أراد أن تجري قال: باسم الله فجرت، وإذا أراد أن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الإسراء: ٨٠. في الأصل (وأدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) وهو خطأ.

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف، «السبعة»٣٣٣، «التبصرة» ٥٣٨، «النشر» ٣/ ١١٤، «إتحاف» ص٢٥٦.

(٤) «الحجة» لأبي على ٤/ ٣٣١، وأيّد هذا الوجه الطري ١٢/ ٤٣-٤٤.

(٥) روى الطبري ١٢/ ٤٤ نحوه عن مجاهد.

(٦) الطبري ١٢/ ٤٤-٤٥، الثعلبي ٧/ ٤٣ ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٣.

ترسو قال: (باسم الله) فرست[١].

قال أبو إسحاق[٢]: أي بالله تجري وبه تستقر، ومعنى قولنا: باسم الله أي بالله، وهذه الأقوال معناها واحد، وأما تقدير الإعراب فقال الفراء[٣]: إن شئت جعلت (مجراها) و(مرساها) في موضع رفع بالباء، كما يقال: إجراؤها وإرساؤها باسم الله، وبأمر الله، وإن شئت جعلت (باسم الله) ابتداء مكتفيًا بنفسه، كقول القائل عند المأكل: بسم الله، ويكون (مجراها) و(مرساها) في موضع نصب، يريد: بسم الله في مجراها ومرساها، وزاد ابن الأنباري لهذا بيانًا فقال: في هذه الآية[٤] قولان:

أحدهما: أن يرتفع المجرى بالباء الزائدة، وتفتقر الباء إلى المجرى؛ لأنها خبره ورافعته، والتقدير: إجراؤها باسم الله، وموضع الباء نصب لخلافها المجرى، إذ المجرى اسم، والباء ليست باسم، إنما هي حرف معنى ملحق بالمَحَالّ، يريد أن التقدير: إجراؤها يقع باسم الله، أو يحصل باسم الله، فالباء في محل النصب بهذا التقدير وهي في الظاهر رفع لخبر المبتدأ، وليس هذا كقولهم: زيد قائم؛ لأن قائمًا هو زيد، وليس بمخالف[٥] له، وهذا كقوله: زيد عندك، هذا معنى قول أبي بكر لخلافها المجرى المفصل.

القول الثاني: أن يكون المجرى في موضع نصب على مذهب الوقت

---

(١) في (ب): عكس الجملتين.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٢.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (المخالف).

ومنهاج المحل، تلخيصه باسم الله في مجراها ومرساها، فإذا سقط الخافض قضى على ما بعده بالنصب، كما تقول: أتيتك يوم الخميس، هذان القولان هما قولا الفراء[١] وشرحهما.

وقال أحمد بن يحيى: الباء منصوبة بفعل محذوف يدل عليه ويكنى[٢] منه، والمجرى مرفوع بالباء التي خلفت الفعل الذي لو ظهر لكان هو الرافع للمجرى، وتمثيله: يقع باسم الله مجراها ومرساها، فكان افتقار الباء إلى المجرى كافتقار الفعل لو ظهر إلى فاعله.

قال أبو علي الفارسي[٣]: قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون حالا من الضمير في (اركبوا)، على حد قولك: ركب في سلاحه، وخرج بثيابه، والمعنى ركب مستعدًا بسلاحه، وملتبسا بثيابه، وفي التنزيل: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٦١]، فكان المعنى: اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله، والمجرى والمرسى على هذا ظرف، بنحو (مَقْدَمَ الحاج)، و(خُفُوقَ النجم)، كأنه: متبركين بهذا الاسم، أو متمسكين في وقت الجري والإجراء على حسب الخلاف بين القراء فيه، ولا يكون الظرف متعلقًا باركبوا؛ لأن المعنى ليس[٤] عليه، ألا ترى أنه لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري، والثبات، إنما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين الذي لا ينفك الراكبون فيها منهما، فموضع مجراها

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١٤.

(٢) في (ي): (يكفى).

(٣) «الحجة» ٤/ ٣٣٠ باختصار وتصرف.

(٤) في (ب): (يسمى).

نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى[١]، وهذا الوجه الذي ذكره أبو علي وجه آخر في التفسير سوى ما ذكرنا عن ابن عباس والضحاك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد غفور لأصحاب السفينة رحيم بهم، قال أهل المعاني: اتصال هذا بما قبله اتصال المعنى بما يشاكله؛ لأنه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة، ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلب بالطاعة[٣] كما اجتلبت النجاة.

٤٢- قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي الفلك ﴿فِي مَوْجٍ﴾ جمع موجة، وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، وأعظم ما يكون ذلك إذا اشتدت[٤] الريح وماج البحر، وتموج: إذا اضطربت أمواجه وتحركت، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾، قال محمد بن إسحاق[٥]: كان كافرًا واسمه يام، وقال الكلبي ومقاتل[٦]: اسمه كنعان.

﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾، قال أبو إسحاق[٧] وابن الأنباري: أي من دين نوح؛ لأنه كان كافرًا مخالفًا عن نوح، خارجا عن[٨] جمعه أهل دينه، قالا: ويجوز أن يكون في معزل من السفينة، قال أبو بكر: وهذا أشبه

---

(١) إلى هنا انتهى النقل من أبي على الفارسي، «الحجة» ٤/ ٣٣١.

(٢) القرطبي ٩/ ٣٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٥.

(٣) في (ب): (باتصال).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، القرطبي ٩/ ٣٨، ابن كثير ٢/ ٤٨٩، الطبري ١٢/ ٤٥.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٦ أ، البغوي ٤/ ١٧٨، «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، القرطبي ٩/ ٣٨، الثعلبي ٧/ ٤٣ ب.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

(٨) في (ب): (من).

بظاهر القرآن؛ لأنه اعتزل السفينة وهو يظن أن الجبل يمنعه من الغرق، والمعزل في اللغة معناه: موضع منقطع عن غيره، وأصله من العزل وهو التنحية والإبعاد. يقال: كنت بمعزل عن كذا، أي بموضع قد عزل منه.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾، وقرئ[1] بفتح الياء، قال أبو علي[2]: الوجه الكسر، وذلك أن اللام من ابن «ياء»[3] أو «واو»، فإذا حقرت ألحقت ياء التحقير، فلزم أن ترد اللام التي حذفت؛ لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك ياء التحقير بحركات الإعراب، وتعاقبها عليها، وهي لا تحرك أبدًا بحركة الإعراب ولا غيرها؛ لأنها لو حركت للزم أن تنقلب كما تنقلب سائر حروف اللين، إذا كانت حرف إعراب نحو: عصا وقفا، ولو انقلبت بطلت دلالتها على التحقير، فلهذا ردت اللام، فإذا رددتها وأضفت إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياآت: الأولى منها للتحقير، والثانية لام الفعل، والثالثة التي للإضافة، تقول: (هذا بني)، فإذا ناديته جاز فيه وجهان: إثبات الياء وحذفها، والاختيار حذف الياء التي للإضافة وإبقاء الكسرة دلالة عليه نحو: يا غلامِ، وهذا الوجه هو الجيد عنهم؛ وذلك أن الياء ينبغي أن تحذف في هذا الموضع لمشابهتها التنوين، وذاك من أجل ما بينهما من المقاربة، ومن ثم أدغم في الواو والياء وهو على

---

(١) اختلف القراء في (يا بني) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسائي (يا بُني) مضافة بكسر الياء. وقرأ حفص عن عاصم (يا بنيَّ) بالفتح في كل القرآن، ووافقه في هذا الموضع فقط أبو بكر عن عاصم. «السبعة» ٣٣٤، «التبصرة» ٥٣٩، «النشر» ٣/ ١١٥، «إتحاف» ص٢٥٦، «الحجة» ٤/ ٣٣٣.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٣٣- ٣٤١ باختصار وتصرف.

(٣) ساقط من (ي).

حرف، كما أن التنوين كذلك، فأجريت الياء مجرى التنوين في حذفها من المنادى، ومن قرأ (يا بنيَّ) بفتح الباء فإنه أراد الإضافة[١] أيضًا كما أرادها من قرأ بالكسر، لكنه أبدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنيا كما قال[٢]:

يا ابنة عما لا تلومي واهجعي

ثم حذف الألف كما تحذف الياء في ياء بني، وقد حذفت الياء التي للإضافة إذا أبدلت الألف منها، أنشد أبو الحسن[٣]:

فلست بمدرك ما فات مني ... بـ (لهف) ولا بـ (ليت) ولا (لو اني)

قال: قوله بلهف إنما هو بلهفا فحذف الألف، والألف بدل عن ياء الإضافة.

---

(١) في (ي): (إضافته).

(٢) القائل هو: أبو النجم العجلي في أرجوزة له يخاطب امرأته أم الخيار. وهي ابنة عمه، ولها يقول:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... عليّ ذنبًا كله لم أصنع

وقوله: (واهجعي) أي: اسكني أو نامي. انظر: سيبويه ١/ ٣١٨، «المحتسب» ٤/ ٢٣٨، «شرح أبيات المغني» ٦/ ١٥٩- ١٦١، «الحجة» ٤/ ٩١.

«تهذيب اللغة» (هجع) ٤/ ٣٧٢٠، «اللسان» (هجع) ٨/ ٤٦٢١، «خزانة الأدب» ١/ ٣٦٤، «الدرر» ٥/ ٥٨، اللسان (عمم) ٥/ ٣١١١،«المقاصد النحوية» ٤/ ٢٢٤، «نوادر أبي زيد» ١٩.

(٣) البيت لم ينسب، وهو من شواهد «الخصائص» ٣/ ١٣٥، «المحتسب» ١/ ٢٧٧، ٣٢٣، الخزانة ١/ ٦٣، «اللسان» ٧/ ٤٠٨٧، (لهف)، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٤١، «الأشباه والنظائر» ٢/ ٦٣، ١٧٩، «الإنصاف» ص٣٣٠. «أوضح المسالك» ٤/ ٣٧، «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٥٢١، «المقاصد النحوية» ٤/ ٢٤٨.

وقال أبو عثمان[١]: وضع الألف مكان الياء في الإضافة مطرد، وأجاز: يا زيدا أقبل إذا أردت الإضافة، قال: وعلى هذا قراءة من قرأ: (يا أبت) بالفتح، وأنشد[٢]:

لَقَد زَعَموا أنّي جَزعتُ عَليهما وهل جزعٌ أن قلتُ وابأبا هما[٣]

وكل ما ذكرنا ههنا معنى كلام أبي إسحاق[٤] وزاد فقال: يجوز أن يكون حذف ياء الإضافة في قول من كسر؛ لسكونها وسكون الراء في ﴿ٱرْكَب﴾، والآية بيان عن حال ما عظم شأنه، وتفاقم أمره، من سفينة تجري في موج كالجبال، بماء قد طبق الأرض وعمّ الخلق إلا من نجاه الله، ومع ذلك فابن نوح يرى هذا كله فلا يؤمن ويقول: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾.

٤٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾، قال ابن عباس[٥]: يريد أنضم إلى جبل يعصمني من الماء، يريد: يمنعني من الماء فلا أغرق، والعصمة: المنع من الآفة، قال الزجاج[٦]: والمعنى

---

(١) «الخصائص» لابن جني ٣/ ١٣٥.

(٢) البيت لعمرة الخثعمية في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي / ١٠٨٢، ولها أو لدرنا بنت عبعبة في«المقاصد النحوية» ٣/ ٤٧٢، البيت مع آخر بعده في «النوادر» ٣٦٥، نسبهما لامرأة من بني سعد جاهلية، وفي «اللسان» ١/ ١٧ مادة (أبي) ونسبهما إلى درني بنت سيار بن ضبرة ترثي أخويها، ويقال لعمرة الخيثمية، وقولها (وابأبا هما) تريد: وابأبي هما. وبلا نسبة في «شرح المفصل» ٢/ ١٢.

(٣) إلى هنا انتهى النقل عن أبي علي من «الحجة» ٤/ ٣٣٣- ٣٤١، باختصار وتصرف.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

(٥) قال به الطبري ١٢/ ٤٥، البغوي ٤/ ١٨٧، «زاد المسير» ٤/ ١١٠، القرطبي ٩/ ٣٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

يمنعني من تغريق الماء. قال نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ استثناء منقطع، المعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم، وعلى هذا محل ﴿مَن﴾ نصب كقوله[1]:

إلا أوّاري ....

وهذا قول الفراء والزجاج، قال الفراء[2]: ومن أجاز في الاستثناء المنقطع أن يكون رفعًا نحو:

.... إلا اليعافير[3]

لم يجز له الرفع في (من)؛ لأن الذي قال إلا اليعافير جعل أنيس البر

---

(١) جزء من بيت للنابغة، والبيت هو:

إلا أواريّ لأيًا ما أبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد

وقبل هذا البيت بيتان هما:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيَّت جوابًا وما بالربع من أحد

وهذه الأبيات مقدمة قصيدة، قالها في مدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه عنه، وفي الديوان (إلا الأواري). انظر: ديوانه ص١٤ تحقيق الطاهر بن عاشور، «الخزانة» ٢/ ١٢٥، «معاني القرآن» ١/ ٤٨٠، «المقتضب» ٤/ ٤١٤، «شرح شواهد المغني» ٢٧.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٥.

(٣) قطعة من الرجز لعامر بن الحارث المعروف بجران العود، والبيت:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

انظر: «ديوانه» / ٩٧، «خزانة الأدب» ١٠/ ١٥- ١٨، «الدرر» ٣/ ١٦٢، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ١٤٠، «شرح المفصل» ٢/ ٢٧١، «المقاصد النحوية» ٣/ ١٧٠، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٩١، «الإنصاف» ص٢٣٤، «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٧١ (إلا)، اللسان (كنس) ٧/ ٣٩٣٨، أوضح المسالك ٢/ ٢٦١.

اليعافير والوحوش، فيكون الاستثناء كالمتصل ولا يجوز ههنا أن يكون المعصوم عاصما، هذا وجه في الاستثناء.

قال أبو إسحاق[١]: ويجوز[٢] أن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ في معنى معصوم ويكن معنى ﴿لَا عَاصِمَ﴾: لا ذا عصمة، كما قالوا: (عيشة راضية) على جهة النسب، أي ذات رضا، ويكون ﴿مَنْ﴾ على هذا التفسير في موضع رفع ويكون المعنى: لا معصوم إلا المرحوم، ونحو هذا قال الفراء[٣] وقال: لا ينكرون أن يخرج المفعول على فاعل، ألا ترى قوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] معناه: مدفوق، وقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] معناها: مرضية، وقال[٤]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

ومعناه: المكسو، فعلى قول الفراء يجوز أن يكون الفاعل بمعنى المفعول على ما ذكر، وقال علماء البصرة[٥]: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ بمعنى مدفوق، باطل من الكلام؛ لأن الفرق بين بناء الفاعل وبناء المفعول واجب، وهذا عند سيبويه وأصحابه يكون على طريق النسب، من غير أن يعتبر فيه فعل، فهو فاعل نحو: رامح، ولابن، وتامر، وتارس، ومعناه: ذو رمح، وذو

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٤.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٦، «تهذيب اللغة» (عصم) ٣/ ٢٤٦٥.

(٤) القائل هو الحطيئة، والبيت من قصيدة يهجو فيها الزبرقان بن بدر التميمي، «ديوانه» ٥٤، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٦، «الأغاني» ٢/ ٥٥، الطبري ١٢/ ٤٦، «اللسان» (ذرق) ٣/ ١٤٩٩، «خزانة الأدب» ٦/ ٢٩٩، «شرح المفصل» ٦/ ١٥، «الشعر والشعراء» ص٢٠٣، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٩١٦.

(٥) «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٣، و«الدر المصون» ٣/ ١٠١، ١٠٢.

لبن، كذلك ههنا «عاصم» بمعنى ذو عصمة من قبل الله تعالى، ليس أنه عصم فهو عاصم بمعنى معصوم على الإطلاق الذي ذكره الفراء، وقوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾، قال الفراء[١]: حال بين ابن نوح وبين الجبل ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

٤٤- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾ بعدما تناهي أمر الطوفان: ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾، يقال: بلع الماء يبلعه بلعًا: إذا شرب، وابتلع الطعام ابتلاعًا: إذا لم يمضغه.

وقال أهل اللغة: الفصيح بلع بكسر اللام يبلع بفتحها، ونحو ذلك روى أبو عبيد[٢] عن الكسائي، وقال الفراء[٣]: يقال: بلِعت وبلَعت.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾، يقال: أقلع الرجل عن عمله: إذا كف عنه، وأقلعت السماء بعدما أمطرت إذا أمسكت.

قال ابن الأنباري[٤]: أي عن إنزال الماء، فلما تقدم ذكر الماء لم يعد ههنا.

وقوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾، يقال: غاض الماء يغيض غيضًا ومغاضًا: إذا نقص، وغضته أنا، وهذا من باب فعل الشيء وفعلته أنا، ومثله جبر العظم وجبرته، وفغر الفم وفغرته، ودلغ اللسان ودلغته، ومد النهر ومده نهر آخر، وسرح المال إلى المرعى وسرحته، ونقص الشيء ونقصته، قال المفسرون: ونقص الماء، وما بقي مما نزل من السماء فهي

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ١٧.

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٦ (بلع).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ١٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١١١.

هذه البحار المالحة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، قال أبو بكر[١] وغيره: معناه: وأحكم هلاك قوم نوح، ومعنى القضاء الإحكام وإتمام الأمر والفراغ منه، كأنه قيل[٢]: أوقع الهلاك بقوم نوح على تمام وإحكام، وفرغ من ذلك.

قال مجاهد[٣] في قوله: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾: أهلك قوم نوح، قال كثير من المفسرين[٤]: إن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة، فلم يغرق إلا ابن أربعين، فعلى هذا لم يهلك الله بالغرق طفلًا ولا وليدًا لم تقم عليه الحجة.

وقال ابن جرير[٥]: هلك الولدان بالطوفان، كما هلك الطير والسباع، وافق الغرق آجالهم، فذهب إلى أن الغرق لم يكن عقوبة للولدان، وإنما كان سببا للموت عند حضور الأجل، والله أعلم، ويؤكد هلاك الولدان ما روي في الخبر: أن امرأة أتت بصبي لها إلى جبل، فلما رهقها الماء رفعته، فلما كثر الماء رفعته رقة له، حتى غرقت وغرق الصبي، فلو رحم الله أحدًا من قوم نوح [من المشركين][٦] لرحم أم[٧] ذلك

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١١٢، «البحر المحيط» ٥/ ٢٢٨.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٤٧، «زاد المسير» ٤/ ١١١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٧، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠٥.

(٤) الرازي ١٧/ ٢٣٥، القرطبي ٩/ ٤١.

(٥) رواه الطبري ١٢/ ٤٩ عن الضحاك.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) ساقط من (ي).

الصبي(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾، قال ابن عباس(٢) وعامة المفسرين(٣): استوت السفينة على جبل بالجزيرة يقال له الجودي، قال أبو بكر(٤): كان استواؤها عليه دلالة على نفاد الماء وانقطاع ما يزيل عنها الاستواء بتحريكه وتنحيته ومنعه من الثبات في موضع واحد، وفي الحديث(٥): «**أن نوحًا ركب السفينة في رجب، فجرت بهم ستة أشهر، ومرت بالبيت فطافت به سبعًا، وقد رفعه الله من الغرق، وأرسيت على الجودي يوم عاشوراء، فصام نوح، وأمر جميع من معه فصاموا شكرًا لله**».

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال ابن عباس(٦): يريد

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٦ من حديث عائشة عن النبي ﷺ. والطبري ١٢/ ٣٥، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٤٢ وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وخالفه الذهبي في التلخيص، وقال: إسناده مظلم بسبب موسى بن يعقوب الزمعي وليس بذاك، قال فيه ابن المديني: ضعيف منكر الحديث. انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٩٢.

(٢) الطبري ١٢/ ٤٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٨ عن مجاهد وسفيان وقتادة والضحاك. وانظر: البغوي ٤/ ١٧٩، «زاد المسير» ٤/ ١١٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١١٢.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٧ عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه مرفوعًا، وقد علق عليه أحمد شاكر بقوله: (وهذا خبر هالك من نواحيه جميعًا وقال: وأما عبد العزيز ابن عبد الغفور، فهذا اسم مقلوب، وإنما هو (عبد الغفور بن عبد العزيز) ويقال: عبد الغفار، ويروي عنه عثمان بن مطر وهو كذاب خبيث كان يضع الحديث. انظر: «تعليقه على الطبري» ١٥/ ٣٣٥.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١١٢.

بعدًا من رحمة الله للقوم المتخذين من دونه إلها، قال أهل المعاني: معناه أبعدهم الله من الخير بعدًا على جهة الدعاء، ويجوز أن يكون [الله قال لهم ذلك](١)، ويجوز أن يكون من قول المؤمنين، وهو منصوب على المصدر.

٤٥- قوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، اختلف المفسرون في قوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾؛ فقال عكرمة عن ابن عباس(٢): إنه لابنُه ولكنه خالفه في النية والعمل، فذلك الذي فرق بينهما، ونحو هذا قال محمد بن إسحاق(٣)، والكلبي(٤) ومقاتل(٥): قالوا هو ابنه من صلبه.

وروى ابن عيينة عن عمار الدهني قال: قلت لسعيد بن جبير كان ابنه؟ فقال: يا بني إن الله لا يكذب(٦)، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾، وذهب طائفة إلى أن هذا الذي خالف نوحًا كان ابن امرأته، ولم يكن ابن صلبه(٧).

رُوي عن علي رضي الله عنه أنه قرأ(٨): (ونادى نوح ابنها وكان في معزل) وروى إسرائيل عن جابر عن ابن جعفر الباقر(٩) في قوله ﴿إِنَّ ٱبْنِى﴾

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الطبري ١٢/ ٥١، الثعلبي ٧/ ٤٥ أ، ورجحه البغوي ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣، القرطبي ٩/ ٤٥ ورجحه. وابن كثير ٢/ ٤٨٩ ورجحه وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٩، وسعيد بن منصور كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣.

(٣) «الوسيط» ٢/ ٥٧٥، «البداية والنهاية» ١/ ١١٣.

(٤) «الوسيط» ٢/ ٥٧٥.

(٥) «تفسير مقاتل» ١٤٦أ.

(٦) «تفسير سفيان بن عيينة» ٢٦٨.

(٧) الطبري ١٢/ ٤٩، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٨) أخرجه ابن الأنباري في «المصاحف» وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣.

(٩) الطبري ١٢/ ٥٠، والرواية عن أبي جعفر الباقر، الثعلبي ٧/ ٤٤ب، البغوي =

قال: هذا بلغة طيء لم يكن ابنه، إنما كان ابن امرأته.

[ونحو ذلك قال الهيثم بن عدي الطائي[١]، وقال مجاهد[٢] أيضًا: كان ابن امرأته][٣].

وقال قتادة[٤]: سألت عنه الحسن فقال: والله ما كان ابنه، [قلت إن الله حكى عنه أنه قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ وأنت تقول لم يكن ابنه][٥]، وإن أهل الكتابين لا يختلفون في أنه كان ابنه، فقال الحسن: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب، واستدل على صحة ما قال بقول[٦]: نوح: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾، ولم يقل مني[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾، قال ابن عباس[٨]: يريد الذي وعدتني أنك تنجيني وأهلي، وفي هذا سؤال النجاة لابنه، أي فأنجه من الغرق على ميعادك من إنجاء أهلي، ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ قال ابن

= ٤/ ١٨١، ابن كثير ٢/ ٤٩٠، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٩، وأبو الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي كما في «الدر» ٣/ ٦٠٣.

(١) هو: الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الطائي، الكوفي المؤرخ، قال ابن معين وأبو داود: كذاب، قال البخاري: سكتوا عنه، والنسائي: متروك الحديث، توفي سنة ٢٠٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ١٠٣، «الجرح والتعديل» ٩/ ٨٥.

(٢) الطبري ١٢/ ٥٠، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ٥٠، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب، البغوي ٤/ ١٨١، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) البغوي ٤/ ١٨١، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب.

(٨) ابن كثير ٢/ ٤٩٠.

عباس[١]: يريد: أعدل العادلين.

٤٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، [من قال: إن هذا الابن كان ابن نوح لصلبه، قال: معنى قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾][٢] أي: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك، كذا قال ابن عباس[٣] فيما روى عنه الضحاك، وروى هشيم[٤] قال: سألت أبا بشر[٥] عن هذه الآية فقال[٦]: معناه: ليس من أهل دينك.

والقولان ذكرهما الزجاج[٧]، وحكاهما أبو علي[٨]، وقال في القول الأول: بعَّد المخالفة، في الدين قربَ النسب الذي بينهما، كما تقرب الموالاة في الدين بعد النسب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وهذا إطلاع من الله تعالى نوحًا على باطن أمره، كما أطلع رسوله محمدًا ﷺ ما استبطنه المنافقون، وقال في القول الثاني: إنه من باب حذف المضاف، وعلى هذا كان سؤال نوح إنجاءه؛ لأنه كان يظن أنه

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٥١، الثعلبي ٧/ ٤٤ ب.

(٤) هشيم هو: ابن بشير بن أبي خازم، الإمام شيخ الإسلام، محدث بغداد وحافظها، أبو معاوية السلمي مولاهم، الواسطي، ثقة ثبت، توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: «التقريب» ص٥٧٤ (٧٣١٢)، «السير» ٨/ ٢٨٧.

(٥) هو: جعفر بن أبي وحشية إياس اليشكري أبو بشر، أحد الأئمة والحفاظ، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير. توفي سنة ١٢٥هـ، وقيل: ١٢٦هـ. انظر: «التقريب» ص١٣٩ (٩٣٠)، «السير» ٥/ ٤٦٥.

(٦) الطبري ١٢/ ٥١.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٥.

(٨) «الحجة» ٤/ ٣٤٢ بتصرف.

على دينه، فقد روي أنه كان منافقًا يظهر الإيمان ويسر الكفر، وكذا يقول من قال إنه ابن امرأته، وذهب جماعة إلى أنه ولد على فراش نوح، وكان ولد خبثه، وكان يظن نوح أنه ابنه، حتى أخبره الله تعالى أنه ليس ابنه، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾، وهذا قول ابن جرير[(١)]، والحسن[(٢)]، قال الحسن: إن امرأته فجرت.

وقال الشعبي[(٣)]: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته، واحتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠][(٤)]، والعلماء على أنه كان ابنه، وعليه ابن عباس فقد روى الضحاك عنه أنه قال[(٥)]: ما بغت امرأة نبي قط.

وروى سليمان بن قتة[(٦)] أن ابن عباس سئل: ما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط؟ فقال[(٧)]: كانت امرأة نوح تقول: زوجي مجنون، وكانت امرأة لوط تدل الناس على ضيفه إذا نزل به، وروى عكرمة عنه[(٨)] أنه قال: لم

---

(١) لعله ابن جريج كما في الطبري ١٢/ ٥٠، أما ابن جرير فيقول بخلاف ذلك. انظر: الطبري ١٢/ ٥١.

(٢) الطبري ١٢/ ٤٩-٥٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠، «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١١٣.

(٤) من هنا يبدأ السقط في (ب).

(٥) الطبري ١٢/ ٥١، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠، «زاد المسير» ٨/ ٣١٥.

(٦) هو: سليمان بن قتة التيمي، مولاهم البصري، المقرئ من فحول الشعراء، وثّقه ابن معين وقتة هي أمه، ولم تذكر سنة وفاته. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٩٦، «غاية النهاية» ١/ ٣١٤.

(٧) الطبري ١٢/ ٥١، عبد الرزاق ٢/ ٣١٠، القرطبي ٩/ ٤٧، «زاد المسير» ٨/ ٣١٥، «الدر المنثور» ٦/ ٣٧٧.

(٨) أخرج ابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر عن الضحاك نحوه كما في «الدر» ٦/ ٣٧٧.

يكن الله ليجعل خائنة الفرج لأحد من أنبيائه، وإنما خيانتهما الكفر، قال أبو بكر ابن الأنباري: وهذا أولى من الأخذ بتأويلٍ فيه رميُ زوج نبي بالفاحشة، ومتى وجدنا سبيلا إلى تطهير حرم الأنبياء لم نعدل عن ذلك إلى وصفهن بما يسمج، وهذا أيضًا مذهب ابن مسعود[١]: فقد قال: إنه ابنه، ولم يبتل الله ﷻ نبيا في أهله بمثل هذه البلوى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، يجوز أن تكون الهاء راجعة على السؤال، والمعنى: إن سؤالك إياي أنجي كافرًا، عمل غير صالح؛ لأنه قد تقدم دليل السؤال في قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، ويجوز أن تكون الهاء راجعة على ابن نوح، ويكون التقدير: إن ابنك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح، فحذف المضاف كما قالت الخنساء:

..... فإنما هي إقبال وإدبار[٢]

وهذا الذي ذكرنا قول أبي إسحاق[٣]، وأبي بكر[٤]، وأبي علي[٥]؛ قال أبو علي: ويجوز أن يكون ابن نوح جعل عملًا غير صالح، كما يجعل الشيء لكثرة ذلك منه؛ كقولهم: الشعر زهير، فعلى هذا لا حذف، ومن ذهب إلى أنه كان لزنية، قال: معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ أنه ولد زنى[٦]، والمفسرون على القول الأول؛ أن المعنى أن سؤالك ما ليس لك

---

(١) لم أجده في مظانه.

(٢) تقدم تخريج البيت في سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١١٤.

(٥) «الحجة» ٤/ ٣٤٢.

(٦) وممن قال بهذا الحسن كما في الطبري ١٢/ ٥٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠.

به علم عمل غير صالح[(١)]، وهو قول الكلبي وقتادة، وقال عطاء عن ابن عباس: سؤالك[(٢)] إياي عمل غير صالح، وقرأ الكسائي[(٣)]: «إنه عَمِلَ غير صالح»، وهذه القراءة قراءة النبي ﷺ[(٤)]؛ روى ذلك عنه عائشة وأسماء بنت يزيد[(٥)] وأم سلمة[(٦)]، ومعناه أن الابن عمل عملًا غير صالح، يعني الشرك،

---

(١) رواه الطبري ١٢/ ٥٣ عن إبراهيم، وقتادة، وابن عباس، ومجاهد، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٠ عن ابن عباس.

(٢) في (ي): (مسألتك).

(٣) ويعقوب من العشرة، انظر: «السبعة»/ ٣٣٤، «الكشف» ١/ ٥٣١، «النشر» ٣/ ١١٥، «إتحاف» ص٢٥٦، وقرأ بها ابن عباس كما في الطبري ١٢/ ٥٣، والأخفش كما في «معاني القرآن» ٢/ ٥٧٨.

(٤) هذا الكلام فيه إيهام بأن ما عدا هذه القراءة ليس قراءة للنبي ﷺ وهذا غير مراد، وإنما المراد أنها قراءة ثابتة عن النبي ﷺ.

(٥) هي: الصحابية أم سلمة، أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الأنصارية وقيل كنيتها أم عامر، شهدت اليرموك وعاشت بعدها دهرًا. انظر: «الإصابة» ص٢٣٤-٢٣٥، «التقريب» ص٧٤٣ (٨٥٣٢).

(٦) هذا الحديث رواه أحمد في «مسنده» من حديث أسماء بنت يزيد في ثلاثة مواضع ٦/ ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٠، وعنها أيضًا، أبو داود (٣٩٨٢)، والطيالسي في مسنده ص٢٥٦ ح١٦٣١، وأبو نعيم في «الحلية» ٨/ ٣٠١، عن أم سلمة أم المؤمنين، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٢٤٩، وأحمد عن أم سلمة ٦/ ٢٩٤، ٣٢٢، وأيضًا الطيالسي ٢٢٣ برقم ١٥٩٤، قال الترمذي بعد أن ساق الخبر: «سمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية، كلا الحديثين عندي واحد» وذهب أحمد شاكر في تعليقه على الطبري إلى أنهما حديثان ١٥/ ٣٥٠، وأن شهر ابن حوشب يروي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية التي تكنى بأم سلمة، ويروي عن أم المؤمنين أم سلمة، وأما حديث عائشة الموافق لحديث أم سلمة فقد رواه البخاري في «الكبير» ١/ ١/ ٢٨٦، ٢٨٧، ورواه الحاكم في «المستدرك»، وقال الذهبي تعليقًا عليه: «إسناده مظلم».

فحذف الموصوف وأقيمت الصفة التي هي «غير» مقامه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا[1] تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، قال أبو بكر: سأل نوح ربه من نجاته وانصراف الغرق عنه ما يسأله الوالد، وهو لا يعلم أن ذلك محظور عليه مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه ذلك، وكأن المعنى: ما ليس لك علم بجواز مسألته.

وقال أبو علي[2]: قوله «به» يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه مقدم يراد به التأخير أي ما ليس لك علم به[3] فيكون كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] و﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، و﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦]، وزعم أبو الحسن[4] أن ما يكون من هذا القبيل يتعلق بمضمر، يفسره هذا الذي ظهر بعد، وإن كان لا يجوز تسلط هذا الظاهر عليه قال: ومثل ذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢] فانتصب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ بما دلَّ عليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، ولا يجوز لما بعد ﴿لَا﴾ هذه أن تتسلط على ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾، وكذلك ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] يتعلق بما يدل عليه النصح المظهر، وإن لم يتسلط عليه، والتقدير: إني ناصح لكما من الناصحين، وكذلك «ما ليس لي به علم» يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر، وإن لم يجز أن يعمل فيه، قال أبو علي: ويجوز فيه وجه آخر،

---

(١) في النسخ: (٩ولا).

(٢) «الحجة» ٤/٣٤٣.

(٣) في (ي): (به علم).

(٤) هو أبو الحسن الأخفش.

وهو أن تكون الباء متعلقًا بما دل عليه قوله «ليس لك» والمعنى ليس لك[١] أن يستقر لك به علم، كتعلق الظرف بالمعاني، والعلم ههنا يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على حقيقته[٢]، ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ونحو ما يعلمه الحاكم من شهادة الشاهدين[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾، قال ابن عباس[٤]: يريد: إني أنهاك. ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، [قال: يريد الآثمين؛ لأن عمل المؤمنين وذنوبهم جهل ليس بكفر، كما قال موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]][٥]، وقال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] وجهل المؤمن ذنب وليس بكفر.

٤٧- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾، قال ابن عباس[٦]: يريد أنك علام الغيوب، وأنا لا أعلم ما غاب عني.

وقال ابن الأنباري: لما أعلمه الله أنه لا يجوز له أن يسأل ما لا علم له بجواز مسألته تلك[٧] اعتذر أجمل اعتذار بقوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ

---

(١) ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (على ظاهره).

(٣) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٤٤ (بتصرف).

(٤) القرطبي ٩/ ٤٨، «تنوير المقباس» ١٤١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٥٤.

(٧) ساقط من (ي).

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾. وقال أهل المعاني: لما كان السؤال منه ما يحسن ومنه ما يقبح، وجب ألا يسأل إلا عما يعلم أنه يحسن. ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾، قال ابن عباس: يريد جهلي ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، وهذه الآية تدل على جواز وقوع الصغيرة من الأنبياء عليهم السلام[١]؛ لأن المغفرة لا تكون للطاعة وإنما تكون للمعصية.

٤٨- قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد من السفينة إلى الأرض ﴿بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾، قالوا: بسلامة منا، وقالوا: بتحية منا ﴿وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ﴾، معنى البركة في اللغة: ثبوت الخير حالًا بعد حال، وأصله الثبوت، ومنه البروك، والبركة لثبوت الماء فيها، وبراكاء للقتال في قول الشاعر[٣]:

---

(١) هذا القول هو قول أهل السنة، بل قول أكثر علماء الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول». «مجموع فتاوى ابن تيمية» ٤/ ٣١٩ .

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٥، وقال به الطبري ١٢/ ٥٤، والثعلبي ٧/ ٤٥أ، والبغوي ٤/ ١٨١، والقرطبي ٩/ ٤٨.

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم، وصدره:

ولا ينجي من الغمرات إلا

والبراكاء: الثبات في الحروب. انظر: «ديوانه» ص٧٩، و«اللسان» (برك) ١/ ٢٦٧، «الخزانة» ٣/ ٣٥٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، «الدر المصون» ٥/ ٤١، «جمهرة اللغة» / ٣٢٥، «شرح التصريح» ٢/ ٢٩١، «شرح المفصل» ٤/ ٥٠.

بَـراكـاءُ[(١)] الـقِـتـالِ أَوِ الـفِـرارُ

الثبوت للقتال، وتبارك الله: ثبت تعظيمه، قال المفسرون[(٢)]: معنى البركات على نوح أنه صار أب البشر والأنبياء؛ لأن جميع من بقي كانوا من نسله، قال ابن عباس[(٣)]: يريد أنك آدم الأصغر، فعلى هذا قالوا: لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته، ولم يتناسل إلا من كان من ذريته، فالخلق كلهم من نسله، وهذا معنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، وقال جماعة من المفسرين[(٤)]: لم يكن مع نوح في السفينة من الناس إلا من كان من ذريته.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾، قال ابن عباس[(٥)]: يريد من ولدك. قال أبو بكر[(٦)]: معناه من ذراري من معك، ولذلك قال (على أمم) ولم يكن الذين كانوا مع نوح أمما.

قال المفسرون[(٧)]: وهم المؤمنون وأهل السعادة، وقال القرظي[(٨)]: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ [الآية، قال المفسرون: يعني الأمم

---

(١) في (ج): (براك).

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٥.

(٣) القرطبي ٩/ ٤٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣١.

(٤) البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١١٥.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الطبري ١٢/ ٥٥، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.

(٨) الطبري ١٢/ ٥٥، الثعلبي ٧/ ٤٥أ، البغوي ٤/ ١٨٢، القرطبي ٩/ ٤٨.

الكافرة من ذريته إلى يوم القيامة، كما قال القرظي: دخل في السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة.

قال ابن الأنباري[1]: والأمم يرتفعون بإضمار «مَنْ» تقديره: وفي مَنْ نَصِفُ لك وفي مَنْ نقُصُّ عليك أمره أمم سنمتعهم][2].

٤٩- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، الإشارة بتلك إلى الأنباء، كأنه قيل تلك الأنباء من أنباء الغيب؛ لأنه قد تقدم ذكرها، واتصلت ببيان عنها، وقال أبو بكر[3]: ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات القرآن، وقال في هذه السورة[4]: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٠]، فأشار بذلك إلى الخبر والحديث، وقال غيره[5]: الإشارة بتلك إلى القصة.

وقوله: ﴿مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، أي من أخبار ما غاب عن جميع الخلق؛ لأنه لم يشاهد هذه القصص النبي ﷺ، ولا أحد من قومه، ولا من الناس كلهم في ذلك الوقت.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أي كما صبر نوح على أذى قومه، فإن آخر الأمر بالظفر والنصرة والتمكين لك ولقومك، كما كان لمؤمني قوم نوح، هذا قول عامة المفسرين[6].

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٧٨.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).
(٣) «زاد المسير» ٤/ ١١٦، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٢.
(٤) ساقط من (ي).
(٥) «زاد المسير» ٤/ ١١٦، ابن كثير ٢/ ٤٩٢، الطبري ١٢/ ٥٦، ابن عطية ٧/ ٣١٧.
(٦) الطبري ١٢/ ٥٦، الثعلبي ٧/ ٤٥ب، البغوي ٤/ ١٨٢، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، القرطبي ٩/ ٤٩، ابن عطية ٧/ ٣١٧، ابن كثير ٢/ ٤٩٢، الرازي ١٨/ ٨.

وقال مقاتل[1] وجماعة معناه: أن الجنة لمن اجتنب الفواحش والآثام.

٥٠- وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، هذا عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، فكأنه قيل: وأرسلنا إلى عاد أخاهم، قال المفسرون[2]: كان هودٌ أخاهم في النسب لا في الدين، قال ابن عباس: يريد ابن أبيهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، قال: يريد: فيما تعبدون من دونه، يعني ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم معه الأوثان.

٥١- قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ الآية، قد مضى نظير هذه الآية في قصة نوح في هذه السورة، وبينا ما فيه.

٥٢- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾، مضى الكلام في هذا في أول السورة.

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، قال المفسرون[3]: إن الله تعالى كان قد حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فقال لهم هود: إن آمنتم أحيا الله بلادكم، ورزقكم الماء والولد، فذلك قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، والمعنى يرسل المطر وماء السماء، والمدرار: الكثير الدر وهو من أبنية المبالغة.

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٧٣ب نسخة أخرى من المخطوط محفوظة بجامعة الإمام تحت رقم ٤٨٦/ف، «تنوير المقباس» ١٤١.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٥ب، البغوي ٤/ ١٨٢، ابن عطية ٧/ ٣١٨.

(٣) الثعلبي ٧/ ٤٦أ، الطبري ١٢/ ٥٨ عن ابن زيد، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، البغوي ٤/ ١٨٢-١٨٣.

قال أبو بكر[١]: وهو من النعوت التي انعدلت عن منهاج الفعل فيستوي فيه التذكير والتأنيث، وجرى في وصف المؤنث مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة، كالنعل والفأس، ونصبها على الحال، وذكرنا هذا في أول سورة الأنعام [آية: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، فسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة، وكل هذا مما يتقوى به الإنسان، ذكر ذلك الفراء[٢]، والزجاج[٣]، وابن الأنباري، وقال مقاتل[٤]: يعني العدد وكثرة الأولاد، وهو قول ابن عباس في رواية الكلبي، وذهب مجاهد[٥] إلى الشدة.

٥٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجة واضحة نفصل بها الحق من الباطل. وهذا بهت منهم وطغيان ودفع للاستدلال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي بقولك، و(الباء) و(عن) تتعاقبان كقوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي بها، وقد مرَّ، وكقوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي عنه.

٥٤- قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، يقال: عراه أمر كذا يعروه، واعتراه يعتريه، وعرَّه واعتره كل ذلك إذا غشيه

---

(١) «زاد المسير» ٣/ ٦.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ١٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٧.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٦ب، ابن عطية ٧/ ٣٢١-٣٢٢، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، القرطبي ٩/ ٥١.

(٥) الطبري ٥٨٨٢، الثعلبي ٧/ ٤٦أ، «زاد المسير» ٤/ ١١٧، البغوي ٤/ ١٨٢-١٨٣، القرطبي ٩/ ٥١.

وأصابه، قال ابن الأعرابي: إذا أتيت رجلا تطلب منه حاجة فقد عروته وعررته واعتريته واعتررته[١].

وقال المفسرون وأهل المعاني[٢] في قوله تعالى: ﴿ٱعۡتَرَىٰكَ﴾: أصابك ومسك، والمعنى: أنهم قالوا لهود: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون، فأفسد عقلك وأجنك وخبلك، فالذي تُظهِر من عيبها وطعنها لما لحق عقلَك من التغير، هذا قول عامة أهل التأويل؛ ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة[٣] وغيرهم، فقال نبي الله عند ذلك: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ الآية، يعني إن كانت عندكم عاقبتني لطعني كان[٤] عليها، فإني الآن أزيد في الطعن أي إني متيقن بطلان ما تقولون؛ لبصيرتي في البراءة منها والعيب لها والإنكار لعبادتها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ﴾، قال أهل المعاني[٥]: أشهدهم وليسوا أهلًا للشهادة؛ ليقيم[٦] عليهم الحجة لا لتقوم بهم؛ لأنهم كفرة، فقيل لهم هذا القول للإعذار والإنذار.

وقال أبو علي[٧]: قوله: ﴿أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ﴾ على إعمال

---

(١) ما سبق من «تهذيب اللغة» للأزهري ٣/ ٢٣٧٣ (عرا).

(٢) «معاني الفراء» ٢/ ١٩، «معاني الزجاج» ٣/ ٥٧، «تهذيب اللغة» (عرا) ٣/ ٢٣٧٣.

(٣) رواه عنهم الطبري ١٢/ ٥٩-٦٠، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٦أ، البغوي ٤/ ١٨٣، ابن عطية ٧/ ٣٢٣، القرطبي ٩/ ٥١، «الدر المنثور» ٣/ ٦١٠، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٤، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٦.

(٤) هكذا في النسخ التي بين يدي، ولعل (كان) زائدة.

(٥) القرطبي ٩/ ٥١.

(٦) في (ي): (لتقوم).

(٧) «الحجة» ٥/ ١٧٨.

الثاني كما أن قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [الكهف: ٩٦] كذلك، والتقدير: أشهد الله أني بريء وأشهدوا الله أني بريء، فحذف الأول على حد ضربت وضربني زيد، وحذف حرف الجر مع[1] أنّ؛ لأنه يقال: أشهد بكذا وعلى كذا ولكن حرف الجر يحذف مع (أن) و(أنّ).

٥٥- وقوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾، أي احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي وغيظي وضربي، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تمهلون، في قول ابن عباس[2] وقال الضحاك[3]: لا تؤجلون.

قال أبو إسحاق[4] وغيره من أهل المعاني: هذا من أعظم آيات الأنبياء أن يقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم واجتماع كلمتهم على عداوته، فيقول لهم هذا القول، وهذا للثقة بنصر الله تعالى إياه، وأنهم لا[5] يصلون إليه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

٥٦- قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، قال الليث[6]: الناصية هي: قصاص الشعر في مقدمة الرأس، وقال الفراء[7]: الناصية: مقدم الرأس.

---

(١) في (ج): بحذف مع أن.

(٢) البغوي ٤/ ١٨٣، «زاد المسير» ٤/ ١١٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٥٩، القرطبي ٩/ ٥٢، ابن عطية ٧/ ٣٢٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨، «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٣٥٨، ابن عطية ٧/ ٣٢٣.

(٥) ساقط من (ج).

(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٠، من هنا يبدأ النقل بتصرف مادة: (نصا).

(٧) «معاني القرآن» ٣/ ٢٧٩.

قال الأزهري: الناصية عند العرب: منبت الشعر في مقدمة الرأس، ويسمى الشعر النابت هناك: ناصية باسم منبته؛ يقال: نصوت الرجل أنصوه، إذا مددت ناصيته. وناصيته إذا جاذبته وأخذ كل واحد منكما بناصية صاحبه، ومنه قول عمرو بن معدي كرب[(١)]:

أعباسُ لو كانت شيارًا جيادُنا   بتثليثَ ما ناصيتَ بعدي الأحامسا

ومعنى ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: هي في قبضته وتنالها بما شاء قدرته.

قال أبو إسحاق[(٢)]، وهذا معنى هذا الكلام، وإن اختلفت العبارات في تفسيره، والأصل فيه ما ذكره ابن جرير[(٣)] فقال: العرب إذا وصفت إنسانًا بالذلة والخضوع قالوا: (ما ناصية فلان إلا بيد فلان)، أي أنه: مطيع له يصرفه كيف شاء؛ لأن من أخذت بناصيته فقد قهرته، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخرا عليه، ويكون علامة لقهره[(٤)] إياه، فخوطبوا بما يعرفون في كلامهم، وأخبروا أن

---

(١) هو: أبو ثور الزبيدي من مذحج باليمن، من فرسان العرب المشهورين، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ وأسلم ثم ارتد ثم أسلم واستشهد في فتح نهاوند سنة ٢١هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ٢٣٥، «معجم الشعراء» ٢٠٨، «الإصابة» ٤/ ١٨. والبيت في «ديوانه» ١٢٥، و«ديوان الأدب» ٣/ ٣٧٥، و«تاج العروس» (حمس) ٨/ ٢٤٩. والبيت في «اللسان» (شور) ٤/ ٢٣٥٧، وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٨٠ (نصا). وشيار أي: سمان حسان يقال: جاءت الإبل شيارًا أي: سمانًا حسانًا.

(٢) لعل العبارة (قاله أبو إسحاق) وهي في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨، ونصها: «أي هي في قبضته، وتنالها بما تشاء قدرته».

(٣) الطبري ١٢/ ٦٠ بتصرف، ولعله نقله عن الثعلبي ٧/ ٤٦ أ.

(٤) كذا في النسخ ولعل الصواب: (لقهرهم).

كل دابة بهذه المنزلة في الذلة والانقياد لله ﷻ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، [قال أبو إسحاق[(١)]: أي: هو وإن كانت قدرته تنالهم بما شاء فهو لا يشاء إلا العدل، وزاد ابن الأنباري[(٢)] لهذا بيانًا فقال: لما قال ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ كان في معنى: لا يخرج عن قبضته، لكنه قاهر بعظيم سلطانه كل دابة، فأتبع قوله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾][(٣)] [أي أنه وإن كان قادرًا عليهم فهو لا يظلمهم ولا يلحقهم بقدرته عليهم- إلا ما يوجب الحق وقوعه بهم، وهذا معنى قول مجاهد ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾][(٤)] قال: على الحق[(٥)]، وهذا نحو كلام العرب إذا وصفوا رجلًا بحسن السيرة والعدل والإحسان، قالوا: فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق.

وذكر وجهًا آخر قال: لما ذكر أن سلطانه قد قهر كل دابة، أتبع هذا قوله ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي أنه لا يخفى عليه مستتر، ولا يعدل عنه هارب، فذلك الصراط المستقيم، وهو يعني به الطريق الذي لا يكون لأحد مسلك إلا عليه؛ كما قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] وقال عطاء عن ابن عباس[(٦)] في هذه الآية يريد أن الذي بعثني الله به دين مستقيم.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٩.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) الطبري ١٢/ ٦٠-٦١، «زاد المسير» ٤/ ١١٨.

(٦) البغوي ٤/ ١٨٤.

وقال الكلبي[(١)]: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقول: قائم دائم، وهو الإسلام والطريق عليه، فمن شاء هداه إلى الإسلام.

فعلى هذين القولين المراد بالصراط المستقيم: دين الإسلام، ومعناه: إنَّ ربي أمر بذلك، ودعا إلى ذلك؛ كما يقول الإنسان لمن دعا غيره إلى أمر: أنا على هذه الطريقة، ولهذا المعنى ذهب بعض أهل المعاني[(٢)] إلى إضمار في الآية، فقال: معناه: إن ربي على صراط مستقيم أو[(٣)] يحث أو يحملكم على الدعاء إليه. وقال بعضهم[(٤)]: هذا من باب حذف المضاف؛ على معنى أن أمر ربي وتدبيره لخلقه، على صراط مستقيم لا خلل فيه.

٥٧- وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، أي إن تتولوا، بمعنى تعرضوا عما دعوتكم إليه من الإيمان بالله وعبادته ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾، قال أبو إسحاق[(٥)] وابن الأنباري: معناه قد ثبتت الحجة عليكم، وأثبت فساد مذهبكم، فليس توليكم بعد هذا لتقصير في الإبلاغ، وإنما هو لسوء اختياركم في الإعراض عن النصح، وذهب مقاتل بن سليمان[(٦)] وجماعة معه أن ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ ههنا فعل ماض، بمعنى أعرضوا، ويكون المعنى على هذا: فإن أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم.

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٢.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١١٨، البغوي ٤/ ١٨٤.

(٣) هكذا في النسخ ولعل الصواب: (أي).

(٤) ابن عطية ٧/ ٣٢٤.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٧ أ، «زاد المسير» ٤/ ١١٩.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾، قال ابن عباس[1]: يريد ويخلق بعدكم من هو أطوع لله منكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ بتوليكم وإعراضكم إنما تضرون أنفسكم؛ لأن ضرر كفركم عائد عليكم.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾، قال أكثر أهل المعاني[2]: حفيظ لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها، وقيل معناه[3]: يحفظني عن أن تنالوني بسوء[4]، وقيل[5]: حفيظ على كل شيء، يحفظه من الهلاك إذا شاء، ويهلكه إذا شاء.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، أي بهلاك عاد ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، ذكر أبو إسحاق[6] فيه وجهين:

أحدهما: أن يريد بالرحمة ما أراهم من الهدى والبيان الذي هو رحمة.

والثاني: أنه أراد لا ينجو أحد وإن اجتهد إلا برحمة منا[7]. والأول

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٦١، والبغوي ٤/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥٣، ابن عطية ٧/ ٣٢٥، الثعلبي ٧/ ٤٦ أ.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠.

(٣) «تفسير البغوي» ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، «القرطبي» ٩/ ٥٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٥، «الثعلبي» ٧/ ٤٦أ.

(٤) في (ي): (بشر).

(٥) الرازي ١٨/ ١٤.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٨.

(٧) في (ي): (الله). ويشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ **«لن يدخل الجنة أحدٌ منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته»** أخرجه البخاري رقم (٥٦٧٣)، كتاب: المرضى، باب: نهى تمني المريض =

هو قول ابن عباس[١]؛ لأنه قال: يريد حيث هديتهم للإيمان وعصمتهم من أن يكفروا بي.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد الذي عذبت[٣] به الذين كفروا، وقال بعضهم[٤]: يعني عذاب القيامة، وهذا أحسن؛ لأن الإنجاء من عذاب الدنيا قد سبق، كما نجيناهم في الدنيا من العذاب كذلك نجيناهم في الآخرة من العذاب.

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا﴾، قال ابن عباس[٥] يعني القبيل، يريد: أن التأنيث في تلك إنما كان لأجل القبيل ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾. قال: يريد كذبوا أنبياء الله، ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾، قال: يريد[٦] هودًا وحده.

قال أهل المعاني: وإنما جمع؛ لأن من كذب رسولا واحدًا فقد كذب[٧] بجميع الرسل.

= الموت، ومسلم رقم (٢٨١٨) كتاب: صفة الجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى.

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، الرازي ١٨/ ١٥.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، القرطبي ٩/ ٥٤.

(٣) كذا في النسخ ولعل الصواب: (الذي عذب) بدون تاء.

(٤) الطبري ١٢/ ٦١، الثعلبي ٧/ ٤٦ب، البغوي ٤/ ١٨٤، القرطبي ٩/ ٥٤، الرازي ١٨/ ١٥.

(٥) قال به الثعلبي ٧/ ٤٧ أ، البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢٠، القرطبي ٩/ ٥٤. ويعني بالقبيل: القبيلة.

(٦) البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢١، القرطبي ٩/ ٥٤، الزاري ١٨/ ١٥، الثعلبي ٧/ ٤٧ أ.

(٧) في (ج): (كفر).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، قال أبو بكر[١]: معناه: واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وأُولي المقدار عندهم، فقلدوهم الكفر. فقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ خبر عامٌّ، معناه في الباطن التخصيص، قال المفسرون: قال الرؤساء للسفلة -يعنون هودًا- ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ الآيتان[٢]، ومضى الكلام في معنى الجبار من الناس عند قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[٣] والعنيد: الذي لا يقبل الحق، ولا يذعن له، من قولهم: عَنَدَ الرجل يَعْنُدُ عُنُودًا وعانَدَ مُعاندة، إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه، وقال أبو عبيد: العنيد والعنود والعاند: المعاند المعارض لك بالخلاف[٤] وأظن أن هذا مما تقدم الكلام فيه.

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي[٥]: أردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم، هذا معنى الإتباع، وهو أن يتبع الثاني الأول، ليتصرف معه بتصرفه، ومعنى اللعنة[٦]: الإبعاد من رحمة الله ومن كل خير.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [أي وفي يوم القيامة][٧] كما قال: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾؛ قيل: أراد الباء

---

(١) البغوي ٤/ ١٨٤، «زاد المسير» ٤/ ١٢١، القرطبي ٩/ ٥٤، الرازي ١٨/ ١٥.

(٢) المؤمنون: ٣٣، ٣٤.

(٣) المائدة: ٢٢. وخلاصة ما ذكره قال: وللجبار معنيان، أحدهما: أراد الطول والقوة والعظم. والثاني: من أجبره على الأمر إذا أكرهه عليه».

(٤) ما سبق نقل عن الثعلبي ٧/ ٤٧ أ، وانظر: البغوي ٤/ ١٨٤، «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١١، القرطبي ٩/ ٥٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٢٢، البغوي ٤/ ١٨٤.

(٦) البغوي ٢/ ٣٩٠.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

فحذف الجار فوصل الفعل، وقيل: هو من باب حذف المضاف أي: كفروا نعمة ربهم، وهو معنى قول ابن عباس: يريد: كفروا بما كانوا فيه من نعيم ربهم، وذكر الفراء[(١)] الوجهين جميعًا. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾، قال: يريد بعدوا من رحمة الله.

قال الزجاج[(٢)]: و﴿بُعْدًا﴾ منصوب على معنى (أبعدهم الله فبَعُدُوا بعدًا)، ومثله قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] فأما الكلام في تكرير هذه القصة، وقد ذكرت في سورة الأعراف[(٣)] وكذلك سائر القصص المكررة [في القرآن][(٤)]: قال أهل المعاني: إن تصريف المعنى في الوجوه المختلفة بالألفاظ المتباينة، في الدرج العالية من البلاغة والإعجاز، ومنها تستنبط الدلالة على حقيقة الإعجاز؛ لأن الله تعالى أنزل قصصًا مكررة، بعبارات مختلفة، وأنزل قصة واحدة ولم يكررها، وهي قصة يوسف [فلا يمكن لأحد من الملحدين أن يعارض لا قصة موسى المكررة ولا قصة يوسف][(٥)] التي لم تكرر، وفي تكرارها أيضًا تجديد تسلية رسول الله ﷺ وتصبيره على أذى المشركين.

٦١- قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس[(٦)]: يريد:

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٥٩.

(٣) من الآية ٦٥ حتى الآية ٧٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٦) «تنوير المقباس» ١٤٢، الطبري ١٢/ ٦٢، الثعلبي ٧/ ٤٧أ، البغوي ٤/ ١٨٥ ابن عطية ٧/ ٣٢٩ «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٦، ابن كثير ٢/ ٤٩٣، «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٨، الرازي ١٨/ ١٧.

من صلب آدم؛ يعني أن آدم خلق من تراب الأرض وكلهم لآدم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء[(١)]: يريد جعلكم عمارًا لها، وهذا اختيار أبي عبيدة[(٢)]، وأكثر أهل اللغة قالوا معناه: جعلكم عمار الأرض، قال ابن الأنباري: ومعناه: أن الله تعالى تابع النعم عندهم حتى صاروا بها عمرة الأرض وخلفاء الماضين الذين سبقوهم إلى سكناها، فكأن المعنى: أورثكم الأرض، وقال مجاهد[(٣)] أي أعمركم بأن جعلها لكم طول أعماركم. قال أبو بكر: وهذا (استفعل) بمعنى (أفعل) مثل (استجاب) بمعنى (أجاب) و(استوقد) و(أوقد).

وروي عن ابن عباس[(٤)]: أعاشكم فيها، ونحوه قال الضحاك[(٥)]: أطال عمركم؛ فعلى **القول الأول** هو من العِمَارة، وعلى **الثاني** من العُمْرَىٰ، وعلى **الثالث** من العُمُر الذي هو الحياة.

٦٢- قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾، قال المفسرون[(٦)]: كان صالح عليه السلام يعدل عن دين قومه ويشنأ[(٧)] أصنامهم،

---

(١) قال به الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥ وغيرهم.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩١.

(٣) الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٤٨، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦١١.

(٤) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، القرطبي ٩/ ٥٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣.

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٩.

(٧) شنأ يشنأ معناه أبغض يبغض ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي مبغضك. انظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٤٠ (شنأ).

وكانوا يرجون رجوعه إلى دين أبيه وعشيرته، فلما أظهر ما أظهر من دعائهم إلى الله، وترك عبادة الأصنام، زعموا أن رجاءهم انقطع منه، ويئسوا من دخوله في ملتهم.

وقال آخرون[١]: قالوا: كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا؛ لما كنت عليه من الأحوال الجميلة، فالآن أيسنا منك إذ أظهرت خلافنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ﴾، وقال في سورة إبراهيم [٩]: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾، قال الفراء[٢]: من قال: (إننا) أخرج الحرف على أصله؛ لأن كناية المنصوبين المتكلمين (نا)[٣] فاجتمعت ثلاث نونات نونا (إن) والنون المضمومة إلى الألف، ومن قال ﴿إِنَّا﴾ استثقل الجمع بين ثلاث نونات فأسقط الثالثة وأبقى الأولين، وكذلك يقال أني وأنني وقال ههنا: ﴿تَدْعُونَآ﴾؛ لأن الخطاب لواحد وهو صالح، وفي إبراهيم [: ٩] ﴿تَدْعُونَنَآ﴾ لأن الخطاب للرسل.

[٤]وقوله ﴿لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ذكرنا الكلام في معنى المريب عند قوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٥].

---

(١) الطبري ١٢/ ٦٣، الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٥، «زاد المسير» ٤/ ١٢٣، القرطبي ٩/ ٥٩.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) من هنا بدأت مراجعة النسخة (ب).

(٥) البقرة: ٢. وملخص ما ذكره: أن الريب بمعنى الشك، وذكر الخلاف في الفرق بين (راب) و(أراب) ورجح التفريق بين المعنيين بحيث يكون راب بمعنى علمت منه الريبة وتيقنتها، وأراب: توهمت الريبة ولم أتحقق منها.

٦٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾، مفعول (أرأيتم) ههنا لا يظهر في التفصيل؛ لأنه دخل على جملة قائمة بنفسها لو لم يذكر ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، إلا أنه يتعلق بمعناها كقولك: رأيتُ لَزَيْدٌ خيرٌ منك، ومعنى ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أعلمتم، وجواب ﴿إِنْ﴾ الأولى في قوله ﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾، وقد قام مقام ﴿إِنْ﴾ الثانية في المعنى؛ لأن التقدير: فمن ينصرني إن عصيته، فاستغنى بجواب الأولى عن الثانية، ومعنى الآية: أعلمتم من ينصرني من الله إن عصيتُه بعد بينة من ربي ونعمة، وأكثر تفسير هذه الآية قد مضى في هذه السورة في نظير هذه الآية في قصة نوح[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، قال الفراء[2]: التخسير: التضليل.

وقال ابن الأعرابي[3]: هو الإبعاد من الخير، وأكثر أهل العلم على أن هذا التخسير لقوم صالح.

قال ابن عباس[4]: أي غير بَصَارَةٍ في خسارتكم[5]. وهذا مذهب مجاهد[6] واختيار الفراء وابن الأعرابي [والحسين بن الفضل[7]، قال

---

(١) آية: ٢٨.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٠.

(٣) «تهذيب اللغة» (خسر) ١/ ١٠٢٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.

(٤) الثعلبي ٧/ ٤٧ب، البغوي ٤/ ١٨٦، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤، القرطبي ٩/ ٦٠.

(٥) في حاشية (ي) زيادة نصها: (والمعنى على هذا ما تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام إلا بصيرة في خسارتكم).

(٦) الطبري ١٢/ ٦٤.

(٧) الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٦.

الفراء: يريد غير تضليل لكم، أي: كلما اعتذرتم بشيء زادكم تخسيرًا، قال: هو كقولك للرجل: ما تزيدني إلا غضبًا، أي غضبًا عليك.

وقال ابن الأعرابي][1]: أي تخسيرًا لكم لا لي، وشرح الحسن[2] فقال: لم يكن صالح في خسارة حين قال لهم: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾، وإنما المعنى: ما تزيدونني بما تقولون حين قولهم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة، والتخسير مثل التفسيق والتفجير، وأجاز قوم[3] أن يكون التخسير مضافًا إلى صالح، وهو مذهب ابن عباس في رواية عطاء والحسن، قال عطاء: ما تزيدونني إلا الهوان والذل. فعلى هذا الإضافة إلى صالح بمعنى لا ناصر لي إن عصيته، وإن كنتم أنصارى لم تزيدونني غير تخسير، وتقدير الكلام (فما تزيدونني غير تخسير إن كنتم أنصاري)، فحذف ما حذف لدلالة الباقي عليه، وهو قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾، ومعنى قول الحسن: إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه وعصيت ربي كنت بمنزلة من يزداد الخسران.

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، مفسر ومشروح في سورة الأعراف[4]، إلا أن[5] في هذه الآية ﴿فَيَأْخُذَكُمْ

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ب).
وانظر: «تهذيب اللغة» (خسر) ١/ ١٠٢٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٤.

(٢) الثعلبي ٧/ ٤٧ ب، البغوي ٤/ ١٨٦.

(٣) ذكر هذا القول «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، الرازي ١٨/ ١٨ «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٩.

(٤) آية: ٧٣. وقد ذكر هناك وجه كونها آية حيث خرجت من حجر صلد، وحيث أنها ترد الماء يومًا فتشربه وتبدلهم به لبنًا لم يُشرب مثله قط ألذ ولا أحلى بحيث ترويهم، وآية لانفرادها عن غيرها من النوق بهذا الأمر الذي لم يشاهد مثله في غيرها.

(٥) ساقط من (ي).

عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يريد: اليوم الثالث، وهو قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾.

٦٥- قوله تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، ذكرنا معنى العقر في سورة الأعراف[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا﴾، قال المفسرون[(٣)]: عيشوا، ومعنى التمتع التلذذ بالمنافع والملاذ التي تدرك بالحواس، ولما كان التمتع للحي عبر به عن الحياة؛ لأن الميت لا يتمتع.

وقوله تعالى: ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ أي في بلدكم، وسُمِّيَ دارًا لأنه يجمعهم كما تجمع الدار أهلها، وقيل: يعني في دنياكم يريد دار الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثلاثَة أيام﴾، قال المفسرون: لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل وبكى حتى سالت دموعه، ثم رغا رغوة[(٤)] ثلاثا، فقال صالح: لكل رغوة أجل يوم، فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام[(٥)]، ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ﴾ أي للعذاب ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ أي: غير كذب، والمصدر قد يرد بلفظ المفعول كالمجلود والمعقول و﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] وقيل: غير

---

(١) «تنوير المقباس» ١٤٢.

(٢) آية: ٧٧. ونقل عن الأزهري قوله: «العقر عند العرب: كشف عرقوب البعير، ثم يجعل النحر عقرًا؛ لأن العقر سبب النحر، وناحر البعير يعقره ثم ينحره، هذا هو الأصل، ثم جعل النحر عقرًا وإن لم يكن هناك قطع للعرقوب». وانظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥١٣ مادة: (عقر).

(٣) الثعلبي ٧/ ٤٨أ، الطبري ١٢/ ٦٤، البغوي ٤/ ١٨٦، «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، القرطبي ٩/ ٦٠.

(٤) الرُّغاء صوت ذوات الخف، رغا البعير والناقة ترغو رغاءً، انظر: «تهذيب اللغة» (رغا) ٢/ ١٤٣١، اللسان (رغا) ٣/ ١٦٨٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، «القرطبي» ٩/ ٦٠، «الطبري» ١٢/ ٦٤.

مكذوب فيه.

٦٦- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، قال ابن عباس: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ قد مضى مثل الآية في قصة عاد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، قال ابن الأنباري[٢]: نسقت الواو (مِنْ) على محذوف قبلها تأويله: نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمهم، وبقي العار فيه مأثورًا عنهم منسوبًا إليهم؛ لأن معنى الخزي: العيب الذي تظهر فضيحته، ويستحيى من مثله، فحذف ما حذف اعتمادًا على دلالة ما بقي عليه، قال: ويجوز أن تكون الواو دخلت لفعل مضمر تأويله: ونجيناهم من خزي يومئذ. أو من خزي يومئذ نجيناهم، فقدر فعل مع الواو، قال: ويجوز أن تكون الواو مقحمة زائدة، وهذا قول صاحب النظم.

قال أبو بكر: والعرب[٣] ما زادت الواو قط إلا مع (لما) و(حتى)، وهذا الذي قاله أبو بكر إنما يجوز عند الكوفيين، وعند البصريين لا يجوز زيادة الواو في موضع قط، وقد ذكرنا هذا.

واختلفوا في قوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، فقرئ بفتح الميم وكسرها[٤] و(يوم)[٥]

---

(١) ساقط من (ب)، وانظر: آية ٥٨ من هذه السورة.

(٢) «المذكر والمؤنث» ٦١٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٦، الرازي ١٨/ ٢١.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر بفتح الميم، وبقية القراء بكسرها. «إتحاف» ص٢٥٧، «السبعة» ص٣٣٦، «الكشف» ١/ ٥٣٢، «الحجة» ٤/ ٣٤٦ .

(٥) من هنا ابتدأ النقل عن أبي علي الفارسي عن «الحجة» ٤/ ٣٤٧- ٣٥٢ بتصرف.

من قوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف كَسَرْتَ أو فَتَحْتَ في المعنى، إلا أنه اتسع[١] فيه فجعل اسما كما اتسع[٢] في قوله ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] فأضيف المكر إليهما [وإنما هو فيهما][٣]، فكذلك العذاب والخزي والفزع أضفن إلى اليوم والمعنى على أن ذلك كله في اليوم، فمن كسر الميم فلأن (يوما) اسم معرب فانجر بالإضافة ولم يُبْنَ، وإن كان مضافًا إلى مبني، لأن الإضافة لا تلزم، ألا ترى أنك تقول ثوب خز ودار زيد، فلا يجوز في المضاف إلا إعرابه، وإن كان الاسمان عملا على معنى الحرف، ولا يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك عنه معنى الحرف [نحو أين][٤] وكيف ومتى، فكما لم يبن المضاف وإن كان قد عمل في المضاف إليه بمعنى اللام أو بمعنى (من) حيث كان غير لازم، كذلك لم يبن (يوم) للإضافة إلى (إذ)؛ لأن إضافته[٥] لا تلزم، ومن فتح الميم مع أنه في موضع جر، فلأنه على مضاف إلى مبني غير متمكن، والمضاف إلى المبني يجوز بناؤه كقول النابغة[٦]:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصبا ... وقلتُ ألمَّا أصحُ والشيبُ وازعُ

(١) في (ب): (أشبع).
(٢) في (ب): (أشبع).
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٥) في (ي): (الإضافة).
(٦) البيت في «ديوانه» ص٥٣، «الخزانة» ٣/ ١٥١، «الكامل» ١/ ١٨٥، «اللسان» (وزع) ٤/ ٤٨٢٥، السيوطي ٢٧٦، ٢٩٨، «مجاز القرآن» ٢/ ٩٣ «معاني القرآن» ١/ ٣٢٧، ٣/ ٢٤٥.

وكذلك قول جرير[١]:

على حينَ ألهى الناسَ جلُّ أمورهم فندلًا زريقُ المالَ ندلَ الثعالبِ

وكذلك قول آخر:

على حينَ لم[٢] تلبث عليه ذَنوبُه يَرِثْ شِرْبُهُ إذ في المقام تداثر[٣]

فلما بنيت هذه الأشياء من حيث كانت مضافة إلى مبني، فكذلك بني (يوم) لإضافته إلى (إذ) المبنية، والعلة في ذلك أن المضاف يكتسي من المضاف إليه [التعريف والتنكير، ومعنى الاستفهام والجزاء، فلما كان يكتسي منه هذه][٤] الأشياء اكتسى منه البناء أيضًا، إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو (يوم) و(حين) و(مثل)، وشبه، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فـ (مثل) في موضع رفع في قول سيبويه، وقد أجري وصفا على النكرة، إلا أنه فتح للإضافة إلى (أنَّ)، فأما

---

(١) البيت اختلف في نسبته فنسب لأعشى همدان، وأخرى للأحوص، وأخرى لجرير. وهو في «الحماسة البصرية» ٢٠٩، «الكامل» ١/ ١٨٥، العيني ٣/ ٤٦، ٥٢٣، سيبويه والشنتمري ١/ ٥٩، «المقاصد النحوية» ٣/ ٤٦، ملحق ديوان جرير ١٠٢١، وزريق هو ابن عامر بن زريق، ولي البحرين، فقال هذا البيت.

(٢) في (ي): (من).

(٣) البيت للبيد، (تدابر) بالباء، وهو في ديوانه ٢١٧، سيبويه والشنتمري ١/ ٤٤١، «الإنصاف» ٢٥١، الخزانة ٣/ ٦٤٩، «همع الهوامع» ٢/ ٦٢، «الدرر» ١/ ٧٧.
وهو في وصف مقام فاخر فيه غيره، وكثرت المخاصمة فيه والمحاجة، الذنوب: الدلو مملوءة ماء، ضربه مثلا لما يدلى به من الحجة، الريث: الإبطاء، الشرب: الحظ من الماء. المقام: المجلس، يريد مجلس الخصام والمفاخرة، التداثر: التزاحم والتكاثر.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

الكسر في (إذ) فلالتقاء الساكنين؛ وذلك أن (إذ) من حكمها أن تضاف إلى الجملة من المبتدأ[١] والخبر، فلما اقتطعت عنها الإضافة نونت، ليدل التنوين على أن المضاف [إليه قد حذف، فصار التنوين هنا يدل على قطع الإضافة من المضاف][٢]، كما صار يدل على انقضاء البيت في قول من نون في الإنشاد أواخر البيت فقال[٣]:

يا صاح ما هاج الدموعَ الذُّرَّفَنْ

أقلي اللوم عاذل والعتابَنْ

يا أبتا علك أو عساكَنْ

(١) في (ج): (الابتداء).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٣) هذه أبيات مختلفة؛ فالأول: مطلع أرجوزة للعجاج وبعده:

من طلل أمسى تخال المُصْحفا

وهو في «ديوانه» ٢/ ٢١٩، «خزانة الأدب» ٣/ ٤٤٣، سيبويه ٢/ ٢٩٩، «شرح الأشموني» لألفيه ابن مالك ٤/ ٢٢٠، «الكتاب» ٤/ ٢٠٧، «المقاصد النحوية» ١/ ٢٦.

والثاني: صدر بيت لجرير. وعجزه:

وقولي إن أصبت لقد أصابن

«ديوانه» ٥٨، ويروى (العتابا) (أصابا). «خزانة الأدب» ١/ ٦٩، «الخصائص» ٢/ ٦٠، الدرر ٥/ ١٧٦، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٣٤٩، سر صناعة الإعراب ٢/ ٤٨١، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٧٦٢، «شرح المفصل» ٩/ ٢٩، «الكتاب» ٤/ ٢٠٥.

والثالث: عجز بيت لرؤبة وصدره:

تقول بنتي قد أنى أناكا

وهو في «ديوانه» ص١٨١، سيبويه ١/ ٣٨٨، «الخصائص» ٢/ ٩٦، «المقتضب» ٣/ ٧١، «الإنصاف» ١٨١، «الخزانة» ٢/ ٤٤١.

فكما دل التنوين في هذه الأواخر على انقطاع الإضافة عن المضافة إليه، كذلك يدل في (يومئذ) و(حينئذ) على ذلك، فكسرت الدال لسكونها وسكون التنوين[(١)].

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قال ابن الأنباري[(٢)]: إنما ذكَّر ﴿وَأَخَذَ﴾ لأن الصيحة محمولة على الصياح؛ ولأنه قد فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل، فكان الفصل كالعوض من تاء التأنيث، وقد سبق لهذا نظائر.

قال المفسرون[(٣)]: لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾، ومضى تفسير ﴿جاثمين﴾ في سورة الأعراف[(٤)].

٦٨- قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ مشروح المعنى في سورة الأعراف[(٥)]. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾؛ قرئ ثمودا[(٦)] بالإجراء

---

(١) إلى هنا انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٤٧- ٣٥٢ بتصرف.

(٢) «تهذيب اللغة» (صاح) ٢/ ١٩٥٨، «زاد المسير» ٤/ ١٢٦.

(٣) الطبري ١٢/ ٦٨، «زاد المسير» ٤/ ١٢٥، البغوي ٤/ ١٨٧.

(٤) عند قوله تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ آية ٧٨. وخلاصة ما ذكره أن جثم بمعنى برك وخمد وهمد من أثر العذاب.

(٥) آية: ٩٢. قال هناك ما نصه: (إبانة عن سوء حال المكذب نبيًا من أنبياء الله، في أنه بمنزلة من لم يستمتع بالدنيا إذ حصل في العذاب وصار إلى الخسران).

(٦) في هذا الموضع قرأ حفص وحمزة ويعقوب من غير تنوين، وقرأ الباقون بالتنوين، «إتحاف» ٢/ ١٢٩، «السبعة» ٣٣٧، «الكشف» ١/ ٥٣٣ «الحجة» ٤/ ٣٥٤.

وتركه، فمن أجراه قال: هو اسم مذكر أريد به الحي وهو مذكر فصار كثقيف وقريش، ومن ترك إجراءه قال هو اسم للقبيلة فلا ينصرف، قال أبو علي[(١)]: فإذا استوى في ثمود أن تكون مرة للقبيلة ومرة للحي، ولم يكن لحمله على أحد الوجهين مزية فمن صرف كان حسنًا، ومن لم يصرف فكذلك، ومثل هذا (يهود) و(مجوس)، قال الشاعر[(٢)]:

فَرَّتْ يَهُودُ وأَسْلَمَتْ جِيرانها   صَمِّي لِما فَعَلَتْ يَهُودُ صَمامِ

وكذلك في الحديث «تقسم يهود»[(٣)]، فبهذا النحو علم أن هذا الاسم أريد به القبيلة، وقال آخر[(٤)]:

كنار[(٥)] مجوسَ تستعر استعارا

ألا ترى أن هذا الاسم لو كان للحي دون القبيلة لانصرف ولم يكن

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٥٥ باختصار وتصرف. وانظر: «معاني الأخفش» ٢/ ٥٧٨، ٥٧٩ .

(٢) القائل الأسود بن يعفر، والبيت في: ديوانه ٦١، العيني ٤/ ١١٢ راجع: «الحجة» ٣/ ٣٤٢، «مجالس ثعلب» ٥٨٩، «اللسان» (صمم) ٤/ ٢٥٠٢، «المقاصد النحوية» ٤/ ١١٢.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وهو كما ترى قد نقله عن أبي علي الفارسي في كتاب «الحجة» ٤/ ٣٥٨، وقد أخرج أصل حديث القسامة البخاري (٦١٤٢)، (٦١٤٣)، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال. وأخرجه مسلم (١٦٦٩)، كتاب القسامة المحاربين باب القسامة ح١٦٦٩ (٣/ ١٢٩١).

(٤) القائل امرؤ القيس، وصدره:

أحار أريك برقًا هب وهنا

(كنار بالنون) انظر: «ديوانه» ص ١٤٧، «اللسان» (مجس) ٧/ ٤١٤٠، سيبويه والشنتمري ٢/ ٢٨، «شرح شواهد الإيضاح» ٤٣٨، «الكتاب» ٣/ ٢٥٤.

(٥) في (ب): (كفار).

فيه مانع من الصرف، و(يهود) لو كان للحي لانصرف.

٦٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ الآية، قال أهل المعاني: دخلت «قد» ههنا لأن السامع لقصص الأنبياء عليهم السلام يتوقع قصة بعد قصة، و«قد» للتوقع، ودخلت اللام في ﴿لَقَدْ﴾ لتأكيد الخبر، والمراد بالرسل ههنا الملائكة الذين أتوه على صورة الآدميين، وظنهم أضيافا، قال ابن عباس[1]: وهم جبريل ومكائيل وإسرافيل، وهم الذين ذكرهم الله في الذاريات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، وفي الحجر ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقال الضحاك[2]: كانوا تسعة.

وقال السدي[3]: كانوا أحد عشر ملكًا على صورة الغلمان الوضاء.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾، قال الزجاج[4]: أي بالبشرى بالولد، وقد ذكر بعد هذه الآية بأيش[5] بشروه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾، قال ابن الأنباري[6]: نصب (سلامًا) بوقوع القول عليه؛ لأنه قول مقول فصار كقولك: (قلت: خيرًا أو شرًّا)، ويخالف هذا قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ من أجل أن الثلاثة

---

(١) الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، البغوي ٤/ ١٨٧، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

(٢) البغوي ٤/ ١٨٧، الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

(٣) البغوي ٤/ ١٨٧، الثعلبي ٧/ ٤٨ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٢٧ قال: (الوضاء وجوههم) بزيادة وجوههم وهي زيادة مهمة.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٠.

(٥) هكذا وهو مختصر من: أي شيء، وهو صحيح لغة.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٢٧.

اسم غير قول مقول، وأما قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ فمرفوع بإضمار (عليكم سلام)، ولو نصبا جميعًا أو رفعا جاز في العربية، هذا كلامه، وهو قول الفراء في رفع الثاني وأنشد[١]:

فقلنا السلام فاتقت من أميرها فما كان إلا ومؤها بالحواجب

وقال أبو علي[٢]: أما انتصاب قوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ فلأنه لم يحك شيئًا تكلموا به فيحكى كما تحكى الجمل، ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل، كما أن القائل إذا قال: (لا إله إلا الله) فقلت (حقًّا) أو قلت (صدقًا)، أعملت القول في المصدرين؛ لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى، وأما قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ التقدير فيه: سلام عليكم، فحذف الخبر كما حذف من قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٣] [أي صبر جميل][٤] أمثل، أو يكون المعنى أمري سلام وشأني سلام، كما أن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ يصلح أن يكون المحذوف منه المبتدأ، ومثل ذلك قوله: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩] على حذف الخبر أو المبتدأ الذي سلام خبره، قال: وأكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام، وذلك أنه في معنى الدعاء، فهو مثل قولهم: خير بين يديك، وأمت[٥] في حجر[٦]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢١، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٥٨، اللسان (ومأ) ٨/ ٤٩٢٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤٥٢.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٦٠.

(٣) يوسف: ١٨، ٨٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) في (ي): (أمه).

(٦) ساقط من (ي).

لاقيك، لما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ [مريم: ٤٧]، وقوله: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقد جاء بالألف واللام، قال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

قال الأخفش(١): من العرب من يقول: سلامٌ عليكم، ومنهم من يقول: السلام عليكم؛ فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المعهود، والذين لم يلحقوا(٢) حملوه على غير المعهود. وزعم أن منهم من يقول: سلامُ عليكم، فلا ينون، وحمل ذلك على وجهين، أحدهما: أنه [حذف الزيادة من الكلمة كما تحذف الأصل من نحو: لم يك، ولا أدر، والآخر: أنه](٣) لما كثر استعمال هذه الكلمة فيها الألف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال، كما حذف من (اللهم) فقالوا: (لاهم)، وذكرنا معنى السلام في التحية عند قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ﴾(٤)، [وقرأ حمزة والكسائي ههنا (وقال سِلْم) بكسر السين(٥)، قال الفراء(٦): وهو في

---

(١) ذكره نقلًا عن «الحجة» ٤/ ٣٦٣.

(٢) في (ي): (يلحقوه).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الأنعام: ٥٤. وخلاصة ما ذكره أنه يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون مصدر سلمت تسليمًا وسلامًا أي دعوت له بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، الثاني: أن يكون السلام جمع السلامة بمعنى قولك: السلام عليكم أي السلامة عليكم.

(٥) قرأ حمزة والكسائي (قال سلم) بغير ألف بكسر السين وتسكين اللام، والباقون بفتح السين وألف. انظر: «السبعة» ٣٣٨، «إتحاف» ٢٥٨، «الكشف» ١/ ٥٣٤، «الحجة» ٤/ ٣٦٤.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

المعنى سلام][1]؛ كما قالوا: حِلّ وحلال، وحِرْم وحرام؛ لأن التفسير جاء: سلموا عليه فرد عليهم، وأنشد[2]:

مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتلى[3] بالبرق الغمام اللوايح

فهذا دليل على أنهم سلموا فردت عليهم، فعلى هذا: القراءتان بمعنى واحد، وإن اختلف اللفظان، قال أبو علي[4]: ويحتمل أن يكون: سلم، خلاف العدو والحرب، كأنهم قالوا لما كفوا عن تناول ما قدمه إليهم فنكرهم وأوجس منهم خفية قال: أنا سلم ولست بحرب ولا عدو، فلا تمتنعوا عن تناول طعامي، كما يُمتنع من تناول طعام العدو.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾، قال عبيد بن عمير: مكث إبراهيم خمس عشرة[5] ليلة لا يأتيه ضيف، فاغتم لذلك، فلما جاءته الملائكة فرأى أضيافًا لم ير مثلهم عجل[6] فجاءهم بعجل حنيذ، فذلك قوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾، قال الفراء[7]: ﴿أَن﴾ في موضع نصب؛ لوقوع ﴿لَبِثَ﴾ عليها كأنك قلت: فما أبطأ عن مجيئه بعجل، فلما ألقيت الصفة وقع الفعل عليها، قال: وقد يكون رفعا بـ (لبث) وتقديرها المصدر، أي فما لبث مجيئه

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) لم أهتد إلى قائله. انظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢١، اللسان (كلل)، اكتل السحاب عن البرق أي لمع به، واللوائح التي لاح برقها أي: لمع وظهر. الطبري ١٢/ ٦٩، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤١، ابن عطية ٦/ ٣٤٠، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٢ .

(٣) في (ج): (أكل)، وفي (ص): (اكبلى)، وفي الفراء ٢/ ٢١: (كما اكتل).

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٦٤.

(٥) في (ي): (خمسة عشر).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

بعجل، أي ما أبطأ ذلك المجيء.

وقوله تعالى: ﴿حَنِيذٍ﴾، قال الليث[١]: الحنذ: اشتواء اللحم بالحجارة المسخنة، تقول حنذته حنذًا.

وقوله تعالى: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ محنوذ مشوي، وقال الفراء[٢]: ما حفرت له في الأرض ثم غممته، وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل، كما قيل: طبيخ ومطبوخ، وقال[٣] في كتاب «المصادر»: والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق.

وقال أبو عبيدة[٤]: الحنيذ: المشوي، قال: ويقال قد حنذت الفرس إذا سخنته وعرقته.

وأنشد للعجاج[٥]:

ورهبًا من حنذه أن يهرجا

قال ابن عباس في رواية[٦] ابن جريج: الحنيذ النضيج، وهو قول

---

(١) «تهذيب اللغة» (حنذ) ١/ ٩٣٨، «اللسان» (حنذ) ٢/ ١٠٢١.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

(٣) نقله الطبري ١٢/ ٦٩، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «تهذيب اللغة» (حنذ) ١/ ٩٣٨، اللسان (حنذ) ٢/ ١٠٢١.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٢.

(٥) انظر: «ديوانه» ص٩، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٩٢، «اللسان» (حنذ) ٢/ ١٠٢١، «الطبري» ١٢/ ٦٩، والحنذ شدة الحر وإحراقه، أهرج البعير: تحير وسدد من شدة الحر. «تهذيب اللغة» ١/ ٩٣٨ (حنذ). «التنبيه والإيضاح» ١/ ٢١٥، «تاج العروس» ٥/ ٣٦١، كتاب «العين» ٦/ ١٠٦.

(٦) الطبري ١٢/ ٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٢٨، القرطبي ٩/ ٦٤، ابن المنذر كما في «الدر» ٤/ ٤٤٦.

مجاهد وقتادة[١].

وقال في رواية عطاء: هو الذي نتف شعره وشوي.

وقال عبد الله بن مسلم[٢]: هو المشوي في خد من الأرض بالرضف[٣] وهي الحجارة المحماة، ومنه الحديث: «أنه أتي بضب **محنوذ**»[٤].

٧٠- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى العجل، **وقال الفراء**[٥]: إلى الطعام وهو العجل؛ لأنه طعام، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم[٦]، يقال: نكرته وأنكرته واستنكرته، قال الأعشى[٧]:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

قال الليث[٨]: النكرة: إنكارك الشيء، وهو نقيض المعرفة[٩]، ويقال: أنكرت الشيء إنكارًا ونكرته مثله، قال: ولا يستعمل في غابر ولا

---

(١) الطبري ١٢/ ٦٩، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٢٨.

(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١، الثعلبي ٧/ ٤٨ ب.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ٣٢٣.

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢١.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) البيت في «ديوانه» ص١٠٥، «الخصائص» ٣/ ٣١٠، «المحتسب» ١/ ٣٤٧، «شرح المفصل» ٣/ ١٣، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣. وقال أبو عبيدة: قال يونس: قال أبو عمرو: أنا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره فذهب، فأتوب إلى الله منه، وهو في الطبري ١٢/ ٧١، والثعلبي ٧/ ٤٨ب، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٢، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٣، «اللسان» (نكر) ٨/ ٤٥٣٩.

(٨) «تهذيب اللغة» (نكر) ٤/ ٣٦٦٠.

(٩) في (ي): (المعروف).

أمر ولا نهي ولا مصدر. قال المفسرون: كان امتناعهم من الطعام لأنهم ملائكة، والملائكة لا تأكل ولا تشرب، وإنما أتوه في صورة الأضياف؛ ليكونوا على صفة يحبها، وهو كان يقري الضيوف، هذا معنى قول الحسن، وقيل: أروه معجزًا من مقدور الله في صورتهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ أي: أضمر منهم خوفًا، قاله أبو عبيدة[١] والزجاج[٢] وابن قتيبة[٣] وهو قول أبي روق عن الضحاك[٤].

وقال ابن عباس[٥]: أحس.

وقال الفراء[٦]: استشعر.

وقال الأخفش[٧]: خامره.

قال الليث[٨]: الوجس: فزعة القلب، يقال أوجس القلب فزعًا وتوجست الأذن: إذا سمعت فزعًا، فالوجس: الفزع يقع في القلب أو في السمع؛ من صوت، أو غير ذلك، ومنه قول ذي الرمة[٩]:

---

(١) في (ي): أبو عبيد. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٣) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١.

(٤) الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٢٩، القرطبي ٩/ ٦٥.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٨ ب، القرطبي ٩/ ٦٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢١، الثعلبي ٧/ ٤٨ب.

(٧) ذكره الثعلبي ٧/ ٤٨ب، «الدر المصون» ٤/ ١١٣.

(٨) «تهذيب اللغة» (وجس) ٨/ ٤٧٧٢، «الدر المصون» ٤/ ١١٣.

(٩) البيت في «ديوانه» ١/ ٤٤٩ كالتالي: (إذا توجس قرعًا من سنابكها أو كان صاحب أرض أو به المؤم) القرع: الوقع، ويُروى (ركزًا) وهو الحسُّ، «توجس»: تسمع، يعني: الصائد (قرعًا من سنابكها) يعني: قرع حوافرها، (السنبك) طرف الحافر، أو كان صاحب أرض (رعدة)، (الموم): مرض شبه الجدري، المعنى: من خشية =

إذا توجس ركزًا[١] في سنابكها أو كان صاحب أرض أوشكت صدعًا

وقال عامة المفسرين[٢]: لما رآهم إبراهيم شبابًا أقوياء، ولم يتحرموا بطعامه لم يأمن أن يكونوا جاءوا لبلاء، وذلك أن سنتهم كانت في ذلك الدهر إذا ورد عليهم القوم فأتوا بالطعام فلم يمسوه ظنوا أنهم عدو أو لصوص، فهنالك أوجس في نفسه فزعًا، ورأوا علامة ذلك في وجهه، فقالوا له: لا تخف فإنَّا ملائكة الله أرسلنا إلى قوم لوط، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

قال ابن الأنباري[٣]: ومعناها أرسلنا بالعذاب إلى قوم [لوط، فأضمر؛ لقيام الدليل عليه بذكر الله ذلك في قوله في سورة أخرى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ][٤] مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٢-٣٣]، ونحو هذا قال أبو إسحاق[٥] سواء.

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾، قال المفسرون[٦]: يعني سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عم إبراهيم.

= الإخطاء يُحم، والبيت من قصيدته في خرقاء يتشبب بها، انظر: «اللسان» (وجس) ٨/ ٤٧٧٢، (أرض) ١/ ٦٢، (فوم) ٦/ ٣٤٩١. «تهذيب اللغة» ١/ ١٤٨ (أرض)، ٤/ ٣٤٦٨ (ميا)، «جمهرة اللغة» ١١٢٠، «تاج العروس» ٩/ ٢٨، (وجس) ١٠/ ٦ (أرض).

(١) في (ي): (ذكرًا).

(٢) هذا قول قتادة. انظر: الطبري ١٢/ ٧١، الثعلبي ٧/ ٤٩، البغوي ٤/ ١٨٨.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٩ أ، الطبري ١٢/ ٧١١، البغوي ٤/ ١٨٨.

وقوله تعالى: ﴿قَآئِمَةٌ﴾، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تتسمع إلى الرسل، وقيل: كانت قائمة تخدم الأضياف، وإبراهيم جالس معهم، ويؤكد هذا التأويل قراءة ابن مسعود[(١)] (وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت) واختلفوا في معنى الضحك ههنا وفي سببه، فرُوي عن ابن عباس[(٢)] أنه قال: ضحكت أي: عجبت من فزع إبراهيم، وهذا قول مقاتل[(٣)] والكلبي[(٤)] قالا: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو[(٥)] فيما بين حشمه وخدمه، فقيل لها: يا أيتها الضاحكة ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ﴾، فعلى هذا القول ضحكت للتعجب[(٦)] ففسر ضحكت: تعجبت لما كان بسبب العجب.

وروى سعيد عن قتادة[(٧)] قال: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وحكى الفراء[(٨)] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أنها[(٩)] ضحكت سرورًا بما زال عنها من الخوف؛ لأنها قد

---

(١) ساقط من (ب)، والقراءة ذكرها الطبري ١٢/ ٧٢، والثعلبي ٧/ ٤٩ أ، والقرطبي ٩/ ٦٦.

(٢) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر في «الدر» ٢/ ٦١٣، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٣) «تفسير مقاتل» ١٤٧ ب، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٨، القرطبي ٩/ ٦٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٤) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٩.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (للتعجب).

(٧) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٦، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦١٦، البغوي ٤/ ١٨٩، ورجح هذا القول الطبري ١٢/ ٧٤.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٩) في (ب): (أنه).

كانت خافت كما خاف إبراهيم، فلما قالوا إنَّا أرسلنا إلى قوم لوط زال عنهما جميعًا الخوف فضحكت سرورًا بالأمن.

الثاني: أن هذا على التقديم والتأخير، بتقدير: وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق فضحكت سرورًا بالتبشير، فقدم الضحك ومعناه التأخير، وعلى هذا التقدير يحمل أيضًا ما روي عن ابن عباس[(١)] ووهب[(٢)] أنهما قالا: ضحكت تعجبًا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها.

وحكى أبو إسحاق[(٣)] قولاً آخر؛ وهو أن سارة قالت لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك لوطًا، فإن العذاب سينزل بقومه، فلما قالت الرسل: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، ضحكت سرورًا بموافقتها الصواب لما أتى الأمر على ما توهمت.

وقال مجاهد[(٤)] وعكرمة[(٥)]: فضحكت أي: حاضت عند فرحها بالسلامة من الخوف، وجعل حيضها علامة لقرب وقت المولود الذي تبشر به، قال الفراء[(٦)]: ضحكت: [حاضت لم يسمعه من ثقة، وقال الزجاج[(٧)]:

---

(١) الثعلبي ٧/ ٤٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، البغوي ٤/ ١٨٩.

(٢) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦١٦، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، البغوي ٢/ ٣٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦١.

(٤) الطبري ١٢/ ٧٣، الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، ابن عطية ٧/ ٣٤٥، القرطبي ٩/ ٦٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٤٩ب، البغوي ٤/ ١٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٠، القرطبي ٩/ ٦٦.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٢.

ليس بشيء ضحكت: حاضت][1].

قال ابن الأنباري[2]: قد أنكر الفراء[3] وأبو عبيد[4]، وأبو عبيدة[5] أن تكون ضحكت بمعنى[6] حاضت، وعرفه غيرهم وأنشد[7]:

يضحك الضبع[8] لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل

قال: أراد تحيض فرحًا، وحكى الليث[9] في هذه الآية. فضحكت طمثت، وحكى الأزهري[10] أن أصله ضحاك الطلعة إذا انشقت، قال. وقال الأخطل[11] فيه بمعنى الحيض:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٠.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢، «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(٤) «الدر المصون» ٤/ ١١٤.

(٥) لم أجده في «مجاز القرآن» في موضعه ١/ ٢٩٣.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) القائل: تأبط شرًّا، والبيت في «المحتسب» ١/ ٣٢٤، «جمهرة ابن دريد» ٢/ ١٦٧، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص٨٣٧، «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩، «المعاني الكبير» ١/ ٢١٤، وينسب البيت أيضًا للشنفرى، ولابن أخت تأبط شرًّا أو لخلف الأحمر، انظر: «ديوان الشنفرى» ٨٤، و«الأغاني» ٦/ ٨٣، ولخلف الأحمر في «ديوان الحماسة» ٢/ ٨٣٧، و«شرح الحماسة» للتبريزي ٢/ ١٦٤.

(٨) في (ي): (الذئب).

(٩) «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(١٠) «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩.

(١١) البيت في «تهذيب اللغة» (ضحك) ٣/ ٢٠٩٩، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨، «تاج العروس» (ضحك) ١٣/ ٦٠٣.

تضحك الضبع من دماء سليم إذ رأتها على الحداب تمور

قال الكميت:

وأضحكت الضباع سيوف سعد بقتلى ما دفن ولا ورينا

وقال أبو عمرو[١]:

سمعت أبا موسى الحامض[٢] قال: سُئل ثعلب عن قوله ﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي: حاضت، وقيل: إنه جاء في الخبر، فقال ثعلب: ليس في كلام العرب، والتفسير مسلم لأهل التفسير، فقيل له: فأنت أنشدتنا:

تضحك «الضبع» لقتلى هذيل

فقال ثعلب: تضحك ههنا تكشر، وذلك أن الذئب ينازعها على القتلى فتكشر في وجهه وعيدًا، فيتركها ويمر.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾، قال المفسرون[٣]: كان إبراهيم قد ولد له من هاجر إسماعيل وكبر وشب، فتمنت سارة أن يكون لها ابن، وأيست من ذلك لكبر سنها، فبشرت على كبر السن بولد يكون نبيًا، ويلد نبيًا وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبُ﴾.

---

(١) البيت في: «شرح هاشميات الكميت» ٢٨٦، «الطبري» ١٢/ ٧٤، «اللسان» (ضحك) ٥/ ٢٥٥٨.

(٢) أبو موسى الحامض هو: سليمان بن محمد بن أحمد، نحوي، من العلماء باللغة والشعر، تلميذ ثعلب روى عنه أبو عمر الزاهد، من أهل بغداد، كان ضيق الصدر سيء الخلق، فلقب بالحامض، توفي سنة ٣٠٥هـ. انظر: «وفيات الأعيان» ١/ ٢١٤، «إنباه الرواة» ٢/ ٢١، «الأعلام» ٣/ ١٣٢، «تاريخ بغداد» ٩/ ٦١.

(٣) القرطبي ٩/ ٦٩.

قال أبو إسحاق[(١)]: بشروها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولده. ﴿وَرَآءَ﴾ هنا تُفسر تفسيرين؛ أحدهما بمعنى: بعد، وهو قول ابن عباس[(٢)] في رواية الكلبي ومقاتل[(٣)]؛ قالوا: ومن بعد إسحاق يعقوب.

وروى حيان بن أبحر[(٤)] قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل من هذيل فقال له: ما فعل فلان؟ لرجل منهم، قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء، قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبُ﴾ يعني: ولد الولد، وهو قول الشعبي[(٥)] في هذه الآية، ورُوي أنه أقبل ومعه ابن ابن له، فقيل له: هذا ابنك؟ فقال: هذا ابني من الوراء، ونحو هذا قال قتادة، فإن قيل يعقوب ولد إسحاق لصلبه فكيف يكون وراء له وإنما هو وراء للجد، كما قال الشعبي لولد ولده هذا بني من الوراء [ونحو هذا][(٦)].

قال ابن الأنباري[(٧)]: معناه من الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب؛

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٢.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٦.

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٣١، ولم أجده في «تفسير مقاتل».

(٤) ذكره في «الدر» ٣/ ٦١٦ عن ابن الأنباري في الوقف والابتداء. وقال عن حسان، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٩ب، الطبري ١٢/ ٧٥.

(٥) أخرجه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء». انظر: «الدر» ٣/ ٦١٦، وانظر: الثعلبي ٧/ ٤٩ب، الطبري ١٢/ ٧٥.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) «الأضداد» ٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣١، «اللسان» (ورى) ٨/ ٤٨٢١.

لأنه قد كان الوراء لإبراهيم عليه السلام، من جهة إسحاق وإسماعيل عليهما السلام، فلو قال من الوراء يعقوب لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل، فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى، ومثل هذا من الإضافة قوله ﷻ: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٢٦، ٧٤]. يريد أين الشركاء المنسوبون إليّ بزعمكم، قال: ومن حمل وراء على (بعد)[١] لزم ظاهر العربية، إذ العرب تقول: ليس وراء هذا شيء أي بعده قال النابغة[٢]:

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً   وليس وراءَ الله للمرء مذهبُ

يعني: بعد الله، قال ورُفع يعقوب بـ(من) لأن المعنى فبشرناها [بإسحاق وبشرناها من وراء إسحاق][٣] بيعقوب، فلما لم يظهر التبشير ثانيًا ولم يعد معه باء غلَّب الظاهر فرفع يعقوب بمن، وهو داخل بالتبشير في المعنى، كما تقول العرب: أمرت لزيد بإبل ولأخيه غنم، فيرفعون الغنم باللام والمعنى وأمرت لأخيه بغنم، فلما لم يعد الأمر مع الباء غلب الظاهر فرفعت الغنم بلام الصفة، وذلك منوي مراد.

وقال أبو إسحاق[٤]: رفعه على ضربين؛ **أحدهما**: ابتداء مؤخر معناه التقديم، المعنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق، وهذا هو القول الذي ذكره أبو بكر؛ لأن من رفعه بـ (من) جعله ابتداء مؤخرًا، كما تقول

(١) في (ي): (البعد).

(٢) النابغة الذبياني «ديوانه» ص٢٧، وفي معاهد التنصيص ٢/ ٧ (مطلب) بدل (مذهب). «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٧٨.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣.

(في الدار زيد). الثاني مما ذكره أبو إسحاق أنه مرفوع بالفعل الذي يعمل في[1] ﴿مِن وَرَآءِ﴾؛ كأنه قال: ويثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿يَعْقُوبَ﴾[2] بفتح الباء، قال [الفراء[3]: من قرأ ذلك نوى به الخفض يريد: ومن وراء][4] إسحاق بيعقوب قال: ولا يجوز هذا إلا بإظهار الباء.

قال أبو بكر[5]: من قال: إن (يعقوب) على قراءة حمزة في موضع خفض بالباء فقد غلط عند الفراء[6] وسيبويه[7]؛ لأن واو النسق لا يفصل بينها وبين المنسوق بالصفات ولا غيرها، فلا يقال: مررت بأخيك ومن بعده أبيك؛ لأن الواو مع الأب بمنزلة الشيء الواحد فلا تدخل بينهما الصفة، ولا يجوز أن يضمر بعد الواو في الآية تبشير آخر معه باء؛ لأنه لا يصلح ضمير شيئين على هذه الشريطة، ولا تعمل الباء مضمرة إذا كانت صلة لفعل يتصل به ضمير، كما لا تعمل إلا مظهرة حتى يظهر الفعل معها، ألا ترى أن الذي يقول مررت أبيك لا يضمر الباء ههنا ويخفض بها، فامتناعها هناك من أن تظهر وتعمل كامتناعها ههنا، قال: والصحيح في

(١) ساقط من (ي).
(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة بفتح الباء، والباقون بالرفع، انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «إتحاف» ٢٥٨، «الكشف» ١/ ٥٣٤، «الحجة» ٤/ ٣٦٤.
(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).
(٥) «تهذيب اللغة» (عقب) ٣/ ٢٥٠٨، «اللسان» (عقب) ٥/ ٣٠٣٠.
(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٢.
(٧) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠١، وانظر: «الكتاب» ١/ ٤٨- ٤٩.

إعراب ﴿يَعْقُوبَ﴾ النصب بفعل مضمر يشاكل معناه معنى[(١)] التبشير على تقدير: ومن وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب، كما تقول العرب: مررت بأخيك وأباك، يريدون بـ (مررت) (جُزْت) كأنه قيل: جزت أخاك وأباك وكما قال جرير[(٢)]:

جئني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيار
أو عامرَ بن طفيل في مركبة أو جارنا يوم نادى القوم يا جار

أراد: أعطني مثل بني بدر أو مثل[(٣)] أسرة. وقال آخر[(٤)]:

لو جئت بالتمر له ميسرًا
والبيضَ مطبوخًا معًا والسكرا
لم يرضه ذلك حتى يسكرا

أراد لو أطعمته التمر والبيض. قال رؤبة[(٥)]:

---

(١) ساقط من (ب).
(٢) القائل جرير في هجاء الأخطل، والبيت في «ديوانه» ص١٦٣، سيبويه والشنتمري ١/ ٤٨، ٨٦، «المقتضب» ٤/ ١٥٣، وهو بلا نسبة في الطبري ١٢/ ٧٥، «المحتسب» ٢/ ٧٨، «معاني القرآن» ٢/ ٢١، ٣/ ١٢٤، وهو في هذه القصيدة يفخر ببني قيس عيلان بن مضر بن نزار جميعًا على بني ربيعة بن نزار وهم قوم الأخطل التغلبي، فذكر «بني بدر» الفزاريين من قيس عيلان، و«منظور بن سيار الفزاري» العبسي و«عامر بن الطفل» من بني جعفر بن كلاب، انظر: تعليق محمود شاكر على الطبري ١٥/ ٣٩٦- ٣٩٧.
(٣) ساقط من (ي).
(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٢ قال: أنشدني بعض بني باهلة.
(٥) من أرجوزة له. انظر: «ملحق ديوانه» ص١٩٠، «أساس البلاغة» (فسق)، وينسب للعجاج كما في سيبويه والشنتمري ١/ ٤٩، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في «شرح شذور الذهب» ٤٠٢، «المحتسب» ٢/ ٤٣، «الخصائص» ٢/ ٤٣٢، «شرح التصريح» ١/ ٢٨٨.

يهوين في نجد وغورا غائرًا فواسقا عن قصدها جوائرا

أراد: يدخلن نجدًا. وكل ما ذكره أبو بكر من ردّ وجه الخفض وتوجيه النصب هو قول الفراء والزجاج وشرح كلامهما. وذكر أبو علي[1] أن قومًا ذهبوا في قراءة حمزة إلى الحمل على موضع الجار[2] والمجرور كقوله[3]:

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدًا

وقوله[4]:

فلسنا بالجبال ولا الحديدا

كذلك ههنا قوله: ﴿بِإِسۡحَٰقَ﴾ الجار والمجرور في موضع النصب فحمل عليه قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ بالعطف، قال أبو علي: وهذا الوجه في الفتح كوجه قول من جعل يعقوب في موضع الخفض، وذلك أن الفصل في هذا بين واو العطف والحرف المعطوف بالظرف قبيح، سواء

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٦٤- ٣٦٧ بتصرف.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) عجز بيت لكعب بن جعيل، وصدره:

ألا حيّ ندماني عُمَيدَ بن عامرٍ

انظر: سيبويه والشنتمري ١/ ٣٤- ٣٥، ابن السيرافي ص ٢٥٣، وبلا نسبة في «الإنصاف» ٢٨٥، و«المقتضب» ٤/ ١١٢، ١٥٤، و«المحتسب» ٢/ ٣٦٢.

(٤) عجز بيت لعقيبة الأسدي، أو لعبد الله بن الزبير، وصدره:

معاوي إننا بشر فأسجح

انظر: سيبويه ١/ ٣٤، ٣٥٢، «الخزانة» ١/ ٣٤٣، ٢/ ١٤٣، «شرح المفصل» ٢/ ١٠٩، «شرح أبيات المغني» ٧/ ٥٣، «الإنصاف» ٢٨٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٩٤، ١٣١، «سمط الآلئ»/ ١٤٨، «نسبه في الأزمنة والأمكنة» ٢١/ ٣١٧ لعمرو بن أبي ربيعة.

عطفت على المرفوع أو المنصوب أو المجرور، وذلك أن الفعل [يصل بحرف العطف، وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه][(١)] يصل الفعل إلى المفعول به، كما يصل بحرف الجر إذا قلت (مررت بزيد)[(٢)]، ولا يجوز الفصل بين الباء وزيد، كذلك لا يجوز الفصل في قولك ضربت زيدًا وعمرًا بين الواو وعمرو؛ لأن الحرف العاطف مثل الجار في أنه يشرك في الفعل، كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعًا وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف، وقد جاء[(٣)] ذلك في الشعر، قال ابن أحمر[(٤)]:

أبو حنش يؤرقنا وطلق وعبّادٌ وآونةً أثالُ

ففصل بالظرف في العطف على المرفوع. وقال الأعشى:

يوما تراها كشبه أرديه الـ عصب ويومًا أديمها نغلا[(٥)]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) قائمًا كما في «الحجة» ٤/ ٣٦٥.

(٣) في (ب): (جاز)، والصحيح ما أثبتهُ كما في «الحجة» ٤/ ٣٦٦.

(٤) من قصيدة يذكر فيها جماعة من قومه لحقوا بالشام فصار يراهم في النوم إذا أتى الليل، انظر: «ديوانه» ص١٢٩، «الحماسة البصرية» ١/ ٢٦٢، «أمالي ابن الشجري» ١/ ١٩٢، «الخصائص» ٢/ ٣٧٨، «الإنصاف» ٢٩٩، المذكور (أثالا). «الكتاب» ٢/ ٢٧٠، «شرح أبيات سيبويه» ١/ ٤٨٧، «اللسان» (حنش) ٢/ ١٠٢٣، «المقاصد النحوية» ٢/ ٤٢١.

(٥) البيت من قصيدة له يمدح فيها سلامة ذا فائش، في «ديوانه» ص١٧٠ (أردية الخمس)، والعصب: ضرب من البرود، ونغل الأديم: فسد في الدباغ. وانظر: «شرح أبيات المغني» ٢/ ١٦٣- ١٦٤، «اللسان» (نغل) ٨/ ٤٤٩٠، وبلا نسبة من «الخصائص» ٢/ ٣٩٥، «الإيضاح»/ ١٤٨.

ففصل بالظرف بين المشرك في النصب وما أشركه فيه، فإذا قبح هذا فالوجه أن تحمل قراءة حمزة ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه (بشرنا) كما تقدم، ولا يحمل على الوجهين الآخرين لاستوائهما في القبح[١].

٧٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾. قال أبو إسحاق[٢]: الأصل فيه يا ويلتي فأبدل من الياء والكسرة [الألف؛ لأن الألف أخف من الياء والكسرة][٣]، وقد ذكرنا مثل هذا في قراءة من قرأ ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب﴾ [هود: ٤٢] بفتح الياء، قال[٤]: والاختيار في الكلام إن وقف عليه بالهاء «يا ويلتاه» فأما المصحف فلا يخالف، ويوقف إذا[٥] اضطر واقف بغير هاء، وذكرنا معنى هذا النداء في قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ [المائدة: ٣١][٦]، وهذه الكلمة إنما تقال عند الإيذان بورود الأمر الفظيع.

وقوله تعالى: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾، قال الليث[٧]: العجوز المرأة الشيخة والجميع العجز والعجائز، والفعل عجزت تعجز عجزًا، وعجّزت

---

(١) إلى هنا انتهى النقل من «الحجة» ٤/ ٣٦٤- ٣٦٧ بتصرف.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) القائل أبو إسحاق الزجاج في الموضع السابق ٣/ ٦٣.

(٥) في (ي): (إن).

(٦) وقد نقل هناك عن الزجاج قوله: المعنى يا ويلتا تعالي، فإنه من إبانك، أي: قد لزمني الويل، قال: والوقف في غير القرآن: يا ويلتاه.اهـ. وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ١٦٧.

(٧) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

تعجِّز تعجيزًا فهي مُعَجِّزة والتشديد أكثر، قال يونس(١): امرأة مُعجِّزة: طعنت في السن، ويقال للمرأة [اتقي الله في شبيبتك وعجزك.

قال ابن الأعرابي(٢): ويقال للمرأة](٣) عجوزة بالهاء أيضًا.

قال ابن إسحاق(٤): كانت(٥) ابنة تسعين سنة، وقال عطاء ومجاهد(٦): تسع وتسعين سنة، جعل الله ﷻ الولد على تلك الحال معجزًا لنبيه إبراهيم ﷺ، وإنما تعجبت من مقدور الله تعالى -مع إيمانها- بطبع البشرية إذا ورد مثلُ هذا على النفس من غير فكر ولا روية، كما ولى موسى ﷺ مدبرًا حتى قيل له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، ذكرنا معنى البعل والبعولة في سورة البقرة(٧) والنساء(٨)، وقال عطاء ومجاهد(٩): كان إبراهيم ﷺ في ذلك الوقت ابن مائة سنة.

---

(١) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

(٢) «تهذيب اللغة» (عجز) ٣/ ٢٣٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ٧٧، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢، القرطبي ٩/ ٧٠.

(٧) البقرة: ٢٢٨.

(٨) النساء: ١٢٨. وخلاصة ما ذكره أن المراد بالبعل الزوج، وإنما سمي بذلك لأحد أمرين: إما لأنه مستبعل لها وقد غلطه الأزهري، وإما لأنه سيدها ومالكها. وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٣ (بعل).

(٩) الثعلبي ٧/ ٥٠ أ، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

وقال ابن إسحاق[١]: ابن عشرين ومائة سنة. وقال الكلبي[٢]: ابن تسع وتسعين سنة.

قال أبو إسحاق[٣]: (شيخا) منصوب على الحال، والحال ههنا نصبه من لطيف النحو وغامضه، وذلك أنك إذا قلت: هذا زيد قائمًا، فإذا كنت تقصد أن تخبر من لم يعرف زيدًا أنه زيد لم يجز هذا؛ لأنه لا يكون زيدًا ما دام قائمًا فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيدًا هذا زيد قائمًا فيعمل في الحال التنبيه، المعنى[٤]: انتبه لزيد في حال قيامه أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه. قال ابن الأنباري[٥]: وهذا إنما وقعت الإشارة معه إلى الشيخوخة، أي: تنبهوا على شيخوخة بعلي، كما يقول القائل: هذا الله لطيفًا كريمًا. يريد تنبهوا على لطفه وكرمه، وما يجهله ﷻ ذو عقل وتمييز.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، العجيب بمعنى المُعْجِب يقال: أعجبني الشيء فهو معجب وعجيب، قال ابن عباس[٦]: يريد أن يولد لابن مائة سنة ولكبرها وأنها حرمت الولد في شبابها وأعطيته في كبرها.

---

(١) الطبري ١٢/ ٧٦، الثعلبي ٧/ ٥٠ أ، البغوي ٤/ ١٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣.

(٢) «تنوير المقباس» ص١٤٣، «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (بعل) ١/ ٣٦٢.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٣٢.

(٦) قال به الطبري ١٢/ ٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.

٧٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾، قال ابن عباس[١]: يريد من قضاء الله وقدرته؟ وقال أهل المعاني: أنكرت الملائكة عليها لما تعجبت من ولادتها على كبر السن؛ لأن ما عرف سببه لا يتعجب منه، والله تعالى قادر لا يعجزه شيء.

قوله تعالى: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحتمل أن يكون هذا دعاء من الملائكة لهم بالرحمة والبركة، ويحتمل أن يكون إخبارًا عن ثبوت ذلك لهم فيكون تذكيرًا بالنعمة عليهم، قال المفسرون[٢]: ومن هذه البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة.

وقوله تعالى: ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ يعني: بيت إبراهيم، قالوا: وفي هذا دليل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته تكذيبًا لمن أنكر ذلك؛ لأن الملائكة خاطبوا سارة بأهل البيت، وسموها أهل بيت إبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٞ﴾، الحميد الذي تحمد فعالُه، وهو بمعنى المحمود، والله تعالى الحميد المحمود والمستحمد إلى عباده، والمجيد: الماجد وهو ذو الشرف والكرم، يقال مجد الرجل يمجد مجدًا ومجادة، ومجُد يمجُد لغتان. قال الحسن والكلبي[٣]: المجيد: الكريم، وهو قول أبي إسحاق[٤]، وقال ابن الأعرابي[٥]: المجيد: الرفيع، وقال أهل المعاني: المجيد: الكامل الشرف والرفعة والكرم والصفات

(١) قال به الطبري ١٢/ ٧٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٣، القرطبي ٩/ ٧٠.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٣.
(٣) البغوي ٤/ ١٩٠، «تنوير المقباس» ص١٤٣.
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٣٠٨.
(٥) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

المحمودة، وأصله من قولهم: مجدت الدابة إذا أكثرت علفها، رواه أبو عبيد عن أبي عبيدة[(١)]، وقال النضر[(٢)]: مجدت الإبل تمجد مجدًا إذا شبعت، وقال الأصمعي[(٣)]: أمجدتُ الدبة علفًا أكثرت لها ذلك، وقال أبو حية[(٤)]:

تزيد على صواحبها وليست
بماجدة الطعام ولا الشراب

أي: ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب، وقال الليث[(٥)]: أمجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره، واستمجد المرخ والعفار[(٦)] أي: استكثر من العفار [أي: استكثر من النار][(٧)].

---

(١) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٢) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥، وهو النضر بن شميل.

(٣) «تهذيب اللغة» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٤) أبو حية النميري هو: الهيثم بن الربيع بن كثير، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مجيد متقدم، يروي عن الفرزدق وكان كذابًا بخيلاً. توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: «الشعر والشعراء» ص٥٢٢، «الأغاني» ١٢/ ٦١.
والبيت قاله في وصف امرأة. «ديوانه» ص١٢٣، وانظر: «البحر المحيط» ٥/ ٢٣٧، «الدر المصون» ٦/ ٣٥٩، «اللسان» (مجد) ٤/ ٣٣٤٥.

(٥) «تهذيب اللغة» (مجد) ١٠/ ٦٨٣.

(٦) هما شجرتان في الحجاز يستوقد منهما النار.
والمثل هو (في كل الشجر نار، واستمجد المرخ والعفار) أي: استكثرا من النار فصلحا للاقتداء بهما، شبها بمن يكثر من العطاء طلبًا للمجد، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٤٥.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أي).

٧٤- **قوله تعالى**: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الآية، الروع: الإفزاع، يقال: راعه يروعه روعًا[1] إذا أفزعه، قال عنترة[2]:

ما راعني إلا حمولةُ أهلها   وسْط الديار تَسَفُّ حب الخمخم[3]

والرُّوع النفس وهو موضع الرَّوْع، قال ابن عباس[4]: يريد الفزع؛ قال الزجاج[5]: يعني ارتياعه لما أنكرهم حين لم يأكلوا العجل.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾، قال ابن عباس[6]: يريد بإسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾، (لَمَّا)[7] تصحبها الأفعال الماضية؛ لأنها جعلت في الكلام لما قد وقع بوقوع غيره، تقول: (لَمَّا جاء زيد جاء عمرو)، وههنا قيل: (يجادلنا) على لفظ المستقبل، وذلك أن (لما) لما كانت شرطًا للماضي جاز أن يقع بعدها المستقبل بمعنى الماضي، كما أن (إنْ)[8] لما كانت شرطًا للمستقبل، جاز أن يقع بعدها الماضي بمعنى

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) البيت من معلقته المشهورة، انظر: «ديوانه» ص١٢٣، والخمخم، بقلة لها حب أسود، وذلك أنهم كانوا مجتمعين في الربيع، فلما يبس البقل، سفت حب الخمخم، فكان ذلك نذيرًا بوشك فراقهم. وانظر: الطبري ١٢/ ٧٨، «اللسان» (حمم) ٣/ ١٢٧٠، (خمم) ٣/ ١٢٧٠، «ديوان الأدب» ٣/ ١٠٥، «كتاب العين» ٣/ ٤٣، «تاج العروس» (خمم)، وبلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ١١٠٦.

(٣) في حاشية (ب): (والحمحم أيضًا بالحاء والخاء).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٤، الطبري ١٢/ ٧٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٤.

(٦) رواه الطبري عن ابن إسحاق ١٥/ ٤٠١، البغوي ٢/ ٣٩٤، القرطبي ٩/ ٧٢.

(٧) في (ي): (إلى).

(٨) ساقط من (ي).

المستقبل، نحو: إن جاء زيد، حيث قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠].

وفيه وجه آخر وهو أن يكون قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ [حكاية لحال قد مضت، المعنى: لما ذهب عنه الروع أخذ يجادلنا][1] وأقبل يجادلنا، فأضمر هذا الفعل قبل المستقبل؛ لأن (لما) تقتضيه، وفي كل كلام يخاطب به معنى (أخذ) و(أقبل) إذا أردت حكاية حال، والوجهان ذكرهما الزجاج[2] وابن الأنباري.

قال الزجاج: والوجه الثاني هو الذي أختاره، ومعنى يجادلنا: يجادل رسلنا من الملائكة في قول جميع المفسرين[3]؛ قالوا جميعًا: إن الرسل لما قالوا لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: [فأربعون؟ قالوا: لا. قال:][4] فثلاثون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص، فيقولون: لا، حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا، فاحتج عليهم بلوط وقال: إن فيها لوطًا؛ فقالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾، وهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط.

وقال أهل المعاني[5]: معنى (يجادلنا) يسألنا ويكلمنا فيهم ويراجعنا

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٩٤ بتصرف.

(٣) الطبري ١٢/ ٧٨، الثعلبي ٧/ ٥٠أ، البغوي ٤/ ١٩٠، ابن عطية ٧/ ٣٥٤، «زاد المسير» ٤/ ١٣٤، القرطبي ٩/ ٧٢، ابن كثير ٢/ ٤٩٥.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) ذكر هذا القول الطبري ١٢/ ٧٩ ورده، والثعلبي ٧/ ٥٠أ.

في ذلك، إلا أنه استعير لفظ يجادل؛ لأنه كان يحرص في السؤال حرص المجادل، والآية الثانية ذكرنا تفسيرها في سورة التوبة[١].

٧٦- قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾. قال الزجاج: المعنى: فقلنا يا إبراهيم، وقال المفسرون: قالت الرسل عند ذلك يا إبراهيم أعرض عن هذا، وأشير بـ (هذا) إلى الجدال.

٧٧- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ﴾، قال ابن عباس[٢] في رواية الكلبي: لما قفلت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، توضأ إبراهيم وقام يصلي، وكان بين قريته وقرية لوط أربعة فراسخ، فانتهوا إلى قرية لوط، فبصرت ابنتا لوط -وهما يستقيان- بالملائكة فرأتا هيئة حسنة، قالتا: ما شأنكم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ قالوا: من موضع كذا، نريد هذه القرية، قالتا: فإن أهلها يفعلون كذا وكذا. فقالوا: أبها من يضيفنا؟ قالتا: نعم، هذا الشيخ وأشارتا إلى لوط، فلما جاؤوه ورأى هيئتهم خاف قومه عليهم فسيء بهم وضاق بهم ذرعًا، وقال: هذا يوم عصيب، ومعنى سِيء بهم ساءه مجيؤهم، وساء يسوء فعل لازم ومجاوز، يقال: سؤته فسيء مثل شغلته فشغل، وسررته فسر.

قال أبو إسحاق[٣]: أصله سُوِءَ بهم إلا أن الواو أسكنت ونقلت

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [آية: ١١٤]. وخلاصة ما ذكره أن الأوّاه كما قال أبو عبيدة: المتأوّه شفقًا وفرقًا، المتضرع يقينًا ولزومًا للطاعة. والحليم، قال ابن عباس: لم يعاقب أحدًا إلا لله، ولم ينتصر من أحدٍ إلا لله.

(٢) انظر: القرطبي ٩/ ٧٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٦.

كسرتها إلى السين، قال عامة أهل التأويل[(١)]: إنما سيء بهم لوط؛ لأنه لما نظر من حسن وجوههم، وطيب روائحهم، أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بما يقصدون به غيرهم من المطالبة بالفعل الخبيث، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن[(٢)] أضيافه.

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾، قال الأزهري[(٣)]: الذرع يوضع موضع الطاقة، والأصل فيه أن يذرع البعير بيديه في سيرة ذرعًا على قدر سعة خطوه، فإذا حمل على أكثر من طوقه ضاق ذَرْعُهُ عن ذلك فضعف ومد عنقه، فجُعِلَ ضيق الذرع عبارةً عن ضيق الوسع والطاقة، فيقال: ما لي به ذرع ولا ذراع، أي: ما لي به طاقة، الدليل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بالأمر ذراعًا، قال القطامي[(٤)]:

إذا التَّيَّازُ ذو العضلات قُلْنا إليكَ إليكَ ضاق بها ذراعًا

فمعنى ضاق بهم ذرعا: ضاق صبره وعظم المكروه عليه، وقال أبو إسحاق[(٥)] يقال: ضاق زيد بأمره ذرعًا: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصًا، ولم أر أحدًا ذكر في أصل الذرع أحسن مما ذكره الأزهري، وغيره[(٦)] يقول: ضاق ذرعًا أي: ضاق بهم صدرًا، وليس يعرف

---

(١) الطبري ١٢/ ٨١، البغوي ٤/ ١٩٠، ابن عطية ٧/ ٣٥٧، «زاد المسير» ٤/ ١٣٥.

(٢) في (ب): (علي).

(٣) «تهذيب اللغة» (ذرع) ٢/ ١٢٧٨.

(٤) «ديوانه» ص٤٤، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٥٦، و«اللسان» (ت ي ز).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٦.

(٦) القرطبي ٩/ ٧٤، الثعلبي ٧/ ٥٠ب.

أصله، وذكر ابن الأنباري[١] قولين: **أحدهما**: أصله (من ذرع فلان القيء) إذا غلبه وسبقه، ومعنى ضاق ذرعه: ضاق حبس المكروه في نفسه، وهذا ليس بظاهر، **والقول الثاني**[٢]: أن الذرع كناية عن الوسع؛ لأن الذراع من اليد، والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس في وسعي، وهذا قريب مما قاله الأزهري، ولكن لم يبين بيانه.

وقال الفراء[٣]: الأصل فيه (وضاق ذرعٌ بهم)، فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط[٤]، ونصب الذرع بتحول الفعل عنه، كما قال ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾ [مريم: ٤]. وقد ذكرنا نظير هذا في قوله: ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ﴾. قال المفسرون وجميع أهل المعاني[٥]: يوم شديد، قال أبو بكر: قال الكسائي[٦]: العصيب: الشديد يقال منه عصب اليوم يعصب عصابة.

وقال الفراء[٧] والزجاج[٨] وأبو عبيدة[٩]: العصيب الشديد، وأنشد

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٦. وذكر قولًا ثالثًا عنه هو أن معناه: وقع به مكروه عظيم لا يصل إلى دفعه عن نفسه.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٧٩، «زاد المسير» ٤/ ١٣٦.

(٤) في (ي): (لفظ).

(٥) الطبري ١٢/ ٨٢، البغوي ٤/ ١٩٠، الرازي ١٨/ ٣١، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٦، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧.

(٦) «تهذيب اللغة» (عصب) ٣/ ٢٤٥٤.

(٧) «تهذيب اللغة» (عصب) ٣/ ٢٤٥٣.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٧.

(٩) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٣.

أبو عبيدة قول هانئ العنبري[(١)]:

يـوم عـصـيـب يـعـصـب الأبـطـالا

عـصـبَ الـقـوي الـسُّـلَّـم الـطـوالا

قال أبو عبيدة: وإنما قيل له عصيب؛ لأنه يعصب الناس بالشر، وأنشد لعدي بن زيد[(٢)]:

وكـنـتُ لِـزازَ خـصـمِـك لـم أعـرِّدْ وقـد سـلـكـوك فـي يـوم عـصـيـب

٧٨- وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ الآية. قال المفسرون[(٣)]: لما أضافهم لوط مضت امرأته عجوز السوء، فقالت لقومه: إنه استضاف لوطًا قوم لم أر أحسن وجوهًا ولا أنظف ثيابًا ولا أطيب رائحة منهم، فجاءه قومه ليراودوه عن ضيفه؛ فذلك قوله: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾. قال عامة المفسرين وأهل المعاني: يهرعون: يسرعون، قال الكسائي[(٤)] وأبو زيد[(٥)]: أهرع الرجل إهراعًا إذا أسرع في رعدة[(٦)].

---

(١) بيتان من الرجز وقد نسبهما الواحدي هنا إلى هانئ العنبري، وبلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٢، القرطبي ٩/ ٧٤، «زاد المسير» ٤/ ١٠٧، «مجمع البيان» ٥/ ٢٧٧.

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها وهو في حبس النعمان بن المنذر، و(لزاز الخصم) الشديد المعاند ذو البأس في الملمات، و(عرد عن خصمه) أحجم ونكص، انظر: «ديوانه» ص٣٩، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، «الأغاني» ٢/ ١١١، الطبري ١٢/ ٨٢، «اللسان» (سلك) ٤/ ٢٠٧٣، «كتاب الجيم» ٣/ ٢٠٨.

(٣) الطبري ١٢/ ٨٣، الثعلبي ٧/ ٥١أ، «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.

(٤) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١، القرطبي ٩/ ٧٤، «اللسان» (هرع) ٨/ ٤٦٥٣.

(٥) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١.

قال أهل اللغة: وهذا من الفعل الذي خرج الاسم معه مقدرًا تقدير المفعول(١)، وهو صاحب الفعل [لا يُعرف له فاعلٌ غيره، نحو: أولع فلان بالأمر؛ جعلوه مفعولًا وهو صاحب الفعل]، ومثله: أرعد زيد وزُهي عمرو، من الزهو، ونُخي بكر من النخوة، وذكر أبو عبيد(٢): المهرع: الحريص في باب ما جاء في لفظ مفعول بمعنى فاعل، وحكى أبو بكر(٣) عن بعض النحويين قال: لا يجوز للفعل أن يجعل فاعله مفعولًا، وهذه الأفعال حذف فاعلوها، فتأويل أرعد الرجل أرعده غضبه، وأولع زيدٌ معناه أولعه طبعه، وزُهي عمرو معناه: جعله ماله أو جهلُه زاهيًا، وكذلك نُخِيَ وأهْرع معناه [أهرعه خوفُه، أو حرصه، ويؤكد هذا ما ذكره أبو عبيدة(٤) في تفسير قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ قال: معناه](٥): يستحثون إليه، وأنشد(٦):

بمعجلات نحوه مهارع

فعلى هذا، الفعل واقع على القوم من المستحثين، ودل عليه ما أنشده؛ لأنه قال: بمعجلات وهن اللاتي [أُعْجِلْنَ أي](٧) أعجلهن غيرهن،

---

(١) في النسخ (عدوه) وفي (ب) ما أثبته وهو الصحيح. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.
(٢) في (ي): (الفعل).
(٣) «تهذيب اللغة» (هرع) ٤/ ٣٧٥١، «اللسان» (هرع) ٨/ ٤٦٥٣-٤٦٥٤.
(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.
(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) بيت من الرجز، وهو بلا نسبة في: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٣ (العلمية)، القرطبي ٩/ ٧٥.
(٨) ساقط من (ب).

كذلك المهارع اللاتي أهرعهن غيرهن، ويدل على هذا قول مهلهل:

فجاءوا يُهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الأنوف

فقوله: يُهرعون، معناه: يساقون ويعجلون، لا أنهم يسرعون من عند أنفسهم؛ لأنه قال: وهم أسارى، أي: يقودهم، فبيَّن أنهم محمولون على ذلك الإسراع لا من عند أنفسهم، غير أن أكثر أهل اللغة على أن أُهْرِعَ الرجل بمعنى أسرع على لفظ فعل لم يسم فاعله، ولا يعرفون أَهْرَعَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل مجيئهم إلى لوط ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال عطاء: يريد الشرك، وقال آخرون[1]: يعني: فعلهم المنكر.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾. قال أكثر المفسرين[2]: يعني: بنتيه زيتا[3] وزعورا، وعلى هذا سمي الاثنان بالجمع كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]. وقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، يعني: حكم داود وسليمان، ومن المفسرين من ذهب إلى أنه كان له أكثر من بنتين، وعلى هذا سهل الأمر.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾. قال المفسرون: أراد: أنا أزوجكموهن فهن أطهر لكم من نكاح الرجال، قال ابن عباس[4] وغيره: كان رؤساء من قومه خطبوا إليه فلم يزوجهم قبل ذلك فلما راودوه عن

---

(١) الطبري ١٢/ ٨٤ رواه عن ابن جريج، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩١، «زاد المسير» ٤/ ١٣٧، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٣) في الطبري ١٢/ ٨٤ «رثيا» و«زغرتا»، وفي الثعلبي ٧/ ٥١ ب (زعورا) و(ريثا).

(٤) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، القرطبي ٧/ ٥١ أ.

ضيفه أراد أن يقي أضيافه ببناته فعرضهن عليهم شريطة الإسلام قبل عقد النكاح.

وقال الحسن[(١)]: كان يجوز في شريعة لوط تزويج المسلمة من الكافر، وكذلك كان في صدر الإسلام؛ فقد زوج النبي ﷺ ابنتيه من عتبة ابن أبي لهب[(٢)]، وأبي العاص بن الربيع[(٣)].

وقال مجاهد[(٤)]: لم يكنَّ بناته كُنَّ من أمته، وكل نبي أبو أمته. وقال سعيد بن جبير[(٥)]: دعاهم إلى نسائهم؛ يعني: أن قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ أي: نساؤكم، فجعلهن بناته؛ لأنه نبيهم، وكل نبي أبو أمته؛ كما روي في بعض القراءة: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) [الأحزاب: ٦][(٦)].

وروي عن الحسن وعيسى بن عمر[(٧)] أنهما قرأ: ﴿هُنَّ أطهرَ لَكُم﴾

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، الثعلبي ٧/ ٥١ أ.

(٢) هو: عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب القرشي ابن عم النبي ﷺ، أسلم في الفتح وشهد حنينًا. انظر: «الإصابة» ٢/ ٤٥٥، «الاستيعاب» ٣/ ١٤٩.

(٣) هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد العز بن العبسي، زوج بنت النبي ﷺ زينب، أسلم بعد الهجرة، توفي سنة ١٢هـ على خلاف في ذلك. انظر: «الإصابة» ٤/ ١٢١، «سير أعلام النبلاء» ١/ ٣٣٠.

(٤) الطبري ١٢/ ٨٤، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩١ «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٥) الطبري ١٢/ ٨٤، الثعلبي ٧/ ٥١ أ، البغوي ٤/ ١٩٢، «زاد المسير» ٤/ ١٣٨، القرطبي ٩/ ٧٦.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٣.

(٧) الطبري ١٢/ ٨٥، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، القرطبي ٩/ ٧٦ .

بالنصب على الحال كما ذكرنا في قوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] إلا[١] أن أكثر النحويين[٢] على أن هذا خطأ؛ لامتناع أن يجوز كون ﴿هُنَّ﴾ ههنا عمادًا، وأجاز الكسائي[٣] ذلك وقال: من نصب جعلهن عمادًا كما يقال كان الهندات هن أفضل من غيرهن.

قال الفراء[٤]: ﴿هُنَّ أطهرَ﴾ بالنصب خطأ؛ لأن هذا وهؤلاء في باب التقريب لا يدخل معه العماد، فلا يقال (هذا عبد الله هو أفضلَ منك)؛ لأن هذا اسم[٥] جامد لا يتصرف تصرف (كان)، وزاد ابن الأنباري بيانًا، فقال: هذا الأولى به والغالب عليه؛ أن يكون اسمًا للمشار إليه غير مقرب خبرًا، فلما نقل إلى التقريب ونصب الخبر معه نحو: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] منع العماد ولم يجر مجرى (كان) في هذا الباب، كما لم يجر مجراها في توسيط الخبر وتقديمه، لا يجوز (هذا قائمًا زيد) ولا (قائمًا هذا زيد) كما يجوز في (كان)، ولو قيل: (هؤلاء بناتي أطهرَ لَكُم) بالنصب جاز من غير عماد، وجميع البصريين ينكرون هذه القراءة ولا يجيزونها، وذكر الزجاج[٦] ذلك على قريب مما ذكرنا.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) كالخليل وسيبويه والأخفش، انظر: «القرطبي» ٩/ ٧٦، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠٢، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٧، «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٤١٢، «الطبري» ١٢/ ٨٥.

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ١٠٤.

(٤) لم أجده في مظانه.

(٥) في (ي): (الاسم).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٦٧.

وقال سيبويه[1]: ولكن الفصل يدخل على الأخبار ولا يدخل على الحال، لا يجوز: (قام زيد هو مسرعًا). وليس الشرط أن أذكر قراءة غير مشهورة، إلا أن النصب في ﴿أطهرَ﴾ ههنا اشتهر ذكره، فأردت أن أذكر ما قيل فيه. والألف في قوله: ﴿أطهر﴾ ليس لتفضيل[2] نكاح البنات على نكاح الرجال في الطهارة[3]؛ لأنه لا طهارة في نكاح الرجال البتة، ولكن هذا كقولنا: الله أكبر ولم يكابر الله أحد، وكقول النبي ﷺ لعمر لما قال أبو سفيان يوم أحد: اعلُ[4] هبل، قال: الله أعلى وأجل[5]، ولا مقارنة بين الله وبين الصنم، ولهذا نظائر كثيرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِيٓ﴾، قال الكلبي عن ابن عباس[6]: لا تفضحون في أضيافي[7]، يريد: أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة، وقال بعض المفسرين[8]: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِيٓ﴾ أراد لا

---

(١) انظر: «الكتاب» ٢/ ٣٩٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٤٧، «الدر المصون» ٤/ ١١٧-١١٨، «إملاء ما منَّ به الرحمن» ٢/ ٤٣.

(٢) هذا النص منقول عن الثعلبي ٧/ ٥١ ب.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ب): (أعلى).

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) في المغازي، باب غزوة أحد: لما انكشف المسلمون، وظن المشركون أن النبي ﷺ قتل وفيه نداء أبي سفيان وإجابة عمر له، فقال أبو سفيان: اعل هبل. فقال ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: فذكره، وأحمد ١/ ٤٦٣، ٤/ ٢٩٣.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.

تسوؤون[١] فيهم.

قال أبو بكر[٢]: ومعنى هذا لا تفعلوا بأضيافي فعلا يلزمني الاستحياء منه؛ لأن مُضَيِّف الضيف يلزم الاستحياء من كل فعل قبيح يوصل إلى ضيفه، فتخزوني من باب الاستحياء؛ من قولهم: خزي الرجل خزاية إذا استحيا، والضيف ههنا نائب عن الأضياف، كما ناب الطفل عن الأطفال في قوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: ٣١]، ويجوز أن يكون الضيف مصدرًا مستغنى عن جمعه؛ كقولهم: رجال صوم، وسنذكر اشتقاق الضيف وفعله عند قوله: ﴿فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، قال الكلبي[٣] وابن إسحاق[٤]: [يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو معنى قول ابن عباس[٥]: رجل رشيد][٦]: يقول الحق ويرد هؤلاء عن أضيافي، وعلى هذا: (رشيد) بمعنى (مرشد)، قال أبو بكر[٧]: ويجوز أن يكون (رشيد) بمعنى (مرشد) أي: أليس فيكم رجل مرشد قد أسعده[٨] الله بما منحه من

(١) في (ب): (تشوروني).
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٨.
(٣) «تنوير المقباس» ص١٤٣.
(٤) الطبري ١٢/ ٨٦، البغوي ٤/ ١٩٢، وقد روى هذا القول عن ابن عباس وأبي مالك كما في «الدر» ٤/ ٤٥٨، «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.
(٥) الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.
(٨) في (ب): (أستعده).

الرشاد يصرفكم عن هذه الخزية؛ فيكون ﴿رَشِيدٌ﴾ ههنا كالحكيم، في قوله: ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١] بمعنى المحكم، والقول الأول عليه أهل التفسير.

٧٩- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، قال عطاء عن ابن عباس[١]: يريد من شهوة، وقال الكلبي[٢]: من حاجة. جعلوا تناول ما لا حاجة لهم فيه بمنزلة تناول ما لا حق لهم فيه.

وقال ابن[٣] إسحاق: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، وهذا القول أولى؛ لأنه رد على ظاهر اللفظ حين قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾. فقالوا: لسن لنا بأزواج، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. قال عطاء[٤]: وإنك تعلم أنا نريد الرجال لا النساء، وقال الكلبي[٥]: يريدون عملهم الخبيث.

٨٠- وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾. قال المفسرون[٦]: أغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار، وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسور الجدار، فقال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾، قال

---

(١) البغوي ٤/ ١٩٢.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٣) في (ي): (أبو) والصحيح ما أثبته، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، الطبري ١٢/ ٨٦.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، ونقله الطبري عن السدي ١٢/ ٨٦، الثعلبي ٧/ ٥١ ب، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٥) «تنوير المقباس» ص١٤٣.

(٦) الثعلبي ٧/ ٥٢ أ، البغوي ٤/ ١٩٢، «زاد المسير» ٤/ ١٤٠، القرطبي ٩/ ٧٨.

ابن عباس[١] في رواية عطاء: لو أن معي جماعة أقوى بها عليكم، وقال في رواية الكلبي[٢]: القوة: الولد وولد الولد، وعلى هذا جعل ما يتقوى به قوة، كما سمى العدة من السلاح قوة في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

وقال آخرون: أراد بالقوة: القدرة على دفعهم ومنعهم، هذا معنى قول مقاتل[٣]، قال: القوة البطش.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ﴾، [قال ابن الأنباري][٤]: عطف آوي على القوة؛ لأن القوة مصدر، والمصدر يتأول بـ (أن) وتكون (أن) بمعناه[٥] فيقال: يعجبني قيامك ويعجبني أن تقوم، فنسق ﴿ءَاوِىٓ﴾ على القوة؛ لأن معه (أن) مُقدرة وتلخيصه: لو أن لي أتقوى أو أن آوي، فلما فقد المستقبل (أن) وقع بالزيادة التي في أوله ومثله[٦]:

للبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

على تقدير لأن[٧] ألبس وأن[٨] تقر عيني، ومعنى ﴿ءَاوِىٓ﴾ أرجع

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩، البغوي ٤/ ١٩٢.

(٢) «تنوير المقباس» ص١٤٣. (٣) «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) في (ب): (معناه).

(٦) القائل ميسون بنت بحدل الكلبية، والبيت في: «الخزانة» ٣/ ٥٩٣، ٦٢١، السيوطي ص٢٢٤، «الدر» ٢/ ١٠٠، «المحتسب» ١/ ٢٣٦، «شرح شذور الذهب» ص٣٨١، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٢٧٣، «شرح شواهد الإيضاح» ص٢٥٠، «اللسان» (مسن) ٦/ ٤٢٠٥، «المقاصد النحوية» ٤/ ٣٩٧.

(٧) في (ي): (لا أن).

(٨) ساقط من (ي).

وأضم؛ يقال: فلان يأوي إلى قوة وإلى ثروة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، الركن: كل ناحية قوية من نواحي الجبل والدار والقصر ونحو ذلك، وركن الرجل قوته وعُدده الذين يعتز بهم، وهو المراد في هذه الآية. قال ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: يريد[٢]: من العشيرة أو مؤمنين معي.

وقال ابن إسحاق[٣]: شيعة تمنعني وعشيرة تنصرني، وهذا قول جميع المفسرين وأهل التأويل: أن المراد بالركن الشديد ههنا العشيرة، قال قتادة[٤]: وذكر لنا أن الله لم يبعث نبيًا بعد لوط إلا في عز من قومه ومنعة من عشيرته، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**يرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه** عليه السلام **عنى العشيرة**»[٥].

قال أبو بكر: أراد رسول الله ﷺ ما كان يرجع إليه لوط من عون الله له ودفع المكروه عنه، وروى الأثرم[٦] عن أبي عبيدة[٧] في قوله: ﴿إِلَىٰ رُكْنٍ

---

(١) هذا القول رواه الطبري ١٢/ ٨٧ عن قتادة، وذكره البغوي ٢/ ١٩٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٤ عن ابن عباس. وانظر: «الدر» ٣/ ٦٢١.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) الطبري ١٢/ ٨٧، الثعلبي ٧/ ٥٢أ.

(٤) الطبري ١٢/ ٨٧.

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٧٢) كتاب: الأنبياء، باب: قول الله ﷻ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ «الفتح» ٦/ ٤٧٣، وأخرجه مسلم رقم (١٥١) كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنية القلب بتظاهر الأدلة، وفي الفضائل ح(١٥٢) ٤/ ١٨٣٩، والترمذي (٣١١٦) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يوسف. وقال حديث حسن، والطبري ١٢/ ٨٧-٨٨، والحاكم ٢/ ٥٦١. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

(٦) هو: أبو بكر الأثرم صاحب الإمام أحمد.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤.

شَدِيدٍ﴾. قال: إلى عشيرة عزيزة[(١)] كثيرة منيعة وأنشد[(٢)]:

أو[(٣)] آوي[(٤)] إلى رُكْنٍ مِنَ الأَرْكَانِ
في عدد طَيسٍ ومجدٍ ثان

الطيس الكثير، والثاني المقيم. وجواب (لو) محذوف. قال محمد بن إسحاق[(٥)]: لو أن لي بكم قوة معناه: لحُلْتُ بينكم وبين المعصية. وحذف الجواب ههنا أبلغ[(٦)]؛ لأنه يحضر النفس ضروب المنع، واستقصاء هذا قد سبق في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧][(٧)]. وهذه الآية بيان عن حال المحق إذا رأى منكرًا لا يمكنه إزالته من التحسير على قوة أو معين على دفعه لحرصه على طاعة ربه وجزعه من معصيته.

٨١- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾. قال المفسرون[(٨)]: لما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب والنصب بسبب الدفع عنهم، قالوا:

---

(١) في (ب): (شديدة).

(٢) بيتان من الرجز وهما بلا نسبة. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٤، الطبري ١٢/ ٨٨، «زاد المسير» ٤/ ١٠٩، وهو فيها جميعًا هكذا (يأوي) وهو الصواب حتى لا ينكسر البيت.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ي): (يأوى).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٣٩.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) قال: وقد حذف الجواب تفخيمًا للأمر وتعظيمًا. وجاز حذفه لعلم المخاطب بما يقتضي. ونقل عن ابن جني ما يبين أن هذا أبلغ في اللغة من إظهار الجواب. انظر: «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٩.

(٨) الطبري ١٢/ ٩٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ أ، البغوي ٤/ ١٩٢-١٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٠.

يا لوط إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود، وإنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك، فافتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فدخلوا، فضرب جبريل بجناحه وجوههم، فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق، ولا يهتدون إلى بيوتهم، وذلك قوله [تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: ٣٧]، ومعنى][١] ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ أي: بسوء ومكروه فإنَّا نحول بينهم وبين ذلك، وقالوا له: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ وقرئ[٢] بقطع الألف وهما لغتان، يقال: سريت بالليل وأسريت.

وأنشد أبو عبيد لحسان[٣]:

أسرت إليك ولم تكن تسري

فجاء باللغتين، وجاء بيت النابغة[٤]:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع ﴿فاسر بأهلك﴾ من سريت، بغير همز، وقرأ أبو عمرو وعاصم، وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ من أسريت. انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «إتحاف» ص٢٥٩، «الكشف» ١/ ٥٣٥، «الحجة» ٤/ ٣٦٧، الطبري ١٢/ ٨٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب.

(٣) عجز بيت، وصدره:

إن النضيرة ربة الخدر

«ديوانه» ص٩٦، «اللسان» (سرا) ٤/ ٢٠٠٣، «المخصص» ٩/ ٤٨، ١٤/ ٢٤٠، «تاج العروس» (سرا) وبلا نسبة في «مقاييس اللغة» ٣/ ١٥٤.

(٤) صدر بيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

تزجي الشمالُ عليه جامد البرد

وسرت إذا أمطرت، وقوله: (من الجوزاء سارية) كقولك: سقينا بنوء كذا وكذا، أي: أصابة المطر ليلاً، و(تزجي) تسوق وتدفع على الثور جامد البرد، انظر: =

سـرت إلـيـه مـن الـجـوزاء سـاريـة

يروى بالوجهين سرت وأسرت.

قال الأزهري: وهذا ما لا أعلم فيه بين أهل اللغة اختلافًا، فمن قرأ بقطع الألف فحجته قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] ومن قرأ بوصل الألف[١] فحجته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤].

وقوله تعالى: ﴿بِأَهْلِكَ﴾، روى السدي عن[٢] أبي مالك: لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه، الكبرى اسمها ربه والصغرى اسمها عروبة، فالأهل على هذا ابنتاه.

وقوله تعالى: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، ذكرنا معنى القطع في سورة يونس[٣]، قال عطاء عن ابن[٤] عباس: [يريد: في ظلمة الليل.

وقال نافع بن الأزرق[٥] لعبد الله بن عباس][٦]: أخبرني عن قول

= «ديوانه» ص١١ «شرح ابن السكيت»، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٥، «مختار الشعر الجاهلي» ١/ ١٥٠، «اللسان» (سرت) ٤/ ٢٠٠٣، القرطبي ٩/ ٧٩، «مجمل اللغة» ٣/ ٤٧٩.

(١) في (ب): ومن قرأ بالوصل.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٤١، وذكر أن اسم الكبرى (ريَّة) بالياء المثناة.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾ [الآية ٢٧]. وقال هناك: «القِطْع: اسم لما قطع فسقط، ويراد به ههنا بعض من الليل».

(٤) الطبري ١٢/ ٩٣، عن ابن عباس قال: جوف الليل، وفي رواية أخرى: بطائفة من الليل. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٥، وذكره عنهما السيوطي في «الدر» ٣/ ٦٢٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٥) هو: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، رأس الأزارقة وهي فرقة من الخوارج، كان أمير قومه وفقيههم صحب أول أمره ابن عباس وله معه أسئلة مشهورة. انظر: «تاريخ الطبري» ٥/ ٦١٣، «الأعلام» ٧/ ٣٥١.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

الله ﷻ (بقطع من الليل)، قال: هو آخر[١] الليل، بسحر[٢].

وقال قتادة[٣]: بعد طائفة من الليل.

وقال بعض أهل المعاني: هو نصف الليل؛ فإنه قطع بنصفين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، نهى من معه من الالتفات إذا خرجوا من قريتهم، قال مجاهد[٤]: لا ينظروا وراءهم كأنهم تعبدوا بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، قرئ بالنصب[٥] والرفع؛ فمن قرأ بالنصب -وهو الاختيار- جعلها مستثناة من الإهلال على معنى فأسر بأهلك إلا امرأتك، والذي يشهد بصحة هذه القراءة أن في قراءة[٦] عبد الله (فأسر بأهلك إلا امرأتك) وليس بينهما ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾، ومن رفع المرأة حمله على (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك)، فإن قيل: على هذا هذه القراءة توجب أنها أمرت بالالتفات؛ لأن القائل إذا قال: لا يقم

---

(١) ابن الأنباري في «الوقف والابتداء» ١/ ٨٥، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٢٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، مسائل نافع بن الأزرق في «الإتقان» ١/ ١٦٧.

(٢) في (ي): (سحرًا).

(٣) الطبري ١٢/ ٩٣، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩.

(٤) الطبري ١٢/ ٩٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٥، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٥) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالنصب، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع، انظر: «السبعة» ص٣٣٨، «الكشف» ١/ ٥٣٦، «إتحاف» ص٢٥٩، الطبري ١٢/ ٨٠، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب.

(٦) الطبري ١٢/ ٨٩، الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨٠، «الدر المنثور» ٣/ ٦٢٣.

منكم أحد إلا زيد، كان أمر زيدًا بالقيام.

قال أبو بكر[(١)]: معنى[(٢)] ﴿إِلَّآ﴾ ههنا الاستثناء المنقطع على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت، فيصيبها ما أصابهم، فإذا كان الاستثناء منقطعًا كان التفاتها بمعصية منها لله ﷻ، ويؤيد هذه القراءة ما قال قتادة[(٣)]: ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت [هدة العذاب][(٤)] التفتت وقالت: يا قوماه، فأصابها حجر فأهلكها. وقال مقاتل بن سليمان[(٥)]: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك فإنها تلتفت وهذا يدل على أنه خرج بامرأته ثم التفتت، ويقوى وجه الرفع؛ لأن من نصب لا يُجوِّز أن تكون خارجة[(٦)] مع أهله؛ لأن الاستثناء يكون من الأهل، كأنه أمر لوط بأن يخرج بأهله ويترك هذه المرأة فإنها هالكة في جملة من يهلك.

قال أبو بكر: والاختيار النصب؛ لأن الناصبين أخرجوا المرأة من الأهل، فكان الاستثناء متصلاً، والرافعين جعلوا الاستثناء منقطعًا، والاتصال أولى من الانقطاع.

---

(١) «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٢) في (ي): (معناه).

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، الطبري ١٢/ ٩٠-٩١.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) «تفسير مقاتل» ٤٨ أ، الطبري ١٢/ ٨٩، الثعلبي ٧/ ٥٢ب، البغوي ٤/ ١٩٣، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢.

(٦) في (ي): حاله.

قال أبو علي[(١)]: ويجوز في قول من نصب أن يكون الاستثناء من ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ على قول من قال (ما جاءني أحد إلا زيدًا) وقد بينا هذا في قوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ في قراءة من قرأ: ﴿قَلِيلًا﴾[(٢)]، وإن جعلت الاستثناء من ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ لم يكن إلا النصب، ووجه التفسير في قراءة من قرأ بالنصب ما قاله المفسرون[(٣)]: أن الملائكة قالوا للوط فأسر بأهلك إلا امرأتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فإنَّ هواها إليهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾، الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ كناية عن الشأن والأمر، تأويلها فإنَّ الأمر مصيبها ما أصابهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، [أي: للعذاب. قال عامة المفسرين[(٤)]: لما قالوا للوط إن موعدهم الصبح][(٥)]، قال: أريد أعجل من ذلك بل الساعة يا جبريل، فقال[(٦)] له: أليس الصبح بقريب، قالوا: فخرج لوط بأهله عند طلوع الفجر، فلما طلع الفجر احتمل جبريل مدينتهم حتى أدناها من السماء بما فيها ثم نكسوا على رءوسهم وأتبعهم الله الحجارة.

٨٢- فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾. قال ابن عباس[(٧)]:

---

(١) «الحجة» ٤/ ٣٧٠.

(٢) قرأ بهذه القراءة ابن عامر، انظر: «السبعة» ص٢٣٥، «الكشف» ١/ ٣٩٢.

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، الطبري ١٢/ ٨٩ ورجحه، البغوي ٤/ ١٩٣.

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٢، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) في (ي): (فقالوا).

(٧) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب. «زاد المسير» ٤/ ١٤٣، البغوي ٤/ ١٩٣، القرطبي ٩/ ٨١.

عذابنا، وعلى هذا يكون الأمر نفس الإهلاك.

وقال آخرون[(١)]: يعني: جاء أمرنا الملائكة بالعذاب. ﴿جَعَلْنَا عَلِيَهَا سَافِلَهَا﴾، قال ابن عباس وعامة المفسرين[(٢)]: أدخل جبريل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط حتى قلعها وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير، ونباح الكلاب، وصياح الديوك، لم ينكفئ لهم جرة، ولا ينكسر لهم إناء، ثم غشاها بالجناح الآخر بالحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]، يريد: أهوى بها جبريل ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤]، يريد غشاها جبريل بالحجرة وكانت خمس مدائن فدمرت وقلبت ظهرًا لبطن إلا (زغر)[(٣)] وحدها تركها الله فضالا منه لعيال لوط، والكناية ﴿عَلِيَهَا﴾ تعود إلى المؤتفكة والمؤتفكات وهي مذكورة في موضع من القرآن وإن لم تذكر هنا، فإذا ذكرت قصتهم وأعيدت الكناية إليها عرف ذلك ويستغنى عن إعادتها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، الإمطار: إحدار المطر من السماء، وأنزلت الحجارة على هؤلاء بدل المطر، والكناية في عليها يجوز أن تعود على القرية[(٤)] كما عادت في ﴿عَلِيَهَا﴾، ويجوز أن تعود على قوم لوط؛ لأن العرب تُعيد الهاء والألف على جميع الذكران إذا كان غير مختص

---

(١) الطبري ١٢/ ٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٤٣.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥٢ ب، البغوي ٤/ ١٩٣، ابن عطية ٧/ ٣٦٩، «زاد المسير» ٤/ ١٤٣، القرطبي ٩/ ٨١.

(٣) زُغَر بوزن: زُفَر، قرية بمشارف الشام، وقيل: زُغَر اسم بنت لوط ﷺ، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ١٤٢، ١٤٣.

(٤) في (ي): (قوم لوط).

بالواو والنون، و[الياء والنون][١]، تقول: الرجال لقيتها والقوم حضرتها، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشعراء: ١٠٥]. فأنث الفعل، ويؤكد هذا الوجه قوله في الحجر: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ [آية: ٧٤] فكنى عنهم بالهاء والميم.

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ اختلفوا في السجيل، والذي عليه أعظم أهل التفسير أنه معرب عن (سنك كل)[٢] وهو قول ابن عباس[٣] وقتادة[٤] وسعيد بن جبير[٥].

قال أهل اللغة[٦]: هذا فارسي، والعرب لا تعرف هذا.

قال أبو إسحاق[٧]: والذي عندي في هذا التفسير أنه فارسي أعرب، ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما قد أعربته العرب نحو جاموس وديباج، ولا ينكر أن يكون هذا مما أعرب.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) وضع على الكاف من كلا الكلمتين ثلاث نقط وذلك علامة على أن الكاف تنطق كالجيم القاهرية في اللغة الفارسية. انظر كتاب: «كيف تتعلم الفارسية».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٤، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٨، والثعلبي ٧/ ٥٣أ، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٤) المروي عن قتادة قوله السجيل: الطين، انظر: الطبري ١٢/ ٩٤، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩، وأبا الشيخ كما في «الدر» ٤/ ٣٦٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢، الثعلبي ٧/ ٥٣أ.

(٥) الطبري ١٢/ ٩٤، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٦) «تهذيب اللغة» (سجل) ٢/ ١٦٣٤.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٠.

وقد أعاد الله تعالى ذكر هذه الحجارة فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ فقد سمَّى للعرب ما عنى بسجيل، وهذا القول اختيار الفراء[١]، وابن قتيبة[٢] قالا: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طين قد طبخ حتى صار كالآجر فهو (سنك كل) بالفارسية، ونحو هذا قال الليث[٣] في تفسير السجيل: إنه حجارة كالمدر وهو دخيل معرب، وقال الضحاك[٤]: يعني: الآجر.

وقال الحسن[٥]: كأن أصل الحجارة طينًا، فشددت. وهذه الأقوال كلها سواء.

وقال ابن زيد[٦]: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من السماء الدنيا وهي تسمى سجيل.

وقال عكرمة[٧]: هو بحر في الهواء معلق بين الأرض والسماء منه أنزلت الحجارة.

وحكى الزجاج[٨] عن بعضهم[٩] أنه فعيل من أسجلته أي: أرسلته،

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤.

(٢) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٢.

(٣) «اللسان» (سجل) ٤/ ١٩٤٦.

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٥) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٦) الطبري ١٢/ ٩٤، الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، البغوي ٤/ ١٩٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٧) الثعلبي ٧/ ٥٣أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٤، القرطبي ٩/ ٨٢.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧١.

(٩) ساقط من (ي).

وكأنها[١] مرسلة عليهم، قال: وقيل سجيل: كقولك من سجل أي: مما كتب لهم أن يعذبوا بها، قال: وهذا القول أحسن الأقوال عندي.

وقال أبو عبيدة[٢]: السجيل عند العرب: الشديد، وأنشد لابن مقبل[٣]:

ضـربًـا تـواصـى بـه الأبـطـال سـجـيـنًـا

ورد هذا القول عليه من وجهين: أحدهما: قوله ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، ولو كان معناه ما ذكر لقيل حجارة سجيلا، والآخر: ما ذكره ابن قتيبة[٤]، فقال: لست أدري ما (سجيل) من (سجين) وذلك باللام وهذا بالنون، وإنما سجين في بيت ابن مقبل فعيل من سجنت أي: حبست، كأنه ضربٌ يثبت صاحبه بمكانه أي: يحبسه مقتولا، وفعيل يأتي لمن دام منه الفعل، نحو فسيق وسكيت كذلك سجين ضرب يدوم منه الإثبات والحبس.

وأما ابن الأعرابي[٥] فإنه رواه سخينًا أي: سخنًا يعني: حارًّا.

---

(١) في (ب): (وكأنه).

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٦.

(٣) عجز بيت لابن مقبل، وصدره:

وَرَجلة يضربون البَيْض عن عُرُض

رجلة: جمع رجل، البيض: جمع بيضة، هو الحديد الذي يلبس للوقاية في الحرب، وفي العجز «تواصت» انظر: «ديوانه» ص٣٣٣، «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٦، الطبري ١٢/ ٩٤، «اللسان» (سجل) ٤/ ١٩٤٦، «جمهرة أشعار العرب» ص٣١٠، «منتهى الطالب» ص٤٤، «المعاني الكبير» ص٩٩١، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٣٤، ٢/ ١٦٣٦، «جمهرة اللغة» ص٤٦٤، ١١٩٢، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٧، «مجمل اللغة» ٢/ ٤٨٧.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١١.

(٥) «تهذيب اللغة» (سجن) ٢/ ١٦٣٦.

قال أبو بكر بن الأنباري[١]: وهذا الإلزام لا يفسد قوله، أما زيادة (من)، فإن سجيلا وصف لموصوف مضمر معناه حجارة من عذاب سجيل، فلا ينكر على هذا دخول (من) ويجوز أن تدخل (من) في الكلام زيادة للتوكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، وأما إنكار ابن قتيبة عليه فقد فسر أبو عمرو[٢] السجين في بيت ابن مقبل بأنه الشديد، فإذا صح الشديد في معنى السجين لم ينكر إبدال النون باللام كقول الشاعر[٣]:

بكل مُدجَّج كالليث يسموا على أوصال ذيَّال رِفَنِّ

أردا: رفل فأبدل اللام بالنون[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَّنضُودٍ﴾ هو مفعول من النضد، وهو وضع الشيء بعضه على بعض، ومعناه في قول أكثر المفسرين: الذي يتلو بعضه بعضًا عليهم، فذلك نضده، ونحو هذا قال الزجاج[٥]، وقال قتادة[٦]:

---

(١) هذا القول ذكره النحاس في «معاني القرآن» ٣/ ٣٧٠.

(٢) «تهذيب اللغة» (سجل) ٢/ ١٦٣٤.

(٣) النابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٣٨، وبلا نسبة في «ديوان الأدب» ٢/ ٣، ونسبه في «اللسان» (رفن) ٣/ ١٦٩٧ إلى الجعدي وهو في «ديوانه» ٢٤٩، «تهذيب اللغة» ١٤٤٦ (زمن)، «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٦٦، قال البطليوسي في «الاقتضاب» ص٣٣٩: هذا البيت للنابغة الجعدي، وهو من الشعر المنحول له.

(٤) ساقط من (ي).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

(٦) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥، القرطبي ٩/ ٨٣، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩.

﴿مَّنضُودٍ﴾ المصفوف، وهذا القول كالقول الأول. وقال الربيع[(١)]: هو الذي نضد بعضه على بعض، يعني: حتى صار حجرًا، يريد: أنه قد جمع أجزاؤه، ونحو هذا قال مقاتل بن سليمان[(٢)]، ﴿مَّنضُودٍ﴾: الملزق بعضه ببعض، وقال أبو بكر الهذلي[(٣)]: معناه مُعَدّ للظَّلَمة. فقد حصل في المنضود ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الحجارة بعضها فوق بعض في النزول تأتي تباعًا.

الثاني: أن كل حجر منضود بجمع أجزائه، حتى صار بالقدر الذي أراد الله أن يكون على ذلك القدر.

الثالث: أنها حجارة من سجيل منضود بعضه فوق بعض في السماء، مخلوق للظلمة، معد لهم، والذي أمطر[(٤)] على قوم لوط كان من جملة تلك الحجارة المعدة التي نضد بعضها فوق بعض، وفي قوله ﴿مَّنضُودٍ﴾ دليل على صحة القول الأول في سجيل، وهو قول أكثر المفسرين؛ لأن المنضود من صفة السجيل، وإنما يصح أن يكون وصفًا له إذا كان السجيل مُعَرَّبًا من (سك كل) وعلى سائر الأقوال لا يصح أن يكون المنضود من

---

(١) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥، القرطبي ٩/ ٨٣، عبد الرزاق ٩/ ٢٠٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٨ أ.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، القرطبي ٩/ ٨٣.

وأبو بكر الهذلي هو: البصري، اسمه سُلمى بن عبد الله، وقيل: اسمه روح، روى عن الحسن وابن سيرين والشعبي وعكرمة وهو ضعيف الحديث. توفي سنة ١٦٧هـ. انظر: «ميزان الاعتدال» ٦/ ١٠٠٥، «تهذيب التهذيب» ٤/ ٤٩٨.

(٤) في (ي): (أمطرنا).

نعت السجيل، إلا أن يقال على بُعد إنَّ المنضود من نعت قوله حجارة ولكن أجرِي في اللفظ والإعراب على سجيل بحق الجوار، كقولهم[١]:
حُجْر ضَبٍّ خَرِبٍ.
وكقوله[٢]:

كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمَّلِ

٨٣- قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ هي من نعت قوله: ﴿حِجَارَةً﴾ ومعناها المعلمة، ومضى الكلام في مثلها عند قوله: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥][٣]. وقوله: (مسومين)[٤].

واختلفوا في كيفية تلك العلامة، فقال الحسن[٥] والسدي[٦]:

---

(١) الشاهد أنهم أجروا خرب على ضب، وهو في الحقيقة صفة للحجر؛ لأن الضب لا يوصف بالخراب. انظر: «الإنصاف» لابن الأنباري ص٨٣.

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

كأن ثبيرًا في عرانين وَبْله

انظر: «ديوانه» ص١٢٢، السيوطي ص٢٩٨، «الخزانة» ٢/ ٣٢٧، ٣/ ٦٣٩، «الخصائص» ١/ ١٩٢، ٣/ ٢٢١، «المحتسب» ٢/ ١٣٥، «أمالي ابن الشجري» ١/ ١٣٤، «تذكرة النحاة» ص٣٠٨، «اللسان» (زمل) ٣/ ١٨٦٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٥١٥.

(٣) وذكر هنا أقوالاً في معنى (المسومة):
١- الواعية. ٢- المعلمة. ٣- الحسان.

(٤) قال في هذا الموضع: أي معلمين، قد سوَّموا فهم مسوّمين، والسُّومة العلامة يفرق بها الشيء من غيره.

(٥) الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، البغوي ٤/ ١٩٤.

(٦) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، البغوي ٤/ ١٩٤.

مختومة، وهو اختيار أبي عبيدة[١]، والقتبي[٢] قالا: كان عليها أمثال الخواتيم.

وقال قتادة وعكرمة[٣]: كان بها نضح من حمرة، وهو قول أبي صالح[٤]، والحسن[٥]، واختيار الفراء[٦]؛ قال أبو صالح: رأيت منها عند أم هانئ، وهي حجارة فيها خطوط[٧] حمر على هيئة الجَزْع.

قال الحسن: كانت معلمة ببياض وحمرة، وقال الفراء: زعموا أنها كانت مخططة بحمرة في بياض، وذلك تسويمها، وأجمل ابن جريج[٨] القول في تلك العلامة ولم يذكر كيفيتها فقال: كانت[٩] عليها سيما لا تشاكل[١٠] حجارة الأرض، واختاره الزجاج[١١] قال: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا .

---

(١) في (ب): (عبيد)، انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٧.

(٢) هو ابن قتيبة، انظر: «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٣.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٥، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٤٥.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٤.

(٧) في (ب): (خطط).

(٨) الطبري ١٢/ ٩٥، الثعلبي ٧/ ٥٣ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٤٦، البغوي ٤/ ١٩٤ وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥.

(٩) ساقط من (ج).

(١٠) ساقط من (ي).

(١١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

قال أهل المعاني: جعل فيها علامات تدل على أنها معدة للعذاب، وذلك أملأ للنفوس وأهول في الصدور، وقال الربيع[(١)]: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: في خزائنه التي لا يُتصرف في شيء منها إلا بإذنه[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، يعني: كفار قريش، قال مجاهد[(٣)]: يرهبهم بها، وقال قوم[(٤)]: يعني كل ظالم وكافر من ذلك الوقت إلى يوم القيامة، قال قتادة[(٥)]: والله ما أجار الله منها ظالمًا بعد قوم لوط، وحكى الفراء[(٦)]: يعني: قوم لوط، أي أنها لم تكن لتخطئهم.

قال ابن الأنباري على هذا القول: وإنما ذكر هذا بعد تبيين الله تعالى نزول العذاب بهم توكيدًا للمعنى السابق، كما قال: ﴿ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، والأكثرون على أن المراد به من ظالمي هذه الأمة

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٣ب وعزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، وفي الطبري ١٢/ ٩٦ عن الربيع قال: عليها سيما خطوط. وكذا عند ابن أبي حاتم.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٤٦.

(٣) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٦٩، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥.

(٤) رُوي عن عكرمة أيضًا كما في الطبري ١٢/ ٩٦، والربيع أخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٠، وأبو الشيخ عنه كما في «الدر» ٣/ ٦٢٥، وغيرهم. البغوي ٤/ ١٩٤.

(٥) الطبري ١٢/ ٩٦، الثعلبي ٧/ ٥٣ب، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٠، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٦، والبغوي ٤/ ١٩٤، و«زاد المسير» ٤/ ١٤٦.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥.

وهم كفارها، رُوي عن أنس أنه قال: سأل رسول الله ﷺ جبريل[(١)] عن هذا فقال: يعني ظالمي أمتك، ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة[(٢)].

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ الآية، قد ذكرنا في سورة [الأعراف: ٨٥] أن (مدين) اسم لابن إبراهيم[(٣)]، ثم صار اسمًا للقبيلة، وكثير من المفسرين يذهب إلى أن (مدين) اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم. قال ابن الأنباري: وإلى هذا المعنى ذهب الفراء[(٤)] وأنشد[(٥)]:

رهبان مدينَ لو رأوك تنزلوا والعُصْمُ من شَعَفِ العقول الفارد

قال الزجاج[(٦)]: والمعنى على هذا: وأرسل إلى أهل مدين فحذف الأهل.

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة ١٢/ ٩٦، كما سبق، وأخرجه أيضًا عن أبي بكر الهذلي قال: يقول: «وما هي من الظالمين ببعيد» فلا يأمنها منهم ظالم، ١٥/ ٤٤٠ رقم (١٨٤٤٧).

(٣) في (ي): (ابن إبراهيم).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠٤، ومدين مدينة على بحر القُلْزُم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٧٧.

(٥) القائل هو كثير، و(العُصْمُ) جمع الأعصم وهو الوعل، و(العقول) جمع عقل وهو الملجأ وشعف العقول رءوسها وأعاليها، والفارد: الوعل المسن أو الشاب، «معجم البلدان» (مدين) ٥/ ٧٧، «معاني القرآن» ٢/ ٣٠٤، وينسب لجرير وهو في «ديوانه» ص٣٠٨، «اللسان» (رهب) ٣/ ١٧٤٨، «تاج العروس» (رهب) ٢/ ٤٢، وقافيته (الفادر).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾، نهاهم عن التطفيف وبخس الحق في المكيال، وهو ما يكال به، والميزان وهو ما يوزن به، ونقص المكيال أن يجعله على حد هو أنقص مما هو المحدود والمعهود فيما بينهم، ونقص الميزان أن يجعل السنجات[(١)] التي يوزن بها أخف، وما يوزن به فهو ميزان، والسنجات يوزن بها[(٢)]، ولا يتصور نقص الميزان في الكفتين.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾. قال عامة المفسرين[(٣)]: يعني النعمة والخصب وكثرة المال وزينة الدنيا، ومعنى قوله: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ بعد نهيهم[(٤)] عن التطفيف يحتمل وجهين:

أحدهما: ما قال المفسرون[(٥)] أنه حذرهم غلاء السعر وزوال النعمة [إن لم يتوبوا فكأنه قال: لا تطففوا فيحل بكم العذاب وزوال النعمة][(٦)].

والآخر: ما ذكره الفراء[(٧)] قال: أراد: لا تنقصوا المكيال وأموالكم كثيرة يعني بعد أن أنعم الله عليكم برخص السعر وكثرة المال، فأي حاجة

---

(١) السنجات التي توضع في «الميزان» لتبين قدر الموزون، ويقال: صنجة بالصاد وبالسين أفصح، فارسي معرب. انظر: «تهذيب اللغة» (سنج) ٢/ ١٧٦٨، «اللسان» (سنج) ٤/ ٢١١٢.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ٩٩، الثعلبي ٧/ ٥٤ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٤٧.

(٤) في (ي): (نهيكم).

(٥) روى الطبري ١٢/ ٩٨-٩٩ هذا القول عن ابن عباس والحسن، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «معاني القرآن» ٢/ ٢٥.

بكم إلى التطفيف وسوء الكيل والوزن؟

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾، توعدهم بعذاب يحيط بهم، فلا يفلت منهم أحد، والمحيط من صفة اليوم في الظاهر، وهو في المعنى من صفة[1] العذاب[2]، وذلك أن يوم العذاب إذا أحاط بهم [فقد أحاط بهم][3] العذاب[4].

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ أي: أتموها بالعدل، والإيفاء: الإتمام، والوفاء: التمام، وكل شيء بلغ التمام فقد وفى، وهذا يدل على صحة التفسير الذي ذكرنا في قوله: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ﴾؛ لأنه قال أوفوا المكيال والميزان، ولو أراد إيفاء المكيل والموزون لقال: أوفوا بالمكيال والميزان.

٨٦- قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾. قال ابن عباس[5]: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف، يعني: من تعجيل النفع بالبخس في المكيال والميزان، والمعنى على هذا القول: الذي يبقيه الله لكم من الحلال عند إعراضكم عن الحرام: أبقى[6] لأموالكم في الدنيا وأصلح لأحوالكم في الآخرة.

---

(١) في (ي): (الموصوف).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ١٠١ نحوه.

(٥) ذكره الطبري ١٢/ ١٠١ ثم قال: وهذا قول رُوي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل، الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٨.

(٦) في (ي): (أنمى).

وقال الحسن[(١)] ومجاهد[(٢)]: بقية الله: طاعة الله، وعلى هذا معنى البقية: الطاعة والمسارعة إلى الخيرات؛ وذلك لأنه يبقى ثوابها أبدًا. وقال قتادة[(٣)]: حظكم من ربكم خير لكم.

قال ابن الأنباري: وتفسير البقية على هذا التأويل حظهم من الله وما يجب عليهم من تطلب[(٤)] رضاه بما يتعبدهم به، سميت بقية؛ لأنها تبقى ولا تبيد.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، قال أهل المعاني[(٥)]: شرط الإيمان في كونه خيرًا لهم؛ لأنهم[(٦)] إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة ما يقول، وأيضًا فإنه يكون خيرًا لهم إذا كانوا مؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾، ذهب بعضهم أنه قال هذا؛ لأنه لم يؤمر بقتالهم وإكراههم[(٧)] على الإيمان، وقد أحكمنا شرح هذا في

---

(١) المروي عن الحسن هو قوله: (رزق الله خير لكم من بخسكم الناس) أخرجه أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢.

(٢) الطبري ١٢/ ١٠٠، الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢.

(٣) الطبري ١٢/ ١٠١، عبد الرزاق ٢/ ٣١١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٢، وأبو الشيخ، كما في «الدر» ٣/ ٦٢٦، «زاد المسير» ٤/ ١٤٩.

(٤) في (ي): (التطلب).

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٤٩.

(٦) ساقط من (ي).

(٧) يفهم من هذا أن من الأنبياء من أمر أن يكره قومه على الإيمان، ونصوص الكتاب والسنة بخلاف ذلك، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وقال: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨]. فالدين ليس فيه إكراه لأنه يلزم فيه الاختيار، فلو آمن ظاهرًا خوفًا أو طمعًا فلا يصح إيمانه. انظر: الطبرى ١٢/ ٢٨-٢٩، ١٠١.

سورة الأنعام في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤][(١)]، في آخر هذه الآية قال بعض أهل المعاني: إن شعيبًا دعاهم إلى حفظ النعمة بترك المعصية، ثم قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: لا يحفظ النعمة عليكم إلا الله ﷻ، ولست الذي أحفظها عليكم فاتقوه بطاعته يحفظها عليكم.

٨٧- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾، وتقرأ (أصلاتك) على واحدة، وتوجيه القراءتين[(٢)] ذكرناه في سورة براءة[(٣)]، قال عطاء عن ابن عباس[(٤)]: يريدون دينك يأمرك، وعلى

---

(١) وخلاصة ما ذكره أنه قد جاءهم الحق الواضح البيّن الذي لا يحتاج معه إلى إكراه لأن مهمته البلاغ.

(٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالتوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، وحجة من وحّد أن (الصلاة) بمعنى الدعاء، والدعاء صنف واحد وهي مصدر والمصدر يقع للقليل والكثير بلفظه، وحجة من جمع أنه قدر أن الدعاء مختلف أجناسه وأنواعه فجمع المصدر لذلك، انظر: «الكشف» ١/ ٥٠٧، «السبعة» ص٣١٧، «إتحاف» ص٢٥٩.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [براءة: ١٠٣]. ونقل في توجيه القراءة ما ذكره أبو علي حيث قال: «الصلاة مصدر يقع على الجميع والمفرد بلفظ واحد، كقوله سبحانه: ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فإذا اختلفت جاز أن يجمع، لاختلاف ضروبه، كما قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾. ومن المفرد الذي يراد به الجمع قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والمصدر إذا سمي به صار بالتسمية وكثرة الاستعمال كالخارج عن حكم المصادر، وإذا جمعت المصادر إذا اختلفت نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ فأنْ يُجْمَع ما صار بالتسمية كالخارج عن حكم المصادر أجدر.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٤٩ عن عطاء.

هذا كنى عن الدين بالصلوات؛ لأنها من الدين مما كانوا يرونه يفعلها تدينًا، والمعنى: أفي دينك الأمر بذا؟ وهو معنى قول الحسن[١]، ورُوي عن ابن عباس[٢] أيضًا أنه قال: كان شعيب كثير الصلاة[٣] لذلك قالوا هذا.

وقوله تعالى: ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾. قال الزجاج[٤]: وهذا دليل[٥] على أنهم كانوا يعبدون غير الله ﷻ. قال صاحب النظم: قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ وليس للصلاة أمر ولا نهي، وهذا يحمل على أن تكون الصلاة[٦] سببًا للفعل المتصل بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] من أجل صلاته؛ لأن الصلاة من الإيمان والإيمان مانع منهما، فقد صارت الصلاة سببًا للامتناع منهما، فيصح على هذا الترتيب أن يقال: الصلاة مانعة من ذلك وآمرة به، وكذلك قوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ﴾ أي: من أجل أنك تصلي تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، أي: صلاتك تحملك على ذلك؟ فلذلك جاز أن يضاف الأمر إليها، فأما قوله: ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ﴾ أوقع الأمر على شعيب وهو في المعنى واقع على قومه، والتأويل: أصلاتك تأمرك أن تأمرنا أن نترك، فلما ذكر معنى الأمر أولاً اقتصر عليه ولم يُعد ذكره.

---

(١) القرطبي ٩/ ٨٧.
(٢) الثعلبي ٧/ ٥٤أ، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٤٩، القرطبي ٩/ ٨٧.
(٣) في (ي): (الصلوات).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٢.
(٥) ساقط من (ب).
(٦) ساقط من (ب).

وقوله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وقد خلوا وماتوا وجاءت الحكاية عن فعلهم على وزن الاستقبال، والتأويل: إن شاء الله أن نترك ما كان يعبد آباؤنا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي كانت تتلوا.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾، قال ابن الأنباري[١]: (أن) منسوقة على (ما) في قوله ﴿مَا يَعْبُدُ﴾ على تقدير أو نترك أن نفعل وهذا قول الفراء[٢] والزجاج[٣]، وزاد الفراء قولًا آخر شرحه أبو بكر، وهو: أن تكون (أن) منصوبة بفعل مضمر يراد به تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وتنهانا أن نفعل، فدل الأمر على النهي، فحذف كما حذف البرد لما دل عليه الحر في قوله ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[٤]، ومعنى قوله ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ قال الكلبي[٥]: أي من البخس والظلم ونقص المكيال والميزان، وهو اختيار الزجاج[٦]؛ قال: المعنى: إنا قد تراضينا بالبخس فيما بيننا.

وقال ابن عباس[٧] في رواية عطاء: يريد قطع الدنانير والدراهم، وهو

---

(١) في (ي): (ابن عباس)، وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥٠.
(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٥٢.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.
(٤) النحل: ٨١.
(٥) نقله ابن الجوزي عن ابن عباس، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، وانظر: «تنوير المقباس» ١٤٤.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.
(٧) «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٣ عن ابن المسيب.

قول القرظي[١] وزيد بن أسلم[٢]؛ قالوا: كان ينهاهم عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾، قال ابن عباس[٣]: يريدون: السفيه الجاهل، وعلى هذا كنوا بالحليم الرشيد عن السفيه الجاهل.

قال أبو بكر: وهذا التفسير مشاكل للغة[٤]؛ لأن العربي يقول لمخاطبه إذا استحمقه: يا عاقل من يقول هذا غيرك؟ يريد يا أحمق، ويقول لمن يستجهله: يا حليم فكر[٥] فيما تسمع، يعني يا جاهل.

قال الشاعر[٦]:

فقلت لسيدنا يا حليم إنك لم تأس أسواء[٧] رفيقًا

فآخر البيت يدل على أنه استجهله وخاطبه بالحلم كانيا عن غيره، وهذا قول مقاتل بن سليمان[٨] قال: معناه: إنك لأنت السفيه الضال، وقال الحسن وابن جريج[٩] والكلبي وابن زيد وأكثر أهل التأويل: هذا

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، وابن المنذر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٣.

(٢) الطبري ١٢/ ١٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، القرطبي ٩/ ٨٨، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧.

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٤ب، البغوي ٤/ ١٩٥، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠.

(٤) في (ب): (اللغة).

(٥) ساقط من (ب).

(٦) البيت لشييم بن خويلد كما في «اللسان» (خفق) ٢/ ١٢١٤.

(٧) في (ب): (تأسوا سواء).

(٨) «تفسير مقاتل» ١٤٨ ب.

(٩) الطبري ١٢/ ١٠٣.

على طريق الاستهزاء بشعيب.

وقال ابن كيسان[١]: هذا على طريق الصحة، قالوا له: إنك فينا حليم رشيد فليس يليق بك شق عصا قومك ومخالفة دينهم.

٨٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾، مضى هذا في موضعين من هذه السورة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين[٣]: يعني حلالا، وروى الكلبي[٤]: أن شعيبًا كان كثير المال، قال ابن الأنباري: اعتد بكثرة المال نعمة من الله تعالى لما كان حلالا سليمًا من التبعات، وقال جماعة من المفسرين: الرزق الحسن ههنا: الهدى والتوفيق للرشد.

قال أبو إسحاق[٥] وغيره: جواب (إن) ههنا محذوف لعلم المخاطب، المعنى: إنْ كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال، [أتّبع الضلال فأبخس وأطفف، يريد أن الله قد أغناه بالمال الحلال][٦] وذكرنا معنى هذا الشرط في قصة نوح[٧].

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٤ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥٠، ورجحه القرطبي ٩/ ٨٧.
(٢) هود ٢٨، ٦٣.
(٣) انظر: الطبري ١٢/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٩٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥١، القرطبي ٩/ ٨٩، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥٤.
(٤) ذكره في «زاد المسير» ٤/ ١٥١ وعزاه لابن عباس، وذكره البغوي ٤/ ١٩٦ ولم يعزه.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٣، وانظر الثعلبي ٧/ ٥٤ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥١ البغوي ٤/ ١٩٦.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ [هود: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾، [قال ابن عباس[(١)]: يريد وما أريد أن أفعل ما أنهاكم عنه][(٢)]، وقال قتادة[(٣)]: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه، ومعنى هذا القول أنه يقول: لا أنهى عن قبيح وأفعله كمن ليس مستنظرًا[(٤)] فيه، قال أبو إسحاق[(٥)]: أي لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، وتلخيص معنى اللفظ: وما أخالفكم بالقصد إلى [ما أنهاكم عنه؛ يقال: خالفه إلى][(٦)] ذلك الأمر إذا أتاه[(٧)] مخالفًا له.

وقال أبو بكر: بَيَّنَ أن الذي يدعوهم إليه من اتباع طاعة الله، وترك البخس والتطفيف، هو مما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي إلا عليه، فكان بهذا ماحضًا لهم النصيحة، إذ اختار لهم ما اختاره لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ أي ما أريد إلا الإصلاح فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده وتفعلوا كما يفعل من يخاف الله، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾، مفعول الاستطاعة محذوف تقديره ما استطعته، أي ما استطعت الإصلاح، واستطاعة الإصلاح هو الإبلاغ

---

(١) «تنوير المقباس» ص ١٤٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) الطبري ١٢/ ١٠٣، البغوي ٤/ ١٩٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥١، الثعلبي ٧/ ٥٤ ب، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٧.

(٤) في (ي): (مستنصرًا)، ولعل الصواب «مستبصرًا».

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) في (ب): (أراه).

والإنذار فقط، ولا يستطيع إجبارهم على الطاعة، وهذا معنى قول أبي إسحاق[١]؛ لأنه قال في قوله ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾: أي بقدر طاقتي، [وقدر طاقتي][٢] إبلاغكم وإنذاركم، ولست قادرًا على إجباركم على الطاعة، ثم أعلم أنه لا يقدر هو ولا غيره على الطاعة إلا بتوفيق الله جل وعز، فقال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، أي أرجع إليه في المعاد في قول ابن عباس[٣] ومجاهد[٤].

وقال الحسن[٥]: إليه أرجع بعملي ونيتي، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيبًا قال: «**ذاك خطيب الأنبياء**»[٦] لحسن مراجعته قومه.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٤ ب، البغوي ٤/ ١٩٦، القرطبي ٩/ ٩٠.

(٤) الطبري ١٢/ ١٠٣، والبغوي ٤/ ١٩٦، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨.

(٥) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٤٤.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٦٢٠ عن محمد بن إسحاق قال: «وشعيب بن ميكائيل النبي ﷺ، بعثه الله نبيًا، فكان من خبره، وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء لمراجعته قومه» سكت عنه الذهبي في «التلخيص»، وفيه سلمة بن الفضل بن الأبرش، قال في «الميزان»: ٢/ ١٩٢: (ضعفه ابن راهويه، وقال البخاري: في حديثه بعض المناكير، وقال ابن معين: كتبنا عنه وليس في المغازي أتم من كتابه، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: لا يحتج به).

والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣/ ٥٠٤ وقال: أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم عن ابن إسحاق قال ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر شعيبًا=

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾، قال ابن عباس[١] والحسن[٢] وقتادة[٣]: لا يحملنكم، وقال الفراء[٤] والزجاج[٥]: لا يكسبنكم، وقد مرَّ في سورة المائدة[٦].

قوله تعالى: ﴿شِقَاقِيٓ﴾ أي خلافي وعداوتي.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾، (أن) في محل النصب؛ لأنه المفعول الثاني لقوله: ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾.

ومعنى الآية[٧]: لا تكسبنكم معاداتكم إياي أن يصيبكم عذاب العاجلة ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح العقيم ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ من الرجفة والصيحة.

﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾، قال ابن عباس[٨]: يريد[٩]: قد كنتم

= قال: «ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به، فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلاده، وعتوا على الله، أخذهم عذاب يوم الظلة . . . إلخ».

(١) ذكر هذا القول من غير عزو الثعلبي ٧/ ٥٤ب، البغوي ٤/ ١٩٦.
(٢) القرطبي ٩/ ٩٠.
(٣) الطبري ١٢/ ١٠٤، والقرطبي ٩/ ٩٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٤، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨.
(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.
(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.
(٦) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ [آية: ٢].
(٧) ساقط من (ي).
(٨) إسحاق بن بشر، وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨-٦٢٩.
(٩) ساقط من (ي).

لهم جيرانا وقرابة، وقد رأيتم ما أصيبوا به وما صاروا إليه من سخط الله وعذابه، فعلى هذا أراد: ليسوا ببعيد في الدار والنسب.

وقال قتادة[١]: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ في الزمان الذي بينكم وبينهم، واختاره الزجاج فقال[٢]: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها، فكأنه قال لهم: العظة في قوم لوط قريبة منكم.

قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول[٣] كأنه يقول[٤]: إنكم للعذاب الواقع بهم أذكر وأحفظ منكم لما لحق الأمم السالفة؛ لأن دارهم أقرب إلى داركم، فبحفظكم ذلك يلزمكم الإشفاق والحذر من مثل مصرعهم، وعلى القول الثاني كأنه يقول: إن وقتهم أقرب إليكم من أوقات من مضى من المهلكين، ولقرب وقتهم منكم ما يجب أن تراعوا وتحاذروا، ووحد البعيد[٥] على القول الأول؛ لأنه أراد: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد، ويجوز أن يكون وَحَّده على لفظ القوم؛ لأنه على لفظ الواحد، وأنشد[٦]:

لو أن قومي حين تدعوهم حمل
على الجبال الصم لارفض الجبل

ولم يقل حملوا.

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٤، عبد الرزاق ٢/ ٣١١، «الدر» ٣/ ٦٢٩، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٥ بنحوه.

(٢) ساقط من (ي)، وانظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) في (ب): (قال).

(٥) قاله ابن الأنباري انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥١.

(٦) بيتان من الرجز لم أهتد إلى قائلهما. انظر: «شرح المفصل» ٩/ ٨٠.

٩٠- قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، قال أهل المعاني: معناه: اطلبوا المغفرة بأن تكون غرضكم، ثم توصلوا إليه بالتوبة، وهو ترتيب حسن وقد مرَّ هذا في أول السورة[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾، قال ابن عباس[٢]: بأوليائه ومن صدق أنبياءه.

﴿ودود﴾[٣]، قال الفراء[٤]: يقال[٥]: ودِدت أوَد هذا أفضل الكلام وقال بعضهم وددت و(يفعل) منها يود لا غير، قال الكسائي[٦]: وسمعت ودَدت بالفتح وهي قليلة، وأنكر البصريون ودَدت وهو لحن عندهم.

قال الزجاج[٧]: قد علمنا أن الكسائي لم يحك وددت إلا وقد سمعه، [ولكنه سمعه][٨] ممن لا يكون قوله حجة.

قال ابن الأنباري[٩]: الودود في أسماء الله المجيب لعباده، من قولهم: وددت الرجل أوده وَدا ووُدا ووَدادا ووِدادًا ووِدادة ووَدادة.

---

(١) آية: ٤.

(٢) «تنوير المقباس» ص ١٤٤.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧ ولم أجده من كلام الكسائي بل هو من كلام الفراء.

(٧) «تهذيب اللغة» (ود) ٤/ ٣٨٥٧.

(٨) ساقط من (ي).

(٩) «الزاهر» ١/ ٨٨، ٨٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٨، «لسان العرب» (ود) ٨/ ٤٧٩٤، وفيها (المحب لعبادة).

وقال الأزهري[١] من كتاب «شرح أسماء الله»: قال بعض أهل اللغة: يجوز أن يكون ودودٌ فعولًا بمعنى مفعول، كركوب وحلوب[٢] ومعناه: أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه؛ لما[٣] عرفوا من فضله ولما سبغ عليهم من نعمائه، وكلتا الصفتين مدح؛ لأنه جل ذكره إنْ أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإنْ أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من إحسانه.

٩١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ الآية، معنى الفقه في اللغة[٤]: فهم الكلام بما تضمن من المعنى، وقد صار اسمًا لضرب من علوم الدين، فمعنى الفقه في اللغة الفهم، يقال: أوتي فلانٌ فقهًا في الدين، أي فهما، وقوله ﷺ: «**فقهه في الدين**»[٥][٦] أي فقهه تأويله،

(١) الكتاب مفقود، ذكره ياقوت «معجم الأدباء» ١٧/ ١٦٤، وأورده الداودي في طبقات المفسرين (٢/ ٦٥) بلفظ تفسير الأسماء الحسنى، وسماه صاحب «كشف الظنون» ٢/ ٥٠: «شرح أسماء الله الحسنى».

(٢) في (ي): (حمول).

(٣) في (ي): (بما).

(٤) «تهذيب اللغة» (فقه) ٥/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) في (ي): التأويل.

(٦) أخرجه البخاري (١٤٣) كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء، بلفظ «اللهم فقهه في الدين» وأخرجه أحمد في أربعة مواضع بلفظ (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) ٤/ ١٢٧ برقم ٢٣٩٧، و٤/ ٣١٥ برقم ٢٨٨١، و٥/ ١٥ برقم ٣٠٣٣، و٥/ ٤١ برقم ٣١٠٢، وصححه أحمد شاكر في جميع المواضع السابقة، وأخرجه بلفظ (اللهم فقهه في الدين) دون زيادة (وعلمه التأويل) ٥/ ١٢ برقم ٣٠٢٣، وصححه أحمد شاكر.

وأخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٩١ بلفظ (اللهم أعطه الحكمة، وعلمه التأويل)=

ونحو هذا قال ابن عباس والمفسرون[(١)] في قوله ﴿مَا نَفْقَهُ﴾: ما نفهم.

فإن قيل: إن شعيبا كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه؟

قال أبو بكر[(٢)]: فيه جوابان: أحدهما[(٣)]: ما نفقه صحة كثير مما تقول، يعنون ما يذكر من التوحيد والبعث والنشور، وما يلزم من الزكاة، ويحظر من التطفيف، فزعموا أن هذا مما لا يفهمون صحته إذ كانوا منكرين دين شعيب، فحذفت الصحة وقام «كثير» مقامها، والثاني: أنهم كانوا يستثقلون سمع بعض[(٤)] ما يأتي به عن ربه تعالى من ذم الكفار وعيب ما يرتكبون، فكانوا كأنهم لا يفقهونه، كما تقول لمن تكره كلامه: ما أفهم ما تقول، وما أستطيع أن أسمع كلامك، وأنت [في الحقيقة][(٥)] تفهم وتستطيع، إلا أن هذا باب من المجاز، استعملته العرب وعرف في خطابها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾، قال سعيد بن جبير[(٦)] وقتادة[(٧)]: أعمى.

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤٥٠: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.
ورواه الطبراني في موضع آخر ١٠/ ٢٩٣ بلفظ (اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين).

(١) البغوي ٤/ ١٩٧، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٤.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٥٢.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) ساقط من (ي).

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) الطبري ١٢/ ١٠٥، وأبو الشيخ وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٩، و«زاد المسير» ٤/ ١٥٢، والقرطبي ٩/ ٩١، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦.

(٧) «زاد المسير» ٤/ ١٥٢، القرطبي ٩/ ٩١ وروي هذا القول ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦ عن سعيد بن جبير، والحاكم ٢/ ٥٦٨ وصححه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس، «الدر» ٣/ ٦٢٩.

وقال سفيان[1]: كان ضعيف البصر، وقال الزجاج[2]: حمير تسمي الضرير ضعيفًا؛ لأنه قد ضعف بذهاب بصره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾، قال أبو عبيد[3] عن أبي زيد: النفر والرهط [ما دون العشرة من الرجال، وقال أبو العباس[4]: المعشر والنفر والقوم والرهط][5] معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم، وهذا[6] للرجال دون النساء، وقال الليث[7]: الرهط عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة، قال المفسرون[8]: لولا عشيرتك.

وقوله تعالى: ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾، قال الأزهري[9]: الرجم القتل، وقد جاء في غير موضع من كتاب الله تعالى، وإنما قيل للقتل رجم؛ لأنهم كانوا[10] إذا قتلوا إنسانًا رموه بالحجارة حتى يموت، ثم قيل لكل قتل رجم، والرجم السب والشتم؛ ومنه قوله تعالى ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] أي

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٥، والثعلبي ٧/ ٥٥ أ، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ١٢٩ بلفظ قال: كان أعمى، والقرطبي ٩/ ٩١. وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٧٦ بلفظ كان ضعيفًا.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٣) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.

(٤) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) في (ي): (وهو).

(٧) «تهذيب اللغة» (رهط) ٢/ ١٤٨٨.

(٨) الطبري ١٢/ ١٠٦، الثعلبي ٧/ ٥٥ أ، الزجاج ٣/ ٧٤، البغوي ٤/ ١٩٧، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٥.

(٩) «تهذيب اللغة» (رجم) ٢/ ١٣٧٥.

(١٠) في (ي): (قالوا).

لأسبنك ولأشتمنك، والرجم: القول بالظن، ومنه قوله: ﴿رَجْمَا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] والرجم اللعن، والشيطان الرجيم من هذا.

قال ابن عباس[1] في قوله: ﴿لَرَجَمْنَكَ﴾: لقتلناك.

قال الزجاج[2]: والرجم من شر القتلات، وقال قوم من المفسرين[3]: لشتمناك وسببناك وطعنا عليك.

قال أبو إسحاق[4]: وكان رهطه من أهل ملتهم؛ فلذلك أظهروا الميل إليهم، والإكرام لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾، قال ابن عباس: يريد[5]: ما أنت علينا بمنيع.

٩٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، قال ابن عباس[6]: يريد أمنع عليكم من الله، المنيع القوي، قال الزجاج[7]: وتأويله: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكرامًا لرهطي، والله ﷻ أولى بأن يتبع أمره، كأنه يقول: حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي.

---

(١) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر كما في «الدر» ٣/ ٦٢٨، الثعلبي ٧/ ٥٥أ، البغوي ٤/ ١٩٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٣) رجحه الطبري ١٢/ ١٠٦، «زاد المسير» ٤/ ١٥٣، القرطبي ٩/ ٩١، ابن عطية ٧/ ٣٨٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣، القرطبي ٩/ ٩١ من غير نسبه.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣ بنحوه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٤.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾، قال الليث[١]: الظهري الشيء الذي تنساه وتغفل عنه، قال ابن عباس[٢]: يريد ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعز وأكبر من جميع خلقه.

قال الفراء[٣]: يقول رميتم أمر الله وراء ظهوركم، يعني تعظمون أمر رهطي، وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه.

وقال ابن الأنباري[٤]: الظهري يقصد به ههنا إلى الإهمال [والاطّراح تقول العرب: سألت فلانا حاجة فظهر بها][٥]، وسألته حاجة فجعلها ظهرية، أهملها وطرحها[٦] ولم يلتفت إليها. وأنشد للفرزدق:

تميمَ بنَ زيد لا تكونَنَّ حاجتي بظهر فلا يخفى عليّ جوابُها

قال: معناه: لا تكون مهملة مطرحة، وقال قتادة[٧] في هذه الآية: أعززتم قومكم وظهرتم بربكم، قال أبو بكر: يريد بقوله ظهرتم: أهملتم وأعرضتم عن طاعته، وجميع أهل[٨] المعاني قالوا: الكناية في قوله: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ﴾ تعود إلى أمر الله، وما جاءهم به شعيب من الله تعالى، وهو في الظاهر يعود على اسم الله تعالى، ولكنه يعرف بالمعنى أن المراد منه

---

(١) «تهذيب اللغة» (ظهر) ٣/ ٢٢٥٥.

(٢) الطبري ١٢/ ١٠٦.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.

(٤) «الأضداد» ٢٥٥.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ساقط من (ي).

(٧) الطبري ١٢/ ١٠٦-١٠٧.

(٨) «معاني الفراء» ٢/ ٢٦، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢٩٨، «معاني الزجاج» ٣/ ٧٥، «معاني النحاس» ٣/ ٣٧٧.

الأمر، كما تقول العرب: جعلتني خلف ظهرك ودبر أذنك، يريدون: جعلت أمري وحاجتي وكلامي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي خبير بأعمال العباد حتى يجازيهم، في قول جميع المفسرين(١).

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، المكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمله، قال ابن عباس: يريد اعملوا ما أنتم عاملون، وذكرنا هذا مستقصى في سورة الأنعام(٢). قال أهل المعاني: هذا تهديدٌ بصيغة الأمر، يقول: اعملوا على ما أنتم عليه، إني عامل على ما أنا عليه من طاعة الله، وسترون منزلتكم من منزلتي، وهذا معنى قوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، وأسقط الفاء ههنا من ﴿سَوْفَ﴾، وفي سورتي الأنعام [آية ١٣٥] والزمر [آية ٣٩] فسوف.

قال ابن الأنباري(٣): وهما مذهبان معروفان للعرب وكلاهما صواب في القياس، إذا دخلت الفاء دلت على اتصال ما بعدها بما قبلها، وإذا سقطت بني الكلام على التمام، والذي بعده على الابتداء؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ﴾ [البقرة: ٦٧] معناه: (فقالوا)، فحذفت(٤) الفاء بناء على تمام(٥) ما قبلها واستئناف ما بعدها، وإنما يمكن هذا في القرآن والشعر؛ لتطاول القصص والأخبار فيهما، فأما الألفاظ

(١) الطبري ١٢/ ١٠٨، «زاد المسير» ٤/ ١٥٣، ابن عطية ٧/ ٣٨٧.
(٢) آية ١٣٥. وخلاصة ما ذكره ما نقله ابن عباس هنا.
(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣.
(٤) في (ي): حذفت.
(٥) في (ي): إتمام.

القصار فلا يصلح سقوط الفاء كقول القائل: (قد قلت القبيح فيّ فستعلم عاقبته)، لا يجوز أن تسقط الفاء هاهنا؛ لأنه كلام قصير لا يتم فيه الأول ويستأنف الثاني، و(منْ) في محل النصب بقوله: ﴿تَعْلَمُون﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي يفضحه ويذله، وذلك أن العذاب يقع على وجهين؛ عذاب[1] فاضح وعذاب غير فاضح فالفاضح، أشد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾، قال الفراء[2]: إنما أدخلت العرب (هو) في قوله ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ لأنهم لا يقولون (من قائم) ولا (من قاعد)، إنما كلامهم: (من يقوم) و(من قام) أو (من القائم)، فلما كان قوله ﴿كَٰذِبٌ﴾ غير معرفة ولا فعل أدخلوا (هو)، قال: وقد يجوز في الشعر (مَنْ قائم) وأنشد[3]:

مَنْ شاربٌ مُرتجٌ بالكأس نادمني لا بالحَصور ولا فيها بسوَّار

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾، معنى الارتقاب: الانتظار، وهو طلب ما يأتي بتعليق النفس به، رقبه يرقبه رقوبًا، وارتقب ارتقابًا، وترقبه ترقبًا، قال ابن عباس[4] يريد: ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب.

---

(١) في (ي): هذا عذاب.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٦.

(٣) القائل هو الأخطل، والحصور: البخيل الممسك، والسوار: الذي تسور الخمرة في رأسه سريعًا، فهو يعربد ويثب على من يشاربه. «ديوانه» ١٦٨، «معاني الفراء» ٢/ ٢٦، «المحتسب» ٢/ ٢٤١، «اللسان» (حصر) ٢/ ٨٩٦، (سور) ٤/ ٢١٤٧، «إصلاح المنطق» ١٤٢، «بغية الوعاة» ١/ ١٠٥، وبلا نسبة في «تذكرة النحاة» ٣٣٢، و«مجالس ثعلب» ١/ ٥٧٧.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٤، القرطبي ٩/ ٩٢.

٩٤- وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾، قال المفسرون[١]: صاح بهم جبريل صيحة فماتوا في أمكنتهم.

٩٥- وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾، قال الزجاج[٢]: المعنى أنهم قد بعدوا من رحمة الله، قال: وهو منصوب على المصدر، المعنى: أبعدهم الله فبعدوا بعدًا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾، يقال: بعِد يبعَد إذا بعد في الهلاك ولا تستعمل في الحي، وبعُد يبعُد ضد قرب وتستعمل في الحي، والمصدر فيهما جميعًا البُعْد، ويقال في مصدر بعد يبعد: بَعَدًا.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ دليل على أن[٣] مصدره البُعْد، وكذلك قول الشاعر[٤]:

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني   وأين مكان البُعْد إلا مكانيا

قال ابن الأنباري[٥]: العرب تقول: بعُد الطريق يبعُد وبعِد الميت يبعَد، ومنهم من يسوي بينهما، والأكثر هو الأول، وروى الكلبي عن ابن عباس[٦] قال: لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم

---

(١) الطبري ١٢/ ١٠٨، الثعلبي ٧/ ٥٥ب، البغوي ٤/ ١٩٧، «زاد المسير» ٤/ ١٥٤، «معاني الزجاج» ٣/ ٧٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) القائل هو مالك بن الريب.
انظر: «ديوانه» ٩٣، «الخزانة» ١/ ٣١٩، «اللسان» (بعد) ١/ ٣١٠، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٦٣٠.

(٥) «البحر المحيط» ٦/ ٢٠٤.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٥٣.

صالح، فأما[١] قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم.

٩٦- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد التوراة وما أنزل الله فيها من الفرائض والأحكام، قال الزجاج[٣]: أي بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته.

وقوله تعالى: ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بينة وبرهان يتسلط به على إبطال قول من خالفه، مخلص من التلبيس والتمويه. قال ابن عباس[٤]: يعني عصاه التي جعل الله فيها عذابا ونقمة؛ ليس يقوم لها جميع الخلائق، ولا يقوى عليها أحد.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾، أي أمرهم بعبادته واتخاذه إلها فاتبعوا ما أمرهم به، ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾، أي بمرشد إلى خير. قال ابن عباس[٥]: يريد لم يرشد قومه ولا من اتبعه.

قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يقال: قَدَمَ فلانٌ فلانًا يَقْدُمُه قَدْمًا، وزاد الزجاج[٦]: قدومًا، ويقدم وأقدم واستقدم بمعنى واحد، والمعنى: أنه[٧] يقدمهم إلى النار، يدل على هذا قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) القرطبي ٩/ ٩٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.

(٤) القرطبي ٩/ ٩٣ ولم ينسبه.

(٥) انظر الطبري ١٢/ ٢٠٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٦.

(٧) في (ج): (أنهم).

أي أدخلهم النار، والمعنى (فيوردهم)، وذكر بلفظ الماضي لتحققه وتأكد وجوده كأنه قد مضى، قال ابن عباس: يريد كما تَقَدَّم قومه في الدنيا [إلى البحر][1] فأغرقهم، وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ﴾ أي النار.

قال أبو بكر[2]: وذكَّر (بئس النار) لتذكير الوِرْد كما تقول: نعم المنزل دارك[3]، ونعمت المنزل دارك، من ذكّر غلب المنزل، ومن أنث بنى على تأنيث الدار، ويقال أيضًا: نعمت الدار منزلك، [ونعم الدار منزلك][4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾، قال الكلبي[5] ومقاتل[6] والمفسرون[7]: المدخل المدخول.

قال ابن السكيت[8]: الوِرْد وُرُود القوم الماء، [والوِرْد الماء][9] الذي يورد، والورد الإبل الواردة، فعلى هذا الورد يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الورود[10] كقول الشاعر[11]:

---

(١) في (ي): (في الغرق).

(٢) ساقط من (ي) وانظر: «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) «تنوير المقباس» ١٤٤.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٩ أ.

(٧) الطبري ١٢/ ١١٠، الثعلبي ٧/ ٥٥ ب، البغوي ٤/ ١٩٨، «زاد المسير» ٤/ ١٥٥

(٨) «تهذيب اللغة» (ورد) ٤/ ٣٨٦٩.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(١٠) في (ي): (الورد).

(١١) لم أقف عليه، وهو من الطويل.

إذا القوم قالوا وردهن ضحى غدا   تـواهـفـن حـتـى وردهـن طـروق

يصف إبلا قدّر أنها ترد الماء في وقت الضحى فوردته[١] قبل ذلك ليلًا لقوتهن وفضل نشاطهن، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْوِرْدُ﴾[٢] بمعنى الموضع والشيء الذي يورد عليه كالماء وغيره، والذي في هذه الآية يراد به الموضع الذي يورد، وهو بمعنى المفعول، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعلين كقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦] أي واردين، وهو في الأصل مصدر ثم يُسمى به المفعول والفاعل.

قال ابن الأنباري[٣]: الورد مصدر معناه: الورود تجعله العرب بمعنى الموضع المورود كالذي في هذه الآية، وتلخيص المعنى[٤] (بئس الشيء الذي يورد النار).

٩٩- قوله تعالى ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾ يعني في الدنيا، في قول الجميع، قال الكلبي[٥] ومقاتل[٦] والمفسرون[٧]: لعنة الدنيا الغرق، ولعنة الآخرة عذاب جهنم، وقال أهل المعاني[٨]: اللعنة في الدنيا يعني بها لعن المسلمين والصالحين إياهم في حياتهم، واللعنة في

---

(١) في (ي): (ردته).

(٢) في (ب): (الورود).

(٣) «زاد المسير» ٤/ ١٥٥.

(٤) في (ي): الآية.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦، القرطبي ٩/ ٩٤.

(٦) «تفسير مقاتل» / ١٤٩ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.

(٧) الطبري ١٢/ ١١٠، «الدر» ٣/ ٦٣١، البغوي ٤/ ١٩٨، ابن عطية ٧/ ٣٩٢.

(٨) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.

الآخرة ما يَقْدَمون عليه من عذاب الله، وقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وذكر أبو علي[١] في انتصابه وجهين[٢] أحدهما: أن يكون التقدير: ولعنة[٣] يوم القيامة، فحذف المصدر وأقيم اليوم مقامه فانتصب انتصاب المفعول به، والآخر: أن يكون ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ محمولًا على موضع في ﴿هَـٰذِهِۦ﴾ كما قال[٤]:

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدًا

ومثل هذه الآية قوله تعالى في القصص: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢] ونذكرها في موضعها إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾، الرفد معناه في اللغة[٥]: العطاء والمعونة، وكل شيء أعنت به غيرك فهو رفد، يقال: [رفد يرفده][٦] رَفْدًا ورِفْدًا بفتح الراء وكسرها، ويقال: الرفد بالكسر اسم وبالفتح مصدر، وسميت اللعنة ههنا رفدًا؛ لأنه جعل بدلا منها، كما يقال عتابك السيف وتحيتك الشتم، يذهب إلى أنه بدل منه وواقع موقعه.

قال أبو عبيدة[٧] في قوله ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: بئس العون المعان.

---

(١) «الحجة» ١/ ٢٧، ٢٨.
(٢) في (ي): (على وجهين).
(٣) في (ي): ولكنه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (رفد) ٣/ ١٤٣٧.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٢٩٨.

وقال قتادة[١] في تفسير هذه الآية: ترافدت عليهم لعنتان من الله، لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

وقال مجاهد[٢]: رُفِدوا يوم القيامة بلعنة أخرى زيدوها، فتانِك لعنتان.

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾، فقال[٣]: هو اللعنة بعد اللعنة، قال الزجاج[٤]: وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به، فعلى هذه الأقوال معنى الرفد ههنا: اللعنة التي لعنوا بها في الدنيا، ثم وصف هذا الرفد بأنه مرفود أي مشفوع معانٌ بلعنة الآخرة[٥].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾، قال أهل المعاني[٦]: الإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود إلى النبأ الذي تقدم، وقد ذكرنا في مواضع من هذا الكتاب أن (ذلك) يشار به إلى الواحد والاثنين والجماعة، كقوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾، أراد: ومنها حصيد؛ لأن

---

(١) الطبري ١٢/ ١١١، البغوي ٤/ ١٩٨، عبد الرزاق ٢/ ٣١٢، ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨١.

(٢) الطبري ١٢/ ١١٠، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨١. وانظر: «الدر» ٣/ ٦٣١.

(٣) أخرجه ابن الأنباري في «الوقف والابتداء»، والطسي عن ابن عباس كما في «الدر» ٣/ ٦٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٥) في (ي): (أخرى).

(٦) الطبري ١٢/ ١١٢، «زاد المسير» ٤/ ١٥٦.

الحصيد غير القائم. قال أبو إسحاق[١]: أي من القرى التي أهلكت: (قائم) أي: بقيت حيطانه، ﴿وَحَصِيدٌ﴾: مخسوف وما قد محي أثره، وعلى نحو هذا دار كلام المفسرين.

قال ابن عباس[٢]: ﴿قَآئِمٌ﴾: ينظرون إليه وإلى ما بقي من أثره، و(حصيد) قد خرب ولم يبق له أثر. قال ابن الأنباري: الحصيد ههنا عنى به الاستئصال بالهلكة ويعقبه الأثر، كالزرع إذا حصد وأزيل عن موضعه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥].

١٠١- قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، قال المفسرون[٣]: وما ظلمناهم بالعذاب والإهلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد وما نقصناهم في الدنيا من النعيم ولا من الرزق، ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله، وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ أي ما نفعتهم[٤] وما دفعت عنهم[٥]، ﴿ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي التي يعبدون سوى الله وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾، ابن عباس[٦] وغيره من

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٢) الطبري ١٢/ ١١٢، الثعلبي ٧/ ٥٥ ب، البغوي ٤/ ١٩٨، القرطبي ٩/ ٩٥.

(٣) الطبري ١٢/ ١١٣، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، ابن عطية ٧/ ٣٩٤.

(٤) في (ي): (ولا).

(٥) ساقط من (ي).

(٦) روى هذا القول الطبري ١٢/ ١١٣ عن ابن عمر ومجاهد وقتادة. وذكره في «زاد المسير» ٤/ ١٥٦ عن ابن عباس، «تنوير المقباس» ص ١٤٥.

المفسرين[١] يقولون: غير تخسير، وأبو عبيدة[٢] وأهل اللغة يقولون: هو الإهلاك، والتباب الهلاك، وأحدهما قريب من الآخر، وذكرنا معنى التخسير في هذه السورة[٣].

قال ابن الأنباري[٤]: في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ قولان؛ أحدهما: (وما زادتهم عبادتها غير تتبيب) فحذفت العبادة على حذف المضاف، والآخر: أن الآلهة زادتهم بلاءً، وإن كانت من الموات؛ لأنهم ادعوا أن عبادتهم إياها [تنفعهم عند الله، فلما جرى الأمر بخلاف ما قدروا][٥] وصفها الله بأنها زادتهم بلاءً وهلاكًا وخسارًا[٦].

١٠٢- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾، أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعقاب أخذ ربك إذا أخذ القرى، ومعنى أخذ الله نقلهم إلى جهة عقابه .﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ من صفة القرى وهي في الحقيقة لأهلها ومن كان يسكنها، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ [الأنبياء: ١١] وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾، [القصص: ٥٨] يعني أن أهلها بطروا المعيشة، ويكون هذا من باب حذف المضاف.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، يعني: ما ذكر من عذاب الأمم

---

(١) في (ي): (قال ابن عباس والمفسرون).

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٣٩.

(٣) عند قوله تعالى ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣].

(٤) انظر: «الزاهر» ١/ ٤٦٦.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ساقط من (ي).

الخالية وإهلاكهم ﴿لَآيَةً﴾[1]، قال ابن عباس[2]: لعبرة وعظة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ يعني يوم القيامة، وقد سبق ذكره [في قوله تعالى][3]: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾؛ لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم.

﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، قال ابن عباس[4]: يشهده البر والفاجر، وقال آخرون[5]: يشهده أهل السماء وأهل الأرض، قال أبو إسحاق[6]: أعلم الله أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدون.

١٠٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾، قال المفسرون[7]: وما نؤخر ذلك اليوم فلا نقيمه عليكم إلا لوقت معلوم لا يعلمه أحد غير الله، وقال أبو علي[8]: أي ما نؤخر إحداثه، وهو كما قال؛ لأن ذلك اليوم لم يحدثه الله[9] بعدُ، فتأخيره[10] تأخير إحداثه.

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) الطبري ١٢/ ١١٤، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧، القرطبي ٩/ ٩٦ من غير نسبة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٦، القرطبي ٩/ ٦٩.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١١٥ عن الضحاك، الثعلبي ٧/ ٢٥٦، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧ القرطبي ٩/ ٦٩.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٧) الطبري ١٢/ ١١٥، الثعلبي ٧/ ٥٦أ، البغوي ٤/ ١٩٩، «زاد المسير» ٤/ ١٥٧، ابن عطية ٧/ ٤٩٧ القرطبي ٩/ ٩٦.

(٨) «الحجة» ٤/ ٣٧٥.

(٩) ساقط من (ي).

(١٠) في (ي): (تأخيره).

١٠٥- وقوله تعالى: (يوم يأتي) ويقرأ ﴿يَأْتِ﴾[١] بحذف الياء، قال الفراء[٢]: كل ياء أو واو يسكنان وما قبل [الواو مضموم وما قبل][٣] الياء مكسور، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالضمة من الواو وبالكسرة من الياء، وأنشد[٤]:

كفاك كفٌّ لا تُلِيقُ درهمًا جودًا وأخرى تُعْطِ بالسيف الدما

وقال الزجاج[٥]: هذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيرًا، وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول: لا أدر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة.

قال أبو علي الفارسي[٦]: قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾، فاعل يأتي لا يخلو من أن يكون اليوم الذي أضيف[٧] إلى يأتي، أو اليوم المتقدم ذكره، فلا يجوز

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي «بياء» في الوصل ويحذفونها في الوقف، غير ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل والوقف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير «ياء» لا في وصل ولا وقف. انظر: «السبعة» ٣٣٨، «الإتحاف» ص٢٦١، «الحجة» ٤/ ٣٧٣، الطبري ٢/ ١١٥.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) الشاهد بلا نسبة في: «الإنصاف» ص٣٢٩، «اللسان» (ليق) / ٤١١٥، «الأشباه والنظائر» ١/ ٢٣ «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٢٨، «الخصائص» ٣/ ٩٠، ١٣٣، «معاني القرآن» ٢/ ٢٧، ١١٨، ٣/ ٢٦٠، الطبري ١٢/ ١١٦، وقوله «لا تليق» يقال: ألاقه أي حبسه، يصفه بالجود والغلظة على عدوه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٧.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٧٣- ٣٧٨ بتصرف.

(٧) في (ي): (إليه).

أن يكون فاعله اليوم الذي أضيف إلى يأتي؛ لأن اليوم هو الفاعل، فلا يجوز أن يضاف إلى فعل نفسه، ألا ترى أنك لا تقول: جئتك يوم يسرك، على أن يكون فاعل السرور اليوم، ويجوز أن يكون جئتك يوم يخرج زيد؛ لأن المعنى فيه: يوم خروج زيد، فتضيف المصدر إلى الفاعل فيتعرف اليوم بفعل مضاف إلى فاعل غير اليوم.

وإذا قلت: (يوم يسرك) يكون معناه وتقديره: (يوم سروره إياك)، ويصير كأنك عرفت اليوم بنفسه؛ لأن الفعل يعرفه الفاعل، واليوم مضاف إلى الفعل المعروف باليوم، وحدُّ جواز هذا أن يكون الظرف مضافا إلى فعل معرف [بفاعل نحو قولك: يوم يخرج زيد، فاليوم معرف][(١)] بالفعل، والفعل معرف بالفاعل، وإذا قدرت الظرف فاعلاً يعرف به الفعل، والفعل هو الذي يعرف الظرف، كأنك إنما عرفت الظرف بنفسه؛ لأنك أضفته إلى الفعل المعرف به[(٢)] فصار هذا نظير قولك: هذا يوم حره، تريد: حر اليوم، ويوم برده، فلا يصح أن يعرف اليوم بشيء مضاف إلى اليوم، وليس هذا[(٣)] مثل سيد قومه، فتضيفه إلى ما هو مضاف إليه؛ لأن قومه وما أشبه ذلك شيء معروف يقصد إليه، وقولك يوم سروره زيدًا ويوم يسرك إنما هو مضاف إلى فعل، وإنما يقوم الفعل بفاعله، ليس أن الفعل شيء منفصل يقصد إليه في نفسه، و(واحد أمه)، و(عبد بطنه)، مضافان إلى الأم والبطن، وكل واحد منهما ظاهر يقوم بنفسه، وكذلك لا يجوز أن [تضيف الظرف إلى جملة معرف

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ساقط من (ي).

يضمره[١] وإن كانت ابتداءً وخبرًا؛ لا يجوز أن][٢] تقول: (آتيك يومَ ضحوتُه باردة)، ولا (ليلةَ أولها مطير)، فإن نوّنت في هذا وفي الأول حتى يخرج من حد[٣] الإضافة جاز، فقلت: آتيك يومًا ضحوته باردة، وآتيك يومًا يسرك. وهذا قول أبي عثمان، فإذا لم يجز أن يكون (يوم) في قوله ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [فاعل يأتي][٤] ثبت أن في (يأتي) ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾، وتقديره: يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾، واليوم في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ المراد به الحين والبرهة، ليس[٥] وضح النهار.

فأما قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يحتمل ضربين:

أحدهما: أن يكون حالًا من الذكر الذي في ﴿يَأْتِ﴾، ونقدر فيه ضميرًا يرجع إلى ذي الحال، وتقديره: يوم يأتي ذلك اليوم غير متكلم فيه نفس، ومن قدَّر هذا التقدير كان أجدر بأن يحذف الياء من ﴿يَأْتِ﴾؛ لأنه كلام مستقل[٦] فيشبه[٧] -من أجل ذلك- الفواصل وإن لم يكن فاصلة، كما أن حذف الياء من قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤] لما كان كلامًا

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب (معرفة بضميره) أي معرفة بضمير عائد على الظرف. حتى يستقيم السياق.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) في (ي): (وجه).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ي): (بإضافة على).

(٦) في (ب): (مستقبل).

(٧) ساقط من (ي).

تامًّا أشبه الفواصل فحسن الحذف له.

الضرب الثاني: أن يكون قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ صفة اليوم المضاف إلى ﴿يَأۡتِ﴾؛ لأن اليوم في (يوم يأتي) مضاف إلى الفعل، والفعل نكرة، فإذا كان كذلك لم يمتنع أن يوصف به اليوم، كما يوصف النكرة بالجملة من الفعل والفاعل، والمعنى: لا تكلم فيه نفس، فحذف فيه أو حذف الحرف وأوصل الفعل إلى المفعول به، ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفته، كما يحذف من الصلة، ومثل ذلك قولهم: الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت.

وعلى هذا أيضًا لا يمتنع حذف الياء من ﴿يَأۡتِ﴾؛ لأن الصفة قد يستغني عنها الموصوف كما أن الحال كذلك، إلا أن من الصفات ما لا يحسن أن يحذف فيصير لذلك أشبه بغير الكلام التام، فأما إثبات الياء في الوصل والوقف وإسقاطها؛ فمن أثبتها في الوصل فهو القياس البين؛ لأنه لا شيء يوجب حذف الياء إذا وصل، وأما من حذف في الوقف فلأنها- وإن لم تكن فاصلة- أمكن أن تشبه بالفاصلة قياسا عليها؛ لأن هذه الياء تشبه الحركة؛ لأن الجازم يسقطها كما يسقط الحركة، فكما أن الحركة تحذف في الوقف، فكذلك ما أشبهها، ومن وقف بالياء فهو حسن؛ لأنها أكثر من الحركة في الصوت، فلا ينبغي إذا حذفت الحركة للوقف أن تحذف الياء له، كما لا تحذف سائر الحروف، ويدل على أن الياء[1] تنزل عندهم منزلة سائر الحروف تقديرُهم الحركة فيها في نحو[2]:

---

(١) في (ب): (تترك).

(٢) صدر بيت لقيس بن زهير العبسي، وعجزه: =

ألـــم يــأتــيــك والأنــبــاء[١] تــنــمــي

فكأنهم قدروا أنها[٢] كانت متحركة ثم سكنت للجزم كسائر الحروف، وتحريكهم لها في الشعر يدل أيضًا على[٣] أنها عندهم بمنزلة سائر الحروف، وذلك نحو قول الشاعر[٤]:

فــيــومًــا يــوافــيــن الــهــوى غــيــر مــاضِــيِ

وأما من حذف في الوصل والوقف، فلأنه جعلها بمنزلة ما استعمل محذوفًا مما لم يكن ينبغي في القياس أن يحذف، نحو ولم يكُ ولا أدر[٥].

بــمــا لاقــت لــبــون بــنــي زيــاد

قالها في إبل للربيع بن زياد العبسي، استاقها قيس وباعها بمكة؛ لأن الربيع كان قد أخذ منه درعًا ولم يردها عليه.

انظر: «شعره» ٢٩، «الكتاب» ٢/ ٣٢، «حاشية النوادر» ص ٥٢٣، «سر صناعة الإعراب» ٧٨، ٦٣١، «الإيضاح» للفارسي ص ٢٣٣، «الإنصاف» ص٢٢، «الدر المصون» ٦/ ٣٩٧، «الخصائص» ١/ ٣٣٣، «شرح شواهد الشافية» ص ٤٨، «الحجة» ١/ ٩٣ .

(١) في (ب): (ألم تأتيك الأنباء).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) صدر بيت لجرير من قصيدة هجا بها الأخطل، وعجزه:

ويــومًــا تــرى مــنــهــن غُــولًا تَــغَــوَّلُ

ويُروى (ماضيًا) مكان ماض أي من غير ميل منهن إليَّ، وتغول: تتلون. انظر: «الديون» ٤٥٥، «النوادر» ٢٠٣، «الحجة» ١/ ٣٢٥، «الكتاب» ٣/ ٣١٤، «المقتضب» ١/ ١٤٤، «خزانة الأدب» ٨/ ٣٥٨، «الخصائص» ٣/ ١٥٩، «شرح المفصل» ١٠/ ١٠١، «اللسان» (غول) ٦/ ٣٣١٨، (مضى) ٧/ ٤٢٢٢.

(٥) نهاية النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٧٣- ٣٧٨ بتصرف.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ أي من الأنفس في ذلك اليوم؛ لأن النفس في قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ لم يرد به واحدًا، فصار كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وقوله تعالى: (شقي) يقال: شقي[١]، يشقى، شقاء، وشقاوة، وشِقْوة، وأصل معنى الشقاء في اللغة: الشدة والعسرة يقال: شاقيت فلانا مشاقاة[٢]: إذا عاسرته وعاسرك قال[٣]:

إذا تشاقى الصابرات لم يرث

يعني: جملًا يصابر جمالًا على شدة المشي والتعب، قال ابن عباس[٤]: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ﴾ كتبت عليه الشقاوة، ﴿وَسَعِيدٌ﴾ كتبت عليه السعادة.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٌ﴾، قال الليث[٥]: الزفر والزفير أن يملأ الرجل صدره غمًا ثم هو يزفر به، فالزفير إخراج النفس، والشهيق رد النفس. يقال شهق يشهق، وبعضهم يقول: شهوقًا، ونحو هذا روى أبو عبيد[٦] عن أبي زيد، وهو قول جميع أهل اللغة، والإنسان إذا زفر فمد نفسه للإخراج ارتفع صدره وانتفخ جنباه، ومن هذا يقال للفرس: إنه عظيم الزفرة، أي عظيم الجوف.

---

(١) «تهذيب اللغة» (شقو) ٢/ ١٩٠٨، «اللسان» (شقى) ٤/ ٢٣٠٤.

(٢) في (ب): (مشاقة).

(٣) الرجز بلا نسبة في اللسان (شقا) ٤/ ٢٣٠٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٠٨، «أساس البلاغة» (شقو)، «تاج العروس» (شقي) وبعده:

يكاد من ضعف القوى لا ينبعث

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٦ب، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨.

(٥) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٧، (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

(٦) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٧، (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

وأنشد للجعدي[١]:

خِيطَ علـى زَفْرَةٍ فـتـمَّ ولـم   يَـرْجـع إلـى دِقـةٍ ولا هَـضَـمِ

يقول: كأنه زافر أبدًا من عظم جوفه، فكأنه زفر فخيط على ذلك، وقال ابن السكيت[٢] في قول الراعي[٣]:

حوزيَّة طويت على زفراتها   طي القناطر قد نَزَلن نُزُولًا

يريد كأنها زفرت ثم خَلِقتْ على ذلك.

وقال أبو إسحاق[٤]: هما من أصوات المكروبين المحزونين، وحكي عن أهل اللغة جميعًا أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته، ونحو هذا قال المفسرون. قال الضحاك[٥] ومقاتل[٦]: الزفير أول نهيق الحمار، والشهيق آخره حين يفرغ من صوته[٧]

(١) البيت في «ديوانه» ٣٧، «الخصائص» ٢/ ١٦٨، «اللسان» (هضم) ٨/ ٤٦٧٣، «شرح شواهد الشافية» للبغدادي / ٤٨، «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي / ١٦٥، «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨.

(٢) «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨.

(٣) أبو جندل، تقدمت ترجمته. والبيت في «ديوانه» ٢١٨، «تهذيب اللغة» (زفر) ٢/ ١٥٣٨، «تاج العروس» (زفر)، و«أساس البلاغة» (زفر)، و«المعاني الكبير» ١٤٠، و«اللسان» (زفر) ٣/ ١٨٤١، وينسب للأعشى في اللسان (حوز) ٢/ ١٠٤٦، و«تاج العروس» (حوز) ٨/ ٥٧، وليس في ديوانه. وبلا نسبة في «جمهرة اللغة» ٩١٨.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩ بمعناه، و«تهذيب اللغة» (شهق) ٢/ ١٩٤٦.

(٥) الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨.

(٦) «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب، وفيه (زفير: آخر نهيق الحمار، شهيق في الصدر أول نهيق الحمار)، الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٨.

(٧) في (ي): (والشهيق آخر صوته حين يفرغ).

إذا ردده في الجوف، وقال أبو العالية[١]: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، ويبين هذا قول رؤبة[٢]:

حَشْرَجَ في الجوفِ صهيلا أو شَهِقْ حتى[٣] يقالَ ناهقٌ وما نَهَقْ

وكلام ابن عباس قريب مما قاله أهل اللغة والمفسرون، فإنه قال[٤]: الزفير الصوت الشديد، والشهيق الصوت الضعيف.

وقال في رواية عطاء في قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ يريد: ندامة ونفسا عاليًا[٥] وبكاء لا ينقطع.

١٠٧- قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، الأكثرون من أهل المعاني والتفسير على أن قوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ للتأبيد[٦] والمراد به خالدين فيها أبدًا.

---

(١) الطبري ١٢/ ١١٦، الثعلبي ٧/ ٥٦ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩، وفي «تهذيب اللغة» (شهق) ٢/ ١٩٤٦ عن الربيع.

(٢) البيت من قصيدة له يصف فيها حمار الوحش، وفيه (سحيلًا) وليس «صهيلًا»، و«حشرج» ردد الصوت في حلقة ولم يخرجه، و«السحيل» الصوت الذي يدور في صدر الحمار في نهيقه، قاله في «اللسان».
انظر: «ديوانه» ص ١٠٦، «اللسان» (حشرج) ٢/ ٨٨٤، الطبري ١٥/ ٤٧٩، القرطبي ٩/ ٩٨، «البحر المحيط» ٥/ ٢٥١، «الدر المصون» ٦/ ٣٩٠، «تاج العروس» (حشرج) ٣/ ٣٢٦.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) الطبري ١٢/ ١١٦، الثعلبي ٧/ ٥٦ ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩

(٥) ساقط من (ب).

(٦) الطبري ١٢/ ١١٧، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٥٩، ابن عطية ٧/ ٤٠١ القرطبي ٩/ ٩٩.

قال الضحاك[١]: ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما، وكل ما علاك وأظلك فهو سماء، وكل ما استقرت عليه قدمك وثبت فهو أرض.

وقال الحسن[٢] أراد: ما دامت الآخرة كدوام السماء والأرض في الدنيا.

وقال ابن قتيبة[٣]: للعرب في معنى الأبد ألفاظ يستعملونها في كلامهم، يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما طما البحر، وما أقام الجبل، وما دامت السماء والأرض، في أشباه كثيرة لهذا، يريدون: لا أفعله أبدًا، فخاطبهم الله بما يستعملون.

وقال ابن الأنباري[٤]: إن الله تعالى خاطب العرب على ما تعقل، ومن ألفاظهم في التأبيد أن يقولوا: لا أفعل ذلك ما دامت السموات والأرض، وما أن السماء سماء، وما بلَّ بحر صوفة[٥]، وما ناحت الحمام وتغنت، وما أطت الإبل، وما اجترت الناب[٦]، وما لألأت الفور[٧] فلما

---

(١) الثعلبي ٧/ ٥٦ ب، البغوي ٤/ ٢٠٠، القرطبي ٩/ ٩٩.

(٢) الثعلبي ٧/ ٥٦ ب. وأخرج ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٦، وأبو الشيخ عن الحسن قال: تبدل سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه الأرض، فما دامت تلك السموات وتلك الأرض» «الدر» ٣/ ٦٣٤.

(٣) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٣.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٥٩.

(٥) «البيان والتبيين» ٣/ ٧.

(٦) في (ب): (النار).

(٧) في الثعلبي ٧/ ٥٧ أ «وما لألأت العُفْر بأذنابها». ويقال «ما لألأت الفوز بأذنابها» أي لا أفعل ذلك ما حركت الظباء أذنابها. انظر: «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٨١، «اللسان» (لألأ، فور)، «سمط اللآلئ» ص ٥، وفيه (ما لألأت العفر).

كانوا يستعملون هذه الألفاظ ظنًّا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، خاطبهم الله على سبيل ذلك فقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ عندكم وليست عندنا دائمة، كما قال -يعني أبا جهل-: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] أي عند نفسك، فأما عندنا فلا.

فعلى هذا القول معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ قال الفراء:(١) هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله، كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، فكذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، ولا يشاؤه.

هذا كلامه وزاده أبو بكر بيانا فقال: يجوز أن يكون الاستثناء ذكره الله تعالى وهو لا يريد أن ينقصهم من الخلود شيئًا، كما يقول الرجل لغلامه: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وهو لا ينوي إلا ضربه، فمعنى الاستثناء منه أني لو شئت أني لا أضربك لقدرت، غير أني مجمع على ضربك، وكذلك معنى الآية خالدين فيها أبدًا إلا أن يشاء ربك، وهو لا يشاء إلا تخليدهم، فوقع الاستثناء على معنى لو شاء أن لا يخلدهم لقدر، والدليل على أن الاستثناء ههنا لا يعود إلى(٢) نقص الخلود أن الله تعالى بين في مواضع من كتابه أنه يخلد الكافرين في النار، والمؤمنين في الجنة، فإذا ذكر في هذه الآية الاستثناء، كان ذلك استثناء لا يكون ولا يوجد، فجرى مجرى قول العرب: والله لأهجرنك أبدًا(٣) إلا أن يشيب

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

(٢) في (ي): (على).

(٣) ساقط من (ب).

الغراب[١]، وهذا الاستثناء لا يفيد نقص شيء من التأبيد؛ لأن الغراب لا يشيب، كذلك الله تعالى [لا يريد أن ينقصهم من الخلود شيئًا بعد أن أخبر به.

وهذا القول ذكره أبو إسحاق[٢] في أحد قولي أهل اللغة، وحكى قولا آخر، قال بعضهم]:[٣] الاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب، المعنى: خالدين فيها أبدًا إلا مقدار موقفهم للحساب.

وقال ابن كيسان: الاستثناء وقع بمقدار تعميرهم في الدنيا قبل مصيرهم إلى الجنة والنار، واختاره ابن قتيبة[٤] فقال: خالدين في النار إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك.

وقيل: الاستثناء يعود إلى حبس الفريقين في البرزخ، وهذه الأقوال قريبة من السواء؛ لأنه يمكنك الجمع بينها فتقول: خالدين فيها أبدًا إلا مقدار مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب، ثم يصيرون إلى النار أبدًا أو إلى الجنة أبدًا.

وقال جماعة[٥] من المفسرين: هذا الاستثناء يعود إلى إخراج أهل

---

(١) هذا المثل يضرب في الاستحالة، انظر: «المستقصى» ٢/ ٥٩، «فصل المقال» ٤٧٤، ٤٨٢، «تمثال الأمثال» ٤٢٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩.

(٣) ما بين المعقوفين مطموس في (ب).

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ١/ ٢١٤، «تأويل مشكل القرآن» / ٧٦.

(٥) ذكره الطبري ١٢/ ١٢٠ عن قتادة وأبي سنان، والضحاك، وخالد بن معدان. الثعلبي ٧/ ٥٧أ، البغوي ٤/ ٢٠٠، «زاد المسير» ٤/ ١٦٠ وعزاه لابن عباس والضحاك.

التوحيد [من النار][(١)] وقدر مدة إدخال مذنبي المسلمين النار، وكأنه قال: خالدين في النار أبدًا إلا ما شاء ربك من [إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة أبدًا إلا ما شاء ربك من][(٢)] إدخال المذنبين النار مدة من المدد ثم يصيرون إلى الجنة، وهذا معنى قول ابن عباس[(٣)]، وعلى هذا الاستثناء وقع من الخلود، ولهذا قال: ﴿مَا شَآءَ﴾ ولم يقل من شاء؛ لأن المذنبين من المؤمنين لا يكونون أشقياء، والأشقياء هم الكافرون.

قال أبو إسحاق[(٤)]: ويجوز أن يكون الاستثناء من الزفير والشهيق على أن لهم فيها زفيرًا وشهيقًا إلا ما شاء ربك [من أنواع العذاب الذي لم يذكر، وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر ولهم ما لم يذكر ما شاء ربك][(٥)]. هذا كله إذا قلنا إن المراد بقوله ما دامت السموات والأرض التأبيد، [فإذا قلنا ليس المراد به التأبيد، وهو قول ابن عباس؛ لأنه قال في قوله ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾][(٦)]: من ابتداء كونهما إلى وقت فنائهما[(٧)]، وهذا لا يدل على التأبيد، لكنه يتبين بما قد حصل طول مدته وتصورت حالة مشاهدته، فكأنه قال: خالدين فيها مدة العالم، وسَهُلَ أمر الاستثناء لأن

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٧أ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٦، وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس كما في «الدر» ٦/ ٦٣٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٠.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) «تنوير المقباس» ص ١٤٥، والثعلبي ٧/ ٥٦ ب.

للسموات والأرض وقتا تتغيران فيه عن هيئتهما، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأراد أنهم خالدون فيها مدة العالم، إلا ما شاء ربك من الزيادة المضاعفة لا إلى نهاية، و(إلا) ههنا تكون بمعنى سوى أو (الواو) كما تقول في الكلام: لك عندي ألف إلا ألفين؛ أي سوى الألفين الذين لك عندي، والمعنى على هذا: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم، وهذا أحد قولي الفراء(١)، وأحد قولي أهل اللغة فيما حكاه الزجاج(٢)، وذكرنا في مواضع من هذا الكتاب كون (إلا) بمعنى الواو وبمعنى سوى(٣).

---

(١) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٧٩.

(٣) ذهب الكوفيون وعلى رأسهم الفراء وثعلب -كما ذكر أبو حيان- ومن تبعهم كأبي عبيدة والأخفش والهروي وابن فارس والجرجاني وبعض أصحاب المعاجم كالجوهري وابن منظور والفيروزآبادي إلى أن (إلا) تأتي بمعنى الواو العاطفة، واحتجوا بكثرة مجيئه في كتاب الله وكلام العرب. وذهب البصريون ومن تبعهم كالطبري ومكي القيسي وأبي البركات الأنباري وابن مالك والمالقي والمرادي وابن عقيل وابن القيم إلى أن (إلا) لا تأتي بمعنى الواو، وعللوا صحة ما ذهبوا إليه بأمرين:
أحدهما: أن الأصل أن ينفرد كل حرف بمعنى، ولا يقع حرف بمعنيين؛ لما في ذلك من الاشتراك الملبس، وما صح منه عن العرب يقتصر عليه، ولا يقاس.
الثاني: أن (إلا) للاستثناء، وهو إخراج الثاني من حكم الأول، والواو للجميع، وهو يقتضي إدخال الثاني في حكم الأول، فلا يكون أحدهما بمعنى الآخر؛ لأن المعنيين متباينان. وأجابوا عما احتج به الكوفيون من الآيات والأبيات بأنها جميعًا محمولة على الاستثناء المنقطع.
=

قال النحويون: إذا استثنينا[١] زائدًا من ناقص لحق بالأول، كما لو قال: لك عندي ألف إلا الألفين، فقد أقر بثلاثة الآلاف لأنه استثنى زائدًا من ناقص، ومعنى (إلا) ههنا كمعنى الواو، وكذلك في الآية، الذي يشاؤه[٢] الله من الخلود أكثر من مدة كون السموات والأرض، وكأن المعنى ما دامت السموات والأرض وما شاء ربك مما يريد إلى ما لا يتناهى[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد من إخراج أهل التوحيد من النار.

١٠٨- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سَعِدُواْ﴾، يقال[٤] سَعِدَ فلان يَسْعَدُ سعادة وسَعْدًا فهو سعيد نقيض شقي، وقرأ أهل الكوفة ﴿سُعِدُواْ﴾ بضم

= ورجح أبو حيان مذهب البصريين، قال: وإثبات (إلا) بمعنى الواو لا يقوم عليه دليل والاستثناء سائغ فيما ادُّعي فيه أن (إلا) بمعنى (الواو).

راجع: «الإنصاف» ١/ ٢٦٦- ٢٧٢، «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٢١٩، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩- ٩٠، ٢/ ٢٨٧- ٢٨٨، «مجاز القرآن» ١/ ٦٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٢، «التبيين» ٤٠٣، «الصحاح» (إلا) ٦/ ٢٥٤٥، «لسان العرب» (إلا) ١/ ١٠٤، «القاموس المحيط» (إلا) ٩٦٢، «معاني الحروف» / ١٢٨، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٠٣، «بدائع الفوائد» ٣/ ٧٠- ٧١.

(١) في (ي): (استثنى).

(٢) في (ب): (يشاء).

(٣) قال القرافي -بعد أن ذكر الأقوال في الاستثناء في هذه الآية-: وهذه كلها أقوال لا حاجة إليها ولا ضرورة، بل الاستثناء صحيح على بابه لمقتضى ظاهر اللفظ، وأنه ما تقدم من الدوام قبل الدخول هذا كله إذا قلنا سموات الدنيا وأرضها، وإن قلنا سموات الجنة وأرضها وسماء النار وأرضها فهي تدوم لا إشكال في الدوام. أ.هـ. «الاستغناء في معنى الاستثناء» / ٤٢٠.

(٤) «تهذيب اللغة» (سعد) ٢/ ١٦٩٠، اللسان (سعد) ٤/ ٢٠١٢.

السين[١]. وسيبويه والمحققون من أهل اللغة على أن كلام العرب (أسعده الله) وأنه لا يبنى في الثلاثة من هذا للمفعول به، فلا يقال (سُعِدَ) كما لا يقال (شُقِي)؛ لأن السعادة مصدر لا يتعدي فعله، وقالوا في هذه القراءة: إنها لغة خارجة عن القياس، أو تكون من باب (فَعَلَ وفَعَلْتُه)، نحو: غاض الماء وغِضْتُه، وحَزَن وحَزَنته، كذلك يقال سَعَد وسَعَدْتُه، فإن احتج صاحب هذه القراءة بقولهم (مسعود) وهو على (سعد)، فلا دلالة قاطعة في هذا؛ لأنه يجوز أن يكون مثل (أجنه الله فهو مجنون)، و(أحبه الله فهو محبوب)، جاء المفعول في نحو هذا على حذف الزيادة، كما جاء الفاعل بحذف الزيادة من نحو:

[يكشف عن][٢] جمَّاته دلو الدالْ[٣]

وإنما هو المدلي، وكذلك قوله[٤]:

ومَهْمَهٍ هالك من تعرجا

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (سَعِدوا) بفتح السين وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم (سُعِدوا) بضم السين، «السبعة» ٣٣٩ «الكشف» ١/ ٥٣٦ «إتحاف» ص٢٦٠، الطبري ١٢/ ١١٩.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) من رجز ينسب للعجاج وبعده:

عباءة غبراء من أجن طال

انظر: «ديوانه» ٢/ ٣٢١ الملحقات، «اللسان» (دلا) ٣/ ١٤١٧، «أدب الكاتب» / ٦١٢، «تاج العروس» ٧/ ١٩٣ (غثر)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٣.

(٤) القائل العجاج وقبله:

عصرًا وخُضْنا عيشَهُ المعُذْلَجا

والمعنى: من أقام بهذا المهمه فقد هلك، انظر: «ديوانه» ٢/ ٤٣، «الخصائص» ٢/ ٢١٠ «المحتسب» ١/ ٩٢ «المخصص» ٦/ ١٢٧ «المقتضب» ٤/ ١٨٠.

في أحد القولين، والقول الآخر: أن تميمًا تقول: هلكني زيد، ومن الحذف قوله[١]:

يـخـرجـن مـن أجـواز لـيـل غـاض

يريد: مُغْض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وهي تلقح الشجر فإذا لقحتها وجب أن يكون الجمع: ملاقح: فجاء على حذف الزيادة، [وكذلك (مسعود) يجوز أن يكون على حذف الزيادة][٢]، ثم يمكن أن يقال: ﴿سُعِدُواْ﴾ أيضًا من أسعده الله، وقد جاء على حذف الزيادة كما ذكرنا في مسعود، هذا كلام المحققين من أهل اللغة[٣]، والمتأخرون أجازوا: سعده الله وأسعده، فقد ذكر الزجاج[٤] في باب الوفاق: سَعَدَ الله جَدَّه، فهو مسعود، وأسعد جده فهو مُسْعَد، وذكر الفارابي: السعد معنى[٥] الإسعاد في باب فَعَلَ يَفْعَل[٦]، وأجاز

---

(١) من أرجوزة لرؤبة يمدح فيها بلال بن أبي بردة، وبعده:

نـضـو قـداح الـنـايـل الـنـواضـي

انظر: «ديوانه» ٨٢، «المقتضب» ٤/ ١٧٩، «المحتسب» ٢/ ٢٤٢، «اللسان» (غضا).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) ما سبق نقله بتصرف عن أبي علي الفارسي في كتابه «الحجة» ٤/ ٣٧٨- ٣٨٠.

(٤) باب الوفاق هو من كتاب «فعلت وأفعلت» للزجاج، وهو مرتب على الحروف فيذكر ما ورد على صيغة (فعلت وأفعلت) في كل حرف ويقسمه إلى قسمين: الوفاق: وهو ما اتفق في المعنى، والخلاف: ما اختلف في المعنى. انظر: الإحالة هنا في كتاب «فعلت وأفعلت» ص ٢١.

(٥) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (بمعنى) بالباء.

(٦) في (ي): (معنى الإسعاد في باب الفعل فعل يفعل). وينظر: «ديوان الأدب» للفارابي ٢/ ٢٠١.

الأزهري[١] أيضًا: سعد وأسعد، ولعل هؤلاء ذهبوا في هذا الذي أجازوه إلى هذه القراءة، وقال الفراء[٢]: كلام العرب سعد الرجل وأسعده الله، إلا هذيلًا فإنهم يقولون: سُعد الرجل بالضم، وبذلك قرأ أصحاب[٣] عبد الله، وقال الكسائي[٤]: سُعدوا وأسعدوا لغتان.

وقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، انتصب (عطاء) على المصدر بما دل عليه الأول، كأنه قيل: إعطاهم النعيم عطاءً غير مجذوذ، ويكون العطاء اسما أقيم مقام المصدر، كقول القطامي[٥]:

وبعد عطائك المائة الرتاعا

والمجذوذ: المقطوع في قول المفسرين[٦] كلهم، يقال: جذه يجذه جذًّا، وجذ الله دابرهم. وقال النابغة[٧]:

---

(١) «تهذيب اللغة» (سعد) ٢/ ١٦٩٠.

(٢) «الدر المصون» ٤/ ١٣١.

(٣) «البحر» ٥/ ٢٦٤، وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص، وابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والأعمش.

(٤) «البحر» ٥/ ٢٦٤، «الدر المصون» ٤/ ١٣١.

(٥) القطامي وصدره:

أكفرًا بعد رد الموت عني

انظر: «ديوانه» / ٣٧، «الخزانة» ١/ ٣٩١ «شرح الشواهد» للعيني ٣/ ٥٠٥، «اللسان» (عطا) ٥/ ٣٠٠١، السيوطي / ٢٨٧، «الدرر» ١/ ١٦١، ٢/ ١٢٧، «تذكرة النحاة» ص ٤٥٦، «معاهد التنصيص» ١/ ١٧٩، «المقاصد النحوية» ٣/ ٥٠٥.

(٦) رواه الطبري ١٥/ ٤٩٠ عن الضحاك وقتادة وابن عباس ومجاهد وأبي العالية وابن زيد، وانظر: الثعلبي ٧/ ٥٨أ، البغوي ٤/ ٢٠١، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، القرطبي ٩/ ١٠٣ ابن كثير ٢/ ٥٠٤.

(٧) النابغة الذبياني من قصيدته المشهورة في مدح عمرو بن الحارث الأعرج يقول في وصف سيوف الغسانين، و(السلوقي) الدروع منسوبة إلى سلوق مدينة باليمن، =

تَجُذّ السَّلُوقيَّ المضاعف نَسجُهُ ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

والآية تدل على أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع أبدًا.

١٠٩- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: و﴿لَا تَكُ﴾ أصلها: لا تكن، وإنما حذفت النون عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف.

قال أبو إسحاق[١] في قوله ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢]: ذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، ومع ذلك أشبهت النون حروف اللين بأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف فلذلك احتملت الحذف.

وقال أبو الفتح الموصلي[٣]: أشبه الحروف الصحيحة بحروف المد: النون؛ لأنها ضارعت بالمخرج والزيادة والغنة والسكون في (لا تكن) حروفَ المد، فحذفت كما يحذفن إذا وقعن طرفًا.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني المشركين، قال أبو بكر الأنباري: قوله تعالى: ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾ ليس على ظاهره؛ لأنه لا حجة ولا طعن عليهم بمعرفة أعيان معبوداتهم، ولكنه من باب حذف المضاف، تلخيصه: ولا تك في شك من حال ما يعبدون في أنها لا تضر ولا تنفع.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي إلا كعبادة

= «الصفاح»: الحجارة العراض، «الحباحب» الشرر الذي يسقط من الزناد، وانظر: «ديوانه» ص٣٢ «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٦٩، «اللسان» (سلق)، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٣٧، الطبري ١٥/ ٤٨٩، الزجاج ٣/ ٨٠ والقرطبي ٩/ ١٠٣.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٢.

(٢) النحل: ١٢٠.

(٣) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٢٣٨ باختصار.

آبائهم من قبل، ﴿مَآ﴾[1] مع الفعل بمنزلة المصدر؛ يريد: أنهم على طريق[2] التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، أي من العذاب في قول ابن عباس[3] وغيره.

١١٠- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، قال ابن عباس[4]: يعزّي النبي ﷺ، يعني أن هذا تسلية للنبي ﷺ بالحال التي تعم من التكذيب، أي إنْ كذبوا بالكتاب الذي [آتيناك، فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي][5] آتينا موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾، قال ابن عباس[6]: يريد أني أخرت أمتك إلى الموت أو إلى يوم[7] القيامة، ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك، قال ابن الأنباري[8]: أعلم الله أنه لولا ما تقدم من حكمه بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، لكان الذي يستحقونه عند عظيم كفرهم إنزال عاجل العذاب بهم، لكن المتقدم من

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) في (ي): (تقدير).

(٣) هذا القول مروي عن ابن زيد كما في الطبري ١٢/ ١٢٣، والمروي عن ابن عباس هو «ما وعدوا فيه من خير أو شر» كما في الطبري ١٢/ ١٢٢، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢.

(٤) الثعلبي ٧/ ٥٨ ب، البغوي ٤/ ٢٠٢، «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، ابن عطية ٧/ ٤٠٧.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٦٢، الطبري ١٢/ ١٢٣ من غير نسبة.

(٧) ساقط من (ي).

(٨) الرازي ١٨/ ٦٩.

قضائه أخر ذلك عنهم في دنياهم، فابن عباس والكلبي[١] وأكثر أهل التفسير على أن هذا في كفار مكة، وقال مقاتل بن سليمان[٢]: يُعنى بهذا قوم من أصحاب موسى، والظاهر هو الأول؛ لأن الذين كذبوا بالتوراة أهلكوا في الدنيا عاجلًا، ولم تؤخر عقوبتهم إلى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ يعني من القرآن، وفي قول مقاتل[٣]: من كتاب موسى، ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

١١١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ الآية، اختلف القراء[٤] في تشديد ﴿إِنَّ﴾ و﴿لمَّا﴾ وتخفيفهما؛ فقرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿وَإِنَّ﴾ مشددة النون ﴿لمَا﴾ خفيفة، قال الزجاج[٥]: تخفيف ﴿لمَا﴾ هو الوجه والقياس، ولام ﴿لمَا﴾ لام ﴿إِنَّ﴾ و(ما) زائدة مؤكدة لم تغير المعنى ولا العمل.

وقال أبو علي[٦]: هذه القراءة وجهها بين، ومثاله من الكلام (إن

---

(١) «تنوير المقباس» ص ١٤٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١٤٩ب.

(٣) ساقط من (ي).

(٤) قرأ ابن كثير ونافع بالتخفيف فيهما، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر تخفيف النون وتشديد الميم، وقرأ حمزة والكسائي بتشديد النون، واختلفا في الميم فشددها حمزة وخففها الكسائي. وقرأ أبو عمرو مثل قراءة الكسائي، وقرأ ابن عامر مثل قراءة حمزة، وقرأ ابن عامر مثل قراءة حمزة، وقرأ حفص عن عاصم بالتشديد فيهما مثل حمزة وابن عامر. انظر: «السبعة» ٣٣٩، الطبري ١٢/ ١٢٣-١٢٤، «إتحاف» ص٢٦٠، «الكشف» ١/ ٥٣٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٨١- ٣٨٦ بتصرف واختصار.

زيدًا [لما لينطلقن)][1]، فاللام في (لما) هي اللام التي تقتضيه (إنَّ)، و(إنَّ) تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام كقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] [النحل: ١٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الحجر: ٧٧]، واللام الأخرى هي التي لتلقّي القسم، نحو: (والله لتفعلن)، ودخلت (ما) لتفصل بين اللامين؛ لأنه إذا كره أن تجتمع «اللام» و«أن» مع اختلاف لفظيهما لاتفاقهما في معنى التأكيد ففصل بينهما فأنْ يفصل بين اللامين مع اتفاق اللفظين أجدر، فقوله ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾، نصب ﴿كُلًّا﴾ بـ (أن) ودخلت اللام -وهي لام الابتداء- على خبر «إن» وهو قوله ﴿لَمَّا﴾، وقد دخلت في الخبر لام أخرى وهي التي يتلقى[3] بها القسم، وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر[4] الأمر أحد النونين، فلما اجتمعت اللامان فصل بينهما بـ (ما) كما فصل بين «أن» و«اللام»، فدخلت (ما) لهذا المعنى -وإن كانت زائدة- لتفصل.

وقال الفراء[5] في وجه هذه القراءة: جعل (ما) اسما للناس؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] ثم جعل اللام التي فيها جوابًا لـ(إنَّ)، وجعل اللام التي في ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لامًا دخلت على نية يمين فيما بين «ما» وصلتها، كما تقول: (هذا مَنْ لَيَذْهَبَنَّ)، و(عندي ما

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(٢) ساقط من (ي).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن» ٢/ ٢٨.

لَغَيْرُهُ خيرٌ منه)، ومثله ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢]، وهذا القول كالأول إلا أنه أجاز أن تكون «ما» ههنا اسمًا بمعنى «مَنْ»، وعند الزجاج[١] والبصريين (ما) صلة زائدة كما ذكرنا، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿وَإِن كُلًّا لَّمَا﴾ مخففتين. ووجه هذه القراءة ما ذكره سيبويه[٢]، وهو أنه قال: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: (إنْ عمروًا[٣] لمنطلق)، قال: وأهل المدينة يقرؤون ﴿وَإِنْ كُلا لَمَا﴾ يخففون وينصبون.

قال الأزهري[٤]: أخبرني المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: أهل البصرة أعني به سيبويه وذويه يقولون العرب تخفف (أنّ) الشديدة وتعملها وأنشدوا[٥]:

ووجه حسن النحر كأنْ ثدييه حقان

أراد (كأنّ) فخفف وأعمل، قال أبو علي[٦]: ووجه النصب بها مع

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

(٢) «الحجة» ٤/ ٣٨٦.

(٣) في (أ)، (ب): (إن عمرًا).

(٤) «تهذيب اللغة» (إن) ١/ ٢٢٣، وفيه «وقال أبو طالب النحوي، فيما روى عنه المنذري، قال: أهل البصرة غير سيبويه وذويه يقولون: إن العرب تخفف (إن) الشديدة وتعملها ..» والصحيح ما أثبته كما في «الكتاب» ١/ ٢٨٣.

(٥) في رواية (ووجه مشرق النحر) وهو من شواهد سيبويه التي لم تنسب، والنقل مع الشاهد في «الكتاب» ٢/ ١٣٥، وانظر: «الخزانة» ٤/ ٣٥٨، ابن الشجري ١/ ٣٦٢، الطبري ١٢/ ١٢٥، «تهذيب اللغة» (إن) ١/ ٢٢٣، «الإنصاف» ص١٦٦، «أوضح المسالك» ١/ ٣٧٨، «تلخيص الشواهد» ص ٣٨٩، «شرح المفصل» ٨/ ٨٢، «اللسان» (أنن) ١/ ١٩، «المقاصد النحوية» ٢/ ٣٠٥.

(٦) «الحجة» ٤/ ٣٨٦.

التخفيف من القياس أن (أنَّ) مشبهة في نصبها بالفعل، والفعل يعمل محذوفًا كما يعمل غير محذوف[١]، وذلك في نحو: (لم يك زيد منطلقًا)، وكذلك (لا أدر).

قال الفراء[٢]: لم نسمع العرب تخفف (أنَّ) وتعملها إلا مع المكني؛ لأنه لا يتبين فيه إعراب، نحو قوله[٣]:

فلو أنْكِ في يوم الرخاء سألتني فراقكِ لم أبخل وأنتِ صديق

فأما مع الظاهر فلا، لكن إذا خففوها رفعوا، قال: ومن قرأ ﴿وَإِنْ كُلًّا﴾ فإنهم نصبوا (كلًا) بـ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ كأنه قال: وإن ليوفينهم كلا. قال: وهذا وجه لا أشتهيه؛ لأن اللام لا يقع الفعل الذي بعدها[٤] على شيء قبله، وقرأ حمزة وابن عامر وحفص ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ مشددتان.

والكلام في تخفيف «إنَّ» وتشديدها قد ذكرناه، وبقي الكلام في تشديد ﴿لمَّا﴾ ههنا.

قال أبو إسحاق[٥]: زعم بعض النحويين أن معناه (لمن ما) ثم قلبت

---

(١) في (ي): (كما يعمل في غير محذوف).

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩.

(٣) البيت لم أعثر على قائله وهو في «الإنصاف» ص١٦٩، «شرح المفصل» لابن يعيش ٨/ ٧١، ٧٣ «خزانة الأدب» ٢/ ٤٦٥، ٤/ ٤٥٢، «شرح الشواهد» للسيوطي ص ٣١، «همع الهوامع» ٢/ ١٨٧، «الدرر» ١/ ١٢٠، «الإنصاف» ١/ ٢٠٥، «الجنى الداني» / ٢١٨، «شرح ابن عقيل» ١/ ٣٨٤، «اللسان» (حرر) ٢/ ٨٣٠، «المقاصد النحوية» ١/ ٣١١.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨١.

النون ميمًا، فاجتمعت ثلاث ميمات، فحذفت إحداها وهي الوسطى فبقيت (لمّا). قال: وهذا القول ليس بشيء؛ لأن (من) لا يجوز حذفها لأنها اسم على حرفين، ولكن التشديد فيه قولان: أحدهما يروى عن المازني[1] زعم أن أصلها «لَمَا» ثم شددت الميم. قال: وهذا القول ليس بشيء أيضًا[2]؛ لأن الحروف نحو: (ربّ) وما أشبهها تُخفف، ولسنا نثقل ما كان على حرفين.

قال: وقال بعضهم قولا[3] لا يجوز غيره والله أعلم، أن (لما) في معنى (إلا) كما تقول: سألتك لما فعلت وإلا فعلت، ومثله ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] معناها إلا عليها.

وقال الفراء[4]: أما من شدد (لما) فإنه والله أعلم أراد لمن[5] ما ليوفينهم، فلما اجتمعت ثلاث ميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان فأدغمت في صاحبتها كما قال[6]:

وإني لمما[7] أصدر الأمر وجهه إذا هو أعيا بالسبيل مصادره

قال: وربما تحذف بعض الحروف إذا اجتمعت كما أنشد

---

(١) «تهذيب اللغة» (لم) ٤/ ٣٢٩٥.

(٢) في (ج)، (ي): (أصلا).

(٣) ساقط من (ي).

(٤) «معاني القرآن» ٢/ ٢٩.

(٥) في (ي): لما.

(٦) لم أهتد إلى قائله، وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، الطبري ١٢/ ١٢٣-١٢٤ القرطبي ٩/ ١٠٥، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٣.

(٧) في (ب): (فلما).

الكسائي[١]:

وأشمتَّ العداة بنا فأضحوا لَدَيَّ تباشرون بما لقينا

معناه لَدَيَّ يتباشرون فحذف لاجتماع الياءات، ومثله[٢]:

كأن من آخرها إلقادمِ مَخْرِمَ نجدِ فارع المخارمِ

أراد (إلى القادم)، فحذف اللام عند اللام، قال: وأما من جعل (لما) بمنزلة (إلا) فإنه وجه لا نعرفه، وقد قالت العرب: بالله لما قمت عنا، وإلا قمت عنا وأما (لما) بمعنى (إلا) في الاستثناء فلم يقولوه في شعر ولا غيره؛ لا يجوز: ذهب الناس لما زيد بمعنى[٣] إلا، هذا كلامه، ومعنى (ما) في قوله «لمن ما» معنى (من)، وقد أنكر ما أجازه الزجاج.

قال أبو علي[٤]: من قرأ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا﴾ بالتشديد [فيهما[٥] فقراءته مشكلة، وكذلك قراءة أبي بكر عن عاصم: ﴿وإن كُلا﴾ بالتخفيف، ﴿لمَّا﴾ بالتشديد][٦] وذلك أن ﴿إِنَّ﴾ إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة، و﴿لمَّا﴾ إذا شددت كانت بمنزلة إلا، فكما لا يحسن [(إن زيدًا إلا منطلق) كذلك لا يحسن][٧] تثقيل ﴿إِنَّ﴾ وتثقيل ﴿لمَّا﴾، فأما

---

(١) لم أهتد إلى قائله. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، الطبري ١٢/ ١٢٤، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٣.

(٢) لم أهتد إلى قائله. وانظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٩، «اللسان» (قدم) ٦/ ٣٥٥٤، الطبري ١٥/ ٤٩٥، «الدر المصون» ٦/ ٤٠٤.

(٣) في (ب): (المعنى).

(٤) «الحجة» ٤/ ٣٨٧.

(٥) ساقط من (ي).

(٦) و(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

مجيء ﴿لمَّا﴾ في قولك: نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت؛ فقال الخليل: الوجه لتفعلن كما تقول أقسمت عليك لتفعلن، وأما دخول إلا ولما فلأن المعنى الطلب، فكأنه أراد ما أسألك إلا فعل كذا فلم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مرادًا [كما كان مرادًا][1] في قولهم[2] شرٌّ ما أَهَرَّ ذا ناب، أي ما أهره إلا شرٌّ، وليس في الآية معنى نفي ولا طلب، وهذا إنما كان يحسن ﴿إِنَّ﴾ لو خففت فخفف ﴿إِنَّ﴾ ورفع ﴿كُلًّا﴾ بعدها ثم ثقل ﴿لَمَّا﴾، فكان يجوز تثقيل ﴿لمَّا﴾ على أن يكون المعنى: ما كل إلا ليوفينهم، فيكون ذلك كقوله ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] فأما تثقل ﴿لمَّا﴾ مع النصب في (كل) فلا وجه له.

وهذا كله في إبطال ما أجازه الزجاج في تشديد ﴿لمَّا﴾؛ قال[3]: وأما قول الفراء: المعنى (لمن ما) فادعم النون في الميم بعدما قلبها ميمًا ثم حذفت إحدى[4] الميمات، فإن ذلك لا يسوغ، ألا ترى أن في هذه السورة مميات أكثر مما اجتمعن في (لمن ما) ولم يحذف منها شيء، وذلك في قوله ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨] فإذا لم يحذف شيء من هذا فلأن لا تحذف ثَمَّ أجدر، وقد قرئ ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمًّا﴾ بالتنوين، والمعنى[5] أن كلا جميعًا ليوفينهم، ومعنى اللم: الجمع فوصف بالمصدر

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) مثل عربي، انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» للخطيب القزويني ٢/ ٤٨، «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري ٢/ ١٣٠.

(٣) أي: أبو علي؛ انظر: «الحجة» ٤/ ٣٨٧، بتصرف.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (ومعنى).

كقوله ﴿أَكۡلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩].

فإن قال قائل: إن (لما) فيمن ثقل أنها هي ﴿لمًّا﴾ هذه ووقف عليها بالألف ثم أجري الوصل مجرى الوقف فذلك مما يجوز في الشعر.

قال الكسائي[(١)]: من شدد ﴿إِنَّ﴾ وشدد ﴿لمَّا﴾ فالله أعلم بذلك ليس لي به علم، ولا من خفف «إنّ» ثم نصب (كلاّ) أيضًا وشدد «لمّا» فلست أدري أيضًا، قال أبو علي: ولم يبعد الكسائي فيما قال[(٢)]. وقوله تعالى ﴿رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾، قال ابن عباس[(٣)]: يريد جزاء بما عملوا، وعلى هذا هو من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى: ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، خبير قال: يريد بطاعة أوليائه وخبير بمعصية أعدائه.

١١٢- قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾، الاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة، وذلك خلاف الأخذ في جهات اليمين والشمال، قال المفسرون[(٤)]: معناه فاستقم على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ في القرآن.

وقال ابن عباس[(٥)]،

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» ص٤١٦.

(٢) انتهى النقل عن «الحجة» ٤/ ٣٨٧- ٣٨٨، بتصرف.

(٣) الطبري ١٢/ ١٢٦، البغوي ٤/ ٢٠٣، «زاد المسير» ٤/ ١٦٤، القرطبي ٩/ ١٠٤ من غير نسبة.

(٤) الطبري ١٢/ ١٢٦، الثعلبي ٧/ ٥٩ أ، البغوي ٤/ ٢٠٣.

(٥) قلت: بل المروي عن ابن عباس خلاف هذا حيث قال: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيبتني هود وأخواتها» البغوي ٢/ ٤٠٤، القرطبي ٩/ ١٠٧. قال في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٠، رواه ابن مردويه في «تفسيره». وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي ٢٥٥، ٢٥٦، والترمذي (٣٢٩٧)=

والسدي[١]: الخطاب له والمراد منه أمته.

قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (مَنْ) في محل الرفع من وجوه؛ أحدها: أن تكون عطفا على الضمير في ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، أي فاستقم أنت وهم، والثاني: أن تكون عطفا على الضمير في ﴿أُمِرْتَ﴾، والثالث: أن تكون ابتداء على تقدير ومن تاب معك فليستقم، ومعنى ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، قال ابن عباس[٢]: يريد أصحابه الذين تابوا من الشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾، معنى الطغيان تجاوز المقدار، قال ابن عباس[٣]: يريد تواضعوا لله ولا تَجَبَّروا على أحد.

وقال الكلبي[٤]: ولا تطغوا في القرآن فتحلوا أو تحرموا ما لم يأمركم به الله، وقيل[٥]: لا تجاوزوا أمري ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قال ابن عباس: لا تخفى عليه أعمال بني آدم، علم قبل أن يعملوا ما هم عاملون.

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾، يقال: ركِن يركَن ركونا، ومعنى الركون السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة، ونقيضه النفور عنه، ولغة

= كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى بعد: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

(١) الثعلبي ٧/ ٥٩ أ، القرطبي ٩/ ١٠٧.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٦٤.

(٣) الرازي ١٨/ ٧١.

(٤) «زاد المسير» ٤/ ١٦٤ ونسبه إلى ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري ١٢/ ١٢٦ عن ابن زيد، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٨٩، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٣٦، و«زاد المسير» ٤/ ١٦٤، والثعلبي ٧/ ٥٩ أ.

أخرى ركَن يركُن. قال الأزهري[(١)]: وليست بفصيحة، وكان أبو عمرو أجاز ركَن يركَن بفتح [الكاف من الماضي والغابر، وهو خلاف ما عليه الأبنية في السالم.

وقال الكسائي[(٢)]: قريش تقول: ركِن يركَن وأهل نجد يقولون: ركَن يركُن؛ ومنه قراءة[(٣)] طلحة بن مصرف ﴿ولا تَرْكُنوا﴾ بضم الكاف.

قال ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، قال: لا تميلوا؛ يريد في المحبة ولين الكلام والمودة.

وقال السدي وابن زيد[(٥)]: لا تداهنوا الظلمة.

وقال أبو العالية[(٦)]: لا ترضوا بأعمالهم][(٧)].

---

(١) «تهذيب اللغة» (ركن) ٢/ ١٤٦٣.

(٢) «البحر» ٥/ ٢٦٩، «الدر المصون» ٤/ ١٤٤.

(٣) قراءة «تركُنوا»، بضم الكاف، قرأ بها عبد الوارث عن أبي عمرو، وهي قراءة قتادة وطلحة بن مصرِّف. انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، القرطبي ٩/ ١٠٨ وطلحة بن مصرف هو: طلحة بن مصرف بن عمرو الهمداني ثقة حجة، أحد القراء الكبار، وأقرأ أهل زمانه، أدرك أنسًا ولم يسمع منه. توفي ١١٢هـ. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٤٧٣، «تهذيب التهذيب» ٢/ ٢٤٣، «غاية النهاية» ١/ ٣٤٣.

(٤) رواه الطبري بمعناه عن بعض المفسرين ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٤/ ٢٠٣، البغوي ٢/ ٤٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥.

(٥) روى عنهما الثعلبي ٧/ ٥٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، وانظر: البغوي ٢/ ٣٠٤ عن السدي، والطبري ١٢/ ١٢٧ عن ابن زيد، وكذا القرطبي ٩/ ١٠٨.

(٦) الطبري ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، القرطبي ٩/ ١٠٨.

(٧) ما بين المعقوفين غير مقروء في (ب).

وقال قتادة[١]: لا تلحقوا بالمشركين.

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾، قال ابن عباس: هو أدب للمؤمنين ليس كمثل عقوبة الكفار، يريد أن قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٢] يتضمن عذابًا دون عذاب الكفار؛ لأنهم مخلدون في النار، وفي هذا دليل على أن المؤمن لا يخلد في النار، ودليل أيضًا على المنع من مصادقة المشركين وموالاة الظالمين، والميل إليهم بالمحبة والسكون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، قال ابن عباس[٣]: يريد من مانع يمنعكم من عذاب الله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ استئناف كقوله: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٤].

١١٤- قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، قال عامة المفسرين[٥]: نزلت في رجل أتى النبي ﷺ فقال: ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ما يصيبه الرجل من امرأته غير الجماع؟ فقال له النبي ﷺ: «**توضأ وضوءًا حسنًا ثم قم فصل**»، وأنزل الله تعالى هذه الآية فقيل للنبي ﷺ، أهي له خاصة أم للناس عامة؟ [فقال: «**بل هي للناس**

---

(١) الطبري ١٢/ ١٢٧، قال: لا تلحقوا بالشرك، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، من غير نسبة.

(٤) آل عمران / ١١١.

(٥) الطبري ١٢/ ١٣٤-١٣٨، الثعلبي ٧/ ٦٠أ، البغوي ٢/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٥، ابن عطية ٤/ ٤١٥، القرطبي ٩/ ١١٠، ابن كثير ٢/ ٥٠٦.

عامة»][1][2].

قال ابن عباس[3] في رواية عطاء في قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ يريد الصبح والظهر والعصر، وهو قول مجاهد[4] في رواية منصور

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) الحديث أخرجه الطبري ١٢/ ١٣٦، ورواه الترمذي (٣١١٣) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة هود من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست. وقد وردت أحاديث بمعنى هذا الحديث ومنها ما أخرجه البخاري (٤٦٨٧) كتاب: التفسير، باب: قوله ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، ومسلم (٢٧٦٣) كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وأحمد ١/ ٣٨٥ والترمذي (٣١١٤) كتاب التفسير، باب ومن سورة هود، والطبري ١٥/ ٥١٩ من حديث ابن مسعود: أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فنزلت هذه الآية، فقال الرجل: ألي هذه الآية؟ فقال: «لمن عمل بها من أمتي».

والآخر ما أخرجه مسلم (٢٧٦٣/ ٤٢) كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، والترمذي (٣١١٢) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة هود، والطبري ١٥/ ٥١٦ عن ابن مسعود أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها وضممتها إليَّ، وباشرتها، وفعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، فدعا الرجل فقرأها عليه، فقال عمر: أهي له خاصة أم للناس كافة؟ قال: «لا، بل للناس كافة».

(٣) المروي عن ابن عباس أنه قال: صلاة الغداة وصلاة المغرب، انظر الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧، الطبري ١٢/ ١٢٨.

(٤) الطبري ١٢/ ١٢٧، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، البغوي ٤/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧.

والقرظي[(١)]، واختيار الفراء[(٢)] والزجاج[(٣)]، قال الزجاج: وصلاة طرفي النهار: الغداة والظهر والعصر، وزاد مقاتل[(٤)]: المغرب، وقال: صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف، والصحيح ما ذكره الزجاج، وذلك أن أحد طرفي النهار صلاة الصبح والآخر فيه صلاتا[(٥)] العشاء، وهما الظهر والعصر، والمغرب من صلاة الليل لا من صلاة النهار.

ويروى عن ابن عباس ومجاهد[(٦)] أنهما قالا: صلاة طرفي النهار الفجر والمغرب، وهو قول الحسن[(٧)] وابن زيد[(٨)]، وظاهر الكلام يدل على هذا، وحذف ذكر الظهر والعصر لظهور أمرهما في صلاة النهار؛ لأنهما أفردا بالذكر في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ودلوكها زوالها.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، قال الليث[(٩)]: زلفة من أول الليل

---

(١) الطبري ١٢/ ١٢٨، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب، «زاد المسير» ٤/ ١٦٧.

(٢) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠، ولم يذكر الفجر في طرفي النهار.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٢.

(٤) «تفسير مقاتل» ١٤٩ ب، الثعلبي ٧/ ٥٩ ب.
وفيه (وزلفا من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء) ولم يجعل المغرب في طرفي النهار.

(٥) في (ي): (صلاة).

(٦) انظر: الطبري ١٢/ ١٢٧-١٢٨ قال مجاهد: صلاة الفجر وصلاتي العشى، يعني الظهر والعصر، وعند ابن أبي حاتم بلفظ: صلاة الفجر وصلاة العشاء ٦/ ٢٠٩١

(٧) الطبري ١٢/ ١٢٨. وعند ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩١ أن الحسن قال: الغداة: الظهر والعصر.

(٨) الطبري ١٢/ ١٢٨.

(٩) انظر: «الدر المصون» ٤/ ١٤٥.

طائفة والجميع الزلف، وروى أبو عمرو عن أبي العباس في هذه الآية قال: الزلف أول ساعات الليل واحدتها زلفة[١].

وقال أبو عبيدة[٢] والأخفش[٣] وابن قتيبة[٤]: الزلف ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة زلفة، ومعنى (زلفًا من الليل) أي ساعة بعد ساعة، وأنشدوا[٥]:

ناج طواه الليل مما وجفا طى الليالي زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا

ونحو هذا قال الفراء[٦]. وقال ابن عباس[٧]: يريد المغرب والعشاء قرب أول الليل[٨]؛ لأن الزلف القرب، وهذا قول عامة المفسرين[٩] غير

---

(١) «تهذيب اللغة» (زلف) ١٣/ ٢١٤.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٠.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٨٥، الثعلبي ٧/ ٥٩ب.

(٤) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٥.

(٥) الرجز للعجاج، وفيه (ناج طواه الأين) وليس الليل، والأين: التعب، و(وجفا) من الوجيف: سرعة السير، «سماوة الهلال»: شخصه إذا ارتفع في الأفق شيئًا، «احقوقف»: اعوج، وانظر: ديوانه / ٨٤، «مجاز القرآن» ١/ ٣٠٠، الطبري ١٢/ ١٢٩ اللسان (حقف) ٢/ ٩٣٩، «الكامل» للمبرد ٣/ ٩٩، سيبويه ١/ ١٨٠، «تهذيب اللغة» (زلف) ٢/ ١٥٤٩، «ديوان الأدب» ٢/ ٤٩٢، «تاج العروس» (زلف) ١٢/ ٢٥٦، «مجمل اللغة» ٢/ ٢٤٦، «كتاب العين» ٧/ ٣١٩.

(٦) «معاني القرآن»٢/ ٣٠.

(٧) المروي عن ابن عباس أنه قال: العشاء، الطبري ١٢/ ١٣٠.

(٨) ساقط من (ب).

(٩) رواه الطبري ١٢/ ١٣٠-١٣١ عن الحسن ومجاهد والقرظي والضحاك، وانظر: الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٤/ ٢٠٤.

مقاتل(١) فإنه يقول: هو صلاة العشاء؛ لأنه أدخل المغرب في طرفي النهار، [وقال أبو إسحاق(٢): هو منصوب على الظرف، كما تقول: جئت(٣) طرفي النهار](٤) وأول الليل، قال: ومعنى زلفًا من الليل: الصلاة القريبة من أول الليل، وأصل الكلمة من الزلفة والزلفى، وهي القربة، يقال: أزلفته فازدلف أي قربته فاقترب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، قال ابن عباس والمفسرون(٥): يريد [إن الصلوات الخمس](٦) تكفر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، وروى ليث عن مجاهد(٧) قال: هي قول العبد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾، قال ابن عباس: يريد: هذا موعظة فـ (ذلك) عنده بمعنى (هذا)، وذكرنا وجهه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾(٨)

---

(١) «تفسير مقاتل» / ١٥٠أ، البغوي ٤/ ٢٠٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٢.

(٣) ساقط من (ي) في الزجاج «كما تقول حينا طرفي النهار ..».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) الطبري ١٢/ ١٣٢، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، البغوي ٤/ ٢٠٤، «زاد المسير» ٤/ ١٦٨، ابن عطية ٧/ ٤١٦-٤١٧. وفي الحديث «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن**» أخرجه مسلم (ح٢٣٣) في الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات .. عن أبي هريرة.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) الطبري ١٢/ ١٣٣ رواه منصور عن مجاهد، الثعلبي ٧/ ٥٩ب، ابن عطية ٧/ ٤١٧، «زاد المسير» ٤/ ١٦٨.

(٨) البقرة: ٢. وخلاصة ما ذكره: «أنه إنما يجوز ذلك بمعنى هذا لما مضى وقرب وقت تقضيه أو تقضى ذكره».

وقال غيره[١]: ﴿ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ﴾ يعني القرآن عظة لمن ذكره، والكلام في (ذلك) وأن الإشارة بها إلى الجملة جائزة قد مضى في عدة مواضع، وقال أبو علي الفارسي: الذكرى مصدر جاء بألف التأنيث، كما جاء على فَعْلى نحو العدوى والدعوى والطغوى وترى فيمن لم يصرف، وعلى فُعْلى نحو شورى، [وقالوا في الجمع (للذِّكَر) فجعلوه بمنزلة (سدرة وسدر)، كما جعلوا (العُلَى) مثل `الظُّلَم)، وقالوا: الدكر بالدال حكاه سيبويه[٢] وكذلك روي بيت ابن مقبل[٣]:

من بعد ما يعتري قلبي من الدكر

وذلك لما كثر تصرف الكلمة بالدال نحو ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [يوسف: ٤٥]، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٤] أشبهت تقوى، وتقية، وتقاة.

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾، قيل[٥] على الصلاة، كقوله ﴿وأمر أهلك بالصلاةِ واصطبر][٦] عليها﴾ [طه: ١٣٢]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ

---

(١) الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٦٩.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٣٣١.

(٣) لابن مقبل، وصدره:

يا ليت لي سلوة تشفى النفوس بها

وفيه (من بعض) بدل (من بعد) هنا، انظر: «ديوانه» ٨١، «الخصائص» ١/ ٣٥١، «المقرب» ٢/ ١٦٦، «سر صناعة الإعراب» ١/ ١٨٨، «الممتع في التصريف» ١/ ٣٥٩، «المنصف» ٣/ ١٤٠.

(٤) في النسخ: (وهل).

(٥) الثعلبي ٧/ ٦٠أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠.

(٦) ما بين المعقوفتين: بياض في (ب).

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال ابن عباس[(١)]: يعني المصلين.

١١٦-قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني القرون المهلَكة، ومعنى (لولا) ههنا نفي عند المفسرين، وهو قول ابن عباس[(٢)]: يريد ما كان من القرون من قبلكم، وهذا مثل قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨] وقد استقصينا الكلام هناك، ونحو هذا قال الفراء[(٣)] في هذه الآية: لم يكن منهم أحد كذلك.

ومن الناس[(٤)] من يقول: (لولا) ههنا على ظاهره، بمعنى (هَلَّا كان)، و(لم لا كان)، وهو تعجب وتوبيخ للكفار الذين سلكوا سبيل من قبلهم في[(٥)] الفساد.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾، [قال ابن عباس[(٦)]: يريد: أولو دين، قال الزجاج[(٧)]: ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾][(٨)] معناه أولو تميز، ويجوز أولو طاعة، قال: ومعنى البقية إذا قلت (في فلان بقية) فمعناه فيه فضل فيما يمدح به،

---

(١) الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، البغوي ٤/ ٢٠٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، القرطبي ٩/ ١١٣.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، ورواه الطبري ١٢/ ١٣٩-١٤٠ عن قتادة، ورجحه، وانظر الثعلبي ٧/ ٦٠ ب البغوي ٤/ ٢٠٦، القرطبي ٩/ ١١٣.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠.

(٤) ابن قتيبة في «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٦، الثعلبي ٧/ ٦٠ أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٠، القرطبي ٩/ ١١٣، «معاني الأخفش» ١/ ٢٩٤.

(٥) في (ي): (من).

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٠.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

وقال القتبي[١] ﴿أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ أي [أولو بقية][٢] من دين، يقال (قوم لهم بقية) و(فيهم بقية) إذا كانت فيهم مسكة وخير.

وقوله تعالى ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: يريد عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، قال الفراء[٣] والزجاج[٤]: هو استثناء على الانقطاع مما قبله؛ المعنى: لكن قليلًا ممن نجينا منهم نهوا عن الفساد، كما قال: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس: ٩٨] قال المفسرون[٥]: وهم أتباع الأنبياء وأهل الحق.

وقوله تعالى ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾، الترفة النعمة وصبي مترف[٦] إذا كان منعم البدن، والمترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش[٧].

قال الفراء[٨]: يقول اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم وإيثار اللذات على أمر الآخرة وركنوا إلى الدنيا والأموال وما أعطوا من نعيمها.

---

(١) «مشكل القرآن وغريبه» ص٢١٦، وفيه: (إذا كانت فيهم مسكة وفيهم خير)، وانظر: «تهذيب اللغة (بقي) ١/ ٣٧٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣٠.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.

(٥) الطبري ١٢/ ١٣٩، الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، البغوي ٤/ ٢٠٦.

(٦) في (ب)، (ج): (متروف).

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (ترف) ١/ ٤٣٦.

(٨) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.

قال عطاء عن ابن عباس[(١)] يريد: اتبعوا[(٢)] ما وسعت عليهم وأنعمت، وروي[(٣)] عنه نعموا وأبطروا أيضًا.

١١٧- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾، قال أبو بكر الأنباري: أراد بالقرى أهلها وسكنها وكان ذكره الأهل بعدها في قوله ﴿وَأَهْلُهَا﴾ تبيينا لما تتضمنه.

وذكر المفسرون[(٤)] وأهل المعاني كلهم في هذه الآية قولين:

أحدهما: وما كان الله ليهلك [أهل][(٥)] القرى وهم مسلمون [صالحون][(٦)]، فيكون ذلك منه ظلمًا لهم.

الثاني: وهو قول أهل السنة[(٧)] (وما كان ربك ليهلك أهل القرى بشركهم وظلمهم لأنفسهم، وهم مصلحون يتعاطون الحق بينهم)، أي ليس من سبيل الكفار -إذا قصدوا الحق في المعاملة وتنكبوا الظلم- أن ينزل الله بهم عذابا يجتاحهم.

---

(١) انظر: الطبري ١٢/ ١٣٩-١٤٠ روى كلامًا بنحوه، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٤/ ١٩٤ب عن مجاهد وقتادة، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٤.

(٢) ساقط من (ي).

(٣) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب.

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٠ كأنه يميل إلى الأول، الثعلبي ٧/ ٦٠ب، البغوي ٤/ ٢٠٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧١، ابن عطية ٧/ ٤٢٣ ورجح الأول، القرطبي ٩/ ١١٤، «معاني القرآن للفراء» ٢/ ٣١، «معاني الزجاج» ٣/ ٨٣.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) ذكر هذا القول الطبري ١٢/ ١٤٠، والبغوي ٤/ ٢٠٦.

وهذا معنى قول ابن عباس[١]؛ فقد قال في رواية عطاء: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾، يريد الرجال، (بظلم) يريد بشرك، و(أهلها مصلحون): يريد فيما بينهم، كقوم لوط عذبهم الله باللواط، وقال فيهم: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ٧٨] يريد الشرك، وكذلك قوم شعيب عذبوا ببخس الكيل. وهذا التفسير يدل على أن الاجتراء على أنواع المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك.

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، [قال ابن عباس[٢]: يريد على دينك الذي بعثت به.

وقال قتادة[٣]: لجعل الناس أمة واحدة][٤]: أن يجعلهم مسلمين، وهذا دليل على تكذيب القدرية حيث قالوا: ما بقي في مقدوره من اللطف في أن يجعل الخلق مؤمنين إلا وقد فعل، قالوا: ولو قدر فلم يفعل[٥] لم يجز في الحكمة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، قال مجاهد وقتادة وعطاء والأعمش[٧]: أي في الأديان من بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك

---

(١) روي عن جرير نحوه، قال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٣٩: وفيه عبيد بن القاسم الكُوفي وهو متروك.
(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧١.
(٣) الطبري ١٢/ ١٤١، القرطبي عن سعيد بن جبير ٩/ ١١٤، ابن عطية ٧/ ٤٢٣.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).
(٥) في (ي): (ولو قدره لم يفعله).
(٦) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم ١/ ١٨، ١٩.
(٧) روى ذلك عنهم الطبري ١٢/ ١٤١-١٤٢، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٣-٢٠٩٤.

من اختلاف[١] الملل.

١١٩- وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، قال أبو إسحاق[٢] ﴿مَن﴾ استثناء على معنى (لكن مَنْ رحم ربك فإنه غير مخالف).

وقال الفراء[٣]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: يعني أهل الباطل، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أهل الحق، وهذا قول مجاهد[٤] نفسه.

وقال ابن عباس[٥]: هما فريقان: فريق اختلف فلم يرحم، وفريق رحم فلم يختلف، وهو كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وقال عكرمة[٦]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني أهل الأهواء والبدع ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أهل السنة والجماعة.

وقوله تعالى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة[٧]: وللرحمة خلقهم، يعني الذين رحمهم.

قال أبو بكر: وعلى هذا أشير إلى الرحمة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ لأن تأنيثها ليس تأنيثا حقيقيًا، فحملت على معنى الفضل والغفران، كقوله ﷻ:

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٣.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.

(٤) الطبري ١٢/ ١٤١، وأخرجه ابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٤ عن ابن عباس.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، القرطبي ٩/ ١١٥، عبد الرزاق ٢/ ٣١٦.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢.

(٧) روى ذلك عنهم جميعًا الطبري ١٢/ ١٤٣-١٤٤، والثعلبي ٧/ ٦١أ، والبغوي ٤/ ٢٠٦، و«زاد المسير» ٤/ ١٧٢، والقرطبي ٩/ ١١٥، وابن كثير ٢/ ٥٠٩.

﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨] أي فضل، وقالت الخنساء[١]:

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب شب وقودها

أرادت فذلك الرزء، قال: ويجوز أن يكون المراد بالرحمة: التوحيد، فأشير إليها بالتذكير لهذا المعنى، وقد بينا جواز تذكير الرحمة بأبلغ[٢] من هذا عند قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

وقال الحسن[٤] ومقاتل بن حيان[٥] ويمان[٦] وعطاء[٧]: وللاختلاف خلقهم، يعنون المختلفين.

وفي الآية قول ثالث وهو الاختيار، قال ابن عباس[٨] في رواية عطاء في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يريد: خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل

---

(١) «ديوانها» ٤٤، برواية: (ونيران حرب حين شب وقودها) بزيادة حين، وبه يستقيم الوزن.

(٢) في (ي): (أبلغ).

(٣) الأعراف: ٥٦. وذكر هنالك ما خلاصته: أنه ذهب أهل الكوفة إلى أن التذكير هنا بناءً على تقدير المكان، أي: في مكان قريب، وأما مذهب البصريين فقال الزجاج: «إنما قيل قريب؛ لأن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي».

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٣، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٥، والثعلبي ٧/ ٦٠ ب والبغوي ٤/ ٢٠٦، والقرطبي ٩/ ١١٥.

(٥) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٥.

(٦) الثعلبي ٧/ ٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٥.

(٧) الثعلبي ٧/ ٥٦٠ ب، القرطبي ٩/ ١١٤، البغوي ٤/ ٢٠٦.

(٨) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، وأخرجه الطبري ١٢/ ١٤٣ بمعناه، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٥، وانظر: «الدر» ٣/ ٦٤٥، «تنوير المقباس» ١٤٦.

الاختلاف للاختلاف، وقال الكلبي عن أبي صالح عنه(١): خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا، وأهل العذاب لأن يختلفوا، وخلق الجنة وخلق لها أهلا، وخلق النار وخلق لها أهلًا.

وروى منصور بن عبد الرحمن الغُدَّاني عن الحسن(٢) ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: الناس مختلفون في الأديان، إلا من رحم ربك فإنه غير مختلف، قال: فقلتُ له: فقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال: خلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه، وخلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار، فعلى هذا الإشارة بقوله (ولذلك) تعود إلى الاختلاف والرحمة، ثم يعبر عنهما بالشقاء والسعادة، فيقال: ولذلك خلقهم أي خلقهم للسعادة والشقاء، وهو قول الفراء(٣) والزجاج(٤).

قال أبو بكر: من ذهب إلى أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الشقاء والسعادة قال: إنهما يرجعان إلى معنى واحد تقديره: وللامتحان خلقهم، على أنَّا ذكرنا في مواضع أن الإشارة بلفظ (ذلك) إلى شيئين متضادين يجوز، قال أبو عبيد(٥): الذي أختاره في تفسير الآية قول من قال خلق فريقًا لرحمته

---

(١) الرازي ١٢/ ١٤١، القرطبي ٩/ ١١٥، «زاد المسير» ٤/ ١٧٢.

(٢) الطبري ١٢/ ١٤١، وعنده وابن أبي حاتم بلفظ قال: خلق هؤلاء لجنته، وهؤلاء للنار وخلق هؤلاء للنار وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لرحمته وهؤلاء للعذاب، والغداني، وهو: منصور بن عبد الرحمن الغُدَّاني الأشل النضري وثقة ابن معين وأبو داود، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به. انظر: «تهذيب التهذيب» ٤/ ١٥٨، «تهذيب الكمال» ٢٨/ ٥٤١.

(٣) «معاني القرآن» ٢/ ٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٥) البغوي ٤/ ٢٠٧، وقال أبو عبيدة.

وفريقًا لعذابه لأنه موافق للسنة.

وقال أبو إسحاق[(١)]: ويدل على صحة هذا القول. قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، قال الكلبي[(٢)]: يريد من كفار الجن وكفار الإنس.

وقال الفراء[(٣)]: صار قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يمينًا، كما تقول: حَلِفِي لأضربنك، وبدا لي لأضربنك، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾ [يوسف: ٣٥] ولو كان (أن يسجنوه كان صوابًا).

١٢٠- قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾، قال الزجاج[(٤)]: ﴿كُلا﴾ منصوب بـ (نقص)، المعنى: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك، و﴿مَا﴾ منصوبة بدلا من (كل)، المعنى نقص عليك ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قال ابن عباس[(٥)]: يريد لنزيدك يقينا، وفسر التثبيت ههنا بالتشديد[(٦)] عن ابن عباس[(٧)]، وبالتقوية عن الضحاك[(٨)] والتصبير عن ابن جريج[(٩)]، وهو الأقرب؛ لأن ما يقص عليه من أنباء الرسل إنما هو للاعتبار بها؛ لما فيها من حسن صبرهم على أممهم، واجتهادهم في دعائهم إلى عبادة الله، فإذا سمعها

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٢) «زاد المسير» ٤/ ١٧٢، «القرطبي» ٩/ ١١٥.

(٣) «معاني القرآن للفراء» ٢/ ٣١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٥) البغوي ٤/ ٢٠٧.

(٦) في (ي): (التشديد).

(٧) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٦.

(٨) الثعلبي ٧/ ٦١ أ.

(٩) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٦.

النبي ﷺ كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه.

وقال الزجاج[(١)]: وتثبيت الفؤاد وتسكين القلب ههنا ليس للشك، ولكن كلما كانت الدلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وهذا الذي قال الزجاج معنى قول ابن عباس: لنزيدك يقينا.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾، قال ابن عباس[(٢)] والحسن[(٣)] ومجاهد[(٤)] والأكثرون: يعني في هذه السورة.

قال أبو إسحاق[(٥)] وابن الأنباري[(٦)]: وخصّت هذه السورة؛ لأن فيها أقاصيص الأنبياء ومواعظ، وذكر ما في الجنة والنار.

وقيل[(٧)]: وجاءك في هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع؛ وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩] وقوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: ١١١] وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥] الآيات، ويعني بالحق ما ذكر من أن الخلق يجازون بأنصبائهم، وأن بعضهم يصير إلى النار بشقائه، وبعضهم يصير إلى الجنة بسعادته، وخصت

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤، وانظر: «تهذيب اللغة» (ثبت) ١/ ٤٧٠.

(٢) الطبري ١٢/ ١٤٦، عبد الرزاق ٢/ ٣١٦، والفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، وأبو الشيخ وابن مردويه، كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦، القرطبي ٩/ ١١٦.

(٣) الطبري ١٢/ ١٤٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣.

(٤) الطبري ١٢/ ١٤٦، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٦) «زاد المسير» ٤/ ١٧٤.

(٧) ساقط من (ب)، ذكر هذا القول الزجاج في معانيه ٣/ ٨٤.

هذه السورة أو هذه الآيات بمجيء الحق فيها -وإن كان جميع ما أنزله الله حقا- تشريفًا للسورة ورفعًا لمنزلتها، وغيرها من السور غير منتقص الفضل بما لحق هذه السورة[(١)] من الاختصاص[(٢)]، كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، [البقرة: ٢٨٣] [فاختصاص الوسطى][(٣)] لا يزيل عن غيرها معنى التشريف ووجوب المحافظة عليها، ومثله كثير، وهذا الذي ذكرنا معنى قول أبي إسحاق[(٤)] وابن الأنباري[(٥)]. وقال الحسن[(٦)] وقتادة[(٧)]: وجاءك في هذه الحق: في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يريد أنهم يتعظون إذا سمعوا هذه السورة بما نزل بالأمم لما كذبوا أنبياءهم، فتلين قلوبهم لسلوك طريق الحق، ويتذكرون بها الخير والشر، وما يدعو إليه كل واحد منهما من عاقبة النفع والضر، كما دعا إليه الأمم المكذبة الكافرة، والمصدقة المؤمنة.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ووعيد، يقول ما أنتم عاملون ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ وستعلمون عاقبة أمركم ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما يعدكم

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) انظر: «زاد المسير» ٤/ ١٧٤، «القرطبي» ٩/ ١١٦.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٨٤.

(٥) «زاد المسير» ٤/ ١٧٤.

(٦) الطبري ١٢/ ١٤٧، الثعلبي ٧/ ٦١أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣، البغوي ٤/ ٢٠٧، القرطبي ٩/ ١١٦.

(٧) الطبري ١٢/ ١٤٧، الثعلبي ٧/ ٦١أ، «زاد المسير» ٤/ ١٧٣، البغوي ٤/ ٢٠٧، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٩٦، أبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦، القرطبي ٩/ ١١٦.

الشيطان ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا من النصر والعلو، عن ابن جريج[١].

وقال ابن إسحاق[٢] ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما يحل بكم من العذاب ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال أبو علي[٣]: الغيب مصدر مضاف إلى المفعول على الاتساع وحذف حرف الجر؛ لأنك تقول (غبت في الأرض)، و(غبت ببلد كذا) فتعديه بحرف الجر، فحذف وأضيف المصدر إلى المفعول به في المعنى، نحو: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾، [ص: ٢٤] ويحتمل وجهين: أحدهما: ذو[٤] غيب السموات والأرض، أي ما غاب فيهما من أولي العلم، والآخر: أن يكون المعنى: ولله علم[٥] غيب السموات والأرض، ويدل على هذا قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال ابن عباس[٦] في رواية الوالبي: يعني خزائن السموات والأرض، وقال الضحاك[٧]: يعني جميع ما غاب عن العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ في المعاد حتى لا يكون

---

(١) الطبري ١٢/ ١٤٨، وأبو الشيخ كما في «الدر» ٣/ ٦٤٦.
(٢) انظر: «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢٥٥.
(٣) القرطبي ٩/ ١١٧.
(٤) في (ي)، (ج): (ذوو).
(٥) ساقط من (ي).
(٦) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، القرطبي ٩/ ١١٧.
(٧) الثعلبي ٧/ ٦١ أ، البغوي ٢/ ٤٠٧، القرطبي ٩/ ١١٧، «زاد المسير» ٤/ ١٧٥ .

للخلق أمر كما يكون في الدنيا للفقهاء والأمراء، وقرئ ﴿يَرجع﴾[١]، وذكرنا هذا مستقصى في المعنى والتوجيه عند قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[٢] في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أي أنه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، والمعنى في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ينصرف إلى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وقرئ[٣] (تعملون) بالتاء على معنى قل لهم: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) قرأ نافع وحفص عن عاصم (يُرجَع) بضم الياء وفتح الجيم، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (يَرجِعُ) بفتح الياء وكسر الجيم، انظر: «السبعة» ص ٣٤٠، «الكشف» ١/ ٥٣٨، «إتحاف» ٢/ ١٣٧.

(٢) البقرة: ٢١٠. قال هنالك: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي من الجزاء ومن الثواب والعقاب، وذلك أن العباد في الدنيا لا يجازون على أعمالهم، ثم إليه يصيرون، فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء .. ويكون المعنى على أن الله ملّك عبيده في الدنيا الأموال والتصرف فيها، ثم يرجع الأمر في ذلك كله إلى الله تعالى في الآخرة فلا يملك أحد شيئًا».

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «السبعة» ص ٣٤٠، «الكشف» ١/ ٥٣٨، «إتحاف» ٢/ ١٣٧.